موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

القرآن الكريم
التفسير المختصر



www.nabulsi.com info@nabulsi.com

الباب الأول : تفسير سور (البقرة – آل عمران – النساء – المائدة – الأنعام)

الفصل الأول : تفسير سورة البقرة

الفصل الثاني : تفسير سورة آل عمران

الفصل الثالث : تفسير صورة النساء

الفصل الرابع : تفسير سورة المائدة

الفصل الخامس : تفسير سورة الأنعام

الفصل الأول : تفسير سورة البقرة

الدرس (1-9) : تفسير الآيات 155-156-157 ، حكمة الله من المصائب التي يسوقها لعباده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

أخ كريم، من إخواننا الكرام، من هذا المسجد سألني قبل يومين أن أعالج موضوع المصيبة في هذا الدرس القصير، فهو موضوع كبير، وأن تعرف حكمة الله من المصائب التي يسوقها اللهُ لعباده فهذا جزءٌ من عقيدة المسلم، وأن تعرف حكمته البالغة من المصائب التي يسوقها لعباده فهذا يعينك على تقبلها، ويساعدك على أن تستفيد منها.

لقد قيل... من لم تُحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر، فإذا الله عز وجل ساق لإنسان مصيبة ولم يستفد منها فهو المصيبة كلها، فهذا الإنسان مصيبة.

العلماء الأجلاء أفاضوا إفاضات واسعة حول حكمة المصائب، لكنني أسوق لكم كلمة موجزة مركزة حول المصائب.

إخواننا الكرام ؛ المصائب نوعان في الأصل ؛ نوع يتجه إلى الكفار، ونوع يتجه إلى المؤمنين.

فمصائب الكفار... نوعان ؛ قصمٌ وردعٌ.

بمعنى أن الله سبحانه وتعالى إذا علم أن فلاناً لن يؤمن و الدليل:

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36)﴾

(سورة هود: الآية 36)

فإذا علم الله سبحانه أن هذا الإنسان لن يزيده عمره إلا فساداً، ولن يزيده استمرار حياته إلا انحرافاً، يقصمه الله سبحانه وتعالى، وهذه مصائب قصمٍ، وهذا ما جرى لقوم نوح عندما أغرقهم الله بالطوفان.

أما مصائب الردع فإذا علم الله سبحانه وتعالى أن هذا الإنسان فيه بقيةٌ من خير، وفيه أثر من إيمان، فإنه يرسل له مصيبة لردعه عما هو فيه، فهذان النوعان هما مصائب أهل الدنيا، مصائب المنحرفين، ومصائب الكفار مصائب قصم و ردع.

لكنَّ المؤمنين لهم مصائب خاصة، تصور أنّ مؤمنًا مستقيمًا ومبتلًى، وهناك سيارة تمشي على طريق، سيارة منضبطة منتظمة جيدة، والطريق مستقيم، إذًا فأنا أشبِّه هذا المؤمن بالسيارة وأقول: هو مؤمن صالح لكنه يسير في عبادته على وتيرة بطيئة، ودون ما نشاط في محاولة زيادة جهده في عبادة ربه، واللهُ سبحانه يعلم أن باستطاعته زيادة نشاطه و إقباله على ربه، عندئذ تأتيه مصيبة (دفع) يدفعه الله بها إلى بابه ليزيد من إقباله على طاعة ربه، تمامًا كالسيارة التي هي صالحة وجيدة، و لكنها تسير بسرعة بطيئة، و يعلم صاحبها أنها مجهزة و قادرة على السير بسرعة أضعاف سرعتها الحالية، و كذلك يمكن أن يزيد في حمولتها، (فزيادة حمولتها رفع في الأجرة التي يتقاضاها) فيسوق له ما يجعله يضاعف من حمولتها (وهذه مصيبة رفع) فكما دفعه الله لبابه، رفع له من ثوابه.

فمصائب المؤمنين مصائب دفع، ومصائب رفع.

قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)﴾

(سورة البقرة 155-157)

إنّ المستقيم على أمر الله، والمنضبط إذا أصابته مصيبة يستجيب اندفاعًا إلى الله، فقد تكون صلاته فاترة، والتجاؤه فاترًا، ودعاؤه فاترًا، وعبادته مفرغه من مضمونها، لكنه مستقيم، ماله حلال، غاض بصره، بيته إسلامي، إلا أن همته ضعيفة، وعبادته يغشاها فتور واضح.

فربنا عز وجل... يدفعه إلى بابه دفعاً، يدفعه إلى بابه مهرولاً، فيلجأ إلى باب الله عز وجل بمصيبة تلحقه لتردّه إلى الله ضارعًا منيبًا.

إخواننا الكرام ؛ المؤمن، له مستوى في معرفة ربه، معرفة قدرته، ومعرفة رحمته، فحينما تأتيه مصيبة، ويخاف من آثارها، ويلجأ إلى الله عز وجل مبتهلاً، عندئذ يرى أن الله هو الفعال، فيوقظه منها، على خلاف قوانين الأرض، ثم إنّه يرى أن الله يحبه.

فأية مصيبة يسوقها الله عز وجل للمؤمن تزيده معرفة بربه، وتزيده حباً له.

صدِّقْ بأنه لا يمكن لمؤمن بعد المصيبة أن يكون كما كان قبلها، فهو بعد المصيبة أكثر معرفة بالله، وأكثر محبة له.

أبداً !! فالمؤمن بعد كل مصيبة أكثر معرفة بقدرة الله، وأكثر إيماناً، وأنه هو الإله حقًّا، فصار أكثر محبة له، بالرحمة التي يراها من ربه، لذلك:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)﴾

(البقرة: من الآية216)

هذه مصائب المؤمنين ؛ مصائب دفع، ومصائب رفع، فإذا كنت تتقاضى أجرةً عن كل طن خمسة آلاف ليرة، وعندك الآن طن واحد بسيارتك، ومن الممكن أن تأخذ عشرة أطنان، فكما أن السيارة التي تحمل طنًّا واحدا يمكن أن يحمل صاحبها أضعاف حمولتها تلك، فكذلك المؤمن الذي يريد أن يرفعه الله تعالى، إذْ يعلم أن هذا المؤمن قادر على بلوغ مرتبة أسمى و أعلى كتلك السيارة التي تزيد حمولتها فتأتيه (مصيبة رفع) ترفعه وتُعلي مقامه عند بارئها.

((فَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ))

(رواه الترمذي)

فإذا كنت مستقيمًا ملتزمًا مطبقًا لأمر الله، وجاءتك مصيبة، فهذه من أجل أن يرفعك الله درجة أو درجات، وأن يرفع مقامك إليه.

وإذا كنت في فتور بعبادتك، بحكم الاعتياد، ودينك صار دينًا شكليًا، فالله وكنتَ مستقيمًا، فالله عز وجل يدفعك إلى بابه بطريقة ما.

فمصيبة المؤمنين...إما دفع إلى باب الله، وإما رفع في المقام.

يعني...السيارة تسير بسرعة خمسةٍ وعشرين كم/ الساعة، وبإمكانها أن تسير بسرعة مائة كيلومتر/ الساعة وتركتها تمشي على المائة، فمصائب المؤمن مصائب شده، فالأنبياء عندهم كمالات، وعندهم مشاعر نبيلة، لا تظهر إلا بالمصائب.

يخرج عليه الصلاة و السلام من مكة ثمانين كيلومترًا، ماشيًا على قدميه ليدعو أهل الطائف إلى الإسلام، ولينقذهم من النار، لكنهم ويسخرون منه، ويكذبونه، فيأتيه ملك الجبال ويقول له: **يا محمد "صلى الله عليه وسلم"، أمرني ربي أن أكون طوع إرادتك، لو شئت لطبَّقتُ عليهم الجبلين،** فيقول: **لا ولكنْ: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون !** يدعو لهم، ويعتذر عنهم، ولا يتخلى عنهم، فمصائب الأنبياء تكمل بكمالاتهم، ومصائب المؤمنين.. دفع من الله ورفع لمقاماتهم، ومصائب الكفار.. قصم لهم، إذا لم يكن فيهم خير، وإذا علِم أنّ فيهم بقية خير، كانت مصيبته لهم ردعًا.

فمصائب الكفار... قصم وردع.

ومصائب المؤمنين... دفع ورفع.

ومصائب الأنبياء... كشف لحقائقهم، فهُم أهل الكمالات.

وإذا فهِم الإنسان المصيبةَ فهذا الفهم الحلو يجعله يرضى عن الله.

وبينما كان واحدٌ يطوف حول الكعبة، قال: **ربِّ هل أنت راضٍ عني ؟** وكان وراءه الإمام الشافعي، فقال له: **يا هذا هل أنت راضٍ عن الله، حتى يرضى عنك،** قال: **ما هذا الكلام يا رجل، ومن أنت،** قال **أنا محمد بن إدريس الشافعي.**

وقبل أنْ أختم حديثي أقول:

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19)﴾

(سورة الرعد)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-9) : تفسير الآية 129 ، أركان الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ أُثِرَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى.

فماذا دعا سيدنا إبراهيم ؟ ورد في سورة البقرة في الآية التاسعة والعشرين بعد المئة قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)﴾

(سورة البقرة)

إنّ دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لها أربعة أركان:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ﴾

أية آيات يا ترى ؟

إذا توهمنا أنها آيات القرآن الكريم، بعد قليل يقول الله عز وجل:

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾

لذلك يرجح أن تكون الآيات التي وردت في هذه الآية تشير إلى الآيات الكونية.

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ ﴾

وإذا أردنا أن نجمع بين المعنيين فلنا أن نقول:

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ ﴾

القرآنية الدالة على الآيات الكونية.

أليس في القرآن آيات كونية قرآنية تتحدث عن الكون ؟ والقصد من ذلك، أنك من خلال الكون تعرفه.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾

الكتاب هو المنهج، فأنت محتاج إلى شيئين ؛ إلى أن تعرفه أولاً، وإلى أن تطيعه ثانياً، فبالكون تعرفه، وبالقرآن تعبده، فأنت محتاج إلى أن تعرفه و إلى أن تعبده، فلو أننا أهملنا معرفته لم تصح العبادة.

وأغلب الظن أنّ الإنسان يلجأ إلى أساليب كثيرة يحتال بها على الشرع، فمن الذي يحتال على الشرع ؟ هو الذي لا يعرف المشرع.

لذلك أية دعوة إلى الله لا تبدأ بالتعريف بالله، وتسمي بالتعريف من أجله لا تنجح.

والنبي صلى الله عليه وسلم بقي بمكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً، يُعرِّف أصحابه بالله، فلما تَرسَّخ الإيمان في قلوبهم، وعرفوا الله معرفة صحيحة، وقدروه حق قدره، عندئذ نزل التشريع وطبَّقوه نصاً وروحاً.

أمّا إذا كانت معرفة المرء بالله قليلة، فعندئذٍ لو جاءَهُ التشريعُ فإنّه يطبِّقه نصاً لا روحاً.

إنّ كل الحيل الشرعية أساسها ضعف في معرفة الله عز وجل.

فأركان الدعوة إلى الله:

﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ ﴾

الآيات الكونية الدالة على عظمة الله.

إخواننا الكرام ؛ لا بد من مثل موضِّحٍ، وها أنذا أسوقه:

هناك في أمعاء الإنسان غشاء شفاف، هذا الغشاء الشفاف اسمه الغشاء البرتوني، له دورٌ خطيرٌ في الدم، وفيه عقد بلغمية ونهايات عصبية، وهو يحمل الأمعاء بشكل مرن، ولو أنه حملها بشكل غير مرن لاضطرب عملها، فالأمعاء أساسها أنّ لها حركة ميكانيكية من أجل الهضم، فلا بد من أن تُحمل. وفي المركبة هذا العازل حامل الغاز محول، وهو محول بحلقات مطاطية، يحث يتحرك مع المحرك، دون أن يُزعج السيارة، فهذا معلق، لكنه تعليق حركي.

والأمعاء معلقة في البطن بتعليق حركي، معلقة بغشاء يسمح لها بالحركة عن علم، فهذا الغشاء:

أولاً: يحمل الأمعاء حملاً مرناً.

ثانياً: فيه نهايات عصبية.

ثالثاً: فيه عقد بلغمية، أما هذه العقد البلغمية فشيء لا يصدق ؛ إنها مركز دفاع.. فيه قسم على شكل جنود استطلاع، وقسم على شكل جنود تصنيع أسلحة، وقسم آخر على شكل جنود مقاتلين.

فإذا حصل انثقاب بالأمعاء من التهاب حاد فيها، وخرج من الأمعاء بعض الإنتانات، فهذه العقد البلغمية في الغشاء البرتوني تنطلق منها جنود لتكشف نوع الجرثوم، تصنع المصل مرة ثانية، ترسل هذا السلاح مع جنود مقاتلين، كل هذا يتم بالتعبير الحديث "التطويق"، يطوق هذا الجرثوم لئلا ينتشر، ويفشو ضرره في الجسم.

لكن الشيء الغريب ؟ أن هذه الأمعاء ليس فيها أعصاب حس،فلو فتحنا أمعاء إنسان وسكبنا فيها ماء ساخنًا لم يشعر صاحبُها بشيء، لا أعصاب حس فيها، أما إذا انثقبت هذه الأمعاء ، فالنهايات العصبية في الغشاء البرتوني تنقل الألم الشديد للإنسان.

فالنهايات العصبية جهاز إنذار مبكر، والعقد البلغمية ؟ جيش دفاع.

وفي الوقت نفسه هذا الغشاء يحمل الأمعاء حملاً مرنًا، حيث إنها تتحرك حركة معوية دون أن يتأثر الحمل.

إذاً: حمل، وتثبيت مرن، وجهاز دفاع معقد، ونهايات عصبية، وهذا كلُّه تدبيرُ مَنْ؟.

الآن دققوا في قوله تعالى:

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (15)﴾

(سورة محمد.الآية.15)

فليس هناك أعصاب حس، فلو أن هذا الماء قطع الأمعاء فعندئذٍ يبدأ الألم، وآلام الإنسان لا تبدأ إلا إذا ثُقِبَتْ الأمعاء، ثم بعدها تتأثر النهايات العصبية.

هل تسمح المعطيات العلمية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التفسير؟..

إذاً هذا كلام خالق الكون، وهذا معنى:

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

(سورة آل عمران 164)

الكتاب هو القرآن وما فيه، والحكمة هي السنة.

القرآن الكريم فيه كليات، والنبي صلى الله عليه وسلم في سنته القولية والعملية يبيّن، والكتاب هو المنهج، والآيات الكونية هي المعرِّف.

فالآيات الكونية مع المنهج القرآني مع السنة التفصيلية القولية والعملية ثلاثة أركان للدعوة، وأما الركن الرابع فقال تعالى:

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾

فإذا حذفنا مكارم الأخلاق من حياة المؤمن، فقد حذفنا منه كل شئ، وبعدها ليس له عند الله شئ، وإن الإيمان حسن الخلق، وتصفو نفوس المؤمنين باتصالهم بربهم:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾

أربعة أركان للدعوة ؛ تلاوة الآيات الكونية كي نعرفه، ودراسة الآيات القرآنية كي نعبده، والاتصال بالله عز وجل كي تزكوَ نفوسنا بقربه، فإذا عرفناه بالكون وأطعناه بالقرآن والسنة واتصلنا به فقد زكت نفوسنا، وعندئذ نكون قد حققنا المنهج الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأية دعوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا تتلمس خصائص دعوة النبي صلى الله عليه وسلم دعوة لا تنجح.

فلو علَّمنا الناس الفقه وحده، ولم نعرفهم بالله عز وجل لن تنجح دعوتنا، وإذا قدّمنا الأمر على الآمر، لا ننجح في دعوتنا، وإذا أهملنا التزكية يصبح الإسلام ثقافة رفيعة، لكن المعاملة سيئة، فإذا ألغينا التزكية، ألغينا الإسلام، وإذا ألغينا المنهج، ألغينا الإسلام، وإذا ألغينا تلاوة الآيات، ألغينا الإسلام.

إنَّ الإسلام كل متكامل... لابد من آيات تتلى.. كي نعرف الله، ولابد من منهج يطبق.. كي نتقرب منه، ولابد من نفوس تتزكى.. كي نكون أهلاً لدخول الجنة.. هذا معنى الآية الكريمة:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)﴾

إخوانا الكرام قد يُعرِض إنسانٌ عن شيخه احتقاراً له، أما إذا أعرض عن الدين فهو يحتقر نفسه.

فإذا أعطاك أحدٌ جوهرة تُقدَّر بثلاثين ألفًا، وأعطاك قطعة بللور تقدَّر بليرة، ثم فكرت.. وفكرت.. وفكرت.. وأخذت قطعة البللور، فأنت عندئذ لا تفهم شيئًا إطلاقاً.

عُرضت عليك هديتان ؛ قطعة ألماس أصلي، و قطعة بللور تشبه قطعة الماس، فحينما تُعرِض عن الألماس الصحيح، وتقبل هذه القطعة البللورية فأنت حقَّرْتَ نفسك، إذ برهنت أنك لا تعرف حقائق الأشياء.

فربنا عز وجل يقول:

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾

فإذا لم يلتفت الإنسان إلى الدين، ولم يقبل على هذا الدين الحنيف، وما اتصل بالله عز وجل، وما قرأ القرآن، وما تدبر آياته، وما صدق تعاليم الله عز وجل، فهذا لا يحتقر الدين، لكنه يحتقر نفسه، وهذه الآية:

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130)﴾

(سورة البقرة.الآية.130)

فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((أنا دعوة أخي إبراهيم و بشارة أخي عيسى.))

وآخر آية في السياق تريحكم من كل قضية سابقة، ومن أي خلاف ديني سابق، ومن أي خلاف بين مذاهب المسلمين، ومن أي خلاف بين الصحابة الكرام، ومن أي خلاف بين فرق الإسلام، فهذا الخلاف كله مغطى بآية واحدة، وانتهى الأمر ، فقد قال الله تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)﴾

(سورة البقرة.الآية. 134)

وفر وقتك، واكسب حياتك ، فالهدف واضح، والمنهج واضح، فعليك ألاّ تدخل في متاهات قديمة، وعليك ألاَّ تجترَّ حوادث تاريخية عفا عليها الزمان، فلا ترجع وتعمل على إحيائها بعد موتها، فهذه متاهات لا تنفع المسلمين اليوم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)﴾

(سورة البقرة.الآية. 134)

فمثلاً شخص في طريقه إلى حلب وهنالك مليون ليرةِ ليقبضها، وجرت وراءه مشادَّة، فليس له مصلحة في أنْ يرجع إلى الوراء، وليس عليه أنْ يتعرف على صاحب الحق في هذه المشادة، ليكن من كان.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾

والآن هناك محاولات استعادة التاريخ القديم، والدخول في دوامة أنّ الحق مع فلان، والحق على فلان، وهذا أحق بالخلافة، لا بل هذا أحق منه بها، لقد مضى كلٌّ مِن هذا وذاك.

يا أخي تلك قضية قديمة، ولدينا الآن هدف واضح، وعندنا منهج، فهذه الآية تغطي التاريخ كله.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)﴾

(سورة البقرة.الآية. 134)

إنَّ كل إنسان له عند الله مكانة، لمعرفته وإخلاصه وعلمه واستقامته، فلا يرفعه مدحنا ولا يخفضه ذمنا، فلا مدحنا ينفعه، ولا ذمنا يضره بعد أنْ غدا إلى ربه، وأصبح في ذمته.

إذاً نحن نريح أنفسنا ونريح الآخرين من كل قضية تاريخية سابقة، فلم تعُد تقدم ولا تؤخر.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-9) : تفسير الآية 177 ، جوهر الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام ؛ في سورة البقرة آية رقمها سبعة وسبعون بعد المئة، يقول الله تعالى في الآية:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)﴾

كتمهيد لهذه الآية نأخذ موضوع الدراسة المدرسية، فلو أن طالباً اعتنى بدفاتره وجلدها واعتنى بأقلامه ونوّعها، واعتنى بمحفظته، وبهندامه وبشطيرته كل يوم، واعتنى بكل شيء لا علاقة له بالدراسة ولم يدرس، نقول له: أنت قد تعلقت بالقشور، ولم تتعلق باللباب.

ففي الدين أشياء، إن طُبقت تطبيقًا جيدًا، لكنها لا تصل بها إلى جوهر الدين، فليس لها مردودات إيجابية على تدين صاحبها، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾

يعني ليس النجاح، وليس الفلاح، وليس التفوق، وليس الإحراز في الشكليات:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾

أحيانًا تنشأ مشكلاتٌ بين المسلمين، أخي: القبلة منحرفة بدرجة، القبلة خط وليست مقطعًا، ومادام الخط يحتمل ثلاث درجات، فتقع خلافات بين المسلمين مثلا: كم درجة بنظرك ؟ فقد تجد خصومات وخلافات وتمزقات لأشياء من ثانويات ثانويات الدين، وما أضل قوماً بعد إذ هداهم إلا أوتوا الجدل.

فربنا عزو جل يلفت نظرنا إلى أن في الدين جوهرًا، وعرضاً، فإياكم أن تلتفتوا إلى القشور والأشياء الشكلية الإجرائية وتنسوا اللباب، فهذا الطالب الذي اعتنى بغرفته وطاولته وأقلامه ومحفظته ودفاتره وهندامه، لكنه لم يدرس أبداً، ثم ذهب إلى الامتحان، معه فطيرة ومعه أسبرين ومعه ستة أقلام، ينتظره السائق عند الباب، لكنه ما درس، لا كتب شيئًا، فلن ينجح في امتحانه.

فربنا عز وجل يقول:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ﴾

فإذا آمنت بالله أنه هو الرزاق، وهو المعز وهو المذل، فكيف تعصيه من أجل الرزق؟ معنى ذلك أنك لم تؤمن به رازقاً، فكيف تعصي من أجل أن ترضي زوجتك، فلو أنك أسخطته وأرضيتها لأسخطها الله عليك.

إذاً:

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ﴾

موجوداً وواحداً وفعالاً ورباً وحكيماً وقديراً وغنياً.

﴿مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾

فإنْ أحدٌ نقل اهتمامته للدار الآخرة، ورأى الدنيا عرضاً حاضراً، يأكل منها المؤمن والفاجر، فهذا هو البر و الصلاح و السعادة.

أجل السعيد الذي نقل اهتمامته ونقل أعماله للدار الآخرة.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾

لكن أكثر الناس هذه الأيام وهم والله مساكين، يحسبون لكل شئ من أمور دنياهم حسابًا، فيقدم مثلاً طلبًا للحصول على هاتف لابنه و عمره شهر واحد، على مكاسب الدنيا ولا تراه يلتفت إلى آخرته.

وليعلم الإنسان أيًّا كان و ليذكر قول الله تعالى:

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-9) : تفسير الآية 165 ، الحب الإلهي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ في سورة البقرة آية رقمها الخامسة والستون بعد المئة، يقول الله سبحانه وتعالى فيها:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)﴾

(سورة البقرة)

الإنسان قبل أن نشرح الآية جسدٌ يأكل، وعقلٌ يدرك، وقلبٌ يحب، هذه حقيقة الإنسان، وهذه جوانبه الثلاثة، جسدٌ يأكل، وعقلٌ يدرك، وقلبٌ يحب.

دعونا من الجسد.. فنحن وبقية المخلوقات سواء، أجهزة وأعضاء وأنسجة، ويحتاج إلى طعام وإلى شراب وإلى راحة، له قوانينه وله مبادئه، والأطباء موكلون بمعرفة أمراضه ودوائه.

دعونا من الجسد، ولنقف عند القلب الذي يحب، والعقل الذي يدرك، هل هناك من علاقة بينهما ؟ نعم، وهذه العلاقة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، دققوا في هذا الحديث:

((أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً))

فلو عرضت على إنسان قطعة بللور عادية وقطعة كريستال وقطعة ألماس ؛ فالماس ثمنها ثلاثمائة ألف، والكريستال ثمنها عشرون ليرة، بينما البللور ثمنها ليرتان، ثم قلت له: اختر، فإن اختار البللور فهو لا عقل له، وإذا اختار الكريستال فلديه بقية عقل، ولعله ما انتبه لقطعة الماس، أما الذي يعمل في بيع المجوهرات فإنه يأخذ الماس رأساً.

فكلما نمت معرفتك ونما إدراكك، ارتقى اختيارك، وكلما نما عقلك ارتقى اختيارك، فالذي اختار الدنيا محدود، أحمق، غبي، لأنها قصيرة، ولأنها تنقطع عند الموت، ومهما علوت في الدنيا فكل مخلوق يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت، ومهما كنت غنياً فإن الكفن لا جيب فيه، ولا دفتر شيكات، ليس هناك قبر خمس نجوم، بل كل القبور نجمه واحدة وكل نجوم الظهر.

فمهما كنت في أعلى مكانة في المجتمع، أو بأعلى مكانةٍ في المال، أو كنت حائزًا على أعلى الدرجات العلمية، بورد مثلا، فمصيرك إلى القبر.

فالذي يختار الدنيا، فيه ضعف في عقله، وهو غبي، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً.))

فالبلور والكريستال والماس، كلما كانت خبراتك كانت أعمق اخترتَ الماس، فإنْ دنت فالكريستال جميل، وكأس الكريستال ثمنها مئتا ليرة جميلة، أما قطعة البللور، فقد تكون قطرميز بللور، لونه أزرق وطني، فغاية ثمنها خمس ليرات أو عشر ليرات،قد يقال لك: حجمه كبير، وهو يستحق ثمنًا عشرَ ليرات، وكأس كريستال ثمنها مئتا ليرة، وقطعة ألماس ثمنها ثلاثمائة ألف، فأنت مخيَر لقلة خبرتك، لكن الجواهري لا يتردد ثانية في التقاط قطعة الماس.

إخوانا الكرام ؛ صحابي جليل اسمه عبد الله بن رواحه، تُروى عنه هذه القصة، فإن صحت فلها مغزى كبير، وإن لم تصح فلنا منها عبرة فقط، عيَّنه النبي صلى الله عليه وسلم قائداً ثالثاً في معركة مؤتة، القائد الأول سيدنا زيد، ثم سيدنا جعفر، ثم سيدنا ابن رواحه، والمعركة مخيفة وطاحنة، وأعداد جيش العدو كبيرة، فأول قائد رفع الراية وقاتل لم يلبث أنْ قتل، ثم تسلم القيادة سيدنا جعفر، فأمسك بالراية فقاتل فلم يلبث أنْ قتل هو الآخر، ثم تسلم القيادة عبد الله، وكان شاعرًا فقال بعد ما تردد قليلا:

يا نفس، إلاّ تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت

إن تفعلي فعلها هديت وإن توليت فقد شقيت

***

وأمسك بالراية وقاتل بها حتى قتل.

وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق سيدنا جبريل نبأ هذه المعركة فقال بين أصحابه: **أخذ الراية أخوكم زيد، فقاتل بها حتى قتل، وإني لأرى مقامه بالجنة ثم أخذ الراية أخوكم جعفر، فقاتل بها حتى قتل، وإني لأرى مقامه بالجنة يطير بجناحين،** فسميّ جعفر الطيار، وسوف يبنى بمطار دمشق مسجد، ويسمونه اسم جعفر الطيار، لأن له علاقة بالطيران ، قال راوي الحديث: وسكت النبي صلى الله عليه، فلما سكت غار الصحابة على أخيهم الثالث، سيدنا عبد الله بن رواحه، فقالوا ما فعل عبد الله، فالنبي صلى الله عليه وسلم سكت بقدر ثلاثين ثانية تقريبًا، بقدر ما تردد عبد الله بن رواحة حين أخذ الراية، قال: **ثم أخذ الراية أخوكم عبد الله، فقاتل بها حتى قتل، قال: وإني لأرى في مقامه ازوراراً عن صاحبيه،** لأنه تردد ثلاثين ثانية، ولذا هبطت درجته عن صاحبيه قليلا.

فإذا كان الجواهري متمرّسًا، وعرضتَ عليه قطرميزًا وطنيًّا ثمنه عشر ليرات، وكأس كريستال، ثمنها مئتا ليرة، وقطعة ألماس ثمنها ثلاثمائة ألف ليرة، فإنْ تردد ثانية واحدة فيكون أحمق، ولا يستحق اسم جواهري، فالتردد ذنب أحيانًا.

إذاً فالعلاقة بين العقل والقلب ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وقال:

((أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً..))

فإذا كان العقل له مؤشر "عقرب" وإذا كان الحب له مؤشر أيضًا فلا بد أنْ تعرف أن هذين المؤشرين يتحركان معاً.

وقد تجد بجهاز الساعة عدادين ؛ واحدًا لدورة المحرك، وواحدًا للسرعة، و كذلك مؤشر العقل و مؤشر القلب.

((أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً))

و بعد فلنَعُد إلى الآية:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾

هنا الحمق واضح جليّ، فإنسان فانٍ، إنسان ميت، إنسان محدود، إنسان ضعيف إنسان لئيم، تمنحه حبك، إنها متاهة تؤدِّي إلى الضياع.

إنك لن تجد إنسانًا على وجه الأرض أخلص للنبي كسيدنا الصديق، فماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي))

(رواه البخاري)

إذاً هذا القلب لا يليق به إلا أن يحب الله، فأنت تحتقر ذاتك إذا أحببت غير الله.

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾

(سورة البقرة: الآية 130)

إنّ أشد أنواع احتقار الذات، أن تكون لغير الله، محسوب على غير الله، أو أن تُجَيّر – بالتعبير المصرفي- لغير الله، وأن تحب غير الله، دققوا في الآية:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾

إنك تحب زوجتك أكثر من الله، فهناك علامة، أعوذ بالله !! لا أحب إلا الله، حينما تطيعها في معصية الله، فاعلم أنك تحبها أكثر من الله، وهناك علامة كذلك أنك تحب أولادك أكثر من الله، حينما تطيعهم أكثر من الله، وهناك علامة أنك تحب هذا البيت أكثر من الله والجنة، فإذا جلست به مغتصباً، ولم تعبأ بتهديد الله لك، وتقول: القانون معي، خير إن شاء الله، فليشفع لك القانون عند الله تعالى.

ليس في القبر مِن قانون، فعلامة محبة غير الله، أن تؤثره على الله والأمر لا يحتاج إلى زعبرة، ولا أنْ تتلبس له، ومادمت تطيع إنسانًا وتعصي الخالق، فهذا الإنسان إما أنك تخافه، وإما أنك تحبه أكثر من الله، وهذا هو الشرك بعينه، ويقول صلى الله عليه وسلم:

((أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي أما إني لست أقول إنكم تعبدون صنماً ولا حجراً . انتهت تلك الحال إلى غير رجعة، فلن نتجه إلى صنم نعبده . ولكن شهوة خفية وأعمال لغير الله..))

وهذا هو الشرك الخفي، فهؤلاء:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾

فلم يقل سبحانه و تعالى: ومن المؤمنين، بل قال: ومن الناس.

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾

من علامة إيمانك، أنك تحب الله عز وجل أكثر من كل شيء، فقد قال عمر: يا رسول الله إني أحبك أكثر من أهلي وولدي ومالي والناس أجمعين إلا من نفسي، قال له: يا عمر لمَّا يكمل إيمانك، قال ولِمَ ؟ حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك أيضا، وبعد حين، قال له: الآن يا رسول الله أحبك أكثر من نفسي وولدي ومالي والناس أجمعين، قال له، الآن يا عمر ، الآن كمل إيمانك دققوا في قول النبي الكريم صلىالله عليه وسلم:

((أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً))

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾

لكن متى يصعق الإنسان يوم القيامة قال:

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾

وبعد، فالإنسان من يحب ؟ بالمناسبة، فإنّ قوانين النفس تقول: الإنسان يحب الشيءَ الجميل، ويحب الجمال، ويحب الكمال، ويحب النوال (العطاء).

هناك قصة وقعت من خمسين سنة، فخطيب جامع الورد بحي ساروجه رآى النبي صلى الله عليه وسلم قال له: **قل لجارك فلان إنه رفيقي بالجنة**، ليس معقولاً، أنا الخطيب وأنا الداعية، والمنام ليس لي، بل للسمان جار المسجد، وفي الصباح طرق بابه، وقال له: لك عندي بشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لا أقولها لك إلا إذا قلت لي ما صنعت مع ربك، فلما استحلفه قال له: والله تزوجت امرأة وبعد خمسة أشهر من عرسي كانت في الشهر التاسع، إذاً هذا الولد الذي في بطنها ليس مني.

قال له: بإمكاني أن أسحقها، بإمكاني أن أطلقها، بإمكاني أن أفضحها، لكن وجد أنها زلت قدمها مرة واحدة، وأرادت أن تتوب على يديه، فأتى بقابلة، وأولدتها ليلاً، وحمل الوليد إلى المسجد بعد أن كبر الإمام تكبيرة الإحرام، حتى لا يراه أحد، ووضع الغلام عند طرف الباب، فلما انتهت هذه الصلاة، بكى هذا الوليد، فتحلق المصلون حوله وجاء معهم كواحد منهم، دون أن يشعرهم أنه يعلم، فقال: خير ماذا هنالك ؟ تعالَ انظر، ولدٌ وُلد لتوه، قال: أعطوني إياه أنا أتكفله فأخذه و رده إلى أمه وأمام الجيران سترها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: **قل لجارك فلان: إنه رفيقي بالجنة.**

نحن الآن جميعاً أُعْجِبْنا بهذا الموقف، لأنّ الإنسان يحب الكمال، ويحب المروءة، والشهامة، والأمانة، والإخلاص، والجمال، والإنسان يحب النوال.

لو أنَّ واحدًا قصير القامة، أسمر اللون، ناتئ الوجنتين، غائر العينين ضيق الجبهة، أعرج الرجل، أعطاك مئة مليون، فأينما سار تتبعه ببصرك، رغم أنه ليس حلو المنظر، فالإنسان يحب النوال والعطاء، والكمال، والجمال، وهذه كلها في الله، قال تعالى:

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾

إنّ قوة العطاء من الله، وقوة الجمال من الله، وقوة الكمال من الله، فهو الكامل، وهو الجميل، وهو المعطي، والإنسان تَركه وأحبَّ غيره، وهذا من غبائه، وحمقه وضعف إيمانه، فهذه الآية دقيقة:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾

في الدنيا.

أما الكفار فإنهم يصعقون يوم القيامة، حينما يرون أن كل شيء تمتعوا به كان من الله، وأحبوا غيره، وكل شيء أسعدهم كان من الله وأحبوا غيره.

" إني والإنس والجن في نبأٍ عظيم، أخلق ويحمد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة بعشر أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بالعبد من الأم بولدها ".

قل لي ما الذي تحبه أقل لك من أنت، فكلما نما عقلك أحببت ربك، وكلما ضعف العقل أحببت سواه، وكلُّ شيءٍ سواه فانٍ.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26)﴾

(سورة الرحمن: الآية 26)

فإنْ ربطتَ نفسك مع إنسان يموت، ربطتَ نفسك مع زوجة تموت، وتكون لئيمة أحياناً، فأين عقلُك ؟.

أما إذا أحببت الله فأنت العاقل، وأنت الذكي، وأنت الموفق، وأنت المفلح، وأنت الفائز، وأنت الذي عرفت سر وجودك، وأنت الذي عرفت قيمة وجودك، فلا تعرف قيمة وجودك إلا إذا عرفت الله عز وجل، وأنت لله أوّلاً وأخيرًا.

إنّ الماء للتراب ليسقيه، والتراب للنبات لينبته، والنبات للحيوان ليأكله والحيوان للإنسان ليتغذى به، وأنت لله، فإذا أحببت غير الله فقد وقعت في شر أعمالك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-9) : تفسير الآية 186 ، الدعاء مخ العبادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ يشكو المسلم أحياناً أنه مستضعف، أو أنه ضعيف فعلاً، لكن فاته أن الدعاء الذي هو مخ العبادة يجعله أقوى إنسانٍ، تصور أن أقل رتبة في الجيش مجند غر، فلو أن قائد الجيش قال له: اطلب ما تريد، ألا يبدو هذا المجند الغر أقوى عنصر في الجيش ؟ لأن القائد الأعلى قال له: اطلب ما تريد.

فالمؤمن بالدعاء يغدو أقوى إنسانٍ، لكن فاته أن هذا الدعاء له شروط، قيل: لله رجال إذا أرادوا أراد." **يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة** "أطب مطعمك، أي ليكن طعامك طيباً.

لكنْ ليكن ثمن طعامك حلالاً، يعني لتكن مستقيماً في كسب المال، فإذا كنت مستقيماً في كسب المال، وكان مالك حلالاً،فإذا اشتريت به طعاماً، كان طعامك طيباً، وإذا دعوة الله عز وجل استجاب لك.

درس اليوم حول آية في سورة البقرة رقمها ستة وثمانون بعد المئة، وهي قوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾

ورد في القرآن الكريم ما يزيد عن أربعة عشر آية بهذه الصيغة ؛ تبدأ بكلمة يسألونك، أو يسألك:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾

(سورة البقرة: الآية: 217)

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾

(سورة البقرة: الآية: 219)

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾

(سورة البقرة: الآية: 222)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾

(سورة البقرة: الآية: 219)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾

(سورة البقرة: الآية: 189)

إلا هذه الآية اليتيمة ليس فيها قل:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾

(سورة البقرة: الآية: 186)

خالية مِن كلمة قل، بل جاءت عبارة

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

مباشرة، وهذا يعني كما استنبط العلماء أنه ليس بين العبد وربه حجاب، وليس بين العبد وربه واسطة.

فإذا قلت يا رب: قال الله **لبيك يا عبدي**، وإذا قال العبد يا رب وهو راكع، قال الله: **لبيك يا عبدي**، وإذا قال العبد يا رب وهو ساجد، قال الله: **لبيك يا عبدي**، فإذا قال العبد يا رب وهو عاصٍ قال الله عز وجل: **لبيك.. ثم لبيك.. ثم لبيك.**

ليس ثمّة لحظة يسعد بها الأب أكثر مِن أنه حينما يرى ابنه العاق الشارد عاد إليه، وأعلن توبته، لذلك... إذا رجع العبد العاصي إلى الله، نادى منادٍ في السماوات والأرض، أيتها الخلائق هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله، كيف لا ؟ واللهُ أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد.

إذا كان معك سند بخمسمئة ألف ليرة، وضيعته ! وقال لك صاحب السند أحضِر السند وخذ المبلغ، وإلاّ فمالك عندي شيء!! وقد بحثتَ عنه يومًا أو يومين أو ثلاثة أيام أو أسبوعين، فنصف مليون ضاعت منك، ثم وجدته ألا تفرح، " **والله أشد فرحاً بتوبة عبده من الضالّ الواجد** ".

إنسان كاد يموت عطشاً في البادية، ثم وجد نبع ماء، فالله أشدُّ فرحًا من الظمآن الوارد، وإنسان عقيم معه مئة مليون وليس له ذرية ومتلهِّف قلبه ليكون له ولدٌ، فإذا بزوجته تحمل، قال: " **ومن العقيم الوالد**".

كيف لا ؟ واللهُ أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد، ومن الظمآن الوارد، ومن العقيم الوالد.

لذلك يقول الله عز وجل:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾

من دون كلمة قل:

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

يعني... يا عبدي ليس بيني وبينك أحد، قل يا رب ؛ وأنا أقول: لك لبيك يا عبدي، فمن يذكر أرجى آية بالقرآن الكريم ؟ أرجى آية، لو قرأها إنسان سارق زانٍ وقارفَ كل المعاصي، فإذا قرأ هذه الآية يقشعر جلده.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾

((سورة الزمر (53))

هذه أرجى آية في القرآن الكريم، والصلحة بلمحة، ولا يعرف طعمة التوبة إلا من قبلت منه توبته، يشعر كأن جبالاً أزيحت عن كاهله، يشعر بأنه خفيف، يشعر أنّ خالق الكون يحبه، فبادروا بالتوبة قال سبحانه:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

من أجل أن أجيب دعوتهم.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾

إن آمنت بالله، من خلال الكون، ومن خلال القرآن، ومن خلال أفعال الله عز وجل، ثم عرفت منهجه وطبقت منهجه.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾

ولن يستجيبوا لي حتى يؤمنوا بي، هنا تسلسل عكسي.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾

ولن يستجيبوا لي حتى يؤمنوا بي.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾

إلى الدعاء المستجاب، وبعد، فأكثر الكتب والأدعية مكتوب فيها: الدعاء المستجاب، والدعاء المستجاب إذا آمنت بالله وإذا طبقت أمره، عندئذٍ تكون مستجاب الدعوة، وفي الآية شئ آخر:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

أحياناً الإنسان يدعو في حكم العادة، فبعد كل صلاة هناك دعاء، لكن الدعاء الصادق هو الذي يخرج من قلب المؤمن:

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

إذاً: أن تؤمن بالله خالقاً ورباً ومسيراً، وأن تؤمن بالله موجوداً وواحداً وكاملاً، وأن تؤمن بمنهجه أنه المنهج القويم و الصراط المستقيم، وأن تحمل نفسك على منهجه وعلى طاعته، وأن تدعوه مخلصاً، عندئذٍ تكون مستجاب الدعوة، وأنت بالدعاء المستجاب أقوى إنسان حقًّا، أقوى إنسان على وجه الأرض، فلا تقل: إني ضعيف، ولا تقل: إني مستضعف، ولا تقل: المسلمون ضعفاء في هذه الأيام، لا، أنت بالدعاء أقوى إنسان، وكل ما في الكون، ومَن في الكون بيد الله عز وجل، والله عز وجل ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن الأمر كله إليه، فلو أن الأمر بيد زيد أو عبيد، وقال لك: يا عبدي اعبدني، تقول عندئذٍ: كيف أعبدك وحدك وأمري بيد فلان، لكنه قال لك: لا:

﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

(سورة هود (123))

كله ؛ في صحتك، في قلبك، في كليتيك، في كبدك، في دماغك، في زواجك، في تجارتك، في كسب المال، في وظيفتك، عند مَن هم فوقك، وعند مَن هم تحتك.

﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

(سورة هود (123))

فيا إخواننا ؛ لا تنسوا هذه الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾

يمكن أن تدعوه في سرك دون أن تحرك شفتيك.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً (3)﴾

(سورة مريم)

فإذا دخلت إلى مكان تهابه، قل: يا ربي إني تبرأتُ من حولي وقوتي، والتجأتُ إلى حولك وقوتك، يا ذا القوة المتين.

وإذا أقدمت على عمل، أو على تأسيس مشروع، أو على زواج أو على سفر، أو دخلت بيتك، وفي كل أحوالك.

فمثلاً إذا دخل الإنسان بيته فَسَلَّمَ، قال الشيطان لإخوانه: لا مقام لكم في هذا البيت، وغادره الشيطان ومَن معه، فقل: السلام عليكم عند دخول البيت دائما، فإذا جلس الإنسان إلى الطعام وسمَّى الله، قال الشيطان: ولا مبيت لكم في هذا البيت، فارتحلوا إلى غيره.

قال: فإذا دخل الرجل إلى بيته ولم يسلم، ولم يسمِّ، قال الشيطان لإخوانه: أدركتم المبيت والعشاء، طول الليل خلافات، وطول الليل مشاكل فيما بينه و بين أهله.

فإذا أردت أن يكون بيتك سليماً كأنه قطعة من الجنة، فإذا دخلت فسلم، وإذا خرجت من البيت فقل: اللهم إني أعوذ بك من أن أضل أو أُضل أو أزل أو أُزل أو أجهل أو يجهل عليّ.

إذًا هناك دعاء للدخول.. ودعاء للخروج. ودعاء لدخول المسجد.. اللهم افتح أبواب رحمتك، اخشع بالصلاة، تتلقى من الله تجليات بالصلاة، فإذا خرجتَ من المسجد فقل: اللهم افتح لي أبواب فضلك، ليكن لي عمل صالح أتقرب به إليك، فأنت بين بيت الله وخارج بيت الله، في بيت الله اسأل الله الرحمة، وخارج بيت الله اسأله التوفيق لأعمال صالحة تقربك إليه.

كان عليه الصلاة والسلام إذ جلس إلى المائدة قال:

((الحمد لله الذي أذاقني لذته))

أنت إنْ أكلت صحن فول، أو أي طعام كان، فاصولية، أو تفاحة، أو قطعة حلو، فقل الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى فيّ قوته فصحتي كلها جيّدة والحمد لله، فالإنسان إذا دخل الخلاء، ثم خرج منه، دخل بيته أو خرج منه، أو قارب زوجته مثلاً، أو دخل محله التجاري فادعُ الله، وإنْ نويت خدمة المسلمين فقل: اللهم إني أعوذ بك من يمينٍ فاجرة، وصفقةٍ خاسرة، أتورط فيها، هناك دعاء بالعمل التجاري، دعاء لدخول المسجد، دعاء لدخول البيت، دعاء في أثناء المرض، أنت بالدعاء أقوى إنسان، أقوى إنسان على وجه الأرض، لله رجال إذا أرادوا أراد الله.

الدعاء يحتاج إلى إيمان بالله أولاً... وإلى طاعته ثانياً... وإلى إخلاصٍ في الدعاء ثالثاً... فإذا توافر الإيمان والعمل الصالح والإخلاص كنتَ مستجاب الدعوى، وإذا كنت مستجاب الدعوى كنت أقوى إنسان، فلا تقل: أنا مستضعف وضعيف، فالله معك، وإذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ لا أحد.

كان شخص لا يعرف الله عز وجل، وهو ذو اختصاص نادر بالطب، والقصة من خمسين سنة، والحادثة قديمة، ما يدخل بيت مريض إلا بسيارة تنقله وليرة ذهب يتقاضاها، طبعاً اختصاص نادر ؛ طبيب نسائي، وامرأة عندها ولادةٌ عسرةٌ على وشك الموت، فقد باع أهلُها الفراش من تحت المريضة، ليعطوا الليرةَ الذهبية للطبيب قبل أن يتحرك إلى بيت المريضة.

فلما تقدمت به السن، أصيب بمرض عضال، بعد أربعة أيام زوجته قررت أن تجعله بالقبو، وقد عَمّرَ بناية من أفخر بنايات دمشق القديمة، بينما كان يسكن في الطابق الثالث، فوضعته زوجتُه بالقبو، ولا تأتيه بل تبعث إليه الخادمة، فيقول لها: وين الخانم، ثم تقول له: تضرب في قلبك، الخانم تقول لك: أما تأكل ؟ هذا ما آل إليه الطبيب المشهور الذي لم يرحم الناس، فأقرب الناس إليه، بالغت في إهانته، ثم تفاقم مرضه، وأصبحت له رائحة كريهة، فاستأجرت له قبوًا بعيداً عن البناء، وبقي في القبو الآخر ثماني سنوات ثم توفي.

إذا كان الله معك فمن عليك، فإن عدوك قد يخدمك !! وإذا كان الله عليك فإنَّ زوجتك تهينك ! وابنك قد يضربك !.

وإذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ فيا ربي ماذا فقد من وجدك، واللهِ ما فقد شيئًا، وماذا وجد من فقدك ؟ ما وجد شيئًا، فاعتبروا يا أولي الألباب.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-9) : تفسير الآية 221 ، التكذيب القولي والتكذيب العملي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، في سورة البقرة الآية الواحدة والعشرون بعد المئتين وهي قوله تعالى:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(221)﴾

أيها الإخوة الكرام ؛ هناك نوعان من التكذيب ؛ نوعٌ قولي... ونوعٌ عملي، والتكذيب العملي أخطر من التكذيب القولي !!!

فلو أن مريضًا زار طبيباً، وهذا الطبيب فحصه فحصاً جيداً، وكتب له وصفة، و شكر المريض الطبيب، وأثنى على علمه وصافحه وعظمه وبجله، لكنه لم يشترِ هذا الدواء، فهو إذاً لم يعبأ لا بعلمه ولا بتشخيص مرضه ولا بنوع دوائه.

فعدم شراء الدواء تكذيبٌ عملي لعلم هذا الطبيب، رغم أنك أثنيت عليه وصافحته بحرارة وشكرته.

فالتكذيب العملي هو شراء الدواء، وهذا يدل على أنك لم تعبأ بعلمه البتة.

كلكم يقرأ القرآن الكريم، فإذا قرأتم القرآن الكريم وأنهيتم القراءة فإنكم تقولون: صدق الله العظيم. فإذا جاء خاطب لابنتكم، دينه قوي، لكن دخله المادي وسط، وجاء خاطبٌ آخر، دينه رقيق ودخله كبير، فإذا آثرتم الغني على المؤمن فأنتم لا تصدقون كلام الله عز وجل، ولو قلتم صدق الله العظيم، فالله عز وجل لا يرضى للعبد أن يتعامل معه بالشكليات، فأنت تقول: صدق الله العظيم، ويقول الله لك:

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾

فإنسان وسيم الطلعة دخلُه كبير، عنده معمل بيته ملكه بيته أربعمئة متر مربع، وسيارته على الباب، لكن لا دين له، فلا يصلي، ويسهر يمنة ويسرة بالفنادق، وخطب ابنته رجلٌ مسلم، يقول والدُ الفتاة: طيب هذا شيء مغرٍ، وكان قد خطبها سابقاً رجل فقير، لكنَّه مؤمن إيمانا قويًّا، فأنت آثرت الغني على الفقير، آثرت رقة الدين على قوة الدين، فإذا قرأت قوله تعالى:

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾

فأنت حينما اخترت الغني الفاسق على الفقير المؤمن كذَّبت هذه الآية لا تكذيبًا لفظياً قولياً، بل كذبتها تكذيباً عملياً، والتكذيب العملي أخطر من التكذيب القولي، لأن الذي يكذب بلسانه يُناقَش، فتقيم عليه الحجة، أما الذي يكذب بعمله، فلا تستطيع أن تناقشه، تسمع بعضهم يقول: أعوذ بالله، ما في مثل القرآن، وعملُه يخالف ما في القرآن، ولننتقل إلى مجال آخر، هناك أُناس كثيرون، يذكرون أنهم يصدقون باليوم الآخر، ولكن في الحقيقة لا يعملون ولو عملاً واحدًا لليوم الآخر، لسانهم يكذب عملهم وعملهم يكذب لسانهم.

فيا أيها الإخوة الكرام ؛ القضية، قضية الإيمان قضية مصيرية، وربنا عز وجل يقول:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) ﴾

(سورة الأنفال: الآية: 33)

لهذه الآية معنًى دقيق، فما دام المسلم يطبق سنة رسول الله في حياته، ما كان الله ليعذبه:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾

(سورة النساء: الآية: 147)

معنى الآية:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

(سورة الأنفال(33))

طبعاً سنتك مطبقةٌ في بيوتهم، في أعمالهم، في بيعهم وشرائهم، في زواجهم وطلاقهم، في تجارتهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

(سورة الأنفال(33))

فلِمَ يعذبهم وهم على المنهج الصحيح ؟ إنسان يطبق منهج الله، يطبق سنة رسول الله في كل نشاطاته، لماذا العذاب ؟ والآية صريحة:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً (147) ﴾

(سورة النساء: الآية: 147)

وهناك آية أخرى تؤكد هذا المعنى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾

(سورة المائدة: الآية 18)

وهذا مجرَّد ادعاء فردَّ الله عز وجل عليهم قائلاً:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾

(سورة المائدة: الآية 18)

انظُر :

﴿يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾

فقيَّد العذاب:

﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

(سورة المائدة: الآية 18)

ومن هنا استنبط الإمام الشافعي أن الله لا يعذب أحبابه من هذه الآية، فلو أن الله أقرهم على أنهم يحبونه لما عذبهم.

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

(سورة المائدة: الآية 18)

إذاً:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)﴾

(سورة الأنفال(33))

المعنى الثاني دقيق، يعني إذا كان المسلم قد زلت قدمه، أخطأ بأنْ سبقت منه مخالفة، وندم أشد الندم، واستغفر أشد الاستغفار، وأصلح وتاب إلى الله، فإذا كان بهذا الوضع، فالله عز وجل لا يعذِّبه أيضًا.

يعني إذا أب شاهد أنّ علامة ابنه أخذ بالرياضيات صفر وامتنع الابنُ عن الأكل حزنًا، ودخل الابنُ إلى غرفته واعتصم بها، فلما رأى الأب ابنه بالألم والضيق الشديد فهل يلجأ الأب إلى ضرب ابنه ؟ لا.

فمتى يأتي العذاب ؟ إذا لم نطبق منهج الله ولم نعبأْ بهذه المعصية، وإن طبقنا المنهج فلا نعذب، إن أخطأنا وندمنا فلا نعذب، لكن نتباهى، ولا نطبق ما فيه، ولا نعبأْ بهذه المعصية، فعندئذٍ يأتي التأديب.

أخوانا الكرام ؛ بالعالم الإسلامي كله، ليس مقبولاً أبداً من إنسانٍ ينكر الآخرة، لكن الذي تراه بعينك، أن أحّاد لا يعمل للآخرة، بل نعمل للدنيا، فهذا التكذيب العملي أبلغ ألف مرة من التكذيب اللساني.

مره ثانيه:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

(سورة البقرة (221))

هذا كلام خالق الكون، يعني امرأة صالحة مؤمنة، تحفظ لك نسلك، وتعلم أولادك القرآن، وتعلم أولادك سنة النبي العدنان، وترعاك في غيبتك، فإذا نظرت إليها سرتك، إذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها، وإذا أمرتها أطاعتك، والله شيءٌ جميل، فهذه هي المؤمنة.

أما المشركة فهي عبءٌ عليك، ولو أنها أعجبتك بادئ الأمر، لكنها عبءٌ عليك، فلا تعبأ بك، ولا تأتمر بأمرك، ولا تستقيم على أمر الله عز وجل، ولا تربي لك أولادك كما تريد، دائماً أنت في شك منها، وخالق الكون يقول لك:

﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

وقال تعالى:

﴿ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾

ولم يبقَ عبيدٌ في عصرنا، لكن هناك إنسان فقير مؤمن، وإنسان غني لا دين فيه، فكل الأسر الإسلامية يجب أن تراعي مدلولات هذه الآية، فإنْ لم تفعل، فالمسلم يكذب إذًا كلام الله، وهو لا يشعر، والله يعامل الإنسان لا على كلامه فقط، بل يعامله على فعله كذلك، ولعل العقاب على الفعل أشد و أنكأ.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)﴾

(سورة الأنفال(33))

فأنت اقرأ القرآن، وما فيه من الأمر والنهي، ثم إذا قلت صدق الله العظيم، وقبلت المصحف ست مرات، من كل وجه مرة، ولم تطبق ما فيه، فهذا لا يقدم ولا يؤخر، ولا ينفعك عند الله أبداً، فالذي يقدم ويؤخر العمل، فحينما تصدق كلام الله، مِن أن المؤمن أفضل من المشرك، ولو أعجبك المشرك بوسامته وطلعته وماله وبيته ومنطقة بيته ومركبته، فيجب أن تؤثر المؤمن، وإنْ كان دون مواصفات المشرك، لأن المؤمن إن أحبها أكرمها، وإن لم يحبها لم يظلمها، بل يحافظ على دينها، ويأخذ بيدها إلى الله ورسوله، والدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة.

فيا أيها الإخوة الكرام ؛ حذارِ من التكذيب العملي، أن تصدق بلسانك ويأتي فعلك ليكذب ما نطق به لسانك، وربنا عز وجل كما يعاملنا على ما نتفوّه به فهو كذلك يعاملنا على أفعالنا، والذي يمنعنا من عذاب الله أن نكون عند أمره ونهيه، أو إذا أخطأ أن نندم أشد الندم، ولا تنسوا هذه الآية:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

طبعاً أي سنتك موجودة في حياتهم، فإذا طبقتم سنة رسول الله، والآية واضحة، فأنتم في بحبوحة العيش، وإن أخطأنا وندمنا واستغفرنا وتألمنا، فنحن في فسحة، ويمنحنا الله عز وجل فسحة كي نتوب، أما إذا أخطأنا ولم نتب، أخطأنا ولم نندم، أخطأنا ولم نكترث، عندئذ يأتي عذاب الله عز وجل قال تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59)﴾

(سورة مريم: الآية: 59)

وقد لقي المسلمون ذلك الغي وهو تحت سمعكم وبصركم.

فإذا أردنا من الله عز وجل أن يحفظنا وأن ينصرنا وأن يرحمنا وأن يعزنا وأن يطمئننا وأن يستخلفنا فعلينا بطاعته، وعلينا بتصديق كتابه، القرآن يقول:

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

(سورة البقرة: الآية: 279)

فإنْ لم يعبأ الإنسان بهذه الآية، فهو يكذبه، فحذارِ حذارِ.

أيها الإخوة الكرام ؛ تعاملوا مع القرآن بصدق وبإخلاص، اقرؤوا الآيات بتدبر، فهي كلام خالق الكون، وإذا كان عندك شك بكلام الله فاسأل أهل العلم، ولا يمكن أن يتبادر إلى ذهن إنسان ذرة من شك في أنه ليس كلام الله، لما فيه مِن إعجاز، فالله خالق الكون، وهذه تعليمات الصانع، فكما أنك حريص على آلة حاسبة فتسأل الشركة الصانعة، وكذلك مركبتك تأخذها إلى الوكالة الخاصة لصيانتها، لحرصك عليها، فإذا كنت حريصًا على سيارتك هذا الحرص فلتك أشدَّ حرصًا على نفسك، على مستقبلك، على مصيرك بعد الموت، فهذه الآية جديرة بتدبرها، والعمل بمضمونها، وموضوعها التكذيب العملي... والتكذيب القولي...

وليس في العالم الإسلامي من يكذب هذا القرآن، هذا أمر غير مقبول إطلاقاً، لكن كثيرًا من الناس وقعوا في التكذيب العملي.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-9) : تفسير الآية 284 ، المُلك والتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ في أواخر سورة البقرة آيات دقيقة، وكأن هذه الآيات تلخص السورة بأكملها، بل كأن هذه الآيات تعطينا الطريق العملي لفهم هذه السورة، يقول الله عز وجل في الآية الرابعة والثمانين بعد المئتين:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284)﴾

(سورة البقرة: الآية: 284)

أولاً: هذه اللام... لله... هذه لام الملكية.

فأنتَ مثلاً تقول: القلم لي، والبيت لي، والمركبة لي، فهذه اللام لام الملكية **فلله ما في السموات وما في الأرض،** كلمة السموات والأرض يقابلها الكون، والكون ما سوى الله، والله واجب الوجود، وما سواه ممكن الوجود، وما سواه هو الكون، والتعبير القرآني للكون، السموات والأرض.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

أي الكون كله ملك لله عز وجل.

ما معنى أن يكون الله مالك للكون ؟ ...

أنت قد تملك بيتاً ولا تنتفع به، قد أجرته في الخمسينات بمئة ليرة في الشهر، وثمنه الآن ثلاثون مليونًا، قد تملك بيتاً ولا تنتفع به، وقد تنتفع به ولا تملكه فأنت مستأجر، وقد تملكه وتنتفع به، و لكن مصيره ليس إليك، فمشروع تنظيم مِن قِبل المحافظة يأتي على البيت، فملكية الإنسان دائماً غير كاملة.

فهو إما أنه يملك الرقبة ولا يملك المنفعة، أو أنه يملك المنفعة ولا يملك الرقبة، أو أنه يملك المنفعة والرقبة ولا يملك المصير.

لكن إذا كان الله مالكاً، فالله سبحانه وتعالى يملك الشيء، ويملك التصرف فيه، ويملك مصيره، أجل يملك الشيء ويملك التصرف فيه ويملك مصيره.

﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾

(سورة الأعراف: الآية: 54)

أمره نافذ في خلقه.

قد يصنع المعملُ طائرة ويبيعوها لدولة ما، فأصبحت الطائرةُ ملك تلك الدولة، لكن الله عز وجل له الخلق والأمر، لذلك:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

هذا يؤكده قوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾

(سورة آل عمران: الآية: 26)

شخصًا عنده معمل، وبيته في حيّ خور شيد، ركب مركبته واتجه إلى البيت، فنسي موقعَ البيت !!! قضى نصف ساعة أو أكثر يبحث عن بيته، أُصيب بفقد جزئيٍّ للذاكرة، لكنه عرف بيت ابنه الذي بالجسر، فذهب إلى ابنه وقال له: يا بني أين بيتي؟.

قد يعني أنَّ أيَّ شيء يُملك فالله مالكه، فأنت هل تملك ذاكرتك مثلاً ؟

أعرف ينسى إنسان أولاده، أحد الأشخاص أعرفه، وهو صيدلي في حيّ المهاجرين، جاء ابنه من أمريكا، فقال له من أنت ؟ أفتملك ذاكرتك ؟ هل تملك أن تعيش بعد ساعة، يقال: سكت دماغية، أتملك مزرعتك ؟ بكون ثمنُ محصولها ذات خمسمئة ألف.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) ﴾

(سورة القلم: الآية: 19)

موجة صقيع تستمر عشر ثوانٍ تُتلف المحصول كله، أو لفحة حر تتلف المحصول كله، أو رياح عاتية أقبلتْ رياح عاتية قبل حين، قلعت حوالي خمسمئة بيت بلاستيكي من جذورها، تلاشى البيت كله، وتلاشى المحصول طبعاً، فماذا نملك نحن، بناء بالقاهرة أربعة عشر طابقًا، فيه بنوك، وفيه مؤسسات، وفيه بيوت فخمه، طبعاً ؛ بيت لإنسان غني فيه الآلات الكهربائية، والمكيفات البرادات، آلات التسجيل...إلخ. خلال ثلاث وأربعين ثانية، أصبح هذا البناء ركاماً، خمس درجات على مقياس ريختر تصير تحت خيمة تُؤويك، كان عندك بيت مساحته أربعمئة متر، تزينه ديكورات، وفرشه وفير، بثلاث وأربعين ثانية، غدوت تحت الخيمة ثاويًا، هناك ناس ينزحون من بلادهم، قد يقال: مئة ألف نازح، فنحن لا نملك إلا رحمة الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾

(سورة آل عمران: الآية: 26)

هناك عطاء مادي... وهناك عطاء معنوي... العطاء المادي، بيت، أرض مركبة، تجارة، أموال... والعطاء المعنوي مكانة، عزة، كرامة، أو إهانة، أو فضيحة، أو ذل.

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾

هذا تمهيد للآية الرابعة والثمانين بعد المئتين في أواخر سورة البقرة، قال تعالى:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

وأنت على الأرض تشملك الآية الكريمة، أنت مِن مُلك الله، ثم قال:

﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾

(سورة البقرة: الآية: 284)

إذا كان الإنسان مثلا مصابٌ بمرض نفسي، كأنْ يكون فيه كبر، أو إشراك بالله، وفيه آفةُ الاستعلاء، وتأكيد للذات، أو عنده غرور، فهذه الأمراض إن أبديتها لله أو أخفيتها، لابد من أن يحاسبك عليها.

أما الطبيب إن لم تأته إلى عيادته، وتقول له: إنني لا أنام الليل من ألم المعدة فإنّه لا يعالجك، الطبيب البشري إن لم تأته، وإن لم تخبره بآلامك لا يعالجك، لكن الله عز وجل، لأنه يعلم، ولأنه مالك، ولأنه رحيم. يعلم، ومالك، ورحيم، سواء أعرضت عليه مشكلتك، أم تجاهلتها يحاسبك بها.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾

إخواننا الكرام ؛ أدق ما في الآية:

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾

والله الذي لا إله إلا هو، ملخص، الملخص، إما أن تذهب إليه طواعيةً، إما أن تنتبه لأمراضك النفسية طواعيةً، وإما أن تقبل عليه مبادرةً منك، وإما أن يرغمك على أن تأتيه قصراً.

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾

يعني إنْ أصابك مرض، فقد يقول لك الطبيب: لدينا حبوب، أو عملية جراحية، وإمّا لو امتنعت عن هذه الآكلات، وأخذت هذه المقويات تشفى، فأنت بين خيارين ؛ إما أن تشفى بالحسنى، وإما أن تشفى بعد مصيبة؛ فالآية دقيقة ...

يعني المرض النفسي إن أظهرته أو أخفيته، إن عرضته أو سترته، إن أبديته أو أسررته، إن ذهبت إلى الطبيب أو لم تذهب إليه، فالطبيب يعلم، ورحيم، وعليم وقدير، وأنت بملكه، لأنه رحيم، ولأنه رب العالمين، ولأنه جاء بك إلى الدنيا ليؤهِّلك للآخرة فلا تعصِهِ.

فلذلك أمراضك النفسية مكشوفة عنده، إنْ تكلمتَ أو سكتَّ سيان، و المعالجة تكون بإحدى طريقين.

الطريق الأول: أن تأتيه تائباً، وأن تقبل عليه.

بهذا الاتصال تشفى من أمراضك، أمّا إذا أبيت أن تأتيه طائعاً، ولم تندم على ما تفعل، فالله عنده مليون، مليون، مليون، مليون وسيلة مما يرغمك أنْ تأتيَ إليه ركضًا، مليون وسيلة، بدءاً من صحتك، إلى زوجتك، إلى أولادك، إلى عملك، إلى تجارتك، وأنت مسافر، وأنت في البحر، وأنت بالجو، وأنت بالبر، وأنت في بيتك، وأنت بغرفتك، حيثما كنت فلن تعجزه.

حدّثني أحدُهم ؛ قال لي: أنا أستاذ كنت في أوربا، ليس مِن معصية إلاّ قارفتُها،عدا القتل، فما قتلت أحداً، قال: ثم جئت إلى الشام، ونقلت باريس إلى دمشق، فكل المعاصي ؛ السهرات في النوادي، والخمور، و النساء، لا زلتُ أقارفها، وفجأةً، أنا في مقتبل الحياة، وأحمل شهادة دكتوراه بالكمبيوتر، وفجأةً صار كلُّ شيء يتحرك أمامي مضطربًا، أعوذ بالله، فهو يمشي ويقع، واللهِ عشر محاولات لأمسك الكأسَ فما أقدر، يعني أصابه مرضُ اسمُه فقدُ التوافق الحركي، وأصبح لديه خلل في كهرباء الدماغ، انعكاس واضطراب بالرؤية، واختلال بالمشي، وعُرضتُ هنا على ستة وثلاثين طبيبًا بالشام، فما استفدت، فذهب إلى فرنسا حيث تعلَّم وتخرَّج، وأُدخِل إلى أعظم مستشفى، وجاء الطبيب بالطائرة، وبحثوا عن مرضي، وطبعاً سرتُ على بساط إلكتروني، وانطبعتْ حركاتي على شاشة، فأول كلمة قالها لي الطبيب: مرضك مرض يندر وجوده بالعالم، نسبته واحد من ثلاثة عشر مليون إنسان، كل ثلاثة عشر مليون إنسان يصاب به واحد، ثم قال لي: أنا فداء سوريا كلها، وبلغته إدارة المستشفى أنّ إقامته في فرنسا، وذهابه و إيّابه كل ستة أشهر نفقةً على حساب فرنسا، لا لأنه مكرم بل، لأنهم جعلوا منه حقل تجارب، إنه مرض نادر، ولأجل أنْ يتعلموا فيه اعتبروه ضيفًا، ذهاباً، وإياباً، وإقامةً، وبعد ستة أشهر قال لي الطبيب المعالِج بالحرف ما يلي: أنا أعلمُ طبيبٍ بمرضك في العالم كله، ولا فخر، وللأسف ليس لك عندنا دواء، ارجع إلى بلدك وانتظر أجلك، فرجع إلى الشام، فاعتبر يا أخي المؤمن حيث قال: " **لم تبق مصيبةٌ إلاّ اقترفتُها**".

جاء إلى الجامع يومًا وحضر درسًا، ولعله سُرَّ، فقال يا رب: إذا شفيتني سأصلي، فهو ما صلى في حياته ثمّ حضر درسًا ثانيًا، ولعلّ الله ألهمني كلمة فقلت: أتشترط على الله ؟ أتجرِّب الله عز وجل ؟ فلا شرط، و لا تجربة مع الله، ولا تجرب الله عز وجل، لا تشارط ولا تجرب.

سبحان الله، ثم قال: يا ربي مِن الآن أبدأ الصلاة، وفي البيت صلى أول ركعتين في حياته.

وفي ثالثِ يومٍ، ثبتت الصورة، وقام وصرخ راح فرحًا بالشفاء.

إنّ الصورة ثبتت، وما بقي لديه ارتجاج، وأمسك الكأس من أول محاولة، وبعد ثلاثة أيام عاد صحيحا معافى، وكان الصلح مع الله، ولزم دروس العلم، وتاب إلى الله توبة نصوحًا.

إخواننا الكرام ؛ إمّا أن تأتي طائعًا، وإمّا أنْ يأتي بك ركضًا، وعنده مليون دواء، أحد الأدوية يجعلك لا تنام الليل خوفاً، وأحد الأدوية يوحي إليك أنْ تقول: مستعد لأنْ أبيع أملاكي على أنْ أُشفى.

قلت لكم بالأمس: شخص يحمل دكتوراه، وصل لأعلى منصب بوزارة الصناعة، فَقَد بصره، وبيته بالمالكي، وله سيارة، وزوجة فرنسية، يعيش في بحبوحة، ومكانة، وعز.

زاره صديق لي فأخبرني أنه قال للطبيب: واللهِ أتمنى أن أجلس على الرصيف أتسول، ولا أملك من حطام الدنيا إلا هذا المعطف، وأن يرد اللهُ لي بصري.

إخواننا الكرام:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

أنت ملكه، وهو رحيم، وهو رب كريم، وحكيم، وخلقك للجنة، فإذاً أنت بين خيارين.

﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾

فالأمر سيان.

في الجسم أمراض إنْ أظهرتها أو أخفيتها، إن أبديتها أو أسررتها.

﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾

أنت بين طريقين ؛ إما طريق الحمية والحبوب، أو عملية جراحية، وكلاهما على الله سهل.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

للإقبال عليه.

﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾

للإعراض عنه، يبعث له مشكلة.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284)﴾

على هذه قدير، وعلى تلك قدير.

الطريق الأول: أولى وأجمل ؛ أن تأتيه طائعاً، والأمر في متناولك، صحتك طيبة سليمة، وبيتك منتظم، ودخلك جيد، زوجتك كاملة، أولادك ملاح، وأنت بهذه الحالة الطيبة صلِّ وتُبْ وغض بصرك، وحرر دخلك واضبط جوارحك، واضبط سمعك وبصرك، وأنت سليم صحيح الجسم، وإلاّ إذا انحرفت فالله عز وجل يعرف كيف يداويك.

﴿وَإِنْ تُبْدُوا﴾

هذه الآية دقيقة، هذه ملخص سورة البقرة كلها.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

الطريق السلمي أولاً، بأنْ تأتيه طائعاً: أنا يا رب تبتُ إليك، وأريد رضاك.

﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾

إذا غفلت عنه، فعنده أساليب ترجعك قهرًا.

أمَّا

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284)﴾

على هذه قدير، وعلى العملية الجراحية قدير، وعلى إعطائك برنامج حمية مع تناول حبوب قدير، والأولى أهون، فاحذروا يا أولي الألباب.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-9) : تفسير الآية 282 ، شهادة المرأة في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

وبعد ؛ فهذه الدروس القصيرة تتجه أحياناً إلى شرح آية قرآنية، أو إلى شرح حديث شريف، أو إلى معالجة موضوع إسلامي، ففي آيات سورة البقرة الأخيرة في آية الدين بالذات قوله تعالى:

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾

(سورة البقرة(282))

إنّ أعداء المسلمين يأخذون على الإسلام مأخذاً هو أن المرأة في الإسلام ليست مساوية للرجل في الشهادة، فشهادتها نصف شهادة الرجل.

والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى في آياتٍ قرآنيةٍ كثيرة بين وأكد أن المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف وفي التشريف وفي المسؤولية، في التكليف مكلفةٌ بأركان الإيمان، ومكلفة بأركان الإسلام، ومسؤولة عمن استرعاها الله عز وجل، عن رعاية بيت زوجها وأولادها، وفي الآخرة تدخل الجنة كالرجل.

لكن الله سبحانه وتعالى خلق الرجل ببنية جسميةٍ وبنيةٍ نفسيةٍ وبنية عقليةٍ تختلف عما خلق المرأة، وهذا يؤكده:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

(سورة: آل عمران: الآية: 36)

ويؤكد المعنى الأول:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾

(سورة الأعراف: الآية: 189)

فمن جهةٍ، المرأةُ تساوي الرجل في التكليف وفي التشريف وفي المسؤولية، ومن جهة أخرى خلق الله المرأة ببنيةٍ جسميةٍ وبنيةٍ نفسيةٍ وبنيةٍ عقليةٍ تختلف عن الرجل وتكون ملبيةً لزوجها، ألم تقل المرأة التي قابلت النبي صلى الله عليه وسلم وشكت إليه وسمع الله شكواها من فوق سبع سماوات.

قالت: يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة، ذات أهلٍ ومالٍ وجمال، فلما كبرت سني، ونثر بطني، وذهب مالي، وتفرق أهلي، قال: أنتِ عليّ كظهر أمي، ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتم إليّ جاعوا.

فإذا فهم بعض المسلمين، أن المرأة أقل من الرجل في عقلها أو في دينها فهذا فهم جاهلي، لأن الله سبحانه وتعالى حينما-دققوا في هذا الكلام - **حينما زاد في قوة إدراك الرجل وأنقص من انفعاله وعاطفته فهذا كمالٌ في حقه، وحينما أنقص من قوة إدراك المرأة، وزاد في انفعالها ومشاعرها الرقيقة فهذا كمالٌ فيها،** والمجموع واحد في كلا الطرفين، إذا أعطينا قوة الإدراك مع شدة الانفعال مئة درجة، فالمرأة لها مئة درجة في قوة الإدراك وفي قوة الانفعال، والرجل له مئة درجة في إدراكه وفي انفعاله، لكن إدراك الرجل زاد ليحقق رسالته في الحياة، وإدراك المرأة واهتمامها بالقضايا العامة قَلَّ، ولكن زاد بالمقابل في اهتمامها بأولادها، وانفعالها الشديد وعاطفتها الرقيقة.

إذاً الزيادة في قوة إدراك الرجل كمالٌ فيه، ونقص الإدراك في المرأة كمالٌ فيها، وزيادة الانفعال والعطف والعاطفة في المرأة كمال فيها، ونقص العاطفة والانفعال في الرجل كمال فيه، لكن الرجل والمرأة مع التفاوت الشديد بينهما فهما متكاملان، وصفات كلٍ منهما شرط لازم كافٍ لنجاح العلاقة الزوجية.

الأمثلة ؛ سيارة سياحية مهمتها أن تنقل إنساناً مع أهله و أولاده إلى مكان جميل، ومحركها بقوة عشرين حصانًا، وفرشها أنيق، أبوابها رقيقة صوت محركها يكاد يكون معدومًا.

لكن "التركس" هذا الذي من أجل أن يهدم بناء، قوة محركه مئة وعشرون حصان، يمشي على سلاسل، له ركائز، وشفرات، ومجارف، وشوكات، فالتركس كل خصائصه كمالٌ فيه، والسيارة السياحية كل خصائصها كمالٌ فيها.

هذا طيب ! فما هو الفساد في الأرض ؟ أن نذهب إلى نزهةٍ بالتركس، أو أن نهدم بناء بسيارة سياحية، هذا الغلط، حينما نضع المرأة مكان الرجل وقعنا في الفساد، أو حينما نضع الرجل مكان المرأة وقعنا في الفساد، لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء.

وقد قال أحد علماء النفس: المرأة حينما نافست الرجل في الحياة العامة، خسرت مرتين ؛ خسرت المنافسة وخسرت أنوثتها، وأجمل ما في المرأة أنوثتها وحياؤُها، فإذا انطلقت للحياة العامة وخالطت الرجال، خسرت السباق مع الرجال وخسرت أنوثتها.

إذا قلنا للطيار: اجلس في كبين الطائرة مكان القيادة، وقال: هذا تقيد لحريتي، هذا مكان ضيق، وهو يعلم أنَّ أرواح الركاب كلهم برقبته، وهذا مكان القيادة، فلا بد أن يجلس في مكان القيادة.

فيا أيها الإخوة ؛ ما زاد في قوة إدراك الرجل، ونقص في شدة انفعاله كمالٌ فيه، وما نقص في قوة إدراك المرأة وعدم اهتمامها بالقضايا العامة، وما زاد في قوة انفعالها وعاطفتها كمالٌ فيها.

فالنقص كمال... والزيادة كمال...

مثل من الأمثلة، المركبة التي تعد لنقل البضائع، مساحة مكان الشحن مكان البضائع، هذا يزيد كثيراً على حساب كبين الركاب، كمالٌ فيها أما سيارة البولمان السياحية لنقل الركاب، أكبر مساحة للركاب وأقل مساحة للبضائع، فالزيادة هنا كمال والنقص كمال، والأمر كذلك هنا، لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) ﴾

(سورة النجم: الآية: 45-46)

حينما ينطق إنسان ليقول: إنّ الرجل أعلى من المرأة، فهو جاهلي عنصري متخلف، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (35)﴾

(سورة الأحزاب: الآية: 35)

تماماً:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

(سورة النحل: الآية: 97)

وفي آية أخرى:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

إذاً المرأة لها مهمةٌ خطيرةٌ أنيطت بها، والرجل له مهمةٌ خطيرةٌ أنيطت به، وصفات الرجل الجسمية والعقلية والنفسية كمال فيه، وصفات المرأة النفسية والجسمية والعقلية كمالٌ فيها، والمجموع ثابت عند الطرفين، فإذا أعطينا علامات لقوة الإدراك، ولقوة الانفعال، المجموع ثابت عند الطرفين، والمرأة والرجل متكاملان صفات كلٍ منهما لا تغني أحدهما عن الآخر، من أجل حسن تربية الأولاد، وما نقَصَ في عقلها كمالٌ فيها، وما زاد في عقله كمال فيه، وما نقص في عاطفته كمال فيه، وما زاد في انفعالها كمال فيها، وما نقص من إدراكها كمال فيها، وليس في الإمكان أبدع مما كان، وهذا خلق الرحمن، أما حينما نبدّل ونحوّر ونضع المرأة مكان الرجل، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً))

(رواه البخاري عن أبي بكرة)

لأنّ إمكانياتها الانفعالية الرقيقة لا تسمح لها أن تحكم بالإعدام على مجرم، واللهُ عز وجل قال:

﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾

(سورة النور : الآية: 2)

انفعالها ورقتها وأنوثتها، لا تسمح لها أن تصدر هذه الأحكام، وهذا يحتاج هذا إلى رجل، كما أن الرجل لا يستطيع أن يرعى الأطفال، يحتاج إلى عطف، وإلى بال طويل، ورحمة ومحبة، لذلك كمال الرجل صفاته التي فُطر عليها، وكمال المرأة صفاتها التي فُطرت عليها، فأي فريةٍ يفتري بها أعداء المسلمين من أن المرأة شهادتها نصف شهادة الرجل هذا كمالٌ فيها، كما أن الأمية في النبي كمال فيه، والأمية فينا نقص، أما عند النبي لماذا هي كمال، لأنه يوحى إليه، حتى لا يسأله أصحابه كل يوم وكل ساعة، هذا الحديث يا رسول الله من عندك ؟ من ثقافتك أم من الوحي ؟ لذلك مُنع النبي عن ثقافة الأرض، وعن كل معلومات الأرض، وكان كلامه كله وحيًا من السماء، فلذلك موضوع الإدراك الدقيق لدور المرأة والرجل شيء مهم، والأحاديث كثيرة في هذا الموضوع، نسوق إليكم بعضها.

" اعلمي أيتها المرأة وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله"، فهي إذًا مجاهدة، ويتوجه النبيُّ إلى الرجال فيقول:

((أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم ويغلبهنَّ لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً.))

ينطلق المؤمن من احترام زوجته، امرأة مشاعرها كمشاعره، تحب كما يحب، تبغض كما يبغض، تسمو كما يسمو، تنحط كما ينحط تغضب كما يغضب، وهذا يؤكده قوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة البقرة: الآية: 228)

أما حينما قال الله عز وجل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

(سورة النساء: الآية: 34)

هذه قوامة إدارة وتنظيم، لا قوامة سيطرة واستفزاز، بينك وبينها درجة واحدة، لا ما بينك وبينها كما بين قائد الجيش والمجند، لا، ولكن بين رتبتين فقط، رتبة واحدة بينك وبينها.

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

(سورة البقرة: الآية: 228)

هي درجة القوامة، لأنه هو المنفق.

فأن ينطلق المسلم من فهمه لحقيقة دور الرجل والمرأة خيرٌ له و أصحّ،وأَنْ يعلم أيضًا أنَّ المرأة لها مكان لا ينبغي أن تتجاوزه:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

إذا قلنا:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: الآية: 33)

تذكروا أن يقال للطيار وهو في غرفته الصغيرة، وأمامه الأجهزة المعقدة، اثبُت في هذا المكان، يقول لك هذا مكان صغير ضيّق، وهذا تضييق لحريتي، نقول له، أرْواح الركاب كلها في رقبتك، هذا مكانك الطبيعي، فالمرأة حينما تخرج من البيت، من دون سبب قاهر وتضيع أولادها، تخلت عن مهمتها الأساسية التي أناطها الله بها، فلذلك أعظم عمل يقوم به الإنسان، أن يربي عناصر طيبة يدفعها إلى المجتمع، لذلك فشهادة المرأة ليست هذه الورقة التي تعلقها في البيت، تقول لك: أنا مهندسة، شهادتها أولادها، حسن تربيتهم، أخلاقهم، عاداتهم تقاليدهم، ثقافتهم، خبرتهم، هذه شهادتها، فلذلك إذا قال أحدهم: إن الإسلام ما أنصف المرأة، وأنّه أعطاها دون ما تستحق، والدليل شهادتها نصف شهادة الرجُل، نرد عليه ونقول: إن هذا كمالٌ فيها، وهي والرجل متكاملان، وأن هذه الزيادة محض كمال، وأن ذلك النقص محض كمال، وهذا العضو الذي في الصدور، في الأضلاع، كمالها بأنها منحنية، ولو أنها مستقيمة لخرجت من البطن وكانت كالأعواد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))

(رواه البخاري)

يعني أنت لا ترضى عن زوجة فيلسوفة في قضايا العالم الثالث والرابع والخامس، والبيت مهمل، لا فيه تنظيف، ولا طبخ، ولا شي مما يُعدُّ من مهنة المنزل، أنت تريد أن تأتي، والبيت نظيف، وهي متزينة، والطبخ جاهز، والأولاد مرتبون، هذا الذي يرفع من قيمتها في نظرك، فلذلك هذا الضلع عَنْ سَمُرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّكَ إِنْ تُرِدْ إِقَامَةَ الضِّلْعِ تَكْسِرْهَا فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا))

(رواه أحمد)

وملخص الملخص دَارِهَا تَعِشْ بِهَا، الزوجة دارها تعش بها وهذه سنة الله في خلقه، وما أصدق مقالة رسول الله صلى الله عليه و سلم وصيَّةً للزوج:

((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

(رواه مسلم عن أبي هريرة)

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء: الآية: 19)

قال المفسرون: المعاشرة بالمعروف ليست أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتمل الأذى منها.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (9-9) : تفسير الآية 188 ، المحافظة على أموال المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد، يقول الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)﴾

أيها الأخوة ؛ في الآية إشارة لطيفة، فإنّ الله عز وجل لم يقل: ولا تأكلوا أموال إخوانكم، ولم يقل: ولا تأكلوا أموال الغير، ولم يقل: ولا تأكلوا أموال الناس، بل قال:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾

فالإنسان كيف يأكل ماله ؟ إذا وضع خمسمائة ليرة، ثم نقلها من مكان إلى مكان، هل يعد قد أكل ماله ؟

في الآية إشارة إلى أن المؤمنين، ما هم عليه، أو ما ينبغي أن يكونوا عليه أنّهم أسرةٌ واحدة، وكيانٌ واحد، شخصيةٌ اعتبارية واحدة، حيث إنّ أحدهم لو أخذ مال أخيه بحكم علاقة الإيمان، وحكم الكيان الواحد، والشخصية الواحدة، والمصلحة الواحدة والهدف الواحد، فكأنما أكل ماله، فمال أخيك إذا كنت مؤمناً في حكم مالك، مال أخيك هو مالك من زاويةٍ واحدة، من زاوية وجوب المحافظة عليه، فلئن تمتنع عن أكله ظلماً وعدواناً من باب أولى.

فأنت مكلف أن ترعى هذا المال، يعني مثلاً لو أنّ إنسانًا سافر ووكل إنسانًا آخر بإدارة أمواله، فهذا الإنسان الموكل بإدارة الأموال، لو أخذ من هذه الأموال عدواناً، فله عقابٌ مضاعف، لأنه مؤتمن، ولأنه موكل، لو جاء سارق غريب وسرق المال يحاسب كسارق، أما الموكل ؛ الوكيل والأمين المكلف بالحفاظ على المال، إذا أخذ المال فجرمُه مضاعف.

ربنا عز وجل يقول:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾

يعني انتبه أيها المؤمن، فأنتم مؤمنون، وأنتم كيانٌ واحد، وشخصية اعتبارية واحدة، وكتلةٌ واحدة، هدفكم واحد، كُلِّفتم بالتعاون، والتعاضد، والمساعدة، فإذا أكل أحدكم مال أخيه، فكأنما أكل ماله، بمعنى أن هذا المال مال أخيك هو مالك، من زاوية المحافظة عليه، إذاً ينبغي أن تمتنع عن أكله بالحرام.

هناك معنى آخر للآية، يعني إذا أكلت مال أخيك أضعفته، وإن أضعفته، أضعفت نفسك، لأنك موكل به.

حسنًا، لو فرضنا أنَّ أبًا أعان أولاده، حتى صاروا منتجين، فهو يرتاح، أمّا لو أهملهم لصاروا عالة عليه، فأنت إذا أكلت مال أخيك أضعفته، وإن أضعفته فأنت مكلفٌ بالإنفاق عليه ومعاونته.

يعني ما من آية تشير إلى هذه الأخوة، وهذا التعاون، وهذا التعاضد، كهذه الآية:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

قد يسأل سائل هل هناك أكلٌ لأموال الناس بالحق ؟ الجواب نعم أنت حينما تتاجر، وتبذل جهداً كبيراً، وتسافر، وتأتي ببضاعة، لك أن تضيف على ثمن الشراء، والكلفة الإجمالية، هامشَ ربحٍ، فأنت إذًا أكلت مال أخيك، ولكن بالحق، مقابل جهد.

بالمناسبة، لو تتبعتم الأحكام الشرعية، لوجدتم أن معظم الأحكام الشرعية، تتعلق بموضعين كبيرين، استعرض الأحكام الشرعية في القرآن الكريم، وفي السنة، وفي كتب الفقه، فمعظم الأحكام الشرعية، تتعلق بموضوعين كبيرين ؛ موضوع كسب المال وإنفاقه، وموضوع المرأة، لأن الإنسان لا يؤتى إلا من هذين البابين، فمثلاً إنسان مستقيم، طاهر، مقبل على الله، من أين يؤتى ؟ الشاب يؤتى من المرأة، والتاجر يؤتى، من كسب الأموال، لذلك أول توجيه للشباب غض البصر، وأول توجيه للتجار والراشدين، الذين يعملون في مجالات الحياة، ضبط الأموال، وضبط الدخول.

فأيها الأخوة الكرام ؛ الإنسان ما لم يضبط دخله، ويضبط خرجه وإنفاقه، لا يستطيع أن يقبل على ربه، وما لم يضبط جوارحه ؛ عينه، وأذنه، ولسانه، ويده، ورجله، فلا يستطيع أن يقبل على ربه، فالإنسان قد يؤتى من قِبَل الشهوة، ومن قِبَل المصلحة، فقد تقتضي مصلحته أن يأكل مال الناس بالباطل، فهو يؤتى من هذا المنحنى.

لذلك:

((لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ))

(رواه الترمذي عَنْ ابن مسعود)

والمرء حينما يموت، ترفرف روحه فوق النعش، تقول: يا أهلي يا ولدي، لا تلعبنّ بكم الدنيا كم لعبت بي، جمعت المال مما حل وحرم، فأنفقته في حله وفي غير حله، فالهناء لكم والتبعة عليَّ.

ورد في السنة، أن ملَك الموت يخاطب أهل الميت:

((فو الذي نفسه محمد بيده، ما من بيت إلا ويقف فيه ملك الموت في اليوم خمس مرات، فإذا رأى أن العبد قد انقضى أجله، وانقطع رزقه، ألقى عليه غم الموت، فغشيته سكراته، فمن أهل البيت الضاربة وجهها، والصارخة بويلها والممزقة ثوبها، يقول ملك الموت: فيمَ الفزع ؟ ومما الجزع ؟ ما أذهبت لواحد منكم رزقاً ولا قربت له أجلاً، وإنّ لي فيكم لعودة، ثم عودة، حتى لا أبقي منكم أحدا.))

تسمع أحيانًا أنّ الأب مات والأمَّ ماتت، والأولاد بين مسافر ومتزوِّجٍ، أو متزوجة، والبيت خلا من أهله بعد أنْ كان عامرًا، هكذا سنة الحياة، فالكل مرتحل، كلنا تحت أطباق الثرى بعد كذا عام، كلنا دون استثناء، وقد أتى علينا يومٌ لم نكن شيئاً مذكورا.

الإنسان إذاً حادث، يأتي ويذهب، يبقى عمله الصالح، أو عمله الطالح، العمل الصالح تذهب مشقته ويبقى ثوابه، والعمل السيّئ تذهب لذته وتبقى تبعته، إذاً لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل.

فقد قال رسول الله لسعد:

((يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

أطب مطعمك، فإذا كسبت رزقاً حلالاً، واشتريت به طعاماً، فهذا الطعام طيب.

أُجري لشخص شاخ تحليل في سنة 1996، فكانت نتيجة التحليل تشير إلى صحة جيدة، وهذه نعمة واللهِ، فقال لابنه يا بُنَيَّ هذا من المال الحلال، الذي جنيته منذ شبابي، فالإنسان لمّا يكون دخله حلالاً، وإنفاقه حلالاً، فالله عز وجل يمتعه بالحياة.

قال الله عز وجل:

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾

فانظر إلى هذه الآية ما أجملها:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)﴾

(سورة طه: 123)

وفي آية ثانية:

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)﴾

(سورة البقرة: 38)

أربعة أشياء: لا يضل عقله، ولا تشقى نفسه، ولا يحزن على ما فات، ولا يخشى مما هو آت.

بربكم هل هناك مكاسب يكسبها الإنسان أكثر من ذلك ؟ ألاّ يضل عقله، وألا تشقى نفسه، وألا يندم على ما فات، وألا يخشى مما هو آت، بآيتين:

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)﴾

وقال في آية ثانية:

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)﴾

فنحن يمكن أنْ نعتبر، فأكبر مأخذين نؤخذ بهما، المال والنساء، وما من نقطتين يضعف أمامهما الإنسان إلا المال والنساء.

يعني إذا أردنا أن نشتري إنسانًا ما فهذا ممكن، إذ يبيع أمته ووطنه عن طريق امرأة أو شيك مصرفي، فالمؤمن محصن من جهة المال والنساء، النساء بغض بصره، فلا يخلو بامرأةٍ، ولا يملأ عينيه من الحرام، ليس عنده مجالس اختلاط، فهو في عافية مِن خطر النساء، والمؤمن دخله حلال، وإنفاقه حلال، وهو محصَّن خطر المال، والإنسان إذا نجا من المرأة، والدرهم، والدينار، نجا واستحق جنة ربه.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ))

(رواه البخاري)

الثياب، إذا كان بنطاله مكويًا فهو لا يصلي حرصًا على كية البنطال، فهو عبد البنطال، هذا عبد للبنطلون، تعس عبد الدرهم والدينار، تعس عبد الخميصة، الثوب، تعس عبد البطن، تعس عبد الفرج، هؤلاء كلهم تعسوا، لكنّ المعنى المخالف، وسعد عبد الله طبعًا و حقًّا.

الآية دقيقة:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

فالإنسان يحاسب نفسه حسابًا شديدًا، التقوى ها هنا، التقوى هاهنا، ويشير إلى القلب، ترك دانقٍ من حرام خيرٌ من ثمانين حجةً بعد الإسلام.

أحد الأئمة التابعين، كان يملك محلاً تجاريًّا تباع فيه ألبسة، فذهب ليصلي الظهر، فوضع ابن أخيه مكانه، وفي حلة بأربعمئة درهم، وحلة بمئتين، وحلة بمئة، وهو خارج من المسجد، رأى أعرابيًّا يحمل حلة من عنده، فقال له: بكم اشتريتها ؟ قال له: بأربعمئة، هي حلة المئتين، فقال له: هذه ليست كذلك، هذه سعرها أقل، قال له: لا، عندنا في بلدنا ثمنها خمسمئة، فأنا اشتريتها وأنا راضٍ، قال له: أنت لا تعرف فما زال صاحب

المتجر يجر الشاري إلى متجره، حتى أرجَعَ له المئتين الزائدة، هذا هو المؤمن، إذًا فنحن لما نتعامل مع الله بهذه الطريقة، بورع شديد، بإنصاف، بعدالة، بصدق، بأمانة، فالمال يكون حلالاً مما يعني أنّ الطعام طيب، واللهُ عز وجل يستجيب لنا إذا دعوناه، قال له: يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، ويقول العبد الآخرُ: يا رب، يا رب، ومأكله حرام، ومشربه حرام، وغُذِّيَ بالحرام، فأنَّى يستجاب له ؟.

فيا أيها الإخوة الكرام ؛ موضوع كسب الرزق موضوع خطير، منه تُؤتَى، وموضوع إنفاق المال موضوع خطير أيضًا، منه تُؤتَى كذلك، ويحشر الأغنياء أربع فرق يوم القيامة، فريق جمع المال من حلال، وأنفقه في حرام، فيقال: خذوه إلى النار، وفريق جمع المال من حلال، وأنفقه في حرام، والعكس فيقال: خذوه إلى النار، والذي جمع المال من حرام وأنفقه في حرام، طبعاً من باب أولى، بقى الذي جمع المال من حلال وأنفقه في حلال، فهذا يسأل ويحاسب.

لذلك:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

والمؤمن عند كل حركة يفكر بجواب لله عز وجل، و يُعِدُّه من الآن.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : تفسير سورة آل عمران

الدرس (6-1) : تفسير الآيتان 14-15 ،الشهوات سلم ترقى بها أو دركة تهوي بها

الدرس (6-2) : تفسير الآية 31 ، محبة الله عز وجل

الدرس (6-3) : تفسير الآية 35 ، إتقان العمل

الدرس (6-4) : تفسير الآية 9 ، ممن تأخذ النصيحة ؟

الدرس (6-5) : تفسير الآية 159 ، الرحمة

الدرس (6-6) : تفسير الآية 190 ، عبادة التفكر

الدرس (1-6) : تفسير الآيتان 14-15 ،الشهوات سلم ترقى بها أو دركة تهوي بها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد ؛ فقد أنهينا في الدروس السابقة، بعض الآيات الكريمة المختارة من سورة البقرة، وننتقل إلى سورة آل عمران، وفي أوائل هذه السورة آيتان كريمان يقول الله سبحانه وتعالى فيهما:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15)﴾

(سورة آل عمران)

أيها الإخوة الكرام ؛ رُكب في كيان الإنسان هذه الشهوات، وقد يَفهم بعضهم أن هذه الشهوات أساس فساد العالم، والحقيقة عكس ذلك، فلولا هذه الشهوات التي ركبت فينا لما دخلنا الجنة، ثمّ إن هذه الشهوات حيادية، إنها سُلَّم ترقى بها إلى الجنة أو دركات تهوي بها إلى النار، إن هذه الشهوات بمثابة محرك يحرك هذه المركبة، فإذا كان مع هذا المحرك مقود يحافظ على بقاء السيارة على الطريق المعبد، كان هذا المحرك قوة دفعٍ لهذه المركبة، أما إذا كان هذا المحرك يعمل بلا مقود، والطريق فيه انعطافات، وعلى جانبيه وديان سحيقة، فالهلاك حتمي.

إذاً الشهوات حيادية، ليست هي سبب فساد العالم، بل إن سوء استخدامها هو سبب فساد العالم.

إنّ الشهوات التي أودعها الله فينا، قيَّدها في الوقت نفسه بمنهج رسمه الله لنا، فما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا ولها قناة نظيفة، لو سارت هذه الشهوة في خلال القناة لآتت أكلها ضعفين، كنت ضربت من قبل مثلاً، الوقود السائل بالسيارة، فيه قوة انفجارية، لكنه إذا وضع في مستودع محكم، وسال في الأنابيب المحكمة، وانفجر في الوقت المناسب، وفي المكان المناسب، ولّدَ حركةً نافعة، تسعد بها، وتنقلك أنت وأهلك إلى مكان جميل، ماذا يجري بالسيارة ؟ انفجار، لكنه انفجار وفق المنهج، أما لو خرج هذا الوقود عن مساره، وأصابت السيارةَ شرارةٌ لأحرقت المركبة وما فيها.

فإياك أن تتهم الشهوات، فلولاها لما ارتقيت إلى رب الأرض والسماوات، ولولاها لما دخلت الجنة، ولما تقربت إلى الله، تصور هل من طريق آخر تتقرب به إلى الله غير طريق الشهوات، المال محبب فإذا أنفقته حلالاً ارتقيت إلى الله، فإذ كان مع شخص خمسمئة ليرة، يمكنه أن يأكل طعاماً نفيساً هو وأهله، لكنّه أعطاها لفقير، لولا أنك تحب هذا المبلغ لما ارتقيت بإنفاقه، وأودع الله فيك حبَّ النساء، فلولا أنك تحب النساء ومررت في طريق على امرأة سافرة وغضضتَ بصرك عنها لا ترقى إلى الله، بل إن هذه الشهوات ترقى بها إلى الله مرتين، ترقى بها مرة صابراً ومرة شاكراً، فإذا نظرت إلى ما يحل لك ترقى شاكراً، وإذا غضضت عما لا يحل لك ترقى صابراً، إذا كسبت المال من وجوهه المشروعة وأنفقته فيما هو مشروع، كأنْ تأتيَ مثلاً بالطعام والشراب والفواكه لأولادك، وقد أدخلت على قلوبهم السرور، فإنّك ترقى إلى الله شاكراً، فإذا امتنعتَ عن أخذ مالٍ حرام، فيه شبهة، وأنت في أشد الحاجة إليه، وقد أودع اللهُ في كيانك حبَّ المال، ترقى إلى الله صابراً، هذه الشهوات إذًا كالمنشار، ترقى بها مرتين، فإنْ سلكت القناة النظيفة التي سمح الله لك أن تسلكها ارتقيت إلى الله شاكراً، وإن ابتعدت عن الوجه الذي حرمه الله عليك ترقى إلى الله صابراً، ولولا الشهوات لما ارتقيت إلى رب الأرض والسماوات، ولولا الشهوات لما تقربت إلى الله عز وجل، والإنسان يُصلي في اليوم خمس مرات، أما إذا سار في الطريق المشروع يصلي آلاف المرات، لأنّه كلما غضَّ بصره عن امرأة أجنبية ارتقى إلى الله، فهناك ألف طريق لكسب المال.

اليوم سمعتُ في الأخبار أنَّ أكبر ربح في العالم ربح المخدرات ؛ ألف مليار دولار، أعلى ربح في العالم، أرباح المخدرات التي تسبب الآلام لملايين الأسر، إنّها أرباح طائلة، إذاً فالإنسان إذا امتنع عن أخذ المال الحرام يرقى، وإذا سلك الطريق المشروع يرقى، وإذا غض بصره عن امرأة أجنبية يرقى، وإذا نظر إلى امرأته يرقى، كالمنشار ترقى بالشهوات مرتين، كلما أقبلت على طريق مشروع ترقى بها، وكلما ابتعدت عن طريق حرمه الله ترقى بها، فالإنسان لا يتألم من الشهوة، بل يتألم من نفسه، بشكل أو بآخر، السُّكَّر مادة ثمينة، والملح مادة ثمينة، فلو وضعت الملح في الحلويات، هل تأكلها ؟ أو وضعت السكر في طبخة غالية الثمن هل تأكلها ؟ لقد فسدت الطبخة، السكر مادة ثمينة ونافعة، والملح مادة ثمينة ونافعة، لكن أسأتَ الاستعمال، فالفساد هو في إساءة الاستعمال ؛ فالمرأة صممت لتكون زوجة لك، تسعد بها وتسعد بك، وتنجب أطفالاً ترفرف بوجودهم على البيت السعادة والهناءَة، أما إذا سلكت في قضاء هذه الشهوة طريقًا حرَّمه الله عليك تشقى، فالشقاء هو في سوءِ استخدام هذه الحظوظ وتلك الشهوة.

هذا معنى قول الله تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾

أما الشيء الدقيق في هذه الآية:

﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

وكأن المتاع كلّه في كلمة:

﴿ذَلِكَ﴾

هذه التي بين يديك.

﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)﴾

فإذا اتقى الإنسانُ اللهَ في هذه الشهوات، وجاءه ملك الموت ليقبض روحه، وقد مات على الإيمان، وعلى طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فله عودةٌ إلى الله لا توصف من شدة السعادة.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)﴾

فحينما تؤوب إلى الله، وقد اتقيت الله في هذه الشهوات، فلك عودة لله عز وجل، وأنتَ في أسعد الحالات.

لذلك قالوا: **الموت عرس المؤمن**، والشيء الثابت أنَّ أسعد لحظات المؤمن حين يلقى ربه، وا كربتاه يا أبي! قال: **لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبه محمداً وصحبه.**

فلك أن تتزوج، وأنْ تنجب الأولادَ، وتشتغل وتكسب المال كله بالطريق الحلال، وفق المنهج الربَّاني، ادرس واحصل على شهادات عليا، وتاجر وافتتح محلات، ضمن المنهج، وكن صادقًا، لا غش، ولا تدليس، ولا ربا، وكل عملك وفق المنهج، فالله ما حرَّم عليك الدنيا، ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا من ترك آخرته لدنياه، إلا أن يتزود منهما معاً، فإن الأولى مطية للثانية، والدعاء الشريف:

((اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنيايّ التي فيها معاشي، وأصلح آخرتي التي إليها مردي، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسن، ة وارزقنا العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، واهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت))

وهذه واقعية النبي صلى الله عليه وسلم.

لكن دققوا في الآية التالية، فكل واحد من إخواننا الكرام ذاق نعمة المال، ونعمة النساء، ونعمة الزوجة، والبيت المريح، والمركبة الفاخرة، والبيت في المصيف.

فهذه الشهوات مارسْها وعرفها، ثم إنّ ربنا عز وجل يقول لكم:

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾

هل أنت مصدق لله عز وجل:

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾

وأثمن من كل ذالك:

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15)﴾

لذلك قال صلى الله عليه وسلم:

((ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيط إذا غمس في مياه البحر))

سافِر إلى طرطوس واركب القارب لأرواد واخرج من جيبك إبرة واغمسها في مياه البحر، ثم اسحبها، واحسُب النسبة، كم نقص البحر من مائه ؟

وكذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم وهو:

﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾

(سورة النجم: الآية: 4، 5)

لقد قال:

((ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيط إذا غمس في مياه البحر.))

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-6) : تفسير الآية 31 ، محبة الله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

ففي سورة آل عمران أيها الإخوة، آية تعد مقياساً لكل مؤمن ؛ هذه الآية هي الآية الواحدة والثلاثون وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)﴾

قال العلماء: لما كثر مدَّعو المحبة لله عز وجل جعل الله سبحانه دليلاً على صدق المحبة أو عدمه، آية في كتابه الكريم، فالمحبة شعورٌ داخلي يستطيع أن يدَّعيها كل إنسان، ولو كان أبعد الناس عن الله عز وجل، يقول لك: أنا أحب الله، فالحب يُدَّعى، لكن الله سبحانه وتعالى طالب المؤمنين بالدليل، فحبك لله عز وجل له دليل، ودليله طاعة رسول الله:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

فالإنسان أيها الإخوة لئلا يقع في وهمٍ مهلك، لئلا يتوهم أنه على حق وهو على باطل، لئلا يتوهم أنه محب وهو ليس بمحب، جعل الله هذه الآية دليلاً على محبته للمؤمنين.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

ويبدو أنَّ هذا المرض يصيب أهل الكتاب أيضاً.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾

(سورة المائدة: 18)

هذه دعوى.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾

فرد الله عليهم:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

(سورة المائدة: 18)

فلو أنّ الله قَبِل دعواهم وأقرهم على ادِّعائهم، لمّا عذَّبهم، وما دام يعذبهم فهم كاذبون في دعواهم، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الإمام الشافعي حقيقةً ثابتة، وهي أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحبابه، بل يبتليهم ويمتحنهم، ولكن لا تستقر حياتهم إلا على الإكرام.

وهنا محل الإشارة إلى أن حياة المؤمن تمر بأطوار ثلاثة ؛ فتمر في طورٍ يعالجه الله، ويؤدِّبه إلى أن يحمله على طاعته، وهذا الطور الأول، يعالجه ويضيق عليه ويشدد عليه ويؤدبه بشتى الوسائل النفسية والمادية إلى أن يحمله على طاعته.

إذًا هذا طور التأديب، فإذا حمله على طاعته دخل في طورٍ آخر ؛ طور الابتلاء:

﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾

(سورة الأنبياء: 35)

فإذا نجح في الابتلاء دخل في طورٍ ثالث ؛ وهو التكريم، لذلك اليهود والنصارى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فقال تعالى:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

(سورة المائدة: 18)

فإذا رأيت أن المسلمين ليسوا على ما يتمنون، وحالهم لا ترضي، وليسوا كما قال الله عز وجل، فلم يُستخلَفوا في الأرض، ولم يمكِّن الله لهم دينهم الذي ارتض لهم، ولم يبدلهم بعد خوفهم أمناً، هذه وعود الله عز وجل:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾

(سورة النور: 55)

إخوتنا الكرام ؛ أي وعد في القرآن الكريم، إنْ رأيته غير محقق، ينبغي أن تشك في الطرف الثاني، لأن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً (87)﴾

(سورة النور: 87)

وقال:

﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾

(سورة التوبة: 111)

إنّ الله وعد المؤمنين بالنصر فقال:

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾

(سورة محمد: 7)

وقال:

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾

(سورة آل عمران: 160)

وعد المؤمنين أن يدافع عنهم فقال الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾

(سورة الحج: 38)

ووَعَد المؤمنين أن لن يجعل للكافرين عليهم سلطانا:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (141)﴾

(سورة النساء: 141)

هذه وعود خالق الكون، فإن رأيت وعود الله ليست محققه في عالم المسلمين، فماذا تظهر ؟ أتقول: إنَّ الله سبحانه وتعالى لا يفي بوعده ؟ هذا كلام فيه كفر، حاشا لله عز وجل، يجب أن نشك في إيماننا، وفي طاعتنا لله، وفي استقامتنا، إن الله سبحانه وتعالى يقول في آيةٍ أخرى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ ﴾

هؤلاء أهل الكتاب لو أن الله أقرهم على دعواهم لمَّا عذبهم.

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

على كلٍ هناك نقطة دقيقة، الإنسان يحيا ضمن مجتمع، والمجتمع فاسد منحرف، يأكل الربا، يرتكب الفواحش، يقلد الغربيين، ولو دخلوا حجر ضبٍ خَرِبٍ لدخلتموه، فإذا كان الإنسان في بمجتمع منحرف، في مجتمع الدنيا كلها همُّه ومبلغ علمه، في مجتمعٍ لا يبالي أأكل حراماً أم حلالاً، مجتمع لا يبالي أكان على منهج الله أم على منهج الشيطان، فإذا كان المؤمن في هذا المجتمع، واصطلح مع الله وحده، واستقام إلى الله استقامةً تامة، فهل تظن أن الله يعذبه مع المجموع.

قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

(سورة الأنبياء)

لا تنسوا هذه القصة التي أوردها القرآن الكريم، سيدنا يونس حينما كان في بطن الحوت، ما من مصيبةٍ أشد على الإنسان من أن يجد نفسه فجأةً في ظلمة بطن الحوت، وفي ظلمة البحر، وفي ظلمة الليل، في ظلماتٍ ثلاث، الأمل في النجاة ضئيل، في بطن حوت وزنه مئة وخمسون طنًا، والإنسان كله لقمة صغيرة، فالتقمه الحوت لقمة واحدة، والحوت كما تعلمون أيها الإخوة ؛ حيوان ثديّ، يعني تُرضِع أُنثاه، كل رضعة ثلاثمئة كيلو، ثلاث رضعات في اليوم تعني طنًا، والحوت مئة وخمسون طنًا كمّا بيَّنا، وفيه تسعون برميلاً من الزيت يُعرَف بزيت الحوت، وفيه خمسون طنًا من اللحم، وخمسون طنًّا من الدُّهن، هذا الحوت إذا دخل إنسان إلى بطنه، فالوجبة المعتدلة وهي تسكيت لجوعه أربعة أطنان، هذا هو الحوت إذًا، وقد وجد سيدنا يونس نفسه ببطن الحوت فجأة، في ظلمة بطن الحوت وفي ظلمة الليل، وفي ظلمة البحر، أنت الآن، اركب بالبحر بين طرطوس وأرواد بالليل، تشعر بوحشة كبيرة، فإذا غرق الإنسان بالليل، ودخل في بطن الحوت:

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾

في ثلاث ظلمات:

﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾

(سورة الأنبياء: 87)

القصة انتهت، استمع إلى القانون بعدها، إنّه القانون الإلهي الثابت أبدًا، قال:

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

يعني أي مؤمن، وفي أي مكان، وزمان، بعد ألف سنة، بعد آلاف السنين، في آسيا أو إفريقيا، أو أمريكا أو ألاسكا، بالقطب الشمالي والجنوبي، في البحر، والجو، والبر، طائرة تحلق على ارتفاع ثلاثةٍ وأربعين ألف قدم فوق جبال الألب، احترقت وانشطرت وسقطت، ومات جميع ركابها إلا راكباً واحدًا، فقد كان مقعد هذا الراكب مكان انشطار الطائرة، فوقع، ونزل على غابةٍ من الأرز مغطاةٍ بخمسة أمتار من الثلوج، هذه الخمسة الأمتار امتصت الصدمة، كما امتصتها ليونة الأغصان أيضاً، فنزل واقفًا، وحيثما كنتَ ؛ في الجو أو البحر أو البر أو برأس جبل.

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

وكل إنسان يُحاسب عن عمله، فإذا تبتَ توبة عامة، فالفرج عام، وإذا تبتَ توبة خاصة فالفرج خاص، والمؤمن له معاملة خاصة.

قال:

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34)﴾

(سورة الذاريات: 31 - 32-33-34)

ثم الآية التالية تقول:

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36)﴾

(سورة الذاريات: 35-36)

يعني أنّ الله عز وجل قَبْلَ أن يدمِّر هذه البلدة، أخرج منها المؤمنين، فالمؤمن إذا صار في هدى جماعي، فهذا أنعم وأكرم، فيصير في فرج جماعي، وإذا لقيت الناس حولك غير مستقيمين فلا تقل: أنا مثل هؤلاء الناس، هذا الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال:

((لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا))

(رواه الترمذي عن حذيفة)

والقول الدارج الآن: أخي أنا مثل الناس، حط رأسك بين الرؤوس وقل يا قطاع الرؤوس، أهذه آية أم حديث ؟ هي كلام فارغ، فالإنسان إذا استطاع أنْ يهدي من حوله، فهذا واللهِ شيء جميل، وإذا استطاع فليصطلح مع الله وحده، وله معاملة خاصة وحده.

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

فهذه الآية مقياس دقيق:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾

وقال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

تعامل مع الله مباشرةً، تعامل مع الله بصدق وإخلاص، وأقم أمر الله، يعزك الله:

كن مع الله ترَ الله معك و اترك الذل وحاذي طمعك

وإذا أعطاك من يمنعه ثم من يعطي إذا ما منعك

***

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإنا منحنا بالرضى من أحبنا

و لذ بحمانا و احتمِ بجنابنا نحمك مما فيه أشرار خلقنا

وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغلٌ وأخلص لنا تلق المسرة والهنا

و سلم إلينا الأمر في كل ما يكن فما القرب والإبعاد إلى بأمرنا

ينادى له بالكون أنا نحبه فيسمع من في الكون أمر محبنا

***

والذي لم يذق طعم القرب لم يذق من الدنيا شيئاً، قال: بعض العارفين مساكين أهل الدنيا، دخلوا إلى الدنيا، وخرجوا منها، ولم يذوقوا أطيب ما فيها، إنها ساعات القرب من الله، والثمن كامِنٌ بنفس كل واحد منكم، الثمن طاعة الله، قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (71)﴾

(سورة الأحزاب: 71)

راجعوا حساباتكم، راجعوا حسابات قيودكم، بيوتكم فيها مخالفات، فيها معاصٍ، حسابات أعمالكم، حسابات جوارحكم، هي كلها حسابات، فإذا أقمت الإسلام في كيانك، وفي بيتك، وفي عملك، غيَّر الله نمط حياتك، فالله عز وجل قال:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-6) : تفسير الآية 35 ، إتقان العمل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

يها الإخوة الكرام ؛ في سورة آل عمران الآية الخامسة والثلاثون وهي قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35)﴾

الحقيقة أنّ دخول الجنة بالعمل مبدئياً، لقوله تعالى:

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾

(سورة النحل: 32)

النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب أحد أصحابه، يقول له كما ورد:

((يا بشر لا صدقة ولا جهاد، فبمَ تلقى الله إذاً ؟))

لا بد للإنسان من عمل يلقى الله به، فكل إنسان أكرمه الله عز وجل بعمل، فهذا يتقن الطب، وهذا يتقن المحاماة، وهذا مهندس، وهذا تاجر، وهذا موظف، وهذا له صنعةٌ يرتزق منها، فعملك الذي تتقنه يمكن أن يكون عملاً يدخلك الجنة، فلذلك القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ، فامرأة عمران ماذا تملك ؟ لا تملك شيئًا، إلا أنها حامل، قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾

خالصاً لك يا رب، فكان الذي جاءت به ليس ذكراً لكنه أنثى، ولدت السيدة مريم، والسيدة مريم جاءت بنبيٍّ عظيم، وهو سيدنا عيسى، والأمر الدقيق أن كل مسلمٍ وكل مؤمنٍ لا بد له من عمل يلقى الله به، من هم أسعد الناس، هم الذين جعلوا من مهنهم ومن شرفهم ومن دَوْرهم الاجتماعي، أب، أم، زوجة، أبن، من مهنهم وحرفهم ومن دورهم الاجتماعي، جعلوا أعمالاً تؤهِّلهم للعرض على الله عز وجل، فكان السلف الصالح إذا فتح أحدُهم دكانه، نوي خدمة المسلمين، فالمحامي المؤمن لا يتسلم قضية إلا فيها رضي الله عز وجل، يقسم أن يدافع عن الحق وعن المظلومين، فأصبحت حرفة هذا المحامي عملاً يدخل به الجنة، فمَن نفَّس عن مؤمن كربة مِن كُرَب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والطبيب إذا نوى أن يستخدم علمه في تخفيف آلام الناس، فكان علمه واختصاصه وحرفته عملاً يدخل به الجنة، فما مِن عمل في الأرض يستعصي على أن يكون في سبيل الله، إذا كان في الأصل مشروعاً، فمَن هو السعيد ؟ هو الذي يوظف أعماله كلها ؛ اختصاصه، خبرته، ماله، مكانته الاجتماعية في سبيل الله، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)﴾

(سورة الأنعام: 162)

فلما ترعى الأمُّ أولادَها تقرباً إلى الله، فإنّ دورها الاجتماعي عملاً يصبح يدخلها الجنة، ولما يكون الأب أبًا مثاليًا، ويربّي أولاده تربية صالحة، فدوره الاجتماعي صار عملاً يدخله الجنة، والابن إذا برَّ والديه فدوره الاجتماعي صار عملاً يدخله الجنة، وكذلك الخياط، والمحامي، والمهندس، والمدرس، والطبيب، والتاجر، والموظف، وأصحاب الصنعات كلها إذا كانت أعمالهم مشروعة، وسلكوا فيها أساليب وطرق مشروعة، فلا كذب، ولا غش، ولا تدليس، ولا احتيال، ولا احتكار، ولا إيهام ولا غبن، ولا استغلال، فإذا برئ العمل الذي هو في الأصل مشروع، برئ من أساليب غير مشروعة، كان عمله هذا فلاحًا له، شيء آخر ؛ فلو ابتغى بالعمل خدمة نفسه وأهله، وابتغى به خدمة المسلمين، ولم يشغله عن فريضة، ولا عن واجب، ولا عن طاعة، و لاعن طلب علم فقد انقلب عملك إلى عملٍ صالحٍ تلقى الله به، وهذا معنى الآية الكريمة:

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾

قبل أيام سمعت قصة ؛ واللهِ تأثرتُ لها أشد التأثر، بضع نسوة من المؤمنات الصالحات التقيات، بدأن يطبخن طبخات نفيسة، ويبعنها لأسر غنية، وخصصن ربع هذا العمل أجرًا للعمليات الجراحية، أو أيّ أعمال صالحة، فماذا تملك امرأة عادية، تملك أن تتقن طبخة جيدا، إذاً يطبخن الطبخات المناسبة لبعض الأسر توصية، ويأخذن ربع هذا العمل، ويعملن به أعمالاً صالحة، كأنْ يسددن نفقات عمليات جراحية لبعض المرضى.

إنّ أبواب الأعمال الصالحة مفتحة على مصاريعها، فإذا كنتَ تملك أنْ تخدم الناس خدمة، فافعل ولا تقصِّر، بلِّغْ ولو آية، أمَا تملك إذا كنت محاميًا أن تتسلم قضية لإنسان فقير مظلوم دون مقابل ؟ أما تملك إذا كنت طبيبًا تعالج مريضًا من دون مقابل ؟ أما تملك إذا كنت صيدليًّا أنْ تقدِّم الدواءَ مجانًا لإنسان فقير إذا تأكدت من فقره؟.

من هو الشقي ؟ الذي حرم نفسه الأعمال الصالحة، ما من واحد له حرفة إلا وبقدر أنْ تجعل جزءًا منها لله، لوجه الله، هذه المرأة ماذا تملك ؟ تملك شيئًا طبخته، وأخذت أجرة، وقدمتها مساعدات لإنسان يعاني من مرض قلبي، أو إنسان يعاني من فشل كلوي، وهناك عمليات مصيرية في الحياة، الإنسان يربي أولاده، ويمكن للعمّة أنْ تربي أولاد أخيها، فنحن نريد أعمالاً صالحة نلقى الله بها، فالسيدة امرأة عمران:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾

فإخواننا طلاب الجامعة ؛ ينبغي لهم أن يوظفوا علمهم لخدمة المسلمين، يغادر بعضهم إلى أمريكا فيشتري سيارة رخيصة، وفيلا فخمة تقسيطًا، يوظف كل علمه للكفار، الذين يكيدون للمسلمين، كيف يلقى الله ؟ فالطبيب يجب أن يوظف علمه للمسلمين، والمهندس يجب أن يوظف علمه للمسلمين، والمدرس ينبغي أن يعلِّم أبناء المسلمين، والتاجر ينبغي أن يجلب السلع ليوفرها للناس ويرخصها، قال النبي الكريم: والمحتكر ملعون، والموظف كما تعلم لا يكفيه راتبُه فساعِدْه، وهذا بحث ثانٍ، وأمامك مواطن له حاجة، فإذا خدمته وخفّفت عنه الأعباء، ويسّرت له الأمر وأرشدته، وطيبت خاطره، فهذا العمل الصالح،ينفع المواطنين، وهذا المواطن له عندك حاجة، فما مِن عمل مهني، وما من عمل حرفي، إلا ويوظف في خدمة الحق، فالتاجر مثلاً: التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين يوم القيامة، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان لهم لم يعسروا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، سبع صفات للتاجر، فليعمل خيرًا إذًا، فنحن ما دمنا أحياء وقلبنا ينبض، نحن في فرصة لا تعوض أبداً، ولا بد من اقتناصها.

تطالعك بالطرقات نعوات: فلان.. وفلان.. وفلان.. وفلان..أربعة بنعوة واحدة، ثلاثة بنعوة واحدة، اثنان بنعوة واحدة، في سنِّ 30، أو 40، أو 31 أو 48 أو 58، فالمغادرة سريعة.

لا بد أن توظف عملك للآخرة، من هم أشقى الناس ؟ الذين عملوا عمل الآخرة من أجل الدنيا، وهذا خسار و بوار.

من هم أسعد الناس ؟ الذين وظفوا أعمالهم الدنيوية من أجل الآخرة، فكل أخ كريم له اختصاص، له حرفة، أو دكان، أو تجارة، أو صناعه، أو زراعة، محاماة، أو كان طبيبا، أو مدرسًا، أو مهندسًا، أو موظفًا، حتى ولو كان يعمل في مهنٍ قد لا تُعدُّ عند الناس عظيمة، رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره.

هذه امرأة عمران قدوة لنا:

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾

مَنْ خَيرٌ.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36)﴾

اسمعوا الجواب :

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾

إذا قلت: يا رب دراستي الجامعية أقدّمها نذرًا لخدمة عبادك، يا رب حرفتي من أجلك لخدمة عبادك.

إخوانا الكرام ؛ هذه حقيقة أطرحها وهي الله ملخص خبرات طويلة، أيُّ إنسان صاحب حرفة، إذا وضع المادة هدفه سقط وافتقر، وإذا وضع مصلحة المسلمين غايته وهمَّه والمادة وراء ظهره، اغتنى، وجاءته الدنيا والآخرة، فلا تكن ماديًا، كن في خدمة الخلق، وتأتيك الدنيا وهي راغمة، من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قدر له، ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة.

اجعوا حسابتكم، فأي شغل تشتغله يمكن أن توظفه للآخرة، كأن تضع اللقمة في فم زوجتك، فهي لك صدقة، والله لو أخذت أولادك إلى نزهة عمل صالح، واللهِ لو دعوت ناسًا إلى طعام في سبيل الله فهو عمل صالح.

أخ مؤمن جاء مسافرًا، دعوته إلى الغداء عندك، واللهِ هذا من الأعمال الصالحة، وإطعام الطعام حضَّ عليه الإسلام، والمؤمن ما عنده شيء خاص، فسهراته، ولقاءاته، ونزهاته، وأولاده، وأسرته، وإخوانه، وتدريسه، وحرفته، كلها في سبيل الله، وآيات كثيرة تؤكد هذا، اقرؤوا آخر التوبة.

" ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم به عمل صالح "

وكذلك حركاتك، وسكناتك، وعطاؤك، ومنعك، وغضبك إنْ كان لله، ورضاك إنْ كان عما يرضي الله في سجل عملك الصالح.

لكن العبرة أن تؤمن أولاً، فإذا آمنت انقلبت المباحات إلى عبادات، وإن لم تؤمن كانت العبادات نفاقاً، يا رب علَّمتُ القرآن في سبيلك، فيقول: علَّمتَ القرآن ليقال عنك عالم، وقد قيل خذوه إلى النار، يقول: يا رب قاتلت في سبيلك، فيقول: كذبت قاتلت ليقال عنك شجاع، وقد قيل خذوه إلى النار.

من هم إذاً أشقى الناس ؟ الذين عملوا أعمالاً تبدو أنها أعمال الآخرة، لكنهم عملوها للدنيا.

إذا أُعطِيَ شخصٌ شيكًا بمئة مليون، واعتبره ورقة بيضاء، وكتب عليه، كمسودة، رقم هاتف، ثمّ شقه وألقاه، فحينما يكتشف أن هذا شيك بمئة مليون، ماذا تتوقع أن يصيبه ؟ هذا الذي يستخدم الدين من أجل الدنيا، يستخدم الدين لمصالحه الشخصية، ثم يفاجأ أن استغلال الدين سبب تعاسته الأبدية، وقد ضيع سعادته الأبدية.

فلذلك أندم الناس عالمٌ دخل الناس بعلمه الجنة، ودخل هو بعلمه النار، وأندم الناس غنيٌ دخل ورثته بماله الجنة، ترك أموالاً طائلة، فتزوج الشباب وكانوا مؤمنين، وتاجروا وربحوا ودخلوا الجنة، بينما هو جمعه من حرام ودخل بماله النار لذلك: اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك ألتمس به أحدًا سواك، وأعوذ بك أن

أتزين للناس بشيء يشينني عندك، أعوذ بك أن يكون أحدٌ أسعد بما علمتني مني، أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك.

هذه الدنيا – دققوا في هذا التشبيه – كمجموعة كراسٍ للمشاهدين ومسرح، فإذا كنت مستقيمًا فلك محل مع المشاهدين، تستريح وتسمع وترى، وإن لم تستقم تُجَرُّ إلى المسرح، وتلقى النصيب الأوفى من الأذى، وتصبح قصة للناس، فلاتجعلني عبرة لأحد من خلقك.

فإذا استقام الإنسانُ صار متفرجًا، وإذا لم يستقم صار هو القصة، ويتندر الناسُ به.

أما إذا لم يستقم يُجَرُّ إلى المسرح ليأكل لكمات، ولكمات، ليصبح قصة يتندر الناسُ بها.

أما إذا كنتَ مستقيمًا فلك محل مع المشاهدين، تشاهد وتتعظ دون أن تكون أنت قصةً للتهكُّم و التندُّر.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-6) : تفسير الآية 149 ، ممن تأخذ النصيحة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ ورد في الحديث الشريف، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))

(رواه أبو داود)

أما معنى كثير، فالمسلمون اليوم يعدون ألفًا ومئتي مليون، يعني خُمس سكان العالم.

((فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ.))

ذكرت هذا الحديث تمهيداً لقوله تعالى في الآية التاسعة والأربعين بعد المئة من سورة آل عمران، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ(151)﴾

يعني أنَّ الإنسان حينما يطيع رجلاً غير مؤمن يتردَّى في الهاوية، وقد قال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (28) ﴾

(سورة الكهف: 28)

فهذا خطأ كبير كبير، والخطأ الفاحش أن تستنصح إنساناً مقطوعاً عن الله عز وجل:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (28) ﴾

والآية المقابلة:

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ ﴾

(سورة لقمان: 15)

إذاً في شأن معاشه، وشأن تجارته، وشأن تربية أولاده، وشأن تخطيب بناته، لا ينبغي أن يستنصح إنساناً بعيداً عن الله عز وجل، والآية الدقيقة أيها الإخوة ؛ وهي قوله تعالى:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾

(سورة النساء: 101)

يروى أن بعض اليهود آلمتهم هذه المحبة التي بين الأوس والخزرج، فأرسل أحدهم غلاماً له، بقصيدةٍ قيلت في الجاهلية ليثير بينهم الأحقاد، والأنصار حديثو عهدٍ بالإسلام، فلما سمعوا هذه القصيدة تذكروا بعض ما كان بينهم وبين إخوانهم من عداوةٍ وبغضاء، فكادت تنشب فتنة، فما كان مِن النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ أنْ خرج وقال: أتفعلون هذا وأنا بين أظهركم، فنزل قوله تعالى:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101)﴾

حقًّا أن نجتمع، أن نتحابب، أن نتوادد، أن يكون بعضنا دعماً لبعض، أن نكون كالبنيان المرصوص، أن نكون كالصف الواحد، أن نكون كتلة واحدة، كيف السبيل إليها ؟ يقولون: الآلام مشتركة، والآمال مشتركة، واللغة مشتركة، والتاريخ مشترك، حوالي اثني عشر شيئًا مشتركًا، ومع ذلك هناك خصومات، وهناك عداوات، وهناك تشتت، وتشرد، وتبعثر، كيف السبيل إلى وحدة القلوب ؟ قال تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

(سورة النساء: 103)

هذه الآية نقرؤها كثيراً، وقلّما نقف عند معانيها الدقيقة، ما لم يكن هناك إيمانٌ يجمعنا، ما لم يكن هناك منهجٌ يجمعنا، ما لم يكن هناك كتاب يجمعنا، ما لم تكن هناك سنةٌ تجمعنا، ما لم يكن هناك هدف يجمعنا، ما لم تكن وسائل لهذا الهدف تجمعنا، إذًا فلن نجتمع، ولن نكون كتلةً واحدة، ولن نكون صفاً واحداً، ولن نكون يداً واحدةً على أعدائنا، إلاّ إذا أخذنا بقوله سبحانه:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾

تذكروا السُّبحة ؛ هل تجتمع حباتها من دون خيطٍ بداخلها ؟ الخيط الذي بداخل السُّبحة هو الذي يجمعها، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾

إخواننا الكرام ؛ الأنصار رضي الله عنهم، حينما وزع النبي عليه الصلاة والسلام الغنائم في معركة حنين، لم يعطهم لثقته أنهم مؤمنون، فألَّف بهذه الغنائم قلوبَ أناس ضعاف، فجاءه زعيم الأنصار سيدنا سعد بن عباده وقال له: يا رسول الله إن قومي وجدوا عليك في أنفسهم، في شأن هذا الفيء الذي وزعته بين أناس كثيرين، ولم تعطِ منه الأنصار، فقال: **يا سعد أين أنت من قومك** ؟ فقال سيدنا سعد: ما أنا إلا من قومي، أنا واحد منهم، يعني متألم مثلهم، فقال: **اجمع لي قومك**، فجمع سعد قومه الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعندئذٍ وقف النبي صلى الله عليه وسلم وقال: **يا معشر الأنصار مقالةٌ بلغتني عنكم، وجدةٌ وجدتموها عليّ في أنفسكم، من أجل لعاعة تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم لإسلامكم، يا معشر الأنصار** – الآن دققوا، فالنبي صلى الله عليه وسلم حينما انتقده الأنصار كان في أعلى درجات قوته، فَتَحَ مكة، وانتهت معركة حنين وانتصر عليهم، وصار الجيش الذي تحت إمرته أقوى قوةٍ ضاربةٍ في الجزيرة، والنبي زعيم هذه الأمة، ونبيها، ورسولها، وقائدها، وفئةٌ من الأنصار غمزت، وانتقدت، وقالت: يعني نحن أَوْلى، لم نأخذ شيئاً – فقال صلى الله عليه وسلم: **يا معشر الأنصار، أما إنكم لو قلتم فلصُدقتم ولصدقتم به، أتيتنا مكذباً فصدقناك، وطريداً فآويناك، ومخذولاً فنصرناك**، والنبي صلى الله عليه وسلم، كان بإمكانه أن يلغي وجودهم، وكان بإمكانه أن يهدر كرامتهم، وكان بإمكانه أن يعاتبهم لمصلحتهم، لم يفعل لا هذا ولا هذا ولا ذاك، ولكن جمعهم – دققوا مرة ثانية – وذكرهم بفضلهم عليه، وهو في أعلى درجات القوة، قال: **يا معشر الأنصار ألم تكونوا ضلاَّلاً فهداكم الله بي، وعالةً فأغناكم الله، وأعداء فألف بين قلوبكم**، إذًا ما الذي يؤلف بين القلوب ؟ إنّه الدين، وما الذي يفرق ؟ المصالح الدنيوية، الدنيا تفرق والدين يجمع، والمال يفرق والحق يجمع، والمعصية تفرق والطاعة تجمع، فإذا أردت لهذه الأمة أن يجتمع أمرُها فعليها أن تأتمر بقوله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾

ما لم تكن هناك عقيدة واحدة، وكتاب واحد، وسنة واحدة، وهدف واحد، ومنطلق واحد، ووسائل واحدة، فالقلوب لا تجتمع.

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾

إذاً، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً، ما ألفت بين قلوبهم، لو أنفقت المال جزافاً، لو أعطيت مساعدات، لو أعطيت بيوتًا للناس مجانًا، ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم.

إذاً تأليف القلوب شيءٌ يخلقه الله في القلوب، الذي يجمعنا هو دين الله، والشيء الخطير أن الله سمى الفرقة والتنابذ والبغضاء والعداوة والطعن والتدابر سماها كفراً، قال تعالى:

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾

كيف تكفرون ؟ وهذه الآية نزلت في هذه القصة، يعني أسباب نزول الآية تكشف جوانبها الدقيقة، إذاً هذا الذي يفرق بين المسلمين ويطعن ببعضهم، وينشئ بينهم العداوة والبغضاء، هذا وقع بالكفر وهو لا يدري، هذا الذي يظن أن الله له، وأن الجنة له، وما سواه باطل، هذا إنسان منعزل، هذا إنسان لا يعرف حقيقة هذا الدين.

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾

أيها الإخوة الكرام ؛ هذه الآيات في سورة آل عمران تتلوها آيات بعد قليل يقول الله عز وجل:

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾

– الآية الأولى –

وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بحبل الله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون

وهناك عداوة، وهناك بغضاء.

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

عن حبل الله.

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾

هذه المحبة التي تراها بينك وبين أخيك، هذه من خلق الله، هذه علامة الإيمان.

فاسمع إلى الحديث القدسي:

((عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ الشَّامِ فَإِذَا أَنَا بِفَتًى بَرَّاقِ الثَّنَايَا وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُ قَدْ سَبَقَنِي بِالْهَجِيرِ وَقَالَ إِسْحَاقُ بِالتَّهْجِيرِ وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ أَاللَّهِ فَقُلْتُ أَاللَّهِ فَقَالَ أَاللَّهِ فَقُلْتُ أَاللَّهِ فَأَخَذَ

بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ))

(رواه أحمد)

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلّ:

((الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ))

(رواه الترمذي)

يعني أرقى علاقة بين شخصين علاقة الإيمان، الحب في الله، والبغض في الله، فنسأل الله أنْ يؤلِّف بين قلوب هذه الأمة على الخير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-6) : تفسير الآية 159 ، الرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الآية التاسعة والخمسون بعد المئة من سورة آل عمران، وهي قوله تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ(159)﴾

أيها الإخوة الكرام ؛ إنَّ الرحمة في قلب الإنسان مؤشر على اتصاله بالله عز وجل، فأبعدُ قلب عن الله عز وجل هو القلب القاسي.

لذلك ورد في الحديث القدسي:

((إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي))

الراحمون يرحمهم الله، أبعد القلوب عن الله القلب القاسي، فإذا كان للرحمة مؤشر، وللإيمان مؤشر، وللاتصال بالله مؤشر، فهذه المؤشرات تتحرك معاً.

يعني حجم إيمانك بحجم اتصالك بالله، وبحجم رحمة الخلق في قلبك، فلما يقسو قلبُ الإنسان على عبادِ الله، يوقع فيهم الأذى.

صدقوني... لا تنفعه صلاته ولا صيامه ولا حجه ولا زكاته، لأنه بعيد عن الله عز وجل، وهذه العبادات أساس القرب، إما أنها طريق إلى القرب، أو إن القرب من خلالها يظهر، ومن كان قاسياً في معاملته مع عباد الله عز وجل، فهذا دليلُ بُعدِهِ عن الله عز وجل هذه نقطة، أما النقطة الثانية كما قال عليه الصلاة والسلام:

((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ))

(رواه البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو)

فلْنُبلِّغ هذه الآية:

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

ولو كان الإنسان فظاً غليظ القلب، وكان متمكناً من علمه، متبحراً في ثقافته، لكنه فظٌ غليظ القلب، فإنّ الناس يجفونه، ويصدُّون عنه.

فما قولك أن النبي عليه الصلاة والسلام، ومَن هو النبي ؟ إنّه سيد الخلق، حبيب الحق، سيد ولد آدم، المعصوم، الموحى إليه، المؤيد بالمعجزات، كل هذه الميزات لو كان فظًّا غليظ القلب مع كل هذه الميزات لانفض الناس من حوله.

فكيف إذًا بإنسان لا معجزة معه، ولا وحي، ولا هو معصوم، ولا سيد الخلق ولا حبيب الحق، بل هو واحد من عامة المؤمنين.

فإذا كان في دعوته قاسياً فظاً غليظاً هل تقبل دعوته ؟ فمعنى الآية دقيق، يعني: أنت أيها النبي، أنت على ما أنت عليه من تفوقٍ، من عصمةٍ، من تأييدٍ بالمعجزات، من إكرامٍ بالوحي، أنت بكل هذه الميزات !!! ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك.

فكيف بالذي ليس متفوقاً، وليس مؤيداً بالمعجزات، ولا يوحى إليه، ولا سيد الخلق، ولا حبيب الحق، فكيف تكون فظا غليظ القلب.

تروي كتب التاريخ، أنَ رجلاً دخل على بعض الخلفاء، فقال: إنني سأعظك وأغلُظ عليك، وكان هذا الخليفة فقيهاً، فقال: ولِمَ الغلظة يا أخي، لقد أرسل الله من هو خيرٌ منك إلى من هو أشرُّ مني ؛ أرسل موسى وهارون إلى فرعون، فقال:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)﴾

(سورة طه: 44)

لذلك من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، فلن تستطيع أن تفتح عقول الناس، قبل أن تفتح قلوبهم بالإحسان، لذلك قالوا: الإحسان قبل البيان، لا تستطيع أن تقنع الناس بالحق إلا إذا كنت على الحق، والقدوة قبل الدعوة، هناك قواعد، القدوة قبل الدعوة، والإحسان قبل البيان، لن تستطيع أن تكون مؤثراً بالآخرين إلا إذا كنت محسنًا إليهم.

فلذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((بعثت بمدارة الناس))

هذه الباء في اللغة من معانيها الاستعانة، يعني أنا أستعين على هدايتهم بمدارتهم.

وقد يسأل سائل: ما لفرق بين المداراة والمداهنة ؟ ثمَّةَ فرقٌ كبير، فما أبعد المداراة عن المداهنة. المداراة بذل الدنيا من أجل الدين، تنفق شيئًا من وقتك، وخبرتك، وراحتك، ومن مالك في سبيل أن تؤلف قلب أخيك، هذه مداراة، ولكن المداهنة أن تنفق من دينك من أجل الدنيا.

﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9)﴾

(سورة القلم: 9)

المداهنة خطيرة، والمداهن منافق، لا يصلي لئلا يظن أنه به دين، هذا بذل من دينه من أجل حسن علاقته بزيد، فهذه مداهنة، فالمداهنة بذل الدين من أجل الدنيا، أما المداراة فبذلُ الدنيا من أجل الدين فلذلك:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل بيته لف ثوبه حتى لا يزعج أحدًا، للثوب عند المشي حفيف، فهل يعقل أن حفيف الثوب يوقظ الأهل ؟ من شدة رقته، ومن شدة رحمته، وشدة عنايته بأهله، فكان إذا دخل بيته لف ثوبه، وكان إذا رأى صبياً سلَّم عليه، وكان الحسن والحسين يركبان على ظهره في البيت فيقول: نعم الجمل جملكما، ونعم الحملانِ أنتما، لماذا وصل إلى ما وصل إليه، بأخلاقه العالية:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) ﴾

(إنك لعلى)، ما قال الله سبحانه: إنك ذو خلق عظيم، لأنّ ثمة فرقًا كبيرًا بين أن يقول: إنك ذو خلق، وإنك لعلى خلق.

فإذا وقع الإنسان في صراع، يقول: جاهدتُ نفسي جهادًا كبيرًا، حتى ضبطت أعصابي، إذاً أنت ذو خلق، أما النبي فعلى خلق، و(على)تفيد الاستعلاء، فهو متمكن، فمهما استُفِزَّ فلا شيء في الأرض يخرجه عن خلقه العظيم، إنّه متمكن من خلقه.

إخواننا الكرام ؛ الإيمانُ حسنُ الخلق، فإذا ألغيت الخلق، ألغيت الإيمان، وألغيت الدين، ولم يبق إلا شيئان، لن يبقى من الدين إذا ألغيت الخلق إلا طقوس لا معنى لها، وثقافات لا تنفع ولا تجدي، معلومات وطقوس من دون أخلاق نعم.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) ﴾

فالآية دقيقة، يجب أن تستشير، لأنه من استشار الرجال استعار عقولهم، فأنت تستعير مثلاً خبرة خمسين سنة بسؤال.

من هو الذكي العاقل الموفق ؟ هو الذي يستشير، والنبي عليه الصلاة والسلام جاءه صحابي جليل، قال له: هل هذا الموقع في بدر، وحيٌ من الله أم الرأي والمشورة ؟ فإذا كان وحيًا، فلا اعتراض، فقال له: **بل الرأي والمشورة** فقال الصحابي: يا رسول الله هذا ليس بموقع، قال له: **أين الموقع إذًا**، قال له هناك، وأشار إليه بكل بساطة، بكل طيب نفس، وقف قدوة لكل مَن يأتي بعده من العلماء والأمراء، فأمر الجيش أن يستقر في المكان الذي أشار إليه الصحابي، إذاً لقد مارس المشورة.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

فمن خصائص المؤمن، أنه يشاور، لكنْ من يستشير، الاستخارة لله، وتعلمون الاستخارة، يعني قبل أن تقدم على أمر مباح، من زواج، من شركة، من سفر، تستخير الله عز وجل، بأن تصلي ركعتين، وتدعو بدعاء معروف، إن كان في هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فيسره لي، وإذا كان خلاف ذلك فاصرفه عني واصرفني عنه فلا أتعلق به، واقدر لي الخير حيث كان، هذه هي الاستخارة، أما الاستشارة لأولي الخبرة من المؤمنين، فعوِّد نفسك، بكل عملك، بتجارتك، بصناعاتك، بزراعاتك، أنْ تبحثَ عن إنسان تثق بعلمه، وبخبرته، وبورعه، لتستشيره، فأنت إذا استشرته فقد استعرت خبرة خمسين عامًا بسؤال واحد. لذلك يا أخي، القرآن الكريم يحضُّ على المشورة:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

إذا كان النبي المعصوم، المؤيد بالوحي، وبالمعجزات، مأمُور أن يشاور أصحابه، فالمؤمنون من بابٍ أولى، فنحن إذاً من باب أولى أن نستشير، وما مِن إنسان يقع في شر عمله إلا وقد انفرد برأيه، استشِرْ يا أخي إن كنت تاجرًا، فابحثْ عن تاجر تثق في علمه، ودينه، وفهمه، وخبرته فاسألْه عما أنت مقبِل عليه، وإذا كنت بالصناعة فاسأل صناعيًّا مؤمنًا، وإذا كنت بالزراعة فاسأل زراعيًّا مؤمنًا، وإن كنت بالوظيفة فاسأل موظفًا مؤمنًا، فاستشر، فمن استشار الرجال استعار عقولهم.

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)﴾

والتوكل أيها الإخوة بالقلب لا بالجوارح، فعليك أن تسعى بجوارحك، قال أحد العلماء الكبار: السعي سنة النبي عليه الصلاة والسلام، والتوكل حالة النبي، فله حال وله سلوك، فالسعي سنته، والتوكل حاله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6–6) : تفسير الآية 190 ، عبادة التفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ الآية التسعون بعد المئة من سورة آل عمران وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)﴾

مَنْ هم (أولي الألباب) ؟ قال المفسرون: هم أصحاب العقول، وقد شبه الله العقل في الإنسان كاللب في الثمرة، فما قيمة قشرة الثمرة، بكم تشتري قشور الثمار ؟ بلا شيء، لكن بكم تشتري الثمار ؟ بكل شيء، لأن فيها لبًّا، فالعقل في الإنسان كاللب في الثمرة، والعقل كما ورد: أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً، ورأس الحكمة مخافة الله، فعقلك يظهر بقدر خوفك من الله وحبك له، فإذا قلَّ الخوف ضعف العقل، وإذا قلَّت المحبة ضعف العقل، يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)﴾

فأنت بحاجة إلى شيئين ؛ بحاجةٍ إلى أن تعرف الله، وبحاجةٍ إلى أن تعبده، كي تحقق سر وجودك، فبالكون تعرفه، وبالشرع تعبده، الأمر والنهي، نعرفه من كتاب الله، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أردت أن تعبده عليك أن تعرف أمره ونهيه، أما إذا أردت أن تعرفه، عليك بقول الله عز وجل، وأنْ تتدبَّر قوله:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)﴾

السموات والأرض كما قلت من قبل، تعبير قرآني عن الكون، فخلق السموات والأرض يدل على وجود الله، وعلى كماله وعلى وحدانيته، فالأرض مثلاً تدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلو مترًا بالثانية، هذا الدرس المتواضع الذي لا يزيد عن عشر دقائق، تقطع فيه الأرض ثمانية عشر ألف كيلو متر، لأن الأرض تسير ثلاثين كيلومترًا بالثانية، بالدقيقة: 36 x = ثمانية عشر، عشر، وصفرين، ألف وثمانمئة، بعشر دقائق ثمانية عشر ألف كيلومترًا خلال درس التفسير الذي لا يزيد عن عشر دقائق.

الأرض إذًا أيها الإخوة تدور حول الشمس، قال:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

المسار إهليلجي، هناك قطر طويل وقطر قصير، وعند القطر الصغير الأصغري، تزيد سرعتها، لتنشأ قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، وعند القطر الأعظمي، تقل سرعتها، لتبقى مرتبطة بالشمس.

إذاً حركة الأرض حول الشمس بسرعةٍ متفاوتة، تزيد سرعتها وتقل سرعتها، لتبقى في مسارها الإهليلجي، شيئاً آخر:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾

تتابع الليل والنهار ما سببه ؟ الشمس هنا، يعني في جانب، هي منبع الضوء، والأرض هنا، يعني في جانب آخر، فلو أن الأرض توقفت عن الدوران، لما كان ليلٌ ولا نهارٌ، ولو أن الأرض دارت حول الشمس، ودارت على محور موازٍ لمستوى دوارنها حول الشمس، ودارت هكذا، والشمس من هنا، مع أنها تدور لا ليل ولا نهار، الليل ثابت إلى الأبد، والنهار ثابت إلى الأبد، ولو أن الليل ثبت إلى الأبد، لكانت حرارة الأرض في الليل دون المئتين والسبعين تحت الصفر، وهو الصفر المطلق، إذًا تنتهي الحياة، ولو أن الوجه المقابل للشمس ثابت، لكانت الحرارة ثلاثمئة وخمسين درجة فوق الصفر واحترق كلُّ شيء، إذاً لو أنّ الأرض توقفت لأُلغي الليل والنهار، ولو دارت هكذا بالعكس، والشمس من هنا، فالوجه المقابل للشمس، في حرارة درجتها ثلاثمئة وخمسون فوق الصفر، والوجه الآخر يكون بدرجة مئتين وسبعين تحت الصفر، ولانعدمت الحياة، لكن الأرض تدور هكذا، و الشمس هنا تدور هكذا، إذًا:

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾

لكن في الآية معنى آخر، الليل والنهار يختلفان فيأتي الأول بعد الثاني، والثاني بعد الأول، وهكذا، أمّا المعنى الثاني، أن اختلاف الليل والنهار، يعني أن طول النهار وطول الليل يختلفان، من سبع عشرة ساعة ونصف إلى عشر ساعات أحياناً، فما سر هذا الاختلاف ؟ فلو أن الشمس هنا والأرض هنا تدور الأرض حول محور عمودي على مستوى الدوران هكذا، لانعدمت الفصول، بالمنطقة الاستوائية صيف دائم إلى الأبد، وبالمناطق القطبية شتاء دائم إلى الأبد، والتغت الفصول، لكن هذا المحور مائل قليلاً، مع ميل المحور تأتي الشمس عموديةً على القطب الشمالي، فإذا أصبحت الأرض هاهنا جاءت الشمس عموديةً على القطب الجنوبي، وصار في السنة اختلاف فصول، من صيف، وشتاء، وربيع، وخريف، إذاً هذه الحكمة البالغة، أن الأرض تدور حول محورٍ مائلٍ على مستوى الدوران.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)﴾

دورة الأرض حول نفسها، تتناسب مع طاقة الإنسان، لو كان الليل ساعة واحدة، والنهار ساعة، تنام وتستيقظ، ولا بد لك ثماني ساعات، ثمانية أيام نوم وثماني ليال، لكن لو كان النهار أو الليل مئة ساعة، أيضاً لصارت الحياة صعبة، أما الليل والنهار فيتوافقان مع طاقة الإنسان، لوجود تصميم وتناسق رائع، إذًا الإنسانُ إن لم يفكر في هذه الآيات التي بثَّها الله في الكون، فكأنه عطل عقله، أو كأنه لم يستخدمه، أما إذا استخدمه فيما لم يخلق له، فقد أساء إساءةً بالغة، إذاً دقق في هذه الآية:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)﴾

الألباب أصحاب العقول، وإنسان من دون عقل كالثمرة من دون لب.

يعني أنت بكم تشتري قشر كيلو الموز، أتأخذه بمئة ليرة، أعوذ بالله، لن تأخذه ولو بقرش، أما كيلو الموز فثمنه مئة ليرة، وفيه اللبُّ، واللبُّ مغذٍ، والإنسان من دون عقل ثمرة من دون لب، والعقل يقتضي أن تُعمله في الكون كي تعرفه، إن أعملت عقلك في الأمر والنهي فمن أجل أن تعبده، وإن أعملت عقلك في الكون فمن أجل أن تعرفه، فأنت تعرف الله بالكون، وتعبده بالكتاب والسنة، فمعرفة الكتاب والسنة من دون معرفة الله نقص كبير، ومعرفة الله عز وجل من دون أن تعرف أمره نقص كبير، فلابد من التناسق بين معرفة الله ومعرفة أمره.

لذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول بصدد هذه الآية:

((الويل لمن لم يفكر بهذه الآية))

كان كلما استيقظ في الليل يتلو هذه الآية، وكأن الإنسان مكلف أن يجول فكره في خلق السموات والأرض حتى يعرفه، فإذا عرفه عَبَدَه من خلال الكتاب والسنة.

فالإنسان لا يمر على الآيات مرورًا سريعًا، فكأس الماء الذي تشربه و، كأس الحليب الذي تشربه، ورغيف الخبز الذي تأكله، وهذه الفاكهة التي تأكلها، وهذه الأمطار التي تهطل، وهذه البحار التي تزخر بما فيها من أسماك، ولآلئ ومرجان، هذه كلها بين يديك من أجل أن تعرفه، وكلما ازدادت معرفتك بالله عز وجل ازدادت خشيتك له.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

(سورة فاطر: 28)

و (إنما) تفيد القصر، أي أن العلماء وحدهم، ولا أحد سواهم يخشى الله عز وجل.

فتبدُّل الليل والنهار، وتعاقبهما، والصيف وما فيه من خصائص، والربيع، والشتاء، والخريف، هذه الأرض بدورانها حول الشمس، ولا تنسوا هذا الرقم البسيط، نحن خلال هذا الدرس كم قطعنا من مسافةٍ حول الشمس؟ ثمانية عشر ألف كيلو متر، الآن مرَّت بنا عشر دقائق، فقطعنا ثمانية عشر ألف كيلو متر في مسيرنا حول الشمس.

فكم هي عظمة هذا الكون ؟ والمؤمن كما قلت قبل أيام، بالكون والنظر في عظمته يعبُر المؤمن إلى المكوِّن، ومن النظام للمنظم، ومن التسيير للمسيِّر، ومن الخلق للخالق، ومن التربية للمربي، ومن التصوير للمصور، فما لم تعبر من هذه الحقيقة الكبرى إلى حقيقةٍ أكبر فأنت لا تعرفه.

الغربيون وقفوا عند الكون، أما المسلمون فتجاوزوه إلى المكوِّن، والمؤمن ينتقل من النعمة إلى المنعِم.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : تفسير سورة النساء

الدرس (1-9) : تفسير الآية 26 ، سر وجود الإنسان

الدرس (2-9) : تفسير الآية 59 ، طاعة الله ورسوله وأولي الأمر

الدرس (3-9) : تفسير الآيات 17-18-19 ، الإنسان مسير ومخير

الدرس (4-9) : تفسير الآية 85 ، الشفاعة

الدرس (5-9) : تفسير الآية 123 ، التمنيات

الدرس (6-9) : تفسير الآية 7 ، متى يتوقف العلاج الإلهي ؟

الدرس (7-9) : تفسير الآية 166 ، كيف تكون شهادة الله لعباده ؟

الدرس (8-9) : تفسير الآية 171 ، الغلو في الدين

الدرس (9-9) : تفسير الآية 28 ، طبيعة الإنسان

الدرس (1-9) : تفسير الآية 26 ، سر وجود الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الإخوة الكرام:

أناس كثيرون يشككون في كل شيء، يقولون لك لا ندري، لا نعلم، الله أعلم، لماذا خلقنا ؟ كأننا خلقنا لنعذب، لا أحد مرتاح، كلما عرضت عليهم حقيقة، أو آية، ردوا عليك بأنهم لا يعلمون، ولا يفهمون سر الوجود.

الله جل جلاله، يقول في سورة النساء وفي الآية السادسة والعشرين:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28) ﴾

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾

وقال سبحانه:

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(سورة هود: 119)

يعني يا عبادي خلقتكم لأرحمكم.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

(سورة الذاريات: 56)

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾

(سورة النساء: 77)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(5)﴾

(سورة فاطر: 5)

لو قرأت القرآن الكريم، لوجدته كله يبيّن لهذا الإنسان سرّ وجوده، لماذا جيء به إلى الدنيا ؟ ماذا بعد الدنيا ؟ ما حكمة وجودك ؟ في حين ترى أنّ كل إنسان يشكك، يقول أحدهم: جئت، لا أعلم من أين، ولكني أتيت، هكذا قال بعض الشعراء، رأيت قدامي طريقًا فمشيت، كيف جئت، كيف أبصرت طريقي، لست أدري، ثم يقول: ولماذا لست أدري لست أدري، هذا الذي يشكك، له مِن وراء التشكيك غاية.

الإنسان المنحرف يريد ألا يعلم، لأنه لو علم، لأصبح مسؤولاً، والدليل:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾

يا محمد:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

(سورة القصص: 50)

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)﴾

(سورة الماعون: 1- 2)

هو نفسه.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3)﴾

(سورة الماعون: 3)

إذاً الإنسان حينما يريد ألا يعلم، معنى ذلك أنه منحرف، وأنه مقيم على المعاصي، وأنه يتبع شهواته، فإذا علم أصبح مسؤولاً، هو أميَل إلى ألاّ يعلم، إلى أن يشكك، إلى أن يقول: لا نعرف، ففي الحياة في أسرار، وكأنّ كلّ الأسرار عنده، قل له: فُكَّ سراً واحداً، يقول لك: لا أقدر، هذا القرآن كلما غُصتَ فيه غرقتَ، أعوذ بالله، كلام الله، نزل هذا القرآن من لدن حكيم عليم لنفهمه، لنقرأه، لنتدبر آياته، انظر في الآية الكريمة:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾

لقد بيّن لك، بيّن لك لماذا خلق الكون، ولماذا خلق الإنسان، ولماذا جاء بك إلى الدنيا، وماذا يقول الإنسان عند الموت.

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

(سورة المؤمنون: 99 – 100)

إذاً سر وجودك في أنْ تعمل العمل الصالح.

﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾

(سورة العصر: 1 -3)

القرآن كله بيان، قال:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾

(سورة النساء: 26)

الآن هؤلاء الأقوام السابقة، حينما انحرفوا ماذا حل بهم، أتريد عبرة نظرية، أتريد حقيقة نظرية، اقْرأ القرآن الكريم، أتريد حقيقة عملية، أقرأ ماذا حل بالأقوام السابقة:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ (3)﴾

(سورة الفيل: 1 –2 – 3)

وأنت أيها الإنسان، ألم تَرَ كل يوم ماذا يحل بالمنحرفين.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)﴾

(سورة النحل 112)

ألا ترى كل يوم فيما حولنا من البلاد الفلانية ؛ هنا حرب أهلية، هنا فيضان، هنا زلزال، هنا صواعق، هنا براكين، إن أردت الحقيقة مجردة، فاقرأ القرآن، وإن أردت الحقيقة مطبقة على أقوام، قال سبحان:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

من أجل ماذا قال: **ليتوب عليكم** ؟ من أجل أن:

﴿يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26)﴾

أمّا الآية التي بعدها:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

هذه مشيئته.

لذلك إذا جاءت توبة الله قبل توبة العبد، فشيء مخيف.

﴿تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾

(سورة التوبة: 118)

وفي آية:

تابوا فتاب الله عليهم.

ما معنى توبة الله قبل توبة العبد ؟

ما معنى توبة الله بعد توبة العبد ؟

﴿تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾

(سورة التوبة (118))

تابوا فتاب الله عليهم...

العلماء قالوا:

إذا جاءت توبة الله بعد توبة العبد، فهي قبول التوبة.

أما إذا جاءت توبة الله قبل توبة العبد، أي هي الشدائد، التي يسوقها الله لهذا الإنسان ليحمله على التوبة، أيْ تَوَّبَهُ، تَوَّبَهُ، فلما ربنا يقول:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

يعني كل هذه المصائب، كل هذه المتاعب، الفقر، الفرج، القهر، الذل، الخوف، القلق.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)﴾

(سورة الشورى: 30)

ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم، وما يعفوا الله أكثر.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

إذاً الشر المطلق ليس له وجود في الكون، الشر الهادف، والشر بنظر الإنسان شر، في نظر الواحد الديان مطلق الخير.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

ثم قال:

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27)﴾

(سورة النساء)

إذاً أنت محاط بناس لا دين لهم، فَسَقَة، يحبون الشهوات، مشكلة الإنسان أنه يعيش معهم، دائما يريدون منك أن تميل ميلاً عظيما، يجرونك إلى الربا، إلى الاختلاط، يجرونك لتزويج ابنتك من شاب غني فقط، يقول بعضهم: الدراهم كالمراهم، ماذا تستفيد من الفقير المعترّ.

إذا كان الذين حولك دين لهم، فإنهم يجرونك لاتّباع الشهوات والميل عن الحق، فهذه الآية دقيقة.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27)﴾

عن الحق، لذلك:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (28)﴾

(سورة الكهف: 28)

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾

(سورة لقمان: 15)

إذا استشرتَ فاستشِر إنسانًا مؤمنًا، صادقًا، استشِر إنسانًا واثقًا من ورعه، من علمه، أما أنْ تسأل واحدًا لا دين له ؟ فإنّه يغرقك، لماذا يريد الله أن يتوب عليكم؟ قال:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾

(سورة النساء: 27)

أنت تحمِّل نفسك مالا تطيق، لماذا يحمل الإنسانُ نفسَه مالا تطيق في حين:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾

لكن:

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28)﴾

أنت تقدر على معاينة المعصية عند الموت ؟ وفي أثناء الحياة تجد الناس نيامًا مخدرين، تشغلهم نزهات مختلطة، يقترفون السيئات، فهم مخدرون، والمال موجود، والصحة موجودة لا يدري أحدهم ما يعمل لغفلته، لو أن إنسانًا عاين هذه المعاصي وهو في القبر فإنه لا يتحمل ؟ يصيح صيحةً لو سمعها أهل الأرض لصعقوا منها، ولمّا يرى الإنسان مكانه في النار يصيح صيحةً لو سمعها أهل الدنيا لصعقوا بها.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28)﴾

أربع آيات بمحور واحد، يريد الله ليبين لكم، كل هذا القرآن تبيان وإذا لم تكفِ الحقائق النظرية، فإنه يريك حالَ الأقوام السابقة التي كفرت.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)﴾

(سورة الفيل)

قوم عاد، قوم ثمود، قوم فرعون، قوم نوح، انظر إلى هؤلاء القدامى، أمّا حال المعاصرين، فانظر حولك، كم من حرب أهلية ؟ كم زلزال صار ؟ كم فيضان ؟ يقولون: إعصار ؛ خسارة البلاد بسببه تقدَّر بثلاثين مليارًا، إعصار واحد في نصف ساعة، ما لنا لا نرى ولا نبصر ؟ المصائب التي تأتي، بساعة أعاصير، بساعة زلازل، بساعة فيضانات، بساعة حروب أهلية، والله ماذا قال:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾

(سورة الأنعام: 65)

هذه الصواعق قديماً وحديثاً، والصواريخ،حديثا مِن فوقكم:

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾

الزلازل والألغام،

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾

الحروب الأهلية.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

قبل أسبوع تحاربت بإفريقيا دولتان، عشرة آلاف قتيل في يومين، عشرة آلاف، هذا من فعل الله عز وجل، من تأديب الله عز وجل لعباده، فلذلك، يريد الله ليبين لكم أتحب بيانًا عمليًا، فهؤلاء القتلى بيانٌ عملي صارخ " ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما، لذلك، واتبعْ سبيل من أناب إليَ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا.

وبعد ؛ لماذا كل هذا ؟ قال:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28)﴾

(سورة النساء)

يريد أن يبين، ببيان نظري، يريد أن يبين، ببيان عملي، يريد أن يخفف عنكم، يريد أن يتوب عليكم.

لذلك هذه الآيات في سورة النساء جاءت متتابعة، ثلاث آيات تبدأ بكلمة:**والله يريد**، إذا قلت: أنا لا أعرف لماذا خُلِقت، والله هذا منتهى الحمق ! كتاب الله معجز، وهو بين يديك، يبين لك خالق الكون لماذا خلقك.

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(سورة هود: 119)

يقولون: أريد تفسيرَ الآية، لا أريد تفسير الزمخشري، ولا الجلالين ولا الطبري ولا القرطبي، بل أريد شيئًا واضحًا مثل الشمس، فإليك الجواب في الآية:

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

خلقك ليرحمك.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

(سورة الذاريات)

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185) ﴾

(سورة آل عمران)

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾

(سورة النساء: 77)

﴿وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)﴾

(سورة الأعلى)

اقرأ القرآن فإذا قلت: لا أدري فهذا جوابه:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

(سورة القصص: 50)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-9) : تفسير الآية 59 ، طاعة الله ورسوله وأولي الأمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ الآية التاسعة والخمسون من سورة النساء، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (59)﴾

الله سبحانه وتعالى يخاطب عامة الناس بأصول الشريعة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾

ويخاطب المؤمنين بفروع الشريعة، فحيثما قرأت في كتاب الله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾

فالذي آمن بالله ورسوله واليوم الآخر وملائكته وكتبه، هذا الخطاب موجَّه إليه، أما إذا خاطب الإنسان لعموم وصفه يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾

فالناس يخاطبون بأصول الشريعة، بينما المؤمنون يخاطبون بفروع الشريعة.

هذه الآية أيها الإخوة، للإمام الشافعي شرحٌ دقيقٌ لها، كلكم يعلم إن الدين في أصله، وحيٌ من الله إلى رسوله، ونقلٌ عن رسول، فالدين وحيٌ ونقلٌ، فإذا قال الله عز وجل:

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ ﴾

يعني أطيعوا الأمر الذي وصلكم عن طريق الوحي، يعني القرآن، كيف أطيع الله ؟ بتطبيق أوامر القرآن، وأطيعوا الرسول، وكيف أطيع الرسول ؟

الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

(سورة الحشر: 7)

وقال: **ليبين للناس ما نزل إليهم.**

فالسنة النبوية المطهرة، نوعان أو ثلاثة أنواع.

أولاً: نوع قولي.

ثانياً: نوعٌ عملي.

ثالثاً: نوعٌ إقراري.

فإذا وقف النبي في موقف، وحَدَثَ أمامه حدثٌ، وسكت النبي، فهذه سنة، لإن سكوته يعني أنه أقره، لو لم تكن على حق لما سكت، لأنه رسول ومشرع، فهنالك سنةٌ ، أقواله سنة، وأفعاله سنة، وإقراره سنة. فإذا قال الله عز وجل:

﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

تتلخص طاعتُه في ثلاثة أشياء ؛ الأحاديث الشريفة الصحيحة التي فيها أمرٌ ونهيٌ.

ينبغي أن تطيعه فيها، وسيرته الصحيحة هكذا فعل، ففي بيته فعل كذا وكذا، مع إخوانه، مع أصحابه في حربه، في سلمه، في قيادته كانت أفعاله كذا وكذا.

سنته الفعلية هي سيرته، وإقراراته، أيضاً من سنته.

فأنت مأمور من قبل الله عز وجل، أن تطيع الأمر الذي جاءك في القرآن الكريم، وأن تطيع الأمر الذي جاء به النبي ليبين لك ما في القرآن الكريم، وأن تقلد النبي قي سلوكه، وأن تطيعه أيضاً في إقراره، وهذا كلُّه واضح.

أطيعوا الله ؛ الأوامر القرآنية، وأطيعوا الرسول سنته القولية، والعملية، والإقرارية.

الآن: **وأولى الأمر منك.**

الإمام الشافعي قال: **وأولي الأمر هم العلماء والأمراء.**

ما الفرق بينهما ؟ العلماء الذين يعرفون الأمر والنهي، والأمراء الذين ينفذونه.

لكن لو وقع شعب مسلم تحت حكم استعماري كافر، هل هؤلاء أولو الأمر ؟ لا !!! هؤلاء الكفرة هم أولو الأمر فيكم لا منكم، فمِن للتبعيض.

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

كلمة " **من**" للتبعيض.

من هم " **أولي الأمر**" ؟ هم العلماء الذين يعرفون أمر الله، والأمراء الذين ينفذون أمر الله، فأنت بحسب هذه الآية.

مكلفٌ أن تطيع الأوامر التي وردت في هذا الكتاب.

ومكلف أن تتبع سنة النبي القولية والعملية والإقرارية.

ومكلفٌ أن تطيع من يفتي لك وهو على علمٍ، وورعٍ وتقي، ويقول لك: الحكم الشرعي في هذا المبلغ مثلاً إنه حرام، " **أولي الأمر**" صار معناها: عالم مُفْتٍ، وإذا أحيل هذا الأمر إلى الدوائر التنفيذية، فلو كنتَ أمام القاضي الشرعي مثلاً، وحَكَم لك في خلاف بينك وبين زوجتك بحكم الله، فأوجب لها المهر، فهذا القاضي الشرعي من أولي الأمر، فلما أحيلت هذه القضية إلى دوائر التنفيذ، صرنا من مع "أولي الأمر" من نوع ثانٍ، وهو المنفذ.

"**أولي الأمر** " نوعان، الذي يعلم، والذي ينفذ، بِشرطِ أن يكون منكم.

الآن:

﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ ﴾

فَمَع مَنْ نتنازع.

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ﴾

ماذا حذف من هذه الآية ؟ هم ثلاثة فيما سبق مِن الآية:

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

قال:

﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

هل تفهمون مَنْ حُذِف " **أولي الأمر** "، فالنزاع بين مَنْ ومَنْ.

النزاع إذاً بين المسلمين وبين علمائهم، وبين أمرائهم، فإذا حصل نزاعٌ وجاءك أمر مخالف للقرآن الكريم فالحكم لله ولرسوله، والقصة التي أرويها لكم دائماً.

أن النبي صلى الله عليه وسلم: أرسل سريةً وأمَّر عليها أنصارياً فيه دعابة، هذا الأنصاري بعد أن تسلّم القيادة أعطى أمراً أن تضرم نارٌ عظيمة، وقال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أميرهم: اقتحموها !!!

فترددوا، بعضهم قال كيف نقتحمها ؟ وقد آمنَّا بالله ورسوله فراراً منها، وبعضهم قال: لا بد من اقتحامها، فطاعة الأمير طاعة الرسول.

وقعت منازعةٌ بين الصحابة وبين هذا الأمير الذي أمرهم أن يقتحموا ناراً، والنبي حيٌّ يُرزق، فذهبوا إلى النبي يخبرونه، فقال عليه الصلاة والسلام:

((والله لو اقتحمتموها لازلتم فيها إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في المعروف.))

فالمنازعة هنا بين المسلمين وبين علمائهم أو بين أمرائهم، حول شرعية حكم يجوز أو لا يجوز، فَمَنْ هو الحَكَم في هذه المنازعة، كتاب الله وسنة رسوله، الآية أصبحت على الشكل التالي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾

بطاعة أوامره في القرآن الكريم، لأن هذا وحيٌ من عند الله نقله إلينا النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

فاللهُ مثلاً بيَّن لنا البيوع بآية واحدة، والنبي بيّن البيوع بمئتي حديث، وأمّا الزكاة:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

(سورة التوبة: 103)

فالنبي بيّن زكاة الزروع، وزكاة التجارة وعروض التجارة، وزكاة المواشي، وزكاة الركاز والأنصبة، ومصارف الزكاة.

فالنبي وصَّى وفصَّل، فأنت عليك أن تطيع الله عز وجل فيما أمر، وأن تطيع النبي عليه الصلاة والسلام فيما بين بسنته القولية، وفيما فعل سنة فعلية وفيما سكت فسكوته إقرار.

ذات مرة ذهب النبي عليه الصلاة والسلام إلى أحد أصحابه وقد توفي توًّا في بيته، فسمع من خلف الستار امرأةً تقول: هنيئاً لك أبا السائب، تعني أبا السائب، لقد أكرمك الله، فلو أن النبي سكت لكان كلامها صحيحاً، لكنه عليه الصلاة و السلام قال:

((ومن أدراكِ أن الله أكرمه، قولي: أرجو الله أن يكرمه.))

لأن هذا تَأَلٍّ على الله، قولي أرجو الله أن يكرمه، وأنا نبيٌّ مرسل لا أدري ما يفعل بي ولا بكم.

إذاً النبي لم يسكت فإذا سكت فما عاد نبياً، أي كلمةٍ باطلةٍ تلقى أمامه لا بد أن يصححها، فسنة النبي ؛ أقواله الصحيحة، وسنة النبي أفعاله يعني سيرته، وسنة النبي إقراره.

وكثير مِن الأحاديث أساسها أن صحابيًا فعل كذا وكذا في حضرة النبي، والنبي ما نهى عن ذلك، إذاً هذه الواقعة أصبحت سنة، " **أولى الأمر**" هم العلماء العاملون، الصادقون، المخلصون، الذين يعرفون أمر الله ورسوله، والذين ينفذون هذا الأمر أيضاً هم من أولي الأمر، أما لو وقع مجتمع مسلم تحت حكم مستعمر كافر، فلا يكون هذا الكافر من أولي الأمر.

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ﴾

إذا آمنت أن الله هو المشرع، هو الذي يعلم، وهو الذي يميت، وهو الذي سيحيي، وهو الذي سيحاسب، إن آمنت بهذا، فعليك أن ترد النزاع إلى الله والرسول.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (59)﴾

الآن عندنا سؤالان، ماذا ترون في تعلُّم سنة النبي القولية ؟ يعني يستحسن أن تتعلمها، وهنا يطالعنا سؤال ؟ يستحسن، يعني أهو مندوبٌ أن تتعلمها ؟ لا، أهو فرض كفاية أن تتعلمها ؟ لا، بل تعلُّمها فرض عين، قل لي ما الدليل في أن تعلم سنة النبي القولية فرض عين، لأن الله تعالى يقول:

﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

فكيف تأخذ شيئاً لا تعلمه ؟ إذاً كل واحد من إخواننا الحاضرين عليه أن يعرف سنة النبي القولية، وهذا فرض عين، ولا يعفى منه أحد.

وهذا سؤال آخر:

أقراءة سيرة رسول الله، يعني: مستحسن، مندوب، فرض كفاية ؟ لا بل تعلُّمها فرض عين، والدليل:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

(سورة الأحزاب: 21)

أمر إلهي هو قدوتك، كيف تقتدي به وأنت لا تعلم أحواله وأفعاله وتصرفاته، إذاً لابد من تعلم سنة النبي القولية والفعلية والإقرارية حتى تنفذ أمر الله عز وجل.

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

هذا طيبٌ، ثم لابد من أن تستسقي العلم من أولي الأمر الذين يعرفون أمر الله.

ابن عمر دينَك دينَك خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا، إذاً:

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

العلماء والأمراء طبعاً منكم.

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

مثل ما صار مع الصحابة، تنازعوا مع أميرهم، قال لهم: اقتحموا النار، فلما ردوا هذه المنازعة إلى الله ورسوله، قال عليه الصلاة والسلام: والله لو اقتحمتموها لازلتم فيها إلى يوم القيامة إنما الطاعة في معروف.

﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً(59)﴾

هذه الآية واضحة، وتلخيص للموضوع أقول:

طاعة الله في اتباع القرآن.

طاعة النبي في العمل سنته القولية والعملية والإقراري.

طاعة أولي الأمر، أن تتعلم من العلماء الذين يعلمون أمر الله ورسوله، وأن تطيعهم فيما يفتون لك بشرط أن يكون من المسلمين، أما إذا وقع المسلمون تحت سيطرةٍ كافرةٍ أجنبيةٍ، عندئذٍ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

و الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنّا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-9) : تفسير الآيات 17-18-19 ، الإنسان مسير ومخير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ الآيات السابعة والسبعون والثامنة والسبعون والتاسعة والسبعون من سورة النساء، تشير إلى موضوع دقيق، قد يفهمه المسلمون على غير ما أراده الله عز وجل.

مثلاً، إذا خاطبتَ إنسانًا متلبساً بمعصية الله، ألا تتق الله يا أخي، يقول لك، هذا قدري، بالتعبير الدارج، يقول: طاسات معدودة في أماكن محدودة، ليس بيدنا شيء، هذا ترتيب سيدك، يعني الله، هذا كلام ليس له أساس من الصحة.

سيدنا عمر في عهده، جيء له برجل شارب للخمر، فلما أمر أن يقام عليه الحد قال هذا الرجل: والله يا أمير المؤمنين، إن الله قدر عليَ ذلك، فقال رضي الله عنه، وهو الذي فهم حقيقة الدين، قال: **أقيموا الحد عليه مرتين، مرة لأنه شرب الخمر، ومرة لأنه افترى على الله،** ثم قال له: **ويحك يا هذا، إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار، إن الله أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعصَ مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً.**

لو أن الله سبحانه وتعالى، أجبر الإنسان على طاعته لبطل الثواب !! ولو أجبره على معصيته لبطل العقاب!! ولو تركه هملاً لكان عجزاً في القدرة !!.

فالإنسان حينما يتوهم أن الله قدر عليه أن يعصيه، فقد وقع في ذنبٍ بنص القرآن الكريم، هو أكبر ذنبٍ على الإطلاق.

الله عز وجل، ذكر الذنوب، ذكر الإثم والعدوان، ذكر الفحشاء والمنكر، ذكر الشرك، ذكر النفاق ذكر... ذكر... ثم قال:

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)﴾

(سورة البقرة: 169)

أن تقول على الله ما لا تعلم، هذا أكبر ذنبٍ يقترفه الإنسان، فأن تتوهم أن الله عز وجل خلق الإنسان وقدر عليه أن يعصيه، ولا يستطيع إلا أن ينفذ قدر الله عز وجل، ثم يأتي ليحاسَب ويدخل جهنم إلى أبد الآبدين، فهذا افتراء على الله، قال الله عز وجل:

﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾

(سورة الفتح: 6)

وقال عز وجل:

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (77)﴾

(سورة النساء:77)

وقال:

﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾

(سورة غافر: 17)

وقال سبحانه:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾

(سورة العنكبوت: 40)

وقال تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (8)﴾

(سورة الزلزلة: 7، 8)

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)﴾

(سورة الأنبياء: 47)

ماذا نفعل بهذه الآيات:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾

(سورة فصلت: 17)

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

(سورة البقرة: 148)

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (3)﴾

(سورة الإنسان: 3)

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾

ويقولون: هذا ترتيبه ! ! ! فهذا كلام مَن، كلام المشركين:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)﴾

(سورة الأنعام: 148)

حينما تتوهم، أن الله سبحانه وتعالى أجبرك على معصيته، فقد وقعت في أكبر ذنب، وهو سوء الظن بالله عز وجل.

فالإمام الغزالي يقول: **لأنْ يرتكبَ العوامُ الكبائرَ أهون من أنْ يقولوا على الله ما لا يعلمون**، حسن الظن بالله ثمن الجنة.

وبعد ؛ فأنت مخير فيما كلفت، لن تحاسب لماذا ولدت عام 1940، لماذا ؟ لأنك لست مخيرًا في تاريخ ميلادك، لست محاسبًا لماذا كان أبوك فلانًا، فلست مخيّراً في اختيار أبيك، أنت مخير في ماذا ؟ فيما كلفت، أمرك أن تصلي، بإمكانك أن تصلي وألاّ تصلي، أمرك أن تكون صادقاً، فبإمكانك أن تكذب، وبإمكانك أن تصدق، أمرك أن تكون مخلصاً، فبإمكانك أن تخون، وبإمكانك أن تخلص، أمرك أن تغض البصر، فبإمكانك أن تطلق البصر وأن تغض البصر، إذًا أنت مخير في ماذا ؟ فيما كلفتَ، في دائرة التكليف أنت مخير، فإذا فعلت شيئاً محرماً، فإياك أن تقول: اللهُ قَدَّرَ عليَّ، هكذا ترتيب سيدك، وهكذا أراد الله، حتى يشاء الله، لا أتوب حتى يريد الله، هذا كله كلام باطل، كلام تُحاسب عليه، كلام لا أصل له من الصحة، وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى، الإنسان مخير فيما كلف، أما هو مسير في شؤون كثيرة، أنْ يكون فلان والده فهو مسير، فلانة والدته مسير، ولد عام كذا مسير، طويل مسير، قصير مسير، كل صفاته الحسية والجسمية وقدراته العقلية، ولادته، ومحيطه، وبيئته، في كل هذا هو مسير، لكن هو مخير فيما كلِّف.
ويجب أن تعلموا أيها الإخوة ؛ أنّ الذي سيرت به هو محض خيرٍ، ولصالحك، محض خير، اختار لك أنسب أب، وأنسب أم، وأنسب زمن، وأنسب إمكانات، وأنسب شكل، وأنسب قدرة، وأنسب زوجة، وأنسب أولاد، كل شيء أنت مسير به فهو لصالحك.

لذلك الإمام الغزالي عبّر عن هذه الحقيقة فقال: **ليس في الإمكان أبدع مما كان، يعني ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني**.

ما أنت مسير به فهو لمصلحة إيمانك، ولمصلحة آخرتك.

التخيير من أجل أن تدخل الجنة بعملك.

وبعد ؛ فها هنا نقطة دقيقة، فبعد أنْ عرفتَ أنك مخير فأنت مسير، كيف ؟.

لو أن إنسانًا اختار أن يغش الناس، وأن يأكل أموالهم بالباطل، فربنا الآن يسيره،ويدفع ثمن اختياره، إذا أراد ربك إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لبٍ لبَّه، يورطه في قضية يُفلس فيها ويحار، يا رب أنا حائر تائه، لأنّ كل مالك حرام.

بعد أن تختار فالله عز وجل يسيرك لدفع ثمن اختيارك، فإذا اخترت الإحسان للآخرين، فالله يسيرك لعمل مريح، وإذا اخترت إيذاء الآخرين، فالله يسيرك بعمل يزعجك، فأنت بالأساس مخير، ثم تسير لدفع ثمن اختيارك، وإذا أراد ربك إنفاذا أمر أخذ من كل ذي لب لبه، ولا ينفع من ذي الجد منك الجد، فمهما كنت ذكيًا وعاقلاً، ولديك خبرات متراكمة ؛ ثمانين سنة مثلاً، يُؤتى الحَذِرُ من مأمنه، عند الله ليس هناك ذكي، وعنده ليس هناك خبرات، كل الخبرات تضيع، وإذا أراد ربك إنفاذا أمر أخذ من كل ذي لب لبه يا رجل أين عقلك ؟ فيقول: هذا ما حدَث معي، الله سيرك لتدفع ثمن اختيارك، لمَ اخترت أن تفعل المعاصي والآثام، وأن توقع الأذى بالعباد، فالله سلبك لُبَّك، وفعلت شيئاً دفعت فيه ثمن اختيارك، وهذه هي المقدمة، من أجل قوله تعالى:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾

هنا دقة الآية، من حيث التنفيذ، من حيث الفعل.

﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾

وبعد قليل:

﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً (78) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (79)﴾

قد يبدو لبعض الناس، أن بين الآيتين تناقضاً، لا الفعل له عنصران ؛ عنصر كسبي.. وعنصر تنفيذي..

العنصر الكسبي: منك والعنصر التنفيذي: من الله .

فلو أردت أن تقوم للصلاة، أنت أردت أن تصلي، هذا الجانب الاختياري الكسبي، أما من يعطيك القوة على أن تقف، وأن تقرأ وأن تركع وأن تسجد، فهو الله سبحانه وتعالى.

أنت صليت اكتساباً، وصليت بقضاء الله وقدره، من حيث الفعل، الفعلُ فعلُ الله، أمَّا الاختيار والكسب فاختيارك وكسبك.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

(سورة البقرة: 286)

فإذا أشار الله عز وجل إلى أن الفعل كله لله، إلى أن عمل الإنسان من عند الله، فهذا يعني المعنى التنفيذي.

إليك مثلاً آخر أوضح.

لو كتب مدير المدرسة على جلاء الطالب، لقد تم ترسيب الطالب في صفه، فمَن أصدر قرار الترسيب ؟ المدير، لكنْ مَن سبب الرسوب ؟ إنّه الطالب، فالرسوب كسبٌ من الطالب، أما كتنفيذ، وكقرار أُصدر ووُقِّع وخُتِم مِن المدير، فالرسوب مَن سببه ؟ الطالب الكسول، مَن نفذه ؟ المدير المسؤول.

فالرسوب له جانبان... سبب.. وفعل..

التوقيع وإصدار القرار من المدير، فإذا قلنا: المدير رسب الطالب، كلام صحيح، لأنه كسول، أشرنا الآن إلى فعل الرسوب، إذا قلنا هذا الطالب رسب، مسكين، صحيح أيضا، فتنفيذ القرار صدر عن المدير، هذه صحيحة، وهذه صحيحة.

إذا قلنا هذا الطالب رسب فقد أشرنا إلى الجانب الكسبي الاختياري.

وإذا قلنا المدير رسبه، أشرنا إلى الجانب التنفيذي، فليس ثمّة غلط، ولا تناقض العبارتين.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾

لا، أنتم غالطون.

﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾

الأفعال كلها من قَبَل الله، أما الآن الاختيار.

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾

لو أنت فعلت معروفًا، فالله لمّا أعطاك الخير، فهو منه، وليس لك عنده شيء.

ذات مرة ضربت مثلاً، لو أن أبًا قال لابنه: إذا نجحت فسأشتري لك دراجة، هذا الابن أخذ الجلاء، وركض رأساً إلى بائع الدراجات، وقال له: هات دراجة، أعطِني دراجة، وانظرْ إلى الجلاء، فقد نجحتُ، فهل يعطيه دراجة ؟لا، بل يقول له: ما الذي يعنيني في نجاحك، قالوا: العطاء محض فضل.

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾

(فمن نفسك)، يعني أنت الذي تسببت في ذلك، وحينما يُعزَى العمل إلى الله نقصد به الفعل، وحينما يُعزَى العمل إلى الإنسان، نقصد به الكسب، والآية في آخر سورة البقرة:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾

أمّا هنا في سورة النساء:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً (78) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (79)﴾

ملخص الدرس: إذا توهّم الإنسان أنه هكذا ترتيب ربه، هكذا خلقه، وهكذا جعله لا يصلي، وتركه يشرب الخمر، وتركه يعمل أعمالاً خارج طاقته وإرادته، فهذا تدليس مِن الشيطان، وهذا كلام لا أصل له، والإنسان محاسب لا محالة.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

(سورة الحجر : الآية: 92، 93)

وما وجدتُ واحدًا في حياتي قال: إذا فعلت أعمالاً صالحةً، هكذا أراد الله، لا !!! يقول لك: بالخيرات وبالصلوات وبالصدقات، أنا فعلت، وأنا تصدقت، أنا صليت، بينما عند فعل الموبقات والأثام يقول: هكذا أراد الله، هذا كلام فيه تناقض، الخيرات تعزوها إلى نفسك، أما إذا وُجِدَ تقصير، وأكل مال حرام، هكذا شاء الله، وهذا قدري، لا، ليس قدرك، هذا وهم، وهذا جهل، وهذه الفكرة إذا شاعت بين الناس شلّت حركتهم، فانتهوا يا عباد الله، وانتبهوا:

﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً (78)﴾

الخير من الله، والشر من الله فعلاً، ومِن الإنسان كسباً ، العمل له جانبان.. كسب.. وفعل.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-9) : تفسير الآية 85 ، الشفاعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ الآية الخامسة والثمانون من سورة النساء، وهي قوله تعالى:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً (85)﴾

إذا كنت أيها المؤمن سبباً في علاقةٍ أدّت إلى مفسدة، فعليك وزر هذه المفسدة، وإن كنت سبباً في علاقةٍ أدت إلى خير، إلى هدى، إلى تقى، إلى صلاح، إلى تحقيق مصالح المسلمين، إلى التخفيف عنهم، فَلَكَ منها نصيب، وإذا كنت سبباً في علاقةٍ سيئةً فعليك منها وزر، لذلك فالله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

(سورة يس: 12)

دقق في كلمة " **وآثارهم**"، فأعظم الأعمال عند الله هي الأعمال التي إذا مات صاحبها، واستمرت من بعد موته، تتجدد منافعها، يتجدد ثوبها، من هنا، ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام:

((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث. صدقةٍ جاريةٍ. وعلم ينتفع به. وولدٍ صالح يدع له.))

لا بد مِن ضرب بعض الأمثلة ؛ لو فتحت محلاً تجاريًا وكل الزبائن نساء، واستخدمتَ شابًا في ريعان الشباب، فلو نشأ فسادٌ عند هذا الشاب فأنت السبب.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾

فقَبْل أنْ تتحرك، وقبل أنْ تعمل مشروعًا، قبل أنْ توظف، قبل أنْ تعين، قبل أنْ تفصل، قبل أنْ تعمل أي علاقة، انتبه إلى أنك إذا كنت سبباً في علاقةٍ أدت إلى مفسدةٍ، فعليك وزرُ مثل هذه المفسدة، ولو دللت شابًا فاسدًا ليتزوج فتاةً طيبةً، فأنت الذي دللت عليه، فلك من هذا الزواج، ومما ينتج عن الفساد منه وزر.

هذه الآية أيها الإخوة: من أدق الآيات التي تجعل المؤمن يفكر ملياً قبل أن يقدم على عمل.

ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام:

((إذا أردت إنفاذ أمرٍ تدبر عاقبته.))

يعني... أنت نصحت صديقك أنْ يبعث ابنه إلى بريطانيا، ليتعلم اللغة الإنكليزية، فهنالك ببريطانيا مثلاً، يفرزون الشاب إلى أسرة، يسكن معهم ليلاً ونهاراً، فقد تكون فتاة في هذا البيت، ويمكن لهذا الشاب أنْ يقع في الزنى، وأنْ يشرب خمرًا، أنت نصحت رفيقك، ليتعلم ابنه لغة، فبعثه إلى بريطانيا، ليتلقى دروسًا وتدريبات عملية.

قبل أنْ تتكلم كلمة، وقبل أنْ تنصح، وقبل أنْ تقيم علاقة، قبل أنْ تجمع بين شخصين، قبل أنْ تدل على زواج، قبل أنْ تؤسس مشروعًا، فقد تكون المفسدة في نصيحتك أو اقتراحك، وتوجيهك لهذا المشروع.

قال لي أحد إخواننا الكرام: إنّ بعض الأعمال تقوم مِن أساسها على معصية، فإذا أنت ساهمت إما بمالك، أو بجهدك، أو بخبرتك، فلا تعطِ خبرتك ولا رأيك لمفسدةٍ تقع بين المسلمين.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾

انتبِهْ ؛ كلمة " **نصيب**"غير كلمة "**كفل**"، الكفالة فيها غرامة، أما النصيب ففيه ربح، ما نصيبي من أرباح هذا العام، النصيب فيه ربح، أما الكفالة ففيها مغرم.

هذه الآية أيها الإخوة، تعضدها الآية الثانية.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

(سورة يس: 12)

آثار الأعمال، أحياناً تشير على إنسان بتطليق زوجته، فيطلِّق، وحينها تريد المرأةُ أن تغيظ زوجها، فتفسد، وتدع الصلاة، وتسفر، وتختلط بالرجال، فأنت الذي أشرت على الصديق أن يطلق زوجته، والآثار المترتبة على هذا الطلاق، أنت أيها المشير تتحملُ كفلاً منها، وبالمقابل إذا دللت إنسانًا على مجلس علم، دللته على خير، على أبواب الخير، على دفع زكاة ماله، على غض بصره.

فأيَّة دلالةٍ تدل بها إنسانًا تنتهي بخيرٍ في الدنيا أو في الآخرة فلك منها نصيب، أروع ما في الإسلام، أنك إذا دللت على خيرٍ كُتب لك أجرٌ كأجر فاعله، وإذا دللت على سوء تحملت وزراً كوزر فاعله.

أسس رجلٌ ملهى وناديًا ليليًا، تقام فيه المعاصي بكل أنواعها، وبعد ما افتتحه بأسبوع توفي، ولا يزال النادي مفتوحًا إلى الآن، وعلى المؤسِّس كِفل من كل مفاسده وخبائثه.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

(سورة يس: 12)

فاحرص أيها الأخ الكريم، أنْ تعمل عملاً صالحًا، فإذا غبت عن الحياة يبقى العمل مستمرًا، ولك أجر مستمر ما دام العملُ قائما.

أحيانا وكلاء بعض الشركات، قد يأتيه إنسان بغير علم صاحب الشركة ويشتري البضاعة، فيأتي إشعار لصاحب الشركة، سجلنا لك ثلاثين ألف دولار في حسابك، وأنت لا تدري، يوم القيامة لما يختارُ اللهُ الإنسانَ إلى جواره، تكون له أعمال صالحة من هذا النوع، أعمال خيرة، فكل الثواب يأتيه، وتأتي نسخةٌ من هذا الثواب إلى من دلّ عليه.

فيا أيها الإخوة الأكارم ؛ الإنسان أعطاه اللهُ عقلاً، وكثير من المفاسد الاجتماعية أساسها نصيحة، وأساسها دلالة،و أساسها خبرة، وأساسها إغراء، وأساسها تحميس، فقبْل أن تغري، قبل أن تشير، قبل أن تقترح، قبل أن تدل، قبل أن تفعل شيئاً، دقق أن هذا العمل إذا ظهرتْ منه مفسدة فعليك من هذا العمل وزر، وإذا دللت على خيرٍ فلك من هذا العمل نصيبٌ من أرباحه.

الآية الكريمة:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (8) ﴾

(سورة الزلزلة: 7-8)

نعيد الآية مرة ثانية:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾

الشفع الزوج، يشفع شفاعةً، يعني كان سبب علاقة، لك صديق عنده بنت ضعيفة في الرياضيات، فتقول له: أنا عندي أستاذ درجة أولى بالمادة، فانتبِهْ، عنده بنت، فأنت جمعت رجلاً مع فتاة في خلوة، وكل شيء قد يحصل، فإنّ الذي دل على هذا العمل عليه وزرٌ من هذا العمل، أضرب أمثلة من أجل توضيح الفكرة.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً (85)﴾

يعني على كل شيءٍ مقتدرا، يعني الله قادر أنْ يمنح الدال على الخير مثل أجر فاعله، وقادر على أن يحاسب الدال على الشر ويعاقبه مثل عقاب أجر فاعله.

لذلك كما ورد في حديث قدسي:

((عبادي الخير بيدي والشر بيدي فطوبى لمَن قدَّرتُ على يده الخير، والويل لمن قدّرتُ على يده الشر.))

هناك أشخاص مفاتيح للخير مغاليق للشر، فأحيانا يقع زواج غير صحيح، في مفسدة، تعقبه فاسد، زوجة فاسدة، وأنت الوسيط، فإذا كان في الأمر فساد فإياك أن تقترب، شركة مبنية على التعامل الربوي، شركة مبنية على موضوع لا يرضي الله عز وجل، مطعم تدار فيه الخمور، فأنت إذا كان لك نصيب في هذه الشركة فهذه مشكلة كبيرة، وهذه الآية يجب أن تكون في ذهن كل أخ مؤمن، قبل ما يتكلم كلمة، قبل أنْ يدل، قبل أنْ ينصح، قبل أنْ يكون وسيطًا، قبل أنْ يكفل كفالة مصرفية مثلاً، قبل أنْ يكفل ينتبه، هذه فيها مخالفة للشرع، فالكفيل مسؤول أيضاً.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ ﴾

فانتبِهْ.

واحدة نصيب، وواحدة كفل، ولكلٍّ منهما معنى.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً (85)﴾

يعني مقتدر على أن يجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-9) : تفسير الآية 123 ، التمنيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ قال تعالى:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (124) وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

(سورة النساء: الآيات: 124،123، 125)

الإنسان أيها الإخوة يتمنى، ما منا واحدٌ إلا ويتمنى أن يصبح غنياً، وما منا واحدٌ إلا ويتمنى أن يكون صحيحاً معافًى، ما منا واحدٌ إلا ويتمنى أن يدخل جنة ربه.

والله سبحانه وتعالى يؤكد لنا في هذه الآية، أن هذه التمنيات لا قيمة لها إطلاقاً، لأن الله لا يتعامل مع التمنيات.

لو أن واحداً تمنى أن يكون أغنى أغنياء بلده، وهو قاعد في بيته، مسترخياً على فراشه، هل يصبح غنياً.

لو تمنى أحد الطلاب أن يكون أكبر طبيبٍ في هذا القطر، وهو لا يقرأ، ولا يذاكر، ولا يدرس، فهل يكون كذلك ؟.

عجيب في أمر الدنيا ؟ يسقط الناس التمنيات كلياً،لكنْ لماذا يتمنون في الآخرة أن يكونوا من أهل الجنة ؟ وهم لا يدفعون ثمنها، ربنا عز وجل ينفي، قال:

﴿لَيْسَ﴾

فعل ماض ناقص.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

طيب، يا رب فبِمَ إذاً ؟.

نفى ربنا عز وجل أن تكون الجنة بالتمنيات، إذاً بماذا ؟

قال:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾

(سورة النحل: الآية: 32)

قال:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (19)﴾

(سورة الإسراء: الآية:19)

دققوا في الهاء:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ﴾

لو قال الله عز وجل وسعى لها ؟ معنى ذلك أن أى سعيٍ مقبول، لكن حينما قال:

﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾

يعني لها سعيٌ خاص، لا يُقبَل سعيٌ دون هذا السعيٍ.

كأن نقول مثلاً، من أتى بمجموع كلية الطب، بمجموعها، لها مجموع خاص، تقريبًا (230 درجة) مِن أجل أنْ يسمح للطالب بالانتسابِ إلى كلية الطب، من جاء بمجموع هذه الكلية فإنّه يدخلها، أما من جاء بأي مجموع أدنى فلا يقبل.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾

الخاص.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (19)﴾

هذه هي الآية الثانية.

أمَّا الآية الثالثة:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110)﴾

(سورة الكهف: الآية:110)

إذًا ثمن هذا اللقاء العمل الصالح.

الآية الأولى:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

القضية ليست بالتمني، ولكنها بالسعي.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾

(سورة النحل)

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

(سورة الأنعام: الآية: 132)

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾

(سورة الكهف: الآية:110)

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

آيات واضحة كالشمس.

الآن آية تشبه هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)﴾

(سورة فاطر: الآية: 5)

الغرور هو الشيطان.

يعني أنّ الشيطان قال:

﴿ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)﴾

(سورة الأعراف: الآية: 17)

﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾

يعني... الشيء الجديد، ونحن في عصر علم وتقدم، وقد يوحي لأوليائه أنّ هذا الدين تخلف وغيبيات، فالشيطان إذًا أتى الإنسانَ من بين يديه.

أمّا:

﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾

هكذا رباك أبوك على الاختلاط مثلاً، هكذا يتاجر أبوك بهذه الطريقة، قد تكون الطريق غير شرعية، فإما أن يأتينا من بين أيدينا، وإما أن يأتينا من خلفنا، وأما أن يأتينا عن شمائلنا، يدعو إلى المعاصي، إذًا لم يبقَ إلاّ هذه الجهة الرابعة.

﴿لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾

فما معنى عن أيمانهم ؟ يقول لك الشيطان: إن الله غفور رحيم، أنت تنتمي لهذه الأمة العظيمة، والنبي عليه الصلاة والسلام لن يدخل الجنة حتى يدخل أمته قبله، يسجد ولا يرفع رأسه حتى يشفع وتُقبل شفاعته لأمته، واللهِ شيء مريح، فمثل هذا المفهوم الخاطئ عن الشفاعة مضلِّل، الشفاعة حق، وهي في نص القرآن الكريم، وفي نص السنة النبوية، ولكن بعض العوام يفهمون الشفاعة فهماً مغلوطاً، فيظن أنه إذا فعل كل المعاصي وشفع له النبي فقد انتهى الأمر.

مع أن ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام:

((يا فاطمة بنت محمد، يا عباس عم رسول الله أنقذا نفسيكما من النار أنا لا أغني عنكما من الله شيئا لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه))

يقول النبي عليه الصلاة والسلام يوم القيامة:

((أمتي أمتي، فيقال له لا تدري ماذا أحدثث بعدك، فيقول سحقاً سحقا.))

إذا الآية الكريمة.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

البديل.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾

(سورة النحل)

البديل الثاني.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾

البديل الثالث.

﴿لِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

(سورة الأنعام: 132)

وأما الآية التي تنهى الإنسان عن أن يغتر بالحياة الدنيا.

أنا أعرف رجلاً توفاه الله، كان شاباً يعمل في محل تجاري في سوق الحميدية، شاب مراهق في ريعان الشباب، يحب أن يداعب الناس، كان يكنس المحل التجاري، ويضع الكناسة في علبةٍ أنيقة، ويلف هذه العلبة بورق ثمين، ويضع حولها شريطًا أحمر، ويضع هذه العلبة على الرصيف، فيمرُّ شخصٌ، ويرى علبةً أنيقةً، ملفوفةً بورق أنيق، لها شريط أنيق، فيظنها شيئاً ثمينًا، فيأخذها ويعدو بها، فيتبعه خفيةً، وبعد مئتي متر يفكُّ الشريط، ثم بعد مئة متر أخرى يفتح الورق، وبعد مئة متر ثالثة يفتح العلبة فإذا فيها كناسة المحل !!! فينفجر ويسب ويلعن.

واللهِ هذا المثل وهذه القصة أراها تنطبق على الدنيا مئة بالمئة، الإنسان في مقتبل شبابه يرى المال شيئاً ثميناً، المرأة، الزوجة، النزهات، الطعام، الشراب، الولائم، وعند منتصف العمر يرى أن المال مجرّد شيء، ولكنه ليس كلَّ شيء، وعند خريف العمر يرى أن المال ليس بشيء، فهذه الرؤية هي الحقيقة التي نراها عند الموت، ولو رأيناها في مقتبل الحياة لكنا في أوّج السعادة، ولكنا في أعلى عليين، فالمفروض بالإنسان أن يرى الحقيقة في الوقت المناسب، فرعون رأى الحقيقة، واللهِ لقد رآها، وأيقن بها، واعترف بها، ولكن عند الغرق. قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين.

﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

(سورة يونس: الآية: 91)

فقضية الرؤية قضية وقت، دققوا أيها الإخوة، والله أنا ناصحٌ لكم، قضية رؤية الحقائق قضية وقت فقط، إما أن ترى الحقيقة في الوقت المناسب، أو بعد الوقت الناسب، ومَا من إنسان ولو كان فرعون إلا وسيرى الحقيقة، لكن بطولتك كلها تعني أن ترى الحقيقة وأنت شاب كي تعمل صالحاً قبل فوات الأوان، وكي تتقرب إلى الله عز وجل.

وبعد ؛ الآية دققوا في الآية مرة ثانية:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

فيها فقرة مخيفة، قال:

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾

هذا كلام مَنْ ؟ كلام خالق الكون، آية بالقرآن الكريم الآية، رقمها ثلاثةٌ وعشرون بعد المئة، في سورة النساء:

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (123)﴾

فالواحد لا يغتر بحِلم الله عز وجل، فالله عز وجل من سننه في الكون أنه يرخي الحبل للإنسان، لينظر ماذا يعمل، فالإنسان إذا كان مربوطًا بحبل، والحبل مرخى، قد يتوهم أنه ليس هناك حبل، والحقيقة هناك حبل، وفي أية لحظة هو في قبضة الله عز وجل.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (124)﴾

أجلْ ؛ في دارٍ من الدور الأماني تصلح، أين ؟ في دار الدنيا الأماني لا تصلح لها، والله سبحانه وتعالى لا يتعامل معها أبداً، ولا يعبأ بها، لا ينظر إليها، والدليل هذه الآية:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾

لكن في الدار الآخرة لمجرد أن يخطر على بالك شئ هو أمامك.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

(سورة ق: الآية:35)

لمجرد أن يخطر على بالك شئ تجده أمامك والدليل:

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

التمنيات أين ؟ في الآخرة، أمّا في الدنيا فهي دار السعي والعمل.

الدنيا دار تكليف والآخرة دار تشريف، الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، الدنيا دار ابتلاء، والآخرة دار تكريم، فلما يتوهم الإنسانُ أنه في الدنيا يتمنى، ويكفيه التمني فقد وقع في خطأ كبير، الدنيا تحتاج إلى سعي.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (19)﴾

وكذلك:

﴿لِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

(سورة الأنعام: 132)

حجمك في الدنيا وعند الله بحجم عملك في الدنيا.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾

(سورة النحل)

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾

لا تقل: " **شفاعة**" هذا مفهوم ساذج، مفهوم سوقي، مفهوم الغوغاء، فأنت مخطئ عندئذٍ، والشفاعة حقٌ لمَنْ عمل صالحًا، أمَّا:

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً(124)﴾

آخر آية الله عز وجل ضغط الدين كله في كلمتين قال:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

التعريف الدقيق للدين إحسان إلى الخلق، واتصال بالحق، هذا جوهر الدين إحسان إلى الخلق، واتصال بالحق، وبينهما علاقة، لن تستطيع أن تتصل بالحق إلا إذا كنت محسناً إلى الخلق.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-9) : تفسير الآية 147 ، متى يتوقف العلاج الإلهي ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في سورة النساء الآية السابعة والأربعون بعد المئة، يقول سبحانه و تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً (147) ﴾

كيف يتوقف عذاب الله عز وجل ؟ عن كل إنسان، آمن به وشكره، هذا الجواب أيها الإخوة.

هذا الكون بسماواته وأرضه، مسخر للإنسان تسخرين ؛ تسخير تعريف.... وتسخير تكريم....

أضرب لكم مثلاً، لو أن لك صديقاً مهندساً في الإلكترون، قدّم لك جهاز هاتف من أعلى مستوى، قدمه لك هديةً، وهذا الجهاز نادر، ويؤدّي خدمات كثيرة، ينوب مناب إنسان، أنت أمام هذه الهدية العالية مستواها، أمام شعورين ؛ شعور امتنان لأن هذا الجهاز قدم لك هدية، وشعور إكبار لهذا العلم الدقيق الذي وراء هذا الجهاز.

هذا معنى قولي... تسخير تعريف... وتسخير تكريم...

فالكون له مهمتان ؟

المهمة الأولى أن تتعرف إلى الله من خلاله.

والمهمة الثانية أن تنتفع به.

رد فعل التعرف، إيمان، ورد فعل الانتفاع، الشكر.

فإذا آمنت وشكرت، فقد حققت الهدف من وجودك، وحينما تحقق الهدف من وجودك يتوقف العلاج الإلهي.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ﴾

أنت متى تتيقن، أن كل أنواع المعالجات، والمضايقات، والشدائد، والمصائب، تتوقف ضدّك ! حينما تحقق الهدف من وجودك.

إنَّ الأب الذي يتمنى لابنه أن يكون طبيباً، يضيّق عليه، يشدِّد عليه، متى يتوقف التضييق والتشديد ؟ إذا دخل كلية الطب، ونال علاماتٍ عالية، فقدْ حقق الهدف من تخطيط الأب، لذلك متى يتوقف العلاج ؟ متى يتوقف التشديد ؟ التعقيب ؟ المضايقة ؟ الإلجاء ؟ الهم ؟ الحزن ؟

حينما يحقق الإنسان الهدف من وجوده، وهذه آيةٌ دقيقةٌ.

الله سبحانه وتعالى لا يعذب عباده إلا لهدف كبير ، لأنّ الشر المطلق لا وجود له في الكون.

مثلاً أب طبيب جراح، وله ابن يتمتع بصحة جيدة، فهل يضعه على منصة التشريح، ويخدره ويفتح بطنه بلا سبب ؟ مستحيل.

أبٌ طبيبٌ جراح، قلت: أب لأن في قلبه رحمة لا حدود لها تجاه ابنه، وقلت: طبيب لأنه يعلم وهو جراح أيضًا، أيضع ابنه على المشرحة، ويفتح بطنه بلا سبب ؟ أما إذا رأيت أباً يفتح بطن ابنه، فالمعنى أنّه يعاني من التهاب زائدة.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً (147) ﴾

يعني إذا أردت أن يتوقف العلاج الإلهي، والشدة الإلهية، فعليك بتحقيق الهدف من وجودك، وتحقيق الهدف من وجودك في هذه الآية، يتمثل بإيمانك بالله، كرد فعلٍ على أن الكون مسخرٌ لك تسخير تعريف، وبشكره كرد فعلٍ على أن هذا الكون مسخر لك تسخير تكريم، والله عز وجل يقول:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾

(سورة الجاثية: 13)

بنص القرآن الكريم.

أيها الإخوة ؛ رأى النبيُّ عليه الصلاة والسلام – مما يؤكد هذا المعنى – مرةً هلالاً فقال:

((هلال خيرٍ ورشد، هلال خيرٍ ورشد))

يعني هذا الهلال يرشدني إلى الله، وأنتفع به في عد الأيام والأسابيع،

﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾

(سورة يونس: 5)

الآن مرحلة ثانية: أية مهمةٍ أعظم، أن تهتدي بالكون، أم أن تنتفع به ؟ الحقيقة الأجانب الغربيون، انتفعوا بالكون أشد الانتفاع، يعني ما من أمةٍ وصلت إلى أعماق البحار، وصلت إلى الأقمار، استغلت المناجم، الفلزات، المعادن، كل شيء مستخدم ومسخر إلى أعلى درجة، وقد أثبت الله لكم ذلك:

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(سورة الروم: 7)

لكن مهمة الكون لتعريفك بالله، أعظم مليون مرة من مهمة الكون في الانتفاع به.

لو كان دخلك محدودًا، حيث لا يسمح لك أن تأكل العسل، وأمسكت كتاباً عن النحل، وقرأت عن عجائب النحل، كيف أن كل كيلو عسل، محصلة طيران أربعمئة ألف كيلو متر، لو أننا كلفنا نحلةً واحدة، أن تصنع لنا كيلو عسل، لاحتاجت أن تطير حول الأرض عشر مرات، وأن هذه النحلة، فيها أجهزة لا يعلمها إلى الله، لا تقف على زهرةٍ امْتُصَّ رحيقُها، توفيراً لوقتها وجهدها، أكرّر: لا تقف على زهرةٍ امتص رحيقها، وأن النحلات العاملات ترقص رقصاتٍ، تُعلم بقية النحلات العاملات، كم هي المسافة بينهم وبين الأزهار، هناك بحث قائم بذاته اسمه " **رقص النحل**"، والشيء الذي لا يصدق أنها تصنع هذا الشمع، بشكل سداسي منتظم، ليس فيه فراغات بينية، هناك ملكة، وهناك ذكور، وهناك عاملات، بعض العاملات وصيفات للملكة، يأتين بغذاءٍ ملكيٍّ خاص، مأخوذٍ من غبار الطلع، وبعض العاملات تنظف الخلية، فإذا وجدنَ فيها حشرةً كبيرةً، يغلفنها بطبقة شمع حتى لا تؤذي وتتفسخ، وبعض العاملات تُهوِّي هذه الخلية، وبعض العاملات تحمل، والموضوع طويل الذيل، وقد أُلِّفتْ كتب كثيرة حول النحل وطريقة عمله وأسلوب حياته.
فلو أن إنساناً قرأ كتاباً عن النحل، فخشع قلبه، وانهمرت عيناه، ولم يسمح له دخلُه أن يأكل لعقة عسلٍ واحدة، بينما إنسان آخر كاد ينفزر من أكل العسل، من الذي حقق الهدف من وجود النحل والعسل ؟ هو الذي عرف الله من خلال هذه الآيات.

لذلك أن تعرف الله من خلال الكون أعظمُ بكثير من أن تنتفع به، كل أهل الدنيا انتفعوا بالكون، الكفار، الملحدون، ما من إنسان إلا وينتفع بالكون، لكن المؤمن وحده، هو الذي يهتدي بالكون إلى الله، هو الذي يعبر بالكون إلى المكون، من النظام إلى المنظم، من التسيير إلى المسير، من التربية إلى المربّي، من النعمة إلى المُنعم.

فيا أيها الإخوة الأكارم ؛ يجب أن نعلم أنّ كأس الماء، كأس الحليب، رغيف الخبز، قطعة الجبن، البرتقالة، التفاحة، ابنك الذي أمامك، الفراش الذي تنام عليه، اللحاف الذي تتدثر به، ثيابك التي تلبسها، الشمس والقمر، الليل والنهار، البحار، الأسماك، الأطيار، كل شيءٍ حولك يدل على الله، فحينما لا تُعمل فكرك في

الكون، فقد عطلت أكبر شيئاً فيك، وهو أنه دليلك إلى الله عز وجل، أما إذا انتفعت منه فقط، فشأنُك شأنُ أهل الدنيا الذين ينتفعون بالكون، الكفار ينتفعون بالكون، الملحدون ينتفعون بالكون، الانتفاع بالماء والهواء، والزراعة، والصناعة، كل إنسان ينتفع بالكون.

النبي الكريم يقول:

((هلال خيرٍ ورشد.))

تنتفع به، لكن ينبغي أن تهتدي به أيضاً، فالإنسان إذا أكل شيئًا، أو شرب شيئًا، أو نام، فالنوم والأكل والشرب نعمة، وإذا نظر فالنظر نعمة، إذا استمع فالاستماع نعمة، إذا تكلم فالتكلم نعمة.

يأكل وينام، هناك أجهزة معقدة أيّما تعقيد، عملية هضم معقدة، البنكرياس والكبد، والصفراء، والحركة المعوية، والعصارات الهاضمة.

الإنسان إذا لم يفكر في تكوين جسمه، لا ينتفع بعقله، لذلك هذه الآية من أدق الآيات.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً (147)﴾

حينما تؤمن، وحينما تشكر، فإيمانك ردُّ فعل أن الكون مسخر تسخيرَ تعريف، وشكرك ردٌ على أن الكون، مسخر تسخير تكريم، فإذا آمنت وشكرت، توقف العلاج الإلهي.

قال الله تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ﴾

هل أدركنا لماذا إن شكرتم وآمنتم، فلِمَ لمْ يقل الله عز وجل إن شكرتم وصبرتم، إن شكرتم وأطعتم ؟ بل قال:

﴿إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ﴾

لأن الشكر دليلٌ أنك تأثرت بهذا الكون الذي سخر لك تسخير تكريم والإيمان دليل... أنك تأثرت بهذا الكون الذي سخر لك تسخير تعريف، فإذا آمنت وشكرت، ما يفعل الله بعذابك ؟

هذه الآيات الكريمة أيها الإخوة: مرةً ثانية وثالثة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((بلغوا عني ولو آية))

أجل ولو آية.

أنا أعطي آية واحدة خلال الدرس، لا أضيف آية ثانية، فإذا استوعب الإنسان معناها وعقل الغاية منها، وحدثها بها زوجتَه، أولاده، جيرانه، شركائه، فما منا أحد إلا عنده سهرة أو سهرتان في الأسبوع ؟ لقاء، لقاءان، هل منا أحد بلا عمل ؟ أماله أصدقاء، جيران.

((بلغوا عني ولو آية))

هكذا قال عليه الصلاة والسلام، وإذا ما تذكرت معناها في شريط مسجل، وشرحت هذا المعنى لجلسائك فقد بلغتَ غاية كبرى، فلذلك نأخذ القرآنَ آية، آية، نحن نمشي في القرآن بالتسلسل، إن شاء الله، فكلما حان وقتُ درس جديد، نختار آية من هذه الآيات الأساسية، التي تعد ركناً من أركان الإيمان، ونعالجها حتى نقطف ثمراتها.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-9) : تفسير الآية 166 ، كيف تكون شهادة الله لعباده ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ في سورة النساء الآية السادسة والستون بعد المئة، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (166)﴾

كلكم يعلم أن إنساناً شهد حادثةً، ثم دُعِيَ لأداء الشهادة، يقول لك: نعم لقد حصل كذا وكذا، هذه شهادة الإنسان، تسمعها بأُذنك من فمه، فكيف نفسر هذه الآية ؟

إن الله سبحانه وتعالى يشهد لنا بما أنزل إليك يا محمد، أيْ يشهد لنا أنَّ القرآن كلامه، كيف يشهد الله لنا أن القرآن هو كلامه ؟ هل يعقل أن نستمع إلى الله مباشرةً.

قال تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾

(سورة الأنعام: 103)

فكيف نفهم هذه الآية ذات الدلالة الواضحة ؟

الله سبحانه وتعالى هو بذاته يشهد لعباده أن القرآن كلامه.

أوضح لكم معنى هذه الآية بمثلٍ بسيط ؛ لو أن طلاب صف من الصفوف، دخلوا غرفة الصف في أحد الأيام، فإذا على السبورة العبارة التالية، "غداً الساعة الثانية مذاكرة رياضيات "، التوقيع: مدرس الرياضيات، الطلاب نظروا إلى هذه العبارة، يا ترى أهذا كلام المدرس ! أو أنَّ طالباً يداعبنا ؟.

كيف يشهد المدرس أن هذا الكلام كلامه ؟ غداً الساعة الثانية يدخل هذا المدرس ويقول: افتحوا الأوراق البيضاء عندكم مذاكرة، حينما تأتي الأحداث مطابقةً للأقوال، معنى ذلك أنّ هذا القول قول المدرس.

اتفق العلماء على أن وقوع الوعد والوعيد، هو شهادة الله لعباده بأنَّ القرآن كلامه.

يعني إذا قال الله عز وجل:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾

(سورة البقرة: 276)

ورأيت إنساناً نمت أمواله بالربا، ثم أُتلِفتْ هذه الأموال فجأةً، ثم أحرق الله ماله، أو أتلف ماله، فإتلاف هذا المال شهادة الله لنا أن القرآن كلامه، لأن الله قال بالقرآن الكريم:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾

إذا رأيت إنساناً يتصدق، فإذا بأمواله تنمو شيئاً فشيئاً، فنمُّو أموال المتصدق شهادةُ الله لعباده أن القرآن كلامه، لأنه يقول:

﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾

(سورة البقرة: 276)

إنْ رأيت شاباً نشأ في طاعة الله، مستقيماً على أمر الله، ضبط جوارحه، وضبط دخله، وتزوج امرأةً مؤمنةً صالحةً، وكان هذا الشاب في سعادةٍ كبرى، هذه السعادة الكبرى التي يعيشها هذا الشاب شهادة الله لعباده أن هذا القرآن كلامه، لأن الله تعالى يقول:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

(سورة النحل: 97)

إن رأيت إنسانًا معه ألوف الملايين، وهو غير سعيد في حياته، بل يعاني مُرَّ الشقاء، وقال لك: أنا أشقى إنسان على الأرض وأقسم على ذلك، فشقاء هذا الإنسان الغني شهادةٌ من الله عز وجل لعباده أن القرآن كلامه، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) ﴾

(سورة طه: 124)

لذلك إذا قرأت في القرآن أن الله يشهد لعباده أن القرآن كلامه، فشهادة الله غير شهادة العباد، حينما تأتي الأحداث، وهي أفعال الله مطابقة لما في القرآن، فهذه أكبر شهادة من الله سبحانه وتعالى أن القرآن كلامه.

فلما قال المدرس: افتحوا الأوراق، وإليكم الأسئلة، معنى الكلام أنّ الذي كتب على السبورة قبل يومين المدرسُ بخطِّه، وإن لم يكن بخطه فبأمره تمَّت الكتابة، حينما جاءت المذاكرة مطابقة للتصريح السابق فهذه شهادته.

فيا أيها الإخوة الأكارم ؛ قال الله تعالى في آية أخرى تؤكد هذا المعنى:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

(سورة يونس: 39)

قال جمهور العلماء: تأويل القرآن في هذه الآية، وقوع الوعد والوعيد.

إذا رأيت الله سبحانه وتعالى، نصر المسلمين الأوائل، ومكنهم في الأرض، واستخلفهم على عباده، وبدل خوفهم أمنا، هذا مصداق قوله تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾

(سورة النور: 55)

إذا رأيت المسلمين في هذه الأيام ليسوا كما يتمنى أحدُهم، وليس أمرهم بيدهم، فاذكرْ قوله تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59) ﴾

(سورة مريم: 59)

ولقد لقي المسلمون ذلك الغي، حينما تأتي الأحداث مطابقة للقرآن الكريم، فاعلمْ أن هذا القرآن كلامه، حينما قال الله عز وجل:

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾

(سورة الروم: 2 – 3)

المعركة التي جرت بين الروم والفرس في غور فلسطين، وما كان أحد يعلم في حينه، ولا في عهد رسول الله، أن غور فلسطين أخفض نقطة في الأرض قال الله تعالى:

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾

إذاً كل الحقائق التي تأتي الآن تؤكد أن هذا القرآن كلامه، حينما قال الله عز وجل:

﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) ﴾

(سورة الحج: 27)

المنطق أنْ يقول ب سبحانه: "بعيد"، لكنه قال:

﴿عَمِيقٍ (27) ﴾

(سورة الحج: 27)

وهذا يعني أنَّ الأرض كرة، كلما ابتعدت عن نقطة الكرة، نشأ بُعد نحو الأسفل، بُعد غير بُعد المستقيم.

﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)﴾

العمق يتنامى مع البُعد، على سطح الكرة، أجلْ العمق يتنامى مع البعد، فلو أخذت سنتيمترًا على سطح كرة يكوِّن خطًا مستقيمًا، أمّا لو أخذت خمسين سنتيمترا، وهي كرة كبيرة، صار الخط منحنيًا، إذاً العمقُ يتنامى مع البُعد، معناها الذي قال هذا الكلام خالق الكون.

هناك آيات كثيرة، فهناك إعجاز علمي، وهناك إعجاز تشريعي، وهناك إعجاز إخباري.

لكن الذي يعنينا في هذا اليوم، الإعجاز الذي هو من نوع تحقق الوعد والوعيد، فحيثما رأيت حالةَ إنسانٍ مثلاً ماله حرام، فقد ورد في الجامع الصغير حديث شريف أن النبي خاطب بعض القبائل حسب لهجتهم، قال:

(("من أصاب مالاً في مهاوش أذهبه الله في نهابر))

المهاوش يعني بالاحتيال، والنهابر يعني يذهب نهباً، من أصاب مالاً في مهاوش أذهبه الله في نهابر، يعني إذا الإنسان ماله حرام، في الأعم الأغلب، يذهب هذا المال بشكل غير معقول، سلبًا أو نهبًا أو غصبًا إلخ....

إذاً أنت دائماً وأبداً دقِّق فيما يجري، عندما ترى مثلاً بلدًا تُرتَكب فيه المعاصي على قدم وساق، ليس فيه إلا الشهوات، والأموال الحرام، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال، ولقد أصابتها مصيبة كبيرة طحنتها طحناً في عشر سنوات، اقرأ قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)﴾

كل حدث يقع في الأرض يدلُّك على أن يدَ الله تعمل، حينما ترى كيانًا عمره سبعون سنة تداعى كبيت العنكبوت، وكان قلعة عاتية من قلاع الأرض، فاقرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (81)﴾

(سورة الإسراء: 81)

فأنت إذا قرأت القرآن فإنّه يلقي ضوءًا ساطعاً على كل حدث، والأحداث تؤيد ما في القرآن، والقرآن يدلك على تفسير الأحداث، الأحداث دائماً تؤكد مضمون القرآن، ومضمون القرآن يلقي ضوءًا على ما في الأحداث.

لذلك أحد أنواع شهادة الله لعباده مِن أنَّ القرآن كلامه هو تحقُّقُ الوعد والوعيد، وتطابق الأحداث الكبرى مع ما في القرآن الكريم، أنا قلت: أحد أنواع الشهادة، لأن الله عز وجل يشهد لك شهادة أخرى، حينما تقرأ القرآن ترتاح نفسك، ويطمئن قلبك، قال تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) ﴾

(سورة الرعد: 28)

إذاً أيضاً حينما تقرأ القرآن، وتشعر بالراحة والسعادة، فهذا مصداق قوله تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) ﴾

نعيد تلاوةَ الآية مرة ثانية:

﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾

يا محمد هو الذي يشهد لكم.

﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (166) ﴾

فكل شاب مؤمن مثلاً قرأ الآية:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

فأيّ شاب يستقيم على أمر الله، يُقبل على الله، يطلب العلم، يعلّم الناس، يأمر بالمعروف، ينهى عن المنكر، ينفق من ماله، يختار زوجة صالحة، تسأله عن حاله والناس في ضائقة وفي قلق وفي شك، يقول لك: الحمد لله، واللهِ أنا من السعداء، هذا الكلام مصداق قوله تعالى:

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

وقد تلتقي مع إنسان ماله حرام، بيته غير إسلامي، فيه مخالفات، فيه تجاوزات، يقول لك: ما هذه الحياة "، الموت أشرف، فكلامُه صحيح:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

إذًا فاقرأ القرآن وأربط بينه وبين ما يجري، تجد أن كل الأحداث، تؤيده، وهو يكشف لك حقيقة الأحداث، فذات مرة قلت لإخواننا: إنَّ أحداث جيراننا، هناك من يفسرها تفسيرًا عربيًا، وتفسيرًا دوليًا، وتفسيرًا طائفيًا، حتى وصل الأمرُ إلى تفسير نسائي، أصابتْه عين مثلاً، لكن هناك تفسير إلهي، وهو الصواب:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112) ﴾

هذا كلام الله عز وجل، وهذا التفسير الذي يصيب كبد الحقيقة.

يا أيها الإخوة الأكارم ؛ شهادة الله هي في وقوع الوعد والوعيد، الوعد والوعيد يتحقق، وبتحققه تكون شهادة الله لنا أنَّ هذا القرآن كلامه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-9) : تفسير الآية 171 ، الغلو في الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ في سورة النساء آية هي الآية الواحدة والسبعون بعد المئة وهي تبدأ بقوله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾

وللنبي عليه الصلاة والسلام حديث صحيح يقول:

((إياكم والغلو في الدين !! فإنه أهلك من كان قبلكم))

الغلو في الدين.

يعني أنّ الغلو في الدين كان سبباً لهلاك الأقوام السابقة، فما هو الغلو في الدين ؟.

أيها الإخوة ؛ قلت لكم من قبل، إن في الدين كليات ثلاث.

- كلية العقيدة...
- كلية القلب...
- كلية السلوك...

فالإنسان له عقل، وغذاؤه العلم، وله قلب وغذاؤه الذكر، وله سلوك وصحته الانضباط بالشرع.

هذه الكليات الثلاث، إذا نمت كلية واحدة نمواً غير طبيعي، فنموُّها هذا على حساب الكليتين الأخريين، فهذا هو الغلو في الدين.

يعني أن تعتمد على الفكر وحده وتهمل القلب والسلوك، أو أن تعتمد على القلب وحده وتهمل الفكر والسلوك، أو أن تعتمد على السلوك وحده وتهمل القلب والعقل.

حينما ينمو جانبٌ على حساب جانبٍ آخر نمواً سرطانياً، هذا هو الغلو في الدين، فهذا الذي يظن أن الفكر كل شيء، ويهمل الذكر كغذاء لقلبه، وقع في الغلو، وهذا الذي يعمل ليلاً ونهاراً، ويهمل إغناء عقله بالحقائق، وإغناء قلبه بالذكر، وقع في الغلو.

هذا نوع من أنواع الغلو، لذلك نحن أمام تطرف، وأمام تفوق، فإذا نمت الجوانب الثلاثة نمواً متوازياً، فنحن أمام التفوق.

وكان أصحاب رسول الله رضوان الله تعالى عليهم، كانوا متفوقين، معنى أنهم كانوا رهباناً في الليل، فرساناً في النهار، فإنّ لله عملاً في الليل لا يقبله في النهار، وإن لله عملاً في النهار لا يقبله في الليل.

أحد الرسل، أرسلَهُ عاملُ عمر بن الخطاب على أذربيجان، فقَدِم المدينة ليلاً، وكره أن يطرق باب أمير المؤمنين في الليل، فتوجه إلى مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، ظلامٌ دامس، في هذا المسجد سمع رجلاً يناجي ربه، يقول: **يا رب: هل قبلت توبتي لأهنئ نفسي ؟ أم رددتها فأعزيها،** فقال هذا الرسول: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا عمر، فقال الرسول: يا سبحان الله، ألا تنام الليل يا أمير المؤمنين، فقال عمر: **إني إن نمت ليلي كله، أضعت نفسي أمام ربي، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي، إن لله عملاً في الليل لا يقبله بالنهار، وإن لله عملاً في النهار لا يقبله بالليل.**

ثم تابعا إلى أن أذن الفجر، فصلَّيا، ومن باب التكريم أخذ عمر بن الخطاب هذا الرسول إلى بيته، وقال: يا أم كلثوم ؛ ماذا عندك من طعامٍ لضيفنا ؟ قالت: واللهِ ما عندنا إلا خبزٌ وملح، فقال: هاته، فأكل سيدنا عمر مع الرسول الخبز والملح، وكان قد خيره ؛ أتأكل عندي في البيت، أم مع فقراء المسلمين، طبعاً مع فقراء المسلمين هناك اللحم، أما في بيت خليفة المسلمين خبزٌ وملح، فظنّ هذا الضيف أنّ طعام أمير المؤمنين متميّز.

وذات مرة سيدنا عمر في عام المجاعة خاطب بطنه، وقال: **قرقر أيها البطن أو لا تقرقر، فوالله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين،** فلما انتهيا من تناول الطعام، دعا سيدنا عمر، فقال: **الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا، وأسقانا فأروانا.**

ثم التفت إلى هذا الرسول، قال يا هذا: ما الذي جاء بك إلينا ؟ ولماذا قدمت ؟ قال: معي علبةٌ فيها حُلْوٌ من أذربيجان، هديةٌ من عاملك، قال: **أو يأكل عامة المسلمين هذا الطعام** ؟ قال: لا، هذا طعام الخاصة، الطبقة الغنية، قال يا هذا: **أَوَ أعطيت فقراء المدينة كلهم مثل ما أعطيتني** ؟ قال: لا: هذه لك وحدك، عندئذ طلب عمر من رسول عامل أذربيجان أن يبلّغ عامله أن يأكل مما يأكل منه عامة المسلمين، قائلاً له: **كيف يرضيك أمر المسلمين إن لم تأكل مما يأكلون** ؟، وأَمَر الرسول بهذه العلبة أن توزع بين فقراء المدينة، وقال: **حرامٌ على بطن عمر أن يذوق حلاوة لا يأكلها فقراء المسلمين.**

الغلو في الدين، مرةً أخرى أيها الإخوة ؛ أن ينمو جانب على حساب جانب، لا بد من التفوق، فكان أصحاب رسول الله متفوقين، لأن الجوانب الثلاثة، نمت عندهم نمواً متوازياً.

أما حينما ينمو جانب على حساب جانب، فهذا هو التطرف، والتطرف يكون عبئاً على المسلمين، وليس في خدمة المسلمين.

شيءٌ آخر، هناك من يأخذ فرعاً من فروع الدين ويجعله أصلاً، هذا أيضاً تطرف، هناك من يتعصب لفئةٍ أو لجماعةٍ، أو لشخص، أو لعصرٍ، هذا إذاً تطرف، وغلو في الدين، التعبير الحديث "تطرف"، أمّا التعبير القرآني " **غلو في الدين** "، أن تتعصب لفئةٍ، أو لجماعةٍ، أو لرجلٍ، أو لعصرٍ، أو لحقبةٍ، مع أن الدين للإنسان بمثابة الهواء له لا يستطيع أحدٌ أن يحتكره، ولا جماعةٌ، ولا فئةٌ، ولا أمةٌ، ولاشعبٌ وبلدٌ، ولا مصرٌ، ولا عصرٌ، ولا حقبةٌ.

دين الله لا يحتكر، دين الله لعباد الله، فمن تعصب، ومال لجهةٍ وكفَّر الباقين، فقد تطرف، وغلا في الدين.

إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك الذين من كان قبلكم، هذا ورد عن رسول الله. إخواننا الكرام ؛ لقد قال الشيطان:

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

(سورة الأعراف: 17)

في الآية شيءٌ دقيق:

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

أي إنّ الشاب لمجرد أن يتوب إلى الله عز وجل، ويسلك الطريق الصحيح يأتيه الشيطان، موسوساً، محمساً، داعياً إياه إلى المعصية، حينما كان غارقاً في المعاصي تركه الشيطان، فمتى أقبل عليه الشيطان ؟ حينما انطلق إلى الرحمن.

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

يعني أنا على الطريق إليك فإذا سلك أحدٌ هذا الطريق، لأقعدن في الطريق ولأوسوسنّ له، هذه أول مهمة للشيطان.

أحيانا يقول لك شخص: يا أخي كنت غارقًا في المعاصي، ولم أعاني مِن مشكلة ! طبعاً، فلما اتجهت إلى الله اتجاهاً صحيحاً بدأت المشكلات ؟ هذا ابتلاء.

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(3)﴾

(سورة العنكبوت: 2 – 3)

ماذا تعني:

﴿ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾

يعني من أمامهم، فأكبر دعوة للشيطان، يقول لك: التحديث عنوان الحياة، ونحن في عصر العلم، وهذه كلها تقاليد بالية، هذه عادات الآباء والأجداد، وقد كانوا جهلة.

فالدعوة إلى إحلال التحديث بما فيه من فسق وانحلال واختلاط وأكل مال حرام وشهوات مستعرة، حينما يحل التحديث محل الدين الصحيح، فهذه دعوةٌ شيطانية، هي:

﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾

أما:

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾

حينما ينشأ مجتمع على عاداتٍ بالية وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، أو أشياء لا ترضي الله عز وجل، كسب المال حرام، وإنفاق المال، وكذلك العلاقات الاجتماعية في تفسُّخ وانحلال، فالدعوة إلى التمسك بالقديم البالي المخالف للسنة أيضاً دعوة شيطانية.

كم جهة في الحياة عند الناس ؟ نعتقد أنّ هناك ستة جهات ؛ أمام، خلف، يمين، يسار، فوق، تحت.

الآن أول جهة الأمام، الدعوة إلى تبنّي الأشياء المستجدة، والبدع محل الدين الأصيل.

ثم:

﴿مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾

الدعوة إلى التمسك بالتقاليد البالية المخالفة للدين، وهذا أنْ يصمد الشابُ مع زوجته أمام جمع غفير من النساء الكاسيات العاريات، ثم يقول: نحن تربينا على هذا، وهكذا نشئنا، وهكذا العادات، وإلاّ تكلَّم الناس علينا.

الدعوة إلى الجديد.

﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾

الدعوة إلى العادات البالية المخالفة للشرع.

﴿مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾

أمّا:

﴿عَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾

فنجمّدِها قليلاً، لكن:

﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾

الدعوة إلى المعاصي ؛ الزنى، والسرقة، وشرب الخمور، والملاهي، إلخ...

أما:

﴿عَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾

الشيطان يأتيك من قبل الدين، عن طريق الغلو، فالغلو في الدين، مَن المنتفع منه، الشيطان، المسلمون حينما يتفرقون، ويتخاصمون، ويتفتتون، ويضعفون، مَن الرابح الوحيد في هذه المعركة ؟ الشيطان، ومن المنتفع ؟ الشيطان، لذلك:

﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾

الغلو في الدين.

يأخذ فرعًا فيضخِّمه ويجعله أصلاً، أو يأخذ أصلاً فيضخمه ويجعل منه الدين كله، أو يتعصب لجماعة، أو لفئة، مهمته تفتيت الأمة الإسلامية هذه دعوة شيطانية، سأقول مبدئياً: لا ينتفع منها إلا الشيطان.

يطالعنا سؤال سألنيه أحدٌ، جهة " فوق " ما ذكرها القرآن الكريم، وجهة تحت ما ذكرها القرآن الكريم، قال:

﴿لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾

فقط.

إذًا جهة فوق لمَ أغفلها القرآن الكريم ؟ وكذلك جهة تحت.

قال العلماء: جهة فوق هي السماء !! ولا يستطيع الشيطان أن يأتيك من جهة السماء، يعني إذا اتجهت إلى الله أحرقت الشيطان، إذا اتجهت إلى الله عز وجل لا يستطيع الشيطان أن يقترب منك، ولا أن يلقي في قلبك أو نفسك شيئاً، ولا أن يوسوس لك، لمجرد أن تتصل بالله عز وجل.

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2)﴾

(سورة الفلق: 1 – 2)

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) ﴾

(سورة الناس: 1 – 2 –3 – 4)

يوسوس، فإن قلت: يا رب خنس، فالشيطان ضعيف، وسواس خناس، يوسوس، فإذا استعذت بالله عز وجل خنس.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201) ﴾

(سورة الأعراف: 200 – 201)

لذلك فالقرآن الكريم أغفل جهة فوق، لأن جهة فوق تعني الاتصال بالله عز وجل، والإنسان حينما يتصل بالله عز وجل لا يستطيع الشيطان أن يقترب منه.

هذا طيب، وجهة تحت، لماذا أغفلها الله عز وجل ؟ لأنّ جهة تحت تعني العبودية لله عز وجل، الإنسان حينما يفتقر إلى الله، لا يستطيع الشيطان أن يوسوس له، إذاً أنت محصن من جهة العبودية لله، ومن جهة القرب من الله، جهتان لا يستطيع الشيطان أن يأتيك منهما، لكن:

﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾

شيء حديث، أجهزة حديثة، اتصالات، لقاءات، حفلات مختلطة، مثلاً، وسفور، وعمل المرأة في الحقل العام، أشياء لم تكن من قبل.

﴿مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾

تقاليد بالية، الأخذ بالثأر مثلاً، كلها أشياء ما أنزل الله بها من سلطان.

﴿عَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾

من طرف الدين وناحيته، لذلك الشيطان يستطيع أن يصل إلى الإنسان وأن يقض عليه مضجعه، وأن يهلكه عن يمينه، أحياناً بالوسوسة، وأحيانًا بالابتداع، وأحيانًا بالحقد على بقية المسلمين، أو بالتفرقة بينهم، وأحيانًا بالتعصب لجهة، أو لجماعة، أو لفئة، أو لشخص، وتكفير من سواهم.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)﴾

إذاً يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، الكلام لأهل الكتاب، والمقصود الآن المسلمون، وورد عن النبي عليه الصلاة والسلام:

((إياكم والغلو في الدين !! فإنه أهلك من كان قبلكم))

الغلو في الدين خطِرٌ خطرًا مدمِّرًا.

يعني أن تضخم فرعاً فتجعله أصلاً، أو أن تضخم أصلاً فتجعله ديناً، على حساب الفروع الأخرى، أو على حساب الكليات الأخرى، وبهذا يتمزق الإسلام، ويتطرف الناسُ فيه، والتطرف عبءٌ على الدين وليس في خدمته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (9-9) : تفسير الآية 28 ، طبيعة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ في القرآن الكريم عدة آياتٍ، تشير إلى طبيعة الإنسان.

قال تعالى:

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28)﴾

(سورة النساء: 28)

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آَيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37)﴾

(سورة الأنبياء: 37)

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)﴾

(سورة المعارج: 19 إلى 23)

عدة آيات لا تزيد عن أربع آيات، تتحدث عن طبيعة الإنسان، فهذه خصائصُ في خلقه، ليست ذنباً يعزى إليه، لكن الله هكذا خلقه.

أولاً... الله سبحانه وتعالى قال:

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28)﴾

لماذا خلقه ضعيفاً ؟

لو أن الله عز وجل خلق الإنسان قوياً، لاستغنى بقوته عن الله، وحينما يستغني بقوته عن الله يشق باستغنائه.

لماذا خلقه من عجل ؟

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾

قال العلماء: لأنه لو خلقه يحب الآجلة، واختار الآخرة وفق طبيعته لما ارتقى عند الله، لكن ما الذي يحصل؟ لو أن الإنسان خلق يحب الآجلة، والدنيا بين يديه، فالشهوات يقظة، الفتن مستعرة، الملذات أمامه، لوجدته يعرض عنها كلها، ويختار ما عند الله في الآخرة، فخالف طبيعته، والإنسان لما يخالف طبيعته يرقى عند الله، ولما يستجيب إلى طبيعته الأرضية فإنّه لا يرقى.

شاءت حكمة الله أن يكون الإنسان عجولاً، وجعل الله الدار الآخرة بعيدة المدى، لو كان عرضاً قريباً، أو سفراً قاصداً لاتبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة، يقول بعضهم: يفرجها الله.

فالناس يندفعون إلى إرواء شهواتهم، إلى اقتناص الأموال الحرام، إلى الاستمتاع بما حرم الله، لأن هذه الشهوات بين أيديهم، وفي متناولهم، والإنسان عجول، أما إذا اختار الآجلة فالأمر على عكس العاجلة.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ (21)﴾

(سورة القيامة: 20 ـ 21)

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (27)﴾

(سورة الإنسان: 27)

فالإنسان إذا استجاب إلى طبعه، وإلى عجلته، عندئذٍ يعصي ويرتكب الموبقات، ويعيش كما يقول الوجوديون: ليعِشْ لحظته، فهو الآن قوي ليستمتع بقوته، غني ليستمتع بماله.

أما الإنسان إذا أحكم عقله، فإني أضرب لكم مثلاً بسيطاً، لكن له دلالة كبيرة ؛ قبل سنين، حافلة حي المهاجرين، كانت تقف بساحة المرجة أمام مركز التسويق العراقي، في أيام الصيف الحارة، صعد للحافلة راكبٌ، فوجد على اليمين شمسًا، وعلى اليسار ظلاً، بحكم طبيعته قعد في الظل على اليسار، فلما انطلقت الحافلة، ودارت بساحة المرجة، فخلال دقيقة واحدة، انعكست الجهة لآخر الخط، وبقي طيلة الوقت في الشمس، فأنا لما أركب الحافلة كنت ألاحظ الركاب، فالذي يشغِّل فكره يقعد بالشمس، والذي يستجيب لطبيعة جسمه يقعد في الظل، لكن بعد دقيقة واحدة عندما تدور الحافلة تنعكس الجهة، فمَن اختار الظل تمتع به دقيقة، ومَن اختار مقعده تحت الشمس تحملها دقيقة، ثم راح يتمتع بالظل عشرين دقيقة، ومَن اختار الظل راح يتنعم دقيقة، ويتحمل أشعة الشمس الحارة عشرين دقيقة، فالفرق بين الراكبَيْن، واحد أعمل عقله، والآخر عطل عقله، وهذا المثل لو أنه مثل بسيط، لكن له دلالة كبيرة.

فأيّ إنسان بحكم عقله، ويفكر فإنه يختار الآجلة إلى الأبد، وأي إنسان يعطل عقله، فبين يديه الكثيرُ مِن في شهوات، أموال حرام، نساء كاسيات عاريات، طعام، احتفالات، اختلاط، مكاسب، يا نصيب تارةً، واختلاط تارةً، ورحلة سياحية تارةً، فإنه يختار العاجلة، والله عز وجل قال:

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ (21)﴾

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (27) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾

فلما يحكِّم الإنسان عقله فإنه يختار الآخرة، مع أنها بعيدة المدى، ويرفض الدنيا مع أنها في متناول يديه.

أما إذا عطل عقله، فإنه عيش لحظته كالوجوديين، فما دام يعيش إذاً هو يأكل ويشرب، ويتمتع بدون ضوابط، بدون قيم، دون مبادئ، دون افعل ولا تفعل، دون منهج، دون دستور، كالدابة السائمة، كالدابة الطليقة، تفعل ما تشاء بدون قيد أو شرط.

إذاً لما فطَرَ ربنا عز وجل الإنسانَ على حبِّ العاجلة مِن أجل أن يرقى، إذا جاهدها، لأنه لو اختار الآجلة لعاكس طبيعة نفسه.

وبالمناسبة إخواننا الكرام ؛ الإنسان له طبع، وله فطرة، ولديه تكليف، والطبع يتناقض مع التكليف غالباً، التكليف أن تصلي الفجر في وقته، وجسم الإنسان يميل إلى النوم والاسترخاء، ولا سيما في أيام الشتاء الباردة، والفراش وثير، ودافئ، نام الساعة الواحدة متأخرًا، وهو مرتاح، فطبعك يدعوك إلى النوم، والتكليف يدعوك إلى الصلاة، والمؤذن يقول الصلاة خير من النوم، وطبعك يدعوك إلى إطلاق البصر في النساء، كي تستمتع بحسنهن، لكن التكليف يدعوك أن تغض البصر عن محارم الله، طبعك يدعوك أن تقبض المال، والتكليف يأمرك أن تنفق المال، طبعك يدعوك أن تتحدث عن عورات الناس، عن قصصهم، عن فضائحهم، عن سقطاتهم، عن مشكلاتهم، عن خصوماتهم، لماذا طلق فلان فلانة ؟ ولماذا تزوج فلانة ؟ وما خلفية الموضوع ؟

طبعك يدفعك إلى تقصي أخبار الناس، لكن التكليف يقول لك:

﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾

(سورة الحجرات: 12)

((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه))

الملاحظ إذاً أن الطبع يختلف مع التكليف، لماذا يختلف مع التكليف ؟ من أجل أن ترقى، لو توافق الطبع مع التكليف لارتقى أبداً، والتغت العبادة، والتغت الجنة، ولم يعُد هناك ثواب ولا عقاب، إذا توافق الطبع مع التكليف، لكن التكليف يتناسب مع الفطرة، أنا قلت الطبع، والطبع أقرب إلى الجسد، والفطرة أقرب إلى النفس. فلما يتعرف الإنسان إلى الله، ويستقيم على أمره، تهدأ نفسه، ويطمئن قلبه، ويشعر بسعادة لا توصف، لأنه توافق مع فطرته.

إذاً من ينشد السعادة الحقيقية، فعليه بتطبيق أمر الله عز وجل، ولو كان أمر الله في ظاهره فيه تكليف،وكلفة، وجهد، لولا هذا الجهد لما ارتقى إطلاقاً.

لو فرضنا أنّ جامعة وزعت على الطلاب أوراق الإجابة، مطبوع عليها الجواب التام، فما عليك إلا أن تكتب اسمك ورقمك، كله طالبٍ يحصل على مئة درجة، ومنحت تلك الجامعة الشهادات العليا، الليسانس، والدكتوراه

هذه الشهادات هل لها قيمة عند الناس؟ هل لها قيمة عند الطلاب ؟ لا قيمة لها، صفر في الحقيقة، لأن هذه الشهادات لم يكن لصاحبها جهد مبذول.

أما لما تكون المواد صعبة، ولا بد لها مِن دراسة شاقة، ودخول امتحان صعب، وأسئلة معقدة، وسُلَّم دقيق، وتصحيح دقيق، فعندئذٍ لما ينجح الطالب يتيه على أقرانه بهذا النجاح الذي مقابله في جهد مُضنٍ.

فالإنسان لا يطمع أن يكون التكليف موافقًا للطبع، يطمع أن يجد الدين مثل ما يريد تمامًا، يريد من الدين أن يُسمَح فيه بكذا، وكذا، وكذا، يأخذ ما فيه راحته، ويتصيد الرخص.

لذلك فقد أردت من هذا الدرس، أن أشير إلى ناحية واحدة، أن الإنسان خلق عجولا، يحب الشيء الذي بين يديه، ولا يحب الشيء البعيد، فالمؤمن إذا اختار الآخرة، وما عند الله، فقد خالف طبعه، و لما خالف طبعه ارتقى عند الله.

وغالباً الطبع أقرب إلى الجسد، والفطرة أقرب إلى النفس، وتكاليف الشرع لا تتوافق مع الطبع، لقوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)﴾

(سورة النازعات: 40 . 41)

لكن الإنسان إذا طبق أمر الله عز وجل وعاكس هواه، في النهاية ترتاح نفسه، لأن هذا الكمال الذي حصله، وتلك الطمأنينة التي اكتسبها، هذه غذاء الفطرة.

لذلك قال تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)﴾

(سورة الروم: 30)

إخوانا الكرام ؛ أقول لكم هذه الكلمات وهي دقيقة، في النفس فراغ لا يملؤه المال، قد تملك مئات الملايين، وفي النفس فراغ لا تملؤه القوة، وقد تكون أقوى الأقوياء، في النفس فراغ لا تملؤه الشهادات العليا، والدرجات العلمية العالية، في النفس فراغ لا تملؤه الأسرة الناجحة، في بالنفس فراغ لا يملؤه إلا الإيمان، من دون إيمان يعيش الإنسان في قلق، والدليل:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

(سورة طه: 124)

أما لو أنّ الإنسان استقام على أمر الله فالحياة الطيبة هانئة، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

(سورة النحل: 97)

فنحن موعودون بالحياة الطيبة، من قبل الله عز وجل.

والله أيها الإخوة ؛ لزوال الكون أهونُ على الله من ألاّ تتحقق وعوده ووعيده بأي عصر ومصر، وبأي وقت، من أي منبت طبقي أنت ؟ من أي أم وأب ؟ من أي بلدة ؟ من أي مكان ؟ من أي زمان ؟ من أي إمكانيات كنت ؟ حينما تستقيم على أمر الله، فلك من الله حياة طيبة، وأي إنسان مهما كان قوياً، مهما كان غنياً، مهما كان جباراً، إذا أعرض عن الله عز وجل فإن له معيشة ضنكا.

والله أيها الإخوة ؛ لو لم يكن في القرآن الكريم إلا هاتان الآيتان لكفتانا.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

(سورة النحل: 97)

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

(سورة طه: 124)

أمّا الآية الثالثة، فدققوا فيها، والله لو أنني أتلو هذه الآية آلاف المرات، لا أرتوي منها.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

(سورة الجاثية: 21)

أَيُعامَل المؤمن من الله كما يعامل الكافر ؟ في بيته، في عمله، في صحته، في زوجته، في أولاده، في طمأنينته، في سعادته، في إقباله، في إشراق نفسه، في تفاؤله في المستقبل، تجد شخصًا غنيًا لو أنفق كل يوم مئة ألف لبقي لديه ما يفيض على حياته، ولو عاش مئة سنة، ومع ذلك فهو متضايق، وقلق، ويقول: السوق مسموم، ولا نربح، وما هذه الحياة، ولا يُعاش في هذا البلد، ومعه أموال واللهِ لا تأكلها النيران، ويقابلك مؤمن لا يملك إلا قوت يومه، ويقول: الحمد لله من أعماقه، راضيًا بعيشه.

هذه السعادة لها سّر، السعادة أيها الإخوة لا تأتي من الخارج، لا تأتي من بيت واسع، ولا من زوجة جميلة، ولا من أموال طائلة، ولا من بيت بالمصيف، ولا من مركبة فاخرة.

السعادة تنبع من الداخل، لما يتجلى ربنا على المؤمن يشعر بالسرور والسعادة، إذ قال لك: أنا أسعد الناس فصدِّقْه، ذات مرة قال لي شخصٌ كلمة، أقسَمَ بالله ليس في الأرض - "أقسم بالله" - مَن هو أسعد مني، فقلت: هذا الكلام ليس معقولاً، ثم استدرك قائلاً: إلا أن يكون أتقى مني، ليس في الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني.

فلما يتعامل الإنسان مع خالق الكون، ويمشي على منهج الله، يجعل بيته إسلاميًا، وعمله إسلاميًا، يقرأ القرآن، يذكر الله، ويترك هذه الأجهزة التي تسمم حياتنا، وتجعل حياتنا كلها حياة جنس، حيث المصيبة الكبرى، والخسارة المردية، فنعوذ بالله مِن ذلك.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : تفسير سورة المائدة

الدرس (5-1) : تفسير الآية 35 ، الوسيلة

الدرس (5-2) : تفسير الآية 8 ، العدل

الدرس (5-3) : تفسير الآية 12 ، المعية الخاصة

الدرس (5-4) : تفسير الآية 66 ، أبواب الرزق

الدرس (5-5) : تفسير الآية 105 ، العناية بالنفس

الدرس (1-5) : تفسير الآية 35 ، الوسيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾

موضوع اليوم حول كلمة الوسيلة !!!.

يعني إذا أردت أن تصل إلى مكان ما، فلا بد من وسيلة تنقلك إلى هذا المكان، إذا أردت الماء، فلا بد أن تحفر بئرًا، إذا أردت أن تأكل فلا بد أن تشتري الطعام، إذا أردت أن تستنبت فلا بد أن تزرع البذر.

فالإنسان له هدف، وله أن يتخذ وسيلةً إلى هذا الهدف، فمن أراد الله فلا بد أن يبتغي إليه الوسيلة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾

من أوسع التفاسير لهذه الكلمة، وأَوجه معنى من معاني الوسيلة طلبُ العلم، فهو وسيلة، والعلم طريقٌ إلى الله عز وجل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾

يجب أن تعرف أنه موجود، يجب أن تعرف أنه واحد في ذاته، وفي أفعاله، وفي صفاته، يجب أن تعرف أنه كامل، أسماؤه كلها حُسْنَى، وصفاته كلها فُضْلَى.

إذاً ينبغي أن تعرفه، ينبغي أن تعرف ما عنده من إكرام من أجل أن تقبل عليه، وينبغي أن تعرف ما عنده من عذابٍ أليم إذا أعرضت عنه.

إذاً إذا أردت الله عز وجل فابتغِ إليه الوسيلة عن طريق العلم، لقول الله عز وجل:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(سورة فاطر: 28)

لو أن هناك طريقاً إلى الله، غير طريق العلم لذكرَه الله عز وجل، لا بد أنْ تتعرف إلى الله، لأنك كلما عرفت الله عز وجل ازدادت خشيتك له، فالخشية مترافقة مع حجم العلم، حجمُ خشيتك بحجم علمك، رأس الحكمة مخافة الله، أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً.

وبعد ؛ فإن عرفته أقبلت عليه، فمعرفته وسيلة، وإنْ عرفت أمره ونهيه طبقتَ أمره وابتعدت عن نهيه، إذاً معرفةُ منهجِه وسيلة.

لا ينبغي أن تكتفي بمعرفته من خلال الكون، لا بد من أن تعرف منهجه من خلال الكتاب والسنة، يجب أن تعرفه، وأن تعرف منهجه، الكون يدلك عليه، والكتاب والسنة يعرفانك بأمره ونهيه، بالكون تعرفه وبالشرع تعبده.

إذاً لا بد من جانب من جوانب هذه الوسيلة، أن تفكر في خلق السموات والأرض.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة آل عمران: 190 - 191)

ومن أجل أن تعبده، لا بد أن تعرف أمره ونهيه، ماذا تعمل أنت ؟ في التجارة مثلاً: لا بد أن تعرف أحكام الشراء والبيع لئلا تقع في الحرام، فمن دخل الأسواق من دون فقهٍ، وقع في الربا شاء أم أبى، تعمل في الطب لا بد أن تعرف أحكام الجُعالة، لأنك أجرك أيها الطبيب ليس مِن نوع عقود التراضي، ولا المعوضات، ولكن من نوع الجُعالة، أنت مقبلٌ على الزواج، فلا بد أن تعرف أحكام الزواج، كيف تعامل الزوجة ؟ كيف يتم هذا العقد ؟ ما شروط هذا العقد ؟

إذاً إذا أردت أن تعبده فلا بد أن تعرف أمره، لذلك ورد في الأثر: أن طلب الفقه حتمٌ واجبٌ على كل مسلم، ليس هذا خياراً لك، لا بد أن تقتطع من وقتك لتتعرف فيه إلى أمر الله ونهيه، إن أردت أن تعرفه، إن أردت أن تعبده، إن أردت أن تتقرب إليه.

إذاً معرفة ذاته، وأسمائه، وصفاته، من خلال الكون وسيلة، ومعرفة منهجه من خلال الكتاب والسنة وأحكام الفقه وسيلة.

من أجل أن ترى نفسَك للإسلامِ مطبِّقاً، لا بد أن تقرأ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعله مثلاً أعلى وقدوة يقتدي به.

إذاً معرفة السيرة فرض عين، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

(سورة الأحزاب: 21)

طيب، إن جلست مع أهل الدنيا، صَدِئ قلبك، وشعرت بالضيق، لابد إذًا أنْ تجلس مع المؤمنين، قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾

(سورة التوبة: 119)

أن تجلس مع الصادقين وسيلة، أن تجلس مع المؤمنين، أن تلتقي معهم، أن تأخذ عنهم، من علمهم، من أخلاقهم، من قيمهم، فكل هذه وسيلة، انظُر فالمطلق على إطلاقه.

الوسيلة أن تعرف الله من خلال الكون، والوسيلة أن تعرف أمره ونهيه من خلال الكتاب والسنة، والوسيلة أن تجتمع مع المسلمين، لتأخذ من علمهم ومن أخلاقهم ومن قيمهم، وأن تقتدي بهم والدليل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾

(سورة التوبة: 119)

هذه وسيلة، والوسيلة الرابعة ؛ أن تتقرب إليه بالعمل الصالح.

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾

(سورة الكهف: 110)

فمعرفة الله من خلال الكون وسيلة، ومعرفة منهجه وسيلة، وصحبة المؤمنين وسيلة، والأعمال الصالحة التي تقربك إلى الله وسيلة، المطلق في القرآن على إطلاقه، فأي شيءٍ يقربك من الله عز وجل هو وسيلة، لكن أكثر شيء يقربك من الله عز وجل أن تتأمل في خلق السموات والأرض، فأنت أمام عظمة الله عز وجل وجهاً لوجه، هذا أكبر شيء نظري، وأكبر شيء عملي يقربك إلى الله عز وجل الإنفاقُ، مطلق الإنفاق.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)﴾

(سورة البقرة: 3)

لأن الله سبحانه وتعالى جاء بك إلى الدنيا من أجل أن تعدَّ نفسك إلى حياة أبدية، فلا بد من عملٍ صالحٍ ترقى به، " **يا بشر لا صدقة ولا جهاد، فبِمَ تلقى الله إذاً ؟** "، لا بد من شيء تلقى الله به، إنها الوسيلة.

لذلك إنسان يدّعي أنه مؤمن ولا يتحرك دعواه باطلة، دعواه كاذبة، لأن الإنسان من طبيعته الحركة، ترجمةً لديناميكي، وليس سكونياً "استاتيك"، "ديناميك" يعني حركي، فأنت تؤمن بالله وتظلّ واقفًا في محلك، فلا يليق ذلك بالمؤمن.

أنت لا بد لك مِن بيت تسكنه، مقدم على زواج، تسمع أنّ بيتًا ثمنه نصف قيمته الحقيقية، ثمنه خمسمئة ألف بدمشق وعلى الطابو فورًا، وأنت معك المبلغ وتظل نائمًا، لا أظن، بل تذهب في نصف الليل مشيًا ولو آخر مكان، أنت بحاجة ماسّة إلى بيت، والبيت بنصف قيمته، وطابوا فورًا، وليس فيه مشكلة، والدلال فلان، وتظل ساكنًا، ولا حركة، فهذا غير معقول أبدًا !!!.

تسمع أنّ على كتفك عقربًا – لا سمح الله – إذ قال لك شخص: على كتفك عقرب، هل تلتفتّ نحوه بهدوء، وتقول له: أشكرك على هذه الملاحظة، وأتمنى أن أقابلك بخير منها، معنى ذلك أنك لم تفهم قولَه، ولو علمت ماذا قال لقفزت وخرجت من جلدك خوفاً من هذه الحشرة.

أتسمع الحق ولا تتحرك، لا تغض بصرك، ولا تنفق من مالك، لا تلازم المسجد، ولا تصلي، معنى هذا أنك ما فهمت شيئًا إطلاقاً، فعلامة الفهم الحركة.

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾

أنتَ عرفت الله وبيتك غير إسلامي، يعني أنك ما عرفته، ولو عرفته، وعرفت ما عنده من إكرام، وعرفت ما عنده من عقاب، وعرفت تفاهة الدنيا، وعرفت أبدية الآخرة، وعرفت أن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إذًا فلا بدّ أن تتحرك.

ذات مرة ضربت مثلاً مضحكًا ؛ لما كان عندنا أزمات تموينية، قلت: لو أن واحدًا تلزمه صفيحة زيت، وقد خرج من وظيفته توًّا وهو مُتعَب، وقد خلع ثيابه وارتدى ثياب البيت، وجلس على أريكةٍ مريحةٍ، فقال له ابنه عدّةَ كلمات ؛ قال له: في المؤسسة زيت، والصفيحة بـ 800 ل س وثمنها لدى السمّان 1600 ل س، وليس في المؤسسة ازدحام، ولا يوجد عندنا زيت، وقد قبضتَ راتبك منذ يومين، أيبقى قاعدًا ؟ لا شكّ أنه يسارع إلى المؤسسة مهرولاً ناسيًا تعبه كله.

فإذا كان الدين واضحًا، والأفكار صحيحة، والعقل يقظًا، والعاطفة جياشة، وسمعت الحق، فلا بد أنْ تتحرك، أما يبقى على ما هو عليه من المعاصي والآثام والتقصير، ويدّعي أنه مؤمن، وأنا مسلم، ويقول: اللهم اجعلنا من أهل الجنة، فنحن عبيد إحسان، ولسنا عبيد امتحان، هذا كلام لا يقدم ولا يؤخر، وربما يكون حجة على قائله.

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾

أي شيءٍ من علمٍ، أو عملٍ، أو تضحيةٍ، أو شيءٍ آخر يقربك إلى الله عز وجل فهو وسيلة، التفكر في خلق السموات والأرض وسيلة، معرفة المنهج الأمر ؛ والنهي وسيلة، صحبة المؤمنين وسيلة، البذل والعطاء وسيلة، وأي شيءٍ آخر ترى أنه يقرب إلى الله عز وجل فهو وسيلة، ونسيت أن أقول لكم: إنّ ذكرَ الله وسيلةٌ، ذكره باسمه المفرد، والاستغفار، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، والحمد، والدعاء، وتلاوة القرآن هذه وسيلة، وأعود لأكرِّر: التفكر وسيلة، الذكر وسيلة، الطاعة وسيلة، البذل وسيلة، صحبة المؤمنين وسيلة، الإطلاع على سيرة رسول الله وأصحابه الكرام وسيلة، والآية واسعة جداً، وأي شيء يقربك من الله هو وسيلة، درسنا اليوم كان حول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾

واستمع لقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾

(سورة الإسراء: 19)

علامة الإرادة السعي، وعلامة التمني القعود، المتمني يقعد، والساعي يتحرك، فأنت امتحن نفسك، إذا بقي الإسلام معلومات تتلقاها وأنت مرتاح لها، ولديك مشاعر إسلامية وليس لديك حركة إطلاقاً،ف القضية صعبة، أما إذا أيقنت بأحقية هذا الدين، وعظمة هذا الخالق العظيم، فلا بد أن تتحرك نحوه، ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتُّكَ فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : تفسير الآية 8 ، العدل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة موضوعنا اليوم الآية الثامنة من سورة المائدة، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)﴾

الإنسان أيها الإخوة قد يجري اتصالاً هاتفياً، وهو مضطجعٌ على سريره، أما لو أنه تلقى نبأً مؤلماً لقعد، فانتقاله من الاضطجاع إلى القعود دليل أن الأمر مهمٌ، فإذا كان الأمر أكثر أهميةً وقف، والإنسان يعبر عن اهتمامه بالأمر إلى أقصى درجة حينما يقف.

الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾

قوَّام على وزن فعَّال، صيغة مبالغة اسم الفاعل، قائمٌ قوَّامٌ، القوَّام أشد اتصافًا بالقيام من القائم، قائم لكنه متهاون، قائم لكنه متململ، قائم لكنه متراخٍ، أما قوّام فهو في أعلى درجات النشاط، وفي أعلى درجات اليقظة، وفي أعلى درجات الجاهزية، قوَّام.

يقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾

يعني طاقتكم، نشاطكم، عضلاتكم، علمكم، طلاقة لسانكم، ذكاؤكم، مكانتكم، جاهكم، هذا كله ينبغي أن يوظف لله عز وجل، وأن تستنفر، وأن تفرَّ إلى الله عز وجل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾

يعني أعلى درجات الاهتمام أن تقف، وأن تكون مستعداً لبذل الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، أن تقف وأن تكون في أعلى درجات الجاهزية، أن تقف وأنت في أعلى درجات النشاط.

هذا معنى.

﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾

(سورة آل عمران: 79)

يعني يجب أن تَهَبَ كلَّ ما تملك لله عز وجل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾

أحد أصحاب رسول الله، وكان حِبَّ رسول الله، أراد أن يشفع عند النبي في امرأةٍ سرقت، فغضب النبي أشد الغضب، وكما ورد في الأثر:

((إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))

هذا هو الإسلام.

يروى أن سيدنا عمر جاءه ملِك من ملوك الغساسنة مسلماً، رحب به أشد الترحيب.

كان الموسم موسمَ حج، وفي أثناء طواف الملك حول الكعبة، بدوي من فزارة داس طرف ردائه، فالمِلك لم يحتمل هذا، فالتفت نحوه وضربه ضربة هشمتْ أنفه.

هذا البدوي ليس له إلا عمر، ذهب إليه ليشكو هذا الملك الغساني جبلةَ ابن الأيهم، فاستدعى عمر جبله، وقال: **أصحيحٌ ما ادَّعى هذا الفزاري الجريح**، قال: لست ممن ينكر شيئاً، أنا أدبت الفتى، أدركت حقي بيدي، قال عمر: **أَرضِ الفتى، لا بد من إرضائه، فمازال ظفرك عالقاً بدمائه**، قال له: وإن لم أفعل ؟ قال له: **يُهشمن الآن أنفك، وتنال ما فعلت كفك.**

قال له كيف ذاك يا أمير المؤمنين . ما هذا الكلام . هو سوقة، وأنا عرش وتاج، كيف ترضى أن يخرَّ النجم أرضاً ؟ قال له: **نزوات الجاهلية، ورياح العنجهية قد دفناها، وأقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيدا**، فقال جبله: كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتد إذا أكرهتني، فقال عمر: **عنق المرتد بالسيف تحز**، عالَمٌ نبنيه، كلُّ صدع فيه بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾

لذلك ورد أنَّ عدْلَ ساعة أفضل عند الله من أن تعبد الله ثمانين عاماً، ورد أن حجراً ضج بالشكوى إلى الله، قال: يا رب، قصة رمزية، عبدتك خمسين عاماً وتضعني في كنيف . المرحاض . قال تأدب يا حجر، إذْ لم أجعلك في مجلس قاض ظالم، يعني مكانك في الكنيف أشرف لك من أن تكون في مجلس قاض ظالم.

إذاً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾

أما الشيء الدقيق في الآية، قوله تعالى:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾

معنى لا يجرمنَّكم أي لا يحملنَّكم.

﴿ شَنَآَنُ قَوْمٍ ﴾

الشنآن البغض.

﴿ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾

الله يخاطب من ؟ يخاطب المؤمنين، من هم أعداء المؤمنين التقليدين الكفارُ، الفجارُ، الملاحدةُ، المنافقون.

كأن الله عز وجل يقول: يا عبادي، إذا توهمتم أنني أرضى عنكم، إذا لم تعدلوا مع خصومكم الكفار فأنتم واهمون، لا يرضيني إلا أن تعدلوا معهم، ولا يقربكم إليَ إلا أن تنصفوهم، ولا تقرّبوهم إليَّ إلا إذا أنصفتموهم، إن لم تنصفوهم فأنتم متوهمون أني أرضى عنكم، إذا أكلتم أموالهم واعتديتم على أعراضهم بدعوى أنهم كفار، فهذا هو عين الخطأ.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾

لا يحملنكم بغض قومٍ على أن تظلموهم.

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

أنتم إذا عدلتم مع هؤلاء الأعداء أنتم أقرب إليّ، وإن عدلتم مع هؤلاء الأعداء قرّبتموهم إليّ، فقد عرفوا عظمة الدين، لذلك الإنسان المتوهم إذا رأى شخصًا غير مسلم يقول في نفسه: الطُّشْهُ بالسعر ولا حرج، خذ ماله ولا تهتم، فهذا غير مسلم، هذا هو عين الخطأ، وأعود وأكرِّر الآية:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

يعني إذا عدلتم مع أعدائكم قربتموهم من الله، قال: يا أمير المؤمنين أتحبني، يبدو أنّ شخصًا فاجرًا قالها لسيدنا عمر، قال له: **والله لا أحبك**، قال: وهل يمنعك بغضك لي من أن تعطيني حقي، قال له: **لا والله، حقك واصلٌ إليك، أحببتك أم كرهتك، هذا هو الإسلام.**

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

يعني إذا عدلتم معهم قرَّبتموهم إليّ، وعرفوا أحقِّيّة هذا الدين، و إن عدلتم معهم تقرَّبتم أنتم إليّ، فأنا لا أرضى عنكم إذا ظلمتم هؤلاء، لأنكم إذا ظلمتموهم، فإنكم إذاً مثلهم، وأين الإسلام عندئذٍ ؟ وأين عظمة هذا الدين ؟ وأين أحقّيّة هذا الشرع؟

لذلك يبدو أن الذي يخطئ مع مسلم، فالخطأ صغير حجمه، أما الذي يخطئ مع غير المسلم فالخطأ كبير حجمه، لأنك إذا أخطأت مع مسلم يقول: فلان آذاني، أما إذا أخطأت مع غير مسلم يقول: المسلمون فعلوا معي كذا، وكذا، ينتقل من ذمك إلى ذمِّ دينك.

ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام:

((أنت على ثغرةٍ من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك.))

كل مسلم يمثل هذا الدين، فعليه أن يكون في أعلى درجات الكمال، أعلى درجات الإنصاف، أعلى درجات القسط.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾

استنفِرْ، فِرَّ إلى الله، شمروا فإن الأمر جِد.

﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾

في آية أخرى قال:

﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾

(سورة النساء: 135)

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾

لا يحملنكم بغض قومٍ على ألا تعدلوا.

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

يعني أنتم أقرب إليّ، وأعداؤكم الذين عدلتم معهم، يصبحون أقرب إليَّ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)﴾

سبحانه وتعالى خبير بعملك، يعرف حجم عملك، ويعرف الأهداف البعيدة من عملك، ويعرف البواعث الحقيقية من عملك، ويعرف المضايقات التي تعترض عملك، ويعرف كل ما بذلتَ من أجل هذا العمل من غال ورخيص، ونفس ونفيس.

﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

أيها الإخوة ؛ هذه الآية لو طبقت فلن تجدوا عداوات ساحقة بين المسلمين وغير المسلمين، يعني إذا ظلَمَ المسلم، فقد سمعت مرة كلمة، أن الأجانب ينظرون إلى الإسلام نظرة سيئة، لأنهم شاهدوا إساءات مِن قِبَل مَن فَتَحَ بلادهم، بعد ما استقر الفتوح في أوربا مسافات طويلة، ظهر أناس أساءوا إساءات بالغة، فالأجانب حملوا هذه الصور القاتلة ونظروا إلى الإسلام نظرة قاسية، فلذلك المسلم أحيانًا يسيء إلى دينه كله. طالب ذهب إلى أوربا ودرس، واقترن بفتاة ألمانية، أحبها وأحبته، درسا الطب طبعاً، بعد سبع سنوات، بعد أن نال الشهادة، اختفى !!.

عاشت معه وأعانته، وقدمت له كل ما تستطيع، وأخلصت له، فلما نال الشهادة في الطب اختفى !! تبعته إلى بلده، فإذا هو في بلد آخر، أجرى عقداً مع دولة من دول الخليج، إحدى دول النفط، فوصلت إلى وزير الداخلية هناك، والوزير رفع الأمر إلى الملك، والملك أصدر أمراً بطرد هذا الطبيب، لأنه أساء إلى ألف مليون مسلم.

تقول هذه الفتاة: ماذا فعلت له حتى تركني ؟ لقد أحسنتْ إليه، واللهِ.

أحيانًا إنسان واحد قد يسيء لأمة، لمَ لمْ تخبرها بأنك ستطلقها إذا انتهت دراستك، وليعلم كل واحد أنّ الزواج على التأبيد، أخلصت لك كل الإخلاص، وأنا ما أردت من هذه القصة أن نناقشها، لكن أردت من هذه القصة أن الإنسان أحياناً يسيء لأمته كلها إذا أساء التصرف.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

فالمسلم ليدقق بمعاملته المسلَم مرة، وليدقق مليون مرة في معاملته غير المسلم، لأنه لو عامله معاملة طيبة ربما جلبه إلى الدين، رجل معروف يمثل الحزب اليساري في فرنسا، أسلم، فكان يروي منذ أيام سبب إسلامه،

قال: قبل ثلاثين سنة، كنتُ جنديًا ورفض مسلم أنْ يقتلني، في الحرب العالمية الثانية، لقد رفض أنْ يقتله لأسباب دينيه، فبقيت هذه الفكرة في ذهنه ثلاثين عاماً، وحملته بعدها على أن يسلم.

فالعمل الطيب ربما جرَّ أمة، والعمل السيّئ ربما نفَّر أمة.

لذلك:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : تفسير الآية 12 ، المعية الخاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الإخوة الكرام ؛ قال تعالى:

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12)﴾

أيها الإخوة الكرام ؛ ما منا واحدٌ إلا ويتمنّى أن يكون الله معه، لأنه إذا كان الله معك فمن عليك ؟ من يستطيع في الأرض أن ينال منك، وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ ما معك أحد، أمّا إذا كان الله معك، فلو أن الأمة بأكملها اجتمعت على أن يضروك بشيءٍ لم يستطيعوا، وإذا تخلى الله عنك، ولم يكن الله معك، فأقرب الناس إليك، ابنك الذي من صلبك، زوجتك التي عشت معها أربعين عاما، تتخلى عنك، إذا كان الله معك فمن عليك وإذا كان الله عليك فمن معك ؟.

إذا كان الله معك ألقى حبك في قلوب العباد، وإذا كان الله عليك ألقى بغضك في قلوب العباد.

يا أيها الإخوة ؛ الأقوياء يملكون القوالب، لكن الأنبياء يملكون القلوب، والبطولة الحقيقية في أن تملك قلوب الناس، لا أن تملك أجسامهم، القوي يخاف الناس منه، لكن النبي يحبه الناس.

لذلك ما منا واحد إلا ويتمنى أن يكون الله معه، ولكن هذه المعية قال عنها العلماء: إنها معيتان ؟

معيةٌ خاصة... ومعيةٌ عامة...

فما المعية العامة ؟ المعية العامة أن الله مع كل عباده، مع الكفار، مع الفجار، مع الملحدين، مع المنافقين، مع العصاة، مع المتجاوزين.

في قوله تعالى:

﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

(سورة الحديد: 4)

مؤمن، كافر، مطيع، عاصٍ، هو معك، بل قيامك به أبلغ من أنه معك.

الآن دقّقوا، معية الله الخاصة، تعني التوفيق والحفظ، تعني التأييد والنصر، إذا كان الله معك نصرك على أعدائك، وإذا كان الله معك وكنت في عملٍ وفقك فيه، إذا كان الله معك حفظك من كل شر.

إذا كنت في كل حالٍ معي فعن حمل زادي أنا في غنى.

فأنتم هو الحق لا غيركم فيا ليت شعري أنا من أنا.

***

العلماء قالوا: المعية معيتان ؛ معيةٌ عامة، ومعيةٌ خاصة، المعية العامة تشير إلى الآية الكريمة:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

لكن المعية الخاصة معية التأييد، معية التوفيق، معية الحفظ، معية النصر، معية السكينة، يُلقي الله في قلبك السكينة، تكون كالجبل الأشم لا تتزعزع، هذه المعية الخاصة، ممكن الحصول عليها ولكن بدفع ثمنها، الآن بدأ الدرس.

المعية الخاصة التي نبحث عنها جميعاً متاحةٌ لكل إنسان، بشرط أن تدفع ثمنها، يا رب أين ثمنها ؟ أو يا رب من يملك ثمنها ؟ يقول الله: أنت أيها العبد تملك ثمنها، ابدأ بهذه الآية:

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾

هذه العناصر التي اشتملت عليها الآية هي ثمن المعية الخاصة، هذه ثمن المعية التي هي من أينع ثمار الدين، وأجمل ما في الدين أنْ تشعر أن الله معك، أعظم ما في الدين أن تشعر أنك مقربٌ إلى الله، أعظم ما في الدين أن يتجلى الله على قلبك بالسكينة، إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدرٍ لأصفيائه المؤمنين، حينما يتيه الناس أنت لا تتيه، حينما يخاف الناس أنت لا تخاف، حينما تنهار أعصاب الناس أنت لا تنهار، حينما يشعر الناس بالحرمان أنت تشعر بالفوز والغنيمة، حينما يخضع الناس أنت لا تخضع، هذه معية الله الخاصة، وثمنها تملكه أنت، وهذه مفردات ثمنها.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ﴾

الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين.

ولكن يا أيها الإخوة ؛ الله قال: أقمتم الصلاة، لمْ يقل الله عز وجل: إني معكم لئن صليتم، فإذا قلنا: لئن صليتم، يعني واحد دخل للمسجد توضأ وصلى، هذه الصلاة، أما:

﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ﴾

فانتبه لكلمة أقام البناء، تحصل على رخصة أولا، وبعد مضي سنتين من الملاحقة تحصل عليها، ثم حفرت الأساسات، وبُني أول طابق، والثاني، والثالث، ثم كسوتَه وفرشتَه، فشغله سنوات حتى تم إنجازه، من هنا نعلم أنّ إقامة الصلاة تبدأ قبل الصلاة، إقامة الصلاة تبدأ بغض البصر، إقامة الصلاة تبدأ بتحرير الدخل، إقامة الصلاة تبدأ بأن يكون بيتك إسلامياً، بأن تربي أولادك التربية الصحيحة، يعني أنت تعمل عملاً تستقيم معه على أمر الله، تصطلح معه، تتوب إليه، تنفق من مالك، من أجل أنّك تصلي حقًّا إذا دخلت إلى المسجد، ففرقٌ كبير بين أن يقول الله عز وجل: إني معكم لئن صليتم، وبين أنْ يقول:

﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ﴾

أحياناً إنسان يقدم امتحانًا في ثلاث ساعات، يمنح دكتوراه، إذْ تجري مناقشة أطروحته أمام لجنة من العلماء، وبعد ثلاث ساعات مِن قراءة ملخص الأطروحة قال الدكتور المشرف رأيه في الموضوع، واجتمعت اللجنة، واتخذت قراراً بمنحه الدكتوراه بتقدير امتياز، العملية تمت في ثلاث ساعات، أما عملية تأليف الكتاب الذي تقدّم به الطالب لنيل الدكتوراه فتمّتْ في عشر سنوات، فالدكتوراه لا تأتي في ساعات ثلاث.

وإذا دخل شخصٌ المسجدَ وقام يصلي، فهذه ليست صلاة، قبل الصلاة لا بد من استقامة، قبل الصلاة لا بد من توبة، قبل الصلاة لا بد من صلح مع الله، قبل الصلاة لا بدّ مِن إنابةٍ إلى الله، قبل الصلاة تكون الأعمال الصالحة، مِن إنفاق ونحوه، فالآن إذا دخلتَ لتصلي فهذه إقامة الصلاة.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾

إما أن نفهم أنّ إيتاء الزكاة دفعُ جزءٍ من المال كما هم معروف، أو أن هذه الآية تعني مطلق العمل الصالح، وهناك للعلماء استنباط، سيدنا المسيح قال:

﴿وَأَوْصَانِي بِالصّلاةِ والزَّكَاةِ مَا دُمْت حَيّاً (31) ﴾

(سورة مريم: 31)

بعضهم قال: هاتان الكلمتان جمعتا جوهر الدين، الدين اتصال بالله الخالق، وإحسانٌ إلى المخلوق، هذا الدين.

في حركة أفقية وحركة شاقولية، الأفقية إحسان للخلق، والشاقولية اتصال بالحق.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾

أقمتم الصلاة، هذه الساعات في مناقشة الأطروحة، ثم منح على إثرها الطالب دكتوراه بامتياز، هذه سبقها عشر سنوات تحضير، عشر سنوات تأليف، فلما يغضُّ الإنسان بصرَه في الطريق، والطريق فيه كاسيات عاريات مائلات مميلات، ويضبط لسانه، يضبط أذنه، يضبط بيته، يضبط دخله وإنفاقه.

فإذا دخل ليصلي، فإنّ هذا قد أقام الصلاة، لكن إذا دخل فتوضأ وصلى، وهو غارق في المعاصي والشبهات، هذا نقول عنه: إنه صلى، لا نقول: أقام الصلاة، انتبه: أقام البناء يعني عمل طويل، شراء الأرض، والحصول على رخصة، وحفر الأساسات، وبناء الهيكل، ثم إكساء الهيكل، ثم تزيين الهيكل، ثم إكساء خارجي، ثم فرش البيت، فمثل ذلك إقامة الصلاة.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾

يعني آمنتم بأحقِّية هذا الشرع، هذا هو النظام الأكمل، هذا الذي فيه حل لمشكلاتنا، أمّا أنْ تقول: الدين نغمة قديمة، معنى ذلك أنك لا تعرف عن الدين شيئاً.

الدين منهج خالق الكون، دستور الإنسان.

﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾

أنت لما تصلي، كأنْ تكون في نزهة وتقوم لتصلي، فأنت نصرت دين الله عز وجل، لما تمتنع عن دخل مال حرام، وغيرك لا يمتنع، فقد نصرت دين الله عز وجل، الله عز وجل لا يحتاج إلى أن تنصره، ولا نبيُّه يحتاج إلى أن تنصره، إلا أنك أقمت شعائر الدين، ونفذت أمر الله عز وجل، وسَّعت دائرة المؤمنين، أمّا إذا كان الناس في نزهة، وواحد قام فصلى وحده فلعله يستحيي بنفسه، لكنْ إذا قام ثلاثة أو أربعة وصلوا، فمَن الذي يستحيي ؟ الذي لم يقم ليصلي.

فإذا كان كل التجار يتعاملون بطريقة ربوية، وأحبَّ تاجرٌ أنْ يستقيم فضحوه، أمجنون أنت ؟ أما إذا كان الكلُّ مستقيمين أعطوا غطاء للمستقيم، أنت لما تطبق شرع الله عز وجل فإنك تدعم الدين، وتنصر.

﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾

(سورة محمد: 7)

فإذا كانت الأسرة كل بناتها كاسيات عاريات، فإذا أحببتَ أنت أن تحجب ابنتك، أُقيم عليك النفير، وشعرتَ بصعوبة بالغة.

أما إذا كان كل من حولك بناتهم محجبات، صار الطريق لابنتك سهلاً، انظري إلى ابنة خالتك، وانظري إلى ابنة خالتك الثانية، وإلى ابنة عمك أيضًا، انظري إليهن جميعهن، فكلهن محجبات.

أنت لما تطبق الدين، وترسخ دعائمه، يصير تطبيق سهلاً، إذا كل الناس تخلوا عن الدين، صار المؤمن غريبًا، والغريب يواجه صعوبات، يواجه عقبات، يواجه اعتراضات، هذا معنى قوله تعالى:

﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾

يعني أيَّدتَ الرسول وطبقت أمر الله.

﴿ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾

والله ما من كلمة تهز مشاعر المؤمن كهذه الكلمة، خالق الأكوان، الغني الحميد، يقول لعبده: هل تقرضني قرضاً حسناً، على أن أوفيك إياه بغير حساب يوم القيامة، وأي عمل صالح تجاه أي مخلوق هو قرض حسن، حقًّا أيّ عمل صالح تجاه أي مخلوق، حتى ولو كان حيوانًا، كما لو أنك سقيت كلباً، أو أطعمت هرة، أو أنقذت نملة في حوض الغسيل، فيه نملة، وأنت تريد أنْ تتوضأ، فتوقّفتَ إلى أن خرجت، إذًا بعملك هذا أنقذت مخلوقاً، وهذا قرض لله، أقرضتَ الله قرضاً حسناً.

وهذه آية أخرى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾

(سورة البقرة: 245)

إذا خدمتَ إنسانًا، أو دللْتَه، أو أعنتَه، أو خفَّفْتَ عنه، أو شفعت بين زوجين، دللت على خير، طلبت العلم، أو علَّمته، توسَطتَ في حل مشكلة، كله قرض حسن، فمعية الله التي لا تقدر بثمن، ثمنها بيدنا جميعاً.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾

إن دفعتم هذا الثمن.

﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾

كل شيء كان يسوؤكم سوف تنسونه، وتُفتح لكم صفحة جديدة.

﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12)﴾

أنت تتمنى معية الله عز وجل، يعني التوفيق، النصر، التأييد، الحياة الطيبة، السعادة، التجلي، السكينة، الوقار، المكانة الاجتماعية، أن يدافع الله عنك، أن ينصرك على عدوك، أن يؤيدك، أن يقربك، فما عليك إلاّ أنْ تلتزم بنص الآية مع التنفيذ.

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ﴾

فعندنا معية عامة، ومعية خاصة.

المعية العامة... الله مع كل مخلوق، حتى الكافر، هذه المعية لا تقدم ولا تؤخر، بل تعني أنْ يرى ويسمع ويعلم كل ما يفعلون، فهم تحت رقابته، ليحاسبهم يوم القيامة.

ولكن المقصود المعية الخاصة... وهي أن يتجلى الله عليك بالحفظ، والتأييد، والنصر، والتوفيق، وهذه أبرز الأشياء أنواع المعية.

الحفظ، والتأييد، والنصر، والتوفيق، وثمنها إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالمنهج، وتأييد الرسل بتطبيق تعليماتهم، عندئذ الماضي الحالك كله يشطب، وتفتح صفحة جديدة، والمستقبل: الجنة وما فيها من نعيم مقيم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-5) : تفسير الآية 66 ، أبواب الرزق

بسم الله الرحمن الرحيم

أبواب الرزق....

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الآية الأولى....

أيها الإخوة الكرام؛ يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[سورة المائدة الآية: 66]

الآية الثانية....

هذه الآية تؤكدها آية أخرى:

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾

[سورة الجن الآيات: 16-17]

الآية الثالثة....

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الأعراف الآية: 96]

الوسائل التي تزيد في الرزق:

العلماء استنبطوا من الكتاب والسنة الوسائلَ التي تزيد في الرزق .

أول وسيلة الاستغفار ...

قال تعالى :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾

[سورة نوح الآيات: 10-12]



الذي يستغفر الله من ذنوبه يجلب له ولأهله الرزق بالاستغفار، هذه واحدة، فمن شكا من ضيق الرزق فعليه بالاستغفار، هذا قرآن، وهو كلام خالق الكون.

ثاني وسيلة الصلاة...

فقال تعالى:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾

[سورة طه الآية: 132]

فالبيت الذي تقام فيه الصلوات، يتلى فيه القرآن، تقام فيه حدود الله عز وجل، فهذا بيت مرزوق، فالرزق بيد الله عز وجل، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

العامل الأول ... هو الاستغفار .

العامل الثاني ... إقامة الصلوات وشعائر الله في البيت .

ثالث وسيلة الأمانة...

مستنبط من الحديث الشريف ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((الأمانة غنى))

[هكذا ورد بالأثر]

الأمين موثوق، فإذاً أنت أثمن شيءٍ تملكه ثقة الناس، وإذا ملكت ثقة الناس فأنت أغنى الناس، وأكبر خسارة تحيط بك أن تفقد ثقة الناس، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول : "الأمانة غنى ".

إذًا: وسائل الرزق هي : الاستغفار أوّلاً، وإقامة الصلوات والشعائر الدينية في البيوت ثانياً، والأمانة ثالثاً.

رابع وسيلة صلة الرحم...

قيل: صلة الرحم تزيد في الرزق.

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[البخاري، مسلم، أبو داود، أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

إذاً أنْ تصل رحمك، وصلة الرحم تعني أشياء ثلاثة:

أن تزورهم أولاً ، وأن تتفقد أحوالهم تمهيداً لمساعدتهم ثانياً ، وأن تدلهم على الله ثالثاً.

هذا ما تعنيه صلة الرحم، وهو العاملُ الرابع.الاستغفار وإقامة الصلاة والأمانة وصلة الرحم.

خامس وسيلة صلة الإتقان...

إتقان العمل جزء من الدين ، إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه ، وهذه حقيقة ، فالشركات المصنعة المتقنة ، بضاعتها محجوزة لسنوات ، وصاحب الحرفة المتقن محجوز لسنوات ، وإذا كسدت البضائع وبارت الأعمال فالمتقنون لا يتعطلون أبداً.

فالإتقان عامل ، وصلة الرحم عامل ، والاستغفار عامل ، وإقامة الصلوات والأمر بها



اتقان العمل جزء من الدين وسبب من أسباب الرزق

عامل، وإقامة القرآن الكريم عامل.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[سورة المائدة الآية: 66]

سادس وسيلة صلة الصدقة...

وهناك عامل سادس وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((استمطروا الرزق بالصدقة))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم]

صدقة السر تطفئ غضب الرب، بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها.

سابع وسيلة الاستقامة...

فالإنسان المستقيم على أمر الله.

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ﴾

[سورة الجن الآيات: 16-17]

المستقيم على أمر الله، والمقيم للصلوات، وهو يأمر بها أهله ومن يلوذ به، والمستغفر، والواصل لرحمه، والمتقن لعمله، والأمين، هؤلاء جمعياً أرزاقهم وفيرة، وهي قوانين ربنا عز وجل.

مثال للتوضيح:



فلما يكون الإنسان راكبًا مركبة في سفر، وفجأة تتوقف المركبة! ويطالعك هنا سلوكان؛ فأيهما السلوك الذكي؟

أول سلوك: يصيح المسافر ويبكي ويزعبر !!!؟؟؟

السلوك الثاني: يفتح غطاء المحرك ، ويبحث لماذا وقفت المركبة، هذا هو السلوك العلمي.

فإذا شعر الإنسان أن رزقه ضيق، فإنّه

يتساءل:

يا ترى هل مِن سبب؟

عدم إتقان، أو عدم أمانة، أو تفريط في أوامر الله عز وجل، أم مِن قلَّة الاستغفار، أم من في قطيعة رحم مثلاً، إذًا هناك أسباب.

الخلاصة:

لذلك فالإنسان حينما يشعر أن رزقه أقل مما ينبغي، فليبحث عن السبب، وربنا عز وجل قال :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة المائدة الآية: 66]

وبعد هذا يقول الله عز وجل:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

[سورة المائدة الآية: 68]

ونحن كمسلمين، واللهِ الذي لا إله إلا هو لسنا على شيء حتى نقيم القرآن الكريم في بيوتنا ، لذلك قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

[سورة الأنفال الآية: 33]

قال علماء التفسير: أنت فيهم، أي سنتك قائمة في بيوتهم، وفي أعمالهم، ما دامت سنة النبي علية الصلاة والسلام فينا، وفي علاقاتنا، وفي كسبنا للمال، وفي إنفاقنا للمال، وفي نشاطاتنا، وفي بيوتنا، فالله لا يعذبنا.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية: 33]

وإذا عرفنا أغلاطنا، وتبنا منها أيضاً فنحن في بحبوحة، فنحن في بحبوحة مرتين، إذا أذنبنا واستغفرنا، أو إذا تبنا واصطلحنا، فإذا كنا في أحد هذين الحالين، فنحن في بحبوحة، ونحن في سلام، وفي أمْنٍ من الله عز وجل.

الخاتمة:

أيها الإخوة الكرام؛ هاتان الآيتان مع أنهما موجهتان لأهل الكتاب إلا أن الله سبحانه وتعالى خاطبنا بأسلوب تربوي، فأحياناً الإنسان يخاطب شخصًا، وهو يعني شخصاً آخر، فالشخص الآخر لا يأتيه الكلام مباشراً، قال تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

[سورة المائدة الآية: 66]

هذا كلام خالق الكون ، ولا شيء يمنع أن تكون هذه الآية قانوناً.

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾

[سورة المائدة الآية: 68]

لذلك أداء الصلوات والصيام والحج، أو أداء العبادات الشعائرية، إذا لم يرافقه التزام بإنفاق المال وكسبه، و لم يرافقه التزام بالجوراح، وتطبيق للشرع الإلهي في بيوتنا وأعمالنا، فهذه الشعائر لا تقدم ولا تؤخر، وسأسمعكم بسرعة.

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

[سورة العنكبوت الآية: 45]

فإن لم تنهَهُ فصلاته لا قيمة لها.

ومَن لم يدع قولَ الزور والعملَ به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه.

هذا مع الصيام.

أمّا الحج:

فإذا حج الإنسان بمال حرام، وقال: لبيك اللهم لبيك، يقول الله عز وجل: لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك.

وإذا أنفق من مال حرام ، أو لم يكن مستقيمًا ، قال تعالى :

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية: 53]

هذه آيات قرآنية، فالصلاة والصوم والحج والزكاة، إذا لم رافقها استقامة تامة فلا تُقبَل، وحتى لا يضيع وقته، وحتى لا يتوهم أنه يصلي كما قلت سابقًا، بل أقم الصلاة، فإقامةُ الصلاة التزامٌ بقواعد الشرع الذي يسبق الصلاة، حتى إذا دخلت في الصلاة شعرتَ بهذه الصلة التي بينك وبين الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : تفسير الآية 105 ، العناية بالنفس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ الآية الخامسة بعد المئة من سورة المائدة، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)﴾

قبل أن نمضي في شرح هذه الآية الكريمة لا بد من مقدمة تلقي ضوءاً على هذه الآية.

أيها الإخوة ؛ الإنسان مؤلف من نفس وروح وجسد ،نفسه هي ذاته، هي حقيقته، نفسه هي التي تؤمن أو تكفر، هي التي تسعد أو تشقى، هي التي ترضى أو تغضب، هي التي تذوق الموت ولا تموت.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

(سورة آل عمران: 185)

هي التي تخلد في جنةٍ يدوم نعيمها، أو في نارٍ لا ينفذُ عذابها.

لكن الجسد ما هو إلاّ قالبٌ لهذه النفس، وعاءٌ يحتويها، ثيابٌ ترتديها فالنفس من خلال الجسد ترى، والنفس من خلال الجسد تسمع، والنفس من خلال الجسد تتحرك، وقد تبطش، وقد تحسن، فما الجسد إلا وعاءٌ أو قالبٌ لهذه النفس.

والروح هي القوة المحركة، فلولا الروح لما رأى الإنسان بعينه، ولا سمع بأذنه، ولا تقلصت عضلاته، ولا عملت أجهزته.

إذاً من باب التقريب والتوضيح، القوة المحركة للأجهزة الكهربائية هي الكهرباء، فإذا قطعت الكهرباء عن هذا الجهاز توقف.

فصار الآن واضحًا أنّ النفس هي الأصل، هي ذات الإنسان، هي التي تسعد، هي التي تشقى، هي التي ترقى، هي التي تسمو، هي التي تخلد، هي الباقية، هي الخالدة، تذوق الموت ولا تموت.

والجسد بمثابة ثيابٍ خلعتها.

والروح قوةٌ محركةٌ لهذا الجسد، فإذا انتهى أجل الإنسان، توقف الإمداد الروحي، فتعطل الجسد فخلعته النفس، فصعدت النفس إلى باريها.

ربنا عز وجل يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

يعني إذا اعتنيت بالجسد، فالجسد فانٍ، اعتنيت، أكلت أطيب الأكل، وتمتعت بأجمل المناظر، وسكنت في أجمل البيوت، واقترنت بأجمل النساء، هذا الجسد مؤدَّاه إلى التراب، فكل عنايتك وكل طاقتك، وكل رعايتك لهذا الجسد خسارة، لأنه سينتهي إلى القبر، وإلى الفناء.

الله سبحانه تعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

اعتنِ بنفسك لأنها باقية، لأنها خالدة، لأنها في جنةٍ، أو في نار، لذلك يقول الله عز وجل:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

(سورة الشعراء: 88 . 89)

يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: " **تعَاهَدْ قلبك** ".

أمراض الجسد أيها الإخوة مهما تفاقمت تنتهي عند الموت، لكن أمراض النفس تبدأ بعد الموت، أمراض الجسد مهما كانت عضالة أو خطيرة، مرض خبيث فإذا مات الجسد انتهى أثرُ المرض، والموت يُنهي قوة القوي، وضعف الضعيف، وصحة الصحيح، ومرض المريض، وغنى الغني، وفقر الفقير، الموت ينهي كل شيءٍ، فأي عناية وأي جهدٍ منصَبٍّ على هذا الجسد فهو خسارة.

يعني مثلاً إنسان ساكن في بيت أجرة، ومالكُ البيت بأية لحظة – حسب الأنظمة – بإمكانه أن يطرد المستأجر إلى خارج البيت، وهذا المستأجر له دخل كبير، هل من الحكمة أن ينفق هذا الدخل الكبير في تزيين هذا البيت، والعناية به، وطلائه، وتزيين سقفه، وبأي لحظة يخسر البيت، لكن العقل أن تزيِّن بيتك الأبدي، البيت النهائي.

فربنا عز وجل يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

يعني هذه النفس، هناك أربع آيات في القرآن.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)﴾

(سورة الشمس: 9)

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)﴾

(سورة المؤمنون: 1)

الفلاح كل الفلاح، والتفوق كل التفوق، والفوز كل الفوز والنجاح كل النجاح، والذكاء كل الذكاء، والعقل كل العقل، بأن تعتني بنفسك، أن تُعرفها بربك، أن تحملها على طاعة الله، لأنه إذا جاء الموت، وأصبح الجسد جثة هامدة، بعد حين تتفسخ، والروح انقطع إمدادها، بقيت هذه النفس التي هي أنت، إما أن تسعد لتزكيتها، وإما أن تشقى لفسادها.

فالآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

يعني الزموا أنفسكم، طهروا أنفسكم، زكُّوا أنفسكم، عِرفوا أنفسكم بربها، احملوها على طاعته، عرّفوها كتاب الله، عرِّفوها سنة رسوله، احملوها على العمل الصالح، لتعرف حقيقتها جوهرها، موقعها، أين كانت ؟ ماذا تفعل هنا ؟ ماذا بعد الموت ؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

عليكم اسم فعل أمر بمعنى الزم، يعني انتبه لنفسك، هي الأصل، يعني المرض بالجسم ينتهي عند الموت، لكن مرض النفس يبدأ عند الموت.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

تتمة الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

من إعجاز القرآن الكريم، أن بعض آياته لها عدة معانٍ في وقت واحد.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

لا تقل: يا أخي الناس هكذا يفعلون، أنا مع الناس، هذا هو الإمعة، الذي يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، وكل إنسان يحتجُّ بالتيار العام، يحتجُّ بقوله: الناس كلهم هكذا، هكذا يكون كسب المال، والتجارة هكذا كما يتاجر الناس، إذا ما غششنا لا نعيش، عندنا أولاد، هذا الذي يقول: أنا مع

الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، هذا إمعة، وطِّنْ نفسك على أن الناس لو أساءوا جميعاً، عليك أن تحسن.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

يعني إذا اهتدى إنسان إلى الله، وعرف الحق ينبغي ألاّ يقلد الناس، الناس في ضلال، في بُعد، في غفلة، في جهل.

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

(سورة الأنعام: 116)

﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)﴾

(سورة سبأ: 13)

هكذا الآيات:

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

إذا عرفت الحق، لو أن الأكثرية كانت مع الباطل، الأكثرية مع أكلِ الربا، الأكثرية مع الاختلاط، الأكثرية مع إطلاق البصر الأكثرية مع كسب المال الحرام، الأكثرية مع التفلت من الدين، الأكثرية مع الانغماس في الشهوات، أنت عليك نفسك، لا يضرك من ضل إذا اهتديت، وهناك معنى آخر للآية، يعني أنت إذا لزمت نفسك وزكيتها، وطهرتها وحملتها على طاعة الله، عندئذٍ لا تستحق المعالجة من الله، عندئذٍ هؤلاء الذين ضلوا لا يستطيعون أن يصلوا إليك.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ ﴾

إذا عُرِف عن الإنسان أنّه مقصر، ومرتكب معاصٍ، وآكل حقوق، معتدٍ على أعراض، مقصّر في واجبات، هؤلاء الضلال أقوياء غالباً، فسيصلون إليه ويؤدبونه، وينالون منه، أما أنت ؛ إذا عرفت الله، وحملت نفسك على طاعته فلا يستطيع هذا الضال أن يضرك.

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

لذلك ورد في أحد الأحاديث الصحيحة، أن إذا رأيت شُحاً مُطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه، فالزم بيتك، وامسك لسانك، وخذ ما تعرف، و دع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة.

ففي القرآن الكريم إعجاز، يتماشى مع كل العصور، ففي عصر النفاق، والفجور، والضلال، في عصر الفتن، في عصر الضلالات.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

عليك مِن نفسك، لا يضرك من ضل إذا اهتديت، أو عليك نفسك، يعني الزم نفسك، عرفها بربها، عرفها بمنهج ربها، احملها على طاعته، زكِّها كي تسمو بها، إن كنت كذلك فلا يستطيع الضال أن يصل إليك، ولا أن ينال منك، ولا أن يؤذيك.

فصارت الآية، إذا كنت في زمنٍ صعبٍ، في زمن القابض على دينه كالقابض على جمر، في زمن يصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفًا، في زمن يُؤمر فيهُ بالمنكر وينهى عن المعروف، في زمن يُكَذَّب الصادق، ويُصَدَّق الكاذب، يُؤتمن الخائن ويُؤَمَّن الخائن.

في هذا الزمن الصعب.

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

يعني لا تحمل همَّ الناس، أنت في زمن صعب فعليك مِن نفسك، عَرِف نفسك بربها، واحملها على طاعته، لا يضرك من ضل، لو أن الناس جميعاً ضلوا، لهم رب يحاسبهم، هذا معنى.

المعنى الثاني عليك نفسك، يعني الزمها، اعتنِ بها، عرفها، احرص على إيمانها، احرص على طاعتها، فإذا سمت نفسك وزكت، عندئذٍ لا يستطيع الضال أن يصل إليك، ولا أن يتسلط عليك، ولا أن ينال منك، ولا أن يضيق عليك، أو أن يفعل معك شيئاً يضرك، لقوله تعالى:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (141)﴾

(سورة النساء: 141)

مستحيل.

فهذه الآية أيها الإخوة لك أن تفهمها على أي وجه، وكلا الوجهين صحيح، وكما قال سيدنا علي كرم الله وجهه: **القرآن حمال أوجه.**

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

أي انتبه لنفسك، وعليك من نفسك، ودع عنك أمر العامة، إذا كنت في زمن الفساد والضلال والفتن والانحراف والفجور والمعصية.

والمعنى الثاني، عليك نفسك أي الزمها، واعتنِ بها، عرِّفها، زكِّها، ارقَ بها، فإذا كانت في هذا المستوى الرفيع عندئذٍ لا يستطيع أحد أن يصل إليك، فأنت في حفظ الله.

إذا كان الله معك فمن عليك وإذا كان عليك فمن معك

***

أيها الإخوة الأكارم ؛ الإنسان ليس بحكيم إذا لم يدارِ مَن لا بد مِن مداراته، فهو مخطئٌ إذًا، يعني لك أخ، لك جار مخلص، لك ابن، لك صهر، هذه خاصة نفسك، لكن أنْ تمسك امرأة سافرة في الطريق، ثم تقول: أنتِ فاسقة، أنتِ فاجرة، فلا تقل ذلك، فيكفيك الإنكارُ بقلبك، وهذا معنى الآية.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

يعني إذا كان الإنسان بإمكانه أن ينكر المنكر بقلبه، فلينكره بقلبه، طبعاً إذا كان لا يستطيع أن ينكره بلسانه.

الله سبحانه وتعالى لا يقبل أن تنكر المنكر بقلبك إذا كنت قادرًا على أن تنكره بلسانك، كما أنه لا يقبل منك أن تنكره بلسانك إذا كنت قادرًا على أن تنكره بيدك، فإذا رأى الإنسان منكرًا، وليس بإمكانه أن يصلحه فليقل: اللهم هذا منكر لا أرضى به، ولا أقوى على تغييره.

إذاً الآية الكريمة:

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

الزموا أنفسكم.

فلماذا إنْ شعَر الواحدُ بذبابةٍ أمام عينه تمشي مع حركة عينه فلا ينام الليل، ثم يراجع طبيب عيون، فحدَّد بله موعدًا بعد ستة أشهر، يقول: أنتظر فهذه عين ليس معها لعب، فلماذا أنت حريص حرصاً لا حدود له على عينك ؟ ولست حريصاً على قلبك.

لذلك ورد في بعض الآثار القدسية:

((أن يا عبدي طهَّرتَ منظرَ الخلق سنين أفلا طهرت منظري ساعة ؟))

تريد مدخل البناية أنيقًا، أخي المدخل غير لائق، ولعله يصادفنا فرح تريد مدخلاً أنيقًا، بيتًا مرتبًا، غرفة ضيوف، غرفة صالون، غرفة طعام، دهان جديد، ورق أحياناً، جبصين.

طهرت منظر الخلق، بيتك، ومركبتك، ولبسك، وأناقتك هذا منظر الخلق.

((عبدي طهَّرتَ منظرَ الخلق سنين أفلا طهرت منظري ساعة ؟))

ما هو منظر الله ؟ القلب لأن الله ينظر إلى قلوبكم، إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، و لكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فصار القلب منظر الرب.

فيا عبدي، عتاب:

((طهَّرتَ منظرَ الخلق سنين أفلا طهرت منظري ساعة ؟))

أتستحيي من ضيف يدخل بيتك غرفة الضيوف، عندما تكون الغرفة غير منتظمة، أو فيها حاجات مبعثرة، أتستحيي من ضيف أن يرى الغرفة على هذا الشكل ؟ ولا تستحيي من الله أن يرى في قلبك غلاً للمؤمنين، أو حسداً، أو كبراً، أمراضًا وبيلة.

إذاً:

((عبدي طهَّرتَ منظرَ الخلق سنين أفلا طهرت منظري ساعة ؟))

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : تفسير سورة الأنعام

الدرس (7-1) : تفسير الآية 42 ، من الفائز ؟

الدرس (7-2) : تفسير الآيات 74-82 ، لماذا يعصي المسلم ربه ؟

الدرس (7-3) : تفسير الآية 110 ، معنى التأويل

الدرس (7-4) : تفسير الآية 113 ، كشف حقيقة الإنسان

الدرس (7-5) : تفسير الآية 151 ، الأمثال لأمر الله سبحانه وتعالى

الدرس (7-6) : تفسير الآية 153 ، الحق واحد والباطل متعدد

الدرس (7-7) : تفسير الآية 36 ، الإستجابة

الدرس (1-7) : تفسير الآية 42 ، من الفائز ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنامحمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الإسراء: 82)

وفي آية أخرى وصف الله كتابه الكريم بأنه شفاء لما في الصدور.

﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) ﴾

(سورة يونس: 57)

معنى هاتين الآيتين، أن الإنسان في الحياة الدنيا، قد يقف أمام ظاهرة محيرة فمثلاً: لو أن امرء ذهب إلى بلاد الغرب، لرأى بلاداً جميلة وأمطاراً غزيرة وأبنية شاهقة وحدائق غناء ودخلاً مرتفعاً، ورأى كل وسائل الرفاء متوافر لدى أي إنسان، ورأى مع ذلك انحرافا خطيراً، زنى، شذوذ، مخدرات، تبادل زوجات، زنى محارم، وهم أقوى وهم الأقوياء، والأغنياء، والمسيطرون على العالم كله، ينشئ عنده سؤال يا رب ؟ ما بال هؤلاء يزدادون قوة وسيطرة واستبدادا للشعوب وهم في أحط دركات الفسق والفجور، أين الله ؟ إذا نشأ هذا التساؤل، هذه مشكلة، قد يختل لها توازن المؤمن، كيف أن القرآن الكريم شفاء لما في الصدور، دققوا في هذه الآية الكريمة في سورة الأنعام الآية الثانية والأربعين قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)﴾

فلما نسوا ما ذكروا به، وذكرناهم و ذكرناهم تارة بالبأساء وتارة بالضراء وتارة بالخوف، فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ، ليس باباً واحداً، ولكن أبواباً، وليس شيئاً واحداً، ولكن أبواب كل شئ، هل من آية أكثر شمولاً واتساعا من هاتين الكلمتين.

يعني... الغنى مع البلاد الخضراء، مع الأمطار الغزيرة، مع الدخل المرتفع،

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

هذا كلام رب العالمين:

﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)﴾

المؤمن أحياناً يختل توازنه حينما يرى كافراً فاجراً فاسقاً منحلاً قوياً مسيطراً ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197)﴾

(سورة آل عمران: 196 – 197)

في آية أخرى يقول الله عز وجل:

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)﴾

(سورة الفجر: 15)

هذه مقولته،

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)﴾

(سورة الفجر)

يقول الله عز وجل،

﴿كَلَّا﴾

(سورة الفجر: 17)

كلا أداة نفي وردع، يعني هذا ليس صحيحاً، هذه مقولتكم هذا وهمكم هذا ظنكم، ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء وحرماني دواء، فإذا أعطى الله عبداً مالاً أو جاهاً أو قوة أو ذكاء أو وسامة، هذه لا قيمة لها، هذا العطاء موقوف على نوع استعماله، فإذا أنفق ماله في طاعة الله، انقلب المال إلى نعمة، وإذا أنفق قوته في نصرة المظلوم، انقلبت القوة إلى نعمة وإذا أنفق ذكائه في الدعوة إلى الله، انقلب ذكائه إلى نعمة، أما إذا أنفق ماله فيما لا يرضي الله صار المال نقمة ليس نعمة، إذا أنفق جاهه فيما يغضب الله صار الجاه نقمة لا نعمة، إذا أعمل فكره اللماح فيما لا يرضي الله، صار هذا الذكاء وبالاً على صاحبه. فالنعمة الحقيقة، هي النعمة التي تنفق فيما ترضي الله.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) ﴾

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

(سورة آل عمران: 196 – 197 . 198)

قارون حينما خرج على قومه في زينته:

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80)﴾

(سورة القصص: 79 . 80)

فأنت أمام مظاهر البذخ والغنى والقوة والسيطرة، أنت كمؤمن ممتحن قد يختل التوازن إذا رأيت أن هذا يزداد قوة ومناعة وسيطرة وهو في أحط الأحوال في الوحول، فلئلا يختل توازنك تأتي هذه الآيات ليطمئنك.

البطولة أن تكون على منهج الله كفاك على عدوك نصراً أنه في معصية الله،

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196)﴾

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)﴾

(سورة آإبراهيم: 42)

فالإنسان كلما رأى مظاهر القوة، مظاهر الغنى، يتمتع بها إنسان، بعيد عن الدين، غارق بالمعاصي والشهوات، لا ينبغي أن يختل التوازن، يقول ما بال هؤلاء المؤمنين، فقراء مستضعفين.

الغنى والفقر بعد العرض على الله.

الإنسان كلما كان إيمانه قوياً يزداد ثقة بوعد الله.

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)﴾

(سورة القصص: 61)

هذه الآيات أسوقها لكم، كي يزداد المؤمن ثقة بربه، لأن الله سبحانه وتعالى إذا رضي عنك فأنت أقوى الناس، وأنت أغنى الناس، وأنت أسعد الناس، أنت المتفوق، وأنت الفائز، وأنت الرابح، وأنت الناجح وأنت الفالح، وأنت الذكي، وأنت العاقل.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (71)﴾

(سورة الأحزاب: 71)

يعني... لما المؤمن يكون على منهج الله تماماً، ويرى أحداً فاقه في الدنيا إذا شعر بالحرمان، فو الله الذي لا إله إلا هو هذا ضعف كبير في إيمانه، من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه الله، أتاك الله القرآن، أتاك الله الحكمة، جعلك على صراط مستقيم، جعلك في خدمة الخلق، ألا يكفي الإنسان أن يقيَم نفسه وفق هذه القاعدة، إذا أردت أن تعرف مقامك فنظر فيما استعملك ما دورك في الحياة، هناك أعمال مربحة جداً، قائمة على أخذ ما في أيدي الناس، أو على إيذاء الناس، أو على تخويف الناس، هذه الأعمال لو درت عليك ألوف الملايين، لا تعبأ بها، اجعلها تحت قدمك، ابحث عن رزق حلال، ابحث عن رزق يرضي الله عز وجل ابحث عن خدمة للخلق، لأن هذه الدنيا زائلة، فهذا شيء أساسي في الدين، إذا رأيت إنساناً قوياً، مسيطراً، يزداد قوة ومناعة، وهو في أحط الدركات، في الوحول، في المعاصي، في الأثام، في الكفر، في الفسق، في الفجور، لا ينبغي أن تقول هذا الله أعطاه، الله ما أعطاه شيئاً، هذا ليس عطاء، العطاء؟! إذا أعطاك الله حظ من حظوظ الدنيا فتستهلكه فيما يرضي الله، هذا هو العطاء.

لا حسد إلا في اثنتين، رجل أتاه الله علماً فهو يعلمه للناس، ورجل أتاه الله مالاً فهو ينفقه في طاعة الله، هؤلاء الشخصين لك أن تغبطهما، أما أن تغبط غنياً على غناه، سوف تسأل عن كل درهم كيف اكتسبته وكيف أنفقته.

يحشر الأغنياء أربعة فرق يوم القيامة...

فريق جمع المال من حرام وأنفقه في حرام، هذا حسابه سريع جداً، يقال خذوه إلى النار.

فريق جمع المال من حرام . عنده ملهى . وأنفقه في حلال، أشترى بيت وأزوج يقال خذوه إلى النار، فيه فقرة حرام لأنه.

فريق جمع المال من حلال . تجارة مشروعة . وأنفقه في حرام، على النوادي الليلية، فيقال خذوه إلى النار.

جمعه من حرام وأنفقه في حرام إلى النار.

جمعه من حلال وأنفقه في حرام إلى النار.

جمعه من حرام وأنفقه في حلال إلى النار.

وفريق جمع المال من حلال وأنفقه في حلال، قال هذا حاسبوه، هذا قفوة فاسألوه، هل تاه بماله على عباد الله، هل نسيَ فرضاً أو واجباً، هل قال جيرانه يا رب لقد أغنيته بين أظهرنا فقصر في حقنا.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((فما زال يسأل ويسأل، تركهم يسألونه، وأمامه حساب طويل، حتى ما من ميت إلا وروحه ترفرف فوق النعش تقول: يا أهلي يا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال مما حل وحرم فأنفقته في حله وفي غير حله فالهناء لكم والتبعية عليَ.))

فيا أيها الأخوة الكرام:

العبرة أن تكون في طاعة الله

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

(سورة الحجرات: 13)

العبرة أن تكون على منهج الله، العبرة أن تكون فيما يرضي الله.

الإمام الجنيد سئل من هو الولي ؟! أهو الذي يطير في الهواء، قال: **لا**، قالوا أهو الذي يمشي على سطح الماء قال: **لا**، قال **الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام**، البطولة أن يجدك الله حيث أمرك وأن يفتقدك حيث نهاك، هذا الولي.

فالإنسان أيام يتألم لخلل مقايسه، إذا مقايسه فيها خلل يتألم، أما إذا كانت مقايسه طاعة الله عز وجل، وأن الآخرة هي الدار الحقيقية، وأن الجنة هي المغنم الكبير، وأن الله سبحانه وتعالى سميع بصير، وعليم بأحوال عبده.

لذلك يقول الله عز وجل:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (220)﴾

(سورة الشعراء: 213 . 214 . 215 . 216 . 217 . 218 . 219 . 220)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-7) : تفسير الآيات 74-82 ، لماذا يعصي المسلم ربه ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

قد يسأل أحد هذا السؤال، لماذا يعصي المسلم ربه ؟ مع أن الأوامر معروفة، الحلال بين، والحرام بين، ولا جهل في بلد الإسلام، ما من مسلم إلا ويحضر ميئات الخطب، فالحلال بين، والحرام بين، فلماذا يعصي المسلم ربه ؟ أغلب الظن أن الإنسان حينما لا يعرف الله عز وجل، و يعرف أمره لا يطبق أمره. فهناك فرق كبير بين معرفة الله، ومعرفة أمره...

معرفة الأمر يحتاج إلى مدارسة، أي إنسان في رأسه عقل يقرأ كتب الفقه، فيعرف أن هذا حلال وهذا حرام، وهذا واجب، وهذا مباح، وهذا مكروه، وهذا مندوب، وهذا مكروه كراهة تحريمية، وذاك مكروه كراهة تنزيهية. لكن لماذا لا يطبق المسلم أمر الله عز وجل ؟ لأنه في حياته نقص في عبادة فريدة قلما يلتفتوا المسلمون إليها، إنها عبادة التفكر.

هو يعرف الأمر ولا يعرف الآمر، يعرف الحكم الشرعي، ولا يعرف الذي أنزل هذا الحكم الشرعي.

إليكم هذه القصة من سورة الأنعام، تبين عبادة التفكر، وقبل أن نمهد لهذه القصة، لو أن جندياً في قطعة عسكرية تلقى أمراً من عريف سبعة، قد لا يعبأ بهذا الأمر، كلما علت الرتبة اهتم بالأمر.

فحينما لا تهتم بأمر الله، فهذا دليل أنك لا تعرفه، عليك أن تتعرف إلى الله، فإذا عرفت عظمة الله عز وجل، وعرفت ما عنده من إكرام إذا أطعته، وعرفت ما عنده من عقاب إذا عصيته، عندئذٍ تبادر إلى أمره، إذاً قيمة الأمر من قيمة الآمر.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾

﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾

سيدنا إبراهيم نظر إلى هذه الأصنام، أيعقل أن أنحت حجراً بيدي وأنزع الأزميل عن رأسه ثم أقف بين يده متأدباً !

في بعض القبائل كانت تعبد رباً من تمر، فلما جاعت أكلته، فقالوا أكلت ودٌ ربها، بعضهم رأى ثعباناً يبول على رأس صنم،

قال:

أربٌ يبول الثعلبان برأسه   قد ضل من بالت عليه الثعالب

***

سيدنا إبراهيم، قطعة حجر منحوته نعبدها:

﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75)﴾

يعني أن الإنسان، إذا طلب الحقيقة صادقاً أراه الله إياها، إذا طلبت الحقيقة بصدق أراك الله إياها.

قال:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً﴾

كوكب متألق.

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾

معقول صنم من حجر، نحته الإنسان يعبده من دون الله.

فلما:

﴿رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ (76)﴾

مادام هذا النجم أفل، من يرع الكون في غيبته؟ إذاً ليس رباً.

ما معنى ذلك ؟ هناك نشاط فكري، هناك سؤال، طرح فرضية امتحان فرضية.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾

أكبر هذا.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾

شعر أن هذا كله يأفل ويذهب، هذا كله مخلوقات.

﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)﴾

هذه المحاكمة الفكرية، ينبغي أن يجريها المسلم، ينبغي أن يبني إيمانه على النظر، وعلى بحث، وعلى درس، وعلى سؤال، وعلى جواب، وعلى تفكر.

لأنه كلما عرفت الآمر، انطلقت إلى تنفيذ أمره، وكلما ضعفت قيمة الآمر عندك، حاولت أن تتفلت من أمره.

يقول الله عز وجل: على لسان سيدنا إبراهيم:

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴾

هؤلاء الأصنام الأقوياء الأشرار، هؤلاء لا أخافهم:

﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً﴾

هذه القوى الشريرة، هذه لو سمح الله لها تصل إليك، هذا موقف المسلم، قد يجد إنسان شرير، إنسان مخيف، نام في البرية في أفعى، في عقرب، في حيوانات مفترسة، في أمراض وبيلة، في جراثيم، في فيروسات، الحياة كلها أخطار، هذه الأخطار بيد الله لأن الله عز وجل يقول:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)﴾

(سورة الزمر:62)

بيده الخلق والأمر قال:

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً﴾

إلا إذا أذن الله أن يصل هؤلاء إليَ.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81)﴾

إخوانا الكرام:

نعمة الأمن لا تعدلها نعمة على الإطلاق، وهذه النعمة لا يعرفها إلا المؤمن حصراً، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون، جاء الجواب، الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

إذا أردت أن تنعم بنعمة الأمن، وهذه النعمة والله يفتقر إليها الأقوياء والأغنياء والأثرياء والمتسلطون والجبابرة لأن الله عز وجل يقول:

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾

(سورة آل عمران: 151)

لمجرد أن تشرك يقذف الله في قلب الإنسان الرعب.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213)﴾

(سورة الشعراء: 231)

إذاً نعمة الأمن، الأمن بالمناسبة ليس ألا تقع مصيبة، لا ! هذه السلامة، هذه السلامة، نعمة الأمن ألا تتوقع المصيبة، وفرق كبير بين عدم وقوع مصيبة وبين عدم توقعها، لأنك من خوف الفقر في فقر وأنت من خوف المرض في مرض، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها وهذا الذي يخاف المرض الخبيث والأزمة القلبية، الآن في أمراض قلب سببها، قد تستغربون، أمراض قلب وبيلة، سببها الخوف من أمراض القلب، الخوف من أمراض القلب يسبب مرضاً في القلب، قلق، هناك أمراض خبيثة، سببها الخوف من الأمراض الخبيثة، الخوف والقلق يضعف جهاز المناعة لدى الإنسان، وإذا ضعف جهاز المناعة نمى، نمت الخلايا نمواً عشوائياً فكان المرض الخبيث.

لذلك نعمة الأمن أعظم نعمة يتمتع بها المؤمن، أمره كله بيد الله، والله يرى ويسمع وقدير وعليم وغني وعادل ورحيم وقدير ولطيف لا يحتاج إلى قسم ولا إلى بيان ولا إلى وثيقة ولا إلى شهود هو يعلم.

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً (31)﴾

(سورة الفرقان: 31)

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)﴾

(سورة آل عمران: 173)

يقول الله عز وجل:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81)﴾

جاء الجواب:

﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾

إخوانا الكرام:

ربنا عز وجل تعامله مع الناس واضح جداً، أتريد نعمة الأمن، عال، ثمنها واضح، ثمنها أن تؤمن وأن لا تظلم، لا زوجة، ولا ولد ولا جار، ولا زبون أبداً، كن منصفاً في كل شيء، إياك أن تظلم، آمن ولا تظلم، تنال نعمة الأمن.

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾

هذه الآيات، الإنسان لابد له من تفكراً في خلق السماوات والأرض، لابد له من وقفت من حين إلى آخر، قد تكون هذه الوقفة بعد صلاة الفجر، في ساعة تأمل، في وقت فراغ، بتركب سيارة، جالس بالبيت وحدك، فكر في نعمة الطعام والشراب، نعمة الأمن، نعمة الأولاد، في هذه العين، في هذا اللسان، في هذا الشعر، كلما تفكرت في ملكوت السماوات والأرض ازداد حجم معرفتك بالله، وكلما ازداد حجم معرفتك بالله، ازدادت خشيتك له.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

(سورة فاطر: 28)

أريتم أيها الأخوة لماذا يعصي المسلم ربه ؟ لأنه يعرف الأمر، ولا يعرف الآمر، لأنه فكر في الحكم الشرعي ولم يفكر في ملكوت السماوات والأرض.

إذاً في هذه الآيات من سورة الأنعام والتي تبدأ بالآية الرابعة والسبعين، في هذه الآيات إشارة إلى عبادة التفكر التي هي من دون شك أرقى العبادات.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)﴾

(سورة القدر: 2 . 3)

يعني ألف شهر ثمانين عام، ثمانون عاماً تعبد الله صائماً ومصلياً، قائماً، منفقاً، حاجاً، معتمراً، لحظة تفكر في ملكوت السماوات والأرض يزداد حجم معرفتك بالله عز وجل، هذه اللحظة خير من ألف شهر.

قال تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ﴾

(سورة الزمر: 67)

لما الإنسان بكون جندي أمام لواء، يقول له ازحاف عالزاي بكون انبطح، عالزاي، قبل أن تأتي الحروف البقية، أما إذا قال له عريف ما برد عليه.

هي القاعدة قيمة الأمر من قيمة الآمر.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

فالإنسان يشرب كأس ماء يفكر فيه، أكل رغيف خبز يفكر فيه، كأس حليب يفكر فيه، أو ابنه أمامه، يعرف أنه كان نقطة ماء . ثلاث مائة مليون حوين يقذفها الرجل باللقاء الزوجي من حوين واحد مع بويضة واحدة، مع عشر آلاف انقسام بالطريق إلى الرحم، ثم تغرز هذه البويضة بالرحم، ويتشكل الدماغ والعمود الفقري واللحم كيف صار هذا الطفل ؟ يأكل، ويشرب، ويبكي ويضحك ويتثاءب ويعطس، ويطلب، ويتكلم.

ابنك آية من الآيات الله الدالة على عظمة الله، ما بتعرف شوفي بجسمك، أخونا القصاب عنده اللحم، الله جعل الخروف مثل الإنسان شوف الكبد، شوف الكليتين، شوف المسالقة، شوف الأمعاء العضلات العظام، الأربطة، إذا واحد وقف عند قصاب، بيعرف كل شي عن جسم الإنسان، لحكمة بالغة جعل طعامك اليومي من حيوان مشكل وفق تشكيل الإنسان، في جمجمة، في دماغ، في أعصاب، في أورده، وفي شرايين، وفي قلب.

أنا مرة ابني جاب قلب للبيت، قلب خروف، قبل أن نأكله، شرحناه هذا الدسام، الأوردة، البطين، الأذين، شيء عظيم جداً.

فكل معرفتك بالله ازدادت، تزداد الخشية.

فآيات اليوم دعوة للتفكر في خلق السماوات والأرض، ليزداد حجم معرفتك بالله، وبالتالي لتزداد خشيتك له.

والشيء الثاني الأمن أعظم نعمة على الإطلاق، ثمنها الإيمان وعدم الظلم، الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون، والأمن ليس عدم وقوع المصيبة، بل هو عدم توقع المصيبة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-7) : تفسير الآية 110 ، معنى التأويل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الحادية عشر بعد المائة من سورة الأنعام وهي قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111)﴾

القرآن الكريم: أيها الأخوة، معظم آياته محكمة، معنى محكمة يعني واضحة، لا تحتاج إلى تفسير، يفهمها كل من ينطق بالعربية، مثلاً إن الله يحب الصادقين، فسر، كالشمس في رابعة النهار.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً (36)﴾

(سورة النساء:36)

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً (103)﴾

(سورة النساء: 103)

أكثر آيات القرآن الكريم، محكمة، بل إن معظم الآيات الكريمة المتعلقة بالفرائض، وأصول الشريعة، محكمة.

لكن بعض الآيات متشابهة، معنى متشابهة تحتاج إلى تأويل.

أما التأويل سأوضحه لكم، بقصة تروى عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يروى أن أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان عند سيدنا عمر رضي الله عنه، فقال والله يا أمير المؤمنين: **إني أصلي بغير وضوء، وأفر من رحمة الله، وأكره اليقين، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء**، هذه كلها كلمات كفر.

سيدنا علي رضي الله عنه، أوتي فهماً دقيقاً.

قال يا أمير المؤمنين: **لا تعجل عليه، إنه يصلي على النبي بغير وضوء، ويفر من المطر، وهي رحمة السماء، ويكره اليقين وهو الموت ليزداد عمله الصالح، وله زوجة وولد ما ليس لله في السماء.**

فأحياناً النص يحتاج إلى تأويل، التأويل غير التفسير، إذا ورد في النص شيء غير معقول، لابد من تأويله، حتى يتوافق مع المعقول.

بعض الآيات متشابهة، الإنسان ماله حق يرفض المعنى، أو المعنى يجعله ارتباك، أو افتراض، أو سوء ظن بالله، ربنا عز وجل قال:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

(سورة يونس: 39)

لو جاء تأويله لما كذبوا به، في آية أخرى.

يقول الله عز وجل:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7)﴾

(سورة الأنبياء:7)

في آية ثانية،

﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً (59) ﴾

(سورة الفرقان: 59)

هذه الآية لعلها من المتشابهات.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ نزل سيدنا جبريل، مو لسيدنا محمد لكل مؤمن، قال له أنا جبريل: وأنا جئتك من عند الله، والجنة حق والنار حق، وإلخ...

لو أن أحدنا لقى سيدنا جبريل، وسمع من فمه أن هذا القرآن حق وأن الجنة حق، وأن النار حق.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾

بعد ما دفنا فلان، طرق الباب جاء بذاته، أنا كنت بالجنة وراجع أو كنت بجهنم وراجع، انتبهوا في أوضح من هذا دلالة، يعني ميت يرجع يحكي لنا شو صار معه.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾

المعجزات، النبي الكريم قال للجبال: **تنحي بعيداً راحت الجبال**، ممكن ! الله على كل شيء قدير. لكن مع كل هذه المعجزات قال:

﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

يعني هل يفهم من هذا أن الله سبحانه وتعالى ما شاء لهم الهداية طيب لماذا خلقهم إذاً ؟

ألم يقل الله عز وجل:

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(سورة هود: 119)

ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

(سورة الذاريات: 56)

هذه الآية أيها الأخوة: دقيقة جداً، يعني الإنسان إذا طلب الهدى بخرق العادات فهو واهم، الكون بحد ذاته بوضعه الراهن بدون أن تخرق عاداته أكبر معجزة، ابنك أليس معجزة، باللقاء الزوجي ثلاثمائة مليون حوين وفي قول خمسمائة مليون، والبويضة تحتاج إلى حوين واحد، فيه رأس، وعنق، وذيل، ومادة نبيلة مغطاة بغشاء رقيق فإذا وصل هذا الحوين القوي إلى البويضة وأرتطم بها تمزق الغشاء فساهم هذا السائل النبيل بحفر جدار البويضة ليدخل هذا الحوين وهذا الحوين فيه خمسة آلاف مليون معلومة، الواحد، والبويضة فيها خمسة آلاف معلومة، وبيتحدوا وينقسموا عشرة آلاف قسم، والبويضة في طريقها إلى الرحم، دون أن يزداد الحجم، لئلا تتعرقل الحركة، ثم تغرس هذه البويضة في جدار الرحم، وتأتي الأغذية، وبعد تسعة أشهر طفل، دماغ، أعصاب، أعصاب العين تسعمائة ألف عصب إذاً الإنسان مسك جمجمة، بلاقي فيها ثقب، هذا الثقب هو عرض أو قطر العصب البصري، تسعمائة عصب، لكل عصب ثلاث أغماد أغلفة، قطر هذه الأعصاب كلها واحد ميلي ونصف، أليس هذا معجزة خلق الإنسان معجزة، طعامه معجزة، والنبات مو معجزة ؟ يعني النبات هي الروشين كائن حي، روشين، سويق وجذير ومحفظة غذاء على الرطوبة ينموا، هذه البزرة تشكل شجرة، والشجرة ثمار وكل ثمرة فيها ملايين البزور، أليست هذه معجزة ؟ النبات أليس معجزة ؟ بدك ليفة نبات، بدك خلة نبات، بدك مسواك نبات، أسبغة نبات، بدك خشب أساس نبات، بدك تآكل نبات، بدك كوشك نبات، بدك فلين نبات.

الله قال:

﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾

(سورة الأنعام: 99)

فلما الإنسان يتعامى عن هذه الآيات الصارخة الدالة على عظمة الله، ويطلب خرق للقوانين، بدو الملك يحاكي بريد الميت يحاكي.

قال:

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

إلا أن يسلكوا الطريقة التي رسمها الله.

يعني أوضح مثل، لو تقرأ كل المجلات الطبية، طبيبك، إلى آخره ما بتصير طبيب، لو بتعمل كل ثلاثاء سهرة مع خمس أطباء، ما بتصير طبيب، ممكن تعمل ألف قضية لها علاقة بالطب، بس ما بتصير طبيب، إلا أن تدخل كلية الطب، بمجموع عالي بتعمل خمس سنوات أو سبع سنوات، بتعمل اختصاص، الآن بتصير طبيب، بتقرأ مجلات طبية بتم غير طبيب، بتسهر مع أطباء، بدك خرق عادات بدك كرامات، بدك الملائكة يحكو لك، بدك ميت يحاكيك.

قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

إلا أن يسلكوا الطريق التي رسمها الله.

الله عز وجل قال:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة الأنعام: 190 ـ 191)

بتفكر بالكون كما أمرك الله، تدبر القرآن كما أمرك الله، تنظر في أفعال الله في الحوادث كما أمرك الله، تتعلم منهج الله عز وجل تطبقه، هذا هو الطريق الذي رسمه الله لك.

أما بدك كرامات، بدك خزعبلات، بدك شطحات، بتريد يعني خرق للعادات، هذه كلها لا تجعلك مؤمناً، ولن تؤمن بها، إن لم تؤمن بالكون بوضعه الراهن المعجز، لا تؤمن بخرق القوانين.

بالله عليكم ثمود ألم يروا الجبل قد شق وخرجت منه الناقة، ومع ذلك عقروها.

طيب بنو إسرائيل ألم يروا موسى علية السلام، ضرب بعصاه البحر فإذا هو طريق سالك، وساروا فيه، وتبعهم فرعون وعاد البحر بحراً بعد أن خرجوا منه، فلما رأوا أناس يعكفون على أصنام لهم، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، خرق هذه العادة أثر فيهم ما أثر فيهم شي.

طيب قوم إبراهيم ألم يروا أن النار لم تحرقه، الله أطلعنا عشرات المعجزات الخارقة وقعت ولم يؤمن بها أصحابها، لأن الإنسان إذا ما آمن بالكون بوضعه الراهن لن يؤمن بخرق قوانينه.

النقطة دقيقة كون علمي، يعني، لا تكون طوبائي، لا تكون حالم، لا تكون خيالي لا تشوف الدين كرامات، أعظم كرامة كرامة العلم، إذا الله علمك هذه أعظم كرامة.

بتلاقي بيتعلقوا الناس، أنه فلان يعني فات للمحل قاموا الزبائن كثروا فات واحد فقسة البيعة، تفقس البيعة ما لها علاقة، النبي هكذا علمنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي ابنه إبراهيم، يعني الله عز وجل أراد أن يكون ذلك، الشمس كسفت، فأصحاب النبي قالوا إنما كسفت لموته، شوف البساطة شوف الفكر العلمي، شوف الوضوح.

قال: إن الشمس والقمر آيتان لا ينبغي أن تنكسفا لموت واحد من خلقه مالها علاقة، فالإيمان علم.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

(سورة فاطر: 28)

لا تطلب الكرمات، ولا خرق العادات، ولا الشطحات، تتعلق بأشياء موهومة.

قال لي مرة واحد، قال لي فلان ولي عظيم، قلت له أنعم وأكرم، قال لي بالحج ما طاف حول الكعبة، لكن ماذا أفعل، قال هي طافت حوله ما شاء الله، شي يطير العقل.

واحد ثاني تلميذ لعالم صوفي، والله أنا أقطاب الصوفين أنا أحترمهم وأجلهم والله، لكن في بعدين صار في دجل كبير، له تلميذ جاء شخص قريب للتلميذ يتفقده، قال له وين فلان في ماء بالأرض من شدة حبه لهذا وذاك، هي صفي شوية مي بالأرض، كأس ماء، هذا هو فلان، فلان ثمانين كيلو وزنه هذا هو، فلان، هذه وارده في كتب التصوف لا تتعلق بالأوهام، بالخرافات، والشطحات، والطوبائيات، والمنامات وخرق العادات.

﴿لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

يعني إلا أن يسلكوا الطريق التي رسمها الله، أوضح مثل تبع الطب بتقرأ كل مجلات الطب، بتسكن جنب مستشفى، بتصاحب الأطباء بتعيش بأجواء الأطباء، لا تكون طبيباً، إلا أن تسلك الطريق التي رسمتها الدولة لتكون طبيباً مثلاً يعني.

كذلك الله عز وجل قال لك: لا تعرفني ألا بهذه الطريقة، الكون يدل عليّ وهذا كلامي، وهذه أفعالي، لك أن تعرفني من خلال خلقي ومن خلال كلامي، ومن خلال أفعالي، وهذا منهجي طبقه فأنت ولي.

كثير عند الناس كلمة ولي مهزوزة، الله عز وجل عرف الولي، غريب، معقول إنسان يترك تعريف الله، ويلحق تعريفات معقدة.

الله عز وجل قال:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

(سورة يونس: 62 ـ 63)

فكل إنسان تعرف إلى الله، وطبق أمره فهو ولي.

ويمكن تشوف واحد لابس قميص وبنطلون، بس صادق ما بيكذب مستقيم في بيعه وشرائه هذا ولي، قد تجد امرأة في بيتها ترعى زوجها ترعى حق أولادها، محجبة مهتمة في شؤون بيتها، لاتفوتها صلاة، هذه وليه هذه، ليس شرط الولي يكون ثيابه مبتذلة، وطرف قصور عقلي ليكون ولي، بالعكس.

المؤمن كيس، فطن، حذر، المؤمن شخصية فذة يعني تشده بعقله عقله راجح، وبأخلاقه وبأذواقه، مذوق. **أصلحوا رحالكم وحسنوا لباسكم حتى تكونوا شامة بين الناس.**

كان عليه الصلاة والسلام، إذا مشى يعرف بريح المسك، بيتعطر بيتنظف، شعره مرجل، ثيابه أنيقة، نظيفة، هذا المؤمن، المؤمن سفير الإسلام، في دولة بتختار سفير عفش ! عفايشي، يعني أنيق ومثقف، بعض الدول ثلاث شهادات بكون معه، علوم، وآداب وحقوق، ثلاث ليسانسات، ليصير سفير، وكمان شروط إقامته وذكائه، وسرعت بديهته، بوسامته، بأناقته، لكن، عما يمثل دولة.

والمسلم يمثل الدين.

لذلك أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلي.

إذاً الإيمان يتم، بتفكر في خلق السماوات والأرض، دون أن تخرق العادات، يتم بمعرفة منهج الله، يتم في فهم القرآن، يتم في النظر في أفعال الله.

فأنت إذا عرفت الله وطبقت منهجه، فأنت ولي، وهذه الطريقة التي رسمها الله لك.

أما خرق العادات، قال له سيدي خذني على الحج، قال له روح، قال له لا بدي دفشة منك، ففي شيخ الله مآتي فطنة، قال له تعال على التكية، جابوا على التكية، ووقفه على البحرة، وحلفه بالطلاق ما بيحكي شو بيصير معه، ودفشه بالبحرة، قال له روح على الحج، شو هي شطحة، شو روح على الحج.

عصر علم إذا الإنسان تحدث بهذه الشطحات بهز مركز الدين بين الناس.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

هذه معنى الآية، ليس معنى الله ما ساق الهدى، لا بالعكس، يفهم منها أول وهلة، أن الله لا يريد أن يهدي أحد، لا.

﴿لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾

بهذا الطريق، الطريق مسدود.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

إلا أن يسلكوا الطريقة التي رسمها الله.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-7) : تفسير الآية 113 ، كشف حقيقة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الحياة الدنيا دار ابتلاء لا دار استواء :

أيها الأخوة الكرام ؛ الآية الثالثة عشرة بعد المئة من سورة الأنعام وهي قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾

[سورة الأنعام : 112-113]



هذه الآية أيها الأخوة ؛ تحل مشكلات عديدة ، كلكم يعلم أن في الأرض مذاهب وضعية ، مذاهب ما أنزل الله بها من سلطان ، مذاهب قد بنيت على أنه لا إله ، وهذه المذاهب لها كتب ، ولها مؤلفات ، ولها دعاة ، ولها قوى تحميها . فربنا سبحانه وتعالى لماذا سمح لهؤلاء أن يعرضوا هذه الأفكار المضلة الضالة ؟ أليس بيد الله كل شيء ؟ يقول الله عز وجل - وهذا من سنته في خلقه - :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً ﴾

[سورة الأنعام : 112]

لولا العدو لما ارتقى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما ظهر جهاده ، ولما ظهر فضله ، الإنسان من دون خصومات ، من دون معارضات ، لا يرقى ، أي لا يسعى ، لا يُمتن، لا يظهر فضله .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً ﴾

[سورة الأنعام : 112]

يروى أن في المناجاة التي جرت بين سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، وبين الله عز وجل ، سيدنا موسى كليم الله هكذا تروي الكتب ، لا ندري مبلغ هذا من الصحة ، لكن له مغزى قال : يا ربي لا تبقي لي عدواً ، قال : يا موسى هذه ليست لي :

﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾

[سورة البقرة : 98]

طبيعة الحياة حلبة صراع بين الحق والباطل ، بالصراع يرقى المؤمن ، وتقام الحجة على الكافر . طبيعة الحياة دار ابتلاء لا دار استواء ، لا دار تشريف ، دار تكليف ، هذه حقيقة الحياة .

الحكمة من أن يكون لكلّ نبي عدو :

الله سبحانه وتعالى كان من الممكن أن يبعث النبي عليه الصلاة والسلام في بلدة كلها مؤمنون ، لا يوجد غير سيدنا الصديق ، وسيدنا عمر ، وسيدنا عثمان ، وسيدنا علي ، وسيدنا طلحة ، و الزبير ، أحباب وأصحاب وإخوان ، لا يوجد مشكلة ، لا يوجد بدر ، ولا أحد، ولا الخندق ، ولا يوجد يهود ، ولا يوجد شيء ، لماذا ؟

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

[سورة الأنعام : 112]

الإنسان بالعدو يجتهد ، بالعدو يرقى ، بالعدو يظهر صدقه ، بالعدو يظهر ثباته ، بالعدو يقيم الحجة عليه ، بالعدو لعله يهديه إلى الله . لو تأملنا في الحكم التي وراء أن يكون لكل نبي عدو ، لوجدنا العجب العجاب ، هذه نقطة .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

[سورة الأنعام : 112]

خصائص التقديم في القرآن الكريم :

التقديم في القرآن له خصائص ، ما قدم الله شياطين الإنس على شياطين الجن ، إلا لأن شياطين الإنس أخطر من شياطين الجن ، إنسان لطيف ، يحمل شهادة عالية ، لبق ، أفكاره كلها إلحادية ، أفكاره إباحية ، أفكاره دنيوية ، هذا بجلسة يدعوك إلى غداء ، يلاطفك يؤنسك ، تفضل ، ثم يقول لك : حتى الآن أنت قابض الدين ؟ أين عقلك ؟ هذا أخطر من الشيطان .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

[سورة الأنعام : 112]

ما قدم الله شياطين الأنس على شياطين الجن إلا لأنهم أخطر .

الآن مثلا ربنا عز وجل قال :

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾

[سورة النساء :76]

وقال :

﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾

[سورة يوسف : 28]

المرأة كيدها أشدّ من كيد الشيطان ، لأنه ليس لك عند الشيطان حاجة ، لكن لك عند هذه المرأة حاجة ، فإذا استغلت حاجتها لك ، ودعتك إلى معصيةٍ ، أو إلى مخالفةٍ ، فقد كانت عدوةً لك . إذاً :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

[سورة الأنعام : 112]

دققوا في الباطل :

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾

[سورة الأنعام : 112]

كلام منمق ، كلام محبب أحياناً ، قد يكون هناك أدلة واهية ، أمثلة ، لقطات ، أسلوب أدبي ، عرض شيق ، هذا معنى .

﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾

[سورة الأنعام : 112]

توظيف الشر للخير المطلق :

أما الحكمة فالله عز وجل دائماً وأبداً يوظف الشر للخير المطلق ، الشر شر ، لكن هو شر نسبي ، بمعنى أن صاحبه أراد الشر ، لكن الله سبحانه وتعالى يوظف هذا الشر ، للخير المطلق ، كيف ؟ الظالم سوط الله، الظلم شر ، ينتقم به ثم ينتقم منه .

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾

[سورة الأنعام : 129]

إنسان أراد أن يسرق ، هذا شر ، لكن الله سبحانه وتعالى يسوقه إلى من ماله حرام، فالله أخرج لهذا الإنسان شهوته الشريرة وأدّب هذا الذي كسب مالاً حراماً في وقت واحد .

الشر المطلق ليس له وجود ، هناك شر نسبي ، الشر النسبي في نفوس أصحاب الشر ، لكن شرهم يوظف للخير ، فهذا الباطل ، الإلحاد ، النظرية الوجودية ، نظرية دارون مثلاً ، أفكار فرويد ، أفكار هؤلاء الطغاة ، الذين قلبوا المفاهيم ، فرويد جعل الإنسان كتلة جنس وإنسان آخر جعل الإنسان مادة فقط ، لا شيء غير المادة ، وإنسان جعل اللذة هي كل شيء ، وإنسان رأى أنه ليس لهذا الكون إله ، هذه النظريات الهدامة .

المؤمن محصن لا يتأثر بالباطل :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾

[سورة الأنعام : 112]



أخواننا الكرام ؛ أوضح ما يفسر هذه الآية . إنسان يعطى لقاح مثلاً ، كوليرا ، ما هو لقاح الكوليرا ؟ هي جراثيم الكوليرا ، حينما ندخل هذه الجراثيم إلى الجسم ، عندنا جهاز مناعة ، جهاز المناعة هائل جداً ، مؤلف من ثلاثة أقسام : قسم استطلاعي . . . قسم مخبري . . قسم مقاتل . . . فعندما يدخل جرثوم الكوليرا إلى الجسم ، الاستطلاع يكشف حقيقة هذا الجرثوم ، ويأتي إلى المراكز ، ليبلغ عن ترتيب هذا الجرثوم ، المراكز اللمفاوية في الجسم تُصنع المصل المضاد لهذا الجرثوم ، الآن عندنا عنصر مقاتل ، يحمل هذه الأسلحة ويمضي بها إلى هذا الجرثوم ويحاصره ، ما الذي حصل ؟ صار هناك مناعة عند الإنسان ، مناعة أي أَدَرب على مواجهة الهجمة الشرسة لهذا الجرثوم .

وهذا الذي يكون تماماً حينما تطرح نظرية هدامة ، فكر منحرف ، فكر علماني ، نظرية أساسها المادة ، نظرية أساسها المصلحة ، نظرية أساسها اللذة ، نظرية أساسها اللحظة الراهنة . قال : هذه لقاحات . . .

فالمؤمن يسارع إلى أن يرد عليها ، فيرقى عند الله ، وغير المؤمن يقع في حيرة ، فيسأل ، فيأتي الجواب ، والذي في نفسه مرض يقبلها ، ينطلق إلى شهواته ، لذلك ربنا سبحانه وتعالى يسرع له بالمعالجة ، وقد تقام الحجة على من ابتدعها فيتوب إلى الله ، أي الذي نراه شراً هو في الحقيقة خير .

حديث الإفك مثلاً ، جاء في بالي هذا المثل ، أليس الحديث عن السيدة عائشة عمل خطير جداً وعمل شرير ؟ قال :

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[سورة النور : 11]

له مؤديات ، ظهر كمال النبي صلى الله عليه وسلم ، ظهرت قيمة الوحي ، تأخر الوحي في تبرئة السيدة عائشة شهراً ، لو أن الوحي شيء من فعل النبي لأتى بآية بعد ساعة ، وبرّأ السيدة عائشة . بقي النبي ينتظر شهراً ، ليس في إمكانه أن يبرئها ، ولا أن يثبت الشيء ، ظهر الوحي كياناً مستقلاً عن النبي عليه الصلاة والسلام ، والصحابة امتحنوا ، بعضهم ظن في نفسه خيراً ، بعضهم انزلق ، بعضهم روج ، فلذلك الذي تراه في الحياة محض شر ، الحقيقة شر نسبي ، هو فعلاً ظاهره شر ، لكن حقيقته قد يكون فيه خير .

أحياناً الإنسان تكون هذه النقطة مرتاحاً منها ، يقرأ كتاباً يجد فيه شبهة ، يخطئ ، يسأل عالماً ، يسأل عالماً ثانياً ، يسير لطلب العلم ، ينضم لمجالس العلم ، يرتقي ، لولا هذه الشبهة التي ألقيت لما انطلق هذا المؤمن لمعرفة الله ، ولما انطلق إلى متابعة الحق . لذلك ربنا عز وجل قال :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾

[سورة الأنعام : 112]

أي هناك حكمة بالغة .

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ﴾

[سورة الأنعام : 112-113]

إذاً لا يصغي للباطل إلا من كفر بالآخرة ، لا يتأثر بالباطل إلا من أراد الدنيا فقط، لا يقنع بالنظريات الهدامة إلا من أراد الشهوة ، المؤمن لا يتأثر ، المؤمن محصن لا يتأثر بالباطل .

تعلق إرادة الله بالحكمة المطلقة :

لذلك :

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ﴾

[سورة الأنعام : 113]

في نفسه شهوة ، هذه الشهوة . يجيب وبعدها يعالجه الله عز وجل ، كل هذه الخيرات من هذا الشيء ، أحياناً تأتي ذبابة على محصول القطن ، محصول القطن هذا يعيش منه خمسة آلاف إنسان ، يأتي المهندس يبحث عن مضاد حيوي ، يسافر ، يتحرك ، شغل الناس ، فالظاهر ذبابة ، أما الحقيقة فصار هذا باباً للرزق ، رب ضارة نافعة . أيضاً هذه النظريات الهدامة إذا رأيتها تنتشر ، لا يوجد إنسان يضر إنساناً ، لكن لا يستجيب لها إلا ضعاف النفوس ، وهؤلاء يستجيبون لها ثم يعالجون من قبل الله عز وجل ، فالعالم يرد ، والمؤمن يسأل ، والضعيف يتردد ، تكون حافزاً له على مزيد من الإيمان .

قالوا مثلاً : إنسان عاق الوالدين ، جاء إنسان سبّ له أبوه ، قامت الحمية في نفسه وردّ عليه ، صار باراً بوالديه ، لولا هذا الاستفزاز لما كان باراً بوالديه ، كان هو عاق الوالدين . أحياناً يسافر الإنسان إلى أوربا و يكون ضعيف الدين ، يتهمون دينه الإسلامي اتهامات خطيرة جداً، تنشأ عنده نخوة إسلامية ، يقرأ يرد يسأل يصبح مؤمناً ، لولا هذه التهمة الطارئة لما سارع إلى الإيمان . إذاً نهاية الدرس : كل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع ، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، والدليل :

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾

[سورة آل عمران: 26]

ما قال والشر .

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة آل عمران: 26]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-7) : تفسير الآية 151 ، الأمثال لأمر الله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

في القرآن الكريم: آياتٌ كونية، وفي القرآن الكريم، أوامر ونواهي ووعدٌ ووعيد، ووصفٌ للجنة، ووصفٌ للنار.

أحد أبرز آيات القرآن الكريم، آيات الأمر والنهي، وقد سئل الإمام الجنيد رحمه الله تعالى، من ولي الله ؟ أهو الذي يطير في الهواء ؟ قال لا، قال أهو الذي يمشي على وجه الماء، قال لا، قال **الولي كل الولي أن يجدك حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك.**

لذلك من أدق تعاريف الأولياء، تعريف قرآني.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)﴾

(سورة يونس: 62 ـ 63)

فأنت حينما تتقي أن تعصي الله، وحينما ترغب أن تطيعه، وحينما يجدك حيث أمرك، ويفتقدك حيث نهاك، وحينما تكون عند الأمر والنهي، وحينما يكون أمر الله عندك عظيماً.

النبي عليه الصلاة والسلام، **وصف الذنب بالنسبة للمنافق، كأنه ذبابة دفعها عن وجهه، ووصف الذنب بالنسبة للمؤمن، كأنه جبلٌ جاثمٌ على صدره.**

فمن أجل أن تعرف أين أنت من الإيمان ؟ هل إذا وقعت في غلطةٍ أو ذنبٍ هل تتألم ألماً شديداً.

من ساءته سيئته وسرته حسنته فذالكم المؤمن.

تنفيذاً لهذه المقدمة، يقول الله عز وجل: في الآية الواحدة والخمسين بعد المائة من سورة الأنعام.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151)﴾

علة المؤمن إذا قرأ القرآن الكريم، وقرأ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾

فأي أمر يأتي في القرآن الكريم، يعلم أنه موجهٌ له، أنت مؤمن.

ويقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾

فإذا ما شعرت أن هذا الأمر موجهٌ لك، وأنه عليك أن تطبقه فهذا ضعف في إيمانك، إن لم نقل انعدام في إيمانك.

ربنا عز وجل يقول:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾

يعني أكبر ذنب، كما قلنا البارحة، أكبر ذنب، وهذا الذنب لا يغفر لا لأن الله لا يغفره، بل لأنك توجهت إلى غير الله، ليس المعنى أن الله عز وجل لا يرحم، لا، لكن أنت توجهت، إلى شيء، إلى لاشيء توجهت إلى مخلوق، توجهت إلى ضعيف، توجهت إلى فاني، توجهت إلى فقير، إلى جاهل، فكيف ترجوا من الله العطاء؟ وقد توجهت إلى غيره.

لذلك كما قلت البارحة، الذنب الذي لا يغفر أن تشرك بالله عز وجل أول نهي.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾

من هو سبب وجودك ؟ أبوك وأمك.

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (1)﴾

(سورة الإنسان: 1)

سنة ألف وتسعمائة وعشرة، ما في حدى منا بهذا السن ولدان، ألف وتسعمائة، ألف وثمانمائة وتسعين، بعض من الحاضرين وأنا معكم كان له اسم بهذا البلد ؟ كان له وجود ؟ ما في.

الأب والأم هما سبب وجودك، إذاً الله جل جلاله رفع أمر الإحسان إليهما إلى مستوى عبادته.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

(سورة الإسراء: 23)

بعد الشرك.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

فهذه الباء أيها الأخوة، بمعاجم اللغة لا تقرأ إلا أحسنت إليه، فعل أحسن يتعدى بإلى، إلا في القرآن في هذه الآية، يتعدى فعل أحسن بالباء، طيب لماذا تعدى بالباء في القرآن، وفي معاجم اللغة يتعدى بإلى، تقول أحسنت إليه أما هنا، وبالوالدين إحسانا، قال هذه الباء تفيد الإلصاق، أمسكت به، تفيد السببية، تفيد المجاوزة، تفيد الظرفية، لها أكثر من عشرين معنى، من معانيها الإلصاق، يعني إحسانك إلى أبيك وأمك، لا يقبل بالوكالة إلا منك بالذات، أيام بقول إنسان للسائق خذ أبي مشوار، غير مقبول هذا، قدم لوالدي هذه الحاجة يجب أن تذهب أنت بنفسك، يجب أن تخدمه بنفسك.

هذا معنى:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾

قد يسأل سائل ما علاقة هذه الآية بحياتنا اليوم، كل إنسان من أجل كسب المال يضحي بدين ابنه كأنه قتله.

ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

(سورة البقرة: 191)

أكثر الأباء من أجل تحصيل المال الوفير يزجون بأولادهم في متاهات لا ينجون منها.

يعني دين رقيق يبعثه لوحده إلى بلد أجنبي، وهناك الزنى أقرب إلى الشاب من ظله، فحينما يضحي الأب في دين ابنه وآخرة ابنه، وسعادة ابنه من أجل كسب المال فقط، قتله.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾

من إملاق، يعني من فقر، أي خشية الفقر.

﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

إذاً الأب والأم يحسنوا إليهما، وربنا عز وجل قال:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾

(سورة طه: 132)

الأب ماله حق، الأب المسلم، أن يضحي بدين ابنه وآخرة ابنه من أجل كسب مال وفير.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾

أي شيئاً تخشى، إذا نقل عنك تستحي منه هذه فاحشة، فكل عمل تفعل في السر تخشى أن يظهر أو أن ينقل أو أن يتحدث به فهو فاحشة، الشيء المشين، الشيء الذي تستحي به، العدوان على أعراض الناس فاحشة، العدوان على أموالهم فاحشة، الائتمار على أخذ ما في أيديهم فاحشة.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

يعني القتل بالحق، أيام حشرة لا تؤذي يمعسها برجله، نملة لا تؤذي في حشرات مسموح لك أن تقتلها، ولكن في حشرات لا تؤذي، فهذا الذي كلما وقعت عينه على مخلوقاً قتله، هي نفس.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾

أخواننا الكرام:

أية معصية فيها قوة جذب، يأتي التحريم به بهذه الصيغة:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾

معصية الزنى، المرأة محببة، الخلوة محرمة، والاختلاط محرم، والحديث عن النساء بما يغري بفعل الفاحشة محرم، وصحبة الأراذل محرمة، لأنها كلها تقود إلى الزنى.

فالإنسان ينبغي أن يجعل بينه وبين المعصية هامش آمان، تصور نهر عميق مخيف له ضفة مائلة، وعلى هذه الضفة المائلة حشائش زلقة، فأنت إذا سرت على هذه الضفة المائلة على النهر، هن في خطر وقوع في النهر، لا بد من ترك هامش آمان بينك وبين النهر، تماماً كالتيار 8000 فولت، ثمانية أمتار يجب أن تبتعد عنه، إذا دخلت في حرم التيار جذبك إليه، وأصبح الإنسان قطعة من فحم، فالإعلانات دائماً ممنوع الاقتراب من التيار الكهربائي، الاقتراب وليس المس، سوف أعيدها على مسامعكم مرة أخيرة.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-7) : تفسير الآية 153 ، الحق واحد والباطل متعدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

يقول الله سبحانه وتعالى في الآية الثالثة والخمسين بعد المائة من سورة الأنعام:

﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)﴾

نستنبط أيها الأخوة من أن كلمة:

﴿ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً ﴾

جاء الصراط مفرداً، ونستنبط من قوله تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

السبل جاءت جمع، فماذا نستنبط من أن كلمة صراطي مستقيماً جاءت مفردةً، وأن السبل جاءت جمعاً، نستنبط أن الباطل يتعدد، وأن الحق لا يتعدد، الحق واحد.

يعني من نقطتين لا تستطيع أن ترسم إلا خطاً مستقيماً واحداً، لو رسمت خطاً آخر يأتي فوق الأول، خطاً ثالث يأتي فوق الثاني، فبين نقطتين ليس في إمكانك أن ترسم إلا خطاً واحداً.

لذلك الحق لا يتعدد، لو أننا على حق لاجتمعنا، لو أن فلان وفلان وفلان أو أن الجماعة الفلانيه والجماعة الفلانيه والجماعة الفلانيه والفئة الفلانيه، والفئة الفلانيه، لو أنهم على حق لاجتمعوا، فإذا تفرقوا منهم من هم على باطل، لأن الحق لا يتعدد.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً ﴾

لذلك ربنا عز وجل قال:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾

(سورة آل عمران: 103)

ما الذي يجمعنا، كلكم يعلم ويرى ويسمع، رغم الماضي واحد، والمستقبل الواحد والآلام الواحدة، والآمال الواحدة، واللغة الواحدة، و، و، ويقتتلون.

ما الذي يجمع إذاً ؟ أن نكون جميعاً على حق، فإذا كان بعضنا على حق وبعضنا على باطل لا نجتمع.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾

إذاً الذي يجمعنا حقيقةً، يجمعنا قلباً وقالباً، هو أن نلتزم الحق جميعاً، فالحق يجمع، كيف أن خيط السبحة يجمع حباتها المتناثرة ؟ هذا الخيط يجمع، لولا هذا الخيط لما اجتمعت هذه الحبات.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾

ومعنى مستقيم، بمعنى الآخر، الخط المستقيم أقصر خط بين نقطتين، المنحني أطول، المنكسر أطول المتعرج أطول، المستقيم لا يتعدد، والمستقيم أقصر خط إلى الله عز وجل.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾

هذا يذكرنا بأن الله سبحانه وتعالى، وحد كلمة النور وجمع كلمة الظلمات،

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

(سورة البقرة: 257)

الباطل متعدد، إذاً ظلمات فوقها فوق بعض، الحق واحد، إلى النور، النور مفرد والصراط المستقيم مفرد.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾

طيب ما الذي نستفيده ثالثةً ؟ طيب الطريق مستقيم هناك مسلمون كثيرون، يعلمون أن دينهم هو الحق، وأن دينهم لم يتبدل ولم يتغير، وأن دينهم هو أقصر طريقٍ إلى الله، هذا كله يعلمونه، لكن ما الذي يقصرون فيه؟ لا يتبعوه.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾

الحق لا يتعدد، وأقصر طريق إلى الله.

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾

فالإنسان لما، الله عز وجل قال:

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)﴾

من هم المغضوب عليهم ؟ هم الذين عرفوا وانحرفوا، عرفوا وقصروا عرفوا ولم يسيروا، الضالون هم الذين ما عوفوا وهلكوا، المغضوب عليهم، هم الذين عرفوا وشقوا.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

الباطل لا يؤدي إلى الحق، يؤدي إلى الهلاك.

﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾

(سورة البقرة: 221)

الباطل يدعوا إلى الدنيا فقط، والدنيا إن وصلت إليها بالظلم والعدوان والبغي، هذا يوصلك إلى النار.

لذلك طريق الباطل ينتهي بصاحبه إلى النار.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

سبيل الله هو الوحيد إلى الجنة، فإذا اتبعت سبيلاً آخراً باطلاً، صرفك عن طريق الحق إلى طريق الباطل، وطريق الباطل إلى جهنم.

﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

ثم يقول الله عز وجل: في الآية الواحدة والستين بعد المائة.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

أنت مسلم في عندك منهج دقيق، منهج في علاقتك مع ربك، منهج في علاقتك مع زوجتك، منهج في علاقتك مع أولادك، منهج في علاقات العمل، علاقات البيع والشراء، علاقات الهبا، حتى في منهج في علاقاتك مع من هم فوقك، من هم دونك، حتى في المناسبات مناسبات الفرح، مناسبات الحزن، هناك منهج تفصيلي، الإسلام منهج كامل.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

(سورة المائدة: 3)

هذا المنهج الكامل هو الذي عبر عنه القرآن الكريم، في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾

شيء ثمين، قيم، يأخذ بالألباب.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161)﴾

(سورة الأنعام: 161)

لذلك ينبغي.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)﴾

المؤمن الصادق أيها الأخوة، علمه، خبرته، عضلاته، طاقاته شهاداته العليا، رأس ماله، كله موظف في خبرة المسلمين،هو طبعاً يعيش ويسعد لكن له هدف نبيل، هذه آية الإخلاص.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾

(سورة الأنعام: 162 ـ 163)

ما في حهة بالكون غير الله عز وجل مؤهلةٌ، أن تفني من أجلها عمرك، أن تفني من أجلها شبابك، أنت مخلوق لله عز وجل.

الماء للتراب، والتراب للنبات، والنبات للحيوان، والحيوان للإنسان، وأنت لله عز وجل.

خلقت لك ما في الكون من أجلك، فلا تتعب، وخلقتك من أجلي فلا تلعب، فبحقي عليك، لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك خلقت لك السماوات والأرض، ولم أعيّ بخلقهن، أيعييني رغيف أسوقه لك كل حين، وعزتي وجلالي، إن لم ترضى بما قسمته لك فلا أسلطن عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها، إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عني مذموماً، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمتني فيما أريد، كفيتك ما تريد، وإن لم تسلمني فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد.
هذه إخوانا آية الإخلاص:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)﴾

آخر آية.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164)﴾

يعني معقول أن تعمل لغير الله، معقول أن تجير لغير الله، معقول أن تحسب على غير الله، أنت الخاسر الأكبر.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾

يعني سؤال استفهام إنكاري ؟ يعني معقول أنت مخلوق أول، خلقت من أجل الله عز وجل، أن تكون لغير الله.

أيها الأخوة الكرام هذه الآيات ينبغي أن نتأملها، وأن نتدبرها، وربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)﴾

(سورة محمد: 24)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-7) : تفسير الآية 36 ، الإستجابة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

وبعد، ففي القرآن الكريم آية كريمة، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (36)﴾

في هذه الآية إيجازٌ بليغ، السماع عند الله، هو السماع التي تعقبه استجابة.

لو أن إنساناً على وشك الموت عطشاً، وقلت له بلسانٍ فصيح في المكان الفلاني وهو قريبٌ منك، ماءٌ عذبٌ فرات، سمع هذا الكلام وتحركت طبلة أذنه باهتزازات الصوت، وبقي قاعداً في مكانه، وهو على وشك الموت عطشاً، ولم يقم إلى مكان الماء.

هذا في القرآن الكريم لم يسمع، لو أنه سمع لبادر إلى أن يشرب الماء.

لو قلت لإنسان على كتفك عقربٌ، فبأعصابٍ باردة تبسم وقال لك: أشكرك على هذه الملاحظة، وأنا ممتن منك لحرصك على سلامتي وبقي هادئاً مستقراً، ولم ينفض ثوبه الذي على كتفه.

هذا في القرآن لم يسمع، لأن السماع الذي لا تعقبه استجابة فورية، لا يسميه الله سماعاً.

الله عز وجل يقول:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾

فالذي يسمع حقيقةً، هو الذي يستجيب.

طيب هذا الذي يسمع ولا يستجيب، ماذا سماه الله عز وجل، سماه ميتاً، شيء خطير جداً، أن الإنسان يستمع لخطبة، لدرس، لنصيحة لموعظة فيها دليل من القرآن، والسنة، فيها توجيه لصالحه لمستقبله يكتفي أن يجامل ويقول والله شي جميل، والله درس لطيف، والله خطبة بليغة يا أخي، لكن هو هو، في بيته هو هو، في عمله هو هو، في دخله للمال هو هو، لا يتغير ولا يتبدل، هذا عند الله ميت، الآية على قصرها، وعلى إيجازها خطيرةٌ جداً.

يعني المسلم إذا حضر خطبة جمعة، أو درس علم، أو درس تفسير، واستمع إلى حكم الله عز وجل، بلسانٍ فصيحٍ واضح، آية قرآنية واضحة وضوح الشمس.

يقول لك:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

(سورة النور: 30)

قال شو بدنا نساوي، نحن عبيد إحسان مالنا عبيد امتحان، الله يتوب علينا، هذا عند الله ميت، لأنه سمع الحكم الشرعي، ولم يبادر إلى تطبيقه.

فأردت من هذه الآية، أن يقف المسلم وقفةً متأنيةً، متفحصةً متبصرة، أي أن الإنسان، أنه هذه فرصة لا تعوض، الله عز وجل حينما يسمعك الحق، هذه فرصة لا تعوض.

بالمناسبة كل إنسان وصله الحق له بشارة من الله عز وجل، ما هذه البشارة؟ قوله تعالى:

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾

(سورة الأنفال: 23)

لولا أن الله سبحانه وتعالى علم فيك الخير لما أسمعك، لما أوصل لك هذا الكلام.

فالإنسان إذا حضر مجلس علم، خطبة جمعة، درس تفسير نصيحة من أخ، الدليل قوي، الآية واضحة، واضحة وضوح الشمس الحديث الشريف واضح، واكتفى بالثناء على هل الكلمة، وعلى فصاحة المتكلم، وعلى دقة الكلام، يا أخي الكلام حلو كتير، ما غير ولا بدل، هذا أخطر أنواع التكذيب، هذا هو التكذيب العملي، سماه الله ميتاً.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾

والذين لا يستجيبون إذا سمعوا موتى.

﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾

فالإنسان حينما يحضر مجلس علم، القضية أخطر بكثير، من أن تستمع إلى كلام لطيف، أو كلام منظم، أو كلام فصيح، أو في طرفة أو في نكته بلاغية، أو في إشارة لطيفة إلى آية قرآنية القضية أخطر من ذلك، القضية قضية مصير.

سيدنا علي كرم الله وجهه قال: **يا بني العلم خير من المال لأن العلم يحرسك، شوف العلم يحرسك، وأنت تحرس المال.**

مرة جاءني رجل، والله القصة من عشرين سنة، قال لي أنا زوجتي تخونني، قلت أعوذ بالله، قال لي: والله من ثلاث سنوات قلت له مع من، قال: مع جارنا، قلت كيف تعرفت عليه ؟ قال والله الحق عليّ، مرةً جاء يزورنا، قلت لها يا بنت الحلال تعي عدي معنا، مثل أخوكِ، قلت له لو أنت تحضر مجالس علم، وعرفت حكم الله في الاختلاط لم تفعل ما فعلت، وبالتالي لم تقع فيما وقعت.

إخوانا الكرام، دققوا في هذا الكلام، ما من مصيبةٍ على وجه الأرض، إلا ورائها معصية لله، خروج عن منهج الله، وما من خروج على وجه الأرض ومعصية إلا بسبب الجهل، والجاهل يفعل في نفسه مالا يستطيعوا أعدائه مجتمعون أن يفعلوا به.

يعني اعتبر أن أعدى أعدائك هو الجهل، وأن الطريق إلى الله يبدأ بالعلم، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم وإذا أرتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطيك شيئاً.

أحياناً الإنسان يستمع إلى مجلس علم، بدقة بالغة، وينصت ويصغي ويتأمل، لكن لو أنه أراد الدنيا، لو أن الدنيا هي أكبر همه مبلغ علمه، شأنه كشأن آلة تصوير، غالية جداً دقيقة جداً، فيها ميزات هائلة بس فلم ما في، فأمهما كان المنظر جميلاً، والألوان زاهيةً والخلفيةُ رائعةً، هذه الآلة على أنها غالية جداً وثمينة جداً، بس فلم ما في، إذاً.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾

الذي لا يستجيب ميت، وهذه فرصة لا تعوض، أن الإنسان يستمع إلى حكم الله، إلى أمرٍ، إلى نهيٍ، إلى توجيهٍ، إلى حضٍ، إلى دفعٍ، ثم يقف موقف المعجب، والله كلام لطيف، والله درس جميل، والله درس منظم، والله في عمق الحمد لله، كله كلام لا يغنيك عن تطبيق هذا الكلام شيئاً، فحجمك عند الله بحجم التزامك وعملك الصالح، لأنه قال تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾

(سورة فاطر 10)

إذا كان تكلمت كلام لطيف هذا الكلام يصعد إلى الله، لكن ما الذي يرفعك عند الله، قال:

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

الذي يرفعك عملك الصالح، لا ثنائك، ولا كلماتك.

إذاً قال الإمام علي كرم الله وجهه: **يا بني العلم خيرٌ من المال لأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال.**

سائق تكسي في دمشق، هذه القصة من ثمانية أشهر، أشارت إليه امرأةٌ، فصعدت إلى مركبته، قال لها: إلى أين ؟ قالت له إلى حيث ما تشاء، فهم، بعد أن قضى حاجته، أعطته رسالةً، وظرفاً فيه مبلغٌ من المال، فعد نفسه فائزاً، يعني شيء لا يقدر بثمن، قضى حاجته، وقبض مبلغ على هذه الحاجة، ورسالة، فلما نزلت من مركبته، فتح الرسالة وإذ هي مصابة بمرض الإيدز، قالت له: مرحباً بك في نادي الإيدز، ذهب ليصرف المبلغ بالعملة الصعبة طلع مزور وضعوه في السجن.

ما الذي كان يمكن أن يحرسه ؟ العلم، لماذا وقع في هذا الشَرك ؟ لأنه جاهل.

العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكوا على الإنفاق.

يا بني مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

يعني إذا أردت أن تُخلد، وهذا مستحيل، لكن تخلد بعلمك.

أنا مرة سألت طلابي سؤال، قلت لهم من يقول لي ؟ من يعطيني اسم تاجر عاش في الشام، عام، 1893، أعطيه علامة تامة فحكوا رؤوسهم وتأملوا لم يهتدوا إلى اسم تاجر، قلت لهم وأنا مثلكم لا أعلم، لكن من منا لا يذكر سيدنا صلاح الدين الأيوبي، سيدنا عمر بن الخطاب، سيدنا الشافعي، سيدنا أبو حنيفه.

يا بني مات خزان المال وهم أحياء، وهم في أوج حياتهم، وهم في أوج نشاطهم ماتوا، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

العلم يرفعك أيها الأخ الكريم، يرفعك إلى أعلى عليين، إنك إن عرفت الله، طبقت أمره، وإن طبقت أمره استحققت سعادة الدنيا وجنة الآخرة، فالقضية خطيرة جداً.

نعود للآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾

الذي لا يستجيب للسماع الحق هو عند الله ميت، وقال تعالى: في آية آخرة.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

(سورة النحل)

بآية ثالثة:

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22)﴾

(سورة فاطر: 22)

مقبور بشهواته، بأعماله، بطموحاته، فالإنسان حينما يصغي ويستمع ويغير، ويبدل، ويأخذ موقف، في حياة، في نبض، أما إذا استمع واكتفى بالثناء على المتكلم وقال لك: شي جميل، هذا لا يرفعك عند الله عز وجل، لأنك حجمك عند الله بحجم عملك الصالح.

قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

(سورة الأنعام: 132)

والحمد لله رب العالمين

الباب الثاني : تفسير سور (الأعراف – الأنفال – التوبة – يونس – هود – يوسف)

الفصل الأول : تفسير سورة الأعراف

الفصل الثاني : تفسير سورة الأنفال

الفصل الثالث : تفسير سورة التوبة

الفصل الرابع : تفسير سورة يونس

الفصل الخامس : تفسير سورة هود

الفصل السادس : تفسير سورة يوسف

الفصل الأول : تفسير سورة الأعراف

الدرس (1−5) : تفسير الآية 31 ، ماذا تعني الزينة ؟

الدرس (2−5) : تفسير الآية 55 ، شروط الدعاء

الدرس (3−5) : تفسير الآية 88 ، الفرق بين العبادة والحب والإتباع

الدرس (4−5) : تفسير الآية 94 ، القانون الإلهي

الدرس (5−5) : تفسير الآية 188 ، لايعلم الغيب إلا الله

الدرس (1-5) : تفسير الآية 31 ، ماذا تعني الزينة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الواحد والثلاثون من سورة الأعراف وهي قوله تعالى:

﴿يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)﴾

ولاً... المؤمن كما وصفه النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((أصلحوا رحالكم وحسنوا لباسكم حتى تكونوا شامةً بين الناس.))

وقال عليه الصلاة والسلام

((: من كان له شعر فليكرمه.))

وكان عليه الصلاة والسلام، يعرف بطيب المسك، وكان إذا شرب الماء أبان القدح عن فيه.

النبي عليه الصلاة والسلام، كان مثلاً أعلى، في النظافة، وفي اللطافة، وفي الرقة، وفي حسن الأدب.

يقول الله عز وجل:

﴿يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

الإنسان أحياناً يرتدي أجمل ثيابه، في احتفال، في عقد قران، لكن يستصيغ لنفسه يوم الجمعة وهو عيد المسلمين، أن يأتي بثيابٍ ليست مقبولةً، هذا مخالف للسنة.

لكن القرآن كما يقول بعض العلماء، أو كما يقول الإمام علي كرم الله وجهه: **القرآن حمال أوجه.**

وفي تفسير اسمه التفسير الإشاري، بعضهم فهم من هذه الآية، أن الإنسان إذا أتى بيت الله عز وجل، عليه أن يتزين، الزينة تعني النظافة، والثياب الحسنة , ويعني أيضاً أن يكون معك هدية إلى الله هذه أيضاً زينة، الهدية هي العمل الصالح، فإذا أردت أن تدخل بيت الله عز وجل، فليكن معك هدية له، وهي خدمة عباده.

كيف أن الجندي الغر، حديث العهد بالخدمة الإلزامية، لو أنه فعل عملاً طيباً مع أعلى رتبه في هذه القطعة، أنقذ ابنه من الغرق هذا العمل الطيب، لو وقف هذا الجندي الغر، على باب هذا القائد الكبير وقال للحاجب قل له فلان، لماذا يقتحم الغرفة اقتحاماً ؟ لأن عمله صالحٌ، فهذا العمل الصالح إنقاذ ابنه من الغرق، جعله يدخل بلا استئذان.

فأنت أيضاً إذا أردت أن تدخل بيت الله عز وجل، ولك عملٌ صالحٌ قبل الصلاة، لك خدمةٌ لعباده، لك نصحٌ لهم، لك إنصاف لهم لك معونةٌ لهم، فإذا دخلت بيت الله، لتتصل بالله، معك له هدية هديتك خدمة عباده، هذا التفسير الإشاري لهذه الآية.

التفسير الظاهري أن تكون نظيفاً، وأن ترتدي ثياباً أنيقةً أو نظيفةً، كي لا تؤذي المسلمين في بيت الله، هذا معنى مقبول.

والقرآن حمال أوجه، ولكن المعنى الإشاري أنك إذا أردت أن تقبل على الله، وأن تتصل به، فليكن معك شفيعٌ من عملٍ صالحٍ وهو في أصله خدمة الخلق.

إخوانا الكرام: الدين له حقيقتان أساسيتان، أو ! الدين يضغط بكلمتين... إحسان للخلق... واتصال بالحق.

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)﴾

(سورة البقرة:112)

ممكن تعرف الدين بألف صفحة، هناك، تعريفات جامعة مانعة مضغوطة.

الدين في حقيقته... إحسان للخلق... اتصال بالحق.

فإذا أردت أن تتصل بالحق، وأن تدخل بيت الله، لتعقد صلةً مع الله ليكن معك زينة.

هذه الزينة بمعناها الظاهري، كن نظيفاً، أنيقاً.

بمعناها الإشاري، ليكن معك عملٌ صالح.

يعني كل العباد عباد الله، إذا كنت صادق معهم، ما غشيتهم، ما أذيتهم، ما أحرجتهم، ما أكلت مالهم بالباطل، ما احتلت عليهم، كنت صادقاً مخلصاً، هذه الاستقامة قبل الصلاة، هي زينتك عند الصلاة.

﴿يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

الآن:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾

هذا أمر إباحة.

نحن في عندنا أمر وجوب.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ﴾

(سورة البقرة:43)

وفي عنا أمر ندب.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ﴾

(سورة النور: 32)

وفي عنا أمر إباحة.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾

وفي عنا أمر تهديد.

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

(سورة الكهف:29)

في أمر تهديد... وأمر إباحة... وأمر ندب... وأمر وجوب.

الآن:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾

أمر إباحة، لك أن تأكل ولك أن تشرب، لكن إياك أن تسرف، يعني المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء.

لله سبحانه وتعالى في آيةٍ دقيقة قال:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78)﴾

(سورة الشعراء: 78)

خلقني فهو يهديني، الفاعل هو.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79)﴾

(سورة الشعراء: 79)

لكن:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)﴾

(سورة الشعراء: 80)

ما قال والذي يمرضني، وإذا أمرضني، لماذا عزي المرض إلى الإنسان ؟ لأن المرض في أصله خروج عن منهج الله في الأصل، وإذا في أمراض الآن تتناسب مع العصر، في خروج جماعي عن منهج الله، أو خطأ في حياتنا، بسبب نقص يعني في معلوماتنا، فأحياناً هذه المشروبات الغازية، كلها أصبغة كيماوية هذه تتراكم في أجسامنا، الزيوت المهدرجة، هذه ضارةٌ في أجسامنا، ففي خطأ في غذائنا أحياناً، الضجيج، الضجيج الصوتي، والضجيج الإعلامي، هذا الهواء كله ملوث بالبث، والضجيج من حيث المواد الكيماوية العالقة في الجو، فإذا في أخطاء عامة، إذا في ارتفاع بأمراض معينة، فهناك أخطاء على مستوى العصر ترتكب، يخيبوا الفروج، يطعمونه غذاء مكثف، كله هرمونات، أربعين يوم بدون أن ينام، هذا وضع غير طبيعي، أولاً متراكم في جسمه مواد هرمونية تعين على النمو، دون أن ينام لحظة.

فلذلك أحياناً هناك أمراض تستشري، لا بسبب خطأ يقع من الفرد، بل بسبب خطأ يقع من المجموع.

لذلك:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾

قال:

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾

طيب قد يقول أحدكم، لما لم يقل الله عز وجل: ولا تسرفوا في الأكل والشرب، ماذا يفيد هذا القول ؟

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

لما لم يقل ولا تسرفوا في الأكل والشرب، طبعاً لو قال، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا في الأكل والشرب، صار الإسراف مقيداً في الطعام.

لكن:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

في أي شيء، لا بالسهر، ولا باللقاءات المباحة، أي شيء مباح، شرعه الخالق جلى وعلى، إياك أن تسرف به، ينقلب الإسراف في أي شيء إلى مضرة، وإلى مرض.

فالمؤمن الحق، معتدل في كل شيء.

طبيب من أطباء القلب، له أربع نصائح، أنا أقول هذه النصائح الأربعة جمعت الطب كله، يقول:

أولاً: كُل كل شيء.

ثانياً: باعتدال.

ثالثاً: ابذل جهداً.

رابعاً: وحّد لئلا تصاب بشدة نفسية.

التوحيد يعطيك صحة نفسية، وبذل الجهد يعطي صحة قوية، لأنه أحد الأطباء يقول، أجدادنا سر صحتهم القوية، لأنهم يبذلون جهداً عضلياً كبيراً، ويتمتعون براحةٍ نفسية.

نحن بالعكس، نحن نتمتع براحةٍ جسمية، مصاعد، كل شيء مريح أوتوماتيك، ما في جهد، لكن في متاعب نفسية كثيرة.

أمراض القلب أساسها، توتر نفسي، وكسل عضلي، أمراض القلب كلها، بدأً من الضغط، وضيق الدسامات، واحتشاء العضلة القلبية توتر نفسي، وكسل عضلي، كانوا أجدادنا، تعب عضلي، وراحة نفسية، وإذا الإنسان بحب يتمتع بصحة إلى أمد طويل، عليه بالتوحيد لأنه ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، وعليه ببذل الجهد، يعني الإنسان العمل المجهد هذا عنوانه الصحة.

لذلك:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)﴾

إذاً الآية تفيد، أنك إذا أردت أن تدخل بيت الله عز وجل، ينبغي أن تكون متزيناً، والزينة هنا تعني النظافة، والثياب النظيفة، والأناقة لكن المعنى الإشاري، أنك إذا أردت أن تتصل بالله في بيته، فلا بد من هديةٍ بيدك، هذه الهدية، هي خدمة عباده، وكل واحد بعمله بيقدر يؤدي خدمات خالصة لله عز وجل، لعباد الله الضعاف التائهين أصحاب الحوائج، الكلمة الطيبة، والمعونة الصادقة، والحديث اللطيف، والإخلاص، والصدق، والأمانة.

أما الذي يتوهم، أخي إذا ما كذبنا لا نعيش، هذا كلام الشيطان، لا بتعيش ونص بالصدق، إذا ما غشينا لا نأكل الخبز مساء، تأكل أطيب أكل بدون غش، هذا كله كلام الشيطان.

ذلك:

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

هذا أمر إباحة، لكن النهي عن الإسراف في كل شيء، حتى الواحد أكل، لنفرض أكل كل يوم بيضتين مثلاً، احتمال أن يلتهب كبده قائم بالأسبوع مرتين أو ثلاثة، أما كل يوم، الأكلة الطيبة المفيدة، لو أكلتها كل يوم، هذا يضر بالصحة، الدول الغنية أمراض القلب ثماني أمثال الدول الفقيرة، الدول الغنية الصناعية، أمراض القلب عددها ثماني أمثال الدول الفقيرة السبب لكثرة أكل اللحوم، حتى اللحم لو كنت غني لو أكلته بإسراف له مضاعفات خطيرة.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

حتى الأشياء التي تظنها خير، الفواكه لو أسرفت منها في مشكلة.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : تفسير الآية 55 ، شروط الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الدعاء سلاح المؤمن :

أيها الأخوة الكرام؛ الآية الخامسة والخمسون من سورة الأعراف وهي قوله تعالى:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

[سورة الأعراف:55]

أيها الأخوة؛ الدعاء سلاح المؤمن، وأنت في الدعاء أقوى الناس على الإطلاق، لكن هذا السلاح الخطير الذي يجعلك أقوى الأقوياء له شروط.

الدعاء سلاح المؤمن، والدعاء مخ العبادة أي قمة العبادة أن تدعو الله عز وجل، إذا أردت أن تخاطب الله فادعه، وإذا أردت أن يخاطبك الله فاقرأ القرآن.

يقول الله عز وجل:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾

الله عز وجل أسماؤه كثيرة، اختار الله من بين أسمائه اسم الرب، لأن أقرب اسم للإنسان هو الرب، أي مربّ، الابن من يدعو؟ يدعو أمه لأن قلبها رحيم، وعنايتها فائقة، وقريبة منه، قرب مع رحمة مع علم مع عطف مع حنان،

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾

الآن

﴿تَضَرُّعاً﴾

التضرع هو التذلل،

﴿وَخُفْيَةً﴾

سراً.

شروط الدعاء :

من شروط الدعاء المقبول أن يدعو الداعي ربه وهو في تذلل، وهو في عبوديةٍ لله عز وجل، فمن كان مستكبراً، ومن كان مستعلياً، ومن كان معتزاً بغير الله، فلن يستجاب دعاؤه، ولا يسمع أساساً، لأنك أنت في أعلى مقاماتك إذا كنت متواضعاً لله عز وجل، كلما ازددت لله تواضعاً ازددت عزاً، لذلك الشرط الأساسي بالدعاء:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

[سورة الأعراف:55]

يوجد كلام دقيق جداً حول هذه الآية، موضوع خفية أنت لا تخاطب أصماً ولا أبكماً.

سيدنا زكريا:

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً ﴾

[سورة مريم:3]

دليل إيمانك أنه يسمعك، لا تصيح ولا ترفع الصوت في الدعاء:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾

هناك من يدعو الله عز وجل دون أن يحرك شفتيه، لأن الذي خلقه يسمع خواطره الداخلية، فالإنسان أحياناً يدعو الله عز وجل بقلبه، في ظروف صعبة، في أشدّ الظروف، وفي أصعب الظروف، لك أن تطبق شفتيك، وأن تناجي ربك بقلبك، وهو يستمع إليك، هذه معنى خفيةً.

الشرط الثاني: التضرع، التذلل، الشعور أنك ضعيف، أنك فقير، أنك لا تعلم، أن الله بيده كل أمرك، مشاعر العبودية والافتقار إلى اله عز وجل شرطٌ للدعاء المستجاب، وعدم رفع الصوت شرط أيضاً لقبول الدعاء.

العدوان في الدعاء :

ثم يقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

[سورة الأعراف:55]

قال علماء التفسير: من العدوان في الدعاء أن ترفع صوتك به، ومن العدوان في الدعاء أن تنمق الدعاء وكأنه قطعة أدبية، لم يعد هناك خشوع، ولا حضور قلب، يوجد تفنن، و تشدق، وتقعر، وفواصل متوافقة، وسجع، وكلمات متوازنة، أنت نسيت الله عز وجل وانصرفت إلى تنميق الدعاء.

فمن العدوان في الدعاء رفع الصوت، ومن العدوان في الدعاء تنميق الدعاء، وضعف شعور العبودية فيه، هذا قول المفسرين.

يوجد قول آخر، وأنا أراه عميقاً جداً، أي يا عبدي إياك أن تدعوني وأنت معتدٍ على الآخرين، إني لا أستجيب لك، مع الله لا يوجد مزح، معتد على أموال الناس، وعلى أعراضهم، تغش الناس، تكذب عليهم، تأخذ ما ليس لك، ثم تتفاصح بالدعاء أمامي و تدعي أنك صاحب دين؟! لا.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

[سورة الأعراف:55]

إذا اعتديت على مخلوقٍ كائنٍ من كان. إن فلانة تذكرُ أنها تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في النار.

((دخلت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار؛ لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض))

[مُتَّفَقٌ عَلَيْه عن ابن عمر]

أي يا عبدي أنا لا أستجيب لك إن كنت معتدياً، لا أستمع إليك إن كنت معتدياً.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

[سورة الأعراف:55]

ولهذه الكلمة معنيان؟ أول معنى: إذا كان مضمون الدعاء فيه عدوان، أنت قائم دعوى على إنسان، الدعوى كلها باطلة، يا رب انصرني عليه، إذا كان مضمون الدعاء ظلماً، أحياناً يكون الدعاء فيه ظلم، يا رب قوني عليه، أنت الظالم، مثل هذا الدعاء لا يسمع، ولا يستجاب، إذا مضمون الدعاء فيه ظلم.

الآن مضمون الدعاء صحيح، لكن أنت ظالم جهة أخرى، أيضاً غير مقبول،

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

لا في مضمون الدعاء، ولا في موضوعٍ آخر، فإذا أردت أن تكون أقوى الناس، وأن تستخدم السلاح الذي يعد من أقوى الأسلحة، وهو سلاح الدعاء، فعليك ألا تكون معتدياً.

اسمع الآية الثانية:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام: 81-82]

أول معنى:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾

الرب المربي، الرحيم، العليم، القريب، السميع، المجيب، الذي يربيكم، يربي أجسامكم، يربي نفوسكم،

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾

هنا يوجد معنى ضمني، أي إياكم أن تدعوا غيره، لن تستفيدوا،

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾

من بيده الأمر، من هو الرحيم، من هو القوي، من هو الغني، الذي يحبكم، الذي يحب أن تكونوا من السعداء،

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾

حالك أثناء الدعاء

﴿تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾

- تذلل وافتقار-

﴿وَخُفْيَةً﴾

ما من داع للصياح، والضجيج، وتنميق الدعاء، والفواصل، والسجع، والتقعر، هذا كله لا يجدي، هذا يبعدك عن صحة الدعاء.

لكن أخطر ما في الآية:

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

إذا كان مضمون الدعاء فيه عدوان لن يستجيب الله لك، إن الله هو الحق.

مرة أحد الصحابة، قال: يا رسول الله اشهد أنني نحلت ابني حديقة، قال له: هل لك ولدٌ غيره؟ قال: نعم، قال له: هل نحلت أولادك مثل ما نحلته؟ قال: لا، قال:

((أشهد غيري، فإني لا أشهد على جَور))

[أبو داود والنسائي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

الله لن يستجيب لك دعاء أساسه ظلم، أساسه عدوان، أساسه افتراء.

الله عز وجل حسابه مع العباد حساب جار :

الآن لو كان دعاؤك حقاً، يا رب يسر لي مثلاً زواج ابني، شي جميل، يا رب يسر لي هذه التجارة، شي جميل، دعاء حق، يا رب ارزقني رزقاً حلالاً، كلام حق، لكن أنت عندك عدوان، عدوان آخر، فإذا الإنسان حرر علاقاته من الشرك، ومن العدوان، ودعا دعاء صحيحاً، مع التضرع، مع الخفية، الآن الدعاء يستجاب، وإذا استجيب دعاؤك فهذا مقام عظيم جداً، النبي دعا لأحد الصحابة أن يكون مستجاب الدعوة، سيدنا سعد، اجعله مستجاب الدعوة، والمؤمن قال: لله رجالٌ إذا أرادوا أراد، فكلما كانت النفس طاهرة – هذا تعبير عامي – أي فيها تضرع، فيها استقامة، فيها التزام، لا يوجد عدوان، لا يوجد تجاوز، لا يوجد شطط، ترتقي إلى استجابة الدعاء.

الآية:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً﴾

هذه حال، إعرابها حال، أي حالة تضرعكم، متضرعون لله مع التذلل، لا يوجد استكبار،

﴿وَخُفْيَةً﴾

بصوت منخفض، ممكن أن تدعو الله وأنت مطبق شفتيك،

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

لا يوجد إطالة، ولا رفع صوت، ولا استكبار، والمعنى الأدق ولا أن يكون مضمون الدعاء عدواناً، ولا أن تكون معتدياً على الآخرين، أي الله عز وجل حسابه مع العباد حساب جار ليس حساب سندات كيف؟ بمحلك التجاري مستقيم استقامة تامة، البضاعة كلها مسعرة، لا يوجد مشكلة، الربح قانوني، البضاعة حلال، البيع حلال، تمام.

أحياناً يأتي إنسان يسبب لك مشكلة، والله لم أعمل شيئاً يا أخي، لكن الله حسابه جار، بالبيت يوجد معاصي؟ إذا كان بالبيت معاص يجوز أن تعاقب بالمحل التجاري، وإذا كان بالمحل معاص يمكن أن تعاقب بالبيت، الله عنده حساب موحد، حساب جار، ليس حساب سندات، كل صفقة بصفقتها.

يروون قصة أن شوحة قالت لسيدنا سليمان: اسأل لنا ربك: هل هو عجول أم مهول؟ سيدنا سليمان قال: يا ربي ماذا أقول لها؟ قال له: قل لها: أنا مهول ولست عجولاً، فهي خطفت قطعة لحم وطارت فيها، كان بطرف القطعة بصيص فحم فاحترق العش الخاص بها وبأولادها، قالت له: أن تقل أن الله مهول؟ قال له: يا رب ماذا أقول لها؟ قال له: قل لها: هذا حساب قديم،حساب كامل، انتبه.

ببيتك، مع عملك، مع تجارتك، مع قبض المال، مع إنفاق المال، مع جوارحك، حساب موحد، أخي أنا والله لم أعمل شيئاً، هنا كلامك صحيح، لكنك بمكان آخر قد أفسدت:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

[سورة الأعراف:55]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : تفسير الآية 88 ، الفرق بين العبادة والحب والإتباع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الكريمة الثامنة والثمانون بعد المائة من سورة الأعراف وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)﴾

الحقيقة هذه الآية، ولها أخوات في القرآن الكريم، من أخوات هذه الآية قل:

﴿لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾

(سورة الأنعام: 50)

من أخوات هذه الآية:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)﴾

(سورة الأنعام: 15)

من أخوات هذه الآية:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً﴾

(سورة يونس: 49.)

إذاً إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام، وهو سيد الخلق وحبيب الحق، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا، فلا أن لا يملك لغيره نفعاً ولا ضرا، من باب أولى.

معنى هذه الآية، أن الإنسان مهما أحب النبي، ومهما قدر النبي، ومهما فنيَ في حب النبي، لا ينبغي أن يعبد النبي بدون الله لأن الصديق رضي الله عنه، ما من إنسانٍ على وجه الأرض، كان أشد حباً، وأعظم تقديراً لرسول الله منه، ومع ذلك حينما توفي النبي عليه الصلاة والسلام، قال هذا الصحابي الجليل الصديق قولةً لو لم تكن له إلا هذه القولة لكفته، قال: **من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.**

إذاً يجب أن نفرق، بين الحب، والولاء، والتقدير، والتعظيم وبين العبادة، العبادة لله عز وجل، والحب، والتقدير، والفناء في حب النبي، هذا للنبي، لكن العبادة لله وحده.

لذلك، يقول الله عز وجل يا محمد قل لهم:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾

الله هو الخالق، وهو الرب، وهو الإله، والذي بيده الخير والشر، هو الذي يرفع ويخفض، هو الذي يعز ويذل، هو الذي يعطي ويمنع، هو الذي يقبض ويبسط، هو الذي يحيي ويميت، هو الذي يرزق، العبادة للخالق، المربي، المسير، الرزاق، الوهاب المعطي، المانع، القابض، الباسط، العبادة لله عز وجل، والحب والولاء، والتقدير، والتعظيم، والإتباع، للنبي عليه الصلاة والسلام النبي لا يملك أن ينفع أو يضر، لكنك إذا اتبعت سنته تنتفع بها، هو لا ينفعك بالأمر التكويني، لكن ينفعك بالأمر التكليفي.

يعني مدرس لا يملك أن يضع على ورقة الامتحان، مائة من مائة وأنت مالك فهمان شي، لكن يملك أن يعلمك الرياضيات، أما الامتحان مع جهة أخرى، هو يعلمك ويرشدك ويفهمك، لكنك ممتحن مع جهة أخرى.

إذاً أردت من هذه الآية، أن نفرق بين العبادة، وبين الحب والإتباع العبادة للخالق، للرب، للمسير، للإله، للمعطي، للمانع للرازق، للوهاب، للرافع، للخافض، للقابض، للباسط، للمعز للمذل، العبادة لله هذه الآية، قل يا محمد لأصحابك، قل للأهل مكة:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

ما شاء الله كان وما لم بشيء لم يكن.

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾

في عنا نقطة ثانية، لا يملك أن يعلم الغيب.

طيب ماذا نفسر الأحاديث الشريفة الكثيرة، التي وردت عن قيام الساعة، وعن أحوال آخر الزمان، كيف عرف الغيب ؟

قال العلماء، علماء العقيدة، لا يعرف النبي الغيب بذاته، أما إذا أخبره الله عز وجل، عندئذٍ يعلم الغيب.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾

(سورة الجن: 26 . 27)

النبي إذا أخبرنا عن أحوال قيام الساعة، وعن آخر الزمان، وعن الفتن هذا ليس علماً بذاته إنما هو علم عن طريق الله عز وجل.

إذاً مقام النبي، هو سيد الخلق، وحبيب الحق، سيد ولد آدم ولا فخر، ما طلعت شمس على إنسان أعظم من رسول الله، ومع ذلك لا يعلم الغيب، لماذا ذكرت هذه الآية، ممكن بهذه الآية تنفي مليون قصة، يفتريها ويختلقها أناس يدعون أنهم على صلة بالله.

صار التنجيم، والعرافة، والكهانة.

من أتى كاهناً فصدقه فقد كفر، من أتى ساحراً ولم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً ولا قيام أربعين ليلةً.

هذه آية خطيرة جداً، لما ربنا عز وجل بقلك يا محمد صلى الله عليه وسلم، لا تعلم الغيب أنت، هل يستطيع إنسان كائناً من كان، أن يدعي ماذا سيكون بالمستقبل، لذلك أي سلوك يسلكه من يدعي بأنه مؤمن لمعرفة الغيب عن طريق إنسان، عراف، كاهن، ساحر منجمة، بالقهوة، حظك هذا الأسبوع، هذا كله من وسائل الكفر.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)﴾

هذا حجم العبد لله عز وجل، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام كان مرة عند أحد أصحابه الذين ماتوا، ذهب لبيته ليعزي أهله، كان مسجيا على سرير، سمع النبي من وراء الستار، امرأةً تقول له هنيئاً لك أبا السائب فقد أكرمك الله، لو أن النبي عليه الصلاة والسلام سكت لكان سكوته إقراراً لهذا الكلام، فقال عليه الصلاة والسلام:

((ومن أدراك أن الله أكرمه ؟ قولي أرجو الله أن يكرمه، كلمة لقد أكرمك الله، هذا تأله على الله، قال وأنا نبيٌ مرسل، لا أدري ما يفعل بي ولا بكم، إذاً لا يعلم الغيب إلا الله.))

نحن أردنا بهذه الآية أن نقطع الدجل، أن نقطع الخرافات، أن نقطع الادعاءات، أن نقطع الزعبرة التي يدعيها بعض من يمتهنون الدين، هذه الآية سلاح معنا، النبي عليه الصلاة والسلام بنص القرآن الكريم سيد الخلق، أقسم الله بعمره الثمين قال:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72)﴾

(سورة الحجر: 72)

قال:

﴿فَأَنَا أَوَّلُ﴾

(سورة الزخرف: 81)

ومع ذلك قال قل لهم:

﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)﴾

في حادثة في السيرة، لها دلالة كبيرة جداً، وفد جاء من قبيلة لا أذكرها الآن، طلبوا من النبي أن يعطيهم علماء وقراء، ليعلمونهم أمر دينهم، سبعين قارئ وعالم، أخذوهم وذبحوهم، هل كان يعلم النبي الغيب ؟ لو علم لما أعطاهم هؤلاء، هذه حادثة تؤكد أن النبي لا يعلم الغيب، إلا أن يعلمه الله، والله أعلمه مئات المرات، أعلمه عشرات مئات المرات عن طريق الوحي، أما أن يعلم هو بذاته مستحيل.

فنحن ما نسمع لإنسان يدعي أنه يعلم الغيب، ولا أن إنسان بإمكانه بأن ينفع، أو أن يضر، فإذا كان نفينا عن الإنسان، النفع والضر وعلم الغيب، أعطيناه حجمه الطبيعي، أما مقامه عند الله قد يكن صديق، قد يكون ولي من أولياء الله، قد يكون مؤمن كبير، وقد يكون نبي، وقد يكون رسول، وقد يكون سيد الخلق، ومع ذلك لا يعلم الغيب، ولا يملك الخير والشر لنفسه، فلئن لا يملكه لغيره من باب أولى.

حتى ما نسمح لقصة فيها دجل، فيها افتراء، فيها إفك، فيها ارتزاق بالدين، فيها ابتزاز للأموال، هذا حجم النبي العظيم، وهو سيد الخلق وحبيب الحق، نعيد الآية مرة ثانية:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾

هذه بليغة جداً، يعني إذا كنت لا أملك لنفسي، نفعاً ولا ضراً، فلئن لا أملك لكم نفعا ولا ضراً من باب أولى.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾

طبعا إلا ما شاء الله، يعني إذا شاء الله لي الخير كان، وإن شاء لي غير ذلك كان، أنا عبد أتلقى من الله عطاءه أو منعه.

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)﴾

وهو أصبح النبي نذير وبشير، ينذر بعذاب الله في جهنم، ويبشر بالجنة لمن أطاعه، وهو لمن ؟ لمن آمن بالله أصلاً، لمن آمن بالله أصبح له نذيراً وبشيراً، أما الذي لن يؤمن بالله ليس له النبي نذيراً ولا بشيراً، هذه الآية، آية مفصلية بالتعبير الحديث آية مفصلية، يعني لا تقبل قصة خلافا.

أخي قال لي الشيخ أنه بدو يجيني دفعة كبيرة، كذب هذا. قال لي أنه ابنك بدك تزوجه من وحدة غنية كذب، لا تصدق كلام في غيب حتى الجن لا يعلمون الغيب.

سيدنا سليمان بقي ميتاً، فترة طويلة جداً، إلا أن جاءت دابة الأرض ونخرت عصاته.

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)﴾

(سورة سبا: 14)

أعطاهم أمر شاق، ومتعب ومهين، وقد مات لو علموا أنه مات ما بقوا في هذا العذاب.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾

أي عصاه.

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)﴾

إذاً يا أخوانا الكرام، الأنبياء جميعاً والنبي عليه الصلاة والسلام في رأس القائمة لا يعلمون الغيب، فإذا أدع أحد غير النبي، أنه يعلم الغيب، يجب أن لا نلتفت إليه،وأن نظنه كاذباً، مدجلاً مزوراً للحقائق هذا هو مقام النبي، لا يعلم الغيب، ولا يملك الخير والشر إلا أن يشاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-5) : تفسير الآية 94 ، القانون الإلهي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

في سورة الأعراف قصص عدة عن أنبياء الله الكرام الذين أرسلهم إلى أقوامهم، الشيء الذي يلفت النظر، بعد أن حدثنا ربنا جل جلاله، عن قصص الأنبياء جميعاً قال لنا:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ(94)﴾

وما أرسلنا في قرية من نبي. هذه الآيات تأخذ طابع القانون، المؤمن إذا قرأ القرآن الكريم، ومر بآيةٍ، فيها معنى القانون، عليه أن يستمسك بها، وعليه أن يجعلها منهجاً في حياته ، مثلاً:

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33)﴾

(سورة يونس:33)

قانون ، مثل آخر:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

(سورة النحل: 97)

قانون.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾

(سورة طه: 134)

قانون.

﴿ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) ﴾

(سورة يوسف: 52)

قانون.

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

(سورة الأنبياء: 88)

قانون ، إذا أكرمك الله عز وجل، وقرأت القرآن، ومررت بآية فيها معنى القانون، هذه الآية أكتبها واجعلها في جيبك، واجعلها قانون في حياتك.

ذكرت هذه الآيات كي نستأنس بهذا القانون الجديد، بعد أن حدثنا ربنا جل جلاله، عن أقوامٍ كثيرين، أرسل إليهم الأنبياء، وأنزل معهم الكتب هؤلاء الأقوام كفروا،و استهزئوا، وكذبوا فحاط بهم عذاب الله عز وجل.

من كل هذه القصص، يستنبط القانون التالي:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94)﴾

معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى، أول شيءٍ يفعله يبلغ الإنسان يبلغه عن طريق نبي، أو عن طريق رسول، أو عن طريق عالم، أو عن طريق داعية، وقد يبلغ الحق عن طريق فاجر، الإنسان في طريق غلط، في معصية، في انحراف، يقال له هذا حرام، وهي الآية هذا لا يرضي الله.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا﴾

هذا في قصر يعني ما من قرية أرسلنا إليها نبياً، فإذا رفض الإنسان دعوة النبي، إذا كذبها، إذا سخر بها، انتقل هذا الإنسان إلى مرحلة أخرى، مرحلة العلاج.

أول مرحلة: التبليغ، بالحسنة، كلام، دعوة.

المرحلة الثانية: بالعقاب.

﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

هؤلاء الذين أصابهم البأساء والضراء، ماذا ينبغي أن يفعلوا ؟ ينبغي أن يتضرعوا، فإذا تضرعوا، توقف العلاج، طيب هؤلاء الذين جاءهم الأنبياء والمرسلين، أو العلماء العاملون، أو الدعاة الصادقون ماذا ينبغي أن يفعلوا ؟ ينبغي أن يستجيبوا، فإذا استجابوا انتهى كل شئ، أن لم يستجيبوا، انتقلوا إلى مرحلة أخرى، مرحلة الشدة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

لماذا:

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94)﴾

فإنسان يأتي ربه بالدعوة الحسنه، و إنسان يأتي ربه بعد الشدة، كلاهما على العين والرأس، واحد يأتي بالحسنة بالكلام لم يستجب بالكلام، لم يصغي، لم يهتم، لم يعبئ، طيب، في طريقة ثانية، بالحمية بطبيب، ما احتمى، في عملية، بتحب الحمية أهلاً وسهلاً، بتحب بالعملية في عملية، فلما لم يستجيبوا، لما لم يؤمنوا، لما لم يصدقوا، لم يصطلحوا، لم يعودوا، لم ينيبوا، طيب.

﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

وهم في البأساء والضراء ، إذا تضرعوا انتهى البأساء والضراء، حصل.

مثلاً: طبيب قرر استئصال كلية، وقبل أن يجري العملية، عمل صورة أخيرة فإذا بها تعمل ! بكامل العملية ! مستحيل، فإذا:

﴿أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94)﴾

فإذا تضرعوا، رفع الله عنهم البأساء والضراء.

المرحلة الثالثة: دعوا بالحسنة فلم يستجيبوا، ساق الله لهم الشدائد فلم يتضرعوا، قال، حتى قالوا . المرحلة الثالثة كي يقطع الله عليهم الحجة، يعطيهم، يمدهم، كانوا في فقر هي مال، كانوا في قحط هي أمطار، كان كل شئ مغلق كل شئ مفتوح.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾

المرحلة الثالثة، مرحلة التبليغ القولي، ثم مرحلة سوق الشدة، والبأساء، والضراء، بالتبليغ القولي عليهم أن يستجيبوا فإذا استجابوا انتهى كل شئ، ما استجابوا جاءت الشدة والبأساء والضراء، عليهم أن يضرعوا، ما تضرعوا، في مرحلة ثالثة الثالثة الإكرام الاستدراجي، إكرام استدراجي، في فقر هي غنى، في شدة هي رخاء، في مرض هي صحة، شو بتحكي، ليقطع الله عليهم الحجة.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا﴾

الحسنة نستهم السيئة، الرخاء نساهم الفقر، الصحة نساهم المرض، يقول لك أصبحت ذكرى.

﴿حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا﴾

هي الحياة هكذا، يوم لك ويوم عليك، نسي الله نهائياً، يقول لك هي الحياة مد وجرز، دولاب، مرة لك ومرة عليك، يوم أبيض ويوم أسود، يوم حلو، يوم حامض يوم لفان، نسي الله، نسي القرآن، نسي المعالجة، جعل هذا من الدهر.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾

(سورة الجاثية: 24)

يسب ابن آدم الدهر يسبني ابن آدم حينما يسب الدهر، وأنا الدهر أقلبه كيف أشاء، لما.

المرحلة الثالثة: جاءهم الرخاء، فنسوا بالرخاء الشدة، وقالوا هذه أحوال الناس.

﴿حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾

المرحلة الرابعة: صاروا جاهزون للضربة القاسمة:

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (95)﴾

هذا قانون : أربع مراحل: أول مرحلة الدعوة بالكلام، الثانية بالبأساء والضراء الثالثة الرخاء الإستدراجي، الرابعة القصم، هذا القانون يطبق على الأمم والشعوب والأفراد.

إنسان الله عز وجل يسوقه لك كي يبلغك الحق، ليتك استجبت، ليتك أنبت، ليتك أصغيت، ليتك أهتميت، لا.

في بأساء وضراء، ليتك تضرعت، انتهى البأساء، ما تضرعت.

في استدراج إكرامي، إكرام استدراجي، خذ، ليتك تأثرت، ليتك شكرت، لا نسيت، وقلت هكذا الحياة، مدٌ وجزر، أخذٌ وعطاء غنى وفقر، صحةٌ ومرض، يوم لك ويوم عليك، حتى قالوا مس آباءنا الضراء، القضية طبيعية جداً، شئ مألوف، سنة محل وسنة خير سنة شدة، سنة فقر، هي المرحلة الثالثة.

الرابعة: وضعوا في خانة الإهلاك.

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (95)﴾

أخوانا الكرام هذه سياسة الله مع عباده، وهذه سنة الله في خلقه وهذا قانونٌ مستنبطٌ من قصص الأنبياء، أنا أرى أن أسعد إنسانٍ، هو الذي يستجيب إذا سمع الحق، هذا أرقى إنسان، أعمل عقله، في مرتبة أدنى، حينما تأتي الشدة يستجيب، ماشي كمان على العين والرأس، لعلهم يتضرعون، لكن الثالث جاءه الرخاء، كان بضيقة صار برخاء، كان بفقر صار بغنى، كان مريض تخطيط بخوف طلع ما في شئ، خطأ في التخطيط ما طلع في شئ، بهذا المكان واحد راكب سيارته، طب على المقود جلطة، أخذ إلى المستشفى كان صديقه قريب منه، أخذه على المستشفى، بالعناية المشددة، صحي طلب مسجلة، وشريط كاسيت، المحل الفلاني الذي، لأخواتي أنا مغتصبه، البيت الفلاني، الأرض الفلانية، صرح بكل الحقوق عال والله ! معنى تاب، بعد يومين لقى حاله، ما في شئ أبدا، رجع مشي وين الشريط هاتوا كسره!! بعد ثمانية أشهر ؟ جاءت القاضية ! كان هذا إنذار مبكر، مات فجأةً موت نهائي.

فإخوانا قانون دقيق، أول مرحلة إعلام، كلام، إن كنت ذكي جداً على الكلام أبدء، أستفيد، ما أستفد بكلام، في شدة، إن كنت أقل ذكاء تضرع يتوقف البلاء، ما تضرعت، في رخاء استدراجي بالرخاء أشكر يا رب لك

الحمد، بدلت فقرنا غنى، وبالرخاء ما أستفدته، المؤمن يفهم على الله، المؤمن عنده حساسية بالغة المؤمن لأدنى ضيق بقلك أنا لازم كون عامل شيء، هي الآية أخوانا الكرام قانون، سنة الله في خلقه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا﴾

تركيب قصري.

﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94)﴾

ما تضرعوا.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا ﴾

نسيوا.

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آَبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (95)﴾

هنيئاً لمن يستجيبوا بالدعوة القولية.

هنيئاً لمن يستجيبوا بعد البأساء والضراء.

هنيئاً لمن يأتي بالرخاء.

الويل لمن لم يستفد، لا من الدعوة السلمية ولا من البأساء والضراء ولا من الرخاء، هذا عندئذٍ يتعرض لإهلاك الله عز وجل له.

لذلك دققوا في هذه الكلمة، **من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر**، هو المصبية، إذا الإنسان ضاقت به الدنيا وما تأثر ولا استجاب، ولا صحح، ولا أناب، ولا تاب، هذا ميت القلب، الله سبحانه وتعالى قال:

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)﴾

(سورة النحل: 21)

كم مرحلة ؟ أربعة: الأولى دعوة قولية، والثانية دعوة عن طريق الشدة، والثالثة عن طريق الرخاء، والرابعة قصم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : تفسير الآية 188 ، لايعلم الغيب إلا الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام يقول الله في كتابه الكريم في سورة الأعراف الآية الثامنة عشر بعد المائة:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)﴾

النبي الكريم، لا يملك نفعاً ولا ضراً لا لنفسه ولا لغيره ولا يستطيع أن يكره إنسان على الهدى، هي المقاييس.

أمامك قطع من الذهب، وهذه القطع، ذهب خالص، من هذه القطع عيار واحد وعشرين، الذهب، ثماني عشر، ست عشر، إحدى عشر، نحاس مطلي ذهب، نحاس ملمع تنك، يحتاج إلى مقياس يعرف عيار العالي من المتدني، فنحن أحياناً نحتاج إلى مقياس، نقيس فيه هذه المقولات في الإسلام، آلاف المقولات، من هذه المقاييس:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾

هذا النبي الكريم، سيد الخلق وحبيب الحق، قال له يا محمد قل لهم:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾

الآن نبحث في القرآن عن مشابهات لهذه الآية:

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾

(سورة الأنعام: 50)

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾

(سورة الأعراف: 118)

مشابه ثالث:

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً﴾

(سورة الجن: 21)

﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾

﴿لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾

﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً﴾

إذا كان هذا شئن النبي، المعصوم المخلوق الأول، سيد الخلق حبيب الحق، فهل يدعي إنسان في مؤخرة الصف، في الدرجة الدنيا أنه يعلم الغيب ؟ هي القصة، هذه الآيات الثلاثة، ممكن تنفي فيهم مليون قصة، مليون مقولة باطلة بالإسلام، مليون دعوة من بعض الدعاة، مليون سحبة، مليون فرية مليون دجل، مليون تزوير.

إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب فكيف تأتي إنساناً وتقول له حدثني عن مستقبلي، من أتى كاهناً فقد كفر، من أتى ساحراً ولم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، ولا دعاء أربعين ليلة، لا أعلم الغيب، أخي شو اسمك، أنا عندي حساب الأرقام الميم رقمها كذا، أنت أخرتك غني، كله دجل، هناك من يعتقد ذلك، من يقتني كتب، حتى لو قرأت حظك هذا الأسبوع في المجلات فأنت آثم من برج الثور مثلاً، شو يساوي هذا البرج ؟ في صعوبات أمامك في أكمات، في دفعة جانبية، كله كلام فاضي، ولا أعلم الغيب، أبداً النبي الكريم:

﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً﴾

ثلاث مقاييس، تنفي بهذه المقاييس الثلاثة، آلاف القصص الخرافية، آلاف الضلالات آلاف الافتراءات، آلاف الكذب، آلاف أنواع التدجيل، دائما الميزان هو القرآن هذا كتاب من عند الله.

إذا كان الله عز وجل يأمر نبيه قل، أن يصرح، ويبين ويؤكد، من دون إخفاء، أنه:

﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾

فلا أن لا يملك لغيره من باب أولى، في آية أوضح:

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً﴾

واحد جاء النبي وكان طليق اللسان، قوي البيان، قوي الحجة احتكم اثنان إلى النبي، أحدهما ألحن، ذكي، طليق اللسان، عنده قوة إقناع، فأقنع النبي أنه على حق، والنبي قنع مثلاً، وأفتى له، أو حكم له، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لعلى أحدكم ألحن بحجته من الآخر فإذا قضيت له بشيء، فإنما أقضي له بقطعة من النار))

معناها ما استفدنا شي، لو انتزعت من فم النبي حكماً لصالحك لا تنجو من عذاب الله، هي مقاييس دقيقة جداً، لو أن إيمانك كان بهذا المستوى، لا تتكل لا على فتوى، ولا كلام شيخ، رب عادل، هذا كلامه واضح كالشمس.

فلذلك، ممكن وأنا لا أبالغ، ممكن إذا حفظت هذه الآيات الثلاث، أن تنفي من خلالها، آلاف القصص الخرافية، المبنية على الخجل، المبنية على التزوير، مبنية على الإيهام، مبنية على المصالح المادية.

أشخاص، بدنا نفك السحر، راح لعند هذا الشيخ قال له بدي خروف مصالح كلها، مصالح، فعليك بكتاب الله.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ما إن تمسكتم بهما فلم تضلوا بعدي أبداً كتاب الله، وسنة نبيه.))

كتاب الله كتاب خالق الكون، والسنة بيان للكتاب المعصوم.

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾

(سورة النجم: 3 ـ 4)

هي الضمانات كلام الله وحي في مليون دليل على أنه كلام الله إعجازه، والسنة المبينة، الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نأخذ عن النبي وقال إنه معصوم، ما عنا ثوابت بالدين إلا الكتاب والسنة، ما قال أحد العلماء الكبار، وأظنه الإمام مالك: **ما جاءنا عن صاحب القبة الخضراء فعلى العين والرأس، وما جاءنا عن سواه، فهم رجال ونحن رجال، كل إنسان يأخذ منه ويرد عليه، إلا صاحب هذه القبة الخضراء.**

فمن أجل أن تتبنى العقيدة بناء صحيح، من أجل أن لا نقع بالأوهام ما نروح فرق حساب، الآن إذا واحد سمع أن النبي سيشفع لنا وافعل ما تشاء أنت من أمة محمد، أمة محمد مرحومة يا أخي، اللهم صلي عليه، زده صلاة، وافرحوا، كل مال حرام، وافعل ما تشاء النبي يشفع لك، فكيف إذا فوجئت يوم القيامة، بأن الله عز وجل يقول:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19)﴾

(سورة الزمر: 19)

النبي يرى أمته، يقول: أمتي، أمتي، يقال: لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، يقول: سحقاً، سحقاً، يا فاطمة بنت محمد، يا عباس عم رسول الله، أنقذا نفسيكما من النار، أنا لا أغني عنكما من الله شيئاً لا يأتيني الناس بأعمالهم، وتأتوني بأجسادكم، من يبطئ به عمله، لم يسرع به نسبه احفظ هذه الآيات الثلاث. واحد يقف قدام الشيخ محي الدين رضي الله عنه وأرضاه وأنا أعتقد بولايته، أنا بدي ولد يا شيخ محي الدين، شرك هذا، إذا كان النبي لا يملك لك نفعاً ولا ضرا، الشيخ محي الدين يملك لك نفعاً لا ضرا، مستحيل.

لنبني العقيدة بناءً صحيح، النبي سيد الخلق، وحبيب الحق سيد ولد آدم المعصوم، الذي يوحى إليه، الذي أيد بالمعجزات، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا ولا يملك لنا نفعاً ولا ضرا، والنبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب، انتهى الأمر.

إذا كان هذا مقام النبي، فما قولك ما دون النبي.

فأنت ممكن بهذه الآيات الثلاثة، تنفي الخرافات، تنفي السحبات، تنفي الدجل تنفي الافتراءات، تنفي ما أضيف على الدين مما ليس منه، لأنه آن الأوان أن نصحوا من غفلتنا، آن الأوان أن ننهض، يعني إله الصحابة إلهنا الذي نصرهم ينصرنا، لكن الله قال:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي﴾

(سورة النور: 55)

فيا أخوانا: كتاب الله، وسنة رسوله، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا أبدا، مقياس، لا تصدق واحد جاءه ولد لأن الشيخ حط يده عليه، سحبات كلها هي.

النبي عليه الصلاة والسلام، كان عند أحد أصحابه وقد توفاه الله عز وجل، سمع من وراء الستار، امرأة تقول هنيئاً لك أبا السائب لقد أكرمك الله، النبي لو سكت كان كلامها صحيح، النبي فقط، لأنه مشرع، أنا إذا سمعت كلام وسكتت ما لي مآخذ، أما النبي بالذات لو سكت لكان هذا الكلام صحيحاً، لأنه سنته وأقواله، وأفعاله، وإقراره إذا واحد حكى قدام النبي كلام، والنبي بقي ساكت هل الكلام صار صحيح، قالت له هنيئاً لك أبا السائب لقد أكرمك الله، فقال عليه الصلاة والسلام:

((ومن أدرا كي أن الله قد أكرمه، هذا تألي على الله قال لها قولي أرجو الله أن يكرمه، وأنا نبي مرسل لا أدري ما يفعل بي ولا بكم.))

هذه العبودية، هذا حجمك الطبيعي، إذا كنت بحجمك الطبيعي ترقى عند الله، أما إذا كبرت حال تصغر، لا تكبر عند الله إلا إذا كنت عبداً له، إلا إذا اعترفت أنك لا تملك نفعاً ولا ضرا.

فكل إنسان يعطيك توجيهات، أنه أنا بقدر أعمل هذا يطلع بواحد يهديه ما هذا الكلام هذا، قال إن الله لا تهدي من أحببت هذه رابعة نسيناها والله.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

(سورة القصص: 56)

من عباده، مخير الإنسان.

إذاً لا يملك لك ضراً ولا نفعاً، ولا يملك لنفسه ضراً ملا نفعاً ولا يعلم الغيب، ولا يستطيع أن يهدي أحداً، إلا أن يختار الهدى الإنسان.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

من يشاء الهداية، يهديه الله عز وجل، أما أنت تلزم إنسان بالهدى لا تقدر.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ﴾

(سورة الشورى: 52)

دعوتك حق، لو واحد اتبعك وصل للحق، أما لا تستطيع أن تكره إنسان على أن يؤمن الإنسان مخير، هذه الحقيقة أربع آيات، أربع مقاييس، لا يعلم الغيب إلا الله، النبي الكريم لا يملك نفعاً ولا ضراً، لا لنفسه ولا ليغيره ولا يستطيع أن يكره إنسان على الهدى، هذه المقاييس.

لذلك القرآن هو المقياس، هو المرجع، هو القانون، هو الصح لأنه كلام الله عز وجل.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾

(سورة فصلت: 42)

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : تفسير سورة الأنفال

الدرس (6-1) : تفسير الآية 1 ، الإصلاح

الدرس (6-2) : تفسير الآيتان 20-21-22 ، سلوك الإنسان الحقيقي

الدرس (6-3) : تفسير الآيات 2-3-4 التعريف بالمؤمنين

الدرس (6-4) : تفسير الآية 72 ، المعنى الحقيقي للهجرة

الدرس (6-5) : تفسير الآية 60 ، الإعداد للعدو

الدرس (6-6) : تفسير الآية 59 ، الحكمة المطلقة

الدرس (1-6) : تفسير الآية 1 ، الإصلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ يتوهم المسلمون أنّ أوامر الدين تقتصر على العبادات الخمس التي أشارت إليها الأركان الخمسة للإسلام ؛ من صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، ونطقٍ بالشهادة.

لكن الحقيقة ؛ واسمعوا لهذه القاعدة، أنّ كل أمرٍ في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، أيّ أمرٍ في القرآن الكريم يقتضي الوجوب.

لذلك أنت أمام، آلاف بل عشرات الآلاف من الأوامر الإلهية، وإذا كنت مؤمناً حقاً فكل آيةٍ قرآنيةٍ تتوجه إلى المؤمنين تشير إلى أمر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾

(سورة التوبة:119)

هذا أمر:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية: 1)

هذا أمر:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾

(سورة البقرة: 43)

هذا أمر، فأيّ أمرٍ في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، وأنت حينما تقرأ كلام الله عز وجل، انتبه إلى أفعال الأمر، إذا أتى أمر فلم تتحرك نحو تطبيقه فلست مؤمناً.

والآن ما الأمر ؟:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)﴾

ما هي ذات البين، هي النفس التي بين جوانحك، أنت الآن مأمور من قِبَلِ الله عز وجل بآيةٍ قطعية الدلالة، قطعية الثبوت أنْ تصلح ذات بينك، وكيف تصلح ذات بينك ؟ عن طريق تطهيرها من الأدران، وتحليتها بالكمال، عن طريق تطهيرها من الأدران، فأمراض النفس كثيرة، الِكبرُ من أمراض النفس، الأثرةُ من أمراض النفس عدم الإنصاف من أمراض النفس، المحاباة من أمراض النفس، النفاق من أمراض النفس، العجُب من أمراض النفس، الحقد من أمراض النفس، القسوة من أمراض النفس.

﴿أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

بتنقية نفوسكم من النقائص، من الأدران، من الأمراض، هذه الأمراض هي التي تعذِّب صاحبها يوم القيامة، بل إن أمراض الجسد تنتهي عند الموت لكن أمراض النفس تبدأ تأثيراتها السلبية المؤلمة الساحقة المُشقية عند الموت.

قال تعالى:

﴿أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

لا يُكتفَى بتطهير النفس من الأدران، لا بد من تحليتها بالكمال، تحليتها بالرحمة، بالإنصاف، بالإيثار، بالتضحية بالإكرام، بالالتزام، بالتواضع، هذا هو المعنى الأول، وللآية ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول أصلح نفسك، والدليل:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

(سورة: الشعراء 89)

إذاً في جزءٍ من وقتك يجب أن تستبطن ذاتك، أن تتأمل هل هناك أغلاط ؟ هل هناك أمراض ؟ هل هناك أدران ؟ هل هناك نقائص ؟ هل هناك أمراض نفسية ؟ أفيَّ حقد وفيَّ كبر ؟ أفيَّ عُجب ومحاباة ؟ أعنديَ نفاق وتدليس ؟ ألديَّ تدجيل وتزوير ؟، هذه كلها أمراض تهلك صاحبها، بعد أن كرمك الله بأن تتخلى، أو أن تتطهر من هذه الأمراض، هل هناك كرم ؟ هل هناك عفو ؟ هل هناك رحمة ؟ التخلية والتحلية، التطهير والتنوير.

إذًا حسب المعنى الأول:

﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

أي النفس التي بين جوانحكم، أمّا المعنى الثاني:

﴿أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

أصلح ما بينك وبين إخوانك، فما يكون لديكم تقاطع، ولا تدابر وبغضاء، ولا شحناء، وخصومات، مثل علاقات مالية سيئة، علاقات اجتماعية سيئة.

﴿أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

أصلح ما بينك وبين المؤمنين، وهم أولى الناس بمودتك، وأصلح ما بينك وبين الناس عامةً.

فما بينك وبين الناس قد يزول بالاعتذار، بحل مشكلة، فأحيانًا تنشب في خصومةٌ بينك وبين أخٍ، فهديةٌ كما قال عليه الصلاة والسلام:

((هذه الهدية تذهب بوحل الصدر))

اعتذار، اعتراف، أداء حقوق، طلب مسامحة، تقديم هدية، فهذه العلاقة السيئة، هذه الخصومة، هذه المشاحنة، هذا الحقد، هذا الارتباك، هذا الاضطراب يجب أن يزول، وممكن إزالته وأنت على وجه الأرض، هو قضية سهلة، لأن حقوق العباد مبنية على المشاحة، أيْ أدِّ الحق يسامحك، أدِّ الحق يعفُ عنك.

المعنى الثالث، أصلحْ ما بين الناس.

أولاً أصلح نفسك التي بين جنبيك داخلياً.

ثم أصلح ما بينك وبين الآخرين، فهذه علاقة أنت أحد أطرافها.

ثم أصلح ما بين شخصين.

الإنسان المؤمن دائماً يصلح ولا يفسد، يصل ولا يقطع، فإذا دخل إلى بيت أخته مثلاً، وأثنى على زوج أخته، يقرِّب بين الزوجين، أما إذا ذمَّ زوج أخته، ما هذا البيت ؟! كيف وسعكما ؟! والله يليق بكِ قصر، ماذا فعلت أنت ؟ لقد أفسدتَ بين أختك وزوجها، أما إذا أثنيت على أخلاق صهرك ؛ إنسان شهم، طيب، والأصل الأخلاق يا أختي، وهذا رجل عظيم، وأسأل الله أنْ يكرمه لكل تكرمة، فهذا كلام، وذاك كلام، لكن شتّان بين الإيجاب والسلب.

المؤمن دائماً يصلح بين زوجين، بين أخوين، بين شريكين، بين أب وابنه، بين أخ وأخيه، بين شريك وشريكه، دائماً يصلح، ولا يفسد، والشيطان دائماً يفسد، كيف ما تحرك قطع العلائق، فأول معنى، أصلح نفسك، بتطهيرها من الأدران، وتحليتها بالكمال.

المعنى الثاني، أصلح ما بينك وبين إخوانك، وكن منصفًا، أدِّ الذي عليك، اعتذر إذا وقعتَ في خطأ، أدِّ الحق إذا كان عليك حق، وإذا كنتَ مقصِّرًا فعالج التقصير، وإنْ تُحل القضية بهدية فقدِّم هدية، وإنْ تُحل بزيارة فزرْهُ، وبادره بالزيارة، لا تسمح ببقاء علاقة متوترة، ولا علاقة متشنجة، لا تَدَعْ حقدًا، أو خصومة، أو انحرافًا يفرِّق بينك وبين الآخرين، أصلح ذات بينك.

الحالة الثالثة، أنت تعيش في مجتمع، لك جيران، لك أقرباء لك أزواج بنات، لك أزواج أخوات، لك أصهار، لك أولاد، حاول أنْ تقرِّب بين الناس.

لذلك أفضل شفاعةٍ أن تشفع بين اثنين في نكاح.

قال لي رجل: شكوت إلى أخٍ أختَه، أخ زوجته، أختك تفعل معي كذا، أختك تفعل كذا.

قال له: طلقها، واللهِ هذا أحسن لك، أهذه نصيحة !؟ لكني أقول: هذه قبيحة وليست نصيحة.

قال له: طلقها أحسن لك، هذا إنسان مفسد ! فالشيطان دائماً يحلو له الإفساد، تقطيع العلاقات، إيقاع ذات البين، إقامة هوّة بين الناس، المؤمن من صفاته الأساسية، يقرب، يوحد، يؤلف.

لذلك أحيانًا كلمة قد تكون مدمِّرة.

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

لا يلقي لها بالاً.

((لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه))

قال:

((يا رسول الله وهل نؤاخذ بما نقول، قال ويحك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم))

قضية كبيرة، فهذه آية، لتَكُن القاعدة عندك ؛ وهي أنّ كل أمرٍ يقتضي الوجوب، فأنت لستَ أمام خمسة أوامر في القرآن، صوم، وصلاة وحج، وزكاة، أنت أمام مئة ألف أمر، هذا أمر منها.

قال لك:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾

يجب أن تكون مع المؤمنين، أن تكون معهم بكلّيتك.

قال لك الله عز وجل:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

(سورة الكهف: 28)

هذا أمر.

فاقرأ القرآن، وكلما وقفت على أمرٍ دقق، أين أنا من هذا الأمر ؟ هل أنا مطبقٌ له ؟ فهذا أمر:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

أصلح نفسك وحدها، وأصلح ما بينك وبين الآخرين، وأنت طرفٌ، وأصلح بين اثنين، وهذا من صفات المؤمن، والقرآن كما قال سيدنا علي: حمَّال أوجه، أيْ له أوجه كثيرة.

إذاً مرة ثانية:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)﴾

فإذا حفظ الإنسان هذه الآية، وكلما جلس مع أخ، بيَّن له معناها، ولها ثلاثة معانٍ بسيطة:

أصلح نفسك بالاتصال بالله تشفَ من أمراضك.

أصلح نفسك بالاتصال بالله تتحلَّ بالكمال، كمِّل نفسك أولاً، وكل علاقة، مع أقربائك، مع جيرانك، مع زبائنك، مع أصحابك، مع زملائك بالمهنة، أصلحها، بالاعتذار، بأداء الحقوق، بتقديم هدية، وكذلك أصلح بين اثنين إنْ كنت تعرف بوجود خصومة بين زوجين، الزوج يكون ابن أخيك فرضاً، والزوجة تكون بنت أختك مثلاً، لا تقل: يصطفلوا ! "ينباعوا بالعزى" ! "فخار يكسر بعضه"، هذا من أخلاق الشيطان، لكنك أصلح ذات بينك، وذات بين الناس.

أحيانًا تنشأ بين زوجين خصومة، فالزوج ركِب رأسه، والزوجة ركبت رأسها، فهما يحتاجان طرفًا ثالثًا يوفِّق بينهما، يكون هو كبش الفداء، اذهب وزُرْ أهل الزوجة، وبيِّن لهم شمائل الزوج، وزُرْ الزوج، وأقنعه أنّ زوجته جيدة، وفِّق بينهما، المؤمن من شأنه أن يصلح، والمنافق من شأنه أن يفسد، ودائماً يقطع العلاقات، أمّا المؤمن فإنّه يصلها، والنبي يقول:

((ليس منا من فرق))

ليس منا، يعني برئ النبيُّ منه ومِمّن يفرّق بين الناس، أحيانا يفرق بين علماء المسلمين، يحضر مجلسَ علم، يسمع كلمة فيخطفها خطفًا ولم يفهمها، ينقلها لعالم آخر، سيدي هكذا قال فلان، فما قولكم، فتحرجه أنت بكلام غلط، تحدث أحيانا خصومات بين دعاةٍ، ما السبب ؟ هم كلهم على حق، لكن لأنّ النقل عنهم غلط، النقل عنهم كان مغلوطًا.

فالمؤمن يصلح دائمًا، ولا يفسد، يصل ولا يقطع.

آخر حديث:

((أمرني ربي بتسع ؛ خشية الله في السر والعلانية، كلمة العدل في الغضب والرضى، القصد في الفقر والغنى، وأن أصل من قطعني، وأن أعف عمن ظلمني، وأن أعطي من حرمني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرةً))

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-6) : تفسير الآيتان 20-21-22 ، سلوك الإنسان الحقيقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد.

أيها الإخوة الكرام ؛ في سورة الأنفال آيات، وهذه الآيات أرقامها عشرون وواحدة وعشرون واثنتان وعشرون ؛ يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ(23)﴾

من أدق الآيات المتعلقة بالسماع:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾

تعرضوا عنه، لا تديروا ظهوركم لهذه الدعوة، لا تنصرفوا عنها، هي تولوا عنه.

﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20)﴾

يعني كتاب الله يتلى عليكم صباحاً ومساء، تستمع لهذا الكتاب، بالمناسبات الحزينة، في عقود القران أحياناً، تسمع في الإذاعة أحياناً، تقرؤه كل يوم، أنت بين يديك كتاب الله عز وجل، إذا أردت أن تخاطب الله فادعُهُ، وإن أردت أن يخاطبك الله فاقرأ القرآن.

﴿لَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20)﴾

مثلاً إنسان يقرأ القرآن، يستمع للقرآن، بلَغَهُ القرآن، يَفهمُ القرآن، ثم تجده يتعامل في بيته وفي تجارته بخلاف أحكام القرآن.

لذلك ورد في الحديث أنه:

((ما آمن بالقرآن من أستحل محارمه ما آمن بالقرآن من أستحل محارمه))

وورد أيضاً:

((رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه))

وإذا قلت: صدق الله العظيم، ولم تكن مطبقاً لأحكام القرآن، فهذا كلام منكَ غير صحيح، أنت ما صدقته، أنت في الحقيقة تكذبه.

والاتجاه الجديد حاليًا في العالم كله، أن الإنسان لا يُقَيَّم أبداً من أقواله ولا من معتقداته، بل يُقَيَّم فقط من سلوكه، لأن سلوك الإنسان هو الترجمة الحقيقة لمعتقداته وتصوراته، فإذا قال إنسان: أنا مؤمن بالله، وأسعى للآخرة، وأخاف دخول جهنم، ولم تر في عمله ما يؤكد ذلك فهو كاذب.

فبالسلوك إذًا التقييم الحقيقي، لأنّ رفع الشعار سهل، الادِّعاء سهل، دعوة الانتماء سهلة، كل إنسان لسانه يتكلم كما يشاء لكثرة الكذب والدجل والتزوير والانتماءات الباطلة، والادعاءات الفارغة لدى الناس.

لذلك اتَّجه الناس الآن إلى تقييم الإنسان لا من أقواله، ولا من تصوراته، ولا من إشاراته، ولا من لفتاته، بل من عمله فقط، هذا المعنى تؤكده هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20)﴾

أيْ تسمع القرآن، والآية الأخرى تقول:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

(سورة النور: 30)

فكيف تطلق بصرك في الحرام، والآية تقول:

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾

(سورة البقرة: 221)

كيف ترضى لابنتك زوجًا غنيًا ولا يصلي، وليس فيه دين.

والله عز وجل قال أيضًا:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾

(سورة البقرة: 276)

فكيف تتعامل تعاملاً ربوياً.

والله عز وجل يقول:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾

(سورة التوبة: 103)

فكيف تقصر في دفع الزكاة.

والله عز وجل يقول:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)﴾

(سورة يوسف: 52)

فكيف تحتال على بعض الناس ؟.

إنّ القرآن بين أيدينا، وعلى الإنسان أنْ يكون صادقًا مع نفسه، يعني هذه النشاطات الفارغة، كل عبادة لا تكلف شيئًا يبادر لها، أما عند الدفع، عند الحلال، عند الحرام، عند الأخذ، عند العطاء، عند أداء الحقوق، عند الاعتراف بالحقوق يقول: عليك بالمحاكم، أهذا شأن المؤمن ؟ يقول لك: هذه المحاكم أمامك، يجب أن تؤدي الحق من دون دعوى إنْ كنتَ مؤمنًا، ومن دون محكمة، فالمؤمن وقَّافٌ عند القرآن، يؤدِّي كلّ حقٍّ عليه.

﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20)﴾

الآية التي بعدها:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21)﴾

ذكرت هذا قبل فترةٍ في بعض أحاديثي، ماذا أراد الله بكلمة أننا سمعنا ؟! وقد ذكرتُ يومها مثلاً يوضِّح الآية. إذا شاهد شخصٌ على كتف صديقه عقربًا، وقال له: العقرب العقرب ، فالذي على كتفه العقرب قال بهدوء وراحة وبساطة: أنا أشكرك أشدَّ الشكر على هذه الملاحظة القيّمة، وأنا لا أملك إلا أن أعبّر عن تقديري الجزيل لهذه اللفتة البارعة، فقد سمع ما قال له، وحذَّره، فإذا بقي هادئًا، فلعلّ اهتزاز الصوت وصل إلى طبلة أذنه ولم يفهم شيئًا، فالعلماء يفرقون بين الصوت والكلام، ممكن أنْ تسمع ضجيجًا، وممكن أنْ تسمع من بعيد إنسانًا يتكلم، لكنّك لم تفهمْ من كلامه شيئًا، فهذا يعني صوتًا، اهتزاز بوسط مرن، هذا هو الصوت، لكن مضمون هذا الصوت هل فهمته ؟ لا.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21)﴾

يعني أنّ الله عز وجل أراد بالسماع التطبيق، شيء طبيعي إذا قيل لإنسان: على كتفك عقرب فانتبه، أن يقفز، ويهيب واقفا، وأن ترتعد مفاصله، وبعد أن يزيله عن كتفه يقول: شكراً، أما إذا جامله، معنى ذلك أنه ما سمع قولَه، لقد سمِع صوتًا، ولم يفقه له معنًى.

فحينما يخاطب المؤمن خطاباً معيناً ولا يتحرك، فهذا المؤمن إنْ لم يتحرك فهذا لم يفهم مِن الخطاب شيئًا، نحن في ذكرى الهجرة هذه الأيام، والله عز وجل قال:

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾

(سورة الأنفال: 72)

فإذا لم تأخذ موقفًا عمليًا، وإذا لم تتحرك، ولم تقف موقفًا إيجابيًا، ولا اندفعت، ولا أعطيت، ولا منعت، ولا وصلت، ولا قطعت، ولا غضبت، إن لم تتحرك، بناءً على معتقداتك، فهذا الاعتقاد السلبي الذي لا يقدم ولا يؤخر لا شأن له عند الله.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21)﴾

لو سمعت الحق لأمضيت الوقت كله في التقرب إلى الله عز وجل، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول في بعض الأحاديث:

((إنّ روح الميت ترفرف فوق النعش، تقول يا أهلي يا ولدي، لا تلعبنَّ بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال مما حل وحرم، فأنفقته في حله وفي غير حله، فالهناء لكم، والتبعة عليّ.))

جاء في الحديث الشريف أنه:

((ما من بيت، إلا وملك الموت يقف فيه في اليوم خمس مرات، فإذا رأى أن العبد قد انقضى أجله، وانقطع رزقه، ألقى عليه غم الموت، فغشيته سكراته، فمن أهل البيت، الناشرة شعرها والضاربة وجهها، والصارخة بويلها، يقول ملك الموت: ممَّ الفزع ؟ وممَّ الجزع، ما أذهبت لواحد منكم رزقاً، ولا قربت له أجلاً، وإنّ لي فيكم لعودة، ثم عودة، حتى لا أبقي منكم أحداً))

يقول عليه الصلاة والسلام:

((فو الذي نفس محمد بيده، لو يرون مكانه، ويسمعون كلامه، لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم.))

كثير ما تلاحظون أنه عندما يموت الإنسان، إذا كانت يده قابضة يفرحون، هو طبعاً في حزن معلن، يطيلون شعرَ ذقونهم، يلبسون الأسود، لكن عملياً يفرحون، لقد أخذوا الثروة، فهذا الذي فرح ألم يعلم أنه حين يموت سيفرح الآخرُون مثل فرحه هو يوم أخذ الثروة.

منذ عدة سنوات توفي إنسان بهذه البلدة، وترك ألف مليون ! أحد الورثة نصيبه مئة وعشرون مليونًا، ترك عمله، وترك محله التجاري، وشمّر وبدأ يتابع حصر الإرث، إنّه مبلغ ضخم، لم يدخل إلى محله التجاري ستة أشهر، وهو يتابع معاملة الميراث، وفي أحد الأيام دخل الحمام ليغسل فسقط ميتاً، قبل أن يأخذ قرشاً واحداً.

هذه الحياة، فلذلك على الإنسان أنْ يحتاط.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21)﴾

معنى ذلك أنّ الله عز وجل يعني بالسمع أنْ تستجيب، أعطاك أمرًا لتنفيذه، هذا السماع، وإلا فهذا الإنسانُ ميت إنْ لم ينفذ الأمرَ، ثم يقول الله عز وجل – يا لطيف ما أدقَّ هذه الآية:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22)﴾

يوصف بأنه ذو ضرس طيب، أذواقه في الدنيا عالية، يعرف من أين تؤكَل الكتف، قناص درجة أولى، يأخذ حقَّه حقَّ غيره، لسانُه له سبع شطلات، أما عند معرفة الحقوق، وعند معرفة الله، فهو جاهل.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22)﴾

مرة التقيت شخصًا أجنبيًا، قلت: لعلى أُلقي على سمعه بعض الكلمات التي تذكِّره بالله عز وجل، فذكرت له كلامًا موجزًا عن عظمة الخالق، ففوجئت أنه يقول لي: هذه الموضوعات لا تعنيني، ولا أهتم لها، ولا أُلقي لها بالاً، لا يعنيني إلا ثلاثة أشياء ؛ بيتٌ واسع، وسيارةٌ فاخرة، وامرأةٌ جميلة.

طيلة حياتي ما تذوقت هذه الآية، كما تذوقتها حينما سمعت كلامه، قال سبحانه:

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾

وقال عز وجل:

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

(سورة النحل: 21)

شخص عربي مسلم جلس في أمريكا بحديقة عامة، وجلس إلى جانبه رجل أمريكي الأصل، وهذا المسلم العربي لونه غامق، فسأله الأمريكي: أنت من هنا ؟ ولو قال له: نعم لما كلمه إطلاقاً، بسبب التفرقة العنصرية في تلك البلاد، قال له: أنا من الشرق، من أين ؟ قال: من البلد الفلاني، قال: أنا مسلم، قال له: حدثني عن الإسلام، هذا رجل عالم، فشمَّر وبدأ يعطيه خلال ساعةٍ خلاصةً مركزةً عن الإسلام، بعد أن انتهى، مدَّ يده إلى جيبه وأخرج دولارًا، ثم قال له: أمّا أنا فهذا هو ربي.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾

يعني إذا كان الشخص فيه خير من تلك البلاد فلا بد أنْ يسوقه اللهُ إلى بلد مسلم، أو أنّ الله يدله عليه، فهذه الآية دقيقة، يقول بعض الناس: هؤلاء قد تركهم الله وشأنهم، ليس هذا صحيحًا:

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾

هذه الآية فيها بشرى لنا جميعاً، إذا أسْمَع الله شخصًا الحقّ فماذا يُفهَم من ذلك ؟ أن الله علم فيه خيراً، المعنى المخالف.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾

طبعاً ما أسمعهم، لأنه لم يعلم فيهم خيراً، فإذا أسمع الله عبداً الحقَّ، فماذا يعني ذلك ؟ أنه علم فيه خيراً، لمجرد أن الله سبحانه وتعالى، شاءت حكمته أنْ تولد أنتَ في بلاد المسلمين، فهذه رحمةٌ من الله عز وجل.

أحد إخواننا كان في بلد أجنبي، يعمل سائق تكسي، ركبت معه امرأة وهي تبكي، وهو يقود السيارة، سألته لمَ لمْ تسألني عن سبب بكائي ؟ فقال لها: هذا لا يعنيني، قالت له: أبي يمارس معي الجنس منذ عشرين عامًا، واليوم قدَّمت في حقه شكوى، فقد كان زنى المحارم شائعًا هناك.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)﴾

إذًا:

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)﴾

هذه الآيات دقيقة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22)﴾

يعني شر الدواب، "**شر**" اسم تفضيل، شر دابةٍ على وجه الأرض، الذي يأكل ويشرب، ويستمتع، لكنه لا يعقل، لا يسمع ولا يفكر.

﴿الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾

وليس فيهم الخير.

﴿لَتَوَلَّوْا﴾

هذه الآية قد تذوقتُها، عندما قال لي الأجنبي،: هذه الموضوعات لا تعنيني أبداً، ولا أهتم لها، يعنيني زوجة جميلة، وبيت واسع، وسيارة فاخرة، فقط، فلا ترهِقْ نفسك معي ولا تتعب.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)﴾

السماع عند الله ماذا يعني ؟ التطبيق، وإنْ لم تطبّق فما سمعت شيئًا، السماع يعني التطبيق، الآيات بين أيدينا، القرآن بين أيدينا، الله يسره، تقرؤه وقد طُبِع بخط جميل، تسمعه بشريط، وتسمعه بمولد، وتسمعه في تعزية، هذا شيء دقيق، لكنّ السماع عند الله يعني التطبيق، فإن لم تطبق فأنت لم تسمع ولم تفهم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-6) : تفسير الآيات 2-3-4 التعريف بالمؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الإخوة الكرام ؛ الآيات الثانية، والثالثة، والرابعة، من سورة الأنفال، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ(4)﴾

هذه التعريفات للمؤمن لها وظيفتان.

الوظيفة الأولى: أنْ تعرف نفسك من خلالها.

الوظيفة الثانية: أنها تحدد الهدف أمامك.

تعرف وتتجه، فلو قلت لك مثلاً: إن الوردة الطبيعية تنمو، وهي ذات رائحة فوّاحة، وأنت عندك وردة لا تنمو، وليس لها رائحة فواحة، فمعنى ذلك أنّها مِن بلاستيك، فهذا التعريف الدقيق للورد الطبيعي يجعلك تقيّم ما عندك، فـ "**إنما**" أداة قصر وحصر، يعني المؤمن هكذا، وخلاف ذلك ليس بمؤمن، تقول: إنما العلم بالتعلم، يعني ليس ثمّة طريقة أخرى لكسب العلم إلا بالتعلم، تفيد القصر، مثلاً، تقول:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(سورة فاطر: 28)

يعني العلماء وحدهم يخشون الله، وليس أحدٌ سواهم.

يجب أن نعرف ماذا تعني "إنما" ؟ إنما أداة قصر، وأداة حصر، إذا قلنا: شوقي شاعر، فقد يكون شوقي كاتبًا كذلك وتاجرًا، وحقوقيًا، وقاضيًا.

أما إذا قلنا إنما شوقي شاعر، يعني أنّه شاعر فقط، قصرنا شوقي على الشعر، لو قلنا: إنما الشاعر شوقي، يعني ليس هناك شاعر آخر، هو وحده الشاعر، فإذا المؤمن عرف ماذا تعني كلمة "**إنما**"، وقرأها في القرآن الكريم يصبح فهمه للآية دقيقاً.

قال لك:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

(سورة الحجرات: 10)

يعني إن لم تشعر بهذه الأخوة مع المؤمنين فلست مؤمناً، إذا كنت تبغضهم وتحسدهم، وتتمنى أن يفشو الخبر السيئ عنهم، تتمنى تدميرهم، فلست مؤمناً قطعاً، لقوله تعالى:

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾

(سورة التوبة: 50)

فقد صاروا منافقين، فحيثما قرأت "**إنما**" في القرآن الكريم مثل:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

ومثل:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

ونحو:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

إن لم يكونوا كذلك فليسوا مؤمنين، أما لو قلنا: المؤمنون وجلت قلوبهم، فليس في الآية قصر، وجلتْ قلوبهم أَوْ لا، وغيرهم قد وجلت قلوبهم، أما إذا قلنا:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

قصرنا هذا الحال النفسي على المؤمنين، فمن لم يشعر بهذا الحال النفسي فليس مؤمناً، ولقد أردت من هذه اللقطة، أو من هذه النظرة اللغوية، أنكم كلما قرأتم آيةً قرآنيةً فيها كلمة: " **إنما**" فاعلموا أنّ "**إنما**" تفيد القصر والحصر، ولو أنّ الله عز وجل قال: العلماء يخشون الله، يعني هذا الكلام أن غير العلماء كذلك يخشون الله، أما إذا قلت:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

يعني العلماء وحدهم وليس أحد سواهم يخشون الله، إذا قلت: المؤمنون إخوة، هذا لا يمنع أن يكون الكفار إخوة أيضًا، والمنافقون إخوة، أما إذا قلت:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

أي الأخوّة محصورةٌ ومقصورةٌ بين المؤمنين، ومن لم يشعر بهذه الأخوّة فليس مؤمناً، والكلام واضح.
وآيات اليوم التي نحن بصدد الاستفادة منها:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

يعني أنّ الله عز وجل يذكِّر بآياته الكونية، يذكِّر بآياته التكوينية، يذكر بآياته القرآنية، وتذكر أيضًا أسماؤه الحسنى، تذكر صفاته العظمى، يذكر فضله، تذكر عظمته، يذكر حلمه، تذكر رحمته، تذكر قدرته، ثم لا تضطرب ، ولا تهتز لك حاسة ، ولا تشعر بقشعريرة بجلدك، لا تشعر بوجلٍ في قلبك، لا تضطرب ، لا تبكي لا تتأثر ، فلست إذًا مؤمناً، فالقلب ميت.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

(سورة النحل: 21)

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22)﴾

(سورة فاطر: 22)

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميت ميت الأحياء

إذاً هذه الآية مقياس وهدف، هذا هو الهدف، وذاك هو المقياس، قِس نفسك، المتر مئة سانتي، عندك قطعة قماش قسها، أنت ظننتها ستة أمتار، وهي متر واحد، المقياس أمامك.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

لذلك العلم غذاء العقل، والذكر غذاء القلب، والطعام والشراب غذاء الجسم.
أنت أيها الأخ الكريم، بحاجة ماسة إلى أغذية ثلاثة ؛ غذاء لجسمك، هذا شيء معروف، وغذاء لعقلك، وهو العلم، غذاء لقلبك، وهو الذكر.

واستمع إلى قوله تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)﴾

(سورة الرعد: 28)

استمع إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إن القلوب لتصدأ، قيل وما جلاؤها ؟ قال: ذكر الله، فإذا أردت أن تطمئن، أن تستقر، أن ترتاح نفسك أن تسعد، فأكثر من ذكر الله، ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند ملككم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فيضربوا أعناقكم وتضربوا أعناقهم، قالوا: بلى، قال: ذكر الله.))

لذلك نحن بحاجة إلى الذكر، كي يغذى القلب، وكي يذهب عنه القلق والخوف والقهر.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

الآن:

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾

العقل يؤمن، لكن كلما رأى برهانًا جديداً وآية جديدة ازداد إيماناً، لذلك قال العلماء: الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالأدلة والآيات والروائع القرآنية، وينقص بالإهمال، إذا توقف الإنسان عن طلب العلم، فمثلاً طبيب، إذا بقي على معلومات الجامعة، فبعد عشر سنوات ينسى معظمها، يبقى على معلومات بسيطة، فالطبيب إذا لم يتلقَّ العلم بشكل مستمر فلن يواكب العصر، فمن لم يكن في زيادة فهو في نقصان، إذاً أنت بحاجة إلى غذاء للقلب:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

وبحاجة إلى غذاء للعقل:

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾

محصلة غذاء القلب مع غذاء العقل، وعلى ربهم يتوكلون، حال التوكل لا يعرفه إلا من ذاقه، يعني ملك الملوك، يدافع عنك، يحبهم ويحبونه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً (96)﴾

(سورة مريم: 96)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾

(سورة الحج: 38)

فربنا عز وجل يحفظ المؤمن قال سبحانه:

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)﴾

هذا الدين كله إحسان واتصال، حركة أفقية نحو الخلق بالإحسان إليهم، وحركة علوية نحو الله بالاتصال به، هذا الدين، هذا الدين في أدق تعاريفه، وفي أوجز تعريفاته، اتصال بالخالق، وإحسانٌ للمخلوق.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)﴾

يصلي وينفق، ويذكر الله ويزداد علماً، العلم غذاءٌ لعقله، والذكر غذاءٌ لقلبه، ويخدم الناس ويتصل بالله.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)﴾

لهم درجات عند ربهم ومغفرةٌ، للماضي، ورزقٌ كريم، ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، آيات موجزات عرفتك بالإيمان، الإيمان غذاء للعقل، بالآيات الكونية، والتكوينية، والقرآنية، والإيمان ذكر للقلب، للطمأنينة، والإيمان اتصال بالخالق، وإحسان للمخلوق.

النتائج، التوكل، وعلى ربهم يتوكلون لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم، هذا الطريق، يعني أنّ شخصًا معه عملة، بعضها مزور، أخذ مقياسًا ليفحصها، فوجد ثلاثة أرباعها مزورًا، انتبهْ هذا مقياس لفحص العملة، وهذه الآية مقياس فحص، وتحديد هدف، تُعرفك من أنت، تحجم حالك، لأنّ كل إنسان لا يرضى عن رزقه لكنه يرضى عن عقله، يظن نفسه أعقل الناس، ويرضى عن إيمانه، ويظن أنه في صفّ الصديق، لكن لا شي في حياته العملية يؤكد ذلك.

إذاً هذه الآيات، تعريف، تحجيم، تقييم، قياس، وهدف، اجعلها هدفًا، اجعل هدفك أنك إذا ذكرت الله طَرِبَ قلبك، وإذا تلوتَ آياته ازداد إيمانك، واجعل همك الأول الاتصال بالخالق، والإحسان إلى المخلوق، عندئذٍ يحسن توكلك على الله، ويغفر الله لك ما سلف منك، ويرزقك رزقاً كريماً.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-6) : تفسير الآية 72 ، المعنى الحقيقي للهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ الآية الثانية والسبعون من سورة الأنفال قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾

الهجرة أيها الإخوة ؛ ونحن هذه الأيام نعيش ذكرى الهجرة، الهجرة هي المظهر العملي للإيمان.

الإيمان: ما وقر في القلب، وأقره اللسان، وصدقه العمل.

فالإنسان أيها الأخوة ؛ إذا آمن بالله، آمن بالله ولكنْ من دون حركة نحو الله فذلك مستحيل ، آمن بالله من دون تطوير لنمط حياته فهذا مستحيل، آمن بالله من دون تغيير لطريقة كسب المال فهذا ليس إيماناً.

فكأن الله سبحانه وتعالى أراد من الهجرة، معناها الواسع، والهجرة لها معنى ضيق، ولها معنى واسع، فمعناها الضيق الانتقال من مكة إلى المدينة في عهد النبي، لكن باب الهجرة أغلق بعد الفتح، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا هجرة بعد الفتح.))

لكن باب الهجرة مفتوح إلى يوم القيامة، بين كل مدينتين تشبهان مكة والمدينة، باب الهجرة مفتوح، من دار الكفر إلى دار الإسلام، ويبقى هذا هو المعنى الضيق.

لكن المعنى الواسع: المهاجر من هجر ما نهى الله عنه، لما يرتاد الإنسانُ بيوتَ الله، ويدع الأماكن الموبوءة فقد هاجر إلى الله، ولما ينضم الإنسان إلى المؤمنين، ويأنس بهم، ويدع الفسقة والفجار، فقد هاجر إلى الله، ولما يأوي الإنسان إلى بيته ويجعله كهفه في زمن الفتن، والانحرافات، والضلال فقد هاجر إلى الله، وحينما يدع الإنسان الحرام، ويأخذ الحلال فقد هاجر إلى الله.

فالهجرة بمعناها الواسع الانتقال من المعصية إلى الإيمان، من التفلُّت إلى الانضباط، من مجتمع الكفار، إلى مجتمع المؤمنين، من تقليد الكفار، إلى تقليد المؤمنين، من التخلي عن أهل الدنيا، والانضمام إلى أهل الدين، هذا المعنى الواسع، وهذا المعنى يسع الناس في كل زمان، وفي كل مكان، وأجمل ما في الموضوع الحديث القدسي، الذي يقول الله جل جلاله فيه:

((عبادةٌ في الهرج كهجرةٍ إليّ))

الهرج الفتن، يعني إذا كان الطريق، مليئًا بالكاسيات العاريات، فغضُّ البصر حينئذٍ هجرة، ولزومُ مجالس العلم هجرة، والالتجاء إلى بيوت الله هجرة، والانضمام إلى المؤمنين الصادقين هجرة.

((عبادةٌ في الهرج كهجرةٍ إليّ))

هذا ما يقوله الله عز وجل في الحديث القدسي.

لذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام قال مرةً:

((اشتقت لأحبابي قالوا أو لسنا أحبابك، قال لا: أنتم أصحابي، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان، القابض منهم على دينه كالقابض على جمر أجره كأجر سبعين، قالوا: منا أم منهم قال: بل منكم، قالوا: ولِمَ ؟ قال: لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون))

الإنسان إذا تديّن حقًّا، وإذا استقام حورِب من كل الناس، حتى من أهله، وزوجته، وأولاده، حتى من أقرب الناس إليه.

هكذا، قال عليه الصلاة والسلام:

((بدأ الدين غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء أناسٌ صالحون في قوم سوءٍ كثير.))

فإذا شعرت بالغربة فهي علامة صادقة على إيمانك، يقول بعضهم: أخي الناس كلهم فسقة، الناس كلهم منحرفون، وأنا منهم، وإلاّ فأين أذهب، ثم يعايشهم، أمّا أنت إن شعرت بالغربة فهذه علامة طيبة، لأن الله عز وجل قال:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)﴾

(سورة يوسف: 103)

إخوانا الكرام ؛ إنّ الأحداث التي مرت بعهد النبي أحداثٌ ساقها الله عز وجل لحكمةٍ بالغةٍ بالغة، ليقف النبي منها موقفاً كاملاً، ليكون هذا الموقف تشريعاً إلى يوم القيامة، لأن هذه الأحداث تتكرر.

الأحداث التي وقعت في عهد النبي، ليست أحداثاً تاريخية وقعت ولن تقع، وقعت وسوف تقع، وسوف تقع دائماً.

لذلك جاءت في عهد النبي، ووقف منها النبي موقفاً كاملاً، ليكون هذا الموقف موقفاً تشريعياً لمَن كان في عصره، ولمَن بعده إلى يوم القيامة.

أول درس أيها الأخوة من الهجرة ؛ أن الهجرة تعلمنا أنه إذا تعارضت مصالحك مع مبادئك فعليك بالمبادئ، إذا تعارض حبُّك لبلدك ولمكان إقامتك مع طاعتك لله عز وجل، فابحث عن مكانٍ تطيع فيه الله عز وجل.

﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾

(سورة النساء: 97)

طبعا هناك كثير من الأقطار أو القرى أو المدن تلجأ إليها، ففي العصور الوسطى حدَث اضطهاد ديني، فالذين رضوا بالاضطهاد الديني، تفلَّتتْ أمورهم، وتركوا عباداتهم، وأطلقوا لبناتهم العنان إرضاءً للمضطهدين، ضيعوا دينهم وآخرتهم، لكن الذين فروا بدينهم هم كثيرٌ، فرُّوا بدينهم من الاضطهاد الديني، فقد أنقذوا آخرتهم. فالإنسان إذا كان الخيار صعبًا لديه، بين أن يقيم شرع الله، وبين أن يترك، عليه أن يطيع الله في أي مكان آخر، هذا أول درس.

الدرس الثاني أيها الإخوة ؛ النبي عليه الصلاة والسلام علمنا بحادثة الهجرة أنّ أخذ الأسباب لا يتناقض مع التوكل، فقد رَسَمَ خطّةً محكمة، وغطّى كل الثغرات، أولاً سار باتجاه البحر، وربض في غار ثور، وكلف إنسانًا لتقصي الأخبار، وإنسانًا لموح الآثار، وإنسانًا ليأتي له بالزاد والأخبار، واستأجر خبيرًا في الطريق، لقد هيَّأَ كلَّ شيء، هذا هو الأخذ بالأسباب، ومع ذلك كان متوكِّلاً صادقًا.

أيها الإخوة ؛ المسلم الصادق يأخذ بالأسباب، ويتوكل على رب الأرباب، لأنّ عنده منزلقين.

أول منزلق: أن يأخذ بالأسباب وأن يعتمد عليها فيقع في الشرك.

ثاني منزلق: إنْ لم يأخذ بها وقع في المعصية.

فأنت أيها المسلم بين معصيتين، أن تأخذ بالأسباب وتقع في الشرك، أو أن تدع الأخذ بالأسباب فتقع في المعصية، وما سبب تخلف المسلمين إلا أنهم أخذوا بالأسباب، واعتمدوا عليها، فأشركوا فأحبط الله أعمالهم، وإما أنهم تركوا الأخذ بالأسباب، لفهمٍ ساذجٍ للتوكل، وقعوا في المعصية، فلم يستحقوا نصر الله عز وجل.

هذا درسٌ بليغ، يجب أن يضعه كل مسلم نصب عينيه في حياته اليومية كلها، في كل شأنٍ من شؤون حياته، حتى في شأن صحته، سمِّ الله وكُلْ، والتفاحة ليست مغسولة، هذا ليس توكلاً، هذا عدم أخذ بالأسباب، ألا تلقح أولادك ؟ يا أخي، أنا على الله متوكل، هذه غفلة ومعصية، عدم الأخذ بالأسباب معصية، وأن تأخذ بالأسباب وتقول لا يوجد شيء، وأنا عملت مراجعة للسيارة وهي جاهزة للسفر، لن يحدث معي شي يسوؤني، هذا شرك، لأنّك اعتمدت عليها، الله عز وجل قادر أنْ يخلق لك مشكلة، وأنت آخذ بكل الأسباب.

أيها الإخوة: من لم يأخذ بالأسباب فقد عصى، ومن أخذ بها واعتمد عليها فقد أشرك، والنبي علمنا بالهجرة، كيف أنه أخذ بالأسباب، فلما جاؤوا إليه توكل على الله، وصلوا له، رغم كل الأسباب، وصلوا إلى غار حراء، فلأنه لم يعتمد عليها، ولو اعتمد أنه عليها لانهار، لكنه أخذ بها، طاعةً لله، ولم يعتمد عليها، بل اعتمد على الله عز وجل، لذلك لم يخف أبدًا.

قال: **يا أبا بكر، ما ظنك باثنين، الله ثالثهما**، قال أبو بكر: لقد رأونا، قال: **يا أبا بكر، ألم تقرأ قول الله تعالى:**

﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)﴾

(سورة الأعراف: 198)

يبدو أن أحد المطاردين وقعت عينه على عين أبي بكر رضي الله عنه، قال له: لقد رأونا، فقال له عليه الصلاة والسلام: ألم تقرأ قوله تعالى:

﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)﴾

أنت حينما تأخذ بالأسباب، ولا تكفي الأسباب، فالله يرمم لك إياها، أنت حينما تأخذ بالأسباب، ولا تكفي الأسباب، فالله يتولى الباقي، أما إن لم تأخذ بها، فهذه استهانةٌ بنظام الكون، وهذا استخفافٌ بنظام الله عز وجل، أما إذا أخذتها واعتمدت عليها، ونسيت الله، فقد أشركت، وهذا الدرس الثاني.

الدرس الثالث أيها الإخوة ؛ هذا الحديث الشريف، والله أتمنى عليكم أن يكون أمامكم في كل ساعة.

((ما ترك عبدٌ شيئًا لله إلاّ عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

أقسم بذات الله، زوال الكون أهون على الله من أن يدع مؤمنٌ شيئًا لله ثم يخسر.

((ما ترك عبدٌ شيئًا لله إلاّ عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

أحد الصحابة، حينما بايع النبي بيعة الهجرة، عقبة بن عامر الجهني وعنده غنيمات، يحرص عليها حرصاً بالغاً، فكان يقول لأصحابه: اذهبوا أنتم إلى رسول الله، ودعوني مع الغنمات، يخاف عليها، لأنّها كلها رأس ماله، لكنه لم يلبث أنْ أجرى محاكمة مع نفسه، أنا إلى متى أسمع عن النبي، ولم أسمع منه مباشرةً، فترك الغنيمات وذهب إلى النبي يسمع منه بنفسه وتصحبه سحابة يومه، هذا الإنسان صار فاتح مصر، وفاتح الشام، وفاتح جزيرة رودس في البحر المتوسط، وصار أكبر عالم من علماء الصحابة، وأكبر قارئ قرآن، لمَّا ترك الغنيمات، وكان مجرد راعٍ، فصار عالمًا جليلاً، وصار واليَ مصر، وفاتح الشام، وفاتح رودس.

((ما ترك عبدٌ شيئًا لله إلاّ عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

أنا لن أقول لك جرِّب الله، ولا أقول لك شارِط الله، ولكن أنقلُ لك عن النبي صلى الله عليه وسلم، تركُ أمرٍ لله، تركُ مبلغ لله، إذا لم تأخذه أضعافًا مضاعفة بطريق حلال، فإنّ الدين يكون باطلاً.

((ما ترك عبدٌ شيئًا لله إلاّ عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

دائماً كن مع الله، دائماً كن مع الحق، ضع مصلحتك تحت قدمك، قل: يا ربِّ أبتغي رضاك، والله عز وجل لا ينساك.

الخلاصة في الهجرة ثلاثة دروس:

أول درس، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولو كلفني ترك بلدي، فإذا مُنِع المسلم من الصلاة، مُنِع أن يقيم شعائر الله.

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾

فلا عذر لك أبدًا، لكن نحن والحمد لله نقيم شعائر الله بشكلٍ رائع، وما من بلدةٍ في العالم كهذه البلدة الطيبة، التي يعرف الجميع أن الله سبحانه وتعالى، كما قال النبي:

((رأيت عمود الإسلام قد عمد به إلى الشام.))

هذه نعمة كبيرة، وإن شاء الله في بدرس قادم، نتحدث عن الهجرة المعاكسة، كيف أنّ الإنسان لمّا يترك بلدًا فيه مجالس علم، وتقام فيه شعائر الله عز وجل، من أجل الدرهم والدينار، يضيع دينه، وعرضه، وأولاده، هذه هجرة معاكسة، في سبيل الشيطان

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-6) : تفسير الآية 60 ، الإعداد للعدو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ الآية الستون من سورة الأنفال، يقول الله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) ﴾

الحقيقة أنّ هذه الآية مِن أدق الآيات المتعلقة بالعلاقات الدولية في المنهج الإسلامي.

الله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين فقال:

﴿وَأَعِدُّوا﴾

أما: " **هم**" فتشير إلى أعداء المؤمنين، الكفار.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾

هذا أمر، أمر تكليفي، وكل أمرٍ في القرآن الكريم، يقتضي الوجوب.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾

طبعاً حينما يوجه الأمر إلى مجموع الأمة، هو موجهٌ في الأصل إلى أولي الأمر، لأنهم يمثلون مجموع الأمة.

إذاً ؛ هذه الآية موجَّهة إلى أولياء الأمور في العالم الإسلامي، هذه الآية موجه إليهم بالذات.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

هذا الفعل، يفيد استنفاذ الجهد، وقد يفهم إنسانٌ هذه الآية فهماً على عكس ما أراد الله.

﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

بين أن تفهم الآية، في أن تبذل بعض الجهد، و بين أن تفهم الآية، في أن تبذل كل الجهد، المعنى الذي أراده الله عز وجل ليس المعنى الشائع السوقي، بل المعنى اللغوي الدقيق، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)﴾

(سورة الشعراء: 195)

ومعنى:

﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

أي يجب أن تستنفذوا كل استطاعتكم في حشد القوة، وقوله:

﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾

القوة جاءت نكرة، وهذا التنكير في اللغة، يفيد الشمول، يعني كل أنواع القوة، المعلومات قوة، الإعداد قوة، التدريب قوة، التوجيه الإعلامي قوة، الأقمار الصناعية قوة.

إذا أردت أن تفهم الآية، فهماً دقيقاً، أصولياً، فهماً نظامياً، لغوياً وَفق قواعد علم أصول الفقه، يجب أن نستعد لأعدائنا بكل أنواع القوى، وما أكثر القوى، التي تستخدمها المجتمعات كسلاحٍ على أعدائهم، فالمعلومات قوة، التغطية الفضائية قوة، التدريب قوة، الأسلحة المتفوقة قوة، الأسلحة التي تحقق إصابات محكمةً قوة.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

لكن أدق ما في الآية كلمة (من)، هذه (من) أيها الإخوة، تفيد استغراق أفراد النوع، ولنضرب مثلاً، لو أنّ رجلاً سأل شخصًا آخر، أعندك مالٌ لإنشاء مشروعٍ تجاري يكلف مليونين، يقول المسؤول منهما: ما عندي مالٌ، قد يقصد بهذا الجواب، ما عندي مالٌ كافٍ لهذا المشروع، فهو معه مئة ألف مثلاً، بينما اطلبْ منه مليونًا، والمشروع يحتاج إلى مليونين، أما إذا قال لك المسؤول: ما عندي من مالٍ، أضاف " **من**"، فالمعنى الدقيق، يعني ما عندي ولا ليرةِ سورية واحدة، إذًا "**من**" تفيد استغراق أفراد النوع.

فربنا عز وجل قال:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

يعني أيَّ شيءٍ ؛ العلم قوة، التفوق في العلم قوة، استطلاع المعلومات قوة، هذا طبعاً يعني أنّ إخواننا الذين يدرسون في الأكاديميات العسكرية، يعرفون ما معنى القوة أما الآية الكريمة:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

إنّ هذه القوى، المال قوة، العلم قوة، السلاح قوة، التدريب قوة، القيادة الحكيمة قوة، المعلومات قوة، هذه القوى، يجب أن تستغرق كل أنواع القوى، فكلمة " **من**".

﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

يمكن أنْ تكون القوة الآن طائرة، فعلى عهد النبي لم توجد طائرات، فلكي يفهم أصحابه الكرام ما معنى قوة، قال علماء الأصول: أحياناً نعطف بعض الشيء على ذاته، قال:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾

رباط الخيل قوة، لكنْ هذه القوة مألوفة في عهد النبي، فحتى يفهم أصحاب النبي ما القوة.

﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾

من باب عطف الشيء على ذاته، لكن هذه الآية تصلح بعد ألف سنة، بعد ألفين، بعد خمسة آلاف سنة، فأيّة قوة يستخدمها المجتمع البشري، لتكون سلاحاً ضد أعدائه فهذه قوة.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

الآن يتبادر سؤال ؟ نحن أحياناً نقول: المسلمون ضعاف في العالم، أما هؤلاء الأجانب الذين يخططون للنيل منهم أقوياء، فمهما أعددنا من القوى لن نستطيع أن نصل إلى قوى تكافئ قوتهم، إذًا ما الحل ؟ الجواب أنكم مأمورون أن تعدوا لهم ما استطعتم فقط، فإن كانت استطاعتكم لا تبلغ القوة المكافئة لهم، فالله سبحانه وتعالى يتولى ترميم النقص، أنت عليك أن تعد نفسك، المسلم عليه أن تكون معنوياته عالية، فلو نظر إلى أعدائه على أنهم أقوياء، لا.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

لأن الإسلام مستهدف في كل أنحاء العالم الآن، فما الذي يضعفنا ؟ ضعف معنوياتنا، فأنتم يا عبادي.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

وأنْ يكون الاقتصاد قوة، وأنْ يكون الإنتاج قوة، وأنْ تكون السياسة الحكيمة التي تقود المركبة إلى جانب شاطئ السلام قوة.

فالإنسان مأمور أن يعد كل أنواع القوى، استغراقاً، لا اصطفاءً، حتى نفهم ما هي القوة، في عهد النبي كانت الخيل:

﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾

قال سبحانه: هذه القوة قد لا تستخدمونها، لكن لها وظيفة كبيرة، هي أنكم:

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

المشكلة يجب أن تكون هذه القوة موجهه إلى عدو الله وعدوكم، يجب أن يكون عدوكم هو عدوٌ لله وعدوكم في وقتٍ واحد.

فإن كان الأخ يحارب أخاه، فهذا خلاف المفهوم من القرآن، فليس معقولاً أنّ المؤمنين يتقاتلون، دقق معنى العدو:

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

يعني لا يكون هذا عدواً لكم إلا إذا كان عدواً لله، لأنكم مؤمنون، أما أن تتوهَّموا أنه عدوكم وهو مؤمن، وتقيموا حرباً طاحنةً قذرةً بين المؤمنين، فهذا شيءٌ مخالفٌ لأصل الدين

لذلك، لو كان لدى المجتمع وعي كبير، فلو أُعطي الأمر للمسلم أن يضرب أخاه المسلم، فعليه ألاّ ينفذ، لا ينفذ، لأن هذا مخالف للدين، وهذه القوى تفتت الأمة داخلياً إن فُهِم الأمرُ مغلوطًا، وهذا ما يحصل الآن في الأفغان، وما يحصل في اليمن، يجب أن يكون عدوكم عدواً لله عز وجل.

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

وفي الآية نقطة دقيقة، أنّ السلاح أحيانًا لا نستخدمه، لكن نُرهب به، فمثلاً كم دولة في العالم عندها سلاح نووي، لا أحد يستطيع أن يتعرَّض لها، مع أنها لم تستخدم هذا السلاح النووي إطلاقاً، لكن هذا السلاح قوة ردع كما يسمونها، فالسلاح ليس المهم أن نستخدمه، لكن وظيفته الأولى أن نُرهب به عدوَّنا. لذلك:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

هذه الآية أيها الإخوة ؛ أصل في العلاقات بين المسلمين، وبين غيرهم، يعني لا وجودَ لمسلم ضعيف، المسلمون حينما فهموا هذه الآية رفرفت راياتهم في مشارق الأرض ومغاربها، حينما فهموا هذه الآية كانت كلمتهم هي العليا، حينما فهموا هذه الآية ما استطاع عدوُّهم أن ينال منهم، لكن حينما تواكلوا، وقصَّروا في تطبيق هذه الآية، غُزُوا في عقر دارهم.

أقول لكم: إنّ الإسلام نظام متكامل، لو نفذت بعض جوانبه لقطفتَ الثمار، لكن لا تقطف الثمار اليانعة الكاملة، إلا إذا أحاطَ المسلمون بكلّ جوانبه.

طبعاً هذه الآية من أجل أن نعرف أنه لو طبَّقها المسلمون دائمًا لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن من هوان.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

هذه آية ثانية: أتمنى أن نقف عندها قليلاً، قال تعالى يخاطب النبي:

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾

(سورة الأنفال: 62 ـ 63)

يعني أنّ بين المؤمنين مودة، إخواننا الكرام ؛ دققوا في معنى الآية، هذه المودة من خَلْق الله، الله يخلقها.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾

لو أنفقت يا محمد:

﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾

أحيانًا إنسان يتألف قلب إنسان بمالٍ، فاعلم أنّك لو أنفقت أموال الدنيا من أجل الولاءات فلن تفلح، لكن حينما يكون الإيمان بين رجلين فهذا الإيمان يؤلّف بينهما، وهذا أساس القوة.

الدين إذاً جعل بين المؤمنين مودة، ومحبة، وتراحمًا، وتعاونًا وتعاضدًا، وإخلاصًا، وتضحية، وإيثارًا، وكلُّه مِن خَلْقِ الله.

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)﴾

يكفي أن تكون مؤمناً حقاً، ويكفي أن يكون أخوك مؤمناً حقاً، تجد اللقاء العفوي، المحبة، التعاون، الإخلاص، التضحية، الإيثار، ويصبح المؤمنون صفاً واحداً:

﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (4)﴾

(سورة الصف: 4)

يصبح المؤمنون:

((" كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))

هذا الذي أراده الله عز وجل.

أمّا المعنى المخالف: إن رأيت بين المؤمنين عداوةً، بغضاء تحاسدًا، تدابرًا، تقاطعًا، كيدًا، إن رأيت هذا بين المؤمنين، فاعلم أن أحد الطرفين، أو كليهما ضعيف الإيمان، ومن ضعف إيمانه عادى أخاه، ولو كان مؤمناً حقاً، وكان أخوه مؤمناً حقاً، لانطبقت عليهم الآية الكريمة:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾

إذًا أنت يا محمد أنت:

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((المؤمنون بعضهم لبعضٍ نصحةٌ متوادون ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقون بعضهم لبعضٍ غششتٌ متحاسدون ولو اقتربت منازلهم.))

وقد قال الله عز وجل في الحديث القدسي:

((وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ، والمتباذلين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتحابون في جلالي، على منابر من نور، يغبطهم عليها النبيون يوم القيامة.))

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-6) : تفسير الآية 59 ، الحكمة المطلقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ؛ الآية التاسعة والخمسون، من سورة الأنفال، وهي قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾

بالنسبة لهذه الآية فقد وردت آياتٌ أخرى، تشبهها في المعنى نفسه، فما معنى أن يظن الكافر أنه سبق الله عز وجل ؟

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾

علماء التفسير قالوا: ظن الكافر أنه سبق، بمعنى أنه فعل شيئاً في كون الله لا يريده الله، وهذا مستحيل، لأن الحقيقة التوحيدية، أن كل شيءٍ وقع أراده الله، معنى أراده الله، أي سمح به، وكل شيءٍ أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقةٌ بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقةٌ بالخير المطلق.

ما معنى حكمة مطلقة ؟ الإنسان حينما يكون عادلاً يكون عدلُه نسبيًا، فلو أن قاضياً عادلاً أصدر تسعةً وتسعين حكماً عادلاً، وحكماً واحد ظالماً، يوصف عند بني البشر بأنه قاضٍ عادلٌ، لأنه غلب على أحكامه العدل، لو حكم في تسعين حكمًا بالعدل، وفي عشرة بالغلط، فهو عند الناس قاضٍ عادل، هذا في حق البشر، أما في حق خالق البشر، إذا قلنا: الله عادل، وهو المتَّصِف بالعدل يعني: منذ أن خلق آدم إلى يوم القيامة، لو أن نملةً ظلمت ليس بعادل، لو أن إنساناً واحداً من آدم إلى يوم القيامة، لم يُعطَ حقه فليس بعادل، الله عدلُهُ مطلق، الإنسان عدلُه نسبي، فربنا عدالته مطلقة.

ما معنى حكمته مطلقة ؟ يعني إذا كان تصرف واحد لله عز وجل ليس فيه حكمة، فليس بحكيم.

لذلك، كل شيء وقع أراده الله، وكل شيءٍ أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقةٌ بالحكمة المطلقة، والإنسان متى لا يكون حكيمًا ؟ في حال جاءه ضغط شديد، فاضطر أن يقول قولاً، أو أن يفعل فعلاً ليس مقتنعًا به، يا أخي والله مضغوط، وعليّ ضغطٌ شديدٌ، فقال قولاً ليس مقتنعًا به، أو فعل فعلاً ليس موقناً به، أو وقع تحت إغراء شديد، فيفعل شيئاً غير حكيم، بدافعٍ من شهوته، أو لنقصٍ في علمه، فهو إمّا لديه نقص في العلم، أو ضغطٌ إكراهي، أو إغراءٌ شديد، لكن هذه الحالات الثلاثة هل تليق بالله عز وجل ؟ مستحيل.

إذاً حكمته مطلقة، ما معنى حكمته مطلقة ؟ أن أي شيءٍ لو كان على خلاف ما كان، فالله ليس بحكيم، عطاؤه وَفق الحكمة، منعه وفق الحكمة، إعزازه وفق الحكمة، إذلاله وفق الحكمة،وعندنا دليل قطعي على ذلك:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾

(سورة آل عمران: 26)

ما قال: بيدك الخير والشر، لا ، بل الخير فقط، فالإعزاز خير والإذلال خير، حكمة مطلقة، يعني كيف تكون حكمة مطلقة، مثلاً أب طبيب جراح، شعر أنّ ابنه عنده التهاب، وإذا لم يسعفه خلال ساعة فلعله تقضي عليه، أليس من الحكمة أن يأخذ ابنه إلى المستشفى، وأن يمسك المبضع، وأن يفتح بطنه، والدم يخرج، ويأتي بملاقط، يشد هذه الشرايين، ويستأصل الزائدة، بعد أن يخدره، الحكمة المطلقة فتح البطن.
لذلك كل شيءٍ وقع أراده الله، وكل شيءٍ أراده الله وقع وإرادة الله متعلقةٌ بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقةٌ بالخير المطلق، والدليل: "بيدك الخير "، ما قال: والشر.

﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6)﴾

(سورة الحج: 6)

أما معنى قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾

يعني الكافر مهما كان قوياً، لا يمكن أن يفعل شيئًا ما أراده الله، لكل شيءٍ حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

لكن قد يقول قائل: هناك قتل، هناك سرقة، هناك زنى، كيف أن الله سمح بها؟ الجواب: الإنسان مخير، وعلى هذا الشرط جاء إلى الدنيا.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (3)﴾

(سورة الإنسان: 3)

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾

(سورة فصلت: 17)

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

(سورة الكهف: 29)

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾

(سورة البقرة: 148)

الإنسان مخير، لكن إذا اختار السرقة، لا يستطيع أن يسرق ممن شاء، فهو لا يسرق، إلا ممن يشاء له الله أن يُسرق، ففي الأمر تنسيق.

قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)﴾

(سورة البقرة: الأنعام 129)

إذاً إذا وقع شرٌ في الأرض، لا نقول: إنّ الله أراده، نقول: سمح به، فما معنى أراده الله ؟ أيْ سمح به.

لذلك في التوحيد، أراد ولم يرضَ، أراد ولم يأمر، يعني ما أمر بالزنى، ولا رضي الزنى، ولكن سمح به.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾

(سورة النور: 3)

سمح به لأن الإنسان مخير، وجاء إلى الدنيا على هذه الطريقة، وهذا أساسُ التكليف.

أما معنى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾

يعني الكافر لا يستطيع أن يفعل شيئًا ما أراده الله، وما دام وقع الشيء فقدْ أراده الله، قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾

(سورة يونس: 24 ـ 25)

لو شاهدت حربًا عالمية، لو شاهدت دولة أغارت على دولة هذا بأمر الله عز وجل، وليس كما يقولون: الله لا دخلَ له، فالله في السماء، فاعلمْ أنّ الله عز وجل قال:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

(سورة الزخرف:84)

أساساً الغربيون يعتقدون أن الله خلاقٌ وليس فعالاً، لكن المؤمنين يعتقدون، وهم على حق فيما يعتقدون، أن الله خلاقٌ وفعال في الوقت نفسه، بيده الأمر.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

(سورة الأنفال: 17)

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

(سورة الفتح:10)

إذاً: ما معنى:

﴿سَبَقُوا﴾

أي أنهم فعلوا شيئاً ما أراده الله، فكل شيء تسمعه في الأخبار وقع فقد أراده الله، وليس المعنى أنّه رضي به، ولا أنّه أمر به، بل وقع، لأنه سمح بوقوعه لحكمةٍ مطلقة، لكن ما أراده، ولا أمر به.

المعنى الثاني، الكافر لا يُعجز الله عز وجل، في بعض معامل الحديد رافعةٌ ضخمة مغناطيسية، عبارة عن سطح حديدي حوله وشيعة كهربائية، فإذا وقفت الرافعةُ كان الرافعة أو وقعت على كوم من الحديد، قد يكون عشرين طنًا، فهذه الرافعة ترفع الكمية بأكملها، لو أراد إنسان أن ينتزع قطعة منها فلن يستطيع، لأنّ الشدَّ قوي، لكن العامل الذي على هذه الرافعة، لو ضغط زرًا، مقدار ربع ميلي وقطع الكهرباء عن هذه الوشيعة، كل هذه الحمولة تسقط.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59)﴾

(سورة الأنفال: 59)

هذا مثل ذكرته لكم، فأيّ إنسان تراه قوياً، لو أن الله شاء له أن يضعف لتهاوى أمامك كبيت العنكبوت، انظُر إلى قلعة كبيرةٍ من قلاع الأرض، قلاع الكفر، كيف تهاوت كبيت العنكبوت.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59)﴾

هذا الكلام يبث في قلب المؤمن الطمأنينة، فالله عز وجل خلقك وما أسلمك لأحد، فلو أسلمك لأحد لو يأمرك بعبادته، وقلت عندئذٍ: يا رب أنا سأعبد ذاك لأنّ أمري بيده، قال لك:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

(سورة هود: 123)

وما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن أمرك كله عائدٌ إليه، الآية دقيق معناها، وهذه الآية تَرِدُ كثيراً في القرآن، أنا أذكر أنّها وردتْ أكثر من عشرين مرة.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾

يعني الحروب العالمية، أعمال القوى الشريرة في الأرض، هذه لا تكون إلا بمشيئة الله، والله عز وجل مشيئته كلها حكمة، حكمة مطلقة، لكن نحن نرى في الدنيا دمارًا، ونقصًا في الأموال، وزلازل، وبراكين، وحروبًا أهلية، لكن الله سبحانه وتعالى يُعِدُّ الناس للآخرة، لذلك فإذا ضحى بدنياهم من أجل أن يستفيدوا خلودًا في الجنة فلا مانع، عالِم من علماء البلاد التي تعاني القهر، والتطهير العرقي أُجرِيت معه مقابلة، قال: نحن لم نكن مسلمين من قبل، والآن أصبحنا مسلمين، وعرفنا أننا كنّا منحرفين، لقد ردَّتهُم المصائبُ إلى صوابهم، معنى ذلك أن الإنسان يتألم، فيردّه الألمُ إلى كتاب الله بعد المعاناة.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59)﴾

الإنسان في قبضة الله دائماً، في أيّة لحظة هو في قبضته، ولا يفعل الكافر شيئاً إلا إذا أراده الله، ولا يستطيع أن ينجوَ من قبضة الله، أين المفرُّ.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾

(سورة الجمعة: 8)

هذه الآية فيها إعجاز، إذا كان الشخصُ هاربًا من شخص آخر، والخوف يلاحقه ويطارده، وفجأة وجده نفسه يصعق.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾

﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾

فليس لأحد مهرَب.

أصاب شخصًا مرض عضال، فاعتنى عناية فائقة بنفسه، إلى درجة غير معقولة، يعني من شدة خوفه من أن يموت بهذا المرض، فلم يعُد يأكل إطلاقاً إلاّ قليلاً واعتنى بالرياضة، والمشي والحمية، جاء صهره من السعودية، فذهبا معًا في نزهة إلى الزبداني، فوقع لهما حادث في الطريق بالحادث، فمات في هذا الحادث، كان خائفًا أن يموت بمرض في قلبه، فمات بحادث، فالمعنى.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾

أين المفر.

﴿لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾

(سورة التوبة: 118)

لا ننجو من بأس الله، إلا إذا كنا معه، لا ملجأ من الله إلا أن نكون في طاعته، فالآية دقيقة، ولها مثيلات.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59)﴾

الكفار في قبضة الله، والدليل:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾

(سورة الأنعام: 65)

كالصواعق، والصواريخ.

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾

كالزلازل والمتفجرات.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

أيّ نوع من المصائب، فإذا كان الإنسان قويًّا يعتدي على إنسان آخر، فبمشيئة الله.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾

(سورة النساء: 90)

الله عز وجل قال:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾

(سورة النساء: 141)

فإذا كان التسليط فمِنَ الله عز وجل، ومن الله كل شيء، لكن التوحيد مريح، وفيه النجاة والسلامة.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213)﴾

(سورة الشعراء: 213)

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : تفسير سورة التوبة

الدرس (01-19) : تفسير الآية 24 ، الحب لله وحده

الدرس (02-19) : تفسير الآيتان 25-26 ، الإفقار لله تعالى

الدرس (03- 19) : تفسير الآية 19 ، مجاهدة النفس

الدرس (04- 19) : تفسير الآية 28 ، الفرق بين نَجَس و نَجِس

الدرس (05- 19) : تفسير الآيتان 38-39 ، معنى يا أيها الذين آمنوا

الدرس (06- 19) : تفسير الآية 41 ، الرؤية الصحيحة.

الدرس (07- 19) : تفسير الآية 50 ، المنافقين

الدرس (08- 19) : تفسير الآيتان 81-82 ، العبرة لمن يضحك آخراً

الدرس (09- 19) : تفسير الآية 74 ، الكفر بعد الإيمان

الدرس (10- 19) : تفسير الآية 103 ، حق الفقير على الغني

الدرس (11- 19) : تفسير الآية 104 ، التوبة

الدرس (12- 19) : تفسير الآية 109 ، البناء الصحيح

الدرس (13- 19) : تفسير الآية 111 ، بذل النفس

الدرس (14- 19) : تفسير الآية 119 ، علامات الصادقين

الدرس (15- 19) : تفسير الآية 120 ، العبادة تعني غاية الخضوع

الدرس (16- 19) : تفسير الآيتان 117 - 118 ، هللك المسوفون

الدرس (17- 19) : تفسير الآيتان 117 -118 ، تربية الله

الدرس (18- 19) : تفسير الآية 122 ، أولويات الدين

الدرس (19- 19) : تفسير الآية 103 ، الزكاة

الدرس (19-01) : تفسير الآية 24 ، الحب لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

في سورة التوبة وفي الآية الرابعة والعشرين وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(24)﴾

أيها الأخوة:

هذه الآية، من أدق الآيات ! يعني إذا أردت أن تذهب إلى مدينة، وعلمت أن هذا الطريق مغلق، فما جدوى الحركة في هذا الطريق ؟ لو أن الإغلاق في آخر الطريق، فهذا جهد ضائع، فربنا عز وجل قال:

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾

يعني مكانكم، يعني الطريق إلي ليس سالكاً قل:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ﴾

ما معنى أن يكون الأب أحب إلى الإنسان من الله بالضبط.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾

ما في شيء يؤلم التاجر، كأن يرى البضاعة مكدسةً لا رواج لها ولا أحد يسأله ماذا عندك ؟ ربنا عز وجل هو الخلاق العليم، يعرف ماذا يؤلم التاجر.

﴿ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا ﴾

بقلك، أربع مائة متر، قبلي، شرقي، غربي، شي جميل.

﴿ وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ ﴾

أنا هنا أريد، ما معنى:

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ ﴾

ما معنى أن يكون الأب أحب إلينا من الله ؟ ما معنى أن يكون الابن أحب إلينا من الله ؟ ما معنى أن يكون الأخ أحب إلينا من الله ؟ ما معنى أن تكون الزوجة أحب إلينا من الله ؟ ما معنى أن تكون التجارة أحب إلينا من الله ؟ ما معنى أن يكوم المنزل المريح أحب إلينا من الله ؟ قال:

﴿وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾

يعني مكانكم لا ترقون إليّ أبد.

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾

مفتاح الآية:

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾

يعني إذا حملتك محبتك لزوجتك على أن تفسق، وأن ترى أن إرضائها أكبر عندك من إرضاء الله، فالطريق إلى الله ليس سالكاً إذا الإنسان آثر أن يرضي أباه، في معصيةٍ، معنى ذلك أن إرضاء أبيه، أكبر عنده من إرضاء الله، إرضاء أبيه أحب إليه من إرضاء الله، ساكن ببيت، هذا البيت تغتصبه لا سمح الله، بيت مريح موقع مريح، أجرته مائة ليرة بالشهر، هذا البيت أحب إليك، من أن تطيع الله عز وجل، وتؤدي الحق إلى أصحابه، لك تجارة مشبوها إما في نوع البضاعة، أو في طريقة التعامل، لكن لها دخلاً وفيراً مطعم بس في مشروب مثلاً، شركة تتعامل بمادة محرمة، طريقها في البيع والشراء خلاف الشرع، إذا كانت هذه التجارة، تدر عليك أرباحاً طائلة، هي أحب إليك من طاعة الله، وإذا كان هذا البيت المغتصب المريح الواسع، في الموقع الإستراتيجي، تسكنه وترتاح في السكنة فيه وبقائك فيه مخالفٌ للشرع، لكن هذا البيت أحب إليك من طاعة الله وأداء الحقوق لأصحابها، وهذه الزوجة تطيعها وترى أن إرضائها أحب إليك من إرضاء الله عز وجل.

قال: إذا كنت كذلك، فالله سبحانه وتعالى أعظم، وأعز من أن تنال منه شيئاً، لأنك أثرت شهوةً على طاعة الله عز وجل، وما عرفت الله وما قدرته حق قدره.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

(سورة الزمر: 67)

هي الآية خطيرة جداً.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾

أخي أبي بدو، أبي أمرني طلق زوجتي، ليش أبوك مشرع ! زوجتك، بقلي والله مالا عاملة شي، والله آدمية، وأنا والله ظلمتها، بس هي أبي بدو، أنت معنى ذلك أطعت أباك وعصيت الله عز وجل، أو أبوك ألزمك بتجارة محرمة، جلست عنده بالمحل، بيع، اشتري، ما بقدر أبي.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ﴾

ابني، ابنك بدو يعمل مشروع لا يرضي الله، بدو يعمل سفرة لا ترضي الله، بدو تنفق عليه بسفر في معصية، أخي لا أريد أن أحرجه هذا ابني مالي غيره.

﴿وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾

أنت مثل ما قال الشاعر:

ما أنا إلا من غزيــة إن غوت غويت وإن ترشــد غزيــة أرشـــد

* * *

أنت مع إخوانك، على الباطل، أو على الحق، معهن معهن، عليهن عليهن، هذا انتماء عصبي، انتماء عصبي هذا مآخذ عليه الإنسان.

﴿وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾

والزوجة، طبعاً مظنة، إرضائها إرضاء للشهوة.

﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾

لذلك، قال:

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾

(سورة التغابن)

قال العلماء هذه عداوة مآل، لا عداوة حال، الآن ليس عدوة، تحبها حباً جما، لكن يوم القيامة، حينما ترى أنك ضيعت الآخرة كلها من أجلها عندئذٍ تنشأ عداوة كبيرة.

مثل إذا كان شريكين، اتفقوا يشتغلوا تجارة مهربة، فالثاني لان ثم ضبطوا وأودعوا في السجن، الآن ينشأ بين الشريكين عداوة كبيرة، أنت السبب، أنا ما كنت بدي أعمل تجارة.

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾

لما الإنسان، بطيع زوجته ويعصي ربه، بطيع ابنه ويعصي ربه، تنشأ عداوة المآل، في النهاية عداوة كبيرة جداً، لولا أنتم لكنا من الناجين.

لذلك يقول الابن يوم القيامة: لرب العزة، يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، لأنه كان هو السبب.

﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾

هذا المال كيف اكتسبته ؟ بأي طريق، في تدليس في كذب، في غش في احتكار، في استغلال، في إيهام، في احتيال.

﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾

يا ما ناس، بيت آخذينه من سنوات طويلة مو لازمه، وتاركه، وآفلو، بقلك أنا مستأجر، له أصحاب صاحبه له أولاد، أنت ساكن ببيت فخم، أعرف أناس ساكنين ببيوت فخمة، وحاجزين بيوت مستأجرة مقفلة، وتاركينا، احتياط تاركينا وأصحابها يتلوون على بيت يزوجون فيه أبنائهم، جاءت الآية:

﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾

لا تغلبوا حالكم لن أقبل عليكم، لن أتجلى على قلوبكم، لن أسمح لكم أن تتصلوا بي لأنكم معتدون، لأنكم آثرتم شهوة الدنيا على مرضاتي.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

مفتاح الآية بكلمة فاسقين. ملخص الآية، يعني، إذا حملتك طاعتك لزوجتك على الفسق فأنت قولاً واحداً تحبها أكثر من الله، قلت مرة في خطبة، من أطاع مخلوقٌ كائنٌ من كان، وعصى خالقه، فهو ما قال الله أكبر ولا مرة ولو رددها بلسانه ألف مرة، لأنه إنما أطاع الأقوى في تصوره، ومن لم يكن الإسلام في بيته إرضاءاً لأهله، ما قال الله أكبر ولا مرة، ولو رددها بلسانه ألف مرة، لأنه إنما فضل أن يرضي أهله على إرضاء الله عز وجل، فهم عنده أكبر من الله.

ومن كسب مالاً حراماً، فهو ما قال الله أكبر ولا مرة، ولو رددها بلسانه ألف مرة، لأنه إنما رأى مال أكبر أو أحب، آية اليوم، عنده من مرضاة الله وطاعته.

فهي أمور بديهيات بالدين، حتى الإنسان ما يتوهم أن الدين، ركعتين صليناهن، وليرتين دفعناهن، وعملنا حج، وعملنا عمرة، وانتهى الأمر، لا، الدين أعظم من هذا، الدين منهج كامل.

إن فلانة تذكر أنها تكثر من صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال هي في النار، عليه الصلاة والسلام:

((ودخلت امرأة النار في هرةٍ حبستها، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.))

فالإسلام منهج، الإسلام قيم، الإسلام صدق، الإسلام أمانة هذا هو الدين، إن كنت كذلك، عندئذٍ ترى الطريق إلى الله سالكاً.

يعني بتلاقي تجلي، بتلاقي في طعم للصلاة، بتلاقي حالك قريب من الله عز وجل، أما إذا في عدوان، التجارة أغلى عليك من الله، والبيت أغلى عليك، والزوجة أغلى عليك، والابن أغلى عليك والأب أغلى عليك، والأخ أغلى عليك، وشو بقى في عند الله عز وجل لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص في ملكي شيئاً.

القضية قضية أن تقدر الله حق قدره، إذا قدرته حق قدره آثرت طاعته على أي طاعة، ومحبته على أي محبة، والالتزام بأمره على أي التزام.

وهذه الآية، أقول لكم مرة ثانية، مفصلية، يعني أساسية بالدين، الطريق صار مغلق، من وقف ليصلي ولم يشعر بشيء، قرأ القرآن ما شعر بشيء، ذكر الله ما شعر بشيء، معناه في علة خطيرة في حجاب، هذا الحجاب قد يكون، ابنه، أو زوجته، أو أبوه، أو أخوه أو تجارته، أو ماله، أو مسكنه.

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾

النتيجة:

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾

يعني إذا حملك حبك لزيد على أن تفسق، إذاً تحبه أكثر من الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (19-02) : تفسير الآيتان 25-26 ، الإفقار لله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الخامسة والعشرون والسادسة والعشرون من سورة التوبة وهي قوله تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) ﴾

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾

يعني لما لم ينصركم، لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين.

ورد في الحديث الشريف:

((لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أكبر يا رسول الله ما هو الشيء الذي هو أكبر من الذنب ؟ قال عليه الصلاة والسلام: العجب !!! العجب !!!))

الإنسان إذا أعجبته نفسه، استغنه عن ربه، وكان إعجابه لنفسه حجاباً فيما بينه وبين الله عز وجل.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾

سابقاً مئات المرات الله نصركم، لما هنا لم ينصركم، قال: ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. سنأخذ آية مقابلها.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

(سورة آل عمران: 123)

معنى أذلة يعني مفتقرين إلى الله، متذللين له، تشعرون بالعبودية له، تتبرئون من حولكم قوتكم.

هاتان الآيتان، والله الذي لا إله إلا هو، ما من مؤمنٌ إلا ويمتحن في اليوم الواحد عشرات المرات بهاذين الامتحانين، المؤمن بين بدرٍ وحنين، في بدرٍ أفتقر إلى الله، فتولى الله أمره، ونصره وفي حنين، أعجبته كثرته، فتخلى الله عنه.

طيب أيعقل أن يتخلى الله عن أصحاب رسول الله ! وهم الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله، وكان فيهم رسول الله، إذا كان أصحاب رسول الله الذين وضعوا أرواحهم على أكفهم في الجهاد في سبيل الله وحينما أعجبوا بكثرتهم في حنين، تخلى الله عنهم، فمن نحن، إذا أعجبنا بأنفسنا.

هذا الكلام أيها الأخوة، يعني، أنه في كل موقف تقفه، إذا قلت الله وأنا لا شئ، اللهم إني تبرئت من حولي وقوتي، والتجأت إلى حولك وقوتك، يا ذا القوة المتين، تولى الله أمرك، وإذا كان الله معك فمن عليك، أما إذا قلت أنا، خبرتي، مالي، علمي، خبرات متراكمة، تفوق في الدراسة، أنا أبن فلان، أنا حجمي المالي كذا لمجرد أن تقول أنا يتخلى الله عنك، ولمجرد أن تقول الله وأنا لا شئ يتولى الله أمرك، فأنت في اليوم الواحد، بين امتحانين، إن افتقرت إلى الله تولى الله أمرك، وإن أعتززت بنفسك، تخلى الله عنك.

لذلك إذا أقدمت على عمل، طبيب سيجري عملية جراحية مدرس سيلقي درس، إذا قال: اللهم أني تبرئت من حولي وقوتي وعلمي والتجئت إلى حولك وقوتك وعلمك، يا ذا القوة المتين، تجد التوفيق العجيب، وما في واحد من أخوانا الكرام، إلا يعرف أيام توفق توفيق عجيب، يكون في قبله في افتقار إلى الله عز وجل خائف، أيام رغم ذكائه، رغم خبرته، رغم ماله، يرتكب حماقة، ما بعدها حماقة، كيف أرتكب هذه الحماقة ؟ لأن الله تخلى عنه، لأن الله إذا أراد إنفاذ أمرٍ، سلب من كل ذي لب لبه، بسحبلك خبرتك وذكائك ومالك، بتلاقي أعمال كلها حمقاء، وأنت ذكي وقوي.

لذلك أنت دائماً بين حالتين، حالة التولي وحالة التخلي، تولي وتخلي، إن قلت أنا تخلي، ولو كان رسول الله معك، الصحابة الكرام معهم رسول الله.

ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

فإذاً بدر وحنين، في حياة كل مؤمن في اليوم عشرات المرات عشرات المرات، أنا بقلك استعملت خبرتي في هذه الصفقة، بتفلس منها، يا جبار بتربح منها، إذا قلت يا جبار بتربح، إذا قلت أنا خبراتي متراكمة، أنا بنقي البضائع الرائجة، ما بتنباع معك هذه البضائع.

خ حدثني بياع أقمشة في سوق الحميدية، هل آتي لعنده زبون من حماه، أشترى، أشترى، أشترى، قصة من سنة الخمس والخمسين أشترى شيء بخمسين ألف، يعني حق بناية، في عند صفة قماش أجمل صفة، قال له بدي هي، قال له والله هي منباعة، قال له إذا ما بتعطيني إياها ما بدي كل الصفقة، أشاور مع صانعه قال له سيدي بيعوا إياها، مادام وقف البيعة على هي دبرها، قل له أخي راحت، بحكي لي التاجر، قال لي:

والله أربعين سنة، ما انباعت الصفقة معي بعدين قسمها مربعات، لف فيها الأقمشة، أن هو شافه هي أحل شيء بدو يبيع ويربح منها، وإذا ما أستلمها بلغي الصفقة كلها، قل لي أربعين سنة ما كان تنباع معنا، من جرد إلى جرد إلى جرد، صار في تحدي لأنه، قال هي أربح فيها، الله تخلى عنه، قل لي والله ما صرفنها إلا قطع مربعة، صررنا فيها الأقمشة، هي أجمل صفة.

بس تقول أنا، بس تعتد برأيك، بس تعتد بعلمك، بخبرتك بخبرتك التجارية، بذكائك، بمالك، بأسرتك، بصحتك، بيجي التخلي بس تقول يا رب، أنا لا شيء، أنا الفقير وأنت الغني، أنا الجاهل وأنت العالم، أنا الضعيف وأنت القوي، بتلاقي الله عز وجل أعطاك قوى لا محدودة، عطاك دعم، عطاك توفيق، عطاك نصر عطاك سداد في الرأي، طلاقه في اللسان، موقف حكيم، كل حكمتك وكل ذكائك، وكل التوفيق، بسسبب افتقارك إلى الله.

أخوانا الكرام:

هل الآيتين خلهن ببالكم.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت. قبل أن تعقد صفقة، قبل أن تقدم مرافعة أمام القاضي، قبل أن تلقي درس، قبل أن تمسك بمريض.

في طبيب نسائي، تألق اسمه إلى درجة مذهلة، صار الطبيب الأول، شعر أنه هو أول طبيب بالبلد، يجري عملية ولادة، صار في محاولة لقطع أربطة الجنين، قطع الرحم وقطع الأمعاء، ولولا أن أخذ المريضة للإسعاف الفوري، لسحبت منه الشهادة.

بتلاقي بيرتكب المعتد بنفسه، حماقة ما بعدها حماقة، إن كان في التجارة، إن كان في الصناعة، إن كان في الزراعة، إن كان في العمل الحر ، أم إذا كان في توكل،وفي إنابة، وفي افتقار ، وفي عبودية، وفي تذلل.

المؤمن أيها الأخوة، عزيز النفس كثير ، بس مع الله متذلل أهل الدنيا، مستكبر على الله عز وجل، وأمام القوي مثل القط بتلاقي مثل الحيوان المتذلل أمام القوي، أما أمام ربه، مستعلي، استكبرت عليهم أنفسهم.

فنحن درسنا البليغ، عنا آيتين، بدر وحنين، بدر افتقروا ! الله نصرهم، حنين ماذا قالوا ؟ الصحابة أطهر من الملائكة، باعوا أنفسهم ما قالوا: إلا لن نغلب اليوم من قلة، ولعلهم قالوا هذا بأنفسهم فاستحقوا أن يتخل الله عنهم، وهم صحابة رسول الله، نحنا مين نحنا مين معنا نحنا، فإذا الواحد منا قال أنا.

لذلك قالوا أربع كلمات مهلكات: أنا !! ونحن !! ولي !! وعندي !! قال الشيطان.

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾

فأهلكه الله، ونحن، قوم بلقيس.

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾

(سورة النمل: 33)

فأهلكهم الله، ولي قالها فرعون.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾

(سورة الزخرف: 51)

فدمره الله، وعندي قالها قارون.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾

(سورة القصص: 78)

فأربع كلمات مهلكات، أنا ونحن، ولي، وعندي.

الافتقار في معه توفيق، في معه دعم، في معه تسديد، في معه ترشيد، في معه تنوير، في معه نصر، في معه حفظ، في معه تأيد، والاعتداد في معه تخلي، لذلك، من أتكل على نفسه أوكل الله إياها، والإنسان ضعيف، بالله قوي، بنفسه ضعيف، فالإنسان إخوان الكرام قبل كل عمل، أفتقر إلى الله، بس بإخلاص، بحضور قلب يا ربي ليس لي إلا أنت، أنا ضعيف فقوي في رضاك ضعفي، أنا ذليلٌ فأعزني، أنا جاهلٌ فعلمني، أنا مفتقر فأغنني، هكذا المؤمن، ما في أحل من التذلل إلى الله، رفعة، وما في أحل من أن تكون عزيزاً على الناس، لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير، من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثي دينه، من جلس إلى غني أتمسكن له يا سيدي ما في شغل ما في كذا فتضعضع له تمسكن له، ذهب ثلثي دينه، ملك الملوك إذا وهب، قال الشاعر: لا تسألن عن السبب، لا، أنا بقول موهيك.

ملك الملوك إذا وهب قم فسئلن عن السبب

الله يعطي من يشاء فقف على حد الأدب

***

يلي عطاه بيعطيك، أطلب من الله، الحسن البصري قيل له بما نلت هذا المقام، قال باستغنائي عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي

لا تسألن بنـــي آدم حاجة وسل الذي أبوابـــه لا تغلق

الله يغضب إن تركت سؤاله وبـني آدم حين يـسأل يـغضب

***

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03- 19) : تفسير الآية 19 ، مجاهدة النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

فلآية التاسعة عشرة، من سورة التوبة، وهي قوله تعالى:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19)﴾

الحقيقة، أحياناً نتوجه بالخطاب، لعامة الناس، فنقول لهم: استقيموا، اعبدوا ربكم، آمنوا بالله، اعملوا الصالحات.

لكن إذا توجهنا بالخطاب إلى المؤمنين، خاصةً، نبين لهم أن هناك أعمال صالحة كثيرة، لكن بعضها أعظم من بعض.

إذا رأيت إنساناً شارداً واستقام على أمر الله، فهنئه، وبارك له وشجعه، لكن إذا رأيت مؤمناً يعرف الله عز وجل، يختار من الأعمال أهونها، ويدع الأعمال الجليلة، فينبغي أن تنصحه.

فأحياناً في أعمال صالحة، ما بتكلف، دفع مبلغ، يعني أحياناً إنشاء جمعية خيرية، شي جميل، جمعية، ولها مقر، ولها مكتب فخم وتبرعات، وجاهة، وعطاء، أيام إنشاء مسجد عمل عظيم، لكن عملية شراء أرض وتطويب، ورخصة، وهندسة.

أما غض البصر غير سهل، غض البصر، التفكر في خلق السماوات والأرض ليس سهلاً، ففي أعمال فيها بناء للنفس، وفي أعمال أخرى أعمال صالحة مشكورة، لكن ما بتكلف جهد، ولا بتكلف مجاهدة، ولا بتكلف ضبط نفس، ولا بتكلف صراع.

فربنا يقول جل جلاله:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ﴾

واحد فكر بالكون، عرف الله ضبط جوارحه، ضبط بيته، ضبط عمله، ازداد معرفة بالله، فهم كتاب الله، فهم سنة رسول الله، دعا إلى الله، جاهد نفسه وهواه بذل جهد كبير.

واحد حالته المادية جيدة جداً، قال: مائة ألف عليّ هذا شك نحن نشكره، نشكره أشد الشكر، لكن يلي معه مائة مليون، ودفع مائة ألف ما انهزت شعرة، وله سهرات مختلطة، وله نظر للنساء، ودخله في شبه، بيدفع إذا بدك.

نحن بدنا عمل صالح، يصل إلى أعماق النفس، نحن بدنا انضباط، بدنا سمو، بدنا إنسان تسمو نفسه، فليس كل إنسان عمل عمل صالح مادي، شكلي، كلامي دقيق جداً، أنا قبل كل شيء قلت: لو توجهنا بالخطاب لعامة الناس، ورأينا إنسان يبذل، يبني مسجد ينشئ جمعية، يبر أيتام، نشكره، ونهنئه، ونمتن منه.

أما إذا تحدثنا للمؤمنين، يعني واحد خارج المدارس، قام التحق بمدرسة، بارك الله، أما الآن إذا كان درسنا، وجلسنا مع طلاب مدرسة، اختاروا فرع أدبي، نقول لا: الفرع لا يناسبكم، بدكم فرع علمي، بدنا أطباء، بدنا مهندسين، بدنا علماء، ما بدنا خطباء، ولا بدنا شعراء، ولا بدنا حالمين.

فإذا كان توجهنا إلى طلاب العلم، ندلهم على أعظم الفروع أما إذا خاطبنا الجهلة، نقول لهم ادرسوا، التحق بأي مدرسة التحق.

فالدرس اليوم ليس لعامة الناس، طبعاً عامة الناس، إذا واحد ساهم ببناء مسجد، نشكره أشد الشكر، ونثني عليه، وعلى كرمه وعلى عمله الصالح، وعلى إحسانه، أنشئ جمعية خيرية، نشكره أشد الشكر.

لكن في أعمال الإنسان بيبذلها، لكن نفسه متلبسة بالمعصية بالمخالفات، المخالفات حجاب.

فلذلك، بناء النفس عمل عظيم، بناء النفس، تحقيق الإيمان عمل عظيم، تتعرف إلى الله عز وجل عمل عظيم، تتعرف إلى كتابه عمل عظيم، تعرف سنة رسوله عمل عظيم، توقع أعمالك وفق السنة عمل عظيم، يكون بيتك إسلامي عمل عظيم، عملك إسلامي عمل عظيم تجارتك وفق الأحكام الشرعية عمل عظيم، أن تكون داعياً إلى الله أن تكون آمر بالمعروف، ناهي عن المنكر، ضابط جوارح ضابط بيتك، زوجتك، أولادك، هذا العمل العظيم.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾

الأعمال المادية، التي لا تكلف شيئاً، أيام واحد بقلك أرباحه من البنوك أنشئ فيها مسجد، بثلاثين مليون، كثر خيرك يا سيدي فضلت، نثني عليه.

لكن إذا خاطبنا كبار المؤمنين، نقول لهم: لا، يجب أن تبنوا نفوسكم بناءً صحيحاً.

دائماً نحنا المتفوقون لهم حساب خاص، أهل الإيمان لهم حساب خاص.

النبي عليه الصلاة والسلام، كان إذا استيقظ في الليل، له دعاء يقول: والدعاء قرآني أساساً:

اللهم اهدني لما أختلف فيه من الحق ضمن الحق

في حق، وفي أحق، في عمل صالح، وفي أصلح وفي عمل مادي، وفي عمل كبير.

الآن إذا الإنسان صلى، على العين والرأس، وصام، وحج وزكا عبادة هي، لكن، فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب.

فإذا الإنسان سلك طريق الإيمان، ينبغي أن يبحث عن البطولات، عن الأعمال الجليلة، الأعمال العظيمة، أما إذا خاطبنا عامة الناس، لو شفنا إنسان تحرك حركة نحو الحق، نصفق له ونشجعه، ونثني عليه، بارك الله بك، بارك الله بمالك، وأهلك وأولادك، إذا كان دفع ألف ليرة لجامع.

لكن المؤمنين، الله لا يكتفي، لا يقبل منك أن تنفق مالك وأنت لست منضبطاً على كتاب الله، في كثير أشخاص، البذل سهل عليه، إذا واحد أمواله ضخمة، البذل ليس صعب عليه، أخي علي خمسين ألف علي، مرة حضرنا جلسة، والله أنا أكبرتهم إخوانا التجار، مليونين ونصف بربع ساعة للأيتام، شي جميل، بس يا ترى لو فتت لبيت التجار، بتلاقي في انضباط، هون البطولة، الانضباط في البيت، في العمل، في السلوك، في الجوارح، في كسب المال في إنفاق المال، فهذه الآية خاصة للمؤمنين، ليست لعامة الناس.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19)﴾

فكل واحد منا يبحث عن عمل عظيم، أنا أرى أنه أعظم عمل بناء النفس، قل لي وين الدليل ؟ إليك الدليل:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) ﴾

(سورة الشمس: 9)

يلي بزكي نفسه، بطهرها من الأمراض القصية، بحلي بالكمال، من خلال مجاهدة نفسه وهواه، من خلال طلب العلم الجلوس في مجالس العلم، تلاوة القرآن، فهم القرآن، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، تربية أولاده التربية الصحيحة، تربية زوجته، اختيار إخوانه من المؤمنين، يعني له عمل صالح، حجمك عند الله بحجم عملك، فإذا كان عملت عمل صالح، اعتبر أعظم عمل صالح، أن تزكي نفسك، الله قال:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾

(سورة الفرقان: 52)

بالقرآن.

﴿جِهَاداً كَبِيراً (52)﴾

فمن أنواع الجهاد: الجهاد واسع جداً، هو الجهاد بذل للجهد أيام إنسان بزيح كأس، هذا شيء بسيط، لكن أزاحت صخرة، بقلك تنهنهت، هذا الجهاد، الجهاد بذل الجهد، إما في ساحات المعركة وإما في الدعوة إلى الله، وإما في فهم القرآن، وإما في تفسير القرآن.

فالمؤمن مطالب أن يختار أعظم الأعمال، أجل الأعمال، أجلُ عملٍ أن تزكي نفسك، أجلُ عملٍ أن تزكي نفسك، أجلُ عملٍ أن توقع سلوكك وفق الكتاب والسنة، أجلُ عمل أن تكون داعيةً إلى الله عز وجل، أجلُ عملٍ أن تكون قدوةً للناس، أجلُ عملٍ أن يتسع خيرك ليس هذا تقليلاً من شئن الصدقات، إياكم أن تفهموا عني خطأً، أنا ما قصدت أن أقلل من شئن بناء المساجد، ولا إنشاء الجمعيات ولا رعاية الأيتام، كلها أعمال جليلة، لكن لو اكتفينا بها، ولم نستقم على أمر الله، لو اكتفينا بها، ولم نغض أبصارنا، لو اكتفينا بها، ولم نحرر دخلنا، لو اكتفينا بها، ولم نضبط جوارحنا، لو اكتفينا بها ولم نربي أولادنا، لا تكفي، هذه الأعمال المادية لا تكفي، لأنه سهلة.

لكن جهاد النفس والهوى، بناء النفس، تزكية النفس، هو الذي أراده الله عز وجل.

هذه الآية تعطي هذا المعنى، وإن كان لها أسباب نزول وملابسات أخرى، لكن القرآن المطلق على إطلاقه، تعطي المعنى أنه أهم شيءٍ تفعله أن تؤمن بالله، واليوم الآخر، وأن تجاهد في سبيل الله، من أجل أن تزكي نفسك، وأن تبنيها البنية الصحيحة، هذا العمل العظيم، إذا أضفت إليه الإنفاق في سبيل الله، يا عيني نور على نور، إذا ساهمت في بناء المسجد يا عيني، إذا ساهمت في تأسيس جمعية خيرية، ترعى الأيتام، ترعى الفقراء، عمل عظيم الأعمال المادية تكسب قيمتها الجليلة، لأن صاحبها ملتزم، أما من دون التزام، مشكلة، بقلك مثلاً يا نصيب خيري، حفلة غنائية يرصد ريعها لليتامى، لا تصح هي، هي أشياء تخليط اسمها، تخليط الحق بالباطل ، إذاً الآية الكريمة:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19) ﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04- 19) : تفسير الآية 28 ، الفرق بين نَجَس و نَجِس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد:

الآية الثامنة والعشرون، من سورة التوبة، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28)﴾

لا نتحدث عن اللغة، في مجلس العلم، إلا بالقدر الذي يلقي ضوءاً على معنى الآية.

هل هناك فرقٌ بين كلمة نَجِس، ونَجَس، فرقٌ كبير ! سُحُور وسَحُور، وُضُوء، ووَضُوء، سِتر، وسَتر، شِق، وشَق.

الفرق بينهما: هو فرقٌ بين المصدر والاسم.

الاسم ما دل على ذات.

المصدر ما دل على حدوث عمل.

فعملية شَق الورقة، هذه العملية اسمه شَق، لكن لو أشرت إلى هذا الخط بين جزئي الورقة، اسمه شِق.

عملية إضافة الماء للحليب، هذه العملية اسمه غَش، أما هذا الحليب المغشوش، اسمه غِش.

عملية الاستيقاظ وتناول الطعام برمضان، اسمه السَحُور، أما هذا الطعام اسمه السُحُور.

عملية إرخاء الستار، اسمه سَتر، أما هذا القماش اسمه سِتر.

الفرق بين المصدر والاسم ؟ فرق بين كلمة تدل على الذات وبين كلمة تدل على الحدث، من دون زمن.

ربنا عز وجل قال:

﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾

الكأس قد يتنجس الصحن قد يتنجس، السجادة قد تصيبها نجاسة، الثوب قد يصيبه نجاسة، نقول هذا ثوبٌ نَجِس، وهذه آنيةٌ نَجِسة، صفةٌ أصابت هذا الشيء، أما إذا قلنا نَجَس، يعني عين النجاسة.

النجاسة نفسها، الغائط نفسه، يتطهر معنا ؟ مستحيل، فرقٌ بين الشيء النَجِس، والنَجَس، هو الفرق بين صفةٍ ألمت بالشيء وبين عين النجاسة.

فربنا عز وجل، وهذا من أدق ما في الآية، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾

يعني هم عين النجاسة، ليسوا نجسين، لو أنهم نجسون يطهروا، الوعاء النجس نطهره، الآنية النجسة نغسلها أما النجاسة نفسها، مالها حل هي.

فربنا عز وجل قال:

﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾

لذلك في بعض الأشخاص إذا صافح إنسان مشرك، يصافحه من طرف العباية، غلط قد يكون عامل حمام درجة أولى، ليس القصد من الآية، أن جسمه نجس، لا، الجسم مادة، تتنظف بالماء والصابون، القصد أنك إذا زوجته، أو إذا شاركته، أو إذا جاورته، أو إذا سافرت معه، أو إذا حاككته بالدرهم والدينار، أو إذا أقمت معه علاقةً حميمة، أو إذا ماشيته، أصابك نجسه، تزوره بتطلع زوجته قدامك، بحرجك بتشاركه بالبنك أمواله، تسافر معه بدو يسهر، ما تقدر.

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾

يعني الإنسان يستفاد من هذه الآية، إنه ماله حق يقيم علاقة حميمة مع مشرك، هذه العلاقة الحميمة، لابد من أن تلوثه بنجاسته. نجاسة المشرك معنوية، بمعنى أنه ماله حرام، سهرته مختلطة، حديثه غيبة ونميمة، قيمه مادية، طموحاته شهوانية، حركته شيطانية، إلهاماته خبيثة، قيمه منحطة، هذه معنى:

﴿نَجَسٌ ﴾

فما من مشكلةٍ تصيب مسلم، إلا سببها أنه تورط مع واحد مشرك، بعلاقة، بتجارة، بسفرة، بزواج. فربنا عز وجل، يحذرنا ! قال:

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾

لا تنسوا أن مركز الثقل بالآية، نَجِس، غير نَجَس، نَجِس صفة اسم فاعل مبالغ به، على وزن فَعِل، حَزِر، قَذِر، نَجِس، لكن نَجَس اسم ذات عين النجاسة، هو نفسه نجاسة، فإذا كان صاحبته، ماشيته وأكلته، سافرت معه، شاركته، زوجته، كله نجاسة، بمزحه السخيف كلامه بذيء، حديثه غيبة ونميمة، ماله حرام، نظراته وقحة شهوانية، ميوله شيطاني، فربنا عما يحذرنا، وهو الخبير.

قال:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14) ﴾

(سورة فاطر 14)

طيب من هو المشرك ؟ المشرك كلمة لها معنى واسع ومعنى ضيق، من قال إن بوزا إله فهو مشرك، لكن من قال أنا وهو لا يدري، عزى القوة لذاته هذا الشرك الخفي، ففي عنا شرك جلي و شرك خفي، الشرك الجلي قلما نجده بالعالم الإسلامي، ما أحد يقول أنا إله، لكن يجوز بآسيا ببعض البلاد الإفريقية، بتلاقي في بوزا، والسيخ، والهندوس، آلها تعبد من دون الله، لكن بالعالم الإسلامي، في شرك خفي.

أخوف ما أخاف عليكم من بعدي الشرك الخفي، أما إني لست أقول، الشرك الخفي، أما إني لست أقول إنكم تعبدون صنماً ولا حجراً، ولكن شهوةٌ خفية، وأعمالٌ لغير الله.

الآن في عنا مشكلة ثانية، قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾

قال لي واحد أخي أنا شريكي فلان بمطعم الفلاني، ببيع خمر إن شاء الله برقبته، لا ليس برقبته، برقبتك كمان، و برقبتك قبل رقبته عما تقبض ربح، هي إن شاء الله برقبته، وأنا ما دخلني، وأنا معي فتوى كله كلام فاضي قال:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾

مطعم خمس نجوم بس في خمور، ودخله كبير كثير

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

مصلحة فيها شبهات، تجارة فيها مواد محرمة، تجارة مبنية على المفاسد، فندق خمس نجوم مثلاً، في حفلات، في اختلاط، في خمور تدار، أخي والله عما يوزعوا بالمائة خمسة وثلاثين، مربحة هذه الشغلة.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾

نحنا نقول العالم كله بقلك صناعة السياحة، بدنا سياح، السياح بدهن انحرافات، نغض النظر عن البيوت.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾

هذه آية السياحة.

﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

ممكن إنسان دخله محدود، وساكن مع زوجته وأولاده، بأجر غرفة لواحد غريب، وهذا الغريب يرتكب الفاحشة مع زوجته، بكون وفت معه، أخي والله عما يدفع بالشهر ثلاثين ألف، ما بتوفي معه قد ما جاءك دخل، إذا ضيعت عرضك ما استفدت شي.

فلذلك نحنا بدنا نروج السياحة، بدنا نتساهل مع السياح، بدهن نوادي عورات، بدهن بيوت دعارة، حتى نكسب، قال هذا:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28)﴾

هذه الآية من أدق الآيات، المتعلقة بالعلاقة مع المشركين مسموح تقيم علاقة عمل مع واحد مشرك، ما بهم، في دوام، في عطاء، في تقديم في أجر، علاقات العمل ما فيها شي، الإسلام مرن والنبي تعامل مع أهل الكتاب، باعهم، واشترى منهم، لكن تقيم علاقة حميمة، مع مشرك، يعني تشاركه بتجارة، تسافر معه، تتعامل معه معاملة فيها احتكاك شديد، هو نَجَس لأنه، لابد من أن تصيبك من نجاسته، هي قاعدة، هي الآية تحذير:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

الله عما يخاطب المؤمنين.

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾

هي إنما أداة قصر وحصر يعني غير معقول يكون نجس أو غير نجس، نجَس حتماً نجَس قطعاً وبعدين غير نَجِس، نَجَس، أبلغ.

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾

وإذا كان في علاقات تجارية، في أرباح طائلة، في كثير تجار يستخدموا مندوب شركة، بدو يشرب خمر، يقدموا له خمر شو بدنا نساوي مضطرين نحنا وكلائه، ما بصير نزعجه، وين الدين صفي، انتهى الدين، هذا يلي يدفع من مصروف مشروب لمندوب الشركة يغذي بمطعم في خمور، يقيدها على المصروف، وقعت بالحرام وأنت لا تدري.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾

هذه الآية خلوها ببالكم:

﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

والله أيها الأخوة، حديثٌ شريف يجب أن يكون أمام كل واحد منكم:

((ما ترك عبدٌ شيءٌ لله إلا عوضه الله خيرٌ منه في دينه ودنياه.))

والله زوال الكون، أهون على الله، من أن يضيع مؤمناً آثر رضوانه مستحيل !

يعني: اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمنا سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين، اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05- 19) : تفسير الآيتان 38-39 ، معنى يا أيها الذين آمنوا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة:

الآية الثامنة والثلاثون، والتاسعة والثلاثون، من سورة التوبة وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(39)﴾

الخطاب أيها الأخوة، موجهٌ للذين آمنوا، وعلامة إيمانك، أنه كلما قرأت مثل هذه الآية، شعرت أنك معنيٌّ بها، إذا كنت مؤمناً حقاً وقرأت أية آيةٍ تبدأ بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾

تشعر أنك معنيٌّ بهذا الخطاب، وتأخذه مأخذاً جدياً.

يعني مثلاً: لو صدر قرار إلى مالكي العقارات التالية وعقارك ضمن هذه العقارات، في مصادرة أو في استملاك، أو في تنظيم، بتقول كلام جرائد، لما ما بتنام الليل يومها، إذا إنسان وجهلك بالجريدة، إلى مالكي العقارات التالية: لقد تقرر استملاكها بماذا تشعر ؟ هذا الخطاب موجهٌ إليك، وقضية مصيرية.

فحينما تشعر، إذا قرأت آية قرآنية، تتصدره بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾

حينما تشعر أنك معنيٌّ بها، تصغي إليها، الآية الكريمة الرائعة:

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾

(سورة التحريم: 3)

إذا سمعت آية وبادرت إلى تطبيقها، معناها أصغيت لها فإن لم تطبق فما أصغيت لها، ولا عرفتها ولا عقلتها.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾

الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

طبعاً كل عصر له معطياته، بجوز في هذا العصر.

﴿انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

الزموا مجالس العلم، تعلموا العلم، أمروا بالمعروف، افعلوا الخيرات، اقرأوا القرآن، طبق الإسلام في بيتك، طبقوا في عملك كل عصر له معطيات، لا يكلف الإنسان في هذا العصر أكثر من أن تطلب العلم، هذه المجالس متوافرة، وما أكثرها، أطلب العلم حاول أن تقيم الإسلام في بيتك، في عملك، حاول أن تضبط جوارحك، أن تضبط دخلك، إنفاقك، هذا العصر لا يزيد معنى النفور إلى الله عز وجل، أكثر من هذه المعاني.

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾

يعني آثرت أن تبقى في محلك التجاري، عن صلاة الجماعة آثرت أن تمضي سهرةً مع أهلك عن مجلس علم، آثرت أن تقبع في مكان جميل، تلعب النرد للساعة الوحدة بالليل، عن أن تجلس مع أخوة يقرءون كتاب الله، آثرت أن تغير زخرفت البيت، عن أن تزوج شاب فقير، آثرت أن تقرأ قصص نجيب محفوظ، عن أن تقرأ القرآن مثلاً.

يعني:

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

واسع الآية طلب العلم، قراءة القرآن، فهم القرآن، الإنفاق في سبيل الله تزويج الشاب المسلم، معاونة المؤمنين على قضاء حوائجهم، خدمة المؤمنين، ارتياد المساجد، هذه كلها مما تعنيه الآية الكريمة.

﴿انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

رد الفعل الكسول.

﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾

مقعدك الوثير في غرفة الجلوس، بتابع فلم، لا يرضي الله عز وجل، أغلى عندك من مجلس علم !

﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾

تطلعلك بألف ليرة، بتروح صلاة الجمعة مثلاً، تجلس جلسة في مقهى تلعب النرد، أحسن من أن تقرأ القرآن.

﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾

الشهوات شدتكم إليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾

الله عز وجل يعجب !

﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ﴾

يعني أنت دنياك عاجبتك، هذا طموحك فقط، شقفة بيت وسيارة وكم سيران وكم عزيمة، هذا كل طموحك، ما بدك مني فوق هذا شي.

﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ﴾

حياة كلها متاعب كلها هموم كلها أحزان، لا تستقيم لإنسان، إن جاءه المال فقد السعادة الزوجية، وإن سعد بأهله فقد المال، وإن جاءه أولاد طيبين زوجته سيئة، وإن كان زوجته مليحا أولاده سيئن، وإن كان أولاده وزوجته جيدين، صحته فيها متاعب كثيرة، وبيته صغير، وعمله قليل وشغل ما في، وعليه دفع مثلاً، هي كل الحياة متاعب، يوم مرض الابن، يوم مرض الزوجة، يوم أسيد أوريك يوم، مثلاً التهاب مفاصل، يوم معه وجع راس دائم، شقيقه، ما هذه الحياة هي كلها متاعب، لاتصفوا لإنسان قبلان فيه أنت هي، قنعان فيها، هذا طموحك فقط، دخلت على ملك قبلان منه قلم رصاص فقط، بس ! مالك طموح أكثر من.

﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ﴾

قبلان فيها الدنيا، قنعان فيها عاجبتك، مالك طموح أكثر منها، الله يعجب !! أعدك لحياة أبدية سرمدية.

الآن ربنا أنبئك

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)﴾

يا مسكين مالك عرفان، مساكين أهل الدنيا، جاءوا إلية وخرجوا منها ولم يذوقوا أطيب ما فيها، ما عرفوا.

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)﴾

إذا واحد راح إلى طرطوس، وركب قارب إلى أرواد، وطالع من جيبته إبرة، غمسها في مياه البحر وسحبها، يا ترى هذه الإبرة ؟ كم أخذت من مياه البحر ؟ قال علية الصلاة والسلام:

((ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كم يأخذ المخيط))

الإبرة يعني إذا غمست في مياه البحر.

الله عز وجل قال:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ﴾

﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17)﴾

(سورة السجدة: 17)

كل واحد منكن له مشاهدات، هذا قال لك أنا بعرف مصر والأردن ولبنان، بقلك لا أنا بعرف أوربا، رحت إلى هولندا وفرنسا لا أنا بعرف اليابان، هذا يعرف التايون. المشاهدات ؟

النبي الكريم ينقل عن ربه قال:

((أعدت لعبادي الصالحين، مالا عين رأت.))

مشاهدات العين محدودة، كل واحد له مشاهدات، ما بتعرف هي مثلاً جوهنزبورد، تسمع فيها بالأخبار، إذاً لا تعرفها يجوز تعرف عمان تعرف بيروت، تعرف مكة والمدينة يجوز تعرف باريس أما في مائتين دولة في العالم، بتعرف كل دولة وعاصمته، ومقاصفها وريفها، ما تعرف .

قال:

((أعدت لعبادي الصالحين، مالا عين رأت ولا أذن سمعت))

أنت سمعان بألف مدينة،سمعان، سمعان كولالامبور، هنالولو، سمعان فيها بالأخبار، بتعرفها لا، معناها دائرة المسموعات أوسع بكثير من دائرة المشاهدات.

أما الخواطر مالها حدود، قد يخطر على بالك، أن إنسان طوله من هون إلى القمر، مثلاً، خاطر هذا ماله قيد.

الحديث القدسي يقول:

((أعدت لعبادي الصالحين، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلبي بشر.))

﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)﴾

ربنا عز وجل، إذا رأى إنسان رضي بالحياة الدنيا، طموح كل شقفة بيت، وسيارة وزوجة، بيطلع على المصيف، ويتغذى بالمقصف ها هي ما بدو غير هيك، ماذا يفعل الله به ؟

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ﴾

يبعث لك متاعب، بنزعلك حياتك، أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإذا لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد بتعبك، بتسب الساعة يلي فتحت فيها المحل التجاري، خسارات ومشاكل ومصادرات، مالنا مسرورين، بتأخذ بيت بتعلق بمشكله مع صاحبه، ومحاكمات، وإذا لم تسلمني فيما أريد، أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد.

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾

قال لي: واحد كلمة قال لي: فيك تلخص لي كل دروسك، قلت له نعم: بكلمتين، الله ألهمني، قلت له يا أما تأتي ركض، يا أما بيجيبك ركض، هي كل دروسي، يا بتجي ركض لحالك، تائب منيب، مستقيم، مقبل، أو بيعرف هو يجيبك ركض، بستناولك من مليون بند، بتطلع أيام نقطة سوداء بالعين، أعوذ بالله على الطبيب، بتم شهر واقع بمتاهات أخي في ذبابة سوداء، عما شوفها بعيني، من العين مرة، من الدماغ مرة، من الكلية مرة، في ضعف بالكلية ضعف بالمعدة، يقلك عم بلهث زيادة، بطلع درج ما بكمل، من مليون بند الله مستناول الإنسان، ومن زوجته، ومن أولاده، من عمله، من تجارته، من استرداده من كل شي.

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾

إذا كان أصررتم على الدنيا و ركبتوا رأسكم، و بدكم الدنيا فقط، ساعتها بالتعبير العامي تمحقوا عندئذٍ.

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً﴾

لا تدلل زيادة، ما بدك راحتك، لا تمن على الله إنك عما تصلي ركعتين.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾

(سورة الحجرات: 17)

بتركض لحالك أهلا وسهلا، ما بدك تصطفل، في غيرك بيجي بروح زاهد بيجي عاشق، أخي أنا ما بدي صعب، طيب بلاها روح افلات على كيفك، طيب إذا واحد فلت شو بدو يطلع معه، اسمعوا هذا الحديث أيها الأخوان، والله يقسم الظهر.

قال:

((بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا، إذا كان ما بدو الله، ولا بدو الآخرة،))

هذا الدين غيبيات يا أخي ليس لهذا العصر الدين، قيود، عصرنا عصر علم، عصر تفتح، عصر نمارس حاجاتنا الطبيعية، نتعرف على الحياة، كلام فاضي، طيب إذا واحد ما بدو غير الدنيا، شو في قدامه.

قال:

((هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غناً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً أو الدجال، فشر غائبٍ ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر.))

يعني إذا واحد ما بدو الآخرة، ما بدو الله ورسوله، ما بدو هذا الدين، شو في قدامه، في قدامه فقر مفاجئ، وصارت، أو غنى مطغي، كان مستقيم فلت على المصاري، أو مرض مفسد ينزع له كل حياته، أو هرم مفند، بعيد القصة ميت مرة، بصير حشري كرهوا أهله وجوده، هربوا منه، أو موت مجهز، أو الدجال، فشر غائبٍ منتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر.

الآية دقيقة جداً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾

بتعطف، بلطف، بتحبب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ﴾

شو صاير لكم.

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾

مالنا فاضين عنا موسم، شغل مثل النار مثلاً، ما في شغل مثل النار كله واقف.

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ﴾

قبلانين فيها أنتم فيها هي.

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)﴾

غلطانين أنتم.

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾

من رحمتنا فيكم.

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾

إذا أصررتم.

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)﴾

فالله عز وجل أخبرنا: أن متاع الحياة الدنيا قليل، والمؤمن لما ينتقل للآخرة، ينتقل من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، كما ينتقل الجنين، من ضيق الرحم، 750 سانتي مكعب إلى سعة الدنيا، هكذا.

فهذه الآية يجب أن تبقى في أذهاننا، الحياة الدنيا زائلة ومتاعها قليل في آيات أخرى.

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾

(سورة النساء: 77)

﴿وَالْآَخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35)﴾

(سورة الزخرف: 35)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06- 19) : تفسير الآية 41 ، الرؤية الصحيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

يقول الله عز وجل: في سورة التوبة.

﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)﴾

أما خفافاً: يعني صغار في السن، الشب خفيف، والإنسان المتقدم فالسن حركته ثقيلة، أو خفيف بالأعباء، أو ثقيل بالأعباء يعني مشغول أو مالك مشغول، عندك ازدحام بالأعمال أو متفرغ صحيح أو مريض، كبير أو صغير، في كل الأحوال كلمة:

﴿خِفَافاً وَثِقَالاً﴾

تعني كل الأحوال.

﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾

معنى انفروا ؟ في معنى أكبر من سارعوا بقلك نفير عام، يعني جاهزية قسوة، ضع كل إمكاناتك، وقدراتك وعضلاتك، وعلمك، وخبرتك، ومالك، ضع كل هذا في سبيل الله إن كنت في السراء أو في الضراء، في الصحة، أو في المرض متقدم في السن، أو صغير في السن.

﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

الله عز وجل دائماً يقدم المال عن النفس.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾

لأن بذل المال أهون من بذل النفس، إلا في آية وحدة ! ربنا عز وجل قدم بذل النفس على بذل المال قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾

هذا بيع قطعي، إذا كان اشتريت بيت وكراج بتقدم بالعقد البيت لأهميته، مادام بيع قطعي، الله قدم النفس عن المال مادام بذل الله قدم الأسهل.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

كلام خالق الكون.

أما النقطة الدقيقة بالآية ؟

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)﴾

فإذا الواحد يرى أن الدنيا أثمن، وأن الراحة أثمن من الجهاد، فهو بنص هذه الآية لا يعلم لو كان عاقل، لو كان ذكي، لو كان معه أـكبر شهادة، إذا ما آثر الآخرة على الدنيا، إذا ما آثر البذل على الإمساك، ما آثر النفور إلى الله عز وجل، النفرى إلى الله على القعود والكسل، فهو لا يعلم، لا يعلم من هو، ولماذا هو في الدنيا، وماذا بعد الموت.

الحقيقة الآية هي، ممكن تنسحب على أي آية، كلما قرأتم قوله تعالى:

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)﴾

معنى إن لم يكن علمك وفق هذه الآية، فأنت لا تعلم، يعني إن لم تكن رؤيتك، الإنسان يتحرك برؤية، الإنسان لما يسرق، ماذا يرى ؟ يرى أن السرقة أفضل من العمل كسب كبير بلا جهد، فما في إنسان يمشي يتحرك إلا برؤية.

أنا مرة كنت جاية من بلد من حلب، دخلت دمشق من شارع العدوي بأيام الشتاء القارصة، برد شديد صقيع، لقيت إنسان عما يركض، بالليل ما الذي جعله يركض ؟ الرؤية، هو يرى أن الجري صحة، والجري المنتظم، كل يوم، برد، حر، شوب، مطر، ثلج لابد من أن يجري، فهذا الإنسان الذي يجري في هذا الوقت البارد علمني درساً، أن الإنسان حينما يرى الخير في شيء، يبادر إليه يعني الشام فيها خمس ملايين إنسان، خمس ملايين في غرف الجلوس والمدفأة شاعلة وعما يتعشوا ومسرورين، إلا هذا الإنسان رؤيته أنه الجري أفضل بالبرد، قضية رؤية.

فالذي يرى أنه الآخرة هي الخير، فهو يعلم، الذي يرى أن بذل الجهد في سبيل الله هو الخير، إذاً يعلم، الذي يرى العكس لا يعلم فكل ما بتجي آية بالقرآن الكريم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)﴾

اقرأ مضمون الآية إذا أنت رؤيتك وفق هذا المضمون، والله، بارك الله بك، معناها تعلم أما إذا كان رؤيتك خلاف المضمون، يعني مثلاً إذا واحد يرى أنه كل ما كثر ملح ينزل ضغطه، هذا جاهل، هو لا يعلم، أنه بقلك الطبيب، خفف الملح من أجل أن ينزل الضغط، إن كنت تعلم، فإذا كان رفعت الملح، لتنزل الضغط،

معناها ما بتعرف شي، مدموغ بالجهل، لو كان معك شهادة عالية، دقيقة الآية، رؤيتك، ما هي رؤيتك ؟ هل ترى أنه:

﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

بس:

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)﴾

فإن كنتم لا تعلمون، ترون الدنيا خيراً لكم، القعود خير، جمع المال خير الانغماس بالملذات خير، جلب المصالح نحو ذاتك خير.

قل لي ما هو الخير بنظرك ؟ أقل لك من أنت، خير، هناك من يرى الخير بالمال أوفي قبض المال، أو في السيطرة، أو في التمتع في الملذات، أنت أنظر إلى رؤيتك ماذا ترى، ما الذي يسعدك، أن تأخذ المال أو أن تنفقه، ما الذي يسعدك، أن تبذل جهداً في طاعة الله أو أن تستمتع بالنعيم، والرخاء، هذه الرؤية هي أخطر ما في الإنسان هي عقيدة الحقيقة الرؤية ملخص العقيدة، لما الإنسان يرى أن هذه الدنيا دار مؤقتة، والآخرة هي دار قرار، يفعل للآخرة، فأنت كل ما بتقرء آية.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)﴾

بتقرأ مضمون الآية، إذا كان رؤيتك الحقيقة الداخلية للحياة وفق هذه الآية، فأنت ممن تعلم، بارك الله بك وإذا كان رؤيتك، خلاف الآية، فأنت لا تعلم، اشتغل، إذا رأيت أن قبض المال أفضل من أنفاقه أنت لا تعلم. الله عز وجل قال:

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

خالق، إله، الخبير، الذي إلية المصير.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)﴾

فإذا رأيت أن قبض المال هو الخير أنت لا تعلم ! ممكن كل واحد يمتحن علمه من هذه الآية، تعلم أو لا تعلم، الله قال:

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)﴾

تفعلون كذا.

يعني إذا واحد على جانب بسيط من الثقافة قال لك هذا البناء يحتاج إلى حديد، في نقطة مهم كنت أقوله دائماً، إذا قال لك مهندس أن ممكن عمرك بناء من دون حديد أسمنتي، هذا لا مهندس ولا متعهد ولا بناء ولا فاعل، كلمة وحدة حكاه، قال لك ممكن عمر بناء من دون حديد هذا لا مهندس ولا متعهد ولا بناء ولا فاعل،

لأنه هذه حقيقة بديهية، إذا قال لك واحد كل ما أكلت ملح أكثر بنزل ضغطك، هذا لا طبيب، ولا مساعد طبيب، ولا ممرض ولا إنسان يفقه شيء بالطب.

فالقضية دقيقة، الخير في الأنفاق، والخير في بذل الجهد والخير في أن تجاهد نفسك هواها، والخير أن تنفر إلى الله خفيفاً أو ثقيلاً، فما بقى في سن أخي أنا تقاعدت، المؤمن لا يشيخ.

كان في الشام رجل، من كبار العلماء، ذهب إلى المدينة المنورة كي يجاور النبي علية الصلاة والسلام، قال رواه في المنام قله يا ولدي بقاءك في بلدك خيراً من مجاورتي، روح أشتغل يعني رجع على بلده، وفتح مدرسة، فتحها كان عمره 18 سنة، وبدأ يعلم الصغار، العلم الشرعي، حتى 98 ! يعني علم 80 سنة، كان إذا رأى شاباً، يقول له أنت كنت تلميذي يا ولدي، وكان أبوك تلميذي وكان جدك تلميذي، أنت وأبوك وجدك تلاميذي، وبلغ 98 وهو منتصب القامة، حاد البصر، مرهف السمع، أسنانه في فمه، ويتمتع بقوته التامة، كلما قيل له يا سيدي ما هذه الصحة الذي حباك الله بها يقول يا بني حفظنها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً، مين منا ما بحب يتمتع بسمعه وبصره وقوته وما يبرك الله عز وجل، ويكرمه ويجعله مكانة عالية، وما يعيد القصة مائة مرة ولا يخرف ولا شيء، يحفظ الله في الصغر، أحفظ الله يحفظك، قله هذه كلمته الشهيرة، يا بني حفظها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً، زرت شخص بالعيد، عمره 96 سنة والد صديقي، قللي اعملنا تحاليل ما طلع في شيء، قللي والله يا أستاذ ما أكلت قرش حرام في حياتي، ولا بعرف الحرام، قصده النساء يعني، لا بيعرف الحرام ولا أكل قرش حرام، 96 تحاليل كاملة ما في شي، يا بني حفظنها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، كمان إذا الإنسان حضر مجلس علم، وفهم كلام الله، وفعل هذا، النبي يقول:

((من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت))

أنت إذا قرأت القرآن وحاولت أن تفهمه، وأديت الصلوات الخمس، وأطعت الله عز وجل النبي الكريم، بشرك أنك لا تخرف، ولا ترد إلى أرذل العمر.

حدثني أخي عن والدته، طبعاً كل ما لبسوها تخلع كل ثيابها تأكل من نجسها، قللي نربطها يديه لفوق وننيمها على ليوان مقور هذا أرذل العمر، خرفت، عما تأكل نجسها، نربطها لفوق، أيام بتلاقي مؤمن يعني بـ 98 متألق، مثل كوكب الدري، ماكن، ذاكرته جيدة، مكانته كبيرة، مصدر خير للناس، شغلة مدروسة يعني يا بني حفظها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)﴾

خليه بالك هي، كل ما رأيت رؤيتك متوافق مع القرآن بشارة لك، إذا العكس، لا تعلم، أنا معي بورد خير أن شاء الله، أعلى شهادة معك، لا تعلم بنص الآية، هذا ذكاء جزئي أسمه ليس ذكاء شمولي، في ذكاء جزئي، قد يكون الإنسان ذكي فيما هو في أما الذكاء الشمولي يعرف ربه، يعرف آخرته يتوافق مع مصيره المحتوم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07- 19) : تفسير الآية 50 ، المنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد:

الآية الخمسون من سورة التوبة وهي قوله تعالى:

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (50) ﴾

هذه الآية أيها الأخوة تصفوا المنافقين، علامة المنافق ؟ أنه إذا أصاب المؤمن خير، تألم، وإن أصابته مصيبة فرح، ويمكن لكل مؤمنٍ، أن يقيس إيمانه بهذه الآية، فهل إذا أصاب المؤمنين مكروه يفرح ؟ أم هل إذا أصابهم خير يحزن؟

آية أخرى تؤكد هذه الآية وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾

(سورة النور: 19)

العذاب الأليم: لا على معصيةٍ ارتكبوها، بل على تمنياته.

﴿أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا﴾

يعني أنت تعرف نفسك، لك أخ مؤمن، أصابه خير، نال مرتبه اشترى بيت، تزوج، أسس مشروع نال شهادة عالية، علامة إيمانك أن تفرح له، علامة النفاق أن تتألم مقياس دقيق جداً، ما في أخ إلا ما في حوله إخوان، أصدقاء، جيران مؤمنين طبعاً، فإن أصابهم الخير يجب أن تفرح، وكأن هذا الخير إليك، إن أصابهم مكروه يجب أن تحزن، وكأن هذا المكروه قد أصابك

لذلك الله عز وجل قال:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾

(سورة البقرة: 188)

لم يقل ولا تأكلوا أموال إخوانكم، لأن الله عز وجل عدا المؤمنين أسرةً واحدة، فمال أخيك مالك، من زاوية أن تحافظ عليه، وأن تتمنى نمائه، وأن تتألم إذا زال هذا المال، هذه الآية سقتها تمهيداً للآيتين.

يقول الله سبحانه وتعالى في الآية السابعة والستين والثامنة والستين من سورة التوبة:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68)﴾

ذكرت الآية الأولى من أجل أن تعرف من هو المنافق ؟ المنافق هو الذي يفرح بمصيبةٍ قد نزلت للمؤمن، ويتألم لخيرٍ أصاب المؤمن.

هل هناك أمٌ على وجه الأرض تتمنى لأبنتها الشر ؟ فإذا تمنت إذاً هذه ليست ابنتها، ليست ابنتها، ليست قضية تمني أو عدم تمني قضية موقع، حينما تتمنى الشر للمؤمنين، فأنت في موقع المنافقين وحينما ترجو الخير للمؤمنين، فأنت معهم في خندقٍ واحد.

إذاً التمني والفرح له نتائج خطيرة.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

دققوا في الآية الثانية:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

فرقٌ كبير.

﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

من جنس عاطل واحد، لكن:

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

ينصحون بعضهم بعضا يحبون بعضهم بعضا في ولاية، كل مؤمن يرى أنه ولي أخيه المؤمن ينصحه، يعاونه، بيستره، ينصره، يؤيده، يدافع عنه، يتعاون معه هي علامة المؤمنين، المؤمنون بعضهم لبعضٍ، نصحةٌ متوادون ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقون بعضهم لبعضٍ، غششتٌ متحاسدون، ولو اقتربت منازلهم.

الآية دقيقة:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

ما قال أولياء بعض، من جنس واحد عاطل.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾

بُخلاء.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾

الله عز وجل، لم ينسهم، لكن نسيانهم لله أنساهم أنفسهم، دقة الآية، نسيانهم لله، فاعل فنسيهم، نسيانهم لله جعلهم ينسون أنفسهم.

تعريف ثاني:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67)﴾

بالآية الأولى، الذي يتمنى الشر لأخيه المؤمن منافق، الذي يتألم للخير منافق.

الآن المنافق هنا هو الفاسق، والفاسق هو الذي خرج عن أمر الله.

﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾

(سورة الكهف: 50)

في منهج خرجت عنه، أُمرت بغض البصر، أطلقت البصر فهذا فسق، أُمرت بالكسب الحلال، الكسب حرام، هذا فسق، أُمرت بأداء الزكاة، لم تؤدي الزكاة فهذا فسق، الخروج عن منهج الله، الخروج عن أمر الله كما لو أن تمرةً ناضجةً جداً، ضغطها فخرجت وبقية جلدتها بيدك أيام في بعض الفواكه، تضغطها يخرج اللب من الجلد، هذا هو الفسق في أصل اللغة، خرج من أصله، خرج عن منهج الله.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68)﴾

اسمعوا المؤمنين:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

في نصيحة، في محبة، في معاونة، في تضحية، في إيثار، في ود.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

(سورة آل عمران: 104)

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

في كل تفاصيل حياتهم، هي شاملة والباقي، في بقية شؤون الحياة يطيعون الله ورسوله، في كل شيء.

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾

شوف كلمة:

﴿سَيَرْحَمُهُمُ﴾

الدقة في السين، سين استقبال، يعني إذا المؤمن الآن معذب شوي، مغلب، متضايق، أموره ليست على ما يرام، بكون في طور المعالجة، لكن إطمئن حالك أيها المؤمن.

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾

سين للاستقبال.

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71)﴾

بالمقابل:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)﴾

الآيتين مع بعضهن، وتعريف المنافقين، يأمر بالمنكر، ينهى عن المعروف، يمنع الخير، يتمنى للمؤمنين الشر، يتألم إذا أصابهم خير، تعريفات بالقرآن الكريم، هذا منافق.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

من جنس واحد، وعدهم الله نار جهنم، أما المؤمنون:

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾

أختم الدرس بمثل، قد يقول قائل المؤمن يصيبه ما يصيب الناس، يعاني الأزمات نفسها، فأين رحمة الله للمؤمن ؟ الآية هنا:

﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾

ضربت مرة مثل، لو أن واحد دخله 1800 ليرة في هذه الأيام، عنده خمس أولاد، بيته بالأجرة، عليه دعوة إخلاء، شو هذه الحياة هي، له عم يحكي بخمسمائة مليون، ما عنده أولاد مات بحادث، فكل هذا المبلغ، صار إليه بثانية واحدة، لكن حتى قبضه لبعد سنة، براءة ذمة، وإخراج قيد، لماذا في هذا العام هو أسعد

الناس ؟ ما قبض ليرة واحدة، ولا غير بيته، ولا حسن أكله، ولا غير ثيابه، لماذا هذا الإنسان الذي وعد بخمسمائة مليون ؟ بس حتماً وعد قطعي، بس قضية زمن، إجراء معاملات، وبراءة ذمة وروتين.

قال:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)﴾

(سورة القصص: 61)

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60)﴾

(سورة القصص: 60)

إذاً:

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾

يعني طول بالك.

الخير كله لك في المستقبل، والعاقبة للمؤمنين، والجنة فيها مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، حال المؤمن مع الله في العناية المشددة، وحال الكافر مرضه خبيث ما منه أمل، قال له كل ما شئت ما منه أمل كل ما شئت، أما يلي عنده التهاب معدة، الطبيب بقيم قيامته لو أكل أكلة خلاف الأصول، فإذا المؤمن في خير ضمن العناية المشددة، مقطوع الأمل منه يعطى الدنيا كما يشتهي.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)﴾

(سورة الأنعام: 44)

احفظوا صفات المنافقين، واحفظوا هالآيتين المتقابلتين والواحد يراقب نفسه باستمرار، إذا كان أخوه الله أكرمه بأي شيء بمال، بمرتبة، بعلم بعمل، لازم يفرح، علامة إيمانه، إذا ما فرح يشتغل بحاله، معناها بينه وبين الإيمان مراحل فسيحة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08- 19) : تفسير الآيتان 81-82 ، العبرة لمن يضحك آخراً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الواحدة والثمانون، من سورة التوبة، وهي قوله تعالى:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82)﴾

سيدنا الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، في حوارٍ مع نفسه، قال يا نفس، لو أن طبيباً حاذقاً منعك من أكلةٍ تحبينها، ماذا تفعلين ؟ لا شك أنك تمتنعين، ولو أن الأكلة محببةٌ إليك، حفاظاً على صحتك.

الإنسان إيام بكون آخذ بيت رابع طابق، مزينه، تعبان فيه يقول له الطبيب لازم تسكن ببيت أرضي، ثاني يوم حطه عند الدلال ثاني يوم، بقلك الصحة ما معها لعبة.

يقول هذا الإمام الجليل: **يا نفس لو أن الطبيب منعك من أكلةٍ تحبينها، لاشك أنك تمتنعين، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله.**

الله ما منعك عن أشياء كثيرة، ما أمرك، ما نهاك، معقول تسمع كلام طبيب، وتتجاهل كلام خالق الأطباء.
أيكون الطبيب أصدق عندك من الله، قال إذاً ما أكفرك.

أيكون وعيد الطبيب، إذا ما بتغير البيت في مشكلة بالقلب، إذا ما الملح تركته يطلع الضغط، إذا كان الضغط طلع يجوز يصير في انفجار بالدماغ، خثرة دماغية، مالا حل هي، أو تنزلق الشبكية. أيكون وعيد الطبيب أصدق عندك من وعيد الله، إذاً ما أجهلك فالإمام الغزالي بحوار منطقي مع نفسه، يتهم كل إنسان لا يطيع الله إما بالكفر، لأن الطبيب عنده أصدق من الله، وإما بالجهل لأن وعيد الطبيب أشد على نفسه، وأخوف من وعيد الله.

فربنا عز وجل يبين هنا:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾

المعنى الواسع للآية: يعني إذا في احتفال الإنسان يلبي، في مولد في وجاهة، في سيران، في عزيمة، في حفل، في تكريم، أما عند البذل، عند غض البصر، عند إنفاق الأموال، عند تعلم القرآن عند أداء الصلوات، بتلاقي في كسل، إذا موقف في وجاهة، أيام بمجلس عام، يدفع مئات الألوف، بكون له أولاد أخ يموتون من الجوع، ما يعطيهن شي، لأنه هون ما في لوحة، هون في لوحة المحسن الكبير، هون ما في المحسن الكبير، هون ممعوسة هنا، ما يعطي شي.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾

إذا في وجاهة، يروا أنه أُبي ابن خلف كان زعيم المنافقين، وكان يجلس إلى جنب النبي عليه الصلاة والسلام، فلما توفي، طلب قميص رسول الله قال: **أعطوه قميصي، وماذا يغني عنه قميصي من الله ؟ الآن استقر في جهنم حجر، كان يهوي سبعين خريفا.**

يعني بتحضر حفلة يكن لك مقعد أول، يكن لك اسم، الناس يبجلوك، لا تقدم ولا تأخر، المطلوب أن تكون علاقتك مع الله صحيحة، المطلوب البذل، التضحية، الالتزام.

هل الولي الذي يمشي على وجه الماء ؟ قال لا: الإمام الجُنيد هل الولي الذي يطير في الهواء ؟ قال لا: **الولي كل الولي، الذي تجده عند الحلال والحرام، أن يراك حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك.**

أن يراك حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)﴾

(سورة يونس: 62)

أجمل تعريف وأدق تعريف، وأبسط تعريف:

﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)﴾

(سورة يونس: 63)

أنت ولي، وزوجتك ولية، وأخوك ولي، وكل مسلم ولي، شو الولي إنسان عرف الله وأطاعه، وانتهى الأمر.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)﴾

لو كان لبسك عادي، لو مالك مظهر ديني، إنما التقوى هاهنا كما قال عليه الصلاة والسلام:

((إنما التقوى هاهنا))

قال عليه الصلاة والسلام:

((أشدكم لله خشيةً أنا، أنام وأقوم، أتزوج النساء، آكل اللحم أصوم وأفطر، هذه سنتي، فمن رغب عنها فليس من أمتي.))

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) ﴾

اخترت هذه الآية، لهاتين الكلمتين:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾

العبرة لا لمن يضحك أولاً، العبرة لمن يضحك آخراً، الإنسان إذا كان الله أعطاه الدنيا يضحك، _أيام يضحك وينثني نصفين يقصع لوراء، يطلع منه صوت ضحك بسمع الحارة كلها، عما يضحك، لكن لو علم ماذا وراء هذا الضحك ؟.

يعني أيام إنسان بكون راكب سيارة، والطريق انحداره شديد وفي نهاية الطريق منعطف حاد، والهويات عما ينسمو، والسيارة فخمة، بس ما فيها فرام ، عما يضحك، لو عرفان ما فيها فرام، وآخر الطريق رايح يعمل حادث غير ميت، ما كان يضحك، كان يبكي فالبطولة تعرف جاهزية السيارة، ما يكون في هواء رخيم، بس فرام ما في، والطريق منحدر والمنعطف حاد.

فالله قال:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾

المهم من يضحك آخراً.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (111)﴾

(سورة المؤمنين: 107، 108 109، 110)

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

(سورة المؤمنين: 115)

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)﴾

(سورة التوبة: 129)

في آية أخرى بمكان آخر، يقول الله عز وجل:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34)﴾

(سورة المطففين: 34)

لما الطفل يولد، كل من حوله يضحك وهو عما يبكي، ماشي الحال، لما بيموت، كل من حوله يبكي، فإذا كان بطل، ساعتها يضحك.

وا كربتاه يا أبت، قال: **لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه.**

اجهد أن يكون الموت عرسك، أن يكون الموت أسعد لحظات وجودك، الصحابة كانوا، مرحباً بلقاء الله، ينتظر هذه الساعة أسعد الناس بهذه الساعة، فبحسب عملك الصالح، من قدم ماله أمامه سره اللحاق به، عملك الصالح هو يلي حدد موقفك من الموت الموت إما القبر حفرة من حفر النيران، أو روضة من رياض الجنان.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)﴾

(سورة غافر: 46)

يعني آل فرعون من ست آلاف وخمسمائة سنة كل سنة ثلاث مائة وخمسون وستين يوم، كل يوم مرتين:

﴿غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾

والخير للأمام.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)﴾

هكذا الإنسان .

أما إذا عرف الله عز وجل، قبره روضة من رياض الجنة قال:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً ﴾

أيام إنسان يغتني فجأةً، يستلم منصب رفيع يشتري بيت فخم، السيارة ثمنها أربع وعشرين مليون بقلك أخذتها.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82)﴾

فالبطولة، من يضحك آخراً، البطولة موقف الإنسان عند الموت، البطولة أن تلقى الله وأنت راضٍ عنه، وهو راضٍ عنك، البطولة الكيس، شوف هذا الحديث ما أدقه معروف، الكيسُ العاقلُ من دان نفسه، ضبطها ضبط دخله، ضبط إنفاقه، ضبط عينه، إذنه، لسانه، يده بيته عمله، الكيسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

أكثر المسلمين يقول لك يا رب نحن عبيد إحسان مالنا عبيد امتحان، يا رب لا تعاملنا بعملنا، هل الكلام ماله معنى.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾

(سورة النحل: 32)

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

(سورة الحجر: 92، 39)

أنت تدعوا بدعاء خلاف القرآن.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

لذلك الإنسان إذا دع، قال عليه الصلاة والسلام:

((اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، لا تطلب الرحمة وحدها لها ثمن الرحمة طلوب موجباتها))

يعني لو فرضنا ابن قال لأبيه: وأبوه ملك، قال له: بدي سيارة، قال له: هي سيارة، قصر، هي قصر، طائرة هي طائرة، يخت هي يخت، قال له: بدي صير رئيس جامعة، قال له: هي بدها شهادات منك هي، الباقي كله مني سهل، أما إذا بدك تصير رئيس جامعة، أستاذ جامعة، هي بدك أنت يكون معك دكتورا، هي ليست علي هي عليك.

فالنبي كان أديب جداً مع الله، ما قال اللهم إني أسألك رحمتك قال لا موجبات رحمتك، اجعلني أهل لرحمتك، رحمتك لها ثمن يا ربي لأنه لها ثمن، رحمة الله لها ثمن، فالنبي سأل الله، موجبات رحمة الله وعزائم مغفرتك، والمغفرة لها ثمن، الرحمة لها ثمن والمغفرة لها ثمن.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09- 19) : تفسير الآية 74 ، الكفر بعد الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة:

في سورة التوبة، آيةٌ رقمها، أربعةٌ وسبعون، وهي قوله تعالى:

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ(74)﴾

هذه الآية: لا نعرف منهم الذين قالوا ، ولا في أية مناسبةٍ قالوا وكيف كفروا بعد إسلامهم، أسلموا ثم كفروا، هذه الآيات وهي قلةٌ في القرآن الكريم، لا تفهم إلا بأسباب النزول.

لهذه الآية قصةٌ غريبة، هذه القصة هي أن رجلاً صحابياً توفي في معركةٍ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلف طفلاً صغيراً، اسمه عُمير بن سعد، أم هذا الطفل الصغير الأرملة تزوجت رجلاً ثرياً في المدينة، هذا الرجل الثري، صاحب رسول الله، وأسلم.

حينما كان النبي عليه الصلاة والسلام، يغزو مع أصحابه كان لا يخبرهم بوجهته، من باب أخذ الحيطة، فالحرب خدعة، إلا أنه حينما توجه بهم إلى تبوك، في أيام الصيف الحارة، لأن الشقة بعيدة، ولأن العدو كثير العَدد والعُدد، فالأول مرةٍ النبي صلى الله عليه وسلم، يصرح لأصحابه بوجهته ليستعدوا، وبدأ أصحابه يستعدون.

امرأة باعت فراشها، وقدمت ثمنه للنبي عليه الصلاة والسلام الذي تنام عليه.

سيدنا عثمان جاء بجراب، فيه ألف دينارٍ ذهباً وقدمه للنبي عليه الصلاة والسلام.

سيدنا عبد الرحمن بن عوف، حمل على عاتقه مائتي وقيةٍ من الذهب، وألقاها بين يدي النبي الكريم.

يعني ما من واحدٍ من الصحابة، إلا وقدم كل شيء.

هذا الغلام يرى عمه زوج أمه، قاعد لا يتحرك، لا يستعد لا يقدم، لا يبذل مع أنه غنيّ كبير، فأراد أن يستثير همته، كيف استثار همته ؟ بدأ يحدثه عن أصحاب النبي كيف يقدمون، اليوم يا عمي جاء سيدنا عثمان وفعل كذا، اليوم جاء ابن عوف وفعل كذا اليوم رجل باع فراشه، ضاق به ذرعاً ! وقال له:

قال إن كان محمدٌ صادقاً فيما يقول، مما يدعيه من النبوة فنحن شرٌ من الحمر.

سعد بن عُمير، لما سمع هذا الكلام من عمه، كان في رأسه عقلٌ وطار، هذا كفر، إن سكت خان الله ورسوله، وإن تكلم ولي نعمته، يعني الجلاس عمه أكرمه إكراماً ما بعده إكرام، وقع هذا الطفل الصغير في صراعٍ شديد، إن هو تكلم يعني كأنه سبب لعمه وولي نعمته شراً كبيراً، وإن هو سكت خان الله ورسوله، هذا غلامٌ صغير، اسمعوا ماذا قال لعمه.

التفت عمير إلى الجلاس، اسمه الجلاس عمه قال والله يا جلاس: ما كان على ظهر الأرض، أحدٌ بعد محمد بن عبد الله أحب إليّ منك، ما على ظهر الأرض، أحدٌ بعد محمد بن عبد الله أحب إليّ منك، فأنت آثر الناس عندي، وأجلهم يداً عليّ ولقد قلت مقالة إن ذكرتها فضحتك، وإن أخفيتها خنتُ أمانتي وأهلكت نفسي وديني وقد عزمتُ أن أمضي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قلت فكن على بينةٍ من أمرك.

أنا لا أعمل بالخفاء من وراء ظهرك، أنا إن سكت فقد خنت الله ورسوله، وإن تكلمت فضحتك، أنا سأذهب إلى النبي، وسأذكر له ما قلت، لأنه أنت محسوب صحابي، عما تقول لو كان محمداً صادقاً فيما يقول، فنحن شرٌ من الحمر، معناه غير صادق عندك أنت النبي الكريم استدعاه، فجاء الجلاس فحيى رسول الله طبعاً وجلس بين يديه، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: مقالةٌ سمعتها منك، سمعها منك عُمير بن سعد، وذكر له ما قال، قال كذب عليّ يا رسول الله، وافترى، فو الله ما تفوهت بشيءٍ من ذلك، كذاب هذا وأخذ الصحابةُ ينقلون أبصارهم، بين الجلاس وبين فتاه عُمير وكأنهم يقولون، هل من واحدٍ أشدُ لؤماً من هذا الغلام، ولي نعمته وأكرمه، وضمه إلى أسرته، وأعطاه، ومع كل ذلك يفعل به كذا وقال آخرون: إنه غلامٌ نشأ في طاعة الله، وقسمات وجهه تدل على أنه صادق، شي بحير، صحابي يقول هذا كذاب يا رسول الله، أنا معقول أحكي هذا الكلام، والطفل بريء، والتفت النبي صلوات الله عليه، إلى عُمير فرأى وجهه قد احتقن بالدم، والدموع على خديه تنحدر انحدارا، فتساقطت الدموع على خديه، وقال هذا الغلام الصغير: اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلم به.

أنا كذبوني، اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به، فانبرى الجلاس وقال: إنما ذكرته لك يا رسول الله، هو الحق، وإن شئت تحالفنا بين يديك، هذا كذاب هذا، وإني أحلف بالله أني ما قلت شيئاً مما نقله لك عُمير، فما إن انتهى من حلفه، وأخذت العيون تنتقل منه إلى عُمير، حتى غشيت رسول الله السكينة، فعرف الصحابة أنه الوحي، فالزموا أماكنهم، وسكنت جوارحهم، ولاذوا بالصمت وتعلقت أبصارهم بالنبي عليه الصلاة والسلام، وهنا ظهر الخوف والوجل على الجلاس، وبدى التلهف والتشوف على عُمير، وظل الجميع كذلك حتى سُرِيّ عن رسول الله فتلى قوله عز وجل:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾

إلى قوله تعالى:

﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً﴾

فارتعد الجلاس من هول ما سمع، وكاد ينعقد لسانه من الجزع، ثم التفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال يا رسول الله: بل أتوب بل أتوب يا رسول الله ! صدق عُمير، وكنت من الكاذبين، إسئل الله أن يقبل توبتي، جعلت فداك يا رسول الله، وهنا توجه النبي عليه الصلاة والسلام، إلى الفتى عُمير بن سعد، فإن دموع الفرح الآن دموع من نوع ثاني، هلق تبلل وجهه المشرق بنور الإيمان، فمد النبي يده الشريفة، إلى أذنه وأمسكها برفق، بلطف، وقال: **وفت أذنك يا غلام ما سمعت وصدقك ربك.**

عاد الجلاس إلى حضيرة الإسلام، أما الشي الغريب، ماذا تتوقعون ؟ أنه الجلاس يسئ له لأنه فضحه، ونزل به قرآن، إلى يوم القيامة، الذي حصل خلاف ما تتوقعون، عرف الصحابة صلاح حاله صلاح حال الجلاس، مما كان يغدقه على عُمير من درٍ بعد هذه الحادثة، ضاعف إكرامه له، وكان كلما ذكر عُمير، يقول الجلاس: جزاه الله عني خيراً، فقد أنقذني الله من الكفر، وأعتقى رقبتي من النار على يدي هذا الطفل الصغير.

وبعد: هذه سورة من سور أبناء المؤمنين، طفل صغير، يقف موقف رائع، في ذكاء، في عقل، في حكمة، ويجعل توبة هذا العم المحسن على يد هذا الطفل الصغير، هي تفسير الآية.

الآية الرابعة والسبعين:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾

إذا واحد قال ليش الصلاة: كفر، كَفر، إذا كان أنكر شيء بالقرآن أو بالسنة الثابتة، كَفر، في كلام كفر، بقلك الله عز وجل: يطعمي الحلاوة يلي ماله أضراس، هي كلمة كفر هي، معناها الله ليس حكيم، معناها ليس حكيم أنت الحكيم، هذا ما يستاهل يعطيه، هذا يستاهل ما يعطيه، انتبهوا يا أخوان في كلمات كلها كُفر، إذا قال لك واحد، أخي الدنيا مد وجزر، معناها ما في مصائب، الله ما دخله بالموضوع، إذا في رخاء، أو في شدة، في فقر أو غنى، الدهر يعني، بقلك الدنيا مد وجزر، الدهر يومان يومٌ لك ويوم عليك، هذا كلام كله خلاف القرآن، كُفر الكلام.

من جلس إلى كاهنٍ فصدقه فقد كفر، أيام بالسيران تجي منجمة احكي لنا، وين ماشي كفر، كفرت وأنت لا تدري، من أتى كاهناً فصدقه فقد كفر، من جلس إلى ساحرٍ فلم يصدقه، لتسلية فقط لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً ولا دعاء أربعين يوماً.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

نقموا صار غني، الدين ما عاد يعجبه، بدو اختلاط، بدو سفر، بدو شهواته، بدو أجهزة لهو بالبيت، قال:

﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74)﴾

هي تفسير الآية، هذه الآية لا تفهم إلا بأسباب النزول، وهذا سبب نزولها .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10- 19) : تفسير الآية 103 ، حق الفقير على الغني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة:

الآية الثالثة بعد المائة، من سورة التوبة، وهي قوله تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)﴾

أيها الأخوة:

أول شيءٍ يلفت النظر في هذه الآية، أن الخطاب ليس موجهً للمؤمنين.

كقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾

(سورة البقرة: 183)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾

(سورة التحريم: 6)

هذه الآية وجهت، لا إلى المؤمنين، بل إلى النبي، ووجهت إلى النبي لا على أنه نبي، بل على أنه ولي الأمر، الحاكم.

أحياناً يخاطب النبي، بصفة النبوة.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

(سورة المائدة: 67)

أما الآن النبي مخاطب، لا على أنه نبي على أنه ولي الأمر، الحاكم، لماذا ؟

أيها الأخوة:

الزكاة من حق الفقير، وكاد الفقر كفراً، وحينما ينشأ فارقٌ كبير، بين الدخول بالمجتمع، تنشأ الجرائم، والفساد، والدعارة والسرقة، والاحتيال، فالله جعل المال قوام الحياة.

فحينما نقول للمؤمن صلي، فإن لم يصلي يأثم وحده، صُم فإن لم يصُم، يأثم وحده، أما إذا كلف أن يدفع زكاة ماله، إذا لم يؤدي الزكاة، فسد المجتمع، وانهارت قيمه.

لذلك الزكاة لم يؤمر بها المؤمن أن يدفعها، بل أُمر منه ولي الأمر أن يأخذها منه عنوةً، لأنها حق الفقير.

هذا سر أن الآية موجه، لا إلى المؤمنين، بل إلى النبي وليس على أنه نبي، بل على أنه ولي الأمر.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

أما من تفيد التبعيض، ما في مصادرة كاملة بالإسلام.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

بعض أموالهم، اثنان ونصف في المائة، من تفيد التبعيض أما كلمة:

﴿أَمْوَالِهِمْ﴾

جاءت جمعاً ولم تأتي مفرداً يعني جميع الأموال تجب فيها الزكاة، لو عندك مزرعة فريز، مزرعة كرز عسل، أي مال زراعي، مال تجاري، صناعي، أي نشاطٍ في كسب المال، هذا معنى:

﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

من كل أنواع الأموال، إبل، بقر غنم، مزروعات، محاصيل، خضار، فواكه مما أنتجته الأرض معامل، صناعة، تجارة.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

من تفيد التبعيض وأموالهم تفيد كل أنواع المال، تجب فيها الزكاة.

أما كلمة:

﴿أَمْوَالِهِمْ﴾

في هم ضمير الجمع، أي الزكاة تجب على مجموع المسلمين، وليس هناك واحد مستثنى من الزكاة، ما في طي ضريبة، استثناء، يستثنى فلان من أحكام المادة كذا وكذا. خذ يا محمد على أنك ولي الأمر، من خذ بعض أموالهم، دع لهم كرائم أموالهم، أموالهم جمع، تفيد الزكاة تجب في جميع أنواع الأموال، **وأموالهم**، هم تفيد الجمع ضمير جمع أيضاً غائب، تفيد أن كل المسلمين، مكلفون بدفع الزكاة، لا فرق بين قوي وضعيف، ولا غنيٍ وفقير.

صدقةً: هذه آية الزكاة، فلماذا سماها الله صدقة ؟ ما سماها صدقة إلا لحكمةٍ بالغة، لأنها تؤكد صدق المؤمن، الإنسان كله حكي بحكي، لما يدفع الخمسميات زكاة ماله معناها صادق، والباقي زعبرة واحد عواطفه إسلامية، واحد تفكيره إسلامي، واحد بتابع قضايا إسلامية، واحد مشاعره إسلامية واحد بحب الإسلام ينتصروا بالبوسنة مثلاً، هذا كله زعبرة، أما حينما تخرج من مالك، مالاً تدفعه للفقير الآن أنت صادق بإيمانك.

فما سمى الله الزكاة صدقةً، إلا لأنها تؤكد صدق الإنسان، هي خذ ومن وأموال وهم.

﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾

أية طهارةٍ هذه .

قال الفقير يكفر من الحقد، الفقير المحروم حاقد، أساساً كلما انخفض الدخل، والفرق الاجتماعي أصبح كبيراً، تكثر الجرائم والسرقات والاحتيال، تسقط النساء من أجل أن يأكلن.

فلذلك الآية الكريمة:

﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾

تطهر الفقير من الحقد والغني من الشح، وتطهر المال من تعلق حق الغير به.

الحجر المغصوب في دارٍ رهنٌ بخرابها، إذا دار فيها حجر مغصوب، ربما انهارت هذه الدار.

وإذا مال في تعلق به حق الفقير، ربما أتلف هذا المال.

لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((ما تلف مالٌ في برٍ أو بحرٍ إلا بحبس الزكاة.))

إذاً: **تطهر الغني من الشح، والفقير من الحقد، وتطهر المال من تعلق حق الغير به.**

لذلك العلماء قالوا: الأموال مهما بلغت، لا تسمى كنزاً إذا أديت زكاتها، والأموال مهما قلت، إن لم تؤدى زكاتها فهي كنز:

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾

(سورة التوبة: 35)

إذاً المال الذي أديت زكاته، لا يسمى كنزاً، والمال الذي لم تؤدى زكاته يسمى كنزاً، والنبي علمنا اللهم صلي عليه:

برء من الشح من أدى زكاة ماله.

إذا بتقول عن واحد شحيح، وقد أدى زكاة ماله، فقد ارتكبت إثماً كبيراً، مادام أدى الزكاة ليس شحيحاً، قد يكون عنده وجهة نظر، يريد تأمين بيت لأولاده، فضغط مصروفه هذا كمال بالإنسان، إياك أن تتهم إنسان بالشح، إذا أدى زكاة ماله.

النبي الكريم علمنا:

برء من الشح من أدى زكاة ماله، وبرء من الكبر من حمل حاجته بيده، وبرء من النفاق من أكثر من ذكر الله إكثار ذكر الله براءةٌ من النفاق،، وأن تحمل الحاجة بيدك براءةٌ من الكبر، وأن تؤدي زكاة مالك براءةٌ من الشح.

هي:

﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾

طيب:

﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾

الزكاة في اللغة النماء فالفقير حينما يعطى له زكاة الأموال، محروم، جائع، أولاده في عُري، يُطرق بابه يعطى الطعام، الشراب، الكساء، اللباس أو المال، يشعر أن مجتمعه، مهتمٌ به، ترتفع معنوياته، تنقلب ميول الحقد، إلى ميول محبة، فالغني الذي يؤدي زكاة ماله، الفقراء الذين حوله حراسٌ له، أما الغني الذي لا يؤدي زكاة ماله، الفقراء حوله لصوص، يقلبهم إلى لصوص، أما الغني الذي يؤدي زكاة ماله يجعل من حوله حراساً له، في محبة. إذاً معنى النماء، نفس الفقير تنمو، تنمو حينما تشعر، أن المجتمع مهتمٌ بالفقير. شيء ثاني: ونفس الغني تنمو، كيف تنمو ؟ حينما يشعر الغني أنه سبب لإشاعة البسمة في نفوس الفقراء، هذا شعور آخر والمال ينمو بطريقة العناية الإلهية المباشرة، هناك وسائل لنماء المال لكن هناك وسائل خفية، يكرم الله بها المؤمنين، الذين أدوا زكاة أموالهم، بمعنى.

أن الله سبحانه وتعالى قد يصرف عن الغني المؤدي زكاة ماله صفقةً خاسرة، الله يعلم لأنه وقد يلهمه صفقةً رابحة، فهو حينما أدى زكاة ماله، ألهمه طرائق في كسب المال، لم يكن يعرفها من قبل.

إذاً:

﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾

تنمي نفس الفقير، حينما يشعر أن مجتمعه مهتمٌ به، وتنمي نفس الغني، حينما يشعر أنه في قلوب الآلاف والمئات، وتنمي المال ذاته، عن طريق العناية الإلهية المباشرة. يعني في وسائل لكسب المال، وفي وسائل ربنا عزوجل يدخرها للمؤمنين.

يعني واحد أقرض قرض ربوي، على الآلة الحاسبة، هناك ربح ثابت من هذا القرض، جاء مؤمن آخر أقرض قرض حسن لوجه الله، بحسب الآلة الحاسبة في خسارة، بقلك في تضخم نقدي، كل عام سبعة عشرة بالمائة، أنا دينت هل المائة ألف، عادت لي بعد عام أقل بسبعة عشرة ألف ليرة، فأين الربح ؟.

ربنا عز وجل بهذه المناسبة، ييسر لهذا المقرض القرض الحسن مورد رزق لم يكن يخطر على باله.

إذاً هذه الآية:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

النبي عليه الصلاة والسلام حينما يرى من أصحابه كمالاً وإنفاقاً وبذلاً، وتضحيةً، حينما يرى من أصحابه سمتاً حسناً وسكينةً، ووقاراً، وحباً، وتضحيةً، يصلي عليهم بمعنى، يتوجه إليهم، هذه الصلة من النبي على أصحابه، سكينةٌ لهم.

هذا ما قاله أحد أصحاب رسول الله، اسمه حنظلة، كان في الطريق يبكي، مر به الصديق.

قال: **مالك تبكي يا حنظلة ؟** قال: **نافق حنظلة.**

قال: **ولما يا أخي ؟**

قال: **نكون مع رسول الله نحن والجنة كهاتين، فإذا عافسنا الأهل ننسى، عافسنا.**

الإنسان بكون بمجلس علم يشعر بصفاء، بحال طيب، فإذا ذهب إلى البيت، الحاجة غير ميسرة، الأكل غير ناضج مثلاً، علق تعليق قاسي شوي، صار في خصومة، أين الحال الذي كان فيه بالمسجد ؟

فإذا عافسنا الأهل ننسى.

فما كان من هذا الصديق الجليل وهو يتمتع بأعلى درجات الكمال، إلا أن قال لحنظلة، **أنا كذلك يا أخي، أنا مثلك.**

إنطلق بنا إلى رسول الله، فلما انطلقا إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وحدثا النبي بهذه المشكلة، قال عليه الصلاة والسلام:

((لو بقيتم على الحال، التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة.))

إذاً: ماذا حصل عند رسول الله ؟

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

(سورة التوبة: 103)

لذلك الجماعة رحمة، والفرقة عذاب، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾

(سورة الكهف: 28)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾

(سورة الكهف: 119)

لذلك:

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

النبي الكريم يقول:

((لو بقيتم على الحال، التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة))

ولزارتكم في بيوتكم، أما نحن معاشر الأنبياء، فتنام أعيننا ولا تنام قلوبنا اتصال مستمر، أما أنتم يا أخي فساعة وساعة، المؤمن ساعة وساعة ليس ساعة معصية، وساعة طاعة، إياكم أن تفهموا ذلك، ساعة إقبال وساعة فتور، أما الاستقامة مستمرة.

هذه الآية أصبحت كما يلي:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (11- 19) : تفسير الآية 104 ، التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة:

لآية الربعة بعد المائة من سورة التوبة وهي قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) ﴾

سنقف قليل عند كلمة يأخذ الصدقات.

يبدو أن النبي علية الصلاة والسلام، أقتبس من هذه الآية الحديث الشريف:

((إن الصدقة لتقع في يده الله قبل أن تقع في يده الفقير))

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها، ثانياً.))

ويقول علية الصلاة والسلام

((: صدقة السر تطفئ غضب الرب.))

معنى ذلك؟ إن الإنسان إذا زلت قدمه، أو أرتكب خطيئة وبسبب هذه الخطيئة، حُجب عن الله عز وجل، ماذا يعمل ؟.

لو أن إنساناً أخطأ، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطاءين التوابين، زلت قدمه، غلبته نفسه، وقع في خطيئةٍ أيبقى مطروداً من رحمة الله ؟ أيبقى محجوباً عن الله عز وجل، عندئذٍ تتفاقم الأمور الإنسان في زيادة دائماً، إما في زيادة للخير أو للشر.

فهذه نصيحةٌ كريمة، أي أخٍ مؤمنٍ يؤمن بالله عز وجل، يقرأ هذه الآية:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾

((إن الصدقة لتقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد الفقير))

((باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها))

((صدقة السر تطفئ غضب الرب.))

معنى ذلك أن الله يسترضى، أما العبد اللئيم لا يسترضى، لكن الله جل جلاله يسترضى، واحد غلط، أساء، أخطأ، نظر، تكلم يبقى محجوب ؟ لا ! معناه جاهل.

الله عز وجل: هو يقبل التوبة عن عباده، لكن التوبة تحتاج إلى ثمن، إذا دفعت صدقةً فيما بينك وبين الله، لا تدري شمالك ما أنفقت يمينك، تبتغي أن تسترضي الله عز وجل، فإن البلاء لا يتخطى هذه الصدقة، وإن هذه الصدقة تطفئ غضب الرب، وإنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير.

فالواحد إذا كان على صلة بالله، وهو سعيد بهذه الصلة، ثم حجب، بسبب معصية، أو خطيئة عن غير قصد، لا يبقى مكتوف اليدين، لا، لا يبقى يجتر همومه، ويندب حظه، لا، يتحرك نحو الله عز وجل، لا ملجأ منه إلا إليه.

يعني لو أن طفل صغير، أمه نبذته، أحياناً الأطفال يتقدم ويلقي بنفسه في أحضان أمه، ويسألها المعذرة، الأم، أم، فالله عز وجل هو أرحم، فالإنسان يسجد ويمرغ جبهته بأعتاب الله عز وجل ويدفع صدقة كي تطفئ غضب الرب، وتؤكد صدقه مع ربه، في توبته.

الأحاديث الثلاثة، هي تجسد هذه الآية:

﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾

تقع في يد الله، هذا العبد الفقير هو عبد لله عز وجل، أعطيته هذا المبلغ دون أن تعلم أحد بذلك، تبتغي مرضاة الله عز وجل، تبتغي أن يعفو الله عنك أن يسمح لك، أن تتصل به ثانيةً.

لذلك: لله أفرح بتوبة عبده، من الضال الواجد، والعقيم الوالد والظمآن الوارد، وإن الله يحب التوابين، والتوابين صيغة مبالغة لاسم الفاعل، يعني شديدوا التوبة، كثيروا التوبة، كلما زلت قدمهم يتوبون إلى الله عز وجل.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

(سورة الزمر: 53)

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)﴾

(سورة الحجر: 49، 50)

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾

تصور ما في توبة، ما الذي يحدث ؟ يحدث الإنسان يقول لك هي هي الله غضبان عليّ، بفجر، الأمور تتفاقم، تتفاقم، كثير، لو ما في باب توبة مفتوح، الإنسان ينتقل من أصغر معصية، لأكبر معصية بصير مجرم، رحمة الله بالإنسان، لو جئتني بملء السماوات والأرض، ذنوب غفرتها لك ولا أبالي، لو جئتني مشياً أتيتك هرولتاً لو تقربت إليّ ذراعاً، تقربت إليك باعاً، لو أتيتني مشياً أتيتك هرولةً إني والأنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي، من أقبل عليَ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عنيّ منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري، أهل زيادتي أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب، لطهرهم من الذنوب والمعايب الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بالعبد من الأم بولدها.

باب التوبة مفتوح أيها الأخوة: بادروا، لله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد، ومن العقيم الوالد، ومن الظمآن الوارد.

إنسان ركب ناقته ليقطع فيها الصحراء، جلس ليسترح، فاستيقظ فلم يجد الناقة، فأيقن بالهلاك، فصار يبكي، حتى أدركه النعاس فأفاق فرأى الناقة، من شدة فرحه، قال يا ربي أنا ربك وأنت عبدي غلط النبي يقول:

((لله أفرح بتوبة عبده من ذلك البدوي بناقته.))

فلذلك، كلمة يلي عنده إحساس رقيق، كلمة يقبل الصدقات هذه الصدقة التي أردت بها، وجه الله، تقع في يد الله، قبل أن تقع في يد الفقير.

((صدقة السر تطفئ غضب الرب))

((بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها))

الله يسترضى، يسترضى بالتوبة، والصدقة.

قال له آماء لا يسترضون، لذلك:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104)﴾

هي آية دقيقة جداً:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)﴾

(سورة التوبة: 105)

الدرس (12- 19) : تفسير الآية 109 ، البناء الصحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد: الآية التاسعة بعد المائة من سورة التوبة وهي قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) ﴾

أيها الأخوة الكرام:

من إعجاز القرآن الكريم، أن الآية لها معنى، في السياق وفي السباق، وفي اللحاق، فإذا نزعت من سياقها، تُعد قانوناً، فلعل تفسير هذه الآية في سياق الآيات التي قبلها، لها منحى، ومعنى، لكن لو اقتطعنا هذه الآية وحدها، ووقفنا عند معانيها الدقيقة، لكانت وحدةً مستقلةً في معانيها.

فمثلاً: الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾

بناء يا ترى هل بنيت عقيدتك على أساسٍ صحيح ؟ هل عرفت حقيقة الحياة الدنيا ؟ هل عرفت من أنت ؟ ما دورك في الحياة ؟ هل عرفت حقيقة الكون ؟ لماذا خلقت في الدنيا ؟ يعني تصوراتك عن الكون، والحياة والشهوات، صحيحة ؟ ما حكمت الشهوة التي أودعها الله فيك ؟ هل أنت مخير أم مسير ؟ ما أثمن شيء بالحياة الدنيا ؟ هل هو أن تجمع الأموال ؟ أم أن تنغمس في الملذات ؟ أم أن تعمل صالحاً.

فالبنيان ؟ البناء الفكري، طيب، الآن البيت بناء، أسست بيت بناء بشكل إسلامي ؟ اخترت زوجة صالحة مؤمنة ؟ من تزوج المرأة لجمالها أذله الله ومن تزوجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءة، فعليك بذات الدين تربت يداك.

بنيت عقلك بناء صحيح، بنيت بيتك بناء صحيح، الآن بنيت عملك بناء صحيح، في أعمال مبنية على معصية، في أعمال مبنية على بضاعة محرمة، في أعمال مبنية على أخذ ما عند الناس، على إيقاع الأذى بالناس، على بث الخوف عند الناس، يا ترى بنيت عقيدتك، وبنيت بيتك وبنيت عملك بناء صحيح ؟

ربنا عز وجل يقول:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ﴾

على طاعة الله، كنت أقول في عقود القران: ما من زواجٍ يبنى على طاعة الله ولو افتقر إلى معظم مقومات نجاحه، إلا ويتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين، وما من زواجٍ يبنى على معصية الله ولو توافرت له كل أسباب النجاح، إلا ويتولى الشيطان التفريق بينهما.

فالآية واسعة جداً، بناء ذاتك، فكراً، وشعوراً، وسلوكاً، بناء بيتك وهو ألصق شيءٍ بك، اختيار زوجتك، تربية أولادك، بناء عملك، فهل هذه الأبنية ؟ ذاتك، وأهلك، وعملك، هل هذه الأبنية ؟ بنيت وفق طاعة الله، وفق منهج الله، وفق الكتاب والسنة، أم وفق العادات والتقاليد، أو وفق ما تألف الناس عليه، أو وفق ما يأتين من الغرب.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾

يا ترى في بالبيت معاصي ؟ في بالعمل معصية ؟ هناك أعمال مبنية على المعاصي، مبنية على المحرمات، أم في ذاتها، أو في طريقة التعامل بها، فالله عز وجل يقول: ما أبعد المنى، بين الذي أسس بنيانه على تقوى من الله، وبين الذي، أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم.

لو واحد عنده مطعم مثلاً، يقدم فيه الخمور، فهذا: أسس عمله على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم.

ورد في الأثر:

((أن الأغنياء يحشرون أربع فرق يوم القيامة.))

فريق جمع المال من حرام وأنفقه في حرام، هذا حسابه سريع جداً، يقال خذوه إلى النار، ما في مشكلة، كلمة وحدة.

وفريقٌ جمع المال من حلال، تجارة مشروعة، وأنفقه في حرام أنفقه على ملذاته، وعلى الليالي الحمراء، والموائد الخضراء والدخل مشروع في الأساس.

وفريق جمع المال من حلال وأنفقه في حرام، فيقال خذوه إلى النار أيضاً شيء سهل، كلمة وحدة.

وفريق جمع المال من حرام، عنده ملهى مثلاً، أو تجارة محرمة، أو طريقة ربوية، وأنفقه في حلال، أتزوج، واشترى بيت وربى أولاده، من مال حرام، أيضاً هذا الشخص الثالث حسابه سريع فيقال خذه إلى النار، من بقي ؟ بقي الرابع.

وفريق جمع المال من حلال وأنفقه في حلال، قال هذا خذوه فسألوا، هذا حققوا معه، هل تاه بماله على عباد الله ؟ هل نسي فرض صلاة ؟ هل قصر في حق جيرانه ؟ هل قال من حوله يا ربي لقد أغنيته بين أظهرنا فقصر في حقنا.

فالنبي عليه الصلاة والسلام، كان بليغ، فحتى يعبر عن مدى ما أمامه من أسئلة، قال فما يزال يسأل ويسأل، أنتظر ، هذه قصة طويلة كثير، تركه ومشي فما زال يسأل ويسأل.

يحشر الأغنياء أربع فرق يوم القيامة.فريقٌ جمع المال من حرام، وأنفقه في حرام، فيقال خذوه إلى النار.وفريقٌ جمع المال من حلال، وأنفقه في حرام، فيقال خذوه إلى النار. فريقٌ جمع المال من حرام، وأنفقه في حلال، فيقال خذوه إلى النار. فريقٌ جمع المال من حلال، وأنفقه في حلال، فيقال خذوه فسألوه، قفوه فسألوه أول سؤال، ثاني سؤال، هل تاه بماله على من حوله ؟ هل قصر في حق جيرانه ؟ هل ظهر بماله وما عنده ؟ حتى قال جيرانه يا ربنا لقد أغنيته بين أظهرنا فقصر في حقنا، فالنبي عبر عن كثرة الأسئلة، قال فما زال يسأل ويسأل.

فلذلك لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ! عن شبابه فيما أبلاه ؟ وعن عمره فيما أفناه ؟

وعن علمه ماذا عمل به ؟ لكن المال سؤالين ! وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه ؟

فأخوانا الكرام:

آية دقيقة جداً، طبعاً لها بالسياق معنى آخر، أما لو نزعت من السياق، الله عز وجل يقول: هل يستوي من أسس بناءه الفكري بناءه الشعوري، أذواقه كلها إسلامية، يتغنى بالقرآن، ما بحب المغنية الفلانية، أذواقه الشعورية، بناءه الفكري صحيح، أمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، آمن بالله خالق، ورباً، ومسيراً موجوداً وواحداً، وكاملاً، آمن بعصمة الأنبياء، وفطانتهم وعصمتهم، وجهادهم، وبطولتهم، آمن بالكتب السماوية، بناء الفكري صحيح، آمن أن سيدنا آدم أول البشر، وأن هي نظرية دارون نظرية مالها أساس من الصحة، يعني بناءه الفكري صحيح أذواق النفسية.

لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به، أذواقه قرآنية يتغنى بالقرآن، يطرب لحديث النبي عليه الصلاة والسلام، يأنس بالمسجد، يطرب بمجالس العلم، ينفر من أماكن اللهو، يبتعد عن الأسواق، بنيانه الفكري صحيح، بنيانه النفسي صحيح، بيته اختار زوجة مؤمنة، أنجب أولاد رباهم تربية إسلامية، بيته ما في مخالفات، ما في اختلاط، برمضان، أخي سفرة وحدة حتى ما نتغلب ما في عنده اختلاط، ما في عنده

انحرافات، ما في سهرات وراء أعمال فنية ساقطة، ما في عنده أجهزة لهوا، بتسمم له أخلاق الأهل بيته صحيح، عمله ما في كذب بتجارته، ما في غش ما في خداع، ما في إيهام، ما في تدليس، ما في بضاعة محرمة، ما في تعامل محرم هذا يلي أسس بناءه الفكري، وبناءه النفسي، وبيته وعمله، على طاعة الله وعلى منهج الله وعلى أمر الله وعلى سنة رسول الله، قال هذا يستوي، مع من أسس بنيانه على شفة شو بطالع قصص فلان الفلاني، كلها قصص، أدب مكشوف، أذواقه الأفلام الفلانية، أذواقه المسرحية الفلانية، الأعمال الفنية الفلانية، هي أذواقه، بحب الاختلاط بحب الفرفشة كما يقول الناس، طيب ببيته ما في انضباط ما صلاة ولا في قرآن ولا في استقامة، عمله كله على هبج بالتعبير العامي، من وين ما صح له قرش حلال على الشاطر، طيب هذا ماذا فعل ؟ هذا أسس بنيانه على شفة جرف هار أخرته على جهنم، فانهار به في نار جهنم، فالآية دقيقة جداً:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109)﴾

يعني: في فندق بأغادير بالمغرب، هي أغادير مدينة سياحية يرتادها الأجانب وفيها كل الموبقات، التي لا تعقل، فيها فندق فخم خمس نجوم، الفندق هذا أسمه هوليدي إن، في الزلزال، هبط إلى أعماق الأرض وبقيت لوحته في الطابق الثلاثين، كشاهده على قبره فندق ثلاثين طابق يغوص في أعماق الأرض إثر زلزال، لحكمة أردها الله أسمه على آخر طابق مكتوب هوليدي إن، بقي هذا الاسم على السطح، يعني مثل شاهده، على هذا القبر، لكان.

إذا كان مكان في معاصي، موبقات، وزنى، وانحراف، هذا أخرته ينهار في الدنيا والآخرة.

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109)﴾

أخوانا الكرام:

العمر قصير، والزمن خطير، واللقاء حتمي، والخيار بالإيمان ليس خيار قبول أو رفض، خيار وقت فقط، لأن فرعون آمن، بس آمن بعد فوات الأوان، فمالنا خيار بالإيمان، الإيمان:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)﴾

(سورة ق: 22)

فالواحد يعمل دراسة دقيقة لعمله، لطرق كسب المال في حياته، طرق إنفاق المال بيته، بناته زوجته، أولاده، شو في أشياء محرمة، بناءه الفكري، عقيدته مشاعره، أذواقه، لهوه، طربه، نمطه، يعني إنسان يحضر مجلس علم، حتى المجلس يساهم بشكل تدريجي، ببنائك البناء الصحيح حتى تعرف الحقيقة من أنت ؟ إلى أين ؟

وأين كنت ؟

فالإنسان من دون مجلس علم ما بتعلم، مجلس العلم هو الذي يبني إيمانك البناء الصحيح، وأنت عليك التطبيق، وهي الآية احفظوها:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (13- 19) : تفسير الآية 111 ، بذل النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة التوبة وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآَنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ(112)﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾

هذا كلام خالق الكون:

﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾

بالمناسبة الآيات التي تتحدث عن بذل المال والنفس كثيرة جداً، إلا أن كلها ورد فيها بذل المال قبل بذل النفس.

لأنه أسهل ! بقلك خذ كل شئ وخلصني، فالمال أهون عند الإنسان من ذاته، فإنفاق المال أهون من إزهاق الروح.

لذلك ربنا عز وجل، وصف الواقع، فالإنسان أسهل عليه ينفق ماله من أن يضحي بحياته، لذلك قالوا: والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

لذلك أعلى مرتبة، الشهداء ! لأنهم ضحوا بأثمن ما يملكون وهي ذاتهم، لكن ربنا عز وجل وصف طبيعة الإنسان، أنه أحيان يسخو بماله، ولا يسخو بنفسه، لذلك قدم ربنا بذل المال على بذل النفس.

﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾

(سورة الحجرات: 15)

هذه الآية متكررة أكثر من ثمانية عشر مرة، إلا هذه الآية الوحيدة، التي جاء فيها بذل النفس قبل بذل المال، لأن هنا بيع قطعي الله اشترى وهو باع ! فإذا في عقد بيع، الألطف والأكمل، أن نبدأ بالأغلى.

واحد باع بيت ودكانه، بعنا الدكان الفلانية ذات المحضر والبيت الفلاني، لا ! يبدأ بالبيت، ثم بالدكان، لأنه أغلى.

فربنا عز وجل قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾

هي الآية، لو الإنسان يتحقق فيها، تنحل كل مشاكله، أنت مؤمن ؟ قول لا لأشوف، لا مؤمن، ورب الكعبة، بعت، بعت لماذا تعترض على الله إذاً ؟ ما بعته أنت ؟ هو حر، بفقرك، يغنيك يعطيك، يمنعك، يرفعك، يعمل لك مشكلة، يخوفك، هو اشتراها نفسك منك اشتراها، فالآن عما يربي لك إياها، أيام بمناسبة بخوفك أيام يطمئنك، أيام يغنيك، أيام بقلل عليك شوي، أيام يخوفك، أيام يطمئنك.
فتبدل الأحوال من خوف إلى طمأنينة، من جوع إلى شبع، من عري إلى إكساء، من غنى إلى فقر، من انطلاق إلى انكماش، هذا التبدل، تبدل تربوي من حكيم، فأنت مالك حق تعترض، لأنك أنت بعت والله اشترى.
تصور هل المثل واحد عنده بيت عرضه للبيع، جاء مشتري قال له كم ثمنه ؟ قال له ثلاث ملايين، قال له: هي ثلاثة، بالتمام والكمال بعت، بعت، طوب، طوب، يلي اشترى البيت حب يقيم حائط بين الغرفتين، أخي ليش عما تقيم الحائط، شو دخلك أنت، ما بعت البيت أنت ؟ خلص، ما دام بعت، بعت.
فهذا المعنى دقيق جداً، لما الإنسان يشعر أنه باع، باع نفسه لله فصار طاقته، ونفسه، وماله، وجهده، وعرقه، وعضلاته، وقته باعن لله، فالله عز وجل بحسب حكمته، وحسب علمه، أيام يطمئنه أيام يخوفه، أيام يعطيه، أيام يمنعه، أيام يجمعه، أيام يفرقه لحكمةٍ أرادها الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾

لكن الله اشترى وأنت بعت، هي خاصة بالمؤمنين.

الكافر مال بايع، يعترض دائماً، لا باع ولا اشترى، هو أساساً ضائع ماله عرفان حاله وين صفيان، أما المؤمن باع، باع الله نفسه، باع وقته، باع ذكائه، باع طلاقة لسانه، باع قلمه، باع ماله باع جهده، باع جاه، كل هذه الحظوظ، التي أكرمه الله بها، باعها في سبيل الله، والله اشتراها منه.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾

طيب ما الثمن ؟ الله اشترى وأنت بعت، طيب الثمن ؟ قال:

﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾

هي إلى أبد الآبدين، فيها مالا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت كثير الآية دقيقة:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾

الثمن هو الجنة.

لذلك:

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾

والله أيها الأخوة: زوال الكون أهون على الله من أن يخلف وعده مع المؤمن، زوال الكون أهون على الله من أن يخلف وعده مع المؤمن.

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾

(سورة التوبة)

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً (87)﴾

(سورة النساء: 87)

لذلك قالوا العلماء لما ربنا عز وجل قال:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)﴾

(سورة الفيل: 1)

بربكم أنتم هل رأيتم هذه الحادثة ؟ ما رأيتم ! الله عز وجل ما قال ألم تسمع قال:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾

والله يا ربي أنا ما شفت هذا الشيء، ما رأيته سمعت به لكن لم أراه بس كلام ربنا هذا، لما يقول الله:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾

وهي خبر وليس مشاهد، وليس هذا مشاهداً.

قال علماء التفسير، خبر الله، لأنه من الله يجب أن تتقبله وكأنك تراه، خبر الله لأنه، الله المخبر، إذا أخبرك بخبر، كأنك تراه رأي العين.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)﴾

قال:

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا﴾

الاستبشار الإنسان أيام، الله يمرره بطريق الإيمان بحالات صعبة، عما يربي فالإنسان ما لازم يخضع يخنع.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)﴾

(سورة آل عمران: 139)

علامة المؤمن معنوياته عالية كثير، لأنه يتعامل مع خالق الكون من علامات المؤمن، أنه.

سيدنا رسول الله، وهو في طريقه في الهجرة لحقه سراقة يعني إذا ممكن نعمل خط بياني لمعنوياته، أو إلى نجاحه أو عدم نجاحه بالدعوة، إذا في خط بياني، يمكن الخط البياني وصل إلى النهاية الصغرة، أو إلى الحضيض رياضياً، وهو في طريقه إلى المدينة.

أولاً: ملاحق... مهدور دمه... موضوع مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً...

ويرى سراقة ! ويقول له **يا سراقة: كيف بك إذا لبست سواري كسرى** ؟ ماذا يقول النبي، وهو ملاحق، وهو مهدورٌ دمه، وقد موضوع مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، يقول له **يا سراقة: كيف بك إذا لبست سواري كسرى** ؟ كم معنوياته عالية اللهم صلي عليه ! كم يشعر أنه الله سينصره لن يتخلى عنه.

الآن المسلمين في أمس الحاجة إلى هذه المشاعر، الله ما يتخلى عن المسلمين، بس عليهم أن يطبقوا أمر الله.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

(سورة الأنفال: 33)

دقيقة الآية، قال علماء التفسير، ما دمت بين ظهرانيهم، وما كان الله ليعذبهم في معهم بحبوحة، وقال علماء آخرون، وهم محقون في قولهم، ما كان الله لعذبهم وسنتك مطبقة في حياتهم، مستحيل، طبقوا المنهج.

يعني إذا كان جنابك أب، وعندك ابن، طموحك يكون طبيب أخذ بكالوريا بمائتين وثلاثين، ودخل طب، وأخذ كل مادة جيد جداً جيد جداً، وأخلاقه عالية، يعني يخطر ببالك تهينوا بكلمة، يخطر ببالك تمنع عنه المال، ما في داعي.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

ما دامت سنتك مطبقةً في حياتهم في بيوتهم في أعمالهم، في علاقاتهم، في أفراحهم، في أتراحهم، في نشاطاتهم، في حركتهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

وفي حالة ثانية في بحبوحة.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)﴾

(سورة الأنفال: 33)

تصور أب له ابن أخذ بالرياضيات صفر، والأب غضب وأرعد، وأزبد وبدو يعمله له مشكلة، قام فلقى ابنه ما عد أكل أبداً راح نصف وزنه، مصمم مبلغ بدو يحط أستاذ رياضيات، بتلاف التقصير، لما شاف الأب ابنه بهذا الاهتمام، وبهذا الألم، وبهذا الندم وبهذا الخوف، وبهذا البذل، خلص ما في داعي قرب عليه.

فربنا عز وجل: أنت في بحبوحة مرتين، مرة إذا طبقت السنة ومرة إذا ندمت على خطئك، وتأثرت، وبادرت إلى التوبة، وأصلحت واستغفرت، وتبت.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)﴾

فهؤلاء الذين:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ﴾

أيام الإنسان بس يشتري بيت يدقر، بكن كنه، وإذا كان خطب ونكتب الكتاب، بس ينتهي الكتاب بتلاقي كن، ليكون مالنا موفقين بهذه الشروة، ليكون مالنا موفقين بهذه الجوازة.

كل إنسان، بقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((ما دعوت أحد إلى الإسلام إلا كانت له كبوة إلا أخي أبا بكر.))

وأنا ألاحظها أثناء عقود القران، تلاقي جمد نظره الخطيب ليكون ما توفقنا مثلاً ؟ أثناء شراء البيت وعند التوقيع ودفعت المبلغ ليكون في له مشكلة هذا البيت ليكون ما راح توفق منه.

فربنا عز وجل، إذا أنت بعت فعلاً لا تكن.

﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾

كون متفائل، أنت عاملت خالق الكون، لا تدقر، لا تقلق، ليكون غلطنا.

﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111)﴾

خالق الكون العظيم يقول لك هذا، هو الفوز العظيم.

واحد لو أنه جمع أكبر ثروة، وجاء الموت، هذا ليس فوز عظيم، لو كان بأعلى مكانه، وجاء الموت، ليس فوزاً عظيماً، ربنا عز وجل يصف أن تبيع نفسك، ومالك لله عز وجل، على أن يعطيعك الجنة، هذا هو الفوز العظيم وهذا هو البيع الرابح، وهذه هي التجارة، وذلك هو الفوز العظيم.

هؤلاء الذين باعوا، ما صفاتهم ؟

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)﴾

أخوانا بالمناسبة:

في عنا قاعدة منطقية قلتها لكم سابقاً، الصفة قيد، قول إنسان تشمل خمسة آلاف مليون، قول إنسان مسلم، صاروا ألف مليون قول إنسان مسلم عربي، بقي مائة مليون، قول إنسان مسلم عربي مثقف، بقي فرضاً أربعين مليون، قول إنسان مسلم عربي مثقف طبيب، بقي مليون، قول إنسان مسلم عربي مثقف طبيب قلب بقي مائتين ألف، قول إنسان مسلم عربي مثقف طبيب قلب جراح بقي عشرة، قول مقيم في الشام بقي اثنين، لاحظ كلما ضفت صفة، هؤلاء الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله بيع قطعي، هؤلاء تائبون، ضاقت الدائرة.

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾

قال:

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)﴾

هؤلاء هم المؤمنون فهذه الآية: من جهة هدف، ومن جهة مقياس، هدف لك ومقياس لك، قيس نفسك فيها، تائب دائماً، المؤمن تواب كثير التوبة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾

(سورة البقرة: 222)

عابد يعني غاية الاستسلام وغاية الحب وغاية الإخلاص، حامد على السراء والضراء، سائح تفكر في ملكوت السماوات والأرض، راكع خاضع للأمر، ساجد تطلب العون من الله عز وجل، تأمر بالمعروف، ولا تأخذك في الله لومة لائم، تنهى عن المنكر، ولا تأبى، تحفظ حدود الله، قال:

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)﴾

أصبحت الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ(112)﴾

إذا واحد بصلي خمس أوقات، وكل ركعة، والعصر إن الإنسان، أحفظ كم مقطع هكذا، يذكروك، يعني الصورة إذا حفظت وكررت باستمرار، بالنسبة لك ما عاد تفهم منها شيء، لكن إذا كان يوم حفظت مقطع، أحفظ مقطع، أقرأه بالمغرب والعشاء والفجر.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ(112)﴾

هذا مقطع يقرأ في الصلاة، كمان بذكرك بعقد البيع.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (14- 19) : تفسير الآية 119 ، علامات الصادقين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد:

ففي آواخر سورة التوبة قوله تعالى:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

أيها الأخوة: لهذه الآيات قصة مثيرة جداً، ثلاثة من أصحابه رسول الله تخلفوا عن الجهاد، وحينما وقفوا أمام النبي صلى الله عليه وسلم، ليعتذروا أرادوا أن يكونوا صادقين، فلم يقدموا عذراً واهياً بل كانوا صادقين مع الله ورسوله وأنفسهم.

لذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يقاطعوهم قرابته خمسين يوماً ثم تاب الله عليهم، وسوف أتلو عليكم هذه القصة إن شاء الله تعالى، بدأ من يوم السبت، السبت والأحد نتلوا عليكم قصة هؤلاء الصحابة الثلاث الذين خلفوا وضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

لكن الآية التي تليها، وهي موضوع اليوم وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119) ﴾

أمر ألهي، وكل أمر ألهي يقتضي الوجوب، كونوا معهم.

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119) ﴾

وهناك من يرى أنكم عليكم أن تتقوا الله، أي عليكم أن تطيعوا، والذي يعينكم على طاعته، أن تكونوا مع الصادقين، لو كنتم مع الكاذبين، أو المنافقين، أو الكافرين، أو مجتمع أهل الدنيا، لا تستطيعون أن تطيعوا الله عز وجل، من أجل أن تطيعوا الله عز وجل، كونوا مع الصادقين، العلم يطلب في الجامعات، لا في الأسواق، فإذا أراد الإنسان أن ينال أعلى شهادة علمية، عليه أن يلتحق بالجامعة، لا بالسوق، سوق ينمي الأموال أما الجامعات تعطي العلوم، لكن قد يسأل سائل، من هم الصادقين ؟ الأمر الإلهي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119) ﴾

طيب من هم الصادقون ؟ كل يدعي أنه صادق، هل هناك في الأرض يقول لك أنا كاذب ؟ لا، طيب هل هناك علامات في القرآن الكريم تعرفنا بالصادقين ؟ نعم، علاماتٌ كثيرة.

من هذه العلامات:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً﴾

(سورة يس: 20 ـ 21)

ما في إنسان يتحرك حركة إلا بهدف فإذا كانت حركته منزهةً عن الأهداف الأرضية، فيغلب على الظن والله أعلم أنه مخلص، لا يبتغي لا درهماً، ولا ديناراً، ولا شيئاً أدبياً ولا معنوياً، ولا مادياً، ولا مديحاً، ولا ثناءً، ولا يبتغي شيئاً، إذاً هو يبتغي وجه الله.

فأول علامةٍ من علامات الصادقين:

﴿لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً﴾

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) ﴾

هي علامة.

العلامة الثانية: مستنبطة من قوله تعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾

(سورة البقرة: 124)

ما استحق هذا النبي العظيم، أن يكون إماماً إلا بعد أن طبق أمر الله مائة في المائة، فالإنسان المستقيم هو الذي يتبع، ابن عمر دينك دينك، إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا، هذه علامة ثانية.

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾

العلامة الثالثة:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾

(سورة السجدة: 24)

إذا إنسان ابتلي وصبر معناها يعرف الله، يرى حكمته، يرى عدالته، فالذي يأتمر بما أمر الله، والذي يصبر على حكم الله، والذي لا يبتغي أي مكسبٍ دنوي، ثلاثة.

العلامة الرابعة:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾

(سورة يوسف: 108)

دعوة منهجية، دعوة معللة، دعوة مدعمة بالبراهين والأدلة، شيء منطقي، بتوافق الفطرة، بتوافق الواقع، بتوافق العقل بتوافق النقل، في انسجام، ما في تناقض، ما في خلل، ما في ضعف ما في تناقض، هي علامة رابعة.

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

في عنا علامة خامسة:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾

(سورة آل عمران: 18)

فإذا إنسان بين لك عدالته الله عز وجل، هذا يعرف الله، أما إذا قال لك أنت بملكه، إذا حب يحطك بالنار ولو كنت طائعاً مالك عنده شيء، لأنه أنت بملكه، هذا ليس ظلم هذا، إنسان يفني حياته في طاعة الله ويحطه في جهنم، لأنه بملكه، هي ليست عداله هي، الله قال:

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)﴾

(سورة هود: 56)

الله عز وجل ألزم نفسه بالكمال، وين.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (77)﴾

(سورة النساء: 77)

وين.

﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾

(سورة غافر: 17)

وين.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7)﴾

(سورة الزلزلة: 7)

الله خلقه كافر، منذ أن خلقه كافراً، وقدر عليه الكفر، قدر عليه شرب الخمر، والزنى ثم يجعله في جهنم إلى أبد الآبدين، وما له أي خيار، ألقاه في اليم مكتوفاً، وقال له: إياك، إياك أن تبتل في الماء، هي دعوة مبنية على الظلم ليس على العدالة، فلذلك:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾

هذه علامة خامسة.

العلامة السادسة:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ﴾

(سورة الأحزاب: 39)

هذا الذي يبلغ رسالة الله عز وجل لو خشي غير الله، فسكت عن الحق إرضاء لهذا القوي، أو تكلم بالباطل إرضاء له أيضاً، إذا تكلم بالباطل وسكت عن الحق، ماذا بقي من تأدية رسالة الله عز وجل انتهت الرسالة هي علامة سادسة، فلما ربنا عز وجل قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾

ومن أجل أن تتقوا الله.

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119) ﴾

من هم الصادقين هؤلاء ؟ لا يسألونكم أجراً..

يصبرون على حكم الله.. يطيعون أمر الله يبينون عدالته الله وأسمائه الحسنه.. لا يخشون في الله لومة لائم ترفعوا على كل مكاسب الدنيا.. هؤلاء يدعون على بينة بدليل بحجة ببرهان، دعوتهم منطقية، مع الواقع والدليل والفطرة والعقل.. هي علامات الصادقين، لأن الإنسان ضمن الجماعة، والجماعة رحمة والفرقة عذاب.

إن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاسية، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد. والجماعة رحمة، والفرقة عذاب، ويده الله مع الجماعة، ومن شذ، شذ في النار، ولا تجتمع أمتي على ضلالة. النبي عليه الصلاة والسلام، معصوم بمفرده، وأمته معصومةٌ بمجموعها، هي المشكلة، فهذه الآية أيها الأخوة، مهمة جداً الإنسان يكون له مشرب ديني، مرجع ديني، يبحث إلى أن يثق بعلم إنسان، وإخلاصه، وصدقه، إذا كان وثق، يطلب العلم، يلتحق بمسجد، يكن له جماعة مؤمنة، على كتاب الله وسنة رسوله، في رحمة، بالجماعة في تنافس يصير، التنافس الله بحب التنافس، هذا صلى قيام

الليل، أنا ما عما اصلي قيام الليل، هذا حفظ القرآن أنا ما حفظت القرآن، ضمن المجتمع المؤمن يتنافسوا المؤمنين، يتعاونوا يتناصحوا، يتكاتفوا، واحد متضايق والثاني مسرور، يعدي بالسرور تسري هذه المشاعر، الإيجابية، لكل.

ما قال سيدنا حنظلة: **نكون مع رسول الله ونحن والجنة كهاتين فإذا عافسنا الأهل ننسى**، وكل إنسان مؤمن صادق دخل بيت الله عز وجل مخلصاً، إذا كان جلس بمجلس علم، إكرام الله ليس بس المعلومات يلي نسمعها، بحس براحة بحس بانشراح، بحس كأنه غسل، هل الهموم كلها تبدلت، هل المخاوف زالت عنه، شعور القلق خلص منه، هي لما ربنا يتجلى على إنسان في المسجد.

إن بيوت في الأرض المساجد وإن زوارها هم عمارها فطوبى لعبد تطهرا في بيته ثم زارني، وحق على المزوري أن يكرم الزائ.

أنت الآن في ضيافة الرحمان، الله ما راح يضيفك كأس شاي حي ضيفك طمأنينة، حي ضيفك سلامة صدر، حي ضيفك ثقة بعدالة الله، حي ضيفك شعور بالراحة، سعادة.

إذاً هي الآية أخوانا الكرام:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾

ومن أجل أن تتقوا الله.

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾

من هم الصادقون ؟ ذكرهم الله عز وجل، ذكرهم أنهم يترفعون عن مكاسب الدنيا، ذكرهم يطيعون الله ورسوله، يصبرون على بلاء الله عز وجل، لا تأخذهم في الله لومة لائم، يبينون كمال الله وعدالته، يدعون على بصيرة بالدليل المنطقي العقلي الجيد، والحجة النيرة، والواقع والفطرة والعقل، والنقل، هؤلاء الذين ينبغي أن نكون معهم، فالإنسان من دون مسجد ضائع، يكلك مسجد، والله عز وجل بحب الجماعة والنبي الكريم وأصحابه، لازم نقلدهم نحنا، بتعاونهم، بتآزرهم بتكاتفهم، بمحبتهم، بمأثرتهم، من يساويها منا، بتلاقي ثمانية بيوت مسكرة، سبعة مقفولة، وبيت ساكن في، وهؤلاء الشباب عما يتلووا على غرفة براس الجبل ما في، بقلك أنا مؤمن، مسلم، ما في تعاون، لو في تعاون، لو في تآزر، لو في مساعدة، حتى يحس المسلم أنه يعيش مع مجتمع مسلم، أنا ما عما قول أنه عطوا بيتكم لأحد، لا، لكن تعاون ما في، بس في مشاعر إسلامية، بس تعاون حقيقي.

واحد مثلاً بزوج بناته، لو أنه أمن بيت لصهره شو في مانع بنته هي، ما قلت لكم مرة من جمعة سمعت كلمة والله بكتني، وحدة بتقول لأبوها على فراش الموت، الله يحرمك الجنة، لأنه حرمتني نعمة الأولاد، ما زوجتني،

كل ما جاء خاطب بدك واحد غني، ما يصلحنا، بعدين أنا أصبحت عانس، وطبعاً عمرها خمسين سنة عمرها، بين واحد يجبر خاطر بناته مثلاً أولاده، يعاون إخوانه يبذل، بدو عمل يلقى الله به قال له يا بشر: لا صدقة ولا جهاد فبما تلقى الله إذاً.

بدنا عمل، كل واحد بمهنته يخدم المسلمين، ببيته يساوي إسلامي بعمله يساوي إسلامي، إذا معه فائض يعاون إخوانه المؤمنين الصادقين، حتى تلقى الله والله راضٍ عنك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (15- 19) : تفسير الآية 120 ، العبادة تعني غاية الخضوع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

فلآية المائة والعشرون، من سورة التوبة، وهي قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (121)﴾

أيها الأخوة: من خلال هذه الآية، تستنبط حقائق كثيرة.

الحقيقة الأولى: أن العبادة تشمل الحياة كلها، النشاطات كلها الأوقات كلها، مناح الحياة كلها، قد يتوهم الإنسان، أن العبادة، تلك العبادات الشعائرية، من صومٍ، وصلاةٍ، وحجٍ، وزكاة.

ولكن حقيقة العبادة، أن تأتمر بما أمر الله، وأن تنتهي بما نهى عنه، في كل شؤون حياتك، أيعقل أن يكون، ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا، ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب يعني كل نشاطات الحياة، في بيتك، في عملك، في جهادك، في لقائك مع العدو، إذا حجمت العدو، صغرته أعززت الدين، هذه عبادة.

لذلك عرفوا أن العبادة، بأنها عبادة طوعيه، ممزوجةٌ بمحبةٍ قلبية، أساسها معرفةٌ يقينية، تفضي إلى سعادةٍ أبدية.

أوضح لكم هذه المعاني بشكلٍ آخر، كل واحد منا له عمل اختصاصه حرفته، صناعته، تجارته، وظيفته، عملك يمكن أن يكون عبادة، بكل معاني هذه الكلمة، لو أن العمل مشروعٌ، وتعاملت معه بطريقةٍ مشروعةٍ إسلامية وابتغيت به خدمة نفسك، وكفاية أهلك وأولادك، وخدمة المسلمين، ولم يشغلك عن فرض أو عن واجبٍ، أو عن طلب علمٍ، انقلب العمل إلى عبادة، إذا دعوة الله فأنت في عبادة إذا طلبت العلم فأنت في عبادة، إذا أمرت بالمعروف فأنت في عبادة حتى إذا تبخترت في مشيتك في الحرب.

أحد الصحابة تبختر في مشيته، فقال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله يكره هذه المشية إلا في هذا الموطن، لأن المتكبر على المتكبر صدقه.))

معنى ذلك: أنه العبادة لا تقتصر على الصلاة، والصيام والحج والزكاة، كل نشاطاتك، إذا أدخلت على قلب أولادك السرور فأنت في عبادة، إذا جلست مع أولادك تؤنسهم، وتفرحهم، فأنت في عبادة، إذا أدخلت على قلب مؤمن السرور فأنت في عبادة، إذا فهمت العبادة، بمعناها الواسع كل نشاط المؤمن، كل حركاته، عطاءه منعه، غضبه، رضاه، صلته، قطعه، إلقائه تكلمه، سكوته، هي كلها عبادة، العبادة غاية الخضوع إلى الله، أنت بس تفهم الأوامر كثيرة جداً، الإسلام نظام متكامل، ادخل بعلاقتك مع جسدك، ادخل في بنظافتك، ادخل بعلاقتك مع أهلك، مع أولادك، ادخل بعلاقتك مع ربك، بكسب المال، بإنفاق المال، حتى في لهوك، اللهو في له مشروعية بالإسلام، حتى في الحزن، المسلم يأتمر بما أمر الله، في كل مناح الحياة، هي الآية تقريباً تجسد هذا المعنى، ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب تعب يعني، ولا مخمصة، جوع، في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح، معناها الجوع الذي تجوعه في سبيل الله فهو عمل صالح، الظمأ الذي تظمئه في سبيل الله فهو عمل صالح التعب الذي تتعبه في سبيل الله فهو عمل صالح إذا نلت من عدو نيلاً، لو ناقشت إنسان، لو جلست معه أربع ساعات وأقمت عليه الحجة هذا عمل صالح حجمته، كان يلقي الشبه على الناس، أنت حجمته، أنت بينت عظمت الدين.

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً﴾

ذهبت تعزي إنسان، تبارك لإنسان، دعاك إنسان لزيارته توجهت إليه قطعت مسافة، ضيعت وقت، هذا كله محفوظ.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (121)﴾

هذه الآية تشير إلى أن كل حركات المسلم، وكل نشاطاته وكل أعماله، أعماله القولية، والفعلية، مواقفه، هذه كلها من عبادته، فإذا فهمنا العبادة بمعناها الواسع تشمل بيتك، وعملك، وعلاقاتك مع إخوانك، ودعوتك إلى الله، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر هي العبادة.

لذلك الله عز وجل قال:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) ﴾

(سورة الذاريات: 56)

فإذا الإنسان توهم أنه العبادة الصلاة فقط، أو الصيام فقط أو الحج فقط، يعني الله خلق الكون من أجل أن نؤدي هاتين الركعتين لا، خلق الإنسان من أجل أن ينصاع إلى أمره، فإذا انصاع إلى أمره سعد بقربه في الدنيا والآخرة.

فهذه العبادة فيها ثلاث أشياء:

فيها شيء فكري.

وشيء سلوكـي.

وشيء جمالـي.

الفكري أولاً، السلوكي ثانياً، الجمالي ثالثاً.

الفكري ثمن، والسلوكي هو صلب العبادة، والجمالي الجائزة.

فأنت تتعرف إلى الله، وإلى منهجه، الآن تنطلق إلى التطبيق الآن تسعد بقربه، طاعةٌ طوعيه، ممزوجةٌ بمحبةٍ قلبية، أساسها معرفةٌ يقينية، تفضي إلى سعادةٍ أبدية.

يعني إذا أردت أن تلخص الدين كله، هذا هو الدين معرفة وسلوك وسعادة، السعادة هي الهدف، هي النهاية، هي المصير، هي الجائزة، هي الإكرام والسلوك هو الثمن، والمعرفة هي السبب، سبب وثمن، وجزاء.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) ﴾

في بالآية إشارة ثانية:

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾

يعني كأنه الآية تشير إلى أن المؤمنين يجتمعون، يتعاونون لا يتخلفون، لا يتنصلون، لا ينسحبون، ليسوا فرادة، هم أمة مجتمعة طبعاً في عهد النبي الآية لها معنى، إنسان يتخلف عن رسول الله معناها ما في إيمان إطلاقاً، لكن بعد عهد النبي، ماذا تعني الآية ؟ كن مع جماعة المؤمنين، كن معهم، عاونهم، أيدهم، قوهم، بمالك باختصاصك، بخبرتك، لا تكن فرد، الأفراد ضعفاء، يد الله مع الجماعة.

فالآية فيها نقطتان:

النقطة الأولى أن تلزم جماعة المؤمنين، وأن تكون أنت لهم وهم لك، إمكانيتك لهم جميعاً، وهم جميعاً لك، هكذا الإيمان وجماعة المؤمنين بأوسع دائرة طبعاً، جماعة المؤمنين كافةً، أن تكون معهم.

والمعنى الثاني، أن كل نشاطاتك في الحياة، إذا كنت تعرف الله عز وجل وتبتغي رضوانه، تصبح عبادة، كل نشاطاتك.

النبي الكريم قال: وأن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة حتى لو الإنسان قارب أهله له أجر، أنه مشى في الطريق المشروع لو لم يفعل هذا لفعل العكس، لفعل المعصية.

فإذاً حياتك، نشاطاتك، عطائك، منعك، هذا كله عبادة فينبغي أن نفهم العبادة بمعناها الواسع، جزء من العبادة، العبادة الشعائرية، جزء، من هذه العبادات، يعني كل شيء الله أمر فيه الائتمار به عبادة، كل شيء الله نهى عنه الانتهاء عنه عبادة، في شتى مناح الحياة، جزء من هذه العبادة، الصلاة والصوم، والحج والزكاة، جزء منها، هي سموها عبادة شعائرية، أما العبادة التعاملية هي الأصل، إذا صحت العبادة التعاملية، صحت العبادة الشعائرية.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (16- 19) : تفسير الآيتان 117 - 118 ، هللك المسوفون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

وعدتكم قبل أسبوع، أن أتحدث عن قصة هذه الآية، لقد قال الله عز وجل في الآية السابعة عشر بعد المائة من سورة التوبة:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) ﴾

أحد هؤلاء الثلاثة، الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك، سيدنا كعب، فقال هذا الصحابي الجليل كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في غزوةٍ غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير إني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدٌ تخلف عنها، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ليلة العقبة، حين توافقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر. ويقول: وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك.

أيها الأخوة: هذه القصة تعلمنا أشياء كثيرة، لكن أكثر درس تعلمنا إياه الصدق.

قال: وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، أني لم أكن قطُ أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في هذه الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في هذه الغزوة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوةً يغزوها إلا وراء بغيرها لحكمةٍ أرادها، حتى كانت تلك الغزوة، فكان الغزو في وقت حرٍ شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفاوذ يعني صحارى، واستقبل عدواً كثيراً، لذلك هذه المرة، جل النبي للمسلمين أمرهم، ليتأهبوا أهبة عدوهم، أول مرة بصرح النبي بجهته أنا سأتجه إلى تبوك، صحارى شاسعة، مسافة طويلة، عدو كثير العدد، والعُدد، وقتٌ حار، فجل النبي للمسلمين أمرهم، ليتأهبوا أهبة عدوهم، فأخبرهم وجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كثير لا يجمعهم كتاب حافز ما في ديوان، أسماء تفقد.

قال كعب: فقل رجلٌ يريد أن يتغيب، إلا ظن أن ذلك سيخفى على رسول الله، يعني ما دام ما في تسجيل، ما في تفقد، ما في ميمات، ونحن كثر كثيرون جداً، فإذا تغيب واحد، يعني أغلب الظن أن النبي لا ينتبه إليه، ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله عز وجل، إلا بهذه الحالة هي، وغزى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة، حين طابت الثمار، وطابت الظلال، وأنا إليها أميل.

يعني وقت فواكه وظلال، وثمار، والسفر بعيد، والحر شديد والمفاوز شاسعة.

فتجهز إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمؤمنون معه فطففت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقضي من جهازي شيئاً فأقول لنفسي أنا قادرٌ على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي وفي قول يقول هلك المسوفون: والمسوف الذي يرجئ عمل اليوم إلى الغد، هو للآن ما في نية ما يكون مع رسول الله، لكن أنا قادر في أية لحظة على أن أجهز نفسي، يغدو، ويعود، دون أن يجهز نفسه قال: فأرجع ولم أقضي من جهازي شيئاً، فأقول لنفسي أنا قادرٌ ذلك إن أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً، والمسلمون معه، ولم أقضي من جهازي شيئاً، وقلت أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد لأتجهز، فرجعت ولم أقضي شيئاً.

فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا، وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل لألحقهم، وليتني فعلت، ثم لم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت للناس، في المدينة، بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموسا عليه في النفاق، أو رجلاً مما عزره الله عز وجل، طبعاً ما رأى غير المنافقين المنافقون لم يذهبوا مع رسول الله، والمقعدون، والمرض، والعجزة والمعذرون.

النبي عليه الصلاة والسلام، في هذه الغزوة، قال لم يذكرني حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس مع القوم في تبوك: ما فعل كعب بن مالك ؟ شدة اهتمام النبي بأصحابه.

قال ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجلٌ من بني سلمة، حبسه يا رسول الله برداه، يعني أحب أن يبقى في المدينة، ويتبختر في مشيته والرطب والفواكه، والظل الظليل، وبستانه هو الذي حبسه.

فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً.

فسكت النبي صلى الله عليه وسلم.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله توجه قافلاً من تبوك حضرني بثي، هم بدل هم، ماذا سأقول له؟ وطففت أتذكر الكذب، وأقول بما أخرج من سخطه غداً، وأستعين على ذلك بكل ذي رأيٍ من أهلي، فلم قيل لي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد أظل قادماً، زاح عني الباطل وعرفت أني لم أنجو منه بشيء أبداً فأجمعت صدقاً.

فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إذا قدم من سفرٍ فبدأ بالمسجد فصلى ركعتين، ثم جلس للناس فلما فعل ذلك، جاء المتخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً.

كل واحد ركز قصة، هذا زوجته مريضة، وهذا في عنده مشكلة، فيقبل النبي منهم عذرهم، وعلانيتهم، ويستغفر لهم، و يكل سرائرهم إلى الله، كلهم كذابين كانوا.

حتى جئت فلما سلمت عليه، تبسَم تبسُم المغضب، هون وضع ثاني، هذا صار صادق هذا، ليش ما كنت معنا ؟

ثم قال لي تعال: فجئت أمشي حتى جلست بين يديه.

فقال لي ما خلفك: ألم تكن قد اشتريت ظهراً ؟ ما معك أنت ناقة ؟

قلت يا رسول الله: هون بقى، لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلاً، عنده لسان طليق، وحجه قوية، بس لو كان غيرك، كنت كذبت عليه، أما أنت في وحي، ما بقدر، والله لقد علمت لأن حدثتك اليوم بحديثٍ كذبٍ ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، شاف أنه إرضاء النبي إرضاء لله، اسخاط للنبي اسخاط لله، لو حدثتك بحديثٍ كذبٍ ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك بحديث صدقٍ تجد فيه علي، تزعل مني، إني لأرجو عقبى ذلك من الله عز وجل، والله يا رسول الله، ما كان ليّ عذرٌ أبداً، والله يا رسول الله، ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني، حين تخلفت عنك يعني في أعلى درجات القوة، والنشاط والغنى بس ما في عذر أبداً. فقال عليه الصلاة والسلام: اسمعوا ماذا قال ؟ قال أما هذا فقد صدق: سمعان خمس وثمانين رواية، من المنافقين، ما حكى شي قبل منهم عذرهم، وقبل علانيتهم، ووكل أمرهم إلى الله، فلما تكلم هذا صادقاً، قال أما هذا فقد صدق، معنى السابقين كلهم كذابين، قم حتى يقضي الله فيك، فقمت وقام إليّ رجال من بني سلمة، واتبعوني وقالوا والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى النبي، حين اعتذر المخلفون، كنت دبر حالك بشي قصة احكي له إياها، فقد كان كافيك لذنبك استغفار النبي لك.

فقال والله مازالوا يؤنبونني، حتى أردت أن أرجع فأكذب على النبي، قد ما لاموني دبر حالك بشي كذبة، بشي قصة، زعل منك، مثل ما دبروا حالهن هدنة.

ثم قلت لهم، هل لقي معي أحدٌ.

قالوا نعم، لقيه معك رجلان، قالا مثل ما قلت تماماً، ما كذبوا وقيل لهما مثل ما قيل لك.

قال فمن هما ؟

قال مرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا إليّ رجلين صالحين، قد شهدا بدراً لي فيهما أسوةٌ حسنة قال: فمضيت حين ذكروهما لي.

الآن: ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحن الثلاثة عن كلامنا، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي نفسي في الأرض، فما هي بالأرض، التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، وسوف نتابع القصة غداً إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (17- 19) : تفسير الآيتان 117 -118 ، تربية الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد:

فقد قال الله عز وجل: في الآية السابعة عشرة بعد المائة من سورة التوبة:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) ﴾

ذكرت في الدرس الماضي، الأسباب التي من أجلها نزلت هذه الآية، وهي أن ثلاثةً من أصحاب رسول الله، هم:

كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي. تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن لهم عذر ، فلما صدقوه، ولم يكذبوا كما كذب المنافقون، الله سبحانه وتعالى أراد أن يعالجهم، وأن يربيهم تربيةً حاسمة، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمقاطعتهم.

فقال كعب بن مالك: نتابع القصة، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، أيها الثلاثة، أي نحن الثلاثة، من بين من تخلف.

الذين كذبوا لم ينهى عن كلامهم، خارج العناية، خارج التربية لكن الذين صدقوا، ولم يكن لهم عذرٌ في التخلف، الله سبحانه وتعالى تولى تربيتهم.

إذاً: ماذا يستنبط ؟ الإنسان حينما يكون صادقاً، والله سبحانه وتعالى يريد أن يطهره، ويرقيه، يتولى تربيته، فالإنسان إذا الله تولى تربيته هذه نعمةٌ كبرى، إذا أحب الله عبداً عجل له بالعقوبة عاتبه في منامه، أما هذا الذي يعص، ولا يعاقب، ولا يحاسب، ولا يربى، ولا يؤدب، فهذه علامة خطيرةٌ جداً.

قال فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، الأرض لم تعد الأرض التي يعرفها، البيت الذي يسكنه تنكر له، الطريق الذي يمشي بها تنكرت له، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشد القوم، كان شاباً وأجلدهم، فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين، فلا أحد يكلمني، عزلة، مقاطعة محاصرة، وأطوف بالأسواق، فلا يكلمني أحد،

وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأسلم وأقول في نفسي، أسلم عليه، أقول السلام عليك يا رسول الله، ينظر إلي فأقول في نفسي، أحرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا، ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، فإذا ألتفت نحوه أعرض عني، الدواء مر دائماً، هو دواء لكنه مر، حتى إذا طال علي ذلك من هجر المسلمين، مشيت حتى تسورت حائط أبي قتاده وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما رد عليّ السلام، فقلت له يا أبى قتاده، أنشدك الله، هل تعلم أني أحب الله ورسوله، قال فسكت، قال فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فقال الله ورسوله أعلم.

تنكر لهؤلاء الثلاثة، كل أصحاب رسول الله، حتى النبي صلى الله عليه وسلم، ما كلمه، ولا رد عليه السلام.

قال ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار، فبين أنا أمشي بسوق المدينة، إذ بنبطي، من أنباط الشام ممن قدم بطعامه يبيعه بالمدينة، يقول من يدل على كعب بن مالك، غريب فطفق الناس يشيرون له إلي، هذا كعب بن مالك، حتى جاء فدفع إلي بكتاباً من ملك غسان، وكنت كاتباً، كان يقرأ.

فإذا فيه، أما بعد:

فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، وأن الله لم يجعلك بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، صاحبك محمد، قد جفاك، وأنت لست بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك صاحبك محمد قد جفاك وأنت لست بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك.

قال: فقلت حين قرأته، وهذا أيضاً من البلاء، هذا زاده ألماً قال فتيممت به التنور فجسرته، حرقه، حرق الكتاب، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني، ويقول: يأمرك رسول الله أن تعتزل امرأتك، الدواء أرتفع مستواه حتى زوجته، عليك أن تعتزلها، فقلت أطلقها، قال لا، أطلقها أو ماذا أفعل، قال بل اعتزلها ولا تقربها، فقط.

قال: وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، قال ك فقلت لامرأتي ألحق بأهلك فكوني عندهم، حتى يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء يعني في نعمة أيها الأخوة ما حد يعرفها، أن إنسان بعيش بمجتمع محبوب معزز مكرم يسلموا عليه يحترموا يسهروا معه يأنسوا، إذا كان مرض بزوره، هذه من نعمة الله العظمة، إنسان عايش بمجتمع له مكانه، شوف هذا الدواء كم هو مر، حتى امرأته أمرت أن تعتزله.

فجاءت امرأة هلال ابن أمية، رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله: إن هلالاً شيخ ضعيف، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال لا، ولكن لا يقربنك، قالت وإنه والله ما به من حركة إلى شئ، وإنه والله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال: فقال لي بعض أهلي، لو استأذنت رسول الله في امرأتك مثل ما هلال ساوه، فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه.

قال: فقلت لا والله، لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يقول فيها، إذا استأذنته، وأنا رجل شاب.

قال: فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا، خمسين يوم مقاطعة، وعشرة أيام أخيرة، زوجته ضمت إلى هذه المقاطعة.

قال: ثم صليت صلاة الفجر، صباح خمسين ليلة، على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾

على الحال التي ذكر الله تعالى منا، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صارخاً، أوفى على جبل سلع، يقول بأعلى صوته، أبشر يا كعب ابن مالك.

قال فخررت ساجداً وعرفت أنه قد جاء الفرج من الله عز وجل بالتوبة علينا، فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني أخبرنا بتوبة الله علينا، حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي يبشرون، وركض إليّ رجلٌ، وسعى ساعٍ وأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبي فكسوته إياه لهذه البشرة، والله لا أملك يومئذ ثوباً غيره، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يهنؤ نني بتوبة الله، هي التهنئة الحقيقة، يقولون ليهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، جالس في المسجد، والناس حوله، فقام إليّ طلحت بن عبد الله يهرول حتى صافحني وهنئني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، قال فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب، فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يبرق كالبدر، من فرحه، النبي كالأب فرح له بهذه التوبة، قال يا كعب أبشر

بخير مر عليك منذ ولدتك أمك قلت أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله، بدو يطمئن، يعني إجراء داخلي أم من الله، قال لا من الله، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، حتى يعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه، قلت يا رسول الله، أن من توبتي أن أنخلع من مالي كله صدقةً لله عز وجل، قال أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، وقلت يا رسول الله، إنما نجاني الله بالصدق، وإن من توبتي، ألا أحدث صدقاً ما بقيت، قال: فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين ابتلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله تعالى، والله ما تعمدت كذبةً منذ قلت ذلك لرسول الله إلى يومي، وإني لأرجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقيت.

في سؤال الآن، القصة كلها أساسها الصدق، الصادق الله بنجي، ويتولاه ويربيه، هؤلاء الثلاثة تخلفوا، طيب ماذا فعل النبي حتى يتوب الله عليهم ؟ الآية:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾

ماذا فعل النبي من الذنب حتى يتوب الله عليه ؟ وماذا فعل أصحابه من الذنب الذين كانوا معه في تبوك حتى يتوب الله عليهم ؟ قال بعض العلماء، لكرامة الإنسان على الله، أراد الله عز وجل، أن يجبر هؤلاء المتخلفين، فجمع بين توبة الله عليهم، وتوبته على النبي وأصحابه، شملهم كلهم:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾

هي الآية تعلمنا كيف أن الله سبحانه وتعالى، رحم هؤلاء التائبين وجمع توبتهم مع توبة الله على النبي صلى الله عليه وسلم.

إخوانا الكرام: هذه القصة محورها الصدق، كن صادقاً مع الله، الصدق منجاة، والكذب مهواة، إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة ومازال الرجل يصدق، ويصدق حتى يكب عند الله صديقاً.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (18- 19) : تفسير الآية 122 ، أولويات الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)﴾

أيها الأخوة الكرام: في الدين أولويات، الشيء الأول أن تعرف الله، من خلال آياته الكونية، والتكوينية، والقرآنية.

فإذا عرفته، فهناك شيء يلي بالضرورة معرفة الله، أن تعرف أمره ونهيه، لذلك الفقه في الدين، من معاني هذه الكلمة، أن تعرف أسرار الدين، ومن معاني هذه الكلمة، أن تعرف أحكام الشريعة.

يعني إنسان طيب، ومآمن، ويحب الله ورسوله، لكن أكثر بيعه حرام، عن غير نية سوء، لكن لا يعرف هي علاقة ربوية هل البيع بهل الشكل يودي إلى الربى، أكثر علاقاته الاجتماعية علاقات فيها مخالفات للشرع، في احتفالاته، في أحزانه، في أفراحه، في بيعه، في شرائه، في كل نشاطاته، إنسان يعرف الله عز وجل ومعلوماته الفقهية محدودة، يقع في الحرام شاء أم أبى، عرف أم لم يعرف.

لذلك ورد في الحديث الشريف:

((طلب الفقه حتم واجب على كل مسلم.))

يعني أنت من شدة حرصك على التقرب إلى الله عز وجل تحرص على معرفة أمره ونهيه، كيف تطيع الله عز وجل إذا لم تعرف أمره ونهيه ؟

فالمؤمن يبذل جهد كبير لمعرفة الله، كما قلت قبل قليل، من خلال آياته الكونية، والتكوينية يعني أفعاله، والقرآنية، لكن بعد أن يقطع شوطاً في معرفة الله، لابد من أن يلتفت لمعرفة الأمر، والنهي كيف آكل ؟ كيف أنام ؟ كيف أختار الزوجة الصالحة ؟ كيف أربي أولادي ؟ كيف أبيع ؟ كيف أشتري ؟ هي علاقة ربوية، وهي علاقة ربوية، وهي فيها مخالفة، وهي فيها تدليس، وهي كذب، فابتلاقي الجاهل يقع في آلاف المعاصي وهو لا يشعر، وهو لا يشعر فلابد من طلب العلم الشرعي، يعني الإنسان أحياناً يحضر خطبة جمعة، على العين والرأس هذه فريضة، لكن هذه الفريضة عملية إقناع، عملية إثارة همم، لكن لابد من طلب العلم في

مجلس علم هادئ، تعرف أحكام الشريعة، أبعاد كلام الله عز وجل، الكسب المشروع، الكسب غير المشروع، أحكام الربى، أحكام الصدقات، أحكام الزكاة.

والله أخ كريم، يحضر مجالس علم من عشرين سنة، بس مجالس علم عامة، قال لي الحمد لله دفعت زكاة مالي، قلت له: الله يجزيك الخير قال لي: والله صهري ناقصه سيارة، أعطيناه مئتين ألف ليشتري سيارة، مو من الزكاة سيدي هي، صهره زوج بنته ناقصه سيارة، أعطاه مئتين ألف من زكاة ماله، قال لي مو من الزكاة سيدي هي، قلت له أعوذ بالله، مو لازم يعرف أحكام الزكاة.

أنا أرى مخالفات كبيرة جداً في أنفاق المال، مو عرفان بالطلاق بتلاقي يتحدث، لأتفه الأسباب بطلاق زوجته، من شيخ إلى شيخ، نقص بالفقه شديد.

أيها الأخوة: لازم كل واحد أقل شئ يكون عنده كتاب فقه بالبيت، الفقه الميسر، أقل شئ يحضر مجلس علم، أقل شئ يسأل أما الفقه علم قائم بذاته.

البائع مثلاً: من منكم يصدق، أن معرفة أحكام البيع والشراء في حقه البائع فرض عين، أحكام البيع والشراء في حقه البائع فرض عين، أحكام الجعالة في حق الطبيب، فرض عين، لأنه أجره جعالة المحامي والطبيب والمهندس أجره ليس معاوضة، جعالة، لها أحكام خاصة، واحد دخل شريك مضارب، أحكام المضاربة، طيب شريك بشركة عادية، أحكام الشراكة، دخل بالمزارعة أحكام المزارعة المساقات، أحكام الإيجار، بتلاقي عما يطالب بحقه وكأن شئ القرآن عطاياه، بدي ثلثين حق البيت، طول بالك، أقرأ أحكام الإيجار بتلاقي أنت الآن تطلب شئ ليس لك، عند بيت ثاني، عند بيت وما لك حق تطلب نصف حق هذا البيت، فإذا كان عندك بيت آخر، يعني ما راح أدخل في تفاصيل الإيجار، لكن بتلاقي، عما يطلب، واثق من نفسه، وطلبه كله ظلم، وهو لا يشعر، ترك دانق من حرام خير من ثمانية حجة بعد الإسلام، دانق من حرام ففي أخطاء كبير جداً في أمور الزواج، شو صار إذا كان انصمد العريس قدام العروس أخي بعدين بظنوا في عيب بعدين، بظنوا في عاهة، شي عال، بفوت إنسان أمام مئة امرأة، كاسية عارية، في أبى زينة، وأنت مسلم ترتاد مجالس العلم، مو معقول هذا الكلام، ففي أخطاء بالزواج حريص يكون الكتاب براني ليش يا أخي براني، أنت تشتري بيت الآن، تدفع ثلاثين مليون حق بيت بتأخذ مفتاحه، قبل مائتين سنة كان شراء البيت يعني بتأخذ المفتاح وتعطيه الثمن، هلق، بدك الطابوا الآن العقود لا تثبت إلا بالدوائر الحكومية، ليش بس بالزواج بدك كتاب براني، ليش، لعل صار شيئ، ففي أخطاء بعقود القران، في أخطاء بالطلاق، أخطاء بحلف يمين الطلاق، أخطاء بالبيع والشراء أكثر العلاقات ربوية، والناس لا يشعرون، من دخل السوق من غير فقه، أكل

الربى شاء أم أبى، من دخل السوق من غير فقه، أكل الربى شاء أم أبى، لازم تعرف أحكام البيوع، أحكام الربى، أحكام القرض الحسن، أحكام الأمانة، أحكام العارية، أحكام الحوالة الكفالة، الوكالة، في حوالة، في كفالة، في وكالة، في إيجار، في مضاربة، في مزارعة، في مساقات، في بيع وشراء، في طلاق وفي زواج، هي أحكام لابد منها، يعني أقل من كتاب فقه في بيتك، أقل ما تسأل عن كل قضية، أقل ما تحضر مجلس علم فقه.

أيها الأخوة الكرام: هي الآية.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)﴾

بعدين ابنك علمه شريعة، لا ما بدنا شريعة، ليش، العلم الآن لا يطعم خبزاً إطلاقاً، مادام العلم لا يطعم خبزاً، دخلوا شريعة علمه علم بفيده في أخرته، يعني أنا كثير بكبر الأب إذا حط أبنه بالشريعة، يعلمه الدين، يهرب من تعليم الشريعة، بخاف يفوت على المساجد، أخي ابني ما عما يعجبني، طبعاً ما راح يعجبك، لأن أنت حرمته العلم الشرعي، حرمته التوجيه الصحيح، ما بقى في مجال.

أردته من هذا الدرس، بعد أن نقطع شوطاً في معرفته الله شوطاً، وبعد أن نؤمن به، لا بد من أن نطعيه، طيب كيف نطعيه إلا لم نعرف أمره ونهيه.

إذاً: طلب الفقه حتما واجب على كل مسلم، بعد أن نقطع شوطاً في معرفته، وبعد أن نؤمن بوجوده وبكماله ووحدانيته، الآن يجب أن نتحرك إلى طاعته، كيف نطيعه، أين أمره ؟ أين نهيه ؟ ماذا يأمر بالبيع والشراء ؟ ماذا يأمر في هذه الصفقة ؟ بتلاقي تجار، مسلمون في الصفوف الأولى، حتى يروج بضاعته، يعمل لها إعلان، مع إنسانه ساقطة، كاسية عارية، في أجهزة الأعلام، وهو صاحب دين يده للخير، هي محرمة هي، امرأة كاسية عارية، بتروجلك بضاعتك بتدفع على الدقيقة أربعمائة ألف، من أجل ترويج، هي خلاف الشرع بتلاقي الدعاية خلاف الشرع، في بضاعة محرمة بالأساس، بتعاملنا فيها الناس، فأنا أردت من هذا الدرس أن أنبه، إلى أنك إذا قطعة شوطاً في معرفته الله، لابد من أن تعرف أمره ونهيه، وطلب الفقه حتما واجب على كل مسلم.

أخوانا الكرام: يعني إذا كان ممكن قل لك بالعلم بعضه فرض كفاية، أن تتبحر بالمواريث، فرض كفاية، تتبحر بأحكام التجويد بالقراءات العشر يمكن فرض كفاية، لكن تجهل أحكام البيع والشراء أحكام الزواج، أحكام العلاقة الزوجية، هذا شيئ مستحيل، طلب الفقه حتما واجب على كل مسلم، فرض عين على كل مسلم، فالإنسان يقل لي ما عندي وقت، عندك وقت ليش لكن، إذا ما عندك وقت تعرف الأمر والنهي، معناه

أنت ما عندك وقت لشيئ إطلاقاً، هذا أهم شيئ لأنه، أهم شيئاً أن تعرف الله وأن تطبق منهجه، وإلا في هلاك. يعني هلق نحنا نقول لسائق سيارة لازم تعرف، كيف صنعت هذه المكابس ؟ والله ما بيعرف، بس لازم يعرف كيف يستخدم المكبح استعماله شئ، ومعرفة صنعه شئ آخر، معرفة صنعه، طريقة صنعه، مواده الأساسية الكوليات، هي فرض كفاية، هي خاصة بأصحاب المعامل، أم أي سائق سيارة لازم يعرف كيف يستعمل المكبح، وإلا بيعمل حادث، لازم نفرق بين فرض العين، وفرض الكفاية، فرض العين إن لم نتعلم نهلك، ما في مجال، من دخل السوق من غير فقهٍ أكل الربى، شاء أم أبى، كثير في علاقات ربوية في صفقات ربوية، في بضاعة محرمة، في أساليب محرمة، في أضعاف مضاعفة، في أساليب في الاحتفالات كلها محرمة فأيام بتلاقي واحد مو عرفان، أنا أيام بحترم إنسان بقلك ما بعرف والله، طيب ما تعرف، ليش إذا كان واحد وقفه شرطي، هون ممنوع، ما لي عرفان يقبلها منه الشرطي ؟ يقول له لا جهل في القانون، أول كلمة، لا جهل في القانون.

لا يقبل منك أن تجهل، فإذا أنت أمام إنسان مرفوضة هي كلمة ما بعرف فأن تجهل أمر الله عز وجل. لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (19- 19) : تفسير الآية 103 ، الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، آيَةُ الزَّكاة ونحن في رمَضان، قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)﴾

[سورة التوبة]

العلماء اسْتَنْبَطوا من هذه الآية أحْكامًا كثيرة فالحُكْم الأوَّل أنَّ الزَّكاة تؤْخَذُ ولا تُعْطى لأنّ المُجْتَمَع الإسْلامي سَلامَتُه مُتَوَقِّفَةٌ على أداء الزَّكاة فلا ينْبغي أن يكون أداءُ الزَّكاة مِزاجِيًا، تُعْطي أو لا تُعْطي، فالزَّكاة ينْبغي أن تُؤْخذ لأنَّها فريضَة، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ(24)لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(25)﴾

[سورة المعارج]

فالله تعالى يقول: خُذْ، يُخاطِبُ الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام هَلْ يُخاطِبُهُ على أنَّهُ رسول الله ؟ لا، بل هو تعالى يُخاطِبُهُ على أنَّهُ وَلِيُّ أمْرِ المُسْلِمين، لذلك الزَّكاة فريضَة، وتُؤْخذُ من قِبَلِ ولِيّ أمْر المُسْلِمين، ولا تُعْطى ابْتِداءً من قِبَلِ المؤمنين.

أمَّا معنى أموالِهِم ! جاءَتْ كلمَة جمْعًا ؛ أيْ كُلُّ أموالهم، فما أنْتَجَتْهُ الأرض هو من المال، والعسَل مال، والمحاصيل أموال، والفواكه أموال، والأراضي التي اشْتُرِيَتْ لِتُباعَ بِرِبْحٍ عُدَّتْ عُروضًا تِجارِيَّة وتاجِر بُيوت عنده بيْتَيْن أو ثلاثة فَكُلُّ بيْتٍ عليه الزَّكاة، فالمُنْشَآتُ المُعَدَّة للتِّجارة هي أموال، والذَّهَب والفِضَّة، والأنعام والإبل والغنَم والماعِز هي مِن الأموال، فَكَلِمَة أموالِهم جاءَتْ جمْعًا كي تُغَطِّي كُلَّ الأموال، وخُذْ فِعْلُ أمْرٍ والمُخاطَبُ هو النبي عليه الصلاة والسلام لا على أنَّه نبيّ ولكن على أنَّه وليّ أمْر المُسْلمين، ولكن مِنْ للتَّبْعيض ففي الإسلام لا يوجَدُ أخْذُ المال كُلِّهِ، والنِّسَب ضئيلة جدًّا ؛ اثْنان ونِصْف بالمائة.

قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾

[سورة التوبة]

وفي الحقيقة هذه آيةُ الزَّكاة، فَلِمَ سَمَّى الله الزَّكاة صدقةً ؟ هي آيةُ الزَّكاة وسمَّاها الله تعالى صدَقَةً ؛ لماذا ؟ قالوا: لأنَّ إنْفاق المال يُؤَكِّدُ صِدْق الإيمان، فأحْيانًا تتوافَق الأوامر الشَّرْعِيَّة مع المصالِح الدُّنْيَوِيَّة، فالزَّواج أمر شَرْعِي، وكذا القصْر في الصَّلاة سمح لنا أنْ نقْصُرَ الصَّلاة، أما حينما تتناقَض الأوامِر مع المصالح يُعَدُّ البَذْل دليلاً على صِدْق الإيمان، فمَثَلاً النَّفْس تَميل إلى النَّظر إلى النِّساء، والأمْر بِغَضّ البصَر يتناقَض مع طَبْعِ النَّفْس، فَهِيَ به تَرْقى والنَّفْس تَميل إلى أخْذ المال وكسْبِهِ، والأمر بإنْفاق المال يتناقض مع الطَّبْع ؛ فهِيَ به تَرْقى، والله عز وجل لمَّا ذَكَر المُتَّقين قال:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(133)﴾

[سورة آل عمران]

المُتَّقون لهم آلاف الصِّفات، ولكنَّ الله بدأ بِصِفَةٍ تُؤَكِّدُ تَقْواهم، فقال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(134)﴾

[سورة آل عمران]

فالمُلَخَّص أنَّك لا ترْقى عند الله إلا إذا خالَفْتَ هواكَ، قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى(40)﴾

[سورة النازعات]

وقال تعالى:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ(46)﴾

[سورة الرحمن]

والآية دقيقة جدًا، أوْدَعَ الله فيك الشَّهوات، وأمامَكَ موضوع الشَّهْوَة امرأة في الطريق، أو مال أمامك، فالنَّفْسُ ميَّالَةٌ إلى أخْذ المال، أو إلى إطلاق البصَر، ولا أحَدَ يُحاسِبُكَ، فأنت حينما تغُضُّ البصَر أو تتعفَّفُ عن المال خَوْفًا من الله عز وجل فأنت مِمَّن انْطَبَقَتْ عليه الآية الكريمة،:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى(40)﴾

[سورة النازعات]

مقام الله عز وجل مَقام الإشْراف والعِلم والسَّمع والبصَر، فلمَّا يخاف الإنسان ربَّهُ عز وجل يسْتَحِقُّ جنَّة ربِّهِ، لذا قال الفقهاء: مَن حلَفَ يمينَ طلاقٍ إذا ترَكَ شَهْوَةً مخافَةَ الله عز وجل، حلفَ بالطَّلاق أنَّهُ مِن أهل الجنَّة لأنَّه خشِيَ الله غَيْبًا، فامْرأتُهُ لا تَطْلُق ! لأنَّ الله يقول:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ(46)﴾

[سورة الرحمن]

وقال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى(40)﴾

[سورة النازعات]

فَمِنْ في قوله: خُذْ مِن أموالهم هِيَ للتَّبْعيض، أيْ خُذْ بعض أموالهم واتْرُك لهم كرائِمَ أموالهم، وأموال جاءَت جَمْع لأنَّ كُلّ أنواع الأموال تَجِبُ فيها الزَّكاة، وكلمة هُمْ ضمير جَمْع، أي لا يوجَد مُسْلِم مُسْتَثْنى من الزَّكاة، هُمْ ضمير الجمْع، فالأموال كُلَّها تَجِبُ فيها الزَّكاة والمسلمون جميعًا تَجِب عليهم الزَّكاة، والدَّفْع بعض أموالهم وليس كلَّ أموالهم، والزَّكاة تؤْخَذُ ولا تُعْطى، والأمْر مُوَجَّه لوليّ أمْر المُسْلمين وأما كلمة صدَقة فتَعْني ما يُؤَكِّدُ صِدْق الإنسان.

فالله قال أنَّ هذه الصَّدَقة تُطَهِّرهم ؛ مَن ؟ فَهِيَ تُطَهِّرُ أشْياء ثلاثة: تُطَهِّرُ الغنيّ من الشُّح، لذا ورَدَ عن النبي الكريم:

((برئ من الشُّح من أدَّى زكاة مالِهِ وتُطَهِّرُ الفقير مِن الحِقْد))

مَحْروم ودون أكْل وشُرْب والمُجْتمَعَ أهْمَلَهُ وجعلَهُ وراء ظَهْرِهِ، أما حينما تُقدَّم له الزَّكاة ويشْتري الطَّعام والشَّراب، ويشْتري منزلا، وحينما تُقَدَّم له الألْبِسَة ويُطَبَّب يشْعر أنَّه غالٍ في المجتمع وأنَّه مُهِمّ عند إخوانِهِ، فَيَطْهُرُ من الحِقْد ويطْهُرُ الغنيّ مِن الشُّح، ويَطْهُر المال من تَعَلُّق حقّ الغير بِهِ فإذا الواحِد معه مليون ليرة، ومعه دَين بِثمان مائة ألف ولم يَدفَعها ! فهذا المال الذي مَعَهُ يتعلَّقُ به حقّ الآخرين، لذلك يُتْلِفُهُ الله عز وجل ومَن أخذَ أموال الناس يريدُ إتْلافها أتْلَفَهُ الله، ومَن أخَذَ أموال الناس يُريدُ أداءَها أدَّى الله عنه، فكَلِمَة خُذْ مِن أموالهم صدقَةً تُطَهِّرهم تُطَهِّرُ الغنيّ من الشُّح، والفقير من الحِقْد، والمال من تَعَلُّق حق الغير به. الآن قال تعالى:

﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾

[سورة التوبة]

الآية دقيقة ؛ تُزَكِّي الغنيّ، فالغَنِيّ حينما يؤَدِّي زكاة مالِهِ، ويملأُ بِمَالِهِ حاجات الناس، يُدْخِلُ الفرْحة على الفقراء، وتَعْلو البسْمةُ على جبين المحروم، يشْعُر الغنيّ بقيمته، فهو لم يَعُدْ تاجِرًا فقط، بل أصْبَحَ مُحْسِنًا، ودخلَ في قلوب الآخرين، والمُجْتمَع الإسلامي مَبْني على التباذل لا على الحِقْد، فالغنيّ تنْمو نفْسُهُ ويشْعُر بقيمتِهِ وأهمّيتِهِ ومكانَتِهِ في المُجْتمع الإسلامي لأنَّه كان عُضْوًا نافِعًا وهامًّا في المُجْتَمَع، فالإنسان يشْعُر بِثِقَة وتألُّق كُلَّما كان لهُ دَوْر خطير في المُجْتَمَع، فالله تعالى قال:

﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾

[سورة التوبة]

تُزَكِّي نفْس الغنيّ، والفقير تَزْكو نفْسُهُ ويشْعُر أنَّ له مكانة، فهو صحيح أنَّ قدرًا كان فقيرًا لكِنَّ المُجْتَمَع غطَّى لهُ حاجَتَهُ، فتَنْمو نفْسُهُ والله أعرِف أسْرة كان ربُّ بيْتِهِم له مرض خطير في قلبِهِ ويَحتاج إلى عَمَلِيَّة مائتان وخمسون، وكان الكآبة تحومهم، فقال هذا المريض: اتَّصَلَتْ بيَ امرأة وقالتْ لي: اِذْهَب إلى الطبيب الفُلاني، وأجْري العَمَلِيَّة، وهِيَ مُغَطَّاة، ولم يكنْ يعْرِفُها، فذَهَبَ إلى الطبيب ووضَعَ له مَوْعِدًا بعد يوْمين أو ثلاثة، وأُجْرِيَت العَمَلِيَّة ونَجَحَتْ، وزُرْتُهُ بعد العَمَلِيَّة، والله رأيْتُ أولادَهُ يرْقُصون من الفرَح، وهو على وَجْهه البسْمة ! ما معنى تُزَكِّيهِم ؟ فقير مَقْهور ومَكْسور ومَحْروم، ومُتضايِق فلمَّا جاءَتْهُ أموال الزَّكاة وأكل ولبِسَ هو وزوْجَته وأولاده نَمَتْ نفْسُهُ وشَعَر بِعَظَمَةِ الإسلام، ولولا هذا الإسلام لما أكَلَ ! فهذا الفرض فرَضَهُ على كُلِّ الأغنياء، وكُلاًّ مِن الغنيّ والفقير أشْرَقَت أنفسهما والمال يزْداد بِطَرِيقَتَين، بِطَريقة قانونيَّة، فالدُّوَل الغنِيَّة تُساعِد الدُّوَل الفقيرة، تقول لك: حتَّى ترْتفع عندها القدرة الشِّرائِيَّة، فلمَّا الأغنياء يدْفَعون زكاة أموالهم للفقراء، ماذا يصْنَعون بها ؟ سَيَشْتَري بها الألْبِسَة والأطْعِمَة والأحْذِيَة، معْنى ذلك أنَّه أصْبَحَ هُناك رواج بِالسُّوق، فلو أنَّ كلّ أغْنياء المسلمين دفَعوا أموال زكاتِهِم فإنَّ هذا يَحُلّ مُشْكلات الفقراء نِهائِيًّا، في إحْصاء سنة السِّتة والخمسين الدَّخل القومي لِبَلَدِنا كانت زكاتُه أربعُ مائة وثمانون مليون ليرة ! فلمَّا تُدْفَعُ الزكاة بأكملِها تُحَلُّ مُشْكلات الفقراء.

قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

[سورة التوبة]

تُزَكِّي نفْس الغنيّ، ونفْسَ الفقير وتُزَكِّي المال لِنَمائِهِ بِطَريقة واقِعِيَّة ولكن قال هناك طريقة أخرى يَنْمو المال بها، وهذه الطريقة هي طريقة العِنايَةِ الإلهِيَّة المباشرة، فهذا التاجر الذي أدَّى زكاة مالِهِ إذا كانت هناك صَفْقة خاسِرَة فالله تعالى يقْبض قلبَهُ، وإذا كانت هناك صفْقة رابِحَة ينْشرِحُ صدْرُهُ، فَمَانِعُ الزَّكاة يُوَرِّطُهُ الله بِصَفْقة خاسِرَة ويَحْجب عنه الصَّفقة الرابِحَة يقول لك: خسِرْتُ ثلاثة ملايين ! وهذه العَمِلِيَّة فلَّسْنا منها، لأنَّه ما تلِفَ

مالٌ في برٍّ أو بَحْر إلا بِحَبْسِ الزَّكاة سَمِعْتُ قِصَّة وكان مطْلوبًا منه طُنَّيْن من الكاكاو، فسافَرَ إلى بلدٍ أجْنبي فلم يَجِد هذا العدد وأقلّ شيء كونْتينَر عشرين طنّ، فهذا المَعْمل وثقَ منه وأعطاه كونتينرين وكُلْفة كلغ بِثلاثة ليرات، فلم يجِد مَن يشْتري عنه بِهذا الثَّمَن فذَهَب إلى الحجّ ودعا الله أن يجري له هذه الصَّفْقَة ففي ظرفٍ اسْتِثنائي مُنِع الاسْتيراد فَبَاعَهُ بثمانِيَة عشر، سِتَّة أضْعاف فالله تعالى بالعِناية الإلهيَّة المُباشِرة يُضاعف لك أموالك أضعافًا لأنَّك أدَّيْتَ زكاة مالك، وآخر من الأذْكِياء يَخْسر الملايين لأنَّهُ لم يُؤَدِّ زكاة مالهِ ولذلك لا يوجد الذَّكاء مع الله، وإذا أراد ربُّكَ إنْفاذ أمْرٍ أخذَ مِن كُلِّ ذي لُبٍّ لُبَّهُ فإذا بك تَجِدُه خَسِر وندم، أما الذي يُؤَدّي زكاة مالهِ فهُوَ بالعِناية الإلهيَّة فقد ذَكَر لي أخٌ، وكان يُؤَدّي زكاة ماله بِثَلاثَة أضْعاف فقال لي: آخر مرَّة شَعَرْتُ بانْقِباض ما بعْدَهُ انْقِباض، فرَفَضْتُ أن أُصَدِّر بِضاعتي، ولا أمْلِكُ السَّبب ولا التَّعليل، فقال لي: بعدها في آخر السَّنة فرَضوا ضرائِب باهِظة، حتَّى أنَّ هناك مَن دفَعَ ضرائب من عشرين سنة، ونَفَذْتُ من الضَّرائب حينها لأنَّني لم أُصَدِّر، فالله يُلْهِمُ عبْدَهُ إذا زكَّى، والمال ينْمو بالعِنَاية الإلهِيَّة المُباشِرَة، وينْمو بالقانون الطبيعي إذا صار للفقير قوَّة شِرائِيَّة، وهناك طريقة أخري من العناية المُباشِرَة وهو أنَّهُ تعالى يُلْهِمُكَ الشيء الرابِح ويصْرف عنك الشَّيء الخاسِر.

فَخُذْ لها معنى، ومِن للتَّبعيض، وأموالهم لها معنى، وهم لها معنى وصدقَة تُؤَكِّدُ صِدْق إيمانِهِ، وتُطَهِّرهم لها ثلاثة معاني وتُزَكِّيهم لها ثلاثة معاني.

ثمَّ قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة التوبة]

أيْ إذا عَطَفَ عليك رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فإنَّك تشْعُر بِسَعادة ما بعدها سعادة، وصلاة رسول الله على أصحابِهِ هي صلاة العَطْف والمحبَّة، والاتِّصال بهم اتِّصال الإكْبار والتَّعظيم، وما تلف مال في برٍّ أو بحْر إلا في حَبْس الزَّكاة، فهذا سيِّدنا أبو الدرداء أبْلغوه أنّ محلَّهُ احْتَرَق، فقال لهم: لا فإنَّه لا يحْترِق ! فذَهبوا فإذا بهم يجِدوا المحلّ الثاني الذي احْتَرَق !! فقال لهم: ما كان له أن يحْترق.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((حصِّنوا مالكم بالزكاة))

وقد ورَدَ بالأَثَر أنَّهُ ما عُبِدَ الله بأفْضل من إعانة المسلم، وثمانية آيات حصْرًا في الزَّكاة، قال تعالى:

﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(39)﴾

[سورة سبأ]

يُخْلِفُه أضعافًا كثيرة.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : تفسير سورة يونس

الدرس (8-1) : تفسير الآية 22 ، الكذب على الله

الدرس (8-2) : تفسير الآية 26 ،القانون الإلهي مفتاح السعادة

الدرس (8-3) : تفسير الآية 39 ، التكذيب من دون علم

الدرس (8-4) : تفسير الآيتان 57-58 ، ما الذي يفرحك ؟

الدرس (8-5) : تفسير الآية 61 ، مراقبة الله

الدرس (8-6) : تفسير الآيات 88-92 ، خيار الإنسان والإيمان

الدرس (8-7) : تفسير الآية 105 ، التوحيد

الدرس (8-8) : تفسير الآية 101 ، معرفة الله من خلال الكون

الدرس (1-8) : تفسير الآية 22 ، الكذب على الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الثانية والعشرون من سورة يونس، وهي قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23)﴾

هذه الآية أيها الأخوة: تصور الإنسان قبل أن يعرف الله، الله سبحانه وتعالى يستدرجه، فإذا وقع في شدةٍ دع ربه مخلصاً، وما من إنسان على وجه الأرض، مستقيم، غير مستقيم، عاصي، فاجر، إذا وقع في شدة.

إنني سمعت بعضاً من الخبراء ركبوا طائرة، وهؤلاء من الملحدين، وكان الجو مضطرباً والمطبات كثيرة، وجيوب الهواء عديدة، وكانت الطائرة تهبط بهم مائة متر فجأةً قال لي من في الطائرة وأنا أثق بكلامهم، هؤلاء الملحدون الخبراء ما كان منهم إلا رفعوا أيديهم ودعوا الله.

أي إنسان كائن من كان مستقيم، غير مستقيم، ملتزم، غير ملتزم، مؤمن كافر، هذا هو الإنسان، حينما يكون قوياً ينسى أنه ضعيف، أما حينما يضعف يذكر الله عز وجل، هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف.

في باخرة أيها الأخوة، اسمها تايتانيك، هذه صنعت عام 1912، هذه الباخرة صنعت بطريقة عجيبة، صنعت بطبقتين، وبين الطبقتين حواجز عرضية وقد كانت يعني هذه الباخرة، قمة الصناعة الأوربية وقتها، حتى أن كل ما في الحضارة الغربية من فن، ومن تحف، ومن أناقة، كانت في هذه الباخرة الخشب من أرقى أنواع الخشب، الثريات، المسابح، المطاعم، الملاهي، يعني مدينة عائمة. وفي أول رحلة لها، من بريطانيا إلى أمريكا، مع هذه الباخرة نشرة، كتب على هذه النشرة، إن القدر لا يستطيع أن يغرق هذه الباخرة، الباخرة التي لا تغرق، لأنه أي خلل هناك في طبقتان وحواجز عرضية، فلو خرقت من زاوية الماء لا تصل إلى داخلها.

لذلك هذه الباخرة، لم تزود بقوارب نجاة، وفي أول رحلة ركب هذه الباخرة أثرياء أوربا، الأثرياء، الأغنياء، قدر ثمن حلي النساء في هذه الرحلة بمئات الملايين، حلي النساء، طبعاً مدينة سياحية، المطاعم، الملاهي، المقاصف، غرف النوم الفخمة المسابح، كل شيء بالباخرة.

وفي أول رحلة لها، اصتدمت بجبل ثلجي، شطرها شطرين أنا قرأت عن هذه الباخرة، قبل ست أشهر أخرجوها، وصلوا إليها فيها كنوز، فيها ذهب، فيها كل شيء. فالإنسان يجهل أنه ضعيف يعتد بقوته، فهذه الآية، تصور الإنسان قبل أن يؤمن، إذا كان قوي يعتد بقوته، فإذا ساق الله له مصيبةً أظهر الخضوع والضعف، هذا الخضوع والضعف عند الشدة لا قيمة له والدليل حينما ترتفع الشدة يعود إلى ما كان عليه، من جبروت، وقرة واستعلاء.

اسمعوا الآية:

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾

يعني هذا البحر، تراه هادئاً، رقيقاً، جميلاً، رائعاً، فإذا هاج قد ترتفع الموج عن خمس وعشرين متراً، كا لجبال، والله قال:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾

(سورة هود: 42)

﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22)﴾

ما في إنسان بمرض ابنه، التهاب سحايا، يا رب إذا كان بطيب لي يا حتى صلي، بطيب له إياه ما بصلي، يا رب إن طيبت لي ابني حتى أترك هذا المعصية، بطيب ابنه والمعصية قائمة، يا رب إذا رزقتني ولد حتى حج، بجيه ولد ولا بحج، بروح لأوربا، يعني هذا الإنسان قبل أن يؤمن، بالرخاء متكبر، بالشدة بتلاقيه خضع. المؤمن بالرخاء شكور، بالبلاء صبور.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾

تطاول واستعلاء، لاحظ الناس بمرض ابنه مرض شديد، يا رب إذا شفيت لي يا سوف أفعل كذا وكذا، يشفى له يا، إسماع شو بحكي، هذا الطبيب ما في منه، هذا اشهر طبيب، هذا خلص، أعطاه دواء مرة وحدة استفدنا عليه، ينسى أن الله شفاه، يعزو الشفاء إلى الطبيب، يوكل محامي بقضية، يا رب إذا نصرتني على خصمي لأفعل كذا، وكذا، ينجح بالدعوة هذا المحامي يده طائلة وفايت بالقضاة للباط بقلك، هذا كلام، الله يلي نجاك.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾

يعني في خمسة أشياء، لا أذكرها الآن كلها، البغي يعود على صاحبه وهي آية.

﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾

والمكر يعود على صاحبه.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾

(سورة إبراهيم: 46)

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾

(سورة الأنفال: 30)

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (123)﴾

(سورة الأنعام: 123)

هي الآية الثانية.

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾

(سورة الفتح ك 10)

هي الثالثة.

هن خمس، خمس آيات حصراً، أن من كن فيه كن عليه.

﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23)﴾

المشكلة: أن كل الدنيا تنتهي بالموت، إذاً ليست عطاءً، الموت ينهي غنى الغني، وفقر الفقير، وقوة القوي، وضعف الضعيف، وصحة الصحيح ومرض المريض، ينهي وسامة الوسيم، ودمامة الذميم، كل شي ينتهي بالموت إذاً.

﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(سورة يونس: 23)

شيء عارض طارق.

﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23)﴾

(سورة يونس: 23)

هذا الإنسان العادي.

المؤمن: المؤمن في الرخاء هو شاكر، هو بالقوة متواضع هو بالعلم يقول أنا لا أعلم، الله يعلم، أنا طالب علم، هو بالغنى يقول الله هو الغني.

سئل رجل لمن هذا القطيع من الإبل قال: هو لله في يدي الإنسان مستخلف في المال، المال مال الله، والدليل.

﴿وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ﴾

(سورة النور 33)

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾

(سورة الحديد: 7)

أنت مالك مالك المال، تملك حق الانتفاع به وسوف تحاسب.

فالإنسان المؤمن، وهو غني متواضع، وهو قوي متواضع وهو صحيح متواضع.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام، كانت تعظم عنده النعمة مهما دقة، الإنسان شرب كأس ماء، هذا لو كان الطريق غير سالك، لو صار الطريق مسدود، بحس بآلام لا تحتمل، بمشي، في ناس ما يمشوا، مقعدين، يرى، في ناس لا يرون.

فالمؤمن وهو متمتع بالنعم، يشكر الله عليها، حينما تأتي المصيبة يصبر يرى أنها من فعل الله، وأن الله هو العادل، والرحيم والحكيم، والعليم.

فالمؤمن عكس الكافر، في الرخاء شكور، في البلاء صبور في الرخاء متواضع، في البلاء متواضع، ما في عنده تجبر، فالله يرزقنا الحال الثاني حالة المؤمن الذي لا ينسى، والنبي الكريم يقول: أغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، و حياتك قبل موتك.

أغتنم ! الآن القلب عما ينبض، ما له مشكلة، اعمل أعمال صالحة، صلي صلاة متقنة، اطلب العلم، ابذل من مالك، لأنه قد يأتي يوم لا تستطيع، قد يأتي يوم ليس معك ما تنفق، فأغتنم خمس قبل خمس. والحديث الذي يعد قاسمة الظهر، أن الإنسان لو أراد الدنيا وأصر عليها، وأعرض عن الآخرة، ماذا ينتظر من الدنيا ؟ قال سبع أشياء:

((بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكما من الدنيا ؟ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، قد يأتي فقر مفاجئ، أيام قرار تروح الأملاك كلها، أو كساد إفلاسات، إذا كان في عليك مسؤوليات ما في بيع، والبضاعة كاسدة، تطر تبيع ما نباع معك بتفلس، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غناً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، فشر غائبٍ منتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر.))

أيها الأخوة: هذا النموذج الله ذكره، حتى نتجنبه، الإنسان لا يعتد بالرخاء، لا يعتد بالصحة، كل شيء زائل.

ملك سئل وزيره ؟ قال له قل لي كلمةً، إن كنت حزيناً أفرح، وإن كنت فرحاً أحزن، قال له: كل حالٍ يزول.

ما في شيء دائم، وقف بسوق الحميدية، شوف هل الدكاكين على الصفين هلق في طقم، أصحاب المحلات طقم غير طقم قبل خمسين سنة، وغير قبل مائة سنة، طقم وراء طقم، يكبر بموت بيعوا المحل، يجي واحد ثاني، والبيوت نفس الشي، والمزارع كذلك، كل شيء موقت، أنت مستخلف:

﴿جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾

(سورة الأنعام: 165)

فهذا النموذج يجب أن نحذر أن نكون منه، بالرخاء يعتد، قوي متجبر بالشدة بصير مثل الطفل، لا، أنت بطولتك أن تكون بالرخاء تكون متواضع، عرفان حجمك، عبد لله، ضمن منهج الله، حتى إذا جاءت الشدة تتقبلها، وأغلب الظن الله عز وجل يحميك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-8) : تفسير الآية 26 ،القانون الإلهي مفتاح السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين :

أيها الأخوة الكرام؛ من أدق الآيات القرآنية، تلك التي تأخذ طابع القانون، هذه الآيات التي تأخذ طابع القانون، سميت في بعض آيات القرآن الكريم كلمات الله.

﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾

[سورة الكهف الآية: 32]

عني هناك سنن، هناك قوانين، هذه السنن، وتلك القوانين، من اكتشفها وعرفها، وعمل بها، سعد في الدنيا والآخرة...

هي مفتاح السعادة، مفتاح النجاح، مفتاح التوفيق، مفتاح الفلاح، مفتاح الفوز ، مفتاح التفوق.

في عنا آية في القرآن الكريم، من هذا القبيل، في سورة يونس، يعني مثلاً قبل أن نصل إليها، هل هناك في القرآن الكريم قانون التيسير والتعسير، ما من شيء أمتع للإنسان، وأسعد لقلبه، من أن تيسر أموره، وما من شيء أدعى لغضبه، وخروجه من جلده، من أن تعسر أموره، يا ترى هذا التعسير وهذا التيسير ألهما قانون ؟

لهما قانون .



قال تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾

[سورة الليل الآيات: 5-7]

أموره كلها ميسرة، في زواجه، في تجارته، في بيعه، في شرائه، في سفره، في إقامته، في حله، في ترحاله، في إنجابه لأولاده، في تربية أولاده.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

صدق بهذا القرآن، واستقام على منهج الله، وأعطى ممن أعطاه الله، ثلاث أسباب تؤدي للتيسير.

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

[سورة الليل الآيات: 8-10]

أموره معسره، مخنوقة، مسطومة، مسكرة، ما في ضوء، كل الطرق مغلقة بالتعبير العامي نضربها يمين تجي شمال، ما في توفيق، في تعسير.

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

هي قانون ، هي آية مهمة جداً هذا قانون التيسير والتعسير.

الإنسان أيها الأخوة : كلما ارتقى الإنسان تصلح كرامته وعزته أغلى شيء عليه، العرب كانوا يقولون: المنية ولا الدنيا، وإنسان يذلك، يهينك، يحطملك، مبادئك، يسخر منك، يلطخك بالوحل وأنت ساكت.

القانون الإلهي مفتاح السعادة :

العزة والكرامة ، ما قانونهما ؟ الآن في عنا آية قانون .

يقول الله عز وجل : في الآية السادسة والعشرين ، من سورة يونس .

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾

الحسنى ؟ الجنة ، والزيادة ؟ النظر إلى وجه الله الكريم.

﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[سورة يونس الآيات: 26-27]

معناها إذا أحسنت ، تشعر بالعزة ، وإذا أسأت لا سمح الله تشعر بالذلة .

أنت انظر إلى هؤلاء الذين يخرجون عن مبادئ الحق والخير حينما يلقى القبض عليهم ، انظر إلى وجوههم

﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾

إذا كشف أنك غششت بضاعة يرهق الوجه ذلة، إذا اكتشف أنك كذبت ، يرهق الوجه ذلة ، فالذلة أساسها الإساءة ، والعزة أساسها الإحسان المحسن ، أما الإحسان

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾

طيب وين المفعول به ، أحسن بماذا ، في عنا قاعدة باللغة ، إذا حذف المفعول أطلق الفعل ، يعني أحسنوا في كل شيء ، أتقن صنعته ، أحسن، أتقن كلامه ، أحسن بكلامه ، ما تكلم كلام منحرف ، أحسن اختيار زوجته أحسن ، أحسن تربية أولاده ، أحسن علاقته مع جيرانه ، أحسن علاقته مع إخوانه أحسن علاقته مع أولاده ، أحسن

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾

علاقاته كلها أساسها الإحسان ، الانضباط والإحسان ، الاستقامة ، إعطاء كل ذي حق حقه فإذا أردت أن ترفع رأسك ، إذا أردت أن تتمتع بمكانة لا يستطيع إنسان كائن من كان أن ينالك بالأذى ، أو أن يغض من مكانتك فأحسن ، أتقن عملك ، اصدق بالبيع والشراء ، لا تكذب أبداً لا تغيير صفات البضاعة ، تكلم كلام مختصر مفيد بالبيع والشراء ، هذه البضائع منشئها كذا ، صفاتها كذا ، عيبوها كذا ، سعرها كذا ، هذا الحاضر تحب أهلا وسهلاً ما تحب مع السلامة ، هذا بيع راقي بيع إسلامي، ما بسترجي زبون يحكي عليك، لكن إذا في تدليس ، في كذب ، في إيهام ، في إخفاء عيب ، ثم كشف هذا ، يحكي عليك شهر شهرين ثلاثة، ليملوا الناس من هذه القصة، فإذا أردت العزة ، إذا أردت التيسير

﴿ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

إن أردت التعسير

﴿ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾

إن أردت العزة أحسن ، إن أردت الذل أسئ ، فالإساءة تؤدي إلى الذل، الإحسان يؤدي إلى العز.

لو فرضنا واحد ، يعني سحب من الدعامات قضبان الحديد حتى يبيعها ، وضع بدل سبع أكياس خمس أكياس ، البناء مال ، أول شيء ، يلقى القبض على المتعهد ، يساق ذليل ، لأنه أساء ، أما لو أعطى كل شيء حقه ، والبناء قائم ، ومتماسك ، ومتين ، ما أحد يستطيع أن يناله بأذى ، شوف السجون أكثرها ، قصر العدل كلها إساءات ، إساءة من الزوجة أو من الزوج ، من الشريك أو من شريكه ، أي مخالفة تعمل الإنسان ذليل ، فأنت لا تستطيع أن تكون عزيزاً إلا باستقامتك وإحسانك ، أما إذا خرجت عن منهج الله ، وخرجت عن مبدأ الإحسان ، بتلاقي ، تسمع كلام بمنتهى القسوة ، وينبغي أن تسكت ، لأن الكلام محق .

الآيات مرة ثانية:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾



لا ، الحسنى الجنة ، أحسنوا مطلق الفعل ، أحسنوا ، طيب بماذا ؟ أن أحسنت الكلام أحسنت التجارة ، أحسنت الاختيار ، أحسنت التصدق ، للذين أحسنوا مطلق ، والمطلق في القرآن على إطلاقه ، والمطلق يفيد العموم، علاقتك مع أبنك أساسها الإحسان ، مع زوجتك الإحسان ، في بيتك الإحسان ، مع الجيران الإحسان

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾

لو واحد أساء لجاره، وجاره سفيه طلع سبه ، طيب ليش سبه، لأنه أساء لو ما أساء ما كان بسبه، هذا قانون، الحسنى الجنة، هي الحسنى المطلقة، وزيادة النظر إلى وجه الله الكريم.

﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾

لا قتر ، لا قلق، ولا خوف ، ولا ذلة.

﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

بالمقابل ، والذين كسبوا السيئات ، شيء يسيئ ، أساء المعاملة، أساء البيع، أساء الوصف، قال لك هذه البضاعة أصليه وهي غير أصليه ، قال لك هذه مصدرها بريطانية ، وهي تايون ، أساء الوصف أساء ، دلس ، كذب ، غش ، قلل الكمية ، لعب بالسعر ، لعب بالوزن لعب بالمساحة بالكيل ، بالعدد.

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾



في عنا قانونين، قانون التيسير والتعسير، وقانون الذل والعز، العزة والذلة ، أساسه الإحسان والإساءة ، كل ما بحثت عن قانون بالقرآن تمسك به ، وسجل عندك و حفظه ، لأن هذه قوانين ربنا قوانين خالق الكون ، فإذا أخذت بها ، قطفت الثمار يانعة جيدة ، قبل منها .

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾

[سورة يونس الآية: 24]

شوف هذا الوصف كل شيء تزين، كل شيء ديكور، أناقة ما بعدها أناقة، يعني إذا البيت ما كان مرتب، جبصين ثريات، سجاد ، تدفئه مركزية ، المحلات التجارية ، شيء يأخذ بالعقول ، فنادق ، حتى الحدائق ، الطرقات ، يعني التزين أساس الحياة ، من شدة حب الناس بالدنيا ، جعلوا التزين أساس حياتهم.

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾

شوف شرك ، وصف دقيق لربنا إلى آخر الزمان ، حبٌ للدنيا ما بعده حب ، وشركٌ ما بعده شرك، شرك وحب للدنيا.

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا ﴾

قيام الساعة.

﴿ لَيْلاً أَوْ نَهَاراً ﴾

ساعة شاملة ، على قوم ليلاً وعلى قوم نهاراً.

﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً ﴾

هون كان بلده أسمه باريس ، هون كانت ، هي آثار باريس ، هون كان في بلده أسمها نيويورك مثلاً.

﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

يعني الله يدعوك إلى الجنة، دار السلام، لا في قلق ولا في حزن، ولا في خوف، ولا موت، ولا في مرض، ولا في مشاحنة، ولا في خصومة.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

لهذه الدار.

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-8) : تفسير الآية 39 ، التكذيب من دون علم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد:

في سورة يونس آية كريمة هي التاسعة والثلاثون وهي قوله تعالى:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39)﴾

باللغة كلمة لم... تفيد نفي الماضي.

وكلمة لما... تفيد نفي الحاضر.

وكلمة لن... تفيد نفي المستقبل.

فقد تقول لن أفعل هذا ! يعني في المستقبل، ولم أفعله ! في الماضي، ولما أفعله ! يعني حتى الآن لم أفعله، الآن لم أفعله، لكن احتمال أن أفعله قائم.

أوضح من ذلك، مدرس لم يحضر، الدرس مضى ولم يحضر نقول لن يحضر، أتصل هاتفياً أعتذر عن الدرس قبل أن يأتي، نقول لن يحضر ! لا أتصل ولا أعتذر، مضى خمس دقائق، عشر دقائق سؤلنا أين المدرس ؟ قلنا لما يحضر ! للآن ما أجى، ممكن يأتي. طيب كلمة لما دقيقة جداً، ربما فهمت الآية من لما.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

يعني الله وعد المرابي بالدمار بس الآن غني وقوي وأمواله عما تتضاعف ! وعد الزاني بالفقر وعما يزداد مال الزاني ! وعد المنحرف بالعقاب، ما تعاقب ! ليس معنى هذا بأنه لن يعاقب، إلى الآن لم يعاقب، لكن احتمال عقابه قائم بكل لحظة.

الإنسان متى يكذب بالنص ؟

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾

أنت مختص بالفيزياء، أعطينك حقيقة بالفيزياء، بحسب علمك تقول صح أو غلط، إما أن تقبلها بعلمك أو أن ترفضها، فالتكذيب هنا بعلم والتصديق بعلم، لا تعلم ما إن كان صحيح أو غلط، بتجربها التجربة تؤكد ذلك، لا تعلم ولا تجرب، كيف تكذب ! لا تعلم ولا تجرب، كيف تكذب ! معناها التكذيب من دون علم جريمة،

والتكذيب من دون تجربه جريمة، فربنا عز وجل كأنه يريد، إما أن تعلموا أو أن تنتظروا وقوع تأويل هذا القرآن.

يعني الله عز وجل وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات بحياة طيبة، قال:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

(سورة النحل: 97)

ما تأويل هذه الآية، قد يظن بعضكم بأنه التفسير، لا ! التأويل: الحياة الطيبة التي يحياها المؤمن هي تأويل هذه الآية.

وعد المعرض بمعيشة ضنك، متاعب وقلق وهموم وخوف إلى آخره، ما تأويل هذه الآية ؟

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾

(سورة طه: 124)

المعيشة الضنك هي تأويل هذه الآية.

طيب:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2)﴾

(سورة الطلاق: 2)

ما تأويل هذه الآية ؟ إذا الإنسان اتقى الله عز وجل، قد تكون الأمور كلها مغلقة لكن ثم تفتح، هذا الفتح، وهذا التوفيق لخلاص من أزمة هو المخرج، هو تأويل هذه الآية.

فأيها الأخوة الكرام: ضعوا في أذهانكم أن التأويل، تحقق الوعد والوعيد فالإنسان ما له حق يكذب قبل أن ينتظر النتائج، الله قال:

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36)﴾

(سورة النحل: 36)

فالإنسان ما له حق يكذب بالكتاب، قبل أن يحيط علماً به وقبل أن ينتظر تأويله.

إذاً هذا الذي يتسرع، أخي نحن شو عاملين، هكذا عما يصير فينا مثلاً، في آيات تؤكد ذلك، ليش الأجانب أخي أغنياء، وأقوياء وما عندهم مشكلة، ما قرؤوا القرآن معناها، الله قال:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾

(سورة الأنعام: 44)

إذاً التأويل تحقق الوعد والوعيد.

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (81)﴾

(سورة الإسراء: 81)

أخي في باطل، ألم ترى كيف أن الله أزهقه بعد سبعين عام.

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (81)﴾

طبعاً زهوق هذأ الباطل تأويل الآية.

فإذا الإنسان في عنده إدراك عميق ما من آية، إلا والحياة والزمن والأحداث تأكدها، الآية الكريمة:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾

(سورة البقرة: 276)

هو بالحساب بالعكس، إذا كان تصدقت نقص مالك، إذا كان أقرضت قرض ربوي، فائدة مركبة زاد مالك الآية بالعكس.

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾

طيب جرب تصدق وشوف، كيف أن الله عز وجل من حيث لا تحتسب، يأتيك الرزق الحلال الطيب، اعمل قرض ربوي وشوف، يدمر الإنسان ضربة وراء ضربة، وراء ضربة، فالضربات الساحقة، الماحقة للمال عقب أكل الربا، تأويل الآية، والتوفيقات غير المتوقعة لنماء المال عقب الصدقات، تأويل الآية، فخلي ببالك التأويل هو تحقق الوعد والوعيد، وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعده أو وعيده.

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾

(سورة القصص: 83)

الأمور تدور، تدور تدور، لا تستقر إلا على إكرام المؤمن ومحق الكافر.

تاريخ الصحابة، سيدنا الصديق أين هو الآن ؟ ذكره، سمعته مكانته مصيره، وأبو لهب، وأبو جهل.

فالتأويل أيها الأخوة: تحقق الوعد والوعيد، الإنسان ما له حق يكذب بالكتاب قبل أن يحيط علماً به، الآية مالك قارئها، أو ما عندك علم بهذا الموضوع.

لو فرضنا واحد فلكي، وقرأ آية كونية.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)﴾

(سورة الواقعة: 75 ـ 76)

إذا يعرف أنه بين بعض المجرات أربع وعشرين ألف مليون سنة ضوئية، شو هل الرقم هذا، المجرات أربع وعشرين ألف مليون سنة ضوئية، شو معنى سنة ضوئية ؟ يعني الضوء يقطع بالثانية الوحدة ثلاث مائة ألف كيلو متر، بالدقيقة ضرب ستين، بالساعة ضرب ستين باليوم ضرب أربع وعشرين، بالسنة ضرب ثلاث مائة وخمس وستون، تضرب ثلاث مائة ألف، بستين، بستين، بأربع وعشرين، بثلاث مائة وخمس وستون هذا ما يقطعه الضوء في ثانية واحدة، تضربه بأربع وعشرين ألف مليون.

الله قال:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)﴾

عالم الفلك يقرأ الآية بدوب، يخشع.

عالم الفيزياء يقرأ الآيات المتعلقة بالماء يخشع.

عالم الرياضيات يخشع، عالم الطبيعة يخشع.

عالم مثلاً قال لك:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً﴾

(سورة يس: 80)

والله هذه الآية ما كنت أفهمها بحياتي، شجر أخضر ما بصير نار، بكون يابس، لو قال اليابس بتضبط، أما الأخضر، كلمة أخضر، يعني هذا النبات العملاق، لولا هذه الورقة الخضراء لما كان المعمل بالورقة المعمل، هي الأخضر وصف سببه، لولا الورقة الخضراء، يلي فيها يخضور فيها فتانات، وفيها فلزات حديد، وفيها 18 معدن مذاب بالماء، وفيها آزوت، وفيها طاقة شمسية، وهذه الورقة معمل يعد أعقد معمل موجود بالكون، وأعظم معمل صنعه الإنسان يبدو تافهاً أمامها.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ﴾

لولا هذه الورقة الخضراء، لما كان هذا شجراً، ناراً، كيف نار ؟ هذا البترول أساسه غابات عملاقة، طمرت تحت الأرض، فكانت هذا البترول.

﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80)﴾

لذلك العالم بقدر الآيات، عالم الطبيعة، عالم الجيولوجيا، عالم الفيزياء عالم الكيمياء، عالم الرياضيات، عالم الفلك، عالم الجغرافية.

الله عز وجل قال:

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾

(سورة الروم: 2 . 3)

اسأل عالم جغرافية، أخفض نقطة باليابسة، هي غور فلسطين أخفض نقطة باليابسة، أخفض نقطة بالبحر، بالمحيط الهادي، بخليج مريانا، أثنى عشر ألف متر، أما أخفض نقطة باليابسة، هي غور فلسطين، والمعركة تمت بغور فلسطين، وما كان معروف أن هذه المنطقة أنها أخفض نقطة، كلام خالق الكون:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

إذا أنت، إما أن تعلم أو أن يأتي التأويل الواقع يؤكد القرآن الكريم، لا انتظرت التأويل، ومالك علم بالكتاب كيف عما تكذب؟

واحد جاءته رسالة، ممكن وهي بالظرف يشقها، اقرأها وشوف شو فيها أحمق بكون، افتح الظرف واقرأ الرسالة، ما عجبتك شقها وحطها بالزبالة، لكن قبل أن تقرأها تمزقها، أحمق هذا، بدو قصير هذا.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

ينبغي أن تتحقق، وأن تنتظر التأويل، حتى تخشع وترى أن القرآن كلام الله لا يؤكد أن هذا القرآن كلام الله، إلا أنك تعلم، الله ماذا قال:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

(سورة فاطر: 28)

العالم وحده هو الذي يخشع، واثقون على أن النوية بالنطفة خمسة آلاف مليون معلومة عرفوا منها حتى الآن ثمانمائة ألف، بالهندسة الوراثية، على النوية بالنطفة، الخلية الحيوية لها غلاف، لها هيولا، لها نواة، ضمن النواة في نوية، وعلى هذه النوية خمسة آلاف مليون معلومة مبرمجة زمنياً تسهم في تشكيل الإنسان، لو سألت عالم هندسة وراثية وعرفوا حتى الآن ثمانمائة منهم، من خمسة آلاف مليون، لو قرأ الآية.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35)﴾

(سورة الطور: 35)

يخشع، الإنسان بإلقاء الزوجي، يطلع منه ثلاث مائة ألف حوين حوين واحد يلقح البويضة، واحد، وعلى البويضة في ثلاث وعشرون كروموزون، وعلى الحوين ثلاث وعشرون كروموزون، مجموعهم ست وأربعين.

فإما أن تعلم فتخشع، وإما أن ترى النتائج فتخشع، لا هي ولا هي وتكذب غير معقول هذا الكلام، الآية دقيقة جداً، إما أن تعلم وإما أن ترى التطبيقات، لا انتظرت التطبيق، لا شاف مصير المرابي ولا مصير المتصدق ولا مصير الزاني، ولا مصير القاتل، ولا مصير المؤمن، ما شاف المصير ولا أراد أن يعلم حتى يقدر الكتاب.

هذه الآية أيها الأخوة: هي التاسعة والثلاثين.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

التأويل، تحقق الوعد والوعيد.

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39)﴾

في عندنا ثلاث مبادئ، الخلق يدل عليه، والقرآن يدل عليه والأفعال تدل عليه، أن تعرف الله من كلامه، ومن أفعاله الحوادث ومن خلقه الكون الكون.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة البقرة: 164)

والحوادث.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11)﴾

(سورة الأنعام: 11)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-8) : تفسير الآيتان 57-58 ، ما الذي يفرحك ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية السابعة والخمسون، من سورة يونس، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)﴾

موعظة، وشفاء، وهدى، ورحمة، الله عز وجل وصف هذه الرسالة التي أنزلها على النبي صلى الله عليه وسلم بأنها موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى لعقل الإنسان، ورحمة لنفسه.

موطن الشاهد:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)﴾

هذا مقياس دقيق جداً، اسأل نفسك دائماً ماالذي يفرحك ؟ ماالذي يدخل على قلبك السرور ؟ الله عز وجل ينتظر من المؤمن أن يفرح بالهدى، أن يفرح برحمة الله، أن يفرح بموعظة بليغة أتعظ بها، أن يفرح بشفاء لما في صدره من أمراض، فإذا أتعظ بموعظةٍ وشفي صدره من كل حقدٍ، أو حسدٍ، أو كبرٍ، أو عجبٍ، أو أنانيةٍ أو انحرافٍ، أو استعلاءٍ، هي الأمراض المهلكة، الأمراض التي تودي بصاحبها إلى النار.

فالإنسان إذا أتعظ بموعظةٍ ربانية، وشفي صدره من كل مرض نفسي واستنار عقله، ثم انغمس في سعادةٍ، شوف أربع أشياء، جاءته موعظةٌ فاتعظ، وكان القرآن له شفاءً، فشفي به، واستنار عقله، ثم انغمس في رحمة الله.

الله عز وجل قال:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

بجوز إنسان يكون له أرض مهملة، يرسموا إلى جانبها شارع، يقل لك تضاعفت مائة ضعف يقل لك أنا مالي عاطي فرحتي لأحد، بقل لك عما برقص، أو أنه تمكن أن يصل إلى وكالة حصريه، بضاعة مطلوبة، وهو الوكيل حصراً، أو ممكن يشتري بيت يصير حقه أربعين مليون، كان حقه مائتين ألف بزمانه، أو أنه تزوج

امرأة غنية أخذ كل المال، مثلاً، عما أعطي نماذج من فرح الإنسان.

الله عز وجل يقول:

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

يمكن يجيك ابن يصير وزير، ابن بصير أكبر طبيب قلب بالقطر، هذا ابني بتقول، فرحان فيه، فرحان بابنك فرحان بابنتك، فرحان بصهرك، فرحان ببيتك الواسع، فرحان بتجارتك العريضة، بس ربنا عز وجل في هذه الآية ينتظر من عبده المؤمن، لا أن يفرح بالدنيا لأنها منقطعة، لأنها زائلة لأنها تنتهي بالموت، لأن الموت ينهيها، ينتظر من عبده المؤمن أن يفرح بالآخرة، يفرح أن يتعظ، أن يشفى من كل مرض، أن يستنير عقله، أن يرحمه الله بسعادةٍ لا توصف.

قال:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

لذلك خذ القاعدة قل لي ما يفرحك أقل لك من أنت، ماالذي يفرحك ؟ أن تأخذ أم أن تعطي، أن تحسن أم أن تسيء، أن يقدر الله على يدك عملاً صالحاً أم أن يعطيك مالاً وفيراً، ماالذي يفرحك مجلس علم، أم مجالس طرب وكيف، تجلس ببيتك مع أهلك وأولادك آخذ راحتك، مزح ضحك، عما تابع برامج ما كثير بترضي الله عز وجل، لما تقعد ببيت من بيوت الله، تتعلم كتاب الله، مالذي يفرحك ؟ قل لي ماذا يفرحك، أقل لك من أنت، لكن الله ينتظر منك أن تفرح بفضله، أن تفرح بعملٍ صالح أن تفرح بفهمك لكتاب الله، أن تفرح بخدمة الخلق، أن تفرح أن توفق لهداية الناس، الله ينتظر منك أن تفرح بعمل، شوف، يعود عليك خيره بالآخرة، في أعمال في الدنيا ضخمة، لكن كل خيرها يعود بالدنيا، شايف هالمستشفى كلها إلي، خير إن شاء الله، ست مائة ألف كل يوم، بس هي بالموت تنتهي هي مو لك صارت.

الله عز وجل ينتظر من عبده المؤمن، أن يفرح بعمل أن يعود خيره عليه في الآخرة لا في الدنيا، لأن الدنيا يعطيها لمن يحب ولمن لا يحب، المال أعطاه لقارون ولا يحبه، كنوز قارون لا يستطيع عصبة من الرجال أن يحملوا مفاتيحه.

﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾

(سورة القصص: 76)

هلق إذا مفتاح صندوق حديد، شو وزنه، شيئ مائة غرام وزنه بنحط فيه شيئ خمس ملايين صندوق الحديد، أما إذا كان ذهب أكثر وإذا كان دولارات كل دولار بخمسين ليرة، بنحط فيه مائة مليون دولار، شو وزن المفتاح، مائة غرام.

﴿وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾

وهو لا يحبه، أعطى سيدنا ابن عوف وهو يحبه، قال ماذا افعل: إن كنت أنفق مائة في الصباح فيأتي الله ألف في المساء، سمع أن هناك من يقول والله لتدخلنا الجنة حبواً، قال والله لدخلنها خبباً، سيدنا عثمان ألف ناقة محملة، والله لا أبالغ في مقياس اليوم، ألف شاحنة، ألف شاحنة ! أيام تركب لحلب بتلاقي مجموعة شاحنات، حسب النظام الجديد (كنفير) بتمل منهم أخي كم وحدة مائة بطلعوا، تمشي تمشي تمشي ! ما بيخلصوا، ألف ناقة محملة بالبضائع قال هي لله سيدنا عثمان رضي الله عنه، لله كلها.

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

إن فرحت ببيت هذا بيت موقت، اقرأ النعوات، وسيشيع إلى مثواه الأخير، مالك فايت لتماسي بيت يأخذ العقل، وين صاحبه ؟ باب صغير، معناه بيت موقت، مثواه الأخير، بدك الأخير، بستان بنترك، زوجة بنترك مال بنترك، مكتب بنترك.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

افرح إذا عرفت الله، افرح إذا فهمت كلام الله، افرح إذا جوارحك منضبط بالشرع، افرح إذا بتغض بصرك، افرح إذا بتصون أذنك عن الحرام، افرح إذا يدك بالخير، افرح إذا أجمل مكان عندك الجامع، افرح إذا كنت طالب علم، افرح إذا متن على شيئ من العلم إذا عقلك مستنير افرح، إذا كان عملك مستقيم افرح، إذا كان بيت مسلم افرح، لك زوجة محجبه صالحه حافظه لكتاب الله افرح، إذا عندك بنت مستورة زوجت من شاب مؤمن افرح، هي فرحة فعلاً أما إذا فرحت بالدنيا الدنيا زائلة.

لذلك ملخص درسنا اليوم: قل لي ما الذي يفرحك، أقل لك من أنت، الله عز وجل يقول:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

أفرح بهذا، يعني لو فرضنا، تقريباً: إذا أب عنده ابن بـ 17 بالبكلوريا، وكل طموحه أن يكون طبيب، قال لأبيه لعبت ثلاث دقوق طاولة بالثلاث غلبت رفيقي، شو قولك بابا، يا ترى إذا جاب مائتين وخمس وعشرين، دخل فيهن طب، أليس أفضل، يقول له أنا جبت مائتين وخمس وعشرين علامة، لما أربع دقوق غلبت فيهن بالطاولة بابا، بدو يفرح بالعلامات لأهله يكون طبيب، مثلاً يعني.

النقطة الدقيقة، قال:

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)﴾

شوف لما الإنسان يتجاوز، بتجاوز رزقه أكله مأمن، بيته مرتب بناته مرتبين، كل شيئ مرتب، ينشأ عند الأغنياء رغبه جامحة للجمع هذا أخي بيت بشتريه ثلاثمائة مليون، وهذا بمائتين، وهذا بمائة، هذا حجمه ألف، لما بتجاوز بتأمن بيت وسيارتك وأولادك ودخلك، ما عندك ولا مشكلة، بصير عنده رغبة جامحة يجمع، الله عبر عنها تعبير دقيق، ما قال مما يكسبون، مما يرزقون، لا !! مما يجمعون، في حد للمال خط أحمر، دونه بخدمتك المال، من فوق الخط الأحمر أنت بخدمته، خادم له.

لذلك ورد في الحديث القدسي:

((عبدي خلقت لك السماوات والأرض ولم أعى بخلقهن، أفعييني رغيف أسوق لك كل حين رغيف، لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضة لم أخلفك في رزقك، وعزتي وجلالي، إن لم ترضى بما قسمته لك فلا أسلطن عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد، كفيتك ما تريد، وأن لم تسلم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد))

وهو خير مما يجمعون، فالموازنه الآن، لما الإنسان يأمن بيته، سيارته أولاده، زوجته، وتجارته ماشيه، في عنده بقى شيئين، إما أن يجمع للدنيا، وإما أن يعمل للآخرة، من دخل في الأربعين، دخل في أسواق الآخرة، من بعد الأربعين، ما بيليق بالإنسان أن يعمل للدنيا، أعمل للآخرة، هذا وقت خطير، محاسب على الدقيقة، على اليوم، على الساعة.

لذلك أيها الأخوة الآية دقيقة جداً:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

موعظة.

﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى﴾

هدى لعقولكم.

﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)﴾

وين رايح، شب: قال له رفيقه وين رايح ؟ رايح يشرب على روح أبوه، يعمل سكرة على روح أبوه، فلما الإنسان بخلف مال لأولاده، ما بعلمهن، ينفقون هذا المال في معصية الله، ترفرف روحه فوق النعش تقول يا أهلي يا ولدي، لا تلعبن بكم الدنيا كم لعبت بي، جمعت المال مما حل وحرم، فأنفقته في حله وفي غير حله فالهناء لكم والتبعة علي.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-8) : تفسير الآية 61 ، مراقبة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الواحد والستون في سورة يونس وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61) ﴾

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾

الشأن الحال في أي شأن.

﴿ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾

يا محمد:

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾

أيها المؤمنين:

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾

في أي شأن أنت في بيتك، مع أهلك، في لهوك، في حزنك في بيعك في شرائك، في سرورك، في غضبك، وما تكون في شأن وما يخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم ينسحبوا على المؤمنين بالتبعية، لقوله تعالى:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

(سورة هود: 112)

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾

إنسان في بيته وحده، مع أهله، منطلق يتكلم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾

أي عمل، عمل جاد، عمل هازل، عمل حقير، عمل دنيء عمل جليل، عمل صغير، عمل كبير.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾

أيها الأخوة لمجرد أن توقن أن الله معك، ويراقبك، ولك بالمرصاد، لا بد من أن تستحي من الله عز وجل، لابد من أن تستقيم على أمره.

أيها الأخوة:

في آية بالقرآن الكريم، لعلي ذكرته لكم من قبل، من أدق الآيات:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا﴾

(سورة الطلاق: 12)

هذه اللام في اللغة لام التعليل، يعني علة خلق السماوات والأرض وما بينهما من أجل أن تعلموا، يعني أنت إذا ألغيت العلم، ألغيت وجودك، وألغيت حكمة خلق السماوات والأرض، إذا ألغيت العلم في حياتك، ألغيت وجودك، الإنسان وبقيت على وجود يهم، أنت لك وجود إنساني ولك وجود يهم أكل، أشرب، أنام، أتعب، أتستريح، هذا الصفات يشترك بها الإنسان والحيوان، هذا وجود يهمني، أما، أتعلم، أفكر، أتأمل أتعرف إلى الله، أطلب العلم، أطلب الحقيقة، هذا وجود إنساني لمجرد أن تلغي من حياتك العلم، طلب العلم، ومعرفة الله ومعرفة منهجه، ألغيت وجودك الإنساني، وعطلت حكمة خلق السماوات والأرض، شيء خطير.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا﴾

هذه اللام في اللغة لام التعليل طيب أنا دخلت الجامعة لأنال الشهادة، لام التعليل، حفرت البئر لأسقي الأرض، زرعت البزرة لأجني الثمرة، هي باللغة لام التعليل علة الوجود، هل تصدقون أيها الأخوة، أن علة وجود السماوات والأرض، من أجل أن تكون السماوات والأرض مظهراً لأسماء الله الحسنى، وصفاته الفضلة، من أجل أن نعرفه، فإذا ألغيت معرفة الله واكتفيت بالطعام والشراب، ألغيت وجودك الإنساني، وبقيت على وجود حيواني.

لذلك قال تعالى:

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (44)﴾

(سورة الفرقان: 44)

الأنعام ليسوا مكلفين، ليس عندهم حساب، ليس عندهم مسئولية، أودع الله فيهم الشهوات وسمح لهم أن ينالوا منها ما شاءوا من دون حساب، من دون تكليف.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (44)﴾

آية ثانية:

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾

(سورة الأعراف: 176)

آية ثالثة:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾

(سورة الجمعة: 5)

آية رابعة:

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾

(سورة المنافقون: 4)

أبلغ هي، جماد يعني:

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾

آية خامسة:

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (51)﴾

(سورة المدثر: 50 . 51)

آية سابعة:

أيها الأخوة:

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾

(سورة الحجر: 3)

﴿كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (12)﴾

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾

فإذا اقتصرت حياة الإنسان على المتعة والطعام والشراب، ألغى وجوده الإنساني، وهبط إلى المستوى الحيواني.

لذلك الآية:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا﴾

ماذا نعلم ؟ شيئين:

﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾

(سورة البقرة: 106)

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12)﴾

(سورة الطلاق: 12)

لمجرد أن توقن أن الله يعلم وسيحاسب استقمت على أمره، مستحيل مستحيل، أنت تستقيم مع أمر إنسان لا تحبه، إذا أيقنت أنه يعلم وسيحاسب، إنسان عادي، أي إنسان إذا كنت تاجر، استوردت بضاعة نسخة من الوثائق إلى المالية، والمالية بإمكانها أن تصادر كل المحل التجاري هل بإمكانك أن تخفي عن المالية هذه الصفقة ؟ نسخة من هذه المعاملة تذهب إلى المالية سلفاً، وستحاسب، وقادرة أن تصادر المحل كله، هل تخفي عنها شيئاً أبداً أنت مع إنسان عادي، إذا أيقنت أنه يعلم وسيحاسب تستقيم على أمره، فكيف بخالق الكون ؟ هي الآية أساسية، الله اختار من أسمائه أسمين فقط.

﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12)﴾

يعني علة خلق السماوات والأرض أن تعلم أن الله يعلم وسيحاسب، وأنت إذا أيقنت.

مرة ضربت مثل أنت راكب هذه المركبة تبعك، والإشارة حمراء والشرطي واقف، والسيارة واقفة وميتورات واقفين، وأنت مواطن عادي، هل يمكن أن تسير على الحمراء ؟ والشرطي واقف، والنقيب واقف، وكلهم واقفين وممنوع السير، لا، مستحيل أنت عامل الله عز وجل، كما تعامل إنسان قوي كيف مع القوي تطيع أمره وتخاف من عقابه.

أيها الأخوة:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾

لذلك: أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان، إذا علمت أن الله معك حيث كنت، لابد من أن تستقيم على أمره.

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾

لو أنقذت نملةً وأنت تتوضأ، نملة أنقذت، لو أنقذت هذه النملة لو نزعت قشةً من المسجد، ما هذا العمل ؟ ماذا فعلت ؟ لقيت قشة صغيرة طولها سانتي وضعتها في جيبك، يعني تقرباً إلى الله عز وجل هذا العمل فما فوقه ؟ لا يعزب عند ربك، ولا يعزب.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61)﴾

كله مسجل.

في بعض الدول الغربية، الساعة الثالثة بالليل ما في أحد الإشارة حمراء يأتي إنسان من بلاد بعيدة عن النظام الدقيق، ما في حدى بيمشي، بعد يومين يأتيه مخالفة، بخمسين مارك، أنا ما كنت بهذا المكان ! يعطونه الصورة، تفضل في أجهزة تلتقط المخالفين بتشوف السيارة مع رقمها، يسكت.

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾

ويوم القيامة صدقوني، تعرض أعمال الإنسان على صاحبها، عملاً، عملاً عرض صورة، كاملة، هكذا فعلت، فإذا الإنسان أيقن، أن عمله مسجل أن أقواله مسجلة.

إذا واحد حققوا معه، يمكن الكلمة يحسبها خمس ساعات، هي لا ما راح أحكي هيك، إذا أنت مع إنسان، شعرت أن كل كلامك سوف تحاسب عنه، تراقب كلامك، مراقبة تامة.

أيها الأخوة الكرام، إذا أيقنا، أن الله معنا، فهذه من أعلى درجات الإيمان هذا العلماء سموه حال المراقبة، أن تشعر أنك مراقب من قبل الله عز وجل، بكل أحوالك، وما تكون في شأن، يعني حتى الإنسان أحياناً، في اللذائذ المباحة التي أباحها الله عز وجل له، لا ينسى أن الله أكرمه، وأن الله تفضل عليه، وأن الله سبحانه وتعالى سخر له هذا العطاء من أجل إنجاب الأولاد، ومن أجل تربيتهم يعني حتى في الساعات التي قد يغيب معظم الناس عن ربهم، هناك من لا يغيب عن رب، يشعر أنه مراقب، هو الله يراقبه، فالإنسان كلما أدرك عظم هذه المراقبة، تطامن، وتأدب، لهذا أعلى إنسان تأدب الأدب العالي هو النبي عليه الصلاة والسلام، لماذا ؟ لأنه يشعر أن الله معه دائماً.

النبي الكريم قال مرة:

((أنه أستحي من الله كما تستحي من رجل من علية قومك.))

واحد منا له أقرباء، أيام بكون في عميد الأسرة، يعني شخص كبير في السن راقي علم على أخلاق، لو أن هذا الإنسان زارك، هل تستقبله بالقميص الداخلي، مستحيل، هل تستقبله وأنت منفوش الشعر مستحيل، كيف بتعامل إنسان راقي بأسرتك ؟ الأولى بك أن تتأدب مع الله، كما تتأدب مع رجل من علية القوم.

أيها الأخوة الكرام: هي الآية أساسية، أن تشعر أن الله معك إذا وصلت أن الله معك، ويراقبك، وسيحاسبك، استقمت على أمره وإن استقمت على أمره نلت خيري الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-8) : تفسير الآيات 88-92 ، خيار الإنسان والإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد:

فمن قصة سيدنا موسى مع فرعون، التي وردت في سورة يونس عليه السلام، فقرة مهمة جداً، هذه الفقرة، تؤكد أن خيار الإنسان مع الإيمان ليس خيار قبول أو رفض، بل هو خيار وقت خيار الإنسان مع الإيمان ليس خيار قبول أو رفض، كيف ؟.

يعرض عليك محل تجاري، كي تشتريه، لك أن تشتريه ولك أن لا تشتريه، خيارك معه، خيار قبول أو رفض، تخطب فتاة تنظر إليها كم أمر الشرع، ثم تتخذ قراراً، إما أن تُقدم، وإما أن تُحجم، فخيارك مع هذه الفتاة في الزواج منها، خيار قبول أو رفض لكن الإنسان لو أن له ابناً، خياره مع ابنه خيار قبول أو رفض، لا صبر أو عدم صبر، ابنه ، قدره، لا يستطيع أن يتبرء منه، ولا أن يلقيه خارج البيت، فخياره مع ابنه ليس خيار قبول أو رفضاً خيار صبر أو ضجر.

قدمت هذه الأمثل، لأصل أن أخطر فكرة في هذه القصة، أن خيار الإنسان مع الإيمان، ليس خيار قبول ولا رفضاً، لكنه خيار وقت فقط.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89)﴾

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آَيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)﴾

أذكركم بقوله تعالى:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197)﴾

(سورة آل عمران: 196 . 197)

ضعاف العقول ضيقوا الأفق هم الذين يأخذون بمظاهر العظمة والبذخ والرفاه والسيطرة والقوة وما إلى ذلك.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197)﴾

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)﴾

(سورة إبراهيم: 42)

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88)﴾

بالمناسبة: الإنسان كلما ارتقى يخاف بعقله، وكلما تدنى يخاف بعينه، العوام إلى أن يصاب أبنه بالمرض يتألمون، لكن المثقفين ثقافة صحية، يحتاطون قبل أن يأتي المرض، من تعقيم، من نظافة بأخذ الحيطة، بالتلقيح، دائماً الراقي يخاف بعقله، والإنسان القرب للتفكير المحدود يخافه بعينه، فربنا عز وجل يصف هؤلاء الكفار بأنهم محددون، قال:

﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88)﴾

يعني حتى يواجه المشكلة بقلك والله صح إلى أن يدمر المال بقلك والله الربا حرام، صح الله دمر لي مالي، في آيات، في أحاديث، في قصص، أتعظ قبل أن ترى المصيبة، حتى تخون زوجته بقلك الاختلاط حرام، ما كنت عرفان الاختلاط حرام، اختلاط، اختلاط، رفقاته دخلوا عليه، أخي ما في مانع أنا سبور، أنا منفتح زوجتي واثق منها، إلى أن يواجه الخيانة بقلك والله معه حق فلان ينهى عن الاختلاط، دائماً الإنسان الضعيف الفكر بخاف بعيونه، إلى أن يواجه المشكلة، والراقي يخاف بعقله.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89)﴾

يقول بعض المفسرين: أن بين أن الله سبحانه وتعالى قال لسيدنا موسى، أجيبت دعوتكما، وبين أن غرق فرعون أربعون عام، فالإنسان لا يلج دائماً، وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك، يعني يا محمد وأنت حبيباً إما أن ترى وعيدنا بالكفار وإما أن لا ترى، أنت عليك أن تكون على منهج الله، ويجب أن تكون واثقاً من كلام الله.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾

أذكركم ماذا قال سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام في الطائف لما ضربوا هل قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم، قال:

((اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون، لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده))

شو معنى سيد الأنبياء، ماذا قال أصحاب موسى لموسى:

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24)﴾

(سورة المائدة: 24)

ماذا قال أصحاب النبي: **والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجلاً واحد، إنا لصبرن في الحرب صدقاً عند اللقاء، فلعلى الله يريك منا ما تقره به عينك، يا رسول الله صل حبال من شئت واقطع حبال من شئت، وسالم من شئت، وعادي من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، الذي بعثك بالحق، للذي تأخذوا من أموالنا احب إلينا مما تدع لنا،** هكذا أصحاب النبي.

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24)﴾

شو معنى النبي سيد الأنبياء وأصحابه سادة الصحابة.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)﴾

خيار فرعون مع الإيمان خيار قبول أو رفض، لا ! خيار وقت، في النهاية آمن، واسلم، لكن بعد فوات الأوان، كما لو يعرف الطالب وجوب السؤال، بعد ما قدم الورقة بيضاء وأخذ صفر، طلع فتح الكتاب عرف الجواب، هذه معرفة جاءت متأخرة.

فيا أخوان الكرام، فرعون قال:

﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)﴾

(سورة النازعات: 24)

فرعون أكثر الكفار ومع ذلك قال:

﴿آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)﴾

فإذاً نحنا خيارنا مع الإيمان ما هو خيار قبول أو رفض، خيار وقت فقط.

يعني ملخص الكلام، إما أن تؤمن قبل فوات الأوان، أو أنه لا بد من أن تؤمن بعد فوات الأوان، إما أن تؤمن وفي العمر بحبوحة تصلي وتصوم وتنفق من مالك تطلب العلم تأمر بالمعروف، تنهى عن المنكر، وإما أن تعرف الحقيقة على فراش الموت:

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)﴾

(سورة ق: 22)

هي قدرة خطير جداً يعني ليست على كيفك القضية، أن لم تؤمن الآن، لابد من أن تؤمن ولكن الإيمان الذي يكون عند الموت حصرت على صاحبها.

لذلك ربنا عز وجل يقول:

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83)﴾

(سورة الزخرف: 83)

ساعة خطيرة جداً، والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت أعقل ولا أرشد ولا أحكم ولا أعظم ممن يعدوا لهذه الساعة الحرجة التي لابد منها، عنده خمس ست أولاد واحد راح على المقبرة يشتري قبر، واحد راح لعند قراء القرآن الكريم واحد راح على المطبعة، عما يكتبوا الإعلان كيف تصميمه، هذه الساعة الحرجة، والأهل بعضهم فرحان إذا كان الأب بخيل، خلصنا بقلك طلعت روحنا، وبعضهم حزنان إذا كان الأب كريم، بس إذا حزنوا أو فرحوا ما بيصير شي، هي اللحظة الحرجة لحظة لقاء الله عز وجل، فالإنسان العاقل يعد لهذه اللحظة، كثير في أشخاص طغوا وبغوا، عند هذه اللحظة، يعني انهاروا، وهلكوا، وشعروا بتفاهة حياتهم.

لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((اغتنم خمس قبل خمس))

شبابك . إذا واحد ما في شي فكره فاضي، إذا في معه مشكلة بجسمه كبيرة خلص فات بدوامة التحاليل والأطباء والتصوير والأدوية، دخل بمتاهة القلق على صحته، الإنسان ما عند مشكلة، صحته وقته شبابه.

((أغتنم خمس قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك.))

يقول عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غناً مطغياً))

دققوا والله ولا أبالغ، إن من أكبر المصائب، أن يحملك الغنى على معصية الله، هذا هو الغنى المطغي.

((هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غناً مطغياً، أو مرضاً مفسداً أو هرما مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائباً ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر.))

ولكن أبشركم، بأن الموت بالنسبة للمؤمن تحفته، وعرسه يمكن بكل حياته لا تمر علية لحظة يسعد بها أشد من لحظة لقائه مع الله، كل هذا التعب لهذه الساعة، تصور طالب، ما ينام الليل دراسة تسعة أشهر ليلاً ونهاراً، قرع جرس الامتحان، والسؤال متوقعه، وفهمانه، وعنده تعليقات جيدة، وقارئ مراجع أوسع، وقلمه سيال ولغته قوية، يرقص قلبه رقص، إذا قرع جرس الامتحان ودخل إلى قاعة الامتحان، وهو مستعد، ويكتب وينطلق، هكذا سئل أحد العلماء، قال له كيف القدوم على الله، قال له أما المؤمن مثل الغائب عاد إلى أهله، ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾

(سورة الزخرف: 32)

﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾

وين رايح أنت.

﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158)﴾

(سورة آل عمران: 158)

﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158)﴾

يعني إذا واحد هيك ألقينا القبض عليه، وسقنا إلى عند والدته شوفي عند والدته في كل إكرام وكل محبة، وكل دلال.

لذلك أيها الأخوة محور الجلسة، هذه الكلمة، خيارنا مع الإيمان، ليس خيار قبولٍ أو رفضٍ، بل هو خيار وقت فقط، إما أن تؤمن قبل فوات الأوان، وإما أن تؤمن بعد فوات الأوان، إما أن تؤمن وتنتفع بإيمانك، وإما أن تؤمن ويكون الإيمان حسرة على قلب الإنسان، مثل فرعون، كلام دقيق، الآن، الآن تأخرت كثير تأخرت.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آَيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)﴾

ويروي التاريخ أن هذا الفرعون الذي غرق وألقاه البحر إلى الشط ولولا أن ألقاه إلى الشط ما صدق الناس أن غرق، لأنه إله بزعمهم، فربنا عز وجل نجاه ببدنه، لفظه البحر إلى الشاطئ، وحنط وقبل سنوات، أخذا إلى فرنسا، واستقبل في المطار استقبال الملوك رمم تحنيطه صار في تلف هو نفسه بعض فحصه الدقيق وجدوا أثار ملوحة مياه البحر في جسمه.

هذا معنى قوله تعالى:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آَيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)﴾

ونحن الآن في بحبوحة نحن القلب، في صحة، في بقية بالحياة لنبادر إلى معرفة الله، وإلى معرفة منهجه، وإلى طاعته قبل فوات الأوان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-8) : تفسير الآية 105 ، التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد:

ففي القرآن الكريم آية، وهي قوله تعالى:

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آَيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾

(سورة هود: 1)

من معان الإحكام أن الآيات مترابطة فيما بينها، ومن حِكم القرآن الكريم، أن نهايات السور، تلخص السورة بأكملها.

البقرة مثلاً:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾

آل عمران أواخرها تلخيص للسورة بأكملها.

واليوم نقرأ الآيات التي ختمت بها سورة يونس عليه وعلى نبينا أفضل السلام يقول الله عز وجل في الآية الخامسة بعد المائة من سورة يونس:

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (105)﴾

هذه الآية، وردت في صيغتين أخريين.

﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾

أيام الإنسان يقبل على الشيء لا بكليته، ببعض اهتمامه ببعض وقته، ببعض شوقه ببعض شغفه، لكن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾

يعني أجعل كل وجهتك، معنى أقم أعلى درجات النشاط وأنت واقف.

أحياناً لاحظت مرة أشخاص يتناقشون فلما احتد النقاش وقف أحدهم، الوقوف دليل الجاهزية القسوة، الجاهزية العليا، يعني يجب أن تقبل على الدين بكليتك، بكل طاقاتك، بكل فكرك، بكل وقتك بكل اهتمامك، بكل إمكاناتك، بكل خبرتك، بكل مالك.

﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾

لاحظ إنسان يفحص ضغطه، ومعه ارتفاع بالضغط، وبعد تناول الحبوب، هو حينما يضغط على معصمه يلاحظ الإبرة، كيف أن عيونه معقودة بالإبرة، لا يحيد عنها، معقول أثناء قياس الضغط يتشاغل عن الساعة، ينظر لابنه، غير معقول من شدة اهتمامه تنعقد عينيه على المؤشر ليطمئن على صحته.

فهذه:

﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾

يعني أعلى درجة بالجاهزية، أعلى درجة بالاهتمام الصدق بالإقبال.

﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾

في إنسان يعطي الدين درجة خامسة، يعني إذا كان ما في عنده شيء، ما في عنده لا سهرة، ولا لقاء، ولا عزيمة، بقلك نحضر مجلس علم نتسلى، والله في درس حلو يا أخي، واضع على الهامش احتياط، أهم شئ حياته، تجارته كسبه للمال، أيام يعني إذا في عنده وقت فارغ يحضر مجلس علم يتسلى به، هذا زبون شتوي، بالصيف الناس ينفردوا بالشتاء يجتمعوا بالمساجد، هؤلاء زبائن شتويين، بالصيف سارح، بالشتاء ينضب بهذا الجامع، ما عنده شي لأنه، سهرة طويلة، لليل طويل.

أما المؤمن الصادق، مبرمج حياته على الدين، الدين هو الأصل، وما تبقى من وقت يمضيه في نشاطات أخرى، بالعكس ليس الأصل عمله، الأصل لقاءاته، متعته سهراته، ندواته، أدواره ولائمه، ما تبقى بقلك للدين، يعني سجادة عتيقة أعطوها للجامع ثريا موديل قديم، ابعثوها على الجامع، ليس هذا القصد، القصد أن تقيم وجهك للدين حنيفا، معنى حنيفاً، مائلاً إليه، معرضاً عمن سواه الأحنف المائل، يعني الطاعة من دون محبة ليست عبادة.

العبادة: طاعة طوعيه ممزوجة بمحبة قلبية، لو أحببت ولم تطع فلست عابداً هذه زعبرة، وإذا أطعت ولم تحب فلست عابداً، لا تكون عبداً لله إلا إذا أطعته مائلاً إليه بالمحبة، الحب نصف الدين ونصفه الثاني سلوك، سلوك من دون محبة ليس عبادة، محبة من دون سلوك زعبره.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك العمل في المقال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

***

هي معنى، وأن:

﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾

يعني المؤمن قوي بإيمانه ولا تكونن من المشركين، إياك أن تشرك نفسك، وما سوى الله مع الله.

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾

يعني إذا لك معاملة بدائرة، ثلاث طوابق، وكل طابق والغرفة فيها خمس موظفين، أما الذي يعطيك الموافقة بالأخضر هو المدير العام، من الغباء أن تتجه إلى موظف وتبذل ماء وجهك أمامه ما له شغل، ليس بإمكانه أن يوافق على ذهابك، أو سفرك، شوف الإنسان كيف بتعامل بالمنطق بالدنيا، هي دائرة ثلاث طوابق، فيها مائتين موظف، بآخر طابق في المدير العام، هو وحده الذي يعطيك الموافقة على السفر، فأنت حينما تعرف أن ما في غير واحد يوافق لا تتجه إلى إنسان آخر، ولا تترجى أحد، تقيم علاقة مع هذا المدير العام، كي تأخذ الموافقة، هذا التوحيد.

أنت إذا علمت أن كائناً من كان أن لا يستطيع أن ينفعك ولا يضرك، حينما توقن أن الأمر بيد الله، تقطع علاقتك مع الآخرين طبعاً أنت لطيف ومجامل، لكن لا تشرك، لا تعلق الآمال على إنسان لا ترى أن زيد ينفعك أو يضرك، ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك، هذا كلام خالق الكون من دون الله، أعظم إنسان في الأرض دون الله، ملك من دون الله، أمير من دون الله، غني من دون الله. من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه، راح ثلثين دينه، إذا جلست إلى غني وتمسكنت قدامه، لعله يرق قلبه عليك يعطيك، وين دينك صفي، أنت عبد لله، والله بحبك ما بحبه، اطلب من الله، خليك عزيز النفس، ارفع رأسك، من جلس إلى غني فتضعضع له، تمسكن، تذلل، ذهب ثلثا دينه.

ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير

***

شرف المؤمن، قيامه في الليل، وعزه استغنائه عن الناس ألهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي، يا رب ليس لي إلا أنت، هذا التوحيد، مرغ وجهك بأعتاب الله، إلى الله تذلل فقط، قد ما بتقدر إلى الله تذلل، أما لعبد الله خليك رافع رأسك.

واحد مشى في الطريق هكذا، فاعلاه عمر بالدرة، قال له ارفع رأسك متى موت علينا ديننا، ارفع رأسك. فالمؤمن عزيز النفس، لا بنافق، لا بداهن، لا بجامل، ما له مصلحة، لأن علاقته مع الله فقط، اعمل لوجهٍ واحدٍ، يكفك الوجوه كلها، من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله الهموم كلها.

واحد، قال له وحدوه، إذا كان واحد نايم وحد، يعني لا تتبعثر، المؤمن موحد، الكافر مبعثر، بدو يرضي الناس كلهم والناس متفاوتون في أهوائهم، وفي طلباتهم، بيرضي زيد، بيغضب عبيد، يرضي فلان، يغضب علان، شغلة بتحير، أنت كلهن حطهن وراء ظهرك وارضي الله عز وجل.

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبين وبين العالمين خراب

إذا صح منك الوصف فالكل هينٌ وكل الذي فوق التراب تراب

***

هذا التوحيد.

لك إله ما سلمك لأحد، إذا كان سلمك لأحد لا يستحق العبادة قال لك:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

(سورة هود: 223)

مالك غيري يعني.

ولما الإنسان بموت أول ليلة، ورد بالأثر يقول الله عز وجل:

((عبدي رجعوا وتركوك))

راحوا يأكلوا أوزي، حطوه بالتراب راحوا يأكلوا أوزي.

((رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبقى لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا يموت.))

يعني مؤمن له صلة بالله، له مناجاة، له التجاء، له دعاء له استغفار، عامرة بينه وبين الله عز وجل، هذا التوحيد، بتلاقي إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يد الله لغير الله أوثق منك بما في يديك، وإذا أردت أن تكون أكرم الناس فتقي الله، ثلاث أشياء، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله.

أنا مرة قلت لكم، الحسن البصري هذا التابعي الجليل، أدى أمانة العلم وبين أشياء، هذه الأشياء لما بينها، أغضبت الحجاج وكان الحجاج كما تعلمون طاغية، وقتل الرجل عنده أهون من قتل ذبابة، فلما سمع مقالة الحسن البصري خاطب من حوله، يا جبناء والله لأسقيناكم من دمه، رأساً طلب السياف، ومد النطع ليقتل الحسن البصري، وقال لصاحب الشرطة ائتني به، فلما دخل الحسن البصري حرك شفتيه، طبعاً رأى السياف جاهز، والقماش ممدود تبع القتل تكلم بكلمات فيما بينه وبين الله، فلما دخل على الحجاج، وقف الحجاج واستقبله وقال: أهلاً بأبي سعيد، وما زال يقربه، ويقربه حتى وضعه على سريره، وسأله عن صحته، وسأله بعض الأسئلة وعطره وقال: يا أبا سعيد أنت سيد العلماء، وقام وشيعه إلى باب القصر، أما الذي صعق هو السياف، الذي جيء به ليقطع رأسه، والذي صعق الحاجب، تبعه الحاجب، قال له: يا أبا سعيد، لقد جيء

بك لغير ما فعل بك، شو القصة، جيء بك للقتل، الذي فعل لك أنك قد أكرمت فما الذي قلته وأنت داخل ؟ قال قلت له: **يا ولي نعمتي، ويا ملاذي عند كربتي أجعل نقمته عليّ برداً وسلاماً، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم**، ما الذي حصل ؟ قلوب العباد بيد الله، يقلبها كيف يشاء.

إذا أنت كنت مع الله عز وجل، أكبر أعدائك الله يلين له قلبه بتلاقي صار يخدمك.

أخوانا الكرام: اسمعوا هذه الكلمة الدقيقة، إذا الله رضي عنك يخدمك عدوك وإذا الله غضب، تهينك زوجتك يلي هي أنت سيد نعمتها، ابنك يضربك، إذا الله غضب، إذا أحبك الله ألقى حبك في قلوب الخلق، وإذا أبغضك الله ألقى بغضك في قلوب الخلق.

فالتوحيد، وين التوحيد.

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ (106)﴾

يعني إذا اتجهت لإنسان ضعيف مثل حكايتك عملية فيها حمق ترجيت واحد أفقر منك، أضعف منك، غني بس ما بحبك، أما الله عز وجل معك أينما كنت، اطلبني تجدني.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾

(سورة الزمر: 53)

ابن آدم اطلبني تجدني فإذا تجدني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء، من هو الأحمق ؟ الذي يتجه لغير الله، يعلق عليه الآمال.

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ (106)﴾

ظلمت نفسك، ضيعت وقتك، وضيعت حياتك وخسرت نفسك.

اسمعوا الآن:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾

(سورة الأنعام: 17)

﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾

(سورة يونس: 107)

بربكم، هاتان الآيتان، آلا تكفي الإنسان.

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ (106) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107)﴾

في هذه الآية إعجاز.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾

﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾

في فرق بينهما، الخير مراد من الله، أما الضر ليس مراداً.

لما الأب يفتح بطن ابنه، لاستئصال الزائدة، يتمنى الأب أن يفتح بطن ابنه ؟ بس مضطر يساويها، لأنه في آلام شديدة، وفي أخطار، أما لما الأب يأخذ بيت لأبنه يزوجه، هذا ضمن مراده، الأب نفسه يفتح بطن ابنه يقيم له الزائدة، يخدره بشق البطن، يطلع هذا الدم يقيم الزائدة، بعمل له ضماد، عمل مزعج، في دماء، الأب يفعل ذلك برحمته، لكن لما يأخذ له بيت ويزوجه ويعمل له عرس يفرح فيه هي مراد فالأب يفعل هذا، ويفعل هذا، بس الإكرام ضمن مراده، أما المعالجة ليست من مراده، لكنه من حكمته.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾

ما قال وإن يمسسك بخير، قال:

﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾

معنى ذلك أن الخير مراد، وأن الضر ليس مراداً، لكنه لابد منه من أجل سلامة الإنسان ودينه.

هاتان آيتا التوحيد.

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ (106) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾

لو أن الأمة اجتمعت، الأمة كله خمسة آلاف مليون، على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك، إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت الأمة على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك هذا التوحيد. إذاً:

﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾

إذا وقع الأمر المزعج لا يزيله إلا الله، إذاً ما في إلا الله.

الدرس (8-8) : تفسير الآية 101 ، معرفة الله من خلال الكون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الأولى بعد المائة من سورة يونس يقول الله عز وجل:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101) ﴾

علماء الأصول يقولون إن كل فعل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، المسلمون يتوهمون أن الأوامر، أن تصوم، وأن تصلي، وأن تحج، وأن تزكي، مع أن كل فعل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب. يقول الله عزوجل:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101) ﴾

الحقيقة يقول بعض العلماء أن في الكون ما يقترب من مليون مليون مجرة مليون مليون ! وفي كل مجرة ما يقترب من مليون مليون نجم وكوكب، وأن مجرتنا نحن درب التبان، شكلها مغزلي كشكل عضلة الإنسان، في هذه المجرة نقطة واحدة، نقطة، في طرفها الأعلى، أسم هذه النقطة المجموعة الشمسية !.

يعني الشمس، والأرض، وعطارد، والمشتري، والمريخ وكل هذه المجموعة الشمسية، في هذه النقطة !

والشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، وبين الأرض والشمس مائة وست وخمسين مليون كيلومتر !

وأن الأرض لو ألقيت في الشمس، لتبخرت في ثانية واحدة، إلا أن الأرض مرتبطة بالشمس ما الذي يربطها؟

قال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

(سورة الرعد: 2)

معنى الآية أنه رفعها بعمد لا ترونها، بغير عمد ترونها معنى الآية أنه رفعها بأعمدة لا ترونها، إنها قوى التجاذب.

الأرض مثلاً مربوط بالشمس بقوة تكافئ مليون مليون حبل فولاذي، قطر الحبل خمس أمتار، مليون مليون، وأن هذا الحبل الفولاذي يقاوم قوى الشد ما يعادل مليونين طن، فالأرض مربوط بالشمس بقوة تساوي مليون مليون ضرب مليونين من الأطنان من أجل أن تحرفها في مسارها ثلاث ميليمتر كل ثانية، ليأتي مسارها مغلق حول الشمس، فلولا هذه القوة، القوة الجاذبة، لانعتقت الأرض من مسارها حول الشمس، ولسارت في

متاهات الفضاء الخارجي، فإذا ابتعدت عن الشمس، أصبحت الأرض في حرارة تقل عن مائتين وسبعين درجة تحت الصفر، وعندها تنتهي الحياة، هذا هو الصفر المطلق.

إذا لمجرد أن يلتغى ارتباط الشمس بالأرض، تخرج من مسارها، ما الذي يجعلها على مسارها المغلق حول الشمس، هذه القوى الجاذبة، التي تعادل مليون مليون طن ضرب مليونين، لو أردنا أن نزرع هذه الحبال على سطح الأرض، لوجدنا أن بين الحبليين حبل واحد فارغ، نحن أمام غابة من الحبال الفولاذية تعيق الحركة تعيق البناء، تعيق الزراعة، تعيق النشاط، تعيق أشعة الشمس تغدو الحياة مستحيلة، لو أن هذه الأعمدة مرئية.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

شوف هذه الآية ما أعظمها، وهذه الأعمدة المليون مليون حبل، كل حبل يقاوم مليونين طن من أجل أن تحرف الأرض في مسارها حول الشمس، ثلاثة ميليمتر كل ثانية، ثلاثة ميليمتر كل ثانية بصير للأرض مسار حول الشمس، هذا المسار الأرض تقطعه في عاماً يكمله، بسرعة ثلاثين كيلومتر بالثانية الواحدة، يعني نحن الآن بدا درسنا وحدة وربع الآن وحدة وثلث، يعني خمس دقائق، خمس دقائق ضرب ستين ثلاثمائة ثانية، ضرب ثلاثين، تسعة آلاف كيلومتر من وقت ما قلت بسم الله الرحمن الرحيم إلى الآن نحن ماشين تسعة آلاف كيلومتر، هذا كلام بديهة لا يحتاج إلى المناقشة سرعة الأرض حول الشمس، ثلاثين كيلومتر بالثانية، منذ أن قلت بسم الله حتى الآن قطعنا تسعة آلاف كيلومتر، يعني من هنا إلى قريب شمال أوربا تقريباً.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64)﴾

(سورة غافر:64)

عما بقلك:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

ومرة قلت لكم بين الشمس والأرض مائة وست وخمسين مليون كيلومتر، والشمس تتسع لمليون وثلاثمائة ألف أرض بوسطها وأن الأرض إذا ألقيت في جوف الشمس تبخرت في ثانية واحدة، وأن هناك نجماً يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، في برج العقرب أسمه قلب العقرب، إذا سرنا حول الشمس لأثني عشر شهراً، نمر على أبراج، برج العقرب، برج الحمل، برج الثور، الله قال:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1)﴾

(سورة البروج: 1)

من هذه الأبراج برج العقرب فيه نجم صغير متألق أحمر، أسمه قلب العقرب، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما.

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

أقرب نجم للأرض بعده عنا أربع سنوات ضوئية، يعني لو أردت أن تصل إلية بسيارة تحتاج إلى خمسين مليون سنة، لازم يكلك عمر خمسين مليون سنة، كل التاريخ ستة آلاف سنة، التاريخ كله، بقلك ما قبل التاريخ، ستة آلاف سنة التاريخ، كله، كل تاريخ البشر، ستة آلاف، لازم يكون عمرك خمسين مليون سنة من أجل أن تصل إلى أقرب نجم ملتهب إلى الأرض، أربع سنوات ضوئية، شوف القطب تقفز رأساً أربع آلاف سنة ضوئية، قطب نجم الشمال، من أربع سنوات إلى أربع آلاف، المرأة المسلسلة أربع ملايين سنة ضوئية إحدى المجرات أربع وعشرين ألف مليون سنة ضوئية.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)﴾

(سورة الواقعة: 75)

لذلك:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

(سورة فاطر: 28)

ربنا يقول:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

شوف شو فيها، من أجل أن تعرف الله، من أجل أن تعرف من هو الآمر الذي أمرك، إذا قال لك غض بصرك من، إذا واحد جندي بثكنة، وجاءه أمر من سبعة يمكن ما يبالي فيه سبعتين أحسن، ثمانية أحسن، ثمانيتين أحسن ثمانية ونجمين أقوى مساعد، نجمة على كتفه أقوى، نجمتين، ثلاثة أما لو جاءه أمر من أعلى رتبة بالجيش، على هوى الرتبة الأمر تأخذه أنت، أنت هل تعلم من هو الآمر ؟

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

(سورة الحديد: 4)

يلي خلق مليون، مليون مجرة، بكل مجرة، مليون مليون، نجم، وبين بعضهم المجرات، أربع وعشرين ألف مليون سنة ضوئية، مع أن الضوء يقطع بالثانية ثلاث مائة ألف كيلو متر والدقيقة ضرب ستين، والساعة ضرب ستين، باليوم ضرب أربع وعشرين، وضرب ثلاث مائة وخمس ستين، هذا قول الله عز وجل:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)﴾

أشعة الشمس أيها الأخوة، تبعد عنا ثمان دقائق، لسان اللهب يزيد عن مليون كيلو متر، لسان اللهب، على سطحها ستة آلاف درجة الشمس بقيت مشتعلة العلماء يقدرون خمسة آلاف مليون سنة، قال وسوف تشتعل حسب التقديرات خمسة آلاف مليون سنة أخرى، فلا قلق من انطفاء الشمس، من أين الطاقة ؟ تحط بثمان مائة ليرة بنزين بعد يومين يخلصوا، يخلصوا مرة ثانية، تجيب خمسة متر مكعب مازوت، بعد شهرين عندك شوفاج يخلصوا.

طيب هذا النجم الملتهب، يلي صار له خمس آلاف مليون سنة شاعل، وحسب تقديرات خمسة آلاف مليون سنة قادمة سوف يبقى ملتهب، مصدر الحرارة، والضوء، والتعقيم، والجذب، من أين الطاقة ؟ يا ترى شو في مستودعات، شو عما يحرقوا فوق الإنسان مو لازم يفكر ؟ من أجل أن تعرف الله، من أجل أن تعرف ما معنى أمر الله، الله أمرك أن تفعل كذا، نهاك أن تفعل كذا، الذي أمرك هو خالق السماوات والأرض.

فهذه الآية أيها الأخوة الكرام:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101) ﴾

إذا كان غير رغبان يؤمن، ما في شي يقنعه الإنسان، وإذا كان رغبان يؤمن كل شيء يقنعه. أيام إنسان يفوت على محل تجاري، بدو مثلاً حاجة، بفرجي البياع ميت حاجة، ما بدي، ما بدي، عندك الحاجة الفلانية، أصعب من أن تقنع إنسان بشيء ما بدو ياه، يفرد له قماش، أخي ما بدي قماش، بدي بدلة جاهزة قماش إنكليزي، درجة أولى كبونة، بدي بدلة ما بدي قماش.

فإذا واحد ما بدو يهتدي، لو بتفرجيه أعظم آية، كاميرا بلا فلم، هي القصة، قد ما أخذت المسافة، والسرعة، واللقطة حلوة بس فلم ما في لا تغلب حالك فلم ما في، الفلم هو الرغبة بالهدى، إذا كان ما في رغبة بالهدى فلم ما في، قد ما يطلع الإنسان على آيات.

وكم آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها غافلون،

وكم من آية، نحن عنا مليون آية، عينك آية لحالها، شعرك آية، أنفك آية لسانك آية، العضلات آية، القلب آية، والله في بالإنسان آيات الله بيشهد، لو تمضي كل حياتك في التأمل في الآيات الصارخة، الدالة على عظمة الله بس بجسمك ما تنتهي، يعني أقل شيء هذا القلب ينبض بلا كلل، وبلا تعب، ثمانين سنة، تسعين سنة، حركة مستمرة، عما يضخ الدم، له أمر كهربائي ذاتي، العضلات أنواع ثلاثة، عضلات مخططة، عضلات ملساء، والقلب نوع خاص مستقل، القلب لوحده معجزة.

عقد مؤتمر بأمريكا لأمراض القلب، قال لي صديق حضر المؤتمر، قال لي شيء لا يصدق، ألف وخمس مائة محاضرة اخترنا عشرة بس نحنا نحضرهم حول أحدث معطيات القلب، القلب هذه العضلة الصنوبرية التي تعمل بلا كلل وبلا ملل، الشرايين، الأوردة الأعصاب.

فأخوانا الكرام:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

أمر إلهي يقتدي الوجوب، لازم تفكر بالكون، من أجل أن تعرف عظمة الله، إن عرفت عظمته تستقيم على أمره، لأنه تعالى يقول:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

الآية رقم مائة وواحد من سورة يونس:

﴿قُلِ انْظُرُوا﴾

يعني فكروا.

﴿مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

لهذا:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة آل عمران: 190 . 191)

انتهى الوجه الأول من الشريط .

قبل ما طلق، قبل ما تزوج، قبل ما تحضر هذه الحفلة، هذا الذي خلقك خلق السماوات والأرض، هل أنت ترضيه بهذا العمل أما تغضبه، هون الذكى، أبحث عن ما يرضي الله، وأنت الرابح وأنت الفائز، وأنت الناجح، وأنت المتفوق، وأنت الذكي، وأنت العاقل، لذلك، ارجكم عقلاً أشدكم لله حباً.

أعطينا واحد ألماسة، حقها ثلاثمائة ألف ليرة، وكأس كريستال حقها ثلاثمائة ليرة، وقطر ميز بلور للمكدوس حقه ثلاثين ليرة، نقي، إذا أخذ القطر ميز بكون مخ ما في بنوب، هذا رخيص بقلك شوف حجمه، لذلك ارجكم عقلاً أشدكم لله حباً، الكأس صغيرة لكن ثمنها ثلاثمائة ليرة كريستال، أما هذا كبير كله حقه عشرين ليرة غطى بلاستيك للمكدوس، ارجكم عقلاً أشدكم لله حباً، كل ما عقلك كبر تصير تعرف تختار.

المؤمن أختار الله والدار الآخرة، طلع أذكى واحد، والباقون اختاروا الدنيا، فضحكت عليهم، عند نجاحه تفضل شرف معنا، خلص عمرك تفضل، حتى خلص هذا البيت، ما سكن بالبيت والمسبح ما سبحنا في، شرف خلص، انتهى الأمر.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : تفسير سورة هود

الدرس (6-1) : تفسير الآية 27 ، رحمة الله

الدرس (6-2) : تفسير الآية 112 ، الإستقامة

الدرس (6-3) : تفسير الآية 117 ، عدالة الله

الدرس (6-4) : تفسير الآية 114 ، التوبة

الدرس (6-5) : تفسير الآيتان 118-119 ، الإختيار

الدرس (6-6) : تفسير الآيات 119-123 ، القصة في القرآن - عبادة الله والتوكل عليه

الدرس (1-6) : تفسير الآية 27 ، رحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

في سورة هود، القصة الأولى، قصة سيدنا هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27)﴾

أنظر أيها الأخ الكريم إلى مقياس أهل الدنيا، معنى كلمة أراذلنا، أي فقرائنا، الآن كلمة أراذل لها معنى آخر، لكن الرذيل في أصل اللغة هو الفقير، مقاييس البشر البعدين عن الله عز وجل مقاييس مادية، وقد أشار إلى هذا الإمام علي كرم الله وجه، فقال في آخر الزمان قيمة المرء متاعه.

مكانتك من موقع بيتك، من مساحة بيتك، من أثاث بيتك من مركبتك من دخلك، من حجمك المالي، ولو كان أسقط الناس والفقير لا يعبئ به أحد ولو كان أكرم الناس.

هذا من علامات آخر الزمان، من علامات تخلف المجتمعات أن يقيم المرء بالمقاييس المادية فقط، ويبدو أن هذا شئن الكافر في كل زمان.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾

يعني التفكير المحدود، نحن متعمقون، نحن أصحاب فلسفات عميقة نحن أصحاب ثقافات عريقة، نحن أهل المجد، نحن علية القوم، من هؤلاء الذين اتبعوك ؟ هم فقراء من عامة الناس، من سوقتهم.

﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27)﴾

اسمعوا الجواب، قال يا قوم، هذا الجواب من الآيات النادرة قال:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾

أنا أعرف لماذا خلقت، ولماذا أنا في الدنيا، وماذا بعد الموت، وما الجنة، وما النار، والله سبحانه وتعالى، أسمائه الحسنى، صفاته الفضلى، أنبياءه، رسله، معي دليل، دليل عقلي ودليل نقلي، ودليل فطري، ودليل واقعي والأمور واضحة تماماً كالشمس، إنني أرى الحقيقة كما أراكم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾

بعد أنني اهتديت.

﴿وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾

أنا من السعداء، سعيد بمعرفة الله، سعيد بالإقبال عليه، سعيد بالتوكل عليه، سعيد بالتفويض له، سعيد بالعمل له سعيد بالإخلاص له، سعيد بالإنابة إليه، قلبي يأتيه من الله التجليات.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾

إذا واحد ما ذاق العسل في حياته، لو أقسم بالله أيماناً مغلظة أن أطيب شيء أكله هو الدبس هو صادق، لكن العسل ما ذاقه بعد، هذا العسل عميّ عليه ما رآه.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾

أنا معي أدلة، أنا معي رؤية صحيحة، معي فهم عميق، معي تصور دقيق، معي عقيدة صحيحة، أنا أعرف أين كنت، ولماذا أنا هنا، وماذا بعد الموت، أنا لي منهج أسير عليه، أنا عندي منظومة قيم عندي مجموعة أوامر عندي منهج، عندي دستور.

﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾

هذا الجانب الفكري.

﴿وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾

أنا سعيد جداً، سعيد بالتوحيد، سعيد بفضل الله، سعيد بمعرفته، سعيد بالإقبال عليه، سعيد بالتوكل عليه، سعيد بالإنابة له.

﴿وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾

أيام الإنسان بلاقي محل صغير متر، بمتر، وقديم متداعي متهالك، قد يكون غلته باليوم مائة ألف، بس هذا يلي نظر للمحل، بشكله المتواضع، وحجمه الصغير، ما نظر للغلة اليومية تبعه، ليش قاعد في فلان، شو علق في، إذا بتعرف الغلة تبعه بتلزق أنت فيه، تقريباً من باب التقريب.

المؤمن موصول بالله، المؤمن مقبل عليه، المؤمن مطمئن برحمته، مطمئن لعدالته، ما عنده تشرذم، ما عنده تبعثر، ما عنده ضياع، ما عنده خوف، ما عنده قلق، ما عنده نفاق، ما عنده تملك هي أمراض الكفار كلها بريء منها، القلق، القهر، هذا كله خالص منه هو، هي رحمة من الله.

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾

صادق، لا تأخذه في لله لومة لائم، ما عنده استعداد أن يتكلم خلاف الحقيقة ولو بتفرمه، على الله رزقي، الله هو خلقني وكرمني، والله عز وجل ما كلفني أن أكذب، من أجل الرزق، بتلاقي الطرف الثاني عما يكذب ويحلف أيمان، ويتمسح بالأغنياء ويتضعضع أمامهم، يتذلل، ويتمسكن مقهور، مرفوض، شاق بشاق حياته، لأن القاعدة:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

(سورة طه: 124)

إذا الآية هذه لا تنطبق على أي إنسان في الأرض، يكون هذا الكلام ليس كلام الله عز وجل، قال لك:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

إذا بتلاقي واحد سعيد في البعد عن الله، يكون هذا الكلام ليس كلام الله، إله عما يتكلم.

طيب في واحد سئل قال: ما بال الأغنياء والملوك، عندهم كل شيء، ما عنده مشكلة بحياتهم، فأجاب المفسرون ضيق القلب المعيشة الضنك للغني ضيق القلب، بقلك متضايق، مالل، راح أطلع من جلدي، قرفة كل شئ، معك مئات الملايين، ضيق القلب ما في سعادة.

أيام شخص ببيت صغير مع زوجة وأولاد الله يتجل عليه بتلاقي أسعد الناس على زيتونه وكأس شاي أسعد الناس.

فربنا عز وجل إذا تجلى على إنسان، بالرحمة، يسعد بها ولو فقد كل شئ، وإذا حرمه من رحمته، يشقى بالدنيا ولو ملك كل شئ لو ملك كل شئ يشقى بالدنيا، و لو حرم كل شئ يسعد بالدنيا، برحمة الله.

قال:

﴿: أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾

هذه الرحمة التي عميت عليكم، ما تيجي بإلزام، ولا بإكراه، هذه تطلب ولا تعطى، كيف يعني، تأخذ ولا تعطى يختاره الإنسان ولا يلزم بها، لقوله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

(سورة البقرة: 256)

كلام دقيق.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28)﴾

فلذلك من هو السعيد الذي كشف رحمة الله، وممكن يعيش بين أناس لا يعرفونها، ينكرون عليه، بقلك أنجدب، مو شايف شي من الدنيا، إلا الله ومن بيته للجامع، ما شفت الملاهي، ما شفت الحفلات المخملية مثلاً، ما شفت السهرات الجميلة، لم نعرف شو الله أعطى من رحمة.

لذلك المؤمن أسعد الناس، والله أقول لكم، إذا ما قلت بكل جوارحك بكل خلايا جسمك، بكل قطرات دمك، أنا أسعد الناس بكون بالإيمان في شك .

إذاً الإيمان مسعد، أنت مع الله، ولو كنت فقيراً، أنت مع الله ولو كنت مريضاً، لأن ربنا عز وجل إذا أعطى أدهش، إذا أعطاك من رحمته تجلى عليك، شعرت أنك إنسان آخر .

فالسعادة بمقياسها المادية سخيفة جداً، مملة، لكن السعادة برحمة الله لا توصف.

لذلك قال يوم القيامة المؤمن، يسمح له أن يرى وجه الله عز وجل فيغيب خمسين ألف عام من نشوة النظرة.

فيا أيها الأخوة الكرام، علينا برحمة الله، الله عز وجل قال:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32) ﴾

(سورة الزخرف: 32)

إذا معه ثلاثة آلاف مليون، ثم جاءه ملك الموت ! وليس له عمل صالح، هذا فقير ضعوا في أذهانكم هذه الكلمة لسيدنا علي رضي الله عنه: **الغنى والفقر** . متى ؟ . قال **بعد العرض على الله.**

الآن لا يسمى الغني غنياً ولا الفقير فقيراً، الغنى والفقر بعد العرض على الله بعد الموت والحساب، من دخل الجنة فهو الغني ومن دخل النار. فهو الفقير بقلك عرس كلف عشرين مليون بالشيراتون فرقة راقص بخمسين ألف دولار جاءت من هولندا، والزهور من المكان الفلاني، الألبسة، وإذا كان يعني، هذا كلام لا قيمة له إطلاقاً ليست هذه رحمة الله، وهي على الأسكي قال لها طالق طالق، طالق قد ما انضغط.

لأن الكفار، البعيدين عن الله، إذا أمسكوا المال، أمسكوا بخلاً وتقطيراً، وإذا أنفقوه، أنفقوه إسرافاً وتبذيرا، بتلاقي زواج واحد كلف عشرين مليون، وعشرين ألف شاب يكفي مائتين ألف يزوجوا فيهن، لا ينفقوا. لذلك هدفنا رحمة الله.

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32) ﴾

رحمة الله بهدها صلاة بدها استقامة، بدها عمل صالح، بدها بذل، بدها إنفاق.

﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-6) : تفسير الآية 112 ، الإستقامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الثانية عشر بعد المائة من سورة هود، وهي قوله تعالى:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (113)﴾

يقول عليه الصلاة والسلام:

((شيبتني هود و أخواتها))

هود يا ترى قبيلة هود ؟ الذي شيبه سورة هود، والذي شيبه من سورة هود هذه الآية:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

معظم المسلمين إذا طالبتهم بالاستقامة يقولون: نحنا مالنا أنبياء يا أخي، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين))

كلامٌ دقيقٌ واضحٌ كالشمس.

((إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين))

بالأمر والنهي ما في تفريق.

لكن كل إنسان له مكانته عند الله، وله مقامه، بحسب إخلاصه وبحسب نواياه العالية، وبحسب العمل الذي قدره الله يديه.

فالتفاوت بحجم العمل و بالإخلاص، لكن بالاستقامة ما في تفاوت، إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، هذا الكلام: هذا جوابٌ فيصل لكل من يقول لك أنا ما لي نبي يا أخي، أنت مأمور أنت تفعل ما يفعله الأنبياء.

مثل للتوضيح، من في أعلى إنسان بالطب بالعالم، جراح قلب، من في أقل إنسان بالطب بالعالم، ممرض مبتدئ، لو أراد هذا أو ذاك، أن يعطي المريض حقنة، يقدر واحد ما يعقمها، التعقيم للاثنين، بقدر واحد ما يضعها بمكان ما في أعصاب وشرايين، ما يقدر، إن كان أعلى طبيب بالعالم، وإن كان أقل ممرض بالعالم، بدو يختار محل فيه نسيج شحمي، بالإلية، بدو يأخذ عشرة سانتي وعشرة سانتي، عند العظم الذي في الحرقف، عشرة أفقياً وعشرة عمودياً، هذا المكان ما في،لا في أعصاب، ولا في أوردة ولازم تكون الإبرة معقمة، والزجاجة معقمة، وكله معقم، وإذا كان في حقنة مؤلمة، بدها مادة مخدرة خفيفة، فالو كلفنا أعلى طبيب وأقل ممرض، نفس الترتيب.

بالاستقامة ما في حالة وسط، ما في نسبية.

أوضح مثل آخر مستودع، في مستودع يسع خمسين لتر مستودع مائة لتر، مستودع ألف لتر، مستودع عشرة آلاف لتر للأبنية الضخمة، مستودع عشرين ألف لتر، لكن كل هذه المستودعات يجب أن تكون محكمة، فإن لم تكن محكمة، ما في مستودع معناها أنت تتساهل بحجم أصغر، مصاريك قلال تأخذ حجم أصغر، لكن واحد بلا قعر تقبله، هذا ليس مستودع هذا.

الاستقامة حدية، بينما العمل الصالح نسبي، الاستقامة حدية أما العمل الصالح نسبي، إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ما في المؤمن يطلق بصره، وقد أمر بغض البصر، ما في يأكل مال حرام، ما في يكذب، هذا الشرع يجب أن يطبق من قبل أعلى إنسان وأدنى إنسان.

((إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين))

هذا الحديث لعلى النبي عليه الصلاة والسلام: استنبطه من هذه الآية، إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

التفاوت في حجم العمل الصالح.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾

(سورة الأنعام: 132)

التفاوت في مستوى الإخلاص، هي اثنان التفاوت في العلم.

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

(سورة المجادلة: 11)

التفاوت بين المؤمنين بالعلم، والعمل الصالح، والإخلاص.

أما التفاوت بالاستقامة، هذا شيء غير وارد إطلاقاً، منهج يجب أن يسيروا عليه جميع المؤمنين، متبعين سيد المرسلين.

هذا معنى قوله تعالى:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾

الطغيان مجاوزة الحد، الحد هو النص الشرعي، لأن الدين في الأصل وحي من الله، ونقل عن رسول الله، أصل الدين وحي من الله، ونقل عن رسول الله، هذا الوحي من عند خالق الكون.

إذاً أي مجاوزة لهذا النص القرآني، أو ما صح من كلام رسول الله هو: الغلو، والعدوان، والطغيان.

﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾

أبقى في حدود النص الشرعي.

﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40)﴾

(سورة فصلت: 40)

يعني بصير بحجم العمل، بصير بالنوايا التي وراء العمل، بصير بالأهداف البعيدة من هذا العمل، بصير بحجم التضحية، بصير بمستوى الإخلاص.

﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

أنت كإنسان قد تجد عمل طيب، لكن لا تعرف نوايا صاحبه قد تجد عمل طيب، لكن لا تعرف إخلاص صاحبه، قد تجد عمل طيب، لكن لا تعرف حجم التضحية التي بذلها صاحبه، إلا أنه.

﴿وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

النقطة الثانية أيها الأخوة: يعني أنت لن تستطيع أن تستقيم ولن تستطيع أن تبقى في حدود الطاعة لله عز وجل، ولا تستطيع أن تفعل شيئاً، إذا كنت مخططلاً مع الكفار، يعني في علاقات حميمة، في اطمئنان، واحد ما بصلي أخي أخلاقه عالية كثير، لبق، فهيم، مذوق ما بصلي، هذا مقطوع عن الله، ذكي فقط.

فلما الإنسان يركع للذين ظلموا.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾

(سورة إبراهيم: 45)

لعدم معرفتهم بالله، ظلموا أنفسهم، بمعصيته، ظلموا أنفسهم بالعدوان على الآخرين، هؤلاء لا ينبغي أن تركن إليهم، لا ينبغي أن ترتاح إليهم، إذا ركنت إليهم، وارتحت إليهم، دليل أنك على شاكلتهم، المؤمن في عنده إحساس مرهف، لا يطيق أن يجلس مع إنسان بعيد، ظالم لنفسه.

فالنبي قال:

((اللهم لا تجعلي خيراً على يد كافرٍ أو منافق))

لو صار في علاقات حميمة، وصار في زيارات متبادلة، وصار في ولائم، وصار في نزهات، وصار في شراكه، وصار في تعامل يومي، وصار في اختلاط، هو صار يجلبك إليه، ركنت إليه فمستك النار.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

المؤمن لا يستطيع أن يحافظ على استقامته، وعلى نقائه، وعلى صفائه، وعلى حيويته، وعلى تدفقه إلا ببعده عن أهل الظلم، لو خالطهم سحبوه، لو خالطهم أقنعوه باتجاههم، لو خالطهم قطعوه عن الله عز وجل.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾

في الدنيا نار البعد، وفي الآخرة نار جهنم الموصول مع المقطوع مقطوع، الموصول مع الظالم ظالم الموصول مع الشقي شقي، الموصول مع الغافل غافل، الموصول مع المعرض معرض، الموصول مع المسيء مسيء.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾

لذلك إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق، وين عما تمدحه، لك يشرب، وما في دين، نسائه كاسيات عاريات، ولا بصلي، عما تقول أخلاق، وفهم وذوق، وغيرة يا أخي، هذا خربطت الناس بهذا العمل أنت، هذا مديح يعمل إطراب، إنسان مقطوع عن الله، متفلت من الدين كيف تمدحه ؟ لعله ذكي، بذكائه يقنعك أنه على صواب، لكن مقطوع عن الله عز وجل.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾

إذا ركنت إليه بالدنيا، مستك نار البعد، بتقول أنا متضايق في ضيق، الضيق أنه صار لك علاقة نفسية مع واحد ظالم، مع واحد بعيد، ظلم نفسه، واحد مقطوع عن الله عز وجل، واحد شقي.
وفي الآخرة، لو إنسان أقام علاقة مع ظالم حميمة، وهذا الظالم أخذ منه دينه، أعطاه الدنيا، أعطاه الدنيا وسلبه دينه، طبعاً يستحق النار في الآخرة.

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (113)﴾

هاتان الآيتان هم محور هذا الدرس.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

أخوانا الكرام: أي إنسان بقلك أنا ما لي نبي، قول له هذه الآية قول له:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

والنبي بين، قال:

((إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين))

هذه الثانية.

﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾

أي لا تجاوزا النص الشرعي، الأمر.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

(سورة الأحزاب: 36)

هذا النص الشرعي، هذا الحد، هذا الأمر هذا النهي.

﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112)﴾

يعرف نيتك، وهدفك، وتضحيتك وحجم عملك، مكشوف لا تحاول تحلف أيمان، ولا تمدح نفسك، ولا تزكي نفسك، ولا تجيب أدلة وبراهين الله يعرف، وأنت تعرف.

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15)﴾

(سورة القيامة: 14)

بإمكانك أن تضلل الناس لوقت قصير، وبإمكانك أن تضلل واحداً لوقت طويل، أما أن تضلل مجموع الناس إلى أمدٍ طويل هذا مستحيل ! تعلم أنت نفسك على حقيقتها، والله يعلمك من أنت.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

علاقات حميمة مع كفار، مع ظالمين، مع بعيدين، مع مقطوعين، لا تجوز إذا ما صار فرز، تجلس بمقاصف الظالمين، نساء كاسيات، عاريات، غناء، وأنت مسلم غير معقول هذا الكلام، تزورهم في بيوتهم واختلاط وأنت مسلم، انتهيت، لا بد من تمايز، لابد من فرز.

المؤمنون لهم طريقتهم الشرعية في نزهاتهم، المؤمنون لهم أسلوبهم في معيشتهم، في أفراحهم، مسلم وأعراس، وغناء، ورقص أما المسلم الحقيقي، أعراس بناته فيهن دعوة إلى الله، مديح لرسول الله فقط، آلاف الأعراس

الآن بتلاقي مديح للنبي الكريم، وكلمة توجيه هذا عرس المؤمنين، أما غناء لمغنيات ساقطات، ورقص وأنت مسلم ما بتصير هي.

هذا الذي أردت أن أقوله، إذا ما صار في فرز علمي، ما صار المؤمن صارخ في سلوكه، في أفراحه، في أتراحه، في نزهاته حتى في ولائمه، أخي والله في عنده خمس أصهرى، وخمس بنات فطروا سوى كلهن، وكل صهر ما له حق يشوف أخت مرته، ما بجوز يشوفها، اختلاط صار، فالاختلاط مما نهى الشرع عنه، فأنت مسلم هذه الحد الشرعي يجب أن تتقيد فيه.

الآية مرة ثانية:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (113)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-6) : تفسير الآية 117 ، عدالة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد:

أيها الأخوة الكرام:

الآية السابعة عشرة بعد المائة، من سورة هود وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117)﴾

في هذه الآية، إشارات دقيقة جداً، أول إشارة أن صيغة، **ما كان ربك ليفعل**، هذه أشد صيغ اللغة العربية تأكيداً، فالعلماء علماء اللغة، فرقوا بين نفي الحدث، ونفي الشأن.

نفي الحدث لو سألنا أكبر سارق، هل سرقت هذه الحاجة ؟ يقول لك هذه لم أسرقها، لن ينفي عن نفسه هذه السرقة، بل نفى عن نفسه سرقت هذه الحاجة، لكنه أكبر سارق.

أما لو سألنا إنسان عظيم، شريف، كريم، أخلاقي، ورع زاهد، هل أنت سارق ؟ لا يقول لك لا، يقول لك كلا: أداة ردعٍ وزجر، ويقول لك بعدها: ما كان لي أن أسرق، يعني هذا ليس من شأني، ولا من طبيعتي، ولا من مقامي، ولا يتفق مع مبدئي، ولا أريده، ولا أفعله، ولا أتمناه، ولا أرضى به.

ممكن تنفي بهذه الصيغة مائة حادثة، تنفي الرضى، والتمني والرغبة، والقبول، والإقرار، ما كان لي أن أفعل.

يعني إذا أردت صيغةً في اللغة العربية أشد صيغ النفي على الإطلاق، هذه الصيغة، لو تتبعتموها في كتاب الله.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾

(سورة الروم: 9)

يعني يستحيل على ذات الله، وعلى أسمائه الحسنى، وعلى مقامه، وعلى عدالته، وعلى رحمته، وعلى علوه وعلى جبروته، أن يظلم مخلوقاً ضعيفاً.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾

(سورة البقرة: 143)

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

(سورة آل عمران: 179)

لو تتبعتم في معاجم القرآن الكريم، صيغة، ما كان الله لِ، لو قال لك حول موضوع أطروحة، ما كان الله لِ، يعني إذا أردت نفي، قطعي يشمل الرغبة، والإرادة، والفعل، والطموح، والإقرار، والهدف استخدم فيه كلمة ما كان الله لِ.

أعيد مرة ثانية، لو سألت أكبر سارق هل سرقت هذا الكأس ؟ يقول لك لا لم أسرقه، هذا نفي الحدث، لكن نفي الشأن، يقول لك ما كان لي أن أفعل، هذا لا يتفق مع مقامي، ولا مع شأني، ولا مع أخلاقي، ولا مع سلوكي، ولا مع أهدافي ولا مع مبادئي، ولا أرضى به، ولا أقره، ولا أطمح إليه، ولا، ولا مائة حادثة تنفي.

الآية:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾

يعني زوال الكون أهون على الله من أن يهلك قريةً ظلماً، مال عاملة شي، قرية مؤمنة مستقيمة، تقيم الشرع فيما بينها، الله عز وجل يدمرها بزلزال، أو بفيضان، أو بحرب أهلية، لأن الله عز وجل قال:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

(سورة الأنعام: 65)

الله عز وجل قال:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)﴾

(سورة النحل: 112)

تدمير القرى، أم بالزلازل، أو بالبراكين أو بالصواعق، أو بالفيضانات، أو بقحط السماء، بجفاف السماء، أو بالأوبئة الفتاكة، أو بالحشرات التي تأتي على المحاصيل، أو بحرب أهلية، أو ببأس الإنسان لبعضه، هذا التدبير وفق حكمة بالغة، وفق تقدير حكيم، قال:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾

هل تصدقون أن ميم بالآية هي المفصل، ميم، لو قالوا وأهلها صالحون يهلكهم، متى لا يهلكهم إذا كانوا مصلحين، يعني الصالح لذاته الأناني هو صالح مستقيم، الناس يصطفلوا، ينباعوا بالعزى هالكانين، ما فيهن خير، كفار، هذا الإنسان الله يعاقبه، لكن، أين فعل الخير ؟ أين الأمر بالمعروف ؟ أين النهي عن المنكر ؟ أين إصلاح ذات البين ؟ هؤلاء مسلمون، لا يعنيك أمرهم، لا تهتم لهم لا تغار على أعراضهم، لا تبكي لبؤسهم، وشقائهم، من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم.

إذاً الله عز وجل يهلك الصالح، إذا انسحب من مجتمع وأثر سعادته الذاتية، وقال الناس يصطفلوا، أب عندك أولاد، أخ عندك أخوات، جار عندك جيران، رئيس دائرة عندك موظفين، شو يصطفلوا، انصحهم، نبهن، ذكرهم، صاحب معمل عندك عمال محل تجاري عندك صنايعية، أخي بدي بس يداوم، ينباع بالعزى يصطفل لا يصلي، إذا أنت كنت صالح لحالك، وما في عندك رغبة تكون مصلح الله يهلك.

بعض الأحاديث، أن الله أمر الملائكة بتدمير قرية، قالوا يا رب إن فيها رجلاً صالحاً، قال فيه فبدؤوا، به فبدؤوا، يا رب كيف ؟ قال: كان لا يتمعر وجهه إذا رأى المنكر، لا يتمعر وجهه إذا رأى المنكر.

فأنت مالك أهل ؟ مالك بنات ؟ مالك أولاد ؟ مالك بنات أخ ؟ مالك بنات أخت ؟ ما بهمك أمرهم ؟ أنت عم! أنت كبير القوم ! أنت أب ! بس بدك ذاتك، بتلاقيه بصلي بأول صف، وزوجته بثياب متبزلة، معقول هذا الكلام ! طيب ما تنصحها ؟ أنت قيم.

فهذه الآية كلها بالميم.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾

يعني إذا كانوا صالحين يهلكهم، أما إذا كانوا مصلحين.

بالمناسبة صالح أسم فاعل، صلح، يصلح، صالح.

أما إذا قلنا أصلح، هذه همزة التعدي، يعني أصلح غيره أصلح، يصلح، مصلح، مصلح، غير صالح، مثل علم، يعلم عالم أما، أعلم، يعلم، معلم، علم، يعلم، معلم.

بين صالح ومصلح مسافة كبيرة كثير، صالح بذاته يعني هو صالح في ذاته، لكن مصلح لغيره.

فإن لم تكن مصلحاً لغيرك، فالله عز وجل بحاسبك على ذنب السلبية، على ذنب الأنانية، على ذنب عدم فعل الخير، على ذنب عدم المبالاة في المسلمين

لذلك الحق إذا ما توسع، الباطل يتوسع ويحاصره، أحد أركان النجاة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾

(سورة العصر : 3)

فيا أيها الأخوة الكرام: هذه آية دقيقة، يعني الله عز وجل لا يهلك القرى بظلم ولكن يهلك بعدلٍ.

أنا حدثني مرة قصة على أنها بسيط جداً، لكن لها دلالة كبيرة قال لي أخ: سيارة تعمل على خط بين دمشق وبيروت، يظهر أن في شب وزوجته حجزوا بالسيارة مقعدين، وقال له نحن الساعة الثالثة فرضاً نحنا في انتظارك، الساعة الثالثة جاء السائق على الوقت، قال له أنتظر سوف تأتي محفظة، يعني شنتا هذا أنتظر السائق ربع ساعة ضاج ، وبعدين جاء رجل كبير بالسن يحمل على ظهره حقيبة أعطاها لهذا الشاب، الشاب وخزوه في صدره، ليش تأخرت قال له السائق ما عرف من هذا الإنسان الكبير بالسن، بعدين يبدو أن زوجته عنفته لهذا الشاب، أنه هذا أبوك هذا، لما سمع السائق أن هذا الرجل أبوه، وقف، قال له أنزل، أنزل نعمل حادث، طبعاً لو كان سكت السائق، أقره على عمله، لما أساء لأبوه هذه الإساءة هي السائق وقف موقف مشرف قال له أنزل، نزل هو وزوجته: قال له هل نعمل حادث، أنت إنسان مغضوب، أنزل، حادث بسيط جداً لكن له معنى كبير.

لو كل مسلم يلاقي أنحرف، أساء، عق والديه، سب الدين عمل عمل سيئ، نقاطع كليتنا، الحق ينتشر، سب الدين سكتنا أساء لأبوه سكتنا، اعتدى على أموال الناس سكتنا، جاملنا عزمنا كمان.

فلما نحنا ما بهمنا الخير العام بهمنا أنفسنا، نستحق العقاب من الله، هي الآية كلها بالميم، بالميم كلها.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾

لو أنهم صالحون يهلكهم، يهلكهم، هذا إنسان انسحب من المجتمع، شو بدي بالناس يصطفلوا، كل الناس هلكانين، كلهن لجهنم، الله لا يردون، هذا ليس موقف مؤمن يغار على المسلمين.

سيدنا رسول الله قال له جبريل: **لو أردت لأطبقت عليهم الأخشبين،**

((لا يا أخي اللهم أهدي قومي، أنهم لا يعلمون، لعلى الله يخرج من أصلابهم من يوحده.))

فآيتنا كلها اليوم.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾

إذاً ما تنجو من عذاب الله إلا إذا كنت صالحاً مصلحاً طاهراً مطهراً، مهتدياً هادياً، محسن، يعني لازم تخرج من ذاتك إلى خدمة الآخرين، حتى المجتمع يصلح، إذا كل واحد استقام لحاله وأنسحب، هذا أنسحب، المجتمع من له، لذلك العلماء قالوا، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو الفريضة السادسة، صوم صلاة، حج، زكاة، والفريضة السادسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدليل.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)﴾

(سورة آل عمران: 104)

نبدأ ببيوتنا، بزوجاتنا، ببناتنا، بأولادنا، بأولاد أخواتنا بأخواتنا البنات، أخوانا الذكور، بجيراننا، بأصدقائنا، بمعارفنا بشركائنا.

فنحن هذا إذا كان خرجنا من ذاتنا، بإصلاح غيرنا، الله عز وجل يرحمنا ويعفو عنا، ولا يهلكنا.

قال لهم به فأبدوا، أما إذا كان انسحبنا من المجتمع، وآثرنا حظوظنا حتى الروحية، ولم نعبئ بمستقبل أمتنا، إذا الدعاة انسحبوا والعلماء انسحبوا والمؤمنين ما نصحوا، والشباب ضايعين، فاسدين والمستقبل أسود ومظلم.

فيا أخوانا الكرام هذه الآية خطيرة جداً، يعني نحنا لا يكفي أن نكون صالحين، ينبغي أن نكون مصلحين، مصلح أسم فاعل من الرباعي، أصلح غيره يصلح، مصلح، أما صالح من الثلاثي صلح، يصلح، صالح، صالح ذاتياً، أما مصلح لغيره.

هي الآية كلها بالميم، مركز ثقلها بالميم، وبعدين، وما كان الله لِ، هذه أشد حالات النفي باللغة، أسمه نفي الشأن، يعني لا يفعل ولا يريد، ولا يتمنى، ولا يرضى، ولا يقر، وليس من أخلاقه وليس من طبيعته، ولا من سجيته، ولا من خصائصه، ولا من مقامه.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾

(سورة العنكبوت: 40)

ليست نفي الحدث، إذا قلنا لم يظلمهم، نفي الحدث.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾

نفي الشأن .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-6) : تفسير الآية 114 ، التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الربعة عشر بعد المائة من سورة هود وهي قوله تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114) ﴾

لنقطة الأول في هذه الآية، أن الله سبحانه وتعالى فتح باب التوبة على مصراعيه لعباده المؤمنين، لو تصورنا أن باب التوبة مغلق، والإنسان أرتكب ذنب ويئس من توبة الله عليه، ورحمة الله ما الذي يحصل ؟ يفجر، يعربد يعني مادام ما في توبة، ولا في قبول لتوبة، ولن يسمح عنه، ينحرف أشد الانحراف. لكن ربنا عز وجل، برحمته بعباده، فتح باب التوبة على مصراعيه، فكل إنسان وقع بذنب، يتوب إلى الله، وفي الحديث الصحيح، لله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد، والعقيم الوالد والظمآن الوارد.

لكن أحيان الإنسان إذا فعل الذنب، وتاب منه، رأى رحمة الله قريبةً منه، وشعر أن هذا الذنب محي، وعفي عنه، وكأنه لم يفعله، لكن لو وقع بالذنب مرة ثانية، الآن يتضعضع، يشعر كل المستهزئ بربه.

الإنسان إذا شعر أن هناك قوةً نشأة بينه وبين الله، وأن هناك ثلمةً لحقت إيمانه، وأن هناك حجاباً كفيفاً حال بينه وبين ربه، ماذا يفعل ؟

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

فكل إنسان بدو يتعامل مع ربه تعامل صادق، لو أنه زلت قدمه أو أرتكب خطيئة، عن غير قصد، وشعر بحجاب، في عنده حل واحد، هي الحسنات، سآتيكم ببعض الأحاديث.

ورد في الحديث الصحيح:

((أن صدقة السر تطفئ غضب الرب وأن الصدقة تقع في بيد الله قبل أن تقع في بيد الفقير، وباكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها))

فالإنسان إذا شعر أنه صار في حجاب وتاب سابقاً من هذا الذنب، ثم عاد الكره مرة ثانية، فلئلا يقع في اليأس، واليأس كفر، اليأس كفر، لا ييأس إلا الكافر، ولا يقنط إلا الكافر، لئلا يقع في اليأس، ولئلا يقع في القنوط، عليه أن يفعل الأعمال الصالحة، وفي مقدمة الأعمال الصالحة، إنفاق المال، والذي لا يملك إنفاق

المال، أي عمل صالح آخر صوم، الصوم تكفيراً لما وقع منه من ذنوب، إنفاق المال، خدمة الخلق، خدمة مسجد، خدمة الأهل، على كلٍ العمل الصالح معروف بالفطرة، ربنا عز وجل قال:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

بالمناسبة أخوان الكرام: هذه النفس هي حركية شديدة، معنى الحركية: أنك إذا فعلت سيئةً، ولم تتب منها، دفعتك هذه السيئة، إلى سيئةٍ أكبر، وأن فعلت الأكبر، ولم تتب منها، دفعتك إلى أكبر وهكذا ينتقل الإنسان من سيئة إلى أكبر، إلى أن يقع في الفاحشة الكبيرة، إلى أن يقع في ما يوجب الحد، فالنفس طابعها حركي، أو ديناميكي، إن فعلت حسنة، قادتك إلى حسنة أكبر منها، وأن فعلت سيئة قادتك إلى سيئة أكبر منها، ما في حالة سكونية بالنفس، إلا لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر.

إذاً من خطورة حركية النفس، إذا أنت أهملت نفسك، عملت بعض السيئات، ولم تبادر بالتوبة، بادرت إلى التوبة لقيت في حجاب هذا الذنب عملته مرة ثانية، إذا بدو الآن عمل صالح، بدو ترميم بدو إنفاق، فإذا الإنسان أهمل نفسه، لا تاب من الذنب، ولا رمم الثلمة التي في نفسه، بشكل أكيد، ينتقل من معصية إلى أكبر، من معصية إلى أكبر، إلى أن يقع في الحجاب السميك الذي لا يخرق هذا هو الران.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) ﴾

(سورة المطففين: 14)

أخطر شيء تتراكم المعاصي، ويتراكم الإصرار عليها، إلى أن تصبح هذه المعاصي، حجاباً كثيفاً بينك وبين الله.

لذلك سيدنا عمر قال: **تعاهد قلبك**، الإنسان شعر بفتور يعمل عمل صالح.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110)﴾

(سورة الكهف: 110)

في عمل صالح، في إنفاق مال، في صيام، في عبادة استثنائية في صلاة ليل، في تهجد، في خدمة الخلق، في خدمة المسجد، ممكن تبحث عن عمل يرمم هذه الثلمه، ممكن أن تتوب أولاً، إذا الذنب عملت مرة وحدة، يا ربي لا أعود إليه، الله قبل منك التوبة، أما إذا عملته مرة ثانية، بتحس صار في حجاب، لو قلت يا ربي تبت، غير مقبول، تحتاج إلى ترميم إلى حسنه، كي تذهب السيئة .

وإذا الإنسان أهمل نفسه، نفسه طابعها حركي، ديناميكي يعني كل حسنة تقود إلى أكبر، وكل سيئة تقود إلى أكبر، فإذا تفاقمت الذنوب، وأشتد الحجاب، أصبح لا يعي على خير، صار ميت، الله عز وجل قال:

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

(سورة النحل: 21)

ميت انتهى، هذا لا يصحو إلا عند الموت، هذه الحالة خطيرة جداً.

فالإنسان يتعاهد قلبه، بقلك واحد أنا غلط ما عاد إجي على المسجد، هذا الكلام يشبه تماماً، واحد قال أنا مريض، لما بطيب بشوف الطبيب، مستحي منه، هو الطبيب مهمته.

فإذا الواحد وقع بغلطه، لا يبتعد عن مجالس العلم، يتفاقم الغلط، لما الإنسان يقع بغلط، يرتاد المساجد أكثر، الله يستقبله، إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني، وحق على المزور أن يكرم الزائر.

ذا بقلك بس تصلح نفسي بجي على الدروس، هذا غلط كبير كمن يقول لك تماماً أنا حينما أشفى تماماً آتي المستشفى، عندئذٍ لا حاجة لك بها، المستشفى الآن أنت بحاجة لها.

فحينما تقع في مشكلة، أو تقع في حجاب، اقصد بيت الله عز وجل يقبلك في بيته، هو المضيف وأنت الزائر، ومن تمام الزيارة، من لوازم الزيارة إكرام الزائر، وحق على المزور أن يكرم الزائر.

فلذلك الآية اليوم:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114)﴾

يعني هي محاية، إذا أنت كاتب بالرصاص، ومعك محاية القضية سهلة، خطأ بمحي.

فالحسنة هي المحاية.

﴿ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114)﴾

بقي:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾

الحقيقة الصلاة، صلاة الفجر، النبي الكريم قال:

((من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله))

يعني أنت آخذ أمان من الله عز وجل، طوال هذا اليوم يكفيك الله ما فيه من شر، من مطبات، من ورطات، من مصائب، من افتراءات، من ابتلاء، من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله، لا تعجز عن ركعتين قبل الفجر، أكفك النهار كله.

حدثني أخ أنا والله أكبرته كثير، قال لي: أنا أستيقظ قبل الفجر، وأصلي الليل وأصلي الفجر ولي أذكاري، وأورادي، ولا أجرؤ أن أخرج من البيت، إن لم أفعل هذا، إن فعلت هذا، وخرجت من البيت أشعر بثقة كبيرة جداً أن الله يحفظني وأن الله يوفقني، وأن الله معي، وأن الله يؤيدني، وأن الله ينصرني، وأن الله يرزقني والله أنا أعجبت بهذا الإنسان، قال لي في مرة فقت بعد الشمس ما رحت على الدائرة خفت، خفت روح أقع بورطات كبيرة جداً، محصن.

من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله، ولو يعلم الناس ما في العتمة والصبح، لأتوهما ولو حبواً، زحف، ولو يعلم الناس ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً.

وكل ما قال لي إنسان أنا أعاني من مشكلة، أقول له الحل كما يلي: حديث صحيح.

يقول عليه الصلاة والسلام: إذا كان ثلث الليل الأخير، واحد عما يعاني من مرض لا سمح الله، له عدو كبير، قوي، عما يتربص فيه بدو يسحقه سحق، في له مشكلة ما عما تنحل، بيت ما عما يلاقي زوجة مناسبة ما عما يلاقي، بلا شغل صفيان، عنده مشكلة، مشكلة مؤلمة جداً النبي الكريم قال:

((إذا كان ثلث الليل الأخير، هذا وقت السحر، نزل ربكم إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من تائبٍ فأتوب عليه، هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفرٍ فأغفر له، هل من طالب حاجةٍ فأقضيها له، حتى ينفجر الفجر.))

أنا والله الذي لا إله إلا هو، كلما قال لي أخ أنا أعاني من مشكلة كبيرة جداً ماذا أفعل ؟ أقول له: صلي قيام الليل، واسجد واسأل ربك عز وجل أن يزيح عنك هذه المشكلة، وهذا ثقة بالله كبيرة جداً.

أخ من أخوانا الكرام، أبنه معه مرض، يبدو أنه عضال صار تفاقم ما عاد نام إطلاقاً، طول الليل عما يبكي، قال لي والله ذبحت خروف ووزعته، أقسم بالله قال لي بعد يومين، صار ينام، بس صروا عما يعاني ثمانية أشهر، ثمانية أشهر ما ينام بالليل، كل الليل بكاء، ما خلا طبيب، بعدين يئس، توجه إلى الله بالدعاء، وبذل هذه الصدقة وزعها على فقراء محتاجين، فشعر بدأ المرض يتراجع.

الله يسترض أخوانا، اللئيم لا يسترض، الله يسترض بالصدقة، بالصيام، بخدمة الخلق، القصد من هذا الدرس تراقب نفسك لا تهمل قلبك فتعاهد قلبك، قمت للصلاة شعرت في حجاب معناها في مشكلة، في معصية قائم عليها، شعرت أن هذا الذنب وقعت فيه مرة ثانية، إذاً بدو صدقة، نظرت النظرة الثانية الأولى لك، والثانية عليك عملت الثانية، هي بد مبلغ صار، حتى تم مع الله مستقيم، ما تهمل نفسك نفسك حركيه، معنى حركية، يعني ما تبقى بحالة وحدة، إن كنت نازل عما تنزل باستمرار، وإن كنت طالع عما بتطلع، مبدأ العطالة معروف هذا، الجسم يحافظ على حركته، إذا كان متحركاً وعلى سكونه إن كان ساكناً.

فإذاً الإنسان إذا عمل أعمال صالحة، هذه تقوده إلى الاتصال بالله، الاتصال بالله يقوده إلى عمل صالح أكثر، تكبر معه الأمور وإذا عمل عمل سيئ، يقوده إلى عمل أسوأ، والأسوأ حجاب والحجاب إلى أسوأ، والأسوأ حجاب، تتفاقم الأمور.

فلاحظ نفسك، وأنت في حالة الغفلة أو اليأس، أذهب إلى بيوت الله، واستمع إلى مجالس العلم، حتى الله يتجل على قلبك ويفتح لك شيء من رحمته، ويتنزل عليك بسكينته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-6) : تفسير الآيتان 118-119 ، الإختيار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآية الثامنة عشرة بعد المائة، والتاسعة عشرة بعد المائة من سورة هود وهي قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119) ﴾

هذه الآية أيها الأخوة: من الآيات المتشابهات، التي قد يتوهمها الناس في معناً، وهي في الحقيقة في معناً آخر.

أما معنى قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

أي أن الله سبحانه وتعالى لو ألغى اختيارهم، وألغى تكليفهم، وألغى الأمانة التي حملهم إياها، وطبعهم على شكل واحد، وطريقة واحدة هذا الهدى الذي يلغي اختيارهم لا قيمة له، ولا يسعدهم.

وأوضح مثل على هذه الفكرة، أن رئيس الجامعة، لو أراد أن يجعل كل الطلاب ناجحين، وزع عليهم الأوراق وعليها الإجابة التامة، مطبوعة طبع، وكلف الطالب أن يكتب اسمه ورقمه والعلامة مطبوعة مائة على مائة، مادام وزع أوراق وعليها الإجابة معناها كل الطلاب ناجحين، لكن هذا النجاح لا قيمة له إطلاقاً لا عند الطلاب، ولا عند الناس، ولا عند رئاسة الجامعة، نجاحهم تافه لأنه لا علاقة له بجهد الطالب ولا باختياره.

فربنا عز وجل كان من الممكن أن يلغي اختيار الإنسان ويلغي الأمانة التي حمله إياها، ويلغي التكليف الذي كلف به، وأن ينزع من نفسه الشهوات وأن يجعله على طريقة واحدة متشابها مع كل المخلوقات، إذاً هداهم جميعاً ولكن هذا الهدى عطل فيهم الاختيار وعطل فيهم التكليف، وعطل فيهم الأمانة، ولم يجعل منهم أناساً بذلوا جهداً، ولا اختاروا عبادةً، ولا طاعةً، إذاً هذا الهدى القصري لا قيمة له إطلاقاً.

كما أن ذلك النجاح، الذي يصطنعه رئيس الجامعة لطلاب من دون جهد، من دون دراسة، من دون امتحان، من دون تصحيح علامات أوراق، من دون تفاوت بين الطلاب، هذا النجاح الاجتماعي ما له قيمة إطلاقا،

يعني أحياناً بزور إنسان بلد يعطوه دكتوراه فخرية يكتب دكتور، لكن لا تحس هذه الدكتوراه لها قيمة، لأنها عمليه برتوكولية.

أما حينما يؤلف الإنسان كتاب فريد من نوعه، يبذل فيه سبع سنوات دراسة، وتنقيب، وبحث، وكتابة، وتصحيح، وطبعات، ثم ينجح هذا الكتاب، ويقول الناس عنه دكتور، تحس هذا اللقب يتناسب مع هذا الجهد.

إذاً حيثما وردت في القرآن الكريم هذه الآيات.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾

(سورة الرعد: 31)

معنى ذلك إن الله عز وجل إذا سلب الاختيار، وسلب الأمانة والتكليف، نزع الشهوة، دمى أصبح البشر، دمى، هذا الهدى ما له قيمة إطلاقا، ولا يرفع من شأنهم ولا يسعدهم في الآخرة.

لذلك الروعة لا أن يتشابه الناس، بل أن تأتي النتائج وفق المقدمات، الذي استقام له الجنة، الذي انحرف له النار، الذي تحر الرزق الحلال له رزق وفير، الذي أكل أموال الناس بالباطل يتلف مواله.

أروع ما في الحياة أن تأتي النتائج مطابقةً للمقدمات، لا أن تكون النتائج كلها علامات عالية، الآن الجامعة المحترمة في عندها رسوب، لكن أروع ما فيها أن الطالب الجيد علامته عالية، والسيء راسب، تطابق النتيجة مع المقدمة هو العدالة، هو الشيء الطيب والرائع، واللطيف.

إذاً:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118)﴾

لماذا هم مختلفون ؟ لأن الله أعطاهم حرية الاختيار، ولو ألغى هذه الحرية لما اختلفوا، فاختلافهم دليل حريته، إلا من رحم ربك، لكن هؤلاء الذين اختاروا الهدى، وتجل الله عليهم لا يختلفون، المؤمن إذا دخل على مائة منافق وفيهم مؤمن واحد يميل إليه.

المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادون ولو ابتعدت منازلهم والمنافقون بعضهم لبعض غشش متحاسدون ولو اقتربت منازلهم.

فالاختلاف دليل الاختيار، أما لو مائة إنسان اختاروا الله ورسوله يتشابهوا، أخلاق رفيعة، صدق، أمانة، عفاف، استقامة غض بصر، دخل حلال، إنفاق، إحسان، فاعدم الاختلاف دليل المشرب الواحد، إذا في مشارب متعدد في اختلاف، الإنسان مخير فاختلاف الناس دليل أنهم مخيرون، واتفاقهم دليل أنهم ينهلون من مشرب واحد.

فالمؤمنون مبادئهم واحدة، قيمهم واحدة، أهدافهم واحدة وسائلهم واحدة، بتلاقي مؤمن في الشام يتلاقي مع مؤمن في أقصى الصين، يشعر أقرب له من أخوه، مؤمن يلتقي مع مؤمن بالمغرب بجنوب إفريقيا، بشمال أوربا، بكندة بتلاقي في توافق عجيب مبادئ واحدة، هدف واحد، استقامة، طهر، عفاف، حياء، خجل أدب، ذوق، إحسان، رحمة، إنصاف، عدل.

﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118)﴾

لأنهم مخيرون، واختاروا أشياء متفاوتة، أما لو أنهم اختاروا شيء واحد وهو.

﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ﴾

(سورة الأحزاب: 29)

لو اختاروا جهةً واحدة، إذاً يتفقون، لا يختلفون.

طيب الله لماذا خلقهم ؟ قال خلقهم ليتعرفوا إليه، وليسعدوا بقربه، وليرحمهم.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

هذه الآية واضحة وضوح الشمس، هذه الآية، الآية المحكمة التي تبين سر وجودنا على وجه الأرض.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

خلقهم ليرحمهم.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)﴾

هذه الآية أيضاً مشكلة، إذا فهمناها فهم سطحي نقع بإشكال كبير جداً، يعني معقول نحنا نبني سجن مركزي، فخم، حديث، وفق المواصفات العالمية الحديثة، بس ما حدى عما يرتكب ذنوب، نعمل حاجز بالطريق، الكل على السجن، ليش فاضي لأنه بدنا نعبيه، هذا المعنى مقبول على ذات الله الكاملة ؟

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)﴾

بدنا نعبيها جهنم ما في خواص، طيب ما في أحد عما يذنب، كيف ما كان بدنا نعبيها، هذا معنى ساذج، هذا معنى لا يليق بكمال الله.

لكن الإنسان إذا توهم أن الله أجبره على المعصية، هو واهم لو أن الله أراد أن يجبره، لما أجبره إلا على الهدى، أما هذه المعاصي التي تقترف هي من اختيار الإنسان، ومن كسبه، لذلك سيدخل النار من أجلها، هذا المعنى الدقيق لو أن الله أراد أن يجبر عباده على شيء ما، لأجبرهم على معرفته.

﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾

لو شاء أن يسلبهم اختيارهم لأجبرهم على طاعته، أما هذه المعاصي، الموبقات، التي تقترف هذه ليست من إجبار الله، هذه من كسب الإنسان، لذلك سوف يدفع الإنسان ثمن هذه المعصية باهظاً وهو دخول النار، وتمت، يعني قانون ربنا قرر أنه المعاصي من كسب البشر، هم مخيرون، وهم مسئولون، وسوف يدفعون ثمن هذه المعاصي باهظاً.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)﴾

أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وضحت هذه الآية، هذه الآية مشكلة، وآية لو الإنسان قرأها، وأخذها على ظاهرها، ربما أساء الظن بالله عز وجل، لأن الآية الكريمة جاية.

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

(سورة آل عمران: 154)

حسن الظن بالله ثمن الجنة.

يعني لو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجبر عباده على شيء ما، على ماذا أجبرهم ؟ على طاعته.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾

(سورة السجدة: 13)

لو شئنا أن نلغي اختياركم، لو شئنا أن نلغي تكليفكم لو شئنا أن نلغي الأمانة التي حملتموها، وأجبرناكم على شيء ما، لما أجبرناكم إلا على الهدى.

﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾

لكنكم إذا توهتم أن هذه الأفعال التي تفعلونها هي من إجبار الله فأنتم واهمون هي من كسبكم، ومن اختياركم ولهذا الكسب والاختيار جزاء عادل وهو النار.

إذاً معنى الآية.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118)﴾

لأنهم مخيرون، أما لو أن فئةً من الناس اختاروا الله ورسوله والدار الآخرة وأقبلوا عليك لما اختلفوا، لتفقوا واجتمعوا، وتحاببوا.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

الهدف الإلهي الكبير من خلق الإنسان أن يرحمهم، وأن يسعدهم في الدنيا والآخرة ولذلك خلقهم.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾

قانون ربنا، أنه:

﴿مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾

(سورة فصلت: 46)

لكل سيئة عقاب، السيئات التي تقترف ليست من إجبار الله، إنما هي من كسب الإنسان.

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آَبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28)﴾

(سورة الأعراف: 28)

عقيدة أهل الشرك.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾

(سورة الأنعام: 148)

ترتيبه أخي ما تصلي ؟ الله ما أراد لي الهدى، سبحان الله، الله الله ما أراد لي الهدى، وكمان بسبح الله عليها، الله ما أراد لي الهدى، الله عز وجل أراد الهدى لكل الخلق، فأنت مخير.

إذاً:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾

أن الأعمال السيئة هي من كسب الإنسان، من اختياره، يتحمل نتائجها.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾

من هؤلاء الذين يزعمون أن الله أجبرهم على الطاعة.

آخر قول لسيدنا الحسن البصري: **لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب اختفت الجنة.**

لو فرضنا واحد قدمت له أوراق بالامتحان مكتوبة جاهزة، هو لا يقرأ ولا يكتب أمي، قدمت له أوراق وأخذ أعلى علامة بالقطر مثلا وعملنا احتفال ضخم من أجل تكريم التفوق تبعه، هذا التفوق له معنى ؟ تفوق غير ...... إطلاقاً.

لو كان الله أجبر العباد على الطاعة لبطل الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب، لماذا فعلت كذا؟ أنت أجبرتني أنا مالي علاقة، ولو أنه تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة، إن الله أمر عباده تخيراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعصى مغلوباً، ولم يطع مكرهاً.

الآية تمت.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-6) : تفسير الآيات 119-123 ، القصة في القرآن - عبادة الله والتوكل عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

الآيات الأخيرة، ولا سيما الآية العشرون بعد المائة، والآية الثالثة والعشرين بعد المائة من سورة هود، وهي قوله تعالى:

﴿وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120) ﴾

أيها الأخوة: هذه الآية أولاً تدل على أن أنجع وسيلة في التربية القصة، القصة الواقعية، والقصة المتعلقة بالبطولات والإيجابيات، قد تقرأ قصةً لكاتب معاصر، يصور لك فيها الإنسان في أحط مستوياته، في نوازعه الدنيا، في مشاعره الرخيصة، في دناءته يصور لك المجتمع في تفككه، يقول لك هذه قصة واقعية، تماماً كمن ينقب في القمامة، ماذا سيجيد ؟ كل شيء يدع إلى اشمئزاز.

لكن إذا رويت للناس قصص الصلحاء، الصالحين، الأبطال القادة، الفاتحين، المؤمنين، الصادقين، الصدقين، هؤلاء يرفعون في نفسك معنويات عالية.

﴿ وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾

يعني أنت كأب إذا أردت أن توجه أبنائك التوجيه الصحيح، احرص على أن تسمعهم قصةً واقعيةً ترتبط فيها النتيجة بالمقدمة، أن هذا الإنسان فعل كذا وهذه هي النتيجة، اغتصب أموال الناس بالباطل دمر الله أمواله استقام على أمر الله أكرمه الله، كلما ربط المقدمة بالنتيجة ربط منطقي، وفي عدالة، وفي رحمة، تكون هذه القصة أسعد في نفس المستمع.

لذلك كأب، وكمربي، وكمعلم وكداعية، يجب أن تستخدم الأسلوب التربوي الذي استخدمه القرآن الكريم مع النبي، أراد الله سبحانه وتعالى أن يثبت قلب النبي ماذا قال له ؟

﴿ وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾

فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يثبت فؤاده بقصص الأنبياء، والصالحين، فنحن من باب أولى أننا إذا قرأنا قصة النبي عليه الصلاة والسلام تزكوا نفوسنا، وتشتئب أعناقنا إلى هذا المقام الرفيع.

لذلك أيها الأخوة تعد هذه الآية، أحد الأدلة الكافية على أن تحتفل بعيد مولد النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾

يعني ماذا فعلت إذا جمعت الناس في بيتك وأسمعتهم شيئاً من شمائل النبي، وأخلاقه، وسيرة النبي ومواقفه، ثم أطعمتهم الطعام، هذا الاحتفال، عند هذا الحد لا شيء عليه أبداً، بل هو محض طاعة الله عز وجل، محض الائتمار بأمر الله، محض الانسجام مع توجيهات الله عز وجل، ماذا قال عز وجل:

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (69)﴾

(سورة المؤمنون: 69)

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾

حض على أن نعرف رسولنا لأنه قدوة لنا.

شيء آخر.

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾

أسمعوا الآية:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾

أن تفعلوا هذا الشيء.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾

(سورة سبأ: 46)

يعني أنت مفروض فيك كمسلم تتفحص هذا الدين، تقرأ القرآن، تقرأ السنة، تدلي برأيك بهذا الدين، إما أنه حق تتبناه، أو أنه في أخطاء ترفضه، أما ما لك علاقة لا سلباً، ولا إيجاباً، هذا موقف في غباء.

إنسان جاءته رسالة أيها الأخوة: بربكم ماذا تحكمون عليه لو أنه مزقها قبل أن يقرأها ؟ اقرأها وبعد ذلك مزقها، فالإنسان له حق يرفض شيء قبل أن يطلع عليه.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾

إذاً ممكن أن يكون الأسلوب التربوي أنجع أسلوب في تعليم الأبناء، وفي تعليم الكبار، وفي الدعوة إلى الله، وفي إرشاد الناس وفي تربية الطلاب، يقوم بها المعلم، والأب، والمربي، والداعية والخطيب، وأي إنسان آخر.

القصة شيء ثمين، ببساطة لأنها حقيقة مع البرهان عليها، لو حدثتنا بالمثل المجردة، ماذا يقال لك ؟ أخي هي كلها مثاليات، أما إذا جئت بقصة فيها بطولة، هي مثالية لكنها واقعة، هذا ما يسمى بالمثالية الواقعية، هذه الآية الأولى الآية الأخيرة:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

وهذه الآية من أدق الآيات في كتاب الله.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

يعني ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن أمرك كله بيده، لو أن أمرك بيد غير الله عز وجل، كيف يأمرك أن تعبده ؟ معك الحجة، يا رب أنا بدي اعبد فلان لأنه مصيري بيده، حياتي بيده، رزقي بيده، إذا غضب عليّ يقطع رزقي، إذا غضب عليّ يقتلني، كيف أعبدك يا رب وحدك لكن الله طمأنك.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

ولو قال لك إليه يرجع الأمر يعني كل الأمر، لكن كل توكيد.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

المعنى واضح كله، كل أنواع الأمر، أمر صحتك، أمر أعدائك، أمر أقوى منك أمر أضعف منك، أمر دخلك، رزقك، أمر من حولك، من فوقك من دونك.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

ولو أن الله ملكك إلى أحد خلقه، لا يستحق أن يعبد، ولو أن الله ملكك إلى أحد خلقه، قال لك:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

لذلك الإنسان ما يرتاح حتى يوحد، إذا وحد علاقته مع جهة واحدة، اعمل لوجهٍ واحدٍ يكفك الوجوه كلها، من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله الهموم كلها.

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)﴾

(سورة هود: 56)

ضع هذه الحقيقة بذهنك، لما ربنا عز وجل يجعل أمرك بيد غير ذاته، كيف يقول لك اعبدني يا عبدي ؟ الله قال لك:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

إذاً نحن نعبده لأننا بيده، ولأننا في قبضته، ولأن أمرنا كله بيده، ولأن مصيرنا إليه، ولأننا راجعون إليه، ولأن حياتنا بيده وأعضائنا بيده، وحواسنا بيده، وعقلنا بيده، وزوجتنا بيده، وأولادنا بيده، ورزقنا بيده، ونجاحنا في الدنيا بيده، وإخفاقنا بيده، هو المعز وهو المذل، وهو الرافع، وهو الخافض، وهو القابض، وهو الباسط وهو بكل شيء عليم.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

كل ما واجهة مشكلة، في قضية شخص أقوى منك عما يهددك طريق مسدود، تذكر هذه الآية.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله، أوثق منك بما في يديك، إذا أردت أن تكون أكرم الناس فتقي الله.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

(سورة الحجرات: 13)

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : تفسير سورة يوسف

الدرس (24-01) : قصة سيدنا يوسف – التوحيد

الدرس (24-02) : تفسير الآيتان 4-5 ، حب الظهور يقصم الظهور !

الدرس (24-03) : تفسير الآية 6

الدرس (24-04) : تفسير الآية 6

الدرس (24-05) : تفسير الآيات 7-9، 15-21

الدرس (24-06) : تفسير الآيتان 22 – 23

الدرس (24-07) : تفسير الآيات 23 – 33

الدرس (24-08) : تفسير الآيات 30 – 35

الدرس (24-09) : تفسير الآيات 34 – 36

الدرس (24-10) : تفسير الآيات 36 – 41

الدرس (24-11) : تفسير الآيات 41 – 50

الدرس (24-12) : تفسير الآية 67

الدرس (24-13) : تفسير الآيات 50 – 54

الدرس (24-14) : تفسير الآيات 51 – 53

الدرس (24-15) : تفسير الآيتان 55-56 ، المؤمن مِقْدام للخير

الدرس (24-16) : تفسير الآيات 58 – 65

الدرس (24-17) : تفسير الآيات 81 – 86

الدرس (24-18) : تفسير الآيات 88 – 94

الدرس (24-19) : تفسير الآيات 94 – 100

الدرس (24-20) : تفسير الآيات 101 – 102

الدرس (24-21) : تفسير الآيات 103 – 104

الدرس (24-22) : تفسير الآيات 106 – 108

الدرس (24-23) : تفسير الآيات 109 – 110

الدرس (24-24) : تفسير الآية 111

الدرس (01-24) : قصة سيدنا يوسف – التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

أسلوب التقرير، إذا قلت:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّـهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

(سورة محمد: 19)

أي لا مسير لهذا الكون إلا الله، لا معطي إلا الله، لا مانع إلا الله، لا رافع إلا الله، لا خافض إلا الله، لا معز إلا الله، لا مذل إلا الله، هذا معنى التوحيد، ربنا عز وجل قال في آيات كثيرة.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)﴾

(سورة الأنبياء: 25)

وقال تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّـهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

ولكن كلمة لا إله إلا الله، كلمة التوحيد في قصة يوسف تأتي بأسلوب آخر، تأتي على شكل قصة، أخوة يوسف أقوياء، أشداء، اجتمعوا، اتفقوا، قرروا أن يضعوا أخاهم في غيابت الجب، هذه مشيئتهم، ولكن مشيئة الله تقتضي أن يكون هذا الطفل الصغير، الضعيف، نبياً كريماً، وعزيز مصر، يتسلم قمة المكانة الاجتماعية والسياسية.

فبدل أن يقول الله عز وجل: فاعلم أنه لا إله إلا الله، بأسلوب مباشر، عبر عن هذه الحقيقة بأسلوب آخر، عن طريق قصة لها بداية، عقدة، نهاية، شخصيات، حوادث، حبكة، تحليل، حوار، سرد، وصف، هذه أطول قصة في القرآن الكريم، إذا قرأتها كلها تشعر في كل خلية في جسمك أنه لا إله إلا الله، أحياناً لما نقرأ تعبير مباشر تقريبي، كقولك:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّـهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

هذه لعقة عسل مكثفة، أما حينما تذيب هذه اللعقة في كأس ماء وتحركه وتشربه، القصة شربة عسل، التعبير التقريري، لعقة عسل، أما التعبير التصويري الفني، شربة عسل.

لذلك الإنسان دائماً في عنده خطوط دفاع، إذا جاء الكلام التقريري المباشر خلاف قناعته يرفضه، لكن القصة تتغلغل وهو لا يشعر إلى أعماقه فتحدث قناعات جديدة، لم يكن ليقبلها لو جاءت بشكل مباشر.

لذلك الله عز وجل قال:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

(سورة يوسف: 111)

يعني قصة، أسلوب راقي جداً، فعال جداً، مؤثر جداً، يتغلغل في أعماق الإنسان، ويحدث قناعات جديدة لم تكن من قبل، لأنه قصة.

لذلك القصة تعد من أشد الوسائل التربوية فعاليةً، من أشدها تأثيراً، ذلك لقدرتها على التغلغل في أعماق الإنسان، ذلك لأنها تصف الإنسان وهو أقرب شيء للإنسان، تصف أخاه الإنسان في قوته، وفي ضعفه، في سموه، وفي انحطاطه، تصف المجتمع في تماسكه وتفككه، في رقيه وفي هبوطه، القصة وسيلة من وسائل الوصف والتحويل، والتصوير، والتغلغل في أعماق الإنسان، وتخطي خطوط دفاعه.

لذلك ليس عجباً ، مثلاً: الله عز وجل حينما يذكر قصة في القرآن الكريم ما أرادها أبداً قصة، أرادها حقيقة يعبر عنها بشكل قصة، فإذا فهمت القصةَ قصةٌ للمتعة وإملاء الوقت فأنت واهم.

أحياناً ربنا عز وجل يذكر القصة ويصل منها إلى القانون، قال سيدنا يونس

﴿: فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) ﴾

(سورة الأنبياء: 87)

وهو في بطن الحوت، بعد أن التقمه الحوت في ظلمات ثلاث، في ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر.

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾

القصة انتهت.

الله جل جلاله ما أرادها قصة، ما أرادها قصة وقعت ولن تقع بعد اليوم، أرادها قانوناً وقال:

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

(سورة الأنبياء: 87)

في أي عصر، في أي مكان، أي زمان، أي مؤمن، غني، فقير، أبيض، أسود، ريفي، مدني، في عصور قديمة، في عصور حديثة، أي مؤمن.

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

فيا أيها الأخوة الكرام إذا قرأتم القصة في القرآن ينبغي أن تبتعدوا عن أن تفهموها قصة، إنها حقيقة، لكن جاء التعبير عنها بشكل قصة، ما أرادها الله قصة، أرادها قانوناً.

سيدنا يوسف قال:

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾

ماذا قال بعد ذلك ؟

﴿رَأَيْتُهُمْ﴾

يجب أن يقول رأيتها، كل شيء لا يعقل يجمع جمع مؤنث سالم، أنت تقول رأيت النوافذ رأيتهم ؟ أنت باللغة العربية، الأبواب رأيتهم ؟ هي هم للعاقل، الأبواب رأيتها جيدة، المراوح رأيتها تعمل، كل جمع غير عاقل يجمع جمع مؤنث، هون.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾

معناها ليست الشمس شمساً، ولا القمر قمراً، ولا الكواكب كواكب إنها أمه، وأبوه، وأخوته.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4)﴾

فلما دخلوا على يوسف، هذا السجود ليس سجود العبادة، لكن سجود التقدير، والخضوع، هكذا قال العلماء.

إذاً ماذا فعلوا أخوة يوسف ؟ وضعوه في البئر، في غيابت الجب ليموت.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾

(سورة يوسف: 19)

يعني: إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان عليك فمن معك.

ما من عبد يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده أهل السماوات والأرض، إلا جعلت من بين ذلك مخرجا، وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته، إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه، وقطعت أسباب السماء بين يديه.

إذاً قصة سيدنا يوسف يمكن أن تقع في كل زمان، وفي كل مكان، ومع أي مؤمن، مهما كان أعدائك أقوياء، كثر، أذكياء، بيدهم مقاليد، إذا كان الله معك، معك كل شيء.

إذاً هذه القصة شربة عسل، وكلمة فاعلم أنه لا إله إلا الله، لعقة عسل.

السؤال: هل ورد في هذه القصة مغزاها ؟ الكُتاب عادةً يكتبون القصة ويدعون للقارئ أن يستنبط مغزاها، لكن ربنا عز وجل لحرصه على عباده يذكر القصة وفي الأعم الأغلب يذكر مغزاها، ورد مغزى القصة ؟ الجواب ورد، في ثنياتها، قال:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(سورة يوسف: 21)

أمره هو النافذ، مشيئته هي النافذة، ما شاء الله هو كان، وما لم يشاء لم يكن.

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾

(سورة فاطر: 2)

إذا أراد الله شيئاً وقع، وإذا وقع الشيء فقد أراده الله، هذا التوحيد، على كلٍ لنا مع هذه القصة وقفات متأنية إن شاء الله في الدروس القادمة، والذي أرجوه أن نفهم القصة فهماً عميقاً، وأن نستنبط منها الحقائق، والدقائق، والمواعظ، والعبر، والقوانين، ومعالم الطريق، حتى تكون القصة قرآن، قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

سيدنا يوسف انتقل إلى رحمة الله من آلاف السنين، وهو عند الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، لا يستفيد أن نذكر قصته، لكن نحن وحدنا نستفيد إذا فهمنا هذه القصة فهماً عميقاً، فاليوم إطلالة عامة على القصة، لكن إن شاء الله بالدروس القادمة نعود إليها، ونستنبط بعض القوانين والحقائق منها.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (24-02) : تفسير الآيتان 4-5 ، حب الظهور يقصم الظهور !

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام، مع الآية الخامسة من سورة يوسف عليه السلام قال تعالى:

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)﴾

[سورة يوسف]

أوّلاً: كَثْرَةُ الظُّهور تَقْصِمُ الظُّهور، فأحْيانًا ينْشأ لدى الإنسان رَغْبة لإظْهار ما عنده ؛ بيْتَهُ وأثاثهُ وثُرَيَّات، وسُجَّاد، ومَرْكَبَته، ورِحْلاتِه وعَقْد قِران ابنِه، هذه الرَّغْبة غير مَشْروعَة لأنّ الله تعالى وصَفَ قارون، ماذا فَعَل؟! خرَجَ على قَوْمِهِ بِزينتِه، قال تعالى:

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(79)﴾

[سورة القصص]

وهناك آية أدَقُّ من ذلك، وهي قوله تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(83)﴾

[سورة القصص]

فالآخرة أحَدُ أثْمانِها أنَّ الذي يَطْلُبُها لا يُريدُ عُلُوًّا في الأرض، وكلّ إنسان يبْتغي العُلُوّ في الأرض إما عن طريق التَّباهي بِمَتاعِهِ، يقول الإمام علي كرَّمَ الله وَجْهه: في آخر الزَّمان؛ قيمة المرء متاعهُ فقيمتُكَ الاجْتِماعيَّة تَسْتَمِدُّها من مساحة بيْتِك، ومِن ثمن بيتِك، ومن مَوْقِعِ بيتِك، ومِن مركبة سيارتِك، ومِن حجْم دَخْلِك، ومن أناقة بيتك أما القِيَم فهي مُنْعَدِمة، لذا كلّ إنسان حَجْمُهُ الاجْتِماعي عند الناس بِحَجْمِهِ المالي.

متى يبْحث الإنسان عن العُلُوّ في الأرض ؟ إذا أفرط بالبُعد عن الله تعالى، ومتى يبْحث عن السَّجداء المديح والسَّجداء الثَّناء ؟ ومتى يشْعر بِنَشْوةٍ إذا دُهِشَ الناس بما عنده ؛ ماله وأناقة بيْتِه، وطعامِه ؟! هذه الأعراس التي تُقام بالفنادِق وتُكَلِّف عشرات الملايين، لماذا هي ؟ قال تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(83)﴾

[سورة القصص]

كلّ إنسان أكْرمهُ الله بالاتِّصال به وذاقَ طَعْم القُرْب، يسْتَغْني عن مديح الناس، وحُبِّ الظُّهور.

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)﴾

[سورة يوسف]

لم يَقُل: رَأَيْتُها، هذا لو كان الشَّمْس والقمر، فَكُلّ جمْع غير عاقل يُجْمَع جَمْع مُؤَنَّث، إنَّما قال رأيْتُهم، فالمَقْصود بالشَّمْس أبوه، وبالقَمَر أمُّه، وبالكواكب أخوته شيءٌ دقيق جدًا؛ جِبِلَّةُ النَّفْس الإنسانِيَّة فُطِرَت على صِفَةٍ هي الغَيْرَة، والغيرَة في الأساس تُوَظَّف في الحق والباطل فلو رأى إنسانٌ رجلاً مُؤْمِنًا مُتَفَوِّق في إيمانِه واسْتِقامَتِه، وعمَلِهِ ودَعْوَتِهِ إلى الله عز وجل فهناك مَن وظيفتهم الغيْرة، فالغيْرة إذا اتَّجَهَتْ إلى أعْمال الآخرة فَهِيَ مَحْمودة، تُصْبِحُ حينها غِبْطة، أما إن اتَّجَهَت إلى الدنيا تُصْبِحُ حَسَدًا فَأَهْل الدِّين يغارون مِن بعْضِهم بعْضًا، ويتمنَّى الذي لا يَحْفَظ القرآن أن يحْفظَهُ، والذي لا يقوم الليل أن يقومَهُ والذي يُنْفِقُ مئَةً أن يُنْفِقَ ألْفًا، فالغَيْرة في حَقْل الدِّين مَطْلوبَة، والله عز وجل قال:

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ(26)﴾

[سورة المطففين]

وقال تعالى:

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ(61)﴾

[سورة الصافات]

إلا أنّ هذه الغيرة هي المَحْمودة، والنبي عليه الصلاة والسلام سمَّاها بالمَجاز الحَسَد، قال عليه الصلاة والسلام: عن قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا))

[رواه البخاري]

فهذه الجِبِلَّة هي في النَّفْس البَشَرِيَّة، وهي أنَّ الإنسان يتمنَّى أن يكون كأخيه، شيء طيِّب، لكن هذه الجِبِلَّة قد تُصْرف في الحق، وقد تُصْرَف في الباطل، ففي الحق مُنافَسَة، وفي الباطل حسَد، والحسَد يُوَلِّد المكائد والمؤامرات.

يبْدأ بِتَمَنِّي زوال النِّعْمة عن أخيه، وأن تتحوَّل إليك، هذا أوَّل مُسْتوى والمُسْتوى الأعلى يتمنَّى أن تزول عن أخيك دون أن تَصِلَ إليك والثالثة أخْطر: يتحرَّك، ويُقَدِّم شَكْوى كي يُضْبط بِمُخالفَة، فهذا يُتْبِعُ التَّمَنِّي بِعَمَل، والتَّخْطيط له وبِسُلوك وشَكْوى وتَقْرير ووِشايَة.

فهؤلاء المستويات أحلاهم مُرّ، وهؤلاء إذا رأَوْا إخوانهم في الضِّيق فَرِحوا، والثالثة هي مِن أشَدِّ أنواع الحسَد، أما إذا الإنسان غبط أخوه من أجل الآخرة ؛ حفظ القرآن، وإيمانٍ قوِي، إنسان طليق، إنشاء مَسْجد، فهذا كلُّه اسمُهُ غِبْطة وهو مَقْبول وفضيلة، وهو الذي يُحرِّكُ الإنسان إلى مَرْضاة الله عز وجل، والغيرة في الحق فضيلة .

فالآية:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(83)﴾

[سورة القصص]

التَّعْليل العِلمي، لمَّا الإنسان يَقْسو قلبُه من الاتِّصال بالله عز وجل وليس حولَهُ إلا ثناء الناس عليه، يَسْعى حينها إلى الظُّهور، يبْني حياته كلَّها على المظاهر ؛ إن في البيت أو في العمل أو في الإنفاق أو الولائم، فالأصل في هذا ثناء الناس عليه في ذَوْقِه وأخْلاقِه وإنفاقِه فهذا مرض خطير، والله عز وجل حينما يعْلم من العبْد هذا الاتِّجاه يُخَيِّبُ ظنَّهُ كثيرًا، يأتي الحسد فيقول لك: به عَيْنٌ .

لله درُّ الحسَدِ ما أعْدَلَه بدأ بِصاحِبِهِ فَقَتَلَهُ ، فلمَّا الإنسان يُحاوِل الظُّهور، وإبداء ما عنده فما عليه إلا أنْ يتحمَّل حسَدَ الحُسَّاد، فالآية فيها إشارة لطيفة:

﴿قَالَ يَا بُنَـيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)﴾

[سورة يوسف]

هناك أشْخاص يتكلَّم في المجالس عن زَوْجَتِه ! مُمْتازة خياطة وطبَّاخة وإن كان قليل المروءة قد يتكلَّم عن جمالها ! وهذا عن دَخْلِهِ وإنْفاقِه ونُزُهاتِهِ، وعن ولائِمِه، قال تعالى:

﴿قَالَ يَا بُنَـيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)﴾

[سورة يوسف]

فالاسْتِنْباط الأوَّل من هذه الآية هو: أنْ لا تُحاوِل أن تَعْلُوَ في الأرض عن طريق إظْهار ما عندَكَ، أما إذا كان هناك اتِّصال بالله عز وجل وتَجَلِّي على قلْب الإنسان، يشْعر الإنسان بِغِنى عن مديح الناس له وعن ثنائِهِم، وهذا سِرُّ الإخْلاص، فهو لا يحتاج إلى ظُهور ولا إلى عُلُوّ ولا إلى مديح، لأنَّه جاءَهُ من الله تعالى من الطمأنينة والسَّكينة ما أغْناه عن هذه المشاعِر المَرَضِيَّة.

فيا أيها الأخوة الكرام، هذه القِصَّة منا قلْتُ في دَرْسٍ سابِق فيها اسْتِنْباطان كثيرة، وفيها حوارات، ومواقف، وتَحليل، وعُقَد وحركات، وسَرْد، وكلّ شيء في القِصَّة يعْني قاعِدَة ينبغي أن نتَّخِذَها في حياتنا.

مُلَخَّص هذا الدرس ؛ كَثْرة الظُّهور تَقْصِمُ الظُّهور، قال تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(7)﴾

[سورة القصص]

والإنسان إذا رأى شيئًا جميلاً، وسيارة جميلة، ومَكْتب فَخْم، ماذا يفْعَل ؟ يقول كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللهم لا عَيْش إلا عيش الآخرة))

وهذه هي السنَّة، كما أنَّه يدْعو بالبَرَكة، وفي دَرْس آخر نُتابع هذا الموضوع.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-24) : تفسير الآية 6

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علّمتنا وزِدْنا عِلما، وأرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام، ففي الآية السادسة الكريمة من سورة يوسف وهي قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آَلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)﴾

(سورة يوسف)

نقِفُ في هذه الآية عند كلِمَةٍ واحِدَة ؛ ويُعَلِّمُكَ من تأويل الأحاديث، إذْ هناك مَن يَفْهم النَّص فهْمًا يُهْلِكُهُ، وهناك آخر يَفْهَمُ النَّص فهْمًا يُسْعِدُهُ فالحديث شيء، وتأويلُهُ شيء آخر، مثلاً: لو أنَّك فهِمْتَ قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(8)﴾

[سورة الشمس]

إذا فَهِمْتَ أنَّ الله يُلْهِمُ العَبْد الفُجور، ويُجْبِرُهُ عليه فأنت هنا وَقَعْتَ في شرِّ عقيدة ؛ عقيدة الجَبْر، وعَزَوْت إلى الله تعالى كل الأخْطاء وتقول: هكذا يُحِبّ الله !! يشْرب الخمْر ويقْطع الرَّحِم، ثمَّ يقول لك: هكذا يُحِبّ الله !! إذا فَهِمْتَ هذه الآية على أنَّها جَبْر هَلَكْتَ وأهْلَكْتَ، أما إذا فَهِمْتَ هذه الآية على أنَّها الفِطْرة فالنَّفْسُ إذا فَجَرَتْ تَعْلَمُ أنَّها فَجَرَت من دون أن يُعْلِمَها أحَد، فالله ألْهَمَها أنها فَجَرَتْ ؛ الكآبَة، والشُّعور بالذَّنْب، والنَّقْص، ومُرَكَّب النَّقْص، فهذه المشاعِر الداخِلِيَّة هي دليل الفِطْرة السَّليمة، وهي أنَّ الإنسان إذا انْحَرَفَ عن مبادئ فِطْرتِهِ عذَّبَتْهُ، فشَتَّان بين أن تَفْهَمَ الآية على أنّ الله تعالى أجْبَرَكَ على الفُجور، وبين أنّ الله تعالى فَطَرَكَ فِطْرَةً عالِيَة ؛ إذا فَجَرْتَ تتألم، فالله تعالى خلقك ومنَحَك، وخيَّرَك، وفَضْلاً عن كلّ ذلك فطرَكَ فِطْرَةً عالِيَة، بِحَيث لو أنَّك انْحَرَفْتَ عن مبادئ الحق عذَّبَتْكَ فِطْرتك، فالنَّص شيء، وتأويلُهُ شيء آخر.

مثلاً آخرَ، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(8)﴾

(سورة فاطر)

يقول لك: أضَلَّهُ الله ! بِحَسَبِ الظاهر أنَّ الله تعالى هو المُضِلّ، فالله خلقَ الكَوْن لِيَهْدِيَنا إليه فَكَيْفَ يُضِلُّنا عن ذاتِه ؛ مُسْتحيل وهذا لا يَقْبَلُهُ العَقْل، لكن هذه الآية تَفْسيرُها أنّهُ إذا عُزِيّ الإضْلال إلى الله عز وجل فَهُوَ الإضْلال الجزائي المَبْنب على إضْلال اخْتِياري ! قال تعالى:

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(5)﴾

[سورة الصف]

فلو أنَّ طالبًا كان مُنْتَسِبًا إلى الجامعَة، ولم يُقَدِّم الفحْص وما داوَمَ فأنْذَروه أوَّل مرَّة وثاني مرَّة وثالث مرَّة، حينها صدر قرارٌ فيه على ترقيم قَيْدِهِ، وإلغاء اسمه من الجامعة، هذا القَرار تَجْسيدٌ لِرَغْبَةِ الطالب، وعلى هذا إذا عُزِيَ الإضْلال إلى الله عز وجل فهذا الإضْلال الجزائي المَبْني على ضلال اخْتِياري، لذا لو اعْتَقَدْت أنَّ الضلال من الله تعالى، فقد وَقَعْتَ في شرِّ عقيدة، وهي عقيدة سوء الظنّ بالله عز وجل.

مَثَلٌ ثالث، قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَيْئَسْ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(31)﴾

[سورة الرعد]

ظاهِر الآية يُشْكِل علينا، ولكِنَّ المَعْنى ليس كذلك، فلو أنَّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يُلْغِيَ اخْتِيارَكم وتَكْليفَكم، والأمانةَ التي حَمَلْتُموها وطبيعة العلاقة التي بينكم وبينه، وأراد أن يُجْبِرَكم على شيء ما لأجْبَرَكم على الهُدى، لو شاء الله أن يُلْغِيَ اخْتِيارَكم لأجْبرَكُم على الهُدى، فلو أراد مثلاً رئيس الجامِعَة أن يُنْجِحَ الطلاب لكانت القَضِيَّة سَهْلَةً جدًا، يُوَزِّع أسئلة مع الأجْوِبَة، وما للطالب إلا أن يكْتب اسْمَهُ ! فهل لِهذا الهُدى قيمة ؟! هذا هُدى الإجْبار، الله تعالى شاء لك أن تَسْعَد في جنَّته إلى أبَدِ الآبِدين، لذلك أعْطاكَ حُرِيَّة الاخْتِيار، ومنَحَكَ الشَّهوات لِتَرْقى بها صابِرًا أو شاكِرًا إلى ربّ الأرض والسماوات.

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(13)﴾

(سورة السجدة)

شيء عظيم جدًا أن يُعَلِّمَكَ الله تعالى تأويل الأحاديث، فالمؤمن ولو سرق وزنى يدْخل الجنَّة، لأنّ الإسلام يَجُبّ ما قبلهُ.

لذا أيها الأخوة الكرام، يُمْكِن أن تَفْهَمَ نَصًّا يُتْلِفُكَ، أحَدُهم قرأ شفاعتي لأهْل الكبائر من أُمَّتي، فأصْبح يقول: بادِر إلى الكبائر مِن أجل أن تنال شفاعة النبي عليه الصّلاة والسلام.

وذكر البخاري في صحيحه:

((عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّهُ قَالَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ كُنْتُ كَتَمْتُ عَنْكُمْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ))

[رواه مسلم]

فهل المعنى أن نُذْنِب ؟! الإنسان إذا أذْنَبَ ولم يشْعُر بِشَيْءٍ، فهذا ميّت لذا مَعْنى لولا تُذْنِبون أي لو لم تَشْعُروا بِذُنوبِكم، اِغتاب وافْترى ونمّم ثمّ نام وهو مُرْتاح، فَعَلامةُ الإيمان أن يرى المؤمن الذَّنْب كالجَبَل وعلامة النِّفاق يرى الذَّنْب كَذُبابَة !

أخْطَر شيء أن تَفْهَمَ النَّص لِوَحْدِك، ومِن دون مُعَلِّم، وفهْمًا على هواك، يقول لك: قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(130)﴾

[سورة آل عمران]

فأنا آكُل الرِّبا خمْسة بالمائة !! عُلماء الأصول قالوا: هذا قَيْد وَصْفي وليس احْتِرازي، أي لا تأكُلوا الرِّبا الذي مِن خصائصِه أنَّهُ أضْعافًا مُضاعَفَة.

وقال تعالى:

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ(33)﴾

[سورة النور]

طيّب إن لم يُرِدْنَ تَحَصُّنًا، فَهَل تُكْرِهُهَا على البِغاء ؟ النُّصوص القرآنِيَّة لِحِكْمَةٍ أرادها الله تعالى جَعَلَها في مُعْظَمِها قَطْعِيَّة الدَّلالة وجعل بعْضَها ظَنِيَّة الدَّلالة، فلو قُلْتَ لِواحِدٍ: اعْطِني ألف دِرْهَمٍ ونصْفه ! على ما تعود الهاء ؟! على الدِّرْهم أم على الألف ؟! فلو قال لك: على الدِّرْهم هنا تكون قد امْتَحَنْتَ بُخْلَهُ وكَرَمَهُ دون أن يشْعُر لأنَّكَ جئْت بِصيغَةٍ ظَنِيَّة.

فالله تعالى يَمْتَحِنُنَا، ويأتي بِنَصّ ظَنِيّ الدَّلالة، وكُلّ إنسان يُدْلي بِدَلْوِهِ فإذا الواحِد كان مُنْحَرِفًا فَهِمَ النَّص مُنْحَرِفًا، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ(7)﴾

[سورة آل عمران]

درْسُا اليوم تأويل النُّصوص، فالواحِد لا حقَّ له إن كان النَّص في ظاهِرِهِ يَبْدو خِلاف المألوف والمَعْقول، وخِلاف رحْمة الله تعالى وعدالَتِهِ وحِرْصِهِ على هُدانا، يتوجَّب عليك أن تسأل أهْل الذِّكْر إن كنتم لا تعْلمون، من قبل أن يخْلُقَكَ الله كتَبَ عليك ما سَتَفْعَلُهُ شئْتَ أم أبَيْتَ ؟!!! فالله تعالى ما قال هذا ؛ قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12)﴾

[سورة يس]

كلامٌ جميل جدًا ؛ نَكْتُب فِعْل مُضارِع، فَبَعْدَ أن فَعَلْتَ الشيء وأصْرَرْتَ عليه، ولا اسْتَغْفَرْتَ ولا نَدِمْتَ، حينها يُسَجَّل عليك فالتَّسْجيل بعد الفِعْل، وليس قبل أن تُخْلَق، عقيدة الجبْر عقيدة فاسِدَة قال تعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148)﴾

[سورة الأنعام]

هذه عقيدة الشِّرْك.

فَدَرسُنا اليوم كما قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آَلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)﴾

[سورة يوسف]

فالأحاديث شيء، وتأويلُها شيء آخر، وكُلٌّ على حسب ظنّه ومَعْرِفَتِهِ بالله تعالى، فلو أنَّ أخًا أحْضر لِهذا المَسْجِد كلّ شيء، ثمَّ مدَّ يدَهُ إلى أحد الألْبِسَة الموضوعة وأخذ عَشْر لَيْرات، هل تَقول سرَّاق ؟ لقد أنْفقَ مائة ألف، فهل يُعْقَل أن يَذُلّ نفْسَهُ على عَشْر ليْرات ؟ فالإنسان يُؤَوِّل بِحَسَب حُسْن ظَنِّهِ، لذا مَن عرف الله تعالى أوَّل الآيات بِحَسَبِ مَعْرِفَتِهِ بالله تعالى، ولا تَقُل كان النبي عليه الصلاة والسلام ماشي بالطريق ورأى بابًا نَفْتوحًا، وفيه امْرأة تَغْتَسِل عارِيَةً، وجميلة جدًا، فلَفَتَتْ نظَرَهُ، فقال: سبحان الله ! فطلَّقَها الله من زوْجِهَا وأخَذَها مُحَمَّد !!! هذه ليس أخلاق نُبُوَّة، هذه أخلاق أشْخاص يتعلَّقون بالنِّساء، وهذه القِصَّة باطلة ولا أساس لها، وهي من فِعْل الزَّنادِقَة، فأنت إذا عرَفْتَ مقام النُّبُوَّة كان لك أن تُفَسِّر الأحاديث،فتأويل الأحاديث تَسْبِقُهُ مَعْرِفَةٌ بالله ورسولِهِ، وحقيقة الإيمان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-24) : تفسير الآية 6

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علّمتنا وزِدْنا عِلما، وأرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام، لازِلْنا في الآية السادسة الكريمة من سورة يوسف وهي قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آَلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)﴾

[سورة يوسف]

مرْكز الثِّقل قوله: ويُتِمُّ نِعْمَتَهُ عليك، فلا شكَّ أنَّنا جميعًا مُتَمَتِّعون بِنِعْمَةِ الوُجود، وهي نِعْمَةٌ كُبْرى، قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا(1)﴾

[سورة الإنسان]

فأنت الآن مَوْجود، فإذا كان هذا الوُجود مِن أجْل أن تَسْعَد بالقُرْب من الله عز وجل فالشَّرْط الأوَّل مُحَقَّق، وهو أنَّك مَوْجود، فلو أنَّ الله تعالى خَلَقَ الخلائِقَ لِيُسْعِدَهم، فإذا لم تَكُن مَوْجودًا لم تتحقَّق فيك هذه النِّعْمة، لذا أوَّل نِعْمة هي الإيجاد.

هناك نِعْمة أخْرى، وهي نِعْمَة الإمْداد، فَهُناك هواء تسْتنْشِقُه ؛ إذْ هناك مُدُنٌ مِن شِدَّة التَّلوُّث لا تسْتطيع أن تسْتنشِق، ففي بعض البلاد يأخذون عَشَرات الألوف بِسَبَب الاخْتِناق.

وهناك ماءٌ تَشْرَبُهُ، وبيْتٌ تأوي إليه، وهناك عَمَل ترْتَزِقُ منه، هذه كُلُّها نِعَم، لكنَّ هذه النِّعَم المؤمن وغير المؤمن فيها سواء، إلا أنّ – هنا الدرْس – تمام النِّعْمةِ الهُدى، فَمَهْما غَرِقْتَ في نِعَمٍ كثيرة، فَهذه نِعَم، ولكنَّها لا تَتِمُّ إلا بِمَعْرِفَة الله عز وجل، لذلك درْسُنا اليوم، قال علماء التَّفْسير بالحَرْف الواحِد: تمام النَّعْمة هُدى، فالإنسان إذا لم يهْتدِ إلى الله تعالى، هذه النِّعَم التي بين يَدَيْه نِعَمٌ زائِلَة، وتنْقطِعُ بالموت، وعند الموت كُلّ هذه النِّعَم تنْقطِع، لكنَّ النِّعْمة التي تُتَمِّمُ هذه النِّعَم ؛ وهي نِعْمةُ الهُدى، لن تَعْرِفَ قيمتها إلا بعد الموت، يجب أن ترى في الدنيا الآن ؛ مؤمنٌ فقير، وكافِر غَنِيّ، ومؤمن ضعيف، وكافر قوِيّ ومؤمن مريض وكافر صحيح،

ومؤمن مُسْتَضْعَف، وكافر مُتَكَبِّر لكِنَّكَ لا تعرِف نِعْمة الهُدى حتَّى تنتهي هذه الحياة ويُفْرَزُ الناس لا بِحَسَبِ أموالهم ولا بِحَسب قُوَّتِهم، بل بِحَسَبِ معْرِفَتِهم بالله، وأعمالهم الصالحَة، لذلك أَرَدْتُ أن أقِفَ عند هذه الكلمة في هذه الآية: ويُتِمَّ نعْمته عليك ؛ لأنَّ الله عز وجل أنْعَمَ على كُلِّ المَخْلوقات، وأعْطى المال لِمَن لا يُحِبّ ؛ أعْطاه لِقارون قال تعالى:

﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(76)﴾

[سورة القصص]

وأعْطى السُّلْطة لِمَن لا يُحِبّ، فقد أعطاها لِفِرْعَون، وألم يقل فرعون: أليس لي مُلك مصْر ؟!! ألم يقل: أنا ربُّكم الأعلى ! لكِنَّه تعالى أعْطى المُلك لِفِرْعَون، وأعْطى المُلْك لِسُلَيْمان، فالمُلْكُ يُعْطيهِ لِمَن يُحِب، ولِمَن لا يُحِبّ، فالمُلْك لا يُعَدُّ مِقْياسًا.

كُلٌّ مِنَّا يسْتَنْشِقُ الهواء ؛ الكافر والمؤمن، فهل اسْتِنْشاق الهواء علامة الإيمان ؟ لا، وهل هي عَلامة كُفْر ؟ لا، كلّ هذا لا علاقة له فالقاسِم المُشْترك بين المؤمن والكافر يُنَحَّى على أن يكون مِقْياسًا.

سمِعَ سيِّدُنا عوف عائشة رضي الله عنهما تقول: **أخْشى أن يدْخل الجنَّة حَبْوًا**، فقال **والله لأدْخُلَنَّها خببًا !!** أي هَرْوَلَةً، وقال: **وما عليَّ إذا كنتُ أُنْفِقُ مائة في الصَّباح فَيُؤْتيني الله ألْفًا في المساء**، أحد الصَّحابة الأنصار عرضَ على سَيِّدنا ابن عوف: نصف مالِهِ، ونصف بساتينِهِ، ونصف حواتينه، فقال: لا يا أخي، بارَكَ الله بِمَالِك ولكن دُلَّني على السُّوق فما رأينا ناسًا أتْقياء كالأنصار، وما رأينا ناسًا أعِفَّة كالمُهاجِرين ولم يرْوِ التاريخ أنَّ مُهاجِرًا أخَذَ مِن أنْصارِيٍّ، وكان السَّخاء من الأنصار كثيرًا.

فَتَمامُ النِّعْمة الهُدى، والله تعالى أعْطانا نِعْمة الوُجود، وأعْطانا نِعْمة الإمْداد، فما دام هناك طعام وشراب ومأوى، وزَوْجة تأْوي إليها فهذه نِعَمٌ إلا أنَّها تنتهي عند الموت، وكما قلنا المُلْك والمال ليْسا مِقياسَيْن ولكن الذي أحبَّهُ الله تعالى ماذا أعْطاهُ ؟ قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(14)﴾

[سورة القصص]

الحِكْمة في التَّصْريف، والحِكْمة أن تقول الشيء المناسب في الوقت المناسب في المكان المناسب، ومع الرَّجُل المناسب، والحِكْمة أن تُعْطِيَ الشيء المناسب للرَّجُل المناسب بِالْقَدْر المناسب في الوَقت المناسب،

والحِكْمة أن تغْضَبَ الغَضَب المناسب في الوقْت المناسب مع الرَّجُل المناسب، فالحِكْمة أكبر عطاء تناله من الله عز وجل والدليل قوله تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ(269)﴾

[سورة البقرة]

عْظمُ عطاء من الله تعالى، إلا أنَّ العِلْمَ والحِكْمة هما خاصَّان لِمَن يُحِبّهُ الله تعالى، فالذي لا يُحِبُّه يُعْطيه الجَهْل والحُمْق، والدليل قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ(1)﴾

[سورة محمد]

ا بدّأن يرتكب حماقَةً وشيئًا غير مَعْقول، وإذا أراد ربُّكَ إنْفاذ أمْرٍ أخذَ مِن كُلِّ ذي لُبٍّ لُبَّهُ، فارْتِكاب الحماقات مِن لوازِمِ الكُفْر، والدعاء الشريف: **اللهم اجْعل تدبيرهم في تدميرهم**، يَعْقِدون المؤْتَمَرات مِن أجْل إفْساد الشُّعوب، ولازِم لِشُعوب العالم الثالث بعدما ألجئوها للفَقْر المرّ، يُلَوِّحون لها بالمُساعدات السَّخِيَّة كلّ هذا مِن أجل أن تُصْدِر هذا الشُّعوب قوانين تُبيحُ الزّنا واللّواط والسِّحاق وتَجْعل العلاقات الجنْسِيَّة خارِج الأُسْرة، وما على الأب إلا أن يرْعى أولاده المُراهقين مارسوا الجِنس، ويُقَدّم لهم التَّسْهيلات، ماذا حصَل ؟ قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ(36)﴾

[سورة الأنفال]

لا توجد شَهْوة أوْدَعَها الله في الإنسان إلا رسَمَ لها قناةً نظيفة، أما الانْحِراف مِن صِفات الجَهَلَة.

أيها الأخوة، أنا أرَدْتُ أن أقِفَ عند كلمة واحِدَة، وليتم نعمته عليك فلا تظننَّ أبدًا أنَّك في نِعْمة إن لم تكُن مُهْتَدِيًا إلى الله عز وجل، نِعْمة المال والصِّحة والملك والزَّوْجة والبيت الواسع المُزَيَّن والمُزَخْرف ؛ كُلُّ هذه تنتهي بالموت، فلا تبْقى إلا نِعْمة الهُدى، لذلك احْفظ هذه العِبارة: تمام النِّعْمة الهُدى، ولم تكون في نِعْمةٍ عُظْمى إلا إذا كنتَ مُهْتَدِيًا إلى الله عز وجل، لذلك كما قال تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آَلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)﴾

[سورة يوسف]

فالنِّعْمة أن تعرِفَ الله، وأن تعْبُدَهُ وتُؤَدِّيَ حقَّهُ، وأن تكون في خِدْمة الخَلْق، وان يكون لِسانُكَ رطْبًا من ذِكْر الله تعالى، وأن يكون مُتَّصِلاً بالله.

قال الإمام عليّ رضي الله عنه: **النِّعَمُ ثلاثة ؛ نِعْمَةُ الصِّحة، ونِعْمَةُ الكِفايَة، ونِعْمةُ الهُدى**، فلا معْنى لِنِعْمة الكِفاية من دون صِحَّة، ولا معنى لِنِعْمة الصحَّة من دون هُدى، فأوَّل نِعْمة الهُدى ويليها الصِّحة وتليها الكِفايَة، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ))

[رواه مسلم]

فَمَن قال لك: ليس لي فائض على ما أعيش به فهذا مَحبوب فقد دعى له النبي عليه الصلاة والسلام، وأنت خُذْ من الدنيا ما شئت، وخُذ بِقَدَرِها همًّا، ومن أخَذَ من الدنيا فوق ما يَكْفيه أخذَ مِن حَتْفِهِ وهو لا يشْعُر.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-24) : تفسير الآيات 7-9، 15-21

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام، فقِصَّة يوسف عليه السلام هي أطْوَلُ قِصَّةٍ في القرآن الكريم، وقد ذَكَرْتُ لكم قبل دَرْسَيْن أنَّ القِصَّة حقيقةٌ تُعْرَضُ بشَكْل حوادِث وتَحليل وحِوار وبِدايَة وعُقْبى ونِهايَة، وكُلّ قِصَّةٍ أبْرَزُ ما فيها المَغْزى، فمن قرأ قِصَّةً ولم يضَع يدَهُ على مَغْزاها فكأنَّما لم يقرأ قِصَّة، أو أنَّ هذا الذي قرأهُ ليس قِصَّةً، إنَّها قِصَّة وفيها مَغْزى.

أيها الأخوة، دَقِّقوا في المَغْزى، يقول الله عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ (9) ﴾

[سورة يوسف]

عبْدي أنت تُريد وأنا أُريد، ماذا أراد أخوة يوسف ؟ أن يَخْلو لهم وَجْهُ أبيهم، وأن يتخلَّصوا من يوسف إما بالقَتْل أو بِوَضْعِهِ بِغَيابَةِ الجُبّ ؛ هذه مشيئة أخوته لكنَّ الله سبحانه وتعالى شاء له أن يكون عزيز مِصْر، فالعِبْرَة لا بِمَشيئَتِك، ولا بِمَشيئَةِ خُصومِك، ولكنَّها بِمَشيئَةِ الله عز وجل، لذا عبْدي أنت تُريد وأنا أُريد، فإذا سلَّمْتَ لي فيما أريد كَفَيْتُكَ ما تُريد، وإن لم تُسَلِّم لي فيما أُريد أتْعَبْتُكَ فيما تُريد ثمّ لا يكون إلا ما أُريد. أخوته أقْوِياء، وأشِدّاء، وأرادوا به كَيْدًا، وأرادوا أن يَقْتُلوه وأن يَجْعَلوهُ في غيابات الجبّ، ماذا أراد الله له ؟ ثمَّ يقول الله عز وجل:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17)﴾

العلماء قالوا: نَفْيُ الشيء أحَدُ فُروعِ تَصَوُّرِهِ، أحْيانًا تُكَلِّف إنسانًا بِكذا، فيقول لك: هذا ثمنُهُ، وهذا الباقي، وأنا لم آخُذْ شيْئًا !! فلمَّا نفى عن نفْسِهِ أنَّهُ أخَذَ شيئًا فهذا يَدْعو للشَّك لذا نَفْيُ الشيء أحَدُ فُروعِ تَصَوُّرِهِ فالكاذب دائِمًا يكاد أن يقول: أنا كاذب، ولا يشْعُر من تفلّت لِسانِ ولهذا كان سيِّدُنا يَعْقوب على مُسْتوى من الفطانة كما قال تعالى:

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)﴾

[سورة يوسف]

الصَّبْر الجميل هو الصَّبْر الذي معه رِضا، وإذا أحبَّ الله عبْدَهُ ابْتَلاه فإن صَبَر اجْتباه، فإنْ شكر اِقْتَناه فالبُطولة كما يقول سيدُنا علي كرَّم الله وَجْهه: **الرِّضا بِمَكْروه القضاء أرْفَعُ درجات اليقين،** فلا يوجد إنسان يمْتحِنُ السيارة بالنَّزْلة، لأنَّ كلّ السيارات تنزل بالهبوط، ولكن بالطَّلْعة، أسرع نوع مع أرقى مُحَرِّك ودرَّاجة ؛ كلّ هذه بالنَّزْلة تمْشي ! فالمرْكَبَة تُمْتَحَنُ في الصُّعود، وكذا الإنسان بالرَّخاء لا يُمْتَحَنُ أما حينما يأتي قضاءٌ إلهي بِخِلاف المُراد، هنا يُمْتَحَنُ المؤمن لذلك قالوا: المصائب مِحَكُّ الرِّجال، قال تعالى:

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)﴾

[سورة يوسف]

والله عز وجل قال:

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

[سورة النحل]

فأنت بالله تعالى تَصْبر ولكن بِقُوَّتِك الذاتِيَّة لا تسْتطيع الصَّبْر، والإنسان ضعيف، والدليل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19)﴾

[سورة المعارج]

فالإنسان بِقِواه الذاتيَّة لا يستطيع الصبْر والصُّمود، أما أن تصْبر لله تعالى فهنا يُمْكِنُك المُقاوَمَة.

قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا(10)﴾

[سورة المزمل]

فلو أنَّكَ تتبَّعْتَ آيات الصَّبْر لوَجَدْتَ شيئًا دقيقًا جدًا، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ(49)﴾

[سورة هود]

وقال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾

[سورة غافر]

فسيِّدُنا يعقوب قال:

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18) ﴾

[سورة يوسف]

أيها الأخوة الكرام، كل إنسان امْتَحَنَهُ الله تعالى بِمُصيبة، متى الصَّبْر؟ عند الصَّدْمة الأولى، وهي حين تلقِّي النَّبأ، فالمؤمن حينها يقول: الحمد لله، وهذا مُراد الله تعالى، ويقول: أنا راضٍ، اِجْعل كلامك قُدْوةً للنبي عليه الصلاة السلام ؛ قال:

((إن لم يكن بك غضب فلا أُبالي، ولك العُتبى حتَّى ترْضى، ولكنَّ عافِيَتَك أوْسعُ لي))

إذا كنت عنَّا راضيًا فهُوَ قصْدُنا

فلَيْتَكَ تَحْلو والحياة مريرةٌ وليْتَكَ ترْضى والأنام غِضاب

وليت الذي بينك وبيني عامِرٌ وبيني وبين العالمين خراب

إذا صحَّ منك الوَصل فالكُلّ هيِّن وكل الذي فوق التراب تراب

***

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) ﴾

[سورة يوسف]

أُنْظر إلى فعْل الله عز وجل ؛ من الذي ساق هذه السيارة ؛ وهي القافلة وضَعه أخوته بالجبّ، والخطر بالمائة تسعين، ولولا هذه السيارة جاءَت لمات، قال تعالى

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20)﴾

[سورة يوسف]

أي اشْتَرَوْهُ بِأرْخَص الأثمان دراهم مَعْدودة، ثمَّ قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾

[سورة يوسف]

الآن جاء المَغْزى، والقِصَّة كُلُّها من أجل هذه الكلمات:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) ﴾

[سورة يوسف]

فالآن مثلاً كلّ الناس يقولون: فلان قويّ، والدَّوْلة الفُلانِيَّة قَوِيَّة ؛ كلّ هذا كلامٌ لا قيمة له ! قَلْعة من قلاع العالم الشرقي لا يظنّ أحدٌ أن تنْهار ولا بِخَمْس مائة عام، تداعَتْ كَبَيْتِ العَنْكَبوت، باخرة من أعظم البواخر في العالم، وقيل عنها إنَّ القَدَر لا يستطيع أن يُغْرِقَها في أوَّل رِحْلة غَرِقَتْ، وأرْسَلوا مرْكَبَة فضائِيَّة وبعد سبعين ثانية من انْطِلاقِها أصْبَحَت كُتْلَةً من اللَّهَب، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21)﴾

[سورة يوسف]

يقولون لك: هناك تَسَحُّر، تأتي أمْطار تُخَوِّف، ودِمَشق صُنِّفَت مع الدُّول التي انْتَقَلت خُطوط أمْطارِها، لا يوجد اليأس مع الله تعالى، والأمْر بِيَدِهِ تعالى، وكُل إنسانٍ بيأس يكون ضَعيف الإيمان بالله تعالى، وهو نَوْعٌ من أنواع الكُفْر.

فهذا هو المَغْزى ؛ قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21)﴾

(سورة يوسف)

لا ترى قُوَّة عُظْمة ولا صُغْرى، ولا مرَض ؛ كُلّ هذا بِيَدِ الله عز وجل جفاف السَّماء بِيَد الله عز وجل، وكذا الأمطار، أنت فقط كُنْ مع الله تعالى، ولا تُبالي، قال تعالى:

﴿وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(16)﴾

[سورة الجن]

فالله عز وجل رحْمَةً بنا ذَكَر صراحَةً مَغْزى القِصَّة، وقال:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) ﴾

[سورة يوسف]

فالآن الإنسان يُخَطِّط ويقول لك: الصُّهْيونِيَّة العالميَّة مثلاً، ما هذه الصُّهْيونِيَّة ؟ هل هي آلِهَة؟! نحن إلهنا مَوْجود، وما عليك إلا أن تسْتقيم على أمْرِهِ وتفاءَل، أما هناك أفْكار تَدْعو لليأس، وهي: لن تقوم لنا قائِمَة، مَن قال لك هذا ؟ هذا كلامُ الكُفْر، اليأس والشِّرْك والقنوط، فالله تعالى لم يُسَلِّمْكَ لأحَدٍ، وأمْرُكَ إليه كلُّه، قال تعالى:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(123)﴾

[سورة هود]

هل يوجد أكثر من سيِّدنا يوسف ؟ وضَعوه بالبئر لِيَموت لكنَّ الله تعالى جعَلَهُ عزيز مِصْر، لذلك مَن كان في قصْر العزيز بعضهم رأى يوسف عبْدًا ؟، ثمَّ رآهُ عزيز مصْر !! فقالت امرأةٌ: سبحان مَن جعَلَ العبيد مُلوكًا بِطاعَتِه، وجعل الملوك عبيدًا بِمَعْصِيَّتِه ! فالله عز وجل يُمْكِن أن يجْعَلَ من العَبْد ملِكًا، ومِن المَلِكِ عَبْدًا، والأمْر بِيَد الله عز وجل.

فهذه القِصَّة مَغْزاها العميق ؛ مهما كان خَصْمُكَ قَوِيًّا، ومهما كان مُحْكِمًا قبْضتَهُ عليك، وكان ذَكِيًّا، وعريض الجاه، وأنت ليس معك أحدٌ، اِقْرأ هذه الآية:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) ﴾

[سورة يوسف]

والأمور تسير بعد حين كما قال تعالى:

﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90)﴾

[سورة يوسف]

تجد إنسان ضعيف ؛ لا بيْتَ له ولا حائِط، ولا دَخْل، ولكِنَّهُ مُستقيم فَيَشَاءُ الله تعالى أن يُعْطِيَهُ مِن عِزِّ الدنيا، وعِزِّ الآخرة، فإذا به شخصِيَّة مرْموقة بالمُجْتمع، فأنت كُن مع الله، والاسْتِقامة عَيْنُ الكرامة، فسيِّدُنا يوسف كان مع الله تعالى إلا أنَّهُ كان ضعيفًا وكان أخوته أقْوِياء فأرادوا أن يَقْتُلوه ويَخْلُوَ لهم وَجْهُ أبيهم فما الذي كان؟ كان الأب والأم والأخوة عند يوسف وهو عزيز مِصْر ولذلك طريق الطاعة طريق النَّصْر والعِزّ والرُّقَي، والفلاح كُلُّ الفلاح، والنَّجاح كل النَّجاح، والذَّكاء كل الذَّكاء، والفَوْز كل الفَوْز في طاعة الله تعالى، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(13)﴾

[سورة الحجرات]

إنّي و الإنس والجنّ في نبإٍ عظيم، أخلُق ويُعْبَدُ غيري، وأرزُق ويُشْكر سِواي، خيري إلى العباد نازل، وشرُّهم إليَّ صاعِد، أتَحَبَّبُ إليهم بِنِعَمي وأنا الغنيّ عنهم، ويتبغَّضون إليّ بالمعاصي وهم أفْقر شيءٍ إليّ، مَن أقْبَلَ إليَّ منهم تلقَّيْتُهُ من بعيد، ومَن أعْرض عنِّي منهم ناديْتُهُ مِن قريب أهْل ذِكْري أهْل مودَّتي، أهْلُ شُكْري أهْل زِيادتي، أهْل مَعْصِيَتي لا أُقَنِّطُهم مِن رحْمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبُهم أبْتليهم بالمصائب لأُطَهِّرَهم من الذُّنوب والمعايِب، الحسنة عندي بعشْرة أمْثالها وأزيد، والسيِّئة بِمِثْلها وأعْفوا، وأنا

أرأفُ بِعَبدي من الأمِّ بِوَلَدِها مُلَخَّص الدرس ؛ أنت تريد وأنا أريد، والله يفعل ما يريد، والله غالب على أمْرِهِ ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون، ونحن أساسًا لو سَمِعْنا أخْبار العالم نتفاجأ بِمُفاجآت لا تُصَدَّق ، نُفاجأ بِقِوى كبيرة انْهارَت ؛ هذه مِن آيات الله، وأنت كُلّ قوتك من الله، وكلّ تَوْفيقك من الله، فإذا قلتَ: أنا فوجِئْتَ، وإذا قلتَ: الله أكرمَكَ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-24) : تفسير الآيتان 22 - 23

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام، ففي قوله تعالى الآية الواحدة والعشرين من سورة يوسف عليه السلام:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)﴾

[سورة يوسف]

العِلْمُ مَعْروف ؛ وهو أن تَكْشِفَ العلاقة القَطْعِيَّة بين ظاهِرَتَيْن، وأن تَقْطَعَ بين هذه العلاقة، وأن تُطابِقَ الواقِع، وأن يكون عليها دليل وهذا هو العِلْم.

فلو داخل الشكّ أصْبحَت وَهْمًا، أو شكًّا أو ظنًّا، فالوَهْم ثلاثون بالمائة والشَّك خمسون بالمائة، أما الظنّ سبعون بالمائة، أما العلاقة مَقْطوع بِصِحَّتِها أي مائة بالمائة، وهذه اسمُها اليقينِيَّات، قال تعالى:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ(6)ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(7)ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ(8)﴾

[سورة التكاثر]

فالجَهَلة والعوام دائِمًا يتعاملون بالأوْهام وبالخُرافات، وبالدَّجَل، وبِكُلِّ شيءٍ بعيد عن الواقِع، وعلامة العِلْم مُطابَقَتُهُ للواقِع، وهذه مِن تعاريفِهِ الموجَزَة ؛ وَصْفٌ مُطابِقٌ للواقِع ومعه الدليل، فإذا خلى العِلْم من الدليل أصْبَحَ تَقْليدًا، والتَّقْليد غير مَقْبول في الدِّين، فلو قُبِلَ التَّقْليد في الدِّين لكانتْ كُلّ الفِرَق الضالَّة عند الله مَقْبولة لأنَّها قلَّدَتْ مَن دعاها إلى الله تعالى بِهذه الطريقة ! فالأتْباع ما ذَنْبُهُم ؟ دُعُوا إلى هذه الطريقَة فصَدَّقوا !! أما العِلْم ؛ الوَصْفُ المُطابِقُ للواقِع مع الدليل، وإذا خلى العِلْم من مُطابَقَتِهِ للواقِع كان جَهْلاً ويا أيها الأخوة، هناك مَن يتوهَّم أنَّ الجَهْل هو مَن لا يعْلَم ! الجاهل مَن بِحَوْزَتِهِ مَعْلومات ولكنَّها غلَط، فهؤلاء يقولون: الاخْتِلاط يُهَذِّب النُّفوس، والإسْراف في الشَّهْوَة يُعَدِّلُها !!

فلا تَروا بالمعاصي كَسْر شَهْوَتِها إنَّ الطعام يُقَوِّي شَهْوَن النَّهِم

***

واسْتِثْمار المال بِطَرِيقَة رِبَوِيَّة تُنَمِّيه ! فالجاهل هو الذي اعْتَقَد بِمُعْتَقَدات يرفُضها الواقِع، أما الذي لا يَعْلم هو الأمِيّ.

فأصْبَحَ العِلْم علاقة بين مُتَغَيِّرَيْن ؛ مَقْطوعٌ بِصِحَّتِها، فلا مجال أن تقول: لعلَّ، أو بالمائة تسعين..قال تعالى:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ(6)ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(7)ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ(8)﴾

[سورة التكاثر]

وقال تعالى:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(2)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ(15)﴾

[سورة الحجرات]

لذا يجب أن تتعامَل مع اليقينِيَّات، هذه أوَّل نُقْطة.

النُّقْطة الثانية ؛ أن تكون مع الأدِلَّة، وإنَّما الطاعة في مَعْروف، فلا تقْبل شيئًا من دون دليل، ولا ترفض شيئًا من دون دليل، لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام لمَّا أرسل سَرِيَّةً وأمَّر عليها أنْصارِيًّا ذا دُعابَة وأمر بإبرام نارٍ وقال: **اقْتَحِموها**، فقال أصحاب النبي: **كيف نَقْتَحِمُها وقد آمَنَّا بالله فرارًا منها ؟!** قال بعضهم: بل نَقْتَحِمُها لأنَّ طاعة الأمير هي طاعة رسول الله ! فاخْتَلفوا، فعَرَضوا أمْرهم على النبي صلى الله عليه وسلَّم، فقال:

((والله لو اقْتَحَمْتُموها لازِلْتُم فيها، إنَّما الطاعة في مَعْروف !))

فلا تَقْبَل شيئًا دون دليل، ولا ترفض شيئًا من دون دليل وهناك دليل نَقْلي، وآخر عَقْلي، وآخر واقِعي وفِطْري، فإذا اجْتَمَعت هذه الأدِلَّة كلُّها كان هذا هو الحق.

مَن هو السَّعيد ؟ الذي مَجْموع اعْتِقاداتِه وتَصَوُّراتِه مُطابقة للواقع والفِطْرة والعَقْل والنَّقْل، لذلك أعْظمُ شيءٍ يُعْطيكَهُ الله أن تكون عالِمًا لأنَّ العِلْمَ يُؤَكِّدُ إنْسانِيَّتَك، فأنت إنسان لأنَّك تَعْلَم، فإن لم تكن كذلك فأنت تُشبه بعض المَخلوقات في الوظائف الحَيَوِيَّة وهي لَيْست من بني البشر ! طعام وشراب وإفْراز ودوران ودم وعضلات وأعْصاب ونوم وعمل واسْتِمْتاع وجماع، فهذا كُلُّه تقوم به الحيوانات، فأنتَ إنْ رَفَضْتَ العِلْمَ رَفَضْتَ إنْسانِيَّتَك ووُجودَك، لذلك رُتْبةُ العِلْم أعلى الرُّتَب قال تعالى

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)﴾

[سورة يوسف]

العلماء قالوا: الحُكْم هو التَّصرُّف الحكيم، وهو سُلوك، أما العِلْم فَهُوَ حقائق، فالحقائق التي في ذِهْنِكَ يُعَبَّرُ عنها بِسُلوك حكيم، فالحكيم هو الذي يقول القَوْل المناسب في الوقت المناسب مع الشَّخْص المناسب والذي يُعْطي العطاء المناسب في الوقت المناسب، مع الرجل المناسب، أعلى درَجَة تُمْنَحها أن تكون حكيمًا، فالحكيم يُغَيِّر الأمْر من السيئ إلى الأحْسن والحكيم يُجْلب المال، والأَحْمَق يُبَدِّدُهُ، والحكيم يعيشُ سعيدًا في بيتِه ويكْسب رِزْقه الحلال، والحكيم يتعرَّف إلى الله تعالى، ويَحْيى سعيدًا ويموتُ سعيدًا.

فيا أيها الأخوة، قد أعطى الله المال لِمَن لا يُحِب، قال تعالى:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(76)﴾

[سورة القصص]

فالواحِد إذا أُعْطِيَ المال لم يكن هذا دليل الحب من الله، فقد يكون كذلك وقد يكون لا ! فالمال ليس دليلاً، ولا مِقْياسًا إنَّما يعْتبِرُ الدليل أنَّه تعرَّف على الله تعالى، وأعانه على طاعتِهِ، وكذا المُلْم فقد أعْطاه لِفِرْعَون، وأعْطاه لِسُلَيْمان، وكذا ذو القَرْنَيْن فَفِرْعَون قال عنه تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ(38)﴾

[سورة القصص]

وقال تعالى عنه:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى(24)﴾

[سورة النازعات]

لكنَّ المِقْياس كما قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)﴾

[سورة يوسف]

لذا هنيئًا لِكُلِّ مؤمن نصيبهُ من الله كنَصيبِ الأنبياء، مِن النَّوْع نفْسِه أما بالدَّرجة فلا ؛ الأنبياء أنبياء، لكنْ أعْطاكَ شيئًا مِن العِلْم والحِكْمَة وساعة الأُفُق، وشيئًا مِن إدراك الحقائق، والبصيرة، والتَّصرُّف الحَسَن ؛ هذا

مِن نِعَم الله الكُبرى، فَسَيِّدُنا يوسف امْتَنَّ عليه الله بالعِلْم والحِكمة، فما السَّبب ؟ لِمَ لَمْ يُعْط غَيْرَهُ ؟ هل عطاء الله تعالى مُقَنَّن أم غير مُقَنَّن ؟ هل يُعْطي تعالى دون قواعِد ؟ الحقيقة أنَّ العطاء مُقَنَّن والدليل الآية:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)﴾

[سورة يوسف]

لا تظنّ المسألة تاريخ، وأنَّ هذا نبيٌّ فعل به الله تعالى هكذا ! لا، هذا قانون، هذا القرآن ليس تاريخًا إنَّه قوانين، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)﴾

[سورة يوسف]

كُلّ واحِد مُحْسِن نُؤتيه حُكْمًا وعِلْمًا، فالشيء إذا عرف ثمنُه انتهى، أما هناك أشياء مُسْتحيل أن تصِلَ إليها، أما هناك أشياء يُمكن أن تصِل إليها، هل يُمكن أن تحْمِل الأرض؟! وأن تصِل إلى الشَّمْس ؟:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(14)﴾

[سورة القصص]

قال تعالى:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ(56)﴾

[سورة الأعراف]

إنَّ رحمة الله قريب من المحسنين، وقال تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ(18)﴾

[سورة السجدة]

أكثرُ شيء أُركِّزُ عليه أنَّ الله تعالى لمَّا قصَّ هذا القصص ما أرادهُ تاريخًا، لذلك أحْيانًا تتساءَل: يا رب، لماذا تُغْفل أسماء الشَّخْصِيَّات ؟ وأسماء الأمْكِنَة ؟ والأزمان ؟ القِصص القرآنِيَّة أكثرُها مُجْمَلَة ! مَن هو ذو القرْنَيْن؟ وبأيّ زمان ؟ وبأيّ مكان ؟ إذا أردْتَ أن تصِل إلى لا تفاصيل القصص والجُزئِيَّات، وإلى التواريخ والأمكِنَة والأزْمِنة، أنت بِهذا تُفْسِدُ على الله تعالى حِكْمَتَهُ، فهو تعالى ما أرادها قِصَصًا، إنَّما أرادها حقائق مُتَجَدِّدَة، فالله تعالى ما أراد ذا القَرنين أن يكون تاريخًا إنَّما نموذَجًا مُتَكَرِّرًا، فلو كُنْتَ رئيس دائرة فقد يكون هذا طريقًا إلى الجنَّة والإنصاف والعَدْل، فإيَّاك أن تتوهَّم أنّ المناصب العالِيَة تتناقض مع الدِّين، المؤمن القوي أحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف لأنَّه كلَّما ازْدادَت القوَّة ازْدادَتْ دائرة الخَدَمات. إذًا أنت إذا أردْتَ التَّفاصيل بِهذا تُفْسِدُ على الله تعالى حِكْمَتَهُ، سيِّدُنا يوسف انتقل إلى رحْمة الله، وهو في

مرْتبةٍ عاليَةٍ جدًا، لا يرْفَعُنا مدْحُنا له، ولا يخْدش من قَدْرِهِ إذا لم نفْهم ماذا فَعَل، نحن المُعَوَّلُ علينا ! يا ترى هل همَّ بها ؟ لا، ما همَّ بها، إنَّما همَّ بِدَفْعِها، هَمُّهُ غير همِّها، وهناك رأي آخر، وهو أنَّه لو لم يكن في قلبِهِ نور لَهَمَّ بها فيَجِب عليك أن تُنَزِّه الأنبياء، وأنَّ مقامهم عالٍ جدًا، وأنَّه لو همَّ بها لما كان نَبِيًّا، فالواحِد إذا بدأ أوَّل خطواتِهِ بالمَعْصِيَة سَقَط، ولو ندِمَ.

قال تعالى:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾

[سورة يوسف]

الإغْلاق شيء، والتَّغْليق شيء آخر، يُمْكن أن تُغلق كلّ الأبواب لكنَّ باب السَّماء مَفْتوح، الله يراك حينها خشَعَ قلبُه وابْتعد عنها.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)﴾

[سورة يوسف]

أي هُيِّئْتُ لك قال تعالى:

﴿رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

[سورة يوسف]

أيُّها الأخوة الكرام، هناك مَعْنى فاسِد وخطير فَبَعْضُ إخواننا الدُّعاة عن طيبِ قَصْدٍ يتداولونه، ألا وهو قوله تعالى:

﴿رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

[سورة يوسف]

ربِّي أي سيِّدي، وهو زَوْجُكي، فهو الذي أحْسَن مَثْواي، فعلى هذا المعنى ما الذي منَعَهُ من الزِّنا ؟ هو إحْسانُ سيِّدِها، فلو لو لم يكن مُحْسِنًا لزنى بِها، وهو معنى فاسِد، ولكن معنى ربِّي هو الله تعالى أحْسن مَثْواي، فالمعنى الأوّل لا يُمْكن أن يُقْبل، فالزَّوْج سواء كان مُحْسِنًا أو غير مُحْسِن لا يُمْكن أن يُقْدِم يوسف على هذا العمل الخبيث، فلذلك إنَّه ربي أي الله أحْسنَ مَثْواي فكَيْف أحْصيهِ ؟ وقد أكْرمني. ولمَّا ربُّنا قال:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(2)﴾

[سورة النور]

قدَّم الزانِيَة على الزاني لأنَّها السَّبب في الزنا ؛ لأنَّها هي المُغْرِيَة، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ))

[رواه الترمذي]

لذلك الخلوَة حرام، وهي مُقَدِّمات الزنا.

غير مُتَزَوِّج، والتي دَعَتْهُ إلى الزِّنا ليس من صالِحِها أن يكشف الخبَر عنها، والأمر الآخر أنَّها زوْجة ملِك، وحَتْمًا هي جميلة لأنَّ المُلوك يَنْتَقوا زوْجات جميلات، وهو غريب، والأبواب مُغَلَّقة، وهو رَيْعان شبابه، وهي ذات مَنْصِب وجمال، إلا أنَّهُ اسْتَحْضر عظمة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾

[سورة يوسف]

والإنسان يرْقى بالشَّهْوة مرَّتَين: ترْقى بها مرَّةً صابِرًا، وأخْرى شاكِرًا لا يوجد شَهْوة أوْدَعَها الله فينا ثمّ حرمنَا منها، إنَّما رسَم قناةً نظيفة لهذه الشَّهوات ؛ النِّساء بالزَّواج، والمال بالعَمَل، والعلوّ في الأرض بالعمل الصالح وخِدْمة الناس، وهناك شُهْرَة إيجابِيَّة وأُخرى سلبيَّة فهناك مَن يشْتهر بالجريمة، وهناك من يشْتهر بالعمل الصالح، وإن شاء الله تعالى نُتابع الحديث عن هذا النبي العظيم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-24) : تفسير الآيات 23 – 33

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأَرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(23)﴾

[سورة يوسف]

أوَّلاً: ما أوْدَعَ الله فينا من شَهوات، ومنها حُبُّ النِّساء ومنها حُبُّ المال، وحُبّ العُلُوّ في الأرض ؛ هذه الشَّهوات بالتّعريف الدقيق: قِوى مُحَرِّكَة، حِيادِيَّة، فإن سلَكْنا فيها المنْهَج الإلهي ارْتَفَعْنا بها إلى أعْلى عِلِيّين، وإن لم نسْلك بها المنْهَج إلهي هبَطْنا بها إلى أسْفل السافلين، فلا أحَد يتَّهِمُ الشَّهوات بأنَّها أضَلَّتْهُ، إنَّما هي قِوى مُحَرِّكَة، فَسَيِّدُنا يوسف لولا أنَّ الله تعالى أوْدَع فيه حبَّ النِّساء وقال: إنَّي أخاف الله ربَّ العالمين، ثمَّ فيما تَرْوي الكُتب تزوَّج هذه المرأة بالذات، فلو أنَّ الله أوْدَعَ فيه هذه الشَّهَوات ما ارْتقى إلى ربِّ الأرض والسَّماوات.

فالشَّهْوة نرْقى بها مرَّتين: نرْقى بها صابرين، ونرْقى بها شاكِرين نرْقى بها إن غضَضْنا أبْصارَنا عن محارِمِ الله، ونرقى بها إذا متَّعْنا أبْصارَنا فيما أحلَّ الله لنا.

فَسَيِّدُنا يوسف ارْتقى إلى أعلى عِلِيّين بهذه الشَّهْوَة، وكان بأمس الحاجة لِهذا اللّقاء إلا أنَّ الله تعالى حرَّمَهُ، لأنَّهُ خِلاف الحُكم الشَّرْعي، حينها قال:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾

دقِّقوا معي الآن ؛ هناك طَبْع وهي حاجات الجَسَد، والشيء الذي يَلْفت النَّظر أنَّ التَّكْليف دائمًا يتناقض مع حاجات الجسَد، فالله تعالى أمرَكَ بِغَضِّ البصر ؛ هذا التَّكْليف، وجِسْمُك يتمنَّى أن تتطلَّع ! الله أمرَكَ إلى الاسْتِيْقاظ وأداء الصُّبْح، وجِسْمُك يتطلَّب النَّوم ! والله أمرَكَ بإنفاق المال وجسْمُك يتطلَّب قبْض المال ! وكذا في الغيبة، وكشْف العوْرات فالتَّكْليف يتناقض مع الطَّبْع، ويتوافق مع الفِطْرة، والفِطْرة غير الطَّبْع فالفِطْرة

مُتَعَلِّقَة بالنَّفْس، والطَّبْع مُتَعَلِّق بالجَسَد، فالتّكْليف مُحَصِّلَتُه يتوافق مع الفِطْرة، فلمَّا يسْتقيم يرْتاح، وكذا العِفَّة والطَّهارة، والدَّخْل الحلال، والاتِّصال بالله، والاطْمِئنان، فالتَّكليف هو ذو كُلْفة، وهو يُعاكِس الهَوَى.

فَسَيِّدُنا يوسف راوَدَتْهُ التي هو في بيْتِها، وكانت ذا منْصِبٍ وجمال، وغلَّقَت الأبواب، وليس مِن صالِحِها أن يفْشوَ الخبَر، وكان شابًّا في ريْعان الشَّباب، وشَهَواتُه مُتَّقِدَة، وغريب لا أحد يعْرِفُه، فَكُلّ المُرَجِّحات أن يفْعل أمْرًا كهذا، لكنَّهُ قال: معاذ الله ! لذلك الآن مِن أينَ يؤْخَذُ الشباب ؟ التُّجار يُؤاخذون من المال ؟ أما الشباب فَمِن النِّساء فَكُلّ الشباب المؤمن قُدْوتهم سيِّدُنا يوسف، فالله آتاه صورةً مِن أجْمل الصُّوَر، ومع ذلك عفَّ عن الحرام، ولذلك الدُّعاء: اللهم اكْفنا بحلالك عن حرامك، وبِطاعَتِك عن مَعْصِيتِك، وبِفَضْلِك عمَّن سِواك.

الشيء الثاني ؛ هذا الشاب المؤمن الذي يَعُفُّ قبل الزَّوَاج عن محارِمِ الله، ماذا تَظُنُّون له مِن مُكافأة في الدنيا قبل الآخرة ؟ زوْجَة صالِحَة تَسُرُّهُ إن نظَرَ إليها، وتَحْفظهُ إن غاب عنها، وتُطيعُهُ إن أمرها، وهذا إلى يتفلَّتْ مِن منهَج الله تعالى قبل الزَّواج ؛ لعن الله الذَّواقين والذَّواقات، أوَّل عِقابٍ له ؛ زواجٌ كالجحيم تمامًا، لُؤْمٌ وانْحِراف وفساد وأبوها يُخيف، فالذي له تجارب قبل الزَّواج يُمْنح زوْجة كقِطْعَةٍ من الجحيم !والذي يَعِفّ قبل الزَّواج يُكْرِمُهُ الله تعالى بِزَوْجة كَقِطْعةٍ من النَّعيم، وقال عليه الصلاة والسلام: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

[رواه مسلم]

فالذي عفَّ عن محارِمِ الله تعالى لا يضيعُ عنه شيء، بالعَكْس يتمتَّع بهذه الغريزة التي أوْدعَهُ الله فيها إلى نِهاية عُمُره بِأعلى الدَّرجات.

قال تعالى:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(23)﴾

[سورة يوسف]

الظُّلم هو العُدْوان على الآخرين، ثمَّ قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾

[سورة يوسف]

طبْعًا هَمُّها غير همِّه، هو نبيٌّ كريم، هو هَمُّهُ في دَفْعِها، والدليل جاء بعد قليل قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾

(سورة يوسف)

لا كما يقول بعض المُفَسِّرين هداهم الله تعالى ؛ جلس منها مَجْلِسَ الرِّجال !! لا، بل همَّتْ بآرائه، وهمَّ بِدَفْعِها وهنا تفسير آخر جيِّد، وه والوَقف في همَّت به، ثمَّ همَّ بها لولا أن رأى برهان ربِّه، فلأنَّهُ رأى برهان ربّه ما همَّ بها، وكلّ مؤمن استنار قلبُه بالطاعة يقف عن المعصيَة.

قال تعالى:

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)﴾

[سورة يوسف]

ماذا تقرأ بالصلاة كلّ يوم ؟ وبِكُلِّ ركْعة ؟ إياك نعبد وإياك نستعين فالأدَب النَّبوي قال

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) ﴾

[سورة يوسف]

دعا الله تعالى أن يحْفظهُ، وما كان الله تعالى لِيُعَذِّب قلبًا لِشَهْوَةٍ تركها صاحِبُها في سبيل الله.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)﴾

[سورة يوسف]

وكم من رِجال كان بِحَوْزَتِهِم ملِكات جمال، وتعلَّقوا بِفَتيات أدْنى مِن أزْواجِهِم بِملايين الدَّرَجات، فالأفضل أن يفتقر الإنسان إلى الله، ولا يقل: عندي إرادة ومناعة قوِيَّة !!.

قال تعالى:

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾

[سورة يوسف]

هذه أُصول التَّحقيق، وأُصول اسْتِنباط الأدِلَّة.

ثمَّ قال تعالى:

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾

[سورة يوسف]

قال تعالى:

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنْ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا(148)﴾

[سورة النِّساء]

فإذا كنتَ بريئًا لا تَخْجل، وإنَّما قُل: أنا بريء، وأنا لم أفْعل ! فلا تسْكُت لأنَّ السُّكوت إقْرار.

قال تعالى:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28)﴾

[سورة يوسف]

هنا أَقِفُ قليلاً ؛ ماذا قال تعالى الله عن الشَّيْطان ؟ قال تعالى:

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا(76)﴾

[سورة النساء]

ماذا قال عن المرأة ؟

﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾

فالشيطان ضعيف، ذلك لأنَّك إن قلتَ: أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم ولَّى الشَّيْطان، أما أمن فلك حاجة بالمرأة، وحاجةٌ كبيرة جدًا، لذلك المرأة كَيْدُها عظيم، لذا اتَّقوا الله في النِّساء، إنَّ إبْليس طلاَّع رصَّاد، وما هو مِن فُخوخِهِ بأوْثَق في صَيْدِهِ في الرِّجال من النِّساء، فأكْبَر فخٍّ معه والذي لا يخيبُ معه هو النِّساء، ولذلك إن أرَدْتَ أن تُفْسِدَ الإنسان فَعَن طريق المرأة، وإذا أرَدْتَ أن تشْتري الإنسان فَعَن طريق المرأة، وإن أرَدْتَ مِن الإنسان أن يبيع وَطَنَهُ فعَن طريق المرأة ! المؤمن بِغَضِّ بَصَرِهِ، وعدم الخَلْوَة، وعدم الاخْتِلاط يُغْلِقُ على الشَّيْطان منافِذَهُ.

لِكُلّ إنسان نُقطتا ضَعْف ؛ المال والنِّساء، فإذا تَحَرَّيْتَ الحلال، وتجنَّبْتَ النِّساء، لم يعُد هناك مَأخذ عليه، فهذان هما أكبر مأخذين على الرِّجال ؛ المال والنِّساء، فَبِغَضِّ البَصَرِ، وعدم الخَلْوَة، وعدم الاخْتِلاط يُحَصِّنُ

الإنسان نفْسَهُ من النِّساء، وبِالمال الحلال يُحَصِّن نفْسَهُ من الحرام، فإذا تحصَّن من هذين أصْبَحَ الطريق سالِكٌ إلى الله تعالى.

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾

(سورة يوسف)

بالتَّعْبير العامي: مِن فضْلِك يا يوسف أُسْتُرْنا ثمَّ قال تعالى:

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾

[سورة يوسف]

إذًا مِن الأصول أن لا تَقْبَلَ التُّهْمَة إلا بِدَليل، وهو هنا قدُّ القميص.

فالله تعالى علَّمنا كيف نسْتنبط الأدِلَّة بإصْدار الأحكام، أما حُكْمٌ دون دليل فَهُوَ هوى وتجنّي وجَهْل.

النُّقْطة الثانِيَة: أنَّكَ إن كُنتَ مَظْلومًا عليكَ أن تتكلَّم، فإن لم تَفْعَل كُنْتَ بِهذا مريضًا بالخَجل، والحياء غير الخَجَل، فالحياء أن تسْتحي أن تعْصِيَ الله، أما الخجَل أن تسْكُتَ عن حَقِّك، قال تعالى:

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26)﴾

[سورة يوسف]

والله تعالى قال:

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنْ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا(148)﴾

[سورة النساء]

فالمَظْلوم عليه أن يَحْكي، وإذا الواحِد كان مَظْلومًا فإنَّه لا يدْخُل في الغيبة، فهو يدخُل في الحالات السِّتّ الذي أُبيحَتْ فيها الغيبَة ودائِمًا نحن لا نؤَوِّل إلا وِفْقَ كمال الأنبياء، وهم مَعْصومون، فإذا كان مَعْصومًا عن الخطأ في الفعْل والقَول والحال فَكَيْفَ نُفَسِّر أنّ سيِّدنا يوسف همَّ بِها، فالشَّباب معهم حقّ أنْ يَفْعَلوا ما يشاءون !! لكنْ هذا تَفْسير لا يليق بِكَمال النُّبُوَّة، وعظمة الأنبياء، لكِنَّ التَّفْسير الكامِل أنَّهُ همَّ بِدَفْعِها، وهي همَّتْ بإغْرائِه، والدليل أنَّ قميصَهُ قُدَّ من دبر والأقوى من هذه جميعًا قوله تعالى بعد ذلك:

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آَمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ (32)﴾

[سورة يوسف]

وهذه كُلُّها لا أدِلَّة نَقْلِيَّة، والأدِلَّة العَقْلِيَّة ؛ أنَّهُ لا يُعْقَل للنبي أن يهمّ بالمَعْصِيَة ! فأين يكون مقام النُبُوَّة حينها؟! وهناك دليل آخر يعيشُهُ كُلّ الشباب، فالشباب المؤمن تَجِدُهم يبْتَعِدون عن النِّساء أشَدَّ البُعْد.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-24) : تفسير الآيات 30 - 35

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام، سيِّدُنا يوسُف لمَّا افْتُضِحَ أمْر امرأة العزيز، أرادَتْ أنْ تُبَرّرَ سُلوكَها أمام صُوَيْحِباتِها، قال تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (30)﴾

[سورة يوسف]

أي ارْتَكَبَتْ حماقة كبيرة، ثمَّ قال تعالى:

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31)﴾

[سورة يوسف]

ومعنى قطَّعْن أيْدِيَهُنّ أي جَرَحْنا أيْدِيَهُنّ من شِدَّة الشَّغَف، فرَبَّما أعْطَتْهُنّ سكاكين حادَّة، فأثناء اسْتِعمال السِكّين دُهِشْنَ بِهذا الجمال فقَطَّعْنَ أيدِيَهُنّ، ثم قال تعالى:

﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾

[سورة يوسف]

أَلَيْسَت هذه شَهادة قَطْعِيَّةَ الدَّلالة من امرأة العزيز أنَّهُ لم يَهُمَّ بها كما توَهَّمَ الناس، قال تعالى: **ولقد راودتهُ عن...الصاغرين** " معنى ذلك أنَّهُ كان أمام خِيارَيْن إمَّا أن يُسْجَن وإمَّا أن يقْتَرِف الفاحِشَة ؛ وهذا هو مَوْقِف النبي الكريم، ومَوْقِف كلّ مؤمن يقْتدي بأنبياء الله الصالحين قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33)﴾

[سورة يوسف]

أحْيانًا يُغْرى المؤمن بِمَالٍ وفير من طريق حرام، فهل يقول: ربِّ الفَقْر أحبُّ إليّ من هذا المَبْلَغ الحرام ؟!
وأحْيانًا يدْفَعُ الإنسان ثمَن طاعتِهِ لله ؛ حِرْمان مِن وظيفة وحِرْمان مِن شراكة وحِرْمان مِن دَخْل كبير ؛ هذا حال المؤمن، العِلْم حرْف والتَّكْرار ألف، ماذا قال سيِّدُنا يوسف ؟

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾

لو أنَّهُ اسْتَجاب لما سُجِن، إضافة إلى قضاء الشَّهْوة والاسْتِمْتاع ؛ هذا حال المؤمن:

فَلَيْتَكَ تَحْلو والحياة مريـرةٌ وليْتَك ترْضى والأنام غِضاب
وليْتَ الذي بيني وبينك عامِـرٌ وبيني وبين العالمين خراب
إذا صَحَّ منك الوَصْل فالكُلّ هَيِّنٌ وكل الذي فوق التُّراب تُراب

***

أيها الأخوة، هناك حديث أنا أعْتَقِدُهُ شِعار كُلّ مُسلِم:

((ما ترك عبْدٌ شيئًا لله إلا عوَّضه الله خيرًا منه في دينه ودنياه))

دِقَّةُ الحديث أنَّ عبْدًا من عباد الله الصالحين عُرِضَ له شيءٌ مِن مَتاع الدنيا إلا أنَّهُ حرام فقال:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ ﴾

ربِّ الحِرمان من هذا المبلَغ أحَبُّ إليه مِن أن أعْصِيَك طيِّب.

((ما ترك عبْدٌ شيئًا لله إلا عوَّضه الله خيرًا منه))

وصَدِّقوا أيها الأخوة أنَّ زَوال الكَوْن أهْوَنُ على الله مِن أنْ يُؤْثِرَ عبْدٌ طاعة الله ثمّ يَحْرِمُهُ الدنيا إلا عوَّضَهُ الله خيرًا منه، كيف ؟ قال: في دينِهِ ودُنْياه، ففي دينِهِ ما دام قال:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾

وقال:

﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾

وأنّني لن أفْعَلَ هذا ولو بقيتُ مَحْرومًا أصْبَحَ الطريق إلى الله تعالى سالك، أما إذا اقْتَرَفَ المَعْصِيَةَ أصْبح الطريق إلى الله تعالى مَقْطوع، إذا اقْتَرَفَ الشَّهْوة كان الطريق مَقْطوعًا، وإذا قبض المَبْلَغ كان الطريق مَقْطوع، وإذا كذب وربِح كان الطريق مَقْطوع، وكذا إذا اغْتَصَبَ مَحَلاً وآثَرَ هذا المحلّ على الطاعة الله ؛ وهذا هو مَعنى إلا عوَّضَهُ الله خيرًا منه في دينه، طيِّب وَدُنْياه ؟ تأتيه الدنيا وهي راغِمَة ولكن مِن طريقٍ حلال.

رجلٌ أُمِّيٌ له شَيْخ، وأعْطَوْهُ أرْضًا كبيرة، وقد كان قبلها فقيرًا لا يمْلِكُ شيئًا، فقال هذا الفقير للشَّيْخ: لقد أعْطَوْنَا أرضًا يا شيخ، فقال الشيخ: هذه أرْضٌ مُغْتَصَبَة ! وإذا كان الأمر كذلك فَحَرامٌ أخْذها، فذَهَبَ هذا الأخ يبْحث عن صاحِبِها إلى أنْ وَجَدَهُ فقال له: هل تَسْمَحُ لي أن أُعْطِيَكَ أساوِر زَوْجتي وأشْتري عليك البيت بالتَّقْسيط ! فقال صاحبُها: لقد ذَهَبَ عليَّ أربعة أضْعاف ما أخذْت، ولم يأتِ أحدٌ إلا أنت، وعلى هذا فهذه الأرض هَدِيَّةٌ مِنِّي لك !! ما ترك عبد شيئًا لله إلا عوَّضَهُ الله.

وأحد الشباب قديمًا، كان في مَحَلِّه فجاءت إليه فتاة ودَعَتْهُ للزّنا، فأغْلَقَ المَحَلّ وتَبِعَها، وهو في الطريق تذَكَّر إلى أين سيَذْهَب فَرَجَع واسْتَغفَر الله، ففي اليوم الثاني جاءَهُ أحدُ كِبار تُجار الزّيت، وعرض عليه ابنتهُ ! أُكْرِمَ مِن أجل تَرْكِهِ الحرام، حقٌّ على الله إذا تَرَكْتَ الدنيا أن يُكرِمَكَ الله تعالى ؛

((ما ترك عبْدٌ شيئًا لله إلا عوَّضه الله خيرًا منه في دينه ودنياه.))

دِقَّةُ الآية:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33)﴾

[سورة يوسف]

هذا شِعارُ كُلِّ مؤمن، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في الطائف ؟

((إن لم يكن بِك غضَبٌ عليّ فلا أُبالي، ولك العُتبى حتَّى ترْضى، لكنَّ عافِيَتَكَ أوْسَعُ لي.))

أجْمَلُ شيء في الآية العُبُودِيَّة لله تعالى، لم يقل: أنا إرادتي قَوِيَّة، وأنا سيِّدُ نَفْسي ! هذا شِرْك، أحْيانًا تَجِدُ إنسانًا شَخْصِيَّة في البلد، وله زَوْجة مِلكَة جمال، فإذا به يتعلَّق بامْرأة مثل الممْسحة !! فَسَيِّدُنا يوسف انتَبَهَ لهذه النُّقْطة قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33)﴾

[سورة يوسف]

يا رب أنا مُسْتقيم بِمَعونَتِك، وعفيف بِمَعونتِك، وهذا مُلَخَّص إياك نعبد وإياك نسْتعين، أحدُ العلماء ألَّف كتابًا يَحْوي مُجَلَّدَيْن اسمهُ مدارج السالِكين بين منازل إياك نعْبد وإيَّاك نسْتعين، قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ(127)﴾

[سورة النحل]

صَبْرُكَ باللهِ، وعِفَّتُكَ بالله، ووَرَعُكَ وطاعتُك بالله، وهذا هو معنى لا حول ولا قوَّة إلا بالله، لا حَوْل عن معْصِيَة الله إلا بالله، ولا قوَّة على طاعَتِهِ إلا به، فإذا وفَّق الله عبْده للصَّلوات الخمْس في المَسْجِدِ فهذه مِن نِعَم الله، إذ هناك مَن يُغازِل النِّساء بِالبَيْع والشِّراء والصَّلوات تمرّ عليه مرور الكرام، فإذا سَمَح لك الله تعالى بِغَضِّ البَصَر، وبِزَوْجة صالِحَة ومالٍ حلال، فلا تَعْزو الطاعة لك ؛ هذا شِرْك، قُل: يا رب سَمَحْت لي أن أُطيعَك، وأن أقْتَرِن بِزَوْجة صالِحَة، وأولاد أبْرار.

قال تعالى:

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(34)﴾

[سورة يوسف]

أي سميع لِقَوْله، عليم بِقَلْبِهِ وحالِهِ وصِدْقِهِ، والله عز وجل سميعٌ عليم أنتَ أُدْعوا الله وإن كان دُعاؤُكَ وِفْقَ السُّنَّة سترى الإجابة إن شاء الله قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّم عَنْهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))

[رواه البخاري]

ناجي ربَّك وسَلْهُ وادْعوهُ وترجَّاه، وتذَلَّل بين يَدَيْه ؛ هذا هو المؤمن إلهي أنت مَقْصودي ورِضاك مَطْلوبي، كلمتين: قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33)﴾

[سورة يوسف]

قال تعالى:

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآَيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (35)﴾

[سورة يوسف]

رأوا الآيات الدالة على براءَتِهِ وعِفَّتِهِ وطهارَتِهِ، أرادوا أنْ يطفئوا الفِتْنة فَوَضَعوه بالسِّجْن.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (24-09) : تفسير الآيات 34 - 36

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، لازِلْنا مع قِصَّة سيِّدُنا يوسُف عليه الصلاة والسلام قال تعالى:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34) ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآَيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (35) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآَخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36)﴾

[سورة يوسف]

أوّلاً هناك الرؤْيا، وهناك الحُلُم، فالحُلُم اضْطِرابات هَضْمِيَّة، لو أنَّ الإنسان تناوَلَ طعامًا ثقيلاً قبل أن ينام يرى أشْياء غير مَنْطِقِيَّة، وغير مُترابِطَة، ومُتَداخِلَة، ومُضْطَرِبَة، ومُشَوّشَة، ولا معنى لها ؛ هذا اسْمُهُ أضْغاث أحْلام.

لكِنَّ الرؤيا، والرؤيا الصادِقَة جُزْء مِن ستٍّ وأربعين جزْءً من النُّبُوَّة فالإنسان أحْيانًا يرى رؤْيا واضِحَة ذات مَعْنى، وذات دلالة ؛ مُبَشِّرَة أو مُحَذِّرَة، فهذه رؤْيا صادِقَة ؛ إنَّها جُزْء مِن ستٍّ وأربعين جزْءً من النُّبُوَّة.

فالله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يُعْلِمَ أنبياءَهُ شيئًا يُرْسِلُ إليهم سيّدنا جبْريل عن طريق الوَحْي، أما إذا أراد أن يُعْلِمَ المؤمن عن شيءٍ وأراد أن يُحَذِّرَهُ، وأن يُنْذِرَهُ، وأن يُخَوِّفَهُ، وأن يلْفِتَ نَظَرَهُ، وإعلامٌ واتِّصالٌ مُباشِر من الله إلى المؤمن ؛ عن طريق ماذا ؟! لا يوجد جبريل، ولا وَحْي، فهذا يكون عن طريق الرؤيا الصالحة، ويراها الرَّجُل الصالِحُ، أو تُرى لهُ.

الآن، الرؤيا الواضِحَة من الله عز وجل، إن كُنْتَ مُسْتقيمًا، ورأيْتَ رؤْيا مُبَشِّرَة فهذه مِن الرحمن، وإن لم تكُن كذلك لا سَمَحَ الله ورأيْتَ رؤْيا مُخيفة فَهِيَ من الرحمن، فالله جلَّ جلاله يُبَشِّر أو يُنْذِر، أما أن يكون الإنسان غارق بالمعاصي، وتارك للصلاة، ومات على هذه الحال، ثمَّ يقولون لك: رأيناه في المنام لابِسًا رداءً أبْيَضًا، ووَجْهُهُ كالقمر !! هذه مِن الشَّيْطان تَضْليلاً وتَمْويهًا، فالرؤيَة المُبَشِّرَة لإنسانٍ مُنْحرِفٍ هذه من الشَّيْطان، والرؤيَة المُخيفة لإنسان مؤمن هي من الشيطان، عندنا أربع حالات: إنسان مؤمن رأى رؤيا مُبَشِّرة من الرحمن، وآخر مُقَصِّر رأى رؤيا مُخيفة تَحْذيرًا هي من الرحمن لكنَّ غير المستقيم والمنحرف رأى رؤيا مُبَشِّرة فهذه من الشيطان تَضْليلاً.

أيها الأخوة، لي صديق له خالة له علاقة وثيقة بها، ويُحِبُّها كثيرًا فَتُوُفِّيَتْ، أَقْسَم لي بالله خِلال ثماني سَنوات وهو يراها بِرُؤْيا مُخيفة وَجْهُهَا أَسْوَد، وأَلْسِنَةُ اللَّهب قريبة منها، بعد ثماني سَنَوات رآها في المنام بِحالٍ جيِّدَة وقالتْ له: الحمد لله يا بنيّ ! كُلُّ هذا العذاب الذي أصابني مِن كأس الحليب !! فقد كان لِهذه المرأة ابن زَوْج، لها ولَدٌ منه وله ولدٌ من غيرها، وكان الولَدَان في بيْتٍ واحِد، فكانت تملأُ كأس الحليب لابنها وتملأ الكأس الآخر نصف حليب والنصف الآخر ماء لابن زوْجِها، فأحْيانًا الرؤيا الصادِقة ذات دلالة كبيرة جدًا.
فالرؤيا يراها الرجل الصالح، وتُرى له، ويراها لنفسه ولِغَيْره ويراها غيرهُ له أو لنفسه، فالرؤيا الصادقة ذات الدلالة الواضِحة، وذات إشارة عميقة إلى معنى مُعَيَّن هي الرؤيا الصادقة.

لي صديق له طفل في مُقْتَبَل العمر، سَنَتَيْن، وأُصيب هذا الولد بِمَرَضٍ مُزْمِنٍ جعل البيت في حزنٍ دائِمٍ، فرأى رجُلاً صالحًا في المنام يرتدي عمامة خضْراء وقال له: يا فلان تَصَدَّق لابنك، فقال لي هذا الشخص في اليوم التالي: ذَبَحَ خروفًا ووزَّعَهُ، فأَقْسَمَ لي أَنَّهُ بعد سبْعة أَيَّام شُفِيَ الطِّفل، فالله تعالى قد يُوَجِّهُكَ تَرْجيهًا في المنام.

وعندي صديق ثاني مُقيم بالكُوَيْت مذ سنَوات طويلة، ومُجَمِّع ثروَة كبيرة وضَعَها بِشَرِكة اسْتِثْمارِيَّة، فجاء إلى الشام لِنُزْهة شَهْر، وله قريب طبيب أطْفال، فَجَلسوا جلْسَةً فقال الطبيب عمَلُكَ فيه شُبْهَة بهذه الشَّرِكَة، وبقِيَ يتناقَش معه للساعة الثانية عشر، وبعد الساعة الثانية عشر أَقَرَّ أنّ عملهُ فيه شُبْهة، وقال: إن شاء الله سأسْحب مالي، يقول هذا الشَّخْص: فاتَّصل بالهاتف إلى الكويت صباحًا ومساءً فلم يتمكَّن لِرداءة الخطوط، وحاوَل فلم يسْتطع، حينها قال: لمَّا أرْجِع إلى الكويت أَضَعُ مالي بِجِهَةٍ شَرْعِيَّة، وبعد شَهْر رجع إلى الكويت فاسْتَقْبَلَهُ أخوه وقال له: أما سَمِعْتَ يا أخي ما حدَث ؟ فقال: وما الذي حدث ؟ فقال الأخ: فلَّسَتْ الشَّرِكَة !! فَبَرِكَ هذا الشَّخْص من شِدَّة الحادثة، وقال لأخيه: والله لقد رأيْتُكَ بالمنام وأنت تقول لي: بِعْني الأسْهم برأس مالها، ثلاث مرَّات، وفي الثالثة بِعْتُكَها ! لقد رأى في المنام هذا مِن جرَّاء أَنَّهُ أراد التوبة النَّصوح، فالله لما رآه يُحاوِل الاتِّصال تاب عنه، وهذه هي الرؤيا الصالحة يراها أو تُرى له.

وأحد العلماء بطرابلس الشام، فقير ومُستقيم، ويَسْكُن بِبَيْت أُجْرة وتمكَّن صاحب البيت يُخْليه، فأحد أغنياء طرابلس رأى النبي عليه الصلاة والسلام بالمنام يقول له: يا فلان، اِشْتري لِفُلان بيْتًا ! فالله أحْيانًا يتدخَّل بِرُؤيا واضِحة كالشَّمْس، أما أن ترى أضْغاث أحلام فهي من الشيطان.

قال تعالى:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآَخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36)﴾

[سورة يوسف]

يُرْوى أنَّ الإمام ابن سيرين وهو كبار العلماء في التفسير، فالإمام مالك دار الهِجْرة رأى في المنام ملك الموت، فقال له الإمام مالك: **كم بقِيَ لي مِن حياتي يا ملك الموت ؟ فأشار له بِخَمْسة !!** يا تُرى خمْسة أسابيع أم خمْسة أيام أم خمْسة أشْهر أم خمْس ساعات أم...فاضْطرب ثاني يوم، وحكى له ما رأى، فقال الإمام ابن سيرين: **يقول لك ملك الموت ؛ هذا من خمْسة أسئلة التي لا يعْلمُها إلا الله !** فإذا الإنسان رأى رؤيا صالِحَة وقصَّها على إخْوانه فلا مانع، إنَّما هي بِشارة، وغن رأى شرًّا بصق عن يساره واسْتعاذ من الشيطان الرجيم.

والإنسان إذا رأى رُؤيا مُخيفة، وكان مُتَلَبِّسًا بِحَرام، فالجواب ؛ إن تاب تعطَّلَتْ الرؤيا، وإذا لم يتُب قُضِيَ الأمر الذي فيه تَسْتفْتِيان، فالرؤيا تَحْذير من الله فإن تاب العبد توقَّفَتْ، وإن لم يتُب وقَعَتْ.

قال تعالى:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآَخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36)﴾

[سورة يوسف]

مرَّةً ثانِيَة لو قال لك رؤيا تأخذ العَقل، فهل أنت مُكَلَّف أن تُصَدِّقهُ ؟ فالرؤيا لا تُصرف إلا لِصاحِبِها، كالشِّيك تمامًا لا يُصْرف إلا لِصاحِبِه فالرؤيا طريقة من طرق إعْلام العَبْد، ودينُنَا ل يُبنى لا على المنامات ولا على الخرافات ولا على الكرامات، دينُنَا دينُ عِلْم، أما أن تتَّخِذ حكاية المنامات كالجرائد فهذا ليس شِعار المؤمن، فلو أنَّ الإنسان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وأمَرَهُ بِمُخالفة الشرع ؛ قال العلماء: يثبت الشرع وتُرَدُّ الرؤيا ؛ نحن عندنا كتاب وسنَّة، فأنت ليس عليك تَصْديق الرؤيا البتَّة، وديننا دين حقائق وبراهين وعلم، ومادام ورد موضوع الرؤيا فهذا هو موضوع الرؤيا ؛ إعلام من الله تعالى مُباشر فإذا كان مُخيفاً فَهُوَ تَحْذير، وإذا كان مُريحًا فَهُوَ تَبْشير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-24) : تفسير الآيات 36 - 41

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، لازِلْنا أيُّها الأخوة في قِصَّة يوسف عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآَخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾

[سورة يوسف]

لماذا فعَلَ هذا النبي التَّصرف هذا ؟! الإنسان إذا أراد أن يَدْعُوَ إلى الله عز وجل عليه أن يعْتَمِدَ على حاجات الناس الأساسِيَّة، فالإنسان يحْتاج إلى الأَمْن وإلى الرِّزْق الوفير وإلى زَوْجَة صالحة وإلى أولاد أبرار هذه حاجات أساسيَّة، فإذا رَبَطْتَ هذه الحاجات بِمَعْرِفَة الله وطاعة الله اسْتَفَدْتَ من فِطْرة الإنسان الحريصة على ما يُصْلِحُها، وتَخْشى على ما يُفْسِدُها، فهذان الرجلان الفَتَيان رَأَوَا منامًا، فَسَيِّدُنا يوسف ما أراد أن يُفَسِّر لهم هذه الرؤيا فَحَسْب، بل أراد أن يسْتَغِلَّ الْتِفاتهما إليه وسُؤالهما له، وحاجتهما له لِيُعْطِيَهُما فِكْرَةً عن التَّوحيد، فاطْمَئِنُّوا سوف أُفَسِّر لكم هذه الرؤيا، قال تعالى:

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37)﴾

[سورة يوسف]

يا ترى أنت لو كان عندك مَحَلّ تِجاري، ومُوَظَّف فقير فإذا أرَدْتَ أن ترفع أُجْرته وأن تُعينَهُ وأن تُكافِئَهُ، أليس لك أن تربط إعانتَك له بطَاعة الله واسْتِقامته ؟ فلِمَ لا يَعْنيك دينهُ وصلاتُهُ واسْتِقامَتُه ؟ المُهِمّ أن يُقَدِّم لك خِدْمة جيِّدة، أما الدِّين لا تعْبأ به ! فلا ينبغي أن تسْتفيد من الخلق دون أن تَهْدِيَهُم إلى طاعَتِه تعالى، فأنت إن جَعَلَك الله أبًا لِهذا الولد فَمَصْروفُهُ عليك، فاربِط بين الإكرام والجزاء بِطاعة الله وحفظ القرآن الكريم، فَهُناك آباء يُقَدِّموا لأولادهم كلّ شيء ولا يَعْنيهم أمْرُ صلاتِهم وطاعتهم لله تعالى، وآخر مؤمن يرْبط المكافأة والمال والهَدِيَّة بطاعة الله تعالى، وصلاته، وغضّ البصر وحفظ القرآن فالله إن جعَلَك أبًا فَهُوَ قد ربَطَ أولادك وزَوْجتَك معك وإن جعلكَ صاحب مَتْجَر فأنت لك مجْموعة مُوَظَّفين ؛ هؤلاء الذين أناطهم الله بك وجعل حوائِجَهم عندك، لا ينبغي أن تُهْمِلَ دينهم بل أن تسْتَغِلَّ حاجتهم إليك في تَوْجيههم إلى الله عز وجل، لذلك صاحِبُ المعْمَل مسؤول عن دينِ عُمَّالِهِ، ففي أحد المصانع التي زُرْتُها بنى صاحبه فيه مسْجِدًا يُؤَذَّن للصلاة

فَيُوقَفُ العمل، والكُلّ يأتي لِصَلاة الظُّهْر، فهذا دلَّهم على الله تعالى، وكذا الأمر إذا كنت مُدير مَعْمَل أو مَشْفى، اِسْتَفِد من هؤلاء لِتَوْجيههم إلى الله عز وجل، فَسَيِّدُنا يوسف سُئِل، ولكن قال: لا ! قال تعالى:

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37)﴾

[سورة يوسف]

قال تعالى:

﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آَبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38)﴾

[سورة يوسف]

لَفَتَهُم إلى الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالدار الآخرة، ثمَّ قال:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39)﴾

[سورة يوسف]

لمَّا الإنسان يُصبح يخاف من زيد وعُبَيد، ويرْجو فلان تَمزَّق بِهذا وتَبَعْثَر وتَشَتَّت، أما لو اتَّجهَ الإنسان إلى الله تعالى وَحْدَهُ وأرضاهُ تعالى وَحْدَهُ، وخافهُ تعالى وَحْدَهُ، واعْتَقَد أنَّهُ لا رافِعَ ولا خافض إلا هو تعالى، ولا مُعْطِيَ إلا الله، وأنَّ كلّ أمْرِهِ بيَدِ الله لذا اِعْمَل لِوَجْهٍ واحِدٍ يَكْفيك كُلَّ الوُجوه ! لماذا اشْتَغَلَّ حاجة هذين الرَّجُلَيْن إلى تَفْسير رُؤْياهما؟ لأنَّهُ أراد أن يُوَجِّهها إلى الله عز وجل، وهذا القرآن الذي يُتْلى إلى يوم القِيامة القَصْدُ منه أنْ نتعلَّم من أساليبه فأنت أب ومُعَلِّم وصاحِب مَتْجر أو معْمَل أو شركة أو من يلوذ بك أو أنتَ قيِّم على أيْتام أو لك أولاد أخ أيتام ؛ اِرْبِط بين المُكافأة والدِّين فإذا رَبَطْتَ هذا بِذاك تكون قد اسْتَفَدْتَ من هذا الحاجة في تَوْجيه الناس إلى الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39)﴾

[سورة يوسف]

إلهٌ عظيم بِيَدِهِ كُلّ شيء أم أن تَخاف مِن زَيْد أو عُبَيْد، وتَرْجو فلان وتُنافِق لِفُلان وأن تَخْشى فُلان ؛ لن تنام الليل من القلق، والله تعالى قال:

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(88)﴾

[سورة القصص]

أحَدُ أكبر عذابات الإنسان الشِّرْك بالله وقال تعالى:

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40)﴾

[سورة يوسف]

تَسْمَع مناصب وأسماء ووظائف هي أسْماء سَمَّيْتُموها أنتم وآباؤكم ما أنزَلَ الله بها مِن سُلْطان، ويقولون لك: أكبر قُوَّة ضارِبَة نَوَوِيَّة !! هذه أسْماء، قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(24)﴾

[سورة يونس]

لا تَقُل الدَّولة الفُلانِيَّة معها نَوَوي !! لا، كل شيء بِيَدِ الله، قال تعالى:

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا(26)﴾

[سورة الكهف]

وقال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ(84)﴾

[سورة الزخرف]

وقال تعالى:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67)﴾

[سورة يوسف]

بماذا وَجَّهَهُم هذا النبي الكريم ؟ وماذا اخْتار من الدِّين ؟ اخْتار التَّوحيد فالإنسان إذا وحَّد ارْتاحَتْ نفْسُه، ويرْفَع رأسُه، ولا يخاف ولا يُنافِق ولا يسْتَخْزي ولا يَقْنَع، ولا يقْلَق، ولا يَحْزَن، ولا يُضَحِّي بِدِينِه مِن أجل دُنياه، لذا سيِّدُنا يوسف لمَّا أراد أن يسْتغِلّ حاجة هذين الشابَّيْن اخْتار لهما التَّوْحيد، ولذا ما تعلَّمَتِ العبيد أفْضَل من التَّوْحيد، وهو نِهايَةُ العِلْم، والتَّقْوَى نِهايَةُ العَمَل.

هناك شيْئَين كبيرين: العَلْم والعَمَل، فالعِلْمُ نِهايَتُهُ التَّوحيد، والعمل نِهايَتُهُ طاعة الله عز وجل، وأعلى أنواع الأعمال أن تُطيعَ الله تعالى وأعلى أنواع العلم أن تُوَحّدَ، والدليل أنَّ الله تعالى جعَلَ فَحْوى دَعوة الأنبياء التَّوحيد والعِبادة، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي(25)﴾

[سورة الأنبياء]

فإذا وَحَّدْتَ الله تعالى، وعَبَدْتَهُ فقد حقَّقْت المُراد مِن الدّين، فأنت بالكَوْنُ تُوَحّدُهُ، وبالشَّرْعِ تَعْبُدُهُ، فَكِّر بالكَوْن تُوَحِّد، واطْلب العِلْم الشَّرْعي تَعْبُدُهُ، وربُّنا عز وجل أسْماؤُهُ كثيرة إلا أنَّهَا كُلُّها في ثلاث كلمات: الله موجود، وواحِد وكامل.

مُلَخَّصُ درْسِنا اليوم ؛ كُلُّ واحِدٍ جعَلَهُ الله قَيِّمًا على أشْخاص أب أو أم أو صاحب معْمل أو مَتْجَر، رئيس دائرة أو مُدير فما دام هؤلاء تحت يَدِك ومُكافآتُهم منك، اِسْتَغِلّ هذه الحاجة وادْعُهُم إلى الله تعالى، قال تعالى:

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40)﴾

[سورة يوسف]

لا تَكُن مع الأكْثَرِيَّة ولكن كُن مع الأقَلِيَّة، فالأكْثَرِيَّة لا تَعْلم وكلّها فاسِقَة، وهي لا تُؤمِن ولكنَّها تَظُنُّ ظنًّا، قال تعالى:

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ(36)﴾

[سورة يونس]

وقال تعالى:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)﴾

[سورة يوسف]

فالمَجْموع الآن كُلُّهم غافِل وساهٍ وفاسِق ومُنْحَرِف في كُلّ شؤونه ولكن كُنْ مع الأَقَلِيَّة الواعِيَة والمُسْتنيرة والمُلْتَزِمَة، ولا تَكُن مع الخط العريض الساهي اللاهي، هؤلاء الفتيات اللاتي يمْشينَ بالطريق ألَيْس آباؤُهنّ مؤمنين ؟! أين آباؤهم وإخوانهم ؟! المؤمن التَّقاليد والمواد تحت قَدَمِه، ولا يغْنيهِ منها شيئًا، إنَّما يَغْنيه الشَّرْع.

وفي الدَّرْس القادِم نشْرح تَفْسير الرؤيا، قال تعالى:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ(41)﴾

[سورة يوسف]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (11-24) : تفسير الآيات 41 - 50

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، الآن بعد أن اسْتَغَلَّ سيِّدُنا يوسف هذين الفتَيَيْن الذان اسْتَفْتَيَاهُ في رؤْيا رأوْها، الآن جاء دَوْرُ تَفْسير الرؤيا.

وذَكَرْنا في دَرْسٍ سابق أنَّ المؤمن إذا أناط به الله أُناسًا، وجعَلَهُ قيِّمًا عليهم ؛ أبًا أو رئيس دائِرَةٍ أو مُديرًا، هؤلاء الذين عَهِدَ الله بِهِم إليك، وأناطهم بك، عليك أن تُوَجِّهَهُم إلى الآخرة، وتُصْلِحَ دينهم، ألا تَرَوْن الدعاء النبوي الشريف: اللهم أصْلِح لنا ديننا الذي هو عِصْمة أمرنا..." فأنت إذا أصْلَحْتَ شأن مَن حَوْلَكَ، وأصْلَحْتَ دُنْياهم عليك أن تُصْلِحَ آخرَتَهم.

قال تعالى:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآَخَرُ﴾

[سورة يوسف]

فالأوّل يُطْلَقُ سراحُهُ، ويَعود إلى عَمَلِهِ في قَصْر المَلِك، ويَخْدِمُهُ ثمَّ قال تعالى:

﴿وَأَمَّا الْآَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾

[سورة يوسف]

أي سَوْفَ يُقْتَل، وهناك رأْي لِبَعْض العلماء أنَّ قَوْلَهُ تعالى:

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41)﴾

[سورة يوسف]

أنَّ المرء إذا رأى رؤيا مُخيفة، وفيها تَحْذير، لو أنَّهُ تاب إلى الله تعالى فإنَّها لا تَقَع أما إن لم يَتُب وَقَعَت فلَعَلَّ هذا النبيَّ الكريم رأى من أحدهما اسْتِهْزاءً بِهذا التَّفْسير ؛ فقال:

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41)﴾

فالإنسان إذا رأى رؤيا واضِحة كالشَّمْس، ومُخيفة، وكان مُنْحَرِفًا ومُتَلَبِّسًا بِمَعْصِيَة وآكِلاً لِحَقٍّ، فهذه الرؤيا تَقَعُ ولا تَقَع ! تَقَعُ إن لم يتُب ولا تَقَع إذا تاب.

نُريد أن تكون هذه الحقيقة واضِحَةً في أذْهاننَا، إنسان مُتَلَبِّس بِمَعْصِيَة مالٍ حرامٍ، أو ظالمٍ، أو مُقَصِّر في أداء حُقوق، وهو يعْلَمُ ذلك فرأى رؤْيا مُخيفَة، ورأى أنَّهُ وقَعَ مِن بناءٍ شاهِق فَنَزَل ميِّتًا، وأنَّ حيوانًا نَهَشَهُ، وأنَّ محلَّهُ حُرِق، واسْتَيْقظ رُهوبًا، فهذه الرؤيا من الله عز وجل ؛ تَحْذير لما فيه مَعْصِيَة، وهل تقع هذه الرؤيا ؟

الجواب: هذه الرؤيا تَقَعُ ولا تَقع ! تَقَعُ إن لم يتُب، ولا تَقع إذا تاب، وبعض المُفسّرين لعلَّ أحدهما استهزئ فقال يوسف عليه السلام:

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41)﴾

[سورة يوسف]

قال تعالى:

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42)﴾

[سورة يوسف]

هناك من يقول: أنَّ يوسف عليه السلام طلب مِن هذا الفتى الذي هو ناجٍ أن يَذْكرَهُ عند ربِّه ولذا أبْقاهُ الله تعالى في السِّجْن بِضْعَ سِنين عِقابًا له !! فهذا الكلام ليس صحيحًا، والعلماء قالوا: يجوز للمؤمن أن يبْتَغِيَ إلى الله الوسيلة، وأن يسْعى لإنقاذ نَفْسِهِ عند إنسان قَوِيّ ؛ فهذا يجوز، ولكن لا يجوز أن تعْتَقِدَ أنَّ هذا الإنسان سَيُنْجيه، ويكون بِهذا قد أشْرَك، أما إذا أخذَ بالأسباب، وتوَكَّل على ربِّ الأرباب فلم يُشْرِك، وهذا من باب الشَّفاعة، قال تعالى:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا(85)﴾

[سورة النساء]

هذا مَشْروع، والله عز وجل في حديث دقيق جدًا:

((إنَّ الله يلوم على العَجْز، عليكم بالكَيْس ؛))

فهذا الحديث الشريف لو طبَّقَهُ الناس لكانوا سادَةَ الدنيا أنت اِسْع وتظلَّم واشْتكي، وقابِل، وأقْنِعْهُم بالحُسنى والمعروف فإذا غلبَكَ أمْرٌ وما اسْتَطَعْتَ حينها تقول: حسْبِيَ الله ونِعْمَ الوكيل، وهذا بعد السَّعْي والأخْذ بالأسباب، فلا يجوز قَوْلُها قبل التَّسبُّب.

((إنَّ الله يلوم على العَجْز، عليكم بالكَيْس ؛))

دَبِّر وخَطِّط وفَكِّر وبيِّن ووضِّح وتحرَّك، وعندما يغْلبك الأمْر فقُل: حسْبِيَ الله ونِعْمَ الوكيل إذًا لا يجوز أن تسْتَسْلِم للمَقْضِيّ، والعلماء فرَّقوا بين القضاء والمَقْضِيّ فالقضاء كالزِّلزال والمطر الشَّحيحة، والمرض لكنَّ المَقْضِيّ هو أن يَعْتَدي عليك إنسان، وأن يسْرُقَك، حينها لا تَقُل هذا قضاء عليّ وتتْرُكهُ يسْرق، ولكنْ عليك أن تكْمُشَه.

سيِّدُنا عمر كان في طريقِهِ إلى الشام فَعَلِموا أنَّ بها وباءً هو الطاعون فتَحيَّروا في الأمر ؛ بعضهم قالوا: ندْخُل، ولا نَفِرُّ من قضاء الله والآخر قالوا: لا ! فلمَّا عرضوا الأمْر على عمر رضي الله عنه قال: **لا نَدْخُل،** فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين، أَتَفِرُّ مِن قَضاء الله ؟ فقال: **نعم، أنا أفِرُّ مِن قَضاء الله إلى قضاء الله !** لو أنَّ راعِيًا معه شياه وهناك أرضان إحْداهما مُجْدِبَة والآخرة مخْصبة، أليس لو حوَّل غنَمَهُ من المجذبة إلى المخْصِبَة فرَّ مِن قضاء الله إلى قضاء الله !!

فالقضاء ما يأتي من الله مُباشَرَةً، أما المَقْضِيّ ما يأتي من ظُلْمِ العباد فالمَقْضِيّ يُقاوَم ويُعارَض، لذا لا تَقْبَل أن يُؤْخَذ منك حقُّك وأنت ساكت ليس هذا من خُلق المُسْلِم، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ(39)﴾

[سورة الشورى]

قال تعالى:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(40)﴾

[سورة الشورى]

فإذا غلبَ على ظنِّك أنَّ عَفْوَكَ على أخيكَ يُصْلِحُهُ ويُقَرِّبُهُ فيَجِبُ أن تَعْفوا، أما إذا غلَبَ على أمْرِكَ أنَّ عفْوَك يزيدُه عُدْوانًا وبَغْيًا وتطاوُلاً يجب أن تأخذ حقَّك دون اسْتِسلام، ولكن إذا أخَذْت حقَّك ينبغي أن لا تزيد على حَقِّك شيئًا.

لذا سيِّدُنا يوسف لمَّا قال: أذكرني عند ربِّك ما فعَلَ شيئًا بِهذا ! وما فعَلَ شيئًا خِلاف مَنْهج الله تعالى، فهو لا يعْتَقِد النَّجاة من غير الله تعالى، ففي بعض التَّفاسير كما قلنا قالوا: أبقاه سبع سنوات في السِّجن من أجل ان قال: أذكرني عند ربِّك ! فهذا الكلام لا أصْل له، ونحن كَمُؤمنين بِإمْكانِنَا أن نصِل إلى أهْدافِنا عن أسباب لا تضُر إيماننا ولا تَقْدَحُ في تَوْحيدِنا.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43)﴾

[سورة يوسف]

هذه هي الرؤيا التي رآها المَلِك، قال تعالى:

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً﴾

[سورة يوسف]

سبْع سنوات تُغِلّ غلاَّت وفيرة ثمَّ قال تعالى:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ (47)﴾

[سورة يوسف]

وهذه إشارة في عِلْم الزِّراعة أنَّ القَمْح إذا بَقِيَ في سُنْبُلِه يُحْفَظُ سبْع سنواتٍ بالتَّمام والكمال، ثمَّ قال تعالى:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ (48)﴾

[سورة يوسف]

أي البِذار ثمَّ قال تعالى:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50)﴾

[سورة يوسف]

هل هناك إنسان يصْدُر أمْر الإفْراج عنه من السِّجْن، ولا يخْرج ؟ المؤمن كرامتُه عالِيَة، وشرَفُ المؤمن قِيامُهُ باللَّيل، وعِزُّه اسْتِغْناؤُهُ عن الناس فلو أنَّهُ كانَ سجينًا عاديًّا ما إن سَمِع بإطلاق سراحِهِ حتَّى تراه مُسْرِعًا ولكن قال له قال تعالى:

﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50)﴾

[سورة يوسف]

وهذا نأخُذه في دَرْسٍ قادِمٍ إن شاء الله.

والمُلاحظ أنَّ الله تعالى يَمْتَحِنُ الناس بالرَّخاء والشِّدَّة، تأتعي سبْعة سنوات خير، وأخرى شرّ، فالناس إذا فُتِحَت عليهم الأمور يَفْسُقون وإذا ضُيِّقَت يَكْفرون، والله تعالى قال:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19)﴾

[سورة المعارج]

فالمؤمن في الرَّخاء شَكور، وفي البَلاء صَبور، وغير المؤمن في الرَّخاء ساهٍ وغافلٍ، وفي الشِدَّة يَيْأس وهي كُفْر، والغَفْلَة أيْضًا بُعْدٌ عن الله تعالى، فالله تعالى عالَجَ هؤلاء بِسَبْعِ سَنوات عِجاف وأخرى خَيِّرات، والملاحظ في البلاد الإسلامِيَّة هذه المَوْجات ؛ انْفِتاح وانْغِلاق أما المؤمن الصادِق فلا ينسى فضْل الله تعالى في الرَّخاء، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أمرني ربي بِتِسْع: خَشْيَةُ الله في السرّ والعلانِيَة، وكلمة العدل في الغضب والرِّضا، القَصْد في الفقْر والغِنى وان أصِل منْ قطني، وأن أعْفُوَ عمَّن ظلمني، وأُعْطِيَ مَن حرَمَني وأن يكون صَمْتي فِكْرًا، ونُطقي ذِكْرًا، ونَظري عِبْرَةً.))

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12–24) : تفسير الآية 67

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67)﴾

[سورة يوسف]

هذه الآية فيها إشارات كثيرة.

الإشارة الأولى: أنَّ الإنسان إذا ظَهَرَ أمام الناس بِمَظْهَر الغِنى أو عرض ما عندَهُ، أو تحدَّث عن أمواله، وعن مَصْروفِهِ، وعن بيْتِهِ وعن رِحْلاتِه، ودَخْلِهِ، وحجْم إنْفاقِه.. إذا ظهر الإنسان بِمَظْهر الغِنى والتَّرَف، ما الذي يَحْصَل ؟ قد يأتي إنسان فقير قد تلبَّس به الشَّيْطان فإذا نظر الفقير إلى هذا الغَنِيّ نَظْرَةَ حسَدٍ، وكان هذا الغنيّ غافلاً عن الله تعالى سرى هذا الشَّيْطان من هذا الفقير الحاسِد إلى هذا الغنِي الغافِل، وهذا ما يُعَبِّرُ عنه العَوام بالعَيْن، وربُّنا عز وجل يقول:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(1)مَلِكِ النَّاسِ(2)إِلَهِ النَّاسِ(3)مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(4)الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5)مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(6)﴾

[سورة الناس]

وقال تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ(1)مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ(2)وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ(3)وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ(4)وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ(5)﴾

[سورة الفلق]

لذلك قالوا كَثْرة الظُّهور تَقْصِم الظُّهور قال تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(79)﴾

[سورة القصص]

فَهُناك أشْخاص همُّهم الحديث عن أوْلادِهم وذكاء أولادِهم، وعن نجابَةِ أولادهم، أو عن بيْتِهم أو عن موْقِعِ بيْتِهم، أو الأثاث الفاخِرِ الذي زُيِّنَ به البيت ! فإذا كان هذا الهو الهَدَف دون أن يشْعُر، ففي ساعة الغَفْلَة قد يَحْسُدُه حاسِد مُتَلَبِّسٌ به الشَّيْطان، ويسْري حينها الشيطان فيه.

يقول لك: به عَيْن، ومرِضَ مرضًا كبيرًا ومات به، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((العين تضع الجمل في القدْر...))

فأنت لا تَضْمَن أنَّ هذه الذي أمامك مَوْصول بالله تعالى فلو أنَّهُ كان مَوْصولاً لما حسَدَك، لأنَّ ربَّنا عزَّ وجل وصَفَ المؤمنين أنَّهم يتنافسون في طاعة الله تعالى، قال تعالى:

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ(26)﴾

(سورة المطففين)

المؤمن الدنيا خارِج اهْتِمامِه، ولذا علَّمَنا النبي أنَّهُ من رأى بيتًا فخْمًا أو مرْكَبَةً كان يقول:

((اللهم لا عيْش إلا عيش الآخرة..))

فمتاع الدنيا من بيوت ومركبات مُتَوَقِّفَة على نبْض القلب انتهى كل شيء، فلا يوجد قَبْر خمْس نُجوم !! فَكُلّ مَخْلوق يموت ولا يبْقى إلا ذو العِزَّة والجبَروت ؛

الليل مهما طال فلا بدّ من طلوع الفجْر

والعُمْر مهما طال فلابدّ من نزول القبر

وكل ابن أنثى وإن طالتْ سلامتــه

يــومًا على آلة حَدْباء مَحْمــول

فإذا حَمَلْتَ إلى القبور جنـازَةً

فـاعْلَم بأنَّك بعْدها مَحْمــول

***

أيها الأخوة، ما ذُكِرَ الموت في كثير إلا قلَّلَهُ، ويُذْكر في قليل إلا كثَّرَهُ فإذا الإنسان مَحْروم وفقير وزواجُهُ غير ناجِح، وبيتُهُ صغير، ودَخْلُهُ أقلّ مِن مَصْروفِه، وكان مؤمنًا ومُسْتقيمًا على أمْر الله فإنَّهُ إن ذَكَر الموت ذَكَر الجنَّة، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

فالذي معه أموال لا تأكلُها النِّيران إذا مات لم يبْقَ معه إلا هذا القبر الصغير وسَيُشَيَّع إلى مَثْواه الأخير، أما المَثْوى مُؤَقَّت فَهُوَ مُوَقَّت ولن تبْق فيه إلى أبد الآبدين، فإذا الإنسان إذا فكَّر بِبَيْتِه فلا بدّ من يومٍ يخرجُ منه دون أن يرْجِع، فالإنسان لا بدّ مِن أن يخْرج من بيتِه مرَّةً بِشَكْل أُفُقي والإنسان يرى مئات المساجد وآلاف المساجِد ؛ يُصَلي أو لا يُصَلِّي لكنَّه بِأنَّهُ ينتمي إلى أمَّة الإسلام يجب أن يدْخُلَ المَسْجِد ليُصَلَّى عليه ! كنتُ مرَّةً في مدينة المغرب ؛ مدينة فاس الإسلامِيَّة، رأيْتُ سمَّانًا كاتِبًا على محلِّه: صلِّ قبل أن يُصَلَّى عليك!

أيها الأخوة، أرَدتُ من هذه الآية:

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67)﴾

[سورة يوسف]

لا تُعَوِّد نفْسك الكلام عن أهْلِك وبيْتِك وزوْجَتِك وعن ترتيبها ونظافتها وأناقَتَها، وعن دَخْلِك ؛ هذا مرض النِّساء؛ فهذا المديح لا يجْلب الخير، فلعلَّ إنسانًا فقيرًا نظَرَ إليك نظْرة حسدٍ فسَرَى إليك الشيطان، متى يُؤثِّر الحسد ؟ إذا كان المَحْسود غافِلاً عن الله تعالى وكان الحاسِد مُتَلَبِّس بالشَّيْطان، وهذه نصيحة كريمة، قال تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ(152)﴾

[سورة البقرة]

أُذْكر الله في كل مكان ولن يحْسُدك أحد، بل يغارون منك، وهي مَحْمودة، قال عليه الصلاة والسلام: لا حسد إلا في..." فأنت خلال سماعِك للخُطباء والدروس بلِّغ ما سمِعْت، لأنّ الحديث إذا كان عن الدنيا فإنَّك تجْلب به الأعداء دون أن تشْعُر ؛ إنَّ العَين لتَضَع الجمل في القِدْر، والرجل في القبر مأخوذ من قوله تعالى:

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ(5)﴾

[سورة الفلق]

فالإنسان إذا خرج من مصالحِه، ومن بيْتِهِ إلى خِدْمة الخَلْق وتذْكيرهم بالله وتعريفِهم به، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر انتهى من الحسد، لأنّ الناس تعلَّقوا به عن طريق الله تعالى، قال تعالى:

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67)﴾

[سورة يوسف]

يروون قِصصًا غريبة أنَّ أحدهم توفَّى فجاءَهُ الملكان لِيَسْألانِه فجاءتهما – الملكان – ضَرْبتان أخْرجتْهما من القبر، وكانت من شيخ المُتَوَفَّى، وقال لهما: أهذا يُسأَلُ ؟!!! هذه قِصص ما أنزل بها من سلطان، يت فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ! قال تعالى:

﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ(46)﴾

[سورة هود]

وقال تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(1)مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ(2)سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ(3)وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ(4)فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ(5)﴾

[سورة المسد]

فالخَلْط والدَّجل ليس من الدِّين فلا ينقذك إلا التوحيد والاسْتِقامة على الطريق المستقيم ، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم، من يبطئ به عمله لم يُسرِع به نسبُه.

قال تعالى:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67)﴾

[سورة يوسف]

وقال تعالى:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ(128)﴾

[سورة آل عمران]

وقال تعالى:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(17)﴾

[سورة الأنفال]

وقال تعالى:

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا(10)﴾

[سورة الفتح]

وقال تعالى:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(123)﴾

[سورة هود]

وقال تعالى:

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(4)﴾

[سورة السجدة]

قال تعالى:

﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ(71)﴾

[سورة الزمر]

فالفِكْرة الشائِعة بين العوام أنَّ أُمَّة مُحمَّد مرْحومة ! الأمَّة المرحومة هي أمَّةُ الاسْتِجابة لا أمَّةُ التَّبْليغ، فَكُلّ من وُلِد بِبِلاد المسلمين، وكان ينتمي إلى أب وأم مسلمان ؛ هو مِن أُمَّة التَّبليغ، أما أُمَّة الاسْتِجابة هم الذين اسْتَجابوا لله وللرسول لما يُحييهم ؛ صام وصلة وغضَّ بصَرَهُ وحرَّرَ دَخْلَهُ ؛ هذا مِن أمَّة الاسْتِجابة، أما الذي يظنّ أنَّ مَن ارْتَكَب الفواحش والمعاصي وأكل الحرام، والنبي سَيَشْفَعُ له فهُوَ مَفْهوم ساذج، إلا أنَّ الشفاعة لا تكون إلا لِمَن أذِنَ له الرحمن وقال صوابًا، قال تعالى:

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ(28)﴾

[سورة الأنبياء]

فالشفاعة تحتاج إلى إذْنٍ من الله تعالى، ومَن مات غير مُشْركٍ أصابَتْهُ شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام. فالطالب لو نجَحَ بِكُل العلامات، وفي مادَّةٍ واحِدَة بقي له خمْس علامات كي ينجَح، هنا يُمْكن أن يُساعَد، ولكن ليس أن يرسُب بِكُل المواد ثمّ يُساعد !

نبْقى في هذه الآية إن شاء الله تعالى، وننتقِل في درْس قادِمٍ إلى التي بعْدها، قال تعالى:

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67)﴾

[سورة يوسف]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (13-24) : تفسير الآيات 50 - 54

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في قِصَّة يوسف عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54)﴾

[سورة يوسف]

إنسانُ سجين، ومودَعٌ في غياهب السُّجون يدْعوهُ المَلِكُ إلى قَصْرِهِ ! هل في الأرض إنسانٌ واحد يتردَّد في الخُروج من السِّجْن ؟ قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54)﴾

[سورة يوسف]

أوَّل استِنباط أنَّ المؤمن عزيز، وأغْلى شيءٍ يَمْلِكُهُ كرامَتُهُ وسُمْعَتُهُ وسيِّد المسيح يقول في قَوْلٍ مَشْهور: **ليس بالخُبْز يحْيى الإنسان** ! كُل واحِدٍ مِنَّا يعيش بِكَرامَتِهِ وسُمْعَتِهِ ومكانتِهِ الاجْتِماعِيَّة، فلو خُدِشَت هذه المكانة والسُّمْعة لم يُصْبِح للمال قيمة !

هذا الإنسان الراقي الذي يَحْمِل مبادئ، والذي له قِيَم ورِسالة، أما مِن دون رسالة ومبادئ وقِيَم فالمال كُلُّ شيء، يعني ألْف جبان ولا رحِمَهُ الله !! كان العرب يقولون في الجاهِلِيَّة: المَنِيَّة ولا الدَّنِيَّة.

فهذا النبي الكريم علَّمنا أنَّ الإنسان يعيش بِكَرامَتِهِ وبِسُمْعَتِهِ ونظافَتِهِ ونزاهَتِهِ، فماذا ينبغي أن يقول هذا النبي لما اسْتُدْعِيَ ؟ أُنْظروا للحِكْمَة لو قال للمَلِك: أنا بريء ! فَكُلّ سجين يدَّعي البراءة، لو قال له: القِصَّة كيْت وكَيْت، وطعَنَ بِزَوْجَتِهِ، فهو عليه السلام ما تحدَّث عن زوْجَتِهِ إطْلاقًا، ولا عن براءتِهِ، إلا أنَّ ألْقى في قلب الملِك سؤالاً كبيرًا ؛ قال له:

﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50)﴾

[سورة يوسف]

ابْتعدَ عن ذِكْر القِصَّة التَّفْصيلِيَّة، وعن براءَتِهِ، وعن الطَّعْن في زَوْجَتِهِ، فلو ذَكَرَها تَفْصيلاً أو أباح ما حصَل لما أفْلَح، ماذا فَعَل هذا النبي الكريم ؟ ألْقى تساؤُلاً في نفس المَلِك، وهناك قِصَّة ؛ هل تعْرِفُها ؟ قِصَّةُ النِّسْوَة اللاتي قطَّعْنَ أيْدِيَهُنّ ؛ هل تعْرِفُها ؟ أنا لا أخْرُج حتَّى تعرِفَها، فجعل هذا النبي الكريم المَلِك يتحرَّى الحقائق بِنَفْسِهِ ! فدائِمًا إذا قدَّمْتَ للناس حقيقةً من عندك دون برهان يرفضونها، أما إذا كنتَ ذَكِيًّا وجعلْتَ هذا الإنسان يكْتشِف لِنَفْسِه الحقيقة، فأرْوَع شيء في الدَّعْوَة أن تَجْعَلَ المَدْعو يكْشِفُ الحقائق ويضعُ يده عليها

لِوَحْدِهِ، وهذه الطريقة ذَكِيَّة جدًا في الدَّعوة إلى الله تعالى ؛ تَجْعل المُسْتَمِع شريك وتَحْتَرِمُ ذكاءَهُ وعقْلَهُ وإمْكانِيَّاتِه، فإذا وصَل لِوَحْدِهِ تمسَّك بها والقاعِدة مَعْروفَة ؛ مَن أخذَ البلاد بِغَير حرْب يهون عليهِ تَسْليم البلاد، فالذي يُرَبِّي ثَرْوَة مِن كدِّه وعرق جبينه حِسابُهُ دقيق في إنْفاقِها، أما الذي يأخُذها إرْثًا من والِدِه فهذا يُبَدِّدُها لأتْفَه الأسباب، فهذا الموقف رحْماني وتعليمي، فأنت أيها الإنسان تعيش بِكَرامتك ومبادئِك أكثر مِمَّا تعيش بِجِلْدِك وكرامَتِكَ والطَّعام والشَّراب والمال.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ(50)﴾

[سورة يوسف]

بالمناسبة ربنا عز وجل قال:

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ(4)﴾

[سورة التحريم]

فَكَم هو كَيْدُ النِّساء ؟ هؤلاء كلُّهم في مُقابل النِّساء، وربنا عز وجل قال:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا(76)﴾

[سورة النساء]

وقال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28)﴾

[سورة يوسف]

والنِّساء حبائب الشيطان، فالخَلْوَة والحديث والمُجامَلَة ؛ هذا كُلُّهُ يذْهب بِدينِ الإنسان لذا أنت كَرَجُل لك نقطة ضَعْف واحِدة: المرأة، فحينما يغضّ بصره عن النِّساء، ويرفض الاخْتِلاط، ولا يخْلو بامرأة يحْفظك الشَّرْع وتكون في حِصْن الله، أما إذا خَرَقْتَ هذا الحِصْن بأن اخْتَلَطْت وأطْلَقْتَ البصر تخرج حينها من رحمة الله وحِصْنِه.

تجد إنسان له ثمانية أولاد وزوْجة، وتراه يتكلَّم مع امرأة ويَخلو بها وهي دون زوْجَتِهِ ؛ كل هذا من الاخْتِلاط والحديث.

قال تعالى:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51)﴾

[سورة يوسف]

فالمَلِك لما سأل قالوا كما قال تعالى:

﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾

[سورة يوسف]

البطولة لا أن تشهَدَ لِنَفْسِك بالبراءة والنَّزاهة، البطولة أن يأتي المَدْح مِن خصْمِك، ومن الطرف الآخر فالعدوّ هو الذي شَهِد، وحينها قالت امْرأة العزيز كما قال تعالى:

﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51)﴾

[سورة يوسف]

فالله هو الحق، فإذا كُنْتَ مَظلومًا فلا تَخَف، فالله اسْمُهُ الحق، ومِن لوازِم اسمِه أنَّهُ يُظْهِرُ الحق، إلا أنَّه تعالى قد يسْمَح للباطِل بِجَوْلَة إلا أنَّه في النِّهايَة لا يَحِقّ إلا الحق، ولا يصِحُّ إلا الصَّحيح، فهنيئًا لِمَن كان على الحق ولو اتَّهَمهُ الناس.

لماذا اتَّهَمْتيه ؟ وأوْدَعْتِهِ في السِّجْن ؟ قال تعالى:

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)﴾

[سورة يوسف]

لِيَعْلَم أي زَوْجي.

أيها الأخوة، هناك قانون وهو منذ خلق الله الأرض وإلى نِهاية العالم قال تعالى:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)﴾

[سورة يوسف]

فهذه الآية لا علاقة لها بهذا الموضوع فقد، بل هي قاعِدة، الخيانة مَفْضوحَة، فقد تكفَّل الله أن يكْشِفَ كلَّ خائِنٍ، وقد يكون الإنسان ذَكِيًّا إلا أنَّ الله يكْشِف خِيانتَهُ بأتْفَه أسلوب، وهذا بِكُل الشُّعوب والمناطق وعلى كل المعمورة، لذا مهما احْتَلَّتَ وحَبَكْت الأمور يكْشِفُك الله.

فلا تَخن الله ورسوله، ولا شريكك، ولا المريض ولا الزَّبون، وهناك آلاف القصص تُبرْهِن افْتِضاح الخائِن بِسَقْطة لِسان، فالذي يظنّ أنَّه يخون ولا يُفْتَضَح فَهُوَ أحْمَق.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (14-24) : تفسير الآيات 51 - 53

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، لازِلْنا في قِصَّة يوسُف عليه السلام، قال تعالى:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)﴾

[سورة يوسف]

هذه الآيات انتَهَيْنا منها في الدرس الماضي، قال تعالى:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)﴾

[سورة يوسف]

أيها الأخوة الكرام، النُّفوس ثلاثة ؛ نَفْسٌ أمَّارةٌ بالسُّوء، ونَفْسٌ لوَّامَة ونَفْسٌ مُطْمَئِنَّة، قال تعالى:

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ(2)﴾

(سورة القيامة)

وقال تعالى:

﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)﴾

[سورة يوسف]

وقال تعالى:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)﴾

[سورة يوسف]

النَّفْس هي أنت، هي ذاتُك، هي المُخاطَبَة، والمُؤْمِنَة، والمُقَصِّرَة والمُحْسِنَة، والمسيئة، وهذه النَّفْس لا تَموت، ولكن تَذوق المَوْت فما دام الله قد خَلَقَها فقد خَلَقَها لِتَبْقى إلى أبد الآبِدين ؛ إمَّا في جنَّة يدومُ نعيمُها أو في نارٍ لا يَنْفَذ عذابها.

أيها الأخوة الكرام، تَصَوَّر تمامًا النَّفْس الأمَّارَة بالسُّوء مَرْكَبة تسير بلا مِقْوَد، وبلا مصابيح، يقولون فلانٌ فَعَل وأكل حرامًا وزَنى، شيءٌ طبيعِيّ جدًا، وهذا هو الشيء الطبيعِيّ لِإنسانٍ مَقْطوعٍ عن الله تعالى ولإنسانٍ انطفأت أنوارُهُ، ولا يَمْلِكُ المَنْهَج الصحيح، فَكُلّ إنسانٍ لا يَعْرِف المَنْهَج وانْطَفَأتْ أنْوارُه فالحادِث صحيحٌ وحَتْمِيّ، وطبيعيّ ومَعْقول، هذا معنى قول الله عز وجل:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)﴾

[سورة يوسف]

النَّفْسُ أودِع فيها الشَّهوات وحُبَّ النِّساء والمال والعُلُوَ والسَّيْطَرَة، أوْدَع فيها هذه الشَّهوات كي تَرْقى إلى الله تعالى، الشَّهوات كما أقول لكم دائِمًا: سُلَّم نرْقى بها إلى الله تعالى، ودَرَكاتٍ نَهْوي بها إلى النار وهي حِيَادِيَّة، فما مِن شَهْوَةٍ أودِعَتْ فينا إلا ويُمكن أن تُوَظَّف في الخير أو في الشرّ، وما مِن قُدْرَةٍ أوْدَعَها الله تعالى فيك، وما مِن مَلَكَةٍ أو غريزَةٍ إلا ويُمْكِنُ أن تُوَظَّفَ في الحق، كما يُمكن أن تُوَظَّف في الباطل، لذلك النَّفْس قبل أن تَعْرِفَ الله فهِيَ أمَّارَةٌ بالسُّوء، وهو شيء طبيعيّ جدًا، فَهِيَ أودَع فيها حُبَّ المال، والمال أمامها وينبغي أن تأخُذَهُ حقًّا كان أو باطِلاً، لكِنَّ النَّفْس التي تَعَرَّفَتْ إلى الله تعالى واتَّصَلَتْ به رَحِمَها اله عز وجل، ورَحِمَها بهذا النُّور الذي أُلْقِيَ في قلْبِها، قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(29)﴾

[سورة الأنفال]

وقال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(28)﴾

[سورة الحديد]

فالإنسان يُرضيه القرار الأحْمَق ! لماذا ؟ لأنَّهُ رأى أنَّ هذا لِصالِحِه، وهذه رؤيةٌ خاطِئَة، إذًا سببُ شَقَاء الإنسان رُؤْيَتُهُ الخاطِئَة، لماذا قال يوسف عليه السلام: معاذ الله إنَّه ربي أحْسن مثواي ؟! لأنَّهُ رأى عواقب الزِّنا ولماذا ينْغَمِس في هذه المَعْصِيَة الآن العَفِنَة القذِرَة ملايين الأشْخاص كُلّ يوم ؟! لأنَّهم رأَوْها مَغْنَمًا، إذًا الذي يُفَرِّق بين الإثْم والطاعة صِحَّةُ الرؤيَة فأنت إما أن ترى بِنُورٍ أوْدَعَهُ الله تعالى فيك، وإما أن ترى بِبَيَانٍ بيَّنَهُ الله لك.

أوَّلاً تُصْغي السَّمْع للحق، وتقْرأ القرآن، فإذا فَعَلْتَ هذا قذفَ الله في قلبِكَ النور، فلو أنَّ طالِبًا اخْتِصاص كيمْياء مُبْتَدِأ يعْرِفُ المواد في البِداية باللُّصاقات ؛ هذه صوديوم وهذا بوتاسيوم... لكن بعد الممارسة الطويلة يعْرِفُ المادَّة ليس مِن اسْمِها ولا مِن لُصاقَتِها بل مِن مُعايَنَتِها فأنْتَ تَصْعَد إذا اتَّخَذْتَ قرارًا صحيحًا، وهذا القَرار أساسُهُ إمَّا القناعَة التي أساسُها البيَان، وإمَّا رؤيَة أساسُها الاتِّصال بالله، وإما أن يجْتَمِع هذان معًا ، لذلك النَّفْس الأمَّارَة بالسوء مِن الطَّبيعيّ والمَعْقول أن تأمُرَ بالسُّوء أو تتَّجِهَ إليه، كما لو قيل لك: سيارة تمْشي بِطَريق مملوء بالمُنْعَطَفات وليس معها مصباح ! فلا بدّ مِن أن تَصْطَدِم، وأخرى تمْشي بلا مِقْوَد ! فلا بدّ أن

تصْطَدِم، فالحادِث حَتْمي، وطبيعيّ والشيء الغريب أن لا تصْطَدِم، وأن لا تقع بحَواجِز، فَكُلّ إنسانٍ مَقْطوعٌ عن الله تعالى مِن البديهي و الطبيعي أن يواكب الحرام ويعْصِيَ الله تعالى ويزْني لأنَّهُ أعْمى، ومعه شَهَوات تُحَرِّكُهُ، ولا نورَ معه ولا بيان ؛ فالقرآن والسنَّة بيان، والاتِّصال بهما مَعْدوم، وهذا هو معنى الآية: إنَّ النفس لأمَّارة بالسوء.

أما إذا تعَرَّفَ الإنسان بالله واتَّصَل به، ويذوق طَعْم القُرْب فإذا انْقَطَع من الله تعالى فجْأةً، فهذا دخل بِصِنْفٍ ثاني، هو في قوله تعالى:

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ(2)﴾

[سورة القيامة]

دائِمًا يلوم نفْسَهُ، لماذا إقبالي على الله ضَعيف ؟ ما الذي فَعَلْتَ ؟ لعلّي اقْتَرَفْت ! أو تكلَّمْت كلمَةً غير مناسبة، فالنَّفْس اللَّوامَة أقْسَم بها الله تعالى، والإنسان الراقي جدًا مَن أسرَّتْهُ حسَنَتُه وساءَتْهُ سيّئَتُهُ، فالذي يَقْتَرِف السيّئات ثمّ ينام ويسخر هذا إنسانٌ ميّت لا يعْبأ الله به أبدًا، وهذا معنى قول النبي الكريم:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ))

[رواه مسلم]

ليس معنى لو لم تذنِبوا أي ترْتَكِبوا الذُّنوب ! لا، ولكن المعنى إذا لم يَكُن لكم حساسِيَّة.

أحْيانًا يضعُ أحدنا يده على قلب المريض فيقول: له نبْض ضعيف ! فإذا لم يكن هناك نَبْض فهذا ميّت، تضَعُ مرآةً أمامَهُ فلا تَجِدُ البُخار هذا يعني: عظَّم الله أجركم ! فالطبيب إذا وَجَد النَّبض ضعيفًا أو مُقارب للصِّفْر يأتي بِخيْط ويضعُه أمام عين المريض فإذا تحرَّكَت الحدقة كان هذا دليل الحياة، ويأتي بِمرآةٍ ويضعُها أمام أنفِه فإذا وُجِد بُخار ماء كان هذا يعني أنَّه على قيْد الحياة، فإذا ما تغيَّت الحدقة وما ظهر البخار كان هذا يعني أنَّه لا يوجد نَبْض، وهكذا الإنسان إذا ارْتَكَب معْصِيَة ولم يتأثَّر ونام مرتاحًا وأكل الحرام، فهذا إنسان قد انتهى.

وعلى هذا فالنَّفْس اللَّوامة تعْرف الله ؛ يجوز أو لا يجوز، يرْضى أم لا يرْضى، شَرعي أو غير شرْعي، ظلَمْت أم لا، فهذا شُعور دليل الحياة، إلا أنّ الأرْقى منه النَّفس المطمئِنَّة، قال تعالى:

﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)﴾

[سورة يوسف]

النَّفْس اللَّوامَة نفْسٌ تعرَّفَتْ إلى الله تعالى مَعْرِفَةً غير كافِيَة، فهي بين أخْذٍ وردّ، وبين طاعة ومعْصِيَة لكِنَّ النفس المطمئنة كما قال تعالى:

﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)﴾

[سورة يوسف]

علامة الحياة اللَّوْم، لكنَّ النبي الكريم وصَفَهُ الله تعالى بأنَّهُ مَحْمود عنده وعند الناس، وعند نفْسِهِ، فأحْيانًا تجد أحدهم ذَكِيًّا أمام الناس ويَنْتَزِع إعْجاب الآخرين ولكِنَّه يحْتَقِرُ نفْسِهِ؛ يكون عنده شيء من النِّفاق، وشيء من الازْدِواجِيَّة والدَّجَل، يُظْهِر شيئًا ويُبطِن شيئًا آخر، فالإنسان لا يرْتاح إلا إذا تعرَّفَ إلى الله تعالى، قال تعالى:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)﴾

[سورة يوسف]

نرْجو الله سبحانه وتعالى أن نكون مِن أصْحاب النُّفوس المطْمَئِنَّة، اِطْمأنَّتْ حينما عرفَت ربَّها وأطاعَتْهُ وتقَرَّبَتْ إليه.

فلو شاهَدَت عَيْناكَ مِن حسن ما رأوْهُ لما ولَّيْتَ عنَّا لِغَيْرِنَا

ولو سَمِعَت أُذناك حُسْن خِطابنا خَلَعْتَ عنك ثِياب العُجْب وجِئْتَنا

ولو ذُقْتَ مِن طَعْم المحبَّة ذرَّةً عَذَرْتَ الذي أضْحى قتيلاً بِقُرْبِنا

ولو نسمَتْ من قربنا لك نسمة لَمُتَّ غريبًا واشْتِياقًا لِقُرْبِـنا

فما حبُّنا سَهلٌ وكل من ادَّعى سُهولتهُ كُنَّا له قد جَهِلْتَـنا

***

والحمد لله رب العالمين

الدرس (15-24) : تفسير الآيتان 55-56 ، المؤمن مِقْدام للخير

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون، لازلْنا في سورة يوسف عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54)﴾

[سورة يوسف]

يُسْتَنْبَط من هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى هو الحق، وهو الذي يُظْهِرُ الحق، ويُجازي المُحْسِنَ على إحْسانِهِ، ماذا أراد أخوة يوسف ؟ وماذا أراد الله ؟ أنت تريد وأنا أريد والله تعالى يفْعَل ما يريد. ابن آدم كُن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كُن لي كما أريد ولا تُعْلمني بما يُصْلحك، ومَن أحبَّنا أحْبَبْناه، ومَن طلب مِنَّا أعْطَيناه ومن اكتفى بنا عمَّا لنا كنا له وما لنا، وإذا سلَّمْتَ لي فيما أريد كَفَيْتُك ما تريد، وإذا لم تُسَلِّم لي فيما أريد أتْعَبْتُكَ فيما تريد ثمَّ لا يكون إلا ما أريد.

الإنسان عليه أن يستقيم على أمر الله، وأن يُخلص لله له ويتقرَّب إليه، وعلى الله تعالى الباقي ؛ هو الذي يُدافِعُ عنك وينصُرك ويُكْرمك ويُسْعِدُك ويُقَرِّبك ويُعْلي مكانك ويرفعُ ذِكْرك، اسْتقيموا ولن تُحْصوا قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: أي لن تُحصوا الخَيْرات مادِيَّة ومَعْنوِيَّة، وقريبة وبعيدة، مِن كُلّ النواحي، لذلك الفَوْز والنَّجاح كلّه في طاعة الله، والفلاح كله في طاعة الله، وكذا التَّفوُّق.

وُضِع بالجبّ، واشْتُرِيَ بِثَمَنٍ بخس، ووُضِع في قَصْر الملك خادِمًا وعَبْدًا، وأُمِر أن يفْعل ما يفْعل بامرأة العزيز، وكان شابًّا غريبًا جميل الصورة، وفي أشدِّ ثوران الشباب، أمَرَتْهُ امرأة ذات منْصب وجمال وقالت: هيْتَ لك، وليس مِن صالِحِها أن يفْشُوَ الأمر، وقد أمرتْهُ فقال معاذ الله إنَّه ربي أحْسنَ مَثْواي، ودخل السِّجن وفي النِّهاية – العِبْرَة في النِّهاية – قال تعالى:

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(128)﴾

[سورة الأعراف]

نريد أن نرى مَن يضْحك أخيرًا، لأنّه مَن يضْحك أخيرًا يضْحك كثيرًا ومن يضْحك أوّلاً يبكي كثيرًا، المغانِم الآنِيَّة لا تغْتَرّ بها، فهذه تزول إنَّما اهتَمّ بالمغانم البعيدة التي لا تزول، فقارون قال عنه تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(79)﴾

(سورة القصص)

ونِهاية القصَّة يقول الله عز وجل:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(83)﴾

(سورة القصص)

فسيّدُنا من طِفْلٍ صغير إلى جب خطير إلى سِجْن إلى خادم في السّجن إلى إلى..عزيز مصر ! قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54)﴾

[سورة يوسف]

قال تعالى:

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)﴾

[سورة يوسف]

وهنا سؤالٌ دقيق فالمؤمن ليس سلبيًا، وليس انْطِوائِيًّا، وليس منهَزِمًا، ولا يهْرب وإيجابي، ولكن بِشَرْط: إذا أوصِلَ إليك عمل فيه نَفْعٌ للأمة وأُطْلِقَت يدك ينبغي أن تَقْبَلَ به، وأنا أقول: وأطلقت يدك، أما إذا كنت أداةً فينبغي أن لا تَقْبَلَها، إذا أوكِلَت إليك مهمَّة فيها نفْعٌ للمؤمنين وأطلقت يدك، فلا بدّ أن لا تنْزوي وأن تتقَوْقَع، ولا تكن انعزالي، وقيل لك: أنت مخلص عندنا، كما أنَّهُ لا يهمُّك مَن وكَّلَك، فأنت في عملٍ تنفَعُ المسلمين ؛ فهذا الذي فعلَهُ يوسف عليه السلام، قال تعالى:

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)﴾

[سورة يوسف]

فالإنسان مثلاً إذا كان مُدَرّسًا أو طبيبًا، ومدير مستشفى، فإذا كنت مؤمنًا فأنت أفضل من ذاك المدير غير المؤمن ألف مرَّة ! الأمور مَضْبوطة عندك ؛ فلا رَشْوَة ولا انْحِراف، لذلك قال يوسف في قوله تعالى:

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)﴾

[سورة يوسف]

وهذا حُكْم شرعي ؛ لك أنْ تعملَ عمَلاً فيه نَفْعٌ للمسلمين بِشَرْط أن لا تكون أداةً لِغَيْرِك، وأن تُطلق يدُكَ في هذا العمل، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)﴾

[سورة يوسف]

والله لَزَوال الكَوْن أهْوَنُ على الله تعالى أن يُضَيّع عمل مُحْسِنٍ، ومن أن يُضَيّعَ على مستقيم اسْتِقامتَهُ، ومن أن يُضَيّع على مَن خاف الله تعالى خَوْفهُ، تخاف الله تعالى ولا تنتفع، ولا يرْفع ذِكْرَكَ، تقول: معاذ اله تعالى ثمَّ تكون آخر الناس ! تخْشى أن تعْصِيَ الله تعالى ولا تُوَفَّقُ في عملِك ؛ مُستحيل.

أيها الأخوة، ما ترَكَ عبْدٌ شيئًا لله إلا عوَّضَهُ الله خيرًا منه في دينه ودُنياه، فقد كان الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين إذا قرءوا بِقِيام الليل بعض الآيات تهتزّ مشاعرهم، وكان بعض التابعين والعلماء العاملين يقرؤون آيةً يُعيدونها إلى الفَجْر، فهذه الآية:

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)﴾

[سورة يوسف]

حاش لله تعالى أن يُضَيّعَ عليك عملك الصالح واسْتِقامتك وخَوْفك وخشْيتك ومحبَّتَك، لابدّ أن تتفاءَل فأنت مع الله تعالى، وأنت مَحْفظ بِحِفْظ الله ومُكَرَّم بِكَرامة الله ومُقَرَّب إليه تعالى ومَنْصورًا بإذن الله، لذا الإخلاص الإخلاص، يا معاذ، أخْلِص دينَك يكْفِكَ القليل من العمل، أنْفِق يا بلال ولا تخْش من ذي العرش إقلالاً والقِصص المُؤيّدة لهذه المعاني لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، فَكُلُّنا يعْلَم أنَّ مَن يستقيم ومن يخلص لله عز وجل يعرف كيف يحفظه الله ويرفع شأنه قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(1)وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ(2)الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ(3)وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(4) ﴾

[سورة الشرح]

فالمستقيم يكون في المقدّمة وليس في المؤخّرة.

المؤمن يمرّ بِثلاثة أطوار ؛ طَوْر يُعالَج، وفي طَوْر يُمْتَحَن، وفي طَور يُكَرَّم وهو الطَّوْر المديد والأخير، فمرحلة المُعالَجَة تكو هناك أمراض ومُخالفات، فإذا اسْتَقَمْتَ على أمْرِهِ كانت هناك مرحلة ثانية وهي مرحلة الابتِلاء، وقد سُئل الإمام الشافعي أنَدْعو الله تعالى بالتَّمْكين أم بالابْتِلاء ؟ فقال: **لن تُمَكَّنَ قبل أن تُبتَلى**، قال تعالى:

﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(124)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ(73)﴾

[سورة الأنبياء]

تمر بثلاثة مراحل: مرحلة المعالجة ومرحلة الابتلاء، ومرحلة التَّكريم، فسيّدنا يوسف مرَّ بهذه المراحل ووصل إلى مرحلة التَّمكين قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)﴾

[سورة يوسف]

ولكن أجْمَل ما في الآية أنَّ الإنسان إذا مكَّنَهُ الله تعالى في الأرض وجعلهُ قَوِيًّا، ومتَّعَهُ بِمالِهِ وأولادِه وصِحَّتِهِ، ومأوى، وكلّ الدنيا مُقْبِلَةٌ عليه، فهذا العَطاء الدُّنْيَوي ليس بِشَيء أمام عطاء الآخرة، اِذْهب إلى الساحل وارْكَب قارِبًا واغْرُسها في مياه البحر، ثمّ ارْفَعْها، فماذا حَمَلَتْ مِن مياه البحر ؟! هذا تَمثيل مثَّلَهُ النبي عليه الصلاة والسلام عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ..

((يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))

[رواه مسلم]

قال تعالى:

﴿وَلَأَجْرُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

أصْبَحَ عزيز مصر، وملِكًا وعظيمًا ويفعل ما يشاء، ومع ذلك هذا العطاء الدنيوي إذا قيس بعَطاء الآخرة فليس بشيء.

مِحْوَر الآية أنَّ المؤمن ليس انعزاليا وليس سلبيًا، ولكنَّهُ إيجابيّ ولكن وِفْق الشرع، يُضَحّي بالدنيا كلِّها ولا يعصي الله تعالى، أما إن دُعِيَ لِعَمَلٍ صالحٍ، ولِخِدْمة المسلمين وأُطْلقت يده يقبلُهُ.

الفكرة الثانية أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يُضيع أجْر المحسنين، والفكرة الثالثة أنَّ الدنيا لا تساوي شيئًا قياسًا بالآخرة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (16-24) : تفسير الآيات 58 - 65

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون، هم لم يعرفوه ولكنه هو عرفهم، وهذا تفسيرها سهل، أحيانًا يكون مُدَرِّس درَّسَ ثلاثين سنة، وعلَّم الصِّغار، وفهُوَ شَكْله ثبت بعد الخامسة والعشرين، ولكنهم هم كانوا صِغارًا، فحينما يرى بعدها طالبًا له لا يعرفُهُ، أما الطالب يعرفُهُ، فسيِّدُنا يوسف كان صغيرًا حينما وضَعوه بالبئر، ويعرفهم تمامًا، وكانت أشْكال أخوته ثابتة، وهو كان صغيرًا، وهم ظنُّوا أنَّه مات، وأنهم حينما وضَعوه بالبئر لقي حتفه وانتهى الأمر. دخلوا على عزيز مصر الآن، لذلك الآية:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21)﴾

[سورة يوسف]

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومشيئة الله تعالى هي النافذة وهو القاهر، والمُهَيْمِن، وهو الذي إذا قال: كُن فيكون، وزُل فَيَزول فكل إنسان يتعامل مع غير الله فهو مسكين، فهذا يتعامل مع الأصفار فهذا لا يتعامل مع قوَّة وإنَّما شبح وظِلّ ووَهْم، فالله عز وجل يقول:

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

(سورة الفتح)

وقال تعالى:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(17)﴾

[سورة الأنفال]

فالتعامل مع لا سِوى الله تعالى تعامل مع اللا شيء، وتعامل مع خيال ووهْم وشبَح، وتعامل مع كذب ودَجَل، قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(2)﴾

[سورة فاطر]

قال تعالى:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (60)﴾

[سورة يوسف]

علّق إعطاء حصَّتِهم لهم من الميراث في العام القادم على أن يأتوا بأخيهم مِن أبيهم.

قال تعالى:

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (61)﴾

[سورة يوسف]

أي لا نظنّ أنَّه أبانا سيَسْمحُ لنا بأن نأخذ أخًا لنا ! لأنَّهم علموا ما فعلوه، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (63)﴾

[سورة يوسف]

فَحَسب السِّجِلات الأخ غائب، فإذا لم يأت لم يأخذ حِصَّتَهُ، فهو قال لهم: لن تأخذوا حِصَّتَهُ إلا إذا جاء، فهو جعل حِصَّتَهُ في رِحالهم.

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (63)﴾

[سورة يوسف]

مُنِعَ منهم كَيْلُ أخيهم قال تعالى:

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64)﴾

[سورة يوسف]

هناك مثَل يقول: مَن جَرَّبَ المُجَرَّب كان عَقْلُهُ مُخَرَّب، قال تعالى :

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64)﴾

[سورة يوسف]

ورَدَ بالأَثَر القُدسي أنَّ الله تعالى يقول لِبَعض عِبادِهِ الأتْقياء يوم القيامة:

((عبدي أعطيتك مالاً، فماذا صَنَعْتَ فيه ؟ فيقول هذا العبد – ولا كذب هناك –: لم أُنْفِق منه شيئًا مَخافَةَ الفَقْر على أولادي، فيقول الله عز وجل: ألم تعْلَم بِأنِّي أنا الرزاق ذو القوَّة المتين ؟ إنّ الذي خشيتهُ على أولادك من بعدك قد أنْزَلْتُهُ بهم، ويقول لِعَبْدٍ آخر: قد أعْطَيْتُك مالاً، فماذا صَنَعْتَ فيه ؟ فيقول: يا رب، قد أنْفَقْتُهُ على كُلِّ محتاجٍ ومسْكين، لِثِقَتي أنَّك خيرٌ حافظًا وأنت أرْحَمُ الراحمين، فيقول الله عز وجل: أنا الحافظ لأوْلادِكَ مِن بعْدِك))

فالرَّجُل الصالِح، ولو مات فإنَّك هو الذي تكفَّل بهم، وهو الذي يُكْرمهم، ويُعلي شأْنَهم، فأنت كُنْ صالِحًا مع الله تعالى فقط، أما الذي يقول لك: أنا إن لم أَغُشّ لا أستطيع أنْ أُطْعِمَ أوْلادي ! فهذا شِرْك، يكْذِب ويَغُشّ كي يُطْعِمَ أوْلاده.

إذا ترك الإنسان ثرْوَة حرام لأولاده يقول: يا أهلي، يا ولدي لا تلْعَبَنَّ بكم الدنيا كما لعِبَتْ بي، جَمَعْتُ المال مِمَّا حلَّ وحَرُم، وأنْفَقْتُهُ في حِلِّه وفي غير حِلِّهِ، فالهَناء لكم والتَّبِعَةُ علينا.

وورَدَ في الأثر:

((أنّ أنْدَمَ الناس يوم القيامة رجُلٌ دَخَلَ ورَثَتُهُ بِمالِهِ الجنَّة ودخل هو بِمَالِهِ النار))

المال نفسُهُ ؛ جُمِعَ بالحرام فدخل النار، ووَرِثَهُ أهْلُهُ بالحلال فأنْفَقوه بالحلال فدخلوا الجنَّة، لذلك دِرْهَمٌ تُنْفِقُهُ في حياتِك خير لك من ألف درهم يُنْفَقُ بعد مماتِك.

بِعُمْرٍ قصير شَهِدْتُ أكثر من مائة وَصِيَّة لم تُنَفَّذ، أحدهم يَضَع وصِيَّة بمائة ألف للفقراء، فيقول الأولاد: إنَّ أبانا لم يكن بِعَقْلِهِ !! لا تكن تحت رحمة أحد، قدِّم مالك وارْتاح، فالورَثَة قد لا يُنَفِّذوا الوصِيَّة، فالآن إذا لم تكن هناك وَصِيَّة عند كاتب العَدْل، ومُصَدَّقة وشُهود فلا تُنَفَّذ.

قال تعالى:

﴿قَالَ هَلْ آَمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ(65)﴾

[سورة يوسف]

اسْتَغْربوا أنَّ البِضاعة التي مُنِعوا منها وَجَدوها في رِحالِهِم، فقالوا: إن ذَهَبْنا بأخينا نأخذ حِصَّة ثانِيَة أخرى، وفي درس قادِمٍ نُتابِعُ القصَّة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (17-24) : تفسير الآيات 81 - 86

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في سورة يوسف عليه السلام، قال تعالى:

﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾

[سورة يوسف]

الصبر الجميل أيها الأخوة نتيجة لِمَعرفة الله عز وجل، ونتيجة طبيعِيَّة لِمَن يؤمن بأنَّ الله تعالى إذا أراد شيئًا وقَع، وإذا وَقَعَ الشيء أراده الله .

الصبر الجميل هي نتيجة طبيعِيَّة لإيمان المؤمن بِهذه الحقيقة التي هي أصْل في العقيدة، وإذا أراد الله شيئًا أن يكون كان، وإذا رأيْتَ شيئًا قد وَقَع فقد أراده الله، فإنَّ الله سبحانه وتعالى لا يُمكن أن يكون في مُلْكِهِ إلا ما يُريدُهُ، ولا يكون في مُلْكِهِ شيء لا يُريدُهُ، ومن ألوهِيَّتِهِ أن إذا أراد أن يقع شيء وقع، الخيرة فيما اخْتارَهُ الله، ولكنَّ إرادة الله مُتَعَلّقَة بالحِكمة المطلقة، والحكمة المطلقة أيْ أنّ الله تعالى مُنَزَّهُ أن يفْعَلَ فِعْلاً غير حكيم لِعِلَّةِ الجَهْل أو الضَّغط أو الإغْراء، فالإنسان يرتكب حماقة بِسَبب ضَغْط ؛ يقول لك: جاءني ضَغْط فوق طاقتي، وهو غير قانِعٍ، أو أغْراه شيء أو جذَبَهُ فارْتَكَب حماقَةً، أو كان جاهِلاً في موضوع ما فارْتَكَب حماقة، فالعَمَل المنافي للحكمة أساسه الإغراء أو الضَّغْط أو الجَهْل، وذات الله سبحانه وتعالى مُنَزَّهة عن كلّ هذا، فأفْعال الله أنَّ كل شيء وَقَع أراده الله، وكل شيء أراده الله وَقَع، وإرادة الله مُتَعَلِّقَة بالحِكْمة المطلقة، وحِكْمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق.

أيها الأخوة، حقيقة من أخْطر الحقائق، الشرّ المطلق لا وُجود له بالكون ، أي الشرّ لأجْل الشرّ، فيُمْكن لإنسان أن يُخَدِّر إنسانًا ويفتح له بطْنه ويخرجه الزائدة ؛ فهذا شرّ لكنَّهُ نِسْبي، وهدفُهُ نبيل، وهو إزالة الالْتِهاب، إذًا يجب علينا أن نعْتَقِد أنَّ الشر المطلق لا وُجود له بالكون وأيُّ إنسان يعتقد خِلاف هذا، فإنَّه يرتكب الكفر بكمال الله عز وجل ولكن هناك الشر النِّسبي، فهو عندنا نسبي أما عند الله تعالى فهو مُعالجة.

هذا المعنى إذا ترخَّس في نفْس المؤمن، يصبر، وأنّ ما وقع أراده الله، وهذه الإرادة مُقَدَّسة، فهي رحيمة وعادِلَة وخير، تجد إنسانًا لأتْفَه سبب يسبُّ الدِّين، وهذا مِن جهْلِهِ، أما المؤمن إذا جاءَتْهُ أصعب المصائب تجده يقول: حسبِيَ الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، يرى يد الله تعمل في الخفاء، وتعْمل فوق أيدي

الناس، فالمؤمن الكامل لا يرى أنَّ أفعال العباد إلا تعْبيرًا عن مشيئة الله عز وجل، فالواحد إذا تلقَّى الضربَة بالعصا، فهل يغضب ويحقد العصاة ؟! هذه عصاة، وإذا كان الضارب حكيم وعليم وخبير، هذا يعني أنَّ الغلط منه !! تعالى الله، لذا المؤمن لما يتلقى مشكلة أو ضربة يقول لك: فعل هذا معي بِمَشيئة الله، والله تعالى حكيم وعليم ورحيم، لهذا ورد في الحديث الشريف: ما من عثرة ولا اخْتلاج عرق، ولا خدْش عود إلا بِما قدَّمت أيديكم، وما يَعْفو الله أكثر، والمصائب مصائب قَصْم، فالمصائب رفْع للمؤمنين، قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ(155)﴾

[سورة البقرة]

صَبْرُكَ بِقَدْر إيمانك، ومعرفتك بكمال الله، ولا إله إلا الله، فالله هو معطي والقابض، وهو الفعَّال، والمانِع، والمحيي والمُمِيت، وهو المعزّ والمُذِلّ، هناك حديث غريب:

((الصبر هو الإيمان..))

فأنت لا تصْبر إلا إذا علمْت أنّ الإيمان فيه صبر وحكمة ورحمة، أما ضعيف الإيمان، فيرى الواحد جوعان، ويُصلي، وذلك لا يصلي وسينفجر أكلاً ! ما هذا ؟ هذه نَظْرة قاصرة، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)﴾

[سورة الأنعام]

إذًا كلمة فَصَبْر جميل، هذه كلمة ولكنَّها مُحَصِّلَة إيمان كبير جِدًّا وأنت كُلَّما ارْتقى إيمانك تتلقى الأشياء المُزْعِجَة بِصَبْر جميل، وهذا فِعْلُ الحبيب، فهذا الذي تُحِبُّه هذا قرارُهُ، والذي تَعْبُدُه وترْجوه هذه إرادتُهُ. قال تعالى:

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84)﴾

[سورة يوسف]

لذلك قال العلماء: مرض ابْيِضاض العَيْن سببُهُ نفْسي، والآن يكاد يُجْمِع الطب على أنَّ معظم الأمراض تعود في أسبابها الرئيسة إلى الصَّدَمات النَّفْسِيَّة، بل إنّ مرَضَ السَّرطان الذي هو المرض الخبيث المسْتعصي، في أحْدَث التَّحليلات الدقيقة له ؛ أنَّه مادام النُّمو العَشْوائي للخلايا بِسَبب ضْعف جِهاز المناعة، وجهاز المناعة هو الضابط لِنُموّ الخلايا، وهو يضْعف أثناء الصَّدمات النَّفْسِيَّة، معنى ذلك أنَّ التوحيد هو الصِّحة، فإذا أرَدْت الصِحَّة، فما دام جِهاز المناعة سليم ؛ معنى ذلك أنَّ الأجهزة كلَّها سليمة، هناك آلام عَضْمِيَّة أسبابها

صَدَمات نَفْسِيَّة وحتَّى عضليَّة، فهذه الصَّدمات وراء القَرْحة، والهضْم والْتِهاب المعِدَة والأمعاء، ومرض السُّكَر، وضغط الدم، فلو أحْصَيْتَ الأمراض لرأيْتَ أنَّ معظم الأمراض أسبابها شِدَّة نَفْسِيَّة، والإنسان يرْتاح بالتوحيد، وما تعلَّمَت العبيد أفضل من التوحيد.

قال تعالى:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86)﴾

[سورة يوسف]

قال: يُعاب مَن يشْكو الرحيم إلى الذي لا يرْحَم، والعلماء قالوا: مَن شكى إلى مؤمن فكأنَّما شكى إلى الله، ومَن اشْتكى إلى كافر فكأنَّما اشْتكى على الله، فأنت لو شَكَوْتَ همَّك لإنسان غير ملتزم رأْسًا يقول لك: قلنا لك دَعْك من هذا الدِّين السَّميك !! وأنت مُتَزَمِّت، وأنت تعيش بِعَصْر آخر، أما لو شَكَوْتَ لمؤمنٍ يُصَبِّرُك، ويَهْتَمُّ لك، فإيَّاك أن تشْكو همَّك لكافر، لأنَّك تُضيف للمُصيبة مصيبَةً أخرى، والدعاء النبوي الشريف: **اللهم إنا نعوذ بك من عُضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السَّلْب بعد العطاء**، والأفضل أن لا يشْكو الإنسان همَّه لأحد بل يدعه لله تعالى.

قال تعالى:

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86)﴾

[سورة يوسف]

فأنت تكبر عند اله تعالى إذا جاءَتْكَ مُصيبَة وما تكَلَّمْتَ لأحدٍ، قال له: يا إبراهيم، هل لك من الله حاجة ؟ سيَحْرَقونه في النار، علمُهُ بِحالي يُغني عن سؤالي، فإذا كان الأمر مع المؤمن لك أن تشتكي له أما مع غيره فلا، قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(200)﴾

[سورة آل عمران]

هناك من يفْضح كل سرّ المُشتكي، فأكْمَل مِن أن تشْكو لِمؤمن أو كافر أن تشكو إلى الله تعالى وعلمه بِحالك يُغني عن سؤالك، وإذا كنت في كل حال معي فعن حمْل زادي أنا في غِنى، وكن لي كما أريد أكن لك كما تريد، ولا تعلمني بِما يُصلِحُك، وإذا سلَّمْتَ لي فيما أريد كَفَيْتُكَ ما تُريد، وإن لم تُسَلِّم لي فيما أريد أتْعَبْتُكَ فيما تريد ثمَّ لا يكون إلا ما أريد.

الدرس (18-24) : تفسير الآيات 88 - 94

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في سورة يوسف عليه السلام، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88)﴾

[سورة يوسف]

الآن وصَلَت العقدة إلى نهايتها، وسوف تُحَلُّ هذه العقدة بكلمة من هذا النبي الكريم، قال تعالى:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89)﴾

[سورة يوسف]

صُعِقوا ! أين يوسف ؟ يوسف ماتَ مِن زمنٍ طويل ! أيُّ يوسف ؟! قال تعالى: قالوا

﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90)﴾

[سورة يوسف]

القصَّة كلُّها تكْمُنُ في هذه الآية:

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90)﴾

[سورة يوسف]

وهذه الآية يجب أن يقولها كل مؤمن، يتَّق أن يعْصِيَ الله ويصبر عن ثلاثة أشياء: يصْبر عن الشَّهوة، ويصبر على الطاعة، ويصبر على قضاء الله، فعلى الشَّهوة ؛ امرأة جميلة بالطريق فأنت لك أن تنظر ولا قانون في الأرض يمنعُك أن تنظر،و لكنَّه تخشى الله وتقول: يا رب، إنّ أخافك.

والصبر على الطاعة ؛ أن تُصَلِيَ الفجْر في جماعة، وأن تؤدّي زكاة مالك، وتحجّ، وتصوم رمضان وتُؤدِّي الحقوق، وأن تكون أمينًا وأن تقول كلمة الحق، وتتراجع عن الخطأ، وتقول: أخْطأْتَ أصابَت امرأة وأخطأ عمر، فهناك من يُكابِر، تصْبر عن مَبْلغ ضَخْم يحلُّ كل مشكلاتك لكنَّه من الحرام، يمكن أن تشتري به بيتًا ومركبة.

وأن تصبر على قضاء الله، خالق الكون هذه مشيئتُهُ، شاء لك أن تكون من أصْحاب الدَّخْل المحدود، وشاء لك أن لا تنجب أولاد، أو أن لا تنجب الإناث، أو أن لا تنجب إطْلاقًا، أن يكون في حياتك شيء مزعج، قال تعالى

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90)﴾

[سورة يوسف]

يتَّقِ غضبه بِطاعته، والشِّرْك بالتَّوْحيد، والكُفْر بالإيمان، والمصائب بالانْسِجام، وأجْرك مَحفوظ، والله تعالى قال:

﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾

[سورة المزمل]

كل عصْر له ظروفه ومُغرياتِهِ، وضُغوطِه، فالله عز وجل يعْرف كم بذَلْتَ وكم صَبَرتَ وتجشَّمْتَ، وكم كان هناك خِيارات كثيرة واخْتَرْتَ ما يُرضي الله تعالى، وكيف ترَكْتَ المغريات، والله يُقَدِّر كلّ شيء، إنسان له والدة في البيت مُتَقَدِّمة بالسِنّ، وتحتاج إلى عناية كبيرة، فهو يستطيع أن يصْبر، أو أن لا يصْبر ؛ أثنى عشرة سنة وهو يعامل أمَّه معاملة جيِّدة، أحد الأيام غضب فسبَّ وشَتَم وقال لها: اذْهبي عند أهْلك، فبَكَت وجاء أخوه وأخذَها، ففي اليوم التالي ماتَتْ !

وأعرف رجل محسِن كان يرْعى امرأة مُحْسِنة مُقْعَدة، فانتقل إلى مكان آخر بعيد عما كان عليه، فأهْله انْزعَجوا لهذا، وقد أصْبح عمره ثمانون سنة، فلمَّا ضجروا، قالوا له: آتِ بها إلى عندنا، وأفْردوا له غرفة، وبعد جمعة ماتت.

وأحدهم صاحب مطعم كان يبيع اللحم والخمر، فحجَّ وتاب وألغى المشروب، وبعد ستَّة أشهر رجع إلى المَشروب، وبعد سبعة عشرة يومًا مات ! قال تعالى:

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90)﴾

[سورة يوسف]

وذكر لي أخٌ محامي أنا أحْتَرِمُهُ كثيرًا، فجاء رجل وقال له: القضِيَّة الفلانيَّة، فقال المُحامي: هذه لا تحْتاج إلى قضِيَّة إنَّما هي مَشْمولة بِقانون العَفْو، تُقَدِّم اسْتِدْعاء، فرأى مُحامٍ آخر فقال له هذا المحامي: إنَّ المحامي الذي ذَهَبْت إليه لا يفْهم شيء ! فقلتُ له: والله لقد علَّقْت وِسام شرَف، فالمال الحرام يَتْلَفُ ويُتْلِفُ صاحبه.

قصْدُنا من هذه السورة، قوله تعالى:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91)﴾

[سورة يوسف]

أنت بِحاجة للنتيجة والعاقبة، مَن يضْحَكُ آخِرًا يضْحك كثيرًا، ومن يضْحك أوّلاً يبكي كثيرًا، قال تعالى:

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِي(108)إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ(109)فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ(110)إِنِّي جَزَيْتُهُمْ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمْ الْفَائِزُونَ(111)﴾

[سورة المؤمنون]

وهناك آية ثانية وهي قوله تعالى:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ(34)﴾

[سورة المطففين]

كل البطولة هي من يضْحكُ آخرًا قال تعالى:

﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انقَلَبُوا فَكِهِينَ(31)﴾

[سورة المطففين]

أما المؤمن ينقلب إلى أهله مسْرورًا، فالقضِيَّة قَضِيَّة تفكير ؛ إما أن تستعجِل طيّبات الدنيا ويشقى إلى أبد الآبدين، وإما أن يصبر عن الشهوة وعلى الطاعة، وعلى قدر الله، والعاقبة الله، وهذا هو التاريخ أمامكم، فأين أبو جهْل ؟ وأين كُفَّار مكَّة وقريش ؟ قال تعالى:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ(46)﴾

[سورة غافر]

وأين الصَّحابة ؟ في أعلى عِلِيِّين.

مركز الثِّقل في هذه الآية، قال تعالى:

﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90)﴾

[سورة يوسف]

المؤمن يعْفو، سفينة شامخة في البحر بحيث قال لهم كما قال تعالى:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92)﴾

[سورة يوسف]

العَفْوُ ؛ تعريفُهُ الدقيق: أن يأتي إنسان ويُبالِغ في إيذائِك، وأنت ضعيف، ثمّ يقعُ في قبْضَتِك، ويمكنُك أن تسْحقَهُ، وأن تُحَطِّمَهُ، أو تُدَمِّر حياته ؛ هذا العَفْو، فلن تكون عَفُوًّا إلا إذا كنتَ ضعيفًا، النبي عليه الصلاة والسلام بفتح مكَّة كان قادِرًا على أن يقضي على كفار قريش، قال: **ما تظنُّون أنِّي فاعِلٌ بكم**، فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: **اذْهبوا فأنتم الطُّلقاء**.

منزلة العَفْو لا يعرفهَا إلا من ذاقها ؛ أن تكون مضْطهدًا وأن ينصرك الله على خصْمك وأن تعْفُوَ، والأبلَغ أن تُحْسِنَ إليه وتُقَرِّبَهُ، لذا المسلمون فَتَحوا العالم بِأخلاقِهِم، هذا كلام غير مَعْقول إطْلاقًا، وفي الدرس القادم نصل إلى قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94)﴾

[سورة يوسف]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (19-24) : تفسير الآيات 94 - 100

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في سورة يوسف عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94)﴾

حينما كنَّا في الجامعة، وفي كليَّة التربية كان لنا أستاذ من كبار علماء النَّفْس، حدَّثنا عن هذه الحقيقة النَّفْسِيَّة التي اسْمُها التَّخاطر النَّفْسي، امرأة في ميلانو بإيطاليا وهي في المطبخ رأَتْ ابنها الذي في فرنسا أنَّ سيارةً دحستْه رأيَ العَين، وبعد أربعة أيام جاء النَّعْش مع تَقْرير مُفَصَّل يُفَصِّل اللَّحظة التي رأتْ فيها ابنها، وقد سمَّى العلماء هذه الظاهرة التَّخاطر النَّفْسي وهذه حقيقة يصْعُب تفْسيرُها، أحْيانًا الحقيقة نافذة وسارِيَة إلا أنّ تفْسيرها صَعْب، لمَّا سيِّدُنا عمر وهو على المنبر قطع الخُطبة وقال: **يا سارِيَة الجبل الجَبَل**، سارِيَة أحد قوَّادِهِ في بلاد الفرس، وكان وراء الجبل كمين، فسيِّدُنا عمر رأى رأْيَ العَيْن قائِدَهُ وأمامه الجبل ووراءه الكمين، فقال: **يا سارِيَة الجبل الجَبَل !** فقيل لِسَارِيَة بعد أن عاد: هل سَمِعْتَ صَوْت أمير المؤمنين ؟ فقال: **سمِعْتُ صَوْت أمير المؤمنين يُحذِّرني الجبَل !** هذه أرْقى من الفاكس.

فهذه الآية:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾

[سورة يوسف]

النَّفْس البَشَرِيَّة كَقُرْص الشَّمْس لها إشْعاع، فالأمّ أحياناً من شِدَّة عَطْفِها على أولادِها قبل أن تنام تزورهم واحِدٍ بِنَفْسِها، واحد بالسعودِية والآخر بالخليج العربي فالنَّفْس الإنسانِيَّة إذا أحبَّتْ توسَّعَت، فالجنَّة الأمر واضِحٌ فيها، فأحد المؤمنين بالجنَّة تذَكَّر صديقًا له كان كافِرًا، قال: إنَّه كان لي قريب فاطَّلَع فرآه في سواء الجحيم، فأنت في الجنَّة كلُّكَ أعْيُن، فأيُّ خاطِرٍ يخْطر في بالك تراهُ أمامك، فسيِّدُنا يعقوب كما قال تعالى:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95)﴾

[سورة يوسف]

قالوا له: هذه كُلّها هواجس، وقوله تعالى تُفَنِّدون أي نقل أقْوالَهُ، فنَّد أقواله أي أظْهر عُيوبها وأخْطاءَها، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال الصالحة فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا ؟..أو هرمًا مُفَنِّدًا))

فالهَرَم يكْشف عُيوب الإنسان، تضْعف ذاكرته وبصره، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(70)﴾

[سورة النحل]

ومن تعلَّم القرآن متَّعَهُ الله بِعَقْلِهِ حتَّى يموت، ومن أدى الصلوات الخمس وطلب العلم له من الله ضمانة ؛ متَّعَهُ الله بعقله حتى يموت الْتقَيْت بأحد العلماء بالمغرب حسين مخلوف عاش أبوه مائة وثلاثين عامًا مُتَمَتِّعًا بالصِحَة، وكان لنا أخٌ من أخوة كذا كان عمر أبيه ! والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((خيركم من طال عمره وحسن عمله...))

تمتُّع الإنسان بِصِحَّتِهِ أسبابها الاسْتِقامة بالشَّباب، قالوا له: يا سيِّدي ما هذه الصِحَّة ؟ فقال: حفظْناها في الصِّغَر فَحَفِظَها الله لنا في الكِبَر، ومن عاشَ تَقِيًّا عاش قَوِيًّا.

لي أحد الأقرباء مرض ففي أوَّل الأسبوع عِنايَة فائِقَة، ثمَّ في الثاني قلَّت، وهكذا في الثالث إلى أن أصْبحوا يقولون: نسأل الله تعالى أن يُخفِّف عنك ! تخَلُّوا عنه، وأحلى موتة ثلاثة أيام كما مات النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، لذا الاستِقامة بالشباب ضروريَّة حتَّى يُكافئك الله تعالى بِخَريف عمر طيِّب، وبكل المكانة، والملكات العَقْليَّة.

قال تعالى :

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾

[سورة يوسف]

قرأتُ مقالَةً علْمِيَّة عن الموضوع أنَّ ابْيِضاض العَيْن مرضٌ يُصيب العَيْن وليس له أسباب عُضْوِيَّة بل نَفْسِيَّة، وأنا أقول لكم مرَّة ثانِيَة لا يوجد مرض إلا وسببُهُ الصَّدْمة النَّفْسِيَّة ؛ القرْحة وضغْط الدم، والاحْتِشاء، فالتَّوْحيد وظيفتُهُ التَّخْفيف صلتُكَ مع السميع البصير القدير الرحيم الرؤوف الغنيّ المُجيب، هذا هو التَّوحيد، وإذا لم تُوَحِّد فَمُشْكِلَتُكَ مُشْكِلَة، والإيمان هو التَّوْحيد وما تعلَّمَت العبيد أفضل من التوحيد.

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96)﴾

[سورة يوسف]

والمؤمن يعْلم من الله ما يعلمون، تجدهم يقولون: إنَّ أمريكا بيَدِها كلّ شيء ونحن انتَهَيْنا، والماسونِيَّة و...حتَّى تَيْأَس، لا فإنَّ الله تعالى مَوجود لذا على الإنسان أن لا يَيْأَس فهذا من الكفر.

قال تعالى:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾

[سورة يوسف]

لماذا قال: سوف أسْتغفر لكم ؟ العلماء استَنْبَطوا من سوفَ أشياء دقيقة ؛ قال:لأنّ هناك أوقات فضيلة، مثل السَّحر، ويوم الجمعة فلا عَبْد يسأل الله فيها إلا أجابَهُ وكذا حينما تقَعُ عيْنُك على الكعبة، وعند الملتزم، وعرفات هو يوم الإجابة وكذا السعي والطواف ؛ هذه أمْكِنَة، وفي الثلث الأخير، وعند نزول الرب تعالى هل طالب حاجةٍ فأقْضِيَها له ؟ فهو أراد أنَّه ينتظر الوقت المناسب للاستِغفار.

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آَوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ (99)﴾

[سورة يوسف]

لذلك مطار مصر مَكتوب: أُدْخلوا مصر إن شاء الله آمِنِين، والنبي خرج قال: اللهمّ إنّي خرجْتُ من أحبِّ البلاد إليك–مكَّة– لذا فيها جمال.

قال تعالى:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾

[سورة يوسف]

هذا ليس سُجود العبادة والمحبَّة، فالكلمة بالقرآن الكريم لها عِدَّة معاني أوْضَح مثل على هذا كلمة أوْحى، قال تعالى:

﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا(1)وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا(2)وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا(3)يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا(4)بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا(5)﴾

[سورة الزلزلة]

الوحي إلى الجماد أمْر، وقال تعالى:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ(68)﴾

[سورة النحل]

الوحي إلى الحيوانات غريزة، وقال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾

[سورة القصص]

هذا إلْهام وقال تعالى:

﴿وْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾

[سورة يوسف]

أي رِسالة.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾

[سورة يوسف]

الله عز وجل حليم ويسْتوْعِب الناس كلَّهم، فانْظُر ما فعل أخوة يوسف به، ودخل إلى السِّجن، وخرج منه، وكيف كان بِمِصْر غلامًا ؟ رأتْهُ جارِيَة وقد كان عَبْدًا بِقَصر العزيز ثمَّ أصْبح ملِكًا، فقالتْ: سبحان مَن جعل العبيد مُلوكًا بِطاعَتِه، قال تعالى:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)﴾

[سورة يوسف]

وهذه الآية نُعيدُها إن شاء الله في الدرس القادم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (20-24) : تفسير الآيات 101 - 102

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في قصة يوسف عليه السلام، ووصلنا إلى قوله تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ آَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101)﴾

[سورة يوسف]

ما معنى كلمة الملك ؟ لو أنَّ أحدنا فَهِمَ المُلك على أنَّهُ الحُكْم، جعلتني عزيز مصر وهذا عطاء يشْترك فيه المؤمن والكافر، ألم يؤتِ الله فرعون المُلك ؟ ألم يؤت الله الجبابرة الملك ؟ فهل هذه نِعْمة ؟ مِن أوْجز هذه الكلمة أنَّ المُلْك الذي أراده هذا النبي الكريم أنَّهُ ملَكَ شَهْوَتَهُ، فالناس رجُلان رجُلٌ ملَكَ شَهْوَتَهُ ورَجُل ملَكَتْهُ شَهْوَتُه، والثاني هلك في الدنيا والآخرة، بِمَ نال هذا المقام الرَّفيع ؟ لأنَّه قال:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾

ولأنَّه قال:

﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾

لأنَّها قالت:

﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾

فحينما ملَكَ شَهْوتَهُ وسَيْطَرَ على أهْوائِه اسْتَحَقَّ هذا المقام الرَّفيع، ولن ترقى إلى الله عز وجل إلا إذا ملَكْتَ شَهَواتك ؛ لأنَّ الله تعالى يقول:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى(40)﴾

[سورة النازعات]

الهَوى، كما قالوا: مَن هوى فقد هوى، الهَوى مِن الهويّ وهو السُّقوط، فالمُلك هنا أي صار عزيز مصر، والقرآن حمَّال أوْجه ولا تُحَدُّ معانيه، والقرآن ليس ملْكًا لأحد، لكن من المعاني التي تُضاف إلى المُلك أنَّ الله سبحانه وتعالى مكَّن هذا النبي الكريم مِن نفسه وسَيْطَر على نفسِه، أحدُ زعماء أوروبا الكبار الذين قاد الحرب العالمية الثانية قال كلمَةً دقيقة: قال ملَكْنَا العالم ولم نمْلِك أنفُسَنا فَعَظمة الإسلام تكمن مِن أنَّ المُسلم يمْلك نفسه، ويمْلك شَهوته ويجعلها وفق القنوات النظيفة ؛ رب قد آتيتني من الملك ؛ هذه أكبر نعمة عليك، فإذا الله عز وجل نوَّر لك قلبك، وسيْطَرْتَ على نفسِك وجوارحك، وسَيْطَرت على كسب المال أن جعلته

حلالاً، وعلى إنفاقه وسَيطَرت على بيتك أن جعلْتَهُ إسلامي، فأنت هنا آتاك الله المُلك وأنت مُسَيْطِر، وقائِد وليس مَقود، فالكافر مَقود بِشَهَواتِك، والعقل له وظيفتان ؛ إما أن يكون قائِدًا وإما أن يكون مُسَيْطِرًا، فالكافر تَمْلِكُه شَهَواته، وعقْلُهُ يُبَرِّر، أما المؤمن يقودُهُ عقله إلى الله عز وجل، وهذا الفرق واضح، فالكافر جهدهُ العقلي كلّه في تَبْرير أخْطائِهِ وتَبْرير انحيازه لِشَهواتِهِ، أما المؤمن فَعَقْلُهُ يقودُهُ إلى الله، وشَهَواتهُ يضْبطُها وِفْق شَرْع الله، قال تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ آَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾

[سورة يوسف]

مِن هنا للتَّبْعيض، وفيها أدَب، ومَن يُوَفَّق إلى تأويل الأحاديث يسْعد سعادَةً كُبرى، فلو توهَّمْت أنَّ معنى قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(8)﴾

[سورة الشمس]

فلو توهَّمْتَ أنّ الفُجور من عن الله، وأنّ الله هو الذي ألْهَمَكَ أن تفْجر فهذه أفْسَد عقيدة، أما لو فهِمْتَ النَّص كما يلي: ألْهَمَها فُجورها ؛ أيْ أنَّ النَّفْس إذا فجَرت تعلم أنَّها فجَرَت بالفِطْرة، أعطاها دليل كاشف من دون تعليم، وبين المعنييْن مسافة كبيرة جدًا، كما بين الإيمان والكفر فالنَّفس فُطِرَت فطرة عالِيَة بحيث لو فجرَتْ تعلم فُجورها، أما لو فهمْتَ الآية أنَّ الله هو الذي أجْبر النَّفْس على فُجورها، وألْهَمَها أن تفْجر فهذا تأويل فاسد، ربنا عز وجل لما قال:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾

فلو قال أحدنا أنّ المعنى ؛ الله تعالى ما أراد أن يَهْدِيَهم وهو يريد أن يُدخلهم النار ! فهذا معنى فاسِد، أما المعنى الصحيح أنَّه لو أراد الله تعالى أن يجبركم لأجْبرَكم على الهُدى لكنكم مُخَيَّرون، فَمَوضوع تأويل الأحاديث موضوع هامّ جدًا وخطير جدًا، فقد تفهم الحديث فهْمًا خاطئا فيَحْمِلُكَ على المعْصِيَة، قال عليه الصلاة والسلام:

((لولا تذنبون...))

ليس المعنى عليك أن تُذْنب ! ولكنَّ المعنى إن لم تشعروا بالذُّنوب فأنتم ميِّتُون، وتَهْلَكون، أما المؤمن إذا ارْتَكَب معْصِيَة يشْعر بِضِيقٍ حينها يُبادر إلى التوبة.

قال تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ آَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ﴾

[سورة يوسف]

قال تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(257)﴾

[سورة البقرة]

ثمّ قال تعالى:

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101)﴾

[سورة يوسف]

أخطر يوم بِحَياة الإنسان هو يوم موتِهِ، والدليل قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ(2)﴾

[سورة الملك]

بدأ بالموت لأنَّ الموت منْفذ له طريقان ؛ إما إلى الجنَّة وإما إلى النار أما حينما يولَدُ الإنسان فله أمامه ألف خِيار ؛ له أن يتعلَّم أو يجهل أو يؤمن أو يكفر، أما حينما يموت فله خياران، فو الذي نفس محمَّد بِيَدِه ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، فالإنسان إن لم يكن مؤمنًا فهو كافر، وإن لم يكن مُستقيم فهو ضال، وإن لم يكن مُحسِن فهُوَ سيِّء، لذلك بدأ الله بالموت لأنَّ حَدَث الموت أخطر من حدَث الحياة، وفيه يتحدَّد المصير، ففي الدنيا والحياة لك مجال التوبة والصلح، أما حين الموت فإما إلى جنَّة أو نار، لذلك قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ(2)﴾

[سورة الملك]

لذا ينبغي على الإنسان أنْ يعْلَم أنَّ أخْطَر يوم هو يوم مَوْتِهِ، وهو إما إلى جنَّةٍ يدوم نعيمُها، وفيها ما لا عين رأتْ ولا أذُن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وإما إلى نار لا ينفذ عذابها، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا(56)﴾

[سورة النساء]

طيّب مَن هو العاقل ؟ هو الذي لا يغيب عنه هذا الحَدَث ولا ثانِيَة بِكُل حركاتِهِ وحِساباتِهِ اليَوْمِيَّة، وبِكُلّ نشاطاتِه وقبْضِهِ ودَفْعِهِ، وبِبَيْتِهِ وعَمَلِهِ، كيف سأُسْأَل ؟ وماذا سأُجيب ؟ وما هو موقفي من الله حينما أقف بين يديه ؟ هذه هي البطولة، والذي له حُرِيَّة الحرَكَة، وله عمل حر فيه ؛ عليك أن تهيئ جوابًا لِله على كُل عمل فعلته تراه غير ملائم، جوابًا لله وليس لِمُديرك، وكل منا له عمل يهيئ لربِّه جوابًا لِمَ أعْطَيْت ؟ ولِمَ مَنَعْتَ ؟ ولِمَ طلَّقْتَ ؟ لِمَ تزوَّجْت ؟ ولِمَ بخِلْتَ ؟ كل تصرُّف منك هيأ له جواب لله تعالى، مَن هو السَّعيد ؟ فكلٌّ منَّا سوف يأتي عليه يوم يخرج من بيته أفقًا، ويُوضَع في نعْش ويُصَلَّى عليه، فهذا اليوم العظيم عليك أن تُدْخِلَهُ بِحِساباتِك اليَوْمِيَّة واللَّحْظِيَّة امرأة جميلة رأيتها ولم تغُضَّ البصر، هذه مُسَجَّلَة، قال تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا﴾

وكذا الابْتِسام ف غير محلِّه، وهذا هو حال المؤمن يُحاسب نفسه أشَدَّ الحساب، كي يكون حسابهُ يسيرًا إن شاء الله يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ آَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101)﴾

[سورة يوسف]

أي ملكْتُ نفسي، وعلَّمتني من تأويل الأحاديث ؛ هذا من نِعَم الله الكُبرى أنْ تفْهَمَ النَّص فهْمًا صحيحًا، فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة ؛ فيا رب، اجْعَل حياتي مُنْتَهِيَةً بالاسْتِسلام إليك بِأعمالي ومشاعري، وقوله:

﴿أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

هذا أدَبٌ من الأنبياء، فالإنسان دائِمًا يتواضع، الكبرياء إزاري فمن نازعني إزاري قصَمْتُهُ ولا أُبالي، فسيِّدنا يوسف عليه السلام كان مُتواضِعًا، قال تعالى: رب إن ليم تصرف عني كيدهن..."، وهو طلب منه عليه السلام أن يُلْحقهُ بالصالحين.

الآية الأخيرة:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾

هذه القصَّة من دلائل نبوَّة النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102)﴾

[سورة يوسف]

من أعلمك هذه القِصَّة ؟ ومن بلَّغك هذه التفاصيل ؟ هل كنت معهم ؟! قضِيَّة لها أربعة آلاف سنة، فهذه من دلائل نبوَّة النبي عليه الصلاة والسلام، ومركز الثقل في هاتين الآيتين: أن تَمْلُكَ نفْسَك وتُسَيْطِر على شَهَواتِك ومُيولِك، فإذا سَيْطَرْتَ ملَكْتَ كُلّ شيء، وإن لم تُسَيْطِر فأنت عبْد مَمْلوك، قال عليه الصلاة والسلام:

((تعس عبد الدرهم...))

فهناك من هو عَبْدٌ لِفَرْجِهِ، أو عبْدٌ للدِّرْهم والدِّينار أو عَبْدٌ لِثِيابِهِ أو عبْد لِبَطْنِهِ لكنَّ المؤمن عبدٌ لله عز وجل، والمؤمن عبْدٌ حرّ وليس له قيود.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (21-24) : تفسير الآيات 103 - 104

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في سورة يوسف عليه السلام، إلى التعقيبات الشموليَّة في آخر القصَّة، فالقِصَّة انْتَهَت، يقول الله عز وجل في آخر القصَّة:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)﴾

[سورة يوسف]

تصوَّر ميزَانًا، فالشَّهَوات وزْنُها خمْسة كلغ والإيمان خمسة غرامات، كفَّة الشَّهوات راجحة، فإذا حضر خطبة جمعة أصبحوا عشرة غرامات، إلى أن تكون القيمة الحقيقيَّة الإيمانيَّة تكافئ الشَّهوات، حينها تدخل بالصِّراع ؛ هذه تجوز وتلك لا تجوز، وأفعل ولا أفعل فأنت إذا دَخَلْت في باب الصِّراع كان معنى ذلك أنّ الإيمان قاربَ أن يكون في قوَّة الشهوات، أما إذا كان الإيمان ضعيفًا والشَّهوات كبيرة جدًا فهذا يعني أنَّ الإنسان مُنْحَرِف، وله تبرُّك أجْوَف، وله عقيدة سَطْحِيَّة لا تُقَدِّم ولا تؤخِّر، وله عبادات شَكْلِيَّة لا تُسْمِنُ ولا تُغني من جوع، وله اعْتِزاز شَكلي بالإسلام، ومشاعر، هذه كُلُّها لا تُقدِّم ولا تؤخِّر، لذلك قال تعالى:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)﴾

[سورة يوسف]

الإيمان المُنَجِّي هو الذي يحْمِلُكَ على طاعة الله تعالى، كلامٌ واضِحٌ كالشمس، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((من قال لا إله إلا الله بحقها دخل الجنَّة))

قالوا: **وما حقها ؟**..." فالإنسان حتى لا يقع في الوَهْم ويقول: أنا مؤمن ! عليك أن تُقَيِّم إيمانَك بمُستوى اسْتِقامتك وما دام عندك إمْكانِيَة أن ترتكب معْصِيَة، وأنت تعلم أنَّها مَعْصِيَة وأنَّ الله سَيُحاسِبُ عليها، فهذا إيمان هشّ وضعيف، وهذا الإنسان مِمَّا تُغَطِّيه هذه الآية:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)﴾

[سورة يوسف]

قد يقول أحدكم: أنا مؤمن ! فإبليس آمنَ، قال تعالى: رب فبعزتك لأغوينهم..." فهو آمَنَ به تعالى ربًا وآمَنَ به عزيزًا، فالإنسان حينما تنفصل عقيدته عن سُلوكهِ فهذا الإيمان يُسَمِّيهِ بعضهم تجاوُزًا إيمان إبليسي ! لأنّ

هذا الإنسان آمَنَ وعلم أنَّ هذا حلال وذاك حرام، وانْغَمَسَ في الحرام، ثمّ يقول: نحن عبيد إحْسان وليس عبيد امتحان، وهكذا كل حال الناس، هذا الكلام لا يُقَدِّم ولا يؤَخِّر، قال تعالى:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)﴾

[سورة يوسف]

الإيمان يجب أن يظهر في السلوك، وأن يظهر في الحرفة والعمل، طبيب ومهندس ومحامي وتاجر، يجب أن يبْدو الإيمان صارِخًا في مُعاملاتِكَ اليَوْمِيَّة صِدْق وأمانة وتعَفُّف، فالمؤمن لا يكْذِب، يُطبع المؤمن على الخِلال كلِّها إلا الكذب والخِيانة، فالذي يكذب ثمّ يصلي، فهذه الصلاة لا تنفعُهُ نقول له: صلِّ ولا تكذب ؛ لأنّ الصلاة من شأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولا تغتَرّ أن ترى بالحرم المكي مليون ونصف حاجّ ؛ شيء جميل، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لن تغلب أمتي من اثني عشر ألف من قلة..."))

أي أثنى عشر ألف مؤمن حقيقي لن يُغْلَبوا ، أما مليار ومائتان مليون ليسَتْ كلمتهم هي العُليا ! وليسَت أمورهم بأيْديهم لأنَّهم كما قال تعالى:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)﴾

[سورة يوسف]

وقال عليه الصلاة والسلام:

((يوشك أن تتداعى عليكم الأمم..."))

وقال تعالى:

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (104)﴾

[سورة يوسف]

بِرَبِّكُم هل يستطيع أحدكم أن يدخل عند طبيب أو محامي ولا يدْفع الأتعاب ؟ أو إلى أيّ محلّ دون مال ؟ أو أن تتلقَّى خِدْمة من الناس دون مُقابِل ؟ أما بيوت الله تعالى فأنت تدخلها وتتلقى منها العلم دون أجر، قال تعالى:

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (104)﴾

[سورة يوسف]

لا تستطيع أن تتحرَّك حركة من دون مال، لو سألتَ مُحَامِيًّا كلمة يقول لك: خمسة مائة ثمَّ السؤال !

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (104)﴾

[سورة يوسف]

أمَّا بيوت الله فهِيَ مُفَتَّحَة على مصراعيها ؛ لا بطاقة اشتراك ولا ضريبة ولا أجرة، تسمع التفسير، وسنَّة النبويَّة، والسيرة، وأحكام دينك دون أي شيء، ومِن علامات الدعوة الصادِقَة كما قال تعالى:

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20)﴾

[سورة يس]

فهذه علامة، هو لا يريد أجْر مادِّي ولا أي شيء، إنما يريد التَّقَرُّب إلى الله تعالى بِخِدْمة عِبادِهِ فقط، والمؤمن لا يبْتغي من الناس أجْرًا، قال تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)﴾

[سورة يوسف]

أنت تلعق مغرفة من عسَل، فهل تدري ما يَجْري في خلايا النَّحْل، هناك ملِكَة تعيش خمْس سَنَوات تُفْرِز مادَّة تشْعر بِها كل النَّحلات في الخليَّة ؛ شُعور النَّحْل أنّه يوجد ملِكَة والعمل يجْري بانْتِظام، وعامِلات للملِكَة، ويُقَدِّمْن الغِذاء المَلَكي وحارِسات، ولا يسْمحن إلا لِنَحْلةٍ واحِدَة أن تقول كلمة السرّ فإن قالت كلمة السرّ قُتِلَتْ، ومن يُنَظِّف الخليَّة، ومن يقوم بِتَدْفِئَة الخلِيَّة شِتاءً وترطيبها من الجفاف، وعاملات رائدات يخرجن إلى الحُقول يكْشِفْنَ ومواقع الأزهار لِيَرْقُصْنَ رقْصَةً يُحَدِّدْن فيها موقع الأزهار والمسافة بينهما، وتُغادر النَّحْلة الخليَّة إحدى عشرة كيلومتر دون أن يعلم العلماء كيف تعرف الرَّجْعة إلى موطنها، فقد أخذوا نحْلاً وأبْعَدوه مرَّةً غربًا وأخرى شرْقاً، وبعد نصف ساعة عاد النَّحل إلى خليَّتِهِ ! طيف ؟! والنحلات التي يصْنَعْن الشَّكْل المُسَدَّس هو الشَّكْل الوحيد الذي ليس فيع فراغات بَيْنِيَّة، ويعْجز عن صُنع هذا الشَّكل كِبار المهندسين، فنحن في عالم البشر لو أردنا أن نبلِّط هذا المسجد فأخذ أحدهم من اليمين والآخر من اليسار ؛ فهل يمكن أن يلتقيان؟! مستحيل ! أما النحل فيبدأ من زوايا مختلفة ويلتقوا في نقطة واحدة وعلى أشكال سُداسِيَّة ونِظامِيَّة، فهذا شيء فوق طاقة البشر، قال تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)﴾

[سورة يوسف]

طبقة الأوزون، طبقة تمنع الأشِعَّة المؤذِيَة، والآن أكبر سرطانات الجلد أسبابها تخلخل هذه الطبقة، تأتينا أشِعَّة مؤذِيَة تسقط على الجلد تُسَبِّب أوْرام خبيثة، فَمَن جعل السماء سقْفًا محدودًا ؟ لو نقضي أيام وسنوات في الحديث عن الآيات الكَوْنِيَّة لا ننتهي ! مَن جعل الماء يتمَدَّد في الدرجة أربعة، لولا هذه الظاهرة لما قامَتْ

حياة على وجه الأرض ، كلّ العناصر تنكمش في البرد، وتتمدّد في التَّسْخين إلا الماء، فهو شأنه شأن العناصر الأخرى حتى الدرجة زائد أربعة، فهو يتمدّد إذا برَّدْتَهُ، معنى ذلك كلَّما جمدتْ سطوح مياه المُحيطات ازْداد حجْمُها وقلَّتْ كثافتها فطافَتْ على الماء وبَقِيَتْ أعْماق المُحيطات دافئة، أما لو تجمَّدَت فانْكَمَشَت وازْدادت كثافتها وخاصّة في أعْماق البِحار، بعد حين تُصبح البِحار جامِدَة، وينعدِمُ التَّبخر والماء والحيوان والنبات والإنسان ويكون كلّ شيء، فَكُلّ حياتنا منُوطة بأنَّ هذا الماء في الدرجة زائد أربعة يزيد حجمه على عكْس كل العناصر، قال تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)﴾

[سورة يوسف]

لعْقَة العسَل فيها سبعين مادَّة دوائِيَّة، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(69)﴾

[سورة النحل]

مَن صنَعَ العسل، قال تعالى:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ(68)﴾

[سورة النحل]

خاطَبَها بِضَمير المؤنَّث لأنَّها مؤنَّثة، فالذُّكور لا تعْمل شيئًا تُلَقِّح الملكة وانتهى دَوْرُها، ثمّ تُطْرَدُ أو تموت ولكن لمَّا خاطب الله النَّمل قال:

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(18)﴾

[سورة النمل]

لأنَّهم ذُكور وإناث ؛ للجِهَتَيْن، والعنكبوت عُلِمَ الآن أنَّ التي تبني البيت هي الأنثى، قال تعالى

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(41)﴾

[سورة العنكبوت]

مَن كان يعْلم أنَّ هذه الحشَرَة التي تبني البيت هي الأُنثى ؟ وقال بعض العلماء: إنَّ الإناث في عالم الحشَرات مُتَفَوِّقات على الذُّكور ولهنّ السَّيْطَرة، وربُّنا عز وجل وصَفَ الكفار وأنَّهم أضل سبيلاً، معناها إذا سَيْطَرَتْ أصْبَحْنا كالأنعام، وفي الحديث الصحيح:

((إذا كان أمراؤكم خياركم..."."))

قال تعالى :

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)﴾

[سورة يوسف]

الإيمان يحتاج إلى جُهْد عقلي، ونفْسي، فالعَقْل يُفَكِّر بالكَون، والقلب يذْكُر، والسُّلوك ينضبط، فإذا ساهَمَ عقلك وقلبكَ وسُلوكك ترتقي في الإيمان وقال تعالى:

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (104)﴾

[سورة يوسف]

وقال تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)﴾

[سورة يوسف]

قلتُ لأخٍ البارِحَة: إنَّ الاتِّصالات الخارِجِيَّة أصْبَحت مُريحة جدًا، قال لي: لأنَّه أصْبَحَ هناك خطّ كهربائي ! وما هو الخط الكهربائي ؟ ألف خط يمشوا بِشَريط واحد ! فقُلْتُ له أما العصب البصري فيَحوي تسعمائة ألف خط بعرض ميلي وربع، ولكل خط ثلاثة أعمدة ! قال تعالى:

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلْ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(11)﴾

[سورة لقمان]

وأخ يغسل كلاويه مرَّتين بالأسبوع فقال لي: ستَّة ساعات، وصوت وكهرباء فقلتُ: سبحان الله ! أما الكلية فهي عجيبة ؛ تعمل بِصمت وفيها طريق طوله مائة كيلومتر، والدم يمرّ فيها خمْس مرَّات، ويقطع الدَّم كل يوم خمس مائة كيلومتر دون ضجيج، ومن شِدَّة عظم هذه الكلية فهي له قدْرة تَصْفِيَة عشْر أمثال حاجتك، وإذا توقَّفَتْ الكلية فالحياة لا تُطاق فلذلك:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)﴾

[سورة يوسف]

يجب أن تمتلئ تعْظيمًا لِخَلق الله، لا لِتَعْظيم البشر، فلا تقل: سوني ولا كونكورد ! قرأتُ كلمة في مجلَّة تقول: أعظم طائرةٍ صُنِعَت حتى الآن لا تُعادل طائِرًا من الطيور الطبيعية، وأكبر معمل و أعْقَدُه لا يرقى لِصُنع ورَقَة:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ(106)﴾

[سورة يوسف]

هذا هو الشرك الخفيّ، فالجلي أن تعبد بوذا، أما الخفي أن تقول: فلان ! وأنا أمري بيد فلان، وأنا معي مال لا تأكله النِّيران، فالله قد يبعث لك مصيبة لا يحلها المال وكل مَن يعتمِد على ماله أو على علمه أو جاهه أو على زيد أو عُبَيد فهو مُشرك، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أخوَف ما أخاف على أمتي..."،))

والحمد لله رب العالمين

الدرس (22-24) : تفسير الآيات 106 - 108

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في سورة يوسف عليه السلام وقد انتَهَينا منها قبل درْسَيْن، وبدأتْ التعقيبات القرآنية على هذه القصَّة، قال تعالى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106)﴾

[سورة يوسف]

أيها الإخوة، الشرك نوعان: شرك جلي، وشِرك خفي، فالجلي أن تعبد صَنَمًا من دونِ الله، أما الشِّرْك الخفي أن تُعَلِّقَ أمَلاً على إنسان وأن تتوهَّم أنَّ هذا الإنسان بإمكانِهِ أن ينفعَكَ أو يضرَّك أو يُقَرِّبَك أو يُبْعِدَكَ، فإذا علَّقْتَ الأَمل على جهَةٍ غير الله عز وجل ولْيَكُن المال أو الجاه أو زوْجة أو ابنًا، فإذا اتَّكَأتْ على غير الله، ووثِقْتَ الآمال على غيرهِ فقد وَقَعْتَ في الشِّرْك الخفي، ويقول عليه الصلاة والسلام:

((الشرك الخفي...دبيب النملة السمراء...".))

وأدناه أن تُبغض على عدْل أو أن تُحِبَّ على جَوْرٍ، فلو كنتَ تُحِبُّ شَخْصًا ولم يكن مُسْتقيمًا وليس مُنْصِف، فأنت أشْرَكْتَ، وآخَرَ نصَحَكَ بإخْلاص فَغَضِبْتَ فقد أشْرَكْتَ نفْسَكَ مع الله، فإذا أبَيْتَ أن تنْصاع إلى الحق فقد أشْرَكْتَ، وقد يكون ابن وزوْجة ولكن ليسوا مستقيمين ومُنحرفين، لذا أدنى أنواع الشِّرْك أن تُحِبَّ على جَوْر، وأن تُبغض على عدْل، والشِّرْك الخفي قلَّما ينجو منه أحد، ولكن عِلاجُهُ أنَّ الله يتولى تأديب من وقعَ في الشِّرْك الخفي، فأنا لا أقول أنَّ هذا الشرك يُخْرِجُكَ من الدِّين ! إنَّما ذاك الشرْك الجلي، هو الذي يُخْرجُك من الدِّين، وكذا إن اعْتَزَزْت بِنَفسك، كأن تقول: خبرتي بالشِّراء أعلى خِبْرة، يُعطيك الله تعالى صفْقة تخسر فيها الكثير، فإذا اعْتَمَدْت على خبرتك أو مالِك أو جاهك أو شخص، ولكن إن اعتَمَدَ الله وفَّقه الله وكما قلتُ البارحة: صحابة رسول الله ومعهم رسول، وخاضوا بدْر وأحد والخندق، وباعوا أنفسهم، فأعلى مستوى في البشر بعد الأنبياء الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومع ذلك حينما قالوا: لن نُغْلَب من قِلَّة ! أدَّبَهُم الله عز وجل وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال تعالى:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(25)﴾

[سورة التوبة]

طبْعًا أنا أُعيد هذا الموضوع لِفائِدَتِه وكل يوم أيها الإخوة لكم مائة درس مُتَعَلِّق بِبَدْر وحُنَيْن، فأنت إذا قلت فلان تخلى الله عنك، وإذا قلت الله تولاَّك، فإذا أَرَدْتَ أن يتولاَّك الله فاعْتَرِف بِضَعْفِكَ وجَهْلِكَ وافْتِقارِك لله، ومن اتَّكل على نفْسِهِ أوْكَلَهُ الله إياها، فأنت دائِمًا بين حالَيْن حالة التَّوَلِّي مع العُبودِيَّة، وحالة التَّخَلِّي مع الشِّرْك الخفيّ، والشرك الخفي قلَّما ينْجو منه مؤمن، ولكنَّ الله يُؤَدِّبُهُ، وهناك مليون قِصَّة على هذا الموضوع، فإذا دعا المرء الله تعالى وقال: يا رب، تولاَّه وليَّنَ له قلبَهُ، وإذا قلتَ فلانًا تجد أنَّ ذاك يُعامِلك بِمُنْتَهى الفضاضة، ودائِمًا يُلْهِم الله من أشركْتَهُ معه أن يُخَيِّبَ ظنَّك، لذلك العُقَلاء هم الذين اعْتَمَدوا على الله، لهذا قال الله تعالى:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ(213)﴾

[سورة الشعراء]

وقال تعالى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106)﴾

[سورة يوسف]

ثم قال تعالى:

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (107)﴾

[سورة يوسف]

آيةٌ آمنة ومطمئنَّة فجأةً ترى نفسها تحْترق، وصاعقة تنزل إلى مستودعات النَّفْط، وكذا الزلازل فهذا الذي يعصي الله تعالى على مَن يعْتَمِد ؟ الإنسان في قبْضة الله عز وجل:

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (107)﴾

اسْمعوا الآن:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾

[سورة يوسف]

كلّ مَن يدْعوك إلى الله تعالى على غير بصيرة فهو على غير سبيل رسول الله عليه الصلاة والسلام، والبصيرة الدليل والتَّعْليم والنَّص القرآني، فأنت لا تكون مُحْتَرَمًا إلا إذا تكَلَّمْتَ بالدليل فهذه حلال لقوله تعالى وهذه حرام لقوله تعالى، لذا:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾

[سورة يوسف]

فكُلّ من يدعوا على بصيرة فهو على منهج رسول ا لله صلى الله عليه وسلَّم، والإنسان إذا قال: كلامي هو الشَّرْع، وما أقولُهُ هو الحقّ، وما أقول عنه باطلاً فهو باطل، فهذا إشراك نفْسَهُ مع لأنَّه دعا إلى الله بِمَصْلَحَتِهِ، يقول: هذا حرام ويكفي دون أن يأتي بالدليل فهذا مُشْرِك، والمُشَرِّع هو الله، إذًا أيَّةُ دَعْوَة وٍ إلى الله تعالى على غير بصيرة، فهي طريقة على غير ما أراده الله ورسوله ويكون هذا قد أشرك، والدليل:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾

[سورة يوسف]

وما أنا من المشركين، حتى أدْعوكم برأيي الشَّخْصي، فالدَّعوة لا بدّ أن تكون وِفق الشَّرْع وبه منْضبطة فالصحابي الذي أمَّره رسول الله، ثمَّ أمرهم هذا الصحابي أن يقْتَحِموا نارًا فقالوا: كيف نقتحمُها وقد آمَنَّا بالله فِرارًا منها، فقال بعضهم: نُطيع الأمير واخْتَلَفوا، فعرضوا أمْرهم على النبي عليه الصلاة والسلام:

((والله لو اقْتَحَمْتُمونا لا زلتم فيها إلى يوم القيامة، إنَّما الطاعة في مَعْروف))

فالعَقْل لا يُعَطَّل أبَدًا، أُدْعوا الله على بصيرة، فَكُل شيء تؤمن به لا بد له من الدليل، ورفْضُك الشيء لا بدّ له من دليل.

قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾

[سورة يوسف]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (23-24) : تفسير الآيات 109 - 110

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، قبل أن نَمْضي في الحديث عن الآيات الأخيرة من سورة يوسف عليه السلام أُحِبُّ أن أُنَوِّهَ تَعْقيبًا على كلمة البارِحَة حينما قلتُ: أربع كلمات مُهْلِكات ؛ أنا ولي وعندي ونحن، سألني أخٌ كريم بعد الدرس ؛ لو أنَّ أخٌ سأل: مَن يحْفظ سورة البقرة، فقال أحدهم أنا فقوله: أنا هنا لا علاقة لها بالدرس إطْلاقًا، مَن عنده غرفة تفيض عن حاجته ؟ يقول: أنا، لذا أيُّ أنا المُهْلِكَة ؟! التي فيها إثْبات الفِعْل للذات، تقول: أنا أفْعل كذا، والفاعل هو الله، قال تعالى: ولا تقولنَّ لشيء إنِّي فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله، فإذا قلتَ: أنا وتقْصِد إثبات الفعل لِذاتِك فهذا هو الشِّرْك، وإذا قلنا: نحن نفْعَلُ ما نشاء، ونَنْسى الله سبحانه وتعالى هو الذي يفْعل ما يشاء، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، مَن هم القوم الذين تواصَوا بالحق ؟ نقول: نحن، فنحن هذه لا علاقة لها بالكبر، وكذا إذا قلت هذا القلم لي، فأنت بهذه الكلمات ما أشْرَكْتَ، الشِّرْك أن تُثْبت الفِعْل لِذاتك أو لِمَجموعة تعيش فيها.

الشيء الثاني ؛ وهو نقطة دقيقة، وأرْجو الله تعالى أن يُوَفِّقَنا إلى تَوْضيحِها، الأخْذ بالأسْباب فرض، لأنَّ الله تعالى خلَقَ هذا الكوْن وِفْق نِظامٍ دقيق، فحينما لا تأخذ بالأسباب فأنت لا تعبأ بِهذا النِّظام بل تسْتخِفُّ به، والاسْتِخْفاف بالنِّظام اسْتِخْفاف بالمُنَظِّم.

لو أنَّ ابنَك أخذتهُ حرارة، ماذا تفعل ؟! تأخذه عند الطبيب وتشتري له الدواء وتتوكَّل في كل هذا على الرب سبحانه وتعالى، فالفرق بين الشِّرْك والتَّوحيد أنَّ الشِّرْك تأخذ بالأسباب لكِنَّك تعتمِدُ عليها، لكنَّ التَّوْحيد تأخذ بالأسباب ولكنَّك تعْتمِدُ على الله تعالى، واسْمَعوا الكلمة الدقيقة: الطريق الصحيح على يمينِهِ وادٍ سحيق، وعلى يسارهِ وادٍ سحيق، فالواد الأوَّل عدم الأخْذ بالأسباب مَعْصِيَة، والوادي الثاني الاعْتِماد على الأسباب شِرْك، ما الصَّواب ؟ أن تأخذ بالأسباب كي لا تعْصي، وأن تعتمِد على الله لكي لا تُشْرِك، فهذه نقطة مُهِمَّة جدًا الأخذ بالأسباب طاعةً لله تعالى، والاعتِماد على الله لا على الأسباب اتِّقاءً للشِّرْك، ولك أن تسأل وتُقَدِّم اعْتِراض، وأن تتوسَّط لدى شَخْص كُلّ هذا مُباح ومِن باب الأخذ بالأسباب، لكن حينما تقول: صديقي فلان ولن يُخَيِّبني، أما إذا قلت: يا رب، الأمر بيدِك، وأنا عبدك وأمرك نافذ فيَّ، وأطلب منك تيْسير هذا العمل، فاللهمَّ وفِّقني ويسِّر لي، لكن إن ظنَنْت أنّ هذه الوسائل تفْعل ما تشاء فقد أشْرَكْت.

الآيات الأخيرة من سورة يوسف عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109)﴾

[سورة يوسف]

كيف تعرف الله ؟ مِن خلْقِهِ، قال تعالى:

﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ(101)﴾

[سورة يونس]

وكيف تعرفُ الله ؟ مِن أفعالِهِ قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109)﴾

[سورة يوسف]

وكيف تعرف الله ؟ من كلامه، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا(24)﴾

[سورة محمد]

طُرقٌ ثلاثة توصِلُكَ إلى الله ؛ خلْقُهُ الكَون، وأفْعالهُ الحوادث، وكلامه القرآن، قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110)﴾

[سورة يوسف]

الآية دقيقة، ليس الرُّسل أكثَرَ الناس يأسًا ! لا، لكنَّهم آخرهم يأسًا، فأحْيانًا يؤخِّر الله النَّصْر، فتَجِدُ ضِعاف الإيمان سَقَطوا ويقولون: أين الله ؟ تأخير النَّصر امْتِحان للعباد، ويكشف منه الصالح من الطالح، وهناك مَوْقف في القرآن دقيق جدًا ؛ فئة صغيرة مُستَضْعفة موسى وأتباعه فرُّوا من فرعَون ؛ أكبر قُوَّة غاشِمة في مصر ! جنود وخدم وأتباع وقَهْر، وكان البحر أمامه، بِرَبِّك هل هناك أمل للنَّجاة واحد بالمليون ؟! قال تعالى:

﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ(61)﴾

[سورة الشعراء]

وهذا سيّدنا يونس ؛ هل مِن مُصيبة أعظم مِن أن تكون في بطْن الحوت ؟ ظلام بطن الحوت وظلام الليل، وظلام البحر !! قال تعالى: " فنادى في الظلمات..." الفِعْلُ فِعْلُ الله، ولا تيأس مهما تكن المُصيبة، مرض خبيث، والله أعرف عشرات الأشْخاص مرضهم وصل بالدرجة العاشرة من الخبث، وهذا المرض تراجعَ من

ذاتِهِ، والقصَّة من اثنى عشرة سنة وهو حيٌّ يُرْزَق ! لا يأس ولا قنوط مع الإيمان، والقنوط دليل الإيمان الضعيف، وقد يكون كُفْرًا.

قال تعالى:

﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87)﴾

[سورة يوسف]

فالمؤمن لا ييأس، والله تعالى قويّ وعادل وسميع وبصير، لذلك قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110)﴾

[سورة يوسف]

أما لو جاء النَّصر سريعًا، لكان كلّ شيء مُغَطًّى، لكن بِتَأخير النَّصْر نرى المؤمن من غيره، ففي الخندق عشرة آلاف مُقاتِل حاقِد وأرادوا أن يستأصِلوا شفقة المسلمين، ونقض اليهود العهْد، لذلك أحدهم قال:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا(12)﴾

[سورة الأحزاب]

وهناك تعبير آخر: أيَعِدُنا صاحبكم أن تُفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدنا لا يأمن أن يقضِيَ حاجته ؛ ما قال رسول فقد ظنَّه دجَّالاً ! هكذا قال بعض من كان مع النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(23)﴾

[سورة الأحزاب]

وقال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ(214)﴾

[سورة البقرة]

تأخير النَّصْر امْتِحان للمؤمنين، وكُلَّما كان إيمانك بالله أقْوى كلَّما كان إيمانك بالنَّصر أكثر، وكلَّما كان ضعيفًا ففي بداية المرحلة يُهشّ.

فالواحد يمتحننا ليرى الصادق من الكاذب، وأحيانًا ليضَع المتخوِّل والذي يفتخر، يُحَجِّمُهُ، كي يعود لما هو عليه، حدَّثني أحد الأصدقاء البيْطَريّين أنَّ داءً يُصيب الدواجن فينتفخ الصغير من هم لِغازات في جلده، والدواء أن يثقب الجلد لِيَعود الديك لِحَجْمِهِ، لذلك قال تعالى:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة العنكبوت]

فأوَّل الإيمان للصُّمود بالامتِحان، ولكي تصل إلى الجنَّة التي عرضها السماوات والأرض وسلعة الله غاليَة، قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ(214)﴾

[سورة البقرة]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (24-24) : تفسير الآية 111

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، فالآية الأخيرة من سورة يوسف عليه السلام يقول الله عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)﴾

[سورة يوسف]

أكَّدَتْ هذه الآية أنَّ أُسلوب القِصَّة مِن أنْجع الأساليب التَّرْبَوِيَّة لإحْداث قناعة وتأثيرٍ معًا في وقتٍ، فالأب أو المعلِّم أو الداعِيَةُ إذا أراد أن يُحْدِث تأثيرًا بليغًا في نُفوس السامِعين، أو أن يحملهم على مَوْقف أو أن يحْجزهم عن سُلوكٍ ما، فَعَلَيْهِ أن يستخْدِم أسْلوب القِصَّة ؛ لماذا ؟ لأنّ الإنسان بِطَبيعتِهِ مُتَعَلِّقٌ بِتَتَبُّع قِصص بني الإنسان ؛ مِن جِنْسٍ واحِدٍ وطبيعَةٍ واحِدَة، فالإنسان أحْيانًا إذا قرأ قِصَّةً يرى ذاتَهُ، أو يرى نقيضهُ أو مَثَلَهُ الأعلى،فَهُناك تَعَلُّق فِطْري للإنسان بأحداث أيّ قِصَّة تتعلَّق بِبَني الإنسان، شَرْط أن تكون القِصَّة واقِعِيَّة، أما إن كانت خياليَّة فهذه يُعْنى بها الصِّغار، أما الراشِدون لا تَغْنيهم إلا القصص الواقِعِيَّة أو التي يُمْكِن أن تَقَع. القِصَّة مِن شَخصِيات مُصَوَّرَةٌ و مُحَلَّلَةٌ، ونَفْهم تصوُّراتِها ودوافِعَها، وأهدافها، والصِّراعات في نُفوسها ؛ عمليَّة تحليل نفْسي دقيق، فالإنسان أحْيانًا تُحَلُّ مُشْكلاته أو يرى ذاته أو مثلَهُ الأعلى أو نقيضَهُ لذلك قال بعض كُتَّاب القِصَّة: لا بدّ للإنسان مِن شَخْصِيَةٍ يكونُها أو شَخْصِيَّةٍ يتمنَّى أن يكونها أو شَخْصِيَّةٍ يَكْرهُ أن يكونها، فمَثَلاً الشَّباب مَن هو مَثَلُهم الأعلى ؟ هذا النبي الكريم يوسف عليه السلام لِعِفَّتِهِ وطَهارَتِهِ وخَوْفِهِ من الله، فأصْبَحَتْ المبادئ ليسَتْ مُجَرَّدة ولكِنَّها مُجَسَّدَة في واقِعٍ من خلال القِصَّة، وفي شَخْصِيات والحقيقة أيها الإخوة، القُدْوَة هيَ أفْعَلُ شيءٍ في التَّوْجيه ؛ أي ألف مُحاضرة في الصِّدْق لا تُغني عن شَخْصٍ واحِدٍ صادِق، وألف مُحاضرة في الأمانة لا تُغني عن واحِدٍ أمينٍ يعيش بين أظْهُرِنا.

أَلْقَيْتُ مرَّةً في جامع العُثمان حول الأمانة، وبيَّنْتُ دقائق هذا الخُلُق الثَّمين، فالإنسان أحْيانًا يكون عليه سَنَد أو ذِمَّة أو دَيْن ويتبَجَّح أنَّهُ أدَّى الأمانة وأدَّيْتُ الدَّيْن، والحقيقة ليْسَت هذه هي الأمانة لأنَّك مُوَقِّع بيَدِك وأنت مُدان، وهذا السَّند تُقام عليه دَعْوى، أو يوضَعُ في التَّنْفيذ وقد يُحْجز على أَمْلاكك وقد يُسيء إليك صاحِبُ الدَّيْن، وقد يُشَهِّر بك بين الناس، فأنت حِفاظًا على سُمْعَتِك ومكانتِك بادَرْتَ إلى دَفْع هذه القيمة وهذا سُلوك مَدَني وذَكيّ، ولكنَّ الأمانة بِتَعْريفِها الدَّقيق أنْ يُعْطيك إنسانٌ مائة ألف ويَموتُ فَوْرًا دون أن يُعْلِمَ أحدًا كائنًا مَن كان بِهذا المَبْلَغ، وتَذْهب أنت إلى وَرَثَتِهِ وتُعْطي هذا المَبْلَغ، إذًا هو أن تُؤَدِّي ما عليك دون أن تكون مُدانًا أمام الخَلْق، بعد سِتَّة أشْهَر جاءَتني ورقة صغيرة، وأنا أثق أنَّ صاحبها صادِق يقول لي: والله الذي لا إله إلا هو أدَّيْتُ لِوَرَثَةٍ عشرين مليون ليرة دون أن أكون مُدانًا أمام أحد ولكن خَوْفًا من الله عز وجل، لذا أمانة الرجل خير مِن ألف مُحاضرة في الأمانة، وكذا العفيف والصادِق، لذا التَّعْليم النَّظري لا قيمة له فلمَّا أصْبَحَ الإسلام بالكُتب انتَهى، ولكن لمَّا يكون الإسلام في أشْخاص تراهم أمامك يتحرَّكون، ويعيش الظروف نفسها، وكذا المُغرَيات والضُّغوطات نفسها، وعوامل البيئة نفسَها، ومع كل هذه المضائق والاخْتِناقات يبْقى أمينًا صادِقًا عفيفًا، فهذا الإنسان هو الذي يُحْيي ويؤثِّر في الناس، نحن الآن لَسْنا بِحاجَة إلى معلومات، والمكتبة الإسلامِيَّة الآن مُمْتلئة، وأينما ذَهَبْتَ تجد آلاف التفاسير، وآلاف كتب الحديث وآلاف كتب السيرة، وآلاف البحوث والموضوعات التي تردّ على خُصوم الإسلام، وأشرِطَة، ولكن نحن الآن إلى أمَسِّ الحاجة إلى إنسانٍ مُسلِمٍ، ترى في بيتِهِ وعمله ودُكانِهِ الإسلام، وترى في نُزهته وأفراحِهِ الإسلام، ولا يُحْيي هذا الدِّين إلا المَثَل الأعلى، لذلك قد تَسْتغْرِبون ؛ ما مُهِمَّة النبي ؟ الله عز وجل أرْسَلهُ رسولاً، قد يقول أحدكم التَّبْليغ فأقول لك: لا، فالتَّبْليغ مُهِمَّة ثانَوِيَّة وأيُّ إنسانٍ يُمْكن أن يُبَلِّغَك، النبي عليه الصلاة والسلام أكبر مُهِمَّتِهِ القُدْوَة ! وأنت كأب وكصاحِبِ محَل، وكَمُعَلِّم ومُرَبِّي، أنتَ بِإمْكانِكَ أن تكون أكبر داعِيَةٍ وأنت صامِت ؛ إتْقانُ عَمَلِكِ وصِدْقكَ وعَمَلَك، سمَّان جاءهُ زَبون فقال له: هل البيض طازج ؟ فقال السَّمان: لا، ولكن جاري الآن جاء بِبَيْضٍ طازِج ؛ هذا هو المَوقف الصادق، الدنيا كُلُّها لا تستأهل أن تكذب من أجلها لأنَّها فانِيَة، ويأتي ملَكُ الموت ويأخذ مِنَّا كُلَّ شيءٍ في ثانِيَة ويبْقى الإنسان رهينَ عملِهِ، قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(38)إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ(39)فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ(40)عَنْ الْمُجْرِمِينَ(41)مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(42)قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(43)وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(44)وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(45)وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(46)حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ(47)﴾

[سورة المدثر]

لذا أيها الإخوة، قِصّة واحِدَة إذا أطْلَعْتَ أولادَكَ عليها، وكانت النتائج باهِظَة جدًا، يكون لها أثَر فعَّال، إنسانٌ عاشَ معك فارْتَكَبَ الحرام فدَمَّرَهُ الله، أخٌ كريم حدَّثني كان ذاهِبًا إلى المطار مع صديقٍ له انْحَرَفَت السيارة على اليمين فجْأةً، فابتسَمَ السائق ابْتِسامةً استهزائِيَّة والذي حصَل أنَّ كلْبًا كان بالطريق حاجِزًا مكانًا قدرُهُ أربعين سنتمتر، كان نائِمًا تحت واقِيَة مِن شِدَّة البرْد، فهذا السائِق مرَّ على الكلب لِيَقْطَعَ رجليهِ دون أن يقتل الكلب !! يُقْسِمُ هذا الرَّجل وهو حيّ يُرزَق أنَّهُ في الأسبوع الثاني الذي فَعَلَ هذا الفِعْل بالمكان نفسِهِ، تعطَّلَت سيارة ذاك المجرِم فأخَذَ الكريك لِيُبَدِّل عجلة السيارة، فإذا بالدولاب يقع فوق رُسْغَيْه، فحين وصل إلى المستشفى اسْوَدَّت يديْه، فقال الطبيب لا حلّ إلا بِقَطْه يَدَيْك !! فَهُو فعل فعلته بالسبت مع الكلب وفي السبت القادِم قُطِعَت يداهُ.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)﴾

[سورة يوسف]

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أرادوا وَضعهُ في الجبّ وأراد الله تعالى أن يكون عزيز مصر، قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(2)﴾

[سورة فاطر]

فيا أيها الإخوة مرَّةً ثانِيَة أقول لكم: يُمْكن أن تعرف الله تعالى مِن الكَون، وهذا باب واسِع ؛ الشَّمس والقمر والنُّجوم والبِحار والطيور والجبال والصَّحارى والخضار والفواكه والأغْوار، كُلّ هذا خَلْق الله، ويُمْكِن أن تعرفهُ بالقدر نفسِهِ مِن أفعالِهِ تعالى ؛ زلازل، فيضانات، حروب أهْلِيَّة فسق فُجور ودمار وحريق، ويُمكن لن تعرفَهُ من كلامه تعالى، فأنت لك ثلاثة مصادِر، فَكَلامُهُ يدلّ عليه وهو القرآن وأفعالهُ تدلّ عليه، وخَلْقُهُ يدلّ عليه، والدليل قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(190)﴾

[سورة آل عمران]

هذا خلقُه، وقوله تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ(69)﴾

[سورة النمل]

هذه أفعالهُ، وقوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا(24)﴾

[سورة محمد]

وهذا كلامُه.

أيها الإخوة، هذه أطْوَل قِصَّة في القرآن على الإطلاق، ومُلَخَّصُها أنَّ الله هو الفعَّال وبِيَدِهِ كلّ شيء، فأنت إذا وحَّدْتَ اسْتَقَمْت، وأيْقَنْتَ أنَّ الأمر كلَّه بيَدِه، فلو كان لك شُغل مع المدير فهل تترجَّى الآذِن ؟! تكون حينها أحْمَقًا، فكذلك إن أيْقَنْتَ أنَّ الأمر بيد الله تعالى لا تبْذل ماء وجْهك لأحَدٍ، شرف المؤمن قيامُهُ بالليل وعِزُّهُ اسْتِغْناؤُهُ عن الناس ولا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفْسهُ، واطْلُبوا الحوائِج بِعِزَّة الأنفس فإنَّ الحوائِج تَجري بالمقادير.

والحمد لله رب العالمين

الباب الثالث : تفسير سور (الرعد – ابراهيم – الحجر – النحل – الإسراء – الكهف – مريم)

الفصل الأول : تفسير سورة الرعد

الفصل الثاني : تفسير سورة اراهيم

الفصل الثالث : تفسير سورة الحجر

الفصل الرابع : تفسير سورة النحل

الفصل الخامس : تفسير سورة الإسراء

الفصل السادس : تفسير سورة الكهف

الفصل السابع : تفسير سورة مريم

الفصل الأول : تفسير سورة الرعد

الدرس (1-7) : تفسير الآيات 1 - 4

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، يقول الله تعالى في سورة الرعد:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2)﴾

[سورة الرعد]

الحقيقة أنَّ الكون كما تعلمون أيها الأخوة مُؤلَّف من ملايين المَجَرَّات بل الرَّقم قد يقترب مِن مليون مليون مجرَّة في حُدود معلومات علماء الفلك، وكل مجرَّة تقترب من مليون مليون نَجم، وهذا الكون كلّه في فلكٍ يسْبح، وكلّ كوْكَبٍ يَجري في مسارٍ مُغْلَق، وإذا أردْنا أن نصِفَ السماء بِوَصْف جامِعٍ مانِعٍ شامِلٍ مطلق: والسماء ذات الرَّجع، فَكُلّ كوكَبٍ ينطلق ويدور ويعود بعد آلاف السِّنين مِن نقطة انْطِلاقه، أي أنَّ المَسَار مُغْلَق، فالأفلاك التي تدور فيها النُّجوم أشْكال بَيْضَوِيَّة مُغْلَقَة وهذا معنى قول الله عز وجل:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ(11)﴾

[سورة الطارق]

أما أن يقول الله عز وجل:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد]

المعنى المُتبادَر أنَّها بِغَير عمَد، أما المعنى اللُّغوي الدقيق أنَّها بِعَمَد ولكن لا تَرَوْنها، هيَ بِغَير عَمَدٍ مَرْئِيَّة، إذًا هي بِعَمَدٍ غير مَرْئِيَّة، فما هي الأعمدة ؟ وما هو العَمَد غير المرئي ؟ قال علماء الفلَك هي قِوى التَّجاذب! وقانون التجاذب الذي كشَفَهُ نيوتن: أنَّ كلّ كتلة تَجْذب أو تنجذب إلى كتلة أخرى وهو معروف عند طلاب العلم الكوني ؛ جداء المسافة مضروبة بمُربع الكتلتين، فالكتلة الأكبر تجذب الأصغر، والجذب مُتَعَلّق بالمسافة وبالكتلة.

أيها الأخوة، لولا حركة الكواكب لأصْبَحَ هذا الكون وِفْق هذا القانون كتلةً واحِدَة ؛ لأنَّ الأكبر يَجْذب الأصغَر، فما الذي يَمْنَعُ مِن تجمُّع الكَون ؟ كلّ كوكب يدور، ومع دَوْرَتِهِ تنشأ قِوى نابِذة، هذه القِوى النابِذة تكافئ القِوى الجاذبة، فالكون يدور بانتِظام دون أن يتجمَّع في كتلة واحِدَة.

الآن هناك نقطة دقيقة جدًا أُريد أن أضَعها بين أيديكم ؛ الشَّمس مثلاً فالأرض تدور حول الشَّمس في مسار مُغلق، والدَّوْرَة تستغرق ثلاثمائة وخمس وستون يوم وربع، وهي السنة الشَّمْسِيَّة، فلو فرَضْنا أنَّ الأرض تفلَّتَتْ مِن مسارِها حول الشَّمْس، وسارَت في الفضاء الكوني وأرَدْنا أن نُعيدها إلى مسارِها فَكَم نحْتاج إلى قوَّة ؟ قال العلماء: نحتاج إلى مليون مليون كَبْل فولاذي مظفور، وقُطر كلّ كَبْل خمسة أمتار والكَبل الذي قطره خمسة أمتار يُقاوِم مليونين طنّ، فهذه القوَّة التي ترتبط الأرض بها بالشَّمس مِن أجل أن تبقى الأرض فيها تدور حول الشَّمس ثلاثة ميلي في الثانية، إذًا الأرض مربوطة بالشَّمس بِأَعمِدَة أو حِبال لكنّ هذه الحِبال غير مَرْئِيَّة، والله عز وجل قال إنّ هذا الكون يتحرَّك بِنِظام مُبْدِع ومُعْجِز ومن دون حِبال وأعمِدة ودعائم، ثمّ لو أرادنا زرْع هذه الكبلات في الأرض لأعاقَت السَّيْر والزَّرْع وضوء الشمس نفسه، فَكَم هي آيات الله باهرة ؟! كُلُّكم يعلم أنَّ ما بين الأرض والشمس مائة وستٌّ وخمسون مليون كيلومتر، ومع ذلك الأرض مَرْبوطة بالشَّمس بِقِوى الجذب، قال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد]

والضوء يقطع هذه المسافة في ثمانية دقائق وكلُّكم يعلم أنَّ في بُرج العَقْرب نَجمًا صغيرًا اسمه نجم العقرب يتَّسِع للأرض والشمس والمسافة بينهما ! لذلك الله عز وجل قال:

﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ(101)﴾

[سورة يونس]

وقال تعالى:

﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(48)﴾

[سورة الزخرف]

هذا الكون خُلِق مِن أجل أن نعرف الله عز وجل، فربُّنا عز وجل يقول لك:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾

[سورة الرعد]

فهل عَرَفْتَهُ ؟

ثمَّ قال تعالى:

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2)﴾

[سورة الرعد]

يُقَدِّر علماء الفلك أنَّ الشمس مضى على تألُّقها خمسة آلاف مليون سنة ويُقَدِّر العلماء أنَّها تعيش خمسة آلاف مليون سنة، فهل عندك أنت مِدفأة تشْتعل دون وَقود ؟ أين وَقودُها ؟ الحديث عن الشمس حديث يَطول! مليارات الأطنان لا تكفي كي تشتعِلَ بهذه الطريقَة، ستَّة آلاف درجة على سَطْحِها، عشرين مليون درجة في نواتها، ألسِنَة اللَّهَب طولها مِن نِصف إلى مليون كيلومتر، ولو أنَّ الأرض أُلْقِيَت في الشمس لتَبَخَّرَت في ثانِيَة واحِدَة قال تعالى:

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلْ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(11)﴾

[سورة لقمان]

فهو تعالى قال:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾

[سورة الرعد]

والدليل قوله تعالى:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(1)وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ(2)وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ(3)وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ(4)وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ(5)وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ(6)وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ(7)وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(8)بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ(9)﴾

[سورة التكوير]

فكل يمشي لأجل مُسَمّى، ثمَّ قال تعالى:

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2)﴾

[سورة الرعد]

أي لعلَّكم تؤمنون أنَّ بعد هذه الحياة حياةً، وبعد هذه الحياة يوم يُحاسَب الإنسان فيه على أعْمالِهِ قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾

[سورة الرعد]

تَمشي بِطُرق سهلة ومُمْتَدَّة، وهناك بالهندسة شَكل واحِد الخُطوط عليه مُمْتَدَّة فالمُكعَّب الحرف ينتهي عند حدِّه، والمَوْشور ينتهي عند حَرْفِهِ وكذا متوازي المستطيلات وكل شَكْل هندسي إلا الكرة ! فليس لها حُروف، فالخُطوط على الكُرة تَمْتدُّ إلى ما لا نِهايَة، وهذه إشارة في كتاب الله على أنّ الأرض كُرَة.

قال تعالى:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً﴾

[سورة الرعد]

معنى رواسي ؛ كلُّ مَن عنده مَرْكَبَة يقول لك عدَّلْت الدولاب، وذلك مِن أجل إذا مشى بِسُرعة مائتان لا تضطرب، والأرض في سرعتها الشديدة حول نفسها ومع سَيْرِها حول الشمس قد تضطرب، فما الذي يَجْعلها لا تضطرب ؟ هذه الرَّواسي والجبال، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3)﴾

[سورة الرعد]

وعلاقة الرواسي بالأنهار أنَّ مُستَوْدعات الأنهار بالجبال.

أندونيسيا بها أربعة آلاف جزيرة، ولكل جزيرة نَبْع ماء، وينابيع الماء بالجُزر مُستَودَعاتُها في القارات، فكلَّما جاءتْ كلمة رواسي جاءَت معها كلمة أنهار، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3)﴾

[سورة الرعد]

أربعة آلاف وخمسمائة نوْعًا بالعالم، وثلاثمائة نوعٍ من العِنَب والبندورة فيها نوع للعصير ونوه للسَّلطة ونوع كبير وآخر مُضَلَّع ونوع ماؤُهُ كثيف، كل نوعٍ من أنواع الفاكهة مُنوَّع، الزَّيتون والتفاح والعنب.

قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3)﴾

[سورة الرعد]

معنى ذلك أنَّ الله يَحُضُّنا على التفكّر في هذا الكون، قال تعالى:

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)﴾

[سورة الرعد]

مَن أعطى هذه الفاكِهَة هذا الطَّعم ؟ يقول لك: فيها فوسفور وكالسيوم ومغنيزيوم وفيتامينات، من صَمَّم هذا الغِذاء ؟ قال تعالى:

﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾

[سورة يوسف]

وهنا لي سؤال: كُلْ حبَّة توت وكُلْ حبَّة خوخ، وحبَّة مشمش وأجاص ود راق، وحبَّة عِنَب، هل لك أن تصف واحدة من هذه الفواكه دون أن تلجأ لاسمِها، لا يُمكِن وَصْف الطَّعم من دون ذِكْر الفاكِهَة، كلّ فاكِهَةٍ لها طَعْم، قال تعالى:

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)﴾

[سورة الرعد]

لذلك أيها الأخوة الكرام أعلى عِبادة على الإطلاق التَّفكُّر في السماوات والأرض، أوْسَع باب لِمَعرِفَةِ الله هو الكَوْن، وأقْصَر طريق لِمَعرِفَة الله هو الكون، وهو أعلى عِبادة لذلك قال تعالى:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(1)وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(2)لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(3)﴾

[سورة القدر]

إذا قدَّرْت الله حقّ القدر يكون هذا أحسن مِن أن تَعْبُدَه ألف شهر أي ثمانين سنة، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ(28)﴾

[سورة فاطر]

فالتفكّر عبادة فهذا الكون خُلِقَ من أجل أن تعرفه، فالإنسان لابد أن لا يأكل كما تأكل البهائِم، قال تعالى:

﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ(12)﴾

[سورة محمد]

واشكر الله على نِعَم الله، ولا شرْط أن تكون غَنِيًّا، فالعَين نِعْمة كبيرة، وكذا الكِليَة، مَن يبيعُ كِلْيَتَهُ ؟ فأنت غنِيٌّ بِصِحَّتِك وإيمانِك وإخوانك، والله عز وجل قال:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)﴾

[سورة الرعد]

الدرس (2-7) : تفسير الآيات 8 - 11

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثامنة من سورة الرعد وما بعدها وهي قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ(9)﴾

(سورة الرعد)

ما الفرق بين أن يقول الله: يعلم الله ما تحمل كل أنثى وبين أن يقول: الله يعلم ؟ الفرق كبير جِدًّا ! كالفرق بين أن تقول: نعبد الله، وبين أن تقول: اللهَ نَعْبُدُ التَّقديم والتأخير يُعطي معنًى جديدًا، إذا قلْتَ: يعلم الله ما تحمل كل أنثى فهذا يعني أنَّ غير الله كذلك يعلم، أما إذا قلتَ: الله يعلم فهذا يعني أنّه وحْده الذي يعْلم، لكن قد يقول لك: لكنَّ الآن قد عرفوا ! تذْهب إلى الطبيب فيقول لها: ذَكَر أم أُنثى ! أين الآية ؟ فالله تعالى لم يقل: يعلم مَن تحمل ! وإنَّما قال: ما تحْمل، فَمَا قال العلماء: البُوَيْضَة والحُوَيْن المنوي يَحْمِلان مِن المُوَرِّثات ما يزيد عن خمسة آلاف مليون معلومة، وهذا الرَّقَم أذْكُرُهُ بِدِقَّة، عُرِفَ منها حتَّى الآن ثمان مائة ! أسْمع بالمَجَلات والصُّحف ؛ الهَنْدَسة الوِراثِيَّة، فهذه البُوَيْضَة في نواتِها كروموزونات ومُوَرِّثات، هذه المُوَرِّثات تَحْمِل في طيَّاتِها خمسة آلاف مليون معلومة مُبَرْمجَة تُسْهِم في تَخليق الجنين، هذا الجنين له شامة على خدِّه الأيْسَر، وذاك شعْرُهُ جعد، والآخر سبك وهذا أنفه أفْطَس، وذاك مُنْحَني، خمسة آلاف مليون صِفة كلُّها مُتَوَضِّعَة سَلَفًا على الكروموزونات ومُبَرْمَجَة زَمَنِيًّا، هذه هي التي يعلمُها الله، أما أن تعلم هذا ذَكَر أم أنثى، لذلك الله عز وجل يقول:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾

[سورة الرعد]

هذا الجنين ما مصيرُهُ ؟ مُصْلِحٌ كبير ؟ أم مُجْرِمُ كبير ؟ لا نعرف ! غنيّ أم فقير ؟ الله يعلم ما تحْمِل كلّ أنثى، أَهُوَ مسلم أم كافر ؟ فاسق أم تقيّ ؟ كلّ هذا لا نعرفهُ ! هل سيكون عنصر إيجابي في الأمَّة ؟ ممْكِن، هل سيَقود أُمَّة ؟ مُمْكِن.

قال تعالى:

﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾

[سورة الرعد]

المرأة إن لم تُنْجِب، وقوله تعالى:

﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾

[سورة الرعد]

إذا أنْجَبَت أولادًا كثيرين، قال تعالى

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8)﴾

[سورة الرعد]

كلّ هذا وِفْق قرارٍ ووِفْق حِكْمَةٍ مطلقة، فالكَون لا يَحْمِل العَبَثِيَّة والصُّدْفَة، قال تعالى:

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ(49)أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(50)﴾

[سورة الشورى]

كل هذا بِحِكْمَة، وبعضهم عبَّرَ عن الحِكْمَة فقال: إنَّ الشيء إذا وَقَع لو لم يقَع لكان نَقْصًا في حِكْمة الله، ولَكَان الله تعالى مُلامًا على عدم وُقوعِهِ ولهذا عبَّر الإمام الغزالي عن هذا الموضوع فقال: ليس في الإمكان أبْدَعُ مِمَّا كان، فالذي هو كائِنٌ أبْدَعُ ما يكون، وليس في إمْكاني أبْدَعُ مِمَّا أعْطاني، فأنسَب شيء لِوَضْعِك أن يكون لك أولاد ذُكور أو إناث أو لك أولاد وإناث، أو دون أولاد.

قال تعالى:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9)﴾

[سورة الرعد]

فعالِمُ الغيب أيْ عَلِمَ ما كان، وعَلِمَ ما يكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون ! لذلك كما قال تعالى:

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10)﴾

[سورة الرعد]

همَسَ وأضْمر شيئًا بِقَلْبِهِ أو فكَّر بِشَيء، فالواحد يذهب لأوروبا ويدخل للمركز الإسلامي ويأتي بواحِدَة فرنسية، والعقْد شرعي مائة بالمائة، ولكنَّه ينوي بها أربعة سنَوَات ولمَّا ينتهي من الدِّراسة يُطَلِّقُها، ويأتي نظيف على بلده ويأخذ واحدة بالشام فالظاهر لا شيء يَكْشِف هذه الحقيقة، أما الله يعلم ما في قلب هذا المجرِم، لذلك مَن تَزَوَّج امْرأَةً على صداقٍ وفي نِيَّتِهِ لا يُؤَدِّيه لها لَقِيَ الله وهو زانٍ، فكيف لو تزوَّج الله على نيَّة مُؤَقَّتَة ؟! هل يوجد أب يقبل أن يُزَوِّج ابنتَهُ على أربع سنوات ؟ مَن يعْلم ؟ قال تعالى:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾

[سورة الرعد]

تجد له منزل يصنع فيه الموبقات ويقول لزوجته كنت بالمصنع ! يسْتخفي في هذا المنزل، وقال تعالى:

﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10)﴾

[سورة الرعد]

أي يتحرَّك بالنَّهار، قال تعالى :

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾

[سورة الرعد]

مُراقَب أشَدّ المُراقبة، وفي سِرِّكَ وعَلَنِك، وفي سُكونِك وحركتِك، فأنت إن فَهِمْتَ هذه المَقولة تسْتقيم، أدقُّ النوايا والخواطِر والطُّموحات كلّ هذا مَكْشوف عند الله عز وجل، قال تعالى:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الرعد]

كل شيء مُسَجَّل، قال تعالى:

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(18)﴾

[سورة ق]

ثمَّ قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد]

فأنت تعيش ضِمْن هذه الدائرة، ولكن حولك دائرة لها قِوى مُخيفَة، فالحاصل أنَّ هناك دائرتين ؛ دائرة أنت فيها ولك عليها سُلطان، ودائرة مُحيطة بك لا سلطان لك عليها، فالدائرة التي أنت فيها، عن هذه الدائرة التي تُحاسَب، فإذا أقَمْت أمْر الله في هذه الدائرة، الله جل جلاله تولَّى عنك وحفظك مِن القِوى الشِّريرَة في الدائرة التي تُحيط بك، أما إن أهْمَلْتَ ما أنت عليه قادِر في هذه الدائرة أوْكَلَكَ الله إلى القِوى الشِّريرَة المُحيطة بك، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد]

هذه الآية أيها الإخوة الكرام تَحُلّ مليون مُشكلة، أنت بِبَحْبوحة ومُرْتاح لِهذا الدَّخل، إنَّ هذا الدَّخل لن ينقص إذا أدَّيْتَ زَكَاةَ مالِك، وتتواضَع وتُعين الفقراء والمساكين ؛ فالله أكرم مِن ذلك، وكذا الأمر إن كُنتَ مَزْعوجًا مِن مسألة اِبْحَث عن المعاصي، لن تتغيَّر الحالة إلا بالاسْتِقامة والتَّوبة، فالآية لها معْنيان مُتَعاكِسان: إذا كنت في بَحبوحة إن لم تُغَيِّر فالله لن يُغَيِّر، وإذا كنتَ في ضيق إن لم تُغَيِّر فالله لن يُغَيِّر، فكلمة: ما بِقَوم هي الظروف القاهِرَة التي لا تمْلِكُها، فأنت لا تمْلِك أن تكون بِصِحَّةٍ جيِّدَة طول الحياة، وأنَّ القلب يعمل بِشَكل منتَظم وكذا الكلية والكبد، والفيروسات، فأنت لا تملِك لا الصِّحة ولا الدَّخل ولا الخُصوم، ولا الأقوِياء ؛ فهذه أمطار صاعقة حطَّمَت مستودعات النَّقل، وصاعقة أخرى أسالت النِّفط فأحْرَقَ قريَةً كاملة ! وهل تملك بناية خمسون طابق لا تتحطَّم في ثانية من الزمن بِزِلزال ؟ صاعِقَة وزلزال وبركان وفيَضَان، وحروب أهْلِيَّة، فأنت لا تمْلك شيئًا، إنَّما تملك نفسَك وبيْتك وأهلك، فما عليك إلا أن تُغَيِّر هذا والباقي ليس عليك، فهذه الآية أيها الإخوة، تَحُلّ مليون مشكلة.

لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم....المخيط.." آخر فقرة بالحديث والمهمَّة:

((فمن وجَدَ خيرًا فليَحْمد الله، ومن وجدَ غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه))

فالمُختصر المفيد ؛ إذا كنت مُرتاحًا لا تُغَيِّر لا يُغَيِّر، وإذا كنت مَزعوج غيِّر يُغَيِّر.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-7) : تفسير الآية 18

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون، الآية الثامنة عشرة من سورة الرعد وهي قوله تعالى:

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾

[سورة الرعد]

الاستِجابة لله عز وجل الانْصِياع لأمْرِهِ، والتوبة له، وطاعته، وفتْحُ صفْحةٍ جديدة معه، والإنابة إليه، والتَّوَكُّل عليه، فالله تعالى دعانا فاسْتَجَبْنا، والله عز وجل يقول:

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾

[سورة الرعد]

أمَرَكَ بِغَضِّ البَصَر فغَضَضْتَهُ، معنى هذا أنَّك اسْتَجَبْتَ، اِدْفَعْ زكاة مالِك، وانْصِف الناس فزكَّيْتَ وأنْصَفْت ؛ هذه هي الاسْتِجابَة، كُنْ عفيفًا ومُنْصِفًا ومُحْسِنًا ورحيمًا، وأدِّ الصلوات الخمس، وغضّ بصرَك، وحرِّرْ دَخْلَك أنْفِق مالك في الوجه الصحيح ؛ كل هذا يعني أنَّك اسْتَجَبْتَ.

المُطْلَق على إطْلاقِهِ، ماذا يعني الحُسنى ؟ حُسْنى في صِحَّتك وزواجِك وحُسنى في عملك، هناك فندق في ألمانيا خمس نُجوم ذكر لي أخ نام في هذا الفندق مَكتوب على لَوْحَة: إذا تَقَلَّبْتَ بالليل، وأصابك الأرق فالعِلَّة ليْسَت في السرير ولكن فيك ! الحُسنى سلامة مع نفْسِك، يمكن أن تصل إلى أكبر مرتبة اجْتِماعِيَّة، وإلى أكبر دَخْل، ولكنّ هذا الدَّخْل مَبني على إنقاذ الآخرين، وعلى الكذب والغِشّ والاخْتِيال، الذي له حساسِيَّة لا يرْتاح، المؤمن العاقل يطلب السلامة لِنَفْسِه، إذْ يُمكن أن يكون إنسان لا يكذب ودخلهُ حلال، وهو عند الناس بالدَّرجة الدنيا ولكنَّه عند الله تعالى في أعلى عِلِيِّين، دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فقال عليه الصلاة والسلام:

((أهلاً بِمَن خبَّرني جبريل بِقدومه ! فقال هذا الصحابي: أَوَ مِثْلي ! قال: نعم، أنت خامِل في الأرض علم في السماء...))

يجوز أن يكون ضارب آلة كاتبة، والمدير له ثمانية تلفونات، وسِكْرتارْيا، ومكتب طوله ثمانية أمتار وقد يكون هذا الخادم أفضل منه عند الله، التقوى ترفع الإنسان، لذلك قال تعالى:

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾

[سورة الرعد]

وعظمة القرآن أنّ المطلَق على إطْلاقِهِ، حُسنى في أسْرته، وحُسنى في عملِهِ، وحُسنى في صِحَّتِه، وحتى في مماتِه، فقد كنتُ في تَعْزِيَة، وإلى جانبي كان أحد عُلماء دمشق الأكارم ؛ وله دعوة، خرج من بيْت التَّعْزِيَة، وما إن خرَجَ من بيت التَّعْزِيَة حتى رآهُ رجل، فقال له: هل لي أن أوصِلَكَ إلى البيت ؟! وكان هذا الشَّخص بيتُهُ إلى جانب بيت التَّعْزِيَة، فأوْصَلَهُ ونزل هذا العالِم من السيارة، وصَعِد أربعة طوابق نزع ثيابه وتسطَّح على فِراشِهِ، وقُبِضَتْ روحُهُ، فالله سخَّر إنسانًا يوصِلُهُ إلى بيتِه ويموت فيها مرتاحًا، ولا يموت كما يموت البعض شرّ موتة، فأحيانًا يموت الإنسان بالطريق ويبقى بها خمس ساعات حتى يؤخَذ، وهناك من يموت بالمرحاض، كما أنّ هناك من يموت وهو ساجِد، وهناك من يموت في الحج، وكذا الحسنى بالآخرة:

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾

[سورة الرعد]

أيْ كيفَما تحرَّكْت يكْرِمُكَ الله، ولهذا قال العلماء: هناك أمَّة الاسْتِجابة، وهناك أمَّة التَّبليغ، فأُمَّة الاسْتِجابة الذين اسْتَجابوا لِرَبِّهم، وأمَّة التَّبليغ هم الذين يولدون مسلمين بِحُكم أنَّ أوْلِياءهم مسلمين، فكلمة مسلم بالهَوِيَّة لا تُقَدِّم ولا تؤخِّر، أمَّة التبليغ إذا كنت منها لا ميّزَة لك، ولكنّ الميّزة أن تكون من الذين استجابوا ؛ اسْمعوا لهذه الآية:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة الأنفال]

عندنا بِأصول الفقه قواعِد كُليَّة، عندنا المعنى والمعنى المُخالِف العكسي يعني، فإذا الواحِد ما اسْتَجاب فَمَن هو ؟ ميّت، والله تعالى قال:

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ(22)﴾

[سورة فاطر]

وقال تعالى:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(21)﴾

[سورة النحل]

فالطبيب إذا فحص مُصابًا على الأرض ورأى أنَّ النَّبْض معدوم، وكذا التَّنفس والاسْتِجابة منعدمة، معنى هذا أنّ المُصاب مُنْتَه، قال لي فلان: فلانة سافرة ومُتَبَرِّجة ومات زوْجُها، ومُوَظَّفة فكيف العدَّة بالنِّسبة لها ؟! فقلتُ له: هذه لا عُدَّة لها، لا صلاة ولا صوم ؛ هذه مُنعدِمَة، قال تعالى:

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾

[سورة الرعد]

فالاستِجابة حياة، والإنسان إذا بدأ يُصَلِّي، وغضَّ بصره، وينفق ماله فهذا دليل الحياة، وأنَّ فيه نبْض ! أما أن تجعل القرآن للموتى فقط فهذا جَهل، مَن دخل الأربعين فقد دَخَل أسواق الآخرة، تجده لا يدخل المنزل إلا ليلاً، أين كنت ؟!

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾

[سورة الرعد]

لم يُزَكِّ ماله، ولم ينفق، وما غضَّ بصره، وما عَدَل، وما حرَّر دَخْلَهُ، قال تعالى:

﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾

[سورة الرعد]

إذا كان الواحد له محلّ بالحمراء ؛ يقول لك: المتر بمائة وخمسون ألف ! لو أنَّ لك الشام كلّها، وكل شركات الطيران، وكل النَّفط لك، ثمّ قال تعالى:

﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (18)﴾

[سورة الرعد]

أحيانًا يُكتب بالجريدة ثلاث كلمات: أنَّنا سَنَسْتَوْرِد سيارات، تجد في اليوم التالي أنَّ أسعار السيارات نزَلَت إلى مائتان ألف ليرة ! إذا إنسان صرَّح تتغيَّر كل أسعار البلد، وهذا إله يقول لك: لو تَمْلِك كلّ الدنيا وكل الأسواق والشركات ؛ هناك شركات ضَخمة جدًا كما في اليابان تجد الفائض من الشركات الملايير، الله تعالى:

﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾

[سورة الرعد]

أي خلِّصوني وخُذوا كلّ شيء، لن يتخلَّص إنسان، هذا كلام إله وخالق الكون، قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (18)﴾

[سورة الرعد]

قال تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

[سورة الزلزلة]

فهذه الآية تكفينا:

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (18)﴾

[سورة الرعد]

فالكافر يستعِد أن يدْفع كلّ شيء ويتدَيَّن من أجل أن ينفذ من سوء الحِساب ! قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجر]

لماذا أعْطَيْتَ ؟ ولماذا مَنَعْتَ ؟ ولماذا طلَّقْت ؟ ولماذا صافَحْتَ ؟ والآن نحن في بَحْبوحة، ومادامت هناك حركة بالقلب، فباب التَّوبة مَفتوح، مُشكلة الإيمان أنَّ الخِيار ليس قبولِ أو رفْض، قال تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(88)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(89)﴾

[سورة الشعراء]

ففِرْعَون آمن بعد فوات الأوان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-7) : تفسير الآيات 19 - 24

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون، الآية التاسعة عشرة من سورة الرعد، وهي قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20)﴾

[سورة الرعد]

وصَفَ الله لنا أولوا الألباب، لا إيمان لِمَن لا أمانة له، ولا دين لِمَن لا عَهْد له، ويُطْبَعُ المؤمن على الخِلال كلّها إلا الخِيانَة والكذب، فإذا خانَ أو كذب، إنَّ أطْيَب الكَسب كَسب التُّجار كما ورد في الأثر ؛ الذين إن حدَّثوا لم يكذبوا، وإن وَعَدوا لم يُخْلِفوا، وإذا ائتُمِنوا لم يخونوا، وإذا اشْتَروا لم يَذُمُّوا، وإذا باعوا لم يُطْرِوا، وإذا كان لهم لم يُعَسِّروا، وإذا كان عليهم لم يُنْقِذوا، فالدِّين صِدْقٌ وأمانة ووفاء بالعَهْد، لا إيمان لِمَن لا أمانة له، ولا دين لِمَن لا عَهْد له وهؤلاء أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ؛ شخص اشْترى بيت بِمَساكن دُمَر، فقال له صاحبها: البيت بثلاثمائة ألف ليرة الحاصل أنّ البائع جاءه من دفع له أكثر من هذا المبلغ، فلم يرضَ بيْعَهُ مِن أجل أنَّ وعد وسلَّم البيت، فلما جاء هذا الشّخص ؛ قال له: هل جاءك مَن أعطاك أكثر مِنّي ؟ فقال البائِع: نعم، ولكنَّني لا أبيعُ ديني مِن أجل مبلغٍ بخْس من الدنيا ! فأُعْجِب هذا الشخص بِعَهد هذا البائِع، ولم تمْض أيام حتَّى طلبت الجمعيات السَّكَنِيَّة من البائِعين دَفْع مبلغًا ماليًا كبيرًا ؛ فَدَفَعَ المُشتري هذا المبلغ دون أن يُعْلِم البائِع !!

فهذه المُعاملات النادرة تُثلِجُ الصَّدْر، وإذا نظرنا إلى الخيانات التي تكون بين الناس تجعل القلب يضيق، فلو أنّ الإيمان عَشْعش قلوبنا لَعِشْنا في جنَّة، سبعمائة ألف بيت مُغْلَق في دمشق، فلو كان هناك ثقة وعَهْد لما غُلِقَتْ، وحتى قالوا: ليس هناك أزْمَة سَكَن، ولكن أزْمَة إسْكان ! فأزْمة سكَن يعني لا توجَد بُيوت، أما أزْمة إسْكان يعني لا توجَد ثِقَة، إذًا لا إيمان لِمَن لا أمانة له، ولا دين لِمَن لا عَهْد له، والمؤمن يُنْفِذ وعْدهُ ولو على قَطْعِ رأسِهِ، أحد الصحابة قبل الهِجْرة أُلْقِيَ عليه القَبْض من قِبَل الكفار فقال لهم: أطْلِقوا صراحي وأُعاهِدُكم على أن لا أُقاتِلَكُم ! فجاءَت الغزْوَة فلما أراد أن يُقاتِل قال له النبي عليه الصلاة والسلام:

((اِرْجِع ألم تُعاهِدهم أن لا تُقاتِلَهُم))

لذلك إذا عامَلْتَ مؤْمِنًا تشْعر أنَّ كلمته أثقل شهادة أحد.

قال تعالى :

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21)﴾

[سورة الرعد]

هذه صِفات أولي الألباب، يَصِلون ما أمرَ به الله أن يوصَل، يَصِلُ رحِمَهُ والمؤمنين وإخوانهُ، أما الكفار والفجار والعُصاة، هؤلاء ينبغي أن تبتعِدَ عنهم، ولكنَّ الذي يَحْصَل أنَّ الإنسان يبْحث عن مصالِحِهِ ؛ يَصِلُ أهل الدنيا ويَقْطعُ أهْل الحقّ، ويُؤْثِر مجالس الطَّرَب على مجالس العِلْم، إذًا قُلْ لي مَن تَصِلُ ومَن تَقْطَعُ أقول لك مَن أنت ؟ تؤثِر ماذا ؟ أما المؤمن فَيَصِلُ أهْل الحق، ويصِلُ المؤمنين وأهل الحق، وغير المؤمن يَصِل الأقوِياء ومَن عندهم الجاه.

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21)﴾

[سورة الرعد]

ساعة الحِساب نافِذة بين يَدَيْه وعَيْنَيْهِ ولا تغيب عنه لَحْظة، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22)﴾

[سورة الرعد]

كما قلتُ لكم في درسٍ سابِق صَبْرٌ على الطاعة، وصبْر عن المَعْصِيَة وصَبْرٌ على أمر الله وقضاء الله، قد تصبر على إنسانٍ قهَرَكَ، هذا ليس لِوَجْه الله، أما الذي لِوَجه الله أن تكون أنت القويّ والطرف الآخر ضعيف، صَبَرْتَ على زوْجَتِك وأولادِك ؛ هذه هي البُطولة، أما القوي فَكُل الناس يصبرون لأنَّك لا تستطيع أن تتنفَّس معه، فالصَّبر الحقيقي أن تصبر عمَّن هو دونك.

شدَّ أعرابي النبي عليه الصلاة والسلام من ثوبه...فهذا المال ليس مالك ولا مال أبيك...." هذا هو الصَّبر، قال تعالى: وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ...علانية " فمثلاً الإنسان يتجبَّر عمَّن هم دونه في الوظيفة، وأمام مُديره تجده كالطِّفل ! إذا لم تَقْدِر على القويّ، فارْحَم الضعيف، أما مع الضعيف مُتَجَبِّر ومع القوي كالطِّفل فهذا موقف مُتناقض ولا أخلاقي، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22)﴾

[سورة الرعد]

كلمة ومما رزقناهم عامَّة ؛ أعطاك مال أنْفِقِ المال، وأعطاك علم أنْفِقِ العِلْم، فلو وضَعَ أخ عندك ابنه لِيَتَعَلَّم مَصْلحة واسْتَخْدَمْتَهُ لِمَصالِحِك الخاصَّة ولم تُعَلِّمْهُ المَصْحلة، فالله كبير، فالمؤمن يُعطي من مالهِ وعِلْمِهِ وجاهِهِ وخِبْرَتِهِ ومن كل شيء، فالآية واضِحَة ينفق سِرًّا وعلانِيَة، فإذا هو أنْفَقَ علانِيَةً لِيُشَجِّعَ الناس، وخاف الرِّياء أنْفَقَ سِرًّا، وكل واحِدٍ حكيم نفسِهِ فالضابِط هو النيَّة.

قال تعالى:

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22)﴾

[سورة الرعد]

الإنسان يغلط لكنَّ الله تعالى مِن كريم رحْمته قال لك: إذا غلطْت اصْنع المعروف فإنَّ الحسنات يُذْهِبن السيِّئات، كلَّما شَعَرْتَ بِعَلاقة سيِّئة مع والدَيك أو أقارِبِك أو إخوانِك قدِّم لهم الهديَّة وبادِرْهم بالحسنى واسْتَرْضِهِ، وإذا لم يكن معك اِقرأ القرآن، صُم، اِسْتَغْفِر ، قدِّم مَعونتَك.

ثمَّ قال تعالى:

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23)﴾

[سورة الرعد]

مِن كل بابٍ مِن أبواب الخير، هناك المنفقون والدعاة إلى الله والذين أمروا بالمعروف ونهَوا عن المنكر، والذين تركوا عِلْمًا ينتَفَعُ به من بعدهم، والذين أسَّسوا مشاريع خَيْرِيَّة ؛ كل هذه أبواب خَيْرِيَّة، قال تعالى:

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24)﴾

[سورة الرعد]

هؤلاء هم أولوا الألباب ؛ يوفون بِعَهْد الله، و:

﴿يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾

فالأمْر واضِح، وهذه صِفات المؤمنين، لا تعيش بالأحلام الدِّين يُسر، ولا تَشْديد في ديننا، ولا يوجد أمر تَعْجيزي، ألا تستطيع أن تفْعَل عوض السيِّئة حسَنَة، إن فَعَلْت كنتَ مِن أهل الألباب.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-7) : تفسير الآية 25

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون، فالآية الخامسة والعشرون من سورة الرعد، وهي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25)﴾

[سورة الرعد]

اللَّعْنُ هو الإبْعاد، أكبر عِقابٍ يُعاقَب به الإنسان أن يطْرَدَهُ من رحْمتِه تعالى، فَمَعنى أن يلْعَنَهُ أيْ يطْرُدَهُ فاللَّعْنُ هو الطَّرْد.

قد يُعْطيك الله المال كما تشاء، ويُعطيك القوَّة كما يشاء، والجمال والذَّكاء والشَّأن، ولكنْ يطردهُ من رحمتِهِ ! يا رب، ماذا فَقَدَ مَن وَجَدَك ؟ وماذا وَجَدَ مَن فقدَك ؟ والمصير: لهم سوء الدار، ماذا يَفْعَلُ هؤلاء ؟ قال: ينقضون عهْد الله من بعد ميثاقِه ! أحدهم قال لِصَديقِهِ وكان تاجِر عَمار: هل عندَكَ بيت ؟ فقال له هذا: أنا لا أُؤجِّر ولكن أبيع، فهذا الطالب قال له: والله، إن أرَدْتَ البيت أُسَلِّمُهُ لك بعد أربعٍ وعِشرين ساعة ! فبعد إلْحاحٍ سلَّمَهُ هذا الأخ البيت، والقِصَّة قديمة سكَنَ هذا فيه ثماني سَنَوات، فجاء زبون بِثَماني مائة ألف ؛ فدَقَّ بابهُ وقال له: أنت وَعَدْتني أنَّك تخرج بعد أرْبَعٍ وعشرين ساعة، وأنا أعْطيك ستَّة أشْهر، فقال هذا الأخ: أنا قلتُ لك أربعًا وعشرين ساعة!

فهذا لم يُصَدِّق كلامهُ، وكذا الجيران، سألوا عنه ؛ أين هو ؟ قالوا بالفندق، باع أثاثهُ !! ذهب إليه وقال له: هذا البيت لك وسأبيعُكهُ بِسِعر يوم سَكَنْتَهُ، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ألا لا إيمان لِمَن لا أمانة له، ولا دين لِمَن لا عهْد له...."))

أنا قلتُ لكم: أزْمَتُنا أزْمة إسكان وليس سَكَن ! لا يوجد هناك ثِقَة ؛ قال تعالى:

﴿ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾

أحْيانًا يطوف الإنسان حول الكعبة ويُعاهِد الله على أن لا يعصِيَهُ فإذا وصل إلى الشام ؛ رَجَعَتْ حليمة إلى عادَتِها القديمة ! غِشّ بالبيع، وأيمان كاذِبَة.

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾

[سورة الرعد]

شَخص عادي تائِه شارِد، دخل المَسْجد فإذا بالناس يقولون له: ما لك والمَسْجِد، ولِمَ الصلاة ؟!! لماً كان تائِهًا لم يسأل عنه أحد فإذا تاب عارَضَتْ شياطين الإنس ؛ هذا موقف لا أخلاقي، المؤمن يصل ولا يقْطع، أما غيره الطَّعْن والحسَد وتَفْنيد، دِقَّة الآية:

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾

الله أمَرَك بِوَصْل والِدَتِك، تقول لك زوْجتُك: لا تَصِل أمَّك ! لماذا ؟ ألم يأمرني الله بوَصْلها ؟! والنبي سُئِل: مَن أعظم الرِّجال حقًّا على المرأة ؟ قال: زوْجُها، فلمَّا سُئِل ؛ مَن أعظم النِّساء حقًّا على الرجل ؟ قال: أمُّه، ولم يقل زوْجتُهُ، فَمَن منَعَك أن تصِل والِدَيك فلا تردّ عليه وأيُّ إنسانٍ أمَرَكَ أن توقِعَ بين الناس فهذا يقْطع ما أمر به أن يوصَل والنبي الكريم قال:

((ليس مِنَّا من فرَّق..."))

وبالمناسبة أيها الأخوة الدعاة إلى الله صِنفان: دُعاة إلى الله، ودُعاةٌ إلى ذواتِهم بِدَعوة مُغَلَّفَة إلى الله، فَمِن لوازِم الدَّعوة إلى الذات الحسَد والتنافس والطَّعن وعدم الإنصاف، ومِن لوازم الدعوة إلى الله الاتِّباع والتَّعاوُن والإنصاف والاعْتِراف بالفَضْل، فينبغي أن يكون الدعاة يدًا واحِدة مُتَعاوِنين ومُتَفاهمين، أما الطَّعْن والتَّجريح، والتَّقليل مِن أهَمِيَّة الآخرين مِن أجل أن تبْرز وحْدَك، فهذا ليس من الدِّين في شيء، والآية دقيقة جدًا

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾

[سورة الرعد]

إما أنَّهُ عاهَدَ الله أو أشْهَدَ الله على شيء فإذا أشْهَدْتَهُ على شيء فينبغي أن تُنَفِّذ العَهْد، لذلك المؤمن يُنَفِّذ وَعْدَهُ ولو كان مُرًّا.

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾

[سورة الرعد]

فالله أمرَكَ بِوَصْل أقْربائِك، وَصْل حِكم، ووصْل العلماء، وحُضور مَجالس العِلْم فَكُلّ مَن نهاك عن شيء أمَرَك الله به فتُطَبَّقُ عليه هذه الآية.

قال تعالى:

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾

[سورة الرعد]

فالماء مثلاً لو وَضَعْت فيه قطرة نفط أو غسَلْتَ فيه يدك أو مَحْرَمَة أصبحَ فاسِدًا، فالإفْساد إخْراج الشيء عن طبيعَتِهِ، فالله عز وجل جَعَلَ المَوَدَّة والرحمة بين الزّوْج وزَوْجته فيكفي أن تقول لأُخْتِك: جاء العيد ولم يُهْدِكِ شيئًا ! أهذا زَوج ؟! فأنت خَرَبْتَ بيْت أُخْتِك، وأَفْسَدْتَ العلاقة بينها وبين زوْجِها، فكلَّما تريد أن تُنقِص من أزواج أختك أو بنتك، حتى تصبح العلاقة بينهم سيّئَة فهذا مُفْسِد، فالإفْساد إما علاقات أو إفْساد البيئة، بنْتٌ طاهرة وتقِيَّة تُفْسِدُها قدَّم له ستلايتْ ! أحدهم تزوَّجَت بنته وبعد الزواج قدَّم لها ستلايْت فأصبَحتْ لا تعتني به، وتسْهر للساعة الثانية ليلاً، وكذا الحال في زوجها.

فهذه ثلاث صِفات ؛ ينقضون عهْد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصَل، ويُفْسِدون في الأرض، فلو كنت تَسكن في بيت ضَخم، فلماذا تقول لِغَيرِك: هل هذا بيت تسْكنهُ ؟! لماذا تَطعن بِبَيْت أخيه؟! أو تقول لأختك كيف يمكنك أن تعيشي مع زوْجك ؟ فهذا كيفما تحرَّك أفْسَد ! إما أن يُخبِّب امرأةً على زوْجِها، أو عَبْدًا على مَوْلاه، أو يُفْسِد العلاقات والأجوَاء، أو يُلْقي بُذور الحسَد والعَدَاوَة والبَغْضاء، لذا نَعوذ بالله أن نكون من المُفْسِدين.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11)﴾

[سورة البقرة]

هذا هو الإفساد، والشيء الثاني أن تقطعَ ما أمَرَ به الله أن يوصَل، يجد أخاه الْتَزَم عند داعِيَة فيقول له: لا تلتزِم معه فهذا لا يعْرِف شيئًا ! لقد رأيتَهُ طوال حياته في الشَّهوات فما كلَّمْتَهُ، وحينما رأيْتَهُ أراد الالْتِزام أردْتَ أن تُعَكِّر عليه أجواء الدِّين !! كُنْ أداة جَمْعٍ لا أداة تَفْريق، وأداة إصْلاح لا أداة إفْساد.

فالأولى ينقضون عهْد الله من بعد ميثاقه، والثانية يقطعون ما أمر الله به أن يوصَل، والثالثة يُفْسِدون في الأرض، اِسْمعِ العِقاب الآن قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾

[سورة الرعد]

مَلْعون ومَقطوع عن الله، وقلبهُ مُتَصحِّر وإذا جالَسْتَهُ تضايَقْت، كلُّهُ إساءة ونقد وكلام قاسي وبذيء.

قال تعالى عن هؤلاء:

﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25)﴾

[سورة الرعد]

فالقضِيَّة خطيرة جدًا، أحد الصحابة قال: أو نُؤاخذ بما نقول ؟ قال: **ويحك...**" قبل أن تتكلَّم الكلمة عُدَّ للمليون، ولو بالإشارة فهذه غَ ْبَتة:

((إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً...".))

وقد قالت عائشة عن أختها صفِيَّة أنَّها قصيرة..." المياه السوداء بالبِحار تمشي خمسين كيلومتر، ومع ذلك البحر ماؤُهُ طويل، هذِّب لِسانَك واضْبُطْهُ وإلا تهوي بِكَلامِك سبعين خريفًا، فهذه ثلاث صِفات فالأولى ينقضون عهْد الله من بعد ميثاقه، والثانية يقطعون ما أمر الله به أن يوصَل، والثالثة يُفْسِدون في الأرض، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25)﴾

[سورة الرعد]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6–7) : تفسير الآية 26

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون، فالآية السادسة والعشرون من سورة الرعد، وهي قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26)﴾

[سورة الرعد]

لو أنَّ الله تعالى قال: يبسط الله الرزق لِمَن يشاء ويقدِر، وهذا الكلام يعني أنَّ الرزق من عند الله ومن عند غيرِه، أما حينما قال الله عز وجل:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26)﴾

[سورة الرعد]

تَقْديم لفْظ الجلالة يُفيد القَصْر والحَصْر فالله وحده الذي يبسط الرِّزْق ويمْنعهُ، والإنسان عنده في حياتِهِ شيئين خطيرين ؛ حياتُهُ ورِزْقُه، فحياتُكَ بِيَدِهِ وموتك بِيَدِهِ، ورِزْقُكَ بِيَدِهِ كثرةً وقلَّة، فماذا بَقِيَ للبشر ؟ إذا أيْقَنْتَ أنّ حياتَكَ بِيَدِهِ، وأنَّ الرزق بِيَدِهِ وأنَّ كلمة الحق لا تقطعُ رِزْقًا ولا تُقَرِّب أجلاً.

الله عز وجل يبسط الرزق لِمَن يشاء، لكن مشيئة الله عز وجل مُتَعَلِّقَة بالحِكْمة المُطْلَقَة ؛ فهُوَ تعالى يبْسُطُ الرِّزق لِمَن يستقيم على شرْعِهِ قال تعالى:

﴿وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(16)﴾

(سورة الجن)

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(96)﴾

[سورة الأعراف]

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ(66)﴾

[سورة المائدة]

فهذه الآية:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26)﴾

[سورة الرعد]

هذه آية مُجْمَلَة ومُفَصَّلة بآياتٍ كثيرة.

قال تعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى(132)﴾

[سورة طه]

معنى ذلك أنَّ البيت المُسلِم الذي تُقامُ فيه الصلاة ويأمر الأب أهله بالصلاة هذا البيت مَرْزوق، فهذا عامِلٌ للرِّزق، عامِلٌ آخر ؛ قال عليه الصلاة والسلام:

((الأمانة غِنًى...))

فالأمين غَنِيّ، ومعه أكبر رأس مال، وهو الثِّقَة به، والناس يتهافتون عليه، فالاسْتِقامة والأمانة تزيدان في الرِّزق، و يقول عليه الصلاة والسلام:

((صلة الرحم تزيد في الرزق...))

فالذي له أخوات إناث أو ذُكور، أولاد أخ أو أخت تفقَّدَهم وأعانهم ؛ فهذا إنسان مَرْزوق.

قال تعالى:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(10)يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(11)وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا(12)﴾

[سورة نوح]

معنى ذلك أنّ هذا الذي يسْتغفِر ويتوب ويُحاسِب نفسه، ويُصلي ويقرأ القرآن فهذا يجْلب الرِّزق، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((اسْتمطِر والرزق بالصدقة...))

فالذي يتصَدَّق يجْلب لِنَفْسِه الرِّزق، إذاً الاستقامة والأمانة والصدقة وصلة الرحم ؛ هذه كُلُّها تزيد الرزق، فحينما يقول الله: الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.." مشيئتُهُ وِفْق حِكْمةٍ مُطْلَقة؛ فالمُستقيم يرْزقُهُ الله، وفي الأثر:

((قد يُحْرَمُ المرء بعض الرِّزْق بالمَعْصِيَة !))

فالمَحَلاَّت إذا صارَتْ أماكن الغَزَل والمُحادَثَة ومعْصِيَة الله، فهذا المحلّ يُمْحَق الرِّزْق فيه.

المعْصِيَة تقْطع الرِّزق، والاسْتِقامة تجْلبُهُ، صلةُ الرحم تجْلبهُ، وقطيعة الرحم تقطع، وكذا الأمانة والخِيانة ؛ وأحيانًا إتْقان العَمَل يجْلب الرِّزق، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((إنَّ الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنَهُ...))

لكنَّ الله تعالى يعلم ما تخفي الأنفس، فهناك من يسْتقيم في الضيق، ويفلت في الرخاء، هؤلاء بِعِلْم الله يُعطيهِ رِزْق مَحْدود، والدليل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ(27)﴾

[سورة الشورى]

فالرِّزق في بعض عواملِهِ مُتَعَلِّق بِحِكمة الله ؛ إنّ من عبادي من لا يصلحُ له إلا الغِنى فإذا أفْقَرْتُهُ أفْسَدْتُ عليه دينَهُ، وإنَّ مِن عِبادي مَن لا يصلحُ له إلا الفقْر فإذا أغنَيْتُهُ أفْسَدْتُ عليه دينهُ.

نُلَخِّص الموضوع ؛ الاستِقامة والاستِغفار والأمانة وصلة الرحم والصلاة هي عوامل زِيادة الرِّزق، وحينما تتوفَّر كل هذه الحالات ويبقى الرِّزق مَحْدودًا فهُناك حِكْمَةٌ لو كُشِفَ الغِطاء لاخْتَرتم الواقِع، قال تعالى

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ(101)﴾

[سورة المائدة]

وليس بالإمكان أبدعُ مِمَّا كان، فالله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر، لكن هناك ناحِيَة مهمَّة جدًا ؛ قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي(15)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي(16)كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾

[سورة الفجر]

ماذا تعني كلاَّ ؟! هي ليْسَت حرف نَفْي، إنمَّا حرف رَدْع، فلو قلتُ لك: هل أنت جائع ؟ تقول لي: لا، ولكن إن قلتُ لك هل أنت سارق: فتقول لي: كلاَّ ترْدَعُني، فالله عز وجل يقول لنا ردْعًا ليس عطائي لكم إكرامًا وليس مَنْعي لكم حِرْمانًا ! عطائي ابتِلاء وحِرْماني دواء، فإذا كان الرزق قليل لا تشْعر أنَّك مُهان ! هذا غلَط، فلو أنّ الأب كان رحيمًا ومنَعَ ابنه مِن تناوُل أكلةٍ يُحِبُّها مِن أجل أنَّه مريض فهل هذه إهانَة للابن ؟! لا فالله تعالى يَحمي عبدَهُ المؤمن من الدنيا كما يَحمي أحدكم مريضه من الطعام، فالله تعالى: فأما الإنسان إذا فأكرمه: هذا ليس إكرام بل ابتِلاء، ثمّ قال تعالى:

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي(16)كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾

[سورة الفجر]

وليس كذلك هذا مَنعًا.

آخر نقطة بالدرس ؛ الله تعالى أعْطاكَ مالاً، فهل يُسَمَّى هذا المال نِعْمَةً ؟ الجواب: لا يُسَمَّى هذا المال نِعْمةً، ولا نِقْمة، فهُوَ حِيادي وهو ابْتِلاء فإذا أنْفَقْتَهُ في طاعة الله انْقَلَبَ إلى نِعْمة، وإذا أنْفَقْتَهُ في مَعْصِيَة الله انْقَلَبَ إلى نِقْمة، فَعَطاء الله ابْتِلاء وليس إكرامًا لكن بعد أن يُعْطِيَكَ المال أو الصِحَّة أو الجمال وتُوَظِّفُ هذا في طاعة الله تنقلبُ هذه النِّعَم إلى إكرام، وكذا لو حرَمَ الله عبدهُ من الدنيا، وكان هذا سببًا لإقبال العبد على طاعة الله، هذا الحِرْمان ينقلب إلى عَطاء، فَرُبَّما كان المَنْعُ عَيْن العَطاء، وربَّما كان العطاء عَين الحرمان، فهذا المعنى يرفع معنويَّات المؤمنين، فإذا أراد الله أن يجعلَكَ ذا دَخْلٍ مَحدود فهذه حكمة ما بعدها حِكْمة، ولو كُشِفَ الغِطاء لاخْتَرْتُم الواقِع.

أيها الإخوة، يقول سيدنا علي رضي الله عنه: **الغِنى والفقْر بعض العَرْض على الله**، ولا يُسَمَّى الغنِيّ غنيًا ولا الفقير فقيرًا، إنَّما الغِنى الحقيقي بعد العَرْض على الله، قال تعالى:

﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

[سورة آل عمران]

قال تعالى:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26)﴾

[سورة الرعد]

ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيط إذا غُمِسَ في مياه البحر ! والمؤمن ينتقل من ضيق الدنيا إلى سَعَة الآخرة كما ينتقل الجنين من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا، لذلك الآخرة هي الحياة الحقيقيَّة، قال تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى(23)يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي(24)فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ(25)وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾

[سورة الفجر]

كلمة الحق لا تقطع رِزْقًا ولا تُقرِّب أجلاً، وهذا هو التوحيد، والضامِن هو الله تعالى، قال تعالى:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(123)﴾

[سورة هود]

الأمر مُعَرَّف بأل وهي للاسْتِغراق، ولا طاعة لِمَخلوق في معْصِيَة الخالق.

الذي أراد أن يزيد رِزْقهُ عليه بالاسْتِغفار والاستِقامة والأمانة والصلاة والإتْقان وهي عوامل زيادة الرزق، فإذا اجْتَمَعَت هذه العوامل ولم يرزق فهناك حكمة ما بعدها حكمة ولو كُشف لك الغطاء لَذُبْت كما تذوب الشَّمْعة، لذلك قال تعالى:

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(10)﴾

[سورة يونس]

فلو ضربك إنسان من أجل مَصْلحَتِك لرُبِّما كان هناك عقرَبًا فأبْعَدَك عُنُقًا كي لا يلْدَغَكَ فهل تغضب منه ؟!

لا، بل تشْكرهُ، قال تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(216)﴾

[سورة البقرة]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-7) : تفسير الآية 31

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون، فالآية الواحدة والثلاثون من سورة الرعد، وهي قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآَناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31)﴾

(سورة الرعد)

هذه الآية أيها الأخوة بالِغَة الدِّقَّة، وهي مُتَعَلِّقَة بِأصل العقيدة ؛ مَضمون هذه الآية أنَّ هذا الكون بِوَضْعِهِ الراهِن هو مُعْجِزَة وليس خلقُ قوانينِهِ هو المُعْجِزَة، مَن لم يرَ عظمة الله عز وجل في الشمس والقمر، ومن الليل والنهار، ومِن خلق الإنسان، ومِن المطر في السماء، ومن إنبات النبات، والسمك في البِحار، والطيور في الأجْواء، مَن لم يرَ عظمة الخَلْق مِن خِلال الخَلْق فهذا لا يُقْنِعُهُ خرق القوانين، فهذه الأمور لِضِعاف العُقول، فالله تعالى يقول:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآَناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾

[سورة الرعد]

قرأْنا آية فَمَشى الجَبَل، قال تعالى:

﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾

[سورة الرعد]

وقرأنا آية ثانِيَة فَوصَلْنا إلى الصِّين في دقيقة، قال تعالى:

﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾

[سورة الرعد]

أو اسْتيقَظ الميّت وجعل يُكَلِّمُنا، كلّ هذا خرْق للقوانين، فلو أنَّ القرآن الذي نزل على النبي عليه الصلاة والسلام قُطِّعت به الأرض أو سيِّرَت به الجبال أو كلِّم به الموتى، إذا لم يُرِد الإنسان أن يَهتدي – فالهِداية قرار داخِلي يتَّخِذُهُ الإنسان في أعْماق نفسِهِ، فإذا أراد أن يَهْتدِيَ إلى الله فأَصْغَر شيءٍ يهديه إلى الله ! أما إن أعْرَض عن الهِدايَة فلو عاشَ مع النبي عليه الصلاة والسلام كتِفًا بِكَتِف، ورآهُ رأْيَ العَيْن، وقرأ القرآن فمَشَتْ الجِبال، وقطع الأرض، وكُلِّم به الموتى، فخَرْق القوانين لا يمكن أن يُقْنِعَ إنسانًا بالهُدى، الكون بِوَضْعِهِ الراهِن يكْفي، فالإنسان حينما يولد، لو أمْعنَ النَّظر ! يُخَلَّق الإنسان مِن حُوَين مَنَوي ومن بُوَيْضَة، والعِلْم أثْبَتَ أنَّ

اللّقاء الزَّوْجي يخرج من الذَّكَر خمسمائة مليون حُوَين ! وَحُوَيْنٌ واحِدٌ يَكفي لِتَلْقيح البُوَيْضَة، البُوَيْضَة والحُوَيْن على كلٍّ منهما مَعْلومات مُبَرْمَجَة تزيد عن خمسة آلاف مليون، وحتى الآن اكْتُشِف منها ثمان مائة وأكبر ضَجَّة عِلْمِيَّة الآن حول الهَنْدَسة الوِراثِيَّة ؛ هذه الجينات المُوَرِّثات خمسة آلاف مليون معلومة، فإذا عرفْتَ أنَّ في العَين مائة وثلاثون مليون عُصَيَّة ومخروط، وأنّ العصب البصري تسعمائة ألف عصب وأنَّ في شَعْر الإنسان ثلاثمائة ألف شَعْرة، وفي كُلّ شَعْرة وريد وشريان وعضلة وعصب وغُدَّة دِهْنِيَّة وصِبْغِيَّة، وإذا عرفت الخلايا في المعدة، خمسة وثلاثون مليون عُصَارَة، وفي كل نصف سنتمتر مربَّع بالمعِدَة، وإذا رأيْت خصائص الكبِد خمسة آلاف وظيفة، وخصائص السَّمع والبصر، والقلب ماذا يعْمَل ؟ فهل أنت بِحاجة لخرق هذه القوانين ؟! فالقوانين نفسُها ؛ الشمس والقمر، لِسان لَهَب الشمس مليون كيلومتر، عشرين مليون درجة في نواتها، وستَّة آلاف درجة على سطحها، مُتألِّقة من خمسة آلاف مليون عام، وقرأتْ مقالة أنَّهُ بقِيَ من عُمُرِها مائة مليار عام ! قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآَناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31)﴾

[سورة الرعد]

الجواب مَحْذوف ! وهو: ما آمنوا، ولن يؤمنوا، ولو فكَّروا في الكون لعرفوا الله من دون خرْق القوانين، قال تعالى:

﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً﴾

[سورة الرعد]

قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾

[سورة الرعد]

فرئيس الجامعة هل يعْجز أن يُوَزِّع أوراقًا مَكْتوبة كاملة بالإجابة الصحيحة، وعلى الطالب فقط كتابة اسمِهِ ؟! فهل لِهذا النَّجاح قيمة ؟! ليس له قيمة لا عند الناس ولا عند إدارة الجامعة، ولا عند الطالب نفسِه، فالله تعالى:

﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾

لكن هذا الهُدى لا يُقَدِّم ولا يؤخِّر ولا يرفع عند الله عز وجل، فهذا المؤمن لا بد أن يعرف أنَّ لو القَضِيَّة قضِيَّة إجْبار لأجْبَرَ الناس على الهُدى، لكنّ هذا الإجبار لا يُسْعِدُهم ولا يجعلهم يَرْقَون، فالذي يجْعلهم يَرْقَون مُبادرتهم إلى الهُدى الذاتِيَّة، والإنسان بالخِيار يُقَيَّم عملُه.

إذًا خَرْقُ القوانين من دون أن تطلب الحقيقة من الداخل لا ينفع، فإذا أراد الإنسان الهُدى يمكن لِكأس الماء أن يوصِلُهُ إلى الله، وابنُهُ في البيت الذي يعلم أنَّه كان نقطة ماء وأصبحَ إنسانًا يتكلَّم ويضْحك وفيه قلب ومرارة وكبد وبنكرياس وكلية، وعضلات وأعصاب وعِظام وجلد وشعر، الكون وَحْدَهُ مُعْجِز، ورَدَ في الأثر: حَسْبكم الكَون مُعْجِزَة، فإذا كان بين الأرض والشمس مائة وستٌّ وخمسون مليون كيلومتر، وتكبر الشمس الأرض بِمِلْيون وثلاثمائة ألف مرَّة، ونجم العقرب يتَّسِعُ للشمس والأرض مع المسافة بينهما، فالأرض مثلاً تُسقى بِماء واحِد، وهذا فجل وذاك جزر، قال تعالى:

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)﴾

[سورة الرعد]

تفاح وبصل وموز وخيار، وفلفلة، وذكر لي صديق أنّ حقل بطيخ كان له شهرين وهو يأخذ منه، فقلتُ في نفسي: لو كان البطيخ كالتُّفاح ! ماذا نفعَل به ؟ نَرْميه، فَحِكْمَةُ الله شاءَت أن ينضج كلّ يوم قسمٌ، فسألْتُهُ كيف تختار التي نضَجت من غيرها، فالكل أخضر ؟ قال لي: الله تعالى جعَلَ حلَزون إلى جانب البطيخة تمسِكُه فإذا انْكَسَر كان دليل على أنَّها نضَجَت، وإن لم ينكسِر كان دليل عدم النُّضْج، قال تعالى:

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ(16)﴾

[سورة النمل]

والله تعالى قال:

﴿فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(24)أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا(25)﴾

[سورة عبس]

ثلاثة آلاف نوع قمْح بالعالم، وهو مادَّة أساسيَّة ينبت بِكُلّ الفُصول والله تعالى رحمةً بنا الأشياء التي هي من القوت تنضج بِيَوم واحِد، أما التفاح والمشمش والكمَّثرى هذه تنضج تِباعًا ؛ هذه كلُّها آيات دالة على عظمة الله عز وجل.

المُلَخَّص أنَّ الكون بِوَضْعِهِ الحقيقي، وبِسَمائِهِ وأرْضِهِ، وبِمِياهِهِ وينابيعِهِ، وخلق الإنسان والحيوان وحْدَهُ يدلّ على الله، ولكنَّ خرْق الكون إذا لم يكن هُدى لا يفيد شيئًا، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآَناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31)﴾

[سورة الرعد]

فلو كان هذا يَحْمِلُهم على الهُدى لفعَلَهُ الله، ولكن لا يفيدهم !

قال تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

[سورة الرعد]

الكفار مطلوبون من قبَلِ الله، قال تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31)﴾

[سورة الرعد]

كل الخَلْق خلقَهم لِيَرْحمهم ولو كفروا، وحتى الكافر، يسوق له من الشدائد ما يحْملهُ على الهُدى، وأنا أقول: تسعين بالمائة من الذين اهْتَدَوا على أثر تربيَة إلهِيَّة وحكيمة ؛ إما أن يُخيفَهُ أو يُمرِضُه.

آيتُنا فيها ثلاثة نِقاط أساسِيَّة ؛ الكَون بوَضْعِهِ الراهِن هو المُعْجِزَة، ولو انَّ الله تعالى أراد أن يَهْدِيَ الناس جميعًا هُدى قَسْرِيًّا يسْلبهم اخْتِيارهم لَفَعَل ولكن هذا لا يُسْعِدُهم، والشيء الأخير أنَّ الخَلق كلهم مَطْلوبون عند الله عز وجل، لذلك حتى الكفار كما قال تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31)﴾

[سورة الرعد]

لذا علينا أن نُفَكِّر في الكون كي نَتعرَّف إلى الله، وأن نأتِيَ الله مُخْتارين، وإذا قصَّرْنا يُرَبِّينا الله.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : تفسير سورة اراهيم

الدرس (7-1) : تفسير الآية 5

الدرس (7-2) : تفسير الآية 22

الدرس (7-3) : تفسير الآيات 24 – 27

الدرس (7-4) : تفسير الآية 27

الدرس (7-5) : تفسير الآية 31

الدرس (7-6) : تفسير الآيات 32 – 34

الدرس (7-7) : تفسير الآيات 42 – 47

الدرس (1-7) : تفسير الآية 5

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون، يقول الله تعالى في سورة إبراهيم في الآية الخامسة:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)﴾

[سورة إبراهيم]

في هذه الآية كلمتان هما مركزا الثِّقل فيها ! أيام الله ما تفسير أيام الله ؟ وهل في حياة كل مؤمن أيامٌ لله عز وجل ؟ يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه، و أحبوني بحب الله، وأحبوا آل بيتي بِحُبِّي..."))

فالإنسان حتى يمتلأ قلبُهُ بِحُبِّ الله ؛ هناك فِعْلٌ إرادي وهو أن يُذَكِّر نفسه بِأيام الله، فما هي أيام الله؟ اليوم الذي نجاه الله من مُشْكلة مُحَقَّقة، اليوم الذي يسَّر الله له الزواج من تلك المرأة الصالحة، واليوم الذي بنى في البيت، واليوم الذي شفاهُ الله من هذا المرض الخطير، واليوم الذي نجاه الله من هذا العدوّ الشرير.

لا يوجد مؤمن إلا وفي أيامه عشرات بل مئات الأيام التي أكْرَمَهُ الله بها، قد ينجحُ في امْتِحان صعب، قد ينال درجَةً عِلْمِيَّة عالِيَه، قد يُوَفَّقُ في وظيفةٍ جيِّدة، قد يشتري بيْتًا بِسِعْرٍ مُعْتَدِل فإذا به الآن هذا البيت بالمَلايين، قد يُؤَسِّس عمَلاً تِجارِيًّا يتنامى، قد يلوحُ له شبَحُ مُصيبة يُنَجِّيهِ الله منها، قد يَمْكُر به عدُوّ خصِم فَيُدافِعُ الله عنه، لا يوجد مؤمن إلا وفي أيامه أيام، هذه الأيام سمَّاها الله أيام الله، قال تعالى:

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾

[سورة إبراهيم]

والإنسان تفتر هِمَّتُهُ، ويضعفُ إيمانُهُ وتضْعف صِلَتُهُ بالله عز وجل، عليه أن يذكر أيام الله، فأيام الله بالنِّسْبة إلى قَوْمِ موسى يومَ أنْجاهُم من فِرْعَون، كان يُذَبِّحُ أبناءَهم ويسْتحيي نِساءهم كما قال تعالى، وأيام الله بالنِّسْبة إليك تختلف من كلّ واحِد بالنِّسبة لِحياتِه، فلَعَلَّ زواجَهُ مِن أيام الله، ولعلّ سُكْناهُ في هذا البيت مِن أيام الله، ولعلَّه لما الْتقى بهذا الإنسان في المسجد كان هذا اللِّقاء يومًا من أيام الله، ولعلَّه يوم قرأ هذه الآية يوم من أيام الله وتعرَّف إلى الله معرِفَةً لم يكن يعرفها من قبل، فالإنسان كلَّما ضعُفَت هِمَّتُه وضاقَت نفْسُهُ، وصلته بالله عز وجل بِإمكانِهِ أن يُذَكِّر نفْسَهُ بأيام الله.

قال تعالى:

﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا(113)﴾

[سورة النساء]

هذه للنبي عليه الصلاة والسلام، وهي لِكُلّ مؤمن، أَلَسْتَ الآن مَوجودًا ؟! فأنت الآن بِنِعْمة قد لا تعرفُها، وهي نِعْمة الإيجاد، أنت كائِن موجود، لماذا أَوْجَدَك الله تعالى ؟ لِيَرْحَمَكَ، قال تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

فأنت تتمتَّع بِنِعْمة عُظمى وهي أنَّك مَوجود.

ألم يمدّك الله بالصِّحة ؟ ألم يمدّك بالمال ؟ ألم يُهيِّء لك مأوًى تأوي إليه مساءً ؟ ألَيْسَ لك زوْجة ؟ ألَيْس لك أولاد ؟ أليس معك قوت يومِك ؟ هذا مِن نِعَم الله عز وجل، لذلك نِعْمة الإيجاد، ونِعْمة الإمْداد ونعمة الهُدى والرَّشاد، بل إنّ نعمة الهُدى والرَّشاد هي أكبر نعمة على الإطلاق، لذلك حينما تقرأ في الفاتحة قوله تعالى:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(6)﴾

[سورة الفاتحة]

إذا كنتَ فِعْلاً على الصراط المستقيم، ويسبق هذا معرِفَة الربّ الكريم، فهذه نِعْمَةٌ لا تعدلها نعمة، لن تعرف قيمة الهُدى إلا إذا رأيْتَ الضلال، والعقيدة الزائِغَة، والسُّلوك المنحَرِف، وشرب الخَمر، والعُدوان على الأعراض، لن تعرفها إلا إذا الْتَقَيْتَ مع أشْخاصٍ تائِهين شاردين مُعَذَّبين وأشْقِياء بِبُعْدِهم عن الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(46)﴾

[سورة الزخرف]

سؤال الآن ! لماذا الظلمات جمْع والنور مفرَد ؟! لِمَ لَمْ يُجمع النور ؟ أو أن يأتي لفظ الظلمات مفردًا ؟ قال: لأنّ الباطل يتعدَّد، لكنَّ الحقّ واحِد، هناك ضلالات فِكْرِيَّة وسُلوكِيَّة، وظلمات المعاصي، وظلمات الشِّرْك وظلمات أكْل المال الحرام، فَكُلّ مَعْصِيَةٍ هي ظُلْمَة إن أخْرَجْتَ يَدَكَ لم تَكَد تراها ! ظُلمات ؛ الغَفْلَة ظلمات والظُّلْم، وهدم حُقوق الناس وأن تعْتَقِد عقيدَةً زائِغَة ظُلمات، أما الحق فلا يتعَدَّد وهو واحِد، فلو الْتَقَيْتَ مع أهْل الحق في الأرض كلِّها فلن تجِدَ فرْقًا واحِدًا بينك وبينهم ؛ فالمبادئ والأهداف هِيَ هِيَ، وكذا الانْضِباط والعِفَّة والصِّدْق والأمانة والرَّحمة، وخِدْمَة الآخرين، النور واحِد.

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾

[سورة إبراهيم]

لذلك قال الشاعِر:

كُنْ عَن هُمومِكَ مُعْرِضًا وَكِلِ الأمور إلى القضا

وابْشِر بِخَيْرٍ عاجِـلٍ تنْسى به ما قدْ مضى

فَلَرُبَّ أمْرٍ مُسْخِـطٍ لك في عواقِبِه رِضا

ولَرُبَّما ضاق المضـيق ولرُبَّما اتَّسَع الفضـا

الله يفْعَلُ ما يشــاء فلا تكن مُعْتَرِضــا

الله عَوَّدَكَ الجميــل فَقِفْ على ما قد مضى

***

المؤمن أيها الإخوة ربَّاني، معنى ربَّاني أي أنَّ علاقته بِرَبِّهِ طيّبَةٌ جدًا أساسُها طاعَتُهُ وعملُهُ الصالِح، وأساسُها خِدْمَتُهُ للخَلْق، طاعتُهُ لله وعملُهُ الصالِح، تَجعل هذه الأعمال كلُّها علاقة المؤمن بالله تعالى طيِّبَة، يحبُّ الله عز وجل ويُحِبُّ خلْقَهُ، ويحبُّ خِدْمَتَهُم والدَّمْعة مِن على خُدودِهم، ويرسُم البَسْمَةَ على أفْواهِهِم، أساس حياتِه العَطاء وليس الأخْذ، أما الكافر فحياتُهُ يَبْنيها على الأخْذ، يمصّ الناس، ويأخذ الأموال بالحيلة والقَهر، فالمؤمن لا يُسْعِدُهُ إلا العطاء من مالِهِ ووقْتِهِ وجُهْدِهِ وصِحَّتِهِ وخبرته ومكانَتِهِ، وكلَّما بالغَ في العَطاء أكْرَمَهُ الله تعالى بالسَّعادة، وألقى على قلبِهِ السَّكينة، لذلك يقول الإنسان أثناء الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام: اللهمّ صلِّ على أسْعَدِنا محمّد لأنَّه صلى الله عليه وسلَّم جاء الحياة فأعْطى ولم يأخذ، والطُّغاة أخَذوا ولم يُعْطوا، والأنبياء أعْطَوا ولم يأخذوا، ونحن نأخذ ونُعْطي، لذلك يا مَن جئتَ الحياة فأَعْطَيت ولم تأخذ، ويا مَن قدَّسْتَ الوُجود كلَّه ورعَيْت قضِيَّة الإنسان، ويا مَن زكَّيْتَ سِيادَة العَقْل، ونهنسْت سيادة القطيع، ويا مَن هيَّأك تفَوُّقك كي تكون واحِدًا فوق الجميع فَعِشْتَ واحِدًا بين الجميع، دخل عليه عمر وهو صلى الله عليه وسلم مُضطجِع على حصير، وقد أثَّر على خدِّه الشريف فَبَكى عُمَر، فقال: لمَ تبْكي يا عمر ؟ فقال: **رسول الله ينام على الحصير، وكِسْرى ملِكُ الفرس ينام على الحرير**، فقال:

((يا عمر: إنَّما هيَ نُبُوَّة ولَيْسَت مُلْكًا))

فكان إذا سقى القوم كان آخرهم شُرْبًا، وإذا جلسَ جلسَ حيث ينتهي به المَجْلِس وكان إذا دَخَلَ عليه مَن لا يعْرِفُهُ ينظر ويقول: أيُّكم محمّد ؟ لا علامة تدلّ عليه من بين أصْحابِهِ، كان مُتَوَاضِعًا عليه الصلاة والسلام، ولماذا أحَبَّهُ أصْحابُه هذا الحبّ الذي لا يوصَف ؟ يقول: ما رأيْتُ أحدًا يُحِبّ أحدًا كَحُبّ أصحاب محمدٍ مُحَمَّدًا ! وقع أحد الصحابة في قبْضة قُريش، وأرادوا صَلْبَهُ وقتْلهُ، اسمُه خبيب ابن عديّ، سأله أبو سفيان: أَتُحِبُّ أن يكون محمّد مكانَكَ ؟! وأنت مُعافًى في بيتِك ؟ أُنظروا ماذا قال هذا الصحابي وهو على وشك

الموت: **والله ما أُحِبُّ أن أكون في أهلي، وولدي، وعندي عافِيَة الدنيا ونعيمُها، ويُصابُ رسول الله بِشَوْكَة!** هكذا أحبّ أصْحابُ النبي عليه الصلاة والسلام محمَّدًا صلى الله عليه وسلَّم، عندها قال أبو سفيان: **ما رأيْتُ أحدًا يُحِبّ أحدًا كَحُبّ أصحاب محمدٍ مُحَمَّدًا !**

ونحن أيُّها الإخوة، إن لم نتعاوَن، ويحبّ بعضنا بعضًا، خدمنا بعضنا بعضًا، والله في عَون العَبد ما كان العَبْد في عَون أخيه، ومَن نفَّس عن مُؤمنٍ كربَةً نفَّس الله عنه كُربَةً مِن كُرب يوم القيامة، لذلك إذا أردْتَ أن تكون سعيدًا فأسْعِدِ الناس، قرأتُ كلمة في مجلَّة أربع كلمات: إذا أرَدْتَ أن تسْعَدَ فأَسْعِدِ الآخرين تكن أنت أسعدهم، أكْرِمهم وأعْطِهِم من وقتك وصِحَّتك ومالِك.

إذًا قال تعالى:

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)﴾

[سورة إبراهيم]

مِحْوَر درسنا اليوم ؛ أيَّام الله، يومٌ نجَّاك الله مِن عَدُوّ، ويوم يُسِّر لك فيه شِراء بيْت، والزواج ورزق أولاد، وأعطاك درجة عِلْمِيَّة، فَكُلَّما ضاقَتْ نفْسُك واضطرب فُؤادُك، وفتُرت عبادك ذَكِّر نفْسَك بِأيام الله كما أمرَ الله سيِّدنا موسى وقومه بني إسرائيل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-7) : تفسير الآية 22

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأَرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون، الإنسان يميل إلى أن يُحَمِّل أخطاءَهُ للآخرين فالإنسان يَحْتَجّ أنَّ البيئة سيِّئة، والمُجْتَمَع فاسِد، والشَّيْطان وَسْوَس وزَوْجَتُهُ ضَغَطَتْ عليه ! فَحينما يتبرّأ مِن ذَنْبِهِ، ويُلْقي التَّبِعَة على الآخرين، يكون قد ضلَّ ضلالاً بعيدًا، فربُّنا عز وجل في الآية الثانية والعشرين من سورة إبراهيم يُحَدِّثُنا عن الشَّيْطان، وكيف أنَّ هذا الشيطان ليس له على بني آدمَ سُلطان، أما أن يقول الإنسان: لَعَنَ الله الشيطان، والله يخزيه فهو الذي وَسْوَس لي، ودفعَني إلى هذا العَمَل هذا كلام لا معنى له إطلاقًا.

يقول الله عز وجل:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾

[سورة إبراهيم]

أي أنَّ الله جلّ جلاله حَكَمَ بين الخلائِق ؛ فريق إلى الجنَّة، وفريق إلى السعير، ففي الدنيا هناك تصانيف كثيرة ؛ أغْنِياء وفقراء، أقْوِياء وضُعَفاء، وأصِحَّاء ومرْضى، مِن الشرق الذي يُؤمن بالجماعة، وبالغرب الذي يُؤْمِن بالفَرْدِيَّة، وهذا أصلُهُ سامي، وذاك آمي، وبيض وسود وطبقة كادِحَة وطبقة وُسْطى وطبقة أرستقراطِيَّة ؛ هذه التَّصْنيفات تنتهي في النِّهاية إلى صِنْفَيْن مؤمنٍ وكافر، ومُتَّصِل ومُنقَطِع، مُحْسِنٍ ومسيء وصادِق وكاذب، ووفِي وخائِن، رحيم وقاسٍ، فالمؤمن مُصَدِّق بِرَبِّهِ ومُتَعَرِّف إلى منهَج ربِّه، ومُتَّصِف ومُنضَبِط، ورحيم ومُحْسِن ومُنْصِف، أما الكافر فَمُكَذِّب ومَقْطوع ومُتَخَلِّف ومُسيء ؛ فريق إلى الجنَّة وفريق إلى السَّعير، فحين يُقْضى الأمْر ويُساق كلّ الناس إلى مصيرِهم الأبَدِي، ما معنى أبَد؟! قد نقولها ولا نعرف معناها ! معنى اللانِهاية لو تَصَوَّرْت أكبر رقم وقسَّمْتَهُ على ما نِهايَة تكون النتيجة صِفْر، ما معنى خالدين فيها أبدًا ؟ معنى ذلك لو أنَّ الإنسان عاشَ سنَةً أو مائتان أو ألف سنة ومليون سنة، ومليار مليار...حتى ينقطِعَ النَّفَس لو قِسْتَ هذا بالآخرة ؛ فما عاش شيئًا ! لذا الإنسان لما يكفر بالله عز وجل أتدْرون ماذا خَسِرَ ؟ خسِرَ الأبد، وهذه هي الخَسارة الأبَدِيَّة قال تعالى:

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(21)﴾

[سورة هود]

قد يحترق محلّ فيقُول الناس: هذه خَسارة ! لا، هذه ليْسَتْ خَسارة، فقد يكون هذا سبب الهِدايَة، فالخسارة قد تكون سبب الهِدايَة في الدنيا، أما الخَسارة الحقيقيَّة أن تَخْسَر الأبَدَ، قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(103)﴾

[سورة الكهف]

لذا يقول الإمام عليّ رضي الله عنه: **الغِنَى والفقْر بعد العَرْض على الله** فالغِنى أن تدْخل الجنَّة، والفقْر أن تُحْرَمَ منها، والغِنى غِنى العمل الصالِح، والفقْر فقرُكَ من الأعمال الصالِحَة، ألم يقُل سيّدنا موسى حينما سقى بنتي سيِّدنا شُعَيْب:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

لماذا هو فقير ؟ للأموال الطائلة والأجْنبِيَّة وغير المنْقولة للعقارات... فالعمل الصالح هو الشيء الرابح يوم القيامة.

ربنا عز وجل يقول:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾

[سورة إبراهيم]

قال تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِي(19)إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي(20)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(21)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(22)قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(23)كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ(24)﴾

[سورة الحاقة]

ظنَّ هنا بِمَعنى أيْقَنَ، وحينما كنتُ في الدنيا علمْتُ أنَّ هناك يوم آخر وهناك جنَّة إلى الأبد ونار إلى الأبد، قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي(25)وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي(26)يَالَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ(27)مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي(28)هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي(29)خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(30)ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ(31)ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ(32)إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ(33)وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ(34)﴾

[سورة الحاقة]

هذا اليوم المُخيف، والذي إن غَفَلَ عنه الإنسان فَهُوَ أحْمَق، هو يوم الحِساب والدَّيْنونة والجزاء، اِعْمَلوا ما شئْتُم فكلّ شيء مكتوب، قال تعالى:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ(181)﴾

[سورة آل عمران]

ردَّ عليهم الله وقال:

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾

فالإنسان إذا أيْقن أنَّ كلّ ما فعَلَهُ مُسَجَّل شيء مُخيف، ففي أوروبا يضَعون جهاز تَصْوير لِمَن يُخالف قوانين السَّيْر ويعمل ليل نهار، فإذا الواحِد أيقَنَ أنَّه هذا الشارِع مُراقب بالرادار لن يُسْرِع، فالإنسان إذا أيْقَنَ أنَّ الله تعالى رقيب عليه انتهى الأمر.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾

[سورة إبراهيم]

ضَحِكْتُ عليكم قال تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(175)﴾

[سورة آل عمران]

فالشَّيْطان يُخَوِّفك ويَعِدُكَ الفقْر، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾

[سورة إبراهيم]

خالق الكون يؤكِّد لك في ثمان آيات في كتابه، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(39)﴾

[سورة سبأ]

وعدك بالتَّعْويض ووعدَك بالنَّصْر قال تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(139)﴾

(سورة آل عمران)

وقال تعالى:

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا(141)﴾

[سورة النّساء]

فالشَّيْطان يُخَوِّفُك ويَعِدُكَ الفقْر.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

[سورة إبراهيم]

هذه الآية تكفي، وما وَجَدْتُ مثلاً يُوَضِّحُ هذه الآية كالمَثَل التالي: إنسان يلبس بذْلة أنيقة ثمنها ثمان مائة ألف، وإذا به يصطدم ببِرْكة، فيذْهب للشرطة يشْتكي، فإن قيل له: مَن الذي دَفَعَك ؟ يقول لا أحد، وهل مِن أحد رماك هناك ؟ فيقول: لا، فيقولون له: مَن إذًا ؟ فيقول: قال لي أحدهم أُدخل في هذه البركة !! بِرَبِّكم ألا يُعْتَبَرُ هذا مَجنونًا، قال تعالى:

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾

[سورة إبراهيم]

لذا لا يقل الإنسان: لعن الله الشيطان فهو الذي أغواني !! فالشيطان لا علاقة له ولا سلطان له عليك، وليس له أن يفعل بك شيئًا، لكنَّه يَمْلِك أن يُوَسْوِسَ لك، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾

[سورة إبراهيم]

كلام خالق الكون، قال تعالى:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ(42)﴾

[سورة الحِجر]

أنت يكفي أن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وانتهى الأمر، قال تعالى:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(200)﴾

[سورة الأعراف]

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ(201)﴾

(سورة الأعراف)

قال تعالى:

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾

[سورة إبراهيم]

مُلَخَّص الآية أنَّ الإنسان مسؤول ولا يتوهَّم أنَّ هذا لا علاقة له فيها ؛ يقول لك: البيئة والمُورِّثات، والضّغوط والأشرة والمُجتمع، لا تستطيع أن تدَّعي هذا الكلام لأنَّك حرّ، ومتى اسْتَعْبَدْتُم الناس وقد وَلَدَتهم أُمَّهاتهم أحْرارًا ورِزْقك وحياتك بيَدِ الله وحْدهُ، وكلمة الحق لا تقطع رِزْقًا ولا تُقَرِّب أجلاً، ولما الإنسان يُحجِم عن طاعة الله من أجل إنسان قويّ فهذا فهْمٌ سقيم، والأمر كلّ بيَدِ الله، إلهٌ يَدَعُكَ لِخَلْقِهِ ويقول لك: اعْبدني فلو أوْكَلَ أمرَكَ إلى الخلق لما اسْتَحَقَّ العبادة، وما معنى لا إله إلا الله ؟ لا مَعْبود بِحَقٍّ إلا الله، ومَن هو المَعْبود ؟ الذي يخلق ويُميت، ويعطي ويَمْنَع، ويعزّ ويذِلّ، ويرفع ويخفض، فهذه الآية أساسِيَّة في موضوع الشيطان، فلا أحد يَحْتَجّ بالشيطان، لأنّ لا علاقة له، اِلْعَنْهُ وتعوَّذ منه ولكن لا تجْعلْهُ السَّبب، فلو لم تكن هناك رغْبة مُمَاثِلَة لما فعَلْتَ ما أمرَكَ به.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-7) : تفسير الآيات 24 - 27

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، الآية الرابعة والعشرون من سورة إبراهيم وهي قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25)﴾

[سورة إبراهيم]

قبل بِعْثة النبي عليه الصلاة والسلام كيف كانت الجزيرة العَرَبِيَّة ؟ تموج بالفَوْضى والفِتَن والزنا والخمر والربا والإقلال والتَّناحر والبغْضاء ؛ مُجْتَمَعٌ بلَغَ من الجاهِلِيَّة ما يوصَف.

جاء النبي عليه الصلاة والسلام ؛ لماذا جاء النبي ؟ هل جاء بِصاروخ ؟ هل جاء بِمُخْتَرَع ؟ كلمة طيِّبَة، قال عليه الصلاة والسلام:

((الكلمة الطيّبة صدقة..."))

ربنا جل جلاله يقول:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾

[سورة إبراهيم]

معنى طيّبةً أي صادِقَةً وتُعَبّر عن واقِع وليس خيال والطِّيبُ في الكلام يعني الإخلاص، ويَعْني الصِّدْق، والصِّدْق يعني أن يأتي الكلام مُطابقًا للواقِع، بِماذا جاء الأنبياء ؟ بِكَلِمَة، لكنَّها طيِّبَة ؛ فيها إخْلاصهم للبَشَرِيَّة جمْعاء، وفيها صِدْقهم الذين يُعبِّرون به عن الواقِع، والله عز وجل شبَّه هذه الكلمة الطيِّبَة كشَجَرةٍ طيِّبَة، ولنَضْرِب على ذلك شَجَرة التِّين مثلاً ؛ هذه الشَّجرة أصلها بذرة وتحمل آلاف الثِّمار، وفي كلّ ثمرة آلاف البذور، فلو أرَدْتَ أن تأخذ كل ثِمار هذه الشَّجَرة، وان تأخذ كلّ بُذور هذه الثِّمار وأن تُحَوِّلَها إلى أشْجار وأنا أعْتَقِد أنَّ شَجَرَةً واحِدَة يمكن أن تصْنع غابة من الشِّجار، فالله تعالى شبَّه هذه الكلمة الطيِّبَة كشَجَرةٍ طيِّبَة.
دُعيتُ مرَّةً إلى تَعْزِيَة فألْقَيْتُ كلمَةً، وكان الحُضور عدد كبير، وأحد هؤلاء الحُضور جاءتْ كلمتي مُناسبة تمامًا معه فاصْطَلَحَ مع الله وتاب من فَوْرِهِ، وكان سببًا في هِدايَة بِضْع عَشَرات مِن أصْدِقائِهِ ؛ كلمة واحِدَة، لذا أيها الأخوة لا يبْخَل أحدكم بالكلمة، تتكلَّم كلمةً تقع في موقِعِها الصحيح، وقد يكون المُسْتَمِع تائِه وشارِد، وفي حَيْرَة وشَقاء، فقد تأتي كلمتُكَ بلْسَمًا له، فإذا اهْتَدى أقام الإسلام في بيتِهِ، وإذا أقامَهُ عملِهِ، وإذا اهْتَدَى جدعا إليه، وألَّم شَمْلاً كبيرًا بِهذه الكلمة، ولا ينسى أحدكم قَول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لأَنْ يَهْدِيَ الله بك رجُلاً واحِدًا خير لك من حمر النعم..."))

ما هي الدنيا ؟ تجد محلاًّ صغيرًا المتر مائة وخمسون متر، إن شاء الله كل المدينة وكل السوق والشركات ؛ الكلمة الطيّبَة خير لك من الدنيا وما فيها، والأنبياء جاءوا بِكَلِمَة، وكذا النبي عليه الصلاة والسلام جاءوا بِكَلِمَة طيّبة هي كلام الله، وسُنَّتُه، فَبِهذه الكلمة الطَيّبَة الخالصة الصادِقَة قلَبَ وَجْهَ الأرض في رُبْع قرن، والإسلام وصَل إلى الصِّين، وإلى إسبانيا وأذربيجان وغطَّ مساحاتٍ شائعة رُفِعَت فيها كلمة الله عز وجل، وأنت كلمة طيّبة أحْيانًا لِجارِك وأصْدِقائِك ولابنِك ولأخيك ؛ هذه الكلمة قد تأتي في الوقت المناسب وتفعلُ فِعْل السِّحْر في قلبِهِ، ويهْتدي ويهدي آلافًا كلّهم في صحيفَتِك، قال تعالى:

﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) ﴾

[سورة إبراهيم]

لكنَّ الكلمة الطيّبة تستند إلى واقِع وإلى أُسس، فالآن أيّ مذْهب وَضْعي بعد حينٍ يظْهر خطؤُهُ، وبعد حين ينْهار ويُصبح مصْدر سُخرِيّة لأنَّ لا أصل له ثابت، أما هذا القرآن فَهُوَ كلام خالق الكون، ومن أصدق من الله حديثًا.

قال تعالى:

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾

[سورة إبراهيم]

فأنت قد تهدي الواحد، والواحد قد يهْدي عشرة، والعشرة مائة والمائة ألف ويوم القِيامة تُحْشر أمَّة، وما معنى قول الله تعالى:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(120)﴾

[سورة النحل]

فالأب يبقى ذِكْرهُ عشرات السِّنين في قلوب أبنائِه إذا مكَّنَهُ الله تعالى أن يُرَبِّيهم التَّرْبِيَة الحسَنَة، يموت ويبقى ذِكْرهُ عَشَرات السِّنين تجده يقول: أبي رحمه الله هكذا نصَحَنا، وأبي عوَّدنا هكذا، وعلى الصِّدْق وعلى الصلاة في وقتِها، فالأب توفي وبقِيَ عمله في أولاده عَشَرات السِّنين بل مئات السِّنين، أنا لا أريد أن يبقى الإنسان مُسْتَمِعًا، وأن يبقى مُتَلَقِّيًا ومُسْتَمِعًا، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((بلِّغوا عنِّي ولو آية..."))

لا يوجد مِنَّا مَن لا أهْل له، ولا جيران له، ولا زملاء، ألا يجْلس مع أولادِهِ ؟ ألا يزور بِنْتَهُ ؟ أليس له أصْهار؟ لا يوجد مَن يعيش لِوَحْدِهِ، هؤلاء الذين معك عمَّا تتحدَّثون ؟ عن الأسْعار والأمور العامَّة، لا تزيدُنا إلا انْقِباضًا ! حدِّثْهم عن ربِّهم وعن أخلاق نَبِيِّهِم وعن معاني كِتابهم، وعن أخلاق صَحابَة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فَلَعَلَّ هذه الكلمة تَصْنَعُ أُمَّةً، فالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام جاء بِكَلِمَة طيِّبة، ولكن مرَّة ثانِيَة الكلمة الطَّيِّبَة هي الكلمة الصادِقَة ومعنى صادِقَة: هي الكلمة الواقِعِيَّة المُسْتَنِدَة إلى الواقِع، فَعَظَمَةُ الأنبياء مِن أين أتَتْ ؟ أنَّهم ما تكلَّموا كلِمَةً إلا طبَّقوها في حياتِهم، ولا يمكن أن يرى الإنسان مسافَةً بين أقْوالهم وأفْعالهم ؛ هذه معنى طيِّبَة الصادِقَة المُخْلِصَة تَفْعَل فِعْل السِّحْر في المجتمع، أما الكلمة غير الصادِقَة فَهِيَ تَسْتَدْعي السُّخْرِيَة، والانْتِقاد، أما الكلمة الطَيِّبَة كالشَّجرة الطَّيِّبَة أصلها ثابت وفرعها في السماء تُؤتي أُكُلَها كلّ حين، والله هناك آلاف القِصص عن إنسان تَكَلَّم كلِمَةً واحِدَة، فأنا الْتَقَيْت رجلاً يزيد سِنُّهُ عن السِّتِّين، فقال لي: كنتُ بالابْتِدائي وكان لي معلّم صالح بالابْتِدائي، فغاب يومًا عن المدرسة وذهب إلى السينما فالمُعَلِّم ضيَّقَ عليه، واسْتَدعى أولياءهُ فإذا الولد بالسينما، قال لي: ذكر الأستاذ كلمات والله لا أنساها حتى الآن، وما تركْتُ الصلاة حتَّى الآن، فأنت لا تدع الكلمة الطيِّبة للجار وللصاحب والابن والمُوَظِّف بيِّن له طريق الحق واتْلُ عليه آيةً، الكلمة الطَيِّبَة كالشَّجرة الطَّيِّبَة أصلها ثابت وفرعها في السماء، معنى أصلها ثابت أيْ مَبْنِيَّة على الواقِع، والواقِع هو الحق الذي لا يتغَيَّر ولا يتبدَّل، فالحق حق والباطل باطل، تُؤتي أُكلها حين ؛ فَوُكَلاء الشركات أحيانًا وهو جالس في مَكْتبِهِ يأتيه فاكس يقول: ثلاثين ألف دولار بِضاعة اِشْتَراها، فهذا في الدنيا إذا كنتَ وكيلاً فكل بيعة يبيعونها لك فيها حِساب.

قال تعالى:

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) ﴾

[سورة إبراهيم]

الشيء الغريب أنَّ الله تعالى يقول بعد هذا:

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾

[سورة إبراهيم]

كلمة تَدعوا إلى المعْصِية، وإلى الإباحِيَّة، والمُتْعَة التي لا تُرضي الله عز وجل، وإلى الفرقَة وعلى إنكار وُجود الله، تُبْنى على العِلْمانِيَّة، الدِّين باطل وخُرافة، ومشاعر في الإنسان الضعيف، هذه الكلمة تجد لها شُعوب بالهِند أربعمائة وخمسون مليون يعبدون بوذا من دون الله، هذا هو شأن الكلمة إن كانت طيِّبَة تنتشِر، وإن كانت خبيثة تنتشر، فالكلمتان اتَّفقتا في سرعة الانْتِشار، لكنَّ الله تعالى قال عن الكلمة الخبيثة:

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ﴾

[سورة إبراهيم]

لا بدّ مِن أن تنْهار وتَسْقط، وكل مبْدَأ وَضْعي قام على الباطل فلابدّ أن يَنْهار ويسقط، والآيات التي نراها كلّ يوم خير شاهِدٍ على ذلك، انْهارَتْ الدَّعَوات الباطلة كما ينْهار بيت العنكبوت، قال تعالى:

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) ﴾

[سورة إبراهيم]

قال تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)﴾

[سورة إبراهيم]

وهو القرآن، زوال الكون أهْوَنُ على الله أن لا يقَعَ وعيدُهُ، فلما تقرأ قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(97)﴾

[سورة النحل]

هذا وَعْد إلهي، ولما يقول لك الله تعالى:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ(276)﴾

[سورة البقرة]

فلما تُطَبّق منهج الله قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا(9)﴾

[سورة الإسراء]

وقال تعالى:

﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا(141)﴾

[سورة النساء]

تطمئِنّ للقول قال تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)﴾

[سورة إبراهيم]

درسنا اليومِ الكلمة الطَّيِّبَة والمُخْلِصَة والصادِقَة والواقِعِيَّة، فهذه تفْعل كلّ شيء، وقد جاء الأنبياء بهذه الكلمة، ولن نحتاج أكثر من كلمة طيِّبة وناصِعَة، وإخلاص في إلقائِك، وواقِعِيَّة في تَصْديقك، وعلى الله الباقي.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-7) : تفسير الآية 27

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، الآية الكريمة السابعة والعشرون من سورة إبراهيم عليه السلام، وهي قوله تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27) ﴾

[سورة إبراهيم]

هذا هو الفرق بين الحق والباطل، فالحق ثابت والباطل مُتَغَيّر أو زائِل، والقول إذا كان حقًّا فهو ثابت، والمؤمن أحد أكبر سعادَتِهِ أنَّهُ شكَّل حياته وِفْق الحق، كما قال الله عز وجل:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(109)﴾

[سورة التوبة]

فلو أسَّس الواحد بُنيانَهُ على الصَّخر، وإنسان أسَّسَهُ على مغارة ؛ أليس هناك فرق كبير؟ نحن نقرأ أحيانًا أنَّ بيتًا هدم، وعند التحقيق نجد أنَّه أُسِّس على مغارة ! قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(109)﴾

[سورة التوبة]

القَول الثابت هو القول الحق، والله تعالى حق، لأنَّه قَديم أبَدِيّ، ولا يحول ولا يزول، لم يُسْبَق بِعَدم، مبادئه تعالى، وقوانينُهُ حق، وسُنَنُهُ وكذا أوامره و نواهِيه، معنى حق أنّه شيء ثابت، تعيش الزَّمَن كلَّه ولا يمكن أن ترى شيئًا يُناقِض الحق، أما أيّ شيء باطل، وأيّ تَشْريع أرضي بعد حينٍ يظهر فساده، ويُلْغى أو يُعَدَّل، الحق جِدار أنْشأتَهُ على شاقول مِن حجَر وأساس قَوِي، فهذا بُنِيَ لِيَبْقى، أما جِدارًا أنشئ على غير أساس ومن دون شاقول ؛ مائِل فهذا بُنِيَ لِيَنْهار فالحق هو الشيء الثابت، والباطل الشيء الزائِل، فالإنسان إذا انْطلَق من عقيدة صحيحة وثابِتَة ولا تتبدَّل، فهذا الكتاب الذي بين أيدينا نزَل على النبي عليه الصلاة والسلام قبل ألف وخمسمائة عام تقريبًا، والعِلْم تقدَّم تقَدُّمًا مُذْهِلاً فهل ظَهَر في العلم حقيقة تُناقض القرآن ؟ مهما امْتَدَّ بك العُمر لن تجد شيئًا يُناقض الحق، ما الذي يجعَل المؤمن ينفِقُ مالهُ ؟ لأنَّ الله عز وجل قال:

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(39)﴾

[سورة سبأ]

هذا قَوْل ثابت، وما الذي يجعل المؤمن يخاف من الربا ؟ قال تعالى:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ(276)﴾

[سورة البقرة]

وما الذي يجعل المؤمن يغضّ بصره ؟ قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(30)﴾

[سورة النور]

فالمؤمن أحَدُ أكبَر سعادته أنَّهُ ينطلِق في علاقاتِه ؛ في كَسب المال وإنفاقِهِ من الحق، وهو ثابت، قال تعالى لِنَبيِّه فَتَوَكَّل على الله:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ(79)﴾

[سورة النمل]

فالإنسان بالتَّعبير الحديث إذا بَرْمَجَ حياته وِفْق الحق فلن تعتريه مُشكِلَة أبدًا، تجدهُ مِن خير لآخر، ومِن تَوفيق لِتَوفيق، ومِن رُقَيّ لآخر حتَّى يَعُدُّهُ الناس أكبر مُصيبَة على الإطلاق وهو الموت، فهو عند المؤمن عرسٌ ! والمَوت بِدايَة السَّعادَة وبِدايَة العَطاء، وبِدايَة الإكرام، لذلك قال تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)﴾

[سورة إبراهيم]

لماذا لا يأكل مالاً حرامًا ؟ لأنَّ الله تعالى قال له::

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ(276)﴾

[سورة البقرة]

ولماذا يتصَدَّق ؟ لأنَّ الله وعدَهُ بالتَّعويض والمُضاعفَة، قال تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(261)﴾

[سورة البقرة]

فأنت اِقْرأ القرآن وبُطولَتُك أن تكشف فيه القوانين.

قال تعالى:

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(33)﴾

[سورة يونس]

فإيَّاك أن تفْسق وتَعصِي، فإن لم تفْعَل فأنت أقربُ مَخلوقٍ إلى الإيمان، فالإنسان قد يتردَّد والتَّردُّد صَعْب، ينشأ عندهُ صِراع، ولكنَّ الله إذا وَعَدَهُ ونهاهُ عن كَسب الحرام، فهذا لا نَدَم عندهُ، فالمؤمن لا ينْدَم، فأحَد عوامِل الثبات أنَّك مُسْتَنِد إلى كلام خالق الكون، هذا أمْر وهذا نَهي، وذاك مُباح والآخر مَكروه ومُستَحب وحرام... لذلك طلب الفقه حَتْمٌ لازِم على كل مسلم، فلو فَرَضْنا أنَّك عَرَفْت الله من خلال الكون ومن خلال آياته التَّكْوينيَّة، ومِن خِلال أفْعالِهِ ؛ ما انتهى الأمر ! فأنت عرَفْتَهُ ولكن كيف تتقرَّب إليه ؟ بِطَاعَتِهِ، فأين أمرهُ إذًا ؟ الفقه كلّ واحِد مِن إخواننا الكرام على حسب اخْتِصاصِهِ، فالبائِع عليه أن يعرف أحكام البيع والشراء، وهي فرض عَين عليه، لأنَّه كيف يعبد الله ؟ باجْتِهاد الفقهاء ؛ هذه حرام وهذه حلال وتلك فيها شبْهة وتدليس وكذب إلى آخره، فأنت إذا عرفْت الله من خِلال الكون ومن خِلال آياته التّكوينيَّة، ومن خلال آياته القرآنيَّة ينشأ عندك حاجة مُلِحَّة كي تتقرَّب إليه ؛ كيف؟ بِطَاعَتِهِ، طيِّب أين أمرهُ ؟ الأحكام الفقْهيَّة أمْرُهُ لذلك معرفة العبادات من صوم وصلاة وحج وزكاة، ومعرفة أحكام القرْض والهِبَة والحوالة والكفالة والمُضاربة والمُساقاة والمُزارَعة ؛ هذه كُلُّها أحكام فِقْهِيّة من خلالها تعبد الله، لذلك قالوا: أنت بالكَون تعْرِفُهُ، وبالشَّرْع تَعْبُدُه، لذا هناك خمْس آيات مُتَشابِهات ويُشْبِهُ بعضُها بعْضًا قوله تعالى: أن اعْبُدوا الله ما لكم من إله غيره.." سيِّدنا لوط وشُعَيب وإبراهيم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، وآيةٌ مُوَحَّدَة قوله تعالى: وما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه..." الدِّينُ كلّه أن تؤمن أنْ لا إله إلا الله وهذا هو الجانب الفِكْري، وأن تُطيعَهُ، أنْ تَعْرِفَهُ أنَّه موجود وكامِل وواحِد، وأن تُطيعَهُ فيما أمَر ونهى، فأنت إن عَرَفْتَهُ بالكَون وعَبَدْتَهُ بالشَّرْع حَقَّقْتَ الهَدَف مِن وُجودِه، لذلك الإنسان لا يتردَّد فيما حرَّم الله عز وجل، إذا حرَّم الله شيئًا فهذا يعني أنَّه حرام، لا تقل فيه ربْح ملايين !! المُحَرَّم يبقى مُحَرَّم، وما الذي يُثَبِّتُكَ على هذا الشيء ؟ أنَّ الله تعالى حرَّمَهُ، وما الذي يَدْعوك إلى فِعل هذا الشيء مع أنَّه خطِر ؟ أنَّ الله أمرَكَ به، فالله أمَرَكَ أن تُصَلِّي وأن تُقيمَ الشعائِر في بيتِك، أعْجَبَ الناس أم لم يُعْجِبْهُم ؛ ما الذي يَمْنَعُكَ أن تُقيم احْتِفالاً على خِلاف ما يفْعَلُهُ الناس في الأعراس، فالله تعالى حرَّم الاخْتِلاط فأنت لا تَهُمّك العادات والتقاليد فهِيَ تحت قَدَمِك لأنّ هذا خِلاف الشَّرْع، مِن أين تأخذ مَوْقِفَك القويّ ؟ أنّ الله تعالى حرَّمَهُ، فأقْوى حُجَّة أنَّ الله حرَّم هذا وأحلَّ هذا، تَفْعل الحلال وتترك الحرام ولا تأخذك في الله لَوْمَة لائِم، كلمة يثبتُ الله الذين آمنوا ؛ لماذا تغضّ بصَرَك، قد تُتَّهَم أنَّك أجْدب ؛ يقول لك: هل سَتَأْكُلها ؟ أم سَتَأْكُلُك ؟ الله عز وجل قال:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(30)﴾

[سورة النور]

وأحيانًا لا تُصافِح، وقد يكون هذا مَوْقِف حَرِج فقد جاءَت وزيرة إلى بلدِنا، وكان هناك مُوَظَّف كبير ما صافَحَها فَتَأَلَّمَتْ أشَدَّ الألَم، ومساءً قالتْ: أريد أن ألتقي بهذا الذي لم يُصافِحني وسألَتْه باخْتِصار لمَ لمْ تُصافِحْني، فأجابها: لأنَّ ديني يَمْنعُني من هذا، وأنت امرأة أجْنَبِيَّة، فقالتْ على مَسْمَع الحاضِرين وقالتْ: لو أنَّ المُسلمين أمْثالَك لَكُنَّا تحت حُكْمِكُم ! هذا هو شأنُ المؤمن، فإذا تساهَلْنا وقلنا هذه بَلْوَة، وهذه ماذا نفعل لها ؟ وتلك وَضْعُها صَعب، وهذه عليَّ ضَغْط، انتهى الدِّين، لذا أنت تثْبت على الدِّين لأنَّ الله أمرك ونهاك ووعَدَكَ، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

ضَرَبْتُ مثلاً غريبًا وقلت: لو أنَّ إنسانًا فقيرًا جدًا معاشُهُ قليل، ومعاشُهُ بالأُجرة، وعليه دَعْوى أخلاق، ماذا تقول في هذا ؟ وله أخ معه خمسين ألف ليرة ولكنَّه بخيل ! وهذا الأخ مات بِحَادِث فجْأةً، وليس له أولاد، فَلِمَن هذا المبلغ ؟ لِهذا الفقير، إلى ان اسْتطاع أن يأخذ أوَّل دَفْعَة سَنَتين، لماذا هو في هاتين السَّنَتين أسْعَد إنسان ؟ لأنَّهُ دَخَل بالوَعْد، يقول: أنا معي خمسمائة مليون ! ثمّ يُصبح يتمنى، ويشعر بِسَعادة وغِبْطة قبل أن يتلَقَّى هذا المبلغ ! وهكذا حال المؤمن فالمؤمن وَعَدَهُ الله بالجنَّة، وهذا الوَعْد يَمْتَصّ كلّ مشَاكِل الحياة، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

لذا أيُّها الأخوة اقرؤوا القرآن وآيات الأمر والنَّهي، وطبِّق فالذي يُثَبِّتُكَ على هذا الوَعْد الإلهي، والذي يُسْعِدُكَ أنّ الله وَعَدَك، والذي يُخسفك أنَّ الله أوْعَدَكَ، فإذا صَدَّقْت وَعْدهُ ووعيده، وهذا هو القول الثابت، وهذا الكلام القرآني فيه إعْجاز وهو دليل أنَّه من عند الله، فإذا آمَنْتَ أنَّهُ كلام الله يقينًا أمَرَكَ ونهاكَ، فهذا الإنسان القويّ في زمننا إذا أعطى أمْرًا يُنَفَّذ بِحَذافيره ! لا تعصي مَن إذا قال فَعَل، فإذا كان الأمر مع البشر فما بالك مع رب البشر، لذا أحد عوامل التَّثبيت أنَّك تمشي على منهج إلهي، فهذه هي الآية التي أرَدْتُ أن تكون مِحْوَر الدرس، وهي قوله تعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)﴾

[سورة إبراهيم]

كَمَن وعَدْتَهُ وأنْجَزْتَ وَعْدَكَ يَشكُرك على هذا، لذا أنت بالدنيا مُصَدِّق، وفي الآخرة مُصَدِّق.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-7) : تفسير الآية 31

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، الآية الكريمة الواحدة والثلاثون من سورة إبراهيم عليه السلام، وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (31)﴾

[سورة إبراهيم]

عباد وعبيد ! ما الفرق بينهما ؟ كِلاهما جَمْع، فالعِباد جَمْع العَبْد الذي أتى الله طائعًا، وأتاهُ تَعَبُّدًا، وأتاهُ مَحَبَّة وطاعةً وشَوْقًا، أما أيّ مَخلوق ولو كان كافِرًا فهذا عَبْدٌ لله بِمَعنى أنّهُ في قَبْضَتِه ؛ يَفْعَل بِهِ ما يشاء، لذا جَمْعُ العَبْد الشارِد عبيد، وجَمْع العَبْد الطائع عِباد، قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا(63)﴾

[سورة الفرقان]

وقال تعالى:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

[سورة فصلت]

فَفَرْقٌ كبير بين العِباد والعبيد، والآية الكريمة:

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ﴾

وهذه الياء تَقول أنت: فلان شاميّ، وذاك حلبي ؛ هذه الياء إعرابُها ياء النِّسْبَة، شامي أي أنَّ هذا الإنسان مَنْسوب إلى الشام وعربي مَنسوب إلى العرب، والياء في عبادي هي من هذا النوع، هذا الإنسان نسَبَهُ الله تَشريفًا إلى ذاتِه، قد تَجِد مليون شرطي يحرس الملك لكنّ أحدهم يرافقهُ فَنَقُول عنه: شرطي المَلِك، وهناك بَوْنٌ شاسع بين هذا الشُّرطي المَنسوب، وبين الحراس، طبْعًا ولله المَثَل الأعلى قال تعالى:

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ﴾

[سورة إبراهيم]

هؤلاء الذين نَسَبَهُم الله تعالى إلى ذاتِه تَشْريفًا لهم، لذا أيها الإنسان أنت مُشَرَّف ومُكَرَّم والمخلوق الأوّل إذا كان كلّ مَخلوق على الإطلاق يُسَبّح الله، قال تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(44)﴾

[سورة الإسراء]

وبعضهم تأوّل هذه الآية تأويلاً ما أرادهُ الله، وهو أنّك إن نظرتَ إلى ورْدَةٍ أعْجَبَتْكَ رائِحتها ومنظرها تقول: سبحان الله! لا، ليس هذا المُراد، أفَيَليق بالإنسان الذي سُخِّرَت له السماوات والأرض، وكرَّمَهُ الله أعظم تكريم، أيَليق بِهذا الإنسان أن يَغْفَلَ عن الله ؟ فإن كنتَ عَبْدًا لله وقد نسَبَك الله تعالى إلى ذاتِه نِسْبَةَ تَشْريف قال تعالى:

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾

[سورة إبراهيم]

لا خَير في دينٍ لا صلاة فيه والصلاة عماد الدِّين مَن أقامَها أقام الدِّين، ومَن هَدَمها هدَمَ الدِّين، وبين الرجل والكُفر تَرْك الصلاة، والصلاة نورٌ، وطَهور، ومِعراج المؤمن، وميزان فَمَن وفَّى اسْتَوْفى، وهي قرْب، وصِلَةٌ، ووعْيٌ وليس للرجل من صلاته إلا ما عقَلَ منها، وهي ذِكْر قال تعالى:

﴿وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي(14)﴾

[سورة طه]

وهناك خمسة أركان في الإسلام فالحج قد لا يُفْرض على الفقير، والصَّوم يسقط عن المُسافر والمريض، والزكاة تسقط عن الفقير، بقِيَت الشهادة وهي مرَّة واحِدَة، ما هو الفرض المُتَكَرِّر الذي لا يمكن أن يسقط بِحَال ؟ هي الصلاة، وقال بعضهم: الصلاة تأخذ مِن كل أركان الدِّين نَصيبًا، إذا تَوَجَّهْنا إلى الكعبة فهذا من فريضة الحج، وإذا تركنا الطعام والشراب فهذا من الصِّيام، وإذا اقْتَطَعنا من وقتنا وصلَّينا فهذا الوقت زكاة لنا، تأخذ الصلاة من الزكاة أنَّ الوَقْت الذي تصْرفه في الصلاة هو جزءٌ مِن رأس مالِكِ الذي قد تكْسِب به مالاً، وحينما تتَّجِهُ إلى الكعبة المُشَرَّفة لها من الحج نَصيب وحينما تمتَنِع عن الطعام والشراب والكلام في الصلاة فهذا معنى الصيام، لذا فيها معنى الصيام والحج والزكاة، وكأنَّ الصلاة وَحْدَها تَجْمع أركان الإسلام الخمسة، بل إنَّ الحج مِن أجل الصلاة، والصيام من أجل الصلاة، وإنّ الزكاة من أجل الصلاة، وإنّ التَّوحيد من أجل الصلاة، وإنّ الصلاة من أجل الصلاة، ومن هَدَمها فقد هدَمَ الدِّين قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي(25)﴾

[سورة الحاقة]

وقال تعالى:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(42)﴾

[سورة المدثر]

قال تعالى :

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾

[سورة إبراهيم]

لماذا لم يقل الله: قل لعبادي يُصَلُّوا ؟ كلمة يُقيم الصلاة، كالذي يريد أن يُقيم البناء لا بدّ لهُ من رخصة، لِعِظَم الصلاة لا بدّ أن تُقامَ قبل أن تُصَلي ! من الصبح إلى الظهر إذا كان هناك إطلاق بصَر لا تقل صلاة الظهر ! وكذا الكذب والأيْمان الكاذبَة، فإقامَة الصلاة أن تسْتَعِدَّ لها قبل أن تأتي، وتَسْتَعِدَّ لها بالاسْتِقامَة، وتهيئ نفْسَك بالطاعة والإحسان، أما أن تقضي يومك بالكذب والاحْتِيال وخمسين نظْرة باطلة، فالله تعالى ما قال لِيُصَلُّوا ولكن قال:

﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾

إقامة البناء تحتاج إلى تخطيط وبراءات ذِمَّة.

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾

[سورة إبراهيم]

أتاك العِلم أنْفِق العِلم، إن آتاك المال أَنْفِق المال، وآتاك سُلطة فكُن عادِلاً، والعَدل حسَن ولكن في الأمراء أحْسَن، والسَّخاء حسَن ولكن في الأغنياء أحْسَن، والحياء حَسَن ولكن في النِّساء أحْسَن، والتوبة حسنة ولكن في الشباب أحْسَن لذا عليك أن تُنْفِقَ مِمَّا أعْطاك الله، المال والعِلم والجاه، عَدْلُ ساعة يفضل أن تعبد الله ثمانين سنة !! لا يوجد إنسان على وَجْه الأرض لم يُؤتِهِ الله شيئًا، فإمَّا أن تكون مِمَّن آتاك الله قُدرات كلامِيَّة، وقدرات عِلْمِيَّة، وذاك قدرات مالِيَّة، وذاك قدرات اجْتِماعِيَّة، لا يوجد إنسان ليس له نصيب من حُدود الدنيا، فهذا النَّصيب زكاتُه أن تُنْفقهُ في سبيل الله ماذا قال تعالى لِقَارُون ؟:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(77)﴾

[سورة القصص]

أيها الإخوة حقيقة مهمَّة جدًا، فالمال حظّ مِن حُدود الدنيا، وكذا الذَّكاء والوَسَامَة، والجاه والصِحَّة، والسُّلْطة ؛ فهل تُسَمَّى هذه الحُظوظ نِعَم ؟ لا تُسَمَّى لا نِعَم ولا نِقَم !! هذه مَوْقوفَة على نَوع اسْتِخْدامِها، فالمال لا يُسَمَّى نِعمةً إلا على طريقة إنْفاقِهِ، فإذا أُنْفق في طاعة الله كان نِعْمَةً وإذا أُنْفِقَ في تأسيس مَلْهى انْقلب إلى نقمة، وكذا طلاقَة اللِّسان إذا أيَّدْت بهذه الطلاقَة الحق فالطَّلاقة هذه نِعْمة، أما إن أيَّدْت بها الباطل فَهِيَ نِقْمَة، والمرأة إن تَزَوَّجْتها وِفق شَرْع الله فَهِيَ نعمة، والدنيا كلُّها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة، أما إذا خرجْت عن منهج الله تعالى في علاقتك معها صارَتْ المرأة نِقْمة، فالزَّوْجة نعْمة والسكرتيرة نقمة، فَحُظوظ الدنيا ليْسَت نِعَمًا وليسَتْ نِقَمًا إنَّما هي حُظوظ حِيادِيَّة مَوْقوفَة على نَوْع اسْتِخْدامِها ؛ إما أنَّها دَرَجات تَرْقى بها، وإما دركات تهوي بها.

قال تعالى :

﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾

[سورة إبراهيم]

يأتيك الشيطان ويقول لك: أنت تُنفق أمام الناس، لا يستطيع أن يقول لك الشيطان أنت مُرائي أو منافق، وكذا إن أنْفَقْتَ علانِيَةً وشَجَّعْتَ الآخرين فلا مانِع من هذا، قد يكون مشْروع بناء خيري تقول أنت: مِنِّي خمسين ألفًا، فقد يسْتحي الذين معك أو من كان سيُعطي خمسة آلاف، وحينها ينفقون أكثر، فأحيانًا الإنفاق المُعْلَن مُشَجِّع، والإنفاق السِّري مُؤَيِّد للإخلاص وأنت مُخَيَّر بين أن تنفق سرًا أو جهْرًا، لكن ينبغي لِمَن أنفق أن يكون هذا سِرًّا، أما إن كان مَشْروع خَيري أو مُؤسَّسة خَيْرِيَّة.

قال تعالى:

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (31)﴾

[سورة إبراهيم]

الخِلال جَمع خُلَّة ؛ وهي المودَّة، فلا واسِطَة، فأحيانًا الإنسان يكون في أشَدِّ الحاجة إلى المال ويتلوَّى من الجوع، وأحيانًا ليس معه العُمْلة المناسبة للبلد الأجنبي، لكن بالآخرة لا مال ولا بِضاعة تَشْتريها، لذلك حقوق العباد لا تسقط إلى في حالين ؛ بالأداء أو المُسامَحَة.

فالشَّهيد يُغْفَر له كل شيء إلا الدَّيْن ! والوَهْم الشائع أنَّ الإنسان إذا حجَّ كبَّ كلّ ذُنوبِهِ ؛ فهذا فقط الذي بينك وبين الله، أما التي بينك وبين العباد فلا تسقط إلا بالأداء والمُسامَحَة، وتَرْك دانِقٍ من حرام خير من ثمانين حجَّة بعد الإسلام، اتَّق المحارِم تكن أعْبَد الناس، وأدِّ الحُقوق إلى العباد تكن أعْبد الناس، فلو صلَّيت ألف ركعة في اليوم وكنت مِمَّن أكل الحرام فأداء الحقوق لأهلها خير لك من هذه الصلاة، وهذه امرأة تُكثر من صلاتها وقيامها، غير أنَّها تؤذي جيرانها بِلِسَانِها، فهي في كما قال عليه الصلاة والسلام:

((ودخَلَت النار امرأة في هِرَّة حَبَسَتْها فلا هي أطْعَمَتْها ولا هي تَرَكَتْها !))

فالأمور مه اله تعالى دقيقة، قال تعالى

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (31) ﴾

[سورة إبراهيم]

فالقضايا التي في محاكم من غِشَ وتَزوير ؛هذه في الدنيا أما في الآخرة عَدْل مطلق، ولا يوجَد إعْفاء، إنَّما يوجد العَدْل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-7) : تفسير الآيات 32 - 34

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، الآية الكريمة الثانية والثلاثون والثالثة والثلاثون والرابعة والثلاثون من سورة إبراهيم عليه السلام، وهي قوله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)﴾

[سورة إبراهيم]

أوّلاً: الله جل جلاله هو الذي خلق السماوات والأرض، وهو الذي خلقنا، وهي النِّعْمة الأولى نِعْمة الإيجاد، قال تعالى:

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا(1)﴾

[سورة الإنسان]

الشيء الثاني: أنَّه تعالى أنزل من السماء ماءً، فإذا أنت سَمِعْت بالأخبار أنَّ هناك منخفض جَوِيّ مُتَمَرْكِز فوق قبرص، يجب أن تفْهَمَ أنّ هذا المنخفض نِعْمةٌ ساقَها، فالإنسان قد ينسى نِعْمَةَ الله عز وجل نتيجة المصطلحات الحديثة ؛ كل هذا كما قال تعالى:

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾

[سورة إبراهيم]

خِصّيصًا لكم، أحيانًا يدْعو إنسان شَخْصًا غالٍ عليه إلى وليمة، يَدْعوهُ ويَدْعو بعْضًا من الناس المُقَرَّبين إليه؛ هذا المَدْعو الأوَّل هو ضَيف الشَّرَف، وقد يُطْرَق الباب والناس يأكلون فيقول له: تفضَّل واجْلِس واحْضَر الزاد، فالوليمة لِوَاحِد، أما الحُضور فكثير ، هذا هو المعنى المُستفاد من لكم قال تعالى:

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾

[سورة إبراهيم]

امْسك التفاحة ترى حجْمها وقِوامَها ورائحتها وطريقة إنباتها ومَوْسِم نضجها، وكل هذه الخصائص متناسبة مع الإنسان معنى ذلك أنَّ التفاحة خُصِّصَت لنا، ونظر مُكَوِّنات الحليب، البقرة ليْسَت عاقلة، وغُدَّتها الثَّدْيِيَّة كالقُبَّة وتجري فوق هذه الغدَّة أوْعِيَة دَمَوِيَّة يجول الدم فيها، وهذه الخليَّة لثَّدْيِيَّة إلى الآن لا أحد يعرف طبيعة عملها إلا أنَّها تأخذ من الدم الذي فوقها مُكَوِّنات الحليب وترشح نقطة حليب من تحت، هذا يجْتمع في ضرع

البقرة، وهذا الحليب يحوي كالسيوم ومغنيزيوم وحديد ونُحاس وبروتينات ومواد دسمة ودَهنِيَّة ؛ مَن أعطى هذه النِّسَب، قال تعالى:

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(5)﴾

[سورة النحل]

ذكري لي أخ مرَّةً كلمة لا أنساها ؛ قال لي: لنا جار له بقرة أصابها مرض التَّوَحُّش، فقَتَلَتْ أوَّل رجل والثاني، وكادَت تقتل الثالث ؛ فما كان مِن صاحِبِها إلا أن أطلق عليها النار فقتَلَها ! لو أنَّ هذه الحيوانات التي نسْتفيد من حليبها كانت مُتَوَحِّشَة ماذا قال الله عز وجل:

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ(72)﴾

[سورة يس]

فلو كان الغنم كالضَّبع، فمَن أعطى هذه الطِّباع ؟ ونحن إذا أردنا أن نُعَبِّر عن إنسان لطيف وسَهل نقول عنه: مثل الغنَمَة ! وزْن البقرة طن ونصف، والجمل أربعة طن فقط ؛ تجد الطفل الصغير يقود الجمل، بينما العقرب الرجل الشجاع يفرّ منه، وكذا الأفعى، فَمَن ركَّب في هذين النَّوعين هذه الطِّباع ؟! إذًا كما قال تعالى

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُم﴾

[سورة إبراهيم]

خطر في بالنا أنَّ المحاصيل الزِّراعِيَّة تنضج في يوم واحِد، بينما لا فواكه تنضج تباعًا على ثلاثة أشهر ؛ أَلَيْسَت هذه حكمة ؟ أليس هذه برمجة من عند خالقٍ عظيم حكيم.

قال تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾

[سورة إبراهيم]

لو لم يكن قانون أرخميدس، والأجسام لا تطفو على الماء، مَن أوْدَع في الماء قوَّة الدَّفع نحو الأعلى.

قال تعالى :

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32)﴾

[سورة إبراهيم]

أنت سَل بعض الدُّوَل التي تُحلِّي المياه المالِحَة، كل لتر ماء أثنى عشرة ريال، وأنت تأخذ الماء حلوًا عذْبا من الينابيع، مَن حلَّ هذه المياه ؟ ونِظام التَّبخُّر من الذي خلَقَهُ ؟ يكون معك ماء مالح تَغْليه على النار يتبخَّر، ثمَّ ضَعْهُ بِقَارورة باردي يتقطَّر، أين الملح ؟ بالأرض، فهذا نَهر الآمازون ثلاثمئة ألف متر مكعب

بالثانية، ودمشق خمس ملايين وزيادة يسقيها نَبْع الفيجة ستَّة عشر متر مكعَّب بالثانية، هذا الحَوْض يبدأ من عين الفيجة وإلى حمص وإلى قريب من البادِيَة، فمَن سخَّر هذا ؟ قال تعالى:

﴿ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32)﴾

قال تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) ﴾

[سورة إبراهيم]

لولا الشمس لدخَلَتْ الأرض في برودة مُميتَة.

قوله تعالى:

﴿دَائِبَيْنِ﴾

العلماء قالوا: مضى على تألُّق الشمس خمسة آلاف مليون سنة، وسوف تبقى خمسة آلاف مليون سنة أخرى.

قال تعالى:

﴿وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)﴾

[سورة إبراهيم]

قال تعالى:

﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا(20)﴾

[سورة الإسراء]

ولكن الآية فيها مركز ثِقَل، قال تعالى:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) ﴾

[سورة إبراهيم]

ذكرْتُ مرَّةً وقلت لكم: لو أعْطَيت إنسانًا ليرة حديد وقلت له عُدَّها ! هي ليرة واحِدَة فَكَيْف يَعُدُّها ؟ نِعْمة البصر، ونعمة السمع والحركة والعقل وجهاز الهضم، فنِعْمة حَبْس البَول فقط هل تُقَدَّر بِثَمَن ؟ لولا هذه المثانة لكانت حياة الإنسان جحيمًا وجعل الله للمثانة عضلات، وهناك مَن يُصلب بِسَرَطان بالمُستقيم، فيلجئوا إلى فَتْح فتحة على جنبه، وكل كيس ثلاثمائة ليرة، شيء لا يُطاق ! أما المُستقيم و عضلاته، فهذه نِعَم كبيرة لا يعرفها إلا من فقَدَها، فمثلاً نِعْمة القناة الدَّمْعِيَّة لو أنَّها غُلقَت لكلَّفك الأمر إلى أن تحمل دائِمًا منديل وتمسح على عينيك وخدِّك، وهذه هي أدقّ قناة في الإنسان، وكذا صِيوان الأذن ؛ لولاه لما عرفتَ جِهَة السيارة ! لذا نعمة واحِدَة لو أمْضَيْت الحياة في تِعداد فضائِلَها لما أحْصَيْتَها فلأن تكونوا عاجزين عن شكرها

من باب أولى، فإذا جاء مؤلود وجاءَتْهُ مائتان هَدِيَّة وكان مَحْبوبًا، يا ترى هل إحصاء الهدايا هو السهل أم ردُّها ؟ لذلك قال تعالى:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) ﴾

[سورة إبراهيم]

لذا أيها الأخوة مَن ضاقَت نفْسه فأنت عندَكَ نِعْمة الهُدى، فهناك من يسرق ويزني ويعصي، ونعمة الصِّحة هذه كذلك ليْسَت قليلة، فَهُناك صُوَر من مشفى المجانين لا تُصَدَّق ؛ يموت كل يوم شَخْصين ثلاثة، يخلعون ثيابهم ويُكَسِّرون الأثاث والمدفآت، وكذا نِعْمة الحَرَكَة ونِعمة السمع والبصر والتَّكلّم والنطق ؛ فهذه نِعَم لا يستطيع الإنسان إحْصاءَها قال تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)﴾

[سورة إبراهيم]

قد يظلم الإنسان أحيانًا نفسهُ بِكُفْرِهِ، فإذا الواحد ضاقت نفسُه عليه أن يُعَدِّد نِعَم الله عليه، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أحِبُّوا الله لما يغدوكم به من نعمه..."))

نعمة الهدى والرشاد والإيجاد ؛ فهذه النِّعَم تُحَبِّب بالله، وإذا أحبَّ الله عبده ألْهَمَهُ شُكْرهُ، لذا أُشْكر ما عندك ولا تهتمّ بما ليس عندك، فالكُفَّار تجدهُ غرقان بالنِّعَم، ومعه مال يعيش به خمسون سنة، فالإنسان عليه أن يشكر، والله تعالى قال:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)﴾

[سورة إبراهيم]

الحمد لله الذي أذاقني لذَّته وأبقى فيّ قوّته.

لذا درسنا اليوم حول النِّعَم وشكرها، وقال تعالى:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) ﴾

[سورة إبراهيم]

والإنسان بالشُّكْر يزيدُكَ الله من النِّعَم، وبِشَكل موجَز الشكر ثلاثة مراحِل ؛ أن تعلَم أنّ هذه النِّعْمة من الله تعالى كدَرَجة أولى، وأن يمتلأ قلبك امْتِنانًا، وهي درجة الحَمْد، والدرجة الثالثة خِدْمة العِباد، فَخِدْمة العباد شُكْر لربِّ العِباد.

الدرس (7-7) : تفسير الآيات 42 - 47

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الكريمة الثانية والأربعون من سورة إبراهيم عليه السلام، وهي قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (43)﴾

[سورة إبراهيم]

فالآية فيها نهَي وهي لا، وهذه اللام هي لام النَّهي، فلعلَّ بعض الناس يتوهَّم خطأً أنّ الله غافلٌ عمَّا يعمل الظالمون، حتَّى أنَّ أحدهم يقول لك: أين الله ؟ ولِحِكْمَةٍ أرادها الله، يُمِدُّ الله الظالم بطَريقةٍ تحسب أنَّه لن يضعف، وأحيانًا ترى وُجود الله وعدالتَهُ ظاهِرَةً للعَيان ربُّنا سبحانه وتعالى يَمْتَحِنُ العباد مرَّةً بإظهار وَحْدانِيَّتِه، ومرَّةً بإمداد الكفار الظالمين، فالمؤمن القويّ وهو في أشَدِّ حالات الضِّيق، ويرى أنَّ الأقوياء الطُّغاة يسيحون ويَمرحون فإيمانُهُ لا يتزَعْزَع، فمثلاً النبي عليه الصلاة والسلام ؛ نَبِيٌّ مُرْسَل، وسيِّد الخلق،وحبيب الحق، ودعا إلى الله هاجَر من مَكّة إلى المدينة، وهو في أعلى درجات القرب، ومعه صحابة كِرام مُخلصون عابِدون وتائِبون وساجِدون، ومع ذلك في معركة الأحزاب جاءَت جُموع الكفرة إلى المدينة وأحاطوا بها، وبقيّ الإسلام مُجَرَّد ساعات، فَمَعْركة الخندق جاءَت لا لِتَنْتَصِر على المسلمين بل لِتُبيدَهم وتستأصِل شأفتَهم ؛ حتَّى أنَّ بعضهم قال: أَيَعِدُنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكِسرى، وأحدُنا لا يأمَن أن يقضي حاجته، قال تعالى:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا(11)﴾

[سورة الأحزاب]

فالله قد يمُدّ القوي بالطغيان والتجبُّر، كما نرى أحيانًا دُوَل عُظْمى يظنّ الناس أنَّها تمْلك رقاب الشُّعوب كلها، فالإنسان بِساعات ضَعف الإيمان يقول: أين الله ؟ فربنا عز وجل قال:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا(11)﴾

[سورة الأحزاب]

ولكنَّ الله كذلك قال:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(23)﴾

[سورة الأحزاب]

فالله تعالى لما يمُدُّ القوي هو تعالى بِهذا يَمْتَحِن المؤمنين، فالضعيف يسقط والقوي يثبت ولا تضعف ثِقَتُه، وهذه الآية دقيقة جدًا:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)﴾

[سورة إبراهيم]

فلولا أنَّ بعضًا من الناس ظنَّ هذا لما نزل هذا الوحي الإلهي ! وهؤلاء لِضَعْف إيمانِهم يظنُّون أنّ الله تعالى غافل عنهم ؛ يقول لك: صُهْيونيَّة عالمِيَّة، وماسونيَّة، وكأنَّ هذه الحركات بِيَدِها مصير الشُّعوب وهذا كلام فيه ضَعْف إيمان والله تعالى لا يتخلَّى عن دينِهِ والمؤمنين ولكن لِحِكْمَة يُريدُها.

قال تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ(4)﴾

[سورة القصص]

إذا عصاني من يعرفني سلَّطتُ عليه من لا يعرفُني ؛ إذًا قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)﴾

[سورة إبراهيم]

أوْضَح مثل لهذه الآية ؛ صاحب محل تِجاري عنده مُوَظَّف، ويفتح المحل صاحِبُه، ويجلس أمام صندوق المال، ويُغلق المحلّ بِيَدِهِ ؛ فهل المُوَظَّف الذي معك أمين أم خائِن ؟! لن يظهر معك صِدْق الموظّف أو خِيانتهُ، متى يظهر ؟ إذا خرج صاحب المحل وترك الموظَّف لِوَحْدِهِ فأمانة المُوظَّف لن تظهر إلا إذا تغافل عنه، فبرُّنا عز وجل حتَّى يمْتَحِن العِباد يرْخي لهم الحبل، فتجِدُه أنت يشرب الخمر ويزني ويسرق ودخله حرام وليس به شيء ! هنا الله تعالى يمُدّ الإنسان ويرخي الحَبل، لكن بأيّ لحظة هذا الإنسان قد يُحاسب حِسابًا عسيرًا، وكذلك المؤمن يغضّ بصرهُ ويستقيم ويُصلي، ويُعاني مِن مَشاكِل كثيرة ؛ كلّ هذا من أجل أن يُرَى هل هذا إخلاصًا أم يريدُ المَنْفَعَة مَن أَحَبَّنا أحْبَبْناه، ومَن طلبَ مِنَّا أعْطَيْناه ومَن اكْتَفى بِنا عمَّا لنا كنَّا له وما لنا، فالمؤمن يُمْتَحن فقد تُحْجَب عنه الدنيا وهو مُستقيم، وقد يُعْطيها الكافر وهو مُنْحَرف، لكنَّ الله تعالى كما قال:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)﴾

[سورة إبراهيم]

فالعِبْرة بالنِّهايَة، ومَن يضحَك آخرًا، قال تعالى:

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(83)﴾

[سورة القصص]

الإنسان المَحْدود التَّفْكير يعيشُ وَقْتَهُ ؛ يأكل المال الحرام ويعتدي على الناس وعلى أموالهم وأعراضِهم، ويتحرَّك حركة عَشْوائِيَّة، لكنَّه في قَبْضة واحِدة يكون عند الله، إما بِمَرض عُضال أو قَسْمٍ أو حادِث، وينقلب إلى شرّ عمله، لذلك هذه الآية مُهِمَّة لكلّ إنسان، فلو وَجَدْتَ إنسانًا قويًّا ومُلْحِدًا وكافِرًا، فلا تعْبأ فإنَّه في امْتِحان والعِبْرة بالنِّهايَة، قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)﴾

[سورة إبراهيم]

والإنسان إذا أيْقَنَ أنَّ الله يُعْطي كلِّ ذي حقٍّ حقَّه يرْتاح، ففي الدنيا هناك فقير وغني وقوي وضعيف ومُعتدي وغير معتدي والأوراق مُخْتلِطَة ويتَفَلْسَف ولكن يوم القِيامة هو يوم الفَصْل والجزاء والعَدل والحِساب، ومالك يوم الدِّين، فالبُطولة ان تنْجو من ذاك اليوم، ولذا قال سيدنا عليّ رضي الله عنه: الغِنَى والفقْر بعد العرض على الله، قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)﴾

[سورة إبراهيم]

أراد أحد المُتَفَلِّتين أن يقطع يد كلب صغير في يوم شَتْويّ كي يُبرْهِنَ مهارتَهُ بالسِّياقَة، فَمَرَّ عليه وقَطَعَ يَدَيْه، وضحِكَ ! فهذا الحادث حصل بالسَّبت، وبالسبْت القادِم أصاب العجلة خلل فخرَج هذا السائق لِيُصْحها وأثناء تصْليحه العجلة انحل الكريك وسقطت الدولاب عليه فأُصيبَت يَدَيْه إلى حدِّ الرسْغَين، وإلى حين أخْذِهِ إلى المستشفى اسْوَدَّتْ يداه واضْطرّ الأطباء إلى قَطْع يدَيْه ! قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)﴾

[سورة إبراهيم]

لكن أيها الإخوة هناك نقطة دقيقة، ربنا عز وجل قال:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ(69)﴾

[سورة النمل]

وفي آية أخرى فانظروا، وفي أخرى ثمّ انظروا ! آيتين مُتَشابِهَتين، إحداهما بالفاء والأخرى بِثُمَّ، فالفاء تُفيد الترتيب على التعقيب، ولكن حرف ثمّ تفيد الترتيب على التراخي، والله تعالى يُمْهِل ولا يُهْمِل، فالله تعالى يُعطي العبْد فرصة التوبة، وأحيانًا لِعِلْم الله بِعَبْدِهِ يترُكهُ يرتكب معْصِيَة كبيرة يقْصِمُهُ بعدها قَصْمًا، فإذا قُصِمَ

بعْدَها سريعًا فالفاء، وإذا قُصِم بعد عَشْر سَنَوات على ثُمَّ فَكِلاهما صحيح، فإما أن يأتي انتقام الله بسرعة فالفاء، وإما أن يأتي انتِقام الله على التراخي، قال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(11)﴾

[سورة الأنعام]

وكلَّما كبُر عقلك كبر خوفك من الله شديد، دَخَلْتُ مرَّةً لِمَصْنَع فإذا بي أجِد صاحِبُهُ في غمٍّ شديد، فقال لي: أرأَيْت ؟ فقلتُ: ماذا أرى ؟ قال لي: أُنظر إلى الجسر ذاك، وكان فيه شِق وذاك الشق يُسَبِّب انْهيار، وجاء بِدُكتور طلب منه خمسمائة ألف ليرة وهذه بِسَنة السبعين، فالإنسان كلَّما كبر عقلُهُ يزْداد خَوْفُهُ من الله، ولذلك رأس الحِكْمة مَخافة الله، وأشَدُّكم لله معرفةً أشدُّكم خوْفًا منه.

قال تعالى:

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (43) ﴾

[سورة إبراهيم]

مُهطعين خاضِعين، ومُقْنعي رؤوسِهم أي مُطَأطِئي رؤوسِهم، فهم في الخوف والهَلَع والجزع والخُضوع قال تعالى:

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (44)﴾

[سورة إبراهيم]

كل خِطَط الكفار عند الله، ويعلمها، فإذا نسَجُوا منها شيئًا لم تقع، ولأنَّ خطَّة الله تَسْتوْعِب خِطَّة الكافر، ولا يقع شيء في كون الله إلا إذا أراد الله، فلو بدى لك أنَّ الكافر قال لك: سأفْعَل وأفعَل، إذا فعَلَ شيئًا فَفِعْلُه من خُطَّة الله عز وجل، الظالم سوط الله ينتقِمُ به ثمَّ ينتقِمُ منه، قال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(129)﴾

[سورة الأنعام]

قال تعالى:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)﴾

[سورة إبراهيم]

تسمع أنت أعداء الدِّين والكفار والمُلْحِدين يُخَطِّطون لِتَدْمير الإسلام وإطفاء نور الله لكن هذه نواياهم والله يفعل ما يريد، أنت تريد وأنا أريد فإذا سلَّمْتَ لي فيما أريد أعْطَيْتُكَ ما تُريد، وإذا لم تُسلِّم لي فيما أريد أتْعبتُكَ فيما تُريد قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ(36)﴾

[سورة الأنفال]

فإذا خطَّط هؤلاء فخُطَّتُهم هاوِيَة وإن كانت تهدّ الجبال، قال تعالى:

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (47)﴾

[سورة إبراهيم]

وعَدَ الله المؤمن بالجنَّة والحياة الطَّيِّبَة، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (47)﴾

[سورة إبراهيم]

هنيئًا لِمَن كان مع الله وعلى منهج الله ولِمَن خافهُ تعالى، إنّي والإنس والجنّ في نبأ عظيم أخلقُ ويُعبَدُ غيري، وأرزق ويُشْكَر سِوَاي، وخيري إلى العباد نازِل وشرُّهم إليَّ صاعِد، أتَحَبَّبُ إليهم بِنِعَمي وأنا الغني عنهم، ويتبغَّضون إلي بالمعاصي وهم أفقَر شيء إليّ، مَن أقبل إليَّ منهم تلقَّيْتُهُ من بعيد، ومن أعرض عنّي منهم نادَيْتُهُ من قريب، أهل شُكري أهل زِيادتي، وأهل ذِكري أهل مودَّتي، وأهل معصِيَتي لا أُقَنِّطُهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا حبيبهم، أبْتَليهم بالمصائِب لأُطَهِّرهم مِن الذُّنوب والمعايِب، الحسنَةُ عندي بِعشرة أمْثالها وأزيد، والسيِّئة بِمِثْلها وأعْفو، وأنا أرأف بِعَبدي من الأم بِوَلَدِها، قال تعالى:

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

[سورة الزمر]

وإذا رَجَعَ العبد إلى الله نادى مُنادٍ بالسماء أن هنئوا فلانًا فقد اصْطَلَحَ مع الله.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : تفسير سورة الحجر

الدرس (5-1) : تفسير الآيتان 2 - 3 ، الندم والأمل

الدرس (5-2) : تفسير الآية 9 ، حفظ القرآن

الدرس (5-3) : تفسير الآيات 19 - 23 ، أسباب الرزق

الدرس (5-4) : تفسير الآيتان : 49 -50 ، التوبة قبل فوات الأوان

الدرس (5-5) : تفسير الآية 88 ، لا عيش إلا عيش الآخرة

الدرس (1-5) : تفسير الآيتان 2 - 3 ، الندم والأمل

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية الثانية والثالثة من سورة الحجر، وهي قوله تعالى:

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (2) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3) ﴾

﴿رُبَمَا﴾

قد نتوهم أنها تفيد التقليل، لكنها في الأعم الأغلب تفيد التكثير، تفيد غلبة اليقين، قد تقول هل أنت راغب في عمل، إذا قلت ربما، معنى ذلك أنك راغب، يغلب على يقينك أنك راغب، لا كما يتوهم العامة أنها تفيد التقليل دائماً، تفيد التقليل قليلاً، وتفيد التكثير كثيراً.

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (2)﴾

يعني يتمنى الذين كفروا عند اكتشاف الحقيقة لو كانوا مسلمين، الإنسان متى يندم ؟ معناها منه. لو أن أحدنا قال ليتني درست، معنى الإدراك سابقاً كان غير صحيح، اتخاذ القرار كان غير حكيم، ليتني لم أعقد هذه الصفقة معناها الدراسة لم تكن كافية، ليتني ربيت ابني في سنٍ مبكرة، معناها غابت عنك الحقيقة الأساسية، تأخرت في تربيته، فتفلت من يدك لاحظ نفسك كلما قلت ليتني، ليتني فعلت كذا، معناها حينما اتخذت القرار الخاطئ، لم يكن هذا القرار مدروساً، أو لم تستخدم عقلك استخداماً صحيحاً، أو لم تستشر، أو لم تتبع، في خلل، أما الخلل في الإدراك، أو الخلل في التنفيذ، إذا قلت ليتني معناها ندمان.

إذاً: من هو العاقل ؟ تعريف العاقل، هو الذي لا يندم على شيءٍ فعله، لاحظ الإنسان إذا كان مؤمن، وقضى حياته في معرفة الله وفي طاعته، وفي التقرب إليه، ثم جاءه ملك الموت، تراه في أسعد لحظات حياته، ما ندم على شيءٍ من الدنيا، بالعكس، أمضى حياته في معرفة الله، في طلب العلم، في طاعة الله، في إنفاق المال، في تعليم العلم، في الأمر بالمعروف، في النهي عن المنكر، ربى أولاده، اعتنى بزوجته، أخذ بيدها إلى الله ورسوله، فإذا جاء الموت، لا يندم لأنه عمل عين العقل لذلك قالوا: "**أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً** ".

الندم يعني عدم استعمال العقل، الندم يعني تعطيل العقل، الندم يعني إساءة استخدام العقل.

أخوانا الكرام:

العقل أثمن ما يملكه الإنسان، لكن هذا الجهاز الخطير، أم أن تستخدمه وفق ما خلق له، وأم تستخدمه عكس ما خلق له، وفق ما خلق له، تجعله القائد، أم أن تستخدمه عكس ما خلق له، تجعله المبرر ترتكب لا سمح الله المشكلة، المعصية، تصر على شهوة، وتستنجد بعقلك، فلسف لي هذه المعصية، فلسف لي هذا الانحراف، برر لي هذا المال الحرام الذي أكلته، العقل إذا استخدم مبرر، ومفلسف، ومغطي للانحراف، فقد يصبح هذا العقل سبب هلاك صاحبه، من دون عقل أريح كان، جهاز خطير جداً.

يعني آلة تصوير ملونة، ممكن تكسب منها ألوف يومياً، ألوف لو زورت فيها عملة، للسجن، وبنفس الآلة إذا استخدمتها في تصوير وثائق ملونة، في تصاميم أوراق مراسلة، إذا استخدمتها فيما صنعت له ترقى بها، أم إذا استخدمتها لغير ما صنعت له، تهلك بها، والعقل كذلك، فأم أن يكون العقل قائداً، وأم أن يكون مبرراً، أنا أفعل كما أشتهي، أنحرف كما أشاء، واستنجد بالعقل، برر عملي، فلسفلي عملي، وهذه هي المبادئ الوضعية بالعالم، إنها فلسفة العدوان، فلسفة الانحراف، فلسفة التفلت، فلسفة اقتناص الشهوات، فلسفة أكل أموال الناس بالباطل، العقل خطير، لأنه كما أنه يقودك إلى الله ورسوله، قد يبعدك عن الله ورسوله، كما أنه يقود إلى الله ورسوله، قد يبرر لك الانحراف كله.

فلذلك: الندم يساوي عدم استخدام العقل، أو استخدامه لغير ما خلق له، أما تعطيله، أو إساءة استخدامه، لذلك " **أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً** "، العقل يتوافق مع النقل مائة بالمائة، حتمية توافق العقل مع النقل لماذا؟ لأن النقل كلام الله، والعقل مقياس الله أودعه فينا، مقياس نتائج العقل يجب أن تتفق مع نتائج النقل، النقل يعني القرآن والسنة العقل مقياس، والنقل كلام الله عز وجل، وبيان النبي الكرام عليه الصلاة والسلام، مستحيل أن يتناقض العقل مع النقل مستحيل، إلا، أن يتناقض العقل مع النقل غير الصحيح، أو أن يتناقض النقل الصحيح مع النظرية التي لم تثبت بعد، أما هذا الكون خلقه، وهذا القرآن كلامه، وهذا العقل مقياساً أودعه فينا، توافق حتمي.

أقول لكم دائماً، الحق دائرة يمر منها خط العقل، وخط النقل تتقاطع فيها خطوط العقلي، والنقل، والفطرة، والواقع، الواقع ثابت والفطرة مقياس نفسي أودعه الله فينا، والعقل مقياس علمي، والنقل كلامه، هذا الحق، أحياناً يبتدع في الدين شيء، تأباه الفطرة، معناه ليس حق هذا، لو النص شديته ومطيته، ما أحد يزوج ابنته شهر واحد ما أحد يقبل هذا، وإذا طلبت منه قد يغضب، هذا خلاف الفطرة.

إذاً: العقل، والنقل، والفطرة، والواقع.

﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾

إذاً يندمون، وآيات الندم في القرآن الكريم كثيرة.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)﴾

(سورة الزمر: 56)

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24)﴾

(سورة الفجر: 24)

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26)﴾

(سورة الحاقة: 25 . 26)

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً (28)﴾

(سورة الفرقان: 27 . 28)

اجمعوا آيات الندم وحدها، آيات الندم تشير إلى أن الإنسان مخير أبداً، دليل قطعي، لو أن الإنسان كان مقهور لا يندم على خطئه ليس لي علاقة أنا، أنا مقهور، لو واحد قبل الامتحان بساعة، أخذناه وحجزنا حريته، ثم رسب بالامتحان، ما له اختيار مقهور كان، بقلك أنا ما درست، يا للأسف العام، ما لي علاقة أنا، مقهور لأنه، الندم يعني أنك مخير، كل آيات الندم في كتاب الله، تؤكد أنك مخير، لو لم تكن مخير لما ندمت.

الشيء الثاني:

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾

الفكرة الأساسية، أخوانا الكرام خيارك مع الإيمان، ليس خيار قبول أو رفض، خيار وقت، فقط، الدليل، هؤلاء الذين كفروا، في ساعة من ساعاتهم تمنوا أن يكونوا مسلمين، معناها، الخيار خيار وقت، أنت مخير خيارين، إما أن تؤمن الآن، وأنت صحيح، شحيح، قوي، معافى، غني، إما أن تؤمن الآن، وبإمكانك أن تنتفع بإيمانك، وإما أن تؤمن بعد فوات الأوان.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158)﴾

(سورة الأنعام: 158)

إما أن تؤمن كما آمن الصحابة، وإما أن تؤمن كما آمن فرعون فرعون آمن، لكن وهو يغرق، قال له الله:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91)﴾

(سورة يونس: 90 ـ 91)

الخيار الحقيقي، ليس بين أن تؤمن وبين أن لا تؤمن، الخيار متى تؤمن ؟ إما إيمان الصحابة، وإما إيمان فرعون، كلاهما آمنوا الأولون آمنوا، وهم في مقتبل حياتهم، فانتفعوا بإيمانهم، وفرعون آمن بعد فوات الأوان.

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾

المؤمن يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع، المتعة هي ديدنه، المتعة هي هدفه الوحيد يعيش ليتمتع، هناك من يعيش ليأكل، وهناك من يأكل ليعيش، والمؤمن أرقى من هذا وذاك، يعيش ليعرف الله عز وجل.

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾

مرة كنت أنتظر شخص، قاعدين أثنين عما يتكلموا، سمعت حديثهم، قال واحد هلكنا فلان، قال له لماذا ؟ قال له عما يكسي بيت محتار يكون التمديد للشوفاج، داخلي تحت البلاط، لما خارجي، قال له صرنا ست أشهر محتارين بأمرنا، ما كان يعتمد، ساعة يقنعوه الناس داخلي، وساعة يقنعوه أنه خارجي، بعدين اتخذ قرار من جمعة، شو هذا القرار، قال راح يساوي داخلي، وبعد عشرين سنة إذا كان الأنابيب فسدت، عواض ما يكسر البلاط يساوي خارجي، بخلي كل شيء بمحله ويساوي خارجي، بعد عشرين سنة، شوف الناس أكثرها كل واحد في باله طموحات عشر سنوات، خمسة عشر سنة، ثماني سنوات، عشرين سنة، خمس وعشرين سنة، أنا والله جلست مع واحد رحمه الله، جلست معه ساعة، كان مدير ثانوية، بالحرف الواحد قال لي، بدي أطلع إعارة على بلد عربي، مليت من التعليم، قال لي بقعد خمس سنوات بالجزائر، وقتها كان في طلب شديد للجزائر، لأن كان التعليم كله فرنسي، قال لي أقضي أول صيفية بفرنسا، صيفية بكاملها قال لي، بدي أتملى منها، شوف ريفها، شوف مقاصفها، شوف متاحفها، شوف الأشياء الجميلة فيها، قال لي وصيفية بإيطالية وصيفية بإنجلترا، وصيفية بسويسرية، ذكر أربع أماكن، قال لي برجع بكون خمس سنوات إعارة، برجع بتقاعد، بأخذ محل بيع فيه تحف فازات، كريستال، أشياء لطيفة، بكون كبروا أولاد بحطهن بالمحل وأقضي حياتي بهذا الشكل، والله كلام لطيف، واحد متضايق من وضعه الحالي، عم يخطط لمستقبله، فأنا رحت ودعته بعد ساعة ضيفني كأس شاي ورحت، وكملت التدريس، ومساء في عندي مدرسة خاصة ألقيت درس فيها، وأنا طالع، والله الذي لا إله إلا هو رأيت نعوته على الجدران، بنفس اليوم، ثاني يوم، فالإنسان

أيام يتأمل، النبي رسم مستطيل، ورسم خط ضمن المستطيل، والخط مدده حتى خرج من المستطيل، قال هذا أجل الإنسان، وهذا أمله، أبداً آلاف الأشخاص يعني عمر البيت ما سكنه، أخذ شهادة ما انتفع بها، آلاف، اليوم عرسه مات قبل عرسه بيوم، هذا الأمل خطير، كل إنسان أمله طويل، يقول سيدنا الصديق، " **والله لا أمنُ إن وضعت رجلي في الجنة أن أنقل الثانية إليها** "، كل ما قصر أملك تكون راقي عند الله، وكل ما طولت الأمل مشكلة تكون، لأن الأمل بس يمتد، بصير معه الإنسان يتهاون بالطاعات، وينكب على الدنيا، شوف هذه الآية ما أخطرها.

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

هذا تهديد هذا أفعل وكثر غداً ترى، بالتعبير العامي.

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

فأنت بطل إذا بتعرف الحقيقة قبل فوات الأوان بطل إذا بتقصر أملك، بطل إذا ما بتندم، بتقدر ما بتندم، شغل عقلك، الندم يعني عدم استعمال العقل، أو استعماله على عكس ما خلق له.

فهذه الآية فيها معنيان، معنى الندم، ومعنى الأمل، الندم علاجه استخدام العقل، والأمل علاجه التفكير بالموت، أبداً، أقرأ النعوات كلها وسيشيع إلى مثواه الأخير، ويلي قاعدين في الآن، هذا موقت هذا، لو كان ملكك، بس موقت، ما دام القلب هيك إلك، توقف الورثة، خلص، ما عاد إلك البيت.

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

آخر كلمة طالب أخذ الأولى على القطر، أجروا معه مقابلة قرأتها أعجبني فيها كلمة واحدة، قال هذا الطالب: ساعة الامتحان ما غابت عن ذهني طوال العام الدراسي، لهذا طلع الأولي، ونحنا إذا كان بدنا نطلع الأوائل بالامتحان، امتحان ربنا لازم ساعة لقاء الله ما تغيب عن ذهنا أبداً، ولا يوم، كل يوم بفكر فيها، ساعة اللقاء، بتشتغل، وبتزوج، وتأخذ دكتوراه، وتأسس مشروع تجاري، ما علاقة هي بهي هذا كله ضمن المنهج الإلهي، أما التفكر بالموت، يمنعك من المعصية ويدفعك إلى الطاعة، ولطلب العلم، هي مهمة الموت، مو معناها يتناقض مع العمل لا، اشتغل العمل ضروري، اليد العلي خير، قال سيدنا عمر، "**إني أرى الرجل ليس له عمل يسقط من عيني** "، بكلك اختصاص، ودراسة، وشهادة، وعمل تجاري، ووظيفة، واعتني بأولادك، واشتري بيت ما في مانع، كله وفق المنهج، أما التفكر بالموت يحميك من أن تعصي الله يحميك من أن تتكاسل من طلب الحق يعني التفكر بالموت له هدفين: باعث، دافع، وحصن، بخليك بالمنهج على الطريق.

مركبة على طريق، في عنا مشكلتين، تدهور، أو توقف المحرك، المحرك يمشيها، والمقود بخليها على الطريق، فإذا واحد فكر بالموت مهمة التفكير بالموت، يبقى على المنهج، لا يعصِ الله، بخاف من الموت

لأنه، ينطلق، فإذا كان ما انطلق، أو انحرف، معناها الأمل أزداد، الأمل يناقض الموت، الأمل علاجه الموت، الانحراف علاجه العقل، استخدم العقل وفق ما أراد الله، تلتزم بمنهج الله عز وجل، فكر بالموت يضعف الأمل يقصر الأمل، فالموت ما ذكر في قليل إلا كثره، ولا في كثير إلا قلله، قد ما كانت الثروة طائلة بالموت تنتهي، تتلاشى، وقد ما كنت معذب بالحياة الموت بحل مشاكلنا فالإنسان إذا ضاقت عليه الصدور عليه بزيارة القبور.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : تفسير الآية 9 ، حفظ القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

الآية التاسعة من سورة الحجر وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾

أيها الأخوة:

الدين في الأصل نقل عن الله عز وجل، تعليمات، خبرٌ، وأمرٌ وربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115)﴾

(سورة الأنعام: 115)

لو قرأت القرآن الكريم، لا تجد فيه إلا شيئين، إما أن الله يخبرنا عن خلق السماوات والأرض، عن أصل العالم، عن حقيقة الحياة الدنيا، عن حقيقة تكليف الإنسان في الحياة، عن حقيقة الدار الآخرة، عن حال أهل الجنة، عن حال أهل النار، عن الصراط المستقيم، وإما أنه يأمرنا وينهانا، فالقرآن خبرٌ وطلب، وقد قال الله عز وجل:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾

خبره صادق، وأمره عادل، لذلك هذا القرآن الكريم، تولى الله حفظه، القرآن الكريم نزل من السماء على قلب النبي عليه الصلاة والسلام، من أنزله ؟ جبريل الأمين، نزل به الروح الأمين، الحركة من السماء على قلب النبي، نزل به جبريل الأمين، الآن من النبي إلى أمته، هذا الكتاب المعجز، منقول بالتواتر، والتواتر أعلى درجات النقل يعني رواه الجمع الغفير عن الجمع الغفير الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب، يستحيل، فهذا الكتاب الذي انزل على قلب النبي عليه الصلاة والسلام هو هذا نفسه، بسوره، وآياته، وكلماته، وحروفه، حركاته، وسكناته، الله جل جلاله، تولى حفظ هذا القرآن الكريم، ليس معنى ذلك لا تجري محاولة لتحريفه ؛ تجري المحاولة، ولكنها لا تنجح، لذلك قبل مائة عام فيما أذكر طبعت خمسين ألف نسخة من كتاب الله حذفت منها كلمة واحدة.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)﴾

(سورة آل عمران: 85)

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

حذفت كلمة غير فقط المصاحف جمعت وحرقت، وانتهى الأمر، لأن الله سبحانه وتعالى تولى حفظه، كيف؟ لا نعلم، أما الذي يبدو لنا أن هناك رجال بكل معنى الكلمة، نذروا حياتهم، نذروا جهدهم، نذروا وقتهم، نذروا إمكاناتهم لحفظ كتاب الله عز وجل، يعني قبل شهر تقريباً أقيمت مسابقة للقرآن الكريم هنا في بلدنا ولله الحمد، مائة وثلاثون حافظاً لكتاب الله يحفظونه من ألفه إلى يائه، قام طفل عمره تسع سنوات يحفظ كتاب الله كله، لكن الذي يلفت النظر أن الذي قدمه قال يحفظ كتاب الله، لكن ما قال له اقرأ، لا، قال أنتم اسألوه، وتولى الحاضرون وهم يملئون جامع العثمان أن يسألوه، يعطوه آية يذكر رقمها ويتمها، سألوه أكثر من عشرين سؤال، من أول المصحف، من وسطه، من آخره، وعمره تسع سنوات، قام طفل عمره خمس سنوات لا يقرأ ولا يكتب يحفظ ثمانية عشرة جزءاً، هذا من فضل الله مائة وثلاثين حافظ من الصغار من معاهد تحفيظ القرآن.

الذي يبدو أن الله سبحانه وتعالى سخر لهذا الكتاب العظيم رجالاً سخروا طاقاتهم، وإمكاناتهم، وقدراتهم لحفظ هذا الكتاب، فهذا الكتاب محفوظ، لكن الذي يلفت النظر، طبعاً هو نزل به الروح الأمين النبي عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وأميته كمال في حقه، لأن كل الذي ذكره.

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾

(سورة النجم: 3)

وفي مطلع الدعوة الإسلامية نهى النبي عن كتابة الحديث لماذا ؟ لئلا يتداخل القرآن مع الحديث، " **لا تكتبوا عني ومن كتب عني شيئاً فليمحه** "، بعد أن استقر القرآن في نفوس أصحابه، وبعد أن تمايز أسلوب القرآن عن أسلوب النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((قيدوا العلم بالكتابة))

فالقرآن الكريم كتب على رقاقٍ، وكان حول النبي كتبةٌ كتبوا هذا الكتاب، وسيدنا عثمان جمع هذه الكتابات، ووحدها في ستة مصاحف وزعها في الأمصار، ولا يزال مصحف سيدنا عثمان في متحف استنبول حتى الآن هذا شيء ثابت.

فالقرآن محفوظ، محفوظ وحياً، ومحفوظ نقلاً، الخط الشاقولي محفوظ من السماء على قلب النبي، الخط الأفقي محفوظ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام بينه بأحاديثه الشريفة، لو أنه صدر قانون معين مؤلف من ثمانية عشر مادة، ثم صدر مرسوم تشريعي يفسر هذا القانون هل يكفي أن نحفظ أصل القانون ؟ لكن لابد من حفظ هذا المرسوم التشريعي الذي يفسره.

لذلك من لوازم حفظ الله لكتابه حفظ سنته، أيضاً توافر على السنة رجالٌ كالإمام البخاري، كالإمام مسلم، كالإمام الترمذي، كالإمام ابن ماجة، رجالٌ أشداء بذلوا وقتهم، وطاقاتهم، كان أحدهم ينتقل من المدينة المنورة إلى البصرة ليتلقى حديثاً واحداً عن رجل، فلما رآه يغش فرسه، ويوهمها أن في ثوبه شعيراً لم يكلمه، الكذب على الفرس يجرح عدالة الراوي وانتهى الأمر، يعني لا أعتقد أن في العالم كله علماً محص، كحديث النبي عليه الصلاة والسلام، روايةً، ودرايةً، ونقلاً، وسنداً، حتى إن هذا العلم مما تنفرد به أمتنا عن بقية الأمم، فصار في حديث صحيح، حديث متواتر، تواتر لفظي، تواتر معنوي، وحديث صحيح، وحديث حسن، وحديث ضعيف، وحديث موضوع، فالعلماء أعطونا كل جهدهم في هذا الموضوع، من لوازم حفظ القرآن الكريم حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، النبي الكريم يقول:

((تركت فيكم شيئين ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً ؛ كتاب الله وسنة رسوله))

السنة مبينة، الله عز وجل قال:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ﴾

(سورة المزمل: 20)

طيب زكاة الغنم كم ؟ والبقر ؟ والإبل ؟ الزروع ؟ زكاة الذهب ؟ الفضة ؟ عروض التجارة ؟ من بينها بالتفصيل ؟ النبي عليه الصلاة والسلام، الله عز وجل قال:

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾

(سورة النساء: 29)

طيب في عندنا أربعمائة حديث عن التجارة، عن البيع والشراء، وخيار العيب، وخيار الوقت، وخيار الصحة، وعن تلقي الركبان، وعن بيع المنابذة، وعندنا موضوعات كثيرة عن البيوع، من بينها ؟ النبي بينها، فالسنة مبينة، الله عز وجل ذكر سنة النبي كاتبين قال:

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

(سورة النحل: 44)

من لوازم حفظ القرآن الكريم، حفظ سنة النبي عليه أتم الصلاة والتسليم، نحفظ القرآن، ونحفظ السنة، فإذا تمسكنا بهما لن نضل أبداً.

الآن المقولات في الإسلام لا تعد ولا تحصى، يعني مليون مقولة فيه المسلمون فرق، وأحزاب، واتجاهات، ومذاهب، وتيارات وطوائف، وكلٌ يدعي أنه هو على حق، وأن الآخرين على الباطل ما السبيل إلى معرفة الحق من الباطل ؟ هو كتاب الله وسنة رسول الله.

يعني أنت أمام مائة قطعة قماش، على كل قطعة لصاقة فيها طولها، يا ترى القياس صحيح ؟ غلط ؟ مبالغ به ؟ فيه كذب ؟ أنت معك متر ؟ خلص، إذا معك متر، ما عندك مشكلة، أمسك هذه القطعة وقيسها بهذا المتر، ثم امتحن هذه اللصاقة، صدق لما كذب.

فإذا الإنسان فهم كتاب الله، وفهم سنة النبي، صار معه مقياس قال لك شفت الجني، وأمسكته بيدي، الله قال:

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27)﴾

(سورة الأعراف: 37)

معناها كذاب هذا، أنت بالكتاب والسنة صار معك متر نظامي وأي سحبة، وأي دجل، وأي خرافة مرفوضة، والله مشينا من حلب للشام تقديساً للجامع الأموي، غلط، " **لا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد** " أموي دمشق، مثل أموي حلب، مثل أي جامع بالشام، ما في فرق أبداً فنحن نقيم سلوكنا، نقيم حركاتنا، عباداتنا، أعمالنا، فأنت ينبغي أن تعبد الله، وينبغي أن تعبده وفق ما أمرك، نحنا المشكلة، الآن أكثر أخوانا غايصين بالخلافيات، والأساسيات لا يعرفونها.

تصور إنسان ما أخذ شهادة إطلاقاً، ما درس إطلاقاً، عما يشغل نفسه بالخلافات بين علماء الفيزياء والكيمياء، أنت ما معك ابتدائية.

قبل ما نخوض بالخصومات بين الفرق الإسلامية، دعك من هذا الآن، ادرس كتاب الله أولاً، يعني أهم شيء هذا الكتاب المقرر، كلام ربنا عز وجل، ما في شيء يعلو عليه، أولاً افهم هذا الكتاب، اقرأه تدبره، حاول أن تفهم تفسيره ممن تثق به، ثم افهم سنة النبي، ثم افهم سيرة النبي هذا هو الدين، أن تفهم كتابه، وأن تفهم شرحه بيانياً، وأن تفهم شرحه سلوكياً، والدين هذا هو ديننا، كتاب معه مذكرة إيضاحية للمتصوفين، والسلفيين، قبل أن تخوض في كل هذا افهم كلام الله عز وجل قبل كل شيء،

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196)﴾

(سورة الشعراء: من 193 إلى 196)

الآن الحركة الأفقية، نقل هذا الكتاب بالتواتر، أي نقله جمع غفير عن جمع غفير عن جمع غفير إلى أن وصلنا كما نزل على قلب نبياً، الفكرة الثانية، ليس معنى أن الله حفظه، أنه لا يمكن أن تجري محاولة لتحريفه، يمكن، لكنها لا تنجح، أطلق على هذه السيارة رصاص، لكن السيارة ضد الرصاص، لا تتأثر،

محفوظة، لا مانع أن يطلق عليها رصاص، لكن الأصول أن هذه السيارة لا تتأثر بالرصاص، قد تجري محاولات في تحريفه، لكنها لا تنجح.

النقطة الثانية: من لوازم حفظ كلام الله عز وجل، حفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإذا فهمنا هذا القرآن كما يريد الله عز وجل واكتفينا بالأحاديث الصحيحة، وفهمنا كما أرادها النبي، وصلنا إلى أصل الإسلام، وإلى جزءه الواحد الموحد، وما فرقنا إلا تأويل القرآن على غير ما أراد الله عز وجل، والأحاديث الموضوعة والضعيفة، يلي فرق المسلمين سوء التأويل، ووضع الأحاديث، إذا ألغينا الأحاديث الموضوعة، ولم نعتن بالضعيفة، ولم نفهم هذا القرآن إلا وفق ما أراد الله، وفق علم الأصول، نجتمع كلنا، تغدو أمة الإسلامي أمة واحدة أما الآن فرق، وأحزاب، وطوائف، ومذاهب، لماذا ؟ من الخطأ في التأويل، أو في فرقة تقول أنا لا أصلي الآن، طيب لما لا تصلي ؟ يقول: الله عز وجل يقول:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)﴾

(سورة الحج: 41)

الله ما مكنا لسع، هي تأويل تفضل، هذا تأويل، عطلوا الصلاة فهناك تأويلات في كتاب الله، ما أنزل الله فيها من سلطان، يكفي أن نفهم كلام الله وفق ما أراد الله، ويكفي أن نبق بالحديث الصحيح حتى نجتمع، الذي يجمعنا الآن أن نتمسك بكتاب الله، وسنة رسوله الصحيحة، وانتهى الأمر، هذا الذي يعصمنا من الذلل، ويعصمنا من الخطأ، ومن الفرقة، ومن العداوة، ومن البغضاء، والمسلمون لم يمر عليهم في تاريخهم، هم في أمس الحاجة إلى هذه الوحدة، من هذا التاريخ، حرب عالمية كبرى على الإسلام في شتى بقاع الأرض، الآن ماذا ينقذنا ؟ التمسك بكتابنا، وسنة نبينا، وأن نتحد، أن نتعاون فيما اتفقنا، وأن يعذر بعضنا بعض فيما اختلفنا، أما هذه العدوات بين الجماعات الإسلامية، لم تعد تحتمل، هذه لا يستفد منها إلا أعدائنا، فقط، نحن نبقى في الكتاب الكريم، مؤولاً وفق ما أراد الله، ونبقى في سنة رسول الله، وفق ما أرادها النبي، وننبذ الضعيف، والموضوع، والتأويلات الباطلة، نجد أنفسنا قد اجتمعنا، وأصبحنا أمة واحدة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : تفسير الآيات 19 - 23 ، أسباب الرزق

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

الآية التاسعة عشر وما بعدها من سورة الحجر وهي قوله تعالى:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (23)﴾

ماذا تعني كلمة **مَعَايِشَ** ؟ وهي كلمة دقيقة، والحديث عنها طويل الله سبحانه وتعالى، خلق الإنسان في الأصل، ليسعد في جنة عرضها السماوات والأرض، ولكن هذه الجنة ؟ لها ثمن، ثمنها أن يأتي الإنسان إلى الدنيا فيعمل عملاً صالحاً، كيف يجعل الله الإنسان يعمل ؟ أودع فيه حاجات أساسية، أودع فيه حاجة إلى الطعام، وحاجة إلى الطرف الآخر ؛ الجنس، وحاجة إلى إثبات الذات، هذه حاجات أساسية الإنسان يأكل ويشرب، ثم يتزوج، ثم يتباهى أنه فعل كذا وكذا.

الحاجة الأولى إلى الطعام والشراب، والحاجة الثانية إلى الجنس والحاجة الثالثة إلى إثبات الذات، كيف يلبي الإنسان هذه الحاجات ؟ لا بد من أن يأكل، في مشكلة ثانية، خيرات الأرض لا يستطيع الإنسان أن يستفيد منها مباشرة، إلا أن يعمل من أجلها.

الإنسان لا يجد خبز جاهز، أما في تربة، وفي ماء، وفي حب قمح، ما في ألبسة جاهزة بالأرض، أما في صوف، وفي قطن، وفي كتان، وفي جز، وفي تنظيف، وفي غزل، وفي صباغ، وفي نسيج وفي تفصيل، خيرات الأرض، كل ما في الأرض من خيرات، معادن أشباه معادن، مزروعات، أنسجة، هذه تحتاج إلى عمل، فلو ألغينا الجوع، لما رأيت هذا المسجد، ولا هذا الكأس، لا ترى في الدنيا شيئاً لو ألغيت الحاجة إلى الطعام، من أجل أن تأكل تعمل، وأن تعمل تمتحن، هل أنت صادق، هل أنت كاذب، هل أنت مخلص، هل أنت خائن، هل أنت مستقيم، هل أنت منحرف، هل أنت منصف، هل أنت ظالم، خلقك لجنة عرضها السماوات والأرض، ثمن هذه الجنة، العمل في الدنيا، من أجل أن تعمل، أودع فيك حاجات إلى الطعام والشراب وحاجات إلى الطرف الآخر، وحاجات إلى تأكيد الذات، وأنت تعمل من أجل أن تأكل تمتحن، وأنت تتحرك من أجل أن تتزوج تمتحن وأنت تريد إثبات ذاتك تمتحن، الدنيا ابتلاء.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)﴾

(سورة المؤمنون: 30)

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)﴾

(سورة الملك: 2)

الآن كيف تعمل ؟ المرحلة الثالثة، كيف تعمل، لو أن الله سبحانه وتعالى جعل حرارة الأرض من 18 إلى 20، في القارات كلها على مدار الفصول، لا نحتاج إلى مدافئ إطلاقاً، ولا إلى مراوح، ولا إلى مكيفات، لو أجريت إحصاء، كم إنسان يعمل في الأرض في التدفئة ؟ وفي التبريد ؟ لو أن الإنسان خلق له شعر على جسده كالحيوانات، كم إنسان يعمل في الألبسة في العالم، يمكن ثلث سكان الأرض يعملون في الألبسة، كم إنسان يعمل في الزراعة ؟ لو كان ما في حاجة للطعام، كم إنسان يعمل في التجارة ؟ لنقل البضاعة، كم إنسان يعمل في الصناعة ؟ كم إنسان يعمل من طول الشعر ؟ كم إنسان يعمل من بعض الأمراض ؟ كم طبيب في بالعالم ؟ هي كلمة **مَعَايِشَ** ؛ يعني جعل لكم فيها سبل للعيش يشتد الحر بدنا مرطبات، بدنا مروحة، بدنا مكيف، بدنا ألبسة قطنية، بدنا نعمل نزهة، شوبنا، بردنا، بدنا حرامات، بدنا معاطف، بدنا لحشات، بدنا صوبيات، بدنا طعام حار حلويات، كم إنسان يعمل في إصلاح هذا الجسم ؟ كم طبيب بالعالم؟ كم ممرضة ؟ كم مستشفى ؟ كم معمل أدوية بالعالم ؟ بعض معامل الأدوية في أمريكة، مبيعاتها أربعمائة مليار دولار، شركة واحدة، لو ما في مرض كلهم ماتوا من جوعهم، أيام تأتي ذبابة بيضاء تفسد المحصول، تعمل زعفرة، كم مهندس ؟ كم دواء ؟ كم مرش ؟ كم إنسان اشترى هذا الدواء ؟ حملهم في سيارات، عمل فواتير، ما معنى **مَعَايِشَ** ؟ يعني أولاً خلقت أيها الإنسان للجنة، ثمن الجنة العمل في الدنيا، من أجل أن تعمل، أودع فيك الحاجة إلى الطعام، وإلى الزواج، وإلى تأكيد الذات، وأنت تعمل طبعاً جعل لك سبل الآن . الآن كل واحد منا له مصلحة، أنت تلبي حاجة واحدة في المجتمع، وتحتاج إلى مليون حاجة هذا الكلام يفسر معنى قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20)﴾

بتلاقي واحد قاعد في زقاق الجن، محتار ما في شغل، بيجي ابن يأخذ سيارة أبوه يعمل حادث يرتزق ذاك، هذا الذي صاير، الناس يرزقونا بعضهم بعضا، هذا أكل أكلة خبص، صار معه آلام، راح إلى الطبيب، الطبيب ارتزق، الصيدلي ارتزق، يعني كم واحد يعيش من مشكلة، تنزل أمطار شديدة ناس في عندهم ترميمات في البيوت، هي كلمة **مَعَايِشَ** ؛ يعني سبل للرزق، أما في سبل أساسها الحر، والبرد، وطول الشعر، والمرض، والألبسة.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)﴾

أي شيء شوف.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾

الأمطار العام الماضي نزل حتى الآن في العام الماضي 28 مم، دمشق البارحة 185 مم، التاريخ الذي يقابل العام الماضي 28 مم، الآن 185 مم، باقي للمعدل السنوي حوالي 20 مم، أمطار السنة كلها نزلت قبل قدوم فصل الشتاء.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾

من كم سنة إنتاجنا من القمح ثلاث ملايين طن، حاجة القطر بأكمله مليون طن، ثلاث أمثال حاجتنا، تأتي سنة 235 ألف طن إنتاج القطر كله من القمح، أيام بتلاقي المشمش بخمس ليرات يكون أربع أمثال الإنتاج، ما في قاعدة، بقلك السنة التفاحات ملاح، السنة ما في تفاح، سنة الزيتون كثير، سنة ما في زيتون.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾

تقول فقط هذا كلام مالتوس كله كلام باطل، أنه هناك تفجر سكاني، هناك مجاعات، هذا كل كلام نحن نصدقه من جهلنا، حتى نخاف، وتم تابعين لهم، أم الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)﴾

(سورة الذاريات: 58)

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23)﴾

(سورة الذاريات: 23)

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22)﴾

(سورة الذاريات: 22)

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)﴾

يعني الله عز وجل قال:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (27)﴾

(سورة الشورى: 27)

في إنسان لا يتحمل الغنى، على الغنى يفسق، على الغنى يفجر على الغنى يعصي، الله عز وجل هو الحكيم.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾

هذه الآية من الأعجاز العلمي، الآن ثبت أن المطر لا تنعقد إلا بذرة من الهباب، أو من الغبار، فالرياح حينما تثير الغبار، ذرات الغبار تنعقد عليها حبات المطر، لأنه أساس المطر، أن الهواء جعل الله من خصائصه، أنه يحمل بخار ماء، الآن الإنسان في بيته، يأتي بإبريق شاي يضعه على المدفئ، آخر السهرة نشف، وين راحوا، في الهواء إذا خارج الغرفة في برد تشاهد على النافذة صار في بخار ماء، فالهواء يحمل بخار ماء، بس الهواء له ميزة، بكل درجة يحمل كمية، أنت لو سخنت الهواء، وأشبعته بخار ماء، ثم بردت الجو، تشاهد قطرات الماء على النافذة صارت، إذاً هذا أساس المطر، حينما تتحرك رياح تحمل بخار ماء، تواجه جبهة باردة، تنعصر، الهواء يعصر ما زاد على حاجتها من الماء، صار مطر، لكن هذا المطر لا ينعقد إلا بحبات من الغبار، فهذه النظرية هي، طبعاً لولا هذا القرآن كلام خالق الكون هي دليل أن هذا الكلام كلام الله.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾

تلقح الأمطار، نحنا قد نفهم تلقح الأزهار، أما هنا المعنى الأمطار، الدليل:

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾

علاقة الغبار، والدخان وذرات الهواء العالقة، هي التي تنعقد عليها حبة المطر، ولما تسمعوا أنه في مطر صناعي، عما يلقحوا الغيوم بحبات من الغبار لتنعقد عليها حبات المطر، هي معنى:

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22)﴾

أنت في عندك صنبور بالبيت، هي مياه الفيجة، أما لو كلفناك تخزن ماء سنوي كله، بيتك مائة متر مربع، تحتاج إلى مائة متر مكعب، دراسة دقيقة أجريت كل بيت تقريباً يحتاج إلى الماء بقدر حجم البيت، يلي عنده بيت مائتين وخمسين متر مربع بـ ثلاثة أمتار ونصف، يعني بدو حوالي سبعمائة وخمسين متر مكعب، يحتاج إلى سبعمائة وخمسين متر مكعب من الماء طول السنة يستخدمهم، فلو كلفنا الله بتخزين الماء، شو صار بحالتنا، نحنا بدون شي عندنا أزمة سكن، الله قال:

﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22)﴾

بتلاقي حوض الفيجة، من دمشق إلى حمص إلى قريب من البادية، إلى تحت لبنان نصف لبنان، هذا حوض مياه الفيجة، تسقي خمس ملايين إنسان، بواقع ستة عشر متر مكعب بالثانية، قال:

﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22)﴾

أي نهر هكذا، من جعل الأنهار عذبة ؟ من جعل أربع آلاف نبع بأربع آلاف جزيرة بأندوسيا، من جعل لكل جزيرة ؟ حتى في شيء غريب جداً، بجبال جنب جبل هملايا، في نبع ماء، في وعول تعيش هناك، هي إذا كان بدنا نكلفها تشرب ماء من الوادي، تموت من تعبها الله عز وجل جهز لها نبع في قمم الجبال، ومعنى جبل في قمم الجبال حسب القوانين الفيزياء، والمستطرقة، لازم يكون مستودع هذا النبع بجبل أعلى، لا يمكن يتحرك الماء نحو الأعلى إلا إذا له خزان أعلى منه، هذا شيء بديهي، ألف باء العلم، فإذا رأيت نبع ماء في قمة جبل الآن في مضايا ما في عين ميسة، وين خزانها هي ؟ بجبل أعلى منها ما في نبع ببلودان ؟ وين خزانها بجبل أعلى، قال:

﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22)﴾

آيات اليوم:

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾

يعني أسباب للرزق.

﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (23)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-4) : تفسير الآيتان : 49 -50 ، التوبة قبل فوات الأوان

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

بعض المسلمين يذكر آية ولا يذكر تتمتها، فكلما نبهته إلى معصية متلبساً بها، كلما ذكرته بمخالفة للشرع، كلما قلت له أنت على طريقة لا ترضي الله عز وجل، يقول لك:

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49)﴾

(سورة الحجر: 49)

يقول لك:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55)﴾

(سورة الزمر: 53 . 54 . 55)

إذاً: ما من آية تحدثت عن رحمة الله، وعن مغفرة الله، وعن عفو الله، وعن حلم الله، إلا جاء في تتمتها.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)﴾

(سورة الحجر: 50)

ما معنى هذه الآيات إذاً ؟ معنى هذه الآيات، أن الإنسان إذا تاب إلى الله توبة نصوحة، أنسى الله حافظيه، والملائكة، وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه، فعلاً الله غفورٌ رحيم، والله سبحانه وتعالى رحيم ودود ينبغي ألا نقطت من رحمته، ولكن متى يرحمنا ؟ دققوا في قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك))

هذا هو الأدب، ما طلب رحمة الله، طلب موجبات الرحمة ما طلب مغفرة الله، طلب عزائم المغفرة، هذا الذي طلب من النبي عليه الصلاة والسلام، سيدنا ربيعة، أن يكون رفيقه في الجنة، ماذا قال له النبي:

((إذا أعني على نفسك بكثرة السجود))

الإنسان حينما يطلب شيئاً عظيماً، دون أن يدفع الثمن، هذا يستهزئ، هذا كالمستهزئ بربه، لذلك طلب الجنة من غير عمل ذنب من الذنوب، لو قرأتم بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن المغفرة، شيءٌ يلفت النظر.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (119)﴾

(سورة النحل: 119)

بعد التوبة، والإيمان، والعمل الصالح، لذلك أيها الأخوة الكرام، ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)﴾

(سورة فاطر: 5)

أنا مرة قلت لكم، في رجل توفي رحمه الله، كان يشتغل بمحل بسوق الحميدية، يعني عنده دعابة كان، كان يكنس قمامة المحل يضعها في علبة، يلفها بورق ثمين، يربطها بشريط فاخر، يضعها على الرصيف، فيأتي إنسان مغفل يظنها شيئاً ثميناً، مطيف ألماس يظنها، فيأخذها ويسرع، يتبعه، ليرى الإحباط، بعد ثلاثمائة متر، يفك الشريط الحريري، بعد مائتين متر يفك الورق، بعدين يتوقع الألماس، والمطيف، والساعة الذهبية، أقل شيء ستة أزواج جوارب، أقل شيء، يعني يفتحها يلاقي قمامة المحل، يلعن، ويسب، هذا المثل واضح جداً للاغترار بالدنيا، الإنسان يظن الدنيا شيئاً عظيماً، بدو بيت بدو سيارة، بدو زوجة جميلة، بدو بيت بالمصيف، بدو مسبح، بدو يعمل سياحة إلى أوروبا، بدو يساوي عزايم، إذا اقترب الموت، رأى الدنيا شيئاً تافهاً، رآها ليست بشيء، الله عز وجل رحمةً بنا قال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)﴾

إياكم أن تغتروا بها، إياكم أن تعطوها حجماً فوق حجمها، إنها تافهة، لو أن الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة ماء، يعني هو أكبر موعظة فيها، أن الذي تجمعه في عمر مديد، يأخذه الموت منك في ثانية واحدة.

أنا مرة كنت بحلب، مضيفي أراد أن يطلعني على بعض أحياء حلب الراقية، في حي الشهباء هناك، كل فيلة مكلف . هي قصة عام 1974 م . شوفنا فيلة مكلف خمس وثلاثين مليون، كلفتها، كان الدولار ثلاثة وثمانين، فيها رخام أونكس بخمس ملايين، أنا ما دخلتها لكن حدثوني، الشيء الذي لا يصدق، صاحبها توفي بالثانية والأربعين وكان طويل القامة، يعني لحكمة أرادها الله جل جلاله، القبر كان قصير، لما وضع في القبر، لم يتسع القبر لطوله، فجاء الحفار ودفعه من صدره حتى صار هكذا، قلت سبحان الله أين كان وأين صار.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾

الذي نجمعه في عمر مديد، يأخذه الموت منا في ثانية واحدة، ما في واحد، ما عنده درج بالبيت قافل عليه، يعني ساعة ذهب، شغلة ثمينة، قطعة، بس يموت ينفتح الدرج تأخذ القطع، يأخذ مفتاح السيارة كله يصير مستباح لهم، طبعاً ورثة لأنهم، أقسم لي بالله رجل، زار رجل من أهل العلم، في عنده كتاب ثمين طلب أن

يستعيره ليلة واحدة ما رضي، قال له والله هذا الكتاب أغلي عندي من أولادي ما فيني عيره، يقسم بالله العظيم بعد وفاته رآه بالحاوية، كتاب نفسه، بالحاوية فهذا الذي أنت عم تجمعه، يأخذه الموت في ثانية واحدة، طوال ما في حركة القلب، والله أنا هذه العمارة لي، المكتب لي، هذا البيت لي، بس يوقف، ما عندك شيء، خلص، عظم الله أجركم، أيام الطبيب يطلب بيل، يفتح يضع المصباح، الحدقة ما تغيرت، يطلب مرايا يضعها على أنفه ما في بخار ماء، يقيس النبض صفر، القلب خطه مستقيم، منتهي، عظم الله أجركم، كل أمواله انتقلت إلى غيره، بثانية وحدة، فلذلك الله عز وجل قال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)﴾

الغرور الشيطان يعطيك أمل طويل، الشيطان بخوفك.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)﴾

(سورة آل عمران: 175)

الشيطان يوقع بينك وبين إخوانك العدواة والبغضاء، مهمته الثانية الشيطان يأمركم بالبخل، ضب قرشك الآن بلا جنان، وأنت ناوي تعطي أختك مبلغ، تعين أولاد أخوك مثلاً، تعمل عمل صالح، تعمل شيء بجامع، بقلك بلا جنان ضب قرشك، هذا الشيطان بقلك هذا الكلام لأن الله عز وجل بثمانية آيات حصراً وعد المنفق بالتعويض، قال:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39)﴾

(سورة سبأ: 39)

أضعاف مضاعفة، والله حدثني أخ قال لي: شفت مسجد يحتاج إلى تدفئة، أقمت تدفئة المسجد، كلفه مليون ليرة، يقسم بالله العظيم، الله عز وجل صرف عنه، مبلغ كان ينبغي أن يدفعه خمس ملايين، الله صرفه عنه.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39)﴾

فنحن إذا قرأنا الآيات الكريمة:

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49)﴾

(سورة الحجر)

أكمل الآية:

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)﴾

إذا قرأت قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

(سورة الزمر)

أكمل الآية:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55)﴾

لذلك أدب النبي صلى الله عليه وسلم، أدبه حينما قال:

((اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك))

يعني إذا كان ملك عنده ابن غالي عليه، قال له بدي طائرة، تكرم هي طائرة، يخت، هي يخت، قصر هي قصر، قال له ضعني أستاذ جامعة، قال له: لا هي بدك يكون معك دكتوراه، هي ما علي، هي ما بقدر عليها، هذا منصب يحتاج إلى مؤهل، الجنة منصب من هذا النوع، بدو مؤهل، التأهيل معرفة الله، التأهيل الأعمال الصالحة، ما في يا ربي دخلنا الجنة، أدخلوا خلصوا بقى، هي شغل كركوز وعواظ، مو إله وعظيم إذا كان قضية أن يدخلهم الجنة، ما هذا الموضوع ؟ هذا معنى ساذج جداً معنى سخيف، يعني يا ربي دخلنا الجنة، يا رب لا تسألنا عن شيء، شو هذا الدعاء هذا ! خلاف القرآن الكريم.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

(سورة الحجر: 92 . 93)

شو هذا الدعاء هذا، يا رب نحن عبيد إحسان ما لنا عبيد امتحان هذا الكلام لا يلغي الحساب، الواحد لا يكون ساذج ولا يكون عامي، لا يتعامل مع الله بالأماني، شوف الآية ما أدقها، في مسلم على وجه الأرض لا يتمنى أن يكون من أهل الجنة، طبعاً، بس وين العمل، في طالب على وجه الأرض لا يتمنى أن يكون الأولي على القطر، بس عما ينام طول الليل، ما عما يقرأ.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (123)﴾

(سورة النساء: 123)

القضية ليست بالتمني، الله يتعامل مع السعي لا مع التمني.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (19)﴾

(سورة الإسراء: 19)

بس الغ من بالك التمني، هذا التمني من دون عمل، استهزاء بالجنة، الآن أدخل إلى محل كوكش بسوق الحميدية قول له أريد سجاد تبريزي درجة أولى، طالع أول سجادة، قلت له بدي أثقل، طالع، أثقل، أثقل حتى عاف حياته، قلب لك خمسين سجادة، قال لك هذه أحسن سجادة عندي، كم ثمنها، قال ثماني مائة ألف، تأخذ ثمنها خمس ليرات ؟ ليس هذا بمعقول، لأن هذا استهزاء بالسجادة، استهزاء بصاحب المحل. لذلك قالوا طلب الجنة من دون عمل ذنب من الذنوب، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله غالية، يا أخوان آخر حديث أقوله لكم:

((أغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك))

أيام المتاعب والهموم والأمراض تنسيك كل شيء، مدام الواحد شب ويصلي بقدر يعمل عمل صالح، ويحضر مجلس علم، ويقرأ قرآن، استغل شبابك وإلا الإنسان يندم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : تفسير الآية 88 ، لا عيش إلا عيش الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية الثامنة والثمانون من سورة الحجر وهي قوله تعالى:

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

هذه ألا أيها الأخوة: لا الناهية، الله سبحانه وتعالى ينهى النبي عن أن يمد عينيه، ما معنى مد عينيه ؟ إذا الإنسان رأى بيتاً فخماً ينظر إليه هكذا، ويتمنى أن يكون عنده مثل هذا البيت، هذا المعنى المألوف بيننا، إنسان نظر إلى مركبة فارهة، نظر إليها فكانت ملئ عينيه، وتمنى أن يكون له مثلها، لكن لو أردنا أن نفهم هذا المعنى بحق النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ ﴾

إلى ما، هذه إلى ما أيها الأخوة: لغير العاقل، ومن للعاقل، لو أن إنسان قال أنا أنظر إلى ما عندي من بقر، لا يقول أنا أنظر إلى من عندي من بقر، من للعاقل، وما لغير العاقل، تقول جاء من تحبه وهذا ما تحبه، هذا ما تحبه أداة، كأس، طعام، لباس، هذا ما تحبه لكن جاء من تحبه، من للعاقل.

لمعنى الثاني:

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ ﴾

الأزواج هنا لا تعني الزوج وزوجته أبداً، يعني هذا الإنسان أحب المال حتى أصبح المال زوجاً له، فلان أحب البيت حتى أصبح البيت زوجاً له فلان أحب السفر حتى أصبح السفر زوجاً له، يعني أعلى درجة من الاندماج، والحب، والولاء، والاهتمام، والاستغراق، والانصراف هو الزوج، قال هؤلاء الذين أحبوا الدنيا، بعضهم أحب مالها، بعضهم أحب نسائها، بعضهم أحب مراكزها، بعضهم أحب طعامها، بعضهم أحب متعها الرخيصة، هذا الذي أحب هذا الشيء، صار الشيء زوجاً له، قال هذا الإنسان وعاء، فإذا أحب الدنيا حباً جما، امتلئ وعائه، فلا يتسع لشيء آخر، لذلك مهما حاولت أن تلقي عليه الموعظة، أن تلفت نظره إلى حقيقة الدنيا.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)﴾

(سورة البقرة: 18)

هذا القلب وعاء امتلئ بحب الدنيا، لا يتسع الآن إلى شيء آخر فكأن الله سبحانه وتعالى يوجه نبيه الكريم، والدعاة من بعده، إلى أنك إذا أردت أن تهدي إنساناً غارقاً في حب الدنيا، غارقاً في شهواتها غارقاً في نسائها، غارقاً في متعها الرخيصة، لا تجد أن هذا الإنسان ممكن أن يستجيب إطلاقاً، ولا أن يلتفت، ولا أن ينتبه، ولا أن يعي ولا أن يفكر.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾

لكن أجمل ما في الآية أن الله سبحانه وتعالى وصف هؤلاء بأنهم غير عقلاء، من كلمة واحدة، ما قال ولا تمدن عينيك إلى من متعنا به أزواجاً منهم، قال:

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ ﴾

الإنسان قد يصل للدنيا بشيء عالي جداً، يعني أناقة ما بعدها أناقة، نفاسة بالطعام ما بعدها نفاسة، مركبة من أعلى مستوى، بيت بالمصيف بيت بالساحل، بيت هنا، قال:

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ ﴾

بربكم هل يليق بالنبي عليه الصلاة والسلام أن يمد عينيه إلى ما متع به هؤلاء من الدنيا، كما يمد أحدنا عينيه إلى شيء فخمٍ في الدنيا هذا لا يليق بالنبي عليه الصلاة والسلام، لا يتناسب مع مقامه إطلاقاً هو الذي قال:

((والله لو الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء))

هذا المعنى الذي نقع به أحياناً، قد نرى مركبة فارهة نقول هنيئاً لصاحبها، قد ترى بيتاً جميلاً في موقعٍ ممتاز، له إطلالة جميلة واسع، تقول هنيئاً لصاحبه، قد تجد قطعة أرض فيها مسبح وفيها فيلة، وفيها أشجار مثمرة، بقلك مثل الجنة، هنيئاً لصاحبها، هذا المعنى يليق بنا، لكن لا يليق بالنبي عليه الصلاة والسلام، إذاً يمد عينيه إلى ماذا ؟ هنا السؤال، هو ينهاه، لا تمدن عينيك إلى هؤلاء، أي لا تطمع في هدايتهم، هناك معنى يؤكد هذا المعنى، قال:

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾

تنفي عن هذا النبي العظيم أن يمد عينيه بالمعنى المألوف عندنا يعني أنت إذا رأيت إنسان غارقاً في حب المال، في حب النساء، في حب المراكز، في حب المتع الرخيصة، غارق في شهوات دنيوية لأنك تحرص على هدايته، وفي الوقت نفسه تحزن عليه، علامة الرحمة أن تحزن عليه، إذا كان لقيت إنسان بعيد، مقطوع، غارق بالمعاصي، لا تحقد عليه، احزن عليه، هو جاهل، لا يعرف الحقيقة.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ ﴾

أيام بقلك واحد فلان تزوج الشغل كل همه شغله، أيام إنسان يقبر في تجارته، والله عز وجل قال في آية أخرى:

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22)﴾

(سورة فاطر: 22)

هذا مقبور ومنته، هذا تجارته قبرته، لا يعي على خير، ما في عنده وقت ليعرف الله عز وجل، ما في عنده وقت يحضر مجلس علم، ما في عنده وقت يقرأ قرآن، ما في عنده وقت يفهم حكم الله عز وجل، ماله فاضي، غرقان بعمله حتى قمة رأسه، قال هذا وعاء تلَ لا تغلب حالك معه، ما فيه محل، كلامك ماله محل عنده، فهذا المعنى يليق بالنبي، النبي عليه الصلاة والسلام كان يمد عينيه إلى هؤلاء الغارقين في الدنيا، إلى هؤلاء التائهين، إلى هؤلاء الشاردين، إلى هؤلاء المقطوعين عن الله عز وجل، إلى الذين أحبوا الدنيا، وانغمسوا بها، وتعلقوا بها، وامتلئ وعائهم منها، فلا يعرفون حقاً، ولا باطلاً قال: يا محمد هؤلاء الأشخاص وفر وقتك، ولا تمدن عينيك إلى هدايتهم، فقد امتلأت قلوبهم بالدنيا، ولا مكان في قلوبهم لمعرفة الله ابحث عن إنسان طالب الحق، هذا المعنى الذي يليق بالنبي.

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾

بعدين.

﴿ إِلَى مَا ﴾

كلمة ما تعني غير عقلاء هؤلاء، لو كانوا عقلاء لفكروا بالفانية.

بربكم أيها الأخوة، واحد ساكن ببيت مستأجر بنظام ببلد أن المالك يطرد المستأجر بثانية، بدون إنذار، هكذا النظام تبع البلد، وله دخل كبير هذا الإنسان المستأجر، يضع دخله في تزيني هذا البيت ؟ وله بيت آخر مهدم، بلا أبواب، بلا جدران، بلا سقف ذاك البيت لك ملكك، إذا وضعت فيه مالك، مالك محفوظ، أما إذا وضعت كل مالك في هذا البيت المستأجر، بأي ثانية، إطلاع لبره صفيت بره، هذا وضع الناس بالدنيا، كل إمكانيته لتزيين حياته، وملك الموت جاهز، أبو ترابة جاهز، شرف شرف خلص، طيب البيت أمشي، شوف أنت لما يطلع النعش من البيت بشكل أفقي، آخر طلع، ما في رجعة، في واحد توفى أحد أقاربه قال عشية لماذا لم يأتِ إلى البيت، خلص ما عاد يرجع، يوزعوا ملابسه، بتحل مشاكلهم، يحزن شي شهر بعدين ما حزن، مثل العادة يصيروا، قال:

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾

النبي ما كان يطلع ما كان عندهم من دنيا، هي تحت قدمه صلى الله عليه وسلم، لكن كان يحزن عليهم، إلا كان يمد عينيه إلى هدايتهم يطمع بهدايتهم، لكن الله الخبير العليم، أنبئه أن هؤلاء لا خير فيهم، لا تشغل نفسك بهم، انصرف عنهم، وقتك أثمن من هؤلاء، فإذا أنت رأيت إنسان غرقان في الدنيا إلى قمة رأسه، مقبور فيها، ما في محل لكلمة حق عنده، لا ضيع وقتك معه، ابحث عن واحد راغب بالحق، طالب للحق، ابحث عن واحد عنده فكر هذا ما عنده فكر.

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88) ﴾

ما في دعوة بالقسوة، من أنت ؟ إذا النبي عليه الصلاة والسلام، النبي، الرسول، المعصوم، الذي يوحى إليه، المؤيد بالمعجزات، سيد الخلق، حبيب الحق، قال له أنت بالذات على كل ما أنت عليه من ميزات.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)﴾

(سورة آل عمران: 159)

ما بدى غلاظ الشغلة، ما بدى عنف، ما بدى قسوة:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

تواضع، الإنسان المتواضع محبوب جداً، المتواضع باب إلى الله عز وجل، ما في شيء يفسد الدين كالكبر، ما في شيء يفسد العالم كالفوقية، الشعور بالعلو، هذا يفسد دعوته إلى الله عز وجل النبي الكريم مأمور بالتواضع، قال له:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

وفي آية ثانية:

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

(سورة الشعراء: 215)

والآية هي:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

ماذا تفهمون من هاتين الآيتين ؟ يعني أنت كمؤمن، لو التقيت بإنسان ليس من جماعتك، ليس من جامعك، مؤمن على العين والرأس، لازم تحبه، تتواضع له وتقدره، أم هذا التعصب الأعمى، النظرة الضيقة، هذا من أخوانا هذا ليس من أخوانا، هذا من جماعة فلان، ما أضعفنا إلا هذه النظرة الضيقة، شوف هاتين الآيتين:

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

الثانية:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

يعني عامة.

أنت كمؤمن، أي إنسان من أي مكان، بأي زمان عرف الله، استقامة على أمره، خشي الله هذا أخوك بالله، دعك من هذه النظرة الضيقة، ومن هذا التمزق الذي أصاب المسلمين، لا هذا من جماعتنا، لا هذا من جماعتكم، هؤلاء يفكروا هؤلاء، وهؤلاء يفكروا هؤلاء، هذا يلي لا يرضي الله عز وجل، والآيتين دقيقتين جداً.

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

الثانية:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

وكل مؤمن من أخوان الكرام، التقى بمؤمن آخر من أي بلد، من أي جهة، من أي جماعة، من أي مكان، على العين والرأس، لازم تحبه وتعتني فيه، تصادقه، تعاون، تخدمه، هي الإيمان، لأن الله عز وجل أمرنا أن ننتمي لا إلى جماعة، ولا إلى فئة، ولا إلى طائفة، أمرنا أن ننتمي إلى مجموع المؤمنين، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)﴾

(سورة الحجرات: 10)

ما لم تشعر بانتمائك إلى مجموع المؤمنين ما لك مؤمن، فهذه الآية تكفي.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾

يعني لا تغلب حالك، ليس عليك هداهم.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)﴾

(سورة القصص: 56)

إنك لا تستطيع أن تهدي من أحببت، ولست مسئول عن عدم هدايتهم، كم آية ؟ آيتين.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

(سورة البقرة: 272)

لست قادراً، ولا مسئولاً.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾

أما هؤلاء الغارقون في الدنيا، المنغمسون في شهواتها، ما لهم هم إلا الطعام، والشراب، والنساء، والشهوات، والسفر، واللقاءات، والأكل، هؤلاء دعك منهم وفر وقتك، من تكلم بالحكمة لغير أهلها فقد ظلمها، ومن منعها أهلها فقد ظلمها، يعني تعطي دابة فله يأكلها، هذه ليست للأكل، هي للشم، أكلها، طبيب يلي أعطاها له هو الدابة، ليست هي.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : تفسير سورة النحل

الدرس (11-01) : تفسير الآيتان 1 - 2 ، وقوع أمر الله محقق

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

الآية الأولى في سورة النحل، وهي قوله تعالى:

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1)﴾

مما يلفت النظر في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾

يعني أتى وانتهى، ثم يقول:

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾

إذاً هو لم يأتِ، كلمة:

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾

يعني أنه لم يأتي وكلمة:

﴿أَتَى﴾

تعني أنه أتى، فهل هناك تناقض في هذه الآية ؟

القرآن الكريم من أساليبه البلاغية، أنه يعبر عن المستقبل بالفعل الماضي، تحقيقاً لوقوعه، وكأنه وقع، يعني هذا الذي وعد الله به، كأنه وقع، لذلك لما الله عز وجل يعد المرابي بمحق المال، المحق وقع مع وقف التنفيذ، حينما يعد المؤمن بحياة طيبة، الحياة الطيبة آتية لا محالة، حينما يعد المعرض عن الله عز وجل بمعيشة ضنك، المعيشة الضنك آتية لا محالة، حينما يعدنا ربنا أن نقف بين يديه لنحاسب عن كل أعمالنا، هذا الوقوف وقع لا محالة، فالتعبير عن المستقبل بالفعل الماضي إشارة إلى أنه محقق الوقوع.

لذلك الزمن من خلق الله عز وجل، الله جل جلاله، لا يسأل عنه بما كان، لأنه خالق الزمان، ولا أين هو، لأنه خالق المكان، يعني الذي سيكون يعلمه الله عز وجل، علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فهذه الآية:

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾

يشبهها قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)﴾

(سورة المائدة: 116 . 117 . 118)

يوم القيامة " **إذ قال** " فعل ماض، هذا الكلام سيكون يوم القيامة ربنا عز وجل يقول:

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾

ما هو أمر الله عز وجل ؟ أي وعد في القرآن، أو أي وعيد هو أمر الله، مما يفهم من قوله تعالى:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً (22)﴾

(سورة الفجر: 22)

الله عز وجل لا يأتي، ليس مكانٌ يحويه حتى يأتي، لكن العلماء أولوا هذه الآية أنه جاء أمر ربك، لما الإنسان يستقيم، الله وعده بالإكرام، فإذا بدأ الإكرام معناه جاء أمر ربك، لما الإنسان ينحرف، الله وعده بالدمار، فإذا جاء الدمار، جاء أمر ربك، فأمر الله عز وجل، وعده ووعيده، والساعة من أمر الله، كل واحد منا له أجل، يعتبر حاله الأجل جاء مع وقف التنفيذ، يعني له أيام معدودة، قد يكون سنوات، قد يكون خمس سنوات، الإمام مالك رأى ملك الموت في المنام قال: " **يا ملك الموت كم بقي لي من عمري ؟ فقال له ملك الموت هكذا** "، فازداد هذا الإمام الجليل حيرةً، يا ترى خمس سنوات ؟ لما خمس أشهر ؟ لما خمس أسابيع، لما خمس أيام ؟ لما خمس ساعات ؟ لما خمس دقائق، فلما سأل الإمام ابن سيرين، " **قال له يا إمام: ما تفسير هذه الرؤية ؟ سألت ملك الموت فقال لي هكذا، قال له: إن ملك الموت يقول لك إن سؤالك من خمسة أشياء لا يعلمها إلا الله** ".

فكل واحد منا له أجل، هو الأجل وقع، لكن مع وقف التنفيذ.

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾

يقول سيدنا علي: " **كل متوقع آت وكل آتٍ قريب** " لو أحدنا ينتظر الامتحان يبدأ بأيلول فتح غمض جاء حزيران، إذا ينتظر انتهاء الشتاء ينتهي الشتاء، إذا ينتظر قدوم الصيف يأتي الصيف، إذا كان سافر سيبقى أسبوعين، بقلك أسبوعين، بطولهن بمد الأسبوعين، بيمضو، فتح غمض لقى انتهوا الأسبوعين، إذا الإنسان استأجر بيت أجار سياحي بقلك ست أشهر جيدين، بعده ما فكر انتهوا الستة أشهر، هذا معنى:

﴿أَتَى﴾

الزمن يمضي، ومع مضي الزمن يستهلك الإنسان، لذلك قالوا النقطة إذا حركت رسمت خطاً، والخط إذا حرك رسم سطحاً، والسطح إذا حرك رسم حجماً، والحجم إذا حرك شكل زمناً، ما هو الزمن ؟ هو البعد الرابع للأشياء، هذا رأي أنشتاين، في عنا البعد أول، الطول، العرض، العمق أو الارتفاع، الرابع هو الحركة، فنحن نتحرك، وفي نهاية محددة، فكل دقيقة بالساعة، وكل ثانية تقربنا إلى نهايتنا، لذلك قالوا أنفاس الإنسان خطواته إلى أجله، كل نفس، استنشق الهواء، وزفر الهواء، أنفاس الإنسان خطواته إلى أجله، كل هذا الكلام من قوله تعالى:

﴿أَتَى﴾

لم يأتِ بعد.

﴿أَتَى﴾

أيام الواحد لا سمح الله ولا قدر، إذا راكب سيارة ونازل بنزلة وهذا النزول ينتهي بمنعطف حاد، وقبل كيلو متر، شعر ما في معه مكابح، ما في مكبح إطلاقاً، والانحدار شديد، والمنعطف حاد، بقلك رحنا، بعدك ما رحت، كثير من الأشخاص يعبروا عن المستقبل بالفعل الماضي، بتحقق الوقوع، بقلك انتهينا.
لو فرضنا واحد بالامتحان ما كتب بشكل جيد، بقلك رسبت بأثناء الامتحان، وباقي للنتائج ثلاثة أشهر، من حزيران لنصف أيلول نتائج، بقلك رسبت، بالفعل الماضي، ربنا عز وجل، هذا أسلوب بلاغي أن يعبر عن المستقبل بالفعل الماضي.

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾

إذا الإنسان يلاقي الدنيا طويلة، غلطان، الدنيا قصيرة، ولا يدري إلا وقد جاء الأجل، إلا وقد جاء الحساب.

أخوانا الكرام:

في نقطة مهمة جداً، اللذائذ مع المعاصي ما الذي يحصل ؟ ينقضي اللذائذ، وتبقى التبعات، لو واحد آكل شي ثلاثين عزيمة درجة أولى، وليلة من الليالي ما نام من وجع ضرسه، إذا حاول أن يستقدم طعوم الأكلات السابقة، تنسيه وجع ضرسه ؟ شوف طعمة الكبة الحميص، الآن شو في بعد الآن ؟ في آلام بالضرس،

الصور الماضية ما لها قيمة، لذلك الإنسان الماضي، إذا واحد أمضى حياته بالمعاصي، ومع المعاصي كان في لذائذ، لا شك المعصية محببة لدى الكفار، يقول لك سررنا، تنقضي اللذائذ وتبقى التبعات، وإذا الإنسان جاهد نفسه وهواه، صلى الفجر في المسجد، في جماعة، غض بصره أنفق ماله، طلب العلم، اقتطع من وقته وقت ثمين في طلب العلم، كظم غيظه، عاكس نفسه، هذا الجهد المبذول طبعاً في مشقة، حينما ينتهي الأجل، تنتهي المشقة، ويبقى الأجر، مثل الطلاب تماماً، يلي ما ذهب ولا سيران طوال السنة، ونجح الأولي ينسى كل تعبه، وتبقى المباهج التفوق، والطالب يلي أمضى كل العام الدراسي مع أصدقائه، والسهرات للساعة الواحدة بالليل، وقام رسب صار في وضع الخزي المستمر، لذلك:

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2)﴾

هذا الدين كله، أن تؤمن أن لا إله إلا هو، وأن تتقي ربك، إذا أمنت أنه لا إله إلا الله، واتقيت أن تعصيه فقد حققت المراد.

أخوانا الكرام:

الأمر أخطر من أنه الدرس لطيف مثلاً، كان الدرس لطيف، والأستاذ مرح مثلاً، درسه محبب، الأمر أخطر من هذا، أخطر بكثير قضية مصير، قضية مصير أبدي، يعني الواحد لا يأخذ الكلام على أنه ممتع، يعني والله واضح، مرتب، دقيق، فيه أمثلة، القضية أخطر بكثير، قضية مصير، الإنسان بحياته في أشياء عادية، لكن في أشياء مصيرية، الواحد إذا كان فقد عمله شغلة مصيرية، إذا كان فقد ساعة، تعوض، أما فقد عمله ؟ يلي عايش منه ؟ دخله منه، فقد العمل قضية مصيرية، طيب إذا كان معه مرض عضال، هذه قضية مصيرية، ففي أشياء بحياة الإنسان كبيرة جداً، يعني أخطر شيء بالحياة هو الدين، " **ابن عمر دينك دينك إنه لحمك ودمك خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا، إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم** "، أخطر شيء بحياة الإنسان عقيدته، إن صحت عقيدته صح عمله، وإن صح عمله سعد في الدنيا والآخرة، وإن فسدت عقيدته، فسد عمله، وإن فسد عمله شقي في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-11) : تفسير الآية 3 ، الحق والباطل

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية الثالثة من سورة النحل وهي قوله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3) ﴾

أولاً هذه الآية تتكرر كثيراً في القرآن الكريم.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾

يقولوا المفسرون: إن خلق السماوات والأرض لابسه الحق، أو إن الحق لابس خلق السماوات والأرض، كلام يحتاج إلى توضيح، كلمة الحق، كلمة كثيراً ما تتكرر في كتاب الله، بل إن هذه الآية بالذات، تتكرر كثيراً.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾

أضرب لكم مثلاً:

لو أردنا أن نشيد بناءً، درسنا خصائص الإسمنت، الإسمنت يتحمل أعلى درجة من قوى الضغط، يعني سانتي متر مكعب من الإسمنت يتحمل ثلاثمائة كيلو، لكن على أساس الشد لا يتحمل خمسة كيلو، إذاً يحتاج إلى تسليح بالحديد، لو أننا أنشأنا بناءً وفق مواصفات المهندسين، هذا البناء يبقى، لأنه أنشأ بالحق يبقى، البقاء ما سببه ؟ أنه وفق خصائص الإسمنت والحديد، وفق عوامل الضغط والشد، فكل شيء بني على أساس، فيه عوامل البقاء والاستمرار، الحق الشيء المستقر، الشيء الثابت، يعني إذا أردت أن يستمر هذا الزواج، وأن يبقَ، أقيمه على أسس الحق، أقيمه على منهج الله، إذا أردت أن تدوم هذه الشراكة بينك وبين فلان، أقيمها على الحق، أقيمها على منهج الله كل شيء بني على أصول ثابتة، يبقى، ويستمر، فالبقاء، والاستمرار أساسه أنه بني على أصول، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109)﴾

(سورة التوبة: 109)

معناها الحق الشيء الثابت، وأوضح مثل إذا أقمت بناءً وفق أصول البناء، وفق معايير الإسمنت، وأسس الحديد، هذا البناء يبقى أما إذا لم تضع في المتر المكعب إلا كيسين أسمنت، ولم تسلح هذا البناء هذا البناء في عوامل انهدامه، فالبناء إما أن يكون في عوامل بقائه، إذا بني وفق أسس، أو في عوامل انهدامه، فالكون

خلق بالحق ؛ أي خلق ليبقى، وما سوى منهج الله باطل، وكل تشريع باطل، في عوامل إلغائه، وأنتم لاحظوا أي تشريع أصدره إنسان خلافاً لمنهج الله، هذا التشريع بعد حين يُعدل، ثم يُعدل، ثم يلغى، ثم يطوى هذا القانون، إذاً كلمة الحق كلمة كبيرة جداً، يعني الشيء الباقي، الشيء المستقر.

إذا الإنسان اعتنق الحق، آمن بالحق وهو الله عز وجل، نفذ منهج الحق، إذاً هو مع البقاء والاستمرار، أولاً: هناك آيتان، الآية الأولى، ربنا عز وجل عرف الحق بأنه ليس باطلاً قال:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (85)﴾

(سورة الحجر: 85)

خلقناهما بالحق إذاً الحق عكس الباطل، وقال:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38)﴾

(سورة الدخان: 38)

إذاً الحق عكس اللعب، اللعب ؛ الشيء العابث، غير الهادف والحق الشيء الثابت، المستقر غير الزائل، فالباطل زائل، والباطل عابث، والحق ثابت، والحق هادف، فالحق الشيء الهادف، والثابت أسباب ثباته أنه مبني على علم، مبني على أصول، مبني على منهج فلذلك أي تشريعٍ يستمد من منهج الله مستمر، أي تشريع يستمد من تشريع أرضي يزول، والله عز وجل قال:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (81)﴾

(سورة الإسراء: 81)

إذاً خلق السماوات والأرض بالحق ؛ أي خلق هذا الكون ليبقى والإنسان خلق ليبقى، يعني إذا أردت أن تتصل نعم الدنيا بنعم الآخرة فكن على الحق، الحياة فيها نعم، نعمة الأمن نعمة، ونعمة الصحة نعمة، ونعمة السكينة نعمة، هذه النعم العظمة، إذا أردت أن تستمر بعد الموت، فكن على الحق، إذا أردت الزواج اجعلوه وفق الحق، إذا أردت أن تشارك اجعل هذه الشراكة وفق الحق، إذا أردت أن تتاجر، إذا أردت أن تدرس، إذا تحركت في حياتك وفق منهج الله، هذه الحركة ثابتة، ومتنامية، ومستقرة، ومتصلة إلى الدار الآخرة، أما إذا أردت الانهدام، والانهيار، والسقوط، والإحباط، فليكن الباطل في سلوكك، اسمه باطل، فلان، أبطلنا هذه القاعدة، معنى أبطلنا ؛ يعني ألغينا، الباطل في عوامل السقوط، الآن أنت عمر حائط مائل بلا شاقول وضع الإسمنت قليل جداً، هذا الحائط لابد من أن يسقط، هذا هو الباطل، في عوامل سقوطه، عوامل انهياره.

فإذا أردت الحياة أن تزدهر، اجعلها وفق منهج الله، إذا أردت الحياة أن تنهار اجعلها على خلاف منهج الله، إذا أردت بزواجك أن يستمر، نسب الطلاق في أمريكة 62 % يعني كل مائة حالة زواج ينتهي منها 62 %

إلى الطلاق، نسبة الطلاق بألمانيا 36 %، نسبة الطلاق في بلاد المسلمين 3 بالألف، هذا كلام القاضي الشرعي، سألته قال لي 3 بالألف، معنى ذلك ؛ أن الزواج الإسلامي مبني على الحق، أما إذا كان واحد رفع النسبة، غض بصره، وما سمح بالاختلاط أبداً، ولا سمح لأجهزة اللهو أن تغزو بيته، وما سمح لنفسه أن يمتع نظره بامرأة لا تحل له، يصبح مو نسب الطلاق، يصبح نسب السعادة الزوجية، في إنسان لا يطلق، لكنه ليس سعيد ببيته، في مخالفة، يجب أن تعلم أنه ما من خروج عن منهج الله إلا يرافقه شقاء، فإذا أردت لكل شيء أن يكون في أرق مستوى اجعله وفق منهج الله عز وجل، فهذه الآية:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾

الكون مقهور، الكون خلق بالحق، ما في فساد أبداً، لأنه من فعل الله مباشرةً، أما الإنسان مخير، فهو إما أن يفسد، وإما أن يرقَ يفسد بمخالفته لمنهج الله عز وجل، الفساد أن يخرج الماء عن خصائصه، خصائص الماء ؛ لا لون له، ولا طعم له، ولا رائحة، فإذا أضفت إليه مادةً ملوثة عكرة صفائه، وغيرة طعمه، وأفسدت رائحته، أنت الآن أفسدته، فأي نشاط إنساني إذا خرج عن منهج الله نشاط فاسد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12)﴾

(سورة البقرة: 11 ـ 12)

فالموضوع دقيق ومتداخل، أنت مخير، بإمكانك أن تجعل حياتك مستقرة، ومستمرة، إذا وفرت لها عوامل الاستمرار.

مرة سمعت أن هناك سهرة، استمرت سبعة عشرة عاماً، كل ثلاثاء في لقاء بين بعض الأصدقاء، فسأل أحدهم ما سر هذا الاستمرار قال ليس في هذا المجلس غيبة، ولا فيه امرأةٌ، هذه عوامل الاستمرار.

فأنت إذا أردت لهذا الزواج أن يستمر، أردت لهذه الشركة أن تستمر، أردت لهذه التجارة أن تستمر، أردت لهذه العلاقة أن تتنامى أردت إلى هذه السعادة أن تستمر، أردت إلى هذه السعادة أن تتصل بسعادة الآخرة، أقم حياتك على أسس الحق، كلمة حق الشيء الثابت الباطل الشيء الزائل، وضع ببالك هاذين المثلين، إذا أنشأنا بناء وفق الأصول، وضعنا نسب الإسمنت الكافية، الحديد بشكل دقيق، هذا البناء بني ليبقى، حق، أما إذا أهملنا النسب، وأهملنا الحديد، وأهملنا الشاقول، هذا البناء بني لينهدم، البناء الأول في عوامل بقائه، والبناء الثاني في عوامل انهدامه فأي شيء باطل في عوامل انهياره، هو هو أي شيء باطل في هذا الشيء عوامل انهياره، وأي شيء مبني على الحق في عوامل بقائه، لذلك الإنسان يذوق الموت ولا يموت، قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (57)﴾

(سورة العنكبوت: 57)

الإنسان خلق ليبقى، أيام نحن ننشئ بناء لرآسة الوزارة، تلاقي الحجر رخام، هذا البناء أنشئ ليبقى، أما أيام ننشئ بالمعرض جناح من القماش أسبوعين فقط، هذا البناء أنشئ ليزول بعد حين.

الحق الشيء الثابت، والدائم، والمستقر، والمستمر، والهادف والباطل الشيء المنهدم، والزائل، والعابث، لازم تعرف ما هو الحق وما هو الباطل، الباطل ليس له هدف.

حفلة انتخاب ملكة جمال، خير إن شاء الله، باطل هذه، يعني أشياء ما لها علاقة بأهداف الإنسان الكبرى، أما نريد أن نجتمع لنفهم كتاب الله، هذا منهجنا إلى طوال حياتنا، وسبب سعادتنا بعد الموت إذاً اجتماعنا حق، إذا اجتمعنا اجتماع فيه اختلاط، وفيه غيبة ونميمة هذا اجتماع باطل، هذا بعد حين ينتهي، يصير فيه عدوات، ويصير فيه أحقاد، ينتهي، إذا اجتمعنا وتدارسنا كتاب الله، هذا الاجتماع يستقر ويستمر، لذلك: " **ما جلس قومٌ مجلساً ذكروا الله فيه، أو تدارسوا كتاب الله، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، وما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه إلا قاموا عن أنتن من جيفة حمار** "، ما في رائحة بالأرض أشد وأقسى من رائحة اللحم المتفسخ، فهذه الآية دقيقة جداً، الحق كتاب الله، وسنة رسول الله، تبني عليه زواجك يستمر، تبني عليه تجارتك تزدهر، تبني عليه علاقاتك يرفع الله لك ذكرك، تبني عليه صحتك تتمتع بصحتك إلى يوم الوفاة، " **ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا** "، النبي ذكر تعليمات كثيرة بالطعام، والشراب، إذا أردت الاستمرار، والرقي، كلمة حق، شيء مستمر، و يصعد، الثبات من جهة، والرقي من جهة ثانية، الشيء الثابت والهادف هو الحق والشيء الزائل، والعابث هو الباطل، فإيانا جميعاً أن نتعلق بالباطل.

﴿نَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (81)﴾

لو عاش سبعين سنة في النهاية ينهار، وكل شيء مبني على أسس باطلة، مصيره الانهيار، وكل شيء مبني على أسس صحيحة، مصيره الاستمرار والدوام، الكون بالحق، لذلك منتظم ما فيه مشكلة، لأن فعل الله مباشرة، لكن نحن مخيرون، فنحن إما أن نأخذ بالحق فنستقر، ونستمر، ونرقى، ونسعد، وإما أن نأخذ بالباطل فنهوي مع الباطل.

" من أخذ أموال الناس يريد أدائها أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها " . بالباطل يعني . " أتلفه الله "، يعني إذا ربط مصيرك مع الحق أنت في أمنٍ، ودعةٍ، وسلامٍ، واستقرارٍ، ورقيٍ، وازدهار، وإذا ربطت مصيرك بالباطل، الباطل زائل.

في رئيس وزارة بفرنسا انتحر قبل سنة، كتبت حول انتحاره مائة مقالة، شيء بحير، من أرقى عوائل باريس، غني، له سمعة طيبة، ففي صحفي واحد وفق إلى سر انتحاره، لأنه هذا كان مؤمن بالباطل، مؤمن بمبدأ إلحادي، فبعد سبعين سنة وجد نفسه غلطان، وجد نفسه، وكل حياته، وكل طاقاته، سخرها بمبدأ ما له أساس من الصحة، في مسلم عنده مفاجأة بحياته ؟ خلال آلاف السنوات ظهرت حقيقة علمية نقضت الدين ؟ أبداً، أنت بالدين مع الحق، والحق ثابت، إذا أنت اعتنقت الإسلام، وأمنت به والتزمته، ما في عندك مفاجأة إطلاقاً أما أصحاب النظريات الموضوعة في عندهم مفاجأة قاتلة، يكتشفون بعد فوات الأوان أن مذهبهم باطل، ماله أساس من الصحة، انهار كبيت العنكبوت، هذا شيء يهز أركان الإنسان، إذا أنت اعتقدت بالحق الحق مستمر، وباقي، ومزدهر، وراقي، إذا أمنت بالباطل الباطل زائل، شوف كلمة زهوق، زهوق صيغة مبالغة اسم الفاعل، الله ما قال إن الباطل كان زاهقاً قال:

﴿كَانَ زَهُوقاً (81)﴾

يعني شديد الزهوق، مهما تعدد الباطل الباطل زاهق، ومهما كبر زاهق، صيغة مبالغة اسم الفاعل تعني الكم أو النوع، مثلاً:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46)﴾

(سورة فصلت: 46)

الظلام شديد الظلم، أو متعدد الظلم، صيغة مبالغة اسم الفاعل تعني الكم أو النوع، فربنا عز وجل قال:

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً (81)﴾

يعني الباطل مهما كان كبير زاهق، ومهما كان متعدد زاهق.

الحق: الشيء المستقر، والمستمر، والثابت، والمزدهر والهادف، لأنه في عوامل استقراره، وازدهاره، والباطل الشيء الزائل والعابث، لأنه في عوامل انهياره، وعوامل احتقاره، والسعيد من ربط منهجه بالحق، زواجه إسلامي، بيعه شرعي، بيته إسلامي، نزهته إسلامية، ما في اختلاط بالمقاهي، وغناء، نزهته إسلامية، أفراحه إسلامية، أتراحه إسلامية، لذلك يزدهر، الآن نحن في نعمة، إذا أردتم أن تتصل نعم الدنيا بعم الآخرة، فعليكم بطاعة الله، كونوا على الحق، والحق مستمر لأنه.

آخر كلمة: المؤمن خطه البياني صاعد، صعود مستمر والموت نقطة على هذا الخط، لو مات الإنسان صعوده مستمر، لأن الموت خلعت الثوب لترتدي أثواب، فإذا الإنسان آمن، ووفق حياته وفق منهج الله، ضبط بيته، وضبط عمله، ضبط جوارحه، أعضائه حواسه، دخله، إنفاقه، على الحق، إذا في ثبات، واستمرار، أنت في خير، تحب أن الله لا يغير عليك ؟ لا تتغير ما بغير، مزعوج من قضية غير ليغير، قلناها مرة سابقاً، إذا كنت ببحبوحة لا تغير ما بغير مزعوج غير ليغير، الحق هذا معناه الشيء الثابت والمستمر، والباطل الشيء الزائل والعابث.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-11) : تفسير الآيات 4 – 9 ، الكون وما في خلق للإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية الرابعة من سورة النحل وهي قوله تعالى:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9)﴾

النطفة ؛ حوين له رأس، وله عنق، وله ذيل، باللقاء الزوجي يخرج من الرجل خمسمائة مليون حوين منوي، وعلى كل حوين مورثات خمس آلاف مليون معلومة مبرمجة، هذه الأرقام بديهية، لا تستكبروها، هذا الذي يتحدث عنه علماء اليوم الهندسة الوراثية، هي هي، يريدون أن يتحكموا بصفات الجنين، عن طريق الهندسة الوراثية الهندسة الوراثية أن هذا الحوين عليه خمسة آلاف مليون معلومة مبرمجة فكل تفاصيل الإنسان تتشكل بأمر من هذه المعلومات، خرج من عورة ودخل إلى عورة، ثم خرج من عورة، وهذا الماء إذا وجد على ثياب أحدنا يستحي به، من ماء مهين، فالإنسان خلق من ماء مهين، وخرج من عورة، ودخل في عورة، ثم خرج من عورة، فإذا شب الإنسان وكبر، يرى نفسه عظيم.

أنا مرة في المطار وجدت طفل صغير يعني لكثرت ما أحاطوا وسطه بالفوط صار كالكرة وسطه، يخافون أن يؤذي الطائرة، قلت هذا الطفل الصغير، المحاط بفوط كالكرة، هذا إذا أصبح كبيراً، وحمل شهادة علية، وبدأ يتفلسف على الله عز وجل.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4)﴾

يعني أنا مرة كنت في تشيع جنازة طبيب كبير، له فضل على هذه الأمة، صديق من أصدقائي، أستاذ في الجامعة، في كلية الطب، وقف خارج الجامع، عمره ستين سنة تقريباً يعني استكبر أن يصلي، ما صلى، وقف خارج المسجد، يحمل دكتوراه، يعني:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4)﴾

ألا يجدر بك أن تصلي لخالق السماوات والأرض ؟ ألا يجدر أن تقرأ كتابه .

أخوانا الكرام: في إنسان تأتيه رسالة، يمزقها قبل أن يقرأها يكون أحمق، هذا الكتاب رسالة الله إلى الناس، أقرأ الكتاب، اقرأه، ودبره وتفهم آياته، اعرف الأمر، اعرف النهي، اعرف الحلال، اعرف الحرام، اتعظ بمواعظه، اتق العبرة من قصصه.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4)﴾

أخواني الكرام:

أتمنى على الله سبحانه وتعالى، أن يعرف كل منا حجمه، عظمة الإنسان، وذكائه، وماله، وقوة شخصيته، مرهونة بميوعة دمه لو خثره صغيرة في الدماغ، انتهى، أينما تقف تصب إصابة كبيرة، بمكان ينسى كل معلوماته، بمكان يفقد البصر، بمكان يفقد السمع، بمكان يفقد المحاكمة، الذي يقول الإنسان أنا، على ماذا أنت معتمد، قبل أيام كنا في تعزية، شابة بالأربعين، خثره دماغية انتهت، تصوروا، فالذي يقول أنا على أي شيء يعتمد.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4)﴾

صار بدو يناقش الله عز وجل، مو قناع بالدين، ما له قناع بالشرع، هذا الدين لغير العصر، نحنا بعصر العلم، هذا الذي يقوله الله عز وجل ينطبق على كل كافر.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4)﴾

مبين يعني يتفاصح، يتكلم، يأتي بحجج، يعمل معرض الحاد ببلاده، الروس عملوا معرض الحاد، مادة اللحاد تدرس بكل المدارس، وعز وجل انتقم منهم، شر انتقام.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5)﴾

أتمنى على الله أن تقفوا عند كلمة لكم، يعني خلقت خصيصاً لكم الورود لمن ؟ الأبقار ؟ الأزهار ؟ المصفحات الخضراء ؟ أشجار الزينة ؟ هذه لا تأكل، النباتات الصالونات كم نوع ؟ آلاف مؤلفة، يعني يلي يعرفوا بالأشكال، آلاف مؤلفة من نباتات ما لها ثمرة، ما لها وظيفة، إلا أن تستمتع بها بالبيت، اسمها نباتات الصالونات، أنا عندي كتاب ثمانية عشر جزء، كل جزء ثماني مائة صفحة، كل صفحة صورة وردة، وطباعة، تحتاج إلى هواء إلى رطوبة إلى ماء، طبعاً من شركة أزهار، تقول أنه مائة ألف مائتين ألف نوع من الأبصال من أجل من خلقت ؟ لكم خصيصاً لكم، العطور لمن خلقت ؟ واحد أعطى دابة فلة قام أكلها، معناها يلي أعطاه إياها هو الدابة، هذه لا تأكل هذه تشم، كلمة:

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾

يعني البقرة لو توحشت لقتلت الإنسان، والله عز رحمة بنا، هناك مرض يصيب البقر، اسمه التوحش، بقرة بجوبر قتلت أول واحد، والثاني، والثالث، أضطر صاحبها لقتلها، ثمنها سبعين ألف ليرة، لو الله خلق البقر متوحش شو نساوي بحالنا ؟ لو ركب بالغنم طباع الذئب، شو نساوي بحالنا، من ذللها ؟ من خلقها لكم ؟ في بالقرآن يمكن ثلاثمائة وثمانية عشر آية فيها كلمة لكم، يعني خلقت خصيصاً لكم، من أجلكم، مبرمجة، مهيأة، هذه التفاحة لمن ؟ هذه الفواكه ؟ الفواكه تنمو بالتدريج، المحاصيل تنمو بيوم واحد، تنضج يعني.

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5)﴾

ساعة تأكل جبنه، ساعة تأكل قشطه، ساعة شمندور ساعة قيمع عرب، ساعة لبن مصفى، ساعة سمنة بلدي، ساعة عيران، ساعة لبن، كله من الحليب.

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾

في أرق من الصوف، الصوف الخالص غالي كثير، تلبس كنزة كأنك قاعد بغرفة، تقعد على سجادة صوف بتلاقي حالك مرتاح بالشتاء، طيب من خلق الصوف ؟ هذا خيط الصوف يحبس الهواء داخله.

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾

تلبس حذاء بقلك هذا جلد طبيعي، الطبيعي يتنفس، إذا واحد لبس جلد صناعي تحبس، بصير في أنتان بقدميه، يعني ما في تنفس، الجلد الصناعي، أما الطبيعي في مسام، في ليونة، الجلد من خروف الصوف من خروف، تأكل أيام أكلات هيك رجاجة، جيلاتي، هي من عظام الخروف هي.

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾

يعني حتى الأمعاء لها استعمال، ما في شيء ما له استعمال، أما أغلى شيء بالسماد، السماد الطبيعي، أغلى شيء، بقلك دفعت أستاذ على هذا البيت الزراعي عشرين ألف ليرة سماد طبيعي، يعني زبل خروف.

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾

فضلاته سماد، أمعائه لها استعمال، جلده له استعمال، صوفه له استعمال، اللحم له استعمال، الدهن له استعمال، يعني أنا أعتقد الخروف لا يضيع منه شيء إطلاقاً، طبعاً الخروف، والبقر، والماعز، والضأن، والجمال.

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾

هذه الجمال ترى البعيد قريباً، والصغير كبيراً، لها أجفان إذا هبت عواصف هوجاء بالصحراء تتقي بهذه الأجفان رمل الصحراء، الجمل يقدر أن يعيش ثلاث أشهر من دون شرب ماء، هذا رقم دقيق، أخذ من مقالة

علمية، لأنه يقدر أن يأخذ ماء الخلايا، وسنامه مدخرة غذائية، ويجلس جلسة نظامية حتى تحمل عليه، لو كان يجلس مثل الدواب الأخرى، لا تقدر أن تمحل عليه، بدك سلم، إذا بيمشي بيروحك، انظر إلى الجمل.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17)﴾

(سورة الغاشية: 7)

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾

الآن في أحصنه، ثمن الحصان 11 مليون درهم، يعني مائة وخمسين مليون ليرة، ثمن حصان، يعني في أشياء.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾

يعني أيام الإنسان يركب الخيل لا وسيلة نقل، في جمال.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ﴾

البغال مختصة بالجبال، يستخدمونها المهربين، يحملونها البضاعة تأتي وحدها على المكان الذي يريد، ما في واحد مسؤول معها يتحاسب، لوحدها تصل إلى المكان، يعني هذا الحيوان مختص بالجبال بالطرق الوعرة.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾

الآن إذا واحد ركب جانبه، أو كنكورد، أو ركب سيارة 600، بقلك وين الحمار ؟

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)﴾

هذا كلام خالق الكون لأنه، لو كان كلام سيدنا محمد، كان نسي، بطلع القرآن بعيد عن العقل، الآن في طيران في طيارة فيها ستمائة وخمسين راكب، مدينة، في سيارات تمشي مائتين وثمانين، في قطارات تمشي ثلاثمائة وخمسين، في حوامات فوق البحار ، في مراكب فضائية، الله قال:

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)﴾

معناها هذا الكلام خالق الكون، لولا هذه الآية لكان هذا القرآن من كلام سيدنا محمد، أما:

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾

هي الآية دقيقة جداً، أساسها، وعلى الله سبيل القصد، يعني على الله سبحانه وتعالى ألزم نفسه، أن يبين للعباد الطريق الموصل إليه.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾

يعني سبيل القصد، وعلى الله أن يبين لعباده الطريق الموصل إليه.

﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾

ومن هذه النفوس المنحرفة، قال:

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9)﴾

لكنه لم يشأ لماذا ؟

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9)﴾

لكن الله سبحانه وتعالى إذا هداكم أجمعين هداية قصرية، هذه الهداية لا ترقى بكم، ولا تنتفعون بها، ولا تسعدون بها.

لو شاء رئيس الجامعة أن ينجح كل الطلاب القضية سهلة، يوزع أوراق مطبوع عليها الإجابة الكاملة، اكتب اسم ورقمك العلامة من مائة، هذا النجاح ما له قيمة، الإنسان مخير لأنه، لو الله ألزمه بالهدى، هذا الهدى الملزم به لا يسعد به الإنسان، ولا يرقى به، إذاً لم يشأ أن يهديكم هداية قصرية، أرادكم أن تهدوا مختارين، " **إن الله أمر عباده تخيراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً** "، لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب، ولو تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة، " **إن الله أمر عباده تخيراً، ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعصَ مغلوباً، ولم يطع مكرهاً** ".

يعني كلما قرأت في القرآن الكريم.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9)﴾

﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾

(سورة الرعد: 31)

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾

(سورة الأنعام: 35)

هي الآيات كلها معناها، أن الهداية القصرية التي فيها إلغاء الاختيار، وإلغاء التكليف، وإلغاء حمل الأمانة، هذه الهداية لا قيمة لها لا عند الله، ولا عند الناس، ولا عند أنفسكم، ولا ترق بكم، ولا تسعدون بها، لا تفهوا فهم ما أرادوا الله.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

كان يهدينا كان، يعني أحياناً، قلت البارحة في خطبة الجمعة، أو قبل يومين، أن الإنسان، المتعة كلما هبط مستواها، لا تحتاج إلى تأجيل، واحد بردان، وفي غرفة دافئة، يكفي أن يدخل، ويستمتع بالدفء، أما إذا أردت أن تستمتع بقيادة طائرة فوق جبال الألب مثلاً.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-11) : تفسير الآيات 10 - 17 ، معرفة الله من خلال الآيات الكونية

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية العاشرة وما بعدها من سورة النحل تلفت النظر ، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12)﴾

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17)﴾

لو أحصينا الآيات التي تشير إلى آلاء الله في الكون لوجدناها كثيرة جداً تقترب من ربع القرآن، هذه الآيات لماذا كانت ؟ و لماذا أنزلت ؟ أجعلُ هذا السؤال منطلقاً لهذا الموضوع الدقيق، هناك في الكون مخلوقات، ولله أمر، ونهي، قال الإمام الغزالي: " **هناك علم بخلقه، وهناك علم بأمره، وهناك علم به** ".

فالعلم بخلقه، جامعات الغرب تفوقت تفوقاً كبيراً جداً، الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والطب البشري، والصيدلة، والفلك، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التاريخ، وعلم الجغرافيا والتكنولوجيا، والصناعة، والزراعة.. الخ، فكل هذه العلوم المادية، أو العصرية، هي علم بخلق الله.

وأما العلم بأمره فهو علم الشريعة، الحلال، الحرام، أحكام البيوع، أحكام الزواج، الطلاق، الحوالة، الكفالة، الرهن.. الخ.

لكن الذي يجمع بين علم خلق الله، وعلم أمر الله، أن هذين العلمين يحتاجاني إلى مدارسة، يعني إلى قراءة، إلى حفظ، إلى تذكر إلى بحث، إلى درس، والذي أوتي مقدرة فكرية عالية يستوعب هذه العلوم، ويحفظها، لكنه في واد، وعلمه في واد آخر.

أم العلم بالله، هنا التقصير في العالم الإسلامي، العلم بالله أن تعرف الله، وأن تعرفه من خلال خلقه، ومن خلال أمره، ومن خلال أفعاله، معرفة الله شيء، ومعرفة أمر الله شيء آخر، معرفة أمر الله هذا الشيء يحتاج إلى مدارسة، إلى قراءة، إلى حضور دروس، إلى إمساك بالكتاب، إلى قراءة كتاب، إلى وضع

خطوط، إلى تلخيص على الحواشي، إلى حفظ، إلى تذكر، والذي أوتي مقدرة فكرية عالية يتفوق في هذه العلوم، إن في علوم خلق الله ؛ كعلوم الغرب، أو في علوم أمر الله ؛ كعلوم الشريعة، ولكن العلم بالله شيء آخر، لا يحتاج إلى مدارسة، بل يحتاج إلى مجاهدة، إذا تفكرت في خلق السماوات والأرض، فأنت في الطريق إلى معرفة الله، إذا تفكرت في أفعال الله عز وجل.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11)﴾

(سورة الأنعام: 11)

فأنت في طريق معرفة الله عز وجل، إذا درست حكمة أمره، فأنت في طريق معرفة الله عز وجل، النبي عليه الصلاة والسلام، بقي مع أصحابه في مكة المكرمة، ثلاثة عشر عام يعرفهم بالله عز وجل، فلما تمكنت هذه المعرفة، جاء التشريع، أما نحن إذا اختصرنا على تعريف الناس بأمر الله، ولن نعرفهم بالله عز وجل، هذا الأمر لا يطبق، لأن قيمة الأمر من قيمة الآمر، فلذلك حيث ما قرأتم مثل هذه الآيات الكونية، في القرآن هذه من أجل أن تكون عنوانات، وهذا الجمع صحيح، هو الأصح، مو عناوين، عنوانات، عنوانات لموضوعات في التفكر، الله عز وجل يقول لك:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ﴾

هذا المطر لنا.

﴿مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ﴾

لكم بالذات.

﴿بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾

جعل الله الليل لباس، وجعل النهار معاش، جعل الليل مظلماً ساكناً، وجعل النهار مضيئاً، نشيطاً.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾

أنواع الأزهار.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾

هذا المحار، حيوان بحري، إذا شعر أن في محاره شيئاً غريباً، ولو ذرة كالهباب، يفرز عليها مادة كلسيه فسفورية، كي يحاصرها، هذه المادة الفسفورية الكلسية هي اللؤلؤ، لذلك الآن في لؤلؤ زراعي، ولؤلؤ طبيعي، ولؤلؤ صناعي، صناعي لا قيمة له إطلاقاً، أم الزراعي يأتون بهذا الحيوان خارج البحر يضعون فيها حبة رمل صغيرة، ويضعونه في صناديق خشبية، ويعيدونه إلى البحر، بعد حين يفتحونه فيه لؤلؤه، ألم يضعوا له ذرة رمل غريبة، هو أفرز مادة كلسيه فسفورية أحاطت بهذه الذرة، لكن يبقى مستوى اللؤلؤ الزراعي أقل بكثير من مستوى اللؤلؤ الطبيعي.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾

لو هذا القانون أرخميدس، أن الماء يدفع الأجسام المنغمسة فيه إلى الأعلى، ما كان في ملاحة بحرية في الأرض، وأصبح البحر أداة فصل بين القارات.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾

يعني أوضح مثل على ذلك الإنسان أحياناً يذهب إلى بعض الأشخاص بقلك رفرفت الدولاب، الدولاب الجديد على الدوران السريع يضطرب، في أجهزة إلكترونية تحدد مكان في العجلة ضع هنا خمسة غرامات، هذه الغرامات الخمسة، مع الدوران السريع تجعله منتظماً، فربنا قال:

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾

هي الجبال موضع بشكل دقيق جداً، لأن الأرض تدور حول نفسها، بسرعة ألف وستمائة كيلومتر بالساعة، النقطة على خط الاستواء تدور بسرعة ألف وستمائة كيلومتر بالساعة، يعني إذا ركبنا طائرة، وسرعتها ألف وستمائة كيلومتر بالساعة، واتجهنا نحو الغرب يتوقف الزمن، لأنه سارت مع الأرض، هذه السرعة العالية في الدوران، تحتاج إلى انتظام.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ﴾

مرة قلت لكم سألنا أخ ضمن حقل بطيخ ثلاثة أشهر، قال لي ثلاثة أشهر كل يوم حوش سيارة، قلت له شيء جميل، فكيف تعرف هذه الثمرة الخضراء الجميلة أنها نضجت، قال لي كل الثمار الخضراء بلون واحد، لكن لو فتحت واحدة بيضاء، لم تنضج بعد، والثانية حمراء، مثل السكر تماماً، كيف تعرف أن هذه نضجت، قال لي الله عز وجل جعل إلى جانب ذنب البطيخة حلزون، طوله ثلاثة سانتي، فإذا الإنسان أمسكه بيده وفتله إذا انكسر، يكون نضجت البطيخة، إذا بقي طري يكون ما استوت، الله قال:

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾

عمل لك علامة أي مرض داخلي له علامة ظاهرية، حرارة، قيئ، وجع في الرأس، لو ما في علامات، الناس كانوا ماتوا، إذا كان السن انتخر في علامة يتألم منه، أي شيء له علامة، أي خلل في الجسم له علامة، أي خلل في الفاكة له علامة، بقلك هي الفواكه لونها ما عجبني، معناها ناقصها حديد، ناقصها بوتاس، ناقصها كذا، لولا العلامات لتاه الإنسان في هذا الكون، إذاً: كلما قرأت آية كونية، يجب أن تجعلها موضوع للتفكر، لأنك إذا تفكرت في خلق السماوات والأرض، أنت في طريق معرفة الله، أما إذا قرأت أمره ونهيه، أنت في طريق معرفة أمره، معرفة الله تحتاج إلى تفكر، وإلى مجاهدة، إلى تفكر في خلقه، وتفكر في أفعاله، وتفكر في أوامره، وإلى مجاهدة النفس والهوى، فإذا تفكرت وجاهدة نفسك وهواك، عرفت طرف من كمال الله، فإذا عرفته بادرت إلى تطبيق أمره، إذا عرفته بادرت إلى تطبيق أمره، وإذا رأيت رجل، يعرف أوامر الله ونواهي، ولا يفعل الأوامر ولا ينتهي عن النواهي، فاعلم أن معرفته بالأوامر جيدة، لكن معرفته بالله ضعيفة، إن لم تعرف الله تشرك به، إن لم تعرف الله تنافق، إن لن تعرف الله تخاف إن لم تعرف الله تحاذي، إن لن تعرف الله تظلم، مشكلة العالم الإسلامي اليوم لا من نقص معرفته بأمر الله، لا، أمر الله مبذول، كم معهد شرعي بالأرض، يعلم أمر الله، نحن نحتاج إلى معرفة بالله ومعرفة الله عن طريق خلقه، تفكروا بالمخلوقات، ولا تفكروا بالخالق فتهلكوا، لذلك هي سورة النحل معظمها آيات كونية، وأنا أتمنى على أخوة الكرام، إذا قرأت القرآن، ووقفت عند آية كونية لا تقرأها فقط، أجعلها موضوع للتفكر، إذا الله قال لك:

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22)﴾

(سورة الحجر: 22)

للماء، يعني بعد صلاة الفجر ممكن تعمل موضوع التفكر حول خزن الماء، هل تستطيع تخزين الماء لعام، لما ربنا خزنه لك بالجبال يعني أرادت مصلحة مياه عين الفيجة، أن تقيم مستودع في شروط جيدة فكان عمقه تحت الأرض أربعمائة متر، لكي تقلد مستودعات الماء عند ربنا، تقليد، هذا الجبل الذي فيه هذه المياه، بعدي في صخور، وفي مياه فيها كلسيوم، و منغنزيوم، وحديد، وبتاسيوم، يقول لك مياه معدنية، يقول لك هي مفيدة جداً، ومياه التحلية في الحجاز هي غير صالحة للشرب، إلا إذا خلطت بمياه الآبار، فإذا أنت عملت كل ما أتيح لك وقت، أو بعد صلاة الفجر، أن تفكر في آية من آيات الله، فكلما ازدادت معرفتك بالله، ازددت محبة له، وتعظيماً له، وخوف منه، ورغبة في تطبيق أمره، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

(سورة فاطر: 28)

هذا المقطع الكوني الكبير، وأي مقطع كوني في القرآن الكريم ما ذكره الله لنا كي نقرأه فقط، كي نجعله عنوانات لموضوعات التفكر وليس في الأرض عبادة أرقى من التفكر، وتفكر ساعة خير من أن تعبد الله ثمانين عاماً.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)﴾

(سورة القدر: من 1 إلى 3)

ثمانين عام عبادة، تعدلها ساعة تفكر بالله، لأنك إذا عرفت الله أحببته، وإذا عرفت الله عظمته، وإذا عرفت الله أطعته، وإذا عرفت الله خفت منه، وإذا عرفت الله اتقيت أن تعصيه، وإذا عرفت الله أقبلت عليه، وإذا عرفت الله اتصلت به، وإذا عرفت الله سعدت في الدنيا والآخرة، هي **الآيات الكونية** أرجو الله عز وجل ألا تمروا عليها مروراً سريعاً، قفوا عندها، اجعلوها موضوعات للتفكر، هذا الفكر البشري جهاز يعمل بلا كلل ولا ملل، يعني لا يليق بها أن يعمل لكسب المال فقط، وللإيقاع بين الناس فقط، يليق بها أن يعمل في معرفة الله، والله أعطاك موضوعات، العلم حرف التكرار أنت، هذه كلها موضوعات للتفكر، الليل والنهار، والشمس والقمر، المطر، السحاب الجبال، الأنهار، الينابيع، البحيرات، الطعام، الله قال لك:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24)﴾

(سورة عبس: 24)

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5)﴾

(سورة الطارق: 5)

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة يونس: 101)

المخلص: أن هناك ثلاث علوم، علم بخلقه، برعة به أوروبا وأمريكة، وعلم بأمره، برعة به كليات الشرعية في العالم الإسلامي، وعلم به، وهذا ما نحتاج إليه، علم به، أن تتفكر في خلقه، وأن تجاهد نفسك وهواك، فإذا عرفت طبقت أمره.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-11) : تفسير الآية 18 ، نعمة الله لا تحصى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية الثامنة عشر من سورة النحل وهي قوله تعالى:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18)﴾

وفي آية أخرى.

﴿وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)﴾

(سورة إبراهيم: 34)

في هذه الآية معنى دقيق، أن النعمة الواحدة، لو أمضينا الحياة كلها في تعداد خيراتها، وبركاتها، لا نحصي هذه الخيرات، فإذا كنا عاجزين عن إحصاء خيرات نعمة واحدة، لأن نكون عاجزين عن شكرها من باب أولى، نحن لسنا عاجزين عن شكرها فحسب، بل عاجزون عن إحصاء خيرات نعمة واحدة، هذا هو المعنى الأول لهذه الآية.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾

أنتم عاجزون عن إحصاء خيرات نعمة واحدة، إذاً: أنتم عن أن تشكروا هذه النعمة، أو تلك النعم من باب أولى، عجزنا عن الشكر من باب أولى.

لكن مرة يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)﴾

يعني حينما يكفر هذه النعمة، لا يظلم ربه، بل يظلم نفسه.

((عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ، وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ، وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ، وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ

أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ))

[راوه مسلم]

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)﴾

يظلم نفسه حينما يكفر بنعمة ربه، و الآية هذه:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

يعني إن كنت عاجزاً عن إحصاء النعم أو عن إحصاء خيرات نعمة واحدة، وإن كنت عاجزاً على أن تشكر نعمة واحدةً، أو أن تشكر النعم كلها، واعترفت بعجزك عن أداء الشكر فالله سبحانه وتعالى غفور رحيم، هذه المعنى الثاني.

أما الشيء الذي يلفت النظر أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ﴾

(سورة النساء: 147)

يعني الإنسان حينما يؤمن وحينما يشكر، لا يعذبه الله عز وجل ما معنى ذلك ؟ معنى ذلك أنه حقق المراد الإلهي، معنى ذلك أنك خلقت من أجل أن تعرفه، ومن أجل أن تشكره، لأن الكون كله مسخر تسخيرين، تسخير تعريف، وتسخير تكريم، فرد فعل التعريف أن تؤمن، ورد فعل التكريم أن تشكر، فإذا أمنت وشكرت حققت مراد الله من خلقك، إذاً لما المعالجة ؟ لما العذاب ؟

((حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم، قَالَ: بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلا أَخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ ابْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ))

[رواه البخاري]

كلام دقيق جداً.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ﴾

(سورة النساء: 147)

موضوع ثالث: كلام خالق الكون، وزوال الكون أهون عليه من أن لا يتحقق وعده ووعيده.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)﴾

(سورة إبراهيم: 7)

إذا أردت أن تزيد أي نعمة فاشكرها لله عز وجل، صاحب أكبر معمل حلويات في لبنان، قال عنده سبعين فرع في لبنان، يصدر كل يوم طائرة شحن كاملة إلى بعض البلاد يومياً، دخل إلى معمله، ما أعجبته عريكة المعمول من قبل أحد الموظفين، فوضع هذه العريكة على الأرض، وعركها بقدميه وحذائه، وعلم هذا الموظف كيف تعرك هذه العجينة، قال له يا سيدي بحذائك ؟! قال: الناس يأكلون من تحت قدمي، هذا الإنسان بعد ثلاثين يوماً من هذه الحادثة قطعت رجلاه الاثنتان، بمرض الغرغرين، والآن مقيم ببريطانيا.

أسرة من أغنى الأسر في لبنان، عملت وليمة فخمة، ولم تطع صاحبة البيت صحون للسجاير، فلما طلب منها صحن قالت: افتحوا قرص كبة وضعوا الصفوة داخلها، وهذه الأسرة الآن تعاني من آلام الجوع، هدم بيتها.

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)﴾

فإذا أردت أن تدوم النعم فاشكرها.

النبي عليه الصلاة والسلام، كان إذا دخل إلى الخلاء، وخرج يقول:

((الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني، وأبقى لي ما ينفعني))

يعني إذا الإنسان لا سمح الله ولا قدر، ونحن دائماً نعوذ من عضال الداء، لو أبلغ أن كليته توقفت عن العمل، كان يقول:

((الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني، وأبقى لي ما ينفعني))

كان يقول إذا دخل إلى الخلاء:

((الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى فيّ قوته، وأذهب عني أذاه))

كان إذا دخل إلى بيته يقول:

((الحمد لله الذي آواني، وكم ممن لا مأوى له))

معك مفتاح بيت ؟ صغير، كبير، واطي، عالي، بعيد، قريب أجار، ملك معك مفتاح بيت، تدخل للبيت، ترتاح، تغير ملابسك، تعمل حمام، تأكل، تنام.

((الحمد لله الذي آواني، وكم ممن لا مأوى له))

يعني ترى بعينيك، نعمة البصر لا تعدلها نعمة، تسمع بأذنيك، نعمة السمع لا تعدلها نعمة، تنطق بلسانك، نعمة النطق لا تعدلها نعمة، القلب يعمل بنظام، نعمة لا تعدلها نعمة، يعني ماذا أقول لكم ؟ إذا الإنسان حب يعمل لكل عضو تلف عملية، لازم يفع مائة مليون، كل هذه الأجهزة تعمل بنظام.

من أجل أن تكون علاقتك بالله علاقة محبة وشكر يجب أن تفكر في نعم الله، هذه النعم لها تصانيف، أول نوع من أنواع النعم أنك موجود، الحمد لله على نعمة الإيجاد، أنت موجود، لك كيان، لك سجل بالنفوس، فلان الفلاني ابن فلان، يعني أوجدك ليتيح لك عملاً صالحاً تسعد به إلى الأبد، هذه نعمة الإيجاد، نعمة الإمداد، أوجدك وأمدك بما تحتاج، أمدك بالهواء، أمدك بالماء، أمدك بزوجةٍ، بأولاد ببيت، بحرفة، تكتسب رزقك منها،

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي))

[رواه الترمذي]

أسباب محبة الله استعراض النعم.

أخوانا الكرام:

السعداء هم اللذين يشتغلون بشكر ما عندهم، لا بالحسرة على ما فقدوه، أنت في عندك أشياء، وفاقد أشياء، والنبي الكريم علمنا بهذا الدعاء العظيم يقول:

((اللهم ما رزقتني مما أحب، فاجعله قوة لي فيما تحب))

أعطاك مال، اجعل هذا المال قوةً لك في إيمانك ؛ يعني أنفقه في طاعة الله، أعطاك صحة اجعل هذا النشاط، وهذه الحركة في خدمة خلق الله عز وجل، أعطاك أحياناً جاه، اجعل هذا الجاه في خدمة الضعفاء والمظلومين، أعطاك علم اجعل هذا العلم في خدمة المسلمين أعطاك طلاقة لسان، اجعل هذه الطلاقة في تأييد الحق ونصره، فالمؤمن إذا أراد أن يزيد من نعم الله عليه، عليه أن يستخدمها في خدمة خلقه، دققوا في قول الله عز وجل على لسان قوم قارون حينما قال:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78)﴾

(سورة القصص: 77 ـ 78)

يعني:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ﴾

يعني أول معنى.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾

يعني حينما يكفر هذه النعم يظلم نفسه، الله سبحانه وتعالى قال:

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (8)﴾

(سورة إبراهيم)

﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾

(سورة الزمر: 7)

والمعنى الثاني: إذا عجزت عن شكر هذه النعم، إذا عجزت عن إحصاء نعمة واحدة، ثم عجزت عن إحصاء النعم كلها، ثم عجزت عن شكر نعمة واحدة، وعن شكر النعم كلها، واعترفت بعجزك، فهذا أحد أنواع الشكر.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

هذا المعنى الثاني، وإذا أردت لهذه النعمة أن تثبت، وأن تدوم فاشكرها.

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

وإذا أردت لهذه النعمة أن تزول فاكفرها.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)﴾

(سورة النحل: 112)

يعني في أسرة مات أبوهم، وما في تجول، وفي قنص، وفي قصف بعد ثلاثة أيام ألقوه من على الشرفة إلى الأرض، من شدة الخوف، والفقر، ثلاثة آلاف وسبعمائة ليرة الدولار وصل، يعني هذا الجوع والخوف.

﴿الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)﴾

وأي بلد آخر إذا كفر بأنعم الله يذيقه الله لباس الجوع والخوف، هذا موضوع الشكر، وإذا أمنت وشكرت حققت المراد من وجودك في الأرض.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ﴾

انظر إلى الدعاء ما أجمله، " **اللهم رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويت عني ما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب** ".

يعني زوجته ليست على ما يرام، ما سمح الله زوجة شاطحة معناها الله أراد به الخير حتى يتفرغ لطاعته، " **فما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويت عني ما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب** ".

هذه معاني الشكر كلها تقريباً، والآيات متعلقة بشكر النعم، لكن أحب الله لما يغزوكم به من نعمه، يعني إذا استعرضت النعم، والإنسان إذا رأى مصاباً أو مبتلاً من غير أن يسمعه عليه أن يشكر الله عز وجل.

أخوانا الكرام:

أحد معرفة أبواب النعم أن تنظر إلى من هو أدنى منك، أيام تلاقي عشرة أولاد والأم والأب في غرفة واحدة نائمين، على الأرض، أنت عندك غرفتين بالبيت، أو ثلاثة، أنت وزوجتك في غرفة والأولاد في غرفة، هذه نعمة، هذه النعمة يجب أن تعرفها، أنت معك ثمن الطعام والشراب، كان عليه الصلاة والسلام يدخل إلى البيت أحياناً يقول أعندكم شيء، يقال له لا، قال فإني صائم، في بيت من أخوان الحاضرين جميعاً، ما في عنده كأس شاي و زيتونه، ما في بيت ما في حواضر لثلاثة أشهر يكفي، هي نعمة، صحتك نعمة، أجهزتك تعمل، عقلك برأسك.

لنا أخ كريم الله يرحمه، طلع من معمله ما كان يلاقي بيته وين ثلاثة أرباع الساعة يدور، وين بيته ؟ أضاع بيته، عمره خمس وخمسين سنة، فقد ذاكرة جزئي، راح لبيت أبنه، قال له: وين بيتي أنا بابا، بيته بخورشيد، ثلاثة أرباع الساعة يدور، الله لو سحب جزء من الذاكرة، وين اختصاصك، وين خبراتك، بتكون معمر بيت مرتبه إذا كان العقل أختلج، يعمل لك واسطة أقرب الناس لك إلى مستشفى المجانين، بقلك دبرنا له واسطة، بواسطة كمان، من ؟ ابنك، زوجتك بخوف صار، إذا عقله برأسه، وأجهزته سليمة، لذلك ملك سئل وزيره قال له من الملك ؟ الملك كان جبار، قال له أنت، قال له لا ليس أنا الملك، الملك رجل لا يعرفنا ولا نعرفه، له بيت يأوي، وزوجة ترضيه، ورزق يكفيه، إنه إن عرفنا جهد باسترضائنا، وإن عرفنا جهدنا في إذلاله، فكل واحد منكم، عرفنا طرف من عظمة الله، ومستقيم، وصحته في، وعنده قوت يومه، حيزت له الدنيا بحذافيرها،

((عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الانْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))

[رواه ابن ماجه]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-11) : تفسير الآيات 20-29 ، حال المشرك والكافر في الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية العشرون من سورة النحل وما بعدها وهي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)﴾

الله جل جلاله يصف المشركين المنقطعين عن الله عز وجل بأنهم أموات غير أحياء، يؤكد هذا المعنى، قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

(سورة الأنفال: 24)

الإيمان: حياة، والشرك والكفر: موت.

ليس من مات فستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

***

يقول أحد علماء الغرب: " **كل من لا يرى في هذا الكون قوة هي أقوى ما تكون، حكيمةً هي أحكم ما تكون، رحيمةً هي أرحم ما تكون هو إنسان حي، ولكنه ميت** "، فربنا عز وجل يصف المشرك الملتفت إلى غير الله، متوجه للإنسان، أو لجهة، أو إلى ماله، أو إلى ملذاته يصف المشرك بأنه ميت.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)﴾

ضائع، الأحداث تتقاذفه، الأحداث تفاجئه دائماً، أما المؤمن من توفيق الله له، أنه لا يفاجئ بشيء، أليس الموت أكبر مصيبة عند الناس، هو مستعد للموت من أول حياته، مستعد له بطاعة الله، مستعد له بالعمل الصالح، مستعد له بإنفاق المال.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)﴾

في ضياع، وفي موت، هذا المشرك، المشرك: من توجه لغير الله أشرك، لكن من كفر بالله أنكر وجوده، أو أنكر كماله، أو أنكر شرعه هذا كافر، الكافر غير المشرك.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

وكل ما في الكون هو دون الله عز وجل، في إله، وفي ما دونه، فكل إنسان دع إلى ما دون الله عز وجل، فقد أشرك.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (22) ﴾

إذا الإنسان وضع كل ثقله بالدنيا، وجعل الدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه،

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَتِ الاخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلا مَا قُدِّرَ لَهُ))

[رواه الترمذي]

﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ﴾

كل أفكاره دنيوية، الدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه، ولا يعرف إلا الدنيا، وقد وصف الله الكفار بذلك قال:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7)﴾

(سورة الروم: 7)

والنبي الكريم يقول:

((إن أسعد الناس فيها، أرغبهم عنها وأشقاهم فيها، أرغبهم فيها))

مفارقة عجيبة، إذا اتجهت إليها تشقى فيها، وإذا أدرت لها ظهرك تسعد بها، إذا جعلت الآخرة أكبر همك، تأتيك الدنيا وهي راغمة، وإذا جعلت الدنيا أكبر همك، خسرت الدنيا والآخرة.

﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ ﴾

للحق:

﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾

المعاصي أخوانا الكرام، لها سببان كبيران، إما أن تغلبك الشهوة، وإما أن تستكبر، المعصية التي بسبب غلبة الشهوة في الأعم الأغلب الله عز وجل، يعنيك على التوبة منها، أما المستكبر، هذا لا علاج له إلا جهنم المستكبر:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)﴾

(سورة البقرة: 34)

فإذا كان الإنسان ما انصاع إيبائاً، وكبراً، واستعلائاً، شغلته كبيرة كثير هذا، هذا منتهى، أما إذا غلبته شهوته، استغفر ربه، وتاب في الأعم الأغلب الله عز وجل يغفر له، ويتوب عليه، بل يحمله على التوبة.

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (22) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (23) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24)﴾

كشوفين، كل هذه الآيات تميل لهذه الآية:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24)﴾

شايف الدين شغلة قديمة، لا تتناسب مع طبيعة العصر، عصر النور، عصر الفهم، عصر التبصر العلم، التكنولوجيا، التقدم، الدين قضية شعور الإنسان الضعيف أمام قوى الطبيعة المجهولة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (25)﴾

مشكلة الكافر ضال مضل، فاسد مفسد، ضائع مضيع، يعني مسيء، ويعين على الإساءة، بخيل، ويأمر بالبخل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (25) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (26) ﴾

يعني سمعتم عن زلزال اليابان، أربعة آلاف وخمسمائة قتيل تحت الأنقاض، والكلفة ألف مليار، من دون حرب هيك، لا في حرب ولا في صراع عرقي، ولا في تطهير عرقي، ولا في كما يجري في بعض الدول، الله عز وجل إذا أراد إهلاك أمة، في قبضته، أبنية شامخة، كل شيء من أرقى ما يكون، ما في ميزان رابح بالعالم كميزان اليابان، ستين مليار كل سنة فائض نقدي عندهم، أما هنا:

﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾

طريقة في هدم البناء عجيبة، في أيام إنسان يهدم بنيان بالمعول، بدو سنوات، أما الآن في طريقة حديثة يضعوا أربعة ألغام على الأساسات، من الداخل، بعيارات دقيقة، فالبناء بثواني، يصبح كتلة أنقاض، هدم البناء بالطريقة القرآنية.

﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾

يعني الله عز وجل لما يدمر أمة بأسباب بسيطة جداً، سبعة رختر وين صفيت المدينة الضخمة، والمعامل الضخمة، والمرافق، والإنتاج تحت الأنقاض كله.

﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾

الحوادث دائماً أمامنا، بين أعيننا.

كان في قرية بالمغرب أسمها أغادير، من أفسق البلاد بالعالم، فيها نوادي عراة، كلها مهيأ لأجانب، وفيها فندق اسمه هوليدي إن، هذا من أفخر فنادق العالم، ثلاثين طابق من عجائب زلزال أغادير، أن هذا الفندق غاص كله في الأرض، وبقي اسمه على الطابق الأخير كشاهدة، نزلوا تسع وعشرين طابق، صفي طابق واحد على وجه الأرض، مكتوب هوليدي أن، هنا يرقد هوليدي أن يعني.

﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾

التقوى أقوى، إذا الإنسان عقله نشيط، واخترع مخترعات وتجارة رائعة جداً، حقق أموال طائلة، وانغمس بالملاهي، والفسق والفجور، من دون حرب، سياسته الخارجية حكيمة جداً، وعلاقاتهم طيبة جداً، وكسحوا العالم باقتصادهم، لكن:

﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾

وإذا الله عاقب أمة، أو عاقب شعب، أو عاقب بلد، فهذا عاقب ردعي لبقية البلاد المنحرفة، الآية الكريمة:

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً (58)﴾

(سورة الإسراء: 58)

يعني كل أمة.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)﴾

(سورة النحل: 112)

هذا قانون إلهي، أية أمة تنحرف، وتفسق، وتفجر، وتستمرئ المعاصي، الله عز وجل لها بالمرصاد، يقول الله عز وجل:

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾

من مصدر أمنه، في أطباء مختصين بجهاز الهضم، من اختصاصه، طبيب مختص بالقلب، من اختصاصه، الجهة التي تطمئن لها أنت، واثق منها، معتمد عليها مرتكز عليها، أشركتها مع الله.

﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾

يا ترى انتهى الأمر، قال:

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (29)﴾

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾

بالدنيا عذاب أليم، وعذاب عظيم، وعذاب مهين، وبالآخرة.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (29)﴾

هذا مقطع، تنتهي حياتهم بالدمار، ويقدمون على الآخرة بعذاب الخزي البئيس، وينتهي مصيرهم إلى النار، وفي الدنيا أنكروا الآخرة واستكبروا عن طاعة الله عز وجل، وهم في الأصل أموات غير أحياء، مقطع دقيق جداً في سورة النحل، الآية العشرين وما بعدها، طبعاً هذا المقطع يقابل مقطع آخر، هذا نأخذه غداً إن شاء الله.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً﴾

هؤلاء أساطير الأولين، غداً إن شاء الله نوازن بين أهل الكفر استكبارهم، معصيتهم، كفرهم بالآخرة، تدميرهم، خزيهم يوم القيامة خلودهم في النار، وكيف أن أهل الإيمان قالوا خيرا، وآيات تأتي بالطرف الآخر كالتي ذكرناها اليوم.

الدرس (07-11) : تفسير الآيات 30-34 ، حال المؤمن في الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

الآية الثلاثون من سورة النحل وهي قوله تعالى:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30)﴾

الله جل جلاله يقول:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115)﴾

(سورة الأنعام: 115)

لو قرأت القرآن الكريم كله، كل آياته لا تزيد على أن تكون خبراً أو أمراً، إما أن الله سبحانه وتعالى أخبرك عن أصل العالم، عن أصل الكون، عن حقيقة الحياة الدنيا، عن حقيقة الإنسان، عن حقيقة الإنسان بعد الموت، عن حقيقة الدار الآخرة، كل الآيات التي يخبر الله بها، عن الكون وحقيقته، وعن الإنسان ومهمته، وعن الآخرة وأحقيتها، هذا كله خبر، أما إذا أمرك الله أن تكون صادقاً، أمرك أن تصلي، أمرك أن تصدق، أمرك أن تصوم رمضان، القرآن الكريم كله يمكن أن يندرج تحت عنوانين، خبرٌ وأمرٌ، خبر الله صادق، وأمره عدل.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾

خبر الله صادق، وأمره عدل.

الآن ربنا عز وجل أخبرنا عن حال أهل الجنة، هؤلاء في الدنيا حينما اتقوا، يعني اتقوا أن يعصوا الله عز وجل، لا شك أن الإنسان حينما يستقيم على أمر الله، يقطف ثمار عمله، يقطف ثمار عمله توفيقاً.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7)﴾

(سورة الليل: 5 . 6 . 7)

يقطف ثمار عمله راحة نفسية، يقطف ثمار عمله سكينة، يقطف ثمار عمله تفاءلاً، يعني المؤمن تنتظره نعم الآخرة بعد نعم الدنيا فالنعم متصل، بينما الكافر، ولو كان في الدنيا ذا جاهٍ عريض، أو كان في الدنيا ذا مالٍ وفير، أو كان في مستمتعاً بكل متع الحياة الدنيا، هذه النعم الظاهرة التي بين يديه، هذه سوف تأتي ساعة يخسرها دفعة واحدة وينقلب إلى جحيم لا يحتمل، فالنعم في الدنيا لأهل الدنيا منقطعة، لكن النعم في الدنيا لأهل الإيمان متصلة بنعم الآخرة، شتان بين نعم منقطعة ونعم متصلة، فهؤلاء الذين أمنوا، حينما سألوا عن فحوى هذا الدين عن مضمون هذه الشريعة، عن جدوى هذا الوحي الذي أنزله الله على النبي عليه الصلاة والسلام، لخصوا هذا الوحي كله، وهذا الدين كله وهذا الشرع كله، بكلمة واحدة، خير، خيرٌ مطلق، معنى ذلك، أن في الحياة خير مطلق، وشر مطلق، معرفة الله وطاعته، ونعيم أهل الدنيا في الدنيا، ونعيمه في الآخرة هذا خير مطلق، والبعد عن الله ومعصيته، والحرمان من اتصالهم بالله عز وجل، هذا شر مطلق فأهل الإيمان حينما اتقوا ربهم، اتقوا أن يعصوه، اتقوا الشرك بالتوحيد اتقوا الكفر بالإيمان، اتقوا سخطه بطاعته، اتقوا عذابه باستقامتهم على أمره.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً﴾

أخواننا الكرام:

في علامات للإيمان، من علامة الإيمان الصحيح، الحقيقي الذي أراده الله، أن يكره الرجل أن يعود في الكفر، كما يكره أن يلقى في النار، يعني إذا الإنسان انتقل فرضاً، من بيت في حي متخلف جداً صغير جداً، تحت الأرض، شمالي، متداع، سياق مكشوف، إلى بيت في أرقى أحياء دمشق، بأكبر مساحة، إذا كان تمنى صاحب البيت الجديد أن يعود إلى السابق، معناها مجنون، فالمؤمن من علامة إيمانه أن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يلقى في النار، يا ترى نحن على حرف، ماشي الحال عما نصلي، لما الحمد لله الذي هدانا إليه، في فرق، إذا الإنسان مالُ مستقيم، وصلى، وصام، بتلاقي ما قطف ثمار الإيمان، الصيام عنده عبئ، والصلاة عبئ، وهي كلها تكاليف، وهي كل عبادات، بالنسبة له جوفاء ما لها معنى، لذلك:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً (142)﴾

(سورة النساء: 142)

صيام رمضان عادة من عاداتنا يأتي رمضان، ويذهب رمضان ونحن نحن، لكن لما الإنسان يستقيم، ويتصل بالله عز وجل، يقطف ثمار الدين، فإذا سألته ما أنزل الله عز وجل، يقول كلمة خيرا، بكل خلية من خلايا، بكل قطرة من دمه، بكل ذرة من كيانه.

﴿قَالُوا خَيْراً﴾

فإذا أنت ما شعرت أنك أسعد الناس، بمعرفتك بالله، وأنك أسعد الناس بطاعتك له، وأنك أسعد الناس بإقبالك عليه، فالطريق لا يزال طويلاً وتحتاج إلى جهد كبير.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً﴾

الآن:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾

هذا خالق الكون، الذي خلق الإنسان، يعده بالحسنى، الحسنى ؛ راحة نفسية، الحسنى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (107)﴾

(سورة الكهف: 107)

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)﴾

(سورة النحل: 97)

الحسنى:

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)﴾

(سورة طه: 123)

الحسنى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

(سورة الجاثية: 21)

هي الحسنى، إله يعدك، يقول:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾

لكن، مهما نلت في هذه الدنيا من حسنة الدنيا، عددوا، راحة نفسية، على عز، على رفع ذكر، على طمأنينة، على تفاءل، على صحة، على مكانة اجتماعية، على دخل مريح، على عمل شريف، على تبجيل، على تعظيم، مهما تمتعت في الدنيا بنعم أهل الإيمان، إذا قيست بنعم الآخرة لا شيء، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما أخذت الدنيا من الآخرة . تمثيل رائع . إلا كما يأخذ المخيط إذا غمس في مياه البحر))

الآن طالع للساحل، و إركاب قارب، وأمسك إبرة، واغمسها بالبحر، وارفعها، هذا المخيط، ماذا أخذ من البحر، الذي أخذه هي الدنيا، والبحر هو الآخرة، الله عز وجل يقول:

﴿وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ﴾

يعني الله ناصحنا.

﴿وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ﴾

مهما تمتعت بالدنيا، مهما على شأنك بالدنيا، مهما كان الرزق وفيراً، مهما كان الصحة طيبة.

﴿وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31)﴾

نحنا في الدنيا نظام الدنيا نظام سعيد، بقلك حتى وصلت طلعت عيوني بالطول والعرض، لوصل لهذا البيت، حتى أخذ الدكتوراه بقلك ثلاثة وثلاثين سنة دراسة، حتى تزوج، حتى أسس بيت، حتى أخذ بيت بالمصيف، حتى طلع عن الأرض بسيارة صغيرة، الدنيا أساسها السعي.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ (6)﴾

(سورة الإنشقاق: 6)

لكن نظام الآخرة نظام آخر، نظام الآخرة الطلب، اطلب تعطى.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾

أي خاطر يخطر على بالك تراه أمامك، هذا نظام الآخرة، نظام الدنيا من أجل صحن سلطة، بدك تعمل نصف ساعة، من أجل تقلي بيضتان، بدك تأتي بالمقلاة، وتفقس البيضات، وتخفقهم، وتأتي بالسمنة، وتجلي من أجل أن تأكل بيضتان ما في عمل بالدنيا إلا ويحتاج إلى سعي وثمن بالآخرة ما في من هذا.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾

أي متقي اتق الله، واتق أن يعصي الله عز وجل هذا جزائه.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾

قال هؤلاء حينما يموتون.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾

أهل الآخرة المؤمنين، يأتي ملك الموت في صورة أحب الناس إليه، رجل صالح على فراش الموت، أولاده أمامه، ما تسلموا على عمكم ؟ له أخ يحبه كثير، جاء ملك الموت في صورة أخيه، هذا عمكم له فضل عليكم، ما تسلموا عليه يا ابني ؟ ما تتحركوا ؟ هم لا يرون أحد، الله عز وجل يكرم المؤمن عند الموت، يأتيه ملك الموت في صورة أحب الأشخاص إليه في الدنيا، ثواني ينتهي، وأما أهل الإعراض والعياذ بالله وحش، يقول لهم في حريقة، يقول لهم في ثعبان، في وحش فات بقرون، يأتي ملك الموت بشكل وحش، أو تنين أو شيء مخيف،

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

ما في مشكلة، لا في خوف، لا في قلق، لا في حزن، لا في مرض، لا في تقدم في السن، لا في مفاصل، لا في أسيد أوريك ما في مشكلة، شو في مشاكل بالجسم، بقلك دسام، ساعة وظائف الكبد وفشل كلوي، والتهاب مفاصل، والشحوم الثلاثية مرتفعة معي زيادة وعم دوخ، ومعي سكر، وماشي بالطريق ودخت، هذه انتهت كلها كل شيء اسمه مرض انتهى، كل شيء اسمه قلق انتهى، كل شيء اسمه خوف انتهى، لا خوف، ولا مرض، ولا قلق، ولا كبر في السن، ولا خوف على أن يذهب ما في يد الإنسان، الإنسان أيام له تجارة رابحة، بقلك والله إذا منعوا استيرادها انتهينا، في قلق، لو كان الآن عنا يربح بس في قلق، بقلك الحمد لله، لكن خائف يسمع ساعة مرض خبيث، ساعة ورم، ساعة قلب، ساعة جلطة، يتم خائف الإنسان بالدنيا، في سيوف مسلطة فوق منه، بالآخرة ما في شي من هذا،

﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

أما أهل الدنيا قال:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(33)﴾

أختم هذا الدرس بهذا الحديث الذي ينخلع له القلب، واحد أراد الدنيا، أراد زينتها، أراد مالها، أراد مناصبها، أراد أموالها، أراد نسائها، ماذا ينتظره ؟.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَادِرُوا بِالأعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ، فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.))

[رواه الترمذي]

ماذا تلد الأيام ؟ كل يوم يستيقظ مثل الأمس على طول ؟ إلى أبد الآبدين ؟ مستحيل، كيف الناس يموتون ؟ يا ترى من أين تبدأ معي ؟ من الكلوة ؟ من القلب ؟ من الكبد ؟ حادث ؟ من أين تبدأ معي ؟ فإذا الإنسان ماله ثقة بالله، ماله استقامته، في عنده مفاجأة خطيرة جداً قال: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إلا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ، فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ، الله ماذا يقول ؟

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾

ملائكة الموت، شرف، واحد عامل بيت، مرتبه، عامل جبصين الشرفات، الألمنيوم، البرونز، البلاط الأونكس، مو مخلي شي مو مساويه، صار معه مرض خطير وهو في مقتبل حياته، وزوجته شابه زاره شخص، من كثر ما هو متضايق قال له بنت هالحرام بكرى بطقها جوازة، يأتي واحد على هذا البيت على بادر الماء هذا واقع، هنا الله عز وجل قال:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾

ملك الموت أو يأتي أمر ربك . قبل الموت، مصيبة كبيرة، مرض خطير، ذل شديد إهانة كبيرة، الله يبعث إنذارات قبل الموت، قال:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (33)فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (34)﴾

الأمر أصبح واضحاً كالشمس، في طريقين، أن تعرف الله، أو تبقي نفسك جاهلةً به، أن تستقيم على أمره، أو أن تعصيه، أن تكون منصفاً، أو أن تكون غير منصف، أن تكون محسناً أو مسيئاً، الطريق الأول كله سعادة في الدنيا والآخرة، والطريق الثاني كله شقاء في الدنيا والآخرة، والإنسان، أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً.

إذا عرضنا على إنسان قطرميز أزرق مكدوس، ثمنه عشرين ليرة، وكاسة كريستال ثمنها ألف ليرة، والماسة ثمنها خمسمائة ليرة، طبعاً الماسة صغيرة، والكاسة أكبر، والقطرميز أكبر، قلنا له نقي، لا نعرف عقله إلا من اختياره، إذا نق القطرميز مثلاً ؟ نعرف عقله من اختياره، أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً، نقي كل شيء في الدنيا فاني، إذا أحببت زوجتك حب مع الله، إذا أحببتها في الله حب مشروع توحيد إذا أحببتها بالله توحيد، إذا أحببتها مع الله شرك، كيف شرك ؟ إذا أحببتها لدرجة أمرتك بمعصية، وقلت ما بدي ازعل الخانم أشركت أنت، أما إذا كان أحببت الله عز وجل، وأردت أن تقربها إلى الله بخدمتك لها بإكرامك لها، هذا حب في الله، كثر منه ما في مانع، الحب في الله ممكن، تحب زوجتك، وأولادك، وإخوانك، وجيرانك، كل إنسان تحبه في الله، وهذا يرفعك عند الله، أما إذا أحببت الإنسان مع الله بمعنى أنك انصعت لأمره، وعصيت الله فقد أشركت،

لذلك الإنسان بدو ينتبه هي حياة الدنيا موقتة، وكل يوم نمر بالطرقات نلاقي في نعوات، قال لي واحد يموت في الشام كل يوم من 50 لـ 70، نعوات من 15 لـ 20ينطبعوا، والإعلان بالمئذنة من 5 لـ 10، اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، في أحد الأيام ملك الموت سيتخطى جميع الناس، ويصل إلينا، فلنتخذ حذرنا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-11) : تفسير الآية 35 ، الإنسان مخير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

الآية الخامسة والثلاثون من سورة النحل وهي قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35)﴾

أخطر شيء في الدين أن يعتقد الإنسان اعتقاداً خاطئاً، لأن الخطأ في المفردات لا يتكرر، أما الخطأ في العقيدة لا يصلح، الخطأ في الميزان شيء، والخطأ في الوزن شيء آخر، إذا الميزان غلط والكفتين غير متوازنتين، لو نزين فيه مليون وزنه كلهم غلط، أما إذا كان غلطنا بوزنه واحدة هذا الغلط لا يتكرر، إذا الإنسان كان عقيدته صحيحة، لو أخطأ خطأه يرجع عنه سريعاً، ولا يتكرر، فأخطر ما في الدين أن تعتقد اعتقاداً خاطئاً، لا أصل له، ولا صحة له، من أخطر العقائد الفاسدة التي تشل الإنسان، وتقعده أن يعتقد أنه مكره على المعاصي، يعني طاسات معدودة بأماكن محدودة، كله شغل سيدك، أقام العباد فيما أراد، وله المراد فيما يريد، ارتاح، كل أخطائه، وكل معاصيه، وكل انحرافاته، وكل تقصيره، كل أكله للمال الحرام، هكذا الله يريد، أكبر عقيدة فاسدة توصل الإنسان إلى الهلاك أن يعتقد أنه مجبر على معاصيه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ﴾

هكذا ترتيبه، في آية أخرى تؤيدها، وهي أصل في الاختيار.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)﴾

(سورة الأنعام: 148)

العقيدة التي تشل حركة الإنسان، وتقعده، وتضعف همته وتجعله كالفوطة البالية، عضواً أشلاً، أن تعتقد أن مسير في كل شيء الآيات:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

(سورة الكهف: 29)

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (3)﴾

(سورة الإنسان)

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

(سورة البقرة: 148)

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾

(سورة فصلت: 17)

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

(سورة البقرة: 286)

أيها الأخوة:

ذكرت لكم هذا من قبل، جاءوا إلى سيدنا عمر برجل شاربٍ للخمر، فقال والله يا أمير المؤمنين إن الله قدر عليّ ذلك، فقال سيدنا عمر رضي الله عنه: " **أقيموا عليه الحد مرتين، مرةً لأنه شرب الخمر، ومرة لأنه افترى على الله، قال له ويحك إن قضاء الله لن يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار** "، أنت مخير، معنى آخر: كل آيات الندم التي أشار إليه القرآن، هذه الآيات تؤكد أن الإنسان مخير، لو كان مسير، ما كان ندم على علمه.

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

(سورة المؤمنون: 99)

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآَيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27)﴾

(سورة الأنعام: 27)

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (27)﴾

(سورة الفرقان: 27)

كل آيات الندم تؤكد أن الإنسان مخير، كل آيات الأمر والنهي تؤكد أنه مخير، إذا أنت جالس بسيارة المقود بيدك، وراكب بالمقعد الخلفي واحد تقول له بالله خذ على اليمين، روح على اليسار، المقود بيدك، تعطيه أمر للراكب بالمقعد الخلفي ينحرف نحو اليمين ؟ ما له طعمة هذا الأمر لأنه هو قاعد، ماله علاقة بالموضوع، أنت بيدك المقود، أما إذا كان قاعد صاحب السيارة بالخلف، وفي أمامه سائق يقول له خذ على اليمين مجرد الأمر والنهي، مجرد أن في القرآن أمراً ونهياً معنى ذلك أنك مخير، الأمر يقتضي الاختيار، والنهي يقتضي الاختيار، والندم يقتضي الاختيار، والمسؤولية تقتضي الاختيار، والثواب يقتضي الاختيار، والعقاب يقتضي الاختيار، والجنة الاختيار، والنار الاختيار، والتكليف الاختيار، والأمانة الاختيار، إذا ألغيت الاختيار ألغيت الجنة، والنار، والثواب، والعقاب، والمسؤولية، والتكليف، والأمانة، وما عاد بقي بالدين شيء إطلاقاً، بقي

تمثيلية، بتمثيلية، سيدنا علي بن أبي طالب، واحد أشار لهذا المعنى، قال له: " **ويحك لعلك ظننت قضاءً لازماً، أو قدراً حاتماً، إذاً لبطل الوعد والوعيد، وانتهى الثواب والعقاب، إن الله أمر عباده تخيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعصى مغلوباً، ولم يطع مكرهاً** ".

فإذا اعتقدت أن الله أجبرك على المعصية، انتهى الدين كله.

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28)﴾

(سورة الأعراف: 28)

﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً (6)﴾

(سورة الفتح: 6)

قال الله بسورة الأنعام أيها الأخوة الكرام:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151)﴾

(سورة الأنعام: 151)

حرم الإثم، والعدوان، والفحشاء، والمنكر، والشرك، والكفر وذكر المعاصي كلهم، وجعل أكبر معصية على الإطلاق.

﴿أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (33)﴾

(سورة الأعراف: 33)

أكبر معصية على الإطلاق.

﴿أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (33)﴾

التوجيه الغلط خطير جداً، توجه إنسان أن القضية منتهية، أنت شقي من الأزل خلص انتهى كل شيء، ما في حاجة يشتغل.

تصور مدير مدرسة جمع الطلاب أول يوم بالعام الدراسي، مسك قائمتين الناجون سلفاً هؤلاء، والراسبون هؤلاء، واذهبوا وادرسوا، ما فائدة الدراسة إذا الناجحون هؤلاء، والراسبون هؤلاء، لماذا الدراسة ؟ لماذا المدرسة، لما تلغي الاختيار لغيت الدين كله، الإنسان محاسب عن عمله.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾

(سورة النحل: 32)

أيها الأخوة دققوا في الآية مرة ثانية:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ﴾

هذه مشيئته، الإمام الحسن رضي الله عنه قال: " **لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب، ولو تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة** ".

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35)﴾

يعني أنتم خاطئين، والنبي بلغكم أنكم مخيرون، وأنتم ورفضتم هذا التبليغ.

أيها الأخوة:

لكن الإنسان في دائرة مخير، ما هي الدائرة ؟ هي دائرة التكليف كلما أمرك الله بأمر، أو نهاك عن نهي، فأنت في هذه الدائرة مخير، أما كونك ولدت من فلان، وفلانة، هذا مسير، كونك ولد في الشام، هذا مسير، كونك ولدت في هذا العصر، هذا مسير، كونك خلقت طويل القامة، أو قصير القامة، أو حاد الذكاء، أو قليلة، طليق اللسان هذا مسير، إلا أنه . ودققوا فيما سأقول . الأمور التي أنت مسير بها أنت مسير بها لصالحك، لأن الله اختار لك أفضل مكان، وأفضل زمان، وأفضل والدين، وأفضل قدرات، لصالح إيمانك، لا لصالح دنياك، لصالح أخرتك، لذلك قال الإمام الغزالي: " **ليس في الإمكان أبدع مما كان** "، أو ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني، الشيء الذي أنت مسير به هو لصالحك، هو أقرب حالة، وأقرب ظرف لصالح إيمانك.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (27)﴾

(سورة الشورى: 37)

أنت مسير في مكان ولادتك، مسير بالأبوين، مسير بزمن ولادتك، مسير ببنيتك، مسير بقدراتك الخاصة، مسير في رزقك هذا كله مسير به، أما إذا قال لك:

﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾

(سورة الروم: 31)

أنت مخير بها، لك أن تصلي، ولك أن لا تصلي، قال لك:

﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾

(سورة التوبة: 119)

لك أن تكون معهم، ولك أن تكون مع الكاذبين، قال لك:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾

(سورة هود: 112)

لك أن تستقيم، ولك أن لا تستقيم، أنت مخير، أنت مخير في دائرة التكليف، في دائرة أكبر أنت فيها مسير، وأنت مسير مرتين مسير لتحقيق اختيارك، تملك الانبعاث فقط، ومسير لدفع ثمن اختيارك يعني إذا كان الإنسان أراد أن يفعل شيئاً، الفعل فعل الله، هو يريد ويطلب، فيبعثه الله لهذا العمل، هذا معنى عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإنسان له الكسب، والفعل فعل الله عز وجل، يعني لو فرضنا ثريا في لها مفتاح خلبي غير موصول بشيء إطلاقاً، حفرة بحائط عليها مفتاح أما المفتاح الحقيقي معي، لو أمرت ابني أن يطفئ هذه الثريا، قال لي حاضر، جاء وكبس الزر، وأنا أطفأته من عندي، لكن أنا كشفته كشفت طاعته، قال لي لا أطفئها، قضية اكتشاف فقط، أما الفعل فعل الله عز وجل، لو أراد أن يشعل هذه الثريا خلافاً لتوجيهاتي، جاء وكبس الزر أنا أشعلتها من عندي، سمحت له أن يشعلها، سمحت له يعصي حتى امتحنه، فالفعل فعل الله عز وجل، والإنسان له الكسب فأنت مسير لتحقيق اختيارك، أردت أن تصلي أمدك الله بقوة، أردت أن تصوم أمد الله بقوة، أردت أن تفعل خيراً أمد الله بقوة، ومسير مرة ثانية، بدفع ثمن اختيارك، إذا اختار إنسان يكذب على الناس أو يغشهم هكذا اختار، الآن لو كان ذكي الله يورطه بشغله بدفعه ثمن اختياره صار مسير، فأنت مسير بتحقيق اختيارك، ومسير بدفع ثمن اختيارك وبينهما أنت مخير، ومخير لا في الفعل ولكن بالكسب، أنت ما لك خالق أفعالك، لا بالفعل ولكن بالكسب، والاختيار أساس التكليف وأساس الأمانة، وأساس تذكية النفس، وأساس الثواب والعقاب وأساس الجنة والنار، وأساس التبعة والمسئولية، حيثما يلغى الاختيار يلغى الدين.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾

(سورة الأنعام: 148)

قال الله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)﴾

(سورة البقرة: 148)

ما دام أمرك أن تستبق الخيرات، فالوجهة بيدك، مثل السيارة مرة ثانية، تقول لواحد خذ على اليمين، معناها المقود بيده، ما يقول واحد بيده المقود لواحد قاعد بالخلف خذ على اليمين، أنت انحرف أنا ما لي علاقة.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ الإنسان هو تعود على الإنسان الأمر.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-11) : تفسير الآية 41 ، معنى الهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية الواحدة والأربعون من سورة النحل وهي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)﴾

هذه الآية لها مدلول كبير، بمعنى أن الإنسان إذا خشي أن يذهب دينه، وأن تفسد عقيدته، وأن يفسد أولاده، في مجتمع ما، فحفاظاً على دينه، وعلى أخرته، وعلى سلامة إيمانه، عليه أن يهاجر، فكيف إذا هاجر الإنسان من أجل الدنيا ؟ فكيف إذا ترك بلداً تقام به شعائر الله ؟ ترك بلد تقام فيه الصلوات، ودروس العلم، ترك بلداً فيه بقية من إيمان، إلى بلدٍ تركب به الفواحش على قارعة الطريق، الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نترك بلدنا إذا خشينا أن يذهب ديننا فيه، فكيف إذا كان ديننا مضموناً في بلد وتركناه من أجل الدرهم والدينار، لذلك العلماء فرق بين هجرة في سبيل الله، وهجرة في سبيل الشيطان، المؤمن كما قال عليه الصلاة والسلام: " كيس فطناً حذر "، من أراد إنفاذ أمراً، فيتدبر عاقبته، أناس كثيرون ترك بلدهم الإسلامي وعاشوا مع المشركين، فحينما شب أولادهم على الفسق، والمعصية، والخمر، والزنى، والمخدرات، كأنك طعنتهم في قلوبهم.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾

وعد إلهي قطعياً.

﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾

في الدنيا، قبل الآخرة، ما دام الإنسان ترك هذا البلد، أو أي بلد خشي فيه من الفتنة، أو على دينه، أو على أولاده، وذهب إلى مكان يعبد الله فيه، مكافئة له في الدنيا قبل الآخرة.

﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾

أيها الأخوة:

الإنسان اجتماعي، ولا يخف أثر البيئة الكبير على الإنسان، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((الجماعة رحمة، والفرقة عذاب))

هل تصدقون، أن في القرآن تشريعاً لصلاة الخوف ؟ صلاة الخوف متى ؟ وأنت في ساحة المعركة، هل تقصدون صلاة الخوف، لا، صلاة الجماعة في ساحة المعركة، لو كانت قضية صلاة فردية ما بدها تشريع جيش فيه عشرة آلاف مقاتل، كل إنسان يصلي في مكان، بالتناوب، ما نحتاج إلى تشريع لصلاة الجماعة، ولكن الله عز وجل في القرآن الكريم شرع لنا صلاة الجماعة في أثناء الحرب، وأنت تواجه العدو، فكم هي ثمينة صلاة الجماعة، كم هي ثمينة الجماعة.

((الجماعة رحمة، والفرقة عذاب))

((عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا، فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ.))

[أخرجه الترمذي]

((قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلا بَدْوٍ، لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ، إِلا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ.))

[أخرجه النسائي]

((عَنْ عُثْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ.))

[أخرجه الدارمي]

لأن صلاة الجماعة تعدل صلاة الفرد سبعاً وعشرين ضعفاً، لأنه في جماعة، في أنس، بالجماعة تقوى العزيمة، بالجماعة تسدد الخطى تصحح المسيرة، الإنسان وحده يبكي على كيفه، تتكون عنده قناعات غير شريعة، إذا انعزل عن المجتمع، وعاش لحاله، يفتي لنفسه، يتخذ آراء غير صحيحة، يتجاوز الحدود، يتساهل في العبادات، لكن عزيمته، ونشاطه، ينموان في الجماعة، فلذلك إذا كان الله جل جلاله شرع لنا صلاة الجماعة في أثناء مواجهة العدو، والعدو على الطرف الآخر، صلاة وردت في القرآن الكريم، والفقهاء شرحوها في التفصيل فالمقصود من هذه الصلاة، أن نعرف قيمة الجماعة، وهنا الآية بالعكس، إذا كانت الجماعة مفسدة، وضالة مضلة، وخاف الإنسان على نفسه، عليه أن يعتزل، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً (16)﴾

(سورة الكهف: 16)

يعني بمعنى مخفف، إذا المجتمع فسد، إذا الطرقات فسدت، أنت الزم مسجدك، والزم بيتك، وعليك بخاصة نفسك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، ودع عنك أمر العامة، الأمكنة العامة، الاحتفالات العامة، الفنادق، الطرقات، الأسواق التي تعج بالنساء.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾

نحن مقدمون على شهر فضيل، هذا الشهر شهر عبادة، معظم الناس يتحركون في هذا الشهر على شكل ثمانات كيف ؟ برمضان يحزم أمره، يؤدي الصلوات في المسجد، بصلي الترويح، يقرأ القرآن، بغض بصره، يضبط لسانه، فإذا انتهى رمضان عاد إلى ما كان عليه، الثمانية جنبها ثمانية، جنبها ثمانية، جنبها ثمانية المحصلة صفر، أما المؤمن برمضان يقفز قفزة نوعية، يحافظ عليها طوال العام، رمضان ثاني قفزة ثانية طوال العام، رمضان ثالث قفزة ثالثة، درج المؤمن، المؤمن الصادق كلما حقق برمضان مكتسبات يحافظ عليها طوال العام، فإذا جاء رمضان الثاني قفز قفزة أخرى، وهكذا، أما هذا الذي يصوم ويفطر، لا يدري لا لما صام، ولا لما أفطر، هذا مثله كمثل الناقة، عقلها أهلها فلا تدري، لا لما عقلت، ولا لما أطلقت، وأخطر ما في رمضان أن ينقلب هذا الشهر إلى فلكلور، تراث، عادات، وتقاليد، وكل حفلاتنا المجانة إكراماً لشهر رمضان المبارك، إكراماً لهذا الشهر تقام، وكل الأشياء الخليعة إكراماً لشهر رمضان المبارك، هذا ما عاد شهر عبادة، صار شهر فلكلور، تقاليد، تراث، عادات، أما هذا الشهر شهر عبادة.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾

النبي الكريم سن لنا في هذا الشهر الاعتكاف، الاعتكاف بالمساجد صعب الآن، إذا الإنسان خفف علاقاته في هذا الشهر، في مشكلة أخر حلها إلى ما بعد رمضان، لقاء يخشى على نفسه انسحب منه، حاول إذا كان ميسور، وكلف ابنه مكانه بالعمل، ويقدر ينسحب من عمله، ضمن الطاقة، هذا الشهر شهر عبادة، شهر اعتكاف، شهر شحنة سنوية، الصلاة أيها الأخوة شحنة يومية، تصلي الظهر تمدك هذه الصلاة بشحنة روحية إلى صلاة العصر، العصر للمغرب، المغرب للعشاء، العشاء للصبح، الصبح للظهر، شحنة يومية، أما خطبة الجمعة، هذه شحنة أكبر، هذه شحنة أسبوعية، تمدك أسبوع، لكن صيام ثلاثة أيام من كل شهر هذه شحنة شهرية، كما سن النبي عليه الصلاة والسلام، أما رمضان شحنة سنوية ثلاثين يوم، ثلاثين يوم قيام الليل، يعني تراويح، ثلاثين يوم فجر في جماعة، ثلاثين يوم ترك الطعام والشراب، ثلاثين يوم ضبط الجوارح، ثلاثين يوم ضبط اللسان قفزة، هذه الشحنة لعلها تمدك بطاقة روحية إلى رمضان الثاني.
لذلك ورد في الحديث:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ))

[أخرجه مسلم]

معنى كفارة ؛ إما بالمفهوم الوقائي، أو المفهوم العلاجي.

المفهوم الوقائي: إذا كان الشحنة كبيرة في رمضان، تمدك بطاقة روحية تحول بينك وبين المعصية طوال العام.

المفهوم العلاجي: لو صار في أخطاء فيما بين الرمضانيين، وجاء رمضان الثاني، فهو مناسبة لتكفير الذنوب.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن]

فنحن مقبلون على شهرٍ مناسبة سنوية، أولاً لفتح صفحة مع الله جديدة، أيام التاجر يكون حساب قديم تصافوا، يتسامحوا، بجيب خرازة يخرز الحساب القديم، يقول له نحن الآن من أول وجديد، فأنت مع الله عز وجل، إذا كان في لك دفتر حسابات مع الله، يفتح لك في رمضان صفحة جديدة، الماضي كله يعفي عنك فيه، الإنسان يحرص يكون في هذا الشهر في أعلى درجة، كما يحب الله عز وجل، سئل أحد الأئمة الكبار ابن المبارك: من هو ولي الله أهو الذي يمشي على وجه الماء، أهو الذي يطير في الهواء، قال: " لا، ليس الولي الذي يمشي على وجه الماء ولا الذي يطير في الهواء، لكن الولي كل الولي، الذي تجده عند الحلال والحرام "، وأنت لازم تكون ولي لأن الولي في القرآن الكريم تعريفه سهل جداً.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)﴾

(سورة يونس: 62 ـ 63)

لا تعقد الأمور أنت، ما بدها مرقعيه، ولا ريالة شاطة، ولا بدها واحد مجذوب، الإنسان في أعلى درجات الفهم، والذكاء، والعلم والإنتاج، والعمل، والإيجابية، والعمل الطيب، إذا كان عرف الله عز وجل، واتقى أن يعصيه فهو ولي من أولياء الله.

في نقطة مهمة جداً في رمضان، من الذي يعين الإنسان على السير في طاعة الله ؟ أن يقطف الثمار، في عنا مشكلة في الدين، هي ما هي مشكلة، بس عند الناس مشكلة، إذا كان في معاصي، في مخالفات، طبعاً المسلمين في الأعم الأغلب لا يزنون، ولا يسرقون، ولا يشربون الخمر، من الذي يهلكهم الصغائر، يعني

النبي عليه الصلاة والسلام، أخوف ما خاف علينا منه، ما نحقر من أعمالنا، كل صغائر، شو كان إذا سهرنا هذه السهرة، شو أكلناها للمرأة، إذا كان قعدنا معها، لو ما تجوز لنا معليش، أنا مثل أختي إن شاء الله، هذا كله كلام فارغ، حينما يقترف الإنسان الصغائر، يحجب عن الله عز وجل، فإذا حجب، صار الدين ما له معنى، صار الصلاة عبئ.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً (142)﴾

(سورة النساء: 142)

ما في محجوب، الآن أدعِ إنسان للطعام، صحون، ثلاث صحون، وست شوكات، وست معالق، بس ما في شيء على الأكل يأتي لعندك مرة ثانية، يعتذر، خلص ما أكل شيء لأنه، طاولة في صحون في، معالق في، شوكات في، بس ما في أكل، إذا الإنسان صلى وما صار له صلة، يمل من الصلاة، يقوم إلى الصلاة كسالى السبب هو الحجاب، هذا الحجاب الذي بينك وبين الله، هذا الحجاب قد لا تكون أسبابه كبيرة، ما في كبائر، بس في صغائر، لذلك الصغيرة إذا أصررت عليها انقلبت إلى كبيرة، لا صغيرة مع الإصرار، فنحنا لما في رمضان نعمل صلح مع الله، متين، ونضبط أمورنا ضبط شديد جداً، ونقطف ثمار رمضان، هذه الثمرة اليانعة، تعيننا على متابعة السير بعد رمضان، الإنسان إذا ما ذاق طعم القرب، ما شعر أن الله راضي عنه، ما شعر أن الله يحبه، فمشكلته في الدين كبيرة، محجوب والمحجوب ما قطف شيء من الثمار.

الآن واحد اشترى سيارة، ما ركبها ، وكل يوم بالتصليح، تطلع روحه منها بعدين، أما إذا ما ركبها شي مرة، أخذ أهله سيران، ما بحس بقيمتها، دائماً بزقاق الجن، تطلع روحه، يكره السيارات، من أجلها، أما إذا كان طلع فيها سيرانين ثلاثة، أخذ عياله، وانبسط صار لها معنى السيارة، كمان هذا العبادات إذا الإنسان ما صار له فيها صلة، ما قطف ثمارها، يؤديها أداء شكلياً لا معنى له.

لذلك نحنا أمام شهر ممكن نقفز قفزة نوعية، بس نحتاج إلى مراجعة حسابات مع الله عز وجل، يعني الإنسان بدو يبتعد عن أجهزة اللهو في رمضان، هذا شهر، شهر القرآن، لعل إذا كان الله عز وجل مكنك، أعطاك المناعة، والمقاومة، بصير البيت بيت إسلامي، يصدح فيه القرآن، وتتلى فيه آيات الله عز وجل، في رمضان بدنا ننتبه، أكثر الناس يسهر إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، يأكل وينام، يروح عليه صلاة الفجر، أي صيام هذا، هو الحقيقة في كلمة قالها الغزالي: والله أنا ما بحب أحكيها، " **من ترك الطعام والشراب فقط، صيامه كصيام الكلاب** "، صوم المؤمن يترك المنهيات كلها، صوم التقي يصوم عما سوى الله.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3)﴾

(سورة المؤمنون: 3)

اللغو هو ما سوى الله، عامة الناس يدعون الطعام والشراب المؤمنون يدعون ما نهى الله عنه، أما الأتقياء لا يشغلوا أنفسهم إلا بالله عز وجل، الآية لفت نظري.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾

الله سبحانه وتعالى وعدهم أن:

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-11) : تفسير الآية 43 ، السؤال والاستشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

الآية الثالثة والأربعون من سورة النحل وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) ﴾

نقف عند شطر هذه الآية:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) ﴾

الإنسان أحياناً يجد في نفسه حاجة، إلى أن يبقى في الكليات، وأحياناً يشعر بحاجة إلى أن يعرف التفصيلات، من كليات هذه الآية، أن الإنسان مخلوقٌ لسعادة أبدية في الجنة، هذه السعادة الأبدية تحتاج إلى تأهيل، والتأهيل في الدنيا، وقوام هذا التأهيل العمل الصالح، لكن العمل الصالح لا يصح إلا بالعلم.

علم، عمل، سعادة وهذا معنى قول الله عز وجل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

(سورة الذاريات: 56)

في بالعبادة سلوك أساسه معرفة، نهايته سعادة، سلوك، انضباط أساسه علم، نتيجته سعادة.

العلم: ما دام الإنسان خلق لجنة عرضها السماوات والأرض هذه الجنة:

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾

(سورة النحل: 32)

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110)﴾

(سورة الكهف: 110)

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

(سورة المؤمنون: 99 . 100)

معناها أنت في الدنيا من أجل أن تعمل صالحاً، لكنك لا تستطيع أن تعمل صالحاً، إلا إذا علمت، العلم سبب العمل، لأنه حركة من دون علم، دمار، أما حركة مع علم، نجاح، الله عز وجل قال:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)﴾

(سورة النحل: 78)

معناها العلم كسبي، وليس العلم فطرياً، ما دام الله عز وجل خلق الإنسان لا يعلم شيئاً على الإطلاق، إلا أن العلماء اكتشفوا أنه يعلم شيئاً واحداً ؛ هو المص، هذا ليس علماً، هذه غريزة، منعكس المص الطفل الآن يلد، يضع فمه على ثدي أمه، يحكم إغلاق شفتيه على حلمة ثدي أمه، ويسحب الهواء، الآن ولد، هذا منكس معقد جداً، لو هذا المنعكس، لما كنا في هذا المكان، ما عاش إنسان على وجه الأرض لأن الإنسان كيف يأكل، عن طريق الرضاعة، الرضاعة لو ما عرف يسحب الهواء، صار له نفس يموت من جوعه، لو ما أحكم شفتيه على حلمة الثدي بيجي هواء ما بسحب حليب.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾

طبعاً هذا منعكس، وليس علم، إذاً العلم كسبي، العلم نوعان: بحث ذاتي، وسؤال.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)﴾

(سورة الملك: 10)

أما أن تطبخ أنت، وأما أن تأكل أكلاً جاهزاً، على كلٍ كلاهما غذاء، أما أن تعقل، وأما أن تسمع، إذاً شطر العلم السؤال، نصف العلم أن تسأل، الله عز وجل في آيتين اثنتين، الأولى هذه:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) ﴾

والآية الثانية:

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً (59)﴾

(سورة الفرقان: 59)

العلماء قالوا: في شأن الدنيا.

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾

في شأن الآخرة.

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً (59)﴾

أنت بحاجة إلى رجلين، رجل مختص في اختصاص في الدنيا مؤمن، وورع، ورحيم، اجعله مستشار في أمور الدنيا، لا تخبص لحالك، لك تجارة، انتقي من بين تجار هذه المصلحة أقربهم إلى الله، وأكثرهم خبرة، واجعله مستشاراً لك، ورد في الحديث الشريف:

((ما ندم من استشار، ولا خاب من استخار))

أنت لما تستشير تستعير خبرة سبعين سنة، متراكمة، سؤال، ما بكلفك إلا سؤال، من استشار الرجال استعار عقولهم، فالله عز وجل في القرآن آيتين اثنتين، أمرنا أن نستشير أهل الذكر إن كنا لا نعلم، وأمرنا أن نسأل به خبيرا، فما الذي يمنع الإنسان أن يسأل، مع أن الإجابات الدينية مبذولة بلا مقابل، بلا ثمن، ما في رسم دخول، ما في أجرة معاينة، ما في قيمة أتعاب، ما في تعقيدات:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) ﴾

قال أهل الذكر الذين يذكرون، والذين يذكرون إذا سئلوا، ويذكرون العلم لغيرهم من دون بخل، يعلم ولا يبخل، تعني شيئين: تعني أنه يعلم فإذا سئلت يذكر الجواب، وتعني أنه يذكر ولا يبخل بهذا العلم.

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) ﴾

من أنت ؟ أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أمر أن يستشير.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)﴾

(سورة آل عمران: 159)

والله عز وجل، نبيه عليه الصلاة والسلام، لعلو مقامه، ولعصمته التي عصمه بها من أن يخطئ، وللوحي الذي يتنزل عليه، غني على أن يستشير، ومع ذلك، أمر أن يستشير، ليكون قدوة لأمته من بعده، وكان سيدنا عمر يستشير الصغار أحياناً، قال لحدة ذكائهم، كان يستشير النساء، هذا حديث، شاورهن وخالفهن، هذا ليس حديث، ولا أصل له، النبي الكريم استشار أم سلمة، في الحديبة، سيدنا عمر استشار السيدة عائشة، في كل أمور النساء، وفي أمور حياة رسول الله البيتية، سيدنا عمر استشار ابنته حفصة في المدة التي تصبر بها المرأة عن زوجها، النبي عليه الصلاة والسلام على علو مقامه، وعلى عصمته، وعلى أن الوحي يوحى إليه، أمر أن يستشير، قال له:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

ووصف المؤمنين.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (38)﴾

(سورة الشورى: 38)

بأن فلماذا لا تستشير ؟ والقرآن يأمرك، ويقول:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) ﴾

هي الآية متعلق بخبرات أهل الدنيا، أما:

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً (59)﴾

هذه متعلق بالله عز وجل، أنت يجوز تذهب لبلد أجنبي فرضاً، تعمل عقد زواج شرعي مائة بالمائة، إيجاب وقبول، وشاهدان، ومهر، وكل شيء، لكن في نيتك أن إذا نهيت دراستك، تطلقها، وتأتي إلى الشام وحدك، القضية انتهت.

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً (59)﴾

إن سألت به خبيرا، ينبئك أن هذا الزواج باطل، لو نجوت من أحكام الفقهاء، فقيه ما له عليك سلطة، ما دام في إيجاب، وقبول، ومهر وشاهدين، انتهى، الزواج شرعي مائة بالمائة، لكن اسأل به خبيرا، بقلك لو أنها أختك هل تقبل لها زواجاً موقتاً، لا تقبل، لن تنجوا من عذاب الله، النقطة الدقيقة، لو أنك انتزعت حكم من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الآن في عنا قاعدة، لو أن إنسان رأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأباح له بعض المحرمات، ترد الرؤية، ويكذب الرائي، ويسكت الشرع، نحنا ديننا مو دين منامات، دين شرع، دين منهج، لو قال أقسم بالله العظيم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباح لي هذه المعصية، نقول له كذبت ورب الكعبة، والنبي لا يقول هذا الكلام، و يثبت الشرع.

الآن أبلغ من ذلك، لو كنت في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وسألته في موضوع، أو في خلاف بينك وبين أخيك، وكنت أنت طليق اللسان، قوي الحجة والبرهان، فأقتنع النبي بقولك وحكم لك لا تنجو من عذاب الله، لا تستفيد شيء، النبي حكم لك، ما تستفيد.

((عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلا يَأْخُذْهَا.))

[أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن]

إذا كان رسول الله بنفسه، وسمعت الحكم بأذنك من فمه الشريف، ولم تكن محقاً لا تنجو من عذاب الله، علاقتك مع مين إذاً، مع الله عز وجل، هذا التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) ﴾

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً (59)﴾

من تزوج امرأة على صداقٍ، بالإيجاب، والقبول، والصداق، وفي نيته إلا يؤديه لها لقي الله زانياً، ومن أخذ أموال الناس وفي نيته ألا يؤدي لهم هذه الأموال، لقي الله سارقاً، الله بحاسب على النوايا، يجوز لا يقدر عالم فقهي دينك، أنا أخي أدينت، وهي توقيع، وهي سند، بس هذا غني وأنا فقير ما راح أعطيه، بماطلوه حتى أمللهوه، لقيت الله سارقاً أما هو القرض مشروع بالإسلام، والوصل جيد، شغلتك مع الله عز وجل.

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً (59)﴾

لا تقتنع أنه والله فلان أخي إمام مسجد فتى لي إياها، لو أفتالك إياها رسول الله ما تنفد، أكثر الناس برتاح بشوف شي هيك مسجد متطرف وله إمام، على سلامته الإمام بس قد لا يكون متعمق بالعلم، يسأله سؤال كبير بالبنوك أو بالذكاء، يقول له ماشي الحال، هذا بدو يخلص منه، خلص أخذ الفتوى وارتاح، ما بتنفد لو أخذت الفتوى من فم رسول الله، ما تنفد، هذا الدين، لما الصحابة حاسبوا أنفسهم حساباً شديداً، نصرهم الله عز وجل، وأيدهم، ورفع ذكرهم، وحفظهم، وأعلى مقامهم، أما حينما فهم الناس الدين عبادات شعائرية فارغة، أداؤها، ولم يلتزموا بالعبادات التعاملية، خذلهم الله عز وجل، " **كنا قوم أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونسيء الجوار، ونقطع الرحم، حتى بعث الله فينا رجلاً، نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده، ونخلع ما كان يعبد آبائنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والكف عن المحارم والدماء** "، هذا هو الدين، الدين صدق وأمانة، واستقامة، ووفاء، ورحمة، والشريعة رحمة كلها وعدل كلها، ومصلحة كلها، وأية قضية خرجت من الرحمة إلى القسوة ابن لا يضرب بالحطبة من أجل الصلاة، ينصح، يضرب ضرباً رفيقاً أما أيام إذا كان الأب قاسي جداً، لدرجة غير معقولة، بصلي الابن من غير وضوء بصير، وإذا مات أبوه يفلت، أنا بعرف رجل عنيف جداً حجب كل بناته في حياته، ثم مات لبسوا في الطريق بنطلونات، لا تكن قمعياً، كن مربياً، فهم ولا تلقن، يسر ولا تعسر، سدد وقارب، بشر ولا تنفر، الشريعة رحمة كلها، مصلحة كلها، عدل كلها، أية قضية خرجت من الرحمة إلى القسوة، أو من العدل إلى الظلم، أو من المصلحة إلى المفسدة، فليست من الشريعة، ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل.

الدرس (11-11) : تفسير الآية 105 ، المؤمن لايكذب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

الآية الخامسة بعد المائة من سورة النحل وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105) ﴾

أحد العلماء الكبار يرى، أنه ما من حديث شريف، نطق به النبي عليه الصلاة والسلام، إلا وهو مستنبط من آيات الله، لأنه كما هو ثابت أعلى فهماً على الإطلاق، لكتاب الله، هو فهم رسول الله، لذلك جاءت السنة النبوية القولية، والعملية، تبياناً، وتوضيحاً، وتفسيراً وبسطاً لكلام الله عز وجل.

((عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلالِ كُلِّهَا إِلا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ.))

[أخرجه أحمد في مسنده]

وهذا الحديث يعد من السبق العلمي لنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الآن في علم النفس، علم جديد، اسمه علم الطباع، بتلاقي إنسان حاد الطبع، إنسان هادئ، إنسان اجتماعي، إنسان منعزل، إنسان متفائل، إنسان متشائم، إنسان إدراكه كلي، إنسان معنى بالتفاصيل، " يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلالِ كُلِّهَا "، وكل هذه الخلال على العين والرأس، تنوع، أيام الأب يرى أن ولديه كل منهما بطبع، ولد جاد، ولد هازل دائماً، ولد، يعني يؤخذ بالقيم، ولد يؤخذ بالمصالح.

((يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلالِ كُلِّهَا))

هكذا قال النبي:

((إِلا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))

فإذا كذب فليس مؤمناً، من أين استنبط النبي هذا الحديث ؟ من هذه الآية:

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

يعني ممكن يقع الإنسان بألف غلطة، وهو مؤمن، لأنه، كل بني آدم خطاء، وخير الخطاءين التوابون، أما أن يكذب، معنى ذلك ليس مؤمناً، لذلك المؤمن لا يكذب لا في الصغائر، ولا في الكبائر، لا في العلاقات الشخصية، ولا في العلاقات الموضعية، لا يكذب، والإنسان يوطن نفسه أن يكون صادقاً، وكل مقولة يقولها بعض الناس، يا أخي إذا ما كذبنا لا نعيش هذا كلام أركله بقدمك، بتعيش كريم وغني، لأن الله عز وجل قال:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

(سورة الجاثية: 21)

مستحيل، لو أن الذي يعمل السيئات، ساوه الله مع الذي يعمل الصالحات، فما كان لهذا الدين من قيمة، لما كان لخلق الإنسان من فائدة، لكان خلق الإنسان عبثاً، وإنزال الكتب لعباً، وإرسال الأنبياء لهواً.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

الإنسان لا يكذب، لا في بيعه، و لا في شرائه ولا في علاقاته، حتى مع زوجته، هذه الفرية هي، الوهم، المنتشر بين الناس، الكذب على الزوجة جائز، هو جائز بس في حالات نادرة جداً، لو سألته أتحبني ؟ ما بحبها هو، لازم يحكي الصدق ويخرب علاقة الاجتماعية ؟ لو قال لها إني أحبك، ما كذب، لأنه جبر خاطرها وملئ قلبها ثقة بنفسها، ما كل زواج يبنى على الحب، لو سألها زوجها أتحبني ؟ قالت نعم، أنت زوجي، وأنت قرة عيني، ما كذبت، فقط في هذا الموضوع، أما في الأسعار نكذب، الكذب على الزوجة جائز فقدت مصداقيتك، كلامك ما عاد له قيمة أمام زوجتك، وإذا كذبت عليك تكرها أنت، فهذا الكذب الذي أباحه الفقهاء فقط لو سألته الزوجة أتحبني ؟ السيدة عائشة سألت النبي عليه الصلاة والسلام كيف حبك لي ؟ قال كعقدة الحبل ؛ يعني عقدة متينة، فأصبح هناك بينهما شفرة، تسأله من حين إلى آخر كيف العقدة ؟ يقول على حالها، الإنسان من علامة نجاحه أن يكون ناجح في زواجه، الزوجة تحتاج إلى حكمة، إلى رحمة إلى حلم، إلى تصرف ذكي، أما والله لا أحبك، أنا ما رأيت أحمق من الزوج الذي يصف زوجته بالصفات التي يكرهها منها، لو كنت على أطول، لو كنت كذا، حطمها، حطم سعادته بيده، ما في غيرها أمامه أصلاً، فالأولى في هذا الموضوع لو كذب ما في مانع، فقط حصراً لذلك:

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾

اسمعوا الآن الآية يا أخوان الكرام:

أكثر الناس يقولون الله غفور رحيم، كلما قلت له يا أخي استقيم اضبط لسانك، اضبط بيتك، اضبط نسائك، يقول أخي الله غفور رحيم يعني أخذوا شطر من آية اسمعوا هذه الآية، أعتقد في مثيل لها أربع آيات في القرآن الكريم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (110)﴾

(سورة النحل: 110)

الآية الثانية:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (119)﴾

(سورة النحل: 119)

هذا القرآن بين أيدينا، وينبغي أن نقرأه قراءة تدبر، الله عز وجل غفور رحيم بعد أن تتوب، غفور رحيم بعد أن تصلح، غفور رحيم بعد أن تستقيم، غفور رحيم بعد أن تجاهد نفسك وهواك، غفور رحيم بعد أن تنفق مما أعطاك الله، غفور رحيم إذا أصلحت الماضي، أما إذا كان أقمنا على المخالفات، وعلى المعاصي، وقلنا إن الله غفور رحيم، هذه كلمة حق أريد بها باطل، هو غفور رحيم لكن ليس لهؤلاء الآية الأخيرة في هذه السورة يقول الله عز وجل:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

(سورة النحل: 125)

تفوت إلى بيت أحياناً تلاقي فيه صورة مثلاً، يكون البيت فيه ألف مخالفة، ألف معصية، يمسك الصورة ويكبرها، يا أخي هذا عمل غير إسلامي، ما يجوز أن تضعوا صور، في أشياء أهم منها تاركها هو، ابدأ بالأولويات، الإنسان يحتاج إلى حكمة، إذا الإنسان المنحرف المتفلت، بلغته بكل أخطائه دفعةً واحدة، زهد في الدين، يعني ما بقي في أمل، الله عز وجل أعطانا درس بليغ في تحريم الخمر، كيف حرمت الخمرة ؟ حرمت تدريجاً، فإذا أنت تعاملت مع إنسان متفلت دينه ضعيف، عقيدته زائغة، لا تدقق بالتفاصيل، لأن هذه تنفره، ابحث بالكليات، وربنا عز وجل علمنا بالقرآن الكريم أنه خاطب الناس بأصول الدين، وخاطب المؤمنين بفروع الدين، قال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)﴾

(سورة البقرة: 21)

أما لما خاطب المؤمنين، قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)﴾

(سورة البقرة: 138)

إذا أنت تتعامل مع إنسان بعيد عن الدين، من السذاجة وعدم الحكمة، أن تدخل بتفاصيل الدين، وتحاسبه عليها، هو بالأصل ليس مأمن بها، أصل الدين في شك منه، فليس من الحكمة أن تصل، بعدين الإنسان الداعي ما هو قاضي، هو داعي، الداعي شيء، والقاضي شيء، يعني أنت لا تدخل إلى أعماق الإنسان، وتحاسبه، وتنصب نفسك وصي عليه.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

أما الآية الدقيقة جداً في هذا المجال، الله عز وجل قال:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)﴾

(سورة آل عمران: 159)

أي في رحمة استقرت في قلبك، كنت ليناً لهم، يعني اتصالك بالله نتج عنه أن استقرت الرحمة في قلبك، فكنت ليناً لهم، فأحبوك، أربع مراحل، اتصال بالله، لين، محبة.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

لو لم تستقر الرحمة من قلبك، لكنت فظاً معهم.

﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾

إذاً:

﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

هذا قانون، أتحب أن يجتمع الناس إليك كن ليناً معهم، أتحب أن ينفضوا عنك، كن قاسياً معهم، واحد نصح أمير قال له سأنصحك وأغلظ عليك، فكان الأمير أحكم من الناصح، قال له وما الغلظة يا أخي، لقد أرسل الله من خير منك، إلى من هو شر مني، أرسل موسى إلى فرعون.

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)﴾

(سورة طه: 44)

فالنبي عليه الصلاة والسلام مع أنه رسول، ونبي، ويوحى إليه ومعه القرآن، ومعه معجزات، والسماء تؤيده، والله عصمه، كل الميزات هي، قال له:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾

تحتاج للطف والمودة، والحكمة، مع أولادك، مع زوجتك، مع جيرانك، مع شركائك، مع أقاربك، لا يكون الرفق في شيء إلا زان، ولا ينزع من شيء إلا شان.

((عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ.))

[أخرجه مسلم]

وقال:

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

الإنسان لما بعلم ما بعنف، يكسب مهابة كبيرة جداً، فهذه المهابة تعينه على التعليم، أما إذا كان دقق في التفاصيل، وكان عنيف وقمعي، تكلم بكلمات قاسية، صار معنف، والمعنف مبغوض لا يحبه أحد، فالنبي علمنا قال:

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

وقال:

((إن الله رفيقٌ يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على سواه))

وقال:

((لا يكون الرفق في شيء إلا زان، ولا ينزع من شيء إلا شان))

والله عز وجل يقول:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

دخل على أبي حنيفة النعمان خارجيان، ومعهما سيفاهما ليقتلاه وقبل أن يقتلاه، سألوه سؤال مما يختلفون معه فيه، أول سؤال: أن فلان ارتكب الكبائر، زنى، وسرق، هل هو مسلم ؟ فالخوارج يكفرون بالصغيرة، فهو وجد السيفين في يديهما، والسؤال محرج، فقال هاذين الرجلان أهما نصرانيان ؟ قالا: لا، قال أهما يهوديان ؟ قالا: لا، قالا هما مسلمان، قال: هذا هو الجواب، انتزع الجواب من فمهما.

دخل مرة أبو حنيفة النعمان على المنصور، فإذا عنده قاض من ألد أعدائه، فهذا القاضي أراد أن يحرجه، قال له يا إمام: إذا أمرني الخليفة بقتل امرئٍ أأقتله أم أتريث ؟ فلعله مظلوم ؟ والخليفة قاعد، قال له: **الخليفة على الحق أم على الباطل** ؟ أجبني، قال له: على الحق، قال له: **كن مع الحق،** وانتهى الأمر، فلما خرج قال أراد أن يقيدني فربطه، يعني ما في أروع من الجواب الشافي، الذكي في الوقت المناسب، بالحكمة تؤلف القلوب، بالحكمة تقرب الناس إلى الله عز وجل.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

شوف أحسن اسم تفضيل، يعني إذا في مائة عبارة، يجب أن تنتقي أحسن عبارة من هذه العبارات:

﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

أخي ما بتفهم أنت، هذا ليس بالتي هي أحسن، أنا أعتقد أن هذه الفكرة تفتقر للدليل، هي معنى ما بتفهم، أعتقد أن هذه الفكرة تفتقر إلى دليل، أنا عندي فكرة أخرى فيها دليل قطعي، هذا نقاش جميل، حوار، أما ما فهمك أنت بهذا الموضوع، هذا أصبح سباب، إذا الإنسان يريد أن يحاور، وسلك سبيل السباب انتهى الحوار، صار معركة قذرة، فالله عز وجل أمرنا أن ندع إليه بالحكمة، والموعظة الحسنة، ومرة النبي عليه الصلاة والسلام دخل عليه رجل شرير، لان معه قليلاً السيدة عائشة استغربت، قالت أتلين مع هذا ؟ قال لها يا عائشة:

((شر الناس من اتقاه الناس مخافة شره.))

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : تفسير سورة الإسراء

الدرس (7-1) : تفسير الآيتان 13-14 ، العقيدة الصحيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

مقولة اردها كثيراً، وهي أن الخطأ في العقيدة خطير، لأن الخطأ في العقيدة، ينتج عنه انحراف في السلوك، والصواب في العقيدة ينتج عنه استقامة في السلوك، والإنسان لا يليق به أن يعتقد بأوهام، ولا خرافات، ولا خزعبلات، لذلك ربنا سبحانه وتعالى في سورة الإسراء وفي الآية الثالثة عشرة والرابعة عشرة وهي قوله تعالى:

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً(14)﴾

العرب في الجاهلية قبل الإسلام كان أحدهم إذا طار عن يمينه طائر، تفاءل، فإذا طار عن شماله طائر، تشاءم، وهذا هو التطير الذي ورد في الأحاديث الشريفة.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ ولا هَامَةَ ولا صَفَرَ))

[أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما]

خرافة، ليس لها أساس من الصحة، وأوهام، تدجيل، إنسان يمشي في الطريق، طار عن يمينه طائر يتفاءل بكل خير، طار عن شماله طائر يتشاءم بكل شر، هذا كلام غير صحيح، فربنا عز وجل رد على هؤلاء الخرافيين، الواهمين، الجهلاء، قال:

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾

يعني طائرك منك، سعادتك منك، شقائك منك، تيسير أمورك منك، تعسيرها منك، التوفيق منك، التعسير منك النجاح منك، الإخفاق منك، بحسب استقامتك.

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً (16) ﴾

(سورة الجن: 16)

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)﴾

(سورة المائدة: 66)

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) ﴾

(سورة فصلت: 30)

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

(سورة الجاثية: 21)

طيب الآن لا أحد يعتقد بهذا، لكن بقلك كابين ماء وملح أمام بيتي خرافة هي، فات إنسان وأنت في مناسبة عقد صفقة، البيعة فقست أخي قدمه قدم شؤم، لا ما لها علاقة، أخذ غرفة في فندق رقم 13، ما لها علاقة، كله دجل، لا يمكن أن نقبل إلا ما في القرآن والسنة، الإنسان لا يليق به أن يعتقد بالخرافات، لا يليق به أن يعتقد بالأوهام لا يليق به أن يهبط عن مستواه المكرم، خيرك منك، والشر منك، والتوفيق منك، وعدم التوفيق منك، والتعسير منك، والحفظ منك، وعدم الحفظ منك، بحسب عملك، الإنسان لو وضع مصحف أمام سيارته، شيء جميل، بس إذا ما لك مستقيم ما بحميك، كون واقعي أكتب على محلك قول الله تعالى:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً (1)﴾

(سورة الفتح: 1)

إذا ما في استقامة بالبيع والشراء ما بيجيك فتح مبين، حط آيات حط أحاديث، حط عين الحاسد تبلى بالعمى، حط نعل فرس، شوية خرز، كله دجل، كله كذب، كله أوهام.

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾

تفاؤلك من استقامتك، تشاؤمك من انحرافك، الله عز وجل قال:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7)﴾

(سورة الليل: 5 ـ 6 ـ 7)

قانون، قانون التيسر، قال:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (9) ﴾

(سورة الإسراء: 9)

طبق القرآن، زواجك استقام، تجارتك استقامت، صحتك استقامت، نفسيتك استقامت، لأن أنت لما لذت بعظيم شعرت بالطمأنينة أما لما عم تلتمس العزة، من غير الله، هذا ضد هذا، إذا واليت هذا يزعل هذا، إذا صفيت مع هذا، تغضب الطرف الآخر، بتصف مع الأول يغضب الثاني، شو هذه الحياة، لك أن ترضي الله وحده، ولا تعبئ بالآخرين. إلهي أنت مقصود، ورضاك مطلوبي، لذلك:

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾

يعني لا في نحس، ما في يوم أربعاء ما في 13، ما في إنسان قدمه سوء، ما في فنجان قهوة.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ أَتَى كَاهِنًا، قَالَ مُوسَى فِي حَدِيثِهِ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، ثُمَّ اتَّفَقَا، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ.))

[أخرجه أبي داود]

يكفي أن تذهب لإنسان، تقول له: شوف لي ماذا في مستقبلي ؟ بقلك في أمامك عقبات كبيرة، أمامك قبضة كبيرة، كله خلط بخلط بخلط، يا ليت تسليه مع التسلية في كفر، لا أحد يتسلى بهذه الأشياء هي لا تقرأ حظك هذا الأسبوع، وهذا برج الجدي، وهذا برج الثور، هذا الباب لا تقرأه إطلاقاً، لا يجوز أن تقرأه، ما له أساس من الصحة، كله كذب.

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾

أسمعوا الحديث الشريف:

((من أتى ساحراً فلم يصدقه . ما صدقه . لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، ولم يقبل له دعاء أربعين ليلة))

هذا إذا ما صدقه، أما إذا كان صدقه فقد كفر، الدين مبادئ، الدين منهج، الدين أدلة، علاقة مع الله مبنية على طاعة لمنهجه فقط، الإنسان خيره منه، وشره منه، التوفيق من استقامته، التأخير بكون في خلل، ما في رزقه يا أخي، كله من زوجتي، لا ما لها علاقة زوجتك، منك الشغلة، تقصيرك تلزقه بغيرك كمان، هذا منتهى الظلم، لا تعزي المشكلات لغيرك.

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً(14)﴾

ربنا عز وجل وصف هذا الكتاب بأنه مرقوم، والعلماء لهم في هذه الكلمة توجيهات لطيفة، قال: مرقوم من الرقم، والرقم هي الصورة، مرقوم من الرقم والرقم هو العدد، صفحات كتاب الإنسان مرقمة لا يستطيع أن ينزع واحدة منها، مثل المالية تماماً، تأخذ الدفتر تكتب هذا الدفتر 230 صفحة مع الختم والتاريخ، فيك تمزق صفحة منهم أنت ؟ إذا نزعت صفحة تهدر حساباتك كلها، بكلفوك بضريبة عشوائية من عندهم، إذا كان مزقت صفحة، فكتاب الإنسان مرقوم من الرقم، وكتاب الإنسان مرقوم من الرقم، يعني كل مخالفة وصورتها، فيك تنكرها ؟ الآن في مخالفات أيام تتجاوز سرعة مع الصورة، سيارتك ورقمها وتاريخ المخالفة والشارع، تقول لا مو أنا، من الرقم أي الصورة، أو من الرقم الرقم، فكتاب الأعمال مرقم، صفحاته ثابتة، وكل مخالفة مع صورتها.

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً(14)﴾

في عدل مطلق، حاسب نفسك هذه الإنسانة لماذا أفسدتها ؟ كان ممكن أن تكون أماً، وزوجةً، وربة منزل، وجدة في المستقبل، ولها أولاد، وأولاد أولاد، معزز، مكرمة مبجلة، أنت أفسدتها، فجعلتها زانية، سقطت فأصبحت بغياً، فلم أصبحت بالأربعين نبزها المجتمع فأصبحت متسولة، هي عملك.

﴿نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)﴾

(سورة يس: 12)

أثار عملك، فقبل أن تفعل شيئاً عد للمليار، يا ترى هذا العمل ماذا ينتج عنه، فلانة طلقتها بساعة غضب، لماذا طلقتها، ما لها أحد، لما طلقتها نقمت، وأنت لك مظهر ديني وبصلي، نقمت على دينك، انطلقت متبذلة نكاية بك، وانحرفت، طلاقك العشوائي التعسفي سبب انحرافها، فأنت محاسب، فالإنسان قبل ما يطلق، قبل ما يزوج، قبل ما يعطي، قبل ما يمنع، قبل ما يصرف، قبل ما يغضب، قبل ما يؤذي إنسان، يعني إنسان داهم محل لقى في بضاعة غير نظامية، شاريها من محل ثاني، وراح للمحل الثاني أنكر البضاعة، واقنع هذه البضاعة أساسها مشروع، كتب مخالفة بثلاثة أمثال، صار معه داء الصرع، إلى الآن يعاني هذا المرض، ما تحمل شاب أول حياته، ما تحمل أن تصادر بضاعته كلها ويضع مخالفة، قبل أن تبيع بضاعة مالك متأكد من فاتورتها، بلغه، نوره، قل له:

﴿نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

إياك أن تكون السبب في شقاء إنسان، كل ما ينتج عن هذا الشقاء في صحيفتك، راح إلى أوربا أقترن بواحدة، لفترة بسيطة، بعدين تركها، بعدين جاءه ولد منها، سألني شو نساوي ولد فلتان فأنت أبوه وبرقبتك.

ألا رب شهوة ساعة، أورثت حزن طويلاً، ألا يا رب طاعم ناعم في الدنيا، جائعٍ عارٍ يوم القيامة، ألا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا، طاعمة ناعمة يوم القيامة، ألا يا رب مكرماً لنفسه، وهو لها مهين، ألا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم.

الآن كثير أحياناً أب يقسو على أولاده أكثر مما يجب، يتشرد بكون بمشكلة بصير بعشرة، أنت مسؤول فكر، إذا أردت إنفاذ أمرٍ تدبر عاقبته، فخيرك منك، وشرك منك، والتوفيق منك، والتعسير منك، النجاح منك، الإخفاق منك، سعادتك منك، شقائك منك، نجاحك مع زوجتك منك، مطبق منهج الله بالزواج ينجح الزواج، ما لك مطبق ما ينجح الزواج، لا تعزي ذنوبك للآخرين، لا تقول أخي في طير طار عن يميني، واحد

حسدني، واحد كاد لي، واحد كب لي ماء وملح، لا تصدقها هي، هي خرافة، لا تعيش بالأوهام، عيش بالحقائق.

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً(14)﴾

ورد بالجامع الصغير حديث، قال:

((إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول يا رب لإرسالك لي إلى النار أهون علي مما ألقى، وإنه ليعلم ما فيها من شدة العذاب))

العذاب النفسي يضاف إلى العذاب الجسدي، عذاب النفس الشعور بالندم هذا الشعور، إذا الإنسان، يعني معه مبلغ محدود، وشاف بيت بسوى أربع أضعاف المبلغ، تصفية ورثة، ما اشترى، ولقى حاله بيت مرتب، منطقة جيدة، مبلغ بسيط جداً، وعرضوه عليه ما رضي يشتري، بقلك محروق قلبي، طول عمره، بقلك راح مني هذا البيت، وهذا شيء فاني، كيف الآخرة، كل الآخرة، كل الجنة راحت، لجهنم إلى الأبد شغلة كبيرة كثير، الإنسان قبل ما يعتدي، قبل ما يترك الصلاة، قبل ما يأكل مال حرام، يعني أيام يظنها الإنسان شطارة، أن تأكل مال بالحرام، هي مو شطارة هي، منتهى الغباء، منتهى الحمق، منتهى الشقاء، فالإنسان يعرف سعادته منه، شقائه منه هي الزعبرة هي، حط خرزة، حدوة حصان، ما بساوي شي هي، ما بساوي إلا استقامتك، حط مصحف بأول السيارة، إذا مالك مستقيم ما بيحميك هذا، سلوك غير منطقي، المصحف طبقه، طبعاً أنا بحط مصحف بسيارتي، الإنسان يفتخر، يلزمه أيام يراجع سورة، عم ينتظر مثلاً، صار معه مشكلة، بدو يصلح السيارة، معه وقت فاضي بحط مصحف، وبقدس المصحف، وبقبله من ست وجوهه، بس إذا كان بخالف الإنسان أوامره ما بيحميه، أخي أنا في بجيبتي مصحف ما بساوي شي هي، لا تفرح به هي، المصحف يجب أن يطبق، بطبقه يحميك، منهج لأنه، وكلمات الناس أخي تباركنا، شو تباركنا، الآن إذا واحد جاب دواء ما شربه، أخي تباركنا فيه، زعبرة هي، اشرب الدواء، هذا المصحف يطبق، بطبقه تبارك في، البركة بالخير الكثير، لا تعمل أساليب طقوس، الآن في كثير ناس بقلك تباركنا، على أي شيء تباركت ما لك مستقيم أنت، ما لك مطبق شي من الدين، وإذا كان زارك عالم يعني شو صار، ما بصير شي بنوب، قعد جنب النبي واحد لما توفي قال النبي:

((الآن استقر في جهنم حجر كان يهوي به سبعين خريفاً))

رئيس المنافقين كان يقعد جنبه، طلب قميصه أعطوه قميصه قال خذوا قميصي، لا يغني عنه قميصي، لبسوه قميصه قبل أن يموت ولما مات قال:

((الآن استقر في جهنم حجر كان يهوي به سبعين خريفاً))

لا ينفعك أن تلبس قميص رسول الله، ما بنفعك إلا أن تستقيم على أمره كلام دقيق واضح، الواحد يكسب عمره، لا يضيع وقته بالخرافات، بالدجل والأوهام، ديننا ما في أوهام، المصحف تطبقه تقطف ثماره، تزينه بالبيت، ما بطلع شي منك، سهرة مختلطة وحاطت مصحف، هذه السهرة خالف المصحف، عرس بالشرتون مكلف عشرين مليون، راقصات، وفسق، وفجور، واختلاط، على بطاقة الدعوة الطيبون للطيبات، كلام زعبرة هذا، شو الطبيون للطيبات وفي رقص وخمور، وفي اختلاط، لا مو طيبين، لا تعيشوا بالأوهام إطلاقاً، عيشوا بالحقائق، لما الصحابة طبقوا الدين كما أراد الله فتحوا العالم، ولما مسكوا طقوس الدين، ومظاهر الدين، وتركوا جوهره، لم تكن كلمتهم هي العلية.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-7) : تفسير الآية 11 ، العقل أصل الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الآية الحادية عشر من سورة الإسراء وهي قوله تعالى:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً (11) ﴾

هناك تساءل دقيق، ما دام الله سبحانه وتعالى قد خلقه عجولاً، ما ذنبه ؟.

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28)﴾

(سورة النساء: 28)

ما دمت يا رب قد خلقته ضعيفاً، فما ذنبه ؟.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19)﴾

(سورة المعارج: 19)

فهو هلوعٌ، وعجولٌ، و ضعيف، هذه صفات ضعف فيه، خلقاً لا كسباً، هو عجولٌ، وضعيفٌ، و هلوعٌ، صفات في الإنسان خلقاً لا كسباً، فكيف يحاسب عليها ؟ سؤال دقيق.

أولاً: هي صفات ضعف في الإنسان، وضعف خلقي لا ضعف خُلقي، إلا أنها سبب رقيه عند الله عز وجل، الدليل ؟ لو أن الإنسان خلق قوياً، لاستغنى بقوته فشقي باستغنائه، خلقه ضعيفاً ليفتقر في ضعفه فيسعد بافتقاره، كل السعادة عند الله عز وجل، في الإقبال عليه في الاتصال به، في الالتجاء إليه، في الاستعانة به، في التوكل عليه، في محبته، في الشوق إليه، السعادة كلها عند الله عز وجل، لو خلقه قوياً، لاستغنى بقوته فشقي باستغنائه، خلقه ضعيفاً ليفتقر بضعفه فيسعد بافتقاره.

ثانياً: خلقه هلوعاً، ما معنى هلوع ؟ قال:

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20)﴾

(سورة المعارج: 20)

يعني خويف، كثير الخوف، لو خلقه ما بيخاف، لا يلتجئ، ولا يتوب، ولا يندم، ولا يبادر إلى التوبة، خلقه هلوعاً، حتى إذا لاح له شبح مصيبة سارع إلى أبواب الله، سارع إلى التوبة، سارع إلى الاستغفار، سارع إلى طلب العفو، سارع إلى العهد مع الله عز وجل، إذاً خلقه هلوعاً، والهلوع كثير الجزع.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21)﴾

(سورة المعارج: من 19 إلى 21)

يحب المال، لو كان لا يحب المال إنفاق المال لا قيمة عنده، حينما يدفع ألف ليرة.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)﴾

(سورة آل عمران: 14)

الله عز وجل أودع في الإنسان حب المال، من أجل أن يرقى إذا أنفقه، فهو هلوع كثير الجزع، من أجل أن يسوقه الجزع إلى باب الله، كثير الحرص على ما في يديه، من أجل أنه إذا أنفق يرقى عند الله، خلقه ضعيفاً ليفتقر بضعفه، فلو استغنى بقوته، لشقي باستغنائه.

ثالثاً: خلقه عجول، لو خلقه مهولاً، لاختار الآخرة البعيدة، لا حباً بالله، ولا طاعةً له، ولا عبادةً له، إنما اختارها تمشياً مع طبعه، خلقه عجول، فإذا اختار الآخرة، يرقى، خالف طبعه يعني، الإنسان لا يرقى إلا إذا خالف طبعه، الدين يتوافق مع الفطرة، ولا يتوافق مع الطبع، الطبع مادي، الإنسان بحب ينام، الأمر التكليفي أن تستيقظ قبل الشمس، الإنسان يحب أن يأخذ المال، الأمر التكليفي أن تنفق المال، الإنسان يحب أن يطلق بصره في محاسن النساء، الأمر التكليفي أن يغض بصره، الإنسان يحب أن يخوض بأعراض الناس، موضوعات ممتعة، ليش فلانة طلقت، خانته يا ترى، مع مين خانته، بحب الأمر التكليفي أن لا يغتاب أحداً، وأن لا يتحدث فيما لا يعنيه، فالأمر التكليفي دائماً يتناقض مع الطبع، من أجل أن ترقى، والأمر التكليفي يتوافق مع الفطرة الكاملة، الفطرة متعلق بالنفس، والطبع متعلق بالجسد فالأمر التكليفي يتوافق مع النفس، الله عز وجل قال:

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾

(سورة الروم: 30)

أن يكون الإنسان ضعيفاً، واحد، وأن يكون الإنسان هلوعاً، وأن يكون الإنسان عجولاً، هذه خصائص للإنسان خلقيه، وليست خُلقية خلقية في أصل تكوينه، لا يحاسب عليها، بل هي سبب ارتقاءه عند الله والله لولاها لما ارتقى عند الله، هلوع، شاهد في التحليل في ورم ما عرف شو هذا الورم لسع ما أخذ النتيجة، على الصلاة رأساً، على الجوامع، طبعاً، شاهد في مشكلة، هناك من يهدده، يا رب ما لي غيرك، لو خلقه قوي لا يطلب من الله، لو خلقه قوي لا يساق إلى باب الله أبداً، أكثر المؤمنين، ولا أبالغ سبب إيمانهم، وإقبالهم، وتوبتهم، أن الله سبحانه وتعالى ضيق عليهم، بحسب فطرتهم خافوا، خوفهم ساقهم إلى باب الله، فالإنسان خلق هلوعاً لمصلحته، وخلق جزوعاً لمصلحته، وخلق منوعاً لمصلحته، وخلق ضعيفاً لمصلحته، وخلق عجولاً لمصلحته،

لو أن الإنسان خلق مهولاً، يعني طبعه يتناسب مع الأشياء البعيدة، لاخترنا جميعاً الآخرة، لكن إنسان أحياناً أمامه مكسب كبير، خلال أيام يغير بيته، بغير مركبته، بغير حياته كلها، الإنسان يحب الشيء العاجل، فإذا رفض الشيء العاجل طمعاً بالآجل، ارتقى، الإنسان إذا قرأ هذه الآيات:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21)﴾

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾

هذه نقاط الضعف الخلقي للإنسان لصالحه، من أجل أن يرقى بها إلى الله، ولولا أنها من خصائص خلقه لما ارتقى إلى الله، الآية الآن:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾

يعني إذا كان في مكسب مادي سريع، يقبله ويقبل عليه، ويدع الخير الكثير البعيد، هكذا طبعه، الخيار، أن تختار الشيء البعيد على الشيء القريب.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)﴾

(سورة النازعات: 40 . 41)

أنا ضربت مثل مرتين ثلاثة أعيده مناسب بهذه الجلسة، كان باص المهاجرين يقف بالمرجة أمام المركز التجاري، باتجاه الشرق، يطلع الركاب يلي يستخدم عقله يقعد بالشمس، على اليمين، لما يدور دورة واحدة خلال دقائق، يأخذ الظل إلى آخر الخط، إذا الإنسان ما شغل عقله يقعد بالظل، يتهم تبع الشمس بالجنون، إذا الإنسان فكر، أنه ثلاث دقائق إذا كان تحمل الشمس، أفضل ما يتحملها نصف ساعة، إلى آخر الخط، الدنيا مؤقتة، الإنسان العاقل، ما قال النبي:

((أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً))

الإنسان العاقل يختار الآجل، الأبدي، السرمدي، المتنامي، عن الشيء العاجل الموقت، سريع الزوال، لذلك الدعاء النبوي الشريف:

((ألا يا رب نفسٍ طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة، ألا يا رب نفسٍ جائعة عارية في الدنيا، طاعمة ناعمة يوم القيامة، ألا يا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ألا يا رب مهين لنفسه، وهو لها مكرم، ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً))

العقل ميزان الدين، العقل أصل الدين.

" أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً ".

فهذه الآيات الثلاث، آيات الإنسان عجول، والإنسان هلوع، والإنسان جزوع، والإنسان ضعيف، هذه خصائص الإنسان الخلقية لصالح الإنسان، لصالح ارتقائه عند الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-7) : تفسير الآيات 18-20 ، الإرادة وفق منهج الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الآية الثامنة عشرة من سورة الإسراء وما بعدها وهي قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (19) كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً(20)﴾

أيها الأخوة الكرام:

هذه الآيات الثلاث تؤكد حقيقة الاختيار، الإنسان مخير، إما أن يريد العاجلة، وإما أن يريد الآخرة، وسميت عاجلة لأنها قريبة، وسميت الآخرة لأنها أبعد، الله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي:

((أنت تريد، وأنا أريد))

الله جل جلاله ماذا يريد ؟ في آيات أخرى يقول:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

آية واضحة كالشمس:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27)﴾

عن الحق:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28)﴾

(سورة النساء: 27 ـ 28)

((إني والأنس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي))

دققوا الآن:

((من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنطهم مكن رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها واعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد، كفيتك ما تريد))

تأتيك الدنيا وهي راغمة، يرفع الله لك ذكرك، يعلي قدرك، يحفظك، يؤيدك، ينصرك، يسعدك . فإذا سلمت لي فيما أريد، كفيتك ما تريد، وإذا لم تسلم لي فيما أريد . أردت العاجلة وأصررت عليها، ولم تعبأ بمنهجي، ولم تعبأ بتشريعي، وأكلت المال الحرام، واعتديت على حقوق الأنام . أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد، كفيتك ما تريد، فإذا سلمت لي فيما أريد، كفيتك ما تريد، وإذا لم تسلم لي فيما أريد . خرجت عن المنهج، ما الذي يحصل ؟ وإن لم تسلم لي فيما أريد . لم يتحقق لك ما تريد . وكان الذي أريد . يعني لا يحصل إلا ما أراد الله عز وجل.

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾

أراد الدنيا:

﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾

ما نشاء؛ بالقدر الذي نشاء، وللشخص الذي نريد، لو طلبت الدنيا، قد تأتي وقد لا تأتي، وإذا أتت، قد تأتي كما تريد، وقد تأتي أقل مما تريد، لماذا ؟ لحكمة بالغة، فالإنسان كلما أصر على طلب الدنيا أعطي الدنيا، أما إذا ما أصر عليها، يعطى منها بالقدر الذي يريده الله عز وجل.

﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾

لذلك المؤمن يفوض أمره إلى الله، الدعاء النبوي الشريف:

((اللهم خر لي واختر لي))

دخلت على بائع صديقك، صديق حميم، مخلص، وفي قال لك نقي، قلت له أنت نقي لي، لك ثقة فيه، فلما الإنسان يفوض أمره إلى الله، الله يختر له أنسب وقت، أنسب زوجة، أنسب عمل، أنسب دخل، أنسب علاقات، أنسب سفر، استخر الله عز وجل، أما مركز الثقل ليس في هذه الآية، الآية فيها نقطة واحدة، أنه إذا الإنسان أراد الدنيا بإصرار، الله عز وجل يعطيه الدنيا ويخرج من دائرة العناية المشددة، إذا أصر الإنسان على الدنيا، يعطيه الله إياها ويخرج من العناية المشددة، تصديقاً لقوله تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)﴾

(سورة الأنعام: 44)

المؤمن لا يصر، يطلب إذا تحقق يكون في خير، ما تحقق، الخير كله في عدم التحقق، ربما كان المنع عين العطاء، " **إن الله ليحمي صفيه من الدنيا، كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام، إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا، كما يحمي الراعي الشفيق غنمه من مراتع الهلكة** "

المؤمن حاله مع الله هكذا، اطلب فإذا أجاب الله له فهذا هو الخير، وإن لم يستجيب فهذا هو عين الخير، ما بصر، أما إذا أصررت، تأتي الدنيا.

﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

لكنه أخرج الله عز وجل من دائرة العناية المشددة، أهمله، أما إذا ما أصر، الله عز وجل يعطي الدنيا بالقدر الذي يريد، وللشخص الذي يريد، والمؤمن لا يصر، بل المؤمن يفوض أمر الدنيا إلى الله، يسعى، على الإنسان أن يسعى، وليس عليه أدراك النجاح، أما الآية الثانية:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾

العلماء فرقوا بين التمني، وبين الإرادة.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾

الآية كلها في ضمير هو الهاء، لو قال وسعى لها أي سعي مقبول، من أراد الآخرة، سعى لها، لكن الآية ليست كذلك.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾

واحد أراد أن يكون طبيباً، نقول للطب علاماته، مو أي علامات يقبلوك بهم، 230 فما فوق.

إذا أردت الآخرة لها سعي خاص، لا تقول ركعتين، وليرتين ندفعهم، الله يتولانا بالمغفرة، القضية أعمق من ذلك، تطلب الجنة أنت تطلب الجنة إلى أبد الآبدين، هذه لها سعيها، يجب أن تستقيم على أمر الله.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

السعي المطلوب أداء العبادات، ضبط الشهوات، ضبط الجوارح، ضبط الدخل ضبط الإنفاق، ضبط البيت، ضبط العمل، الالتزام الكامل، تطبيق منهج الله في كل حذافيره، هذه سعيها ما في قد ما بتقدر، على التيسير هذه ليست واردة، لا تدقق كثير نحن عبيد إحسان مالنا عبيد امتحان، لا يسعنا إلا عفوه وكرمه، ماذا نفعل ضع رأسك بين الروس وقول يا قطاع الروس، هذا كله كلام فاضي، هذا الكلام لا ينبغي أن يذكر إطلاقاً.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

بقلك من هون اليوم الله يفرجها الله، هذا كلام العوام، كلام الجهال، كلام البعيدين عن الله عز وجل.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

صلاة، صوم، حج، زكاة، غض بصر، تحري الحلال، إقامة الإسلام في البيت، التحرك في كسب الرزق وفق منهج الله عز وجل هذه سعيها، قال:

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

أيام الذكاء يقودك إلى عمل يشبه الطاعة، الذكاء الشديد يقودك إلى عمل يشبه الطاعة، لأن أكمل شيء هو منهج الله عز وجل، الإنسان أيام في بدافع ذكائه، وعقله، يصدق مثل الأجانب بالمعاملة، لا يكذبون، هم يربحون أكثر بهذه الطريقة بدو يكون.

﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

مؤمن بالله عز وجل، مؤمن باليوم الآخر، مؤمن بما عند الله من ثواب، مؤمن بالجنة، مؤمن بالنار.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾

الآية الثالثة:

﴿كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾

يعني الله عز وجل جاء بنا إلى الدنيا على شرط أن يعطينا سؤلنا أنتم مخيرون، اطلبوا ما تشاءون، لكن أنا لا أعطي على التمنيات، الله جل جلاله لا يتعامل بالتمني إطلاقاً، والدليل:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (123)﴾

(سورة النساء: 123)

الله عز وجل بضاعته الصدق، لا يقبل إلا الصدق، مثلاً:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً(110)﴾

(سورة الكهف: 110)

دليل سعيك الصحيح التحرك نحو العمل.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾

الآن الآخرة لها آيات كثيرة جداً، مثلاً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾

(سورة التوبة: 119)

البيئة لها تأثير كبير جداً، إذا عايش في بيئة منحرفة، بيئة غير مؤمنة بالله عز وجل، تسحب إليها، يجب أن تختار بيئة مؤمنة، يجب أن ترداد بيوت الله عز وجل، يجب أن تطلب العلم الشرعي، يجب أن تنتقي أصدقائك من المؤمنين، لا من المتفلتين، هي من مناهج الله إلى الآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (35)﴾

(سورة المائدة: 35)

ابحث عن وسيلة تتقرب بها إلى الله عز وجل.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾

ورد بالحديث، بالأثر القدسي:

((أن عبدي خلقت لك ما في السماوات والأرض، ولم أعي بخلقهن، أفيعنيني رغيف أسوقه كل حين، لي عليك فريضة ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي، إن لم ترض بما قسمته لك، فلأسلطن عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش بالبرية ثم لا ينالك منها إلا ما قسمت لك ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد))

إذا الإنسان أراد الدنيا من غير منهج الله، يأتي وقت يلعن الساعة التي جاء بها إلى هذه الدنيا، الدنيا متعبة، لما ربنا عز وجل يسوق للإنسان المتاعب من الدنيا، يخرج من جلده،

((وإن لم تسلم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد))

لذلك من هو السعيد ؟ الذي جاءت إرادته وفق إرادة الله عز وجل، يعني أعظم شيء أن تتوافق أرادتك مع إرادة خالقك، الله ماذا يريد ؟.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28)﴾

(سورة النساء: 27 ـ 28)

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (8)﴾

(سورة إبراهيم: 8)

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾

(سورة الزمر: 7)

تعرف إلى إرادة الله عز وجل، واجعل إرادتك موافق إلى إرادة الله عز وجل، من أجل أن تسعد، ثلاث آيات.

﴿كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾

واحد طلب الموت على الرخيص، يرتاد نوادي ليلية، واحد طلب كسب المال الحرام، يسرق، لكن الثمن باهظ النتائج وخيمة جداً، الله عز وجل بين.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (3)﴾

(سورة الإنسان: 3)

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17)﴾

(سورة فصلت: 17)

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)﴾

(سورة البقرة: 148)

اليوم الآيات حول الإرادة، يعني ملخص الآيات، احرص على أن تكون أرادتك وفق إرادة الله عز وجل، الله يريد أن يتوب عليك، أن تستقيم على أمره، أن تقبل عليه، أن تستعيذ به، أن تسعد بقربه، أن يستنيرا قلبك بنوره، هي الإرادة.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27)﴾

لذلك ما دام الله يريد أن يتوب علينا، لذلك يسوق لنا من الشدائد ما يحملنا على التوبة، والأعقل هو الذي يتوب قبل أن تأتيه الشدائد.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-7) : تفسير الآية 21 ، حظوظ الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الآية الواحدة والعشرون من سورة الإسراء وهي قوله تعالى:

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)﴾

حينما قال الله عز وجل:

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾

(سورة الإسراء: 18)

الحكمة أرادها الله عز وجل يعطي إنسان الدنيا بالقدر الذي يريده الله عز وجل، وبالوقت الذي يريد، إلا أن الحظوظ في الدنيا الآن موزعة، لكن هناك اختلافاً كبيراً، يعني مثلاً، وازن بين إنسان في الجيش مثلاً جندي، وإنسان رئيس أركان، بين ممرض وبين أكبر طبيب جراح، بين بائع متجول بين رئيس غرفة تجارة، بين مزارع بسيط وبين إنسان يملك ألف دونم، وعنده معدات حديثة في الزراعة، بين إنسان لا يملك قوت يومه، بين إنسان يحار كيف ينفق المال.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

إنسان يتمتع بعينيه، إنسان لا يرى بعينيه، إنسان يتمتع بعقله الراشد، وإنسان مودع في مشفى المجانيين، إنسان يتمتع بأعلى درجات النشاط، وإنسان مقعد على الفراش، إنسان عنده زوجة ترضيه، وإنسان عنده زوجة تسخطه، إنسان عنده أولاد أبرار، وإنسان عنده أولاد عاقين.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

من حيث الدخل، بيت أربعمائة متر أمام، حديقة بأرقى أحياء دمشق، وبيت بأطراف المدينة تحت الأرض خمسين متر.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

إلا أن هناك سؤال دقيق، سيد الخلق وحبيب الحق، وسيد ولد آدم ونبي هذه الأمة، كان إذا أراد أن يصلي قيام الليل، لا تتسع غرفة لصلاة الليل، ونوم السيدة عائشة، فكانت تبتعد، أو تنزاح قليلاً، ليصلي قيام الليل، سيدنا علي يقول:

" فلينظر ناظر بعقله، أن الله أكرم محمد أم أهانه، حين زوى عنه الدنيا، فإن قال أهانه فقد كذب، وإن قال أكرمه فلقد أهان غيره حيث أعطاه الدنيا ".

أردت من هذه الموازنة، من حيث البيت، من حيث الزوجة الأولاد، الصحة، الدخل، من حيث عملك جندي أم رئيس أركان ممرض في مستشفى أم مدير مستشفى، بائع متجول أم رئيس غرفة تجارة، مسافة كبيرة كثير، أستاذ جامعة ذو كرسي، ثلاث ساعات بالأسبوع، تعويض تفرغ، تعويض تأليف، معلم ابتدائي بقرية ملحوش هو والآذن، والمعلم، والمدير.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

لعلكم تظنون أن الأقوياء أسعد من الضعفاء، والأغنياء أسعد، أنا أمهد لحقيقة خطيرة جداً، هذه الدرجات في الدنيا، أولاً موقتة، الموت ينهي صحة الصحيح ومرض المريض، وينهي قوة القوي وضعف الضعيف، وينهي وسامة الوسيم ودمامة الدميم، وينهي مرض المريض وقوة القوي، الموت ينهي كل شيء، والناس جميعاً في القبور سواسية، كلهم بعد حين، يصبحون عظاماً متفرقة في القبر.

إذاً: هذه المراتب الدنيوية، مراتب المال، مراتب الصحة، مراتب الذكاء، مراتب القوة، المناصب، مراتب الحواس والملكات، هذه لا تعني شيئاً لأنها مؤقت، والدليل: يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن هذه الدنيا دار التواء، لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء . لأن الرخاء مؤقت، والشقاء مؤقت . قد جعلها الله دار بلوى وجعل الآخرة دار عقبة، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي.))

لم ندخل بعد في الآية.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

فعلاً في مسافات شاسعة جداً بين الأغنياء والفقراء، بقلك أنا من شهرين ما أكلت وقية لحمة، في أغنياء في بعض بلاد النفط بقدم قاعود، يعني هذا أرقى أنواع الأكل هذا جمل صغير يأكل الأمير هيك نصف وقية والباقي في الزبالة، إنسان من سنة مو آكل وقية لحمة، إنسان اللحم يلقى في القمامة.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

بالأكل، بالشرب، بالشكل، بالوسامة، بالدمامة، بالمال، بالزوجة، بالأولاد، بالبيت، بالمركبة، بتلاقي مركبة من سنة 48 موديلها، وفي مركبة 94، 95 مثلاً، ما في نسبة.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

لكن حظوظ الدنيا أيها الأخوة لا تعني شيئاً، لماذا ؟ لأنها مؤقتة، وثانياً لأنها لا تتناسب مع مكانة الإنسان عند الله، " **رب أشعث اغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو اقسم على الله لأبره** ".

دخل على النبي الكريم صحابي من فقراء الصحابة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((أهلاً بمن خبرني جبريل بقدومه))

الصحابي صعق، قال و مثلي، من أنا، قال يا أخ أنت خامل في الأرض، علم في السماء، المراتب الدنيوية من صحة إلى مال إلى جاه، إلى تفوق إلى وسامة، إلى.....ألخ، لا تعني شيئاً، لأنها مؤقتة ولأنها، لا تتناسب مع مكانة الإنسان عند الله، الدليل:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)﴾

(سورة الأنعام: 44)

المال، النساء، الغنى، البلاد الجميلة، الأجانب.

﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾

مرةً ملك سأل وزيره من الملك: فالملك جبار، الوزير خاف قال له: أنت الملك، قال له: لا لست أنا الملك، الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا، له زوجته ترضيه، وبيت يؤويه، ورزقٌ يكفيه، إنه إن عرفنا جهد في استرضائنا، وإن عرفناه جهدنا في إذلاله، لا نعرفه ولا يعرفنا، ماذا أريد من كل هذا الكلام ؟ أن أصل إلا أن البطولة أن تحتل مرتبة عالية في الآخرة، لماذا ؟ لأنها إلى أبد الآبدين، ولأنها تتناسب مع مكانتك عند الله، ولأنها كسبية، أيام إنسان يموت معه ثلاثمائة مليون عنده ابن عمره تسع سنوات، هذا ولد معه ثلاثمائة مليون، ليس بشطارته، لأنه ابنه فقط، حظوظ الآخرة تتناسب مع كسب الإنسان في الدنيا، وحظوظ الآخرة إلى أبد الآبدين.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)﴾

تكاد تكون الآخرة فيها مراتب بعدد أهل الجنة، عندنا الموظفين عشرة درجات، كل درجة ثلاث مستويات، أولى ثالثة، ثانية ثانية يصبحون ثلاثين درجة، أما درجات أهل الجنة بعدد أهل الجنة والدليل:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132)﴾

(سورة الأنعام: 132)

كل إنسان له درجة بحسب عمله، درجة الآخرة لها معنى، كسبية، ودرجة الآخرة أبدية، كسبية، وأبدية، أما درجة الدنيا قد تتناقض مع مكانتك عند الله، بالعكس الله يمد للكافرين.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197)﴾

(سورة آل عمران: 196)

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)﴾

(سورة إبراهيم: 42)

مراتب الدنيا مؤقتة، ولا تعني شيء، وقد تعني عكس واقعها لكن مراتب الآخرة تتناسب مع مكانتك عند الله، وكسبية بحسب عملك وأبدية، العاقل يسعى لمرتبة الدنيا أم لمرتبة في الآخرة ؟ يسعى لمرتبة عالية عند الله أم عند الناس ؟

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)﴾

لهذا يقول سيدنا علي كرم الله وجهه، سيدنا علي يعد كلامه أفصح كلام على الإطلاق بعد كلام رسول الله، فمن أساليب النبي البلاغية أن مرةً يقول:

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت من هذه يا جبريل ؟ قال هي امرأة مات زوجها وترك لها أولاد فلم تتزوج من أجلهم))

إذا سمعت هذا الحديث امرأة مات عنها زوجها، وهي في العشرينات، وترك لها ولدين، فأبت الزواج رعاية لحق هاذين الولدين، إن سمعت المرأة هذا الحديث بماذا تشهر ؟ يمكن تذوب، النبي كان بليغ، منقول بالأثر عنه أنه أفضل إدامٍ الجوع، أن تكون جائع، هو يصف الإدام، ترك الإدام ووصف حالة الآكل، في بالبلاغة لقطات لطيفة جداً، قال أنا أفصح العرب، قال بيدا أني، لما قال بيدا أني كأنه سيذم نفسه، قال بيدا أني من قريش، وقريش أفصح قبيلة بالعرب، هذا اسمه أسلوب المدح بما يشبه الذم، من أساليب النبي عليه الصلاة والسلام، سيدنا علي يبدو أنه تعلم من النبي أساليب رفيعة قال **الغنى والفقر متى ؟ بعد العرض على الله**، لا في الدنيا، الغنى غنى العمل الصالح، والفقر فقر العمل الصالح، هذه الآية أخوانا لوحدها بحث.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)﴾

حتى بمستوى الحج بقلك كلفتني الحجة 250 ألف، و حجي ثاني كلفته 42 ألف، هذه غير هذه.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)﴾

الإنسان العاقل يسعى لمرتبة في الآخرة، والمرتبة في الآخرة يحصلها كل إنسان، لكن مراتب الدنيا، مثلاً زار فيها مدير شؤون الموظفين، محتله شخص خلص، حتى يموت، ما في أمل تصل إليها لكن مراتب الآخرة مفتوحة لكل البشر، كل إنسان إذا أطاع الله عز وجل احتل مرتبة في الآخرة.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55)﴾

(سورة القمر: 54)

هذه الآية تدفعنا جميعاً إلى كسب العمل الصالح ليكون هذا العمل سبباً لمرتبة علية عند الله، مرة ثانية الحظوظ في الدنيا، شوف الحظوظ أعني بها شيئاً دقيقاً، المال حظ، الصحة حظ، الزوجة حظ، الأولاد حظ، القوة حظ، الوسامة حظ، الملكات العالية حظ، هذه حظوظ الدنيا حظوظ الدنيا موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء، لا تعني شيئاً قد يكون الفقير أقرب إلى الله من الغني، وقد يكون الحاجب أقرب إلى الله من المدير يلي قاعد وراء الطاولة، وقد تكون الدابة خير من راكبها هكذا النبي ذكر في بعض الأحاديث، قد تكون الدابة خير من راكبها، الحظوظ في الدنيا لا تعني شيء، إنما قد وزعت توزيع ابتلاء، لكن الحظوظ في الآخرة تعني كل شيء، لأنها أولاً أبدية، وثانياً كسبية أبدية، وكسبية، بالدنيا عكسها، لا هي أبدية مؤقتة، ولا هي كسبية بحسب حكمة الله عز وجل، فلذلك الإنسان عليه، قال: ابتغوا الرفعة عند الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-7) : تفسير الآية 22 ، التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية الكريمة الثانية والعشرون من سورة الإسراء وهي قوله تعالى:

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (22) ﴾

أيها الأخوة:

هذه الآية متعلقة بأخطر موضوع في الدين، موضوع التوحيد فما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، وفحوى دعوة الأنبياء جميعاً من دون استثناء التوحيد.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)﴾

(سورة الأنبياء: 25)

ما معنى لا إله إلا أنا ؟ الإله هو الذي يستحق أن تعبده، وينبغي أن تعبده، لماذا ؟ لأنه الخالق، لأنه الرب الممد، لأنه المسير، لأنه المحيي، لأنه المميت، لأنه الذي يعلم، العليم، البصير، لأنه الرافع، لأنه الخافض، لأنه المعز، لأنه المذل، لأنه المعطي، لأنه المانع، لأن كل شيء بيده، قلبك، دسامات قلبك، دماغك، أعصابك أهلك، أولادك، تجارتك، من هم فوقك، من هم تحتك، لأن كل شيء مفتقر إليه في كل شيء، لأن كل شيء يحتاجه في كل شيء، لذلك هو الذي يستحق أن تعبده، وهو الذي ينبغي أن تعبده، الكلام واضح، أما أن يعبد الإنسان إنساناً، يقول لك أنا هذا لا أتخذه إلهاً، كلام طيب، ولكنك تعامله كما يعامل الإله، تعامله ؛ أي تطيعه فيما يغضب الله، جعلته إلهاً إذاً معنى قول الله عز وجل:

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (22) ﴾

أن تجعل مع الله إلهاً آخر ؛ أي تطيع إنساناً كائن من كان في معصية الله، سؤال ؟ لو أنك أطعت هذا الإنسان في طاعة الله ؟ هذا لم يعد إله، هذا أصبح مبلغ عن الله، لو قال لك إنسان حرر دخلك من الحرام، قلت له سمعاً وطاعة، ما معنى هذا أنك اتخذته إلهاً، لأنه نقل لك أمر الإله، الذي ينقل لك أمر الإله، أول من نقل لك أمر الله هو الرسول، و كل من جاء من بعده من الدعاة نقل لك بالوكالة أمر الله إليك، هذا هو الحلال، هذا هو الحرام، هذا هو الخير، هذا هو الشر إذاً أنت إذا أطعت إنساناً فيما يرضي الله، هذا لم تتخذه إلهاً، لكنك جعلته وسيلة إلى طاعة الله، أما إذا أطعت إنساناً وعصيت الله، أطعت إنساناً فيما يغضب

الله، هنا، هو إنسان ضعيف، يموت، تعلم ذلك أنت ولكنك عاملته كما يعامل الإله، معنى أن الله عز وجل قال:

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (22) ﴾

هو ليس إله، والذي جعله إلهاً لا يصدق أنه إله، لكنه عامله، وتعامل معه على أنه إله، يعني خاف من غضبه، وتمنى رضاه، رضاه في معصية الله، وغضبه في طاعة الله، فإذا أطعت إنساناً، وعصيت خالقاً جعلته مع الله إلهاً.

لآن نكمل هذه الآية، أو هناك آية على صلة متينة معها في سورة التوبة، دققوا في معانيها تماماً:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾

(سورة التوبة: 24)

يقول لك واحد معقول حب هذا البيت أكثر من الله، ما هذا الكلام ! إذا كنت مغتصبه ويرضي الله أن تعطيه لصاحبه فحينما بقيت فيه مغتصباً، فأنت آثرت هذا البيت على طاعة الله، طيب أنا معقول أحب زوجتي أكثر من الله عز وجل ؟ ممكن إذا أقررتها على معصية، أو على خروج لا يرضي الله، أو على اختلاطٍ يغضب الله، أقررتها دفعاً لمشكلة معها، فأنت رأيت غضبها أشد من غضب الله، يعني أي واحد من هؤلاء:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾

هذه التجارة فيها شبهة، أنت آثرت هذه الشبهة على طاعة الله، معناها التجارة أحب إليك من الله، قال:

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾

فإذا كان هذه كذلك إذا كانت الزوجة، والأب، والولد، والأم، والعشيرة، والصاحبة، والتجارة، والمسكن، والمال، أغلى عليك من الله، أحب إليك من الله.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾

يعني مكانك تحمدي أو تستريحي، الطريق إلى الله غير سالك، والدليل قال:

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ﴾

أمر الله هو الموت.

﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾

يعني حينما تحملك محبتك إلى هؤلاء على الفسق، معنى ذلك كانوا هؤلاء أحب إليك من الله ورسوله، هذه الآية نفسها.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (22) ﴾

لا أب، برضاي عليك أن تطلق زوجتك، والزوجة مستقيمة، وطاهرة، وعفيفة، ومحجبة، لكن أبي لا يحبها.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (22) ﴾

لا أب، ولا ابن، ابنك أصبح في مرتبة عالية لكن ما فيه دين إطلاقاً، معلق فيه على معاصيه على ترك الصلاة، على أنه يشرب، وابني، وابني، ومعه شهادة، ومنصبه كذا، أنت جعلته مع الله إلهاً، أحببته على معاصيه، لا أب، ولا ابن، ولا زوجة، ولا أخ، ولا عشيرة، ولا قبيلة، ولا أمة، ولا مسكن فخم جداً، ولا مال وفير جاءك من شبهة، ولا تجارة رائجة جداً لكن البضاعة محرمة، أو التعامل مع هذه الشركة محرم.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾

عني آثرتم المعصية من أجلها على طاعة الله.

﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ﴾

وأمر الله هو الموت.

﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24) ﴾

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (22) ﴾

هو ليس إلهاً، هو إنسان، لكنك تعاملت معه على أن غضبه مخيف، وعطائه كبير، جعلته إلهاً وأنت لا تشعر، آثرت طاعته على طاعة الله، رأيت وعيده أشد من وعيد الله، رأيت عطائه أغلى عندك من عطاء الله، إذاً تعاملت معه على أنه إله، إذاً اتخذته إلهاً، إذاً جعلته إلهاً.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (22) ﴾

تحتقر، وتقهر، وربنا عز وجل لحكمة يريدها، كلما تعلقت بإنسان، وهذا الإنسان بعيد عن الله هذا الإنسان الله عز وجل يسيره كي يؤذيك، حتى تنقطع عنه، لأن الله يغار، من غيرة الله عليك أنك إذا تعلقت بإنسان بعيد عن الله، أما لو واحد أحب رسول الله، الطريق واحد، لو أحب الصحابة الكرام، لو أحب إنسان مؤمن، صالح، هذه المحبة من محبة الله، لذلك القاعدة الدقيقة لا ينبغي أن تحب مع الله لكن ينبغي أن تحب في الله، إذا أحببت زوجتك مع الله أي نفذت رغبتها وعصيت الله، هذا حب مع الله شرك، أما إذا أحببتها في الله وأن تضع اللقمة في فمها هي لك صدقة، شتان بينما من يحب مع الله، وبينما من يحب في الله، ممكن تحب

الناس كلها في الله، عباد لله، تحب زوجتك وأولادك، وإخوانك، ومن حولك، وجيرانك، والمؤمنين تحبهم، وتودهم، وتزورهم، وتكرمهم، هذا حب في الله، أما أن تحب مع الله فقد أشركت بالله، لذلك:

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (22) ﴾

قهور، ومحتقر، لأن هذا الذي أحببته ضعيف، ضعيف، ولئيم فإذا كان يقدر أن يعاونك من لؤمه لا يعاونك، وإذا كان يحب أن يعاونك من ضعفه لا يقدر أن يعاونك، يا أما لا يقدر يعاونك، يا أما لا يحب يعاونك، أنت اتخذته إله، ووضعت كل ثقتك فيه، وعلقت عليه الآمال ثم خيب ظنك.

﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (22) ﴾

لذلك ورد في الأثر القدسي:

((خلقت السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن، أفيعيني رغيف أسوقه لك كل حين، لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فالأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً، أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمت لي بما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي بما أريد أتعبتك بما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد))

هذه الآية أخوانا: مهمة جداً، من أخطر الآيات، متعلقة بأخطر الموضوعات، موضوع التوحيد، ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً﴾

يعني محتقر من قبل نفسك، تقول الله يلعن الساعة التي تعاملت بها مع فلان، شريكه يبيع خمر في المطعم، أخي عما يعطيني بالسنة مليون ليرة، شو نساوي إن شاء الله برقبته، لا بعدين ما طلع لك شيء بالمرة بالشركة، فالسك.

﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً﴾

محتقر من قبل نفسك، ومن قبل الناس، ومن قبل الله، هلق النبي اسمه محمود، من أسمائه المحمود، محمود عند نفسه، ومحمود عند الخلق، ومحمود عند الحق، وهنا:

﴿مَذْمُوماً﴾

عند نفسك، وعند الخلق، وعند الحق.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ﴾

قل لا.

﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً﴾

مخذول، ومقهور، يعني بالنهاية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36)﴾

(سورة الأنفال: 36)

مستحيل إنسان عاصي يصل إلى شيء، يصل إلى شيء موقت لكن العاقبة للمتقين، الأمور تدور، وتدور، وتدور، وتستقر على إكرام المؤمن، وخذلان الكافر، على علو المؤمن، وسقوط الكافر على نصر المؤمن، وخذلان الكافر، على تكريم المؤمن، وإهانة الكافر على رفع المؤمن، وخفض الكافر، بالنهاية الله قال:

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128)﴾

(سورة الأعراف: 128)

والعبرة في الآخرة، والعبرة في النهاية، والأمور في خواتيمها والأمور بحسن الختام، هذه الآية أخوانا الكرام: على أنها قصيرة جداً لكنها خطيرة جداً.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً﴾

آخر كلمة بالدرس، أحد أكبر أسباب العذاب النفسي هو الشرك قل لي ما لدليل، أقول لك:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213)﴾

(سورة الشعراء: 213)

في أوضح من هذه الآية ؟

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213)﴾

أحد أكبر أسباب العذاب النفسي هو الشرك بالله، لهذا الله عز وجل قال:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106)﴾

(سورة يوسف: 106)

مأمن، ويصلي، لكن زيد، وعبيد، وفلان، وعلان، موزع وآخر شيء.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106)﴾

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي، أما إني لست أقول إنكم تعبدون صنماً، ولا حجراً، ولكن شهوة خفية، وأعمال لغير الله))

الدرس (6-7) : تفسير الآيات 67 -68 -69 ، تعرف إلى الله في الرخاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية السابعة والستون، وما بعدها في سورة الإسراء وهي قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً (67) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً (69)﴾

هذه الآيات الثلاث، تعني أنه لا ضمانة لإنسان إلا بطاعة الله مهما يكن قوياً، مهما يكن ذكياً، مهما يأخذ الحيطة.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ﴾

المس ؛ أيام الإنسان يريد أن يفحص حرارة المكواة، يضع طرف إصبعه على لسانه ويمس المكواة مساً سريعاً بأقل مساحة من إصبعه، وبأقل وقت، وهناك لعاب ليمتص الحرارة، ومع ذلك لا يحتمل، هذا هو المس، يعني الله عز وجل يمس الإنسان، كريزة كلية يطلع من جلده الإنسان، تأتي دقائق، لو كان عذاب مستمر الإنسان لا يتحمل، إذا مس الإنسان عذاب من الله عز وجل، قد يكون عذاب نفسي، قد يكون عذاب مادي، قد يكون عذاب قهر، شيء لا يحتمل، قال:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾

الإنسان يراقب نفسه، في الأزمات يدعو من ؟ لا يدعو إلا الله طيب الأولى في الرخاء قال لك أن تدعو الله عز وجل، مادام في الأزمات لا تدعو إلا الله، فالعقل يأمرك ألا تدعو في الرخاء إلا الله لذلك:

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا غُلامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، فَقُلْتُ بَلَى فَقَالَ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ.))

[رواه أحمد]

الإنسان صدقه وقوة إيمانه لا تبدو في طلب العون من الله في الشدة، ما من مخلوق على وجه الأرض مهما يكن إيمانه ضعيفاً حتى لو كان ملحداً في ساعات الشدة يقول الله.

حدثني رجل يركب طائرة، فيها خبراء من بلاد لا تؤمن بوجود الله، فلما هبطت الطائرة مرتين أو ثلاثة في جيوب هوائية، ظنوا هؤلاء الخبراء أن هذه الطائرة سوف تحترق، وسوف تسقط، بدؤوا يرفعوا أيديهم إلى السماء ويدعون وهم ملحدون، الإنسان مهما كان ملحد الإلحاد عملية تزوير.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(24)﴾

(سورة الأنعام: 23. 24)

ما من مخلوق في الشدة إلا ويدعو الله عز وجل، لكن هذا الدعاء في الشدة لا يرفعك عند الله، أنت الآن مضطر، أنت الآن كونك عبد مقهور تدعو الله عز وجل، لكن إيمانك العظيم يأمرك أن تدعوه وأنت في الرخاء، وأنت معافى، وأنت صحيح، وأنت شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر، لك زوجة وأولاد، ولك بيت، عقلك برأسك، وملكاتك جيدة.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾

لا تظنوا الآية متعلقة بالبر والبحر، بكون في شبه التهاب سحايا للابن، يا رب، قيام ليل، وصلاة، وقراءة قرآن، وصدقة، أجري التحليل طلع ما في شيء، رجعنا على السهرات، ولعب الشدة يعني ليس شرط تدخل للبحر، وتطلع من البحر، تدخل بشدة وتخرج منها، الوفاء يقتضي إذا طلبته في الشدة، إذا دعوته في الشدة، إذا التجأت إليه في الشدة، الوفاء يقتضي أن تلتجئ إليه وأنت صحيح معافى، الحقيقة قوة إيمانك لا تبدو في الشدة، تبدو في الرخاء، قوة إيمانك تبدو وأنت بصحة، ما في عندك مشكلة، ما في عندك قضية مالية، ولا صحية ولا أسرية.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً (67)﴾

الموقف سيئ جداً، وأنت تحت سيف الشدة تقول يا الله، فإذا أزيح عنك هذا السيف تعود إلى ما أنت عليه.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾

وأنت على البر، وأنت في بيت عتيد، بيت من الإسمنت المسلح هل تضمن ألا ينهار هذا البيت ؟ مدن شاهقة ثلاثين طابق تحت الأرض باليابان، ومع ذلك سبعة ريختر أصبحت أنقاض، مدينة كوكي أصبحت أنقاض.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾

أشياء من السماء، صواعق، أو براكين.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾

أيام الله يستدرج، يخلق لك حاجة في بلد بعيد، وحجز طيران ما في تركب البحر، أنت لما كنت راكب بالبحر سابقاً والتجأت إلى الله فلما أتيت إلى البر نسيت الله عز وجل، الله قادر أن يستدرجك مرة ثانية إلى البحر، يعني مع الله ما في ذكي، ما في ذكي أبداً، لا ينفع ذا الجد منك الجد ؛ العقل يعني والذكاء، الله عز وجل قادر أن يستدرج الإنسان إلى البحر مرة ثانية، ويعيده في الظرف نفسه.

الآيات لها روح، روح الآيات، لا ضمانة للإنسان إطلاقاً إلا أن يكون مع الله، لا ملجأ من الله إلا إليه، واحد مرة قال كلمة: الدراهم مراهم ينحل بها كل شيء، هكذا اعتقاده، الله عز وجل ابتلاه بمصيبة لا يحلها ولا ألف مليون دولار، بقي في المنفرة ستة أشهر، تفضل حلها بالمال، هي الدراهم مراهم، ما في مع الله ذكي أبداً، ما في مع الله قوي، ما في مع الله إنسان عنده خبرة، إنسان آخذ احتياطات، يؤتى الحذر من مأمنه، لا ينفع حذر من قدر، ولكن ينفع الدعاء مما نزل ومما لم ينزل، فادعوا الله عباد الرحمن، لا ملجأ منك إلا إليك، يعني ما في طريقة أن تهرب من قضاء الله إلا أن تلتجئ إلا الله.

كان سيدنا علي رضي الله عنه يقول بالسفر: " **اللهم أنت الرفيق في السفر، والخليفة في الأهل، والمال، والولد** "، ممكن تكون موجود في السفر، ومع أهلك في الحضر ؟ مستحيل، إلا الله، فإذا إنسان دع بهذا الدعاء يشعر بطمأنينة، وأنت في السفر الله معك، وأهلك بالبيت الله معهم.

لذلك الآيات الثلاث على خلاف أن يكون البحر والبر، بعني وأنت في الشدة تدعو الله، هذا الدعاء أنا أقول لك جيد لكن لا ينفعك عند الله، لأن كل إنسان مقهور، وخائف يدعو الله عز وجل، بحكم الفطرة لكن متى يبدو إيمانك ؟ متى يبدو ورعك ؟ متى يبدو حبك لله عز وجل ؟ متى يبدو اتصالك به ؟ وأنت في الرخاء، لذلك الإنسان يجب أن يدعو الله في الرخاء كما يدعو في الشدة، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾

الإنسان أحياناً إذا معه مال يطمئن، هذه طمأنينة فارغة.

أنا مرة كنت عند طبيب قلبية، جاءه اتصال هاتفي، قال له دكتور قد ما بدك ندفع، قال لي سرطان من الدرجة الخامسة، قال له أي مكان في العالم ندفع بالملايين، أنا سمعت التلفون بأذني يدفعوا ملايين، وأي مكان في العالم.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11)﴾

(سورة الرعد: 11)

يعني الإنسان لا يصل مع الله لطريق مسدود، تصور واحد ارتكب جريمة قتل، وحكم عليه بالإعدام، والحكم صدق من رئيس الجمهورية، وسيق للمشنقة، الآن قبل أن يشنق بحب يبكي مثل بعضها بحب يضحك يضحك، بحب يترجى يترجى، بحب يدخن يدخن، بحب يطلب أهله يأتوا أهله، لكن لابد من أن ينعدم، بكون الإنسان مشي بطريق مسدود مع الله عز وجل، ارتكب عمل كبير استحق العقاب، أما المؤمن مذنب تواب، لا يصر على ذنب، لذلك:

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾

ما في مع الله ضمانة إلا أن تكون معه، تحط مصحف على السيارة، تحط حدوة حصان، تكتب الحسود لا يسود ما في ضمانة إلا أن تكون مستقيماً على أمر الله، إلا أن تكون مع الله كن مع الله ولا تبالي، كن مع الله ترى الله معك، واترك الكل وحاذر طمعك، وإذا أعطاك من يمنعه، ثم من يعطي إذا ما منعك. يعني أنا أردت من هذه الآيات الثلاثة أن ينطلق الإنسان إلى الله وهو في الرخاء، يصبح موقفه شريف، وهو في الرخاء يدعو الله، وهو في الرخاء يصلي، وهو في الرخاء يذكر الله عز وجل، إذا جاءت الشدة ودعا الله موقفه سليم، هو عرفه في الرخاء، وهذه هي الشدة، أما لا يعرف الله إلا تحت الشدة، هذا موقف عبد جمعه عبيد، أما العبد الذي جمعه العباد يعرف الله في الرخاء، قبل أن يعرفه في الشدة، والله عز وجل قادر، وإذا أراد ربك إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لب لبه.

واحد عنده كمية قماش كبيرة جداً، مطابقة مع بيان صحيح متطابقة مطابقة كاملة، مع بيان صحيح، وهو أخذها غير نظامية، فلما جاءه من يسأله عن أصل هذه البضاعة، قال له عندي منها عشرين ألف يرد، قال له أرينا إياهم، في المستودع في فرق بسيط جداً في البيان الصحيح، وهذه البضاعة، دفعوه كل ما يملك، لما الله يريد أن يؤدب إنسان يأخذ لبه، يرتكب حماقات عجيبة، بأي مهنة، بأي حرفة الضمانة أن تكون مع الله، أن تكون مستعيناً به، أن تكون على منهجه عندئذٍ يدافع عنك ويحفظك، لأن الله عز وجل قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)﴾

(سورة البقرة: 153)

والعلماء لهم في هذه الآية وقفة دقيقة جداً، قال هذه معية خاصة معية التوفيق، والتأييد، والنصر، والحفظ، أما إذا قال الله هو معكم أينما كنتم هذه معية عامة، الله مع الكافر بعلمه، لكن مع المؤمن بتأييده ونصره، وتوفيقه، والقانون معروف.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾

(سورة الليل: من 5 ـ إلى 9)

لا تقول لي أنا ذكي، وأنا خبير، وآخذ احتياط، يؤتى الحزر من مأمنه، لا ينفع ذا الجد منك الجد، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له، وإذا أراد ربك إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لب لبه، مع الله ما في ذكي، ما في خبير، ما في قوي، الله عز وجل قادر أن يستدرجك إلى حيث الخطر وأنت لا تدري.

قلت لكم إنسان مغتصب بيت، وسيارة اغتصاب، في قصة سابقة، أن واحد معه مرض خبيث، أمرته أمه أن يكتب البيت والسيارة لأخيه، خافت أن الزوجة تتزوج واحد غريب ويذهب المال، وهذا خلاف الشرع، وتوفيت الأم، وتوفي الأخ المريض بالسرطان، خلف زوجة وخمس أولاد، خلف لهم بيت وسيارة، لكن البيت كتب باسم أخيه والسيارة باسم أخيه، وهذا الأخ الثاني جاهل، اغتصب البيت، وطرد امرأة أخيه، وطرد أولاد أخيه، وأصبح له سنة بأعلى درجة من البحبوحة، بيت احتياط، وسيارة، فلت باص بالمهاجرين، وهو راكب نفس السيارة، وين ذكائه أصبح ؟ وذهبوا كلهم الزوجة والأولاد، مع الله ما في مزح أخوانا، كل ما كبر عقلك يزداد خشوعك، يزداد خوفك من الله، يزداد ورعك، يزداد استقامتك، الله ضربته قاسمة.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12)﴾

(سورة البروج: 12)

كلمة قاسية، تحدي، اغتصاب، عدوان، ظلم، عقوق والدين الله عز وجل ينتقم، فأردت من هذه الآيات، مع الله ما في ذكي، ولا قوي، ولا في خبير، ولا في إنسان آخذ احتياطات كافية، يعني أحياناً يكون المختص بأمراض القلب يصاب بجلطة، وآخذ كل الاحتياطات لأن هذا اختصاصه، يصاب ليؤدب، وإذا أراد ربك إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لب لبه، الله قال:

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾

يعني إذا واحد غني ومستغني عن الله، الله يتوهه، يعقد صفقة يخسر منها، يستدرجه، هو وخبرته، وذكائه، يخبره يفلس من صفقة.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً (69)﴾

الإنسان يأخذ احتياطات، ويتعرف إلى الله في الرخاء، أما إذا جاءت الشدة وتعرف إليه ما في مانع.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-7) : تفسير الآية 88 ، التقديم والتأخير في القرآن + معجزات القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية الثامنة والثمانون من سورة الإسراء، وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (88)﴾

مما يلفت النظر في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قدم الإنس على الجن، هذه أول ملاحظة.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)﴾

(سورة الرحمن: 33)

في هذه الآية قدمت الجن على الإنس، هذه الحالة الثانية.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)﴾

(سورة النور: 2)

الزانية مقدمة على الزاني.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38)﴾

(سورة المائدة: 38)

قدم السارق على السارقة.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾

(سورة الجمعة: 11)

قدمت التجارة على اللهو.

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)﴾

(سورة الجمعة: 11)

انعكست الآية.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112)﴾

(سورة الأنعام: 112)

قدم الإنس على الجن في الشياطين.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)﴾

(سورة النور: 30)

قدم غض البصر على حفظ الفرج.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾

(سورة التوبة: 24)

قدم الأب، في القربات قدم الأب.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)﴾

(سورة آل عمران: 14)

قدمت المرأة.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35)﴾

(سورة عبس: 34)

قدم الأخ.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11)﴾

(سورة المعارج: 11)

قدم الابن، مرة الابن، مرة الزوجة، مرة الأب، مرة الأخ، السارق قبل السارقة، والزانية قبل الزاني، والإنس قبل الجن في موضع، والجن قبل الإنس في موضع، واللهو قبل التجارة في موضع والتجارة قبل اللهو، يا ترى في علاقة بين ترتيب هذه الكلمات بعضها في بعض ؟ هل يستنبط من الترتيب حكم شرعي ؟ هل يستنبط من الترتيب معنى في القرآن الكريم ؟ لو أنه كلام البشر لا يستنبط، مرة قال إنس، مرة قال جن، إذا كان هذا

كلام بشر، أما إذا كان هذا الكلام كلام خالق البشر في معنى دقيق، قدمت الزانية على الزاني لأن المرأة أقدر على الزنى من الرجل، لأنها هي السبب، هي تتبذل في ثيابها، تتمختر في مشيتها، تخضع بالقول في لسانها، فيطمع بها الزاني، فقدمت الزانية على الزاني لأنها هي السبب، لكن الرجل أقدر على السرقة من المرأة، في خرق السماوات والأرض قدم الجن.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)﴾

أما في صياغة الكلام.

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (88)﴾

إذاً في معرض صياغة الكلام والبلاغة، الإنس قدموا على الجن، في معرض خرق السماوات والأرض الجن قدمت على الإنس، في معرض الزنى قدمت المرأة، في معرض السرقة قدم الرجل، في مناسبة الاعتزاز الاجتماعي قدم الأب، أنا ابن فلان.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)﴾

في معرض الشهوة قدمت المرأة.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾

في معرض الاستعانة، الإنسان والده كبير، ووالدته كبيرة وابنه صغير، بمن يستعين الإنسان بأخيه.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35)﴾

في معرض الفداء الابن أغلى شيء.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11)﴾

إذاً في موضع الفداء الابن، موضع الاستعانة الأخ، موضع الشهوة المرأة، موضع الاعتزاز الأب، بخرق السماوات والأرض الجن بصياغة الكلام الإنس، بالزنى المرأة، بالسرقة الرجل.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾

لا لهو بلا تجارة، اللهو يحتاج إلى مال وفير، والتجارة سبب جمع المال.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً﴾

أما الإنسان إذا ترك صلاة الجمعة لعلة التجارة أقل إثماً مما لو تركها لعلة اللهو.

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾

معنى ذلك فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه، إذا قرأت القرآن ينبغي أن تعلم أن كل حرف له معنى.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

(سورة البقرة: 286)

كسب غير اكتسب، في عندنا قاعدة في اللغة أن كل زيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى، فالسين غير سوف، السين للمستقبل القريب، أما سوف للمستقبل البعيد، كل زيادة في المبنى، تقابلها زيادة في المعنى.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

الإنسان لمجرد أن ينبعث للعمل الصالح سجل له، أما إذا انبعث إلى عمل سيئ لا يسجل له إلا بعد أن يصر عليه، وبعد أن يفتخر به، وبعد أن لا يتوب منه، لم يتوب واستمر، وأصر، وافتخر به، عندئذٍ يسجل، فالفعل اكتسب يعني صار في إصرار، صار في تأكيد.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17)﴾

(سورة الأنعام: 17)

الخير مراد، أما الشر غير مراد، الإنسان أيام يعالج ابنه بدواء مر ويبكي الابن، لكن الأب ليس من مراده إزعاج ابنه، لكنه مضطر إلى هذا الدواء، فقال:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾

أما الخير مراد من الله عز وجل، ما قال لك وإن يمسسك بخير.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17)﴾

الخير مراد، أما الشر غير مراداً.

في آية أخرى:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً (85)﴾

(سورة النساء: 85)

النصيب غير الكفل، النصيب إيجابي فيه عطاء، لك حصة، أما هنا أنت متحمل مسئولية، أنت كفيله، كل إنسان دل على معصية يتحمل مثل إثم من عصى.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾

لو قرأنا القرآن الكريم بهذه الدقة، زيادة حرف تعني شيء، نقصان حرف.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً (80)﴾

(سورة الإسراء: 80)

مدخل غير مُدخل، المدخل اسم مكان من أدخل.

﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾

الله هو الفعال.

﴿وَأَخْرِجْنِي﴾

والمخرج اسم مكان من أخرج، أما خرج مخرج، ودخل مدخل، لكن أدخل مدخل، وأخرج مخرج، لأن هذا الكلام كلام خالق الكون، ينبغي أن نقف عند كل جملة، وعند كل كلمة وعند كل حرف، وعند كل حركة، الله قال:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(23)﴾

(سورة يوسف: 23)

غلقت غير غلّقت، غلق الباب يعني جعله مغلق، أما غلّقه يعني أرتجه.

﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾

أردت من هذه الإشارات إلى أن يعرف الإنسان أن في هذا القرآن إعجازاً، أحياناً كلمة واحدة، أحياناً شدة، أحياناً حركة، مثلاً:

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾

(سورة التوبة: 40)

القرآن.

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾

أنت بحسب اللغة.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾

يا لطيف، لو أنك قلت كلمة لصار المعنى فاسداً، والمعنى لا يليق بحضرة الله عز وجل، لأن:

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾

يعني كانت عليا فجعلها سفلى.

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾

يعني كانت سفلى فجعلها عليا!! أعوذ بالله، أما القرآن.

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾

دائماً، وقف.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾

وقف.

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾

على الاستئناف، يعني كلمة الله هي العليا دائماً.

آيات كثيرة جداً يمكن أن نستنبط منها أحكام دقيقة من حركة، من تقديم، من تأخير مثلاً:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

قدم غض البصر على حفظ الفرج، لأن غض البصر طريق حفظ الفرج، إذا الإنسان أطلق بصره ربما وقع في الفاحشة الكبيرة ربما، لأن النظر سبب أساسي للفاحشة، فإذا غض الإنسان بصره حفظ نفسه من الفاحشة، فكان حفظ الفرج سببه غض البصر.

أيها الأخوة الكرام:

جدير بنا أن نقف عند دقائق القرآن الكريم كلمةً كلمة، وحركةً حركة.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)﴾

(سورة فاطر: 28)

الله عز وجل بالمعنى الظاهر بدون إعراض، الله هو الفاعل، أما:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

العلماء فاعل مؤخر، هذا هو المعنى، أحياناً في إشارات أيضاً في كتاب الله، من هذا القبيل.

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾

(سورة الأعراف: 172)

لو أنهم قالوا نعم لكفروا، إذا قلنا نعم، يعني نعم لست ربنا، أما إذا قلنا بلى، يعني أنت ربنا، نفي النفي إثبات، أما إذا قلت نعم أثبت النفي، نفيت النفي فأنت تثبت، أيضاً شيء دقيق جداً في كلام الله عز وجل، لذلك يجب أن نقف عند هذه اللفتات، هي لفتات لغوية، لأن الله عز وجل قال:

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآَناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3)﴾

(سورة الزخرف: 3)

وقال:

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)﴾

(سورة الشعراء: 195)

إذاً هذا القرآن الكريم أحد شروطه، ما أقول كل شروطه، أحد شروطه أن تكون متمكناً من هذه اللغة التي شرفها الله بأن جعل كلامه بها.

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (88)﴾

الآن معنى هذه الآية ؛ أخوانا الكرام في عندنا أشياء ثلاثة، لابد من أن يكون الإيمان بها عقلياً في عندنا أشياء أخرى يكون الإيمان بها تصديقياً، الإيمان بالله خالقاً، ورباً، ومسيراً، الإيمان بالله موجوداً، وواحداً، وكاملاً، الإيمان بأسمائه الحسنى من خلال النظر في خلق السماوات والأرض، هذا لا يكون إلا عن طريق العقل.

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68)﴾

(سورة يس: 68)

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (155)﴾

(سورة الصافات: 155)

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50)﴾

(سورة الأنعام: 50)

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة آل عمران: 190)

أولاً: الإيمان بالله موجوداً، وواحداً، وكاملاً، وخالقاً، ورباً ومسيراً، الإيمان بأسمائه الحسنة، يحتاج إلى تفكر في خلق السماوات والأرض.

ثانياً: أما الإيمان بكتابه أيضاً يحتاج إلى إعمال عقلٍ فيه، لأن فيه إعجازاً، ممكن القرآن يقول غلبت الروم في أدنى الأرض، هل كان أحد يعلم في عهد النبي، أن أخفض نقطة على الإطلاق في الأرض بالقياس بالليزر في غور فلسطين ؟ وهذه المعركة جرت في غور فلسطين، هذا إعجاز علمي.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)﴾

(سورة النمل: 88)

من كان يعلم أن الأرض تدور، سرعة الجبل عند خط الاستواء 1500 كيلو متر بالساعة، أسرع من طائرة الكون كورد.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾

هذا في دورتها حول نفسها، أما في مسيرها حول الشمس كل ثانية ثلاثين كيلو متر، إعجاز.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)﴾

(سورة الحج: 27)

ما قال بعيد، قال عميق، والله بعيد أوضح ! لا قال عميق الأرض كره معناها، كلما ابتعدت عن نقطة صار في عمق، العمق أبلغ من العمق في الكرة، في آيات كثيرة جداً تؤكد أن هذا القرآن ليس كلام البشر، إذاً ما السبيل إلى الإيمان أن هذا القرآن كلام الله ؟ إعجازه إعجاز علمي . إعجاز تشريعي . إعجاز غيبي . غيب الماضي، غيب الحاضر، غيب المستقبل، إعجاز بلاغي، إعجاز تربوي، كل شيء فيه.

الشيء الثالث: الذي جاء بهذا الكتاب المعجز من هو ؟ رسول الله، إذاً بالعقل نؤمن بوجود الله، وكماله، ووحدانيته، وبكلامه. وبرسالة رسوله، وانتهى دور العقل، وجاء دور النقل، الله قال لك:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾

(سورة المائدة: 3)

انتهى حرام، تحب أن تفهم الحكمة ما في مانع، لكنها حرام قولاً واحداً، الخنزير حرام، فلإنسان له دور في الإيمان بعقله، وله دور في التلقي عن الله عز وجل، فبعد أن آمنت بالله، ورسوله، وقرآنه بعقلك الآن ينتهي دور العقل، ويبدأ دور التصديق، فلإنسان إذا أعمل عقله في النقل ممحصاً فقد أعلن عن شكه بهذا النقل، في أشياء للتصديق، في أشياء للتحقيق.

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (88)﴾

الحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : تفسير سورة الكهف

الدرس (6-1) : تفسير الآيات : 9 – 16 ، الهدف من القصة في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

كلما مرت بكم قصة في كتاب الله عز وجل، يجب أن تعلموا علم اليقين، أن هذه ليست بقصة كما نتوهم، إنما هي حقائق، وقواعد صيغت على شكل حوادث، وحوارات، فالله سبحانه وتعالى أراد من هذه القصة أن نستنبط منها القوانين، أوضح لكم هذا بمثل من غير قصة سيدنا يونس حينما وقع في البحر، ودخل في بطن الحوت، وكان في ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل.

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ(88)﴾

(سورة الأنبياء: 87 . 88)

هذه هي القصة، لكن الله سبحانه وتعالى أرادها أن تكون قانوناً قال:

﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

يعني أي مؤمن إلى آخر الدوران، إذا نادنا، داعياً، منيباً، ملتجأ وعقد الأمل علينا، وأخلص في دعائه وتاب من ذنبه، ننجيه، الله سبحانه وتعالى ما أراد أن يحكي لنا قصة هذا النبي الكريم لنستمتع بها كبداية، وعقدة، ونهاية، وحوادث وحوار، وتحليل شخصية، ورسم شخصيات، لا، أراد أن تكون هذه القصة حقيقةً على شكل قصة، لذلك كلما قرأنا قصة في كتاب الله ينبغي أن نستنبط منها القواعد، والقوانين التي توعيننا على التحرك وفق منهج الله عز وجل.

ننتقل اليوم إلى سورة الكهف، الآية التاسعة وما بعدها، هؤلاء الفتية الذين لجئوا إلى الله عز وجل.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً (10) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً (12) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13)﴾

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً (14) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً (15) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً (16)﴾

وقد يسأل سائل أين الكهف حتى نؤوي إليه، بيتك هو الكهف، ومسجدك هو الكهف، وكلما اعتزلت الفسق والفجور فأنت في كهف وورد في الحديث القدسي، ودققوا في هذا الحديث أن عبادة الله في الهرج ؛ في زمن الفتن، هجرة إلي، عبادة الله في الهرج ؛ والهرج كثرة الفتن، هجرة إلي، فإذا أردنا أن نأخذ موقفاً عملياً من هذه القصة الذي أتمنى على الله عز وجل أن كل مؤمن إذا قرأ قصة، أو قرأ آية يجب أن ينطلق من الفائدة العملية بالنسبة إليه، أنا ماذا يعنيني أن هؤلاء الفتية آووا إلى الكهف ؟ يعنيني أنني إذا كنت في زمن الفتن، ونساء كاسيات، عاريات، واختلاط، وفجور، وكذب، وغيبة، ونميمة، وما إلى ذلك، وكسب مال حرام، هذا المجتمع الجاهل المنقطع عن الله عز وجل، علي أن أنسحب منه لأكون مع مجتمع مؤمن، فلذلك ربنا عز وجل يقول:

﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾

عطاء الله كله بأنواعه المتنوعة، من صحة، إلى طمأنينة، إلى أمن شعور بالأمن، إلى مكانة، إلى سعادة زوجية، إلى علاقة بأولاد أبرار، إلى تجلي يلقى في قلبك فيبعث في نفسك السعادة، عطاء الله كله مختصر كل في كلمة، " **رحمة** ".

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)﴾

(سورة هود: 119)

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (157)﴾

(سورة آل عمران: 157)

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)﴾

(سورة الحجرات: 10)

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآَنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (78) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً (79)﴾

(سورة الإسراء: 78)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)﴾

(سورة الحج: 77)

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾

(سورة الزخرف: 32)

يبدو من آيات كثيرة تزيد عن مأتيين آية، أن طاعتك، واستقامتك، وصلاتك، وصيامك، وحجك، وزكاتك، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وتربية أولادك، أن كل أمر تأتمر به سواء كان تعبدياً، أو أمراً تعاملياً، من أجل أن تتصل بالله، فإذا اتصلت بالله يرحمك، يرحمك بسعادة نفسية، وتوفيق، ونصر، وتأييد وما إلى ذلك، إذاً:

﴿وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (157)﴾

(سورة آل عمران)

لو جمعت الملايين المملينة رحمة ربك خير، لو بلغت أعلى مراتب الدنيا، رحمة ربك خير، إذاً أنت مخلوق لرحمة الله، فإذا أويت إلى الكهف، أويت إلى مكان طاهر، إلى مكان نظيف، إلى أخوة كرام، إلى مجلس علم، إلى فهم كتاب، إلى فهم سنة، أنت أويت إلى الكهف، إذا جلست في بيتك بعيداً عن المعاصي والآثام، وتلوت القرآن فأنت في كهف، ورحمة الله لا تكون إلا إذا أويت إلى الله، إما في بيتك، وإما في مسجدك.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آَيَاتِنَا عَجَباً (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾

لما كان النبي يدخل المسجد ماذا يقول ؟ كان يقول: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، معنى أنت إذا دخلت إلى بيت الله من أجل أن تصلي أو من أجل أن تتلو كتاب الله، أو من أجل أن تستمع إلى مجلس علم، أنت أويت إلى رحمة الله، فكان عليه الصلاة والسلام إذا خرج من المسجد يقول: اللهم افتح لي أبواب فضلك، أنت بين حالين لا ثالث لهما إما أنك في بيت الله تتلقى رحمة الله، وإما أنك خارج بيت الله تفعل خير، الإنسان الراقي إما أنه في بيت من بيوت الله يتلقى رحمة الله، وإما هو في الحياة العامة يخدم الناس، حتى إذا جاء أجله كان من السعداء، قال:

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) ﴾

الهدى أربع أنواع، من أنواعه:

الهداية الأولى: أن الله سبحانه وتعالى أعطاك هداية عامة، أعطاك عين ترى بها، أعطاك أذن، أعطاك دماغ كي تفكر، أعطاك إحساس، أعطاك حاسة شم، أعطاك حاسة نطق، سمح للإنسان أن يتكلم، أعطاك قدرة فهم، هذا هو الهدى العام، الفاكهة لها لون تنضج به، إذا نضجت هناك لون يدل على نضجها، هذه علامة، إذا الإنسان عنده التهاب بأمعائه في حرارة، إذا في عنده ضيق في شرايينه في وجع رأس، فكل ظاهرة في

الجسم يقابلها علامة، والعلامة هداية، العنب حتى يسود، الحنطة حتى تشتد، كل فاكهة، وكل محصول له علامة نضج، وكل تبدل في جسم الإنسان له علامة، لولا هذه العلامات لما أمكن لهذا الطبيب أن يعالج مريضاً، هذه هداية العامة أعطاك حواس، وعمل للأشياء علامات، أعطاك حواس، وأعطاك فكر، وخلق لكل حواس علامة، هذه هداية عامة.

الهداية الثانية: هداية الوحي، أوحى الله إلى نبيه هذا الكتاب هذه هداية، خطاب السماء إلى الأرض.

الهداية الثالثة: أنك إذا قبلت هذه الهداية مبدئياً فالله سبحانه وتعالى يتولى شؤونك من مرتبة إلى مرتبة، ومن منزلة إلى منزلة .

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) ﴾

هذه هداية التوفيق، يا رب دلني بك عليك، الله جمعك مع أهل الحق، يا رب استخدمني في الخير الله أعطاك مال وقال لك افعل خير أنت أردت من الله أن يكون لك عمل صالح جعل حوائج الناس عندك هذه هداية التوفيق، هداية عامة وهداية الوحي، وهداية التوفيق.

الهداية الرابعة: هداية الجنة.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)﴾

(سورة محمد: 5)

إذاً: هداية عامة، هداية الوحي، هداية التوفيق، هداية الجنة.

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) ﴾

معنى ذلك أن العبد إذا تقرب إلى الله شبراً، تقرب الله منه ذراعاً وإذا تقرب العبد من الله ذراعاً تقرب الله منه باعاً، وإذا أتيت ربك مشياً أتاك الله هرولةً، يعني إذا فيك ذرة خير الله ينميها، يشجعك، يوفقك يتجلى على قلبك، ييسر لك أمورك، من أجل أن تقترب منه، لا كما يفهم عامة الناس، أن الله كاتب عليه الشقاء من الأزل، وانتهى الأمر، قد ما حاول ما في خواص، باصات معدودة، بأماكن محدودة، هذا كل هذا الكلام خلط، هذا كلام شياطين الله عز وجل أرادك أن تكون مؤمناً، ثم يقول الله عز وجل:

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾

إذا عبد غير الله يجب أن تعتزل هؤلاء أما إذا عبدوا الله ينبغي أن تكون معهم، لذلك القاعدة: الوحدة خير من الجليس السوء، لكن الجليس الصالح خير من الوحدة، يعني أنت يفضل مليون مرة أن تبقى في بيتك عن مكان فيه اختلاط، أو فيه غيبة، أو فيه نميمة، أو فيه فسق، أو فيه فجور، أو فيه لعب نرد مثلاً، أو فيه

عمل لا يرضي الله، وأفضل ألف مرة أن تكون في مسجد تستمع إلى مجلس علم من أن تبقى وحدك في البيت، الجليس الصالح خير من الوحدة، لكن الوحدة خير من الجليس السوء.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾

أما:

﴿إِلَّا اللَّهَ﴾

لو أنهم عبدوا غير الله يجب أن تعتزلوا.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً (16)﴾

معناها الإنسان كل يوم يكون له جلسة مع الله تسميها كهف في غرفة الضيوف، بزاوية بالمسجد بعد صلاة الفجر، إما أن تذكر الله وإما أن تسبحه، وإما أن تتلو القرآن، وإما أن تتفكر في ملكوت السماوات والأرض، وإما أن تدعوه، والأفضل أن تجمع بينها جميعاً فقرة دعاء، وفقرة تفكر، وفقرة ذكر، وفقرة تلاوة قرآن.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (78)﴾

(سورة الإسراء: 78)

هذه الجلسة الصباحية هي الكهف، وهي التي يهيئ من خلالها أن يلقي الله بقلبك رحمته.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً (16)﴾

الملخص: أن الإنسان عليه أن يكون مع المؤمنين، أن يكون معهم، أن يطلب العلم معهم، أن يستشير من يثق بدينه، في أمر دنياه وعندك آيتين، الأولى:

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً (59)﴾

(سورة الفرقان: 59)

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7)﴾

(سورة الأنبياء: 7)

قضية متعلقة بالدنيا اسأل أهل الخبرة من المؤمنين، إذا استشرت الرجال استعرت عقولهم، أما إذا القضية متعلقة بالآخرة.

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً (59)﴾

اسأل إنسان تثق بعلمه وإخلاصه، من أجل أن لا تكون وحدك بالحياة، من أجل أن لا تقع ضحية جهل فاضح، الواحد أحياناً يلاقي قنبلة يا ترى منزوعة الفتيل أم لم تكن منزوعة الفتيل ؟ سأختبرها بنفسي هذه مشكلة كبيرة، يزوج أن تطلع قنبلة، وتنفجر، ما عاد في بالحياة ثانية تستفيد من هذا الدرس، أما اسأل خبير، يأتوا خبراء ألغام، إذا كان في معركة سابقة، في بقايا ألغام يأتون بخبراء ألغام، والخبير يعرف، فالإنسان عليه أن يسأل، ومفتاح العلم السؤال، و إذا استشرت الرجال استعرت عقولهم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-6) : تفسير الآية 22 ، لا تسأل عن أشياء سكت عنها المشرع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

في سورة الكهف آية في حد ذاتها تنصب على معناً جزئي من معاني هذه السورة، إلا أنه يقاس عليها أشياء كثيرة، يقول الله عز وجل:

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (22) ﴾

طيب يا رب لما لم تذكر كم هم بالضبط ؟ ما ذكر الله عز وجل ذكر اختلاف الأقوال في عددهم، ولم يذكر العدد، الحقيقة هذا الموضوع يقودنا إلى موضوع دقيق جداً، الموضوع الدقيق أن الإنسان له حواس خمس، وفي أمامه واقع، فهذا الواقع الذي أمامه، أداة إدراكه الحواس الخمس، الشيء الذي له صوت يسمع بالأذن، الذي له رائحة يشم بالأنف، الذي له ملمس يلمس بالجلد، الذي له صورة يرى بالعين، الشيء التي ظهرت عينه، الشيء له حيز، له وزن، له طول له عرض، له ارتفاع، له لون، سبيل إدراكه الحواس الخمس، هذا اسمه اليقين الحسي، الآن الشيء غابت ذاته، وبقيت آثاره، نحن جميعاً نوقن يقيناً قطعياً أن في هذا المسجد كهرباء، مع أننا جميعاً لا نراها ولا نستطيع أن نراها، لكن نرى المصابيح متألقة، نرى تكبير الصوت في الصيف نسمع صوت المكيف، صوت المكيف مع برودته، وتكبير الصوت، وتألق المصابيح، دليل قطعي على وجود الكهرباء، مع أننا لم نراها، الكهرباء غابت عينها، بقيت آثارها، مثل الأداة المكلفة باكتشاف ما وراء الآثار، هو العقل، لذلك الإيمان بالله عز وجل لا عن طريق الحواس، لقوله تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)﴾

(سورة الأنعام: 103)

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾

(سورة الغاشية: 17)

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68)﴾

(سورة يس: 68)

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101)﴾

(سورة يونس: 101)

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24)﴾

(سورة عبس: 24)

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5)﴾

(سورة الطارق: 5)

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)﴾

(سورة يوسف: 105)

الله سبحانه وتعالى سبيل معرفته الوحيد عن طريق العقل من خلال الكون، هذا اسمه الاستدلال، هذا اسمه اليقين الاستدلالي، وكذلك الإيمان بالأنبياء، وكذلك الإيمان بالقرآن، القرآن من خلال إعجازه والأنبياء من خلال الكتب السماوية، والله من خلال الكون، لكن الآن دققوا، إذا غابت عين الشيء، وغابت آثاره معاً، عين الشيء نراها بالحواس، وإذا غابت عينه، وبقيت آثاره نرى الشيء بالعقل، أما إذا غابت عنا عين الشيء وآثاره، الجن، الملائكة، اليوم الآخر، الماضي السحيق، المستقبل البعيد، هذه الموضوعات لا سبيل إلى معرفتها إلا بالخبر الصادق، أكبر أخطاء المسلمين أن موضوعاً ينبغي أن يسلم له لله عز وجل يحكمون عقولهم فيه، وأن موضوعاً ينبغي أن تفكر فيه تسلم تسليماً.

لذلك النبي الكريم يقول:

((تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا))

تقريباً للتقريب، بقالية فيها عشرة آلاف صنف، في ميزان حساس إلكتروني مع ذاكرة، غالي كثير، هذا الميزان على أنه غالي الثمن، وحساس جداً، وفيه ميزات كبيرة، إلا أن طاقته من خمسين غرام، إلى خمسين كيلو، فإذا أردت أن تزين به سيارتك تكسره، هذا الميزان لم يصنع من أجل سيارتك، هذا صنع من أجل هذه البقالية، فإذا استخدمته ضمن هذه الشروط يؤدي أعلى النتائج.

فكل إنسان حكم عقله في ذات الله يهلك، أخي أنا إذا ما في دليل قطعي على الملائكة لا أؤمن، ما في دليل قطعي، الإيمان بالملائكة إيمان إخباري، إذا أمنت بالله إيماناً يقينياً بوجوده، وأمنت بنبيه، وأمنت بكلامه، القرآن أخبرك أن هناك ملائكة، الإيمان بالملائكة إيمان تصديقي، أما الإيمان بالله إيمان تحقيقي، أيام الإنسان من جهله يريد إيمان تحقيقي على الإيمان بالملائكة، وعلى الإيمان بالله يقول لك على الفطرة، يجب أن تطالب نفسك بالدليل التحقيقي على وجود الله، وعلى ربوبيته، وعلى ألوهيته، وعلى أسمائه الحسنى، وعلى وحدانيته، وأن تسلم فيما أخبرك به.

الآن لما ربنا عز وجل يذكر لنا بعض القصص في كتاب الله، الآن دققوا، ذكر معلومات محددة، مثلاً، أغفل اسم فلان، أغفل المكان، أغفل الزمان، أغفل التفصيلات، نحن بخطأ منا فاحش نسعى جهدنا لمعرفة الأسماء، والأمكنة، والأزمنة، والتفاصيل، وماذا حصل بعد ذلك، يا ترى يوسف تزوجها أم لم يتزوجها لامرأة العزيز ؟ وماذا اسمها إزديخا فعلاً ؟ لما الإنسان يطلب تفاصيل، وجزئيات، وأسماء وأماكن، وأزمنة، ما ذكرها الله إطلاقاً، هذا الإنسان يرد أن يفسد على الله حكمته، لأن الله عز وجل أراد من هذه القصة أن تكون نموذج متكرر، أنت أردتها أن تكون قصةً، وتاريخاً، والآية دقيقة جداً في نقطة أحب أن تكون واضحة عندكم، النبي قال مثلاً:

((تجب الزكاة بالقمح، والشعير، والتمر، والزبيب))

فقط، ويلي عنده مزرعة كرز و مضمنها بمليون ليرة، قال ما عليها زكاة ! يلي عنده مزرعة تفاح ويلي زارع الفريز مثلاً، في أشياء غالية جداً قال ما عليها زكاة ! من قال لك ذلك ؟ العلماء قالوا: تجب الزكاة في علتها لا في عينها، ما علتها ؟ أنها محصول ثمين، لما الله عز وجل ذكر هذه القصة تقيس عليها مليون موضوع، لا تطلب تفاصيل، الله ما ذكرها.

عني قلت أنا لو أستاذ جامعة أراد أن يبين للطلاب عوامل نجاح التجارة، قال: لي صديق اشترى محل في مكان مزدحم، واشترى بضاعة أساسية في حياة المواطن، غذاء مثلاً، اختار أفضل الأنواع، وضع سعر معتدل، ما دين، كان طيب المعاملة، هذه عوامل نجاح التجارة، الأستاذ لأنه بليغ وأديب، صاغ هذه العوامل على شكل قصة، قام طالب ورفع إصبعه قال له أستاذ هذا صاحبك أبيض لما أسمر ؟ معناه لم يفهم الدرس بالمرة طويل لما قصير ؟ ما اسمه ؟ في أي سوق محله، كل هذه الأسئلة ليست مقصودة، مغزى القصة أن عوامل نجاح التجارة مكان فيه ازدحام، البضاعة أساسية، النوع جيد، السعر معتدل لا تدين، وأن تكون طيب المعاملة، هذا النجاح.

لا تفسد على الله حكمته، لا تطلب تفاصيل أهل الكهف.

﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13)﴾

أهل الكهف اعتزلوا مجتمعهم المنحرف، أنت اعتكف في بيتك، وفي مسجدك، ودع الأماكن الموبوءة، هذا المغزى من القصة، لا تقول كم واحد كانوا ؟ ربنا عز وجل ما أراد أن يجيب عن هذا، لأن قال كلمة هم سبعة، وانتهى الأمر، لا لم يقول لك قال:

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (22)﴾

أخي من هو ذو القرنين ؟ لا أعرف ؟ يا ترى اسكندر المخزومي ؟ لا أعرف، بأي بلاد ظهر ؟ بما وراء النهر ؟ لا أعرف والله، ولا أريد أن أعرف، لأن الله عز وجل ما أرادني أن أبحث بالتفاصيل التي لا تعنيني، أما أرادني أن أستنبط من هذه القصة أنه يمكن أن يكون هناك ملك، وله عند الله مكان رفيع جداً لعدالته وإحسانه، هذا المغزى.

لذلك نحن في عندنا في حياتنا الآن يقين حسي، يقين استدلالي يقين إخباري، إذا قضية مع اليقين الإخباري، لا تنقلها إلى اليقين العقلي دعها في اليقين الإخباري، اكتفي بما قاله الله عز وجل، لذلك قالوا العلماء: أية زيادة على الخبر الصادق، فهي زيادة ظنية، أخي أهل الجنة كيف يعيشون ؟ لا نعرف، لا نقول إلا ما قاله الله عز وجل.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْئُولاً (16)﴾

(سورة الفرقان: 16)

يتغوضون ؟ لا أعرف معناها، لا يأكلون ! طيب قال الله يأكلون ! الجنة لها نظام آخر، غير نظامنا، نظام آخر مستقل.

في ساعة يسمونها بيانية، وساعة عقارب، أستاذ هذه الإلكترونية ما لها أسنان ؟ نظام ثاني هذا، ما في أسنان هنا، طيب كيف بدون أسنان ؟ ما لها محاور، لا، هذه نظام إلكتروني، هذه لوحة كريستال هذا موضوع ثاني.

الجنة موضوع ثاني غير موضوعنا، لا تنقل موضوع لموضوع لا تدخل موضوع بموضوع، موضوع الإخباري دعه إخباري موضوع العقلي دعه عقلي، الحسي دعه حسي، أما لما الإنسان ينقل موضوع لموضوع يقع بإشكال وهذه الآية من أدق ما يكون، أنت اكتفي بما قاله الله عز وجل، اسكت عما سكت عنه الله، وابحث فيما أمرك الله أن تبحث به، قال لك:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾

(سورة آل عمران: . 190 .191)

قال لك فكر بالمخلوقات، فكر بها، بالذات لا تفكر، تجن، مثل ورقة سيجارة سنضعها في فرن صهر الحديد، أخي شو صار بها، من الوهج تبخرت، انتهت من الوهج.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)﴾

(سورة الأعراف: 143)

لا تقرب على ذات الله، لا تطلب الغيوب الثلاثة، الماضي والمستقبل، والحاضر، لا تطلب تفاصيل، يلي الله ذكره اكتفي به، هذا هو الإيمان، والصحابة الكرام رضي الله عنهم بلغوا أعلى المراتب دون أن يقحموا أنفسهم بموضوعات نهاهم الله عنها، الدين عقدنا ! لا نحن عقدنا الدين، الدين واضح، والدين عملي، الدين مثل الهواء للإنسان، نحن عقدناه وعملنا الهواء مقنن، الأمور بسيطة جداً، قول أمنت بالله ثم استقم، قال له عظني ولا تطول قال له:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7)﴾

نحن عندنا مائة صفحة، وعندنا تفاسير وخطب وأشرطة، وكتب، قال له كفيت وقال النبي فقه الرجل، بدوي تكفيه آية واحدة بالقرآن الكريم، والنبي يقول فقه الرجل، ما قال فقيه، قال فقه، يعني صار فقيهاً وبآية واحدة ونحن نقرأ القرآن كله وتفسيره، وأراء العلماء، والكاسيت، والخطب، ما بدها عيّ الشغلة، بدها استقامة، وبدها إخلاص، وبدها تقرب إلى الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-6) : تفسير الآية 27 ، قوانين القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

في سورة الكهف آية كريمة رقمها سبعة وعشرون، يقول الله عز وجل:

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (27) ﴾

كلمات الله عز وجل في أرجح الأقوال هي سننه، وبالتعبير المعاصر ؛ القوانين التي يعامل الله بها عباده، وحينما نقرأ القرآن الكريم ينبغي أن نفهمه، وينبغي أن نتدبره، والتدبر أن تدرس هذا القرآن الكريم دراسة نوعية، هناك آيات أمر، وهناك آيات نهي، وهناك آيات وعد، وهناك آيات وعيد، وهناك وصف للجنة، وهناك وصف للنار، وهناك غيب الماضي، وهناك غيب الحاضر، وهناك غيب المستقبل، وهناك قصص الأنبياء السابقين، وهناك حلال، وهناك حرام، وهناك قوانين، حبذا لو أن المؤمن وهو يقرأ القرآن يكتشف هذه القوانين، أو حبذا أن تقرأ القرآن مرتين، مرةً قراءةً تعبديةً تتلوه، ومرةً قراءة تدبر تقف عند آياته آيةً آية، فهذه الآية:

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾

ما هذه الكلمات ؟ مثلاً:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)﴾

(سورة يوسف: 52)

هذا قانون، أية خيانة على وجه الأرض لا بد من أن يفضها الله عز وجل في أي موضوع، وفي أي زمان، وفي أي مكان.

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33)﴾

(سورة يونس: 33)

الفاسق لا يؤمن.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)﴾

(سورة النحل: 97)

قانون.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

(سورة طه: 124)

قانون.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (151)﴾

(سورة آل عمران: 151)

قانون.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61)﴾

(سورة الزمر: 61)

المتقي يفوز، وينجو دائماً، قانون.

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ(88)﴾

(سورة الأنبياء: . 87 . 88)

قانون.

آيات كثيرة جداً، لكن المطلوب أنك إذا قرأت القرآن أن تكتشف هذه القوانين، وحبذا لو تكتبها، هذه المدارسة، هذا التدبر، إذا في عندك مجموعة قوانين من قبل خالق الكون.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39)﴾

(سورة سباء: 39)

قانون.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً (142)﴾

(سورة النساء: 142)

أية مخادعة لله تعود على الإنسان.

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾

(سورة الفتح: 10)

قانون، ممكن أن نستنبط القوانين، الحقيقة قد تكون صياغة، صيغتها شرط، من يفعل كذا يلقى كذا، صياغة شرطية.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً (36)﴾

(سورة الأحزاب: 36)

قانون، بمجرد أن تضع قضية بث فيها الشرع الله عز وجل قضى فيها حكمه على بساط البحث فأنت لست مؤمناً، لمجرد، يعني إذا الله حرم شيء خلص حرام، هذه قانون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19)﴾

(سورة النور: 19)

ما فعل شيء، ما تكلم، فقط أراد أن تشيع الفاحشة في الذين أمنوا وضع نفسه مع المنافقين، لا أريد أن أستقصي، لكن ذكرت بعض الأمثلة، حبذا لو أننا قرأنا بعض الآيات، وتفهمناها، وكتبناها على دفتر خاص، وتأملنا بها، فهذه القوانين التي يتعامل الله بها معنا، الله عز وجل يتعامل مع عباده وفق سنن، ممكن نسميها سنن، ممكن نسميها قوانين، القرآن سماها كلمات.

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (27)﴾

يعني زوال الكون أهون من أن يبدل قانون الله عز وجل، يعني إذا قال الله لك:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾

إذا في إنسان واحد بالأرض من آدم إلى يوم القيامة أعرض عن ذكر الله وكان سعيداً فالقرآن ليس كلام الله مستحيل، قد يكون غني، يوجد ضيق القلب، ليس شرط المعيشة الضنك هي الفقر، لا، قد يكون غني، وقد يكون قوي، لكنه ليس سعيد، في ضيق بقلب الكافر، ولو كان غنياً، أو قوياً لو وزع على أهل بلد لكفاهم ما هذا القانون ؟

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)﴾

أي مؤمن إذا عمل صالحاً، وأمن بالله عز وجل له عند الله حياة طيبة بأي عصر، بأي قطر، بأي زمان، بأي مكان، بظروف صعبة، غير صعبة، بالحرب، بالسلم، المعرض:

﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾

والمؤمن.

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

قانون، فالله سبحانه وتعالى نسأله أن يلهمنا كشف القوانين، والقضية سهلة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)﴾

في ألف قصة، مليون قصة، إنسان رسم خطة مبنية على الخيانة، الله عز وجل في وقت مناسب يمكن يعطيه مجال فترة، لكن في وقت معين تكشف هذه الخيانة، يفتضح، يسقط، ولو سمعت القصص التي تداولها الناس تجد مصداق لهذه الآية على أتفه سبب كشفت خيانته.

سمعت في بعض الأقطار العربية تاجر يأتي بلحوم مستوردة، ومنته مفعولها يغير اللصاقة عليها، وربح ملايين، العمال نسو أن يبدلوا علبة واحدة كشفت العملية، طلع قانون في مصر الآن الغش التجاري، وافتضح الإنسان، وأودع في السجن لأنه يغش المسلمين، يأتي ببضاعة فاسدة ويغير لصاقتها، هذه خيانة لا يمكن إلا وأن يفتضح فإذا الإنسان فهم على الله، الخيانة مصيرها الفضيحة، خلص لا يخون.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)﴾

إذا فهم أن الفاسق لا يؤمن.

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33)﴾

معنى ذلك لما تقرأ الآية صنفها هي أمر، هي نهي، هي حلال، هي حرام، هي وعد، هي وعيد، هي بشرى، هي نذير، هي غيب الماضي، هي غيب الحاضر، هي غيب المستقبل، هي مشاهد يوم القيامة، هي موضوعات إخبارية، هي موضوعات عقلانية، هذا قانون مستقل.

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (27)﴾

بعدين إذا كان في قانون إيجابي ينطبق عليك أنت من أسعد الناس هذا القول الثابت، أيام بقلك هذه القضية لا يمكن أن تقبل بها الواسطة، أيام يكون في قاعدة معينة، مثلاً العلامات الفلانية طب، ما في واسطة، أيام يكون الأب أستاذ بالجامعة، ليس مسموح له في القوانين تأخذ القاعدة الحتم، والاطراد فأنت إذا رأيت نفسك القانون ينطبق عليك، رأيت نفسك مستقيم، وتخشى الله، والله وعد المستقيم بالدنيا بحياة طيبة، هذا القول الثابت ألم يقل الله:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)﴾

(سورة إبراهيم: 27)

هذا القول الثابت، أيام يكون الواحد معتمد على مادة بالقانون بقلك يطلعه من البيت بخليه، أيام يعتمد بالاجتهاد على محكمة النقد تلاقيه شديد، من أين جاء بالثقة بنفسه، من الاجتهاد لمحكمة النقد، إذا القانون لصالحة تلاقيه يمشي بالعرض، إذا كانت آية قرآنية تنطبق عليك أنت دخلك حلال، معناها الشغلة كبيرة كثير، الله وعدك بالتوفيق، إذا كان تتحرج أن تعصي الله عز وجل، وفي مشكلة ثانية إذا كان القانون ينطبق عليك سلبياً شغلة كبيرة كثير، إذا كان في إنسان عما يخالف أمر الله عز وجل، والله وعد العاصي بالتدمير، مثلاً:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276)﴾

(سورة البقرة: 276)

وماله بعد لم يمحق، الشغلة خطيرة، ينطبق على هذا الإنسان القانون السلبي، والله توعده بمحق ماله، ففي أصبح عندنا نقطتين، أن تكشف القانون، وتقول أين أنا من هذا القانون، في عندنا نقطتان، أن تكتشف القوانين من كتاب الله، ثم أن تضع نفسك بشكل موضوعي، يا ترى أنا ينطبق علي هذا القانون ؟ أم هذا القانون ؟

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً (142)﴾

(سورة النساء: 142)

المنافقون، أنا ينطبق عليّ هذا القانون ؟

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54)﴾

(سورة التوبة: 54)

أما المؤمنين:

﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92)﴾

(سورة التوبة: 92)

انظر هذه قاعدة، المؤمن إذا ما تمكن ينفق يتألم، يبكي والمنافق إذا حاييته، وأخذت منه مبلغ لله ينزعج، تلاقيه ينزعج انزعاج شديد، انزعاج الإنسان، هو قانون النفاق، إذا واحد قام إلى الصلاة بنشاط دليل إيمانه، قام بتكاسل دليل نفاقه، إذا كان المؤمن أصابه خير وفرح دليل إيمانه، أصابه شر وفرح دليل نفاقه.

إذاً الإنسان يقرأ كلام الله قراءة جادة، يفهم أبعاده، ويقيم نفسه نقرأ نكتشف القوانين، نقيم أنفسنا من خلال هذه القوانين، فإذا كانت القوانين تنطبق عليك إيجابياً فأنت من أهل السعادة، لذلك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (13)﴾

(سورة الأحقاف: 13)

وهذه من قوانين ربنا عز وجل،

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)﴾

(سورة طه: 123)

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)﴾

(سورة البقرة: 38)

هذا قانون، واحد سار على منهج الله، لا يضل عقله، ولا تشقى نفسه ولا يندم على ما فات، ولا يخشى مما هو آت، إذاً المفضل أن نقرأ القرآن مرتين، مرة قراءة تعبد، ومرة قراءة تدبر، قراءة التعبد مسعدة، لكن قراءة التدبر عميقة جداً، اقرأ كل يوم خمس صفحات تعبداً، واقرأ باليوم آيتين فقط تدبراً، اقرأ الآية مرتين، ثلاثة توقف عند كلماتها مثلً:

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾

(سورة ص: 24)

من هم الخلطاء ؟ الشركاء، الأزواج، الأصدقاء، كل إنسان خالط إنسان هم الخلطاء.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

معناها إذا كان ممكن تأخذ حصة شريكك بأسلوب احتيال مالك مؤمن، أما إذا وقفت عند حدودك أنت مؤمن، يا ترى على مستوى زواج، على مستوى جوار، على مستوى شراكه، أي خليطين إذا بغى أحدهما على الآخر، هذا عدم إيمانه بالآية الكريمة.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

معناها المؤمنين لا يبغوا أحدهم على بعضهم بعضاً، قانون هذا، يعني كثير شيء ممتع أن تكشف قوانين ربنا بالقرآن الكريم شيء دقيق جداً تكشف، وتقيم نفسك، وإذا كان في قوانين تنطبق عليك إيجابياً أنت من أسعد الناس هذا القول الثابت.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)﴾

أيام بكون في مادة لمصلحتك بالقانون تلاقي نفسك مطمئن، يا ترى أيهما أشد طمأنينةً أن تطمئنك مادة ويمكن لا تطبق عليك، بقلك والله ما بقي شاغر، أو والله لم يوافقوا، لا نعرف لماذا، أما آية قرآنية تطبق عليك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7)﴾

(سورة محمد)

قانون، ما ذكرت إلا بعض الذي خطر في بالي، لمجرد أن تنصر دين الله ينصرك، قاعدة.

قانون ثاني:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

(سورة النور: 55)

قانون الاستخلاف.

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)﴾

هذا قانون.

أيها الأخوة الكرام:

الإنسان إذا يكتشف شيء بذاته يسعد به، الآن النظرية الحديثة ليست هي التعليم، بل هي التعلم، الواحد يقرأ، إذا كان قرأ كل يوم صفحة صفحتين قراءة تدبر كشف القوانين، وكتبها على دفتر، وقرأها مراراً، وتفاعل معها، وفهم أبعادها، عندئذٍ طبقها خائف، والخوف أحد أسبابه الشرك.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا﴾

وأحد أسبابه معرفة الله عز وجل، ورأس الحكمة مخافة الله، شوف خوفك من أي نوع، خوف معرفة، لما خوف شرك، الذي يعرف الله يخافه كثيراً، لأنه يعرف عدالته، ويلي أشرك به يخافه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-6) : تفسير الآيات60 - 82 ، الحكمة من القصة - الرضا بقضاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام، وردت في سورة الكهف، وينبغي أن نعلم علم اليقين، أن أية قصة في القرآن الكريم ليست مقصودة لذاتها، إنما هي مقصودة للقواعد التي تستنبط منها فالقصة معروفة لا تحتاج إلى تفاصيل، ولكن ماذا يمكن أن نستنبط منها ؟.

أيها الأخوة: من الثابت أن الأنبياء الكرام جاءوا بالشريعة وسيدنا موسى نبيٌ كريم من أولي العزم، وهو يمثل أمر الله التكليفي التشريعي، لكن هذا الرجل الصالح الذي هو في أرجح الأقوال نبي وهناك أدلة على ذلك، سيدنا الخضر، هذا لا يمثل الأمر التشريعي إنما يمثل الأمر التكويني.

يعني الله عز وجل له أمر، وله فعل، الأمر التشريعي أمره، أما الأمر التكويني فعله، يعني مثلاً طريق نكتب عليه لوحة حمراء فيها مستطيل أبيض، في وسطها ممنوع المرور، هذا أمر تكليفي، أما حينما نأتي بقطع إسمنتية ارتفاعها متر، وفيها حديد مسلح، نضعها على عرض الطريق، هذا أمر تكويني، هنا نهينا، أما هنا منعنا، فرق كبير بين المنع وبين النهي، فأفعاله منع، أما أوامره، العبد حر، عنده حرية اختيار، يطبق أو لا يطبق، سيدنا موسى يمثل الأمر التكليفي التشريعي، بينما الخضر يمثل الأمر التكويني، فعل الخضر أشياء على ميزان العقل غير مقبولة، إنسان ركب سفينة ضيافة، فهذا الضيف خرقها، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ ثم تبين أن هذه السفينة سوف تصادر من قبل ملك ظالم، فلما راءها قد خرقت لن يصادرها، وهكذا أفعال الله كلها، لذلك أفعال سيدنا الخضر تلخصها آية كريمة:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)﴾

(سورة البقرة: 216)

هذا الغلام قتل ! وقتله خير له ولوالديه، هذا الجدار بني بلا ثمن.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (78)﴾

هذا العمل غير منطقي، يعني من هو المؤمن ؟ هو المستسلم لأمر الله عز وجل، بناء الجدار، تحت هذا الجدار كنز لهما.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (82)﴾

و دققنا في الآيات، نجد أن بعض أفعال الخضر.

﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً (81)﴾

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾

واحدة باجتهاد الخضر، والثانية بأمر من الله، والثالثة باجتهاد وأمر مجتمعين، نحن نريد من هذه القصة أن نستثمرها في حياتنا اليومية.

أخوانا الكرام:

كل شيء وقع أراده الله، هذا فعل الله التكويني، وفعل الله التكويني فيه أسماء الله كلها، لماذا قال الله عز وجل:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)﴾

(سورة طه: 14)

لماذا قال الله إنني أنا ؟ بضمير المتكلم المفرد، ولماذا قال ؟

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)﴾

(سورة يس: 12)

لماذا جاء الحديث عن الله عز وجل مرة بضمير المفرد، ومرة بضمير الجمع، العلماء قالوا حينما يتحدث ربنا عن ذاته.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

يستخدم ضمير المتكلم المفرد، أما حينما يتحدث عن أفعاله، يستخدم ضمير الجمع، لأن أفعاله فيها كل أسمائه، يعني كل أفعاله، فيها عدل، وفيها رحمة وفيها حكمة، وفيها لطف، وفيها رائفة، وفيها علم، وفيها من كل أسمائه.

لذلك الإنسان، كل ما تعمق بالدين، يرى أنه ليس بالإمكان أبدع مما كان، بس هذا، ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني، يعني أنت كطبيب، أفضل شيء للإنسان معه التهاب زائدة، في عملية جراحية أن تأخذه إلى مستشفى، وأن تخدره، وأن تفتح بطنه، وأن تستأصل هذه الزائدة، هذا شيء غير محبب للإنسان، وإنسان صحيح، البنية قد تأخذه إلى نزهة، فربنا عز وجل حكيم، يعطي كل بحسب حاله، فلذلك النبي الكريم كان أديباً مع الله جل جلاله، حينما كان يدعو ويقول:

((اللهم أنا نسألك موجبات رحمتك))

موجبات رحمتك لأنه رحمة الله عز وجل تحتاج إلى ثمن، أدفع ثمنها وخذها.

ما من قصة في كتاب الله عز وجل تتلى إلى يوم القيامة، إلا القصد منها القواعد التي يمكن أن تستنبط منها، أما القصة وقعت وانتهت، ماذا يعنينا أنه فعل كذا وكذا، سيدنا موسى، وأن سيدنا الخضر قال له كذا وكذا، هذا قرآن كتاب هداية، نتلوه إلى يوم القيامة لكن يعنينا، أنه إذا جاءت الأمور على غير ما تحب، فقل كما قال النبي:

((الحمد لله على كل حال))

وإذا جاءت الأمور كما تحب، فقل كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات))

والإنسان لا يبدو إيمانه إلا في مكروه القضاء، القضاء نوعان، قضاء مكره، وقضاء محبب، إذا واحد قضى الله له أن يتزوج امرأة صالحة هذا قضاء لكنه محبب، قضى له أن يجعله غنياً، قضى له أن يجعله صحيحاً، هذا قضاء محبب، القضاء المحبب لا يكشف حقيقة إيمانك، يتوافق مع الطبيعة، مع طبع الإنسان، أي قضاء يكشف حقيقة إيمانك ؟ القضاء المكروه، لهذا قال سيدنا علي كرم الله وجهه: " **الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين** "، إيمانك الحقيقي يظهر حينما تأتي الأمور على غير ما تحب، وتبقى راضياً وصابراً، ومستسلماً، وشاكراً، إذا احب الله عبده ابتلاه، فإن صبر اجتباه، فإن شكر أقتناه.

أيها الأخوة:

لو عملتم حق العلم، أن الله عز وجل حينما يعالج إنساناً، هذا دليل أن الإنسان مطلوب، في خير، في عنده إمكانية يتوب، هذا جبر لخاطره، لما ربنا عز وجل يتابعك، حكيت كلمة غلط تابعك، أدبك، أنفقت إنفاق غير صحيح ضيق عليك، تجاوزت حدك مع إنسان ضعيف أدبك في اليوم الثاني، إذا شعرت أن الله يتابعك، فهذا دليل أن فيك خيراً وفي إمكانية تتوب، من هو الذي يجب إن يبكي على نفسه، هو الذي يهمله الله عز وجل، يعصيه ويمده، هؤلاء الذين يعصون الله ويمدهم بالقوة والصحة والمال والذكاء والجمال، هؤلاء أبغض خلق الله لله عز وجل، لأن الله سبحانه وتعالى في أحاديث صحيحة كثيرة، يخبرنا عنها النبي عليه الصلاة والسلام:

((إذا أحب الله عبده ابتلاه، إذا أحب الله عبده عجل له بالعقوبة، إذا أحب الله عبده عاتبه في منامه، إذا أحب الله عبده ضيق عليه أحياناً، أوحى ربك إلى الدنيا أن تشددي وتضيقي وتمرري، على أوليائي حتى يحب لقائي))

يعني إذا أنت مسكن واحد بالبيت، وأردت أن تنقله إلى حي راقي جداً، يعني الحكمة تقتضي أن تكره في هذا البيت، لو حببت في ما عاد يطلع منه، من حكمة الله عز وجل أن الله يحب عبده المؤمن، يحب عبده لكن العبد متشبث بالدنيا، فلما الله عز وجل يكره إنسان بالدنيا دليل أن يحبه، حتى ينقل إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

في شيء ثاني، يعني كان من الممكن أن يعيش الإنسان في أعلى درجات الصحة حتى الموت، ممكن، أيام تصنع طاولة، ما تفنى يعني فيها احتياط كبير جداً، الكاسة، ما وزن هذا الكأس ؟ ما وزن هذه القطعة من الخشب ؟ ما وزن هذا المصحف ؟ لكن هذه الطاولة تتحمل مائتين كيلوا وزن، معناها فيها احتياط كبير، ما دام فيها احتياط كبير لن تتكسر، كان من الممكن، أن يكون خلق الإنسان هكذا، في احتياط كبير، لا يمرض أبدا، ولا يشيب شعره، ولا يضعف بصره، ولا ينحي ظهره، ولا تضعف قوته، لكنه لو فعل الله ذلك، لأخذنا بغتة إلا أن ضعف البصر، وانحناء الظهر، وشيب الشعر، وبعض الأمراض، هذه كلها إشارات لطيفة جدا، جداً، جداً من الله، أن يا عبدي قد اقترب اللقاء فهل أنت مستعد له، صفي علاقاتك، عليك ديون دفعتها، في حسابات، في ذمم، في أشياء، لذلك السعيد دائماً، هو الذي يعد لهذه الساعة عدتها، هي ساعة الموت النبي الكريم يقول:

((ما رأيت يقين أشبه بالشك من الموت))

هو يقين تجد الناس لا يعبئون به ولا يدخلونه في حساباتهم، يحلف يمين كذب، اليمين الكاذبة منفقة للسلعة، ممحقة للبركة، يأخذ ما ليس له، يعتدي على أعراض النساء ولو بالنظر، يعتدي، هذا عدوان هذا، هذه ليست لك، إذا هي سافرة تصطفل، هي التي خرجت عن منهج الله عز وجل، فلما الإنسان يضع ساعة الموت وساعة الحساب بين عينيه، يستقيم على أمر الله.

فلذلك سيدنا الخضر، يمثل الأمر التكويني، وسيدنا موسى يمثل الأمر التشريعي، حينما كشف لهذا النبي الكريم، سيدنا موسى ما فعله الخضر، استسلم ورضي، أن أصبحت حكمة، يعني مثلاً، بالنظام الداخلي، لا يسمح النظام الداخلي، بأن ينخفض صف الطالب من الأعلى إلى الأسفل، في نجاح أو رسوب بس ما في تنزيل، بالنظام الداخلي، أحياناً المعلم، يسلك أسلوب تربوي، يهدد الطالب بإنزاله إلى الصف الأدنى، يخاف الطالب يدرس، هذا خلاف النظام بس فيه حكمة ربنا أحياناً يفقر، يغني، يعطي، يمنع، يرفع، بعز، بذل، بخوف هي كلها معالجة لهذا الإنسان، فلذلك هذه القصة ملخصها:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

أرض بقضاء الله وقدره تكن أسعد الناس، لا المال يسعد، ولا اللذائذ تسعد، لكن الذي يسعد، أن تشعر أن الله راضي عنك، لما الله عز قال للصحابة الكرام في القرآن الكريم:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (18)﴾

(سورة الفتح: 18)

ماذا شعر هؤلاء المؤمنين ؟ لما قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (10)﴾

(سورة الفتح: 10)

بماذا شعر هؤلاء ؟ يعني أعظم مكسب تصله، أن تشعر أن الله راضي عنك، وأن الله يحبك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-6) : تفسير الآيات 103 - 106 ، يجب أن يكون عملك وفق منهج الله لكي تسعد بالآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

الآية الثالثة بعد المائة والتي تليها من سورة الكهف وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً (106)﴾

يعني أكبر مصيبة على الإطلاق، ألا تدري، وألا تدري أنك لا تدري، أن ترتكب أشنع الخطأ، وتظن أنك على صواب، أن تكون أبعد الناس عن الحق، وتظن أنك على الحق وما سواك على الباطل، هذه أكبر مصيبة تصيب الإنسان.

من الناس من يدري ويدري أنه يدري فهذا عالم فاتبعوه.

ومنهم من لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلموه.

ومنهم لا يدري ولا يدري أن لا يدري فهذا شيطان فحذروه.

المصيبة أن تعالج ارتفاع الضغط بمزيد من الملح، المصيبة أن تعالج أزمة القلب بمزيد من الجهد، هذه أكبر مصيبة، أن تمشي في الطريق المعاكس، ولماذا تمشي في الطريق المعاكس ؟ بجهل مستحكم ولماذا لا تسمع النصيحة، لأنك تعتقد أنك على صواب، هذا العناد يعني خطأ فاحش، وعناد مع جهل.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾

ما قال بالخاسرين قال:

﴿بِالْأَخْسَرِين﴾

الأخسر اسم تفضيل على وزن أفعل، يعني أشد الناس خسارة على الإطلاق، الذي يظن أنه إذا بالغ في انغماسه في الشهوات فهو من الأذكياء، الذي بالغ في أكل أموال الناس في الباطل فهو من الشاطرين، الذي بالغ في استعباد الناس فهو من الأقوياء.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

السعي العمل، العمل في الحياة الدنيا ينبغي أن يتجه إلى هدف، وهذا الهدف مرضاة الله عز وجل، وأن يوظف هذا العمل لبلوغ الجنة.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)﴾

(سورة القصص: 77)

العمل، بالتعبير الآخر الحركة، يعني حركة الإنسان في الحياة الإنسان له حركة، يستيقظ، يأكل، يشرب، يبتسم، يضحك، يغضب يعنف، يقبض المال، ينفق المال، هذه الحركة يجب أن تتجه لمرضاة الله عز وجل، هذه الحركة، العمل، السلوك، يجب أن يتجه ليكون ثمن الجنة، هذا هو الإنسان المهتدي، ألم تقرؤون بالفاتحة كل يوم عشرات المرات، بل بضع عشرات المرات.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)﴾

(سورة الفاتحة: 6 . 7)

العمل يجب أن يتجه إلى مرضاة الله، أو العمل يجب أن ينطبق على منهج الله، يجب أن ينطبق، ويجب أن يتجه، يعني أن ينطبق من حيث السلوك، وأن يتجه من حيث النية، أما هؤلاء الأخسرون أعمالاً عملهم لم ينطبق على المنهج، ولم يتجه لمرضاة الله.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾

ذكرت هذا من قبل، لك مبلغ كبير جداً يجب أن تقبضه من حلب يمكن أن تركب قطار حلب، ويمكن أن تقع في عشرات الأغلاط وأنت في القطار، قد تركب مركبة فيها شباب يزعجونك، قد تركب مركبة من الدرجة الثالثة، وبطاقتك من الدرجة الأولى، قد تتلوى من الجوع ولا تعلم أن في القطار مركبة طعام هذه كلها أغلاط، لكن القطار يتحرك نحو حلب، وسوف تصل في الوقت المناسب، وسوف تأخذ هذا المبلغ الكبير، لكن الغلط الذي لا يحتمل، أن تركب قطار درعا، عكس الاتجاه، هذا الخطأ.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (104)﴾

لكن ما التعليل ؟ لماذا ضل هؤلاء، لماذا ضل سعي هؤلاء؟ لماذا يحسب هؤلاء أنهم يحسنون صنعا، يعني قضية مزاجية ؟ قضية مالها تفسير ؟ قضية عشوائية ؟ لما قضية مقننة القضية مقننة، الدليل الآية الثانية:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ﴾

آياته الدالة على عظمته، كفروا بها ؛ أي ما عبئوا بها آياته القرآنية لم يقرؤوها، آياته التكوينية لم يلتفتوا إليها.

﴿كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ﴾

آياته القرآنية، وآياته التكوينية، وآياته الكونية، لم يفكر، ولم يعبئ، ولم يتجه.

﴿كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ﴾

وكفروا بلقائه، لو أنهم أمنوا بلقائه لانضبطوا، في إنسان يؤمن بالحساب ولا ينضبط ؟ أبداً، ثلاث حقائق والله أيها الأخوة لو أيقن بها لما حاد عن منهج الله ولا قيد أنملة، أن يؤمن أن الله موجود، وأنه يعلم، وأنه سيحاسب، ثلاث كلمات، إن أمنت بها إيماناً يقينياً، والله لا تستطيع أن تخرج عن منهج الله ولا قيد أنملة، أن تؤمن أنه موجود، وأنه يعلم، وأنه سيحاسب.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾

لما كفروا بلقاء ربهم ولقائه:

﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾

إحباط العمل له معنيان:

المعنى الأول: أن العمل ينحط، يزني يعتدي على نساء الآخرين، يخون زوجته، ويخون الناس من حوله، يأكل المال الحرام، يكذب، يدجل، ينافق، يماري، سقط العمل، الخيانة ساقطة، الكذب ساقط، اللؤم ساقط، البخل ساقط، الانتقام ساقط، الأنانية ساقطة، عمل ساقط بالفطرة.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾

المعنى الثاني: قد يكون عظيماً في أعين الناس، أما النوايا سيئة قد تنشئ مستشفى، هذا عمل إنساني، الهدف الوحيد هو الربح، قد تنشئ مدرسة، العمل تعليمي شريف، الهدف الوحيد هو الربح المادي قد تطلب

العلم ليقول الناس عنك عالم، وقد قيل خذوه إلى النار، لذلك إحباط العمل إما من نوعيته، وإما من نيته، إما أن مضمون العمل يسقط، وإما أن نية العمل تسقط.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً (105)﴾

أحد كبار رجال الأعمال في أميركا وجد ميت في يخت في البحر مع امرأة عاهرة، كالفطيسة، المؤمن كريم على الله عز وجل، يموت في أبهج حالة، حياته مقدسة، بيته مقدس، علاقاته مقدسة، لكن أهل الدنيا لا شأن لهم عند الله، يسقطون من نظر الله، والله الذي لا إله إلا هو لأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض فتتحطم أضلاعه أهون من أن يسقط من عين الله، الإنسان إذا اقترف المعاصي سقط من عين الله إذا اعتدى على خلق الله سقط من عين الله، إذا بخل مما أتاه الله عز وجل سقط من عين الله.

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً (105)﴾

هؤلاء يوازنون مع قوله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (18)﴾

(سورة الفتح: 18)

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

(سورة الفتح: 10)

هؤلاء يوازنون مع هذا الصحابي الجليل الذي قال عنه النبي الكريم:

((والله يا معاذ إني لأحبك))

أيوازن هذا مع هذا، هذه مرتبة الآخرة، يعني أنت تشعر أن الله راضي عنك، أعلى مرتبة تنالها في الدنيا، والله الذي لا إله إلا هو، هي خير لك من حمر النعم، من أموال الأرض، من الدنيا وما فيها، من نعم الدنيا مجتمعة، أن يكون الإنسان في رضوان الله، بعدين أحياناً في أشخاص أقوياء وكبراء، لا تستطيع أن تنال رضوانهم، رضاهم مستحيل، مغلق على أناس معدودين، لكن الله سبحانه وتعالى رضوانه مبذول لأكل عبد، ما في فئة محرومة وفئة مسموح لها، لا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً(110)﴾

باب الله مفتوح لكل إنسان، أبيض، أسود، غني، فقير، مثقف، غير مثقف، بقلك أنا ما لي مثقف، قل له مثقف، بقلك كيف ؟ ألست مستقيم على أمر الله ؟ نعم، الحمد لله، هذا علم هذا، لقول النبي الكريم:

((كف بالمرء علماً أن يخشى الله، وكف به جهلاً أن يعصيه))

والله لو واحد معه بورد، ويشرب الخمر هو عند الله جاهل، وآذن، حاجب، يغض بصره عن محارم الله، ويتحرى الحلال، هو عند الله عالم، كل واحد منكم مستقيم هو عند الله عالم، بالدليل القطعي.

((كف بالمرء علماً أن يخشى الله، وكف به جهلاً أن يعصيه))

فالعاصي جاهل، والمطيع عالم، فلذلك:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً (105)﴾

" **رب أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره** "، سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا أراد أن يصلي الليل، غرفته صغيرة جداً جداً، لا تسمح له مساحتها أن يصلي الليل، وزوجته نائمة، ومع ذلك قال الله عز وجل:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72)﴾

(سورة الحجر: 72)

أقسم الله بعمر النبي، هل هناك تكريم بعد هذا التكريم ؟ ما خاطب الله النبي باسمه أبداً، قال:

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً (12)﴾

(سورة مريم: 12)

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾

(سورة آل عمران: 55)

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً (7)﴾

(سورة مريم: 7)

﴿قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾

(سورة البقرة: 33)

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144)﴾

(سورة الأعراف: 144)

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾

(سورة هود: 46)

ولم يقل أبداً يا محمد بالقرآن كله، يا أيها النبي، يا أيها الرسول جاء أسمه خبرا بس ما جاء أسمه مخاطباً.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾

(سورة الفتح: 29)

أما بالخطاب، يا أيها النبي، يا أيها الرسول، ورفعنا لك ذكرك لا إله إلا الله ومحمد رسول الله، ولماذا أراد الله أن يكون قبر النبي في المدينة ؟ لو كان في مكة المكرمة، الحجاج أثناء أداء المناسك يزور النبي، بالجملة، جعل قبره بالمدينة، ليزوره الناس خصيصاً له تكريماً له، تلاقي آلاف، مئات الألوف يقصدون زيارة النبي عليه الصلاة والسلام، ويسعدون بها، لذلك:

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً (105)﴾

" رب أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره ".

النبي الكريم جاءه أحد الصحابة الكرام، قال **أهلاً بمن خبرني جبريل بقدومه**، قال أو مثلي **!** يبدو أنه فقير، **قال نعم يا أخي خامل في الأرض علم في السماء**، قد تكون أنت موظف من الدرجة العاشرة ضارب آلة كاتبة، و ظفرك يسوى مليون شخص، ظفرك يسوى مليون عاصي، أنت مستقيم.

لذلك أخوانا الكرام: ابتغوا الرفعة عند الله، لا تبتغي رفعة عند الناس، الناس يموتون، ولا قيمة للمكانة عندهم، الآية أصبحت على الشكل التالي:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً (106)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-6) : تفسير الآيتان 109 - 110 ، اعجاز القرآن العلمي + الطريق إلى الله بالعمل الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

الآية التاسعة والعاشرة بعد المائة من سورة الكهف، وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً (109) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110) ﴾

كلنا يعل أن دواة الحبر تكفي الإنسان عاماً بأكمله، وقد تكفيه عامين أو ثلاثة، أما لو أن الإنسان اشترى لتر حبر هذا اللتر يكفيه طوال العمر كتابة، فكيف إذا كان البحر كله مدادا لكلمات الله، كي نعلم ما معنى البحر ؛ القارات الخمس: أسيا، وإفريقيا، وأوربا، وأوقيانوسيا، وأمريكا، تشكل خمس اليابسة، وأربعة أخماسها بحراً، وأعمق نقطة بالبحر 12 كيلو متر، في خليج مريانا بالمحيط الهادي، فإذا كان أربع أخماس الأرض، القارات الخمس وما فيها من دول، وإفريقيا، وأوقيانوسيا، وأمريكا، وأوربا، كلها خمس البحر، و أربعة أخماس الأرض بحر، وفي أعماق متفاوتة، وعميقة، البحر كله مداد لكلمات الله.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾

يوجد آية أخرى تشبهها.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (27)﴾

(سورة لقمان: 27)

غابات الأرض كلها أقلام، هناك غابات بالأمازون كلها عذراء لم يستطيع إنسان أن يدخلها.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾

هذا هو كتابنا هذا هو كتاب الله، تقرأ الآية ألف مرة، وفي كل مرة يتضح لك من معانيها ما كان خافياً عليك، وصف النبي كلام الله عز وجل أن لا يبلا على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وكلما زدته فكراً، زادك معناً وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه، فهذا القرآن الكريم الذي هو منهج الله، الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه، ولا من خلفه، مهما تقدم العلم، هل رأيتم آية علمية صدمت آية قرآنية ؟ أما أي كتاب مهما على شأنه بعد حين ترى فيه أفكار مضحكة، أنا قرأت كتاب لعالم ملئ الأرض له سمعة، في حينه كان يظن أنك إذا أكلت طعاماً دسماً بخار الطعام يصعد إلى الدماغ، وكأن المعدة مفتوحة كالوعاء، وبخار الطعام يصعد إلى الدماغ، ويعطل التفكير، هذه الفكرة الآن تبدو ساذجة مضحكة، ما من كتاب على وجه الأرض تقرأه بعد خمسة أعوام إلا وترى فيه أشياء مضحكة، وغير مقبولة، القرآن الكريم مضى على نزوله من السماء 1500 عام، هل فيه آية قرآنية تصدم حقيقة علمية ؟ أبداً، لأنه كلام الله عز وجل، عندما قال ربنا:

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)﴾

(سورة النحل: 8)

لو كان ما في.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)﴾

يركب الإنسان طائرة يركب سيارة شبح، لكن لما ربنا قال:

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)﴾

معناها كلام خالق الكون، لو أنه كلام النبي لغاب عنه ماذا سيكون.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)﴾

لذلك ربنا عز وجل قال:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً (109)﴾

آية قرآنية: مثلاً الله عز وجل قال:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11)﴾

(سورة الطارق: 11)

ماذا فهم العلماء من هذه الآية ؟ أن بخار الماء يصعد إلى السماء ويرجع مطراً، شي جميل، هذه الآية تتوافق مع حقيقة علمية، بعد حين وجدوا أن الأمواج الكهرطيسية إذا انبعثت من الأرض هناك طبقة اسمها الأثير تعيدها إلى الأرض، ولولا هذه الطبقة لما كانت هناك إذاعة تنطق، كل الإذاعات مبدئها أن هذه الأمواج تنعكس من طبقة الأثير إلى الأرض، لذلك أحياناً يضطرب الإرسال يقول لك هناك اضطراب في طبقة الأثير هذا معنى آخر.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11)﴾

ثم اكتشف العلماء أن كل الكون يتحرك، ولولا هذه الحركة لأصبح كتلة واحدة، من حركته تنشأ قوى نبذ، تكافئ قوى الجذب، لأن نظام الجاذبية كل كتلة تجذب الأصغر منها، لو كان الكون سكوني لأصبح كتلة واحدة، مادام في حركة، الحركة تنشئ قوة نابذة، الآن مبدأ النشافة بالغسالة، الحركة السريعة، الماء يخرج من الثياب إلى خارج المستودع، طيب هذا المعنى الأخير أن كل نجم بالكون يسير في مدار مغلق، مذنب هالي قبل سبعين عام بدى، وعاد بعد سبعين عام، بالدقيقة والثانية، لذلك الوصف الوحيد الجامع المانع، الشامل، والمطلق للكون أن كل كوكب فيه يدور حول كوكب آخر، بمسار مغلق، إذاً:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11)﴾

لهذا النبي عليه الصلاة والسلام إما بتوجيه من الله عز وجل، أو لاجتهاد منه لم يشأ أن يفسر الآيات الكونية، لماذا ؟ لأنه لو فسرها تفسيراً بسيطاً يتناسب مع عقول من كان، ومع معطيات العصر وقتها لأنكرنا عليه هذا التفسير، ولو فسرها تفسيرات حديثة جداً تقبلها عقولنا لأنكر عليه أصحابه هذا التفسير، الآيات الكونية تركت لتطور العلمي، فكلما تطور العلم كشف جانباً من عظمة هذه الآيات.

الآية الأخيرة في سورة الكهف:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً(110)﴾

أيام الإنسان يقرأ كتاب ثمين، يلاقي في كل فصل ملخص، في كتب لكل فقرة ملخص على الهامش، في كتب لكل فصل ينتهي الفصل بالتلخيص، الآن نحن أمام آية تلخص القرآن الكريم كله.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

هذا هو الدين، الدين كله توحيد، أن تؤمن أن لهذا الكون خالقاً هذه قضية لا قيمة لها، بسيطة كل الخلق يعلمون هذه الحقيقة، ولئن سألت عباد الأوثان، الذين عبدوا ألآت والعزى.

﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾

(سورة العنكبوت: 61)

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾

(سورة الزمر: 3)

فالإيمان أن لهذا الكون خالقاً، هذه حقيقة معروفة، ويستوي فيها جميع الناس، لكن الإيمان الحقيقي أن تؤمن أن هذا الذي خلق الكون بيده كل شيء، هو الفعال، ليس خلاقاً فحسب، بل هو خلاق وفعال.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)﴾

(سورة الزمر: 62)

﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)﴾

(سورة الأعراف: 54)

لذلك الآية هنا:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً(110)﴾

يعني أدق ما في الآية، ما قيمة العقيدة الصالحة إذا ما في حركة، ما في التزام، ما في تطبيق، لو أنك قلت الشمس ساطعة هي ساطعة، إن قلت أو لم تقل هي ساطعة، إن قلت ساطعة، هي ساطعة إن قلت ليست ساطعة، هي ساطعة، إقرارك بها لا يقدم ولا يؤخر لكن ما الذي ينفعك من هذه الحقيقة ؟ أن تتعرض للشمس، أن تستفيد من ضوئها، أن تستفيد من أشعتها، أن تستفيد من دفئها، لذلك:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

هذه العقيدة، الآن:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾

العبرة أن تلقى الله عز وجل، أن تتصل به، أن تقبل عليه، أن تتوجه إليه، أن تلوذ به، أن تستعين به، أن تتوكل عليه أن تسمو نفسك إليه، حقيقة دون أن لا تستفيد منها لا قيمة لها.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾

الثمن:

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾

يعني أحياناً لا يتاح لك أن تقابل زيد من الناس ولا بشهر، ما في عنده مواعيد، أيام طبيب بقلك لثلاثة أشهر، أيام رجل مسؤول بقلك ما في والله، لشهر محجوزة المواعيد، أما خالق الكون قال لك:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾

لمجرد أن تعمل عملاً صالحاً خالصاً لله عز وجل تشعر أن الطريق إلى الله سالك، لذلك الله عز وجل لرحمته تعامله مع خلقه مقنن، واضح، يعني أي إنسان عمل عملاً صالحاً يجد نفسه مع الله عز وجل، يقبل عليه، الله جل جلاله يتجلى على قلبه بالسكينة، بالرحمة، بالطمأنينة، هذا الدين كله بهذه الآية، أن تؤمن أن الله واحد، وبيده كل شيء، خالق، بسيطة، إبليس عرفه خالق، هذا إيمان إبليسي اسمه، أنه خلق الكون، الكفار قالوا الله خلق السماوات والأرض، الأجانب والأمريكان ثقتنا بالله على الدولار موجودة، عما يفرمون العباد فرم بالعالم كله، لذلك العبرة أن تؤمن أن الله هو الفعال، بيده الأمر.

النقطة الثانية:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾

طيب عمل صالح من دون استقامة، لا يعطي ثماره.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110)﴾

يعني يجب أن تسير على منهج الله، وأن تؤمن بالله، وأن تعمل عملاً يقربك من الله، والله هذه الآية تكفينا جميعاً، والله الذي لا إله إلا هو، لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكفت، الإيمان أن تؤمن أنه واحد، وفعال، وطريق الوصول إليه أن تستقيم على أمره، وأن تعمل عملاً صالحاً، فإذا فعلت وصلت إلى كل شيء.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110)﴾

عليه أن يطبق منهج الله وحده، استقم، واعمل صالحاً، وأمن بأن الله هو واحد وبيده كل شيء، وصلت إلى كل شيء.

والحمد لله رب العالمين

الفصل السابع : تفسير سورة مريم

الدرس (8-1) : تفسير الآيات 1 - 5 ، تربية الأولاد الصحيحة

الدرس (8-2) : تفسير الآيات 04 - 15 ، الدعاء مخ العبادة

الدرس (8-3) : تفسير الآيات 16 - 18 ، حقوق المرأة مساوية لحقوق الرجل

الدرس (8-4) : تفسير الآيات 18 - 26 ، صفات المرأة وفوائد التمر

الدرس (8-5) : تفسير الآيتان 37 - 38 ، الاختلاف بين الناس على ثلاث مستويات

الدرس (8-6) : تفسير الآيات 41 - 46 ، الأدب في الإسلام

الدرس (8-7) : تفسير الآيتان 59 - 60 ، وعود الله لا تتحقق إلا إذا كنت مستقيما

الدرس (8-8) : تفسير الآيتان 71 - 72 ، ورود النار شيء والدخول بها شيء آخر

الدرس (1-8) : تفسير الآيات 1 - 5 ، تربية الأولاد الصحيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

الآيات الأولى من سورة مريم، وهي قوله تعالى:

﴿ كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً (5)﴾

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ، إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

[أخرجه مسلم]

مهما تكن حياتك مفعمة بالأعمال الصالحة، مهما تكن حياتك مليئة بالأعمال الطيبة، حينما تنتهي الحياة ينقطع العمل، لكنك إذا أردت عملاً مستمراً إلى يوم القيامة، فعليك بتربية أولادك، أو عليك بترك علم نافع، أو صدقة جارية، سيدنا زكريا نبي كريم، طلب من الله عز وجل أن يهبه غلاماً يرثه بالدعوة إلى الله، والعلماء الكبار من شأنهم أن يهيئوا خلفاء لهم، قد تجد دعوة عريضة، كبيرة تنتهي بموت الداعية، لذلك كدعاة، كآباء، كمؤمنين، العوام لهم مثل، أقوله لكم باللغة الدارجة، بقلك ساقية جارية ولا نهر مقطوع، فلإنسان مهما كان عمله كبيراً ينتهي بموته، يروى عن الإمام الغزالي: أنه كان يجلس في مجلسه أربعمائة عمامة، ومع ذلك حينما توفي رحمه الله انتهى عمله، أما إحياء علوم الدين، هذا العمل بقي مستمراً إلى آخر الزمان، لابد من ترك أثر، إما ولد صالح، مؤمن، عالم، فقيه، أو علم ينتفع به، أو صدقة جارية، فهذا النبي الكريم طلب من الله من يثره في الدعوة إلى الله عز وجل، دائماً الإنسان ليس من شأنه أن يعيش في عصره فقط، وأن يتقوقع في زمانه، عليه أن ينظر إلى مستقبل الدعوة، فإذا الإنسان له دعوة، إقتداء بهذا النبي الكريم عليه أن يهيئ من يرثه من بعده في هذه الدعوة إذا أب عرف الله عز وجل عليه أن يربي أولاده تربية يكونون خلفاء من بعده، مرةً حضرت تأبيناً لعالم جليل بهذه البلدة الطيبة، طبعاً كان التأبين في أكبر جامع في دمشق، والخطباء أشادوا بهذا العالم الخطيب لكن فوجئنا ونحن في التعزية أن ابن هذا العالم وقف بيننا خطيباً، وألقى خطبةً لا تقل عن خطبة والده، وكان في التعزية وزير الأوقاف، فقدم بشرى لزوي المتوفى أن ابنه أصبح خطيباً من بعده في نفس الجامع، بقيت هذه الصورة في ذهني، معنى ذلك أن هذا العالم لم يموت، هذا الرجل

له ولدان يخطبان في دمشق، طلبا العلم، فكل جهدك الذي تبذله في تعليم أولادك استثمار لك، إذا تركت ولداً صالحاً يدعو الله من بعدك، أو تركت ولداً يمشي على سيرتك، يقفو أثرك، فهذه من نعم الله الكبرى، فهذا القرآن الذي يتلى علينا كل يوم، ليس القصد أن نستمتع بقصة سيدنا زكريا، لا، القصد أن نقتدي بهذا النبي الكريم، فأنت على مستوى داعية، على مستوى عالم، لو أنت تاجر، ولك معاملة إسلامية، متميزة، يجب أن تربي ابنك على هذه المعاملة نفسها، حتى يكون أمر مستمر، لذلك يجب هذا الحديث أن يكون في أذهاننا " إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ، إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ "

لا أبالغ إذا قلت لكم إن أعظم عمل على الإطلاق أن تربي ابنك تربية إسلامية، أن تجعله عالم، أن تجعله طالب علم شرعي، أن تطمح أن يكون هذا الابن داعية إلى الله عز وجل، لأنه أكثر الناس يريده طبيب، في شارع واحد بالجسر 64 طبيب أسنان يريده مهندس، لماذا لا نتمنى أن يكون ابننا عالماً شرعياً، داعية إلى الله عز وجل، لماذا كلية الطب تستقطب الأذكياء فقط ؟ ولا تستقطب الشريعة الأذكياء لماذا ؟ لماذا نريد صلاح أمورنا، وأولادنا، ولا نتمنى لهم أن يكونوا طلاب علم شرعي، لماذا ؟ هذا خطأ كبير في المجتمع الإسلامي، لازم كل أب يكون طموحه الأول أن يكون ابنه عالماً، عالماً يدعو إلى الله عز وجل، كل أعماله إلى يوم القيامة في صحيفته، يعني بشكل عام الآن العلم، في علم نادر جداً له دخل جيد، أما بقية الفروع لا تسمن ولا تغني من جوع، واحد خطب فتاة، ماذا يعمل الشاب، قالت لها مهندس، قالت لها: وأبوه ؟ قالت لها أيضاً مهندس، فأجابتها من يصرف عليك ؟! يعني ممكن إنسان يكون معه أعلى شهادة لكن ما في شغل، العمل الوظيفي انتهى، ما بقي غير العمل الآخر، إذا العلم وحده لا يكفي، مادام لا يكفي علمه علماً شرعياً، مادام العلم لا يسمن، ولا يغني من جوع إذاً علمه علماً شرعياً، واقتدي بهذا النبي الكريم.

شيء آخر: " إذ نادى ربه نداء خفيا "، قال تعالى:

﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾

(سورة الأعراف: 55).

فسر بعضهم " المعتدين " هؤلاء الذين يدعون الله بصوت عالٍ بصخبٍ، بضجيج، هذا عدوان في الدعاء، يقول عليه الصلاة والسلام: " إنكم لا تخاطبون أصماً "، الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه بإمكانك أن تدعو الله عز وجل دعاءً صادقاً، خالصاً، وشفتاك لا يتحركان، بقلبك، " إذ نادى ربه نداء خفيا "، ليس المطلوب الضجيج والصخب، ورفع الصوت، والدعاء المنمق، والمسجع، ولا يحب الله التقعر بالألفاظ، ولا المتشدق، يحب قلباً، مخلصاً، صادقاً، ملتفتاً إليه.

أول نقطة: اعتقد أعظم عمل على الإطلاق أن تربي ابنك تربية صحيحة، أن تجعله عالماً، أو أن تجعله داعية، أو أن تجعله طالب علم شرعي، لأن كل أعماله في صحيفتك وأنت لا تدري، الله عز وجل قال:

﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين ﴾

(سورة الطور : 21

أعماله كلها في صحيفة الأب، والذي يربي أولاده تربية إسلامية لا يموت، بمعنى أنه لو مات فكان ابنه خليفة له من بعده، لذلك الحرص البالغ على تربية الأولاد.

الشيء الثاني: في ثلاث عدوانات على الدعاء، أول عدوان أن تكون معتدياً على الناس، عندئذٍ الله جل جلاله لا يستجيب لك، " ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين "، يعني إذا أنت اعتديت الله سبحانه وتعالى لا يقبل دعائك، ولا يستجيب لك، هذا أول معنى.

المعنى الثاني: إذا رفعت الصوت بالدعاء هذا عدوان على مقام الألوهية إنك لو خاطبته سراً سمعك، العدوان الثالث: أن تدعوه من دون تضرع ولا تذلل، ناظر لمكانتك الدينية، لمكانتك الاجتماعية، لشهاداتك حجمك المالي، لا،

ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين "، وكون مستقيماً مع خلقه حتى يستجيب لك، " ادعوا ربكم تضرعا "، تذللاً تواضعاً، من طريق منكسر، " وادعوا ربكم "، همساً بينك وبينه، وبإمكانك أن تدعو الله الدعاء الصادق المستجاب، دون أن تحرك شفتيك كما فعل سيدنا زكريا، " إذ نادى ربه نداء خفيا " إنسان دخل يقابل إنسان قل يا رب إني تبرأت من حولي وقوتي، والتجأت إلى حولك وقوتك يا ذا القوة المتين، أردت أن تلقي درس، قل اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي، وعلمي، والتجأت إلى حولك وقوتك وعلمك يا ذا القوة المتين، كل ما تحركت حركة ادع الله، مالك مضطر أن ترفع يديك بالطريق وتقول يا رب، لا لست مضطر، وأنت ساكت، وشفتاك مغلقتان، بإمكانك أن تدعو الله عز وجل، ويستجيب لك وأنت لا تدري.

لذلك نقطة ثانية بالدرس: عليك أن تربي أولادك التربية الإسلامية حتى تكون أعمالهم كلها في صحيفتك، من أجل الأعمال، أن تلتفت إلى ابنك، إلى أخلاقه، إلى حفظه للقرآن، أن تأتي به إلى المسجد، أن تعلمه على إنفاق المال، أن تدربه، هذا الذي يرضي الله عز وجل.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام: " خير كسب الرجل ولده "، يعني أعظم عمل أن تأدب ابنك على معرفة الله، وحب النبي عليه الصلاة والسلام، وتلاوة القرآن، يعني يجب أن تقتطع من وقتك الثمين وقتاً لتربية أولادك، وتوجيههم، وتعليمهم، ودفعهم إلى طاعة الله عز وجل لذلك ربنا عز وجل قال أعطانا جزاء تربية الأولاد في الدنيا قبل الآخرة ما هذا الجزاء قرة العين.

﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾

(سورة الفرقان: 74)

لا يصدق شعور الأب إذا رأى ابنه في طاعة الله، إذا رأى ابنه يتعلم، إذا رأى ابنه يتكلم كلاماً صحيحاً، شيء لا يوصف، هذا يحتاج إلى جهد، كل شيء يأتي من كل شيء، أما كل شيء من لا شيء لا يأتي.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-8) : تفسير الآيات 04 - 15 ، الدعاء مخ العبادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام :

لا زلنا في قصة سيدنا زكريا، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، ودائماً أقول لكم إن قصص القرآن الكريم ليس القصد منها أن نقف على أخبار السابقين من الأنبياء والمرسلين، أن نستنبط من هذه القصص قواعد نسعد بها في حياتنا الدنيا، سيدنا زكريا يقول:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً (4)﴾

هذه الآية تكفي، " ولم أكن بدعائك رب شقيا "، يعني يا ربي أنا لا أشقى أبداً إذا دعوتك، مادمت أدعوك فلا أشقى، " ولم أكن بدعائك رب شقيا ".

صورة منتزعة من الواقع، أيام الإنسان يحمل بيده أشياء ثقيلة وفي أيام الشتاء الباردة، ويرتدي ثياب غليظة، فلو سأله طفل صغير كم الساعة، يضطر أن يضع الحاجة على الأرض، وأن يرفع بيده اليمنة كمه الأيسر، ويقول له الساعة السابعة يا بني، ألا يستحي رجل وقور من طفل صغير أن لا يرد عليه ؟

الله عز وجل يقول:

﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عباداتي سيدخلون جهنم داخرين﴾

(سورة غافر: 60).

ما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لنا، لذلك: " ولم أكن بدعائك رب شقيا "، لا يمكن أن يشقى مؤمن دعا الله عز وجل، والدعاء أيها الأخوة مخ العبادة، جوهر العبادة، قمة العبادة، ولا سيما إذا كنت محتاجاً، الدعاء عند الحاجة رقة، فهذه أول نقطة، " ولم أكن بدعائك رب شقيا "، ويجب أن يقول هذا الكلام كل مؤمن، يا ربي أنا لا أشقى بدعائك، في نقطة مهمة، يعني شوفي مصيبة كبيرة تفوق حد الخيال، إنسان يجد نفسه فجأةً في بطن حوت، في ظلمة بطن الحوت، وفي ظلمة الليل، وفي ظلمة البحر، سيدنا يونس.

﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾

(سورة الأنبياء: 87 . 88)

ثلاث ظلمات، " فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم "، والقصة انتهت واسمعوا التعقيب: " وكذلك ننجي المؤمنين "، هذا الكلام يعنينا نحن الأحياء، هل عندك مصيبة من أن تجد نفسك في بطن الحوت ؟ في الليل ؟ وفي بطن الحوت ؟ وفي ظلمة البحر ؟ ومع ذلك " فاستجبنا له " وليست له وحده، والدليل: " وكذلك ننجي المؤمنين " لذلك: " ولم أكن بدعائك رب شقيا"، اقرؤوا كتاب الأذكار للنووي، في دعاء إذا دخلت البيت، دعاء إذا خرجت من البيت، دعاء إذا أصيب الإنسان بمرض دعاء إذا خاف الإنسان، ما من حالة من حالات الإنسان، إلا وهناك دعاء نبوي، إذا دعوت الله بهذا الدعاء كشف الله عنك ما أنت فيه، فهذه الآية: " ولم أكن بدعائك رب شقيا " لا يشقى إنسان يدعو الله، لا يشقى إنسان يدعو الله أبداً.

النقطة الثانية:

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً (5)﴾

الملك تكون زوجته عاقر، لا يدع طبيب بالعالم، ما في أمل، هناك ملوك يحبون زوجاتهم، وزوجته عاقر، علم البشر كله ليس فيه حل لهذه القضية، فما طلب شيء سهل، قال:

﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً (6) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً (7) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً (8)﴾

الإنسان أيها الأخوة من رحمة الله بالبشر أن المرأة في عندها بيوض محدودة، كذا ألف بيضة، كذا مائة ألف بيضة، هذه تنتهي في سن اليأس، في 40 . 45 . 48 . 52 . نقول دخلت المرأة سن اليأس، لم يعد في إنجاب، لو كانت هي منجبة، في عندها سن اليأس، السبب أن البيوض محدودة، تصور امرأة عمرها 90 سنة وحاملة، غير معقول ؟ أما الرجل ينجب بالتسعين، أو في الثمانين، انظر إلى حكمة ربنا عز وجل، أن الرجل قدرته على الإنجاب مستمرة حتى الموت، بينما المرأة قدرتها على الحمل محدودة، إلى سن اليأس، هذا من رحمة الله بالإنسان، هو كان كبيراً في السن، وامرأته عاقر.

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً (9)﴾

" قال كذلك " فالإنسان لا تستعظم شيء على الله عز وجل، أشخاص كثيرون معهم أورام خبيثة والله أعرف صديقاً نمى عنده ورم خبيث في الرئة، أعرفه معرفة جيدة، والأطباء الذين عالجوه، واتفقوا على أنه ورم خبيث من الدرجة الخامسة أعرفهم واحداً، واحداً، وزرته مرتين أو ثلاثة في البيت، وفي مرة والله بكيت، ثم انحصر هذا المرض، والله بلا علاج وبلا عملية، وبلا، والآن حي يرزق، والقصة من 12 سنة، أنا عندي عشرات

القصص، مهما كان شيء مستعصي، مرض خبيث، مرض في القلب، في الكليتين، الله على كل شيء قدير، " قال كذلك قال ربك هو علي هين "، إذا اعتقدت أن قدرة الله تتعلق بكل ممكن، أي شيء الله عليه قادر أولاً: " ولم أكن بدعائك رب شقيا "، ثانياً:

﴿ الله على كل شيء ﴾

(سورة الطارق: 12).

في إنسان عنده زوجة سيئة، الله يصلحها له، عنده أولاد الله يصلحهم له، عنده مرض الله يشفيه منه، عنده فقر متقع الله يغنيه، العبرة أن تتصل بالله، وأن تسأله.

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً (9) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً (10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً (11) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً (12) وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً (13) وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً (15)﴾

وهذا الكلام لكل مؤمن، طبق أمر الله بقوة، ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط، " خذ الكتاب بقوة"، لا تتقيد الرخص هذه مسموح فيها، وهذه الله يسامحنا، وهذه عبيد إحسان مالنا عبيد امتحان، وهذه بلوى عامة، ما عاد في شيء من الدين، " خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا، وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا "، من حنان الله بنا، وحرصه على هدايتنا، وعلى تزكيتنا، كنا كما نحن عليه، كل واحد منا له عناية مشددة، بقلك دخل عناية مشددة، كل مؤمن بالعناية المشددة، الله يتابعه، يحاسبه، يخوفه، يطمئنه، يرزقه يحجب عنه يضيع له ماله، تصيبه أوهام، أمراض، مخاوف، هذه هي العناية المشددة، لولا رحمة الله بنا، ولولا حرصه على تزكيتنا، وهدايتنا، وإسعادنا، لما كنا كذلك.

أيام يبعثوا واحد يدرس باختصاص نادر بقلك هذا مكلف الدولة ثلاثمائة مليون، وكل واحد من المؤمنين مكلف آلاف، ملايين الإجراءات التي تسوقه إلى باب الله عز وجل، كل أفعال الله هدفها أن تسوق المؤمن إلى باب الله، " وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا "، لولا حرصنا على هدايته، وتزكيتنا له لما كان تقيا، إذا الإنسان غلط وبقي غلطان، والله ما نبهه، ولا خوفه، ولا حذره، إلى أن ينتهي أجله فدخل النار، هذا ليس واقع، " وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا " يعني إذا الله وهب الإنسان ولد صالح، يحب أن يسجد لله عز وجل، ويشكره على هذه النعمة، الابن الصالح قرة عين، " وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا "، الابن الجبار، العصي، الشقي، هذا يشقي والديه.

لذلك أخوانا الكرام: لو تفوقتم في الدنيا، لو تفوقتم في كسب المال، في نيل الشهادات العليا، ولم تهتموا بأولادكم، الإنسان يشقى بشقاء أولاده، يعني أحد أكبر مهماتنا بالحياة تربية أولادنا التربية الصالحة، وشعور الأب حينما يرى ابنه في طاعة الله، ليس جباراً ولا عصياً، هذا الشعور لا يقدر بثمن، لا يعرفه إلا الأب الذي رأى أبناءه كذلك، فهذه القصة نستفيد منها، في ضرورة العناية بأولادنا، نستفيد منها في خطورة الدعاء في حياتنا، " ولم أكن بدعائك رب شقيا " ومهما كان الأمر فيما يبدو لك مستحيلاً هو على الله هين، ومهما بدا لك الأمر مستحيلاً لأنه يخالف ما ألفه الناس، احفظ، " ولم أكن بدعائك رب شقيا "، إذا كان طلبك كبير كثير، الجواب هو: " هو علي هين "

الشيء الثالث: ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط .

الشيء الأخير: لولا رحمة الله بنا، وحنانه علينا، وحرصه على هدايتنا، لما كنا كذلك، لكن كل واحد مكلف آلاف آلف ملايين الأفعال الإلهية التي ساقته إلى بابه، قصص كثيرة جداً، يغلط الإنسان غلطة الله يعاقبه عليها، ما من عثرة ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم، وما يعفو الله أكثر، فإذا الإنسان، الله عز وجل ساق له الشدة لذنب ارتكبه، الآن في أب يضرب ابنه ضرباً مبرحاً دون أن يعلمه السبب ؟ لا يكون مربي، هذا أب جبار يكون، إذا آلمه من ابنه شيء وبطش به ولم يعلمه السبب إطلاقاً، ينشئ عند الابن حقد، ويحتار لماذا ضربني والدي، أما الأب الرحيم المربي يقول له هذه من أجل كذا معنى ذلك أن كل مصيبة يسوقها الله عز وجل.

﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء علي﴾

(سورة التغابن: 11).

ربنا عز وجل إذا أرسل مصيبة يلقي في روعك أن هذه من أجل كذا، هذا إلهام، وفي طريق ثاني، توافق المصيبة مع الذنب يشعر أنها من أجل ذلك، إما توافق، أو، واحد لم يدفع زكاة ماله، الله اتلف له مال بقدر الزكاة، هذا إعلام له، إنسان نظر إلى الحرام دخل إلى بيته فشقي بزوجته دخل الشيطان إلى البيت، من كلمة لكلمة أذهبها إلى بيت أهلها، أهلها علموا بها، وبعدين طلقها، بعدين ندم عنده أولاد، من أين بدأت المشكلة ؟ من إطلاق البصر للحرام، أحياناً يكون العقاب من جنس الذنب، هذا إعلام من الله، وأحياناً الله يلقي في روعك أن هذه من أجل كذا هذا معنى: " وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا، وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا"، إذا واحد عنده ابن صالح لا يقول أنا ربيته، أنا اعتنيت فيه، الله قال:

﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾

(سورة العنكبوت: 27)

وهبنا، هبا، ممكن تكون أكبر علماء العالم ويأتيك ابن شقي سيدنا نوح أليس نبي ؟ ما كان ابنه كافراً ؟ كان كافر، لا أحد يعزي ابنه الصالح لتربيته، وأنا مهتم فيه من صغره، أنا حريص عليه، هو جيد عملك، لكن قول هذا من فضل الله عليّ، يلي عنده ولد يصلي، صالح لا يسبب له متاعب، قرة عين له، يجب أن تشكر الله ليلَ نهاراً على أنه وهب لك هذا الابن الصالح.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-8) : تفسير الآيات 16 - 18 ، حقوق المرأة مساوية لحقوق الرجل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الكرام:

في سورة مريم التي سميت باسم السيدة مريم الله جل جلاله ذكر قصة هذه الصديقة قال تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾

قال تعالى:

﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴾

(سورة المائدة: 75)

" وأمه صديقة "، مبيناً أن المرأة لا تقل عن الرجل إطلاقاً، لا من حيث التشريف، ولا من حيث التكليف، ولا من حيث المسئولية إنها مساوية للرجل مساواة تامة، في التكليف، مكلفة بالإسلام والإيمان كما هو مكلف بالإسلام والإيمان، مشرفة بأنها المخلوق الأول، كما أنه المخلوق الأول، ومسئولة عن بيتها، وعن زوجها، وعن أولادها، كما هو مسئول عن بيته، وعن زوجه، وعن أولاده، المرأة مساوية للرجل في التكليف والتشريف والمسئولية، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾

(سورة الأعراف: 189)

أي أنها تحب كما تحب، وتكره كما تكره، وترجو ما ترجو وتسعد بما تسعد، وتعرف الله كما تعرفه، وتتصل به كما تتصل به وتتعلم أحكام دينها، كما تتعلم أحكام دينك، وأية نظرة، ينطلق منها الرجل إلى أن المرأة دون الرجل، للمتعة، للخدمة، للطبخ، لغسل الغسيل، هذه نظرة جاهلية، بعيدة عن منظور الإسلام، المرأة في الإسلام مساوية للرجل، والدليل:

﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾

(سورة الأحزاب: 35)

لماذا ذكر الله المرأة مع الرجل ؟ تأكيداً لهذه المساواة.

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾

(سورة النحل: 97)

الله جل جلاله يقول:

﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾

(سورة آل عمران: 195)

يعني القرآن الكريم بكل آياته، والسنة المطهرة بكل تفاصيلها، تؤكد أن المرأة مساوية للرجل، يعني عليك أن تعتني ببناتك كما عليك أن تعتني بأبنائك، عليك أن تعطينهن نصيبهن كما عليك أن تعطي أبنائك نصيبيهم، هذا الذي يحرم البنات، يقول هذا المال يذهب للغريب، يغير شرع الله، يغير أحكام الميراث، منطلقاً من نظرة غير واقعية للمرأة هذا الإنسان ما عرف حقيقة هذا الشرع الحنيف.

إذاً أول فكرة، لماذا ذكر الله السيدة مريم ؟ لأن امرأة عمران قالت:

﴿ إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴾

(سورة آل عمران: 35)

كل أملها أن يأتيها غلام يخدم في بيوت الله، قالت:

﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾

(سورة: آل عمران 36).

الخير كله في هذه الأنثى، في رجل أسمه أنس بن عامر، تزوج امرأة في المدينة المنورة، يوم دخل بها، ما أعجبته، وندب حظه شعرت عليه، وقالت له: قد يكون الخير كامناً في الشر، ولم يستجيب لها، وخرج من البيت، وهام على وجهه عشرين عاماً، عاد إلى المدينة، ومن السنة أن يصلي الإنسان الصلاة قبل دخوله البيت، دخل إلى المسجد، فإذا فيه درس علم كبير، وجمع غفيرٌ غفير ملتف حول شاب صغير، لا تزيد سنه عن عشرين عاماً، سأل من هذا العالم الشاب قالوا هذا مالك بن أنس، فقال له يا بني: قل لأمك إن في الباب رجلاً يقول لك قد يكون الخير كامناً في الشر، في إنسان يتبرأ من البنت قد يكون الخير كله في البنت، لذلك من جاءه بنتان وأحسن تربيتهما، فأنا كفيله في الجنة، من عنده فتاة عليه أن يعتني بها عناية لا حدود لها يعلمها أمر دينها، يعلمها القرآن، إنك إن هديت شاباً هديت شاباً، أما إن هديت فتاةً هديت أسرةً، أسرة بأكملها، هذه أليس لها زوج ؟ أليس لها أولاد، ربنا سبحانه وتعالى ذكر قصة السيدة مريم كي نعرف أن المرأة مساوية للرجل تماماً، في التكليف، في التشريف، وفي المسئولية، تصلي كما تصلي، وتتقرب من الله كما تتقرب، وتعرف الله كما تعرف، وترضي الله كما ترضيه، وتحب كما تحب، وتكره كما تكره، وتسمو كما تسمو، هذه نظرة الإسلام، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حينما جاءته فاطمة ضمها، وشمها، وقال: ريحانة أشمها وعلى الله رزقها، وكان يقول عليه الصلاة والسلام: فاطمة بضعةٌ مني فمن أكرمها فقد أكرمني، ومن أبغضها فقد أبغضني، ومن عنده بنات يعرف، كيف أن الفتاة تتعلق بأبيها أشد التعليق، أنا لا أريد إنسان مسلم يعامل ابنته أقل من ابنه، يأمن لأبنه بيت، ومعمل، وسيارة، وابنته، أخي حتى يأتي نصيبها، أنت خصص لها بيت صغير يأتي ألف واحد من أرقى الناس، لماذا ابنك له بيت، وسيارة، ومعمل ؟ وابنتك هذه مثل ابنك تماماً، والله الذي لا إله إلا هو حينما أرى أب هو ميسور الحال ويخصص لابنته بيت صغير، والله أكبره أشد الإكبار وإذا سكن به زوجها ماذا يعني، زوجها أقرب الناس لها، أكثر الناس يحاول أن يحرم الفتاة، يعمل طريقة أنه كل شيء للذكور، المحل لابنه، والبيت لابنه، والبنت ليس لها حق عندك ؟

أيها الأخوة:

هي مساوية له تماماً في التكليف، وفي التشريف، وفي المسئولية لكن ربنا عز وجل قال: " وليس الذكر "

معنى ذلك أن المرأة لها مهمة في الحياة، لذلك خصائصها النفسية، والعقلية، والجسمية والاجتماعية متناسبة مع مهمتها في الحياة، وخصائص الرجل الجسمية والنفسية، والاجتماعية، والعقلية، متناسبة مع مهمته في الحياة.

امرأة جاءت النبي عليه الصلاة والسلام قالت يا رسول الله: إن زوجي تزوجني وأنا شابة، ذات أهل، ومال، وجمال، فلما كبرت سني، ونثر بطني، وتفرق أهلي، وذهب مالي، قال أنت عليّ كظهر أمي، ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، دقق التعبير، هي مهمتها تربية الأولاد في البيت، وهو مهمته كسب الرزق خارج البيت.

لذلك ما زاد من عاطفة المرأة، واهتمامها بالقضايا الجزئية، وما نقص من حدة إدراكها، وضعف اهتمامها بالقضايا العامة، كمال فيها، وما زاد من عقل الرجل، واهتمامه بالقضايا الكبرى، وما نقص من عاطفته، واهتمامه بالقضايا الصغرى كمال فيه، فنقصها كمال، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام لعن المتشبهين من النساء بالرجال، عبر عنها علماء النفس بالأنوثة، أية امرأة كاملة تحافظ على أنوثتها، ومن أول علائم أنوثتها حيائها.

﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾

(سورة القصص: 26)

ما الذي يعجب الفتاة في الرجل ؟ قوته وأمانته، ما الذي يعجب الرجل بالفتاة ؟ حيائها، من علامات أخر الزمان، أن يرفع الحياء من وجوه النساء، لا تستحي، تطلع فيك، تزورك، تدخن، وتسب الدين كمان، أن يرفع الحياء من وجوه النساء، وأن تنزع النخوة من رؤوس الرجال، وأن تنزع الرحمة من قلوب الأمراء، لا رحمة في قلوب الأمراء، ولا نخوة في رؤوس الرجال، ولا حياء في وجوه النساء

﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾

الدرس الماضي، وهذا الدرس ألح على أن أعظم عمل على الإطلاق تعمله أن تحسن تربية أبنائك وبناتك، تربي ابنك ليكون داعية إلى الله عز وجل، وتربي ابنتك لتكون زوجة كاملة يسعد بها زوجها وأولادها، والمجتمع من بعدها، " وليس الذكر كالأنثى "، أي أن للمرأة خصائص.

أنت تحتاج إلى مركبة تأخذك إلى نزهة جميلة، صوتها ناعم ومقاعدها وثيرة، يسمونها مركبة سياحية، وتحتاج إلى تركس، لتهدم به بناء، خصائص هذه الآلة، غير هذه المركبة، فقوة هذه الآلة وجبروتها، وأحصنتها العالية جداً، وضجيجها، وحجمها، ورافعتها كمال فيها، ونعومة هذه السيارة وصوتها المنخفض، ومقاعدها الوثيرة وحجمها المعقول كمال فيها " وليس الذكر كالأنثى " الذكر خصه الله بخصائص جسمية، وعقلية، ونفسية، واجتماعية، تتناسب مع مهمته في الحياة، ما هو الفساد ؟ اختلاط الأوراق، أن تقف المرأة موقف الرجل، أن تدخل في غمار الحياة كالرجل، أن تختلط مع الرجال، هي محببة للرجال، جعلها مسعدة

لزوجها، ولأولادها، ولمن حولها فأصبحت تمتع كل الناظرين بها، والناظرون قد يريدون بها شراً، لذلك الفساد، الله قال:

﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾

(سورة الأحزاب، 33)

يعني جزء من دينك أن تعرف موقع المرأة من الدين، جزء من دينك أن تعرف مال لزوجتك عليك من حق، وما لها عليك من حق أن تعرف مال لبناتك عليك من حق، أحياناً البنت كما ورد في السنة تقف يوم القيامة وتقول يا رب لا أدخل النار حتى ادخل أبي قبلي، طبعاً إذا اخترت لها زوجاً غنياً، ولم تهتم بدينه، فأطلقها، وجعلها تختلط مع الرجال، وأفسد أخلاقها، وأفسد سيرتها، الأب مسئول طبعاً حتى يزوجها من الشاب المؤمن أو يموت عنها، هكذا، جزء من دينك أن تعرف كيف توسوس زوجتك وبناتك، هذه الزوجة في رقبتك، أعود إلى ما بدئت به، حينما ينطلق الرجل من أن المرأة دونه، للخدمة، للطبخ للغسيل، لغسيل الصحون، لقضاء حاجته، هذه نظرة جاهلة، وربما كانت المرأة أفضل من الرجل، المرأة المؤمنة، والله الذي لا إله إلا هو، قلامة ظفرها أفضل عند الله من مائة ألف رجل فاسق، يلي عنده زوجة لا يقطف ثمارها المادية، يعتني بدينها، يعرفها بربها، يتيح لها أن تطلب العلم عن طريقه، أو عن طريق كتاب، أو عن شريط، أو مجلس علم مضمون، يلي عنده فتاة عليه أن يعلمها، كي تكون صدقة جارية له بعد موته، " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له "، السيدة مريم صديقة قبل النبوة بقليل، قال عليه الصلاة والسلام: " كمل من الرجال الكثير ولم يكمل من النساء إلا أربع، مريم ابنة عمران، وأسيا امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد "، الأربعة كمل، صديقات، ونساء مؤمنات، طاهرات، عفيفات.

﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا ﴾

(سورة التحريم: 5).

الهدف من تقديم هذه الآيات أن تعتني بالمرأة، امرأة، وأماً وبنتاً، وأختاً، وما في عمل أعظم من أن تعتني بالمرأة لأن النبي الكريم أوصانا بها في حجة الوداع، " أوصيكم بالنساء خيراً "، وكل زوج قلب مفعم رحمة تجاه زوجته وبناته، ولا يظلوهن إلا مجرم، إلا بعيد عن الدين، إلا ذو القلب القاسي.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-8) : تفسير الآيات 18 - 26 ، صفات المرأة وفوائد التمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

صفات المرأة المؤمنة :

في قصة السيدة مريم هذه الصديقة ، الذي ضرب الله لنا بها مثلاً في الطهر والعفاف أيها الأخوة ؛ في القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى صفات المؤمنات ، فهذه المرأة الطاهرة العفيفة التي فاجئها ملك ، فظنته رجلاً قالت :

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ﴾

[سورة مريم الآيات : 18-22]

1- الخوف والحياء :



فالصفة هنا الخوف ، الخوف من الصفات المحمودة من النساء ، لا أقول البخل ، لكن عدم إتلاف المال من الصفات المحمودة في النساء ، والحياء من الصفات المحمودة في النساء ، لذلك من علامات آخر الزمان أن الحياء يرفع من وجوه النساء .

﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾

[سورة القصص الآية : 26]

أعجبها ، في سيدنا موسى ، أعجبها قوته ، وأمانته ، وأعجبه فيها حيائها .

﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾

[سورة القصص الآية : 25]

معنى الاستعاذة :

أما هذه الآية يسأل عنها كثيرون ، قالت :

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ ﴾

أخوانا الكرام ؛ الاستعاذة ورد بها آيات كثيرة ، الله عز يقول :

﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾

[سورة الفلق الآية : 1]

وقال :

﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾

[سورة الناس الآية : 1]

﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾

[سورة الأعراف الآية : 200]

نحن مأمورون أن نستعيذ من الشيطان الرجيم ، يقول أحدهم أنا أستعيذ بالله من الشيطان ، ولا أقطف الثمار، فما تفسير ذلك ؟

العلماء اتفقوا ، وأجمعوا على أن الاستعاذة التي أمرنا الله بها لا تقبل إلا بحضور القلب ، أما أن تستعيذ باللسان هذا كلام لا يقدم ولا يؤخر ، لابد من أن تستعيذ بقلبك ، لابد من أن تتوجه بقلبك إلى الله ، لابد من أن تستحضر عظمة الله عز وجل ، إذا استعذت بالله كما أراد الله فأنت أقوى من الشيطان بمليار مرة ، ولا تنسوا أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ﴾

الآن دققوا .

﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾

[سورة إبراهيم الآية : 22]



الشيطان ليس له على الإنسان سلطان ، لا يملك إلا أن يوسوس أنت إما أن تستجيب ، وإما أن لا تستجيب ، وإذا وسوس بإمكانك أن تستعيذ بالله عز وجل ، مع حضور القلب يحترق الشيطان ، وانتهى الأمر .

لا بدنا شيخ يفك السحر ، ولا بدنا مشعوذين ، ولا بدنا خروف يقدم إلى فلان ، ما بدنا شيء إطلاقاً ، لا نملك إلا أن نستعيذ بالله كما أمرنا الله ، وما سوى ذلك ، بدع في الدين ما أنزل الله بها من سلطان ، ما سوى الاستعاذة بالله عز وجل مع حضور القلب .

﴿ قَالَتْ إِنّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾

إذا وصلت هناك إشكال بالآية ، أما :

﴿ إِنّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾

تعرف معنى استعاذتي ، وإن كنت تقياً لا تضرني ، خافت ، خوفها دليل عفتها ، الآن المرأة تخوف ، الأصل المرأة تخاف ، أما حينما تتواقح ، وتبتعد عن الله عز وجل ويركبها الشيطان ، تصبح المرأة هي المخيفة ، قال يا بابا لا تسرع ماما في انتظارك ، يعني في قدامك مشكلة .

﴿ إِنّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾

2- العفة والشرف :

ثم تأتي الآيات فيقول الله عز وجل .

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾

[سورة مريم الآيات : 23-25]

أعظم شيء تملكه المرأة ، شرفها ، وعفتها ، أثمن شيء تملكه ، لذلك ورد في الأثر أن قذف محصنة ، يهدم عمل مائة سنة ، مالك حق تتكلم لا إشارة ، ولا عبارة ، ولا تصريح ، ولا تلميح ، ولا تهز قميصك أن فلانة الله أعلم ، لا نعرف ، قذف محصنة يهدم عمل مائة سنة ، لذلك هذه المرأة الطاهرة ، الصديقة ، حينما امتلئ

بطنها بالحمل ، ولم يقاربها إنسان ، ماذا تقول لقومها ؟ لذلك الإنسان لما يتكلم بالأعراض يعد للمليون ، لأن الله كبير ، ماله متأكد ، كلمة ، إشارة ، سمعة ، اتهام لذلك الله عز وجل ، جعل أطهر سيدة ، السيدة عائشة يتكلموا الناس عنها بالفاحشة ، جبراً لخاطر أية امرأة بريئة ، لمليون سنة قادمة ، أية امرأة ، طاهرة ، بريئة ، عفيفة ، كاد لها خصومها ، واتهموها بالفاحشة فلها بالسيدة عائشة أسوة حسنة ، لماذا سمح الله لهذا الحدث أن يقع ؟ لتكون السيدة عائشة ، قدوة ، لكل امرأة ، طاهرة ، عفيفة ، تكلم الناس في شرفها .

﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً * وَهُزِّي إِلَيْكِ ﴾

[سورة مريم الآيات : 23-25]

ضرورة الأخذ بالأسباب :



بربكم لو وقفتم أمام نخلة عملاقة هل بإمكانكم أن تهزوها ؟ طيب ما معنى هذه الآية ؟ يعني خذي بالأسباب.

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾

1- السعي :

معنى ذلك أن تأخذ بالأسباب فقط ، وعلى الله النجاح ، عليك أن تأخذ بالأسباب ، وعندئذٍ توكل على رب الأرباب ، لذلك لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، والطيور أين تقعد بأعشاشها ؟ تغدو ، يعني أعلى نوع من التوكل ، الطير ، ومع ذلك تغدو خماصاً ، وتروح بطاناً ، في غدو ، وفي رواح، الطير تغدو ، والسيدة مريم ، قال لها هزي ، وأنا والإنسان المقصر بقلك ما في رزقه ، تحرك ، اطلع من

بيتك بكير ، افتح محلك ، لذلك إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليكم بالكيس ، فإذا غلبك أمر ، فقل حسبي الله ونعم الوكيل ، لا تقول حسبي الله ونعم الوكيل ، إلا بعد أن تستنفد كل الجهد ، اسعى ، إن الله يلوم على العجز ، الاستسلام ، الكسل ، عدم الحركة ، عدم السعي ، هذا ليس من صفات المؤمن ، إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا ، واحدة .

2- احتساب أمرك لله تعالى :

أنت حينما تسعى ، لو أن الله سبحانه وتعالى لحكمة بالغة لا تعرفها ، ما مكنك مما تسعى إليه ، الآن تقول: حسبي الله ونعم الوكيل ، لا تقال هذه الكلمة ، كما أرادها النبي إلا بعد أن تستنفذ السعي وهذه مشكلة المسلمين اليوم ، أعدائهم أخذوا كل الأسباب وتوكلوا عليها فأشركوا ، وهم تركوها فعصوا ، زاعمين أنهم متوكلون ، وهذا ليس هو التوكل ، هذا تواكل .

سيدنا عمر رضي الله عنه سأل أناس فقراء في أثناء موسم الحج .

قال : من أنتم ؟

فقالوا : نحن المتوكلون .



قال : كذبتم ؛ المتوكل من ألقى حبة في الأرض، ثم توكل على الله .

سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام أمسك بيد سيدنا المسعود فكانت خشنة ، من كثرة العمل، فأمسك بيده ، ورفعها بين أصحابه ، وقال إن هذه اليد يحبها الله ورسوله .

وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول إن أرى الرجل ليس له عمل ، فيسقط من عيني ، ومن بات كالاً في طلب الحلال بات مغفور له ، من بات كالاً ، وسبحان الله لحكمة أرادها الله جعل الحلال صعباً ، والحرام سهلاً ، أيام واحد يغض بصره عن شغلة يأخذ مليون ليرة ، عن غض بصر ، وأيام حتى يجيبهم بدو سنتين ليل نهار هو وشركاته ، لحكمة أرادها الله جعل الله الحلال صعباً ، لو أنه جعل الحلال سهلاً لأقبل الناس عليه ، لا حباً لله ، ولا طلباً لمرضاة لأنه سهل ،

لكن الحلال صعب ، أما الحرام سهل ، إذا في فساد تجمع ملايين في جهد قليل ، بلا جهد ، فلذلك من بات كالاً في طلب الحلال بات مغفور له ، والمال يذهب من حيث أتى ، المال الحلال ينفع المؤمنين ، لكن المال الحرام لا يتلف ليتلف معه صاحبه .

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾

فوائد التمر:

التمر عقد مؤتمر حوله .



أخوانا الكرام ؛ التمر من الفم إلى الدم ، أقصر زمن على الإطلاق ، عشرين دقيقة ، إذا الإنسان قبل أن يتناول طعام الإفطار برمضان ، وإذا كان صائم صيام نفل وأكل ثلاث تمرات ، وصلى المغرب ، والسنة ، هذا التمر صار في الدم ، شعر بالشبع ، الآن يأكل أكلاً معتدل ، هذه سنة النبي ، أسرع مادة سكرية تصل إلى الدم هو التمر .

الشيء الثاني التمر فيه مادة مهدئة ، يلي عنده توتر عصبي ، عليه بالتمر ، التمر مادة قابضة ، يلي عنده تميع بالدم عليه بالتمر ، والتمر مادة ملينة ، المرأة التي سوف تلد ماذا تحتاج ؟ تحتاج إلى مادة ملينة ، لأن الكتم بأمعائها يعيق الولادة ، وتحتاج إلى مادة قابضة ، لأن سينفتح آلاف الشرايين ، بدها مادة تجمد الدم ، وتقبض الأوعية ، والمرأة بحاجة إلى طاقة ، لأن الطلق جهد عنيف جداً ، فهذا التمر فيه طاقة ، ومادة ملينة، ومادة قابضة ، ومادة تعين على تقلصات الرحم ، أربع صفات فيه ، والتمر لا يتلوث ، تركيز السكر فيه تمتص ماء أية جرثومة وفيه 46 مادة غذائية ، ويسميه بعض العلماء صيدلية في تمرة .

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ﴾

[سورة مريم الآيات : 25–26]

نصيحة :



أخوانا الكرام ؛ نصيحة أخ محب ، هذه الأغذية المستوردة ، أيام فيها مواد تعين على الإدمان ، تلاقي الطفل معلق بهذه الأكلة ، ليس طبيعي تعلقه ، غير معقول ، يسرق ويشتريها ، يضعون فيها مادة تعين على الإدمان ، والمواد الدسمة ، مواد مأخوذة من شحم الخنزير في أغلب الأحيان، نحن نأكل ، التمر ، اللبن ، الليمون ، هذه الأغذية الطبيعية التي خلقها الله لنا ، هذه تنمي أجسامنا ، وتحفظ أعضائنا ، أما كل شيء مستورد ، قد يكون الذبح غير شرعي ، قد يكون صعق ، ويكتبون على أي علبة سردين ذبح على الطريقة الإسلامية ، سردين معناها كذب ، علب السردين فيها سمك ذبح على الطريقة الإسلامية ، معناها شو بدك بس اشتروا من عنا ، أكثر البضاعة المستوردة ممنوع استعمالها ببلد المنشأ ، هم يحرمونها على أنفسهم ، لكن يبيحون أن يصدروها للشعوب المتفلتة .

الإنسان قد ما يقدر يقرب من الغذاء الطبيعي ، التمر مادة أساسية اللبن مادة أساسية ، الليمون مادة أساسية، كثير من الشربات ليس فيها من المواد الغذائية شيء إطلاقاً ، كلها مواد كيماوية ، والناس يتهافتون عليها ، كلها مواد كيماوية ، وهذه المواد تعمل تراكمات ، يعني أحد أسباب انتشار مرض السرطان لكثرة تناول المواد الكيماوية ، تلاقي أنواع المشروبات البادرة ، كلها مواد كيماوية ، ليس فيها شيء من الطبيعي ، فهذه الآية إشارة إلى أن التمر مفيد ، والعسل مفيد ، اللبن مفيد والإنسان يقرب من المواد الطبيعية ، بدل هذه الأشياء التي لها بهرج لكن في حقيقتها لها ضارة .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-8) : تفسير الآيتان 37 – 38 ، الاختلاف بين الناس على ثلاث مستويات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

في آخر قصة السيدة مريم، الصديقة، قوله تعالى:

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38)﴾

معنى أسمع بهم وأبصر ؟ وما هي هذه الصيغة ؟ هل هي فعل، اسم ؟ هذه صيغة من صيغ التعجب، القياسية، في اللغة العربية تقول ما أعدل القاضي الصيغة الأولى، وأعدل به، ما أغنى هذا الرجل ما أعظم هذا الرجل، وأعظّم به، فأفعل به صيغة من صيغ التعجب في اللغة العربية، فربنا سبحانه وتعالى يقول، هذا الخلاف الذي بينهم في الدنيا خلاف ليس سببه نقص العلم، ولكن سببه البغي، والحسد، لذلك الإنسان حينما ينقطع عن الدنيا، لو إنسان له دخل كبير من طريق ربوي، لا يحتمل أبداً أن يكون الربا محرماً، يقول لك لا، هذا الربا الذي تقول عنه ربا القروض، أما هذا ربا الاستثمار، ماله حرمه أبداً، ما عنده إمكانية يقبل كلامك، ما الذي أعماه عن الحقيقة ؟ الشهوة، المنفعة، المال، فإذا الإنسان تلبس بالشهوات يعمى عن الحقائق، أما حينما يموت، وتذهب عنه الشهوات، يصبح على مستوى عالٍ جداً من الفهم، والرؤية، والسمع قال الله:

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37)﴾

في هذا اليوم، حينما تنقطع الشهوات، وتنقطع المصالح، وتفنى الدنيا، ولا مال، ولا شهوات، ولا نساء، ولا مناصب، قال عندئذٍ:

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾

يعني ما أشد سمعهم، وما أشد بصرهم، بس ما في عمل، بعد فوات الأوان، وقت في أمل ما في سمع وبصر، وهو في الدنيا أبواب التوبة مفتحة أمامه، بس ما في رؤية صحيحة، ولا إصغاء للحق.

﴿آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44)﴾

(سورة فصلت: 44)

حبك للشيء يعمي، ويصم، حب الدنيا رأس كل خطيئة، الذي يعمي الإنسان عن الحقيقة في الدنيا شهواته، ومصالحه، ونزواته، وما هو فيه من نعيم موقت، أما إذا انقطعت الدنيا، وزالت الشهوات، يصبح الإنسان في أعلى مستوى من السمع، والبصر.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38)﴾

هذه الآية تذكرني في آية وردت في البقرة، على اتصال شديد بين المعنيين، هذه الآية في البقرة يقول الله عز وجل:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

يعني كانوا على الفطرة، ما في خلاف اطلاقاً.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)﴾

(سورة البقرة: 213)

الإنسان أيها الأخوة: آتاه الله عقلاً، آتاه الله حواساً ؛ كي يكشف ما حوله من مرئيات، ومسموعات، وروائح، وحاجات، فإذا أراد أن يعرف المحيط المادي الخارجي، سبيله الحواس الخمس، وهذه المعرفة معرفة من نوع اليقين الحسي، أما إذا أراد أن يعرف الله، والله لا تدركه الأبصار، فلا سبيل إلا للتفكر في خلق السماوات والأرض، عن طريق العقل، فمن خلاله يصل إلى الحقائق عن طريق اليقين العقلي، لكن مهما كان ذكياً وعاقلاً، ومهما أعمل فكره في خلق السماوات والأرض، هناك حقائق لا يمكن أن يعرفها، إلا أن يبلغها، هذه هو اليقين الإخباري، فعقلك يقول لك هذا الكون لابد له صانع، شي جميل، طيب من هو الصانع ؟ يأتي الوحي ويقول:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4)﴾

(سورة السجدة: 4)

لماذا خلق الإنسان ؟ الوحي يقول لك لماذا خلق.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

(سورة الذاريات: 56)

ما أثمن شيء في الحياة الدنيا ؟ العمل الصالح.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً (46)﴾

(سورة الكهف: 46)

في أشياء حسية، وأشياء عقلية، وأشياء إخبارية، الله عز وجل بعث الأنبياء والمرسلين ليعطونا الحقائق التي يعجز فكرنا عن الوصول إليها، ليحدثوننا عن ذات الله، عن كمالاته، عن أسمائه، ليحدثوننا عن أصل العالم، عن الماضي السحيق، ليحدثوننا عن المستقبل عن الجنة والنار، عن المخلوقات الغائبة عنا الجن والملائكة، هذه كلها بالوحي، لذلك كانوا الناس أمةً واحدة، من جبلة واحدة، وفطرة واحدة، وخصائص واحدة، ورغبات واحدة، وميول واحدة، لكن هناك حقائق لابد منها

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾

هذا أول خلاف، هذا خلاف نقص المعلومات، إذا ما في معلومات، نختلف، نتكهن، كل واحد يخطر بباله شيء، قد يكون صحيح، قد يكون غير صحيح، مثلاً لو كان اليوم 29 رمضان، واسمعنا العصر صوت، يا ترى ثبتوها ؟ بقلك لا عملوا طريق بالجبل، ما في شيء دقيق، ما في خبر إلا هذا الصوت، يا ترى غداً العيد؟ لما هذا انفجار بفتح طريق ؟ نقص المعلومات يساوي خلاف، أول خلاف نشأ بين البشر، أنه في عندهم معلومات ناقصة في دينهم، فجاء الأنبياء، وجاءوا بهذه المعلومات الصحيحة، الدقيقة، القاطعة، هذا الخلاف معقول، سببه نقص المعلومات، خلاف حيرة، لكن في خلاف ثاني قذر، قال:

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾

بعد أن جاءت الكتب، وجاء الأنبياء، ونزل الوحي، وجاء القرآن، في خلاف ثاني، الخلاف الأول خلاف طبيعي، خلاف نقص معلومات خلاف عجز، أما الخلاف الثاني خلاف قذر، خلاف حسد .

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾

هذا خلاف قذر، هذا خلاف حسد، خلاف تسابق على حطام الدنيا، خلاف مناصب، خلاف زعامة، هذا الخلاف يسبب الطعن، وأنت غلط، وأنا على صواب، هذا الخلاف بعد أن جاء القرآن، القرآن واحد، والسنة واحدة، والهدف واحد، وما في أي مبرر للخلاف، ومع ذلك خلافات لا يعلمها إلا الله، بسبب الحسد.

﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾

وفي الآن خلاف شريف في خلاف طبيعي، خلاف الحيرة، وفي خلاف قذر، خلاف الحسد، وفي خلاف شريف، خلاف التنافس.

لنبي عليه الصلاة والسلام، كان إذا استيقظ في الليل يدعُ بهذا الدعاء

((عن أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، افْتَتَحَ صَلاتَهُ اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.))

[أخرجه مسلم والترمزي والنسائي وابو داود وبن ماجه وأحمد واللفظ له]

وأنت بالحق، وأنت في حقل الدين، وأنت في دائرة الحق يا ترى أيهما أولى صلي، لما أطلب العلم، صلي صلاة نافلة، أم أطلب العلم، دخلت لمسجد فيه مجلس علم، أجلس لأستمع، لما صلي عشر ركعات، في خلاف، يا ترى ألف كتب، لما أدعُ إلى الله شفهياً، يا ترى اذكر الله، ولا أعمل شيء إطلاقاً، وحافظ على طهارة قلبي، لما أخدم الناس، وأنت بالحق في متراجحات، في عمل فاضل، وفي عمل أفضل، في عمل حسن، وفي أحسن.

أول خلاف خلاف حيرة، طبيعي، الخلاف الثاني قذر، خلاف حسد، الخلاف الثالث خلاف تنافس، مثل إذا كان واحد ساكن ببيت أربعمائة متر، مليء بالأثاث، والأجهزة، وأدوات، أعطي أمر بالمغادرة خلال أربع وعشرين ساعة، معه يحمل فقط متر مكعب، ماذا ينقي من البيت ؟ يأخذ أغلى الأجهزة، وأقلها حجم، يأخذ الصيغة، الألماس، الذهب، إذا كان جهاز صغير كمبيوتر يأخذه، لا يأخذ كنباية متر مربع، بكون أحمق، يأخذ أثمن شيء، وأغلى شيء، لما الإنسان عايش عمر قصير، ممكن يقضي كل عمره بالتجويد، والتجويد بيطلع لبنه ببناء مائة طابق التجويد ضروري، لكن جزء صغير من الدين، ممكن تقضي كل حياتك بالمواريث فقط، بدك تختار الشيء الثمين، تختار معرفة الله عز وجل، تتحرك، تعمل شيء، الآن أنت مؤمن، أنت مع المؤمنين، بالحقل الديني، كمان هنا يوجد متراجحات، في عمل أجره قليل، في عمل أجره كبير، في عمل مادي، واحد ميسور هي مائة ألف، هي مائتان ألف، لكن ليس مستقيم، ظن نفسه بلغ الأوج، لا لم تبلغ الأوج، الله يريد نفسك، يريد إخلاصك، يريد طاعتك، فهذا خلاف تنافس، وأنت في الدين أن تصل إلى أعلى شيء بالدين، إلى معرفة الله، إلى العمل من أجل الله، ألم يقول الله:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12)﴾

(سورة الواقعة: 10 . 11)

وفي أصحاب اليمين، قال له يا سيدي كم الزكاة ؟ قال له: عندنا أم عندكم، قال له عجيبة كم دين في ؟ بعرف في دين واحد، قال له: عندكم، اثنان ونصف بالمائة، أما عندنا العبد وماله لسيده، بقلك أخي ساعة لك وساعة لربك، هذا عند عامة الناس، أما عند المؤمنين الصادقين كل وقته لله عز وجل، الخلاف الثالث

خلاف تنافس، أول خلاف، خلاف حيرة، ثاني خلاف، خلاف حسد، الخلاف الثالث، خلاف تنافس، الآية الآن:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

على الفطرة، ممكن بعقولهم أن يصلوا إلى الله، لكن عقولهم مهما كانت عظيمة لا تمكنهم من معرفة كل الحقائق، لابد من وحي.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾

خلاف حيرة، تكهن.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾

أما يكون في اختلاف، بعد ما جاءت البينات، بعد أن أنزل القرآن، يكون في خلاف ؟

القرآن قطع في كل شيء، وفصل كل شيء، ونختلف بعدها أيضاً . وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات . مفعول لأجله هي . بغيا بينهم . لأنهم حسدوا بعضهم بعضاً، هذا الخلاف القذر، الخلاف الأول طبيعي، خلاف حيرة، الخلاف الثاني، خلاف قذر، الخلاف الثالث، خلاف تنافس.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾

ضمن الحق، يجب أن تجمع بين أن تتزود بالعلم كغذاء لعقلك، وأن تتزود بالذكر كغذاء لقلبك، وأن تنضبط بالشرع كتقويم لسلوكك.

الدين في كليات ثلاثة، في جانب عقلي، في جانب قلبي، في جانب سلوكي، لازم تجمع، بين العلم، والذكر، والانضباط، والعمل الصالح، فإذا الإنسان دخل في حقل المؤمنين، لازم يبحث عن الشيء المجدي، الآن في إنسان يغوص يأتي بأصداف، إنسان يغوص يأتي بلؤلؤ، أنت غصت وغصت خذ لؤلؤ، الواحد انضم للدين، وآمن بالآخرة، لا تجعل عملك صغير، مادي، اجعل عملك كبير، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لو وزن إيمان الخلق بإيمان أبي بكر لرجح))

هنا الإنسان لما يصل إلى الله عز وجل، إلى شيء من معرفته يشعر بتفوق، التفوق.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12)﴾

هذه الآية صار عنا ثلاث اختلافات، خلاف بين الناس بسبب الجهل، خلاف طبيعي، وخلاف بسبب الحسد، خلاف قذر، و خلاف بسبب التنافس، هذا خلاف مقدس، الله يجعلنا من النمط الثالث أن نختلف، لكن على الأحسن، الله عز وجل قال:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)﴾

(سورة المطففين: 26)

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)﴾

(سورة الصافات: 61)

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)﴾

(سورة يونس: 58)

اجعل فرحك، وتنافسك، وعملك، للأفضل، تنافس مع إخوانك لا على جمع الدرهم، والدينار، على بلوغ مراتب العلم، على التفوق بالعلم، والاستقامة، وخدمة الخلق، والدعوة إلى الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-8) : تفسير الآيات 41 - 46 ، الأدب في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

في الإسلام كم تعلمون عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق هناك عقائد إسلامية، وهناك عبادات، صوم، صلاة، حج، زكاة، وهناك معاملات أحكام البيوع، أحكام الزواج، أحكام الطلاق، وهناك أخلاق إسلامية، في قصة سيدنا إبراهيم، التي وردت في سورة مريم الصديقة، إشارات لطيفة إلى بعض الأخلاق التي ينبغي أن يتخلق بها الإنسان اتجاه أبيه، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً (41)﴾

صديق صيغة مبالغة، على وزن فعيل، يعني كثير الصدق، والتصديق، الإنسان متى يصدق ؟ كلكم ترون أن هذا كأس ماء، فإذا قلت لكم هذا كأس ماء، تقولون صدقت، لأنكم تشاهدونني، فالذي يرى يصدق، والأعمى لا يصدق، ربنا عز وجل يقول:

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً (72)﴾

(سورة الإسراء: 72)

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)﴾

(سورة الحج: 46)

الإنسان حينما يستقيم على أمر الله، ويتصل بالله، يقذف الله في قلبه نوراً يريه حقائق الأشياء، فإذا هو مبصر، إذا قيل له الحقيقة الفلانية، يقول صح، وأنت أحياناً أثناء حديث مع شخص، إذا كان ذكرت بشيء هو يعرفه تماماً، بقلك صح، أو بالعشرة.

اليقين ثلاثة أنواع: علم يقين، وحق يقين، عين يقين.

علم اليقين: استنتاجي، نحنا عنا علم يقين قطعاً أن في هذا المسجد كهرباء، والدليل: تألق المصابيح، وتكبير الصوت، هذا علم اليقين.

أما الإنسان إذا مسك الكهرباء وانتفض بدنه، هذا أبلغ من علم اليقين، هذا أسمه حق اليقين.

عين اليقين أبلغ.

الأوضح من ذلك، لو رأيت دخان وراء جدار، تقول لا دخان بلا نار، هذا علم اليقين، ألتفت وراء الجدار، رأيت النار، هذا حق اليقين، لو لمست النار بيدك وشعرت بوهجها هذا عين اليقين.

إذا الإنسان في عنده يقين وسمع حقيقة نظرية بقلك صدقت، فلماذا صدق هذا النبي الكريم، لأنه رأى، فالإنسان إذا بلغ الرؤية هي مرتبة عالية جداً، هذه سماها النبي مرتبة الإحسان، أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، في عنا إسلام، إيمان، إحسان:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً (42)﴾

إذا أنت ساكت، الله يعلم، فإذا تكلمت الله يسمع، هل يكفي أن يعلم الله وأن يسمع ؟ الآن الله يستجيب، فعال، قدير، إذاً هو يعلم، ويسمع، ويستجيب، " **يا أبت لم** "، جاء الاعتراض على شكل الاستفهام، وألطف اعتراض، أن يأتي على شكل استفهام، لو أنه إنسان أمامك أخطأ خطأ فاحش، تقول له أخطأت، لم فعلت كذا ؟ الاعتراض على شكل استفهام لطيف جداً، هذا من الأدب.

﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً (42) يَا أَبَتِ﴾

الآن سيدنا إبراهيم عالم، وأبوه جاهل، لو قال له يا أبت أنت جاهل، شوف الأدب.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً (43)﴾

أيام الإنسان مالك فهمان يقول له، فيها وقاحة هي، أنا عندي معلومات يمكن أنت ما وصلتك، يعني أنا أعرف وأنت لا تعرف، لكن بين أن تقول له أنت جاهل، هذا سباب صار، أما إذا قلت له لقد بلغني من الحقائق ما لم تصلك، يعني أنا أعلم وأنت لا تعلم لكن بشكل لطيف.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً (43)﴾

أول أمر اعترض على عبادة غير الله، عن طريق الاستفهام الإنكاري، والآن قال له:

﴿قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾

هو لو جاءك لكنت مثلي، لكن هذا العلم لم يأتيك، أيضاً في تلطف ثالث.

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً (44)﴾

الإنسان إما أن يعبد الله، وإما أن يعبد الشيطان، إما أن يعبد الله، وإما أن يعبد شهوته، حينما يعبد الشيطان، الشيطان يأمرك بماذا ؟ بالفحشاء والمنكر، الشيطان يمثل الشهوة، والغريزة، والنزوة، والرحمان يمثل، القيم الرفيعة، والمبادئ.

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً (45)﴾

في بهذه الآية إشارة دقيقة، الإنسان أحياناً الله يؤدبه، ليصلحه، التأديب في مغامرة، قد ينتكس وهو يؤدب، أيام أنت قصدك تربي أبنك أحياناً أثناء العلاج، بالتأديب ينتكس، لما الإنسان يرتكب الأخطاء الفاحشة، ويعتدي على حقوق الآخرين، يستحق المعالجة والتأديب، في احتمال ينتكس.

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً (45)﴾

المس كما تعلمون، أقل مساحة، وأقل وقت، وأقل زمن، أيام الإنسان يمس المكواة، يضع لعاب على رأس إصبعه، بقدم أصغر مساحة على الإطلاق، بأقصر زمن، هذا المس، فربنا عز وجل إذا مس الإنسان بعذاب، لا يحتمل، الآن الكريزات ما بطول، بس الإنسان يطلع من جلده، كريزة رمل صعب كثير، يعني الآلام التي يسوقها ربنا للإنسان، وإن كان لدقائق، لا تحتمل، قلع الضرس من دون تخدير صعب كثير، أثناء قطع العصب بقلك أحسست برأسي أنقلع، هذا المس، طيب كيف العذاب المستمر، إذا المس بهذا الشكل.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً (46)﴾

كل الرقة، وكل الطف، وكل الأدب بكلام سيدنا إبراهيم، لذلك أحد العلماء قال لأحد تلاميذه، يا بني نحن إلى أدبك أحوج منا إلى علمك، المؤمن له آداب رفيع جداً، مرة واحد سأل عم النبي اللهم صل عليه، أيكما أكبر أنت أم هو ؟ قال: **هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله،** كل ما الإنسان أرتقى، في مراتب الإيمان يتملك أدباً رفيعاً، سيدنا يوسف قال:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾

(سورة يوسف: 100)

هو وضعوه في الجب، أخوته، أيهما اخطر الجب أم السجن ؟ الجب، في موت محقق، أم السجن ما في موت، يعني الطعام مضمون والشراب مضمون، بس في اسر حرية، لماذا قال:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾

ولم يقل من الجب، لو قال من الجب لذكر أخوته بجريمتهم، لئلا يخجلهم، ترك الجب وقال:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾

سيدنا عمر ماشي في الطريق في الليل، رأى أناس يضرمون نار، قال: **السلام عليكم يا أهل الضوء**، ولم يقل السلام عليكم يا أهل النار، تأدباً، لو تتبعت أقوال الصحابة، أقوال الأنبياء، لوجدت في أدبهم العجب العجاب، الإنسان كل ما ارتقى بالإيمان، بصير كلامه مهذب، النبي اللهم صل عليه، شاهد أحد قريباته ترتدي ثياب شفافة، قال:

((يا بنيتي إن هذه الثياب تصف حجم عظامك))

أنتقى كلمة لا تثير الشهوة أبداً، كلمة عظم لا تثير الشهوة، لكن كلمة أخرى، تثير الشهوة، الله عز وجل قال:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7)﴾

(سورة المؤمنون: من 5 إلى 7)

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾

كل انحرافات الجنس بهذه الآية.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7)﴾

قال لك:

﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾

(سورة النساء: 43)

بس مع الطفل ما بحس بشيء، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ﴾

(سورة الأعراف: 189)

لو تتبعت الآيات التي تصف النكاح في القرآن، كنايات لطيفة جداً فالإنسان يتعلم من القرآن، من الأنبياء، من أقوال النبي عليه الصلاة والسلام، من أقوال الصحابة، الأدب الرفيع.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً (42)﴾

اعتراض على شكل استفهام،

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً (45)﴾

فظاظة، هذا شئن الكفر، وهذا شئن البعد عن الله عز وجل، في قسوة، الله عز وجل قال:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)﴾

(سورة آل عمران: 159)

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

شوف هذا الآية ما أجملها، يعني بسبب رحمة استقرت في قلبك يا محمد، كنت لين لهم، فلما كنت لين لهم، التفوا حولك، وأحبوك، وتعلقوا بك، وهاموا بك حباً، وفدوك بأرواحهم.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً﴾

لو لم تستقر هذه الرحمة في قلبك من لوازم البعد عن الله، الفظاظة، والقسوة، كلام قاسي، تصرف أرعن، تعليقات لذعة، سخرية مرة، هجوم عنيف.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

يعني المعنى صار، يعني الإنسان إما أنه موصول بالله، في رحمة بقلبه، هذه الرحمة من لوازمها، لين الجانب، فلان لين العريك، يألف ويؤلف، بتلاقي شخص يقطر أدب.

أحد الصحابة الكرام لما رأى موقع بدر، الموقع ما أعجبوه، فجاء النبي، أنا أقول هذا الصحابي، يعني معجون بالأدب، قال يا رسول الله، هذا الموقع هو وحياً أوحاه الله إليك، أم هو الرأي والمكيدة يعني إذا كان وحي، لا يمكن يحكي حرف، النبي الكريم طبيعي، تكلف ما في، قال له بل هو الرأي والمكيدة، فقال يا رسول الله ليس بموقع، بكل بساطة، بكل عفوية، النبي أعطى أمر تحول الجيش إلى الموقع الذي راءه الخباب بن المنذر، وقف النبي الموقف الكامل، لمن أدى إليه النصيحة إلى يوم القيامة، فكل عالم، وكل أمير من بعده، إذا إنسان قدم لك نصيحة بإخلاص، أصغي وأشكره عليها، واستجب له، شوف الأدب، هذا الموقع وحياً أوحاه الله إليك، أم هو الرأي والمكيدة، فلذلك كل ما ارتقيت بسلم الإيمان، يرتقي أسلوبك بالكلام، تختار أجمل كلمة، وألطف عبارة، وتعليق لطيف، ولفت نظر لطيفة.

سيدنا الحسن والحسين، فيما يروى شاهدوا إنسان كبير في السن كان يتوضأ ويخطئ في الوضوء، توضئا أمامه، قال والله أنا مخطئ ولستم أنتم، ممكن تفهم إنسان كل شيء بلطف، بأسلوب لطيف، من دون عنف من دون قسوة، من دون جرح، من دون استعلاء، من دون كبر، من دون أن تشعره أنك أفهم منه.

﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾

أنا في عندي معلومات، لو أنت عرفتها تقف كموقف، هي معناها أنت جاهل وأنا عالم، بس بشكل لطيف جداً.

﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً (43)﴾

معناها الأدب، يمثل ربع الدين، عقائد، عبادات، معاملات، آداب، فالمؤمن يطمح إلى آداب مجالس العلم.

النبي الكريم ما رئي ماد رجليه قط في حياته، ولا بين أصحابه برء من الكبر من حمل حاجته بيده، سيدنا الصديق يربك على ناقة، وقع منه زمامها، وأصحابه حوله، نزل من على الناقة، وتناول زمام الناقة، فعجبوا، قال يا خليفة رسول الله، نكفيك ذلك، قال: **لا ! أمرني حبيب ألا أسال الناس شيء.**

النبي الكريم مع أصحابه في سفر، عالجوا شاة ليأكلوها قال أحدهم علي ذبحها، وقال الثاني علي سلخها، وقال الثالث علي طبخها فقال عليه الصلاة والسلام وعلي جمع الحطب، قال نكفيك ذلك، قال:

((أعلم أنكم تكفونني، ولكن الله يكره أن يرى عبده، متميزاً على أقرانه، هي السنة.))

سيدنا الصديق لما جيش جيش أسامة، أراد أن يستبقي عمر، طيب سيدنا الصديق علم خليفة المسلمين، سيدنا عمر عملاق الإسلام، وهذا القائد 17 عاماً عمره، طفل، قول لسيدنا عمر خليك عندنا أنت، أبو حفص خليك عندنا، لا ما عمل هذا، أستأذن أسامة، في تسلسل لأنه، أتأذن لي بعمر ؟ شو هذا ! خليفة المسلمين يستأذن شاب عمره 17 عاماً، في عمر، حتى يعطيه مكانته، سيدنا أسامة راكب الناقة، وهو قائد الجيش، وسيدنا الصديق ماشي على الأرض، فسيدنا أسامة ما تحمل، قال له: والله يا خليفة رسول الله لتركبن، أو لأنزلن، قال: **لو والله لا نزلت ولا ركبت، وما علي أن تغبر قدماي ساعة في سبيل الله.**

سيدنا الصديق كان يحلب شياه جيرانه، فلما صار خليفة، دخل على جيرانه الحزن غير معقول يستمر بالخدمة هي، صار خليفة المسلمين، في اليوم الثاني طرق باب جيرانه، الأم قالت لأبنتها أفتح الباب يا بنية، طرق الباب، قالت من الطارق يا بنية، قالت جاء حالب الشاة يا أمي، أجئ يحلب الشياه، سيدنا الصديق

خليفة المسلمين، الإسلام كل أدب، كل لطف، كل مودة، هي أعمال العنف، والفظاظة والغلظة، والنصيحة بقسوة، هذا ليس من الدين في شيء، شعار المؤمن:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-8) : تفسير الآيتان 59 – 60 ، وعود الله لا تتحقق إلا إذا كنت مستقيما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون:

في سورة مريم آية رقمها التاسعة والخمسون، هذه الآية تجيب عن تساؤلات كثيرة، فالإنسان أحياناً يقول: ألم يقول الله عز وجل:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)﴾

(سورة النور)

أين الاستخلاف ؟ شكل واقعي.

﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾

أين التمكين ؟

﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾

أين الأمن ؟ على مستوى العالم الإسلامي، هذا تساؤل أليس هذا وعد الله عز وجل، ألسنا مسلمين ؟ مسلمون، وهذا وعد ثابت، طيب تساؤل آخر:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38)﴾

(سورة الحج: 38)

أين هذا الدفاع ؟

تساؤل ثالث:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (141)﴾

(سورة النساء: 141)

هذا غير واقع، لهم علينا ألف سبيل وسبيل، هذا الواقع.

تساؤل: رابع، وخامس، وسادس، استعرض الآيات التي فيها وعد الله للمؤمنين، لا تجد هذه الوعود محققة، يعني الله عز وجل غير ؟ جل وعلا، سبحانه وتعالى عن أن يغير، يعين إلههم غير إلهنا ؟ إله واحد، القوانين اختلفت ؟ لا ما اختلفت، القرآن تغير ؟ لا لم يتغير في الإجابة عن هذه التساؤلات، التي تحير العقول، قال تعالى بعد أن حدثنا عن سيدنا زكريا، وعن السيدة مريم، وعن سيدنا إبراهيم، وعن سيدنا موسى، وعن سيدنا إدريس، يقول الله عز وجل:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59) ﴾

ولقد لقينا ذلك الغي، أما دقة الآية:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾

أخوانا الكرام:

من الثابت أنه ليس من تضيع الصلاة أن لا نصلي، لا نصلي، والجوامع ممتلئة، لكن اذهب إلى بيوت هؤلاء المصلين، هل ترى الإسلام فيه قائماً ؟ لا والله، اذهب دكاكينهم إلى أسواقهم، إلى احتفالاتهم، إلى علاقاتهم، إلى التزامهم بمبادئ الشريعة، تجد هم في واد والدين في واد آخر، وآخر ما تنقض من عرى الإسلام الصلاة، في صلاة، لكن ما في التزام، يعني واحد مرة استوقفني في الطريق، قال لي خطب ابنتي شاب غني، له معمل، وبيت، ومركبة، وأنا في حيرة من أمري، أعطيه ؟ سألته عن دينه، قال ما فيه دين، ثم بلغني أنه زوجه، طيب لما ربنا عز وجل قال لك في القرآن الكريم.

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)﴾

(سورة البقرة: 221)

طيب إذا الإنسان قرأ القرآن، وبعد ما انتهى قال صدق الله العظيم، وراح زوج ابنته لواحد غني ما في دين، معناها ما صدق الله عز وجل، كلام فارغ هذا، لو صدقه لاختار لبنته الزوج المؤمن، لا الغني، إذا قدر أن يجمع بين الإيمان والغنى ما في مانع، أما إذا كان غنى مع عدم دين، لا والله لا نقبل، فهذه الآية تحل كل التساؤلات.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾

ليس تضيع الصلاة بتركها بل بتفريغها من مضمونها، وكيف تفرغ الصلاة من مضمونها ؟ بعدم الاستقامة على أمر الله، حينما لا تستقيم، ينشأ حجاب بينك وبين الله، قال له قم فصلي إنك لم تصلي.

﴿الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)﴾

(سورة العنكبوت: 45)

لكن العلماء قالوا عن هذه الآية كلمة رائعة، قال يا ترى أضاعوا الصلاة لأنهم اتبعوا الشهوات ؟ أم اتبعوا الشهوات فأضاعوا الصلاة ؟ هل هو إتباع الشهوات سبب، أم نتيجة ؟ هناك في القرآن بعض الآيات تحتمل المعنيين، يعني إتباع الشهوات سبب، ونتيجة، حينما أضاعوا الصلاة اتبعوا الشهوات، وحينما اتبعوا الشهوات، أضاعوا الصلاة، يسمونها علاقة مترابطة، ترابط عكسي، إنك إن اتبعت الشهوات أقمت بينك وبين الله حجاباً، أضعت الصلاة، لو صليت، لكن لن تقع الصلة بينك وبين الله، وإنك إن أضعت الصلاة من لوازم إضاعة الصلاة إتباع الشهوات.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59)﴾

كلمة:

﴿ فَسَوْفَ ﴾

للاستقبال هذه، يعني هذا لم يقع عند نزول القرآن، لكن بعلم الله عز وجل سيقع، وقد وقع، وهذا من إعجاز القرآن، إعجازاً متعلقاً في غيب المستقبل، هذا هو غيب المستقبل.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59)﴾

الغي ؛ قهر، الغي ؛ فقر، الغي ؛ إذلال، تفرق، بأسنا فيما بيننا، هذا الغي، لكن الإنسان ييأس ؟ ماذا نفعل، اسمعوا الجواب قال:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً (60)﴾

يعني إذا المجموع اتبع الشهوات، وأضاع الصلوات، ولقي الغي هذا لا يعني أن كل فرد يتحمل هذه التبعة، لو واحد وحده استقام، وعرف الله، ووقف عند حدوده، له معاملة خاصة، أنت تتمنى، وتسعى من كل قلبك أن يكون المجوع على اتصال بالله، وأن يكون المجموع ملتزماً بأمر الله، إذا كان هذا لم يكن ماذا نفعل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)﴾

(سورة المائدة: 105)

القرآن الكريم واضح جداً، ومريح، القوم بمجموعهم اتبعوا الشهوات، وأضاعوا الصلوات، وقد لقوا ذلك الغي، طيب أنا كفرد ماذا أفعل، في بالعالم الإسلامي مليار ومائتين مليون مسلم، يقول واحد أنا وحدي ماذا أفعل، أنت وحدك لو اتبعت المنهج، فأنت مستثنى من هذا الحكم، لأن الله عدالته مطلقة، لو المجموع أساء، أنت عليك من نفسك، والآية واضحة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾

إذا بالإمكان تصلح اصلح، إذا لم تقدر.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً (7)﴾

(سورة نوح: 6)

معناها الإنسان لما يعجز، يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾

((عَنْ أَبُو أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الايَةِ ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ يَعْنِي بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الصَّبْرُ، فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا، يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ، وَزَادَنِي غَيْرُهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ، قَالَ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ.))

[أخرجه أبي داود]

نسعى بكل جهدنا، وطاقتنا لإرساء الحق بين الناس، فإذا رفض الناس الحق، علينا أنفسنا، الواحد لا يتألم، الله عز وجل عدالته مطلقة فهذا الغي لن يصيب المؤمن، المستقيم، يصيب المجموع إذا أساءوا، وانحرفوا، وتركوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، أما الفرد إذا استقام، والتزم له معاملة خاصة، وفي دليل قوي.

﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36)﴾

(سورة الذاريات: من 30 . إلى 36)

الله عز وجل قبل ما يبدأ يقول لك أنت مالك علاقة، طبعاً هذه الآية تبشر، بقلك الناس فسدوا، وإذا فسدوا ؟ أنت عليك من نفسك، أخي الناس ما عاد فيهم دين، الناس فلتوا، ما عليك من الناس، إذا أنت عامل حمام درجة أولى، ولابس ملابس نظيفة، ولقيت حفرة سياقات ماء سوداء، وناس عما يلعبوا فيها، وعما يسبحون بها، أخي مضطر كلهم قاعدين فيها، أنت لا تنزل خليك خارجها، مادام أنت نظيف، ونقي، وطاهر، ثيابك نظيفة، والناس غرقانين بهذه الوحول، المياه المالحة السوداء، وفرحانين بأنفسهم، نازلين سباحة وتراشق بالماء، هل أنت مجبر أن تكون معهم، هل هذا الوضع المؤلم يغريك أن تكون معهم؟ لا، فالإنسان يقول أنا مع الناس ؟ هذا إمعة، النبي الكريم قال:

((لا يكن أحدكم إمعة))

ماذا نفعل بلوى عامة الله يصلحهم الأهل هكذا بدهن ماذا أفعل، جبنا لهم دش الله يصلحهم، أنا مو هاين علي والله، ما هذا الأب، قال هو مو هاين عليه بس جبلهن يا.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59)﴾

فكل ما لقيت وعد إلهي ليس محققاً اقرأ هذه الآية، هذه الآية هي الجواب، كل ما لقيت وعد إلهي، لا في تمكين، ولا في تطمين، ولا في نصر، ولا تأييد، ولهم علينا ألف سلطان وسلطان، وسبيل وسبيل معناها الإسلام شكلي، الإسلام بقي صلاة، أما الإسلام ما هو صلاة، الإسلام استقامة، الإسلام أمانة، وصدق، والتزام، الإسلام تعاون، وبناء، الإسلام حركة إيجابية، الإسلام نظام متكامل الإسلام أسرة مسلمة، عمل مسلم، الدين تقلص، انضغط، انضغط أصبح صلاة، وشعائر، وطقوس، حركات لا معنى لها، تؤدى، ويحصل منها وهم مريح أنا صليت والحمد لله، مسبح مختلط، وعمل فيه مولد، ودعا كم واحد يلقوا فيه كلمات، عرس بالشيراتون قدمت فيه الخمور، وجيء بالراقصات، والعرس مختلط، وعلى البطاقة، الطيبون للطيبات، هكذا أصبح الإسلام، فلكلور، القرآن الكريم قرأ في باريس هل تصدقون على أنه فلكلور شرقي، أقيمت حفلة في باريس، ذهب المنشدون إلى هناك، والقراء، وقرأ القرآن هناك على أنه فلكلور شرقي، تراث شرقي، كألف ليلة وليلة.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59)﴾

إذا واحد عنده مأساة، وعنده وفاة وذهب إلى دفن الموتى، يلحقوه خمسين قارئ، يتنافسوا، يتقاتلوا، أنت قارئ قرآن ؟ أنت حافظ قرآن ؟ تعرض بضاعتك بهذا الابتذال ؟ هذا الإسلام، في فرق كبير كثير، يعني بين الصحابة الذين أكرمهم الله بالنصر، ورفع ذكرهم، وأعلى قدرهم، وأيدهم، وأكرمهم، وبين المسلمين الذين ترونهم، ما في اتزان، صلوات في، لكن ما في استقامة، ما في انضباط، في خمور، في ربا، في اختلاط، في

تسيب، في تساهل، التربية غير إسلامية، البيت غير إسلامي، العمل غير إسلامي، البيع غير إسلامي كله بقلك لا تدقق، لما ما بدقق ما في وعد، وعود الله تتعطل كلها، لأن الله عز وجل قال:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾

ثلاثة، وعلى الفريق الثاني.

﴿يَعْبُدُونَنِي﴾

فإذا أخل الفريق الثاني بما عليه، الفريق الأول في حل من وعوده الثلاث، فكلما رأيت وعداً لله عز وجل للمؤمنين غير محقق، اقرأ هذه الآية:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-8) : تفسير الآيتان 71 - 72 ، ورود النار شيء والدخول بها شيء آخر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الآية الواحد والسبعون من سورة مريم وهي قوله تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً (72)﴾

﴿وَارِدُهَا﴾

لهاء تعود على النار، هذه الآية تحتاج إلى وقفت متأنية، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾

وإن هنا نافية، يعني ما منك واحد إلا وهو واردها، الحقيقة أن ورود النار شيء، ودخولها شيء آخر، الله جل جلاله، الكون كله ينطق بأسمائه الحسنة، لكن أسم العدل لا يتحقق إلا في الآخرة، الدنيا دار ابتلاء، الحظوظ موزع في الدنيا توزيع ابتلاء، في الدنيا أقوياء، وفي الدنيا ضعفاء، في الدنيا أغنياء، وفي الدنيا فقراء، في الدنيا أصحاء، وفي الدنيا مرضى، في الدنيا ظالمون، وفيها مظلومون، وتنتهي الحياة، يقول الله عز وجل:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)﴾

(سورة مريم: 115)

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36)﴾

(سورة القيامة: 36)

هذا المعنى أن أسماء الله الحسنة، كلها محقق في الدنيا، أسم العليم، كل ما في الكون ينطق بهذا الاسم، أسم الحكيم، أسم الغني، أسم القدير، لكن أسم العدل، قد لا يبدو للناس في الدنيا، قد يجد الناس رجل، قوياً، فاجراً، منحرفاً، فاسقاً، يتحدى ذات الله عز وجل ويتمتع بأقوى صحة، وقد تجد إنسان مؤمن مستقيماً مستضعفاً، لا يقوى على أن يحرك ساكناً، أسم العدل لا يتحقق إلا بالآخرة، لذلك ورود النار شيء ودخولها شيء آخر، فإذا ورد المؤمن النار، لا ليصلى حرها، بل ليرى مصير الظالمين فيها، ليتحقق عنده العدل الإلهي، ليرى مكانه في النار فيما لو لم يكن مؤمناً، هذا مما يضاعف سعادته بالجنة.

يعني لو فرضنا شريكان، أقترح أحدهم على الآخر، أن يتعامل بضاعة غير نظامية، الثاني رفض أشد الرفض، فلما رفض فسخت الشركة، وتولى الأول خطته، واشترى بضاعة غير نظامية، وباعها، ثم ضبطت هذه المخالفة، وألقي القبض علي، والقي في السجن، فذهب الثاني ليزوره، فضلاً عن أنه يزوره، ويواسيه، ألا يشعر بحكمة بالغة وسعادة غامرة، من جراء القرار الحكيم الذي رفض به، هذه الصفقة، فربنا سبحانه وتعالى، إذا أورد الناس جميعاً النار، ليروا عدالته، ليروا أسم العدل محقق.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)﴾

(سورة إبراهيم: 42)

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197)﴾

(سورة آل عمران: 196 . 197)

آيات كثيرة.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30)﴾

(سورة إبراهيم: 30)

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (4)﴾

(سورة القيامة: 3 . 4)

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ(33)﴾

(سورة الحاقة: من 19 إلى 33)

مرة ثانية أيها الأخوة:

دخول النار شيء، وورودها شيء آخر، مرة كنا في متحف حيوانات، في قسم الأفاعي والثعابين، يعني مكان فيه الثعبان من أكبر حجم، لكن أمامه بلور كثيف، فنحن نقف أمامه، بيننا عشرين سانتي مطمئن، نحن لم ندخل على هذا الثعبان، نحن أطللنا عليه إطلال، وبيننا وبينه حرز حريز، تمتعنا برؤية حركته، وعيونه، وأجزاء خلقه، وبيئته الذي هو فيها، وبيننا وبينه عشرين سانتي، لكن في بلور كثيف في إضاءة شديدة، وهو في بيئته الطبيعية، يتحرك ويتلوى، هل يقال نحن دخلنا إلى جحر الثعبان ؟ لا ! نحن وردنا ولم ندخل،

فالمؤمن إذا وردا النار، لا يشعر بوهجها، أبداً، لا يرى إلا عدالة الله فيها محققة هؤلاء الذين ظلموه في الدنيا، له شريك مثلاً فاجر، كافر، منحرف أنتزع منه المحل التجاري، وشكاه إلى الله، وعاش في بحبوحة وقوة ومنعة، وانتهت الحياة، ولم يقع حكم الله في، جاءت الآخرة، رأى شريكه في مكانه الطبيعي، وشيء آخر، لولا أنه آمنا بالله، وعرفه، واستقام على منهجه، وسار في طريق الإيمان، لكان هنا محله، بالنار تتضاعف سعادة المؤمن في الجنة، بعد هذا الورود، فهذا الورود ليس دخولاً، قال تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً (71)﴾

يعني أحياناً، لما ينزل العقاب بالمجرمين بالساحات العامة، إنسان قاتل نعدمه في الساحة العامة، هناك هدف تربوي كبير، أما إذا أعدم في السجن، ما رآه أحد، ولا أخبر به أحد، هناك حكمة بالغة، الإنسان حينما يرى عدالة الله عز وجل، وأنه قيوم السماوات والأرض وأن كل شيئاً عنده، بمقدار.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)﴾

(سورة الأنبياء: 47)

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً(77)﴾

(سورة النساء: 77)

تأكل تمرة بتلاقي بالنواة، لها فلقتين، وسط الفلقتين في خيط، والتمرة لها رأس مدبب، النواة، لو وضعتها على اللسان كالإبرة، هذا النقير، والفتيل الخيط، وأيام لها غشاء رقيق جداً أسمه القطمير، فربنا عز وجل قال:

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (77)﴾

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (124)﴾

(سورة النساء: 124)

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13)﴾

(سورة فاطر: 13)

هل هناك من قيمة لغلاف رقيق يلف النواة ؟ ترونه، هل هناك من قيمة لرأس مدبباً كالدبوس تنتهي به النواة؟ هل هناك من قيمة لخيط بين فلقتين نواة ؟ قال:

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (77)﴾

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (124)﴾

﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13)﴾

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17)﴾

(سورة غافر: 17)

﴿فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)﴾

(سورة العنكبوت: 40)

إذاً هذه الآيات التي تقرأها في الدنيا، في كتاب الله، تراها محققة يوم القيامة، لذلك يوم القيامة، هو الذي خلقكم ثم يعيدكم لتجزى كل نفس بما تسعى.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

(سورة الحجر: 92 . 93)

لذلك المؤمن أيها الأخوة:

هذا المشهد، مشهد العبد المطلق، لا يغيب عن ذهنه أبداً، قبل أن يظلم، قبل أن يفعل شيئاً لا يرضي الله، قبل أن يأخذ ما ليس له، يقف عند هذه الآيات.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً (72)﴾

العلماء قالوا على جهنم صراط مستقيم، أدق من الشعرة، و أحد من السيف، الحقيقة هذا الصراط المستقيم في الدنيا، فإذا حاسبت نفسك حساباً عسيرة، وحاسبت نفسك على القطرات وعلى الساكنات وعلى الحركات، رأيت الصراط على النار عريضاً، تنطلق به في بحبوحة، أما إذا تساهلت في حساب نفسك في الدنيا، رأيت يوم القيامة ضيقاً، وإذا كان في أخطاء فاحشة ربما وقع هذا الإنسان من على هذا الصراط وسقط في النار.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً (72)﴾

فلذلك هذه آية الصراط، وورود النار من أجل أن يشعر المؤمن بقيمة الهدى الذي هداه الله إليه، وبقيمة الطاعة التي وفق إليها، وبقيمة هذا الطريق القويم الذي سار فيه، والمؤمن العاقل، الذكي، الموفق، هو الذي يعد لكل شيئاً عدة قبل أن يأتي.

تروى قصة رمزية، بكتب الأدب، أن صيادين مرا على غدير ففي هذا الغدير سمكات ثلاث، كيسة ؛ يعني عاقلة، وكيسة منها، وعاجزة، توعدا الصيادين أن يرجعا، ومعهما شباكهما، ليصيدا ما في هذا الغدير من سمك، قال فسمع السمكات قولهما، أما أكيسهن، يعني أعقلهن، فإنها ارتابت وتخوفت، وقالت العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها، ثم إنها خرجت من المكان الذي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير فنجت، هذا العاقل، قال وأما الكيسة، الأقل عقل، الأقل ذكاء، بقيت في مكانها، أهملت، حتى عاد الصيادان، في بذهنها خطة ثابتة، جاهزة، فذهبت لتخرج من حيث خرجت رفيقتها، فإذا بالمكان قد سد، قالت فرطت وهذه عاقبة التفريط، غير إن العاقلة، لا يقنط من منافع الرأي، ثم إنها تماوتت، فطفت على وجه الماء، متقلبة، تارة على بطنها، وتارة على ظهرها، فأخذها الصيادان، ووضعها على الأرض ميتة، بين النهر والغدير، فوثبت في النهر فنجت، لكن حرقت أعصابها هي، الأولى أذكى، قال وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وأدبار حتى صيدت، هي الحوصان، لا ينجز شيء، الكسول المهمل، بعيش لساعة أجله، إلى أن يأتيه الموت لا يصلي، كل عمر بالطاولة بالليل حتى الساعة الثانية، طاولة، وغيبة، ونميمة، واختلاط، إلى أن يأتي الأجل، ليس مستعد، قال وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وأدبار حتى صيدت وأكلت، أما العاقلة جداً، احتاطت للأمر قبل وقوعه، والأقل عقل مع وقوعه، والغبي لا قبل وقوعه، ولا مع وقوعه، ولا بعد وقوعه، هذا عطل تفكيره، فلذلك هذه الآية أيها الأخوة متعلقة بيوم القيامة.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً (72)﴾

والحمد لله رب العالمين

الباب الرابع : تفسير سور (طه – الأنبياء – الحج – المؤمنون – النور – الفرقان – الشعراء – النمل)

الفصل الأول : تفسير سورة طه

الفصل الثاني : تفسير سورة الأنبياء

الفصل الثالث : تفسير سورة الحج

الفصل الرابع : تفسير سورة المؤمنون

الفصل الخامس : تفسير سورة النور

الفصل السادس : تفسير سورة الفرقان

الفصل السابع : تفسير سورة الشعراء

الفصل الثامن : تفسير سورة النمل

الفصل الأول : تفسير سورة طه

الدرس (16-01) : تفسير الآيات 1 – 11 ، الإنسان بنيان الله

الدرس (16-02) : تفسير الآيات 9 – 15 ، استحقاق النجاة

الدرس (16-03) : تفسير الآيات 14 – 23 ، قيام الساعة

الدرس (16-04) : تفسير الآيات 21 – 33 ، الإخلاص في الطلب

الدرس (16-05) : تفسير الآيات 37 – 41 ، الطموح الكبير

الدرس (16-06) : تفسير الآيات 39 – 50 ، أسلوب الدعوة

الدرس (16-07) : تفسير الآيات 49-50 ، التفكر في عظمة الخالق

الدرس (16-08) : تفسير الآيات 49-54 ، العقيدة الصحيحة

الدرس (16-09) : تفسير الآيات 55-63 ،القدوة الحسنة

الدرس (16-10) : تفسير الآيات 60-72 ، العبرة لمن صدق لا لمن سبق

الدرس (16-11) : تفسير الآيات 77-82 ، مبدأ السببية . تكملة قصة سيدنا موسى

الدرس (16-12) : تفسير الآيات 83-96 ، الغاية من القصة . الباطل دائماً يقدم مع الحق

الدرس (16-13) : تفسير الآيات 115 – 124 ، قصة آدم

الدرس (16-14) : تفسير الآية 129 ، الرحمة والغضب

الدرس (16-15) : تفسير الآيتان 130 – 131 ، الصبر

الدرس (16-16) : تفسير الآيتان 134 – 135 ، أُسُسَ الدَّعوة

الدرس (16-01) : تفسير الآيات 1 - 11 ، الإنسان بنيان الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

أيها الأخوة المؤمنون:

في سورة طه آيات عدة ذات مدلولات كثيرة، الآية الأولى وهي قوله تعالى:

﴿طه (1)﴾

قال علماء التفسير: هذه أسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في بعض التفاسير أن يا طاهراً من الذنوب، ويا هادياً إلى علام الغيوب.

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ لِتَشْقَى (2)﴾

هناك نوع من الشقاء مقدس، الإنسان حينما يكبر قلبه، ويرى من حوله ليسوا على هدى، يتألم أشد الألم، فحينما تتألم لضياع الناس وشرودهم عن الله عز وجل، وشقائهم فهذا شقاء مقدس، الأم حينما تتألم لضياع ابنها، أو لتقصيره في تحصيله، أو لإخفاقه في زواجه أو لضيق ذات يده، وقد تكون في بحبوحة هي هذه الأم ألمها مقدس.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لو علمتم ما أنتم عليه بعد الموت ما أكلتم طعام عن شهوة، ولا دخلتم بيوتكم تستظلون بها ولخرجتم إلى الصعدات تندمون أنفسكم وتبكون عليها، ولو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلة.))

الإنسان المؤمن في بقلبه رحمة، يتألم أشد الألم لما يلحق بالمسلمين من أذى، يتألم أشد الألم حينما لا يرى المسلمين كما يتمنى أن يراهم فهذه الآلام التي لا علاقة لك بشخصك، ولا ببيتك، ولا بأهلك هذه آلام مقدس، الله سبحانه وتعالى يعتب له لا عليه، يعني يا محمد كفاك ألم، كفاك هماً، كفاك تمزقاً بما يجري حولك.

﴿طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ لِتَشْقَى (2)﴾

فلذلك إذا الإنسان ما في بقلبه رحمة، وقال أنا ما لي علاقة بالناس، من قال هلك الناس فهو أهلكهم، أنت مسلم، والذين حولك مسلمون، فإما أن تسعى إلى هدايتهم، وإلى نصحهم، وإلى إرشادهم وإلى معاونتهم، إما أن تخفف عنهم متاعب الحياة.

لذلك الحديث:

الإنسان بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله.

تخوف إنسان ؟ ملعون عند الله، تفقر إنسان ؟ تجعله فقير تلقي بقلبه القلق؟ تذله أمامك ؟ تجعله ضائع ؟ تجعله شقي في بيته ؟ ترفع عليه سعر حتى يلهث ما يلحق، تستغل حاجته للسلعة، يمكن تحقق أرباح طائلة، هو ينفق كل راتبه من أجل معالجة بسيطة.

مريض بعناية مشددة في له قريب بالشام، جاء يعوده ممنوع ممنوع زيارته بأمر الطبيب، زاره أول يوم، وثاني يوم، وثالث يوم رابع يوم ممنوع، ممنوع، ممنوع، أحد عشر يوم، بعدين قال بدي شوفه، قال له من ربع ساعة مات، دخلوا، جاب طبيب شرعي من أحد عشر يوم ميت، الفاتورة خمسين ألف ليرة.

يعني تستغله، تأخذ أمواله، تفقره، عملية غير ناجحة وسبعين ألف، الإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيان الله، ملعون، من هدم بنيان الله.

أيام الإنسان يستغل علمه، يستغل حاجة الناس إليه، يستغل ثقة الناس فيه، يستغل مهنته الراقية، ويبتز أموال الناس حراماً يأكلها سحتاً، والله هذه الأموال سوف يتلفها الله ويتلفه معها، هذا إنسان أي إنسان لا يكون متعصب، أي إنسان هذا عبد لله، خذ منه حقك، الذي لك عليه، خذ منه نظير أتعابك، لا تبتز أموالك وأساليب ابتزاز أموال الناس لا يعلمها إلا الله، والآن كانت في المهن الدنيا والآن في المهن الراقية، تكون الدعوة خاسرة سلفاً، في اجتهاد محكمة النقض، لا يجز للقاضي أن يحكم لهذا المدعي، يمنيه ويعده بالفوز ويلقيه سنوات وسنوات ثم يتهم القاضي بأنه قبض رشوة من خصمه وابتز أمواله، أحياناً يطلب منه ست تحاليل، ما بحاجة لها، بحاجة لأول تحليل، في اتفاق مع المحلل، حلل أول قسم والباقي القيه بالمجلى والثمن بيني وبينك، مهن راقية هي.

الإنسان بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله، ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام. فلذلك لما الإنسان يرى الناس يفهمون الدين فهماً سقيماً يفهمون الدين صياماً، وصلاة، ولا يستقيمون في معاملاتهم، لا يصدقون، لا يخلصون يغشون، يبتزون أموال بعضهم بعض يأكلون أموال بينهم بالباطل،

ويدلوا بها إلى الحكام يتألم الإنسان، هذا ألم مقدس، إذا تألمت على ضياع الناس وعلى تقصيرهم، وعلى انحرافهم، وعلى جهلهم، وعلى ضلالهم، فأنت إنسان مؤمن.

﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ لِتَشْقَى (2)﴾

هذا الشقاء المقدس، الشقاء النابع من الرحمة، الشقاء النابع من حرص.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128)﴾

(سورة التوبة: 128)

رحمته دعته إلى أن يتألم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127)﴾

(سورة النحل: 127)

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾

(سورة الحجر: 88)

إياكم أن تفهم هذه الآية أن النبي عليه الصلاة والسلام يمد عينيه إلى ما في أيدي الناس من الدنيا، لا، يمد عينيه إليهم، ليهديهم إلى الله عز وجل.

لذلك:

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾

لو كان يتمنى ما عندهم من دنيا لتحزن على نفسك، لا تحزن عليهم و القرينة واضحة جداً، في إشارة علمية بالآية:

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)﴾

معناه في ثروات تحت، إذا واحد قال لأولاده أنا لي هذا البيت ولي الأرض، ولي ما تحت الأرض، قبل ما يدفنوا ينبشوا الأرض كلها، معناها في كنز الله عز وجل أشار:

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)﴾

ماذا تحت الثرى، هذه الثروات التي لا يعلمها إلا الله، مرة ذهب، مرة ألماس، مرة نفط، مرة بوتاس، مرة فوسفات، هذه كلها ثروات، إشارة إلى هذه الثروات.

﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)﴾

السر واضح شيءٌ أسررته، أما الأخفى، الذي أخفي عنك أنت خفي عن علمك وتجاوز سرك.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)﴾

يعلم ما في الكون، ويعلم حقيقة هذا الإنسان، لذلك علم ما كان وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، أنت على العشر الآلف في الشهر ماشي حالك من بيتك إلى الجامع، تبع المليون لا نعرف، لا نعرف بتم مستقيم، لما تنحرف لا نعرف، هو الله يعرف.

إن من عبادي لا يصلحه إلا الفقر، فإذا أغنيته أفسدت عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى، فإذا أفقرته أفسدت عليه دينه، هذا علم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)﴾

(سورة طه)

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16)﴾

(سورة ق: 16)

والله يحول بين المرء وقلبه، كل خواطرك عنده مسجلة خواطر طموحاتك، تمنياتك، نواياك، قاعد بالغرفة بالشتاء دافئة وجاءت صديقة زوجتك تعوا لهون أدفأ لكم، أدفأ لكم هون لما في شي ثاني، الله بعرف، القصد أدفأ لكم والقصد شيء آخر.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8) ﴾

أي فكرة، وأي عقيدة، وأي تفسير، وأي مقولة، وأي رأي لا يتناسب مع أسمائه الحسنى ينبغي أن تردها، يجب أن تفهم أسماء الله أنها أسماء حسنى كلها كمال، يعني مثلاً:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا﴾

(سورة الشمس: 7 . 8)

إياك أن تفهم هذه الآية، أن الله أكره الإنسان على أن يفجر هذا لا يليق بجلاله، إياك أن تفهم هذه الآية أن الله قدر عليك الضلال قبل أن يخلق، قدر عليه المعصية، لا، أي أن هذه النفس لفطرتها العالية، إذا فجرت

تعلم أنها فجرت من دون معلم، من دون موجه لما الإنسان ينحرف، يعلم أنه منحرف هي فطرة، هذه الفطرة العالية التي تتوافق مع الدين، لذلك الإنسان إذا أنحرف بفطرته يعلم أنه أنحرف، هذا معنى:

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) ﴾

ألهمها أنها حينما تفجر فاجرة، بقلك متضايق، شاعر بضيق الدنيا لا تسعني، شاعر بوخز ضمير، شاعر بكآبة، هي الكآبة ووخز الضمير ومتضايق، وقلبك عاصص، والأرض ما عما تسعك من ذنوبك، فندق في بعض البلاد الغربية مكتوب على، فندق خمس نجوم، إذا لم تنم فالعلة في ذنوبك لا في فروشنا، العلة من ذنوبك نحنا فراشنا وثيرة، من الدرجة الأولى، بس ما عم تنام أنت عامل ذنوب بالنهار.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8) وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10)﴾

اسمعوا هذه الحكمة، كن لي ما لا ترجو أرجى منك ممن ترجو، سيدنا موسى ذهب ليأخذ قبس من نار، يتدفأ بها وأهله، فنجاه الله هناك، أيام الله بقدرك الهدى من سفرة، من زيارة، تلتقي مع إنسان يفتح لك باب رزق الله عز وجل لا تيأس، لا تزهد، أي عرض جاءك أقبله، قول إن شاء الله، لا ترفض عرض، لا تعلو على عرض، لعلى في هذا العرض ربح كبير، لعلى في هذا العرض فلانة قالت، عنده بنت مناسبة بدو يزوجها لي معناها فيها علة، لا ما فيها علة، من قال لك ذلك ؟ سيدنا موسى قال له:

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾

عرض الفتاة شيء جيد وفق السنة، اذهب، ابعث من يراها لا ترفض عرض، لا تتكبر على رزق ساقه الله إليك.

هذا معنى أن سيدنا موسى قال:

﴿إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) ﴾

فناجاه الله عز وجل، يمكن أن تدخل لمسجد بصلي بتلاقي في درس، ينشرح قلبك بكون سبب هدايتك، لا تزهد، أخي واحد سحبك على درس روح معه، بجوز تستفيد منه، أما هذه المواقف المتشنجة العقل المتكلس، ما بغير ولا بدل، الناس جميعهم لم يفهموا، أنا لحالي فهمان، التفكير الساذج، والسخيف والجامد، روح جرب، واحد دعاك إلى قراءة كتاب أقرأ الكتاب، لعل يكون فيه هدايتك، دعاك إلى مجلس علم استجيب، استجب له، كن لي لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو.

سيدنا موسى ذهب ليأخذ قبساً من النار فكان في هذا الذهاب مناجاة الله له، هكذا تقول بعض الكتب، قال له يا ربي بالمناجاة لا تبقي لي عدواً قال له يا موسى هذه ليست لي، لي ما صحت لي، ما في إنسان ما له أعداء، قال له يا ربي لا تبقي لي عدواً قال له يا موسى هذه ليست لي، كلما الإنسان نضج بوطن نفسه له خصوم، خير إن شاء الله.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79)﴾

(سورة النمل: 79)

قل الله ثم ذرهم في غيهم يعمهون، الخصومة لا بد منها.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

(سورة الأنعام: 112)

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾

(سورة الفرقان: 31)

الأنبياء لهم أعداء، طيب الله ما كان قادر يلغيه أبي لهب وأبي جهل، وهؤلاء الصناديد الكفار يريحهم منهم كان، لا، يرقى بهم لأنه، لا يرقى إلا بهم ليظهر صدقه، وصبره، وإخلاصه وجلده، وحبه لله عز وجل، خرج مشياً إلى الطائف، ضربوه في الطائف، قال ربي إلا لم يكن بك غضب علي لا أبالي ولك العتبة حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لي، نحنا شو أسمك ما عاد يأتي إلى الجامع، إذا قال له شو أسمك ما عاد يأتي إلى الجامع، ضرب النبي اللهم صلي عليه، فلذلك كن لي ما لا ترجو وأرجى منك لما ترجو.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) ﴾

هذه ندرسها في الأسبوع القادم، لكن في سؤال، قال:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)﴾

يعني الله لا يعلم ما في يمينه، قال:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾

خلص هي عصاي.

﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18)﴾

ما حكمة هذا الجواب، وما حكمة هذا السؤال، إن شاء الله نأخذها يوم السبت القادم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-16) : تفسير الآيات 9 - 15 ، استحقاق النجاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في سورة طه، جاءت مفصلة وجاءت معالجة من زوايا عدة، قال تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى(10)﴾

هو أراد أن يقتبس من هذه النار قبس، قلنا في الدرس الماضي.

كن لي مالا ترجو، أرجى منك لما ترجو، فذهب ليأخذ قبس من النار لأهله فناجاه الله عز وجل:

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)﴾

أيها الأخوة الله جل جلاله يقول مرة:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾

(سورة يس: 12)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ تَنْزِيلاً (23)﴾

(سورة الإنسان: 23)

فمرة يتحدث الله عن ذاته بضمير الجمع، ومرة يتحدث عن ذاته بضمير المفرد، هنا إنني:

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) ﴾

إذا تحدث الله عن ذاته تحدث بضمير المفرد.

أما إذا تحدث عن أفعاله تحدث بضمير الجمع.

لأن أسمائه الحسنى كلها داخلة في أفعاله.

فأي فعلاً من أفعاله فيه:

رحمةٌ، وفيه رأفةٌ، وفيه عدلٌ، وفيه قوةٌ، وفيه قدرةٌ، وفيه علمٌ، وفيه تقديرٌ، كل أسمائه الحسنى داخلة في أفعاله، إلا أن خلقه جل جلاله، قد يتبدى فيه أسم أوضح من اسم، فإذا نظرت إلى الوردة الجميلة، اسم الله الجميل أبرز ما فيها، وإذا نظرت إلى بحر هائج فاسم الله الجبار أبرز ما فيه، وإذا نظرت إلى بطش ربك للظالمين اسم الجبار، وإذا نظرت إلى الطفل الصغير وكيف يلتقم ثدي أمه إلى اسم الله الرحيم، أفعاله، كل أسمائه في أفعاله، لكن كل فعل يتبدى فيه أسم أوضح من الاسم الآخر، على كل إذا تحدث الله عن ذاته تحدث بضمير المفرد.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾

أما إذا تحدث عن أفعاله، تحدث بضمير الجمع.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

(سورة يس: 12)

هي أول نقطة.

النقطة الثانية: في تفسير للقرآن إشاري، نأخذ بعضه أحياناً.

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)﴾

متى أستحق هذا النبي العظيم أن يناجيه الله عز وجل ؟ لأنه بالوادي المقدس، يعني أنت إذا كنت بالوادي المقدس همومك نبيلة همك أن تعرف الله، همك أن تطيعه، همك أن تتقرب إليه، همك أن تنشأ أولادك التنشئة الإسلامية الطيبة، همك أن تحجب أخواتك البنات همك أن تزوجهن من أزواج صالحين همك أن ينتشر الحق، همك أن يهتدي الناس، همك أن يقيم الناس الإسلام في بيوتهم، إذا كانت هذه همومك فأنت بالوادي المقدس، أما همك جمع الدرهم والدينار، همك أن تبني مكاناً جميلاً كي تقضي فيه عطلة الأسبوع، همك أن تجمع أكبر قدر من المال، همك أن تقتنص أكبر قدر من الشهوات، هذا الوادي ليس مقدساً، الإنسان لينظر بأي وادي هو، هل هو بالوادي المقدس، أهدافه نبيلة، نواياه عالية، عمله مستقيم، يحب الحق يحب أهل الحق، يحب الله ورسوله، يحب أن يعطي أم أن يأخذ يحب أن يرحم أم أن يقسُ، ما الذي يحبه ؟ لذلك لا تستحق أن تتلقى من الله تجلياً، إلا إذا كنت بالوادي المقدس، لا تستطيع أن تتلقى من الله رحمة، إلا إذا كنت بالوادي المقدس، ليقذف النور في قلبك فترى به الحق حقاً والباطل باطلاً، إلا إذا كنت بالوادي المقدس، لا تستحق أن يرفع الله ذكرك، إلا إذا كنت بالوادي المقدس، كن بالوادي المقدس وانتظر كل خير، وانتظر كل عطاء، قل لي ما الذي يقلقك، أقل لك من أنت، قل لي ما الذي تسعى إليه، أقل لك من أنت، قل

لي ما الذي يفرحك أقل لك من أنت، هل تفرح بالأخذ أم بالعطاء، هل تفرح بطاعة الله، أم بجمع الدرهم والدينار، فلذلك الوادي المقدس، المعنى الإشاري، أنا لا أفسر الآن أنا أشير إلى بعض المعاني هي بسموها خواطر إيمانيا، أما فاخلع نعليك.

وما مقصودهم جنات عدن ولا الحور الحسان ولا الخيامة

سوى نظر الحبيب فذا مناهم وهـــذا مطلب القوم الـكرام

***

العباد ثلاثة: العبيد . والتجار . والأحرار . العبيد يعبدون الله خوف من نارهم، والتجار يعبدونه طمعاً في جنته، والأحرار عرفوا أن لهم رباً يستحق العبادة فأطاعوه.

الإنسان حينما يتخلى عن حظوظ الدنيا وقال بعضهم وعن حظوظ الآخرة، ويرجو وجه ربه الكريم، هي فاخلع نعليك.

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)﴾

هذا معنى إشاري، وحينما يصل الإنسان إلى جنة ربه، قال تعالى:

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62)﴾

(سورة الرحمن: 62)

من دونهما، يعني في مرتبة بالجنة، الجنتان دونهما، أي جنتين، جنة الدنيا، وجنة الآخرة.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)﴾

(سورة الرحمن: 46)

جنة في الدنيا وجنة في الآخرة، وفوق الجنتين، جنة القرب من الله عز وجل، ورضوان من الله خير. فلذلك قال: المؤمنون الصادقون يوم القيامة ينظرون إلى وجه ربهم الكريم فيغيبون خمسين ألف عام من نشوة النظرة، قال النبي اقرأ قوله تعالى إذا شئتم.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)﴾

(سورة القيامة: 22 . 23)

وأكبر عاقب يعاقب به الإنسان يوم القيامة.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15)﴾

(سورة المطففين: 15)

يعني إذا كان ابن حساس كثير عنده محبة لوالده، الأب قال له إطلاع لبره لا تحاكيني، يمكن ما بنام الليل، إذا عنده الحساسية البالغة.

فأكبر عقاب يعاقب به الإنسان يوم القيامة، أن يحجب عن الله سبحانه وتعالى، لا يكلمه، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه يوم القيامة هذه الآية وردت في آل عمران.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)﴾

(سورة آل عمران: 77)

أيها الأخوة:

قال بعض العارفين بالله:

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنـــا

***

هذا الذي يقدم على المعاصي، والملذات، والنساء، والخمور لو سألتموه وأجابكم بصراحة لماذا تقبل على هذه الأشياء ؟ يقول طلباً للذة، لو علم أن في القرب من الله سعادة لا تعدلها سعادة، أنا مضطر لأن أضرب الأمثال، لو إنسان دعي إلى وليمة فاخرة جداً، العصير الحساء، الفتات، المقبلات، اللحوم، الخضراوات، الفواكه الحلويات، القهوة، الشاي، بعد ما أكل من كل لون عاد إلى البيت لقى في الطريق بائع فلافل، هل يتمنى أن يقف ليشتري شطيرة ؟

من عرف الله زهد فيما سواه، فالإنسان لما لا يعرف الله عز وجل، يعجب بكل شيء، ويتعلق بكل شيء، ويتمنى كل شيء، أما إذا عرف الله عز وجل، زهد في كل شيء، من عرف الله زهد فيما سواه، أما قول لواحد زهد في الدنيا، قبل أن يعرف الله، مستحيل مستحيل، هي روحه، هي دمه، هي لحمه، فالزهد في الدنيا، صعبٌ جداً إلا لم تذق طعم القرب، أما إذا ذقت طعم القرب، كما قال بعض العارفين، لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلون عليه بالسيوف، يعني في بقلب المؤمن من السعادة، والله الذي لا إله إلا هو ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم.

إذاً: ماذا حصل لهذا النبي الكريم، لما الله ناجاه.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)﴾

أخوانا الكرام:

الأشياء التي يتصف بها الأنبياء، أشياء ثمينة جداً، ولكن أطمئنكم، أن لكل مؤمنٍ من هذه الأوصاف نصيب، بقلك لنا لحسة نحنا، على قدر الإيمان وقدر الإحسان، وقدر المحبة، يعني إذا الله عز وجل ناجا سيدنا موسى، المؤمن أيام يتجلى على قلبه تجلي ينسيه الحياة كلها، أيام يغمسه في سعادة لا تستطيع سياط الجلادين اللذعة ولا سبائك الذهب اللامعة أن تصرف عنها، أيام بقلك المؤمن وهو صادق أنا أسعد الناس.
مرة قال لي شخص كلمة لولا أنه أتبعها بكلمة لانتقده، كان في الحج فلما عاد ذهبت إليه كي أهنئه بالعودة، قال لي ليس في الأرض من هو أسعد مني، ثم قال، إلا أن يكون أتقى مني.

وفعلاً المؤمن الصادق، ولا يكذب، ولا يبالغ، يقول لك أنا أسعد الناس، طيب هو أقل من الناس، قد يكون دخله محدود، في عنده خمسين علة بجسمه بجوز، بيته وسط، هو سعيد بالله عز وجل لأن الله عز وجل إذا أعطى أدهش، لو حجبت عنه الدنيا بأكملها هو أسعد الناس، وإذا حجب الله رحمته عن العبد لو أعطاه الدنيا بأكملها هو أشقى الناس.

لذلك: لما سيدنا موسى ناجى ربه، وناجاه الله عز وجل ونادى.

﴿يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)﴾

يعني إذا كان ربنا أختار سيدنا موسى، طيب المؤمن أيام يوظفه عنده بوظيفة، ييسر له عمل في سبيله، بجري الخير على يده ينطقه بالحق، أيام يعطيه مالاً يعطي منه الفقراء، هذا وظيفة عند الله عز وجل، يلهمه ببناء المساجد يلهمه بالدعوة إلى الله، يلهمه الأمر بالمعروف، يلهمه خدمة الناس، كمان وظيفة هي، نحنا عما نطلب الشي الواقعي، كمؤمنين، إذا أنت أخلصت لله عز وجل وأقبلت عليه اتجهت إليه، قد يجري على يديك الخير، إذا أراد ربك إظهار فضلك عليك خلق الفضل ونسبه إليك.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾

والله أيها الأخوة:

في كلمات يقولها العوام، بس والله الذي لا إله إلا هو هي تعبر عن حقيقة أشد التعبير، بقلك ما في إلا الله، ما في أقوياء، ولا في أغنياء، ولا في ظُلام، ما في إلا الله، كن له كما يريد، يكن لك كما تريد، كن له كما يريد، ولا تعلمه بما يصلحك، يعني لا تكلف خاطرك تقل شو بدك، بيعرف شو بدك، عبدي كن لي كما أريد،

ولا تعلمني بما يصلحك، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾

لا في رافع، ولا في خافض، ولا في معطي، ولا في مانع ولا في معز، ولا في مذل، ولا في قابض، ولا في باسط، ولا في فعال في الكون إلا الله، لذلك:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213)﴾

(سورة الشعراء: 213)

تعذب حالك ما في إلا الله، والمثل بعيده آلاف المرات، معك معاملة سفر تحتاج إلى موافق على السفر، دخلت إلى دائرة فيها ثلاث طوابق، في كل طابق مائة موظف، لكن عندك علم اليقين أن واحداً هو المدير العام في هذه الدائرة هو وحده الذي يوافق لك على السفر هل تبذل ماء وجهك أمام غيره، تترجى واحد، مستحيل، ما دام في واحد يوافق، والباقي ما لهم علاقة، المؤمن في الدنيا يعلم أن أمره كله في يد الله، رزقه، حياته، صحته، زوجته، أولاده، زبائنه تجارته، وظيفته، رؤسائه، مرءوسيه، كلهم بيد الله، علاقته مع واحد، المؤمن شغلته مريحة كثير، عنده حساب واحد،ليس ألف حساب بالدفتر، حساب واحد يعامل الله ويستريح.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾

ربنا لخصنا الدين كله، هي كلمات الدين كله مخلص بالآية هي.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾

موقفك.

﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)﴾

طعني واقبض الثمن بالصلاة، أطعني في كل حياتك، وأقبض الثمن في الصلاة.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ﴾

أما الناس في غفلة عنها.

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)﴾

أما أكاد أخفيها تحتاج إلى درس كامل، كيف الله كاد يخفيها هنا الاختيار لو أنه مثلاً، واحد قلنا له إن شربت هذا الماء ضربنا عنقك، ورأى أمامه واحد شرب قطعت رأسه، يشرب ؟ ما عاد مخير صار مضطر، أم الله عز وجل جعل الجزاء آجل، تقدر تعصي تفعل ما تشاء، وترتكب الموبقات، والمعاصي تكسب مال حرام

تمشي بالعرض، وتقول ما في أقوى مني، والحبل مرخي، أما في لحظة من اللحظات يشد الحبل فجأة، تقع في قبضة الله، يعني:

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

تأخير العقاب، وتأخير الجزاء، هو الذي يرفعك عند الله، أما لو كان الجزاء أمامك تطيع ولا أجر لك، لأنه شغلة مبينة، ما عاد بدها محبة لله، ولا بدها طاعة لله، أما الله جعل الشهوات أمامك، و الطاعات أمامك، والجواب، الجزاء بعيد، لأنه بعيد الجزاء صار في اختيار، صار في ابتلاء، صار في امتحان، من يختار الشيء البعيد على القريب، معناها فكر.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ﴾

لكن.

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

أكاد أخفيها بتأخير الثواب والعقاب، حتى الإنسان يمتحن، كي يأخذ أبعاده كلها، يعني ممكن، بالمناسبة، تطيع الله عز وجل إلى أمد طويل، ودخلك هو هو، وبيتك هو هو، والمشاكل هي هي، حتى الله يمتحنك، أنت عبد التوفيق، لما عبد الله، عبد إذا كان واحد استقام الله يغنيه، عبد الغنى لما عبد الغني، عبد الغني ففي امتحان وممكن إنسان يعصي، يكفر، ويلحد، ويزني، ويشرب خمر، ويفعل الموبقات كلها، ومثل البغل، ما في البلى، تخطيط قلبه جيد، كله ما في شيء إطلاقاً، طيب، بقلك وين الله، ما في شيء.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

طول بالك.

﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)﴾

إن شاء الله الدرس القادم نقف عند هذه الآية وقفة متأنية.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (16-03) : تفسير الآيات 14 – 23 ، قيام الساعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

أيها الأخوة المؤمنون:

ذكرت لكم البارحة، أن الله سبحانه وتعالى، لخص الدين كله بكلمات قال:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾

ما في غيره، ما في إلا الله.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾

توحد ثم تعبد، وما أمرك أن تعبده، إلا بعد أن طمأنك أن الأمر كله بيده قال:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ﴾

(سورة هود: 123)

ما أمرك أن تعبده، إلا بعد طمأنك أن أمرك كله، صغيره وكبيره، جليلة وحقيرة، قريبه وبعيده، ما بدا لك وما لم يبدو لك كله بيد الله، فإذا يأست مما سوى الله، اتجهت إلى الله عز وجل، ما دام أنه لا إله إلا أنا فاعبدني إذاً لا تعبد أحداً معي.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)﴾

إن عبدتني، أمكنك أن تصلي لأن العبادة ثمن الاتصال بالله عز وجل.

﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)﴾

العبادة هي الثمن، والصلاة فيها الجزاء، فيها الاتصال، فيها النور، فيها السداد، فيها الطمأنينة، فيها ذكر الله عز وجل، الآن اليوم الآخر.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ﴾

قولاً واحداً، لكن.

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

كيف ؟ لحكمة بالغة أرادها الله عز وجل، جعل الشهوات في متناول الإنسان، لكن الجزاء والعقاب، بعد حين، كلمة بعد حين من هنا نرقى، لو أن المعصية أمامك، وأن جزاءها أمامك، لا تفعلها لو أن الطاعة أمامك وجزاءها أمامك، تطيعه لا حباً بالله ولا طلباً لمرضاته، ولكن بحثاً عن المكاسب فلذلك الله عز وجل، أمرك بالطاعة ونهاك عن المعصية، وقال بعد حين أنا أكافئك، وكلمة بعد حين يعني الحبل أرخاه لك، لك أن تطيعه ولك أن تعصيه، لك أن تحسن، ولك أن تسيء، ما في شي، تحسن إلى أمد طويل، لا ترى شيئاً غير طبيعي، تسيء لا أحد يعاقبك، لك أن تستقيم، لك أن تنحرف، لك أن تخلص، لك أن تخون، لك أن تنصف، لك أن تجحد لك أن تعطي، لك أن تمنع، لك أن تسمو، لك أن تكفر، لك أن تتبع العقل، لك أن تتبع الشهوة، لكن كل شيء له حساب.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ﴾

لكن:

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

الإنسان، بتلاقي شارع في أبنية، هذا البيت فيه دين، هذا البيت ما فيه دين، هذا البيت فيه صلاة، هذا البيت ما فيه صلاة، هذا البيت نسائه متحجبات، هذا البيت نسائه متفلتات، هذا البيت صاحبه يتعامل بالربا، هذا البيت ما بتعامل بالربا، لكن كلهم عايشين، يأكلون ويشربون، وينامون، ويستيقظون، ويشربون الماء العذب الفرات ويأكلون الطعام الطيب، ويتنزهون، وينجبون الأولاد، كلهم مثل بعضهم، هي.

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

لكن في لحظة واحدة.

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾

(سورة يس:59 . 60)

يعني شوف الطلاب أثناء العام الدراسي كلهم مثل بعض، بس واحد يرسب، واحد ينجح الأول، واحد قوي بالرياضيات، واحد ضعيف، كلهم مثل بعض، لابس البدلة النظامية ويأتي إلى المدرسة متى يصير في الخزي والافتخار، بعد الامتحان.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

لولا أن الله أخفاها، لما ارتقينا، ولما كان للجنة معنى، ولما كان للنار مبدأ.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

فعل أكاد من الأفعال النادرة في اللغة العربية، هذا الفعل، إذا سبقه حرف نفيٍ معناه الإثبات، وإذا أثبته معناه النفي، كيف ؟

إذا قلت:

ما كدت أن أقع حتى وقفت.

يعني وقعت.

ما كدت أقع حتى وقفت.

كدت أقع.. حتى وقفت.

الفعل وقع

ما كدت، نفيته، فجاء مثبتاً.

قلت:

كدت أقع.

معناها ما وقعت.

إذا قلت:

كدت أقع ؛ أي أنك لم تقع.

أما إذا قلت:

لم أكد أقع حتى وقفت، يعني وقعت.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

يعني الله أخفاها.

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾

ما أخفاها، يعني كلمة أكاد أخفيها، بين الظل والنور، ممكن إذا الإنسان في غفلة بقلك وين الله عز وجل، ما في غير الدنيا، يلي معه دراهم في جنة، الدراهم مراهم، لا يرى المال إلا كل شيء أما:

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)﴾

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

(سورة الحجر: 92 . 93)

في أدق من ذلك.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (8)﴾

(سورة الزلزلة: 7 . 8)

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)﴾

(سورة الأنبياء: 47)

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾

(سورة لقمان: 16)

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (124)﴾

(سورة النساء: 124)

رأس النواة المدبب.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (77)﴾

(سورة النساء: 77)

خيط بين الفلقتين.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (124)﴾

الغلاف الرقيق.

﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾

(سورة غافر: 17)

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾

(سورة العنكبوت: 40)

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (49)﴾

(سورة الكهف: 49)

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118) ﴾

(سورة النحل: 118)

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)﴾

نحنا في زمن هدنة، نحنا في زمن العمل، أما الآخرة زمن الجزاء، نحنا في زمن التكليف، أما الآخرة زمن التشريف، نحنا في زمن السعي، أما الآخرة زمن العطاء.

الآن دققوا أيها الأخوة: الله عز وجل ينصحنا، قال:

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾

لا تجلس مع أناس كفروا بالآخرة، وعاشوا للدنيا، إن جلست معهم تزهد بالآخرة وتحب الدنيا، تزهد بالطاعة وتتمنى المال، فأنت قل لي من تصاحب أقل لك من أنت، لا تصاحب إلا مؤمناً، لا تصاحب إلا من ينهض بك إلى الله حاله، ويدلك على الله مقاله، هي حكيتها من يومين، ما ممكن إنسان يستقيم إذا له أصدقاء متفلتين، له أصدقاء من أهل الدنيا، له أصدقاء لا يصلوا له أصدقاء الدين مالهم قابضينوه، له أصدقاء عمي حطلي خليني أمشي، على الحارك على الحامي، هؤلاء الأصدقاء حجاب بينك وبين الله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾

(سورة التوبة: 119)

أمر إلهي.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

(سورة الممتحنة: 13)

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

(سورة المائدة: 51)

﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾

(سورة آل عمران: 28)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

في آية، ولو كان آبائهم.

﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ﴾

(سورة المجادلة: 22)

فحتى تستقيم بدك مجلس علم، حتى تستقيم، بدك أصدقاء مؤمنين، وحتى تستقيم بدك صديق إذا نسيت يذكرك، قوم لنصلي أمشي معي على الدرس، بدك صديق إذا غفلت يصحيك، نسيت بذكرك، لذلك العلاج لازم تبحث عن طقم جديد من المؤمنين تقيم علاقات طيبة معهم، المؤمن يذكرك بالله عز وجل، هكذا قال النبي قال:

((أولياء أمتي إذا رأوا ذكر الله بهم))

إن رأيته أي والله تذكر الله عز وجل، هو مع الله عز وجل، فنحنا بدنا نصاحب أهل الإيمان لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (28)﴾

(سورة الكهف: 28)

حليبه فارط، هو شرق، وامرأته غرب، وأولاده شمال وبناته جنوب، شي فيه دين، وشي ما فيه دين، شي جاء الساعة 12 جاء وحدة، هكذا أسرة لا تصاحبها، يعني أسرة متفلتة لا تصاحبها لا تقم علاقة معها، لا بد من حمية اجتماعية، هذا الجواب الذي أقترحه وأنا والله أكبرت صراحته وجرأته، يعني أيام إنسان يحكي مضطر يعرف الجواب.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾

شوف هل الربط:

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾

في آية ثانية تؤكد هذا المعنى.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)﴾

(سورة الماعون: 1 ـ 2)

طيب آية ثالثة.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

(سورة القصص: 50)

يعني كل إنسان يكذب بالدين، أنظر إلى سلوكه.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) ﴾

(سورة العلق: 9)

انتهت الآية، طيب وين الجواب ؟ يعني هذا الذي ينهاك عن الصلاة، دعك من كلامه انظر إلى أخلاقه، انظر إلى أنانيته، انظر إلى قذارته، انظر إلى استعلائه، انظر إلى جشعه، انظر إلى كذبه انظر إلى إخلاف معاديه، انظر إلى خيانته.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) ﴾

آية ثانية.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12)﴾

(سورة العلق: 11 ـ 12)

شوف أخلاقه، شوف طاعته لله، شوف وفائه، شوف أنصافه، شوف رحمته بقلبه، شوف صدقه، يعني أحياناً لا تحتاج إلى دليل، أخلاق المؤمن دليل ولا تحتاج إلى دليل على الكفر أخلاق الكافر دليل، يعني حدث ولا حرج يعني حاوية، حاوية شو هي الحاوية اطلع فيها، كل شيء يقرف، ما في أخلاق راقية إطلاقاً.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) ﴾

أي تسقط، تشقى.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)﴾

سيدنا موسى يناجي الله عز وجل، يعني هو في سعادة لا توصف، لا توصف، أنت مع شقفت مؤمن موصول بالله إذا قعدت معه تسعد، شقفت مؤمن يعني آخذ لحسة، إذا قعدت معه بتأنس أشد الإيناس، ينطلق قلبك بمعرفة الله كيف إذا جلست مع صديق، فكيف إذا جلست مع نبي، كان النبي الكريم... ينام على عتبة الباب، من شدة تعلقه به، من شدة حبه له، فكيف إذا ناجاك الله عز وجل ؟ شغلة ما توصف هي.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)﴾

سيدنا موسى بدو يطول النقاش إلى أطول الوقت، قال:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾

خلص عصاي، قال:

﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾

قام استحى ليكون زودا كمان، قال:

﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18)﴾

إذا الله حب، يقول له كمل، ما هذه المآرب يا موسى بكمل شوف دقة الكلام:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾

شعر أنه زودها ؛ يعني أطال، قال يا ربي:

﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18)﴾

يعني إذا أردت أن أقول لك هذه المآرب أقولها لك، الله ما أراد ذلك، أراد أن يقلبها بعد حين إلى حية، قال له أنظر إلى هذا هذا الذي بيدك عصا من خشب، تأملها، دقق فيها.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21)﴾

إنسان يقول لك أنا رسول الله، تقول له أنت أين الدليل ؟ فهذه المعجزة، المعجزات التي يأتي بها الأنبياء هي الدليل على أنهم رسل الله عز وجل، والمعجزات ينبغي أن تكون مما تفوق به القوم لو كان سيدنا موسى مختص بالإلكترون، وبعصره في سحر، ما بصدقوه، لما بعصره في سحر، وجاءهم بشيء يفوق السحر، يجب أن تكون المعجزة، مما تفوق به قوم النبي، سيدنا رسول الله قومه تفوق بالبلاغة، فجاء القرآن بليغاً، سيدنا عيس قومه تفوق بالطب أحي الميت، دائماً النبي يأتي بمعجزة، مما تفوق بها القوم، ويزيد على أعلى من تفوق في، قال:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21)﴾

قال له:

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آَيَةً أُخْرَى (22)﴾

يده كالكوكب الدري، معه عصاي إذا ألقاها تصبح أفعى ويده بيضاء للناظرين.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى (23)﴾

وكل مؤمن يرى من آيات ربه الشيء الكثير، لكن أقول لكم الكون من دون خرق للعادات هو أكبر معجزة على الإطلاق، بكأس الماء هذا، العذب الفرات، سمعك، بصرك، طلاقة لسانك، كل حرف تنطق به تسهم في صنعه سبعة عشر عضلة، إذا كلمة من خمس حروف، وإذا كان جملة خمس كلمات، وإذا خطبة خمس ساعات، كم عضلة تحركت، الإنسان في وضعه الراهن، هو معجزة، لكن لضعف عقول الأقوام السابقة، كانت المعجزات خرق للعادات والنواميس، أما أنت معك مليون معجزة، ابنك ليس معجزة، باللقاء الزوجي في خمسمائة مليون حوين، حوين واحد تختاره البويضة ليلقحها، وهذا الحوين بعد حين يغدو طفلاً، في دماغ، مائة وأربعين مليار خلية، استنادية، وأربعة عشر مليار خلية قشرية، وتسعمائة ألف عصب بصري، ومائة

وثلاثين مليون مخروط عصبي بالعين في شبكية العين، وثلاثمائة ألف شعرة، لكل شعرة وريد وشريان وعصب وعضلة وغدة دهنيه، وغدد صبغية، والقلب بضخ ثمانية أمتار مكعبة كل يوم دم، ثمانية أمتار، أنت تستخدم وقود سائلة بالسنة كلها مترين مكعبة، كل السنة، القلب كل يوم يضخ لك ثمانية أمتار مكعبة، المعجزات بين أيديكم وفي أنفسكم وما تشعرون، وقد ورد في الأثر::

((حسبكم الكون معجزة))

شي لا يصدق، لا تقول أنا ما شفت العصاية تبع سيدنا موسى، شايف مليون شغلة أهم منها، كل بين يديك، مينا الأسنان ثاني أقس مادة بالكون، بعد الألماس، وأصل الإنسان من ماء مهين، عظم عنق الفخذ، الفخذ هكذا، عظم الفخذ هكذا من أجل أن يكون شكل الإنسان جميل، في له توسع بالوسط، ثم هكذا، بيكون في عظم له عنق، هذا العنق يحمل مائتين وخمسين كيلو، هون الإنسان القوي الشديد يحمل نصف طون على ظهره ولا ينكسر عظمه، طيب ما كان ماء هذا، ما كان ماء مهين، أن له هذه القسوة ؟ في بجسم الإنسان آيات لا يعلمها إلا الله، المعجزات موجودة وقائمة، وابنك يلي أمامك، تعرف شو أصله، صار طفل يحكي، بتحرك بضحك ويسعل، ويعطس، ويأكل، ويشرب، ويمشي، وبعدين يتعلم بحفظ القرآن، هذا كان نقطة ماء كيف صار هكذا، الآيات بين أيديكم وطعامك شوف الحليب، الحليب، واللبن، والقشدة، والزبدة كل من:

﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ (66)﴾

(سورة النحل: 66)

شوف الدجاج ماذا تأكل، وسخ تأكل، بتعطيك بيضة، كل ما كان بلدي كل ما كان أغلى، معناها تأكل أشياء لا تأكلها أنت والبيضة غذاء كامل لأنها بصير صوص، بعد حين، موضوع الآيات حدث ولا حرج. لذلك:

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (16-04) : تفسير الآيات 21 – 33 ، الإخلاص في الطلب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

أيها الأخوة الكرام:

وصلنا في قصة موسى التي وردت في سورة طه إلى قوله تعالى:

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آَيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(24)﴾

أما عند قوله تعالى:

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى (23)﴾

يجب أن نعتقد جميعاً أيها الأخوة:

أن الإنسان إذا طلب الحقيقة بإخلاص لا بد من أن يريه الله سبحانه وتعالى هذه الآيات، إن الإنسان إذا طلب الحقيقة بإخلاص لابد من أن يريه الله آياته، والحقيقة أن الإنسان قد يرى معجزات ولكن المؤمن ما علاقته بهذه الآية، لو أنه أخلص لله لأراه الله بعض آياته من خلال.. يعني إكرام ؛ أي خرق للعادات، أو كرامة، فما من مؤمن صادق إلا ويرى من آيات الله الدالة على عظمته، يعني مثلاً:

إنسان طلب شيء من الله، هو في أشد الحاجة إلى المال وجاءه مبلغ من طريق مشبوه، قال:

﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16)﴾

(سورة الحشر: 16)

مثل هذا الإنسان كيف يريه الله آياته ؟ يريه آياته بأنه يرزقه رزقاً حلالاً طيباً بعد حين لم يكن يتوقعه، هي آية، لو إن إنسان خطب فتاة أعجبته، ثم علم رقة في دينها، فقال:

﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16)﴾

اللهم رزقني زوجة صالحة، كيف يريه الله آياته ؟ يريه آياته بأن يهيئ له زوجة مؤمنة تدخل على قلبه السرور.

طيب: إنسان أكرم والدته، برها في حياتها، كيف يريه الله آياته، يوفقه في عمله، ما من مؤمن صادق، إلا ويرى أن أفعال الله كلها، تتجه إلى إكرام المؤمن، وإلى معاقبة الكافر، هذه آيات، طبعاً الأنبياء جاءوا بآيات صارخة، العصاة أصبحت أفعى حينما ألقاها ويده وضعها تحت إبطه فأصبحت بيضاء للناظرين، هذه معجزة حسية صارخة، ولكن المؤمن يرى كرمات والكرمات خرق للعادات لكن بطريقة ملطفة.

يعني أنا أردت أن أقول لكم علاقتنا من هذه الآية أنه ما من مؤمن يدع شيئاً لله إلا ويعوضه الله خير منه في دينه ودنياه، ما من مؤمن يخلص لله عز وجل إلا ويرزقه رزقاً حلالاً طيباً.

فلذلك لا تخلو حياة المؤمن من أحداث سماها الله في بعض الآيات أيام الله، يعني مرة الله أنقذ الله من مصيبة كبيرة بعناية فائقة مرة الله صرف عنك شر كبير، مرة ألهمك أن لا تسافر، فكان في هذا السفر هلاك لمن سافر، بتقول الله نجاني، الله أنقذني، الله حفظني، الله وفقني، الله أيدني، الله نصرني، هي آيات الله عز وجل، هذه نسميها في حق المؤمنين كرمات، ونسميها خرق العادات للأنبياء معجزات، وخرق العادات للمؤمنين كرمات، الكرامة آية من آيات الله عز وجل، إذاً:

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى (23)﴾

يجب أن نعلم أن كل آية خاصة بالنبي لكل مؤمن منها نصيب بقدر إيمانه، يعني مثلاً، الله عز وجل أوحى إلى الأنبياء عن طريق سيدنا جبريل، طيب أنت مالك نبي، إذا الله عز وجل أراد أن يعلمك أعلاماً مباشراً من دون وسائط، لا كتاب، ولا عالم، ولا خطيب يريك رؤية صادقة، تأتيك كفلق الفجر، في رؤى واضحة وضوح الشمس.

لهذا قال النبي الكريم:

((الرؤية الصادقة جزء من ست وأربعين جزء من النبوة.))

في صديق واضع كل أمواله بشركة استثمارية في الكويت شركة ضخمة، تعطي أرباح سبعين ثماني بالمائة، واضع مليون دينار كويتي، في هذه الشركة، جاء إلى الشام له أقرباء في الشام، فمن حديث إلى حديث، تبين أن هذا المال بهذه الطريق في عليه شبه، فقال له طبيب قريب، مخلص، متدين على شيء من العلم أقنعه أن هذا الاستثمار لا يرضي الله عز وجل، إلى أن أقتنع إلى الساعة الثانية عشر، لما قنع قال والله إن شاء

الله سأسحب هذا المال من هذه الشركة، شركة ربوية لأنه، تجارته خلبية ما في تجارة، بس موضوع سندات ولعب بالأسعار... الخ، يقول هذا الأخ الذي يلي كل شيء جمع في حياته في هذه الشركة حينما آواه إلى فراشه أتصل بأخوة بالكويت ليبيع له الأسهم بثمن شرائه، الاتصال ما تم، كان الاتصال صعب قصة قديمة، أتصل به صباحاً اتصال ما في، مساء ما تمكن ثلاثة أيام يتصل به كل يوم مرتين، الاتصال لم يتحقق، ثم قال أنا حينما أعود إلى الكويت بعد شهر، بعد أن تنتهي إجازتي أسحب هذه الأموال وأنتهي من هذه الحرمة، بعد شهر سافر للكويت أستقبل أخوه في المطار، أول كلمة قالها له، قال له هل تعلم ماذا حل بهذه الشركة ؟ قال له لا والله، قال له لقد أعلنت إفلاسها، كل شيء يملكه بهذه الشركة مليون دينار كويتي، القصة كما سمعتها أنه وقع في أرض المطار مغشياً عليه، واحد أكل ضربة قاسمة، بعد أيام أنعش، أخوه تسرع قال له والله ما نفد واحد إلا أنت، قال له كيف ؟ قال له أنا قبل شهر رأيت في المنام تقول لي بيع الأسهم برأس مالها، قال له معقول بيعها لك في المنام ؟ غير معقول ما بعتها، رأيتك في الليلة الواحدة مرة ثانية ما صدقت، على المرة الثالثة، ذهب وباع الأسهم لحاملها، وباع الأسهم برأس مالها بعد أربعة أيام الشركة أفلست، واحد له فيها ثمان مائة مليون دينار عرضهم بعشرة آلاف لم يباعوا معه، شوفوا هو لما نوى يسحب أمواله على الميل وما تمكن يتصل الله عز وجل تولى مباشرة هذا الأمر، قصة واقعية، والصديق قريبي وهو صهره مهندس.

فربنا عز وجل يريك آياته أنت نويت تسحب هذا المال من الشركة إذاً الله في عنده اتصالات خاصة في خط خاص ما له علاقة بالأرض، وبهذه الطريقة نجى من الخسارة.

فالله عز وجل له آيات، ما في واحد منا يخلص لله، ويستقيم على أمره، يرجوه بإخلاص إلا ويريه آياته، وما أكثرها، هذه الله سماها بالقرآن أيام الله.

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾

(سورة إبراهيم: 5)

كيف الله زوجك، كيف أمن لك هذا البيت، كيف يسر لك هذه الشهادة، كيف أمن لك هذا المكتب، كيف أنجبت أولاد، كيف يسر لك زواج ابنك، كيف الله ألهمك أن تزوج ابنتك من إنسان مؤمن، هذه كلها نعم.

أنا أردت من هذا التعليق أن أوضح لكم أن المؤمن يرى من آيات الله واضحة.

وفي آيات من نوع ثاني، أيام إنسان يظلم، أخذ البيت لأخيه والسيارة والمعمل، وطرد مرت أخوه وأولاد أخوه، وتمتع بالسيارة والمعمل، والبيت، لأن قالت له الأم أنت معك مرض خبيث يا ابني بعد شهرين بدك تموت، اكتب البيت، والمعمل، والسيارة لأخيك وأخوه له خمس أولاد وزوجة، وما لهم أحد ما رد ونفذ وصية أمه الجاهلة، وهو أجهل منها، بعد شهرين توفي، والدته توفيت، أصبح هل المتوفى له زوجة وخمس أولاد، بيتهم راح، والمركبة راحت والمعمل راح، وعمهم يتمتع بهذا المال كيف ما يشاء، وكان عمهم صانع عند أبوهم، فلت باص بالمهاجرين، فلت فرامه، نزل لساحة الأمويين في مائة سيارة، ركب سيارة قتل الرجل، والمرأة، وخمس أولاد، وعاد البيت، والسيارة، والمعمل إلى أولاد أخيه الورثة الشرعيين.

هي آية كمان، آية من آيات الله، هو كل شيء يحصل بهذه الطريقة بس نحنا لا نعرف، كل شيء يقع بهذه الطريقة.

واحد عنده أخت عانس، وله زوجة في خصومة بين أخته وزوجته، فكان يتلذذ بإهانة أخته أمام زوجته، مرة تجاوز الحد المعقول نكشها برجله لأخته أمام زوجته، قومي هات كاس ماء برجله، سافر على حلب ثاني يوم صار معه حادث قطعت رجله من أعلى الفخذ.

ففي آيات، في آيات إيجابية، وفي آيات سلبية، وكلما كبر عقل الإنسان يستقيم، وكل ما أحب الله عز وجل يريه آياته كيف أنقذه كيف حفظه، كيف أيده، كيف نصره، كيف أمن له هذا العمل، كيف أمن له هذا الرزق، هذه على كلمة:

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى (23)﴾

سيدنا موسى شاف العصا أصبحت ثعبان مبين، ورأى يده أصبحت بيضاء للناظرين، لكن أنت كمؤمن بتشوف أشياء مخففة أسمها كرمات مو معجزات، لكن ما في واحد مؤمن يستقيم على أمر الله إلا يرى الأعاجيب.

والحقيقة الإنسان ليس ماشي في طريق الإيمان لأن الإيمان مقنع لا في شي أعمق من ذلك، معاملة الله له تغيرت، صار في سعادة، صار في طمأنينة، صار في وفاق زوجي ما كان، كان في خصومة، كان في بيت كله شقاء، صار في ود بينه وبين زوجته مثل ما قال الشعراني أنا أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي تبدل معاملة الله له تبدل جزري، هذا الذي يشده إلى الدين، ابن آدم كن لي كما أريد أكن لك كم تريد، كن لي كم أريد ولا تعلمني بما يصلحك، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد قال:

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24)﴾

تجاوز الحد المعقول.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً (35)﴾

أخواننا الكرام:

الأمر بالذكر ليس أمر بالذكرِ بل هو أمر بالذكرِ الكثير.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (33)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (41)﴾

(سورة الأحزاب: 41)

لذلك ورد في السنة أنه برءِ من النفاق من أكثر من ذكر الله وبرءِ من الكبر من حمل حاجة بيده، وبرءِ من الشح من أدى زكاة ماله واحد أدى زكاة ماله لا يسمى شحيحاً، واحد حمل الحاجة بيده لا يسمى متكبراً، واحد أكثر من ذكر الله لا يسمى منافقاً.

سيدنا الصديق يركب ناقته وحوله أصحابه، وقع منه زمام الناقة فنزل من على ناقته وتناول الزمام، ما انتبه أصحابه أنه نزل من أجل الزمام، ظنوه نزل لأمر آخر، فلما رأوه نزل من أجل الزمام عجبوا، قالوا كنا نحن نعطيك إياه، قال: **سمعت حبيبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تسألوا الناس شيء.**

ما دام أنت قوتك فيك قدران اخدم نفسك أكمل.

ولما النبي الكريم كان مع أصحابه في سفر، قال عليَ جمع الحطب، قالوا نكفيك، قال:

((إني أعلم أنكم تكفونني إلا أن الله يكره يرى عبده متميز على أقرانه.))

لذلك:

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36)﴾

يعني أنا بعجب، أعظم شيء في الدين الدعاء والاستجابة، ما أمرك أن تدعوه إلا ليستجيب لك، وأنت معك إذا كان دعوت الله عز وجل هو خالق الأكوان القوى من كل قوي، الغنى من كل غني أرحم من كل رحيم، تزهد بالدعاء له وتدعو غيره.

ويعاب من يشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

***

المؤمن، الدعاء مخ العبادة، في صلاة، وصوم، وحج وزكاة، إذا هل الأشياء الأربعة هي جسد، مخ هذه العبادات الدعاء الحج كله دعاء، الصيام كل دعاء، الصلاة دعاء.

إن الله يحب من عبده أن يسأله، شسع نعله إذا أنقطع، إن الله يحب من عبده أن يسأله ملح طعامه، إن الله يحب من عبده أن يسأله حاجته كلها، إن الله يحب الملحين بالدعاء، من لا يدعوني أغضب عليه، أطلب منه يا أخي، أطلب رزق وفير، أطلب صهر لابنتك يكون مؤمن، أطلب عمل لابنك يكون حلال، أطلب وظيفة لابنك أطلب التوفيق، أدعو، ودعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38)﴾

أخوانا الكرام في عنا أربعه أنواع من الوحي.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5)﴾

(سورة الزلزلة: من 1 إلى 5)

هذا وحي الأمر، للجمادات أمر.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾

(سورة النحل: 68)

هذا وحي الغريزة.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾

(سورة القصص: 7)

هذا وحي الإلهام.

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾

(سورة يوسف: 3)

وحي جبريل، في عنا وحي الأمر للجمادات، وعنا وحي الغريزة للحيوانات، وعنا وحي الإلهام للإنسان العادي، وعنا وحي جبريل للأنبياء.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38)﴾

طبعاً الله عز وجل أمر أم موسى بأمرين، ونهاها نهين وبشرها بشارتين، من يذكر هذه الآية ؟

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾

(سورة القصص: 7)

هذا أول أمر، إذا كان خفت عليه ما تحضنيه أرميه بالبحر شو هذا الكلام، إذا خائف على هذه الجوهرة أضيع منك أرميها بالبحر شو هل الحكي، إذا خائف عليها خبيها، إذا خائف عليها حطها بصندوق، أما إذا خفت عليه ألقيه باليم.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾

الأمر الثاني.

﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾

هي نهيان.

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)﴾

أمراني ونهياني وبشرتاني، بعدين إذا إنسان بكون طفل، طفل الآن ولد موضوع بصندوق بنهر، معناها عناية الله معه، معناها النهر ماشي بيد الله عز وجل، من مشاه باتجاه قصر فرعون ؟ من جعل غصن يعترض طريقه ؟ من ألهم امرأة فرعون تنزل على النهر من ألهما لما شافته تحبه ؟.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾

(سورة القصص: 9)

هو أساساً فرعون هكذا تروي الأخبار أنه رأى في المنام، أن طفلاً من بني إسرائيل سيقضي على ملكه، قال القضية سهلة مادام طفل، أنا سأذبحهم جمعياً وانتهى الأمر، ومما يرويه التاريخ أن أية ولادة ؛ يعني قابلة، إن لم تخبر عن مولد ذكر لفرعون وحاشيته تقتل مكانه، ما أجرؤ، كل وحدة ولدت امرأة من بني إسرائيل

تخبر السلطات، أنه أنجبت ذكر فيذبحوه، أم هذا الذي سيقضي على ملكه رباه في قصره، الله ألقى محبته في قلب امرأة فرعون.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾

فعل الله عجيب، أيام ربنا تبدو آياته بأسباب بسيطة ما الذي أنقذا الدعوة الإسلامية كلها من أن يقض عليها في نهدها ؟ العنكبوت الله عز وجل حمى أعظم خلقه بأضعف خلقه.

في واحد يعني، مسرف في العاصي، إسراف ما له حدود ويعتدي على أموال الناس، وعلى أعراضهم، يعني رفع ديجنتور لما كان أعلى قال له الكهربجي، فلما أضطر يستخدمه ما عاد يطول جاب كرسي فأس دخل بمقعده، دخل لمستشفى أثنى عشر يوم كان ميتاً.

ممكن إنسان تنتهي حياته بسبب رفع ديجنتور من محل أعلى ممكن، الله عز وجل يقسم الجبار بأتفه الأسباب، هي كلها من آيات الله الدالة على عظمته.

﴿أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾

أخوانا الكرام:

إذا واحد الناس بحبوا لا يشوف حاله، لوما الله أودع محبته بقلوبهم كانوا طردوه، لا حد يقول أنا ذكي، أنا شاطر، أنا عندي ذكاء اجتماعي، أنا بدبر حالي، محبوب، بألف الناس كلها، لا، الله عز وجل أودع محبتك في بقلب الناس لو نزعها بطردوك.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾

إذا شاف الواحد نفسه الناس بحبوه، يشكر ربه، ويقبل الأرض شكر لله، لأنه لو أراد ذلك بالعكس بصير.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

(سورة آل عمران: 159)

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)﴾

وهذه إن شاء الله بالدرس القادم أشرحها.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-16) : تفسير الآيات 37 – 41 ، الطموح الكبير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

أيها الأخوة المؤمنون:

كثيراً ما تدور موضوعات التوجيه الديني حول طاعة الله عز وجل، وحول الاستقامة، وحول النجاة من عذابه من الدنيا والآخرة لا شك أن هذا هو الحق، ولكن ألا يطمح الإنسان من حين إلى آخر أن يرقى إلى مرتبة أعلى، ربنا سبحانه وتعالى في سورة الواقعة وصف الناس على أقسام ثلاث، قال:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27)﴾

(سورة الواقعة: 27)

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10)﴾

(سورة الواقعة: 10)

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41)﴾

(سورة الواقعة: 41)

فهناك الهلكة، وهناك الناجون، وهناك السابقون، من أحبنا أحببناه، ومن طلب منا أعطيناه، ومن أكتف بنا عما لنا كنا له ومالنا من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين، لك أن تكون مقتصداً، وبإمكانك أن تكون سابقاً، لك أن تنفق من وقتك الوقت الذي أمرك الله أن تصلي به، ولك أن تنفق من مالك الذي فرضه الله عليك، ولكن السابقين السابقين وقتهم كله لله، ومالهم كله لله، هذا الكلام يحوم حول كلمة وردت في قصة سيدنا موسى في سورة طه.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40)﴾

الآن انتبهوا !

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)﴾

يعني أنت لي، المؤمن الصادق، المتفوق وقته لله، بيته لله مركبته لله، ماله لله، حركاته، سكناته، سفره، استقامته، إذا عمل وليمة لله، لا يبتغي إلا مرضاة الله، ندواته، زيارته، سهراته، حله ترحاله، يعني، قل:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)﴾

(سورة الأنعام: 162)

قال له يا سيدي كم الزكاة ؟ قال له عندكم أم عندنا ! قال له عجيب ! ما عندكم وما عندنا ؟ قال عندكم 2.5 بالمائة، أما عندنا العبد وماله لسيده، هي:

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)﴾

هو أساساً الله أكرم الأكرمين، هل تعتقدوا في إنسان بالأرض أسعد من رسول الله ؟ ما أخذ شيئاً من الدنيا، أحب الله من كل قلبه أعطى كل وقته للدعوة إليه، بذل كل جهده لنشر الحق، لكن الله سبحانه وتعالى رفعوه إلى أعلى مقام، فنحن الآن لا نذكر الله إلا ونذكر معه رسول الله.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)﴾

(سورة الشرح 4)

فالإنسان إذا أراد خيري الدنيا والآخرة أراد المقامات العلية في الآخرة، أراد أن يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر، أراد أن يكون من السابقين السابقين، أراد أن يكون من كبار المؤمنين، فعليه أن يشكل حياته كلها بطريقة يجعلها لله كلها.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)﴾

إذا واحد عنده هذه الحساسية يقشعر جلده من هذه الآية، أنت ألي يعني، يعني خلقت لك ما في الكون من أجلك فلا تتعب، وخلقتك من أجلي فلا تلعب فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك. الماء مخلوق للجماد ليسقى به التراب، والتراب للنبات والنبات للحيوان، والحيوان للإنسان، والإنسان لمن ؟ لله عز وجل أنت حينما تنشغل عن الله بشيئاً آخر، تحتقر نفسك.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾

(سورة البقرة: 130)

فيا أيها الأخوة الكرام:

ذكرت البارحة قصة بالخطبة، رجل عمره 55 سنة في مصر له ابن طلب العلم، الأب على كبر سنه اشتهى أن يكون كالابن، ركب دابته وأتجه إلى القاهرة ليلتحق في زعمه بالأزعر، سأل أين الأزعر ؟ غير فهمان شو أسمه أساساً، هو أمي لا يقرأ ولا يكتب، القصة واقعية أسمه العالم زكريا الأنصاري، تعلم اللغة العربية القراءة والكتابة في الخامسة والخمسين، وتعلم القرآن في هذا السن، وما زال يرقى في طلب العلم حتى صار شيخ الأزهر، وما مات إلا شيخ الأزهر، في السادسة والتسعين.

لا أحد يقول أنا راحت عليّ، هي كلام شيطان، ما راحت على أحد، ما دام القلب هكذا ما راحت عليك، إذا في نبض ما راحت عليك، اطلب العلم، النبي الكريم يقول: خيركم من تعلم القرآن وعلمه خيركم، ومن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)﴾

اسأل نفسك هذا السؤال، النبي الكريم قال لبشر أحد الصحابة:

((يا بشر لا صدقة ولا جهاد فبما تلقى الله إذاً ؟))

لو واحد منكم سأل نفسه أنا بما ألقى الله ؟ يا ربي اشتغلت، لك اشتغلت، أسست بيت كله جبصين عملته، خير إن شاء الله، ما الذي تلقى الله به ؟ هل لك عمل طيب ؟ هل لك دعوة إلى الله ؟ هل لك أمر بالمعروف؟ نهي عن منكر ؟ هل ربيت ولداً صالحاً يدعو الناس من بعدك ؟ هل لك صدقة جارية ؟ هل تركت أثراً علمياً ؟ هل رعيت الأيتام والفقراء ؟ نريد عملاً يتجاوز حدود ذاتك، نريد عملاً يتجاوز مصالحك المادية، نريد عملاً يتجاوز الدنيا، من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين، هم في مساجدهم والله في حوائجهم، ما أجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتدارسون كتاب الله إلا نزلت عليهم السكينة هي الطمأنينة، بتلاقي المؤمن أسعد الناس، وغشيتهم الرحمة، زواجه موفق، تجارته موفق، صحته طيبة، أولاده أبرار، يعني رزقه وفير غشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، في إلهامات، وذكرهم الله فيمن عنده. ما أجتمع قوم في بيت من بيوت الله يذكرون الله تعالى ويتدارسون كتاب الله إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، وما أجتمع قوم في مجلس لم يذكروا الله في إلا قاموا عن أنتن جيفة حمار.

هل تعتقدون أن في الأرض رائحة أشد كراهية من جيفة الحمار إلا قاموا عن أنتن جيفة حمار.

الحديث عن الأملاك وعن الأموال المنقولة، وغير المنقولة وأسعار العملات، وأسعار الذهب، والبورصات وما إلى ذلك، هذا الحديث يسبب الإقباض بالنفس.

فلذلك الآية هي، هي ليست لعامة المؤمنين، هي لخاصتهم.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)﴾

لكن دائماً استقامة، نجاة من العذاب والنار، بدنا شيء إيجابي نحنا، ينبغي أن نرقى إلى الله، ينبغي أن نكون إيجابيين في التعامل مع الله عز وجل، فلكن من السابقين السابقين، الإنسان لازم يطلع من ذاته، لاحظ نفسك 24ساعة حول مصالحك، أكلنا، شربنا، نمنا اشتغلنا، أربحنا، زوجنا أولادنا، رتبنا بيتنا، دهنا، سافرنا، أتسيرنا أكلنا، عزمنا، كله لك، ألا تحتاج إلى عمل يخرج عن ذاتك يخرج عن مصالحك، تبتغي به وجه الله، لا تريد به إلا رضوان الله هذا العمل يرقى بك، هذا العمل يرفعك من مرتبة أصحاب اليمين إلى مرتبة السابقين السابقين.

فلذلك أول شيء طلب العلم، طلب العلم حتم واجب على كل مسلم، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، إذا أردت الآخرة فعليك بالعلم إذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، هذا العلم أخوانا الكرام، عبارة عن قناعات متراكمة، لا تصدق ممكن واحد يقنع قناعات متراكمة ما يلاقي سلوكه استقام وهو لا يشعر، ضبط لسانه، ضبط جوارحه، ضبط بيته، ضبط دخله، ضبط إنفاقه، هي من آثار طلب العلم، إذا الإنسان علمه قليل، في تفلت، في زلة قدم، في مخالفات، في معاصي، في آثام، في حجب، في ملل، في سقم، في.

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾

(سورة النساء: 142)

فلذلك:

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾

يعني أنت لما بضحي، بتقدم شيء لله عز وجل، تأخذ أضعاف مضافة، لا يعلمها إلا الله.

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144)﴾

(سورة الأنعام: 144)

يعني طبعاً النبوة انتهت، والصديقة انتهت، لو وزن إيمان الخلق بإيمان أبي بكر لرجح، لكن ممكن تكون مؤمن كبير، مؤمن متفوق، كل ما كثرت الأوقات التي تذكر الله فيها، في إنسان يذكر الله في الأسبوع له درس علم، واحد درسين أحسن، ثلاثة أحسن ثلاثة وخطبة أحسن، ثلاثة وفجر أحسن، وثلاثة وثلاثة دروس الظهر أحسن، ثلاثة وتلاوة قرآن كل يوم أحسن، ثلاثة وسهرتين لله أحسن كل ما كثرت ذكر الله عز وجل،

عطاء أو أخذ، اجتماع أو عطاء كل ما وسعت دائرة الذكر، ترقى عند الله، تنتقل من أصحاب اليمين إلى السابقين السابقين، من أحبنا أحببناه، ومن طلب منا أعطيناه ومن أكتف بنا.

يعني النبي عليه الصلاة والسلام، كان إذا أراد أن يصلي الليل غرفته صغيرة جداً، بحيث لا تستطيع لنوم زوجته وصلاته، ما سكن ببيت أربعمائة متر، ما سكن ببيت حقه ثمانين مليون، والأثاث حقه عشرين مليون، ما نزل بفندق خمس نجوم أبداً، ولا زار البلاد الجميلة، ولا شاف أنياغارة، ولا شاف كان، ولا منكر ما شاف شيء كان بصحراء قاعد عليه الصلاة والسلام، هو أسعد الناس، ألا تقول اللهم صلي على أسعدنا، أراه ملكوت ربه، أراه الله ملكوت السماوات والأرض.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)﴾

(سورة النجم: من 8 إلى 18)

يلي الله بعطيه يدوب الإنسان، بقلك معي فاكس، سيدنا عمر قال له يا سارية الجبل الجبل، قال أسمع صوت أمير المؤمنين يحذرني الجبل، أنو فاكس هذا، مباشرة رآه وحذره وسمع صوته، لما الإنسان يتجه إلى الله عز وجل يرى من آيات ربه الكبرى، لا صدق مؤمن، يخلص ويستقيم، ويقبل على الله بكل إمكانيته إلا ويريه من الآيات التي تدل على عظمته.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)﴾

(سورة النجم: 18)

اليوم درسنا أعلى مستوى، ليس درس استقامة وغض بصرك وانتبه من دخلك، لا أعلى، اليوم درسنا أن تنتقل من مرتبة أصحاب اليمين، إلى مرتبة السابقين السابقين، من خمس صلوات إلى الإكثار من ذكر الله، من إنفاق الزكاة فقط، إلى إنفاق أكثر من الزكاة، في ناس بقلك كل الناس هلكانين، الله يعينهم، ما في دين، في فساد أنت شو قاعد عم ساوي أنت، ما تعاونهم، ما لك أهل حولك، ما لك أخوات، ما لك أقارب، ما لك أصهار، ما لك بنات، ما لك بنات بنات، شو عم ساوي، بقلك الناس هلكانين، الناس ما فيهم دين، كلن ركب دش بقلك، أنت شو عم ساوي أنت، عاونهم على إصلاح ذات بينهم، على إصلاح دينهم، لا تكون سلبي، لا تكون بس ببيت وأولادك، ما بدك أحد، كيفك، نومتك بعد الظهر، قول لهم نائم لا تفيق، لا أحد يوقظني إذا أنا نمت، يوقظني لا يهم، إذا كان في عمل صالح، في عمل طيب.

فلذلك أخوانا الكرام:

لازم نطمع من حين لأخر نطلع من مرتبة أصحاب اليمين إلى مرتبة السابقين السابقين، وسع دائرة ذكرك لله عز وجل، كثر حضور مجالس العلم، اطلب العلم، اعمل لك كم أخ، ما لك أصدقاء ما لك أقرباء، اعمل لهم جلسة أسبوعية ما سمعت بهذه الدروس آية واضحة جداً حفظتها عن غيب، اكتبها على ورقة، أجمعهم وقولها لهم هي الآية، لما الإنسان يطلع من ذاته يسعد، إذا كان لك مجلس علم أنت ترتقي العلم، بكون كل إنسان داعية إلى الله عز وجل شي جميل.

﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾

(سورة العصر)

تواصي بالحق أحد أركان النجاة، فلازم الإنسان هي العادات له نظام معين تقاليد أتركها، حاول توسع دائرة معرفة بالله، كثر مجالس العلم، كثر مجالس الذكر، أستعمل دعوة متواضعة، أقرب الناس إلك أيام أولاد أختك، أولاد أخوك أربعة خمسة أجمعهم، كل خميس، سهرة، آية، وحديث، وحكم فقهي، وذكر قرآن كريم تحس حالك أصبحت أنت داعية، أطلع من ذاتك، أطلع من نظامك الرتيب إلى أفاق معرفة الله عز وجل، هي الآية، هي لسيدنا موسى بس كل مؤمن له منها لحسة، بيأخذ منها لحسة المؤمن.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)﴾

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)﴾

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾

بقدر إخلاصك، بقدر طاعتك، بقدر تضحيتك، بقدر بذل وقتك ببذل مالك، ببذل طاقاتك في خدمة الخلق الله بقربك منه، إذا قربك بذوقك، والدنيا كلها تغدو كجناح بعوضة، تنتقل الدنيا من قلبك إلى يديك، تتعامل بها، لكن القلب معلق بالله عز وجل.

القرآن الكريم بيننا، من أجل أن نقتدي بما فيه من آيات كريمة الإنسان يعني لا يكون لذاته، يخرج من ذاته، يوم القيامة الله يقول للعبد، ماذا صنعت من أجلي ؟ يا ربي زهدت، أما زهدتك فقد تعجلت فيه الراحة لقلبك، وأما كذا فلك، وأما كذا فلك، لكن ماذا صنعت من أجلي، يقول يا ربي وماذا أصنع من أجلك، يقول هل واليت فيا ولياً عاونت أهل حق أنت، أطلعت من ذاتك، لما يصطفلوا ما دخلنا سلامتك يا رأسي، لا ! كون إيجابي لا تكون سلبي، طبعاً الله:

﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)﴾

الله رب النوايا، النية الطيبة الله يكرم صاحبها، ما بخليه يتورط.

فلذلك الإنسان يطمح يكون من السابقين السابقين، من أحبنا أحببناه، ومن طلب منا أعطيناه، ومن اكتفى بنا عما لنا، كنا له وما لنا.

أب عنده خمس أولاد، الأربعة منهن كل واحد بشغله بطل عليه بالشهر مرة بدك شي بابا، لا الله يرضى عليك في واحد ما بتركه ليل نهار معه، ليل نهار، يعني ممكن، أنا ومالي لك يا بني هذا غير هدنة، هدنة عم يؤدوا الواجب، يؤدوا الفرض فقط، بطلع عليه بالشهر مرة، الأب أعطاهم حاجتهم، أما الابن الذي لازمه ليل نهار أعطاه كل شيء.

فلذلك الإنسان يطمع يكون من السابقين عند الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-16) : تفسير الآيات 39 - 50 ، أسلوب الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

أيها الأخوة الكرام:

لا زلنا في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، بعد أن قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)﴾

كانت هذه الكلمات محور الدرس الماضي.

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآَيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42)﴾

ولا تنيا، يعني لا تتباطأ.

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)﴾

دخل واعظ على بعض الملوك، قال إني سأعظك وأغلظ عليك فقال له الملك وكان أفقه من الواعظ، ولما الغلظة يا أخي ؟ لقد أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني، أرسل موسى إلى فرعون فقالا:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)﴾

الإسلام قوته في أفكاره، قوته في الحقائق التي ينطوي عليها قوته في هذا الكتاب، قوته في السنة، أما أن يلجأ الإنسان إلى العنف هذا الأسلوب ما أنزل الله به من سلطان، هذا الأسلوب من صنع أعداء المسلمين، في تشويه سمعة المسلمين، ليستقر في ذهن كل إنسان أن المسلم مجرم، والآن العالم كله يكافح الإرهاب الإسلامي.

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)﴾

أضرب لكم مثلاً:

في طريقة اسمها التدخل الإيجابي، لو فرضا في عندنا مائة محل تجاري وهذه المحلات أصحابها لا يتقيدون بالتسعيرة، مثلاً يقدمون بضاعة سيئة بأسعار باهظة، هناك تدليس، هناك غش الخ.. ولي أمر المسلمين ماذا عليه أن يفعل ؟ عليه أن يقمع الغش، فإذا داهمنا هذه المحلات، وضبطنا الغش، وأغلقناها، وختمناها، وأخذنا أصحابها إلى السجن، هذه الطريقة اسمها طريقة القمع في طريقة نظرية ليست مطبقة عملية، تفتح محل تبيع أحسن بضاعة، بأرخص سعر، بأطيب معاملة، وكل هؤلاء الناس يأتون إليك، وينصرفون عن هؤلاء الغشاشين، لا قمعت، ولا قهرت، ولا ظلمت، ولا اعتديت بل قدمت هذا الأسلوب بأرقى شكل.

الدعوة الآن إلى الله لا تنجح إلا بهذه الطريقة، قدم الإسلام بأبهى صورة، قدمه بالتفكير العميق، قدمه بالأدلة الواضحة، قدمه بالنموذج الصادق، قدمه بالقدوة الحسنة، قدمه باليسر، قدمه بالتسامح قدمه بالموعظة الحسنة، قدمه بالنصيحة المخلصة، قدمه بالواقعية، لا تحقد، ولا تكن عنيفاً، ولا تسلك سبل المجرمين لنشر هذا الإسلام وهذه الآية دليل.

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43)﴾

فرعون الذي قال:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)﴾

(سورة النازعات: 43)

فرعون الذي ذبح أبناء بني إسرائيل، فرعون الذي استحيا نسائهم، فرعون الذي ملكهم، وعبّدهم، هذا بالذات:

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)﴾

إذاً: من أمر بالمعروف، انظروا الحق أعظم، وأسمى وأجل من أن نتخذ وسائل غير مشروعة لنشره، الهدف النبيل نسلك في نشره الأسلوب النبيل، الأهداف النبيلة لا تبرر الوسائل غير النبيلة الأهداف النبيلة لها وسائل نبيلة، الشريعة رحمة كلها، عدل كلها مصلحة كلها، فأي قضية خرجت من العدل إلى الجور، من الرحمة إلى القسوة، من المصلحة إلى المفسدة، فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل، علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، لا يكون الرفق في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

(سورة آل عمران: 159)

حديث قدسي:

((إن هذا الدين قد ارتضيته لنفسي ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه.))

الدعوة إلى الله تحتاج إلى حكمة بالغة، تحتاج إلى أن تملك القلوب، لا أن تملك الرقاب، الأقوياء ملكوا الرقاب، لكن الدعاة إلى الله ملكوا القلوب، ولا تملكوا القلوب إلا بالإحسان، والتلطف والمثابرة، والحلم، والتبشير لا التنفير، والتيسير لا التعسير والستر لا الفضيحة، فالأساليب التي تستخدم الآن في نشر الإسلام المخالفة لمنهج الإسلام هذه تخدم أعداء الإسلام، نحن لا نخشى على الدين من أعدائه، نخشى على الدين من أدعيائه، أعداء الإسلام يدفعون الملايين المملينة من أجل تشويه الإسلام، والإسلام لا يشوه إلا بالعمل الإجرامي، إلا أن يستقر في ذهن العالم كله، أن الإسلام يعني جريمة.

فلذلك:

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾

الإسلام قوي بأفكاره، قوي بحججه، قوي ببيانه، قوي بالمنهج، قوي بهذا الكتاب، قوي بهذه السنة.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45)﴾

هذا قتل الإنسان عنده مثل قتل نملة، اقتلوهم.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) ﴾

لكن وين قاعد أنا ؟ أنا معكم.

إذا المؤمن قرأ هذه الآية، فكلما واجه قوياً، أو إنساناً شريراً أو عدواً حاقداً،.

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)﴾

يسمع يطمئن، الله عز وجل ما خلق مخلوق وفلته، ما خلق مخلوق إلا وقابضه.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)﴾

(سورة الزمر: 62)

لا تخاف، وحوش كاسرة كلها بإمكانها أن تفترس الإنسان لكنها مربوطة بأزمة محكمة، بيد عادل، رحيم، علاقتك مو مع الوحوش، مع من يملك أزمة الوحوش، علاقتك ليست مع الوحوش الكاسرة، المخيفة، بل هي مع من يملك أزمتها.

فلذلك قال سيدنا هود:

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)﴾

(سورة هود: 55)

لذلك:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213)﴾

(سورة الشعراء: 213)

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)﴾

قصة رويتها لكم من قبل، لكن الآن مناسبة لنذكركم بها الحسن البصري أدى أمانة العلم، وضح بعض الأمور، هذه الأمور التي وضحها أغضبت الحجاج، وأغضبته غضباً شديداً، حتى قال لمن حوله: أنتم ماذا فعلتم حينما قال كذا وكذا ؟ يا جبناء، والله لأسقيناكم من دمه الآن، واستدعى السياف إلى قصره، ومُد النطع حتى الدم لا يلوث الأثاث الفاخر، وقال ائتوني بالحسن البصري لقطع رأسه انتهى الأمر، فلما دخل الحسن البصري على الحجاج ورأى السياف جاهزاً لقطع رأسه، والنطع قد مُدّ، تمتم بكلمات لم يسمعها أحد ثم دخل على الحجاج، فما كان من الحجاج إلا أن وقف له، وقال أهلاً بأبي سعيد وما زال يقربه، ويقربه حتى أجلسه إلى جانبه على السرير، وسأله عن بعض الأسئلة، قالوا: وعطره، وطلب الدعاء منه، وقال أنت يا أبا سعيد سيد العلماء ثم شيعه، من الذي صعق ؟ السياف، والحاجب تبعه الحاجب قال له يا أبا سعيد لقد جيء بك لغير ما فعل بك، ماذا قلت وأنت داخل ؟ قال له: **قلت ما ملاذي عند كربتي، يا مؤنسي عند وحشتي، اجعل نقمته عليّ برداً وسلاماً كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم.**

الله بدل له قلبه، ألبسه هيبة كبيرة جداً، ألقى العطف بقلب الحجاج، ألقى الهيبة على الحسن البصري، والحسن البصري مرة سأله والي البصرة، جاءه توجيه من يزيد هذا التوجيه لا يرضي الله عز وجل قال له إن الله يمنعك من يزيد ولكن يزيد لا يمنعك من الله إذا أنت أطعت مخلوق وعصيت الخالق الله في عنده أورام خبيثة، في عنده أشياء، الواحد ينهار منها، وهؤلاء لا ينفعونه، أما إذا أرضيت الله عز وجل، وأسخطهم، الله يمنعهم منك، إن الله يمنعك من يزيد ولكن يزيد لا يمنعك من الله.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)﴾

لكن الإنسان متى يستحي يطلب من الله، يخجل أن يتوكل عليه، إذا كان مقيم على معصيته، إذا مقيم على معصية لا يستطيع التوكل عليه، ولا يستطيع الالتجاء إليه، ولا يستطيع أن يحتمي بحماه أما إذا كنت مقيماً على طاعته أنت أقوى إنسان، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن فيما يدي الله أوثق منك بما في يديك، وإذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتقي الله.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)﴾

يعني مو السلام عليك.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)﴾

يعني إذا أنت خاطبت إنسان ينكر وجود الله عز وجل تقول له السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هذا الكلام ماله معنى، قول له السلام على من اتبع الهدى لا عليك.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) ﴾

الآن فرعون يسأل من هو الله ؟ من هو ربكم ؟ والله هذه الآية يمكن أن يكتب فيها مائة ألف صفحة.

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

أوسع كلمة على الإطلاق في اللغة، شيء.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

(سورة الإسراء: 44)

جسم الإنسان فيه مليون آية تؤكد هذه الآية، بالطعام والشراب بالنبات، بالحيوان، بالسماوات، بالأرض.

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

هذه الشعرة لها وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة دهنيه، وغدة صبغية، في برأس الإنسان ثلاث مائة ألف شعرة تقريباً ولكل شعرة وريد، وشريان، وعصب، وغدة، وعضلة، دهنيه وصبغية، شبكية العيد 130 مليون مخروط وعصية، قال لي واحد الاتصالات الخارجية أصبحت سهلة جداً ما هو السبب ؟ قال في خط الآن كهربائي ألف مكالمة بخط واحد، لكن العصب البصري 900 ألف خط بخط، ولكل خط ثلاث أغمده، بحزمة قطرها ميلي واحد هذه الآية إن شاء الله موضوع درس الغد.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

شوف خصائص الحيوانات، خصائص النباتات، أنت عندك حقل بطيخ بدك تعرف أني استوت، وكله أخضر، معقول تنبطح جنب البطيخة ودقها بيدك !! هي بدها شغل غير معقول، الله عمل لك حلزون بعد ذنبها بقليل، تمسكه تضغطه إذا انكسر تقطعها، استوت، إذا طري بتخليها.

في آلاف الأدلة بالنبات، حليب الأم ما فيه حديد، بطحال الطفل الرضيع في كمية حديد تكفيه سنتين، إلى أن يأكل الشوربة والعدس.

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

هذا الماء إذا تبرده ينكمش، ينكمش، ينكمش، عند زائد أربعة يتمدد يتمدد لولاها ما كنا نحن قاعدين، هل تصدقون أن الحياة على وجه الأرض متوقفة على هذه الخاصة، إذا كان برد ينكمش معناها تزداد كثافته، معناها ويقل حجمه و يزداد وزنه، معناها يغوص، معناها البحار متجمدة بعد حين تصبح إلى أعماقها متجمدة والتجمد يتمدد إلى أن يعم بحار الأرض، عندئذٍ ينعدم التبخر ومع انعدام التبخر تنعدم الأمطار، ومع انعدام الأمطار ينعدم إنبات النبات ويموت الحيوان، ويموت الإنسان، كل حياتنا موقفة على هذه الخاصة بالماء عند الدرجة زائد أربعة يتمدد الماء، عبي قنينة وحطها بالفريزر تتكسر القنينة، لماذا ؟ لأنه يتمدد، والماء إذا حب يتمدد بالمناسبة ما في قوة بالأرض أرضية تمنعه، بكون محرك فولاذ، من أقسى المعادن، إذا الماء فيه وصار فيه تجمد ينشق نصفين المحرك والآن أحدث طريقة لقلع الرخام يحفروا أنفاق ويملؤها ماء ويبردونها يحيطها من أربع جهات تطلع كتلة متر مكعب رخام بدون جهد كبير عن طريق تمدد الماء بعد التبريد، يعني يشق الصخر الماء إذا تمدد والماء لا ينضغط، جابوا مكبس 800 طون ما تمكنوا يضغطوا الماء ولا ميلي، إذا تمدد ما في قوة تقف أمامه، هذا الماء، شو بدك آيات بالماء في آيات، بالنبات في آيات، بالفواكه في آيات، بالأشجار في آيات، هذه الآية أفخم آية للإنسان أن يفكر فيها طول حياته.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49)﴾

من هو الله ؟ فرعون قال:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)﴾

(سورة النازعات: 24)

من هو إلهكم ؟ من هو ربكم ؟ قال له:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

الدرس (07-16) : تفسير الآيات 49-50 ، التفكر في عظمة الخالق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

أيها الأخوة الكرام:

لا زلنا في قصة سيدنا موسى مع فرعون التي وردت في سورة طه، ووصلنا في الدرس الماضي إلى أن فرعون سأل موسى عليه السلام.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

وذكرت لكم أن هذه الآية يكتب فيها المجلدات، لأن الكون كله كما قال الله عز وجل:

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾

(سورة الملك: 3)

الكون كله في أعلى درجات الإتقان.

﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

(سورة النمل: 88)

وأما معنى قوله تعالى:

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾

أي ليس في صنعة الله مستويات، مستوى تجاري مثلاً ومستوى صناعي، ومستوى متقن جداً غالي، كل شيء خلقه في أعلى مستوى.

الإنسان أيها الأخوة:

إذا نام في الليل، له هيكل عظمي، وتحت الهيكل العظمي عضلات ونسج، وفوق الهيكل العظمي عضلات ونسج، وزن الهيكل العظمي مع الذي فوق الهيكل العظمي يضغط على ما تحت الهيكل العظمي، فإذا ضغط ضاقت الأوعية التي تروي العضلات، الله عز وجل أودع في الجسم مراكز الإحساس بالضغط، فإذا تنبهت

هذه المراكز أعطت إشارة عصبية إلى الدماغ، تلاقي الإنسان يتقلب بالليل قلب على جانب، بعد ثلث ساعة انضغط الجانب الذي تحت الهيكل العظمي، يتنبهوا المراكز الأخرى مراكز الإحساس بالضغط، تنبه الدماغ، يتقلب قلبة ثانية، لكن من رحمة الله بنا أن التقليب ذات اليمين وذات الشمال، ولو بجهة واحدة كان لاقى حاله بالأرض.

قال تعالى:

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾

(سورة الكهف: 18)

لولا التقليب لتفتت اللحم، المرضة الذين يصابون بالثبات أول وصفة لهم من قبل الطبيب التقليب، لولا التقليل تضيق لمعة الأوعية تضعف التروية يتفسخ اللحم.

قال تعالى:

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾

فأهل الكهف لولا أن الله قلبهم بعد أقل من سنة يتفسخ لحمهم وهذا من إعجاز القرآن العلمي، تصوروا إنسان نائم ثماني ساعات تقلب ثمانية وثمانين مرة ذات اليمين وذات الشمال، حتى كلما انضغط قسم من الأنسجة بوزن الهيكل العظمي وما فوق الهيكل العظمي استراح قسم، وهكذا، والحكمة مرة نحو اليمين ومرة نحو الشمال.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

الإنسان يعجب ليس في الشعر أعصاب حس، وليس في الأظافر أعصاب حس، ولو كان في الشعر والأظافر أعصاب حس لاضطررنا إلى أن نجري عملية تخدير في المستشفى قبل أن نحلق وقبل أن نقلم أظافرنا، وبالمقابل في العظام في نقي العظام في الداخل في أعصاب حس، ما لها شغل، ما لها أي فائدة، لها فائدة كبيرة الإنسان إذا أصيبت رجله لا سمح الله بالكسر من شدة الألم يبقيها على حالها، وهذا الألم الشديد الذي دعاه إلى أن يبقيها على حالها أربعة أخماس العلاج، لو ما في أعصاب حس بنقي العظام، وأصبح في كسر، وما في ألم يمشي عليها تصبح شقفتين.

إذاً:

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

لسان المزمار ؛ أيام أنت عند طبيب الأسنان يضع لك شراقة حتى تسحب الريق، إذا العملية طويلة لابد من شراقة أو شفاطة تسحب العاب الزائد، طيب أنت نائم ثماني ساعات يتجمع اللعاب في الفم كيف ينصرف هذا اللعاب إلى المعدة ؟ قال حينما يتجمع اللعاب في الفم تذهب إشارة وأنت نائم إلى الدماغ، اللعاب زاد عن حده تأتي إشارة من الدماغ إلى لسان المزمار يفتح ويغلق على الرئتين إغلاق محكم لو نفذت نقطة لعاب بالرئة لا تنام الليل، يغلق طريق القصبة إغلاق محكم ويفتح طرق المري وأنت نائم، فهذا لسان المزمار كما سماه بعضهم شرطي مرور يعمل ثمانين عاماً ليلاً ونهاراً بلا كلل.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

الله عز وجل جعل العضلات نوعان...

عضلات إرادية، وعضلات لا إرادية.

لو كان العضلات كلها إرادية، القلب يحتاج إلى أن تقلصه أنت بإرادتك فلو كنت مشغولاً توقف القلب ومات الإنسان، عندئذٍ لا تستطيع أن تنام، إذا الإنسان نام يموت فوراً.

والرئتان كذلك لو أن الرئتين تتحركان بإرادتك لانعدم النوم وإذا انعدم النوم أرهق الإنسان، وأصبحت حياته جحيماً.

حدثني أخ كريم طبيب قال لي:

في مرض يصيب مركز التنبه الرئتين النوبي، هذا المركز يصاب بالعطب، الإنسان ما فيه ينام، الآن اخترعوا حب غالي جداً تأخذه كل ساعة، تنام التاسعة، وتصحو العاشرة، على أربع منبهات تأخذ حبة، تصحو الحادية عشر تأخذ حبة، الثانية عشر حبة الواحدة حبة الثانية حبة، لولا هذا الحب يموت الإنسان، هذا حتى يرتاح ساعة، مفعول الحبة ساعة فقط.

فأنت تنام مرتاح ثماني ساعات والرئتان تعملان بلا كلل و بلا ملل، من جعل العضلات بعضها إرادي وبعضها لا إرادي.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

طيب الكليتان تفرز كل عشرين ثانية نقطة، الكلية كل عشرين ثانية تطرح نقطة بول، والكلية الثانية نقطة أصبحوا نقطتين، لو ما في مثانة الخروج مباشر معناها الإنسان بدو كل عشرين ثانية يكون جانب المرحاض جاهز، أو يبلل حاله أو بدو فوط الرجل السعيد، أما ربنا جعل مثانة، مثانة تتحمل خمس ساعات، سبع ساعات، تعبي لتر ونصف، شيء متقن، عندك سهرة، راكب سيارة، تلقي كلمة في اجتماع بمحضر، عندك زيارة، عندك احتفال، الكليتان تعملان والتجميع بالمثانة، طيب هذه المثانة لو ما فيها عضلات البول لا ينزل إلا بالتنفيس طيب ما في تنفيس طيب واحد بربيش طالع لفوق حتى ينفس، الله جعل للمثانة عضلات، بأقل من ثلاثين أربعين ثانية تفرغ، هذا إتقان الصنعة، وتوفير كرامة الإنسان.

المرأة عندما يأتيها المخاض...

الرحم يتقلص تقلصاً متزامناً متقارباً لطيفاً لأنه في غلام.أما حينما تلد يتقلص الرحم تقلصاً شديداً فجأة.. لماذا التقلص الشديد ؟!

حتى يغلق الأنابيب المفتوحة.

يتمزق من الأوعية الدموية عشرات آلاف الأوعية فتحت وتمزقت، صار في نزيف، فالرحم ينقبض انقباض شديد جداً، يصبح كالصخر، المولدة إذا وضعت يدها على رحم المرأة ورأته كالصخر تطمئن الولادة سليمة.

العلماء قالوا:

لو أن هذا التقلص عُكس، الشديد قبل الولادة، واللين بعد الولادة، لماتت الأم ووليدها، الشديد يقتل الغلام، واللطيف يسمح بالنزيف، بالشديد يموت المولود، وباللطيف تموت الأم.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

جهاز المناعة بالإنسان، حديث العالم كله عن نقص المناعة المكتسب بسبب الانحرافات الأخلاقية، هذا الجهاز مؤلف من خمس وعشرين مليون كريه بيضاء، في أثناء السلم، فلو دخل جرثوم في أثناء الاستنفار تصبح هذه العناصر خمسين مليون، في أثناء الحرب تصبح مائتين مليون.

كيف في عنا جيش نظامي وعنا احتياط، في عنا جيش نظامي ما في ولا مشكلة، مع القلاقل بصير في استنفار، أما أثناء الالتحام والحرب يستدع الاحتياط يتضاعف الجيش ثلاثة مرات.

هكذا بالضبط جهاز المناعة المكتسب، خمس وعشرين مليون في السلم، خمسين مليون بالاستنفار، مائتين مليون بالحرب، بدخل جرثوم، يتوجه بعد ثواني، عناصر مهمتها الاستطلاع، تقترب منه وتأخذ شفرته الكيماوية، تأخذها إلى مراكز اللنف في الجسم، هذه المركز فيها خلايا أسمها الخلايا المحصنة المصنعة، تأخذ رمز الجرثوم، وتفك الرمز وتصنع مصلاً مضاد لهذا الجرثوم بعد أن تنتهي مهمتها، تأتي خلايا مقاتلة تحمل هذا السلاح وتتجه به إلى الجرثوم وتقتله، بقيت جثة الجرثوم في الدم، تأتي خلايا لاقمة منظفه تنظف أرض المعركة من هذه الجثث، كريات مستطلعة، وكريات مصنعة، وكريات مقاتلة وكريات منظفة.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

هل تصدقون أن حليب الأم في أثناء الرضاعة يتبدل ؟ !

في أثناء الرضعة الواحدة، تتبدل بنية الحليب، يبدأ الحليب بماء كثير الدسم في الحليب، يتضاعف أربع أمثال في نهاية الرضعة والسكر مثل ونصف، وتركيب الحليب يتبدل مع الأيام والأسابيع لنمو الطفل، ولما يكون الطفل مولد حديثاً جهاز الهضمي حتى لا يلتصق داخله شحم أسود، هذا الشحم الأسود أول أربع وعشرين ساعة، الأم تفرز مادة مذيبة لهذا الشحم يسمونها صمغه، فأول أربع وعشرين ساعة مفيدة جداً في إذابة الشحم الذي في الجهاز الهضمي، فأول أربع وعشرين ساعة بتلاقي خروج الطفل أسود، هو شحم ذائب، بعدين يبدأ الغذاء.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

أنت بعمر تقدير سبعين سنة في بذاكرتك سبعين مليار صورة سبعين مليار صورة ومصنفه، بقلك أن هذا الكمبيوتر أربعمائة وخمسين حرف يقرأ في ثانية، ذاكرتك أبلغ من الكمبيوتر، في عندك ذاكرة شميه، وعندك ذاكرة بصرية، ذاكرة سمعية، عندك ذاكرة وجوه، ذاكرة ألوان، ذاكرة أشكال، ذاكرة أرقام، وكل ما تتلقى شيء، يتصنف بمكانه، والذاكرة عاقلة إما أن تصنف هذا الشيء بمكان بعيد تحتاجه قليلاً، أو بمكان متوسط، أو بمكان تحت يدك هي الذاكرة.

فتحوا دماغ إنسان، وضعوا تيار كهرباء خفيف جداً في مكان الذاكرة تذكر هذا الإنسان حادثة من ثلاثين عاماً، فلما رفعت شدة التيار رأى الشيء أمامه في أشياء بالذاكرة دقيقة جداً، ولا تزال هذه الموضوعات، يعني ليست واضحة لدى العلماء.

الشجرة إذا نسيها صاحبها دون أن يسقيها ماذا يحدث ؟

دققوا هذه الشجرة لأن الله هكذا خلقها، تستهلك بادئ ذي بدئ ماء الأوراق، وبعد ماء الأوراق، تستهلك ماء الأغصان، وبعد ماء الأغصان، تستهلك ماء الفروع، ثم ماء الجزع، وآخر ماء تستهلكه ماء الجزر، لو معكوسة الآية، إذا ينسى الفلاح الشجرة من دون سقي يوم واحد تموت، أم ينسها أيام، ثلاثة أسابيع أربع أسابيع، شهر تذبل الأوراق، أما لا يزال بالجزر في ماء، أستهلك الماء بهذا التسلسل، بدأ من ماء الأوراق، إلى ماء الأغصان، إلى ماء الفروع إلى ماء الجزع، إلى ماء الجزر، هذا الذي يحفظ الأشجار من التلف إذا عطشت أو جفت السماء.

هل تصدقون أن هذه الغابات الطبيعية، وتلك المراعي التي لم يزرعها إنسان، كيف تزرع ؟ قال هناك بزور لها أجنحة، تنتقل عبر القارات مع الرياح هذه البزور، موضوع بأنبوب حلزوني، فإذا سقطت في الأرض انغرز هذا الحلزون في الأرض، ثم فتحت الفتحة الأخيرة زرع البزر من دون أن تفعل يد بشر بزور لها أجنحة ومودعه في أنبوب حلزوني، فإذا وقعت على الأرض ينغرز هذا الحلزون في الأرض، وتفتح الفتحة الأخيرة، زرع طبيعي، لذلك المراعي والغابات الخضراء الطبيعية التي لم يزرعها إنسان، زرعت بهذه الطريقة، البزور بتنام ثلاثة أشهر، حينما نستخرج البزور من الثمرة تنام ستة أشهر، إذا أردنا أن نزرعها وهي نائمة لا بد من أن نوقظها، نضعها بجهاز يعطيها برد وحر متناوب تستيقظ، أما إذا زرعت البزرة قبل أن تستيقظ لا تنبت كائن حي، بعض أنواع الأزهار سبعين ألف بزرة بالغرام الواحد، وكل بزرة لها سويق، ولها جزير ولها رشيم، وفي حياة.

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

الأشجار لها أنابيب يصعد فيها النسغ الصاعد، وأنابيب ينزل منها النسغ النازل، هذه الأنابيب مع النمو تضيق لمعتها، مقواة بحلزون ليفي في داخلها حتى إذا صار نمو للشجرة ما تضيق لمعتها. أيام إذا عندك أنبوب بسيارة وماشي بطريق معكوف ينثني يغلق الماء في هذا الأنبوب، ماذا يفعلوا ؟ بقوه بحلزون داخلي بنابض داخلي.

فكل أنابيب الأشجار مقواة بنوابض من ألياف قاسية جداً بحيث لو نمت الشجرة لا تضيق لمعة هذا الأنبوب، وفي أنابيب أخرى كالأوردة في الإنسان تسمح للدم بالصعود لا بالهبوط، يلي معه دوالي هذه الدسامات تضعف، لأن الدم صاعد، واحد واقف والقلب ينبض فالدم يصعد من قدمه إلى قلبه، هذا الصعود بحكم الجاذبية ينبغي أن يعود إلى الأرض الدم، أما في دسامات إذا صعد الدم لا يرجع وأيضاً هذا في الأشجار، وهذا من إتقان صنعة الله عز وجل.

السمك يعرف أين هو من أعماق البحر، في أنبوب مفرغ من الهواء هذا الأنبوب في الثلث الأعلى من جسم السمك، إذا واحد مسك سمكة بلاقي فيها خط هذا أنبوب الضغط، تعرف السمكة بعدها عن السطح وعن العمق، دائماً، جهاز ضغط، كالغواصة تماماً، بل إن الغواصة كالسمكة، وفي عندها جهاز ثاني بتعرف الجهة، عبارة عن محفظة فيها بعض الرمال، وهذه المحفظة بأسفلها فيها أعصاب حساسة فإذا الرمال مع الأعصاب معناها هي باتجاه السطح، فإذا ابتعدت الرمال عن المنطقة الحساسة، معناها قالبة، بتعرف جهتها وبتعرف بعدها عن الأعماق، السمكة، هذا من إتقان الله عز وجل.

الحيتان مفيدة جداً للإنسان إلا أنها تتنفس الهواء، لولا أنها تتنفس الهواء لما أمكن صيدها، تخرج كي تتنفس فيصطادها الإنسان أما إذا كانت كبقية السمك تتوالد وتتوحش، ما أحد بصيدها، بالأعماق عائشة. السمك إذا تقدم ما برجع إلى الوراء، بهذه الميزة يصطاده أما لو كان يرجع ما يصطاده، الشباك عبارة عن جدار فقط، إذا دخل بالشبكة ما في يرجع السمك، لولا الخاصة لا يمكن أن نصطاد شيء من السمك.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

القوارض لا تتقيأ لو أنها تقيأت لا تستطيع أن تدمرها ولا أن تبيدها، أيضاً هذا من خلق الله عز وجل. على كل الحيوانات مذللة الله عز وجل قال:

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾

(سورة يس: 72)

في مرض يصب البقر وهو التوحش، إنسان أضطر يطلق الرصاص على بقرة قتلت رجلين، وخسر ثمنها، لأنها توحشت، لو أن الله سبحانه وتعالى أودع التوحش في هذه الأغنام وتلك الأبقار، لما أمكن أن نستفيد منها.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

طبعاً هذه نماذج، أما على كل أخ كريم أن يفكر في هذا الكون الواسع وفي خلقه بالذات، لقوله تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

(سورة الذاريات: 21)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-16) : تفسير الآيات 49-54 ، العقيدة الصحيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

أيها الأخوة الكرام:

لازلنا في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وفي الدرس الماضي كان الحديث عن قوله تعالى:

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

وقد ذكرت لكم أن الكون كله بسماواته وأرضه، بنباتاته بحيواناته، بأسماكه، بأطياره، بطعامنا وشرابنا، بأنفسنا وأولادنا ينطق بتوضيح هذه الآية:

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)﴾

هذه الآية تنقلنا إلى موضوع في العقيدة دقيق جداً، ألا وهو أن في حياة الإنسان:

دائرة المحسوسات...

ودائرة المعقولات...

ودائرة المغيبـات...

المحسوسات: أداة معرفتها الحواس الخمس.

المعقولات: أداة معرفتها العقل.

والمغيبات: أداة معرفتها الخبر الصـادق.

أكبر خطأ يرتكبه الإنسان حينما ينقل قضية من دائرة إلى دائرة.

المعتزلة لماذا انحرفوا في عقيدتهم ؟ لأنهم نقلوا دائرة المغيبات إلى دائرة المعقولات، فجعلوا كل شيءٍ خاضعٍ للعقل، وجعلوا العقل هو الحكم على كل شيء.

وأخطأ أناس آخرون حينما عطلوا عقلهم ونقلوا ما في دائرة المعقولات إلى دائرة المغيبات.

أيها الأخوة الكرام:

الشيء إذا ظهرت عينه وأثاره سبيل معرفته الحواس الخمس هذا أسمه اليقين الحسي.

أما الشيء الذي غابت عينه وبقيت آثاره سبيل معرفته العقل.

بعقلك تصل إلى الله، لأن كل ما في الكون يدل عليه وبعقلك تصل إلى أن هذا القرآن كلامه من خلال إعجازه، وبعقلك تصل إلى أن هذا الذي جاء بالقرآن والذي بينه هو النبي عليه الصلاة والسلام، لذلك علماء العقيدة قالوا:

لا يقبل الإيمان تقليداً، لو قبل الإيمان تقليداً، لكان كل الفرق الضالة عند الله معذورة، ماذا يقول أحد أتباع الفرق الضالة يا رب:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22)﴾

(سورة الزخرف: 22)

لذلك ما كان في دائرةِ العقل لا يقبل تصديقه، لا يقبل إلا بحثاً ودراسة، وتفكراً، وتأملاً، لأن الإيمان لا يمكن أن يكون تقليداً، لو كان تقليداً لكان أي مبتدع قال لأتباعه شيئاً عليهم أن يصدقوه.

كلكم يعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسل سرية وأمر عليها أنصارياً ذا دعابة، هذا الأنصاري أمر بإضرام ناراً عظيمة قال اقتحموها، لأصحابه، وقف أصحاب النبي فريقين، فريق قال كيف نقتحمها ؟ وقد آمنا بالله فراراً منها، وفريق قال **نقتحمها لأن طاعة الأمير من طاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام** فلما بلغ النبي ذلك قال:

((والله لو اقتحمتموها لا زلتم فيها إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في معروف.))

العقل لا يعطل أبداً، وإذا عدتم حوسب صاحبه أشد الحساب فالذي في دائرة المعقولات لا بد من التفكر فيه.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

هذه ضمن دائرة المعقولات، أما المغيبات ؛ ما المغيبات ؟ ذات الله عز وجل.

قال عليه الصلاة والسلام:

((تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا.))

لأن الإنسان الحادث لا يستطيع أن يحيط بالقديم الأزلي الأبدي شيء مستحيل، هذا العقل أخوانا الكرام ميزان حساس جداً لكن مخصص لبقالية يزن من خمسة إلى عشرة كيلو غرام، أي من خمسين غرام إلى عشرة كيلو غرام، فإذا أردت أن تزين به مركبتك حطمته.

فلذلك دائرة المعقولات تصل به إلى الله، وإلى أن هذا القرآن كلامه، وإلى أن الذي جاء بالقرآن نبيه، أما المغيبات فذات الله عز وجل، الآيات المتعلقة بذات الله عز وجل في القرآن الكريم، السلف الصالح فوضوا تفسيرها إلى الله والخلف أولوها تأويلاً يليق بكمال الله أما الذين عطلوها فقد ضلوا وأضلوا، والذين جسدوها ضلوا وأضلوا.

الدائرة الثلاثة دائرة الإخباريات، ليس لك إلا الخبر الصادق قضية ذات الله، قضية الماضي السحيق.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51)﴾

ما قال له فكر، لا، قال:

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾

هذه قضية الإخباريات، الله أخبرنا عن الماضي السحيق وعن المستقبل البعيد، وعن حال أهل الجنة، وعن الجن، والملائكة وعن كل شيء مغيب عنا فنحنا دائماً في بالعقيدة عنا ثلاثة موضوعات.

محسوسات: الحواس.

معقولات: العقل.

مغيبـات: الخبر الصادق.

الشيء ظهر عينه وآثاره محسوس.

والذي غابت عينه وبقيت آثاره، كالكهرباء، العقل، يا ترى في الآن بالجامع كهرباء، طبعاً في، الدليل ؟

الصوت، تكبير الصوت وتألق المصباح، هذا الدليل دليل قطعي.

أما الشيء الذي غاب عنا جميعاً، غابت عينه وغابت آثاره هذا ما في طريق إلا الحواس لأن عينه غابت، ولا العقل لأن آثاره غابت، هذا هو القسم الثلاث وهو القسم السمعي أو الإخباري الذي سبيله الخبر الصادق.

أرجو الأخوة الكرام أن أية قضية في الدين يجب أن تصنف بادئ ذي بدئ في أحد الدوائر الثلاث فإذا كانت من نوع المغيبات عليك أن تؤمن بها تصديقاً، وإن كانت من المعقولات عليك أن تؤمن بها تحقيقاً، وإن كانت من المحسوسات ينبغي أن تؤمن بها مشاهدة وإحساساً، قال:

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)﴾

بعض العلماء بنوايا خبيثة جداً أرادوا أن يضربوا الدين في العصور الوسطى، فابتدعوا نظرية دارون، وأن الإنسان أصله قرد.

من باب الطرفة أنا أؤمن بهذه النظرية لكنها معكوسة، كان إنسان فمسخ قرداً الآن، الآن الإنسان مادي، لئيم، خسيس، دنيء وصولي، يضرب بالقيم بعرض الطريق، كان إنسان ذا قيم، فصار قرداً ذا شهوات دنيئة، ليس هذا الموضوع.

هؤلاء الذين زعموا أن الإنسان أصله قرد، هناك آية في القرآن الكريم ترد على كل من استخدم عقله في المغيبات.

العقل في المعقولات، والخبر في المغيبات، والحواس في المحسوسات.

المغيبات لا يجوز أن يسلط العقل عليها، هو عاجز، العقل يحتاج إلى أثر مادي، العقل يحتاج إلى أثر يعرف المؤثر، إلى كون يعرف المكون، إلى نظام يعرف المنظم، إلى تربية يعرف المربي إلى شيء في علم يعرف العالم، العقل لا بد له من أثر، إذا ألغيت الأثر نقلت القضية إلى الإخباريات، فربنا سبحانه وتعالى قال:

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾

(سورة الكهف: 51)

يعني واحد لو فرضنا اشترى محل بالثلاثينات، وبالأربعينات أزوج، وبالخمسينات جاب ولد، الولد كبر، قاعد بجلسة، قال له والله أنا هذا المحل أخذته بزماني بخمس آلاف، فروغ، قال له غير صحيح بابا، قال له أنت متى ولدت أنت، أنا لما أخذت المحل أنا ما كنت مزوج، أنت لم تكن في عالم الأحياء.

يعني لما الإنسان بدو يتنطح ويحكي على الماضي السحيق وكأنه يشاهده شو هذا، هذا كذاب، الله عز وجل قال:

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾

فكل شيء بالماضي السحيق، الله جل جلاله يحدثنا عنه الحديث الصادق وكل شيء في المستقبل البعيد في الجنة والنار، وعالم الملائكة، وعالم الجن والحوض، والصراط، والصحف، وما إلى ذلك، هذا كله خبر صادق.

لذلك أكبر مغالطة تقع بين المسلم وبين خصمه إذا تناقشا، يقل له هات لي، قال له في دليل، الجنة ما لها دليل، دليلها الخبر الصادق، إن لم تكن مؤمناً بالمتكلم ما لها دليل.

يعني أنا فتت لغرفة لقيت فيها ثريا، وطقم كنبات، وسجادة هذا كل شيء أدركه بعقلي، لقيت رجل، دخل صاحب البيت استقبلني بحرارة، ولباسه أنيق، وضيف ضيافة جيدة، حكمت على عقله أن له عقل راجح وعنده حكمة، أما في غرفة جنبنا بابها مغلق، مهما كنت عبقرياً، مهما كنت ذكياً لا أعرف ما فيها، مهما كان الواحد، لو معه بورد، شوف هون ما بيعرف، أما لو صاحب البيت صادق عندك تقول له شو في بالغرفة التي تلينا، بقلك غرفة نوم، الغرفة التي لا تراها لا لها آثار، ولا في بلور تشوف شو فيها، ما في غير الخبر الصادق والتي أمامك بالحواس، تصرفات الشخص تحكم على عقله وحكمته وذكائه من تصرفاته. فنحنا في عنا قضية، قبل أن تناقش أي قضية بالدين، لا تسمح لنفسك تسلط عقلك على قضية غيبة، كما أنه لا تسمح لنفسك أن تصدق قضية عقلية، القضايا العقلية يجب أن تتحقق منها بعقلك والقضايا الغيبة يجب أن تؤمن بها لأن الذي تكلم بها صادق وهو الله سبحانه وتعالى، هذا الكلام من قوله تعالى:

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)﴾

أما أنتم بماذا تفكرون ؟ قال:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾

لو ما في تربة، لو أرضنا كلها صخرية، كيف نأكل ؟ لو ما في ينابيع، ما قيمة هذه البلدة بلا نبع الفيجة ؟ لا شيء، كل ثانية خمسة وثلاثين متر مكعب بالثانية، إلى أين تصل حدود هذا النبع ؟ إلى حمص، وإلى نصف البادية، وتحت نصف لبنان، لبنان فوق حوض هذا النبع، والبادية فوق حوض هذا النبع، وإلى حمص ويعطينا كل ثانية من خمسة وثلاثين إلى ستة عشر، إلى خمسة عشر في أيام الشح الشديد، إلى ثلث متر مكعب، خمسة ملايين إنسان يشربون من هذا النبع

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾

يعني مهدة، فيها ماء فيها تربة، فيها نباتات، فيها أسماك فيها أطيار، فيها معادن، فيها أشباه معادن.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾

هي لها معنيان:

أول معنى، في وديان، في طرق، في اختناقات، في قناة السويس، في قناة بناما، في باب المندب، في خليج، الله جعل بين البحار مضايق، وجعل بين الجبال وديان، وفي معنى أوسع من المعنى هذا.

يعني لو أن الإنسان يطول شعر الإنسان، بعيش من وراء طول شعر الإنسان مليون إنسان، يمرض الإنسان يعيش من وراء مرض الإنسان مليون إنسان، ما بدو أطباء، كليات الطب وجامعات ودراسات، كم إنسان عايش من مرض الإنسان، كم إنسان عايش من الحر، مكيفات، مرطبات، جليد، وأشياء ملطفة، كم إنسان عايش من البرد مدافيء، و حرامات، و كنزات، كم إنسان عايش من طيش الشباب، بكسروا السيارات، الابن طايش بعمل حادث، بجي المصلح بعيش الله برزقه من طيش الأولاد، كم إنسان عايش من الجهل، كم معلم في بالعالم.

الله عز وجل جعل بالأرض سبلاً للرزق، سبل، تأتي ذبابة بقلك ذبابة بيضاء، تشغل ثمانية آلاف مهندس، تطعم مائة ألف أسرة هي الذبابة هي تفسد المحصول بدك مهندس زارعي، بدك مبيد حشري بدك بخاخة، بدك هوندا تركب، بدك فواتير، بدك تروح تجي، هي مائة ألف أسرة عايش من وراء ذبابة، ما لنا حاسين نحنا، إنسان جاهل لازم يتعلم، كم إنسان عايش من التعليم، كم إنسان عايش من الطب، كم إنسان عايش من الحر، كم إنسان عايش من البرد الإنسان جاء عاري الجسد ما عليه ثياب، كم إنسان عايش من اللباس القطن، والصوف، والمنسوجات، والغزل، والنسيج، والصباغ والخياطة، كم إنسان عايش.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54)﴾

أنت أحصي ظاهرة النبات، في نبات أثاث خشب، في نبات طعام، في نبات صباغ، في نبات دواء، في نبات للزينة، في نبات إسفنج، في نبات فللين في نبات مسابح، في نبات ليف، في نبات مساويك، في نبات نكاشات أسنان خلة، في نباتات أدوية، في خشب زان للأثاث، في خشب كندي للنوافذ، لأنه الكندي يتحمل برد ورطوبة في خشب من أجل الصناعة لين الكبريت، في خشب من أجل الأساسات المنزل أساسه خشب، بالمرجة، خشب، خاص بالأساسات على الماء يتمدد، مائة نوع خشب.

إذا الإنسان فكر في هذه الآيات وصل إلى الله.

مخلص الدرس:

المحسوسات نـؤمن بها بحواسنا...

المعقولات نـؤمن بها بعقولنا...

المغيبات نؤمن بها بالخبر الصادق...

وأخطر ما في الدين أن تنقل قضية من الإخباريات إلى المعقولات أو تعكسها، تقع في ضلال مبين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-16) : تفسير الآيات 55-63 ،القدوة الحسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

أيها الأخوة المؤمنون:

لازلنا في قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام التي وردت في سورة طه، وصلنا إلى قوله تعالى:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾

أي لفرعون.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَاناً سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى(61)﴾

ألم يلفت نظركم في هذه الآيات شيءٌ ليس من طبيعة فرعون ؟ ! قتل الإنسان عند فرعون لا يكلفه إلا كلمة، فلما لم يقل لمن حوله اقتلوه، انتهى الأمر، لما جعل فرعون موسى نداً له، نعمل مناظرة، نجمع الناس، نحتكم إلى الناس، نأتيك بسحر مثله، هذا هو الجواب، لا إله إلا الله، من الذي ألبس هذا النبي الكريم ثوب المهابة وجعل فرعون يعامله كند، لا كمواطن عنده، لما لم يقتله ؟! لما يجمع الناس لمناظرة بينه وبينهم، لما يقول له سنأتيك بسحر مثله، هذه أول ملاحظة.

يعني كلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقرب أجلاً، وإذا خفت من الله خافك كل شيء، من هاب الله هابه كل شيء، ومن لم يهب الله أهابه الله من كل شيء، يخاف من كل شيء.

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63)﴾

أي طريقة مثلى هو عليها فرعون ؟ الكذب، لكن ما في إنسان إلا ويتحدث بالمثل، حتى ولو كان فرعون، فالعبرة لا بما يقول الإنسان، العبرة بعمله.

لذلك الشيء الثابت الآن أن الناس لا يقيمون بأقوالهم أبداً، ولا قيمة لأقوالهم، لأن كل الناس يستطيعون التحدث عن المثل العليا ولكنهم لا يطبقونها لهذا كان النبي الواحد بمثله الخلقي أبلغ في التأثير من آلاف الكتاب الذين ملئوا بالحكمة بطون المجلدات، تحدثوا عن المثل العلية ولم يطبقوها ولم يعيشوها.
لذلك أعظم شيء في حياة النبي هو مبلغ، أمره الله أن يبلغ الناس، ومبين لكن مهمته العظمة فيما أرى ليست في التبليغ، ولا في التبيين، ولكنها في القدوة والأسوة، أذاقه الله مرارة الفقر، كان إذا دخل بيته يقول هل عندكم من شيء نأكله؟ فإذا قالوا لا، يقول فإني صائم.

في بيت من بيوت المسلمين الآن ما في جبنه، كأس شاي.

يدخل النبي إلى بيته ليس في بيته شيء يأكله، يقول فإني صائم، ولما فتح الله عليه البلاد، ودخل الناس في دين الله أفواجاً صار غنياً، سأله رجل لمن هذا الوادي ؟ قال هو لك، قال أتهزئ بي قال لا والله هو لك، قال أشهد أنك تعطي عطاءً من لا يخشى الفقر في الفقر وقف الموقف الكامل، وفي الغنى وقف الموقف الكامل طيب بالقهر، حينما ذهب إلى الطائف.

إذا واحد منكم له مكانة اجتماعية، وقال له شخص بالمفرد أنت بحس حاله انهان، إذا ما قال له أنتم سيدي ما ينبسط.

طيب النبي ضرب بالطائف، وكذب، واستهزئ به وبدعوته وسار الدم من قدميه، ماذا قال ؟ قال: ربي إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولك العتبة حتى ترضى لكن عافيتك أوسع لي، جاءه ملك الجبال قال يا محمد لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين، قال لا يا أخي اللهم أهدي قومي فإنهم لا يعلمون لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده.

لما ذاق القهر أستسلم إلى الله عز وجل، ولما أنتصر، مكة المكرمة عادته عشرين عاماً، أخرجته ائتمرت على قتله، حاربته ثلاث مرات، نكلت بأصحابه أشد التنكيل، دخلها فاتحاً، كيف دخلها ؟ قال كادت ذوأبت عمامته تلامس عنق بعيره، شكراً لله وتواضعاً فلما قالوا له ما أنت فاعلٌ بنا، بإمكانه بكلمة من شفتيه أن يبيدهم جميعاً عشرة آلاف سيف متوهجٍ تأتمر بأمره، قالوا أخ كريم وابن أخ كريم قال: أذهبوا فأنتم الطلقاء.
أذاقه الفقر فصبر، إني صائم، أذاقه الغنى، قال هو لك طيب أذاقه القهر، إن لن يكن بك غضب علي فلا أبالي، أذاقه النصر قال أذهبوا فأنتم الطلقاء، أذاقه موت الولد، قال إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون.

من يتحمل منكم أن يقال عن زوجته زانية ! حديث الإفك اتهمت السيدة عائشة بالزنى، ولحكمة أرادها الله عز وجل، تأخر الوحي شهراً بأكمله، لا في معه دليل إثبات ولا دليل نفي، والمدينة تلغط بهذا الموضوع، وهي أم المؤمنين، وهي السيدة المصون الحصان، العفيف، الطاهرة، يتكلمون عنها، صبر، فلما نزلت التبرئة، قال لها أبوها سيدنا الصديق: قومي لرسول الله فاشكريه قالت والله لا أقوم إلا لله، النبي تبسم قال: عرفت الحق لأهله، ما تألم منها، طيب أذاقه مشكلة داخلية ساحقة.

مرة إحدى زوجاته السيدة عائشة، جاءها طبق من ضرتها صفية أمسكت الطبق ورمت به أرضاً وكسرته، أصابتها الغيرة النبي عليه الصلاة والسلام في يخلع رقبتها كان، جمع أشتات الطبق وقال غضبت أمكم غضبت أمكم، علمك الحلم بالبيت طول بالك، قد تكون مقهورة الزوجة متضايقة، لا تكون أنت قاسي، قال، غضبت أمكم، غضبت أمكم.

أختار موقع في بدر اللهم صلي عليه، جاء صحابي يكاد يذوب أدباً معه، قال له هذا الموقع يا رسول الله وحي أوحاه الله إليك، أم هو الرأي والمشورة، قال هو الرأي والمشورة، قال ليس بموقع، هذا الصحابي تجرأ وأنتقده، النبي ما قال شيئاً أعطى أمر لينتقل الجيش إلى الموقع الجديد، وتلقى هذه النصيحة برحابة صدر وقلب كبير وعلمنا كيف نصغي لمن ينصحنا، وعلمنا كيف نشاور من حولنا وكيف لا تأخذنا العزة بالخطأ، كان لنا قدوة.

فأنا الذي أراه وهذا رأي شخصي، أن مهمة القدوة أخطر بكثير من مهمة التبليغ، أي إنسان يبلغك الحق، أما الذي يشدك للحق ليس إنسان طليق اللسان، لا إنسان يطبق في سلوكه ما يقوله في لسانه الآن نحنا لا نحتاج إلى خطباء فصحاء لا، بدنا مسلم حقيقي، بدنا مسلم آمين صادق إذا قال فعل، بدنا مسلم ورع عفيف، بدنا مسلم ما في عنده ازدواجية أبداً، ما في مسافة بين أقواله وأفعاله، هذا الذي يشدنا إليه، فمهمة القدوة والمثل الأعلى، هذه المهمة أبلغ بكثير من مهمة التبليغ فالنبي عليه الصلاة والسلام، كان مبلغ عن ربه.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

(سورة المائدة: 67)

وقال:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21)﴾

(سورة الأحزاب: 21)

فنحنا في عنا مشكلة أن معرفة سنة النبي العملية، يعني سيرته فرض عين على كل مسلم، الدليل هذه الآية، كيف يكون النبي أسوة لك في بيتك، مع زوجتك، مع أولادك، مع أصحابك، مع جيرانك مع أصدقائك، في حربك، في سلمك، مع أعدائك، كيف يكون النبي أسوة لك إن لم تعرف ماذا فعل، وكيف تحرك وتصرف، إذاً معرفة سنة النبي القولية والعملية، القولية الدليل عليها.

﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

(سورة الحشر: 7)

العملية:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21)﴾

(سورة الأحزاب: 21)

أحياناً إنسان يدعي شيء فوق مقامه، بقلك المؤمن ذو بصيرة حادة يكشف حقائق الأمور، إلى حد ما، يعلم ما في النفوس، لا ليس صحيحاً، لأن النبي عليه الصلاة والسلام جاءه وفد وطلب منه سبعين قارئ قرآن ليعلموا قومهم، فلما أخذوا هؤلاء قتلوهم في الطريق، لما لم يعلم ؟ هذا هو البشر، لا يعلم إلا أن يعلمه الله، لا تدعي ما ليس لك، لا يعلم النبي ولا أي إنسان آخر، إلا إذا أعلمه الله إذا ما أعلمه الإنسان ضعيف، رحم الله عبد عرف حده فوقف عنده، أنا أقول لكم ثلاث آيات.

الآية الأولى:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13)﴾

(سورة الزمر: 13)

فأي إنسان يقترف أي معاصي ولا يخاف الله عز وجل ليس متبعاً لرسول الله، هي وحدة.

الثانية قل:

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾

(سورة الأنعام: 50)

وكل إنسان يقول لك سيكون معك كذا وكذا، هذا علمٌ للغيب، النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب، فلأن لا يعلم أحد بعده من باب أولى، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً ﴾

(سورة الأعراف: 188)

النبي الكريم على مقامه العظيم لا يملك النفع والضر، ولا يعلم الغيب ويخاف إن عصى ربه عذاب يوم عظيم، هذا مقام سيد الأنبياء، فهل هناك بعد النبي رجل يفوقه في هذا، طيب هذا الذي يقول خضت البحر الذي وقف بساحله الأنبياء هذا كلام غير مقبول هذا كلام مرفوض، هذه شطحات لا نرضى بها ولا نقبل بها، مقام النبوة أعلى مقام، هذا هو مقام النبوة.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13)﴾

قل:

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾

(سورة الأعراف: 188)

الآية الثلاثة:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً ﴾

يا فاطمة بنت محمد يا عباس عم رسول الله أنقذا نفسيكما من النار أنا لا أغني عنكم من الله شيئا لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه.

شيء ثاني.

ألاحظ أنه أخ كريم يحاول يأخذ فتوى من شي عالم، هو يراه هيك أمام مسجد بقلك أخذنا فتوى الحمد لله برقبته صارت ليست برقبتي أسمعوا الجواب يا أخوان، لو استصدرت فتوى من رسول الله، لو أن النبي بفمه الشريف أفتى لك ولم تكن محقاً لا تنجو من عذاب الله.

لعل أحدكم ألحن بحجته من الآخر، فإذا قضيت له بشيء فإنما أقضي له بقطعة من النار.

أعرف حجمك، النبي أعظم إنسان على الإطلاق، ومع ذلك لو أخذت من فمه الشريف حكماً لصالحك ولم تكن محقاً، لا تنجو من عذاب الله، بالتعبير الدارج علقتك مع الله، الله كاشف، عليم، سميع بصير.
في رجل استقرض ثلاثمائة ألف ليرة، عنده مزرعة جيدة، ما أحد دينه، عرضها على شخص أنا أطوبها لك على أن تقرضني هذا المبلغ، فإذا رددتها لك تعيدها إلي، قال له ما في مانع، أعطاه ثلاثمائة ألف، وذاك الرجل تملك المزرعة، والمزرعة غالية ومريحة، فيها مسبح، فيها فيلة، أشجار مثمرة، بعد سنتين ثلاثة تمكن المقترض من تجميع المبلغ، جاءه وقال هذا المبلغ، رد لي المزرعة قال له لا كل واحد معه حقه، أصابه الهم

والغم حتى ألمت به جلطة أودت بحياته من شدة الألم، قبل أن يموت أوصى ابنه الأكبر بيته بالمهاجرين كان، وخصمه له دكان، أعتقد بالقصاع خصمه، قال له مشي الجنازة من المهاجرين إلى القصاع، وتوقف الجنازة أمام الدكان، وتدخل أمام الناس، وتسلمه هذه الرسالة، ابنه فعل الوصية مشى الجنازة من المهاجرين إلى القصاع أمام دكان الخصم، وقفت الجنازة، خرج ابنه من المشيعين معه رسالة كبيرة بظرف مختوم قدمها للذي أغتصب هذه المزرعة، ماذا كتب فيها ؟ قال له المظلم إنني ذاهب إلى دار الحق، والله سبحانه وتعالى هو الحكم بيننا، وإن كنت بطلاً لا تلحق بي.

إذا واحد خاف من الله، القضية ما في معها مزح، في قبر في حفرة سوداء مظلمة، أنا بعرف رجل من أغنى الناس، توفي في أيام مطيرا بعض الأسقية مفتوحة على القبر، بلغوا ابنه أن في القبر في سياقات مي سوده، قال لهم شو بدنا نساوي ادفنوه خلصونا، دفنوه يعني من بيت لا يوصف، إلى هذا القبر بقلي مدير معمله بقيت أسبوع ما أكول هون معلمي وضعوه !! هذا مصير الإنسان لذلك الإنسان العاقل يجهد أن يجعل هذا القبر باستقامته وعمله الصالح روضة من رياض الجنة، والمغادرة سريعة.

طلع واحد من كبار التجار في الحريقة على بيته في بقين من شي أسبوعين ثلاثة، دق لأبنه تلفون لقي ما في حرارة بالخط، قال له هات التلفون لمحل ثاني لعله في وصلة ثانية، راح ليجب ابنه، جاء وجده خالص، ثلاثين ثانية، غادر الدنيا بثلاثين ثانية، ماله بصفي حساباته مع ربه.

فلذلك النبي الكريم أكبر مهمة له هي القدوة لا التبليغ، بلغنا أما القدوة فعل بسلوكه ما قال بلسانه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-16) : تفسير الآيات 60-72 ، العبرة لمن صدق لا لمن سبق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

فلا زلنا أيها الأخوة في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون تلك القصة التي وردت في أماكن عديدة من كتاب الله جل جلاله لكنها اليوم من سورة طه، سأقرأ عليكم فقرة من هذه القصة ولا بد أن هناك استنتاجات دقيقة جداً تستنبط منها.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63)﴾

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66)﴾

هذه إشارة إلى التنويم المغناطيسي، أصحاب الشخصيات القوية قد يسيطرون على ضعاف النفوس، فهؤلاء الضعاف يرون غير الحقائق، طبعاً هؤلاء السحرة جاءوا بأنابيب وضعوا بها زئبق والزئبق معدن رجاج سريع التأثر بالحرارة، وسخنوا تحتها هذه الأنابيب، وقد دهنت على شكل أفاعي فلما سخنوا ما تحتها، تحركت ما في شي.

الحقيقة السحر له طريقتان، إما أنه يعتمد على مهارات فائقة أو على معاونة الجن.

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66)﴾

لما سيدنا موسى رأى هذه الحبال تحركت وكأنها أفاعي.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67)﴾

يعني فأوجس موسى في نفسه خيفة.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68)﴾

يستنبط من هذه الآية أن الإنسان إذا كان مع الله، وإذا كان متبعاً لكتاب الله دائماً يجب أن يقرأ هذه الآية.

﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68)﴾

مالك ماشي مع جهة أرضية، مالك ماشي مع شخص، تعاملك ليس مع فئة، تعاملك مع خالق الكون، قلنا يا موسى لا تخف إنك أنت الأعلى.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾

الآن لو ألقى سيدنا موسى العصا فإذا هي ثعبان مبين حقيقة لكن مائة ألف إنسان متفرج عن بعد ماذا سيرى؟ سيرى ثعبان حقيقي وما يشبه الثعابين، قد يختلط عليه الأمر، لذلك ماذا فعل هذا الثعبان المبين أكل كل هذه الحبال.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)﴾

من سحر فقد كفر، ما في إنسان يتعامل مع السحر إلا لإضلال الناس، ولو كان مظهره ديني، كل شيء متعلق بالسحر إضلال للناس ربنا عز وجل لحكمة بالغة جعل هذا الثعبان المبين يأكل كل هذه الحبال والعصي، لو أنه لم يأكلها وبقي في جانب وهذه الحبال المتحركة في جانب، لأختلط الأمر على المشاهدين، لكن الله سبحانه وتعالى جلت حكمته جعل هذا الثعبان المبين يأكل كل ما ألقاه السحرة.

في عنا شيء يشبه ذلك، لما الله أغرق فرعون ما الحكمة البليغة من أن جسده قذف إلى الشاطئ ؟ لأنه هو يقول أنا ربكم الأعلى فإذا غرق لا أحد يصدق أنه غرق، بقلك طلع للسماء، ربنا عز وجل أنجاه ببدنه وقذفه اليم إلى الشاطئ، ليرى الناس بأعينهم هذا الذي أدع الألوهية كيف أنه بشر، والشيء الذي يلفت النظر أيضاً، هو أن هذا المومياء الذي في متاحف مصر بعض هذه المومياء أصابها بعض التعفن، فنقلت إلى فرنسا وأستقبل في مطار باريس على أنه ملك، فلما عولج وجدوا آثار الملح في فمه، هذا هو فرعون موسى في أرجح الراويات الذي نجاه الله ببدنه ليكون لمن خلف آية، لا يزال فرعون موسى مسج في متاحف مصر هو الذي وجد الملح في فمه، والملح يبقى إلى أمد طويل.

إذاً:

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)﴾

ما بدأ الدرس بعد، الدرس الآن بدأ، ممكن ساحر كائن ضال مضل من أعوان فرعون أتى به ليدحض معجزة سيدنا موسى، هذا الساحر في لمح البصر يصبح من كبار المؤمنين ؟!

نحنا في نظام التعليم عندنا شيء مستحيل، الشهادة الثانوية تحتاج إلى اثنتي عشر سنة، أبداً.. قد ما كان الطالب ذكي، في بعض البلاد مشان تشجيع المتفوقين ممكن الطالب يدرس الليسانس ثلاث سنوات، عوض أربعة، هل المقررات خمسين مقرر يأخذهم على ثلاث سنوات، أما أن واحد يأخذ دكتوراه بساعة، هي في نظام التعليم الأرضي مستحيلة.

أما عند الله غير مستحيلة، بالقدر الذي تصدق فيه، تقل المرحلة، يبدوا أن هؤلاء السحرة سحرة مهرة، وهم يعلمون علم اليقين أن عملهم عمل تقليد، عمل إيهام، عمل سحر، فلما رأوا ثعبان مبيناً حقيقةً عرفوا أنه رسول الله، أنت بينك وبين الإيمان العالي لحظة تفكير صادقة، ساحر، كائن، ضال، مضل من أعوان فرعون جاء ليطفئ نور الله عز وجل لكنه ذكي، نظر إلى هذه العصاة فإذا هي ثعبان مبين حقيقة، إذاً هذا الذي جاء بها رسول خالق الكون.

طيب عمير ابن وهب أحد الصحابة الكرام قبل أن يسلم كان من ألد أعداء النبي، مرة جالس في مكة، مع صفوان ابن أمية يقول لصفوان: لولا هؤلاء الصغار الذين أخشى عليهم العنت، ولولا هذه الديون التي ركبتني لذهبت وقتلت محمد وأرحتكم منه، فصفوان ألد أعداء النبي وكان غني قال له أما ديونك فهي عليّ بلغت ما بلغت وأما أولادك فهم أولادي ما امتد بهم العمر، أذهب لما أردت.

فقام هذا الرجل العدو اللدود، وسقى سيفه سماً، وركب ناقته وتوجه إلى المدينة ليقتل النبي عليه الصلاة والسلام، تحت غطاء أن يفدي ابنه، ابنه كان أسير عقب بدر.

رأوه سيدنا عمر قال هذا عدو الله عمير جاء يريد شراً بفراسته الصادقة، قيده بحمالة السيف، وقاده إلى النبي، وقال هذا عدو الله جاء يريد شراً.

النبي الكريم قال له **أطلقه يا عمر:** أطلقه، قال له **أبتعد عنه أبتعد عنه،** قال له **أدنو مني يا عمير** فدنا منه، قال له **ألم تقل لصفوان لولا ديون ركبتني وأطفال أخاف عليهم العنت لذهبت لمحمد وقتلته وأرحتكم منه، فقال لك كذا وكذا،** ذكي وقف، وقال، أشهد أنك رسول الله، مثل السحرة نفس الشيء، لأن هذا الذي جرى بيني وبين صفوان لم يعلم به أحد إلا الله، وأنت رسوله، أنت شو عرفك حوار جرى بيني وبينه ولم يعلم به أحد، وها أنت تذكر فقرات الحوار فقرة فقرة، قال له أشهد أنك رسول الله.

فاصفون ملئ الفرح قلبه، لأنه بعد أيام سيأتي خبر قتل محمد وسيرتاح الناس منه على حد زعمه، فكان يقول لأهل مكة، انتظروا أخباراً سارة، كان يخرج كل يوم إلى ظاهر مكة ينتظر مجيء الركبان لينقلوا له هذا الخبر السار، بعد أمد طويل لم يأتي هذا الخبر، ثم جاءه خبر معاكس، لقد أسلم عمير ابن وهب، أسلم هؤلاء السحرة، أنت لا تحتاج إذا كان صدقت إلى هذه المدة الطويلة، شيء عجيب، كل ما كبر صدقك تقل المسافة.

يعني مثلاً:

هذا البناء يحتاج إلى سنة، بدو مائة عامل، طيب مائتين عامل ستة أشهر، طيب أربعمائة ثلاثة أشهر، كل ما كبرت الطاقة الفعالة بقل الزمن.

وعند الله عز وجل كل ما رفعت الصدق تحرق المراحل ممكن واحد اليوم يصطلح مع الله يسبق شخص له في طريق الإيمان ثلاثين عام، ممكن، العبرة لا لمن سبق، بل لمن صدق، في عنا شيء بالدين أسمه حرق المراحل، ممكن إنسان.

أنا مثلاً، عندي كان طالب من طلابي قبل أن يكون طالب قريب من أقربائي، أخذ صف سادس ابتدائي، وأبوه فرزه على عمل في سوق الحميدية له بنت عم بالصف السابع، صارت بالصف الثامن بالصف التاسع، كل ما يصير في زيارات أنا صرت بالتاسع، هو شب يعني وجد نفسه مهان أمامها، فمرة جاءني، قال لي ممكن أخذ كفاءة قلت له أنت بأي صف ؟ قال لي أنا معي سادس بس، قلت له السنة كفاءة مباشرة، مباشرة، معقول واحد السابع والثامن، علمته كم درس ما مر بحياتي طالب شغوف للعلم، قد ماله مقهور من بنت عمه، فقدم ثلاث سنوات ونجح من السادس إلى التاسع نجح، هذا مثل.

فلما الإنسان يشتاق إلى الله عز وجل ويتحرك على أن يصل إليه، يحرق المراحل، الزمن ما عاد له قيمة، يلي ممكن تصل له بالسرعة الطبيعية بشهر، بشهرين، سنة، سنتين، بعشر سنوات تقطعه بثانية هي قصة دقيقة جداً.

الآن سحرة فرعون:

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾

بسرعة لله سجدوا، قالوا:

﴿قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70)﴾

أما فرعون ما توقع الهزيمة هي، جبناكم لتدعمونا قمتم أمنتم معه، قال:

﴿قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾

إذا واحد فقط قال له شو أسمك أنت على باب الجامع ما عاد بيجي بنوب، أخذوا أسمي.

قال لهم:

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذاباً وَأَبْقَى (71)﴾

هذا كلام يلي عايش مع فرعون يعرف شو معناه لأقطعن أيدكم فرعون قتل الشخص عنه أهون من قتل ذبابة.

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذاباً وَأَبْقَى (71)﴾

أيها الأخوة:

انظروا إلى حجم إيمانهم، من يجرؤ أن يقول لفرعون هذا الكلام، قالوا:

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾

يعني يدك و ما تعطيك، هي بالتعبير العامي أفعل ما تشاء بلط الزرقة، شراب البحر.

﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72)﴾

كل ما تملك علينا أن تقتلنا، ونحن في القتل عرسنا، أنا لا أخاف الموت بل هو غاية، يعني أنت كل شيء تملكه أن تقتلنا، أما إذا قتلتنا فنحن إلى الجنة متى تعلموا هذا العلم ؟ الواحد يمكن بعيش ثلاثين سنة، بحضر مجالس علم ويسمع أشرطة، ويقرأ كتب ويلحق مشايخ، ويخدم مشايخ، إذا واحد ضغط عليه ضغطة صغيرة بقلك ما عاد بدي هذه الشغلة، فرعون وما أدارك وما فرعون، يقول لهم:

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى (71) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72)﴾

كل ما تملك، لذلك قالوا: الأنبياء ملكوا القلوب، والأقوياء ملكوا الرقاب، ممكن القوي يأمر بقتل واحد، في جنة في آخره.

﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)﴾

إذا واحد عرضوا عليه تمتلك دراجة حقه سبعة آلاف ليرة أو تركب سيارة خمس دقائق، ماذا تختار ؟ السيارة بس خمس دقائق والدراجة ملكك، ماذا تختار؟ دراجة، طيب إذا عرضوا عليك تركب سيارة خمس دقائق أو أن تمتلكها، الاثنتين سيارات، بدك السيارة تمتلكها، أما إذا عرضوا عليك تركب الدرجة خمس دقائق، أو تمتلك سيارة شبح، مثلاً، طبعاً بدها وقفة.

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)﴾

بس الآخرة أطول وخير، الدنيا أقل وخطيرة، الآخرة أطول وأبقى وخير.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)﴾

(سورة الأعلى من 14 إلى 17)

يعني أنت عم تأخذ بيت فخم على طول، وكوخ صغيرة لساعة هي الدنيا.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (74)﴾

هي حالة لا حرب ولا سلم بطقق، لا حرب ولا سلم، هي شيء يعانوه الشعوب أحياناً، مو قدران يبني بلده، مو قدران يحارب هي.

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (74)﴾

إذا مات أرتاح، والحياة معذب فيها.

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76)﴾

الله قال:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14)﴾

يعني أنت مهمتك الأولى في الأرض أن تذكي نفسك، أن تصل إلى الله، طبعاً هذا الموقف، موقف السحرة أنهم في لمح البصر، في محاكمة عقلانية شديدة صحيحة، عميقة وصلوا إلى أن هذا الإنسان رسول الله، لأن هذا الثعبان حقيقي، هم خيلوا الناس بأنابيب وبألوان، في زئبق، وبالتسخين، أما هذا ثعبان حقيقي، فأمنوا ولما أمنوا عرفوا أن هذه الحياة الدنيا إعداد للآخرة، يعني كشفت لهم الحقائق.

لذلك:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة الأنعام: 75)

إذا الإنسان أخلص لله عز وجل يلقي الله في قلبه نور يكشف له الحقائق فإذا كشفت له الحقائق عاش في سعادة أبدية.

فنحنا إذاً سحرة فرعون يعلموننا أن العبرة لمن صدق لا لمن سبق، وممكن إذا كان صدقت تقطع مراحل طويلة جداً بوقت قصير.

والسبت القادم إن شاء الله ننتقل إلى تتمة القصة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (11-16) : تفسير الآيات 77-82 ، مبدأ السببية . تكملة قصة سيدنا موسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

أيها الأخوة الكرام:

لا زلنا في قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون وقبل أن نتابع الحديث عن تفاصيل هذه القصة، وعن فصولها وجزئياتها، أود أن أضع بين أيدكم الحقيقة التالية، الله جل جلاله رحمةً بنا جعل الكون بدأ من الذرة وانتهاء بالمجرة، وفق قانون السببية، ما معنى قانون السببية ؟ أن شيئين لا يقع الثاني إلا إذا وقع الأول، نحن اصطلحنا على أن نسمي الأول سبباً، والثاني نتيجة، هذا من أجل أن نصل إلى الله، كيف؟

العقل البشري صمم على ثلاث مبادئ.

1. مبدأ السببية.
2. مبدأ الغائية.
3. مبدأ عدم التناقض أو الهوية.

فأنت لا يمكن أن تفهم شيئاً بلا سبب، لو أنك قطعت الكهرباء عن بيتك، وسافرت إلى بلد ما، وعدت وقد أحكمت إقفال الأبواب حينما عدت وجدت المصباح متألقاً، لماذا تضطرب ؟ تقول لا بد من إنسان دخل إلى هذا البيت في غيابي، لأن المصباح لا يتألق من ذاته أنت لا تفهم شيئاً حولك بلا سبب.

هذا هو العقل أساسه مبدأ السببية، ونظام الكون صمم وفق هذا المبدأ، فأنت وأنت لا تشعر من أين هذه البيضة ؟ من الدجاجة ومن أين الدجاجة ؟ من البيضة، ثم تقول أول دجاجة من خلقها ؟ الله جل جلاله.

الأقدام تدل على المسير، والبعر يدل على البعير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ألا تدلاني على الحكيم الخبير.

يعني الله عز وجل صمم الكون وفق نظام السببية، وصمم العقل وفق مبدأ السببية، وهذا هو المبدأ الذي يقودك برفق إلى الله عز وجل.

لكن حينما تعتقد أن السبب يخلق النتيجة وقعت في الشرك وحينما لا تعتقد أن لكل شيء سبباً وقعت في المعصية.

التوحيد طريق على يمينه وادي وعلى يساره وادي، على يمينه وادي الشرك، وعلى يساره وادي المعصية، فمن لم يأخذ بالأسباب فقد عصى الله، ولم يوقر نظام الله عز وجل، لم يعبأ بهذا النظام وطمع بغير حق أن يخرق له هذا النظام بلا سبب، هذا من لم يأخذ بالأسباب، من أخذ بالأسباب كالغربيين واعتمدوا عليها وجعلوها إلهاً، ورأوها أنها وحدها تخلق النتائج وقعوا في الشرك أما المؤمن الذي هداه الله إلى الحق يعتقد أن لكل شيء سبب لكن السبب لا يستطيع وحده أن يفعل النتيجة إلا أن يأذن الله.

لذلك علماء التوحيد لخصوا هذه العقيدة بكلمتين، قالوا عندها لا بها، عند مشيئة الله أن تحرق النار تحرق، أما النار وحدها لا تحرق، هذا ملخص الملخص.

معناها الأسباب بيد الله، إذا الإنسان أشرك الله كيف يؤدبه ؟ يعطل له الأسباب، لذلك لا ينفع حذر من قدر، لا ينفع ذا الجد منك الجد، يؤتى الحذر من مأمنه، إذا أراد الله إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لباً لبه، كل من يعتمد على الأسباب وقع في الشرك، وكل من لم يأخذ بالأسباب وقع في المعصية.

ماذا تعنينا هذه القاعدة في هذا الدرس ؟ تعنينا أن كل شيء بيد الله، مهما كانت المشكلة كبيرة، مهما كان الضيق شديداً، مهما كان المرض عضالاً، مهما كانت المشكلة مستعصية، مهما كان الإنسان فقيراً، الله عز وجل يخلق من الضعف قوة، ومن الفقر غناً، ومن المرض شفاء، يعني في مصيبة على الإطلاق أن يجد الإنسان نفسه فجأة في بطن الحوت، وهو في البحر في أعماق البحر، وفي ظلمة الليل، والله عز وجل قال:

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ(88)﴾

(سورة الأنبياء: 87 ـ 88)

دائماً قيس مصيبته مع سيدنا يونس، تلاقيها لا شيء، لا شيء إطلاقاً أكبر مصيبة حلت بكلمة، الآن سيدنا موسى قلة مستضعفة.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)﴾

(سورة القصص: 4 ـ 5)

فبنوا إسرائيل الذين آمنوا بسيدنا موسى كانوا قلة مستضعفين ذبح أولادهم جمعياً، واستحيت نسائهم، ولا يملكون شيئاً، أما فرعون الذي قال:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)﴾

(سورة النازعات: 24)

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

(سورة القصص: 38)

هذا الملك الذي بيده فيما يبدو كل شيء، تصور الآن الإنسان سيدنا موسى مع جماعته القلة، المستضعفة، الخائفة، المهدورة الدم تتجه نحو البحر الأحمر، وفرعون بجيشه، وأعوانه، وقواته وجبروته، وكبريائه، وألوهيته المزعومة، وراء سيدنا موسى.

﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61)﴾

(سورة الشعراء: 61)

في أمل ؟ إذا واحد البحر أمامه وشي مائة واحد عزل من السلاح، ورائهم شي خمس ألوية، مع طيران، مثلاً، مائة واحد عزل ورائهم أكبر قوة ضاربة، من كل أنواع الأسلحة، والهدف سحقهم.

﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61)﴾

انتهت، معهم نبي، قال:

﴿قَالَ كَلَّا ﴾

بهذه البساطة، قال كلا، طيب وين الأمل ؟ تعتقد لا يمكن إنسان في ذرة عقل يجد بصيص من الأمل ولو واحد بالمليون، قلة مستضعفة، خائفة مهدورة الدم يتبعها فرعون بكل قواته، وكل جبروته وكل حقده، وكل كبريائه، ليسحق هذه الفئة.

﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61)﴾

هذه القصص لمن ؟ هل هي تاريخ ؟ لا، لنا، من أجل تعرف من هو الله.

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)﴾

(سورة الشعراء: 62)

بأمر بسيط أضرب البحر، فأصبح كل فرق كالطود العظيم طرق مشوا اتبعوهم فرعون، خرج سيدنا موسى وقومه، صار فرعون بالوسط، عاد البحر بحراً، انتهى الأمر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8)﴾

(سورة الشعراء: 8)

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64)﴾

(سورة غافر: 64)

مشكلتك أمام المشكلة، لا شيء، ليس لها وجود أساساً مرض عضال مشكلة كبيرة، عدو شرس، تحل، الله عز وجل بيده كل شيء، فهذه القصص كل ما أرجوه منكم، ألا تعدو هذه القصص تاريخاً، ما أرادها الله تاريخاً، أرادها حقائق، وقوانين، أراد منك أن تفهمها، وأن تستوعبها، وأن تكون نوراً تضيء لك الطريق.

فلما الإنسان يخاف من عدو، يخاف من جهة، الله فوق كل شيء، لماذا الإنسان في الحج يقول الله أكبر ؟ مهما كان عدوك كبير الله أكبر منه.

﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)﴾

(سورة الشعراء: 61 ـ 62)

فالقصة اليوم:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى (77)﴾

كلمتين أقولهم لكم: إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان الله عليك فمن معك، ما معك حد.

أخوانا الكرام:

إذا كان الله معك بخدمك عدوك، وإذا كان الله عليك أقرب الناس إليك ابنك بغلبك، فالعبرة أن يكون الله معك، هي المعية مشروطة، في شيء غير مشروط في معية غير مشروطة، وهو معكم أينما كنتم، هي معية العلم، الله مع الكافر مع الملحد، مع الفاسق مع العاصي، هذه معية غير مشروطة، لكن المعية المشروطة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19)﴾

(سورة الأنفال: 19)

﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)﴾

(سورة البقرة: 194)

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)﴾

(سورة الأنفال: 46)

هذه المعية تعني النصر، والتأييد، والحفظ، والرعاية والتوفيق، رعاية، وتوفيق، ونصر، وتأييد، وحفظ، العلماء قالوا، إلا أن هذه المعية الخاصة التي أختص بها المؤمنون والمتقون والصابرون، مشروطة.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾

(سورة المائدة: 12)

أدفع الثمن وأخذ البضاعة.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79)﴾

يعني الآن في عنا نقطة دقيقة الإنسان لا يكون غلطة إنسان هيك أبي قال لي، أبي علمنا، أبي نشئنا، بدك تتبع المنهج الإلهي.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (28)﴾

(سورة الكهف: 28)

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾

(سورة لقمان: 15)

لا تكون غلطة إنسان، لا تكون فرق حساب كلك، إذا واحد نشئ نشأة ما فكر، ما تأمل، مشي مع البيئة، نشئنا، تربينا بدو فلان أقوى مني، ينقلني أخي ما بقدر، هيك بدها زوجتي لا تكون غلطة، لا تكون فرق حساب.

لذلك الله عز وجل قال:

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79)﴾

من وقفت ضده وقاومت جبروته ؟ زوجته.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11)﴾

(سورة التحريم: 11)

هي قصة بليغة جداً، امرأة لا يستطيع هذا الفرعون أن يحملها على مبدئه أبداً، وهي صديقة، كمل من الرجال الكثير ولم يكمل من النساء إلا أربع منهم آسيا امرأة فرعون.

فالإنسان مستقل لا يكون خطأ للإنسان، ما يكون غلط للإنسان.

النبي عليه الصلاة والسلام أرسل سرية وآمر عليها أنصارياً ذا دعابة هذا الأنصاري ذا دعابة، مزوحي يعني، أمر بإضرام ناراً عظيمة وقال اقتحموها ألست أميركم ؟ أليست طاعتي طاعة رسول الله فقال بعضهم . والقصة في البخاري ومسلم وردت . قال بعضهم كيف نقتحمها وقد آمن بالله فراراً منها، وقال بعضهم طاعة الأمير طاعة رسول الله، اختلفوا، عرضوا الأمر على النبي فقال:

((والله لو اقتحمتموها لا زلتم فيها إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في معروف.))

العقل لا يتعطل أبداً إلا مع القرآن، كلام الله عز وجل، ومع الحديث الصحيح، وما سوى ذلك هم رجال ونحن رجال، كل إنسانٍ يأخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذه القبة الخضراء.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾

لا تتجاوز.

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81)﴾

يا لطيف، والله لأن يسقط الإنسان من طائرة أربعين ألف قدم يكون في الأرض محطماً، أهون من أن يسقط من عين الله، أهون من أن يحل عليه غضب الله، والله إذا غضب على إنسان يمد له الحبل، حتى يظن نفسه ما في إله، ثم يشد الحبل فجأة فإذا هو في شر عمله.

الإنسان لا يغتر، قال إذا كان الله يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فحذره، الآية الأخيرة، هي آية من أدق الآيات:

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى (82) ﴾

الآية يرد بها على كل إنسان جاهل، أخي الله غفور رحيم لا دقق، لا دقق الله غفور رحيم، ما راح يحط عقله بعقلنا ويحاسبنا هيك يقولوا الناس.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾

لمن ؟.

﴿لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى (82)﴾

هذا هو الذي يغفر الله له، لأن الله عز وجل قال:

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (33)﴾

(سورة لقمان: 33)

الشيطان، الشيطان بقلك الله غفور رحيم، لا دقق، الله غفور رحيم، الله غفور رحيم لمن ؟

﴿لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى (82)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12-16) : تفسير الآيات 83-96 ، الغاية من القصة . الباطل دائماً يقدم مع الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم.. علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين...

أيها الأخوة الكرام:

لازلنا في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، وقد سألني البارحة أخر كريم سؤالاً، قال لي أليست هذه القصة متكررة في القرآن الكريم ؟ قلت نعم لقد كررت سبعة عشرة مرة، لكن إعجاز القرآن الكريم أنها في كل مرة عولجت من زاوية غير الزاوية الثانية فكلما دق فهم الإنسان في كتاب الله أدرك الحكمة البالغة من نظم هذا القرآن الكريم، وقد يسأل سائل آخر، ما حكمة ورود قصص سيدنا موسى، وبني إسرائيل، وأهل الكتاب في القرآن الكريم، الحكمة أن هذا هو الأسلوب التربوي الرفيع، لأن الأمراض التي يمكن أن يصاب بها المسلمون وهم أهل كتاب سماوي، هي الأمراض نفسها التي أصيب بها أهل الكتاب، معالجة وبيان النقاط الضعيفة والمشكلات التي يعاني منها أهل الكتاب هي أمراض يمكن أن نقع فيها نحن، لكن دائماً المعالجة غير المباشرة أقوى أثراً من المعالجة المباشرة.

لو أنك وضعت أبنك أمامك وألقيت عليه المواعظ والمحاضرات، قد لا يستجيب، وقد لا يقبل، لكن إذا كان يجلس معك وأنت توجه خطاب لإنسان آخر فهو يستمع، وليس هو المخاطب يستفيد أكثر.

فالحكمة البالغة من أن الله سبحانه وتعالى أورد قصص أهل الكتاب وبني إسرائيل مع أنبيائهم لأننا مشرحون أن نقع في الأمراض التي وقعوا فيها نفسها، ألم يقل بنوا إسرائيل.

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾

الله عز وجل بماذا أجابهم قال:

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111)﴾

(سورة البقرة: 111)

ألم يقول النبي:

((يا فاطمة بنت محمد يا عباس عم رسول الله أنقذا نفسيكما من النار أنا لا أغني عنكما من الله شيئا، لا يأتين الناس بأعمالهم وتأتونني بأنسابكم، من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه.))

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾

(سورة البقرة: 80)

وهذا الذي يقول مثلاً، أن نحن يشفع لنا النبي، و شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، وهذه أيضاً من الأماني، الشفاعة حق فيها أحاديث صحيحة، ولكن ليست إلا لمن مات غير مشرك.

يعني واحد عنده عشر مواد، نجح في التسعة وبقيت له في المادة الأخيرة أربع علامات، طيب يجتمع مجلس الكلية ويقرر إضافة هذه العلامات الأربع، مو أخذ أصفار بالعشر مواد.

هذا الإنسان لا تناله شفاعة النبي من مات غير مشرك، على كلٍ المسلمون في الأعم الأغلب مرشحون لأمراض وقع بها أهل الكتاب وهذا هو الأسلوب التربوي، إياك أعني وأسمعي يا جارة.

أنت الآن أحياناً عما تخاطب إنسان وابنك قاعد، لو فرضنا ابنك يدخن لا سمح الله وأنت عم تخاطب إنسان بشكل موضوعي عن مضار التدخين، ابنك ليس هو المقصود، وليس هو المخاطب، لكنه يصغي، إصغائه لنصائحك تترك في نفسه أبلغ الأثر، فيما لو أجلسته أمامك وبدأت تلقي على رأسه المواعظ، الأسلوب غير المباشر هو الأسلوب المؤثر، فالله عز وجل يعالجنا ونحن لا ندري عن طريق ذكر قصص بني إسرائيل، مثلاً:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

(سورة المائدة: 66)

طيب ألا يقاس على ذلك، لو أنهم أقاموا القرآن الكريم لأكلنا من فوق أيدين ومن تحت أرجلنا، نعم يقاس على ذلك، الآن في بالقصة نقطتان دقيقتان.

النقطة الأولى:

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84)﴾

في عنا قاعدة، هذا القاعدة أن علامة التائب أنه يتوب من قريب، يعني بعد الذنب مباشرة، لا تؤخر، لا تسوف، قيل هلك المسوفون، الشيطان في عنده سلاح خطير، هو غداً، غداً، بعد غدٍ بعد الانتهاء من الفحص، على أول الموسم، لما بسلم المحل، لما بأخذ الدكتوراه، لما بزوج، لأشتري بيت، بمضي الإنسان كل

حياته وهو عم يعلق التوبة على حدث قادم، هذه مثل جزرا ماسكها راكب الدابة، هي المسافة ثابتة، الآن سأصل إليه، هو ماسكها بيده ماسكها بيده والمسافة ثابتة بينه وبين الدابة، لن تصل إليها.

لذلك هلك المسوفون، لا تسوف التوبة، من الآن، منذ اللحظة أما على أول الصيف، لأفتح المحل، لأسس الشغل، لأخذ الشهادة لأزوج، واحد قال له متى تتوب قال له غداً، النبي غضب قال:

((ويحك أو ليس الدهر كل غداً))

غداً مطاطة.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84)﴾

طيب واحد استيقظ بعد الشمس، متى يصلي ؟ فوراً، ممكن يصلي بعد ساعة، ساعتين، ثلاثة، وخمسة، لكن الأفضل فوراً.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ﴾

الآن قوم موسى ماذا شاهدوا ؟ شاهدوا بأم أعينهم كيف أن العصا أصبحت ثعبان مبيناً، وشاهدوا بأم أعينهم كيف أم هذا الثعبان المبين أكل كل عصيهم وحبالهم، وشاهدوا بأعينهم كيف أن يد هذا النبي الكريم أصبحت بيضاء للناظرين وشاهدوا بأم أعينهم كيف أم هذا النبي الكريم ضرب البحر فأصبح طريقاً يبساً ودخل فيه بنوا إسرائيل وكيف غرق فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى، كل هذه الآيات لم تنفعهم.

لذلك إن لم تؤمن بالكون وهو على وضعه الراهن لن تؤمن به عندما تخرق سننه وقوانينه، هي قاعدة، الكون بحد ذاته معجزة.

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86)﴾

أي باختيارنا.

﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87)﴾

ماذا فعل السامري ؟ من يعطي إنسان سم يقول له هذا سم كله ما أحد يساويها، ماذا يفعل المجرمون ؟ يضعون السم في البئر ثم في الدسم، الباطل دائماً في معه حق حتى يمر، باطل صرف ما في، كل الفرق الضالة لها مظاهر لها أفكار صحيحة، أما السم في الدسم.

الآن الإسلام لا يحارب من خارجه، لا يحارب مواجهة يحارب من داخله، ممكن فرقة ضالة، جماعة منحرفة، ترفع شعار إسلامي ممكن، تتزيا بزي المسلمين وتعمل أعمال إجرامية، من أجل تشوي سمعة المسلمين.

فلذلك دائماً السم لا يقدم على أنه سم، يقدم على أنه غذاء والسم في الدسم، فالإنسان ينبغي ألا يقبل الحق إلا صرفاً، لا ينبغي أن يقبل الحق إلا صرفاً دائماً الباطل في معه حق، الخمر الله عز وجل قال:

﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾

(سورة البقرة: 219)

هل الأفكار الضالة لن تنتشر إلا مع أفكار مقبولة، هنا اليقظة يقظة المؤمن لا يقبل فكراً إلا وفق الحق الصرف، وفق الحق النقي فمشى السامري أخرج لهم عجلاً جسداً له خواراً فقال:

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً (89)﴾

يعني صنم من الذهب عدوه إله، طيب هذا إذا سألت لا يجيبك ولا ينفعك ولا يضرك، معنى من هو الإله الذي ينبغي أن تعبده ؟ إذا دعوت أجابك، وهو الذي يملك نفعك وضرك، قاعدة هذه.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)﴾

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96)﴾

يعني أخذ شيء من الحق ودخل فيه الباطل وعرضوه على قومه ودعاهم إلى عبادة هذا الصنم الذي من الذهب، هو السؤال الكبير كيف قبل قومه أن يعبدوا هذا الصنم ؟! وقد رأوا المعجزات.

المعجزات الحسية أيها الأخوة:

كعود الثقاب تتألق مرة واحدة ثم تنطفئ تصبح خبراً يصدقه من يصدقه ويكذبه من يكذبه، لكن كتاباً الكريم هذا من تكريم الله لنبينا ولأمتنا هذا الكتاب معجزة مستمرة، ليس كالعصا التي أصبحت ثعباناً مبيناً، وليس

كاليد التي تألقت بيضاء للناظرين، وليس كشق الطريق في البحر، ولكن هذا القرآن معجزة علمية بيانه مستمرة وكلما تقدم العلم كشف عن جانب من إعجاز هذا القرآن الكريم.

نستفيد من هذه القصة نقطتين:

أن الباطل دائما يقدم مع الحق، فإذا قدم الباطل وحده صرفاً لا أحد يقبله، فنحنا ينبغي أن نكون على حيطة وحذر شديد من أن نقبل حقاً مع الباطل، والإسلام الآن لا يحارب من خارجه، ولا يحارب وجهاً لوجه، إنما يحارب من داخله عن طريق تزيف مبادئه، تزيف قيمه، حمل المسلمين على سلوك أسلوب غير إسلامي، وغير شرعي ما جاء به الأنبياء، ولا جاء به المرسلون، فليحذر كل منا أن يقبل سلوكاً غير إسلامي ضمن إطار إسلامي.

الأهداف النبيلة لا يمكن أن نصل إليها، إلا بوسائل نبيلة الوسيلة من جنس الهدف، أما هدف نبيل وسيلته الجريمة، لا، هذا ليس من الدين، والدين قوي بمبادئه، قوي بأفكاره، قوي بقيمه، قوي بهذا النظام المعجز، فنحنا لا نقبل سلوكاً غير شرعي ضمن دائرة الإسلام، هذا الذي شوه سمعة المسلمين، وهذا الذي يجهدوا أعداء المسلمين لفعله، يجهدوا أعداء المسلمين لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين في العالم كله عن طريق الدس الداخلي.

كما فعل موسى السامري أخذ من سيدنا موسى شيئاً و أضاف إليها أشياء وطرحها على أنها البديل، دعاهم إلى عبادة صنم من ذهب.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً (89)﴾

طيب كيف قبل هؤلاء أن يعبدوه ؟ لأنهم ما أرادوا الهدى ذاتياً لكن رأوا معجزة حسية، رأوها ولم يبقى لها أثرٌ فيهم.

لذلك الذي لا يهزه الكون بسماواته وأرضه وجباله وأنهاره وبحيراته، في ظاهرة النبات، في ظاهرة الحيوان، بأسماكه، بأطياره بخلق الإنسان، بما فيه من معجزات الذي لا يهزه الكون بوضعه الواقع لا تهزه خرق نواميسه، والدليل:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8)﴾

(سورة الشعراء: 8)

كلما الإنسان مستواه التفكير هبط بدو معجزة، في كثير دعوات مبنية على المنامات والكرامات، دعوات طويلة عريضة كل المحتوى الكرامة الفلانية، يعني دفشة راح على الحج، من دون طائرة، مشي على وجه المي، طار في الهواء، مريد قد ما حب شيخه ذاب صار شوية مي في الأرض وين هدول هنا هل الميات خرافات، وكرامات، ومنامات، الدين أعظم من ذلك، الدين منهج الدين مبادئ، الدين قيم، الدين قواعد جامدة، مو زئبقية، قوانين حتمية النتائج، ما هي ظنية.

فنحنا نريد ألا يختلط الحق بالباطل، واحد من جماعة أحد الشيوخ توفي جاء الملكان ليسألانه فتلقوا رفسة جعلتهم خارج القبر قيل لهما أمثل هذا يسأل هذا من جماعتي، ينبسطوا الأخوان والله شي لطيف، إذا واحد كان مع شيخ أنكر ونكير يرتفسوا، يصفوا برا قصص ما أنزل الله بها من سلطان، لا تمت إلى الحق بصلة فنحنا لا بدنا كرمات، ولا بدنا منامات، ولا بدنا خرافات، ولا بدنا مقاييس زئبقية مطاطة، نريد منهج الله عز وجل، الكتاب والسنة.

ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً.

واحد قال لإخوانه:

لأن يسقط المريد من عين الله أهون من أن يسقط من عين شيخه، قال لأنه سقط من عين الله تلقفه الشيخ، أما إذا سقط من عين شيخه من يتلقفه ؟ مسكين كلام غير صحيح، يعني نحنا نريد الكتاب والسنة.
ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً.

لا تقبل شيء من دون دليل، ولا ترد شيء من دون دليل والدليل الكتاب والسنة.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

(سورة يوسف: 108)

الصحابي الذي أمر بإضرام نار وقال اقتحموها، لما بلغ النبي ذلك قال:

والله لو اقتحمتموها لا زلتم فيها، إنما الطاعة في معروف عقلك لا يعطل، في كتاب، في منهج، طالب بالدليل.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾

(سورة يوسف: 108)

من يكشف لي العلاقة بين أول آية وآخرها.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

علامة المتبع للنبي يقول لك هذا الدليل، هذا حرام هي الدليل حلال هي الدليل، أنا ومن اتبعني.

﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾

طيب ما علاقة الإشراك ؟ يعني إذا ألقيت على الناس أمراً ليس عن رسول الله بلا دليل من عندك، أشركت نفسك مع الله، بالتشريع جعلت نفسك نداً لله عز وجل.

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾

(سورة يونس: 15)

هذا مقام النبوة، لذلك الإنسان معه منهج واضح، النقطة الأخيرة والموجزة دائماً الباطل يقدم مع الحق، والسم يقدم دائماً مع الدسم، وأنت بحاجة إلى دقة بالغة وإلى يقظة، لئلا ينطلي الباطل عليك باسم الحق، والآن بالعالم في ممارسات والله الذي لا إله إلا هو آلاف الممارسات غير إسلامية ضمن إطار الإسلام.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (13-16) : تفسير الآيات 115 - 124 ، قصة آدم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الأخوة الكرام، بعد أن تحدَّث ربنا عز وجل في سورة طه عن قِصَّة آدم عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)﴾

(سورة طه)

لغةً يجب أن تكون الآية فتَشْقَيا، لكنّ الآية فتَشْقى، فكيف نُفسِّر هذه الآية ؟ قال علماء البلاغة هذا إيجاز، لأنّ شقاءَ الرَّجل هو شقاءٌ حُكْمِيٌّ للرَّجُل، والنبي عليه الصلاة والسلام لعلَّه اسْتَنبط من هذا الكلام وقال:

((المرأة على دين خليلها))

هو قائِدُ المركبَة وهو القيِّم فإن تفلَّتَ مِن منهج الله أفْسَدَها، وإن دلَّها على الله أسْعَدَها، فهذه لَفْتَةٌ لطيفة.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)﴾

[سورة طه]

الجنَّة لها نِظام خاصّ فالدُّنيا أساسها الكَدْح، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ(6)﴾

[سورة الإنشقاق]

يقول لك: كي أمَّنْتُ هذا البيت مِتُّ من التَّعب، وحتَّى حصَّلتُ هذه الشَّهادة العليا سَهرتُ الليالي، وحتَّى تزوَّج يعلم الله ! أما الآخرة فلهم ما يشاءون فيها، لِمُجَرَّد ان يخْطر على بالك شيء تراهُ أمامك، فالدنيا دار سَعي، والآخرة دار تَكريم، والدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء والدنيا دار تَكليف والآخرة دار تَشْريف، نِظام الدنيا غير نِظام الآخرة فَهُنا جئْتَ إلى الدنيا مِن أجْل أن تعمَل، أما في الآخرة فَمِن أجل أن تُكَرَّم، فقديمًا الأوائِل

بِكُلّ الشهادات دُعوا إلى ولائِم وإلى زيارات وحَفلات ؛ قَضِيَّة تكريم مَحْض، هدايا، هذا مُؤقَّت، أما الآخرة فَكُلُّها تَكريم، وَمِن أوَّلها إلى آخرها، فالإنسان إذا رأى شَجَرة تُفَّاح يذوق كلّ طُعومها قبل أن يضَعَها في فَمِهِ، وهكذا نِظام الآخرة، فالإنسان يشْعر بِطَعم الفاكهة قبل أن يبْلعَها، يأتي اللِّسان فيضَع اللُّقْمة ممضوغة بِسَقف الحلق ؛ هنا أعْصاب الذَّوْق، فالفرق بين الفجل والبندق فقط في هذه المنطقة، وبعدما يدخل الأكل إلى الجوف فكلّ شيءٍ مثل بعضه فالذي أكل غذاء بِألفين ليرة مثل الذي أكل سندويش بِخَمس ليرات ! فالله عز وجل بالدنيا يُمْتِعُكَ بِطَعْم الطَّعام لِثَواني عديدة، أما في الآخرةِ فَكُلّ ما في الجنَّة تسْتَمْتِعُ به دون رهق، فالإنسان بالدنيا له خِيارين صَعْبين ؛ إما أن يأكل ما يريد ويتحمَّل متاعب الضَّغط والشرايين والوَزْن، وإما أن يحْرِمَ نفْسه الطَّعام لِيَشْعر بالراحة ورشاقة، أما في الآخرة فَكُلْ ما شِئْتَ دون أن يكون لِهذا الطَّعام تأثير، قال تعالى:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119)﴾

[سورة طه]

الدنيا إن أردْتَ أن ترى إنسَانًا للَزِمَكَ الأمْر أن تركب مركبة أو طائرة تسْتغرق الساعات للوُصول إلى صديقك أو أخيك، أما في الآخرة فقال تعالى:

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ(51)يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِينَ(52)أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ(53)قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ(54)فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ(55)﴾

[سورة الصافات]

فأيُّ إنسانٍ يخْطر بِبَالِكَ ترى مصيرهُ ! نِظام الآخرةِ نِظام رائِعٌ جدًّا، وكلّ هذه الآخرةِ الأَبَدِيَّة تَحْتاج إلى ثمَن وهو طاعة الله تعالى في الدنيا.

قال تعالى:

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120)﴾

[سورة طه]

لمَّا دخل الطَّعام جِسْمَهُ أصْبَحَ هناك نِظام آخر ؛ الأكل المحدود، والهَضْم والغائِط، والعُريّ، وكانت نفسٌ الجسَدُ مَرْكَزُها، فأصْبَحَ جسدًا والنَّفس بِداخِله، فالنِّظام اخْتلف.

قال تعالى:

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121)﴾

[سورة طه]

لكن هناك آية قبلها، يقول تعالى فيها:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (115) ﴾

[سورة طه]

فهو لم يَعْصِ اجْتِراءً على الله، ولكن عَصِيَ نِسيانًا، ولم يكن له عَزمٌ على المَعْصِيَة، والأمر كان أمرًا إرْشاديًّا ولم يكن أمْرًا تَكْليفيًّا، ولم يكن هناك كذب، فالشيطان هو الذي كذب عليه وأغْراهُ أن يأكل من هذه الشَّجرة لِيَبقى في هذه الدنيا، فأوَّلا الأمر إرشادي، وثانيًا غير تكليفي، وثالثًا لم يكن هناك كذب، ورابِعًا أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون لِهذا النبي الكريم درسٌ لِذُرِيَّتِهِ إلى الأبد، فهذا الشيء مَقصود ؛ لأنَّ الله تعالى قال:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

[سورة البقرة]

إنّي جاعل في الأرض خليفة، فأصْل الخلق أنّ الإنسان بالأرض، ولكن وُضِعَ في هذه الجنَّة لِيَكون هذا الحدَث درسًا لِذُرِيَّتِهِ إلى أبد.

قال تعالى:

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾

[سورة طه]

الآن دَقِّقوا في هاتين الآيتين والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في كتاب الله إلا هاتان الآيتان لَكَفتنا ! قال تعالى:

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) ﴾

[سورة طه]

هذا كلام خالق الكون، وزوال الكون أهْوَنُ على الله مِن أن لا تُحَقَّق هذه الآية، قال تعالى:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

[سورة طه]

فلو كان مع الملايين، أو كنت أقْوى إنسانٍ في الأرض، ولو كنت أغْنى إنسانٍ أو أصَحّ إنسان، أو أجْمل إنسان أو غارق في الملذَّات إلى أقصى درجة، فَكَلام الله هو الصادِق، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

[سورة طه]

بعض العلماء سأل: يا رب، أَيَّةُ معيشَةٍ ضنْك يعيشُها الأغنياء والمُلوك ؟ فكان الجواب: ضيقُ القلب، فَهُناك ضيقٌ في قلوبهم لو وُزّع على أهْل الأرض لكفاهم، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

[سورة طه]

أنا أقول لكم هذه الكلمة: الأرض الآن فيها خمسة مليارات، إذا وَجَدْتُم إنسانًا واحِدًا سعيدًا وهو مُعْرِضٌ عن ذِكْر الله فهذه الآية ليْسَتْ مِن كلام الله ! لأنَّه تستحيل السَّعادة مع الإعراض عن ذِكْر الله، قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(2)﴾

[سورة فاطر]

وإذا أمسَكَ الله عنك شيئًا فهذا مِن رحْمَتِهِ، وهذه الحقيقة إذا عرفناها اختلف الوَضْع، فلا تبْحث عن السَّعادة بامرأة ولو زوْجتك، ولا بِوَلَدٍ، ولا بِمَال، ولا بِبَيت فَخْم ولا بِمَرْكبَة، ولا بِمَنْصِب رفيع، ولكن اِبْحَث عن السَّعادة بِمَضانِّها، ومضانُّها طاعة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) ﴾

[سورة طه]

لا يضلّ عقلهُ ولا تشْقى نفْسُهُ، هذا كلام الذي خلقنا، فالإنسان أحيانًا يبْحث عن السَّعادة بِمَعْصِيَة، ومن ابتغى أمْرًا بِمَعصِيَةٍ كان أبْعَدَ مِمَّا رجى، وأقْرَبَ مِمَّا اتَّقى، وهل يوجد مَن لا يحبّ السَّعادة ؟ هذا مطْلب ثابِت لِكُلّ البشر، ولو كان مُلحِدًا، فهذا له مطْلبَان؛ السلامة والسَّعادة، مَنْ الذي يُحِبّ أن يكون معه مرضٌ خبيث ؟! فشَل كَلَوي، أو الْتِهاب كبِد وبائي، فهو يرْضى بالفقْر وغيره ولكن السلامة والسعادة مطْلبان ثابتان لِكُل البشر على اخْتِلاف مِلَلِهِم ونِحَلهم، وهذا المطلبان ثَمَنهما طاعة الله عز وجل، لذا قال تعالى:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) ﴾

[سورة طه]

لهذا قال بعض العارفين بالله تعالى: **لو يعلم المُلوك ما نحن عليه لقاتلونا عليه بالسُّيوف**، والمُجَرِّب يعرف هذا، فالذي يضْبِط إنفاقه وجوارحهُ وضبطَ بيْتَهُ وعملهُ، إن لم تقُل أنا أسْعَدُ الناس فأعمالك هذه ليْسَتْ صحيحة ! قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾

[سورة الأحزاب]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (14-16) : تفسير الآية 129 ، الرحمة والغضب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الأخوة الكرام، الآية التاسعة والعشرون بعد المائة من سورة طه وهي قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129)﴾

[سورة طه]

في الآية تقديم وتأخير فأصْل التَّرْكيب: ولولا كلمة سبقَتْ مِن ربِّك وأجلٌ مُسَمَّى لكان لِزامًا، ففي الآية إيجاز، ما هو الشيء الذي كان ينبغي أن يكون ؟ هو إهْلاكُهم، وإهْلاك العُصاة، تجِدُ إنسانًا يعْصي الله، ويأكل المال الحرام، ولا يُؤَدِّي فرائض الله عز وجل، ويتحدَّى ويتكلَّمُ كلامًا يتَجاوَز حُدود العُبودِيَّة، ومع ذلك ترى لهُ صِحَّةً جيِّدَة، ويأكل ويشْر ويُسافر ويتمتَّع، وقد يزْداد قُوَّةً على قُوَّتِهِ، فهذه الظاهرة المُحَيِّرة قد يقول قائِل: لِمَ لمْ يقْصِمْهُ الله عز وجل ؟! يكْفُر ويُلْحِد ويفْجُر ويَعصي ويتحدَّى وصِحَّتُهُ جيِّدَة وقوَّة إلى قوَّة، وغِنًى إلى غِنًى !! هذه الآية هي الجواب، قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129)﴾

[سورة طه]

الكلمة هي أنَّ رَحْمتي سبقَتْ غضَبي، خلقَنَا تعالى لِيَرْحَمنا، فمثلاً قد تكون هناك مادَّة بالنِّظام الداخلي في التَّعليم الثانوي أنَّ أيَّ طالبٍ تَجاوَز غِيابُهُ الأسبوع يُفْصَل نِهائِيًّا،المدير الذي امتلأ قلبه رحمة والذي يسعى لنشر العلم قد يجمِّد هذه المادة وقد يتجاوز ويقوا للطالب: آتنا بتقرير طبي، لأن الهدف تعليمه و ليس إنزال العقاب عليه، فرحمتي سبقت غضبي، فكل إنسان يعيش وهو مرتكب للمعاصي تفسير ذلك أن الله سبحانه وتعالى سمح له أن يعيش يوما كي يتوب، فالله عز وجل أعطاه فرصة كي يتوب، لذلك أخطر حالة أن الإنسان يقصِّر و لا يؤدي العبادات و يزداد قوة إلى قوته وغنى إلى غناه، معنى ذلك أن الله سبحانه و تعالى سمح له أن يعيش أياما عديدة لعله يتوب، فالله عز وجل أعطاه فرصة للتوبة، أما عمله فيستحق به الهلاك، وتحدِّيه يستحق سحقه ومعاصيه تستحق تدميره،

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129)﴾

[سورة طه]

أن رحمتي سبقت غضبي لكان لزاما عقابهم وتدميرهم و قصمهم و إهلاكهم، وهناك شيء آخر وهو أن كل إنسان أُعطي أجلاً لابد أن يعيشه، قال عليه الصلاة والسلام:

((إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها))

أنت عندك مدرسة فيها صف وفيها طلاب و عندك طالب كسول جدا، فهل يعقل أن ترسبه أثناء العام الدراسي، لا يمكن حتى ينتهي العام الدراسي و يجري الامتحان و يرسب فيه عندئذ يصدر قرار من عند المدير بترسيبه في هذا العام، فالله عز وجل أعطانا أجلا وقال:

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(40)﴾

[سورة فصلت]

و قال:

﴿:وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

[سورة الكهف]

فلك أن تصلي ولك أن لا تصلي ولك أن تستقيم ولك أن لا تستقيم، ولك أن تحسن ولك أن تسيء، ولك أن تقسو ولك أن ترحم، ولك أن تظلم و لك أن تعدل، فأنت مخيَّر، قال تعالى: ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات، فنحن في بحبوحة ؛ بحبوحة الأجل و بحبوحة أن رحمة الله سبقت غضبه، ولو لا أن كلمة الله أن رحمته سبقت غضبه ولكل إنسان له أجل محدود لا يزيد و لا ينقص لكان لزاما إهلاكهم و تدميرهم و سحقهم، إذا هذه الآية تفسر لك كيف يبقى القوي قويا وهو يعصي اله و كيف يبقى الذي يمكر لدين الله صحيح الجسم قوي المال وقوي الحال.

أيها الأخوة الكرام، نحن في بحبوبة كلمة الله، فحينما سمح الله لنا أن نعيش يوما، فكل إنسان حينما يستيقظ من نومه و ينهض من فراشه و يتحرك معنى ذلك أن الله سمح لك أن تعيش يوما جديدا، ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي منادٍ: **يا ابن آدم أنا خلق جديد و على عملك شهيد فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.**

وعندنا بحبوحتان أيضا ؛ قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(33)﴾

[سورة الأنفال]

الآن النبي عليه الصلاة والسلام قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ما الذي بقي منه بين أيدينا ؟ سنته المطهرة، وما دامت سنته المطهرة مطبقة في حياتنا وفي بيوتنا و في أعمالنا و في علاقاتنا و في إعطائنا و في منعنا في صلتنا و قطعنا و غضبنا و رضانا فنحن في بحبوحة من عذاب الله و الدليل قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

أنت تسير على منهج الله فلِمَ العذاب ؟ ليس هناك مصلحة لأحد أن يعذبك الله عز وجل و قال تعالى:

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ(17)﴾

[سورة سبإ]

و قال تعالى:

﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ(35)﴾

[سورة الأحقاف]

و قال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(30)﴾

[سورة الشورى]

و البحبوحة الثانية قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(33)﴾

[سورة الأنفال]

مثلا طالب أخذ صفرا في الرياضيات وأبوه سيقيم عليه القيامة وجده يبكي و يدرس و لا ينام الليل و يحاول أن يؤَمِّن أستاذا خاصا فاهتمامه و بكاءه و سهره يترك أباه لا يفعل شيئا قال النبي الكريم: عن عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((النَّدَمُ تَوْبَةٌ))

[رواه ابن ماجه]

الندم توبة.."و العبد الندمان الخائف الذي يسترضي الله عز وجل بتوبة أو بصدقة، هذا في بحبوحة ثانية، فنحن في أربع بحبوحات ؛ بحبوحة التوبة وبحبوحة الأجل و بحبوحة الاستقامة على أمر الله و البحبوحة الرابعة إذا كنت مستغفرا.

أختم هذا الدرس بالحديث النبوي الشريف،

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ))

[رواه الترمذي]

عبدي أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمتَ لي فيما أريد كفيتُك ما تريد و إن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (15-16) : تفسير الآيتان 130 - 131 ، الصبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الأخوة الكرام، الآية الثلاثون بعد المائة من سورة طه وهي قوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى(130)﴾

[سورة طه]

ما الذي يعينك على الصبر ؟ الاتصال بالله عز وجل، طبيعة النفس أنَّها تَكْره المُعارَضَة، والنَّقْد، والطَّعْن، والتَّكْذيب، والكُفْر، ولكنَّ الإنسان إذا اتَّصل بالله عز وجل وسَعِدَ بِقُرْبِهِ ؛ هذا يُعينُهُ على الصَّبْر، فالصَّبْر من دون بديل هذا شيءٌ غير واقِعي، قال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى(130)﴾

[سورة طه]

أيْ إنْ سبَّحْتَ بِحَمْد ربِّك صَبرْتَ على ما يقولون، فالدُّنيا دار الْتِواء لا دار اِسْتِواء، ودار ترَحٍ لا دار فرحٍ، دار فِتْنة وامْتِحان ودار كدٍّ وعمل وبذْل جهد، قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ(6)﴾

[سورة الإنشقاق]

ما الذي يُعينُكَ على تَحَمُّل الشَّدائد ؟ وتحمُّل المعارضَة ؟ وتَجاوُز العقبات ؟ الاتِّصال بالله عز وجل، قال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى(130)﴾

[سورة طه]

مرَّ إنسانٌ يطوف حول الكعبة، يقول: يا رب، هل أنت راضٍ عَنّي ؟ وكان وراءَهُ الإمام الشافِعي فقال له: يا هذا وهل أنت راضٍ عن الله حتَّى يرْضى عنك، فقال: يا سبحان الله ومَن أنت يَرْحَمُكَ الله ؟ فقال: أنا محمَّد بن إدريس، فقال: كيف أرْضى عن الله وأنا أتمنَّى رِضاه ؟! فقال: **إذا كان سُرورُكَ بالنِّقْمة كَسُرورِكَ بالنِّعْمة فقد رضيتَ بالله،** بُطولة المؤمن أنَّك إن أصابه خير شَكَر فكان خيرًا له، وإن أصابَتْهُ ضرَّاء صبر فكان خيرًا له ! وليس ذلك لِغَير المؤمن، رَوْعة الإيمان أنَّك ترى أنَّ الأمور بِيَدِ الواحِدِ الدَّيان فإن أعْطاك فالحمْدُ لله، وإن منَعَكَ فالحَمْدُ لله، ورُبَّما كان المَنْعُ عَيْن العطاء، إنَّ الله ليَحْمِي صَفِيَّهُ مِن الدنيا كما يَحمي أحدكم مريضهُ من الطعام، وإنَّ الله لَيَحْمِي عبْدَهُ المؤمن من الدنيا كما يَحمي الراعي الشَّفيق والرفيق غنَمَهُ مِن مراتِع الهلَكَة، فالنبي عليه الصلاة والسَّلام كان يقول:

((اللهم ما رَزَقْتني مِمَّا أُحِبّ فاجْعلهُ عَوْنًا لمَا تُحِبّ))

رزَقتني مالاً، فَليَكُن هذا المال في سبيلِكَ، رزقتني جاهًا فلْتكن هذه القوَّة لِنُصْرة الضَّعيف، رزَقْتني عِلْمًا فلْيَكن هذا العِلْم مَبْذولاً لأحْبابِكَ فأنت بين أمْرين ؛ بين أن تكون قد طلَبْتَ من الله شيئًا فَنِلْتَهُ، وبين أن لا تنالَهُ، وفي الحالَيْن أنت راضٍ

هم الأحِبَّةُ إن جاروا وإن عدَلوا فليس لي عنهم مَعْدِلُ وإن عدَلُوا

والله وإن فتَّتوا في حُبّهم كبدي باقٍ على وُدّهم راضٍ بما فعَلوا

***

مقام الرِّضا في الإيمان لا يعْدِلُهُ مقام، أنت راضٍ عن الله إن أعْطاك وإن منَعَك، وإن زوَّجك أم لم يُزَوِّجك، وإن رزقَكَ أم لم يرْزقك ! ولسَوْف يُعطيك الله فتَرْضى، فَحِكْمة الله تعالى تَقْتضي أحْيانًا أن يكون مُضَيَّقًا عليه فهذا الإنسان لأنَّه يعرف الله تعالى يرْضى عنه، فالبُطولة لا أن يرْضى الله عنك، ولكن أن ترْضى أنت عنه، رِضاؤُكَ عنه عِلْمٌ، عرَفْتَ أسماءَهُ وصِفاتِهِ، وحِكْمَتِهِ ورَحْمتَهُ، فإذا عرفْتَ أسماءَهُ الحُسنى ترْضى عنه، وإذا رضيتَ عنه رضِيَ عنك، لذا قال تعالى:

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ(8)﴾

[سورة البينة]

قال تعالى:

﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة المائدة]

فالله سبحانه وتعالى ردَّ عليهم، والإمام الشافعي رحمه الله اسْتنْبَطَ من هذه الآية أنَّ الله تعالى لا يُعَذِّبُ أحْبابَهُ لو أنَّه أقرَّهم على أنَّهم أحْبابه لما عذَّبهم، قال تعالى:

﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة المائدة]

لذا قال العلماء: حياة المؤمن تمرّ بِمَرْحلة تأديب وبِمَرحلة امْتِحان، وبِمَرْحلة إكرام، فإذا كانت هناك أخطاء كان التأديب، وبالامْتِحان كي تعرف مَن أنت، وكي تعرف صِدْقَكَ واسْتِقامَتَك، ومرحلة الأخيرة والمُسْتقرَّة هي الإكرام، لا تستقر حياة المؤمن إلا على الإكرام، لذا الآية الكريمة، قال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى(130)﴾

[سورة طه]

أي إذا أقبَلْتَ على الله وذُقْتَ طعْم القُرب، وأُنْس المحبَّة رضيتَ عن الله وشَعرْتَ بِسَعادة لا توصَف، هذه السَّعادة تسْتغني بها عن المادَّة، ومَن عرف الله زهِدَ فيما سِواه، وقوله تعالى:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى(5)﴾

[سورة الضحى]

هذه آية جَبر خاطِر ! وتطْمين، أي أنت يا عبدي الآن في العِناية المُشَدَّدة.

ثمَّ يقول اله عز وجل:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى(131)﴾

[سورة طه]

لا يُعْقل إطلاقاً من النبي عليه الصلاة والسلام أن يتمنَّى متاع الحياة الدنيا فهو فوق ذلك، فهو عليه الصلاة والسلام حينما كان طِفلاً صغيرًا ويُدْعى إلى اللَّهْو يقول: لم أُخْلق لِهذا، لكنَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم اجتهَد أنّ هؤلاء الأغنياء والأقوياء لعلَّهم إذا أنابوا إلى الله عز وجل يهْتدي أتْباعهم ! فجاء الوَحي مُبيِّنًا للنبي عليه الصلاة والسلام أنَّ هؤلاء لا خير فيهم لأنَّهم تزوَّجوا الدنيا، فَقِبْلَتُهُم شَهَواتهم، وأهدافهم أموالهم، قال تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)﴾

[سورة طه]

رب **أشْعثَ أغبرَ ذي تمْرين مَدْفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه،** فأنت قد تتوهَّم أنَّ هذا الإنسان القويّ إذا اهْتدى إلى الله تعالى يهْتدي معه كُلُّ أتْباعِه، ولكنَّ هذا الذي ترجو فيه الخير قلبُهُ مختوم عليه، قال تعالى:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(7)﴾

[سورة البقرة]

والله تعالى قال:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)﴾

[سورة الأنعام]

ما قال: باب ولكن قال: أبواب، وما قال: شيء، ولكن قال: كلّ شيء ! المال والجمال والقصور والمركبات والجاه، فالإنسان إذا أرْخِيَ له الحَبل قد يظنّ نفسَهُ طليق، ولكن في أيِّ ثانِيَة يُمْكن أن يكون في قبْضَةِ الله عز وجل، ولذلك كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)﴾

[سورة طه]

خير وأبقى، والنبي عليه الصلاة والسلام كلَّما رأى شيئًا مِن متاع الدنيا قال كما في الحديث، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَأَصْلِحِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ))

[رواه البخاري]

ذكرتُ لكم مرَّة الفرق بين مُمَرِّض وبين جرَّاح قلب ! وبين الموظَّف ورئيس قسم دائرة، وبين بيتٍ أربعمائة متر وبين خمسين متر تحت الأرض، فالله تعالى يقول بعد هذا:

﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا(21)﴾

[سورة الإسراء]

فمرتبة الدنيا لا تعني شيئًا، ولكن مرتبة الدنيا تعني كلّ شيء، ومرتبة الدنيا مُؤقَّتة، ومرتبة الآخرة أبَدِيَّة، فَمَن هو العاقل ؟ أَهُوَ الذي يسْعى لِمَرتبة عليا أبَدِيَّة أم لِمَرتبةٍ دنيا مُؤَقَّتَة ؟! والآية الكريمة:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا(21)﴾

[سورة الإسراء]

مرتبة الدنيا ربَّما تعني العَكْس قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)﴾

[سورة الأنعام]

أما مرتبة الآخرة فلا تعني العكْس، ولكن تعني أنَّك كلَّما تقرَّبت إلى الله كلمَّا فزتَ بِجَنَّةٍ عرضها السماوات والأرض، مرَّةً الملك العبادّ وهو من مُلوك الأندلس كان يمْشي في قصْرِهِ، فرأى بِرْكةَ ماءٍ قد أثَّرَت فيها الرِّياح، فقال:

نشَر الرِّيحُ على الماء زرَد، وما تمكَّنَ مِن إكْمال البيْت، فسَمِعَ جارِيَةً تقول: يا له ذِرعًا حصينًا لو جمَد ! فأُعْجِبَ بِهذه الجارِيَة وهذا الشِّعْر فتزوَّجَها، وأكْرَمَها إكرامًا مُنْقَطِعَ النَّظير، فمرَّةً اِشْتَهَت أن تعود إلى حياة الفقْر، فمزَجَ لها المِسك والعنْبر بِماء الزَّهْر وقال: هذا هو الطِّين ! ثمَّ جاء ابن تاشفين فأزاحَ كلَّ المُلوك عن ممتلكاتِهِم وتولَّى الحُكمَ مكانهم جميعًا، وأوْدَعَهُ السِّجْن، وضاقَت بِهِ الدنيا، وأصْبَحت فتياتُهُ مُعَذَّبات وجائِعاتٍ وعارِيات – وهذه قصيدة مُؤثِّرة جدًّا في الأدب الأندلسي تُشير إلى ما حال إليه هذا الملِك – فكانت امرأتُهُ هذه الجارِيَة التي أكْرمَها إكرامًا ما بعدهُ إكرامًا تقول له: لم أرَ مِنك خيرًا قطّ ! فيقول لها: ولا يوم الطِّين !!

فالنِّساء يكْفرن العشير.

قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ(102)﴾

[سورة هود]

فيا أيها الأخوة الكرام، حتَّى تتصاعد النِّعَم وتتَّصِل نِعَم الدنيا بِنِعَم الآخرة عليْكَ بِطاعة الله، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الرعد]

فإذا كنت في بَحبوحةٍ وصِحَّة فإذا لم تُغيِّر لم يُغَيِّر، إذا كنت في ضائِقة فَغَيِّر كي يُغَيِّر.

وآيتنا اليوم، قوله تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)﴾

[سورة طه]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (16-16) : تفسير الآيتان 134 - 135 ، أُسُسَ الدَّعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

قال تعالى : ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ....

أيُّها الأخوة الكرام ؛ الآية الرابعة الثلاثون بعد المائة من سورة طه وهي قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آَيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى * قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴾

[سورة طه الآية : 134 -135]

أسس الدعوة .

فَمِن سُنَن الله جل جلاله في مُعاملة عِبادِهِ أنَّهم يَدْعوهم أوَّلاً دَعْوةً بيانِيَّة ، فالأنبياء والمُرسَلون والدُّعاة والعلماء هؤلاء يُحَقِّقون الدَّعوة البيانِيَّة ، دَعْوةً عن طريق المنطق والوحي والدليل والتَّعليم، والإنسان إما أن يستجيب وإما أن لا يستجيب، فإن لم يسْتَجِب هناك دَعْوةٌ عن طريق التأديب ، فإمَّا أن يتضرَّع وإما أن لا يتضَرَّع، فإن تضرَّع كان بها وإن لم يتضرَّع جاء القصْمُ ! قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آَيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى * قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴾

[سورة طه الآية : 134 -135]

قالوا لو أنّ أهلكناهم بِعذاب دون أن نُبيِّنَ لهم ودون أن نُحذِّرهم، ودون أن نتْلُوَ آياتنا عليهم، فالله تعالى يقول:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

[سورة الجمعة الآية : 2]

هذه الآية أيها الأخوة فيها أُسُسَ الدَّعوة ؛ يتْلُو عليهم آيات الله الدالة على عَظَمَتِهِ .

والعلماء قالوا : هناك آيات كَوْنِيَّة ، وهناك آيات تَكْوينيَّة ، وهناك آيات قرآنِيَّة .

وكلّ هذه آيات الله .

فالآيات الكَوْنِيَّة خلْقُهُ ، والآيات التَّكْوينيَّة أفْعالهُ ، والآيات القرآنيَّة كلامه .

فَمُهِمَّة أيّ نبيٍّ أو أيِّ داعِيَةٍ أن يتْلُوَ على الناس آيات الله الكوْنِيَّة ، والتَّكْوينِيَّة ، والآيات القرآنِيَّة .

قال : يا رب ، أيُّ العِباد أحبّ إليك حتَّى أُحِبَّهُ بِحُبِّك ؟

قال: أحبُّ العباد إليّ تَقِيُّ القلب ، نَقِيُّ اليَدَيْن لا يمْشي إلى أحَدٍ بِسُوء ، أحبَّني وأحبَّ مَن أحبَّني ، وحبَّبني إلى خلقي .

فقال : يا رب إنَّك تعلم أنّي أُحِبُّك ، وأُحِبُّ مَن يُحِبُّك ، فكيف أُحَبِّبُكَ إلى خلْقِكَ ؟!

فقال : ذَكِّرْهم بآلائي ونَعْمائي وبلائي !

فالتَّذْكير بالبلاء من أجل أن يخافوني، وبالنَّعْماء من أجل يُحِبُّوني .

وذَكِّرْهم بآلائي .

مِن أجل أن يُعَظِّموني .

معنى ذلك لا بدَّ أن يجْتَمِعَ في قلب المؤمن تعظيم وخوف وحبّ .

فقَلْبُ المؤمن ينْطوي على تَعظيم لله تعالى عن طريق الآلاء ، وحبٍّ لله عن طريق النَّعماء ، وخوفٍ من الله عن طريق البَلاء .

لذا البلاء له مُهِمَّة تَرْبَوِيَّة عاليَة ، ولمَّا الإنسان يسرق تُقْطَعُ يَدُهُ ، فهذه اليَدُ المَقْطوعة أكبر طريق رادِعَة للناس ، لذلك سأل أحد الشُّعراء الإمام الشافعي رحمه الله فقال له :

يدٌ بِعَشْر مئينٍ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ ما بالها قُطِعَتْ في رُبْعِ دينار

***

لو أنَّ يدًا قُطِعت بِحادِث سيارة فإنَّ دِيَّتُها في الإسلام عَشْر مائة من الدنانير الذَّهَبِيَّة ؛ أيْ ألف دينار ذَهَبي، والدِّينار بِخَمسة آلاف الآن ! يا رب إذا قُطِعَت خطأً دِيَّتُها ألف دينار، وإذا سرَقَت ربع دينار، فهذا السائل سأل الإمام الشافِعي .

يجب أن تُعَظِّم الله من خلال آيات الكون ، ويجب أن تُحِبَّهُ مِن خِلال النِّعم ، ويجب أن تخافَهُ مِن خِلال النِّقَم .

يا رب أي عبادك أحبُّ إليك حتى أحبه بحبك .

قال : أحب العباد إليَّ تقي القلب نقي اليدين لا يمشي إلى أحد بسوء أحبني وأحب من أحبني وحبَّبني إلى خلقي .

قال : يا رب إنك تعلم أنني أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلى خلقك .

قال : ذكِّرهم بآلائي ونعمائي وبلائي .

وأنت أيها الأخ الكريم إذا دعوت أحدا إلى الله اجمع بين هذه جميعا ، ذكره بنعم الله ، وذكره بالمصائب التي إذا ساقها الله للإنسان جعل حياته جحيما ، وذكِّره بالآيات الكونية الدالة على عظمته ، لذلك الآية الكريمة ، قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

[سورة الجمعة الآية : 2]

يتلو عليهم آياته هذا أول بند ، ويزكيهم هذا الثاني لقوله تعالى :

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾

[سورة الأعلى الآية : 14]

وقوله تعالى :

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية : 9]

فتزكية النفس علة وجودك في هذه الأرض، هذا معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

[سورة الأحزاب الآية : 72]

أيَّة أمانة هذه ؟ إنها نفسك التي بين جنبيك أوكلك الله بها و أمرك أن تزكيها بالاتصال بالله عز وجل، يعلمهم الكتاب هذا البند الثالث، الكتاب هو القرآن الكريم و الحكمة السنة، فأيَّة دعوة إلى الله لا بد من جانب كوني و جانب نفسي تطهيري و جانب سلوكي انضباطي، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

[سورة الجمعة الآية : 2]

فإذا اكتفينا بتعليم الأحكام الفقهية دون أن نعرف الناس بخالق الكون قد لا تجدي هذه الدعوة، إذا اكتفينا بتعريف الخالق دون تعليم الأحكام الفقهية كيف نعبد الله عز وجل ؟ أنت بالكون تعرفه و بالشرع تعبده، فالكون و الشرع متكاملان، الأول يعرفك بالله والثاني يقرّبك إلى الله بطاعته، فأنت عليك أن تتعرف إلى الله كما عليك أن تتعرف إلى منهجه و إلى شرعه، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾

[سورة طه الآية : 134]

سيدنا عمر جيء له برجل سارق فقال السارق: يا أمير المؤمنين واللهِ هذه أول مرة فقال: كذبت إن الله لا يفضح لأول مرة، فالله عز وجل قبل أن يعاقب يبيّن و يحذر و ينذر وينصح، لذلك السعيد من يتعظ بغيره و الشقي لا يتعظ إلا بنفسه.

الآن عندنا سؤال ؛ لو فرضنا من باب الجدل أو مثل افتراضي أن أبا متقَّفا ثقافة عالية وله ابن، قال الابن لأبيه مرة واحدة في حياته: أنا لا أحب الدراسة، قال له: كما تحب، فلما كبر هذا الشاب ورأى أصدقاءه أصبحوا أطباء و شخصيات مرموقة في المجتمع، وهو يعمل عملا عضليا متعبا، بأجر زهيد و بضغط اجتماعي كبير، ألا يتألم من أبيه، يقول له: يا أبي أنا قلت لك لا أحب الدراسة، لِمَ لمْ تؤدبني ؟ و لم تضربني و لم تنصحني، بكلمة واحدة قلت: افعل ما تشاء، فربنا عز وجل يسوق المصائب و الأمراض و التأديب حتى لا يقول العبد لربه يوم القيامة: يا رب لو ضيَّقتَ عليَّ أنا ما عرفت، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾

[سورة طه الآية : 134]

فأحيانا الشدائد والأنبياء و الرسل هذه كلها لتُقام الحجة على العبد، فلذلك لما الإنسان يسوق له الله عز وجل من الشدائد هذه محض رحمة، و أنا أقول كلمة ؛ كل مؤمن في العناية المشدَّدة، فإذا ساقته الشدة إلى باب الله فهي عين الرحمة و عين العناية المشددة، أما إذا كان مرتكبا للمعاصي و الآثام فالله سبحانه و تعالى يطلق له العنان، هذا ليس رحمة من قِبَل الله الدليل قال تعالى:

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة الأنعام الآية : 147]

يعني تقتضي رحمته الواسعة ألاَّ يرُدَّ بأسه عن القوم المجرمين.

الإنسان أيها الإخوة بمجرد أن يفهم على الله قطع أربعة أخماس إلى الله، لماذا ساق لك هذا ؟ هو غنيٌّ عن تعذيبك، قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

[سورة النساء الآية : 147]

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[سورة فصلت الآية : 30]

فيجب أن تعلم أنه ما من عثرة و لا اختلاج عرق و لا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر، و حاسبوا أنسكم قبل أن تحاسبوا و زِنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، و اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنأخذ حذرنا، قال عليه الصلاة والسلام:

((والكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت و العاجز من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله الأماني.))

الملخص لهذا الدرس، قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

[سورة النساء الآية : 147]

فإذا لاقيتَ مضايقات هذه محضا العناية المشددة من الله عز وجل، و قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾

[سورة طه الآية : 134]

فالله عز وجل أرسل الرسل و ساق الشدائد وأعذر من أنذر وعلى الإنسان أن يستجيب لله عز وجل.

الفصل الثاني : تفسير سورة الأنبياء

الدرس (8-1) : تفسير الآية 16

الدرس (8-2) : تفسير الآية 23

الدرس (8-3) : تفسير الآيات 25-30-31-33

الدرس (8-4) : تفسير الآيات 51 – 70

الدرس (8-5) : تفسير الآيات 90 – 92

الدرس (8-6) : تفسير الآيات 105 – 108

الدرس (8-7) : تفسير الآية 16

الدرس (8-8) : تفسير الآية 10 ، كليات الدين

الدرس (1-8) : تفسير الآية 16

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الأخوة الكرام، الآية السادسة عشرة من سورة الأنبياء وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16)﴾

[سورة الأنبياء]

لو أردنا أن نستكمل الموضوع، هناك آيات أخرى تقول:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ(85)﴾

[سورة الحجر]

هناك آية تثبت، وهاتان الآيتان تنفيان، قال تعالى: ما خلقناهما إلا بالحق فماذا تعني كلمة الحق و كلمة الباطل و كلمة اللعب؟

أيها الأخوة، الله سبحانه وتعالى نفى أن يكون خلق السماوات و الأرض لاعبين، و اللعب أيُّ عمل لا جدوى منه ينتهي بانتهائه، أي عمل غير هادف يُمضَى به الوقت، فالله سبحانه وتعالى أجلُّ و أسمى و أعظم من أن يكون خلقه لعبا، نأتي إلى الدنيا كما تشاهدون ونتعب تعبا شديدا إلى أن نقف على أرجلنا و بعد حين يأتي ملَك الموت، وهناك غنيٌّ و هناك فقير و هناك قويٌّ وهناك ضعيف و هناك صحيح وهناك سقيم و هناك ذكيٌّ وهناك غبيٌّ و هناك ظالم و مظلوم ويأتي الموت و ينتهي كل شيء !! هذا لعب، إذا انتهت الحياة الدنيا و لا شيء بعد الدنيا فهذا عين اللعب، الإنسان يكاد ينفجر من الطعام والشراب و التخمة و إنسان يتمنى أن يأكل لقمة لحم في السنة، إنسان مسحور وإنسان ساحر و تنتهي الحياة و ينتهي كل شيء، هذا لعب، قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16)﴾

[سورة الأنبياء]

فإذا انتهت الدنيا هكذا وليس هناك تسوية حسابات و لا لي هناك إنصافا للمظلوم و لا محاسبة القوي و لا مكافئة المحسن و لا معاقبة المسيء فهذا لعب، قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16)﴾

[سورة الأنبياء]

ثم قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ(27)﴾

[سورة ص]

و قبل أن نصل إلى كلمة الحق، الله سبحانه و تعالى تفى أن يكون خلق السماوات و الأرض بالباطل، و ما هو الشيء الباطل ؟ هو الشيء الزائل، ولو أقمنا جدارا بلا أصول، هذا الجدار سيقع، لأنه بُنِيَ على أسس غير صحيحة، لكن الله سبحانه وتعالى ما خلق السماوات و الأرض وما بينهما باطلا، فخلق الكون ليبقى، أما نهاية العالم فستُحوِّله من حال إلى حال، و خلق الإنسان ليبقى، قال تعالى:

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ(77)﴾

[سورة الزخرف]

فالباطل هو الشيء الزائل، فلو فرضنا أنه صدر تشريع غير مدروس لا شك أنه بعد حين يُلغَى، فأي مشروع مرتجَلٍ غير مدروس بعد حين يُلغى لأن الواقع أثبت فساده و بطلانه، إذا من معاني الحق أنه عكس الباطل وهو الشيء الدائم، فأنت أيها الإنسان خُلقت بالحق ومعناه أنه لن تفنى إلى أبد الآبدين، وما الموت؟ هو انفصال النفس عن الجسد، فكنتَ في عالم و دخلتَ في عالم، كنت في نظام و انتقلت إلى نظام، كانت نفسك داخل جسمك فصار جسمك مرتكزا لنفسك، أما لك حياة بعد الموت، قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(169)﴾

[سورة آل عمران]

القبر أيها الأخوة يتسع للمؤمن حتى يكون مدَّ البصر، و حتى يصبح روضة من رياض الجنة و يضيق بالكافر حتى تختلف أضلاعه و يكون قطعة من النار قال تعالى مؤَكِّدا عذاب البرزخ:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ(46)﴾

[سورة غافر]

إذا كيف نفهم الحق ؟ نفهم الحق بالمعنى الباطل لأن الله عز وجل نفى أن يكون خلق السماوات و الأرض باطلا و اثبت أنهما خُلقتا بالحق، فالحق عكس الباطل، الباطل هو الشيء الزائل، قال تعالى:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا(81)﴾

[سورة الإسراء]

فالباطل الاعتقادي لو عاش سبعين سنة فبعدئذ يتهافت و يندثر و يصبح في الوحل، فالفكر الباطل يزهق و العمل الباطل يزهق، و زهوق اسم مفعول وهو صيغة مبالغة اسم الفاعل، أي كثير الزهوق، فالإنسان وُجد ليبقى، فحينما قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾

[سورة الأنعام]

أي خلق الكون ليبقى، و لكنه يتطور من حال إلى حال، هذا المعنى الأول، والمعنى الثاني،

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16)﴾

[سورة الأنبياء]

العب هو الشيء العابث غير الهادف، فالحق عكس اللعب فإذا خُلق الإنسان بالحق فخُلق ليبقى و لهدف كبير، فإذا عرفت أن نفسك لا تموت و لكنها تذوق الموت، وفرق كبير بين أن يقول الله

﴿:كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

[سورة آل عمران]

و بين أن يقول كل نفس ميّتة، قال تعالى:

﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ(77)﴾

[سورة الزخرف]

فإما جنة يدوم نعيمها أو في نار لا ينفد عذابها، هذا بالحق وهو عكس الباطل، أما بالحق عكس اللعب أنت خُلقت لهدف ثمين كبير و جليل قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(33)﴾

[سورة الأحقاف]

أيعييني رغيف أسوقه إليك، لي عليك فريضة و لك عليَّ رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك رزقك، و عزتي وجلالي إن لم ترضَ بما قسمته لك فلأسلِّطنَّ عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك و لا أبتلي، وكنت عندي مذموما، أنت تريد و أنا أريد فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد و إن لم تسلمني فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد، خلقتُ السماوات و الأرض من أجلك فلا تتعب و خلقتك من أجلي فلا تلعب، فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته

عليك، فكلمات وجدت في القرآن خلق السماوات و الأرض بالحق، أي خلق السماوات و الأرض لهدف كبير، قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ(118)﴾

[سورة هود]

خلقهم ليرحمهم و ليسعدهم و ليعطيهم، ثم إنه خلقهم ليكونوا إلى أبد الآبدين في جنة نعيم أو في نار الجحيم.

فمعنى الحق، الشيء الثابت والهادف، أحيانا يُنشَأ في المعرض جناح من قماش لأنه أنشأ ليُهدم بعد أسبوعين أما رئاسة الوزارة فمن حجر لأنه بُنيَ ليبقى لا ليُهدم، فالكون خُلق ليبقى، و الكون مخلوق لهدف كبير، قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا(72)﴾

[سورة الأحزاب]

فلذلك ما لم تعرف هذا الهدف الكبير الذي خُلقت من أجله فأنت غي ضلال مبين و ضياع و تيه و عمى ما لم يعرف ذلك الهدف الكبير الذي خُلق الإنسان من أجله، والله سبحانه وتعالى خلق التراب للنبات وخلق النبات للحيوان و خلق الحيوان للإنسان و خلق الإنسان لله عز وجل، لذلك أيها الأخ الكريم لا يليق بك أن تكون لغير الله و لا يليق بك أن تزوِّر طاقاتك و فكرك وبيانك و عقلك و خبرتك لغير الله، لذلك قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ﴾

[سورة التوبة]

فهو بيع قطعي لا خيار فيه، ولما علم المؤمنون أن الشاري هو الله و أن الثمن هو الجنة باعوا بيعة الرضوان من دون ثبوت خيار، لأنهم رأوا أنهم مغبونون أشد الغبن إذا باعوا أنفسهم و أموالهم لغير الله.

هذه الآية ترد في القرآن عشرات المرات، بل لعلها ترد المئات المرات، قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ(27)﴾

[سورة ص]

وقال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ(85)﴾

[سورة الحجر]

و قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16)﴾

[سورة الأنبياء]

فالحق خلاف اللعب و خلاف الباطل، والباطل هو الشيء الزائل و اللعب هو العمل العابث، و الإنسان من هذا الكون خُلق ليبقى و خُلق لهدف كبير، وأحد أركان الهدى أن تعرف الهدف الذي جئت من أجله .

آخر شيء في الدرس، إنسان سافر إلى بلد، وهناك سؤال كبير ؛ لماذا أنا في هذا البلد ؟ إن كنت طالبا تتحرك نحو المعاهد و الجامعات و إن كنت تاجرا فنحو المعامل و المؤسسات و إن كنت سائحا فنحو المقاصف و المتنزهات، فلا تصح الحركة إلا إذا عُرف الهدف، دققوا في هذه الكلمة، لا تصح الحركة إلا إذا عُرف الهدف، و أنت في الدنيا لا تصح حركتك ولا نشاطك و لازواجك ولا بيعك ولا شراؤك إلا إذا عرفت لماذا أنت في الدنيا، قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(103)الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(104)﴾

[سورة الكهف]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2–8) : تفسير الآية 23

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الأخوة الكرام، الآية الثالثة والعشرون من سورة الأنبياء وهي قوله تعالى:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)﴾

[سورة الأنبياء]

بعضهم فهم هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قد يضع العبد الذي أمضى حياته في طاعة الله في النار، وقد يضع العبد الذي فجر فجورا كبيرا في الجنة، لماذا ؟ لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، هذا المعنى يفهمه العامة من هذه الآية، و ماذا نفعل بقوله تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

[سورة الزلزلة]

ماذا نفعل بقوله تعالى:

﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا(49)﴾

[سورة النساء]

و قوله تعالى:

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا(124)﴾

[سورة النساء]

وقوله تعالى:

﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾

[سورة غافر]

و قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(40)﴾

[سورة العنكبوت]

و قوله تعالى:

﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(16)﴾

[سورة لقمان]

و ماذا نفعل بقوله تعالى:

﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(56)﴾

[سورة هود]

هذه الآيات التي تؤكد عدالة الله و تؤكد رحمته ماذا نفعل بها، قال تعالى:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

[سورة الزمر]

يفهم العامة من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قد يظلم لكنَّ ظلمه مغطى بقوله:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)﴾

[سورة الأنبياء]

مع أن هذه الآية لها معان أخر.

أول معنى: ليس من شأن الإله أن يُسأل، هذا مقام الألوهية وليس معنى ذلك انه ظالم و لكن ليس من شأن الإله أن يسأل، هذا المعنى الأول.

المعنى الثاني: لفرط عدالته، وعدالته تسكت الألسنة، فلا يسأل عما يفعل.

المعنى الثالث: أن أفعال الله سبحانه و تعالى ليست تتصف بالعلة الغائية، الإنسان إذا أراد أن يأكل خبزا لا بد من أن يزرع قمحا فهو مقهور بعلة الزراعة حتى يصل إلى القمح، وإذا أراد أن يشرب ماء لابد من حفر البئر، فالإنسان مقهور بعلة توصله إلى غايته، وهذا من ضعفه، ويكمِّل ضعفه بالوسيلة، ولو أراد أن يصل إلى حلب مقهور بركوب مركبة لكن العلة الغائية لا يمكن أن تتصف بها أفعال الله عز وجل، أفعاله كن فيكون، أنت إذا رأيت من يحفر بئرا في أرض و قلت له لماذا ؟ لقال لك لأصل إلى الماء، و إذا رأيت من يلقي في الأرض بذرة تسأله ماذا تفعل ؟ يقول لك أزرع القمح، لكن الله سبحانه وتعالى أفعاله كن فيكون لذلك لا يسأل عما يفعل، الله لا يحتاج إلى وسيلة ليصل بها إلى غايته و لا يحتاج إلى أداة، ونحن نحتاج إلى قلم،

و مركبة و حفر بئر، فكل أفعالنا وسائل لغايات، ولضعفنا مقهورون بالوسائل، إذا أردنا الولد فلا بد من زوجة، تريد أن تشبع لابد من أن تأكل، أفعال العبد معللة و فيها علة غائية، لكن أفعال الله جل جلاله لا يمكن أن تكون محتاجة إلى علة غائية، لذلك لا يسأل عما يفعل لأن أفعاله كن فيكون، الشيء الثاني عدالته المطلقة تسكت الألسنة، لذلك لا يسأل عما يفعل، و المعنى الثالث شأن الله أن لا يسأل، هناك آيات كريمة تحير من ذلك قوله تعالى:

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(118)﴾

[سورة المائدة]

ما علاقة العزيز الحكيم بالمغفرة ؟ لأنه ما من مخلوق إذا أراد أن يغفر إلا و يحاسَب من غيره، و لكن الله عزيز حكيم لا يُسأل عما يفعل، فإذا غفر فلا أحد يستطيع أن يسأله لماذا غفرت ؟ إذا ليس من شأن الإله أن يسأل و عدالته المطلقة تسكت الألسنة، فلا يسأل عما يفعل و المعنى الثالث حينما يفعل فعلا لا يحتاج إلى وسيلة ولا إلى علة، ولذلك أنت تسأل الإنسان لماذا تحفر الأرض ؟ يقول لك: لأجل بلوغ الماء، لماذا تأكل ؟ لأجل أن أشبع، وأفعال العبد معللة و فيها علة غائية، لكن أفعال الله جل جلاله لا يمكن أن تكون محتاجة إلى علة غائية، لذلك لا يسأل عما يفعل لأن أفعاله كن فيكون، قال تعالى:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)﴾

[سورة الأنبياء]

هناك موضوع ثاني ؛ وهو أن الله عز وجل قدير و رحيم، بمعنى أن الأب الذي لا ينجب، و بعد عشر سنوات أنجب مولودا هو قطعة من روحه، هذا الأب عضليا ألا يستطيع أن يذبح ابنه ؟ يستطيع، ولكنه مستحيل، فربنا عز وجل قدير ورحيم، فقدرته لا يسأل عما يفعل، لكن أيفعلها، قال تعالى:

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(56)﴾

[سورة هود]

رجل راكب في سيارته مع زوجته بينهما تفاهم كبير وفيه محبة وود، ألا يستطيع أن يفعل هكذا على الوادي ؟ يستطيع، لكن يستحيل، فالله على كل شيء قدير و غفور رحيم، لذلك حسن الظن بالله ثمن الجنة، النبي عليه الصلاة والسلام مرض مرضا شديدا فظن بعض أصحابه أنه أصيب بذات الجنب، أعطوه دواء ذات الجنب فغضب فقال عليه الصلاة والسلام:

((ذلك مرض ما كان الله ليصيبني به))

و يقاس على ذلك أن المؤمن مكرم عند الله، و سيدنا أبو الدرداء قيل له: احترقت دكانك، قال: ما كان الله ليفعل، فلما ذهبوا وجدوا دكان جاره قد احترق، المؤمن المستقيم له ثقة بالله و يحسن بالله الظن و يظن أن الله لا يضيعه و لا يتخلى عنه، لكنه يصلحه و يؤدبه، فالإنسان جزء من سعادته حسن ظنه بربه و الجزء الآخر توكله عليه، قال تعالى:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ(79)﴾

[سورة النمل]

إذا معنى:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)﴾

[سورة الأنبياء]

لا ينبغي أن نفهمها كما يفهمها عامة الناس، تعني أنه يضع عبده المؤمن الصادق المستقيم في جهنم و لا أحد يسأله، لا يليق هذا بكمال الله عز وجل، الأمر بالعكس فالله عز وجل إذا كان في الإنسان ذرة خير يأتي بها، فإذا انطوى الإنسان على شيء من الخير هذا الشيء ينمو و ينمو حتى يحمله على التوبة، فكل إنسان على شيء من الحياء وعلى شيء من الحب الرحمة هذا مصيره طيب، هذه الخيرات في نفسه تتنامى حتى تحمله على التوبة فارجوا الخير من الذين يستحون و ممن يرحمون وممن يحسنون وممن ينصفون، فهؤلاء يُرجى منهم الخير، فالقصد أن نفهم كلام الله وفق ما أراد الله، لا وفق ما يمليه علينا الجهلة لأن هذه الآية تعني أنه لا أحد يحاسبه، قال تعالى:

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(195)﴾

[سورة الشعراء]

فإذا وصف الله نفسه بالقسط يجب أن يكون معنى القسط كما نفهمه نحن ؛ لأن هذا القرآن بلسان عربي مبين.

قال تعالى:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(93)﴾

(سورة الحجر)

لذلك هذا الدعاء: اللهم لا تسألنا عن شيء" لا أصل له بدليل هذه الآية، فلا بد من أن تسأل، قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة العنكبوت]

فلا بد أن تفتن و لابد من أن تسأل وتحاسب وتقف موقف المسؤول، فأحيانا الإنسان إذا استلم منصبا يقول:

أنا مسؤول كبير، فلو دقق في معناها لارتعدت فرائسه، معناها سوف تسأل و تقف بين يدي الله و تحاسب عن كل كلمة وعن كل شيء، فالطائر الذي يُقتل لغير مأكلة يأتي يوم القيامة وله دويٌّ كدوي النحل يقول: يا رب سله لِمَ قتلني ؟

إخواننا الكرام الإنسان العاقل الذكي قبل أن يفعل أي شيء يتصور نفسه أمام ربّه لماذا فعَلْتَ ؟ ولماذا أعْطيتَ ؟ ولماذا فَعَلْتَ ؟ ولماذا قسَمت ؟ مَن أعان ظالمًا سلَّطَهُ الله عليه، قال تعالى:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)﴾

معنى الآية أنَّه ليس مِن شأن الله أن يُسأل، ولكنّ مِن شأن المخلوق أن يُسأل، فالبَطَل الذي يهيئ جوابًا عن كلّ سؤال.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-8) : تفسير الآيات 25-30-31-33

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه وأَرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الأخوة الكرام، الآية الثالثة والعشرون من سورة الأنبياء وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)﴾

[سورة الأنبياء]

ما إعراب مِنْ ؟ مِنْ تُفيد اسْتِغراق أفراد النَّوْع، رسُول ذُكِر أو لم يُذْكَر.

قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)﴾

[سورة الأنبياء]

" **فقوله لا إله إلا أنا** هذه العقيدة، وقوله تعالى فاعْبُدون هذا العَمَل، أحْيانًا الإنسان يتوق إلى التَّلْخيص، وأحْيانًا يشْعُر بِحاجة إلى التَّفصيل، فهنا التَّلخيص، ومعنى هذا أنّ فَحْوى دَعْوى الأنبياء في القرآن الذين لم يُذْكروا، وفَحْوى دَعوة الرُّسل جميعًا أنَّه لا إله إلا أنا فاعبُدون.

الإنسان لماذا يعْصي الله ؟ هو يعصي الله لِنَقْصٍ في تَوحيدِهِ ؛ لأنَّه يظنّ أنَّ في هذه المعْصِيَة لذَّةً أو منْفعَةً، ويغيب عنه أنَّ الله بيَدِهِ كلّ شيء، فلماذا يُنافق ؟ لِنَقصٍ في تَوحيده، ولماذا يَخاف ؟ لِنَقْصٍ في تَوحيدِهِ، ولماذا يَقْلق ؟ لِنَقْصٍ في تَوْحيدِهِ، لماذا يداهن؟ لنقص في توحيده، فما من معصية و لا انحراف و لا تجاوز و لا خوف و لا تنقل ولا قلق و لا وجل إلا لنقص في التوحيد، لذلك الدين كله توحيد، الدين كله أن توقن أنهن لا معطي و لا مانع ولا رافع ولا خافض و لا معز ولا مذل ولا مسعد ولا مشقي ولا مكرم ولا مهين إلا الله، فعلاقتك مع الله وحده و حبّذا إذا قرأت القرآن أن تستنبط الآيات الدالة على التوحيد مريحة جدا و سأضيف، إن كل مشكلة أساسها نقص في التوحيد و إن كل شقاء أساسه نقص في التوحيد، و الدليل قوله تعالى:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ(213)﴾

[سورة الشعراء]

و الإنسان لا يعلم و إذا علم لا ينصف و إذا أنصف ينسى، وإذا علم ولم ينسَ وأنصف لا يستطيع، لكنَّ الله بيده كل شيء، فكل أجهزتك بيده، قلبك بيده و أعصابك بيده ورزقك بيده و أموالك بيده و خصومك بيده و الأقوياء بيده و الضعفاء بيده، فأنت حينما تبتغي من غيره العطاء وقعتَ في خطأ كبير، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)﴾

[سورة الأنبياء]

العقيدة التوحيد و العبادة الطاعة، لذلك قالوا: نهاية العلم يقرأ و يكتب فقط، و التوحيد فوق الشهادات، فوق الليسانس و الماجيستر و الدكتوراه، و نهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل . أنشأنا معملا أرباحه مائة بالمائة . و أعظم عمل " **فاعبدون** "، فنهاية العلم التوحيد و نهاية العمل الطاعة، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)﴾

[سورة الأنبياء]

أنت مخلص بقدر ما أنت موحِّد، و تتمتَّع بإرادة قوية بقدر ما أنت موحِّد، تشعر بالطمأنينة بقدر ما لأنت موحِّد و تشعر بالشجاعة بقدر ما أنت موحد، و تشعر بالرضا بقدر ما أنت موحد، ما تعلَّم العبيد أفضل من التوحيد، و أقول لكم مرة ثانية ؛ أتمنى إذا قرأتم القرآن أن تقفوا عند آيات التوحيد، قال تعالى:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود]

بعد أن طمأنك برجوع الأمر كله له أمرك بالعبادة.

﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

قال تعالى:

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا(26)﴾

[سورة الكهف]

قال تعالى:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(62)﴾

[سورة الزمر]

قال تعالى:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(54)﴾

[سورة الأعراف]

و قال تعالى:

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي(55)﴾

[سورة هود]

و قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ(84)﴾

[سورة الزخرف]

و قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(2)﴾

[سورة فاطر]

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ يُهِنْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾

[سورة الحج]

كيف نصل إلى التوحيد أساس الإخلاص و الاستقامة و أساس الراحة النفسية و أساس الجرأة و أساس الطمأنينة وأساسا الأمن، فكل الميّزات المادية و المعنوية موجودة في التوحيد، لذلك شعار الإسلام " لا إله إلا الله " فلا مسيّر في هذا الكون ولا معطي و لا مانع و لا معز ولا مذل و لا باسط و لا قابض و لا رافع ولا خافض إلا الله، وهناك مثل ردَّدته مئات المرات، أردت أن تسافر لابد من تأشيرة خروج و لا يمنحها إلا موظف واحد، وفي الدائرة ألف موظف فهل تبذل ماء وجهك لواحد لا سلطة عنده، هذا حمق، فأمرك بيد الله، لذلك أيها الأخوة، الصلحَ الصلحَ مع الله، تعامل مع الله مباشرة و أخلص له وتوخَّى الأمر و طبِّقه و ابحث عن المعصية و ابتعد عنها، ومن اتقى الله هابه كل شيء ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شيء، لذلك التوحيد أساس الإيمان فالإنسان ينافق بقدر نقص توحيده و يعصي بقدر نقص توحيده و يخاف بقدر نقص توحيده، والتوحيد غير الإيمان بوجود الله، هناك فرق كبير، ذاك توحيد الربوبية لا يختلف فيه اثنان في الأرض كلها و حتى الذين يعبدون الأصنام قال تعالى:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾

[سورة الزمر]

البطولة ليست في توحيد الربوبية و لكن في توحيد الألوهية، هو المسيّر.

الحقيقة بعد ما بيَّن ربنا عز وجل أن التوحيد هو كل شيء ساق بعض الآيات فقال تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)﴾

[سورة الأنبياء]

من شق السماء فأعطت المطر و منشق الأرض فأنبتت الزرع، هذا موضوع التفكر، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31)﴾

[سورة الأنبياء]

هذه الجبال "

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾

[سورة الأنبياء]

فالجبال موزعة توزيعا بحيث مع الدوران السريع تبقى الأرض مستقرة "

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31)﴾

[سورة الأنبياء]

نهر الأمازون كثافته في الثانية ثلاثمائة ألف متر مكعب، ونبع الفيجة ستة وثلاثون ألف أثناء الثوران.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً ﴾

[سورة الأنبياء]

هذه طبقة الأوزون التي تخلخلت الآن بسبب تغيير خلق الله، هذه المحركات و هذه المعامل وهذا التلوث وارتفاع غاز الفحم في الهواء مقابل ارتفاع الحرارة و ارتفاع الحرارة أثَّر على نزول المطر.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً ﴾

[سورة الأنبياء]

وقال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33) ﴾

[سورة الأنبياء]

هذه الآيات إذا فكر فيها الإنسان و دقق و تأمل يصل إلى التوحيد وما تعلمت العبيد مثل التوحيد

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-8) : تفسير الآيات 51 - 70

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الأخوة الكرام، في سورة الأنبياء عدة قصص الأنبياء كرمهم الله عز وجل و ذكر قصصهم في هذه السورة.

بادئ ذي بدء، القصة في القرآن لها هدف كبير، إنها حقيقة مع البرهان عليها، فالمبادئ النظرية وحدها لا تقنع الإنسان فلا بد لهذه المبادئ من تطبيقات عملية و ما القصص التي وردت في القرآن الكريم إلا تطبيقات عملية لهذه المبادئ النظرية، لذلك قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(111)﴾

[سورة يوسف]

و القصة أسلوب تربوي بالغ التأثير لأن الإنسان حينما يقرأ القصة يتفاعل معها لأن أبطالها بشر والله سبحانه وتعالى جعل الأنبياء من بني البشر لتقوم الحجة على البشر، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ(128)﴾

[سورة التوبة]

و قال تعالى

﴿:قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

[سورة فصلت]

فكل الظروف التي تحيط بنا تحيط بالرسل و كل الضغوط يتحملونها، و البيئات يعيشونها و الملابسات يمرون بها فلذلك حينما ينتصرون على أنفسهم يكون الأنبياء حجة علينا، والنبي صلى الله عليه وسلم بشر و تجري عليه كل خصائص البشر لهذا حينما انتصر على نفسه كان سيد البشر، ولا يقنع الإنسانَ أن يكون النبي ملَكا، فلا بد من أن يكون من بني البشر، يشتهي كما نشْتهي، ويُحِبّ كما نُحِبّ، ويغْضب كما نغْضَب، ولكنَّه انْتصَر على نفْسِهِ وسار على منهَج الله، ودعا إلى الله، لذلك نحن جميعًا حينما نقفُ أمام قبْر

النبي عليه الصلاة والسلام نقول: نشْهَد أنَّك أدَّيْتَ الأمانة وبلَّغْتَ الرِّسالة ونصَحْت الأمَّة، وكشَفتَ الغُمَّة، وجاهَدْتَ في الله حقّ الجِهاد، وهَدَيْتَ العِباد إلى سبيل الرَّشاد.

الآن تنشأ عِدَّة أسئلة ؛ طبْعًا هذه الأسئلة تُثيرُها هذه القِصَّة، النبي صلى الله عليه وسلَّم قالوا عنه ساحِر، وقالوا عنه مَجْنون، وقالوا عنه كاهِن ؛ هذه التُّهَم التي ألْصَقَها كُفَّار مكَّة للنبي عليه الصلاة والسلام لماذا أثْبَتَها الله في القرآن الكريم ؟ لِيُتْلى إلى يوم القيامة، والحقيقة أنَّ الله تعالى أثْبَتَها لِيَكون النبي صلى الله عليه وسلَّم أُسْوَةٌ لنا، فهذه القِصَّة التي جَرَت مع سيِّدنا إبراهيم، كانت مِحْنةٌ شديدة أن يؤمر هذا النبي الكريم بِذَبْح ابْنِهِ، ومِحْنةٌ شديدة أن يُلْقى في النار، فما الحِكمة مِن ذِكْر هذه القِصَّة في القرآن الكريم ؟

هؤلاء الأنبياء جَعَلهم الله مُثُلاً عُلْيَا، وجعلهم الله تعالى أبْطالاً كي نقْتَدِيَ بِهِم، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)﴾

[سورة الأنبياء]

كلمة آتَيْنا أنَّ الرُّسُل لا يُكْتَسَبوا اكْتِسابًا، ولكن يُؤتى إيتاءً ، فَكُلّ مَن اسْتَقام على أمر الله، وأقْبَلَ عليه يُؤتى الرُّشْد ويُؤْتى الحِكْمة، قال تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ(32)﴾

[سورة محمد]

فالكافر لا بدّ أن يفْعَل فِعْلاً أحْمقًا، ولا بدَّ أن يكون تَدْبيرُهُ في تَدْميرِهِ، ولا بدّ مِن أن يرْتَكِبَ عمَلاً جُنونيًّا، ولا بدّ مِن أن يفْقِدَ الحِكْمة ؛ لأنّ الحِكْمة لا تأتي بالذَّكاء، ولا تأتي بِالخِبْرات ولكن تُؤْتى إيتاءً مِن الله عز وجل، فالله جلَّ جلاله إمَّا أن يُؤْتِيَ الحِكْمة وإما أن يحْجُبَها، وإما أن يأتي رُشْدَ الإنسان وإما أن يحْجُبَ عنه الحُجُب، فإذا أراد ربُّك إنْفاذَ أمْرٍ أخَذَ مِن كلّ ذي لُبٍّ لبَّه، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)﴾

[سورة الأنبياء]

لذا كلمات آتيْنَا ووَهَبْنا لا تعني أنَّها تأتي كَسْبًا، فالابن الصالِح لا يأتي كَسْبًا، قال تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72)﴾

[سورة الأنبياء]

والحِكْمة لا تأتي كَسْبًا وإنَّما إيتاءً وكذا الرُّشْد، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)﴾

[سورة الأنبياء]

أيْ أنَّ إيتاء الله عز وجل وِفْق عِلْمٍ وحِكْمة والله جلَّ جلاله لا يُعْطي الأشياء جُزافًا، ولِمَن يسْتَحق ومن لا يسْتَحِق ! هذا ليس مِن شأن الإله، فالعَوام يقولون أحيانًا كلمات هي كُفْر ؛ كأن يقول أحدهم الله تعالى يُعطي الحلاوة للذي ليس له أضْراس !! هذا الكلام يعني أنَّه الحِكمة الإلهيَّة غير موجودة ! أما الله تعالى فيقول:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)﴾

[سورة الأنبياء]

قال تعالى :

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53)﴾

[سورة الأنبياء]

لذلك ماذا يقول الشيطان ؟ قال تعالى: لأقْعُدَنَّ لك، فهناك سِتَّة جِهات ؛ الأولى نحو الأعلى وجِهَة نحو الأسفل، وجِهة عن اليمين وأخرى عن الشِّمال، وأخرى من الأمام والوراء، فالله عز وجل في هذه الآية أغْفل الجِهَة العُليا وأغفل الجِهَة السُّفلى ! لماذا ؟ لأنّ الطريق الواصِل إلى الله عز وجل لا يمْكن أن يكون فيه شيطان، أما الجِهَة السُفلى فيض جِهة الافْتِقار إلى الله، وجِهة التَّذَلُّل والانْكِسار والعبوديَّة، وهذه الجِهة لا يستطيعُ الشيطان أن يأتِيَ منها، لذا جِهتان مَصونتان عن الشَّيطان وكَيْدِهِ جِهَة العلوّ، وجِهة الانْكِسار والافتِقار إلى الله عز وجل، أما قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

[سورة الأعراف]

بِاسْم الحداثة والعَصْرَنَة، وعصْر تقدُّم الإنسان تُرْتَكَب المعاصي والآثام، والفسْق والفُجور، فالشَّيْطان أحَدُ أكْبر مآخِذِهِ على هذا الإنسان بِدَعْوى التَّجْديد والتَّقدُّم والحضارة والعَصْرَنَة، ومن خلفِهم إذا كانت هناك عادات وتقاليد تُخالف الدِّين فالتَّمَسُّك بالعادات والتقاليد والتُّراث والأصالة وما إلى ذلك إذا كانت هناك مخالفات في الدِّين ؛ كان هذا أيضًا بابًا من أبواب الشيطان، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

[سورة الأعراف]

الشَّمائل هي المعاصي مِن خَمْر والزِّنا والفُجور، أما عن أيمانهم فقد يقول الشيطان للإنسان أنت مَكتوبٌ عليك بالشَّقاوَة مِن الأجَل، وهذه الصلاة التي تُصَلّيها ليسَت هي الصلاة المطلوبة، إذًا لا تُصَلِّ !! فالشيطان إما أن يأتي عن اليمين أو عن الشِّمال، أو مِن الأمام أو مِن الوراء، لذلك قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54)﴾

[سورة الأنبياء]

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا))

[رواه الترمذي]

فالله عز وجل أعْظَمُ مِن أن تَعْصِيَهُ مِن أجل تقاليد وعادات، أحَدُ كِبار العلماء قال: والله ما مِن رجلٍ أحبُّ إليّ مِن شَيْخي فلان، ولكنَّ الحقَّ أحبَّ إليَّ منه ! فإذا كانت التقاليد وِفْق المنهج فلا مانِع، أما إذا صادَمَت المنهَج الإلهي والتشريع فلا نعبأُ بها، أنت لسْتَ عَبْدَ البيئة، ولا عبْدَ التقاليد ولا عبْدَ العادات ولكنَّك عبْدُ الله عز وجل، فالمؤمن الحرّ لا يستجيب إلا لأمْر الله عز وجل، وهناك قِصَّة شَهيرة جدًا، ولها مغْزى كبير، عَنْ عَلِيٍّ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ:

((بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ فَغَضِبَ فَقَالَ أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي قَالُوا بَلَى قَالَ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا فَجَمَعُوا فَقَالَ أَوْقِدُوا نَارًا فَأَوْقَدُوهَا فَقَالَ ادْخُلُوهَا فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا وَيَقُولُونَ فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ فَسَكَنَ غَضَبُهُ فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))

(رواه البخاري)

فالإنسان عليه أن يُعْمِلَ عَقْلَهُ وقد ورَدَ في الأثَر أنَّ الله تعالى قال: ما خلَقْتُ خلْقًا أحبّ إليّ من العَقل، بِكَ أُعْطي وبِكَ آخذ ! فالإنسان إذا أعْمَلَ عقْلَهُ سَعِد، وإن عطَّلَهُ شَقِي قال تعالى:

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56)﴾

[سورة الأنبياء]

لأكيدنَّ أصْنامكم ؛ أيْ سوف أُريكم بِدَليل قَطعيّ أنَّها أحجار لا تنفعُ ولا تضرّ وسوف أحْمِلُكم على النُّطْق بأنَّها أحْجار، فلمَّا كسَّر هذه الأصْنام ووضَعَ الفأس في عُنُق كبيرِهم، قال تعالى:

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) ﴾

[سورة الأنبياء]

فَحَمَلَهم على الاعْتِراف بأنَّ هذه الأصنام حِجارة لا تنفعُ ولا تضرّ.

أحد الأعراب كان له صَنَم مِن تَمْر، فلمَّا جاعَ أكلَهُ فقالت العرب: **أكلَتْ وُدٌّ ربَّها**، وأحدُ الرِّجال في الجاهِلِيَّة رأى صنمهُ قد بال عليه ثعلبان، فقال:

أإلـه يبول الثُّعلبان برأسِهِ لقد ضلّ مَن بالتْ عليها الثعالبُ

***

فالإنسان لا حقَّ له أن يؤمن بِشَيء لا يسمن ولا يغني من جوع، ولا يُحيي ولا يُميت.

قال تعالى:

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63)﴾

[سورة الأنبياء]

وقرأْتُ تعليقًا لِشَيْخ الأزْهر عن حديث شريف فَحْواه أنَّ هذا النبي الكريم قد كذَب فقال هذا العالم: **والله لأنْ أتَّهِم الراوي بالكَذِب أهْوَنُ عليَّ مِن أن أتَّهِمَ نبيًّا بالكذِب.**

قال تعالى:

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) ﴾

[سورة الأنبياء]

الله عز وجل سَمَح لهم أن يُلقوا القبْض عليه، وسَمح لهم أن يُبْرِموا نارًا عظيمة، وسمَحَ لهم أن يُلْقوهُ في النار، فالسُّؤال الآن: أليْس الله قادِرًا على أن يُخْفِيَهُ عن الأنظار كما فعَلَ بِسَيّدنا عيسى، قال تعالى: وما قتلوه وما صلبوه، فَلِمَ مكَّنَهم الله مِن القبْض عليه؟ ومِن إبرام النار ؟ أليْسَ الله قادِرًا على أن يُرْسِلَ أمطارًا غزيرة تطفئ نيرانهم ؟ هذه القصَّة دقيقة جدًّا فالله عز وجل أحْيانًا يُقَرِّبُكَ مِن الخَطَر، لِيَمْتَحِنَ إيمانك، فهذا سيّدنا موسى مع أصْحابِهِ، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ(61)قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِي(62)﴾

[سورة الشعراء]

فرعون وما أدْراكم ما فرعون بِجَيْشِهِ وحِقْدِهِ وجبَروتِهِ واسْتِعلائِهِ وجَيْشِهِ الجرار وراء شِرْذِمَة قليلة وخائفة، تهرب منه والبحر أمامها وفرعون وراءَها ؛ ماذا قال أصْحاب موسى ؟ إنا لَمُدْرَكون ! والنبي عليه الصلاة والسلام في معركة الخندق قال أحدهم: أيزْعم صاحبكم أن تُفتح علينا بلاد قيْصر وكِسْرى، وأحدُنا لا يأمنُ أن يقْضِيَ حاجتَهُ ؟! قال تعالى:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا(11)﴾

[سورة الأحزاب]

فالله تعالى أحيانًا يُقَرِّبُك من الخطَر، وكلمَّا قرَّبَك أكْثر وكنت ثابتًا فمعنى هذا أنَّك نَجَحْتَ ولذا قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة العنكبوت]

فالله تعالى سوف يضَعُكَ في امْتِحانٍ دقيق دقيق تُكْشَفُ حقيقة إيمانِك، فكما أنّ المعادن كالإسْمنت تُجَرَّب قُوَّتها بآلات، وكذا كل مؤمن له درجة ينكَسِر فيها، فهذا النبي عليه الصلاة والسلام في طريقه إلى المدينة كان مُلاحَقًّا ودَمُهُ مَهْدورًا، ومائة ناقةٍ لِمَن يأتي بِهِ حيًّا أو ميِّتًا يتْبَعُهُ سُراقة فيقول له: **يا سراقة كيف بِك إذا لبِسْتَ سِوارَي كِسْرى** ؟! النبي عليه الصلاة والسلام كان واثِقًا من وُصوله المدينة، وسَيُقيم دولة، ويُنشأُ جيشًا، وسيَنْتَصر على أكبر قوَّة في العالم، وستأتي صحابتُهُ بِكُنوزِ كِسرى وتاجِهِ وسِواراه وقميصهِ، وهكذا كان الحال فلمَّا جاءت كُنوز كِسرى لِسَيِّدنا عمر قال: أين كُنوز كِسْرى ؟ فألبسَهُ القميص والتاج والسِّوارين، وقال: **أُعَرابِيٌّ مِن بني مَدْلَج يلْبِسُ سِواري كسرى** ؛ **بَخٍ بخٍ** ! فالأنبياء ثِقتهم بالله تعالى كبيرة، فالنبي وهو في هِجْرته يقول هذا الكلام، وبعد الطائِف يقول له سيِّدُنا زيْد: **كيف تعود إلى مكَّة وقد أخْرَجوك** ؟! فقال: **إنَّ الله ناصِر نبيِّه!** هؤلاء هم الأنبياء ؛ واثِقون مِن نَصْر الله، وواثِقون مِن أنَّ الله تعالى لن يتخلَّى عنهم، واله تعالى لا يدَعُ دينَهُ للكُفار، قال تعالى:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا(141)﴾

[سورة النساء]

فالآن يقول لك ضِعاف المؤمنين: انتهى الإسلام !! والعالم كلّه ضِدّه ! ومن قال لك هذا ؟ إذا كان الله معك فَمَن عليك ؟ وإذا كان عليك فَمَن معَك ؟ فالله سَمَح للكفار أن يُلْقوا القبْض على سيّدنا إبراهيم، وسمَحَ للنار أن تشْتعِل، وسمَحَ لهم أن يُلقوه في النار !!! فكانت كلمة مِن الله تعالى، قال تعالى:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)﴾

[سورة الأنبياء]

قال العلماء: لو قال الله يا نار كوني برْدًا لمات مِن البرْد.

درس اليوم معناه أنَّ الله تعالى أحْيانًا يمْتَحِنُك، ويُقَرِّبُكَ من الخطر لِيَمْتَحِنَ إيمانك، والمؤمن مهما أحاطت بِهِ المِحضن فَهِيَ مِنَح، والشِّدَّة عنده شدَّةٌ إلى الله عز وجل، ونحن بِحاجة ماسَّة إلى ثِقَةٍ بالله عز وجل، وأنَّ الله لا يتخلَّى عنَّا، وأنَّهُ يُحِبُّنا، ولكن عليكَ أن تُطيعه ونحن إن لم نقْبل بالاسْتِقامة فلْنَسْتَعِدّ للمتاعِب، قال: **عظني ولا تُطِل...**" وعلى قدْر طاعة لله عز وجل يأتيك النَّصر والتَّطْمين.

قال تعالى:

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) ﴾

[سورة الأنبياء]

والله تعالى يقول:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(12)﴾

[سورة آل عمران]

الكفار جميعًا أين هم الآن ؟! في مَزْبلة التاريخ ! أين أبو لهب ؟ وأبو جهْل ؟ ولكن أين أبو بكر ؟ إلى جنب المصطفى عليه الصلاة والسلام.

كن مع الله ترى الله معك واتْرُكِ الكُلّ وحاذِر طمَعَك

وإذا أعْطاكَ مَن يَمْنَعُهُ ثمّ مَن يُعطي إذا ما منَعَك

***

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-8) : تفسير الآيات 90 - 92

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه وأَرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الأخوة الكرام، لازلنا في سورة الأنبياء، وقد ورَدَ ذِكْرُ الأنبياء أغْلبِهم في هذه السورة ولكِنّ الذي يهمُّنا في نِهاية المطاف هذا التَّعقيب الذي شَمَل جميع الأنبياء، قال تعالى:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ(90)﴾

[سورة الأنبياء]

أيها الأخوة الكرام، أنت موْجُود في الدنيا مِن أجل أن تعْمل الخيْر فقط وإذا أردْت الدليل، فهاكَهُ: الإنسان حينما يأتيهِ مَلَكُ الموت ينْدَمُ على ماذا ؟ ينْدم على العمل الصالح، قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي(99)لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(100)﴾

[سورة المؤمنون]

فَكُل إنسان غفَل عن المهمَّة الأولى التي جاء مِن أجْلها فهو غافِل وضالّ، فأنت لم تأتِ إلى الدنيا مِن أجل أن تجْمَعَ الدِّرْهم والدِّينار ولم تأت إلى الدنيا مِن أجل أن تنْغَمِسَ في الملذَّات، إنَّك أتَيْتَ إلى الدنيا مِن أجل أن تعبد الله، وعِبادة الله هي تَطبيق منْهَجِهِ، والتَّقرُّب إليه وهذا لن يكون إلا بِمَعرفة الله تعالى، فإذا عرفْتَهُ عبَدْتَهُ، وإذا عبَدْتَهُ سَعِدْتَ بِقُرْبِهِ، وهذا هو الهَدَف، قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ(118)إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود]

إذًا كما قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) ﴾

[سورة الأنبياء]

الله عز وجل قال: سارِعوا وقال: سابِقوا، وهاتان الكلمتان تُشيران إلى مُضِيّ الزَّمَن، والزَّمَنُ مَحْدود والإنسان بِضْعة أيَّام، كلَّما انقضى يومٌ انْقضى بِضْعٌ منه، وما مضى فات والمُؤمَّل غَيْب ولك الساعة التي أنت فيها.

أيها الأخوة، نحن جميعًا لا نمْلِكُ إلا هذه الساعة، لأنّ الذي مضى لن يعُود، والمستقبل لا نعرف إن كنَّا من الذين يبْلُغونه أم لا ! ومن عدَّ غدًا مِن أجَلِهِ فقد أساء صُحْبة الموت، وهَلَك المُسَوِّفون، وسوف مِن جُنود إبليس، لذلك أخْطر مرضَيْن يُصابُ بِهما الإنسان مرض الغفْلة ومرض التَّسْويف.

قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ(9)﴾

[سورة المنافقون]

وقال تعالى:

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ(10)﴾

[سورة المنافقون]

قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) ﴾

[سورة الأنبياء]

فاليأسُ مرض، والانْبِساطُ الشديد مع الله تعالى مرض، فالانْبِساط الشديد عِقابُهُ الحِجاب، واليأس دليل الجهْل بالله عز وجل، ولكنّ المؤمن يدعو ربَّهُ راجِيًا وخائِفًا وسَهل على الإنسان أن يتطرَّف، ولكنّ البُطولة أن تجْمَعَ بين الخَوْف والرَّجاء، وبين الرَّهبة والرَّغْبة، لذلك قال: يا رب، أيُّ العِباد أحبُّ إليك حتَّى أحبَّه بِحُبِّك ؟ قال: أحبُّ العِباد إليّ تَقِيُّ القلب، نقِيُّ اليدَيْن لا يمْشي إلى أحَدٍ بِسُوء، أحبَّني وأحبَّ مَن أحبَّني وحبَّبني إلى خلقي قال: يا رب، إنَّك تعلم أنِّي أُحِبُّك وأُحِبُّ مَن يُحِبُّك، فكيف أُحَبِّبُكَ إلى خلقِك ؟! قال: ذَكِّرْهم بآلائي ونَعمائي وبلائي، قال شُرَّاح الحديث: الآلاء من أجل أن تُعَظِّمَهُ، والنَّعماء مِن أجل أن تُحِبَّهُ، والبلاء مِن اجل أن تخافهُ، ولا بدّ مِن أن يجْتَمِعَ في قلب المؤمن تَعْظيم لله، وخوفٌ منه، ومحبَّة إليه، فالنِّعَمُ سبب المحبَّة، أحِبُّوا الله لِما يغْدوكم به مِن نِعَمِه، والبَلاء سبب الخوف، والآلاء سبب التَّعظيم، فأنت بالآيات الكَوْنِيَّة تُعَظِّمُهُ، وبالنِّعَم السابغة الظاهرة والباطنة تُحِبُّه، وبالمصائب و الابْتِلاءات تخافُهُ فالوضع الصِّحي أن يكون في قلبِكَ تعظيم وحبٌّ وخَوف، فالحُبّ مِن دون خَوف انْبِساط وتمادي وتساهل وخوفٌ من دون رجاء يأسٌ وقنوط وخوف ورجاء من دون تعظيم يضعف الخَشْية، قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) ﴾

[سورة الأنبياء]

وقال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(1)الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(2)﴾

[سورة المؤمنون]

قال العلماء: الخُشوع في الصلاة ليس مِن فضائِلها، ولكن مِن فرائِضِها ! فَهُم ما أفْلحوا لأنَّهم يُصَلُّون، ولكنَّهم في صلاتهم خاشِعون، وفي آياتٍ أخرى قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا(142)﴾

[سورة النساء]

وقال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(41)﴾

[سورة الأحزاب]

فالأمْر ليس على الذِّكْر، ولكنْ على الذِّكْر الكثير ! لأنَّ المنافقون يذْكرون الله تعالى، قال تعالى: **ولا يذْكرون الله إلا قليلا..**" معنى الأمْر على الكثير.

قال تعالى:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (91)﴾

[سورة الأنبياء]

قد لا يفْهم بعض الناس حِكمة امرأة فِرْعون على أنَّها صِدِّيقة ! فرعون الذي قال كما قص الله تعالى::

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى(24)﴾

[سورة النازعات]

أنا ربكم الأعلى، وقال تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

[سورة القصص]

لِحِكْمة بليغة بليغة أراد الله أن تكون زَوْجتهُ صِدِّيقة لِتَكون هذه المرأة الصِّديقة آية لِكُلّ نِساء العالمين، بِمَعنى أنَّ المرأة مُسْتَقِلَّةٌ في عقيدتها، وفي طاعتها لِرَبِّها عن زوْجِها، مُعْظم النِّساء يقلن الآن: هكذا يريد زَوجي ! إن شاء الله في صحيفتِهِ !! لا، بل في صحيفَتِكِ أنت !!! لا طاعة لِمَخلوقٍ في مَعْصِيَة الخالق، فامرأة فِرعَون جابَهَتْ مَن ؟ جابَهَتْ منْ يدَّعي الألوهِيّة، والذي قتَّل بني إسرائيل واسْتَحْيى نِساءَهم، وبَقِيَت مُطيعةً لله عز وجل، وصِدّيقةً، فأيَّةُ امرأة يُجْبرُها زوْجُها على الاخْتِلاط، أو على أن تتكشَّف أمام أصْدِقائِهِ، أو على أن تُسايِرَهُ في معْصِيَة، وتقول: ماذا أفْعَل هذا زوْجي، وإذا لم أفْعَل يُطَلِّقني !! نقول لها اسْمعي ماذا قال تعالى عن امرأة فِرعون:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(11)﴾

[سورة التحريم]

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)﴾

[سورة الإسراء]

ولا طاعة لِمَخلوق في معْصِيَة الخالق، وقال تعالى:

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

[سورة لقمان]

وقال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

ولا تُطِع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتَّبع هواه وكان أمره فهذه قالتْ له أُمُّه: يا سعْد، إمَّا أن تكْفر بِمُحَمَّد وإما أن أدَعَ الطَّعام حتَّى أموت ! فقال: يا أُمِّي لو أنَّ لك مائة نفْسٍ فخرجَت واحدَةً واحِدَةً ما كفرْتُ بِمُحَمَّد، فَكُلي أو لا تأكلي !! فالأم أمّ ولكن لا تُطاع في المعْصِيَة، والأب أب ولكن لا يُطاع في معْصِيَة، قال تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

[سورة الإسراء]

العبادة لله تعالى، والإحْسان للوالدَين، أما أن تعبُدَ الوالدين من دون الله، فَتَرْتَكِب الكبائر إرْضاءً لهما فلا ثمَّ لا.

عندنا باللغة العربيَّة، وفي البلاغة أسلوبًا يُسَمَّى الاسْتِخدام والاسْتِخدام أن تذكُرَ كلمةً وأن تُعيد عليها الضمائر لِمَعانٍ أخرى مِن معانيها ويأتون على ذلك بِشاهدٍ واضِحٍ، وهو قولهم: أقرَّ الله عَيْنَ الأمير وأجْرى له ماءَها، وكفاه الله شرَّها، فقَوْلُهُ: أقرَّ الله عَين الأمير أي عَيْنَهُ، وأجْرى له ماءَها أيْ ماء البستان، وكفاه الله شرَّها أيْ عَين الحَسود، فنحن أتَينا بِكَلِمَة عَين وأعَدْنا عليها الضمائِر لِمعانٍ أخرى فالله تعالى أيضًا قال:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(11)وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ(1)﴾

[سورة التحريم]

الفرج معروف فنفَخنا فيه، أي في فَتْحَةِ الثَّوب، فَمِن معاني الفرْج فتْحَةُ الثَّوب العليا، ثمَّ قال تعالى:

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ(12)﴾

[سورة التحريم]

ويأتون بِشاهِدٍ آخر وهو قوله تعالى:

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾

[سورة البقرة]

فالقَمَر لا يُصام بل يُصام معنى آخر من معاني الشَّهر وهو الثلاثون يومًا ؛ فهذا أُسلوب الاسْتِخدام، فَلكي لا يتوهَّم الواحِد أنّ النَّفْخ كان في فرْجِها المعروف !

المُلخَّص ؛ أنتم يا بني البشَر عليكم أن تفعَلوا ما فعل الأنبياء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ وَقَالَ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ))

[رواه مسلم]

لِقَول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إنّ الله أمر المسلمين بما أمر به المرسلين))

وقال تعالى:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(112)﴾

[سوة هود]

فَجِنْسُ البشر واحِد، والجِبِلَّة واحِدَة، وكذا الخصائِص، والقوانين واحدة، وكذا الحركات والنُّفوس مَجبولة على حبّ مَن أحسَن إليها وبُغْض مَن أساء إليها، وبالمناسبة لولا أنّ النبي عليه الصلاة والسلام مِن بني البشَر، ولولا أنّه تجري عليه كلّ خصائص البشَر، لما كان سيّدَ البشَر، فلأنَّه تجري عليه خصائص البشَر أصبح سيِّد البشر ولأنّه انتَصَر على نفسِهِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ))

[رواه الترمذي]

فهو عليه الصلاة والسلام جاع كما يجوع البشر، وأوذِيَ كما يؤْذى البشَر، وفي الطائف سَخِروا منه، واستهزءوا به وهو يقول: اللهم اهْدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون، لعلَّ الله يخرج من أصلابهم من يُوَحِّدُهُ !

أيها الأخوة الكرام، المُلَخَّص قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92) ﴾

[سورة الأنبياء]

وهناك آية تنْظِمان العلاقة بين الخالق والمخلوق، قوله تعالى:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(115)﴾

[سورة الأنعام]

أي يا عبادي منكم الصِّدْق ومِنّي العَدل، وتتفاوتون عندي بِمِقْدار صِدقِكم، ومِنّي العَدل.

بهذا تنتهي سورة الأنبياء ؟، وأنتم كما تعلمون نأخذ مقاطِع منها وننتقل في درسٍ قادِمٍ إلى موضوع له علاقة بهذه السورة نرجئه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-8) : تفسير الآيات 105 - 108

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الأخوة الكرام، الدرس الأخير مِن سورة الأنبياء، يتركَّز حول آيةٍ كريمة، وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)﴾

[سورة الأنبياء]

هذه الآية تُذَكِّرنا بِآية أخرى، وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

[سورة الكهف]

وقال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)﴾

[سورة الأنبياء]

بالآية شيئان ؛ عقيدة وعمل، ومُنْطَلَقات نَظَرِيَّة، وتَطبيقات عَمَلِيَّة، فلو أنَّ إنسانًا معه مرضٌ جِلدي، وهو بأمَسِّ الحاجة إلى الشَّمْس، ليَتَعَرَّض لها، ويشْفى مِن مرضِهِ، لو أنَّه قال: إنَّ الشَّمس ساطِعة، ماذا يُفيدُهُ هذا القَوْل إن لم يتعرَّض إلى الشَّمس ؟! فلو أنَّه أقرَّ أنَّها ساطِعَة فَهِيَ ساطِعَة، وإقْرارُهُ تَحصيلُ حاصِل ! ولو أنَّه قال: ليْسَتْ ساطِعَة، فهُوَ أنْكَرَ شيئًا واقِعًا، وإنْكارُهُ لا معنى له ! فلا إنكارُكَ له معنى، ولا إقرارُكَ له معنى، إن لم تأخذ مَوْقِفًا عَمَلِيًّا، وإن لم تتحرَّك قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾

[سورة الأنفال]

مع أنَّ العقيدة الصحيحة ضَرُورِيَّة ومطْلوبة، ولكِنَّك إن اكْتَفَيْتَ بِها لا تُغْني عنكَ شيئًا، لذلك الآية الأولى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

[سورة الكهف]

ربُّنا عز وجل يُلَخِّص القرآن كلَّهُ مِن دفَّتِهِ إلى دفَّتِهِ، وآية اليوم:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)﴾

[سورة الأنبياء]

لذلك أيُّها الأخُ الكريم طالِبْ نفْسَكَ بعد أن صَحَّتْ عقيدَتُكَ بالتَّطبيق العملي والمَوْقِف الحركي، وبالالتزام، وبالطاعة والبَذْل والإنفاق وبإقامة الإسلام في بيْتِك، وبإقامَتِهِ في عَمَلِك، ولا تكْتفي بالإقْرار فإبْليس لعنه الله أقرَّ بالرُّبوبيَّة لله تعالى، وبالعِزَّة ومع ذلك قال:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(39)﴾

[سورة الحجر]

أيها الأخوة الكرام، هذه آيةٌ تُعَدُّ أصْلاً في تلخيص كِتاب الله كلِّه فالقرآن كلُّه تَوحيدٌ وعِبادة، والدِّين كلُّه تَوحيدٌ وعِبادة، والعقيدة هي التَّوحيد والسُّلوك هو العِبادة.

السؤال الآن ؛ هل هناك مِن علاقة بين التَّوحيد والعِبادة ؟! علاقة خطيرة جدًّا وعلاقة وَظيفيَّة، فأنت لت تعْبُدَهُ وَحْدَهُ إلا إذا أيْقَنْتَ أنَّ الأمْر كلَّهُ بِيَدِهِ وَحْدَهُ، لذلك الله عز وجل بِحَسَب عَقْلِكَ، وبِحَسَبِ ما فطَرَك عليه ما أمرَكَ أن تَعْبُدَهُ إلا بعد أن طَمْأنَكَ أنَّ الأمْر كلَّهُ بِيَدِهِ قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(123)﴾

[سورة هود]

فالمرحلة الثانية: هل هناك مِن علاقة بين التوحيد والعبادة ؟! لن تَعْبُدَهُ إلا إذا وحَّدْتَهُ، أما إذا توهَّمْتَ أنَّ مصيرَك ورِزْقَكَ وحياتَكَ ومَوْتَكَ بِيَدِ زَيْد، فلا بدّ مِن أن تعْبُدَ زيْدًا ! ولا بدّ مِن أن تُطيعَهُ وتعصي الله تعالى !! وهذا هو شأنُ الإنسان، وحقيقتِهِ، فَمهما اعْتَقد أنَّ أمْرهُ بِيَدِ زَيْد لا بدّ مِن أن يعْبُدَ زيْدًا، ويعْبُدَهُ حقيقةً، ولو قال: أنا أعبُدُ الله لذا علاقة العبادة بالتَّوحيد هي علاقة سبب بِنَتيجَة، فلن تسْتطيع أن تعْبُدَهُ إلا إذا وحَّدْتَهُ فإذا اعْتَقَدْتَ أنَّهُ وحْدَهُ يُعطي ويَمْنَعُ ويرْفع ويخفض ويُعِزّ ويذِلّ ويُحيي ويُميت، ويشْفي ويُمْرِض، يُغْني ويُفقِرٌ، ويُسْعِدُ ويُشْقي ؛ كلّ هذا وحده لا شريك له، عِنْدَئِذٍ تلتَفِتُ إليه وحْدهُ، فتَوحيد الرُّبوبيَّة شيء وتوحيد الألوهِيَّة شيءٌ آخر، تقريبًا كلّ بني البشَر يعْتَقِدون أنّ لِهذا الكون خالقًا واحِدًا، لكنّ القِلَّة القليلة هي التي تعْتَقِدُ أنّ لهذا الكون إلهًا واحِدًا مُسَيِّرًا، فلو جلَسْتَ مع الناس لرأيْتَهُم يعْزون الخَلْق والأمْر والقوَّة والتَّصرُّف للقِوى التي يَرَوْنها في الأرض، يقولون: القوَّة الفلانيَّة، والنِّظام الفلاني، وتارةً يعْزونها إلى جِهاتٍ أرْضِيَّة أو جِهاتٍ خُرافيَّة، ولكنَّ المؤمن الحق يعْزو هذا إلى الله تعالى، قال تعالى:

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾

[سورة يونس]

قالوا: الاتِّحاد السوفيتي السابق كانت له قنابل ذريَّة تُدَمِّر الأرض خمس مرَّات !! والآن هو يتهاوى كما يتهاوى بيتُ العنكبوت !!!

أيُّها الأخوة الكرام، كلّ بني البشر لا يستطيعون أن يعبدوا الله إلا إذا وحَّدوه، وما تعلَّمَتِ العبيد أفضل من التَّوحيد، والتَّوحيد نِهايَةُ العِلْم والعِبادة نِهاية العَمَل، فإذا وحَّدْتَهُ وعبَدْتَهُ حقَّقْتَ المُراد مِن وُجودِكَ في الدنيا، وحقَّقْتَ الهدف الأمْثل، لذلك الآية الأولى:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)﴾

[سورة الأنبياء]

يُطيعُهُ في منهَجِهِ، ويعمل الصالحات تَقَرُّبًا إليه والآية الثانية:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

[سورة الكهف]

ثمَّ يقول الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) ﴾

[سورة الأنبياء]

هناك آية أخرى وهي قوله تعالى:

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(12)﴾

[سورة آل عمران]

ماذا يُسْتفاد مِن هاتين الآيتين ؟! أنَّ للباطِل جَوْلة، فمهما رأيتَهُ قَوِيًّا، وجبَّارًا ومُتَمَكِّنًا، الله جلَّ جلاله على أتْفَهِ الأسباب يقلبُ الأمور رأسًا على عَقِب، والآية الكريمة:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(12)﴾

[سورة آل عمران]

وفي أواخر آل عمران يقول الله عز وجل:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ(196)﴾

[سورة آل عمران]

وقال تعالى:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ(55)﴾

[سورة التوبة]

لذلك الآية الكريمة:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) ﴾

[سورة الأنبياء]

فالأُمور تسْتَقِرّ لِصالِحِ المؤمنين، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ(36)﴾

[سورة آل عمران]

أصْبَحَ على الإنسان أن يتفاءَل، وعليه أن لا يتشاءم، وأن لا ييأس، ولا أن يخْنَع، فالقُنوط واليأس مِن لوازِم الكفْر بالله، أما المؤمن فأمْرُهُ كُلُّه بِيَدِ الله، ولا يرْضى بِطاعة الله بديلاً، **وما ترَكَ عبْدٌ شيئًا لله إلا عوَّضَهُ الله خيرًا منه في دينِهِ، ودُنْياه، ومَن أصْبح وأكبر همّه الدنيا...راغمة** ".

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-8) : تفسير الآية 16

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، الآيات الأخيرة من سورة الأنبياء، وهي قوله تعالى :

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)﴾

[سورة الأنبياء]

هذه الآية شُرِحَت البارحة وتَتِمَّة هذه الآيات، قوله تعالى :

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)﴾

[سورة الأنبياء]

تَوَلَّوا عنْ ماذا ؟ الآية الكريمة:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)﴾

[سورة الأنبياء]

إن لم يقْبَلوا عقيدة التوحيد، وإن لم يَقْبَلوا توْحيد الألوهِيَّة، وإن أصَرُّوا على أنَّ هناك شُركاء بِيَدِهم الأمْر ! أو تَوَلَّوا عن طاعة الله، ؛ لأنّ الآية الكريمة:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)﴾

[سورة الأنبياء]

فإمَّا أن تَوَلَّوا عن قَبول هذه العقيدة، أو أنَّهم تَوَلَّوا عن تَصديق هذا الأمر، فإما أحدهما أو الآخر أو كلاهما، فإن تَوَلَّوا فقُل يا محمَّد آذَنْتُكم على سواء ؛ أي أبْلغتكم جميعًا وانتَهَت مُهِمَّتي، قال تعالى:

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(18)﴾

[سورة العنكبوت]

وقال تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(56) ﴾

[سورة القصص]

وقال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(67)﴾

[سورة المائدة]

والله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة يقول:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا(11)﴾

[سورة المدثر]

دَعْهُ لي إن لم يسْتَجِب.

أيها الأخوة هناك موضوع دقيق جدًا ورَدَ في سورة الأعراف، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ(94)ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(95)﴾

[سورة الأعراف]

هذا الموضوع دقيق جدًا، وهذه الآية تُبيّن أنَّ سياسة الله مع عبادِهِ أساسُها أربعة مراحل، فأوَّل المراحل الدَّعْوة البيانِيَّة، وهي الكلام فالله جل جلاله يُرسِل الأنبياء، والمرسلين والعلماء والدُّعاة يُبَلِّغون الناس الحق بألْسِنَتِهِم، فإن لم يسْتجيبوا تَوَلَّى الله تأديبهم، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة الأنفال]

وقال تعالى:

﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ(94)﴾

[سورة الأعراف]

المرحلة الثانية ؛ هي الدَّعْوَة التأديبِيَّة عن طريق البأساء والضَّراء ماذا ينبغي أن يفْعَل الإنسان إذا ضيَّق الله عليه وشدَّدَ عليه ؟ عليه أن يضَّرَع إلى الله تعالى، فإن تضرَّع إلى الله تعالى انتهى الأمر.

فإن لم يتضرَّع دخَلَ بِمَرحلة ثالثة ؛ الإكرام الاسْتِدْراجي، قال تعالى:

﴿ثمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(95)﴾

[سورة الأعراف]

جاءَتهم الدنيا واغْتَنَوا وفُرِّجَ عنهم، وشَعَروا بِحُرِيَّةٍ، فإذا جاء الإكرام الاسْتِدْراجي، لا بدّ أن يكون المَوْقف مَوْقِفَ شُكرٍ لله تعالى، ويتوب إليه، فإن لم يشكُر لم يبْقَ مِن المراحل إلا آخرها، وهي مرحلة القَصْم قال تعالى:

﴿ثمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(95)﴾

[سورة الأعراف]

فهذه الآية مِن أدقِّ الآيات، مرحلة بيانيَّة ومرحلة تأديب، وإكرام اسْتِدراجي، وفي الأخير القَصْم.

لذلك الآن كما قال تعالى:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾

[سورة الأنبياء]

أي لم يؤْمنوا بهذه العقيدة، كما أنَّهم لم يُسْلِموا لله عز وجل، قال تعالى :

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾

[سورة الأنبياء]

أبْلَغْتُكم، وانْتَهَتْ مُهِمَّتي، أما متى يأتي التأديب الإلهي ؟ فهذا لا أعْلَمُهُ ! يأتي بعد شهر أو شهرين أو سنة أو أكثر، فهذا لا أعلمهُ، وهل تقتضي حِكمة الله تقْتضي التأديب السريع أو الإمْهال، فهذا لا يعلمُهُ أحد، قال تعالى:

﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (109)﴾

[سورة الأنبياء]

يعني لا أدري، وهذا مَتروك لِحِكمة الله، قال تعالى:

﴿طقُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ(42)﴾

[سورة الروم]

فالفاء هنا تُفيد الترتيب على التعقيب، وفي آية ثانية قال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(11)﴾

[سورة الأنعام]

ثُمَّ تُفيد الترتيب على التراخي، فقد يأتي العِلاج باكِرًا وحاسِمًا، وقد يأتي مُتأخِّرًا لِحِكمة يُريدُها الله تعالى، وهذه لا يعلمُها أحد.

ثمَّ يقول الله:

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (110) ﴾

[سورة الأنبياء]

أحيانًا يعصي الإنسان، ولكن مَغلوبٌ على أمْرِهِ، وهوة يتمنَّى أن يُطيعُ فالله تعالى يُعطيه مُهلة، وأحْيانًا يعْصي ويتحدَّى ! ويفْتَخِرُ بِمَعْصِيَتِهِ.

قال تعالى:

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (111)﴾

[سورة الأنبياء]

لعلَّ الله تعالى بهذا الإمهال أراد أن يسْتَدرِجَهُ، أو لعلَّه أجَّل لكم أجلاً لا يتقدَّم ولا يتأخَّر وعلى كُلٍّ هنا بدَتْ عُبودِيَّة الله عز وجل، وأنَّ ما عليه إلا البلاغ، وهناك آية أخرى، وهي قوله تعالى:

﴿قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ(144)﴾

[سورة الأعراف]

مُهِمَّة النبي التَّبليغ وانتَهتْ مُهمَّتُهُ، ومُهِمَّة العبد التطبيق فالداعي تنتهي مُهِمَّتُهُ بالتبليغ، والمستمِع تنتهي مُهِمَّتُهُ بالتطبيق، والإنسان لا يحْمل السُّلَم بالعَرْض ! والله تعالى لم يُكَلِّفْكَ ما لا تُطيق، وإذا عَبَدْتَ الله تعالى وشَكَرْتَهُ على ما أولاهُ لك مِن نِعَم، فقد حقَّقْتَ العُبودِيَّة الكاملة.

قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112) ﴾

[سورة الأنبياء]

فالنبي بيَّنَ وبيَّن، ووضَّحَ وبشَّر وحذَّر وأنْذَر، وأعاد وكرَّر حتَّى اسْتَنْفذَ كلّ الأسالي، والكفار كذَّبوا وسَخِروا وأتمروا، وأخرجوا ونكَّلوا وآذَوا، واسْتَنْفذوا كلّ الأساليب وما بَقِيَ إلا أن يتدخَّل الله تعالى، قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112) ﴾

[سورة الأنبياء]

قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا(5)فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا(6)وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا(7)﴾

[سورة نوح]

فأنت ما عليك إلا التَّبيين والتَّوضيح، والاستجابة ليْسَت عليك،قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112) ﴾

[سورة الأنبياء]

فهم بالغوا في الإساءة من تكذيب، وسُخريَة وما تركوا سبيل الشرّ إلا طبَّقوه.

قال تعالى:

﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112) ﴾

[سورة الأنبياء]

قال أحدهم كلمة رائِعَة: الحمد لله على وُجود الله تعالى، يعلم السرّ وأخفى، يعلم مَن هو على الباطل، والمُفتري، ومَن هو على الحق، ومَن هو الطيّب و من هو الحاقد و من هو البريء، الحمد لله على وجود الله، و من عرف نفسه ما ضرَّته مقالة الناس فيه، قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)﴾

[سورة الأنبياء]

ملخَّص الدين كله الكتاب كله ؛ لا إله إلا الله، فعليكم أن تعبدوه، قال تعالى:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾

[سورة الأنبياء]

إما عن التصديق بألوهيته أو عن عبادته أو عن كليهما.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾

[سورة الأنبياء]

أنا بينت لكم و انتهت مهمتي، أمَّا متى يأتي العلاج فهذا ليس عندي،أمره إلى الله، قال تعالى:

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (111) ﴾

[سورة الأنبياء]

ثم لما بالغ الناس في تكذيبه بالغ هو في دعوته، قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112) ﴾

[سورة الأنبياء]

إذا قلت إن هذا الماء عكر وهو صافٍ، فكلامك لا يغيِّر من طبيعته القافلة تسير و الكلاب تنبح، و ما ضرَّ السحابَ في السماء نباحُ الكلاب، و ما ضر البحر العظيم أن ألق غلام فيه بحجر، ولو تحوَّل الناس كلهم إلى كنَّاسين لِيُغَبِّروا على الإسلام ما غبَّروا إلا على أنفسِهم، فهذا دينُ الله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112) ﴾

[سورة الأنبياء]

فلو كان معك كيلو غرا مِن الذَّهب، وقال لك الناس: هذا معْدن خسيس، لما كان لِكلامهم معنى وكذا لو أوْهَمْتَ الناس أنَّ هذا المعدن الذي معك من رصاص أو نحاس هو مِن الذَّهب، واقْتَنَعوا بِما قلتَ فقناعَتُهم لا تجْعلُهُ ذهبًا ! فَخَيْرُكَ مِنك وشرُّكَ مِنك، وأنت وحْدَكَ الرابِح، وأنت وحْدَك الخاسِر، وهنيئًا لِمن عرف ربَّه، وتقرَّب إليه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-8) : تفسير الآية 10 ، كليات الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:

أيها الأخوة الكرام:

أخ كريم رجاني البارحة، أن أفسر هذه الآية، فأجبته إلى طلبه هي قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10)﴾

لو قرأنا القرآن الكريم، لوجدنا فيه كليات عديدة، كليات، ففي القرآن الكريم، آيات كونية، قد تصل إلى ثلثه.

﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾

(سورة آل عمران: 190، 191)

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾

(سورة الغاشية: 17، 81، 19، 20)

هذه الآيات ومثيلاتها، تشكل كلية في القرآن الكريم، الآيات الكونية الدالة على وجود الله، وعظمته، وكماله، ووحدانيته.

كلية ثانية: الأوامر التكليفية.

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾

(سورة البقرة: 43)

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات ﴾

(سورة البقرة: 183)

﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾

(سورة البقرة: 169)

الآيات التي فيها أمر ونهي، هي الآيات التكليفية، افعل ولا تفعل، أمر ونهي، هذه كلية ثانية.

كلية ثالثة: مشاهد يوم القيامة.

﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه، إني ظننت أني ملاق حسابيه، فهو في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية، وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه، يا ليتها كانت القاضية، ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه، خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ﴾

(سورة الحاقة: 18 إلى 33)

هذه كلية ثالثة مشاهد يوم القيامة.

آيات كونية، آيات تكليفية [أمر ونهيٌ

﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾

(سورة هود: 113)

هي نموذج ثالث.

كونيات، وتكليف، ومشاهد من يوم القيامة، ثم قصص الأمم السابقة،

﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾

(سورة الحاقة: 9)

﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ﴾

(سورة القمر: 18)

حدثنا ربنا عن قوم نوح، وعن قوم إبراهيم، وعن قوم لوط وعن قوم عاد، وعن قوم ثمود، وعن قوم صالح إلى آخره، هي كلية رابعة.

إحدى كليات القرآن الكريم، أنه قدم للمؤمن، نماذج بشرية نماذج بشرية ! فكل إنسان له في القرآن نموذج. مثلاً

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴾

(سورة آل عمران: 133)

﴿ الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، هذا نموذج ﴾

(سورة آل عمران: 135)

نموذج آخر

﴿: وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم ﴾

(سورة الأنعام: 54)

هي نموذج آخر.

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . من هم . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾

(سورة البقرة: 2 . 3)

هي نموذج رابع.

فأنت إذا قرأت القرآن الكريم، ينبغي أن تعلم أين أنت من هذه الآيات

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ﴾

(سورة الكهف: 107)

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾

(سورة النحل: 97)

﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾

(سورة البقرة: 6)

﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾

(سورة البقرة: 18)

فربنا عز وجل وصف الكفار، وصف الفجار، وصف المشركين، وصف المنافقين،

﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك ﴾

(سورة النساء: 142)

﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾

(سورة البقرة: 13)

آيات المنافقين،

﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾

(سورة آل عمران: 120)

فلإنسان إذا قرأ القرآن الكريم، ينبغي أن يعلم أين هو من هذه النماذج،

﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم﴾

(سورة الواقعة: 10. 11. 12)

هل أنت مع السابقين ؟ هل أنت مع أصحاب اليمين. لا سمح الله ولا قدر، هل هذا الذي يكفر، مع الفجار المجرمين ؟

قال العلماء

﴿ فيه ذكركم ﴾

(سورة الأنبياء: 10)

يعني ما في إنسان يقرأ القرآن الكريم، إلا ويجد فيه وصفاً له، فهنيئاً لمن انطبقت عليه آيات المؤمنين، ونحن نكبر كثيراً من انطبقت عليه آيات المتقين ونحن نصدع بمن انطبقت السابقين أليس كذلك ؟ ونحن نتمنى من انطبقت عليه آيات المنافقين أن يتوب من نفاقه، ونحن نخاف أن يمسنا وصف آيات الكفار والمشركين، فربنا وصف المؤمنين، وصف المحسنين،

﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾

(سورة آل عمران: 134)

هذا وصف، وإن كثيرا من الخلطاء . الشركاء .

﴿ ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴾

(سورة ص: 24)

لك شريك، هل تبغي عليه، أم أنت منصف له إن كنت منصفاً له فأنت في القسم الثاني من الآية،

﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴾

فلان يتقن الشعر

﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾

(سورة الشعراء: 224 . 225 . 226)

هي نموذج

﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ﴾

(سورة التين: 6)

هي نموذج، إنه إنسان مفكر ينكر وجود الله،

﴿ إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر ﴾

(سورة المدثر: من 18 إلى 26)

هي نموذج.

إذا قرأت القرآن الكريم، حدد هذه النماذج، عملوا:

﴿ عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ﴾

(سورة التوبة: 102)

هذا نموذج رابع، يا ترى أنت مع الذين عملوا عملا صالحاً وآخر سيئاً مع الذين، إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله، مع الذين أخذتهم العزة بالإثم، يفعل الإثم ويتباهى به، مع من، مع المؤمن مع المغتصب، مع،

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾

(سورة آل عمران: 102)

أيها الأخوة أتمنى على كل أخ كريم، أن يقرأ القرآن الكريم وأن يتدبره، أين أنا من هذه الآيات، مع المؤمنين، مع المقصرين مع المقتصدين، مع السابقين، مع الأتقياء، مع المحسنين، مع لا سمح الله ! مع المنافقين، في صفات منافقين، حديث الإفك

﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴾

(سورة النور: 19)

يعني إذا مؤمن بلغك عنه قصة سيئة جداً بتفرح، يا لطيف ! إذا فرحت صنف نفسك مع المنافقين، إذا فرحت فقط، ما عملت شي، ما تكلمت ولا نطقت، بس بالداخل ارتحت، منيح يلي انفضح، أنت مع المنافقين، شي بخوف، لأنه الله عز وجل يقول:

﴿الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾

أنت وضعت نفسك مع صف المنافقين، هل هناك أم على وجه الأرض، تتمنى فضيحة ابنتها، لا ! فإذا تمنت ! فهي ليست ابنتها فإذا أنت تمنيت فضيحة المؤمنين فأنت لست منهم، هذا ذنب، أنت مع المنافقين.

مقياس ثاني: أخوك المؤمن اغتنى تحسده، ما لك مؤمن، يجب أن تفرح له، أخوك المؤمن اشترى بيت جيد، تنزعج ؟ ما بيستاهل مع المنافقين، أخوك المؤمن أخذ شهادة دكتورة، تزعل ؟ تتضايق ؟ مع المنافقين، أخوك المؤمن تزوج، لمع اسمه تزعل، المؤمن أخ المؤمن، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، إنما التقوى ها هنا، إنما التقوى ها هنا، كل المسلم على المسلم حرام، ماله، ودمه، وعرضه،

هذا القرآن الكريم فإذا قرأنا القرآن الكريم، ينبغي أن نعرف أين نحن من هذه الآيات أنت على من، أية آية تنطبق عليك، منهم ظالم لنفسه، منهم مقتصد نص على نص منهم سابق في الخيرات، أنت مع من.

فهذا الأخ الكريم الذي رجاني أن أشرح له هذه الآية، يريد هذا المعنى، أنه كل إنسان لابد له من أن يرى، أو أن يقرأ ذكره في القرآن الكريم، فإذا كان انطبقت عليك الآيات الطيبة، اشكر الله عز وجل واثبت على ذلك، وإن لم تنطبق عليك الآيات الطيبة، انج من هذه الحالة، بالتوبة، غير حتى الله يغير، أما أنا ما دخلني، أقرأ تبركاً.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

((أنه ربى تال للقرآن والقرآن يلعنه، ربى تال للقرآن والقرآن يلعنه))

طبعاً هذا الذي في ذهني الآن، عن كليات القرآن الكريم، كلية الآيات الكونية، كلية الأمر والنهي، كلية مشاغل يوم القيامة، كلية أخبار المم السابقة كلية النماذج البشرية، بين مؤمن ومنافق، ومشرك، وكافر، وفاجر.

مثلاً: لك صديق غير مسلم ما نوعه ؟ قال تعالى:

﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾

(سورة التوبة: 7)

غير مسلم بس حقاني، يجب أن تسلم عليه، وأن تزوره، وأن تعوده، ما دام قد استقام لك، يجب أن تستقيم له، كي تشده إلي دينك، هذا نموذج.

ربنا عز وجل يقول الآية الدقيقة:

﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا ﴾

(سورة المائدة: 8)

يعني أنت إذا كرهت إنساناً كافراً هل لك أن تظلمه، لا تستطيع،

﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾

اعدل مع هذا العدو الكافر، اعدل معه كي تقربه إلى الله، اعدل معه كي يرى أن إسلامك عظيم.

قال له هل تحبني يا أمير المؤمنين، قال له والله لا أحبك واحد منافق سئل سيدنا عمر، هل تحبني، قال له والله لا أحبك، قال له هل يمنعك بغضك لي من أن تعطيني حقي، قال له لا والله، قال له إذاً إنما يأسف على الحب النساء، مو مشكلة، هذا نموذج

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾

(سورة المائدة: 82)

أيام يكون لك جار نصراني، يعني أخلاقه عالية، ولطيف، وبيراعي شعورك، راعي شعور أنت، لا تقره على عقيدته، لكن راعي شعوره، يعني عاملك بالإحسان عامل بالإحسان.

الأخ الكريم، الله يجزي الخير، يلي طلب مني أن أفسر هذه الآية، يعني يتمنى، كأنه يتمنى علينا جميعاً أننا إذا قرأنا كتاب الله أن نبحث، نحن مع أي نموذج ينطبق علينا، أي نموذج، فإذا كان نموذج طيب، الحمد لله، وإذا كان نموذج آخر، طيب واحد قام ليصلي، يلله سيدي رايحين نصلي العشاء ونرتاح منه

﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ﴾

(سورة النساء: 142)

تنطبق علينا معناها الآية معنى في نفاق معناها،

﴿ خذ الكتاب بقوة ﴾

(سورة مريم: 12)

هي نموذج

﴿ لعلكم ترحمون ﴾

(سورة الحجرات: 10)

يعني خذ أمر الله بقوة، نفذه بحزم، نفذه بإصرار، هي نموذج فيمكن أن تشتق من كتاب الله، مئات النماذج البشرية، ودائم ليكن الحوار بينك وبين نفسك، هل أنا مع هؤلاء ؟ هل ينطبق علي هذا الوصف ؟ هل أنا مع هؤلاء ؟ وهذا الذي نرجو من هذه الآية.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : تفسير سورة الحج

الدرس (1-9) : تفسير الآيات 1 - 2

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فمَع الآية الأولى والثانية من سورة الحج، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1)﴾

[سورة الحج]

مثال تَوْضيحي ؛ لو أنَّ طِفلاً صغيرًا قال لك: معي مبْلَغٌ كبير، فهذا الطِّفْل الصغير إذا قال لك معي مبْلغٌ كبير، فَكَم تظنّ هذا المبلَغ ؟ مائة ليرة أو أقلّ، أما إذا قال لك أحد أكْبَر أغْنِياء القُطْر: لي رصيدٌ كبير فَكَم تُقَدِّر هذا الرَّصيد ؟ كلمة كبير هي واحِدَة، قالها طِفلٌ، وقالها ثَرِيٌّ كبير، فإذا صَدَرَت عن طِفْل تُقَدِّر المبْلغ بمائة ليرة، أما إذا صَدَرت عن أحد أكبر أغنياء القطْر فَتُقَدِّرُها بألف مليون.

الآن إذا قال خالق الكَون:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1)﴾

[سورة الحج]

فَكَم هذه الزلزلة ؟ قال تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

[سورة الحج]

نقِفُ قليلاً لِنُوَضِّح ما تعني كلمة مُرْضِعَة، نحن في اللُّغة العربيَّة الصِّفات الخاصَّة بالإناث لا تُذَكَّر ولا تؤنَّث، فمتى تُذَكِّر وتُؤنِّث ؟ إذا كانت هناك صِفةً مُشْتركةً بين الرِّجال والنِّساء، فتقول: مُدَرِّسٌ ومُدَرِّسَة، أما إذا كانت الصِّفة خاصَّة بالنِّساء فتقول: امرأة طالِقٌ، وثيِّبٌ وبِكْرٌ ومُرْضِعٌ، فَلماذا نُذَكِّر صِفات النِّساء هنا ؟! لأنَّ هذه الصِّفات خاصَّة بالمرأة فلا معنى مِن تَذْكيرِها وتأنيثِها، تقول: امرأة مُرضِع، وفي القرآن جاءتْ اللَّفظة مُؤنَّثة بالتاء، مُرْضِعَة، فكيف نُفسِّر هذا ؟ قال: إذا قلتَ امرأةً حامِل، أو قلتَ امرأةٌ حامِلَة، فما الفرق بينهما ؟ أنت إذا قلتَ حامِل، فهذه صِفة خاصَّة بالمرأة، أي في بطْنِها، أما إذا قلتَ: امرأةٌ حامِلَةٌ أي على ظَهْرِها، فما دام هناك حامِلٌ وحامِلَة، فحامِلَة تعني على ظَهْرِها، وحامِلٌ في بطْنِها.

أيُّ إنسان سواء ذكرًا أو أنثى بإمكانِهِ أن يضَعَ طِفلاً على صَدْرِهِ، فإذا قلنا امرأةٌ مُرْضِع، فيعني أنَّها في طَوْرِ الإرْضاع، فقد تكون في زِيارةٍ وهي امرأة مُرْضِع، وقد تكون في المطْبَخ وهي مُرْضِع، لكن لا تُسَمَّى مُرْضِعَة إلا إذا كان ابنُها على صَدْرِها، فهي الآن تكون مرضِعٌ ومرْضِعَة، وكلُّكم يعلم أنَّ دافِعَ الأمومة هو أشَدُّ دافِعٍ في الجِنس البشَريّ على الإطلاق، نحن عندنا دافِع الجوع، ودافِع الجِنس ودافِع الأمومة هو أشَدُّ دافِعٍ في الجِنس البشَريّ على الإطلاق، فإذا كانت المرأة أمام أكبر دافِعٍ في كِيانها، وهذا الدافِع يفوق ما عند الرِّجال، ومع ذلك حينما ترى الزَّلزلة التي وصَفها الله عز وجل تضَعُ كلّ مرضِعَةٍ، وتذْهَلُ كلّ مرضعة عمَّا أرْضَعَت. حدَّثني قريبٌ كان في القاهرة يوم وَقَع الزِّلزال، فامرأة مِن شِدَّة هَول الزِّلزال، أمْسَكَتْ كيسًا فيه حِذاءٌ لها، وظنَّتْهُ ابنتها !! لذلك قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1)﴾

[سورة الحج]

هناك قريَة في إيطاليا في سطح جبلٍ اسْمُهُ فيزرف، قبل سنوات تزيد عن الخمسين أثناء بعض الحَفريَّات وجَدوا آثارًا، وهذه الآثار غريبة جدًّا، آثار مُجَوَّفة، فحَقَنوها جِبصينًا سائِلاً، ثمَّ كسروا هذه الصُّخور فإذا هم أمام مشاهِد مُذْهِلَة ! هذه القرية كانت في سَفح جبل في عَهْد الرومان، وثار بِرْكان في قِمَّة الجَبَل، وأطْلق غُبارًا بُرْكانيًّا صارَت سماكَتُهُ فوق أطلال المدينة ثمانية أمتار، وارْتَفَعَت الحرارة إلى ثمان مائة درجة، فَيُمْكِنُ أن نشْهَد مدينةً بأكملها تقريبًا بعد الظُّهر، والطعام على المائدة، لمَّا حقَنوا هذه الصُّخور المُجَوَّفة التي أساسها أشخاص كلاب ونِساء في القصور، وفي الحمامات وفي الطرقات، فلمَّا كُسِرَ الصَّخر فإذا هم أمام صُوَرٍ مِن صُوَر الفزَع البشري، لأنَّ الجثَّة لما انتهَتْ، الغبار البركاني أصبَحَ صَخْرًا، ومُجَوَّف بِحَسَب مَلامِح هذه الجُثَّة تمامًا، فأنا لي صورة لِهذه المدينة والتي اسْمُها بونبي في إيطاليا، وللشاعر أحمد شَوقي قصيدة في هذا البركان !

المهمّ كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

[سورة الحج]

لو أُتيح لنا أن نرى أشْخاصًا عاصروا زِلزالاً أو فيَضانًا أو صواعِق، أو فزعًا مِن حروب أهْلِيَّة لرأيْتَ العجب العُجاب، ماذا يقول الله عز وجل ؟ قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1)﴾

[سورة الحج]

لئلاً يُصيبكم الفَزع الأكبر، وهذا الهَوْل الكبير، لذلك علَّمنا الله تعالى أن نقول:

﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾

[سورة البقرة]

فالله تعالى يسوق أحيانًا مِن الشدائد ما لا يستطيع أحدٌ أن يصِفَهُ والرَّضيعُ على صَدْر الأم تُلقيهِ جانبًا وتنْجو بِنَفْسِها، قال تعالى:

﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)﴾

[سورة الحج]

أيها الأخوة الكرام، لو أنَّ الإنسان ارْتَكَب جريمة القتْل، وسيقَ إلى المحكمة، وأُجْرِيَ معه تَحقيق دقيق، واعْتَرَفَ بِجَريمتِهِ، وأصْدَرَ القاضي اسْتِئناف حُكْمًا بِإدانتِهِ، وحكمَ عليه بالإعْدام، ورُفِعَ الأمر إلى محكمة الأمر، ودُرِسَ الحكْم فصُدِّق، وكذا رُفِعَ الأمر إلى القصْر فصُدِّق، وسيق هذا المُجْرِمض لِيَلْقى جزاءَهُ، الآن وهو على عتبَةِ المَشْنَقة ؛ هل ينْفَعُه البُكاء أو الضَّحِك ؟! هل ينْفَعُهُ التَّوسُّل أو التَّجَشُّم ؟ نقول له: اِبْكِ أو اِضْحَك أو توسَّل، أو أيُّ شيءٍ تفْعلُهُ لا بدّ مِن تنْفيذ الحُكْم، رجل تركَ ثَرْوَةً تزيد على ثمان مئة مليون، مِن مَكْسَبٍ ليس حلالاً، وهو على فِراش الموت شعر بالخَطَر، وشَعَر أنَّهُ سيَلقى عذابًا أبَدِيًّا فطَلَبَ أحد العلماء، فجاءَهُ هذا العالِم، ولا أريد أن أُقيّم ما قالهُ له هذا العالم إلا أنَّهُ كان صريحًا معه، فقال هذا الذي على فراش الموت: ماذا أفْعَل ؟ فقال له: والله لو أنْفقْتَ الثماني مائة مليون لا تنْجو مِن عذاب الله

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)﴾

[سورة الحج]

لأنَّ كل هذه الثَّرْوَة بُنِيَت على إفساد الناس، وأخلاقهم وإشاعة المنكر.

أنا قصْدت مِن كلامي، إيَّاك أن تصِلَ مع الله إلى طريق مَسْدود، لي طالبٌ في الحادي عشر، قال لي: لي خال له دار سينما، وفي الثانية والأربعين أصابهُ سرطان بالدَّم، فقال لي: والله رأيْتُهُ يبكي كما تبكي الأطفال! فقال وهو في بُكائِهِ: جَمَّعْتُ هذه الثَّرْوَة – والقِصَّة سنة الخامسة والسِّتين – خمسة ملايين لأسْعَدَ به بقِيَّة حياتي، فلم يبْق لي بقِيَّة أسعَدُ بها، لذلك إيَّاك أن تصِلَ مع الله إلى طريق مَسْدود، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)﴾

[سورة الحج]

أي إن اتَّقَيْتُم نَجَوْتُم، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ(88)﴾

[سورة الأنبياء]

وهذا مهما كانت المصيبة كبيرة، قال تعالى:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ(87)﴾

[سورة الأنبياء]

قال تعالى:

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ(31)قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ(32)لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ(33)مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ(34)فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ(35)فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ(36)﴾

[سورة الذاريات]

معنى هذا، كلّ شيء مُسَوَّم، فالبلاء لا يعُمّ إلا بِحالة واحِدَة وهي إذا كان هؤلاء الذي لا يقترفون الإثْم راضون عمَّن يقْترفون الإثم، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ(117)﴾

[سورة هود]

لو أنهم صالحون لما أهْلكم الله، فهم ما أمروا بالمعروف وما نهوا عن المنكر فهذه الآية مُلَخَّصُها ؛ يا عبْد الله كُنْ يَقِظًا، وتُبْ إليه، وتوسَّل إليه ولا تصل مع الله إلى طريق مَسْدود، ولا إلى طريق يستحقّ به الإنسان الزلزلة من الله، فإذا كان خالق الكون يقول: إنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم ! فكم هي العظمة !! ومِن صُوَر هذا الزلزال ؛ يوم ترونها تذْهل كل مرضعة عما أرْضَعَت، فهذه السُّوَر مَشْهد مِن مشاهد عذاب الله في الدنيا قبل الآخرة، وقد قال الله تعالى:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(21)﴾

[سورة السجدة]

وهذا هو العذاب الأدنى، وانظروا ما يجري في العالم من زلازل، وحروب، وجراثيم ؛ فهذا مِن صُنع البشَر فكيف بالذي هو من صُنْع خالق البشَر ؟! هدف هذه الآية أن تأخذ حِذْرك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-9) : تفسير الآية 5

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فمَع الآية الخامسة من سورة الحج، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(5)﴾

[سورة الحج]

هذه الآية مُتَعَلِّقة بالإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالله عز وجل لا يُحَقِّق ثِماره إلا إذا اقْتَرَن معه الإيمان باليوم الآخر لأنَّك لن تُطيع الله عز وجل إلا إذا أيْقَنْتَ أنَّ الله تعالى مَوجود، ويعْلم، وسَيُحاسِب لذلك ربنا سبحانه وتعالى أشار في هذه الآية إلى الدليل العقلي على بعْث الخلائق يوم القيامة.

والعادة أنَّ الله سبحانه وتعالى إذا خاطَب عامَّة الناس خاطَبهم بِأُصول الدِّين، أما إذا خاطب المؤمنين خاطَبَهم بِفُروع الدِّين، وهذه طريقة في التَّرْبِيَة، فإيَّاك أن تُحاوِرَ إنسانًا يُنْكِرُ أصل الدِّين، وأن تقول له: هذا الخاتِم حرام ! أو هذه الصورة انْزَعْها مِن بيْتِكَ !! فهذا دليل عدم الحِكْمة في الدَّعوة إلى الله، فهذا الذي تُحاوِرُهُ يُنْكِرُ الدِّين كلَّه، فما الداعي لِقَوْلك له: هذه حرام، وهذه حلال ؟! إذا خاطَبْتَ إنسانًا بعيدًا عن الدِّين خاطِبْهُ بِأُصول الدِّين، بل إنَّ كلَّ الغَيْبِيَّات لا ينبغي أن تَجْعلها مدار بحْثٍ بينك وبينهُ ؛ لأنَّه كما تعلمون هناك إيمانٌ بالمَحسوس، وهناك يقين اسْتِدْلالي، وهناك يقين إخباري، أتمنَّى أنَّ كُلَّ مَن يُحاوِر رجلاً بعيدًا عن الدِّين أن لا يخوض معه أبدًا في اليقين الإخباري ؛ لأنَّهُ لو صدَّق الله تعالى لصدَّق خبرَهُ، فاليقين الإخباري أساسُهُ التَّصديق بأنَّ الله تعالى كلامه حقّ، فالعامَّة يُخاطَبون بِأُصول الدِّين مِن إيمانٍ بالله واليوم الآخر، والأدلَّة العَقْلِيَّة والفِطْرِيَّة والواقِعِيَّة فربُّنا عز وجل يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(5)﴾

[سورة الحج]

لواحِدِ مِنَّا يقف على الميزان فإذا بِوَزْنِه من السبعين إلى ثمانين، يوم وُلِدَ كان ثلاثة كيلو غرام، سبعة وسبعون كيلو مِن أين جاءَتْ ؟! مِن تُراب، فالذي تأكلهُ وتشْربُهُ أصْلُهُ مِن التُّراب، البيوت البلاستيكِيَّة مساحاتها نصف زُلُم، يُزْرع به خمسة غرامات بذور من البندورة وبعد خمسةٍ وثمانين ويمًا تجد مجموع خُضري في البيت وزْنُهُ بالأطنان !! فهذا النبات يتسلَّق ويسخن عودُهُ، ويصل إلى مِتْرين ونصف تقريبًا، لذا خمسة غرامات تُساوي خمسة أطْنان تقريبًا فَمِن أين جاء هذا النبات ؟! مِن التُّراب.

قال تعالى:

﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾

[سورة الحج]

هذه النُّطْفة لِوَحدها مِن آيات الله الدالة على عظَمَتِهِ، فباللّقاء الزَّوجي يُفْرِزُ الإنسان خمسمائة مليون حُوَين والبُوَيْضَة تحتاج إلى حُوَين واحِدٍ فأَقْوى هذه البُوَيْضات يدْخل إلى البُوَيضَة ويدْخُلها بِطَريقَةٍ عجيبة، مُزَوَّد بِمادَّة نبيلة، ومُغَلَّف بِغِشاء ما إن يتمزَّق الغِشاء، حتَّى تخرق هذه المادَّة جِدار البُوَيْضَة، وهذه البُوَيْضة تحمِل خمسة آلاف مليون معلومة مُبَرمَجَة، وهذا الحُوَيْن يحْمِل خمسة آلاف مليون معلومة مُبَرْمجة، ويتلقَّح هذا الحُوَين وتِلك البُوَيْضَة وينقسِمان إلى عشْرة آلاف قِسم، وهي في طريقِها مِن المبيض إلى الرَّحِم، وبعدها في تِسْعة أشْهر ترى طِفلاً يحوي دِماغًا وجمجمة وسمعا و بصرا و يأكل ويهضم..قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(5)﴾

[سورة الحج]

أن يثبت الحمل هذا بيد الله عز وجل قال تعالى:

﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾

[سورة الحج]

تسعة أشهر، وعندما تحين الولادة يتوسع حوض المرأة ميكانيكيا بفعل هرمون لا يُرى بالعين، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ(20)﴾

[سورة عبس]

و عضلة الرحم أقوى عضلة في الجنس البشري، ولو أن الطريق أمامها مفتوح لقذفت الوليد في الطلقة الواحدة إلى اثني عشر مترا، لكن هذا التقلص لطيف و متزامن و متقارب، فإذا خرج الطفل و خرجت المشيمة تقلص الرحم تقلصا كالصخر لرأب صدع الشرايين و قد قال العلماء: لو أن التقلصين انعكسا لمتت الأم ووليدها، لو كان التقلص شديدا و الطفل في الرحم لمات الطفل، ولو كان التقلص لطيفا بعد خروج الطفل لماتت الأم، لذلك طبيب الولادة أول ما يفعل أن يضع يده على الرحم فإذا كان كالصخر يقول: الولادة جيدة، أما إذا كان ليّنا معناه وجود نزيف يؤدي إلى الموت، قال تعالى:

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ(20)﴾

[سورة عبس]

فربنا الذي خلق هذا الخلق المبدع أيعجز أن يعيد الخلق مرة ثانية؟ هنا الدليل وهو عقلي، قال تعالى:

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾

[سورة الحج]

في الأربعين ثم قال :

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾

[سورة الحج]

ونعوذ بالله من أرذل العمر، ضعف الذاكرة , التدخل في شؤون الغير ثقل على أهله، يتمنى أقرب الناس إليه أن يخفف الله عنه، قال لي شخص: ربطنا الوالدة من يديها إلى رجليها لأنها لو أُطلِقت لأكلت من غائطها، و لخلعت ثيابها أمام الناس، هذا أرذل العمر، لكن أطمئنكم من تعلم القرآن متَّعه الله بعقله حتى يموت، لأن هناك قاعدة علمية العضو الذي يعمل لا يضمر، فكل إنسان يعمل بعقله لا يخرف هكذا صمم الله العقل، لي قريب أُصيب بضيق بشريين الدماغ فشُلَّت حركته، لفت نظر الطبيب أن من أنواع العلاج أن تحدثه و أن تسأله فإذا سألته فسيجيب ويصير هناك نشاط في دماغه، فكل إنسان يقرأ القرآن و يصلي و يحضر مجلس العلم يفكر في الكون و يطالع موضوع علمي هذا الله جل جلاله يمتعه بعقله حتى يموت قال تعالى:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾

[سورة الحج]

هناك علماء عاشوا أكثر من تسعين سنة و أكثر من مائة و ثلاثين سنة و كانوا يُسألون: ما هذه الصحة ؟ فيقولون يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقيا عاش قويا، فعين غضَّت عن محارم الله يحفظها الله حتى الموت، أذن لم تستمع إلى الغناء يحفظها الله لك، يدٌ ما بطشت بل خدمت الناس يحفظها لك و رجْل قادتك إلى المساجد يحفظها الله، وهذا دعاء النبي عليه الصلاة والسلام:

عن ابْنَ عُمَرَ قَالَ قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ:

((اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا))

[رواه الترمذي]

لا يوجد إنسان إلا و يتمنى بشكل لا حدود له أن يمتعه الله بصحته، والصحة ثمنها الطاعة، قال تعالى:

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5)﴾

[سورة الحج]

أنظر إلى البساتين في الشتاء ثم انظر إليها في الربيع شيء لا يُصدق الأشجار ترتدي ثوبا أبيض و الأرض خضراء و الأزهار، أين كان كل هذا الجمال في الشتاء؟ الذي أحياها يحي الموتى، فالإيمان باليوم الأخر أساسي من أجل طاعة الله عز وجل لأنك إذا أيقنت أن الله موجود ويعلم وسيحاسب في اليوم الآخر و أسماء الله كلها محققة في الدنيا، أما اسم العدل فإنه يحقق يوم القيامة، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾

[سورة الروم]

فلذلك المؤمن يعِد لهذا اليوم عدَّته و يضبط لسانه و جوارحه و يحرر دخله و يقيم الإسلام في بيته و في عمله من أجل أن يصل إلى اليوم الآخر سليما معافى، و المؤمن يهديه الله سبل السلام، قال عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ))

[رواه الترمذي]

وإنك تبيع دينك ببعض الليرات، أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين ؟ عبدي كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك.

أيها الأخوة الأكارم، طريق السلامة في طاعة الله و طريق السعادة في طاعة الله و طريق النجاح في الأعمال في طاعة الله، طريق السمعة الطيبة في طاعة الله، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ))

[رواه ابن ماجه]

فمهما أردت أن تحصي الخيرات التي تأتي من طاعتك لله لن تستطيع إحصاءها.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-9) : تفسير الآية 11

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، الآية الحادِيَة عشرة من سورة الحج يصِفُ الله فيها نموذَجًا مُتَكَرِّرًا تَجِدُهُ في كلّ زمانٍ ومكان، وهذا النَّموذج هو الإنسان الذي لا يُقْبِلُ على الدِّين إلا مِن أجل مكاسِب مادِّيَّة، فإذا انْقَطَعتْ هذه المكاسِب أدار ظَهْره للدِّين، وهذا النَّموذَج خطير، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)﴾

[سورة الحج]

مِنْ للتَّبعيض أي بعْض وما الذي يُقابِل الحرف ؟ الأعماق، مؤمنٌ في الأعماق، ومؤمن على حرف، ومؤمن على شاطىء البحر، فلو جاءت مَوْجةٌ عاتِيَة لجرَّتْهُ إلى البحْر، ومؤمن في رأس جبل مهما طغى الموْج هو في الأعماق وفي المرتفعات، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾

[سورة الحج]

ما دام الصِّحة طيِّبة، والمال وفير، والأمور منتظمَة، فأعظم شيء الإسلام، مَدْحُهُ للدِّين مَبنِيٌّ على المصالِح، هل سَمِعْتُم برَبِّكم إنسانًا يمتَحِنُ مركبَةً في النزول ؟ كلّ المركبات في النزول تنطلق سريعةً لكنّ المركبات تُمْتَحَنُ في الصُّعود، يُمْتَحَنُ قوَّة محرِّكها، وتجاوُبها مع سائِقها، هذا يُمْتَحَنُ في الصُّعود، لذلك إذا توهَّم أحدكم، وأنا معكم أنَّه يمكن لِمُؤمنٍ أن يعيش عُمُرَهُ كلَّهُ مِن دون امْتِحانٍ فَهُوَ واهِم، قال تعالى:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة العنكبوت]

هل هناك جامعة في الأرض تمنح أعلى شهادة على طلب يقدمه الطالب يرجى منحي شهادة الدكتوراه بلا امتحان ! قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة العنكبوت]

صحابة النبي عليه الصلاة والسلام ومعهم رسول الله يوم حنين الله قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(25)﴾

[سورة التوبة]

صحابة رسول الله في معركة الخندق قال تعالى:

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ(61)﴾

[سورة المائدة]

و قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا(12)﴾

[سورة الأحزاب]

قال أحدهم: أيعدنا صاحبكم . ما قال رسول الله . **أن تفتح..حاجته**" قال تعالى:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا(11)﴾

[سورة الأحزاب]

و قال تعالى:

﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(23)﴾

[سورة الأحزاب]

فإذا كان أصحاب رسول الله برفعة منزلتهم وشدة إخلاصهم و فيهم رسول الله وخضعوا للامتحان و الله نصرهم و أعزهم، ففي حنين لم يبق أحد مع رسول الله قال رجل للبَرَاءِ ابْنِ عَازِبٍ رَضِي اللَّه عَنْه:

((أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَالَ لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَفِرَّ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبْ * أنا النبي لا كـــذب أنا ابن عبد المـــطلب))

[رواه البخاري]

و مع ذلك الامتحان قائم فهل يعقل أن يُختفَى بنا لنصلي، لا بد من أن تمتحن، فالإنسان يمتحن في صحته و في ماله وفي زوجته وفي غلق الطرق عليه، يفتح بابا حرام ؟ لا، تجوع الحرة و لا تأكل بثدييها لذلك ما ترك العبد شيئا لله إلا عوَّضه الله خيرا منه في دينه و دنياه ومن ابتغى أمرا بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى، فهذا النموذج المتكرر، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ﴾

[سورة الحج]

رجل له والدة خدمها اثنتي عشرة سنة، ثم ضاق بها ذرعا فرفع صوته عليها، فقال لها: أنا لستُ ابنك الوحيد اذهبي إلى فلان أخي فبكت و استدعت أخاه وقالت له: خذني لعندك، وبعد يومين توفاها الله، فهدم عمل اثني عشرة سنة، و أعرف رجلا يرعى أرملة في غرفة في المسجد ثلاثين عاما، وكان ساكنا في المهاجرين ثم انتقل إلى المزة، وعمره سبعين سنة، يوميا يتوجه من المزة إلى المهاجرين ليرعى هذه المرأة العاجزة، أهله أقاموا عليه النكير و طلبوا منه التوقف عن ذلك فأبى وقال: هذا عمل أكرمني الله به، فلما رأوا إصراره و ثباته على رعايتها و أشفقوا عليه قالوا له: ائت بها إلينا، فجاءوا بها إلى البيت بعد يومين توفاها الله، كسب ثلا ثين سنة من عمل خالص، فنحن جميعا نخضع للامتحان، و البطولة أن تقول: إلهي أنت مقصودي و رضاك مطلوبي .

الحقيقة كلنا في الرخاء و البحبوحة و الصحة ليس هناك مشكلة، أنا أريد أن أعرف الإنسان ماذا يقول إذا ابتلاه الله ببلاء قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ(155)الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(156)أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ(157)﴾

[سورة البقرة]

هذه للمؤمنين بدليل أن الله قال قبلها:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِي(152)﴾

[سورة البقرة]

فلذلك دققوا ؛ إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن شكر اقتناه و إذا أحب الله عبده عجَّل له بالعقوبة، جعل حوائج الناس إليه، و إن الله ليحمي صفيه من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام، و إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي الراعي الشفيق غنمه منم مراتع الهلاك، فلا بد من أن نمتحن، سُئل الإمام الشافعي:أندعوا الله بالإبتلاء أم بالتمكين ؟ قال: لن تُمكَّنوا حتى تُبتَلَوا، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ(24)﴾

[سورة السجدة]

﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(124)﴾

(سورة البقرة)

و إذا كان من الممكن أن ينجو إنسان واحد من الامتحان لنجا رسول الله عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ))

[رواه الترمذي]

و ابتلاه الله بالطائف، وابتلاه بالقهر و بالتكذيب والسخرية و الضرب، ثم ابتلاه بالنصر في مكة، حينما دخل مكة كادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بعيره تواضعا لله عز وجل، على خلاف كل القادة الفاتحين في العالم، كلهم تأخذهم نشوة النصر فيتعجرفون و يتغطرسون لكن النبي دخل مكة متواضعا فلما قيل له: ما أنت فاعل بنا ؟ قالوا أخ كريم و ابن أخ كريم،فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، أما في الطائف قال: **اللهم أشكو إليك ضعف قوتي و قلة حيلتي و هواني على الناس يا رب إلى من تكلني ؟ إلى عدوٍّ يتجهمني إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي ولك العتبى حتى ترضى لكن عافيتك أوسع،** ثم امتحنه بالهجرة، فتبعه سراقة وامتحنه في حنين، فالنبي امتحن، كان إذا دخل بيته يقول عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ:

((قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ يَا عَائِشَةُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ قَالَ فَإِنِّي صَائِمٌ قَالَتْ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُهْدِيَتْ لَنَا هَدِيَّةٌ أَوْ جَاءَنَا زَوْرٌ قَالَتْ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُهْدِيَتْ لَنَا هَدِيَّةٌ أَوْ جَاءَنَا زَوْرٌ وَقَدْ خَبَأْتُ لَكَ شَيْئًا قَالَ مَا هُوَ قُلْتُ حَيْسٌ قَالَ هَاتِيهِ فَجِئْتُ بِهِ فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ قَدْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ صَائِمًا))

[رواه مسلم]

هل هناك بيت من إخواننا الحاضرين ليس فيه زيتونة واحدة ؟ و قطعة خبز ؟ امتحن بموت الولد، لما مات ولده إبراهيم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ:

((دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ))

[رواه البخاري]

وامتُحن بموت الزوجة، فلما فتح مكة قال: انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة، وفاء لها، نام ليلة إلى جوار قبر خديجة عليه الصلاة والسلام امتُحِن بقول الناس عن زوجته عائشة حين رموها بالفاحشة، من يحتملها منكم؟ حديث الإفك .

قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة السجدة]

و قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ(30)﴾

[سورة المؤمنون]

و قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ(2)﴾

[سورة الملك]

آية اليوم هي قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11) ﴾

[سورة الحج]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-9) : تفسير الآية 15

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، الآية الخامسة عشْرة من سورة الحج، وهي قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (15) ﴾

[سورة الحج]

لهذه الآية معاني عِدَّة وَرَدَتْ في التفاسير.

المعنى الأوّل أنَّ هذا الذي يسْلُكُ أيَّ طريقٍ فَيَرَاهُ مسدُودًا، ويتحرَّك في أيّ اتّجاه فيرى عقبةً، ويتَّجِهُ نحو اليمين فلا يُفلح، وكذا مِن جِهَة اليسار، يُسافر فلا ينْجح، ويُقيم فلا يرْتَزِق، ويتزوَّج فَيُطَلِّق، ويعْمل فيُسَرَّح، مَن كان يظنّ أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة.

وردَ في بعض التفاسير، وليس كلّ ما في التفاسير صحيحًا، فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إلى السماء ؛ لِيُعَلِّق حبلاً في سَقف البيت، ولْيَضَعْهُ على رقبتِهِ فهذا بعض ما ورد في أحد التفاسير، ولكنّ هذا المعنى يُمكن أن يُحسَّن فاليائس من رحمة الله، والقانِط من رحمة الله موْتُهُ كَحَياتِهِ.

وورَدَ معنى آخر لهذه الآية، وهو أنَّ هذا الذي يتمنَّى أن لا ينْصر الله نبيَّهُ محمَّد صلى الله عليه وسلم، ويتمنَّى أن يبقى الباطل مُنْتشِرًا ويغيضُهُ أن يبقى الهدى وينتشِر، ويغيضُهُ أن ينتصر النبي عليه الصلاة والسلام على خُصومه، ويغيضُهُ أن يعمَّ الهُدى الخلائق، من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة، فلْينتقل إلى السماء لِيَقْطع الوَحي عنه إن استطاع، ولينتقل إلى السماء لِيَمْنَعَ نصْر الله عنه فالحق سيَنْتَصِر رغم أنف الكفار، والحق لا بدّ من أن ينتصِر، والحق أبْلج، وراسِخ، والباطل له جَوْلةٌ ثمَّ يضْمَحِلّ؛ هذا المعنى الثاني.

المعنى الثالث ؛ مَن توهَّم أنَّ الله لن ينصُرَهُ، ولن يُوَفِّقَهُ في عملِهِ ولن يشْفِيَهُ في مرضِهِ، ولن يسْمَحَ له أن يسْعَدَ في الدنيا، ولن يُعْطِيَهُ المال الوفير، ولن يرْزُقَهُ زوْجةً صالِحَة، ولن يُوَفِّرَ له المسْكن والمأوى ومن كان يظنّ أنَّ الله ضِدُّهُ، وأنَّ الأقْدار تسْخر منه، وأنَّه غير مُوَفَّق في حياتِهِ، والأسباب كلّها مُقَطَّعة، والعقبات كلُّها كَأْدَاء، كلّ هذا وَهمٌ في وَهْم، وهو ليس إلا في ذِهْن الواهِم، فالخلق كلُّهم عِيال الله، **يا سَعْدُ لا يغرنَّك أنَّه قد قيل خال رسول الله فالخلق كلُّهم عند الله تعالى سواسِيَّة، وليس بينهم قرابَة إلا طاعتهم له**، فإذا اعْتَقَدْتَ أنَّ

الله كتبَ عليك الشَّقاء قبل أن تُخْلق، ولا سبيل إلى تغيير هذه الكتابة، وأنَّه بلا سبب منك، ولا حيلة ولا ذنبٍ، ولا تبَعِيَّةٍ، كتَبَ عليك الشَّقاء، قال: هذا وَهْمٌ كبير، من كان يظنّ أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فهناك سبيل لِتَغَيُّر الوَضْع، قال تعالى:

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (15) ﴾

[سورة الحج]

ولْيَقْطَع كلّ مَعْصِيَة ثمَّ لِيَنْظُر كيف أنَّ الله تعالى يُوَفِّقُهُ ؟ وكيف أنَّ الله يرْزُقُه ؟ وكيف أنَّ الله يُسْعِدُهُ ؟وكيف أنَّ الله تعالى يرْفَعُ مكانته ؟ هذا هو المعنى الثالث يُعطي الإنسان دَفقٌ كبير، أيْ يا عبْدي إذا ظَنَنْتَ أنِّي لن أوفِّقُكَ، ولن أُعْطِيَكَ ولن أسْعِدَك ولن أُوَفِّقَ لك حاجاتِكَ الأساسيَّة وإذا ظَنَنْتَ أنِّي ضِدَّك وأنَّني لن أُسْعِدَكَ فأنت واهِم وأنت مُتَلَبِّسٌ في المعاصي كثير، أولاً اسْتَقِم على أمْر الله تمامًا، واقْطَع كلَّ معْصِيَة واعْمَل عملاً صالحًا خالصًا لِوَجْه الله تعالى، ثمَّ انْظُر كيف الأمور تتغيَّر، الأمور تتبدَّل، هذا الوَهْم في عقْلِكَ وَحْدهُ، فالعِباد كلُّهم سَواسِيَّة عند الله، فيا أيُّها الأخوة الكرام، كلّ إنسان عنده يأسٌ وقُنوط وتساؤُل أو شُعور أنَّ الله لا يُحِبُّه، وأنَّه لن يُوَفِّقه، وأنّ الله حرمَهُ ولم يُعْطِهِ شيئًا لذلك كلمة الحظّ قليل كلامٌ لا معنى له ! إذا كان الأمر كذلك فهذا دليل المعْصِيَة يَسُبُّني ابن آدم وما كان له أن يسبَّني، ويسبُّني إذْ يسبُّ الدَّهر وأنا الدَّهْر، فلا تقل: فلان يدهُ طولى، وذاك يدُهُ خضْراء، وفلان أموره تجري على ما يريد، فالله عز وجل وضَعَ للتَّوفيق قانون، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(6)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(7)وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)﴾

[سورة الليل]

قانون التيْسير والتَّعسير، سؤال دقيق وحرِج: هل مِن مصلحة أن يُعَذِّب الله العِباد، زارني رجل في المسجد قبل خمسة عشر عاما قال لي: أنا مصاب بمرض عضال وهو الصرع قال لي: أنا مهندس معي شهادة من دولة أوروبية ورئيس قسم بمعمل، و أثناء عملي و أنا وراء طاولتي أُصاب بهذا الصرع أمام العمال و مرة في الطريق وأمام السيارات العامة، فقال لي: هل هناك حل ؟ قلت: عند الأطباء، قال أريد حلا دينيا فقلت: أنا أؤمن أن الله سبحانه و تعالى لا يمكن أن يعذب مخلوقا بلا حكمة، لأن الله غني عن تعذيب عباده، قال: ماذا أفعل، قلت: استقم على أمر الله قال: مثل ماذا ؟ فذَكَرتُ له غضَّ البصَر، وتحرير الدَّخل، وإقامة الإسلام في البيت، وعدم الاخْتِلاط وعدم سماع الغناء، فما رأيْتُ إنسانًا أشَدَّ رغْبةً في طاعة الله مِن هذا الإنسان ! أخْرَجَ ورقَةً وبدأ يكْتُب، وقال لي: إذا طبَّقْتُ هذه البُنود هل أُشْفى مِن هذا المرض ؟ فأجبْتُ وقلتُ له: نعم، تُشْفى ! كان درسُنا الأحد، وجاء بالدَّرس الثاني مُشْرق الوَجه: وقال لي هذا أوَّل أسبوع في تَطبيق

أمْر الله تعالى، ولم أُصاب بِشَيء، وأذْكر أنَّه جاء سبْعة أسابيع، وهو يُطَمئِنُني، وفي الأسبوع الثامِن غابَ ! فقلْتُ في نفسي: لعلَّه عادَت به هذه النَّوْبة، فجاء بعد أسبوعَين وقال لي: والله لقد عادَت، ولكن لا تقْلق على مبدئِكَ فقد ارْتَكَبْتُ معْصِيَة، فقد زرْتُ صديقًا مُتفلِّتًا زُرْتُهُ وجلسْتُ مع أهلِهِ، وتضاحكنا وتمازَحنا، وتغامَزْنا ولمَّا خرجْتُ من المنزل جاءتني نَوْبتي هذه !! قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

فهل لله تعالى مَصْلَحَة ؟ الله عز وجل غَنِيٌّ عن تعذيب عِبادِهِ، والله تعالى ليس ضِدَّك ولا يكْرَهُكَ، بل يكْرهُ عَمَلَك، وإذا رجَعَ العبْد العاصي إلى الله تعالى نادى مُنادي في السماوات والأرض أن هنؤا فلانًا فقد اصْطَلَحَ مع الله تعالى، فَمَن كان يظنّ أنْ لن ينصُرَهُ الله في الدنيا والآخرة، فإمَّا أن يشنق حاله، والمعنى الثاني أنَّه لن يستطيع مَنْعَ الهُدى عن البشَرِيَّة، ولن يستطيعَ إيقاف الوحي عن رسول الله ولن يستطيع منْع الحق، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ(36)﴾

[سورة الأنفال]

والمعنى الثالث أنَّك إن توهَّمْتَ أنَّ الله تعالى لن يرْحمَك، ولم ينْصُرَكَ وحرَمَك كُلّ شيء، وأبواب السماء مُغْلقة، والناس ممنوعون أن يُساعِدوك ؛ إذا توَهَّمْتَ هذا فعليْكَ بِهذه الوَصْفة ؛ قال تعالى:

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (15) ﴾

[سورة الحج]

كي ينصُره الله، ويرزُقَهُ، وبِسَبب كي يُغنيه تعالى بِرَحْمَتِهِ، ثمَّ ليَقْطَع كلَّ مُخالفة، ثمَّ ليَنْظر هل يُذْهِبَنَّ كيْدُهُ ما يغيض ؟ لذلك مُعاملة التائب الصادِق أن يقول لك: تغيَّرَتْ مُعامَلة الله معي، المشكلة الخطيرة يقول أحد الناس: الله لا يوفقني، ابحث عن المعاصي، والأمن الجنائي عندهم قاعدة كلما وجدوا جريمة: ابحث عن المرأة، أنا أقول لك كلما واجهت مشكلة وجاءت الأمور على خلاف ما تريد و ضاقت بك الدنيا فتِّش عن المعصية لأنه ما من مشكلة ولا مصيبة على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل بأمر الله و الجهل أعدى أعداء الإنسان، و يفعل الجاهل في نفسه ما لا يفعل العدو بعدوه، فلذلك ؛ هذه الآية ؛ المعنى الأول ورد وهناك وجهة نظر وهي أن اليائس من رحمة الله القانط منه هذا حياته كموته ولا جدوى من حياته و المعنى الثاني هو أنه لن تستطيع قوى الأرض أن تمنع وحي السماء و لا أن تمنع نصر الله لعباده للمؤمنين ولن تستطيع أن تمنع الهدى أن ينتشر وهذا الدين هو لله

وكلما ضغطت عليه كلنا زاد تألقا و كلما وضعت العقبات أمامه ازداد قوة كمن يطفئ النار بالزيت فيزيدها اشتعالا، و المعنى الثالث لا سمح الله إذا كنت يائسا وموهوما أن الله لن ينصرك ولن يرزقك و لن يسعدك هذا هو العلاج قال تعالى:

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (15) ﴾

[سورة الحج]

ثم ليقطع كل معصية فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ.

من سابع المستحيلات أن تستقيم على أمر الله ولا تجد من الله معاملة جديدة و لا تسعد في الدنيا ولا تبقى محروما، فالله غني عن تعذيب العباد و أوضح آية قال تعالى:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

قال تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾

[سورة الأنعام]

لا يوجد واحد من الحاضرين إلا ويتمنَّى السلامة والسَّعادة والرِّزْق وزواج سعيد، وأولاد أبرار، ومكانة راقِيَة، فهذه كلّها في طاعة الله وحينما ترى الأمور على خِلاف ما تُحِبّ فَفَتِّش عن المعْصِيَة، هل هناك مخالفات من حرام، وإطلاق بصر، وكذب وغِشّ، وتدليس فقد يغشّ الإنسان الناس في البيْع والشِّراء، يسرِق المبالغ ثمّ تدفعها دُفعَةً واحِدَة، فكلَّما وَجَدْت نفسَك مُتضايِق من قَضِيَّة فَتِّش عن المعْصِيَة لذلك أخطر شيء فليس الدِّين أن تعرف الحلال والحرام، ومنهَج اللهَ كَيف تُصَدِّقه إن لم تعرف منهَجَه ؟ وكيف تعْرف منهَجَهُ ؟ فلا بدّ مِن أن تأتِيَ بيوت الله، كي لا تتيهَ، ولذلك طلب العلم فريضة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-9) : تفسير الآيات 38- 40

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما ، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه ، وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه ، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين .

تفسير قوله تعالى : إن الله يدافع عن الذين .....

أيُّها الأخوة الكرام ؛ الآية الكريمة وهي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾

[سورة الحج الآية : 38]

لو أنَّ الإنسان اسْتعرض الآيات التي وعَدَ الله بها المؤمنين ، فالله تعالى يُدافع عن الذين آمنوا ، والله سبحانه وتعالى لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً ، والله سبحانه وتعالى ينْصُر المؤمنين ، لو أنَّ الإنسان اسْتَعرض الآيات التي تتحدَّث عن وَعْد الله للمؤمنين في الدنيا مِن التَّوفيق ، والنَّصْر والتأييد ، والحفظ ، ثمَّ لا يَجِدُ هذه الوُعود مُحَقَّقة ماذا يفْعل ، وكيف يُفَسِّر ذلك ؟ الله سبحانه وتعالى لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ قال تعالى :

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

[سورة النساء الآية :87]

وزوال الكون أهون على الله مِن أن لا يُحَقِّقَ وَعْدَهُ ، وإذا رأيْتَ وُعود الله عز وجل للمؤمنين ليسَتْ كما عليه ، قال تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[سورة النور الآية : 55]

أين الاسْتِخلاف ؟ وأين التَّمكين ؟ وأين التَّطْمين ؟ وقال تعالى :

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

[سورة النساء الآية : 141]

لهم علينا ألف سبيل وسبيل وقال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

[سورة محمد الآية : 7]

إذا رأينا وُعود الله تعالى التي في القرآن الكريم لم تُحَقَّق ، فكيف نُفَسِّر ذلك ؟! هناك تفْسير واحِد وهو أنَّنا لسْنا في المستوى الذي وُصِفنا به ولسْنا من الإيمان بالمكان الذي نسْتَحِقُّ وَعْد الله عز وجل ، ماذا نعْمَل ؟ نُصْلِحُ نُفوسَنا ، قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾

[سورة الحج الآية : 38]

فالمؤمن الصادِق والمُخْلِص يُيَسِّر له الله أشْخاصًا أقْوِياء يُدافعون عنه وكأنَّ هؤلاء مَدْفوعون مِن قِبَل الله عز وجل كي ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حينما دعى الله عز وجل قال كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ فَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ ثُمَّ لِيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ لِيُثْنِ عَلَى اللَّهِ وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لِيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لَا تَدَعْ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ))

[رواه الترمذي]

لذلك أيها الأخوة الكرام ؛ أيَّةُ آيةٍ في كتاب الله تعالى فيها وعدٌ للمؤمنين بوَعدٍ أو حِفْظٍ أو تَمْكينٍ أو تَطمين إنْ لم تروا أنَّها مُحَقَّقة ينبغي أن نتَّهِمَ أنفسنا ، ومن أصْدَق من الله حديثًا .

الآية التي بعدها ، آية دقيقة جدًا ، قبل أن أشْرحها أُقَدِّم لها بهذا التَّقديم النبي عليه الصلاة والسلام يقول : اللَّهم أرِنا نِعَمَك بِكَثْرَتِها لا بِزَوالها فلا بدَّ مِن أن ترى النِّعَم ؛ هناك طريقان ؛ يُمْكن أن تكون هذه النِّعَم مُتوافِرَة بين يَدَيْك ، وأنت بِجُهْدٍ فِكري تنظر إلى هذه النِّعَم ، فتشكر الله عليها ، ويمكن أن تفْقِدها لا سَمَح الله تعالى ، فتَعْرِف قيمتها .

فَمِن نِعَم الله التي لا تُحْصى ؛ هذا التوازن بين القِوى الذي جَعَله الله رحْمة للضُّعفاء ، قال تعالى :

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج الآية : 40]

توازن القِوَى لِصالِحِ المؤمنين ، وهذه النِّعْمة العظمى التي كانت بالعالم وكان الضِّعاف يأخذون من الفريقين ما يشاءون حينما أصْبَحَت القوَّة في بيئةٍ واحِدَة رأيْتَ الفرق الواضِح جدًا بين توازن القِوى ، وبين انْفِرادها وتلك النِّعمة مَذْكورة لذلك فُقِدَت ، وصارَتْ قُوَّة في الأرض غاشِمة ، ومُنْحازَةٌ انْحِيازًا أعمى ، وهذا ما كان لِيَكون يوم كان توازن للقِوى قال تعالى :

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج الآية : 40]

لذلك هذا درس ؛ النِّعمة التي أنت فيها ينبغي أن تشْكُرَها ، وإلا سوف تعرِفُها بِفقْدِها ؛ نِعْمة الصِّحة ، ونِعْمة المال والفراغ والأمْن ، هذه النِّعَم التي تنْعُم بها ، حينما لا تُفَكِّر فيها ، ولا تشْكر المولى عز وجل ربَّما أدْرَكَها الإنسان وعرفها حين فقْدِها ، فالإنسان العاقل والمُوَفَّق الذي يسأل الله شُكره تعالى عليها مع وَفْرَتِها لا مع زوالها ، ولكن يقول الله عز وجل :

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج الآية : 40]

إذا أردْتَ نصْر الله عز وجل المطلق ومِن أمْتَع المشاعر التي يشْعر بها الإنسان حينما ينْصره الله عز وجل ، هذا النَّصْر يتنافس في البيع والشِّراء ، وأحيانًا ينتصِر على من في البيت ، وحتَّى على جرثوم دخل إلى جسْمِهِ ، هذا النَّصْر بِمُطْلَقِهِ أليْسَ له قانون ؟! قال تعالى :

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج الآية : 40]

هل الله تعالى بِحاجة إلى أن ننْصُرَهُ ؟ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ :

((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))

[رواه مسلم]

قال العلماء : المضاف محذوف ، نحن علينا أن ننصر دين الله حينما تؤدِّي الصلوات الخمْس ولا تأخذك في الله لَومة لائِم ؛ هذا نصْر لِدِين الله تعالى ، وحينما تُقيم الشَّرع في عَمَلِكَ فهذا نصْر لِدِين الله تعالى ، نحن عندنا وقائِع وعندنا شرائِع فالوقائِع ربَّما لو أعْلَنْتَ عن بِضاعَتِك في أجْهزة الإعلام عن طريق نِساءٍ كاسِيات عارِيات ربَّما كان هذا هو المانِع ، أما لو خِفْت الله ولم تفْعَل هذا فأيَّةُ طاعةٍ لله هي في حقيقتِها نصْرٌ لِدين الله ، لأنَّك إذا أنت أطَعْتَ الله وفلانٌ أطاع ، فالحق يتنامى ، وينْكَمِش الباطل ، وبه تكون قد نصرْت دين الله، أما إذا كان الكلّ يأكل الرِّبا ، فإذا خالف أحدهم اتُّهِمَ ! وكذا المصافحة والاخْتِلاط، فهذه الآية دقيقة جدًّا:

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج الآية : 40]

ونصر الله هو نصْرُ دينِهِ ، وتطبيق أيُّ حكمٍ شرعي هو في الحقيقة نصْر لِدِين الله تعالى ، وبه تتَّسِعُ دوائر الحق ، وتضيق دوائر الباطل ، فإذا كان بالحي بنايات كبيرة جدًا أمام مسْجِدٍ ، ثمَّ في الصُّبْح لا تجِد إلا سبعة من المُصَلِّين ! أين قوله صلى الله عليه وسلَّم :

((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ))

[رواه مسلم]

وإذا رأيْتَ جماعة كبيرة كلُّهم بالسيارات يوم الجمعة يمْشون وتاركين لِصَلاة الجمعة ، أين نصْر دين الله ؟!

قال تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[سورة الجمعة الآية : 9]

فالذي يَحْصَل أنَّ أمْر الله هان على الناس ، فهانوا هُمْ على الله تعالى ! قال تعالى :

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج الآية : 40]

فأنت أقِمِ الشَّرع ومعنى ذلك أنَّك نصَرْتَ لِدِين الله تعالى ، وحينما تنتصِرُ لِدِين الله ينْصُرُكَ الله مطلقًا وأنت لك باليوم مئات المعارك ؛ تِجارتُكَ معركة ، وبيعُكَ وشِراؤُكَ معركة ، وتزْويج البنات معركة ، فالحياة مُعَقَّدة جدًّا ، قال تعالى :

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[سورة الحج الآية : 40]

كلّ من أطاع الله يكون قد ساهَمَ في نشْر الحق ، ونصْر دِين الله تعالى ، وكثَّر سواد المسلمين .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-9) : تفسير الآية 27

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فالآية السابعة و العشرون من سورة الحج وهي قوله تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)﴾

[سورة الحج]

أي يأتون راجلين أو ممتطين ركابهم.

قد يقول الإنسان لِمَ لم يقل الله عز وجل " فج بعيد" ؟ نحن نظن أن الآية تشير إلى بعد المكان، فلمْ يقل الله عز وجل "**فج بعيد** " العلماء يقولون: إن الأرض كرة و أنت إذا ابتعدت عن إحدى نقاط الأرض ينشأ بعدٌ ثالث هو العمق، فكلما ازداد العمق ازداد البعد، و العمق يشير إلى أن الأرض كرة، قد تكون مكة هنا و دلهي هنا، فالطريق من هنا، وهذا العمق هو إشارة علمية سمَّاها العلماء " السبق العلمي " هناك في القرآن الكريم إشارات علمية دقيقة جدا، مثلا، المعركة التي جرت بين الفرس و الروم والتي تحدث عنها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿غُلِبَتْ الرُّومُ(2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ﴾

[سورة الروم]

و المعركة جرت في غور فلسطين ولم يكن أحد يعرف قبل ذلك أن غور فلسطين أعمق نقطة في الأرض و في اليابسة، و أعمق نقطة في البحر في المحيط الهادي في خليج مريانا عمقها اثنا عشر ألف متر، بينما أعمق نقطة في البر هي غور فلسطين، ولم يكن وقتها أشعة ليزر تقاس بها الأعماق و الارتفاعات و الأبعاد، الآن بأشعة الليزر يقيسون المسافة بين الأرض و القمر على مستوى المليمتر، قال تعالى:

﴿غُلِبَتْ الرُّومُ(2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ﴾

(سورة الروم)

أي في أخفض نقطة في الأرض، هذا سبق علمي لم يكن يعلم أحد من قبل أن الجنين ذكرا كان أو أنثى هو من النطفة لا من البويضة، قال تعالى:

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى(45)مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى(46)﴾

[سورة النجم]

لم يكن يعلم أحد في عهد رسول الله أنَّ كل كوكب في الكون يتحرك، قال تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ(11)﴾

[سورة الطارق]

الصفة الأساسية الثابتة في السماء أن كل كوكب فيها يدور حول كوكب آخر في مسار مغلَق، لذلك كل كوكب سيرجع إلى مكان انطلاقه، قال تعالى:

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ(12) ﴾

[سورة الطارق]

لأرض تنصدع عن النبات و السماء من خصائصها أن كل كوكب فيها ينطلق و يعود إلى مكان انطلاقه، هذه الإشارات العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ الْأَرْضَ كِفَاتًا(25)﴾

[سورة المرسلات]

الجاذبية، فكل شيء على الأرض لو تركته يسقط، ولماذا يسقط؟ بفعل الجاذبية، أما لو خرج رواد الفضاء من الأرض إلى القمر ووصلوا بين الكوكبين إلى منطقة انعدام الجاذبية التي الأشياء فيها لا وزن لها، بإمكان الإنسان أن يسبح في جو المركبة في الوسط و بإمكانه إذا خرج من المركبة أن يبقى معلقا في الفضاء، منطقة انعدام الوزن، الله جل جلاله أشار بقوله:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ الْأَرْضَ كِفَاتًا(25)أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا(26)﴾

[سورة المرسلات]

فكل شيء في الأرض ينجذب إلى مركزها هذه هي الجاذبية، و التجاذب الحركي عبَّر عنه الله عز وجل بقوله:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ(7)إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ(8)يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ(9)﴾

[سورة الذاريات]

حبَّذا لو جُمعت هذه الإشارات العلمية التي سماها بعض العلماء " **السبق العلمي** " والتي تؤكد أن هذا الكلام هو كلام الله، قال تعالى:

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾

[سورة النحل]

إلى هذا الحد هذا الكلام يمكن أن يقوله محمد عليه الصلاة و السلام، الخيل موجودة و البغال و الحمير لتركبوها و زينة، أما إذا ركب الإنسان سيارة فخمة أين هي في القرآن ؟ قال تعالى:

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(8)﴾

[سورة النحل]

كلام خالق الكون، هذا سبق علمي، الله تعالى قال:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ(80)﴾

[سورة يس]

و الذي يحيّر العقول أن الشجر الأخضر يحترق، لا يحترق، أنا كنت أتمنى أن تكون الآية " الذي جعل لكم من الشجر اليابس لكن قال تعالى:

﴿مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾

قال العلماء هذه آية البترول لأن كلمة " **أخضر**" تشير إلى مادة اليخضور التي في الورقة، و الورقة هي أعظم معمل حتى الآن في الكون، قرأتُ كلمة عن الورقة الخضراء: إن أعظم معمل صنعه الإنسان لا يرقى إلى مستوى الورقة الخضراء، تأخذ ثمانية عشر معدنا مذابا في الماء من التربة و يصعد هذا الماء المذاب فيه المعادن بأوعية في الشجرة مدعَّمة بحلزون ليفي، حتى إذا نمت عرضا لا تضيق لمعة هذا الحلزون، فمن سمح للمعادن أن تذوب في الماء عن طريق الأملاح ؟ الله جل جلاله، يصعد هذا الماء إلى الورقة و الورقة تأخذ من أشعة الشمس الطاقة "البوتون" و الورقة دائما في اتجاه الشمس، ومن طباعها أنها في اتجاه الشمس و تأخذ البوتون و تأخذ الآزوت من الهواء و تأخذ النصغ الصاعد وتصنع منه مادة اسمها "النصغ النازل " و المادة الواحدة تشكل الأوراق الجديدة و الأغصان الجديدة و ينمو بها الجذع وتنمو بها الجذور و تنمو بها الأزهار وتنمو بها الصماغ، هل هناك في الأرض سائل ينحقن ويصير حديدا ؟ أو خشبا ؟ هذا مستحيل، هذه الورقة الخضراء لولاها لما كان النبات، ونظرية البترول أن هناك عصور هطلت فيها أمطار غزيرة نبتت نباتات عملاقة دُفنت تحت الأرض فكانت البترول، قال تعالى:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ(80)﴾

[سورة يس]

توقدون من البترول.

القرآن الكريم زاخر بالإشارات الكونية، الآن يقول علماء الذرة: إن كل ذرة فيها نُوَية و فيها كهارب تدور حول هذه النوية بحركة دائمة، قال تعالى:

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(40)﴾

[سورة يس]

"**كل**" تفيد الإطلاق و الإبهام، أي شيء خلقه الله في الكون يسبح في فلك، بدءا من الذرة وانتهاء بالمجرة، فإذا قرأ الإنسان القرآن و تدبر آياته ولاسيما آياته الكونية إن لم يشعر بكل قطرة من دمه أن هذا القرآن كلام الله فأنا مسؤول عن هذا الكلام، الذي يقرأ القرآن يشعر أن كل حرف من هذا القرآن هو كلام الله عز وجل .

أيها الأخوة الكرام، الآيات التي تشير إلى السبق العلمي، هناك إعجاز تاريخي و هناك إعجاز إخباري وهناك إعجاز غيبي ؛ غيب الماضي و غيب الحاضر و غيب المستقبل، و هناك إعجاز بلاغي، مثل ذلك قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(40)﴾

[سورة التوبة]

الواو حرف عطف، لِمَ لم يقل الله " **و كلمة الله** " بنصب كلمة عطفا على" **كلمة الذين كفروا**" ؟ لو كانت بنصب "**كلمة** " لفُهم أن كلمة الله صارت عليا بعدما كانت سفلى، و هذه عقيدة فاسدة، قال تعالى:

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(40)﴾

[سورة التوبة]

الواو استأنافية وكلام جديد، قال تعالى:

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(40)﴾

[سورة التوبة]

لذلك في القرآن إعجازي، و إعجاز شرعي و إعجاز تربوي و إعجاز علمي و إعجاز تاريخي و إعجاز إخباري عن غيب الماضي و الحاضر و المستقبل و إذا سألتَ ما الدليل على أن هذا الكلام كلام الله ؟

الجواب إعجازه،و هناك دليل آخر مهم جدا، وهو أن الله يشهد لك أنه كلامه أنت بتفكيرك و تدبرك تعلم أنه كلامه من إعجازه لكن الله وحده يشهد لك أنه كلامه، الله تعالى قال:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(97)﴾

[سورة النحل]

يتوب الشاب إلى الله و يستقيم، ماله حلال و إنفاقه حلال، ضبط جوارحه وبيته و إنفاقه، فيرى بعد ذلك أن كل حياته صلحت، نفسيته و معنوياته و علاقاته الداخلية مع زوجته و أولاده و جيرانه، ورفع الله ذكره، هذه الحياة الطيبة التي بدت له و التي لم تكن من قبل شهادة الله لهذا العبد على أن الذي قال:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(97)﴾

[سورة النحل]

هو خالق الكون وهو الذي أنزل هذا القرآن، ويأتي إنسان آخر يتفلَّت منكر للآخرة و يأخذ المال الذي يريد و ينفق كما يريد فيعيش حياة ضنكا كلها شقاء وهموم وأمراض وقلق و على خوف، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)﴾

[سورة طه]

وهذه شهادة الله لهذا العبد، و الذي أنزل هذا القرآن هو الذي صنع هذه الحياة الضنك، هذا دليل آخر، لذلك قال تعالى:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ(39)﴾

[سورة يونس]

قال علماء التفسير: التأويل وقوع الوعد والوعيد، قال تعالى:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ(276)﴾

[سورة البقرة]

يقول أحدهم: أنا معي أموال طائلة من ربا وأين هذه الآية ؟!بعد حين يتلف ماله كله، و يصادر ماله كله، و هذه الزلازل و الفيضانات و الإفلاس كلها يمحق الله بها الربا و يربي الصدقات، فأنت عندك طريقان للإيمان بكلام الله ؛ إما طريق التدبر وعندئذ تشعر أن كل كلمة من هذا الكتاب كلام الله، أو طريق أن تنظر إلى أفعال الله و إلى مطابقتها معى كلامه، هذا هو الذي يشعرنا أن القرآن كلامه، وبالمناسبة إذا كان نُشر في الجريدة اليوم مثلا خبر السماح باستيراد خمس سيارات بدون قيد أو شرط، ستنزل كل سيارة إلى خمسمائة ألف، أليس عيبا أن يصدق الإنسانُ إنسانا مثله في تصريح بسيط و تتغير الأسعار كلها ؟! و خالق الكون في ستمائة صفحة يبين لنا فيها الوعد و الوعيد والحلال و الحرام والخير و الشر ولا يصدقه أحد ؟!! الله تعالى قال::

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ(276) ﴾

[سورة البقرة]

فلا بد من إيمان لذلك.

قال تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)﴾

(سورة الحج)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7–9) : تفسير الآية 31

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31)﴾

[سورة الحج]

الإنسان يركب الطائرة على ارتفاع خمسة و أربعين ألف قدم أدار مقبض الباب فانفتح ولأن الضغط في الطائرة ثمانية أمثال ضغط خارج الطائرة، فالهواء سحبه إلى الخارج ووقع من هذا الارتفاع، فماذا ننتظر مصيره ؟! سينزل جثة هامدة في أرض صحراء مقفرة، فجاءت الطيور لتأكله و تنهش لحمه، هذا المثل الذي ضربه القرآن الكريم يساوي تماما الإشراك بالله، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31)﴾

[سورة الحج]

ذلك أن كل أمراض النفس هي أعراض لمرض واحد،النفاق ليس مرضا بل هو عرض و الخوف ليس مرضا بل هو عرض والاعتماد على الذات عرض وليس بمرض، عدم الإخلاص عرض، هذه الأمراض التي تبدو متفشية في المجتمع الإسلامي إنها أعراض لمرض واحد ألا وهو الشرك، لذلك قال العلماء: الشرك نوعان: شرك جلي و شرك خفي، الشرك الجلي قلما نجده في العالم الإسلامي لأن الله سبحانه وتعالى بعد أن أنزل الكتاب على عبده وانتشر الهدى يئس الشيطان أن يُعبد غير الله في بلاد المسلمين، أن يكون هناك إلها كاللات و العزى تعبد من دون الله تعالى بعد بعثة المصطفى هذا مستحيل، عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهم))

[رواه الترمذي]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ:

((خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ قَالَ قُلْنَا بَلَى فَقَالَ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ))

[رواه ابن ماجه]

الشرك الجلي غير موجود، أما الموجود أن يعتمد الإنسان على زيد أو عبيد، على فلان أو علان، الآية دقيقة جدا والتي ينبغي أن تكون واضحة لديكم قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(24)﴾

[سورة التوبة]

هناك موضوع دقيق ينبغي أن يكون واضحا وهو يعين على فهم هذه الآية التي توضِّح تلك الآية، هناك حبٌّ في الله و هناك حب مع الله، فمن أحبَّ زوجته حبا حمله على أن يطيعها و يعصي الله فهذا حب مع الله وهو عين الشرك، أما إذا أحب الله فرأى امرأته مستقيمة مؤمنة طاهرة فأحبها لدينها فهذا حب في الله، و الحب في الله من كمال الإيمان والحب مع الله عين الشرك، من أحب بيتا مغتصَبا أحبه و آثر أن يبقى فيه على أن يرده إلى صاحبه.

﴿ وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا ﴾

رأى البيت مميزاته أفضل عنده من أداء الحقوق و من إرضاء الله عز وجل، تجارة مبنية على الحرام ؛ بضاعة حرام أو التعامل حرام لكن الدخل كبير و فلكي، ويقول: أنا مضطر وعندي أولاد.

﴿ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾

أحبها مع الله، و الإنسان قد يحب الدخل الحلال في الله، فالحب مع الله شيء و الحب في الله شيء آخر، الحب في الله من كمال الإيمان، و الحب مع الله عين الشرك، فأن يشرك الناس و أن يعبدوا إلها غير الله فهذا في العالم الإسلامي غير موجود، هذا هو الشرك الجلي، لكن الشرك الخفي كما قال عليه الصلاة و السلام عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ:

((خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ قَالَ قُلْنَا بَلَى فَقَالَ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ))

[رواه ابن ماجه]

إخواننا الكرام، ضعف الإخلاص من ضعف التوحيد و ضعف المحبة لله من ضعف التوحيد، النفاق من ضعف التوحيد و التملق من ضعف التوحيد و التمزق من ضعف التوحيد، و الخوف من ضعف التوحيد، فأمراض النفس الوبيلة واحدة واحدة لو حلّلتها لوجدتها من ضعف التوحيد، لذلك "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ:

((خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ قَالَ قُلْنَا بَلَى فَقَالَ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ))

[رواه ابن ماجه]

لآية الكريمة، قال تعالى :

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31)﴾

[سورة الحج]

أعتقد أنه لا توجد مصيبة في الدنيا أعظم من أن يسقط الإنسان من الطائرة و أن يأتي إلى الأرض جثة هامدة و أن تأتى الطير فتأكله وتبعثر أشلاءه، هذه مصيبة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31)﴾

[سورة الحج]

الطريق مسدود، بعت حياتك لإنسان و الإنسان ضعيف وهو ضعيف مثلك قد لا يعلم حجم التضحية و إذا علمها قد لا يكافئ و إذا أراد أن يكافئ قد لا يستطيع، فلما يضبط الإنسان حياته و شبابه ووقته وعمره وذكاءه و لغته لغير الله فقد غُبِن غبنا فاحشا، فقد باع النفيس بالخسيس، لذلك أخطر موضوع في القرآن على الإطلاق الشرك والدين كله توحيد، وفحوى دعوى الأنبياء جميعا هي التوحيد، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي(25)﴾

[سورة الانبياء]

فإذا اعتقدت أن فلانا قويٌّ وبإمكانه أن ينفعك أو يضرك إذًا تطيعه و تعصي الله عز وجل، وفي الحقيقة هو ليس قويا والله هو القوي، و من أرضى الناس بسخط الله سخط عنه الله و أسخط عنه الناس، ومن أرضى الله بسخط الناس رضيَ الله عنه و أرضى عنه الناس، فالتوحيد هو الدين كله، و لن تجد في العالم الإسلامي

شركا جليًّا لكن الذي تجده شرك خفي، الواحد إذا قال: الله أكبر لكنَّه يطيع زوجته ويعصي ربه، و الحيقة التي لا مراء فيها أنه رأى إرضاء زوجته أكبر من إرضاء الله، و الواحد يغش الناس في البيع والشراء و يحقق دخلا كبيرا، إذا قال لك: الله أكبر يوم العيد فلا تصدقه، رأى هذا الدخل الكبير أكبر عنده من طاعة الله، هذه هي الحقيقة، و إنسان أطاع إنسانا أقوى منه و عصى ربه ؛ رأى هذا الإنسان أقوى إرضاءً له، و إرضاؤه أغلى عنده من إرضاء الله، فنحن مشكلتنا في الشرك الخفي، وهو الذي يشل الإنسان و يقعده عن العمل الصالح، و يخيفه قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(175)﴾

[سورة آل عمران]

فالخوف من الشرك و النفاق من الشرك و التملق من الشرك و الانهيار الداخلي من الشرك و الخنوع من الشرك والقلق من الشرك، أما التوحيد فقد قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(162)﴾

[سورة الأنعام]

لذلك قالوا: نهاية العلم التوحيد و نهاية العمل الطاعة، فهذا مثل في كتاب الله قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31)﴾

[سورة الحج]

ضربتُ لكم مثلا حديثا، إنسان له مبلغ في حلب مليون ليرة و عليه أن يقبضه على الساعة الثانية عشر من يوم السبت، ركب القطار على الساعة السابعة، فقد يرتكب في هذا القطار عشرات الأخطاء و كلها مغفورة، أما الغلطة التي لا تغتفر أن تركب قطار درعا، فإذا توجه العبد إلى الله و أخطأ يتوب ويغفر الله له، أم أن يعتمد على إنسان فلا و لا يشرك الإنسان بربه إلا و يخيِّب الذي أشركه مع الله ظنه، قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

((أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))

[رواه مسلم]

و ابن عطاء الله السكندري يقول: **إن الله لا يقبل العمل المشترك** " لا يحب العمل المشترك و لا القلب المشترك، فكيف نوحِّد؟

بالتفكر في خلق السماوات و الأرض والتفكر في أفعال الله و التفكر في كلامه، هذه المصادر الثلاثة ؛ خلقه و أفعاله وكلامه تدل عليه، فإذا أيقنت أنه لا إله إلا الله سعدت و أسعدت، و إن لم توقن فاسمع قوله تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ(213)﴾

[سورة الشعراء]

أحد أكبر عذاب النفس الشرك بالله، لذلك الآية قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31)﴾

[سورة الحج]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-9) : تفسير الآيات 52 - 54

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام الآية الثانية والخمسون و الثالثة و الخمسون و الرابعة والخمسون من سورة الحج وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (54)﴾

[سورة الحج]

أيها الأخوة: من خلال هذه الآيات يتضح أن معركة الحق و الباطل قديمة قدم الإنسان، و مستمرة إلى يوم القيامة،فلا ينبغي للمؤمن أن يعجب أو أن يفاجأ أو أن يتألم إذا رأى هناك من يكيد للحق، وهذه الصيغة صيغة شمولية، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾

[سورة الحج]

على الإطلاق.

﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾

[سورة الحج]

ما المفعول به لفعل " **تمنى** " هذا النبي ماذا يتمنى؟ وما الذي يليق به أن يتمنى ؟ تمنى هداية الخلق، و تمنى تعريفهم بربهم و إسعادهم و الأخذ بيدهم إلى الله و تمنى أن يستقيموا على منهج الله، وأن يعرفوا سر وجودهم، تمنى أن تأتي أعمالهم موافقة للآخرة قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

[سورة الحج]

فهذه الهاء في " **أمنيته**" على من تعود ؟ الحقيقة إذا أعدناها على النبي وقعنا في معنى فاسد و الأنبياء معصومون ولا يستطيع الشيطان أن يدنو منهم، قال عليه الصلاة والسلام:

((يا عمر ما سلكتَ فجًّا إلا وسلك الشيطان فجًّا غير فجِّك..."))

فإذا كان هذا من عمر أفيعقل أن يصل الشيطان إلى النبي ؟!! و إذا وصل إلى النبي فأين حصانته ؟ و أين إقباله واستعاذته ؟ وأين نوره و أين عصمته ؟ إذا وصل الشيطان إلى النبي صار كل شيء قاله النبي يُظن فيه هل سُحر أم دخل عليه الشيطان ؟ لكن الصواب أن الهاء تعود على الشيطان نفسه كلما تمنى النبي هداية الخلق و إسعادهم ألقى الشيطان في أمنيته هو أن يضلهم و أن يفسدهم و أن يخوفهم و أن يعدهم الفقر هذه مهمة الشيطان إذا خطر ببال الواحد أن يعطي أخته ذات الدخل المحدود مساعدة ثم تردد ثم قال: مالي ولها، هذا خاطر شيطاني،قال تعالى:

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(268)﴾

[سورة البقرة]

و قال تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(175)﴾

[سورة آل عمران]

أيها الأخوة الكرام: أي خاطر يرد عليك، نويتَ الإنفاق ثم ترددت فهذا خاطر شيطاني، دخلت مجلس العلم، لعل أخطار تنتظرني، فهذا خاطر شيطاني، لأنك تعبد خالق الأكوان والذي تعبده هم أُوى الأقوياء وملك الملوك، وقلوب الملوك بيده، فإن أطاعوه العباد حوَّل الله قلوب ملوكهم بالرحمة والرأفة، و إن هم عصوا حوَّل الله قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسد الملوك وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم بصلاحكم، لذلك خاطر يخوِّف شيطاني،ى خاطر يدعوك إلى البخل فهو من الشيطان، خاطر يدعوك إلى المعصية خاطر شيطاني، يجب أن تفرز الخواطر، هناك إلهامات ملائكية و هناك خواطر شيطانية، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

[سورة الحج]

تمنيات الأنبياء راقية جدا هداية إسعاد و رحمات وكسب الدنيا و الآخرة قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

[سورة الحج]

عكس ما يتمنى النبي، فهناك معركة من الأزل و إلى الأبد بين الحق و الباطل، الشيطان يدعوك إلى الانحراف والله يدعوك إلى طريق الاستقامة، الشيطان للخيانة والإله العظيم إلى الإخلاص، الشيطان إلى الإساءة والله يدعوك إلى الإحسان، الشيطان إلى الجحود و خالق الأكوان إلى الاعتراف بالفضل، دائما هناك إثنينية في الحياة ؛ حق وباطل، خير وشر، استقامة وانحراف، إحسان و إساءة، صلاح وطلاح، إنصاف

وجحود، قال لي أخ: طلبت مني أختي خمسة آلاف ليرة، قال لي: واللهِ لا أملك غيرها، وقعت في صراع شديد بيني وبين نفسي، ثم عزمتُ أن أعطيها المبلغ، و نزلت إلى محلي التجاري جاءني رجل سألني عن بضاعة ليست عندي فقال دلني على من يبيعها ؟ فدللتُه، وفي المساء جاءني صاحب المعمل بعشرة آلاف ليرة، قال لي: هذه مني لك نظير ما اشترى الذي جئتَ به.

عندنا ثمان آيات في القرآن الكريم، وإذا صدَّقنا خالقنا، قال تعالى:

﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(39) ﴾

[سورة سبأ]

و قال تعالى:

﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾

[سورة البقرة]

فالله يعلم و يخلف، وكل إنسان يحجم عن الإنفاق معرفته بالله ضعيفة الله يضاعف إلى سبعمائة ضعف، لذلك الإنسان يطعم اللقمة في الدنيا فيراها يوم القيامة كجبل أحد، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

[سورة الحج]

هو والفعل فعل الله قال تعالى

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾

[سورة الحج]

التخويف باطل والوعد بالفقر باطل، والوعد بالدنيا المديدة باطل، أمل الشيطان باطل، فكل وساوس الشيطان تتلاشى كفقاعة الصابون، قال تعالى:

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾

[سورة الحج]

وعده يتحقق ووعيده يتحقق وأحلام الشيطان لا قيمة لها إطلاقا وليس لها عند الله وزن، قال تعالى:

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا(120)﴾

[سورة الحج]

قال تعالى:

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آَيَاتِهِ﴾

[سورة الحج]

أيَّة آيات ؟ مثلا وعد المؤمن بحياة طيبة، فإنه سيجدها وهذه الحياة الطيبة هي شهادة الله لهذا المؤمن على أنَّ هذا الكلام كلام الله والدليل هذه الحياة الطيبة التي وعدتك بها بين يديك، المعيشة الضنك شهادة الله للمعرض أن هذا الكلام كلام الله، والمعيشة الضنك التي أوعدت بها المعرض عني هي بين يديك، قال تعالى:

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52) ﴾

[سورة الحج]

أمَّا قوله تعالى:

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾

[سورة الحج]

الوساوس امتحانات من الله لهذا الإنسان الضعيف، أحيانا الشيطان يوسوس له فيستجيب الإنسان فيسقط من عين الله، فكل بطولتك أن تنجح في الامتحان، فهذه الوساوس كالوعد بالإفقار و التخويف و الإغراء بالمعصية،هذا الذي يفعله الشيطان : هو امتحان للإنسان، فسائق الطاكسي في الشام استوقفتْه امرأة يبدو أنه سائحة من بلاد خليجية، ركبتْ معه، قال: إلى أين يا أختي، قالت له: إلى حيث تريد، فهم الموضوع، ونال وطره منها، أعطته ظرفا فيه خمسة آلاف دولار و رسالة، فتح الرسالة فإذا فيها: "مرحبا بك في نادي الإيدز " هي مصابة، و ذهب ليصرف هذه الدولارات فإذا هي مزورة فأودع في السجن، هذا هو فعل الشيطان، لو كان مؤمنا لفتح الباب وركلها برجله، أليس كذلك ؟! لذلك الشيطان كما قال تعالى:

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا(120)﴾

قال تعالى:

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53)﴾

[سورة الحج]

و الأيام تدور و الأحداث تتطور قال تعالى:

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾

[سورة الحج]

فالذي جاء في كتاب الله هو الحق وكل ما كان خلافه فهو باطل ولا يبقى إلا الحق ولا يثبت، ولو بقي سبعين عاما لتهاوى كبيت العنكبوت ويسقط في الوحل، وما من مجتمع منهار فيه المافيا والجرائم و الفقر كالمجتمع الذي قال: لا إله، أصبح شراذم متفرقا منحرفا مهانا فقيرا، وهذا هو مصير المنحرفين قال تعالى:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا(81)﴾

[سورة الإسراء]

شديد الزُّهوق، بحجمه الكبير، أو بأعداده الكثيرة قال تعالى

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (54)﴾

[سورة الحج]

فمهما تحرك الإنسان فمآله إلى الله و إلى هذا الدين القويم، والشيء المؤلم أن يعود الإنسان إلى الله بخريف العمر وهو كبير بعد ما قضى كل شهواته وشبابه وصحته و ماله، المفروض أن تأتي إلى الله و أنت شاب في ريعان شبابك و قوتك و غناك و صحتك، قال تعالى:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (54) ﴾

[سورة الحج]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (9-9) : تفسير الآيات 77 - 78

سم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، الآيات الأخيرة بدءا من الآية السادسة والسبعين وحتى نهاية سورة الحج وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)﴾

[سورة الحج]

ما هو الفلاح ؟ هو النجاح و الفوز و التفوق و الشعور بالسبق، ففي حياتنا الدنيا لو أن الإنسان يعتني بصحته، و أجرى تحليلا لدمه، فوجد أن كل شيء في جسمه نظامي ؛ نسبة السكر طبيعية و الكولسترول وكل شيء جيد ؛ عمل تخطيطا فكل شيء جيد، و نبضات القلب صحيح فحينما يشعر أن صحته جيِّدة يشغر بالتفوق والفلاح، و إذا اشترى بيتا بثلاثين ألف ثم أصبح سعره ثلاثين مليونا يفرح، و إذا عنده مزرعة يقيم فيها وقت طيبا، وتجارته رابحة هذا هو الفلاح في الدنيا، فربنا عز وجل يقول إذا أردتم الفلاح الحقيقي ؛ هذه الدنيا تنتهي عند الموت، فالموت يلغي غنى الغني و يلغي فقر الفقير، يلغي قوة القوي و ضعف الضعيف يلغي وسامة الوسيم و دمامة الدميم، فأين الفلاح إذا ؟ قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)﴾

[سورة الحج]

العلماء قالوا "**اركعوا واسجدوا** " أي صلوا لأن الركوع و السجود أبرز أركان الصلاة، فعبَّر عن الكل بالجزء، لأن أبرز ما في الصلاة أن تركع لله خاضعا و تسجد له مستعينا، أنت في الركوع خاضع لأمر الله و في السجود تستمد منه العون كي تطبقه، قال تعالى:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(5)﴾

[سورة الفاتحة]

نعبد في الركوع و نستعين في السجود، فربنا سبحانه تعالى عبَّر عن الصلاة التي هي عماد الدين و التي من أقامها أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين ولا خير في دين لا صلاة فيه و ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها، والصلاة معراج المؤمن، و لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل و الصلاة طهور و الصلاة نور، و الصلاة ميزان، فمن وفَّى استوفى، قال تعالى:

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا(31)﴾

[سورة مريم]

بل إن الدين كله اتصال بالخالق و إحسان إلى المخلوق، حركة نحو السماء و حركة نحو الأرض، قال تعالى:

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا(31)﴾

[سورة مريم]

أي يا عبادي إنكم تحبون التفوق و الفلاح والنجاح و الفوز، فالإنسان إن شعر أنه متفوق في دراسته أو في عمله أو في تربية أولاده، هذا هو الشعور بالتفوق وينتهي بالموت، فمهما كنت متفوقا فإنه ينتهي مع الموت والذي يجمعه الإنسان في عمر مديد يخسره في ثانية واحدة.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)﴾

[سورة الحج]

هذه عبادة، وكل أمر في القرآن و في السنة الصحيحة يقتضي الوجوب و أنت أمام منهج واسع جدا، و من السخافة و الغباء و المحدودية في الإنسان أن يتوهم الدين صلاة و صوما و حجا وزكاة فقط، الدين أكثر ما يظهر في الأسواق وفي البيع و الشراء و في إتقان العمل و في صدق الحديث وفي الأمانة و الوفاء بالعهد، الدين معاملة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)﴾

[سورة الحج]

أنت مكلف أن تطيع الله في كل شيء في علاقتك الحميمة مع زوجتك وفي علاقتك بمن حولك، قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُم﴾

[سورة الحج]

في كل ما أمر، فلا تبع ما ليس عندك، لا تبع شيئا حتى تحوزه إلى رحلك، فأكثر بيوع التجار فيها شبهات لجهلهم بأمور الفقه، قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُم﴾

[سورة الحج]

هذا الأمر و الفرض و الإلزام، قال تعالى:

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾

[سورة الحج]

التطوع، إنفاق المال، الدعوة إلى الله، عيادة المريض، تشييع الجنازة الإحسان للفقراء، قال تعالى:

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾

[سورة الحج]

و الخير ليس له حدود، قال تعالى :

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)﴾

[سورة الحج]

فالفلاح الحقيقي هل تعرفون متى ؟ عندما يأتي ملك الموت و تشعر بأنك من معظم الناس تفوقتَ في معرفة الله و الإعداد لهذه الحياة الأبدية، هذا التفوق، و أحيانا الإنسان يتوهَّم التفوق في زينة الحياة الدنيا في مزرعته و بستانه و بيته و سيارته، هذا التفوق الموهوم الذي يدل على بعد و جهل بالله عز وجل، أما التفوق الحقيقي قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)﴾

[سورة الحج]

أحيانا تجد طالبين في الجامعة، أحدهما يقضي كل وقته في النزهات و اللعب و العزومات، و الثاني يجتهد في الدراسة، لكن متى الخزي للأول ؟ عند الفحص، فالتفوق في الدراسة يقتضي السهر للدراسة، فربنا عز وجل يلفت نظرنا أنه إذا أردتم التفوق فهذا هو طريق التفوق، ثم قال تعالى:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾

[سورة الحج]

النملة تصعد وتنزل، فأحد الأشخاص الأميين رأى نملة صعدت إلى هدفها أربعين مرة، و كان عمره أربعين عاما، علَّمتْه هذه النملة المجاهدة فتعلم القراءة و الكتابة و قرأ القرآن و حفظه و ما مات إلا وهو شيخ الأزهر، قال تعالى:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾

[سورة الحج]

بالغ في الطاعة و أنفق من مالك و اجلس على ركبتيك في طلب العلم، و تعرَّف إلى ربك و إلى سنة نبيك، وجاهد نفسك و هواك، فطاعة الهوى هوان.

وا خجلتي من عتاب ربي إذا قال لي أسرفتَ يا فلان

إلى متى أنت في المعاصي تسير مُخَرى لك عن العنان

عندي لك الصلح وهو بِري و عندك السيف و السنان

ترضى بأن تنقضي الليالي وما انقضتْ حربُك العوان

فاستحِ من كتاب كريـم يحصي به العقل و اللسان

واستحِ من شيبة تراهـا في النار مسجونة تُهـان

***

يا عبدي كبرتْ سنُّك وانحنى ظهرك و ضعف بصرك و شاب شعرك فاستحِ مني فأنا أستحي منك

إلى متى أنت باللذات مشغول و أنت عن كل ما قدَّمتَ مسؤول

***

و قال الشاعر:

تعصي الإله و أنت تظهر حبه ذاك لعَمري في المقال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعتـه إن المحِبَّ لمن يحبُّ مطيع

***

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77) ﴾

[سورة الحج]

امرأة أُصيبتْ بورم خبيث في دماغها، ولكنَّ الله جل جلاله أكرمها بالشفاء، ماذا تفعل؟ كيف تقربتْ إلى الله ؟ إنها تُجيد الطبخ، فصارت تطبخ طبخات عالية المستوى و تبيعها إلى الأسر الغنية و تأخذ ربحها و تعطيه للفقراء و المساكين، و تعالج به بعض المرضى، و أكثر من اثني عشر عملية قل بتمَّت على نفقة هذه المرأة الفقيرة التي لا تملك إلا إتقانها للطبخ، لأبواب الخير مفتوحة، قال تعالى:

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾

[سورة الحج]

لا تستطيع أنت أن تعمل درسا أسبوعيا لأولادك و أهلك ؟ آية و حديث و سيرة و فقه، فلما تعيش بقلوب الآخرين فأنت أسعدهم، وإذا أردتَ أن تسعد فأسعد الآخرين، ألا تستطيع أن تزور فقيرا ؟ حينما تلبي دعوة

الأقوياء و دعوة الأغنياء فهذه التلبية من الدنيا، أما حينما تلبي دعوة الفقراء و المؤمنين هذه التلبية من الآخرة، أليس لك قريب تزوره، أفلا تستطيع أن تتفقد الأسر الفقيرة، تطعمهم بوجبة شهرية، قال تعالى:

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾

[سورة الحج]

ثم قال تعالى:

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾

[سورة الحج]

هو اختاركم لهذه الرسالة العالية ثم قال تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

[سورة الحج]

فالدين يسر ، "**قال تعالى:**

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾

[سورة الحج]

أنتم أيها العرب جعلكم الله أمة وسطا بينه و بين خلقه، هذه الرسالة حمَّلكم الله إياها، فلا تتمُّ الدعوة بكلمة، فلا بد من طول زمن و صبر .

﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78) ﴾

[سورة الحج]

أيها الأخوة: هذه الآيات الأخيرة من هذه السورة تلخِّص السورة بأكملها فإن أردتم التفوق هذا هو الطريق، أما جمع المال فلا يجعلك متفوقا وكل شيء تجمعه في حياتك الدنيا تخسره في ثانية واحدة، فالفلاح في طاعة الله وفي عبادته و في أداء الصلوات وفي فعل الخير و في مجاهدة النفس و الهوى وفي الدعوة إلى الله، قال تعالى:

﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78) ﴾

[سورة الحج]

الفصل الرابع : تفسير سورة المؤمنون

الدرس (11-01) : تفسير الآية 1

الدرس (11-02) : تفسير الآيات 1 – 11

الدرس (11-03) : تفسير الآيات 12 – 14

الدرس (11-04) : تفسير الآيات 23 – 28

الدرس (11-05) : تفسير الآيات 30 – 34

الدرس (11-06) : تفسير الآيات 44 – 55

الدرس (11-07) : تفسير الآيات 55 – 67

الدرس (11-08) : تفسير الآية 69

الدرس (11-09) : تفسير الآيات 71 – 76

الدرس (11-10) : تفسير الآيات 84 – 98

الدرس (11-11) : تفسير الآيات 99 – 118

الدرس (01-11) : تفسير الآية 1

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، الآية الأولى من سورة المؤمنون، والمؤمنون على الحكاية، لأنها في اللغة سورة المؤمنين، لكن المؤمنون اسم سورة يبقى على حاله، و إذا قلنا سورة المؤمنون و حتى لا يُتوهم أننا أخطأنا، نقول على الحكاية، فالآية الأولى قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)﴾

[سورة المؤمنون]

أوّلًا ؛ نقول: نجح فلان وقد نجح فلان إذا رأيت اسمه بعينك في قائمة الناجحين، ف "قد" حرف تحقيق، و "أفلح " من الفلاح وهو النجاح والتفوق و الفوز، فالله عز وجل يقرر في هذه الآية أن الذي يفلح و ينجح و الذي يتفوق ويسعد هو المصلي، فإذا كان تصورك للتفوق غير ما في كتاب الله فهذه مشكلة كبيرة جدا، فإذا تصور أحدنا أن النجاح في حيازة المال، و الله يقول:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)﴾

[سورة المؤمنون]

هذا هو الضلال البعيد، و إذا توهمت أن الفلاح في الانغماس في الملذات فهذا هو الضلال المبين، البطولة أن تأتي مفاهيمك و تصوراتك و مقاييسك عن الفلاح مطابقة لما في كتاب الله عز وجل، لذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به.))

هذه قضية خطيرة، تصوُّرك للفلاح ما هو ؟ أن تمتلك المال الكثير ؟ أم أن تكون في منصب رفيع ؟ أم يكون حولك أتباع كثيرون ؟ أم تكون لك أجمل زوجة في الأرض؟ أو أن تكون ذا مكانة اجتماعية رفيعة ؟ فكيف تفهم التفوق ؟ و كيف تفهم الفوز؟ و كيف تفهم النجاح و الفلاح ؟ عُد إلى كتاب الله خالق الكون هو الخبير، قال تعالى:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سورة فاطر]

ليس هناك إنسان في الدنيا عنده حاسوب تعطَّل فذهب إلى جاره بائع الخضر ليصلحه، لا لابد لك من خبير في هذا الجهاز، قال تعالى:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

(سورة فاطر)

و خبرة الله قديمة، بينما خبرة الإنسان محدثة، و الدليل ؛ انظُر إلى سيارة صُنِعت عام (1912)و إلى أخرى عام (1995) ترى المسافة شاسعة جدا، معنى ذلك أن خبرة الإنسان تنمو، أنا سمعتُ أن أول قطار صُنع في بريطانيا أُمِر صاحب القطار أن يوظِّف شخصا يمشي أمامه ليحذر الناس، كم سرعته ؟ أقل من ثلاثة كيلومتر، هكذا كانت الآلات في أول عهدها، الآن 360كيلو في الساعة للقطار، فما معنى هذا الفارق الكبير؟ الخبرة تُكتسب و هي محدثة، أما خبرة الله عز وجل فقديمة هل طرأ على الإنسان تغيير ؟ كل البشر من خلق واحد و من كمال واحد معنى ذلك أن خبرة الله قديمة، لم يطرأ على الإنسان أي تعديل في خلق الإنسان، لذلك هناك من ينتقد كلمة " الزائدة الدودية " يعني ان الله خلقها زائدة !! هي جهاز دفاع لذلك الطبيب المسلم يسميها "الذائدة " ذاد بمعنى دافع، فإذا أردت أن تقول: فلان التهبت زائدته الدودية، و إلا تقع في خطأ كبير، فليس ثمة شيء زائد، شركة سيارات هل تضع شيئا زائدا في السيارة ؟ قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)﴾

[سورة المؤمنون]

الله عز وجل يقرر وهو الخبير قال تعالى:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(14)﴾

[سورة الملك]

أن الفالح هو المؤمن ولو كان فقيرا ضعيفا مستضعفا، وأن الخاسر هو الكافر و لو كان غنيا قويًّا، و كفى بالمرء علما أن يخشى الله و كفى به جهلا أن يعصيه، الذي معه أعلى شهادة و يعصي الله مدموغ بالجهل وواحد حاجب يصلي الأوقات الخمس و يغض بصره و دخله حلال هذا مدموغ بالذكاء مع أنه أميٌّ، وهناك حديث مُخيف، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ:

((كَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَى اللَّهَ وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ قَالَ و قَالَ مَسْرُوقٌ الْمَرْءُ حَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَجَالِسُ يَخْلُو فِيهَا فَيَذْكُرُ ذُنُوبَهُ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْهَا))

[رواه الدارمي]

عَنْ مَسْرُوقٍ:

((قَالَ كَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَى اللَّهَ وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ قَالَ و قَالَ مَسْرُوقٌ الْمَرْءُ حَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَجَالِسُ يَخْلُو فِيهَا فَيَذْكُرُ ذُنُوبَهُ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْهَا))

[رواه الدارمي]

لذلك فرقوا بين العقل و الذكاء، فما كل ذكي عاقل، لكن كل عاقل ذكي فالإنسان لو كانت معه أعلى الشهادات و كان زانيا أو شارب خمر، هذا غير عاقل رغم ذكائه في اختصاصه، فالعقل يتعلق بالكليات و الذكاء يتعلق بالجزئيات.

الله تعالى يقرر أنْ يا عبادي الفلاح كل الفلاح والنجاح كل النجاح و الفوز كل الفوز و التفوق كل التفوق أن تكون مؤمنا، فمتى آمنتَ ؟ هل هناك في عالم الماديات أن رجلا نام ثم استيقظ فوجد معه دكتوراه !! إيمان و جنة عرضها السماوات و الأرض و ما عندك وقت لحضور مجلس العلم، ولا ملتحق بجامع تأخذ العلم منه، و لستَ حريصا على فهم كتاب الله الذي هو منهج الحياة و لا فهم سنة رسول الله التي هي بيان لكتاب الله، متى آمنتَ إذا ؟! هذا إيمان تقليدي لا يقدِم ولا يؤخِر، بل هو إيمان إبليسي، لأنَّ الله قال عن إبليس:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(82)﴾

[سورة ص]

فربنا عز وجل قال:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)﴾

[سورة المؤمنون]

أيها الأخوة: الإيمان مراتب، مرتبة علمية و مرتبة أخلاقية و مرتبة جمالية، فإذا قلتَ أنَ فلانا مؤمن أي معه اختصاص في العلم و اختصاص في الأخلاق و اختصاص في الجمال، أذواقه عالية جدا وعلمه عالٍ وأخلاقه عالية، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)﴾

[سورة المؤمنون]

الإيمان يحتاج إلى بذل جهد مثلا ؛ النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل "))

أحد العلماء الكبار وهو الجنيد يقول: **ليس الولي الذي يمشي على وجه الماء و ليس الولي الذي يطير في الهواء فالطائر يطير و السمكة تمشي ولكن الولي كل الولي هو الذي تجده عند الحلال و الحرام .**

إخواننا الكرام، الدين لا يظهر في المسجد، فكلنا في المسجد، الدين يظهر في الأسواق في البيع و الشراء، في غض البصر وفي تحرير الدخل في صحة الإنفاق، في الأمر بالمعروف وفي تربية الأولاد، وفي ضبط الزوجة وضبط البنات، أن تكون مع المؤمنين لا مع أهل الدنيا، هذا هو الإيمان، قال النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب و صدقه العمل "))

يقول عليه الصلاة والسلام عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ:

((يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ إِذًا يَتَّكِلُوا وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا))

[رواه البخاري]

قال تعالى:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ(19)﴾

[سورة محمد]

فكلمة الإيمان كبيرة جدا، وتقريبا لأذهانكم كلمة " دكتور" التي يُرمَز لها حرف "د" التي كلَّفته دراسة خمسة وثلاثين سنة، هذا بمقياس أهل الدنيا بمقياس أهل الإيمان كلمة " "مؤمن" يعني لا يمكن أن يأكل الحرام و لا يمكن أن يكذب لا يخون و لا يعصي الله عن علم، إلا بجهالة ثم يتوب هذا هو المؤمن، فكلمة مؤمن مرتبة أخلاقية ؛ المؤمن لا يغدر و لا يغش ولا يكذب، ومرتبة علمية، فالمؤمن يعرف موقعه من الحياة، ويعرف لماذا خلقه الله، وما مهمته في الدنيا، ما الهدف البعيد الذي يسعى إليه و لماذا يتزوج، ولماذا يعمل، فله فهم عميق للحياة، والكافر سطحي المؤمن مرتبة جمالية، لا يقعد للغناء والنساء كاسيات عاريات والكؤوس تُدار، هذا مكان للمتفلتين، تختار مكانا هادئا و جميلا تسبح الله عز وجل لا يرى الناس أهلك و لا يرى أهلُك الناس، هذا هو الذوق، فالمؤمن مرتبة جمالية و مرتبة علمية و مرتبة أخلاقية، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)﴾

[سورة المؤمنون]

أنت متى آمنتَ ؟ هل لك مجلس علم تحضره ؟ هل عرفت كتاب الله ؟ و هل وقفت على أحاديث رسول الله؟ وهل تتبعت أخبار الصحابة ؟ هذا العلم لذلك الله تعالى يقول:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)﴾

[سورة المؤمنون]

والذي عنده الملايين لم يفلح لأنه سيتركها، أكبر غني في العالم مات في يخت مع عاهرة في البحر، قال تعالى:

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(76)﴾

[سورة القصص]

و قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(6)إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ(7)الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ(8)وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي(9)وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ(10)الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ(11)فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ(12)فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ(13)إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ(14)﴾

[سورة الفجر]

ما أفلحوا، و ما أفلح من ملك الأرض لأنه سيموت، قال تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(26)﴾

[سورة الرحمن]

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر و العمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

كل ابن أنثى و إن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

فإذا حملتَ إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول

***

فكل ذكائنا و عقلنا يجب أن يتجه إلى ساعة لقائنا مع ربنا .

وا خجلتي من عتاب ربي ذا قال لي أسرفت يا فلان

إلى متى أنت بالمعاصي تسير مرخى لك العنان

عندي لك الصلح وهو بري وعندك السيف والسنان

ترضى بأن تنقضي الليالي وما انقضت حربكُ العوان

فاستحِ من كتاب كريم يحصي بها العقل و اللسان واستح من شيبة تراها في النار مسجونة تهان

***

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)﴾

[سورة المؤمنون]

هذه الآية واردة فيما أعتقد أربع مرات في القرآن كله، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى(14)﴾

[سورة الأعلى]

و قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)﴾

[سورة الشمس]

وقال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)﴾

[سورة المؤمنون]

فعند الله تعالى إذا آمن الواحد و اتصل به و زكى نفسه فهو العالم و الذكي و المفلح و الذي رضي الله عنه، قال تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(103)الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(104)﴾

[سورة الكهف]

لذلك:

رجـل يدري بـأنه يــدري فذاك عالم فاتــبعوه

ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلمـــوه

ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فهذا شيـطان فاحــذروه

***

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-11) : تفسير الآيات 1 - 11

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8)﴾

[سورة المؤمنون]

قال تعالى بعد ذلك:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)﴾

[سورة المؤمنون]

أيها الأخوة: هناك حقيقة منطقية دقيقة وخطيرة، أضع لكم مثلا تمهيديا لهذه الآيات، الله جل جلاله يقول: الذين، إعراب الذين: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع صفة، وفي علم المنطق الصفة قيد، نقول كلمة إنسان التي تشمل خمسة آلاف مليون، و الآن أصف هذا الإنسان بأنه مسلم، ضاقت الدائرة من خمسة آلاف مليون إلى ألف مائتي مليون ثم أضع صفة ثانية، إنسان مسلم عربي، ضاقت هذه الدائرة إلى مائتي مليون، أضع صفة رابعة، إنسانٌ مسلمٌ عربيٌ مثقّف، ضاقت إلى خمسين مليون، أضعُ صفةً جديدة، إنسانٌ مسلم عربيٌ طبيب، إلى مائتي ألف، أضع صفة جديدة، إنسان مسلم عربي طبيب سوري، إلى خمسين ألف، وأضع صفة أخرى، اختصاص قلب، إلى خمسة، وصفة جديدة مقيم في دمشق، إلى واحد، الصفة قيد و كلما كثرت الصفات ضاقت الدائرة، لو احتجنا موظفا معه دكتوراه في العلوم و خادم عسكرية و عمره أقل من أربعين سنة، ويتقن اللغة الإنجليزية و الفرنسية، من خمسة عشر مليون لا يُجد خمسة، فكلما كثرت الصفات تضيق الدائرة حتى لا يتوهم الواحد أنه فالح لأنه مؤمن، والله عز وجل قال :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) ﴾

[سورة المؤمنون]

خرج الذين لا يخشعون في صلاتهم،

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3)﴾

[سورة المؤمنون]

ضاقت الدائرة، لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، و لا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، وآفات اللسان كثيرة جدا، وهي محبطة للعمل، قال عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ:

((الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا))

[رواه ابن ماجه]

وقال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ قَالَ لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ قَالَ ثُمَّ تَلَا ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ قُلْتُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))

[رواه الترمذي]

قد أفلح ليس كل المؤمنين "**قال تعالى:**

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4)﴾

[سورة المؤمنون]

فما تلف مال في برٍ ؘ أو بحر إلا بحبس الزكاة، قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(103)﴾

تطهر الفقير من الحقد و الغني من الشح و المال من تعلُّق حق الغير به و تزكيهم، أي تنمي مال الفقير لأخذه للزكاة، وتنمي مال الغني بوجود قدرة شرائية بيد الفقير يشتري من الغني مرة ثانية، و تُنمِّي المال بالعِناية الإلهية المُباشرة، قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(103)﴾

[سورة التوبة]

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5)﴾

[سورة المؤمنون]

العَيْنُ تزْني و زِناها النَّظر، و الأذن تزني وزناها السمع، و اليد تزني و زناها اللمس، فالزنا له معنى واسع، أيُّ متعة أجنبية لا تحل لك ولو بنظرة في الطريق.

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) ﴾

[سورة المؤمنون]

الآن كل انحرافات الجِنس التي تفيض الكتب في الحديث عن تفاصيلها، أجملها القرآن الكريم في كلمة واحدة، قال تعالى:

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) ﴾

[سورة المؤمنون]

الدين كله حياء، دقّق كيف أن الله تعالى عبَّر عن كل انحرافات الجنس . لواط وزنا المحارم و سحاق . كل هذا الانحراف عبَّر الله تعالى عنه بقوله:

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) ﴾

[سورة المؤمنون]

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8)﴾

[سورة المؤمنون]

قال عليه الصلاة والسلام:

((مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ))

[رواه أحمد]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ))

[رواه البخاري]

وقال: **من عامل الناس فلم يظلمهم وحدَّثهم فلم يكذبهم و وعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته و وجبت أخوته و حرمت غيبته**"و قال ذاك جعفر بن أبي طالب للنجاشي: **حتى بعث الله فينا رجلا نعرف صدقه وأمانته** "

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ))

الإسلام بناء بُني على هذه الخمس، لما سيدنا جعفر بن أبي طالب بيَّن للنجاشي حقيقة الدين.

((" ... فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ قَالَ فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ..."))

[رواه أحمد]

سيدنا جعفر الصحابي الجليل أحد أركان الإسلام عرَّف الإسلام بقيم أخلاقية، إذًا بُني الإسلام على خمسة أركان و ليست هي الإسلام.

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9)﴾

[سورة المؤمنون]

المحافظة على الصلاة ليس أداؤها في وقتها فحسب، بل في الاستقامة قبلها، إن لم تحافظ على استقامتك فأنت محجوب عن الله عز وجل، قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11) ﴾

[سورة المؤمنون]

فحتى لا يتوهم الإنسان أنه مؤمن لا ينقصه شيء، الله عز وجل وصف صفات المؤمنين وكل صفة تضيِّق الدائرة إلى أن تصبح الدائرة ضيِّقة جدا، هؤلاء بالذات.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)﴾

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19)إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(20)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(21)﴾

[سورة المعارج]

شديد الخوف ترتعد فرائسه لأي خبر و إذا مسه الشر.قال تعالى:

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ(22)﴾

[سورة المعارج]

الترتيب نفسه، ليس كل مصَلٍ يصلي، إنَّما أتَقَبَّل الصَّلاة مِمَّن تواضَع لِعَظَمتي، وكفَّ شَهواتِهِ عن مَحَارِمِي، ولم يُصِرَّ على معْصِيَتي وأطْعَمَ الجائِع، وكسَى العريان، ورَحِمَ المُصاب، وآوَى الغريب ؛ كُلّ ذلك لي، وعِزَّتي وجَلالي إنّ نورَ وَجْهِهِ لأضْوَءُ عندي من نور الشَّمس على أنْ أجْعَلَ لهُ الجَهالَةَ حِلْمًا، والظُّلْمة نورًا، يدْعوني فَألَبِّيهِ ويسْألني فأُعْطيه، ويُقْسُمُ عليَّ فأبرّه، أكلأه بِقُرْبي وأسْتَحْفِظُهُ ملائِكَتي، مثَلُهُ عندي كَمَثل الفِرْدَوْس لا يُمَسُّ ثمرُها، ولا يتغيَّرُ حالها، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19)إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(20)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(21)إِلَّا الْمُصَلِّينَ(22)﴾

[سورة المعارج]

قال تعالى:

﴿أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ(35)﴾

[سورة المعارج]

الصِّفَةُ قَيْدٌ في اللُّغَة، وكلَّما جاءَتْ صِفَة ضاقَت دائرة الشُّمول، فهذه الآية في مَطْلَعِ سورة المؤمنون دقيقة جدًّا، ليس كُلُّ المؤمنين مفلحي بل الذين هم في صلاتهم خاشِعون، ولذلك قالوا: الخُشوع في الصَّلاة ليس مِن فضائِلِها، بل مِن فرائِضِها، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) ﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11) ﴾

[سورة المؤمنون]

نرْجو الله سبحانه وتعالى أن تنطَبِقَ علينا كلّ هذه الصِّفات حتَّى نسْتَحِقَّ هذا الوَعْد الإلهي.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-11) : تفسير الآيات 12 - 14

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فالآيات الحادِيَة عشْرة والتي بعدها مِن سورة المؤمنون، آياتٌ كَوْنِيَّةٌ دالَّةٌ على عَظَمَةِ الله عز وجل، ويا أيُّها الأخوة الأكارِم مرَّاتٍ ومرَّاتٍ أُذَكِّرُكم بأنَّ الآيات الكَوْنِيَّة في القرآن الكريم هِي موضوعات للتَّفكُّر في خَلْق السَّماوات والأرض ؛ لأنّ الطريقة الوحيدة لِمَعْرِفَة الله تعالى هِيَ التَّفكُّر في خلْقِهِ، فالحَوَاسُّ البشَرِيَّة عاجِزَةٌ عن إدْراكِ الله تعالى، لِقَوله تعالى:

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(103)﴾

[سورة الأنعام]

لكنَّ العُقول تُدْرِكُهُ وتصِلُ إليه مِن خِلال خَلْقِهِ، فالكَون ما هو إلا آياتٌ دالَّة على وُجود الله، وعلى كمالِهِ، وعلى عَظَمَتِهِ، ويغيبُ عن الناس أنَّ كلّ أمْرٍ في القرآن الكريم يقْتَضي الوُجوب ! فحِينما قال الله عز وجل:

﴿فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(24)﴾

[سورة عبس]

هذا أمْرٌ إلهي، وهذا يعني أنَّه ما دُمْتَ أيُّها المؤمن تؤْمِنُ أنَّ هذا الأمْر مُوَجَّهٌ إليك، ينبغي أن تنظُرَ في طعامِكَ وقال تعالى:

﴿فَلْيَنظُرْ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ(5)﴾

[سورة الطارق]

ففي اللِّقاء الزَّوْجي خمسمائة حُوَين يخرج مِن الإنسان ؛ أيْن كانَتْ ؟! في الخِصْيَتَيْن ! لماذا الخِصْيتان بعيدتان عن الجِسْم لأنَّ هذا الحُوَيْن في الدَّرجة السابِعَة والثلاثين يموتُ ! يحتاج إلى درَجَتَيْن أقلّ، لذا الذي يُصاب بِضُمورٍ في خِصْيَتَيْهِ لا يُنْجِبُ لأنَّ الحرارة تقتل هذه الحُوَيْنات وهذه الحُوَيْنات تنْضُجُ في ثمانِيَة عشر يوْمًا، وتبْقى غير قادِرَة للتَّفاعُل إلى أن تَخْرُج مِن الرَّجُل، عِنْدها تتحرَّك والله رأيْتُ قبل يَوْمَين صُوَرًا لِحُوَيْنات حقيقيَّة بالمِجْهَر ؛ شيءٌ لا يُصَدَّق !! خمسمائة مليون، ولِكُلّ حُوَيْن رأسٌ مُذَنَّب، وعُنقٌ، وذَيْلٌ يتحرَّك، وهذا الحُوَين في رأسِهِ مادَّة نبيلة، مُغَلَّفَةٌ بِغِشاءٍ رقيق، وما إن يَصِل أقْوى هذه الحُوَيْنات إلى البُوَيْضَة حتَّى يتمزَّق الغِشاء، وتُذيبُ هذه المادَّة جِدار البُوَيْضَة فيَدْخُلُ إليها، وماذا يَحْمِل هذا الحُوَين ؟! خمس آلاف مليون معلومة مُبَرْمَجَة ! وماذا تحْمِل هذه البُوَيْضَة ؟! خمْسة آلاف مليون معلومة مُبَرْمَجَة ! وتُلقَّحُ البُوَيْضَة، وتنْقسِمُ إلى قِسْمَين ثلاثة أو أربعة إلى عشرة آلاف قِسْم بِحَجْمِها الصَّغير، وهي في طريقِها إلى الرَّحِمَ، فإذا وصَلَتْ إلى الرَّحِم كيف تنغَرِسُ هذه البُوَيْضَة في جِدار الرَّحِم ؟ وكيف يسْتَقبِلُها الرَّحِم ؟ وكيف يحْضِنُها.

وكيف يُمِدُّها بالغِذاء ؟ وكيف تنْمو هذه البُوَيْضَة شيئًا فشيئًا ؟ ويتخلَّق الإنسان ؛ رأسٌ وقلبٌ وأطْراف وجِلدٌ وشَحم وعَظمٌ ولكنَّ الحقيقة التي ذكَّرني بِها أحدُ الأخوة الأطِبَّاء أنَّه كان يدْرُس في بريطانيا وعندهم أستاذ بروفيسور في بريطانيا يُعَدُّ أوَّل عالمٍ في عِلم الجنين، وله كِتابٌ يُسَمَّى تجاوُزًا الإنجيل ! لأنَّه مشْهور جدًّا وهذا الكتاب يُدَرَّسُ في مُعْظم جامِعات العالم، ويُؤَكِّدُ هذا العالِمُ في كتابِهِ أنّ تشَكُّل العَظْم يأتي بعد تشَكُّل اللَّحْم ؛ وهذا خِلاف القرآن الكريم ! وقبل عامَين أو ثلاثة يدْخل هذا الأستاذ على طُلاَّبِهِ ويقول: لقد اكْتَشَفْتُ حقيقةً لا يعْرِفُها أحدٌ في العالَم، وهي أنَّ النَّسيج اللَّحْمي يتشَكَّل بعد تشَكُّل العِظام، على خِلاف ما قلْتُهُ في مُؤَلَّفي الشَّهير، فإذا بِطالِبٍ باكِسْتاني يقول: يا أُستاذ، هذه الحقيقة في القرآن الكريم، صُعِقَ ولم يُصَدِّق، فجاءَهُ بِتَرْجَمَتِهِ، وأطْلَعَهُ عليه، فإذا بهذا العالِم يُعْلِنُ إسْلامه ! يقول الله عز وجل:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13)﴾

[سورة المؤمنون]

الرَّحِم أيُّها الأخوة، يُعَدُّ وسَطًا هَنْدَسِيًّا في عِلْم الهَنْدسة، لو أخذْنا خطًّا مِن نصْف الرَّأس إلى أسفل القَدَميْن، وخطًّا مِن مُنْتصَفِ الجِسم عرضًا لتقاطع هذان الخطَّان في الرَّحِم ؛ في قرارٍ مكين، وحينما يكون الحمْل سريعًا، ودقيق العطَب فالرَّحِم يكون في حَوْض المرأة، وحَوْض المرأة تمامًا كالجُمْجُمَة للدِّماغ كيفَ أنَّها صُنْدوقٌ يَحْميهِ مِن كلِّ الكدمات كذلك حَوْض المرأة غِلاف يَحْوي الرَّحِم، قال تعالى::

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13)﴾

[سورة المؤمنون]

هناك ثُمَّ، وفاءُ ثمّ فاءٌ أخرى ! العلماء الآن يُؤَكِّدون أنَّ مكان ثمَّ هناك تراخي ومكان الفاء تعْقيب، عِلمُ الجنين الآن يُؤَكِّد أنَّ بيْن النُّطفة إلى العَلَقة تراخٍ ومِن العلقةِ إلى المُضْغَة تتابُع، فحتَّى حُروف العَطْف في هذه الآية تتطابق مع عِلْم الجنين، قال تعالى:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)﴾

[سورة المؤمنون]

لا يوجَدُ واحِدٌ مِنَّا بعيدٌ عن هذه الآية، كلُّكم يعْلم عِلْمَ يقين أنَّ أصل هذا المَخلوق نُطْفة، في الدِّماغ مائة وأربعين مليار خَليَّة لم تُعْرف وظيفتها بعْدُ وثلاثمائة ألف شَعْرة بالرَّأس، ولِكُلّ شَعْرة وريد وشِريان وعصَب وعضَلة وغُدَّة دُهْنِيَّة، وأخرى صَبْغِيَّة، خمسة وثلاثون مليون عُصارة هاظِمَة في المَعِدَة، مائة وثلاثون مليون عُصَيَّة مَخروط في الشَّبَكِيَّة في العَين، وقلبٌ يَضُخُّ في اليَوم ثمانِيَة أمْتار مُكَعَّبة، فما هذا القلب ؟ وما هذه الشَّرايين ؟ وما هذه الدَّسَّامات التي لا تسْمَحُ للدَّم بأنْ يرْجِع ! وثمَنُ الدَّسَّام الواحِد مائة وخمسون ألف، وهو

دسَّام خِنْزير !!! فهذا الدَّسَّام الذي بين الأُذَيْن وبُطَيْن مَن صَمَّمَهُ ؟! ومن صَمَّم الأوْرِدَة في الخارِج ؟ والشَّرايين في الدَّاخِل ؟ فالإنسان بِعِدَّة ثواني يُمْكِن أن يموت إذا قُطِع شريانُهُ ! لذا وُضِعَ في الداخِل، مَن صمَّم ذلك ؟ ومَن صمَّم العِظام ؟ مئتان وسِتَّةُ عظْمةٍ ! وهناك مفاصِل ثُنائِيَّة، وأُحادِيَّة، وهل تعلمون أنَّه لولا الجُمْجُمة فيها هذه النُّتوءات لكان الطِّفل مِن أوَّل وَقعَةٍ ينْكَسِرُ الطِّفْل ! لكن هذه المفاصِل الثابِتَة على شَكْل خُطوط مُتعاكِسَة تمْتصُّ الصَّدْمة، ومَن جعَلَ وسَطَ الدِّماغ سائِلاً، لكي تُوَزَّع الصَّدْمة على مَجْموعِ الدِّماغ، ولو كان الدِّماغُ مَوْصولاً بالجُمْجُمَة، لكانَت أوَّل ضرْبة تجعل الطِّفْل يفْقِدُ بصَرهُ ! ومَن جَعَلَ هذه العَين ؟ وهذه المادَّة الشَّفافة ؟ كيف تتغذَّى ؟ ومن صمَّم القُزَحِيَّة ؟ والأنف واللِّسان ؟ والحنْجرة ؟ والبلْعوم ؟ ولِسان المِزْمار ؟ والقصَبَة الهوائِيَّة، إلى يومنا هذا لا يستطيع أحدٌ أن يزْرَعَ الرِّئَة ؛ لأنّ الذي تُزْرعُ رئَتُهُ لا يسْعُل! ما هو السُّعال ؟ سرعة الهواء بالسُّعال مائة وخمسين كيلومتر بالساعة، هناك بالقصَبة الهوائِيَّة أشعار تدْفَعُ كلّ شيءٍ نحوَ الأعلى، وكلّ مادَّة غريبة بالقصَبة الهوائِيَّة تدفع نحو الأعلى وأنت لا تشْعر، ولِسان المِزمار يعمل ثمانين عامًا دون كلل ولا مللٍ ! وأنت نائِمٌ يزْدادُ اللُّعاب في فَمِكَ، وتُعطى إشارةٌ للدِّماغ فيأمُر الدِّماغ لسان المِزْمار فيُغْلق القصَبة الهوائِيَّة ويفْتح المريء وأنت لا تدْري !! قال تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ(4)﴾

[سورة التين]

المَعِدَة والبِنكرياس، ومن جَعَل الطُّحال مَقْبرَة ؟ الإنسان يموت فيه بِكُلّ ثانِيَة اثنان ونِصْف مليون كُريَّة حَمْراء، ويولَدُ بِكُلّ ثانِيَة اثنان ونصف مليون كريَّة حمراء،، فهذه الكريات الحمراء الميّتة تذْهب إلى الطُّحال والطُّحال مَعْمَل ؛ يُحَلِّل هذه الكُرَيَّات وتأخُذ الحديد منها وتُرْسِلُهُ إلى نقي العِظام لِيُعادَ تَصْنيعُه، وتأخذ المادَّة الصَّفراء وتُرْسِلها إلى الكَبِد لِتَكون صَفراء، فالصَّفْراء عِبارةٍ عن كُرَيَّات حَمْراء مَيّتَة، والطُّحال مُسْتَودع للدَّم، ومعمل احْتِياط للدَّم، فلو توقَّفَتْ معامِل الدَّم في نقي العِظام عن صُنْع الكُريَّات الحمراء يعْمل الطُّحال مِن جديد، فلذلك الطُّحال له ثلاثة وظائِف: مَخْزن ومَقْبرة ومَعْمل احْتِياط.

والبنكرياس، والغُدَّة الدَّرقِيَّة، والغُدَّة النُّخامِيَّة التي هي ملكة الغُدَد وتعطي أثنى عشرة أمرًا هرموني، وأحد الأوامر هذه يُحَقِّق توازن السوائِل في الجِسْم، ولو اخْتلّ الأمْر لقضى الإنسان كلّ وقْتِهِ بِجانب الماء يشْرب ويطرحه ! من صمَّم هذا التَّصْميم ؟ ومَن خلقَ ساعة الرَّأس ؟ وجِهاز التَّوازن ؟ وهذه المفاصِل ؟ فالرُّكْبة لا تحْتكُّ بِبَعْضِها، وإنَّما عن بُعْد وَوِفْق أرْبِطَة بالغة الدِّقَّة، وهناك بِمِصْر مستشفة مِن أوَّل طابق إلى عاشِرِهِ مختصّ بالرُّكْبة ! أعْقَد مَفْصَل هو الرُّكْبة، مَن صمَّم هذا الإنسان ؟ ومن كساهُ لَحْمًا ؟ قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(8)﴾

[سورة البلد]

فالآيات الكَوْنِيَّة بالجسم لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، وهذه مناسبتها، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)﴾

[سورة المؤمنون]

لذلك احفَظوا هذه القاعِدة: كُلُّ أمْرٍ في القرآن الكريم يقْتضي الوُجوب قال تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ(5)﴾

[سورة الطارق]

فالإنسان ينظر إلى ابنِهِ، وهو يعلمُ عِلم يقين أنَّه ماء مهين، خرَجَ مِن عَوْرَةٍ، ودَخَل إلى عَوْرَةٍ، ثمَّ صارَ كائنًا يتحرَّك ويتنفَّس ويأكل ويضْحك ويُصيبهُ ما يُصيبهُ، وله قلب وأمعاء وبنكرياس وأعضاء أخرى فالكَبِد يقوم بِخَمسة آلاف وظيفة، وهو أسْرع عُضْو يقوم بِبِناء نفْسِهِ فلو أُصيب الإنسان بِتَشَمُّع كَبِد، لكفى الطبيب أن ينزِع المكان المُصاب بالتّشَمُّع ويكفي للكبِد أن يبنيَ نفْسَهُ خِلال سِتَّة عشرة أسبوعًا ! والكبد يستطيع أن يُحَوّل السُّكر إلى دسَم ! وهو يُخَزّن الغِذاء بِشَكل مُفَكَّك، ويُرَكّبُهُ في الدَّم، فَمَن جعل هذا النِّظام ؟! والله لو جَلَسنا ساعاتٍ وساعات لا تنتهي آيات الله في خلق الإنسان، لماذا عندك عينين وليس عينٌ واحِدَة ؟!! وذاكرة الإنسان شيءٌ مُذْهل !! ذاكرة صَوْتِيَّة، وذاكرة شَمِيَّة، وترتيب المعلومات في الذاكرة، والمُحاكمة والتَّصوُّر، لذلك الآية الكريمة اليوم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)﴾

[سورة المؤمنون]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (11-04) : تفسير الآيات 23 - 28

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فالآيات في سورة المؤمنون تتحدَّث عن بعض الأنبياء الصالحين، منهم سيّدنا نوح عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23)﴾

[سورة المؤمنون]

أيها الأخوة، كلّ الدَّعوات إلى الله، لا تخرج عن دَعوة إلى التوحيد وعن دَعْوة إلى الطاعة والتَّقْوى، فالعقيدة هي التَّوحيد، والسُّلوك الطاعة قال تعالى:

﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23)﴾

[سورة المؤمنون]

قال تعالى:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24)﴾

[سورة المؤمنون]

الآن اسْمعوا أقوال الكفار في كلّ زمان، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((مِلَّة الكفر واحدة))

دائِمًا أهل الباطل يَطْرحون هذه القضايا، قال تعالى

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24)﴾

[سورة المؤمنون]

لا يوجد عندهم شيءٌ مُقَدَّس وأنا هذا نبيّ يُوحَى إليه ومَعْصوم، ويأتي بالحق، ومنْهَجٍ قَويم، فالكافر لا يعيش النوايا الطيِّبَة ولا يعيشُها، ولا يُصَدِّقُ شيئًا دون هَدَفٍ مادّي، ولا يُصَدِّق سَعْيًا دون مَكْسَبٍ شَخصي فَحَتَّى الأنبياء عند الكفار، قال تعالى:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24)﴾

[سورة المؤمنون]

لذلك حينما تَجدُ إنسانًا يتَّهِمُ دَعْوَةً والقَصْد جَمْع الناس، والقَصْدُ هذه مِلَّةُ الكُفْر، في كلّ زمانٍ ومكان وقد قال الله عز وجل:

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20)اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ(21)﴾

[سورة يس]

أوَّ علامة مِن علامات الدُّعاة الصادِقين ؛ لا يُريد شيئًا، لا مادّيًا ولا مَعْنَوِيًّا ولا مُعَجَّلاً، ولا مُؤَجَّلا، ولا كبيرًا ولا صغيرًا، فهذه أوَّل علامة.

العلامة الثانِيَة ؛ قال تعالى:

﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(124)﴾

[سورة البقرة]

فلا بدّ لِمَن يَجْعَلُهُ الله إمامًا أن يُمْتَحَن بالشَّدائِد فيَصْبِر، وأن يُمْتَحَن في الرَّخاء فَيُنْفِق وأن يُمْتَحن بالضِّيق النَّفسي فيُكابِر.

الآية الثالثة ؛ قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا(39)﴾

[سورة الأحزاب]

فَلِمجَرَّد أن يَخشى أحدًا إلا الله، سَيَسْكُت عن الحق، وينطِق بالباطل فإذا سكت عن الحق وتكلَّم بالباطل، ماذا بَقِيَ مِنْ تَبْليغ رِسالات الله ؟! لم يبْقَ شيء !

العلامة الرابعة ؛ قوله تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(18)﴾

[سورة آل عمران]

العالم الحقيقيّ يشْهد لك بِكَمال الله تعالى، أما الذي ينقل لك النُّصوص التي يضْرب بعضها بعْضًا، ويقول لك: لا أدري، والله قدَّر على الإنسان المَعْصِيَة، ثمّ يجْعلهُ في جهنَّم إلى الأبد دون ذَنْبٍ من هذا الإنسان ! فهذه دَعْوَة غير صحيحة، وفيها نسْبة ظُلم كبيرة، فالله تعالى قال:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(18)﴾

[سورة آل عمران]

شيءٌ آخر، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ(24)﴾

[سورة السجدة]

فالصَّبْر مِن لوازِمِ الدَّعْوة إلى الله تعالى.

المِقْياس الخامِس، قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ(108)﴾

[سورة يوسف]

هناك دليل وتعْليل وتَفْسير واضِح، وانْسِجام لكلّ المُعْطَيات والقِيَم فهذه المقاييس التي في الكتاب والسنَّة، والتي تُؤكِّد الدلائل التي يقوم عليها الدُّعاة الصادِقين، قال تعالى:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24)﴾

[سورة المؤمنون]

أيها الأخوة الكِرام لا تسْتَغْرِبوا ؛ البعيد عن الله والذي لا يرْجو رحْمة الله لا يتصوَّر عملاً بلا هدَفٍ مادِّي، لكنَّ الذي يعرف الله عز وجل لا يتصوَّر عملاً بِهَدَفٍ مادِيّ، بِمَعنى آخر أنَّ الإنسان له اسْتراتيجيَة ؛ فالمؤمن أساس حياتِهِ العَطاء، ويسْعَدُ بالعَطاء، والكافر أساس حياتِهِ الأخذ، قال بعضهم: إذا أردْتَ أن تعرف ما إذا كنتَ مِن أهل الدنيا أم مِن أهل الآخرة ؛ فانْظر إلى الذي يُسْعِدُكَ، هل تأخذ أم تُعْطي ؟ فالمؤمن يُسْعِدُهُ أن يُعْطي مِن وقْتِهِ و مالهِ وخِبْرَتِهِ، فهذا أخٌ مؤمن له محل بسكويت دخل إليه شَخْص مِن أطراف الجزيرة، فقال له: هل تسْتطيع أن تُعَلِّمَني الكاتو ؟ فأدْخَلَهُ المعمل، فطَبَخَ طبْخةً أمامه، وقال له: أُطْبُخ طبْخةً أمامي، يقول لي هذا الأخ صاحِب المعمل: والله مِن ثلاثين سنة إلى الآن ؛ كلّ سنة يأتيني بالهدايا ويقول لي: أنت لك فضْلٌ عليّ !! فالمؤمن أساس حياتِهِ العطاء، مرةً أراد أخ أن يعمل محلّ حلويات فسأل بالبزوريَّة ؛ هل هذا المَعْمَل مُجدي أم لا ؟ فقال لي: كل المَحَلاَّت خَوَّفوني !! إجْماع منهم، فقلتُ له: سوف أبْعثُكَ عند فلان

وسَلْهُ، فلمَّا ذهَب إليه قال له هذا الأخ: إنَّ البِضاعة رائِجَة هنا جدًّا !! ورِبْحُها قليل فهذا خالف إجماع هؤلاء لأنَّه مؤمن، لذلك المؤمن حياتُهُ مَبْنِيَّة على العَطاء، والكافر أساس حياتِهِ الاحْتِكار والأَسَرَة، فالمؤمن يُعطي والكافِر يأخذ، قال تعالى:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24)﴾

[سورة المؤمنون]

لا يأخذ مِن الماضي إلا التشبّث بالكُفْر، قال تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (25) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (26) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (27)﴾

[سورة المؤمنون]

ما قال مِن كُلِّ، وإنَّما قال: مِن كُلٍّ زَوْجين اثنين، فَبَعْضُ المُلْحدين يقولون: هذه السَّفينة لو كان فيها مِن كلّ حَيوان زَوْجَين يجب أن يكون طولها مِن هنا إلى أمريكا مثلاً ! فالله ما قال مِن كُلِّ، وإنَّما قال: مِن كُلٍّ زَوْجين اثنين، أي مِن كلّ زوجٍ تَحتاجُهُ، فالفرق التَّنوين، قال تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (25) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (26) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (27)﴾

[سورة المؤمنون]

دَر أمر بإغْراقِهِم قال تعالى:

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28)﴾

[سورة المؤمنون]

يرْوون قِصَّة لا أصل لها، ولكن لها مَغزى، وهي أنّ امرأةً مُسِنَّة جاءَت إلى سيِّدنا نوح، وقالتْ: متى الطُّوفان ؟ قال: بعد حين، فقالتْ: لا تنْسَني ! فسيِّدُنا نوحٌ نَسِيَها، ولمَّا ظَهَر الطُّوفان ورَكِب هو وإخوانهُ في السَّفينة، تذَكَّر هذه المرأة، وبعد أن انتهى الطُّوفان جاءَتْهُ وقالتْ: متى الطوفان يا نوح ؟! فقصَدَت أنَّك إن نسيتني فالله تعالى ما نَسِيَني !! قال تعالى:

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى(52)﴾

[سورة طه]

لا ينْسى نمْلةً سَمْراء، على صَخْرةٍ صمَّاء، في ليلةٍ ظَلْماء، فالله تعالى مطلق، ونحن نِسبيُّون.

قال تعالى:

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28)﴾

[سورة المؤمنون]

فالعِبرة بالنِّهاية.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-11) : تفسير الآيات 30 - 34

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، لازِلنا في سورة المؤمنون، وننتقل اليوم إلى قصَّة جديدة مِن قِصص الأنبياء، يقول الله عز وجل :

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آَخَرِينَ (31) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (32) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33)﴾

[سورة المؤمنون]

تَحَدَّثتُ البارحة عن أنَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم قال:

((مِلَّة الكفر واحِدَة))

الكفار والفُجَّار والعُصاة، في أيّ مكانٍ، وفي أيّ زمانٍ، وفي أيّ ظرْفٍ قديمًا، وحديثًا، وفي أيّ جِهَةٍ ينطَلقون مِن مَقولاتٍ واحِدَة ويتَّهِمون اتِّهاماتٍ واحِدَة، ويتصوَّرون تصَوُّراتٍ واحِدَة، ويعْتَقِدون اعْتِقاداتٍ واحِدَة.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة المؤمنون]

دقِّق في أتْرفناهم، التَّرَفُ في القرآن الكريم ورَدَ ثمانِيَة مرَّاتٍ حصْرًا، لو فَتَحْتَ المعجم المُفهْرس على كلمة سرِف لوجَدْتَ أنَّ هذا الفِعْل ورَدَ ثماني مرَّاتٍ حصْرًا، وإذا رجَعْتَ إلى الآيات كُلِّها التي ورَدَت فيها كلمة التَّرف لا تجِدُ كلمة ترف إلا مع الكُفْر ! لذلك يقول الله عز وجل:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(31)﴾

[سورة الأعراف]

وقال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا(27)﴾

[سورة الإسراء]

فالمُتْرف مُسْرِف ومُبذِّر، فهو مُسْرفٌ في المباحات ؛ في طعامه وشرابِهِ وسفرِهِ وسهراتِهِ، ومُبذِّر في المعاصي؛ في الحفلات المُخْتلطة، ودور اللَّهْو وفي شرب الخمور، والتعامل بالربا والقِمار، لذلك الإنسان منْهي أن يكون مُسرفًا في المباحات، ومنهي أن يكون مُبذِّرًا في المعاصي فالمُتْرف مُسْرِف ومُبذِّر، وقُرِنَ مع الكفْر في ثماني آياتٍ حصْرًا، وهذه أحد الآيات، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة المؤمنون]

فالإنسان ممكن بمائة ليرة يجلب مليارا، أو هذه المائة يُنفقها على وجْبة طعام واحِدَة يأكلها وتنتهي، فالذي معه المال الفائِض يُمكن أن يصل بِمَالِهِ إلى أعلى درجات الجنَّة، ولكنَّه يُنفقهُ إسْرافًا ويسْتهْلِكُه اسْتِهلاكًا رخيصًا، كُلْ واشْرَب وتزوَّج ولكن إيَّاك أن تسْرف أو تبذِّر لأنَّ الفائِض النَّقدي يُمكن أن تتقرَّب به إلى الله تعالى، فهذا بن عوفٍ رضي الله عنه يقول: حبَّذَا المال، أصونُ بِهِ عِرْضي، وأتقرَّبُ به إلى ربِّي فهذا الصَّحابي حدَّد وظيفتان للمال ؛ صِيانة العِرْض ؛ أُنْفِقُهُ على زوْجتي وأولادي، وأشْبِعُهم، وأكْسوهم، وأُقرِّبهم من الله عز وجل، والوظيفة الثانية التَّقرّب به إلى الله تعالى، فهذه هي وظيفة المال، فالذي معه المال الفائض يُمْكن أن يصِل به إلى أعلى الدَّرجات، عن عَبْد اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا))

[رواه البخاري]

فالذي يتْرف ماله يلتقي مع الكُفَّار، أما إذا وظَّف مالهُ في خِدْمة الخَلق ارْتقى إلى الحقّ، لذلك يوم القيامة يوقِفُ الله رجلين غَنِيَّيْن، يقول لأحدهما: عبدي أعْطيتُكَ مالا فماذا صَنَعتَ فيه ؟ " والله ترك أحدهم مالا لا تحرقه النيران كما يقولون، ثمّ بعد بضعة سنوات أصبح أولاده فقراء وبالمقابل ترى أُناسًا توَفَّاهم الله فأكْرم الله أولادهُ حتَّى جعلهم في أعلى عِلِيِّين، عِلمُ وغنَى، وأدب وتَقوى، فالذي يُنفق ماله في حياتِهِ يتولَّى الله أولاده مِن بعد مماتِهِ، وأنْدَمُ الناسِ رجُل عاشَ فقيرًا لِيَموت غنيًّا وأندَمُ الناس رجل دَخَل ورثَتُهُ بِمَالِه الجنّة، ودخَل هو بمالِهِ النار، فالمال الحرام ورِثوه حلالاً، فتزوَّجوا، وتَصَدَّقوا، ودخلوا الجنَّة بِمالِهِ وصاحِب المال الذي جمعه دخل النار بِمالِهِ !!

أيُّها الأخوة الكرام، دَقِّقوا لما يقوله: الإسراف في المباحات ؛ في الطعام والشراب واللِّباس، والبيوت، والحفلات في المباحات، وعرس يُكَلِّف عشرين مليونًا !! واللهِ الذي لا إله إلا هو بِمِئتان ألف نُزَوِّج شابًّا، فكم مِن شابٍّ نُزَوِّجُهُ بالعشرين مليون ؟!! كم من شابٍّ يتلوَّى على زوْجة ؟! يُحْصِنُ بها نفْسَهُ، حضَرتُ عقْدَ قِرانٍ أكْبَرْتُ أصْحابَهُ، فقد قام صاحب العرس وقال: لقد وضَعتُ لكم هدايا قيمتها سبعة مئة ليرة لكلّ واحدٍ منكم وقد عزمْتُ ألف شخْصٍ، وهذا المبلغ الذي كنت ناوٍ إهْداءكم إياه أعْطيْتُهُ لِعالِمٍ – قيمة المبلغ سبعمائة ألف ليرة – كي يُزَوِّج به الشَّباب !! فهؤلاء هم المُسرفون، ولو في المباحات.

وإذا كان الأمر في المحرَّمات أصبح تبْذيرًا، فلو كان العرس مُختلَط وهناك راقِصات وخُمور، وعلى البِطاقة الطَّيِّبون للطَّيِّبات، فإذا كان العرس على هذا الشَّكْل أصْبحَ تبْذيرًا، وكلاهما أخوة الكُفر، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة المؤمنون]

لو أنَّ الله أرسَلَ ملكًا وأمرهم بِغَضِّ البصَر، ما صدَّقوه، ولقالوا له: أنت ملَكٌ ونحن بشَر !! وكذا لو أمرهم بالصِّدْق، ولكن ينبغي أن يكون الرسول مِن بين البشَر، لولا أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام مِن بني البشَر تجري عليه كلّ خصائص البشَر لما كان سيّد البشَر، فجَميع الشَّهوات التي أوْدَعَها الله فينا أوْدَعَها في الأنبياء، وجميع الرَّغبات ومع ذلك ضَبطوا أنفسهم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا وَارَى إِبِطُ بِلَالٍ))

[رواه ابن ماجه]

فالإنسان إذا كان بشرًا وانْتصَر على بشَرِيَّته يرقى عند الله تعالى، أما إذا انْتصَرَت عليه شَهَواته يسفل إلى أسفل السافلين، قال تعالى:

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33)﴾

[سورة المؤمنون]

هيْهات اسم فعل ماض بِمَعنى بَعُدَ، أنا لا أعْتَقِد أنَّ في العالم لإسلامي مَن يجرأ أن يقول: ليس هناك آخرة، فالتَّكذيب اللَّفظي لا يوجَد، ولكن لو دقَّقْتَ في حياة الناس لوَجَدْت باليقين القَطعي أنَّ الآخرة ليسَت داخِلة في حِساباتهم إطلاقًا، فالذي يأكل المال الحرام هل يؤمن بالآخرة ؟ والذي يعْتدي على أعْراض الناس هل يؤْمِن

بالآخرة، والذي يبْني مَجْدَهُ على أنقاض الناس ؛ هل يؤمن بالآخرة ؟ والذي يشتري هذا الصحن المقعَّر هل يؤمن بالآخرة لذلك التَّكْذيب العملي أخْطر مِن التَّكذيب القولي والعِبْرة ليس بالكلام ولكن بالأفعال.

لو أنَّك ذَهَبتَ إلى طبيب، ووصَفَ لك وصْفةً فصافَحْتَهُ بِحَرارة ولم تشْتر الوَصْفة لاعْتِقادِكَ أنَّه لا يفْهم بالطِّب، فأنت بهذا الفِعل تُكَذِّبُهُ رغْم أنَّك تحترِمُهُ في الظاهِر، فالتَّحذير الآن لا مِن التَّكذيب اللَّفظي، ولكن مِن التَّكذيب العَمَلي، ومِن أن يكون السُّلوك لا يؤكِّدُ لك إيمانَك بالآخرة يقول أحد العلماء الكِبار: تَرْكُ دانِقٍ مِن حرام خير من ثمانين حجَّة بعد حجَّة الإسلام ! فما بال الذين يغْتَصِبون البيوت والأموال، ويَعِدون الناس بِنَجاح الدَّعْوة وهي خاسِرَة علم يقين، وهم يعلمون أنَّها خاسِرَة ويأخذون الأموال !! وهؤلاء الأطِبَّاء الذين يطْلبون تحاليل ليسَ المريض بِحاجة إليها، وهؤلاء التُّجار الذين يَغُشُّون !! فالدِّين بالأسواق والمحاكِم والمحلاَّت، والمسْجد مناسبة لِقَبض الثَّمَن فقط، أما العمل في الخارج.

أيها الأخوة، ملَّة الكُفْر واحِدَة، قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ (34) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (35) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (36)﴾

[سورة المؤمنون]

الآن دقِّقوا، قال تعالى:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37)﴾

[سورة المؤمنون]

الدنيا عند الكافر هي كلّ شيء، أحدهم جلسَ بِحَديقة بأمريكا، وكان من المشايِخ، فجاء رجل وجلس أمامه،وطلب منه أن يُحَدِّثه عن الإسلام ولمَّا أتمَّ هذا الشيخ الكلام، أخرج ذاك الرَّجل بعض الدولارات وقال له هذا هو رَبِّي !! فالدنيا عندهم كلّ شيء، فقولهم الدَّراهِم مراهم هذا كلام الشَّيْطان، قال تعالى:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(93)﴾

[سورة الحجر]

قال تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (38)﴾

[سورة المؤمنون]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-11) : تفسير الآيات 44 - 55

سم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، الآية الرابعة والأربعون من سورة المؤمنون وهي قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (44)﴾

[سورة المؤمنون]

تتْرى أيْ تتابَع نحن جميعًا بعد حينٍ نغْدو أخْبارًا، إما على الجُدْران وإما في الصُّحف وإما في المآذِن، فالإنسان قبل أن يكون حديثًا عليه أن يعْمَل أرْوَعُ كلمةٍ قرأتُها لِسَيّدنا عمر ابن عبد العزيز: إنَّ الليل والنَّهار يعْملان فيك فاعْمَل فيهما ! أُنْظر إلى سورة لك في العاشِرة مِن عُمُرك، وانْظُر إلى سورةٍ لك في الخمْسين، وضَعْهُما إلى جانب بعضِها بعْضًا، ترى البَون شاسِعًا، وكأنَّ هذا غير هذا !! إنَّ الليل والنَّهار يعْملان فيك فاعْمَل فيهما! فأنت في خسارةٍ مُحَقَّقة، لأنَّ الزَّمَن يسْتَهلكُ الإنسان، شيئًا فشيئًا، أما إذا عَمِلْتَ في هذا الزَّمَن الذي سيئقضي الأعمال الصالِحَة تلافَيْتَ الخَسارة نحن جميعًا في خسارةٍ مُحَقَّقة، إنَّها مُضِيُّ الزَّمَن الذي يسْتَهْلِكُ الإنسان والإنسان بِضْعة أيَّام كُلَّما انْقضى يومٌ انْقضى بِضْعٌ منه !

زُرْتُ القلْعة في القاهرة، وقد تحدَّث الدليل عن تارِيخ إبراهيم باشا، وعن تاريخ المماليك، وكيف قُتِلوا هنا، أين هم الآن ؟! تحت أطباق الثرى، ونحن سوف نكون تحججت أطباق الثَّرى، وسوف يكون لنا أخْبار فإمَّا أن تكون أخبارا طيِّبَة نرقى بها عند الله، وإما أخْبارًا سيِّئة يلْعننا الناس والملائكة، فالقضِيَّة أنَّن سَنَكون خبرًا، قال تعالى:

﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (44)﴾

[سورة المؤمنون]

الدنيا ساعة اِجْعلها طاعة والنَّفسُ طمَّاعة عوِّدْها القناعة قال تعالى:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآَيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ (46)﴾

[سورة المؤمنون]

أيها الأخوة، الإنسان قد يعْصي الله حينما تغْلبُهُ شَهوَتُهُ، وقد يعْصي الله كِبْرًا وعِنادًا واسْتِكْبارًا، فشتَّان بين المَعْصِيتَين، المعصِيَة التي يفْعَلُها العاصي لأنّ نفْسَهُ قد غلبَتْهُ، والمعْصِيَة التي ارتُكِبَت اسْتِكبارًا، فالله تعالى قال:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآَيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ (46)﴾

[سورة المؤمنون]

فاللَّبَن يتحمَّل الماء باللترات، ولا يتحمَّل نقطة نفْطٍ واحِدَة ! لذلك العُبودِيَّة لله تعالى لا تتحمَّل ولو ذرَّة كِبْرٍ ولا يدخل الجنَّة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ))

[رواه مسلم]

لذلك أيُّها الأخوة، وأنت في أعلى درجات إيمانِكَ أنت عبْدٌ لله، كلَّما خَضَعْتَ لله تعالى رفَعَك الله، وهل تعتَقِد أنَّ في الأرض كلِّها منذ أن خلق الله آدم وإلى يوم القيامة إنسانًا رفع الله شأنَهُ كَرَسُول الله صلى الله عليه وسلَّم ؟ لو ذَهَبتَ إلى مقام رسول الله لرأيْتَ الملايين واقِفَةً تبْكي فالله تعالى قال:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(4)﴾

[سورة الشرح]

فكلَّما خضَعْتَ لله رفَعَ الله ذِكْرَك، لذا المؤمن بينه وبين الله في أشَدِّ حالات التَّذلُّل يُمَرِّغُ جبْهَتَهُ في أعتاب الله، ولكنَّه في أشَدِّ حالات الإيذاء مع أهل الدنيا، عزيز على أهل الدنيا، وفيما بينه وبين الله تعالى ذليل هذا هو المَوْقف الكامل، بينما البعض الآخر إذا دَعَوْتَهُ إلى صلاة أو إلى ذِكْر أو مجلسِ عِلم أبى واسْتَكْبر، وقال: هذه خرافاتٍ لا أومِنُ بها !! فإذا رأيْتَهُ أمام من هو أقْوى منه تَجِدُهُ كالطِّفْل، وكالحيوان الأليف يتمسَّحُ به !!! أما المؤمن فيتذَلَّلُ لله، ويتأبَّى على خَلْق الله، والتَّكبُّر على المُتَكَبِّر صَدَقة، ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: ما تكبَّر عليَّ مُتَكَبِّرٌ مرَّتَين !! لا أسْمَحُ له المرَّة الثانيَة، وقد مشى أحدُ الصَّحابة مِشْيةً مُتَبَخْتِرَة قُبَيل أحد المعارِكَ فقال عليه الصلاة والسلام:

((إنّ الله يكْرهُ هذه المِشْيَة إلا في هذا الموطن !))

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ(39)﴾

[سورة الشورى]

فأنا أدْعوكم إلى التَّذلل لا إلى عِباد الله، بل إلى الله، وأدْعوكم إلى أن تكونوا في أعلى درجات العِزَّة مع عِباد الله، فَشَرَفُ المؤمن قِيامُهُ بالليل وعِزُّهُ اسْتِغْناؤُهُ عن الناس، قال تعالى:

﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (48) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50)﴾

[سورة المؤمنون]

الأخبار الصحيحة والصادِقة تُخْبر أنَّه لا بدّ مِن أن يظْهر سيِّدُنا عيسى عليه الصلاة والسلام يأتي أخي عيسى ابن مريَم فَيَملأُ الأرض عدْلاً وقِسْطًا، بعد أن مُلئَت جَوْرًا وظُلْمًا، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50)﴾

[سورة المؤمنون]

وأكثر المُفَسّرين على أنَّه سيَظْهر في دِمَشْق هذه البلْدَة، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ(61)﴾

[سورة الزخرف]

وقال تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا(159)﴾

[سورة النساء]

وقال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(55)﴾

[سورة آل عمران]

وهناك آيات كثيرة وأحاديث تُنبؤ بِمَجيء عيسى عليه وعلى نبيِّنا أفضَلُ الصلاة والسلام.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51)﴾

[سورة المؤمنون]

كلّ هؤلاء البشَر أمَّة واحِدَة ولهم خصائِص واحدَة، ولهم فِطَر واحدَة، وأما التَّقْسيمات فَهِيَ مِن صُنْع الإنسان، وهي باطلة ما أنزل الله بِها مِن سُلطان، الإغراق قالوا: هناك النُّبَلاء، وهناك العَبيد، وهناك القُوَّاد ! فالله تعالى قال:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52)﴾

[سورة المؤمنون]

كلّ يدَّعي وصْلاً بِلَيلى وليلى لا تُقِرّ لهم بِذاك

***

فالبُطولة لا أن تفْرح بِما عندك، ولكن أن تُطابِقَ ما عندك بِما عند الله فإن تطابقا فافْرَح، فَكُلّ إنسان يدَّعي نَظَرِيَّة، ومبدأً، ويأتي بأدِلَّة واهِيَة وبِبِناءٍ لا أصْل له، وينْحازُ انحيازا مُعَيَّنًا، ويفرح فرحًا مُعَيَّنًا، ويؤمن بشيءٍ مُعَيَّن، ولكن ما قيمة هذا الشيء إذا كان مُخالفًا لِمَنْهج الله تعالى لذلك البُطولة لا أن تأتي بمبدأ جديد بل أن تجْعل مِن مبدئِكَ مُطابِقًا لِكِتاب الله، وسنَّة رسوله، والحقّ واحِد، قال تعالى:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(153)﴾

[سورة الأنعام]

فالباطِل يتعدَّد، والحق واحِد لا يتعدَّد، والباطل كالخُطوط المُنْحَنِيَة والمُنْكسرة، لذلك جاء الصِّراط المستقيم مُفْرَدًا، وجاء الانْحِرافُ جمْعًا، قال تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(153)﴾

[سورة الأنعام]

وقال تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(257)﴾

[سورة البقرة]

النور مُفْرَد، والظلمات جَمْع، فَكُلّ معْصِيَة ظُلمة، وكلّ مبدأ وَضْعي ظُلْمَة، وكل باطِل ظلمة، أما النور فَوَاحِدٌ.

قال تعالى:

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53)﴾

[سورة المؤمنون]

عندنا نقطتان: الأولى كلُّ حِزْبٍ بما لديهم فرِحون، والثانِيَة: وتحسبهم جميعًا وقلوبهم شتَّى ! فهذه الأمَم وهذه الشُّعوب وهذه المِلل لا يُمْكن أن تُوَحَّد إلا بالدِّين الإسلامي، قال تعالى:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(63)﴾

[سورة الأنفال]

شيءٌ عقَدَهُ الله بين رَجُلين هيَ المحبّة والأُلْفة، فهل تستطيع جِهةٌ على وَجه الأرض أن تنقض هذا الحبّ؟! مُستحيل، فالحب بين المؤمنين حقيقة والمُجامَلة والمُداهنة بين الكُفَّار غير حقيقة، أما الله عز وجل قال:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(103)﴾

[سورة آل عمران]

فالحَبل واحِد، والشيء العجيب أنَّك تَجِد الواحِد بالشام والآخر بإفريقيا والثالث، بِجَنوب إفريقيا، قِيَمٌ واحِدَة، والقرآن واحِد والنبي واحِد والأساليب، بينما لو دَخَلتَ أُسْرةً وكان لِكُلّ واحِدٍ منهم انْحِرافًا لرأيتَ تشتُّتًا عجيبًا، وعداوَةً، وتباعُدًا ما لا سبيل إلى وَصْفِهِ ! فالدِّين يُشَكِّل نِقاطًا مُوَحَّدَة، وجُلوسُكَ مع المؤمن فيه مُتْعة، وقد تجلس مع غير المؤمن فتجد الخِلافات الكثيرة، لذا الإسلام يتَغَلْغَل إلى أعماق النَّفس فالمؤمن صابِر وعفيف وصادِق، يرْجو الله والدار الآخرة، ويؤثر ما عنده، لذا المؤمنين مُتَّحِدين ومُتَفاهِمين، ومُتعاوِنين، وتجِدُ أهل الدنيا مُتباغِضين، ومُتحاسِدين، ومُتنافِسين ؛ لماذا ؟ الحق يجْمع والباطل يُفَرِّق قال تعالى:

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ(14)﴾

[سورة الحشر]

أما الؤمنين قال تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(103)﴾

[سورة آل عمران]

فإذا أردْتَ وحدةً متينةً لا تنفصِم،ووحْدة قُلوبٍ، ووحْدة هدفٍ ووحْدة مبادئ، فعليك بأهل الإيمان، لذلك الآية الكريمة:

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53)﴾

[سورة المؤمنون]

وقال تعالى:

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55)﴾

[سورة المؤمنون]

هذا اسْمُه الاسْتِدراج وإذا رأيْتَ الله تعالى يُمِدُّك بالمال والصِّحة والقوَّة والجاه وأنت تعْصيه فاحْذر فإنَّ هذا اسْتِدراج وليس إكرامًا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-11) : تفسير الآيات 55 - 67

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، الآيات التالية من سورة المؤمنون تتحدَّث عن أهل الدنيا، وكيف أنَّهم يتوهَّمون أنَّ دُنياهم دليل رِضاء الله عنهم، فيقول الله عز وجل:

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ (56)﴾

[سورة المؤمنون]

أيُّها الأخ الكريم لا تتَّخِذ مِقياسًا لِمَكانتِكَ عند الله لا ينطبق على القرآن فإذا كنتَ غَنِيًّا فلا يعني أنّ الله تعالى يُحبُّك، وإن كنتَ فقيرًا فلا يعني أنَّ الله تعالى يبْغضك، فالفقْر والغِنى لا علاقة له بالقُرْب من الله تعالى، إذا كنتَ قَوِيًّا فليس معنى هذا أنّ الله يُحِبُّك، وإن كنتَ ضعيفًا ليس معنى هذا أنَّ الله يُحِبُّك، وكذا الأمر إن كنت وسيمًا أو ذَميمًا، فهذه الحُظوظ لا علاقة لها بالقُرْب من الله أو البُعْد عنه، فالعلامة المُمَيّزة مدى انْطِباق السُّلوك على الشَّرع، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(13)﴾

[سورة الحجرات]

يُمْكن أن تقول: لأنَّني أفعل ما أمر الله، وأنْتَهي عمَّا نهى عنه وزَجَر أرْجو الله أن أكون مُقرَّبًا ؛ فهذا مِقياسٌ صحيح، لذا لا تتَّخِذ مقياسًا لا يُقرّ به القرآن، والله عز وجل ما أقرَّ أهل الحُظوظ على حُظوظهم، وما اعْتَمَد الصِّحة والقوَّة ولا المال ولا الذَّكاء في التَّرْجيح بين خلْقِهِ، اِعْتَمد العِلم والعَمَل، قال تعالى:

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ(9)﴾

[سورة الزمر]

وقال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ(132)﴾

[سورة الأنعام]

فدائِمًا اِسْتَخدم المِقْياس القرآني لأنَّ الإنسان يتوَهَّم ويقول: أرى كثيرًا مِن الناس ؛ إما لِقُوَّتِهم وغِناهم، يقولون: لولا أنَّ الله راضٍ عنَّا لما أعْطانا أعطى قارون وهو لا يحبه و أعطى فرعون وهو لا يحبه، ماذا أعطى الأنبياء ؟ قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(14)﴾

[سورة القصص]

اِبْحَث عن شيء يرفعُكَ عند الله إذا قلتَ: هذا مِن فضل الله عليّ قال تعالى:

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ (56) إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ(57)﴾

[سورة المؤمنون]

الله عز وجل إذا وصف المؤمنين ما الهدف ؟ هناك هدفان ؛ هذا الوصف هدفٌ و مقياسٌ، هدف تجعله نصبَ عينيك و مقياس تقيسُ به إيمانَك، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57)﴾

[سورة المؤمنون]

إذا أردتَ أن تعرف ما لكَ عند الله فانظر ما للهِ عندك، هل أنتَ حريصٌ على إرضائه أم أنَّه لا تُبالي أكان عملُك في رضاه أم في سخَطِه ؟! فالله تعالى قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57)﴾

[سورة المؤمنون]

يخاف خوفًا حقيقِيًّا لذا قال عليه الصلاة والسلام:

((رأس الحِكمة مخافة الله))

وإذا رَمَزْنا لِمَعرفة الله تعالى بِمُؤشِّر، فَمُؤشِّر الخوف يتحرَّك مع مؤشِّر المعرفة، فكلمَّا زادَتْ معْرفتك بالله ازْداد خَوْفُك، فالطَّبيب الذي يُعالِج الأمراض الهَضْمِيَّة كلّ يوم، ويرى الانتانات والاخْتِلاطات والالْتِهابات والْتِهاب المعِدَة بِسَبب الطَّعام المُلوَّث تَجِدهُ يُبالِغُ في تَنظيف الطَّعام ؛ لأنَّه لمَّا ازْداد عِلْمُهُ ازْدادَتْ خَشْيتُهُ، والقضِيَّة تنطلِقُ مِن حُبِّ الإنسان لِذاتِهِ فكُلَّما ازْداد عِلْمُكَ ازْدادَتْ خشْيتك، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58)﴾

[سورة المؤمنون]

هناك علاقة بينهما، فهو لماذا يخاف الله تعالى ؟ لأنه آمَنَ بالله تعالى متى خافَهُ ؟ بعدما عرفهُ، فلا خَوْف من دون معرفة، فالطِّفْل الصغير قد يمرّ عليه صاحب رتْبة عالِيَة جدًّا، فيتعامَل معه وكأنَّه شخص عاديّ أما لو كان مكان الطِّفل جُندِيّ لرَجَف، فالطِّفل لمْ يعْبأ لِعَدم وُجود الإدراك فكلمَّا ازْداد الإدْراك ازْداد الخوف، وهذه قاعِدة، لذا قالوا: هناك قانون التعامل مع المُحيط ؛ إدْراك وانفعال وسُلوك، فإذا صحَّ الإدْراك كان الانْفِعال، وإذا صحَّ الانْفِعال صحَّ السُّلوك، أوْضَحُ مثلٍ ؛ أن يكون المرء يمْشي في البسْتان فإذا به يَجِدُ أفْعى، فإذا كان راشِدًا يعْلم ما معنى أفْعى ؟ وما معنى لدْغَةُ الأفعى ؟ وما معنى أنَّها غدَّارة ؟! فإذا كان إدْراكُهُ صحيحًا

لِخَطر هذا الحَيوان ينْفَعِلُ ويضْطرب ويخاف ويصيحُ، ويتحرَّك، فإمَّا أن يقْتُلها أو يهْرُبَ منها، فالإدْراك الصحيح يعْقِبُهُ الانفِعال الصحيح، والانْفِعال الصَّحيح يعْقِبُهُ السُّلوك الصَّحيح، فإذا أعدم الانْفِعال كان دليل عدم الإدْراك، فلو أنَّك قلتَ لأحَدِهِم: على كَتفِكَ عقْرب ! وبَقِيَ هادِئًا ومُرْتاح !! فهذا يعني أنَّه لم يُدرك ما قلتَ له !! لأنَّه لو فَهِمَ الموقف لانْفَعَل وصاح، أردْتُ مِن كلامي هذه العلاقة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58)﴾

[سورة المؤمنون]

فلأنَّهم آمنوا بآياتِ ربِّهم أصْبَحوا من خَشْيَة ربِّهم مُشْفِقون.

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59)﴾

[سورة المؤمنون]

لا يرى مع الله تعالى أحدًا، مع أنَّ الله تعالى يقول:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ(106)﴾

[سورة يوسف]

فَهُوَ يؤْمِنُ أنَّ الله تعالى خلق الكَون، ولكنَّه يرى زَيدا وعُبَيدا أقْوِياء في نَظَرِهِ، غضَبُهم مُخيف، ورِضاهُم مُسْعِدٌ، ويُطيعُهم، ويعْصي الله تعالى وهذا هو الشِّرْك.

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

[سورة المؤمنون]

ينْفِقُ المال، وهو خائِفٌ، خائِفٌ مِن ماذا ؟! خائِف مِن أن لا يُقْبل ! لأنَّ الناقِدَ بصير، والله عز وجل مُطَّلِعُ على خبايا النّفس وباطِنِها، قال تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ(18)﴾

[سورة الحاقة]

فالنوايا كلُّها عند الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ))

[رواه مسلم]

لذلك المؤمن يخاف أن لا يُقْبَلَ عملُهُ، ولماذا لا يُقْبلُ عملُهُ ؟! إن لم يكن خالِصًا لله عز وجل، لأنّ الله تعالى طيّبٌ ولا يقبَلُ إلا طيّبًا، وإنَّ الله تعالى أغْنى الأغنياء عن الشِّرْك، والله سبحانه وتعالى لا يقْبل العمل المُشْترك، والقلبُ المُشترك لا يُقْبِلُ عليه ! القلبُ المُشْتَرَكُ بين حُبِّ اله وبين حُبِّ الدنيا لا يُقْبِلُ عليه الله تعالى، وكذا العمل المشْترك، قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61)﴾

[سورة المؤمنون]

وإذا قال الواحِد: هذا فوق طاقَتِنا !! فهذا تَزَمُّت، وهذا الكلام فوق طاقة البشر، والحياة مُعَقَّدَة وصَعْبَة، اِسْمَعْ الرَّدَّ الإلهي، يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (62)﴾

[سورة المؤمنون]

يقول لك: فلانٌ هكذا أفْتى ! قلتُ مرَّةً لِوَاحِدٍ: عندَكَ بيت تَوَدُّ أن تبيعَهُ وخرَجْتَ مِن بيتِك، ووجَدْتَ دلاَّلاً، وعرَضْتَ عليه البيت، فقال لك: ثلاثة ملايين، هل تعْمَل معه عقْدًا رأسًا ؟! لا، بل تسأل ثانيًا وثالثًا وحتَّى العاشِر ؛ لماذا مِن أجل الدنيا لا تثِقُ بالواحِدِ، وإذا كان أوّلَ إنسان أفْتى لك بِفتوى فيها رُخْصة ترتاح له ؟ وتقول: كلامُهُ حقّ !! إذا مات صاحبُ المبْلغ تؤْخَذُ أعلى ضريبة منه دون النَّظر إلى دُيونِهِ، فالناس سحَبوا أموالهم !! خوفًا مِن الضرائب فلِمَ لمْ تسْحَبوا أموالكم خوفًا من الله ؟!! قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

[سورة المؤمنون]

يتصَّدق ويخاف من الرِّياء والنِّفاق، لأذلك المؤمن يتحرَّى الإخلاص دِرهم تُنفِقُهُ بإخلاص خير مِن مائة درْهمٍ تُنْفقُهُ في الرِّياء.

قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (62)﴾

[سورة المؤمنون]

معنى هذا أنَّك لسْتَ مرْجِعًا إن كنت تُطيق هذا الشَّرْع أو لا تُطيقُهُ فالمرجِعُ هو الصانِع، تمامًا إذا اشْتَرَيْتَ آلةً فأنت تُصَدِّقُ صانِعَها وليس مُسْتَعْمِلَها ! فالشَّركة هي المرجع في أخْذ رأيِها هل هذه الآلة تُطيق كذا أم لا ؟ لذا لا تقل غضّ البصَر صَعْب وإنفاق المال لا أُطيقه ؛ هذا كلام لا دليل له، فأيُّ إنسان يعُدّ نفسه مرجِعًا في قبول هذا الحق أم لا، فهو جاهِل، فالمرجع هو الله تعالى، قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ لَبَث(286)﴾

[سورة البقرة]

لكنَّ هؤلاء الذين يدَّعون هذه الدَّعوة قال عنهم تعالى:

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63)﴾

[سورة المؤمنون]

لمَّا الإنسان يأكل الرِّبا فهو يُدافِعُ عنه، ولمَّا يحبّ الاخْتِلاط يُهاجِم الحِجاب، ولمَّا يحبّ التَّفلُّت يُهاجِم الانْضِباط، فالإنسان أحْيانًا ينطلق مِن مُناقشَتِهِ لا مِن الحقيقة، ولا يهْدِفُ إليها، ولكن مِن واقِعِهِ ودِفاعًا عنه لذلك هؤلاء الذين يُكابرون قلوبهم مُنْغَمِسَة في الدنيا، قال تعالى:

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63)﴾

[سورة المؤمنون]

ثمَّ قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (64) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (65) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ (67)﴾

[سورة المؤمنون]

المُلَخَّص إذًا أنَّه إذا كان الإنسان غارِقًا في حُبِّ الدنيا، وله أعمال خسيسة فهذا يُعارِض الحق ويرْفُضُهُ، وحين يُحاسِبُهُ الله يعْرِفُ ما إذا كان على الصَّواب أو الخطأ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-11) : تفسير الآية 69

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، الآية التاسعة والستُّون من سورة المؤمنون، قال تعالى:

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (69)﴾

[سورة المؤمنون]

الله جل جلاله يريدنا أن نعرف رسول الله، و لماذا ؟ لأن الله تعالى جعل أحكام القرآن الكريم كُلِّيةً و جعل تفصيلاتِ الأحكامِ عن طريق النبيِّ عليه الصلاة والسَّلام، و لذلك قال تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(7)﴾

[سورة الحشر]

فأنت إن لم تأخذ ما أمرك به رسولُ الله وإن لمْ تنتَهِ عما نهاكَ عنهُ الرسولُ فلستَ مطَبِّقًا لكتاب الله عز وجل، مثلًا قال تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(103)﴾

[سورة التوبة]

أنصِبَةُ الزكاة، نصابُ عُروضِ التجارة و نصابُ النبات ما أنتجَتْه الأرضُ، ونصابُ الأنعام و نصابُ الرِّكازِ و نصابُ الذهب و الفضة و مصارفُ الزكاة، هناك مئاتُ الأحاديثِ لهذه التفصيلات، ولو أنَّ القرآنَ وهو كلامُ الله عز وجل تضَمَّن التفصيلاتِ لكان مائة ألفِ صفحةٍ، ولا يُمكِن أن تقرأَهُ و لا أن تحفظهُ، فالله سبحانه و تعالى جعل كلامه موجزًا وعامًّا و ترك للنبيِّ عليه الصلاة و السلام التبيينَ و التفصيلَ، وعصمَهُ مِنْ أنْ يُخطئَ لأي أقواله و أفعاله، و في أحواله، وجعل كلامَه وحيًا غيرَ مَتلُوٍّ، وعلماءُ العقيدةِ يقولون: هناك وحيٌ متلُوٌّ هو القرآن الكريم وهناك وحيٌ غيرُ متلُوٍّ وهو السنَّةُ و أحاديث الرسول، فلذلك قال تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4)﴾

(سورة النجم)

فلماذا يجبُ أنْ نعرفَ رسولَ الله ؟ يجبُ أن نعرفَه منْ سنَّتِهِ القوليةَ لأنَّ اللهَ أمرَنا أن نفعل ذلك، مَن حرَّم علينا عدم الجمْع بين الأخ وأختها ؟ وبين الزوجة وعمَّتهَا وخالتها ؟ السنَّة، ومن قال: يحْرُمُ مِن الرَّضاع ما يحْرُمُ مِن النَّسَب ؟ آلاف الأحكام التي تركها الله للنبي عليه الصلاة والسلام إما لِفَهْمِهِ الدَّقيق لِكتاب الله، أو للوَحْي المباشِر الذي أوْحاه الله إليه لِيُبَيِّنَهُ لنا، إذًا معرفة سنَّتِهِ القَوْلِيَّة فرضُ عَين انْطِلاقًا من القاعِدَة

الأصوليَّة ؛ ما لا يتِمُّ الواجِب إلا به فَهُوَ واجِب، وما لا يتمُّ الفرض إلا به فهو فرض، وما لا تَتِمُّ السنَّة إلا به فهو سنَّة، فالوُضوء فرض لماذا ؟ لأنَّ الصلاة التي هي فرْض لا تُؤَدَّى إلا به، فإذا قال الله عز وجل:

﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(7)﴾

[سورة الحشر]

هذه الآية تَطبيقُها فرض، فكيف نأخذ ما آتاه النبي صلى الله عليه وسلَّم إن لم نعْرِف ما آتانا ؟ وكيف نعرف ننتَهِي عمَّا عنه نهانا إن لم نعرف عمَّا نهانا، لذا قال تعالى:

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (69)﴾

[سورة المؤمنون]

نقْطَةٌ ثانِيَة ؛ حينما قال الله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا(21)﴾

[سورة الأحزاب]

أي يا عِبادي المؤمنين هذا النبي الكريم أُسْوَةٌ لكم في كلّ حياتِكم ؛ في بيتِكم ومع زوْجاتِكم ومع أولادكم، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ:

((انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي فَقَالَ أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ قَالَ لَا قَالَ فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي ثُمَّ قَالَ أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً قَالَ بَلَى قَالَ فَلَا إِذًا))

[رواه البخاري]

فأن تُعْطِيَ ابنًا دون الآخر هذا مِن الجَوْر، فالنبي عليه الصلاة والسلام أُسْوَةٌ لنا في بيتنا، ومع جيراننا، ومع أهلنا، وعَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ))

[رواه البخاري]

فقد كان له عليه الصلاة والسلام جارٌ يَهودي، كان يُؤذيه فلمَّا انْقَطَعَ عنه الأذى ظنَّه أنَّه مات فعادَهُ ! فالأسْوة هو النبي عليه الصلاة والسلام فَمَعرفَةُ سنَّتِهِ صلى الله عليه وسلَّم فرض عَيْن، وليس لك خِيار، ومَن تركهُ أثِم وعوقِب، لأنَّ هذه الأوامر الإلهيَّة لا تتِمُّ إلا بِسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وهناك مَن يُنكر أن نقوم بالاحْتِفال بِعيد المولِد النَّبوي الشريف، مِن أين خالَفْتَ السنَّة ؟ كيف أعرف رسول الله ؟ أصْغي إلى كلمة حول شمائله وأخلاقه وعدْله وعَفْوِه.

السؤال: هل هناك دليل أقوى من ذلك على وجوب معرفة رسول الله ؟ يقول الله عز وجل:

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا(99)كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا(99)﴾

[سورة طه]

إذا كان فؤاد النبي يزداد ثباتا بسماع قصص الأنبياء الذين هم دونه، فما قولك بمؤمن يستمع إلى قصة رسول الله ؟ وهو سيِّد الخلق و حبيب الحقِّ من بابٍ أولى، قلب النبيِّ يزداد ثباتاً على الحق إذا قصَّ اللهُ عليه أنباءَ الرسلِ الذين من قبله وهم جميعًا دونه، أمَّا إذا استمعنا نحن المؤمنين إلى سيرة النبيّ كيف قال:

((واللهِ يا عم لو وضعوا الشمسَ في يميني و القمر"))

ثبات على المبدأ، كيف قالت له السيدةُ خديجةُ: خذْ قِسطًا من الراحةِ، بعد أن جاءه الوحيُ قال: انقضَى عهدُ النومِ يا خديجةُ، نحن أمامَ مهمَّةٍ كبيرة، و أكثرُ الناس يبحث عن الراحة، و الرَّفاهِ و السرورِ و المكانِ الجميل و عن الطَّعام الطّيّبِ و عن السيَّارةِ الفخمةِ، و عن الزوجة الجميلة، و عن البيت الفخم، يريد أنْ يستمتِعَ، أمَّا النبيُّ ففهِمَ الحياةَ شيئًا آخرَ، فهِمَها رسالة، و فهمها أمانة يجبُ أن تُؤَدّى، قال له لمَّا جاءته الرسالةَ و قال: زمِّلُوني زمِّلُوني، قالت: خذْ قِسطًا من الراحة، قال: انقضَى عهدُ النوم يا خديجةُ، أُسوتُنا، و حينما بلغَ قِمَّةَ النجاح و دانتْ له الجزيرةُ العربيةُ منْ أقصاها إلى أقصَاها و دخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجًا ؛ صعِدَ المنبَرَ باكيًا وقال:

((مَن كنتُ أخذتُ له مالًا فهذا مالي فليأخُذْ منه، ومَنْ كنتُ جلدْتُ له ظهرًا فهذا ظهري فَلْيَقْتَدْ منه، و من كنتُ شتمْتُ له عِرضًا فهذا عِرضِي فلْيَقتَدْ منه))

وهو لا يخشى الشحْناءَ فهي ليستْ مِن طبيعتِه و لا من شأنِه، ما هذا التوَا ضعُ ؟ و متى قال هذا الكلامَ ؟ في قمَّة نجاحهِ بعدَ أنْ فتحَ مكَّةَ و دخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجًا و دانتْ له الجزيرةُ العربيَّةُ دخل مكَّةَ فاتِحًا و كادَتْ ذُؤَابةُ عمامتِه تُلامِسُ عنقَ بعيرِه، تواضُعًا لله و ما مِن قائدٍ فاتحٍ يفتحُ بلدةً مُسْتعْصِيةً إلا أخذَه الزُّهُوُّ و الغطرسةَ و الكِبرَ و سفكَ الدِّماءَ، قال: ما تظُنُّون أنّي فاعلٌ بكم ؟ قالوا: أخٌ كريمٌ و ابن أخٍ كريمٍ، قال: اذهبوا فأنتم الطُّلَقاءُ، كان عليه الصلاةُ و السَّلامُ يصلِّي الفجرَ وكان في قمَّة نَشْوتهِ قرأ سورةً قصيرةً و ختم الصلاةَ على عجَلٍ ما فهِم أصحابُه شيئًا، ثم فهموا أنَّ النبيَّ عليه الصلاةُ و السلام سمع بكاءَ طفلٍ صغيرٍ خلفَ الصُّفوف، و علم أنَّ هذا الطفلَ ينادي أمَّه ببكائه فرحم الطفل و رحم أمَّه، فقطّع الصلاة، عَنْ أَنَسٍ:

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِنْ أَخَفِّ النَّاسِ صَلَاةً فِي تَمَامٍ))

[رواه مسلم]

سيّدنا عمرُ تعلَّم منه فاستأذَنَ السيّدةَ عائشةَ أن يُدفَن إلى جوار أبيها فأذِنَتْ له وهو على فراش الموت، و لا يزال خليفةَ المسلمينَ، فقال لابنِه: **يا عبدَ اللهِ مُرَّ بجنازتي أمام بيتِ عائشةَ و اسْتَأْذِنْها ثانيةً فلعلَّها أذِنتْ لي و أنا أميرُ المؤمنين**، فلو نقرأُ سنَّةَ رسول الله واللهِ لَكُنَّا في حالٍ غيرِ هذه الحال، و رسولُ الله يقول:

((عليَّ جمعُ الحطب، إنَّ الله يكرهِ أن يرى عبدَه مُتميّزًا عن أقرانه))

فحتَّى يحبَّك الناسُ اجعلْ نفسك واحدًا منهم، هناك شيء أبلغُ من ذلك يدخل أعرابي على النبيّ يقول: أيُّكم محمَّدٌ ؟! فيقول الواحدُ: ذلك الوَضِيئُ، فكيف أحبَّه أصحابُه ؟ و كيف فدَوْهُ بأرواحهم ؟

قرأْتُ مقالةً عن الحرب العالميةِ الثانيَةِ، قائد مُعادي يصفُ الجيشَ الآخرَ فقال: هذا الجيشُ لا ينتصِر، و لماذا ؟ لأنَّ هناك مطبخًا للقادةِ و مطبخًا للجُنود، كيف فعَل هذا النبيُّ ؟

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:

((كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقَالَا نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ فَقَالَ مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا))

[رواه أحمد]

هذا هو قائدُ الجيش.

أنا أقول لكم من هذه الآيةِ، قال تعالى:

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (69)﴾

[سورة المؤمنون]

واللهِ يجب أن نقرأَ سيرةَ النبيّ واحدًا واحدًا، و أن نعكِف عليها و أن نستَنْبِطَ منها الأشياءَ الكثيرةَ، دخل إلى البيت فوجدَ أنَّ عائِشةَ جاءها طبقٌ من طعامٍ من ضرَّتِها، فرَمَته أرضًا و كسرتْه، كان بإمكانه أنْ يُؤَدِّبها ولكنْ قال: غضبتْ أمُّكم غضبتْ أمُّكم، كان إذا دخل بيتَه ضحَّكًا بسَّامًا كان يقول عن النِّساءِ، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا تُكْرِهُوا الْبَنَاتِ فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْغَالِيَاتُ))

[رواه أحمد]

كان يقول:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ))

[رواه الترمذي]

فإذا لم يكنِ الإنسانُ في خيرٍ مع أهله فبالأحرَى أن يكون خارج البيت بلا خيرٍ، داخل بيته كالوحش و خارج البيت مداهنة و..و هذا ليس من السُّنة في شيء، كان يقول عليه الصلاة و السلام:

((أكْرِموا النساء فو اللَّهِ ما أكرَمهُنَّ إلاَّ كريمٌ و ما أهانَهُنَّ إلاَّ لئيمٌ يغلِبْنَ كلَّ كريم ويغلبهنَّ لئيم، و أنا أحبُّ أنْ أكون كريمًا مغلوبًا من أن أكون كريمًا غالبًا.))

أيُّها الأخوة الكِرامُ، نحن في عيد المولد، وهذه الآية:

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (69)﴾

[سورة المؤمنون]

يجبُ أن نعرفَ رسولَ اللهِ، و أنا أتمنَّى أن يجمعَ كلُّ واحدٍ منَّا أقرباءه المُتَفَلِّتين غيرِ المنضَبطين الذين لا يأتون إلى المساجد، يجمعهم في بيته و يطعمهم ويسمِعهم إمَّا مِنْ قِبَلِه أو مِن قِبَل من يحسن ذلك شيئًا عن أخلاقِ النبيِّ، فالعبرةُ أن تكسبَ الطرفَ الآخرَ، و بطولتُك ليس أن تكسبَ الطرفَ الأوَّلَ، نحن كلُّنا طرفٌ واحدٌ، البطولةُ أن تكسبَ الشاردين المنحرفين و المُشَكِّكين و المنتقِدون، هؤلاء اجْمعْهم و أطْعمهم الطعام و أسمِعْهم من هديِ النبيِّ فلعلَّهم يلتفُّون حولك و لعلَّهم ينْضَوُون تحت لواء الإسلام.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-11) : تفسير الآيات 71 - 76

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، يقول الله جل جلاله في الآية الواحدة والسبعين من سورة المؤمنون:

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71)﴾

[سورة المؤمنون]

أيها الأخوة، مِن تعريفات الفساد أن يخرج الشَّيء عن صِفاتِهِ الأصيلة فالماء مِن خصائِصِهِ الأصيلة أنَّه لا لَوْن له، ولا رائِحَة له، فإذا أصْبَحَ له لون أو رائِحَة نقول: فسَدَ الماء، أي خرج عن صِفاتِه الأصيلة والفساد ليس له إلا معنًى واحِدًا.

مَخلوقٌ أَوْدَعَ الله فيه الشَّهوات، ومَنَحه حُرِيَّة الاخْتِيار فَتَحَرَّك بِخِلاف منهَج الله، ماعدا الإنس والجنّ كلٌّ بيدِ الله، يتحرَّكون وِفق منهج قويم، أمّا الإنسان لأنه مُخيَّر ولأنَّ الله سبحانه و تعالى أودعَ فيه الشَّهواتِ و لأنَّه يتحرَّك بخلاف منهجِ اللهِ، يَحْصُل الفسَاد في الأرض، فالفَساد كائِنٌ أودِعَتْ فيه الشَّهوات لِيَرْقى بها في الأصل إلى رب الأرض السماوات ولكنَّه تحرَّك مِن خِلالها بِخِلاف منْهَج الله فَعَمَّ الفسَاد في الأرض، والله عز وجل خلَقَ الذَّكر والأنثى، ومنْهجُهُ يقْتضي الزَّواج، والزَّواج لَبِنَة من لبنات المُجتمع، والإنسان حينما يتزوَّج فيما يبْدو للناس أنَّهُ يقْضي وطرَهُ ولكنَّهُ في الحقيقة تُبْنى أُمَّةٌ مِن خلال الزَّواج ، لذلك قال تعالى:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(32)﴾

[سورة النور]

أمْرٌ إلهِيٌّ مُوَجَّهٌ لأولي الأمْر، وإلى أوْلِياء الأمور، وهذا الأمْر يرْقى إلى مُسْتوى النبل، أما حينما تخرُجُ المرأة بأبْهى زينة مِن أجل أن تُثير شَهوات الآخرين في الطريق يحْصُل الفساد، وحينما يكون لِقاء بين رجل وامرأة خارِج نِطاق الزَّوْجِيَّة يكون الفساد، وحينما نشرب شيئًا يُذهب عُقولنا يكون الفساد، وحينما يكون الاخْتِلاط يكون الفساد، وحينما نكْسب المال بِغَير طريق مَشْروع يكون الفَساد، فالفساد يعني إنسانًا مُخَيَّرًا تحرَّكَ بغير منهَج الله تعالى، لو أنَّ الناس اسْتقاموا على أمْر ربِّهم لكانت الحياة بِشَكل آخر، ولكن المُزْعِجات في الحياة أساسها خُروج الإنسان عن منْهَج الله، لذلك ما مِن مُشْكِلةٍ على وَجْه الأرض بالتَّحْديد، والإطْلاق إلا بِسَبَبِ خُروج عن منهَج الله، وما من خُروجٍ عن منهَجِ الله إلا بسببِ الجَهْل، والجَهْل أعْدى أعداء الإنسان وطلب

العِلْم فرضٌ عَينيّ على كُلّ مُسلِم، وأنت بالعِلم إنسان، ومن دونه تهْبِطُ إلى مُسْتوى أدْنى، وطلب العِلْم الشَّرعي فرضٌ عَيْنيّ، ومِن أجل أن تعرف ما ينبغي أن تفْعَل وما لا ينبغي، ومِن أجل أن تعرف الحق مِن الباطِل، والخير مِن الشر والحلال من الحرام، وما مِن شيءٍ في الأرض إلا ولهه حُكْمٌ شَرعي فإمَّا أن يكون فرْضًا أو مندُوبًا أو مُستَحبّ أو مُباح أو مَكروه أو مُحَرَّم وطلب الفقْه حَتْمٌ لازِمٌ على كلّ مُسلِم، وما مِن موضوعٍ أخْطر بعد الإيمان بالله تعالى مِن موضوع الحلال والحرام،

عن بِلَالَ بْنَ الْحَارِثِ الْمُزَنِيَّ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ))

أضربُ لكم مثلاً مُنْتزَع من واقِعنا اليومي ؛ إنسان يصَلّي ويصوم وحاج لِبَيت الله مرات عديدة واعْتَمَر المرات العديدة، كان جالسًا مع أُخْتِه، ويُحَدِّثُها عن زَوْجِها السيّء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ))

[رواه أبوداود]

و معنى خبَّب أي أفْسَدَ، فهيَ نَفَرَتْ مِن زوْجِها حينما صَغَّرَه أخوها في نظَرها، أنت بِهذا ارْتَكَبْتَ كبيرةً، وهل يُكبُّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائِد ألْسِنَتِهِم !! لا يستقيم إيمان عبْدٍ حتَّى يسْتقيم قلبُهُ ولا يستقيم قلبُهُ حتَّى يستقيم لِسانُهُ، فالإنسان مُمْكِن أن يرْتَكِب أكبر الكبائر بِلِسانِهِ، وهو صائِم ومُصليّ يرْتاد المساجِد ويُزَكّي ويُخَبّب امرأةً على زوْجِها، ومعنى قول النبي عليه الصلاة والسلام ليْسَ مِنَّا أي نفى انْتِماءه عن هذا الدِّين وهذه كبيرة، أي ليْسَ مِن أمَّة مُحمَّد صلى الله عليه وسلم ولا تنْسَوا أنَّ أمَّة محمَّد أمَّتان ؛ أُمَّة التبْليغ وأمَّة الاسْتِجابة، فَأُمَّة الاسْتِجابة هي التي اسْتَجابَتْ لله ولِرَسوله إذا دعاها لِمَا يُحْييها، أما أيُّ إنسانٍ وُلِدَ في العالَم الإسْلامي مِن أبٍ أو أمٍّ مُسْلِمَين فَهُوَ مِن أمَّة التَّبليغ ومَن كان مِن أُمَّة التَّبليغ ليس له أيَّة ميزَةٍ عند الله تعالى مثلك مثل أيّ إنسانٍ في الأرض، أما ميزَتُك قوله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ(110)﴾

[سورة آل عمران]

عِلَّة الخَيْرِيَّة الإيمان بالله، والأمْر بالمعروف والنَّهْي عن المنْكَر، فإذا كان الإيمان ضعيف والأمْر بالمعروف غير مَوْجود والنَّهي عن المنْكر غير موجود فأنت مِن عامَّة الناس، ولا شأن لك عند الله تعالى إطْلاقًا، فلذلك الآية الكريمة:

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71)﴾

[سورة المؤمنون]

أضْربُ لكم مثلاً دائِمًا أنّ بعض البِحار الكبرى بِبَعْض الدُّوَل العظمى المياه السَّوْداء تمشي في البحر خمسين كيلومتر ! ولونها أسْوَد، ومع ذلك البَحْر طاهِرٌ ماؤُهُ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ))

[رواه الترمذي]

فالغيبة مِن الكبائر، والنَّمام لا يدخل الجنَّة مُجْتَمَعُ المسلمين اليوم فيه النميمة والبغْضاء والحسد، ولذا الحِجاب قائِمٌ بين العَبْدِ وربِّه ما لم يضْبِط لسانَهُ.

الآن عندنا إشارة قرآنِيَّة لطيفة جدًّا، يقول الله عز وجل:

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (73)﴾

[سورة المؤمنون]

لماذا لا يُطَبِّقون هذا الصِّراط ؟ ولِمَ لا يمْشون عليه ؟ ألم يخْطُر لكم هذا السُّؤال ؟ الحلال بيِّن والحرام بيِّن، ولماذا الناس مُنْصرِفون عنه ؟ اسْمعوا الجواب، يقول الله عز وجل

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (74)﴾

[سورة المؤمنون]

ما عِلَّة عدم الاسْتِقامة ؟! عدم الإيمان بالآخرة ! فإذا آمَنْتَ أنَّ الدنيا كلّ شيء، وليس بعدها شيء، لا يُمْكِن أن تستقيم على أمْر الله تعالى فَكُلّ إنسان لا يؤْمِن بالآخرة فَفِعْلُهُ للحرام يكون منْطِقِيًّا، أما حينما يؤمن أنَّه يوجد رب سَيُحاسِبُهُ عن كل كلمة وعن كل سكنة، وعن المال كيف اكْتَسَبَهُ وأين أنْفقَهُ ؟ حينما تؤمن بالآخرة تستقيم على أمْر الله فالشيء الذي يُؤْسَفُ له أن تَجِدَ إنسانًا مُسلم يُقِرّ بالله تعالى ربًّا وخالقًا ومُسيِّرًا ويقول لك: الجنَّة حق، والنار حق ولا ترى في عملِهِ ما يُؤَكِّدُ إيمانه بالآخرة، قال تعالى:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجر]

قال تعالى:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75)﴾

[سورة المؤمنون]

فإذا شاق الله تعالى للناس بعض الشَّدائِد، فما حِكْمَتُها ؟ أن يمْنَعَهُم مِن الطُّغْيان، والله تعالى يقول:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ(27)﴾

[سورة الشورى]

فالله تعالى قابض وباسِط، ومُعِزّ ومُذِلّ وضارّ ونافِع، ومانِع ومُعطي وإنَّ أوْجَهَ التفسيرات أنَّهُ يضرّ لِيَنْفَع ويمْنَعُ لِيُعْطي، ويُذِلّ لِيُعِزّ، ويقْبضُ لِيَرْفَه، وكلّ أسمائِهِ تعالى حُسنى قال تعالى:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75)﴾

[سورة المؤمنون]

وقال أيضا:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (76)﴾

[سورة المؤمنون]

ماذا نسْتنبِط من هذه الآية ؟ لمَّا الله تعالى يَسُوق العذاب ماذا ينْتَظِرُ مِنَّا ؟ قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (76)﴾

[سورة المؤمنون]

فالله ينتظِر مِنَّا أن نسْتكينَ إليه، وأن نصطلِحَ معه، ونتوب إليه، وأن نُطَبِّقَ أمْرهُ، ونُطَبِّقَ سُنَّة نبيِّهِ في حياتنا، هذه عِلَّة أيَّة مُصيبة، وهذه عِلَّة أيَّة مِحْنة، وأعلى مراتب العِبادة التَّضرُّع، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في الطائف ؟!

((إن لم يكن بِك غضب عليّ فلا أُبالي، ولك العُتْبة حتَّى ترْضى ولكنَّ عافِيَتَك أحبّ إليّ.))

أوَّل معنى أنّ الله تعالى إذا ساق لعَبده بعض الشدائد ينتظر منه أن يصطلح معه، وأن يتوجه إليه بالدعاء فإذا ما حصلوا فإن لم تحدث المصيبة في نفسه موعظةً فمصيبته في نفسه أكبر، أصبح هو المصيبة من أجل أن تصطلح مع الله وأن تتوجه إليه بالدعاء، الاصطلاح ما حصل، والدعاء ما حصل بل الذي ساق الله له المصيبة هو المصيبة فإن لم تحدث المصيبة في نفسه موعظةً فمصيبته في نفسه أكبر.

الشيء الثاني وجدت هناك ضيق وهذا الضيق من عند حكيم إن الله لا يحمي صَفِيّه المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مرضه من الطعام، إن الله لا يحمي عبده من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مرافع الهلكة أصبح المنع كبحا، إنسان لا يستقيم لأنّ إيمانه بالآخرة غير كامل، هناك فساد عَامْ وهو مُقِيم على الفساد هذا كلام الشيطان، عدم الإيمان بالآخرة أنا أذكر أن ستة آلاف تاجر انسحبوا من الاسترداد وقت إصدار قانون العملة لماذا أنت مع إنسان تنسحب وتخاف مع إنسان قوي تخاف، لماذا من خالق الكون إذا حرّم شيئا لا تخاف.

ملخَّصُ الدرس، عدمُ الاستقامة قطعاً كما قال تعالى:

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (74)﴾

[سورة المؤمنون]

عدم الاستقامة سببُه عدمُ اليقين بحسابِ الله يومَ القيامة هذه واحدةٌ الشيء الثاني، المنعُ كبْحٌ ورحمةٌ، وحسنُ الظَّنِّ بالله من حسن العبادةِ،

((قال عليه الصلاة و السلام فيما يرويه عن ربّه:عن وَاثِلَةُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ))

[رواه أحمد]

و الشيء الثالثُ، إذا ساقَ اللهُ بعضَ الشدائِد ينتظِرُ من عبدِه أن يستكينَ إليْهِ وأن يتوجَّه له بالدعاء، ثلاثُ موضوعاتٍ، موضوعُ الشّدائدِ وموضوع الحِرمانِ وموضوعُ عدمِ الاستقامةِ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-11) : تفسير الآيات 84 - 98

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة المؤمنون، الله جل جلاله يخاطِب الناسَ عامَّةً و أهلَ مكَّةَ خاصَّة، حينما أرسل النبيَّ صلى الله عليه وسلَّم مُبيِّنًا وهاديًا و مُنقِذًا يقول الله عز وجل:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84)﴾

[سورة المؤمنون]

هي مُلكُ مَنْ؟ الله جلَّ جلالُه مالكُ المُلك، وملكُ الله عز وجل ملكٌ مُطلَق هو الذي خلَق وهو المُتصَرّف وإليه المصيرُ، الإنسانُ أحيانًا يملكُ بيتًا ولا ينتفِعُ به، وينتفعُ ببيتٍ و لا يملكُه، أو ينتفع به و يملكُه وليس له مصيرُه، فمُلكُ الإنسان دائمًا ناقصٌ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(26)﴾

[سورة آل عمران]

خلقًا و تصرُّفًا و مصيرًا، فهو الذي خلَق وهو المُتصَرّف وإليه المصيرُ وهذه أعلى مُستوَياتِ الملك، يقول الله عز وجل:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84)﴾

[سورة المؤمنون]

الواحد إذا اشترى بيتًا و اعتنَى به إلى أَقصَى درجة، هل تملك أن لا تهْتزَّ الأرضُ سبعَ درجاتٍ على مِقيَاس رِيشْتَرْ فيغدُو البيتُ في الأرض ألم يحدُثْ هذا في القاهرة، بناءٌ مِن عشرين طابقًا في ثوانيَ معدودةٍ أصبحَ رُكامًا، مَن مالكُ المُلكِ ؟ اللهُ مالكُ المُلك، لا تملِكُ البيتَ و لا تملكُ مركبةً و لا تجارةً، ولو ملكْتَ كلَّ شيء ولم تملك عقلَك أقربُ الناس إليك يتوسَّل عند أولِي الأمرِ ليجعل أباه في مستشفى المجانين ؛ الذي اشترى البيتَ و أنجبَ الأولاد و أنشأَ هذا المعمل إذا اختلَّ عقلُه أقربُ الناس إليك يتوسَّل عند أولِي الأمرِ ليجعل أباه في مستشفى المجانين ؛ فهل تملكُ عقلَك ؟ و هل تملك ذاكرتك؟ وهل تملك معملك ومتجرَك و أهلك؟ قال تعالى:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85)﴾

[سورة المؤمنون]

تذكرون تعني أن الإيمانَ موضوعٌ في الإنسانِ بالفطرةِ ولا يحتاجُ إلا إلى تذكُّرٍ، فربنا قال:

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ(11)﴾

[سورة عبس]

أيْ أنَّ نفسَك مفطورةٌ على الإيمان بالله، مُصَمَّمةٌ كي تؤمن بالله والإيمان بالله جزء مِن جِبِلَّتِها، وأنت لا تحتاج إلا إلى ذِكْرى، قال تعالى:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85)﴾

[سورة المؤمنون]

هذه أوّل آية، وقال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87)﴾

[سورة المؤمنون]

لِمَ لا تُطيعهُ ؟ وماذا تنتظر ؟ وما الذي يمْنَعُكَ أن تُطيعهُ ؟ فأوّلاً أفلا تتَّقون ؛ الإيمان فِطري وجِبِلِّي، ومُركَّب في جِبلَّتِكَ وأنت لا تحتاج إلا إلى ذِكرى، وبعد أن أقْررْتَ أنَّ الله ربَّ العرش العظيم أفلا تتَّقون ؟! وقال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89)﴾

[سورة المؤمنون]

ما الذي لفتكَ عنه ؟ وما الذي سحَرك ؟ وأغراك أن تنسى ربَّك ؟ فالآية الأولى أفلا تذكَّرون، والثانية أفلا تتقون، والآية الثالثة: ما الذي صرَفَكَ عنه ؟ أوّلاً أنت لا تحتاج إلا إلى ذِكْرى لأنَّ الإيمان جزء من جِبلَّتِكَ والشيء الثاني ؛ هل مِن جِهةٍ في الكون تسْتحِقّ أن تُطاع غير الله عز وجل ؟ فإذا انْصرَفْتَ عن الله فما الذي صرَفَك ؟! ينصرِفُ الإنسان عن الجَوْهَر إلى الفَحْم ! وعن اللُّؤلؤ إلى الأصْداء !! وعن التِّبر إلى التَّنَك! وعن النفيس إلى الخسيس، قال تعالى:

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (90)﴾

[سورة المؤمنون]

هم يريدون شَهَواتهم، يزْعمون أنَّهم يبْحثون عن الحق ولا يَجِدونه، هم يبْحثون عن شَهوَاتِهم، قال تعالى:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91)﴾

[سورة المؤمنون]

هذا الكون الذي يعْمل بانْتِظام، وقد ذكرْتُ لكم أنَّك لو أتيْتَ بِكُرة ووضَعتها بين مغناطيسيين فلا يمكنك أن تجْعلها في الوسَط، والكتلتين مُتَساوِيَتَين فكيف إذا كانتا مُختلفين ؟ وكيف إذا كانت هذه الكُتَل في فراغ ؟ فكيف إذا تَحَرَّكَت هذه الكُتَل ؟

كتلٌ لا تعدّ و لا تحصَى بأحجام متفاوِتةٍ و أبعاد متفاوتة و شُحناتٍ متفاوتة تتحرَّك في الفضاء و المحصِّلُ الاستقرار وسمَّى العلماء هذا التوازنَ الحركِي، هذا الكونُ العظيمُ هل رأيتَ مَن يدَّعي خلقَه ؟!! أبدًا هل رأيتَ نزاعًا في السماوات و الأرضِ ؟ هل رأيتَ تنافرًا و تضَادًّا و تناقضًا ؟ أم رأيتَ الانسجام المُطلق والوحدَةَ المُطلقةَ، إذا درسَ الإنسانُ في كندَا و يصفُ دواءً صُنِعَ في أمريكا لمريضٍ في أُستراليا يشعرُ بالراحةِ، البشرُ كلُّهم من بُنيةٍ واحدةٍ؛ إلهٌ واحدٌ و خلق واحدٌ وخصائصُ واحدةٌ و دِقَّة واحدةٌ، وقد يدرسُ الإنسانُ التشريحَ في روسيَا و يطَبِّقه على إنسان في الشام، معنى ذلكَ أنَّ البنيةَ واحدةٌ، و ما أحدٌ ادَّعى الأُلوهيةَ غيرَ الله عز وجلَّ، قال تعالى:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ(91)﴾

[سورة المؤمنون]

هناك أخَوَانِ ورِثَا معملًا عندهم عشرُ عمَّال، فيضيعُ العمَّالُ بين الأخوين يعصي أمرَ الأوَّلَ فيعتِبُ عليه الثاني، فالشرِيكانِ يصدِرانِ أوامرَ مستمِرَّةً لمجموعة مِن العمالِ، قال تعالى:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ(91)﴾

[سورة المؤمنون]

نفيقُ في أحدِ الأيَّام ونجدُ الأرضَ لا تدورُ هكذا أراد إله السماء، احترقَ الناسُ فماتوا، و الإلهُ الآخرُ لا يريدُ أن تُشرقَ الشمسُ، فإلهُ الشمسِ في نزاعٍ مع إله الأرضِ سبحانَ الله !! ما دامَ هناكَ انسجامٌ مطلقٌ معناهُ وجودُ إلهٍ واحدٍ، وشيءٌ بالفطرة، وهو أنَّك إن وجَدْتَ مدرسةً خاليَة من المشاكل معنى هذا أنَّهُ يوجد مُدير واحِدٌ مُسَيْطِر، وكذا المستشفيات والقطاعات، إذا كان هناك انْسِجام وتعاوُن وتناسب معناه يوجَد مُسيِّر واحِد، وهذا هو معنى الآية:

﴿إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91)﴾

[سورة المؤمنون]

قال تعالى:

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92)﴾

[سورة المؤمنون]

اسْمعوا هذا المثَل: الحياة مَسْرَحِيَّة فيها مقاعِد للمُشاهِدين، وخشبَة مسْرح، فإذا اسْتَقام الإنسان كان له مقام مع المُشاهِدين، سوف يرى ويسْمع ويعْجَب لما يجْري على خشبة المسْرح، إلا أنَّه مُشاهِد، فله أنْ يستمْتِع و أن ينظُرَ و أن يراقِب و يتعجَّب، أمَّا إذا لم يكن مستقيمًا فسوف يُجَرُّ إلى خشبة المسرح و سوف يُضرَب ضربًا مُبرِّحًا وسوف يصبح قصَّةً يراه المشاهدون، فإما أن تكون مشاهدًا مستقِيمًا أو سوف تغدُو أنت القصَّةُ، لذلك الدعاءُ الذي يقشَعِرُّ منه الجِلدُ: يا ربِّي لا تجعلني عبرةً لأحدٍ مِن خلْقِك، لا أكون أنا القِصَّة، اللهم إني أعوذ بك أنْ أتزَيَّن للناس بشيء يَشِينُني عندك، اللهمَّ إني أعوذ بك أنْ يكونَ أحدٌ أسعدَ بما علَّمتَني مني، اللهمَّ إني أعوذ بك أنْ أقولَ قولاً فيه رِضاكَ ألتمِسُ به أحدًا سِواكَ .

فإذا استقامَ الإنسانُ على منهجِ الله فهو في ظِلِّ الله يومَ لا ظلَ إلا ظلُّه و في سِتر الله، ويحفظُه الله و يسترُه و يُؤَيِّده و ينصُره، فلا تخرجْ عن مَظَلَّة الله، و منهجُ الله دستورُك فلا تخرجْ عنه، فأنت في رِعايَته و في ظِلِّه و في إكرامِهِ و في رحمتِه، واللهُ عز وجل يقولُ:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ(48)﴾

[سورة الطور]

قال تعالى:

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94)﴾

[سورة المؤمنون]

صرفيًّا اسمُ تفضيل، فإذا وُجِد ألفُ أسلوبٍ حسنٍ يجب أن تختارَ أحسنَها لدفع السيِّئةِ، ماذا فعلَ سيِّدُنا الصِّديقُ مع الذي قال عن ابنته زانية ؟ منعَ عنه المساعدةَ، فعاتبَه اللهُ عز وجل فقال:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(22)﴾

[سورة النور]

الله عاتبَ سيدَنا الصديق لأنَّه كفَّ عن مساعدة مَن اتَّهمَ ابنته عائشةَ بالزنا فتَرُدَّ على السيِّئة بالعفو، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ(85)﴾

[سورة الحجر]

و قال تعالى:

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(13)﴾

[سورة المائدة]

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(134)﴾

[سورة آل عمران]

ألفُ أسلوبٍ حسنٍ يجب أن تختارَ أحسنَها لدفع السيِّئةِ، لذلك أخلاقُ الأنبياءِ في هذا الحديثِ، قال عليه الصلاةُ و السلامُ:

((عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ قَالَ صَلَّى بِنَا عَمَّارٌ صَلَاةً فَأَوْجَزَ فِيهَا فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ فَقَالَ أَلَمْ أُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ قَالُوا بَلَى قَالَ أَمَا إِنِّي قَدْ دَعَوْتُ فِيهِمَا بِدُعَاءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَمِنْ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ))

[رواه أحمد]

قال تعالى:

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98)﴾

[سورة المؤمنون]

و غدًا إن شاءَ اللهُ نشرحُ هذه الآياتِ الدقيقَة التي مِحوَرُها:

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّين (106)﴾

[سورة المؤمنون]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (11-11) : تفسير الآيات 99 - 118

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة المؤمنون، فالآية التاسعة والتِّسْعون، وما بعدها من سورة المؤمنون وهي قوله تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)﴾

[سورة المؤمنون]

أيها الأخوة الكرام، أحَدُ تعريفات العَقْل، أنّ الإنسان العاقِل أو الذي يسْتَخْدِمُ عقْلَهُ ؛ هو الذي لا يَنْدَم، لأنَّ الإنسان الذي ينْدَم معناه أنَّهُ عطَّل عقْله، ولم يسْتفِد منه، فإذا توهَّم الإنسان أنَّه قد أفْلَحَ، ونجَحَ، وربِحَ وتفوَّق، ثمَّ وصَلَ إلى هذا اليوم، وقال:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

[سورة المؤمنون]

إذًا لم يكنْ عاقِلاً لذلك ليس كلّ ذَكِيٍّ عاقلاً، فالذَّكاء شيء، والعقْل شيء آخر فالذَّكاء مُتَعَلِّق بالجُزْئيَّات، وفيما أنت فيه، والعَقْل مُتَعَلِّق في الكُلِيَّات فَلِمُجَرَّد أن تنْدم فأنت لسْتَ عاقِلاً، أيْ أنَّ هذا الجِهاز الذي أوْدَعَهُ الله فيك لم تسْتَخْدِمْهُ، قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99)﴾

[سورة المؤمنون]

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((الليل والنهار يُقَرِّبان كلّ بعيد و يُبليانِ كلَّ جديد))

و كلُّ مُتوقَّع آتٍ و كلُّ آتٍ قريب، والإنسانُ يظنُّ أن الأمدَ طويلٌ و فجأةً هو على مشارف الدار الآخرة، فلذلك العقلُ كلُّ العقلِ أن نعمل لهذه الساعةِ التي لا بدَّ منها، قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99)﴾

[سورة المؤمنون]

الآن هذا الذي سيقولُه هذا النادِمُ هو أثمَنُ ما في الدنيا، لعلِّي أعمل صالحًا فالإنسان لا يطلب الرُّجوع من أجل أن ينهي بِناءَ بيْتِهِ ! فهذا الكلام لا يقوله أحد، ولكن يقول:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

[سورة المؤمنون]

فالدنيا كلَّها مِن أجل أن تعملَ عملاً صالِحًا يُؤَهِّلُكَ للجنَّة التي وَعَدَك الله بها، وكلمة عمل صالح ؛ أيْ عمل يصْلُحُ للعَرْض على الله، أي عملٌ صالِحٌ، وعمل مُتْقَن، وعمل وِفْق السنَّة، مُطابق للمنْهَج، والإمام الفُضَيْل يقول: **إنّ الله عز وجل لا يقْبَلُ مِن الأعمال إلا ما كان خالصًا وصَوابًا** ؛ فالخالِصُ ما ابْتُغيَ به وجْه الله، والصواب ما وافَقَ السنَّة فإذا غاصَ الإنسان في البحر، واللآلئ بين يدَيْه ؛ أخذ الأصْداف، فإذا أعْلَمهُ رُفقاؤُهُ يقول: لعلَّي كنتُ آخُذُ اللؤلؤ، وإذا الإنسان ذهَب لِبَلَد لِيأخذ شَهادة عُليا وعاد بخفيّ حُنَين، يقول: يا ليتني نشلْتُ هذه الشَّهادة ولكان شأني في المُجْتَمع شأنٌ آخر، فالشيء الذي تنْدَمُهُ عليه هو أثْمَن شيءٍ على الإطلاق، وأثْمَنُ شيءٍ في الدنيا على الإطلاق هو العمل الصالح قال تعالى:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(32)﴾

[سورة النحل]

وقال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

[سورة المؤمنون]

بل إنَّ سِرَّ مجيئِكَ إلى الدنيا، وعِلَّة وُجودك فيها العمل الصالح، فالدنيا مزْرعة الآخرة، وتهيئَةٌ وإعداد للآخرة، وإنَّها حياةٌ دُنيا لِتَكون سبب حياة عُليا.

قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)﴾

[سورة المؤمنون]

فعذاب البرْزخ أُشير فيه إلى هذه الآية، قال تعالى:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ(46)﴾

[سورة غافر]

فهُم يُعرضون على النار كلّ يوم غُدوًّا وعَشِيًّا، مِن سِتَّة آلاف عام إلى يوم القيامة، وهذا عذاب البرْزخ، والقبر إمَّا روْضة مِن رياض الجنَّة، أو حُفْرة مِن حُفر النّيران.

قال تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101)﴾

[سورة المؤمنون]

قد تقَعُ عَيْن الابن على أُمِّه، وقد تقعُ عين الأمّ على ابنها، فتقول يا ولدي كان لك صَدْري سِقاءً، وبطْني وِعاءً، وحِجْري وِطاءً، فهل مِن عَمَلٍ يعود عليَّ خيرهُ اليوم ؟! فيقول: ليْتني أسْتطيع ذلك يا أُمَّاه ! إنَّما أشْكو مِمَّا أنت منه تشكين !! قال تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101)﴾

[سورة المؤمنون]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ))

[رواه مسلم]

قال تعالى:

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102)﴾

[سورة المؤمنون]

موازين أعماله الصالحة، لذا قال الإمام عليّ رضي الله عنه: الغِنَا والفقْر بعض العرْض على الله، فالغِنَى والفقْر لا يوصَفُ بهما الإنسان إلا بعد العرْض على الله، وهذا سيِّدُنا موسى عليه الصلاة والسلام قال بعد أن سقى الفتاتين بِنْتَي سيّدنا شُعيب، قال تعالى:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(24)﴾

[سورة القصص]

مُمْكن أن تجد شَخْصًا لا يمْلِكُ من الدنيا إلا القليل وهو أغنى الأغنياء بِأعمالِهِ الصالحَة، وقد تجد الآخر له سبعمائة مليون !! قال تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101)﴾

[سورة المؤمنون]

قد يخْسر الإنسان بيتًا أو تِجارَةً أو شركَة أو يخْسر أحد أولادِهِ، إلا أنّ أكْبر خسارة على الإطلاق أن تخسر نفْسَكَ التي خلقها الله لِجَنَّة الأبَد، قال تعالى:

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104)﴾

[سورة المؤمنون]

الآيات الكَوْنِيَّة والتَّكْوينِيَّة والخُطب والآيات القرآنيَّة، وكتب ومُحاضرات وأفعال، كلّ هذا قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ (106)﴾

[سورة المؤمنون]

غلبتْهم شَهَواتهم، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110)﴾

[سورة المؤمنون]

تجدهم يسْخرون من أهل الله تعالى، ويقولون لك: هذا لا يفْهم إلا العِبادة ! وهذا غبيّ !! قال تعالى:

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (111)﴾

[سورة المؤمنون]

هناك آية ثانية تُكَمِّل هذه الآية وهي قوله تعالى:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ(34)﴾

[سورة المطففين]

هذه بِتِلك، وواحِدَة بِوَاحِدَة، والعبْرة لِمَن يضْحك آخرًا، والشّقي من يضْحك أوّلاً، لذا الإنسان لا يعبأ من كلام الناس، ولا بالقال والقيل لأنَّ الناس جميعًا لو مَدَحوك ولم يكن الله تعالى راضٍ عنك فلن ينفعُك مديحهم ولا رفْعهم لك.

قال تعالى:

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112)﴾

[سورة المؤمنون]

هذا العُمْر الذي قضَيْتُموه في النزهات والفنادق وأكل الحرام، والحفلات المُشْتركة كم مِقدارهُ ؟! قال تعالى:

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (113)﴾

[سورة المؤمنون]

أذْهبْنا آخرتنا مِن أجل يومٍ أو بعض يوم، فالكافر لا يعتقد يوم القيامة إلا أنَّ حياته لا تزيد إلا عن يومٍ أو بعض يوم، قال تعالى:

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (113) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (114)﴾

[سورة المؤمنون]

لذلك الدنيا ساعة اِجْعلها طاعة، والنَّفْسُ طمَّاعة عَوِّدْها القناعة، والقبْر صُندوق العَمَل، قال تعالى:

﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (114)﴾

[سورة المؤمنون]

ثمَّ يقول الله تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)﴾

[سورة المؤمنون]

دون هدف، ومن دون حِساب، وتأكل المال الحرام، وتعتدي على أعراض الناس دون حِساب، وتحتال عليهم من دون حساب، خُلقت للأكل والشُّرْب، قال تعالى:

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116)﴾

[سورة المؤمنون]

جلَّ شأنهُ، وسبحانه وتعالى أن يخْلق الخَلْق عبثًا، قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ(16)﴾

(سورة الأنبياء)

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾

[سورة المؤمنون]

مِن شأن الإله الآخر أنَّ لا برهان له

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (117) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (118) ﴾

قال تعالى:

﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾

[سورة الأعراف]

اقرؤوا الواقعة قال تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ(1)لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(2)خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(3)﴾

[سورة الواقعة]

فالذي كان في الحضيض يمكن أن يكون في الأخير.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : تفسير سورة النور

الدرس (01-10) : تفسير الآية رقم 26

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، أخٌ كريم طلب مِنّي يوم الخميس أن أُعالجَ هذه الآية في هذا الدَّرْس، الآية الكريمة :

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ(26)﴾

[سورة النور]

يسأل هذا الأخ الكريم، وهذه آيَةٌ مُحْكمة في كتاب الله، كيف يكون زَوْجٌ طيِّب وزوْجةٌ غير طيِّبَة ؟ وبالعَكس، فكيفَ نُوَفِّق بين الواقِع وبين هذه الآية ؟! فالآية تقول:

﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾

[سورة النور]

ألَيْسَ هناك امرأة صالحة وصائمة وقائِمَة وتحْفظ كتاب الله وزوْجُها يشْرب الخمْر ؟!! ألَيْسَ هناك زوْجٌ خائِفٌ ومُنيب وتائب وله امرأة تأبى الحِجاب ولا تُصَلِّي ؟! فكيف نُوَفِّق بين هذه الآية وبين الواقِع ؟! الحقيقة أنَّ هناك باللُّغة العربيَّة خبَر، وهناك إنشاء، أقول: سافر أخي ؛ هذا خَبَر، يُحْتَمَلُ أن يكون هذا الخبرُ صادِقًا أو كاذِبًا، أما إذا قلتُ لأحدهم: سافِر تغْنَم، هل يُمكن أن يقال للذي يقول هذا الكلام كاذِب ؟! هذا إنشاء وهذا أمْر، فالأمر والنَّهْي والاسْتِفهام والطَّلَب والحظ والتَّمَنِّي ؛ هذه أساليب الإنشاء، والخبَرُ كلّ كلامٍ يحْتَمِلُ الكذب والصِّدْق، لذا القرآن الكريم بأكْمَلِهِ إمَّا خبرٌ أو إنشاء، فحينما قال الله جل جلاله:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾

[سورة الأنعام]

أي أنَّ القرآن كلَّه خبرٌ وإنشاء، فَخَبَرُهُ صادِق، وأمْرُهُ عادِل.

أما نوعٌ ثالث يوجد هو أدَقّ من أخَوَيه ؛ هناك كلامٌ صيغَ صيغَةَ خَبَر ويُراد به الإنشاء، وهناك كلام صيغَ صيغة الإنشاء ويُرادُ بالخَبَر، وهذه حالة نادِرة في كتاب الله، وهذه الآية مِن هذه الحالات، فهذه الصِّيغة هي صيغة خبَرِيَّة، وهي أنَّ الله تعالى أخْبرنا أنَّ الخبيثين للخبيثات ولكنَّ هذه الصِّيغة صيغَةُ خَبَر يُراد بها الإنشاء، أي يا عبادي اِحْرصوا أن يكون الطِّيِّبون للطَّيِّبات، إذا تَزَوَّجْتُم وإذا خَطَبْتُم، فيا أيُّها الآباء، ويا أيُّها الأمَّهات هذه فتاة صالحة وتحْفظ كتاب الله لا تُزَوِّجْها لِغَنِيٍّ جاهِل تطْمَعُ بِمالِهِ أو مرْكَبَتِهِ أو بيْتِه ؛ إنَّهما يستحيل أن يتعايشَا ؛ هي تُريد وَجْه الله الكريم، وهو يريدُها كَغَيْرِها مِن الفتيات ! فهذه الآية في الحقيقة هي

آيةُ أمْر، والعلماء قالوا: يجب أن نُظيف كلمة ينبغي ؛ أي ينبغي أن يكون الطَّيِّبون للطَّيِّبات، إذا زوَّجْتُم وإذا تَزَوَّجْتُم ؛ إن كنتَ فتاةً أو أبًا أو أُمًّا فهذا الكلام مُوَجَّه للشَّباب والأولياء، لذا في كتب الفقه باب كبير اسْمُهُ الكفاءة الزَّوْجِيَّة، لا ينبغي أن يكون هناك مُفارقة كبيرة بين الزَّوجة وزوْجِها، فالتي نشأَتْ في بيئةٍ طاهِرَة ينبغي أن تبْحَث لها عن زوْجٍ مؤمن فإن لم تفْعل فالحياة لن تسْتَمِرّ، هو في وادٍ وهي في وادٍ.

هناك رجُلٌ خَطَب فتاةً مِن بيتِ عِلْمٍ، وكان غَنِيًّا غناءً فاحِشًا، وله مركبة ومعمل وبيت، فخطب فتاةً تربَّتْ في بيتٍ مُسْلمٍ، فَهُوَ يبْدو أنَّهُ أعْجَبَهُ جمالُها، ولكنَّه ما انْتبَهَ أنَّ هذه الفتاة نشأَتْ في بيتٍ مُسْلمٍ تحْرِصُ على طاعة ربِّها، فهو أرادها فتاةً كَغَيرِها مِن الفتيات ؛ تجْلسُ مع أصْدِقائِهِ، وتُقَدِّمُ لهم الضِّيافة، وتذْهب معه إلى الفنادق والنوادي والسَّهرات المختلطة، فلمَّا أبَتْ ورفضَت اسْتحالَتْ الحياة بينهما وكانت له أُمٌّ شِرِّيرة، فَخَطَّطَت على أن تحْمِلها أن تطْلبَ المُخالَعَة، فأمرَتْ ابْنَها أن يأتي إلى منتصَف الليل، وأن يضْربها ويُهينها، ونجَحَتْ الخُطَّة وبعد شَهْرٍ أو شَهْرين طلبَت المُخالعَة، وسامَحَتْهُ بِكُلِّ مُقَدَّمِها، ومُؤخَّرِها وكان المُقَدَّم والمؤخَّر مبْلغًا ضَخْمًا جدًّا ! وخُلِعَت عن عِصْمَتِهِ وتزوَّجَ فتاةً كما يريدُ ؛ مُتَبرِّجَة ومُتَفَلِّتة، وصارَت هذه القِصَّة نادرة، فكل من وقَعَ في ضائقة يقول: نَجَوْنا منها كما نَجَونا من مُتأخِّر فلان، وهذه القِصَّة واقعِيَّة ورواها لي أحد الأخوة، مرَّةً نزل هذا الرَّجل الثريّ من مَصْيَفِهِ إلى الشام وقد جَعَلَ زوْجَتَهُ الجديدة إلى جانِبِه، ووالِدُهُ خلْف زوْجَتهِ، وكان الوالِدُ يُنْكِرُ على الأسْرةِ هذا التَّصرُّف، وأُمُّه خلف ابْنِها فوقعَ في حادِث سيارةِ شَطَرَهُ هو وأُمَّه إلى شَطْرين، ونجا أبوه لأنَّه لم يكن راضِيًا ! فهذه القِصَّة سببُها أنَّ الاخْتِيار لم يَكُن طيِّبًا، الطَّيِّبون للطَّيِّبات أيْ ينبغي أن ينبغي أن يكون الطَّيِّبون للطَّيِّبات، أي ليس هذا حكمًا تَكْوينيًّا، ولكن أمْر تَكليفي، فلو أنَّك مررْتَ بطريق ورأيتَ مكتوبًا على اللَّوْحة ممنوع المُرور، ولكنَّ الطريق مَفْتوح، نقول: هذا أمْر تَكليفي، أما إذا وَجَدْتَ الطريق مُغلق بِحاجِز ؛ هذا أمْر تَكويني.

سؤالنا الآن ؛ هذه الآية أمْر تكليفي أم تَكويني ؟ تكليفي، لأنَّه لو كان الأمر تَكوينيًّا لتناقَضَت مع الواقِع، فهناك آلاف الأزواج الصالحات مع أزواجٍ فسَقَة، وهناك آلاف الأزواج الصالحين مع فاسِقات، فلو جَعَلنا هذه الآية أمْرًا تَكوينيًّا لخالفَت الواقع، لكنَّ هذه الآية أمر تكليفي، أيْ يا عبادي مِن أجل صالِحِ بناتِكم وشبابكم احْرَصوا أن يكون الطَّيِّبون للطَّيِّبات، أما حفلة في الشيراتون ونستقبل لها راقصات من أوربا بمليوني ليرة و الخمور من فرنسا و الزهور من هولندا و الحفلة مُختلَطة والنساءُ كما خلقَهن اللهُ عز وجل و تُنشَرُ في الصُحُف اللبنانية، وعلى بطاقةِ الدَّعوةِ: الطَّيِّبون للطَّيِّبات، لا واللهِ ؛ الخبيثون للخبيثات، الطيِّبون للطيِّبات ؛ أيْ ينبغي أن يكونَ الطيِّبون للطيِّبات، هذا أمرٌ تكليفيٌّ و ليس أمرًا تكوينيًّا، وهناك آيةٌ تشبِهُ هذه الآيةَ، لمّا تحدَّث اللهُ عز وجل عن مكةَ المُكرَّمةِ بيت اللهِ الحرام قال تعالى:

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾

[سورة آل عمران]

صارتْ فتنةٌ قبل عشر سنواتٍ مات فيها خمسةُ آلاف وسطَ الحرَم، فماذا نفعلُ بهذه الآيةِ وهذه الواقعةِ، الشيء نفسه، أيْ يا عبادي ينبغي أنْ يكونَ هذا البيتُ آمنًا، واجْعلوهُ آمنًا، أنتم خلفائي في الأرضِ، فهذه الآيات ليست أمرًا تكوينيًّا إنَّما هي أمرٌ تكليفيٌّ، الله تعالى كلَّفنا أن نجعلَ هذا البيتَ آمنًا، أمّا إذا فهِمْتَها على ظاهرها فلا، لأن علماء التفسير يقولون: هذا أسلوبٌ خبريٌّ يُرادُ به الإنشاء، و هناك آيةٌ ثالثةٌ، قال تعالى:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

[سورة البقرة]

هذا خبرٌ، أيْ يا أيَّتُها الوالداتُ أرضِعْن أولادكُنَّ حولين كاملين، هذا خبرٌ أُريدَ به الإنشاءَ، و هذه بلاغةٌ في القرآن الكريم الأُسلوبُ يأتي خبريًّا و يأتي إنشائيًّا، و الخبرُ يحتملُ الكذبَ و الصِدقَ و الإنشاءُ لا يحتملُ، و لكنْ في القرآن ظاهرةٌ فريدةٌ، فإذا قال الواحدُ لابنِه:يا بُنَيَّ إيَّاكَ أن تأتيَ بعد الساعة العاشرةِ إني لن أفتحَ لك البابَ، فأنتَ لمَّا أمرتَه أن لا يتأخَّرَ تصَوَّرَ إمكانَ التأخُّر، و ما جاء بباله التأخُّرُ، فلمَّا نبَّهتَه على عدم التأخُّر معنى ذلك أنه ممكنٌ أن يتأخَّر، فمشكلة الأمرِ و النهيِ يحتملُ تصوُّرَ العكس دائمًا، أما إذا قلتَ: ليس عندي من يدخل البيتَ بعد الساعة العاشرة، هذا خبرٌ ؛ و تقصِدُ به أنه لا يوجَد من يدخل بيتك بعد الساعةِ العاشرةِ، وهذا ليس أمرًا و لا نهيًا، هو خبرٌ عن حالك، أنا يا ابني ليس عندي في نظام حياتي إنسانٌ يدخل البيتَ بعد الساعةِ العاشرةِ، هذا خبرٌ أردتَ به الإنشاءَ، ولكنَّ الخبرَ له ميّزةٌ ينتفِي في ذهنِ السامعِ إمكانَ العكسِ، فكلُّ لأمرٍ و نهيٍ يخلقُ تصوُّرَ العكس أمَّا إذا جاء الخبرُ يُرادُ به الإنشاءَ كآيةِ الإرضاع، أي من شأن الوالدات أن يُرضعْنَ أولادهنَّ، فإذا جاء الخبرُ و قُصِد به الإنشاء فهو من أبلغِ أنواعِ الأمرِ.

الآيةُ الأُولى:

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ(26)﴾

[سورة النور]

و الآيةُ الثانيةُ:

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾

[سورة آل عمران]

ومن دخله..آمناو الآية الثالثةُ:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

[سورة البقرة]

و قال عليه الصلاة و السلام ؛عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ:

((لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ قَالَ لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً))

[رواه البخاري]

هذا خبرٌ أيضًا، أيْ ؛ يا أيها القومُ لا تجعلُوا امرأةً على رأسكم، فهذا خبرٌ يُرادُ به الإنشاء، و مرَّةً أحدُ العلماء الصالحين وهو الشيخ بدر الدين الحسني شيخ الشيوخ في الشام يمشي مع إخوانِه في بستانٍ و الطريقُ فيه وَحَلٌ و جاء إنسانٌ جاهلٌ أرعنُ راكباً بغلةً بدأ يؤذي الأخوة بالوَحَلِ فصاحوا به أنْ إيَّاك أن تؤذيَ الشيخَ وقد تضايق الشيخُ منه، وأحدُ الأخوة لم يتحَمَّلْ ضربه ضربةً فماتَ بها، و لم يُقِرَّه الشيخُ على ذلك، فقال: ما أفلح قومٌ لا سفيهَ لهم، هذا خبرٌ يُراد به الإنشاء، وهو أحدُ أساليب اللغةِ العربيةِ، أنْ تستخدِمَ الخبرَ و تريد به الإنشاءَ

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-10) : تفسير الآيات 11 - 20

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الأخوة الكرام، فالآياتُ الحاديةَ عشرة و التي بعدها من سورة النور آياتٌ تتحدَّث عن موضوعِ الإفكِ الذي كان في عهدِ النبيِّ صلى الله عليه و سلم، و قبل أنْ نقرأَ الآياتِ و نقف عند أبرزِ معانيها ينبغِي أن نضعَ بينَ أيديكم هذه الحقيقةَ ؛ هناك مَقُولةٌ أنَّ لكلِّ واقعٍ حكمةً، ولو أنه بدَى لك أنَّ الذي وقع مُؤلِمٌ أو شرٌّ و ليتَه لم يقعْ، يجبُ أن تعتقدَ أنَّ كلَّ شيءٍ وقع أراده اللهُ، وأنَّ كلَّ شيءٍ أراده اللهُ يقعُ، و أنَّ إرادةَ اللهِ متعَلّقةٌ بالحكمة المُطلقةِ، والحكمةُ المطلقة متعلِّقة بالخير المطلق، هذه المقولةُ لو وَعَيْنَاها و استوعبناها لزالتْ من أنفسنا كلُّ الهمومِ و الأحزان ؛ لأن لكلِّ شيءٍ حقيقةً و ما بلغَ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتَّى يعلمَ أن ما أصابه لم يكن ليُخطِئه، وما أخطأه لم يكن ليُصيبَه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))

[رواه مسلم]

السَّيِّدةُ عائشةُ زوجُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم و أمُّ المؤمنين و بنتُ سيِّدِنا أبي بكرٍ الصدِّيق رضي اللهُ عنه، و هي العَفافُ الحَصانُ الرَّزَانُ الطَّاهرةُ المُطهَّرةُ و مع ذلك هناك من قال عنها أنها وقعتْ في الفاحشةِ شيء لا يُحتمَلُ، زوجةُ النبيِّ عليه الصلاة والسلام قالوا عنها بملابسةٍ وقعتْ إنَّها وقعتْ في الزنا، و اللهُ سبحانه وتعالى برَّأها بعدَ ثلاثين يومًا مضَتْ على النبيِّ صلى الله عليه و سلم كأنَّها ثلاثون يومًا ؛ إلى أن جاءتْ براءتُها، وكلكم أزواجٌ و تعرفون أن الإنسانَ يتحمَّل كلَّ شيءٍ الفقرَ و يتحمَّل مصائبَ لا حصرَ لها، أمَّا أن يُتَّهم في عرضه و في شرفِ زوجتِه فسينتقمون بالقتل، أما النبيُّ عليه الصلاة و السلام فكان إذا دخل البيتَ قبلَ هذا الحديث يقول: كيف عُوَيْش؟ تحَبُّبًا فلما انتشر هذا الحديثُ . و مقالةُ السوءِ تنتشر بسرعةٍ . و المدينةُ كلُّها تتحدَّث عن هذه القصَّةِ، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام لا يملِكُ لهذا الوحيِ جلبًا و لا ردًّا وقد ظهر للناسِ أنَّ الوحيَ ليس من عند محمدٍ، وليس افتراءً على اللهِ ولو أن الوحيَ من عنده و كان افتراءً على

الله لحاء النبيُّ بعد ساعةٍ بآيةٍ تحسِمُ الموضوعَ، ثلاثون يومًا و النبيُّ عليه الصلاة والسلام لا يدري ماذا يفعل، ليس هناك دليلُ إثباتٍ و لا دليلُ نفيٍ، و لكنَّه غيَّرَ موقفَه من عائشةَ، فكان إذا دخل عليها يقول: كيف آتيكم، اسمُ إشارةٍ . ذا و ذي و تا و ته . هو يعلم أنّها طاهرةٌ و لكنَّ المدينةَ كلَّها تتحدَّث عن قصَّة لا يحتمِل الإنسانُ أن يسمعها عن إنسان عاديّ فكيف عن سيّد الخلق و حبيبِ الحقّ، ماذا يقول اللهُ عن هذه القصَّةِ، و أوَّلُ سؤالٍ ؛كيف وقعتْ ؟و كيف سمحَ اللهُ لمسطحَ أن يقول ؟ و الجوابُ أن لكل واقعٍ حكمة، أيُّ شيء وقع في الكونِ، فهذا الكون مُلْك الله تعالى، ولا يقَعُ في مُلك الله إلا ما أرادَهُ الله، حتَّى الشيء الذي يبْدو لكَ شرًّا، فما دام قد وقَع فالله أرادهُ، وما دام الله أرادهُ فهو في حِكْمةٍ مطلقة، وما دام في حِكْمة مُطْلقة فهو في خيرٍ مُطْلق، والله أيها الأخوة هذه المَقولة لو اسْتَوْعَبناها لم يبْقَ في حياتنا مُشْكلة، ففي الحياة مشاكل مادِّيَّة، ولكن لا يوجد ألَمٌ ولا ضيقٌ ولا شَكّ ولا قلق، فالله بيَدِهِ كلّ شيء، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)﴾

[سورة النور]

بهذا الحديث الكاذِب وهذا الافْتِراء إلى السيّدة الطاهرة، قذْفُ مُحْصَنَةٍ يهْدِمُ عمَل مائة سنة ! وإنَّك إن اتَّهَمْت مُحْصَنَةً كأنَّكَ قَتَلْتَها، وكأنَّكَ سَحَقْتَها، فقَبْلَ أن تتَّهِم وتُرَوّج ؟، وقبل أن تنْقل، تحقَّقْ مما سمعتَ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ))

[رواه مسلم]

أنت إنسان عاقِل، ولا يُعْقَلُ مِنك أنَّ كلّ ما تسْمَعُهُ تقولُهُ، اسْمَع مليار قِصَّة ولا ترْوِها، فهناك قِصص كأنَّها تطْعَنُ بِعَدالة الله، هذه القِصَّة لا ينبغي أن تُرَوِّجَها، ولكن تحَقَّق واسأل، قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ(6)﴾

[سورة الحجرات]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)﴾

[سورة النور]

فالقصَّة التي وقعَت في الإفك مادامَتْ قد وَقَعَتْ فقد أراد الله منها الخير فلا تَحسبوه شرًّا ومهما بَدَتْ مُؤْلِمَة، وهذا درْسٌ لنا، فالشيء المؤلِم الذي يقع، ففيه الخير المطْلق لأنَّ الله سَمَحَ فيه، فالخير ليس بِنَظَرِكَ ولكن بِمِقياس خالق الكون فالله خلَقَكَ للجنَّة، فيُمْكِنُ أن تُفلِس أو يحْترق المحَلّ فلو أنَّ واحِدًا عمرُهُ خمسٌ وخمسون سنة ولم يُصَلِّ قطّ ! ثمَّ جاءتْهُ مشْكِلة كبيرة حَمَلَتْهُ على الصلاة، فهل هذه مشكلةٌ ؟! لا واللهِ، لولاها ما صلَّى كاد يموت كافرًا فربُّنا عز وجل يُرَبِّي و رحيم، فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[سورة النور]

هذه القصَّةُ التي لا تُحتمَل و الذي روَّج لحديث الإفك و نقل الحديثَ و الذي أشاعَه، وهذه القصَّةُ المُزعجةُ المؤلمةُ التي يتفطَّرُ لها القلبُ قال تعالى فيها:

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ﴾

[سورة النور]

هذه القصةُ كاشفةٌ، أحيانًا الإنسانُ يُعطي الصائغَ سوارات و يحُكُّها الصائغُ بالمِحكِّ فيظهرُ خطٌّ أبيضُ معناه أنه مُزَيَّف فيقول الصائغ: خمس ليرات، و إذا ظهر خطٌّ أصفرُ يقول له: بخمسةٍ و عشرين ألف، قال تعالى:

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾

[سورة النور]

أي الذي رمى الفتنةَ و روَّجها و أشاعَها و نقلها له عذابٌ عظيمٌ، و الغِيبَةُ أشدُّ من الزنا، لأن الإنسانَ له كرامتُه و له سمعتُه، هذا العِرضُ أثمنُ ما يملكُه الإنسانُ، و بالتعريفِ الدقيقِ هو موطِنُ المديحِ و الذَّمِ قال تعالى:

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)﴾

[سورة النور]

يقول الله عز وجل:

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً﴾

[سورة النور]

المؤمنُ الطاهرُ النقيُّ إذا سمعَ قصَّةً عن مؤمنٍ لا يُصدِّقُها، لأنه يعرف من حاله كما أنَّه وَرِعٌ فالآخَرُ ورِعٌ، و كما أنَّه يخافُ اللهَ الآخرُ يخافُ اللهَ، أنتَ لا تقبلُ أن تأكلَ قِرْشًا حرامًا، فهل تقبلُ عن أخيكَ المؤمنِ يأكلُ مليون ليرة حراما، فالمؤمنُ دائمًا يُحسنُ الظنَّ بأخيه المؤمنِ، و بالمناسبةِ ؛ من أحسنَ الظَنّ بأخيهِ المؤمنِ

فكأنَّما أحسنَ الظنَّ بربّه، فلا بدَّ مكن حسنِ الظنّ و لا تتسَرَّعْ، كطان عندنا أخٌ تُوُفِّيَ رحمه اللهُ و كان عنده معمل حلويات، فطلبَ من معملِ الزُّبدةِ مائةَ قطعةٍ، فجاءته القطعُ فعدَّهم فوجدَهم تسعةً و تسعينَ قطعةً، اقترب من معطفِ أحدِ مُوَظّفيه فوجد في جيبِه القطعةَ الناقصةَ، أليس هذا دليلاً قاطعاً على أن هذا الموظَّفَ خان الأمانةَ، فلا يتسرَّع الإنسانُ و العاقلُ لا يندمُ، وهذه قصَّةٌ عابرةٌ، و مثلُها آلافُ القصص، قال تعالى:

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)﴾

[سورة النور]

النبيُّ كان مع أصحابه في معركةٍ فقال: **أين فلانٌ ؟** فتفقَّد أحد أصحابه فقال أحدُهم: **يا رسول اللهِ شغَله بستانُه**، فوقفَ صحابيٌّ آخر و قال: **لا واللهِ يا رسول اللهِ لقد تخلَّفَ عنك أُناسٌ ما نحن بأشدَّ حبًّا لك منهم و لو علموا أنك تلقى عدوًّا ما تخلَّفوا عنك**، ابتسم النبيُّ لهذا الدفاعِ الشريفِ فإذا علمتَ من أخيك الخيرَ و الاستقامةَ فلا يقبلْ عنه تُهمةً باطلةً فليتحقَّقْ و ليسألْ عنه، ما الحقيقةُ ؟ أَترُكْ صدرَك سليمًا نحو إخوانك قال تعالى:

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13)﴾

[سورة النور]

فإذا اتَّهمَ إنسانٌ إنسانًا آخرَ بالزنا و لم يأتِ بأربعةِ شهداء جُلِدَ، قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14)﴾

[سورة النور]

من السَّهلِ أن تتحدَّث عن رسول اللهِ و عن زوجاته الطاهراتِ، قال تعالى:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17)﴾

[سورة النور]

فاللهُ عز وجل بيَّنَ للصحابةِ أنَّ الوحيَ شيءٌ لا يملكه النبيُّ، وهو خارجٌ عن إرادته، و لو كان يملكه لأنزل بعد دقيقةٍ آيةً، إذًا فهو صادقٌ فيما نقلَ عن ربّه و الصحابةُ اُمتُحِنوا امتحانًا مُفاجئًا فهناك من نجحَ و رسبَ و السيِّدةُ عائشةُ اُمتحِنتْ و صبرت و كانت قدوةً لكلِّ امرأةٍ طاهرةٍ عفيفةٍ من بعدها إلى يوم القيامةِ، فإذا الواحدُ أُتُّهم خطأً فله في هذه السيِّدة قُدوة و أُسوةٌ حسنةٌ، فالسيِّدة عائشة كسبتْ أجرًا و صارت قدوةً و الصحابةُ امتُحنُوا و المنافقون ظهروا، و الصحابة أحسنوا الظنَّ برسول الله و بزوجته، و الوحيُ ظهرَ، لذلك قال اللهُ تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (12) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13)﴾

[سورة النور]

ثم قال تعالى:

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16)﴾

[سورة النور]

و قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18)﴾

[سورة النور]

فلمَّا نزلتْ براءتُها قال لها أبوها: **قومي إلى رسول الله فاشكريه** قالت: **و اللهِ لا أقوم إلا لله**، فتبسَّم النبيُّ وقال:

((عرفت الحقَّ لأهله.))

هذه القصَّةُ أيها الأخوة تُعادُ كلَّ يومٍ مرَّةً، في الأُسرِ و الأحياء و الأقرباءِ فلا تتسرَّعْ، لأن المؤمنَ عفيفٌ طاهرٌ، فإيَّاك أن تُسِيءَ الظنَّ به، و المنافقَ عدوٌّ بغيضٌ يُعلِنُ عن فرحِه بهذا الخبر، بل إنَّ اللهَ سبحانه و تعالى في آياتٍ أخرى يقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19)﴾

[سورة النور]

ما تكلَّم بكلمةٍ و لكنَّه ارتاحَ لهذا الخبرِ، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19)﴾

[سورة النور]

فلمَّا فرِح بهذا الخبرِ وضع نفسَه في خندقِ المنافقين و هو لا يشعرُ، و المنافقون بوصْفِهم الدقيقِ قال تعالى:

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ(50)﴾

[سورة التوبة]

عندنا الآنَ مقياسٌ ثابتٌ، أخوك المؤمنُ أكرمه اللهُ بشيءٍ إذا غضِبتَ فضعْ نفسَك مع المنافقين وإذا فرحتَ فأنتَ مع المؤمنين، أخذ الدكتوراه أو أسَّسَ شركةً لماذا تنزَعِجُ، معناه أنت منافق، و قِسْ حالتَك بهذا المقياسِ، فإذا آلمَك خيرٌ أصابَ المؤمنَ فهذه علامةُ النِفاق و إذا فرحْتَ حقيقةً فأنتَ مؤمنٌ، فهلْ هناك في الأرضِ أمٌّ تتمنَّى الفضيحةَ لابنتِها ؟! فإذا وُجِدتْ فمعناه أنها ليست ابنتَها، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20)﴾

[سورة النور]

لأهْلَكَكُم بهذا الحديثِ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-10) : تفسير الآية 21

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فالآية الواحدةُ و العشرون من سورة النور وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21)﴾

[سورة النور]

أيها الأخوة من خلالِ هذه الآيةِ تتَّضِح حقائقُ كثيرةٌ، و هي أن اللهَ سبحانه و تعالى كلَّفنا حملَ الأمانةِ و أعطانا مُقوِّماتِها، أعطانا كونًا ينطِق بوجود اللهِ و وحدانيتِه و كمالِه، و أعطانا عقلا نستطيع أن نصلَ به إلى الله، من خلالِ مبادِئَ متوافقةٍ مع نظام الكونِ، أعطانا فطرةً لا ترتاحُ إلا إلى الصوابِ و الخير فإذا انحرف الإنسانُ ضاقتْ نفسُه قال تعالى:

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا﴾

[سورة الشمس]

أعطانا شهوةً نرقى بها مرَّتين ؛ مرَّةً إذا سلكنا فيها القنواتِ الشرعيةَ التي سمحَ اللهُ لنا بها، ومرَّةً إذا ضبطْنا أنفسَنا عن قناةٍ غير شرعيةٍ، نرقى إلى الله بإطلاق البصر في من يحلُّ لنا من زوجاتنا و بغضِّ البصرِ عن كلِّ امرأةٍ أجنبيةٍ لا تحلُّ لنا، نرقى بأخذِ المالِ الحلالِ و إنفاقه في الوجوهِ الصحيحةِ و نرقى بالكفِّ عن المال الحرامِ مهما كان كثيرًا، فهذه الشَّهواتُ التي يظُنُّ الناسُ أنها سببُ شقائنا هي في الحقيقةِ لا بدَّ لها من أن تكونَ سببَ سعادتِنا، بالشهوات نرقى إلى الله، حبُّ النساء و حبُّ المال و حبُّ العُلوّ في الأرضِ، أعطانا كونًا و عقلا و فطرةً و أعطانا شهوةً، و أعطانا حرّيةَ الاختيار، و أخَّرَ الثوابَ و العقابَ، ولو جاء الثوابُ بعد الإحسان و العقابُ بعد الإساءةِ لانتهى الاختيارُ وحلَّ محلَّه الاضطرار، فإذا دفع الإنسانُ ثمنَ المعصيةِ غاليًا و سريعًا لا يعصي اللهَ لا حبًّا في اللهِ و لا طمعًا في الجنَّةِ و لا ابتغاءَ وجهه، لا يعصي اللهَ خوفًا من الضربةِ القاصمةِ، و إذا أحسنَ الإنسانُ و أنفقَ ألفَ ليرةٍ و جاءه بعد ساعةٍ ألفُ ليرةٍ، ينطلِق الناسُ إلى إنفاق المالِ لا حبًّا في اللهِ و لا حبًّا في الآخرةِ و لا ابتغاءَ وجهه و لكنْ ابتغاءَ الربحِ الجزيلِ، إذاً أعطانا حرّيةَ الاختيارِ و أخّرَ الثوابَ و العقابَ ليظهرَ الإنسانُ على حقيقتِه و ليأخذَ أبعادَه، ومع ذلك و لئلَّا يطغى العقلُ و تنطلقَ الفطرةُ أعطانا شرعًا، فالحَسَنُ ما حسَّنه الشرعُ و القبيحُ ما قبَّحه الشرعُ، ولو أن اللهَ تعالى اكتفى بهذا ما زكى منَّا من أحدٍ، فضلًا عن الكون و العقل و الفطرة و الشهوة و الاختيارِ و القوَّة و الشرعِ إذا أخطأنا يعاقِبُنا و إذا أحسنَّا يُكافئُنا، هذه هي التربيةُ، فلولا أن الله يربِّينا و يأخذ بأيدينا لِّبنا بين الخوف و الرجاءِ و

الرَّخاء و الشِّدَّةِ و الصِّحة و المرض و العلوّ الانخفاضِ و العزَّة و الذلّ و الفقر و الغنى ؛ لولا أن الله يقلّبنا دائمًا ما زكى منَّا من أحد أبدًا، ففضلُ اللهِ علينا بأن خلقَنا و أمدَّنا و هدانا و ربَّانا نعمة الإيجادِ وأمدَّنا بالهواء و الشراب و الزوجةِ و الأولادِ و كلِّ مقوِّماتِ الحياةِ، خلقَنا خالقٌ و أمدَّنا مرَبِّي ثم هدانا إليه فهو الهادي و بعد أن هدانا ربَّانا تربيةً نفسيةً، تربيةُ الإمداد تربية جسميةٌ و تربية التأديبِ و الثوابِ و العقابِ تربيةٌ نفسيةٌ، ومع كلِّ هذا قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾

[سورة النور]

يبدو أن الإنسَ و الجنَّ أعطاهم الله عقلا و الدليلُ أن الشيطانَ ذكيٌّ لا يأتي إلى المؤمنِ و يقول له: إزْنِ، يقول له: هذه المرأةُ نصف المجتمع و هذه المرأة لها حق الحياة و لها أن تعمل و إذا كانت معك هُذِّبتْ أخلاقُك و إذا نظرتَ إليها هديتَها إلى الله، يدخل عليك من اليمين، لأن الشيطانَ أقسم كما قال تعالى:

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16)ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

[سورة الأعراف]

قاعد لك على الطريق، أمَّا الملاهي فالذي يسلكُها هو الشيطانُ ذاتُه، فلا داعي للشيطانِ أن يقفَ على أبواب الملاهي، فالشيطانُ يقعد للمؤمن الصراط المستقيمَ، قال تعالى:

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16)ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

[سورة الأعراف]

الرجلُ قد يربحُ الملايينَ ثم يقول السوق ميّتٌ و لا نربحُ، فلماذا تنكر فضل الله عليك، أما عن شمائلهم يأمرهم بالمعاصي و أما من بين أيديهم يدعوهم إلى الحداثة و التقدُّمِ والعلم والرُّقَيّ و الحضارةِ و أن القديم لا يصلح، و أما من خلفهم ؛ آباءنا و أجدادنا هكذا تربيْنا و نشأنا، فإذا كانت في العادات والتقاليد أشياءُ مخالفةٌ للدينِ الشيطانُ يتمسَّك بها ويقول لك: تراث الآباءِ و الأجداد و التقاليد و الفلكلور، كلُّها مخالفةٌ للدين، و إذا أراد الشيطانُ من الحداثةِ التَّفلُّتَ و الاختلاطَ و الخمورَ و الملاهيَ يقول لك: هو علم و حضارة و تقدُّم، أجهزةُ الاتصال أنت تعيش مع العالم كلِّه بهذه، لماذا تحرم نفسك منها ؟! من بين أيديهم ؛ الأشياءُ الجديدةُ ، و من خلفهم الأشياءُ القديمةُ، و عن أيمانهم من طريق الدين إمَّا أن يوسْوسَ لك في العباداتِ أو في المعاملاتِ، و على كلٍّ فله أربعةُ مداخلَ، أمَّا من فوق فليس له مدخلٌ، العلوُّ لله عز وجل، فمن أقبل على الله هذا الطريق

ليس فيه شيطانٌ، وتحت الأرض الانكسار إلى الله عز وجل، فهناك طريقان ليس فيهما شيطان ؛ الطرقُ إلى الله و طريقُ الانكسار إلى الله، من تحت ليس فيه شيطانٌ، قال تعالى:

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16)ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

[سورة الأعراف]

فالشيطانُ ذكيٌّ يأتيك في الصلاة ؛ أنقصْتَ شدَّةً في الفاتحةِ بطُلت الصلاةُ معقول هذا !! فالأشياءُ الصغيرة يكبِّرها الشيطانُ إلى حدِّ الكبيرةِ، فأهل الضلال الأشياءُ الصغيرة يجعلونها أكبر الكبائر و الكبيرة يتغاضَوْن عنها هكذا يفعل بعضُ الناسِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

[سورة النور]

فأوَّلُ خطوةٍ معقولةٌ، قاسم أمين قال: هذه المرأةُ مخنوقةٌ بهذا الحجابِ تغطِّي وجهَها فقط، فتوسَّعت الفتحةُ حتَّى مشتْ في الطريق كما خلقها اللهُ، فدائمًا الشيطان يمشي خطوةً خطوةً، و المعاصي التي لها قوَّةُ جذبٍ، اللهُ نهانا عن الاقتراب منها، تيارٌ من ستَّةِ آلاف فولْت إذا تقرَّب منه الإنسانُ ثمانيةَ أمتار يصير فحما، وزير الكهرباء يضع لوحةً "ممنوع الاقتراب " و ليس "ممنوع المسُّ " لأنه يصير فحماً قبل الاقتراب، و كذلك كلُّ شهوةٍ فيها قوَّةُ جذبٍ لا بدَّ أن تتركَ بينك و بينها هامشًا كبيرًا للأمانِ، نهر عميق سيَّالٌ و له على الحافةِ حشيش زَلِقٌ ثم بعده منطقةٌ جافَّةٌ التي هي الأمانُ و المنطقة الزَّلِقةُ هي الشبهاتِ و النهرُ هو الهلاكُ فالإنسانُ يدَعُ بينه و بين المعصيةِ هامش أمانٍ، هذا معنى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾

[سورة النور]

و كذلك قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

[سورة البقرة]

وقوله تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾

[سورة البقرة]

لا تقربوها لأن من الشهواتِ ما لها قوّةُ جذبٍ ؛ منها النساءُ، و السليم هو الذي يهرب من أسبابِ المعصيةِ، و الإنسانُ إذا أُثِيرَ يفرزُ الدماغُ مادَّةً تعطِّلُ المحاكمةَ، و الإنسانُ في أعلى درجاتِ الفهم و الثقافةِ كيف تُغوِيه فتاةٌ ساقطةٌ !! فالقاعدةُ أن الإنسانَ إذا أثيرَ تتعطَّلُ محاكمتُه، لذلك :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّهم عَنْهم خَطَبَ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَامِي فِيكُمْ فَقَالَ:

((اسْتَوْصُوا بِأَصْحَابِي خَيْرًا ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْتَدِئُ بِالشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ بَحْبَحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ))

[رواه الترمذي]

هذه قاعدةٌ، ممنوعٌ الخلوةُ و ممنوع النظرُ و ممنوع الاختلاط و ما حرُمَ فعلُه حرم استماعُه و حرم النظرُ إليه، فصار النظرُ محرَّمًا و الاستماع محرَّمٌ و مخالطةُ الأشرارِ محرَّمٌ، وكلُّكم يعلم أنَّ ممَّا يجرح عدالةَ الإنسانِ أن يصحبَ الأشرارَ كما أن الأكلَ في الطريقِ يجرح العدالةَ و المشيُ حافيا يجرح العدالةَ و البولُ في الطريقِ يجرح العدالةَ و الصِّياحُ في البيتِ و التطفيفُ بتمرةٍ و أكلُ لقمةٍ من حرامٍ و الحديثُ عن النساء و التنزُّهُ في الطرقاتِ و من أطلقَ لفرسِه العِنانَ بالسيَّارةِ يجرح العدالةَ، ومنها صحبةُ الأراذلِ، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾

[سورة النور]

فالله خلقَنا على حرِّيتِنا و تصيبُنا أحيانًا المصائبُ و الأمراضُ و الضيقُ الماديُّ و الخوفُ و القهر، و القهر مفيدٌ، قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾

[سورة الأنعام]

و لولا المرضُ و الفقرُ و القهرُ والشِّدَّة و الخوفُ و الحزْنُ و الهمُّ لمَا صلُحَ الإنسانُ قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾

[سورة النور]

تصوَّرْ طالبًا ذكيًّا لكنَّه متفلِّتٌ و له أبٌ حازمٌ ضبَطَه و ضيَّقَ عليه حتَّى حمله على الدراسة، و توفِيَ الأبُ فصار الابن طبيبًا ذا مكانةٍ اجتماعيةٍ فكلَّما رأى بحبوحتَه و مكانتَه ترحَّمَ على أبيه الذي ضربه و الذي حبسَه و ضيَّقَ عليه حتَّى جعله إنسانًا متميّزًا، لذلك الإنسانُ يوم القيامةِ . و اللهِ الذي لا إله إلا هو . حينما يُكشَف لك الغطاءُ أنَّ كلَّ شيءٍ ساقه اللهُ إليك ممَّا تكرهه هو محضُ رحمةٍ و محضُ خيرٍ يجب أن تذوب كما تذوب الشمعةُ، ولو كشفَ اللهُ لك الحكمةَ البالغةَ ممَّا ساقه اللهُ إليك من مكروهِ القضاءِ ؛ كشف لك الحكمةَ و النتيجة وَ التي حصَّلْتَ عليها يجب أن تذوبَ كما تذوبُ الشمعةُ إذا أُشعِل فتيلُها، لأن الكفَّارَ و كلَّ الخلقِ أجمعون يقول يوم القيامةِ كما حكى الله عنهم:

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)﴾

[سورة الزمر]

قال الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله مُعَبِّرًا عن هذه الحقيقةِ: " **ليس في الإمكانِ أبدعُ ممَّا كان**"، هذا الذي أنتَ فيه هو أبدعُ شيءٍ بحسَبِ حالك، فالإنسانُ إذا رأى فعلَ اللهِ فعلًا حكيمًا و عادلاً رحيمًا يرضى عن اللهِ و قد لا يرضى عن نفسه، لذلك الإمامُ الشافعي يطوف حولَ الكعبةِ سمع طائفًا يقول: يا ربّي أنتَ راضٍ عنّي، فقال له الشافعي: **هل أنت راضٍ عن الله** ؟ فالتفتَ إليه وقال له: من أنتَ يرحمك اللهُ ؟ فقال الشافعي: **إذا كان سرورُك بالنقمةِ كسرورِك بالنعمةِ فقد رضيتَ عنه** "

فحينما ترضى عن اللهِ لمشكلة ساقها اللهُ لك أو لمرضٍ ألمَّ بك أو لفقرٍ أحوَجَكَ حينما ترضى عن اللهِ بمكروه القضاءِ فأنتَ في أعلى درجات اليقينِ، أمَّا أنت ترضى عن اللهِ في محبوبِ القضاءِ فقط، فهل يمكنُ أن تمتحِنَ السيَّارةَ في النزولِ لتُجرِّبَ المحرِّكَ، جرِّبها في الصعودِ، فالرضا بمكروه القضاءِ كما قال سيدُنا عليٌّ أرفعُ درجات اليقين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-10) : تفسير الأية 30

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، الآية الثلاثون من سورة النور و هي قوله تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)﴾

[سورة النور]

قبل أن نشرحَ هذه الآيةَ لا بُدَّ من مقدِمةٍ ؛ كتابُ اللهِ جلَّ جلالُه هو منهجُ الإنسانِ في الحياةِ، فيه أمرٌ وفيه نهيٌ، أمرَ اللهُ بأشياءَ ونهى عن أشياءَ و سكتَ عن أشياءَ، فالذي أمرَ به تتعلَّقُ به سعادتُنا في الدنيا و الآخرةِ كتعلُّقِك بوجود الهواءِ و الماءِ، فتنَفُّسُ الهواءِ شرطٌ لبقائك حيًّا و شُربُ الماءِ شرطٌ لبقائك حيًّا و تناولُ الطعامِ شرطٌ لبقائك حياً، وهناك أشياءُ تُلغِي الحياةَ، فتناوُلُك السُّمَ يَحْرِمُك الحياةَ فهو حرامٌ إذًا، فالحرامُ هو اقض مع سرِّ وجودك، و الأمرُ الفرضُ الذي يتعلَّق وجودُك، إذا ذهبَ الطالبُ للدراسةِ، هناك شيءٌ متعلّقٌ بالدراسةِ تعلُّقًا إيجابيًّا و شيءٌ يتعلَّق سلبيًّا، أن يقرأ هذا فرضٌ، أن لا يتناولَ المسَكِّناتِ و المُنَوِّماتِ هذا حرامٌ أمّا إذا سكنَ في الطابق الثاني أو الثالث فلا فرقَ، فهناك شيء له علاقة إيجابية بالهدف هو الأمرِ وشيءٌ له علاقة سلبية بالهدف هو النهيُ، وشيء لا علاقة له لا سلبًا و لا إيجابًا، تسكن في الثالث أو تأكل الفاصولياءَ هذه مباحاتٌ لا علاقة لها بسعادتك الدنيوية و الأُخروية، فأول شيءٍ الله تعالى مرَ بأشياء و نهى عن أشياء و سكت عن أشياء، فالذي أمر به هو الفرضُ تتعلَّق به السعادةَ وهو شرطٌ أساسيٌّ لسعادتك، و الذي نهى عنه يحرِمُنا سعادتَنا، والذي سكت عنه حياديٌّ ليس له علاقةٌ إيجابية و لا سلبية بسعادتك ؛ هذه أشياء مباحة.

الآن لِمُجَرَّد أنَّ الله تعالى أمر بأشياء، فهي إذًا أساسيَّة في حياتنا، ولِمُجَرَّد أنَّ الله نهى عن أشياء فهي أساسيَّة في حياتنا، أما الذي سكت عنه فهو حيادي لا إيجابي ولا سلْبي، فهذا تَمْهيد.

التَّمْهيد الآخر، لو أنَّ لك مَحَطَّة وَقود، وكان هناك مكان للإعلان مُمْكن أن تكْتب بِهذا الإعلان ألف عبارة، أيَّةُ عِبارةٍ يجب أن تُكْتب ؟ ممنوع التدخين ، لماذا ؟ لأنَّ هذا النَّهْي مُتَعَلِّق بِسَلامة المحطَّة، أما الصَّبْر الجميل لا علاقة له بالسَّلامة، إصْبر أو لا تصْبِر، فلِمُجَرَّد أنَّ الله نهى عن شيءٍ في كتاب الله يعني أنه شيءٌ خطيرٌ و مصيري، و بمجرَّد أنه أمر بشيء فهو أساسي، هذا منهج خالق الكون، فلمجرد أن جاء في كتاب الله آيةٌ تأمرنا بغضِّ البصرِ معنى ذلك أن إطلاق البصر يحجبُك عن الله، و ليست قضيَّةً ثانويَّةً من اللَّمَمِ، ما دام أن هناك آية تقول:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)﴾

[سورة النور]

لو كانت علاقتُها حياديةً عن السعادة ما ذكرها الله إطلاقًا، و اللهَ لم يذكر أنواعَ الطعامِ في القرآن و لا نوع اللباس و لا نوع الأثاث و لا نوع البناء، هذه أشياء حيادية لا علاقةَ لها بالسعادة و الشقاء، فالذي سكت اللهُ عنه هناك حكمة بالغةٌ لا حدود لها من السكوت عنها، والذي أمرَ به ضرورةٌ و الذي نهى عنه خطورةٌ، فالذي أمرك به لا بدَّ أن تأتيه و الذي نهاك عنه لا بدَّ أن تجتنبه، لأنك إن لم تأتِ الذي أمرَك به تشقى و إن اقترَفْتَ ما نهى عنه تشقى، فعلاقة الأمر بالسعادة علاقةٌ إيجابيةٌ و علاقةُ النهيِ بالسعادة سلبيةٌ و الذي سكتَ عنه كتابُ اللهِ ليس له علاقة لا إيجابية و لا سلبية، فلمجرَّد أنه في كتاب الله أمرٌ معنى ذلك انه شيء خطيرٌ ومتعلِّقٌ بسعادتك، و ليس معقولا أن تطلِقَ بصرَك و تملأ عينيك من الحرامِ و تستمتِع بمنظر النساء الغاديات الرائحات في الطريق و تستطيع أن تتصل بالله عز وجل، النفسُ تُشغَل، هذه لها صفةٌ وهذه لها صفة أخرى، وهذه تفتقدها في زوجتك، فأنت تعيش في عالم الجنس، و أنت تعيش بمهمَّةٍ بسيطةٍ جدًّا، و لوقت قصير، ثم إلى الجنة فيها الحور العين، أحد الصحابة طلبتْ منه زوجتُه شيئًا لم يفعله النبيُّ فقال لها: اعلمي يا فلانة أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلَّتْ إحداهنَّ على الأرض لغلَبَ نورُ وجهها ضوءَ الشمس والقمر، فلَئِنْ أُضحي بكِ من أجلهن أهونُ من أُضَحِي بهن من أجلكِ، فالاستمتاع اللا متناهي في الجنة، و اللهُ قادرٌ أن يجعل النساء في مستوى واحدٍ، لكنَّ الدنيا كلَّها امتحانات، يمتحِنُ فلانةً بما أعطاها و فلانةً بما حرمها، و هذه تصبر وهذه ترضى، و الحظوظُ في الدنيا موَزَّعةٌ توزيعَ ابتلاءٍ و سوف تُوزَّع في الآخرة توزيعَ جزاءٍ، فلو نجح الفقيرُ في امتحان الفقر و رسبَ الغنيُّ في امتحان الغِنى لنَعِمَ الفقيرُ إلى أبد الآبدين بالغنى و لشقِيَ الغنيُّ إلى أبد الآبدين بالفقر، و الغِنى و الفقرِ بعد العرض على اللهِ، و لو نجح الضعيفُ في امتحان الضعف و صبر و رسب القويُّ في امتحان القوَّة لصار الضعيف قويًّا إلى أبد الآبدين و القويُّ ضعيفًا إلا أبد الآبدين، و هذا معنى قوله تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ(1)لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(2)خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(3)﴾

[سورة الواقعة]

دخل على النبيّ رجلٌ قليلُ الشأنِ فوقف له النبيُّ وقال له: **أهلًا لمن خبرني به جبريل"** و قال النبيُّ صلى الله عليه و سلم:

((ابتغوا الرفعةَ عند اللهِ))

هذه مقاييس البشر، و اللهُ لم يعترفْ بها، و ما ذكر إلا مقياسين مُرَجِّحَيْن بين البشر ؛ العلم و العمل الصالح، أما الوسامةُ و الذكاءُ و المال و الغِنى و القوةُ، هذه لم يعتمدْها القرآن و لا اعترف بها أما العلم فقال تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ(9)﴾

[سورة الزمر]

و اعترف بالعمل فقال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ(132)﴾

[سورة الأنعام]

أحد التابعين كان قصير القامة أسمرَ اللونِ أحنفَ الرِّجْلِ . أعرج . مائلَ الذِّقن ناتئَ الوجنتين غائرَ العينين ضيقَ المنكبين، ليس شيءٌ من قُبحِ المنظرِ إلا وهو آخذٌ منه بنصيبٍ، و كان مع ذلك سيّدَ قومه، إذا غضب غضبةً غضِبَ لغضبتِه مائة ألف سيف لا يسألونه فيما غضِب، فعند الله مقياسان ؛ العلمُ و العملُ و لا تعبأ بغيرهما، أنا جدُّ كلِّ تقيٍّ و لو كان عبدا حبشيًّا، قال تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(1)﴾

[سورة المسد]

إنه عمُّ النبيِّ و قال عليه الصلاة و السلام:

((سلمان منا آل البيت))

ووقف أبو سفيانَ عند باب سيّدنا عمر ساعةً لم يُؤذَن له و صهيبٌ و بلالٌ يدخلان بلا استئذان، فآلمَه ذلك، فلما دخل عليه قال: سيِّدُ قريش يقف ببابك ساعةً دون أن يُؤذَن له و صهيب و بلال يدخلان بلا استئذان فقال له عمر: **أنتَ مثلُهما** ؟ كنتَ تعذِّبه، وهو الذي اتبع النبيَّ في ساعة العسرة و لم يرَ في الدين مكاسبَ بل رأى مغارمَ، و الذي عرف الله قبل الفتح و قبل أن يعزَّ الله الإسلامَ،

فإذا اختار الإنسانُ الإيمانَ في وقت قوّة الأعداء و ضعفه هو، فقد رحم نفسه من الدنيا لله و اختار ما عند اللهِ، فلذلك لمجرَّد أن ترى في كتاب الله أمرًا أو نهيًا فهو شيءٌ مصيريٌّ متعلّقٌ بسعادتك الأبدية في الدنيا و الآخرةِ، ولو لم يكن مصيريًّا لمَا ذكره الله في كتابه أصلاً، فلمَّا قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

[سورة النور]

حرف " **مِنْ** " هنا للتبعيضِ، يعني ليغضُّ بعضَ أبصارهم، لك أن تنظر إلى أمِّك و إلى زوجتك وإلى أختك و إلى عمَّتِك و خالتك و ابنة أخيك وابنة أختك.. " **مِنْ** " للتبعيض، غُضَّ البصرَ عن بعض النساء غيرِ هؤلاءِ، و هناك تبعيضٌ آخرُ، لو نظرتَ إلى المحارم عدا الزوجةِ لا تُدقِّقْ في التفاصيلِ و في الخطوطِ، و " **من**" الثانية لو نظرتَ إلى المحارم لا ينبغي أن تنظرَ لشهوةٍ و لا بالتدقيق و لا بالتفاصيل والمعنى الثالثُ لو نظرْتَ إلى امرأةٍ أجنبيةٍ خطأً غُضَّ بصرَك لصار هناك تبعيضٌ وقتيٌّ و تبعيضٌ نوعيٌّ و تبعيضٌ شخصيٌّ، في المنعطَفِ رأيت امرأةً ؛ الأُولى لك و الثانيةُ عليك، نظرتَ إلى محارمِك فبدون تدقيق هذا نوعيٌّ، و للأجنبيةِ خطأً تبعيضٌ وقتيٌّ، أمّا انظُر إلى أمِّك و إلى زوجتك وإلى أختك و إلى عمَّتِك و خالتك و ابنة أخيك وابنة أختك.. هذا شخصي، هؤلاء محارم لك أن تنظرَ إليهنَّ و ما سواهنَّ غُضَّ عنهنَّ البصرَ. قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

[سورة النور]

و أجمل ما في الآيةِ أنَّ حفظَ الفرجِ جاء بعد غضّ‌ِ البصر لأن طريقَ حفظ الفرجِ غضُّ البصرِ، لا يُوجَدُ إنسانٌ لا يغُضُّ بصرَه يتورَّطُ في الزنا، و في الآيةِ إشارةٌ دقيقةٌ، ما قال الله:و يحفظوا من فروجهم" لو كان كذلك لصار هناك حالات من الزنا مُباحة، يغضُّوا من أبصارهم و يحفظوا فروجَهم كُلّيَّةً، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(5)إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(6)﴾

[سورة المؤمنون]

لذلك التبعيضُ للبصرِ أمَّا الجزمُ و القطعُ فللفرجِ.

قال تعالى:

﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾

[سورة النور]

أقربُ إلى اللهِ و أطهر للقلبِ و أجمعُ للنفس،فإذا يغضَّ الإنسانُ بصرَه و يسلكُ في شهوةٍ أودعَها اللهُ فيه القناةَ النظيفةَ التي سمحَ بها يشعر بطمأنينةٍ و الله يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)﴾

[سورة النور]

هذه الخبرةُ الطبيبُ أمام المريضةِ له أن ينظرَ إلى موضعِ الدَّاءِ، و لو نظر إلى موضعٍ آخرَ فليس في الأرضِ جهةٌ تكشف ذلك إلا اللهُ، لذلك فقال تعالى:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ(19)﴾

[سورة غافر]

العينُ قد تخونُ لذلك:

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)﴾

[سورة النور]

و اللهُ يعرف إذا كان النظرُ بريئًا أو بشهوةٍ، نظرْتَ إلى موضع الدَّاءِ و إلى موضع آخرَ الله يعلم ذلك. فهذه الآيةُ أيها الأخوة من الآيات الدقيقةِ جدًّا، فالإنسانُ يصلِّي خمسَ مرَّاتٍ في اليومِ، أما إذا في الطريقِ مائةُ امرأةٍ فيصلِّي مائة مرَّة بغضِّ البصر:

عَنْ أَبِي رَيْحَانَةَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ فَسَمِعَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ يَقُولُ:

((حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ قَالَ وَقَالَ الثَّالِثَةَ فَنَسِيتُهَا قَالَ أَبُو شُرَيْحٍ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ ذَاكَ حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ أَوْ عَيْنٍ فُقِئَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[رواه الدارمي]

و ما كان اللهُ ليعذِّب قلبًا بشهوةٍ تركها في سبيل اللهِ، لأن الصراعَ الداخلي مُزعِجٌ وإذا أخذتَ قرارا حازِمًا لا تشعر بضيق، و إذا كان الإنسانُ يُدخِّن في اليوم علبتين من السيجارةِ ؛ في رمضانَ يرتاحُ لأنه قرارٌ حازمٌ، و لماذا لا تتوق نفسُه في نهار رمضانَ، فلمَّا يأخذ الإنسانُ قرارًا حازمًا ليس عنده مشكلةٌ و إذا كان قرارُه غيرَ حازمٍ فإنَّه سيُواجه صراعًا سببُه قرارٌ غيرُ حازمٍ لغضِّ البصرِ، أمَّا لو اتَّخذ قرارًا حازمًا انتهى الأمرُ معه.

الآنَ بقدرة قادرٍ و بحكمةِ حكيمٍ الذي يغُضَّ بصرَه عن محارم اللهِ يخلقُ اللهُ بينه و بين زوجته سعادةً لا تُوصَفُ نضيرَ غضّ بصرِه، و الذي يطلق بصرَه في محارم الله يدفع الثمنَ غاليًا من سعادته الزوجية فبقدر غضَّ بصرك عن محارم اللهِ بقدرِ سعادتِك الزوجيةِ، و بقدر إطلاق بصرك بقدْرِ شقاوتِك الزوجية، هذه قواعدُ الدينِ وهذه أشياءُ أساسيَّةٌ حتَّى إن بعضهم سمَّى ذلك " **مدرسة غضّ البصر**" قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(5)إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(6)﴾

[سورة المؤمنون]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-10) : تفسير الآية 32

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فالآية الثانيةُ و الثلاثون والتي بعدها من سورة النور و هي قوله تعالى :

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32)﴾

[سورة النور]

أوّلاً، فعلُ الأمر يقتضي الوجوبَ في القرآن الكريم، و يشبهه الفعل المضارعُ المقترِنُ بلام الأمرِ كقوله تعالى:

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾

[سورة الطلاق]

هذه لام الأمرِ، و إن كان الفعلُ مضارعا ولكن معناه الأمرُ، فكلُّ أمرٍ في كتاب الله يقتضي الوجوبَ، و لكنَّ علماءَ الأصول قالوا: هناك أمرُ وجوبٍ وهناك أمرُ ندبٍ وهناك أمر إباحةٍ و هناك أمرُ تهديدٍ، أمرُ التهديد كقوله تعالى:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

[سورة الكهف]

فهل من المعقولِ أن الله عز وجل يأمرُنا بالكفرِ؟! هو يهدِّدُنا إذا كفرنا، و المعنى ؛ إفعلْ وانظُر ماذا سيكون، فهذا أمر تهديدٍ و هناك أمر إباحةٍ قال تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ﴾

[سورة البقرة]

فإذا الواحدُ استيقظ و ما أكلَ هل يُؤثَمُ ؟ لا، لأنه أمر إباحةٍ، و أمر الندبِ هذا الأمر، و أمر الوجوب قال تعالى:

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

[سورة المجادلة]

قال تعالى:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

[سورة النور]

أي زوِّجوا، وهذه الواو للجماعة، فالأمر مُوَجَّهٌ لمجموع الأمَّةِ، و أيُّ أمر موَجَّه لمجموع الأمة هو موجَّه حكمًا إلى أولي الأمر و إلى أولياء الأمور، فأيُّ إنسانٍ تولَّى أمرًا من أكبرِ واجباته تزويج الشباب و الشابات لأنه فيما يبدوا لنا تزويج الشاب هي تلبيةٌ لحاجة أودعها الله فيه، أما على مستوى الأمنة فهو بناء أمَّةٍ، و الأمةُ إمَّا إنها تتقدَّم و ترقى عن طريقِ وحْداتٍ أُسريَّةٍ و إمَّا أنها تنهارُ و تتهاوى عن طريق الزنا، فنحن و إن لبّيْنا رغبةَ شابٍ في الزواج لكنْ في الحقيقة نبني أُمةً، و أهدافُ الزواج بعيدةٌ جدًّا، أُنظُرْ إلى شابٍ أخذ هندسةً وكلُّ الطرقِ أمامه مسدودةٌ ووازعُه الديني ضعيفٌ زلَّتْ قدمُه في الزنا فانتهى نهائيًّا، أمَّا إذا كان تعاونٌ و زوَّجناه فصارتْ له زوجةٌ و أنفق عليها و صار عملُه متقنًا، و صار له دخلٌ وأتى إلى البيتِ بالطعام و الشراب و اللباس أسعدَ زوجتَه و سعد هو و أنجب الأولادَ، فبناء الأمة يبدأ من إنشاء الأسرِ، فلذلك الآنَ أعظم عمل هو تزويجُ الشباب، كنتُ قبل يومين أو ثلاثة أقرأ كتابًا لفت نظري دعوة زواج بُعِثَتْ لابني، و بطاقة الدعوةِ معها إيصالٌ مبلغ من المال مكتوبٌ اسمي عليه: هذا عِوض أن نبعث لك هديةً دفعنا لبناء ثانوية شرعية بدوما هذا الإيصالَ وكتبوا أنه إذا ترغب دفع أكثر، على مدخل مكان الدعوة فيه لجان مع الإيصال و دفعنا و الحمد لله، دخلنا للعرس و انتهت الحفلةُ، جمعوا التبرُّعاتِ أحدهم قال: عليَّ نصف مليون لتزويج الشباب و الثاني مائة ألف، قلتُ: هذا عقد قران مبارك بدأ بإيصالٍ و دفع استثنائي وجمع مليوني ليرة، فإذا كان عقلاءُ الأمة ما فكَّروا في تزويج الشبابِ فسيحِلُّ السفاحَ محلَّ النكاحِ، فإذا ما انتبهنا و عاونًّا، قريةٌ من قرى غوطة دمشق أنا أكبِرُها كثيرًا اجتمع عقلاؤها و قالوا: أعلى مهر هو خاتم وساعة فقط، سيّدُنا شعيبٌ قال:

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾

[سورة القصص]

هذا توجيه لنا، فنحن الآن أيها الأخوة كما ترون الفتنَ في الطريق مشتعلةً، **الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها** " ونحن في عصْر الفساد والنِّساء الكاسِيات العارِيات، فلا عَمَلَ أجلّ مِن أن تُؤَمّن لِشَابٍّ بيْتًا، وإذا كان الواحِدُ مَيْسور المال، وكان عندهُ بنات، وأمَّنَ لِكُلّ بنت بيتًا صغيرًا بمائة مترْ فقد تَجدُ البنْت شابًا بأعلى مُسْتوى ولا بيْتَ له، فهذا عَمَلٌ عظيم وأنا لا أرى مِن عملٍ أعظم عند الله مِن تَحْصين الشَّباب والشَّابات بالزَّواج الشَّرعي، قلتُ لأحدهم: ألا تسْتطيع أن تُؤَمِّن بنايَةً تبْنيها بأرخَص المستلزَمات، وتُزَوِّج فيها الشَّباب، فالله تعالى قال:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

[سورة النور]

فلمّا يَجِدُ الشاب غرفةً ومنافِعَها يسْتطيع أن يتزوَّج، فهذا أعظم عمَل فالذي عنده شباب وبنات، فلا بدّ أن يكون عَمَلَهُ الأوَّل تَزْويج الشّباب والفتيات، لأنّ هناك فِكرة تقول: أنا كنتُ عصامِيًّا، ولا بدَّ أن أجْعَلَ ابني عِصامِيًّا !! والله أعرف أُناسًا باعوا بُيوتَهم واشْتروا أربعة بيوت خارِج الشام، لِكي يُزَوِّجوا أبناءهم ؛ أنا هذا أَعُدُّه بطلاً، لأنَّ الشاب إذا زنى وكان الأب مَيْسورًا لَعُوتِبَ الأب، ويوم القيامة يقول: يا رب، لا أدخُل النار حتَّى يدْخل أبي !! أعرفُ رجلاً عنده أثنى عشرة بِنايَة، وابنُهُ يتمنى بيتًا يسْكُنُه لِكَي يتزوَّج ! مُدَّعِيًّا أن يسْلُكَ الابن ما سَلَكَهُ الأب !!! بيت متواضِع وأثاث مُتواضِع،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

[رواه الترمذي]

والآية أكبر دليل، أوّلاً الأمر مُوَجَّه لأولي الأمر فكلّ مسؤول بالوزارة عليه أن يحفظ النَّفقات المُتَعَلّقة بالزَّواج، وتيْسير البُيوت، وأنا أعرف واحد بِداريًّا عمَّر عمارات كبيرة ورفض بيعَها ولكن تأجيرها للشَّباب المُسلِم، فنحن نريد بناء مُجْتَمَع عن طريق تسْهيل الزَّواج، وهذا أعظم عمل.

فالآية الأولى:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32)﴾

[سورة النور]

الفقْر ليس عَيْبًا ولكن وِسام شرَف للإنسان المُستقيم، وبالجامع الصغير أثنى عشرة حديثًا تبدأ بِحَقّ الأب على ابنِهِ، وحق الجار على جارِهِ ولكنَّ حديثًا واحِدًا إذا قرأْتَهُ يقْشَعِرُّ جلْدك ؛ حق المسلم على الله أن يُعينهُ إذا طلبَ العفاف، وما شَكَى أحدٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم ضيقَ ذات يَدِهِ إلا قال له: **اِذْهَب فتَزَوَّج**، وقال عليه الصلاة والسلام:

((مَن تَرَكَ الزواج خيفة العيلة فليس مِنَّا))

الله تعالى هو الذي يُغْنيه، واحْذَر أن تقول: ليس معه ! فهذا رجلٌ غنيّ تَقَدَّم لِخِطْبة ابنِهِ رجل مهندس فقال الأب: هذا معاشُهُ لا يكْفي يَوْمَين !! وبِقُدْرة القادِر جل وعلا، أفلسَ هذا الغنيّ وتوسَّل لأحد الناس كي يتقدّم ذاك المُهندِس لِخِطبة ابنِهِ، وأغنى الله ذاك المهندس وأصبَحَ العمّ يشْتغل عند زوْج ابنَتِهِ !! والأمر الإلهي:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32)﴾

[سورة النور]

ولو رأيتَ كيف أغنى الله أُناسًا كانوا فقراء تَدْهَش فالله تعالى إذا أعطى أدْهَش، وإذا حاسَب فتَّش، وأذْكُرُ أنَّني زرْتُ واحِدًا في مَحَلِّهِ بدويلعة فإذا به يأكل علبة سرْدين من دون صَحن، ونائِم على طاولة التَّفصيل، وقال لي: عندي بيت ألف متْر مساحته، وحدائِق وثلاثة سيارات، فالله إذا أعطى أدْهش، فهذا أحدُ الأخوة تبرَّع لِجَمْعِيَّة خيْرِيَّة بِسِتَّة ملايين بيوت فأقام له أهل الجَمْعِيَّة حفلاً تَكْريميًّا، وأثنى عليه الجلوس، أما أحدهم فكان نبيهًا وقال: نحن عندنا سبعمائة أُسْرة مُنْتَفِعَة بهذه الجَمْعِيَّة، وكان مِن المُمْكِن أن يكون المُحْسن هذا أحدُ المُنْتَفِعين ولكن شاء الله أن يُعطي ولا يأخذ، فكما أنَّ الله تعالى أعْطاك يُمْكِن أن يترُكَكَ تأخذ، فالذي أعْطاهُ الله وأنفقَ لا بدّ أن يذوبَ خجلاً منه تعالى وهذا مِن فضْل الله عليك.

إحدى الأُسَر كانت تأكل فجاء أحد الطرقاء للباب، فَهَمَّتْ الزَّوْجة أن تُعْطِيَهُ بعض الدَّجاج فَعَنَّفَها وقال لها: أُطرُديهِ ! بعد حينٍ ساءَت العلاقات فطَلَّقها، وتزوَّجَت مع إنسانٍ آخر، وفي أحد الأيام كانت جالسَةً معه وهي تأكل الدَّجاج فطَرَقَ الطارِق الباب: فإذا بها تضْطرب ! فقال لها: لمَ اضْطَرَبْت ؟ فقالتْ: إنَّهُ زوْجي الأوَّل ! فقال لها: أوَ تَدْرين مَن أنا ؟ أنا السائِلُ الأوَّل !!! فالله تعالى كبير، وقد يُفْقرك بِثانِيَة، وقد يُغنيك بِثانِيَة، فالإنسان يكون بحبوحة إذا كان في طاعة الله عز وجل.

المُلَخَّص قوله تعالى:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32)﴾

[سورة النور]

حاوِل أن تُساهِم أن تُزَوِّج شابًّا ولو بمائة ليرة، ولو بِقليل مِن الأثاث، ولو بِبَرَّاد، كي يُلغى السِّفاح ويَحِلَّ محلَّهُ النِّكاح.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-10) : تفسير تتمة الآية 32

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فالآية الثانيةُ و الثلاثون من سورة النور، وهي قوله تعالى:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32)﴾

[سورة النور]

سألني أحدُ الإخوةِ البارحة بعد نِهايَةِ الدَّرس عن معنى كلمة الأيامى ومِن أدَقِّ معاني هذه الكلمة، وهي أنَّ الأيامى جَمْعُ أيِّم، والأيِّمُ هو الشَّخْص – ذَكَرتُ شَخْصًا لأنَّه يعني ذَكَرًا أو أُنثى – الذي لا طرف آخر له أعْزَبَ كان أو مُتَزَوِّجًا، أي فتاةً غير مُتَزَوِّجة أو فتاةً مُتَزَوِّجة ثمَّ طُلِّقَت، ولا زوْجَ لها، أو شابٌّ أعزبُ غير مُتَزَوِّج أو رجلٌ تزوَّج ثمَّ أصبَحَ دون تلك الزَّوجة، فأيُّ شَخْصٍ ليس له طرفٌ آخر وليس له نِصْف آخر، فهو أيِّم، فهذه الآية شامِلَة جدًّا:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32)﴾

[سورة النور]

بعض الأدْيان ابْتَدَعَ رِجالها الرَّهْبَنَة، وترْكَ الزَّواج، قال تعالى:

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا﴾

[سورة الحديد]

هم حينما كَتَبوها على أنفسِهم أرادوا منها إرْضاء الله عز وجل، فالله هو الخالق، وهو الذي جَعَلَ هذا الدافِعَ مُتَغَلْغِلاً في أعْمَقِ قِيَمِ الإنسان وهذا لا يتناقض مع أن تكون إنسانًا عظيمًا أو مُخْلِصًا أو مؤمنًا فالحاجة إلى الطَّرَف الآخر أودِعَت في أعْمَق أعماق كِيان الإنسان فالأنبياء تَزَوَّجوا، وكذا الصَّحابة الكِرام وهذا شيءٌ مِن سُنَّة الله تعالى في خلْقِهِ، لذلك أشغاله فلابدّ مِن أن ينْصَرِف إلى طريق آخر غير مَشْروع، فدائِمًا إذا اتَّسَعت مساحة الزَّواج المَشْروع تضاءَلَتْ مساحة الزِّنا، وإذا ضاقَتْ مساحة الزواج المَشْروع تواسَعَت مساحة الزِّنا ولا سيما في عصْر الفتنة، والتَّفلُّت، ولا سيَما في زَمَن ضَعْف الإيمان وشَهَوات مُسْتَعِرَة، وكلّ شيءٍ يتحدَّث عن الجِنْس، الأزياء الفاضِحَة التي يُصَمِّمُها اليهود لِكَي يُفْسِدوا بناتِنا، ولذا كان للفقهاء حُكْمٌ في الزَّواج، فقالوا: مَن تاقَتْ نفْسُهُ للزَّواج وخَشِيَ على نفْسِهِ العنت فالزَّواجُ بِحَقِّهِ فرْضٌ كالصلاة، بل هو مُقَدَّم على فريضة الحج، ومن كانتْ حالتُهُ من دون الزَّواج مُتوازِنَة فهو في حقّهِ مُباح ومن لم يكن مُؤمنًا، وكان ممكنًا أن يظلِمَ

زوْجتَهُ، أو أن يُفْسِدَها فهو في حقِّهِ مَكروه، أما السفيه فَزَواجُهُ مُحَرَّم لأنَّه سفيهٌ لِوَحْدِهِ فإذا تزوَّجَ أجْرَمَ بِحَقِّ الطَّرف الآخر.

الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

[سورة النور]

كنتُ أضْربُ مثلاً في باب الرِّزق، تُفاحةٌ نَمَتْ في غصْنٍ في أحَدِ البساتين، ففي علم الرِّزق هذه التُّفاحة لِفُلان، قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ(23)﴾

[سورة الذاريات]

فمادام هذا الفم مَفتوح له عند الله تعالى رِزْق ولكنَّ هذه التُّفاحة طريق الوُصول إليها مُتَعَدِّد بِحَسَب اخْتِيار الإنسان، فلَكَ أن تَصِل إليها شِراءً ولك أن تصِل إليها هَدِيَّةً، أو سرِقَةً، أو ضِيافةً، أو تسوُّلاً، لذلك الدُّعاء الشريف:

عَنْ عَلِيٍّ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي قَالَ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ قَالَ قُلِ:

((اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ))

[رواه الترمذي]

وما مِن شَهْوَةٍ على الإطلاق أوْدَعَها الله في الإنسان إلا وَجَعَلَ لها قناةً نظيفةً ومُريحَة، تفْعَلُها وأنت في أعلى درَجَات القُرْب وتفْعَلُها وأنت في أعلى درجاتِ التَّألُّق ؛ لأنَّها وِفْق المنْهَج، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(5)إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِي﴾

[سورة المؤمنون]

وقد ورَدَت في بعض الآيات كلمةٌ رائِعَة، قال تعالى:

﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ(86)﴾

[سورة هود]

فما معنى بَقِيَّة الله ؟ هناك نساءٌ على عرْض الطريق، مَن بقِيَ لك منهنّ تَحِلُّ لك ؟ زوْجَتُكَ ؛ هذه بَقِيَّة الله، وهناك أموال لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، فأيُّ الأموال المَشْروعَة التي بَقِيَتْ لك ؟ هي الأموال التي تكْسِبُها عن طريق

مَشْروع، بَقِيَ لك مِن أنواع المال ؛ المالُ الحلال ومِن النِّساء الزَّوْجة، ومِن العُلُوّ في الأرض أن تكون طائعا لله، فهو تعالى يرْفَعُ قدْرَكَ وذِكْرَك، فالذي بَقِيَ لك هو الذي شَرَعَهُ لك.

الآن قوله تعالى:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

[سورة النور]

فالإنسان إذا صَبَر، ولِكُلّ شيءٍ أوان، فَمَن تعجَّل الشيء قبل أوانِهِ جوزِيَ بِحِرْمانِهِ فما أجْمل في الإنسان أن يقْضِيَ حاجاتِهِ التي أوْدَعَها الله فيه وِفْق ما يُرْضي الله، وما أحْمَقَ الإنسان حينما يتعجَّل فيقْضي حاجاتِهِ فيما يُغْضِبُ الله، لذلك قال تعالى:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (33)﴾

[سورة النور]

سأسْألكم هذا السُّؤال: لو أنَّ بالأرض هناك مليار ومائتان مسلْمٍ، فهل تُصَدِّقون أنَّ مُسْلِمًا واحِدًا يُكْرِهُ فتاتَهُ على البِغاء ويأكُلَ مِن زِناها ؟! فما معنى الآية؟ هذه الآية مُوَجَّه إلى المؤمنين، أَيُعْقل أن تقول لإنسانٍ وعالِمٍ جليل: إيَّاك أن تُكْرِه فتاتَكَ على البِغاء ؟! هذا لا يدْخُل في حِساباتِهِ كَمُسْلِم ! ولكنّ العلماء حَمَلوا هذه الآية على المعنى التالي: حملوا هذه الآية أنَّ الإنسان إذا تقدَّم لابْنَتِهِ خاطِب، ولم يُوافِق الأب تَعَنُّتًا أو كِبْرًا أو ينتظِرُ مَن هو أفْضَل، أو مَن هو أغْنى، فَمَن فعَلَ هذا فكأنَّهُ قوَّى عُنْصر الشَّهْوة في ابنِهِ، فإذا زلَّتْ قَدَمُها فَهُوَ السَّبب، فَهُوَ ما أراد ذلك ولكنَّه أرْغَمَها على الزِّنا بِطَريقة أخرى، فلو أنَّ لك ابنًا يعْمل في مَحَلِّك، ولا تُعْطيهِ ولا دِرْهَمًا، وتقول له: لا تأخذ شيئًا فأنت تأكل في المنزِل ما تريد !! فأنت حينما تحْرِمُهُ أن يسْحَب مِن الصُّندوق دخْلاً مَشْروعًا سوف يُفَكِّر مِن وراءِ ظَهْرِك، فَكُلّ مَن يُحْرم بعد الحِرمان فالذي حرمهُ له إسْهام كبير في ذلك، والآية عميقة جدًّا ولها مَدْلول بعيد، فلا يوجَد أبٌ على وَجْه الأرض يُكْرِهُ فتاتَهُ على الزِّنا ! ونحن نقول: مسْلم والحالات الشاذَّة هذه تخرج عن النِّطاق فالأب المُسْلِم مُسْتحيل أن يُكْرِهَ فتاتَهُ على الزِّنا، أما حينما يتعنَّت الأب ويرْفض عَشَرات الخُطَّاب الصالحين المؤمنين لِغايَةٍ في نفْسِ يعْقوب فإذا زلَّت قدمُ إحْدى فتياتِهِ فهو السَّبَب، فالابن الذي يقول لأهْلِهِ زوِّجوني، ثمَّ يرى إعراض أهلهِ عنه، ويقولون له: لا تزال صغيرًا أو دَعْكَ مِن هذا الأمر الآن !! فهؤلاء إن ارْتَكَب ابنهم شيئًا فهُم السَّبب ! كَمَن يشْتغل عندك وتُعطيه ألف وخمسمائة شهْريًا في هذا العَصر وأنت ترْبح عشرة آلاف باليوم، فإذا سرقَكَ فأنت السَّبب لأنَّك قوَّيْتَ فيه

عُنْصر أكل المال الحرام، ففي الآية تَوْجيه للأباء لطيف جدًّا فيَجِبُ أن تشْعُر بِحاجَة ابْنِكَ وابْنَتِكَ.
أعرفُ رجلاً تَقَدَّم لِخِطْبة ابنِهِ عشرةِ خُطاب مِن أعلى مُسْتوى فكان الجواب الرَّفض، وفجْأةً هرَبَتْ ابنَتُهُ مِن البيت مع شاب أقلّ مِن هؤلاء الخُطَّاب بمائة مرَّة !! واخْتَفَت، ثمَّ جاءَتْهُ مُخابرة من والدِه ووضَعَهُ تحت الأمر الواقِع ! لماذا هرَبَتْ ؟! لذلك الآية الكريمة:

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (33)﴾

[سورة النور]

حينما يتعنَّتُ الأب فإنَّهُ يُقَوِّي عُنْصر الشَّهوة في البنت أو الابن، فهذه الآية مِن أدقِّ الآيات المُتَعَلّقة بالزَّواج، والإنسان ليس له الحق أن يُقَوِّي عُنْصر الشَّهوة في ابنِهِ ولا في ابْنَتِهِ حينما يقِفُ مُتَعَنِّتًا، ويَضَعُ شرْطًا تَعْجيزيًّا في تزْويج ذُرِيَّتِهِ وطبْعًا هذا المعنى المُوَسَّع.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (34)﴾

[سورة النور]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-10) : تفسير الآيات 36 - 38

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فالآية السادسة والثلاثون من سورة النور وهي قوله تعالى:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)﴾

(سورة النور)

أوّلاً ؛ في بيوتٍ، هذه الكلمة جاءَتْ جمْعًا ونَكِرةً، فالتَّنكير للتَّعظيم والجمْعُ للتَّعَدُّد، ينبغي أن يكون في كلّ مكانٍ بيتٌ لله عز وجل، وحاجة الناس إلى الدِّين كَحَاجتِهم إلى الهواء، فلو أنَّنا أنشأنا مُجمَّعًا سَكَنِيًّا فأوَّل شيءٍ ؛ يحتاجُ هؤلاء الذين قَطَنوا هذا المُجَمَّع إلى بائِعٍ يبيعُهم الحاجات الأساسيَّة، وإلى قصَّاب، وإلى بقَّال، وإلى طبيب، وإلى مُسْتَوصَف وإلى مَدرسة..إلخ ؛ هذه حاجات دُنْيَوِيَّة، وإنَّ أشَدَّ حاجةٍ للإنسان وهو في الدنيا مكانٌ يتعرَّفُ فيه إلى الله عز وجل، لذا أوَّلُ شيءٍ فعلهُ النبي عليه الصلاة والسلام حينما هاجَر إلى المدينة أنشأ مسْجِدًا، وقبل بيْتِهِ الشَّخْصي، وكان ضَيْفًا في بيت سيّدنا أبي أيوبٍ الأنصاري، أقامَ ضيْفًا وأنْشأ مسْجِدًا، لذلك قال تعالى:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)﴾

(سورة النور)

يجب أن يكون في كلّ مكانٍ بيتٌ من بيوت الله، والمسْجِدُ أيُّها الأخوة له أخْطرُ دَوْرٍ في المُجْتمَعِ الإسلامي، وفي مجْتمع الانْحِطاط والتَّبعْثر والتَّخلُّف والتَّشرْذُم، وضَعف الإيمان بَقِيَ المسْجِد لإقامة الشَّعائِر التَّعَبُّدِيَّة، مع أنَّ مُهِمَّة المسْجِدِ أخْطر بِكَثير مِن أن يُصَلَّى فيه، وأقلّ مُهِمَّة للمسْجِدِ أن يُصَلَّى فيه والدليل قوله عليه الصلاة والسلام:

((ما جلسَ قومٌ في بيتٍ من بيوت الله...))

فهذه إشارة إلى أنَّ أخْطر مُهِمَّةٍ هي تعليم كتاب الله، وأن يعْرف الإنسان مُهِمَّتَهُ في الحياة، وسِرَّ وُجودِهِ، وغايَةَ وُجودِهِ، وأن يتعرَّف إلى الله وإلى رسولهِ، وإلى منْهَج ربِّه، وإلى القرآن الكريم، وإلى سيرةِ أصْحابِهِ، وهذه مُهِمَّةُ المسْجِد، والكلمة جاءَتْ جمْعًا ؛ لتأكيد تعَدُّد بيوت الله تعالى، وثانِيًا تَنكير والتَّنكير للتَّعظيم قال تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ(32)﴾

[سورة الحج]

وقد كانت بِعَهْد النبي صلى الله عليه وسلَّم امرأة بأدْنى الدَّرجات الاجْتِماعِيَّة، كانت تَقُمُّ المسْجِد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه:

((أَنَّ أَسْوَدَ رَجُلًا أَوِ امْرَأَةً كَانَ يَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ وَلَمْ يَعْلَمِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْتِهِ فَذَكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ مَا فَعَلَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ قَالُوا مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَفَلَا آذَنْتُمُونِي فَقَالُوا إِنَّهُ كَانَ كَذَا وَكَذَا قِصَّتُهُ قَالَ فَحَقَرُوا شَأْنَهُ قَالَ فَدُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ فَأَتَى قَبْرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ))

[رواه البخاري]

فالصَّحابة رأَوْا مِن ضآلةِ شأنِها، وقلَّة قيمَتِها لا تستأهِل أن يُخْبر بها النبي عليه الصلاة والسلام، حينها توجَّه النبي عليه الصلاة والسلام إلى قبْرِها ودعا لها، فأيُّ إنسانٍ يُقَدِّم خدْمةً لِبَيت الله يعتبر مِمَّن ساهم في بيوت الله تعالى، كأن يُكَبِّر الصوت والإضاءة، والتَّكييف، فالله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ(18)﴾

[سورة التوبة]

مَن يَعْمُرها بِناءً، ومَن يعْمُرها بأداء الصلاة فيها، إقامة الدُّروس فيها، والمُجتمع الإسلامي أُسْرة، فهذا قدَّم مالهُ، وذاك قدَّم عِلْمَهُ، وهذا قدَّم قوَّته، والآخر سَعْيَهُ، قال تعالى:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾

(سورة النور)

لم يقُل تُبنى ! يجب أن يكون بناء المسْجِدِ عاليًا لِيتناسَب مع عظمة الله تعالى، قال تعالى:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا(18)﴾

[سورة الجن]

لا يصْلُحُ المسْجِد لِذِكر أيّ موضوع غير ذِكْر الله، لا لأشْخاص ولا لأفكارٍ مُعاصِرة، لا للدِّفاع ولا للهُجوم، فهذا مِنْبر رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وهذا المنبر له قُدْسيَّة كبيرة، وأيُّ إنسانٍ صَعِدَ المنْبر هو نائبٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في إبلاغ العِلم، فلا ينبغي أن يدْعُوَ مع الله إلهًا آخر، دَعُوا الدنيا لأهْل الدنيا، والمصالِحَ للطُّرُقات أما بيتُ الله ففيه دَعْوَةٌ خالصَةٌ إلى الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ (36)﴾

(سورة النور)

فهل المعنى أن تقول سبحان الله سبحان الله ؟ نعم هذا مُمْكِن، ولكنَّ الأعمق مِن هذا أن تذْكُر فضْل الله تعالى، وأن تتحدَّث عن أسْمائِهِ الحُسْنى، وعن صِفاتِهِ الفُضْلى، وعن رحْمَتِهِ، وقُدْرَتِهِ وعِلْمِهِ وكلامِهِ وعن كمال رسوله صلى الله عليه وسلم، وعن صحابته عليه الصلاة والسلام، وعن منْهَجِهِ الدقيق، ومواقف أصحابِهِ البُطوليَّة.

قال تعالى:

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37)﴾

(سورة النور)

هل تعني كلمة رِجال في القرآن أنَّهُ ذَكَر ؟! لا فَكَلِمَة رجل أكبر مِن أن تعني ذَكَرًا، بل البَطَل، ما نوعُ رُجولَتِهِم ؟ أنَّهم لا تُلْهيهِم تِجارَةٌ ولا بيْعٌ عن ذِكْر الله تعالى، وإقامة الصلاة وإيتاء الزَّكاة، فهذا عرف مُهِمَّتَهُ في الحياة، ولا شيءَ مهما كان عَظيمًا يَشْغَلُهُ عن ذِكْر الله.

وكلمة تُلْهيهِم هِيَ مِن اللَّهْو، واللَّهو أن تنْصَرِفَ إلى الخسيس عن النَّفيس وأن تشْتَغِلَ بالقُشور، وتَدَع اللُّبّ، وأن تشْتَغِلَ بالأصداف وتدع اللآلئ وأن تشْتغل بالدنيا وتَدَعَ الآخرة، فالإنسان يعْمَلُ في الدنيا، ويُؤَسِّسُ عملاً ومحلاً تِجاريًّا، ويُؤَسِّس معملاً ومزْرَعَةً، ويتوظَّف وينال شَهادة عليا، فهذا كُلُّهُ مُباحٌ مِن دون أن تشْغَلَك هذه النَّشاطات عن ذِكْر الله تعالى، وهذه هِيَ البُطولة، فما لله تعالى لله، وما لِعَبْدِ الله لِعَبْد الله فالصَّلواتُ تُؤدَّى في المسْجِد، ودُروس العِلْم يحْضُرها المؤمن ويُبَرْمِجُ حياتَهُ عليها، فكثير مِن الناس يُبَرْمِجُ حياتَهُ على الدنيا، وإن كان له فائِضٌ من الوقت يحضر مجلسَ عِلمٍ ! الأصْل أن تطْلُبَ العِلْم، وأن تتعرَّف إلى الله، وتُؤَدِّي العِبادات، وهذا هو معنى قوله تعالى:

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37)﴾

(سورة النور)

فالله تعالى ما قال: ولا شراء، وإنَّما قال: ولا بيْعٌ، فالبيْعُ مُحَبَّب وفيه رِبْحٌ، أما الشِّراء ففيه الدّفْعُ ! عَطَفَ الخاصّ على العام، عن ذِكْرِ الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزَّكاة يخافون يوْمًا تتقلَّبُ فيه القلوب والأبصار وهذا اليوم الذي وعَدَ الله فيه عبادَهُ، قال تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ(1)لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(2)خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(3)﴾

[سورة الواقعة]

فالإنسان يكون في الأوْج ويصبحُ بالحضيض وبالعكس.

أيها الأخوة، قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ(9)﴾

[سورة المنافقون]

لا يُمكِنُ أن تلتهي بالخسيس عن النَّفيس، النَّفيسُ هو معرفةُ الله تعالى ومعرفةُ منهَجِهِ، والتَّقرُّب إليه بالطاعة، والخسيس هي الدنيا، والدنيا جيفةٌ طُلاَّبُها كلابها، والدنيا دارُ مَن لا دارَ له، ولها يسْعى مَن لا عقْلَ له، إنَّ الدنيا عرَضٌ حاضِر، يأكل منه البرّ والفاجِر، والآخرة وعْدٌ صادِق، يحْكُمُ فيهِ ملِكٌ عادِل، وإنَّ الله يُعطي الصِّحة والمال والذّكاء والجمال للكثيرين مِن خلْقِهِ، ولكِنَّهُ يُعطي السَّكينة بِقَدَرٍ لأصْفيائِهِ المؤمنين.

قال تعالى:

﴿لِيَجْزِيَهُمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)﴾

(سورة النور)

هذا الوقْتُ الذي تقْتَطِعُهُ مِن وقْتِكَ الثَّمين لأداء الصَّلوات في المسْجِد، ولِحُضور مجْلسِ العِلم، هذا وقْتٌ سمَّاهُ العلماء ؛ زكاة الوقْت، فكما أنَّ المال تُؤدَّى زكاتُهُ فيَحْفَظُ الله لك بقيَّة المال من التّلَف، وقْتُكَ إذا أدَّيْتَ زكاتَهُ بِحُضور مجالسِ العِلم يحْفظ الله لك بقيَّة الوقت من التَّلَف، فقد ترتَفِعُ حرارة ابْنِكَ مِن طبيب لآخر إلى مُحَلِّل ومُصَوِّر، وتضعُ أثنى عشر ألفًا، وفي النِّهاية يُقال لك: الأمر على ما يُرام، فَكُلّ إنسان أدَّى زكاة وقْتِهِ بأداء العِبادات بإتْقان، وطلب العِلْم الشَّرعي، فإنَّ الله تعالى يحْفظ له بقيَّة وقْتِهِ، قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(6)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(7)وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)﴾

[سورة الليل]

هذا قانون التَّيْسير والتَّعْسير، لذا كلام العوام مِن أنَّ فلانًا محظوظٌ ذاك يَدُهُ خضْراء، هذا كلام لا أصل له، فالتَّيْسير والتَّعْسير لهما قانون فالذي يُؤَدِّي زكاة وقْتِهِ يطرحُ الله له البرَكَة في وقْتِهِ، ويقوم بأعمال تُكَلِّفُ الساعات الطِّوال بِساعة واحِدَة ! فمن صلَّى الصلاة بِوَقْتِها باركَ الله له بِوَقْتِهِ.

فقوله تعالى:

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾

(سورة النور)

هذه الآية مُتَعَلِّقَة بالوقت فهذا الإمام أبو حنيفة أحَدُ أسباب طلبِهِ العِلم هو اطِّلاعُهُ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلَّم مفادُهُ أنَّهُ من طلبَ العِلْم تكفَّل الله له بِرِزْقِهِ ! فأنت لن تَجِدَ تحت الوِسادة ألف لِيْرة، ولكنَّ الله تعالى يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ جُهْدُهُ قليل ومرْدودُهُ كبير، فهذا هو معنى تكفَّل الله له بِرِزْقِهِ، فطالبُ العِلْم مرْزوق، ومن سلك طريقًا يلْتَمسُ فيه عِلْمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنَّة، وإنَّ الملائكة لتضَعُ أجْنِحَتها لِطالبِ العِلْم رضًى بِما يصْنَعُ، فالذي يُؤَكِّدُ إنسانِيَّتَكَ طلبُ العِلْم، ولا يوجد إنسانٌ يؤْثر جانب الله إلا ويُعطيه الله الدنيا والآخرة، من آثَرَ دُنياه على آخرتِه خسرهما معًا، ومن آثر آخرتَهُ على دُنياه رِبِحَهُما معًا.

فالقصْد أن يغْتَنِمَ الإنسان وقْتَهُ في معرفة ربِّه ومنهجه تعالى، ومعرفة نبيِّهِ صلى الله عليه وسلَّم، وما سرُّ وُجودِهِ ؟ وغايَةُ وُجودِهِ، وكيف يبيع ويشْتري ؟ وكيف يُرَبِّي أولاده ؟ وكيف يُزَوِّج ؟ فالناس يقعون في الحرام والظُّلم، والمصائب تأتيهم من كلّ جانب مِن جهْلهم بالله تعالى وبالتالي بِخروجِهم عن منهَج الله، وبالتالي تَحَمُّلهم العِقاب الإلهي، لذا لا بدّ مِن طلب العلم على كل مسْلم، وهذا مهما كان اخْتِصاصُك، ووظيفتُك قال تعالى:

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾

(سورة النور)

أوحى ربُّك إلى الدنيا أنَّهُ مَن خَدَمَني فاخْدُميه ومن خَدَمَكِ فاسْتَخدميه وما أحبَّ عبدٌ الدنيا إلا انفرط منها بِثَلاث ؛ شُغْلٍ عناه، وأملٍ لا يُدْرِكُ مُنتَهاهُ وفقْرٍ لا يبْلُغُ غِناه ! وإنَّ أسْعَدَ الناس في الدنيا أرْغَبُهم عنها، وأشْقاهُم فيها أرغَبُهم فيها ! خُذْ مِن الدنيا ما شئْت وخُذ مِن قَدَرِها همًّا، فَحَجْمُ الهُموم يتناسَب مع حجْم الدنيا، وقد يموت الإنسان بالسَّكْتة القلبيَّة من جرَّاء الدنيا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-10) : تفسير الأية 39

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فالآية التاسعة والثلاثون من سورة النور وهي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)﴾

[سورة النور]

شُعور خَيْبَة الأمَل مِن أشَدِّ المشاعِرِ إيلامًا بالنَّفْس ! فالتاجِر يبْذُل الجُهد سَنَواتٍ مُضْنِيَة في البيْعِ والشِّراء، وتَحْصيل الثَّمَن، وتسْليم البِضاعة ثمَّ تكْتَشِفُ أنَّكَ خاسِرٌ فيها ! فهذه الجُهود انْتَهَتْ إلى خسارة.

تشْتري محلاً تِجارِيًّا بِأعلى مبْلَغٍ، لِتُقيمَ فيه مَشْروعًا حَيَوِيًّا، ثمَّ هذا المَشْروع لا ينْجَح، بنَيْتَهُ على مُعْطَياتٍ أُلْغِيَتْ ! في بعض شركات السِّياحة لها مواقف في حِمص، المحلّ أصْبح ثمنُهُ ثلاثون مليونًا فجْأةً تحوَّل وأصْبَحَ ثَمَنُهُ خمسة ملايين !! خَيْبَةُ الأمل مُؤْلِمَة جِدًّا، تضَعُ ثقَتَكَ بإنسانٍ ثمَّ تَجِدُهُ نصَّابًا ! تُؤَسِّسُ مشْروعا ليس له جَدْوى اقتصادية إطلاقًا تشْتري بيتًا فإذا بِهَنْدَسَتِهِ خاطِئة !! وتشتري أرضًا بأعلى سِعْر فإذا هي مُسْتَمْلَكَة ! أنا الآن أضْرِبُ لكم أمثلةً من خيْبات الأمَل، قد تُعَلِّق أمَلَكَ بابْنِكَ فإذا به يُسافِر ولا يُهاتِفُكَ ! ويتزوَّج أجْنَبِيَّة ويسْتَقِرّ هناك، ولا هاتف ولا رسالة !! وتُعَلِّق آمالا على زوجة فإذا بِكَ تراها مُنْحازَةٌ إلى غيْرِكَ! مشاعِرُ خَيْبَةِ الأمَل لا توصَف، فالله عز وجل وصَفَ عَمَل الكافِر، وما سَيُصيبُهُ مِن خَيْبة أمَل كسَرابٍ ؛ كإنسانٍ يمْشي في الصَّحراء وهو في حالةِ عطشٍ قاتِلَة، لمَحَ بِرْكة ماء، فأشْرق في نفْسِهِن نورٌ مِن الأمَل، فلمَّا وصل إلى البِرْكة لم يَجِدْها ماءً ولكنَّها سرابٌ ! لذلك الإنسان في الدنيا وهو في مُقْتَبَلِ حياتِهِ يرى أنَّ المال هو كلَّ شيء، وبعدَ حينٍ يرى أنَّ المال شيئًا، وليس كلّ شيءٍ، فَقُبَيْلَ الموت لن يراهُ شيئًا، وفي مُقْتَبَلِ حياتِهِ يرى أنَّ المرأة كلَّ شيءٍ، وبعد حينٍ يراها شيئًا وليس كلَّ شيءٍ فَقُبَيْلَ الموت لن يراها شيئًا ! فالله عز وجل يُبَيِّن لنا ؛ أنَّهُ قبل أن نصِلَ إلى هذه التَّجربة المُرَّة، فَمِن العَقل أن تصِلَ إلى الشيء قبل أن تصل إليه ! فالطبيب يقول لك: الدُّخان يُسَبِّبُ جَلْطةً ؛ هذا كلام، فإذا كان هناك عَقْلٌ راجِحٌ أقْبلُ هذا الكلام، وأسْتجيبُ له، وإن لم يكن هناك عقْل راجِح حينما يأتي المرض العُضال أتأكَّدُ مِن كلام الطبيب ولكن قبل فوات الأوان! من هو العاقِل ؟ هو الذي لا ينْدم، ومن هو الجاهل؟ الذي لا يسْتَخْدِمُ عقْلَهُ، هاك مثلٌ بسيطٌ، بعتَ بيتَك بعملة أجنبيةٍ و معك في جيبك جهاز لكشف زيف هذه العملة أو صحتها، قبضتَ الثمنَ كاملًا و عددْتَه

بالتمام و ما خطرَ ببالك أن تستخدم الجهازَ فإذا العملة كلُّها مزوَّرة فذهب البيت سدًى و أنت محاسب قانونيًا، ومعك جهاز تستخدمه في ثانية أليس هذا يستدعي أشدَّ الندم، الآية دقيقةٌ جدًّا، قاتل تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾

[سورة النور]

يا ربي أنا أنجزْتُ مشروعًا حضاريًا مثل مُجمَّع سياحيٍّ . مسابح و ملاعب و نادي ليلي . و يوم القيامة ماذا عملتَ ؟ماذا فعلتَ في الدنيا ؟ كنتَ سببَ الفساد و سبب فساد الأسر و انحراف الشباب و انغماس الفتيات في الملذاتِ المحرمة و ضياع الشرف و الكرامة، مشروع حضاري قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)﴾

[سورة النور]

أيها الأخوة الكرام ؛ ألصقُ شيءٍ فيك هو عملك، كل شيءٍ يزول بعد الموت و يبقى العمل، و القبر صندوق العمل، واسألْ دائمًا ما عملي ؟ يا بشر لا صدقة و لا جهاد فبِمَ تلقى اللهَ إذًا، فإذا كان عملُ الإنسانِ محرَّمًا أو بضاعته محرمةٌ أو طريق التعامل محرم فلْيَصْحَ قبل فوات الأوان، لأن الله قال:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)﴾

[سورة النور]

يا ربي تركتُ لأولادي الملايين و لكنّي لم أُربّيهم، ليس هذا هو العملُ، أنفقوا هذا المالَ في المعاصي فكل ذلك في صحيفة الأب، يا ربي لا أدخل النارَ حتى أُدخِل أبي، هو سببُ شقائنا و ما علّمنا و لا وجّهنا، سؤالٌ كبيرٌ ؛ ما عملُك؟ هل لك عمل ؟ هل ربَّيْت أولادك ؟ و هل دخلُك حلالٌ ؟ و تجارتك مشروعة؟

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)﴾

[سورة النور]

يا ربي أنشأنا مستشفى من أعلى مستوى، ولكنَّ الفاتورة مدهشة، فليس عملا خيريًا،

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)﴾

[سورة النور]

يا ر بي أنشأنا معهدًا مختلطًا حضاريًا، فكم من علاقة شائكةٍ بين الذكر و الأنثى في هذا المعهد؟! الذي أسَّسه هو السبب،

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)﴾

[سورة النور]

يا ربي أقمتُ تجارةً واسعةً من أجل الترفيه على الناس، استوردَ الأفلامَ و وزَّعها و لاقتْ رواجًا كبيرا،

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)﴾

[سورة النور]

هنا ك الآلاف من الأمثلة عمل يبدو للناس عظيما،

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)﴾

[سورة النور]

الكافر أنبأنا اللهُ أنه سوف يلقى هذا الجزاءَ، سوف يجد عمله الذي عمله في الدنيا و الذي يبتغي به الرفعةَ عند الناسِ و الثروةَ و الانغماس في الملذَّاتِ المحرمة، هذا العمل قال تعالى:

﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً﴾

[سورة النور]

ما فائدةُ الدينِ ؟ الله الخبيرُ بيَّن لك في أولِ حياتك، هذا الشيءُ هكذا حجمُه، و الدنيا جيفةٌ و طلَّابها كلابٌ، **و لو أن الدنيا تعدل عند الله.."**

يا دنيا طلَّقتُكِ بالثلاث،غُرِّي غيري، شأنُكِ حقيرٌ و أمدُكِ قصيرٌ، هكذا قال سيدُنا عليٌّ، فلذلك الإنسانُ يسأل هذا السؤالَ وهو أخطرُ سؤالٍ ؛ ما العملُ الذي أُقدِّمه للهِ عند الموتِ ؟ الذي ربَّى أولادَه تربيةً دينيةً هذا العملُ يلقى اللهَ به و يستحِقُّ به دخولَ الجنةِ، فالأُبُوَّةُ الصالحةُ تكفي لدخول الجنةِ و البُنُوَّة الصالحةُ تكفي، و أن تختار حرفةً مشروعةً و أن تسلكَ بها الطرقَ المشروعةَ و أن تكفيَ نفسَك بها و أن تعينَ المسلمينَ على دنياهم، هذا العمل تدخل به الجنةَ، وإن طلَبَتَ العِلْم وعَلَّمْتَهُ تدْخل به الجنَّة، ونحن سؤالنا اليوم: ما العَمَل الذي يُؤَهِّلُني لِدُخول الجنَّة ؟ الإنسان لا يكون مُسْتَهْلك، فَيُمكن للإنسان أن يُمْضِيَ الوقت رتيبًا ؛ أكلنا وشَرِبنا، ولبِسنا، وتاجَرنا، وتنزَّهْنا إلى أن يأتي الموت ! لا تَكُن مُسْتَهْلكًا، واجْلِس مع نفْسِكَ جلْسة تتأمَّل كيف ألقى الله، وبأيِّ عملٍ ألقى الله، عبْدي بَعَثْتُكَ إلى الدنيا، وأقَمْت فيها ثلاثًا وثمانين عامًا، الآن جِئْتنا ماذا فَعَلتَ؟ خمسون سنة وهو يَدْعو إلى الإلْحاد، فجاء ملك الموت ! ماذا فَعَلْتَ في الدنيا ؟ أكَّدْتَ للناس أنَّ الكون دون خالِق، والدِّينُ أفْيون الشُّعوب، فالواجِد عليه أنْ يرى ما العَمَل الذي ينْبغي أن يفْعلَهُ ؟ هناك عمل فِكري هَدَّام، وآخر بنَّاء، وعمل مادِّي خيري، وآخر شرِّي وعمل فيه إفساد ذات البيْن، دخل عليَّ رجل فقال لي مُتَفَلْسِفًا: أنا عملي اسْمُهُ دَرْسِ ورْك ! العمل القَذِر !!

لذلك هذه الآية درسٌ بليغ، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾

[سورة النور]

السَّراب ظاهرة فيزيائية معْروفة، فانْعِكاسات الشَّمس على الأرض تُشَكِّل مُسَطَّح مُضيء قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)﴾

[سورة النور]

إذا الواحِد وجد قنبلة أليس من الحِكمة أن يدْعو خبيرًا ؟ أم يتعرَّف لِحالهِ ؟ فالإنسان إذا أخذ كلام الخبير أفضل من أن يُجَرِّب بنفْسِهِ، فالعالم يأخذ كلام الخبير، ويسْتفيدُ منه، وأما الجاهِل فيَخْتبِرُ الأمر بِنَفْسِهِ فيكون هو الضَّحِيَّة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-10) : تفسير الآيات 47 - 52

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فالآية السابعة والأربعون من سورة النور وهي قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47)﴾

[سورة النور]

يتولَّى عن طاعة الله ويتولَّى عن قَبول الحق، ويتولَّى عن نُصْرة النبي عليه الصلاة والسلام فهذا الإنسان كلامُهُ مُخالِفٌ لِفِعْلِهِ، لذلك الله جلَّ جلاله يقول:

﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47)﴾

[سورة النور]

الآن قال تعالى:

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48)﴾

[سورة النور]

هذه الآية مِن أدَقِّ الآيات، وسوف نُوَضِّحُها بِمَثَل ؛ فلانٌ مِن الناس له قَضِيَّة مع شَخْص، وينحلّ عند العلماء حَصْرًا، بيتٌ مُؤَجَّر، فالقانون ليس مِن جانِبِهِ، ويقول لك: أريدُ حُكمَ الشَّرْع ! إنسانٌ مُسْلِمٌ وورِعٌ وتقيّ لا يريد إلا حُكم الشَّرْع، لأنَّ له حاسَّة سادِسَة أنَّ هذه القضِيَّة لا تُحَلُّ إلا بالقضاء، ولا بالقانون، فقانون الإيجار ليس بِجانِبِهِ، والمُستأجِر مُوَظَّف ومَحْمي هو وأولادُهُ، ولا يوجد إلا طريق العلماء، فهذا المُؤَجِّر لمَّا يرى أنَّ القَضِيَّة لا تُحَلّ عند القانون ولا عند القاضي ؛ حينها يأتي عند العلماء لِيَسألهم في حكم الله في هذا الموضوع، وإذا يخصُم على إنسانٍ مائة ألف على إنسانٍ في الجمرك، يقول لك: سوفَ أُبَلِّغ !! لماذا لم تسْأل العلماء بالموضوع الثاني ؟!! فالإنسان له حاسَّة سادِسَة ؛ وهي أين يُحَلُّ موضوعي ؟ إذا القانون بِجانِبِهِ، يلجأ إلى القانون، وإذا الشَّرْع بِجانِبِهِ يلجأ إلى الشَّرْع ! فهذه المواقف المُزْدَوِجَة، وهذه الثنائِيَّة، تارةً حكم قضائي وتارةً حُكمًا شرْعِيًّا، ومرَّةً مُحامي، فهذا الموقف هو موقف المنافقين، وهذا الموقف ليس مِن أخلاق المؤمن، قال تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47)﴾

[سورة النور]

فهؤلاء كاذِبون، فمادام تولَّوا عن طاعة الله، وعن نُصْرة الحق، وعن الانْضِواء تحت لِواء الإسلام، قال تعالى:

﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47)﴾

[سورة النور]

قال تعالى:

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾

[سورة النور]

فقوله إلى الله أيْ إلى قرآنِه وإذا رسوله أي سُنَّتِهِ، تجِدُ حُكم الشَّرْع واضِح ؛ للذَّكر مثل حظِّ الأنثيين، يقول لك: لا نُعطي البنات، فهذا المال يصِلُ إلى الأجانب، وإلى الأصْهار، قال تعالى:

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48)﴾

[سورة النور]

يعرضون عن الله ورسوله، قال تعالى:

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49)﴾

[سورة النور]

إن يكن لهم الحق بالدِّين يأتي إلى الله ورسوله مُذْعِنًا إن علِمَ أنَّ قضِيَّتَهُ تُحَلُّ عندهما، أما إن لم تُحلَّ مشْكِلتُهُ بالدِّين يُعرِضُ عن الله ورسوله ! هذه هي الازْدِواجِيَّة بالمقاييس، والله لو مشى الإنسان من دون ثِياب في الطريق - والإنسان بشِع بِهذه الحالة- أفضل من هذه الازْدِواجِيَّة ! وأهْونُ مِن أن يحْتَكِمُ تارَةً إلى الشَّرع وتارةً إلى القانون.

إن كنتَ تُوقِن أنَّك مُسلمًا فما عليك إلا أن تحْتَكِمَ إلى الشَّرْع، وإن كنت عِلْمانِيًّا أو مُلْحِدًا، فهذا هو القانون، وتجِدُهُ يتفلْسَف، فالتَّحَسُّس لِلمواضِع التي تُحلُّ فيه قضِيَّتُهُ هذا موقف المنافقين، فأنت كَمُسْلِم تلجأ إلى الشَّرْع في كلّ القضايا، أما أن تكون مرَّةً للقانون وأخرى للشَّرْع فهذا التَّنقُّل هو سبيل المنافقين، فالمنافقون مُذَبْذَبين بين ذلك.

وتكادُ تكون هذه الآية وحيدة في القرآن، ولا يوجَدُ غيرها، فهي تُبيِّنُ ازْدِواجِيَّة المقاييس، قال تعالى:

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48)﴾

[سورة النور]

قال تعالى:

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50)﴾

[سورة النور]

من هم المؤمنون ؟ قال تعالى:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51)﴾

[سورة النور]

وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا(36)﴾

[سورة الأحزاب]

فالله عز وجل قضى في القرآن أنَّ للذَّكر مثل حظِّ الأنثيَيْن، فالذي له رأيٌ آخر بِحِرْمان البنات فهذا ليس مؤمنًا، لأنَّ الله قضى في هذا الموضوع قضاءً واضِحًا فكلّ مَن أبى الشَّرْع، والانْضِواء تحته، فليس مؤمنًا قال تعالى:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51)﴾

[سورة النور]

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52)﴾

[سورة النور]

فأنت عبْد لله عز وجل، وأنت لك شرْع من عند خالق السماوات والأرض شرعٌ كما قال أحد العلماء: الشريعة عدلٌ كلُّها و رحمةٌ كلُّها و مصلحةٌ كلُّها، فأيَّةُ قضيَّةٍ خرجتْ من العدل إلى الجوْرِ و من المصلحة إلى المفسدةِ و من الرحمة إلى خلافها فليست من الشريعة ولو أُدخِلتْ عليها بألف تأويلٍ .

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((إنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا فَقَالَ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْجِعْهُ))

[رواه البخاري]

هذا كلام النبي، فالمؤمن كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51)﴾

[سورة النور]

فعلامة المؤمن، هذا الشيء ليس لك، هذه الآية وهذا الحديث، وهذا الشيء لك هذه الآية و هذا الحديث، هذا المهر لابنتك و هذا الطلاق غير جائز، المؤمن الصادق ينضوي تحت الشرع، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52)﴾

[سورة النور]

فأنت الفوز عندك ما مقياسه ؟ مع مال طائلٌ و لك بيتٌ نزعته من صاحبه قهرًا، لستَ فائزًا، عند القانون فائز ولكنَّك عند الله خاسرٌ.

أحد الأخوة الكرام تاجر، أخذ مَحْضرًا بمركز استراتيجي في المدينة قال لي: أصلحني اللهُ، بأسلوب ذكيٍّ المحضر على الشُّيُوع، خمسةُ أشخاص لصالحِ واحدٍ، رفعنا السعرَ حتى استقرَّ على سعرٍ يساوي نصفَ قيمته، و فيه أيتامٌ و بعد ما فاز بالمحضرِ وصار ملكًا له و شعر بنشوةٍ جاء إليَّ فقال لي: أنا متضايقٌ، قلتُ لماذا ؟ قال: أخذتُ المحضر بهذه الطريقةِ، فقلتُ له، لا تنس القبرَ و الموتَ و الحسابَ، و أصحاب هذا المحضر أيتامٌ و قُصَّرٌ و أنت أخذتَه بأسلوبٍ غير شرعيٍّ بنصف قيمته قال: ما العمل ؟ قلت: أمامك حلَّانِ، إما أن تنسحب من هذا المحضر أو تدفع لأصحابه القيمةَ الكاملةَ، فقال: انسحبتُ، هذا هو المؤمنُ، فانظُر حكم الله، هناك ألفُ قضيَّة القانون معك فيها، لكن لابد لك من حكم الله لأنك لن تنجوَ من الله، **يا أُويسُ، إن لك قرينا يُدفَن معك وهو حيٌّ، و تُدفَن معه و أنت ميّتٌ فإن كان كريما أكرمك و إن كان لئيما أسلمك، ألا وهو عملُك**

و القبر صندوق العمل:

الدنيا ساعة فاجعلها طاعةً و النفس طمَّاعةٌ عوِّدْها القناعة

***

أيها الأخوة الكرام، أرجو الله جل جلاله أمام كلّ موقف هيئ جوابًا لله تعالى، وأمام كلّ عطاء، وأمام كلّ ابْتِسامة، وقبل أن تُعطي، وقبل أن تأخذ، وقبل أن ترْضى، وقبل أن تتزوَّج أو تُطَلِّق، وقبل أن تصِلَ أو تقْطع، فالآيات دقيقة جدًّا، ولا تسْتَعمِل مقياسَين، بل مِقياس الشَّرع أقْسَمَ لي واحِد أنَّهُ قدَّم لِوَرَثَةٍ عشرين مليون ليرة ولا يمْلِكون أيَّ وصْلٍ ولا علم أنَّ هذا المال معي ؛ هذا هو الشَّرْع وهذه هي الأمانة.

هذه الآية تُبيِّنُ مرضًا خطيرًا، وهو مرض الازْدِواجيَّة، ومرض اسْتِخدام مقاييس مُزْدَوِجَة، ومرض البحث عن المصْلحَة، ثمَّ هؤلاء الأقوياء لمَّا اسْتَخدموا مِقياسَين حقرهم الناس.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-10) : تفسير الآية 62

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فالآية الثانية والسِّتون من سورة النور وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (62)﴾

[سورة النور]

ماذا نفْهم من هذه الآية ؟ إنَّما المؤمنون ؛ فالمؤمن الحق هو الذي يفْعَلُ كذا وكذا، وإن لم يفعل كذا وكذا فليس مؤمنًا كامِلَ الإيمان، ونسْتنبط من هذه الآية أنَّ المجتمع الإسلامي مُجتَمَع مُترابِط، فاسْتِماع دون تَقديم أيّ خِدْمة لِجَماعة المؤمنين، ليس هذا هو الإيمان، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[سورة النور]

مِن لوَازِم الإيمان بالله ورسوله أنَّهم إذا كانوا معه على أمْرٍ ذو شأنٍ كَغَزْوةٍ أو معركة، سوف يقْتَحِم، ويُعَدُّ لها، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾

[سورة النور]

خُروج الإنسان يحْتاج إلى تنسيق مع رسول الله، ولعلَّ هذا الإنسان لهُ مُهِمَّة خطيرة جدًّا، والنبي عليه الصلاة والسلام سَيُكَلِّفُهُ بِها، فإذا خرَجَ مِن دون أن يستأذِن فقد أفْسَد خِطَطَ النَّبي، هناك معنى، وهناك ما خلْفَ المعنى، أو ما بين السُّطور، أو الروح العامَّة للآية تُشير إلى أنَّ المُجْتمَعَ الإسلامي مُجْتَمَعٌ مُتعاوِن، وكلّ واحِد يُقَدِّم للمَجْموع مِن اخْتِصاصهِ وقُدُراتِهِ ما يتناسَب مع حاجة المجموع، فليس المقْصود الاسْتِئذان، ولكنَّ المقصود أنَّ المجتَمَع مُتعاوِن، فكلٌّ منهم يُعين أخاه والمجتَمَع الإسلامي إذا كان مُتَرابِطًا، ومُتَعاوِنًا، ومُتبادِل، فالله جلَّ جلاله يقول في الحديث القُدسي:

عن معاذ بن جبل قال:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ))

[رواه أحمد]

فلو أنَّ إنسانًا مثلاً يُتْقِنُ الكهرباء ووجَدَ أنَّ الجامِع يحْتاج إلى إصْلاح، فعرَضَ خدماتِهِ، أما الذي لا علاقة له بالمسلمين، ولا يُقَدِّم ولا يؤخِّر، فهذا اسْمُهُ تعليم، أما التربيَة ففيها التَّعاوُن، وتعارُف.

هذه الآية خاصَّة بالنبي عليه الصلاة والسلام، وأصْحابِهِ، ولكن ماذا نسْتفيد منها نحن كَمُجْتَمَعٍ مسْلِمٍ ؟ نسْتفيد في التَّعاوُن، فأنت إذا كنت في مجْتَمع المسلمين لا بدَّ أن تهْتَمَّ بِأحوال الناس وبِمُشْكِلاتِهِم وحاجاتِهِم، فهذا التَّعاوُن، فالواحِد من المجموع، والمجموع من الواحِد، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون]

هذه الأداة أداة قصْر، فما بعدها مَقصورٌ عليها قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾

[سورة النور]

عدمُ الانْتِماء، والتَّحَرُّر مِن كلّ قَيد، وعدم بَذْل أيّ شيء، ليس هذا هو الإيمان، فالإيمان عطَاء، وبِمُجَرَّد أن يسْتقِرَّ الإيمان في النَّفْس يُعَبِّرُ عن ذاتِهِ بِحَرَكَةٍ نحو خِدْمة الآخرين، فالذي يسْتَمِع بإصْغاء، وليس فيه فائِدَة، ومن دون أن يُقَدِّم أو يُؤخِّر فالإنسان إذا كان طبيبًا أو صاحِب مخْبر، لا بدّ أن يُقَدِّم المُساعدة لِهؤلاء الفقراء، تشْعُر بِسَعادة كبيرة وهذا دهَّن المسْجِد، وذاك راعى إخوانَهُ وذاك جرَّاح يُقيم عمليَّات جِراحِيَّة، أنا الآن أضرب الأمثلة، فالله تعالى قال:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾

[سورة النور]

وأكثر ما نحْتاج إليه نحن اليوم تَزْويج الشَّباب، فتاجِر العمار إذا كان عندهُ بيوت لم تُفْتَح بعدُ ؛ لك أن تُخَصِّص بيتًا للفقراء للأجرة، فالعِبرة أن تعْمل شيئًا لله بِحَياتِك، طبّ أو هنْدسة أو مُحاماة أو مُدَرِّس أو تاجِر أو صانع، أنا ضربتُ هذه الأمثلة كي تعلمَ أنَّك مع المؤمنين وأنَّك واحِدٌ منهم، وكلُّنا لك، وأنت لنا، فالأصل إعانة المؤمنين، والعوام لهم لطيفة فيقولون المركب إذا لم يكن فيه شيء لله يغْرق ! فالله تعالى قال:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[سورة النور]

فالنبي عليه الصلاة والسلام انْتقل إلى الرفيق الأعلى وأصحابه الآن في البرزخ وفي روضات الجنَّات إن شاء الله تعالى.

أعرف امرأة أُصيبَتْ بِمَرضٍ عُضال ثمَّ شفاها الله سبحانه وتعالى وهي في مرضِها نذَرت أن تخْدم المسلمين، ماذا فعلتْ ؟ لم تكن تملكُ شيئًا فأصْبَحَتْ تطْبُخ للفقراء، والمبْلغ الذي تأخذُهُ تُقَدِّمه لإجْراء عمليَّات جِراحِيَّة، فهذه المرأة لا تمْلُك إلا أن تطْبخ، فالإنسان إذا نوى أن يُقيمَ العمَل الصالِح هناك ألف عمل صالِح، وأجْدادُنا تفنَّنوا في العمل الصالِح. أيها الأخوة، الإنسان الخالي من العمل الصالِح لا يمْلكُ شيئًا، فإن قلتَ الشمس ساطِعة ! فأنت إن قلتَ ساطِعَةً أم لا، فأنت لم تُقَدِّم ولم تُؤخِّر ! أما بالعمل الصالة ترقى وتَجِدُهُ في القبر، والقبر صُندوق العمل.

مِحْور الآية اليوم، إذا كلّ أخ منَحَ من اخْتِصاصِهِ لله تعالى، ومنحه للمؤمنين الفقراء، يكون قد ساهَمَ في تحقيق هذه الآية، و حينها يفْرح المسلمون، وحينها يحْفظنا الله.

آيتنا اليوم لها منْطوق ومَفهوم، فَمَنطوقها مَفهوم، وهو أنَّ الله تعالى وجَّه الصحابة أن لا يُغادِروا مُجْتَمَعهم إلا بإذْن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أما مَفهوم الآية هو التَّعاوُن والتعارف والتبادل، ووجَبَتْ محبَّة الله للمُتحابّين فيه، وقد حضرتُ عِدَّة عُقود قِران، فما قُدِّمَت الهدايا، وإنَّما جُعِلَت للفقراء، وإنشاء المعاهِد الشَّرْعِيَّة، ونحن نتمنَّى أن تُلْغى الهدايا وتُقَدَّم لِفُقراء المسلمين، وبالمقابِل تجد أعراس ثَمَن الزُّهور فقط يُكَلِّف ما يتزوَّج به عشرون شابًّا ! وكلَّما بخل الأغنياء، وقل التَّدَيُّن كثر النَّهب والاغْتِصاب، لذلك الأغنياء أوْصِيائي، والفقراء عِيالي، فَمَن منَعَ مالي لِعِيالي أذَقْتُهُ عذابي ولا أُبالي، وقِوامُ الدِّين والدنيا أربعة رِجال: عالِمٌ مُستعملٌ علْمهُ، وجاهِل لا يستنكِف أن يتعلَّم، وغَنِيّ لا يبْخل بمالِهِ وفقير لا يبيعُ آخرته بِدُنياه، فإذا ضيَّع العالم عِلْمَهُ اسْتَنْكَف الجاهِلُ أن يتعلَّم، وإذا بَخِل الغنيُّ بِمالِهِ باع الفقير آخرتَهُ بِدُنيا غيْره، فآيتنا فيها مفهوم ومنْطوق، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[سورة النور]

والله أيها الأخوة، زارني أخٌ دكتور معه ثلاثة بورْدات، فقال لي: أيُّ عَمَلِيَّة اسْتِئصال لا بدَّ من طبيبَيْن أو ثلاثة، فزارني أخ مهندِس وقال لي: بنتي معها اسْتِئصال كِلْية والطبيب يقول اليوم تُجْرى العَمَلِيَّة ! فقلتُ له: سأُرْشِدُكَ عند طبيب مُختصّ ولا تأخذها عند الطبيب المُقَرَّر، فلما ذَهَب عند الطبيب المختصّ الذي أرْشَدْتُهُ إليه قال له: ابْنَتُكَ لا تحتاج إلى عَمَلِيَّة بل كِلْيَتُها سَتعْمَل بعد شَهْر ! وبعد بِثمانِيَة عشر يومًا قال لي هذا المهندس: اشْتَغَلَتْ كِلْيَةُ ابْنتي! فلذلك هذا الطبيب ما فعَلَ إلا أنَّهُ قدَّم نصيحةً، والْتَغَتْ العَمَلِيَّة الجِراحِيَّة، وربِحَت البنت كِلْيَتَها، وفي أحد المرَّات قال لي أخ: إذا اشْتَرَيْتَ برَّادًا فلا تُنَيِّمْهُ إذا أخَذْتَهُ إلى البيت بل اجْعَلْهُ

واقفًا، لأنَّ إذا أوْصلتَهُ بالكهرباء في البيت يحْترق المُحَرّك ! فوجَدتُ أحد الأخوة وقد اشترى برَّادًا فقلتُ له لا تجْعلهُ مائلاً لأنَّ المُحرِّك يحْترق، وإذا أخذْتَهُ للبيت دَعْهُ يرتاح ثماني ساعات، فالحياة للتَّعاوُن، وتقديم نصائِح لِوَجه الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : تفسير سورة الفرقان

الدرس (01-10) : تفسير الآيات 7-8-20

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، فالآية السابعة من سورة الفرقان وهي قوله تعالى: وقالوا:

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً (8)﴾

[سورة الفرقان]

ماذا أراد الله تعالى مِن أنَّ النبي من خصائصِه أنَّهُ يأكل الطَّعام، وأنَّهُ يمْشي في الأسواق ؟ قال العلماء: يأكل الطَّعام أيْ أنَّ وُجود الإنسانِ كائِنًا من كان مُفْتَقِرٌ إلى غيرِه، ولكنَّ وُجود الله عز وجل وُجود صَمدانيّ وذاتي، فالله سبحانه وتعالى لا يفْتَقِرُ في وُجودِهِ إلى غيْرِهِ، أما نحن نفْتَقِرُ في وُجودِنا إلى كأس ماء، و إلى الهواء و إلى الطعام و الشراب لذلك النبيُّ بشرٌ وهناك فرق كبير بين مقام الألوهية و مقام النبوَّة، و إذا قال النبيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسِيرٍ فَلَهَوْتُ عَنْهُ فَذَهَبَ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((فَقَالَ مَا فَعَلَ الْأَسِيرُ قَالَتْ لَهَوْتُ عَنْهُ مَعَ النِّسْوَةِ فَخَرَجَ فَقَالَ مَا لَكِ قَطَعَ اللَّهُ يَدَكِ أَوْ يَدَيْكِ فَخَرَجَ فَآذَنَ بِهِ النَّاسَ فَطَلَبُوهُ فَجَاءُوا بِهِ فَدَخَلَ عَلَيَّ وَأَنَا أُقَلِّبُ يَدَيَّ فَقَالَ مَا لَكِ أَجُنِنْتِ قُلْتُ دَعَوْتَ عَلَيَّ فَأَنَا أُقَلِّبُ يَدَيَّ أَنْظُرُ أَيُّهُمَا يُقْطَعَانِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَطُهُورًا))

[رواه أحمد]

معنى ذلك أن كل خصائص البشريَّة مُطَبَّقة عليه، وتجْري عليه كلّ خصائص البشر كان سيِّد البشر فنحن جميعًا مِن بني البشر نَجوع ونعْطَش، ونغْضب ونرضى ونكْره ونخاف ونرْجو نشْتهي، ومع هذه الصِّفات بِإمكاننا أن نصِل إلى الله تعالى، وبإمكاننا أن نسْمو بِنُفوسِنا، فلا يتناقض أن تكون وليًّا لله تعالى وتأكل وتشْرب وتنام، وتشْتهي ما أودَعَهُ الله فيك، فالآية دقيقة جدًّا فالله أراد أن يقول لنا أنَّ هذا النبي بشَر، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾

[سورة الكهف]

ومع ذلك انتَصر على بشَرِيَّتِهِ وصار سيِّد البشر، وأنت على رغم الشَهوات التي أوْدَعها الله فيك ؛ شَهوة الطَّعام والشراب وشَهْوة العلُوّ في الأرض، وشهوة النِّساء، يُمكن أن تكون وليًّا لله تعالى.

المعنى الأوَّل ما لِهذا الرسول يأكل الطَّعام ؛ أي هو مُفْتقِرٌ في وُجودِهِ إلى تناوُل الطَّعام.

أما يَمْشي في الأسواق فما معناها ؟! معناها، وأنَّهُ مُفْتَقِرٌ إلى تامين ثَمَنِ الطَّعام للكَسْب في الأسواق، فأنت مُفْتَقِرٌ مرَّتَين ؛ مُفْتَقِرٌ إلى الطَّعام ومُفْتَقِر إلى ثَمَن الطَّعام، فَثَمَنُ الطَّعام يدْفَعُكَ إلى أن تعْمَل، والطَّعام يَحْميك مِن الموت، والله عز وجل كتَبَ عليْكُم السَّعْي، والآخرة أساسها العَطاء، ففي الدنيا قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ(6)﴾

[سورة الإنشقاق]

أما في الآخرة قال تعالى:

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ(35)﴾

[سورة ق]

لذلك أراد الله مِن كلمتين ؛ مِن كلمة أنَّ هذا النبي يأكل الطَّعام، أي أنَّهُ بشر يأكل ويشْرب ويتزوَّج ويغْضَب ويرْضى ويُحبّ ويُغْضب، ويؤْلِمُهُ الهِجاء، ويفْرَحُ بالثَّناء فلأنَّهُ بشَر تجْري عليه جميع خصائص البشر وحينها كان سيِّد البشَر، ونحن على الرَّغْم مِن بشَرِيَّتنا، ومِن حاجتنا إلى الطَّعام والشَّراب، وحاجتنا إلى زوْجة، وحاجتنا إلى أولاد، وأن نسْمُوَ بأنفسنا، يُمكن أن نكون أولياء لله عز وجل، ودَعْكَ مِن تعريفات الوِلاية التي لا طائِلَ منها، ولكن اِقرؤوا تعريف الوِلاية في كتاب الله تعالى، قال تعالى:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(62)﴾

[سورة يونس]

لِمُجَرَّد أن تؤمن بالله تعالى، وتتَّقي أن تعْصِيَهُ فأنت وليًّا لله تعالى، ولا يمْنَعُ أن تكون وليًّا أن تأكل وتَجوع وتُؤسِّس عملاً تِجاريًّا، وأن تتمنَّى أن تكون مُتَفَوِّقًا، فالإسلام دينُ الفِطرة ولا تناقض فيه، وهناك أدْيان إن لم تعْتَزِل المُجْتَمَع، وتُلْغي الزَّواج لا تُعَدُّ وليًّا !!

عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم يَقُولُ:

((جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا

أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[رواه البخاري]

أرَدْتُ من هذه الآية، وأنت بشر تأكل وتشرب وتتزوَّج وتُنْجِب يُمْكِن أن تكون وليًّا لله تعالى على كلِّ هذه الصِّفات التي أنت فيها، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً (8)﴾

[سورة الفرقان]

ثمَّ يقول الله عز وجل في الآية العشرين:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً (20)﴾

[سورة الفرقان]

هناك أشْخاص يبتعِدُ عن المُجْتَمَع ويعيش في بُرْج عاجي، حتَّى يكتَسِبُ مهابَةً ! فهذا لا يُعْطيكَ مهابَة، فالأنبياء كانوا يتسوَّقون، فهم من أجل أنَّ خصائص البشر كانت تجري عليهم كانوا سادة البشر، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً (20)﴾

[سورة الفرقان]

إذًا أيها الأخوة، يجب أن نعْلَمَ عِلم يقين أنَّ ديننا الحنيف هو دينُ الفِطرة، ودينُ الواقِع، والإنسان لا يجد نفْسه إلا في الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام:

((يولد المولود على الفطرة فإمَّا أبواه..."))

ولم يقل النبي عليه الصلاة والسلام يُسْلِمانِهِ ! لأنَّ الإسلام دينُ الفِطرة، والله جل جلاله يقول:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾

[سورة الروم]

فأَنْ تُقيم وَجْهك للدِّين حنيفًا ؛ هذه الوِجْهة هي حقيقة الدِّين، لذلك الدِّين يتوافَقُ مع الفِطرة، ويتآلف معها، والإنسان له حاجة لا يملؤُها الغِنى ولا منْصِب الرَّفيع، ولا الزَّوجة التي تروق لك، ولا الأولاد الكِبار، لا يملؤُها إلا القُرْبُ من الله تعالى وقد قلتُ لكم قد يُعطي الأب لابنه ما يشْتهي ولكنَّ هذا الأب لا ينظر إلى ابْنِهِ ولا

يبْتَسِمُ له، ولا يضَعُ يَدَهُ على كَتِفِهِ، ولا يسألُهُ عن حالهِ أبدًا فمهما كان عطاء الأب غزيرًا وحرم ابنَهُ هذه الصِّفة والصِّلة وتلك المودَّة فالابن في جوعٍ أبَوِي، فالشُّعور الأبوي أغنى عطاء للابن، ونحن جميعًا في قلق، والحياة صَعْبة وفيها مخاطِر وكل يوم قد يلِدُ لك مُشْكِلةً أما الإنسان إذا اتَّصل بالله تعالى وأوى إلى رحْمَتِهِ يُنْزِلُ الله على قلْبِهِ السَّكينة، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾

[سورة الفتح]

فلذلك لا يتناقضُ عملكَ وسعْيُكَ وتِجارَتِكَ وبشَرِيَّتُك مع أن تكون وليًّا لله تعالى هناك منْهَجٌ، ولك أن تأكل وتشْرب مِن دون إسْرافٍ ولا مَخْيَلَة ولك أن تتزوَّج مِن دون معْصِيَة، ولك أن تعْلو في نظر الناس مِن خِلال طاعتِكَ لله عز وجل، فَكُلّ أوامِر الله عز وجل تتوافق مع طبيعة النَّفْس وقد قال الله عز وجل:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة]

فأيُّ إنسانٍ يقول هذا الأمر فوق طاقتي فهو إنسانٌ جاهِل ! فلذلك كلَّما تقرءون أنَّ هذا النبي يأكل الطَّعام ويَمْشي في الأسواق فهو دليل البشَرِيَّة، وأنت بشر، ومع أنَّه بشر وتجْري عليه كلُّ خصائص البشر كان سيِّد البشَر، ولا ينبغي أن نَجْعَل تناقُضًا بين الدِّين والحياة، والحياة الحقيقيَّة هي الدِّين قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة الأنفال]

والإنسان إذا لم يهْتَدي إلى الله تعالى ميِّت، قال تعالى:

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ(22)﴾

[سورة فاطر]

يا بُنَيّ العِلم خير مِن المال لأنَّ العِلم يحْرُسك، وأنت تحْرُس المال، والمال تُنْقِصُهُ النَّفَقَة، والعِلم يزْكو على الإنفاق، والعلماء ما بقيَ الدَّهْر وأمثالهم في القلوب موجودة.

أيها الأخوة الكرام، الذي أريد أن أقوله لكم أنَّ الدِّين هو الحياة، والحياة الحقيقيَّة هي الدِّين، والدِّين ليس فيه الحِرْمان، وما حرَّم الله علينا الطَّيِّبات، وأمرنا بالطاعات، و وعَدَنا بِسَعادَةٍ في الدنيا والآخرة، ومن أراد أن يتأكَّد فهذا طريق الله أمامكم، فلَحْظة تَفَكُّر حقيقيَّة تُسْعِدُهُ إلى الأبَد، ولمَّا خلق الله العقل قال له: أَقْبِلْ فأقْبَل، ثمَّ قال لله: أدْبِر فأدْبر فقال تعالى: وعِزَّتي وجلالي ما خلقْتُ خلقًا أحبُّ إليَّ منك، بِكَ أُعْطي وبِكَ آخُذ.

تصوَّر إنسانًا باع بيتَهُ بِعُمْلة أجْنبيَّة، ومعه جِهاز إلكتروني وما اسْتَخْدَمَهُ والعُملَةُ كلّها مُزَوَّرة، هل يستطيع أن يلوم أحدًا على ذلك ؟!

عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ:

((قَالَ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))

[رواه مسلم]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-10) : تفسير الآيات 45 - 47

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، الآية السادسة و الأربعون من سورة الفرقان و هي قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً (46) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً (47)﴾

(سورة الفرقان)

أيها الأخوة، لماذا نجح النبيُّ أعظمَ نجاح في تربية أصحابه وبثِّ الإيمان في قلوبهم و حملهم على أن يكونوا أبطالا بينما الدعوات المعاصرة لم تنجح في ذلك المضمارِ ذلك النجاح الذي حقَّقه النبيُّ.

الذي يبدو أن النبيَّ بدأ بتعريف الناس بربِّهم فلما عرفوه عرِّفهم شريعتَه، و النقطةُ الدقيقةُ أنه ينبغي أن تعرف الآمَرَ قبل الأمر، لأنك إذا عرفتَ الآمر قبل الأمر تفانيتَ في طاعته و إذا عرفتَ الأمر و لم تعرف الآمَرَ تفنَّنْتَ في التفلُّتِ من طاعته، لذلك ما معنى هذه الآياتِ الكثيرةِ التي أشار القرآنُ إليها ؟ قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾

(سورة الفرقان)

أي هل رأيتَ، و يعني أُنظُرْ، فأنت الآن أمام أمر إلهيٍّ الذي يفيد الحضَّ، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾

(سورة الفرقان)

قال تعالى:

﴿ قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ(101)﴾

(سورة يونس)

و قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾

(سورة آل عمران)

قال تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(24)﴾

(سورة عبس)

و قال تعالى:

﴿فَلْيَنظُرْ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ(5)﴾

(سورة الطارق)

و قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(17)﴾

(سورة الغاشية)

هذه الآياتُ الكثيرةِ التي وردتْ في كتاب الله أوامرُ يقتضي أن تُنَفَّذ

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾

(سورة الفرقان)

متى يسكنُ الظلَّ ؟ إذا توقفت الأرضُ في دورتها حول الشمس، الأرض تدور حول الشمس و حول نفسها دورةً في كلَّ يوم، و حول الشمس دورةً في كلِّ عام، و من دورتها حول نفسها ينشأ الليل و النهارُ، ولو أنها توقَّفتْ عن الدورانِ لأصبح الوجه المقابلُ للشمس تزيد حرارته عن ثلاثمائة وخمسين درجة، و عندها تتوقفُ الحياةُ، أما الوجه الآخر فتصل حرارتُه إلى مائتين و سبعين تحت الصفر، فمن دورة الأرض حول الشمس ينشأ الليل والنهار، و لكنْ هذه الدورة على محور ليس موازيًا لدورانها حول الشمس، وإلا كانت الأرضُ واقفةً، وجه ثلاثمائة وخمسون فوق الصفر و وجه أخر مائتان و سبعون تحت الصفر، الحياة منتفيةٌ، إذاً هي في محورٍ ليس موازيا لمحور دورانها حول الشمس، و لو كان المحورُ عموديا لانعدمَت الفصولُ، أما هذا الميلُ فيجعل الشمس عموديةً في القسم الشمالي و في الدورة التالية يجعل الشمسَ عموديةً في القسم الجنوبي فتنشأ الفصولُ الأربعةُ، الليل والنهار ينشأ من دورانها في محور ليس موازيا لمستوى دورانها حول الشمس، و الفصول الأربعة تنشأ من ميلِ محورها، و الأرضُ في دورتها حول الشمس تقطع ثلاثين كيلومتر في الثانية الواحدة، هذه الحقائق بديهية نسير في درس الطاووسية الذي لا تزيد مدَّتُه عن ربع ساعة نسير سبعًا وعشرين ألف كيلومتر، هذه حركة الأرض حول الشمس، أما الشمس فملتهبةٌ ذوقها لمليون و ثلاثمائة ألف أرض، و طول بعض ألسنة اللهب مليون كيلومتر، و عند الخسوف تبدو الشمسُ قرصًا أسودَ و حولها ألسنةٌ من اللهب، درجة حرارتها في مركزها عشرون مليون درجة، بمعنى أن الأرضَ لو أُقِيتْ فيها لتبخَّرتْ في ثانية واحدة،

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾

(سورة الفرقان)

أنت مكلَّفٌ أن ترى، هذه الدماغُ أثمنُ جهاز أودعه الله فيك، ليس من أجل أن توقِع بين الناس العداوةَ و البغضاء و لا من أجل أن تأكلَ أموالَ الناس بالباطل، و لا من أجل أن يُوَظَّفَ الذكاءُ في اغتصاب أموال الناس و الاعتداء عليهم، هذا الدماغ الذي أودعه الله فيك من أجل أن تعرف اللهَ،

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾

(سورة الفرقان)

فحينما يمتدُّ الظِّلُّ، معناه أن الأرض تدور حول نفسِها والشَّمس ثابتة، فَدَليل دوَران الأرض حول نفْسِها، أما لو أنَّها تَدور ونحسُّ أنَّها تدور فهذا شيءٌ غير مَعْقول، لكِنَّها ثابِتَة، تَجِدُ بناءً عُمرهُ ثلاثون سنة، لا يَحوي شَقًّا، فهل للإنسان أن يَخْتَرِعَ مرْكَبَةً تسير في الثانية الواحِدَة ثلاثين كيلو متر، ولا تَهْتزُّ إطلاقًا، فالطائرة تضْطرب والقِطار يضْطرب، وكذا السيارة، فهذا الثبات المطلق، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾

(سورة الفرقان)

امْتِداد الظِّل يعني دَورة الأرض حول نفْسِها.

والقمر يدور حول الأرض دَوْرةً مرةً في الشَّهْر، ولكن هذه الدَّورة تتميَّز بأنَّهُ ينْزل منازِل؛ مِن هلال إلى بدْر إلى محاق، فالقمر جعلَهُ الله تعالى تَقْويمًا لنا في السَّماء، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(5)﴾

(سورة يونس)

فنحن عندنا دورة الأرض حول الشَّمس، ودَورة القَمَر قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾

(سورة الفرقان)

لو سَكَنَ الظِلّ لتَوَقَّفَتْ الأرض عن الحركة، والشيء العَجيب أنَّهُ يوجد بالكَون أشياء ثابتة، وأخرى مُتَحَرِّكة، فالثابتة دَوَرانُ الكواكب والنُّجوم، وهذه تُعْطي طمأنينة، وثبات، فلا يوجد يوم خالي من الشَّمس، فالجبَلُ جبل، والسَّهل سهلاً والبحر بحرًا، والقمر قمر، فالمواد لها خصائص ثابتة، فثَبَاتُ حركة الأفلاك، وثباتُ خصائص الأشياء ؛ هذا مِن أجل أن يسْتقرَّ النِّظام في الأرض، ولكن تبدُّل الرِّزق، وتبدُّل هُطول الأمطار، وتبدُّل

الطَّقس والرِّياح ؛ هذا مِن أجل التَّرْبِيَة، فربُّنا عز وجل ثبَّتَ أشياء لِيُريحَنا وحرَّك أشياء لِيُرَبِّينا، فالمُتَحَرِّكات أدواتُ تَرْبِيَةٍ، والثَّوابت أدواتُ طمأنينة.

ثمَّ يقول تعالى:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (45)﴾

(سورة الفرقان)

لولا أنَّ هناك شمسٌ تُلقي ضَوْءها على الأرض لما اخْتَلَفَ الظِّلّ، ففي الظلام الدامس لا يوجد ظلّ، مِن أين يأتي الظِّل ؟ مِن مَنْبَعٍ ضَوئي، يقف أمامه جِسم كتيلٌ ينشأ عنه ظِلّ، و لو كان الجسمُ شفَّافًا فلن يكون له ظلٌّ، فأشار الله عز وجل إلى نعمة الشمس وإلى نعمة حركة الأرض و إلى أن تبدُّل، فلو وُجود الشَّمس لما رأيتَ الظِّل في الأرض إطلاقًا قال تعالى:

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً (46)﴾

(سورة الفرقان)

أحيانًا تكون بِغُرْفَة ذي إضاءةٍ جيِّدة، أطفأنا الضَّوء فجْأةً فإذا بِنَا نشْعُر بالضِّيق، أو إذا كُنَّا نائِمين وأشعَلنا الضَّوء فجأةً، ويحدُث ما يُسَمَّى بالانْبِهار أما الله عز وجل مِن لُطْفِهِ الشَّمس تغيب، وتبقى الأرض مُنيرةً إلى ثلث ساعة، وبعد ثلث الساعة يدخل الليل شيئًا فشيئًا، وبعد ساعة وربع ظلامٌ دامِس، هذا اللُّطف من الله عز وجل، وهكذا الفجر، فَغِياب الشَّمس ثمَّ غِياب الشَّفق ثانيًا، ثمَّ مجيء الليل ثالثًا، ثمَّ مجيء الضَّوء أوَّلاً ثمَّ ظُهور قرص الشَّمس ثانيًا ثمَّ انْتِشار الضَّوء ثالثًا، قال تعالى:

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً (46)﴾

(سورة الفرقان)

تداخل الليل و النهار تداخلٌ لطيفٌ متدرِّجٌ،قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً (47)﴾

(سورة الفرقان)

فالله عز وجل جعل للإنسانِ أعصابًا و له مستقبِلات، فالعين تستقبل و الأذن تستقبل و اللسان يستقبل و الأنف يستقبل و الجلد يستقبل، هذه الحواس الخمسُ تستقبل المؤثِّراتِ وتنتقل هذه الإشارات الكهربائية عبر الأعصاب، و العصبُ عبارة عن نواةٍ وهيولى و استطالة عصبية، و الخلية العصبية مثل الأخطبوط لها ذنبٌ طويلٌ جدًّا، هذا الذنَب الطويل يتصِّل بطرف خلية عصبية ثانية، فما هو النوم ؟ هو تباعدُ هذه الأعصاب عن بعضها، فإذا جاء المؤثِّرُ يرى المسافةَ واسعةً لا يقفز، هذا هو النوم، فالنائم لا يسمع الأصوات، أما إذا

كان الصوتُ مخيفا تتجاوز الفراغ فيفيق النائم ؛ هذه آلِيَّة النوم، وجميع الأَدْوِيَة المُهدِّئة تُباعِدُ بين الأعْصاب وجميع الأَدْوِيَّة المنشِّطة تُقرِّبُ بين الأعصاب، فالإنسان إذا أخذ دواءً مُنَشِّطًا لا ينام لأن الأعصاب تكون مُتقارِبَة، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً (47)﴾

(سورة الفرقان)

فالإنسان ولو نام في النَّهار فلا يسْتريح وكذا الضَّجيج، وأنا أعرف أحدهم لا يستطيع النوم في الليل، لذا نِعمة النَّوم لا تَعدِلُها نِعْمة، ينام الإنسان فترتاح أعصابُه، و تنزل ضرباتُ القلب إلى خمسٍ و خمسين، فإذا أ جهد الإنسان نفسَه فهو معرَّضٌ لجلطةٍ في القلب، و إذا لبا تنام النوم الكافي يتعب قلبُك، و النبيُّ علَّمنا إذا نعس الواحدُ أن ينامَ، و إلا لا يستفيد من العبادة، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً (47)﴾

(سورة الفرقان)

ومهما جعلتَ من الإضاءة في الليل فليست كضوء الشمس، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً (47)﴾

(سورة الفرقان)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-10) : تفسير الآية 53

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثالثة و الخمسون من سورة الفرقان وهي قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً (53)﴾

(سورة الفرقان)

أيها الإخوة الكرام، نتابع الحديث الذي بدأناه في اليوم السابق عن آيات الله التي بثَّها في الآفاق و في الأرض و في الأنفس، وهذه آيةٌ بثَّها الله في الأرض، و قبل أن نمضيَ في الحديث عن هذه الآية أحبُّ أن أضع بين أيديكم أن الأنبياءَ السابقين جاءوا بمعجزات حسّيةٍ هذه المعجزات وقعت وانتهت و بقيتْ خبرًا، يصدِّقها من يصدِّق و يكذِبها من يكذِب، إلا أن معجزة النبيّ عليه الصلاة و السلام معجزة مستمرة، بمعنى أن في القرآن الكريم إشارات كثيرةً بينات واضِحات إلى ظواهرَ لم تكن معروفةً في عهد النبيّ، وكلما تقدم العلمُ كشفَ بعضًا منها، فالقرآن الكريم في معجزاته مُتجدِّدٌ و قد أشار إلى هذا المعنى الإمامُ عليٌّ رضيَ الله عنه فقال: **في القرآن آيات لما تُفسَّر بعد** " و كلما تقدم العلم اكتشف جانبا من هذا الإعجاز العلمي في هذا القرآن، بل إن هذا الإعجاز العلمي هو أحد الأدلة الكبرى أن هذا الكتابَ كلامُ الله، فمثلاً ؛ قال تعالى:

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى(45)مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى(46)﴾

(سورة النجم)

وأحدثُ البحوث تقول: إن تشكُّل الجنين ذكرا كان أو أنثى متعلِّق بالحُوَين المنوي لا بالبُويضة، و البويضة لا علاقة لها إطلاقا بنوع الجنين، إن الحوين المنوي فيه موَرِّثات، بعض هذه المورّثات على شكل (x) و بعضها على شكل (y) و من الحوين وحده يتحدَّد نوع الجنين، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن كل شيء في الكون يدور في فلكٍ، قال تعالى:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(40)﴾

(سورة يس)

و قد أشار القرآن الكريم إلى نظام الزوجية في الكون، فما من شيء . طبعا الإنسانُ و الحيوانُ ذكر و أنثى .

أما النبات فذَكَرٌ و أنثى و أما الجماد فكلُّ ذرَّةٍ يتشكل منها الجمادُ فيها شحناتٌ إيجابيةٌ و شحنات سلبيةٌ، لذلك قال تعالى:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(49)﴾

(سورة الذاريات)

حينما قال تعالى:

﴿غُلِبَتْ الرُّومُ(2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(3)فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾

(سورة الروم)

المصادر التاريخية تؤكِّد أن هذه المعركة التي هُزم فيها الرومُ كانت في غور فلسطين، و الآن عن طريق أشعة الليزر اكتشف أن أخفض نقطة في القارات الخمس هي غور فلسطين، و حينما أراد الله تعالى أن يصف السماوات كلَّها بصفة واحدة جامعة مانعة قال:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ(11)﴾

(سورة الطارق)

و كل كوكب في السماء يدور حول كوكب آخر في مسار مغلَقٍ، أي انه يرجع إلى مكان انطلاقه، و لو توقف الكونُ عن الحركة لأصبح كتلةً واحدةً لأن هذه الحركة تنشأُ قوَّةً نابذةً تكافئُ القوةَ الجاذبةَ، قال تعالى:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(40)﴾

(سورة يس)

وحينما ذكر الله تعالى الإنسانَ لما يصْعد في السماء يضيق صدره، ولم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم طائرات لكنَّ الآن رُكاب الطائرة يرْكَبونها ويشْعرون أنَّهم في بَحْبوحة ؛ ذلك لأنَّها تُضَخُّ ثمانِيَة أمثال حجْمِها هواءً مَضْغوطًا لِيَكون الضَّغط وأنت على ارْتِفاع أربعين ألف قَدَم مُساوِيًا للضَّغْط وأنت على الأرض، فلو تعطَّلت أجْهزة ضَغْط الهواء لوَجَبَ أن ينْزِل الطَّيَّار في أيِّ مكانٍ ولو عرَّض الطائرة للخَلَل، لأنَّ حياة الرُّكاب تكون في خطَر، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾

(سورة الأنعام)

فهذه آية.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ الْأَرْضَ كِفَاتًا(25)﴾

(سورة المرسلات)

هذه الجاذِبيَّة، وقال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾

(سورة الرعد)

هذه قِوَى التَّجاذُب فالسَّماء مَبْنِيَّةً بناءً مُحْكمًا، ولكن بِغَير عَمَدٍ تَروْنَها، وإذا ذَهَبنا نتحدَّث عن آيات الله في القرآن الكريم، لوَجَدْنا أنَّ أحدَ أكبر الأدِلَّة على أنَّ هذا الكلام كلامُ الله هو الإشارات العِلْمِيَّة التي لم تكن مَعْروفةً مِن قبلُ.

قال تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(27)﴾

(سورة الحج)

لم يقل من كل فج بعيد، مع أن الأقرب إلى المنطق "بعيد" لكنَّ الكرة كلما ابتعدتَ عن إحدى نقاطها تشكَّلَ عمقٌ، و العمق أبلغ في التعبير من البعد، قال تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(27)﴾

(سورة الحج)

فإذا جئتَ من أمريكا إلى مكةَ فالخطُّ منحني يدور مع الأرض فصار هناك عمقٌ، هذه مقدمة.

آية اليوم ؛ آيتان في كتاب الله ؛ الأولى في سورة الرحمان و الثانية في سورة الفرقان، الأولى قال تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21)﴾

(سورة الرحمن)

البحران إذا التقيا عند باب المندب أو عند قناة السُّويس أو عند خليج البسفور أو عند مضيق جبل طارق أو عند قناة بنما، البحار إذا اتقت لا يبغي بعضُها على بعض و لا تمتزج مياهُ بعضها بمياه بعض، و اكتُشِف هذا من مركبة فضائيةٍ صوَّرت الأرضَ فإذا خطٌّ بين البحرين وبقي علماءُ التفسير ألفَ عام في حيرةٍ من تفسير هذه الآية،

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21)﴾

(سورة الرحمن)

أين هو البرزخ؟ مياهٌ متَّصلةٌ، فلما ركبوا المراكبَ الفضائية و صوَّروا الأرضَ بالأقمار الصناعية رأوا خطًّا بين البحرين، و الحقيقة ليس خطًّا، بل هو خطٌّ وهميٌّ، خطُّ تباين الألوان، اكتشفوا أن مياه كل بحرٍ لها ملوحةٌ خاصَّة وكثافة خاصة و لها مكوِّنات خاصة و لا يمكن لمياه بحر أن تختلطَ بمياه بحر آخر، كثافة و

مكوِّنات و ملوحة خاصة، و الذي بيَّن لهم ذلك خطُّ التباين بين الماءين، فأنت أحيانا لو وقفتَ على ساحل البحر لرأيتَ منطقةً زرقاءَ داكنةً و منطقة ذات زرقة فاتحةٍ، و بينهما خطُّ التباين، و طبيعة هذا البرزخ لا يعلمها أحدٌ، لكن هناك حاجزا يمنع اختلاطَ مياه كل بحر بالبحر الآخر،

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21)﴾

(سورة الرحمن)

ثم إن هناك ينابيع كثيرة في بعض البحار يقصدها سكانُ السواحل ليشربوا الماء العذبَ الزُّلالَ وسْطَ الملح الأجاج، وهذه آية من آيات الله الدالَّةُ على عظمته تعالى.

أمَّا آية اليوم فهي قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً (53)﴾

(سورة الفرقان)

و صدِّقوني أيها الإخوة، كلُّ النظريات التي افترضَتْ تفسيرا لملوحة البحر نظريات مُضحكةٌ، لا أحد يعلم لماذا كانت مياهُ البحر مالحةً، ومن وضع الملحَ في المياهِ ؟ ومن جعل هذه البحارَ ذاتَ ملحٍ أجاج ؟ و الذي يلفت النظرَ أن السفينةَ لو غرقتْ و نجا منها بعضُ الركَّابِ و ركبوا القاربَ النجاة، ما الذي يهدِّد حياتهم ؟ قلّةُ الماء، وهم على سطح الماء، ولكن مياه البحر لا تُشرَب، و قد قرأتُ قصَّةً واقعيةً غرقتْ في عرض المحيط الأطلسي، و نجا منها مائة و خمسون راكبا ركبوا في إحدى مراكب النجاة فيها، ومعهم من الماء العذب كمِّية قليلة، فكان أميرُهم يعطي كلَّ واحدٍ منهم ملعقةَ شايٍ في اليوم الواحد، وصل منهم ستَّةُ ركَّابٍ، لأن الواحد منهم إذا نام قتل صاحبَه ليشرب ملعقتين، وهم على سطح البحر، وأنت على سطح البحر و العمق اثنا عشر ألف متر، و هوة أربعةُ أخماس اليابسة تموت عطشًا،قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً (53)﴾

(سورة الفرقان)

و لما يشرب الإنسان ماءً عذبًا هذه نعمةٌ لا يعرفها إلا من فقدها، لذلك لترُ الماء في بعض بلاد النفط يكلِّف ضعفَ ثمن البنزين، كلفةُ التحلية أحيانا سبعة ريالات، من أجل أن تشرب ماءً عذبا فراتا، أما الله عز وجل أكرمنا في هذه البلاد الطيِّبة بالماء العذب في البيوت، و قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً (53)﴾

(سورة الفرقان)

تمُجُّه النفسُ.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً (53)﴾

(سورة الفرقان)

هنا آية ثانية البرزخ الذي بين البحرين المالحين و بين البحرين العذبين و بين بحر مالح و بحر عذبٍ، هناك حاجز يمنع اختلاطَ البحارِ، الحِجْر هو أسماك المياه المالحة لا يُمكن أن تصل إلى المياه العذبة، و أسماك المياه العذبة لا يُمكِن أن تكون في المياه المالحة، لذلك أكبرُ منطقة في العالم لصيد الأسماك، هي مصَبَّاتُ الأنهار، نهر كنهر الأمازون كثافتُه في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف متر مكعَّب، هذا يمشي في البحر ثمانين كيلو، و باعتبار أن الأسماك ممنوع أن تنتقل من المياه العذبة إلى المياه المالحة فيتجمَّع في أواخر هذا النهر قبل أن يصبح ملحا أجاجا، لذلك شركات صيد الأسماك تأتي إلى هذه الأمكنة تصطاد أكبر كمّيات الأسماك من هذه الأمكنة، وهذه آية دالَّة على عظمة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً (53)﴾

(سورة الفرقان)

النبيُّ في أوَّل دعوته لربه بدأ بتعريف الناس بربهم فلمَّا عرفوه عرَّفهم منهجَ ربِّهم، أما نحن إذا بدأنا بتعريف الناس بمنهج الله قبل أن نُعرِّفهم بربهم تفلَّتوا من هذا المنهج، إن عرفت الآمرَ قبل الأمر تفانيتَ في تطبيق الأمر و إذا عرفت الأمر قبل الآمر تفنَّنت في التفلُّتِ منه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-10) : تفسير الآيتان 57 - 58

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، مع الآية السابعة والخمسون من سورة الفرقان و هي قوله تعالى:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (57)﴾

(سورة الفرقان)

والآية دقيقة جدًّا، وتتعلق بالدعوة إلى الله، قلْ يا محمد لا أسألكم عليه من أجر، على هذه الدعوة وعلى هذا التعليم و على هذا الجهد، لا أسألكم عليه من أجر، هذا المعنى تؤكده آية أخرى و هي قوله تعالى:

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20)اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ(21)﴾

[سورة يس]

فعلامة الذي يدعو إلى الله مخلصا أنه لا يبتغي من الدنيا شيئًا، لأن الله تعالى هو الذي يجزيه على عمله الطيّب، فمن أراد أجرا فما عرف الله تعالى، مثلٌ بسيطٌ ؛ لو قال الملِكٌ للمعلّم: علّمْ ابني ولك على كلِّ درس مليون ليرة، فلما انتهى الدرسُ قال له: أعطني خمسين ليرةً، طلب المعلِّم من الابن خمسين ليرة، و الأب وعدك مليونا، معنى ذلك ما صدَّقتَ الوعدَ و لا تعرف من هو الأب و ما عنده من العطاء، فالإنسانُ لمجرَّد أن يطلب أجرا مادي و يرتزق بالدين و يجعل الدينَ مطِيَّة إلى الدنيا فهو لا يعرف اللهَ أبدا، و تكاد هذه العلامةُ تكون صادقةً في التعبير على صدق الدعوةِ، قال تعالى:

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20)اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾

[سورة يس]

أجرًا نكرة و تفيد الشمولَ، أيْ لا أجرا ماديا لا قليلا و لا كثيرا، و لا معنويا و لا عاجلا و لا آجلا، و لا خدمةً و لا منحةً و لا خدمةً و لا مبلغا و لا ترقيةً.

﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20)اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾

[سورة يس]

فعلامة الإنسان الصادق أنه لا يبتغي من الدنيا شيئا على دعوته، هذه الآية دقيقة جدًّا، أما هنا فتُوجد مشكلةٌ، قال تعالى:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (57)﴾

[سورة الفرقان]

معناه أريد الأجرَ، وما دامت "إلا "أداة استثناء فمعناه أن هناك أجرا يطلبه النبيُّ عليه الصلاة و السلام.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (57)﴾

[سورة الفرقان]

فإذا دعوتَ الإنسانَ إلى الله و استجاب و طبَّق المنهج و ضبط نفسه وإنفاقه و دخله تأخذ منه أكبر أجر، هذا هو الأجر الحقيقي، لأن كلَّ أعماله في صحيفتك.

لو فرضْنا أن رجلا دلَّ إنسانًا على جهةٍ لاستثمار المال، لأنك دللْتَه فلك نفس الربح، لذلك النبيُّ عليه الصلاة و السلام يقول:

((أنا أحري منكم أن تتَّجهوا إلى الله، و أن تخلصوا له وتُقبِلوا عليه و تستقيموا على أمره إن فعلتُم هذا فهو أعظم أجر))

لشدَّة رحمة النبيّ بالناس عامَّة و بأصحابه لمجرَّد أن يستقيموا على طاعة الله فهو أعظم أجر يقدِّمونه له لما سعدوا بالله سعد هو بهم، أحيانا نجاح الأولاد أكبر مكافأة للآباء، و الأب غنيٌّ عن أولاده، و لكن نجاح الابن في الحياة وعقل الابن و فهمه هو أعظم أجر للأب، لذلك الآية دقيقة جدًّا، قال تعالى :

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (57)﴾

[سورة الفرقان]

فإذا الواحد اتَّخذ إلى الله سبيلا هذا أعظم أجر تقدِّمه للنبيّ، و أعظم أجر تقدِّمه لمن دعاك إلى الله، أن يكون طالب العلم في مستوى الدعوة أعظم أجر، لو فرضْنا أنَّ شيخًا له تلميذان ؛ واحدهم بهلول ما إن يراه حتَّى ينكبُّ على يده يقبِّلها و يعظِّمها ؛ يا سيدنا يا أشرفنا، هذا المريد لا يطبِّق منهج الله عز وجل، و الثاني كلامه اعتيادي و ترحيبه اعتيادي و علاقاته اعتيادية، ولكنه مستقيم، فالشيخ الصادق يحبُّ من ؟ يحبُّ الذي لا يمدح و لا يبهلل، و لكن يستقيم على أمر الله، لأن هذا المستقيم لك منه أجر، أما هذا المُزَعْبِر ما لك منه شيءٌ، قال تعالى:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (57)﴾

[سورة الفرقان]

فإذا طبَّقت الأمرَ تكون أعظم هدية لرسول الله.

قال تعالى:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً (58)﴾

[سورة الفرقان]

ومعنى ذلك أن الإنسانَ لا يتوكلَ على من يموت.

اِجعل لربك كلَّ عزِّك يستقر و يثبتُ

فإذا اعتززْتَ بمن يموت فإن عزَّك ميّتُ

***

إن توكَّلت على من يموت فالموت يأتيك كالصاعقة، و كلُّ الآمال تحطَّمتْ بموت من توكَّلتَ عليه، كلُّ المنى تلاشتْ بموت من توكّلتَ عليه، و كلُّ الأحلام تبدَّدتْ بموت من توكّلتَ عليه، أما إذا توكَّلتَ على الله الذي لا يموت الحي القيوم، لذلك الإنسان إذا ربط أحلامه بإنسان أو جهة، لو تحطَّمتْ تحطَّم هو معها، و لو أنها سقطت لسقطَ معها ولو أنها ضعُفتْ لضعفَ معها، أما إذا ربط الإنسان مصيره بالله عز وجل و توكل على الحيِّ الذي لا يموت فإنه لا يخيب أبدا، وأما الإنسان إذا كان محسوبا على الإسلام فلا إسلام كالجبل الشامخ، و قد كاد له الكائدون ما لو كادوا للأرض لدكُّوها و مع ذلك بقيَ شامخا، قال تعالى:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ(46)﴾

[سورة إبراهيم]

ولولا أنه دين الله لتلاشى من ألف عام، المبادئ الأرضية بالملايين و كلُّها تلاشتْ، لأنها من صنعت البشر، أما دين الله لا تستطيع الأرضُ كلُّها أن تُقَوِّضه، واللهُ هو الحقُّ، ودين الله هو الذي يحفظه و هو الذي يرسِّخ دعائمَه، قال تعالى:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً (58)﴾

[سورة الفرقان]

هل هذه الفقرةُ الأخيرة من الآية لها تطبيقٌ عمليٌّ ؟ لها تطبيق خطير جدًّ ما رأيك في فلان ؟ في جهنَّم، هو كافر، إذًا أنت لم تقرأ الآية، لو قرأتَها لقلتَ الله أعلم، هذا من شأن الله و ليس من شأنك، إيآَّك أن تقَيِّم الأشخاصَ، ليس هذا من البشر، تقييمُ الأشخاص من شأن خالق البشر، أما إذا رأيت الإنسان يشرب الخمرَ فقلْ له هذه معصية، لعلَّه يتوب منها و يسبقك، الآن هو عاصٍ، أما أن تحدِّد مصيرَه فليس من شأن الإنسانِ هذا تألِّي على الله، لذلك النبيُّ عليه الصلاة و السلام كان مرَّةً عند بعض أصحابه الذين توفَّاهم الله عز وجل، و جاء ليُقبِّله قبل أن يُدفَن سمع من وراء الستر امرأةً تقول: هنيئًا لكم أبا السائب، لقد أكرمكَ اللهُ، و لو أن النبيَّ الكريم سكتَ لكان كلامُها صحيحًا، فقال لها:

((و من أدراكِ أن الله أكرمه؟ هذا تألّي على الله، قولي أرجو الله أن يكرمَه))

قال تعالى على لسان نبيّه:

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ(9)﴾

[سورة الأحقاف]

هذا هو الأدب، فإذا كنتَ أعرفَ الناس بنفسك:

﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ(9)﴾

[سورة الأحقاف]

فكيف بغيره ؟! إذاً لما الله تعالى يقول:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً (58)﴾

[سورة الفرقان]

لا يجوز أن تحدِّد مصير الناس و لا أوزِّع التُهمَ و لستُ قاضيا أنا داعٍ إلى الله، و لستُ وصِيًّا عليهم، قال تعالى:

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ(45)﴾

[سورة الأحقاف]

وقال تعالى:

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ(108)﴾

[سورة يونس]

وقال تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(272)﴾

[سورة البقرة]

قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(56)﴾

[سورة القصص]

فتقييمُ الأشخاص من شأن خالق البشر، فكنْ متأدِّبًا مع الله، و من أطلعك على الغيب ؟ وهناك شيء آخر هو التعميم، و هو من العمى و كل هؤلاء سيّئون، و في كل المجتمع هناك أطهار ومستقيمون و منحرفون و منافقين، قال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا(12)﴾

[سورة الطلاق]

الله جلَّ جلالُه يأمرك أن تسأل خبيرا، فإذا قرأت القرآن مثلا، قال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7)﴾

[سورة الشمس]

معنى ذلك إذا فجر الواحدُ، الله كتب عليه الفجورَ، اسأل به خبيرا ألهمها فجورها، أي دلَّها على طريق الفجور و على طريق السعادة قال تعالى:

﴿بَلْ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ(14)وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ(15)﴾

[سورة القيامة]

فشتَّان بين المعنيين، المعنى الأول هو الجبر، و الثاني هو بيان طريق السعادة، فأنت تعرف ذلك كلَّه، و الفرق كبيرٌ، لذلك قال تعالى:

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً (59)﴾

[سورة الفرقان]

في هذا الدرس ثلاثُ نقاطٍ، النقطة الأولى إن دعوتَ إلى الله علامة إخلاصك أنك لا تسأل أحدا أجرا مطلقا، لا قليلا و لا كثيرا و لا قريبا و لا بعيدا و لا ماديًّا و لا معنويًّا، هذه علامة الداعية المخلص الصادق،قال تعالى:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ(49)﴾

[سورة يونس]

فرحمة النبيِّ عليه الصلاة والسلام تقتضي أن يسعد إذا سعد من حول فهذا أجرُه، كالأب الغنيِّ القويّ يسعده أن يرى ابنَه ناجحا في الدنيا، و المعنى الثاني أن كلَّ أعمال المدعُوّ في صحيفة الداعي فهو حينما يترفَّع عن الأجر المادي يطمع في أجر لا حدود له، هذه أول نقطة قال تعالى:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (57)﴾

[سورة الفرقان]

وقال تعالى:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً (58)﴾

[سورة الفرقان]

إذًا هناك آيتان، الأولى:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(43)﴾

[سورة النحل]

في شؤون الدنيا، و في شؤون الآخرة قال تعالى:

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً (59)﴾

[سورة الفرقان]

فهناك خبيران ؛ خبير بالدنيا و خبير بالآخرة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-10) : تفسير الآية 63

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثالثة والستون من سورة الفرقان وهي قوله تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63)﴾

(سورة الفرقان)

أولا، هناك عبيدٌ و هناك عبادٌ، و فرق كبير بينهما، فكلُّ مخلوق بحكم اضطراره إلى إمداد الله مفتقِرٌ إلى الله في وجوده، مفتقر إلى الله في استمرار وجوده، و مفتقر إلى الله في سلامة وجوده، و مفتقر إلى الله في كمال وجوده، قال تعالى:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ﴾

[سورة البقرة]

مصدر حياة الكون، فأيُّ مخلوقٍ قيامُه بالله ووجوده بالله و استمراره بالله، فكلُّ المخلوقات مقهورةٌ بالعبودية لله عز وجل، حتى الملحِد فهو عبدٌ لله، فلو منَعَ الله عنه الهواء لمات، وحتَّى المُلْحِد عبْد لله تعالى فلو أغْلقَ الله له بعض صَمَّاماتِهِ لمات من وقْتِهِ، فما مِن مخلوقٍ إلا وهو في قبْضَة الله تعالى، ودوامُ وُجودِه مِن إمْداد الله عز وجل، هؤلاء هم العبيد ولكنَّ العِباد هم الذين عرفوا الله وأسماءه وقوَّتَهُ ورحْمته وعدْلَهُ وكمالَهُ، وأنَّهُ موجود وواحِد وكامِل فأطاعوه وأَحبُّوه وأخْلَصوا له، فَهُناك عُبودِيَّة القهْر ، وهناك عُبودِيَّة المعرفة فَعُبودِيَّة القهْر عبْدٌ يُجْمَعُ على عبيد، أما عُبودِيَّة المعرفة فعَبْدٌ يُجْمَعُ على عِباد، والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكرَّمَهُ حينما أضافَهُ إلى ذاتِه، قال تعالى

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63)﴾

[سورة الفرقان]

فأنت إذا قلتَ هذا شُرطي الملِك لكان المعنى أقوى من أن تقول هذا شرْطي، فهذا أُضيف إلى الملِك، فهذه إضافة تَشْريف، وعباد الرحمن، فرَبُّنا عز وجل شرَّفنا بالنّسْبة إليه، وقد قالت السيّدة عائشة عن عمر ابن الخطَّاب رضي الله عنهما: **رحِم الله عمر ما رأيتُ أزْهَد منه، كان إذا سار أسْرع، وإذا قال أسْمَع، وإذا ضرَبَ أوْجَع وإذا أطْعَمَ أشْب**َع، فكيف نُوَفِّق بين هذه الآية وقول عائشة رضي الله عنه ؟ ليس المعنى أنَّه يمْشي بطيئًا أما يمْشون على الأرض هوْنًا أيْ لا يسْمَحون للحياة أن تسْتَهْلِكَهم ! فَمُعْظَم الناس الآن مُسْتَهْلكون ؛ تَجِدُهم عِبادًا لأعمالهم وعبْد لِزَوْجَتِهِ والمشْكلة أنّ الإنسان الذي يُسْتَهْلَك يَصْحى مرَّةً عند الموت ؛ يَصْحى فَيُصْعَق، قال تعالى

﴿:فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ(83)﴾

[سورة الزخرف]

يُصْعَقُ حينما يَجِدُ أنَّه خَسِر كلّ شيء، ولم يرْبَح شيئًا، وأنَّهُ مُقبِلٌ على حياةٍ لا يمْلِكُ منها شيئًا، قال تعالى:

﴿ يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي(24)﴾

[سورة الفجر]

وقال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (27)﴾

[سورة الفرقان]

حينما يُصعق يقول اِرْجِعون، قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(100)﴾

[سورة المؤمنون]

فمعنى يمْشون على الأرض هَوْنًا أي لا يسْمَح لِعَمَلِهِ أن يسْتَهْلِكهُ، ولا يسْمَحُ لِصِحَّتِهِ أن تشْغله عن كلّ شيء فبعضهم تَجِدُهُ رياضة وركض وأثقال وتدْريبات، قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(88)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(89)﴾

[سورة الشعراء]

العاقل يمْشي هوْنًا، وله وقفات يتأمَّلها، لماذا أنا مَوْجود ؟ وسرَّ وجودي، وحقيقة وُجودي ولماذا أنا في الدنيا ؟ وماذا أراد الله مِنِّي ؟ ولماذا هناك موت ؟ فهو لا يسْمح لِمشاريعه وتِجارتِهِ أن تسْتهلكه، فَمِنهم من تَجِدُه يعدّ لِكُلّ شيءٍ عُدَّتَهُ إلا الموت، قال له: تحيَّرنا أنجعل الشوفاج في الداخل أم الخارج !! سبحان الله قد تُنسَج أكفان الإنسان وهو لا يدْري، كنت مرَّةً في حفْل عقْد قِران عريس الحَفل مُتألِّق تألُّقًا لا مثيل له، وفصاحة ما بعدها فصاحة، وترحيب، وكان لولب الحفْل، وبعد يومين تُوفِّي في حادِث !! فأنا قلتُ: لو أنَّه كان يعلم أجله أنَّه بعد يومين لصُعق لذلك عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي وَأَوْجِزْ قَالَ:

((إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ وَأَجْمِعِ الْيَأْسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ))

[رواه ابن ماجه]

القصْد من الآية عميق جدًّا، لا تسْمَح لِعَمَلك أو بيْتَكَ أو زوْجَتَكَ أن يسْتَهْلِكوك، فالمؤمن له وقت للعمل، ووقْت للصلاة، ووقت يجلس مع أولاده وأهلِهِ، فلا يسمَحُ لِعَمَلِهِ أن يسْتَهْلكه، فالذي على هذه الشاكلة ينتهي قبل الممات، مثله كمثل الميّت ! ومَقبور بِعَمَلِهِ وأهله قال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63)﴾

[سورة الفرقان]

فكلمة هونًا لها معنى دقيق ؛ أي لا تسْمح لِشَيء أن يسْتَهْلكك، قال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63)﴾

[سورة الفرقان]

هناك وقت لله تعالى، ولا يسْمح أن يتجاوز هذا الوقت، فهذه الآية هناك من يفْهمها على فهْمٍ آخر، وهو أن يمشي على مهْلِهِ، لا ليس هذا هو المعنى، لا تسْمح لشَيءٍ يُنْهي لك حياتَك، ويُلغي لك دينَكَ أخْطر شيء عندك هو عملك، فأحيانًا الإنسان وهو في قِمَّة النَّجاح في العِناية المُشَدَّدة، لذلك خُذْ مِن الدنيا ما شئت وخُذ بِقَدَرِها همًّا، ومن أخذ مِن الدنيا فوق ما يَكفيه أخَذ من حتْفِهِ وهو لا يشْعُر هناك أوقات لله عز وجل ؛ خُطبة الجمعة، والصلوات الخمس، وجلسة مع أهلك وأولادك وحُضور مَجْلس ؛ فهذا هو الأصل، وهذا هو معنى قول الله تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63)﴾

[سورة الفرقان]

وكان سيّدنا عمر وقَّافًا عند كتاب الله تعالى ؛ ما الأمر ؟ وما النَّهي ؟ وما الشَّرع ؟ هل هو واجب أو مُستَحب أو مندوب، أما مَن يقول: من هنا إلى ذلك اليوم يفرجُها الله تعالى ! فهذا كلام الشَّيطان، قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجْر]

اعْتَنِ بِقَلْبِكَ ودينك، وابن عمر دِينَكَ دينَكَ إنَّه لحْمُكَ ودَمُكَ، وخُذ عن الذين اسْتقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا، وإنَّ هذا العِلم دين فانْظُروا عمَّن تأخذوا دينَكم، هل يوجد إنسان يريد أن يبيع بيته يبيعُه لأَوَّل بائِع أم يسأل عن أسعار البيوت ! لماذا من أجل بيتٍ تبذل الجُهد في السُّؤال فهل البيت أغلى من دينك ؟! فَمِن أجل الدنيا تسْأل الخبراء وهذا الإله العظيم الذي قال لك فاسأل به خبيرًا، ألا تهتمّ لِفَهم دينِك ؟ تجدهُ يُرْسِلُ ابْنه من أجل تعلُّم الإنجليزيَّة في بريطانيا ! عندهم الزِّنا مثل شُرب الماء ! قال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

فهذه الآية دقيقة جدًّا:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63)﴾

(سورة الفرقان)

فالموت يأتي فجأةً والقبر صُندوق العمل، لذا لا تجعل الأعمال تسْتهلكّ لكي لا تقول عند الموت ربِّ ارجعون، وقال تعالى:

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ(83)﴾

[سورة الزخرف]

فهذه الآية يجب أن تبقى في ذِهن كلّ واحِدٍ مِنَّا، وشرف المؤمن قيامُه بالليل وعِزُّه اسْتِغْناؤه عن الناس.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-10) : تفسير الآيتان 63 - 64

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، الآية الثالثة والستون من سورة الفرقان وهي قوله تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63)﴾

(سورة الفرقان)

بيَّنتُ في الدرس الماضي أنَّ العباد جمْعٌ لِعَبد لكنَّ هذا العبْد عرف الله تعالى، وعرف أسماءه الحسنى وقام بِواجب العُبوديَّة اتِّجاهه، أما كلّ مَخلوقٍ مقْهورٍ في وجوده إلى إمداد الله و باستمرار وجوده إلى إمداد اللهِ، وهو عبدٌ أيضا و لكنها عبودية القهر، هناك عبودية المعرفة و هناك عبودية القهر، فالعبد الذي عرف اللهَ و عبده يُجمع على عباد و العبد الذي يفتقر إلى خالقه في وجوده و إمداده يُجمع على عبيد قال تعالى:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(46)﴾

[سورة فصلت]

أما هنا فقال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾

(سورة الفرقان)

وقد نُسِب العباد إلى الله نسبةَ تشريف، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ﴾

[سورة الفرقان]

أي لا يسمح لعمله أن يستهلكه، و لا يسمح لشيء في الدنيا أن يلغيَ غايةَ وجوده، و هذا فصَّلتُه في الدرس الماضي، قاتل تعالى:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63) ﴾

[سورة الفرقان]

الحقيقة أن الله تعالى يريد من المؤمن أن يكون متعلِّقًا بكرائم الأمور لا بسفاسفها، و إن الله يحبُّ معاليَ الأمور و يكره سفاسفها، و هذا الإنسانُ الذي هو عبدٌ لله كما أنه لا يسمح لشيء من الدنيا أن يستهلكه و أن يلغيَ سرَّ وجوده و أن يحجبه عن هدفه الذي خُلِق له، أيضًا لا يسمح لإنسانٍ ساقطٍ جاهل غارق في شهوته أن يجُرَّه إلى معركةٍ جانبية،

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63) ﴾

[سورة الفرقان]

والعظماءُ دائما لا يعتمدون على ردود الفعل و الناس الذين هم في المستوى الأدنى يعتمدون على الفعل و ردِّ الفعل، فأيُّ إنسان يجرُّه إلى معركة جانبية و يشغله بها، و لكنْ الإنسانُ الذي يخطِّط و الذي يعرف هدفَه و يسعى نحوه لا يسمح لكائن من كان أن يجرَّه إلى معركة جانبية، أنت راكب في مركبةٍ متَّجهةٍ نحو حمص، و لك عمل كبير في حمص، هناك طرق كثيرةٌ فرعية لحمص، فالذي له هدف كبير في حمص لا ينحرف يمنةً و لا يسرةً، هذا معنى:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63) ﴾

[سورة الفرقان]

الجاهل قد يخاطبك و يريد أن يستفزَّك و يصرفك عن هدفك، قال تعالى:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63) ﴾

[سورة الفرقان]

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم:

((لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ قَالُوا وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ قَالَ يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ))

[رواه الترمذي]

و قال: إن الله يحب معالي الأمر و يكره سفسافها " قال بعض الأدباء: لي صديق كان من أعظم الناس في عيني و كان رأسُ ما عظَّمه في عيني صغرُ الدنيا في عينيه، فكان خارجا عن سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد، و لا يكثر إذا وجد، و كان خارجا عن سلطان الجهالة، فلا يتكلم بما لا يعلم، و لا يمارِي فيما علم، و كان أكثر دهره صامتا،فإذا تكلم هزَّ القائلين، و كان يُرَى ضعيفا مستضعفًا، فإذا جدَّ الجِدُّ فهو الليثُ عاديا فعليك بهذه الأخلاق، فإن لم تستطع فعليك ببعضها فإن اخذ القليل خير من ترك الكثير" فلا يدلي بشهادة إلا إذا رأى قاضيا عدلا، خارجا عن سلطان الجهالة، فلا يتكلم بما لا يعلم و لا يمارِي فيما علم، و كلام المؤمن دقيق، فإذا وُجِد من هو أقوى منه علماً في حضرته لا يجيب يقول اِسألوا فلانا، و لا يدلي بحجَّة إلا إذا كان متمكِّنا منها، أما أن يخوض مع الخائضين و يجهل مع الجاهلين و أن يُستفَزَّ مع من يستفَز، و أن يُجرَّ إلى معركة جانبية، هذا المؤمن الذي هو عبد لله عز وجل، كما أنه لا يسمح لا لعمله و لا لبيته و لا لزوجته أن تستهلكه و أن تلغيَ وجودَه وأن تلغيَ غاية وجوده، كذلك لا يسمح لإنسان آخر أن يجرَّه إلى معركة تصُدُّه عن هدفه الكبير.

الآن في العالم الإسلامي ؛ كم موضوعا مضى و انقضى و نحن نشتغل به و نتخاصم من أجله و نتحزَّب من أجله و يعن بعضنا في بعض من أجله و قد مضى، فالموضوعاتُ التي مضت خلافاتٌ بين الصحابة الكرام، تغطِّيها آية واحدة، قال تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(141)﴾

[سورة البقرة]

يا تُرى الشيخُ محي الدين رحمه الله تعالى كان سلطانَ العارفين أم كان الشيخَ الأكبرَ كما يسمّيه بعضُهم، الشيخُ محي الدين انتقل إلى رحمة الله، و اللهُ وحده يعلم صِدْقه وعِلْمهُ وإخلاصه، قال تعالى:

﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا(17)﴾

[سورة الإسراء]

ما الفائِدة من أن ندْخل في هذه الخُصومة ؟ والخِلاف بين سيّدنا عليّ ومُعاوِيَة، قال تعالى

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(141)﴾

[سورة البقرة]

هذه معارف مضَتْ وانْتَهَت، والله هو الحَكَم بينهم، وهو الذي يعْلم أسْرار النُّفوس، وخبايا القلوب، ويعْلم النَّوايا، والمقاصِد، فنحن لا ينبغي أن نُسْتَهلك بِمَعركة الجاهلين، نحن لنا هَدَف أمامنا، ومنْهجُنا واضِح، فالمؤمن الصادِق لا يسْمَح لِشَيءٍ أن يسْتَهْلِكَهُ، ولا لإنسانٍ أن يصْرفَهُ عن هَدَفه، وهذا هو معنى قوله تعالى:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63) ﴾

[سورة الفرقان]

أحيانًا تجد مَن يسْعى لِنَشْر الحق، وإذا به تَجِدُهُ يتْرك الدَّعوة إلى الله ويرُدّ على المُخالفين، وهم يرُدُّون عليه، وإلى أن تَقَع خُصومات لا يعلمها إلا الله، وهذا لِمَصْلحة أعداء المسلمين، فالإنسان المؤمن ليس له خُصوم، ولا يسْمح بالخُصومات، يتكلَّم في المُتَّفَق عليه، ويبْتَعِدُ عن المُخْتلف فيه، ويُمكن أن تدْعو إلى الله خمْسين سنة، دون أن تحتاج إلى طَرْح قَضِيَّة خِلافِيَّة، فالشَّجرة لها جِذْع وفُروع وأغصان ولها أوراق، فإذا كنتَ بطلاً فابْق في الجِذْع الواحِد المُوَحِّد، فالدَّعوة الناجحة التي تكون في الأصول والمُتَّفق عليه وأنت في الموضوعات التي لا يخْتلف فيها اثْنان، نحن الآن بِحَاجة إلى أن نذْهب إلى الينابيع وينابيع الإسلام كتاب الله وسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ولْنُنْهي كلَّ مُشْكلةٍ وكلَّ خصومةٍ، فإن كانت سابقة فالأحْرى بنا أن نُلْغِيَها، ونكْتفي بِهذه الآية الكريمة، قال تعالى:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(141)﴾

[سورة البقرة]

عَوِّد نفْسَك أن تُلغي القضايا التي لا طائل من البحث فيها، فنحن أبعَدُ ما يكون عن الخِلافات والطَّعْن، وعن التَّجْريح، وعن إهْدار القيمة، وعن التَّكْفير، ليس عليك إلا أن تذْهب إلى هَدَفِكَ في الطريق الواضِح السَّوِيّ، والمنْهَج واضِح أمامك.

قال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63)﴾

[سورة الفرقان]

هناك من تجِدُه من عمل لآخر، ومن لقاء إلى لقاء، ومِن سَهْرة إلى سَهْرة إلى أن يفاجئ أنَّهُ في العنايَة المُشَدَّدة، ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتْفِهِ وهو لا يشْعُر، خُذ من الدُّنيا ما شئْت، وخُذ بِقَدَرِها همًّا، ولا تسْمَح لِعَمَلِكَ أن يُنْهيك، ويُلغي وُجودَك، ويُلغي سِرَّ وُجودِكَ، ويُلغي هَدَفك الكبير، ولا تسْمَح لِعَمَلِكَ أن يصْرِفَك عن طلب العِلم، ولا عن طاعة الله ولا تسْمح لإنسانٍ آخر أن يجُرَّك إلى معركةٍ رخيصة، وإلى معركَةٍ جانِبيَّة يسْتهْلِكُ فيها وقْتَكَ وجُهْدكَ فطاقة الإنسان إما أن تُبْذَل لِتَقَدُّمِهِ وإمَّا أن تُبْذَل لِدَفْع تدنِّيه، وأنت بين حالين ؛ حالة مُتابعة التَّرقي وحالة مُتابعة التَّدَنِّي، فالإنسان إذا صَرَفَ نفْسه إلى معارِكَ داخِليَّة، فإنَّ طاقاتهُ تُدْفع في معركة دَفْع التَّدنِّي وعليك أن تكون في مُتابعة التَّرَقِّي فَمِن أجل أن تكون في هذا المُسْتوى الرَّفيع، ومن أجل أن شْغَلَ نفْسَكَ بِمَعالي الأمور وأن تَدَع سَفْسافها ودَنِيَّها، ومن أجل أن تقول للجاهِل سلامًا، ذَكَروا أنَّ أحدهم رأى الإمام عليَّ كرَّمَ الله وجْهه، فَكُلَّما خاطَبَهُ قال له الإمام عليّ رضي الله عنه سلامًا سلامًا، ففَرِحَ فرحًا شديدًا، فلمَّا اسْتيْقظ قصَّ هذه القِصَّة على إخوانِهِ فقالوا: مِسْكين ! إنَّك جاهِل لأنَّه يقول لك: سلامًا سلامًا، قال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (63)﴾

[سورة الفرقان]

فأنت اتَّخذ من هذه الآية منْهَجًا، لك هَدَف ينبغي أن تمْضي إليه ولا تسْمح لأحدٍ أن يصْرف عنه، ومن أجل أن تكون في هذا المستوى، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً (64)﴾

[سورة الفرقان]

ما الذي يرْقى بِكَ ؟ اتِّصالُكَ بالله تعالى، وأشَدُّ حالات الاتِّصال أن تُصَلِّيَ في الليل، وهذه الصلاة ليس فيها رِياء، وليس فيها نِفاق وليس فيها شُعور أنَّكَ صالِح، لذلك قال تعالى:

﴿أَقِمْ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا(78)﴾

[سورة الإسراء]

درسنا اليوم فيه ثلاث نِقاط ؛ النُّقطة الأولى أنَّ عِباد الرحمن يمْشون على الأرض هَوْنًا، ويقْتَطِعوا مِن وقْتِهِم الثَّمين وقت لله تعالى و وقت لِطَلَب العِلم ونشْرِهِ، ووقت للعمل الصالح وترْبيَة الأولاد، ولا يسْمح لأعماله مهما نجَح بها أن تُنْهي وُجوده، لا يسْمَح لِمَخلوق أن يَجُرَّهُ لِمَعركةٍ جانِبيَّة، وأن يَجُرَّهُ عن هَدَفِهِ الكبير، ومن أجل أن يكون كذلك عليه بِقِيام الليل، قال تعالى:

﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا(78)﴾

[سورة الإسراء]

نحن نظنُّ أنَّ الصلاة حركات وأقوال وأفعال تبتدئ بالتَّكبير وتنتهي بالتَّسليم فإذا قام بها الإنسان سَقط الوُجوب وإن لم يحْصل المَطلوب ! الصلاة من أجل أن تتَّصل بالله، وحينما تتَّصِل بالله تعالى تمْلِكُ هذه القُدرة على أن تكون مُتوازِنًا، وعلى أن تكون جادًّا، وعلى أن تكون بعيدًا عن السخافات، وفي درسٍ قادِمٍ نُتابِعُ الآيات.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-10) : تفسير الآية 67

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، الآية السابعة والستون من سورة الفرقان وهي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (67) ﴾

(سورة الفرقان)

الحقيقة أنَّ المال الذي بِيَدِ الإنسان هو قِوام حياتِهِ وآخِرَتِهِ، فقد يتوهَّم الإنسان أنَّ هذا المال هو قِوام حياتِهِ الدنيا ! لا والله بل هو قِوام حياته الدنيا والآخرة بل إنَّ علاقة المال بالآخرة أشَدُّ مِن علاقته بالدنيا لأنّك إن اشْتَرَيْتَ بِمالِكَ طعامًا تأكُلُه لِثَواني معدودات وبعدَها يستوي أطْيبُ الطَّعام مع أسوأ الطَّعام، لكنَّك إذا أنْفقْتَ هذا المال سَعِدْتَ به إلى أبَدِ الآبِدين، فعلاقة المال مع آخِرَتِكَ أقْوى بِكَثير مِن علاقتِهِ مع دُنياه وليس لك إلا ما أكَلْتَ فأفْنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ، أو تصَدَّقْتَ فأبْقَيْتَ إذًا علاقة المال بالآخرة أشَدُّ، ونصِلُ بِهذا إلى أنَّ المال قِوام حياة الإنسان، وقِوام حياة آخرَتِهِ، لذلك أربعة أسئلة يُسألها الإنسان، وقال عليه الصلاة والسلام:

((لا تزول قدمَا...")

المال فيه سؤالان: أين اكْتسبهُ وفيما أنْفقَهُ.

فالآية اليوم تتحدَّث عن إنفاق المال، قال تعالى

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (67) ﴾

[سورة الفرقان]

العلماء قالوا: الإسراف في المباحات والتَّبْذير في المعاصي، فالذي يشْتري طعامًا أكثر مِن حاجتِهِ، أو يشْتري ثِيابًا أكثر مِن حاجَتِهِ هو مُسْرف، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(31)﴾

[سورة الأعراف]

فالله تعالى ما قال: لا تُسرفوا في الأكل والشرب، ولكن قال: ولا تُسرفوا مُطلقةً، مُطلق الإسراف، الإسراف مُتَعلِّق بِكُلّ شيء فالإسراف أن تُنْفقَ مالاً من دون حاجةٍ أساسيَّة، ومن دون أن يكون لك هَدَف من إنفاقِهِ، أما التَّبْذير والعِياذ بالله فهو في المعاصي فالمؤمن مِن خصائِصِه أنَّهُ لا يُسْرف، ولا يُبَذِّر، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا(27)﴾

[سورة الإسراء]

بالقياس المنطِقي كافر، لأنَّه أخٌ للشَّيطان، والشَّيْطان كافر، فهو بالقِياس مع الكُفار في إنفاق المال، وفي القرآن الكريم ثماني آياتٍ مُتَعَلِّقة بالتَّرَف، والتَّرَفُ في القرآن الكريم اقْتَرَن بالكُفْر، قال تعالى:

﴿ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ(33)﴾

[سورة المؤمنون]

فالتَّرَف والتَّبذير من خصائص الكُفر، والإسْراف يَقَعُ فيه المؤمن ولكنَّهُ مَنْهِيٌّ عنه، ولكنَّ السُّؤال: لو كان مَعَكَ مائة ألف ليْرة، فقد تَحتاج إلى شيءٍ أساسيّ ثمنهُ خمسون ألف، فالخمسون ألف الباقِيَة هذه يُمكنُ أن تسْعَدَ بها إلى أبَدِ الآبِدين لو أنْفَقتها في سبيل الله، والنبي عليه الصلاة والسلام في إشارةٍ لطيفة رائعة كان يوزِّع شاةً في أحد أيام العيد، قالت له السيِّدةُ عائشةُ: **يا رسول الله لم يبقَ إلا كتِفُها فتبسّم عليه الصلاة و السلام و قال:**

((بل بقيت كلُّها إلا الكتف))

وسيِّدنا عمرُ أمسك تفاحةً و قال: **أكلتُها ذهبتْ، أطعمتُها بقيتْ**، فالإنسانُ إذا علم أن قوام آخرته بهذا المال الذي بين يديه يأخذ حاجته من دون إسراف و لا تبذير و ينفق الباقي لآخرته، و من قدَّم مالَه أمامه سرَّه اللِّحاقُ به، و لو أن إنسانًا مثلاً أراد أن يترك بلدَه، باع بيتَه وحوَّل كلَّ أمواله إلى بلدٍ آخرَ، و حينما يشتري بطاقةَ الطائرة و يأخذ التأشيرةَ و يأخذ بطاقة الصعود و يدخل إلى الطائرة و تحلّق الطائرةُ يشعر أنه أسعدُ الناس لأنه ذاهبٌ إلى آماله، لذلك قالوا: من قدَّم مالَه أمامه سرَّه اللِّحاقُ به، و لكن إذا ترك الواحدُ ثمانمائة مليون، جاء بها من الحرامِ، و هو على فراش الموت في ساعة قلق شديد و خوف مُريعٍ طلبَ أحدَ العلماء ليُطمْئِنه، فقال له العالمُ وهو صادق فيما قال: و اللهِ لو أنفقتَه كلَّه لا تنجو من عذاب الله، من قدَّم مالَه أمامه سرَّه اللِّحاقُ به، و درهمٌ تنفقه في حياتك خير من مائة ألف درهمٍ يُنفَق بعد مماتك، أكثر من عشرة أخوة أودعوا عندي وصيةً لإنفاق المال بعد موتهم، و اللهِّ و لا واحدٌ من أولادهم وافق على تنفيذ وصيةِ آباءهم و مزَّقتُها كلَّها، و درهمٌ تنفقه في حياتك خير من مائة ألف درهمٍ يُنفَق بعد مماتك، و لا يُنفَق و اللهِ، فلا تكن تحت رحمة أولادك، درهمٌ يُنفَق في إخلاصٍ خير من مائة ألف درهم يُنفق في رياءٍ، دقِّقْ في الحديثين، أنفِقْه في حياتك و أنفقه مخلِصًا، يا معاذ أخلص دينك يكفِك القليل من العمل، المالُ قوام الحياة، وقد وصف اللهُ عز وجل المتقين فقال:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(133)﴾

[سورة آل عمران]

والإنفاقُ باب واسعةٌ، و الآيات الأخرى أن تنفق مما رزقك اللهُ و إنفاق المال مهِمٌّ و إنفاق العلم مهِمٌّ، و إنفاق الوقت و الخبرة و العضلاتِ كلُّه إنفاق، و قال عليه الصلاة و السلام:

((إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم "))

سيِّدُنا أبو ذرٍ الغفاري رضي الله عنه له كلمةٌ رائعة يقول: **حبَّذا المالُ أصون به عرضي و أتقرّب به إلى ربي** " بكلامٍ بليغٍ موجزٍ بيَّن هذا الصحابي الجليلُ أن المالَ مرغوبٌ فيه، حبَّذا المالُ أصون به عرضي و أتقرّب به إلى ربي، فالمؤمن يتحرَّك وفق هذين الخطَّين يطعم أولادَه و يكسوهم، و يُلَبِّي حاجاتهم الأساسية من دون إسراف و لا تبذيرٍ و لا مَخيلَةٍ و لا لهوٍ و لا كِبْرٍ و ما تبقَّى يجعله قوامَ آخرته قال تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(261)﴾

[سورة البقرة]

وهناك آية أخرى قال تعالى:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(265)﴾

[سورة البقرة]

فالإنسانُ إذا أنفق مالَه فقد ثبَّت مركزه عند الله عز وجل، لأن من العبادات ما لا تكلِّف شيئًا، يتوضَّأ ويصلي أما حينما تنفق المئاتِ و أنت في أمسِّ الحاجة إليها و تنفقها ليرضى اللهُ تعالى.

أيها الأخوة الأكارمُ، ثلاثةُ أحاديثَ، قال عليه الصلاة و السلام:

((باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها "))

و قال عليه السلام عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ عَنْ مِيتَةِ السُّوءِ))

[رواه الترمذي]

والحديث الثالث:

((الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع بيد الفقير))

و شيء آخر أن الله جل جلالُه يُسترْضَى بالصدقة، فإذا لاحَ للإنسان شبحُ مصيبةٍ أو خاف من مرض أو خاف من عدُوٍّ و أراد أن يلوذ بحمى اللهِ تعالى بإمكانه أن يسترضيه بصدقة خاصَّةٍ مخلِصة لا تعلم شمالُه ما أنفقتْ يمينُه،

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ عَنْ مِيتَةِ السُّوءِ))

[رواه الترمذي]

باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاه.

((الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع بيد الفقير))

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي))

أحد أكبر القُرُبات إلى الله عز وجل إنفاق المال، لماذا ؟! لأنَّه يتناقض مع طبيعة الإنسان، طَبْعُ الإنسان أساسهُ قبْض المال والأخذ، فإذا أعطى أعطى خالف طَبْعَهُ، ولن يرْقى الإنسان عند الله إلا بِمُخالفة الطَّبْع، فَطَبْعُ الإنسان النَّظر إلى النِّساء، أما الأمر التَّكليفي أن تغضَّ البصر، وطَبع الإنسان أن تبقى نائِمًا في الفراش حتَّى الساعة العاشرة، أما التَّكليف فأنْ تُصَلِّي الفَجْر في جماعة والطَّبْع أن تتحدَّث عن النَّاس وعن قِصَصِهم وفضائِحِهم، وعن مُشْكِلاتهم، وتُمْتِعَ الحاضرين، أما التَّكليف فأن تكُفَّ لِسانَكَ عن غيبة المسلمين فالتَّكليف عَكس الطَّبْع، والطَّبْعُ أخذُ المال، أما التَّكليف إنفاقُهُ.

أيها الأخوة، أحد أكبر القُرُبات إلى الله عز وجل إنفاق المال، وقال يُحْشر الأغنياء يوم القيامة أربعة فِرَقٍ، فريق جمَعَ المال من حرامٍ وأنْفقَهُ في حرام، هذا حِسابُهُ سريعٌ جدًّا ويؤخَذُ إلى النار، وفريق جَمَع المال مِن حلال، وأنْفَقَهُ في حرام ؛ السَّهرات والاخْتِلاط وفريق جمَعَ المال من حرامٍ، وأنفقَهُ في حلال، هذا كذلك حِسابُهُ سريع وبقي فريق جمَعَ المال من حلال وأنفقَهُ في حلال، فهذا يُقال قِفُوهُ فاسْألوه ؛ هل اسْتعلى على عِباد الله ؟ هل قصَّر في حقّ أقربائِهِ وجيرانِهِ ؟ هل فاتَتْهُ الصَّلوات من أجل المال ؟ تِسْعة أعشار المعاصي مِن كَسْب

المال وإنفاقِهِ، فلِذَلك حجْمُ المال في الدّين كبير، فإن كسبْتَهُ في الحرام فأنت مَحْجوب عن الله تعالى، **يا سَعْدُ أطِب مطْعَمَك تكن** " زُرْتُ أحدهم في السادِسَة والتِّسْعين مِن عُمُره، وهو صديق والِد، قال لي: قُمْتُ بِتَحليلٍ كامِل فما وَجَدوا عندي شيئًا، وقال لي ولكن الحمد لله ما أكَلْتُ ولو قرشَ حرامٍ في حياتي ! القَضِيَّة ليْسَت سَهْلة، لذلك حَفِظْناها في الصِّغَر فَحَفِظَها الله لنا في الكِبَر، فَقِوامِ الحياة وسعادَتِها من كَسْبِكَ المال.

أيها الأخوة، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (67) ﴾

[سورة الفرقان]

يأكل ويشْرب ويلْبَس ويتزوَّج من دون إسْراف، وأطْعِم مَن يشْتهي هذا الطَّعام، كان أحد المُفتين بالشام بالعَهد العُثماني مِن عادَتِهِ إذا دعى الكُبَراء والوالي يضَعُ لهم أطباقًا عادِيَّة وخالية من اللَّحم، أما إذا دعى الفقراء يُقيم لهم لحْمًا ! لذا شَرُّ الطعام طعام الولائِمِ يُدعى إليها الأغنياء ويُحْرَمُ منها الأولياء.

لذا قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (67) ﴾

[سورة الفرقان]

باعْتِدال ومن دون إسراف ومَخْيَلَة، حضَرْتُ مرةً عَقْد قِران، وكان الأكل أربع أمثال عن حاجة الناس، ولكنَّ الذي بلغني أنَّ الباقي من الطَّعام لم يُرمى ولكن تُصُدِّق به للفقراء.

مُلَخَّص الدَّرس، حبَّذَا المال أصون به عِرضي وأتقرَّبُ به إلى ربِّي وهو قِوام حياتِكَ وآخرتِكَ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-10) : تفسير الآيات 68 - 70

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية السابعة والستون من سورة الفرقان وهي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً (68)﴾

[سورة الفرقان]

لا شِرْكًا جَلِيًّا، ولا شِرْكًا خَفِيًّا، فقد يكون الهَوَى إلهًا، وقد يكون الصَّديق إلهًا، وقد يكون القَوِيُّ إلهًا، وقد يكون الغَنِيُّ إلهًا، لذلك كما قلتُ في دَرْسٍ سابِق، الشِّرْك الجَلِيّ انتهى من العالم الإسلامي أخْوَفُ ما أخاف على أُمَّتي الشِّرك الخَفِيّ ! فليس في العالم الإسلامي صَنَمٌ يُعْبَدُ من دون الله تعالى، وفلا يوجد اللات ولا العُزَّى، ولكنَّ هوى الإنسان أحيانًا إلهًا، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا(43)﴾

[سورة الفرقان]

لكنَّ شَخْصًا قَوِيًّ تعْتَمِدُ عليه وتعْصي الله لِتُرْضِيَهُ جَعَلْتَهُ كالإله ولكنَّ إنسانًا غَنِيًّا تعْتَمِدُ عليه وتعصي اللَّه مِن أجل أن تُرْضِيَهُ فهذا اِتَّخَذْتَهُ كالإله، قريبًا أم مُحِبًّا.

فالشِّرْكُ الجَلِيّ انتهى من العالم الإسلامي، ولكنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يخْشى على أُمَّتِهِ من الشِّرْك الخَفِيّ، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً (68)﴾

[سورة الفرقان]

المؤمن وقَّافٌ عند كِتاب الله، قَتْلُ نَفْسٍ بِغير ذَنْبٍ مَعْصِيَةٌ كبيرة جدًّا وهذه تبدأُ مِن قَتْلِ حَشَرَةٍ لا تؤْذيكَ، وقد حرَّم الله قَتْلَها بِغَير حقّ وتنتهي بِقَتل الإنسان، وقد ورَدَ في الحديث الشَّريف أنَّ الإنسان يظلُّ بِخَيرٍ ما لم يسْفِك دمًا، فالطريق إلى الله سهل المَسْلَك إن لم تكن هناك كبائِر، والدليل قوله تعالى:

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا(31)﴾

[سورة النساء]

الكبائِر مُهْلِكَة، والصَّغائِر يُسْتَصْغر منها، وبالمناسبة، ذَنْبٌ لا يُغْفر وذَنْبٌ لا يُتْرَك وذَنْبٌ يُغْفر، فالذي يُغْفر ما كان بينك وبين الله، والذي لا يُتْرَك ما كان بينك وبين العِباد لأنَّ حُقوق العِباد مَبْنِيَّة على المُشاحَحة، أما حُقوق الله مَبْنِيَّة على المُسامَحَة، أما الذَّنْبُ الذي لا يُغْفر أن تُشْرِكَ بالله تعالى.

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾

[سورة الفرقان]

هذه اللام ناهِيَة أم نافِيَة ؟ فرْقٌ كبير بين أن تكون نافِيَةً، وبين أن تكون ناهِيَةً، فالناهِيَة كأن تقول: لا تزْنوا، فالفِعْل المُضارِع مَجْزوم بِلا الناهِيَة، وعلامة جَزْمِهِ حَذْف النون من آخِرِه لأنَّه من الأفعال الخَمْسة، أما مادام الفِعل ؛ لا يَزْنونَ هذه اللام نافِيَة، فأيُّهما أبْلَغ ؛ أن يُنهى المؤمن عن الزِّنا أم أن يُنْفى عنه الزِّنا ؟ لا يَجْتَمِعُ الإيمان مع الزِّنا، الإيمان عِفَّة عن المحارِم، وعِفَّة عن المطاهِر، فلا يَجْتَمِعان وقد قلتُ لكم مثلاً كثيرًا ؛ طريق سالِكَ مكتوب على الإشارة ممنوع المُرور، فهذا نَهي، أما إذا رأيت الطريق مَقطوع بالبلوك ؟ فهذا مَنْعٌ فالله عز وجل له أمرٌ تَكويني، وله أمر تَكليفي، فالأمر التَّكويني إذا قال: لا أيْ لا، أما الأمر التَّكويني إذا قال: لا ؛ أي لا تَفْعَل، لذلك قال أحد الأشخاص لِعَلِيّ رضي الله عنه: أَكان مَسيرُنا إلى الشام بِقَضاءٍ وقَدَر ؟! فقال: وَيْحَكَ! لو كان قدرًا لازِمًا، وقدرًا حاكِمًا إذاً لبطَلَ الوَعْدُ الوعيد، قال تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (70)﴾

[سورة الفرقان]

وهذا لا يعني أنَّ الأعمال السيِّئة التي ارْتَكَبوها تَغْدو حَسنات، هذا معنًى فاسِد، ولكنَّ المعنى الحقيقيّ أنَّ الصِّفات السيِّئة بعد أن تتَّصِل بالله، فالصَّلاة لها هدفان: تُطَهِّر من الأدْران، وتُحَلِّي بالكَمال ؛ تَطهير وتَحْلِيَة وتَعْطير، فلِذَلك، قال تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (70)﴾

[سورة الفرقان]

أيُّها الإخوة، إن لم تَجِد نفْسَكَ أنَّك تبدَّلْتَ تبدُّلاً جِذْرِيًّا، وقد تَرَكْتَ سفاسِفَ الأمور وتعلَّقْتَ بِمَعالي الأمور، وإن لم تَكُن على حالَةٍ يرْضى الناس عنها، وإن لم يُحِبَّكَ الناس، فَمَعنى ذلك أنَّ في الإيمان خلل، يقول عليه الصلاة والسلام:

((بُنِيَ الإسلام على خمس..."))

هل هذه الخمْس هي الإسلام ؟ بُنِيَ الإسلام عليها، فالإسلام بِناءٌ أخلاقي فقد روى اليخاري:

((أنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لَا قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُم اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ

فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ))

[رواه البخاري]

فالإسلام بِناء أخلاقي، وإن لم تكُن ذا خُلُقٍ عظيم فلستَ مؤمنًا.

أيُّها الإخوة، مركز الثِّقَل في هذا اللِّقاء قوله تعالى:

﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (70)﴾

[سورة الفرقان]

إن لم يتحدَّث الناس عن أخلاقِكَ العاليَة فمعنى ذلك أنَّ إيمانَكَ مُزَوَّر فالمؤمن الجبان لا يوجَد، والمؤمن البخيل لا يوجَد، والمؤمن مُزْدَوِج أو سفيه أو حقيد أو مُنْحَرِف ؛ هذه لا يمكن أن تكون في المؤمن وربَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلْعَنُه، ومَن لم تنْهَهُ صلاتُهُ عن الفحْشاء والمنكر لم يزْدد من الله إلا بُعدًا، وربَّ صائمٍ ليس له من صِيامِهِ إلا الجوع والعَطَش، وقال تعالى:

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ(53)﴾

[سورة التوبة]

يقول ": **لبَّيْك اللَّهمَّ لبَّيْك، فيُقال له: لا لبَّيْكَ ولا سَعْدَيْك وحجُّكَ مرْدودٌ عليك !** فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فمَن لم تنْهَهُ صلاته عن الفحْشاء والمنكر لم يزْدد من الله إلا بُعدًا، والزُّور يتنافى مع الصِّيام والزَّكاة قال تعالى:

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ(53)﴾

[سورة التوبة]

وكذا الحجّ، فهذه العبادات لا تنْفع إن لم تكُن ذا خُلُقٍ عالٍ، والنبي عليه الصلاة والسلام كان خطيبًا وذا خُلقٍ عظيم وعالمٍ ومُجْتَهِد، وكان قاضِيًا، وكلّ الصِّفات الراقِيَة كانت فيه، ولمَّا مدَحَهُ لم يمْدَحْهُ كَخَطيبٍ ولا كَمُجْتَهِد، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ(4)﴾

[سورة القلم]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-10) : تفسير الآيات 74 - 75

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، تَعْليقًا على درْس البارحَة، مِئات الآيات والأحاديث تُؤَكِّد أنَّ الإنسان إذا تاب مِن ذَنْبِهِ غَفَرَ الله هذه الذُّنوب، فقد ورَدَ في الحديث الشَّريف أنّ العبد إذا تابَ توْبَةً نصوحًا أنْسى الله حافِظَيْه والملائِكَة وبِقاع الأرض كلَّها خطاياهُ وذُنوبَهُ، عَبدي لو جِئْتني بِمِلىء السماوات والأرض خطايا غَفَرْتُها لك ولا أُبالي، قال تعالى:

﴿قُلْ يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

(سورة الزمر)

بضْعُ الآيات، أو بضْعُ عشرات الحديث الشريف الصحيح تُؤَكِّد أنَّ الإنسان إذا تاب مِن ذَنْبِهِ رَجَع كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَالَ:

((لَمَّا أَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُبَايِعَنِي فَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ فَقُلْتُ لَا أُبَايِعُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي قَالَ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَمْرُو أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ يَا عَمْرُو أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ))

[رواه أحمد]

الإسلام يجُبّ ما قبلهُ، هذه أشياء مِن البديهيَّات التي لا تَحْتاج إلى ذِكْر، ولَكِنَّني البارِحَة وجَّهْتُ الآية التي يَفْهَمُها بعض الناس خطأً، أنَّ الأعمال السيِّئة تنْقلبُ إلى أعمال صالِحَة، فكُلَّما كَبُرَت السيِّئات انْقَلَبَتْ إلى حَسَناتٍ كبيرة، وهذا المعنى فيه دَعْوى إلى ارْتِكاب السيِّئات، كي تغدوَ في المستقبل حسناتٍ، هذا المعنى وحده الذي ما قبله العلماءُ و لكن ورد في بعض الكتب، إلا أن الأصحَّ أن الإنسانَ حينما يتوب إلى الله توبةً نصوحاً و حينما يصطلحُ مع الله و حينما يسلك الطريق إلى الله و يتصِل به يحصل له أن النور الإلهي يطهِّر قلبه من الأدرانِ ثم هذه النفس تُحلَّى بالكمال، تطهير من الأدران و تحليةٌ بالكمال، يصبح شحُّه كرما و جحوده إنصافا و ضجرُه حِلما، و طيشُه وقارا، و حقدُه تسامحا، و قسوته رحمةً، ذكرتُ هذا المعنى، فالإنسانُ إذا اصطلح مع الله و اتصل به ينبغي أن يغيِّر تغييرا جذرياً، و لا بدَّ أن تقول زوجتُك: ما كنتَ هكذا ؟ أنت الآن حليم رحيم أنت الآن تنكر ذاتَك تحبُّ الآخرين، هذا هوة معنى قوله تعالى:

﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (70)﴾

[سورة الفرقان]

أي صفاتهم السيِّئةَ بالإقبال على الله تُمحَى السيِّئاتُ و يحِلُّ محلَّها السيِّئاتُ، أحيانًا كأسٌ مملوءٌ قذرا، و أنت غسلتَه، والغسيل هو التطهيرُ، ثم ملأتَه شرابا طيِّب المذاق حلوَ الطعمِ، فأنت فعلتَ شيئين طهَّرتَ وزكَّيتَ، لذلك العلماءُ يقولون: هناك تخليةٌ وهناك تحليةٌ هناك تطهير و هناك تطهير، هناك شفاءٌ من الأمراض و هناك تحليةٌ بالكمال هذه أولُ ثمرة و أقوى ثمرة من اتصالك بالله عز وجل، الإنسان المتصِّل بالله هل عنده ظلمٌ؟ هل عنده حقد؟ هل عنده شُحٌّ ؟ هل عنده جحود؟ أعوذ بالله من ذلك، المؤمن كلُّه وفاءٌ و تواضعٌ و إحسان و إنصاف و استقامة، فإذا كان الإيمانُ بجانبه الاعتقادي و جانبه العبادي ما طهَّر نفسَك فالإيمان غير صحيح، لذلك لن تجد في صفوف المؤمنين الصادقين حقدا و لا حسدا و لا غيرةً و لا قسوةً و لا جحودا و لا جبنا و لا بخلاً و لا تعنُّت و لا احتيالا و لبا بذاءةً، نحن لا نغترُّ برجل صلى في المسجد ثم يخرج لا يصلي السنةَ، أربع دقائق لا تصبر لها و تتابع مسلسلاً لخمس ساعات و لا تتضايق، أنا أعرف رجلاً إذا قرأ الإمام في المغرب أو العشاء يقيم عليه الدنيا، فإذا خرج من المسجد يقف الساعات الطوالَ في حديث فارغ، و مرَّةً رأى الحجَّاجُ رجلا يصلي قاعدا في دكَّانه فبعد أن انتهى من صلاته قال له: أريد هذا القِدْرَ . أعلى واحد . صعد البائعُ فأنزله له، ثم قال له: ليس هذا بل ذاك، و راح البائع يصعد و ينزل المرات الكثيرة، عندئذٍ ضربه الحجَّاجُ، تصلِّي قاعدا و أنت بهذا النشاط ؟! إنما أستغرب أنه ممكنٌ ركعتا السُّنة أربع دقائق فقط لا تتحمَّلها، و تقفلا في وجه المصلين غضبان لم يفتحوا لك الطريق، ما هذا الفقه الضعيف ؟ أنت في بيت من بيوت الله و في ضيافة الله، و السُّنة البعديةُ راتبة، و المشكلة أننا قلنا هذا لمن ذهب بعد الصلاة، نحاول في يوم من الأيام أن نعطي هذه الملاحظةَ بعد الصلاة حتى يسمعوا، كان عليه الصلاة و السلام كما تقول السيِّدة عائشةُ: كان يحدِّثنا و نحدثه فإذا حضرت الصلاةُ فكأنما لا نعرفُه و لا يعرفُنا فلاحِظْ أيَّ موظَّفٍ طلبَه الوزيرُ، ينظِّف حذاءه و يلبس أحسنَ اللباس، و انت في الصلاة بين يدي ملك الملوك قال تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ(32)﴾

[سورة الحج]

وهذا بيته، لذلك الإنسانُ إذا نزع من أرض المسجد وسخًا قال هذه مهرُ حورِ العينِ، قال تعالى:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ(36)رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ(37)﴾

[سورة النور]

و هناك آية أخرى، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ(18)﴾

[سورة التوبة]

القرآن الكريم فيه إعجاز كبير ؛ " يعمر" الذي يعمرها بالصلاة و بحضور مجالس العلم و الذي يعمرها بالخطابة و بالإمامة و الذي يشيدها و الذي يهيئ مرافقها، مطلق الأعمار، وأيُّ مساهمة في بناء مسجد و كسوته و تزيينه و تأمين المرافق العامة للمسجد، و يقول النبيُّ الكريم: أَحَبُّ بلاد الله مساجدُه و أبغضُها أسواقُها، و الأسواقُ تنشأ فيها الخصوماتُ أ أما في المساجد فتنشأ فيها المودَّاتُ.

أرجو اللهَ تعالى أن يوفِّقنا أن نكون من عباده الصالحين في بيوته، و لابدَّ للإنسان أن يتفقَّهَ، ومرةً مرَّ شخصٌ بين يدي مصلِّي فمدَ المصلي يدَه فقال له الآخرُ: أهلا و سهلا، لم يفهم لماذا مدَّ يده فصافحه.

أيها الإخوة الأكارم الآيةُ الكريمةُ، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً (74)﴾

[سورة الفرقان]

وألصقُ شيء في حياة الإنسان عملُه و زوجتُه و أهلُه، فإذا وجد الإنسانُ توافقًا بينه و بين أهله و بينه و بين أولاده في اتجاهِ الدين فهذا أكبرُ سعادة الإنسانِ، و الحياة إن لم تبذلْ لها كلَّ شيء لا تأخذُ منها شيئا، و بقدرةِ قادرٍ أو بفعل سحريٍّ تجد الزوجةَ تعرف اللهَ و تنسب إليه و هي تمحضُك الوُدَّ ؛ هذا مستحيل إلا أن تعلِّمها و تأخذ بيدها و تسهم في توجيهها، فالإنسانُ حتى يقطِف ثمارَ الزوجة الصالحةِ و الأولادِ الأبرارِ يحتاج إلى بذل الجهد، و الله سبحانه و تعالى نظرًا لأن هذا العمل عظيمٌ جدًّا جعل مكافأتَه في الدنيا قبل الآخرة، فقط تربية الأهل و الأولاد هناك جزاءٌ له مُعجَّلٌ و جزيل وهو قرةُ العين، و لمَّا خطبَ القاضي شُرَيْحٌ امرأةً قال: وجدْتُ صلاحً و كمالاً- يعني كمالا في هيئتها و خلْقها و صلاحًا في دينها – قال: فصلَّيْتُ ركعتين شكرًا لله على نعمة الزوجة الصالحة، فلما سلَّمْتُ من صلاتي وجدْتُ زوجتي تصلِّي بصلاتي و تسلِّم بسلامي و تشكر شكري، فإذا صلى الإنسانُ مع زوجته أو جلس في سهرةٍ حدَّثها عن كتاب اللهِ أو عن حديث، هذا من متاع الحياة، فلذلك التعالى يكافئُ الزوجَ الذي أخذ بيد زوجته إلى الله يكافئه بجزاءٍ عاجل في الدنيا قبل الآخرة، وهو أن يجعلها له قرَّةَ عين و أن يجعل أولادَه الذين ربَّاهم تربيةً صالحةً قرةَ عين، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً (74)﴾

[سورة الفرقان]

قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً (75)﴾

[سورة الفرقان]

أنا أكاد أقول لكم: إن خيرَ كسب الرجُل ولدُه، البذي عنده ابنٌ فله بابٌ للجنة، والذي له بنت له باب للجنة، والذي له زوْجَة له باب إلى الجنَّة ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَالَ أَيَّةُ آيَةٍ قُلْتُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ))

[رواه الترمذي]

فَزَوْجَتُكَ وأولادك وحْدَهم يُدْخِلانِكَ الجنَّة وعليك بِخاصَّة نفْسِكَ ودَع عنك أمْر العامَّة، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا(16)﴾

[سورة الكهف]

فأنت لك كَهْفين ؛ بيْتُكَ ومسْجِدُكَ ففي هذين المكانين لا يوجد الكذب والنِّفاق.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-10) : تفسير الآية 77

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، الآية السابعة والسَّبعون مِن سورة الفرقان، وهي الآية الأخيرة، قال تعالى:

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً (77) ﴾

[سورة الفرقان]

الإنسان إذا دعا الله حقيقةً، ماذا يعْني دُعاؤُهُ ؟ يعني أنَّهُ يعرفُهُ ويعرف أنَّه سميعًا بصيرًا وقريبٌ، وعَدْلٌ ورحيم، إنَّكَ لن تَدْعُوَ إنسانًا لا تُؤمِنُ بِوُجودِهِ، ولن تَدْعُوَ إنسانًا لا يسْمَعُكَ، ولن تَدْعُوَ إنسانًا لا يستطيع أن يُجيبُكَ، فَبِمُجَرَّد أن تَدْعُوَ الله تعالى فأنت مؤمنٌ بِوُجودِهِ، وبأنَّهُ يسْمَع وأنَّهُ يُحِبُّك، وبأنَّهُ قادِرٌ على أن يُجيبَكَ إلى طلبِكَ، وُجود وسماع ومحبَّة وقُدْرة، فإذا دَعَوْتُم الله عز وجل يَعْبأُ بكم، ويُحِبُّكم ويرْعاكم، ويتولاَّكم، ويأخذ بِكُم إليه، ويَدُلُّكم إليه فالدُّعاء مُؤَشِّر خطير، أنت لا يُمْكِن أن تَدْعُوَ إنسانًا لا تؤمنُ بِوُجودِهِ ولا يُمْكِنُ أن تَدْعُوَ إنسانًا لا يسْمَعُكَ، ولو آمنْتَ بِوُجودِهِ، ولا يُمْكِنُ أن تَدْعُوَ إنسانًا لا يُحِبُّك، ولا يمكن أن تدْعُوَ إنسانًا يسْمَعُكَ ويُحِبُّك ولكنَّه ضعيف، فأنت لاحِظ نفْسك حينما تدْعو فهذا يعني أنَّك مؤمن بِوُجودِه، وبأنَّه سميع قريب، وبأنَّه رحيم ودود، وأنَّه على كل شيء قدير، فالدُّعاء يعني أنَّك تعرف الله عز وجل.

الشيء الآخر أنَّ الدعاء سِلاح المؤمن، فإذا أردْت أن تكون أقْوى الناس فادْعو الله تعالى، وقد ورد في الحديث القدسي:

((أنا ملِكُ الملوك ومالك الملوك، قلوب العباد بِيَدِي فإن هم أطاعوني حوَّلت عليهم قلوب ملوك بالرَّحمة والرأفة، وإن هم عَصَوني حوَّلتُ عليهم قلوب مُلوكهم عليهم بالسُّخطة والنِّقْمة، فلا تشْغلوا أنفسكم بِسَبِّ الملوك وادْعو لهم بالصَّلاح فإنَّ صلاحكم بِصَلاحهم !))

أنت حينما تدْعو الله تغْدو أقوى إنسانٍ على وَجْه الأرض، لأنَّ مَن بِيَدِهِ كلّ شيءٍ يسْتَجيبُ لك، قال تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(139)﴾

[سورة آل عمران]

سيِّدنا موسى مع شِرذِمَة يتْبَعُهُ قليل ووراءه جيش عرمرَم، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ(61)﴾

[سورة الشعراء]

وهذا النبي عليه الصلاة والسلام في غار ثور قال له الصِّديق رضي الله عنه، فقال عليه الصلاة والسلام: يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى:

﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ(198)﴾

[سورة الأعراف]

وفي معركة الخندق قال أحد أتباع النبي: أيَعِدُنا صاحبكم أن تُفتَحَ علينا بلاد قيْصر وكِسْرى، وأحَدُنا لا يأمَن أن يقْضِيَ حاجتهُ ! مُعَين ابن مَسْعود فرّق شَمل اليهود مع قُريش، وجاءَت رِياحٌ عاتِيَة قلَّبت قدورهم، وأطْفأتْ نيرانهم، وخرَّبَت خِيامهم وولُّوا مُدْبِرين، فإذا أردْتَ أن تكون أقْوى الناس فادْعو الله تعالى، قال تعالى:

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً (77) ﴾

[سورة الفرقان]

إن دَعَوْتُموه فإنَّكم تعرِفونه، وما عليك إلا أن تُجَرِّب وسلْهُ بِصِدْق تجِدُ أنَّ الشيء الذي كان سَيَقَعُ لن يَقَع، ولا يمكن أن يكون له أن يقَع السُّؤال الثالث ؛ كيف يسْتجيب لك ؟ قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(186)﴾

[سورة البقرة]

ثلاثة شُروط للدُّعاء ؛ أوَّلاً أن تؤْمِنَ به مَوجودًا وقريبًا وسميعًا ومُجيبًا ورحيمًا وفعَّالاً، وسميعًا مُجيبًا ورحيمًا وقادِرًا، ثمَّ أن تُطيعَهُ لأنَّك إن آمنْتَ به ولك تُطِعْهُ تستحي أن تسأله، قال تعالى:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(55)﴾

[سورة الأعراف]

أي يا عبادي إن اعْتَدَيْتُم على بعضِكم فلن أُحِبَّكم، وبالتالي لا أسْتجيب لكم، إن اعْتَدَيْتَ على أخيك المسلم ؛ على مالِهِ أو عِرْضِهِ أو سُمْعَتِهِ أو أخَذْتَ ما ليس لك، ولو كنت أفْصَحَ الناس في الدُّعاء لن يسْتجيب لك، قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(186)﴾

[سورة البقرة]

عليك أن تؤْمِنَ به إيمانًا وُجودِيًّا، وسميعًا بصيرًا، وعليمًا حكيمًا وقديرًا فعَّالاً.

وقوله تعالى دَعاني، أي دعاني حقيقةً ومُخْلصًا، فالإنسان قد يدْعو تقْليدًا، لذا يجب أن تؤمن به وأن تطيعَهُ وتخْلِصَ له، وعندئذٍ لله رجال إذا أرادوا أراد، قال عليه الصلاة والسلام عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))

[رواه البخاري]

النقطة الرابعة إذا كان الدُّعاء بين العَبْد وربِّه هناك حال المَدْعو وهناك حال الدَّاعي، ففي الأحوال الطبيعيَّة لا يُسْتَجاب الدُّعاء إلا إذا كان الداعِي مؤْمِنًا مُسْتجيبًا ومُخْلِصًا، إلا في حالتين لا يُنْظَر إلى حال الدَّاعي، ولكن يُنْظَر إلى المَدْعوّ وهو الله تعالى، قال تعالى:

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(62)﴾

[سورة النمل]

المُضْطرّ والمَظْلوم يُسْتَجابُ دُعاؤُهما ولولا كان كافِرَين، اتَّقوا دَعْوة المَظلوم فإنَّه ليس بينها وبين الله حِجاب، واتَّقوا دَعوة المَظلوم ولو كان كافرًا، والظُّلْم ظُلُمات يوم القيامة، فلا تقل هذا ليس مُسْلمًا وهذا لا يعرف الله تعالى، اسْمعوا هذه الآية:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(8)﴾

[سورة المائدة]

يجْرِمَنَّكم أي يَحْمِلَنَّكم، والشَّنآنُ هو البُغْض، مَن هم القوم الذي يُبْغِضُهم المؤمن ؟ الكفار، فالعدُوّ الأساسي هو الكافر، فهذا الكافر ولو كان كافرًا فلا يحْمِلكَ بُغضَكَ إيَّاه أن تظْلِمَهُ، فإنَّك إن ظَلَمْتَهُ لن يرْضى عنك، فالله تعالى كأنَّه يقول: يا عبادي إن توهَّمْتُم أنَّكم إن ظَلَمْتُم الكفَّار أرْضى عنكم فأنتم واهِمون إلا إن أنْصَفْتُموهم، لأنَّكم إن أنْصَفْتُموهم قرَّبْتُموهم إليكم، وتقرَّبتُم إليَّ فلو أنَّ مَجوسِيًّا جاء لِيَشْتري مِن عنْدِكَ، وغلطَ بالحِساب ؛ يجب أن تُنْصِفَهُ، فأنت لو أسأتَ إلى مسلِمٍ لقال: فلان فعل معي كذا، ولكنَّكَ لو أسأت إلى كافرٍ فإنّه يتَّهِمَ جنس المسلمين ! لذلك أنت على ثُغرةٍ مِن ثُغَرِ الإسلام فلا يُؤتينَّ مِن قِبَلِكَ، وكلّ واحِد يُمَثِّل حارسًا مِن حُرَّاس الإسلام، فإذا الإنسان أساء لِغَير المُسْلِم فهذا قد أساء لِدِينِهِ، وأصْبَحَ مُمَثِّلاً أحْمَقًا لِهذا الدِّين، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))

[رواه مسلم]

وفي حديث آخر:

((من غشَّنا فليس مِنَّا))

وهو في الترمذي، وهذا أبْلَغ لأنَّه مُطلق، فالذي يغشّ لا ينتمي لِهذه الأمَّة، ويُمكن أن تكون أكبر داعِيَة باسْتِقامَتِكَ وأمانتِكَ ووفائِكَ وحِفاظَكَ على الوَعد والعَهد.

الفِكرة الرابِعَة يسْتجيب دُعاء المُضْطَرّ كائِنًا مَن كان، فالمُضْطرّ لا يُنْظَر إلى حالِهِ، وإنَّما إلى اللخ عز وجل لأنَّ الله تعالى يُجيبُ دُعاء المُضْطَرّ، وقال عليه الصلاة والسلام:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ))

[رواه البخاري]

((اتَّقوا دَعوة المَظلوم فإنَّه ليس بينها وبين الله حِجاب !))

درسُنا أربعة فقراتٍ، فأنت إن دَعوتَ الله فإنَّك تعلمُ أنَّه مَوجود، وأنَّه سميع عليم ورحيم وَدود، وأنَّه على كل شيء قدير لأنَّك لن تَدْعُو إنسانًا لا يسْمَعُك ولا يُحبُّك، أو لا يَقْدِر على أن لا يُجيبَك، فَدُعاء الله عز وجل نَوْعٌ مِن معرفة الله تعالى، لذلك الدُّعاء مُخّ العبادة، ومن لا يدْعُني أغضب عليه، وإنَّ الله يُحبّ المُلِحِّين في الدُّعاء، وإنَّ الله يُحبّ من العبْد أن يسْأله مِلْحَ طعامِهِ وشِعْثَ نَعْلِهِ إذا انْقَطَع، وأن يسْأله حاجتَهُ كلَّها، وإنَّ الله حيِيّ كريم، ويسْتحي من عبْدِهِ إذا رفع يَدَيْه أن يَرُدَّهما خائِبَتَين، ولا تَرُدُّوا القضاء إلى الدُّعاء، ولا ينْفَعُ حذَرٌ من قَدَر ولكن يرْفع الدُّعاء، ديننا كلُّه دُعاء، ولكن دُعاءٌ بِعَقْل وليس بِالجُنون ! مُقيمٌ على المعاصي ويقول: يا رب، يا رب !! يا سَعْدُ أطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُن مُسْتجاب الدَّعوة.

آخر آية من الفرقان قوله تعالى:

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً (77) ﴾

[سورة الفرقان]

إن دَعَوْتُموه يسْتَجيب لكم، ويُربِّيكم ويرْعاكُم، ويأخذ بكم إليه والدُّعاء معرفة، ويحتاج إلى شُروط ؛ أن تؤمِنَ به وتسْتجيب له وأن تُخْلِصَ في الدُّعاء.

والمَظلوم والمُضْطَرّ مُسْتثنى من شُروط الدُّعاء، ولو كانا كافرين.

والحمد لله رب العالمين

الفصل السابع : تفسير سورة الشعراء

الدرس (15-01) : تفسير الآيات 3-8-10-27-33- 39

الدرس (15-02) : تفسير الآيات 69-83-213-219

الدرس (15-03) : تفسير الآيات 83 – 89

الدرس (15-04) : تفسير الآيات 83 – 89

الدرس (15-05) : تفسير الآيات 83 – 89

الدرس (15-06) : تفسير الآيات 105 – 111

الدرس (15-07) : تفسير الآيات 124 - 127- 180

الدرس (15-08) : تفسير الآيات 192 – 195

الدرس (15-09) : تفسير الآيات 141 – 152

الدرس (15-10) : تفسير الآيات 192 – 200

الدرس (15-11) : تفسير الآيات 205 – 207

الدرس (15-12) : تفسير الآية 213

الدرس (15-13) : تفسير الآية 215

الدرس (15-14) : تفسير الآية 217

الدرس (15-15) : تفسير الآيات 221 - 226

الدرس (15-01) : تفسير الآيات 3-8-10-27-33- 39

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة الشعراء آياتٌ تتكرَّر، قال تعالى:

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آَيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (6) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8)﴾

(سورة الشعراء)

هذه الآية تتكرَّر عَقِبَ كلّ قِصَّة، قِصَّة سيِّدنا موسى مع فِرْعَون، ففي آخر القِصَّة قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)﴾

[سورة الشعراء]

وقِصَّة إبراهيم بعد أن تنتهي قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)﴾

[سورة الشعراء]

وكل قِصص هذه السورة تنتهي بِهذه الآية، فما مَغْزى هذه السورة ومن هذه القِصص ؟

أيها الإخوة، الإنسان إذا أراد أن يعرِفَ الحقيقة وأرادَها بِصِدْق ومِن أعْماقِهِ، كُلّ شيءٍ يدُلُّه عليه ؛ بَدْءً مِن خلق السماوات والأرض، ومِن أفعال الله عز وجل، ومِن طعامِهِ وشرابِهِ والقرآن الكريم، والمَوْعِظَة وأيّ شيء قريب أو بعيد، مَلْموسٍ أو مَحْسوسٍ يَدُلّ على الله، أما إذا رفضَ الإنسان الحقيقة، لو رأى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم صعِدَ إلى السماء، ولو رأى ميِّتًا قام مِن قبْره وكلَّمَهُ، ولو رأى عصًا قد أصْبحَت ثُعبانًا، ولو رأى أنَّ الجَبَلَ خَرَجَت منه الناقَة ؛ هؤلاء الأقْوام الذين كذَّبوا أنْبِياءَهُم، ومع ذلك لم يُؤْمِنوا، فما المَغْزى من هذه القِصَّة؟ المَغزى أيُّها الإخوة أنَّ الإنسان مُخَيَّر، فإذا اخْتار الهُدَى كان معه ألف طريق وطريق يوصِلُهُ إلى الله، وكلّ شيءٍ هو آيةٌ على أنَّه الواحِد ؛ طعامُهُ وشرابُهُ و أولادهُ وزَوْجَتُهُ وكَسْبُهُ، وكذا الطيور والأسماك والنبات والجبال والبِحار والسُّهول والزلازل والبراكين والفيضانات، والحُروب ؛ هذه كُلُّها تَدُلُّه على الله إذا أراد الحقيقة، وإن لم يُرِدْها فَقَوْمُ فِرْعَون رأوْا أنَّ البَحْر أصْبَحَ طريقًا يبَسًا، ورأَوًا عصاةً أصْبَحَتْ ثُعْبانًا مُبينًا، وقَوم إبراهيم أبْرَموا نارًا عظيمة وألْقوا فيها إبراهيم عليه السلام فلمَّا انْتَهَتْ وَجَدُوه قاعِدًا مُسْتَرِيحًا ! سيِّدنا صالح أخْرَجَ لهم ناقَةً من الجَبَل، فالإنسان إذًا أراد الحقيقة مِن أعْماقِ أعْماقِهِ فَكُلُّ شيء يَدُلُّهُ على الله، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)﴾

[سورة الشعراء]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)﴾

[سورة الشعراء]

فأنت إذا أَرَدْتَ الحقيقة وصَلْتَ إليها، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ(69)﴾

[سورة العنكبوت]

أما إن لم يُرِد الإنسان إلا الحياة الدنيا وأعْرَضَ عن ذِكْر الله، قد يرى الآيات التي تَخِرُّ لها أعْناق الجبابِرَة، ومع ذلك لا يسْتفيد ولا يُؤْمِن والآيات واضِحَة، وأقْرَبُ آيَةٍ إلينا الموت، كَم شَيَّعْتَ مِن إنسان ؟ وكذا التَّعْزِيَة، أين هو الآن ؟! جلَسَ في قبرٍ صغير موحِشٍ، وقد كان يسْكن بيتا فيه مئات المتْرات، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)﴾

[سورة الشعراء]

هؤلاء الذين يُشَيِّعون الجنازَة يقِفُون على باب المسْجِد وكأنَّهم لا يُصَلُّون وكأنَّهم لن يموتوا، سِنُّهُ خمسٌ وسبْعون ولم يسْجد لله تعالى ولو سَجْدَة! المَوت أقرب إلينا من شِرْك نَعْلِنا ؛ ثانِيَة وتكون في عالم آخر، تجِدُهُ بِصِحَّة جيِّدة فإذا به يموت فجْأةً، ترك النساء والمال والتِّجارة.

فيا أيها الإخوة الكرام، ربُّنا يُريدُنا أن نقول: إنَّ الكَوْن بِوَضْعِهِ الراهِن هو المُعْجِزَة، وأنّ خرْق نواميسِهِ لا يزيد المُعْرِض إلا إعْراضًا والكافر إلا كُفْرًا، والظالم إلا ظُلْمًا، والمُتَشَكِّك إلا تَشَكُّكًا، والخائِف إلا خَوْفًا، فَمَن لم يُؤمِن بالكَون دون خرْق نواميسِهِ فلن يؤْمِنَ به وقد خُرِقَت نواميسُه، فوَرَقَة الشَّجَر تحوي معْملاً لا يعدِلُهُ أيُّ معْمَل صَنَعَهُ الإنسان، هذه الورقَة يأتيها الماء من الجُذور سالِكًا طريقًا مُعاكِسًا للجاذِبِيَّة، وكل السوائل تسقط إلا ماء التربة يَصْعد إلى ثلاثين متر بِخاصَّة شَعْرِيَّة بالغَة الدِّقَّة تحتاج إلى شَرْح طويل، ويصْعَد الماء وهو مُذاب به ثمانِيَة عشَرة مَعْدَنًا، في هذه الورَقَة فوتونات وطاقة شمسِيَّة مَخْزونة، وآزوت واليَخْضور ؛ كلُّ هذا بِآيَةٍ عجيبة ودِقَّة بالِغَةٍ وإعْجاز المُعْجِز يُصْنَع في الورَقَة سائِلٌ اسمُهُ النُّسْغ النازِل، وهذا السائِل هو الذي يُسْهِمُ في نُمُوّ النَّبات، وهو الذي يُسْهِم في نُمُوّ الجُذورة والجِذْع طولاً وعَرْضًا، ونُمُوّ الأغصان وظُهور الأوراق والأزهار والبراعِم والثِّمار، فهل نحن في بني البشَر معنا سائل تحْقِنُهُ ويَصْعَد إسْفَنج أو خشَب، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)﴾

[سورة الشعراء]

آيةُ النَّبات آية كبيرة ؛ هذا الماء الذي في الدَّرَجة زائِد أربعة يزْداد حجْمُهُ إذا برَّدْتَهُ، ولولا هذه الظاهرة لما قامَتْ حياةٌ على وَجْه الأرض وهذا الهواء الذي يَحمِلُ بُخار الماء، لولا هذه الظاهرة لما قامَتْ حياةٌ على وَجْهِ الأرض، وخاصَّة التَّرسُّب هذه لولاها لما كُنَّا مَوْجودين فالعَظْم يحْمل خمسمائة كيلو، عظم عُنق الفخِذ يتَحَمَّل ضَغْطًا مائتان وخمسمائة كيلو، أنت تأكل لحم، وحليب، فَكَيف صار الحليب قاسِيًا ؟ بِفَضْل ظاهرَة التَّرسُّب، فأملاح الكالِسْيوم تكون مُذابَة في الحليب، فإذا وَصَلَت إلى المكان المناسب تترسَّب على شَكل عِظام، وكذا الانْصِهار فلو كانتْ العناصِر تنصَهِر بِدَرَجَة واحِدَة لكان الكون كلّه صلبًا أو مائِعًا أو غازِيًّا ؛ كُلُّ عُنْصر له درجة انْصِهار خاصَّة، هناك خَشَب وهناك ماء وهناك هواء، هناك شيء ليّن وآخر قاسي وآخر لزِج وذاك صلب فالكَونُ إذاً على وَضْعِهِ الراهِن أكبر مُعْجِزَة على الإطلاق، فَمَن لم يؤْمِن بِهذه المُعجِزة من دون خَرْق فلن يؤْمِن ولو خرقت الأمور، والدليل قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)﴾

[سورة الشعراء]

ولو رأى ميّتًا اسْتَيْقظ مِن قَبْرِهِ وقال له هناك جنَّة أو نار، لقال: هذه تَخَيُّلات وتخرُّصات ولو رأى كِتابًا نزَلَ مِن السَّماء، إلا إذا آمَنَّا بالآيات الكَوْنِيَّة الدالة على عظَمَة الله عز وجل، فالقَضِيَّة في هذه السورة مِحْوَرِيَّة، وكل قِصَّة وراءَها تَعْقيب، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)﴾

[سورة الشعراء]

سَحَرة فِرْعَون رأَوْا العصا وقد أصْبَحَت ثعبانًا وقد أكلت ما يأفِكون ومع هذا ما آمَنَ فِرْعَون ! متى آمَنَ ؟! حينما أدْرَكَهُ الغرَق، وكُلّ واحِد لما يأتيهِ ملَكُ المَوت يُؤْمِن لأنَّ أكثر كُفَّار الأرض وهو فرعون قال حينما أدْرَكَهُ الغرَق:

﴿ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ(90)﴾

[سورة يونس]

فالإيمان خِيار وَقْت وليس خِيار قَبول أو رَفْض ؛ فالآن خمسة آلاف مليون نسمة في الأرض ؛ كُلُّهم سوف يؤمِن صاغِرًا عند الموت لَكِنَّ البُطولَة أن تؤمِن قبل الموت، وتنتفِعَ من إيمانِك وأن تؤمن وأنت غَنِيّ وصحيح، وأن تُؤمِن وأنت مُعافى وشاب ؛ مِن أجل أن تنتفِعَ بالإيمان، لذلك الله عز وجل أرانا في هذه السورة أشْياء كثيرة:

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ﴾

[سورة الشعراء]

وليدًا ؛ يصعبُ على الابن أن يُرَبِّي أباه إن كان عاصِيًا ! يقول له: متى أصْبَحْتَ تنْصحُنا، البارِحَة كنت صغيرًا، والآن تتكلَّم قال بعدها الله تعالى:

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20)﴾

[سورة الشعراء]

اسْتِفهام إنكاري، قال تعالى بعدها:

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(22)﴾

[سورة الشعراء]

جعَلْتَهم عبيدًا لك ؛ وجَعَلْتنا عبيدًا لك وقتَلْتَ أبْناءَها وأسْتَحْيَيْتَ نِساءَنا ؛ أهذه نِعْمَة ؟ حينها قال فرعون:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23)﴾

[سورة الشعراء]

لما الإنسان يكشف الحقيقة، نسأل الله العافِيَة، قال تعالى:

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25)﴾

[سورة الشعراء]

قال هذه الكلمة لِمَن حَوْلَهُ ؛ تعالوا تَسْمعون مِن باب الاسْتِهْزاء، قال تعالى:

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) ﴾

[سورة الشعراء]

فالناس اليوم إذا رأَوا المُلْتَزِم يقولون: فلان مَجنون لا يعرف إلا الله من البيت إلى المَسْجِد ! قال تعالى:

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39)﴾

[سورة الشعراء]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-15) : تفسير الآيات 69-83-213-219

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، القِصَّة الثانيَة من سورة الشعراء، وهي قِصَّة سيِّدنا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74)﴾

[سورة الشعراء]

أوَّلًا ينبغي أن يكون الذي تَعْبُدُهُ أن يسْمَعَك إذا سألْتَهُ، وينبغي أن يُحِبَّك، وأن يكون قَوِيًّا ينْفَعُكَ، فهذه الأصْنام لا تَسْمَعُ إذا دَعَوْتُموها، ولا تنفعُ ولا تضرّ، والشيء الآخر هو التَّقليد الأعمى، قال تعالى:

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77)﴾

[سورة الشعراء]

فَمَن الذي ينبغي أن تعْبُدَهُ ؟ إذا كنتَ في الصَّحْراء وقلتَ له: يا رب يسْمَعُكَ، وإذا كنتَ على ظَهْر سفينة والمَوْج على أشَدِّهِ وقلتَ: يا رب يسْمَعُكَ، وكذا إن كنتَ في غوَّاصة، وقلتَ: يا رب، يسْمَعُكَ، وكذا في الطائرة، فالذي ينبغي أن تعْبُدَهُ، وأن تُقَدِّم حياتَكَ مِن أجْلِهِ هو الله عز وجل، فلا يليق بالإنسان أن يكون لِغَيْر الله، وهذا الذي ينبغي أن تَعْبُدَهُ يجب أن يكون مَوْجودًا، وأن يكون كامِلاً، وأن يكون واحِدا وأن يسْمَع ويُبْصِر ويَعْلَم فإذا تكلَّمْت يسْمَع وإذا تَحَرَّكْتَ يُبْصِر، وإذا سَكَت يعْلَم خواطِرَك، سميع إذا دَعَوْتَهُ وبصير إذا تحرَّكْت وعليم إذا سكت والآية الكريمة:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) ﴾

[سورة الشعراء]

فهذه أوَّل صِفَة.

الصِّفَة الثانِيَة: ينبغي أن يكون رحيمًا وَدُودًا كي يعْطف عليك وينبغي أن يكون قديرًا، وتتعلَّق قُدْرَتُهُ بِكُلّ مُمْكِن، مِن أجل أن تَدْعُوَهُ وتلجأ إليه، قال تعالى:

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ(78)﴾

[سورة الشعراء]

قال تعالى:

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى(49)قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى(50)﴾

[سورة طه]

هدى إلى ماذا ؟ أربعُ هِدايَات ؛ هِدايَةٌ إلى مصَالِحِك ؛ أعْطاك سَمْعا وبصَرا، وقُوَّة توازُنا وحاسَّة شمّ، فإذا كان الطعام فاسِدًا عافَتْهُ وعَقلا وحواسا خَمْسا وجهاز المناعة والهَضم والإفراز، وأجْهِزَة دقيقة جدًا فهذه هِدايَة المصالِح، ثمّ هداك بالوَحي فإذا اخْتَرْتَهُ هداك بالتَّوفيق قال تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(13)﴾

[سورة الكهف]

ثمَّ هداك إلى الجنَّة، قال تعالى:

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79)﴾

[سورة الشعراء]

المطر أنزلَهُ، والنبات أخْرَجَهُ والثِّمار عَقَدَها، والمحاصيل أنْضَجَها وكل أنواع النبات بدْء من المحاصيل إلى الخضار والفواكه والثِّمار والوُرود ؛ كلّ هذه مِن خلْقِهِ، قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) ﴾

[سورة الشعراء]

وهنا الدِّقة، فهو ما قال: وإذا أمْرَضَني لأنَّ أصْل المرض خُروج الإنسان عن منهج الله، هناك نقطة مهمَّة وهي مهما كان ثمن السيارة غاليا فلا يمكن أن يصْنع الإنسان سيارة تدوم إلى آخر عمرها دون تَغْيير قِطعٍ فيها، أرْقى أنواع السيارات بعد عشرين سنة تحتاج إلى كذا وكذا، أما الإنسان المُصَمَّم يعيش ثمانين سنة دون أيّ تَغْيير، يَحوي تَجْديدًا ذاتيا، أسْرَع خلايا في التَّجْديد خلايا الأمْعاء الدَّقيقة ؛ تتجدَّد ذاتِيًّا كلّ ثماني وأربعين ساعة، وهذه حقيقة علميَّة، و أطول عُمْر خلِيَّة خمْس سنوات، معنى ذلك أنت كلّ خمْس سنوات إنسان جديد؛ إلا الدِّماغ فإذا تغيَّر فهذه مُصيبة المصائِب يدْرس خمْس سنوات طبّ فإذا تغيَّر دِماغه نسى كلّ شيء، يقول لك حينها: أنا دَرَسْتُ الطب والهندسة وكذا...أما الآن فلا أفْقَهُ شيئًا !! وكذا الخليَّة العَصَبِيَّة لا تتغيَّر، والقلب كذلك، فكُلّ شيء يتغيَّر في الإنسان إلا القلب والدِّماغ فلا يتغيَّران، فالله تعالى صمَّمَ الإنسان تَصْميمًا دقيقًا.تَلَوُّث الهواء والأطْعِمَة الكيماوِيَّة، تجد شرابات كلَّها كيماوِيَّة، ولا شيء فيها طبيعي ! فهذا

خطأ، فالأشياء التي تُخزَّن في الفْرِيزَرْ تُسبِّب أمراضا وبنزوات الصوديوم مَسموح اثنان بالألف وأصحاب المعامل حتى لا ترجع لهم المُعلَّبات وكي لا تفسد يضَعون خمْسة بالألف، وهذه مواد مُسرْطِنَة، أحد الأطِبَّاء قال: مرض السرطان متضاعف عشرين ضِعف بالنِّسبة للسنوات السابقة، هناك خطأ بِحَياتِنا، وخطأ بِأكْلِنا وفي الهواء الذي نسْتنشِقه، والماء الذي نَشْرَبُهُ ؛ فالمِياه السوداء التي بالغوطة الشرقِيَّة جعلتْ كلّ الخُضْراوات والفواكِه فاسِدَة ! فالمِياه السَّوْداء تَدخل في تَرْكيب النِّبات، فهذا خطأ عَصْري وليس فرْديا أصْبغَة كيماوِيَّة، وقلل على الدَّخْل والتِّجارة لذا أصل المرض خُروج عن منهج الله، يُغَيِّرون منهج الله في الحياة، اللَّحم مَصْعوق كهْربائي .

عُقِدَ مؤتَمر على السَّرطان بألمانيا قبل عشْر سنوات، والذي ناب عن بلدنا دكتور مَشْهور بالسَّرطان قال فيها: البلاستيك إذا اسْتَعْملْتَهُ بالسائل الحار أو الحامِضي يأخذ منه، فالمواد الحامِضِيَّة والحارَّة ممنوع اسْتِعمالها بالبلاستيك، فهذا أحد الأخطاء، لذلك الآن هناك مقاييس ومُواصفات، يأخُذون أيّ عَيِّنَة وخلاف المواصفات مُصادَرة لأنَّ تُجار الطعام لا يَعْنيهم شيْئًا، وفي بعض معامل اللُّحوم الجاهِزَة وَجَدوا لَحم قِطَط ! لذلك الإنسان كما عليه أن يعرِف ما يتكلَّم لا بدّ أن يعرِف ماذا يأكل، دَعْك من الكيماوِيَّات، وتناوَل المواد الطَّبيعِيَّة، والطازج أفضل، وهذا هو معنى:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) ﴾

[سورة الشعراء]

والصِّحة نصف مال الإنسان، فالعِنايَة بالصِّحة جزء من الدِّين، النبي عليه الصلاة والسلام قال عن حبة البركة أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ:

((شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَالسَّامُ الْمَوْتُ وَالْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ الشُّونِيزُ))

[رواه البخاري]

عُقِد مؤتَمر بِمِصْر لِيَدرس الحبَّة السوداء وكانت النتيجة أنَّ الحبة السوداء تُقَوِّي جِهاز المناعة في الإنسان، فيَشْفى من كُل مرض، والله عز وجل قال عن العَسَل فيه شِفاء للناس، وأحيانًا دواء كيماوي ثمنه ثمان مائة ليرة، والحبَّة ألف ليرة، فأنت اِرْجَع إلى الكتاب والسنَّة، وطَبِّق نصائِح النبي عليه الصلاة والسلام، هذا هو الذي يَحتاجُهُ الإنسان في حياتِهِ، قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83)﴾

[سورة الشعراء]

أي أُرْزقني الحِكمة، قال تعالى:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ(269)﴾

[سورة البقرة]

فأعظم شيء على الإطلاق يُؤتيكهُ الله أن تَكون حكيمًا، حكيما في طعامك وشرابك وزواجِك، وتَزويج أولادك وبناتِك، وحكيما في علاقاتِك مع الآخرين، وحكيما في نزهاتِك وسفرك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (15-03) : تفسير الآيات 83 - 89

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، النبي الكريم إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء يَدعو ربَّهُ ويقول:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83)﴾

[سورة الشعراء]

ولو درسنا الأدْعِيَة التي جاء بها الأنبياء لَوَجَدْنا فيها عَقْلاً راجِحًا وعِلْمًا نافِعًا.

الله جل جلاله أعْطى القوَّة إلى مَن لم يُحِبّ، ولِمَن يُحِبّ، فَهُوَ أعْطاها لِفِرْعَون وهو لا يُحِبُّهُ، وأعطاها لِسُليمان وهو يُحِبُّه، إذًا ما دامَ الشيء الواحد قد أُعْطِيَ لِمَن يُحَب ولِمَن لم يُحَب فهو حِيادي لا علاقة له بِحُبِّ الله إطْلاقًا، فقد أعطى المال لِقارون وهو لا يُحِبُّه، وأعْطى المال لعبد الرحمن ابن عَوف وهو يُحِبُّه، فما دام الشيء الواحد يُعطى لِمن يحب ولمن لا يحب فهذا لا علاقة له بالحُبّ، لكنَّ الشيء الذي لم يُعْطِهِ تعالى إلا لِمَن يُحِبُّه هو العِلْم والحِكْمة، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(22)﴾

[سورة يوسف]

لأنَّك بالعِلم تعرف الله وتُطيعُهُ وتَسْعَدُ بِقُرْبِهِ، وبالعِلم تَسْعُد بِحَياتِه، وبه تدخل الجنَّة، فإذا أرَدت الدنيا فعليك بالعِلم لذلك طلب العلم فريضة ولا شأن في الدنيا يَعْلو على العِلْم، وأيُّ عِلْمٍ هذا ؟ العلم بالمنهج القرآني، لو أنَّ الإنسان عنده مكتبة من الأرض إلى السقف على أربعة جدران، وعنده بعد أسبوع امْتِحان التَّخَرُّج، وعلى هذا الامْتِحان يتوقَّف نجاحه وتَعْيينُهُ في أرْقى وظيفة، وزواجُهُ، وكلّ مُسْتَقْبَلِهِ مُتَعَلِّق بهذا الامْتِحان، فهل مِن المَعْقول أن يقرأ كل هذه المكتبة ؟ أم يلجأ إلى المُقَرَّر عليه في الامْتِحان فقط ؟! هناك عِلْمٌ يُنْفِعُ ولا يَنْفَع ؛ فَيُمْكِنُكَ أن تقرأ قصَّة من ألف صفحة، وتستمتِع بها أشَدَّ المُتْعة، ولكنَّك لا تستفيد منها لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهناك عِلمٌ مُمْتِعٌ غير نافِع، وآخر مُمْتِع ونافِع، فقد تدرس عِلْمًا دُنْيَوِيًّا تستفيد منه أرباحًا كبيرة لكنَّ العِلْم الدّيني هو العِلم النافع والمُسْعِد في الدنيا والآخرة لأنَّ أيَّ شيء تقرؤه في كتاب الله، تجده موجودًا في بيْتِك وعملِك وصِحَّتِك وفي زواجِك وتِجارتِك ومالِك، وفي تربيَةِ أولادك، وفي إقْبالِكَ على الله، فالقرآن الكريم هو مَنْهَجُ الإنسان، لذلك سيّدنا إبراهيم بعد أن قال:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83)﴾

[سورة الشعراء]

بالمناسبة أخْطَر شيءٍ في حياة الناس حياتهم ورِزْقُهُم، والمُسْلِم أعْتقِدُ اعْتِقادًا جازِمًا أنَّ حياتَهُ ليْسَت بِيَدِ أحد إلا الله، فالذي منَحَ الحياة هو الذي يسْلُبها، وأنّ رِزْقهُ ليس بِيَدِ أحدٍ إلا الله، والذي رزَقَ هو الذي يَمْنَع، والذي رفع هو الذي يخْفض، والذي أعزَّ هو الذي يُذِلّ، والذي بسَط هو الذي يقْبض، فلذلك العُمْر والرِّزْق بِيَد الله عز وجل، وهناك قَوْلٌ رائِع ؛ كلمة الحق لا تُقَرِّبُ أجلاً، ولا تقْطعُ رِزْقًا، والذي تَعْبُدُهُ ضامِنٌ لك، فلو سأل أدهم قبل عَشْر سَنَوات ماذا أفعل بِهذا المال ؟ ثمَّ أشْرْتَ عليه أن يشْتري حاجَةً ظَنَنْتَ أنَّها سَيَرْتَفِعُ ثمنها في القادِم، فإذا بالنَّتيجة مُعاكِسَة ! فأنت لا تستطيع أن تضْمَن له نتيجَة، فأيُّ آمِرٍ من بني البشَر ليس آمِنًا إلا الله، فالله وحْدهُ الضامِن، إذا أَمَرَكَ بِشَيءٍ يضْمنُ لك الفَوْز والسَّعادة، فالله عز وجل حينما أمَرَنا بِطاعَتِهِ ضَمِنَ لنا السَّعادة، وضَمِنَ لنا السلامَة، والعَقَبَة هي عَبَقَة عِلْم، والإنسان يُحِبُّ ذاتَهُ ووُجودَه، وسلامة وُجوده وكمال وُجودِه واسْتِمْرار وُجودِه وانْطِلاقًا مِن حُبِّهِ لِوُجودِهِ ؛ إن رأى الخير في هذا الباب دَخَلَهُ، وإن رأى الخير في هذا الطريق سَلَكَهُ، وإن رأى الخير في هذا العمَل فعَلَهُ، وإن رأى الخير في تَرْك هذا الشيء تَرَكَهُ،، ولو أنَّ أشْقى الأشْقِياء رأى ما رآهُ النبي لكان مثل النبي ! فلذلك أعدى أعْداء الإنسان هو الجهْل، مَعرِفة كلام ربِّ العالمين، وسُنَّة رسول ربِّ العالمين، ولا يَعْلو عليها شيء في الأرض، فأنت حينما تجد عِيادة الطبيب مُكْتظة بالزَّبائِن، وكلّ واحِد ألف ليرة ؛ كُلّ هذا الدَّخْل الكبير سبب دِراسَتِهِ بالجامِعَة، فَدِراسَتُهُ هي سببُ هذا الرِّزْق الوفير، فلا شيء يَعْلو على طلب العِلْم، وبِطَلَبِ العِلْم يُصبح ذا دَخْلٍ عظيم، وهذا بِحَسَبِ قِيَم الأرض، ماذا دعا سيِّدنا إبراهيم ؟ قال تعالى:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) ﴾

[سورة الشعراء]

الحُكم ؛ العِلْم والحِكْمة والمَعْرفة مِن معرفة الله وكتابِهِ ومنهجِهِ تعالى أنَّى يأتيك وأنت في البيت ؟ وأنَّى يأتيك وأنت مُضْطجعٌ على سريرك ؟ وأنَّى يأتيك وأنت مُسْتَلْقٍ على أريكَةٍ وفيرة في بيتِك ؟ أنى يأتيك وأنت في سَهْرَةٍ مُخْتَلَطَة ؟ وأنَّى يأتيك وأنت في مَتْجَر ونُزْهة ؟! لا يأتيك إلا في مكانِهِ ؛ بيتٌ من بيوت الله إنَّ بُيوتي في الأرض المساجِد، وإنَّ زُوَّارَها هُم عُمَّارُها، فَطوبى لِعَبْدٍ تطهَّر في بيتِهِ ثمّ زارَني، وحُقَّ على المَزور أن يُكْرِمَ الزائِر، لو تمنَّى طالب مليون سنة أن يكون طبيبًا ؛ لن يكون طبيبًا إلا إذا انْتَسَبَ إلى كُلِيَّة الطِبّ، وذهَبَ إلى الجامِعَة وجلسَ على مَقْعَدِ الدِّراسَة، واسْتَمَع إلى مُحاضرة الأساتِذَة مكان العِلْم الدِّيني هو المساجِد،

والمَسْجَد له أخْطَر دَوْرٍ في حياة المُسْلِمين، لما هاجَرَ النبي عليه الصلاة والسلام مِن مكَّة إلى المدينة أَلَيْس من المَعقول والمنطِق أن يبْنِيَ بيْتًا ؟ نزَلَ ظَيْفًا وبنى المَسْجِد فأوَّل عملٍ قام به النبي عليه الصلاة والسلام بعد الِهجْرة أنَّه بنى المَسْجِد مكان العِبادة والعِلْم ومكان حلّ قضليا المُسلمين، فالإنسان الذي لا مسجِد له ينْهَلُ منه هو إنسان ضائِعٌ وشارِد وجاهِل ويَدْفَعُ ثمَنَ جَهْلِهِ باهظا ؛ تَعْليقي على هذه الآية:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) ﴾

[سورة الشعراء]

فالإنسان إذا آتاهُ الله الحِكْمة يُصْلِحُ الزَّوْجَة الفاسِدَة والسيِّئة، أما إن لم يَكُن حكيمًا يُفْسِد الجيِّدَة، فبالحِكْمة تجْلب المال، وبالحُمْق تُبَدِّدُهُ وبالحِكمة تكْسِب الأصْدِقاء، وبالحُمق تُنَفِّرُهم، وبالحِكمة تسْعَدُ فيما آتاك الله، وبالحُمْق تَشْقى فيما أوتيتَ، لذلك لمَّا قال تعالى:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ(269) ﴾

[سورة البقرة]

إلهٌ عظيم يقول: فقد أوتِيَ خيْرًا كثيرًا، والحِكْمة مَعرِفة كلام الله ومنهج رسول الله، والأحكام الشَّرْعِيَّة، ومعْرفَة ما يكون وما لا يكون هذه المعارف كلُّها مجْموعةٌ في كتاب الله، ومُفَصَّلة في سُنَّة رسول الله، ومُطَبَّقة في سيرتِهِ صلى الله عليه وسلَّم، فإذا قرَأْتَ كتاب الله وتفهَّمْتَ معانيه، وقرأتَ سُنَّة رسول الله، وتفقَّهْتَ أحكامَها وقرأْتَ سيرة رسول الله، واقْتَدَيْتَ به فقد جَمَعْتَ العِلْم من كُلِّ أطْرافِهِ وهذا هو العِلْم النافِع الذي ينْفع ويرفَع، وقد رأى النبي عليه الصلاة والسلام رجُلاً في المسْجِد تحلَّق الناس حوْله، فقال: مَن هذا؟ –وهو يعرف من هو ؛ سؤال العارِف – فقالوا: **نسَّابَة يا رسول الله** قال: وما نسَّابَة فقالوا: **يعْرِف أنْساب العرب !** فقال صلى الله عليه وسلم:

((ذاك علْمٌ لا ينفَعُ مَن تعلَّمَهُ ولا يضرُّ مَن جَهِلَ به !))

فلو كان معك بيتٌ فيه أثاث مِقداره خمْسة ملايين ! ولا سمَحَ الله أُمِرْت أن تُغادِر هذا البيت وأن تحْمل معك سِعَة شاحِنَة صغيرة فقط، ما الذي سَتأخذُهُ من أثاثِك ؟ أثْمَن شيءٍ وأقلَّهُ حجْمًا، الذَّهَب، والأجهزة الإلكترونية هاتِف والأشياء الثَّمينة، فالحياة مُعَقَّدة جدًا، وعُمْرنا قصير، وما يُطْبَعُ في اليوم الواحِد مِن الكُتب لا تسْتطيعُ أن تقرأه عبْر مائة عام، وفي شتَّى بِقاع الأرض، وبِكُلّ اللُّغات، عليك أن تصْطفي ماذا تصْطفي ؟ كلام الله، وفضْل كلام الله على كلام خلقِه، كَفَضْل الله على خلْقِهِ والإنسان زائِل ومُنته وحادِث وضعيف، ومضى وقتٌ لم يكن شيئًا مذْكورًا، والله تعالى أزلي وأبدي، والله قويّ وعالم والله تعالى مالِك لذا أعظم كتاب وهو كلام الله، وتختار أعْظم رسول وهو رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، فالذي يتبَّع كلام الله وسيرة رسوله فقد حاز العِلْم

كُلَّه، وهذا هو العِلم النافِع، وهذا القرآن الذي لا فقْر بعده ولا غِنًى بعدهُ، وهو روحُ الرُّوح، وهو ربيع القلوب، وغِذاء الروح، وقد قال تعالى أنَّه شِفاء للمؤمنين، قال تعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا(82)﴾

[سورة الإسراء]

الشيء الثاني و ألْحقني بالصالحين، فَمِن نِعَم الله الكُبْرى أن تكون مع المؤمنين، وأن تكون مع الصالحين، وفي مُجْتمع المؤمنين والإنسان مهما كان صفاؤُهُ تنْحرف نفْسُهُ إذا خالط المُنْحَرِفين ؛ من نظراتهم وبذاءة لِسانِهم ومُزاحِهم المُنْحَطّ وتعليقاتِهم الساخرة، فالصديق المُنْحرِف يُعَكِّر صَفْوك، ويُشَوِّهُ أخلاقك، قال تعالى:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) ﴾

[سورة الشعراء]

و باقي الآيات نشْرحها في الدرس القادِم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-15) : تفسير الآيات 83 - 89

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثالثة والثمانون التي تمَّ شرحها في الدَّرس الماضي، وقد وَقَفْنا وقْفةً طويلة عند الحُكْم، وكيف أنَّ الله سبحانه وتعالى إذا أحَبَّ عبْدًا منَحَهُ حُكْمًا، والحُكم العِلْم مع الحِكْمة، والحِكْمة الاسْتِفادة من العِلْم، والعِلم من دون تَطبيق لا جَدْوى منه:

وعالمٌ بِعلْمِهِ لم يعْمَلَـن مُعَذَّبٌ من قبل عُبَّاد الوَثَن

***

والعِلْم بلا عَمَل كالشَّجَر بلا ثَمَر، وتَعلَّموا ما شِئْتم فو الله لن تُؤجروا حتَّى تعملوا بما علِمْتُم. قوله تعالى:

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) ﴾

[سورة الشعراء]

هذا مِن تَواضُعِ الأنبياء، فَهُوَ يَدْعو ربَّهُ أن يكون مُلْحَقًا بالصالحين كما الإمام الشافعي:

أُحِبُّ الصالحين ولسْتُ منهم لعلّي أن أنال بِهم شفاعـة

وأكْرهُ مَن بِضاعَتُهُ المعاصي ولو كنا سواءً في البِضاعَـة

***

لا يَدخل الجنَّة مَن كان في قلبِهِ مِثْقال ذرَّة مِن كِبْر ؛ لأنَّ الكِبْرَ يتناقَض مع العُبودِيَّة لله عز وجل، فالعُبودِيَّة لله تعالى قد تَشوبُها أخْطاء كثيرة إلا أنَّ ذَرَّةَ كِبْرٍ تتناقَضُ مع العُبودِيَّة، كما أنَّ اللَّبَن يُمكنُ أن يُضاف إليه خمْسة أمثال حجْمِهِ ماءً، أما نقْطة نفْط واحِدَة تُفْسِدُ هذا اللَّبَن،

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ))

[رواه البخاري]

فالمُتَكَبِّر مَحْجوبٌ عن الله عز وجل، لو لم تُذْنِبوا لَخِفْتُ عليكم ما هو أكبر، قال عليه الصلاة والسلام: العُجْب العُجْب. لكن هناك نقطة وهي ؛ كيف يُوَفِّقُ الإنسان بين خِدْمَتِهِ للخَلْق وبين قِيادَتِهِ لهم ؟! للخَليفة عمر بن الخطَّاب قَوْلٌ رائِعٌ في هذا الموضوع، وفي التَّوْفيق بين الوَظيفَتَيْن فقد قال: **أُحِبُّ أميرًا إن كان أميرًا بدى وكأنَّهُ واحِدٌ منهم، وإن لم يَكُن أميرًا بدى وكأنَّهُ أمير**، إذًا غيرَتُهُ على المَصْلَحَة العامَّة تَجْعَلُهُ يُؤَمِّرُ

نفْسَهُ، فهُوَ إن لم يكن أميرًا أخَذَ دَوْر الأمير ! وهذا الخليفة العظيم قال: **لسْتُ خيْرًا من أحَدِكم، ولكِنَّني أثْقَلُكم حِمْلاً**، فالإمارة لها وَجاهَة ومَسْؤوليَّة، وسيِّدُنا عمر يُريد أميراً إن كان حقيقةً بين أصْحابِهِ بدى وكأنَّهُ واحِدٌ منهم، ولم يعبأ بِالمَظْهر ولا الوَجاهَة، وإن لم يَكُن أميرًا بدى وكأنَّهُ أمير، وأخذَ مُهِمَّاتِها ووظائِفَها، وما صُنِعَت له.

قال تعالى:

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ (84)﴾

[سورة الشعراء]

النبي عليه الصلاة والسلام وصَف المؤمن أنَّه يخطئ ويرْتكِبُ بعض الذُّنوب ولكن لا يَكْذِب، لأنّ الإنسان إذا كذَب فليس هو بِمُؤْمِن، وورَدَ حديث وهو مِن أدَقِّ الأحاديث، والآن عِلْم الطِّباع مِن علم النَّفس يُؤَكِّدُ هذه الحقائِق تَجِدُ أَخَوين تَوْأمَيْن ومِن بُوَيْضَة واحِدَة ؛ هذا له طَبع وهذا له طَبْع، يقول عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))

[رواه أحمد]

فقد تَجِد مؤمنا مُنْفَتِحا، وآخر مُنْغَلِقا، وقد تجد مؤمنا مرحا، وآخر عَبوسا، وقد تَجِد مؤمنا اجْتِماعيا، وآخر انْعِزاليا، وذاك أنيق والآخر أقلّ أناقَة، قد تجِدُ مؤمنًا يعتني بِطَعامِهِ عِنايَةً فائِقَة، والآخر لا يعتني هذه كُلُّها طِباع، هذا سريع الغضب وذاك بطيء الغضب وهادىء المزاج وآخر عصبي المزاج، وآخر بينهما، آلاف الطِّباع.

أصل الخِيانة والكَذِب تتناقض مع الإيمان، لذلك حينما يكْذب الإنسان يسْقط مِن عَين الله، ويسقط مِن عَين الناس، فالإنسان يَحْتَمِل من صديقِهِ آلاف الأخْطاء إلا أن يكْذِب عليه ! يقول عليه الصلاة والسلام:

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ))

[رواه أبو داود]

أصحاب الحِرَف، ومنهم المُحامون والأطِبَّاء، والمهندسون، وكذا المدرسون، يقول لك الطبيب: تحْتاج إلى عَمَلِيَّة فَوْرِيَّة وهو ليس كذلك والمريض مُسْتَسْلِم وواثِق ويُصَدِّقُه، فإذا فَعَل الطبيب هذه الفِعْلة كي يأخذ الثَّمَن فهذه خِيانَة، والمُحامي يعْلم عِلْم اليقين أنَّ هذه الدَّعْوَة خاسِرَة يقول للمُوَكِّل: سوف ترْبَحُها، وهو يعلم أنَّها

خاسِرَة، وهذه النتيجة قد يعلمها بعد ثماني سنَوَات، ويكون قد أخَذَ منه الكثير ؛ هذه خِيانَة، وكذا كُل المِهَن، وهذه أساسُها الثِّقة، فالنبي يقول:

((كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ))

[رواه أبو داود]

والله أيها الإخوة، الإنسان إذا كذَب على الناس، ولو يُسَمّيه الناس مِلْح الرجال، هذا البيْع المَبني على الكذب، يقول عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي سُودٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ الَّتِي يَقْتَطِعُ بِهَا الرَّجُلُ مَالَ الْمُسْلِمِ تَعْقِمُ الرَّحِمَ))

(رواه أحمد)

يحْلف بالله أنَّ رأس مالها أكثَر ! ونحن عندنا قاعِدَة: اليَمين على نِيَّة المُسْتَحْلف لا على نِيَّة الحالِف ؛ لذلك كما قال تعالى:

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ (84)﴾

[سورة الشعراء]

أشْرَف ثَوْب تَرْتديه أن تكون صادِقًا، كُنْ فقيرًا وضعيفًا ولكن لا تَكْذِب لأنَّك إن كذَبْت تسقُط من عَين الله، ووالله أيها الإخوة، لأَنْ يسْقُطَ الإنسان مِن طائرة على ارْتِفاع أربعين ألف قدم أهْوَنُ مِن أن يسْقُطَ مِن عَيْن الله، لأنَّهُ إذا بَقِيَ عند الله مُكَرَّم فالله تعالى يُعَدِّل كُلّ شيء، لذا صِفَةُ المؤمن أنَّهُ صادِق، لما سأل النَّجاشي سيِّدَنا جَعْفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، قال **له أربع صِفات مرْكَزِيَّة قال له: حتَّى بعث الله فينا رجلا نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسَبَه.**

قال تعالى:

﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

[سورة الشعراء]

والله أيها الإخوَة، لو لم يَكُن في كتاب الله إلا هذه الآية لَكَفَتْنا، أربعة آلاف مليون يموت ويترك كلّ شيء، بيْتُهُ يُوَزَّع، وثِيابُهُ كذلك، أشياؤُهُ الثَّمينة يأخُذها أولادهُ، ولكن ما الذي ينْفَعُكَ ؟ إلا من أتى الله بقلبٍ سليم ! قلبٌ ليس فيه غِشّ ولا حسَد ولا كِبْر ولا شِرْك ولا كُفْر، رأسُ مالِكَ الذي يُسْعِدُكَ إلى أبد الآبدين هو قلبُكَ السليم، وهذا كلام ربِّ العالمين لذلك قال سيِّدنا عمر: **تعاهَد قلْبَكَ**، قال تعالى :

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

[سورة الشعراء]

القلبُ السليم ثَمَن الجنَّة، وهو يحْتاج الاتِّصالٍ بالخالق، والاتِّصال يَحتاج إلى طاعة، والطاعة تحْتاج إلى معْرِفَة، تعْرِفُهُ فَتُطيعُهُ فَتَتَّصِلُ به، فيَسْلَمُ قلبُه، ويكون هذا الأخير ثَمَن الجنَّة، فأنت تعرفُهُ من كَوْنِهِ وآياتِه الكَوْنِيَّة، ومن آياتِهِ التَّكْوينِيَّة ؛ أفعالُه، ومن آياتِهِ القرآنِيَّة فالمؤمن قلبهُ سليم، والذي في قلبهِ على لِسانِهِ، وسريرتهُ كَعَلانِيَّتِه وخَلْوتهُ كَجَلْوَتِهِ، وسفرُهُ كَحضرِهِ، وفي بيتِهِ كما في عملِهِ، لا يوجد عنده مُعْلَن وغير مُعْلَن، ومظْهر ومخْبَر ؛ قلبهُ سليم، قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

[سورة الشعراء]

لذلك الله ربُّ النوايا كما يقول العوام، هنيئًا لِمَن كان قلبُهُ سليم، هو المَحْفوظ وهو الذي يُدافِعُ عنه الله، وهو الذي يُعْليه، أما صاحِب القلب الخبيث في أسفل السافلين، ومُلَخَّص الدرس أنَّ الخمسة آلاف مليون إنسان الآن على وجه المعمورة هم رجلان ؛ مَوْصول، وقلبهُ سليم ومُنْضبِط ومُحْسِن وسعيد، وآخر مَقْطوع وذو قلب غير سليم، ومُتَفَلِّت وشَقيّ، ولن تجِدَ إنسانًا آخر، وهذا في الدنيا والآخرة، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ قَالَ اللَّهُ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾))

[رواه الترمذي]

لماذا الصُّعوبات في الحياة ؟ هانَ أمْرُ الله علينا، فَهُنَّا على الله ! المؤمن غالي على الله تعالى، أما لما يسْتهين يخرج من ظل الله، فَيُعامَل مثل مُعامَلة الباقين أما إن أردْت أن تُعامَل مُعامَلة خاصَّة، يجب أن تكون تحت طاعة الله، قال عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهم عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))

[رواه البخاري]

الدرس (05-15) : تفسير الآيات 83 - 89

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في قِصَّة إبراهيم عليه السلام في سورة الشُّعَراء، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ (84) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87)﴾

[سورة الشعراء]

هذا اليوم لا بدّ آتٍ، وكلُّ مُتَوَقَّعٍ آت، وكلّ آتٍ قريب، فالواحِد مِنَّا لِيَسْأل نفْسَهُ: كيف مَضَت الأربعون عامًا ؟ والخمسون عامًا ؟ كَلَمْحِ البصَر، فالأيام تَمْضي سِراعًا، وكذا الزَّمَن والإنسان بين يومٍ مَفْقود، وهو الذي مضى، ويوْمٍ مَشْهود وهو الذي يَحْضُرُه، ويَوْمٍ موْرود وهو ساعةُ الموْت، ويومٍ مَوْعود وهو يوْم القِيامة، ويوم مَمْدودٍ إلى ما شاء الله، فأنت بين خمْسة أيام ؛ وفي قَوْلٍ آخر ثلاثة أيام: ما مَضى فات والمُؤَمَّلُ غَيْب، ولك الساعة التي أنت فيها، أيْ أنَّك لا تَمْلِكُ إلا الساعة التي أنت فيها، فالتي مضَتْ مضَت ولا جَدوى للحديث عنها والتي لم تأت أنت لا تمْلكُها فقد لا نَصِل إليها، ولا يوجَد إنسان تُوُفِّي إلا ومِئات الأفكار وتَخطيط لِعَشْر سنوات أو أكثر، وأقلّ شيء التخطيط خمْس سنوات، فإذا بالموت يأتي ويُلغي كُلّ هذه الآمال فالمُسْتقبل لا تمْلكُهُ، والماضي مضى، وأنت لا تمْلِكُ إلا المُستقبل وهذا اليوم لا بدّ مِن أنَ نصِل إليه،قال تعالى:

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) ﴾

[سورة الشعراء]

أحيانًا قانون يصْدر مَرْسوما لِتَفْسيرهِ، ويختلف الناس في تَفسيرهِ فتَصْدُر تَعليمات تَنْفيذِيَّة، ويختلف الناس في فَهْم هذه التَّعليمات وتَصْدر اجْتِهادات في المَحْكمَةَ الدُّسْتوريَّة حتى نفْهم كلامًا قالهُ البشَر !! فكيف إذا كُنَّا مع كلام رب البشَر، خالِقُ البشَر الذي يقول في هذا اليوم الذي لا يستطيع أحدٌ أن يتفلَّت منه، ومهما علا شأنُهُ وكَبُرَت قُوَّتُهُ، ومهما ازْداد عِلْمُهُ، قال تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(26)وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ(27)﴾

[سورة الرحمن]

ففي هذا اليوم، قال تعالى:

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) ﴾

[سورة الشعراء]

مهما تركتَ مِن المال، ثمان مائة مليون، دعا أحد العلماء، وهو على فِراش المَوت وقال له ماذا أفْعَل فإنَّ هذا المال حصَّلْتُهُ مِن حرام، ومن دور القِمار فقال له هذا العالِم وقد قسى عليه بعض الشيء، وهو الحقّ: واللهِ لو أنْفقْتَهُ كُلَّهُ لا تنْجو مِن عذاب الله، مهما كان حجْمُكَ المالي كبيرا، هناك مُلوك للمال في العالم، أحدُ مُلوك الحديد وُجِدَ ميّتًا في عرض البحر مع امرأة عارِيَة ! أين مالهُ ؟ الذين يمْلِكون الملايين المُمَلْيَنَة يموتون ولا يأخُذون معهم شيئًا، فرَبُّنا عز وجل يقول لك: إيَّاك أن تأكُلَ مالاً حرامًا، وهذا المال ربَّما دخل به وَرَثَتُكَ الجنَّة ودخلتَ أنت به النار، وهذا هو أنْدَمُ الناس ! فقد حصَّلهُ هو بالحرام وأنْفقَهُ وَرَثَتُه بالحلال، لذلك لا تعْصي الله مِن أجل إنسان ؛ عَبْدي خَلَقْتُ لك السماوات والأرض ولم أعْيَ بِخَلْقِهِنّ أَفَيُعْييني رغيفٌ أسوقُهُ لَكَ كُلَّ حينٍ، لي عليك فريضَة ولكَ عليَّ رِزْق، فإذا خالَفْتني في فريضَتي لم أُخالفْك في رِزْقِك، وعِزَّتي وجلالي إن لم ترْضَ بِما قَسَمْتُهُ لك فَلأُسلِّطَنَّ عليك الدنيا تركض فيها ركض الوَحْش في البَرِيَّة ثمَّ لا ينالُكَ منها إلا ما قَسَمْتُهُ لك ولا أُبالي، وكنتَ عندي مَذْمومًا أنت تُريد وأنا أريد، فإذا سَلَّمْتَ لي في ما أريد سلَّمْتُ لك فيما أريد، وإن لم تُسَلِّم لي فيما أريد أتْعَبْتُكَ فيما تُريد ثمّ لا يكون إلا ما أُريد !

قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88)﴾

[سورة الشعراء]

اِغْتَصَب بيْتًا، ودخَلَ بالقَضاء ثماني سنوات، ووكَّل أكبر قاضي، واتَّفَق معه وبالنَّتيجة لم يصْدُر حُكم بإخْلاء البيت ! اضْطَرَّ أصْحابُهُ أن يبيعُوا البيت بِثُلث قيمتِهِ وقَّع العَقْد وشَعَرَ بِنَشْوَة ما بعْدها نَشْوَة، وبعد تِسْعَةٍ وعشرين يومًا جاء أجَلُهُ، وَوُضِعَ في قبْرٍ في الباب الصغير، فأيْنَ البيت ؟ اغْتِصَبَهُ حرامًا وورَثَتُهُ نَعِموا به حلالاً، وهو سَيُعَذَّبُ به، قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88)﴾

[سورة الشعراء]

نازَعْتَ أيْتاما، وأدْخَلت مَن يُمَثِّل ! ورَشَوْت ! وكذا لو كان لك شريك والمحلّ باسْمِك وهو ضعيف، تعلَّمْتَ منه الخِبْرة، وبعدما أتْقَنْتَها أخْرَجْتَهُ مِن المحَلّ بِأُسْلوب ذَكِيّ، ورميت هذا الأخير بالطريق ! الآية دقيقة جدًا، فالمال الذي تُحَصِّلُهُ من طريق غير مَشْروعٍ لا ينْفَعُكَ وسوف تكْوى به في نار جهنَّم، ولذا الميِّت إذا مات رفْرَفَتْ روحُهُ فوق العرْش، وتقول: يا أهلي، يا ولدي، لا تلْعَبَنَّ بكم الدنيا كما لَعِبَتْ بي، جَمَعْتُ المال مِمَّا حلّ وحَرُم، فأنْفَقْتُهُ في حِلِّهِ وفي غير حِلِّه فالهَناء لكم، والتَّبِعَةُ عليّ، فالطبيب أحْيانًا يُكَلِّف المريض بتحليل لا فائِدَة منه، وتَخطيط، وقد يتَّفق المريض مع المُحَلِّل، يُعَمِّر بيْته بمال الناس، وبعدها يأتيه ملَكُ المَوت، وهذا

مُحامي لامِع جدًا، وكلَّما أخَذَ قضِيَّة نجَحَ فيها، لا لأنَّه ذكِي وإنَّما بِأساليب لا شرْعِيَّة يسْتخْدِمُها وجمَّع ثرْوَة، وبعدها مات ! أيُّ مالٍ تَجْمعُهُ حرامًا لن ينفعَكَ إضافة أنه يكون سبب شقَاءَك الأبَدِيّ، تواضِع لا ترْتفع، اتَّبِع ولا تبْتَدِع الورِع لا يتَّسِع، لُقْمة مِن حلال أفضَل من بيت من حرام، كُلّ شيء في الدنيا يُحَل بالسُّهولة ؛ دُيون وذِمم والغيبة يُسْتسْمح منها، مادام القلب ينبض فهُناكَ أمَل، وباب التوبة مَفتوح على مِصْراعَيْه، والله أيها الإخوة لا أرى أغْبى إنسان بنى مالاً على معْصِيَة الله، وهو يظنّ أنَّهُ ذَكِيّ، فهذا المال سيُدَمَّر، وسَيَكون سبب الشَّقاء الأبديّ، أربع أولاد دكاترة معهم شهادة البورد، ولكن الاسْتِقامة معدومة فيهم، وأتَوا بِزَوْجات أجْنبِيَّات، يسْبحون على البحْر بِأفْضَح ثِياب، لا بدّ لك مِن ولَدٍ صالِحٍ يدْعو لك، ومِن ولدٍ تُعَلِّمُهُ الشرع، وأن يدْعو إلى الله عز وجل، وهناك آية أُخرى بالإسراء، وهي قوله تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا(46)﴾

[سورة الكهف]

مال دون أولاد، وقلْبُهُ مَحْروق، وما ترَك بلدًا إلا وزارَهُ من أجل الإنْجاب ! وهذا معه جيش من الأولاد ولكن ليس معه المصاريف ! فالله جمَعَ بين المال والبنون، ولكن يوم القيامة لا يفْتخر الإنسان بهما فالأب قد يفْتخر بِمَرْكزه في المجتمع، ولكن الدِّين يقول لك: أصْلَحُهُ الله !

قال تعالى بعد ذلك:

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

[سورة الشعراء]

هل طهَّرْتَ قلبَك من الحسد والأدْران والكِبر والغشّ والعُجْب وأمراض القلب، فأمْراض الجسَد مهما تفاقَمَتْ تنتهي عند الموت، ولكن أمراض القلب قد لا نشْعر بها في الحياة، كِبْر واعْتِداد بالذات واسْتِعلاء على الناس، وتيه، سمَّاها الغزالي **المُهْلِكات**، هذه الأمراض مُشْكِلَتُها تبْدأ عند الموت، ولا تنتهي إلى أبَدِ الآبدين، سرطان ! هناك سرَطان بالأمعاء لا يُحْتَمَل، ولكن بعد سَنَتيْن يموت، تشَمُّع كبِد ولكن بعدها يموت، وهذه الآية دقيقة جدًا، أرَدْتُ أن تكون مِحْوَر هذا الدَّرْس ؛ اِتَّق أن تأكل المال الحرام، يا سَعْدُ أطِب مطْعَمَكَ تكُن مُسْتجاب الدَّعْوَة، يقول العبد يا رب يا رب ومَطعمه حرام ومَشْربُهُ حرام، وغُذِّيَ بالحرام فأنَّى يُسْتَجاب له، والبنون عليك أن لا تهْتم بالولد النَّجيب واللاَّمِع ودَخْلُهُ كبير، وتأتي بِزَوْجة أجْنَبِيَّة، وتلْبس أفْضَح ثِياب، هذا لا ينْفعُكَ يوم القيامة، لا ينْفعُكَ إلا ابن عرف الله، ودعا إلى الله، تكون أعمالهُ كُلُّها في صحيفَتِك، قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) ﴾

[سورة الشعراء]

سَلِمَ من الشِّرْك والكِبر والحسد والعُجب والاستِعلاء وحُبّ الذات والذي عنده إحياء عُلوم الدِّين أو منهج القاصِدين، فهذان الكتابان على أمراض القلب، والله لا ينْجَح إلا القلب السليم، فتعاهَد قلْبَكَ، لذا قال عمر بن الخطاب: تَعَاهَد قلْبَكَ، ولا تَجْعل الناس أهْوَنَ الناظِرين إليك عبدي طهَّرْتَ مَنظَر الخلق سِنين، لماذا يعْتني الإنسان بالمنْظر الخارِجي ؟ اِعْتنِ بالمَنظر الداخلي ؛ القلب ! غرفة الضُّيوف يجب أن نُعيدَها، أفلا طهَّرْتَ قلبَكَ ساعَة، قلبٌ مُوَحِّد، ومُسْتسْلِم ومُفْتقِر.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-15) : تفسير الآيات 105 - 111

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في قِصَّة نوح عليه السلام مع قَوْمِهِ التي ورَدَت في سورة الشُّعراء بدْءً مِن الآية الخامِسَة بعد المائة، قال تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (110) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111) ﴾

[سورة الشعراء]

بيتُ القصيد: أَنُؤمِنُ لك وقد اتَّبعك الأرْذَلون ! طبْعًا كلمة الأرْذلون ليس مقصودها المعنى الذي نَفْهَمُهُ، فالأرْذَلون معناها أنَّهم فُقَراء، عَدِي بن حاتِم كان مَلِكًا في الجزيرة العَرَبِيَّة، ووقَعت أمُّهُ سفَّانَة أسيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وقد رأَتْ أُخْتُهُ، ومِن كمالهِ، وكيف كان يُطْعِم الجائِع ؟ ويَكسو العريان ؟ ويفكُّ الأسير ؟ ويرحم الصغير ؟ فنَصَحَتْ أخاها أن يذْهَب إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وقالتْ له: إنْ يكن ملِكًا ينالُكَ مِن خَيْرِهِ، وإن يكن نبيًّا فللسابق فضْله، فجاء عدِيّ بن حاتِم إلى النبي عليه الصلاة والسلام، سألهُ النبي عليه الصلاة والسلام: مَن الرَّجل ؟ فقال: عدِيّ بن حاتِم ! فأخَذَهُ إلى البيْت تَكْريمًا له، وفي بيْت النبي أعطاهُ وِسادَةً مِن أدَمٍ مَحْشُوَّةً به، وقال: اِجْلِس عليها، فقلتُ: أنت فقال: بل أنتَ، قال: فَجَلَسْتُ عليها، وجلسَ رسول الله على الأرض فقال: عليه الصلاة والسلام: إيهِ يا عدِيّ بن حاتِم، ألم تكُ رُكوسِيًّا ؟! دينٌ بين النَّصرانِيَّة والصابِئِيَّة، فقال: بلى، فقال: أوَلم تسِر في قَوْمِكِ بالمِرْباع ؟! قال: قلتُ بلى، قال: فإنَّ ذلك لم يكن يحلّ لك في دينِك ! - دقِّقوا في المناقشَة - أنت تُخالِف مبادىء دينِك، والإنسان ينْسَجِم ما الذي يَعْتَقِد قال: فَعَلِمْتُ أنَّه نبِيٌّ مُرْسَل يعْلم ما يجْهَل، فقال عديّ بن حاتِم: في الطريق اسْتَوْقَفَتْهُ امْرأةٌ فقيرةٌ تُكَلِّمُ النبي في حاجَتِها، فَوَقَفَ النبي عليه الصلاة والسلام طويلاً فقُلْتُ في نَفْسي: ما هذا بِأَمْر ملِك، قال: إيهِ يا عديّ بن حاتم، لعلَّه إنَّما يَمنَعُكَ مِن دُخول في هذا الدِّين ما ترى من حاجتهم ! فقد كان أصْحاب النبي فقراء إلى درجة غير مَحْدودة، وكان أهل الفجور والعصْيان، يأكلون أطْيَبَ الطَّعام، وهم أقْوِياء مُتَمَكِّنون فالنبي قال له: لعلَّه إنَّما يَمنَعُكَ مِن دُخول في هذا الدِّين ما ترى من حاجتهم، وَيْمُ الله، لَيوشِكَنَّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجَدُ مَن يأخُذه ! فلمَّا جاءَت غنائِم كِسْرى سيِّدنا عمر قلَّبها بِقَضيب، وثمّ قال له: ولعلَّه إنَّما ما يمْنعُك مِن خول في هذا الدِّين أنَّك تر المُلْك والسُّلْطان في غيْرِهِم، فو الذي نفس مُحمَّد بِيَدِه لَيوشِكَنّ أن ترى القصور

البابِلِيَّة مُفتَّحة للمسلمين، ولعلَّهُ إنَّما يمْنعُكَ مِن دُخول في هذا الدِّين ما ترى مِن كَثْرة عَدُوِّهم، فو الذي نفس محمَّد بيَدِه ليوشِكَنَّ أن تسْمع بالمرأة البابِلِيَّة تحجّ هذا البيْت على بعيرِها لا تخاف، لذا قال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ(55)﴾

[سورة النور]

قال تعالى:

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111) ﴾

[سورة الشعراء]

أن يكون المؤمنون فقراء ؛ هذا مانِع، وأن يكون المؤمنون ضُعفا ء هذا مانِع ثاني، وأن يكون أعداء المؤمنين؛ هذا مانِع ثالث، لكن أيُّها الإخْوة، الحُظوظ، فالمال والقوة حظّ، فالدَّولة النَّوَوِيَّة مرْهوبة الجانب وقد لا تسْتخدم هذا السِّلاح إطْلاقًا، والذكاء حظ والغِنى حظ والحُظوظ مُوَزَّعة في الدنيا تَوْزيع ابْتِلاء والدنيا مُؤَقَّتة إما أن تنْجح، وإما أن لا تنْجَح، وكلّ إنسان فيما عطاه له، وفيما منَعَه الله منه، هما مادَّة امْتِحان، فأنت مُمْتَحَنٌ مرَّتَين، فيما أوتيتَ وفيما حُرِمْت، فالواحد قد يُوَفَّق إلى زوْجة صالِحَة، فهذا مُمْتَحَن هل يأخذ بها إلى الله أم يسْتمْتِع بها وفقط ! وآخر لم يقدِر على الزَّواج، هذه مادَّة امْتِحانِهِ مع الله ؛ هل يَعُفّ ؟ فالحُظوظ ما أوتِيتَ منها، وما حُرِمْتَ منها هي مادَّة امْتِحانِكَ مع الله، ولأنّ الله عز وجل يقول:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ(30)﴾

[سورة المؤمنون]

لا بدّ مِن أن تُمْتَحَن، والإمام الشافعي سُئل: أنَدْعوا الله بالابْتِلاء أم بالتَّمْكين ؟ فقال هذا الإمام: **لن تُمَكَّن قبل أن تُبْتَلى**، فالسيارة لا يُتَصَوَّر أن تُمْتَحَن بالهبوط، وكذا المؤمن لا بدّ أن يُمْتَحَن، قال تعالى:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ(42)﴾

[سورة الأنفال]

وقال تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ(179)﴾

[سورة آل عمران]

فالله أعْطاك صِحَّة، إذًا مادَّة امْتِحانِك مع الله هذه الأخيرة، ماذا فَعَلْت بِهذا النَّشاط ؟ غيْرك عاجِز، وأعْطاك مالا، فماذا فَعَلْتَ به ؟ يقول الله عز وجل يوم القيامة: عبْدي أعْطَيْتُكَ مالاً فماذا فَعَلْتَ به ؟ فيقول: ما أنْفقْت منه شيئًا مخافَةَ الفقْر على أولادي من بعدي، فيقول الله له: ألم تعلم أنِّي أنا الرَّزاق ذو القوَّة المتين ؟ إنَّ الذي خَشيتَهُ على أولادِك مِن بعْدِك قد أنْزَلْتُهُ بهم ! ويقول لآخر: عبدي أعْطَيْتُكَ مالاً فماذا فَعَلْتَ به ؟ فيقول: يا رب، أنفقته على كُلّ مُحْتاجٍ ومِسْكين، لأنَّك خير حافِظًا وأنت أرْحَمُ الراحِمين فيقول الله له: عبدي أنا الحافظ لأولادِك من بعدِك، فالله يتولى أوْلاد مَن فعَل الخَيْر، وتجدهم بِمَناصِب رفيعة ولو كانوا في حياة أبيهم لما أمَّنَ لهم ما هم فيه ! دِرْهَمٌ تُنْفِقُهُ في حياتِك خير من ألف دِرْهمٍ بعد مماتِكم، ولقد شَهِدْت أرْبعًا أو خمْسا من الوصايا كُلُّها لم تُنَفَّذ، ومزَّقْتُها، ولم يُوافِقوا على إنفاق مائة ألف على روح والِدهم، وترك لهم عشرين مليون، فلا تَكُن تحت رحْمة إنسان قد لا يرْحمُك.

النقطة الثانِيَة، أنّ الحُظوظ سوف تُوَزَّع في الآخرة تَوْزيع جزاء لا تَوْزيع ابْتِلاء، فلو أنَّ فلانًا غَنِيًّا، ولو معه ألف مليون، فالقُدْرَة على الاسْتِمْتاع مَحْدودة، والسَّنوات مَعْدودة، فإذا نجَحَ في امْتِحان الغِنى وذلك بِإنْفاقِهِ تمتَّع بِنَعيم مُقيم إلى أبد الآبدين، أما إذا أخْفقَ صار في جهنَّم إلى أبد الآبِدين، فالامْتِحان في الدنيا مؤَقَّتَة، وهذا الحظ لا يغْني شيئًا، فقد أعطى الله المال لِمَن لا يُحِبّ ؛ وكذا القوَّة، ولكن العِلم والحِكمة لا يُعطيها إلا لِمن يُحِبّ، فالحُظوظ مُوَزَّعة في الدنيا تَوزيع ابْتِلاء، وفي الآخرة توْزيع جزاء، قال تعالى:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا(21)﴾

[سورة الإسراء]

فالجندي مثل رئيس الأركان ! والمُعلِّم الابتِدائي مثل رئيس جامِعَة ! مُمَرِّض مثل جراح القلب ! مرتبَةُ الدنيا لا تعني شيئًا، وقد تعْني العَكس، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ))

[رواه مسلم]

فالمال وسيلة وليس غايَة، ولكن عند أهل الدنيا غايَة، وإذا مات الإنسان ترك كل شيء، فعن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ بِنِصْفِ النَّهَارِ قُلْتُ مَا بَعَثَ إِلَيْهِ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِشَيْءٍ سَأَلَ عَنْهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ سَأَلَنَا عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْنَاهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ))

[رواه ابن ماجه]

فالحُظوظ مُوَزَّعة في الدنيا تَوزيع ابْتِلاء، وفي الآخرة توْزيع جزاء، قال تعالى:

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا(21)﴾

[سورة الإسراء]

الآخرة أبَدِيَّة وتعني كُلَّ شيء، أما المرتبة في الدنيا مُؤَقَّتة ولا تعني أنَّ الله يُحِبُّك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (15-07) : تفسير الآيات 124 - 127- 180

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلنا في سورة الشعراء، وفي هذه السورة عددٌ مِن قصص الأنبياء، واليوم الحديث عن قَوم عاد التي كذَّبَت المرسلين قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127)﴾

[سورة الشعراء]

نَقِفُ عند هذه الآية:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180)﴾

[سورة الشعراء]

يا تُرى هل في القرآن الكريم آيات تدلُّنا على من ينبغي أن نتَّبِعَهُ ؟! هل في القرآن الكريم آيات تُعطينا علامات للدُّعاة الصادِقين ؟ هناك عِدَّة آيات، ينبغي أن نهتدي بها، لأنَّ هذا العلْم دين فانْظُروا عَمَّن تأخُذوا دينكم، ويا ابن عُمَر، دينَكَ دينَكَ، إنَّهُ لحْمُكَ ودمُك، خُذ عن الذين اسْتقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا.

الآية الأولى:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180)﴾

[سورة الشعراء]

كلمة أجْر نَكِرة، والنَّكرَة تُفيد الشُّمول، أيْ أيُّ أجْرٍ ؛ قليل أو كبير جليل أو حقيرٍ، قريب أو بعيد، مادِّي أو غير مادِي، وما أسْألكم عليه مِن أجر، مِنْ هذه في اللُّغة العربِيَّة تُفيد اسْتِغْراق النَّوع، أي لو عرَضَ عليك أحدهم أن تكون شريكَهُ في مَشْروع، قلتَ له: ما معي مالٌ ! فأنت نَفَيْتَ المال الكافي لِهذا المَشْروع، مَطلوب منك مليون ومعك خمسمائة ألف، أما إذا قلتَ له: ما معي مِن مالٍ، فهذا يعني ليس عندك ولو ليرة واحِدَة ! مِن تُفيد اسْتِغراق أفراد النَّوع، فالله عز وجل قال:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾

[سورة الشعراء]

لا صغيرٍ ولا كبير، ولا سمْعة ومَدْح، ولا مال، إطْلاقًا قال تعالى:

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180)﴾

[سورة الشعراء]

الآية الثانِيَة: قال تعالى:

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20)﴾

[سورة يس]

أيْنما وُجِدَ المال والجاه، وإحْداث في الدِّين ما ليس فيه، وأينما وُجِدَت المَطامِع ؛ اِبْتَعِد عن هذا ! وكُلَّما وَجَدْتَ نزاهَة خالِيَة مِن كل أجر فاقْتَرِب من هؤلاء،

﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ(21) ﴾

[سورة يس]

فهذه علامَة.

العلامة الثانِيَة: قال تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(18)﴾

[سورة آل عمران]

علامة أولى العِلْم أنَّهم يشْهَدون لك عدالَةَ الله تعالى، أما لو قال لك أحدهم: الله عز وجل خلَقَهُ كافِرًا قبل أن يخلق، وأجْبَرَهُ على الكُفْر ثمَّ وضَعَهُ في النار إلى أبد الآبِدين، هذا كلامٌ غير مُقْنِع،:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(18)﴾

[سورة آل عمران]

أين قوله تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

[سورة الزلزلة]

وأين قوله تعالى:

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا(77)﴾

[سورة النِّساء]

وقوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(17)﴾

[سورة غافر]

وقوله تعالى:

﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(9)﴾

[سورة الروم]

وقال تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ(101)﴾

[سورة هود]

أين قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(56)﴾

[سورة هود]

فلو أنَّ نجارًا صنعَ من الخشي بابًا للمرحاض، وآخر لغرفة النوم فهل تقول له لماذا ؟! هذا غير مُقْنِع ! لأنَّه هو صاحب الملكيَّة، فالعلامة الثانِيَة ؛ ينبغي أنْ يشْهَدَ لك عدالةَ الله عز وجل.

العلامة الثالثة: قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا(39)﴾

[سورة الأحزاب]

فهذا الذي يُبَلِّغ رِسالاتِ الله فرَضًا لو أنَّهُ خَشِيَ غير الله، مِن لَوَازِم أنَّه يخْشى غير الله أنْ يسْكُتَ عن الحق إرْضاءً له، وأن ينطق بالباطل تَقَرُّبًا منه، فإذا سَكَتَ عن الحق، ونطَقَ بالباطِل، ماذا بَقِيَ من رِسالَة الله ؟! لِذا هذه الصِّفَة سمَّاها علماء اللُّغَة والبلاغة: صِفَة مُترابِطَة مع المَوْصوف ترابُطًا وُجودِيًّا، فأنت قد تقول هذه الطائرة كبيرة، والأرض كبيرة، وكذا الباخِرة كبيرة، وقد تقول هذه الطائرة فَخْمَة، والبيت كذلك فَخْمٌ، فهذه الكلمات صِفات مُشْتَرَكَة أما هناك في الطائرة صِفَة لو أُلْغِيَت لأُلْغِيَت الطائِرَة، نقول: هذه الطائرة تطير فالطَّيَران للطائرة ؛ صِفَة مُترابِطَة مع المَوْصوف ترابُطًا وُجودِيًّا، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا(39)﴾

[سورة الأحزاب]

لهم مليون صِفَة لكِنَّ الله سبحانه وتعالى مِن بينِ كُلِّ هذه الصِّفات اخْتار صِفَة واحِدَة، يَخْشَونه ولا يخشَوْن أحدًا سِواه، فَمَن خَشِي غير الله، وسكَتَ عن الحق إرْضاءً لِمَن خَشِيَهُ، وتَكَلَّم بالباطل إرْضاءً لِمَن خَشِيَهُ، ماذا بَقِيَ من التبليغ ؟! فهذه هي الصِّفة الثالثة.

الصِّفة الرابِعَة: قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ(108)﴾

[سورة يوسف]

معه دليل وبُرهان وحُجَّة وتَعْليم، فَدينُ الله أجلُّ وأعْظَم مِن أن تفْرِضَهُ فرْضًا، والحق لا يَخشى البحْث، وليس معي حُجَّة، بيِّن الدليل واسْمَع له وأعْطيهِ الجوَاب، فالذي يتَّبِعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم معه دليل ؛ دليل عَقلي ودليل نَقْلي وفطري وواقِعِي، وإن لم تَجْتَمِعِ الأدِلَّة كلُّها في موضوع واحِد، فهذا دليل على بطولة الموضوع، لا يُمْكِن للحقيقة الصِّرْفة أن يتخلَّى عنها دليل، عَقلي ودليل نَقْلي وفطري وواقِعِي، أربعة أدِلَّة يجب أن تتوافق، قال تعالى:

﴿أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾

[سورة يوسف]

الدليل الخامِس: قال تعالى:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(112)﴾

[سورة هود]

فالإنسان غير المُستقيم ليس مع رسول الله، وهذا مهما كان فصيح اللِّسان، رَكْعَتان مِن وَرِع خير مِن ألف ركعة مِن مُخَلِّط، ومَن لم يكن له ورَعُ يَصُدُّه عن مَعْصِيَة الله إذا خلا لم يعْبأ الله بِشَيْءٍ من عمَلِه، وتَركُ دانِقٍ من حرام، خير من ثمانين بعد حجَّة الإسلام، والله لأنْ أمْشِيَ مع أخي في حاجَته، خير من صِيامِ شَهْر واعتِكافي في مسْجدي هذا ! فالعلامة الخامِسَة هي الاسْتِقامة، وقبلها الدليل والتَّعْليل والحُجَّة والبرهان، ولا بدّ مِن دليل عَقلي ودليل نَقْلي وفطري وواقِعِي، والذي قبل هذا أن لا يَخْشى إلا الله، فإذا خشيَ غير الله سَقَطَتْ دَعْوَتُهُ والذي قبلها أن يسْألك أجْرًا بِكُلّ أنواعِهِ.

قال تعالى:

﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(124)﴾

[سورة البقرة]

حينما تُنَفِّذ أمْر الله بالتَّمام والكمال يسْمَحُ الله لك أن تكون إمامًا للناس والآية السابعة:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ(73)﴾

[سورة الأنبياء]

هناك ابْتِلاء كذلك، الابْتِلاء بالصَّبْر والشُّكْر، والابْتِلاء بالشُّكْر وبِتَطْبيق الحق مائة بالمائة، والاسْتِقامة على أمْر الله، والدليل والتَّعْليل والتَّنَزُّه عن الأغراض الدُّنْيَويَّة، هذه العلامات التي أشار القرآن إليها لِتَكون علامة مَن يجب أن تُصْغِيَ له، قال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

بالمُقابل:

﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(15)﴾

[سورة لقمان]

العلماء قالوا: لك آباءٌ ثلاثة ؛ أبٌ أنْجَبَك، وأبٌ زوَّجَك، وأبٌ دلَّك على الله، فالأب الذي أنجَبَك ينتهي فضْلُهُ عند الموت، والأب الذي زوَّجَك ينتهي فضْله عند الطلاق أو الموت، لكنَّ الذي دلَّكَ على الله يسْتَمِرُّ فضْلُهُ إلى الجنَّة إن أكرَمَنا الله بها.

قال تعالى :

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179)﴾

[سورة الشعراء]

الإنسان قد يطْلب أجْرا مادِّيا، مثلاً: لو معك شيك بِقيمة ؟ألف مليون دولار، وظَنَنْت أنَّ هذه ورَقَة عادِيَّة، وأجْرَيت على هذه الورَقة عملِيَّات حِسابيَّة، ثمّ تبيَّن لك أنَّ هذا شيكًا بقيمة كذا وكذا ! ما الذي تشعر به ؟! تصْطَدِم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-15) : تفسير الآيات 192 - 195

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، قصةٌ أخرى من سورة الشعراء، قال تعالى:

﴿(140) كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150)﴾

﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآَيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (157) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)﴾

[سورة الشعراء]

هذه قصَّةٌ من قصَص الأنبياء التي ورَدَتْ في سورة الشعراء نقف عند كلمةٍ واحدة.

قال تعالى:

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152)﴾

[سورة الشعراء]

فما هو الفسادُ ؟ هذا الماءُ أيها الإخْوَةُ لا لونَ له و لا طعمَ له و لا رائحةَ له،هكذا خلقَه اللهُ، هذا وضعُه الكاملُ و الصحيحُ، فإذا تلوَّثَ الماءُ بالجراثيم أو اختلطَ بالشوائِبِ أفسدَ طبيعةَ الجسدِ بالأمراض لأن الماء مُلَوَّثٌ أو نقول: ماءٌ فاسدٌ، الهواءُ نقيٌّ أوكسجين و آزوت . إذا صار مع ذلك ثاني أوكسيد الكربون بنسَبٍ عاليةٍ جدًّا، أعلى نسبِ التلوُّث في المدن 100/400، نقول الهواء فاسد، و إذا العلاقةُ بينَ الزوجيْن غيرُ سليمةٍ نقول العلاقة فاسدة، و إذا الفتاةُ تذهبُ يمينًا و يسارًا نقول عنها أنها فاسدةٌ، و إذا التاجرُ يأكلُ الربا نقول عنه أنه فاسدٌ، فالفسادُ هو خروجُ الشيءِ عن طبيعته التي خلَقَه اللهُ عليها، الله عز وجل أتقنَ كلَّ شيء خلقه، قال تعالى:

﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

[سورة النمل]

والله عز وجل أحكمَ كلَّ شيء خلقَه قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ(3)ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ(4)﴾

[سورة الملك]

والله عز وجل خلق كلّ شيءٍ بِكَمالٍ مُطْلق، قال تعالى:

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾

[سورة الملك]

لا تجِدُ في خلق الله تعالى درجة أولى بالصَّنْعة، ودرجة ثانيَة، فلأنَّ الله تعالى كامِلٌ كمالاً مُطْلَقًا، ولأنّ الله تعالى عليم علْمًا مُطْلَقًا، ولأنَّهُ حكيمٌ حِكمةً مُطْلقةً، ولأنَّه قدير قُدْرةً كاملةً فَخَلْقُهُ كامِل، مِن أين جاء الفساد ؟ قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(41)﴾

[سورة الروم]

جاء الفساد مِن صُنْع البشَر.

أيها الإخوة، قَضِيَّة في العقيدة أساسيَّة ؛ أنَّ أصْل الفساد يسْتَحيل أن يكون في أصْل الخلْق، فلو رأيْنا سيارة نزلَتْ بِوادٍ، وتلقَّتْ ألف ضَرْبة بالصُّخور حتَّى أصْبَحَتْ كالعجينة، فهل لك أن تقول: أيُّ مَصْنَعٍ صنعَها بِهذه الشاكِلَة ؟! المصْنع صَنعها بِشَكل مُمْتِع، وسُطوحها مُسْتَوِيَّة، وفيها أناقة، لكنَّ رُكوب السائق فيها وهو في حال الخَمْر جعَلَهُ يسقِطُها في الوادي، مِمَّا جعَلَ شَكْلها غير مألوف ولا معقول، فنحن لا نقول: هذه في أصْل صَنْعَتِها !! لا، وإنَّما هذا وضْعُ طارئ طرأ عليها، لذا هذه قَضِيَّة خطيرة في العقيدة، وهي أنَّه من اعْتَقَدَ أنَّ الفساد في أصْل الخَلْق فهو كافِر، فالخَلْق كامِلٌ كمال مُطْلق، قال تعالى:

﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

(سورة النمل)

أُنْظر إلى النَّحْل ؛ نِظامٌ اجْتِماعي كامِل، وكذا النَّحل، وأيُّ مَخلوقٍ من الإنس والجنّ، فهذه المَخلوقات ليْسَت مُخيَّرة، وكمالها مُطلق مِن أصْغر مخلوق إلى أكْبر مَخلوق، لذلك الفساد لا يُمْكِن أن يكون من أصل الخَلْق، ولكنَّه طارئ على الخلْق لِسَبَبَ ؛ وهو أنَّ هناك مَخلوق أُعْطِيَ حُرِيَّة الاخْتِيار، وأودِعَتْ فيه الشَّهوات لِيَرْقى بِها مرَّتَين ؛ مرَّة صابِرًا، ومرَّةً شاكِرًا إلى رب الأرض والسماوات، ووُضِعَ له منهَج يسير عليه الشَّهوات التي

هي في الأصل وسائِل للرُّقي جَعَلها أهْدافًا والحُريَّة التي مُنِحَها الإنسان لِيُثَمَّن بها عملُهُ جَعَلَها تَفَلُّتًا، والمنهَج الذي أنْزلَهُ الله على أنبيائِه لِيَكون مُرْشِدًا له جَعَلَهُ وراء ظَهْرِهِ، والواقِع أمامكم قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا(43)﴾

[سورة الفرقان]

كان الهوى وسيلةً مِن أجْل أن تتزوَّج، وأن تُنجِبَ أولادًا وتُرَبِّيَهم، وتأخذَ بِيَدِهِم، وأن تسْعَدَ بِهِم إلى أبَدِ الآبدين، فهذه الشَّهْوة الجِنْسِيَّة جَعَلها هدفًا فَزَنى، والشيء الآخر أنَّ هذه الحُريَّة التي أعطاه الله إيَّاه لِيُثَمَّنَ عملُهُ جَعَلها تَفَلُّتًا، وهذا المنْهَج القويم الذي أنزلَهُ الله على أنبيائِهِ جَعَلهُ وراء ظَهره، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا(30)﴾

[سورة الفرقان]

لذلك لمَّا أساء الإنسان اسْتِخدام حُرِيَّتِهِ، وَجَعَلَ الشَّهْوة هدَفًا وهي وسيلة ولم يعْبأ بِمَنْهج الله، ظَهَر الفساد في البرّ والبَحْر، فهذا الفساد ليس في أصْل الخلْق بل هو طارئ قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(41)﴾

[سورة الروم]

فالفساد مِن اخْتِيارهم، ولكن لماذا شاءَتْ حِكمة الله جلَّ جلاله أن يكون مع الفساد المرض ؟ فقد ورَدَ في الصحيح، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ))

[رواه ابن ماجه]

وهذا الحديث الصحيح مِن دلائل نُبُوَّة النبي عليه الصلاة والسلام والله عز وجل كما تعلمون أوْدَعَ فينا أعْظم جهاز يُسَمَّى جهاز المناعة المُكْتَسَب هذا الجِهاز بِكُلّ مليمتر مكُعَّب تحْوي سبْعة آلاف كُرِيَّة بيْضاء فَكَم كُرَيَّة في الجِسْم ؟! هذا جسم نِظامي، فَقِسْمٌ منه مُسْتَطْلِع يدْخل جرثوم يتَّجِهُ إليه فيأخُذ شِفْرتَهُ كيماوِيَّة، ويعود بها إلى مركز القيادة، ويُسَلِّمُها لِرُؤسائِه و رؤساء هذه المراكز تُعْطي هذه الشِّفْرة إلى خلايا كُرَيات بيْضاء مُصَنِّعة مُحَصِّنة، فَتَدْرُس الرَّمْز وتفُكُّ رُموزهُ، وتصْنعُ مَصْلاً مُضادًّا لِهذا الجرثوم، ومراكز القيادة تُرْسِل

مُقاتِلين يَحْمِلون هذا السِّلاح لِيُقاتِلون هذا الجرثوم، ومراكز القيادة تُرْسِل مُنَظِّفين، خلايا لاقِمَة تُنَظِّف أرض المعركة مِمَّا جرى منها ومن الجُثث، قال تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ(4)﴾

[سورة التين]

فلمَّا زنى، وشَرِبَ الخمْر وتناوَل المُخَدِّرات وشذَّ جِنْسِيًّا، قال تعالى:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ(5)﴾

[سورة التين]

الآن بالعالم هناك خمس وثلاثون مليون مُصاب بالإيْدْز، وهذا الرقَّم فيه زِيادة لا هَنْدَسِيَّة ولكن تِجارِيَّة، بِمُعَدَّل كلّ نِصْف ساعة يموت إنسانٌ في العالم بالإيْدْز والله تعالى حمى بلدنا بِسَبب الدِّين والإيمان بالله تعالى فَنَحن عندنا إصابات ولكن لا تُذكر مائة أو مائة وعشرة بِكُلّ القُطْر وأكثر هذه الإصابات جاءَت مِن خارِج القطْر وبلاد الغرْب، لذا أيُّ إنسانٍ يقْدُم إلى بلادِنا لِيُقيمَ بها يجب أن يفْحَصَ دَمَهُ.

أيها الإخوة الكرام، الفساد لا يُمْكن أن يكون في أصْل الخلق بل هو مِن صُنْع الإنسان، قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي(78)وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي(79)وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي(80)وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ(81)وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ(82)﴾

[سورة الشعراء]

لم يُعْزَ المرضُ إلى الله، فالخَلْق والهِداية عُزِيَت إلى الله، ولكن المرض لم يُعْزَ إلى الله تعالى وإنَّما عُزِيَ إلى الإنسان لِمُخالفَتِهِ منْهج الله عز وجل.

أيها الإخوة الكرام، ما مِن مُصيبة على الإطلاق تُصيبُ الإنسان أفرادًا ومُجْتَمَعات، ومِن آدم إلى يوم القيامة إلا بِسَبب خُروجهم عن منهَج الله فالفساد أن يجْعل الإنسان شَهْوته الهدَف، فالله تعالى رسَمَهَ له وسيلةً فكيف أنَّ بنزين مادَّة انْفِجارِيَّة تمْشي بها السيارة، فلا يُعْقل أن نضَعَ الماء أو اللَّبَن مكان البنزين في السيارة ! فهذا السائل الانْفِجاري لمَّا يوضَع في أنابيب مُحْكمة، ويسْري بِنِظامٍ دقيق، يُوَلِّد حركة نافِعَة فهكذا الشَّهْوة ؛ طاقةٌ وانْدِفاع، فإذا سار بها الواحِد على منهَج الله، لذلك قال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

كلّ إنسان يتحرَّك بِشَهواتِهِ دون منْهَج يزْني ويسْرق ويقْتُل مِن أجل دُرَيْهِمات.

أيها الإخوة، على الإنسان أن يسير منْهج الله، وأصْل الفساد مِن مخلوق أعطاه الله شَهْوَةً لِتَكون وسيلة يرْقى بها صابرًا وشاكرًا، فالنَّظر في الحرام يذلّك، أما غضّ البصر يرْفعُك، فهذه الشَّهوات ترقى بها أم تهْوي بها، فَحُرِيَّة الاخْتِيار هذه مِن أجل أن يُثَمِّن عملهُ، فهل يُعْقل أن يأخذ الإنسان حاسبَهُ إذا تعطَّل إلى اللَّحام أو الخضَّار ؟!! لذا لا تقل لي: قال فلان وفلان، فالذي يسْترشِد في حياتِهِ بأناس لا يفْهمون يكون أحْمَقًا وجاهِلاً، أما في قضايا حياتِك المصيريَّة لا تسأل إلا الشَّرْع، ولا تعتدي إلا برسول الله صلى الله عليه وسلَّم، لذا قال تعالى:

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152)﴾

[سورة الشعراء]

أمراض سرطان الجلد بأوروبا وأمريكا يبعن بالمائة، والسَّبب أنَّ ثقْبًا بِطَبقة الأوزون، وهذا الثُّقب سببه ارْتِفاع غاز الفَحْم، وبعض الغازات المُعَيَّنة في الجوّ، فالبحار والأجواء والهواء كلّ هذا مُلَوَّث، فهذا التلوُّث فساد في البرّ والبحْر، ومرض الإيذْز من نتائج الزنَا واللِّواط والمُخدِّرات قال تعالى:

﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(41)﴾

[سورة الروم]

فالإيدز بعض العقاب، أما العقاب الأليم فهو في جهنَّم، فالذي أفلَسَ من أجل الرِّبا فهل هذا هو العقاب الكامل له ؟ لا، هذا بعض العقاب، قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(185)﴾

[سورة آل عمران]

فهذه الأمراض هي بعض العقاب، وليس كلّ العِقاب، والله عز وجل يُعاقِب بعض المُسيئين عتبًا ردْعِيًّا لِبَقِيَّة المُسيئين، ويُجازي بعض المُحْسنين جزاءً تشْجيعيًّا لبعض المُحْسنين، أما الرَّصيد فَيَوْم القيامة فالفساد كلُّه نتيجة الخروج عن منْهَج الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-15) : تفسير الآيات 141 - 152

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لا زِلنا مع قصَّة قوم ثمودَ ومع نبيِّهم سيّدِنا صالحٍ وقفْنا البارحةَ عند قوله تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ(152)﴾

[سورة الشعراء]

اليومَ نقف عند قوله تعالى في هذه القصة، "

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ(151)﴾

[سورة الشعراء]

و التركيزُ في هذا الدرس على قوله:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147)﴾

[سورة الشعراء]

أيها الإخوةُ، الإنسانُ إذا خطَّطَ لمستقبلِه على حساب الآخرين خرج عن منهج الله، وبنَى مجدَه على أنقاض الآخرِين و بنى غِناه على إفقارهم و بنى عِزَّه على ذُلِّهم و بنى ثروتَه على اغتصابِ أموال الناس و خطَّطَ لحياةٍ هنيئَةٍ وَديعَةٍ ناعمة فيها تَرَفٌ و نعيمٌ و بهجةٌ، إذا سارَ الأمرُ على ما خطَّط يكون هذا الدين باطلاً، فأين الله ؟ "

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147)﴾

[سورة الشعراء]

الإنسانُ إذا أكل مال إخوتِه بعد موت أبيه و لم يعطِهم شيئا و أفقرَهم و تمتَّع وحدَه بالمال وبنى وعمَّر و اشترى وزخرفَ و زيَّن و حاول أن ينغمسَ في نعيم مستمِر، وهو يظنُّ أن الأمرَ يستمِرُّ إلى ما لا نهايةَ الجوابُ ؛ أين الله ؟ هذا الأعرابيَّ البدويُّ الذي سأله عمرُ: بِعنِي هذه الشاةَ و خذْ ثمنَها قال: ليسَتْ لي، قال: قل لصاحبك: ماتت أو أكلها الذئب، قال: واللهِ إني لأشدُّ حاجةً إلى ثمنها، و لو قلتُ لصاحبها ماتتْ أو أكلها الذئبُ لصَدَّقني، فإني عنده صادقٌ أمينٌ و لكنْ أين الله ؟

و مرَّةً قال لي طالبٌ: لي خالٌ صاحبُ دارِ سينما ودخلَ عليه وهو يبكي، أُصيبَ بمرض السرطان في دمِهِ في مُقتبَل العُمُر . خمسةٌ و أربعون سنة فقال لابن أخيه: جمعتُ هذه الثروةَ منْ أجل أن أعيشَ مُتَمَتِّعًا بها، و إن المرضَ أفسدَ عليَّ خطَّتي، قال تعالى:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147)﴾

[سورة الشعراء]

فمن استقامَ على أمر اللهِ خطُّه البيانيُّ صاعدٌ، لكنْ هذا الذي اعتدى و أخذ ما ليس له و لم يَعْبَأ بالحرام و لا الحلالِ، أكل أموالَ الناس بالباطلِ وحقَّقَ بالغِّشِ أرباحا طائلةً، وفي كلِّ مصلحةٍ له فيها غشٌّ، و ممكنٌ من الغشِّ أن تحقِّق ثروةً كبيرةً جدًّا، فإذا بنى الإنسانُ ثروتَه على الغش و الخداع و الكذبِ و الاغتصابِ و الاحتيالِ . بيتٌ و مزرعةٌ و معملٌ و مكتبٌ و مَركباتٌ . إذا نجحَتْ خُطَّتُه إلى ما لا نهايةَ معناه أن الدينَ باطلٌ و أن الله ليس موجودًا، قال تعالى:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147)﴾

[سورة الشعراء]

و قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة العنكبوت]

فهل في كلِّ يومٍ نستيقظُ فيه هو كسابقِه، لا، هناك مُفاجآتٌ خطيرةٌ جدًّا، فيُؤتَى الحَذِرُ من مأْمنِه، و لا ينفعُ حذرٌ من قدرٍ ولكن ينفع الدعاءُ ممَّا نزلَ و ممَّا لم ينزلْ.

أريدُ أن أقولَ في هذا الدرسِ إذا الإنسان جمَّع أموالَه بطريقٍ غيرِ مشروعةٍ و خطَّط لنفسه حياةً رغيبةً في الدنيا فيها ترفٌ و نعيمٌ و لم يعبأ بالمال الحرام الذي اكتسَبَه و لم يعبأ بمنهج الله الذي تركه ولم يعبأ بالأمر والنهي الذي عصاه، فإذا نجحَتْ خطَّتُه معنى ذلك أنَّ القرآنَ باطلٌ، قال تعالى:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147)﴾

[سورة الشعراء]

هناك مُفاجآت كثيرة جدًّا، لذا لا يقيك مِن عذاب الله تعالى إلا أن تكون في طاعته تعالى، ودائِمًا الإنسان مهما كان ذَكِيًّا، ومهما أخذ الاحْتِياطات ومهما أغْلَقَ الاحْتِمالات، ومهما دعَّمَ مَوْقِفَهُ، ومهما قوَّى مرْكزهُ وأسكَتَ خُصومَهُ، ومهما جلبَ المنافِع وأنشأ الأعوان، وأكْثر مَن حوله فالله عندهُ مُفاجآت، ويُؤْتَى الحَذِر مِن مَأمَنِهِ، أذْكُرُ أنَّني كنتُ مرَّةً عند طبيب، وجاءَهُ هاتِف، والجِهاز قديم وسَمِعْتُ صَوْتَ المُتَكَلِّم، قال له: أيّ

مكان بالعالم، وأيُّ مَبْلَغٍ ندْفَعُهُ فهل هناك مِن أمَل ؟! فقال له هذا الطبيب: واللهِ لا يوجد أمَل ! فَمَن هو الذي يقيك مِن عذاب الله تعالى ؟ أن تكون على مَنْهَجِهِ، ومهما خَطَّطْتَ لا يوجد مع الله تعالى ذَكِيّ وأبْرز هذه المفاجآت تعطُّل جِهاز الصِّحة ! فهذا أحدهم جاء بِشَهادة عُليا وزوْجة فِرنْسيَّة، ووصَلَ إلى مرتبة عاليَة ودَخْل كبير، فَفَقَدَ بصَرَهُ ! زارَهُ صديق لي، فقال له هذا الضرير والله يا فلان: أتمنَّى أن أجْلسَ على الطريق أمُدُّ يدي للناس، ولا أمْلِكُ شيئًا مِن الدُّنيا، ويُرَدَّ إليّ بصري !! فالآية دقيقة:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147)﴾

[سورة الشعراء]

وتَجِدُ الذي يُطيعُ الله عز وجل عليها قوَّة ونضارة، فهذا شيخٌ بلغ سِتَّة وتِسعين سنة سَمْعُهُ مُرهَق، وبصَرُهُ حادّ، وأسنانُهُ في فَمِهِ، وقامَتُهُ مُنْتَصِبَة، وذاكِرَتُهُ قَوِيَّة، وعلَّم ثلاثة أجْيال، فلمَّا سأل إخوانُهُ: يا سيِّدي ما هذه الصِّحة التي أكْرَمَكَ الله بها ؟! فكان يقول: يا بنَيّ حَفِظْناها في الصِّغَر فَحَفِظَها الله تعالى لنا في الكِبَر، ومَن عاشَ تَقِيًّا عاشَ قَوِيًّا، وأنا لا أُخَوِّف، ولكن أُبَشِّر، وهو أنَّ الإنسان إذا اسْتَقام على أمْر الله فإنّ خطَّه البياني صاعِد وإذا انتهى بالموت، فالموت تُحْفة المؤمن وعرسُهُ شرْط أن يمْشي على منهَج الله تعالى، أما إذا ألْقى بهذا المنْهَج وراء ظَهْرِهِ، ولم يعبأ بالحلال والحرام، وبالطاعة والمعْصِيَة، ويقول لك: غدًا أتوب في أداء الحجّ !! وكأنَّ أداء الحجّ عبارة عن مجموعة ذُنوب يُلقيها الإنسان في الحجّ! فالتَّخَلِّي عن الذُّنوب قَضِيَّة ليْسَت بِسَهْلة، فالحجّ الشَّكْلي هذا حجّ ليس فيه تصفية للذُّنوب، فالذُّنوب التي يظنُّ الناس أنَّها تُغْفر في الحج هي التي بينك وبين الله فقط، أما الذنوب التي بينك وبين الناس لا تسْقط إلا بِحالتين ؛ الأداء أو المُسامحة، فالإنسان يخَطِّط لِمُسْتقبلِهِ فهذا لا مانِعَ فيه، أما إذا بَنَيْتَ خُطَّةً على أساس معْصِيَة وعُدْوان واغْتِصاب وحِرْمان، فهذه الخِطَّة لن تنْجَح، لأنّ الله تعالى موجود ولأنّ الله تعالى رب، ذَكَر لي أحدهم بعد صلاة الجمعة، وطلب مِنِّي أن ألْتَقِيَ معه،، فقلت له تفضَّل: قال لي عندي محلّ بيْع أفلام مُنْحطَّة جدًّا وقد حقَّقْتُ ثرْوة طائلة، وأنا الآن في بَحْبوحة، وفجْأةً المحلّ أُغْلِقَ والأفلام صُدِّرتْ، وأصْبح الوَضْع خطير جدًّا، وأصبتُ بِأمراض أنا وزوْجتي علمًا أنَّني نشأتُ أُنْكِرُ وُجود الله، وله رئيس المحلّ قال له: اِفْعَل ما تشاء، وأنا قد قمتُ بِكُلّ ما يخْطر على بالِكَ !! وها أنا ذا أدخل المسْجد أوَّل مرَّة بِحَياتي، وقد تُبْتُ !! والله أيُّها الأخوة لمَّا خرج مِن عندي بَكَيْتُ وقلتُ: سبحان الله، لو بقيَ على حاله ومات لكان مصيره النار ! فَمِن رحمة الله أنَّه صحَّاهُ، قال تعالى:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147)﴾

[سورة الشعراء]

فالله رحيم وكريم، ولا يتْرُكُهُ، ويفاجئه بِمُفاجأة تنْزعُ له كلَّ ترْتيبِهِ فعلى الإنسان أن لا يُعَلّق آماله بالدنيا، والإنسان إذا اسْتقام أعزَّه الله ونصرهُ وحفظهُ، ويُلهِمُهُ الصَّواب، والله تعالى مع المؤمنين بالنَّصر والتأييد والحِفْظ، والرِّعايَة، أما إذا لم تكن هناك اسْتِقامة وأقْبلَت الدنيا عليه وهو على غير منْهَج الله فهو أحمق، وهذا يُسَمَّى اسْتِدراجًا.

بالمناسبة، لا تظنّ أنَّ ما ذُكر في كتاب الله من باب القصَّة أو الرِّوايَة فالقرآن أعظم مِن ذلك ! هذه القِصَص هي قوانين نمشي بها في حياتنا وأوْضَحُ مثلٍ لمَّا دَّلنا ربُّنا عن سيّدنا يونس، قال تعالى:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ(87)﴾

[سورة الأنبياء]

فأيَّةُ قِصَّة في كتاب الله هي قانون، وقِصَّة سيّدنا ثمود مع سيّدنا صالِح قال تعالى:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147)﴾

[سورة الشعراء]

فالإنسان إذا خطَّطَ وكان عاصِيًا لله، وكان قَوِيًّا وغَنِيًّا، وذَكِيًّا، سيفاجئ أنَّ الله تعالى أفْسَدَ عليه خِطَّتَهُ.

وإذا قال الواحد ؛ أنا عندي شَواهِد لأُناسٍ عُصاة ماتوا من دون أن يحْدث لهم شيء ! نقول له: الموت ذاتهُ إنهاءٌ للحياة، لذا الموت نِهاية كلّ حيّ فالذي لم يكن له نصيب ردْعي في الحياة الدُّنيا، فهذا يكون له عقاب دائِم في الآخرة، والله عز وجل يُعاقب إنسانًا في الدنيا، لا بدّ أن يعْلَم أنَّهُ على خَيْر، وفيه أمَل، أما الذين لا يُعاقبون في الدنيا إطلاقًا ؛ هؤلاء هم شرّ الناس، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)﴾

[سورة الأنعام]

فهذه الآية عظيمة جدًّا، قال تعالى:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152)﴾

[سورة الشعراء]

الدرس (10-15) : تفسير الآيات 192 - 200

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، هناك حقيقة قد تبْدو لِبَعض الناس غريبةً ؛ وهي أنَّ الإنسان قد يَفْهَمُ القرآن فهْمًا مَعْكوسًا، وقد يزيدُهُ القرآن ظلْمًا، إن لم يَكُن مُسْتقيمًا.

العلم ثلاثة أنواع: عِلْمٌ بِخَلْق الله، وعلْم بأمْرِهِ، وعِلْمٌ به، فالعِلْم بِخَلْقِهِ يَحْتاج إلى مُدارَسَة، وإلى كتبٍ وقِراءة، وذاكِرة وبَحْث وإلى أدِلَّة وتَعليل وإلى وقْت ومراجَعَة، وإلى مُعَلِّم ؛ كُل هذا اسْمُهُ مُدارسَة فالعِلْم بِخَلْق الله يَحتاج إلى مُدارَسَة.

والعِلْم بِأَمْر الله، يحتاج كذلك إلى مُدارَسَة، فلو دَخَلْتَ إلى كُلِيَّة الشريعة ؛ علم الفقه وأصوله، أحكام البيوع وأحكام الفرائض والأحوال الشَّخْصِيَة، هذه تَحتاج إلى دِراسَة وإلى مُعَلِّم وإلى دوام وإلى كتب وامْتِحان ؛ هذا كُلُّه اسْمُهُ مُدارَسَة ولكن أنْ تَعْرِفَ الله، وأن تَعْرِفَ عظَمَتَهُ وأن تسْتقيم على أمْرِهِ فهذا يَحْتاج إلى مُجاهَدَة وإلى طاعة لله تعالى وضَبْط الدَّخل والإنفاق، وضَبط السُّلوك والجوارِح، والبيت، والدليل هذه الآية:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(195)﴾

[سورة الشعراء]

كلام و بِلِسانٍ عربيٍّ مُبين ؛ أنَّ أحَدَ أسباب فَهْم كتاب الله إتْقان اللُّغَة العرَبِيَّة لأنَّه نزل بلِسانٍ عربيّ، فلن تستطيع أن تَفْهَمَ كتاب الله إلا إذا أتْقَنْتَ خصائص هذه اللُّغَة وقواعِدَها وفِقْهها ونَحْوَها وصرْفها وبلاغَتَها قال تعالى :

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(195)﴾

[سورة الشعراء]

فالشاهِد أنَّه لو نزل هذا القرآن على إنسان أعْجَمي وهندي أو فارِسي بِلُغَتِهِ فقَرَأَهُ عليهم ما كانوا به مؤمنين ! سافَرْتُ مرَّةً لِبَلَدٍ وسَمِعْتُ خِطابًا ساعَتَين ونصف فما فَهِمْتُ منه ولا كلمة ؛ باللُّغَة الفارِسِيَّة، فلو أنَّ القرآن نزل باللُّغَة الأعْجَمِيَّة فقرأ النبي هذا القرآن باللُّغة الأعْجَمِيَّة على قومِهِ العرب ؛ هل يفْهمون منه شيئًا ؟! قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(195)﴾

[سورة الشعراء]

فالواحد المُنْحَرف في الدَّخل والمعاصي واللاأخلاقِيَّات، فهذا إذا حضَر التَّعْزِيَة ألا يسْمع القرآن ؟! يسْمَعُهُ، ولكن لا يَغْنيهِ إطلاقًا ! قال تعالى :

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(195)﴾

[سورة الشعراء]

قال تعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا(82)﴾

[سورة الإسراء]

يقرؤونَهُ فَيَزْدادون بِقِراءَتِهِ خسارة، لذا فهْم القرآن يحْتاج إلى طهارة باطِنِيَّة، ولذا قال العلماء: لا يمَسُّهُ إلا المُطَهَّرون، ومِن معاني المُطَهَّرين ؛ طاهِر النَّفْس، وقد يقول أحدهم: هذه نَهْي ! ولكن لو كانت اللام ناهِيَة لكان الفِعْل: لا يَمْسَسْهُ، يُفَكُّ التَّضْعيف كأن تقول: مدَّ لم يمْدُد، وشدَّ، لم يَشْدُدْ، فالفِعل المُضَعَّف الآخر إذا سبقه جازِم يُفَكُّ التَّضْعيف، أما إذا سبَقَهُ حرف نفي، فإنَّهُ يبْقى على حالهِ، شدَّ وما شدَّ، فاللام هنا للنَّفي وليْسَت للنَّهْي، فهذا حُكْم تَكْويني وليس حكما تَكْليفيا، أيْ مِن طبيعَة غير المُطَهَّر أنَّه لا يفْهمُ كلام الله، وهذه حقيقة فأنت بِمُجَرَّد أن تسْتقيم على أمْر الله تجد نفْسَك تفْهم كلام الله، وتراه يسيرًا وواضِحًا، لذا فَهْمُ كلام الله وحْدهُ، أما فهم أي نصٍّ آخر يمكن أن يفهمه أيّ واحد، فالمُلْحِد قد يفْهم جلّ الكلام إلا كلام الله تعالى والدليل الثاني:

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ(44)﴾

[سورة فصلت]

والدليل الرابع:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا(82)﴾

[سورة الإسراء]

والدليل الرابع:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)﴾

[سورة الشعراء]

لذا الواحِد إذا لم يسْتَوْعِب عليه أن يتَّهِم اسْتِقامَتَهُ أحيانًا لأنَّ الإنسان حتْمًا يتحرَّك بأَحَد باعِثَيْن ؛ باعِث العَقْل أو باعِث الشَّهْوَة باعِث الذات أو إرْضاء الله تعالى، باعِث الآخرة أو الدنيا، وباعث المعْصِية أو الطاعة، باعث الخير أو الشر، باعِث الهَوَى أو القِيَم ولا يوجد باعث ثالث، والدليل قوله تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

إن لم تَكُن على الحق فأنت حتْمًا على الباطِل، وإن لم تتَّبِع العَقْل فأنت حتْمًا تتَّبِعُ الهَوى، وإن لم تسْتجب لأمْر الله فأنت حَتْمًا تسْتجيب للشَّيْطان، لا يوجد باعث ثالث بينهما.

والنُّقْطة الثانِيَة ؛ أنَّك بين نُقْطَتَيْن ؛ نقطة الحق ونقطة الباطل، فإن اقْتَرَبْتَ من الحق ابْتَعَدْت حُكْمًا عن الباطِل، وإن اقْتَرَبْت من الباطِل ابْتَعَدْتَ حُكْمًا عن الحق، والدليل قوله تعالى:

﴿ يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة ص]

اِتِّباع الهَوَى ابْتِعادٌ عن الحق، يجب أن تؤمِن بالاثْنَيْنِيَّة ؛ الحق أو الباطِل، المَبْدَأ أو الشَّهْوة، العَقْل أو الغريزة، الدنيا أو الآخرة إرْضاء الذات أو إرْضاء الله عز وجل، لذا على الإنسان أن يعْرِفَ مكانَه فأهمّ شيء مثلاً في البَحْر البوْصلة، لأنَّه بِها يتحرَّك التَّحَرُّك الصحيح، فَكُلّ واحِد مِنَّا يجب أن يعْرِفَ مَوْقِعَهُ، وحجْم إيمانِه، يجب أن تعرف هل أنت معَ القِيَم أو مع الشَّهوات، مع الدنيا أو مع الآخرة مع مَصْلحتِك أم مبْدئِك ؟ قال تعالى:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)﴾

[سورة الشعراء]

لن تفهَمَ ولا أيّ كلمة، ولا أيّ حرف لو تكَلَّم معك إنسان، قال تعالى:

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200)﴾

[سورة الشعراء]

كما لو أنَّك تقرأ عليه قرآنًا بالفارِسيَّة، أما لمَّا يسْتقيم الإنسان تتفتَّحُ مدارِكُهُ، ويُلْقى في قلْبِهِ النور، والحِكْمَة، وقُدْرة على الفَهْم عجيبة، وهذا ما قالهُ بعض العلماء.

النُّقْطة الأخيرة ؛ أنَّ الذي يتَّبِعُ الهوى يُضِلُّهُ عن سبيل الله، ويوقِعُهُ في الظلم، لأنَّ مِن شأن اتِّباع الهوى العُدْوان، فأنت إن اتَّبَعْتَ الهَوَى وِفْقَ منهَجِ الله فلا غبار عليك، أما إن اتَّبَعْتَ الهوَى مِن غير هُدًى من الله فلابدّ مِن أن تَقَعَ في العُدْوان والظُّلْم، وحينها تسْتَوْجِبُ العِقاب، والآية دقيقة جدًا، والدليل الثاني:

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ(44)﴾

[سورة فصلت]

والدليل الرابع:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا(82)﴾

(سورة الإسراء)

والدليل الرابع:

﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(79)﴾

[سورة الواقعة]

هذه اللام نافِيَة، فأنا لمَّا أضَع إشارة ممنوع المُرور فالطريق هنا سالِك أما إذا وَضَعْت الإسمنت وقَطَعْتُ الطريق للمارَّة فأنا منَعْتُ المُرور وهذا فرْق كبير، إنَّ الله أمرَ عباده تخْييرًا، ونهاهُم تَحْذيرًا وكلَّفَ يسيرًا، ولم يُكَلِّف عسيرًا، وأعطى على القليل كثيرًا، فأحَدُ أسباب فَهم الكتاب والعلم الدِّيني الاسْتِقامَة على أمْر الله، فأنت مُمْكِن أن تأخذ أعلى شَهادَة بالأرض، ونفْسُكَ أنْجَسُ نفْس !! العُلوم الأرْضِيَّة لا تَحْتاج إلى طهارة نفْس، لذا مِن أجل قُدْسِيَّة هذا العِلْم الطَّهارة النَّفْسِيَّة، فقد يكون له أعلى مرتَبَة علْمِيَّة وشهادة دنيويَّة، وهو في أحطّ مرتبة أخلاقِيَّة، فقد يقْتُل ! لماذا قتَل ؟! فالله لا يسْمَحُ لك أن تفْهم القرآن إلا إذا كنتَ طاهِرًا، قال تعالى:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)﴾

[سورة الشعراء]

فإذا لم يفْهم الواحِد كتاب الله معنى ذلك أنَّ به خللاً، والعقْل له وظيفَتيْن ؛ إما أن يكون قائِدًا له، وهي الوظيفة الطَّبيعِيَّة، أما الوظيفة الخطيرة المُدَمِّرَة أن يكون عقْلُهُ جِهاز تَبْرير ؛ كُلَّما غلَط وتحامَقَ وهبَطَ في مُسْتوى شهواتِهِ يسْتَنْتِج بِعَقْلِهِ كي يُفَلْسِفَ له انْحِطاطَهُ فَكُلُّ المذاهِب الوَضْعِيَّة الهدَّامَة هي فلْسَفَة عَقْلِيَّة لانْحِراف خُلُقي، فلمَّا الإنسان يسْتخدِم عقْلَهُ للتَّبْرير يكون على عَكْس ما خلقه الله عز وجل فالذي يقول مثلاً الاخْتِلاط يُهَذِّب النُّفوس ! هذه فِكْرَة خبيثة مِن عَقْل مُبَرِّر والذي يقول لك أنا إن لم أسْرِق لا يُمْكِنُني أن أعيش، أين توحيد الرازِقِيَّة ؟ الله هو الرزاق ذو القوة المتين، فأخْطَر شيء ونعوذ بالله أن نسْتَخْدِم عُقولنا لِتَبْرير أخْطائِنَا، فَكُلّ الأعمال المُنْحطَّة تُبَرَّر والحَسَنُ ما حسَّنَهُ الشرع، والقبيح ما قبَّحُ الشَّرْع.

الدرس (11-15) : تفسير الآيات 205 - 207

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية السادسة بعد المائتين في سورة الشعراء، كان الخليفة الراشِد الذي يُعَدُّ حقيقةَ خامِس الخلفاء الراشِدين سيّدُنا عمر بن عبد العزيز كان كُلَّما دخَلَ إلى مكان تَسْيير الأمور يتْلو هذه الآية التي هي مِن أبْلَغِ الآيات ؛ قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)﴾

[سورة الشعراء]

وهذه الآية تَصْلُحُ أن يقْرأها الإنسان على نفْسِهِ كُلَّ يوم إذا كان مُتَمَتِّعًا في الحياة الدنيا، فهذه المُتْعَة هل لها مَرْدود ؟ الجواب: لا فالإنسان إذا أراد أن يجْلس في حوض سِباحَة وماء فاتِر، لو جلَسَ في هذا الحَوْض عشَراتِ الأيام ؛ هل يُصْبِحُ طبيبًا ؟! هل يُصبِحُ تاجِرًا ؟! هل يُؤَلِّفُ كتابًا ؟! الجَلْسَةُ مُمْتِعَة فالماء الفاتِر يُريحُ الأعصاب، والإنسان إذا اسْتَلْقى على فِراشِهِ وأخَذَ حظَّهُ من الدنيا، وإذا نالَ كُلّ حُظوظهِ كامِلَةً ثمَّ جاءَهُ ملك الموت، قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)﴾

[سورة الشعراء]

أربعين أو خمْسين سنة، وأحْيانًا تجد الواحِد عمرهُ تِسعين سنة، وذو صِحَّةٍ جيّدَة ومَسْرور، وله أذْواق في الطعام والنُّزُهات نادِرة، فهذا لو تمتَّع ألْف سنَة ! قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)﴾

[سورة الشعراء]

فسيِّدُنا عمر بن عبد العزيز الذي يُعَدُّ حقًّا خامِس الخلفاء الراشِدين كان يتلو هذه الآية كُلَّ يوم، وكُلَّما دخَلَ إلى مكان عملِهِ، وأنا لا أُسَمّيهِ قَصْرًا، كُلَّما دخَلَ إلى المكان الذي يُسَيِّر فيه أمور راعِيَتِهِ يتْلو هذه الآية:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)﴾

[سورة الشعراء]

أيُّها الإخوة، يجب أن نَعْلَمَ عِلْمَ اليقين أنَّ الفقْر الحقيقيّ هو الفقْر مِن العَمَل الصالِح، وأنَّ الغِنى الحقيقيّ هو غِنَى العَمَل الصالِح ؛ يُؤَكِّد هذا قَول الله عز وجل على لِسان سيّدنا موسى عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام حينما سقى لهما وتولى إلى الظلّ، قال تعالى:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(24)﴾

[سورة القصص]

الخَيْر أن تأخذ بِيَدِ إنسانٍ إلى الله تعالى لأنَّ حجْمَكَ عند الله بِقَدْر عملِكَ الصالِح، قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(19)﴾

[سورة الأحقاف]

فلو أمْضى الإنسان كُلّ حياتِهِ يسْتَمِع ويتأثَّر، ويقول: والله كلام طيِّب وهذا كلامٌ عميق، وكلامٌ فيه صِدْق، ولو اسْتَمَع ما شاء الله، ولم يخْرُج منه عمَلٌ يُؤَكِّد فهْمَهُ لِهذا الكتاب، ليس عند الله بشيء.

مرَّةً ثانِيَة أيُّها الإخوة، حجْمُكَ عند الله بِحَجْمِ عمَلِكَ الصالِح، وكُلَّما نمى صِدْقُكَ وحُبُّكَ ينْمو معه عمَلُكَ ؛ لأنَّ الإيمان ما إن يسْتَقِرّ في قلب الإنسان حتَّى يُعَبِّر عن ذاتِهِ بِذَاتِهِ مِن خِلال عملٍ صالِحٍ، فدائِمًا هناك سُؤال ينبغي أن يكون في ذِهْنِ كُلٍّ مِنَّا ؛ ماذا قدَّمْتُ للإسلام ؟ أحْيانًا الإنسان يتعلَّم ويُعَلِّم، وأحْيانًا يُساعِد بِمَالِهِ، وبِقُوَّتِه، ينشئ مُستشفى ويُقَدِّم مَعونَة، يُسْهِم في بناء مَسْجِد، وطَبْع كِتاب، يرْعى أيْتام، ويُعينُ الضُّعَفاء، وينْتَصِرُ لِمَظْلوم، دائِمًا اسْأل نفْسَكَ هذا السُّؤال: ماذا قدَّمْتُ للإسلام ؟ كيف ألْقى الله عزّ وجل ؟ وما العَمَل الذي سيَكون بين يديّ لمَّا ألْقى الله ؟ لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((يا بشر لا صدقَةَ ولا جِهاد فبِمَ تلْقى الله عز وجل ؟))

لأنَّ الله تعالى قال:

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ(54)﴾

[سورة سبأ]

كُلّ واحِد له ترْتيب في بيْتِهِ وجَلْسَةٌ مُريحَة، وسرير مُريح، وله كان في غرفة الجلوس، وحوْله زوْجتُهُ وأصْهارُهُ، وله أذْواق، ولكن حينما يأتي ملَكُ الموت حيلَ بينهم وبين ما يشْتَهون، ولو أنَّها مُباحَة ولو أنّها مَشْروعَة ؛ يُحال بينك وبين الشَّهوات فجْأَةً، وفي ثانِيَة واحِدة ألا تنظر بين هذه المُفارَقَة العجيبة ؟ مِن بيتٍ مُريحٍ جدًا إلى أحد مقابر دِمَشْق ! أربعة وعشرون سنة، وإكْرام المَيِّت تَرْحيلُهُ، يعودون إلى البيت وقد خلَّفوه تحت التُّراب، هذا مصيرُنا جميعًا، ولا ينْجو منه أحد، فَكُلّ العقْل والحِكْمة في الإعْداد لِهذا القبْر الذي هو صنْدوق العَمَل قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)﴾

[سورة الشعراء]

تمتَّع كما تُريد، سيِّدُنا إبراهيم عليه وعلى نبيّنا أفْضل الصلاة والسلام قال:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(35)﴾

[سورة إبراهيم]

فربُّنا عز وجل قال ومَن كفَر، تَمَتُّعُ الإنسان بالحياة هل هو دليل رِضى الله تعالى عليه ؟! لا أبَدًا، فلا علاقة بهذا إطْلاقًا، رِضاء الله تعالى مَنوطٌ بِطَاعَتِهِ، ومِقْياس رِضى الله عنك طاعتُكَ له، قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)﴾

[سورة الشعراء]

فالإنسان إذا مال إلى الاسْتِرْخاء، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ:

((إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ))

[رواه أحمد]

والمقْصود بالتَّنَعُّم هنا أن تَقْصِدَهُ وأن تَجْعَلَهُ دَيْدَنَكَ، والهدف لك، لكن يُمكن لله تعالى أن يجْعَلَ الدنيا كالجنَّة؛ راحَةَ نَفْسِيَّة وطُمأنينَة وشُعور بالفَوْز والرِّضا، وأنَّ الله تعالى يُحِبُّك، لكنَّ المؤمن في الدنيا يَعْمَل كما قال سيِّدنا عمر: الليل والنَّهار يَعْمَلان فيك، فاعْمَل فيهما، فَكُلّ واحِد فيه بالحاسَّة السادِسَة قُدْرة ؛ فلان عمرهُ ثلاثون، وذاك أربعون مِن أين يأتي بِهذه الأرقام ؟ مِن ملامِحِ الوَجْه والجسَد، هذا فِعْل الليل والنهار.

أيها الإخوة الكرام، ورَدَ في بعض الأدْعِيَة ؛ **لا بورِكَ لي في طُلوعِ شَمْس يوم لم أزْدَدْ فيه مِن الله تعالى عِلْمًا، ولا بورِكَ لي في طُلوعِ شَمْسِ يَوْمٍ لم أزْدَدْ فيه من الله قُرْبًا**، فَكُلّ يَوْمٍ لم تَزْدَدْ فيه عِلْمًا وعملاً هو يومٌ خاسِر ولو كان ربِحْت بذاك اليوم خمسمائة ألف، لأنَّ الإمام الحسَن البصْري يقول: ما مِن يوْمٍ ينشقّ فجْرُهُ إلا ومُنادٍ يُنادي: يا ابن آدَم أنا خلْق جديد وعلى عملِكَ شَهيد، فَتَزَوَّد مِنّي فإنّي لا أعود إلى يوْمِ القِيامَة! وكان عليه الصلاة والسلام كُلَّما اسْتَيْقظ صباحًا يدْعو بهذا الدُّعاء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدُ فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ))

[رواه الترمذي]

هناك إنسان ينام، ومن النَّوْم إلى الموْت، أحد النِّساء لَمَسَت زوْجَها بالليل فإذا يَدُهُ بارِدَة فلما رأتْهُ فإذا به ميّت ! أعْطاك يوْمًا جديدًا وعافاك فيه، وسمَحَ لك أن تذْكُرَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))

[رواه الترمذي]

مُضي الأيام والشُّهور والسَّنوات والعُقود، فهل الأيام نفْسُها ؟! سألْتُ أحدهم فقال لي: هناك خمسين نعي يوميًا بالشام، لذا اعْلَموا أنَّ مَلَكَ الموت قد تخطَّانا لِغَيْرنا، وسيَتَخَطَّى غيرنا إلينا، فلْنَتَخِّذ حِذْرَنا.

الدعاء الشريف: **بادِروا بالأعمال الصالِحَة فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا**..."المؤمن له آية خاصَّة، قال تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

شيءٌ يُمَلَّك، وشيء ثَمين، لها ما كسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ، معنى ذلك أنَّ الزَّمَن لِصالِحِ المؤمن، ومُضِيُّ الأيام والليالي لا يزيدُهُ إلا تألُّقًا ولا يزيدُهُ إلا قرْبًا وعِلْمًا، ولا يزيدُهُ إلا عملاً صالِحًا، فإذا جاء الموتُ كان تُحْفَتَهُ وعُرْسَهُ، وانْتَقَلَ إلى نعيم مُقيم، قال تعالى:

﴿قِيلَ ادْخُلْ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ(26)﴾

[سورة يس]

أنا أتحدَّثُ عن إنسانٍ شَرَدَ عن الله، فهذا الشارِدِ الأيام إلى ما شاء الله لي فيها مُفاجآت ! هناك فقْر مُنْسي، وكاد أن يكون الفقر كُفْرًا، أو غِنًى مُطْغِيًا، وهناك غِنى عدَّهُ النبي عليه الصلاة والسلام مُصيبَةَ الغِنى الذي يَحْمِلُكَ على مَعْصِيَة الله، وعلى الفُجور، أنا أعْرِف أشْخاص كثيرين على الدَّخْل الكبير شَردوا وفجَروا، وتركوا الصلاة وباتوا في النوادي الليليَّة ! أصْبَحَ دَخْلُهُ كبيرا !!! هذه مُصيبَة، سَبْعَةُ أشياء تَقْسِمُ الظَّهْر، وينتظِرُها كلّ إنسانٍ شرَدَ عن الله تعالى، أما المؤمن فالزَّمَن لِصالِحِه، أما غير المؤمن فلهُ المُفاجآت، فقْرٌ مُنْسي وغِنىً

مُطْغي، مرض مُفْسِد، هرم مُفَنِّد، وموت مُجْهِز، ودجال والساعة فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا، فالإنسان كُلَّما كان عاقِلاً ذَكِيًّا يعيشُ مُسْتَقْبَلَهُ، وكلَّما كان أقل عقْلاً يعيشُ حاضِرَهُ، وكُلَّما كان غَبِيًّا يعيشُ ماضيهِ، والبُطولة أن نهيئ أنْفُسَنا لهذه الساعة، وهي شِعار سيّدِنا عبد الله بن عبد العزيز، قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)﴾

[سورة الشعراء]

لذلك قال سيِّدُنا علي رضي الله عنه قال: **والله لو عَلِمْتُ أنَّ غدًا أجَلي ما قَدَرْتُ أن أزيد في عملي !** المؤمن بهذه السرعة يمْشي إلى الله صلاة وتِلاوَة وإنْفاق وعمل صالِح، وأمْر بالمَعروف، ونَهي عن المُنْكَر، طلب العلم، وتعليم العِلْم، باب الأعمال الصالِحَة مَفْتوح حتَّى أن تضَعَ اللُّقْمَةَ في فيّ زَوْجَتِكِ لك بها صَدَقَة، وأن تُميط الأذى عن الطريق هو لك صَدَقَة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12-15) : تفسير الآية 213

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في حياة الإنسان مسرَّاتٌ وآلام، فالآلام مادِيَّةٌ ومَعْنَوِيَّة، والآلام المَعْنَوِيَّة ترْجِعُ في معظمِها ودون مُبالَغَةٍ إلى الشِّرْك والدليل قوله تعالى في الآية الثالثة عشر بعد المائتين من سورة الشعراء:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) ﴾

[سورة الشعراء]

قد يقول أحدكم: أنا لا أعْبُدُ إلا الله، وكلامُهُ صحيح، ولكِنَّهُ يدْعو مع الله جِهَةً ؛ إنسانًا أو أخًا أو صديقًا أو ابنًا أو زوْجَةً أو قَوِيًّا، أو مَن هو فوْقَه ! فأنت لا تجْعَلُهُ إلهًا ولكن تُعامِلُهُ كما يُعامَلُ الإله ؛ تَخْشاهُ وتَعْصي الله، وتُرْضيهِ وتَعصي الله، تُعَلِّقُ الأمَل عليه، ولا تعبأُ بِوَعْد الله، وتخافُهُ ولا تخاف الله، وترْجوهُ ولا ترجو الله، وتُرْضيهِ ولا تُرْضي الله، فإذا أرْضَيْتَ جِهَةً غير الله فهذا هو الشِّرْك، قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) ﴾

[سورة الشعراء]

حينما تعْتَقِدُ أنَّ إنسانًا بِيَدِهِ أمْرُك، ومصيرُكَ، ورِزْقُكَ، وبِيَدِهِ أن يُعْطِيَكَ، وأن يمْنَعَك، وبِيَدِهِ أن يرْفَعَك وبِيَدِهِ أن يخْفِضَك ؛ هذا الإنسان أنت عامَلْتَهُ كما يُعامَلُ الإله، لذلك سوف تأتي للنَّفْس البشَرِيَّة آلامٌ لا توصَف، قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) ﴾

[سورة الشعراء]

المُعَذَّبون في الأرض ؛ هذه القِصَّة الشَّهيرة، من هم المُعَذَّبون في الأرض ؟ الذي جعلوا مع الله إلهًا آخر لكنَّ هذا الإله الآخر، قد لا يرْضَى عنك، وقد لا يُسْتَرْضى، وقد لا يعْلَم، وقد لا يسْتطيع، وإن اسْتَطاع لا يعْلَم، وإن علِمَ لا يقْدِر، وإن لم تَسْتَرْضِهِ غَضِب، وإن أرْضَيْتَهُ غَضِبَ الآخر، وإن أرْضَيْتَ الآخر غضِب هو! تَمَزُّق، لذا دَعْكَ مِن هؤلاء جميعًا واتَّصِل بالله، وأرْضِهِ وحْدَهُ، قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) ﴾

[سورة الشعراء]

تصَوَّر شركة مات صاحِبُها، وترك أولادًا عِدَّة، وكُلّ واحِدٍ مِن أولادِهِ له طَبْع، ورأْي وأمر ونهْي، وله ما يُغْضِبُهُ وله ما يُرضيهِ ؛ هؤلاء العُمَّال يتمزَّقون ؛ إن أرضَيْتَ زَيْدًا أغضبْت عُبيْدًا ! وإن خرجَ مِن المَعْمَل لِيُلبِّيَ رغْبة ذاك غضِبَ الأخ الآخر ! لذا أيها الإخوة ؛ التَّوحيد أحد أسباب السعادة، وأيُّها الإخوة ووالله لا أُبالِغ ؛ كُلَّما تقدَّم العِلم اكْتشَفَ أنَّ الصِحَّة النَّفْسِيَّة أحدُ أكبر أسباب الصِحَّة الجَسَدِيَّة، وأنَّ مُعْظَمَ الأمراض الوبيلة بِسَبَبِ الشِّدَّة النَّفْسِيَّة ؛ وهذه حقيقة يعْرِفُها الأطِبَّاء، أمراض القلب، وجهاز الهضْم، وضَغط الدَّم، والسُّكر وآلام عضَلِيَّة، يكاد كُلَّما تقدَّم العلم يكْتشف أنَّ لكلّ مرض عُضْوي سببًا نَفْسيًّا، وأنَّ الشِدَّة النَّفْسِيَّة مرْجِعُها إلى الشِّرْك، تخاف الإنسان فهذا الإنسان لايرْحَمُك ولا يُحِبُّك، ويتمنَّى أن يُوقِع بك، وتخافُهُ وتنسى الله، ترْجو إنسانًا فيُخَيِّبُ ظنَّك، وتضَعُ الثِّقَةَ بِزَوْجَتِك فلا تكون في المُسْتوى المَطلوب، وتُرَبِّي الطِّفل وتتعب عليه، وبعدها يهْجُر ويذْهب ويتزوَّج امرأة أجْنَبِيَّة ولا يعود، ولا يُراسِلُك تمامًا، لذا أحد أمراض العذاب النَّفسي أن تدْعُوَ مع الله تعالى إلَهًا آخَر، وأن تُشْرِك، وما تعلَّمت العبيد أفضل من التَّوْحيد، والقرآن الكريم كُلُّه حول التَّوحيد والدليل قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(110)﴾

[سورة الكهف]

فالله عز وجل لخَّص لنا القرآن الكريم كُلَّه، وأنا أُؤَكِّد لك أنَّ دعوة الأنبياء جميعًا هي التَّوْحيد، والدليل قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(4)﴾

[سورة إبراهيم]

لمَّا تُوَحِّد تُزاحُ عنك كُلّ المُشْكِلات ؛ مُشْكِلات الصِّحة، قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)﴾

[سورة الشعراء]

ومُشْكِلات الأُسْرة، قال تعالى:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾

[سورة الأنبياء]

ومُشْكِلات العَمَل، فإذا الواحِد اصْطَلَح مع الله تعالى وتلى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79)﴾

[سورة الشعراء]

أغْلَقَ أوَّل باب من أبواب القلق، وكذا الرّزق، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا(2) ﴾

[سورة الطلاق]

وقد أبى الله عز وجل إلا أن يجْعَلَ رِزْقَ عبْدِهِ مِن حيْثُ لا يحْتَسِب والحوادِث قال عنها تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

فأنت إذا رَجَعْت إلى الله، واصْطَلَحْتَ معه، وطبَّقْتَ أمْرَهُ ولم تعْبأ بِأحد:

فليْتَكَ تَحْلو والحياةُ مريـرةٌ وليْتَكَ ترْضى والأنام غِضابُ

وليْتَ الذي بيني وبينكَ عـامِرٌ وبيني وبين العالمين خرابُ

إذا صحَّ منك الوَصْلُ فالكُلّ منك هيّنٌ وكل الذي فوق التُّراب تُراب

***

فالواحد إذا علِمَ أنَّ كلّ شيء بيَدِ الله، وهو الرَّزاق والمُحيي والمُميت والشافي، والمُمْرِض والمُضْحِك والمُبْكي، تُصْبِحُ علاقتك مع الواحِد الأحد وبالمناسبة هناك أشْخاص لا تسْتطيع أن تسْترْضِهِم، لكنَّ الله تعالى قال:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(110)﴾

[سورة الكهف]

فالله تعالى يرْضى بالتَّوْبَة، ويرْضى بالعمل الصالح، وتِلاوَة القرآن ويرْضى بالنَّدَم، وبِمُجَرَّد أن تنْدَمَ على عملٍ فقد رَضِيَ عنك، وهو في مُتَنَاوَلِ كُلِّ مَخْلوق، بل إنّ سُبُل إرْضاء الله عز وجل لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، والطرائِق إلى الخالق بِعَدَدِ أنْفاس الخلائِق، والله عز وجل رحْمَةً بهذا الإنسان ما جَعَلَ الماضي عِبئًا عليه، قال لي أحدهم: لا توجَد معْصِيَة تتصَوُّرها أنت إلا وفَعَلْتُها، فقلْتُ له: نسأل الله أن يتوب عليك، فقال لي: والدليل ؟ فقلتُ له: قال تعالى:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

[سورة الزمر]

فالماضي يُهْدَمُ في ثانِيَة، وهو ليس عبء عليك، والإسلام يجبّ ما قبلَهُ، ولو جئْتني بِملء الَّسماوات والأرض خطايا غفَرْتُها لك، ولا أُبالي، فلو أنَّ امرأة عرَضَت نفْسَها طوال الحياة بالمسارِح والأفلام وهي أحد أكبر فِتَن المُجْتَمَع، فلمَّا اصْطَلَحَت مع الله تعالى و تحجَّبَت وستَرَتْ وجْهها، ورُبَّما لازالتْ أغانيها وأفلامها تُذاع، قال تعالى:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

[سورة الزمر]

يرْزقك من حيث لا تحْتسب، وصِحَّتُك هو المُعافي لها، وزَوْجَتُكَ هو المُصْلِحُ لها، قال تعالى:

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾

[سورة الأنبياء]

وأولادك هو الذي يجعلهم يَخْضعون لك، لذا إذا كان الله معك فَمَن عليك، وإذا كان عليك فَمَن معَك، يا ابن آدَم أُطْلبني تَجِدْني فإذا وجَدْتني وَجَدْتَ كُلّ شيء، وإن فِتُّك فاتَكَ كُلّ شيء، أنت تُريد وأنا أريد فإذا سلَّمْتَ لي فيما أريد سلَّمْتُ لك فيما تُريد، وإن لم تُسَلِّم لي فيما أُريد أتْعَبْتُكَ فيما تُريد ثمَّ لا يكون إلا ما أُريد، فهذه الآية مِن الآيات الدقيقة جدًا، قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) ﴾

[سورة الشعراء]

لا تخش إلا الله، ولا تُعَلِّق آمالَك إلا عليه تعالى، ولا ترج إلا الله ولا تتقرَّب من أحدٍ سِواه.

هل تعْتَقِدون في الأرض كُلِّها من آدم إلى يوْمِنَا هذا رجلين أشَدُّ حُبًّا لِبَعْضِهما من رسول الله تعالى وسيِّدنا الصِّديق ؟ قال:

((ما ساءني قطّ ! وما طَلَعَت شمس على رجل بعد نبِيٍّ أفضل من أبي بكْر))

وقال:

((تسابَقْتُ أنا وأبو بكر فَكُنَّا كهاتَيْن))

ومع ذلك فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ وَقَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ قَالَ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ))

[رواه البخاري]

ولو كُنتُ مُتَّخِذًا خليلاً لاتَّخَذْتُ أبا بكر ! ولكن أخ وصاحب في الله وأنت يُمْكِنُ أن تُحِبَّ في الله، ويُمْكِن أن تُحِبَّ مع الله، الحُبُّ في الله كمال الإيمان والحبّ مع الله كمال الشِّرْك، فإذا أحْبَبْتَ الله عز وجل فَمِن لوازِمِ محبَّتِك له أن تُحِبَّ المؤمنين، ومِن لوازِمِ محبَّتِكَ له أن تُحِبَّ مَن حَوْلَكَ مِن المُسْتقيمين، أما إذا أحْببْتَ إنسانًا وحَمَلَكَ على مَعْصِيَةَ الله ولم تعبأ بهذا فأنت أحْبَبْتَهُ مع الله، وهذا هو الشِّرْك، وهؤلاء الذين حَوْلَك إن لم تكن أنت لهم فَمَن لهم، فالأقربون أنت الوحيد الذي لهم فإن لم تكن لهم فَمَن لهم، تُهْمِل ابنَك وتَلْحَق الناس، لذلك قال تعالى:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214)﴾

[سورة الشعراء]

والإنسان إذا أكْرَمَ أهْلَهُ فإكْرامُهُ مُضاعَف لأنَّهُ إكْرامٌ وصِلَةٌ، ابنك أخوك وشريكُكَ، والدَّعْوَة إلى الله تعالى لا كما يتوهَّم بعض الناس فرْض كِفايَة، الدَّعْوَة إلى الله فرض عَين، والدليل قوله تعالى:

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3)﴾

[سورة العصر]

والتواصي بالحق ليس كما تظن أنَّهُ يجب أن تكون أحد الأعلام الأفْذاذ ! طالب علم، يَجب أن تُبَلِّغ ما سَمِعْتَ ولِمَن تعْرف، والإسلام إذا توسَّعَت دوائِرُهُ ضاقَتْ دوائِرُ الكفر، والعكس بالعكس فَمِن أجل الحِفاظ على الإسلام وعلى وُجود الحق ينبغي أن نتواصى بالحق، قال تعالى:

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3)﴾

[سورة العصر]

وقال عليه الصلاة والسلام:

عَنْ سَهْلٍ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِهُدَاكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))

[رواه أبو داود]

قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214)﴾

[سورة الشعراء]

التواضع، فيجب أن تتواضع لِمَن تُعَلِّم، ولِمَن تتعلَّم منه، والتواضع أحد أبْرز أخلاق المؤمن، قال:

وانْظُر إلى الأكْحال وهي حِجارَةٌ لانَتْ فصارَ مقَرُّها في الأعْيُنِ

***

فالكُحل حَجَر لكنَّهُ ليّن فَطُحِن فَوُضِعَ في العين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (13-15) : تفسير الآية 215

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في الدرس الماضي بيَّنْتُ لكم أنَّ أحَدَ أكبر أسباب الآلام النَّفْسِيَّة هو الشِّرْك بالله لِقَول الله تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214)﴾

[سورة الشعراء]

وأعظم الأعمال الصالِحَة أنْ تعكِفَ على ترْبِيَة أولادِكَ ومَن حوْلَكَ لأنَّك هم أوْلى الناس بِتَرْبِيَتِك وعِنايَتِك، وهم ذُخْرِكَ يوم القيامة، وأفْضل كَسْب الرَّجُل ولَدُهُ على الإطلاق .

قال تعالى:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

[سورة الشعراء]

أوَّلاً: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ))

[رواه البخاري]

والعُبوديَّة لله تعالى تتناقض مع الكِبْر، إنَّ ذَرَّةً من كِبر تسْتَوْجِبُ النار، والحديث الشريف: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))

[رواه مسلم]

والمُتَكَبِّر جاهِل، والإنسان يتكبَّر بِغَير الحق، لأنَّه إن قال: أنا، فهل يضْمَنُ أن يبْقى بعد ساعَةٍ حيًّا ؟ هل يضْمَنُ أن يبْقى عقْلُهُ في رأسِهِ خصرة صغيرة في الدِّماغ تُلْغي عَقْل الإنسان وذاكِرَتَهُ، وبعض حواسِّه وحركتَهُ، وكلّ مُنْجَزاتِك في الحياة مَبْنِيَّة على سُيولَة الدَّم، فلو تجمَّد الدَّم في الإنسان انتهى، لذا إن قال هذا الإنسانُ: أنا ! فَهُوَ جاهِل ووُجود الإنسان مُتَوَقِّف على إمْداد الله له، فالتَّواضُع عِلْم، والتَّكبّر جَهْل، والتَّواضع منْطِقي ومَوْضوعي وواقِعي ويعرف حجْمهُ الحقيقي والله تعالى معه، لذلك قال تعالى:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

[سورة الشعراء]

قد يسأل سائِل: هل يُعْقَل أن يتكبَّر النبي عليه الصلاة والسلام ؟ لا فما معنى أن يأْمُرَهُ أن يخْفض جناحَهُ ؟ هذا الأمْر في الظاهِر للنبي ولكنَّهُ في الحقيقة للمؤمنين، وربُّنا عز وجل يُعَلِّمُ المؤمنين من خلال أوامِره للنبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

﴿ياأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا(1)﴾

[سورة الأحزاب]

فهل يُعْقَل أن لا يتّقي النبي صلى الله عليه وسلَّم الله تعالى ؟ هذا الأمْر مُوَجَّهٌ للمؤمنين، وفي رأي آخر، أنَّك إذا أمَرْتَ إنسانًا أن يسْتقيم، ولم يكن كذلك فالأمْر بِالاسْتِقامة واضِح، أما إن أمَرْتَ إنسانًا بالاسْتِقامة وهو مُسْتقيم فالمعنى أن تبقى على الاسْتِقامة، وهناك معنى آخر، وهو اِرْفَع جُهودَك في الاسْتِقامَة قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا(136)﴾

[سورة النساء]

يا رب تُخاطِبُنا بأنَّا مؤمنون فَكَيْف نُؤْمِنُ بك ؟ المعنى يا أيها الذين آمنوا ارْفعوا مُسْتوى إيمانكم، فإذا كان الإنسان غير مؤمن عليه أن يؤْمِن، وإذا كان مؤمِنًا فلْيَسْتَمِرّ على إيمانِهِ ويبْحث على مُستوى أرْقى إما أن تفْعَلَهُ ابْتِداءً، وإما أن تسْتَمِرَّ عليه، وإما أن ترفع مُستواه وهناك معنى رابِع في قوله: يا أيها النبي اتَّق الله، أي يا أتْباع النبي اتَّقوا الله قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا(1)﴾

[سورة الطلاق]

النبي عليه الصلاة والسلام ما طلَّق إلا امرأةً واحِدَة يوم الزَّفاف، قيل لها إذا دَخَل النبي عليك قولي له: أعوذ بالله منك ! فلمَّا دخل عليها قالتْ له: أعوذ بالله منك، فقال: الْحَقي بأهْلِك، لماذا ؟ لأنَّ زوْجَةَ النبي عليه الصلاة والسلام ينبغي أن تنقل عنه الأحاديث، وحينما قبِلَتْ أن تنقله كلامًا دون أن تُفَكِّر فيه، فهذا يعني تَفْكيرُها مَحدود جدًا، إذًا هذه الزَّوْجة خطرٌ على الدَّعْوَة، رسول مَعصوم، ونبيٌّ عظيم قالت له هذا، فالآية هذه مُوَجَّه لعامَّة المُسلمين.

وهنا قوله تعالى:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

[سورة الشعراء]

هناك آيةٌ أُخْرى تُكَمِّل هذه الآية:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

[سورة الشعراء]

لا يوجد لمَن اتَّبعك ! ولو جَمَعْنا الآيتين لوَجَدْنا أنَّ كُلّ إنسان يُعَمِّق انْتِماءَهُ لِجَماعَة ويُعادي بَقِيَّة الجماعات، فهذا إنسان بعيد عن روح القرآن الكريم، لأنّ الله تعالى أمَرَ النبي مرَّة أن يخْفض جناحهُ لِمَن اتَّبَعَهُ، وأمَرَهُ مرَّةً أن يخْفض جناحَهُ للمؤمنين، فلو أنَّك مثلاً أنت من مسْجد كذا ووجَدْتَ إنسانًا آخر من مسْجِدِ كذا، فهل هذا الذي الْتَقَيْتَ به ليس مؤمنًا ! هذه النَّظْرَة الضَّيِّقَة، تعميق الانْتِماء لِجَماعة مُعَيَّنَة ومُعادات بقيَّة الجماعات، وأن تعْتَقِد أنَّ الله وحْده، هذا تفْكير يهودي قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(111)﴾

[سورة البقرة]

فالإنسان كُلَّما كان أُفُقُهُ ضيِّقا يُضَيِّق رحْمة الله عز وجل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

((: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فَصَلَّى فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْرِيقُوا عَلَيْهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ دَلْوًا مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))

[رواه البخاري]

رحْمة الله واسِعَة، لذلك الانْتِماء إلى جماعة ومُعادات بَقِيَّة الجماعات هذا مُعاداة للدِّين.

أيُّ مؤمن هو أخٌ لك مهما كانت جماعَتُهُ، والمبادئ واحِدَة والكتاب واحِد، إنَّما الاخْتِلاف في الأسلوب، إلا إذا كان في العقيدة زَيْغ فهذا موضوع ثاني، والأمر كما قال الشافعي، نتعاوَنُ فيما اتَّفَقْنا ويعْذُر بعضُنا بعْضًا فيما اخْتَلَفْنا، وقال الإمام الشافعي: **أنا على حق ويُحْتَمَلُ أن أكون على باطِل، والطَّرف الآخر على باطِل، ويُحْتَمَلُ أن يكون على حق** ! اِجْعل عقْلك مفْتوحًا، والله تعالى علَّمنا كيف نُناقِش الآخرين، قال تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(24)﴾

[سورة سبأ]

فإذا ناقَشْتَ أحدًا لا تجْعَل نفْسَك أعلى منه، وأنَّك أعلمَ منه، فالنبي لم يقل أنا على الحق إنما قال:

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(24)﴾

[سورة سبأ]

وهذا أُسلوب تَرْبَوي في المناقشَة، فإذا حاوَرْتَ إنسانًا اجْعَل نفْسَكَ معه سواءً بِسَواء، ولا تسْتعلي، وأنَّك المُصيب وهو المخطئ، وهناك آية أبْلَغ وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ(25)﴾

[سورة سبأ]

فهل النبي مُجْرِم ؟ أي إذا اعْتَقَدْتُم أنَّنا مُجْرمون، فَنَحن لسْنَا مُجْرِمين ولن تُحاسَبوا عنَّا ؛ أرأيْتَ أدَب المناقشَة وأدب الحِوار، لذا هذه الآية دقيقة جدًا ؛ قال تعالى:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

[سورة الشعراء]

والثانِيَة:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ(88)﴾

[سورة الحجر]

والمؤمنون اليوم في أمَسِّ الحاجة إلى الوِحدة، والتَّعاوُن، والتَّكاثف والتَّناصح، وإلْغاء الخلافات، والداعِيَة بإمْكانِهِ أن يدْعُوَ إلى الله تعالى خمسين عامًا في المُتَّفَقِ عليه، وإذا دعا إلى الله في المُتَّفَق عليه وحَّدَ الأُمَّة، وجعلها قَوِيَّة مُتماسِكَة، أما إظْهار الخلافات وإبْرازها وجعلها شِعارًا، وقاتَلَ مِن أجْلِها تتمزَّق وحْدة الأُمَّة. مِحْوَر الدَّرس اليوم ؛ قال تعالى:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

[سورة الشعراء]

والثانِيَة:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ(88)﴾

معنى ذلك الانْتِماء لكلّ المؤمنين، وأقْوى آية بِهذا المعنى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(10)﴾

[سورة الحجرات]

فلا بد أن تشْعر بانْتِمائِكَ إلى مَجْموع المؤمنين، ونحن بِأمَسِّ الحاجة إلى التَّعاوُن، وإسْقاط الخِلافِيَّات، التي تُمَزِّق شَمْلنا، وتُضْعِفُ قُوَّتَنا قال تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(46)﴾

[سورة الأنفال]

والحلّ هو كتاب الله الكريم، وسُنَّة نبيّه الصحيحة، وأفعال الصحابة المُتَّفق عليها؛ الذين شهِدَ الله لهم بالصلاح، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا(18)﴾

[سورة الفتح]

إذًا بإمْكاننا أن ندعوا إلى الله سنوات كثيرة دون إثارة مواضِع الخِلاف وكلّ مَن كبَّر الخِلافات وجعلها مِحْوَر درْسِهِ فهذا إنسانٌ وداعِيَةٌ بعيد عن الإخلاص، لِقَول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(159)﴾

[سورة الأنعام]

يَجُرُّ خِلافًا وقع منذ ألف سنة يجعلُهُ مَوْضِع الجدَل، فالماضي مضى قال تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(141)﴾

[سورة البقرة]

ليس لنا علاقة بِخِلاف الصحابة إطْلاقًا، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((إذا ذكر أصحابي فأمْسِكوا.))

وأنا لسْتُ بِمُستواهم، ولسْنا بِمُسْتوى تَقييم الصَّحابة، وإذا امْتَنَعْنا عن إبْراز نقاط الخلاف وأسْتِحضارَه وأعْلَنَّا انتماءنا لِمَجْموع المؤمنين اتَّحَدْنا واجْتَمَعنا ونحن بأمَسِّ الحاجة لهذا الاجْتِماع، فإذا الإنسان عليه أنْ يُكْبِرَ أخاه، لا أن تُفْسِدَ عليه شَيْخَهُ، ولكن عليك بهِدايَة مَن لا شيْخَ له ولا مسْجِدَ ودَعْكَ مِمَّن كان له مسْجِدٌ أن تُبْعِدَهُ منه ! فهذه الأمور تجْمعُ شمْلنا، قال تعالى:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(46)﴾

[سورة الأنفال]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(159)﴾

[سورة الأنعام]

والأمر كما قلنا في أوّل الدَّرس إما أن تفْعَلَهُ ابْتِداءً أو أن تسْتَمِرَّ عليه أو أن ترفع مستواه.

قال تعالى:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ﴾

[سورة الشعراء]

ما أنت عليهم بِوَكيل، وما أنت عليهم بِجَبَّار، وليس عليك هُداهُم وما أنت عليهم بِحَفيظ، قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(56)﴾

[سورة القصص]

فلسْتُ قاضيا، إنَّما أنت داعِيَة قال تعالى:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا(11)﴾

[سورة المدثر]

نحن لسْنَا مُكَلَّفين بإكْراه الناس إنَّما عليك الدَّعْوة والتَّبْليغ، وعلى الله تعالى الباقي، قال تعالى:

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216)﴾

[سورة الشعراء]

إذا لم يسْتَجِب فقُل: اللَّهمّ هذا مُنْكر أعوذ منه، والله تعالى هو الذي يُعالِجُهُ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (14-15) : تفسير الآية 217

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآيات الأخيرة في سورة الشعراء، وهي قوله تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217)﴾

(سورة الشعراء)

قال تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(23)﴾

[سورة المائدة]

مِن لوازِمِ الإيمان التَّوَكُّل، ومن توكَّل فَهُوَ مؤمن،فالَتَوَكُّل علاقة ترابُطِيَّة، فإذا آمَنْتَ ولم تتوَكَّل ففي إيمانِكَ شكّ، أما أن تتوَكَّل وأنت لسْتَ مؤمنا فهذا مُسْتحيل.

أيها الإخوة، التَّوَكُّل مَحَلُّهُ القلب، والعمل محلُّه الجوارح، والمسلمون حينما عَكَسوا الآيَةَ تَخَلَّفوا عن رَكْب الحضارة، وأصْبَحوا في مُؤَخِّرَةِ الأمم، حينما تركوا الأسباب وتوكَّلوا على الله ؛ هذا هو التَّواكُل فالتَّوَكُّل في القلب، أما في الجوارِح فيجب أن تأخذ بِكُلِّ الأسباب، ولا تُسامَح في تَرْك الأسباب اتِّكالاً على الله، وأوْضَح مثَل تُفاحَّة لم تُغْسَل فيقول له: كُلْها وتوكَّل ! هذا هو الجَهْل بِعَيْنِهِ، فأنت عليك أن تغْسِلَها ثمَّ تتوكَّل على الله، وكذا الابن مرِض يقول لك: سَلِّمْهُ إلى الله ؛ هذا هو التَّخَلُّف، وهذا هو الجَهْل، ولكن خُذْهُ إلى الطبيب، واخْتَر أحْسَنَهم وخُذ الدَّواء بِشَكْل دقيق ثمّ قُلْ: يا رب، اِشْفِهِ وأنت الشافي، وكذا الأمر إن كنتَ تاجِرًا، ورأيْتَ صَفْقَةَ فاشْتَرَيْتَها بِتَسَرُّع ؛ يجب أن تدْرس السوق والأسْعار والنَّوْعِيَّة، وحاجة السوق لهذه البِضاعة والكَمِيَّة التي تُسْتَهْلَك، بعدها قل: يا جبَّار ! وكذا الأمر مع طالبٍ مُنْغَمِسٍ بالسَّهرات، تقول له: أُدْرُس فيقول لك: لن ينْسانَا الله ! نحن مؤمنون ! هذه الأمثِلَة مِن واقِعِ الحياة، فنحن لمَّا ترَكْنا الأخذ بالأسباب أصْبَحْنا في مُؤَخِّرَةِ الرَّكْب، وليس هذا هو الإسلام، أوْضَح مثَل سيِّدُنا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم لمَّا هاجَر، لماذا لم يتْرُك الأخذ بالأسباب ؟ ولماذا أخَذَ طريقًا مُعاكِسًا للمدينة ؟ لماذا اتَّجَه نحو الساحِل؟ ولماذا عيَّن رجُلاً يَمْحو الآثار بعده؟ لماذا عيَّنَ آخَرَ يتقصَّى الأخبار ؟ واسْتأجر خبيرًا بالطريق وكان مُشْرِكًا ؟ لماذا دَخَل إلى غار ثَوْر ؟ هذا هو النبي، فإذا كان التَّوَكُّل بِتَرْكِ الأسْباب، فالأوْلى أن يتوكَّل النبي على هذا النَّمَط، أين قوله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا(71)﴾

[سورة النِّساء]

لا يوجَد مؤمن يترُك الأخْذ بالأسباب إلا ويُؤاخِذُهُ الله عز وجل، يجب أن تأخذ حِذرَك، والمؤمن كيّس فَطِن، فهذه النُّقْطة دقيقة جدًا، فالتَّوَكُّل مَحَلُّهُ القلب، والأخذْ بالأسباب مَحَلُّها الجوارِح، فإذا عُكِسَتْ وأصْبَحَ التَّوَكُّل في الجوارِح لا الأخذ بالأسباب كُنَّا في مُؤَخِّرة الرَّكْب، ولهذا النبي عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح يقول:

((عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ الْمَقْضِيُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ فَقَالَ مَا قُلْتَ قَالَ قُلْتُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

[رواه أحمد]

تسْتَسْلِم، وتتْرُك الأخذ بالأسباب، ونحن عبيد إحْسان وليس عبيد امْتِحان ونحن ضِعاف، وأمورُنا ليْسَت بِيَدِنا، ولا حَوْل ولا قوَّة إلا بالله ؛ هذا كلام مُسْلِم ؟! فسَدَ ولَدُهُ، يقول لك: ليس بالأمر حيلة، والزَّمَن قدْ فسَدَ هذه أمْراض المُسْلمين ؛ عَكَسوا التَّوَكُّل ونقلوه من القلب إلى الجوارِح:

((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

[رواه أحمد]

ذَكَرْتُ في خُطْبَتَيْن سابِقَتَيْن أنَّ هناك فَقْر الكسَل ! وفقْر التَّسَيُّب، وفقْر التَّسْويف والاسْتِرخاء، وفقْر نقْض المواعيد، وفقْر عَدَم الإتْقان ؛ هذه كُلُّها تُسَبِّب الفقْر، هذا ليس فقْر القَدَر وإنَّما فقْر الكسَل.

أحْيانًا يكون هناك تيَّار مائتان وعشرون، وهناك مأخَذ كهْربائي مَكْشوف، وعندك أحد الأولاد صُعِق ومات، لا تُقل: انْتهى أجَلُهُ ! أنت تُحاسَب على هذا التَّقْصير، فما دام التَّيار مائتان وعشرون وكانت أسلاك مَكْشوفَة، وعندك أطفال صِغار ويَمشون دون حذاء، فلا تقل يتوَلَّانا الله، هذا كلام مَرْفوض، فأنت يجب أن تأخذ بالأسباب كُلِّها الدَّواء والمُعالَجة والدِّراسة والتِّجارة، وبعد كُلِّ هذا تقول: يا رب، تَوَكَّلْتُ عليك، هذا بعد الأخْذ بالأسباب.

أيها الإخوة الكرام، طريق عن يمينِهِ وعن يسارِهِ وادٍ سحيق فالوادي الأوَّل هو وادي تَرْك الأسباب، والوادي الثاني هو وادي الاعْتِماد عليها إن ترَكْتَها عصَيْتَ، وإن اعْتَمَدْتَ عليها أشْرَكْتَ ! فيَجِب أن تأخذ بها وأن تعتمد على الله تعالى، وهذا هو الإيمان.

ومَن لم يتوَكَّل فليس مؤمنًا، وعلى الإنسان أن يوقِن أنَّ الله تعالى معه قال تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(4)﴾

[سورة الحديد]

معِيَّة عامَّة، أما فوله تعالى:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ(19)﴾

[سورة الأنفال]

فهذه مَعِيَّة الحِفْظ والتَّاييد والنَّصْر والتَّوْفيق، فالعُلَماء قالوا: هناك مَعِيَّتان ؛ عامَّة وخاصَّة، فالمَعِيَّة العامَّة ؛ الله تعالى مع الكافر والمُلْحِد والمُجْرم، لقوله تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(4)﴾

[سورة الحديد]

بِعِلْمِهِ، أما المَعِيَّة الخاصَّة قال تعالى:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ(19)﴾

[سورة الأنفال]

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(153)﴾

[سورة البقرة]

وقوله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(123)﴾

[سورة التوبة]

أي معهم بالتأييد والنَّصْر، لكنّ هذه المَعِيَّة لها ثَمَن، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ(12)﴾

[سورة المائدة]

إذًا التَّوكُّل من لوازِمِ المؤمن، ومن لم يتوكَّل فليس مؤمنًا، وربُّنا عز وجل لِحِكْمةٍ بالِغَةٍ بالِغَة خلق الإنسان ضعيفًا، وهلوعًا، وذلك مِن أجل إن جاءَتْهُ الشِّدَّة يخاف فيَتَوَكَّل فإذا توَكَّل شَعَرَ بِوُجود الله، وأنَّ الله تعالى بصير وسميع وعليم ورحيم وقدير، فسَمْعُهُ تعالى ورحْمته وقُدرته وعلمهُ كُلُّها تتحقَّق منها إذا تَوَكَّلْتَ عليه سبحانه وتعالى، تشعُر وكأنَّ الأمور سارَتْ بِشَكل آخر غير مألوف مِن أجل أن تنْصُرَكَ ومن أجل أن تحْفظك.

أيها الإخوة الكرام، هناك أكبر عِبادة بالإسلام يغْفل عنها الكثير الدُّعاء مليون خطر وشبح مُصيبة تُصْرف بالدُّعاء، وهذا مِن أجل أن تتَّصِل به وتتقرَّب منه، لذلك جعلك شديد الخَوف والجزع، وترْتعد فرائسك لأيّ خطر، أما إذا اتَّصَلْت بالله وتَوَكَّلْت عليه ألقى في قلبك الطمأنينة والثبات، وألقى في قلبك التوازن، فالإنسان ضعيف وجذوع من أجل أن يعرف الله، ومن أجل أن يُحِبَّه، فهو أرادكَ أن تعرِفَهُ، وأن تُحِبَّه لأنّ كُلَّ السعادة معه، وفي القرب منه، فالمُشكِلات خلقها الله من أجل أن تقرب إليه، وأت تلوذ به وتتوكَّل عليه، فيأتي الفِعْل الإلهي لِمَصْلَحَتِك، عند ذلك تزْداد معْرِفَةً وتقرُّبًا، قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217)﴾

[سورة الشعراء]

مَن هو العزيز ؟ الله عز وجل، ومِن معاني العزيز أنَّهُ يُنال جانبُهُ وأنَّه يحْتاجُهُ كُلُّ شيء في كُلِّ شيء، ومن معانيه كذلك أنَّهُ ينْدر وُجودُهُ، وتَشْتَدُّ الحاجة إليه، ويصْعب الوُصول إليه، فالله تعالى تصْعب الإحاطة به، وهو القويّ الغنيّ الذي لا يُنال جانِبُه والذي لا تتوقَّف حياته على شيء آخر، وهو فرْدٌ صَمَد، العزيز صِفَة قُوَّة، أما الرحيم فهي صفة كمال، فهو تعالى بِقَدر ما هو عظيم هو رحيم وبقدْر ما هو قوي هو كريم، وأنت في حياتِك قد ترى إنسانا تُحِبُّه ولا يُعْجِبُكَ، فأحيانًا الإنسان والِدَتُه قد تكون أُمِيَّة ويُحِبُّها حُبًّا لا حُدود له لكن تصَرُّفاتها فيها تَجاوُز، وقد تجد إنسانًا تُعْجَب بِعِلْمِهِ ولكنَّهُ لئيم ولا تُحِبُّه، لكنَّ الله تعالى عظيم، وبقدْر ما هو كذلك فهو رحيم، وبِقَدْر ما تخافهُ فأنت تُحِبُّه.

قال تعالى:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219)﴾

[سورة الشعراء]

من مقام إلى مقام، ومن منزلة إلى أخرى، ومن حال إلى حال قال تعالى:

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (220)﴾

[سورة الشعراء]

فالله تعالى سميع عليم بصير، إن تكلَّمْتَ سمِعَكَ، وإن تَحَرَّكْتَ رآك، وإن سكَتَّ يعْلم ما في نفْسِك، فأنت توكَّل على هذا الإله العظيم، قال تعالى:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) ﴾

[سورة الشعراء]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (15-15) : تفسير الآيات 221 - 226

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآيات الأخيرة من سورة الشعراء، وهي قوله تعالى:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222)﴾

(سورة الشعراء)

الأفاك هو الكذاب، والأثيم الذي يرْتكب الآثام، ودَقّقوا في العلاقة بين الكذاب والأثيم، فالكذَّاب كَذِبُهُ يَحْمِلُهُ على الإثْم، والأثيم كذَّاب، قال تعالى:

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226)﴾

(سورة الشعراء)

الشِّعْر كما عرَّفَهُ النُّقاد: كلام مَوْزون مُقَطَّع، والشِّعْر تَعْبير فَنِّي وصِياغَة بديعة فلو أنَّ أحدًا قال باللُّغَة العامِيَّة: تضرب هذه الدنيا ! بالفصيح: ضاقَت عليَّ الدنيا، أما الشاعر فقال:

بلاني الدَّهْر بالأَرْزاءِ حَتَّى فُؤادي في غِشاء من نِبـالي

فَكُنتُ إذا أصابَتْني سِهـامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصال على النِّصال

***

هذا تعبير فَنِّي وبديع، والله عز وجل قال:

﴿الرَّحْمَانُ(1)عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2)خَلَقَ الْإِنسَانَ(3)عَلَّمَهُ الْبَيَانَ(4)﴾

[سورة الرحمن]

مِن تَكْريم الله للإنسان أنَّهُ علَّمَهُ البيان، وعلَّمَهُ أن يُعَبِّرَ عن مشاعِرِهِ وعن أفكارِهِ، أن يُعَبِّر عن أفكارِهِ وبالنَّثْر، عن مشاعرِهِ بالشِّعْر، ثمَّ إنَّ هذا البيَان له جانِب آخر خطير جدًا، والبيان يُكْتَب ويُقْرَأ، وبِفَضْل البيان المَكْتوب والمقروء يُمْكِن أن تنتقل الثَّقافات والعُلوم والمعارف مِن إنسا لآخر، ومن جيل لآخر، ومن عصْر إلى عصْر، فَعُلومُ البَشَرِيَّة كُلُّها تتراكَمُ فوق بعضِها البعْض والإنسان يأخذُ النَّتيجة بِفَضْل البيان المَكْتوب والمقروء، لذلك قال الله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4)عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5)﴾

[سورة العلق]

الإمام الغزالي كما قلتُ لكم: كان يحْضر درْسه أربع مائة عمامة، فلمَّا انتهى الدرس، لكِنَّ كتابه الإحْياء أبْقاهُ ألف سنة وأكثر، والقرطبي من الأندلس ألَّف تفْسيرهُ المَشْهور ومات لكنَّ هذا التَّفسير يقرؤُهُ المسلمون في شتَّى بِقاع العالم، فاللُّغَة حينما تُكْتَب وتُقرأ معناها ثقافة أمَّة بأكْمَلِها يتوارثُها الأجْيال، وكم مِن كِتابٍ قيِّم في اللُّغة الأجْنبيَّة تُرْجِم إلى اللُّغة العربيَّة.

نحن نقطتنا بالدَّرس أنَّ هذا البيان الذي يحوي القدرة على التعبير عن أفكارك ومشاعرك، والقدرة على التَّعبير الفنِّي، قال أحمد شوقي:

آمَنْتُ بالله واسْتَثْنَيْتُ جنَّتَــهُ   دمشق روح وجنات ورَيْحان

قال الرِّفاق وقد هبَّتْ خمائِلُها   الأرض دار لها الفيْحاء بُسْتان

جرى وصفَّق يلْقان بها بردى   كما تلقَّاك دون الخلد رِضْوان

***

هذا في القديم طبْعًا، فبين أن تقول: دمشق جميلة، وبين أن تصِفَها بِبَلاغَةٍ فرق كبير، والحقيقة التَّعبير الفنِّي له أثَر كبير جدًا، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ:

((جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا))

[رواه البخاري]

فهُناك تعبير عِلْمي وتعبير أدَبي وتعبير ساذج عامِّي، والقرآن الكريم إعْجازُهُ في صِياغَتِهِ ولعلَّ من أكبر تأثيرات كتاب الله تعالى فينا هذا النَّظم الدقيق، ولكنَّ الشِّعْر كما قال الفقهاء: كلامٌ حَسَنُهُ حسَن وقبيحُهُ قبيح، فنحن لا نتَّهِمُ الشِّعْر بالذات، ولكن موضوع الشِّعْر، فلو جاء شاعر ومَدَحَ النبي عليه الصلاة والسلام لعلَّ هذا المديح يفْعَلُ فينا فِعْل السِّحْر، إلا أنَّني أوَدُّ أن أضَعَ بين أيْديكم هذه الحقيقة ؛ وهي كما قال بعض الأُدباء الشِّعْر مِصْباح يكْشِفُ لك عن بعض كُنوزِك المَخْبوءَة في أعْماقِك ولكِنَّه ليس بالكيس المملوء الذي يُفْرَغُ في خزائِنِك فأحيانًا الورْد إذا هَزَزْتَهُ تفوحُ رائِحَتَهُ، فالذي عنده مع الله تجارب وأشْواق ومحبَّة لله إذا اسْتَمَعَ إلى الشِّعر في مُناجاة الله تعالى، أو مديحِ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فَكُلُّ هذه الكُنوز تظْهر أمامهُ، فالشِّعْر يجْعلك تفتح ما سرَرْتَهُ، ويكْشف لك عن كنوزك، فالشِّعر لا يُضيف شيئًا ولكن يكْشف عن الخبايا المخبوءة فيك، فلو نشَّد واحد منَّا وناجى ربَّهُ بِصَوْتٍ عذْب، ونَغَمٍ طيِّب، أو يمْدح رسول الله صلى الله عليه وسلم تجِدُ بعض الحاضِرين يبْكي، وبعضهم الآخر كالصَّخْر لا يتأثَّر أبَدًا فَهُوَ يكْشِفُ لك عن كُنوزِك، إنَّهُ ليس بالكيس المَمْلوء الذي يُلْقى في خزائِنِك، فالشِّعْر يُحَرِّك المواجد والمشاعر، ويُحَرِّك الحبّ والشَّوْق أما إن

لم يكن هناك حبّ ولا شَوْق فإنَّه لا يَفْعَلُ شيئًا، لذا الفقهاء والعلماء قالوا: كلامٌ حَسَنُهُ حسَن وقبيحُهُ قبيح ! هناك شِعْر هِجائي فأحدهم وصَفَ مُغَنِّي قال:

عِواءُ كلبٍ على أوْتار مِندفةٍ في قُبْحِ قِرْدٍ وفي اسْتِكْبار هامان

وتَحْسبُ العَيْنُ فكَّيْهِ إذا اخْتَلَفا عند التَّنَغُم فكَّيْ بَغْل طَحَّـانِ

***

فهناك أمور ممنوعة بالإسلام، المديح الكاذِب ممنوع، والنِّفاق والرِّثاء المُبالَغ به، وهناك كَذِب بالشِّعْر، فالحُكْم الشَّرْعي أنَّ الشِّعْر كلامٌ حَسَنُهُ حسَن وقبيحُهُ قبيح، فهو لا يحوي قيمة ذاتيَة ولكن قيمة لغيْرِهِ فَمَن أوتِيَ مَقدرةً على نَظْم الشِّعْر، وعلى صِياغة كلامه، فإن وظَّف هذه القُدْرة على نشْر الحق نقول له: أنْعِم وأكْرِم، فهذا سيِّدُنا حسَّان ابن ثابت كان مُدافِعًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛

وأجْمَلَ مِنْكَ لم ترَ قطُّ عَيْن وأحْسَنَ منك لم تلِدِ النِّساء

خُلِقْتَ مُبَرَّءً من كُلّ عَيْبٍ كأنَّك قد خُلِقْتَ كما تشاءُ

***

إذًا هناك بالشِّعْر ما هو جميل، وما يَهُزّ المشاعِر، والإنسان يُغَذِّي قلبَهُ ومشاعِرَهُ، ولكن الشِّعْر مَوْقوف على موضوعِهِ فإن كان في مُناجات الله وفي تَوْضيح الحق فأنْعِمِ به، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((إنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا))

[رواه البخاري]

فَمَن أوتِيَ قُدْرَةً على التَّعبير، ونَظْم الكلام هو مُحاسَبٌ عند الله تعالى حِسابًا خاصًّا إن لم يُوَظِّف هذه القُدْرَة في نَشْرِهِ فَهُوَ آثِم، وهناك شُعَراء يتغزَّلون، وآخرون يَهْجون، وهناك شُعراء منافقون وآخرون يَمْدحون مديحًا كاذِبًا، فلِذلك الحُكم الشَّرعي في الشِّعْر: كلامٌ حَسَنُهُ حسَن وقبيحُهُ قبيح، وإنَّ الله لَيَغْضَبُ إذا مُدِحَ الفاسِق، والآية الكريمة كما قال تعالى:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225)﴾

(سورة الشعراء)

أَحطّ شيء بالشُّعَراء أن يرْتَزِقوا بِشِعْرِهم، وقد ذكروا طُرفَةً عن أديب عاتَبَهُ زُمَلاؤُهُ على أنَّهُ باع فنَّهُ لِجِهَةٍ ما، فغَضِبَ أشَدَّ الغضَب وقال: أنا لم أبِعْهُ ولكِنَّني أجَّرْتُهُ ! عُذْرٌ أقْبَحُ مِن ذَنْب !! فالإنسان عليه أن لا يُوَظِّف طاقتِهِ التَّعْبيرِيَّة، وقُدراتِهِ الكلامِيَّة، وبلاغتِهِ وشِعْرِهِ في الباطِل فهذا يُحاسَب عند الله تعالى حِسابًا عسيرًا لأنَّه لو وظَّفَهُ في الحق لأفاد ونفَعَ كثيرًا، فهذا الإمام البوصيري في قصيدَته البردَة ؛ هذه القصيدَةُ تُعَبِّر عن حُبٍّ

صادِق لرَسول اله صلى الله عليه وسلَّم ؛ نُظِمَت في عُصور الدُّوَل المُتتابِعَة ؛ وعُصور الانْحِطاط ومع ذلك تُعَدُّ مِن أرْقى أنواع الشِّعْر، قال في بعض ما قال:

فلا ترم بالمعاصي كثْرة شَهوتها   إنَّ الطعام يُقَوّي شَهْوَة النَّـــهِم

***

ووصف أصحاب رسول الله فقال:

كأنَّهم فوق ظَهْر الخَيْر نَبْتُ ربًى   مِن شِدَّة الحزن لا مِن شَدَّة الحُزُمِ

***

فما قلنا هناك أشياء لطيفة بالشِّعر، ولكن يجب أن تُوَظَّف في الحق قال تعالى:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225)﴾

(سورة الشعراء)

هناك شاعر بالعَصْر العباسي مدَحَ ثلاثًا وثلاثين أميرًا وهجاهم في الوقت نفْسِهِ، قال تعالى:

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226)﴾

(سورة الشعراء)

قال المُتَنَبِّي:

أنا الذي نظَرَ الأعْمى إلى أدبي   وأسْمَعَتْ كلِمَاتي مَن به صَمَـــمُ

أنام ملئ جُفوني عن شوارِدِها   ويسْهَرُ الخَلق جرَّاها وَيَخْتَصِـــمُ

الخَيلُ والليل والبيْدَاءُ تعْرِفُني   والسَّيف والرمح والقِرطاس والقَلَمُ

***

فكان في طريقِهِ من البصْرة إلى حلب فهاجَمَهُ أعْداؤُهُ فَوَلَّى هارِبًا !! فقال له غُلامُهُ ألم تقل:

الخَيلُ والليل والبيْدَاءُ تعْرِفُني   والسَّيف والرمح والقِرطاس والقَلَمُ

***

فقال قَتَلْتني قَتَلك الله !!! وعاد فقاتَلَ حتَّى قُتِل، ومات في هذه المعْرَكَة، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) ﴾

(سورة الشعراء)

أُنْظر إلى هذا الاسْتِثناء ما أجْمَلَه، قال تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(227)﴾

(سورة الشعراء)

القرآن دائِمًا به اسْتِثْناءَات، قال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ(1)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3)﴾

[سورة العصر]

قال تعالى:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227) ﴾

(سورة الشعراء)

فالإنسان إذا أتْقَنَ عِبارَتهُ وقرَأ الأدَب الرَّفيع، إذا قرأتَ قصيدة وشَعَرْتَ أنَّها حرَّكَتْ مشاعِرَكَ السُّفْلى وتَفْكيرَكَ الهابِط، فأنت مع فنّ رخيص، وهذا كالوباء، وعلى الإنسان أن يختار ما يقرأ لأنَّه يتأثَّر بما يقرأ، وهو أن تختار الكتاب الجيِّد والشاعِر الجيّد، فهذا يفْعَلُ فيك فِعْل السِّحْر، أما إن لم تخْتَر ما تقرأ فهذا قد يكون بِمَثابَة أصْدِقاء السُّوء، والصاحِب ساحِب، وهذا الشِّعْر حُكْمُهُ مَوْقوف على موضوعه.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثامن : تفسير سورة النمل

الدرس (12-01) : تفسير الآيات 76 – 79

الدرس (12-02) : تفسير الآيات 15 - 18 -21 – 27

الدرس (12-03) : تفسير الآيات 35-36- 38-42- 44

الدرس (12-04) : تفسير الآيات 22 – 31

الدرس (12-05) : تفسير الآيات 30 – 37

الدرس (12-06) : تفسير الآيات 45 -47 – 53

الدرس (12-07) : تفسير الآية 93

الدرس (12-08) : تفسير الآية 59

الدرس (12-09) : تفسير الآية 61

الدرس (12-10) : تفسير الآيتان 60 – 61

الدرس (12-11) : تفسير الآيات 76 – 79

الدرس (12-12) : تفسير الآيات 87 – 92

الدرس (12-01) : تفسير الآيات 76 - 79

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، الآية الثالثة والأربعون من سورة الفرقان، وهي قوله تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (43)﴾

(سورة الفرقان)

من الإله ؟ هو الخالق والرازِق، وهو المُحْيي والمُمِيت، والرافِع الخافض، وهو المُعِزّ والمُذِلّ، والقابض الباسِط، فالإله الذي ينبغي أن تَعْبُدَهُ ينبغي ان يكون حيًّا لا يموت، والإله الذي نبغي أن تعْبُدَهُ ينبغي أن يكون قَوِيًّا، وليس فوقه قويّ، وغنيًّا ليس بعد غنيّ، وبيَدِهِ مقاليد السماوات والأرض، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾

(سورة الفرقان)

معنى ذلك أنَّ الإنسان أحدُ رَجُلين فإمَّا أن يتَّخِذ الله إلهًا له، يعْبُدُه ويأتَمِرُ بأمْرِهِ وينْتَهي عمَّا عنه نهى، وإمَّا أن يَجْعل هواهُ إلهًا يُسَيِّرُهُ، ولو لم يقُل هذا بلِسانِهِ، فالعِبْرة هذه الحركة، وهذا السُّلوك، وهذا العَطاء، وهذا المَنْعُ والأخْذ، وهذه الصِّلة، وهذه القَطيعة، وهذا الرّضا، والغضَب كلَّ هذا بِدافِعِ الهوى، فإمَّا أن يكون بِدَافِعِ الهَوى وهذا مع الشَّيْطان وإمَّا أن يكون بِدافِعِ طاعة الله تعالى فهذا مع الرحمن، فالإنسانُ أحَدُ رَجُلَيْن، الذي يُحرّكُهُ الهَوى أو الشَّرْع، وإرْضاءُ شَهْوَتِهِ أو إرْضاءُ ربِّه، والإنسان إمَّا يكون رَحْمانِيًّا، وإمَّا أن يكون شَهْوانِيًّا شَيْطانيًّا فالناس رجلان برٌّ تقيّ كريم على الله" فإذا تمكَّن الإنسان من مُراقَبَة نفْسِهِ ويسْتبْطِنَ دوافِعَها، فإنْ كانتْ جامِحَةً نحو مُؤاثَرَة الهَوى فَهُوَ مع الشَّيْطان وهو مع الدُّنيا، وهو في طريقٍ مَسْدودة، أما إذا كان الذي يُحَرّكُهُ هو طاعة الله عز وجل، لذا لا تكون الجنَّة جنَّةً لِمَن يدْخُلُها إلا إذا كان الهوى يُناقِض التَّكليف ؛ دَقِّق ! التَّكليف الذي جاء به الشَّرْعُ الحنيف يُناقِضُ الهوى، فالهَوى أن تنام إلى ساعةٍ مُتأخِّرة والتَّكليف أن تسْتَيْقِظَ لِصلاة الصُّبح، والهَوى أن تنْظُر، والتَّكليف أن تغُضَّ البصر، والهوى أن تُطلِقَ لِسانَكَ بالهوى والفحْشاء، أما التَّكليف أن تسْكُتَ وتصْمُتَ وتبتَعِدَ عن الغيبة، لذا لو لم يكنِ الهَوى مُناقِضًا للتَّكليف لما كانتْ هناكَ جنَّةٌ ولا نار، فالمؤمِنُ يسْتَحِقّ دُخول الجنَّة لأنَّهُ نهى النَّفْس عن الهَوَى، قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5)﴾

[سورة الليل]

وقال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى(40)فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(41)﴾

[سورة النازعات]

لذلك صار عندنا محرّكين محرِّك طاعة الله، و محرِّك الهوى، فالإنسان العاقل هو الذي يُحلِّل نفسه و دوافعه و تصرُّفاته، هل هذا التصرُّفُ بدافع الهوى إذاً أنا مع الشيطانِ، أنا مع الشهوةِ، و أنا في غضب الله، و أنا في سخطِ الله، و المحرِّك الثاني ؛ طاعة الله و طلبُ رضوانه، فأنا مع الله، فالناسُ رجلانِ ؛ رحمانيٌّ وشيطانيٌّ ملائكيٌّ وشهوانيٌّ، أخْروِيٌّ و دُنيَوِيٌّ، ربَّانيٌّ و كهْنوتِيٌّ، إما مع الله و إما مع الكهنوتِ و إما مع العدل و إما مع الكهنوت، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾

(سورة الفرقان)

ما قولك في معظمِ الناس الذين يعلنونِ بألسنتهم، أنهم عَبيدٌ لله عز وجل وهم في الحقيقة عبيدٌ لشهواتهم، إن معظم الذين يظنون أنهم في طاعة الله إن الهوى وحده يحركهم، فالحسدُ يحرِّكه الهوى، و الغيبة يحركها الهوى، و النميمة يحركها الهوى، و قبض المالِ يحركه الهوى، و إمساكُ المال عن الإنفاق يحركه الهوى، و إطلاق البصر في محاسن النساء يحركه الهوى، وأخذُ المال الحرام يحركه الهوى، فالدينُ أكبرُ بكثير من أن تؤَدِّيَ هذه الصلوات الخمس، لم ينتهِ شيءٌ بعدُ، الدين أن تتحرك بدافع طاعة الله و دافع عبادته و طلب رضوانه وطلب جنَّتِه وما فيها، و الانحرافُ أن تتحرك بدافع الهوى، و أحيانًا يتكلم الإنسانُ بدافع الهوى و يبرزُ العيوبَ بدافع الهوى حتى يستعليَ على الآخرين، و يحتقر أخاه المسلم بدافع الهوى قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾

(سورة الفرقان)

أحيانا يغتصب بيتا بدافع الهوى، و يطمس حقًّا بدافع الهوى فالعبرةُ لا لأداء الصلوات دونَ معنى، العبرةُ أن تتحرك لدافع طاعة الله عز وجل، و العبرةُ أن يكون شرعه و رسوله وسنة نبيه هي التي تحرِّكُكَ، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (43)﴾

(سورة الفرقان)

لا يستطيع النبي أن يهديَ إنسانًا جعل من هواه إلهًا له، فهو يعبد هواه من دون الله، لذلك أنت أيها المؤمنُ إن رأيتَ إنسانًا يركب هواه أو يركبُه هواه و مُسَيَّرًا من قِبَلِ شهوته و مصلحتُه قبْل كلِّ شيء و لا عبرةَ للحلال و الحرام عنده، فهذا الإنسان لا جدوى من تذكيره، لأن النبيَّ صلى الله عليه و سلم الذي أُوتِيَ جوامعَ الكلِمِ و الذي أُوتِيَ الوحيَ من السماء لا يستطيع أن يهديَه، أفأنت يا محمد تكون عليه وكيلا، كلُّ كماله صلى الله

عليه و سلم ومنطقه و حُجَّتهما استفاد منها عمُّه أبو لهب و لا أبو جهل و كفارُ قريش الذين اتبعوا أهواءهم، لذلك قال تعالى:

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى(9)﴾

[سورة الأعلى]

فمن الذي ينتفع بالذكرى ؟ الذي لا يستخدم الهوى إلها له، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (43)﴾

(سورة الفرقان)

هذا استفهامٌ إنكاريٌّ، أي أنت لن تستطيع أن تكون عليهم وكيلا فتهديَهم، لأنه يعبد همه من دون الله، فالمؤمن ربَّانيٌ رحمانيٌّ و ملائكِيٌّ، و المؤمن وفق الشرع، و المؤمن يعبد اللهَ و يرجو الله و اليوم الآخرَ، و المؤمن يسعى للجنة، و المؤمن يضع هواه تحت قدمه

وا خجلتي من عتاب ربـي إذا قال لـي: أسرفْتَ يا فلانُ

إلى متى أنت فـي المعاصي تسير مُرخى لك العِـنـانُ

عندي لك الصلحُ وهو بِـرِّي وعندك السيفُ والـسـنـانُ

ترضى بأن تنقضي الليالـي وما انقضتْ حربُك العَـوان

فاستحِ من كتابٍ كريــم يحصِي به العقلُ و اللـسانُ

واستحِ من شيبةٍ تـراها في النار مسجونةً تُــهـانُ

***

إن اتباعَ الهوى هوانٌ، ومن اتبع الهوى فقد هوى، و القضيةُ محدودةٌ و السنواتُ معدودةٌ، و الإنسان حينما يطيع الله عز وجل و يضع شهوتَه تحت قدمه ينتهي الامتحانُ و تبقى السعادةُ الأبديةُ، و حينما يتَّبع هوى نفسه و يلقي الشرعَ وراء ظهره، سنواتٌ معدودةٌ و تنقضي و تبقى جهنَّمُ إلا أبد الآبدين.

هذه الآيةُ أيها الأخوة:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (43)﴾

(سورة الفرقان)

أيْ لا أنت و لا أكبرُ عالِمٍ و لا أكبر داعية و لا أكبرُ مرشد و لا خطيب و لا أكبر متكلِّمٍ متمكِّنٍ يستطيع أن يقنعَ إنسانًا بالطاعة إذا كان هذا الإنسانُ قد أتَّخذ هواه إلها له، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (43)﴾

(سورة الفرقان)

ثم يقول الله عز وجل عن هؤلاء الذين اتخذوا هواهم لها لهم:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (44)﴾

(سورة الفرقان)

كالأنعام، قال تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

[سورة الجمعة]

دابة ضعٍ عليها كتاب الفيزياء تأليف "أنشتاين" و كتاب في الفلك تأليف" موريسون" و كتاب في علم النفس و كتاب في علم الاجتماع و كتاب في أصول الفقه، و بعد حين اسألها عن قضية، فهل تجيبك هذه الدابةُ؟! تشبيه رائعٌ جدًّا،

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

[سورة الجمعة]

وأحيانا الإنسانُ يُحمَّل القرآنَ لكنْ لا يحمله، يُلقَى على مسمعه القرآن الكريم و تفسيره لكن هواه حجاب بينه و بين الحقيقة، لا يستفيد شيئًا، قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾

[سورة محمد]

كلام سمعناه سابقًا و يُعاد في كل درس، لأنه مع هواه لا يدرك الفرقَ بين الدرسين، و الإنسانُ الذي يتبع هواه أعمى، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا(125)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى(126)﴾

[سورة طه]

فالذي نستفيده من هذه الآيةِ كتطبيق عمليٍّ ؛ قبل أن تتكلم ؛ ما الدافع ؟ و قبل أن تنتقد، ما الدافع ؟ و قبل أن ترحِّب بإنسانٍ لا يصلي ترحيبًا شديدا، ما الدافع ؟ و قبل أن تعاديَ ما الدافع ؟ الهوى، فإذا كشف الإنسانُ نفسَه وعلَّمها صار حكيما، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

(سورة البقرة)

و قبل أن تمدح ما الدافع ؟ و قبل أن تذُمَّ ما الدافع ؟ و قبل أن تعطيَ ما الدافع ؟ و قبل أن تمنع ما الدافع؟ و قبل أن تغضب ما الدافع ؟ و قبل أن تبتسم ما الدافع ؟ و قبل أن تزور فلانا ما الدافع؟ و تلبية دعوة الأغنياء و الأقوياء من الدنيا، و تلبية دعوة الفقراء و المساكين من الآخرة .

أيها الأخوة، هذه الآية أرجو الله عز وجل أن تُتَرجمَ إلى تحليل نفسي دقيق، فالإنسانُ المؤمن دائما يحلل دوافعه، فإذا كان الدافع أن تنتزع إعجابَ الآخرين فهو من الهوى، وهي قضية ظهور و افتخار و انتزاع إعجاب الآخرين و إثبات الذات، قال تعالى :

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (43)﴾

(سورة الفرقان)

قبل أن تغتصب هذا البيت ما الدافع ؟ فالدين أكبر بكثير من أن تصلِّيَ و أكبر بكثير من أن تصوم رمضان و من أن ترتديَ زيًّا إسلاميًّا، و سواكا، الدين أكبر من ذلك، الدين التزام، و أن تنطلق من طاعة الله و عبادته لا من هوى نفسك، و المؤمن كما أقول لكم دائما يضع هواه و شهوته تحت قدمه إرضاءً لربّه، هذا هو المؤمن، و أنا لا أعتقد أن هناك بشر أعزَّه اللهُ كما اعزَّ سيدَنا محمدًا، وكلُّ إنسان اتبع سيدَنا محمدًا يُعِزُّه اللهُ و يرفع شأنَه و قدرَه كثيرا، و إيَّاك أن ترفع قدرَك أنت باختيارك، الله تعالى يرفعك إلى ما لا تطمح إليه، اخضَعْ لله و انظُرْ إلى الأكحال وهي حجارةٌ لانَتْ فصار مقرُّها في الأعينِ.

فالكُحلُ حجر مطحونٌ لكنَّه لِيّن و طُحِن فوُضِعتْ في العينِ .

الملخَّصُ، إياكَ أن تتبّع الهوى، وضع نفسَك كأنك محلّلٌ نفسِيٌّ، و كلُّ حركة و سكنة حلّلْها، هذه الكلمة ما هدفها ؟ و هذه الابتسامة الساخرة ماذا أردتَ منها ؟

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12-02) : تفسير الآيات 15 - 18 -21 - 27

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة النَّمل قِصَّة لها دلالات كبيرة، وبادئ ذي بدْء ؛ القِصَّة في القرآن الكريم ليْسَت قِصَّةٌ وقَعَت، وليْسَت قِصَّة لن تقَعَ بعد اليوم، إنَّها تُمَثِّل نموذَجًا مُتَكَرِّرًا، فما لم تسْتنبِط مِن القِصَّة الحقيقة والمَوْعِظَة والقانون فكأنَّنا لم نقرأ قِصَّة في كتاب الله، فربنا سبحانه وتعالى قال:

﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15)﴾

(سورة النمل)

هل تُصَدِّق أنَّ أعْظم نِعْمَةٍ على الإطلاق أن يُعَلِّمَكَ الله، ولأنّ رتْبة العِلْم أعلى الرُّتَب، ولأنَّ الله سبحانه وتعالى فضَّل الإنسان على باقي المخلوقات بالعِلْم، وأنَّك إن أرَدْتَ الدنيا فَعَلَيْك بالعِلْم، وإن أرَدْتَ الآخرة فَعَلَيْك بالعِلْم، وإن أرَدْتَهُما معًا فعليم بالعلم ! وفضْل العالم على العابِد كَفَضْل النبي على أدْنى الناس، وفضْل العالم على العابِد كَفَضْل القمر ليلة البَدْر على سائر الكواكب، ويَظلُّ المرء عالِمًا ما طلَبَ العِلْم فإذا ظنَّ أنَّهُ قد عَلِم فقد جَهِل، والإنسان دون عِلْم يشْقى في الدنيا والآخرة وأساس الدِّين تَعْرِفُهُ فَتُطيعُهُ فَتَسْعَدُ بِقُرْبِهِ، فالسَّعادة هي الهَدَف والطاعة هي الثَّمَن، والعِلْم هو السَّبب.

أبْسَط مثال ؛ إنسانٌ ضَغْطُهُ مُرْتَفِع، والضَّغْط المُرْتفِع أحيانًا ليس له أيّ أعْراض، فقد تَجِدُه في أعلى درجات الحَيَوِيَّة والصِّحَة وضَغْطُهُ ثمانِيَة عشَرة، هل يستطيعُ أن يُعالِجَ هذا الضَّغْط إلا إذا عرَفَ أنَّ معه ضَغْط ؟! فأوَّل خُطْوَة من خطوات مُعالَجَة الضَّغْط المُرْتَفِع أن تقيس ضَغْطَكَ، ولذلك المعرِفَة أساس التَّوْبة، والإمام الغزالي له كلمة رائِعَة قال التَّوبة لها ثلاثة أركان: عِلْمٌ وحالٌ وعَمَل، الحال هو النَّدَم، ولن تنْدَمَ إلا إذا عَلِمْتَ، ولن تتوب إلا إذا نَدِمْتَ، فالإنسان متى يُعالِج نفْسَهُ؟! إذا عَلِمَ أنَّ الشُّحوم مُرتفعَة، والكولسترول نسبتُهُ رفيعة، فمتى يُحَدِّد الإنسان الغِذاء الخاص به ؟ بعد أن يقْرأ التَّحليل، إذًا هل هناك حرَكَة نحو الإصْلاح قبل العِلْم ؟ لا، العِلْمُ مَبْدَئِيًّا، تعْرفُ حجْمَكَ وفي أيِّ طريقٍ أنت، وفي أيِّ اتِّجاه، والمُشْكِلَةُ التي تُعاني منها، فالإنسان كيف يعْلم أنَّهُ على باطِل ؟ إذا لم يَحْضُر مَجْلس عِلْم، وكيف يعْرِف أنَّهُ على انْحِراف ؟ كيف يعْلم أنَّ دَخْلَهُ فيه مُشْكِلَة ؟ إذا لم يحْضُر مجالس العِلم، فَبِهِ تعْرف حجْمَكَ وعمَلَك، ومُطابَقَة عملِكَ للشَّرْع، لذا أكبر نِعْمة على الإطلاق أنْ تتعلَّم، وأن يُؤْتِيَكَ الله عِلْمًا صحيحًا، لذا رُتْبَةُ العلم أعلى الرُّتَب، قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(19)﴾

[سورة الأحقاف]

فالإنسان لمَّا يُسْمَحُ له أن يتلقَّى العِلْم مِن مَنْبَعٍ صافٍ وِفْق الكتاب والسنَّة ؛ العِلْمُ الذي أرادهُ الله فهذه أكبر نِعْمةٍ يُنْعَمُ بها الإنسان قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15)﴾

(سورة النمل)

معنى ذلك أنَّ هناك مؤمن عابِد، وآخرَ عالِمٍ، العابِد مُقاوَمَتُهُ هذه الأشياء مِنَ السَّهْل جدا أن يعْصِيَ الله لأتْفَه سبب، تنطلي عليه الأمور والخُزَعْبلات والخُرافات، يمْشي في طريق غلَط وهو لا يشْعر، ويأخذ فرْع من فُروع الدِّين، ويجْعَلُهُ هو الدِّين، ويأتي على أحد أصول الدِّين فَيَجْعَلُهُ فرْعًا، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15)﴾

(سورة النمل)

الآن على ماذا يشْكُر الناس ؟ يقول لك: بيْتي أربعين مترًا ! والآخر يقول لك: لي بِضاعَة أرْبَعُ مائة ضِعْف ! اِنْتَبِه لِما تقول ! فإذا فضَّل الله عليك بالمال، فالمال زائِل، والبيت زائِل، والمركبة والمزْرعة...كُلُّ هذا زائِل، أما العِلْم هو المُسْتَمِرّ، وهو الذي تَسْعَدُ به في الدنيا والآخرة، لذا الإنسان إذا لم يطْلب العِلْم جهل، وطلب العلم فرض عين على كلّ مُسْلِم، فلا تقل لي أنا مهندس لا علاقة لي بالدِّين !! هذا كلام فارِغ، قال تعالى:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾

(سورة النمل)

الآن نحن أمام إعجاز عِلْمي، الله جل جلاله أثْبَتَ للنَّمْل النِّظام الاجْتِماعي والمعرفة، فالنَّمْلة تُخاطِب، وخِطابُها عن طريق المواد الكيماوِيَّة، فإذا الإنسان سَحَق نمْلة بِيَدِهِ، فإنَّه ينْتشر من هذه النَّمْلة رائِحَة هي اسْتِغاثة لِكُلِّ النَّمْل، وبعد وقتٍ قليل تأتي مئات النَّملات أمامها، فهناك خِطاب، وأحيانًا تكون حبَّة القمْح أو الخبز أكبر من طاقتِها فَتُرْسِل إشارة فتأتي

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾

(سورة النمل)

زميلاتُها، وأحيانًا تُخَزِّن النَّملة حبَّة القمْح في وَكْرِها وتنْزَعُ رُشَيْمَها وتأكلهُ !! وهذا مِن أجل أن لا تنْمو هذه الحبَّة، لأنَّها إن ترَكَتْ الرُّشَيْم نَمَتْ هذه الحبَّة، وهناك بُذور لها رُشَيْمان، وحينها تأكل النَّملة الرُّشَيْمَين مِن اجل أن تكون هذه الحبَّة غِذاءً لا نباتًا، فالله سبحانه وتعالى أثْبَتَ للنَّمْلة النُّطْق والمعرفة.

مرَّةً راقَبْتُ وَكْر نمْل ؛ شيء لا يُصَدَّق ! قطعة خبز تَجُرُّها نمْلة فاسْتَغاثَتْ بِزَميلاتِها فجاءها أربعة نِمال، وكلّ نَمْلة مِن طرَف، والنَّمْلة يمكِنُها أن تَحْمِل عشْرة أمْثال وزْنَها، فإذا الواحِد مِنَّا وزْنُه سبْعين كيلو، فهو لا يُمكنُهُ أن يحْمِل سبعمائة كيلو غرام ! لكنَّ النملة عشْرة أمْثال وزْنَها، وإذا كانت قطْعة الخبز أو الطَّعام ؛ فَمُجْتَمَعُ النَّمْل ومُجْتَمَعُ النَّحْل هو مُجْتَمَعٌ مُتَعاوِن بأعلى درجات التَّعاوُن، إذْ هناك نِمال يُمَثِّلْن الشُّرْطَة، ويَقِفْنَ على الطريق، ولا يسْمَحْن بأيَّة نمْلة بالخُروج من الطريق، وأُخَر حارِسات، مُجْتَمَعٌ مُنَظَّم ومُتَعاوِن وهناك تنْسيق، وله قِيادة وشرطَة وجِهاز ضَبْط، ومع ذلك هذا المُجْتَمَع يستطيع أن يتواصَل إعلامِيًّا بالنُّطْق، فالله عز وجل تَبْسيطًا لِمَدارِكِنا قال: قالَتْ نمْلة ! قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) ﴾

(سورة النمل)

أحَدُ شُيوخ الأزْهر كان أُمِيًّا، وبدأ يدْرس العِلْم فَوَجَدَهُ صعبًا فَتَرَكَهُ وحاوَلَ ثانِيًا ثمَّ ترَك، وبعدها يئِسَ، قال: كنت جالسًا مرَّة في مكان فوَجَدْتُ نملة تريدُ الصُّعود على الحائط، سَقَطَت فأعادَت الكرَّة، وعدَّ هذا الشيخ المرات التي حاوَلَت فيها الصُّعود فَوَجَدَها أربعين مرَّة !! فقال: عَلَمَتْني نمْلة أن لا أيْأس، ورَجَع وطلبَ العِلْم، وما مات إلا وهو شيْخَ الأزْهَر ! والذي علَّمَهُ نمْلَةٌ:

أخْلِقْ بذي الصَّبْر أن يحْظى بِحاجَتِهِ   ومُدْمِن القرْع للأبواب أن يَلِجَ

***

فالله تعالى يَمْتَحِنُ صِدْق الإنسان، فلا يُمْكِنُكَ أن تتعلَّم من أوَّل درْس، ولكن درس مع درس، وصلاة مع صلاة، وإنْفاق مع إنفاق تكون النتيجة، فهذه النَّمْلة علَّمت هذا الإنسان، وأصْبَحَ شيْخ الأزْهر بِفِعْلِها والمؤمن أيها الإخوة لا ييْأس.

قال تعالى:

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) ﴾

(سورة النمل)

فهذه النَّمْلة عَرَفَتْ مقام النُّبُوَّة، فهي شَهِدَت أنَّ هؤلاء المارَّة إن قَتَلْنَكم فهم لا يشْعرون وليس عن قصْد، لأنَّها عظَّمَت مقام النُّبُوَّة، قال تعالى:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)﴾

(سورة النمل)

معنى ذلك أنَّ سيِّدَنا سُلَيْمان أوتِيَ أن يسْمَعَ حديث النَّمْل، والشيء الآخر أنَّ الآية الكريمة وهي قوله تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(44)﴾

[سورة الإسراء]

وقد كان صلى الله عليه وسلَّم يخْطُب على جذع نخلة فقد روى البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِي اللَّه عَنْهما أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ **أَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ فَإِنَّ لِي غُلَامًا نَجَّارًا** قَالَ:

((إِنْ شِئْتِ قَالَ فَعَمِلَتْ لَهُ الْمِنْبَرَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ قَالَ بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ))

[رواه البخاري]

دخل إلى بستان فرأى فيه جَمَلاً، ولمَّا نَظَر إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم ذَرَفَتْ عَيْناهُ، فجاء النَّبي ومسَحَ دُموعَهُ لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها لصافحتكم الملائكة!))

فالإنسان كُلَّما ارْتَقى تَشِفُّ نفْسُهُ فيرى ما لا يراه الآخرون، ويسْمَعُ ما لا يسْمَعُهُ الآخرون، قال تعالى:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ ﴾

(سورة النمل)

أَوْزِعْني أيْ أَلْهِمْني، نحن عندنا حُكْم، ما العَمَل الذي يرْضاهُ الله عز وجل ؟ وما العمل الذي يَقْبَلُهُ الله عز وجل ؟ وما العمل الذي ترْقى به عند الله عز وجل ؟ والذي تدخل به إلى الجنَّة ؟ العَمَل كما قال الفُضَيْل: لا يقبل إلا إذا كان صوابًا وخالِصا، فالخالِص ما ابْتُغِيَ به وَجْهُ الله وصَوَابًا ما وافَقَ السنَّة، هذا معنى قول الله تعالى:

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾

(سورة النمل)

ترْضاهُ بالمناسبة فِعْلٌ مُضارِع، والجملة في مَحَلّ نَصْب صِفَة، والصِّفة قَيْد، أي أن أعْمَلَ صالِحًا مَرْضِيًّا عنه، فالصالِح لا يُقْبَل إلا إذا كان مَرْضِيًّا عنه، ومتى يُقْبَلُ عنه ؟ إذا كان خالِصًا ومُوافِقًا للسنَّة قال تعالى:

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) ﴾

(سورة النمل)

الحقيقة بعد أن قال الهُدهد، وسوف نأخذ قوله في المرَّة القادِمة، قال تعالى:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27)﴾

(سورة النمل)

سننْظُر أصَدَقْتَ أم كنتَ من الكاذِبين ! هذه الآية لِكُل إنسان ولاَّه الله على عشْر أشْخاص فما فوق رئيس دائرة، ومُدير مُستشفى، ومعلِّم بِصَفٍّ، قبل أن تتَّخِذ قرارًا يجب أن تتقصّى الحقائِق، وقبل أن تُنْزِل العِقاب بِزَيْد يجب أن تعرف ماذا فعَل ؟ لذلك هذه الآية يَحتاجُها كُلّ أب، تأتيك ابْنَتُك إلى البيْت تبكي وتتكلَّم عن زَوْجِها، فالأب يغْضب ويزَمْجِر ويتوَعَّد ولَيْتَهُ اسْتَدْعى زَوْجَها وسألَهُ لماذا أنت غاضِب عليها ؟ فربما حينها تسْكت عن أشياء كثيرة، لذا قال: سننْظُر أصَدَقْتَ أم كنتَ من الكاذِبين !

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-12) : تفسير الآيات 35- 36- 38- 42- 44

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في قصَّة سيّدنا سليمان مع ملِكَة بلْقيس وأُحِبُّ أن أُنَوِّهَ إلى أنّ أيَّ قِصَّة في القرآن الكريم لا يُمْكِن أن يكون الهَدَف منها فرْض الوقائع لا غير !! قرْآننا أعظمُ وأجَلُّ مِن أن يكون كِتاب قِصص، بل إنَّ كُلَّ قِصَّة في القرآن الكريم تُمَثِّل نموذجًا مُتَكَرِّرًا ويُمْكِن أن نسْتنبِطَ من كُلِّ كلمةٍ ومن كُلِّ قَوْل، ومن كُلِّ حِوارٍ، ومِن كُلِّ تَصْوير حقيقةً وقانونًا، ومبْدأً، وتَوْجيهًا، فَيَجِبُ أن نَعْتَنِيَ بالقِصَّة عِنايَةً بالِغَة ؛ لأنَّ كل فقْرةٍ فيها قانون يُلقي ضَوْءً على حياتنا اليَوْمِيَّة.

نحن وصَلْنا في الدَّرْس الماضي أنَّ الهَدِيَّة يفْرَحُ بها أهْل الدنيا، لكنّ أصْحاب المبادئ لا يعبئون بها.

قال تعالى:

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35)﴾

[سورة النمل]

النبي عليه الصلاة والسلام عرَضوا عليه أن يكون أغْنى فِتْيان مكَّة وأن يتزوَّج أجْمَلَ فتاةٍ فيهم، وأن لا يُقْطَعَ أمْرٌ دون أن يُرْجَعَ إليه، ومع ذلك قال:

((يا عمّ، والله لو وضَعوا الشَّمي عن يميني والقمر عن يساري على أن أترُكَ هذا الأمر ما ترَكْتُهُ حتى يُظْهِرهُ الله أو أهلِكَ دونَهُ.))

المبادئ عند أصْحاب المبادئ هي كُلُّ شيء، والمادَّة تحت أقْدامِهِم والمادَّة عند أصْحاب الدنيا هي كُلّ شيء، والمبادئ تحت أقْدامِهِم لذلك مَلِكَة بلْقيس كانت ذَكِيّة حينما علِمَتْ أنَّ الهَدِيَّة وَحْدها تَكْشِفُ نُبُوَّة هذا النبي، فإمَّا أنَّهُ ملِكَ، ومِن شأنِ المَلِك إن دَخَل قرْيَةً أفْسَدَها وجعل أعِزَّة أهْلها أذِلَّة، وإما أنَّهُ نبيٌّ، والنبي يمْتلأُ قلبُهُ بالرَّحْمة والعَدْل وله رسالةٍ يُؤَدِّيها، فالفرق الفاصِل بين النُّبوَّة المُلْك ما إذا فرِحَ بهذه الهَدِيَّة أو لم يفْرَح،

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37)﴾

[سورة النمل]

قال سيِّدنا سليمان كما قال تعالى:

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38)﴾

[سورة النمل]

أحيانًا نفْرح لمَّا نجد الاتّصالات سريعَة جدًّا، وسيّدُنا عمر رضي الله عنه قال: **يا سارِيَة، الجَبَلَ الجَبَلَ !** دون تِلكْس وخط هاتفي، كما أنَّنا نفْرح نحن لمَّا ننقل شيئا ضَخما من مكان لآخر، فالقُدُرات التي أعْطاها الله للجِنّ تفوق حدَّ الخيال، والقُدْرات التي أعْطاها الله للملائكة تفوق قدْرات الجنّ، قال تعالى:

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38)﴾

[سورة النمل]

عرشٌ ضَخْم يأتي به مِن اليَمَن إلى القُدْس، هل في العالم اليوم شرِكَة نقْل تستطيع أن تنقل عرشًا ضَخْمًا من الإسمنت إلى فلسطين قبل أن تقوم مِن مقامِك ؟!! قال تعالى:

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)﴾

[سورة النمل]

هنا الشاهِد، نحن كمُؤمنين، كلَّما عايَنْتَ نِعْمَةً حلَّت بك ؛ هل تقول: هذا مِن فضْل ربِّي ؟! أجْهزتُكَ وأعْضاؤُك وحواسُّك، نِعْمَةُ المأوى والزَّوْجَة ونِعمة الأولاد، ونعمة الدَّخْل، ونِعمة الحريَّة ؛ هذه النِّعَم التي أكْرَمَنا الله بها ؛ هل نقول: هذا مِن فضل ربِّي، قال تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ(7)﴾

[سورة إبراهيم]

ويا ابن آدم إن ذَكَرْتني شَكَرْتني، وإذا ما نسيتني كَفَرْتني، وإذا أرَدْتُم رحْمتي فارْحَموا خلْقي، أتمنَّى عليكم أن تكون كلّ حركاتك أيها الأخ وكل نشاطاتك وسكناتِك لابد أن لا تنْسى فضْل الله عليك، وحينما لا تنْسى فضْل الله عليك فهذه النِّعَم هي في ازْدِياد، ولن تنْقص، وهذا الشيء أكيد لأنَّه الله تعالى قال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ(11)﴾

[سورة الرعد]

فخَطُّك البياني يكون صاعِدًا إن كنت دائمًا في شُكْر دائِم، والشُّكْر أيها الإخْوَة أنواع، فأدْنى مُسْتَوَياتِهِ أن تعْلمَ أنَّ هذه النِّعْمة من الله، وأوْسَطُ مُسْتَوَياتِهِ أن يمتلأَ قلبُكَ حمْدًا لله تعالى، وأعلى مُسْتَوياتِهِ أن يُتَرْجَمَ إلى عملٍ صالِحٍ يُتَرْجم إلى عمل صالِحٍ يرفع العبادة به وهذا لقَول الله تعالى:

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(13)﴾

(سورة سبأ)

ولذلك المؤمن يرى كُلَّ الخَلْق عِباد الله، وأيَّة خِدْمَةٍ يُقَدِّمُها لأيِّ إنسانٍ يراها قُرْبَةً إلى الله تعالى، ويراها قرْضًا حسَنًا لله تعالى، وسوف يُضاعِفُها الله له أضْعافًا كثيرة، والله تعالى خاطب النبي عليه الصلاة والسلام فقال:

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا(113)﴾

[سورة النساء]

وخاطَبَ المؤمنين فقال تعالى:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(21)﴾

[سورة النور]

هناك أشْخاص يعْبدون البقر، والحيوانات ويعبدون تماثيل، فأنت حينما أكْرَمَك الله تعالى بِنِعْمة الإيجاد ولم تكن شيئًا مذْكورًا، وأكرمَكَ الله بِنِعْمة الإمداد، وأكْرَمَك بِنِعْمة الهُدى والرَّشاد وهذه أكْبر نعمة عليك، لذلك نقف وقْفَةً قليلة ؛ كُلَّما عايَنْت نعمة من نعَمِ الله عليك قُل: هذا من فضْل الله عليّ، عوِّد لِسانَك أن لا تقول أنا، عوِّد لسانك أن تقول: هذا من فضل الله عليّ، والمؤمن دائِمًا يقول: هذا من فضْل الله عليّ، والله تعالى هو الذي أخَذ بِيَدي والله أكْرمني وأعانني، ولا تقل: هذه خِبْرة، وهذا من علمي.

قال تعالى:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ(81)﴾

[سورة القصص]

كُلَّما اسْتَقَمْتَ على أمْرِهِ أمَدَّك الله بِقُوَّةٍ منه، وكنت عند الله قويًّا ومُقَرَّبًا:

ما لي سِوى فقْري إليك وسيلة فبالافتِقار إليك فقْري أدْفَعُ
وما لي سوى قرْعي لبابِكَ حيلةٌ فإذا رَدَدْتَ فأيَّ باب أقْرَعُ

* * *

حالة الافْتِقار هي حالةُ العُبودِيَّة لله عز وجل، وهي صُعودٌ دائِمًا، وأنا أُقْسِمُ بالله العظيم، وغير حانِث أنَّ كُلَّ مؤمنٍ عايَنَ نِعَمَ الله عز وجل وامتلأ قلبُهُ شُكْرًا لها، فهذه النِّعَم لن تزول عنه أبَدًا، وقد ذكرتُ لكم تفسير آيةٍ بالعامِيَّة مرَّةً ! وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ(11)﴾

[سورة الرَّعد]

لا تُغَيِّر حتى لا يُغَيِّر، وإذا كانت هناك مُشكلة فالأصل غَيِّر كي يُغَيِّر فإذا كنت في بَحبوحة وفي إكرام وصِحَّة جيِّدة، ولك مكانة فإذا لم تُغَيِّر لم يُغَيِّر، والعكْس كذلك فلو كنت في مُصيبَةٍ لا سَمَح الله غيِّر كي يُغَيِّر، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ(11)﴾

[سورة الرَّعد]

قال تعالى:

﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) ﴾

[سورة النمل]

((عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))

[رواه مسلم]

ذلك لأنَّ عطائي كلام وأخْذي كلام، فَمَن وَجَدَ خيْرًا فلْيَحْمَدِ الله ومَن وجَدَ غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفْسَه، ومَن كفر فإنَّ ربِّي غنيٌّ كريم.

قال تعالى:

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41)﴾

[سورة النمل]

الآن عندنا موضوعَان صغيرَان الإنسان لا يهْتَدي إلا بِحالَيْن ؛ عقْل راجِح، وتواضَع، فالمُسْتَكبر لا يتعلَّم، والمُسْتحي لا يتعلَّم، فهذه مَلِكَة وقَدِمَتْ على سُلَيمان المَلِك، فإنْ عامَلَتْهُ ملِكَة لِمَلِك لن تتعلَّم شيئًا فلا بدّ مِن تحْجيمِها قليلاً، فالإنسان قد يسْتَعْلي ويرى أنَّهُ نِدًّا للآخر فلا يتعلَّم أبَدًا، إذاً لا بدّ من خُضوع المُتَعلِّم للمُعَلِّم، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا وَلَا يَبْغِي بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ))

[رواه ابن ماجه]

فهذه مَلِكَة، أراد أن يمْتَحِن ذكاءَها، قال تعالى:

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41)﴾

[سورة النمل]

امْتِحان العَقْل أساس في الدَّعْوَة إلى الله، والنبي عليه الصلاة والسلام تزوَّج امْرأةً فقال لها اخْوتها قولي له إن دَخَلْتِ عليه: أعوذ بالله منك، فلمَّا قالتْ له ذلك قال لها: الْحَقي بِأهْلِكِ، فهذا الضَّعْف في التَّفْكير لا يسْمحُ لها أن تُحَدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، قال تعالى:

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41)﴾

[سورة النمل]

فهي أجابَت بِرَجاحة عَقْل وقالتْ: كأنَّهُ هو ! وهذا جواب دِبْلوماسي ! فالامْتِحان انتهى، ولم يبْق إلا التَّحْجيم، قال تعالى:

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)﴾

[سورة النمل]

جعل الأرض بِلَّوْر صافي، وتحته ماء يَجْري، قال تعالى: فالتَّحجيم زائِد امْتِحان الذَّكاء شَرطان أساسِيَّان لِطَلَب العِلْم.

قال تعالى:

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) ﴾

[سورة النمل]

فإذا دَعَوْتَ إلى الله عز وجل فأنت تحْتاج إلى ناسٍ عُقَلاء، لهم فِكْر قويم ومُحاكَمَة سليمة، أما الأغْبِياء، وَمحْدود و التَّفكير فهؤلاء عِبْءٌ على الدَّعْوَة، فرق بين مَن يحْمِلُ معك الدَّعْوَة، وبين مَن هو معك وفي الوقت نفْسِه عبء عليها،أعظمُ نِعْمَة على الإطلاق أن يَهَبَك الله تعالى عَقْلاً راجِحًا، والنبي عليه الصلاة والسلام عَجِبَ مِن سيّدنا خالد لماذا تأخَّر إسْلامُهُ، وقال له:

((عَجِبْتُ لك يا خالد فإنّي أرى لك فِكْرًا، وإنَّما الدِّين هو العَقْل ومَن لا عَقْل له لا دين له.))

ولا تفْهموا من رفْعِها عن ساقَيْها أنَّها ظهرت عورَتُها كما يفْهَمُهُ بعض الجُهَلاء، فهذه من الإسرائيليات ما أنزل الله من سلطان، والقِصَّة انْتَهت، وإلى قِصَّة أخرى إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-12) : تفسير الآيات 22 - 31

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، لا لنا في قِصَّة سيّدنا سليمان عليه السلام التي ورَدَت في سورة النَّمل، قال تعالى:

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22)﴾

(سورة النمل)

ذَهَب الهُدْهُد إلى مملكة سبأ، وجاء سليمان الحكيم بنبأ يقين، قال تعالى:

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ(24)﴾

(سورة النمل)

هنا نقْطة دقيقة جدًّا وهي أنَّ الكافر في النِّعْمة، أما المؤمن ففي المُنْعِم فالشَّمس أساس الحياة والبقر أفْضل حيوان في الإنسان، لأنَّ الحليب منه، والهنود عبَدُوا البقر، ومَمْلَكَةُ سبأ عبَدَتْ الشَّمس، فَكُلّ إنسان يبْقى في النِّعْمة، وقد حُجِبَ عن المُنْعِم فَهُوَ الكافر، أما المؤمن انْتَقل مِن النِّعْمة إلى المُنْعِم ومِن الشَّمْس إلى رب الشَّمس، ومِن البقرة إلى الذي سخَّرها وذلَّلها فالمؤمن مُوَحِّد والكافر مُشْرِك، قال تعالى:

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

(سورة النمل)

النُّقْطة الدقيقة هيأنَّ المؤمن يؤمِن أنَّ السَّماء والأرض كلَّها مُسَخَّرة للإنسان تسْخير تَعريفٍ وتسْخير تكريم، وأُلِحُّ على هاتَين الكلمتين تَسْخير تعريف وتَكْريم، فهذا الكَون له مُهِمَّتان خطيرتان: الأولى أن ننتَفِعَ به،

وننتَفِعُ بالشَّمس والقمر، وبالنبات والماء والهواء فَكُلّ شيءٍ خُلِق لنا، فَنَحْنُ مُسَخَّر له، والكون مُسَخَّر أيُّهما أكْرم على الله عز وجل ؛ المُسَخَّرُ له أم المُسَخَّر ؟! قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا(70)﴾

[سورة الإسراء]

فالكون وظيفتهُ الأولى أن تعرف الله مِن خِلاله، فلو أنَّ واحِدًا دَخْلُهُ لا يكفي لِشِراء العَسَل ولكنَّه قرأ عن العسَل كِتابًا، وعن النَّحْل كِتابًا فانْهَمَرَتْ دُموعُهُ، وخشَعَ قلْبُهُ، وتعرَّف إلى الله مِن خِلال النَّحْل هذا الإنسان ذي الدَّخل المَحْدود حقَّقَ الغايَة القُصْوى مِن خلْق النَّحل والعسَل، والذي جَعَلَ طعامَهُ العسَل ودَخْلُهُ كبير جدًّا، ولم يصِل مِن العسَل إلى رب العسَل فهذا عطَّل أكْبرَ غايَةٍ مِن خلْق النَّحْل، فالمُشْكِلة أن تعرف الله تعالى فالواحد ممكن أن لا يسْمح له دَخْلُهُ أن يشْتري وردًا، لو وقَفَ أمام بائِع الوُرود، بألوانها ورائِحَتها، وتناسب ألوانها، وجمالها، وقال: سبحان الله العظيم، فأنت لو لم تشْتري هذا الورْد فأنت حقَّقْت الهدَف من مُرادِهِ، وهو تسْبيحك ! فالكون له مُهِمَّتان مُهِمَّة تعريف، ومُهِمَّة تكريم، فالتَّكريم حصَل، وبقِيَ التعريف، لذلك قال تعالى:

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24)﴾

(سورة النمل)

ثمَّ قال تعالى:

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25)﴾

(سورة النمل)

شتَّان بين الشَّمس وربِّ الشَّمس، فالشَّمس لا تسْمَعُكَ إذا دَعَوتها وبالتالي لا تسْتجيب لك، ولك لله سبحانه وتعالى يُخرج الخبْأ في السماء والأرض، فالسماء تنْشَقُّ عن المَطَر، والأرض تنْشقّ عن النَّبات، مَن الذي يُنْبِتُ ؟ الله ومن الذي يُنزِل الخبأ من السماء ؟ الله والله يعلم ما نُخفي وما نُعلن فأنت قُلْ ما شئْتَ فالله يعلمُ ما تُخْفي وأبْلَغُ من ذلك يعلمُ السِّر وأخفى فالسِّر ما تُخفيه، وأخْفى هو ما يَخْفى عنك، يعْلمُ علانِيَّتَك، ويعْلمُ سِرَّك، ويعْلمُ ما يخْفى عنك، فهذا الذي يعْلم، وهذا الذي كرَّمَ، أُعْبُد هذا الإله العظيم، وهذا كلام الهُدْهُد فكيف بإنسانٍ عاقِل تجدهُ يعبُدُ الشَّمس من دون الله، والقمر من دون الله، أو يعبدُ البقر، وحتَّى الجُرذان، وباليابان يعْبدون ذَكَر الرَّجل !! قال تعالى:

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26)﴾

(سورة النمل)

الأمْرُ كلُّهُ بيَدِهِ تعالى.

الآية الدقيقة الدقيقة، قوله تعالى:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27)﴾

(سورة النمل)

يا أخي الكريم، إن كنتَ أبًا أو أخًا كبيرًا، أو مُعلِّمًا، أو مُديرًا قبل أن تَحْكُم تَحَقَّق، قال تعالى:

﴿"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ(6)﴾

[سورة الحجرات]

كلُّ إنسانٍ ولاَّهُ الله تعالى على عشرة أشْخاص ؛ هذه الآية شِعارُهُ فَقَبْلَ أن تغْضَب وتَحْقِد وتُزَمْجِر وقبل أن تتَّخِذ قرارًا وتُعادي، وقبل أن تقْطَع وتحْسِن، قال تعالى:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27)﴾

(سورة النمل)

هذه آيةُ التَّحَقُّق، قال تعالى بعدها:

﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30)﴾

(سورة النمل)

فهو لا يتكلَّم باسْمِهِ الشَّخصي، ولكنْ يتكلَّم باسْم خالقِ الكَون، فكما أنَّ القاضي يقول: باسم الشَّعب، فهو لا يحكم بصِفَتِهِ الشَّخْصِيَّة، ولكنْ يحْكُم نِيابَةً عن الشَّعْب، وهذه البسْملة لها معنى كبير جدًا، فأنت إذا أرَدْتَ أن تشْرب قلتَ بسْم الله، أيْ هذه نِعْمة الله وهذا الماء سخَّرهُ الله لك، فهو الذي جَعَلَهُ عذْبًا فراتًا وسَمَحَ له أن يصِلَ إليك، وهو الذي جَعَلَهُ مَيْسورًا، والمعنى الثانيكما في الحديث:

((كَانَ أَنَسٌ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَنَفَّسُ ثَلَاثًا))

[رواه البخاري]

أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام أمرَكَ أن تشْربَ ثلاثًا، وأنت تشْرب قاعِدًا، وأن تُبْعِدَ الإناء عن فيكَ فيما بين الشَّرْبَتَيْن لأنَّهُ ثبتَ أنَّ زفير الهواء ينقل الأمراض، فالنبي عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً يشْرب وينفُخُ في الإناء فقال له كما في حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:

((أَبِنِ القَدَحَ عَن فِيكَ، ثُمَّ تَنَفَّس.))

[رواه البيهقي]

وقالوا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

((: مُصُّوا المَاءَ مَصًّا وَلَا تَعَبُّوهُ عَبًّا))

[رواه البيهقي]

وأمرنا أن نُغَطِّي الوِعاء، فالنبي عليه الصلاة والسلام أوتِيَ جوامِعَ الكَلِم، والعلوم كلَّها، فالإنسان يدخل في الصَّيف إلى بيتِه وحرارته أكثر من خمس وثلاثين، يفْتح البرادّ ويأخذ زجاجة من الماء درجتها اثنان ! ويشْربها !! فالكبِد والمعِدَة من سبعٍ وثلاثين إلى الدرجة الثانية، قال:

((فإنّ الكُباد من العَبّ !))

وثبتَ أنَّ هناك عصَبًا حائرًا ومُبْهَمًا بين القلب والرِّئتين والمَعِدَة، فهناك حالات موت مفاجئ نتيجة تنبُّأ زائِد عن الحدّ لِهذا العصَب الحائِر، وهذا العصَب بين القلب والرِّئتين والمعِدَة، لذا أكثر أعراض الذَّبْحة الصَّدْرِيَّة مِن الأكل الثَّقيل، ويحسّ بِضيقٍ في صَدْرِهِ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام:

((مُصُّوا الماء مصًّا ولا تَعُضُّوه عضًّا فإنّ الكُباد من العَبّ))

وكان النبي يُسَمِّي ويُبْعِدُ الإناء عن فِيه ؛ هذه آداب الشُّرب الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام فإذا شرب الإنسان وقال: بسم الله، فأوَّل قِسْم هذه نِعْمة الله تعالى، وَمِنْ فضْل الله علينا أنَّ بلدنا فيه ماء فيجة وأنا ذَهَبْتُ إلى الحج، وكل قارورة ثمنها ثلاثة ريالات ! فأوَّل قِسْم بالتَّسْمِيَة أن ترى فضْل الله عليك، والقِسْم الثاني أن تُنَفِّذ الأمر وِفْقَ منْهَج الله، وأن ترى نِعمة الماء العَذْب الفُرات، وأن تشْربَهُ وِفْق السنَّة، وبالأكل معنى بِسْم الله فاللَّبَن ؛ مِن أين ؟ مِن البقَر والجبن والزَّيْتون، فأنت إذا اسْتَعْرَضْت الأطباق طبقًا طبقًا، وعرفْتَ من مُصَمِّم ومُرَبِّي والخالق، وأنَّ هذه المائدة مائدة الله، وإذا أكلْتَ فَكُلْ باعْتِدال وامْضَغ جيِّدًا، وكُلْ أَكْلاً مُعْتَدِلاً، والنبي عليه الصلاة والسلام علَّمَنا بِرَمَضان أن نشْرب ونأكل ثلاث ثمرات، ونُصَلِّي المغرب والسنَّة البعْدِيَّة، فهذا السُّكر الطبيعي ينتقل من الفم إلى الدم في عشرين دقيقة، ويصل إلى مركز تنبيه الجوع فيَشْبَع، حينها تأكل أكلاً مُعْتَدِلاً والآية الكريمة:

﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ(20)﴾

[سورة الواقعة]

تقديم الفاكهة على اللَّحْم تقْديم إشاري، فالفاكهة مادَّة سُكَّرِيَّة لطيفة سريعة هَضْم وتنتقل مِن الفم إلى الدمّ بِعِشْرين دقيقة فالواحد مهما كان جائِعًا، حينما يأكل مادَّة سُكَّرِيَّة فإنَّها تصل إلى الدَّم وتشْبَع، أما الجُلوس على مائدة الطَّعام، والأكلات كلُّها دُسوم، لُحوم، فهذا كي يصل إلى الدَّم يحتاج إلى مُدَّة كثيرة، لذا نصيحة النبي عليه الصلاة والسلام أكل شيء حُلوٍ قبل الإفطار، وقال عليه الصلاة والسلام:

((أذيبوا طعامكم بِذِكْر الله"))

فإذا أكل الإنسان مع أهله، وجعله فرصةً للالْتِقاء، ونحن عندنا عادات سيّئة.

إذًا معنى بسم الله الرحمن الرحيم شَقَّين ؛ أن تعرف نِعمة الله، وأن تُمارِسَها وِفْق منهَجِ الله.

قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31)﴾

(سورة النمل)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-12) : تفسير الآيات 30 - 37

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في قِصَّة سيّدنا سليمان مع الملكة بلْقيس ملكة سبأ، وقد وصَلنا في الدرس الماضي إلى قوله تعالى:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) ﴾

[سورة النمل]

بيَّنتُ لكم في الدرس الماضي أنَّ كلَّ إنسان يتولى أمرَ عشرةٍ فما فوق عليه أن يجعلَ من هذه الآيةِ منهجًا له، لا ينبغِي أن يتخِذ قرارا إلاَّ بعدَ أن يتبَصَّر و يجمعَ المعلوماتِ ويسمعَ من الطرفِ الآخرِ، قال تعالى:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30)﴾

[سورة النمل]

قلتُ لكم البارحةَ أيضًا أن البسملةَ التي أمرنا النبي عليه الصلاةُ و السلامُ أن نبدأ بها طعامنا وشرابنا وأعمالنا، وكلّ أمر لم يُذكر فيه اسم الله فهو أبْتَر، فالبسْمَلة تعني أنَّك إذا شَرِبْتَ الماء ينبغي أن تتذَكَّر أنَّ هذا الماء نِعمة الله عز وجل ساقَها إليك، وأنَّهُ ينبغي أن تشْرب الماء وِفْق منْهَج الله تعالى، فالبسملة فيها معنى تَكْريمي، ومعنى تَوْجيهي فالمعنى التكريمي أنَّ هذه نِعْمة أنْعَمَها الله عليك، والمعنى التَّوجيهي أنَّه ينبغي أن تتحرَّك مع هذه النِّعْمة وِفق منْهج الله ؛ هذا بيَّنتُهُ البارحة.

أما قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31)﴾

[سورة النمل]

المُسْتعلي لا يتعلَّم، وشَخْصان لا يتعلَّمان ؛ المُسْتحيي، والمُسْتعلي لذلك أمر النبي عليه الصلاة والسلام الداعِيَة أن يتواضَعَ لِمَن يُعَلِّم تواضعوا لِمَن تُعلّمون، فالمُعَلِّم ينبغي أن يكون مُتواضِعًا حتى يُعين المُتَعَلِّم على التواضُع، إذا بدأ المتعلِّم فتواضَعَ فالمُتَعَلِّم من باب أولى يتواضَع، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((تواضعوا لِمَن تُعَلِّمون "))

والتواضع هو تصَنُّعُ الوضاعة ؛ هنا التَّذَلُّل وهنا الضَّعف، لذلك فِعْلُ تفاعَل فيه معنى التَّصَنُّع، ومن تمارَضَ مرِضَ، أما التواضُع فلا يعني أنَّكَ وضيع فأنت عند الله كبير، لذلك طالب العِلْم تضَعُ له الملائكة أجْنِحَتَها وهو عند الله كبير، ولكن إذا تواضَع يتواضَعُ لِمَن يتعلَّم منه لأنَّ المُعَلِّم قد أُمِر مُسْبَقًا أن يتواضَعَ لِمَن يُعَلِّمُهُ.

قال تعالى:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33)﴾

[سورة النمل]

وقد ذَكَرْتُ لكم أنَّ أرب كلماتٍ مُهْلِكاتٍ ؛ إذا قالها وقصَدَ بها الاعْتِداد بِنَفْسِهِ أهْلَكَهُ الله، قال إبليس أنا خير منه، وقال قوم بلقيس نحن أولوا قوَّة وبأسٍ شديد، وقال قارون: إنَّما أوتيتُهُ على علم عندي، وقال فرعون أليس لي مُلْكُ مِصْر، فأنا ونحن ولي وعندي أربعُ كلماتٍ مُهلِكاتٍ إذا رافقها الاعْتِداد بالنَّفْس، لو سألْتَ واحِدًا: من الذي حضَرَ قبل قليل ؟ يقول لك: أنا الذي حضَرْتُ، فهذه ليس فيها اعْتِداد بالنَّفس ولكن إخْبار فقط.

قال تعالى:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34)﴾

[سورة النمل]

فيا تُرى سُليمان ملِكٌ أم نبيّ ؟! إن كان ملِكًا ودَخَلَ علينا أذَلَّنا وأكل أموالنا وانْتَهَكَ أعراضَنا، فهذه عادةُ المُلوك، قال تعالى:

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35)﴾

[سورة النمل]

هذا ذكاء من ملكة بلقيس، فهي تريد أن تمْتَحِن ما إذا كان هذا الإنسان الذي أرْسَلَ إليها هذا الكتاب نبيًّا أم ملِكًا ؟ فإذا فرِحَ بالهَدِيَّة ورحَّب بها نَسِيَ مبدأهُ ! ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((والله يا عمّ لو وضَعوا الشَّمس في يميني والقمر في شِمالي على أن أدَعَ هذا الأمر ما ترَكْتُهُ حتَّى يُظْهِرَهُ الله أو أهْلِكَ دونَهُ))

معنى ذلك أنَّ الإنسان المؤمن الدنيا كلَّها تحت قَدَمِهِ مِن أجل مبدئِهِ، ولكنَّ الإنسان الدُّنْيَوي المبادئ كلَّها تحت قَدَمِهِ مِن أجل الدِّرْهم والدِّينار، رجلٌ ذَهَب إلى بلدٍ غربي فجَلس إلى حديقة، فجلس لِجانِبِهِ إنسان يبْدو

أنَّهُ مُثقَّف، سألهُ عن دينهِ فقال هذا الأخ: أنا مسلِم، فقال ما الإسلام ؟ فهذا الإنسان وكان عالِمًا جليلاً أوتِيَ مَقْدِرَةً على التَّوْضيح، وبيَّن له في خمْسين دقيقة حقيقة الإسلام، فما كان مِن هذا المُسْتَمِع إلا أنْ أخْرَجَ مِن يَدِهِ عُمْلَةً وقال: هذا ربِّي أعْبُدُهُ مِن دون الله، و عن عمر رضي الله عنه قال:

((دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ قَالَ فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ قَالَ مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ فَقَالَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا قُلْتُ بَلَى))

[رواه البخاري]

إنَّما هي نُبوَّةٌ وليْسَت مُلْكًا، فالنبي يمْلِكُ القلوب أما الملِكُ فيَمْلِكُ الرِّقاب وشتَّان بين أن تمْلِكَ القلوب، وبين أن تمْلِكَ الرِّقاب، وأنت كَمُؤْمِنٍ ينبغي أن تمْلِكَ القلوب وليس الرِّقاب، فَمُلْكُ الرِّقاب زائل أما مُلْك القلوب لا ينتهي ولا في الجنَّة، قال تعالى:

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ(44)﴾

[سورة الصافات]

لذلك هذه المَلِكَة أرادَت أن تمْتَحِنَ مُرْسِلَ هذه الرِّسالة أهُوَ نبيٌّ رحيم مُنْصِفٌ وذو مبدأ ويخاف الله عز وجل، ويَحْكُمُ بالعَدْل ولا يُذِلُّنا ولا يأخُذُ أموالنا، أم هو ملِكٌ كَغَيْرِهِ مِن المُلوك، ولكن ورد في الحديث القدسي أنا ملِكُ المُلوك ومالك الملوك، قلوب الملوك بِيَدي فإن العباد أطاعوني حوَّلتُ لهم عليهم قلوب الملوك بالرَّأفة والرحمة وإن العباد عَصَوني حوَّلتُ قلوب عبادهم عليهم بالسُّخْطة والنِّقْمة فلا تشْغُلوا أنْفسكم بِسَبِّ المُلوك وادْعوا لهم بالصَّلاح فإنَّ صلاحهم بِصَلاحكم.

سُئِلَ تيْمورلَنْد ؛ مَن أنت ؟ فقال: أنا غضَبُ الربّ ! الإنسان إذا غضِبَ يتكلَّم كلامًا قاسِيًا، قد يخْبط بابًا، ولكنَّ الله جلَّ جلاله إذا غضِبَ يُسَلِّط علينا مَن لا يخافه ولا يرْحَمُنا، قال تعالى:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36)﴾

[سورة النمل]

هذه قاعِدَة قال تعالى:

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20)اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ(21)﴾

[سورة يس]

قال تعالى:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُتَكَلِّفِينَ(86)﴾

[سورة ص]

فأنت تسْلُك طريق الإيمان وتأتَمِر بأَمْر الله عز وجل ؛ هذا أجري فلا تقرُّ عَينُ النبي إلا إذا رأى أُمَّتَهُ مُطَبِّقةً لأمْر الله، وقبل أن يتوفَّاهُ الله عز وجل نَظَرَ إلى أصْحابِهِ نَظْرةً امتلأ قلبُهُ رضًا، فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ وَكَانَ تَبِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَمَهُ وَصَحِبَهُ:

((أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ فَكَشَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ))

[رواه البخاري]

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37)﴾

[سورة النمل]

اتَّضَح لدى بلْقيس أنَّ مُرْسِل هذه الرِّسالة هو نَبِيٌّ وليس ملِكٌ لأنَّه لم يفْرح بِهَدِيَّتِها ولم يفْرح بها، بل كان مبْدؤُهُ فوق كلّ شيءٍ.

أيها الإخوة، ذكرتُ لكم أنَّ كلّ عَمَلٍ يفْعلُهُ الإنسان وراءَهُ باعِثًا، إمَّا باعثًا دُنْيَوِيًّا أو باعِثًا أُخْرَوِيًّا، إمَّا باعث الهوى، أو باعث العَقل، وإما إرْضاء الله وإما إرْضاء الذات، وإما الخير أو الشرّ، أو الجَمْعُ أو التَّفريق، وإما العَطاءُ أو المنْعُ، فإن لم تكن على أحد هذين الباعِثَين فأنت على الباعث الآخر، والدليل قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

هذه القِصَّة تُبيّن أنَّ مرْتبة الأنبياء مرتبَةٌ عالِيَةٌ جدًّا، وأنَّ الله سبحانه وتعالى جَعَل بعْضَهم فقراء، لأنَّ الله تعالى قال:

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20)اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ(21)﴾

[سورة يس]

بل جَعَل بعضهم ضُعَفاء وبإمكانِ بعض الناس أن يقول عنهم تُهَمًا مُفْتَراتٍ، فهؤلاء قالوا عن النبي عليه الصلاة والسلام ساحر ومجنون وكاهِن !! وهذا الذي قال عنه هذه المقولات ما أصابَهُ مَكروه لِيَكونِ الإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام في أعلى المُسْتَوَياتٍ، لأنّ الشيء الذي يأتي بالإكْراه لا قيمة له، لذا أيُّها الإخوة، هذه القِصَّة فيها مراكِز ثِقَل، وهذا هو المركز الثاني ؛ أنَّ صاحِب المبدأ لا يفْرحُ بالهَدِيَّة بينما صاحِب الدنيا تُنْسيهِ الهَدِيَّةُ كلَّ مبادِئِهِ، وهذا هو الفرق بين المؤمن المُنْضَبِط وغيرِه من عباد الدِّرهم والدِّينار ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ))

(رواه البخاري)

وفي الدرس القادِم إن شاء الله تعالى نتحدَّث عن قَضِيّة نقْل العرْش ونقْلِهِ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-12) : تفسير الآيات 45 -47 - 53

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في سورة النمل وقد انتهينا من قِصَّة سيّدنا سليمان عليه السلام مع بلْقيس ملِكَة سبأ، ها نحن ننتقل إلى قِصَّة أخرى وهي قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45)﴾

[سورة النمل]

في الحقيقة هناك في العالم شيء اسْمُهُ الاثْنَيْنِيَّة، فهُنَاك حق وهناك باطل، وخير وشرّ، وإحْسان وإساءة، وصِدْق وكذب، إخلاص وخِيانَة، دنيا وآخرة، إرْضاء الذات وإرْضاء الله، فالكَون كُلُّهُ مُرَكَّب على الاثْنَيْنِيَّة، وفي كُلّ عصْر وزمان، هناك حق وهناك باطل، وهناك أتْباع للحق، وأتْباعٌ للباطِل، أتْباعٌ للشَّهوة وأتْباعٌ للعَقْل فالعِبْرَة أن تكون مع أهل الحق، وأهل الخير، وأن تكون مع أهل الإحْسان والاسْتِقامة، وأن تعْمل للآخرة، وتسْتقيم على أمْر الله، وأن تكون مُنْصِفًا، وأن تكون شاكِرًا وعادِلاً، فَنحن عندنا دائِمًا نقْطتان أنت بينهما ؛ كُلَّما اقْتَرَبْتَ مِن إحْدى النُّقْطَتَيْن ابْتَعَدْت عن الأُخْرى، وكُلَّما ابْتَعَدْت عن الأخرى اقْتَرَبْت من الأولى، فالحلّ الوسَط لا يوجد، والدليل قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

وقال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ(1)فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ(2)﴾

[سورة الماعون]

ذَكَرتُ هذا عند قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45)﴾

[سورة النمل]

في كُلِّ عصْر فريقان ؛ حق وباطِل، إنسانٌ يقول لك: لا تُدَقِّق والناس كُلّها تغشّ، وأنت لك أولاد، وإنسان اعْمَل لِيَوم لا ينفعُ مال ولا بنون إلا من أتى الله بِقَلب سليم وآخر يقول لك: أرْسِل ابنَكَ إلى أيّ مكان المُهِمّ أن ياتِيَ بالمال، وآخر يقول لك: لا، العِبْرَة دينُهُ وأخلاقُهُ فأنت مسؤول عن ابنك، لذلك قال تعالى:

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(15)﴾

[سورة لقمان]

وقال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

يجب أن تعتقد أنّ في كل زمان أهل حق وأهل باطل، وأهل دنيا وأهل آخرة، وأهل إحسان وأهل إساءة، وأُناس يتَّبِعون العقل وأناس يتَّبِعون الشَّهوة، وإن لم تكن مع هؤلاء فأنت حَتْمًا مع هؤلاء، قال تعالى:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46) ﴾

[سورة النمل]

الله عز وجل لخَّص القرآن كلَّه بِكَلمتين الكلمة الأولى قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(110)﴾

[سورة الكهف]

هذه حقيقة، والآن التَّطبيق، فلو قال أحدهم إنَّ الملح يرْفع الضَّغط وكنت مِمَّن معه هذا المرض، ماذا سَتَفْعَل؟ أوَّل وَجْبة طعام تُجَرِّدُها من المِلْح، فإن لم تفْعل هذا، فهذا يعني أنَّك لم تفْهَم ما قاله فأيُّ شيء إذا ألقي عليك ولم تأخذ مَوْقفا عمليا كأنَّك ما فَهِمْتَهُ، فأنت كإنْسانٍ عاقِل إذا أُلْقِيَت عليك حقيقة، لا بدّ أن تأخذ مَوْقفا من هذا الذي أُلْقِيَ عليك، فالإنسان إن لم يتَّخِذ مَوْقف يعني هذا أنَّهُ كذَّب أو لم يسمع.

قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(110)﴾

[سورة الكهف]

والآية الثانِيَة قوله تعالى:

﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ(6)﴾

[سورة فصلت]

فلو أنَّك سَمِعْتَ الآن حقيقة، ماذا ينبغي أن تفْعَل ؟ أن تأخذ مَوْقِفًا طيِّبا والماضي ؟! قال: الماضي مُغَطّى بالاسْتِغْفار، قال تعالى:

﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ(6)﴾

[سورة فصلت]

كلمة فيها نكتَة رائِعَة، فالإنسان قد يسْتقيم أحْيانًا خَوْفًا على سُمْعَتِهِ وخَوْفًا مِن قوانين قاسِيَة جدًّا، أو خوْفًا مِن متاعِب لا يَحْتمِلُها فهذه الاسْتِقامة ليْسَت إليه، لأنَّها لا تصِل إليه، هذه اسْتقامة للدنيا وأنت تأخذ ثِمارها كلَّها في الدنيا، فإذا جاء الأجل فلا تجده عنده شيئًا لأنَّك اسْتَقَمْتَ لِيُقال عنك مُسْتقيم، وأنت اسْتقمت حِفاظًا عن سمعتك نحن نريد اسْتِقامة توصِل لله تعالى، اسْتِقامة خالصة لله تعالى.

قال تعالى:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46) ﴾

[سورة النمل]

الاسْتِغفار أحد أسباب الرحمة، وأنت حينما تستغفر تعلم أنَّ الذي تسْتغفر له يَغْفِر وأنَّه موجود ورحيم، وأمرَكَ أن تسْتغفرَهُ، وأنَّه علَّق رحْمتهُ على اسْتِغفارك.

قال تعالى:

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47)﴾

[سورة النمل]

أي شيء يتعلَّق بالتّشاؤم لا يؤثِّر، لا يوجد رقم يُخَوِّف، ولا يوم أربعاء يُخَوِّف، ولا اليوم الثالث عشر يُخَوِّف، هذا كُلُّه خلْط بِخَلْط، قال تعالى: قال تعالى:

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47)﴾

[سورة النمل]

تشاءَمْنا منك، لا تقل ليس لي حظّ، الله تعالى قال:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(6)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(7)وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)﴾

[سورة الليل]

وعندنا قانون التَّيْسير وقانون التَّعْسير، آمنْتَ واسْتَقَمْت على التَّيْسير ولم تؤمن ولم تسْتَقِم لا سَمَحَ الله على التَّعْسير، يقول لك: ضربتها بالشَّرق فجاءَت من الغرب ! هذا صحيح لأنّك لم تصْطَلح مع الله، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ(11)﴾

[سورة الرعد]

قلبَ لي الدَّهر ظهر المِجَنّ ؛ هذا خلْط، وسَخِرَ القَدَر مِنّي ؛ خلْط فالتَّشاؤم لا يوجد في ديننا، تَسْتقيم تُطَبَّق عليك مادَّة التَّيْسير، وإن لم تسْتقِم تُطَبَّق عليك مادَّة التَّعْسير، عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:

((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))

[رواه مسلم]

ذلك لأنَّ عطائي كلام وأخْذي كلام، فمَن وَجَدَ خيْرًا فلْيَحْمَدِ الله، ومَن وجَدَ غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفْسَه، لذا لا تقل: هذا مِن الشيطان، وحظِّي تعيس، وظروف صَعْبة، لا تعْزُ الخطأ لأيِّ جِهَة، إنَّما أُعزوها لِنَفْسِك.

قال تعالى:

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47)﴾

[سورة النمل]

الله بِيَدِه كُلُّ شيء، وأنتم اعْتَقَدْتُم الباطل وهو غلَط.

قال تعالى:

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49) وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50)﴾

[سورة النمل]

الإنسان الكافر إذا مَكَر يرُدُّ الله عليه بِمَكْرٍ يُدافِعُ به عن المؤمنين، فَهُوَ سُمِّيَ مَكْرًا مُشاكَلَةً في البلاغة، لأنّ الله عز وجل يُدَبِّر لِصالِحِ الفريقين وهناك آية أخرى:

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ(79)﴾

[سورة الزخرف]

انْزَعَجَ أحدهم مِن هرَّة فرماها مِن سبْعة طوابِق، بعد يَوْمَين اِخْتَلَّ توازُنُه، وبقي كذلك عَشْر سنوات، فالإنسان قبل أن يُؤذي مَخلوق، وقد دَخَلت امرأة النار في هِرَّة حبسَتْها لا هي أطْعَمَتْها! الإله عظيم وكبير، قال تعالى:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(12)﴾

[سورة البروج]

قال تعالى:

﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (53)﴾

[سورة النمل]

ألا تكفي هذه الآية ؟! كُلُّ إنسانٍ آمَنَ بالله، واتَّقى أنْ يَعْصِيَهُ فالله جلَّ جلاله يُنَجِّيهِ مِن أيِّ عذاب، وكُلّ إنسان مَكَر يرُدُّ الله عليه بِمَكْرٍ مُحْكَم.

هناك بلْدَة بالمغْرب اسْمُها آغادير ؛ هذه البلْدة ممنوع أن يدْخلها أهل المغرب لأنَّها مدينة للسُّواح، وفيها كل أنواع الموبِقات، أصابَها زلزال بِثَلاثة ثواني جعل عالِيَها سافِلَها، وفيها أضْخم فُندق ثلاثون طابقًا ولم يبْق منه إلا آخرهُ ؛ عليه اسم القبر، قال تعالى:

﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ(145)﴾

[سورة الأعراف]

كيف أنَّ الله تعالى قال:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

[سورة الأنعام]

فالمغزى قوله تعالى:

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (53)﴾

[سورة النمل]

فإذا آمَنْت واسْتَقَمْت لن تخاف شيئًا، قال تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

فهذا النبي دخل في بطْن الحوت ؛ قال تعالى:

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ(87)﴾

[سورة الأنبياء]

فنحن الآن أُلْقِيَ علينا كلامًا، والماضي مُغَطًّى بالاسْتِغفار، والحاضِر يجب أن نتَّخِذ موقِفًا حتَّى لا يُصيبنا ما أصاب المُنْحَرِفين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-12) : تفسير الآية 93

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في أواخِرِ السُّوَر عادَةً كلامٌ مُجْمَل فيه تَلْخيص لِفَحْوى السورة ومَضْمونها.

فالله سبحانه وتعالى في أواخر سورة النَّمل يقول:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

[سورة النمل]

كلمة الحمد لله فيها دِقَّة بالِغَة ؛ الحمد لله، ليس هناك خِلاف في أنَّ هناك نعم في الكون عُظْمى، ولكِنَّ الخِلاف في عَزْو هذه النِّعَم، ليس هناك حَمْدا وعَدَم حمْدٍ، النِّعَمُ التي أنْعَمَ الله بها علينا تحْت سمْعِنَا وبَصَرِنا نِعْمة الصِّحة والحياة، ونِعْمة الإيجاد والهواء والماء، والطّعام والشَّراب، هذه النِّعَم ليس هناك خِلافٌ في وُجودِها، أو في عَدَمِ وُجودِها ! لكِنَّ الخلاف ؛ إلى مَن تُعْزَى ؟ فَغَيْرُ المؤمن يَعْزوها إلى قُدْرتِهِ، قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ(78)﴾

(سورة القصص)

ويَعْزوها إلى الحظّ وإلى ذَكائِهِ، يَعْزوها إلى مالِهِ، يَعْزوها إلى مُلْكِهِ وسُلْطانِهِ، ويَعْزوها إلى الطبيعة، ويَعْزوها إلى ما وراء الطبيعة، لكِنَّ المؤمن يعْزو هذه النِّعَم إلى الله تعالى، فالحَمْد على هذه النِّعَم لله لا لِغَيْرِهِ، لذلك بِمُجَرَّدِ أن تعْلم أنَّ هذه النِّعَم من الله عز وجل فأنت في أحَدِ مراتب الشُّكْر ولِمُجَرَّد أن يمْتلأ قلبُكَ امْتِنانًا لله عز وجل على هذه النِّعْمة فهذه مرْتبةٌ أعلى من الشُّكْر، ولِمُجَرَّد أن تعملَ عملاً تبْتغي به وَجْهَ الله عز وجل فهذه مرْتَبَةٌ ثالثَة من الشُّكر، قال تعالى:

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ(13)﴾

[سورة سبأ]

فالله تعالى:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

[سورة النمل]

كُلُّ النِّعَم الظاهرة والباطِنَة مِن الله عز وجل، ولكنْ أيُّها الإخوة أريد أن أقول لكم كلمة، قال تعالى:

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ(20)﴾

[سورة لقمان]

فالنِّعَم الظاهِرَة ليس هناك شَكٌّ فيها ؛ نعْمة الزَّوجة والأولاد والمال والراحة، لكن هناك نِعَمٌ باطِنَة الإنسان ينْفِرُ منها، أحْيانًا الفقْر وأحْيانًا القَهْر، وأحْيانًا المرَض، والخوف والقلق والحُزْن، مُشْكِلات في بيتِهِ مع أولادِهِ و زوْجَتِه، وفي عملِهِ ومَعَ مَن هم أقْوى منه، فهذه المُشْكِلات التي تنْفِرُ النَّفْسُ منها هي في الحقيقة نِعَمٌ باطِنَة ! كيف ؟ لماذا صُنِعَتْ السيارة ؟ مِن أجل أن تسير، فهَدَفُها الأوَّل أن تسير ولماذا وُضِعَتْ فيها المكابِح ؟ مِن أجل أن توقِفَها، فهذه المكابِح هي عَكْس ما صُنِعَتْ له السيارة، وعكْس الهدف منها ولكنَّ هذه المكابِح ضروريَّة جدًّا لِسَلامتها، فكما أنَّ الأصْل أنْ تنْعُمَ بالنِّعَم، ولكن مِن أجل سلامَة هذه النِّعَم قد تأتي المصائِب، وهذا مِن أجل أن تلْتَفِتَ إلى الله، لذلك لا نُبالِغ إن قلنا أنّ تِسْعينًا بالمائة مِمَّن ساروا إلى الله تعالى على أثَر نِعْمَةٍ باطِنَة وهي المُصيبة، فالمصائِب تلْفِتُ النَّظر إلى اللهو تَدْفَعُنا إلى بابِهِ تعالى، وتَحْمِلُنا على التَّوْبة وطلب الآخرة وتحْمِلُنا على العمل الصالح ؛ هذه هي النِّعَم الباطِنَة فأَنْ تشْكُرَ الله على النِّعَم الظاهرة هذا شيءٌ بديهي وسَهل، ولكنَّ البُطولَة أن تشْكُرَ الله تعالى على نِعَمٍ باطِنَة، والبُطولة كما قال الإمام الشافعي لِمَن كان يطوفُ حَوْل البيْت وهو يقول: يا رب هل أنت راضٍ عَنِّي، فقال له الإمام الشافِعي: **وهل أنت راضٍ عن الله تعالى حتَّى يرْضى عنك ؟!** قال: يا سبحان الله ! مَن أنت يرْحَمُكَ الله ؟ فقال: أنا مُحمّد بن إدْريس، فقال: كيف أرْضى عنه وأنا أتَمَنَّى رِضاه ؟ فقال الإمام الشافِعي: **إذا كان سُرورُكَ بالنِّعْمة كَسُرورِكَ بالنِّقْمة فقد رضيتَ عن الله !** فَبُطولَتُكَ كَمُؤْمِن لا أن تقول: الحمد لله على نِعْمة الصِّحَّة، فأحْيانًا تأتي مُصيبَة، وإذا أحَبَّ الله عبْدَهُ ابْتَلاهُ معنى ابْتِلاه أيْ جَعَلَهُ في العِنايَة المُشَدَّد، فإنْ صَبَرَ اجْتَباهُ، وإن شَكَرَ اقْتناهُ، وإذا أحبَّ الله عبْدَهُ عجَّل له بالعُقوبَة، وأشَدُّ الناس بلاءً الأنبياء، وأنا أشَدُّهم بلاءً، ثمَّ الأمْثَل فالأمْثَل، فأنت كلَّما ارْتقى إيمانك تنتقل إلى حمْد الله لا على نِعَمِهِ الظاهرة، ولكن على نِعَمِهِ الباطِنَة، أحْيانًا تكون المُشْكِلَى العَويصة سبب تَوْبتِك، وإقْبالِكَ على الله، وورَعِكَ وسعادَتِك، فلا أُبالِغَ إذا قلتُ: إنَّ مُغْلَبَ الذين ساروا مع الله تعالى واصْطَلَحوا معه وأقْبلوا عليه وأنابوا إليه كان سببُ توْبتهم المشاكِل التي أقْلَقَتْ نُفوسَهُم، وشَغَلَتْ خواطِرَهُم، لذلك الإنسان يسْعَدُ حينما ينْجَحُ في الامْتِحان.

أيها الإخوة، لا تَنْسَوا أنَّ بُطولتكم في شُكْر نِعَم الله الباطنة أعْظَمُ بِكَثير مِن بُطولَتِك في شُكْر النِّعَم الظاهرة، وقد كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءَت الأمور على ما يريد يقول: الحمد لله الذي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصالحات، فإذا جاءَت الأمور على خِلاف ما يريد قال: الحمد لله على كُلّ حال، والصَّبْر في الحقيقة عند الصَّدْمة الأولى، فالإنسان بين أن يكون صابِرًا وناجِيًا وشاكِرًا، وبين أن يكون جحودًا كفورًا ! الإنسان إذا جاءَتْهُ مُصيبَة سواءٌ صَبَر أو لم يصْبِر فَهِيَ تَحُلُّ به، ولكنّ المؤمن حينما تَقَع يقول: يا رب لك الحمْد، وأنت الحكيم والعادِل وأنا عبْدُك وابن عَبْدِك وابن أمَتِك عدل فيّ قضاؤك، ماض فيّ حكمك لذا الشُّعور بالعُبودِيَّة لله عز

وجل يُعْطيك مرْتبة النَّجاح، والإنسان إذا أُصيب بِمُصيبَة، وحَمِدَ الله عليها أبْدَلَهُ الله خيْرًا منها، فهذه أُمُّ سَلَمَة كانت تُحِبُّ أبا سلَمَة حُبًّا لا حُدود له، وكانت أشَدَّ النِّساء إعْجابًا بِأزْواجِهِنّ، فلمَّا مات قال لها النبي عليه الصلاة والسلام:

((قولي اللَّهم أبْدِلني من مصيبتي خيرًا منها !))

فقالت: ليس هناك من هو أفضل من أبي سلمة !! وبعد ذلك تَزَوَّجَها النبي عليه الصلاة والسلام، فالبُطولة أن تحمد الله تعالى على النِّعَم الباطنة، ولذلك قال الإمام عليّ: **الرِّضا بِمَكْروه القَضاء أرْفَعُ درَجَات اليَقين،** هذا الإله العظيم لا يُعْقَل أن يُعَذِّبَنا دون سبب، هل يُمكن أن تُحَمِّل شخْصًا كيسًا من الرَّمْل ثقيلاً دون هدف ولا فائِدَة ؟! يقول لك: ماذا أفْعَلُ به ؟ والله عز وجل يقول:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النِّساء]

ماذا يسْتفيد الله تعالى إن أمْرَضَنا وعذَّبَنا وأفقرنا، وخوَّفنا ؟ لو أنَّ الإنس والجن كانوا على أتْقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في مُلكي شيئًا، لكنَّ الله عز وجل يُرَبِّينا ويأخذ بأيْدينا، ويُنَبِّهُنا، قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ(155)﴾

[سورة البقرة]

فالذي يقول الحمد لله حينما تأتيه المُصيبَة فهذا إنسانٌ راضٍ عن الله.

أعْمَقُ من ذلك، لمَّا يرى الطَّبيب في المعِدَة الْتِهابًا حادًّا، وأيُّ غلط بالطَّعام والشَّراب يتفاقَم هذا المرض إلى قرْحة، تجد الطَّبيب يُعطي التَّعْليمات مُشَدَّدة جدًا وبالغة، أما إن وَجَد ورَمًا خبيثاً فإنَّه يقول له: كُل ما شئْت، فالإنسان حينما يكون خارِج العِنايَة الإلهِيَّة يُعْطى ما يشاء، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)﴾

[سورة الأنعام]

المال والصِّحة والجمال والنِّساء والبيوت والمرْكَبات والطائرات والبساتين ؛ أبواب كُلِّ شيء، فإذا فَرِحوا بما أوتوا أُخِذُوا بَغْتَةً وصَدِّقوني في هذا الكلام أيُّها الإخوة، إذا كان الواحِد مِنَّا ضِمْن العِنايَة المُشَدَّدة عليه أن يشْكر الله عز وجل ويُقَبِّل الأرض من الفرح، فما دام المرض يُعالَج فهناك دِقَّة في العِنايَة وتدريبات ومُعالجات فيزْيائِيَّة، أما إن كان المرض لا يُعالَج فيُقال لك: كُلْ ما تشاء وأنت حُرّ، فعلى الإنسان أن لا ينْكسر شُعورهُ إن بعَثَ الله له مُصيبة، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي(15)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي(16)كَلَّا﴾

[سورة الفجر]

ولو أنَّ الدنيا تعدل عند الله جناح بَعوضَة ما سَقى منها شرْبَة ماء وقال تعالى:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ(196)﴾

[سورة آل عمران]

لذا يجب أن تشْعُر بِمَعْنَوِيَّاتٍ عالِيَة وأنت في المُصيبَة، وأنت في الحِرْمان والفقر والمرض، وهذا يعني أنَّ الله يحبُّ أن يشْفيك، وإيَّاك أن تَعُدَّ الدنيا مِقْياسًا، والدنيا كُلَّها مُؤَقَّتة، ودقِّقوا في عدد الجنازات والإنسان عليه أن لا يُغامِر ويجعل جلَّ إنجازاتِهِ في الدنيا، دَع للآخرة العَمَل الصالِح ؛ أُطْلب العِلْم، وابْحَث عن الحق، واخْدُم الناس، وافْهَم كلام الله وادْعوا إلى الله تعالى، هذه كُلُّها أعمال الآخرة، لذا مُشْكِلَةُ الموت أنَّهُ يُعَدُّ أكبَر مُصيبَة، وهو نفْسُهُ يُعَدُّ أكْبَرُ عطاءٍ، للمؤمن تُحْفَتُهُ وعُرْسُهُ ولِغَيْر المؤمن أكبر مصيبَة ونِهايَة كُلِّ شيء.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-12) : تفسير الآية 59

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثامنة والخمْسون وهي قوله تعالى:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59)﴾

[سورة النمل]

ذَكَرنا أنَّ نِعْمة الله نِعْمتان ؛ نِعَمٌ ظاهِرَةٌ ونِعَمٌ باطِنَة، وإيمان الإنسان هو السَّبب في أن يشْكُرَهُ على النِّعم الباطِنَة، أما فطْرة الإنسان فهِيَ تَدْعوه على شُكْر النِّعَم الظاهرة، أما شُكْر الله عز وجل على النِّعم الباطِنَة هو إحْدى ثَمَراتِ إيمانِهِ، ومادام مؤمنًا فَهُوَ يرْضى عن الله تعالى في سرَّاء والضَّراء.

قال تعالى:

﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾

[سورة النمل]

الذي عرفَ الله وسارَ على منْهَجِهِ وأحَبَّهُ وتقرَّب إليه ؛ هذا سلامٌ عليه وقال علماء الأصول المُطْلَق في القرآن على إطْلاقِهِ، فهو تعالى ما قيَّدَ السلام بالدنيا أو الآخرة ! سلامٌ على عباده الذين اصْطفى، فأنت في الدنيا في سلامٍ مع الله، وفي الآخرة في سلام، ونِعَمُ الآخرة تتَّصِل بِنِعَمِ الدنيا فأنت في سلامٍ مع نفْسِك، فالإنسان أحْيانًا تكون له مَكَانَة كبيرة بين الناس إمَّا لِقُوَّتِهِ، وإما لِذَكائِه وأعمالِهِ، ولكنْ قد يرْتَكِب أعْمالا خسيسَة فيما بينهُ وبين نفْسِهِ، فهو في نَظَر نفْسِهِ صغير، وعند الناس كبير، فلو أساء الإنسان ولم يوجَد مَن اكْتَشَفَ إساءَتَهُ؛ عندَهُ انْهيارٌ داخِلِي، واحْتِرام الإنسان لِنَفْسِهِ داخِلِيًّا ؛ شيءٌ لا يُقَدَّر بِثَمَن فالإنسان لمَّا يكْذِب ؛ كفى بها خِيانَةً أن تُحَدِّث أخاكَ بِحَديثٍ هو لك بِهِ مُصَدِّق وأنت له مُكَذِّب ! ومُعْظَم الكذِب يأتي مِن أجل المصالِح، فقد تَظُنُّ أنَّ الكذِب يأتي بالمال الكثير طبيب يطلب من المريض أن يقوم بِعَمَلِيَّة قدْرها أربعمائة ألف ليرة وعلى الفَوْر، والمريض ليس بِحاجَة لِعَمَلِيَّة، فالإنسان لما يكْذب مِن أجْل كَسْب المال، فهناك يتَوَهَّم أصْحابُها أنّ الكذب يدرّ دخْلاً كبيرًا ؛ هذا هو عَيْنُ الجَهْل، وهذا هو عَيْنُ الحُمْق، وكُلّ إنسانٍ بِحاجَة إلى أن يعْرِفَ الله كحاجَتِهِ إلى الطَّعام والشَّراب، لأنّه إن لم يعْرِفِ الله سوف يَقعُ في أوْهام وهذه الأوْهام لها مُضاعفاتٍ خطيرة فالسَّلام يأتي من عدم الكذب، وعدم الخِيانة والغِشّ، تسير على مَنْهَج الله، وتَحْتَرِمُ نفْسَكَ، وأنت حينما تحْتَرِمُ نفْسَكَ، وحينما تسير على مَنْهَجِ الله فالله تعالى كريم، فلو أنَّ أحدًا دخل عندهُ ألف زبون وما غشَّ أحَدًا، وما كذِب، هل يُعْقَل أن يُسَلِّط الله عليه مَن لا يرْحَمُه ؟ أنتَ ما دُمْتَ مُخْلِصا في تعامُلِكَ مع

عِباد الله لنْ تَغُشَّهم وتبْتزَّ أموالهم فالله عز وجل يُلقي عليه هَيْبَةً وتَوْفيقًا ونصْرًا وتأييدًا، فهذا الذي يَغُشّ الناس، ويظن نفْسه ذَكِيّا قد يقف أمام مُوَظَّف صغير ترْتَعِد فرائسُهُ خَوْفًا، وهذا الخَوْف بِسَبب أنَّهُ غشَّهم، وكذَب عليهم فالسَّلام يأتي من طاعة الله عز وجل، فأنت مع نفْسِكَ في سَلام والمُستقيم مع نفْسِهِ كبير، لو أنَّك لا تمْلِكُ مثقالاً من المال وكنت مُسْتقيمًا فإنَّك تَشْعُرُ بقيمةٍ بِذاتِك، وهذه هي قيمة الطاعة، اللَّهم أخْرِجْنا مِن وُحول الشَّهوات إلى جنَّات القُرُبات، مِن ذُلّ المعْصِيَة إلى عِزَّة الطاعة، وقد مشَى سيِّدُنا الحسَن مَشْيَة الخُيَلاء فقالوا: ما هذه المِشْيَة يا سِبْط رسول الله ؟ فقال: عِزَّةُ الطاعَة، فالمُطيع يشْعُر بالعِزَّة لأنّه يُرْضي خالق الكَون، وهو يُرْضي ربَّ العالمين، وشريف ومُسْتقيم، وأمين وصادِق والسَّلام مع الخَلْق، ليس لك مُشْكِلَة مع الناس، فإن تَدَيَّنْتَ وضَعْتَ إيصالاً، وكذا في عَقْد الشَّراكَة، أنت تُحَصِّن شريكَك، فقد يغتَرُّ شريكك بالمال، ويأْخُذ مالك ! وتكون أنت الذي أعْنَتَهُ على المال، وأنت السَّبب في أنَّهُ أكَلَ مالَك، أما إن مشيتَ على مَبْدَأ كُلُّ شيءٍ مُوَثَّق ومُسَجَّل وكُلّ شيء واضِح، فهذا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام كان خارِجًا مع زوْجَتِهِ صَفِيَّة فعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِي الله عَنْهمَا:

((أَنَّ صَفِيَّةَ رَضِي الله عَنْهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فَلَمَّا رَجَعَتْ مَشَى مَعَهَا فَأَبْصَرَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا أَبْصَرَهُ دَعَاهُ فَقَالَ تَعَالَ هِيَ صَفِيَّةُ وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ هَذِهِ صَفِيَّةُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ قُلْتُ لِسُفْيَانَ أَتَتْهُ لَيْلًا قَالَ وَهَلْ هُوَ إِلَّا لَيْلٌ))

[رواه البخاري]

فأوَّل بند من بنود السَّلام أنَّك إن طبَّقْتَ منهجَ الله تعالى تحْتَرِمُ نفْسَكَ وإن طبَّقْتَهُ في العلاقات العامَّة، فالكُلّ يَحْتَرِمُك، فبالطاعة يكون رِضى النفس والناس عنك، بِهذا يرْضى خالق الكون عليك، فَكَلِمَة سَلامٌ لها ثلاثة أنواع ؛ سلامٌ مع النَّفس، وسلامٌ مع المُجتمع، وسلامٌ مع خالق الكون، وأنا أعْتَقِد أنَّه من الصَّعْب أن يدْخل الإنسان إلى قصْر العَدْل ؛ فأُمورُهُ كُلُّها واضِحَة، ولمَّا يسْمَح للخطيب أن يجْلس مع ابْنَتِهِ أشْهُرًا دون عَقْد قِران ثُمَّ يختفي الخطيب، والبنت حامِل ! عندها ينقلب البيْت رأسًا عن عَقِب، أما إن طبَّقْنا شرْع الله تعالى، فله أن يراها مرَّة ومرَّتين وثلاثة وانتهى الأمْر، وإما أن يكون عَقْد قِران أو لا، فإذا عَقَد عليها أصْبَحَت زوْجَتُه وأنت بِسَلام، فالسَّلام يأتي بِطَاعَة الله.

والسَّلام ؛ هذه الكلمة معها طمأنينة وسلامَة، فأنت لك سلامَة مادِيَّة وسلامَة نفْسِيَّة، فقد يكون الإنسان سليمًا مادِيًّا ولكِنَّه مُنْهارٌ نَفْسِيًّا فأنت بِحاجَة إلى السلام المادّي والمَعْنَوي، والصِّحة النَّفْسِيَّة والجسَدِيَّة، ولو أنَّ الإنسان طبَّق منهجَ الله في طعامِه وشرابِهِ، وفي زواجِهِ،و في كُلّ شؤون حياته لكان سليمًا، لو طبَّقْت منهج

الله تعالى في علاقاتِك الاجْتِماعِيَّة لما كانت هناك خِيانَة زَوْجِيَّة، نزهات وسهرات مُختلطَة ينشأ طلاق، ونشوز، وخِيانَة زَوْجِيَّة.

فأنت إن طبقت منهج الله تعالى مع نفْسِكَ فأنت في سلامة مع نفْسِك إنْ طبَّقْتَ منهَج الله مع الناس فأنت في سلامة، وإن طبَّقْتَ منهَجَ الله وعبَدْت الله وأطَعْتَهُ و امتلأ قلبُكَ بالله فأنت في سلام مع الله، فقوله تعالى:

﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾

[سورة النمل]

هذا سلامٌ ثَمَنُهُ طاعتُهُ تعالى، ولذلك قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾

[سورة الأحزاب]

فالله لمَّا قال فَوْزاً عظيما، الله هو الذي يقول هذا ! فما معنى هذا ؟! إذا الواحِد وجَدَ طِفْلاً وقال له: أنا معي مبلغ كبير، فما هو تقْديرُكَ لِهذا المبلغ ؟ خمس و عشرون ليرة فقط ؛ أما لو قال لك شخْص كبير: أنا معي مبلغ كبير، فقد يقصد مائة مليون، فكلمة عظيم وكبير تتناسَب مع القائِل، فهذا خالِقُ الكون، وإلهنا العظيم يقول:

﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾

[سورة الأحزاب]

لذا الذَّكاء كلّ الذكاء، والعَقل كل العَقل، والنَّجاح كل النَّجاح، والفَوْزُ كُلُّ الفَوْز في طاعة الله تعالى.

الشيء الآخر، أن الله تعالى لمَّا يرى من بعضِ عبادِهِ اسْتِقامةً وإخْلاصًا وورَعًا وصِلَةً يصْطفيهم لأَرْقى المُهِمَّات، أحيانًا نجد شَخصًا يُتْقِن اللُّغَة الفِرَنْسيَّة والإنجليزيَّة والألمانِيَّة، ومعه حُقوق، وآداب نستفيد نحن منه ونضعُهُ سفيرا، فالله عز وجل لمَّا يرى الاسْتِقامة والطاعة يصْطفيه لِمُهِمَّات كبيرة، وهذا مِن فضْل الله على الإنسان ولا يوجد إنسان يتفوَّق إلا ويصْطفيه، وهذا لِكُلّ الناس، وهذا ليس خاصا وهذا بِحَسب طلبِكَ، فالله ينتظر أن يرى منك أن تطلب منه عملاً صالحًا لأنَّهُ خلَقَكَ في الدنيا للعمل الصالح، والأب لمَّا يكون طُموحه تعلّم ابْنِهِ يبقى ينتظر من ابنه أن يقول له أريد أن أتعلَّم.

لذا أيها الإخوة، الله تعالى خَلَقَنا لِيَرْحَمَنا، ورحْمتهُ لنا بِسَبب العمل الصالِح، والإنسان لمَّا يُغادِر الدُّنيا لا يَنْدَمُ إلا على عملٍ صالحٍ فاتَهُ والدليل قوله تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي(99)لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(100)﴾

[سورة المؤمنون]

عند الموت لا شيء له قيمة، وكل شيء من حُطام الدنيا، الإسلام فيه أوامر عِدَّة في وُضوئِك وصلاتك ويقظتك ونومِك، وعلاقتِك مع زوْجتِك، في تربيَة أولادك، وإنفاق مالِك، وكسْب مالك، فأنت أمام منْهَج كامِل، ومن السَّذاجَة والحُمْق أنْ تظُنّ أنَّ الإسلام خمْس عبادات الإسلام منْهج كامِل لِكُل حركة وسَكَنَة، وهناك الحرام والواجب والمندوب والمكروه والمستحب، وكلّ شيء يدور مع هذه الأحكام، لذا طلب الفقه حَتْمٌ على كُلّ مُسلِم، ومعرفة أحكام الفقه جزء كبير من الدِّين، فأنت بالكون تعْرِفُهُ، وبالشَّرْع تعْبُدُه.

ثمَّ يقول الله عز وجل:

﴿آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59)﴾

[سورة النمل]

أحيانًا يُوازن الإنسان بين بيت مائة متر شمالي، ومائة وعشرة قبلي يبقى تُفَكِّر ولكن لو خيِّر الإنسان بين سيارة ودراجة هل يُفَكِّر ؟ لو سكت ثانِيَة فهو أحْمق !!! وهذا إله عظيم يقول الذي أعَدَّ لك جنات عرضها السماوات والأرض وفيها ما لا عينٌ رأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَت ولا خطر على قلْب بشر، فهل يُعْقَل أن تكون مَحْسوبًا على إنسان ؟ كُن مَحْسوبًا على الله،:

﴿آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59)﴾

[سورة النمل]

فلا يوجد تناسُب بين أن تكون عَبْدًا لله، وبين أن تكون عبْدًا لِعَبْدٍ من بني البشَر، فالفرق كبير جدًا، وهؤلاء الذين اصْطفاهم الله لم يعبدوا شريكًا من دونه، والآية دقيقة:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59) ﴾

[سورة النمل]

فالحادِث غير الفاني، والمخلوق غير الخالق، والقوي غير الضعيف، والغني غير الجاهل، فلا تحقّ الموازنة هناك ! فأنت لا تستطيع أن تُوازِن بين الكرة الأرْضِيَّة وبين ذَرَّة من التراب !! هذين الشيئَين غير خاضِعَين للموازَنة إطلاقًا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-12) : تفسير الآية 61

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام: الآية الواحدة والسِّتون من سورة النَّمل وهي قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(61)﴾

[سورة النمل]

نحن بدأنا الصلاة الساعة الثانية عشرة إلا ربع وانتهينا الساعة الثانِيَة عشرةِ فالأرض في رِحْلتها حول الشَّمس تدور حول الشَّمس كلّ عامٍ دوْرَةً، في رحلتِها حول الشمس تقْطع ثلاثين كيلومتر في الثانِيَة الواحِدَة، فكم تقطع بالدَّقيقة ؟ ألف وثمانمائة كيلومتر، وهي تقطع بِعَشْرة دقائق إحدى عشر ألف وثمان مائة كيلومتر ؛ رُبْع محيط الأرض فالأرض مُحيطُها أربعون ألفًا كيلومتر، فالسُّؤال: هذا المَسير ألَيْسَ له اهْتِزاز، فَمَن جعَلَ الأرض قرارًا ؟ الأرض لها حركَتان: حركة حول الشَّمس وحركة حول نفْسِها، فالتي حول الشَّمس سرعتها ثلاثون كيلومتر في الثانِيَة، أما حول نفسِها: ألف وستُّ مائة كيلومتر في الساعة، وهي مُسْتَقِرَّة، أمَّن جعل الأرض قرارًا، نِعْمة الاسْتِقرار مِن أجل أن تبْنِيَ البِناء، ومن أجل أن لا يتصَدَّع البناء، أما الزِّلزال فهو مِن أجل أن تعرِفَ نعْمة الاسْتِقْرار، وقبل يومين اهْتَزَّت دمشق أربعة على سلَّم ريشتر، وفي القاهرة ستَّة، فالإنسان على أيِّ شيءٍ يعْتَمِد ؟ بيْتٌ يُكَلِّف الملايين يقَعُ في عِدَّة ثواني ؛ أمَّن جعل الأرض قرارًا ؟ طبعًا إن كانت ساكِنَة فهي مُستقِرَّة، وإن كانت مُتَحَرِّكَة فهي مُهْتَزَّة أمَّا أن تكون مُسْتَقِرَّة في حركَتِها فهذا مِن إتقان الله عز وجل، هل يمكن أن يخترع الإنسان سيَّارة لا تهْتَزّ أبَدًا ؟ مُسْتحيل، وكذا الطائرة، أما أن تسير الأرض بهذه السرعة ولا تهتزّ ؛ فهذا من آيات الله الدالة على عظَمَتهِ، قال تعالى:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾

[سورة النمل]

أي أنَّها مُسْتَقِرَّة في حركاتِها، ولولا أنَّها مُسْتقِرَّة لما بَقِيَ بناءٌ قائِم.

الشيء الآخر، أنّ الأرض مسارُها حول الشَّمس ليس مسارًا دائِرِيًّا بل هو مسار إهْليلجي ؛ بَيْضَوي، وهذا المسار لهُ خاصَّة، وهو أنَّ أقْطارَهُ ليْسَت مُتَساوِيَة، فالأرض إذا وصَلَتْ إلى القطْر الأصْغَر تزيدُ سُرْعَتُها زِيادَةً ينشأُ عنها قُوَّةً نابِذَة تُكافِؤ القوَّة الجاذبة الناتِجَة عن اقْتِرابها من الشَّمس، فهي لمَّا اقْترَبَتْ أصْبَحَت الشَّمس أقوى على جَذْبِها، فلكي لا ترْطَمِها بها، فإنَّ الأرض تزيدُ سرعتها لِيَنشأ عن هذه الزِّيادة قوَّةً نابِذَة تُكافِؤ القوَّة

النابذة، فإذا ابْتَعَدَتْ لكي لا تتفلَّتَ مِن مَسارِها حول الشَّمْس تقِلُّ سرْعَتُها من أجل أن يتوازن ارْتِباطها بالشَّمس، والنُّقطة الدقيقة أنَّ هناك شيئًا اسْمُهُ التَّسارُع، وهو أن تكون مثلاً مرْكبة مُسْتَقِرَّة، أحيانًا يُكْتب في تعليمات السيارة أنَّ هذه السيارة تصل سرعتها إلى المائة بعد عشرة ثواني ؛ هذا هو التَّسارع، فلو أنَّ الأرض كانت سرعتها فجْأةً لانْهَدَم ما عليها، ولو أبطأت فجْأةً لانْهَدَمَ كُلّ ما عليها، فالأرض فضْلاً عن أنَّها تسير حول الشمس بسُرعة ثلاثون كيلومتر بالثانيَة وحول نفسها، حينما تصل إلى القطر الأصغر في مسارها حول الشمس تزيد سرْعتها كي لا تنجذِب إلى الشمس وينشأ عنها قوَّة نابِذة فإذا ابْتَعَدَتْ وبَقِيَتْ على سرعتها العالِيَة تَخَلَّفَتْ من مدارِها حول الشمس، تقِلُّ سرعتها لِتَنْعَدِم القوَّة النابِذَة وتبقى على اتِّصالِها بالشَّمس، قال تعالى:

﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) ﴾

[سورة النمل]

ولو تسارعَت فجْأةً لا تبقى ولو مدينة على وَجْه الأرض، أوْضَح مثل أن تضَع عُلَب على السيارة وتنطلق بها فجْأةً أو تقف فجْأةً فإنّ العلب كلَّها تضطرب، ويضطرب قانون العطالة، وهذا القانون ؛ الأشياء المُتَحَرِّكة ترْفض السُّكون، والثابتة ترفض الحركة، فإذا كان سائِق السيارة اسْتَعْمَلَ المِكْبح فجْأةً فإنَّ الرُّكاب يتقدَّمون، فلا بدّ مِن حزام أمان، لذلك الأرض إذا رَفَعَتْ سرْعَتَها فجْأةً انْهَدَم كُلُّ ما عليها، ولم يبْقَ بيْتٌ على وَجْه الأرض، ولو أنَّها أبْطأت لانْهَدَم كلّ مَن عليها، قال تعالى:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾

[سورة النمل]

هذه مِن آيات الله الدالة على عظَمَتِهِ تعالى.

الآن هذا الكأس أضَعُهُ فيَسْتَقِرّ، ولو رَكِبْتُ مرْكَبَةً ووصَلْتُ إلى منطقة بين الأرض والقمر اسْمُها انْعِدام الجاذِبيَّة ؛ تمْسِكُ الكأس فَيَهْرُبُ منك إلى الأعلى، وهذا شيء معروف في مركبات الفضاء، ورُوَّاد المركبة ينْزَعِجون، تجده في السَّقْف، لا وَزْنَ له ! مَن جَعَلَ الأشياء كُلَّها تنْجَذِبُ إلى مرْكَزِ الأرض ؟ الأشياء مُسْتَقِرَّة على الأرض بِفِعْل الجاذِبِيَّة، كلمة كيلو وخمسة كيلو تعني قُوَّة جَذْب الأرض لِهذا البرتقال مثلاً:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾

[سورة النمل]

فلو لم تكن الأرض مُسْتقرَّة لوَجَدْتَ الخزانة في السَّقف، فربُّنا عز وجل يلْفتُ نظَرَنا إلى هاتَين الآيتَين الدالَّتَين على عَظَمَتِهِ

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارا﴾

[سورة النمل]

فالمعنى الأوَّل أنَّها مُسْتَقِرَّة في حركَتِها، والمعنى الثاني أنَّ الأشياء تسْتقرُّ عليها بِفِعْل الجاذِبِيَّة.

قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ الْأَرْضَ كِفَاتًا(25)﴾

[سورة المرسلات]

الأشياء تلتفتُ عليها، وتجذِبُها إلى مركزها.

قال تعالى:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ﴾

[سورة النمل]

لا يُمْكِن أن نَشْرَب ماءً مُحَلَّى، الماء الذي نَشْرَبُهُ فيه معادِن ؛ أثنى عشَر معدَنًا مُذابًا في الماء، لذا حين يُحَلّ الماء بِآلات مُعَقَّدَة جدًا لا بدّ مِن أن يُضاف إليه مِياهُ الآبار، وهذه الينابيع التي فيها الكالسيوم والمغنزيوم واليود كُلُّها مُذابَة في ماء الشُّرب، فَمَن جَعَل هذه المُستَودعات في بُطون الجبال ؟ ومن جعَلَ الصُّخور في الجبال على شَكل إسفنج ينْحَلُّ منها بعضُ معادِنِها بِنِسَبٍ ضئيلةٍ جدًا ؟ من جعل هذه الأنهار ؟ ومن جَعَلَ طبقات الأرض؛ طبقة كتيمة وطبقة نافِذة، فربُّنا عز وجل نقَّى الماء وأذاب فيه بعض المعادِن وخزَّنَهُ، والله تعالى قال:

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ(22)﴾

[سورة الحجر]

وضعوا إحْصاءً دقيقًا مِن فَتْرة ؛ لو أنَّ الإنسان أراد أن يُخَزِّن الماء لِسَنَة ؛ يحْتاج إلى مساحَة تُعادِلُ مساحَةَ بيْتِهِ تمامًا، عندك بيت أربعمائة متر وارتِفاع ستَّة أمْتار ؛ فهذا الماء يَكفيك سنة، هذا إن لم يَكُن هناك خزانات بالجبال، وقد وضَعوا خزَّانا بِجَبل قاسيون كلَّف أُلوف الملايين، فالله عز وجل يقول:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ﴾

[سورة النمل]

الأرض تدور بِسُرْعة عالِيَةٍ جدًّا، وبعض الطائرات التي تزيدُ سرْعَتُها عن سرعة الصَّوت ؛ إذا انْطَلَقَت من الشرق إلى الغرْب تتوقَّف الشَّمس ويتوقَّف الزَّمَن، ينطلق على الساعة السابِعَة ويصل إلى الساعة السابعة

نفسها !! لأنَّهُ يدور مع الأرض أما مع العكس فالمسافة تتضاعَف سافَرْتُ مرَّةً إلى المغْرب وضاق الوقت، وبالعَودة تضاعَفَ الوقت لأنَّنا بالذَّهاب إلى الغرب نكون نمشي مع الأرض، وبالعَوْدَة عاكَسْنا جِهَة الأرض.

فيا أيها الإخوة، يقول تعالى:

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾

[سورة النمل]

هذه السرعة العالِيَة تضْطرب الأرض بِسُرْعتها، وتأتي الجبال، ولها هدَف ميكانيكي، فالجبال من أحد وظائِفِها تَحقيق اسْتِقْرار الأرض أثناء دورانِها السريع.

قال تعالى:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً ﴾

[سورة النمل]

ثبتَ عبْر المركبات الفضائِيَّة والرَّصْد الفَلَكي أنَّ بين البَحْرين حاجِزًا فالبحر الأحمر والبحر الهندي، والبحر الأسوَد والبحر الأبيَض، فبَيْن البَحْرَيْن حاجِزًا، وهذا الحاجِز حتَّى الآن لم تُعْرَف طبيعَتُهُ إلا أنَّهُ من الثابِت أنَّ مياهَ كُلِّ بَحْرٍ لها مُكَوِّناتُها الخاصَّة، ولها مُلوحَتُها الخاصَّة، ولها كثافتها الخاصَّة، وكذا خصائصها، فَمِياهُ بَحْرٍ لا تَطْغى على مياهٍ أخرى وظَهَرَ لهم هذا بالتَّصْوير الجَوِّي ؛ رأَوْا خطًّا بين البَحْرين وهو خطّ وَهْمي، وخط تفاضل ألوان، وَجَدوا أنَّ مياه البحر الأحْمَر لا يُمْكِن أن تخْتلِط بِمِياه البحر العربي، ولا بالبحر المتوسِّط، والشيء الآخر أنَّ هذا الحاجِز مُضْطرِب أيْ يَتَحَرَّك، قال تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(19)بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ(20)فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(21)﴾

[سورة الرحمن]

فالله عز وجل يقول:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(61)﴾

[سورة النمل]

هذه الآيات دالَّة على الله، ويا أيها الإخوة الآيات الدالة على الله تعالى أوْسَعُ باب لِمَعْرِفَة الله، وأقْصر طريق إليه، وإنَّك إنْ فكَّرْت فيها واجَهْتَ عظمة الله وجْهًا لِوَجه، وهذه بعض آيات الله في الأرض ؛ دَوْرَتُها حول نفْسِها، وحول الشمس، والمسار بيْضَوي، وتسارع بطيء، وأقْطار مختلفة، والتباطؤ بطيء، وإذا لم نلْتَفِت إلى

نعْمة الاسْتِقرار فإنَّنا نعرف هذه النِّعْمة بالزِّلْزال، وخلال سبعة درجات على ريشْتر تنهدِم البيوت، ومدينة في الساحل من أكبر المُدن في المغرب جُعِلَ عاليها سافلها خلال ثواني !! لذا أُشْكروا نِعْمة الاسْتقرار.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-12) : تفسير الآيتان 60 - 61

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام: الآيات الأخيرة من سورة النَّمل لها مِحْوَر ؛ كيف أنَّ المسْبَحة أو السُّبْحة فيها حبَّات وفيها خيْط وهذا الخيط لا يُرى ولكن دليل وُجودِهِ ترابُط هذه الحبَّات، فنحن الآن أمام مجموعة آيات، وهناك مِحْوَرٌ يَجْمَعُ بينها جميعِها، ما هذا المِحْوَر ؟ قال تعالى:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) ﴾

(سورة النمل)

خلقَ السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً، وأنْبَتَ بِهذا الماء حدائِقَ ذاتَ بَهْجَة لا يسْتطيعُ البشر جميعًا ولو اجْتَمَعوا أن يُنْبِتوا قَمْحًا ولا زرْعًا.

قال تعالى:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً ﴾

(سورة النمل)

جعلها تدور بهذه السُّرْعَةَ حوْل نفْسِها، وحَوْل الشَّمْس، ومع دورانِها مُسْتَقِرَّة، ومدارُها إهليلجي ولها قطر طويل وآخر قصير، ومن جعلها تزيدُ من سُرْعَتِها ؟ لينشأ من سرعَتِها قُوَّة نابِذَة تُكافِؤُ القوَّة الجاذِبَية ومنْ جَعَلها تُخَفِّض من سُرعَتِها ؟ كي تَقِلَّ قُوَّتِها النابذة لأنْ لا تتفلَّت مِن مسارِها حَوْل الشَّمْس؟ ومن جَعَل تسارُعها بطيئًا ؟ ومَن جَعَل التباطؤ بطيئًا ؟ ومن جَعَل الأشياء مُسْتَقِرَّة على الأرض ؟ قال تعالى:

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64)﴾

(سورة النمل)

هذه الآيات كُلُّها فيها مِحْوَر، وهذا المِحْوَر أنَّ الإنسان خُلِقَ ضعيفًا، ولم يطْمَئِنّ إلا إذا ركَنَ إلى قُوَّة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19)﴾

[سورة المعارج]

والإنسان خُلِقَ عَجُولاً، لا يُسَكِّن روْعَتَه، ولا يُطَمْئِنُ خَوْفَهُ، ولا يقضي حاجَتَهُ إلا أن يلْجأ إلى رُكْنٍ وثيق، لذا أنت شئْتَ أم أبَيْتَ فلا بدّ مِن أن تعْبُدَ قُوَّةً، والعبادة لا بدّ منها، وأنت إما أن تكون عَبْدًا لله تعالى، وإما أن تكون عَبْدًا لِعَبْدٍ لله تعالى ! بُنْيَتُكَ ضعيفَة، وخلقَ الإنسان هلوعًا، فهذا الضَّعْف الخَلْقي ليس عَيْبًا فيك بل هو لِصالِحِك تمامًا الأجْهِزَة الغالِيَة جدًّا فيها وصْل ضعيف يُسَمُّونهُ فيوز فإذا جاء التَّيار قَوِيًّا أتْلَفَ هذا الوَصْل وحُفِظَ الجِهاز، فهذه النُّقْطَةَ الضَّعيفة في الجِهاز هي لِصالِحِ الجِهاز، ضمانًا لِسَلامَتِهِ، فالإنسانُ خُلِقَ ضعيفًا لِيَفْتَقِرَ بِضَعْفِهِ فيَسْعَدَ بافْتِقارِهِ، وله خُلِقَ قَوِيًّا لاسْتَغني بِقُوَّتِهِ، ولَشَقِيَ بها ! فالبُنْيَة أنَّك ضعيف وتخاف من أدْنى خطَر، وينْخَلِعُ القلب لأدْنى مُصيبَة ويتوقَّعُ الإنسان كُلّ شيء، فهذا الضَّعْف الخَلقي، وهذا الخوف، وهذا الجَزَع، وهذه العَجَلَة لا بدّ مِن أن تَدْفَعَك لِتَعْبُدَ إلهًا قَوِيًّا فالإنسان متى يطْمَئِنّ ؟ إذا عرَفَ أنَّ هناك قُوَّةً تَحْميه، فهذا على مُسْتوى الدنيا تجد من يُصاحِب القَوِيّ يَطْمَئِنّ، ويشْعر أنّ ما مِن واحِدٍ يتعدَّى عليه، يُخَبِّر ذاك القويّ !! لكِنَّك إذا شَعَرْتَ أنَّ الذي خَلَق السماوات والأرض مَعَك، ولا يتخلَّى عنك، ويُدافِعُ عنك ويرْزُقُك مِن حيث لا تَحْتَسِب، ويُوَفِّقُكَ وينْصُرُك، ويُؤَيِّدُكَ، فأكبر قُوَّة بالكون هو الله عز وجل، فَمِحْوَر الآيات أنَّ الإنسان خُلِقَ ضعيفًا، لِيَفْتَقِرَ بِضَعْفِهِ فَيَسْعَدَ بافْتِقارِهِ، مادام ضعيفًا وهلوعًا فلا بدّ له مِن قُوَّةٍ يرْكَنُ إليها والغَلَط أن ترْكَنَ لِغَيْر الله تعالى فهذا هو مِحْوَر الآيات.

فأنت أيها الإنسان أَتَعْبُدُ إلهًا خلق السماوات والأرض وأنْزَلَ مِن السماء ماءً فأنْبَتَ به حدائِق ذات بَهْجَة، هل تَعْبُدُ من هو دونهُ ؟ ! قال تعالى:

﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60)﴾

(سورة النمل)

ثُمَّ هذه الأرض مَن يُسَيِّرُها حوْل الشَّمس، وحول نفْسِها؟ ومَن جعَلَ الأشياء تَسْتَقِرُّ عليها ؟ أَعْبُد هذا الإله العظيم، قال تعالى:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(61)﴾

(سورة النمل)

لذا أَنْ تَعْبُدَ قُوَّةً منيعَةً فهذا شيءٌ في أصل فِطْرَتِك، ولاحِظ أنَّ الإنسان إن لم يُؤْمِن بالله تعالى تَجِدُه يلْجأ إلى إنسانٍ قَوِيّ ! ينْطَوي تحت لِوائِهِ وأُناسٌ كثيرون يلجئون إلى القِوَى البَشَرِيَّة حتَّى يطمئِنُّوا، فأنت بِحاجَة إلى قَوِيٍّ يَدْعَمُكَ، وإلى من يَحْميك، إلى مَن يُغَطِّيك، وإلى قُوَّة إن اسْتَنْجَدْتَ بها نجَّتْك، فالغَلْطَة الكبيرة أنَّ جِهَةً

غير الله تعالى يُمْكِنُ أنْ تَحْميكَ، وأن تُسْعِدَكَ، وأن تُجيبَكَ وأنت مُضطَر، وأنَّ جِهَةً غير الله يُمكِنُ أن ترْزقكَ، قبيلَةٌ صنَعَت صَنَمًا مِن تمْرٍ فلمَّا جاعَتْ أكَلَتْهُ !! أتأكُل إلهَكَ ؟!! فالآن بِشَرْق آسيا بوذَا إلهٌ، وله معابِد ضَخْمة ليأكُلَها في الليل، ويأكلها الكَهَنة.

فيا أيها الإخوة، هذه الآيات دقيقة، فأنت أيها الإنسان ضعيف ولا بدَّ لك مِن قُوَّة كي تَحْميكَ، وأن تُسْعِدَكَ، وأن تُذيبَكَ وأنت مُضطَر فالبُطولة الحقيقيَّة أن تعرِفَ القوَّة الحقيقيَّة، مَن تعبُد ؟ قال تعالى:

﴿أئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) ﴾

(سورة النمل)

الله تعالى الذي خلَقَ السماوات والأرض هو الذي تَعْبُدُه فإذا كانت المجرَّة التي اكْتُشِفَت قبل أسبوعَين بُعْدُها عن الأرض ثلاثمائة ألف بليون سنة ضَوْئِيَّة، والأربع سنوات ضَوْئِيَّة لو أرَدْتَ أن تصل إليها بِمَرْكَبَةٍ لاحْتَجْتَ إلى خمسين مليون عام ! وقبل أسبوعَيْن أرْسَلوا مرْكَبَةً إلى المُشْتري وبَقِيَتْ تنطلِق في الفضاء خمْس سنوات بِسُرْعة خمسين ألف ميل بالساعة، وعلى هذه المَرْكَبة مَرْصَد عِمْلاق قُطْرُ عَدسَتِهِ ثمانِيَة أمتار، والْتَقَط قبل أسبوعَين أو ثلاثة هذه المجرَّة، قال تعالى:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(61)﴾

(سورة النمل)

الذي ينبغي أن تعبُده لا بدّ أن يكون خلق السماوات والأرض، وأنزل من السماء ماءً، فلو لم يُنْزِل الله تعالى الماء لانْتَهى كُلّ شيء، تأتي أحْيانًا سنوات عِجاف تتراجَعُ فيها المحاصيل، وتغور الآبار، فمرَّةً أنْتَجَ قُطْرنا ثلاثة ملايين طنّ قَمْح، ونحن حاجَتُنا مليون طنّ والمليونَيْن هو مِن الفائِض، ومرَّةً أنْتَجْنا مائة وستّة وسبعون ألف طنّ فاسْتَوْرَدْنا بِمَبْلَغٍ فلَكي قمْحًا لِنَأْكُلَهُ، لذا الذي ينبغي أن تعبُدهُ أن يكون هو الرَّزاق ذو القوَّة المتين، والذي ينبغي أن تعْبُدَه أنْبَتَ لك النبات المحاصيل والشَّجَر، والذي ينبغي أن تعْبُدَه جعل الأرض مُسْتَقِرَّة وكلّ ما عليها مُسْتَقِرًّا، وجعل الأنهار مِن أجل حياتِك، والذي ينبغي أن تعْبُدَه أرْسى هذه الجِبال الشَّوامِخ، والذي ينبغي أن تعْبُدَه جَعَل بين البحرين حاجِزًا، والذي ينبغي أن تعْبُدَه يسْتجيبُ لِدُعائِكَ وأنت مُضْطَرّ والذي ينبغي أن تعْبُدَه يَجْعَلُكَ خليفَةً له في الأرض، والذي ينبغي أن تعْبُدَه يَهْديك في ظُلمات البرّ والبحر، والذي ينبغي أن تعْبُدَه يُحَرِّك هذه الرِّياح فَتَسوقُ السَّحاب، والذي ينبغي أن تعْبُدَه بدأ الخلْق وسَيُعيدُ الخلق ؛ فهذه هي صِفات الخالق الذي يجب أن تعبُدَهُ من أجلها، أما أنْ تَعْبُدَ مَخْلوقًا ضعيفًا سَبَقهُ عَدَم وسيَنْتهي إلى عَدَم لا يمْلِكُ لِنَفْسِهِ نفْعًا ولا ضَرًّا، فالذي يُعَلِّق الآمال على مَخلوقٍ مِثْلهُ، ويَعْتَقِد أنَّ هذا المخلوق ينفَعُهُ ويضُرُّه، وأنّهُ

يسْمَعُهُ إن دعاهُ، وقَعَ في وَهْمٍ كبير، فالآيات تُريد أن تنْهانا عن الشِّرْك، والمِحْوَر لهذه الآيات ؛ أنَّك إنسانٌ ضعيف وقد خُلِقْتَ ضعيفًا لِصالِحِ إيمانِك مِن أجل أن تلجأ إلى الله، فإذا الْتَجَأت إلى ما سِواه فقد وَقَعْتَ في وَهْمٍ كبير، وشرٍّ كبير، فلو فرضْنا أنَّ أحدهم ذاهِبٌ إلى حلب ليأخذ مبلغًا، فهذا قد يرْتكب عِدَّة أخطاء، فقد يجلس في غير المكان الذي دفَعَ من أجله، ويجلس في اتِّجاهٍ مُعاكِس وغيرها من الأخطاء ولكنَّه لا يُمكن أن يرتكِبَ خطأً واحِدًا، وهو أن يتَّجِهَ إلى درْعا، فهذا معنى قول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا(48)﴾

[سورة النساء]

فإذا كنتَ مُتَوَجِّها إلى الله فَكُلُّ شيءٍ ينْحَلّ، أما إن كُنْتَ مُتَوَجِّها إلى غير الله، فهذا هو الشِّرْكَ الذي لا يُغْفَر، وهذا هو السَّراب، قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ(39)﴾

[سورة النور]

فَالذي يُشْرك، كَمَن هو في الصَّحراء،يظنّ أنَّه رأى الماء فإذا ذَهَب لم يَجِد شيئًا.

هذه الآيات من أجل التوحيد والشِّرْك، وأنت في أصل بُنْيَتِك تحتاج إلى قوَّة تلجأ إليها، فإن لم تعرف الخالق لجأتَ إلى المخلوق الذي لا ينفعُ ولا يضرّ.

فَمُلَخَّص الموضوع، يجب أن تعرِف على مَن تعتَمِد، إلى من تلجأ، ومَنْهجُ مَن تتَّبِع، والقرآن كلُّها على التَّوحيد، وما تعلَّمَت العبيد أفضل من التَّوحيد.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (11-12) : تفسير الآيات 76 - 79

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، وفي نِهاية سورة النَّمل آياتٌ كثيرة تُعَدُّ تعقيبًا وتلْخيصًا لِفَحْوى السورة ومَضْمونِها.

فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76)﴾

[سورة النمل]

أَلَمْ يسْأل أحدكم هذا السُّؤال: لماذا أَكْثَرَ الله في كتابِهِ الكريم الحديث عن بني إسرائيل ؟ وما علاقتنا بِهِم ؟ بعضهم أجاب الإجابة التاليَة: قال إنّ الأمراض التي وَقَعوا فيها، وأصابَتْهُم هي أمْراضٌ يُمْكِن أن تُصيبنا نحن المسلمين، فالذين جاءهم الكتاب وطال عليهم الأمَدَ، وقَسَتْ قلوبهم، وقالوا سمعنا وعَصَيْنا، قال تعالى:

﴿ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ(24)﴾

[سورة المائدة]

هذه أمراض وبيلة وقَع فيها بنو إسرائيل، سيّدنا سعد بن أبي وقاص لما سأل النبي أصحابه قُبَيل معركة أحد: ماذا نفعل ؟ فقال: لعَّلك تظنُّنا يا رسول الله تُريدُنا ؟ فقال: **نعم، والله يا رسول الله لقد آمنَّا بك وصدَّقْناك، وشَهِدنا أنَّ ما جئتَ به الحق، وأعْطَيناك على ذلك عُهودَنا ومواثِقَنا، يا رسول الله ؛ لو خُضتَ بنا هذا البَحْر لَخُضْناهُ معَك، وما تخلَّفَ مِنَّا رجلٌ واحِد، ولا نقول لك كما قال بنوا إسرائيل: اذهب أنت وربك فقاتلا ههنا قاعدون وإنَّما إنَّا معك مُقاتِلون، صِلْ حِبالَ مَن شِئْتَ واقْطَعْ حِبال مَن شِئْتَ وسالِمْ مَنْ شئْتَ، وعادي مَن شِئْتَ، وخُذْ مِن أموالنا ما شئتَ، ودَع ما شئْت، فوَ الذي بعَثَك بالحق للَّذي تأخذهُ مِنَّا أحَبُّ إلينا مِمَّا تَدَعُهُ لنا** هذا موقف الصحابة الكرام، فالإنسان أحيانا يكون مِمَّن بلغَتْهُ رِسالة النبي عليه الصلاة والسلام، يَنْغَمِسُ في الدنيا، ويَقْسو قلْبُهُ، يُقَصِّر في عباداتِهِ، يَبْخَلُ بِمالهِ ووقْتِهِ وجُهْدِهِ، لا يُقَدِّمُ شيئًا للمسلمين، فهذا قد أصابَتْهُ أمراض بني إسرائيل، قال تعالى:

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(93)﴾

[سورة البقرة]

ولما طلب الله منهم الإنفاق قالوا:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ(181)﴾

[سورة آل عمران]

قال تعالى:

﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾

[سورة المائدة]

فلذلك الإنسان إذا جاءَتْهُ رِسالة وانْكَبَّ على الدنيا مُرشَّحٌ كي يُصاب بِأمْراض وبيلة مُهْلِكَةٍ خطيرة ماحِقَة كالتي أصابَت بني إسرائيل ولعلّ في الأُسلوب الحكيم أنّ الله تعالى حدَّثَنا عن بني إسرائيل، وعنانا بهذا الحديث، فالله مثلاً قال:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ(66)﴾

[سورة المائدة]

قِسْ عليه كتاب الله، فلو أنَّنا أقَمنا كتاب الله لأكلْنا من فوقنا ومن تحت أرجلنا، وقال تعالى:

﴿وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(16)﴾

[سورة الجن]

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(96)﴾

[سورة الأعراف]

قال تعالى:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(10)يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(11)وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا(12)مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا(13)﴾

[سورة نوح]

فالإنسان إذا قرأ القرآن ومرَّ في قِراءَتِهِ على بني إسرائيل، وكيف عامَلوا نبيَّهُم موسى، وكيف صَنَعوا عِجْلاً جسَدًا له خُوار، كما قال تعالى:

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ(88)﴾

[سورة طه]

وكيف تَخَلَّوا عن نبِيِّهم الكريم وبَخِلوا بِمالِهِم، وحرصوا على الدنيا قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(94)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(6)﴾

[سورة الجمعة]

فالإنسان إذا قرأ ما أَوْرَدَهُ الله عن بني إسرائيل يجب أن يَعُدَّ هذا الخِطاب له لكنَّ الله جاء بِأُسْلوب تَرْبَوي حكيم، فالأب أحْيانًا لِحِكْمَة بالِغَة يتحدَّث عن شاب ابنُ صديقِهِ، وكيف انْحَرَفَ عن منْهَجِ الله وكيف أصابَهُ ما أصابَهُ، ويُسْمِعُ ابْنَهُ هذا الكلام، فلو أنَّهُ خاطَب ابْنَهُ هذا بالكلام مُباشَرَةً لما قَبِلَهُ ابْنُهُ، ولعَلَّهُ يُناقِش، ويُحاوِر، ويُكابِر أما إذا حدَّثْتَ عن إنسانٍ آخر ما أصابَهُ، وما أحَلَّ به، فهذا الكلام أقْرَبُ في نفْسِهِ، وأيْسَرُ في الدخول إلى قلبِهِ، فحينما نقرأ عن بني إسرائيل في كتاب الله فهذا أُسلوب حكيم أراد الله أن يُطْلِعَنا الله عن أمراضٍ وبيلةٍ مُهْلِكَةٍ أصابَتْ هؤلاء القوم، فيا أيها المُسْلِمون اِحْذَروا أن تُصيبَكُم أمراض بني إسرائيل، مُنِعوا من صَيْد السَّمك يوم السَّبْت فصَنَعوا بُحَيْراتٍ على شاطئ البِحار، واسْتَقْبَلوا الحيتان يوم الجُمُعَة وأغْلَقوها يوم السَّبت واصْطادوها يوم الأحد، أَلَيْسَتْ هذه حيلَةً شَرْعِيَّة أليْسَ هناك مُسْلِمون كُثُر يفْعَلون الحِيَل الشَّرْعِيَّة، وكأنَّ الله غافل عنهم لقد ضَعُفَ الدِّين في حياة الناس، فالحِيَل الشَّرْعِيَّة دليل ضَعْف الإيمان لذلك إذا قرأْتُم عن بني إسرائيل تَرَوْنَ العَجَب العُجاب ؛ الحِيَل الشَّرْعِيَّة والبُخْل، والانْغِماس في الدنيا، وعبدوا الذَّهَب من دون الله، وجعلوهُ إلهًا، فالذي يُعَدُّ دينُهُ ودَيْدَنُهُ الدِّرْهَم والدِّينار، ويبْخل بِمالِهِ ؛ هذا أصابَتْهُ أمراض بني إسرائيل، فإذا حدَّثنا ربُّنا عن بني إسرائيل فالحديث على طريقة: إيَّاك أعْني واسْمَعي يا جارة !

قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (77)﴾

[سورة النمل]

ما الفرق بين الهُدَى والرَّحْمة ؟ الهُدى أن يَمْشي إنسانٌ في طريق مُظْلِم وطريق مملوء بالحُفَر والحشرات والأفاعي وصُخور وعَقَبات، فإذا كان الظلام دامِسًا أُصيبَ بِحاجِزٍ ووقَعَ في حُفْرة، أو صدَمَتْهُ صَخْرة لدَغَتْهُ حيَّة، فالهُدى أن تَحْمِلَ مِصْباحًا كشَّافًا، وبه ترى كُلّ شيء فالقرآن هُدَى ترى به كُلّ شيء ونورٌ مِن الله، قال تعالى:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ(15)﴾

[سورة المائدة]

أما الرَّحمة فهو إن طبَّقْتَهُ جاءَتْكَ الرَّحَمات من الله عز وجل، فَكِتابُ ربّنا هُدًى ورحمةً، تسْتنير به، وإذا طبَّقْتَهُ تَسْعَدُ به، والرَّحْمة السعادة والطُّمأنينة والسلام، والهُدى البصيرة، فأنت ترى وتسْعد،:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (77) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (78)﴾

[سورة النمل]

فإذا كان المسلمون مختلفون، شِيَعًا وفِرَقًا وأحْزابًا، وطوائِفًا وتَصَوُّرًا وسَلَفِيَّة وتصَوُّف، والرِّفاعِيَّة، فنحن إذا اخْتَلَفْنا وتفرَّقْنا فالله يحْكم بيننا، فالسعيد مَن كان على منهج الله ومنهج رسولِهِ، لا أن يكون مع المتفرّقين، الله تعالى يقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(159)﴾

[سورة الأنعام]

فَكُلُّ إنسانٍ ينْطوي على إخلاصٍ شديد يَحْرَصُ على وَحْدة المسلمين وأن تذوب الفُروق بينهم، ويحْرص على أن يتعاوَنوا فيما اتَّفَقوا، وأن يتسامَحوا فيما اخْتلفوا، يقول الإمام الشافعي: أنا على حق، وخَصْمي على باطل، وقد أكون مُخْطئًا، وخصْمي على باطل وأنا على حق وقد يكون مُصيبًا، اِجْعَل عَقْلَكَ مَفْتوحا وتفهَّم رأْيَ الطَّرَف الآخر، لذا لا تعْتقد أنَّك الوحيد على الحق والناس كُلُّهم على ضلال، فالعَقْل المفتوح والقدرة على المُحَاوَرة، والفَهْم والتَّفَهُّم هذا مِمَّا يجْمَعُ شَمْل المُسْلمين ولا يُفَرّقهم، فالله تعالى قال:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (78)﴾

[سورة النمل]

فالإله الذي تَعْبُدُه إذا كان لا يَحْميكَ مِن خُصومِكَ فلا معنى لِعِبادَتِهِ فالله عز وجل قال:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(123)﴾

[سورة هود]

أنت حينما تتوكَّل على الله فإنَّك تتوكَّل على القويّ والعليم والحكيم والكريم والعزيز، قال تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(13)﴾

[سورة التغابن]

فأنت إما أن تكون مُتَوَكِلاً، وإما أن تكون غير مؤمن، قال تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(23)﴾

[سورة المائدة]

يعني علامة إيمانكم تَوَكُّلُكم على الله، والتَّوَكُّل مَتى يكون ؟ مع الخطر الداهِم، فالخَطر مَقْصود من الله عز وجل، فالإنسانُ تُساق له بعض الأخطار لِيُرَى تَوَكُّله، والإنسان يقول حينما تُحدق به الأخطار: يا رب لَيْسَ لي سِواك، وحَسْبيَ الله ونِعْمَ الوكيل، وهذه مِن الأذْكار فالإنسان إذا كان على حق، ودَخْلُهُ حلال، وجَوَارِحُهُ مَضْبوطَة، وكذا بيتُهُ وعملُهُ، فإذا كان لهُ أعْداء وخُصوم فلا ينبغي أن يَخْضَعَ لهم ويذِلَّ أمامهم، قال تعالى:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79)﴾

[سورة النمل]

ولكنَّ الإنسان المقبورِ بشَهَواتِهِ ؛ هذا إنسانٌ ميِّت، قال تعالى:

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ(52)﴾

[سورة الروم]

الموتى هنا المُنْغَمِسون في الشَّهوات، وقال تعالى:

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(21)﴾

[سورة النحل]

وقال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة الأنفال]

يعني أنَّكم كُنتم أمواتا، والإنسان قبل التَّوبة هو من الأموات، وقبل أن يعرف الله، ويتَّصِل به، وقبل أن يصْطَلِحَ معه، ويتعرَّف إلى منْهَجِهِ يقول سيِّدنا عليّ رضي الله عنه: يا بُنيّ ماتَ خُزَّانُ المال وهم أحْياء، والعلماء باقون ما بَقِيَ الدَّهْر، أعْيانُهُم مَفْقودَة، وأمْثالهم في القلوب مَوْجودَة، والعِلْم خيرٌ مِن المال ؛ لأنّ العِلْمَ يَحْرسك، وأنت تحْرس المال، والمال تنْقصه النَّفَقة، والعلم يزْكو على الإنفاق، لذلك قال تعالى:

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ(52)﴾

[سورة الروم]

وهذه الآية فيها إعْجاز عِلْمي، فالأصَمّ ينْمو له ذكاءٌ خارِق، وهو يفْهم بالإشارة، فالأصَمّ إذا نظَر إليك فهِمَ ما تريد، أما إذا ولّوا وأداروا ظهورهم حينها لا يسْمعون.

آيات اليوم تُبيّنُ أُسلوب العزيز الحكيم في خِطاب المسلمين عن طريق خِطاب بني إسرائيل، وتُبيّن أنَّ القرآن هُدًى ورحمة، وتُسْعِدُ به ويُبَيّن أنَّه مهما اخْتلفْنا فالله يحْكم بيننا يوم القِيامة، وأنَّك إن لم تتوكَّل على الله تعالى فلَسْتَ مؤمنًا، وتُبَيّن أنَّ الإنسان إن لم يُؤْمِن فهو ميّت، قال تعالى:

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ(52)﴾

[سورة الروم]

وحُبُّك الشيء يُعْمي ويُصمّ، والأعمى لا يرى ولا يسْمع، قال تعالى:

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ(18)﴾

[سورة البقرة]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12-12) : تفسير الآيات 87 - 92

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

أيها الإخوة الكرام ؛ القرآن الكريم كلام الله ، وفيه بيانٌ لِكُلّ شيء ، وتفصيل لِكُلّ شيء ، إلا أنَّ في القرآن الكريم ظاهرة تلفت النَّظر وهو أنَّ الله سبحانه وتعالى ذكرَ في كتابِهِ الكريم أُصول الحقائق .

فالأرض كُرَة تَدور حوْل الشَّمس وحول نفْسِها ، وهي في حركةٍ دائِمَة ، ولكنّ الوقت الذي نزل فيه القرآن كانت العُلوم في بدايتها ، فالأرض عند العرب مُنْبسِطَة وجامِدَة والجبال راسخة ، فربُّنا سبحانه وتعالى اخْتار هذا العصْر لأنَّهُ عصر مِثالي لِنُزول الوَحي ، واختار هذا المكان لأنَّه بعيد عن تلاحق الحضارات ، واختار البيئة العرَبِيَّة لِصفائِها ووُضوحِها ولكن هناك مُشْكِلة وهي لو أنّ الحقائق جاءَتْ مُفصَّلةً كما هي عليه لأوْقَعَ العرب في عهْد النبي في اضْطراب وشكّ ، ولو أنَّ الله عز وجل أغْفل الحقائق الكَوْنِيَّة لوَقَعْنا في اضْطِراب ،

معجزة القرآن الكريم في آياته الكونية .

لذلك بعض علماء التَّفسير لفَتَ نظَرَهُ هذه الآية ، قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾

[سورة النمل الآية : 87]

فقد يتوهَّم القارئ أنَّ هذه الآية الثانِيَة مُتَعَلِّقة بِيَوْم القيامة ، فقوله الله تعالى :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة النمل الآية : 88]

إنَّها آيةٌ كَوْنِيَّةٌ واقِعَة ! وراهِنَة ، فَمَرَّ السَّحاب في سرْعَتها ومرَّ السَّحاب في هُدوئِها ، ومرَّ السَّحاب في كتلتها، قال تعالى :

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

[سورة النمل الآية : 88]

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام ما بيَّنَ وما فصَّل الآيات الكَوْنِيَّة ، وترَكَ كُلَّ آيةٍ لِوَقْتِها وزمانِها ، فلو أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام بيَّنها وفصَّلها لَشَكَّ أصْحابُهُ في هذا الكلام ، ولو أنَّهُ بيَّن فَحْوى هذه الآيات بِشَكْل حقيقيّ كما عرَفْناها نحن الآن ، لأرْبَكَ أصْحابه ، ولو أنَّهُ فسَّرَ تفْسيرًا بطيئًا يتناسب مع عُقول العصْر

الذي نزل فيه القرآن لشَكّكْنا نحن ، فالآيات الكَوْنِيَّة أحجَمَ عنها النبي عليه الصلاة والسلام عن تفْسيرها ، وترَكَ كُلّ آيَةٍ لِوَقْتِها ، فهذا سيِّدُنا علي رضي الله عنه يقول : في القرآن آيات لمَّا تُفسَّر بعد ، فالعِلْم كُلَّما تقدَّم كشَف عن جانب في إعْجاز هذا القرآن ، والحقيقة أيها الإخوة ، أنتم أمامكم كتاب هو مُعْجِزَة عَقْلِيَّة إلى يوم القيامة ، فالذي قرأ هذه في عَهْد قد يتبادَر في ذِهْنِهِ أنَّهُ يوم القيامة ، قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

[سورة النمل الآيات : 87-88]

لكنَّ هذه الآية الآن واقِعَة فَجِبال الهمالايا والألب ؛ هذه تَمُرّ مرَّ السَّحاب ، قال تعالى :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة النمل الآية : 88]

وقد ذَكَرْتُ لكم قبل أسْبوعَين أو أكثر أنَّه في الوقت الذي نُصَلّي فيه الظهر عشر دقائق مثلاً، تَقْطَعُ فيه الأرض إحْدى عشر ألف وثمان مائة كيلومتر ! لأنَّ الأرض تقْطع في الثانِيَة الواحِدَة ثلاثين كيلومتر ، ففي الوقت الذي نسْتغْرِقُهُ لأداء صلاة الظهر فقط تقطع الأرض إحْدى عشر ألف وثمان مائة كيلومتر .

قال تعالى :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة النمل الآية : 88]

أما مرَّ السَّحاب ، فإذا كانت هناك مدينة كَبَيْروت مثلاً إلى جانب المطار ، الضَّجيج لا يُحْتَمَل فالطائرة لها صَوت يُساوي مائة وخمسٌ وعِشرون بِسِبِل ، وهذه هي وِحْدة قِياس الضَّجيج ، فالإنسان إذا سَكَن بيْتًا جانب المطار ربَّما يُصاب بِضَعْف السَّمع ، والأصوات العالِيَة دائِمًا تُخَرِّص الأذُن وتُضْعِفُها ، فطائرة من أحدث ما توصِّل إليه تحْمل خمسمائة راكب إذا طارَت تُحْدِث ضجيجًا فوق المدن ، فكيف بهذه الأرض وهذه الجبال التي تمرُّ مرَّ السَّحاب دون صَوت ؟! انْعِدام الصَّوت دليل إتْقان الصَّنْعة فالمُكَيِّف الذي دون صوت غالي على المُكَيِّف الذي فيه صوت والمركبة التي فيها صوت خفيف معناها أنَّ فيها تَقْنِيَّة عالِيَة جدًا فالجبال والأرض تمرّ مرَّ بِسُرْعَتها وهُدوئِها فالأرض تدور ثلثين كيلومتر في الثانِيَّة ومع ذلك لا صَوتَ لها .

الحسنة والسيئة .

ثمَّ يقول الله عز وجل ، ودَقِّقوا في هذه الآية :

﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النمل الآية : 90]

مُلَخَّصُ المُلَخَّص أنَّك في الدنيا :

إما أن تأتي يوم القيامة بالحسنات ؛ في تَرْبِيَة أولادك ، وأعمالك الصالحة مِن إنفاق المال والجُهْد والعلم ، وفي الإخلاص والاسْتِقامة .

وإما أن تأتي بِسَيِّئَةٍ تكون سبب هلاك الإنسان يوم القيامة .

فالإنسان عليه أن يتفحَّص عمله وبِدِقَّة بالغة ، لأنّ الحسنة بِعَشْر أمثالها ويزيد ، والسيّئَة بِمِثْلها وتُسَبِّب هلاك صاحبِها .

لماذا خلقنا الله ؟

ثمَّ يقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة النمل الآية : 91]

قد يقول قائلٌ : لماذا خَلَقَنا الله عز وجل ؟

هذا القرآن أجاب الله عنه فالإنسان أحيانًا يريدُ أن لا يفْهَم ، ويريد أن لا يعرف ، حتَّى لا يكون بِوَهْمِهِ مَسْؤولاً!! الإنسان جاء إلى الدنيا وكتاب الله الذي بين أيْدينا يُبَيِّن أنَّهُ جاءَهُ لِيَعْبُدَهُ ، قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات الآية : 56]

العبودية لله تعالى .

فالله تعالى :

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة النمل الآية : 91]

هذه اللام ؛ له كُلّ شيءٍ هي لامُ الملكيَّة ، الكَون كُلُّه ملك الله ، وهو ملْك خلْق وتصَرُّف وملكُ مصير أُنْظُر إلى الإنسان أحْيانًا يَمْتَلِكُ بيْتًا ولا ينْتفع به ؛ مُؤَجَّر ، وهناك مَن ينتفِع ولا يَمْلك ، وهناك مَن ينتفِع ويَمْلِك لكِنَّ مصير هذه البيت ليس له فالله له الملْكِيَّة التامَّة ، وربُّنا عز وجل يقول :

﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة النمل الآية : 91]

ملك الخلق قال تعالى:

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾

[سورة الزمر الآية : 62]

وله ملْكِيَّة المصير ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾

[سورة مريم الآية : 40]

فلماذا أُمِرْتَ أيُّها النبي ويا أيها المؤمن أن تعبُد الله ؟ لأنَّ الله له كلّ شيء ، خلقَ وسَيْطَر وهَيْمَن وتصرَّف والمصير إليه ، لذلك يجب أن تعبُدَهُ ، فالعبادة تقْتضي أن تعْبُدَ الله الخالق، والذي بيَدِهِ الأمْر ، وأن تعْبُدَ الذي بيَدِهِ المصير، خلق وعبد وتصرَّف ، فالعبادة الحقَّة لا تكون إلا لله تعالى ، لأنَّ الخالق والمتَصَرِّف .
العبادة غايَةُ الطاعة ، وغاية الخُضوع والحبّ والإخلاص ، ولكنَّ هذه المشاعر لا يمكن أن تكون إلا بِمَعْرِفَة الله ، فالمعْرفة سبب والانْصِياع لله ثَمَن ، والهدف رحْمة الله في الدنيا والآخرة ، قال تعالى :

﴿ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

[سورة الزخرف الآية : 32]

خلقنا تعالى لِيَرْحَمَنا ، ولو أنّ الله سبحانه وتعالى خلقنا لِيُعَذِّبنا ، وجاء بنا إلى الدنيا لما عالَجَنا كما عالَجَ بَقِيَّة الناس ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَانِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾

[سورة الزخرف الآية : 33]

لذا دليل مُعالَجَة الله لِكُلّ الناس ، الناس جميعًا خُلِقوا لِيُرْحَموا .

ثمَّ يقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة النمل الآية : 91]

الاسم الجامِع لِكُلّ الأدْيان السَّماوِيَّة هو الإسلام ، ولا يوجد نبيّ على الإطلاق إلا وهو مُسلم ، والإسلام بِمَفْهومِهِ الواسِع هو الاسْتِسلام لأمْر الله ، فَكُلّ دين سَماوي اتِّباعُهُ هو الإسلام ، وهو بِالمَفْهوم الضيّق الرِّسالة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام ، أما المعنى الواسِع ؛ كُلّ طاعَةٍ لِمَنْهج الله هو من الإسلام، فالآية جاءت هنا

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة النمل الآية : 91]

مِمَّن اسْتَسْلم لله تعالى ، وأطاعَهُ .

ثمّ قال تعالى :

﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾

[سورة النمل الآية : 92]

فالإنسان مِن دافِعِ حُبِّه نفْسَه ، ومِن دافِع حبّ وُجودِه ، ولاسْتِمْرار وُجودِهِ يجب أن يكون مُطَبِّقًا لله عز وجل ، لأنَّ الخير كُلَّه يعود عليه ، قال تعالى :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النمل الآية : 93]

ما مِن مؤمن على الإطلاق ، يخطبُ وُدَّ الله بِطاعةٍ وقِيام ليل وتِلاوة قرآن واسْتِغفار وذِكْرٍ إلا وَيُرِيهِ الله من آياتِه ، ولا تظن أنّ من يمْشي مع الله بِقَناعاتٍ ليس إلا ، بل الأمر أبْلَغ من ذلك ، وكلّ من تقربَ إلى الله تقرَّب إليه الله ، وذلك بالتَّوفيق والتَّأييد والنّصْر وانْشِراح الصَّدْر والثِّقة بالله عز وجل ، فهذه هي التي تدْفع الإنسان إلى المزيد من طاعة الله عز وجل ، فلذلك قال تعالى :

﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾

[سورة النمل الآية : 92]

سَيُرِيكُمْ آياتِهِ ، وأنا أقول لكم هذا الكلام وأنا أعرف ما أقول : لا يوجد واحِد من الحاضِرين ، وأنا معكم إذا أَخْلَصَ لله ، وآثَرَ مرضاة الله ، فلا بدّ مِن أن يُرِيَهُ الله مِن آياتِهِ، والآيات خَرْقٌ للعادات ، قد يكون الواحِد بِمُشْكِلَة كبيرة فَتَنْزاحُ عنه دون سبب وتنْصرف عنه وهو مُطْمَئِنّ ، ويكون له ضَعْف نفْسي فَيُقَوّي الله له نفْسه، وله أعداء يقْمعهم الله ، آياته شيء غير مألوف ، لذا أيُّ إنسان يستقيم على أمْر الله ، ويُطيعُهُ مُخْلِصًا فلا بدّ مِن أنْ يُرِيَهُ مِن آياتِهِ فمَن طلبَ العفاف يسَّر الله له الزواج ، ومَن طلب الرِّزق الحلال فالله يُيَسِّر حرامًا ، لذا ما مِن واحِدٍ إلا وأرى الله له آياتِهِ ؛ حِفْظًا وتَوْفيقًا وتأييدًا ونَصْرًا فالله إن تقرَّبْت إليه شبْرًا تقرَّب إليك ذِراعًا ،

وإن تقرَّبْتَ إليه ذِراعًا تقرَّب إليك باعًا ، وإن أتَيْتَهُ مَشْيًا أتاك هَرْولةً ، لذا ما عليك إلا أنْ تتحرَّك وعلى أوَّل حركة تجد تغيُّر في المعاملة ، قال تعالى :

﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآَنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾

[سورة النمل الآية : 92]

والحمد لله رب العالمين

الباب الخامس : تفسير سور (القصص – العنكبوت – الروم – لقمان – السجدة – الأحزاب – سبأ – فاطر – يس)

الفصل الأول : تفسير سورة القصص

الفصل الثاني : تفسير سورة العنكبوت

الفصل الثالث : تفسير سورة الروم

الفصل الرابع : تفسير سورة لقمان

الفصل الخامس : تفسير سورة السجدة

الفصل السادس : تفسير سورة الأحزاب

الفصل السابع : تفسير سورة سبأ

الفصل الثامن : تفسير سورة فاطر

الفصل التاسع : تفسير سورة يس

الفصل الأول : تفسير سورة القصص

الدرس (1-18) : تفسير الآيات4-5

الدرس (2-18) : تفسير الآيات7-9

الدرس (3-18) : تفسير الآيات7-9

الدرس (4-18) : تفسير الآيات8-13

الدرس (5-18) : تفسير الآيات14-17

الدرس (6-18) : تفسير الآيات22-24

الدرس (7-18) : تفسير الآيات24-29

الدرس (8-18) : تفسير الآيات17-23

الدرس (09-18) : تفسير الآيات 29 – 32

الدرس (10-18) : تفسير الآيات32-37

الدرس (11-18) : تفسير الآيات36-38

الدرس (12-18) : تفسير الآيات38-39

الدرس (13-18) : تفسير الآية 50

الدرس (14-18) : تفسير الآية 57

الدرس (15-18) : تفسير الآية 56

الدرس (16-18) : تفسير الآيتان 60-61

الدرس (17-18) : تفسير الآيات76-83

الدرس (18-18) : تفسير الآيات71-72

الدرس (1-18) : تفسير الآيات4-5

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، قبل أن أشْرَحَ الآيات الأولى من سورة القصص فلا بدّ مِن مُقدّمَةٍ تُلْقي ضَوْءًا على هذه الآية.

النبي عليه الصلاة والسلام قال:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم:

((لَا يَقْضِي الْقَاضِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ))

[رواه أحمد]

لأنَّه حينما يقضي وهو غضْبان اضْطربَتْ أحْكامُهُ، ولم تأت عادِلَة فالنبي عليه الصلاة والسلام نهى القاضي أن يحْكُمَ بين الناس وهو غَضْبان، جاء الفقهاء وقالوا: ما عِلَّةُ هذا النَّهي ؟ عِلَّةُ هذا النَّهي أنَّ الغَضَب يجْعل أحْكام القاضي مُضْطربة، وأيُّ شيءٍ آخر يجْعل أحْكام القاضي مُضْطربةً مَنْهِيٌّ عنه بالقياس على هذا، فلو أنَّ ابن القاضي كان مريضًا مرضًا شديدًا، فهذا المرَض الشديد الذي ألَمَّ بابنِهِ ربَّما جعل أحْكامَهُ مضْطربَةً، فالفقهاء حَمَلوا على الغضب ثلاثًا وثلاثين حالة، إذًا ليْسَت العِبْرة أن يغْضَبَ فقط، بل أيُّ شيءٍ يساوي الغضَب في العِلَّة فَهُوَ مَنْهِيٌّ عنه أيضًا، فهذه قاعِدَة.

النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((تجِبُ الزَّكاة في القمْح والشَّعير والزَّبيب والتَّمْر))

طيِّب لو كان الآن رجلٌ عنده مزْرعة نصْف مليون تُفَّاح أليس عليه زَكاة ؟ وهناك آلاف المحاصيل فيها فواكه وثِمار فهل هذه خارجة عن الزَّكاة ؟ قال العلماء: تجبُ الزَّكاة في عِلَّة هذه الأصْناف لا في عَيْنِها، فأيُّ مَحْصول ذو قيمة عليه زَكاة، أما في عَهْد النبي فقد كان القَمح والزَّبيب والشَّعير، أما الآن التُّفاح والأجاص والفريز ثَمينة جدًّا، فالعلماء قالوا: تجبُ الزَّكاة في عِلَّة هذه الأصْناف لا في عَيْنِها، فأيُّ مَحْصول ذو قيمة يتَّحِدُ مع القمح والزَّبيب والشَّعير في العِلَّة فالزَّكاة تَجِبُ فيه.

مِن هذين التَّنْبيهَين ننتقل إلى هذه الآية، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)﴾

[سورة القصص]

كأنَّ البشَر أصْنافٌ ثلاثة صِنْفٌ عرَفَ الله و أطاعه، فهذا نجا وصِنْفٌ عرَفَهُ وقصَّر في طاعَتِهِ، وصِنْفَ ما عرفه وما أطاعهُ، فالصِّنْفُ الثاني والثالث ماذا يفْعَلُ الله بِهِم ؟ الأوَّل عرفهُ وأطاعَهُ، قال تعالى:

﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(28)فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(29)وَادْخُلِي جَنَّتِي(30)﴾

[سورة الفجْر]

هؤلاء نَجَوْا وسَعِدُوا في الدنيا والآخرة، ولكن هناك صِنْفان ؛ إنْسانٌ عرف الله وقصَّر في طاعتِهِ، وآخر لم يعرفه فلم يُطِعْهُ ! فكيف يُعالِجُ الله هذين الصِّنْفَيْن ؟ هذان الصِّنْفان يُعالَجان بالطَّريقة التالِيَة: إذا عصاني مَن يَعْرِفُني سلَّطْتُ عليه من لا يَعْرِفُني فالذي يعْرِفُ الله وقصَّر في طاعَتِهِ يُسَلَّطُ عليه مَن لا يعْرِفُهُ إطْلاقًا فضَغَط عليه واسْتَباحهُ ونكَّل به، لعلَّ هذا الذي يعرفُ الله والمُقصِّر في طاعَتِهِ لعلَّهُ يصْحو ! ولعلَّهُ يصْطلِحُ ويتوب إلى الله، فإن تابَ عكَسَ الآية مكَّنَ الضَّعيف من القَوِيّ، فلعلَّ القَوِيَّ يتوب مرَّةً ثانِيَة، إيَّاكُم أن تفْهَموا هذه الآية وصْفًا لِحَدَثٍ وقَعَ، بل هو مُتَكَرِّرٌ دائِمًا، إذا كان للكُفَّار علينا ألف سبيل وسبيل، فنحن في حياتنا نرْتَكِبُ ألف مَعْصِيَةٍ ومَعْصِيَة، إذا عصاني مَن يعْرِفُني سلَّطْتُ عليه مَن لا يعْرِفُني وأنا ملِكُ المُلوك ومالكُ المُلوك، قلوب المُلوك بِيَدي فإنْ أطاعني العباد حوَّلْتُ قلوب الملوك عليهم بالرَّأْفَة والرَّحْمة، وإن عصاني العباد حوَّلْتُ قلوب الملوك عليهم بالسُّخْطة والنَّقْمة، فلا تشْغلوا أنْفسَكم بِسَبِّ المُلوك وادْعوا لهم بالصَّلاح فإنّ صلاحَهم بِصَلاحِكُم، والذي لا يعْرِفُ الله يُسَلَّطُ على الذي يَعْرِفُهُ، فلعلَّ هذا المُقصِّر يتوب ويُنيب ويرْجع ولعلَّه يصْطلح ويسْتغفر، فإذا عادَ مكَّنَهُ، قال تعالى

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)﴾

[سورة القصص]

والظالم سَوْطُ الله ينتَقِمُ به، ثمَّ ينْتَقِمُ منه.

فالبشَر أصنافُ ثلاثة، الأوَّل مَن عرف الله، وأطاعَهُ نجا، وهذا ليس للكافر عليه سبيل، قال تعالى:

﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا(141)﴾

[سورة النِّساء]

وقال تعالى:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

هذا الصِّنْف خارِج الحِساب، أما الذي عرَفَهُ وعصاه، كَحَال المسلمين مليار ومائتان مليون مسلم ! ليسَتْ كلِمَتُهم هي العليا، فإذا كان للكفار عليهم ألف سبيل وسبيل فلأنَّهم يقْترفون ألف معْصِيَة ومعْصِيَة والظالم سَوْطُ الله ينتَقِمُ به، ثمَّ ينْتَقِمُ منه، أما الآية الدقيقة التي تُؤَكِّد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(129)﴾

[سورة الأنعام]

فهذه الآية تكاد تكون قانونًا، دَعْكَ من مُلابساتِها، والأسماء، والظروف واجْعَلْها قانونًا قال تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)﴾

[سورة القصص]

فالإنسان العاقل إذا أصابَهُ ما يكْرهُهُ راجَعَ نفْسَهُ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:

((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"))

[رواه مسلم]

ما مِن عثْرَةٍ ولا اخْتِلاج عرقٍ ولا خدْش عودٍ إلا بما قدَّمَتْ أيْديكم، وما يعْفوا الله أكثر، اِجْعَل هذه الآية نُصْب عيْنَيْك:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

فالمؤمن يُحاسِبُ نفْسَهُ حِسابًا عسيرًا لِيَكون حِسابُهُ يوم القيامة يسيرًا فإذا أصابَهُ ما يُؤْلِمُهُ يتساءل ويبْحَث، ويُدَقِّق ويتأمَّل، مِن أجل أن يصِلَ إلى الذَّنب الذي اقْتَرَفهُ حتى لا يُعيدُهُ مرَّةً ثانِيَة، فأحيانًا تجد موظَّفًا يُعامَل بِقَسْوة وبِشِدَّة من طريف المدير لماذا جعل الله له عليك سبيلاً ؟ إذا كنتَ تَقِيًّا ونقِيًّا وورِعًا، لا يستطيع أن يكون لِهذا الإنسان عليه سبيل، فالإنسان يجب أن يُدَقِّق، هذه الآية تُفْهَمُ فهْمًا جماعِيًّا وفهْمًا فرْدِيًّا، لذلك المُسْتَضْعَف ضِمْن العِنايَة المُشَدَّدة قال تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)﴾

[سورة القصص]

لأنَّ الله إذا أحبَّ عبْدًا ابْتلاه، فإن صبرَ اجْتباهُ، وإن شَكَر اقْتناه، إذا أحبَّ الله عبْدَهُ عجَّل له بالعُقوبَة، إذا أحبّ الله عبْده عاتبَهُ في منامِه وجعل له واعِظًا من نفْسِهِ، فالإنسان يُدَقِّق، لعلَّهُ قصَّر في حق إنسان ولعلَّه تكلَّم كلمةً جارِحَةً، ونظرَ نظْرَةً خاطِئَةً، ولعلَّه استهزأ بِأحَد فإذا أصابَهُ ما يكْرهه فلْيُحاسِب نفْسَهُ حِسابًا عسيرًا لأنَّ الله تعالى ما يفْعل بِعذابِنا إن شَكرنا وآمنَّا ؟! قال تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)﴾

[سورة القصص]

هذا قانون الله مع الفئتين الثانية والثالثة، الفئة الثانية التي عرفتْهُ وقصَّرَت في طاعَتهِ، والفئة الثالثة التي ما عرفتْهُ وما أطاعَتْهُ، يُسَلِّط الثالثة على الثانِيَة فلعلَّ الثانِيَة تعود إلى رُشْدِها فإن عادَتْ مكَّنها وقوَّاها وسلَّطها على الثانِيَة من أجل أن تعود إلى رشْدِها، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(129)﴾

[سورة الأنعام]

والإنسان بِهذه النَّظْرة التَّوْحيدِيَّة يزول في قلبِهِ الحِقْد والحسَد، فلو أصابَك أحدهم بِمَكْروهٍ، تقف منه المَوْقف الكامِل، إما أن تُأدِّبَهُ، وإما أن تُحاسِبَهُ ولكن لا تحْقِدُهُ ؛ لماذا؟ لأنَّ الله سلَّطَهُ عليك، وسمَحَ له أن يفْعَل كذا وكذا، فبيْنَ أن تحْقِد الناس، وبين أن ترى الفاعِل هو الله، وأنَّ يدَ الله فوق أيديهم، وقال تعالى:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(17)﴾

[سورة الأنفال]

بالنَّظْرة التَّوْحيدِيَّة يشْفى قلبُكَ من الغِلّ والحسَد، ومن الحِقْد، وكُلُّ مَكْروهٍ أصابَكَ من طرف إنسان فالله تعالى سمَحَ له بذلك ومكَّنهُ منك رِعايَةً لِحَقِّ العباد على الله في تَرْبِيَتِهِم، ولولا تربيَةُ الله لنا ما زكى مِنَّا مِن أحَدٍ أبدًا، قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(21)﴾

[سورة النور]

ذكر لي أخ صاحب معمل ألْبِسَة زارَهُ شَخْص، طلب أربعة قِطَع فاعْتَبَر صاحب المعمل هذه إهانَة، أنا أبيعُ أربعة قِطَع ! وانْزَعَجَ وقال للمشتري: أنا لا أبيع المُفرَّق، فهذا الشَّخْص اسْتحى وخرَج ! فقال لي هذا الإنسان: ثلاثون يوْمًا ما دَخَل مَعْمَلي شَخْص !! أدَّبَهُ الله والمُسْرِفُ أحيانًا يُؤَدِّبُهُ الله بالتَّقْتير، والمُتَكبّر يُهينُهُ، والمُتطاوِل يُوقِفُهُ عند حدِّه، ولولا تربيَةُ الله لنا لما زكى مِنَّا من أحد، تسْعة أعْشار الفضائل التي يتمتَّعُ بها المسلمون هي من فضل تربية الله لهم، فالله ربُّ العالمين، صحيحٌ أنَّ الله منحنا الكتاب والسنَّة ولكنَّهُ يُتابِعُك، ولا بدّ أن يعْلم الإنسان أنَّ الله تعالى إنْ عالَجَهُ فهذه نِعْمة كُبْرى، أما إذا أهْمَلَهُ فهذا دليل على أنَّهُ خارج عناية الله، فالطبيب متى يقول للمريض: كُل ما شئْتَ ! إذا كان مرضُهُ عُضال ولا سبيل للتَّخلُّص منه، أما إذا كان معه الْتِهاب معْدَة فإنَّهُ يُقيم عليه النَّكير إذا أكل لقمة تُخالف التعليمات، فإذا كان الإنسان ضِمن العِناية وعالَجَهُ الله فهذه من نِعْمة الله عليه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-18) : تفسير الآيات7-9

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، فالآية السابعة من سورة القصص، وفي قِصَّة سيِّدنا موسى عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام، قوله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7)﴾

[سورة القصص]

أوّلاً ؛ الوَحي في القرآن الكريم على أرْبَعِ مُسْتَوَيات، قال تعالى:

﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا(1)وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا(2)وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا(3)يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا(4)بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا(5)﴾

[سورة الزلزلة]

هذا وَحْيُ الأمْر، الله عزَّ وجل إذا أوْحى إلى الجماد كان بِمَعنى أمَرَهُ وقال تعالى:

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ(68)﴾

[سورة النحل]

هذا وَحْيُ الغريزة، قال تعالى:

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى(49)قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى(50)﴾

[سورة طه]

هداهُ إلى مصالحِه، وإلى سلامَتِهِ، وإلى صِيانتهِ، وإلى تأمين غايَتِهِ وتأمين طعامِهِ.

فالوَحيُ الأوّل وحْي الأمْر إلى الجَماد، والوَحْيُ الثاني وَحْيُ الغريزة الحَيوان.

قال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7)﴾

[سورة القصص]

هذا وَحْيُ الإلهام، وكُلّ إنسان يُمْكِن أن يوحَى إليه وَحْي إلْهام ؛ يَخْطُر ببَالِهِ أن يَذْهَب بِهذا الطريق، فالله تعالى يُنَجِّيه، إذْ في الطريق الآخر مُشْكِلة، ويَخْطر بِبَالِهِ أن يُلْغي سَفَرَهُ، فإذا به يسْمع أنَّ الطائرة التي كان ينوي الذهاب فيها قد سَقَطَتْ فالإنسان بين وسْوَسَةِ الشيطان وإلهام الملائكة، فالمؤمن المُستقيم يتحرَّك بإلْهامٍ من الملائكة، والإنسان المُنْحَرِف يَتَحَرَّك بِوَسْوَسَة من الشيطان فإمَّا أن تتحرَّك بِوَسْوَسَةِ الشيطان أو إلْهام الملائكة؛ هذا الوحي الثالث، قال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7)﴾

[سورة القصص]

الوحيُ الرابِع هو وَحْيُ الرِّسالة، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(15)﴾

[سورة يوسف]

هذا وحيُ جِبْريل عليه الصلاة والسلام، فقوله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾

[سورة القصص]

هذه الآية فيها أمْران ونَهْيان وبِشارتَان ؛ الأمْرُ الأوَّل: أن أرْضِعيه فإذا خِفْتِ عليه فألْقيهِ في اليمّ، شيء لا يُصَدَّق ! فهي تكاد تموت خَوْفًا عليه، والله يقول: فإذا خفْتِ فألْقيهِ في اليمّ ! بالمناسبة ماذا نسْتفيد نحن في القرن العشرين مِن قِصَّةٍ وقَعَتْ قبل ثلاثة آلاف عام ؟ الحقيقة كما أُؤَكِّد لكم دائِمًا: ليس القرآن كتاب تاريخ ولا كتاب قصص، إنَّما هو كتاب قوانين، فلمَّا تلقي الأمّ ابنها المولود في توّهِ في صندوق، حركة الماء بِيَدِ مَن؟ بِيَد الله، وكذا الرِّياح طيِّب امرأة فرعَون التي خطَرَ لها أن تأتي إلى شاطئ البحر ! هذا بِيَدِ مَنْ ؟ بِيَدِ الله، ولمَّا فتِحَ الصندوق مال قلبها إليه، القلب بِيَدِ مَن ؟ بِيَد الله فالله تعالى أراد من هذه القِصَّة أنْ يُعْلِمَنا ونحن نقرأ القرآن في أيِّ زَمانٍ ومكانٍ أنَّه كُلَّ شيء بِيَدِ الله الماء والرِّياح وقلب امرأة فرعوْن كُلّ هذا بِيَدِ الله، وحتَّى الإنسان يطْمئِنّ، لذلك قال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7)﴾

[سورة القصص]

الآية التي تَخُصّ الأنبياء والمرسلين قال العلماء: إنَّ كلّ مؤمنٍ بِقَدْر إيمانهِ واستِقامتِهِ وإخلاصِهِ له من هذه الآيات نصيب، فإذا كان هذا الطِّفْل الرَّضيع في صُنْدوقٍ أصَمّ، وفي نهْر هو النِّيل، تتحرَّكُ به الأمواج وتقْذِفُهُ الرِّياح إلى أنْ ساقَتْهُ إلى قصْر فِرْعَون، ثمّ توقَّف أمام غصْن، ثمَّ أَلْهَمَ امْرأة فرعون أن تأتي إلى الشاطئ، ثمّ رأَتْ صُنْدوقًا فقالتْ: افْتَحوه فلما فتحوه رأتْ طفلاً قالتْ كما قالت تعالى:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9)﴾

[سورة القصص]

فرعَون كما تَرْوي القِصص رأى في المنام أنَّ طفلاً من بني إسرائيل سيَقْضي على مُلْكِهِ، فقال: القضِيَّة سهْلةً؛ سأقْتُلُ أولاد بني إسرائيل جميعًا، فَكُلُّ قابِلَة ولَّدت امْرأةً أنْجَبَتْ طفلاً عليها أن تُبلِّغ المسؤولين في عهد فرعون لِيَذْبَحوه، فإن لم تُبلِّغ ذُبِحَتْ هي ! أما هذا الطِّفْل الذي سَيَقْضي على مُلْكِهِ ربَّاهُ في قَصْرِهِ !! قال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾

[سورة القصص]

الحقيقة هاتان الكلمتان تتكرَّران في القرآن الكريم، وهما دقيقتان فأنت لك ثلاثة أزمان ؛ الزَّمَن الحاضِر والماضي والمُستقبل، فالحاضِر هي الَّحْظ التي تعيشُها الآن، أما الماضي والمستقبل، فالماضي قد تحزَنُ عليه وتنْدَمُ على مُضِيِّهِ، وتنْدم على أيَّام الشَّباب، وأيَّام الغِنى والسُّرور والمستقبل تخاف منه ؛ فيه مُفاجآت وأمراض، وذهاب المال فالإنسان دائمًا عنده قلقان ؛ قلقٌ مُتَعَلِّق بالماضي وهو ندَمٌ، وقلق مُتَعَلِّق بالمستقبل وهو الخوف، فالله تعالى قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30)﴾

[سورة فصلت]

فهذه الآية غطَّتْ المستقبل والماضي، لا تخافوا مِمَّا سيَأتي، ولا تحْزنوا على ما مضى، ولأنَّ المؤمن في خَيْرٍ مُتَجَدِّد، وفي صُعودٍ دائِم، ولن يُصيبَهُ إلا ما كتب الله له من خير، فَكُلّ إنسان مؤمن آمَنَ بالله واسْتقام على أمْرِهِ الله عز وجل في عَلْياء سمائِهِ يُطَمْئِنُهُ، لا تَحْزَنْ على ما مضى، ويُغَطِّي له المستقبل فلا تخشى مِمَّا سيَأتي، لذلك ربنَّا عز وجل يقول:

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(38)﴾

[سورة البقرة]

فالمُستقبل دائِمًا أحلى مِن الماضي للمؤمن، أما غير المؤمن فدائِمًا المستقبل أسْوَء من الماضي، عدم القدرة على الاستمتاع بالملذَّات ودِقَّة بالأكل فلا يأكل كلّ شيء، لذا كُلَّما تقدَّم الإنسان بالسِنّ ضَعُفَتْ قُدْرتُهُ على الاسْتِمتاع بالحياة، ففي المستقبل قلق زوْجَتُهُ تكبر ويسْتقلّ أولادُهُ عنه، كان يأْنَسُ بِهِم، إضافَةً إلى أمراض مُخيفة، ففي المستقبل هناك قلق، والماضي في نَدَم، أما المؤمن فالله قال:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30)﴾

[سورة فصلت]

أوَّل ثمْرة من ثمرات الإيمان كما قال تعالى:

﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(123)﴾

[سورة طه]

قال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7)﴾

[سورة القصص]

هذا تَوَكُّل قوِيّ وهذا سيِّدُنا إبراهيم وضَعَ زَوْجَتَهُ في وادٍ غير ذي زَرْع وتوكَّل على الله، هذا فوق طاقَة البشَر، فذَهَبَت جيئةً وذهابًا، فَنَبَعَ ماء زَمْزَم في مكَّة المكرَّمة، فالله تعالى يقول:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(23)﴾

[سورة المائدة]

مِن لوازِمِ إيمانكم التَّوَكُّل على الله.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾

[سورة القصص]

هذان هما النَّهْيان، والأمْران قال تعالى:

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾

[سورة القصص]

هذان هما الأمران، والبشارتين، قال تعالى:

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) ﴾

[سورة القصص]

فهنا اتَّضَح أنّ فِرْعون الذي قال:

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى(24)﴾

[سورة النازعات]

وهو الذي قال:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

[سورة القصص]

وهذا الذي يُعَدُّ أكْفَرَ أهل الأرض، فقد ادَّعى الأُلوهِيَّة، وقتل أبناء بني إسرائيل على شبهة أنَّ أحدهم سيَقْضي على مُلْكِهِ ! ما الذي حصَل ؟ قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(21)﴾

[سورة يوسف]

هذا الطِّفْل الذي سيَقْضي على مُلْكِهِ ربّاهُ في قصْرِهِ قال تعالى:

﴿فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8)﴾

[سورة القصص]

هذه اللام أعْربها النُّحاة لام المآل، لأنَّه لا يُعْقَلُ أن تكون لامُ التَّعْليل ولا يُعْقَلُ لِعاقِلٍ أن يلتقط طفلاً يقْضي على مُلْكِهِ، لكنَّ الذي حصل وفي نِهايَة المطاف أنَّ هذا الطِّفْل قضى على مُلْكِهِ، قال تعالى:

﴿فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8)﴾

[سورة القصص]

الغريب أنَّ مع فرعون دائِمًا هناك هامان وجنودَهُما، فَمَن أعان ظالمًا سلَّطَهُ الله عليه، ومَن أعان ظالمًا جاء يوم القيامة مَكْتوبٌ على جبينه آيسٌ من رحْمة الله، ومَن أعان ظالمًا ولو بِشَطْر كلمة كان أوّل ضحاياه، لا تُعِنْ ظالمًا على ظلْمِهِ.

أيها الإخوة الأكارم، مرَّةً أخرى ؛ ما جعَلَ الله هذا القرآن قصَّةً يُتْلى إلى يوم القيامة لِتَكون قِصَّةً، أو لِيُنْبِئنا عن حدثٍ وقع قبل ألفي عام إنَّما العَبْرة أن تتَّخِذ من هذه القِصَّة عِبْرَةً، وهي أنَّ كُلَّ شيء بِيَدِ الله تعالى حتَّى حركة صنْدوق خَشَبي بيَدِهِ، وحركة الرِّياح والماء، وحركة المرأة، ومَيْلُ قلبها بِيَدِهِ، قال تعالى:

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(39)﴾

[سورة طه]

فإذا أحبَّ الناس أحدًا فلا يظنَنَّ أنَّهُ هو الذَّكيّ ! لا، هذا من توفيق الله وفضْلِهِ، لذلك أجْمَل آية أن هذا الطِّفْل الصغير، تجِدُ الأب بِكامِل طاقاتِه، وذكائِه وخبْراتِهِ، كُلُّها مُوَظَّفة لِتَرْبِيَة هذا الطِّفْل، وكذا الأم فَمَن ألْقى حُبَّهُ في قَلْبَيْهِما ؟ الله عز وجل، ومِن أجل أن يعْمر الكَون فالأب يريدُ أن يُزَوِّج أبناءَهُ ويُعَلِّمَهُم، هذا مِن آيات الله الدالة على عظَمَتِهِ، فالله عز وجل بلا جهْد ولا عمل ألقى حُبَّ الطِّفل في قلب والِدَيْه، يجوعان لِيَأكل، ويسْهران لِيَنام، ويمْرضان لِيَشْفى، هذا دليل على محبَّة الله لنا، وعلى عظمة الله جل جلاله.

قال تعالى:

﴿فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8)﴾

[سورة القصص]

فالبُطولة أن لا تكون من الخاطئين لأنَّ العاقبة للمُتَّقين، والعاقبة لِمَن خاف الله، واسْتَقام على أمْره، والأمور تَدور وتَدور، ولا تسْتَقِرّ إلا على نُصْرة المؤمن وقَهْر الكافر.

قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) ﴾

[سورة القصص]

لا يشْعرون مَن سَيَكون هذا الغُلام، لذا الله تعالى عَلِمَ ما كان وعَلِمَ ما يَكون، وعلِمَ ما سيَكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون عَلِمَ أنَّ هذا الطِّفْل سيَغْدو نبِيًّا مُرْسَلاً، وسيَأتي إلى فرْعون وسَيُحاوِرُهُ وسيُثْبِتُ له أنَّهُ رسول مِن خلال آيات كَوْنِيَّة، وفرعون يُلجِمُهُ الله عن قَتْلِهِ، ويَقْبَلُ أن تكون هناك مُناظَرة بينهما، وتَجْري هذه المناظرة ويجْتَمِعُ قَومٌ حول سيِّدِنا موسى، ويتَّجِهون نحو البَحْر فَيَتْبَعُهُم فرعَوْنُ بِجُنودِهِ، ويُصْبِحُ البحر طريقًا يبَسًا ينْزِلُ فيه موسى وأصْحابُهُ فإذا خرج من الضَّفة الثانِيَة نزَلَ فرعون، فعاد البحرُ بَحْرًا، فأغْرَقَهُ الله عندئِذٍ يقول فرعون كما قال تعالى:

﴿ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ(90)﴾

[سورة يونس]

لِمَن العاقبة ؟ للمؤمنين، فأنت كُلّ بُطولتِك أن تكون مع الحق، وأن تكون في خَنْدَق المؤمنين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-18) : تفسير الآيات7-9

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، وصَلنا في قِصَّة سيِّدنا موسى عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام مع فرْعون وملأه إلى قول الله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)﴾

[سورة القصص]

أمرَها تعالى بِأمْرين ونهاها عن شيئين وبشَّرَها بِبِشارَتين، ثمَّ قال الله عز وجل:

﴿فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) ﴾

[سورة القصص]

ولا يُعْقل في المنطق البشَري أن يلْتقط إنسانٌ غلامًا لِيَكون له عَدُوًّا وحزنًا، ولكنَّ الذي حصَل أنَّ هذا الغلام الذي الْتُقِط، والذي رُبِّيَ في قَصْر فرعون حينما كبر، وجاءَتْهُ الرِّسالة ودعا فرعون إلى أن يخْضَعَ إلى أمْر الله عز وجل، فلمَّا أبى والقِصَّة معروفة لدَيْكم ؛ أتْبَعَهُ فرعون بِجُنودِهِ فَغَشِيَهُم مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهُم، وانتهى فرعون، لذلك قال علماء النَّحْو هذا اللام هي لامُ المآل، قال تعالى

﴿فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) ﴾

[سورة القصص]

يُسْتنبط من هذه الآية أنَّ الإنسان مهما كان ذَكِيًّا، ومهما كان قَوِيًّا فإنَّ الله تعالى كما قال:

﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ(11)﴾

[سورة الرعد]

وإذا أراد ربُّك إنفاذ أمْر أخَذَ من كُلّ ذي لُبٍّ لُبَّهُ، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(182)﴾

[سورة الأعراف]

فالله عز وجل إذا أراد ربُّك إنفاذ أمْر أخَذَ من كُلّ ذي لُبٍّ لُبَّهُ، ثمّ نفَّذ الأمر، فالله تعالى لا ينْفع معه الذَّكاء والعقل والكِياسَة، ولا أن تسدَّ الغلطات وتُغطِّي الاحْتِمالات، لا ينفَعُكَ مع الله إلا أن تُطيعَهُ ولا تنْجُوَ من عقابِهِ إلا بالإقبال عليه.

فرعون وما أدراكم ما فرعون ؛ قُوَّةٌ وجبروت وسَيْطَرة وادِّعاء الألوهِيَّة، ومع ذلك طفْل صغير الْتُقِط وربَّاهُ في قَصْرِهِ لِتَكونِ نهايةُ ملكِهِ على يدي هذا الطِّفل الصغير، قال تعالى:

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) ﴾

[سورة القصص]

وهذا هو معنى قول الله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا(15)وَأَكِيدُ كَيْدًا(16)فَمَهِّلْ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا(17)﴾

[سورة الطارق]

فالله ليس كائِدًا ولكن يرُدُّ على تَدبير الكُفَّار بِتَدْبير مُحْكَمٍ ينْفَعُ المؤمنين ثمَّ قال تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8)﴾

[سورة القصص]

لماذا ذكر الله فرعون مع هامان ؟ ومع هامان الجنود ؟ لأنَّهُ مَن أعان ظالمًا كان شريكَهُ في الإثْم، ومَن أعانَ ظالمًا سلَّطَهُ الله عليه، ومن أعان ظالمًا ولو بِشَطْر كلمة جاء يوم القيامة مَكْتوب على جبينه: آيِسٌ مِن رحمة الله ! فلا تُعِنْ ظالمًا ولو بِهَزِّ رأسٍ، ولا بِتَقْديم قلمٍ للتَّوقيع ولا بابْتِسامَةٍ، ولا بإقرار ولا بموافقة، وإلا كنتَ أحد ضحاياه، قال تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(2)﴾

[سورة المائدة]

يريدُ هذا الظالم أن يُنْفِذَ أمْرًا مُجْحِفًا بِحَقِّ بريء، فإذا قال لك: ما رأيُك ؟! فَهَزَزْتَ رأْسَك كُنْتَ مِمَّن أعان على الظُّلم، مَن أعانَ ظالمًا سلَّطَهُ الله عليه، ومن أعان ظالمًا ولو بِشَطْر كلمة جاء يوم القيامة مَكْتوب على جبينه: آيِسٌ مِن رحمة الله ! لذلك ورد في هذه القِصص كثيرًا قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8)﴾

[سورة القصص]

لأنَّ هامان والجنود نالهم من فرعون الشيء الكثير، والغرْم بالغرم فحينما يُحاسَبُ فرعون فيَنْبغي أن يُحاسَبَ مَن أعانَهُ على الظُّلْم ومَن كان عَوْنًا له على السَّيْطَرة.

قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) ﴾

[سورة القصص]

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلَّم عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ عَفَّانُ فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ قَالَ وَمَا يُؤْمِنُنِي وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ قَالَ عَفَّانُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[رواه أحمد]

فقد يُلْقي في قلب هذا الإنسان الحبّ لِفُلان، وقد يُلْقي البغض، والقَسْوَة فقُلُوب العباد بين أُصْبعين من أصابعِ الرحمن يُقَلِّبُها كيف يشاء، أنت إذا وقَفْتَ أمام إنسانٍ قَوِيٍّ ورأيْتَ أنَّهُ قسى عليه فلأنّ الله جعل قلبَهُ هكذا، وإذا رأيْتَهُ أنَّهُ رَحِمَك ألْقى في قلبِهِ حبَّك والعَطْف عليك فعلاقتُكَ مع الله، وهذا هو التَّوحيد، قال تعالى:

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي(55)﴾

[سورة هود]

الأقْوِياء ينبغي أن لا تخاف منهم، والخوف من الذي بِيَدِهِ زِمامهم ؛ هو الله، قال تعالى:

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(56)﴾

[سورة هود]

لذا ورَدَ أنْ لا يخافَنَّ العَبْدُ إلا ذَنْبَه ولا يرْجُوَنَّ إلا ربَّه، فلا تَخَفْ قَوِيًّا ولا تَخَف مرضًا، ولا تخَف مُصيبَةً، إنَّما خَف مِن ذَنْب يسْتدعي كُلَّ ذلك قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(112)﴾

[سورة النحل]

فإذا وقَعْتَ في مُشْكِلَةٍ فلا ترْجُونَّ إلا الله، فلا ترْجو أن تُزاحَ عنك هذه المُصيبة بالمال، ولا بِفُلان ولا بِعِلاَّن، ولا بِمَكانَتِك وسَطْوَتِك، لا يخافنَّ العبْد إلا ذَنْبه ولا يرْجُوَنَّ إلا ربَّه، امرأةُ فرعون قد يسأل بعضكم ؛ ما الحِكمة في أن تكون صِدّيقة ؟

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

﴿كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ﴾

[رواه البخاري]

ما الحكمة في أن تكون هذه الصِّديقة تحت ظالمٍ ؟ أراد الله عز وجل أن يُبَيِّن للناس فضْلاً عن تَقْريرِهِ المُباشِر، أراد أن يُبَيِّن من خِلال الحوادِث أنَّ المرأة مُسْتَقِلَّةٌ في إيمانها، وفي مَسْؤوليَّتها، وفي دينها عن زَوْجِها، فأيَّةُ امرأةٍ تقول: هكذا يُريد زَوجي، ولو كان زَوْجُها أحدُ جبابرة الأرض، ومع ذلك لا يستطيع أن يَحْمِلَها على الكُفْر، وهذا درْسٌ مِن أبْلَغ الدُّروس، الله عز وجل جعل تحت أكبر طاغِيَةٍ في الأرض صدِّيقَةً، بِكُلِّ جَبَروتِهِ وسَطْوتِهِ لم يسْتطع أن يَحْمِلَها على الكفر، قال تعالى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(11)﴾

[سورة التحريم]

لذلك هذه القِصَّة لِكُلّ امرأة، فلا تقل: هكذا يريد زَوْجي، وأنا لا دَخل لي، فمهما كان زَوْجُك طاغيَة فلن يبْلغ طغيان فِرْعَون، ومع ذلك المرأة مُسْتقِلَّة في إيمانها وطاعَتِها في مَسْؤوليَّتِها عن زوْجِها، اتَّصَلَتْ بي امرأة وقالتْ لي: زوْجي يُريد أن يأخذني إلى البَحْر وأن أسْبَحَ أمام زُملائِهِ، وهدَّدني إن لم أفْعَل فسَيُطَلِّقُني ! فقلتُ لها: لا طاعة لِمَخلوق في مَعْصِيَة الخالق، ولْيُطَلِّقْك!! لكِنَّه لم يُطَلِّقْها، إنَّما اسْتَعْمَلَ معها أُسْلوب التَّخْويف، ماذا قال سَحَرة فرعون ؟ قال تعالى:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ(123)﴾

[سورة الأعراف]

أُمُّ سيِّدنا سعْد ابن أبي وقَّاص قالتْ له: يا بُنيّ، إما أن تكْفر بِمُحَمَّد، وإما أن أدَعَ الطَّعام والشَّراب حتَّى أموت! قال: **يا أُمِّي، لو أنَّ لكِ مائة نفْسٍ فَخَرَجَت واحِدَةً واحِدَة ما كَفَرْتُ بِمُحَمَّد فَكُلِي إن شئْتِ أو لا تأكُلي**، فالإنسان ليِّن إلى أقْصى المواقف، ولكن هناك مواقف إن لم يَكُن صلْبًا ينتهي والمؤمن عندهُ كلمة ؛ لا يقولها بملء فَمِهِ، لا أفْعل هذا، هذا لا يرْضاهُ الله، فهناك منْ عندهُ حياء شَيْطاني، يسْتحي فإذا به يأكل الحرام، ويسْتحي فإذا به يَعْصي الله، ويسْتحي فيُقِرّ بالمَعْصِيَة، يجب أن تقول كلمة بمِلء فَمِكَ أحْيانًا، ولْيَكُن ما يَكُن خاطَبوا أحد جبابرة الأرض، وخاطبوا إنسانًا يقتل العباد كما يقتل الذُّباب ! قال تعالى:

﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(72)﴾

[سورة طه]

أيها الإخوة، يجب أن نعلم جميعًا أنَّ هذه القِصص، والله الذي لا إله إلا هو ما أرادها الله تعالى قِصَصًا أبدًا، ولكن حقائِق على شَكْل قِصص، لذلك قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) ﴾

[سورة القصص]

مَن ألقى حُبّ موسى في قلب امرأة فرعون ؟ الله جل جلاله، وفي المرة القادِمَة نُتابع هذه القصَّة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-18) : تفسير الآيات8-13

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1995-09-01

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، لازِلنا في قِصَّة سيّدنا موسى عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام، بعد أن الْتَقَطَهُ آل فرعون ليكون لهم عَدُوًّا وحزَنًا، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) ﴾

[سورة القصص]

وصلنا إلى هنا في الدرس الماضي.

قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) ﴾

[سورة القصص]

المَنْطِقُ يُشير إلى أنَّ هذا الطِّفْل ما ألقِيَ في اليمّ إلا لأنَّهُ من أطْفال بني إسرائيل، مع أنَّ فرعون جزَم بِقَتْل كل أطفال بني إسرائيل، فلذلك ألقى الله تعالى حبَّ هذا الطِّفْل في قلب امرأة فرعون، قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) ﴾

[سورة القصص]

لا يشعرون أنَّ هذا هو الطِّفل الذي سيَقْضي على ملك فرعون ؟ يُؤتَى الحَذِرُ مِن مأْمَنِه، ولا ينفعُ ذا الجدّ منك الجَدّ، ولا ينفعُ حذَرٌ من قَدَر ولكن ينْفعُ الدُّعاء ممَّا نزل وما لم ينزل، وما أخذْت الاحْتِياطات وغطَّيْتَ الاحْتِمالات، ومهما سَدَدْتَ الثَّغرات، الله غالب على أمره وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مردَّ له، وإذا أراد إنفاذ أمْر أخذ من كلِّ ذي لُبٍّ لبَّهُ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله، لم يشْعروا أنّ هذا الطِّفل سيَغْدوا نبِيًّا ويُواجِهُ فرعَون وسيَتْبَعُهُ فرعون ويغرق هو ومن معه، ويورث بنو إسرائيل مُلك فرعون من بعده.

قال تعالى:

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10)﴾

[سورة القصص]

بعد أنْ أَلْقَتْهُ، فالأمّ أمّ وامتلأ قلبها قلقًا عليه، قال تعالى:

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10)﴾

[سورة القصص]

أي مِن شدَّة قلقها وخوفها، كادَتْ أن تقول: ابني في قَصْر فرعون لولا أن ربطَ الله على قلبها، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال:

عن النَّوَّاس ابن سَمْعَانَ الْكِلَابِيُّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ قَالَ وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

[رواه ابن ماجه]

وقال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾

[سورة الفتح]

فالله تعالى أحْيانًا يَمْنَحُكَ قُوَّةَ التَّحَمُّل، وأحْيانًا يَجعلُ مُقاوَمَتَكَ هشَّة، تجد رجلاً صامِدًا لأقصى الحوادث، وآخر ينْهار لأتْفَه الحوادِث، فَمَن الذي يُعْطي قُوَّة التَّحَمُّل ؟ الله جل جلاله، من الذي يُفْقِدُ هذه القوَّة ؟ الله جل جلاله، فالله تعالى يمكنهُ أن يربط على قلبك، وكما يمكنه أن يجعله كفُؤاد أمّ موسى ! قال تعالى:

﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾

[سورة القصص]

تتبَّعي أخبارهُ، قال تعالى:

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾

[سورة القصص]

قالوا: هذا التَّحريم ليس تَحريم تَشْريع بل هو تحريم مَنْع، هذا الطِّفل الصغير أعْطِيَ أوَّل مرضِعة فرفضَها، وكذا الثانية والثالثة، فأيَّةُ مرضِعَة غير أمّه رفضَها، قال تعالى:

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12)﴾

[سورة القصص]

قال تعالى:

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) ﴾

[سورة القصص]

لأنَّ الله تعالى قال:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) ﴾

[سورة القصص]

هذا كَيْدُ الله، ومكْرُهُ تعالى، لكنَّ كيد ومكْر الله فيه الخير، والله يعْلم السرَّ وأخفى.

خطَرَ بِبَالي مَثل وأنا في طريقي إليكم، شاحنة قُوَّتها ثمانون حِصان مُنْدَفِعَة، ما الذي يوقِفُها ؟! الذي يوقِفُها شيء أمتَن منها وأصْمَد شاحنة أو جدار، لكن أحيانًا شريط كهربائي في مُحَرّك الشاحنة لو قطِعَ وقفَتْ ! فما هو الأحْسَن أن توقَف بصَدْمٍ أم بِقَطْع هذا الشريط ؟! فالله أقْوى الأقوياء، كل شيء بِيَد الله، ففِرْعون أمر بِذَبْح كل الأطفال ولكن هذا الطِّفل قالت له زوجه هو قرّة عين لي ولك ! فما قتَله قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(21)﴾

[سورة يوسف]

قال تعالى:

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13) ﴾

[سورة القصص]

فلو عُرِضَ عليك مال حرام تَحُلّ فيه كُلَّ مشاكِلِك، وقلتَ أنت: لا إنّي أخاف الله ربَّ العالمين، والله تعالى وَعَدَ المستقيم بالفَوْز والعاقبة والتَّوفيق، والنَّجاح والطّمأنينة، ولكنَّ الله يعطيك مهلةً يمْتَحِنُكَ فيها تستقيم وتعفّ عن الحرام، بعد حينٍ يأتي الفرَج، قال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(55)﴾

[سورة النور]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ(38)﴾

[سورة الحج]

وقال تعالى:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(40)﴾

[سورة الحج]

كل هذه الوُعود لا بدّ من أن تُحَقَّق، وزوال الكون على الله أهْوَنُ من أن لا تُحَقَّق هذه الوُعود.

فالله تعالى قال:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)﴾

[سورة طه]

مهما حصَّلت من الأموال الطائلة، ومن العلاقات، فإنَّ الله جعل لك وعيدًا فالله وعَد المستقيم بالفَوز، ووعد المُتَصِّدق بِنَماء المال، ووعَدَ الطَّيّبين بالطَّيّبات، ووعد المؤمن بالحِماية والتَّوفيق والتأييد والنَّصر قال تعالى:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ(12)﴾

(سورة المائدة)

وأكثر الناس لا يعلمون أنَّ وعْد الله حق، قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(28)﴾

[سورة سبأ]

ما عليك إلا أن تسْتقيم على أمْرِه، ولا يَحْميك إلا أن تكون على أمره ومُطيعًا له، وأَقْبل على الحلال، وارْكُل الحرام، ففي الحلال برَكَة فعلى الإنسان أن يُطبّق الشَّرْع وينتظر وَعْد الله، وحبَّذا لو قرأ الإنسان القرآن الكريم والْتَقط وُعود الله، والَعْد ثَمَنُهُ الطاعة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾

[سورة الأحزاب]

وقال تعالى:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا(141)﴾

[سورة النساء]

امرأة ترمي ابنها في البحر، وتَغْدو بعد حينٍ مُرْضِعَةً له !! صندوقٌ وُضِعَ باليمّ، وسيَّرتْهُ الرِّياح، ووقف أمام غصْن، وأُلْهِمَت امرأة فرعون أن تنزل الشاطئ، وألْقِيَ حبَّه في قلبها، ورَجَتْ زوْجها أن لا يقْتُله، وعرَضوا على الطِّفل المراضع فأبى ! ثمَّ جاءَت أُخْتُهُ تتقصَّى أخْبارُه، ودلَّتْهم على مرْضِعَةٍ يقْبلها والتي هي أُمُّه، وهذا تدْبير الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ(46)﴾

[سورة إبراهيم]

مكْر الكفار مُخيف،إحدى الدول القويَّة تقول: عندي قنابل نويَّة أدَمِّر بها الأرض خمْس مرَّات !! فدمَّرها الله قبل أن تُدَمِّر شيئًا، فأنت أسْعَدُ الناس إن دافع عنك الله، أنت قُمْ بالأسباب وتوكَّل على رب الأرباب وانتَظِر من الله تحقيق وعْدِهِ لك، وُقوع وَعْد الله أقْوى من كلّ شيء قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(21)﴾

[سورة يوسف]

هذه الآية وردَتْ في سورة يوسف عليه السلام، كانوا اثني عشرة إخوة إئتَمروا على أخيهم ووضَعوه بالجبّ لِيَموت ! فإذا به يصبح عزيز مِصْر، قال تعالى:

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ(58)﴾

[سورة يوسف]

فالذَّكي يقرأ القرآن ويتتبَّعُ وُعود الله عز وجل ويعْمل موجباتها وينالها حُبًّا وكرامة، فالله تعالى ما ذكر هذه القِصَّة لِتَكون قِصَّة ! لا، بل ذكرها لِتَكون قانونًا ننتفِعُ بها نحن الآن في القرن العشرين، المُرضِعة بِيَد الله، والطفل بيَدِ الله، وكذا القلوب بيَدِ الله، وحركة الرّياح وكل شيء بِيَدِهِ، وبالنِّهايَة قال تعالى:

﴿ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(55)﴾

[سورة يونس]

مُلَخَّص القِصَّة ؛ يجب أن نعلم أنَّ وعْد الله حق، والإنسان إذا كان مُعْطًى بِوَعد الله فهذا أسْعَدُ الناس تَجِدُ شابًّا لا بيْتًا ولا عملاً ولا زوجةً ولكنَّهُ مستقيم، فالله تعالى يخْلق من الضَّعف قُوَّةً، ويُيَسِّر له، ويمُدُّه بالمال، ويُزَوِّجُهُ دون أيِّ شيء وآخر تجد معه ألف مليون يتدمَّرون بالنوادي الليليَّة، والأمراض، عبدي أعطيتكَ مالاً

فماذا صَنَعْتَ فيه ؟ قال: يا رب لم أنْفق منه شيئًا مخافَةَ الفقْر على أولادي من بعدي فقال: ألم تعلم أنّي أنا الرَّزاق ذو القوَّة المتين، إنَّ الذي خشيتَهُ على أولادك من بعدك قد أنْزلتُهُ بهم ! حدَّثني أخ فقال لي: أحد الناس تركَ لأوْلاده محلّا بالحمراء ومعملا وبيتا بالمالكي وسيارة، وأقلّ مِن عشْر سنوات لم يبْق معهم ولو قرشًا تدمَّروا، وتورَّطوا بصفقات خاسرة واضطرُّوا أن يبيعوا الأملاك واحدا واحدا، والثاني قال له: أعْطَيْتُكَ مالاً فماذا صَنَعْتَ فيه ؟ قال: يا رب أنْفَقْتُهُ على كُلّ مُحتاجٍ ومِسْكين لِثِقَتي أنَّك خيرٌ حافِظًا وأنت أرْحمُ الراحمين، قال: يا عبدي أنا الحافظ لأولادك من بعدك، فأحيانًا يموت إنسان يترك خمْسة أولاد أيتام، يُصبِحون أعلاما بالمُجْتمَع ويأتي آخر لم يتَّق الله في كَسْب المال، ويترُك لهم ثرْوَة طائلة ويكونوا من بعده أشقياء.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-18) : تفسير الآيات14-17

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلنا في قِصَّة سيِّدنا موسى عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام، ووصلنا إلى قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14)﴾

[سورة القصص]

أيُّ مُحْسِنٍ على الإطلاق إذا أحْسنَ عملهُ واسْتقام على أمْر الله يؤْتيه الله الحُكْم والعِلم، والله عز وجل أعْطى القُوَّة لِمَن لا يُحِبّ، وأعطى المال لِمَن لا يُحبّ، أعطاه لِمَن يُحِبّ ولِمَن لا يُحِبّ، أعطى القوّة لِفِرْعون وهو لا يُحِبُّه، وأعطاها لِسُلَيْمان وهو يُحِبُّه، وأعطى المال لِقارون وهو لا يُحِبُّه، وأعطى المال لِعَبْد الرحمن بن عوف وهو يُحِبُّه فإذا الشيء أُعْطِيَ لِمَن يُحِبّ ولِمَن لا يُحِبّ، فهل يُعَدُّ مقياسًا على الحبّ ؟ لا، إطلاقًا، ولكن الحبّ مِقْياسُهُ الحكمة والعلم، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(22)﴾

(سورة يوسف)

وفي آية أخرى قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ(269)﴾

[سورة البقرة]

لأنَّ بالحِكمة تعرف الله وتسْتقيم على أمْرِه، وبالحِكْمة تُحْسِن انتِقاء زَوْجتِك، وبالحِكمة تُعامِلُها المُعامَلَة الحسَنَة، وبالحِكْمة تُرَبِّي أولادك وتقْطف ثِمار أولادِك، وبالحِكْمة تَكْسِبُ المال الحلال، والمال الحلال مَحْفوظ لك، وبالحكمة تُحْسنُ إنفاق هذا المال، وبالحُمْق تختار الزّوجة السيِّئة وتُعامِلُها المعامَلَة السيِّئة، فتقَعُ في البيت تفجُّرات أنت بِغِنًى عنها، ولا تُرَبِّي الأولاد ترْبِيَةً صالِحَة ؛ تُعاني مِن عُقوق إذا كبروا ولا تكسبُ المال كسْبًا صحيحًا، وتُعاني مِن الإفْلاس فالحِكْمة سبب السَّعادة والحُمْق والبعد عن الله سبب الشَّقاء، لذا قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ(269)﴾

[سورة البقرة]

هذا بِنَصِّ كتاب الله وبالمناسبة الحِكْمة لا يُمْكِن أن تُؤْتى لِغَيْر المؤمن إنَّ الله يُعْطي الصِّحة والذَّكاء والمال والجمال لِكَثيرين من خلْقِهِ، أما الحِكْمة فهي للمؤمنين خاصَّةً، لأنَّهم باتِّصالهم بالله وإقْبالهم عليه وأخذهم من حِكْمته تعالى وعلمِه، ومن حِلْمِهِ يُصْبِحون حُكَماء لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حينما نظَر إلى أصْحابهِ قبل أن تأتِيَهُ المَنِيَّة ابْتَسَم حتَّى بدَتْ نواجذُه، قال:

((علماء حكماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء !))

قد تَجِدُ إنسانًا دَخْلُهُ مَحدود، وبيْتُهُ صغير، وحياتُهُ خشنة ولكنَّهُ من أسْعَدِ الناس، لأنَّهُ أوتِيَ الحِكْمة، وقد تَجِدُ إنسانًا دَخْلُهُ كبير وبيتُه كبير وحجْمُهُ كبير، ولكنَّ بيْتَهُ جحيم، وزواجُهُ جحيم لأنَّهُ فقَدَ الحِكْمة، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ(1)﴾

[سورة محمد]

لا يُمكن أن يكون البعيد عن الله تعالى حكيمًا، يرْتَكِبُ حماقات ما بعْدَها حماقات وضيق أُفُق وتورُّط، واقْتِحام، ومُبالغَة، ورُدود فِعْل قاسِيَة ؛ هذا كُلُّه من لوازِمِ البُعْد عن الله تعالى، ومِن لوازِمِ القرب من الله تعالى الحِكْمة، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14)﴾

[سورة القصص]

العِلْم هو العِلْم، أما الحِكْمة وَضْعُ الشيء في نِصابِه، أن تتكلَّم بالقَدْر الحكيم مع الشَّخص المناسب في الوقت المناسب، وأن تضَعَ الشيء المناسب في المكان المناسب بالقَدْر المناسب وفي الوقت المناسب فالحِكْمة مِن خصائِص المؤمن، لذلك الله عز وجل يُعْطي الحِكْمة للمؤمن فَيَعيشُ في سَلامٍ مع نفْسِهِ، ومع مُجْتَمَعِهِ ومع ربِّه، ومع صحَّتِهِ، فالإسلام كُلُّهُ حِكْمة، اخْتِيار الزَّوْجة بالحِكْمة، وترْبِيَة الأولاد بالحِكمة، وكذا إنفاقُهُ، وبهذا لا تجد المفاجآت والتَّفَجُّرات، فالتَّفَجُّر ناتِج عن الانْحِراف، والمبالغة، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14)﴾

[سورة القصص]

لكي لا تتوهَّم أنّ هذه خاصَّة لِسَيِّدنا موسى، أطْلَقَها الله عز وجل فقال تعالى:

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(44)﴾

[سورة المرسلات]

وأجْمَل ما في هذه الآية إطْلاقُها، إنسانٌ يقرأُ كتاب الله كُلَّ يوم ويُصَلِّي الفجْر في جماعة، ويسْتَمِعُ إلى تفْسير كلام الله، ويُطَبِّقُه، ويتقصَّى رِضاء الله عز وجل، فهذا الإنسان راض عنه الله، ومُسَدَّد من الله وله من الله تعالى حافِظ يحْفظه ويُوَفِّقه، ويُلْهِمُه الصَّواب ويقيسُ الزَّلَل ويُبْعِدُه عن المُشْكِلات ويقيه من الوَرْطات، هذه هي الحكمة.

قال تعالى:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾

[سورة القصص]

في وقْت قَيْلولة قال تعالى:

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾

[سورة القصص]

سيِّدُنا موسى دَخَل على حين غفْلَةٍ من أهْلِها فَوَجَدَ فيها رَجُلَيْن يقْتَتِلان هذا من شيعَتِهِ وهذا مِن عَدُوِّه، فَمِن شيعَتِهِ أي مِن بني إسرائيل، ومن عَدُوِّهِ أي مِن قَوْمِ فِرْعَون، تَصَوَّر إنسانًا ينْتمي إلى فرعَون ؛ كَم هو قَوِيّ ومُخيفٌ وجبَّار، وكم هو مَرْهوب الجانب ! وإنسانٌ ينْتمي إلى فِئَةٍ مُذَبَّحُ أطْفالها ومُسْتضْعفة، إذًا هناك مُسْتَضْعَف ومُتَجَبِّر فالمُسْتَضْعَف بنو إسرائيل في عهْد فرعَون، والمُستكْبرون هم فرعون ومَن معه.

قال تعالى:

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾

[سورة القصص]

سيِّدُنا موسى أبْعَدَهُ فإذا بذاك الشَّخص يلقى ميِّتًا، وهذه الظاهِرة معْروفة بالطِّب، يكون عنده مُشْكلة بقلْبِهِ، ومُشْكِلَة بِدَوْرَتِهِ الدَّمَوية وتَجَلُّط بالدَّم، فأقلّ حركة يقْضي عليه، فسيِّدُنا موسى ليس قاتِلاً ولم يقْصِد أن يقْتُلَهُ، إنَّما قصَد أن يُبْعِدَهُ، ولكن هذا الذي أبْعَدَهُ من شيعَة فرْعون وهذا الذي انتصَر له من شيعَتِهِ ؛ مُشْكلة كبيرة جدًا.

قال تعالى:

﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15) ﴾

[سورة القصص]

إذا وَجَدْتَ إنسانًا يشْنُقونهُ، لك أن تقول: هذا مِن عَمَل الشَّيْطان، دفَعَهُ إلى الجريمة ثمّ ساقهُ إلى المحاكَمَة ثمّ شُنِق، تجد إنسانًا يشْرب الخمر فإذا بِحادِث يقضي عليه هو وأسْرَتُه، هذا من عمَل الشيطان، فالكافر الميؤوس من إيمانِهِ يقْصِمُهُ قصْمًا، والكافر الذي فيه بَقِيَّةُ خيرٍ يُعْطى فرْصَة، فهناك مصائب قَصْم، وهناك مصائِب ردع، ومصائب دَفْع فالقصْم للذي شرَدَ عن الله شرودًا بعيدًا، وهناك مصائب ردْع وهناك مصائب دَفْع، وهي مصائب المؤمنين، وهناك مصيبة رفْع ؛ تَرْقى بالمؤمنين، ومصيبة كَشف، وهذه للأنبياء، فالمصائب بين قَصْم وردْع ودَفْع ورفْع، وكَشْف، والأخيرة للأنبياء، إذْ أنَّهم ينْطَوون على كمالٍ لا يُمْكِن أن يَبْدُوَ إلا في حالاتٍ صَعْبَة، كان يذْهب النبي إلى الطائف، ويسُبَّهُ أهل الطائف، ويُكَذِّبونه ويرُدُّونه ويسْخرون من دَعْوَتِهِ ويضْربونه، وأن يأتيه جبريل عليه السلام ويقول له: **يا محمَّد أمَرَني ربّي أن أكون طَوْعَ إرادَتِك، لو شئْتَ لأطْبَقْتُ عليهم الجَبَلَيْن** فيقول:

((لا، يا أخي، اللهمَّ اهْدِ قَومي فإنَّهم لا يعلمون))

لعلّ الله يُخْرِجُ من أصْلابِهِم من يُوَحِّدُه، والمؤمن بين مُصيبتين ؛ دَفْع ورَفْع والله عز وجل يَدْفَعُهُ إلى بابهِ، وإلى مزيد إلى السرعة إليه، وإلى طاعته، وإلى العمل الصالح، وأحيانًا يكون مُسْرعًا إلى الله فتأتيهِ مُصيبةً فَتَرْفَعُه إلى الله، يقول سيدُنا عليّ رضي الله عنه: **والله لو عَلِمْتُ أنّ غدًا أجلي ما قَدَرْتُ أن أزيد في عملي !** فالمؤمن بين دَفْع ورَفْع، قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ(155)﴾

[سورة البقرة]

وعِزَّتي وجلالي لا أقبِضُ عبْدِيَ المؤمن وأنا أحِبُّ أن أرْحَمَهُ إلا ابْتَلَيْتُهُ بِكُلِّ سيئةٍ كان عَمِلَها ؛ سُقْمًا في جَسَدِه، أو إقْتارًا في رِزْقِهِ، أو مصيبةً في مالِهِ وولَدِه حتَّى أبْلُغَ منه مثل الذرّ فإذا بقِيَ عليه شيء شَدَّدْتُ عليه سَكَرات الموت حتَّى يلْقاني كيوم ولَدَتْهُ أُمّه، فأنت لك عند الله تعالى درجة إما أن تنالها بِعَمَلٍ صالحٍ، أو بِصَبْرٍ على مُصيبة وأنا أنْصَحُ أن يخْتار الإنسان العمل الصالِح، فهو الذي يَحُلّ محلّ المُصيبة ولأنّه أعْمَل. لِكُل شيء حقيقة، وما بلغَ عبْدٌ حقيقة الإيمان حتَّى يعْلَم أنَّ ما أصابَهُ لم يَكُن لِيُخطأهُ، وما أخْطَأهُ لم يَكُن لِيُصيبهُ، فسيّدُنا موسى دخل المدينة على حين غفلتها فَوَجَد رجلان يقْتَتِلان، قال تعالى:

﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ(15)﴾

[سورة القصص]

ثمّ قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (17)﴾

[سورة القصص]

عَدْلُ ساعَةٍ تعْدِل عند الله عبادة ثمانين عامًا فلا تَكُن مع المُجْرِمين والأقْوِياء الظالمين، ولا تنْصُر الظالمين، ولكن أنْصر المَظْلومين ولو بدى لك أنَّ هناك خطر عليك، فالله تعالى هو الذي يُنْقذُكَ، ويَحْفظك وهو تعالى الذي يقْلبُ الموازين، وهذه القِصَّة مفادُها ؛ إيَّاك أن تقفَ مع الظالم، وإيَّاك أن تُقِرَّهُ، وأن تُعْطِيَهُ إشارَةً بِعَيْنَيْك، ومن أعان ظالمًا سلَّطهُ عليه.

قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾

[سورة القصص]

بدى له أنَّه انتهى، وكَزَ أحد شيعة فرعون، والقاعدة كما قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (17) ﴾

[سورة القصص]

فعلى مُسْتوى تَقْسيم إرْث تجِد الأخ الأقوى يسْتَولي على كل التَّرِكَة فالناس ألِفوا أن يكونوا مع الأقوياء والأغنياء، وأن تكون مع هؤلاء هذا لا يرْفَعُكَ عند الله بل يضَعُكَ في الوَحْل، كُنْ مع الحقّ ولا تَخْشَ الغنيّ، وكُنْ مع صاحِب الحقّ ولو كان ضعيفًا ومنْبوذًا، قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (17) ﴾

[سورة القصص]

فلا تُعلِ شَأن مَن تراه يشْرب الخمر من أقاربك وتُعل شأنهُ وتُبجِّلُهُ فهذا نِفاق ليس بعدهُ نِفاق، ولكن زُرْ أخًا مؤمنًا ومُستقيمًا يعْرف الله عز وجل، قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (17) ﴾

[سورة القصص]

لا تُعِنْهم ولا تُقَدِّم لهم دَعْمَكَ، ولا تُثْنِ عليهم وتعْتَزَّ بِهم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-18) : تفسير الآيات22-24

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلنا في قِصَّة سيِّدنا موسى عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام، ووصلنا في سورة القصص من هذه القصَّة إلى قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(24)﴾

[سورة القصص]

أوَّل اسْتِنباط من هذه الفقْرة أنّ الغِنى هو العمل الصالح وأنّ الفقْر الحقيقي هو فقْر العمل الصالح، لذا قد تَمْلِك مئات الملايين وأنت أفْقر الفقراء إن لم يكنْ لك عَمَلٌ صالِحٌ ينْفَعُكَ بعد الموت، وقد لا تمْلكُ ثرْوة لكنَّ لك أعمال كالجبال فأنت أغنى الأغنياء، هذا ما قاله الإمام علي كرَّم الله وجْهه ؛ قال: الغِنى والفقْر بعد العرْض على الله، هذا النبي الكريم يُقرِّر بإذْن الله عز وجل أنَّ الغِنى غِنَى الأعمال الصالحة وأنّ الفقْر الحقيقيّ فقْرُ الأعمال الصالحة،

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ))

[رواه الترمذي]

كلمة الحق صدَقة، والنُّصْح صدقة، وأبواب الخير مُفَتَّحة على مصارعها، ترْبِيَة الأولاد من أعْظم الأعمال، والرِّفْق بالزَّوْجة من أعْظم الأعمال ورِعايَة الأبَوَيْن من أعظم الأعمال، ورِعاية الأولاد من أعظم الأعمال والنُّصح للمسلمين من أعظم الأعمال، وإتقان العمل من أعظم الأعمال فَبِإمكانِكَ أن تكون أغنى الأغنياء، وبِمقْياس الأرض الأغنياء هم الذين يَمْلِكون الملايين المُمَلْيَنَة، ولكنْ بِمِقْياس السَّماء الأغنياء هم الذين سخَّر الله لهم ما يُعينهم على الأعمال الصالحة، قدَّر على يدهم الخير ؛ الخير بِيَدي والشرّ بيَدي فَطوبى لِمَن قدَّرتُ على يده الخير، والوَيل لِمَن قدَّرْتُ على يده الشرّ، وإذا أردْت أن تعرف مقامَك فانْظُر فيما اسْتَعْمَلَك، كيف يسْتعملكَ الله ؟ لِخِدْمَة الخلق أم لإيذائهم، لإعْطائِهم أم للأخْذ منهم ؟ لتَطْمينهم أم لِتَخْويفِهم ؟ الويل ثمَّ

الوَيل ثمَّ الوَيل لِمَن جعلَهُ الله أداة تأديب خلْقِهِ! يسوق الشرّ على يَدَيْه، ولذلك أحدهم قدَّم كتابًا للنبي عليه الصلاة والسلام، قال: **يا مَن جئْتَ الحياة فأعْطَيْتَ ولم تأخذ، أما الكفار أخذوا كُلَّ شيء، ولم يُعْطوا شيئا، والأنبياء أعْطَوا كُلَّ شيء ولم يأخُذوا شيئًا، والمؤمنون يأخذون ويُعطون.**

ويا مَن قدَّسْتَ الوُجودَ كُلَّه، ورعَيْتَ قضِيَّة الإنسان، ويا مَن زكَّيْتَ سِيادة العَقْل، ونَهْنَهْتَ غريزة القطيع، ويا مَن هيَّاك تفوُّقك لِتَكون واحِدًا فوق الجميع فَعِشْتَ واحِدًا بين الجميع، يا مَن كانت الرحْمة مهجتك، والعَدل شريعَتَك، والحبّ فطْرَتَك، والسُّموّ حِرْفَتَك ومُشْكلات الناس عبادتَك، سيّدنا ماذا فَعَل ؟ سقى لِفتاتَين مؤْمِنَتَين ترفَّقَ بهما، فأنت كَمُؤْمِن الآن ألَيْس لك بنات أخ وبنات أخت، ألَيْسَ لك جار مُتَوَفّى أولادُهُ أيتام ألَيْسَ لك أن ترْعى هؤلاء، وتُقَدِّمَ لهم مَعونةً، وهَدِيَّة، وأن تُعالِج مريضًا، وأن تحضر تَعْزِيَة، ألَيْسَ بِإمكانِكَ أن تفعَلَ الخير؟ ألَيْسَ لك أن تقوم في مركبتِك عامَّة لامرأة مُحَجَّبَة ؟ ألَيْسَ بإمكانك أن تُعطي مقْعَدَك لِرَجُل كبير بالسِّنّ ؟ ألَيْسَ بإمكانِكَ أن تبْتَسِم لِمَن هم دونَك ؟ أحيانًا تجِدُ مَن يبْخل بابْتِسامة لأخٍ صانِعٍ عندهُ، والابْتِسامة في وَجْه أخيكَ صدَقَة، ألا تستطيع أن تزور أقْرِباءَكَ يوم الجمعة ؟ صلة الرَّحِم ! تنصحهم وتُبلِّغُهم، وتأتي بهم على الجامع، وتأتي بأولاد أخوك على الجامع، ماذا فعل سيدنا موسى ؟ سقى لِفتاتَيْن ابنتي شعيب، قال تعالى:

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)﴾

[سورة القصص]

أبواب الخير مُفَتَّحة على مصارعها.

قال تعالى:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾

[سورة القصص]

اسْتنبط العلماء أنّ المرأة المؤمنة لا تُزاحِمُ الرّجال، ومن صفات المرأة المؤمنة أنَّها تبتعِدُ عن مُزاحَمَة الرِّجال، قال تعالى:

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾

[سورة القصص]

كلمة واحدَة، وكلَّما زاد إيمانك خاطَبْتَ الأجْنبيَّات بِكَلِمَة واحدة جادَّة صارِمَة مُخْتصرة، ما خطبكُما ! وليس في اللُّغة كلمة أقلّ منها، لم يقل: ماذا تفعلان هنا ؟ أنا بِخِدْمتِكم، قال تعالى:

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا(32)﴾

[سورة الأحزاب]

ما خطبكما، يُمْكن أن تبيع النِّساء، ولكن بالجدّ ! هذه سِعْرها كذا ! وأحْيانًا المرأة تقول: نحن جيرانك، وقلبك قاسٍ علينا، ألا تُراعينا ؟! اللّين اجْعَلْهُ مع زَوْجتِك، ليس في البيت دبور وبالخارج شَحرور ! هذا الكلام الطيّب دَعْهُ لِزَوْجتك، ولِمَن تحلّ لك، وابْتِسامتك لِزَوْجتِك وأذْكر مرَّة أنَّني كنتُ بِمَحَلّ تِجاري، وصاحب المحلّ أعْرفُهُ، دَخَلَتْ امرأة فرحَّب بها تَرْحيبًا غير مَعْقول، فأنا مِن شِدَّة أنَّني أعْرِفُهُ مؤمنًا جَزَمْتُ أنَّها أُخْتُهُ وأحد العلماء كان بالصَّدر فعبسَ، فقلتُ له: هذه أخْتُهُ ! ولمَّا ذهَبَت قال لنا: هذه أخْتي.

الآن اسْمعوا الجواب، قال تعالى:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23)﴾

[سورة القصص]

واسْتَنْبَطَ العلماء أنَّ المرأة لا تخرجُ إلا لِضَرورة قال تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا(33)﴾

[سورة الأحزاب]

إذا خَرَجْتِنَّ لِضَرورة فتسَتَّرن، وقد وردَ أنَّ البيان يطْرد الشَّيْطان يقول: هذه أختي كي لا يُساء الظنّ فيه ورحمَ الله عبْدًا جبَّ المغيبة عن نفْسِهِ، لا تجعل نفْسَك في مواضع الشُّبْهة والتُّهْمة، دائِمًا لا تضَع نفْسَكَ موْضِع التُّهْمة، ثمَّ تَلوم الناس إذا اتَّهَموك، فإذا كنت مُسافِرًا وكلَّفْتَ أخ زوْجتِكَ أن يتردَّد على أخته فلا بدّ أن تُبَيِّن للجيران أنَّك مسافر وسوف يتردَّد أخو زوْجتِكَ، حتى لا يشكَّ أحد في عرضِك البيان يطْرد الشَّيْطان، ولا تضَع نفْسَكَ مَوْضِعَ التُّهْمة ثمَّ تَلوم الناس إذا اتَّهَموك، قال تعالى:

﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)﴾

[سورة القصص]

وكل واحِد مِنَّا أيها الإخوة، يستطيع أن يفْعل مائة عمل صالح باليوم وحتَّى أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يكْنُس دارهُ، ويحْلبُ شاتهُ ويخسف نعلَهُ، وكان في مؤونة أهله، فلو أعَنْتَ زَوْجتَكَ هو لك صَدَقة ولو أفْرَغْت دلْوَك في دَلْوِ المُسْتسْقي هو لك صدَقة، طالب علم مِن إفريقيا يجب أن يُقابل أستاذًا له من بيْروت وركِبَ سيارة تاكسي، فهذا التاكسي أوْصَلَ هذا الطالب إلى بيروت وأرْجعَهُ واشْترى له هدايا وقال له لا أريد منك

شيئًا ! وقال له: أُدْع لي، وكذا إذا كنت طبيبًا لك أن تُعين من ليس معه، فأبواب العمل الصالح مُفتَّحَة على مصارعها، قال تعالى:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)﴾

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)﴾

[سورة القصص]

ولا تَنْسَوا قَول الإمام عليّ كرَّم الله وجْهه: الغِنى والفقْر بعد العرْض على الله ! والإنسان إذا وضَع اللُّقْمة في فيِّ زوْجتِهِ يراها مثل أُحُد فأنت في أكلك يمْكن أن تعمل العمل الصالح، رأيتَ قليلاً من اللَّحْم أعطه لِزَوْجَتِكِ، ولِابنك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-18) : تفسير الآيات24-29

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلنا في قِصَّة سيِّدنا موسى عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام، ووصلنا في سورة القصص من هذه القصَّة إلى سيِّدنا موسى مع مَدْيَن في قوله تعالى:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

[سورة القصص]

وأجْمَلُ ما في المرأة حياؤُها، وأكبر شيء يلْفتُ نظَر الرَّجل في المرأة حياؤُها، ومن علامات آخر الزَّمان أنَّ الحياء يُرفَعُ من وُجوه النِّساء وأنَّ النَّخْوَةَ تذْهب من رؤوس الرِّجال، وأنَّ الرَّحمة تُنْزَع من قلوب الأمراء، فلا رحمة في قلوب الأمراء، ولا نَخْوة في رؤوس الرِّجال ولا حياء في وُجوه النِّساء.

قال تعالى:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

[سورة القصص]

علماء النَّفس فرَّقوا بين الأنوثَة وجنس المرأة، فَكُلّ امرأة لها رحِمٌ وأعضاؤُها مُتوافقة مع جنْسِها، هي امرأة، لكنَّ الشيء الذي أكرَمَها الله به أنوثتَها، فإذا خالَطَت الرِّجال، وخرجَت عن منهج الله عز وجل فقَدَتْ أثْمَنَ شيءٍ تَمْلِكُهُ، وهو أُنوثَتُها، وأُنوثَتُها مُتَعَلِّقَةٌ بِحَياتِها ولا يلْفتُ نَظَر الرَّجل في المرأة إلا حياؤُها فالله تعالى قال:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

[سورة القصص]

تَعقيبًا على دَرْس البارِحَة قالتْ له: كلامًا مُخْتصَرًا ومُفيدًا، وموجَزًا ولا يحْتَمِل الحِوار قال تعالى: قالتْ:

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

[سورة القصص]

فلو قالتْ له إنَّ أبي يَدْعوك ! يقول لها: من أبوك ؟ وما المناسبة ؟ ولماذا يَدْعونني ؟ تقول له: إنّ أبي يدعوك لِيَجْزِيَكَ أجْر ما سَقَيْتَ لنا قالتْ كلمَةً جامِعَةً مانِعَةً فيْصلاً لا يحْتمل النِّقاش ؛ فهي قالتْ كما قال تعالى:

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25)﴾

[سورة القصص]

معنى هذا أنَّهُ حينما وكَزَ هذا الرَّجل فقَضى عليه، ما أراد قَتْلَهُ، وليس هذا النَّبي الكريم مُقاتِلاً، فَمَوت ذاك الرَّجل كان قضاءً وقدَرًا، ولِحِكْمةٍ أرادها الله عز وجل، كان مَوْتُهُ على يَدِ هذا النبي الكريم لِيَخْرُجَ من قصر فِرْعون، ولِيَذْهب إلى مَدْيَن، ثمَّ لِيَأتِيَهُ الوَحي ولِيُكَلِّمه الله تَكْليمًا كن لِما لا ترجو أرْجى منك لما ترجو.

قال تعالى

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾

[سورة القصص]

يبْدو أنَّ حياء المرأة واضِحٌ جدًا، فهي اسْتَحْيَت أن تقول: يا أبت زوِّجْني إيَّاه، قال تعالى:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26)﴾

[سورة القصص]

الآن سؤال آخر ؛ إذا كان حياء المرأة وأُنوثتُها هو الذي يلْفتُ نَظَر الرَّجل إليها، فإنَّ قُوَّة الرَّجل وأمانتهُ يلْفِتُ نظَرَ المرأة في الرَّجل فالمرأة تُعْجَب بِقُوَّة الرَّجل وأمانتهِ، والرَّجل يُعْجَب بِحَياء المرأة وهذا في الرَّجل السَّوِيّ، وفي المرأة السَّوِيَّة، قال تعالى:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26)﴾

[سورة القصص]

سيِّدُنا عمر عِمْلاق الإسلام كان إذا أراد أن يُعَيِّنَ واليًا يقول له: خُذْ عَهْدَكَ، وانْصَرِف إلى عملك، واعلمْ أنَّكَ مَصْروف رأس سنتِكَ وأنَّك تصير إلى أربعِ خِلال فاخْتَرَ إلى نفْسِك، إنْ وَجَدْناكَ أمينًا ضعيفًا اسْتَبْدَلناك لِضَعْفِكَ، وسلَّمَتْكَ من مَعَرَّتِنا أمانتُك، وإن وجَدْناكَ خائِنًا قَوِيًّا حازِمًا، اسْتَهَلْنا بِقُوَّتِكَ، وأوْجَعْنا ظَهْرَكَ، وأحْسنَّا أدَبَك، وإن جَمَعْتَ الجُرْمَيْن جَمَعْنا عليك المضَرَّتَيْن ؛ العَزْل والتَّأديب، وإن وَجَدْناك أمينًا قَوِيًّا زِدْناكَ في عَمَلِكَ، ورَفَعْنا لك ذِكْرَك، وأوْطَأنا لك عَقِبَك، والقوَّة والأمانة بِلُغَةِ العصْر الآن، الكفاءةُ والإخلاص والكفاءةُ

مَقْدِرَةٌ على تَصْريف الأمور، والإخلاص هو النَّزاهَة، فإذا كنتَ تُريدُ لِمَحَلِّكَ التِّجاري شابا ابْحَث عن القَوِيّ الأمين، وإن كنتَ تُريد لابْنَتِكَ زَوْجًا فابْحَث عن القويّ الأمين، وإن كنت تُريد مُديرًا لأيّ جهة فابْحَث عن القويّ الأمين ؛ القُوَّة والأمانة خصِيصَتان لِلمَنَاصِ للقِيَادِيَّة قال تعالى:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26)﴾

[سورة القصص]

فهو الْتَفَتَ إلى حيائِها، وهي الْتَفَتَتْ إلى قُوَّتِهِ وأمانتِهِ، فَقُوَّتُهُ حينما سقى لهما، وأمانتهُ حينما قال للفتاة: اِمْشِ ورائي ودُلّيني على البيْت فهي تأثَّرت لِهذه الأمانة.

قال تعالى:

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27)﴾

[سورة القصص]

معنى هذا أنَّ للخاطِبِ أن يرى مَخْطوبَتَهُ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: أُنْظر إليها، والشيء الآخر الذي يُقَصِّر فيه الناس هو أنَّ الإنسان يسْتحي أن يعْرِضَ ابْنَتَهُ على شابٍ وهذا مِن السُّنَّة، وهذا فَعَلَهُ نبِيٌّ كريم، فإذا كانت لك بنْتٌ مُناسِبَة جدًّا، ورأيْتَ شابًّا كُفْأً أمينًا صادِقًا، وعرَضْتَ عليه فتاتَكَ فإنْ وافَقَ فَبِها ونِعْمَت، وإن لم يُوافِق فلا شيء عليك، أما كُلّ أب هو مُكَلَّف أن يبْحَث لها عن شابٍ صادِق وأحيانًا تتزوَّجُ الفتاة صدفَةً، أما الأصْل أن تختار لابنَتِكَ، وإذا كان هو يسْتحي، مَن مَشى بِتَزْويجِ رَجُلٍ بِامرأةٍ كان له بِكُلِّ كلمةٍ قالها وبِكُلِّ خُطْوَةٍ خطاها عِبادة سنة قام ليلها، وصام نهارَها ! وهذا مِن أجلِّ الأعمال ؛ أن تكون شفيعًا بين زَوْجَيْن، إما في عَقْد الزَّواج، وإما في إصْلاح الزَّواج، فالذي يُصلح بين الزَّوْجَين له شأن عند الله عظيم لِقَول الله عز وجل:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال]

فَمِن معاني هذه الآية أن تُصْلِح نفْسَك، ومن معاني هذه الآية أن تُصْلِحَ ما بينك وبين الآخرين، وأيّ علاقة بين اثْنَين، وأجلّ علاقة وأهمّ علاقة بين اثْنَين هي علاقة الزَّوْجَين، لأنَّ عَقْد الزَّواج هو أقْدَسُ عَقْدٍ على الإطلاق، قال تعالى:

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا(21)﴾

[سورة النساء]

فالرَّجل يرى من زوْجتِهِ ما لا يسْتطيعُ أبوها أن يراه، ولا أخوها ولا ابنُها وعمُّها ولا خالها، ولا ابن أخيها ولا ابن أُخْتِها، لذلك قال تعالى:

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27)﴾

[سورة القصص]

فالمَهْر من لوازِمِ عَقْد الزَّواج، وأيُّ عَقْدِ زواج من دون مَهْرٍ فَهُوَ فاسِد لا بدَّ مِن أن يُصَحَّح بِمَهْر المِثْل، وهذه القِصَّة فيها أركان عَقْد الزَّواج قال تعالى: قال إني أُريد أن أنْكِحَكَ " هذا الإيجاب وقوله تعالى:

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾

[سورة القصص]

هذا المَهْر وقوله تعالى:

﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾

[سورة القصص]

دليل رؤْية المَخْطوبة.

قال تعالى:

﴿حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27)﴾

[سورة القصص]

هذه الكلمات في هذه الآية ينبغي أن تكون شِعارَ كُلِّ أب، أنتَ عمركَ خمسًا وخمسين سنة، بيْتُكَ مُرَكَّز، ولك عمل، وتَوَدُّ مِن شاب عمرهُ خمسًا وعِشرون له بيْت بالشَّام !! مُسْتحيل، وتودُّ سيارة، ومحلّ !! هذه طلَبَات تَعْجيزِيَّة، سَلْ نفْسَكَ فقط، ما الذي كنت تَمْلِكُهُ في هذا السِّنّ ؟ كنت مُعْدَم ولا شيءَ معك ! فكَيْفَ زوَّجَك بيْتُ حماك ؟! فَبَعْدَ أن أكْرَمَكَ الله وأعطاك تَجْعَل عَقَبات أمام شاب، وكُلّ إنسان يضَع عَقَبات تَعْجيزِيَّة أمام تَزْويج ابْنَتِهِ كأنَّهُ يُكْرِهُ فتاتهُ على الزِّنا، لأنّ الله تعالى خاطَب المؤمنين، وقال:

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾

[سورة النور]

هذه الآية يَصْعُب فَهْمُها، إذْ لا يُعْقَل مَن يُكْرِهُ فتاتهُ على الزِّنا، لكنَّ علماء التفسير رحمهم الله قالوا: هذه الآية لها معنىً عميق ؛ كُلُّ أبٍ يضَعُ مطالب تَعْجيزِيَّة أمام خاطِب ابنه كأنَّه في النِّهاية يُكْرِهُ فتاتَهُ على الزِّنا فلو كان لك مَحلّ تِجاري ولك دخل مائة ألف باليوم، ولك عامل تُعطيع ألفين بالشَّهْر، والصُّندوق بِيَدِهِ، فأنت ماذا

تفعل له ؟ أنت تحْملهُ على السَّرقَة، فَكُلّ إنسان يضَعُ شروط تَعْجيزِيَّة أمام ابنته، وهو لا يشْعر يَحْمِل ابنتَهُ على الانْحِراف.

خطيب من خُطباء دِمَشق جاء رجل من أهل اليسَار، وشكى له مصيبَةً لا يتحمَّلُها إنسان، فقد كان هو وزوْجَته يرون التلفاز، واشْترى ستلايت لِكَي يرى مكَّة المُكَرَّمة كما قال ! وأثناء تغييره المحطَّات مرَّتْ محطَّة مُنْحطَّة، فرأسًا غيَّرها الأب، الابن أخذَ الرَّقم، وبعدما تعشَتْ الأسرة ونامَت، وقد كان للأب بِنْتَين وولدَين، قام الابن بالليل وشغَّل التِّلفاز على هذه المحطَّة، وأفاق أخوه الثاني وأراه المناظر الخليعَة وفعلاً بِأُخْتَيهما العَجَب، فالأب بالليل سَمِعَ أنينًا غير عادي فلمَّا ذهب لِغُرفة الأولاد، وجَدَ كُل ابن فوق ابنته !!!

قال تعالى:

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾

[سورة القصص]

فإن وجَدَ بيتًا بعيدًا عن العاصِمَة، أو له غرفة مع أوليائه، قل له: أنا مُوافق.

قال تعالى:

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾

[سورة القصص]

هذا القبول، فصار عَقْد الزَّواج إيجابا وقَبولا ومَهْرا، والآن بقِيَ الشاهِدان ؛ قال تعالى:

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (28)﴾

[سورة القصص]

فالله خير شاهِدًا فأصْبَحَ بهذا إيجاب وقَبول ومَهْر ورؤية المَخطوب والشُّهود، ولعلَّ النبي عليه الصلاة والسلام اسْتنبط أركان الزَّواج من هذه القِصَّة.

واسْتَنْبَطَ العلماء أنَّه لا يجوز للزَّوْج أن يُسافر بِزَوْجتِهِ ما لم يَدْفَع لها مَهْرها، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29)﴾

[سورة القصص]

الدرس (8-18) : تفسير الآيات17-23

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلنا في قِصَّة سيّدنا موسى عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام، ووصلنا في سورة القصص من هذه القصَّة إلى قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (17) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾

[سورة القصص]

نبِيٌّ كريم ألْقى الله في قلبِهِ الخوْف، فالخَوف له وظائِفُ تَرْبَوِيَّة والإنسان بالخَوف يرْكض إلى باب الله، وينْدَفِعُ إلى طاعَتِهِ، وإلى الإقبال عليه وينْدَفِعُ إلى الاسْتِعانَة به، والتَّوَكُّل عليه، فالخَوف له مُهِمَّة كبيرة، قال عليه الصلاة والسلام:

((خِفْتُ وما خاف أحدٌ مثلي وأوذِيتُ وما أوذِيَ أحَدٌ مثلي، ومضى عليَّ ثلاثون يومًا لم يَدخل جَوْفي إلا ما يُواريه إبْط بِلال"))

وهو سيِّدُ الأنبياء، وسيِّد ولَدِ آدم ومِن أكرم الخَلْق على الله عز وجل، ومع ذلك:

((خِفْتُ وما خاف أحَدٌ مِثلي، وأوذِيتُ وما أوذِيَ أحَدٌ مثلي، ومضى عليَّ ثلاثون يومًا لم يَدخل جَوْفي إلا ما يُواريه إبْط بِلال.))

قال تعالى:

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً﴾

[سورة القصص]

سيّدنا موسى أصْبَحَ خائِفًا وهو نَبِيٌّ كريم، وهو مِن أولي العَزْم، طبْعًا هذا قبل النُّبُوَّة ولكنَّ الله سبحانه وتعالى اصْطفاه.

فالله تعالى قال:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19)﴾

[سورة المعارج]

خَلَقَ هَلُوعًا كي تنْدَفِعَ إلى بابِه، وكي تَلوذَ بِحِماه، وكي تذوقَ طَعْم القُرْب منه، وحَلاوَة الإيمان به، وحلاوَةَ التَّوَكُّل عليه، كي تَذُوقَ حلاوَة أنَّهُ يَحْميك من كُل عدُوّ فهذا لا يكون بالأمْن ولكن يكون بالخَوف، فالإنسان إذا خاف لا ينبغي أن يشعر أنَّهُ عند الله صغير فالإنسان أحيانًا يخاف، وقد يكون مُسْتَضْعَفا، فاسْتِضْعافُهُ

يؤدِّيه إلى الخوف، والحزن كذلك خلاَّق، أما الطمأنينة والطَّعام والشَّراب والأمْن لا يخلق ولكنَّ الخوف أحيانًا يُفتِّق العَبْقَرِيَّات ودواعي الإيمان، ويدعو إلى الله، والله تعالى حكيم، يعني أمٌّ معها ابنها فترَكَ يدَها، وجاء كلب عقور، فَمِن شِدَّة الخَوف عاد إلى أُمِّه وأمْسَكَ بها فإذا الله خوَّف أحدًا من شبَح مُصيبَة ومن مرض أو بِقَضِيَّة بأولاده وأهله ودَخْلِهِ أو تِجارتِهِ فهذا الخَوْف تَرْبِيَةٌ من الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18)﴾

[سورة القصص]

حينما تسلَّط عليك الناس معنى هذا أنَّ هناك مُشْكِلَة، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ما مِن عثْرَةٍ ولا اخْتِلاجِ عِرْقٍ، وخَدْش عودٍ إلا بِمَا قدَّمَت أيْديكم وما يَعْفو الله أكثر.))

قال تعالى:

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾

[سورة القصص]

مرَّةً ثانِيَة الإنسان حينما يُصاب بِمُشْكِلَة ينْبغي أن يُراجِعَ نفْسَهُ، والله تعالى غَنِيٌّ عن تَعْذيبِهِ، قال تعالى:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

والأمر بِيَدِهِ، ما مِن عثْرَةٍ ولا اخْتِلاجِ عِرْقٍ، وخَدْش عودٍ إلا بِمَا قدَّمَت أيْديكم وما يَعْفو الله أكثر، فلماذا أصابَني ما أصابني ؟! قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18)﴾

[سورة القصص]

البارحة مُشْكلة واليوم مشكلة، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (19)﴾

[سورة القصص]

وسَّع الخبَر، وأعْلَنَ النَّبَأ وأنت قاتِل، وسيِّدنا موسى ما قتَل، قال تعالى:

﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾

[سورة القصص]

قد تكون هناك مُشْكلة أنت منها بريء، وقد تُلبَّسها ! وهذا من تَقْدير الله عز وجل، أحدهم سُرِقَتْ سيارتُه على الساعة الثانية عشرة ليلاً فقال: صباحًا نُخَبِّر المَخفَر ! ففي هذه الأوقات حصل مِن العجب ما حصل ! فالله تعالى قادِر على أن يُلبِّسَك مُشْكلةً أنت بريء منها لِحِكْمة يريدُها تعالى، وكما أنَّ هناك مُشْكِلة حقيقيَّة، ومُشْكلة خيالية، أو يوهِمُك أو يُخيفُك، كانت هناك طالبة تريد أن تتوضَّأ، وطولِبَت بِشَهادة طِبِيَّة فذَهَبَتْ لِفَحْص صَدْرِها في المستشفى فكانت النتيجة أنَّها مُصابَة بِمَرض خطير فابْتَعَدَ عنها أهْلُها وجَعَلوا طعامًا خاصًّا وفي غرفةٍ لِوحْدِها، وانْهارَتْ نَفْسِيًّا وانْعَزَلَتْ عن المُجْتَمَع ثمّ ذهَبَ أخوها إلى المستشفى لِيَرى الخَبر فإذا التحاليل خطأ وفي هذا الوقْت تابَت هي وتَحَجَّبَت وصلَّتْ، فالخطأ يُوَظِّفه الله تعالى لِصالحِ الإنسان.

قال تعالى:

﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (19) ﴾

[سورة القصص]

الآن سيِّدنا موسى نَزيل قَصر فِرْعون، فما معنى قصْر فرْعون ؟ كُلّ شيءٍ مِن أعلى مُسْتوى، فإنسان يعيش في قَصْر فرْعون موْقِفُهُ الأخلاقي وانْتِصارُهُ للحق ورَّطَهُ بِهذه الوَرْطات، قال تعالى:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) ﴾

[سورة القصص]

كان نزيل قصْر فِرْعَون وأصْبَحَ بالطُّرُقات، إلى أين اتَّجَه ؟ فرْعون بِمِصْر، ومَدْيَن في شَمال الجزيرة، معنى هذا أنَّهُ مشى ألفين وخمسمائة كيلومتر ساحِلاً، فلا بدّ أنَّهُ مشَى مُساحِلاً، والمَشْي مُساحِلاً قدَّروها مائتان وخمسمائة كيلومتر، يمشي في الليالي وهو نَبِيٌّ كريم قال تعالى:

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21) ﴾

[سورة القصص]

لكن ما الذي نَكْشِفُهُ في هذه القِصَّة ؟ أنَّه بعد أن خرَجَ مِن قَصْر فِرْعَون وهام على وَجْهه في الطُّرُقات، وفي البراري، ووصَلَ إلى مَدْيَن والْتَقى بِسَيِّدِنا شُعَيْب ؛ نَبِيٌّ كريم وتَزَوَّج ابْنَتَهُ، وفي طريق العَوْدَة جاءهُ الوَحيُ وأصْبَحَ نبِيًّا، وكلَّمَهُ ربُّه، فقال العلماء: كُنْ لِما لا ترْجو أرْجى منك لما ترجو.

هذا التَّشَرُّد انتهى به إلى النُّبُوَّة، وهذا الإخْراج انتهى به إلى العَطاء وهذا الخَوْف انتهى به إلى شُعَيْب، وشُعَيْب انتهى به إلى لا تَزْويج ابْنَتِهِ وبعد أن تزوَّجَ ابنتَهُ وسار بِأَهْلِهِ انتهى هذا به إلى النُّبُوَّة وإلى تكليم الله وهو كليمُ الله، فالإنسان إذا قاسَ على القِصَّة أشْياء كثيرة، فأنت بالغُرْبة تتْرُك أولادَكَ وتُسافِر، وتحسّ بِضَياع وتشَرُّد، فَكُل هذا بِقَدَر والله هو الربّ، وهو المُرَبّي، قال تعالى:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) ﴾

[سورة القصص]

هذا مِن دِفاع الله عنه، فلو لم يخْبِرْهُ لَقُتِلَ فالله عز وجل دافَعَ عنه بِأَنْ أرْسَلَ له هذا الإنسان ونبَّهَهُ، وخرَجَ من مِصْر هائِمًا على وَجْهه وسار في طريقٍ ساحلي، وقَطَعَ المسافات الشاسِعَة إلى أنْ وصَلَ إلى مَدْيَن، وهناك وَجَد من دونهما امرأتين تذودان كم قال تعالى:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23)﴾

[سورة القصص]

ومِن خِلال هذا التَّعارف تزوّج ابْنَة شُعَيْب عليه السَّلام، وفي طريق العَوْدَة سار نَبِيًّا مُرْسَلاً مِن أولي العَزْم، فعلى الإنسان أن يسْتَقِم وفقط ولْيَتْرُكْ أمْرَهُ إلى الله، لِيَعْبُدِ الله ولن يُصيبَهُ إلا الخير، ولو بدى له أنَّ هناك مُشْكلات ومتاعِب وإحْراجات ومصائِب، لكنَّ الله سبحانه وتعالى بعد كُلِّ ذلك يُبَدِّل المَخاوِف إلى طُمأنينة والمتاعب إلى عطاءات والإنسان إذا لم تُشْرق نِهايَتُه فلن تُشْرِق نِهايَتُه، وما هذه القِصص إلا مِن أجل أن نقيس عليها أنْفسنا، فلا يتألَّم الواحد ويخاف، ولْيَكُنْ راضِيا عن الله وقد كان يقول الإمام عليّ: **والله لو كُشِفَ الغِطاء ما ازْدَدْتُ يقينًا،** فكان هذا الإمام الجليل قبل كَشْف الغِطاء يقيه برحمة الله وعدالَتِهِ كي يقيهِ بعد كَشْف الغِطاء، وكان يقول: **والله لو عَلِمْتُ أنَّ غدًا أجلي ما قَدَرْتُ أن أزيدَ في عملي،** وكان يقول: **قِوام الدِّين والدُّنيا أربعة رِجال عالم مُسْتَعْمِلٌ عِلْمَهُ، وجاهِل لا يسْتنكِفُ أن يتعلَّم، وغَنِيٌّ لا يبْخَل بمالهِ، وفقير لا يبيعُ آخرَتَهُ بِدُنْياه،** فإذا ضيَّعَ العالم عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ أن يتعلَّم، إذا بَخِلَ الغنيُّ بِمالهِ باع الفقير آخرته بِدُنيا غيره وكان هذا الإمام يقول: **الناس ثلاثة ؛ عالِمٌ ربَّاني، ومُتَعَلِّم على سبيل نَجاة وهَمَجٌ رعاع أتْباع كُل**

ناعِق، لم يستضيئوا بِنُور العِلْم، ولم يلجئوا إلى رُكنٍ وثيق، فاحْذَر يا بُنَيَّ أن تكون منهم، يا بُنَيّ العِلْم خير من المال لأنَّ العِلْم يَحْرُسُكَ، وأنت تحْرسُ المال، والمال تنقِصُهُ النَّفَقَة، والعلم يزْكو على الإنفاق، يا بُنَيَّ مات خُزَّانُ المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقيَ الدَّهْر، أعْيانهم مَفْقودهم، وأمثالهم في القلوب مَوْجودة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-18) : تفسير الآيات 29 - 32

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلنا في قِصَّة سيّدنا موسى عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام، ووصلنا في سورة القصص من هذه القصّة إلى قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29)﴾

[سورة القصص]

أيْ دفَعَ مهْر زَوْجَتِهِ رِعايَةً لأغنام والد زوْجته سيّدنا شعيب، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً﴾

[سورة القصص]

قال العلماء: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فأحيانًا خير كبير يأتيك لِسَبب صغير، قد تُسافر إلى بلْدة فيأتيك منها الخير الكثير، وقد تلتقي بإنسان ولا تعبأ به، ويكون لِهذا اللّقاء خير كبير، فالقاعدة: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، سيّدنا موسى حينما أراد أن يبْحث عن نارٍ يصطلي بها هو وأهله، عندها ناجاه الله عز وجل، وكان هذا النبي الكريم كليم الله، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) ﴾

[سورة القصص]

تصْطلون أي تستدفئون بالنار، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) ﴾

[سورة القصص]

الحقيقة أحيانًا يردُ لفْظ الجلالة مع ضمير الجَمع، قال تعالى:

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ(23)﴾

[سورة الحجر]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ(40)﴾

[سورة مريم]

ولكن في قوله تعالى:

﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30)﴾

[سورة القصص]

العلماء قالوا: ربُّنا جلَّ جلاله إن تكَلَّم عن ذاتِهِ كان الضَّمير مُفْرَدًا وإن تكلَّم عن أفْعالهِ كان الضَّمير جمْعًا، فإن تكلَّم عن أفعاله، فأفعالُهُ فيها الأسماء الحسنى كُلَّها، وكُل فعْلٍ من أفعالهِ فيه رحْمَة، وعلمٌ وحكمَةٌ وعدْل، فإنْ تكلَّم عن أفعاله فَبِضَمير الجمْع، وإن تكلَّم عن ذاتِهِ فبِضَمير المُفْرَد، قال تعالى:

﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30)﴾

[سورة القصص]

وهناك آية أخرى وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى(17)﴾

[سورة طه]

فالله عز وجل حينما ناجى موسى عليه السلام ؛ شيء لا يُصَدّق، قال تعالى:

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى(18)﴾

[سورة طه]

أراد أن يطيل اللِّقاء ! قال تعالى:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى(17)﴾

[سورة طه]

يبْدو أنَّهُ اسْتحيى من إطالة الحديث، لكنَّ حقيقة المناجاة أنَّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يلْفتَ نظر هذا النبي الكريم، إلى أنَّ هذه العصا التي هي من خَشَب بعد قليل سَتَغْدو حيَّةً، والحقيقة أنَّهُ ورَدَ مرَّةً ثعبان وأخرى حيَّة، لفظ سيِّدنا موسى حيَّة لِكَي لا يشْتَدَّ خوْفُه، أما حينما واجَهَ السَّحَرة، قال تعالى:

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ(32)﴾

[سورة الشعراء]

ففي معْرض المناظرة أمام السَّحرةِ كانت هذه العصا ثعْبانًا مُبينًا، أما فيما بينه وبين نفْسِه فهيَ حيَّةٌ تَسْعى، الفرق في القرآن الكريم دقيق جدًّا، ومعنى هذا أنَّ المؤمن يجب أن يُناجِيَ الله عز وجل، ولا يوجد مؤمنٌ صادِق ليس له مع الله تعالى مُناجاة، فإذا أرَدْتَ أن يُحَدِّثَكَ الله تعالى فاقْرأ القرآن وإذا أرَدْتَ أن تُحَدِّث الله تعالى فادْع، إنَّ الله يُحِبُّ مِن عَبْدِهِ أن يسألهُ شِسْعَ نعْلِهِ إذا انْقَطَع ! هل هناك أكثر من هذا ؟ إنَّ الله يحبّ من عبْدِهِ أن يسألهُ ملْح طعامِهِ، إنَّ الله يُحِبُّ من عبْدِهِ ان يسْألهُ حاجتَهُ وإنَّ الله يُحِبُّ المُلِحّين في الدُّعاء، ومَن لا يدْعوني أغْضب عليه، يا موسى سَلْني حاجَتَكَ كُلَّها، فهؤلاء أنبياء عِظام مِن أولي العَزْم ولكن كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ))

[رواه البخاري]

وإنَّ الله تعالى أمَرَ المؤمنين بِما أمرَ به المرْسلين، فاسْتَقِم كما أُمِرْت ومنْ تاب معك، معنى ذلك أنَّنا مُكَلَّفون أن نكون على منهج الأنبياء، وأن نقْتفي أثَرَ النبي عليه الصلاة والسلام، فالنبي ناجى ربَّهُ ففي الطائف قال:

((إنّي أشْكو إليك ضَعْف قُوَّتي، وقِلَّة حيلتي، وهواني على الناس يا ربّ المُسْتَضْعَفين، إلى مَن تَكِلُني ؟ إلى عَدُوٍّ ملَّكْتَهُ أمْري أم إلى صديق يتجشَّمني، إن لم يكن بِكَ غضب عليَّ فلا أُبالي ولك العتبى حتَّى ترْضى ولكِنَّ عافِيَتُكَ أوْسَعُ لي))

فالمؤمن الصادِق له مُناجاة مع الله، إن في صلاة قِيام اللَّيل، وإنْ في السُّجود، وفي دُبر كُلّ صلاة وأقرب الدُّعاء إجابَةً ما كان عقب الصَّلاة، عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فَقَالَ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))

[رواه البخاري]

فالدُّعاء مَطْلوب عقِبَ الصَّلوات الخمْس، وكذا الاسْتِغْفار، والحَمْد والتَّكبير، هذه الكلمات التي ردَّدَها المسلمون دون أن يفْقهوا مَعْناها فقَدَتْ مَدْلولَها.

قال تعالى:

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ (31)﴾

[سورة القصص]

أيخافُ نبيّ ؟ نعم الأنبياء يخافون، ولولا أنَّهم تَجْري عليهم كُلّ خصائص البشَر لما كانوا صَفْوَة البشَر، فلو كان عندي خمسون طالبا في الصفّ وأعْطَيْتَ الأسئِلة لأحَد الطُّلاب فهل له فضْل ؟! أما الفضل في التَّفوُّق حينما يأخذ الأسئِلة لِوَحْدِهِ ويُجيب عليها، فالله عز وجل لو منَحَ الأنبياء قُدْرات غير قدرات البشَر، ومنع عنهم الشيطان لما كان لهم فضل عن البشَر، ولكن حينما جعَلَهُم البشر حازوا على التَّفوُّق اللهمّ إنّي بشر أغْضَبُ كما يغْضبُ البشَر، وأرْضى كما يرْضى البشَر وأنْسى كما ينْسى البشَر، فقد نسِيَ النبي عليه الصلاة ركعتين في الظُّهْر وقال حينها:

((إنَّما نُسّيتُ كي أسُنَّ لكم))

لولا أنَّ الله أنْساهُ، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ (31)﴾

[سورة القصص]

قال تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾

(سورة الأنعام)

نِعْمةُ الأمْن لا يعْدِلُها نِعْمة على الإطلاق، قال تعالى:

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ(4)﴾

[سورة قريش]

فالسَّلامة هي عدمُ وُقوع المُصيبَة، ولكنَّ الأمْن أن لا تتوَقَّع المُصيبة وتوَقُّعُ المصيبة مصيبَةٌ أكبر منها، وإنَّ أكبر نعْمةٍ تُرافِقُ الإيمان هي نِعْمةُ الأمْن، قال تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

وقال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ(48)﴾

[سورة الطور]

وإذا كان الله معك فَمَن عليك، وإذا كان عليك فَمَن معك ؟ يا رب ماذا وجَدَ مَن فقَدَك، وماذا فقَدَ مَن وجَدَك؟!

فالله تعالى قال:

﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ (31)﴾

[سورة القصص]

وكُلّ مؤمنٍ آمِن، وإنّ الله يُعطي الصِحة والجمال والبشَاشَة والمال لِكَثيرين مِن خلْقِهِ ولكن يُعْطي السَّكينة بِقَدَرٍ لأصْفيائِهِ المؤمنين، وفي القلب المؤمن من الأمْن ما لو وُزِّع على أهل بلدٍ لكفاهم، قال تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾

[سورة الأنعام]

قال تعالى:

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ(32)﴾

[سورة القصص]

لمَّا يقول إنسان لِطُغاة وعُصاة أنا رسول الله، فأوَّلُ سؤالٍ يسْألونه: ما الدليل على ذلك ؟! لا بدَّ من أن يُعْطِيَهُ الله خرقًا للقوانين، فسيّدُنا موسى ألْقى عصاهُ فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يدَهُ فإذا هي بيْضاء للناظرين، وسيِّدنا إبراهيم قال تعالى:

﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ(69)﴾

[سورة الأنبياء]

وما مِن نَبِيٍّ إلا وجاء بالمُعْجزة، ولكن أعْظم مُعْجزة على الإطلاق هي مُعْجزة النبي عليه الصلاة والسلام ؛ فَمُعْجِزات الأنبياء تتألَّق وتنطفئ، وهي قُدْسِيَّة، وتبقى خبرًا يُصَدِّقهُ ويُكَذِّبُهُ مَن يُكَذِّبُه إلا أنّ مُعْجزة النبي الكريم مُعْجزةٌ مُستمرَّة، فالعِلْم كُلَّما تقدَّم كشَف عن جانبٍ من جوانب القرآن الكريم، وكلُّكم يعْلم أنَّ الطائرة يُضَخُّ هواؤُها ثمانِيَة أمْثال حجمها، لِيَكون الضَّغط على ارْتِفاع أربعين قدَم كالضَّغط على الأرض، أما لو صعد الإنسان طائرةً ليس فيها ضَغْط هواء فماذا يحْصل له ؟ مِن سَطح البحْر إلى عشْرة آلاف قدَم لا يشْعر بِشَيء ومِن عشْرة آلاف قدم إلى ستَّة عشرة قدم، الله تعالى هيَّأ في الجِسْم أجْهِزَة تكافئ هذا النَّقْص

بالأكسجين ؛ تَزْداد ضَربات القلب، ويزْداد وجيب الرِّئتين ويرتفعُ ضَغْط الدَّم، هذه العوامل تجعل التَّهوية نفْسها، وبعد ستَّة عشرة ألف قدَم إلى خمس وعشرون قدَم يفْقدُ الإنسان وَعْيَهُ، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ(125)﴾

[سورة الأنعام]

وهذه الآية هي مِن إعْجاز القرآن العلمي، نقْصُ الأكسجين من الصِّفر إلى عشْرة آلاف لا نشْعر به، ومن عشرة آلاف إلى ستَّة عشرة ألف قدَم ؛ هناك بالجِسْم أجْهزة تُعَوِّض النَّقْص، يزداد نبْض القلب، ويرتفع الضَّغط ويبقى الأكسجين نفسهُ، ولكن بعد ستَّة عشرة ألف قدَم يغيبُ وَعْيُ الإنسان، ونقْص الضَّغط ماذا يُسَبِّب ؟ آلام لا تُحْتَمَل في الأُذُن وآلام في المفاصِل، وآلام في الأمعاء، لأنَّ غازات تتمدَّد من الضَّغْط وقد تتمزَّق رئة الإنسان.

في الدرس القادم، قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33)﴾

[سورة القصص]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-18) : تفسير الآيات32-37

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلنا في قِصَّة سيّدنا موسى عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام، ووصلنا في سورة القصص من هذه القصَّة إلى قوله تعالى:

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ(32)﴾

[سورة القصص]

واليوم إن شاء الله سَنَتَناوَل قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (35)﴾

[سورة القصص]

هناك اسْتِنباطات كثيرة ؛ أوّلاً النبي بشَر، يخاف كما يخاف البشَر ويغْضَبُ كما يغْضب البشَر، ويَنسى كما ينسى البشَر، ولولا أنَّهُ بشَر لما كان مُتَفَوِّقًا، فلأنَّهُ تَجْري عليه كُلُّ خصائص البشَر كان صَفْوَة البشَر، فلو أنَّ النبيّ ملكًا لما كانت له حجَّة علينا، الكلمة التي نقولها له دائِمًا: أنت ملَك، ولَسْتَ تُعاني من الشَّهوات التي أوْدَعَها الله فينا ولكنَّ النبيّ بشَر، وتفوَّق على البشَر فاصطفاه الله، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ(33)﴾

[سورة آل عمران]

فالمؤمن إذا كان بالطريق ورأى النِّساء الكاسِيات العارِيات، ألا يَشْتهي أن ينْظر ؟ يشْتهي كَغَيْرِهِ ولكِنَّهُ غلَّب خوف الله على شَهْوَتِهِ فغضَّ بصَرَهُ، وإذا كان بين يَدَيْكَ مالٌ وفير أفلا تشْتهي أن تأْخُذَهُ ؟ تشْتهي ولكنَّ خَوْف الله عز وجل غلبَ عليك فقُلْتَ إنّي أخاف الله رب العالمين فالمؤمن بشَر، ولأنَّهُ بشر ويشْتهي كما يشْتهي البشَر ويخاف كما يخاف البشَر، ويرْجو كما يرْجو البشَر، وانْتصَر على بشَرِيَّتِهِ وخاف مقام ربِّه، ونهى نفْسَهُ عن الهَوى أكْرَمَهُ الله تعالى ورفَعَهُ، هذه عدالة، وتكافؤ فُرَص، ومكان واحِد يبْدأ به السِّباق، فلو أنَّ أحدًا أعْطِيَتْ له أجْوِبة الامْتِحان، فهل لِهذه الدَّرجة والشَّهادة قيمة ؟ لا إطلاقًا.

قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ(6)﴾

[سورة فصلت]

خاف النبي وقال:

((خِفْتُ وما خاف أحَدٌ مِثْلي، وأوذِيتُ وما أوذِيَ أحَدٌ مثلي، ومضى عليَّ ثلاثون يومًا لم يَدْخُل جَوْفي إلا ما يُواريه إبْطًا))

فالنبي يجوع ويعْطش، ويشْعر بِوَطْأة الحرّ، وشِدَّة البرْد، ويخاف ويرْجو، ولكنَّهُ انْتَصَر على بشَرِيَّتِهِ، فالإنسان فيه نوازِع سُفلى ونوازِع عُلْيا، وحينما تنتصل نوازِعُهُ العليا على نوازِعه السُّفلى يَرْقى عند الله، وحينما تنتصر غرائِزُه على مبادئِهِ يسْقط من عَيْن الله ولأنْ يسْقط الإنسان من السَّماء إلى الأرض فتَنْحَطِمَ أضلاعه أهْوَنُ مِن أن يسْقط مِن عَيْن الله ! فالإنسان قد يحوز المال الوفير، وقد يتسلَّم أعلى المراتب، وقد يتألَّق نَجْمُهُ في الدنيا، أما إذا كان ساقِطًا مِن عَين الله، فإنَّ كلّ هذا لا قيمة له، قال تعالى:

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾

[سورة الغاشية]

هذا أوَّل اسْتِنباط.

قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33)﴾

[سورة القصص]

هناك آياتٌ أخرى تُوَضِّحُ هذا الموْقف، قال تعالى:

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى(46)﴾

[سورة طه]

هذه الآية وحْدها تملأُ النَّفْس طمأنينة، قال له: يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موطئ قَدَمِهِ لرآنا ! قال له:

((يا أبا بكر، ما ظنُّك باثْنَين الله ثالثهما !!))

وبعض الرِّوايات تروي أنَّه قال له: يا رسول الله لقد رأوْنا وقَعَتْ عيْنُ أحدهم على عَيْن أبي بَكر، فقال يا أبا بكر:

﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ(198)﴾

[سورة الأعراف]

وهذا يُطَبَّقُ في كُلِّ وقت، فالله إن حفِظَك فإنَّ خَصْمَكَ لا يرى شيئًا ولا يراك إطلاقًا، ولا يرى المُخالفَة لذا لا تقل هذه شطارةٌ مِنِّي !! بل هذا حِفْظ من الله تعالى، لأنّ المؤمن كما قال بعض العلماء على حسب إيمانه وإخلاصِهِ واسْتِقامَتِهِ وورَعِهِ له من بعض الآيات نصيب ألم يقل الله عز وجل لِنَبِيِّه الكريم:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[سورة الطور]

وللمؤمن الصادق الحذِر والمشتاق نصيبٌ من هذه الآية.

قال تعالى:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي ﴾

[سورة القصص]

لو كان بالمَجْلس خمسة وكان أحدهم أفْصَحهم وأطلقهم لِسانًا، وقَوِيّ الحجَّة وواسِعَ البيَان وتكلَّم فلا تُقاطِعْهُ ودعْهُ يتكلَّم، إذْ هناك أشْخاص لا بدّ لهم مِن أن يُثْبِتوا وُجودَهم، يُقاطِع حديثَك، ويقول لك: ولماذا لا أتكلَّم أنا؟! فقط هو الذي يعرف الحديث والكلام، لذلك ورَد في الأثر: إذا عزَّ أخوك فَهُنْ سيِّدُنا موسى نبيٌّ ومُرْسَل، لكن عندهُ عُقْدة بِلِسانِهِ وأخوه هارون أفْصَحُ منه، فإذا كان هدفُكَ المَصْلَحَة العامّة فأنت ترْسِل الرَّجل المناسب في المكان المناسب، هذا إن كان هدَفك نشْر الدَّعْوَة وإقْناع الطَّرف الآخر، فإنَّك تختار أفْضل واحد، ونِيَّتُكَ العالِيَة تجْعل أعمال الآخرين في صحيفتك، فلو أنَّ أحدكم يعرف مَن هو طليق اللِّسان وقَوِيّ الحُجَّة، وتكلَّم فاصْغ له، وأعِنْهُ، فقد حضَرْتُ مرَّةً حفْلَةً قال فيها أحد الخُطباء: إن لم يكن الإنسان داعِيَة ولم يكُن عنده قُدْرة على إقْناع الناس فلْيَدْعم داعِيَةُ يُعينُه، فَكُلٌّ مِنَّا يُعين داعِيَة، ومُرْشِد وعالِم له مثل أجْره، والله عز وجل يُقَدِّر كُلّ شيء، قد تجد مَن يعمل في الخفاء بِمَالِهِ وسلطَتِهِ، وحتى طلاقة لِسانِه، فالحياة أدْوار، فَلو أنَّ كلاً مِنَّا أخَذَ دَوْرَهُ الحقيقيّ لكان لِكُلّ مِنَّا أجر، ونحن الحياة نجدُّ فيها تناسق وتعاوُن.

قال تعالى:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾

[سورة القصص]

لذلك الله في عَوْن العَبْد ما دام العبْد في عَون أخيه، ويدَ الله مع الجماعة، وعليكم بالجماعة فإنَّ الشيطان مع الواحِد، وهو من الاثْنَيْن أبْعَد، وإنَّما يأكل الذِّئب من الغنَم القاصِيَة ! فلو أنَّ لِكُلٍّ مِنَّا مَجْلِس علْم معنى هذا أنَّ له إخوان، وله أخ يثِقُ بِعِلْمِهِ وورَعِهِ يسْتشيره ويأنسُ برأيِهِ، وأحياناً يشْكو همَّهُ لأخيه لِيُصَبِّره لا لِيَشْمَتَ به، فالجماعة رحْمة، والإنسان إذا كان يعيش لوحْده أو بين جماعة مُنْحرِفَة فالحياة تكون حينها جحيمًا على جحيم، لكنَّ صُعوبة الحياة مع أخٍ مؤمن تشْكو له همَّك، وتسْتَرْشِدُه وتسْنتصِحُهُ، وتسْتنصره وتسْتعينُهُ، وهكذا قال النبي:

((أتدرون ما حق الجار ؟ إذا اسْتعان بِك أعَنْتَه وإذا اسْتَنْصَرَك نصَرْتَه، وإذا اسْتقْرَضَك أقْرَضْتَه، وإذا أصابهُ خير أقْرَضْتَه، وإن أصابَتْهُ مصيبة عزَّيْتَه، ولا تسْتَطِل عليه بالبناء فَتَحْجُب عنه الرِّيح إلا بإذْنِه، وإذا اشْتَرَيْتَ فاكِهَةً فأهْدِ له منها، فإن لم تفْعَل فأدْخِلها سِرًّا، ولا يخْرج بها ولدك لِيَغيض ولده، ولا تؤْذيه بِقُتار قِدْرِك إلا أن تغرف له منها))

هذا الجار العادي، فكيف بالجار المؤمن ؟ والجار المؤمن القريب ؟ لي صديق غاب عنِّي في أيِّ طابقٍ هو! طرقْت الباب وسألْتُ عنه فقيل لي: لا نعْرِفُهُ ! وكذا في الطابق الذي بعده، فقال لي: لا نعْرفهُ ! فقُلْتُ: والله هذه وَصْمة عارٍ لهذه البنايَة، جارٌ يسْكن الطابق الثالث، والذي في الطابق الرابِع لا يعْرِفُهُ، والذي في الطابق الثاني لا يعْرِفُهُ !! هكذا يُريدُنا أعْداؤُنا أن نتفرَّق، ونحن نسْمع من السَّلف الصالح أنَّه إن دخل الإنسان وكان معه ضَيْف يأتيه خمسون صحنا من الجيران، وكان الحيّ أُسْرَةً واحِدَة، وإذا تخلَّف إنسانٌ عن صلاة الفجْر يذْهبون إليه لعلَّهُ مريض.

أيها الإخوة، قال تعالى:

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾

[سورة القصص]

لذلك هناك أمْر إلهي، قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(2)﴾

[سورة المائدة]

تعاونوا لِتَشْغيل الشَّباب وإنشاء مساكِن لهم، قرأتُ خبرًا باليَمَن زواج جماعي خمسمائة وثلاثًا وثلاثين شابًّا وشابَّة ؛ جمْعِيَّة خيْرِيَّة تُزَوِّج الشباب، هذا هو الذي يُرْضي الله عز وجل، قال تعالى:

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآَيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (35)﴾

[سورة القصص]

فإذا كان الله معك فَمَن عليك، إذا كان عليك فَمَن معك ؟! الأنبياء مَعْصومون من الخطأ، ومَعْصومون من القتل، لأنَّه بِقَتْلِهِم تقتل الدَّعوة، لذلك قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(67)﴾

[سورة المائدة]

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (36)﴾

[سورة القصص]

فأحد الشَّباب كان يلتفُّ حوله الناس، وقد أقْبلوا عليه إقبالاً شديدًا فأصحاب الحرفة من أنداده غاضَهم هذا العالم وإقبال الناس عليه فذَهَبَ أحدهم لِيُصَغِّرَهُ أمام التلاميذ، فلمَّا أقبل الناس حوله وأتمّ درْسَهُ وقف هذا العالم وقال لهذا الشاب: يا هذا، إنَّ الذي قلْتَهُ ما سَمِعْناه ! مِن أين جِئْتَ به ؟ فقال له: أوَ تَعَلَّمْتَ العِلْم كُلَّهُ ؟ فقال: لا، فقال: كم تعلَّمْتَ من العِلْم ؟ فقال: شطْرهُ ! فقال هذا الشاب، وهذا من الشَّطْر الذي لا تعرفُهُ، دائِمًا حُجَّة أعْداء الدِّين ؛ ما سَمِعْنا بهذا ! دائِمًا المُنْحرِف يَحْتجّ بالتَّقاليد والعادات، والتقاليد إذا كانت بالية، والعادات إن كانت مُصادِمَة للشَّرْع فإنَّا نضعها تحت أقْدامنا.

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (36) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37)﴾

[سورة القصص]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (11-18) : تفسير الآيات36-38

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلنا في قِصَّة سيِّدنا موسى عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام، ووصلنا في سورة القصص من هذه القصَّة إلى قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (36)﴾

[سورة القصص]

وذَكَرْتُ لكم البارِحَة أنَّ المُنْحرِف والعاصي يتمسَّك بالتَّقاليد والعادات ويتمسَّك بِما ألِفَهُ عن عاداته وأجْداده ولو كان مُخالفًا للشَّرع، ولكنَّ المؤمن يتمسَّك بالوَحي، ويتمسَّك بِما أنزل الله على نبيِّه، فالحسَنُ ما حسَّنَهُ الشَّرْع، والقبيح ما قبَّحَهُ الشَّرْع، ولو أنَّك تَمْلِكُ آلةً عظيمة النَّفْع وأصابَها عطب يُمْكنُك أن تسأل ألف رجل عن إصْلاحها، ولكنَّ الكلمة التي ينبغي أن تُصغي إليها هي كلمة الخبير والصانِع، فَهُناك ألف رأي ورأي وألف مَقولة ومقولة وهذا بِأَيِّ مَوضوع، بِأيِّ موضوع في حياتِك، وفي تعليم أولادك، وفي بناتك وزَوْجَتِك، وفي إنفاقك للمال ألف موضوع وموضوع، وممكن أن تتلقَّى عن الموضوع الواحِد ألف رأيا ورأيا، إذا كنتَ مُوَفَّقًا وعاقِلاً فإنَّك تبحث عن حُكم الشَّرْع، لأنَّك وِفقَهُ سَتُحاسَب وليس وفق زيْد أو عُبَيد، ولأنَّك وفق هذا الشرع سَتُحاسب لذا قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (36)﴾

[سورة القصص]

بالمناسبة أيها الإخوة، الإنسان المؤمن لا يسْتشير فاسقا ولا العاصي قال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

وقال تعالى:

﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(15)﴾

[سورة لقمان]

هذه نقطة، والنُّقْطة الثانِيَة: لا يتَّخِذ المؤمن وبيئة وأصْدقاء وجماعة وأصْحاب وثُلَّة غير مُنْضبِطَة بالشَّرع لأنَّ الصاحب ساحب، لا تسل عن المرءِ وسَل عن قرينه، وقال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ(119)﴾

[سورة التوبة]

سعادة الإنسان أن يكون إخْوانُهُ مؤمنين، حفلة وسيران ونزهة ووليمة هؤلاء يجب أن تخْتارهم اخْتيارًا حكيمًا، فإذا اخْتَرْتَهم من أهل الدنيا فأنت مِن أهل الدنيا، وينبغي أن تختارهم من أهل الدِّين كي يُعينوك على طاعة الله ويأمروك بالمعروف ويَنْهَوْكَ عن المُنكر، ويُقَوُّوا عزيمَتَك لذلك قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(51)﴾

[سورة المائدة]

ولا يتّخذ الإنسان إنسانًا وليًّا من دون الله إن لم يَكُن مستقيمًا، والدليل أقْوالهم دائِمًا تُشَكِّك وتُضْعِفُ الهِمَّة، وتُقَوِّي الشَّهوة، وتُبْعِد عن الآخرة، أما المؤمن يُقَرِّبُك من الدِّين، ويُقَوِّي عزيمَتَك، لذا لا تُصاحب مَن لا يُنْهِضك حالهُ ولا يَدُلُّك على الله مقالُهُ.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37)﴾

[سورة القصص]

هناك نقطة دقيقة ذَكَرْتُها كثيرًا ؛ لو أنَّك تَمْلِك كيلو معْدَن، وكان هذا المعْدنُ ذَهَبًا، وكُلّ الناس يظُنُّه معْدَنًا خسيسًا، مَن الرابح ؟ أنت هو الرابح، ولو أنَّك تمْلكُ معدنًا خسيسًا، وبِذَكاءٍ بارِع أوْهَمْتَ الناس أنَّه معْدنٌ ثمين، من الخاسِر ؟ أنت هو الخاسِر، لذا فأنت علاقتُكَ مع نفْسِكَ وليس مع أحَد، فإذا كنت على الحق فلا تخْش في الله لَوْمَة لائِم قال تعالى

﴿: قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ(91)﴾

[سورة الأنعام]

أما العوام وضِعاف العُقول يقولون: سيَضْحكون عليّ، ويقولون بخيل إن لم أُقِم حفْلَةً مُختلَطَة، وبالمكان الفلاني ! لذا حينما تضَعُ التَّقاليد تحت قَدَمِك فأنت مؤمن، ولا تعْبأ، والفتاة المؤمنة كُلّ المودات البِدْلات الحديثة تحت قَدَمِها، وترْتدي ثِيابًا ساتِرَةً، ومُحْتَشِمَةً، فما دام هناك آلِهَة تُعْبَد كالإله، وأصْبَحت الشَّهوات إله، وكذا العادات ذَكَرْتُ لكم قبل أُسْبوعَين أنَّ أحَدَ الآباء قام بالليل على الساعة الثانية وإذْ يسْمعُ أنينًا، والحاصل أنَّ ابنهُ كشف أحد المحطَّات الخليعة، ووجدَ ابنه الأوَّل فوق ابنته، والثاني فوق ابنته !!! والذي قال هذا هو الذي حصلَتْ له المشكلة، طوبَى لِمَن وَسِعَتْهُ السنَّة ولم تسْتهْوِهِ البِدْعَة وأحدهم اشْترى آلة تَصْوير فيدْيو، وبِوَسْوَسة من الشَّيطان صوَّر نفْسَهُ مع زوْجته بأوضاع مُزْرِيَة! فاسْتأجَر أحد الأيام أفلام وبالخطأ وضَعَ هذا الفلم الذي صوَّره مع زوْجَتِه في علبة من العلب التي اسْتأجَرَها !! صاحب الأفلام هذا وجَد أنَّ هذا الفلم لم

يُعْطِهِ له، ووجدَ الفيلم جيّد طبَعَهُ ووزَّعَهُ، ووصَل لأخ صاحِب المُشْكلة، ووجَدَ أخوه وامْرأة أخيه !! والآن سافر وهرب إلى حَمْص، طوبَى لِمَن وَسِعَتْهُ السنَّة ولم تسْتهْوِهِ البِدْعَة، قال تعالى:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ(116)﴾

[سورة الأنعام]

نحن الآن نريد بيتًا مُسْلِمًا، خالي من الفسق والفُجور، ولا أجْهزة لَهو وجلسات فيها مودَّة ورحْمة.

فالله تعالى قال:

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾

[سورة القصص]

إن كنت على الحق فلا تعْبأ بكلام أحد، ولا تأخذْك بالله لومة لائِم ولا تُبالي ومَن عرف نفْسَهُ ما ضرَّتْهُ مقالةُ الناس به، أحدهم وجد داعِيَة مُخْلصا لله تعالى، فقال له: إنيّ أُشْفق عليك مِمَّا يقوله الناس عنك ! فقال: هل سَمِعْتَ مِنّي عنهم شيئًا ؟ فقال: لا، فقال: عليهم فأشْفِق ! برئ مِن الشُّح مَن أدَّى زكاة مالهِ، وبرئ من الكِبر مَن حمَل حاجتَهُ بِيَدِه، و برئ من النِّفاق مَن أكثر من الذِّكْر، فهذا سيّدنا الصِّدّيق سار إلى جانب أُسامة ابن زيْد، فأُسامة يرْكب الناقة وهو قائِدُ الجيْش وخليفة رسول الله يمْشي، فقال أسامة: **والله، يا خليفة رسول الله لَتَرْكَبَنَّ أو لأنْزِلَنَّ**، فقال: **والله لا نزلتَ ولا ركبْت، وما عليَّ أن تغْبرَّ قدَمايَ ساعةً في سبيل الله** ! فالنبي عليه الصلاة والسلام عيَّنَهُ قائِدًا للجَيْش وكان عمره سبْعة عشرة سنة ! وفيهم عمر وعثمان وعليّ ومِن أجْل أن يُرسِّخ الصِّديق مكانَتَهُ سار في رِكابِهِ، أين شباب السابعة عشرة اليوم ؟ بالكرة ؛ هذا إن كان نظيفًا كثيرًا، أما سيِّدنا أُسامة فقد كان قائِد جَيش، وفيهم عمر بن الخطَّاب، قال تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37)﴾

[سورة القصص]

هناك سؤال دقيق وهو أنّه لمَّا قيل للنبي صلى الله عليه وسلَّم: إنَّك مَجنون ! وقالوا: إنَّك ساحِر، وقالوا: إنَّك كاهِن، كُلّ هذا قِيل ولكنّ السؤال: لماذا أثْبَتَ الله هذه التُّهَم في القرآن الكريم تُتْلى إلى يوم الدِّين ؟ قال: أثْبتَ هذه التُّهَم لِتَكون عزاءً لِكُلّ مؤمن إلى يوم الدِّين فإذا قالوا لك: أنت جامِد، ولسْتَ مُنْفَتِحا، مُتَزَمِّت، فأنت لك في النبي أُسْوَةً حسَنَة، قال تعالى:

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ(28)﴾

[سورة هود]

أحدهم ما أكل العَسَل بِحَياتِهِ، ويَحْلِف بالله أيمان أنَّ أطْيب شيء هو الدِّبس ؛ فهذا كلامه صحيح لأنَّه ما ذاق العسَل.

فالقَصْدُ من هذه الآية لا تعبأ بِقَوْل الناس، والذي يَخْشى أن يقوله الناس عنه، هو يعْبُدُهم من دون الله، والله عز وجل عِتابٌ لطيف للنبي قال تعالى:

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا(37)﴾

[سورة الأحزاب]

لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام تكلَّف شيئًا فوق طاقتِهِ، فقد تكلَّف أن يتزوَّج زوْجة مُتَبَنَّى ! وهذه في الجاهِلِيَّة عارٌ كبير، وعارٌ لا يُحْتَمَل إذْ أنَّها مثل ابنَتِهِ !! قال: تزوَّجْها كي يُبْطِلَ الله هذه العادة الجاهِلِيَّة، هذا ليس ابنك، وإنَّما نُسِب إلى أبيه ؛ زيد بن محمَّد، وليس في أصحاب رسول الله كُلِّهم واحِدٌ ذُكِر اسمه في القرآن إلا سيِّدنا زيْد، فقد كان اسمُهُ زيد بن محمَّد، وأصْبح اسمُهُ زيْد ابن حارثة، وعندها جاء اسْمُهُ في القرآن الكريم قال تعالى:

وهناك آية دقيقة قال فيها تعالى:

﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى(25)﴾

[سورة النازعات]

قرآن كريم، وكلام خالق الكون، وفضْل كلام الله على كلام خلْقِهِ كَفَضْل الله على خلْقِهِ، فلماذا بدأ الله بالآخرة قبل الأولى ؟ هذا خلاف التَّرتيب، أليس المنطق أن تقول: نكال الأولى والآخرة !! فما حِكْمة ذلك ؟ الأولى: ما علمت لكم مِن إلهٍ غيري، في حُدود علمي، وهذا فيه تَحَفُّظ، ولكن لمَّا قال: أنا ربُّكم الأعلى ! فهذه فيها تحَدِّي، قال تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38)﴾

[سورة القصص]

فالله تعالى بدأ بالتي هي أكفَر ؛ أنا ربكم الأعلى، والأولى قوله: ما علمت لكم من إله غيري !

قال تعالى:

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38)﴾

[سورة القصص]

أراد أن يبني بُرج لِيَطَّلِعَ إلى إله موسى ! قالوا للإمام علي رضي الله عنه: يا إمام متى كان الله ؟ فقال: **ومتى لم يَكُن ؟!.**

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12-18) : تفسير الآيات38-39

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلنا في قِصَّة سيِّدنا موسى عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام، ووصلنا في الدرس الماضي إلى قوله تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾

[سورة القصص]

العلماء قالوا: ليس في الأرض كُلِّها اسْتِكبارٌ بالحق فأصْل الاسْتِكبار في الإنسان باطِل، لأن الإنسان ضعيف، وخُلِق الإنسان ضَعيفًا، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19)﴾

(سورة المعارج)

وهذا الضَّعْف في أصْل خَلْقِهِ وضَعْف في صالِحِهِ.

أوّلاً في أصْل خَلْقِهِ فالله تعالى هكذا أرادَهُ ضَعيفًا، لِيَفْتَقِرَ إلى الله تعالى بِضَعْفِهِ فَيَسْعَدَ بافْتِقارِهِ إليه، ولو خَلَقَهُ قَوِيًّا لاسْتَغنى بِقُوَّتِهِ وشَقِيَ باسْتِغْنائِهِ، فلأنَّك ضعيف تفْتَقِرُ إلى الله وتُقْبِلُ فَتَغْتني وتَقْوى وتَسْعَد فلو أنَّ الله تعالى خلَقَ الإنسان قَوِيًّا لاسْتَغْنى عن الله فَشَقِيَ بِهذا الاسْتِغناء والبُعْد، ويُسْتَنْبَط أنَّ أيَّةَ مُصيبَةٍ يسُوقُها للإنسان يُقَرِّبُهُ إليه.قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:

((عَبدي مرِضْتُ فلم تَعُدْني ! يقول: وكيف أعودُكَ وأنت ربُّ العالمين ؟ قال: مَرِضَ عَبْدي فلان ولم تَعُدْهُ، أما عَلِمْتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَني عنده !!))

فالله لما أخذَ صِحَّة الإنسان وسلبَهُ إيَّاها، عوَّضَهُ أضعافًا مُضاعَفَة من رحْمتِهِ وأنوارِهِ وقُرْبِهِ، أما عَلِمْتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَني عنده !!

((اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تُطْعِمني، فقال: وكيف أُطْعِمُكَ وأنت ربُّ العالمين ؟ قال اسْتَطْعَمَكَ عَبْدي فلان فلم تُطْعِمْهُ، أما علِمْتَ أنَّكَ لو أطْعَمْتَهُ لوَجَدْتَ ذلك عندي))

لذلك هناك آية قرآنيَّة أيها الإخوة لو تأملها الإنسان تَهْتَزُّ مشاعِرُهُ، قال تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(245)﴾

(سورة البقرة)

أيُّ عَمَلٍ صالحٍ تُقَدِّمُهُ لإنسانٍ كائِنًا مَن كان هو في حقيقتِهِ قَرْضٌ إلى الله، قال تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾

[سورة البقرة]

فيا أيها الإخوة الكرام الفقير مَنْ حُرِمَ العَمَلَ الصالِح، والفقير مَن جاءَ يَوْم القيامة، وقد خلَّفَ أموالاً طائِلَة وليس بين يَدَيْه عَمَلٌ صالح يَعْرِضُهُ على الله عز وجل، فالمؤمن الصادِق شُغْلُهُ الشاغِل هو ماذا قدَّمْتُ مِن عَمَلٍ صالِحٍ للآخرة، وربنا عز وجل يقول:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ(19) ﴾

[سورة الحشر]

نِسْيانُهم لله تعالى أنْساهُم أنْفسَهم، وأنساهُم مُهِمَّتَهُم في الحياة ونسيانهم لله تعالى أنْساهم العَمَلَ الصالِح، ونِسْيانهم لله أنْساهم لماذا خُلِقُوا في الدنيا، قال تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ(19) ﴾

[سورة الحشر]

وقال تعالى:

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ(20)﴾

[سورة الحشر]

وقال تعالى:

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(21)﴾

[سورة الحشر]

إذًا اسْتَكْبَرَ هو وَجُنودُهُ، والمُسْتَكْبِر لا يتعلَّم، والمُسْتَحي لا يتعلَّم والمُسْتَكْبِر لا يَعْبُدُ الله، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا(172)﴾

[سورة النساء]

لذلك الإنسان إن لم يَدْعو الله عز وجل، فَعَدَمُ دُعائِهِ لله تعالى اسْتِكْبارٌ في نفْسِهِ، ومَن كان مُسْتَكْبِرًا اسْتَوْجَبَ العذاب، واسْتَوْجَبَ غَضَبَ الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39)﴾

[سورة القصص]

صَدِّقوني أيُّها الإخوة ؛ لو سألْتَ مائة شَخْص، كم مِن واحِدُ يُدْخِلُ المَوت بين عَيْنَيْه ؟ وفي حِساباتِهِ اليَوْمِيَّة؟ قلَّة ! تجدهُ يعيش وكَسْبُهُ الحرام شُغْلُهُ الشاغِل، والاسْتِمْتاع بالمَلَذَّات بأيِّ طريق، أما هناك ساعة سَيَلْقى فيها الله عز وجل ويوضَعُ في القبر، والله أيُّها الإخوة مِن أجَلِّ العِبادات أن تتْبَعَ جنازَةً، وأن تقفَ على القبْر، كيف يُحْمَلُ النَّعْش ؟ وكيف يحْملُ الميِّتُ ؟ وقد جُمِّلَ في كَفَنِهِ ؟ وكيف يُنَزَّل القبر ؟ والتراب في أيَّام الشِّتاء، ذكر لي شَخْص مدير معْمَل، قال لي: كان لنا صاحب معمل من أنْدَر أشْخاص البَلَد ! له بيْت كالقَصْر، وحاجاتُهُ ومُقْتَنَياتُهُ مِن أعلى مُسْتوى، وبيتُهُ ستّون أو سبعون مليونًا ثمنُه ! قاعات وأقْواص، قال لي: تُوُفِّيَ في أيَّام الشِّتاء المطِرَة، ودُفِنَ بباب الصَّغير، وكان له ابنٌ مُهَنْدِس، فُتِحَ القبر فإذا مِياهُ المجاري قد وصَلَتْ إليه، فسألوا ابنهُ ماذا نفْعَل ؟ قال لي هذا الأخ: والله سبْعَة أيَّام لم أذُق الطَّعام !!

كنتُ مرَّةً بِحَلَب في زِيارة، فمُضيفي أخَذَني إلى أحد أحْياء حلب الفَخْمة، حيُّ الشَّهْباء، كل فيلا تُحْفة، هذه على النَّمَط الروماني وهذه على النَّمَط الصيني، آيات من الجمال، وأرْقى أحْياء دِمَشْق أكْواخ أمام هذا الحيّ! فلَفَتَ نَظَري بِناء أبْيَض صيني، قال لي: هذا البناء كان ثمَنهُ سنة الأربع والسِّبعين: خمسًا وثلاثين ملْيون، وصاحِبُ هذا البناء تُوُفِّي في الثانِيَة والأربعين، وكان مديد القامة وجاء القبر أقْصر من قامَتِهِ، فلمَّا وُضِعَ في القبر وُضِعَ مُنْحَنِيًّا من جهة رأسِهِ !! وانهَدَم عليه التُّراب.

أيُّها الإخوة الكرام، يجب أن نُدْخِلَ الموت في حِساباتِنَا اليَوْمِيَّة، لي عشرين سنة بالتَّدريس في المساجِد، ومِن دون مُبالغَة ما مِن أسبوع إلا ويوجد أخٌ أو أخَويْن يُغادِران هذه الدنيا، فأحَدُ إخواننا كان يدْفَعُ الضَّريبَة، وقعَ فماتَ ! المُغادَرَة صغيرة، وفي بعض دُوَل النَّفْط هناك كلمة على الجواز إن كُتِبَت ينْقَطع قلْبُه ؛ مُغادَرة بلا عَوْدة ! وكُلُّنا سَوْف نُغادِر بلا عَوْدة ! فالإنسان إذا فكَّر بِساعة الموت كان عليه الصلاة والسلام يتذَكَّر الموت كُلَّ يوم بين سنَّة الفجْر وصلاة الفَجْر وأكْبَرُ عَقْلٍ وأرْجَحُهُ هو الذي يُعِدُّ للموت عُدَّتَهُ ؛ بالتَّوْبة وكَسْب المال وتَحْرير الدَّخْل من الحرام، وبِضَبْط الزَّوْجة والأولاد، فأنت أب لك حقوق على أولادك، أين ترْبِيتَك ؟ وأين شَخْصِيَّتَك ؟ وأين إدارتك ؟ وأين قناعتك ؟ وأين هي سُلْطَتَكَ ؟ وأنت مَسْؤول، فنحن يَهُمُّنا هل هناك مَن ينْفذُ من الموت ؟ الأنبياء ولم ينْفذوا، قال تعالى:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ(30)﴾

(سورة الزمر)

مِحْورُ الدَّرْس أنَّك إن اسْتَطَعْتَ أن تُدْخلَ الموت في حِساباتِكَ اليَوْمِيَّة قبل أن تقولَ كلمة، فهل هي تُرْضي الله؟ وقبل أن تعْطي وقبل أن تَمْنَع، وقبل أن ترْى، وقبل أن تغْضَب، وقبل أن تَصِل، وقبل أن تقْطَع، وقبل أن تجْلسَ هذه الجَلْسَة، وقبل أن تسْهَر هذه السَّهْرة وقبل أن تحضر حفلة لا ترْضي الله، وإلى مكانٍ يُشْرَبُ فيه الخمْر، وقبل أن تتحرَّك، سَلْ نَفْسَكَ هذا السُّؤال: ماذا سأُجيب الله عز وجل يوم القيامة ؟

أيها الإخوة الكرام، اسْمَحوا أن أقول لكم: أنّ جزْءً من عباداتِكم هو تذَكُّر الموت، والدليل قوله عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ))

[رواه الترمذي]

مُفَرِّق الأحْباب، ومُشَتِّتْ الجماعات، عِشْ ما شئْتَ فإنَّك ميّت وأحْبِبْ مَن شئْتَ فإنَّك مُفارِق، واعْمَل ما شئْتَ فإنَّك مَجْزِيٌّ به، وكُلُّ مَن غَفَل عن الموت سمَّاهُ الله غافِلاً، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَكُنْ مِنْ الْغَافِلِينَ(205)﴾

[سورة الأعراف]

والموت عُرْس المؤمن، قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهم يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ))

[رواه البخاري]

سُئِلَ أحد العارفين بالله ؛ كيف القُدوم على الله ؟ فقال: **أما المؤمن فكالغائِب رُدَّ إلى أهْلِهِ**، فلو كان هناك ابن لك مُتَغَرِّب جاء من بعيد فإنَّك تطْبخهُ له كلَّ ما يشْتهي، وتتغيَّر الفُرُش، فهذا العارِف بالله تعالى سُئِل: كيف القُدوم على الله ؟ قال: **أما المؤمن فكالغائِب عاد إلى أهْلِهِ، وأما الكافر فكالعبْدِ الآبِقِ رُدَّ إلى مَوْلاه، يُلْقى القَبْضُ عليه ويُساق إلى جهنَّم**، لذلك قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (62)﴾

[سورة القصص]

فالمؤمن الصادِق ينْقُل اهْتِماماتِهِ ونشاطِه، وطاقاتِهِ وذكائِهِ وخِبْراتِهِ وأموالِهِ للدار الآخرة وسَيُفاجىء أنَّهُ كسَبَ الدنيا معها، أنت حينما تُؤْثِرُ الآخرة ترْبَحُ الدنيا قال تعالى:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ(46)﴾

[سورة الرحمن]

جنَّةٌ في الدنيا، وجنَّةٌ في الآخرة، ولأحَدِ العارِفين قَوْلٌ رائع، يقول: في الدنيا جنَّة مَن لم يَدْخُلْها لم يدْخُل جنَّة الآخرة، ما هي جنَّة الدنيا ؟ القُرْب من الله، والقرْب بالطاعة، والطاعة بين يَدَيْك، فإيَّاك أن تقول: لا أسْتطيع أن أسْتقيم فأنت إن قلْتَ: لا أقْدِرُ أن أسْتقيم فأنت تُكَذِّب القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ لَبَتْ(286)﴾

[سورة البقرة]

يقول لك: أنا لا أسْتطيع أن أغُضَّ بصري ! لو كنت لا تستطيع غضَّ البصَر لكانت الآية خاطئة !! وذاك يقول لك: أنا لا أستطيع أن آكل المال الحرام ؛ عندي أولاد !! أحد أصحاب الملاهي ؛ كُلُّ ماله من الملاهي، كانت عندهُ بنْت اِهْتَدَتْ إلى الله عز وجل وتعْمل مُعَلِّمة في جوبَر، تطْبخ في غرْفَتِها ولا تأكل من أبيها لُقْمَةً واحِدَة ! ولو طلبَتْ من أبيها مليونين لأعْطاها ! لا تأكل إلا مِن كَسْبِها مالاً حلالاً، وهناك مليون شاهِد، وفي كُلّ عصْر شاهِد إذا اسْتَقَمْت تتألَّق، أما إن تكلَّمت فقط بالدِّين فلن تتألَّق، الكلام لا يرْفَعُك عند الله، أما التَّطبيق فإنَّه يرْفَعُك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (13-18) : تفسير الآية 50

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الإنسان في هذه الحياة الدنيا يتحرَّكُ، إما انْطِلاقًا مِن قِيَمٍ أو مبادئ أو منْهَج، أو مِن شَهَواتٍ وغرائِز، فإذا تصوَّرْنا الشَّهوات في جانب، والمبادئ في الجانب الآخر، فَكُلَّما ابْتَعَدْتَ عن المَبْدَأ اقْتَرَبْتَ من الشَّهْوَة، وكُلَّما اقْتَرَبْتَ من الشَّهْوة ابْتَعَدْتَ عن المبْدأ هذا المعنى الدَّقيق تُصَوِّرُهُ الآية الكريمة الخَمْسون من سورة القصص وهي قوله تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

[سورة القصص]

قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة اللأنفال]

هناك دَعْوَةٌ من الله تعالى من خِلال الكتاب والسنَّة لِحَياةٍ عُلْيا، ولأرْقى أنواع الحياة ؛ حياة الإيمان والمعرفة بالله والاتِّصال به، والسُمُوّ النَّفْسي، فأعلى أنواع الحياة جاءَت في هذه الآية، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة اللأنفال]

فالإنسان قد يعيش حياةً بهيمِيَّة ؛ يأكل ويَشْرب وينام، وقد يعْمَل ويتمتَّع بِأذواق فَنِيَّة عالِيَة، لكنَّ الحياة التي أرادها الله للمؤمن هي أرْقى أنواع الحياة ؛ إنَّها الحياة التي خُلِقَ من أجْلِها، حياةُ معْرفة الله وحياة مَنْهجٍ دقيق تَسير عليه، حياة الاتِّصال بالله، والطمأنينة والتَّفاؤُل، قال تعالى

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة اللأنفال]

وهنا قال تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص]

لا يوجَد إلا طريقَيْن ؛ حق وباطِل، خير وشرّ، إساءَة وإحْسان اسْتِقامة وانْحِراف، إخلاص وخِيانة، وصِدْق وكذب، قَسْوة ورحْمة وكرمٌ وبُخْل، نِظام الكَون هو نِظامٌ اِثْنَيْن، فإن لم تَكُن مع الحق فأنت مع الباطل قَطْعًا، وإن لم تَسْتَجِب لله ولِرَسُولِهِ فأنت مُسْتجيبٌ حُكْمًا للشَّيطان، فإمَّا أن تكون رَحْمانِيًّا أو شَيْطانِيًّا، فالآية دقيقة جدًا، ولا حلَّ وسَط، ولا زُمْرة ثالثة، قال تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾

[سورة القصص]

لم يسْتقيموا، ولم يتعرَّفوا على الله، قال تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُم﴾

[سورة القصص]

ثمَّ يقول الله عز وجل:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾

[سورة القصص]

أَضَلُّ هنا اسْمُ تفْضيل أي ليس في الأرض كُلِّها، على شَتَّى بِقاعِه وعلى امْتِداد الزَّمَن، مِن آدَمَ إلى يَوم القيامة، وفي كُلِّ بِقاع الأرض ليس هناك مِن إنسان أضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هواه بِغَيْر هُدًى من الله، هنا أصْبَحَ عندنا معنًى جديدًا.

أنت يُمْكِنُ أن تتَّبِعَ الهَوى، ولكن وفق هُدى الله عز وجل، فالله عز وجل قال:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ(14)﴾

[سورة آل عمران]

فالله تعالى أوْدَعَ هذه الشَّهوات في قُلوبِنَا، ولم يودِعْها في قُلوبِنَا إلا مِن أجْل أن نَرْقى بها مرَّتَين مرَّةً صابرين ومرَّة شاكرين، ولولا الشَّهوات ما ارْتَقينا إلى ربِّ الأرض والسَّماوات.

الفقْرة الثانِيَة في الآية، قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

[سورة القصص]

إذا الشاب أنْهى دِراسَتَهُ، وله عمَل، وله زوْجة صالِحَة، وأرادها جميلة فلا مانِع، وإذا أراد المال فَكسبهُ مِن طريق مَشْروع، فلا شيء عليه بل يُبارِكُ الله له، والإسلام ليس فيه حِرْمان ولكن فيه تَنْظيم والإسلام طهارة ونظافة، فلا يوجد حِرْمانٌ مِن الطَّعام والشَّراب، ولا مِن النِّساء، ولا مِن أن تكون مُتَفَوِّقًا في الحياة الدُّنيا، قال تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ(26)﴾

(سورة المطففين)

وقال تعالى:

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ(61)﴾

[سورة الصافات]

الإيمان عمَل، وليس اتِّكال شَكلي، والإيمان اقْتِحام وليس انْسِحاب والإيمان انْفِتاح وليس عُزْلة، والإيمان إيجابي وليس سَلْبي، فالله تعالى قال:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

[سورة القصص]

الخُطورة أن تنْقادَ لِغَريزَتِكَ وشَهْوَتِكَ، أو لِهَواك مِن دون مَنْهَجٍ إلهي لكَ أن تنْظُرَ إلى زَوْجتِكَ فهِيَ مُباحةٌ لك، ولك أن تشْكُرَ الله أن جَعَلَ لكَ زَوْجة، أما إن رأيْتَ امرأةً في الطريق فلا ينبغي أن تنْظر إليها هذه ليسَت حلالاً، فالشَّهْوة لا بدّ لها من منْهَج، هناك ألف باب لِكَسْب المال الحرام، والمال الحرام يذْهَب وأهْلَهُ، يجب أن تكْسِبَ المال بالطَّريق المَشْروع دون كذِب ولا غِشّ، ولا تَدْليس ولا احْتِكار ولا إيهام ولا تلاعُب، ولا بِضاعَة مُحَرَّمة ولا أسلوب مُحَرَّم، ولا علاقة ربَوِيَّة، وإنَّ أطْيَبَ الكَسْب كَسْبُ التُّجار الذين إذا حدَّثوا لم يَكْذِبوا وإذا تواعَدوا لم يُخْلِفوا وإذا اءتُمِنُوا لم يَخونوا، وإذا اشْتَرَوا لم يَذُمُّوا، وإذا باعوا لم يُطْروا، وإذا كان لهم لم يُعَسِّروا، وإذا كان عليهم لا يُمكروا فالمُشْكِلَة أن تتَّبِعَ الهوى بِغَيْر هُدًى من الله، هنا المُشْكِلة، لذلك قال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

وقال تعالى:

﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(15)﴾

[سورة لقمان]

ثمَّ يقول الله عز وجل:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

[سورة القصص]

ما علاقة الظُّلْم باتِّباع الهَوَى من دون هُدًى من الله ؟ العلاقة حَتْمِيَّة ! فَكُلُّ إنسان اتَّبَع هواه من دون مَنْهَجِ الله لا بدَّ مِن أن يقَعَ في الظُّلْم ولا بدَّ من أن يظْلِمَ نفْسَهُ أوّلاً لِبُعْدِها عن الله وإبعادِها عنه، ولا بدّ مِن أن يظْلِمَ غيْرهُ، ولمَّا يريد الإنسان أن يُحَقِّق أو يُمارِسَ شَهَواتِهِ السُّفلى بِطَرِيق غير مَشْرُوع معنى ذلك أنَّهُ سيَعْتَدي على أعْراض الناس على مُسْتوى النَّظَر وعلى مُسْتوى الكلام وعلى مُسْتوى اللَّمْس، فالإنسان إذا أراد أن يأكل المال من دون قَيْدٍ أو شَرْط فلا بدّ من أن يأكُل أموال الآخرين ظُلْمًا وعُدْوانًا، فلذلك كما قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(7)﴾

[سورة الصف]

لا يَهْديهم إليه لأنَّهم وقعوا في الحِجاب، ولا يهْديهم إلى مصالِحِهِم الدُّنْيَوِيَّة، مَن ابْتغى أمْرًا بِمَعْصِيَةٍ كان أبْعَدَ مِمَّا رجا، وأقْرَبَ مِمَّا اتَّقى، والإنسان يَغُشّ حتَّى يُحَقِّق أرْباحًا طائِلَة، لو دقَّقْتَ وتابَعْتَ وحلَّلْتَ لَوَصلْتَ إلى أنَّ الذي يَغُشّ يُرْخي له الله الحَبْل قليلاً ثمَّ يَمْحَقُهُ ! لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(83) ﴾

[سورة القصص]

فهذه الآية مَنْهجٌ كامِل، قال تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)﴾

[سورة القصص]

اِقْرأ كلام الله وسنَّة رسول الله، واحْضَر مَجالِسَ العِلْم، ثُمَّ قِسْ ما أنت عليه في حَياتِكَ الأُسَرِيَّة مع زَوْجَتِك، وأولادِك، وحياتك العَمَلِيَّة في كَسْبِكَ للمال، وإنفاقِك للمال، وحياتك التي فيها تمتُّع ؛ مِن نُزهات وسِياحَتِك وسَفَرِك، قِسْ ذما أنت عليه بِمَنْهَجِ الله، فإن لم تَكُن مُسْتجيبًا لله ولِرَسُولِه، فاعْلَم أنَّك مع الشَّهْوَة والهَوَى، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

[سورة القصص]

ليس في الأرض كُلِّها إنسانٌ أشَدُّ ضلالاً مِمَّن يتَّبِعُ هواه بِغَيْر هُدًى من الله، معنى ذلك نحن في بَحْبوحَة، والإسلام واقِعي، والإسلام دينُ الفِطْرة، ولا شيء مَحْروم منه، فأنت يُمْكِنْ أن تفْعل ما تُريد ولكن مِن طريق نظيفٍ ومَشْروع، لاحِظ إذا الواحِد الْتقى مع زَوْجَتَهُ ألا يسْتطيع أن يُصَلِّي قِيام اللَّيل بعد ذلك ؟ ولا يشْعُر بِشَيء، أما لو نَظَر إلى جارَتِهِ نظْرَةً خبيثَةً فهذا يُحْجَبُ عن الله تعالى.

فيا أيُّها الإخوة الكِرام منْهَجُ الله يقْتضي أن تسْتجيبَ له، ولذلك قال العلماء: أمَّةُ محمَّد صلى الله عليه وسلَّم أُمَّتان ؛ أمَّةُ الاستجابة وأُمَّة التَّبليغ، فَكُلُّ مَن وُلِد من أبوَيْن مُسْلِمَين فَهُوَ أمَّة التَّبليغ، ولا ينسحِبُ عليه أيَّةُ ميِّزَة لأمَّة مُحمَّد، قال تعالى:

﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ(18)﴾

[سورة المائدة]

قِس على هذه الآية أن يقول المسلمون: نحن مِن أُمَّة محمَّد ، ونحن مُسْلِمون والحمد لله، الجواب

﴿: قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

[سورة المائدة]

وقد اسْتَنْبَطَ الإمام الشَّافِعي من هذه الآية أنَّ الله لا يُعَذِّبُ أحْبابَهُ، فلو أنَّ الله عز وجل أقرَّهم على دَعْواهم وكانوا أحْبابَهُ فِعْلاً لما عذَّبَهم فلا جَدْوى أن تنْتَميَ إلى أُمَّةِ مُحَمَّد انْتِماء شَكْلِيًّا، وانتِماء التَّبْليغ، ينبغي أن تنتمي إلى أُمَّة محمَّد انْتِماء الاستجابة، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة الأنفال]

وقال تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)﴾

[سورة القصص]

لا يهْديهم إليه، وتأديبًا لهم لا يَهْديهم إلى مصالِحِهم، فالخير كُلُّه والفلاحُ كُلُّه، والرَّشادُ كُلُّه، والتَّ فَوُّق كُلُّه، والذَّكاء كُلُّه، والنَّعيمُ كُلُّهُ في طاعة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(13)﴾

[سورة النساء]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (14-18) : تفسير الآية 57

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في هذه السورة آيةٌ دقيقة جدًا، والمُسلمون في أشَدِّ الحاجة إلى فَهْم معناها، وهي قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آَمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (57)﴾

[سورة القصص]

فحينما كُنتم تعْبدون الأصنام، وحينما كنتم في تيهٍ وضلال، وحينما أكَلْتُم المال الحرام، مكنَّا لكم حرمًا آمِنًا، فلمَّا أسْلَمْتُم وتُبْتُم تُتَخطَّفون مِن أرْضِكم ! أيُعْقَلُ هذا ؟!

سيِّدُنا موسى فيما ترْوي الكُتب، دعا ربَّهُ بالسُّقْيا، فقال له الله عز وجل وكان كليم الله: إنَّ فيكم عاصِيًا ! فقال موسى عليه السلام: مَن كان فينا عاصِيًا لله فلْيُغادِرْنا ! لم يُغادِر أحد، والسَّماء نزَلَت بِأمْطار غزيرة، فقال: يا رب، مَن هذا العاصي الذي عصاك ؟ فقال الله عز وجل فيما تَرْوي الكُتب: عَجِبْتُ لك يا موسى أسْتُرُهُ وهو عاصٍ وأفْضَحُهُ وهو تائِب ! قال تعالى:

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾

[سورة القصص]

أخي أنا إذا اتَّبَعْتُ هذا المَنْهَج القرآني في البيْع والشِّراء أموت مِن الجوع أنا وأولادي ! وإن لم أكْذِب لا أُمَشِّي أموري ! وإذا لم أغُشّ فلا أرْبَح ! فهل يُعْقَلُ هذا ؟! فأنت بالمَعْصِيَة والله تعالى يرْزُقُك ويَحْفظك فإذا رَفَعْتَ مُسْتوى طاعتِك إلى الله، وتُبْتَ إليه يَتَخَطَّفُكَ من أرضِك فهل يُعْقَل من هذا الإله الجليل أن يُدَمِّرَك حين تعْبُدُهُ؟؟! وإذا الواحِد خاف من الله، ولم يودِع مالَهُ بالمَصْرف، وخاف، فلا بدّ أن يَقْتُلوه ! والذي لم يَخَف من الله مُطْمَئِنّ ! هل هذا مَعْقول ؟! حينما تعصي هذا الإله يُأمِّنُك، وحينما تُطيعُهُ يُدَمِّرُك !! هذه هي مُشْكِلَة العالم الإسلامي الآن !! قال تعالى:

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾

[سورة القصص]

هناك وَهْم من الشَّيْطان أنَّك إن أطَعْتَ الله تعالى يُدَمِّرُك، يقول لك: لا بدّ أن يكون مَظْهري ليس دينِيًّا ! ولا أُطَبِّق الدِّين كي أرْتاح ! قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آَمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (57)﴾

[سورة القصص]

من هم ؟ الكُفَّار ؛ عَبَدةُ أوْثان وشارِبي خَمْر، وفوْضى جِنْسِيَّة لا حُدود لها، والمرأة تتزوَّج عشْرة رِجال في وقْتٍ واحِد، يطوفون بالبيت وهم عُراة، وفي هذه المعاصي كُلِّها، وحفظكم الله وآمنَكُم، ووفَّرَ لكم حرمًا آمِنًا ! فلمَّا جاءَكم رسول الله صلى الله عليه وسلَّم بالهُدى ودين الحق ؛ فإذا آمَنْتُم تُتَخَطَّفون من أرْضِكم ! هل يَقْبَلُ عَقْلُكَ هذا الكلام ؟! مُعْظم المُسْلمين يرى المَعْصِيَة فيها طمأنينة والطاعة فيها مُشْكِلَة، ويرى أنَّهُ إن قيَّدَ نفْسَهُ بالشَّرْع يُصْبِحُ مَعْزولاً، وإن تعامل مع هؤلاء الذي انْتهكوا حرْمَة الله أصْبَحَ مَقْبولاً عند الناس، أين التَّوحيد ؟ ما مِن آيةٍ المسلمون في أشَدِّ الحاجة إلى فَهْمِها كَهذه الآية، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آَمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (57) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾

[سورة القصص]

أنتم إذا طَلَبْتُم المال بالمَعْصِيَة، وأصْبَحتم من أثْرِياء البِلاد، فَكَمْ مِن قَرْيَةٍ أهْلَكْناها، وقد بطَرَتْ معيشَتَها، قال تعالى:

﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (58) ﴾

[سورة القصص]

الأنباط والتَّدْمريُّون، وعاد وثمود، والفراعِنَة ؛ أين هُم ؟! هؤلاء الذين عصَوا لِكَي لا يُتَخَطَّفوا، أين مصيرُهم ؟ قال تعالى:

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾

[سورة الغاشية]

وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (59)﴾

[سورة القصص]

الله عز وجل لا يأخذ غِرَّة، فهو تعالى لا يأخُذ إلا حين يُبَيِّن من خِلال الأنبياء والرُّسل، والعلماء والدُّعاة والكتاب الذي يُتْلى صباح مساء قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (51)﴾

[سورة القصص]

أيُّها الإخوة، في الحقيقة هي بِشارة، فما مِن إنْسانٍ أُتيحَ له أن يسْمَعَ الحق صافِيًا إلا وعَلِمَ فيه الله الخيْر، والآية الكريمة:

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ(23)﴾

[سورة الأنفال]

فإذا أسْمَعَك الله الحق فهذه بِشارة وما عليك إلا أن تسْتجيب، قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة الأنفال]

ذَكَرْتُ كثيرًا أنَّ الله تعالى مِن سُنَنِهِ أنَّهُ يبْدأُ مع عَبْدِهِ بالدَّعْوَة البيانِيَّة تسْمع خُطْبَة أو درْسًا، أو تقْرأ كتابًا تسْمَعُ شريطًا، هذه دَعْوَة من الله وجعل لك حاجة بِهذا المكان، أذَّن الظُّهْر وسَمِعْتَ كلامًا فتأثَّرْت ! ليس هذا صُدْفةً، قال تعالى:

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى(40)﴾

[سورة طه]

فلمَّا ربُّنا عز وجل يُسْمِعُ عبْدَهُ الحق، فَمَعنى ذلك باليَقين، والاسْتِدلال القَطْعي أنَّ الله تعالى عَلِمَ فيه خيْرًا، ولأنَّهُ عَلِمَ فيه خيْرًا أسْمَعَهُ الحق وتسْمَعُ قِصَصًا عجيبة، تجِد إنسانًا ما كان له أن يجْلس في هذا المَجْلس أو في أيِّ مجلس عِلْم آخر، ولِسَبَبٍ غريب ونادِرٍ ساقَهُ الله لِمَجْلسِ علْمٍ فانْعَقَدَتْ مع الله تعالى تَوْبَةٌ وصِلَة، فكان مَبْدأ الصُّلْح مع الله، وإذا رَجَعَ العَبْدُ إلى الله نادى مُنادي في السماوات والأرض أن هنئوا فلانًا فقد اصْطَلَحَ مع الله، فإذا سَمِع الواحد الخير، وجعلك الله بِبَلَدِ إسلامي فلو كنت في أمريكا والعياذ بالله، فهذه القضايا ليْسَت صُدْفة، فالله تعالى عَلِمَ فيكَ خيْرًا، والله خلَقَكَ لِيُسْعِدَكَ في الآخرة فأنت أوَّلاً في بلَدٍ إسلامي تسْمعُ الأذان، وهناك مساجِد، ودُروس عِلم وهناك بَقِيَّة حياء وخجَل، وبَقِيَّة وفاء، واسْتِقامة، فأنت بِنِعْمة، تجد مَن هم في بلاد الغرْب يقولون: نحن الأذان مَحْرومون منه !! نوادي وخمور ومصائف، أما أنت ففي بلَدٍ إسلامي تُقامُ فيه شعائِرُ الله ومساجِد مُكْتظَّة بالمُصَلِّين، هذه نِعمة كبيرة، والله تعالى قال:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (51)﴾

[سورة القصص]

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54)﴾

[سورة القصص]

لمَّا قال النبي عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))

[رواه الترمذي]

ماذا ينبغي أن تعمل ؟ كُلَّما أخْطأْتَ تدفعُ صَدَقة، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَال لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))

[رواه الترمذي]

فإن لم يكن معك فَصُمْ أسأْتَ اِعْتَذِر، وغفَلْتَ عليك أن تتذَكَّر فالمؤمن يحْرِصُ على نفْسِهِ وقال بعضُهم: المنافق يعيش في حالٍ واحِدٍ أربعون عامًا، أما المؤمن فيتقلّب في اليوم الواحِد أربعين مرَّة من شِدَّة حِرْصِهِ، ومن شِدَّة خَوْفِهِ، فسَيِّدُنا عمر بن الخطَّاب ألَمْ يُبَشَّر بالجنَّة ؟ نعم، والبِشارة ثابِتَة فلِمَ قال: **ليْتَ أُمَّ عمر لم تَلِد عمر** ! غفل ونسيَ البِشارة، ولكنَّه اسْتَحْضَر عظمة الله عز وجل والمَسْؤوليَّة وقال له: **قَرْقِر أيُّها البَطْن أو لا تُقَرْقِر، فوَ الله لن تذوق اللَّحْم حتَّى يشْبَعَ منه صِبْيَةُ المسلمين** ! وجاءَهُ رسول من أذْربيجان، وكانت تابِعَةً إلى عمر بن الخطاب في عهْده ووصل إلى المدينة ليلاً، فَكَرِهَ أن يطْرُقَ باب الخليفة في الليل فدَخَل إلى المَسْجِد، فسَمِعَ رجُلاً يقول في الظَّلام: **يا رب، هل قَبِلْتَ تَوْبتي فَأُهَنِّأَ نفْسي، أو رَدَدْتَها فأُعَزِّيَها** فقال الرسول: مَن أنت يرْحَمُكَ الله ؟ فقال: أنا عمر، فقال له: يا أمير المؤمنين ألا تنامُ اللَّيل ؟ فقال: **إن نمْتُ ليلي كُلَّه أضَعْتُ نفْسي أمام ربِّي، وإن نمتُ نهاري أضَعْتُ نهاري ! إنَّ لله عملاً بالليل لا يَقْبَلُه بالنَّهار، وإنَّ لله عملاً في النَّهار لا يقْبلُهُ في الليل** ! كان أصْحابُ النَّبي عليه الصلاة و السلام رُهْبانًا بالليل، وفُرْسانًا بالنَّهار، وأمرٌ رائِعٌ جِدًّا أن تَجِدَ إنسانًا مُتَفَوِّقًا في عَمَلِهِ، ونِظام ودِقَّة ونظافَة ومواعيد، وإنْجاز وتَجِدُهُ بالليل يُصَلِّي فالإهمال لابدَّ أن لا يكون من المؤمنين، أكل تُفَّاحة وما غسَلَها، يقول لك: كُلْها وسَمِّ بالله !! يَمْرض ابْنَهُ ويقول: الله الشافي ! ما هذا الجَهْل ؟ وما هذا الانْحِطاط ؟ أهكذا أمرَكَ الله ؟ الله تعالى أمَرَكَ أن تأخُذ بالأسباب ثمَّ تتوكَّل عليه، تجد أحدهم صالِحًا ولكن ليس مُنْضَبِطًا، والآخر مُنْضَبِط ولا يوجد فيه الصَّلاح، أما الأصل أن ترى مؤمنًا أعلى درجَة في الذَّكاء والفَهْم والتَّصَرُّف، وفي الوَقْت نفْسِهِ في الوَرَع والزُّهْد والصِّلة بالله عز وجل،: يا أمير المؤمنين ألا تنامُ اللَّيل ؟ فقال: **إن نمْتُ ليلي كُلَّه أضَعْتُ نفْسي أمام ربِّي، وإن نمتُ**

نهاري أضَعْتُ نهاري! إنَّ لله عملاً بالليل لا يَقْبَلُه بالنَّهار، وإنَّ لله عملاً في النَّهار لا يقْبلُهُ في الليل ! وبقِيَ معه إلى الفجْر فصلى الفجْر وأخَذَهُ إلى بيْتِهِ، فقال لها: يا أُمَّ كلثوم ماذا عندك مِن طعامٍ لِضَيْفِنا ؟ فقالتْ له: عندنا مِلْحٌ وخُبْز، فقال لها: هاتيهِ لنا ! فأكل وشَرِبَ وقال: **الحمد لله الذي أطْعَمَنا وسقانا**، وبعد أن أكَلَ مع ضَيْفِهِ قال له: ما الذي جاءَ بِكَ إلينا ؟ فقال له: هذه هَدِيَّةٌ أرْسَلها عامِلُكَ على أذْربيجان ففتَحها فإذابها: حَلْوَة !! أكَلَ واحِدَةً فرآها ذات طَعْمٍ طيِّب، ثمّ توقَّف فقال له: **يا هذا هل يأكُل عندكم عامَّة المسلمين هذا الطَّعام** ؟ فقال الرسول: لا، هذا طعامُ الخاصَّة، فلفظَ عمر ما أكل، وقال: **حرامٌ على بَطْنِ عُمَر أن يذوق طَعْمًا لا يأكُلُهُ فقراء المسلمين**، ثمّ بعَثَ بهذه العُلْبَة لأهْل الصُّفَّة لِيَأكلوها، وأرْسَلَ كتابًا إلى عامِلِه على أذْربيجان، وقال له: **كُلْ مِمَّا يأكل منه عامَّة المسلمين، فَكَيْفَ يَعْنيكَ أمْرُهم إن لم تأكل من طعامهم ؟!!**

وبِذِكْر الصالحين تتنزَّل الرَّحمات، وأنا أنْصَحُكم جميعًا، لا تذْكر إلا الصالحين في مجالسِك، فإن أرَدْت أن يتعكَّر المجْلس، ويضيق قلبُك أذْكر أهل الدنيا وغير الصالحين ؛ البخلاء والمتعنِّتين، وقد مرَّتْ معي أحاديث تنْهى عن ذِكْر غير الصالحين أذْكر الصالحين كي ترى نفْسَك تتوق لهم، وإلى ورَعِهِم وإلى زهدهم.

أيها الإخوة، المُلخَّص قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آَمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (57) ﴾

[سورة القصص]

وما ترك عبْدٌ شيئًا لله إلا عوَّضه الله في دينه ودُنياه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (15-18) : تفسير الآية 56

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، ففي سورة القصص آية بالغة الدِّقة، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56) ﴾

[سورة القصص]

يُخاطب الله جلَّ جلاله النبي عليه الصلاة والسلام، وهو سيِّدُ الخلق وحبيب الحق، وما مِن إنسانٍ على وَجْه الأرض أقْدَرُ على هِداية الناس مِن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ؛ عِلْمًا وحِكْمةً وتأثيرًا ونورانِيَّة ووحْيًا وعِصْمةً وصوابًا، ما من مخلوق على وجْه الأرض أقْدَرُ على هِداية الناس من رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك يقول له الله جلَّ جلاله:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾

[سورة القصص]

ماذا يُفْهَمُ من هذا الكلام ؟ الهُدى اخْتِيار شَخْصي، فالإنسان إن لم يقْبل الهُدى، فلو جلسَ مع رسول الله ولو جلسَ مع الأنبياء جميعًا، ولو رأى كُلَّ المُعْجِزات، ولو رأى رَجُلاً خرجَ من القبْر وأخْبرهُ، ولو رأى هذا الكتاب نزل من السَّماء إن لم يَخْتر الهُدى، وإن لم يطلب الهُدى، لا تُجْدي معه كُلُّ الأدِلَّة والبراهين وأنواع البيان، ولا المُعْجِزات ولا الكرامات، لا أيّ شيء آخر، أما لو أراد الهُدَى وطلبَهُ فأيُّ شيءٍ في الأرض ينْتفِعُ به، فالطَّيْر يُعَلِّمُهُ، والنَّملة تُعَلِّمُهُ والنَّصيحة يأخذ بها، والآية يتفاعَلُ معها، والحديث يَخْضَعُ له، فهُناك قَرار يتَّخِذُهُ الإنسان في أعْماقِهِ إن لم يتَّخِذْهُ في أعْماقِهِ لا ينْفَعُهُ شيئًا وإن اتَّخَذَهُ ينْفَعُهُ كُلُّ شيء، فهل في الأرض كُلِّها إنسانٌ أجْدَرُ وأقْوى بِقُوَّة تأثيرِهِ مِن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، عَمُّهُ أو لهب هل آمَنَ به ؟ وأبو جَهل هل آمَنَ به ؟ قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56) ﴾

[سورة القصص]

فأيُّ إنسانٍ أراد الهِداية يَهْديه الله تعالى، فقوله يهْدي مَن يشَاء تَعود على مَن أراد الهِدايَة، فلِذلك كثير من الآيات في ظاهِرِها يَدْعو إلى الحَيْرة، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(99)﴾

[سورة الأنعام]

معنى ذلك اتَّخَذْتَ قرارًا أن تُؤْمن قبل أن ترى الآيات، فإن رأيْتَها آمَنْت، وقد قال الصَّحابة: **أوتينَا الإيمان قبل القرآن،** فأكْثَر مِن مائة آية تُشير إلى أنَّ الآيات والكلمات، والبيّنات والدَّلالات والمُعْجِزات لا تنْفعُ إلا المؤمنين، قال تعالى:

﴿الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)﴾

[سورة البقرة]

فالهُدَى اخْتياري، تَختارُهُ أنت، وعندَئِذٍ كُلُّ شيءٍ ينْفَعُكَ، فإذا دَخَلْتَ إلى الجامِعَة باخْتِيارِك، هناك أساتِذَة ومَكْتبة ضَخْمة ومَخْطوطات وسَكَن جامِعي، وبِعثات، وتَدْريبات، بِشَرْط أن تَدْخل الجامعة ! فإن لم تَدْخُلها فَكُلُّ ما فيها لا تنتفِعُ به، وهناك شيء ثاني يُوَضِّح الفِكْرة لو فرَضْنا إنسانًا دَخَل مَحلّ يبيعُ السُّجاد، والستائر فهو يبْحث عن الستائر ولا ينتبِهُ إلى السَّجاد إطْلاقًا، ولا يُلْقي له بالاً لأنَّ هَدَفهُ السَّتائِر فالمَحلّ فيه ستائر وسجَّاد، فأنت تهْتمُّ إلى الذي تريدُهُ، وكذا لو كنتَ تَسْكُنُ بيْتًا مُريحًا فيه كلّ شيء، فإذا قال له أحدهم في الطريق: هل تريدُ بيْتًا ؟ يُمْكن أن لا يردَّ عليه ! أما الذي تَجِدُهُ يبْحث عن بيت فإنَّه يفرح لهذا فرَحًا شديدًا، فالذي تجده يبْحث عن شيءٍ ترى له آذانًا صاغِيَة، يسْتنبط ويتأمَّل ويُحَلِّل، ويدْرس، وكُلّ نشاطه الفِكْري في ما هو عليه، وقد قيل الحاجةُ أُمُّ الاخْتِراع، فهذه الآية الله عز وجل يُخاطِب سيِّد الأنبياء، وسيِّد الرُّسل، وسيِّد الفُصَحاء والبُلَغاء وسيِّد ولد آدم، ومَن أوتِيَ الفصاحة والجمال وقوَّة البُرْهان، والوَحْي الصادِق وكُلّ شيء، ومع ذلك قال تعالى له:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)﴾

[سورة القصص]

أما إذا شاء الواحِد الهِداية ؛ فهذا رَجُل جالسٌ رأس نمْلة صَعِدَتْ، فلمَّا وصَلَتْ إلى مكانٍ ما وَقَعَتْ، أعادَتْ الكرَّة أربعين مرَّة، وهذا الرَّجُل كان أُمِّيًا لا يقرأ ولا يكْتُب، أراد أن يتعلَّم فرأى الطريق طَويلاً وشاقًّا ولعلَّهُ رآهُ مُسْتحيلاً فعَزَفَ عن الدِّراسَة، أما هذه النَّمْلة التي صَعِدَت أربعين مرَّة علَّمَتْهُ درْسًا بليغًا، عادَ إلى الدِّراسَة وتعلَّم القِراءة والكتابة وتعلَّم القرآن، وما ماتَ إلا شَيْخ الأزْهر، وهناك شَخْص آخر، ولعلَّه زكرِّيا الأنصاري له ابن طلَبَ العِلْم بالأزْهَر، فلمَّا عاد إلى القرْيَة أعْجَبَهُ هذا الاخْتِصاص، وكان الأب أُمِّيًا، فرَكِبَ الدابَّة واتَّجَهَ إلى الأزْعَر كما كان يُسَمِّيه ! فقيل له: يا أيُّها الشَّيخ هذا اسْمُهُ الأزْهَر وكما يقول العلماء: بدأ هذا الرَّجل تعلُّم القِراءة والكتابة بالخامِسَة والخَمْسين ! وعاش إلى السادِسَة والتِّسْعين، وما ماتَ إلا وهو شَيْخ الأزْهَر، فالإنسان إذا اتَّخَذَ قرارًا داخِلِيًّا بِطَلَبِ الهِدايَة، وقد قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ(69)﴾

[سورة العنكبوت]

يُمْكِن أن تنتفِع مِن أصْغَر داعِيَة، عِلْمُهُ قليل إذا أرَدْت الهِداية، ولن تنتفِعَ مِن سيِّد المرسلين إن تُرِدِ الهِدايَة ! تُفَكِّر بالشَّمس والقمَر والنُّجوم والسَّحاب والأطيار، وخلْق الإنسان مِن سَمْعٍ وبصَر، تراها كُلَّها أدِلَّةً قاطِعَةً ونَيِّرَةً على وُجود الله، وكمالِهِ وعَظَمَتِهِ، فالذين رأَوا البَحْر أصْبَحَ طريقًا يبَسًا، ورأَوا العصاةَ أصْبَحَت ثُعبانًا كبيرًا، ورأَوْا جبلاً انْشَقَّ فَخَرَجَتْ منه ناقَة ورأَوْا النار لم تُحْرِق إبراهيم عليه السَّلام قال تعالى:

﴿قَالُوا يَامُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(138)﴾

[سورة الأعراف]

فالأشياء الطَّبيعِيَّة والمألوفَة تنتَفِعُ بها وتصِلُ بها إلى الله، وخَرْقُ القوانين والمُعْجِزات لا تنتَفِعُ بها، هناك سِرّ دقيق، فالعِبْرَة أن تطْلب الهِدايَة، وأن تُريد أن تؤْمِن، وأن تبْحث عن الحقيقة، فأنت قد تَجْلس مع إنسان، وتتكلَّم ساعة وساعَتَيْن، أحد العلماء كان جالِسًا بِحَديقة في أحد البلدان، وجلسَ بِجَانِبِهِ شَخْص مِن سُؤال إلى سُؤال، حتَّى قال له: أنا من بلاد الشَّرق الأوْسَط، وأنا رجل مُسْلم، فهذا الرَّجل العالم بِكُلّ ما أوتِيَ مِن فصاحَة وبلاغة وفَهم وقَدْر، شَرَحَ له الإسلام بِخَمْسين دقيقة، وترَكَ عشْر دقائِق للمناقشَة بعد كُلِّ هذه المُحاضَرَة البليغَة أخْرَجَ هذا الرَّجل المُسْتَمِع دولارًا وقال: هذا هو ربِّي الذي أعْبُدُه مِن دون الله ! قال تعالى:

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ(23)﴾

[سورة الأنفال]

تَجِد شَخصًا يتعلَّم مِن أقلّ إنسانٍ، وآخر لو عاش مع أكْبر الأنبياء لا يتعلَّم منه، لأنّ الذي أراد الهُدى ينْفعُهُ كُلّ شيء والذي لم يُرِد الهُدَى لا ينتفِعُ بِشَيء، فربُّنا عز وجل يقول:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)﴾

[سورة القصص]

أما إذا أرَدْتَ أن تُعيدَ الضَّمير على الله عز وجل، فَهُناك تفْسير آخر وهذا التَّفسير يقول: إنَّ الله سبحانه وتعالى رسَمَ للهُدَى طريقًا، فَمَن لم يسْلُكْهُ لم يُهْتَد، كما أنَّ الطِّب رُسِمَ له طريقُهُ كي تصبح طبيبًا سبْعة سَنَوات، سنة علوم عامَّة، وسنة تَشريح، وسنة فيزْيولوجيا، وسنة علم الأمراض وسنة عِلْم أدْوِيَة وبعدها تَدْريبات وتأخذ إجازة بالطبّ وبعدها تقوم باخْتِصاص ثلاث سَنَوات، وبعدها تقوم باخْتِصاص سنة خارج القُطْر حينها تُصْبِحُ طبيبًا، فهذا الطريق إذا سَلَكَهُ الإنسان أصْبَحَ طبيبًا، وتشاء له الدَّولة أن يكون طبيبًا، وهكذا فالله عز وجل لا يشاء الهِداية إلا مَن سَلَكَ طريقَها، والله تعالى لهُ سُنَن، أما إذا ورَدَ في القرآن أنَّ الله أضَلَّ فلانًا، قال علماء التَّوحيد: هذا هون الإضْلال الجَزائي المَبْني على إضْلال اخْتِياريّ فلو أنَّ طالبًا لم يُقَدِّم الفحْص ولم يشْتر الكتب، وأُرْسِلَ له إنذار واثنان وثلاثة فما اسْتَجاب، حينها صدَر قرار برفْض قيْدِهِ،

فَحِينها لا يقل: الجامِعَة رفَضَتْني !! فالجامعَة أصْدَرَت هذا القرار تَجْسيدًا لِرَغْبَتِك في العزوف عن الدِّراسَة، فالآية هذه دقيقة:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)﴾

[سورة القصص]

وهناك آية أُخْرى تُكْمِلُها وهي قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(272)﴾

[سورة البقرة]

إنَّك لا تسْتطيع أن تهْدي مَن أحْبَبْت ولسْتَ مسْؤولاً عن الناس، فالنبي عليه الصلاة والسلام يُبَلِّغ، والعلماء ما عليهم إلا البيان، والإنسان مُخَيَّر قال تعالى:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا(29)﴾

[سورة الكهف]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(3)﴾

[سورة الإنسان]

وقال تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(17)﴾

[سورة فصلت]

فأنت ما عليك إلا أن تتَّخذ قرارًا في نفْسِكَ للهُدى وكُل شيء تراه بين يَدَيْك، تتعلَّم مِن كلّ شيء، فهذا أبو حنيفة أشار إلى غلام: **أنْ إيَّاك أن تسْقط في هذه الحفْرة**، فهذا الغلام نبيه وقال له: **بل أنت يا إمام إيَّاك أن تسْقط ! أنا إن سَقَطْتُ سَقَطْتُ وَحْدي، وإنَّك إن سَقَطْتَ سقَطَ معك العالم !!!** فالطِّفل قد يُؤْتيك درْسًا بليغًا، وأحْيانًا الحادِثَة تُعَلِّمُكَ درْسًا، وكذا الآيات الكوْنِيَّة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (16-18) : تفسير الآيتان 60-61

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، فلا زِلنا في سورة القصص، وفي أواخِر هذه السورة، يقول الله عز وجل، ولعلَّ هذه الآية مِن أدَقّ آيات هذه السورة:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60)﴾

[سورة القصص]

مِن أكثر كلمات اللُّغة العربيَّة عُمومًا حتَّى أنَّنا إذا وصَفْنا الله عز وجل بأنَّهُ عزيز، قالوا في تفسير هذا الاسْم يَحْتاجُهُ كُلّ شيء في كُلِّ شيء فهو يَحْتاجُهُ الصَّخْر في بقائِهِ صَخْرًا ؛ لأنَّ ذرات الصَّخْر تدور حوْل النَّواة، ولولا أنّ الله سبحانه وتعالى سمَحَ لأيّ شيء أن يبْقى لما بقِيَ فالله تعالى قال:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾

[سورة القصص]

كلمة مِنْ تُفيد اسْتِغراق أفراد النَّوع، واحِدٌ أوتِيَ طلاقة لِسان، والآخر أوتِيَ قناعَة إقْناع، وآخر أوتِيَ وسامة، وذام أوتِيَ ذاكرة قَوِيَّة والآخر أوتِيَ المال الوفير، فأيُّ شيء يَدْخل تحت هذه الآية، قال:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾

[سورة القصص]

شيءٍ جليل أم شيء حقير، أو شيءٍ كبير أو شيء صغير، شيءٍ خطير أم شيءٍ تافِه، قال:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾

[سورة القصص]

أَيُّ شيءٍ تَمْلِكُهُ أو وُضِعَ في يدِك، سُئِلَ أعرابيٌّ بِيَدِهِ قَطيعٌ من الإبل لِمَن هذه الإبل قالوا: أجابَ أدَقّ إجابَةٍ في اللُّغة قال: لله في يدي ! فإذا أوتِيَ الواحد شيئًا فهذا لله، هو الذي ملَّكهُ، وهو في يَدِكَ الآن.

قال تعالى قال:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾

[سورة القصص]

المتاع شيءٌ آنِيُّ اللَّذة وينقضي بِسُرْعة، قال تعالى:

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا(77)﴾

[سورة النساء]

المتاعُ لذَّة عابِرَة، وبعدها تَشْعُر بالانْقِباض، ولا أثَرَ لها، فلو أنَّ واحِدًا شَعَرَ بِأَلَمٍ شديد في فمِهِ، لو تذَكَّر بعض الولائِمِ التي حضَرَها فهل هذا التَّذَكُّر يُريحُهُ مِن ألَمِ أسْنانِه؟ كُلّ شيءٍ أكَلْتَهُ وإلى أيّ مكانٍ ذَهَبْت متاعٌ، ولا أثَرَ له مُسْتقبلي، أثرُهُ آنِيٌّ، فاللَّذائِذ أثَرُها آنِيّ والإنسان حينما يأكل لِثَواني مَعْدودات، ويَدْفَعُ لِسانه اللُّقْمة إلى سَقف حَلْقِهِ، في سَقْف الحَلْق أعْصاب الذَّوْق ؛ يشْعُر بِطَعْم الطَّعام في هذه الثانِيَة، ولكن بعد أن ينتقل الطَّعام إلى المعِدَة ؛ إن كان فلافل أو لَحما فهذا مثل بعْضِهِ، ويشْعُر بالشِّبَع، وليس الطَّعام والشَّراب جميع اللَّذائِذ حتَّى اللَّذة التي يسْعى الناس إليها جميعًا ؛ يعملون ويَجْهدون مِن أجل أن يتزوَّجوا، هذه كذلك دقائق مَعْدودات، قال تعالى قال:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾

[سورة القصص]

يقول الله عز وجل:

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60)﴾

[سورة القصص]

إذا كان ما عند الله خيْرٌ وأبقى، معنى هذا أنَّ الذي بين أيْدينا قليل وفاني، ونُوَضِّح الآية بالمثل التالي: لو خيَّرْنا إنسانًا بين درَّاجة يتملَّكُها وبين سيَّارة يرْكَبُها لِسَاعةٍ واحِدَة ! فإنَّه يختار الدراجة، لو خيَّرناه بين سيارة يتملَّكُها وبين سيارة يرْكبها لِثانِيَة واحِدَة، يقول لك: أمْتَلِك، فلو خيَّرْنا الإنسان بين سيارة يمْتلكها وبين دراجة يرْكبها لساعة واحِدَة فهل يتردَّد في اخْتِيار السيارة ؟! إن تردَّد فَهُوَ أحْمَق هكذا المُوازَنة، قال تعالى: قال:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

[سورة القصص]

خيرٌ من الدنيا، فالدُّنيا فيها متاعِب، وأَبْقى إلى أبَدِ الآبِدين، ومُضِيُّ العُمر يُقرِّب من النِّهاية واسْتِمرار الحياة ليس في صالِحِ الإنسان تضْعف ذاكرتُه، ومكانتهُ، ويُصْبح هامِشي، ولكن بالجنَّة أمْرٌ آخر لذلك هذه الآية التي قال:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾

[سورة القصص]

يُمكن أن تدْخل بيتًا ثمَنهُ سبعون مليون وله أثاث بِخَمسين مليون والعشاء يُكَلِّف ثلاثون أو الأربعون ألفًا ! وبالنِّهاية إلى القبر، قال:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60)﴾

[سورة القصص]

ماذا قال سَحَرة فرعون حينما قال لهم: آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟! قال تعالى:

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى(71)﴾

[سورة طه]

المُوازنة بين سيارة ثمنها خمس وعشرون مليونًا، ودراجة ثمنها خمسة آلاف !

الآن التَّفصيل، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)﴾

[سورة القصص]

لو فرضنا أنَّ شخْصًا معاشُه ألف وثمان مائة ليْرَة على القديم، وله ثمانية أولاد، وبيتُه بالأجرة، وله دَعْوى أخلاق وزوْجَتُهُ مريضَة وله عمّ ثريٌّ جدًا، وليس له أولاد، ومات بِحادِث فجْأةً، المال كلُّه يصبح له، وحتى اسْتطاع أن يأخذ أوَّل قبْضة سنة، تَجِدُه في هذه السَّنة ولو أنَّه لم يأخذ شيئًا، تجدُهُ أسْعَد الناس، لماذا هو على هذه الحال من الفرح ؟ لأنَّهُ دَخَلَ بالوَعْد، وهذا هو شأن المؤمن فالله عز وجل وعَدَهُ بالجنَّة، وهذا الوَعْد يُنْسيهِ كُلَّ متاعب الحياة، زوال السماوات والأرض أهْون على الله مِن أن يُخيِّبَ ظنَّ المؤمن، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلًا(122)﴾

[سورة النساء]

وقال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(111)﴾

[سورة التوبة]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(111)﴾

[سورة التوبة]

بِكُل آيات النَّفس والمال، تجد المال مُقدَّم على النَّفْس، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ(20)﴾

[سورة التوبة]

لأنّ إنفاق المال أهْون مِن إنفاق النَّفْس، إلا بهذه الآية الوحيدة بالقرآن قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(111)﴾

[سورة التوبة]

فالله هنا بدأ بالأهَمّ لأنَّ هناك بيْع قَطْعي، ففي مجال البذْل تبدأ بالمال، أما بِمجال البيْع القطْعي تبدأ بالأهمّ.

قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)﴾

[سورة القصص]

يُلقى القبْض عليه ويُساق إلى المُحاسبَة، فإذا كان الواحد بأفْخر مرْكبة ذاهب لِيُشْنَق والتقى بِوَاحِدٍ يمشي ليأخذ قصْرًا، هنيئًا لِمَن ؟ فهذه الآية دقيقة قال تعالى:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60) أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)﴾

[سورة القصص]

أيها الإخوة، الإنسان إن لم يُحْسِن الاختيار فهو ليس عاقلاً، لمَّا تختار أنت الآخرة، فالله أعظم وأجلّ واكْرَم أن يحْرِمَكَ الدنيا، ولكن تأتي هامِشِيَّة وعرَضِيَّة، وأنت تقْصِد رِضاء الله عز وجل، فالله تعالى من كَرَمِهِ ورحْمتِهِ، مَن آثر آخرته على دنياه ربِحَهُما معًا، وقد أوحى ربُّك إلى الدنيا انَّهُ مَن خدَمَكِ فاسْتَخْدِميه، ومَن خَدَمَني فاخْدُميه، فالله عز وجل هنا يُقيم مُوازَنَة معها تعَجُّب، وعندنا موازنات أخرى، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ(18)﴾

[سورة السجدة]

وقال تعالى:

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(35)﴾

[سورة القلم]

وقال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(21)﴾

[سورة الجاثية]

وهنا يقول الله:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61) ﴾

[سورة القصص]

أيها الإخوة، بُطولة الإنسان في حُسْن اخْتِيارِهِ، فالكافر قد يُحسِن اخْتيار زوْجة، يعْبُدُها من دون الله، إما أن يموت قبلها، وإما أن تموت قبلَهُ، وذاك يضَعُ كلّ آمالهِ بأولاده فَيُسافرون، ويتجنَّسوا وينْسَوا أباهم، فالإنسان إذا علَّق آمالهُ بِغَير الله عز وجل يكون قد أساء الاخْتيار، ولو كُنت مُتَّخِذًا خليلاً لكان أبا بكر خليلي، ولكن أخ وصاحب في الله، والأمَل كُلُّه بالله، وهو الهدَف كله في الله إلهي أنت مَقصودي ورِضاك مَطْلوبي، فالدُّنيا تغُرّ، وتضرّ، وإنَّ أسْعَدَ الناس في الدنيا أرْغَبُهم عنها، وأشْقاهم فيها أرْغَبُهم فيها، وهذه الآية أساسِيَّة جدًا، فالإنسان تأتيه إغراءات وضُغوط، وهذه الآية تُعينُهُ على اتِّخاذ القرار الصحيح.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (17-18) : تفسير الآيات76-83

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في سورة القصص، ومع قِصَّة قارون ذلك الرَّجل الذي آتاه الله من الكُنوز الكثيرة.

قال تعالى:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(76)﴾

[سورة القصص]

معنى بَغَى أيْ خرَجَ عليهم، وعن منهجهم، وعن طاعة الله عز وجل فلمَّا خرج عليهم قال تعالى:

﴿وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾

[سورة القصص]

معنى ذلك أنَّ الإنسان أحْيانًا حينما يُذَكِّرُهُ الله بالدَّعْوَة البيانِيَّة فلا يسْتجيب ويُؤَدِّبُهُ فلا يسْتجيب، رُبَّما سبحانه وتعالى أجْرى له عِلاجًا ثالِثًا وقد سمَّاهُ العلماء: الإكرام الإسْتِدْراجي، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)﴾

[سورة الأنعام]

قال تعالى:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾

[سورة القصص]

المفتاح الواحِد وزْنُهُ عشرين غراما لِصُنْدوق يَحْوي خمْسة ملايين فكَيْف سبْعة رِجال لا يسْتطيعون حَمْل مفاتيح كُنوزِهِ ؛ هذا وَصْف قرآني، فالله تعالى:

﴿وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾

[سورة القصص]

ثمَّ يقول الله عز وجل:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76)﴾

[سورة القصص]

الفرحين بالدُّنيا لأنَّها زائِلَة، وإنَّ هذه الدنيا دار الْتِواء لا دار اسْتِواء ومَنْزِل فرح لا مَنْزِل تَرَح، فَمَن عَرَفَها لم يفْرَح لِرَخاء، ولم يَحْزَن لِشَقاء، قد جَعَلَها الله دارَ بَلْوى وجَعَلَ الآخرة دار عُقْبى.

قُل لي ما الذي يُصْلِحُكَ أقول لك مَن أنت ؟ هذا مِقْياسٌ دقيق، إن تفْرحُكَ الدنيا فأنت مِن أهل الدُّنْيا، تُفْرِحُكَ مرضاة الله فأنت مؤْمِنٌ وربِّ الكَعْبَة، يُفْرِحُكَ العمل الصالح فأنت مؤمن، يُفْرِحُكَ البَذْل والعطاء، فأنت مؤمن، وإن يُفْرِحُكَ أن تأخُذَ لا أن تُعْطي فأنت مِن أهل الدنيا، قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76)﴾

[سورة القصص]

أيُّها الإخوة، مِن أدَقِّ آيات القرآن الكريم قاعِدَة وقانون، كُلُّ إنسانٍ آتاهُ الله حظًّا، وأعْطاهُ مالاً، ووسامَة وذكاء وزوْجَة وأولاد، أعطاه مكانَة ؛ هذه كُلُّها حُظوظ الدنيا، يقول الله عز وجل على لِسان قَوْمِ قارون:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) ﴾

[سورة القصص]

أمْرٌ، ينبغي أن تُوَظِّف كُلَّ شيءٍ الذي منَّ الله بِه عليك لدار الآخرة فإنْ وظَّفْتَ كُلَّ شيءٍ منَّ الله به عليك للدار الآخرة، عِنْدَئِذٍ سَعِدْتَ سعادَةً أبَدِيَّة، وأصْبَحَ هذا الذي منَّ الله عليك نِعْمةً، فهو قبل أن تُوَظِّفَهُ للدار الآخر ليس نِعْمةً ولا نِقْمةً، هو مَوْقوف، ابْتِلاء مَوْقوف على نوعِ اسْتِخْدامِهِ، سِكّين يُمْكِن أن تسْتَخْدِمَها في قَطْع الخُضار والفواكه فَتَنْفَعُكَ، ويُمْكِن أن تقتل بها لا سمَحَ الله، فالمُجْرِم يسْتخدِمُها لهذا فالحُظوظ يُمْكِن أن تكون سُلَّمًا ترْقى به أو درَكات تَهْوي بها، قال تعالى

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ﴾

[سورة القصص]

كُلُّ واحِدٍ مِنَّا، ماذا آتاهُ الله ؟ هذا ينبغي أن يُوَظِّفَهُ في الحق والبارِحَة طبيب أعطاني عشْرة كروت، وقال: أيّ مريض له مرض أُعالِجُهُ مجَّانًا، ابْتغى في عِلْمِهِ الدار الآخرة، وإنسان يُوَزِّع أموالهُ على الفقراء والمساكين مِن طيبِ نفْسٍ منه، وهذا يُلْقي علْمًا يبْتغي الدار الآخرة، وإنسان يُرَبِّي أولاده لِيَكونوا صلحاء من بعده يبتغي الدار الآخرة، فهذه نقطة دقيقة جدًا، الحُظوظ التي منَّ الله بك عليك ليسَت نِعَمًا، وليْسَت نِقَمًا إنَّما هي ابْتِلاء، فإن وُظِّفَت للدار الآخرة كانت سُلَّمًا ترتقي به إلى أبد الآبدين، وإن وُظِّفَت للدنيا كانت دركات تَهْوي بها إلى أسْفل سافلين، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي(15)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي(16)كَلَّا﴾

[سورة الفجر]

ليس عطائي إكرامًا ولا مَنْعي حِرْمانًا، عطائي ابْتِلاء، وحِرْماني دواء .

أخْطَرَ سُؤال ينبغي أم يرِدَ عليكم كُلَّ يوم ؛ هل وظَّفْتُ الذي آتاني الله إيَّاهُ للدار الآخرة ؟ يُمْكِنُ أن تكون حِرْفَتُكَ للدار الآخرة، إذا فَتَحَ الإنسان دُكَّانهُ ونوى خِدْمة المُسْلمين ؛ والله كُلّ دقيقة يُمْضيها بالمَحَلّ التِّجاري تُعَدُّ عِبادَة ! هؤلاء مسلمون، وهم خَلْقُ الله فإذا أعْطَيْتَهُم بضاعةً جيِّدَةً بِسِعْرٍ مَعْقول، ونصَحْت لهم وما غَشَشْتَهم، فأنت في عبادة، وأنت تزوَّجْتَ تبْتغي أن تُحْصِنَ نفْسَك، وأن تُنْجِبَ أولاد صالِحين يُصْبِحُ الزَّواج عِبادة، فأيُّ عَمَلٍ تعْمَلُهُ وأيُّ نشاطٍ تقوم به قال تعالى:

﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾

[سورة التوبة]

والآية دقيقة جدًا، قال تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ﴾

[سورة القصص]

ويا أيها الإخوة، مَن لا يبتغي الدار الآخرة تكون حياتُهُ مُتْعِبَة، وفيها مُنَغِّصات ومطبَّات، وهُموم تغُرّ وتضرّ وتمرّ، روى لي أحد الإخوة هذه القِصَّة وقد توفَّاه الله تعالى؛ إشْتَغَل بِمَحلّ الحميديَّة، وكانتْ له دُعابَة ولكن غير مَقْبولة، فكان يكْنس هذا المحلّ ويَجْمع القُمامة ويضَعُها في علبة هدايا، وفَخْمة، وكأنَّها قِطْعة ذَهَب ثمينة وكأنَّها على الرَّصيف، يأتي إنسان فيَنْظر يَمْنةً فلا يجد أحدًا فيأخُذُها، ويَعْدو ويتْبَعُه هذا الشَّخْص، وبعد مائة متْر يَفُكّ العلبة فإذا فيها القُمامة، والله هذا المَثَل أصْغَر بِكَثير مِمَّا يُفاجأ به الإنسان عند الموت، وأنَّ الدنيا غرَّتْهُ وضَرَّتْهُ، ومرَّتْهُ.

وكُنتُ بِحَلب فالذي اسْتَضافَني أراد أن يُطْلِعَني على أحد الأحياء الفَخْمة فرأينا قصْرًا قال لي: كلَّف هذا القصْر صاحِبَه خمْسًا وثلاثين مليون سنة الأربع والسَّبعين، وخمسة ملايين رخام أونيكس، والمُهَنْدِسون اسْتَقْدَمَهم من أوروبا، صاحب هذا القصْر تُوُفِّي في الثانِيَة والأربعين وكان القبْر أصْغَر من صاحب هذا القصْر، فَوُضِعَ مُعْوَجًّا !!

أيُّها الإخوة، مِن أخْطَر آيات القرآن الكريم:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ﴾

[سورة القصص]

أنت مُهَنْدس أو طبيب أو مُدَرِّس أو تاجر أو مُوَظَّف، يجب أن تعْلَمَ أنَّ الله تعالى يَمْتَحِنُكَ ويُراقِبُكَ، وأنَّ الله ينْظر ماذا تعمل، فَبِقَدْر ما تُوَظِّف اخْتِصاصك في خِدْمة الخَلْق ترْقى عند الله.

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾

[سورة القصص]

لهذه الآية معاني كثيرة، ولكن مِنْ أَوْجَهِ معانيها، فهذه الآية يلْفظونها كثيرًا، كلَّ ما أراد الرَّفاه والسُّرور، والتَّنَعُّم بالبيوت، والرُّكوب بأجْمل المركبات يقول لك قال الله:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾

[سورة القصص]

الحقيقة لو أنَّ طالبًا ذهَب إلى فرنسا ليأخذ دُكتوراه، هناك بِفرَنْسا ملاهي ومتاحف ومُتَنَزَّهات وهناك سوربون، فإذا قلنا له وهو في طريقه إلى فرنسا لا تنْس المُهِمَّة التي أُرْسِلْتَ مِن أجْلِها، وهي مُهِمَّة واحِدَة أن تدْرُس، فهذا الذي لا ينسى نصيبه من فرنسا وقد ذَهَب إليها فأنت خُلِقْتَ من أجْل العمل الصالح قال تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾

[سورة القصص]

لأنَّه إذا جاءَكَ الموت ماذا تقول:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي(99)لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(100)﴾

[سورة المؤمنون]

ومُعْظم الناس يسْتَشْهِدون بِهذه الآية على غير ما أراد الله عز وجل لا تنْسَ نصيبَكَ من الدنيا، والآية هذه تُؤَكِّدُها قال تعالى:

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ(82)﴾

[سورة الواقعة]

أي أنَّ حظَّكم أنَّكم كذَّبْتُم به ونصيبُكَ من الله أن تؤمن به وتُطيعَ الله وأمرَهُ، وأن تخْدِمَ خلْقهُ من أجْل أن ترْقى عنده.

ما هو النَّصيب. فسَّرَهُ الله فقال تعالى

﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)﴾

[سورة القصص]

أما لو أحْسَنَ الله على الإنسان وبدأ يظْهر أمام الناس بزينَتِهِ قال تعالى:

﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾

[سورة القصص]

هناك أُناسٌ كثيرون عندهم رَغْبة دفينة أن يُظْهِروا ما عندهم لِيَسْتَعلوا على الناس، فَكُلّ إنسان يبْتغي من دُنياه أن يسْتعلي على الناس ؛ بِمَالِهِ أو بيْتِهِ أو مرْكَبَتِهِ أو بِحَجْمِهِ المالي أو تِجارَتِهِ، إذا أراد الظُّهور فالله سبحانه وتعالى له بالمِرْصاد، والآية دقيقة جدًا، قال تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾

[سورة القصص]

نصيبَكَ من الدنيا أن تُحْسِن كما أحْسَنَ الله إليك، فالله أحْسنَ إليك ومنَحَكَ نِعْمة الوُجود وهذه أثْمَنُ نِعْمة، ومنَحَك نِعْمة الإمداد، ونِعْمة الإرْشاد، خلَقَك وأمدَّك وهداك، ماذا ينتظر منك ؟ أن تُقابِلَ هذا الإحْسان بإحْسانٍ مثله، لأنَّ الله تعالى سخَّر الكون تَسْخير تَعْريف تَكريم، فالتَّعْريف يقْتضي أن تُؤْمِن، و التَّكريم يقتضي أن تشْكُر، فإذا آمنْتَ وشَكَرْتَ انتهى العِلاج قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

ثمَّ يقول الله عز وجل:

﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾

[سورة القصص]

كأسُ الماء صافي ؛ لا طَعْم له ولا لَوْن له، ولا رائِحَة له، فلو وَضَعْتَ فيه تُرابًا ولو وَضَعْتَ فيه مادَّةً سامَّةً أفْسَدْتَهُ، فالفساد إخْراج الشيء عن طبيعَتِهِ وهذه الفتاة خَلَقَها الله لِتَكون زَوْجةً، فإذا أطْلَقْتَ لها العِنان واخْتَلَطَتْ مع الرِّجال وقَعَتْ في الحرام، وأصْبَحْت أنت بَغِيًّا وهذا الشاب ينبغي أن يعْرِفَ ربَّهُ وأن يبْحَثَ عن عمل، فإذا دَلَّتَهُ على عمل حرامٍ تكون أفْسَدْتَهُ، فالفساد خروج عن الطبيعة، قال تعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(41)﴾

[سورة الروم]

فالهواء مُلَوَّث، وهناك الآن تَلَوُّث صَوْتي ؛ آلاف المحطَّات تُرْسِل موجات كهرطيسيَّة إلى الجوّ، والجو مُلَوَّث بغاز أُكْسيد الكربون والماء مُلَوَّث بِمُخَلَّفات البِحار، والتُّرْبَة مُلَوَّثَة بالأسْمِدَة الكيماوِيَّة التي رفَعَتْ مُلوحة التُّرْبة، والفواكه والخُضار مُلَوَّثة بِمَواد سامَّة جاءَتْ مع مياه السَّقْي، فَمُخالَفَة مَنْهج الله فساد، أما الفساد هنا في السِّياق أن لا تُظْهِرَ ما عندك للناس، أحيانًا تَجِد مَن يقول لك: هذا الأثاث من إيطاليا والبلاط أتَانا بالطائرة، قال تعالى:

﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) ﴾

[سورة القصص]

والآن تطبيق عَمَلي، قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾

[سورة القصص]

جُهود وخِبْرات مُتراكِمَة، وأسَّسْتُ عملاً من ثلاثين سنة، وأنا معي شَهادات عُلْيا، وأنا وظَّفْتُ العِلْم للصِّناعة، وهذه الكلمة التي قالها قارون يقولها معْظم الناس، ويقولونها بأساليب كثيرة، يقول لك: هذا تعبي، هذا اسمي بالبلد، وينسى فضْلُ الله عليه، قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾

[سورة القصص]

لذلك قالوا: أربع كلمات مُهْلِكات: أنا ولي وعندي ونحن، فأنا قالها إبليس ؛ أنا خير منه، فأهْلَكَه الله، ونحن قالها قوم سبأ، قال تعالى:

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ(33) ﴾

[سورة النمل]

ولي قالها فرعون، قال تعالى:

﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ(51)﴾

[سورة الزخرف]

فأهْلَكَهُ الله، وعندي قالها قارون قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾

[سورة القصص]

ثمَّ قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾

[سورة القصص]

تجدهم يقولون: اشْترى أرْضًا ارْتَفَع سِعْرُها ثلاثة أضْعاف، وتجده حينما يقولها يتنهَّد ! قال تعالى:

﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79)﴾

[سورة القصص]

أهل الدنيا يُعَظِّمون أصحاب الأموال، تجده لا يُصَلِّي ويشْرب الخمْر ويحْتَرِمونهم أشَدَّ الاحْتِرام، أما المؤمن الذي دَخْلُهُ قليل لا ينظر إليه قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80)﴾

[سورة القصص]

الجواب الإلهي قال تعالى:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81)﴾

[سورة القصص]

سَمِعْتُ عن شركة ضَخْمة بالخليج يرْأسُها شَخْص يُعَدُّ من نوادِر العلماء بالاقتصاد، ويَحْمِل دكتوراه بأمريكا ركب أحدث سيارة بِي أمْ فاحْتَرَقَتْ السيارة، والذي حدث أنَّ القِفل المركزي لم يسْتطيعوا الخُروج حتَّى أصْبحوا قِطْعَتي فحم هو وزوْجتُه! فالله عز وجل يُنهي الإنسان لِثَواني ولأتْفَه الأسباب، قال تعالى:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82)﴾

[سورة القصص]

أنت بِعَيْنَيْك أغْنى إنسان، وإذا كان زِراعة الكبد سبْعة ملايين !

الخِتام، قال تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾

[سورة القصص]

المُتَّقي هو الفائِز والذَّكي والعاقل وهو الذي عرف ربَّهُ فاسْتقام على أمْره.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (18-18) : تفسير الآيات71-72

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، يقول الله تعالى في الآية الواحدة والسبعين من سورة القصص:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72) ﴾

(سورة القصص)

الحقيقة هذه الآية تُمَثِّل مَنْهجًا في التَّفْكير، هناك آمِر وهناك أمْر، لو تعرَّفْتَ إلى الأمر، لا تنْدَفِعُ إلى تَطْبيقهِ، أما إذا تعرَّفْتَ إلى الآمِر تتفانى في تَطْبيق الأمْر، إن لم تتعرَّف إلى الآمِر تفَنَّنْتَ في التَّفلُّت من أمْرِهِ، قد يضَع الإنسان في جَيْبِهِ حبَّات من الثُّوم فإذا دخَلَ وقْت صلاة الجمعة ألْقى في فَمِهِ حبَّةً، فصار مَعْذورًا ؛ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ:

((مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ يَعْنِي الثُّومَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا))

[رواه البخاري]

إن عَرَفْتَ الأمْر ولم تَعْرِفِ الآمِر تفنَّنتَ في التَّفلُّت من أمْره وإن عرَفْتَ الآمِرَ حقيقةً تفانَيْتَ في تَطبيق أمْرِهِ فهناك آيات كثيرة جدًا الهدَفُ منها أن تعْرِف الآمر، والآمِرُ هو الله عز وجل، قال تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(103)﴾

[سورة الأنعام]

السَّمع والبصر، والشَّم والذَّوْق واللَّمس ؛ هذه حواسّ تنْفعُ في الأشياء المادِيَّة والمَحْسوسة أما في ما غاب عنك وبَقِيَت آثارهُ ؛ غابت عنك عَيْنُهُ وبَقِيَت آثارهُ لا ينْفَعُكَ إلا عَقْلُك، ولذلك العُقول تَصِلُ إلى الله والحواسّ لا تُدْرِكُهُ، إذًا نحن مِن أجل أن نعْرِف الله لا بدَّ مِن أن نُفَكِّر في مَخْلوقاتِهِ، والتَّفكُّر في مخلوقات الله يَحتاج إلى منْهَج في التَّفكُّر وهذه الآية تُمَثِّل أحَدَ المناهِجِ الكُبْرى، الشيء وخِلاف ما هو عليه تصوَّر أنَّ الأرض لا تدور، يُصْبِحُ نصْفها ليل سرْمدي، والنِّصف الآخر نهار سَرْمدي طبْعًا الليل السرمدي الحرارة مائتان وسبعون تحت الصِّفر، والحياة تسْتحيل عليها، والنّهار السَّرمدي معناه ثلاثمائة وخمسون فوق الصِّفر، والحياة مُسْتحيلة، قال تعالى

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾

[سورة القصص]

إذا وقفَتْ الأرض فجْأةً، ووضَعوا مؤتَمر عالمي بِتَسْيير الأرض، فهل تدور ؟ لو مُعْظم دُوَل العالم اتَّخَذَت قرارات حاسِمَة على أن تدور الأرض، فهل تدور ؟ لو وقفَتْ فجْأةً يصبح نصف الكرة نهار سَرْمدي ونصف الكرةِ ليل سَرْمدي، وبعد حينٍ تنعدِم الحياة في النِّصْفَين ويموت الخلق جميعًا.

قال تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اليلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بيضاء﴾

[سورة القصص]

الحقيقة في الآية لَفْتة، قال تعالى:

﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71)﴾

[سورة القصص]

وفي قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72)﴾

[سورة القصص]

لماذا جاء هناك أفلا تسمعون وهنا أفلا تبصرون ؟ الله عز وجل من تَكريم الله للإنسان أعْطاه حواس خَمْس، ففي النَّهار الحاسَّة الأولى العَين، أما في الليل الحاسَّة الأولى السَّمع، يقول لك: أسْمع شيئًا ! الحقيقة أنَّ حاسَّة البصر تنتهي عند الحواجز، أما حاسَّة السّمع تتجاوَز الحواجز، فالواحد مِنّا يكون جالسا في غرفة الجلوس فَعَيْنُهُ تتفحَّص مَن في الغرفة، أما لو سَمِع حركةً بالغُرْفة الأخرى، وهو لا يعلم في البيت أحدًا فإنَّه يقول: فلان قد جاء ! ودخل ولم نشْعر به، فما الذي أخْبره ؟ الأُذن، ففي النَّهار الحاسَّة الأولى هي البصر، وفي الليل الحاسَّة الأولى السَّمع فالله تعالى قال:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72)﴾

[سورة القصص]

فالنَّهار معه البصر، والليل معه السَّمع، وهذا من حِكْمة الله عز وجل فهذا مَنْهَج، وأنت بِكُل قضِيَّة إن أرَدْت أن تعرف منهَجَ الله عز وجل غيّر، فمثلاً الفواكه على الأشجار، أما المحاصيل على الأرض فالبطِّيخ فاكهة، ولكنَّه لو كان مُعلَّقًا على الأرض لكانت مُشْكلة كبيرة إن وقَعَت هذه الثَّمرة تنشَطِر، وإن وقعَت على رأس

شَخْصٍ تَقْتُلُهُ ولأنّ حجْمها كبير جُعِلَت على الأرض، فَمَنِ الذي قرَّر ذلك ؟ الله عز وجل، ومُمْكن كلّ شيء أمامك تقيسُهُ على هذا المنْهج فمثلاً بالأنف هناك شَعْر، ولكن بالفم لا يوجد شَعر، الأنف فيه سُطوح مُتَداخِلَة، تَحوي أوْعِيَة تتميَّز بِخَاصَّة تنفرد بها، فهذه الأوْعِيَة فيها عضلات تتوسَّع، فإذا توسَّعَت جاءَتْ كمِيَّة دم كبيرة إلى الأنف، فالإنسان إذا برَد يَحْمرّ أنْفُهُ، والأنف مُهَيَّأ أنَّ أوعِيَتَهُ الدَّمَوِيَّة فيها عَضَلات مُوَسّعَة فكَمِيَّة الدم هذه التي تأتي إلى الأنف من أجل تَسْخين الهواء البارد الذي سَيَدْخُل إلى الرِّئتَين، ثمَّ إنَّ هذه السُّطوح عليها مادَّة مُخاطِيَّة فإذا دخَلَ الغبار فإنَّه يعلق بهذه المادَّة، فالإنسان إذا نظَّف بيْتَهُ، فبَعْد التَّنظيف يجد ما بِداخِل أنْفهِ أسْوَدًا، فالسُّطوح هذه أخذَت هذه المواد العالِقَة بالهواء، وإذا تمكَّنَت ذرَّة غُبار أن تَمْشي في الفراغات بين السُّطوح المُتَدَاخِلَة تأخُذها الشَّعْرة، فالله عز وجل أعْطانا منْهَج، وما عليك إلا أن تتصوَّر الشيء على ما هو خلاف عليه تعْرف قيمَتَهُ، فالمفصل لو لم يكن لأكلت كالقط، فأنت يُمكن أن تقيس جسْمك وحواسَّك وأعضاءَك وعظامك، تجِدُ كُلّ شيء في أعلى درجات الحكمة، فهذا منْهج، وأحد مناهج التَّفكُّر في خلق السماوات والأرض أن تتصَوَّر الشيء على خِلاف ما هو عليه، فالمرأة عندها بُوَيْضات مَحْدودة، لو لم تَكن مَحدودة لأمْكَنَها أن تلد وعمرها اثنان وثمانون سنة !! فهذه ليس لها إمكانِيَّة ترْبِيَة الطِّفل، فَلِحِكْمَةٍ أرادها الله المرأة بُوَيْضاتها مَحدودة تنتهي بالخمسينات أو الأربعينات ؛ يُسَمَّى سِن اليأس أما الحُوَيْنات عند الرَّجل غير مَحدودة ويمكن أن يُنْجِب بالتِسعين، فَمَن الذي قرَّر أنَّ الرَّجل حُوَيْناته غير محدودة ؟ الله جل جلاله، تصَوَّر بالعَكس ؛ إنسان بالخمسين لا يستطيع أن يُنْجِب ولا يزال قَوِيًّا والمرأة بالثمانين وتُنْجِب !! مُشْكلة كبيرة، والإنسان يَخُفّ شَعْره وقد يَذْهب كُلُّه، ولكن ليس في النِّساء امرأة دون شَعر، وهذه لِحِكْمة أرادها الله عز وجل، وبِطُحال الطِّفل الصغير مادَّة حديد تَكفيه عامَيْن، فالله أودَ عَ فيه هذه المادَّة لأنَّ الحليب ليس فيه حديد، ومن أجل الدم والصوص الذي في البيْضَة كيف يَخرج ؟ إذْ هو مُحاصَر، يَنْمو على مِنْقارِهِ نُتوء مُدَبَّب كالإبرة تمامًا، يَكْسرُ به البيْضَة، فإذا خرَجَ إلى خارج البيْضَة تلاشى هذا النُّتوء وتلاشى، فَمَن الذي يَجْعل هذا النُّتوء؟ ومن الذي يجعله يتلاشى ؟ فالآية هذه مَنْهج، والعِلْم حرف والتَّكْرار ألف، فلو أنَّ الماء برَّدْتهُ ينْكَمِش مِثل أيّ عُنْصر بالأرض لانتَهَت الحياة، تَتَجَمَّد البِحار، ويَقِلُّ حَجْمُها، وتَزْداد كَثافَتُها، وتَغوص في أعْماق المياه، وتأتي طبقة أخرى تتجمَّد وتَغوص، وبعد حينٍ تُصْبِحُ البِحار كُلّها مُتَجَمِّدَة وينْعَدِم التَّبَخُّر، ويَنْعَدِم المطر، ويموت النَّبات والحيوان، وينْتهي الإنسان ! فَمَن الذي جَعَل الماء بالدَّرَجة زائِد أربعة يزْداد حجْمُهُ، وبِهذه الطريقة حُوِّلَت الصُّخور إلى تُرْبة زراعِيَّة، فالخاصَّة هذه هي التي تَجْعل الصَّخر تُرْبَةً زراعِيَّة، يَتَغَلْغَل الماء ويتجمَّد ويُفَكِّك التُّرْبة، فهذا إذًا منْهَج تَفكير دقيق جدًا، قال تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72)﴾

[سورة القصص]

هناك مَنْهج ثاني، وهو الشيء وعَدَمُه فالمَنهَج الأوَّل ؛ الشيء وما هو خِلاف عليه، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ(30)﴾

[سورة الملك]

الله جل جلاله، فلو أنَّ الشام أصْبحت بلا ماء، لن تجد أحدًا يسْكُنُها المحل الذي ثمن المتر فيه مائة ألف يُصبح خمسة آلاف.

المنهج الثالث ؛ أنْظر إلى طِفْلٍ صغير ؛ إلى جبينه وشَكل وجْهه وعَيْنَيْه وأُذُنَيْه، وإلى أنْفِهِ وفَمِهِ، وإلى أسْنانه، ويأكل، معنى ذلك أنَّ له بلعوم ومعدة وبنكرياس، وأمعاء دقيقة وغليظة، وفتْحة علويَّة وسفليَّة والقلب والرئتين والكليتان، فهذا المخلوق ما هو أصْلُهُ ؟ نقطة من ماء مهين، تسْتجيبه إذا كان على ثِيابِكَ، وفي اللِّقاء الزَّوجي هناك خمسمائة مليون حُوَين، والبُوَيْضَة تتلقَّح بِحُوَيْن واحِد، فهذا الطِّفل الذي أمامك لا يعرف أحدٌ كيف تخَلَّقَ سِواك ؛ نُقْطة ماء أودِعَت في رَحِمِ أُمِّه وأصْبحَ كائِنًا بأيدي وعِظام، وعَضلات، وطبقة شَحْمِيَّة وأخرى جِلْدِيَّة ولحْم وشَعْر، وأجْهزة دقيقة، وغُدَّة نُخامِيَّة بِمَثابة ملكة الغُدَد، وغُدَّة كظْرِيَّة، وعُقَد لمْفاوِيَّة، شيءٌ مُذْهل !

إذًا أصْبَحَ عندنا ثلاثة مناهج ؛ الشيء وأصْلُهُ، والشيء وخِلافُ ما هو عليه، والشيء وعَدَمُهُ، فإذا أرَدْتَ أن تُفَكِّر في عَظَمَةِ الله معك هذه المناهِج الثلاثة، قال تعالى:

﴿فَلْيَنظُرْ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ(5)﴾

[سورة الطارق]

هذه الشيء وأصْلُهُ، والشيء وخِلاف ما هو عليه، والشيء وعدمه.

أيُّها الإخوة، مرَّةً ثانِيةً إذا عَرَفْتَ الله حق المعرفة لِقَول الله:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(67)﴾

[سورة الزُمر]

إنْ عَرَفْتَ الله معْرِفَةً تليق به يسْتوي عندَكَ التِّبْر والتُّراب، والألف مليون تحت قَدَمَك إذا كانت فيها شُبْهة، وإذا لم تعْرف الله والله قد تبيع دينَكَ بمائة ليْرة، ويبيعُ الإنسان دينَهُ بِعَرَضٍ من الدنيا قليل، فأنت إذا عرَفْتَ الآمِرَ قبل الأمْر تفانَيْتَ في تَطْبيق الأمْر، وإن عَرَفْتَ الأمْر قبل الآمِر تفنَّنْتَ في التَّفَلُّت منه، وثلث القرآن آيات كَوْنِيَّة من أجْل أن تعرف الآمِر، وتنْدفِعَ إلى تَطْبيق الأمر، ومن أجل أن يكون الله عز وجل هو كُلّ شيء في حياتِكَ، أما إن لم يعرف الله فإنَّك تَجِدُهُ يمُنُّ على الله بِصلاته وصِيامه !!! قال تعالى:

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلْ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(17)﴾

(سورة الحجرات)

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : تفسير سورة العنكبوت

الدرس (9-1) : تفسير الآية 2

الدرس (9-2) : تفسير الآية 4

الدرس (9-3) : تفسير الآيتان 5 و 6

الدرس (9-4) : تفسير الآية 3

الدرس (9-5) : تفسير الآية 6

الدرس (9-6) : تفسير الآية 45

الدرس (9-7) : تفسير الآية 52

الدرس (9-8) : تفسير الآية 63

الدرس (9-9) : تفسير الآيتان 68 – 69

الدرس (1-9) : تفسير الآية 2

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، فالآية الثانية من سورة العنكبوت، وهي قوله تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)﴾

[سورة العنكبوت]

تُعَدُّ هذه الآية من أخْطَر الآيات في حياة المؤمن، لماذا ؟! لأنَّ الله سبحانه وتعالى خلقَ الخَلْق في الدنيا لِيَمْتَحِنَهُم، والأصْل في الحياة الدنيا أنَّها دار ابْتِلاء، ونحن في حياةٍ هي في جَوْهَرِها دار ابْتِلاء والآخرة دار جزاء، وهي في جَوْهَرِها دار تَكْليف، والآخرة دار تَشْريف، وهي في جَوْهرِها دار عمل، والآخرة دار عطاء.

نِظام الحياة الدنيا كما قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ(6)﴾

[سورة الإنشقاق]

لن تَصِلَ إلى شيء إلا بعد بَذْل الجُهْد المكافئ له، أما في الآخرة فالنِّظام آخر ؛ بِمُجَرَّد أن يخْطر بِبَالِكَ شيء تَجِدُهُ أمامك، قال تعالى:

﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا(16)﴾

[سورة الفرقان]

قال تعالى:

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ(51)يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِينَ(52)أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ(53)قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ(54)فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ(55)﴾

[سورة الصافات]

نِظام الآخرة نِظام عَطاء، ونِظام راحة وطمأنينة واسْتِقرار، ولا همَّ ولا حَزَن، ولا حروب ولا تنافس، ولا تقدُّم بالسِّن، ولا تنكُّس شَيْخي ولكن إكرامٌ مُسْتَمِرّ إلى أبَدِ الآبدين، أما ثَمَن هذه الحياة الآخرة أن تأتي إلى الحياة الدنيا وأن تُمْتَحَن، فالامتحان مِحْوَر الحياة الدنيا، وقد ورَدَ عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:

((إنَّ هذه الدنيا دار الْتِواء لا دار اسْتِواء، ومنزِل تَرَحٍ لا منزل فرح، فَمَن عرفَها لم يفْرَح لِرَخاء، ولم يحْزن لِشَقاء، وجعلها الله دار بلْوى، وجعل الآخرة دار عُقبى فجَعَلَ بلاء الدنيا لِعَطاء الآخرةِ سببًا، وجعل عطاء الآخرةِ من بلْوى الدنيا عِوَضًا، فيأخُذ لِيُعْطي ويبْتلي لِيُجْزي.))

أردْتُ من هذه المُقَدِّمة أن يعرف الإنسان حقيقة الحياة الدنيا، مِحْوَرُها الابْتِلاء والامْتِحان، وقد سُئِل الإمام الشافعي رحمه الله: أَنَدْعو الله بالابْتِلاء أم بالتَّمْكين ؟ فتَبَسَّم وقال: **لن تُمَكَّن قبل أن تُبْتَلى !** والله تعالى قال:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ(30)﴾

[سورة المؤمنون]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ(106)﴾

[سورة الصافات]

سيِّدُنا إبراهيم كان ابْتِلاؤُهُ عظيمًا فقد أُمِرَ أن يذْبَحَ ابْنَهُ، هل يستطيعُها أحد ؟! وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ذهب إلى الطائف فَكَذَّبوه وسَخِروا منه ورَدُّوا دَعْوَتَهُ وضَرَبوه، فقال: إنّ الله ناصِرٌ نَبِيَّهُ، وفي الهِجْرة وُضِعَت مائتا ناقَةٍ من أجل مَن يأتي به حَيًّا أو مَيِّتًا ! فَلَقِيَهُ سُراقة، فقال يا سُراقة: كيف بِكَ إذا لَبِسْتَ سِواري كِسْرى ؟! الحقيقة المسلمون ومعهم رسول الله عليه الصلاة والسلام مَرُّوا بامْتِحانٍ لا يُحْتَمَلُ في غَزْوَة الخَنْدق، قال تعالى:

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ(10)﴾

[سورة الأحزاب]

حتَّى قال بعضهم: أَيَعِدُنا صاحِبُكم أن تُفْتَحَ علينا بلاد قيصر وكِسْرى وأحَدُنا لا يأمَنُ أن يقْضِيَ حاجته !! قال تعالى:

﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ(10)﴾

[سورة الأحزاب]

ولكن قال تعالى:

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(23)﴾

[سورة الأحزاب]

وكذا بِحُنَين قال تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(25)﴾

[سورة التوبة]

لمَّا الجسم يفْقِدُ مناعتهُ فإنَّهُ ينْهار لأدْنى مرَض، الله عز وجل يَمْتَحِنُ المؤمن وكُلّ امْتِحان يسوق له مُشْكِلة، فيَدْعو الله فَيُنَجِّيهِ الله منها ويثِقُ بِقُدْرة الله ورحمة الله، وبِعِلْم الله وحِفْظِهِ، فالجِسْم لمَّا نُعْطيهِ جُرْثومًا مُضَعَّفًا، يصْنَع مَصل مُضادّ يُصْبِحُ مُحَصَّنًا ضِدَّ الكوليرا وإذا أعْطَيْناهُ الطاعون المُضَعَّف فَيَصْنَعُ الجِسْم مصل مُضادّ للطاعون حينها يُصْبِحُ مُحَصَّنًا ضِدَّ الطاعون، فالله عز وجل يُعْطي مُشْكِلات هي مِن أجْل أن تُحَصِّن الإنسان، والمؤمن كُلَّما تقدَّم به السِّن أصْبَحَ كالجَبَل، لولا هذه الامتحانات المُتتالِيَة، تَدْعو الله فيسْتَجيب لك ويقيك ويرْفعُ ذِكْرَكَ، فلولا هذه فلن تَقْوى، أذْكُر أنَّني دَخلْتُ لِمَعْمل خُيوط نايْلون، أوَّل خُروج الخَيْط، أعْطاني صاحِبُ المَعْمل قِطْعة من هذا الخَيْط، فشَدَدْتُهُ شدًّا بسيطًا فانْقَطَع، أما عند التبريد ثمّ التَّسْخين وإعادة الكرَّة فإنّ هذا الخيط يثْبُت ويصبه عاصِيًّا ومتينًا، فالله عز وجل في الدنيا يسوق للمؤمن من الشدائد، ولكنَّ الله تعالى حكيم يسوق لك مِن الشِّدة التي تَحْتَمِلُها ؛ يسوق لك شِدَّة ويرسِل لك مَن يَعِظك، يفْتَحُ لك باب الدُّعاء فَتَدْعوهُ ويُنْجيكَ من هذه الشِّدَّة، وبهذا تُصبِحُ لك خِبْرة مع الله تعالى، مُمَارسَة، فَكُلّ مُشْكِلَة تُقَوِّي إيمانَك إلى أن يأتِيَ وقْتٌ لو أنَّ أهْل الدنيا جميعُهم كفروا لن تَكْفُرَ، ولو أنَّ كُلَّ الضُّغوط اجْتَمَعَتْ عليك تقول: أحَد أحَد، والله الصَّمد، أما إن لم تتعوَّد على الشَّدائِد فأوَّل ضَغْط أو إغْراء تنْحلّ ! فَرَبُّنا عز وجل جاء بِنَا إلى الدنيا لِيَمْتَحِنَنَا ولِيُرَبِّيَنَا، فهل في الأرض كُلِّها جامعة يُقَدِّم فيها الطالب طلب انْتِساب ويُصْبِحُ أحد طلابها، وآخر السنَّة يطلب الطالب طلبًا يقول فيه: أنا واثِق من عِلْمي لذا يُرْجى مَنْحي الشَّهادة ؟ فهذه الجامِعة لا توجد على الإطلاق ؛ دون أن يُقَدِّم الطالب فحْصًا تُمْنَحُ له شهادة ! ولن تكون لِهذه الشَّهادة قيمةً إطْلاقًا، فالآية الكريمة:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) ﴾

[سورة العنكبوت]

صلَّى وصام وحجَّ وزكَّى، وأمورهُ سهْلةً ومُيَسَّرة لكنَّ النَّفس فيها مليون مرض نفسي، يسوق الله لك شِدَّة تجعلُكَ لا تعْتَزَ بِنَفْسِك ويسوق لك شِدَّة لِيُنْجيك من مرض، فهذا أحَدُ الأغنياء قال: كُلّ شيءٍ يُحَلُّ بالمال ! والدراهم مراهِم، فسيق إلى السِّجْن وبقِيَ فيه سِتِّين يوْمًا وتأتيه الخواطِر ؛ هل ينْحَلُّ هذا بالمال ؟! وقد كان بريئًا من هذه التُّهْمة فهذا تأديب من الله عز وجل، فهذه الآية تَدْخل بِحَياتِنا اليَوْمِيَّة:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) ﴾

[سورة العنكبوت]

يقول لك: والله لو تَزَوَّجْت لأجْعَلَنَّ زوْجتي خادِمَةً لأُمِّي ! مُجَرَّد كلام فإذا تزوَّج، يأتي ظُهْرًا فيَجِدُ مُشْكِلَةً بالبيْت، يلْتَفِتُ لأُمِّه ويقول لها: كُلّ البلاء منك !!! آثَرَ شَهْوَتَهُ على أُمِّه، والإنسان مع الحق دائمًا فقد سُئِلَ النبي عليه الصلاة والسلام: مَن أعظم الناس حقًّا على المرأة ؟ قال: زوْجُها، وذاك يقول لك: والله لو رزقني الله مالاً لأعْمَلَنَّ كذا وكذا، يُصْبِحُ معه المال، وتأتيه لجْنة فيقول لها: معنا الْتِزامات !! وهو معه الملايين، فأين كلامه السابق، وذاك يقول لك: إذا تَزَوَّجْت أَغُضُّ بصري، فإذا به بعد الزواج ينظر أكثر، امْتَحَن ورسَب والآخر يقول: لما أُصْبح غَنِيًّا أبني جامِعًا، فلمَّا اغْتنى بنى ملْهى ! فَكُلّ واحِد يُمْتَحَن امْتِحانًا دقيقًا، ولا ينْجو من الامتِحان بما فيهم الصحابة الكرام حتى قال أحدهم: ما وَعَدَنا الله ورسوله إلا غُرورًا، قال تعالى:

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ(10)﴾

[سورة الأحزاب]

حتَّى قال بعضهم: أَيَعِدُنا صاحِبُكم أن تُفْتَحَ علينا بلاد قيصر وكِسْرى وأحَدُنا لا يأمَنُ أن يقْضِيَ حاجته، عشْرة آلاف مُقاتِل ما اجْتَمَعت في أنحاء الجزيرة جاءوا لِيستأصِلوا المسلمين، وتعاوَن معهم اليهود وانْكَشَف ظهْر النبي عليه الصلاة والسلام، وصَدِّقوني حسْب المنطق التاريخي الإسلام بَقِيَ مُجَرَّد ساعات ! الرِّسالة مع الدَّعوة مع النبي والوَحْي ! قال تعالى:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا(11)﴾

[سورة الأحزاب]

فالإنسان إذا أيقَنَ أنَّ الله يفتح عليه بالإسلام، ويُصبِحُ في بَحْبوحة، وَ يُعْطيه زوْجة صالحة ومالاً وفيرًا، وتِجارة رائِجة، وصِحَّة تامَّة ؛ هذا وَهم !! نحن في دار ابْتِلاء لا في دار جزاء، لكنَّ المؤمن يسْعَدُ في الدنيا لأنَّهُ يشْعُر أنَّهُ راضٍ بالله عز وجل، يشعر بالطمأنينة والرِّضى الداخلي أما المؤمن فَهُوَ مُعَرَّض للابْتِلاء، لذلك قال عليه الصلاة والسلام عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ عَنْ عَمَّتِهِ فَاطِمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ:

((أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعُودُهُ فِي نِسَاءٍ فَإِذَا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ نَحْوَهُ يَقْطُرُ مَاؤُهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرِّ الْحُمَّى قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))

[رواه أحمد]

فهذه الآية دقيقة:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) ﴾

[سورة العنكبوت]

تُمْتَحَنُ بِمالِكَ وأولادك وبالغِنى والفقْر، والفقْر أصْعَب، فقد يَمُدُّ يدهُ للحرام، ويقول لك: عندي أولاد ! امْتُحِنَ فرَسَب، وامْتُحِنَ بالغِنى فرسَب، وامْتُحِنَ بالزَّواج فَنَظر للأجنبيات وامْتُحِنَ بعدم الزَّواج فزلَّتْ قدَمُه، والمؤمن مُنيبٌ ومُستقيم قبل الزَّواج وبعدهُ، وفي الغِنى والفقْر فهو في الرَّخاء صَبور، وفي الشِّدَّة صَبور قانِعًا بالذي له ولا ينظر لِمَا ليس له، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)﴾

[سورة العنكبوت]

تُقَدِّم طلبًا للانتِساب إلى الجامعة، وفي آخر السنة تُقَدِّم طلبًا آخر يُرْجى مَنْحي شَهادة اللِّيسانس !! دون أن تُقَدِّم امْتِحانات ! هل يُعْقَل أن يُعطيك الشيخ شهادة حِفْظ القرآن دون أن يمْتَحِنَكَ ! مِن أوَّل القرآن ومن وسَطِهِ ومن آخره، فكَيف خالق الكون ؟ قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4) ﴾

[سورة العنكبوت]

فقد يسْبح الإنسان باتِّجاه النَّهْر، وهذا شيء سَهْل، وبأدنى جُهْد يقْطع أطْوَل مسافة، ولكنَّ البُطولة في السِّباحة أن تسْبح مُعاكِسًا لاتِّجاه النَّهْر فقد تأتي الظُّروف مُوافقة لِطَاعَتِكَ لله تعالى، ولكن أحْيانًا توضَعُ في ظَرْف صَعْبٍ ؛ إمَّا أن تعْصي الله تعالى، وإما أن تقَعَ في مُشْكِلة ماذا تقول ؟ سألني أحدهم: التَّأمين ما حُكْمُهُ ؟ فقلتُ له: هناك كُلِّي وآخر إجْباري ! فَلَغَى التأمين، في اليوم الثاني ضَرَبَ سيَّارتهُ فدَفَعَ مائة وثمانون ألف ليرة !! فجاءني وعاتبني وقال: لو أنَّني ما سألْتُكَ لما دَفَعْتُ هذا المَبْلَغ ! وتألَّم، فقلْتُ له: والله، إنَّ الله قد امْتَحَنَ إيمانَك فباعَ السيارة، واشترى فيها بيْتًا، وأقْسَمَ لي قبل شَهْرٍ أنَّه باعها بما يزيد عن أربع مائة ألف عن سِعْرها الحالي، وربِحَ في البيت ثلاثمائة ألف، ففي أوَّل الأمْر كان الأمْر قاسٍ، ودَفَعَ مائة وثمانون ألف فالامتحانات موجودة، ولا ينْجو منها أحد، وأحيانًا الأشياء مُتساوِيَة وسَهْلة، وكُلّ الرِّبْح بالمَعْصِيَة، وإذا هذه حرام وهذه حرام لما بقِيَ شيء ! لو أنّ الحلال سهلٌ لأقبلَ الناس إليه لا لأنَّهُ، ولكن لأنَّهُ سهْل ولو أنَّ الحرام صَعْب لَتَرَكَهُ الناس لا لأنَّهُ حرام ولكن لِكَوْنِهِ صَعْبًا فمثلاً قبل عشرين سنة لو الواحِد سافَرَ وَدَعَتْهُ امرأة ذات جمالٍ ومنصب، وقال: إنِّي أخاف الله رب العالمين لأخذَ عليها مليار أجْر أما الآن فلا يخاف من المعصِيَة ولكن يخاف من الإيدْز ! قال تعالى:

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا(102)﴾

[سورة الكهف]

وطِّن نفْسَكَ ؛ جنَّةٌ عرضها السماوات والأرض دون امْتِحان ولا أجْر ولا جهْد ! مُستحيل، ألا إنَّ سلْعة الله غاليَة فلو أنَّ أحدهم أراد أن يفتح أكبر محلّ غسالات، ووجَدَ موضوع الكمبيوتر غالي، وصَعْب تركيبهُ وحينها أصْبح يلْغي كلّ شيء يعْتريه صعْبًا لأصبحت هذه الغسالة علبة وكذا إذا أراد الإنسان أن يكون الإسلام رخاء وسُرور وموالد واحْتِفالات، لوَجَدْتَهُ يُصَلِّي مثل الصَّنم، ولكن لمَّا يدْفَع ثمَن الدِّين غاليًا وحينما يؤثر الله ورسوله والدار الآخرة ويتحمَّل المتاعب عندها يُعطيه الله الدنيا والآخرة.

لذا هذه الآية أساسِيَّة في حياة المؤمن ؛ قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2)﴾

[سورة العنكبوت]

قد تُدعى لِحَفلٍ كبير ولكن فيه اخْتِلاط، وأحيانًا دَعْوى فيها منكرات وأخرى دَجَل، فالإنسان عليه أن يحْتاط، وإنَّ هذه الدنيا دار الْتِواء لا دار اسْتِواء، ومنزِل تَرَحٍ لا منزل فرح، فَمَن عرفَها لم يفْرَح لِرَخاء ولم يحْزن لِشَقاء، وجعلها الله دار بلْوى، وجعل الآخرة دار عُقبى فجَعَلَ بلاء الدنيا لِعَطاء الآخرة سببًا، وجعل عطاء الآخرة من بلْوى الدنيا عِوَضًا، فيأخُذ لِيُعْطي ويبْتلي ليُجْزي.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-9) : تفسير الآية 4

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الرابعة من سورة العنكبوت، وهي قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4)﴾

[سورة العنكبوت]

حَسِبَ بِمَعنى ظنَّ وحسَبَ بِمَعنى عدَّ، وحَسُب بمعنى افْتَخَرَ بِحَسَبِ وحسْبُكَ أيْ يَكْفيك دِقَّةُ لُغَتِنا العربيَّة أنَّ حركتنا الواحِدَة في الحرف الداخلي تُغَيِّر معنى الكلمة كُلِّها، حسِبَهُ ظنَّهُ، وحسَبَهُ عدَّهُ، وحَسُبَ افْتَخَرَ بِنَسَبِهِ، وحَسْبُكَ أي يكْفيكَ، أربعة تقاليب إذا غيَّرْنا حركة الحرف الداخلي حسَبَ وحَسُبَ وحَسِبَ وحَسْب.

قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾

[سورة العنكبوت]

هناك شُعور عند الإنسان العاصي أنَّهُ يفْعَلُ ما يريد، ولكنَّ الحقيقة التي ينْبغي أن نعلَمَها أنَّهُ لا يليق بالله ولا يتناسَبُ مع كمالِهِ أن يَقَعَ شيءٌ في كَوْنِهِ إلا بإذْنِهِ، ولذلك المَقولَة التي إذا فَهِمْنا أبْعادَها كانتْ برْدًا وسَلامًا على قُلوبنا ؛ أنَّ كُلَّ شيءٍ وقَعَ أرادَهُ الله، ولكن لِكُلِّ واقِعٍ حِكْمة وليس لِكُلِّ موقِعٍ حِكْمة، فقد يرْتَكِبُ الإنسان حماقةً، ويرْتَكِب معْصِيَة كبيرة ويُسَبِّب للناس آلاما كثيرة، فهذا الذي فَعَلَ هذا سَيُحاسَبُ حِسابًا عسيرًا أما لأنَّ هذه الإساءَة وقَعَتْ ؛ كيف سَمَحَ الله لها أن تَقَع ؟ فمعنى هذا أنَّها بِحِكْمَتِهِ تعالى، وهناك حِكْمة بالغة، والنُّقْطة الدقيقة هو أنَّ الإنسان مُخَيَّر أن يعْصي أو يُطيع، أما إذا أراد المَعْصِيَة فليس مُخَيَّرًا أن يَصُبَّ معْصِيَتَهُ على من يشاء، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(129)﴾

[سورة الأنعام]

فالإنسان إذا أراد أن يسْرق فَهُوَ اخْتار السَّرِقَة وسوف يُمَكِّنُهُ الله منها لأنَّهُ أصرَّ عليها، ولأنّ الله أعْطاهُ اخْتيارًا وسوف يُحاسِبُهُ عليه، ولكن يَدُ الله تَسوقُهُ إلى مَن يسْتَحِقُّ السَّرِقَة ! ويؤكِّد هذا: الظالم سَوط الله ينتَقِمُ به، ثمَّ ينتقِمُ منه ! قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(129)﴾

[سورة الأنعام]

فإذا الكافر وَضَع خِطَّةً سيّئَة لِيَبْني مَجْدَهُ على أنْقاض الناس ولِيَبْني أمْنَهُ على خَوْفِهِم، فَخِطَّةُ الله تسْتَوْعِبها، فلا يُنَفَّذُ منها إلا ما يُسْمَحُ بِذلك، هذا المعنى، وهو أنّ كُلَّ شيءٍ فعَلَهُ الكافر سَمَحَ الله به وحينما تقول سَمَح الله بِهِ أيْ هناك حِكْمة مُطْلَقَة، وقد لا نكْشِفُها، ولا نعْرِفُها ولكن بعد حينٍ تظْهر هذه الحِكْمة.

لذا كلمة يسْبقونا في قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(129)﴾

[سورة الأنعام]

معنى يسْبِقونا ؛ أيْ يَفْعَلوا شيئًا ما أرَدْناهُ، أو أن يتفَلَّتوا من قبْضَةِ الله فالإنسان قد يقرأ الآية عِشرين سنة، ويُرَكِّز على مَقْطَعٍ منها ويَغيبُ عنه المَقْطع الثاني، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(123)﴾

[سورة الأنعام]

توْضيحًا للآية، لو أراد إنسانٌ أن يغيظ آخرًا فيَكْسِرَ له بِلَّوْر السيارة الأمامي ! ثُمَّ فوجئ أنَّهُ كسَّر بِلَّوْر سيَّارتِهِ و ! يُصْعَق، أراد أن يوقِعَ به الأذى فَصُبَّ الأذى عليه، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(123)﴾

[سورة الأنعام]

لذا قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ(4)﴾

[سورة القصص]

فهذا قانون، وهذه الفِكْرة إذا اسْتَوْعَبَها الإنسان ؛ كلّ شيءٍ وقع أراده الله، وكل ما أراده الله وقَع، لأنَّ الله فعال لما يريد، أما نحن فلا نستطيع أن نُحَقِّق ممَّا نريد ولو بالمليون واحد !

ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه تَجري الرّياح بِما لا يشْتهي السَّفِنُ

***

السَّفِنُ: صاحب السفينة، ولكنَّ الله تعالى فعَّال لما يريد، فَكُلّ شيء وقَعَ أراده الله، وكل شيءٍ أراده الله وقَع، ففي العالم المادِّي إذًا لا يوجد شرّ مُطْلق، ولكن هناك شرّ في النُّفوس، لأنَّهُ ورَدَ لسَيِّدِنا علي رضي الله عنه كلام، وهو: **أنَّ فاعِل الخير خيرٌ مِن الخَيْر، وفاعِل الشرّ شرٌّ من الشرّ**، فالذي ألقى على هيروشيما قنبلة ذُرِيَّة قبل مائة سنة، أو أقلّ، أين هو الآن ؟ مات ! والذين ماتوا وقْتَها لو لم تُلق عليه هذه القنبلة، لكانوا الآن

مِن عِداد الموتى، والمَفْعول انتهى الآن وبَقِيَتْ هذه النَّفْس الشِّريرةِ التي تُريد أن تُهْلِكَ الحرث والنَّسْل، أعْظَم مَشْروع خيري، ينتهي مَفْعوله يوم القيامة ؛ إطعام وإعانة وكل أعمال الخير تنتهي عند الموت، ما الذي يبقى عند أبَدِ الآبدين ؟ هذه النَّفس البشَرِيَّة التي أرادت الخير، والتي تَسْعَدُ به إلى يوم القيامة، فَفَاعِل الخير خيرٌ مِن الخَيْر، وفاعِل الشرّ شرٌّ من الشرّ، وورد بالحديث:

((نيَّة المؤمن خير من عمله، ونِيَّة الكافر شر من عمله))

فلذلك الآية الكريمة:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾

[سورة العنكبوت]

أيْ أن يفْعَلوا شيئًا ما أرَدْناه ! أن تكون لهم إرادة مُسْتَقِلَّة عن إرادة الله ولا يوجد بالكون مَخلوق له إرادة مُسْتقلَّة عن الله، قال تعالى:

﴿مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ(135)﴾

[سورة آل عمران]

وقال تعالى:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(17)﴾

[سورة الأنفال]

فالمعنى الأوَّل أنْ يسْبِقونا أيْ أن يفْعَلوا شيئًا ما أرَدْناه والمعنى الثاني أن يتفلَّتوا من قبْضة الله.

أحد الأشْخاص بإفريقيا كان مع خُصومٍ مع الحاكم، وسافرَ إلى أوروبا وكتب مقالات على بلده، فهذا الإنسان اسْتُدْرِجَ إلى أن حُمِلَ إلى بلد ووجد نفْسه أمام من كان يطعن فيه ! لذا مهما فعلت، ولو ذَهَبْتَ إلى القمر، وغُصْتَ في أعماق المُحيطات، فبالنِّهاية هناك موت، قال تعالى:

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾

[سورة الغاشية]

أوَّل ليلة يوضَع العبد في قبرِهِ يقول له الله: عبدي رجعوا وتركوك وفي التراب دَفنوك، ولو بَقوا معك ما نفَعوك ولم يبقَ لك إلا أنا، وأنا الحيّ الذي لا يموت، ليس لك إلا الله، فأنت إن عرَفْتَ الحقيقة عند الموت فهذه لا فائِدَة منها، ولكن يجب أن تعرِفَها الآن، وأنت شاب قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ(158)﴾

[سورة الأنعام]

يُمْكِن أكْسَل طالب يحصل على الإجابة بعد خُروجه من الفحْص !

فهذه الآية تكفي:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾

[سورة العنكبوت]

الذي يَجْمع أموالا، ويُتاجِر بالغِشّ، ويغشّ الناس بأكْلهم وبالوزْن أو البِضاعة، ويستغل انفراده بالبِضاعة فيَرْفَعُها كثيرًا، فالإنسان لمَّا يظنّ أنَّهُ يمكن أن يفْعل شيئًا ما أراده الله، أو ما سمَحَ الله به أن يفْعَلَهُ فهو جاهِل، وخِطَّة الله تسْتَوْعِبُ خطَّة العُصاة، فلا تقل لا يوجد بالعالم إلا الماسونيَّة، وكُلّ شيءً خطَّطوا له نفَّذوه ! لا، لا إله إلا الله، فالذي أمرَكَ أن تعْبُدَهُ ما أوْكَلَكَ إلى أحد، ولو أوْكَلَكَ ما اسْتَحَقّ أن تعْبُدَه ! فقد تقول له: يا رب، سأَعْبُدُكَ وأعْبُد الجِهة الفلانِيَّة !! إنَّك ملَّكْتَهُ أمْري، قال تعالى:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(123)﴾

[سورة هود]

اكْتَشَفوا الآن أنَّ أخْطَرَ الأمراض الشِّدَّة النَّفْسِيَّة فهي التي تُسَبِّبُ المرض وتُؤَخِّر شِفاء المرَض، والشِّدَّة النَّفْسِيَّة أساسها الشِّرْك، قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ(213)﴾

[سورة الشعراء]

خوف وقلق، شَخْص لا يُحِبُّك وترى أنت أنَّ مصيرَكَ بِيَدِهِ، هذا لِوَحْدِهِ يفْعل جلْطة ! لكنَّ الله سبحانه وتعالى قطع الآجال والأرزاق عن العباد، ووكلَها إليه، فَكَلِمَة الحق لا تُقَرِّب أجلاً، ولا تقْطعُ رِزْقًا وليس في الكون كُلِّه مَن له إرادة مُسْتَقِلَّة عن الله، ولا يفعل إلا بما أذِن الله به، فلو زنى الإنسان فهل معنى هذا أنَّ الله تعالى رضِيَ بهذا ؟!! لا، نعوذ بالله من الضلال، ولكن معنى سَمَح أيْ لم يرْض ولم يأْمُرْ به، ولكنَّ الله منحَ الإنسان حُرِيَّة الاخْتِيار، ولكن مَن أراد الإساءة يُساق لِمَن يُحِبّ الإساءة، حكى لي مُحامي أنَّه كان يُدافِع عن رجل مُتَّهَم بِجَريمة قَتْل، كانت قناعاتهم أنَّه لم يرتكب هذه الجريمة ولكن الأدِلَّة كانت ضِدَّه والقاضي أصْدَر حُكْم بالإعْدام، وبلَّغوه فقال للقاضي: هل قتلته أنت ؟ فقال: لا، فقال هذا السَّجين: وأنا لم أقتله ولكن قتلت شخْصًا آخر !! ففي أيام العباسيّين فتحوا أحد البلاد، ودخل أحد الجنود إلى بيتٍ فوجَدَ فيه رجلا وامرأة وابنين

لهما، فقَتَل الرجل وأمر المرأة أن تُعطيه ما تمْلِكُهُ، فأبَتْ، فقتَلَ ابنها الأوَّل، فلمَّا رأتْهُ جادًّا في قتْل الثاني، أعْطَتْهُ ذِرْعًا من ذَهَب، فأُعْجِبَ بها، ونظر فيها فإذا مَكتوب عليها بَيْتان من الشِّعْر:

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويـل لِقاضي الأرض مِن قاضي السماء

***

فَوَقَعَتْ الذِّرع من يدِهِ وأُغْمِيَ عليه، وذَهَب إلى مكَّة المكرَّمة وصار يطوف حول البيت وهو يقول: ربِّ اغفر لي ذَنبي ولا أظنُّك تفْعَل !! فالقَصْد أنَّ هناك عدالة مُطْلقة، ومَن أصْبح واكبر همِّه الآخرة جعل الله غِناهُ في قلبهِ، وجمعَ عليه شَمْلَهُ وأتَتْهُ الدنيا وهي راغِمَة، ومَن أصْبحَ وأكبر همّه الدنيا جَعَلَ الله فقْره بين عَيْنَيْه، وشتَّتَ عليه شَمْلهُ ولم يؤْتِهِ من الدنيا إلا ما قُدِّر له، وأنت كَمُؤْمِن لا بدّ أن ترْفَعَ مَعْنَوِيَّاتِك، ولن يتخلَّى الله عنك، وأنت مُنتصِر والفائز والرابِح وأرْجَحُكم عقْلاً أشَدُّكم لله حُبًّا، فأنت تعلَّقْتَ بالخالق، وغيرك تعلَّق بالمخلوق ! فهذه الآية دقيقة:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4)﴾

[سورة العنكبوت]

أخطئوا خطأً كبيرًا، ولا إله إلا الله، وكُلّ ما تراهُ أعينكم كما قال تعالى:

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى(23)﴾

[سورة النجم]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-9) : تفسير الآيتان 5 و 6

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الخامسة من سورة العنكبوت، وهي قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (5) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(6)﴾

(سورة العنكبوت)

الرَّجاء حالةٌ مِن حالات النَّفْس، فالإنسان يرْجو الله تعالى، ويرْجو الجنَّة، والصِّحة والغِنى والطمأنينة، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ربَطَ الرّجاء بالعَمَل، ولم يرْبِطْهُ بالأمَل، فنحن عندنا تأمُّل وتمَنّي، وعمَل فإذا كان بالقطر، ثلاثمائة طالبٍ للشهادة الثانَوِيَّة فهَؤُلاء جميعهم يتمنَّون النَّجاح بهذه الشَّهادة، فالتَّمنِّي شيء، والسَّعْي والعمَل شيء آخر، الله عز وجل قال:

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا(123)﴾

[سورة النساء]

الله جل جلاله لا يتعامَل معنا بالتَّمَنِّيات إطْلاقًا، فالتَّمَنّي سَهل، جالسٌ ومُقيمٌ على المُخالفات ولا يسْعى لِطَلَب العِلم ولا يُقيم الإسلام في بيْتِهِ ولا في عملِهِ ويتمنَّى أن يكون مِن أهل الجنَّة، وقد يقول: نحن عبيد إحْسان وليس عبيد امْتِحان ! هذا كلام سخيف، قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجر]

وهناك أدْعِيَّة ليْسَتْ من السنَّة: اللهمَّ لا تسألْنا عن شيء ! فهذا لم يقُلْهُ النبي الكريم، ولكنَّه قال:

((اللهمَّ إنا نسألك موجِبات رحْمتِك))

أما لا تسألنا عن شيءٍ فهذا خِلاف القرآن، قال تعالى:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجر]

إذًا الأشْخاص رَجُلان ؛ رجل يتعامَلُ مع الله تعالى بالتَّمَنّي، ورجُل يتعامَل مع الله بالعَمَل، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(111)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(80) ﴾

[سورة البقرة]

((يا فاطِمَة بنت محمَّد أنقِذي نفْسَكِ من النار فأنا لا أُغْني عنكِ من الله شيئًا !! لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنْسابِكم، مَن يبطئ به عملهُ، لم يُسْرِع به نسبُه، فإمَّا أن تعمل بالتَّمنيات مه الله التي لا تُقَدّم ولا تؤخِّر))

قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا(23)﴾

[سورة الفرقان]

وإما أن تتعامَلَ مع الله تعالى بالعَمَل، والآية الدقيقة جدًا، قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا(19)﴾

[سورة الإسراء]

وأدَقّ ما في الآية ضمير الهاء، فلم يقل: مَن أراد الآخرة وسعى لها ! وإنَّما قال:

﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾

سَعْيَها المكافئ، وسَعْيَها المَطْلوب جنَّة عرضُها السماوات والأرض لا تُنال بِصلاة هشَّة، إنَّما تُنال بِمُجاهَدَة النَّفْس والهَوى، وجنَّةٌ عرضُها السماوات والأرض لا تُنال بالتَّبرُّك ! يُقيم مسْبح مُختلط أو مطْعم فيه خمْر ثمَّ يدْعو كمّية من العلماء ويقول: تباركنا !! لذلك قال تعالى:

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا(123)﴾

[سورة النساء]

قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(80)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(80)﴾

[سورة البقرة]

ربُّنا عز وجل يقول:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(110)﴾

[سورة الكهف]

ما قيمة الإعْتِقاد إن لم تَكُن هناك حركَة تُؤَكِّده، قال:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(110)﴾

[سورة الكهف]

وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(72)﴾

[سورة الأنفال]

فالذي لا يأخذ مَوْقفا عمليا فلا قيمة من اعْتِقادِهِ، فهذا إبليس ويؤْمِن بِوُجود الله، والدليل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(82)﴾

[سورة ص]

فَكُلّ إيمان لا ينتج عنه عمَل فهو إيمان إبْليسي ! لا يُقَدِّم ولا يُؤَخِّر.

فالآية الكريمة:

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(110)﴾

[سورة الكهف]

لقاء الله الاتِّصال به، وأن يتجلَّى الله عليك بالسَّكينة وأن يملأ قلبَكَ نورًا، وأن يُوَفِّقَك لِعَمَلِهِ، وأن يُسَدِّدَ خُطاك، وأن يُسْعِدَكَ في بيْتِك ويحْفظك من السوء، وهذا كُلُّهُ مِن معاني اللِّقاء، قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (5)﴾

[سورة العنكبوت]

إلا أنَّ هناك نقْطة دقيقة، وهي أنَّ الله تعالى رب والربّ بمَعنى مُرَبِّي فالإنسان أحْيانًا يطْمَع فَيَحْجُبُهُ، وييْأس فَيُقَرِّبُهُ، وهكذا، فالإنسان إذا طَمِع من رحْمة الله دون أن يُقَدِّم ثَمَنها، فهذا سوءِ أدَبٍ مع الله، فلو أنَّ شَخْصًا دخل لِمَحل سُجَّاد، وقال: أريد سجَّادا، وكلَّف البائع أن يُري له كلَّ البِضاعة، وبقي ما يقرب عن الساعتين، فهل يُعْقل أن يقول هذا المشتري للبائع إنَّ السجاد الذي ثمنه كذا بِعْني إيَّاه خمْس ليْرات ؟؟!! وهكذا طَلَبُ الجنَّة من دون عَمَل ذَنْب من الذُّنوب جنَّةٌ إلى الأبَد ولهم ما يشاءون فيها مِن دون انْضِباط والْتِزام ومن دون طاعة فالإنسان دائِمًا تَجِدُه يحْتاج إلى فَتْوى يُعَلِّقُها في رقبة فلان.

أيها الإخوة الكرام، هناك أحاديث أُسَمِّيها مَفْصَلِيَّة، فما هو قولك إن أَخَذْتَ فتْوى من عالم أنَّ الأمر الفلاني لا عليك بأس به ! هل تنْفذ من هذا إن علمْتَ أنّ هذا خلاف الصَّواب ؟! فلو اسْتَطَعْتَ أن تأْخُذ الفتْوى من فَمِ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ؛ بِطلاقة لِسان وقُوَّة بيان وحجَّة، ولم تَكُن مُحِقًّا فلن تنْجُوَ من عذاب الله، والدليل قوله صلى الله عليه وسلَّم:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِي الله عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا))

[رواه البخاري]

معنى هذا أنَّك لا تنْجو ولو كانت معك فَتوى من رسول الله، لذلك هناك فَتْوى وهناك تَقْوى، وأنا أقول لكم: أَيُّ مَعْصِيَةٍ إلا وهناك مَن أفْتى بِها على طول الزَّمن، ولكن العِبْرة بالتَّقْوى لا بالفَتْوى، والعِبْرة بِهذا المُفْتي الصَّغير الذي في صَدْرِك، اسْتَفْتِ قلبَك وإن أفتاك المُفتون وأفْتَوْكَ.

معنى لآتٍ ؛ فأنت عليك أن تعْمل أمَّا المُكافأة فقد يأتيك بعضُها في الدنيا ؛ نفَحات وتَوْفيقات، ولكنَّ الدنيا بِمُجْمَلِها لا تعْدِل عند الله جناح بعوضَة، ولو كانت تعدلها ما سقى منها الكافر شرْبَة ماء، والله أعطى المُلْك لِسَيِّدِنا سليمان وهو يُحِبّه، وأعطاه لِفِرْعون وهو لا يُحِبُّه فهل يُعَدُّ المُلْك مِقْياسًا ؟ لا، وأعطى المال لِقارون، ولِسَيِّدنا ابن عوف، فهل يُعَدُّ المال مِقْياسًا ؟ إنَّ هذه الدنيا عرَضٌ حاضِر يأكل منه البر والفاجِر، والآخرة وَعْدٌ

صادِق يحكم فيه ملِكٌ عادِل، فأحيانًا الإنسان إذا جاءَهُ العَطاء مُبَكِّرًا جلَسَ وتوانى عن مُتابعة السَّيْر، فالله عز وجل يُعالِجُ النَّفس مرَّةً بالحِجاب ومرَّةً بالوَصْل وأخرى بالقَطْع ومرَّةً بالتَّجلي، ومرَّة بالتَّوفيق وأخرى بالتَّعسير، ومرَّة بالحِفظ وأخرى بالابْتِلاء ؛ كُلُّ هذا مِن أجْل أن تَصِل إلى القبر كَيَوْمَ ولَدَتْكَ أُمُّك، لذلك قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربّه: وعِزَّتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أُحِبُّ أن أرْحَمَهُ، إلا ابْتَلَيْتُهُ بِكُلِّ سيِّئَةٍ كان عَمِلَها ؛ سُقْمًا في جَسَدِهِ أو إقْتارًا في رِزْقِهِ، أو مصيبَةً في مالهِ أو ولَدِه، حتَّى أبْلُغَ منه مثل الذَّر، فإذا بَقِيَ عليه شيء شَدَّدْتُ عليه سَكَرات الموت حتَّى يلقاني كَيَوم ولَدَتْهُ أمُّه.

فعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ:

((مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ قَالَتِ الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا فَقَالَ لَا تَسُبِّي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))

[رواه مسلم]

فَكُلّ ما يُصيبُ المؤمن مِن مكْروهات هي كَفَّارات، ضُغوط وهُموم وأحْزان، ومُصيبة في مالِهِ وولَدِهِ وزوْجَتِهِ، ومُصيبة اجْتِماعِيَّة أو مادِيَّة أو صِحِيَّة ؛ كبيرة أو صغيرة، آجِلة أم عاجِلَة، وسابِقَة أم لاحِقَة كُلُّ مُصيبَةٍ تُصيبُ المؤمن هِيَ كفَّارةٌ له، ومَحْوُ خطايا، لذا المصائب للمؤمن مُكَفِّرات، وللعاصي عُقوبات.

قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (5)﴾

(سورة العنكبوت)

الله عز وجل عزيز، مَعنى عزيز ؛ أنَّه ليس مِن أوَّل الوهلة ينفَتِحُ الباب، ولكنَّهُ يُحِبُّ أن يمْتَحِنَ صِدْقَكَ.

أخْلِقْ بِذي الصَّبْر أن يحْظى بِحاجَتِهِ ومُدْمِنِ القرْعِ للأبواب أن يَلِجَ

***

يَمْتَحِنُكَ بالصلاة، وبِتِلاوَة القرآن، وبِخِدْمة الخَلْق، إلى أن يرى فيك الصِّدْق والإلحاح، عندَئذٍ يقْبَلُكَ، ويفتح لك أبوابه، هو سَمعَ دُعاءَك وعَلِمَ حالَك، وسوف يُفْتَحُ عليك في الوقْت المناسب، وما عليك أن تفرِض عليه، وصَلَّيْتَ ولم تشْعُر بِشَيء ! لا عليك المُهمّ أن تُصَلِّي في الوقت المناسب وأتْقِن الصلاة واسْتَقِم، فأنت أدِّ الذي عليك، واطْلُب من الله الذي لك، فالله تعالى له حِكمة، فقد يتجلَّى على قلبك خارج الصلاة، وقد يُبكيك وأنت خارج الصلاة، وأحيانًا تقرأ القرآن فَتَزْكو نفْسُك، فالحال رِزْق من الله، ولكنَّهُ مَرْبوط بالاسْتِقامة والعمل الصالح والدليل، قوله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(110)﴾

[سورة الكهف]

ولكن قال تعالى عندها:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾

[سورة العنكبوت]

الظاهر كأنَّ الآيتين لا علاقة لهما ولكن في الفحوى هناك علاقة كبيرة جدًا، أن ترْجو لِقاء الله دون أن تُجاهِد لن تَصِل إليه، قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (5) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(6)﴾

[سورة العنكبوت]

دائِمًا اتَّهِم نفْسَك وهناك مليون ومليون قِصَّة تُؤَكِّد هذا، إذا أصابَكَ ما تكْرهُهُ فالله غنيٌّ عن تعْذيبِك، وغنيٌّ عن إفْقارك وإمْراضِك، وإنْزال الهمّ به، فإذا نزَلَ الهمّ والمرض والغمّ أو الفقْر، فكما قال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(30)﴾

[سورة الشورى]

وإذا فَهِمْتَ على الله قَطَعْتَ أربعة الأخماس إليه، فأحَدُ أصحاب المعامل كان يبيع الألبسة وجاءهُ أحد الإخوة ليشْتري منه خمسة قِطَع فقال له هذا: أنا لا أبيع المُفَرَّق، أنا أبيع بالجُملة، واعْتبر هذا إهانة له ! فقال لي صاحب المعمل هذا: والله ثلاثة وعشرون يومًا ما دخل مصنعي أحدٌ !! لما فَعَلْتُهُ مع هذا الأخ، أدَّبَهُ الله، قال تعالى:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6) ﴾

[سورة العنكبوت]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-9) : تفسير الآية 3

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الجنَّة التي عرضُها السماوات والأرض إلى أبد الآبدين لا يمكن أن تكون لِعَمَلٍ سطحي وشَكلي وبسيط لا يُقَدِّم ولا يؤَخِّر، ألا إنَّ سِلْعة الله غاليَة ألا إنَّ سلعة الله غاليَة ألا إنَّ سِلْعة الله الجنَّة، وقد ورد أنَّ طلب الجنَّة من دون عَمَلٍ ذَنْب من الذُّنوب، فأيُّ شيءٍ يدَّعِيه الإنسان، قُلْ ما شِئْتَ وأعْطِ لِنَفْسِكَ أيَّ حجْم، وتحدَّث عن إيمانِك ومحبَّتِك لله، ولكنّ الله مُتَكَفِّلٌ أن يكْشِفَ لك حقيقتكَ، ويكْشَفها للناس، فَكُلّ الأقوال بعد حينٍ تنقلبُ إلى امْتِحانات، فإمَّا أن تنْجَح وإما أن ترسُب.

لكنَّ الله سبحانه وتعالى يعْلم عِلْم كَشْف لا علْم جَبْر أنَّ العِلْم الذي ذَكَرهُ الله في هذه الآية قال عنه العلماء هو عِلم حُصولي، تقريبًا لهذا ؛ لو أنَّ مُدَرِّسًا قديم في التدريس، نظر إلى هذا الطالب وقال: هذا يَنْجَحُ وينال الدرجة الأولى، فهذا عِلْم كَشْف، أما حينما يدْخل الطالب الامتحان وينال الدَّرجة الأولى، فهذا عِلْم آخر، وهو العِلْم الحُصولي كان هناك عِلْم كَشْف وأصْبَحَ هناك علْم حصولي، فالعِلم الثاني الذي ذكَره الله عز وجل، قال تعالى:

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)﴾

[سورة العنكبوت]

ليس معنى هذا أنَّه لم يكن يعْلم لمَّ علِمَ ! لأنَّ عِلْم الله مُتَعَلِّق بِكُل ممْكِن والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(11)﴾

[سورة التغابن]

لكنَّ الذي يفْعَلُ فعْلاً يُصَدِّق عِلْم الله به، نقول: هذا عِلْمَ حُصول وليس عِلْم كَشْف، فالعِلْم الأوّل عِلْم كَشْف، والثاني عِلم حُصول فالإنسان مُمْتَحن وفي الدنيا كُلّ شيءٍ يُمْكن أن يكون، أما الذي يعْتَقِدُ أنَّهُ كُتِبَ عليه الشَّقاء وانتهى الأمْر، فهذه عقيدة أهْل الشِّرْك، لأنّ الله تعالى يقول:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(35)﴾

[سورة النحل]

أيها الإخوة، لِمُجَرَّد أن تعتَقِدَ أنَّك ريشَةٌ في مَهَبّ الرِّيح، ولا اخْتِيار لك إطْلاقًا، وأنَّكَ مُسَيَّرٌ في كُلِّ شيء، فأنت بِهذا جَعَلْتَ من الدِّين ومِن الجنَّة والنار والثواب والعِقاب، ومِن إنْزال الكُتب، وإرْسال الرُّسُل، جعَلْتَ مِنْ كُلِّ هذا تَمْثيلِيَّة لا معنى لها، فلو أنَّ الله تعالى أجْبركَ على الطاعة لبَطَلَ الثَّواب، ولو أجْبركَ على المَعْصِيَة

لبَطَلَ العِقاب، ولو تركَكَ هملاً لكان هذا عَجْزًا في القُدْرة ؛ إنَّ الله أمرَ عِبادهُ تخْييرًا، ونهاهُم تَحذيرًا، وكَلَّفَ يسيرًا، ولم يُكَلِّف عسيرًا فأعطى على القليل كثيرًا، ولم يُعْصَ مَغلوبًا، ولم يُطَع مُكْرَهًا، فأنت مُخَيَّر.

أيُّها الإخوة، أقول كم كلامًا في مُنْتهى الدِّقة، حينما تعْتَقِدُ أنَّك مُسَيَّرٌ في كُلِّ شيء، حتى إذا عصَيْتَ الله، كما يقول العوام: الله قدَّر عليه الزِّنا، والله قدَّر عليه شرْب الخَمْر، فهذا الكلام كُفْر ! لأنَّ الله تعالى يقول:

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(28)﴾

[سورة الأعراف]

وقال تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(3)﴾

[سورة الإنسان]

وقال تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(17)﴾

[سورة فصلت]

وقال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(148)﴾

[سورة البقرة]

إذا لم تكُن مُخَيَّرًا الْتغى التَّكليف والْتَغَتْ الأمانة، والْتغى الثواب والعِقاب والْتغَت الجنَّة والنار، وأصْبَحَ إنْزال الكُتب عادَةً، وإرْسال الأنبياء لَعِبًا وأصْبَحت الدنيا تَمْثيلِيَّة، فلو كنت أنت مدير مُؤَسَّسة وأرْسَلت مُوَظَّفًا لِمُهِمَّة، وأعْطَيْتَهُ كتابًا، وفي اليوم الثاني في قوائِم الدوام ؛ مَكْتوب غِياب فهل يُمْكِن أن تُعاقِبَهُ ثاني يوم ؟! فهل يُعْقل أن يُجْبرَكَ الله على المعْصِيَة ثمَّ يُعاقِبُكَ عليها ؟! هذا إلْغاء للعَقْل:

ألقاهُ في اليمّ مَكْتوفًا وقال له إيَّاك إيَّاك أن تبتلَّ بالماء

***

فالإنسان إذا اعْتَقَدَ أنَّهُ مَجْبور شُلَّتْ حركَتُه، وهذه مشيئة الله، وهذه إرادته، وليس لنا اخْتِيار، فأنت إذا أَلْغَيْتَ الاخْتِيار تكون بِهذا أَلْغَيْتَ وُجودَك، وأَلْغَيْتَ الدنيا، وأَلْغَيْتَ الأمانة والتَّكليف، وألغيت الثواب والعقاب، وألغيت الجنَّة والنار، إنزال الكتب، قال: أكان مسيرُنا إلى الشام بِقضاء وقدَر من الله ؟! فقال له: وَيْحَكَ ! لو كان

قضاءً لازمًا، وقدَرًا حاكِمًا إذًا لبطَل الوَعْدُ والوعيد، ولانْتفى الثواب والعِقاب، إنَّ الله أمرَ عِبادَهُ تخْييرًا، ونهاهُم تَحْذيرًا، وكلَّفَ يسيرًا، ولم يُكَلِّف عسيرًا وأعطى على القليل كثيرًا، ولم يُعْصَ مَغْلوبًا، ولم يُطَع مُكْرهًا.

هناك معنى ثانٍ ذَكَرْتُهُ سابقًا، فلو بَنَيْنَا جِدارين بينهما مسافة تُساوي مسافة ما بين كَتِفَيْكَ تمامًا، ومرَرْتَ بِهذا الطريق، فلو قلتُ لك: لفّ إلى اليمين ! فهل لِهذا الكلام معنى ؟! هل تقْبَلُ على الله أن يقول كلامًا لا معنى له ؟ قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ(119) ﴾

[سورة التوبة]

فأنت بِإمْكانك أن تكون مع الصادقين أو مع الكاذِبين، قال تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(30)﴾

[سورة النور]

الله أمرَك، فأنت مُخَيَّر إما أن تَغُض وإما أن لا تغض، فأحيانًا كلمات تُلقى بين الناس، وهذه الكلمات مَفْعولها خطير جدًا فَمِنهم مَن يدْعو ويقول: اللّهم إن كنت كتبتني عندك في أمّ الكتاب شَقِيًّا مَحْرومًا مُقَتَّرًا عليَّ بالرِّزْق، فامْح اللهم بِفَضْلك شقائي وحِرْماني فهذا الدعاء لا أصْل له يقولونه في نصف، قال تعالى:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ(149)﴾

[سورة الأنعام]

بِرَبِّك هل يمكن أن تأمر إنْسانًا بِخِدْمَتِكَ ثمَّ تُعاقبُهُ عليه ؟! فالله الذي يقول:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ(149)﴾

[سورة الأنعام]

هل يعقل أن يأمركَ بالمعْصِيَة ويُحاسبك عليها ؟؟! لذلك جاء سيّدَنا عمر رجلاً يشْرب الخمر قال: **أقيموا عليه الحدّ** ! فقال: والله يا أمير المؤمنين إنّ الله قدَّر عليَّ ذلك، فقال عمر رضي الله عنه: **أقيموا عنه الحدّ مرَّتَين ؛ مرَّةً لأنَّهُ شرِبَ الخمْر، ومرَّةً لأنَّهُ افْترى على الله!** قال له: **وَيْحَكَ يا هذا إنَّ قضاء الله لن يُخرِجْكَ من الاخْتِيار إلى الاضْطِرار فلو أنَّك مُضطَرّ لما حاسبَكَ الله عز وجل** والآية الكريمة:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة]

شيء لها، وآخر عليها، فهي حينما تعمل عملاً صالِحًا هو لها، لأنَّها فَعَلَتْهُ بِمَحْض اخْتِيارها، ثمّ النقطة الدقيقة ؛ لماذا جَعَلَ الله سبحانه وتعالى سيّدَنا النبي والرسول سليمان مَلِكًا؟ قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ(35)﴾

[سورة ص]

ما معنى ملِك ؟ أمْرُهُ نافِذ، ولماذا لم يَجْعَل الله كلّ أنبيائِهِ مُلوكًا وانتهى الأمر ؟ لماذا جَعَلَ أنبياءَهُ ضِعافًا ؟ لكَ أن تقول عن النبي ساحِر ومَجنون وكذاب وكاهِن، وتنام بالليل وأنت مرْتاح، لأنَّ الله ما أراد أن تُطيعه قصْرًا، وما أراد أن يُجْبرَكَ على الطاعة، وإنَّما أراد أن تأتِيَهُ عن اخْتِيار، وعن مُبادَرَةٍ وحُبّ، وعن شَوْق، والجنَّة أساسها الحب، ولو أنَّ الله أرادهُ أن يُطيعَهُ عباده جميعًا لألْزَمَهم ذلك، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(13)﴾

[سورة السجدة]

فلو أنّ رئيس الجامعة أراد أن يضَعَ نِسَب النجاح مائة بالمائة لكان سَهْلاً عليه، يُوَزِّع أوراق الامْتِحان مع الإجابة وما عليك إلا كتابة الاسم، فهل هذا النَّجاح له قيمة عند الناس ؟ وهل له قيمة عند الناجحين ؟

فالواهم هو الذي يظنّ أنّ الله أجْبرَهُ على المعْصِيَة لو أنّ الله أراد أن يُجْبِرَنا على شيءٍ ما لما أجْبرتكم إلا على الهُدى قال تعالى:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(13)﴾

[سورة السجدة]

ما تفْعلونه هو من اخْتِيارِكم وكَسْبِكم، وسوف تُحاسَبون عنه، وما سَمْعتُ أحدًا يقول: الله قدَّر عليَّ الهُدى ! والذي يعصي يقول: هكذا قدَّر الله عليّ ! فلماذا إذا أدَّيْتَ الصَّلوات وقُمْتَ رمضان، فلماذا لا تقول: هكذا قدَّر عليَّ الله ! فَفِكْرة الجَبْر فكْرة خاطِئة ومُميتَة، سواء عَمِلتَ أم لم تعْمل فالله هو الذي قدَّر عليَّ ؛ هذه الفِكْرة تتنافى مع كِتاب الله كُلّه، قال تعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148)﴾

[سورة الأنعام]

فالله سبحانه وتعالى حينما قال:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)﴾

[سورة العنكبوت]

هذا عِلم الحُصول، وكان قبلهُ عِلم الكَشْف، فالله تعالى عِلْمُهُ عِلْمُ كشْفٍ لا عِلْم جَبْرٍ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-9) : تفسير الآية 6

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية السادسة من سورة العنكبوت، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6)﴾

[سورة العنكبوت]

معنى الجِهاد واسِعٌ جِدًّا، ولعلَّ مِن أبْرزِهِ أن يُجاهِدَ الإنسان نفْسَهُ وهواه كما قال عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجِهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ؛ جِهاد النَّفس والهوى ولكن قبل أن نقِفَ عند هذا المعنى الدقيق لا بدّ مِن كلمة تُوَضِّحُ حُدود هذه الآية.

أيها الإخوة، العُلوم في الكون ثلاثة ؛ عِلْمٌ بِخَلْق الله، وعِلْمٌ بِأمْر الله وعِلْمٌ بالله، فالعِلْمُ بِخَلْق الله هو العلم الذي يبْحثُ عن القانون فيما بين المُتَغَيّرات ؛ ظاهرة فيزْيائِيَّة أو كيميائِيَّة، أو فلَكِيَّة، ظاهرة اجْتِماعِيَّة أو نفْسِيَّة، فَهُوَ يبْحث في الظواهِر المادِيَّة، والمُتَغَيّرات، والعلاقات الثابتة بين المُتَغَيّرات ؛ فالعِلْمُ يبْحَثُ فيما هو كائِن، ذرَّةٌ لها خصائِص فيزيائِيَّة أو كيمْيائِيَّة، ورياضِيات، فالعِلْمُ بِخَلْق الله برَعَتْ به أوروبا أيَّما براعَة، وكُلُّ عُلومِنا الحديثة مُسْتَوْرَدَة من هناك ؛ هذا عِلْمٌ بِخَلْق الله.

ماذا يَحْتاج ؟ يحْتاج إلى فِكْر وجُهْد ووَقْتٍ، وإلى كِتاب، وإلى مُعَلِّم وإلى جامِعَة، وإلى مُدارَسَة، وحِفْظ، وإلى تذَكُّر، إلى كِتابَة، وامْتِحانات ؛ هذا العِلْم مِن ألِفِهِ إلى يائِهِ مُتَعَلِّقٌ بالدنيا، فإذا برَعَ فيه الإنسان فقد برَعَ في حِرْفَةٍ راقِيَةٍ في الدنيا، وهذا العِلْم ثمنهُ الدِّراسة والقِراءة والتَّسْجيل، والمُذاكَرة والتَّأليف، وأداء الامْتِحان، وَنَيْل الشَّهادة ؛ هذا عِلْمٌ بِخَلْق الله، كما قلتُ قبل قليل: برَعَت به أوروبا أيَّما براعة.

لكنَّ العلْم بأَمْر الله، هو عِلْم الشَّريعة، أيْضًا أحكام الطلاق والزواج والميراث وأحكام الحضانة والنَّفقَة، والعاريَة والهِبة والقرْض وشرِكات المُضاربة والوُجوه والتَّضامن، والمُساقاة والمُزارعة تشْعيباتٍ كثيرة تَجِدُها في كُتب الفقْه ؛ هذا عِلْمٌ بأمْر الله، يحتاج أيْضًا إلى مدارسَة، وإلى دوام ومُتابَعة، وإلى حِفْظ وكتب وأساتِذة وإلى امْتِحانات، إلخ... وهذا العِلْم يتأتَّى عن طريق الجُهْد البشري، وقد يُتْقِنُهُ إنسانٌ غير مسلم، والشيء الذي يُؤْسَفُ له أنَّ في الجامعات الغَرْبِيَّة، أساطين هذه العُلوم الشَّرْعِيَّة ليْسَوا مُسْلمين !

لكنَّ العِلْم باللهِ، وصَلنا الآن إلى العِلْم باللهِ، فَالعِلْم بأمْر الله شيء، والعِلْم بِخَلْق الله شيء، ولكنَّ العِلْم باللهِ لا تكْفيه المُدارسَة، بل يحْتاجُ إلى مُجاهَدَة، لذلك قال الإمام الغزالي جاهِد تُشاهِد، والآية الدقيقة وهي قوله تعالى:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(19)﴾

[سورة التوبة]

هذا إنسانٌ آخر، فَمُمْكِن أن تُساهِم في بناء مَسْجِد ولك الشُّكْر الجزيل مِن العباد، ومن الله، مُمْكِن أن تُساهِم ببِناء مَيْتَم، أو مُسْتَوْصَف ومُمكِن أن تُساهِم في إسْكان شبابٍ في البيوت، ومُمْكِن أن تقيم سبيل الماء، أما أن تَغُضَّ بصَرَكَ عن محارِمِ الله، هنا المُجاهَدة؛ ضَبْط اللِّسان والعَيْن والسَّمْع، وضَبْط السُّلوك وتحرّي الحلال في الكَسْب، وفي الإنفاق، وأن تكون مع المؤمنين، ولعلَّ الإنسان تميل نَفْسُهُ لأهْل الدنيا، والمؤمنين قد يكونون فقراء أحْيانًا، فالله عز وجل قال لك:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

النقطة الدقيقة، أنَّ العِلْم بالله ثمنُهُ باهِظ، فأنت مُمْكِن أن تزور طبيبًا بِأعلى مُستوى ولا علاقة لك بِسُلوكِهِ ؛ يُصَلّي أو لا يُصَلِّي هذا موضوع ثاني، الذي يَهُمّك أنَّ معه بورد بِهذا الاخْتِصاص، فأنت لا تُطالب أيّ إنسان بانْضِباط سُلوكي إذا كان عِلْمُهُ مادّي، ولكنَّك لن تستطيع من رجل دِين ولا كلمة إن لم يكن مُسْتقيمًا، لذلك قيل: الوَرَعُ حَسَن وفي العلماء أحْسَن، والعَدْل حسَن ولكن في الأُمراء أحْسن والسَّخاء حسَن ولكن في الأغنياء أحْسَن، والحياء حَسَن ولكن في النِّساء أحْسَن والتوبة حسن ولكن في الشباب أحْسَن، الصَّبْر حسَن ولكن في الفقراء أحْسَن، فأنت يُمْكِنُكَ أن تفعل كُلَّ شيء، ولكن حينما تضْبط نفْسَكَ ترْقى عند الله، ولذا قال الإمام الغزالي كلمة دقيقة: حَيْثُمَا ورَدَت كلمة العِلْم في القرآن الكريم فإنَّما تعني العِلْم بالله، لذلك ينْفصِل العاقل عن الذَّكِيّ، فليس كُلّ ذَكِيٍّ عاقل، قد يُحَصِّل الواحد من هذه العُلوم أعلى درجاتها، ولكن لأنَّهُ لا يُصَلي فهو ليس عاقل، فَعَقْلُهُ إن لم يوصِلْهُ إلى الخالق، وإلى سِرِّ وُجوده، فلا يُعَدُّ هذا عند الله تعالى عاقِلاً، فالذَّكي فيما هو فيه، وهناك أساليب يفْعَلُها اللُّصوص لا تخطر في بال الإنس ولا الجنّ ؛ دخل إلى مَحَلّ بِالكُويت، فَوَجَدَ رويْسرايسْ ! أحدث سيارة مبلغها أربعمائة وخمسين ألف دينار كُوَيْتي فوَقَّعَ الشيك، وقَّعَ الشيك بعد الساعة الثانية عشرة، تأتي مُكالمة لِصاحِب المحلّ أنَّ هذا الشيك ليس له رصيد، أوْقفوا له سفره، وكان له سفر صباح السَّبت، وكان قد اشْترى سيارة، وهيَّأ عُقودا لأوروبا، فَمَنعوه بالسَّفر، ووجدوا له رصيدا بالبنْك،

وأقام دَعْوى وربِحَ أرقامًا فَلَكِيَّة ! فإذا الإنسان لم يعرف الله عز وجل فإنَّه يسْتخدِم هذا الذَّكاء لِغَير ما خُلِقَ له، ومُشْكِلَة الذَّكاء أنَّ الحيوان لا يستطيع أن يُفَكِّر، أما الإنسان فلهُ عَقْل، فلو كان للواحِد آلة تَصْوير مُلَوَّنة يمكن أن يُزَوِّر فيها عملات، فهذه آلة، وكذا العَقْل البشري إن اسْتَخْدَمْتَهُ لِغَير ما خُلِقَ له كان سبب الهلاك، لذلك غير الأذْكِياء من غير المؤمنين مُجْرِمين ؛ لأنَّهم بِذَكائِهم يصِلون إلى أشياء لا تخطر بِبَال الإنسان، والمُلَخَّص أنَّك إن جاهَدْت هواك ونفْسَك عرفْتَ الله، والله عز وجل لا يتقبَّل مِن العبْد العمَل الذي لا يُكَلِّفُهُ شيئًا، لأنّ الله تعالى لا يُريدُ مالَكَ بِقَدْر ما يريدُكَ أنت، يريدُ إقْبالك عليه، وإخلاصك له، ومحبَّتَك له، فلذلك ترْقى عنده حينما تُجاهِدُ هواك ونفْسَك، أما إن تصَدَّقْتَ بالمال قد يُعْطيك أضْعافًا مُضاعَفَة ولكن في الآخرة لِمَن أحبَّهُ وأخْلصَ له، وأقْبل عليه أيها الإخوة الكرام قال تعالى:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6) ﴾

[سورة العنكبوت]

فالجاهل يظنُّ حين غَضِّهِ للبَصَر أنَّه فاتَتْهُ فرصَة النَّظر، أما المؤمن فَيَعْتَبِر غضَّ البصر كمَن وضَعَ ليرة ذَهَب، فالشاب حينما يتزوَّج يخْلق بينه وبين زَوْجَتِهِ المودَّة، والحبّ والوِئام، والذي يخرق نِظام الله عز وجل أوَّل عِقابٍ له ؛ زواجٌ غير ناجِح، فَمَوضوع الزواج موضوع دقيق جدًا، ولا علاقة له بِشَكْل الزَّوْجة إطْلاقًا، ولكن العلاقة حينما يرى الله من عبْدِهِ الانْصياع إلى أمْرِهِ، يَخْلِقُ بين الزَّوْجَيْن المودَّة والرَّحْمة، فإذا غضَّ بصره وجاهَدَ نفْسَهُ وهواه فهل نَفَعَ أحدًا بهذا ؟ لا فالذي تصَدَّق لِوَجْه الله، والمال مُحَبَّب ويَحُلّ مُشْكِلات، فهذا يَحْميهِ الله من خسارات يَقَعُ فيها مُعْظَم الناس ! ويُلْهِمُهُ إلى أعمال طيِّبة يرْبَحُ بها هذه عِنايَة إلهِيَّة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6) ﴾

[سورة العنكبوت]

اكْتُشِف أنَّ الإنسان الذي ينام نوْمًا مديدًا ؛ لا يَهُمُّه صلاة الصبح، ينام إلى تسعة ساعات أو أكثر، والقلب يضرب ثمانين ضرْبة بالدَّقيقة ومع النوم المديد يُصبِح خمسة وخمسين ضرْبة، ويمشي الدم بِبُطء، وإذا مشى بِبُطْء، وبهذا تترسَّب كلّ المواد الدُّهْنِيَّة على جدران الشرايين فالاسْتِيقاظ باكرًا لِصَلاة الفَجْر يمْنَعُ النَّوم المُسْتَمِرّ، فأحد أسباب الصِّحة النَّوم المُتَقَطِّع، ينام على الساعة الثانية عشرة، ويستيقظ على الساعة الرابعة والنِّصف، فلو دَرَسْتَ الأمور الشَّرْعِيَّة لوَجَدْت كلّ هذه الأمور مُتَوافِقَة مع الصِّحة، هناك تدريبات رِياضِيَّة مَشْهورة بالسُّوَيْد أخذوا حركات الصلاة فوَجَدوها من التمارين التي يسْتطيعُهَا أيّ إنسان في كُلّ الأعمار، ذَكَرًا كان أو أنثى، قال تعالى:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6) ﴾

[سورة العنكبوت]

لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحِدٍ ما زادوا في ملكي شيئًا، فالله غنيّ وإنَّما خلقنا لِيُسْعِدَنا ولِيَرْحَمنا، وهو الله أحد الله الصَّمَد.

النُّقطة الدقيقة، أنَّه بعدما قال:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾

[سورة العنكبوت]

فالذي له ماضي مرّ، فالماضي مُكَفَّر، لو جئتني بمثل قراب الأرض خطايا غفرتها ولا أُبالي، وقال تعالى:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

[سورة الزُمَر]

فالعَبْد إذا قال: يا رب وهو في صلاته قال الله: لبَّيْك يا عبدي، وإن قالها وهو عاصٍ، قال الله له: لبَّيْك ثمّ لبَّيْك ثمّ لبَّيْك، فالذي عنده ابن مُستقيم فهو مرتاحٌ منه، أما الذي عنده ابن شارِدٍ وبعد سنوات يأتي ويُقَبِّلُ يدَ أبيه ويطلب منه السَّماح، يا ترى بِأيِّهما أشَدُّ فرحًا، ونحن الآن بِرَمضان، وهو شهر الطاعة والغفران، والنبي صعد المنبر فقال آمين، نحن في فرصَة أن نتعامل مع الله بِحِسابٍ جديد، فيُمْكِن أن تفْتَحَ مع الله حِسابًا جديدًا، والماضي كُلُّه نظيف، ولكن هذا يحْتاج إلى متابعة مُجاهَدة، وعلى الإنسان أن تكون شَخْصِيَّتَهُ قَوِيَّة، فلا يتلاعب بالأمور ويقول: ماذا أفعَل ؟ جاءوني ولا بدّ أن أخْتَلِطَ معهم، وذاك يقول لك: كنت عند بيتٍ صديقي، وله هوائي مُقعَّر، ونظرنا إلى أفلام جيِّدة ؛ كُلّ هذا بِرَمَضان ! فإذا الإنسان ما ضَبط سُلوكه لا يرْقى عند الله، قال تعالى:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6)﴾

[سورة العنكبوت]

والمَكْسَب معك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-9) : تفسير الآية 45

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الخامسة والأربعون من سورة العنكبوت وهي قوله تعالى:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ(45)﴾

[سورة العنكبوت]

الحقيقة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام عماد الدِّين وكلمة عماد تعني العمود الذي في وسط الخيمة، فالخَيْمة خَيْمة ما دام فيها هذا العمود، فإذا نُزِل أصْبَحَتْ قِماشًا، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((الصلاة عماد الدِّين من أقامها فقد أقام الدِّين))

هَدَمَها أيْ ترَكَها والحقيقة الدقيقة جدًا أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((الصلاة عماد الدِّين))

أراد من الصلاة أن تكون اتِّصالاً حقيقيًّا، لا أداءً شعائِرِيًّا وفرق كبير بين الطُّقوس وبين العبادات، فالعِبادات مُعَلَّلة بِمَصالِحِ الخَلْق، والعبادات أفعال لها ثِمار يانِعَة، والطُّقوس حركات وأقوال لا معنى لها، فحينما تَخَلَّفَ المسلمون، كان تَخَلُّفُهم بِسَبب تَرْك الصَّلاة لا ترْكِها كَأداء بل ترْكِ حقيقتِها، قال تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(169)﴾

[سورة الأعراف]

تَرْكُ الصلاة أنْ لا تُؤَدِّيَها، ولكن تضْييعُ الصَّلاة أن تَفْقِدَ جَوْهَرَها ومَدْلولها، وقد ورد في الحديث القدسي:

((ليس كُلّ مَن يُصَلِّي يُصَلِّي إنَّما أتقبَّل الصلاة مِمَّن تواضَعَ لِعَظَمَتي، كفَّ شَهواتِهِ عن محارِمي، ولم يُصِرَّ على مَعْصِيَتي، وأطْعَمَ الجائِعَ وكسى العُرْيان، ورَحِمَ المُصاب وآوَى الغريب ؛ كُلُّ ذلك لي ؛ وعِزَّتي وجلالي إنَّ نورَ وَجْهه لأضْوَءُ عندي من نور الشَّمْس، على أنْ أجْعَلَ له الجهالةَ حِلْمًا، والظُّلْمَةَ نورًا يَدْعوني فأُلَبِّيه، ويسْألني فأُعْطيه، ويُقْسِمُ عليَّ فأبَرُّه، أكلاه بِقُرْبي وأسْتَحْفِظُهُ ملائِكتي، مثلُهُ عندي كمثل الفِرْدوس، لا يُمَسُّ ثمرها ولا يتغيَّر حالُها !))

مكارِمُ الأخلاق الأصيلة والحقيقيَّة مَخْزونة عند الله تعالى، فإذا أحبَّ الله عبْدًا منَحَهُ خُلُقًا حسنًا، كيف يَمْنَحُهُ هذا الخُلُق الحسَن ؟ مِن خِلال الصَّلاة، فالصَّلاة اتِّصال، ومن خِلال هذا الاتِّصال تُشْتَقُّ هذه المكارِم وتُشْتَقُّ هذه الكملات.

أيها الإخوة، هناك أحاديث كثيرة جدًا عن الصلاة، مِن أبْرزِها:

((الصلاة طَهور))

فإذا أرَدْتُم أن تتعاملوا مع الصلاة تعامُلاً إيجابيًا حقيقيًّا وواعِيًّا وهادِفًا وجادًّا، فالصلاة طَهور، إنَّكَ إن اتَّصَلْتَ بالله عز وجل فَكُلّ أمراض النَّفس يجب أن تُزاحَ عنك ؛ كِبْر، فالكِبْر لا يجْتَمِعُ مع الصَّلاة، والشِّرك، والاعْتِداد بالنَّفس، وإيذاء الآخرين قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)﴾

[سورة العنكبوت]

فهِيَ تنْهى حينما تتَّصِل بالله تَسْمو هذه النَّفس وتَطْهر، فإذا طَهُرَتْ أصْبَحَت هذه العلاقات كُلُّها إيجابيَّة، فلذلك أوّل حديث:

((الصلاة طهور))

والحديث الثاني عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآَنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا))

[رواه مسلم]

فالله نور السماوات والأرض فإن اتَّصَلْتَ به منَحَكَ بعض نورِهِ، ماذا يفْعَلُ هذا النور؟ يُريكَ الحقَّ حقًّا والباطِل باطِلاً، فالذي يفْعَلُ المعاصي والآثام ؛ ماذا يرى ؟ يرى أنَّ لذَّتَهُ وكَسْبَهُ في هذه المَعْصِيَة، فهو إذًا أعْمى، لذا أكْبَرُ ثِمار الصَّلاة أنَّها تمْنَحُ قَلْبَكَ نورًا ؛ ترى به الخَيْر خيْرًا والشرَّ شرًّا، ومِن أدْعِيَة النبي عليه الصلاة والسلام: اللهم أرِنَا الحق حقًّا والباطل، فالذي يَمْلِكُ رؤْية صحيحة معناه أنَّهُ سَعِدَ في الدنيا والآخرة، الشيء الخطير جدًا أنَّ الذي يخطئ والذي يَعْصي والذي يأكل أموال الناس بالباطِل ويَعْتدي على أعْراض الناس، والذي يعيش لِوَقْتِهِ وينسى آخرته فهذا إنسانٌ قلْبُهُ أعْمى، قال تعالى:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(46)﴾

[سورة الحج]

فالصَّلاة فضْلاً عن أنَّها تُطَهِّر القلب من الأدْران، فَهِيَ تُلقي في القلب نورًا تُري لك الحقَّ حقًّا والباطِل باطِلاً.

الحديث الثالث ؛ ميزان ! فَالصلاة ميزان، ومَن وفَّى اسْتَوفى، فالذي عمل المعاصي، لو جرَّب أن يتوضَّأ ويُصَلِّي فإنَّه يجدُ سدًّا، ميزان دقيق لاسْتِقامَتِك، أدنى إساءة وأدْنى عُدْوانٍ يحْجُبكَ عن الله عز وجل والصلاة هي الميزان، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((الصلاة ميزان))

ومن وفَّى الاسْتِقامة حقَّها اسْتوفى من الصلاة ثَمَراتِها.

الحديث الرابع ؛ ليس للمرءِ من صلاته إلا ما عقل منها، يقول الله جل جلاله:

﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا(43)﴾

(سورة النساء)

هذه الآية نسْتفيد منها فائِدَة كبيرة، وهي أنْ لا نقْرَبَ الصلاة حتَّى نعْلم ما نقول، فهذا الذي لا يشْرب الخَمْر، ولكن إنْ صلَّى فلا يعْلَمُ ما قاله في الصَّلاة ! فهذا لَهُ حُكْمُ السَّكْران، قال تعالى:

﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا(43)﴾

[سورة النساء]

فالإنسان إن لم يعْلم ما يقوله في الصلاة، معنى هذه الصلاة ليست كما أرادها الله عز وجل و الرسول عليه الصلاة والسلام يقول:

(("ليس للمرءِ من صلاته إلا ما عقل منها))

الحديث السادس:

((الصلاة معراج المؤمن))

بها تعرج إلى الله، يعني أنّ الله عزّ وجلّ ليس له مكان، هو مُنَزَّهٌ عن المكان، وهو معك أينما كنت، كيف تصل إلى الله بهذه الصلاة ؟ الصلاة معراج المؤمن سألني أحدهم: كيف أخشع في الصلاة ؟ قلتُ له: أُدخل على شخص قويّ له مكانة، لاحظْ نفسك ؛ تجلس أمامه بأدَبٍ وتنْصرف إليه، فلو أنَّ على الطاولَة جريدة ؛ هل تقرؤها ؟ لا، ولو أنَّ على الطاولة سُبْحَة ؛ هل تُمْسِكُها بيَدِك ؟ لا، فكيفَ بِكَ إذا كنت بين يَدَي الله تعالى فلذلك الصلاة خُشوع، قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(1)الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(2)﴾

[سورة المؤمنون]

قال بعض المُفَسِّرين: ليس الخُشوع في الصلاة مِن فضائِلِها، بل مِن فرائِضِها، وأوَّل ما يُسأل الإنسان يوم القيامة عن صلاتِهِ فإنْ صَحَّتْ صحَّ عملُه، وإن لم تَصِحَّ ساءَ عَمَلُه، ولمَّا وعدَ الله الذين آمنوا أن يسْتَخْلِفَهم في الأرض كما قال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ(55)﴾

[سورة النور]

شَرْط أن يَعْبُدوه، لماذا أَجَاب الله عن حالةٍ نعيشها نحن ؟ قال تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(169)﴾

[سورة الأعراف]

لذلك الصلاة غير المَقْبولة ورَدَ بالحديث أنَّها تُلفّ ويُضْرب بها وَجه المُصلّي، وتقول الصلاة ضيَّعَك الله تعالى كما ضَيَّعْتني، فالله تعالى ما قال تركوا الصلاة، ولكن قال: خلفَ مِن بعدهم خلْف أضاعوا الصلاة فَهَؤلاء يُصَلُّون ولكنَّ صلاتهم لا تُقَدِّم ولا تؤَخِّر، ولا مَضْمون لها، والإنسان يسْتحيل أن يُدَقِّق في لسانه وسمْعه وبصَرِهِ، وفي دَخْله وفي بيتِهِ وأهْلِهِ، يُدَقِّق إلى أن يصِل إلى الاسْتِقامة التامَّة، فَيَسْتَحيل بعد هذه الاسْتِقامة إلا وأن يقْطِف ثِمارها اتِّصالاً بالله، قال تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾

[سورة الأنعام]

فالمرَض الأوَّل الآن في العالم هو القَلَق والخوف، حتَّى أنَّني سألْتُ طبيبَ قلبٍ وقلتُ له: ما رأيُكَ بِهذه المَقولة فقال: هي صحيحة فقلتُ له: هناك أمراض قلبٍ وبيلة سَبَبُها الخَوف مِن أمراض القلب فالخَوف أحْيانًا يُسَبِّب مرضًا، وسمَّاها العلماء الشِّدَّة النَّفْسِيَّة، وهذه الشِّدَّة وراء جلّ الأمراض، فالإنسان المُتَّصِل بالله يُلْقي الله في قلبِهِ الأمْن وقد قال تعالى:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾

[سورة الأنعام]

أصبحَ لدينا عِدَّة أحاديث، أما هذه الآية:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)﴾

[سورة العنكبوت]

لِمَ لمْ يَقُل الله تعالى: وصَلِّ ؟ هنا اخْتلف المعنى ؛ لأنَّني إذا قلتَ لك: هذا أقام البناء، أي بنى هذا أبناء بِطُرق سليمة ووِفْق الأسس المعروفة مِن حفْر وإقامة أساس وضبْط وإنشاء هَيْكل، فَهُناك عَمَلِّيات مُتتابِعَة إلى أن تقول: أقَمْتُ البناء، فهذا الذي يأكل الحرام، ثمَّ يُصَلِّي فإنَّ صَلاته لا تسْمن وتغني مِن جوع،، فالانحِرافات والمعاصي ؛ هذه كُلُّها تَحْجُبه عن الله تعالى، وإذا حَجَبَتْهُ عن الله انْقَلَبَتْ هذه الصَّلاة إلى طُقوس ! لذلك المنافقين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى قال تعالى:

﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا(142)﴾

[سورة النساء]

سبب الكسَل في الصَّلاة أنَّ الإنسان مَحْجوب عن الله تعالى، فما لم يتُبْ توبةً نَصوحة لا يستطيع أن يحْجُب هذه الحُجُب.

فقد يكون الإنسان في الامْتِحان مُوَفَّر له كلّ شيء وحتَّى الدَّواء، إلا أنَّك لسْتَ دارِس ! فهذا الذي يُصَلِّي الفجْر ثمَّ يذهب إلى المحلّ ويتبادل الحديث مع النِّساء ولا يغضّ بصَرَهُ ثمَّ يأتي الظهر فيذْهب للصَّلاة، فل يسْتطيع أن يتَّصِل بالله تعالى ؟ مَحْجوبٌ هذا، لذا إقامة الصَّلاة ليس وَقت الصَّلاة ولكن قبل الصَّلاة، أقام الصَّلاة أيْ بنى نفْسه بِناءً صحيحًا بحيث إذا وقفَ بين يَدَي الله عز وجل يرى الطَّريق سالِكًا، قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت]

الدِّقَّة في هذا أنَّ النُّظم الوَضْعيَّة قائِمَة على الرَّدْع، أما عظمة الأديان قائِمَة على الوازِع، وشتَّان بين الرَّدْع والوازِع والمُتَّصل بالله لا يستطيع أن يأكل دِرْهَمًا حرامًا، حدَّثني أخ يلفّ محَرِّكات، قال لي: يأتيني مَن يريد أن يصلِحَ مُحَرِّكه فإذا فتَحْت المحرِّك أجد فقط وصْلة تحتاج إلى لِحام، فألْحِمها، وآخذ منه خمسة آلاف ! ولمَّا اصْطَلَحْتُ مع الله تعالى أقول له: خمس وعشرون ليرة ! الإنسان لمَّا يتوب إلى الله تعالى يسْتقيم بِمُعامَلَتِهِ، لذلك كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت]

الصَّلاة أساسها الوازع الداخِلي، أما القوانين أساسها الرَّدْع الخارِجي، ففي أمريكا انْقطَعَت الكهرباء في نيويورك ففي هذه اللَّحظة ارْتُكِبت مائتي جريمة سرقة ! لأنَّ النِّظام يقوم على الرَّدع، فالشُّرطة تضع الرادار وهم يكتَشِفون ما يُشَوِّش على الرادار، والشرطة تضع جِهاز يكشف الجهاز المُشَوِّش، وهكذا عَمَلِيَّة صِراع بين عَقْلين !

قال تعالى:

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)﴾

[سورة العنكبوت]

هذه الآية لها معاني كثيرة، قالوا: ذِكْر الله أكْبَر مَا فيها، قالوا: أنت بالصَّلاة تذْكُر الله، ولكنَّ ذِكْر الله لك أكبر من ذِكْرِكَ له، فالله تعالى إذا ذَكَرك أسْعد، وحَفِظَك ووفَّقك وأعانَكَ وصانَكَ، والحديث الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهم قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))

[رواه البخاري]

قال تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِي(152)﴾

[سورة البقرة]

تذكرُهُ أنت خاشِعًا وسائِلاً وعابِدًا، وهو تعالى يذكُرك مُؤَيِّدًا وحافِظًا، قال تعالى:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ(45)﴾

[سورة العنكبوت]

لماذا تُقْبِلُ عليه ؟ لأنَّه يعْلم ما تصْنَع، وإنَّما الأعمال بالنِّيات، فكل دلو يدلو بإنائهِ، والفرق بالنِّيَّة، فهذا المُصَلِّي لأنَّه يعلم الله ما يصْنع يُقْبِلُ عليه.

فالآية اليوم من سورة العنكبوت:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ(45)﴾

[سورة العنكبوت]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-9) : تفسير الآية 52

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثانية والخمسون من سورة العنكبوت وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدا﴾

[سورة العنكبوت]

كلُكم يعْلم أنَّنا إذا طلبْنا شاهِدًا للإدْلاء بِشَهادَتِهِ أمام القاضي يأتي إنسانٌ ويتكلَّم ويقول: نعم شاهَدْتُهُ يفْعَلُ كذا وكذا، فأنْ يشْهَد لنا إنسانٌ ناطِق و نسْمَعُهُ شيءٌ واضِحٌ جدًّا، ولكن مثل هذه الآية ورَدَتْ في كتاب الله كثيرًا، فَكَيْفَ يشْهَدُ الله لنا ؟ ثمَّ على ما يشْهَدُ لنا ؟ النبي صلى الله عليه وسلَّم جاءَ بِهذا الكتاب بِوَحْيٍ من السَّماء، وقال: هذا كلام الله تعالى، فَكَذَّبوه فقال: قال تعالى:

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدا﴾

[سورة العنكبوت]

موضوع الشَّهادة هو أَحَقِيَّةُ هذا القرآن الكريم، هل هو كلام الله حقًّا أم مِن عِند مُحمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام ؟ فهُنَا المُشْكلة ! هم كذَّبوه و قالوا: هذا مِن عندِ قال تعالى:

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدا﴾

[سورة العنكبوت]

فالسُّؤال: كيف يشْهَدُ الله لِعبادِهِ أنَّ هذا القرآن كلامُهُ ؟ فالإنسان تراهُ بِعَيْنِك وينْطِق بِلِسانِك وتسْمَعُهُ بأُذُنك فتقول: فِعْلاً شَهِدَ أنَّ هذا وقَعَ كذا وكذا، أما إذا كان تعالى هو الذي سيَشْهَدُ لنا، فكيف يشْهَدُ لنا ؟

الحقيقة شَهادَةُ الله لنا عن طريق أفْعالِهِ، مثلاً قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(97) ﴾

[سورة النحل]

يأتي شابّ فيَتَعرَّف على الله تعالى ويسْتقيم على أمْرِهِ وينتظِر مُعاملة الله له، فإن كانت أُمورُهُ مُيسَّرة ونَفْسِيَّتُه مطْمئِنَّة، وزواجُهُ ناجِح، ومكانتهُ عالَيَّة، ويُحِبُّهُ مَن حَوْلهُ فهذه الحياة الطَّيِّبَة التي يحْياها الشابّ هِيَ شَهادة الله له أنَّ هذا القرآن كلامهُ، لأنَّ الحياة الطَّيِّبَة لا يستطيعُ صُنْعَها إلا الله، فحينما يذوق المؤمنُ الحياةَ الطَّيِّبَة مِصْداقًا لِقَوله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(97) ﴾

[سورة النحل]

فهذه شَهادة الله لِهذا الشابّ أنَّ هذا القرآن كلامي، ودليل أنَّ الأفعال التي نزَلَتْ بِكَ ويسَّرَتْ لك الأمورَ هي أفْعالي، فالكلام كلامي والأفعال أفعالي.

إنسانٌ تفلَّتَ مِن منْهَج الله، فَعاشَ حياةً شَقِيَّة، إذا قرأ قول الله عز وجل:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)﴾

[سورة طه]

المعيشة الضَّنْك التي هِي مِن خلق الله تعالى ؛ مرض ألَمَّ به وضيق ذات اليدّ، وضَجر، وانْقِباض وبيت جحيم، والعلاقة سيّئَة، فهذه المعيشَة الضَّنْك، وهي مِن خلْق الله عز وجل، وهِيَ شَهادة الله له على مِصْداقِيَّة هذه الآية، وإنسانٌ يُرابي ويُنَمّي فوائِدَه عن طريق الرِّبا فيقول لك: ماذا فَعَلْتُ ؟! هذا العصْر غير عَصْر الصَّحابة، هذا عصْر المال ! طيّب القرآن يقول:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ(276)﴾

[سورة البقرة]

متى يشْهد الله أنّ هذه الآية كلامهُ، وأنَّ هذا الحُكْم حُكْمَهُ ؟ حينما تُمْحَقُ أمواله، فَمَحْقُ مال المُرابي شَهادة الله له أنَّ هذا القرآن كلامهُ، وبالمُقابل مَن يتصدَّق، فالله تعالى

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ(276)﴾

[سورة البقرة]

حينما ينْمو مالهُ بِطريقة غير مألوفة، وينمو بِطَريق العِنايَة الإلهِيَّة المباشِرَة، نماء المال هو شَهادة الله له. أرَدْتُ من هذا الدَّرس أن يتوضَّح لكم أيُّها الإخوة، أنَّ الله تعالى حينما يشْهَد فلا يشْهَدُ بِكَلام مسْموع، بل يشْهد بأفْعاله أنَّ هذا القرآن كلامُهُ ومهما امْتدَّ بالإنسان العُمرُ فَكُلُّ أفعال الله عز وجل مِن دُون اسْتِثناء مُؤَيّدةٌ لِكَلامِهِ، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)﴾

[سورة الأنعام]

قد تجِدُ الكافر في بَحْبوحة ؛ أموال لا تُحْصى، وصِحَّة، وسيْطَرة فإذا بِه يُقْصَمُ فجْأةً!! فأيُّ فِعْلٍ مِن أفعال الله هو في حقيقتِهِ شَهادَةٌ منه للإنسان أنَّ هذا القرآن كلامهُ.

لكنَّ النقطة الدقيقة أيُّها الإخوة ؛ هِيَ أنَّ شَهادة الله تعالى تأتي مُتأخِّرةً عن كلامِهِ، فالإنسان إن لم يُطبِّق كلامه بالطُّرق الأساسيَّة والطَّبيعِيَّة فحينما تأتي شَهادة الله ستكون قد أتى معها العِقاب، فشَهادَةُ الله تعالى تأتي مع العِقاب وليس مُنْفصِلَة، فالبُطولة لا أن تُصَدِّق الله بعد أن تأتِيَ أفْعالهُ مُطابِقَةً لأَقواله ؛ هذا أسْلوب غير سليم، وعليك أن تُصَدِّق الله عز و جل بالطُّرُق الأخرى، فهذا الكَون مثلاً يدلّ على وُجودِهِ، وعلى وَحْدانِيَّتِهِ وكمالِهِ، وثانِيًا هذا القرآن فيه إعْجاز، فهل عُرِفَ الطَّيَران في عهْد النبي عليه الصلاة والسلام ؟ فالإنسان إذا صعد في السَّماء عشْرة آلاف ميل، ففي أثناء الارتِفاع إلى الفضاء الخارِجي عندنا شيئان: نقْص الأكسجين، وانْخِفاض الضَّغط، ومِن عشرة آلاف ميل إلى ستَّة عشرة هناك أجْهِزة في الجِسْم تُعاوِض، فيَزْداد نبْض القلب وتضيع الشَّرايين، بحيث تتلافى نقْص الأُكسجين، وانْخِفاض الضَّغط إلا أنَّه بعد سِتَّة عشرة ميلاً يفْقِدُ الإنسان الوَعْي، ويخْرج الدَّم مِن أنفِهِ وأُذُنِهِ، ويتمزَّق كلّ شيءٍ بداخِلِه ! ربُّنا عز وجل قال:

﴿ فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ(125)﴾

[سورة الأنعام]

فهذا إعْجاز عِلمي، فأحْيانًا تركب طائِرَة تُحَلِّق فوق الغَيْم فتُلاحِظ جِبال، فنحن في الأرض نرى الغَيْم طبقة بيضاء، أما لو ركِبتَ الطائرة لوجَدْتها جِبالاً، وقد أشار القرآن الكريم أنَّ الغيْم يُشْبِهُ الجِبال ! متى عرفنا ذلك؟

ذَكَرْتُ في أوَّل رمضان أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام كان يأكل التَّمْر قبل الإفْطار، ويُصَلِّي ركعات المغرب ثمَّ يأكل، والآن كُشِف أنَّ بالتَّمر مادَّة أُحادِيَّة بِنِسْبة خمسة وسبعين بالمائة، سريعة الهَضْم بِحَيث تنتقل هذه المادَّة مِن الفمِ إلى الدَّم في أقلّ مِن عشْرة دقائق، وإذا وصل السّكر إلى الدم تنبَّه مركز الشِّبَع، فإذا جلسَ للأكل أكل وكأنَّه في الإفطار من دون نهم، أمَّ إذا أكل موادًا دسمة لا تنهضم إلا بعد ثلاث ساعات، فلا يصل تأثيرها إلى مركز الشبع إلا بعد ثلاث ساعات فالإنسان يأكل و يأكل ويقف لأنَّ بطنه امتلأ لا لأنَّه شبع، قال: واللهِ ما شبعتُ ولكنَّني ملَلْتُ، و هذا التمر فيه ستَّة فيتامينات أساسية وثمانية معادن إذا أكلتَ مائة غرام من التمر تأخذ نصف حاجتك من المعادن وفيه مواد دهنية و فيه مواد مُسكِّنة، و قد عدَّ بعض العلماء ستةً و أربعين عنصرا غذائيًا في التمر، و يُقال: التمرة صيدلية، والنبي قال:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلم:

((يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ يَا عَائِشَةُ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا))

[رواه مسلم]

وسمَّى التمر واللبن الطيبان هذا كلُّه إعجاز، فنحن يجب أن نؤمن بكتاب الله من خلال الإعجاز العلمي لا من خلال شهادة الله لنا، لأنَّ الله إذا شهد فَمَع شهادته قصم، فشهادتُه للمُرابي أن يمحق مالَه، وشهادته للسارق أن تُقطع يدُه، فاليد تُقطع أحيانا بفعل الله التكويني لا بفعله التكليفي، والله تعالى قال:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(38)﴾

[سورة المائدة]

فإذا سرق الإنسان ولم تُقطَع يدُه قد تُقطَع بحادث، رجلٌ من الناس أكل مالاً حراما بقسوة وبعنف والذي أكل ماله ضعيف، ذهب في سفر و مدَّ يده لينحرف نحو اليسار فجاءت سيارةٌ فقطعت يدَه قطعا، فإن لم يطبِّق الإنسان حكم الله في السارق يتكفَّل الله عز وجل بفعله التكويني بتطبيقه، فنحن في الأصل لا ينبغي أن ننتظر شهادة الله لأنَّ مع شهادته يأتي القصم و العقاب، فالأولى أن نصدِّق القرآن بإعجازه فهناك ثلاث مراحل ؛ أنْ تؤمن بالله موجودا و كاملا وواحدا من خلال الكون و أنْ تؤمن بهذا الكتاب من خلال إعجازه، قال تعالى:

﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا(88)﴾

[سورة الإسراء]

فالله تحدَّى الإنس و الجنَّ على أن يأتوا بسورة من مثله، هل تصدِّقون أن كلمة "**يوم** " وردت في القرآن ثلاثمائة وخمسة و ستُّون، و كلمة "**شهر**" اثنا عشر مرَّة، و ألفاظ البَرِّ والبحر، وعندنا قاعدة جغرافيَّة أنَّ البرَّ يساوي 100/29 من البحر، وعدد كلمات "البر" إلى كلمات "البحر" كمساحة البر إلى البحر، من يصدِّق هذا، وكلمات " **الجَنَّة** " تساوي كلمات "**النار**"، و كلمات " **الملائكة** " تساوي كلمات " **الشياطين** "، و كلمات " **الحياة الدنيا** " تساوي كلمات "**الحياة الآخرة** " هذا يُسمَّى إحكام عددي، وهو باب جديد ما عرفه أحد، فأنت أمام ملايين الأدلة على أنَّ هذا القرآن كلام الله، والإنسان قد يصدِّق الإنسان، أفلا يُصدِّق الواحد الديَّان ؟!

قال تعالى:

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ(52)﴾

[سورة العنكبوت]

فأنا أتمنَّى على إخواننا الكرام أن يعكفوا على قراءة هذا القرآن و أن يستنبطوا الأمر والنهي منه، لأن الأمر والنهي تعليمات الصانع، فإذا أردتَ أن تحافظ على سلامتك وعلى أعلى مردود لك فطبِّق تعليمات الصانع إذا انطلقتَ من حبِّك لذلك، أو يشهد الله لك بعد فوات الأوان أنَّ هذا القرآن كلامُه، أحيَنًا الإنسان يذهب مالُه كلُّه ثمَّ يقول: واللهِ مالي كلُّه فيه شبهة، ولكنَّه أدرك ذلك متأخِّرًا، ولو علم ذلك قبل فوات الأوان لكان خيرًا لك.

أيُّها الإخوة الأكارم، اِنتبِهوا إلى هذه النقطة، خِيارُك مع الإيمان خِيارُ وقت وليس خيار قبول أو رفض، ولو كان الإنسان كافرًا كفرعون حينما يأتيه الموت يؤمن كأيِّ إنسان مؤمن، قال تعالى في حقِّ فرعون:

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ(90)﴾

[سورة يونس]

لكن قالها بعد فوات الأوان، فنحن لا يهمُّنا أن نؤمن قبل الموت، ولكن يهمُّنا الإيمان ونحن أصحَّاء و شباب أشدَّاء ونحن والقلب ينبض.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-9) : تفسير الآية 63

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، قضية الإيمان بأنَّ الله خالق الكون، لم يُلِحَّ عليها الإسلام ؛ لماذا ؟ لأنّها ضَرورةٌ فِطْرِيَّة ! لأنَّ ما مِن إنسانٍ على وَجه الأرض بِفِطْرَتِهِ، ومِن دون تكَلّف يؤْمِن بأنَّ لِهذا الكون خالِقًا، والدليل قوله تعالى:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (63)﴾

[سورة العنكبوت]

وقال تعالى:

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(25)﴾

[سورة لقمان]

فَقَضِيَّة الإيمان أنَّ الله خالق الكَون ؛ هذه ضرورةٌ فِطْرِيَّة، والقرآن لم يُلِحَّ عليها، ولكن ألَحَّ على إفراد الله وتوحيد الله تعالى بالعِبادة، ألحَّ على توحيد الألوهِيَّة فهناك توحيد الرُّبوبيَّة، وتوحيد الألوهِيَّة، فتَوْحيد الرُّبوبيَّة أن تؤْمِن أنَّ لهذا الكون خالِقًا ومُمِدًّا، خلق وأمدَّ، قال تعالى:

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ(60)﴾

[سورة النمل]

أما العلاقات والتَّصرفات والأشْخاص والأحداث بِيَدِ مَن ؟ التَّرْكيز على هذا الإيمان، وأن تؤْمِن أنّ في السماء إله وفي الأرض إله، وأن الأمر كلَّه بِيَدِهِ، والحقيقة أنَّ الإنسان لن يسْتقيم إلا إذا آمَنَ بِوَحْدانِيَّة الله تعالى ؛ في ذاتِه وأفعاله وصِفاتِه، فإذا أَرَدْتَ أن تعْرِفَ فَحْوى دعوة الأنبياء جميعًا إنَّها التَّوحيد، ولذلك لا إله إلا الله كلمة التوحيد وهي التي تُعَدُّ شِعار الإسلام، ولا رازِق إلا الله، ولا حافِظ إلا الله ولا مُذِلَّ ولا رافِع إلا الله، قال تعالى:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾

[سورة هود]

فَهُوَ تعالى ما سلَّمَك لأحَدٍ، ولو سلَّمَك لأحدٍ لكانت لك الحُجَّة أن تقول: يا ربّ، أنا سأَعْبُدُ مَن سلَّمْتني إليه ! ولو بدى لك أنَّ هناك أقْوياء ولو بدى لك بِهذه العَيْن الظاهرة أنَّ هناك مَن يفْعَل، ومَن لا يفْعل، ومَن يُعطي، ومن يمْنَع، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى مِن ورائِهِم مُحيط، ويدُ الله فوق أيديهم.

لو أنَّ الله سبحانه وتعالى خلَقَ وأمَدَّ وتركَ، ينبغي أن تعْبُدَ غيرهُ ! فلو أنَّهُ تعالى سلَّمَ أمرَك لِزَيْد أو عُبيْد ينبغي أن تُرضي أحدهما لِتَنْجُوَ من الآخر! أمَّا لمَّا أمرَكَ الله أن تعْبُده وحْدهُ، معنى ذلك أنَّ أمْرَكَ كُلَّهُ بيَدِهِ تعالى، فلو أنَّ الإنسان أصابَهُ ضَغْط، قال تعالى:

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (56) ﴾

[سورة العنكبوت]

جميع الأعْذار تسْقط يوم القيامة ! الإنسان جاء للدنيا لِعِبادة الله فَيَنْبغي أن يعْبُدَهُ في أيِّ مكان، فلو أنَّ مكانًا منَعَهُ مِن عِبادته عليه أن يبْحث عن مكانٍ أخر، ولا عُذْر له لأنَّ مُهِمَّتَك الأولى عِبادة الله سبحانه وتعالى، فلذلك الآيات التي تُشير إلى أنَّ الأرض واسِعة فمَعنى ذلك أنّ الإنسان ليس معْذورًا أن يقول: يا رب أنا وُجِدْت بِمَكان مُنِعْتُ أن أعْبُدَكَ فيه ! قال تعالى:

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (56) ﴾

[سورة العنكبوت]

وحينما قُدِّمَت إيَّاي ؛ أيْ أنّ هذا التَّقديم يُفيد الحَصْر والقَصْر، أي لا ينبغي أن تعبُدَ إلا الله عز وجل، والحقيقة أنَّ الإنسان لا يستطيعُ بِلِسانِهِ أن يقول: هناك إلهٌ مع الله تعالى ولكن يتعامَل مع أشْخاص وكأنَّهم آلهة يُرْضيهِم ويعْصي الله، ويرْجو عَطاءَهم ولا يرْجو من الله ويُحِبّهم أشَدَّ ممَّا يحبّ الله عز وجل، فأنت مُعامَلَتُك له كإله هي عبادة مِن دون أن تشْعُر، لذلك قال تعالى:

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14)﴾

[سورة الأنعام]

القضِيَّة الآن قَضِيَّة مصيريَّة، فحينما تعْتَقِدُ أنَّ جِهَةً في الأرض بيَدِها كلّ شيءٍ ؛ هذا اعْتِقاد خاطئ لأنَّ الله تعالى قال:

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(24)﴾

[سورة يونس]

الأَقْوِياء مهما بدَت لكم قُوَّتهم إنَّهم في يَدِ الله عز وجل وخِطَطُهم تسْتَوْعِبُها خطَّة الله عز وجل، لذا الإيمان بأنَّ الله تعالى خلق وأمَدَّ ؛ هذا سمَّاهُ العلماء تَوحيد الرُّبوبيَّة، هذا الإيمان لم يُلِحَّ عليه الإسلام لأن كلَّ إنسان بفطرته مؤمن حتَّى الذين عبدوا الأوثان و حتى المشركون في عهد النبي، قال تعالى:

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(25)﴾

[سورة لقمان]

فالعبرة لا أن تؤمن بأنَّ الله خلق و أمدَّ فقط، العِبْرة أن تؤمن أنَّ الله تعالى فعَّال لِما يريد، بِيَدِه كلّ شي وبيَدِه مقاليد السماوات والأرض إليه يرجع الأمر كلّه، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ(84)﴾

[سورة الزخرف]

أوْضَحُ مثلا أرَدِّدُهُ كثيرًا ؛ أنت مَعَك مُعاملَة تحتاج إلى موافقة على المُغادرة، دَخَلْتَ إلى بناء ثلاثة طوابق وفيه مائتان مُوَظَّف، فتقول مَن بيَدِهِ حقّ التَّوقيع فيُقال لك: المُدير العام هذه المُعامَلة لا يستطيع أن يُوَقِّعها أحد سِواه، فهل تَبْذِلُ ماء وَجْهِكَ لإنسانٍ آخر ؟! وهل تترجَّى مُوَظَّفًا أو كاتبًا هناك ؟ فَكُلّ هؤلاء ليس بِيَدِهم الأمر، أما حينما توقِن أنَّ الأمر كُلَّه بيَدِ الله، الآن تعْبُده وحْده، وتُخْلص له وحده، وتُحِبّه وحْده، وتخافه وترْجوه وحْده، فالشَّهادة باللِّسان شيء، وأن تتعامَل مع العِباد لا أنَّهم آلِهَة، بل على أساس أنَّهم عبيد لله تعالى، لذا مُنْعَكسُ التَّوحيد مُنْعَكَسٌ مُدْهِش، فَكُلّ أنواع القلق والخوف والرِّياء والنِّفاق ؛ كلّ هذا مِن ضَعْف التَّوحيد وقد ذَكَرْتُ لكم أنَّ الخليفة الرَّشيد حينما جاء الحجّ قال: أُريد عالِمًا جيِّدًا أتعلَّمُ منه مناسك الحج، وكان وقْتَها الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، فقيل له: اِذْهب معنا إلى الخليفة، فقال لهم: **قولوا له: إنَّ العِلْم يُؤْتَى ولا يأتي !** فلمَّا بلَّغوه ذلك قال هذا الخليفة: **صدَق، نحن سنأتيه،** ثمَّ قال لهم الإمام مالك: **قولوا له أن لا يتخطَّى رِقاب الناس،** فقال: الخليفة: **صدَق، سأجْلسُ حيث ينتهي بِيَ المجْلس،** ثمَّ جاء الخليفة وجلسَ بِنِهاية المجْلس على كرْسِيٍّ فقال الإمام مالك: **مَن تواضَعَ لله رَفَعَه ومن تكبَّر وضَعَه،** وحينها جلس الخليفة على الأرض.

وهذا أحد الخلفاء، وأظُنُّه المنْصور، التقى بِأبي حنيفة النُّعمان فقال: يا أبا حنيفة لو تغشَّيْتنا ؟ فقال: وَلِمَ أتغَشَّاكم وليس ليَ عندكم شيء أخافكم عليه، وهل يتغشَّاكم إلا مَن خافكم على شيءٍ ! وإنَّك إن أكْرَمْتني فتَنْتني، وإن أبْعَدْتني أزْرَيْتني !! فالقَصْد أن الإنسان له إلهٌ واحِد، العِبْرة والعِزَّة في التَّوحيد، فالطُّمأنينة والعِزَّة والاسْتِقامة والإخلاص من التَّوحيد، والنِّفاق والكذب والرِّياء والتَّذلُّل للناس من ضَعْف التَّوحيد، والتَّضَعْضُع،

وهو التَّمَسْكُن للغنيّ، مَن جلسَ إلى غنيّ فتَضَعْضَع له ذهَب ثلثا دينِهِ ؛ ابْتَغوا الحوائِجَ بِعِزَّةِ الأنْفس، فإنَّ الأمور تَجْري بالمقادير ، لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفْسَهُ.

أيُّها الإخوة، الدِّين كُلُّه تَوْحيد، والعلماء قالوا: نِهاية العِلم التَّوحيد والنَّفس تتوازَن بالتَّوحيد، وتعْتَزّ وتَقْوى بالتَّوحيد، أما إذا أشْرَك تزَعْزع، فلو أراد أن يُرْضيَ الناس، فهذه غايَةٌ لا تُدْرَك، ولو اتَّفَقْنا جدلاً أنَّ إنسانا أرْضى كُلَّ الناس، فَهُوَ منافق، متلوّن كالحرباء فلذلك الإنسان بالتوحيد تقوى نفسه و يطمئِنُّ قلبه،و بالتوحيد لا يعبأ بأحد وهل هناك موقف أشدُّ من فرعون ؟ كان يقتِّل أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم، فلمَّا آمن السحرةُ بموسى قال لهم فرعون:

﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى(71)﴾

[سورة طه]

أنَّ الإنسان يعجب من هذه المواقف، فالحجَّاج كما قلتُ لكم أراد أن يقتل الحسن البصري لمَّا بلغه شيء من أمره، فقال: واللهِ لأُرِوينَّكم من دمه، فجِيء بالحسن البصري ليقتله، وجاء السيَّاف ومُدَّ النطْعُ فتكلَّم الحسن بكلمات ما سمعها أحد، فما كان من الحجَّاج إلا أن وقف له و استقبله و أجلسه على سريره وقال له: يا أبا سعيد أنت سيد العلماء و سأله سؤالا وعطَّره وشيَّعه، فتبعه الحاجب وقال له: يا أبا سعيد لقد جِيء بك لغير ما فُعِل بك فماذا قلتَ؟ قال: قلتُ: **يا مُؤنسي في وحشتي و يا ملاذي عند كربتي اِجعَل نقمته عليَّ بردًا وسلامًا كما جعلتَ النار بردا وسلاما على إبراهيم** " فليس لك إلا الله عزو جل والإنسان يكون حكيما و يأمر بالمعروف و يحسب الأمور بشكل دقيق لكن لا يُذل نفسه و لا يخاف إلا من الله عز وجل، فالتركيز على عقيدة التوحيد ضرورية وشيء بديهي إلا أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام أشار كثيرا إلى توحيد الألوهية فقال:

((لا إله إلا الله حصن من دخلها أمِن من عذاب الله..."))

وقال:

((لا إله إلا الله لا يسبقها عمل و لا تترك ذنبا.."))

فإذا آمنتَ بلا إله إلا الله، أنَّه لا مُسيِّر إلا الله ولا فعَّال إلا الله ولا معطيَ إلا الله فقد دخلتَ في حصن، فإذا كان في إيماننا تقصير في التوحيد لمجرَّد أن تطيع إنسانا خوفًا أو طمعًا وتعصي الإله فقد نقص توحيدك، ولكنَّ الإنسان المؤمن لا يرضي إلا الله، لذلك أيها ال الإخوة هناك في الإسلام نهايتان ؛ نهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل التقوى، والأعمال كلها لا تُقبل إلا إذا كانت مطابقة للشرع، لذلك يقول الإمام الفضيل:" **لا يُقبل العمل إلا إذا كان خالصا صوابا** "، خالصا هو الذي ابتُغيَ به وجه الله، ولن تستطيع أن تبتغي بعملك كلها

وجه الله إلا إذا وحَّدتَه، والصواب ما وافق السُّنة، فإذا وحَّدته فهو نهاية العلم و إذا أطعتَه فهو نهاية العمل، فأنت تحقِّق الهدف الكامل من وجودك إذا وحَّدتَه وعبدته، لذلك أكثر من أربعين آية في القرآن:

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ(32)﴾

[سورة المؤمنون]

ودعوة الأنبياء لخَّصها الله بقوله:

﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ(32)﴾

[سورة المؤمنون]

ثمَّ لخَّص فحوى دعوى الأنبياء جميعًا فقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي(25)﴾

[سورة الأنبياء]

فهناك كلمتان: التوحيد والعبادة التوحيد نهاية العلم والعبادة نهاية العمل، فإذا وحدتَ وعبدتَ حققت الهدف من وجودك على وجه الأرض.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (9-9) : تفسير الآيتان 68 - 69

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثامنة والسّتون والتي تليها، وهما آخر آيَتَين من سورة العنكبوت، والآية الأولى وهي قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (68)﴾

[سورة العنكبوت]

مَنْ اسْتِفهام، وأظْلم اسم تفضيل أيْ ليس في الأرض كُلّها إنسان أشَدُّ ظلمًا لنفسِهِ ولِمَن حوله مِمَّن افْترى على الله كذبًا ! تَكَلَّم عن الله ما لا يعْلم، فلو نظَر إلى إنسان مُرْتَكِب معْصِيَة وقال له: إنَّ الله غفور رحيم ! فهذه كلمة حق ولكن أُريد بها باطل فالله عز وجل يقول في قرآنه الكريم:

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(110)﴾

(سورة النحل)

رآهُ مقيمًا على المعْصِيَة فقال له: إنَّ الله غفور رحيم !! افْترى على الله كذبًا، والله عز وجل يقول:

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(49)﴾

[سورة الحجر]

وقال تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(133)﴾

[سورة آل عمران]

وقال تعالى:

﴿قُلْ يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

[سورة الزمر]

لذلك ليس في الأرض كُلّها - هذا معنى الآية الدقيق - مِن آدَمَ إلى يوم القيامة إنسانٌ أشَدُّ ظُلْمًا لِنَفْسِهِ ولِمَن حوله مِمَّن يفْتري على الله كذِبًا فإذا قال لك أحدهم: شفاعة النبي صلى الله عليه وسلَّم لأهْل الكبائر من أُمَّتي! ماذا نفْعَل بِهذه الآية الكريمة:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ(19)﴾

[سورة الزمر]

وماذا نفْعَلُ بالحديث الصحيح الذي قال عليه الصلاة والسلام فيه: أمَّتي أمتِّي فيقال:

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ حَتَّى عَرَفْتُهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيَقُولُ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ))

[رواه البخاري]

وماذا تفعل بِقَوْل النبي عليه الصلاة والسلام لإبنته فاطمة:

((يا فاطمة أنْقذي نفْسَكِ من النار فأنا لا أُغني عنك من الله شيئًا، لا يأتيني الناس بأعْمالهم وتأتوني بِأنْسابِكم ؛ مَنْ يبطئ بِهِ عَمَله لم يُسْرِع به نسَبُهُ.))

أيها الإخوة، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(33)﴾

[سورة الأعراف]

فهذه الآية ذَكَرت أنواع المعاصي، وآخرهم أن تقول على الله ما لا تعْلم لأنَّك إن تَكَلَّمْتَ عن الله ما لا تعلَم ضَلَّلْتَ العِباد، فالمُرابي على معْصِيَتِهِ، والمُنْحرِف أقامَ على انْحِرافه، وآكل المال الحرام بقِيَ على حاله، لذلك قيل: ابن عمر ! دينَكَ دينَكَ، لَحمُكَ ودَمُك، خُذْ عن الذين اسْتَقاموا ولا تأخُذ عن الذين مالوا، فمهما أعْطَيْتَ معلوماتٍ دقيقة وحَلَّلْتَ، وتبحَّرْتَ وأتَيْتَ بِنُصوص دقيقة، وقصص رائِعَة، إنْ لم تَحْمِل إخوانَكَ على طاعة الله فَكُلّ هذه المَعْلومات لا قيمة لها ؛ لأنَّ الدِّين اِلْتِزام، وإذا حَمَلَ الإنسان أخاهُ على طاعة الله والاسْتِقامة على أمْرِهِ، فَهُوَ حينما يسْتقيم تنعَقِدُ مع الله الصِّلَة، ترى مُسْلِمين بِأعْدادٍ خياليَّة، مليار ومائتان مليون !! كلمتهم لَيْسَتْ العُليا، والآية صريحة:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(55) ﴾

[سورة النور]

فنحن نريد أن نُنَقِّي العَقائِد من الأوهام والزَّيْغ، هناك آلاف العقائِد يعْتَنِقُها الناس وهِيَ هجينة على الدِّين، والدِّين منها بَرَاء، وهذه العَقائِدُ تُشِلُّهم، وهو يَعْتَقِدُ أنَّ الله عز وجل خلَقَ الكافر كافِرًا، وسيَضَعُهُ في جهنَّم إلى الأبَد ! وهكذا قدَّر الله عليَّ ! عقيدَةُ الجَبْر تَشُلُّ قِوى الإنسانِ تَمامًا، أما الصحيح أنَّ الإنسان مُخَيَّر، ولِأنَّهُ مُخَيَّر فَهُوَ مُحاسَب ولأنَّهُ مُخَيَّر هناك ثواب وعِقاب، وجنَّة ونار، ولِأنَّهُ مُخَيَّر أنْزَلَ الله الكتاب، ولأنَّهُ مُخَيَّر أنْزَل الله الرُّسل، أما لو كان مَجْبورًا لكان كُلُّ شيءٍ فَعَلَهُ الله عز وجل لا معنى له، وقد ذَكَرْتُ لكم ذلك للعِلْم أنَّ أعْظَم معْصِيَةٍ على الإطلاق أن تقول على الله ما لا تعْلم، لذا راجِعْ نفْسَكَ؛ كُلّ قضِيَّة مُمْكِن أن تُحرِّف السُّلوك فاسأل عنها، لأنَّنا لو فرضْنا أنَّ واحِدًا اعْتَقَدَ أنَّهُ بيْننا وبين الشَّمْس مائة مليون كيلومتر والمسافة الحقيقيَّة مائة وستّ وخمسون مليون، فلا يحدث شيئًا، وكذا إن اعْتَقَدَ أنَّ الأرضَ مُسَطَّحة، وهي كُرَوِيَّة، فَهُناك أشياء ولو أخْطأتَ فيها، فَهِيَ لا تُقَدِّم ولا تؤَخِّر، أما إن أخْطأتَ في الله، ظَنَنْتَ أنَّهُ لا يُحاسِب فإذا هو تعالى يُحاسِب، فَمَثلاً لو أنَّ طالبًا اتَّكَل على صديقهِ بِدَعْوى أنَّه إن أعْطاه مبلغًا يأتي له بالأسْئِلَة ثمّ ارْتاحَ وما درسَ، وفي النِّهاية خاب أمله، فالطالب يُمْكِن أن يعْتَقِد ألف افتراض خطأ، فهذه العقيدة مُدَمِّرة ؛ قد يقولون لك: الحرارة اليوم خمس وثلاثون والحقيقة أنَّها أربعون، فهذه لا إشْكال فيها، فأيُّ خطأ بِمَوْضوعات كثيرة لا يُقَدِّم ولا يؤخِّر، أما إن اعْتَقَدَ أنَّ الأستاذ سَيُعْطيه الأسئلةَ وبِناءً على هذا ما درسَ ؛ فهنا المُشْكِلة، فالله تعالى قال:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (68)﴾

[سورة العنكبوت]

شيء غير صحيح وكلامٌ ما قالهُ تعالى، فالعَوَّام تَجِدُهم يَعْتقِدون عقائِد فاسِدَة ولا أصْل لها ولو اعْتَقَدَها الصَّحابة لما خرجوا من مكَّة أما لمَّا اعْتقَدوا العقيدة الصحيحة تَحَرَّكوا وتألَّقوا، وفتَحوا، والله سبحانه وتعالى رفَعَ شأنهم قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (68)﴾

[سورة العنكبوت]

فالآن عندنا حالة ثانِيَة، التَّكذيب بالحق لما يأتيك، نحن عندنا حالتين؛ إمَّا أن تخلق نُصوص لا أصْل لها، وتدَّعي نُصوص لا أصل لها، وإما أن تردَّ العقائِد التي جاءَتْكَ، والمُشْكِلة أنَّ الإنسان مُقيم على انْحِرافات وعلى شَهَوات، فإمَّا أن يردَّ النُصوص الصحيحة، وإما أن يخْتلِقَ أفكارًا غير صحيحة، لذلك قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (68)﴾

[سورة العنكبوت]

النتيجة قوله تعالى:

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ(32)﴾

[سورة الزمر]

إذًا ما علاقة افْترى على الله كذبًا، أو كذَّبَ بالحق لمَّا جاءَهُ ؟ العلاقة أنَّ كلا العَمَلَيْن كُفْر ، فقوله تعالى:

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ(32)﴾

[سورة الزمر]

أن تَفْتَرِيَ على الله كذبًا ؛ هذا كُفْر ، وأن تَرُدَّ النُّصوص ؛ هذا كُفْر فبعض سَفَلَة القوم يقولون لك: الخَمْر غير مُحَرَّمة !!! الله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(90)﴾

[سورة المائدة]

فاجْتَنِبوه ؛ يقول لك: لكنَّه لم يقُل: حُرِّمَت عليكم !! فما قولك: أنَّ كلمة فاجْتَنِبوه من أعلى درجات التَّحْريم ؟ فالاجْتِناب أبْلَغُ من التَّحْريم والاجْتِناب أن تُبْقي مسافة كبيرة بينَكَ وبين المُحَرَّم، فهناك أشياء تَحتاج إلى هامِش أمان، قال تعالى:

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ(32)﴾

[سورة الزمر]

لذا علينا أن نُقيمَ جَرْدًا لأفكارِنا وتصَوُّراتنا، ومُعْتَقَداتنا، إذا كانت لدينا مُعْتقدات خِلاف السُّنة يجب أن نُعالِجَها.

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69) ﴾

[سورة العنكبوت]

جاهَدَ نفْسَهُ وهواه، وجاهد بِكتاب الله عز وجل، قال تعالى:

﴿فَلَا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا(52)﴾

[سورة الفرقان]

جاهَدوا فينا أَيْ تَعرَّفوا علينا، وبذَلوا وَقْتًا، فالذي معه دُكتوراه بالعلوم هل يُعْقَلَ أن يأخذ هذه الشَّهادة وهو نائِم؟! أقل شَهادة تحتاج إلى دِراسة بكالوريا، والليسانس أكثر والدكتوراه أكثَر، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69) ﴾

[سورة العنكبوت]

أيْ بَذَلوا جُهْدًا كبيرًا حتَّى تعرَّفوا علينا.

قال تعالى:

﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

قال تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(13)﴾

[سورة الكهف]

الإنسان لِمُجَرَّد أن يَطْلب الحق فالله عز وجل يأخُذ بِيَدِهِ، نحن عِندنا هِدايَة المصالِح، فالله تعالى أعْطاك عَيْنان، فإذا وَجَدْتَ حشَرَةً قاتِلَة تقتلها، وأعطاكَ سَمْعًا فإذا كنتَ نائِمًا بالبيتِ وسَمِعْتَ حركَةً، وأعْطاك شمّ، تشمّ بها الحريق، وأعْطاكَ لمْسًا وتوازُنا،وقَيْئا، فإذا أكَلْتَ شيئًا سامًّا تتقيَّأ، فالله عز وجل خَلَقَ في الإنسان خصائِص وغرائِز ؛ حِفاظًا على سلامتِهِ، لكنَّ هذه هِدايَة عامَّة، والحَيَوان كذلك فالحيَوان يتَّقي المطبَّات التي تُهْلِكُهُ، فأحيانًا نمْلة إذا وضعْتَ يدَكَ أمامها تُغَيِّرُ اتِّجاهها معنى هذا أنَّها أدْرَكَت العَقَبَة التي أمامها، فأوَّل هِداية هي الهِدايَة للمصالِح، والهِداية الثانية هي هِداية الوَحي ؛ جاء الوَحي على النبي عليه الصلاة والسلام والهِداية الثالثة هي هِدايَة التوفيق ؛ أُطْلب الحقيقة يُيَسِّرها الله لك ويَجْمَعُك مع أهل الحق ويُمَكِّنُكَ مِن إنفاق المال، ويدُلُّكَ عليه، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69) ﴾

[سورة العنكبوت]

هذه الهِداية الثالثة، فنحن عندنا هِدايَة عامَّة، وهيَ هِدايَة المصالِح فمثلاً العنَب الناضِج كان لوْنُه أخْضَر، وأصْبح أصفر والبندورة الناضِجَة كانت خضْراء فأصْبَحَت حمراء، أعْطاكَ علامات فإذا كان الطِّفْل معه الْتِهاب أمْعاء ترتفِعُ حرارته، والحرارة دليل فالله جعل لِكُلِّ شيءٍ خلقَهُ دليلاً، وهذا هِدايَةُ مصالِح، فالإنسان في الحياة يجْلس دون أن يسْقط، والله تعالى جَعَلَهُ قنوات توازُن هناك ثلاثة قنوات بِدِماغِهِ، بالأُذن الداخِلِيَّة ؛ قنوات التَّوازن، عبارة عن أقْواص فيها سائل وأهْداب، فإذا مال الإنسان، يصعد السائل إلى الأهْداب فَيَتَوازن

الإنسان، فلولا هذا الجِهاز لكان كلّ مَن ركِبَ الدراجة يقع ! فالله تعالى هداك للمصالِحة، وهي الهِدايَةُ الأولى.

وهداك الله تعالى إليه بالوَحْي ؛ أنْزَلَ كتابًا على عَبْدِهِ، وأمرَ نبيَّهُ أن يُشَرِّع لك، وأعْطاكَ عطاء العِصْمة، فإذا أرَدْتَ الحق، هداك إليه، قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(13)﴾

[سورة الكهف]

وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69) ﴾

[سورة العنكبوت]

اللام لامُ التَّوكيد، والنون نونُ التَّوْكيد الثقيلة، ثلاثة توكيدات، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69) ﴾

[سورة العنكبوت]

مَعِيَّةُ الله تعالى مَشْروطة، وإذا كان الله معك فَمَن عليك، وإذا كان عليك فَمَنْ معك، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ(12)﴾

[سورة المائدة]

فالآية أصْبَحت

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (68)﴾

[سورة العنكبوت]

ففي البيْت هناك مجموعَة معاصي، فإذا كنتَ صادِقًا فالله عز وجل يُعينُكَ على إزالتها، وتريد إنفاق المال في سبيل الله فإنْ أرَدْتَ هذا صادِقًا أعْطاكَ الله مالاً لِتُنْفِقَهُ، وتُريد أن تَهْدِيَ الناس، أطْلَقَ الله لِسانكَ، وتُريدُ أن تُرَبِّيَ بناتِك تربيَةً صالِحَة، فإن أرَدْتَ ذلك لانَ قلْبُكَ لها، فهذا هو قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69) ﴾

[سورة العنكبوت]

ودائِمًا بآخِرِ السُّوَر تأتي الآياتُ تُلَخِّص السُّورة كُلَّها، وهاتين الآيتين من أدَقِّ الآيات، والإنسان إذا ردَّ الحق، وافْتَرى وظلمَ وردَّ الحق فهذا أظْلَم إنسان، وهو كُفْر، وبالمُقابل قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69) ﴾

[سورة العنكبوت]

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : تفسير سورة الروم

الدرس (8-1) : تفسير الآيات 1-4

الدرس (8-2) : تفسير الآية 7

الدرس (8-3) : تفسير الآية 8

الدرس (8-4) : تفسير الآيات 20-23

الدرس (8-5) : تفسير الآية 30

الدرس (8-6) : تفسير الآيتان 31-32

الدرس (8-7) : تفسير الآيتان36-37

الدرس (8-8) : تفسير الآية 41

الدرس (1-8) : تفسير الآيات 1-4

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، ذَكَرْتُ قبل أيّام أنَّ الله سبحانه وتعالى حينما يَشْهَدُ لِعِبادِهِ أنّ هذا القرآن كلامه ؛ إنَّما يشْهدُ لهم بِأفعاله، فإذا جاءَتْ أفعالهُ مُطابِقَةً لما في القرآن، وهذه الأفعال لا يَقْدِرُ عليها إلا خالق السماء والأرض، أفْعال الله المُؤَيّدة لأقْوالِه في القرآن الكريم ؛ شَهادة الله لِهذا الإنسان أنَّ هذا القرآن كلامهُ.

لأفعال التي تُؤَكِّد وَعْدَ الله ؛ يُمْكِنُ أن تأتي، وأن تزيدَنا إيمانًا وعَظَمَةً بِهذا الكتاب، ولكنَّ أفعال الله التي تأتي مُصَدِّقَةً لِوَعيدِهِ، فهذا التَّصْديق وهذه الشَّهادة تأتي بعد فواتِ الأوان، فالإنسان حينما يأكل المال الحرام ولا يُصَدِّق ما جاء بِكَلام الله عز وجل، وأنَّ الله يَمْحَق الربا فإذا مَحَقَ الله له مالهُ، فَمَحْق الله لِمَاله شَهادة منه تعالى لِهذا المُرابي وها قد مُحِقَ مالهُ مِصْداقًا لِما جاء في القرآن الكريم.

هل هناك طريق أكْمَل لِمَعرفة كلام الله عز وجل ؟ أحَدُ أدِلَّةُ كلام الله شَهادة الله لِهذا الإنسان، وهناك دليل أقْوى ؛ إعْجازُهُ، وهو كثير فهناك إعْجازٌ تَشْريعي وبياني، وآخر إخْباري وعِلْمي، وهنا في هذه السورة سورة الروم ؛ إعْجازان: الأوَّل إخْباري والثاني عِلْمي، أمّا العلمي فقال تعالى:

﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4)﴾

[سورة الروم]

أدنى الأرض؛ الآن عُرف عن طريق أشعَّة الليزر أنَّ أعمق نقطة في اليابسة هي غور فلسطين، وكتب التاريخ تؤكِّد أنَّ هده المعركة التي جرت بين الروم و الفرس جرت في غور فلسطين، و لم يكن أحدٌ يعلم أنَّ هذا الغور هو أعمق نقطة على الأرض على الإطلاق، و أعمق نقطة في البحر خليج مريانا في المحيط الهادي عمقه اثنا عشر ألف متر، وادي في قعر المحيط الهادي اسمه وادي مريانا، و أعمق نقطة في اليابسة غور فلسطين، وكنت زرتُ البحر الميّت قبل أن يُحتلَّ و في الطريق مكتوب مائة متر تحت سطح البحر، و فيما أذكر أنَّ عمق هذا البحر ستُّمائة متر تحت سطح البحر، فأدنى الأرض الذي خلقها هو وحده يعلم أنَّ غور فلسطين أعمق نقطة فيه، هذا إعجاز علمي والحقيقة أنَّ هذا القرآن دستور ومنهج فلا بدَّ أن تتأكَّد أنَّه كلام الله.

أحياناً المسلم يأخذ موقفاً غير صحيح فيقول: تباركْنا بقراءة القرآن وسألني واحدٌ مرَّةً سؤالاً فقال: خطب ابنتي شابٌ في ريعان الشباب له معملٌ باسمه و له بيتٌ بأرقى حيٍّ في دمشق وله مركبة فخمة ولكنَّ دينه رقيق؛ ماذا أفعل ؟ قلتُ: إقرأ قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(221)﴾

[سورة البقرة]

ولم ينصع لهذه الآية، و بعد عشرين يوماً طلَّقها وكانت أخلاقه سيّئةً جدًّا، فقلت لهم: لمَّا يقرأ الإنسان القرآن وينتهي يقول: صدق الله العظيم، وهناك مَن يُقَبِّلُهُ، فأنت إذا قلتَ صدق الله العظيم مائة مرَّة ولم تُصَدِّق ما فيه مِن نُصْحٍ، أو ما فيه مِن وَعْدٍ، ووعيد ولم تُحِلَّ حلاله، ولم تُحَرِّم حرامه، فأنت ما آمَنْتَ بالقرآن، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه))

فأنت إذا أطْلَقْتَ البصَر فأنت لا تقرأ القرآن، فَمَن لم يُحِلَّ حلاله، ولم يُحَرِّم حرامه ولم يؤْمن بِوَعْدِهِ، ومَن لم يَخَف مِن وعيدِهِ فلا يقرؤُهُ، فنحن الشيء الذي جَعَلنا مُتَخَلِّفين أنَّنا فَرَّغْنا الكتاب مِن مَضْمونه، وأصْبح كتابًا تُراثي، وكتاب طُقوس، ولكن هل بيتنا وِفْق القرآن ؟ تجدهُ يَكتب على المحلّ إنَّا فتَحْنا لك فتْحًا مُبينًا، وبسم الله الرحمن الرحيم:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ(58)﴾

[سورة الذاريات]

إنَّ الله هو الرزاق ذو القوَّة المتين، وبعد كلّ هذا تَجِد غِشّ، وكذب وتدليس وإخْفاء عُيوب، فما الذي يُجْدي من هذه الآيات التي تَضَعُها في مَحَلِّك والأنماط السُّلوكِيَّة كُلُّها مُخالفَة لِكِتاب الله، وكذا إن دَخَلْت إلى البيوت: تجد مَكتوبًا في الألواح: اللهمّ بارك هذا البيت ! والبيْت خالٍ من الطاعة لله ولِرَسولِهِ صلى الله عليه وسلَّم، وموبقات ومُلْهِيَات ومناظِر لا ترْضي الله تعالى، وتفلُّت، لذا نحن مُشْكلتنا أن نؤمن بِهذا القرآن كَمَنْهَج، وإنْ لم نفعل كُنَّا في خَسارةٍ مُبينة، والدليل على أنَّه كلامُ الله إعْجازُهُ العِلْمي، وهذه الآية مِن إعْجاز القرآن العِلمي.

هناك آية ثانيَة ؛ قال تعالى:

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(27)﴾

[سورة الحج]

ولم يقُل بعيد، وقولك بعيد أوْضَح ! فالأرض كُرَة، وكُلَّما ابْتَعَدْتَ عن نقْطةٍ من نِقاطِها، يُصْبِحُ البُعْد عُمْقًا، فهذا لَوْنٌ مِن إعْجاز القرآن الكريم، أما إعْجازُهُ الإخباري فَهُوَ ثلاثة أنواع، غَيْب الماضي وغَيْب الحاضِر، وغَيْب المستقبل، فَمِن غَيْب المُسْتقبل أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4)﴾

[سورة الروم]

وبعد سبع سنَوَاتٍ نشِبت معْركة بين الفرس والروم، فانْتصَر الروم.

مِن إعْجاز القرآن الإخباري، ولا سيَّما غَيْب المستقبل أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول

﴿:سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(142)﴾

[سورة البقرة]

أيْ يا أيُّها السُّفهاء إنَّكم سُفهاء مكَّة، وسوف تقولون ما ولاَّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ! بِرَبِّكُم لو أنَّ هؤلاء السُّفهاء فكَّروا ثانِيَةً واحِدَة فسَكَتوا، فإنَّ سُكوتهم يُلْغي القرآن الكريم، لو أنَّهم سَكَتوا لأبْطَلوا كلام الله، وقال ما قالوا لذا في القرآن عندنا غَيْبُ الماضي، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ(44)﴾

[سورة آل عمران]

وهناك غيب الحاضِر، وغيب المُستقبل.

فهذه الآية تحوي إعْجازين ؛ إعْجاز عِلمي أدْنى الأرض، وإعْجاز أخْباري على أنَّ معرَكَةً سوف تَقَع ينتصِرُ فيها الرُّوم كما وَعَد ربُّنا جلَّ جلاله.

سُئِلْتُ في دَرْسٍ سابق عن نِصاب الزَّكاة، والحقيقة أنَّ نِصاب الزَّكاة على حِساب الذَّهَب ؛ خَمْسُ وثمانون غرام ذَهَب ضَرب خمسمائة وسبعون، يكون الناتِج ثمان وأربعون ألف وخمسمائة ليرة سوريَّة فالذي يَمْلك هذا المبلَغ فإنَّ الزكاة تجِبُ فيه، أما الفِضَّة فسَبْعة آلاف ليرةِ سوريَّة، أيْ سبعمائة غرام ضرب عشرة يكون الناتِج سبعة آلاف والفقهاء جميعًا يُؤْثِرون ويَسْتحْسِنون ويُفَضِّلون أن يُحْسَب المال على أساس زكاة الفِضَّة لا على زكاة الذَّهب رحْمةً بالفقراء، فلا مانِع للذي يَمْلك سبعة آلاف أن يدْفع زكاة مالهِ، رغْمَ أنَّه لا يُعَدُّ غَنِيًّا، وكما أنَّهُ لا مانِعَ أن يأخُذَ الزَّكاة، والإسلام فيه أخْذٌ وعَطاء.

يقول سائل: أنا أعمل في التِّجارة، وقد ملَكْتُ النِّصاب، فهل تَجِب عليَّ الزَّكاة مع العِلْم أنَّني لم أتزوَّج، وبِحاجَة إلى تأمين مَسْكنٍ، ومصاريف أخرى، والأمر الثاني أنَّ نصف مالي مُقْترض قرْضًا حسنًا الحقيقة أنَّ المشاريع التي بِذِهْنِك لا تُلْغي الزَّكاة، فلو نويْتَ الزَّواج، أو بيْتًا فهذه المشاريع التي لم تتحقَّق لا يُمْكِن أن تُلْغي الزَّكاة إذْ هي تجب في المال الموجود، فمثلاً لو دَفَعَ الواحد سلفَةً كي يشْتريَ بيْتًا ولم يُحَدَّد نَوْع البيْت ولا مسافته ولا طابِقُه، ولا جِهتهُ، فما دام سُلْفَةً فعليه الزكاة، أما لو تحدَّد البيت وكتب العَقْد والمبلغ واضِح، فالآن الدَّيْن يسْتغرقُ الزَّكاة، أما الذي يعمل بالتِّجارة فالزَّكاة عليه واجبة من دون اسْتِثْناء، ومن دون أخْذ وردّ، أما إن أردْتَ الزَّواج فالله تعالى يُزَوِّجك وقد وردَت أحاديث كثيرة كما في الجامع الصغير، تبدأ هذه الأحاديث بِحَق الولد على ولَدِهِ، وحق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوْجِها، إلخ... إلا أنّ حديثًا واحِدًا إذا قرأْتَهُ اقْشَعَرَّ جلدُك: حق المسلم على الله أن يُعينهُ إذا طلب العفاف، شاب في ريْعان الشَّباب يدْعو الله أن يُيَسِّر الله له الزَّواج، وما مِن طلب أجْدر أن يُلَبَّى مِن هذا الطَّلَب، فالإنسان إذا نوى الزَّواج فَنِيَّةُ الزَّواج وَحْدَها تفْتَحُ سُبُل الرِّزق والنبي عليه الصلاة والسلام كان ما شَكى إليه أحد ضيق يدِهِ إلا وقال له اِذْهَب وتزوَّج!

ثمّ مَن هو الرَّزاق ؟ الله عز وجل، فأنت إن دَفَعْتَ الزَّكاة عن طيبِ نَفْسٍ منك، ورأيْتها مَغْنَمًا لا مغْرمًا، فالله سبحانه وتعالى مُكافأةً لك على هذا الأداء يُيَسِّرُ لك سُبُل الزَّواج، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

[سورة سبأ]

يُخْلِفُهُ و قال تعالى:

﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ(270)﴾

[سورة البقرة]

يقول هذا السائل: إنَّنا نقرأ القرآن ولكنَّنا لا نفهم تفسيره، فهل نقرءه بدون فهم ؟ بربِّك عدد الآيات التي لا تفهمها كم يساوي من كتاب الله ؟، لا تصل الواحد بالمائة، قال تعالى:

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(42) ﴾

[سورة المائدة]

من لا يفهمها، وقال تعالى:

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي(14)﴾

[سورة طه]

فكل آيات التكاليف قطعية الدلالة واضحة لا لبس فيها، وبعض الآيات المتعلقة بذات الله و بعض الآيات المتعلقة بأسرار الكون هذه إذا عرفتها أولم تعرفها لا تحسب عليها في القبر، و إنَّما تحاسب على الأمر والنهي، افعل ولا تفعل، أمَّا قضية متعلِّقة بالكون و بالتاريخ إن فهمتَها أو لم تفهمها فهذا لا يقدِّم و لا يؤخِّر، إنَّما الذي يقدِّم و يؤخِّر هو الأمر والنهي لأنه قطعيُّ الدِّلالة، آيات محكمات لا لبس فيها، "السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " هل تحتاج إلى زمخشري إلى قرطبي إلى جلالين.

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ(2)﴾

[سورة النور]

كلُّها واضحة، فالأمر والنهي و الحدود و التكاليف واضحة لا تحتاج إلى مفسِّر، فاقرأ القرآن عن فهم أو عن غير فهم، و لكن أن تقرأه عن فهم أرقى، لقوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا(24)﴾

[سورة محمد]

سؤال آخر، إنني لست مقيما في دمشق ولكنني زائر، فهل تجب عليَّ زكاة الفطر أن أدفعها هنا ؟ أم تجب أن أدفعها في بلدي و لكني سأحضر بعد العيد إلى بلدي ؟

الأغنياء وأصحاب الفعاليات التِّجاريَّة يبيعون ويشْترون، فهم يرْبحون مِن الشارين، وبعض الشارين فقراء، فالرِّبْح الذي أُخذ من هذه البلْدَة يجب أن يعود على هذه البلْدة، فبيَّاع الألبِسَة، يبيع الناس، ومنهم الفقراء، فهذا البائِع قد ربِحَ من الفقراء كذلك، فهذا الشاري الفقير الذي ربَّح هذا الفقير هو أوْلى بِزَكاته مِن واحد مِن بلدٍ آخر، فالأصْل في الزَّكاة أن تُدْفَعَ في البلد الذي جُمِعَ فيه المال، ويجوز نَقل الزَّكاة إلى بلدٍ آخر لِمَصْلحةٍ راجِحَة، فالذي يُقيم بأمريكا، ونشاطه التِّجاري هناك، وله أهلٌ فقراء جدًا، فالأكْمَل أن ينقل الأموال من أمريكا

إلى بلدَهِ، وكذا مَن يُقيم بِبَلَدٍ فيه نفْط، فالأولى أن ينقل زكاة ماله إلى بلدِهِ فالأصل في الزَّكاة أن تُدْفع في بلدِ جَمْع المال، أما لِمَصْلَحَةٍ راجِحَة يجوز أن ينتقل المال مِن بلدٍ إلى بلدٍ لِمَصْلحة راجِحَة.

زكاة التِّجارة، مبدئِيًّا البِضاعة تُجْردُ بِكُلْفَتِها، أما إذا بِعْتَها بِرِبْحٍ فاحِش وكبير، ودخل الرِّبح بالصُّندوق، فهذا اسْتَحَقَّ الزَّكاة في العام القادِم فالبِضاعة تُجْرَدُ بِكُلْفَتِها، أما البِضاعة التي سوف تَدْفعُها زكاةً في الأصل تُحْسبُ البِضاعة بِكُلْفَتِها، أما إذا دَفَعْت البِضاعة زكاةً تُحْسَبُ بِكُلفتها أو بِسِعْر السوق أو أيُّهما أقلّ ؛ هذا هو الجواب.

المرأة التي تَمْلِكُ الحليّ، فالحلي المُعَدّ للاسْتِعمال، ولا تمْلِكُ المرأة مالاً سائِلاً تَدْفَعُ عنه الزَّكاة، هذا الحليّ مُعْفى، أما المرأة الموسِرَة فيجب أن تَدْفَعَ زكاة حِلِيِّها، وكذا الحِليّ المَكسور، فهذا عليه زكاة لأنَّه انْقَلَب إلى مال، أما إذا كان للمرأة عشرة أساوِر فهذا تجب فيه الزَّكاة.

المسألة الأخرى، أنَّ كلّ سِلْعةٍ تشْتريها وتُريد الرِّبح فيها عليها الزَّكاة فلو اشترى الإنسان أرْضًا التي ليسَ عليها زكاة، ونوى عدم بيعها حتَّى يرتفع سِعْرها، فهذه عليها الزَّكاة، أما الأرض المُعَدَّة للزِّراعة فهذه لا زكاة عليها، وكذا البيت، وكذا السيارة والآلات المُعَدَّة للتِّجارة ؛ هذه كُلها عليها زكاة، أما المُعَدَّة للاسْتِعمال فهذه لا زكاة عليها.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-8) : تفسير الآية 7

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية السابعة من سورة الروم و هي قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7)﴾

[سورة الروم]

فالله سبحانه وتعالى أثبت للكفار العلم بظاهر الحياة الدنيا، و لا أدلَّ على ذلك من تقدُّم العلوم العصرية في العالم الغربي، فَكُل ما مِن شأنِهِ أن ينْفَعهم في الدنيا، وأن يُمَتِّعَ أجْسادهم في الدنيا، تَفَوَّقوا بِهِ أيَّما تَفَوُّق فهذا عِلْم، ولكنَّ الحياة الدنيا مَحْدودة، والحياة الأبَدِيَّة مُمْتَدَّة فالذي يتعلَّم عِلْمًا مُتَعَلِّقًا بالحياة الدنيا ينتهي عِلْمُهُ عند الموت، والذي يتعلَّم عِلْمًا مُتَعَلِّقًا بالحياة الآخرة، ينتفِعُ بِهذا العِلْم إلى أبَدِ الآبدين، فلذلك شَتَّان بين مَن يَعْلم فرعًا مِن فُروع خَلق الله ؛ مُخْتصّ بالفيزياء والكيمياء والرِّياضيات، والفلك والحقوق الاقْتِصاد، وشتَّان بين مَن يعْلَمُ عِلْم الشَّرْع، والأفْضَلُ مِن هذا كُلِّه أن يكون لك عِلْمٌ بالله، لأنَّ هذا هو الذي يَسْمو بِكَ لذلك قال بعض العارفين مساكين أهل الدنيا جاءوا إلى الدنيا، وخَرَجوا منها ولم يَعْرِفوا أجْمَلَ ما فيها، فَمَهما ارْتقى الإنسان في العُلوم المادِيَّة يبْقى ذَكِيًّا وليس عاقِلاً، فلا يُسَمَّى الإنسانُ عاقِلاً إلا إذا عرف الله تعالى فما كُلّ ذَكِيّ عاقِل، ولكن كلّ عاقِلٍ ذَكِيّ، تجِدُ أشْخاصًا كثيرين مُتَفَوِّقين في اخْتِصاصاتِهم ويحملون أعلى الدَّرَجات ولا يُصَلُّون، وقد يأكلون أموال الناس بالباطِل، وقد يبتزون أموالهم، ويتعاملون مع الناس وكأنَّ لِهؤلاء الناس لا ربَّ لهم ولن يُحاسِبَهم، وهم يَمْلِكون أعلى درجة عِلْمِيَّة، فقد يطْلب الطبيب من المريض أن يعمل عَمَلِيَّةً جِراحِيَّة، وهذا المريض مُسْتغْنٍ عن هذه العَمَلِيَّة !! فقط من أجل أن يأخذ منه الطبيب أربعمائة ألف، وتجد هذا الطبيب يَحْمِل أعلى درجة مِن أمريكا !! فُضِحَ أمْرُهُ، فهذا يَعْلم، فهل يُسَمَّى عاقِلاً ؟ لا، هذا ذَكِيٌّ وليس عاقلا، فالعاقِلُ مَن عرفَ الله، قال تعالى:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7)﴾

[سورة الروم]

والعِبْرة بِمُؤَدَّ الشيء، قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا(23)﴾

[سورة الفرقان]

هناك مُجَمَّع سِياحي، وهناك مُهندسون واختصاصيين ومُهندس حدائِق ومهندس مياه، وإلا أنَّ هذا المُجَمَّع كُلّه يقوم على المَعْصِيَة.

أحد المرَّات اِفْتُتِح جامِعُ في الصَّبورة فَدُعينَا إلى افْتِتاحِه، وأنا خارِجٌ منه في الضِّفة الثانِيَة مَلْهى يَحوي كُلَّ الموبِقات، فقلتُ: سبحان الله ! شَتَّان بين مَن يبْني جامِعًا، وبين مَن يبْني مَلْهًى، وصاحِبا المَلهى والجامِع سَيَموتان، وإنَّ أعْظَمَ الأعمال ما يسْتَمِرّ بعد وفات صاحِبِهِ وإنَّ أخْطرَها وأشْنَعها ما يسْتَمِرُّ بعد مَوْتِ صاحِبِه، ثمّ أُخْبِرتُ أنَّ صاحب ذلك المَلْهى تُوُفِّي بعد أسبوع ! فَهذا المَلهى هو في صَحيفَتهِ إلى يوم القيامة !! وكُل موبِقَة يرْتَكِبُها الناس في صحيفَتِهِ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ))

[رواه الترمذي]

هناك أشياء برَّاقة ولكنَّ السمّ فيها، فَيُمْكِنُ لِمَحلٍّ راقٍ، وبِضاعتِهِ نِسائِيَّة، ويَدْخُل على هذا المَحلّ نِساء كاسِيات عارِيات مائلات وصاحِب المحلّ يُمَتِّع نَظَرُه بِتِلْكَ الحَسْناوات، وتَجِد محلاًّ آخر، عتيق وضجيج والمحل لِبَيْع العدس والحمص، ولكن ليس في مَعْصِيَّة الله فشَتَّان بين المكانين ! فأنت يُمْكِنُ أن ترْتاحَ لِفُندق خمسة نُجوم، وكلّ شيء فيه مُريح، ولكن فيه مِن المعاصي ما الله به عليم، ويُمكن لِفندق مَطْموس النُّجوم ولكن ليس فيه المَعْصِيَّة، فالعِبْرة أن يتجاوَزَ الإنسان المَظاهِر، وما دام يَهْتَمّ بالمظاهِر فهذا مُشْكِلَتُهُ مُشْكلة، فَهُناك مظاهِر تنتهي إلى النار، وأماكن خَشِنَة، فالذي دَخْلُهُ مَحْدود لا يسْمح بالزنا، ودخْلُهُ حلال، تجد بيْتهُ صغيرًا، وطعامُهُ خَشِنا، وآخر لهُ دَخل غير مَشْروع، وهذا الدَّخْل غير المَشْروع يسْمَحُ له أن يأكل ما لذَّ وطاب، ويرتدي أفْخمَ الألْبسَة المُسْتوْرَدَة، فَبِهذه العَين ؛ هذا الإنسان يعيشُ حياةً راقِيَةً جدًّا، وذاك يُقال عنه مِسْكين، أما عند الله تعالى العكس، قال تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ(1)﴾

[سورة الواقعة]

قال عليه الصلاة والسلام:

((أهلا بِمَن خبرني جبريل بِقدومه !))

فقد تكون مرتبتُكَ بسيطة جدًّا، مُوَظَّف بسيط بِزَاوِية مُهْملة في إحدى الوزارات أو كاتب أو حاجب، لكنَّ دَخْلَكَ مَشْروع فالعِبْرة الأَبَد، حينما يُكشَفُ الغِطاء، فإذا هذا الإنسان الفقير المَغْمور الذي لا يعْرفُهُ أحد ؛ أدى الصَّلوات الخمْس واتَّصل بالله، وخدَم الخَلق، وكان عفيفًا، فهذا الإنسان سيَغْدو مَلِكَ الدار الآخرة.

أيها الإخوة، نحن الآن في عالَم الصُّوَر، وعالَم الصُّوَر فيه زَيْف كبير فلو فرضْنا أنَّ أبًا ترَكَ خمسة ملايين، وجاء أحد الإخوة الكبار، وأخَذَ كُلَّ المَبْلغ، واشْترى أجْمل بيْتٍ، وزيَّن البيْت، وجعل مكاتب له وسكريتاريا، وبَقِيَ الإخوة الأربعة فقراء ! فلو أنَّ إنسانًا زارَ الغَنِيَّ ورأى ما عندهُ مِن تُحَف، وأشياء نادِرَة، وزارَ الفقير فرأى

بيتَهُ صغيرا وخَشِنا، فهذه العَيْنُ ماذا تُريكَ ؟! تُريكَ أنَّ الغنيّ أقْرَبُ إلى الرَّفاه من الفقير، ولكنَّ العَقْل يُريك أنَّ هذا المَحروم مِن إرْث والِدِه وذاك المُغْتَصِب مِن إرْث والِدِه ؛ شتَّان بينهما ! إنسانٌ يلْقى الله والله راضٍ عنه، والإنسان الثاني يلقى الله وهو عنه ساخِط !

فهذا الدَّرْس، يَهُمُّنا أنَّ الإنسان يتجاوَز المظاهر، فقد زارني شَخْص له مَكْتب تِجاري، ولكن بِضاعَتُهُ غير مَشْروعة، وهَدَفُها إفْساد الأخْلاق، قال لي: أنا عَمَلي قَذِر ! ووالله له مَكْتب يُكَلِّف الملايين وفي اليوم التالي ذَهَبْتُ إلى مُصَلِّح مرْكبة ؛ رَجُل مُخْلِص ومستقيم وكان يوم شِتاء فانْبَطَح تحت المركبة حتَّى أصبح لونه أسود حتَّى صلَّح المركبة وأخذ على ذلك أجراً معتدلا، هذا هو العمل النظيف، أمَّا بالعين فبالعكس، فنريد تجاوز هذه العين إلى عين القلب، قال تعالى:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(46)﴾

[سورة الحج]

فالإنسان ما دام يتعلَّق بما تراه عينه يتعب قلبه كثيرا، فدخل مشروع يسمح لك أن تعيش حياة خشنة أفضل من دخل مشبوه تعيش له حياة مشبوهة ناعمة، ألا رُبَّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة، ورُبَّ نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة، فالعبرة بخواتيم الأعمال و العاقبة للمتَّقين، و الغنى والفقر بعد العرض على الله والنجاح والفوز والفلاح والذكاء إذا نجوتَ من عذاب النار، فإذا وصلتَ على الجنَّة بسلام، وإذا كان قبرك روضة من رياض الجنَّة، فهذه قِصَّة لأحد الرِّجال غير المنضبِطين، كان سبب إيمانِهِ أنَّ صديقًا له مِن الأثْرِياء، وكان يعيشُ أنواع النَّعيم ؛ أربع زوْجات وأربع قُصور، وبساتين، فهذا الصَّديق ماتَ فجْأةً ثمَّ قيل أنَّهُ ماتَ مَسْمومًا مِن إحْدى زوْجاتِهِ، فَفُتِحَ قبْرهُ، وفُتِحَت مَعِدَتُهُ، وأُخِذَتْ عَيِّنَة مِن مَعِدَتِهِ للتَّحقيق في الموضوع، فَصَديق هذا المُتَوَفَّى نَزَلَ إلى القبْر، فرأى مَنْظَرًا لا يُحْتَمَل، فقد انْتَفَخَ الميِّت، وأزْرق، والدود عليه، ورائِحَة لا تُقابَل، فانْدَهَش هذا الرَّجل لِمَا رآه من حال هذا الثَّري في القبر، وبعد حينٍ أرادوا أن يَدفنوا إنسانًا فوق إنسانٍ آخر في القبر، ومضى على هذا الميِّت في القبر أربعون عامًا، فَتَوَقَّع الناس أنَّهُ الآن عِظام، فإذا بِهِ لمَّا يُفْتَح القبر، ويُقْسِمُ بالله العظيم الذي رأى هذا المَنْظر ؛ الجُثَّة كما هي، ولَحْمُهُ كما هو، وشيء خِلاف المألوف والطبيعة، وقد كان هذا مِن حُفاظ كِتاب الله، وكان رجلاً صالحًا وإمامًا في أَحَدِ المساجد الضَّخمة في دِمشق، فهذان المنْظَران أخذا بيدِهِ إلى الله عز وجل.

موضوعنا في هذا الدرس ؛ أنّ العَين غرَّارة وخدَّاعة، وليس كُلّ بيْتٍ جميل صاحِبُهُ سعيد، وليس كُلّ كوخٍ حقير صاحِبُهُ شَقِيّ، وليس كُلّ دَخْلٍ كبير فيه بركَة، وليس كُلّ دَخْل قليل مُزْعِج، وفقد يكون الدَّخْل القليل الحلال أشْرفُ وأقرب عند الله تعالى مِن دَخْل كبير حرام، وقد يكون إنسانٌ مريض وراضٍ عن مرضِهِ، وهو أحْسَن مِن إنسانٍ كالحِصان وهو بَطِر، لذا نحن نُريد حقيقة الأمور، ورُبَّ أشْعَثَ أغْبر ذي طمْريْن مَدْفوعٍ بالأبواب، لو أقْسَمَ على الله لأبرَّه، مَن هو بلال رضي الله عنه ؟ صحابي وعَبْدٌ حبَشي، وقَفَ بِبَاب سيّدنا عمر أبو سفيان زعيم قريش والشَّخْصِيَّة الأولى في قريش، وطبْعًا أبو سفيان أسْلَمَ بعد الفَتْح، فَوَقَفَ بِبَاب عمر ساعاتٍ طِوال ولم يُؤْذَن له، وبلال وصُهَيْب يَدْخُلان دون اسْتِئذان، فتألَّم أشَدَّ الألم، ولمَّا دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين ؛ سيِّدُ قُريش يَقِفُ بِبَابِكَ ساعاتٍ طِوالاً، وصُهَيب وبِلال يَدخُلان دون اسْتئذان ؟! فقال له عمر رضي الله عنه: **وهل أنت مِثلهما ؟!** ومَن يُصَدِّق أنَّ سيِّدُنا عمر عملاق الإسلام يخْرج من المدينة مُتَوَجِّهًا إلى ظاهِرِها لاسْتِقبال سيّدنا بلال ؟ ومَن يُصَدِّق أنّ شابًا عمره سبعة عشرة سنة يقود جَيْشًا فيهم أبو بكر وابن الخطَّاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم ! وسيِّدُنا الصِّديق أراد أن يُرَكِّز مكانه أمام الصَّحابة، ومشى بِرِكابِهِ، فأُسامة يركب الناقة كَقَائِدِ جَيْش وخليفة المسلمين يَمْشي على رِجْليْه، فقال أسامة ولم يتحمَّل الموْقف: يا خليفة رسول الله لَتَرْكَبَنَّ أو لأنْزِلَنَّ، فقال له: **والله لا رَكِبْتُ ولا نَزَلْتَما عليَّ أن تغْبرَّ قَدَماي ساعةً في سبيل الله**، فلمَّا أراد سيّدنا الصِّديق أن يسْتبقي سيّدنا عمر بن الخطاب كَمُسْتشارٍ له، لم يقل له: تعال يا عمر وابْقَ معنا ! ولكن تَوَجَّه إلى أُسامة قائِدِ الجَيْش، وقال: أتَأْذَنُ لي بِعُمَرَ! سيّدنا الصِّديق يسْتأذِنُ أُسامة في أن يُبْقي له عمر ! هذا هو الإسلام، ونحن نُريد تَجاوُز المظاهِر، وتجاوُز المظاهر البراقة والخدَّاعة، وإسلامًا حقيقيًّا، ولن نُنْصر وإسلامنا غير حقيقي أصْبَحَت الآن العمرة كالحج ؛ مملوءة واكْتِظاظ، وهذا النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لن تُغلب أمتي من اثني عشرة ألف من قلَّة...))

فما الجواب؟! قال تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا(59)﴾

[سورة مريم]

أيها الإخوة الكرام، العُمْر قصير، والوقت ثَمين، والموت على الأبواب، ولا يستطيع أحدٌ مِنَّا ضَمان ساعة، ومَنْ عدَّ غدًا مِن أجَلِهِ فقد أساء صُحْبة الموت، والإنسان عليه أن يُغادِر والله قد عفى عنه والمظاهر لا تُقَدِّم ولا تؤخِّر، والله عز وجل أثْبتَ لِهَؤُلاء الكفار أنَّهم يعلمون ظاهِرًا من الحياة الدنيا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-8) : تفسير الآية 8

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، مِن الثابت أنَّ كُلَّ إنسانٍ على وَجْه الأرض كائنًا مَن كان، مِن أيّ مِلَّة أو مذهب أو دين أو انْتِماءٍ، عنده مَطْلبان ثابتان لا يتغيَّران ؛ هذان المظهران هما السَّلامة والسَّعادة، فهل يوجد على وجه الأرض مَن يتمنَّى المرَض ؟ المرض العُضال، والفقْر المُتْقِع وحَبْس الحُرِيَّة والقَهْر والإهانة، والخوف، والفزَع، فما مِن إنسانٍ على وَجْه الأرض إلا ويتمنَّى سلامةً وسعادةً، يتمنَّى الغِنى والصِّحة والزَّوْجة الصالحة، وأولادا أبرارا، ودَخْلا كبيرا، ألا يسأل أحدكم هذا السؤال: أَلَيْسَت الأرض مُفْعَمَةً بالمصائب والأمراض والأحزان والفقْر والهُموم والزلازل والصواعق والفيضانات، والحروب الأهْلِيَّة، والموت جوعًا، فكيف نُوَفِّق بين قوله تعالى:

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(119)﴾

[سورة هود]

خلَقَنا لِيَرْحَمنا فلِمَ المصائِب ؟

أيها الإخوة، الآية الدقيقة جدًّا هي قوله تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النِّساء]

المعنى المُخالف أنَّه إن لم تؤمنوا يُعَذِّبْكم، وإن آمَنتُم ولم تشْكروا يُعَذِّبْكم، أوَّلاً ينبغي أن نعلم عِلْم يقين أنَّ الشرَّ المطلق لا وُجود له في الكون، فالشر المطلق هو الشر المَقصود لِذاته، فمثلاً أبٌ له ابنٌ في أتَمِّ صِحَّتِهِ، ويضَعُهُ في غرفة العَمَلِيَّات، ويفتح بطْنه دون سبب !! لا يوجد أبا يفتح بطْن ابنِهِ ويقطع الشرايين والأوْرِدَة، ويفْصِلُ الجلد عن بعضِه دون سبب، أما الأب الطبيب، حينما يتأكَّد أنَّ هناك الْتِهاب زائِدَة يُخَدِّره، ويفْتح بطْنه، ويخرج الدم، ويُغْلِقُ الشرايين ويستأصِلُ الزائِدَة، فأوَّل شيء بالعقيدة أنَّ الشر المطلق لا وُجود له في الكَون إطلاقًا، ومَن اعْتَقَدَ خِلاف ذلك فقد كفَرَ، لأنَّ المعنى أنَّ الله عز وجل يُعَذِّب الناس مِن دون سبب!! فالعوام يقولون: سبحان الله ! كأنَّ الله خلَقَنا للعَذاب !! فهذا الكلام مَرْفوض، ويتناقض مع أصْل الدِّين ويتناقض مع العقيدة الصحيحة، فأنت حينما تؤمن وتسْتقيم على أمْر الله انْتَهَتْ المُعالَجَة، وإن آمَنْتَ وشَكَرْتَ حقَّقْتَ الهَدَفَ مِن وُجودِك.

السؤال الآن ؛ ما دامَت السَّلامة والسعادة هدفان ومطْلبان ثابتان وأساسيَّان في حياة كُلِّ إنسان مؤمن أو كافِرٍ، فكيف نُحَقِّق السعادة والسلامة ؟! أدَقّ جواب وأبْسَطُه ؛ أنت كائِنٌ، لك صانِع، والصانِع هو الجِهَة الوحيدة التي ينبغي أن تُتَّبَعَ تَعْليماتها، قال تعالى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سورة فاطر]

فالله وَحْدهُ الذي ينبغي أن تُطيعهُ لأنَّ الأحد الذي يعْلم قال تعالى:

﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(216)﴾

[سورة البقرة]

إذًا لا بدَّ مِن طاعَتِهِ.

سؤال ثاني ؛ ألا تَرَوْن أنَّ في العالم الإسلامي الحلال والحرام مَعْروف ؟ هل يوجَد مُسْلم بالأرض لا يعلم أنّ الخمْر حرام ؟! وكذا الزِّنا والربا وأكل المال بالباطل... السؤال: أنَّنا كُلُّنا يريد السلامة والسعادة أما كَمُسْلِمين مهما كان المُسْلِم مُتَخَلِّفًا في عَقْلِهِ أو في عِلْمِهِ إلا ويعْلم أنّ السرقة حرام، وأكْل المال الباطل حرام، والعُدْوان على أعراض الناس حرام، طيِّب لماذا العالم الإسلامي غارق بالمعاصي ؟ الأموال تُنَمَّى عن طريق البنوك، والعلاقات الاجْتِماعِيَّة مُتَفَلِّتة ؛ اخْتِلاط ونساء كاسيات وعاريات ومُميلات في الطرقات، ولا يُبالي المسلم ما إن كان دَخْلُهُ حلالاً أم حرامًا، فكيف نُفَسِّر معرفة الحلال والحرام وعدم تَطْبيقِهِ ؟ يُفَسَّر – وهذه الفِكْرة دقيقة جدًّا، وهذه هي المشكلة في الدَّعوات الإسلاميَّة غير ناجحة – أنَّك إذا عرَفْتَ الأمْر ولم تعْرف الآمِر تَفَنَّنْتَ في التَّفَلُّتِ من هذا الأمْر، أما إذا عَرَفْتَ الآمِرَ قبل الأمْر تفانَيْتَ في طاعته، معنى ذلك أنَّ المسلمين اليوم عرفوا الأمْر ولم يعرفوا الآمِر، وشَرَفُ الأمْر مِن شرف الآمِر، وعظمة الأمر مِن عظمة الآمِر، فالإنسان حينما يعصي الله، أو حينما يتساهَل ؛ معنى ذلك أنَّ حَجْم معرِفَتِهِ بالله غير كافِيَة، فلو أنَّها كافِيَة لما عصى ربَّهُ والدليل: هل يمكن لأحَدٍ من الإخوة الحاضرين أن يقطع الإشارة الحمراء والشرطي أمامه ؟ مُستحيل أن تُخالِف!! وكذا أيُّ إنسانٍ غلبَ على عقْلِهِ أنَّ الله تعالى يُراقِبُهُ ويعلم وسَيُحاسِب فإنَّه يسْتقيم، فالعَقَبَة إذًا عَقَبَةُ معرفة الله عز وجل، فحينما تعصي الله يجب أن تعلمَ عِلْم يقين أنَّ حجْمَ معْرِفَتِكَ بالله غير كافِيَة، فَمِن باب التَّوضيح والتقريب يُمْكِن أن نرْمز لِقَناعاتِك بِوَحَدات، فإذا كانت وحدات المعرفة بالله أقلّ مِن الشَّهوات، فالشَّهوات هي الراجحة، وحينما تقترف معصِيَة فمعنى ذلك أنَّ حجْم معرفتك بالله أقل من هذه الشَّهوة، لذلك رجَحَت الشَّهوة وإن كان التعادل دَخَلْتَ في الصِّراع ! أما إذا زاد حجم معرفته بالله دخل بالأعماق، وانتفى

الصِراع، يقول لك: والله لو قطَّعْتني أرْبًا إرْبًا لا أعصي الله، قال له: يا عم، ماذا يريد ابن أخيك ؟ لو أراد مالا جعلناه أكثرنا مالاً، ولو أراد النِّساء زوَّجْناه أجْمَل فتياتنا، ولو أراد العِزَّة والسلطان ولَّيْناهُ أمورنا، ولا نقْطع أمرًا دونه، فقال:

((والله يا عمّ، لو وضَعوا الشمس بِيَمني، والقمر بشمالي، على أن أدَعَ هذا الأمر ما تركتُهُ حتَّى يظهره الله أو أُهْلَكَ دونه !))

فيا أيُّها الإخوة إذا رأيْتَ مَن يعصي الله فيجب أن تعلَمَ أنَّ حجْم معرفته بالله قليل، والأمْر معروف عنده، فالحلال حلال، والحرام حرام، ولا إشْكال في هذا، ولكنَّ الإشكال في معرفة الله، لذا يُمْكن أن يكون مِحْوَر اللِّقاء ؛ إذا عرَفْتَ الآمِر قبل الأمر تفانيْت في الطاعة، أما إذا عرفت الأمْر قبل الآمر تفنَّنْت في المعْصِيَة، وحجْمُ معرفتِكَ بالله هو الذي يُحَدِّدُ طاعتك له، فكلَّما زاد هذا الحجم اندفعتَ إلى طاعته،وكلَّما قلَّ هذا الحجم تفلَّتَ من طاعته.

هذا الكلام ذكرتُه كمقدِّمة لآية كريمة، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8)﴾

[سورة الروم]

والسؤال لم أُجب عنه بعد، المسلمون يعرفون الحلال والحرام و معظمهم غارقون في الحرام، ما تفسير ذلك ؟ إنَّهم لا يعرفون الله،وكيف يعرفونه ؟ قال تعالى:

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(103)﴾

[سورة الأنعام]

إذاً كيف ؟ عن طريق العقول، و الله عز وجلَّ لا يرَى لكنَّ آثاره تدلُّ عليه، فصار عندنا طريق وحيد إلى الله، أنَّ الكون يُجسِّد أسماء الله الحسنى و يظهر عظمة الله ووحدانيته، وأنَّ العقل أداة معرفته فحينما تُذكَر آيات في كتاب الله تشير إلى عظمة الكون إنْ فكَّرتَ فيها وصلتَ من خلالها إلى الله، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8)﴾

[سورة الروم]

هذا خلقه، الشمس آية و القمر آية والمجرَّات آية و اكتُشِفتْ حديثاً مجرة بُعدُها عنَّا ثلاثمائة بليون سنة ضوئية، فهذا الماء الذي تشربه و الهواء الذي تستنشقه، و ابنك الذي بين يديك ألم يكن نطفة من منيٍّ يُمنى، الطفل يضحك ويبكي و يدرس و يقرأ ويأكل و يشرب و ينجح هذه الأجهزة الدقيقة، مائة وثلاثون مليون عُصيَّة و مخروط في عينه و ثلاثمائة ألف شعرة و لكل شعرة عصب و شريان و غدة دهنية و غدة صبغية و عضلة، خمسة وثلاثون مليون عصارة هاضمة في المعدة، الأمعاء تتجدَّد كلَّ ثمانية و أربعين ساعة شيء لا يُصدَّق لذلك إذا ورد في القرآن الكريم إشارات إلى الكون فمعنى ذلك أنَّ هذه موضوعات التفكر هي طريق معرفة الله عز وجل.

هناك طريق ثانٍ قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا(10)﴾

[سورة محمد]

هذه أفعاله، لك أن تعرفه بخلقه ولك أن تعرفه بأفعاله و لك أن تعرفه بكلامه، قال تعالى:

﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(82)﴾

[سورة غافر]

البينات آية و الأفعال آية و الخلق آية وهذه مصادر ثلاثة لمعرفة الله عز وجل ؛ خلقه يدل عليه وأفعاله تدلُّ عليه و كلامه يدلُّ عليه، إنْ أردتَ أن تعرفه فعليك بالكون متفكِّراً أو بالقرآن متدبِّراً أو بالحوادث متَّعِظاً، لذلك القصص التي يسمعها الناس و التي تظهر فيها عدالة الله في أجلى معانيها هي دلائل على معرفة الله عز وجل، قلتُ لكم مرةً: لي صديق زوجته تركت البيت إلى بيت أهلها و مرَّ على ذلك ستة أشهر و أردتُ أن أكون وسيطاً بين الزوجين فطلبتُ أخ الزوجة وهو موظَّف في إحدى جهات القطاع العام، قال لي:وأنا في طريقي إلى المطار مع مديري كان ثمة جروٌ صغير جالس على طرف الطريق في أيسم الشتاء والزفت في أيام الشتاء دافئ لأنَّه أسود و الأسود يمتص الحرارة و هذا الجرو جالس على طرف الطريق فأراد المدير أن يظهر براعته في القيادة فيقطع يدي هذا الجرو قال: وأنا غير منتبه، و فجأة انعطفت السيارة وأطلق السائق ضحكة باردة فعلاً قطع يديه فقط وتابع سيره، أقْسَم لي بالله وهو عندي أنّه في يوم السبت القادم تعطَّلت له السيارة في المكان نفْسِهِ، ورفع السيارة بالجهاز كي يُغَيِّر العَجَلة، فإذا بالجهاز ينفكّ وتقع السيارة على الجهاز والجهاز على يديه مِن الرسغَين ! ولما أُخِذ إلى المستشفى، وفي حين أخذِهِ اسْوَدَّتْ يداه فَقُطِعَتا !! فهذه أفعاله، وهناك ملايين القِصص، فأفعال الله تدل عليه وخلقهُ يدل عليه، وكلامه يدلّ عليه، فما علينا إلا أن

نجهد في معرفته فإذا عرفناه تفانَيْنا في طاعته، أما إن لم نعْرفه فإنَّك تتفنَّن في التَّفلّت، حِيَلٌ شَرْعِيَّة، وتَقْصير، ويقول لك: نحن عبيد إحسان وليس عبيد امْتِحان، ونسأل الله أن يغفر لنا ؛ هذا كلام شيْطاني، فالإنسان يستطيع أن يستقيم، وقد قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة]

ذَكَرْتُ هذا الدرس، لأنّ الله تعالى يقول:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8)﴾

[سورة الروم]

بآيتين ثلاثة مصادر للمعرفة ؛ خلقُه وأفعاله وكلامه، قال تعالى:

﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(70)﴾

[سورة التوبة]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-8) : تفسير الآيات 20-23

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الله جلَّ جلاله يَجِلّ عن أن يقول كلامًا لا معنى له وقد ذَكَرْتُ هذا من قبل كثيرًا، حينما قال الله عز وجل:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20)﴾

[سورة الروم]

مِن للتَّبعيض، الطِّفل الصغير يزن ثلاثة كيلو غرام، فإذا بلغَ سِنَّ الرشْد، تجد وزْنه بالخمسين فما فوق، فهذا الوزْن مِن أين جاء ؟ مِن الطَّعام والشّراب، والطعام والشراب مِن أين جاء ؟ مِن التراب، تُلقي بذْرةً في التراب فَتُصبِحُ ثمْرةً تأكلها، لذا قال تعالى:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20)﴾

[سورة الروم]

ألَم يلْفت نظَرك إلى الوردة ذات الألوان الرائِعَة، بياض ناصِع وصفار فاقِع، أحْمر قاني، رائِحة عَبِقَة، وأوراق خضْراء، أشْكال هَنْدَسِيَّة فهذه مِن تُراب، ألم يلْفِت نظَرَك هذه الفاكِهَة لَوْن وطَعْم ورائِحَة وقِوام وشَكْل وتناسُق، في بعض اللَّوْحات الزَّيْتِيَّة توضَع فيها مناظر طبيعِيَّة التفاح والكمَّثرى ؛ غير موضوع الطَّعام والشراب، مَنْظَر جمالي فالفاكهة لها شَكْل جمالي رائِع، فالكتُّاب الذي تَدوسُهُ بِقَدَمِك، طيف أصْبَح هذه الفاكِهَة، وهذه البيْضَة، لو راقَبْتَها لوَجَدْتها تأكل كلّ شيء فقد تأكل القمامة أحْيانًا، تُعْطيكَ بيضة ؛ سِتَّة عشرة فيتامينًا، موادا ودُهوان وكالسيوم، وحموضا أمينيَّة، وهذه البقرة تأكل حشيشا فتأخذ منها الحليب، ولبَنا، وسَمنا، وجبنة، فالألبان أحد أكبر أنواع الغِذاء بِحَياتنا، مِن حليب، فهذه البقرة كيف تصْنعُ الحليب ؟ هي حَيَوان أعْجَم لا يعرف كيف يصْنع الحليب ؟ لذا موضوع البقرة موضوع يلْفتُ النَّظَر، غُدَّة الثَّدْيِيَّة بالبقرة قُبَّة فوقها شبَكَة أوْعِيَّة دَمَوِيَّة، والخلِيَّة الثَّدْيِيَّة تنتقي مِن الدَّم حاجتها ؛ تأخذ بروتينا ودهنا وشَحما وفيتامينات وتصنع حليبًا كامِلَ الدَّسَم، لو وازَنْتَ بين الحليب والحشيش، وما يأكله الدَّجاج والبيْض، والتراب والزَّهرة، والتراب والفواكه، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20)﴾

[سورة الروم]

قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾

[سورة الروم]

المرأة إنسانٌ له عَقْل، ومشاعِر وعواطِف ومبادئ، تُحبّ وتغْضب وتَسْعد وتَشْقى، وترضى، فَشَريكَةُ حياتِك فالله تعالى تكريماً لك جعل الزوجة إنساناً يشعر لشعورك ويتألَّم لألمك، ويرضى برِضاك ويغْضب لِغَضَبِك، فأحيانًا الإنسان لو عاش مع آخر دونه معيشيًّا أو ثقافيًّا أو دونه فِكْريًّا تجدهُ يضْجر، ومن كرم الله على الإنسان أن جَعَل زوْجته مِن جِنْسِهِ، والنِّساء كما قال النبي صلى الله عليه وسلَّم شقائق الرجال، فالزَّوْجة إنسان لها ميّزاتها، فَهِيَ تُنْجب الأولاد وتُرْضي زَوْجها، وتقْضي له حاجته، وتقرأ القرآن وتخاف من الله، فَهِيَ من طبيعتكم، ومِن جِبِلَّتِكم، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾

[سورة الروم]

وقال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22)﴾

[سورة الروم]

مرَّةً سافَرْتُ إلى إيران فلم أفْهَم ولا كلمة، ولا حرف ! ما هذا اللِّسان ؟! لغة عربيَّة ولغة فارِسِيَّة، ولغة إنكليزية وفرنسيَّة...، وكذا ألوانكم هناك أسْوَد وأبيَض وحِنطي.

قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22)﴾

[سورة الروم]

ينام اثْنان فالأوَّل يرى نفْسَهُ في بسْتان، ومعَ مَن يُحِبّ، وآخر يرى نفسَهُ مع ثعبان، فهذا المنام له معنى كبير؛ معنى هذا أنَّ لك حياةً نفْسِيَّة لا علاقة لها بالجسَد إطْلاقًا فقد يرى أحدهم منامًا مُفْرِحًا يبْقى شَهْرًا مغْموسًا في السَّعادة، وآخر يرى منامًا مُخيفًا فيبقى مُتأثِّرًا أيَّاما ! فالنَّفْس مُسْتَقِلَّة عن الجسَد، والحقيقة أنّ المنام إشارة من الله على الحياة الأُخْرَوِيَّة، وبِشارة من الله تعالى.

فالله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ(12)﴾

[سورة الرعد]

سحابَةٌ مُكَهْربة كهراءً سلْبِيَّة، وتلك إيجابِيَّة، تلتقي السَّحابتان فيَحْدُث البرْق، فالتَّيار الآن عندنا مائتان وعشرون، أما في السَّحاب فبالآلاف ومئات الآلاف فأحيانًا الصاعقة لا تُبقي ولا تذر ! لولا المطر ماذا نفْعل تَجِفّ الأنهار والآبار، ويموت النبات والحيوان، لي صورة لِبَلَدٍ إفريقي أصابَهُ الجفاف سبعة سَنَوات ! الأبقار ميّتة والأشْجار كُلّها يابسة والشَّعب كُلّه هاجَر ! تجد بلدًا مُتألّقًا ؛ صناعات وتِجارات ومحلات بِفَضْل الأمطار ولولاها لَهَجَرْنا هذه البلْدة، فالبيْت الذي ثمنه كذا وكذا إذا انعدم منه الماء أصْبَحَ لا شيء، فهذا المُسْتودَع الضَّخم الذي يُرْوي خمسة ملايين إنسان فقد سَمِعْتُ أنَّ دمشق اسْتِهلاكُها سبعمائة ألف متر مُكَعَّب كل ساعة ! هذه مِن آياته، قال تعالى:

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ(22)﴾

[سورة الحجر]

فالله أراحنا من تخزين المياه، وأنت حينما تدفَعُ فاتورة الماء، فهذه فاتورة الخِدْمة وليس فاتورة الماء، فالماء ليس له ثَمَن.

قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (25)﴾

[سورة الروم]

شؤون السماوات والأرض بأمْرِهِ تعالى، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (25)﴾

[سورة الروم]

الإنسان يموتُ ويُدْفَنُ، ويُدْعى لِيُحاسَب، فالآذِن أحيانًا ينادي في المحكمة فلان الفلاني، فيأتي لِيُحاكَم، قال تعالى:

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (26)﴾

[سورة الروم]

هذه لامُ المُلْك، أي لهُ خلْقًا وتصَرُّفًا ومصيرًا، فقد تمْلِكُ ولا تنتفِعُ وقد تنتفِعُ به وأنت لا تمْلِكُهُ، وقد تمْلِكُهُ وتنتفِعُ به ومصيرُهُ ليس إليك، قرار اسْتِملاك تُصْبح خارج البيت، ففي الدنيا ليس المصير إليك، أما إذا قلنا عن الله تعالى لَهُ أيْ هو المُتَصَرِّف وهو الذي خلَق وإليه المصير، قال تعالى:

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27)﴾

[سورة الروم]

كلمَّا تفكَّرتَ في خلقِهِ وجَدْتَ أنَّ الخلق الثاني أهْوَنُ عليه مِن الأوّل !.

أيُّها الإخوة الكرام، عبادة قصَّر فيها المسلمون ؛ إنَّها التفكُّر في السماوات والأرض، فالإنسان لمَّا يتأمَّل هذه الآيات يتعرَّف إلى الله ويتقرَّب إليه بِطاعَتِهِ، فإنْ رأيْتَ أنَّك تعْصي الله فاعلَم أنَّ في إيمانِكَ نقْصٌ شديد، لأنَّ الإيمان الكامل يَحْملُ صاحِبَهُ على الطاعة، وما دام هناك مُخالفات فمعنى هذا أنّ الإيمان غير مُجْدي وغير كافٍ، فأنت إن أرَدْتَ أن تشتري بيْتًا، وأنت معك مالٌ ولكن ألف ليرة فقط !! فأنت معك المال ولكنَّه غير كافٍ، فأنت تعرف الله ولكنَّك لم تعْرفه المعرفة الكاملة، فالإنسان ينبغي أن يتفكَّر في خلق الله تعالى ؛ في الطَّعام والشَّراب واللَّبن والهواء والإبل، وهذا التَّفكّر يُوَلِّد معرِفَةً بالله، وتلك المعرفة تَحْمِلُكَ على طاعة الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-8) : تفسير الآية 30

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثلاثون من سورة الروم، وهي قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(30)﴾

[سورة الروم]

الأحْنف ؛ المائِل، وأقِم وجْهك حنيفًا أيْ أَطِع ربَّك مُحِبًّا له.

الحقيقة أنَّ الإنسان أحْيانًا يُنَفِّذُ أمْرًا مِن دون اهْتِمام، أمَّا أقم وجهك للدين ؛كما لو أنَّ إنسانا يرى ضغطه على ساعة الضغط و يخشى أن يكون ضغطه مرتفعًا، فتكاد عينه تخرج من رأسه،

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(30)﴾

[سورة الروم]

يعني أعلى درجات الاهتمام و التركيز والتعظيم، أحيانا تسير في طريق و عينك على طريق آخر، تقدِّم شيئا ولا تعبأ بالشخص الذي أمامك، تتكلم و لا تبالي من تكلِّم، أمَّا أقم وجهك ؛ أي اهتمامك طاقتك وتفكيرك وجهدك مرَكَّز على طاعة الله عز وجل مع الميل، ذلك قالوا: من أطاع الله وما أحبَّه فما عبده و من أحبَّه ولم يطعه فهو كاذب فكلمة عبادة تعني طاعة مع محبَّة، فلو خلت العبادة من المحبة فليست عبادة، ولو خلت المحبة من الطاعة فليست عبادة و ليست محبة فالإنسان بعد ما عرف الله عز وجل من خلال الكون سوف يبحث عن أمره ونهيه كي يقيمه بشكل حازم، وأدقُّ ما في الآية أنَّ إقامة وجهك للدين حنيفا ذاك العمل و ذاك الحب وذاك السلوك متطابق مع فطرتك التي فُطرتَ عليها تطابقا تامًّا.

أحيانا لو جئنا بخريطة لسورية فيها تضاريس و أقمنا حولها إطارا ثم صببنا عليها جبس سائل، وبعد أن يجفَّ هذا الجبس فستنتج خريطة متطابقة مع الخريطة الأولى تطابقا تامًّا، صدِّقوني أنَّ طبيعة النفس البشَريَّة مع أوامر الدِّين كهذا القارب مع هذه الخارِطة ؛ تطابق تام فأنت لا ترْتاح إلا إذا أطَعْتَ الله عز وجل وما دام هناك مُخالَفَة هناك ضيق وقلق، ولا تميل النَّفْس إلى الراحة والسَّكينة إلا بِمَعْرفة الله تعالى، وطاعته وخِدْمة خَلْقِهِ، فَصيغَة الآية:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(30)﴾

[سورة الروم]

أي إقامة وَجْهِكَ للدِّين حنيفًا هو عَيْنُهُ فِطْرة النَّفس.

والاسْتِنباط ؛ أنَّك مهما بَحَثْتَ عن السَّعادة، ومهما عن الطمأنينة والاسْتِقرار مِن دون أن تُقيمَ وَجْهك للدِّين حنيفًا فهذا مُسْتحيل فإذا أرَدْتَ أن تُوَفِّرَ وقْتَكَ وجُهْدَكَ فلا سبيل إلى طمأنينتِكَ وسعادتِكَ وسكينتِكَ إلا بإقامَتِكَ للدِّين حنيفًا، قال تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(30)﴾

[سورة الروم]

معنى ذلك أنَّ التَّدَيُّن فِطْري، والإنسان حينما يتديَّن ينْسَجِمُ مع فِطْرتِهِ وترْتاح نفْسُهُ، قال تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد]

وقال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7)﴾

[سورة الشمس]

أي إنَّها إن فَجَرَتْ تعْلم أنَّها فَجَرَتْ وتنْهارُ داخِلِيًّا، وإنَّها إن اتَّقَت تعْلَمُ أنَّها اتَّقَت فَتَرْتاحُ داخِلِيًّا، فتَجِدُ في المؤمن مِن الطمأنينة والاسْتِقرار ما لو وُزِّعَ على أهل بلدٍ لكفاهم، فما سِرُّ هذه الطمأنينة ؟! أنَّهُ أقامَ وَجْههُ للدِّين حنيفًا، لو تصَوَّرْتَ شرْطِيًّا عند ملِكٍ والمَلِكُ يُحِبُّه وغالٍ عليه فهل يخاف الشرطي من الوزير فهذا مِن أجل أنَّهُ مُقَرَّب لا يخاف، قال تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(30)﴾

[سورة الروم]

لذلك هناك موضوع بالإسلام قلَّ مَن ينتَبِهُ إليه الناس ؛ إنَّهُ موضوع الفِطْرة ؛ لك عَقْلٌ يكْشِفُ لك الحقائِق، وعَقْلٌ تَهْتدي به إلى الله تهتدي به إلى أنّ الله خالق وموجود وواحِد، وتهتدي بأنَّ ذاك الإنسان رسول الله، وتهتدي إلى أنَّ هذا الكلام كلام الله، فهذا نشاط عقلي لكنَّ الله عز وجل فضْلاً عن ذلك أوْدَعَ فيك مِقْياسًا نفْسِيًّا ؛ يقول لك: انْقبَضْت وارْتَحْتُ، فإذا القَضِيَّة خلاف الشرع لن ترْتاح، لو لم تمْلكُ الحُكْم الشَّرعي لن ترتاح وراحة نفْسِكَ بِطاعة الله، والإنسان قد يرْتكب عملاً في ظاهِره مُغطًّى شرْعًا، ولكن فيه حِيلَةٌ شَرْعِيَّة، فأحدهم نزَّل قيمة بيت بِنِصْف قيمته وذلك باتِّفاق منهم، وكان أصْحابه أيْتاما !

فإذا أكْرم الله الإنسان بِفِطْرة سليمة، وضمير حيّ لو لم يعلم الحكْم الشرعي فإنّ نفْسهُ تتضايَق، لأنّ النفس مُبَرْمجة على الأمر والنَّهي فإذا كان هناك مسافة، كان دليل الضِّيف فأيّ إنسان يسألك سؤالاً سببُ سؤالهِ تَضَايُقُه، ولولا ذلك لما سأل، فلو أنّ شَخْصًا اشْترى الفاصولياء بِمال حرام، هل يسألك ما حُكم أكل الفاصولياء ؟! لا يسألك لأنَّه مرتاحٌ نفْسِيًّا، أما إن كان الأمر فيه مُخالفة شَرْعِيَّة، وشعور بالمعْصِيَّة، لذا أنت معَكَ ميزان الفطْرة، وأنا أسْتَخْدِم هذا الميزان كثيرًا، فقد حرَّم العلماء خَلوة الأخت من الرَّضاعة ! لأنَّها تُشْتهى والسفر خلوَة، أنْ يخْتلي أخٌ بِأُخْتِهِ من الرَّضاعة هذا لا يجوز ، فالنَّفس تتوافق مع شَرْع الله، ففي عالم الميكانيك، لو فرضْنا أنَّ آلة لك تحتاج إلى برغي من قِياس كذا، وأتَيْتَ بِبُرغي قياس أكبر أو أصغر في آلةٍ فهذا لا ينْفع، وأنا لا أكْتُمكم أنَّ الإنسان تنْطمِس نفسُهُ أحيانًا قال تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(14)﴾

[سورة المطففين]

فالذي يريد أن يحْرص أن تبْقى فِطْرَتُهُ سليمة وضميرهُ يقِض عليه أن يُطيع الله كي يكون له واعِظ مِن نفْسِهِ، وكلَّما قال لك أحد: لسْتُ مرْتاحًا، معناها أنَّ فِطْرته تُؤنِّبُهُ، وقد قالوا: أنَّ الإسلام دينُ الفِطْرة فالاخْتِلاط لا يجعل النَّفس مُرْتاحة، تُحَدِّثها وتراها وتَسْمعُ كلامها وترى قِوامها وشَكْلها وحركتها، ثمَّ يوحي لك إبليس كي تقول: مثل أخْتي! هذا خِلاف الفِطْرة، فلا بدّ أن تعرف أنَّ لكَ بُنْيَة نفْسِيَّة مُبَرْمَجَة في أصْل خِلْقَتِها مع الشَّرْع، ومتوافقة، وحينما تُطَبِّق الشَّرْع ترْتاح هذه الفِطْرة، وإن خالَفْتَ الشَّرْع تجد فيك القلق وهوة يدْعو إلى التساؤُل والشَّك، فلو أنّ أخًا لك بعث معك بِضاعة كي تبيعها بِسِعْر كذا وزِدْت على ما قال: تَجِدُ نفْسَكَ غير مرْتاحة، فهذا فِطْرَتُهُ سليمة، فأكْثَر أسْئِلة كسْب المال والتِّجارة، والبيع والشِّراء مِن جرَّاء عدم راحة النَّفس، قال تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(30)﴾

[سورة الروم]

فإن أرَدْت أن يرْتاح عقْلك فآمِنِ بِكِتاب الله وسنَّة رسوله، وإن أرَدْت أن ترْتاح نفْسُك فاسْتَقِم على أمْرِهِ، فالعَقْل غذاؤُه الإيمان، والنَّفْس غِذاؤُها الطاعة، فالمُطيع يشْعُرُ أنَّها ملَكَ الدنيا، قال تعالى:

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي(55)﴾

[سورة هود]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-8) : تفسير الآيتان 31-32

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلْنا في سورة الروم ومع الآية الواحدة والثلاثين وهي قوله تعالى:

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32)﴾

[سورة الروم]

الآية التي قبْلها شُرِحَت قبل العيد، وهي قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(30)﴾

[سورة الروم]

المَنْهَجُ الذي أنْزَلَهُ الله على النبي صلى الله عليه وسلَّم مُتَوافِقٌ أتَمَّ المُوافقة مع فِطْرة النَّفس، فحينما يُقال: الإسلام دينُ الفِطْرة أيْ أنَّهُ مُتوافق مع النَّفْس البشَريَّة، فالذي خلَقَ النَّفْس البشَريَّة وخلقَ خصائِصَها، وخلق جِبِلَّتَها، وطِباعها ومبادِئها، هو الذي أنْزَلَ الكتاب على عبْدِهِ، وهو الذي أمَرَ ونهى، هناك توافق بين خلْق الله وبين تَكْليفهِ ؛ خَلَق وكلَّفَ، فلذلك أنْ تُقيم وَجْهك للدِّين حنيفًا عَيْنُ فِطْرة الله التي فطَرَ الناس عليها لا تبديل لِخَلق الله، وهذا هو أصْل الدِّين.

قال تعالى:

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾

[سورة الروم]

أي ينبغي أن تكونوا مُنيبين إليه أي راجِعين إليه في الأمْر والنَّهْي وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقَّافًا عند كتاب الله، أنت لك مرْجِع، أما الكافر فَشَارِدٌ، يَفْعَلُ ما يشاء، وينطلِقُ من غريزَتِهِ ومَصْلَحَتِهِ، ومن شَهْوَتِهِ، أما المؤمن وقَّافٌ عند حُدود الله، وله مرجع، ويسأل ما حكْم الشرع في هذا الموضوع ؟ وما حُكْم الشرع في هذه القضيَّة ؟ وفي هذه الصَّفْقَة ؟ وفي هذه العلاقة ؟ وفي هذا السَّفَر ؟ وفي هذا الغضَب ؟ وفي هذا العَطاء والرِّضا، فأنتَ لك مرجع، قال تعالى:

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾

[سورة الروم]

في الأمْر والنَّهي، ويرْجِعون إليه بِقُلوبهم، قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾

[سورة الروم]

ولكن مرْكز الثّقل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31)﴾

[سورة الروم]

مَن هم المشركين في هذه الآية ؟ قال تعالى:

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32)﴾

[سورة الروم]

أيْ شارَك الله في التشْريع والعقيدة، واعْتقدَ بِشيء، وسفَّه ما سِواه وبحثَ عن الأدِلَّة بعد أن اعْتقَد بالشيء ! ودَقِّقُوا معي في هذا الموضوع أخْطَر فئةٍ في الدّين أَهْل الرأْي، مَن هم أهل الرأي ؟ الذين اعْتنَقوا رأيًا، ثمَّ بَحَثوا له عن أدِلَّتِهِ، فَهُو جاء بِعقيدة جديدة وفِكْرٍ جديد وبَحث عن الأدِلَّة، فالقرآن والسنَّة إنْ دعَمَت هذا الرأيْ تَمَسَّك بِهما وإن نَقَضَتْ هذا الرَّأي أغْفَلَهما ! إن كان قرآنًا أغْفَلَهُ، وإن كان سُنَّة كذَّبها، فدينُهُ رأيُهُ، وهؤلاء فرَّقوا دينهم وأصْبحوا دينهم دينَ رأْي كما تعلمون فِرَق وطوائِف، واتّجاهات، وفقد كان الإسلام واحِدًا وإلهٌ واحِد وقرآنٌ واحِد، وأصْبح هناك عشرات بل مئات الفِرَق والطَّوائِف فهؤلاء فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعًا، والشِّيَع جمْع شيعة ؛ أيْ انْحِيازٌ إلى مذْهب دون تَفْكير، قال تعالى:

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32)﴾

[سورة الروم]

فَكُلّ جماعة تدَّعي أنَّها على حقّ، وما سِواها على باطل، وحينها يتمزَّق الإسلام ويُصْبِحُ فِرَقًا، ومذاهب وجِهات وتتناحَر، وتتقاذف الطَّعْن وأنّها على الحق وسواها على الباطل ! هذا عَمَلٌ خطير جدًّا قال تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32)﴾

[سورة الروم]

فيَنْبغي أن نتعاوَن وأن نعود إلى الأصْل الواحد ؛ شَجَرةٌ لها جذع وفُروع وأغْصان، فالأغْصان كثيرة والفروع كثيرة ؛ أما الأصل فَوَاحِد، فالمُخْلِصون الآن يعودون إلى الأصْل، وإلى الكتاب والسنَّة الذي يَجْمَعُنا جميعًا، وإلى الأحاديث الصحيحة التي تجْمعُ شَمْلنا وفضْلاً عن ذلك نتعاوَن فيمَّا اتَّفَقْنا ويَعْذُرُ بعضُنا بعْضًا فيما اخْتَلَفْنا لذا مِن الأعمال الكبيرة جدًّا عند الله أن نأتي بِرَأْيٍ مِن عندنا، وأن نبْحَث لهُ عن أدِلَّة مِن الكتاب

والسنَّة، فإن جاء الدليل مُوافقًا تمسَّكنا به، وإن جاء مُخالِفًا رفَضْناه فالأصْل إذًا رأْيُنا، والدِّين رأْيُنا، فهذا العَمَل يُفَرِّق الدِّين، ويجْعَلُهُ فِرَقًا، وطوائِف، ويُفَتِّتُ المسلمين، قال تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(46)﴾

[سورة الأنفال]

كيف نخْتَلِفُ والكتاب واحِدٌ، والنبي صلى الله عليه وسلَّم واحِد والسنَّة واحِدَة ؟ مرَّةً ثانِيَة الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة تُفَرِّق، أما الصحيحة فتَجْمَعُ، فإذا تمسَّكنا بِكِتاب الله وسنَّة رسوله الصحيحة اجْتَمَعنا، فلِذلك مِن علامات الإخلاص أن نَجْتَمِع، ومنْ علامات ضَعْف الإخلاص أن نتفرَّق، والله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31)﴾

[سورة الروم]

لا تَكُنْ مُشْرِكًا بِمَعنى أنَّك تَبْتَدِعُ في الدِّين بِدْعَةً، قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ يَقُولُ:

((مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ يَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ نَذِيرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ ثُمَّ قَالَ مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ أَوْ عَلَيَّ وَأَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ))

[رواه النسائي]

لذلك العقيدة ثابِتَة ومُنْتَهِيَّة، وكذا العِبادات، ولا يُضاف عليها ولا يُحْذَفُ منها، قال تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(3)﴾

[سورة المائدة]

إذا الله سبحانه وتعالى أتَمَّ هذا الدِّين وكمَّلَهُ، أتَمَّهُ عدَدًا، وكمَّلَهُ نَوْعًا فهل يَحْتَمِلُ الدِّين إضافات جديدة ؟ وهل يحْتَمِلُ الدِّين أن نَحْذِفَ منه شيئًا لا يتناسَب مع هذا العَصْر ؟ إنَّك إن قلتَ هذا فأنت تتَّهِمُ الله تعالى في حِكْمَتِهِ، وترفض هذه الآية، قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة]

إن ظَنَنْتَ أنَّ هناك تَكْليفًا فوق وُسْعِ البشَر فأنت تُكَذِّب هذه الآية، ومن كذَّب آيةً فقد كَفَر، فأيُّ أمْرٍ في الكتاب والسنَّة في وُسْعِ النَّفس البشَريَّة أن تُطَبِّقَهُ، فأَنْ تقول: لا أستطيع ! وهذا الأمْر لا يتناسَبُ مع العَصْر ولا يتناسب مع التَّقدّم !! فأنت تَتَّهِمُ كتاب الله عز وجل أنَّهُ قاصِر على أن يُلَبِّي حاجات البشَر، أو أن يُغَطِّيَها، لذلك الأصْل هو النَّص، فأنت بعد أنْ آمَنْتَ بكِتاب الله عز وجل، لا يشْغَلُكَ إلا شيءٌ واحِد، أن تبْحَثَ عن أمْر الله تعالى، وعن نَهْيِهِ، فالأصْل هو الأمْر، أما إنْ جَعَلْتُ فِكْرتي هي الأمْر، وبَحَثْتُ لها عن أدِلَّة، وانْتَقَيْتُ انْتِقاءً يُعْجِبُني ورفَضْتُ ما لا يُعْجِبُني، فأنا أعْبُدُ نفْسي، ورأيي، وابْتَدَعْتُ دينًا جديدًا قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(159)﴾

[سورة الأنعام]

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ(108)﴾

[سورة يوسف]

على بصيرة أيْ بالدَّليل والتَّعْليل، والبيان، والحق يتوافَقُ مع الفِطْرة ومع العَقْل، ومع الواقِع، فإذا تَخَلَّفَتِ الفِطْرة فهِيَ ليْسَتْ عقْلاً، وإن تَخَلَّفَ الواقِعُ فليس حقًّا، هذا الحق مُتَوَافِق مع الفِطْرة والعقْل والواقِع فَحينما آتي بِفِكْرةٍ ليس لها دليل فأنا أتَيْتُ بِدِينٍ جديد وابْتَدَعْتُ، فلذلك إنَّ هذا العِلْم دين، فانْظروا عمَّن تأخذوا دينكم، وخُذْ عن الذين اسْتقاموا ولا تأخذ عن الذين ماتوا، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ(108)﴾

[سورة يوسف]

لو قلتُ لك: أنا قلتُ هذا، وهذا هو الحق، فَأنت بِهذا أشْرَكْتَ نفْسَكَ في التَّشْريع، لذلك كلمة الإشْراك أحْيانًا تنْصَرِفُ إلى مَن يأتي بِجَديد وليس معه دليل، يقول لك: كلامي هو الدليل، وخطأُ الشَّيْخ خيرٌ مِن صَواب المُريد !! كلام لا أصْل له، الأصل الكتاب والسنَّة، فهذه الآية:

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32)﴾

[سورة الروم]

مَن هم المشرِكون ؟ قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(159)﴾

[سورة الأنعام]

أصْبحَ الدِّين خمسين مَذْهبًا، واتِّجاهًا هؤلاء ضِدّ هؤلاء، وهؤلاء ضِدّ هؤلاء، وهؤلاء يُكَفِّرون هؤلاء،نحن على الحق، وغيرنا على الباطل هذه هي مُشْكِلة المسْلمين، وأصْبَحْنا فِرَقًا وطوائِفَ وشِيَعًا، وأحْزابًا وتفرَّقْنا، قال تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(46)﴾

[سورة الأنفال]

قال تعالى:

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32)﴾

[سورة الروم]

إذا انْتَقَل المُريد مِن شيْخٍ لآخر يُكَفِّر ! هذه هِيَ مُشْكِلَةُ المسلمين، وعدمُ إخْلاصهم هو الذي يَدْعوهم لِهذا.

أيُّها الإخوة، كلمَة خِتامِيَّة، ودَقِّقوا فيما أقول: لن ولن تكون مُؤْمِنًا إلا إذا كان انْتِماؤُكَ إلى مَجموع المؤمنين، وليس إلى شِرْذِمة منهم، فإذا قلتَ فلان هو الحق وغيرهُ باطِل فأنت لا تعرف الإسلام، ولسْتَ مؤمنًا أما أنت كَمُؤْمِن فإنَّ انْتِماؤُك إلى مَجْموع المؤمنين، لِقَول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(10)﴾

[سورة الحجرات]

فَكُلّ مؤمن يجب أن تُرَحِّب به، وهو على العَيْن والرَّأس، وأخي ؛ فهذا هو الدِّين، مليون قاسِم مُشْترك يَجْمَعُنا وبعضُها يُفَرِّقُنا، فهذه القضايا المُفَرِّقة أغْفِلوها، وأبْرِزوا نِقاط الاتِّفاق والحال كحال الشَّجرة لها أصْل واحِد، فنحن نبيُّنا واحِد وديننا واحِد، والكتاب واحد وكذا السنَّة واحِدَة، فَلِمَ الاخْتِلاف ؟ قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ(108)﴾

[سورة يوسف]

يجب أن تفرَح بِكُلّ أخٍ كريم، ومهما كان اتّجاههُ، إلا إذا اعْتَقَدَ عقيدَةً ضالَّة فلا بدّ أن تُناقِشَهُ، وتُرْشِدَهُ، فلا ينبغي أن تُقِرَّهُ على ذلك، أما إن كانت عقيدتُهُ صحيحة، وسُلوكُهُ حسَن فهذا أخي في الله مهما كان اتِّجاهه، أما الانْحِياز لِجَماعة، والتَّعَصُّب لها والطَّعْن فيما سِواها فهذا سُلوك شَيْطاني، والشَّيطان ما أراد إلا أن يُفَرِّقَنا، فذا شَهِد الشَّهادتين وأقام الصلاة وآت الزكاة فهذا أخ كريم في الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-8) : تفسير الآيتان36-37

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلْنا في سورة الروم ومع الآية السادسة والثلاثين وَصْفٌ لِحالةٍ مَرَضِيَّة تُصيب الإنسان أحْيانًا ؛ هذه الحالة قوله تعالى:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (36)﴾

[سورة الروم]

فأَنْ تقْنَطَ مِنْ رحْمةِ الله إذا جاءَتْكَ مُصيبَة بِما قدَّمَتْ يداك ؛ هذه حالة مَرَضِيَّة ! لماذا ساق الله لك هذه المُصيبة ؟! مِن أجل أن تعود إليه فإذا عُدْتَ إليه أزاحَها عنك، ما أنْزَلَها عليك إلا لِيُزيحَها عنك، وجاءَتْ مُذَكِّرة لك، فأَنْ ييْأسَ الإنسان، وأن يقْنَطَ، وأن يَظُنّ أنَّهُ قد انتهى لماذا ساق الله هذه المُصيبَة ؟ مِن أجل أن تعود فإذا عُدْتَ أزاحها عنك فأَنْ تيْأسَ وأنْ تقْنَطَ هذا مِن ضَعْف الإيمان، ثمَّ إنَّ الإنسان إذا أصابَهُ رَخاء نَسِيَ مَنْهَجَ الله تعالى، واغْتَرَّ، قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى(6)﴾

[سورة العلق]

إن رأى نفْسَهُ غَنِيًّا أو فقيرًا أو صحيح الجِسْم، مُتألِّق المكانة ينْسى منْهَجَ الله، ويقول: إنَّما أوتيتُهُ على علم عندي !! فالبُطولة أيُّها لإخوة أن تكون في الرَّخاء شَكورًا، وفي البَلاء صَبورًا مُتفائِلاً، ولو أنَّكم اطَّلَعْتُم على سيرةِ النبي عليه الصلاة والسلام لوَجَدْتُم العَجَب العُجاب ذَهَبَ إلى الطائِف، مع سيِّدنا زيْد، وعلَّق الآمال عليه، فكَذَّبوه وسَخِروا منه، وردُّوهُ، فلمَّا عاد إلى مكَّة، قال له سيِّدنا زيْد: كيف تعود إليها وقد أخْرَجَتْكَ ؟! فقال عليه الصلاة والسلام:

((إنَّ الله ناصِرُ نَبِيِّه !))

وكان في غارِ ثَوْر وتَبِعَهُ المُطارِدون ووصَلوا إلى فَمِ الغار، حتَّى قال الصِّديق: **والله يا رسول الله، لو نَظَرَ أحدهم إلى موطأ قَدَمِهِ لرآنا**، قال:

((يا أبا بكْر ما ظَنُّك باثْنَيْن الله ثالثهما ؟!))

وفي طريق الهِجْرَة هُدِر دَمُهُ، ووُضِعَتْ مائة ناقَةٍ لِمَن يأتي بِهِ حيًّا أو ميِّتًا وتَبِعَهُ سُراقة وهو في أشَدِّ حالات الضَّعْف، مُطارَد ومَهدور دَمُه فقال لِسُراقة: يا سُراقة، كيف بِكَ إذا لَبِسْتَ سِوارَي كِسْرى ؟! يَعِدُ سُراقة بأن يلْبس سِوارَي كِسْرى ! المعنى أنَّه كان مُتَيَقِّنًا أنَّه سيَصِل وأنَّهُ سيُحارِبُ أقْوى دولة في العالم ؛ الفرس والروم،

وسوف نأتي بِغَنائِمِنا مِن الفُرْس وسَأُعْطيكَ سِوارَي كِسْرى، لذلك أيُّها الإخوة، الخُنوع واليأس والقنوط ؛ مرضٌ مِن أمراض المسلمين، قال تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(139)﴾

[سورة آل عمران]

وقال تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ(146)﴾

[سورة آل عمران]

أيها الإخوة، الأقْوِياء، وأعْداء الدِّين إن رسَموا خِطَطًا طويلَةَ الأمَد لإنْهاء الدِّين، نجاحُ هذه الخِطَط يتناقضُ مع وُجود الله تعالى، إنّ الله ناصِرُ نبيّه، وقال تعالى:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ(51)﴾

[سورة غافر]

وقال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ(42)﴾

[سورة إبراهيم]

هناك مرضان ؛ مرض الفرَح الساذج بالحياة الدنيا، فهذا الفرَح قد يُنسي فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا الْأَعْمَالَ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ "))

[رواه الترمذي]

فالنبي عليه الصلاة والسلام عدَّ الغِنَى المُطْغي أحَدُ المصائِب مُصيبةٌ كبيرة جدًا أن تغتني غِناءً يُطْغيك، ولذلك ورَدَ في أحدِ خُطب النبي عليه الصلاة والسلام: إنَّ هذه الدنيا دار الْتِواء لا دار اسْتِواء، ومنزل ترحٍ لا منْزِل فرح، فَمَن عرفها لم يفْرح لِرَخاء، ولم يَحْزن لشَقاء قد جعلها دار عُقبى وجعل الدنيا دار بلْوى، وجعل بلاء الدنيا لِعطاء الآخرة سببًا، وجعل عطاء الآخرة لِبَلاء الدنيا عِوَضًا، فيأخذ لِيُعْطي ويبتلي لِيُجْزي، فالفرَح بالمال والمَنْصب، والحياة الدنيا، والقوَّة الصِّحة، فإذا حملكَ هذا على مَعْصِيَة الله تعالى كان إحْدى مصائِب الدنيا، قال تعالى:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ(36)﴾

[سورة الروم]

لعِلاج مُرّ، ولكنَّ العِلاج من أجْل الشّفاء، والشّفاء مِن خلْق الله عز وجل، فالمؤمن إن أصابَتْهُ مصيبة لِتَحْمِلَهُ على طاعة الله، والتوبة والقرْب، لا ينبغي أن يقْنَطَ مِن رحْمة الله، ولا أن يَيْأس، المؤمن يَثِقُ بِرَحْمة الله تعالى، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (37)﴾

[سورة الروم]

فالله يبْسُط ويقْدِر، لذلك قال العلماء: مِن أسْماء الضارّ والمانِع والقابِض والمُذِلّ والخافِض، فلا ينبغي أن تقول: الضارّ إلا إذا قَرَنْتَهُ بالنافِع، فيَجِبُ أن تقول: الضّارّ النافِع، والمُعْطي المانِع والقابِض الباسِط، والمُعِزّ المُذِل والخافظ الرافِع ؛ لماذا ؟! لأنَّه لا يضرّ إلا لِيَنْفع ولا يُذِلّ إلا لِيَرْفع، ولا يَمْنَعُ إلا لِيُعْطي، لذلك قال ابن عطاء السَّكَندري: ربَّما كان المَنْعُ عَيْن العَطاء فإذا كان الإنسان تِجارتُهُ رائِجَة واسْتَحَقَّ عِقابًا كبيرًا، وحَمَلَهُ هذا العِقاب على طاعة الله وعلى التَّوْبة، فهل هذه نِعْمة أم نِقْمة ؟! لِهذا قال تعالى:

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ(20)﴾

[سورة لقمان]

فالمصائِب هي النِّعم الباطنة، ولا أُبالغ إن قلت: إنَّ تسعين بالمائة من هؤلاء المُصَلِّين إنَّما ساقَتْهُم بعض المصائِب إلى باب الله، وعلى التَّوْبة، وعلى الصُّلْح مع الله تعالى، والإنابة إليه، فهذه نِعَم باطِنَة ! لذلك نحن عندنا شرّ، وعندنا شرٌّ مُطْلق، وآخر نِسْبي، لو اسْتَلْقى الإنسان على طاوِلَة العمليَّات، وجاء مَن قطَّع جِلْدَهُ وعضلاتِهِ وشرايينَه دون سبب، فهذا اسْمُهُ شرٌّ مُطْلق، وجريمة، يأتي طبيب ويضَعُ إنسانًا على طاوِلَة ويُخَدِّره، ويفتح بطْنه، ويرْبط الشرايين، ثمَّ يُغلق البَطْن ويُخَيِّط ! فهذا الشَّر مُوَظَّف للخَيْر، وهو نِسْبي، فالشَّر المُطْلق يتناقض مع وُجود الله، وليس في الكون كلِّه شرّ مُطْلق، بل هناك شرّ نِسْبي فهو بالنِّسْبة إلينا شرّ أما بالنِّسْبة لله العليم الرحيم خَيْر ! قال تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(26)﴾

[سورة آل عمران]

إيتاءُ المُلْك خيْر، ونَزْعُ المُلْك خير والإعْزاز خير، والإذْلال خير هكذا ينبغي أن نَفْهم المصائب، قال تعالى:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ(36)﴾

[سورة الروم]

لا ينبغي أن تفْرَحَ بالدنيا، ولكن بِطَاعة الله تعالى، ولا بالمال، ولكن بالعِلم، قال له: يا بُنَيّ ! العِلم خير من المال، لأنَّ العِلْم يَحْرُسُ وأنت تحْرس المال، سائِق تكسي اسْتَوْقَفَتْهُ امرأة فقال لها إلى أين، فقالت له: إلى أينما تُريد، فَفَهِمَ وظنَّ أنَّهُ كسِبَ كسْبًا كبيرًا، فلمَّا قضى وطرَهُ منها أعْطَتْهُ ظَرْفَيْن ففتَحَ الظَّرْف الأوَّل فوَجَد خمسة آلاف دولار ! والثاني فيه رِسالة تقول: مرْحَبًا في نادي الإيدْز ! والدولار مُزَوَّر !! فهذا لو كان يعرف الله لركَلَها بِقَدَمِهِ، فالمال تُنْقِصُهُ النَّفَقَة، والعِلْم يزْكو على الإنفاق، فلا تفْرح بالمال والدنيا، ولكن بالعِلم الصحيح والآخرة، ولا تفْرح بِمُقْتبل الحياة، ولكن بِمُؤَخِّرةِ الحياة، قال له: **يا بُنَيّ حَفِظْناها في الصِّغَر فَحَفِظَها الله لنا في الكِبَر**، قال تعالى:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(58)﴾

[سورة يونس]

أيها الإخوة، قل لي: ما الذي يُفْرِحُكَ أقول لك: مَن أنت ؟! المؤمن يفْرح بِطاعة الله، وباسْتِقامَتِهِ، وأنَّ في بيْتِهِ طاعةً واسْتِقامةً، ويفْرَحُ أنَّ زوْجَتَهُ مؤمنة، وبناتِهِ مُحَجَّبات، فَمَن جاءه بنتا وأحسن تربيتهما كانتا له حجابا من النار، هل مِنَّا مَن ليس عنده بنات، أطْعِمهنّ واكْسوهنّ وابْحَث لهما عن زَوْجٍ صالِحٍ وأنت مِن أهْل الجنَّة.

فيا أيُّها الإخوة، مرضان ؛ الأوَّل أن تفْرِح بِغَير فضْل الله، وأن تفْرح بالدنيا، فأحدهم حفر فإذا ببِئْر ثمانية عشرة إنشْ، ومِن شِدَّة الفرح سكَب فيه الخمْر !! وبعد شَهْرين، جفَّ البئْر !! وآخر كان عنده مزرعات، وكلّ مزْرعة فيها بئْر، وكان هذا يمْنع المواشي أن تشْرب وكان واحد من هؤلاء المزارعين يسقي هذه الأغنام، فبَعْد أشْهر جفَّت كل هذه المياه إلا مياه هذا الساقي !! اِفْرَح بالعَمَل الصالِح، قال تعالى:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ(36)﴾

[سورة الروم]

قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (37)﴾

[سورة الروم]

فالدنيا اِجْعلها بين يديك وليس في قلبِك، واتَّخِذْها أداةً لِطاعَة الله، وما مِن حظٍّ مِن حُظوظ الدنيا إلا والله سبحانه وتعالى أعْطاكهُ كي تُوَظِّفَهُ لله تعالى، والدليل قوله تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(77)﴾

[سورة القصص]

فإذا جاءَت الإنسان مُصيبة ينبغي أن لا يقْنَط، ولْيَدْعو ربَّه، به يسْتغيث، وهناك أحاديث كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلَّم:

((زوَيْتَ لي الأرض..."))

فما عليك إلا أن تُوَظِّف الأشياء في الحق ! فالمؤمن يفْرح بِطاعة الله، فإذا أصابَتْهُ مُصيبة لم يقْنط ولم ييْأس وأنَّها مَحْض عدْل ورحْمةٍ وفضْل، وهدفها أن تحملَهُ على طاعته تعالى وما مِن مِحْنةٍ إلا ووراءها مِنْحة، وما مِن شَدَّة إلا ووراءَها شَدَّة إلى الله تعالى فأيَّةُ مُصيبة تُصيبُ المؤمن فيها قَفْزَتَين ؛ قفْزة في معرفة الله، وقفْزة في محبَّتِهِ، قال تعالى:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(21)﴾

[سورة السجدة]

وقال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ(155)﴾

[سورة البقرة]

فإذا جاءَتنا الدنيا ينبغي أن لا تسْتَخِفَّنا، ولا بدّ أن نكون راسِخين كالجِبال.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-8) : تفسير الآية 41

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الواحدة والأربعون من سورة الروم، وهي قوله تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)﴾

[سورة الروم]

معنى الفَساد خُروج الشَّيْء عن طبيعَتِهِ، فهذا الماء طاهِر، ونقيّ وعَذْب وفُرات، ولا لوَنْ له، ولا طَعْم له، ولا رائِحَة، فإذا فسَدَ تغيَّر لَوْنُهُ، ورائِحَتُهُ، وأصْبَحَ مُجَرْثَمًا، فَفَسَادُ الشيءِ خُروجُهُ عن طبيعَتِهِ والله سبحانه وتعالى كامِلٌ كمالاً مُطْلَقًا، وخَلْقُهُ كامِلٌ كمالاً مُطْلَقًا إلا أنَّ مَخْلوقَين اثنين هما الإنْسُ والجنّ مُنِحوا حُرِيَّة الاخْتِيار، وأودِعَتْ فيهم الشَّهوات لِيَرْقَوا بها إلى رب الأرض والسَّماوات، لكنَّ لهم منْهَجًا يسيرون عليه، وأوامِر ونواهي، فأيُّ مَخْلوقٍ مِن هذين الاثْنين حَصْرًا مِن الإنس والجنّ مادام أُعْطِيَ حُرِيَّة الاخْتِيار، ومُنِحَ إرادَةً حُرَّة وسُمِحَ له أن يُحَقِّق إرادَتَهُ بِفِعْل الله عز وجل، وغفَلَ عن منهَج الله، وعن أمْرِهِ ونَهْيِهِ، مِن هنا يأتي الفساد، ويُؤَكِّد هذا قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي(80)﴾

[سورة الشعراء]

فلم يقُل وإذا أمْرَضَني، فالمرَضُ عُزِيَ في أصْلِهِ إلى الإنسان فالإنسان إذا خرَجَ عن منهَج الله، وخالفَ تعليمات الصانِع فسَيَمْرَض، وقد يأتي المرض لا في آحاد البشر بل مِن خطأ في العصْر، فإذا كان الجوّ مُلَوَّثًا ومُشْبعًا بِثاني أُكْسيد الكربون، وأطْعِمَتُنا وأشْربتنا تَحوي مواد كيماوِيَّة تتراكم، وهرمونات بالنبات مِن أجل أن يكبر النبات، وكذا بنْزوات الصوديوم التي في كلّ المُعلَّبات فهذه كذلك مسَرْطِنَة، فحينما تكون هناك صِناعات مُخالفة لِمَنْهج الله تعالى يأتي مرض السَّرَطان وأمراض القلب والرِّئتين، وحينما يكون الشِّرْك بالله تأتي الشِّدة النَّفْسِيَّة والشِّدَة النَّفْسيَّة وراء أكْثَر الأمراض أمراض جهاز الهضْم والخلايا والدم ؛ كُلّ هذه الأمراض بسبب الأمراض النَّفْسِيَّة، لذا كما قلنا فساد الشيء خُروجُهُ عن طبيعته.

كلِمَة ظَهَر فَعْلٌ ماض، والقرآن الكريم مِن أساليبِهِ الرائِعَة أنَّه يُعَبِّر عن المُسْتقبل بالفِعْل الماضي تَحْقيقًا لِوُقوعِهِ، كما في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ(116)﴾

[سورة المائدة]

وقوله تعالى:

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(1)﴾

[سورة النحل]

لذلك ربُّنا عز وجل إذا حدَّثنا عن المستقبل جاء بالماضي تحقيقًا لِوُقوعِهِ، وإذا أخْبرَنَا بِشَيْء عبَّر على هذا الإخْبار بالرؤْيا، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(1)﴾

[سورة الفيل]

ونحن لم نر شيئًا ! لكنَّ خبرُ الله عز وجل لِمِصْداقِيَّتِهِ يجب أن يقَعَ فيك أيُّها الإنسان كما تقَعُ الرؤْيَة ! وهناك الكلمة ظَهَرَ ؛ أيْ سيَظْهَرُ، وهذا مِن عِلْم الغَيْب، لذلك في القرآن الكريم إعْجازٌ إخْباري عن غَيْبِ الماضي وعن غَيْبِ الحاضِر وعن غَيْب المستقبل، فهذه الآية مِن إعْجاز القرآن الإخْباري المُتَعَلِّقة بِغَيْب المستقبل، والفسَاد ظَهَر، فَمَرض الإيدز انتشر، ونِصْف معْظم الدُّوَل الإفريقيَّة مُصابَةٌ بالإيْدز، وكلّ عشْرة ثواني يموت إنسان بالإيدزْ في أمريكا ! والآن، ونحن أنْظَفُ دولة في العالم، ومع ذلك انْتَشَرَ عندنا، وعندنا إصابات كثيرة، والشيء المُخيف أنَّ هذا المرض لو رصَدْنا له مئات الملايين من الدولارات، كلّ هذه الأموال تُنْفقُ على البُحوث العِلْمِيَّة لاكْتِشاف مُضاد، هذا الفَيْروس الذي هو أضْعَفُ فيْروس في الكَون يُغَيِّر شَكْلَهُ فتَذْهَبُ كلّ هذه الأموال أدْراج الرِّياح والآن هناك مُشْكِلَة، وهو أنَّ هذا الفيروس لا يظْهر إلا بعد ستّة أشْهر فإذا فُحِص المريض قبل سِتَّة أشْهر لن يظْهر هذا المرض معه ! وهناك أجْهزة دقيقة ولا تكْشِف، لماذا ؟! لأنَّ الأجْهزة تَكْشِف ثلاثة سُلالات والآن ظَهَرَت ستَّة سُلالات ! ولذلك تَوْجيه وزارة الصِّحة أنَّه مَن كان على وشَكِ إجْراء عَمَلِيَّة جِراحيَّة ينبغي أن يبْحَث عن قريب له مُسْتقيم لِيَأْخُذ منه الدَّم أوّلاً، فلا ينبغي أن تأخذ الدَّم مِن أيّ شخصٍ كان، وهذا الأمر تذْكُرُه الصُّحف اليَوْمِيَّة عشَرات المرات، وهناك حوادِث كثيرة وهذا هو الفساد، فالإنسان مُتَمَتِّع بأكْبر جِهاز مناعَة، مائتان مليون كُرَيَّة بيْضاء، فإذا دَخَل جُرثوم يَتَّجِهُ بعضُها إلى كَشْف هَوِيَّتِهِ، وأخْذِ شِفْرَتِهِ، وهذه الكُريَّات تُسَمَّى كريَّات مُسْتَطْلِعَة، فَيَصْنَعُ بعضُها مُضادَّات ضدّ هذا الفيْروس، ويَحْمِلُ بعْضُها هذا السِّلاح الفتَّاك وينطَلِق إلى الجرثوم، وهذه الكريات المُقاتِلَة، وتأتي كُريات مُنَظِّفة، فأنت معَكَ أرْقى جَيْشٍ في العالَم، قيادات ومعامِل أسْلِحة، وأقمار صِناعِيَّة وعُيون تَكْشِفُ أسْرار

العدُوّ، ومع ذلك فيْروس الإيدز خُطورتُهُ أنَّه يدْخل الجِسْم مُتَخَفِّيًا على شَكْل أحد الجُنود ! فهو يدْخل الجِسْم على شَكل كُرَيَّة بيْضاء، فلا أحدَ يُعارِضُه، وبعد أن يتمكَّن يفْتِكُ بِهذه الكُريَّات واحِدَةً واحِدة، ويُنْهيها، لذا هَيْئات عِلْمِيَّة بأعلى مُسْتوى في الشرق والغرْب، ودُوَل عُظْمى، ومئات الألوف من الملايين مِن الدولارات أُنْفِقَتْ، وكُلّ هذه الأموال، وكلّ هذا العِلْم، وكلّ هذا التَّصميم ذَهَب أدْراج الرِّياح أمام هذا المَخْلوق الذي خلقَهُ الله، وهذا إذا خرجَ مِن الجِسْم ثانِيَةً يموت فَوْرًا، ومع ذلك شُغْل العالَمِ الشاغِل قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾

[سورة الروم]

الجوّ مُلَوَّث، يقولون أنَّ تلوُّث الجوّ أربعمائة بالمائة !! أكبر نِسْبة تلوّث في العالم، نتنفَّس ثاني أُكْسيد الكربون، وهذا الذي رفَعَ الحرارة، وقد زادَتْ دَرَجَتُها الآن بِدَرَجَتَيْن، وهذا يُسَبِّب اضْطِراب خُطوط المطَر وذَوَبان الثُّلوج في القُطْبَين، وارْتِفاع البِحار في الشواطئ، وغرَقُ بعْض المُدُن، لأنَّنا نُريد صِناعة، واسْتِهلاك غير مَعْقول للمواد، وهذا سبَّبَ أمراضًا وفساد البيئة، فالماء فاسِد وكذا الهواء، وحتَّى الفساد الصَّوتي، فَكَثْرة المحطَّات و البثّ التِّلفزيوني ؛هذا يُفْسِد الجوّ، وهناك إشارات يضْطربُ لها الإنسان، فالإنسان حينما تُرِكَ وعَقْلهُ أفْسَدَ البيئة ومَن حوْلَها، وقبل شَهْر ناقِلَة نفْطٍ فيها مليون طنّ غَرِقَت !!! وقد ذَكَر لي أحَدُ الإخوة، أنَّ هناك أسْماك فيها رصاص، من جرَّاء التَّلوُّث الذي في البحْر، فأنت تصطادُها لتأكلها فإذا بها مواد سامَّة، ويُغَيِّرون خلْق الله، تأكل فرُّوج لم يَنَمْ ولا دقيقة، كلّ يوم أكل مُسْتمرّ، وضوء مُستمِر حتَّى لا ينام، وكل هذا مِن أجل التَّسْويق السَّريع، فهذا مُسَرْطِن بِسَبب النُّمو غير الطبيعي، لذلك أمراض الأوْرام الخبيثة مُتضاعفة كثيرًا، ولم تكن هذه مِن قبلُ، وأمراض كثيرة لم تكن من قبل، هناك محطَّات بالليل تعْرض العمليَّات الجِنْسيَّة كما هي ؛ شباب وشابات، وقد قلتُ لهم مرَّةً: كُلَّما قلَّ ماء الحياء قلَّ ماء السَّماء وكلَّما اتَّسَعَتْ الحُصون ضاقَت الصُّحون، وإذا رخص رحْم البشر على لحْم الضَّأن، قال تعالى:

﴿وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(16)﴾

[سورة الجن]

فظَهَر الفساد في البرّ والبحْر، فساد في الزَّواج، وفي العلاقات الأُسَرِيَّة وفساد في الهواء والماء والطَّعام، وغاز ثاني أكسيد الكربون فيه مشْكلة، وكلّ مَشْروباتنا كيماوِيَّة، والنبي قال: الأطْيَبَان ؛ الماء والتَّمْر، أما هذه المَشْروبات الغازِيَّة فلا شيء فيها طبيعي، وكلّها كيماوِيَّات، فهذا فساد ! والإنسان كُلَّما رجَحَ عَقْلُهُ لا بدّ أن يعود إلى الفِطْرة، وإلى العلاقات الطَّبيعِيَّة.

أصْلُ الفسادِ مِن صُنْع الإنسان، لأنَّ الله تعلى كامل كمالاً مُطْلَقًا والمخلوق مُخيَّر، وترَكَ المنهَج، وذهب إلى الشَّهوات، شَهَوات واخْتِيار وغَفْلة عن منهج الله، فالفِكْرة دقيقة؛ أصْل الفساد مِن صُنْع الإنسان، والآية أكبر دليل:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)﴾

[سورة الروم]

فالله تعالى خَلقُهُ كامِل.

قال تعالى:

﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)﴾

[سورة الروم]

فالله جَعَل للانْحِراف ثَمَن باهِظ لعلَّهم يرْجِعون، ذَكَر أحد الخُطباء أنَّ أحدا في أثناء عشائِهِ مع أولاده كان يُقَلِّب المحطَّات فإذا بإحْدى هذه المحطَّات عرضَت مشْهَدًا خليعًا، فنقل الأب المحطَّة بسُرْعة إلى محطَّة أخرى، فابنهُ حفظ رقْم المحطَّة ! ولمَّا نام الأب، وإذا بِهِ يسْتيْقظ على أنين، فإذا ابْناهُ فوق ابْنَتَيْه !! هذه هي الحضارة !

قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)﴾

[سورة الروم]

إذا رفَضْنا شرْع الله ولا امْتثَلْنا السنَّة اسْتَهْوَتْنا البِدْعة.

((عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ))

[رواه الترمذي]

وهذا الغَزْو الثقافي، والسؤال: لماذا جَعَل الله تعالى عذابًا أليما لِهذا الفَساد ؟ لو لم يَخلق الله هذا الجرْثوم، لكان أرْيَح ! لا، فالآن المُلْحِد ويقول لك: لا أفعل الفاحِشَة خوْفًا من الإيدْز، فهو يخاف من المرض وليس من الله، والله هو الذي ردَع هؤلاء، ذَكَر لي أخ بِفرنسا أنَّه كلّ يوم يوجَد فيلْم إباحي على سِتَّة قَنوات، أما الآن ولا واحِد من هذه الأفلام، لأنهم أدْركوا خطرَ الموقِف، قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)﴾

[سورة الروم]

علَّ هذا الفيروس يُرجعنا إلى الله.

مُلخَّص المُلخَّص، أنَّ الفَساد مِن صُنْع البشَر لأنَّ الإنسان مُخيَّر ومعه شَهوات دون منْهَج، ولعلّه يرْجع إلى الله بِهذا الرَّدْع.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : تفسير سورة لقمان

الدرس (6-1) : تفسير الآيتان 10-11

الدرس (6-2) : تفسير الآيات 13 – 19

الدرس (6-3) : تفسير الآيات 22-24

الدرس (6-4) : تفسير الآية 30

الدرس (6-5) : تفسير الآية 33

الدرس (6-6) : تفسير الآية 34

الدرس (6-1) : تفسير الآيتان 10-11

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة لقمان، الآية العاشرة، وهي قوله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(10)﴾

[سورة لقمان]

هذه الآية تُشير إلى عِدَّة آياتٍ مِن خلق الله تَدُلّ على عَظَمَتِهِ، وقد بيَّنْتُ لكم كثيرًا أنَّ التَّفَكّر في خَلْق السماوات والأرض مِن أرْقى العِبادات لأنَّ الكَون أوْسَعُ بابٍ تَدْخل منه إلى الله عز وجل، وأقْصَرُ طريقٍ تسْلُكُهُ إلى الله، إنَّك إن فكَّرْتَ في خلْق السماوات والأرض وقَفْتَ وَجْهًا لِوَجْهٍ أمام عَظَمَة الله جلَّ جلاله، فالله سبحانه وتعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة لقمان]

إعراب تَرَوْنها ؛ تَرَوْن فِعْل مُضارع، وهذا الفِعْل ورَدَ في مَحَلِّ صِفَة أيْ بِغَيْر عمَدٍ مَرْئِيَّة، وما هي القِوَى غير المَرْئِيَّة التي ترْبِطُ السماوات ؟ إنَّها قِوَى التَّجاذُب ! فهذه قِوَى غير مَرْئِيَّة، فالأرض تدور حوْل الشمس والشمس تَجْذب الأرض، لذلك تبْقى تدور حَوْلها، وما الذي يَجْعل الأرض في مسارٍ مُغْلَقٍ حول الشَّمس ؟ أنَّ جاذِبِيَّة الشَّمْس لها تأصِلُه، فلو أنَّها تفلَّتَتْ مِن جاذِبِيَّة الشَّمس، وانْطَلَقَت في الفضاء الكَوني لانْتَهَتْ الحياة مِن على سَطْح الأرض! لأنَّ الوَجْه المُقابِل للشَّمْس حرارته ثلاثمائة وخمسين درجة فوق الصِّفر، أما الوَجه المُقابل مائتان وسبعون تحت الصِّفْر، فبَعْض العلماء قال: لو أرَدْنا أن نرْبِطَ الأرض بالشَّمس بِحِبالٍ لاحْتَجْنا إلى مليون مليون حَبْل فولاذي، وأمْتَن عنْصر في الأرض الفولاذ المَظْفور، فالمصاعِد تُعَلَّق بالفولاذ المَظْفور، وتليفريك يُحْمَل على الفولاذ المَظْفور، قُطْر كلّ حبْل خمْسة أمتار، وهذا الحَبْل الفولاذي يُقاوِم قِوى شدّ تُعادِل مليونين طنّ، وهذه الحِبال مِن أجل أن تحْرِفَ الأرض ثلاثة ميلي كل ثانية في مسار مُغْلق حول الشَّمس، فالله خلق السماوات بِغَيْر عمَدٍ ترَوَنها، أي بِعَمَدٍ لا ترَوْنها ؛ أعْمِدَة يُمْكن أن تسير خِلالها، وأعمِدَة لا تراها بالعَيْن، وهذه هي قِوى التَّجاذب، فالذي يربِطُ الأرض بالشَّمْس، والقمَر بالأرض، والشَّمس بالمَجَرَّة ؟ قِوى التَّجاذب والقضِيَّة مُعَقَّدة جدًا، فلو أتَيْنا بِقِطْعَتي مغناطيس وبِحَجْمٍ ثابِتٍ ووضَعْناهما على طاوِلة، وأتَينا بِكُرَة حديدِيَّة صغيرة، لا يسْتطيعُ عالِمٌ على وَجْه الأرض أن يضَعَها في المنْتَصَف الدَّقيق بِحَيث تتساوَى قِوى الجَذْب ! لو أُزيحَتْ مِعْشار الميلي تَنْجذِب إلى الكتلة الأولى، فلو كان ثلاثى كُتَل لكان الأمْر أصْعَب، ولو

كانت الكُتَل مُتفاوتة في الحجم أصْعب وأصعب، لو كان هناك فراغ في عشرين أو ثلاثين كتلة مغناطسيَّة مُتفاوِتَة في الحجْم والجَذْب، هذا شيء فوق قُوَّة البشر، فالكَون هكذا، فَكُلّ الكواكب تنْجذب إلى بعْضِها عن طريق هذه القِوى، أما الشيء الذي يلْفت النَّظر لولا حركة الكواكب لاجْتَمَع الكون في كُتلةٍ واحِدَة، أما هذه الحركة ينشأ عنها قِوى نابذة تُساوي القِوى الجاذِبَة فلو أنَّ الحركة انْعَدَمَتْ لانْعَدَمَت الحياة على وَجْه الأرض، ولأصْبح الكون كتْلةً واحِدَة، الله يقول:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ(2)﴾

[سورة الرعد]

يجب أن تعرف مَن هو الله ؟ ومن الذي تَعْبُدُه ؟ ومن الذي أنْزَلَ الكتاب ؟ ومن الذي تُحِبُّه ؟ ومن الذي ينبغي أن تعبدهُ ؟ والذي ينْبغي أن تكون له ؟ فالإنسان قد يبْتعِد عن الشيء احتقارا له، أما أحْيانًا يبْتَعِد عن الشيء احتقارا لِنَفْسِهِ قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ(130)﴾

[سورة البقرة]

فالدِّين إن أعْرَضْتَ عنه فأنت تحْتَقِرُ ذاتَك، فأنت مَخْلوق أن تكون لله تعالى فإذا بِكَ تَجْعَلُ نفْسَكَ لِغَير الله، وعبْدًا للَّئيم، قال تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾

[سورة لقمان]

الجبال مُوَزَّعة تَوْزيعًا بحيث أنَّ تَوَزُّعها يَجْعل دَوَران الأرض دورانًا ساكِنًا فأنت لو رَكِبْتَ أعْظَمَ سيارة لوجَدْتَ اهْتِزازًا، وكذا الطائرة والأرض تمْشي في الثانِيَة الواحِدَة ثلاثين كيلومتر دون اهْتِزاز، والدليل أنَّ الزِّلزال يَجْعل الأرض عالِيَها سافِلَها، فالجِبال مغْروسة في الأرض بِحِكْمة بالغة فَهُناك عِدَّة طبَقات في الأرض، هذه الطَّبقات مُتَفاوِتَة في الكثافة، فلو أنَّ الأرض حينما تَدور ؛ هذه الطبقات تأخذ تسارع مُختلف عن بعضِها، فيحْدث اضطراب، فالجِبال ترْبط هذه الطبقات بعْضِها بِبَعْض، فمثلاً في بعض الآيات قال تعالى:

﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا(7)﴾

[سورة النبأ]

لو أَتَيْتَ بِبَيْضة غير مَطْبوخة لا تدور لأنَّ فيها مادَّة جامدة وسائِلَة فاخْتِلاف الكثافة تُحْدِث اخْتِلافًا بالتَّسارع والتَّباطؤ، أما إذا كانت مطْبوخةً فتَدُور، وكذا الأرض مُتفاوِتَة في الكثافة، ولولا الجِبال لاضْطَرَبَت فالله جعل

الجِبال أوْتادًا ورواسي، شاهِقات، وللجِبال وظائِف لا تُعَدُّ ولا تُحْصى ؛ أوَّلاً تُلَطِّف الأجْواء، وتحمي بعض المناطق من الرِّياح تُضاعف المساحة المزْروعة، وتَغَيِّر الطَّقْس، وهناك حِكَم كبيرة جدًّا فالجِبال أحَد الآيات الدالة على عظمة الله تعالى.

قال تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (10)﴾

[سورة لقمان]

لو أجْرَيْت إحْصاءً أنواع النبات الذي يُزْرع مِن أجل الخشَب، وأنواع النبات الذي يُزْرع الثَّمْر، وأنواع النبات الذي يُزْرع من أجل الأدْوِيَة ومن أجل الأصْبِغَة والصِّناعات، والنباتات المطاطِيَّة، ونباتات تُعْطيك سِواك، وأخرى خُلَّى، وأخرى ليفَةٌ، وأخرى روائِح عَطِرة، ونباتات تأكُلها، وأخرى تصْنَعُ بها الأثاث.

قال تعالى:

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (11)﴾

[سورة لقمان]

المؤمن مَدْهوش بِخَلْق الله، والكافِر مَدْهوش بِخَلق الإنسان ! والله قال أحدهم: أتمنَّى أن تمْشي فوقي هذه السيارة ؛ أيْ بي أم !! مَدْهوش بِصُنع الإنسان، أما المؤمن فَمَدْهوش بِخَلق الله، يقول لك: كِلْيَة صِناعِيَّة ! نعم كِلْيَة صِناعِيَّة، ولكن يُكَلِّفُكَ الأمر أن تبْقى ثماني ساعات، وكُلْفة وصوت، أما الكِلْيَة الطَّبيعِيَّة دون صوت وحجْم صغير، ولها طريق مائة كيلومتر، والدَّم يقْطعُهُ في اليوم خمس مرَّات مِن دون تكْلفة وتَعَطُّل ومن دون انْتِظار، وأنت تأكل وتشْرب وتعمل، فالكِلْيَة الصِّناعِيَّة لا بدّ أن تلْفِتَ نظَرَكَ للكِلْيَة الطَّبيعِيَّة وكذا الحال مع المثانة ؛ لولا العضَلات التي فيها لما كانت هناك طريقة لإخْراج البول إلا بالتَّنْقيس، أنابيب ! فالله تعالى زوَّدَ المثانة بِعَضلات فإذا أرَدْتَ إفْراغَها أفْرَغْتَها بِثَواني مَعْدودة ؛ حِكمة الله، ولولا المثانة لكنَّا في مُشكلة كبيرة، لأنَّه كلّ كِلْيَة تنزل منها قطْرة من البول في عِشرين ثانِيَة، ولولا المثانة لاحْتاج الإنسان إلى فُوَط ! فالله كرَّمَك وأعْطاك مثانة، تذهب في السَّفر وأنت في أكْبر راحة، مرتاح وتجْتمع والمثانة شغَّالة، ولك مُسْتوْدَع إذا ملئ فُرِّغَ، قال تعالى:

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (11)﴾

[سورة لقمان]

وأنت تنام اللُّعاب يزْدادُ في فَمِك فيأتي أمْر مِن الفَم إلى الدِّماغ أنَّ اللُّعاب قد كثر، فالدِّماغ يأمر لِسان المِزْمار بإغلاق القصَبة الهوَائِيَّة وافْتَح المريء ؛ كُلّ هذا وأنت في غَفْلة ! وهو يعمَل دون كَلَلٍ ولا ملل هذا هو فِعْل الله، والبروسْتات مسألة مُعَقَّدة جدًا ؛ مَجْرى الحياة ومَجْرى البول يلْتقِيان في مَجْرى الإحْليل، والبول مادَّة حامِضِيَّة، حينها تُفرز البروسْتات مادَّة قَلَوِيَّة تتعادَل مع المادَّة الحامِضِيَّة، فلا يتأذَّى حينها المَجْرى من البول الحامضي، في اللّقاء الزَّوْجي ؛ ماء الحياة ماءٌ طاهِرٌ تُفْرِزُ البروسْتات مادَّة مُعَقِّمة ومُطهِّرة ثمَّ مادَّة مُعَطِّرة ثمَّ مادَّة مُغَذِّيَة وتُغْلِقُ هذا الطريق وتفْتَح هذا الطريق، فَمَجْرى البول غير مجْرى ماء الحياة، هذا خَلْقُ الله !

أيها الإخوة، هذه الآية:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(10)﴾

[سورة لقمان]

عن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ:

((كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهعَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي سَلْ فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ قُلْتُ هُوَ ذَاكَ قَالَ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))

[رواه مسلم]

هنا مَوْطِنُ الشاهِد، فمهما تشفَّعَ لك النبي لا بدّ أن تُطيع الله تعالى فمهما كانت محبَّتي لك كبيرة لا أسْتطيع أن أضَعَك أستاذ جامعة وأنت عامِّي ! فهذه المرتبة تحْتاج إلى جُهْدٍ منك فالنبي قال له: سأشْفَعُ لك ولكن قال له أَعِنِّي على نفْسِكَ بِكَثْرة السُّجود ! آخر حديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه:

((أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي قَالَ لَا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ لَا تَغْضَبْ))

[رواه البخاري]

لأنَّ الغضب يجْمع الشَّر كلَّه، كم طلاق حدثَ بِسَبب الطلاق ؟ كم جريمة وقَعَت بِسَبب الطلاق ؟ الشرّ كُلُّه بِسَبب الغضب.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-6) : تفسير الآيات 13 - 19

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة لقمان، وَصِيَّة من الوصايا التي ثَبَتَتْ في القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)﴾

[سورة لقمان]

أيُّها الإخوة، أوَّل فقْرةٍ في الوَصِيَّة: لا تُشْرِك بالله، هناك ذَنْبٌ يُغْفر وهو ما كان بين العبْد وربِّه، وذنب لا يُترك ما كان بيت العباد و ذنب لا يُغفَرو هو الإشراك بالله، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا(48)﴾

[سورة النساء]

لأنَّ الشرك بالله طريق مسدود، الإنسان إذا مرض واتَّجه إلى المستشفى فهناك أملٌ كبير للشفاء، أمَّا لو اتجه إلى السوق فليس فيه شيء يتعلَّق بِمَرضِهِ، فلو توجَّه الإنسان لِغَير الله تعالى لا يجد شيئًا قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ(39)﴾

[سورة النور]

ضَرَبْتُ مثلاً فقُلْتُ لو أنَّ إنسانًا له بِحَلب مائة مليون وركِب القِطار، قد يرْتَكب عَشرات الأخطاء، وقد يكون القِطار غير مُريح، وركَّابه أغبياء، وقد يكون جائِعًا، ويجْلس في الدرجة الثالثة وهو قطَعَ في الدّرجة الأولى، هذه كُلُّها أخْطاء ولكنَّ القِطار في طريقِهِ إلى حلب وسوف تقْبِضُ هذا المبلغ، إلا أنَّ خطأً واحِدًا لا يُغْفر وهو إذا رَكِبَ قِطار درعا ! فهُنا غيَّر الاتِّجاه، فالقصْد من هذا المِثال ؛ إن كُنْتَ مُتَّجِهًا إلى الله فَكُلّ الأغْلاط يغْتَفِرُها الله ويُعالِجُكَ منها، أما إن أشْرَكْتَ بالله فهنا الخطأ لا يُغْتفر ! قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)﴾

[سورة لقمان]

الشيء الأوَّل بعد الإيمان بالله وعدم الإشراك بِرُّ الوالِدَيْن ! وحرْف العَطْف يَقْتضي المُشارَكَة، فأنت لا تقول: اشتريت بيْتًا ومِلْعَقَة ! هذا كلامُ مَجانين، ولكن تقول: اِشْتَرَيْتُ بيتًا وأرْضًا، بيْتًا ودُكَّانًا، أو تقول: اِشْتريْتُ ملعقةً وشَوْكةً، أو صَحْنًا ومِلْعقة، فالعَطْف يقْتضي المُشاركة، فالله عز وجل قال:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا(23)﴾

[سورة الإسراء]

رفعَ الإحْسان إلى الوالدَين إلى مرْتبة الإيمان بالله فأوَّل شيء بعد الشِّرك طاعة الوالدَين، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)﴾

[سورة لقمان]

مَن هو الموصِي ؟ هو الله، فهذه التي أمامك أُمُّك وهِيَ سببُ وُجودِكَ في الحياة، وهي التي كانت تَجوعُ لتأْكُلَ، وتسْهَر لِتَنام، وتمْرض لِتَشْفى، فَبَعْدَ أن أصْبَحْتَ قَوِيًّا وتَزَوَّجْتَ امرأَةً، تراها عِبئًا عليك وتتمنَّى أن تُخْرِجَها مِن بيْتِك وتتمنَّى أن تموت، فهذا هو مُنْتهى الكُفْر لذلك العاق ليس فيه خير إطلاقًا، والإنسان لا يُشارِك العاق، فلو كان فيه الخَيْر لكان لِوَالِدَيْه.

قال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾

[سورة لقمان]

هذا الطِّفْل الصغير بِحاجَة إلى كِلْس وهو لا يسأل، فإمَّا أن تأكُل أُمُّه طعامًا فيه كالسيوم، وإمَّا أن تشْرب الحليب وتأكل الجُبْن، فإذا لم تفْعَل ذلك أخَذَ مِن عظْمِها، ويكْتَمِلُ نُمُوّ الجنين على حِساب بُنْيَة أُمِّه فإن لم تأْخذ الطَّعام المُغَذِّي امْتصَّ الجنين الكِلْس الذي هو بِحاجَةٍ إليه مِن أسنانِها وعِظامِها، فالذي عندهُ زوْجة، وهي حامِل ؛ موضوع نَوْع الغِذاء مُهِمّ جدًّا، وإلا يدْفَع أربعة أمثالِهِ دواء ! فالعِلْم يلْتقي مع الدِّين حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وهْنًا على وَهْنٍ وفِصالُهُ عامَيْن، قال تعالى:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(14)﴾

[سورة لقمان]

هنا توجَد قاعِدة ؛ إن جاءَكَ خيْرٌ مِن إنسانٍ، فمَن الذي عليك أن تشْكُرَهُ ؟ عليك أن تَشْكُر الواحِدَ الدَّيان، وثانِيًا عليك أن تشْكُر هذا الإنسان لأنَّه مُخَيَّر، ومَن لم يشْكُر الناس لم يشْكُر الله ! هناك مَن يقول: لا فضْل لأحَدٍ عليّ إلا الله فهذا جُحود، فلا ينبغي أن تجْحَدَ أُمَّكَ وأباك، ولا أن تجْحَدَ مَن كان له فضْلٌ عليك، فلا يتناقضُ شُكْر الإنسان مع شُكْر الله تعالى، قال تعالى:

﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)﴾

[سورة لقمان]

لكنَّ الله عز وجل ما أمرَنَا أنْ نعبُدَ الوالِدَين مِن دون الله، فالآية دقيقة قال تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا(23)﴾

[سورة الإسراء]

فالإحْسان للوالِدَين، والعِبادة لله تعالى أما هذا الذي يُطَلِّق زوْجَتَهُ لأنَّ أُمَّهُ أمرَتْهُ بِهذا فهذا عبدَها مِن دون الله، فلو أنَّ الزَّوْجة مُسْتقيمة وطاهِرة وعفيفة، ولكنَّ الأمّ تُريد امرأةً أخرى تفْتخِرُ بها، فإن لم يُعْجِبْها هذا الزَّواج، وأمرَتْ ابنها بِتَطْليق زوْجتِهِ، وطلَّقَها ! معنى هذا أنَّهُ عبَدَها مِن دون الله تعالى، لذلك لا طاعة لِمَخلوق في معْصِيَة الخالق، قال تعالى:

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)﴾

[سورة لقمان]

فالأمّ والأب أحْيانًا يفْرِضان على الابن المُتَزَوِّج سُلوكًا خِلاف السنَّة، هكذا أبي يريدُ، وهكذا نشأنا، وهذه هِيَ تَرْبِيَتنا ! وكأنَّ تَرْبِيَتَهم مِن مصادِر التَّشْريع ! هناك شرْع من القرآن والسنَّة، فَكُلّ إنسانٍ ينْصاع إلى أوامِر والِدَيْهِ فيما يُغْضِبُ الله تعالى، فهذا قد أشْرَكَ وعبَدهُما مِن دون الله تعالى، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)﴾

[سورة لقمان]

قالتْ أمُّ سيِّدنا سَعْد: إمَّا أن تكْفُر بِمُحَمَّد، وإمَّا أن أدَعَ الطَّعامَ حتَّى أموت !! خِيارٌ صَعْب، فقال لها: يا أُمِّي لو أنَّ لكِ مائة نفْسٍ فخَرَجَت واحِدَةً واحِدَة، ما كَفَرْتُ بِمُحَمَّد، فَكُلي إن شئْتِ أو لا تأْكُلي ! أمور الدِّين لا يوجد فيها مُجاملات، وأنْصاف حُلول، فإن أمرَتْكَ بِمَعْصِيَةٍ فإنَّه لا يُعْتَدُّ بِغَضَبِها إطْلاقًا، وكذا الأب، قال تعالى:

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)﴾

[سورة لقمان]

أنا لا أتكلَّمُ مِن فراغ، فَعِنْدي مئات القِصص عن آباء وأُمَّهات أجْبروا أولادهم على المَعْصِيَة، فَمن انْصاع لِوَالَدْيه لِيَعْصِيَ الله تعالى فقد أشْرَكَ، وعبَدَ والِدَيه، أما بِأُمور الدنيا، أطْعِمْهُما واكْسوهما مِمَّا تكْتَسي، وأيُّ طلبٍ دُنْيَوي نَفِّذْهُ لهما، وأنت في طاعة الله، أما إذا أمراك بالمَعْصِيَة فلا طاعة لِمَخلوق في معْصِيَة الخالق.

وبالمناسبة، أنت حينما ترْفض طَلَبَهُما، لا تَكُنْ عنيفًا، فَبِكَلامٍ لطيفٍ وأنت ترْفُض طَلَبَهُما، فلا تَكُن قاسِيًا معهما، صاحِبْهُما في الدنيا مَعْروفًا، ونحن عِندنا ولاء واتِّباع، قال تعالى:

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)﴾

[سورة لقمان]

تتَّبِعُ المؤمنين وتُوالي أُمَّك وأباك، فالولاء شيء والاتِّباع شيءٌ آخر قال تعالى:

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)﴾

[سورة لقمان]

ولاؤُكَ لله ولِرَسوله وللمؤمنين، فالأُمّ والأب لهما ولاء لِفَضْلِهما عليك أما الاتِّباع فَهُوَ لله تعالى ولِرَسولِهِ، ولِمَن أناب إلى الله تعالى، فأنت مع الله ورسوله والمؤمنين تُوالي وتتَّبِعُ، ومعك الوالِدَين ولاءٌ دون اتِّباع.

الآن تَوحيد وإحْسانٌ للوالِدَين، والآن علاقات عامَّة ؛ قال تعالى:

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(16)﴾

[سورة لقمان]

جاء أحد الأعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم وقال له: عِظْني ولا تُطِل ! فقال له:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8) ﴾

[سورة الزلزلة]

فقال عليه الصلاة أو لسلام فقُهَ الرَّجُل ! قال تعالى:

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(16)﴾

[سورة لقمان]

كُلّ شيءٍ مُسَجَّل عليك، لن تسْتطيع أن تُقْبِلَ على الله، ولا أن تُحْسِنَ إلى والِدَيْك، ولا أن تسْتقيم مع الخَلق إلا إذا اتَّصَلْتَ بالله، قال تعالى:

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)﴾

[سورة لقمان]

الأمْر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فريضة سادِسَة، صَوم وصلاة وحج وزكاة وشَهادة، والأمْر بالمعروف والنَّهي عن المنكر إحْدى فرائِض الإسلام، ونحن ما كُنَّا خَيْر أُمَّةٍ أُخْرِجَت للناس إلا بالأمْر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، أما إذا ترَكْنا الأمْر بالمعروف والنَّهي عن المنكر اسْتَحَقَّيْنا غضب الله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ(104)﴾

[سورة آل عمران]

قال تعالى:

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾

[سورة لقمان]

طبْعًا هناك مُعالَجات والمُعالجات الإلهيَّة تقْتضي الألَمَ أحْيانًا، قال تعالى:

﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)﴾

[سورة لقمان]

أما الذي يُبْعِدُك عن الله، ويقْطعك منه تعالى هو الكِبْرُ قال تعالى:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18)﴾

[سورة لقمان]

فَمَن فَرِحَ بالدنيا كان عقْلُهُ مَحْدودًا، قال تعالى:

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾

[سورة لقمان]

في حركَتِكَ، وفي نُزْهَتِكَ وعملكَ، ووظيفَتِكَ، وتِجارَتِك، وفي إقامَتِك اقْصِدِ في كلّ هذه رِضاء الله قال تعالى:

﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19)﴾

[سورة لقمان]

تواضَع للخَلْق.

أيها الإخوة الكِرام، هذه الوَصِيَّة جمَعَتْ أطراف الدِّين مِن تَوْحيد وبِرُّ الوالدَين، والاسْتِقامة مع الخلق، والاتِّصال بالحق، ثمَّ بيَّنَتْ الحُجُب مِن كِبْر وفرحٍ، وهذان يحْجُبان عن الحقيقة.

أيها الإخوة الكرام، نسأل الله أن ينْفعَنا بِهذا الكتاب الكريم، ولكنَّ لي سؤال: أعْتَقِد أنَّهُ مِن عامَيْن نُدَرِّس تفْسير كتاب الله، وقد اقْترح عليَّ أخ أن نُدَرِّس الحديث الصحيح المُبيِّن لِكِتاب الله، قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَخْطُبُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي))

[رواه الترمذي]

وسَنَشْرعُ بِبَيان السنَّة المُطَهَّرة المُبيِّنة والمُوضِّحة لِكتاب الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-6) : تفسير الآيات 22-24

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثالثة والعشرون من سورة لقمان، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(22)﴾

(سورة لقمان)

مَن يُسْلِمْ، ومَن كَفَرَ ! فأنت مُخَيَّر إما أن تُسْلِمَ وَجْهك لله تعالى، وأن تُحْسِنَ إلى خلْقِهِ، وإما أن تُدير ظَهْرَكَ لِهذه الحقيقة، ولِهذا الدِّين وتبْحَثَ عن لذَّتِكَ وشَهْوَتِكَ، وتقْتَنِص مصالِحَكَ كما تشاء، إلا أنَّهُ لِهذا العَمَل نتيجة ولذاك نتيجة.

هناك آيةٌ أخرى تُوَضِّحُ هذه الآية، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(62)﴾

[سورة البقرة]

هناك معنى ضِمْني وسواء فانْتِماؤُك إلى الإسلام انْتِماء شَكْلي ورفْع لافِتات إسْلامِيَّة، أو عدم انْتِمائِك للدِّين إن لم يَكُن هناك تَطبيق فالانْتِماء الصوري لا قيمة له فلو أنَّ محلاً مَكتوبًا عليه شِعارٌ، فاخْتِلاف اللافِتات لا قيمة له، فما دام لا توجَد بِضاعة إطْلاقًا، فاللافِتات لا تُقَدِّم ولا تؤخِّر ! قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(62)﴾

[سورة البقرة]

فَمَن آمَن بالله مِن هؤلاء جميعًا، واليوم الآخر وعمِل صالِحًا فلا خوف عليهم ولا هم يَحْزنون، معنى ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى يُريدُكَ طائِعًا مُقْبِلاً عليه وطائِعًا لِشَرْعِهِ، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(22)﴾

[سورة لقمان]

فهذا هو الإقْبال على الله.

أيُّها الإخوة الكرام، الإنسان عنده إدْراكٌ وشُعور، فالإدْراك قد يشْمَلُ جميعَ المسلمين، أما العِبادة فَهِيَ الشُّعور، فالصَّلاة تنْقُلُكَ مِن الإدْراك إلى الشُّعور، خُذْ ألْفَ رجُل وسلْهُ مَن خلق السماوات والأرض ؟ يقولون لك: الله عز وجل، وهذا الكتاب كلامُهُ، فلو سألْتَ الآلاف المُؤلَّفة عن حقائِق الدِّين لأجابوك ، ولكن كيفَ يتمايَزون؟! في قُرْبِهِم إلى الله عز وجل، لذلك لا خيْر في دينٍ لا صلاة فيه، ومَن تَرَك الصَّلاة فقد كفَرَ، والصلاة عِماد الدِّين فمَن أقامَها فقد أقام الدِّين، فالإدْراك أحْيانًا جيِّد، أما الإقْبال ضعيف، فالعِبادة إقْبال وليس إدْراك فالإدْراك قد يكون بِحُكْم الحِسّ السليم والفِطْرة السليمة، ولكنَّكَ تعْبُدُ الله تعالى بِمَشاعِرك، فالصَّلوات عِبادة، إنسانٌ يَظُنّ الناس جميعًا أنَّهُ أسْلَمَ مُفَكِّر فرنسي ! وفَرِحَ المسْلمون لإسْلامِهِ وطبَّلوا، وابْتَهَجوا، وألْقى مُحاضَرات، وقبل أيَّام نُقِلَ عنه حديثٌ صَحَفي، قال: أنا لا أُصَلِّي لأنَّ تأمُّلي في ذات الله صلاة، وأنا لا أصوم لأنَّهُ ترْكَهُ إيذاء الناس هو الصِّيام، ولا يعْتَقِدُ بالسُّنة ولا بالعلماء إطْلاقًا، فَهُوَ لا يعْتَقِدُ إلا بِما كان يعْتَقِدُهُ ! فالإنسان لا ينبغي أن يكون ساذجًا، ولا أن يكون بسيطًا، إن لمْ يعْبُدِ الله تعالى لا يكون قريبًا منه، فالقُرْب من الله تعالى يعْني أن تعْبُدَهُ، يعني أن تُصَلِّي وتَصوم وتغضَّ البصَر.

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(22)﴾

[سورة لقمان]

القناعةُ شيءٌ، والاتِّجاهُ شيءٌ آخر فالإنسان قد يقْتَنِعُ بأشْياء كثيرة ولكن يتَّجِهُ إلى أشياء لا تُرْضي الله تعالى، فالآية وهي قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(22)﴾

[سورة لقمان]

الله تعالى يريدُ قلبَك ويريدُ أن تلْتَفِتَ إليه، ويريدُ اهْتِمامَكَ، يريدُ حُبَّكَ قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(22)﴾

[سورة لقمان]

الحقيقة هنا علاقة ترابُطِيَّة ؛ وهو أنَّك لن تستطيع أن تُقْبِلَ على الله تعالى إلا إذا كُنْتَ مُحْسِنًا لِخَلْقِهِ، لأنَّ هؤلاء العِبادِ خلْقُ الله تعالى، إن أسأتَ إليهم وأوْقَعْتَ فيهم الأذى، وإن أكَلْتَ مالهم، وألْقَيْتَ في قلوبِهم الخَوف لن تستطيع أن تتوجَّهَ إلى الله تعالى إطْلاقًا، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(22)﴾

[سورة لقمان]

أي ارْتَبَط بالدِّين ارْتِباطًا متينًا فهناك أحْيانًا لأدْنى إغراء أو ضَغْط، فهذا مُقاوَمَتُهُ هشَّة، وهذا عُرْوَتُهُ غير وُثْقى، وارْتِباطُهُ بالدِّين ضعيف فأدْنى ضَغْطٍ أو إغْراء يعْصي الله تعالى، وهناك مَن ارْتِباطُهُ بالدِّين وثيق وعُرْوَتُهُ وُثْقى، فمهما تلقَّى ضَغْطًا يقول: أحدٌ أحد فرْدٌ صَمَد ! قال تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(23)﴾

[سورة الأحزاب]

ما غيَّر وما بدَّل، وقال تعالى:

﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ(11)﴾

[سورة الحج]

فالعُرْوَة الوُثْقى أن تُحْسِنَ إلى الخَلْق، وأن تتَّصِل بالحق، ولن تتَّصِل إلا إذا أحْسَنْتَ، ولن تُحْسِن إلا إذا اتَّصَلْت، فالاتِّصال يُعينُكَ على الإحْسان، والإحْسان يُعينُكَ على الاتِّصال، وكُلٌّ منهما سبب ونتيجة علاقة مُتَرابِطَة، فالإحْسان سبب للتَّوجُّه إلى الله تعالى، والتَّوَجُّه إلى الله سبب للإحْسان، وكُلَّما ازْدَدْتَ إحْسانًا ازْدَدْتَ إقْبالاً، وكُلَّما ازْدَدْتَ إقْبالاً ازْدَدْتَ إحْسانًا، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(22)﴾

[سورة لقمان]

فالله تعالى يُريدُ وَجْهكَ، واتِّجاهَكَ واهْتِمامَكَ، وقلْبَكَ ومشاعِرَك، فهذه يُريدُها، أما قناعاتك، كم قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(25)﴾

[سورة لقمان]

فالقناعة شيء والشُّعور شيءٌ آخر العُرْوَة الوُثْقى هي التي لا تُفَكّ، قال تعالى:

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(23)﴾

[سورة لقمان]

الأمور بالخواتيم، والغِنَى والفقْر بعد العَرْض على الله تعالى، ولا يُسَمَّى العاقِلُ عاقِلاً إلا إذا وصَلَ إلى الجنَّة، أما إذا وصَلَ إلى الجنَّة فلا يُسَمَّى عاقِلاً، فهذا يُسَمَّى ذَكِيًّا لا عاقِلاً، لذلك قال الإمام عليّ كرَّم الله وجْهه: يا بُنَيّ ما خيْرٌ بعدهُ النار بِخَيْر، وما شرّ بعده الجنَّة بِشَرّ، وكُلُّ نعيم دون الجنَّة مَحْقور، وكلّ بلاء دون النار عافِيَة، فنجاحُكَ الاقْتِصادي ونجاحُكَ في جَمْع المال ونجاحُك في نَيْل الدَّرَجات العِلْمِيَّة، وفي تَجْميع الناس

حَوْلَكَ، والارْتِقاء في المناصب العليا ؛ هذه كُلُّها نجاحات، هذه النجاحات إذا انْتَهتْ إلى النار فهِيَ ليْسَت بِنَجاح وكلّ المتاعب والأحزان والهُموم والمصائِب إذا أفْضَتْ بِكَ إلى الجنَّة فهذه نِعَم ! حتَّى لو فقَدْتَ حُرِيَّتَكَ وأمْضَيْتَ سنوات طويلة، وخَرَجْتَ حافِظًا لِكِتاب الله فهذا مِن النِّعَم الباطِنة، فالنِّعَم الظاهِرة التي تعارف الناس على أنَّها نِعَم، والباطِنة هي المصائِب ؛ ما خيْرٌ بعدهُ النار بِخَيْر، وما شرّ بعده الجنَّة بِشَرّ، وكُلُّ نعيم دون الجنَّة مَحْقور، وكلّ بلاء دون النار عافِيَة، وهناك قَول آخر للإمام عليّ كرَّم الله وَجْهه يقول: فَلْيَنْظُر ناظِرٌ بِعَقْلِهِ أنَّ الله أكْرَمَ مُحَمَّدًا أم أهانَهُ حينما زوَى عنه الدنيا ؟!! فهل زار النبي عليه الصلاة والسلام العالم ؟ وهل رأى المُدُن الجميلة ؟ وهل رَكِب السيارات الفَخْمة ؟ مِن مكَّة إلى المدينة ؛ صَحْراء، وتَمْر وماء ينامُ أحْيانًا جائِعًا، وما ذاق من الدنيا شيئًا، فَلْيَنْظُر ناظِرٌ بِعَقْلِهِ أنَّ الله أكْرَمَ مُحَمَّدًا أم أهانَهُ حينما زوَى عنه الدنيا، فإن قال: أهانَهُ فقد كذَب وإن قال: أكْرَمَهُ فقد أهان غَيْرَهُ حينما أعْطاهُ الدنيا ! فالدُّنيا مُوَقَّة وليْسَت عطاءً، وهي أحْقَرُ مِن أن تكون عطاء الله تعالى لو كانت الدنيا تعْدِل عند الله جناح بَعوضَة ما سقى منها الكافر شرْبة ماء، وهي شيءٌ طارئ ومُوَقَّت لا يُقَدَّم ولا يؤَخِّر لذلك قال تعالى:

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(23)﴾

[سورة لقمان]

أيُّها الإخوة الكرام، إنَّ الذي يعيش المستقبل هو العاقِل، والمستقبل فيه الموت، وبعد الموت هناك برْزَخ، وبعد البرْزَخ إما الجنَّة وإما النار فو الذي نفْس مُحَمَّد بِيَدِه ما بعد الدنيا من دار إلا الجنَّة أو النار، فَكُلّ إنسان يعيش لحْظة مُغادَرة الدنيا، ولحْظة دخول القبْر ؛ هذا إنسانٌ عاقِل، وإنسانٌ يَعُدّ لِلقاء الله تعالى، وكلّ مَن يعيشُ لَحْظتَهُ فهذا غبيّ والهلاك كُلّ الهلاك أن تُقيم على معْصِيَة، وأن تأكل مالاً حرامًا وأن تُنفقَ مالاً حرامًا، وأن تُمَتِّع عيْنَيك بما حرَّمَهُ الله تعالى، أما إذا كنت في سيارة والنسيم عليل ولكن المِكبح مُعَطَّل وأنت لا تعْلم فأنت عاقِبَتُكَ الموت وأنت لا تعلم، لذا الويل لِمَن كان على غير طاعة الله.

قال تعالى:

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(23)﴾

[سورة لقمان]

كنت البارحة في زِيارة إنسان في أحد مطارات العالم، شَخْص مُتَكَبِّر ومُتَعَجْرِف ومُسْتعلي، يُخاطِب المُوَظَّف بِأعلى درجة مِن الاسْتِعلاء فالمُوَظَّف تحمَّل غَطْرسَتَهُ، ولكن ماذا فعل هذا الموظَّف: حوَّل أمْتِعَة هذا الإنسان كُلَّها إلى توكيو، الشَّخص كان ذاهِبًا إلى أمْريكا !

دَقِّقوا قوله تعالى:

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (24)﴾

[سورة لقمان]

قد يرْتكب الإنسان جريمة، ويسْرِق ثلاثة عشرة غرام مِن الذَّهب وبعد حين يُلقى عليه القبْض ويُعْدَم !!! فهل هذا ذَكِيّ ؟ فالأمور بِنِهاياتها وخواتمِها وما بعد الموت.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-6) : تفسير الآية 30

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثلاثون من سورة لقمان، وهي قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (30)﴾

[سورة لقمان]

هناك في الكَون حقيقةٌ واحِدَة ؛ هي الله تعالى، فَكُلّ شيءٍ يُقَرِّبُنا من هذه الحقيقة أُمِرنا به، وكلّ شيءٍ يُبْعِدُنا عنها نُهينَا عنه، فلو قرأتَ القرآن الكريم كُلَّه، وكذا السنَّة المُطَهَّرَة كلَّها، لما وَجَدْتهما يزيدان عن أمْرٍ لما يُقَرِّبك، وعن نَهْيٍ لما يُبْعِدُك، أما الذي سكتَ عنه القرآن ولا علاقة له لا بالقُرْب ولا بالبُعْد، فالذي سَكَت عنهُ القرآن حِيادي ولا يُقَرِّبُ ولا يُبَعِّدُ، ألوان الألبسة وأنواع الأثاث وشَكْل المساجِد وشَكل البيوت، وحينما تنتهي الدنيا تنتهي، أما غضُّ البصَر فهذا يُقَرِّبُك، وإطلاق البصَر يُبْعِدُكَ والكذِب يُبْعِدُكَ والصِّدق يُقَرِّبُك، فَكُلّ شيءٍ يُقَرِّبُكَ أمرَكَ به القرآن ولو درجةً بالمائة ! وكلّ شيءٍ يُبْعِدُكَ نهاك عنه، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

[سورة الزلزلة]

وَجَدت نملة على الرصيف قتَلتها ! أنت مُحاسب ! أنا أذْكُر لكم أدقَّ الأشياء، قال له عِضني ولا تُطِل، فإذا قلتَ لي هذا الكِتاب مِن دفَّتِهِ إلى دفَّتِهِ، وهذه السنَّة التي تحوي حوالي مائتان ألف حديث، ومجموع السنَّة ستُّ مائة ألف حديث، هذه الأحاديث مِن أوَّلِها إلى آخِرِها، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما ترَكْتُ شيئًا يُقَرِّبكم إلى الله تعالى إلا أمرتكم به))

فأيُّ شيءٍ يُبْعِدُكَ ولو كان بِأدَقِّ الأشياء فالله تعالى نهاكَ عنه، فإذا قلتَ لِصاحِبِكَ والإمام يَخْطُب: أنصت فقد لَغَوْتُ، ولو كانت معك مَسْبَحة فهذه ممنوعة أثناء خطبة الجمعة أو دروس العِلم، حتَّى في علاقتك الزَّوْجِيَّة، واللِّقاء الزَّوجي، وفي الاغْتِسال، وفي قضاء الحاجة ؛ مَنْهَج كامِل اِفْعَل ولا تفْعَل، فلِذلك قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (30)﴾

(سورة لقمان)

تحت هذه الكلمة ضَع كلّ مذاهِب الأرض، وكلّ النَّظَرِيَّات، وكلّ الطُّروح والمُعْطَيات والمذاهب، وكلّ المِلَل والنِّحَل، لماذا ربُّنا سبحانه وتعالى ذَكَر الحقَّ مُفْرَدًا ؟ وذكَر الباطِل جمْعًا ؟ قال تعالى:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(153)﴾

[سورة الأنعام]

لأنَّ الباطِل يتعدَّد، كما أنَّ بين نقطتين لا يمرّ إلا مستقيم واحِد، والثاني فوْقَهُ يأتي، فالحق لا يتعدَّد، والطريق المستقيم واحِد، ولكن يُمْكِن أن ترْسُم ألف خطًّا مُنْحني انحناء خفيفا، وانحناء أشَدّ، وخطًّا مُنْكَسِرا وآخر مُتَعَرِّجا، فالطُّرق المُلْتَوِيَة كثيرة، قال تعالى:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(257)﴾

[سورة البقرة]

سأطْرَحُ حقيقة خطيرة ؛ إذا كُنَّا جميعًا على الحق فَلِقَاؤُنا حَتْمي ! إلهٌ واحِدٌ، والنبي فينا واحِدٌ، وسنَّة واحِدة، فإذا تفرَّقْنا معنى ذلك أنّ هناك أهْواء، ومصالِح !

طيّب لو قُلْتُ: سأسير مِن هذا المسْجِد إلى خطِّ المُهاجِرين على الطريق الفلاني بالسُّرْعة الفلانيَّة، فَكُلّ مَن سار على هذا الخطّ وبِهذه السُّرْعة، فيَجِبُ أن يلتقي معي مائة بالمائة، فَلِقاء المؤمنين إن كان هَدَفُهم واحِدًا، وطريقهم واحِدًا، ووسيلتهم واحِدَة، فاللّقاء حَتْمي، لذا الخُصومات أساسُها أنَّ واحِدًا يُعْلِنُ أنَّهُ على حق وهو ليس كذلك والثاني على الحق، فالاخْتِلاف هو الذي فرَّق المسلمين، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (30)﴾

[سورة لقمان]

هو الحق خالِقًا، وهو الحق ربًّا، وهو الحق إلهًا، وهو الحقّ مَوْجودًا وكامِلاً، وشَرْعُهُ هو الحق، ومَنْهَجُهُ هو الحق، وسنَّة نبيّه هو الحق، قال تعالى:

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (30)﴾

[سورة لقمان]

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((طوبى لِمَن وسِعَتْهُ السنَّة ولم تَسْتهوِهِ البِدعة.))

قال تعالى:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (30)﴾

[سورة لقمان]

هناك آية قرآنِيَّة تُفيدنا في هذا المعنى، وهي قوله تعالى:

﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ(165)﴾

[سورة البقرة]

القوَّة مُطْلَقة، فقُوَّة الجمال لله تعالى، فقد يسْتَهْويهِ أحْيانًا الإنسان الجمال ! فيَتْرُكُ الصلاة ويلْتَحِق بامرأة، ولكنَّه لو عرف شيئًا مِن جمال الله عز وجل لقال كما قال العارِفُ بالله تعالى:

فلو شاهَدَتْ عَيْناكَ مِن حُسْنِنَا الذي رأَوْهُ لما ولَّيْتَ عنَّا لِغَيْرِنَا
ولو سَمِعَت أذناك حُسْن خِطابنا لَخَلَعْتَ عنك ثِياب العُجْب وجئتنا
ولو ذُقْتَ مِن طعْم المحبَّة ذرَّةً عذَرْتَ الذي أضْحى قتيلاً بِحُبّنا
ولو نسَمَتْ لك مِن قُرْبنا نسْمَةٌ لَمُتَّ غريبًا واشْتِياقًا لِقُرْبِنـا
فما حُبُّنا سَهْل وكلّ من ادَّعى سهولته قلنا له قد جَهِلْتنـا

***

العِزُّ عند الله، والمكانة عنده تعالى، والغِنى عنده سبحانه، والله هو صاحِب الشَّأن، وهو الذي يُعطي السَّلام والطمأنينة، قال تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾

[سورة الأنعام]

أحْيانًا الشَّخْص القويّ تقول عنه: هذا يلْزمني وتأخذ رقْم هاتِفِه، والله عز وجل يُؤَدِّبُهُ تأديبًا شديدًا فيتخلَّى عنه، أو في أضْيَقِ الحالات لا يسْتجيب له، أما الذي يَعْتَمِدُ على الله عز وجل فما مِن مخلوق يعْتَصِمُ بي مِن دون خلْقي أعْرف ذلك مِن نِيَّتِهِ فتكيدهُ أهل السماوات والأرض إلا جَعَلْتُ له من بين ذلك مَخْرَجًا، وما مِن مخلوق يعْتَصِمُ بِمَخلوق دوني أعرف ذلك من نيَّتِهِ إلا جَعَلْتُ الأرض هَوِيًّا تحت قدَمَيْه وقطَّعْتُ أسباب السماء بين يَدَيْه، ذلك لأنَّ الله هو الحق !

عندنا بالكَون نَظَرِيَّة فلْسَفِيَّة اسْمُها الاثْنَيْنِيَّة، فالكون اثنان ! كيف ؟! هناك حق وهناك باطل، وخير وشرّ، واسْتِقامة وانْحِراف، إخلاص وخِيانة، وإحْسان وإساءة، إنْصاف وظُلْم، ويجب أن تعْتَقِدوا أنَّكم إن لم تكونوا على أحد الخطَّيْن فأنت على الآخر حَتْمًا، فإن لم تكن على الحق فأنت على الباطل، وإن لم تكن مستقيمًا فأنت مُنْحرِف، وإن لم تكن مُحْسِنًا فأنت مُسيء، وإن لم تَكُن مُنْصِفًا فأنت ظالم، هذا هو معنى الآية، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (30)﴾

[سورة لقمان]

فأيَّةُ نظَرِيَّةٍ تتناقض مع القرآن الكريم فَهِي باطِلة، ومعنى باطِلة أيْ زائِلَة فالجدار إن بنيْتَهُ بالشاقول فهذا مصيرُهُ السُّقوط، وإن كان بالشاقول فهذا مصيره البقاء، فَكُلّ بناء باطِل ينْهار، قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(109)﴾

[سورة التوبة]

عَمَلُكَ مِن بُنْيانك، وزواجُكَ مِن بنْيانك، وأولادك مِن بُنْيانك واخْتِيار أصْهار مِن بُنْيانَك، وعملكَ مِن بُنْيانَك، وقضاء وقْت فراغك من بنيانك، فَمَن بنى عمله على الرِّبا، وعلى تأجير أفلام مُنْحطَّة ! وبنى حِرْفته على الكذب والغشّ والخداع، وبنى بيْته على المعْصِيَة فهذا أسَّس بُنيانه على شفى جرف هار، ويُمْكن أن يتفاجأ أنّ زوْجته قد خانَتْهُ مع هذا الشَّخْص، وكلّ إنسان يتحرَّك حركَةً خِلاف منْهج الله يَدْفَعُ الثَّمَن باهِظًا، والله أيُّها الإخوة، أوَّل خُطبة خطبْتُها سنة الأربع والسَّبعون وأذْكر أنَّ شَخْصًا زارني، وبدأ يبْطي وقال: إنَّ زوْجتي تَخونني منذ خمس سنوات وأنا لا أدْري !! فقلْتُ له مَعَ مَن ؟ فقال لي: مع الجار ! فقلْتُ له كيف عرفها ؟ فقال لي: مرَّةً زارني بالبيت، فقلتُ لها تعالَي إنّ هذا مِثل أخوك !! فلمَّا الإنسان يُخالف منْهج الله يدْفع الثَّمن باهِظًا فهذا أحد سائِقي التاكسي اسْتَوْقَفَتْهُ امرأة فقال لها: إلى أيْن ؟ فقالتْ له: لي أين ما تريد ! فَفَهِمَ، واعْتَبَر هذا مَغْنمًا وفُرْصَةً لا تُعَوَّض، وبعدما قضى حاجته أعْطَتْهُ فوق ذلك ظرْفَين الأوّل فيه خمْسة آلاف دولار ! والآخر في رسالة تقول: مرحبًا بِكَ إلى عالم الإيدْز، والخمسة آلاف كانت مُزَوَّرة فَوُضِعَ بالسِّجْن !! لو كان مؤمنًا لركلَها بِقَدَمِه، يا بُنَيّ العِلْم خير مِن المال ؛ لأنَّ العِلم يحْرسُكَ، وأنت تحرس المال، والعِلم يزْكو على الإنفاق، والمال يتلف.

أيها الإخوة، صَعْب على المؤمن المستقيم يقع بِوَرْطَة !! فقد يدخل الإنسان إلى بيْتٍ فيه امرأة واحِدَة، فإذا بِها تصرخ وتدّعي أنَّه أراد أن يفْعل بها ! أما المؤمن لا يمْكِن أن يدخل بيْتًا فيه امرأة لِوَحْدِها ! والمؤمن لا يضَعُ نفسَهُ مَوْضِع التُّهْمة، وهذا خلاف السنَّة، فقد روى البخاري:

((أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزُورُهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْغَوَابِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً مِنَ الْعِشَاءِ ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ فَقَامَ مَعَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ الَّذِي عِنْدَ مَسْكَنِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ثُمَّ نَفَذَا فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ قَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا مَا قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا))

[رواه البخاري]

البيان يطْرد الشَّيْطان وإذا سافر الإنسان بلَّغ الجيران وأنَّه كلَّف ابن أخته أن يأتي للبيْت كي لا يتَّهِمك الناس في عِرْضِك، والشَّراكة بالعَقد مرَّةً سأل مُعاوِية سيّدنا عمرو بن العاص وكان مِن دُهاة العرَب: فقال له: **يا عمرو ما بلَغَ مِن دهائِكَ ؟** فقال: **والله ما دَخَلْتُ مدخلاً إلا أحْسَنْتُ الخُروج منه!** فقال له: لسْتَ بِداهِيَة ! أما أنا يا عمرو: **ما دَخَلْتُ مدخلاً أحْتاج أن أخرج منه إلا أحْسنت الخروج منه !** فأنت إذا انْضبطت، وكانت أمورك وِفْق القانون الشرعي ووفق البيان، فإنَّك تتجنَّب الشرّ، فأذْكر أنَّ مرةً كنت عند صديق في دُكانِهِ، وجاءه زائِرٌ من حلب، وأثناء الجلسة دخلتْ امرأة فرحَّب بها أشَدّ التَّرْحيب فرأيْتُ في هذا الزائِر انْزِعاجًا، فقلتُ له: هذه أُخْتُهُ ! وفِعلاً كانت أخْتُهُ ولكنَّ صاحِب المحل لم يُخْبِرْنا بِهذا إلا بعد خروجها من المحلّ ! فالإنسان إذا بيَّن ارْتاح، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (30)﴾

[سورة لقمان]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-6) : تفسير الآية 33

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثالثة والثلاثون من سورة لقمان، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(33)﴾

[سورة لقمان]

اتَّقوا ربَّكم أي أطيعوه، أو اتَّقوا عذابَهُ، واتَّقوا سَخطَهُ، اتقوا معصيةً تُفضِي بك إلى النارِ، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾

[سورة لقمان]

أحيانا الإنسانُ يعصي اللهَ من أجل ابنه و أحياناً يعصي اللهَ من أجل أبيه، فإذا عصيتَ اللهَ من أجل ابنك ومن أجل ان تؤَمِّن له مالا كثيرا الإبنُ لا ينفع أباه يوم القيامةِ، عن عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَقَالَ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ))

[رواه البخاري]

فقد تقع عينُ الأم على ابنها، تقول له يا بُنيَّ جعلتُ لك صدري سقاءً و حِجري وِطاءً و بطني وِعاءً، فهل من حسنةٍ تنفعني اليومَ من حسناتك ؟ يقول ابنها: ليتني أستطيع ذلك يا أماه، إنني أشكو مما أنتِ منه تشكين، فالإنسانُ عصى ربَّه من أجل ابنه فلا ينفعه أولادُه يوم القيامة، و إذا عصى اللهَ من أجل والده، والدُه لا ينفعه شيئًا يوم القيامة، سُئل أحدُ الشباب: إلى أين ذاهبٌ ؟ فقال: لأسكرَ على روح والدي، ترك له والدُه مائة مليون الأبُ سيحاسَب كيف جمعها و أنفقها و لم ينتفع بها هو، بل انتفع بها أولادُه، الآيةُ دقيقةٌ جدًّا، أحيانا تقول البنتُ لربِّ العزَّةِ يوم القيامة: يا ربي لا أدخل إلى النار حتى أُدخِل أبي قبلي، هذه الآية للعلاقات الأُسرية.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾

[سورة لقمان]

فلا ينفع الأب إذا عصى اللهَ من أجل ابنه شيءٌ، و لا يشفع الابنُ إن عصيتَ اللهَ من أجله.

هنا نقطةٌ دقيقةٌ ؛ الخيرُ كلُّه في المؤاثرةِ، و لكن لا مؤاثرةَ في الخيرِ و لا أوثِر ابني و لا زوجتي و لا والدي على طاعة ربي، قد يقول الواحدُ: أنا أعصي اللهَ من أجل أولادي، اللهُ يغفر لي، لا مؤاثرةَ في الخير، طاعة الله لا ينبغي أن تؤثر عليها أحدًا، لا أبًا و لا زوجةً و لا ابنًا، بل إن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(14)﴾

[سورة التغابن]

أولا: " **مِن** " للتبعيض ؛ أي بعضُ أزواجكم، و قال علماءُ التفسير: هذه العداوةَ ليست عداوةَ حالٍ بل إنها عداوةُ مآلٍ، ولو أن الإنسانَ تحرَّك من هديِ زوجته التي تحب الدنيا و تريد المظاهرَ فكسب المالَ الحرام من أجل زوجته، ويحبُّها في الدنيا، أما يوم القيامة حينما يرى أنَّ طاعتها كانت سببًا في دُخوله النار تنْقلبُ المحبَّة إلى عَدَاوَة قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(14)﴾

(سورة التغابن)

عداوة مآل، كأن يقْتَرِح الشَّريك على شريكهِ صَفْقة غير نِظامِيَّة ولمَّا اشْتَروا هذه الصَّفْقة وضُبِطَت، وأحيل الشريك إلى السِّجن عندها يكرهُ شريكه فالله تعالى قال:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا(87)﴾

[سورة النساء]

وعَدَنا أن يُحاسِبَنا، ووعدنا أن يسألنا، ووعَدَنا أن يُجيبنا، قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجر]

فالله تعالى قال:

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾

[سورة لقمان]

معنى تَغُرَنَّكم ؛ أي لا تُعْطوها حجْمًا فوق حَجْمِها، فالإنسان في بِدايات حياتِهِ يرى المال كلّ شيء، وبعد حينٍ يراهُ شيئًا، أما عندما يحين وقتُ مغادَرَتِهِ يراه ليس بِشَيء، بل الشيء الوحيد هو طاعة الله عز وجل، والحقيقة أنَّ كلٌّ مِنَّا سيَعْرف الحقيقة، ولكنّ مهمَّة التعليم أن تعرف الحقيقة قبل فوات الأوان، أما مَا مِن مخلوق على وَجه الأرض إلا وسيَعْرِفُ الحقيقة بعد فوات الأوان، وهذه المعرفة لا قيمة لها إطلاقًا، والبُطولة أن تؤمن وأنت شَحيح صحيح قويّ، والبُطولة أن تؤمن قبل أن تمْرض وقبل أن تفْتقر، وقبل أن تهْرَم، فالإيمان سيَحْصل، فهذا فِرعون وآمَن وقال أنا من المسلمين، قال تعالى:

﴿أَالْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ(91)﴾

[سورة يونس]

كل الحقائق التي تُعرض عليكم من خلال آيات كتاب الله سوف تعرفونها معرفةً يقينِيَّة عند الموت، ولكنَّ لا قيمة لِهذه المعرفة، لذا قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(33)﴾

[سورة لقمان]

أيها الإخوة، والله الذي لا إله إلا هو ؛ مَن أصْبَحَ منكم مُعافى في جسَدِهِ، عندهُ قوتُ يوْمِهِ، وقد بكى أحد الإخوة حيث قالت له زوْجته ليس عندنا شيء ! فبَكى خشْيةً لله تعالى !! لأنَّ بيوتنا اليوم لا تخلو من الأكل والطَّبخ ولو خبز وزيت، وبرغل، ومعكرونة، فالإنسان المؤمن الصادِق يُعِدُّ العدَّة لهذه الساعة، لذا لا تُعطي الدنيا حجْمًا أكبر مِن حجْمها، وهذا قول النبي عليه الصلاة والسلام:

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))

[رواه الترمذي]

هناك رجل توفِّي وترك خمْسة أولاد لأخيه، وهذا الأخ له شيْخ فحكى عليه الموضوع، فهذا الشيخ قال لهذا الأخ: ألم يتْرك شيئًا ؟! فقال له: ترك ما يكفيهم ثمانية أشْهر ! فهذا الأخ مات بعد أربعة أشْهر !! وأذكر أحدهم كانت له غرفة بِمَسْجد، والمسجِد كان سيُوَسَّع، فَقَلِقَ قلقًا غير معقول، فقدَّم طلبات، وَوَعَدُوه بتَأمين بيتٍ له أفْضل مِن بيْتِهِ ماتَ قبل هَدمِ بيْتِهِ !! فالإنسان يُعطي الأمور حجمًا كبيرًا، وهذا الحجْم يسْحَقُهُ، فالله تعالى:

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (33)﴾

[سورة لقمان]

وهو الشيْطان، أوْضَح مثل قاضي نزيه جدًّا، قال لك آذِنُهُ قدِّم له هدِيَّة جيّدة يُعينك، فإذا بالخَصم يفاجئ أنَّ هذا القاضي نزيه، فلم يحْكُم له القاضي لِصالِحِهِ، وهكذا هو دَور الشَّيطان، يقول لك: لا تُدَقِّق، والله غفور رحيم، والنبي يشْفع ! فهذا كلام الشَّيطان فالشيطان يريد أن يغرّ الإنسان، فالشيطان يَعِدُ ويُمَنّي، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)﴾

[سورة إبراهيم]

فالشيطان يُمنّي، ويَعِدُ، ويُخَوِّفك، ويعِدُكَ الفقر ويأمرك بالفحشاء قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا(27)﴾

[سورة النساء]

لذلك ابن عمر دينَكَ دينَكَ ؛ إنَّه لحْمُكَ ودَمُكَ، خُذْ عن الذين اسْتَقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا.

فهذه الآية دقيقة، أحدهم أخذ غرفةً بِشارع برْنيَّة، والبيت بأعلى كِسوَة، ولكن هذا الإنسان له أذْواق أرْقى مِن هذه، فأعاد البيت على الهَيْكل، قلِعَت النوافِذ، وكُسِر البلاط، وبعد سنَتَين من العمل وبعدما انْتَهَت الكِسوة الجديدة توفَّاهُ الله بعد أسبوع !!

وأحدهم كما يُحَدِّثنا أحد إخواننا، طلب منه أن يصْنَعَ غرفة نوم، فبَقِيَ المشتري سِتَّة أشْهر كي اسْتَقَرَّ على غرفةٍ أعْجَبتْهُ، وتابعني سنة حتَّى انْتَهَت، وبعدها لم يأت ليأخذها، فاتَّصل به، فإذ به يسْمع ضجيج ! قال: أين صاحب هذه الغرفة فقيل له: لقد توفّي !! وآلاف القصص ما انسكنتْ، وشهادات لم تُسْتَعمل، ومنْصب لم يصِلْهُ، لذا لا تغرنَّكم الحياة الدنيا، والدُّنيا تغُرّ، وتضرّ، وتمرّ، وهي دار مَن لا دار له ولها يسْعى مَن لا عَقْل له، فهذه هي الآية:

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (33)﴾

[سورة لقمان]

والله تعالى يقول:

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ(83)﴾

[سورة الزخرف]

وقال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(103)الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(104)﴾

[سورة الكهف]

أذكر قبل عشرين سنة أنَّ أحد الأصدِقاء أخذني إلى حلب وأراني حيًّا اسمه الشَّهباء ؛ هذا الحيّ شارع المالكي يظهر كالكوخ أمامه، فيلات أشكال وأنواع، لفتَ نظري فيلا على النَّمَط الصيني، فقال لي: هذه كلَّفت سنة الأربع والسَّبعين خمسة وثلاثون مليون، واليوم ثمنها سبعمئة مليون، تُوُفِّي صاحبها في الثانيَة والأربعين، وكان طويل القامة ولمَّا وُضِعَ القبْر وُضِعَ مُعْوجًّا !! فالعِبرة الفرَح بالطاعة وطلب العلم ومال تنْفقُهُ في سبيل الله، أما الاعْتِناء بالدنيا فهذا كزبد البحر،

فعن أبَا هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ:

((قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِمَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِالْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئً))

[رواه البخاري]

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي))

[رواه البخاري]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّئُونَ عَنِ الْحَوْضِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى))

[رواه البخاري]

وقال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ(19)﴾

[سورة الزمر]

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34)﴾

[سورة لقمان]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-6) : تفسير الآية 34

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، بعض الأئمَّة رأى في المنام ملَكَ الموت، وأظُنُّه الإمام مالك رحمه الله تعالى، فقال يا ملَكَ الموت كَم بَقِيَ لي من عمري ؟ فأشار إليه ملَكُ الموت هذه الإشارة ؛ خمسة ! فلمَّا اسْتيقظ الإمام مالِك ازْداد قلقًا ! يا تُرى خمسُ سنواتٍ أم خمْس أشْهر أو خمسة أيَّام أم خمْسُ ساعات، فذَهَب إلى الإمام ابْنِ سيرين رحمه الله وكان عالِمًا في تفسير الأحلام، فقال له هذا الإمام: يا إمام، يقول لك ملَكُ الموت، إنَّ هذا السُّؤال مِن خمْسة أشياء لا يعْلمها إلا الله ! لأنَّ الله سبحانه وتعالى في الآية الرابعة والثلاثين والأخيرة مِن سورة لقمان يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34)﴾

[سورة لقمان]

بعض العلماء المُعاصرين أجْرَى حِسابًا على الكمبيوتر، فَوَجَدَ أنَّ كلّ أرقام القرآن الكريم من آيات وأرقامها، وعدد الآيات والأحرف يقْبَلُ القِسْمة على تِسْعة عشر ؛ إلى حدٍّ ما قَبِلْنا منه ذلك ! ثمَّ فاجأ الناس بِمُحاضَرة في مِصْر أنَّه يعْلَمُ متى يوْم القِيامة !! فانْسَحَب الناس كلُّهم من المُحاضرة، لأنَّ الله عنده علم الساعة.

أما المَطَر، فالحقيقة أنَّ الله تعالى ثبَّتَ أشياء، وحرَّكَ أشياء، نحن لا نقْلقُ من أجلها، فالله تعالى ثبَّتَ دوْرة الأرض حول نفْسِها، ونحن لا نشْكو مِن عدم وُجود ليل أو نهار، فالليل والنَّهار مُنْتَظِمان، فَدَورة الأرض حوْلَ نفْسِها ثابِتَة، ودَوْرتها حوْل الشَّمس ثابِتَة، ومُمْكِن أن تعرف قبل ألف عامٍ متى كان شُروق الشَّمس يوم كذا وكذا ؟ فهذه الأشياء ثابِتَة، ولكنَّ الله تعالى حرَّكَ المَطَر، فالأمطار تُشْبِه أرْقى آلة ولكنَّ مِفْتاح التَّشْغيل بِيَدِ الله عز وجل، فآلِيَة المَطَر دقيقة جدًّا، ووِفْقَ أدَقّ القوانين العِلْميَّة، ولكن متى يسْمح الله لِهذه القوانين أن تعمل أم لا ؟ بيَدِ الله عز وجل، لذا وَجَد العلماء الآن – وهو شيءٌ مُدْهِش – أنَّنا إذا جَمَعنا كميَّات الأمطار التي تهْطل في العالم، استَطَعنا أن نأخذ إحْصاءات دقيقة جدًّا، سوف نَدْهش أنَّ الأمطار التي تهْطُل في كلّ عامٍ لا تزيد ولا تنْقص، ولا ميلي مِتر، إلا أنَّها تتوزَّع، ولو دُهِشْتُم أكثر أنَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم قال في الحديث الصحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

((لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ عَامٌ إِلَّا وَهُوَ شَرٌّ مِنِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَعْنِي عَامًا أَخْصَبَ مِنْ عَامٍ وَلَا أَمِيرًا خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَلَكِنْ عُلَمَاؤُكُمْ وَخِيَارُكُمْ وَفُقَهَاؤُكُمْ يَذْهَبُونَ ثُمَّ لَا تَجِدُونَ مِنْهُمْ خَلَفًا وَيَجِيءُ قَوْمٌ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ))

[رواه الدارمي]

على مسْتوى الأرض، فمرَّة بأوروبا الجفاف، ومرَّة بإفريقيا، ومرَّة بالشرق الأوسَط، وسُيول في مِصْر أما لو جَمَعتَ كمِيَّة الأمطار التي تهْطل في العالم لوَجَدتها واحِدَة والنبي صلى الله عليه وسلَّم لا ينْطِق عن الهَوى، ولو سألت أصحاب الأرصاد الجَوِيَّة الآن لقالوا لك أنَّ نِسَب الأمطار في العالم واحِدَة إلا أنَّها تخْتلف مِن بلدٍ لآخر.

قال تعالى:

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾

[سورة لقمان]

دِقَّة هذه الآية في حرْف ما، لو أنَّ الله عز وجل قال: ويعْلم مَنْ في الأرحام ! فهو تعالى يعْلم ذَكَرًا أو أنثى ! لكنَّ الله تعالى قال: مَا في، تُفيد الإطلاق، فالحُوَين المنَوِي عليه خمسة آلاف مليون معْلومة مُبَرْمَجَة، وأرقى عِلْم الآن على الإطلاق في الطِّب ؛ الهَنْدسة الوِراثِيَّة ! لأنَّ كلّ حالات الإنسان راجِعَة إلى مُوَرِّثاتِهِ، فالذي معه الكولِسترول يكون معه خطأ بالمُوَرِّثات، والذي عنده ضَغْط مرْتَفِع فقد يكون وِراثة، فهذه الأعراض الطارئَة لها أصْل في المُوَرِّثات وحتَّى الآن وصَلوا ثمانِيَة مُوَرِّث إلى خمْسة آلاف، ماذا قال الله عز وجل:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

[سورة البقرة]

فإذا شاء لنا أن نعلم بعض المُوَرِّثات، فهو الذي شاء وسَمَح لنا أن نعلم، وهذا لا إشْكال فيه، لأنّ الإنسان لا يسْتطيع أن يعْلم شيئًا لم يشأْهُ الله تعالى، فالاختراع أساسُهُ الإلْهام، أحَدُ العلماء الذين اخْتَرَعوا بعض المُخترعات، واسْمُهُ أدِسُن قال: العَبْقَرِيَّة تِسْعٌ وتِسْعون منها عَرَق ! وواحِد بالمائة منها إلْهام، فلا يوجَد عالِمٌ اكْتشَفَ شيئًا إلا وأُلْقِيَ في روعِهِ، فالاخْتِراع والاكْتِشاف والإبْداع هِيَ إشْراقة من الله عز وجل، لأذلك قال تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

[سورة البقرة]

لا يسْتطيع الإنسان أن يعْلَمَ شيئًا ما أرادَهُ الله تعالى، فالله سبحانه وتعالى قال:

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾

[سورة لقمان]

ولم يقُل مَنْ ! فالمولود الذي يولَدُ لك ؛ هل تعلم أنَّه سيَكون عبْقَرِيًّا ؟ أم مُخْتَرِع ؟ أم أكبر داعِيَة للدِّين ؟ أم مُجْرِما ؟ أم مُستقيما ؟ أم مُنْحَرِفا ؟ وهل هو عَصَبِي المِزاج ؟ أم هادئ المِزاج ؟ فالخمسة آلاف مليون مُوَرِّث لا يعلمها إلا الله، فهؤلاء العُظَماء الذين تَركوا بصَمَات في الحياة أجْهَدوا أنفسهم، لذلك الأنبياء وحْدهم لهم بالحياة إرْهاصات أي مُعْجِزَة مُبَكِّرة، كي لا يتفاجَىء الناس، فهذا النبي أُعِدَّ لِيَكون نبيًّا فسيِّدُنا عيسى وهو في المهْد قال: إنِّي عبْد الله ! فهل هذا معْجزة ؟ لا وإنَّما إرْهاص ؛ أيْ إشارة مُبَكِّرة إلى نُبُوَّتِهِ.

فالله عز وجل قال:

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾

[سورة لقمان]

ألم يكن طِفلاً صغيرًا، فَمن يعْلم مصير الإنسان ؟ لا يعلم الغَيْب إلا الله، أما إذا عرفوا أنّ الجنين ذكر أم أُنثى ! فهذا لا يتعارَض مع النص القرآني، لأنَّ الله عز وجل قال:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

[سورة البقرة]

وأنا من دون جِهاز أعرف إن كان ذكرًا أم أُنثى !.

قال تعالى:

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾

[سورة لقمان]

نحن لا نعرف المستقبل ولا يعْلم الغيب إلا الله، ومن ادَّعى الغيب فَهُوَ دجَّال، وقد قال عليه الصلاة والسلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

[رواه أحمد]

فلا يعلم الغيب إلا الله قال تعالى:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(188)﴾

[سورة الاعراف]

قد يقول الواحد مِنَّا: لكنَّ النبي عليه الصلاة والسلام حكى مئات الأحاديث عن يوم الساعة ! فالجواب: أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام لا يعْلم الغيب بذاتِهِ إلا أن يُعْلِمَهُ الله، فكلّ حديث قاله النبي عليه الصلاة والسلام وعن أشْراط الساعة، وعن قِيام الساعة ليس مِن عِلمهِ الذاتي ولكن مِن إعلام الله له.

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾

[سورة لقمان]

يرْوا قِصَّة رمْزِيَّة أنَّ سيِّدنا سليمان كان عنده رجل، وملكُ الموت، وكان ملك الموت يُحِدُّ النَّظَر إليه، فسأل الرجل سليمان: من هو الرجل ؟ فقال: **هذا ملكُ الموت** ! فترجَّى سليمان أي يأخذه إلى طرف الدنيا الآخر، فنقَلَهُ إلى الهِنْد ! وبعد يوْمَين مات بالهِند، ولمَّا التقى سيّدنا سليمان بِمَلك الموت: **فقال عَجِبتُ لك: لِمَ كنتَ تنْظر إليه هكذا** ؟ فقال ملك الموت: **أنا معي أمْر بِقَبض روحِه بالهِنْد، فما الذي جاء بِهِ إليك** ؟!! فالإنسان قد يموت بِبَلَدِهِ أو بالغُربَة، أو بِمَكَّة أو المدينة فأنا كنت أعرف أخًا مِن إخواننا الدُّعاة إلى الله، فاجْتَمَعتُ معه في بيتٍ وتحادَثنا، وبعدها خرج، وما إن خرج حتَّى وجَدَ أحد الإخوة يطلبُ منه أن يأخذهُ بِسيَّارتِهِ إلى بيتِهِ، فهذا الأخ لمَّا وصل إلى البيت دَخَل بيتَهُ، ونزَع ثِيابَهُ وتسطَّح على فِراشِهِ، وانتَقَلَ إلى الرفيق الأعلى ! فهذا سبحان الله لو بَقِيَ دقائق ينتظر فيها التاكسي لمات بها ! لذا قال تعالى:

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾

[سورة لقمان]

لكنَّ النبي الكريم يقول:

((صنائِع المعْروف تقي مصارِعَ السوء))

فقد يكون الإنسان بِفراشِهِ أمام أهْلِهِ وأولاده، وبين أن يموت بالطريق أو حتَّى بالمرحاض !.

قال تعالى:

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾

[سورة لقمان]

هل ستَكون فقيرًا أم غَنِيًّا ؟ تتزوَّج أم لا ؟ تنْجب أولادًا ذكورًا أم إناثًا ؟ أم عقيمًا ؟! فلا أحدَ يعْلم.

فالله تعالى قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34)﴾

[سورة لقمان]

كان هناك رجل شاب له دُروس ناجِحَة، فانْزَعَجَ أحد الكِبار الذين انْصَرَف الناس عنهم، فجاء أحد الكِبار لِيُغيظَهُ، فحضَرَ درْسَهُ وبعد أن انتهى ؛ وقفَ وقال له هذا الشيخ الكبير: يا هذا، هذا الكلام ما سَمِعناهُ مِن أحَدٍ !! فقال له الفتى: أَحصَّلْتَ العِلْم كلَّهُ ؟! فقال: لا فقال الفتى: هذا مِن الجُزْءِ الذي لم تُحَصِّلْهُ ! قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(85)﴾

[سورة الإسراء]

وإذا تقدَّمت علمِيًّا، وعلِمَ العامَّة تقدُّمَكَ، فالله هو الذي شاء لهم أن يعْلموا تقَدُّمَكَ العِلْمي، والآية واضِحَة.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

[سورة البقرة]

فإذا سمَحَ الله فلا مشْكِلة في هذا.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : تفسير سورة السجدة

الدرس (6-1) : تفسير الآية 13

الدرس (6-2) : تفسير الآيتان 15-16

الدرس (6-3) : تفسير الآية 18

الدرس (6-4) : تفسير الآية 21

الدرس (6-5) : تفسير الآية 22

الدرس (6-6) : تفسير الآيات 28-30

الدرس (1-6) : تفسير الآية 13

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في القرآن الكريم آيات محكمات قطعية الدِّلالة لا يختلف فيها اثنان و لا تحتاج إلى تفسير، لا تحتاج لا إلى زمخشري و لا إلى قرطبي و لا إلى جلالين، بلسان عربيٍّ مبين، قطعيةُ الثبوت واضحة الدلالة، سأُطَمئِنكم أنَّ كلَّ آيات التكاليف ؛ افعَلْ و لا تفعلْ واضحة الدلالة و قطعية الدلالة لا لُبسَ فيها، قال تعالى:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ(52)﴾

[سورة يوسف]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا(103)﴾

[سورة النساء]

قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(30)﴾

لو تتبَّعتَ آيات القرآن الكريم التي تتعلَّق بالأمر والنهي ؛ أي بالتكليف -والإنسان أيُّها الإخوة لا يُحاسب حينما يلقى الله إلاَّ على التكليف ولو سُئِل الإنسان كم نجوم السماء وقال: لا أدري، هل يدخل النار؟ أبدًا حتَّى لو توهَّم أنَّ الشمس هي التي تدور حول الأرض ؛ بحَسَب عينه التي في رأسه، هل يُحاسَب على هذا التوهُّم ؟ لا، لكنْ يُحاسَب إذا كذب، أو أكل مالاً حرامًا - فالأصل هو التكليف، و آيات التكليف واضحة لا لبس فيها، ولكنْ لحكمةَ بالغة ورد في القرآن الكريم آياتٌ متشابهات، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ(7)﴾

[سورة آل عمران]

بعضهم وقف عند كلمة " **الله** "، وبعضهم وقف عند كلمة "والراسخون في العلم " و الفصل بين هذين الرأيين، هو أنَّ الآيات المتعلّقة بذات الله لا يعلم تأويلها إلاَّ الله، والآيات المتعلّقة بدينه يعلم تأويلَها الله و الراسخون في العلم، لذلك نهانا النبي عليه الصلاة والسلام أن نخوض في ذات الله وقال عليه الصلاة والسلام: "إذا ذُكر القدرُ فأمسِكوا" إذًا لا يعلم تأويل الآيات المتعلّقة بذات الله إلاَّ الله، مثلاً: قال تعالى:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(22)﴾

[سورة الفجر]

أين ؟ وكيف يأتي؟ صار هناك مكان وحركة وانتقال مِن مكان إلى مكان، هذه الآية مُتعلِّقة بذات الله .

السَّلف الصالح على أربعة اتِّجاهات ؛ اتِّجاهان سليمان واتِّجاهان فاسِدان الأوَّل أن تَكِلَ تفْسير هذه الآية إلى الله تعالى وترْتاح، كلُّها خمسة آيات:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(22)﴾

[سورة الفجر]

وقوله تعالى:

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الفتح]

وقوله تعالى:

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾

[سورة الحديد]

هذه مِن الآيات المُتَعلِّقة بِذات الله تعالى، فهذه تَدَعُ تأويلها إلى الله وهناك رأيٌ آخر، وهو أن تُؤوِّلَها وِفْق ما يليق بِكَمال الله جاء ربُّك أيْ جاء أمْرُهُ، إنسان ظالم يأكل أموال الناس ويظلمهم، وهو في أكْمَل القوَّة، فالله عز وجل يُرْخي له الحَبْل، ثمَّ يبْطِشُ به، فحينما يبْطِشُ به، نقول: جاء أمر الله أي جاء التَّنفيذ، أحيانًا جِهَة قويَّة تُمِدُّ لإنسان مَشْبوه، وتتغافل عنه مِن أجل أن تعرف كلّ حركاتِهِ، وكلّ اتِّصالاته فإذا أُدين بالجرم المَشْهود أُلْقِيَ القبْض عليه، فهذا هو معنى وجاء ربُّك ! يُمْهِل، ويمُدّ للظالِمِ مدًّا، ويسْمَحُ له أن يتحرَّك مِن أجْل أن يأخذ كلّ أبعادِهِ، وبعد أن تتَّضِحَ وِجْهتُهُ، وينتهي مِن قصْدِهِ، ويأخذ كلَّ مطالبِهِ يجيء أمْر الله فيبْطشُ به، قال تعالى:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(12)﴾

[سورة البروج]

فالله عز وجل لهُ يَدُ، وهي القدْرة، وسَمع و بصر وهو العلم، أنت كلَّمتَ يعني عَلِم أي سمع , إن تحرَّكتَ رآك؛ يعني عَلِم، وإن خطر ببالك خاطر فإنَّه يعلم ذلك، فالسمع والبصر مشتقٌّ مِن علم الله عز وجلَّ فإمَّا أن تُفوِّض وإمَّا أن تُأوِّل، مذهب السلف التفويض، ومذهب الخلف التأويل، أمَّا إذا جسَّدتَ فقلتَ مثلاً في قول النبي عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ الْأَغَرِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))

[رواه البخاري]

كما أنزل أنا، أو عطَّلت هذه الآيات فقلتَ: هذه الآيات هي عين ذات الله عز وجل فقد وقعتَ في عقيدة زائغة أمَّا إذا جسَّدتَها وعددْت سمع الله وبصره ومجيئه وذاته ونفسه ووجهه، عددت هذه الآيات منفصلة عن ذات الله جسَّدتها و أشركتَ، فالإنسان إذا جسَّد أشرك وإذا عطَّل أَلْحَدَ، أمَّا إذا فوَّض ارتاح وإذا أوَّل نفعَ، إذًا هناك آيات محكمات بيِّنات لا لُبْس فيها هي حُجَّة الله على ابن آدم وهناك آيات تحتاج إلى تأويل أو إلى تفويض، و حرام أن نجسِّد و حرام أن نعطِّل.

في سورة السَّجدة آية متشابهة إنْ أخذتَ بظاهرها ظنَنْتَ بالله ظنَّ السوء، قال تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(13)﴾

[سورة السجدة]

لو حرف امتناع لامتناع، أي امتنع أن نُؤتيَ كلَّ نفس هداها لامتناع مشيئتنا عن ذلك، يعني أنَّ الله ما شاء أن يهديَنا، مثلاً: أنشأنا سجنًا مركزيًّا ممتازًا لكنَّه فارغ، فأقمنا حاجزًا في الطريق و كلُّ مَن نمسكه نأخذه إلى ذلك السجن، هل يُعقل هذا المعنى ؟ هل يليق هذا المعنى بذات الله؟ قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(180)﴾

[سورة الأعراف]

أين حسنُ الظنِّ بالله ثمنُ الجنَّة ؟ هذه آية متشابهة، هذه الآية هي التي عناها الله بقوله تعالى:

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا(59)﴾

[سورة الفرقان]

و قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(43)﴾

[سورة النحل]

فمثلُ هذه الآيات لا ينبغي أن تفهمها على ظاهرها، وهذه الآيات أيضًا فيها امتحانُ الله لعباده، نضرب مثلاً لذلك: صحابيٌّ جليل قال: أنا أصلّي بغير وضوء، وأنا أفرُّ مِن رحمة الله، وأكره اليقين، وأحبُّ الفتنة، و لي في الأرض ما ليس لله في السماء صحابيٌّ قال مثل هذا الكلام أمام سيّدنا عمر، فضجر عمر مِن هذا الكلام، قال: ماذا يقول هذا ؟! قالوا: إنَّه يصلّي على النبيّ بغير وضوء ويحبُّ الفتنة و قد قال تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ(15)﴾

[سورة التغابن]

و يفِرُّ مِن رحمة الله ؛ مِن المطر، ويكره اليقين وهو الموت، طمعًا في العمل الصالح، وله في الأرض زوجةٌ وولدٌ ما ليس لله في السماء هذا التأويل، فحينما يتعارض المنقولُ مع المعقول نُأوِّل، فإذا قال لك رجلٌ: في بيتنا زهرةٌ تلعب، معناها في بيتنا طفلٌ جميلٌ جدًّا كالزَّهرة تلعب، فهناك قرينة مانعة لفهم المعنى الحقيقي، فإذا قال الله عز وجل:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(8)﴾

[سورة النمل]

هذه نار الحُبِّ، لأنَّ في اللغة مجازًا، وهذا مِن مجاز القرآن الكريم، يحتاج إلى تأويل و إلى تفسير و توضيح، هذا معنى قوله تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(43)﴾

[سورة النحل]

و هذا معنى قوله تعالى:

﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا(59)﴾

[سورة الفرقان]

فقوله تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)﴾

(سورة السجدة)

مثْلُ هذه الآية عشرات، قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[سورة الرعد]

و قال تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)﴾

[سورة السجدة]

ولكنَّ الله لم يَشَأ، فكيف تفسّر هذه الآيات بما يليق بكمال الله و رحمته وعفوه، العلماء قالوا: الإنسان مُخيَّر، وحينما يفعل بعض السيئات يعزوها إلى الله، على قول العامة من الناس: كلٌّ شغلُ سيّدك ! وهذا الكلام كفر، الإنسان يقترف المعاصي ثم يقول: هكذا قدَّر الله عليّ ! فالإنسان المُخَيَّر حينما يَعْزو أعْمالهُ السيِّئة إلى الله، فالله أجابه عنه هذا قال تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)﴾

[سورة السجدة]

فلو شئْنَا أن نُجْبِرَكم على عمل قصري كما تدَّعون لما أجْبرْناكم إلا على الهدى، فالهُدَى القصْري لا يسْتفيد منه الإنسان شيئًا، مُدير جامعة لو أراد أن ينْجح كلّ طلاب الطِّب ! فهل يسْتطيع ؟! نعم يستطيع، يُوَزِّع أوراقًا مَكْتوبًا عليها الإجابة الصحيحة ثمَّ يعطيك علامة مائة على مائة وتُكتَب عليها أسماء الطلبة، هل لهذا النجاح قيمة عند الناس وعند الناجحين وعند إدارة الجامعة ؟ لا قيمة له إطلاقًا والدكتوراه الفخرية لا قيمة لها، قال تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)﴾

[سورة السجدة]

أي أنَّ هذه الأفعالَ محضُ اختياركم ومِن كسبكم و سوف تُحاسبون عليها، و ليست مِن إجبار الله لكم، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(28)﴾

[سورة الأعراف]

فيا أيُّها الإخوة الأكارم ؛ هذه الآية متشابهة ؛ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها، أي: يا عبادي لو زعمتم أو توهَّمتم أنَّنِي أجبرتُكم على المعاصي فأنتم واهمون، ولو أنَّني أجبرتكم على شيء ما لمَا أجبرتكم إلاَّ على الهدى، ولو شئنا أن نجبركم و نحملكم على شيء ما و نأخذ منكم إرادتكم الحُرَّة لآتينا كل نفس هداها.

﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)﴾

[سورة السجدة]

لكنَّ هذه الأفعال التي تفعلونها هي محض اختياركم ومن كسبكم و سوف تُحاسبون عليها، والعمل السيئ جزاءه جهنَّم، فالإنسان إذا أوَّلَ بما يليق بكمال الله فهو دليل حسن إيمانه.

هناك حديث مشابه لهذه الآية قال عليه الصلاة والسلام عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ))

[رواه البخاري]

هذا الحديث في ظاهره مرفوض، أي لو لم تُحِسُّوا بذنوبكم، لأنَّ المؤمن ذنبه كالجبل جاسم على صدره، والمنافق ذنبه كالذبابة، فحينما لا تحِسُّون على ذنوبكم، معنى ذلك أنَّكم هَلكى يوُشِك أن يذهب الله بكم أمَّا إذا أذنب الواحدُ فاستغفر وبكى ودفع صدقةً وصحَّح معنى ذلك أنَّ قلبه حيٌّ، فحينما يتعارض المنقوُلُ مع المعقول نُأوِّل المنقولَ بما لا يخالف المعقول.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-6) : تفسير الآيتان 15-16

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية ا لخامسة عشرة و السادسة عشرة من سورة السجدة وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(15)﴾

[سورة السجدة]

أيُّها الإخوة، آية أخرى تقول:

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ(50)﴾

[سورة المرسلات]

كأنَّ الله سبحانه وتعالى يرسم لنا طريقًا واحدًا إجباريًّا لمعرفته، فبأيِّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟ في الحقيقة، الإنسان كما كنتُ أقول كثيرًا إذا لم يعرف الآمرَ و عرف الأمرَ تفنَّن في التفلُّت مِن أمره أمَّا إذا عرف الآمر ثمَّ عرف الأمر تفانى في تطبيق أمره، الجنَّة تحتاج إلى طاعة، والطاعة لا تكون إلاَّ بمعرفة الآمِر، فإذا أغفلنا معرفة الآمِرَ، فأغلبُ الظنِّ أن لا نُطيع الله عز وجل، لأنَّ شرفَ الأمر بشرَف الآمر، فالإنسان لا يُعدُّ مؤمنا بآيات الله إلاَّ إذا كانت حالتُهكما هي هذه الحال، إذا تُلِيت عليه خرَّ ساجدًا،والسجود له معنيان، له معنى ظاهري مثل أن يكون الإنسان واقفًا فسجد، هذا شكلٌ ظاهري، أمَّا السجود الحقيقي أن تخضع نفسُه لعظمة خالقها و قد ورد في الحديث القدسي: ليس كلُّ مُصَلٍّ يصلّي، إنَّما أتقبَّل الصلاةَ لِمَن تواضع لعظمتي، وقد ورد في القرآن الكريم:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(30)ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ(31)ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ(32)إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ(33)﴾

[سورة الحاقة]

لِمَ ؟ قال تعالى بعد ذلك:

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ(33)﴾

[سورة الحاقة]

ما قال الله: **إنه كان لا يؤمن بالله** " و سكت، و غالب الظنِّ أنَّه كان يؤمن بالله، و لكن، بالله العظيم، فما عظَّم الله و ما عظَّم أمره، فما أطاعه، فاستحقَّ النار،، فكأنَّ التركيز على الإيمان بالله العظيم، الذي يحتاج إلى معرفة خلقه، لذلك:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(15)﴾

[سورة السجدة]

فحالته النفسية أنَّه خضع لله عز وجل، ما تقول في مجرَّةٍ تبعد عنَّا ثلاثمائة ألف مليار سنة ضوئية، فهذا الذي خلق الكون هو نفسه الذي أنزل القرآن، فبقدر ما تتأمَّل في السماوات و الأرض و بقدر ما تقف عند دقائق صنعة الله عز وجل و عجيب قدرته تستطيع أن تعظِّمه، و أن توَحِّده و أن تنصاع لأمره،

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(15)﴾

[سورة السجدة]

الكِبْرُ أيُّها الإخوة ما هو ؟ أحد الصحابة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحدُنا يحبُّ أن يلبس الثياب الحسن أهذا كبْر؟

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))

[رواه مسلم]

بطر الحق أن تَرُدَّ الحق و تستكبر عن الحق، أمَّا المؤمن تحت الحق خاضعٌ له، فنفسُ غيرِ المؤمن تُعظِّم صنعة الإنسان، لكنَّ نفس المؤمن تعظِّ صنعة الواحد الديَّان، نفس المؤمن ممتلئة بتعظيم صنعة الله، فلذلك إذا أعطاك المؤمن آيات في حياتنا و في النبات وفي الحيوان وفي الطعام والشراب هذا من تعظيم المؤمن لربِّه، وليس كلُّ مُصلٍّ يصلي، إنما أتقبَّل الصلاة لمَن تواضع لعظمتي وكفَّ شهوته عن محارمي و لم يُصِرَّ على معصيتي و أطعم الجائع وكسى العريان ورحم المُصاب و آوى الغريب، كلُّ ذلك لي، أي مخلصًا، فهؤلاء المؤمنون الصادقون الذين قال الله عنهم:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(15)﴾

[سورة السجدة]

ومعنى سبَّحوا ؛ قال العلماء: نزَّهوا و مجَّدوا و صلُّوا، نزَّهوا الله عن كلِّ ما لا يليق به، هذا جزءٌ من التسبيح، ثمَّ مجَّدوا الله بأسمائه الحسنى و أفعاله و كمالاته وهذا من التسبيح ثمَّ اتصل به وهذا من التسبيح، نزَّه ومجَّد واتَّصل، **وسبَّحوا بحمد ربهم**" وكلمة بحمد ربهم تعني أنَّ كلَّ ما فعله الله يُحمَد عليه فالكون كلُّه تجسيدٌ لفضل الله، لكن قد يقول أحدُكم: والمصائب و الأمراض و المجاعات والزلازل والبراكين و القهر ؛ أشياءٌ مخيفة قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ(65)﴾

[سورة الأنعام]

الحقيقة أنَّ كلَّ ما في الكون يدعو إلى أن تحمد الله عز وجل، لكنَّ المصائب لها تفسير بسيط كنتُ ذكرتُه سابقًا، وهو أنَّ هذه السيَّارة لماذا صُنعت في الأصل ؟ مِن أجل أن تسير، أليس الأمر كذلك ؟ هل يُمكن أن تُلغِيَ المحرِّك من السيَّارة ؟ و يبقى اسمها سيَّارة ؟ لا صُنِعتْ مِن أجل أن تسير، لماذا زُوِّدت بالمكابح ؟ والمكابح تتناقض مع سرِّ صنعتها، لأنها توقفها لسلامتها، والمصائب كلُّها يمكن أن تشبِّهها بالمكابح، فسعيًا وراء سلامة الإنسان تأتيه المصائب تكبح جِماحه ومعصيته و كِبْرِه وغفلته وتفلُّتَه، لهذا سمَّاها الله عزوة جل في كتابه بالنِعم الباطنة، قال تعالى:

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ(20)﴾

[سورة لقمان]

أكثر الناس الذين اصطلحوا مع الله والذين أقبلوا عليه و نعموا بقربه لعلَّ اصطلاحهم معه بسبب مصيبة ساقها الله لهم، وقد قيل: رُبَّ ضارَّةٍ نافعة، وقال ابن عطاء الله السكندري: رُبَّما أعطاك فمنعك و رُبَّما منعك فأعطاك، ومنعُ الله عينُ العطاء، هذه الآية الكريمة لو تأمَّلها الإنسان، قال تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(216)﴾

[سورة البقرة]

في القصص المأثورة أنَّ رجلاً من أهل المدينة تزوَّج امرأةً فلمَّا دخل عليها لم تُعجِبه، فقضى ليلته الأُولى وفي صبيحة اليوم الأوّل من عرسه هام على وجهه متألِّمًا أشدَّ الألم مِن هذه المرأة التي لم تكن في مستوى طموحه، ويبدو أنَّ هذه المرأة صالحة وذكية، قالت له كلمة: **يا فلان قد يكون الخير كامنًا في الشر** " يعني إذا توهَّمتَني شرًّا فقد يكون الخير فِيَ، غاب هذا الزوج عن المدينة عشرين عامًا هائمًا على وجهه، ثم عاد إلى المدينة، و السُّنة أن يصلِّيَ قبل دخول بيته، فدخل إلى المسجد فإذا درسٌ فيه، فحلَّق حول المدرِّس أُلوف، سأل مَن هذا؟فقالوا له: هو مالك بن أنس، فعرف أنَّه ابنه، فقال: يا سيِّدي قل لأُمِّك: إنَّ بالباب رجلاً يقول لكِ: قد يكون الخير كامنا في الشر، قالت: يا بُنَيَّ هو أبوك، فأحيانًا الإنسان يتزوَّج امرأةً لا تعجبه فيرزقه الله منها الذريَّة الصالحة، فالإنسان عليه أن يستقيم و الباقي على الله و الاستسلام لله مُريحٌ كثيرًا، ولا بُدَّ أن تعرف أنَّ زوجتك قدرُك أولادُك قدرُك و حرفتك قدرُك، وليس في الإمكان أبدعُ ممَّا كان، مرَّة دخل إنسان على رجل رفيع فقال: أنت قدرُنا، إمَّا أن نصبر عليك و إمَّا أن تصبر علينا، و أولادك وزوجتك ومَن

حولك هو قدَرُك، فلمَّا يوقن الإنسان أنَّ الله حكيم و رحيم، وهذه الدنيا دار ابتلاء لا دار استواء و منزل طرَحٍ لا منزلُ فرح، ومَن عرفها لم يفرح لرفاه ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دارَ بلوى و جعل الآخرة دار عُقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببًا وجعل عطاء الآخرة مِن بلوى الدنيا عِوضًا , يأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي، هذا هو الاستسلام لله عز وجل.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(15)﴾

[سورة السجدة]

ثم قال تعالى:

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16)﴾

[سورة السجدة]

الإنسان يكون نائمًا نوما عميقًا على فراش وسيم في غرفة دافئة مطمئنًّا، ثم يؤذِن للفجر فينزع اللحاف عنه و يستيقظ، وهو معنى تتجافى، هذا المعنى الضيّق، فالإنسان إذا أراد أن يصلِّيَ الفجر في وقته فعليه أن يستيقظ، طبعًا الجسد يدعوه إلى أن يبقى نائمًا، والمعنى الواسع لهذه الآية هو عدم الرُكون إلى الدنيا، هناك إنسان يحبُّ أن يرتِّب أموره أكثر مِن المعقول فيعتني عناية بالغة، حتَّى يُفاجأُ بمَلَك الموت على الأبواب، فالدنيا تغُرُّ وتضُرُّ و تمُرُّ، وهي مغامرة يجعل فيها الإنسان كلَّ مكتسباته، ويقولون: لا تضع البيض كلَّه في سَلَّة واحدة، فالغافل عن الآخرة وضع كلَّ مكتسباته في الدنيا فهذا مُقامر ومُغامِر،قال تعالى:

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16)﴾

[سورة السجدة]

لا يَركن للدنيا، لأنَّ الإنسان أحيانًا إذا تحصَّل على بيت جديد ترك دروس العلم، حتَّى يفرح بهذا البيت الجديد، لأنَّ استراتيجيَّته سرورُه أمَّا المؤمن فاستراتيجيتُه العمل الصالح،

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16)﴾

[سورة السجدة]

لا يركن، لأنَّ الركون إلى الدنيا خطير، فالإنسان يرتاح للملذَّات و الطعام و النعيم و النساء وينسى الآخرة حتَّى يأتيه الموت فجأةً فيُقلِق راحته، قال تعالى:

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ(45)﴾

[سورة الطور]

المعنى الضيّق ؛ النائم استيقظ لِيُصلّي، والمعنى الواسع ؛ أن لا يركن إلى الدنيا و لا يطمئنُّ لها، مرَّةً مِنَ المرات كنتُ في منطقة جميلة عند صديق له بيتًا فخمًا، فقال لي: هنا كان والدي، والبيت فيه كلَّ ما لَذَّ وطاب، المسبح والمناظر على سفح البحر، بموقع لا يُوصَف، مُزوَّدة بكل أشجار الفاكهة، ثم قال لي: جاءتْهُ أزمة قلبية فمات هنا والدي فتركتْ هذه القصة في نفسي أثرًا، أنتَ في أجمل مكان و تأكل ألذَّ الطعام و تجلس مع مَن تحب، فهل يدوم لك هذا ؟أبدًا لا يدوم، فعليك أن تبحث عن عمل ينفعك عند لقاء الله عز وجل،

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16)﴾

[سورة السجدة]

لا يركنون إلى الدنيا، قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

ومِن السهل أن تطمع في رحمة الله، ومن السهل أن تخافه، ولكنَّ المؤمن يطمع ويخاف، يرجو رحمة ربه و يخاف عذابه، فإذا زاد الطمع في الرحمة فقد يتكاسل الإنسان و يقعد، وإذا زادت الخشية، فقد يقع في اليأس، والله عز وجل يُقلِّب المؤمن بين الرجاء و الخوف، والمؤمن الصادق يدعو ربَّه خوفًا وطمعًا، ولو علمتَ ما ينتظر المؤمن مِن نعيم لَما يئِس من جنَّته أحدٌ، ولو علمتَ ما ينتظر الكافر من الجحيم لما طمع في رحمته أحدٌ، وقد قال سيَّدُنا عمر: **لو علمتُ أنَّ الله منْزِلٌ أنَّه سيعذِّب واحدًا من خلقه لظننتُ أنَّني أنا، و لو علمتُ أنَّ الله سيرحم واحدًا مِن خلقه لظننتُ أنِّي أنا** " هذا مِن شدَّة خوف المؤمن و مِن شدَّة رجائه، و قال أيضًا: **ليتَ أمَّ عمر لم تلد عمرَ** " و نحن نقول: الحمد لله الذي ولدتْ أمُّ عمر عمرَ، قال تعالى:

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16)﴾

[سورة السجدة]

واللهِ إنَّه وصفٌ جامعٌ مانعٌ، إذا ذُكِّر بآيات ربِّه خرَّ ساجدا سجودَ تعظيم يُنزِّه الله عمَّا لا يليق به و يمجده و يتصل به، و لا يستكبر عن عبادته و لاعن طاعته و لا يركن إلى الدنيا و يدعو ربَّه خوفًا وطمعًا و ينفق ممَّا رزقه الله، فهذه الصفات أُدرُسها وحلِّلها ثم انظُر مدى انطباقها عليك فإذا وجدتَ انطباقًا فاحْمَدِ الله عز وجل على أنك مؤمن و إذا لم تجدْ انطباقا فتحرَّكْ نحو الانطباق. اخترتُ هذه الآية لأن فيها وصفًا دقيقًا للمؤمن، يسبِّح و ينزِّه ويمجِّد و يتَّصِل ويحمد الله عز وجل و لا يستكبر عن عبادته و لا يركن إلى الدنيا و

يدعو ربَّه خوفًا و طمعًا وينفق ممَّا رزقه الله هذا هو المؤمن، حتَّى لا يدَّعي أنَّه مؤمن وهو ليس كذلك، فعليه بقراءة هذه الآية ولتَكنْ له شعارًا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-6) : تفسير الآية 18

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثامنة عشرة من سورة السجدة وهي قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)﴾

[سورة السّجدة]

أيُّها المؤمن ؛ أُنظُر إلى حال المؤمن، انظر إلى صدقه و إلى عفافه و أمانته وانظُر إلى وفائه بوعده وإلى تواضعه و إلى إنصافه وإلى تربية أولاده و انظُر إلى نورانية وجهه وانظُر إلى بيته وإلى تجارته، تجد بَوْنًا شاسعًا بينه وبين الكافر الذي يخلف وعده و يظلم ويتكبَّر و يكذب ويخون و يعتدي على أموال الناس و على أعراضهم، وتُسوِّل له نفسه كلَّ شيء، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)﴾

[سورة السّجدة]

ما دُمنا في هذا الموضوع فهناك آيات كثيرة تشير إلى هذا الحقيقة، قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى(9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (10)﴾

[سورة العلق]

أُنظُر إلى الذي ينهى العبد إذا صلى، أُنظُر إلى بيته وإلى تربية أولاده و إلى صدقه و استقامته، وثَمَّةَ معنًى دقيقًا، وهو أنَّ الذي ينهى عبدًا إذا صلى و ترى دناءته وخِسّته و ترى إخلافَه لوعده و ترى أكاذيبه وترى نفاقه، هذا أحقر مِن أن تناقشه، و حينما تُصغي إليه و تناقشه تحترمه وهو أقلُّ مِن ذلك، لذلك فعل الإنسان السَّيِّء يُلغي فكره.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)﴾

[سورة السّجدة]

قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(21)﴾

[سورة الجاثية]

أيُّها الإخوة، أريد أن أُطمئِنكم، أنَّ الذي يخشى الله ويستقيم على أمرهِ و يرجو رحمته و يخشى عذابه ويسعى لمرضاته و يتقرَّب إليه و يتحرَّى الحلال في دخله و سعى في إنفاقه، أنْ يُعامل هذا الإنسان الشريف المؤمن الطائع المستقيم مُعاملةَ الفاسق الفاجر، واللهِ هذه المقولة تتناقض مع وجود الله، حدَّثني مرَّة أخٌ طبيب زارنا في المسجد أنَّه تخرَّج على يده خمسون جيلاً مِن الأطبَّاء، ثم جاءتْه امرأة يومًا معها سرطان الثدي، قال: غضبتُ أشدَّ الغضب مِن زوجها إيَّاها على إهماله إيَّاها، قلتُ له على انفراد: أنتَ مجرم في حقِّها، قال: و لِمَ؟ قلتُ: هذا السرطان في بدايته معالجته سهلةٌ جدًّا، هناك استئصال و معالجة كيميائية، أمَّا أن تترك الزوجة إلى أن وصل الأمر إلى مشارف الموت، فأنت في حق امرأتك مجرم، فقال لي هذا الزوج: لكن نحن عند فلان منذ عام أو أكثر و ما قال لنا إنَّه سرطان ثدي، فهمس في أُذني قائلاً: يا أستاذ إنَّ الطالب في الصف الأوَّل يعف أنَّ هذا سرطان، لكن أراد هذا الإنسان غير المؤمن و غير المنضبط أن يبتزَّ هذا المريض، إلى أن تفاقم الأمر فصار الأمر إلى الموت، يقول لي هذا الطبيب: حينما علم هذا الزوج أنَّ الطبيب الأول قد ابتزَّ ماله ولم يخبرهم بالحقيقة في الوقت المناسب وقع على الأرض واضطربت أعضاءه وقال: يا ربِّ إذا كنتَ موجودا فانتقم منه، ثم انصرف و بعد أسبوع تُوفيتْ امرأتُه، والقضية نسيها الطبيب، ثمَّ أخبرني الطبيب أنَّه جاءه شابٌ بعد أحد عشر شهرًا مُنهارًا فجلس على المقعد الذي جلس عليه الزوج قبل أحد عشر شهرًا، فسأله الطبيب ؛ ما الأمر ؟ فقال له: أنا زميلك الطبيب الفلاني عندي سرطان في الصدر، يقسم بالله العظيم أنَّ خبرة هذا الطبيب أكثر من سبعين سنة، و الورم عمره أحد عشر شهرًا، ففي الوقت الذي وقع فيه الزوج على الأرض و يقول: يا ربِّ إن كنتَ موجودًا فانتقم منه، مات الطبيب بعد أشهر !

فيا أيُّها الإخوة، والله إنِّي أُرَدِّد هذه الآية آلاف المرات، ولا أرْتَوي منها، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)﴾

[سورة السّجدة]

المؤمن صادق، وناصِح، ومنْصِف، ووقّاف عند حُدود، والمؤمن لا يظْلم ولا يغشّ، ومُتواضِع أقول لكم: هذه الحقيقة ؛ أنْ يُعامِل الله المؤمن كالفاسق، أو أن يُعامِل الفاسِق كالمؤمن، إن في الحياة الدنيا وإن في الآخرة، فهذا يتناقض لا مع عدالة الله بل وُجود الله ! فما دام الله مَوْجودًا فلن يُعامِل المؤمن كالفاسق، قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(21)﴾

[سورة الجاثية]

وقال تعالى:

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(35) ﴾

[سورة القلم]

أين عَقْلُكم ؟ مسْلمٌ عقيدتُهُ صحيحة، ويُصَلّي ويصوم، ويخاف الله، وأمين وعفيف، ويُرَبّي أولاده ؛ هذا مُسْلم، أفيُعامَل كالمُجْرِم ؟! لا.

آية رابعة، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

ضَرَبْتُ مثلاً فقلْتُ: لو أنَّ إنسانًا معاشُه ألف وثمان مائة فقط ! وله ثمانِيَة أولاد، وبيْتُهُ بالأُجْرة، وعليه دَعْوَة أخلاق، وله عمّ عقيم ويمْلكِ خمسمائة مليون، ماتَ بِحَادِث فجْأةً، فهذه الثَّرْوَة لِمَن ؟؟ لِهذا الفقير، إلا أنَّه لم يتمكَّن مِن قبْض هذا المبْلغ إلا بعد سنة ؛ براءات ذِمَّة ومُعاملات، وتركات...فلِماذا هذا الفقير المُعْدَم، الذي لا يمْلِكُ قوتَ يَوْمِهِ، يدْخُل في سعادةٍ لا توصَف ؟! فما غيَّر بيْتَهُ، وما اشْترى مرْكَبَةً، وما غيَّر ملابِسَهُ، فَلِمَ الفرَح ؟! لأنَّهُ دخَلَ بالوَعْد، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(111)﴾

[سورة التوبة]

واللهِ لزوال الكون أهْوَنُ على الله ممَّن لا يَفِي بِوَعْدِهِ للمؤمن، فالله قال لك: أنت مِن أهل الجنَّة إن فعلْتَ كذا وكذا، ولِذا هذا الوَعْد يمْتصُّ كلّ مُشْكِلَة، فالمؤمن يُعاني مِن ضيق اليد، والمرض أحْيانًا، وذاك زوْجته ليسَتْ على ما يُرام، أولاده مُتَشَرّدون، مُشْكِلات كثيرة، فهذه المُشْكِلات تَمْتَصُّها عقيدة المؤمن الذي وَعَدَهُ الله بالجنَّة، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

يقول الله عز وجل:

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ(60)﴾

[سورة القصص]

لو معَكَ ألف مليون فهذا مِنْ شيءٍ ! فالآية الأولى

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)﴾

[سورة السّجدة]

والآية الثانية:

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(35) ﴾

[سورة القلم]

والآية الثالثة:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(21)﴾

[سورة الجاثية]

والآية الرابعَة:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

لذلك أيُّها الإخوة، إذا كنتَ مُسْتقيمًا على أمْر الله فما عليك إلا أن تتفاءَل، وتسْتَبْشِر واعْتَقِد أنَّ المستقبل لك، وهو لِصالِحِكَ لأنَّ الله تعالى يقول:

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(128)﴾

[سورة الأعراف]

فالأُمور تَدور، يصْعَدُ أُناسٌ ويهْبِطُ أُناس، ويتَّسِعُ الأمْر ويضيق الأمْر ولا تسْتَقِرُّ الحياة إلا على إكرام المؤمن.

لو قرأتَ تاريخ النبي عليه الصلاة والسلام مع أصْحابِهِ الكِرام، ومع كُفَّار قريش ؛ ثلاثة وعشرون سنة مِن المُضايقات، والإخراج والهُجوم أين هؤلاء الكفار الآن ؟ وأين أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ؟ قال تعالى:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ(46)﴾

[سورة غافر]

مضى على آل فرعون ستَّة آلاف سنة ! فالإنسان إذا تمتَّع بالحياة تمَتُّعًا طارئًا، ليس معنى هذا أنَّهُ ذكِيّ أو فَطِن ! فالله عز وجل كبير الموضوع الذي يُذاع اليوم في الإذاعات؛ جُنون البقر ! أنا قرأتُ مقالة في جريدة خليجِيَّة قبل عامَيْن ؛ الخبَر لا يُصَدَّق، فقد تمَّ إعْدامُ عشرين مليون رأس غنَم مِن أجل الحِفاظ على السِّعْر المُرْتَفع ! فهؤلاء الوُحوش ؛ كَم هناك مِن الشُّعوب التي تموت بالجوع ؟ عشرين مليون رأس غنَم يَتِمُّ إعْدامُها في أسْتراليا، حينما يفْعَل الكافر هذا يضْطرُّه الله تعالى إلى إعْدام، وهذا الإعْدام كان خسارة إحْدى عشرة مليون بقرة، وخسارتهم ثلاثة وثلاثون مليار جُنَيْه إسْترليني !! هذه مِن آيات الله تعالى الدالة على عَظَمَتِهِ. الشيء الآخر أنَّ الله مُصَمِّم البقرة نَباتي، فَكُلّ حيَوان نُطْعِمُهُ هو في أصْله نباتي، فَهُؤلاء أطْعموا البقر: الدَّم النَّجِس، والأمعاء والجُلود تُرْحل وتوضَع في صيغة مأكولات للبقر، مُدَّعِين بِهذا أنَّ فيها مواد بروتينيَّة، فحينما نُغَيِّر خلق الله ندْفَعُ الثَّمن، فإلغاء الشَّرْع وإعْمال العقْل دفَعَهم إلى هذه الخَسارة، والأمْر الآخر أنَّ البقَر مُذَلَّل، فالله يخرق هذه القاعِدَة بِمَرض جُنون البقر، وهذا مرض قديم وليس جديدًا فالبقرة إذا جُنَّتْ كان لِزامًا على صاحِبِها أن يطلق عليها النار وإلا قتَلَتْ الناس !

أيها الإخوة، إنّ الأخبار التي نسْمَعُها اليوم يُمْكِنُ أن تُوَجِّهها توجيهًا تَوْحيدِيًّا، فالله مَوْجود، وهذه الأُمم الظالمة التي تَكيد للشُّعوب ستُعَذَّب في الدنيا، ففي أمريكا كل عشْرة ثواني يموت إنسان بالإيدْز وجامعات ومُؤسَّسات ومخابِر مَكْتوفة الأيدي أمام هذا الفيروس الذي لا يُرى بالعَين.

أيها الإخوة، الآيات مُسْتمرَّة والله يُظْهرها إلى يوم القيامة، والآيات لا تنقَطِع، وموضوع الدرس اليوم مُوازنة، فالآية الأولى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)﴾

[سورة السّجدة]

والآية الثانية:

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(35) ﴾

[سورة القلم]

والآية الثالثة:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(21)﴾

[سورة الجاثية]

والآية الرابِعَة:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-6) : تفسير الآية 21

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الواحدة والعشرون من سورة السجدة وهي قوله تعالى:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21)﴾

[سورة السجدة]

الحقيقة أنَّ العذاب الذي يُصيب الإنسان في الدنيا له في الإسلام فلْسفة فلا أحَدَ يُنْكِر أنَّ عذابًا يقعُ بالإنسان، لكنَّ الفرق بين المؤمن وغير المؤمن في تفسير هذا العذاب، فللمصائِب تصَوُّرات وفلسفةٌ دقيقة في عقيدة المسلم، وهذه الآية تُشير إلى طرَفٍ مِن فلسفة المُصيبة فالعذاب الذي يُصيب المؤمن في الدنيا هو تَكْفيرٌ لِذُنوبِهِ، والعذاب الذي يُصيبُ الكافر في الدنيا رَدْعٌ له عن كُفْرِهِ، أو قصْمٌ له، والحقيقة أنَّ البشَر على ثلاثة أصْناف ؛ صِنْفٌ كافر، و صِنْف مؤمن، والأنبياء صِنْف ثالث، فمصائِبُ المؤمن مصائِب قصْمٍ، وردْعٍ، فالله سبحانه وتعالى إذا أنْزَل بالكافِرِ مُصيبةً ولم يُهْلِكْهُ بها، معنى ذلك أنَّه أعْطاهُ فرْصَةً ومُصيبة القصْم، حينما قال الله تعالى:

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(36)﴾

[سورة هود]

فحينما يعْلمُ الله عز وجل أنَّ هذا الكافر لن تزيدَهُ الحياةُ إلا كُفْرًا، ولن يزيدَهُ العُمْر إلا طُغْيانًا، عندئِذٍ يقْصِمهُ الله تعالى، أما حينما يعْلم الله عز وجل أنّ هذا الكافر يُمْكِنُ أن يرْتَدِع، حينها يُنْزِلُ به مُصيبَةً ولكن لا يقْصِمُهُ، بل يوقِعُ بِهِ أشَدَّ الألَم فلعلَّهُ يعود، فمصائِبُ الكفار مصائِب قصْمٍ، أو رَدْعٍ، أما المؤمنون فَمَصائِبُهم مِن نوعٍ آخر، قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ(155)﴾

[سورة البقرة]

أما الكافر، فقد قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)﴾

[سورة الأنعام]

هذا هو القصْم، يُعْطيه الله الدنيا كما يشْتهي، أبواب كُلِّ شيء ثمَّ يقْصِمُهُ مرَّةً واحِدَة، وأحيانًا يرْدَعُهُ ردْعًا شديدًا، ومعنى يرْدَعُهُ أن يُعْطيهِ فُرْصَةً لِيَعود إلى الله، أما المؤمن فكما قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ(155)﴾

[سورة البقرة]

عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ:

((مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ قَالَتِ الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا فَقَالَ لَا تَسُبِّي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))

[رواه مسلم]

وَعزَّتي وجلالي لا أقبضُ عبدي المؤمن وأنا أُحِبّ أن أرْحَمَهُ إلا ابْتَلَيْتُه بِكُلّ سيِّئةٍ كان عملها سُقْمًا في جسَدِهِ وإقْتارًا في رِزْقِهِ، أو مصيبَةً في ماله أو ولدِهِ حتَّى أبْلُغَ منه مثل الذَّر، فإن بقِيَ عليه شيء شدَّدْتُ عليه بِسَكرات الموت حتَّى يلقاني كيَوْمَ ولدَتْهُ أُمُّه، فالمؤمن المصائب له للتَّطْهير، ولِكَي تَدْفعَهُ إلى الله بِسُرْعة، فَيُمْكِنُ أن تَجِدَهُ مستقيمًا، ولكنَّ سرْعَتَهُ إلى الله تعالى بطيئَة فتأتيهِ المصيبة لِتَدْفَعَهُ إلى باب الله تعالى دَفْعًا، ومُسْتقيمٌ وينطلِق فيُريدُ الله تعالى أن يُعْطِيَهُ أجْرًا مُضاعفًا، فيَرْفَعُهُ بهذه المُصيبة، فمصائِب المؤمن تَطْهير ودَفعٌ ورفْعٌ لذلك قال: ما مِن عثْرَةٍ ولا اخْتِلاجِ عِرْق، ولا خَدْش عودٍ، إلا بما قدَّمَت أيديكم، وما يعْفو الله أكثر، قال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(30)﴾

[سورة الشورى]

وقال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

(سورة النِّساء)

الكَون مُسَخَّرٌ تسْخيرين ؛ تسْخير تعريف، وتَسْخير تَكريم، فالأوّل يقتضي أن تُؤمن، والثاني يقتضي أن تشْكر، فإن آمَنْت وشَكَرْتَ ماذا يفعل الله تعالى بِعذابِك ؟! فالإنسان إذا آمَنَ وشَكَر فقد حقَّق المُراد الذي مِن أجلِهِ خُلِق.

هذه الآية تُشير إلى فلسفَةِ العذاب.

من هنا قال الإمام عليّ رضي الله عنه: **يا بنيّ، ما خيرٌ بعده النار بِخَيْر، وما شرٌّ بعده الجنَّة بِشَرّ ! وكلّ نعيمٍ دون الجنَّة مَحْقور، وكلّ بلاءٍ دون النار عافِيَة !** فالإنسان إذا وصَلَ إلى القبْر طاهِرًا ومُعافًى مِن كلّ ذَنْب فقد ملَكَ الآخرة، فالعِبْرة لا أن ترى إنسانًا صحيحًا، وينتظِرُه عذابٌ في جهنَّم إلى أبد الآبدين، فالعِبْرة أن يَصِل الإنسان إلى القبر وقد غفر الله له ذُنوبَهُ، فَمِن هذا المنطلق تُصبِحُ المصيبة للمؤمن رحْمة، رُبَّما أعْطاكَ فَمَنَعَك، وربَّما منَعَك فأعْطاكَ، وقد يكون المنْع عَيْنَ العَطاء، قال تعالى:

﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(216)﴾

[سورة البقرة]

فالإنسان إذا قرأ هذه الآية وعاشَها لا يَنْدَمُ على ما فات، ولا يَخْشى على ما هو آت، قال تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

المؤمن أيُّها الإخوة يعيشُ في راحَةٍ نفْسِيَّة وثقَة بالله عز وجل، وفي طمأنينة ما لو وُزِّع على أهل بلدٍ لكفاهم، فهذه الآية وهي قوله تعالى:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21)﴾

[سورة السجدة]

فالمرض عذابٌ أدْنى، ومجموعة أمراض هي مِن العذاب الأدنى فشَل كَلَوي، وسرطان بالدَّم، ودسَّم مَعْطوم بالقلب، مهما كان المرض وبيلاً إذا قيسَ بِعَذاب النار فَهُوَ أدنى، ومهما كان الفقْر مُدقِعًا إذا قيسَ بِعَذاب النار فَهُو أدنى، ومهما كان الخوف شديدًا فإذا قيسَ بِعَذاب الله فَهُوَ أدْنى فالله تعالى سمَّى هذا العذاب أدنى بالنِّسبة لِعَذاب الآخرة، فإذا يسَّر الله للإنسان عِلاجات حكيمة، وعاد بها إلى الله ووصَل إلى القبْر طاهِرًا وتائِبًا فهذا مِن أسْعَدِ الناس، أما الذي يَحْيى قَوِيًّا وغَنِيًّا، يموتُ عاصِيًّا فَهذا أشْقى الناس، والعِبرة بالخواتيم، وإذا أحبَّ الله عبْدَهُ ابْتَلاه، أما إذا أبْغضَهُ حينها يُخْرِجُهُ مِن مُعالَجَتِهِ، فإذا ابتلاه وصبَر اجْتباه، فإن شَكَر اِقْتناه، والإمام عليٌّ كرَّم الله وَجْههُ يقول: **الرِّضا بِمَكروه القضاء أرْفَعُ درجات اليقين !** وصَدِّقوني أيها الإخوة أنَّ الإنسان إذا جاءَتْهُ مُصيبة وهو يعْلم أنَّها مِن الله تعالى، ويقول: يا ربّ لك الحمْد فقد نجَحَ، وهذا أفْضَل ألف مرَّة مِن الذي لم تأتِه المصيبة وكفَر.

أيها الإخوة، قال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ(166)﴾

[سورة آل عمران]

قال:

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(11)﴾

[سورة التغابن]

يهْدِ قلبَهُ إلى حِكْمتها، الآن عندنا موضوع ثانٍ ؛ أنت أبٌ، وعندك ابنٌ أخطأ خطأً كبيرًا ورأيْتَ أنَّهُ مِن الحِكْمة أن تُؤَدِّبهُ فضَرَبْتَهُ وهو يصيحُ بين يدَيْك ؛ هل تبْقى ساكِتًا ؟ أم ماذا ينبغي أن تقول وأنت تُؤَدِّبُهُ ؟ ينبغي أن تذْكر له ذَنْبَهُ، لأنَّ إن لم تذْكر له ذَنْبه فما أدَّبْتَهُ، لأنَّه لا يعْلم لماذا ضَرَبْتَهُ، فَمِن لوازِمِ التَّرْبيَة أن تُذَكِّر المُعاقَب بِذَنْبِهِ، طيِّب الله عز وجل لمَّا يُعاقِب الإنسان ؛ كيف يُذَكِّرُه بالذَّنْب ؟ أحدُ هذه الوسائل أن يُلقي الله تعالى في روعِهِ أنَّ هذا الذَّنْب مِن أجل كذا ؛ جاء زبون لِمَعمل فطلب ستَّة قِطَع فقط، والمعمل لا يبيع إلا بالجُمْلة فرفضَ صاحب المعْمَل بيْعَهُ بِكِبَرٍ ؛ فأدَّبَهُ الله تعالى بِأَن حرم عليه الزَّبائن قرابَة شَهْر ! فلم يعرف صاحب المعمل السَّبب ! فألقى الله تعالى في روعِهِ ؛ لماذا طَرَدْتَ فلانًا ؟؟ فأوَّل شيء أن يُلقي الله تعالى في روعِكَ الذَّنب، وأنَّ هذا مِن أجل هذا، أحدهم أمضى حياته كلَّها بالمرض ففي أحد المرات كأنَّه عاتب الله تعالى: فأُلْهِمَ أنَّه يا عبدي لولا هذا المرض لما كنت في هذا الحال مِن الطاعة ! فأحَدُ الوسائل التي يُعلِمُ بهال الله عبْدهُ حينما يبْتليهِ بِمُصيبة يُلقي في روعِهِ ويُسَمُّون هذا وَحْي إلهام قال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7)﴾

[سورة القصص]

قال تعالى:

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(11)﴾

(سورة التغابن)

أي إلى علَّة هذا الذنب.

أيُّها الإخوة الأكارم، أتمنَّى عليكم و أتمنَّى على نفسي إذا أصابت الإنسانَ مصيبةٌ أن لا يبقى ساكتا، بل لا بدَّ له أن يبحث، لماذا أُصِبتُ بهذه المصيبة ؟ و أحيانا يهتدي إلى سبب وجيه ويرى عدالة الله عز وجل وأحيانا طبيعة المصيبة تشير إلى سببها، مثل أن تمنعه زوجته دفع الزكاة، فوقع لسيارته حادث وأخذها للمصلِّح، ودفع أجرة التصليح نفس المبلغ الذي لم يخرجه للزكاة، أنت بخلتَ بدفع الزكاة فأُصيبتْ سيارتك بعطب فدفعتَ المال بلا طائل، و المتكبِّر يهينه الله و المسرف يفقره الله، و أحيانا المصيبة تكون من جنس الذنب، فإمَّا أن يلقي الله في رُوعِك أنَّ هذه من أجل كذا، وإمَّا أن يأتي المُصابُ من جنس الذنب فتعلم أنَّه من أجل كذا، ما أصابك من شيء، من عثرة ولا اختلاج عِرق و لا خدش عود إلاَّ ما قدَّمت أيديكم وما يعفو

الله أكثر، و لابدَّ أن تناجي الله عز وجل وتقول: يا ربِّ أنا راضٍ بقضائك و لكن أحبُّ أن أعرف السبب حتَّى لا أعود إليه مرَّةً ثانية أنت عندما تبحث عن سبب المصيبة فلستَ تعترض على الله، و لكنْ حتىً لا تقع في ذاك السبب مرَّةً ثانية لأنَّه مَن وقع في حفرةٍ مرَّتين فهو غبيٌّ، و ليس العار أن تخطِئ ولكنَّ العار أن تبقى مخطئًا، فالمصائب لها حِكم، فللكفار ردعٌ و قصم وللمؤمنين تطهير و رفع و دفع، أمَّا الأنبياء فكما قال عليه الصلاة والسلام:

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

((قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ))

[رواه الترمذي]

أنت عندك سيارة قوَّةُ محرِّكها ستَّةٌ وسبعون حصانًا، و هذه القوَّة لا تبدو في طريق سهل و لا في انحدار،وإنَّما تبدو في الصعود، فأحيانًا تأتي المصائب للأنبياء حتَّى تكشف حقيقة نبوَّتهم ومحبَّتهم لله عز وجل .

قبل أن آتي إليكم كنتُ أطالع في السيرة قصة رجل من الأعراب آمن مع رسول الله و دخل معه غزوة وانتصر النبي الكريم مع أصحابه ووُزِّعت الغنائم، قال:

((ما هذا ؟ قال له: غنائم، قال: ما على هذا اتبعْتُك، إنما اتبعتُك على الذبح، فأكبَرهُ النبي عليه الصلاة والسلام، وفي غزوة قادمة جاءه سهمٌ فأرْدَاه قتيلاً، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: آتوني به، قال: أَهُوَهو، قالوا: هوهو يا رسول الله، فبكى النبي عليه الصلاة والسلام ثمَّ قال: اللهمَّ إنّي أشهد أنَّه قاتل في سبيلك فالإنسان أحيانا يقدِّم عملاً عظيما، فبلغتْ درجة محبَّته لله عز وجل لا يريد إلاَّ الامتحان، فامتحنه الله ومات شهيدا، فالمصيبة للكافر ردع و قصم وللمؤمن تكفير و دفع ورفع وللأنبياء كشف فقط، الواحد من عامة الناس أو من المؤمنين إذا أسأت له إساءةً بالغة يتمنَّى أن يُقطِّعك إرْبًا إربًا، و قد أساءوا للنبي عليه الصلاة و السلام في الطائف و كذَّبوه و سخروا منه، فجاءه جبريل عليه السلام فقال له: يا محمد، أمرني ربِّي أن أكون طَوْع إرادتك، ولو شِئتَ لأطبَقتُ عليهم الجبلين، قال عَبْدُ اللَّهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))

[رواه البخاري]

بإمكانه أن يقضَي عليهم كلِّيًّا و يُبِيدَهم عن آخرهم، هذه هي مصائب الأنبياء.

الدرس (5-6) : تفسير الآية 22

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثانية والعشرون من سورة السجدة وهي قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآَيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)﴾

[سورة السَّجدة]

أيُّها الإخوة الكرام، ألاَ تثير هذه الآية تساؤلاتٍ كثيرة، و من أظلم "مَن " هنا استفهامية , "أظلم " اسم تفضيل، أي، ليس في الأرض كلِّها إنسانٌ أشدُّ ظلما لنفسه و لغيره.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآَيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)﴾

[سورة السَّجدة]

الله جلَّ جلاله له آيات كونية وله آيات تكوينية وله آيات قرآنية، و الآيات جمعُ آيةٍ، وهي العلامة الدالَّةُ على عظمته والله تعالى لا تدركه الأبصار، ولكنَّ كلَّ شيء حولك يشير إليه، لا تدركه الأبصار ولكنَّه في كلِّ شيء آيةٌ تدلُّ على أنَّه الواحد ؛ له آيات كونية كالمجرَّات والشمس والقمر والليل والنهار، طعامك وشرابك والنبات و الحيوان و الجبال والبحار والأنهار والينابيع، خَلْقَك عضلاتك و عظامك و دماغك، والأعين والسمع والبصر والقلب والرئتين، كلُّ ما في الكون يدلُّ عليه و على وجوده ووحدانيته وكماله هذه الآيات الكونية، وهناك الآيات التكوينية ؛ أفعاله، أحيانًا يُغَيِّر العبادُ خلق الله، فيكون ثمَّة ردعٌ من الله، والله تعالى خلق المرأة و الرجلَ وجاء الإنسانُ و تعامل مع الذكر، فانتشر مرضُ الإيدز، أرأيتم إلى هذه الآيات، كل يوم فيه آية وهي من أفعاله، الإيدز أكبر آية دالَّة على عظمته، فكلُّ من خالف الفطرة فسوف يدفع الثمن باهظا، وكلُّ مَن غيَّر خلق الله، إنْ في الحيوان وإنْ في النبات فإنَّه يدفع الثمن باهضًا.

أيُّها الإخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(53)﴾

[سورة فصلت]

آيات مستمِرَّة تصوَّروا أنَّ خمسة وثلاثين صناعيا من الدرجة الأولى يموتون في حادث طائرة، لأنَّ الله أقوى، ومهما رأيتَ جهة قويَّةً فهو أقوى الشمس والقمر والنجوم وخلق الإنسان، هذه آياته الكونية، مرض الإيدز وجنون البقر، تفحُّم القمح والزلازل والبراكين وشُحُّ الأمطار في جهة والسيول من جهة ثانية، هذه من آياته

التكوينية، وهذا الكتاب آياته القرآنية، ذكرتُ مرَّة أنَّ مجرَّةً تبعد عنَّا ثلاثمائة بليون سنة ضوئية و ذكرنا أنَّ بشبكية العين مائة وثلاثون مليون عُصيَّة ومخروط وذكرنا أنَّ العصب البصري فيه تسعمائة ألف عصب و ذكرنا أنَّ في الدماغ مائة و أربعين مليار خلية سمراء لم تُعرَف وظيفتُها بعد و ذكرنا أنَّ في الغُدَّة النخامية اثني عشر مفرزًا هرمونيًّا و الغدَّة ملكة الغدد ووزنها نصف غرام،

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآَيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)﴾

[سورة السَّجدة]

ذكَّرناه بآياته الكونية، فما بالى، وآياته القرآنيَّة فما بالى، فقوله: ومَن أظلم ؛ أيْ ليس في الأرض كلِّها إنسانٌ أشَدُّ ظُلْمًا لِنَفسِهِ ولغَيْرِهِ مِمَّن ذُكِّر بآيات ربِّه ثمّ أعْرَض عنها، بِرَبِّكم ما معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)﴾

[سورة السَّجدة]

أيْ مِن هؤلاء الذين ذُكِّروا بآيات ربِّهم ثمَّ أعْرضوا عنها ؛ هؤلاء هم المُجرمون، فهَل يُسَمَّى الإنسان مُجْرِمًا إن أعرض عن ذِكْر الله تعالى ؟ هكذا سَمَّاه الله، والإنسان إذا ذُكِّر بآيات الله ولم يعْبأ ولم يُعَظِّم ولم يخْشَ الله، فسَوف يتحرَّك إلى الشّهوات، وله قِوى انْدِفاعِيَّة كبيرة جدًّا حُبّ المال والنِّساء، والعُلو في الأرض، فَمِن دون روادِع، ومن دون مكابِح، ومن دون إيمان وخوف من الله، فَمِن لوازِم الغفْلة عن الله تعالى، وعدم الاكْتِراث بآيات الله وبالتالي عدم الاكْتِراث بِوُجود الله تعالى، سوف ينْحَرِف الإنسان لأنّ أساس الإنسان الحركة، وليس السُّكون، فالطاوِلة أساسها السُّكون لأنَّها مُعْدمة من الشّهوات، فهِيَ لا تشْتهي أُخْتَها، ولا تأكل ولا تشْرب ولا تتزاوَج، أما كلّ مَخْلوق فيه شَهَوات فَهُوَ حركي، فالشَّهْوة تسْتلزم الحركة يلزمه مال، ولا يهمه كيف جمعَه من حلال أو من حرام، فمادام هناك شهوة فهناك حركة ومادام هناك حركة بغير منهج فهناك ظلم وجريمة، قال تعالى:

﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)﴾

[سورة السَّجدة]

و قد سمعتُ قبل أسابيع أنهم أعدموا سبعة أخذوا صائغًا وقتلوه هو وابنه وصهره ودفنوهم وأخذوا ثلاثة عشر كيلو ذهبًا، هم بشر لهم شهوات مستعرة وما عندهم منهج وفيه غفلة عن الله، فهناك كسب للأموال غير مشروع، إذا غششْتَ الناس في البضاعة أو احتكرتها وقعتَ في المعصية.

فيا أيُّها الإخوة، الآية خطيرة جدًّا، و الإنسان إذا ذُكِّر بآيات الله الكونية أو التكوينية أو القرآنية فاتَّعظ وعرف أنَّ لهذا الكون خالقًا ولهذا الكون مربّيًا و مسَيِّرًا و أنَّه على كلِّ شيء قدير وأنَّه سميع بصير و أنَّه يعلم السِّرَّ و أخفى وأنَّه سيُحاسِب في الآخرة فينضبط الإنسان، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآَيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)﴾

[سورة السَّجدة]

فأيُّ إنسان ذُكِّر بآيات ربه ثم أعرض عنها ينقلب إلى مجرم في حقِّ نفسه إذْ ضيَّع الآخرة من أجل الدنيا، ضيَّع الأبد مِن أجل سنوات يقضيها في الهموم والتعب، ولم يعبأ بمرضاة الله سقط من عين الله من أجل الدنيا:

فحينئذٍ لا خِيارَ لنا، فإمَّا أن نؤمن بالله من خلال آياته الكونية والتكوينية والقرآنية و نؤمن بمنهجه و نطبِّقه، وإمَّا سوف نتحرَّك حسب ما تملي غرائزُنا و شهواتنا، والحركة بدافع الغريزة فيها معها عُدوان، فإذا نظر الإنسان إلى امرأة لا تحلُّ أو أقام علاقة مع امرأة لا تحلُّ له، أليس هذا عدوانًا، و إن أخذ شيئًا ليس له أليس هذا عدوانًا فاستعار الشهوات والحركة بدافع الشهوة ؛ مِن لوازمها الجريمة سواء كانت مخفَّفة كالجريمة المدنية أو جريمة جنائية وفي الحالين فهي جريمة، فالذي يغشُّ الناس مجرم، والذي يضع الإنسان في العناية المشدَّدة عشرين يومًا و هو يحتاجها ليوم مجرمٌ، والدفع لذلك المال و قد نُشِر مرة في جريدة عن طبيب عمل عملية جراحية فورية لا حاجة فيها بمبلغ ضخم فهو مجرم ولو كان مثقَّفًا ثقافة عالية، فمادام هناك شهوات مستعرة وحركة بدافع الشهوة حدثت جرائم، إمَّا مُخفَّفة لا نشعر بها نحن، أو جريمة واضحة كالقتل، أمَّا فالكلُّ مجرم، و مرة قال لي طبيب: جاءتني امرأةٌ مع زوجها مريضة بالسرطان، فانفردتُ بالزوج وقلتُ له: أنتَ مجرم، قال: ولِمَ ؟ قلتُ لأن السرطان في أوَّله يُمكن أن يُعالج، وأنت تاركٌ زوجتك إلى هذه الدرجة، فالسرطان في أوَّله يكون كَحَبَّة العدس ثمَّ يتطور ويكبر إلى حجم حبَّة الحمص وأدْنى طبيب بالسَّنة الأولى يَكْشِفُه و يتعالَج بالأشِعَّة أو الاسْتِئصال، و ذاك الطبيب يعالجها منذ سنتين بالمسكِّنات وهو يعلم أنَّه سرطان و ما عنده العملية، ومات ذاك الطبيب بنفس المرض و انتقم الله منه،

﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)﴾

[سورة السَّجدة]

و لا تستكبر كلمة مجرم فهناك ملايين من المجرمين، انكشف منهم القليل، أمَّا البقية فكلُّ انحراف عن منهج الله فهو جريمة، فبالحدِّ الأدنى ففي حقِّ نفسك، وهذا العمل حجبك عن الله، وصار الإنسان ملعونًا واللعن هو الطرد من رحمة الله و الإبعاد عنه و هو عقوبة كبيرة جدًّ، لعنهم الله والملائكة والناس أجمعون، لذلك الآية:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآَيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)﴾

[سورة السَّجدة]

والانتقام في الدنيا قبل الآخرة،، فكلَّما كبُر عقل الإنسان كلما استقام أكثر، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ(1)﴾

[سورة المجادلة]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ(14)﴾

[سورة الفجر]

و أحيانا تدخل صالة مراقبة تلفزيونيًا، هل تستطيع أن تسرق؟ فإذا كنتَ مع إنسان يرقبك تنضبط معه فكيف مع الله الذي قال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(1)﴾

[سورة الأحزاب]

أيُّها الإخوة، الآية دقيقة جدًّ:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآَيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)﴾

[سورة السَّجدة]

و مع ذلك أنَّ كلَّ إنسان ذكِّر بآيات الله ثم أعرض عن هذه الآيات و تحرَّك وفق شهواته وغرائزه لا بد أن يعتديَ عن الآخرين وأن يعتديَ على نفسه التي بين جنبيه، فهذا سمَّاه الله مجرما، قال تعالى:

﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)﴾

[سورة السَّجدة]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-6) : تفسير الآيات 28-30

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية التاسعة والعشرون، والتي بعدها مِن سورة السَّجدة، وهي قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (30)﴾

[سورة السجدة]

هاتان الآيتان تُشيران إلى معنى خطير جدًا ؛ الفَتْحُ هو النَّصْر بِمُطْلَق معانيه، فَيَوْمُ القيامة هو يوم الفَتْح، وفيه تنْكشف الحقائق، ويظْهر الحق أبلج، وسيختفي الباطل ويسقط، وإذا نصَر الله دينه في الحياة الدنيا فهذا يوم الفتْح.

الفتْحُ هو النّصر، فهم يقولون: متى هذا الفتْح اسْتِهزاءً ! الجو بدقيق جدًا، قال تعالى:

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29)﴾

[سورة السَّجدة]

لو أنَّ أستاذًا قال لِطُلّابِهِ غدًا مُذاكرة، وسوف يكون لها تأثير كبير في نجاحِكُم هذا العام، فأحدُ الطلاب ما عبأ بِهذا التَّنبيه، ولم يدْرس، ففي اليوم التالي إذا دَخَل المُدَرّس، وقال افْتَحوا الأوراق واكْتُبوا الأسئِلة فهذا الذي فتَحَ الأوراق ولم يعْبأ به، ألم يوقِن الآن يقينًا قَطْعِيًا أنَّ الآن يوجد مُذاكرة ؟! وهل ينفَعُهُ هذا اليقين ؟ ماذا نسْتفيد من هاتين الآيتين؟! نسْتفيد الحقيقة التالِيَة وهو أنَّ الإنسان في موضوعات كثيرة له خِيار قَبول ورفْض إلا في موضوع الدِّين فَخِيارُهُ خِيار وَقْتٍ فقط ! فإمَّا أن يؤْمِنُ الآن في الحياة، والقلبُ ينبِض، ويتمتَّعُ بِصِحَّتِهِ، أو لا بدّ مِن أن يؤْمِن حينما يأتيهِ ملكُ الموت، وسوف يؤْمِن، ولكنَّ هذا الإيمان الذي سيأتي مُتأخِّرًا لا قيمة له إطْلاقًا.

يُمْكِن أن نقول الفِكْرة الأساسيَّة في هاتين الآيتين ؛ خِيارُكَ مع الإيمان هو خِيار وَقْت، وليس خِيار قَبول أو رفْض، قال تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (30)﴾

[سورة السجدة]

هم يقولون هذا اسْتِهزاءً ! ولكنَّ الحقيقة إن لم تؤْمِنوا الآن بِيَوم القيامة وتسْتَعِدُّوا له، وتسْتقيموا على أمْر الله، حينما يأتي اليوم الآخر سوف تُؤْمنون به إيمانًا يقينِيًّا مِن أعلى درجة ولكنَّ هذا الإيمان لا ينْفعُك قال تعالى:

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29)﴾

[سورة السَّجدة]

فما قَوْلُكَ أيُّها الأخ الكريم أنَّ أكْفَرَ كُفَّار الأرض مِن دون اسْتثناء والذي قال:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾

[سورة القصص]

والذي ذبَّحَ بني إسْرائيل، هذا الطاغِيَة فِرْعَون حينما أدْرَكَهُ الغرق قال، كما قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ(90)﴾

[سورة يونس]

فكان الجواب من الله عز وجل، قال تعالى ":

﴿أَالْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(91)﴾

(سورة يونس)

أرجو الله تعالى أن يُوَفِّقني لإيضاح هذه الفِكْرة، أنت سوف تُؤمِن شئْتَ أم أبَيْت ! ولكن إن لم تؤمن الآن وأنت صحيح الجسم وقوي ومُدرِك، وفي بَحْبوحة، فإيمانُكَ بعد فوات الأوان لا قيمة له، ولن يُجْدِيَكَ إطْلاقًا، فأنت إما أن تؤمن الآن، وإما لا قيمة لإيمانك بعد فوات الأوان، قال تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (30)﴾

[سورة السجدة]

تروي كُتُب الأدب أنَّ بِرْكة ماءٍ فيها سمكات ثلاث ؛ كيِّسَة وأكْيسُ منها وعاجِزة، قيل:

فاتَّفقَ مرَّة في ذاك المكان صيَّادان، فأبْصرا الغدير، وما فيه مِن السَّمَك، فتَوَاعَدا أن يرْجِعا ومعهما شِباكُهما لِيَصيدَا ما فيه مِن السَّمَك – هذه قِصَّة رمْزِيَّة رواها ابن المُقَفَّع في كتابه كليلة ودِمنة– قال: فسَمِعَت السَّمكات قولهما، أما أكْيسُهُنّ فإنَّها ارْتابَتْ وتخوَّفتْ وقالتْ: العاقل يَحْتاط للأمور قبل وُقوعِها، ولم تعْرُج على شيءٍ حتَّى خرجَت من المكان الذي يدْخل منه الماء من النَّهر إلى الغدير فَنَجَتْ قال: وأما الكيِّسة أو الأقلّ عقْلاً فَمَكَثَتْ في مكانِها حتَّى عاد الصَّيَدان فذَهَبَت لِتَخرج من حيث خرَجَت رفيقتها فإذا بالمكان قد سُدّ، فقالتْ: فرَّطت وهذه عاقبة التَّفريط ! إلا أنَّها قالت: لكنَّ العاقِلَ لا يقْنطُ مِن منافِعِ الرَّأي، ثمَّ إنَّها تماوَتَتْ

فطفَت على وَجْه الماء فأخذَها الصَّياد بيَدِهِ ووضَعَها على الأرض بين النَّهر والغدير، فوثَبَتْ في النَّهر فنَجَتْ! قال: وأما العاجِزَة فلم تزلْ في إقبال وإدْبارٍ حتَّى صِيدَتْ وهذا المثَل ينطبق على بني البشَر فهناك العاقل جدًا، قال عليه الصلاة والسلام:

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ))

[رواه الترمذي]

فالعاقل دان نفْسه، بِمَعنى ضبطَ، ضَبَطَ دَخْله وتحرَّى الحلال وضبَطَ بيْتَهُ وزوْجته، وبناتِه وضبط لِسانه، وعينه وسمْعه، وضبط ما يأكله أحَلال أم حرام ؟ وضبط ما يخرج من الكلام ! فالمؤمن كيِّس.

أيها الإخوة الكرام، كلّ إنسانٍ يعيش لحْظته دون أن يُفَكِّر في المستقبل هو إنسانٌ غَبِيّ ! لأنَّ هذه اللَّحْظة الراهنة لا تدوم، فالدُّوَل العُظْمى تُخَطِّط لِسَنة ألفين وألفين وعشرة، والدُّوَل أقل تطوُّر تعيش بِرُدود الفِعْل، والأكْثر تَخَلُّف تتحدَّث عن ماضيها، فالذَّكاء أن تُخَطِّط للمستقبل، فالإنسان إذا أغْفل موضوع الموت من بين حِساباته اليَوْمِيَّة وأغفَل دُخول القبر، وأغْفل أنَّهُ سَيُسْأل عن كلّ ما يفعله، سوف يُصْعق عند الموت، لذلك من حاسب نفسه في الدنيا حِسابًا عسيرًا كان حِسابُهُ يوم القيامة يسيرًا، ومن حاسب نفسه في الدنيا حِسابًا يسيرًا كان حِسابُهُ يوم القيامة عسيرًا ! فالمعنى الذي بين هاتين الآيتين أنَّكَ لا بدّ أن تؤْمن بأعلى أنواع الإيمان، ولكنَّ هذا الإيمان الذي يأتي مُتأخِّرًا وعن النِّزاع، وفي فِراش الموت ؛ فهذا الإيمان لا ينْفعُكَ إطْلاقًا وكأنَّه لم يكُن، فالعِبْرة أن تؤمن في الوقت المناسب، وخِيارك مع الإيمان خِيار وَقت ؛ احْفظوا هذه الجملة.

وكما تعلمون أنَّ الإنسان بين أيَّام ثلاثة، قالوا: ما مضى فقد فات والمُؤَمَّلُ غَيب، ولك الساعة التي أنت فيها، وكثير مِمَّن ينامون ولا يسْتيقظون، وخرج ولم يرْجع، هذا شيء بديهي، ومَن أعدَّ غدًا مِن أجلهِ فقد أساء صُحْبة الموت، فما دُمْتَ لا تمْلِكُ نِهاية الحياة، فلأَسْتَغِلّ هذه اللَّحظة التي أنا فيها، وقد ورد بالحِكم أنْ هلك المُسوِّفون ! المُسَوِّف هو الذي يُؤَجِّل التَّوبة والصلاة والاسْتِغفار والاسْتِقامة.

قال تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (30)﴾

[سورة السجدة]

المستقبل في صالح المؤمن، وليس في صالح الكافر، والباطل يجول جَوْلَةً ثمَّ يضْمَحِلّ أما المؤمن ينتظِر من المستقبل كلّ المستقبل، قال تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

فَمُضِيّ الزَّمن في صالح المؤمن لأنَّه يزيدُه إيمانًا وتألُّقًا، وعملاً صالِحًا ولكنَّ الزَّمَن مع الكافر يَحوي مُفاجآت، فهو ينتظر عِقاب الله تعالى وتَدْمير مالهِ، وينتظر قصْم العلاقات الزَّوْجِيَّة، فالزَّمَن لا يلِدُ إلا المصائب للكفار، ولا يلِد إلا الإكرام والعطاء للمؤمنين، وفي قوله تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

سرٌّ، تقول: هذه الآلة لي ؛ هذه لامُ المُلْك، ولا يُمَلَّك إلا شيء ثمين، أما على فَهِي تُفيد المسؤوليَّة، قال تعالى:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(134)﴾

(سورة البقرة)

على تُفيد القهْر، أما اللام فَهِي تُفيد التَّملّك، فالآية جاءت:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

فَفَرْقٌ كبير بين كتَبَ لنا وبين كتَبَ علينا !

قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ(15)﴾

[سورة الجاثية]

فعلى تُفيد القهْر، أما اللام فَهِي تُفيد التَّملّك.

أيها الإخوة، نَخْلص من هاتين الآيتين إلى أنّ خِيار الإنسان مع الإيمان خِيار وَقت، وليس خِيار قَبول ورفْض، وطوبى لِمَن عرف الله في الوقت المناسب، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:

((أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ فَقَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ غَدًا))

[رواه الترمذي]

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : تفسير سورة الأحزاب

الدرس (1-9) : تفسير الآيات 9-15

الدرس (2-9) : تفسير الآية 21

الدرس (3-9) : تفسير الآيات22-24

الدرس (4-9) : تفسير الآيات27-33

الدرس (5-9) : تفسير الآية 36

الدرس (6-9) : تفسير الآيتان 69-70

الدرس (7-9) : تفسير الآية 72

الدرس (8-9) : تفسير تتمة الآية 72

الدرس (9-9) : تفسيرالآيات 72-73

الدرس (1-9) : تفسير الآيات 9-15

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام في سورة الأحزاب بضع آيات أشارت إلى غزوة الخندق فقد قال الله تعالى في الآية التاسعة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً (9) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (11)﴾

[سورة الأحزاب]

أيُّها الإخوة، بادئ ذي بدء، سُئِل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

﴿ أندعو الله بالابتلاء أم بالتمكين ؟ أي ليبتلينا أم ليمكّننا، فقال رحمه الله: لن تُمكَّن قبل أن تُبتلى، قال تعالى:أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة العنكبوت]

وهل في الأرض جامعة واحدة ليس فيها امتحان ؟ مستحيل، مئات الملايين أُنفقَت من أجل الدوام فقط بغير امتحان، ثم تُعطَى الشهادات هذا مستحيل.

أيها الإخوة، بادئ ذي بدء يجب أن نعلم أنَّ الابتلاء سنَّةُ الله في خلقه لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ(30)﴾

[سورة المؤمنون]

قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ(2)﴾

[سورة الملك]

قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ(142)﴾

[سورة آل عمران]

آيات كثيرة تبين أنه لا بدَّ من الابتلاء، والابتلاء معناه الامتحان ؛ وقد ينجح المؤمن في الامتحان , من خلال هذا الامتحان ينال الشهادة العليا ولمْ ينجُ من الابتلاء حتَّى أصحابُ النبي الكريم الذين آمنوا به وصدَّقوه وبذلوا من أجله أرواحَهم و دماءَهم وأنفسَهم و أموالَهم ؛ ومع ذلك أُبتُلِيَ المؤمنون وزُلْزِلُوا زلزالاً شديدًا، قال تعالى:

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10)﴾

[سورة الأحزاب]

فأمَّا الذين في قلوبهم مرض فقال الله في حقِّهم:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً (12)﴾

[سورة الأحزاب]

نُقِل في السيرة أنَّ أحدهم قال: أيَعِدُنا صاحبُكم أن تُفتَح علينا بلادُ قيصر و كسرى وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته! وما قال: النبي قال: صاحبكم، لأنه أنكر عليه النبوَّة والرسالة، ورأى أنَّ هذه الدعوة لا أصل لها، لأنَّه اجتمع في تاريخ الجزيرة العربية عشرةُ آلاف مقاتل جاءوا ليُبيدوا المسلمين، والإسلام وقتها كان قضيةَ ساعات وينتهي إلى الأبد، واليهود نقضوا عهدهم كعادتهم مع المسلمين فانكشف ظهر المسلمين و جاءت العرب كلُّها لتستأصل شأفة النبي عليه الصلاة والسلام و أصحابه الكرام، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً (9) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (11)﴾

[سورة الأحزاب]

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً (13) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً (14) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً (15)﴾

[سورة الأحزاب]

فالله عز وجل فرز المؤمنين و محصهم، قال تعالى:

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ(179)﴾

[سورة آل عمران]

إن شئتَ قل: أنا مؤمن، أنا أحب الله ورسوله ولكنَّ الله متكفِّل بأن يضعك في ظرف يكشف فيه حقيقتك، والله عز وجل متكفِّل بأن يضعك في حجمك الحقيقي، و كيف ذلك ؟ قد تحيط بك مشكلة فإن رسَبتَ فقد حُجِّمتَ و إن نجحتَ فقد نجحتَ، إذًا النبي عليه الصلاة والسلام و أصحابه الكرام ما نجَوْا من الابتلاء، وكانت معركة الخندق من أشدِّ أنواع الابتلاء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً (9) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (11)﴾

[سورة الأحزاب]

بردٌ لا يُحتمَل و جوع لا يُحتمل و عدوٌّ جاء ليستأصل شأفةَ المسلمين وجِوارٌ نقضوا العهدَ وكشف الظهر ولم يبق أمام المسلمين إلاَّ أن يستسلموا لقضاء الله وقدره وللفناء والإبادة، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى جلَّت عظمتُه في الوقت المناسب أرسل عليهم رياحاً عاتيةً قلعتْ خِيامهم أطفأت نيرانهم و قلبت قدورهم، وهذه المعركة الطاحنة التي كان من الممكن أن تقضي على المسلمين جعل الله النصرَ المُؤزَّر على يد إنسان واحد هو نُعَيْمُ بنُ مسعود، أسلم في الوقت المناسب و كان حديث عهد بالإسلام وقال: يا رسول الله مُرْنِي ماذا أصنع، فقال عليه الصلاة والسلام: " **أنت رجلٌ واحد، خبِّرْ عنَّا ما شِئتَ**، فذهب هذا الصحابي الذي أسلم لتَوِّهِ، ولم يُعرَف أنَّه قد أسلم ذهب إلى قريش وقال: هؤلاء اليهود الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله ندموا على ما فعلوا وخافوا إن أنتم رجعتم إلى بلدكم أن يتحكَّم فيهم النبيُّ و أن يستأصلهم، فاتفقوا معه على أن يأخذوا منكم رهائن ليقتلوهم إرضاءً لرسول الله، وذهب إلى اليهود وقال لهم: إنَّ قريشا سترحل إلى بلادها و يَدَعُوكم مع محمد، فلا بدَّ من أن تمتنعوا أن تعطوهم إذا طلبوا منكم الرهائن، فدبَّ الخلاف بين الأطراف المتنازعة، ثم أرسل الله الرياح العاتية فقلبت القدور و قلعت الخيام وأطفأت النيران و كفى الله المؤمنين القتال، قال تعالى:

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً (25)﴾

[سورة الأحزاب]

فالله عز وجل يُجري خيرًا كبيرًا على يد إنسان واحد، فلمَّا أرسلت قريش إلى اليهود تطلب منهم الرهائن صدَّقوا ما قال لهم نُعَيْم وامتنعوا ودبَّ بينهم الخلاف وشُقَّت الصفوف و أرسل الله الرياح فولَّوا الأدبار وكفى الله المؤمنين القتال، ونحن في العيد نقول: الله أكبر صدق وعده وأعزَّ جنده و هزم الأحزاب وحده، لاشيءَ قبله ولاشيءَ بعده.

هذا الدرس أيها الإخوة، والقصة وقعت، وماذا يُجدي أن نقرأها في كتاب الله، لأن كلَّ قصة وقعت يمكن أن تقع مرة ثانية، وإن لم يكن هناك ابتلاءٌ جماعيٌّ فهناك ابتلاءٌ فرديٌّ، والمؤمن الصادق يُوطِّن نفسه على أنَّ الله سوف يبتليه و سوف يمتحنه، فإذا كان مستعدًّا لهذا الامتحان، وقال: يا ربِّ لك الحمد أنا راضٍ بقضائك، معنى ذلك أنَّه نجح في الامتحان، حدَّثني طبيب أنَّه كان عنده مريض مُصاب بالسرطان في الأحشاء، قال لي أنَّه كلما دخل عليه صديق يعوده يقول له: بادئ ذي بدء اِشهَد أنِّي راضٍ عن الله، واللهِ الذي لا إله إلا هو لو عاش مائة عام في صحَّة طيِّبة لا يرقى عند الله كما لو أنَّه قال هذه الكلمات، أنت هل تعلم عندما تقول: يا ربِّ عنك الحمد أنَّك ترقى عند الله، فإذا ساق الله عز وجل للإنسان شِدَّة أو مصيبة أو مرضا أو فقرا وقال يا ربِّ لك الحمد أنا راضٍ بقضائك و قدرك، هذا ارتقى عند الله إلى أعلى المراتب، وسيِّدُنا عليٌّ يقول: **الرِضا بالمكروه أعلى درجات اليقين** " فالمؤمن مستسلم لقضاء الله وقدره، وطبعًا لا يكون سلبيًا وقد ورد في الحديث الشريف:

((إنَّ الله يلوم على العجز ولكن عليكم بالكيس فإذا غلبكم أمرٌ فقولوا حسبنا الله ونِعْم الوكيل))

و عليك أن تسعى و أن تفكِّر و أن تتَّصل وأن تُوصِل أن تطلب وأن تنتقد و أن تشتكي، فإذا استنفذتَ كلَّ الوسائل وغلبك الأمرُ عندئذٍ قل: حسبيَ الله و نِعْم الوكيل، فالمسلم الصادق بين أن يصبر على قضاء الله و قدره وبين أن يشكر نعمة الله عليه، ففي البلاء صبور و في الرَّخاء شكور، قانعا بالذي له و لا يبتغي ما ليس له.

أيُّها الإخوة الكرام، عودٌ على بدءٍ، سيِّدُنا الشافعي حين قال: **لن تُمكَّن حتَّى تُبتَلى**، ومعنى ذلك أنَّك في دور الامتحان، و كلُّ واحدٍ منَّا ممتَحَن، فتُمتحَن فيما أعطاك الله و فيما حرَمَك الله، واحد ما سمح له الله أن ينجِب، فعدم إنجابه للأولاد مادةُ امتحانه مع الله، و الواحد الله عز وجل أعطاه الأولاد، و هؤلاء الأولاد هم مادة امتحانه مع الله والغِنَى مادة امتحان مع الله و الفقر مادة امتحان مع الله و القوَّة مادة امتحان مع الله و الضعف مادة امتحان مع الله و الصِّحة مادة امتحان مع الله و المرض مادة الامتحان مع الله، فيجب أن تعلم أنَّ كلَّ شيء نِلْتَه مع الله هو مادة امتحانك معه، وكلُّ شيء حُرِمتَ منه هو مادة امتحانك مع الله، هذه موادٌ خاصَّة، وهناك مواد عامَّة، المرأة في الطريق مادَّة امتحانٌ عامة لكلِّ الناس، والمال المُغرِي مادة امتحان عامة، فهناك مواد خاصة وهناك مواد عامة، فالمواد الخاصة حظوظك من الدنيا مواد امتحانك مع الله، وما حُرِمتَ منه في الدنيا مواد امتحانك مع الله.

الآن، الإنسان الغني، الغِنَى مادة امتحانه مع الله، فإذا شكر وتواضع و أنفق من هذا المال نجح، فجاء في الآخرة دخل الجنة، فاتصلتْ نِعَمُ الدنيا بنِعَم الآخرة، ولو استكبر بالمال وأمسكه وأنفقه على شهواته و حرَم منه الفقراء رسَب وخسر، وسيُعاني من العذاب الأليم إلى أبد الآبدين، ويأتي فقيرٌ ذو دخلٍ محدود، فقرُه مادة

امتحانه مع الله و لكن هناك فقر الكسل و هناك فقر القدر و أنا أعني فقر القدر، فإذا كان الإنسان كسولاً لا يحبُّ العمل يفتقر، لكن هذا فقر الكسل، لا فقر القدر، والإنسان أحيانا يبذل كلَّ طاقته و بكلِّ ذكاء و لكنَّ الله تعالى لحكمة بالغةٍ شاء له أن يبقى فقيرا، هذا فقر القدر، فالفقر الذي هو مادة امتحان مع الله هو فقر القدر لا فقر الكسل الذي هو جزاء التقصير، لو أن الفقير و كان فقره مادة امتحانه مع الله صَبرَ وتجمَّل وتعفَّف و شكر الله على أن قدَّر له هذا الفقر، ينجح، فإذا مات فإلى الجنّة إلى الأبد، وقِسْ على هذا القوَّة والضعف والغنى والفقر و الذكاء وكلُّ الحظوظ تأتي على هذا المقياس، فمادة امتحانك مع الله حظوظك من الدنيا، ومادة امتحانك مع الله ما حُرِمتَ منه في الدنيا.

اللهمَّ ما رزقتَني ممَّا أُحبُّ فاجعله عونا لي فيما تحبُّ وما زوَيْتَ عنِّي ما أحبُّ فاجعله فراغًا لي فيما تحب فأنت بين شيئين، شيء تمنَّيتَه ونِلتَه و شيء تمنَّيته وحُرِمتَ منه فيدعو النبي الكريم، ويقول: هذا الذي تمنَّيته وأعطيتني إيَّاه اِجعلْه في الحق و في طاعتك و في سبيلك والدليل قوله تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(77)﴾

[سورة القصص]

الذي حُرِمتَ منه تتقرَّب به، أنا أعرف رجلاً قضى كلَّ حياته مريضا فقال لي يوما: قد ضاقت نفسي، و ما ارتحتُ يومًا ثمَّ قال: وقع في قلبي أنَّه لولا هذا المرض ما كنتُ في هذه الحال، حال القرب والشَّدائد سبب قربه من الله وسبب توبته و إقباله، ولكنْ يوم القيامة الذي أعلمُه أنَّ الله يكشف لكلِّ إنسان كلَّ شيء ساقه له، فلذلك الإنسان يوم القيامة يذوب كالشمعة المشتعلة حُبًّا بالله على كلِّ ما ساقه له، وهذا كلامٌ دقيق جدًّا، هل هناك واحد منَّا ليس له قدَر !! هذا القدر الذي ساقه الله له لو كُشِف غِطاءُه لَذاب الإنسان حبًّا بالله عز وجل.

مُلخَّص الدرس، نحن مُمتحنون فيما أُعطينا و فيما حُرِمنا، ممتحنون امتحانا عامًّا في الطريق، فهنيئًا لِمَن نجح في الامتحان، وقد ينجح الفقيرُ في امتحان الفقر و يرسب الغنيُّ في امتحان الغِنَى فتنعكس الآية قال تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ(1)لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(2)خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(3)﴾

[سورة الواقعة]

فصار الفقير أغنى الأغنياء إلى الأبد و الغنيُّ أفقر الفقراء إلى الأبد وأحيانا يُمتَحن القويُّ بقوَّته فيستخدمها في الباطل و يُمتحَن الضعيف بضعفه فيرضى بقضاء الله و قدره، فيصبح الفقير عند الله في مقعد صِدق إلى أبد الآبدين ويصبح القوي في أسفل النار إلى أبد الآبدين لذلك سيِّدنا عليٌّ قال كلمةً رائعةً جدًّا، قال: " الغِنَى

والفقرُ بعد العرض على الله، فلا يُسمَّى الغنيُّ غنيًّا في الدنيا و لا الفقيرُ فقيرًا، فقد تجد الفقيرَ أغنى الأغنياء يوم القيامة، و قد تجد الغنيَ أفقرَ الفقراء.

فأيُّها الإخوة الكرام، نحن ممتحنون فيما أُعطينا وفيما حُرِمنا، و الذي حُرِم فليصبرْ وليحتسبْ و ليقلْ حسبيَ الله ونِعم الوكيل، و إذا نجح لِيَشكر اللهَ عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-9) : تفسير الآية 21

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الواحدة والعشرون من سورة الأحزاب وهي قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21)﴾

[سورة الأحزاب]

في الحقيقة هذه الآية أصل في فرضية معرفة سيرة رسول الله، لماذا ينبغي أن تقرأ سيرة رسول الله أو أن تستمع إليها أو أن تحضر مجلس علم موضوعُه سيرةُ النبي ؟ لأن ذلك فرض، و القاعدة الأصولية تقول: ما لا يتمُّ الواجب إلاَّ به فهو واجب " فالوضوء فرض لأنَّه لا تتمُّ الصلاة إلاَّ به، كيف سيكون النبي عليه الصلاة والسلام أُسوةً لك إن لم تعرف سيرته ؟ كيف يكون أُسوةً حسنةً في معاملتك لزوجتك و لأولادك ولجيرانك و لزبائنك و لمن حولك و لمن فوقك ولمن تحتك ؟ كيف تتأسَّى برسول الله إن لم تعرف ماذا فعل ؟ كيف كان صبرُه و كيف كان حِلمُه و رحمتُه و شجاعته و تواضعه، فلن تستطيع أن يكون لك النبيُّ أُسوةً حسنةً إلاَّ إذا عرفتَ كيف فعل في بيته ومع أصحابه، فهذه الآية أيُّها الإخوة أصلٌ في فرضية معرفة سيرة رسول الله، وفيها لفتةٌ لطيفة، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾

[سورة الأحزاب]

ليس لكلِّ الناس و لا لعامة الناس ولا للدَّهماء، ولكن قال تعالى:

﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21)﴾

[سورة الأحزاب]

الحقيقة أنَّه لا يُوجد واحدٌ على وجه الأرض إلاَّ و له أُسوةٌ حسنة، أهل المال يقولون: فلان حجم ماله مُخيف، و أهل الدنيا يُعظِّمون أهل الدنيا، وأهل العلم يعظِّمون أهل العلم، و أهل السياسة يعظمون أهل السياسة، فكلُّ إنسان له في حياته شخصٌ كبير يُعظِّمه ؛ شاء أم أبَى أحَبَّ أم كرِه، فمَن هو هذا الكبير في نظرك ؟ أهلُ المال يعظِّمون التجار الكبار، أصحاب الدرجات العلمية يعظِّمون الأعلى منهم والجرَّاح الناشئ يقول: فلان أعظم جرَّاح في القطر، فالإنسان شاء أم أبَى، أحبَّ أم كره يعظِّم شخصا كبيرا في حياته وهو لا يشعر ولا يدري، وهذا الشخص الكبير مُستنبَطٌ مِن معرفة الإنسان، فالمؤمن الصادق الشخص الكبير الذي ينظر إليه هو رسول الله عليه الصلاة والسلام قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

[سورة الأحزاب]

كيف كان في بيته و مع زوجاته كيف كان إذا دخل بيته بسَّامًا ضحَّاكًا كيف كان يقول: أكرموا النساء فواللهِ ما أكرمهنَّ إلاَّ كريم ولا أهانهنَّ إلاَّ لئيم، كيف أنَّه غضب غضبًا شديدا من خادم و كان بيده سواك فقال له: لولا خوف الله لأوجعتُك بهذا السواك، ما هذه الرحمة؟! و كيف كان يقول عليَّ جمعُ الحطب؟ و كان يقول:ما أنتما بأقوى منّي على السير ولا أنا بأغنَى منكما عن الأجر ! كيف وقد كانوا يقولون كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَنَا.

((إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَلِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا فِي النَّاسِ كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ))

[رواه أحمد]

كيف أنَّ السيدة عائشة زوجته وهو أكبر شخص في العالم أصابتْها الغِيرة فكسرت طبق الطعام عمدًا جاءها من صفيَّة، فقال عليه الصلاة والسلام:" **غضبتْ أمُّكم غضبتْ أُمُّكم** ! فانظر إلى الواقعية والحلم وأنت لن تفلح إلا إذا كان النبي أسوةً لك،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

((كُنَّا نَقْعُدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا قَامَ قُمْنَا فَقَامَ يَوْمًا وَقُمْنَا مَعَهُ حَتَّى لَمَّا بَلَغَ وَسَطَ الْمَسْجِدِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ مِنْ وَرَائِهِ وَكَانَ رِدَاؤُهُ خَشِنًا فَحَمَّرَ رَقَبَتَهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِمَّا جَبَذْتَ بِرَقَبَتِي فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لَا وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَا وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَ فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَ الْأَعْرَابِيِّ أَقْبَلْنَا إِلَيْهِ سِرَاعًا فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَزَمْتُ عَلَى مَنْ سَمِعَ كَلَامِي أَنْ لَا يَبْرَحَ مَقَامَهُ حَتَّى آذَنَ لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ يَا فُلَانُ احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا وَعَلَى بَعِيرٍ تَمْرًا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرِفُوا))

[رواه النسائي]

فماذا لو حدث مثلُ هذا لواحد منَّا فنحن لن نفلح إلاَّ إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام أُسوةً لنا وأكبر شاهد أنَّ رجلاً ارتكب معه ما يُسمَّى اليوم بالخيانة العُظمى عن عَلِيٍّ رَضِي اللَّه عَنْه يَقُولُ:

((بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ قَالَ انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ فَقَالَتْ مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا حَاطِبُ مَا هَذَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ صَدَقَكُمْ قَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ قَالَ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ))

[رواه البخاري]

فأنهضه من كَبوته ومنع أصحابه مِن أن ينالوا منه، ولِيُشعره أنَّه واثق به كلَّفه بمهمة سياسية فكان مندوبَه إلى أحد الملوك، هذه هي أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام.

و الآية الكريمة:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(33)﴾

[سورة الأنفال]

المعنى الأول لها بديهي، أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يعذِب أُمَّة محمَّد ما دام النبي بين ظهرانيهم، ولكنَّ المعنى الأعمق بعد موت النبي أنَّ الله ما كان ليعذِّب أُمَّة النبي إذا كانت سنَّتُه مطبَّقةً في حياتهم، فإذا كان بيعُنا وشِراؤنا وِفْق السنَّة، وبُيوتنا إسْلاميَّة، ولَهْوُنا إسْلامي وإذا كانت نشاطاتُنا واحْتِفالاتنا إسلاميَّة وبعيدة عن الاخْتِلاط والأماكن العامَّة فما كان الله لِيُعَذِّبنا، قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

أيها الإخوة، هذه الآية أصْل في فَرْضِيَّة مَعْرفة سنَّة رسول الله، وهناك دليل أقْوى ؛ يقول الله عز وجل:

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(120)﴾

[سورة هود]

قَلْبُ النبي وهو سيّد الخلق وحبيب الحق يزداد ثبوتًا عندما يستمع قصَّة إلى نبيٍّ دونه، فكيف بمؤمن في آخر الزمان يصغي إلى سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، والنبي نفسه الذي هو سيِّد الخلق وحبيب الحق يثبت قلبُه بالإيمان إذا قص عليه الله قصَّة نبيٍّ دونه، قال تعالى مخاطبًا نبيَّه:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنْ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ(35)﴾

[سورة الأحقاف]

وأحيانا الواحد تكون له زوجة نقية طاهرة، لسبب أو لآخر و لخطأ غير مقصود تكلَّم الناس عنها و لولا أنَّ السيدة عائشة تكلَّم الناس عنها و برَّأها الله عز وجل لَتَألَّم هذا المؤمن ألمًا شديدا، لكنْ له في حديث الإفك أسوة حسنة، و لماذا جعل الله لبعض الأنبياء زوجة كافرة , و لنبيٍّ والدًا كافرا و لنبيٍّ آخر ابنه كافرا، لماذا الأمر هكذا ؟ سيدنا إبراهيم أبوه كافر وسيدنا نوح ابنه كافر، آسية امرأة فرعون زوجها كافر و سيدنا لوط زوجته كافرة لماذا؟ لأنَّ الله جعل الأنبياء مُثُلاً عليا، فالذي له ابنٌ مُزعِج فله في سيدنا نوح أُسوة، والذي له أبٌ مزعج فله في سيدنا إبراهيم أسوة حسنة والذي له زوجة مزعجة فله في سيدنا لوط أسوة حسنة، وكلُّ الذي تكلم الناس في زوجته البريئة فله في سيدتنا عائشة أسوة حسنة وهي زوجة رسول الله و لم تنجُ من كلام الناس، فأنت حينما تقرأ سيرة رسول الله و تقرأ قصص الأنبياء، ترى أنَّك مغطَّى في كلِّ حياتك، إذاً كما قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21)﴾

[سورة الأحزاب]

هناك نقطة دقيقة، أنت ماذا ترجو ؟ فكلُّ إنسان يرجو شيئًا شاء ذلك أم أبى، فهذا يرجو الدنيا، وهذا يرجو المال وهذا يرجو النساء، وهذا يرجو العُلُوَّ في الأرض، قال تعالى:

﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21)﴾

[سورة الأحزاب]

علامة أنَّه يرجو الله هي قوله:

﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21)﴾

[سورة الأحزاب]

أمَّا المنافق فيذكر الله ولكنْ قليلا، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا(145)﴾

[سورة النساء]

*أمَّا المؤمن فيذكر الله كثيرا، والمعنى ؛ أنَّ النبي الكريم قدوة بأخلاقه وأفعاله لِمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيرا. فهذه الآية أصل في معرفة سيرة رسول الله، فالذي له إمكانية اقتناء كتاب سيرة له ولأولاده فليفعلْ، و النبي أمرنا بالنص الصريح أن نربّيَ أولادنا على حُبِّ ر سول الله، و ماذا تظنُّون ؟ الأب مكلَّف بأمر رسول الله أن يربيَ أولاده على حبِّ رسول الله، ولذلك يجب أن تقرأ سيرة رسول الله مع أبنائك، وتقول: يا بُنيَ هكذا فعل رسول الله مع أصحابه وهكذا كان يُؤثرهم على نفسه، و هكذا كان متواضعا معهم، وهكذا كان رحيما بهم فإذا أردتَ أن تنفِّذ وصيَّة رسول الله في تربية أولادك يجب أن تقرأ لهم سيرته حتَّى يحبُّوه، أما الشباب الآن فيقولون ما رادونا يتعلَّقون بِلاَعِبِي الكرة وهم عندهم شذوذ جنسي و مخدِّرات و غير ذلك، فعار على الشاب المسلم أن يكون قدوتُه واحدًا من المنحرفين الغارقين في الجنس والمخدِّرات، وهذا من تقصير والده، لأنَّ والده ما علَّمه السيرة فهو يستقي أخبار الرياضيين و يعظمهم، أمَّا لو كان أبوه حريصًا عليه لعلَّمه سيرة رسول الله، لجعل أصحاب النبي هم القدوة في نظره.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-9) : تفسير الآيات22-24

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثانية والعشرون من سورة الأحزاب والتي تليها وهي قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً (22)﴾

[سورة الأحزاب]

الحقيقة أنَّ الإنسان لمَّا يصطلح مع الله، ويتوب إليه ويعاهده على الطاعة والعمل الصالح ؛ قد ينتبه أنَّه يعاهد الله خالق الكون، الذي بيده كلُّ شيء، فالمؤمن الكامل هو الذي إذا عاهد الله على التوبة وعلى الاستقامة والعمل الصالح لا يغيِّر و، لا يبدِّل، ومن علامات رسوخ الإيمان في المؤمن الصادق أنَّه لا يبدِّل ولا يغيِّر، أمَّا هذا الإنسان الذي نسمِّيه بالتعبير العامي " السُّوَيْعَاتي " إن أصابَهُ خير اطْمأنَّ به، وإن أصابَتْهُ فِتْنة انْقلب على لا وَجْهه، فهذا الإنسان المُتَقَلِّب والمُتَحَيِّر في النَّعْماء ينطلق إلى الله، وفي الضَّراء ينْكمش، وفي الخير يُحِبّ وفي الابْتِلاء يُشَكِّك، فهذا النَّموذج نموذَجٌ الإيمان، ونموذَجٌ فيه نِفاق، وإيمانهُ لا يكفي لِنَجاتِهِ مِن عذاب الدنيا والآخرة، دائِمًا قالوا: وبِضِدِّها تتميَّزُ الأشياء !! ماذا قال بعضهم ؟ قالوا كما قص الله علينا في كتابه:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا(12)﴾

[سورة الأحزاب]

أيَعِدُنا صاحِبكم أن تُفْتَح علينا بلاد قيْصَر وكِسْرى، وأحَدُنا لا يأمَنُ أن يقْضِيَ حاجتَهُ ! والبعض الآخر قال عنهم تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (23)﴾

[سورة الأحزاب]

ما الصِّدْق أيُّها الإخوة ؟ في الحقيقة قد تقول قوْلاً يُطابِق الواقع فأنت بهذا صادِق، وقد تقول قَولاً لا يُطابِق الواقِع، فالقائل يكون كاذِبًا، هذا الصِّدْق نوع مِن أنواع الصِّدق أما الصِّدْق الأخْطر والأهمّ أن يأتي فِعْلُكَ مُطابقا لِقَولك، وأن يأتي قولُكَ مُطابِقًا للواقِع ؛ هذا صِدْق مُتعارَفٌ عليه، وفلان يكذب ويصْدق، أما إذا قلنا فلانٌ مع الله تعالى صادِق ؛ فهذا معنى آخر غير المعنى المألوف، فقولنا مع الله تعالى صادِق، أيْ أنَّ أفْعالَهُ تُقَيِّدُ أقواله، إذا أحبَّ الله، وقال: إنِّي أُحِبّ الله فإنَّ فِعْله يأتي مُطابِقًا لِقَوْلِهِ، وأحْيانًا الإسْمَنت، كُلّ طَبْخة

يمْتَحِنون مُقاومَتَها ويَصُبُّونها مُكَعَّبات، وهناك جِهاز يُمْسَكُ مِن أعْلاه، ومِن أسْفلهِ مُعَلَّق عليه كفَّة ميزان، ويضَعون الأثْقال، فَكُل طَبْخة لها مُقاومة، وكلُّكم يعْلم أنّ الشيء أحْيانًا يُقاوِمُ قِوى الضَّغْط، والشيء نفْسُه يُقاوِم قِوى الشَّد، فالإسْمَنْت كَمُقاومة الضَّغط عالي جدًّا، ويتحمَّل السَّنتمتر المربَّع خمسمائة كيلو، أما كَمُقاوَمة قِوى الشَّدة على خمسة كيلو ينقطع، فلا بد مِن حديد، وكذا كلّ مؤمن له مُقاوَمة، وعلى نوع مِن الشَّدائد تجد ظنَّه تغيَّر بالله وظنَّ بالله السوء! فأوَّل نموذج قالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلا غُرورًا، أما النَّموذج الثاني فقد قال تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (23)﴾

[سورة الأحزاب]

فالمؤمن لا بدّ مِن أن يمُرَّ بِشِدَّة، وهذه الشِّدَّة تَكْشِفُ حقيقة إيمانِهِ ومُسْتوى صِدْقِهِ، وتَكْشف مُسْتوى تَوْحيدِهِ، مُستوى صَبْرِهِ ومحبَّتِهِ والمُصيبة مِحَكُّ الرّجال، فربُّنا عز وجل قال:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (11)﴾

[سورة الأحزاب]

فنحن علاقتنا بِهذه الآيات ؛ يا تُرى ما دام دَخْلي كافِيا وزوْجَتي أمامي وأولادي تحت سَمْعي وبصري، فما دُمْتُ هكذا أُحِبُّ الله ورسوله ولكن لو فرضْنا أنَّ حدثًا ألمّ بِكَ؛ صفْقة خاسِرة، أو خسارة ماليَّة، أو انْعِدام الدَّخْل، مشكلة بالعمل أو البيت أو الأهل، فيا ترى هل يُغَيِّر أو يُبَدِّل ؟! نحن الآن دَخَلنا بِمَوضوع الرِّضا بِمَكروه القضاء أرْفَعُ درجات اليقين، وهذه القِصَّة ما ذُكِرَت إلا لِنَسْتنبِطَ منها فأنت دائِمًا في امْتِحان قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ(30)﴾

[سورة المؤمنون]

وقال تعالى:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة العنكبوت]

فالامتحان مُسْتمرّ، والامتحان يكون في صِحَّة الإنسان وفي ماله وأولاده وعملِه، وراحَتِهِ النَّفْسيَّة، فأنت ماذا تَفْعَل حينما تأتي الشِّدَّة ؟ هنا يظْهر إيمانك، لذا إن اشْترى الإنسان سَّيارة، وأراد أن يمْتَحِن قوَّة مُحَرِّكِها، فهو لا يمْتَحِنها في الطريق الهابِطَة، بل في الصُّعود، وكذا الامْتِحان بالرَّخاء لا يوجَد، فَمِن خصائص الامتحان أنَّهُ في الشِّدَّة فالإنسان حينما تأتي الشِّدَّة لِيُلاحِظ خواطِرَهُ ؛ هل أساء الظنّ بالله عز وجل ؟ وهل يُبَدِّل أو

يُغَيّر ؟ أو يَخْرِق بك الاسْتِقامة ؟ كان عليه الصلاة والسلام يقول: أوذِيتُ في الله وما أوذِي أَحَدٌ مِثلي، وخِفْتُ في الله، وما خاف أحَدٌ مِثلي، ومضى عليَّ ثلاثون يومًا لم يدخل جَوْفي إلا ما يُواريهِ إبْط بِلال ! فإذا جاء الليل صلَّى حتَّى تورَّمَت قدَماه، فَيُقال له: يا رسول الله: ألم يغفر الله لك ما تقدَّم مِن ذَنْبِكَ و ما تأخَّر؟ فيقول: أفلا أكون عَبْدًا شَكورًا جاعَ وخاف وأوذِيَ، فأحيانًا نحن إذا جاءَنا الأمْر على ما هو خِلاف عليه يسُبُّ الدِّين تَجِدُه مسلمًا ! لأتْفه سبب يسبّ، ومِن علامات الساعة أنْ يُمْسي الإنسان مؤمنًا ويصْبح كافرًا، ويصْبحُ كافرًا ويمْسي مؤمنًا ؛ مِن أجْل حُطام الدُّنيا وزينتِها ! فهذه الآية دقيقة جدًا:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (23)﴾

[سورة الأحزاب]

معنى ذلك أنَّك لن تكون كامِل الإيمان إلا إذا كان محبَّتُك لله وإخلاصك له، واسْتِقامتُكَ على أمْرِهِ، وأعْمالُكَ الصالحة هِي هِيَ في السَّراء والضَّراء، وفي إقبال الدنيا، وفي إدْبارِها، وفي الغِنى والفقْر و في الصحَّة والمرض، في رضاء الناس عنك وفي سخطهم عنك.

فليتك تحلو و الحيا ة مريرة   وليتك ترضى و الأنام غِضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر   وبيني و بين العالمين خراب

إذا صحَّ منك الودُّ فالكل هيِّن   و كلُّ الذي فوق التراب تراب

***

أيُها الإخوة الكرام، الحُزنُ خلاَّق، أحيانا تأتي المصيبة مؤلمةً والمؤمن يقول: يا ربِّ لك الحمد أنا راضٍ بقضاء الله و قدره، يا ربِّ أنا عبدك وابن عبدك وابن أمَتِك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيَ حكمُك عدلٌ فيَ قضاؤك، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض و صلح عليه أمر الدنيا والآخرة أنْ تنزل بي سخطك وأن تحلَّ عليَّ غضبك، أعوذ بك من فجاءة نقمتك وتحوُّل عافيتك و جميع سخطك، ولك العُتبَى حتَّى ترضى لكنَّ عافيتك أوسعُ لي، هذا دعاءٌ مهمٌّ جدًّا، يا ربِّ أنا راضٍ إلاَّ أن تكون غاضبا عليَّ، وما تخلو حياة الإنسان من مصيبة، والبطولة حينما تأتي المصيبة أن تصبر عند الصدمة الأُولى، فإن تصبر أو لا تصبر فلا بدَّ من أن تصبر، أمَّا متى يتألَّق الإنسان ؛ عند الصدمة الأولى، يا ربِّ لك الحمد وأنا راضٍ بقضائك.

أيُّها الإخوة الكرام، صدِّقوني إنَّه لا ينجو مؤمن على وجه الأرض من يوم آدم إلى اليوم من امتحان، لقوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ(21)﴾

[سورة البقرة]

قال تعالى:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة العنكبوت]

فما علاقتنا بأصحاب رسول الله و قد زلزلوا، قال تعالى:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (11)﴾

[سورة الأحزاب]

فمعنى ذلك أيها المؤمن أنَّك بعد مئات السنين و آلاف السنين لا بدَّ مِن أن تسلك الطريق نفسه لأنَّ سلعة الله غالية و لن يدخل الجنةَ أحدٌ إلا إذا دفع الثمن، ومن طلب الجنة بغير عمل فقد وقع في ذنب من الذنوب، فعندك نموذجان، الأول:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا(12)﴾

[سورة الأحزاب]

ما وعدنا الله و رسوله إلا غرورا هؤلاء الناس يقولون: أين الله عز وجل المسلمون مقهورون و معذَّبون وفقراء يكيد الأعداء لهم الذين هم على كفرهم وإباحيتهم أقوياء أشدَّاء يتحكّمون في العالم، هؤلاء ينشرون البلبلة و الزلزلة، ولو قرأ الواحد منهم القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)﴾

[سورة الأنعام]

فالقرآن الكريم إذا قرأته كلَّ يوم أعادك إلى الصواب وأعطاك تفسيرًا لكل ما يجري،

فأنت مع القوي ومع العزيز وأنت مع المقتدر وأنت مع مَن بيده ملكوت كل شيء،قال تعالى:

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً (26)﴾

[سورة الأحزاب]

أنزلهم من حصونهم، وقذف في قلوبهم الرعب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهم:

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا))

[رواه البخاري]

و أمَّتُه حينما تركت سنَّتَه هُزِمت بالرعب مسيرة عام، وقذف في قلوبهم الرعب تقتلون و تأسرون فريقا.

أيها الإخوة الكرام، قصة الأحزاب درس لا يُنسَى لكل مؤمن، و لابدَّ أن تُمتحَن و الصبر عند الصدمة الأولى، و أنت تعامل الله عز وجل فلا تُغيِّر و لا تُبدِّل، " أحد الصحابة أسلم فدخل مع النبي عليه الصلاة والسلام في غزوة، وانتهت الغزوة و قسَّم النبي عليه الصلاة والسلام الغنائم، فقال هذا الصحابي: أنا ما على هذا أسلمتُ، أسلمتُ على الذبح ! وعاهد الله أن يموت شهيدا، فكانت له الشهادة في المعركة الثانية فبلَّغوا النبي قصته فبكى النبي، قال: هو هو، قالوا: هو هو فصلَّى عليه و قال: اللهم إني أشهد أنَّ عبدك هذا قاتل في سبيلك فاغفر له وارحمه فهذا الصحابي أسلم على الذبح، و ليس على الغنائم ونسأل الله أن يلهمنا الصواب.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-9) : تفسير الآيات27-33

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثامنة والعشرون والآيات التي بعدها تشكِّل مجموعة: محورها القدوة في الإسلام لها حساب خاص، فالأب قدوة في البيت، وخطأ الأب غير خطأ الابن، والمعلم قدوة، والطبيب في المستشفى قدوة، ومدير المستشفى قدوة، وأي إنسان يحتلّ ُمنصبًا قياديا ولو كان على مستوى الأسرة الذي هو أقل منصب قيادي، فلا بد أن تكون قدوة، والمعلم في الصف قدوة، ومدير المدرسة قدوة، فالذي يحتل منصبا قياديا له حساب خاص.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (29)﴾

[سورة الأحزاب]

لماذا قال تعالى:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (29)﴾

[سورة الأحزاب]

" **منكن** " أي يا نساء النبي، أجرا عظيما، لأن زوجة النبي عليه الصلاة والسلام قدوة لنساء المؤمنين، ثم قال تعالى:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (30)﴾

(سورة الأحزاب)

فإن أرادت الله و الدار الآخرة فإن الله سيؤتيها أجرا عظيما، و إن أتت بفاحشة مبينة يُضَاعف لها العذاب ضعفين، وهذا حكم، لأن القدوة إن أحسن فله أجر إحسانه و أجر مَن اقتدى به، والقدوة إذا أساء فعليه وزر إساءته و وزر مَن قلَّده، فإذا كان الأب يُدخِّن أمام أبناءه ملء السمع والبصر، وصار ذلك مألوفا عند الولد، و قد لا يشتهي الابن أن يدخِّن، ولكن حتَّى يقلِّد والده صار يدخِّن.

فيا أيها الإخوة، المنصب القيادي ولو على مستوى أب أو معلم مدرسة عنده خمسة وخمسون طالبا، أو طبيب في مستشفى، و الأم تحتل مركزا قياديا أمام بناتها، ولو أنها مثلا قالت لزوجها: لن أخرج في غيبتك ؛ وقد خرجت على مرأى من بناتها كذبت على زوجها أمام بناتها، فتحمل وزر إساءتها ووزر ابنتها التي قلَّدت

أمها في الكذب على زوجها بعد أن كبرت، فكل إنسان قيادي له حساب خاص، إن أحسن فله أجره وأجر من قلده، وإن أساء فله وِزْرهُ وِ وِزْرَ من قلَّده قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (28)﴾

[سورة الأحزاب]

هناك موضوع ثانٍ، لو أن النبي عليه الصلاة والسلام كان في أعلى مستويات الكمال ؛ وهو كذلك ؛ ولم تكن نساءه كذلك ما الذي يحصل ؟! أردْن الحياة الدنيا و زينتها، و المظاهر و الفخامة، و قد رُكِّب في طبيعة المرأة حبُّ المظاهر، فلو أنَّ المرأة لم تكن على شاكلة زوجها وكان زوْجها له دَعوة إلى الله عز وجل، ما الذي يَحصل ؟ يقول الناس جميعًا: لو كانت دَعْوته واقِعِيَّة لطَبَّقَها على أهل بيْتِهِ، فما دام هذا الدَّاعِيَة عاجِزًا عن تطْبيق دَعْوتِهِ على أهْل بيْتِهِ، فالدَّعْوَة غير واقِعيَّة، وإن كانت واقِعِيَّةً فلماذا لا يطبِّقها على لا أهل بيته ؟ و في أحسن الظروف نقول: إنّ الدعوة غير واقعية، مثالية، فكما يقال: يا طبيب طُبَّ لنفسك، لذلك أكاد أقول إنك إذا دعوتَ إلى الله فزوجتك وبناتك و أبناءك جزء من الدعوة، فإن لم يكونوا كما تريد فقد حُطِّمتْ الدعوة، وليس ثمَّة عذرٌ، فأنت مرشد وموَجِّه تنصح الناس بكذا و كذا فإذا كانت النصيحة غير واقعية فدعْنا منها، و إن كانت واقعية فلِمَ لا تطبِّقها في بيتك ؟!، لذلك فالله عز وجل تولَّى بذاته العلية تطهير بيت أهل النبي.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (33)﴾

[سورة السجدة]

و أهل البيت الزوجة و الأولاد جزء من الدعوة، فإن لم يكن البيت منسجمًا مع الدعوة صار للناس ألف استفهام واستفهام و ألف مأخذ ومأخذ و هذه الآيات تؤكِّد ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (29)﴾

[سورة الأحزاب]

ثم قال تعالى:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (30)﴾

[سورة الأحزاب]

ما المقصود بالفاحشة ؟ الحقيقة أنَّ الفاحشة وردت للزنا، لكنَّ العلماء قالوا: لا يُعقَل و لا يمكن و لا يرد على الخاطر أن تقع زوجة رسول الله في الزنا، فالعلماء لحسن ظنِّهم وفهمهم الدقيق قالوا: إنَّ الفاحشة في حقّ نساء النبي أ نْ يزعجن النبيَّ في طلب الدنيا فقط، فلو طلبتْ منه شيئا لا يستطيعه كأنَّما أتتْ بفاحشة لِعِظَم مقام النبي عليه الصلاة والسلام، فلو أنَّ إحداهنَّ طلبت طعاما من النبي لا يملك ثمنه يُعَدُّ في حقِّها فاحشة لعِظَم مقام النبي عند الله عز وجل، فإرهاق الخلق بمطالب مادية شيء يزعجه ويعرقل الدعوة إلى الله عز وجل، و تمرّ أيام عديدة لا تُوقَد نار في بيوت النبي، لأنّ النبي كان فقيرا، وقد قال الله له:

((يا محمد أتريد أن تكون نبيَّ ملِكا أم نبيا عبدا ؟ قال: بل نبيا عبدا، أجوعُ يوما فأذكره و أشبع يوما فأشكره..."))

و دخل عليه عديٌّ بن حاتم فألق له وِسادةً مَحشُوَّة ليفاً، قال: اجلس عليها، قلتُ: بل أنت، قال: بل أنت، قال: فجلستُ عليها وجلس هو على الأرض ليس في بيته وهو سيِّدُ الخلق إلا وسادة واحدة، " وكان إذا أراد أن يصلِّيَ قيام الليل غرفتُه التي ينام فيها مع عائشة لا تتَّسع لصلاته و نوم عائشة، فلو أن الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر جرعة ماء ! فلينظر ناظرٌ بعقله أنَّ الله أكرم محمَّدًا أم أهانه فإن قال: أهانه فقد كذب، و لئِن أكرمه فقد أهان غيره إذ أعطاه الدنيا قال تعالى:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (30)﴾

[سورة الأحزاب]

ثم قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً (31)﴾

[سورة الأحزاب]

هل لاحظْتُم ؛ في الإكرام هناك مُضاعفة وفي العقاب هناك مضاعفة و هذا ينسحبُ على كلِّ قدوة في المجتمع الإسلامي، فكل إنسان له منصب قيادي بدءًا بالأب ونهاية بأعلى منصب ؛ فهذا يُحاسَب حسابا خاصًّا ؛ إنْ أحسن فأجره وأجر من قلَّده، وإن أساء فعليه وزرُه ووزرُ من قلده، ثم قال تعالى:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً (32)﴾

[سورة الأحزاب]

فالمرأة إذا دخلت لتشتريَ حاجة و ألانَت القولَ طمع فيها هذا الرجُل وهذه قاعدة خطيرة جدًّا، ومِن أُولى آداب المرأة أنْ تقول مع الرجل الأجنبي قولاً معروفا، ذكر لي أحد الإخوة القصةَ التالية ؛ عنده محلٌّ تجاري أمام بيته، فجاءه يوما ابنه يقول له: إنَّ في بيتنا رجلا و أُمّي تستغيث بك، فأسرع إلى بيته فرأى رجلا داخل بيته و الزوجة لابسةٌ لباسا كاملا، كيف دخل إلى البيت ؟ هذا الرجل بائع، دخلتْ عليه هذه الزوجة لتشتريَ، وبدأتْ تناقش البائع في السعر، فظنَّ أنَّ هذه المرأة تقبل أن يتَّصل بها و هي تسكن قريبا منه، فطرق بابها ودخل البيت و المرأة جاهلة، وإن أرادتْ بنقاشها في الشراء شيئا إلاَّ أن تخفِّض السعر، ولكن ألانَتْ القول، فيجب أن نربِّيَ نساءنا إذا كلَّمْنَ رجلا أجنبيا أن يقُلْن قولا معروفا، لأنَّ الكلمة اللَّيِّنة من المرأة تعني أنَّها ترضى الفاحشة، وهذه نقطة دقيقة قال تعالى:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً (32)﴾

[سورة الأحزاب]

ثم قال تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (33)﴾

[سورة الأحزاب]

فالأصل أن تقرَرْن في بيوتكن، فقائدُ الطائرة يقود طائرةً تحمل ستمائة راكب، غرفة القيادة هل تُعَدُّ سجنا لهذا الطيَّار، هو أخطرُ مكان، فإذا ظنَّ الطيَّار أنَّ هذه الغرفة تقييدًا لحرّيته، ويجب أن ينطلق إلى رحاب الطائرة أودَى بحياة الركاب، كذلك هذا البيت هو مركز قيادة لهذه الأُسرة،وفي الحديث:

((أيُّما امرأة قعدتْ على بيت أولادها فهي معي في الجنة..."))

و المرأة المؤمنة تتفرَّغ لأولادها.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (33)﴾

[سورة الأحزاب]

فإذا خرجْتُنَّ لأمر قاهر فلا تبرَّجن تبرُّج الجاهلية الأولى، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(23)﴾

[سورة القصص]

فحياء المرأة منعها أن تختلط بالرجال، وما خرجتْ من البيت إلا لأمر قاهر؛ لأنَّ أبانا شيخٌ كبير، قال تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (33)﴾

[سورة الأحزاب]

" **يطهركم تطهيرا** " لأنَّكنَّ جزء من الدعوة، فإذا كان الواحد ملتزما وزوجته متفلّتة لا يُقبَل ذلك منه، هو مطبِّق وبناته كاسيات عاريات مائلات مميلات، معنى ذلك لستَ أبًا، فزوجتك و أولادك جزء من دعوتك إلى الله، هذا هو معنى الآيات، فدرس اليوم القدوة، والقدوة له حساب خاص، إنْ أحسن فله أجره مرَّتين، و إن أساء فله العقاب مرَّتين، والأصل في الزوجة أن تقرَّ في بيتها لتربية أولادها و" أيُّما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-9) : تفسير الآية 36

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السادسة والثلاثون من سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً (36)﴾

(سورة الأحزاب)

أيُّها الإخوة، في اللُّغة العربيَّة شيء اسْمُهُ نَفْيُ الحَدَث، وشيءٌ اسْمُهُ نَفْيُ الشَّأن، وفرقٌ كبير بين أن تنْفِيَ الحدَث، وبين أن تنْفِيَ الشَّأن فقد تسأل أكْبر سارِقٍ هل سَرَقْتَ هذه الحاجة، فيقول: لا، لم أسْرِق هذه فهذا النَّفْيُ هو نَفْيُ الحدَث، أما لو سألْتَ إنسانًا كريمًا مِن عِلْيَةِ القَوم: هل أنت سارِق ؟ يقول لك: ما كان لي أن أسْرِقَ، فُهو الآن لا ينفي الحدَث، ولكن ينفي الشَّأن، فليس مِن شأنِهِ ولا مِن طَبْعِهِ أن يسْرِق ولا مِن إرادَتهِ أن يسْرِق، ولا مِن عِلْمِهِ أن يسْرِق، ولا يريد أن يسْرِق، ولا يتمنَّى أن يسْرِق، ولا يرْضى أن يسْرِق، فأشَدُّ حالات النَّفْي في اللُّغَة نَفْيُ الشَّأن، لا نَفْيَ الحدَث.

فإذا قال الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(40)﴾

(سورة العنكبوت)

فما قَوْلُكَ ؟ وقال تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ ﴾

[سورة آل عمران]

لو تتَبَّعْتَ في القرآن الكريم هذه الصِّيغة: ما كان لله ؛ هذه أشَدُّ أنواع الصِّيَغِ نَفْيًا.

الآية الكريمة الآن، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً (36)﴾

(سورة الأحزاب)

أحيانًا تقول: الماء ! هذا الماء هيدروجين وأكسجين، فأنْ يكون مُؤلَّفًا مِن ذرَّتَين هيدروجين، وذرَّة أكسجين، فهذا مِن أصْل تَكْوينِهِ فَمُمْكِن أن يُصبَغ الماء باللَّوْن الأحمر أو الأصفر، أو نُظيف له مِلحًا أو سُكَّرًا فهذه كُلُّها عارِضَة، فالماء جَوْهر وله عرَض، فالجَوْهر أصْل تَكْوينِهِ أما العرَض ما يطرأُ عليه، فلو أنَّ هذا الماء كان مالِحًا لأمْكنَنَا بِتَقْطيرِهِ أن يُصْبِحَ عذْبًا، ولو أنَّ الماء كان فيه شوائب لأمْكنَنا بالتَّصْفيَة مِن أن يصبِحَ صافِيًا، فالشَّوائب والمُلوحة والعُذوبَة ؛ هذه صِفات عرَضِيَّة تأتي وتذْهَب، أما أن يكون الماء مُؤلَّفًا مِن أكسجين وهيدروجين، فهذا مِن أصْل تَكوين الماء، فالله تعالى إذا قال:

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللَّهَ يَجِدْ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا(110) وكان الله غفورًا رحيمًا (111)﴾

[سورة النساء]

فهل يعني أنَّهُ تعالى ليس غفورًا رحيمًا الآن ؟! لا، كَون الله غفورًا رحيمًا هذا مُتَواجِدٌ مع الله عز وجل، فما دام الله مَوجودًا فَهُوَ رحيم وقد عبَّر عنها العلماء بِالتَّرابُط الوُجودي، كُلُ هذه التَّمْهيدَات لِهذه الآية قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً (36)﴾

(سورة الأحزاب)

فإذا كنت مُؤمنًا ونُقِل إليك أمْر الله تعالى، فإذا قُلْتَ: لأدْرُسُ هذا ! أو سأُفَكِّر في الأَمْر، فقد لا أقْنَعُ بِهذا الأمْر، لِمُجَرَّد أن تضَعَ هذا الأمْر مَوْضِع المناقشَة، ومَوضِعَ الدِّراسَة والبَحْث، ومَوْضِعَ القَبول والرَّفض فَلِمُجَرَّد أن تُدْرِجَهُ في جَدْوَل أعْمالِكَ فأنت لسْتَ مؤمنًا، لأنَّ الله تعالى يقول:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً (36)﴾

(سورة الأحزاب)

فأنت مُخيَّر في أن تشْتري هذا البيتَ أم لا ! وفي أن تتزوَّج هذه الفتاة أم هذه الفتاة، أمَّا أن تختار أن تفْعَلَ ما أمَرَك الله به أو أن لا تفْعَل فهذا ليس مِن اخْتِيار المؤمن، أما غير المؤمن فيُمْكِنُهُ ذلك ! إن عرَضْتَ عليه أمْر الله ؛ يقول لك: لسْتُ قانِعًا ! فَغَيْرُ المؤمن فيُمْكِن أنه يُدْرِجَ الأوامِر والنَّواهي في جَدْول المناقشة والدِّراسَة، أما إذا كان مؤْمِنًا صادِقًا وتلقَّى أمْرًا مِن ربِّه في الكتاب أو السنَّة، ووضَعَهُ مَوْضِع المناقشة، وقال: سأدْرُس الأمر، فهذا ليس مُؤْمِنًا !! قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً (36)﴾

(سورة الأحزاب)

كأنَّ المؤمن بعد أن عرف الله وعرف منْهَجَهُ فقَدَ اخْتِيارَهُ، فلو طلبَ مِنْك إنسانٌ أن تُساعِدَهُ وَكُنْتَ مُقْتَدِرًا، والله أمرَكَ أن تُساعِدَ إخوانَك المؤمنين فهل لك اخْتِيار في أن تُساعِدَهُ أم لا ؟! وهذا إنسانٌ جريح وأنت طبيب مؤمن، فهل لكَ خِيارٌ في أن تُسْعِفَهُ أم لا ؟ لذا يمكننا أن نقول: تأتي درَجَة بعد الإيمان بعد أن تعرف الله تعالى حقَّ المعرفة وبعد أن تعرف منْهَجَهُ ؛ تَجِدُ نفْسَكَ شِئْتَ أم أبَيْتَ تسير في خطٍّ إجْباري !! فبَعْد أنْ عرَفْت الله تعالى وعرَفْتَ منهَجَهُ، وعرفْتَ طريق جنَّتِهِ، وطريق سَخَطِه، فالآن أنت كأنَّك تجْري في طريق مرْسوم ومُحَدَّد، وهذا معنى الآية الكريمة:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً (36)﴾

(سورة الأحزاب)

قد يقول لك قائِل أين أمْر الله تعالى ؟ وأين أمْرُ النبي عليه الصلاة والسلام ؟ يُؤَكِّدُ هذا المعنى قوله تعالى

﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا(59)﴾

[سورة النساء]

أين الله ؟ المعنى رُدُّوه إلى كلامِهِ تعالى، ورُدُّوه إلى سنّتِهِ صلى الله عليه وسلَّم، فإذا قيل لك: رُدَّ هذا الأمْر إلى الله، المعنى رُدَّ هذا الأمر إلى كتابِهِ، ورُدَّ هذا الأمْر إلى رسول الله أي إلى سُنَّتِهِ، فنحن معنا كتاب وسنَّة.

((فعَنْ مَالِك أَنَّه بَلَغَه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ))

[رواه مالك]

أمْر الله في كتاب الله، وأمْرُ النبي صلى الله عليه وسلَّم في سنَّتِهِ قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً (36)﴾

(سورة الأحزاب)

هناك ضلال بعيد، وهناك ضلال مبين، فما قَوْلُك وأنت ترْكب سيارةً في طريق عرْضُهُ سِتّين متر ؟، وعلى عرْض الطريق لَوْحة، كما في بعض البلاد، هناك لَوْحة ارْتِفاع ثلاثة أمْتار، بِلَوْن فسفوري، مكتوب مِن هنا مكّة، فإذا خالف الإنسان هذه اللَّوْحة الكبيرة والواضِحَة جدًّا وبلُغَتين، ومُضاءة ليلاً، فقد ضلَّ ضلالاً مُبينًا، أما إذا كانت هناك لوحة صغيرة، ولا تكاد تقرأ، وغير مُضاءة ليلاً، وفي زاوِية الطريق، ولم تنتَبِه إليها، نقول: هذا ضلال غير مبين، فإذا جاوز المفرق الذي فيه هذه الإشارة بِعَشرة كيلو مترات، نقول ضلَّ ضلالا غير بعيد، أما لو مشى في هذا الطريق الضال مائة كيلومتر، نقول: ضلَّ ضلالاً بعيدًا ! فالإنسان قد ينْحرف بِتَفْكيره، أو بِسُلوكِهِ ويبْق مُصِرًّا على انْحِرافِهِ أمدًا، وينتج عن انْحِرافِهِ انْحِراف، وعن سُلوكِهِ سُلوك، نقول: هذا ضَلَّ ضلالاً بعيدًا، فإذا قال تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾

[سورة المائدة]

ونحن نُطْعِم البقر الجِيَف والمشيمات، والدَّم، ثمَّ يُصاب البقر بالجُنون نقول: هؤلاء ضلُّوا ضلالاً مُبينًا لأنَّ الله تعالى لمَّا حرَّم هذه الأشياء حرَّمها لِحِكمة، والشيء الغريب الآن أنَّهم أطْعَموا مَسْحوق هذه الجِيَف للقِطَط فأُصيبَتْ بالجُنون، معنى هذا إذا أطْعمْنا الحيوانات طعامًا ليس في أصْل بُنْيَتِها، فالبقرة مُصَمَّمة على أنها حيوان نباتي، فلمَّا أطْعمناها مَسْحوق الجِيَف، والدِّماء المُجَفَّفة دَفَعوا الثَّمن ؛ ثلاثة وثلاثون مليار جُنَيه اسْتِرليني ! وهو ثَمَن إحدى عشرة مليون بقرة مُصابة بإنجلترا، وبلاد الإنْجليز كُلُّها مراعي، والإنتاج الأوَّل في بلادهم البقر، وأُصيبُوا في أهَمِّ إنتاجهم، لأنَّهم ضلُّوا ضلالا مُبينًا وبعيدًا والله تعالى يقول:

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً (36)﴾

(سورة الأحزاب)

إلهٌ عظيم منَحَك منهَجًا ؛ اِفْعَل ولا تفْعَل، فهل يُمكن أن تُسَلِّم جِهازَك الكمبيوتر إلى خضَّار ؟! أو إلى جارٍ كريم ومُحِبّ ؟! لابدّ مِن خبير فهذا الكلام كلام الخبير، وهناك جِهَة واحِدَة لا تُناقَش ؛ هِيَ الجِهَة الصانِعَة، لذا الجَهل أعْدى أعداء الإنسان، فهذا مُزارِع اشْترى سميدًا من أفْخر الأنواع، والتّعليمات تقول: وَضْعُ كيلو غرام في البرميل الواحِد، فهُو من شِدَّة حُبِّ الرِّبْح وضَعَ كيلِيَيْن !! لمَّا فاق في اليوم التالي وجَدَ المحصول كُلّه أسْوَد !! فالجاهِل يفْعَلُ في نَفْسِهِ ما لا يستطيعُ عَدُوُّه أن يفْعَلَهُ به !

قال لي أحدهم زَوْجتي تَخونُني وعنده منها خمسة أولاد، وأنا تاجِر كبير، وعندي بيتٌ واسِع، فقلتُ له: معَ مَن؟ فقال لي: مع جارنا ! فقال لي: أحد المرَّات دخل عندي فقلتُ لِزَوْجتي: ادخُلي، هذا مِثل أخوك ! لو أنَّهُ حضَرَ مجلسًا واحِدًا مِن مجالسِ العِلْم لما قال هذا !

أيُّها الإخوة الكرام، ما مِن مُشْكلةٍ على وَجْه الأرض – وأنا أعْني ما أقول – إلا بِسَبب خُروجٍ عن منهَج الله تعالى، وما مِن خُروجٍ عن منهَج الله إلا بِسَبب الجَهْل، والجَهْل أعدى أعداء الإنسان، والمعرفة أيُّها الإخوة أوَّل مراحل العِلاج، وإذا أردْتَ الدنيا فعَلَيْك بالعِلْم، فلِكَي تعرف منهَج الله عليك أن تعرف كلامه وسنَّة نبيِّه، فيَجِب أن تعرف منهجَ الله وأمْره ونَهْيَهُ مِن أجل أن لا تغْترَّ أنَّك مُستقيمًا، فأنت لا يُمْكِنُك أن تُعالِجَ الضَّغْط المرتَفِع إلا إذا علِمْتَ أنَّ ضَغْطَكَ مُرْتَفَع وبالمقابل قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71) ﴾

(سورة الأحزاب)

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً (36)﴾

(سورة الأحزاب)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-9) : تفسير الآيتان 69-70

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، يقول الله جل جلاله في آخر سورة الأحزاب:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً(69)﴾

[سورة الأحزاب]

وَّل ملاحظة، أنَّ الأنبياء العِظام، وأولوا العَزم، والذين غيَّروا مَجْرى الحياة، والذين نشَروا الفضيلة ورسَّخوا الحق، بماذا جاءوا ؟ جاءوا بالكلمة ! إلا أنَّ هذه الكلمة يؤكدها الواقِع، فمتى يكْفر الناس بِالكلمة ؟ إن كان الواقِع لا يُؤَكِّدُها، وإن كانت الكلمة في واد، والواقِع في وادٍ آخر لذلك حينما جاءت الممارسات تُناقض الادِّعات كفَر الناس بالكلمة، ولمَّا كفروا بالكلمة استهزئوا بِكُلّ كلمة، والآن الكلمة التي تُقال اسْتِهزاءً لأيّ دَعْوَة: دون فلْسفة، وكلام فارِغ، لأنَّ الناس ألِفُوا أن يسْمعوا كلامًا لا يُؤَكّدُه الواقِع، وأن يسمعوا كلامًا هو في وادٍ والواقِع في وادٍ آخر ! أضْرِبُ لكم مثلاً ؛ لو أنَّ أبًا شاذًّا جائِعًا أشَدَّ الجوع، وحَوْله أولاد يموتون من الجوع، فجاء هذا الأب بِطَعامٍ نفيس وأكلَهُ على مرأى مِن أولادِهِ ! فالأولاد مَقْهورون وهو جبَّار، إلا أنَّهُ أضاف إلى العَمَل أن قال لهم: إنَّني أُحِبُّكم ! فهل لِهذه الكلمة أساس ؟ وإذا كفر الأطفال بِهذه الكلمة فهل لهم الحق ؟! كل الحق معهم، لأنّ سُلوك الأب يتناقض مع ما قال، لذا إن أرَدْتَ أن تُحَطِّمَ مبْدأً أُنْشُرْهُ بِلِسانِك وخالفْهُ بسُلوكِكَ، لذلك ماذا فعَلَ الأنبياء ؟ جاءوا بالكلمة ولكنَّ الواقِعَ كلّه يُؤَكِّدُها، وحياةُ النبي كلُّها تَجْسيدٌ لِهذه الكلمة التي جاء بِها فَمَن مِنَّا لا يعْرِف موضوع التَّواضُع، فقد كان النبي مع أصحابه في سفر وأرادوا أن يعالجوا شاة ليأكلوها فقال أحدهم: عليَّ ذبحها و قال الثاني: عليَّ سلخها وقال الثالث: عليَّ طبخها وقال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: عليَّ جمع الحطب ! فهُم ما سمعوا التواضع منه كلامًا ولكنْ رأوه ممارسة، لذلك تعلَّقوا به أشدَّ التعلُّق، و بالمقابل إذا جاء الأنبياء بالكلمة بماذا جاء أعداؤهم ؟ بالكلمة المضادة و بالتكذيب والتسفيه، وقال النبي عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[رواه البخاري]

فالإنسان متى يُفْلِح ؟ إذا عدَّ كلامه مِن عَمَلِهِ، فإذا ظنَّ أنَّ الكلام حديث فقط، فأنت لا تفْقَهُ الدِّين، فلا يستقيم إيمان عبْدٍ حتَّى يستقيم قلبهُ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لِسانُهُ، فهذه قالت حسبُكَ مِن صفِيَّة أنَّها قصيرة، فالإنسان متى يَجِدُ الطريق إلى الله تعالى سالِكًا ؟ إذا ضَبَط لِسانَهُ وإذا كفَّ عن الغيبة والنَّميمة، وعن البُهتان وعن الافْتِراء، وعن السُّخْرِيَّة والاحْتِقار، والاسْتِعْلاء، لذا قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً(69)﴾

[سورة الأحزاب]

فَهُم ما ضَربوه فالله يحْفظه، ولكنَّهم طَعَنوا بِدَعْوَتِهِ، وهناك مُنْحَرفون كثيرون لا يَحْلو لهم إلا الطَّعن بالعلماء وتَجْريحِهم، حينها يرْتاحون، فلو كان هناك مستقيم لأقيمتْ عليه الحجَّة، وإما أن يطْعن بالجميع فيرْتاح، لذا الإنسان قد يتكلَّم الكلمة لا يلقي لها بالاً قد يهْوي بِها سبْعين خريفًا و سَمِعْتُ مرَّةً مُقابلة مع رجل سألوه عن الأُضْحِيَة فقال هذا تَقْليد ! فقد كانوا يُضَحُّون بالفتيات وأصبَحوا بعدها يُضَحُّون بالخِرْفان !! وموضوع الأضحية لا علاقة لها بالدِّين إطْلاقًا !!! هذا كلامٌ خطير ! لمَّا تَعُدُّ الدِّين تُراثًا، وفُلْكلور، وتقاليد، وعادات فالإنسان قد يتكلَّم الكلمة لا يلقي لها بالاً يهْوي بِها سبْعين خريفًا برنامج مِن ملفَّات القضاء ؛ امرأة زَنَتْ مع شابّ، ووعَدَها بالزَّواج ثمّ لم يَفِ بِوَعْدِهِ فلمَّا طالبَتْهُ بالزَّواج، قال لها: أعْطِني مِفتاح دُكَّان أبيك فلعلِّي آخُذ منها مائة ألف ليرة أطْلُبُكِ بها، فناوَلَتْهُ المِفْتاح مِن تحت ميلاء ! هذا وكأنَّه دليل على أنَّها مُتَحَجِّبَة ؛ زانِيَة وخائِنَة تُعْطي مفتاح دُكَّان أبيها من تحت الملاية ! هذه كلمة كُتِبَت في ملف، فهذا يُشْعِر أنَّ المُحَجَّبات يفْعَلن ويفْعَلن ! فهذه كلمة تكلَّم ؛ لا يلقي لها بالاً قد يهْوي بِها سبْعين خريفًا، فلذا قبل أن يطْعن الإنسان، وقبل يُلْقي التُّهَم العَشْوائِيَّة، وقبل أن يُقَلِّل من قيمة دعوة إلى الله تعالى، لماذا اتُّهِمَت السيِّدَة عائِشَة في شَرَفِها وهِي السيِّدة المصون، وزوْجَةُ النبي عليه الصَّلاة والسلام ؟ لِتَكون قُدْوَةً لِكُلّ فتاةٍ طاهِرَة اِفْتُرِيَ عليها، وهي ليسَت كذلك ! لذا قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً(69)﴾

[سورة الأحزاب]

أحيانًا تكون هناك دعوة إلى الله كلُّها إخلاص وصِدق وحِرْص، فلأنَّهُ مُنْحرِف وشَهَواني، وضَعيف أمام نفْسِهِ تراه يطْعَنُ بالآخرين، فهذه كلمة، وأحيانًا الإنسان يستفيد من المسْجد، فلا يحْلو لأصْدِقائِهِ إلا أن يطْعنوا بِهذا المسْجِد، فكما أنّ الأنبياء جاءوا بِكَلِمَة، فأعْداء الله تعالى جاءوا بِكَلِمَة ؛ كلمة طَعْنٍ وتَفْريغٍ مِن مَضْمون، وكلمة تَقليل أهَمِيَّة قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً(69)﴾

[سورة الأحزاب]

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (70)﴾

[سورة الأحزاب]

وقد وردَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أنَّه يُطْبع المؤمن على الخِلال كلّه، تجد مؤمنًا اجْتِماعيا، وآخر انْعِزاليا، فَكِلاهما على العَين والرَّأس وهذا مؤمن ينفق كثيرًا، ومؤمن إنفاقه أقلّ، وذاك يُحِبّ لِقاء إخْوَتهِ ومؤمن يحبّ أن يبقى لوَحده، وآخر يحبّ السَّفر، ومؤمن يحب الحضر، ومؤمن يعتني بِبَيْتِهِ كثيرًا، ومؤمن أقلّ اعْتِناء، فهذه طِباع ويُطبَع المؤمن على الخِلال كلّها إلا الكذب و الخيانة، فإذا صدقنا مع ربّنا ومع أنفسنا ومع الآخرين فإن أغلب المشاكل سَتُحل وقال لي أحد الإخوة المحامين: هناك سبعة آلاف دعوى كيدية لقصر العدل لا أساس لها من الصِحة، إرهاق للقضاة والمحامين، فالعلم هو الوصف المطابق للواقع، فإذا كنتَ مع الواقع فأنت عالم و إذا قلّلت من قيمته فأنت مغرض و إذا بالغتَ فأنت واهم، والعالم ليس واهمًا وليس مغرضًا لا يقلِّل من قيمة الشيء و لا ينفخ فيه لذلك النبي عليه الصلاة والسلام خطب أحدٌ أمامه فقال: ما شاء الله وشئتَ فغضب عليه الصلاة والسلام وقال:

((أجعلتَني لله نِدًّا قل: ما شاء الله وحده، فهو عبده ورسوله))

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً(69)﴾

[سورة الأحزاب]

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (71)﴾

[سورة السجدة]

اِلزم الصدق، ودائما يتوهَّم الإنسان أوهاما باطلة، فيقولون: الكذب ملح الرجال، والعياذ بالله، إنَّ الصدق من خلُق المؤمن، فكن صادقا وكلمة الحق لا تقطع رزقا ولا تقرِّبُ أجلا، كن صادقا في البيع والشراء، قال لي أحد الإخوة: عندي قطعة تبديل للسيارة منذ خمس سنوات، وسعرها عشرون ألف ليرة، جاء الزبون فقال له: عندك القطعة الفلانية ؟ قال: نعم، قال: هل هي أصلية ؟ فوقع البائع في صراع، ثم قال له: ليست أصلية، قال له: أعطنها، فكلمة صدق واحدة جعلت البيع مشروعا، وكلمة أخرى قد تجعله حراما، فقولوا قولا سديدا في البيع و الشراء و لا تخَفْ، ولا تُدَلِّس، قال لي مرة واحدٌ من الناس: ما هو التدليس ؟ قلتُ: شخصٌ خطَب فتاة وقال لها: أنا عندي بيت في حيِّ المالكي، فوافق الوليُّ فورا، ثم ظهر أنَّ بيته في حيّ الملكي بمنطقة ببيلا على طريق السيدة زينب فهو ما كذب ولكنه دلَّس والتدليس أخ الكذب، وفي البيع آلاف أنواع التدليس كالإيهام، تكتب إيطالي، هذه موديل إيطالي ولكن ليس بِضاعة إيطاليَّة فالتَّدْليس والكذب والغِشّ ؛ هذا لا

يجْلبُ رِزْقًا، ونحن في العيد قلنا: الله أكبر فَمَن قال: الله أكبر ألف مرَّة وكذب، ورأى أنَّ هذا المَبْلغ الذي سيَأتيه عن طريق هذه الصَّفقَة بالكذب أغلى عنده مِن طاعة الله فهو ما قال الله أكبر ولو مرَّة ولو ردَّدَها بلِسانِهِ ألف مرَّة، وإذا الإنسان رأى أنَّ إرْضاء زوْجتِهِ أغلى عنده مِن طاعة ربِّهِ فما قال الله أكبر ولو مرَّة ولو ردَّدَها بلِسانِهِ ألف مرَّة، فأنت إذا أطَعْتَ تكون أمام شَخْصيْن أحدهما: معه سيْفَين، والآخر سبْعَين ! فمَن تُطيع ؟ السَّيْفَين فالإنسان إذا أطاع مَخلوقًا وعصى الخالق، فهذا لا يعرف الله ولو قال الله أكبر ولو مرَّة ولو ردَّدَها بلِسانِهِ ألف مرَّة، لذلك مِن علامات تخَلُّف المسلمين ؛ هذه الكلمات الضَّخْمة، مُفَرَّغَة مِن مَضْمونها نُرَدِّدُها ولكنَّنا لسْنا في مستواها، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً (69) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (70)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-9) : تفسير الآية 72

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الكريمة الثانيَة والسَّبْعون مِن سورة الأحزاب وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً(72)﴾

(سورة الأحزاب)

لعلَّ هذه الآية مِن أخْطَر آيات القرآن الكريم التي تُحَدِّد هَوِيَّة الإنسان ومِن خِلال هذه الآية يتبدَّى أنَّ الإنسان هو المَخْلوق الأوَّل، لذلك أُمِرَتْ الملائكة أن تسْجُدَ له، والإنسان كما قال الإمام عليّ كرَّمَ الله وجْهه رُكِّبَ مِن عَقْلٍ وشَهْوةٍ، بينما رُكِّبَ الحيوان مِن شَهْوَةٍ ولا عقْل ورُكِّب الملَكُ مِن عقْل دون شَهْوة، أما الإنسان فَرُكِّبَ مِن كِلَيْهِما فإن سَما عَقْلُهُ على شَهْوَتِهِ أصبَحَ فوق الملائكة، ومِن هنا يُعَدُّ المؤمن أرْقى مِن الملائِكَة أما إذا خان الأمانة وضَيَّعَها يُعَدُّ أسْوَء مَخْلوقٍ على الإطلاق، فأيُّ حَيوان تَحْتَقِرُهُ، فالإنسان الكافر أسْوَءُ منه، والدليل قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ(6)﴾

[سورة البينة]

أيْ شَرُّ ما برءَ الله، فأنت بين أن تكون خَيْرَ ما برءَ الله، وبين أن تكون شرَّ ما برءَ الله، فالإنسان يُتَذَبْذب من أعلى مرْتبة إلى أدْناها من مرتبة الملائكة إلى مرتبة دون الحَيوان !

أيها الإخوة، قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً(72)﴾

[سورة الأحزاب]

النُّقْطة الدقيقة في هذه الآية أنَّ الله تعالى خلق الخلْق لِيُسْعِدَهم، لكنَّ السَّعادة تَحْتاج إلى أهْلِيَّة، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللَّهم إنَّا نسألك موجِبات رحْمتِك؟))

فأنت يُمْكن أن تعْطي الزَّهْرة مِن الماء ما تتحمَّل، ولو عندك عشرة إنش، ولك زهرة لطيفة وصببْتَ هذا الماء على هذه الزَّهْرة لسَحَقْتَها، فالعَطاء يتناسَب لا مع المُعْطي، ولكن مع طاقة الآخِذ، فالله تعالى خلَقَ الخَلْق لِيَرْحَمَهم، ولكن هناك رحْمة عالِيَةٌ جدًا عرضَها على المخلوقات، مَخْلوق تُوضَعُ فيه شَهوات ويُعطى عقْل وفِكْرة، ويُعْطى له منهَج، ويُكَلَّف بِأمْر ونَهْيٍ، فإذا نجَحَ صار مُؤَهَّلاً لِسعادة تفوق أيَّةَ سعادة ! هذا هو مَفْهوم الأمانة، فالله عز وجل عرضَ على المخلوقات مرْتبةً مِن النَّعيم لا تفوقها مرْتبة، إلا أنَّ هذه المرتبة تحتاج إلى جُهْد، فلو أنَّ أبًا كان له محلّ، وكان له خمْسة أولاد، وقال لهم: مَن أراد أن يأتي للمَحلّ فليَأتي وله خمْسة آلاف ومن درسَ وتحصَّل على البورد أُعْطيه الملايين ! ودخْلُهُ يُصبِح بالملايين، فَهذِه المرتبة تحتاج إلى دِراسَة وجُهْد وبذْل طاقة، فالإنسان رضِيَ أن يتحمَّل الأمانة، فأنت لِكَوْنِكَ إنسان يجب أن تعلم عِلْمَ يقين أنَّ الله تعالى في عالم الذرّ عرض عليك أن تكون إنسانًا وقَبِلْتَ فجاءَ بِكَ إلى الدُّنيا.

الآن مُقَوِّمات حَمْل الأمانة ؛ الكَون، فالكَوْن مُسَخَّر للإنسان، قال تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(13)﴾

[سورة الجاثية]

لأنَّك حَمِلتَ هذه الأمانة، ورضيتَ أن تكون المَخْلوق الأوَّل، وقبِلْتَ أن تتحمَّل مُخاطَرَة النَّجاح والرُّسوب، سُخِّرَت لك السَّماوات والأرض بِما فيها هذه الأولى .

الثانيَة ؛ أنَّك مُنِحْتَ نِعْمة العَقْل، فالعَقْل قُوَّة إدْراكيَّة يتمتَّعُ بها الإنسان وَحْدهُ، وأُعْطيتَ فِطْرةً تتوافق مع الدِّين فحينما تَحيد عن الدِّين تَحُسّ بالانْقِباض ؛ الشُّعور بالنَّقْص، والشُّعور بالذَّنْب، والكآبة، هذه كُلُّها الفِطْرة السليمة التي فُطِرْتَ عليها، قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7) ﴾

[سورة الشمس]

فهذه النَّفْس حينما سوَّاها ألْهَمَها طريق سَعادتِها، وطريق شَقائِها فإذا سَلَكَتْ طريق سَعادَتِها ألْهَمَها أنَّها على الطريق الصحيح، وإن سلَكَتْ طريق شَقائِها ألْهَمَها أنَّ على الطريق المُشْقي، فهذه هي أخْطَر آيةٍ مُتَعَلِّقة بالإنسان، قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً(72)﴾

[سورة الأحزاب]

سائق سيارة يتقاضى بالشَّهْر خمسة آلاف، لو حدث معه حادِث يُبَلِّغ صاحب السيارة، فهو ليس مسؤولا، أما قائِد الطائرة يأخذ بالشَّهر مائتان ألف لأنَّه إن أخْطأ يقولون: مات جميعُ رُكَّابِها، فالدَّخْل على قدَر المسؤوليَّة فهذا المخلوق جاء إلى الدنيا، وقد رَضِيَ أن يحْمِل الأمانة، ورَضِيَ أن تودَعَ فيه الشَّهوات، وهل هناك إنسان ليس له شهوة في النساء، ولا في المال، فهذه شهوة قويّة، ولكن هناك منهج وهناك عقل وفكر وكون وفطرة، وهناك أمر ونهي، فالمقومات الكونُ لأنَّ الكون يدلُّ على الله وعلى وجوده وكماله ووحدانيته، والعقل أداة معرفة، والفطرة تكشف لك خطأك، قال تعالى:

﴿بَلْ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ(14)﴾

[سورة القيامة]

فالكون والعقل والفطرة، والشهوة هي القوة المُحرِّكة، ولماذا الجماد لا يرقى إلى الله؟ لأنَّه لا شهوة له، أمَّا أنت فطاقة تشتهي النساء و المال والمنصب، و هذه شهوات أودعها الله فيك مِن أجل أن ترقى بها إلى ربِّ الأرض والسماوات، فالشهوة هي الطريق إلى الله و لو لم نَشْتهِ لمن نذنب فلا نُكرَّم عند الله عز وجل، وإذا لم نذنب كنا جمادا فكيف نرقى عند الله ؟ و ربُّنا عز وجل أودع فينا الشهوات لنتحرَّك من خلال منهج الله، وليس كلُّ امرأة لك الحقُّ في النظر إليها، أما هناك امرأة لك الحق أن تنظر إليها، قال تعالى:

﴿"بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ(86) ﴾

[سورة هود]

فلذلك ورد في الحديث القدسي " أحبُّ الطائعين و حبّي للشاب الطائع أشدُّ، و أحب الكرماء، وحبي للكريم الفقير أشدُّ، و أحب المتواضعين وحبي للغنيّ المتاضع أشدُّ، وأبغض العصاة وبغضي للشيخ العاصي أشد، و أبغض المتكبرين و بغضي للمتكبر الفقير أشد، وأبغض البخلاء وبغضي للغنيّ البخيل أشد، لما الله تعالى ينظر إلى شاب يتَّقد بالشَّهوات ولكن يضْبطها وِفق منهج الله يقول: أُنْظروا عَبْدي ترك شَهْوته مِن أجلي، فالبُطولة كما قال سيِّدنا يوسف ؛ قال تعالى:

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(23)﴾

[سورة يوسف]

فالإنسان لمَّا يُسايِر شَهْوتَهُ يسْقُط أما إذا خالفها يرْقى، وإنَّ اتِّباع الهَوى هوان

وا خَجْلتي مِن عِتاب ربِّي إذا قال لي: أسْرَفْتَ يا فـلان

إلى متى أنت في المعاصي تسير مُرخَى لك العِنــان

عندي لك الصلح وهو بِرِّي وعندك السيف والسّنــان

ترضَى بأن تنقضي الليالي وما انْقضَت حرْبُكَ العَـوان

فاسْتحي من كتاب كريم يُحصي به العَقل واللّسـان

واسْتَحي مِن شيبةٍ تراها في النار مَسْجونة تُهـانُ

***

وقال الشاعر:

إلى متى أنت باللَّذات مَشْغول وأنت عن كُلِّ ما قدَّمْتَ مسؤول

***

قال: عبدي كبرتْ سِنّك وانْحَنى ظَهْرك، وضَعُف بصرُك، وشاب شَعْرك، فاسْتحِ مِنّي فأنا أسْتحي منك، ومن دخل في الأربعين دخل في أسْواق الآخرة، فهذه الآية:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً(72)﴾

[سورة الأحزاب]

فلأنَّك مِن بني البشر عُرِضَت عليك الأمانة في عالم الذَّر، وقَبِلْتَ أن تَحْمِلَها.

الله تعالى حينما حمَّلَكها، أعْطاكَ مُقَوِّماتِها، أوّل مُقَوِّم الكَونُ، فَكُلّ ما في الكون يدُلّ على الله، وأعْطاكَ العَقْل؛ قُوَّة أدْراكيَّة، وأعْطاكَ الفِطْرة كَمِقْياسٍ نَفسي، قال تعالى:

﴿ بَلْ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ(14)﴾

[سورة القيامة]

لا يوجدُ إنسان يحيد عن المنهج الصحيح إلا وينْقبِض، فالمرض المُنْتشِر في العالم الغربي، مع تَفَلُّتِهم هو الكآبة ! ما هي الكآبة ؟! تَعذيب الفِطرة لدى الإنسان، لمَّا يزْني الإنسان بِفَتاة، فهِيَ كانت طاهِرَةً فأفْسَدَها، هذا له فِطْرة تُعَذِّبُهُ في أعْماقِهِ ! لو فرضْنا أنَّ أبًا ترَكَ عشْرة ملايين، ومات وترك خمسة أولاد، وأحد الأولاد اسْتطاع أن يأخُذَها كُلَّها، واشْترى بيتًا فخْمًا وفرشَهُ بالأثاث، صَدِّقوني في أعْماقِهِ يوجَدُ انْهيار ؛ لأنَّهُ يعْلَمُ أنّ هذا المال مال إخْوَتِهِ، وقد اغْتصَبَهُ فمهما بدى لك مَظْهر المُنْحَرِفِ فَخْمًا، فهذا له انْهيار داخلي، وهذا الانْهيار هو تَعذيب الفِطْرة والكآبة، لذلك تَجِد معظَم الناس الذين يأكلون أموال الناس بالباطل لهم كآبة، بُيوتهم فخْمة، ولكنَّهم بعيدون عن السُّرور ! أما الدَّخْل الحلال يُعْطي صاحِبَهُ سُرورًا كبيرًا جِدًّا، فأنا أذْكر أنَّني دَخَلْتُ إلى مزْرعة كبيرة جدًا إلا أنّ صاحِبَها دَخْلُهُ ليس كما ينبغي ! صَدِ◌ّقوني ؛ هذه المَزْرعة كأنَّ أشْجارَها تلْتَهِبُ نارًا ! هذه مِن أموال الناس، مَن أكلَ مالاً حرامًا عُذِّب به في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً(72)﴾

[سورة الأحزاب]

الآن سؤال: هل كان هذا الإنسان ظَلومًا وجَهولاً حينما حمَلها ؟ الجواب: لا، فلو عَرَضوا عليك مَنْصِبًا رفيعًا يحْتاج إلى دُكتوراه وأنت ذَكِيّ وقلتَ: أنا له، ودرسْتَ، فلَسْتَ مُخْطئًا، فلو أنَّ أباك عرض عليك أفْخَم بيتٍ على أن تنال شَهادة البورد، وأنت شاب في مُقْتَبَل الحياة، ولك طاقاتك، هل إذا قبِلْتَ هذا العرْض ظالمٌ ؟ قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً(72)﴾

[سورة الأحزاب]

فالآية لها معنيان: أنّ هذا الإنسان حينما قَبِلَ عرْض الأمانة لم يَكُن ظالمًا ولا جَهولاً، أما إذا قَبِلَ حمْلها، ولم يُؤَدِّها كان ظلومًا جهولاً وهذا شيء يَحْصل ؛ فقد يُرْسِلُ الأب ابنه إلى أوروبا لِنَيل الدُّكتوراه وفي كلّ شَهر يبْعث له ألف دولار، وبعد خمسة سنوات ؛ لا شَهادة ولا عِلْم فالابن لمَّا قَبِلَ عَرْض والدِهِ ما كان ظَلومًا جَهولاً، أما لمَّا خيَّب ظنَّ والدِهِ كان ظلومًا جهولاً.

إذًا نحن في امْتِحان، فإذا عرفْنا مَن نحن ؟ أنت المَخلوق الأوَّل وأنت الذي سُخِّرَت له السَّماوات والأرض، وكلّ المَخلوقات في خِدْمَتِك وإذا الله تعالى قنَّن عليك، فَتَقْنين الله تعالى تَقْنينُ تأديب لا تَقْنين عَجْز، وقد ذكرتُ لكم أنَّهم عقدوا في أحد البلاد قديمًا مؤتَمَرًا يدرسون فيه كميَّة الحديد الموجودة الآن، وتوصَّلوا إلى أنَّ هناك كمِّيَة تكفي ستِّين سنة وكان المؤتمر سنة ألف وتسعمائة وعشرة ! معنى ذلك أنَّ سنة السَّبعين ينعدم الحديد، ثمّ اكْتُشِفَ أنَّ خُمس الكرة الأرضِيَّة تحوي الحديد ! فإذا قنَّن الله فهذا تقْنين تأديب، والكون كلّه مُسَخَّر لك، وهناك مِياهٌ كافِيَة ومزْروعات، ونحن في بلدِنا الطيّب أنتَجنا ثلاثة ملايين قَمح وحاجتنا مليون قَمح فقط ! فالأمر بيَدِ الله، يبسط ويقبض، لذا الإنسان لا يعبأ بِكلام المُثبِّطين ؛ انْفِجار سُكَّاني، ونَقْص الموارِد، وجفاف المياه وحرب المياه،و حرب القَمح، هذا كُلُّه يُقال لنا كَي يشُدَّ هذا أعْصابنا دائِمًا، أما الله تعالى إذا أعْطى أدْهَش.

فالمُلَخَّص، لِكَونِك إنسان قَبِلْتَ حمْل الأمانة، وأنت المخلوق الأوَّل وما العقل والفِطْرة والشَّهوة وحُرِيَّة الاخْتِيار، وما الكون والشَّرْع إلا مُقَوِّمات حَمْل الأمانة، لذلك قالوا: مَن عرف نفْسَهُ عرف ربَّه ! يجب أن تعرف مَن أنت؟ قالوا: مِن الناس مَن يدْري بأنَّه يدْري فهذا عالِمٌ فاتَّبِعوه، ومنهم لا يدْري بأنَّه لا يدْري فهذا شَيطانٌ فاحْذَروه، أما أن تكون على هامِش الحياة، وتعيش لأجل الأكل والشرب و الشَّهوة أنت أكبر من هذا أيُّها الإنسان، إلا أنَّه أحْيانًا الإنسان يضَعُ نفْسَهُ مَوْضِعًا صغيرًا، فأنت لك مُهِمَّة تفوق دَخْلك ومكانتَكَ في المُجتمَع.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-9) : تفسير تتمة الآية 72

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الكريمة مِن سورة الأحزاب، والتي شُرِحَ جانب منها، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً(72)﴾

[سورة الأحزاب]

الحقيقة أنَّ الأمانة التي حَمَلها الإنسان في أوْجَه التَّفسيرات هي نفْسُهُ التي بين جَنْبيْه، والدليل قوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)﴾

[سورة الشمس]

فهذه النَّفس البَشَرِيَّة هي ذاتُكَ، وهي أنت، وهذه النَّفْس خُلِقَت، ولن تموت إلا أنَّها تَذوق الموت، قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

[سورة آل عمران]

ذَوْق الموت شيء، وأن تموت النَّفس شيءٌ آخر.

إنَّ الإنسان في الدنيا جسَدٌ ونفْس وروح، فالرُّوح هي القوَّة المُحَرِّكة وعند الموت تُسْلبُ الرُّوح، ويبقى الإنسان جسدًا يفنى، ونفْسًا خالِدَة فإذا قال الله تعالى:

﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(6)﴾

[سورة الحديد]

وقال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

[سورة آل عمران]

هي التي تؤمن وهي التي تَكفر، وهي التي تُحبّ، وهي التي تُبْغض وهي التي تَسْمو تسْكن، وهي التي تتقرَّب إلى الله، وهي التي تبْتَعِدُ عنه، وهي التي تتحلَّى بالكمال، وهي التي تتلبَّسُ بالنَّقْص نفْسُكَ التي بين جَنْبَيْك هي ذاتُك، وهذه النَّفس لا تموت أبدًا، وإلى أبد الآبدين، قال تعالى:

﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ(77)﴾

[سورة الزخرف]

إلا أنَّ الموت انْفِصال الجسَد عن النَّفْس وعن الرُّوح، و الرُّوح قوَّة الله في الإنسان سُحِبَتْ، وبَقِيَتْ نفْسُهُ الخالِدَة فَهِيَ إمَّا في نعيم أبَدِيّ وإمَّا في شَقاءٍ أبدي، إما أنْ يكو ن القبْرُ رَوْضَةً مِن رِياض الجنَّة وإمَّا أن يكون حُفْرةً مِن حُفَر النار، وهذا الجسَد يُصبِحُ تُرابًا، لذا الأمانة هِيَ النَّفْس، نفْسُكَ بِيَدِك، وأودِعَت أمانةً بِيَدِك، فإذا عرَّفْتها بِرَبِّها أحبَّتْهُ وأطاعَتْهُ وتقرَّبَتْ منه، وسَعِدَت بِقُرْبِهِ في الدنيا والآخرة والإنسان يوم القيامة يُسْمَحُ له أن ينْظر إلى وَجه الله الكريم، فيَغيبُ خمسين ألف عام مِن نَشْوَة النَّظْرة، قال تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(22)إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(23)﴾

[سورة القيامة]

أكْبر عِقاب يوم القِيامة كما قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ(15)﴾

[سورة المطففين]

نحن نتوَهَّم أنَّ هذه الجنَّة هِيَ حور العِين، والأنهار، وفواكه، وعسل مُصَفًّى، وخمرٍ لذَّة للشاربين ؛ هذا أقلّ ما في الجنَّة، الجنَّة هي دار النَّعيم، وأبْرزُ ما في هذا النَّعيم النَّظر إلى وَجْه الله الكريم، لذلك قال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(72)﴾

[سورة التوبة]

أكبر من حور العين والبساتين والأنهار شُعور هذا الإنسان يوم القيامة أنَّ الله راضٍ عنه، وأنّ الحِجاب كُشِفَ بينه وبين ربِّه، وأنَّهُ بِإمكانهِ أن ينظر إلى وَجْه الله الكريم، وأن يتقرَّب منه، وتقرَّ عَيْنُهُ بالقرب منه تعالى.

هذه النَّفس ؛ الذات الخالدة، والتي هِيَ مِن روح الله، قال تعالى:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(29)﴾

[سورة الحجر]

هذه عقيدة، لا تقْبلوا الأمور إلا بالدليل من الكتاب والسنَّة، فهذه النَّفس مِن روح الله، وخُلِقَت لِتَبْقى إمَّا في سَعادة أبَدِيَّة، وإما في شَقاءٍ أبَدِيّ وأوكِلَ أمْرُها إليك في الدنيا فإمَّا أن تُزَكِّيَها، وإما أن تُدَسِّيَها.

خمسة آلاف مليون إنسان مُوَزَّعون بِحَسَب القارات والتقاليم والشَّمال والجنوب والغرب، والعرق الأبْيَض والملوَّن، والساميُّون، والشُّعوب المتقَدِّمة والمُتَخَلِّفة ؛ يُمْكِنُكَ تَقْسيم البشر إلى ألف قِسْم هم في النِّهايَةِ قِسْمان: قسْمٌ عرف الله فاتَّصل به، وانضبَط بِمَنْهَجِهِ فأحْسَنَ إلى خلْقِهِ فَسَعِدَ في الدنيا والآخرة، وقِسْمٌ جَهِل حقيقة الله

عز وجل، وتفلَّتَ مِن مَنْهجهِ، وأساء إلى خلْقِهِ فشَقِيَ في الدنيا والآخرة، والناس رجلان: بر تقي ولا ثالث لهما، فلذلك كما قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)﴾

[سورة الشمس]

إن عرَّفْتها بِرَبّها تُزَكّيها، وإن حَمَلْتَها على طاعة الله تُزَكِّيها وإن تقرَّبْتَ إلى الله عز وجل بالأعمال الصالِحَة تُزَكّيها، وإن أبْعَدْتها عن الحرام تُزَكّيها، وكذا إن حضَرْتَ مجالسَ العِلْم، نَفْسُكَ أمانة بين يَدَيْك والفَحْص عند الموت، إما أن تكون مِن السُّعَداء الناجِين، وإما أن يكون الإنسان لا سمَحَ الله مِن الأشْقياء الهالِكين، فالذي زكَّاها في الدُّنيا سَعِدَ بها إلى أبَدِ الآبِدين، لذلك قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً(72)﴾

[سورة الأحزاب]

فنَفْسُكَ أوكِلَ إليك أمْرُ شأنِها، فأنت مُخيَّر ؛ بإمكانِكَ أن تُصَلّي أو لا تُصَلّي، فإن صَلَّيْتَ تُزَكّيها، وإن لم تُصلِّ تُدَسِّيها، وتَجْعلها سيِّئة وبإمكانك أن تصْدق فتُزَكّيها، أو أن تكْذب فَتُدَسِّيها، وبإمكانك أن تكون كريما فَتُزَكِّيها، أو أن تبْخل فَتُدَسِّيها، فالأمر بِيَدِك، قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7)﴾

[سورة الشمس]

هذه هي الفِطْرة، فَمِن دون أن يُعَلِّمك أحدٌ تَعلمُ عِلم اليقين ما إذا كنت على الحق أم الباطل، قال تعالى:

﴿بَلْ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ(14)﴾

[سورة القيامة]

كلّ واحِد مِنَّا يعْلم نفْسَهُ عِلْمَ يقين ما إذا كان مُستقيمًا أو مُنْحَرِفًا مُحْسِنًا أو مسيئًا، صادِقًا أو كاذِبًا، مُقبلاً أم مُدْبِرًا.

فيا أيُّها الإخوة، هذه مِن أخْطر آيات القرآن الكريم التي تُعَرِّف الإنسان بِنَفْسِهِ وحقيقَتِهِ ؛ أنت مَخلوق أوَّل ومُكَرَّم ومُكَلَّف، امْتَنَّ الله عليم بِنِعْمة الوُجود والإمداد ونِعمة الهُدى والرَّشاد، وحمَّلَك الأمانة والأمانة نَفْسُكَ التي بين جَنْبَيْك، فالإنسان إذا خالَطَ أهل الدنيا واشْتهى مناهِجَ الحياة ولو مِن طريق غير مَشْروع تَجِدُهُ يسْتَمْتِه، ويجد لذَّة آنِيَّة وطارِئَة يَعْقبُها كآبة وانْقِباض، أما إذا عرَّف نفسه بالله تعالى، وطلب العِلْم، واسْتَقام على أمر الله يتجلَّى الله على قلبِهِ ويُسْعِدُهُ سعادة متنامِيَة إلى أبد الآبدين وهناك فَرقٌ كبير بين اللَّذة والسَّعادة فلو أنّ ورِث عشرة ملايين من أخوته واغْتصَب تركَة أخوته، حينها يشتري ما يريد سيارات وبيت ويَنْعُم، ولكن

ألا يشْعُر بانْهِيار داخلي أنَّه أكل مال أخوته ؟! لو أنَّهُ قسَمَ المال بالعَدل، وأخد بيتًا صغيرًا وليس معه سيارة ويركَب بالباصات ولكن حينما يشْعر أنَّ الله تعالى راضٍ عنه يشْعر بِسَعادة لا توصَف اللَّذة تأتي من الطعام والشراب والنِّساء وملذات الدنيا هذه أشياء مادِيَّة وآنِيَّة، وإذا كانت في الحرام يَعْقِبُها كآبة وانْقِباض ويَعْقِبُها ضيق، أما المؤمن إذا كان دَخْلُهُ حلالاً واسْتَمْتَعَ بِحَسبِ دَخْلِهِ بما سَمَح الله له بِهِ يشْعر بالسَّعادة متنامِيَة، لأنّ الله راضٍ عنك، وأن تشعر هذا الشُّعور هذا أثْمَنُ شيءٍ في الحياة الدنيا ! وما مِن شُعور يقول لك: أنّ الله راضٍ عنك ويُحِبُّك أفضل من هذا الشُّعور فالإنسان لمَّا يستقيم ويقترب من الله، والدليل:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(72)﴾

[سورة التوبة]

أيْ أكْبرُ شيءٍ في الجنَّة شُعور المؤمن وهو في الجنَّة أنَّ الله تعالى راضٍ عنه، فهذا أكبر مِن حور العِين، ومن جنات تجري من تحتها الأنهار، ومِن فواكه وهم مُكرمون، ومن أنهار مِن عسلٍ مُصَفًّى ومن خمْر لذَّة للشاربين، فالنَّظر إلى وجه الله الكريم ورِضْوان الله عز وجل أكْبر مِن كُلّ ما في الجنَّة، فالجنَّة هي دار النّعيم، وثَمَنها نفْسٌ زكِيَّة، والدليل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(88)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(89)﴾

[سورة الشعراء]

قلبٌ زكي وطاهِر، قال: يا رب، أيُّ العِباد أحَبُّ إليك حتَّى أُحِبَّهم بِحُبِّك ؟ قال: أحبُّ العباد إلي تَقِيّ القلب، ونقيّ اليدين لا يمشي إلى أحدٍ بِسُوء، أحبَّني، وأحبَّ مَن أحبَّني، وحبَّبني إلى خلْقي، قال: يا رب، إنَّك تعْلم أنِّي أُحِبُّك وأُحِبّ من يُحِبُّك، فكَيْف أُحَبِّبُكَ إلى خلْقِك ؟! قال: ذَكِّرْهم بآلائي ونَعْمائي، وبلائي.

فإذا كان الواحد منضبط الجوارح والدَّخل، وقائِم على أهله وبيْتِهِ، فقد تكون حياة هذا الإنسان خَشِنَة، ولكن هذه الصِّلة تُغْنيه عن كلّ شيء ولو يعْلم المُلوك ما نحن عليه لقاتَلونا عليه بالسُّيوف ! فالرَّحمة تُغني عن المال والجاه، وعن مباهِج الدنيا، وأحْيانًا يُعْطيك الدنيا بِكُلّ تفاصيلِها، ويَحْجُب عنك رحْمَتَهُ، فَهُوَ أشْقى الناس، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)﴾

[سورة الشمس]

فالإنسان نفسُهُ بين يَدَيه، فإذا عرَّفها بِرَبِّها وحملها على طاعة الله وتتقرَّب إليه تعالى، حتى تتَّصِل به فكانت أهْلاً لِدُخول الجنَّة، أما إن ترَكَها جاهِلة، فلا تجد عنده الوقت لا بالمَوسِم ولا بِغير المَوْسِم ! والعِلم لا يُعْطيك بعضه إلا إذا أعْطَيْتَهُ كُلَّكَ، ويظلّ المرء عالمًا ما طلب العِلم فإذا ظنَّ أنَّه قد علم فقد جهِل، والعلم لا نِهاية،

ويقول الإمام الشافعي: كلَّما ازْدَدْتُ عِلمًا اِزْدَدْتُ عِلْمًا بِجَهلي ! وأعلى صِفَة بالمؤمن التَّواضع فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ:

((أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ فَقَالَ لَهُ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ))

[رواه ابن ماجه]

لذا نفسُكَ إما أن تَحْملها على الطاعة، وإما أن تحمِلَها على المعْصِيَة وهي أمانة بين جَنْبيْك، أعرف امرأة أُصيبتْ بمَرض خبيث في دِماغِها ثمّ شفاها الله بِعَمَلِيَّة ناجحة، فأرادَتْ أن تتقرَّب إلى الله، ففتَحَت مطْبَخًا صغيرًا تطْبخ فيه طبْخًا نفيسًا، وتبيعُهُ إلى الأغنياء، وكل الدَّخل الذي تأتي به تُعين به الفقراء ومَن معه عَمَلِيَّات جِراحِيَّة لا يستطيع أن يؤدِّي مبلغها !! فهذه قُدْرتها الطَّبْخ، وكذلك أنت، فَكُل إنسان له أن يُقَدِّم مِمَّا اسْتطاع.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (9-9) : تفسيرالآيات 72-73

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآيات الأخيرة مِن سورة الأحزاب، وهي الآية الثانية والسَّبعون، والتي تليها، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً(72)﴾

[سورة الأحزاب]

في الدَّرس الماضي تَحَدَّثْتُ عن الأمانة، وبيَّنْتُ أنَّه مِن أوْجَهِ التفاسير للأمانة ؛ هِيَ أنَّها نفْسُكَ التي بينَ جَنْبَيْك، أوْكَلَها الله إليك فبإمكانِكَ أن تُزَكِّيَها، فَتَسْتَحِقُّ جنَّة ربِّها، وبإمكانِكَ أن تُدَنِّسَها فتَسْتَحِقُّ عذابًا أبَدِيًّا وهذا الأمر بيَدِ الإنسان.

أما الذي يتوهَّم أنَّ الله سبحانه وتعالى قدَّر عليه أن يكون عاصِيًا، قال تعالى:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(28)﴾

[سورة الأعراف]

لذلك لمَّا سيدِنا عمر جاءهُ رجل شاربُ خمرٍ، فلمَّا قال: أقيموا عليه الحدّ، فقال هذا الشارب للخمر: والله يا أمير المؤمنين إنَّ الله قدَّر عليَّ ذلك ! فقال عمر بن الخطاب: أقيموا عليه الحدّ مرَّتَين ؛ مرَّةً لأنَّه شربَ الخمْر،و مرَّةً لأنّه افْترى على الله ! وقال له: وَيْحَكَ يا هذا، إنَّ قضاء الله لم يُخْرِجْكَ مِن الاخْتِيار إلى الاضْطِرار، لذا قال تعالى:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

[سورة البقرة]

إذا اعْتَقَد الإنسان أنَّ الله تعالى أجْبرهُ على المعاصي، فقد اعْتَقَد عقيدَةً زائِغَةً تُهْلِكُهُ، لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾

[سورة الأعراف]

إذا عَزَوْت الشّرْك والمعْصِيَة إلى قضاء الله وقدَرِه فقد افْتَرَيْتَ على الله، قال تعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾

[سورة الأعراف]

وقال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148)﴾

[سورة الأعراف]

لِمُجَرَّدِ أن تُلْغِيَ الاخْتِيار فإنَّك تُلْغي الأمانة، وتُلْغي التَّكْليف، وتُلغي الثَّواب والعِقاب، وتُلغي الجنَّة والنار، وتُلغي بِعْثَة الأنبياء وإنزال الكتب، ويَصبحُ كلّ هذا تَمْثيليَّة !! قال تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(148)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(17)﴾

[سورة فصلت]

وقال تعالى:

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا(10)﴾

[سورة الكهف]

هذه الآيات تُؤَكِّد أنّ الإنسان مُخَيَّر، ولو أنّ الله تعالى أجْبَرَ عِباده على الطاعة لبطَل الثَّواب، ولو أجْبرهم على المعْصِيَة لبَطَل العِقاب، ولو تركَهم هملاً لكان عَجْزًا في القدْرة، إنّ الله أمَرَ عِبادهُ تَخْييرًا، ونهاهم تَحذيرًا، وكلَّف يسيرًا، ولم يُكَلِّف عسيرًا، وأعطى على القليل كثيرًا ولم يُعْصَ مَغْلوبًا ولم يُطَع مُكْرَهًا لذا أخطر عقيدة فاسِدة تشل قدرات الإنسان، وتصِف الله بالظُّلم وهو المُنَزَّه بالكمال ؛ أن تقول إنَّ الله أجْبرني على هذه المَعْصِية، والعوام يقولون كلمات هي مِن قبيل الكُفر أقام العباد فيما أراد، وله المُراد فيما يريد، والله خلق المؤمنين وخلق الكفار، ولا يملك واحد منَّا شيئًا ألقاه في اليَمّ مَكْتوفًا وقال له إياك إياك أن تبْتَلَّ بالماء إذا كنت مُديرًا عامًّا بِمُؤسَّسة، أو بِدائرَة، وأرْسَلْتَ مُوَظَّفًا إلى حلب بِمُهِمَّة، وبأمْرٍ إداري، وفي اليوم الثاني أعْطَوْكَ جداوِل الغياب فإذا ذاك الشَّخص مَكتوب غائِبا، فهل تُعاقب هذا الذي بَعَثْتهُ ؟ وتقول له لمَ غِبْتَ ؟!

وكذا يُقال: هل يُمْكن لله تعالى أن يُجْبِرَنا على المعْصِية ثمّ يُحاسِبُنا عليها ؟ لا يبقى حينها لا ثواب ولا عِقاب ولا جنَّة ولا نار ولا أمانة، فأنت مُخَيَّر، وإن لم تُؤمِن أنَّك مُخَيَّر فقد افْتَرَيتَ على الله تعالى، وظَنَنْتَ به ظنَّ السَّوء.

أيها الإخوة، قال العلماء: مُجَرَّد الأمْر والنَّهْي يقْتضي الاخْتِيار ! لأنَّك أُمِرْتَ بِكذا ونُهيت عن كذا، ولو لم تكن مُخَيَّرًا لما كان لِهذا الأمْر مِن معنى، لذا قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً(72)﴾

[سورة الأحزاب]

حملها الآن، فإن أدَّاها كما أرادها الله عز وجل، لم يَكُن ظلومًا وإن لم يُؤَدِّها كان ظَلومًا جَهولاً، هذا هو المعنى.

النقطة الدقيقة، لو أنَّه آمن أو لم يؤْمِن، وحَمَل الأمانة أو لم يَحمِلها وقبِلَ هذه الأمانة أو لم يقْبل، وليس هناك مُضاعفات أو نتائِج وخيمة فلا مانِعَ من هذا ! اِحْمِل أو لا تَحمِل، وارْض أو لا ترض، ولكنّ الإنسان حينما يرفض حَمْل الأمانة ينْدَفِع وراء شَهَواتِهِ، ومِن لوازِم الانْدِفاع وراء الشَّهْوَة العُدْوان والظُّلم، والدليل أنَّ الله تعالى جعل في الحياة طريقين لا ثالث لهما ؛ فأنت مُغْمض عَيْنَك، إن لم تكن على أحدِهما فأنت على الآخر، قال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

معنى ذلك أنَّ الذي يتَّبِعُ هواه بغَير منهَج الله عز وجل لابدّ مِن أن يقَع في الظُّلْم، والظُّلْم ظُلمات يوم القيامة ومَرْتَعُهُ وَخيم، والنُّقْطة الدقيقة الآن أنَّك حُمّلْتَ الأمانة، وكُلِّفْتَ حَمْلها وافْعَل ولا تفْعَل، فإن فَعَلْتَ نَجَوْتَ وسَعِدْتَ، وإن لم تفْعل، قال تعالى:

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً(73)﴾

[سورة الأحزاب]

الذي أريد أن أقوله لكم أنَّك عبد لله، والدعاء الشريف: اللهم إني عبدك وابنُ عبدِك وابنُ أَمَتِك ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَ حكمك عدلٌ فيَ قضاءك " فإن كنتَ كذلك فأنتَ عبد القهر، أمَّا إذا عرفتَ الله وأنت في بحبوحة أتيتَه طائعا و مبادرا، أتيته و أنت صحيح قويٌّ غنيٌّ وأنت شاب، إنْ عرفتَه بدافع الحبِّ و دافع الوفاء و بدافع البحث عن الحقيقة و عرفتَ منهجه وطبَّقتَه وتقرَّبتَ منه فأنتَ عبد الشكر، فإماّ أن تكون عبد القهر وإمَّا أن تكون عبد الشكر، وعبد القهر جمعه عبيد و عبد الشكر جمعه عباد، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(182)﴾

[سورة آل عمران]

و قال تعالى

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا(63)﴾

(سورة الفرقان)

يمشون هونا، والنبي إذا مشى أسرع، كأنَّما ينحطُّ من صببٍ، وسيدنا عمر كما تروي عنه السيدة عائشة قالت: ما رأيتُ أزهد منه، إذا قال أسمعَ و إذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع و إذا أطعم أشبعَ! فما معنى قوله تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا(63)﴾

[سورة الفرقان]

إنَّ معظم الناس تستهلكهم أعمالهم، أعمالهم قبورهم، فمنذ أن يستيقظ حتَّى ينام ؛ الصفقة الفلانية و المال الفلاني والسلعة الفلانية، و هكذا في كل يوم حتى يأتيهم الأجل وقائمة أعماله لا تنتهي، فإذا زرتَ المقبرة تأكَّد أنَّه ما من واحد مدفون في هذه المقبرة وقد أنهى أعماله قبل أن يموت، فالأعمال لا تنتهي، و الذي يستهلكه عمله و الذي يُقبَر في عمله هذا لا يمشي هونا، هذا غافل، قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا(63)﴾

[سورة الفرقان]

أنت ينبغي أن تعلم السؤال التالي ؛ مَن أنا ؟ و من أين و غلى أين ولماذا، هذه أربعة أسئلة، إن عرفتَ جواب هذه الأسئلة نجوتَ من عذاب الدنيا والآخرة، مَن أنا ؟ و مِن أين جِئتُ ؟ و إلى أين المصير؟ و لماذا جئتُ ؟ إن أجبتَ عن هذه الأسئلة نجوت من عذاب الدنيا و الآخرة، من أنت ؟ أنت المخلوق الأول والمخلوق المُكرَّم والمخلوق المُكلَّف، أنت سيد المخلوقات، والكون كلُّه مُسخَّر لك بنص القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(13)﴾

[سورة الجاثيةٍ]

أنت مُخيَّر وأنت مكلَّف بالأمانة، أنت معك منهج ؛ اِفعل ولا تفعل وأودع الله فيك الشهوات قوى دافعة إلى الله، أعطاك حرّية الاختيار فترك فطرة تدلُّك على خطأك، هذا أنت، مِن أين ؟ من العدم، لكن ليس إلى العدم، فالإنسان سبقه عدم ولكن لا يموت يوم القيامة، قال تعالى:

﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ(77)﴾

[سورة الزخرف]

فالإنسان لا يفنى ولكن يذوق الموت، إذًا من أين و إلى أين، و لماذا ؟ جاء الله بك إلى الحياة الدنيا من أجل أن تكون هذه الحياة الدنيا إعدادا للحياة الآخرة الأبدية، فأنت في حياة دنيا إعدادية ثانية من أجل حياة عليا أبدية باقية.

فهذه أسئلة كبيرة جدًّ إن عرفتَها وجَّهت عملك و نشاطاتك ومناسباتك و علاقاتك، وكلُّ شيء في حياتك يجب أن يتناغم مع منهج الله عز وجل، فالقضية أخطر من أن تُؤَدَّى الصلوات في المسجد، أخطر من أن تصوم رمضان، فكلُّ كيانك يجب أن يتحرَّك إلى الله، فلذلك العبادة تشمل كلَّ شيء وتتغلغل في كيان الإنسان كلِّه، و لو أن القضية تنتهي أن تقبل هذه الأمانة أو لا تقبل فالقضية سهلة أما إن لم تقبل و لم تحمل هذه الأمانة ولم تُؤَدِّها كما أراد الله ولم تُزَكِّ نفسك وتطهِّرها وتحملها على طاعة الله

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً(73)﴾

[سورة الأحزاب]

المنافق هو كافر أو مشرك ولكن مصلحته متعلِّقة بالمسلمين فتَزَيَّى بزيّهم وفعل أفعالهم وحضر مجالسهم ولكنه منافق، قال تعالى

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا(145)﴾

[سورة النساء]

وتصوَّرْ رجُلين على وشك أن يموتا عطشًا، أحدهما عرف نبع ماء ولم يذهب إليه والثاني لم يعرف، فماتا، فأيُّهما أكثر ندمًا ؟ الذي عرف النبع ولم يذهب إليه، هذا مثل المنافق، لذلك

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا(145)﴾

[سورة النساء]

وقال تعالى:

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً(73)﴾

[سورة الأحزاب]

هذه أخطر آية في حمل الأمانة في كتاب الله، أنت إنسان مخلوق أول مكرَّم مُكلَّف و أنت مخير، وأودع الله فيك الشهوات لترقى بها إلى الله و أودع فيك العقل لتعرف الله و أودع فيك الفطرة لتكشف خطأك و أعطاك منهجًا لئلاَّ تخطئ، اِفعل ولا تفعل، هذا هو المنهج، فأنت مخيَّر وأنت مكلَّفو إذا قلتَ: إن الله أجبرني على هذا فقد افتريتَ على الله، قال تعالى:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(28)﴾

[سورة الأعراف]

والحمد لله رب العالمين

الفصل السابع : تفسير سورة سبأ

الدرس (4-1) : تفسير الآيات 3 – 5

الدرس (4-2) : تفسير الآيات 14 – 19

الدرس (4-3) : تفسير الآية 46

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 47 – 54

الدرس (1-4) : تفسير الآيات 3 - 5

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، في سورة سبأ، وهي الآية الثالثة والآيات التي بعدها، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3)﴾

[سورة سبأ]

أركان الإيمان في القرآن خمسة ؛ الإيمان بالله وملائكته و كتبه ورسله والقدر خيره و شره من الله تعالى، وممَّا يلفت النظر أن أكثر ركنين من أركان الإيمان تلازما في القرآن الكريم هما الإيمان بالله واليوم الآخر وأنَّه لا معنى أن تؤمن بالله من دون أن تؤمن بعدالته ولا معنى أن تؤمن باليوم الآخر من دون أن تؤمن بالله، فكأنَّ الركنين المتلازمين في كتاب الله ؛ الإيمان بالله و اليوم الآخر ؛ متكاملان ولأنَّك إنْ آمنتَ باليوم الآخر فستُحَلُّ مليون قضية في الحياة، لأن في الحياة الدنيا ظالم مظلوم و غنيٌّ وفقير و قويٌّ و ضعيف وصحيح ومريض ووسيم وذميم و مُعمِّر وقيصر العمر، فالحظوظ متفاوتة في الدنيا، فهناك إنسان لا يجد غرفة يتزوج فيها وآخر له قصر في مصيَف يقضي فيه أياما معدودات في الأسبوع، وهناك إنسان يتمنَّى لقمة لحم، وهناك إنسان آخر يكاد يكره اللحم لكثرة ما يأكله، فلأن هناك غني و فقير وقوي وضعيف و صحيح ومريض وظالم ومظلوم ووسيم وذميم ومعمِّر وقصير العمر، فالحظوظ متفاوتة في الدنيا تفاوتا كبيرا، و لو أن هذه الدنيا هي كلُّ شيء والموت نهاية كلِّ شيء توزيع الحظوظ فيه ظلم شديد، و لا ترتاح النفس ولا تستقر ولا يتوازن الإنسان إلا إذا آمن أنَّنا في دار عمل لا جزاء فيها ونأتي إلى دار جزاء لا عمل فيها، هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام

((أنتم في دار عمل ولا جزاء وسوف تُنقلون إلى دار جزاء و لا عمل))

فلذلك لو أنه لا تُوجد الآخرة لكان الكفار أذكى من المؤمنين بمليار مرة، لأن هناك آخرة وهناك حساب دقيق يُحاسب الإنسان على نظرة وعلى كلمة وعلى ابتسامة وعلى درهم، لذلك المؤمن إذا عرف الله عز وجل هو من أسعد الناس.

بالمناسبة، يا إخواننا أيُّ إنسان مهما كان غبيا إذا أيقن أن جهة قوية أصدرت أمرا، وعلمها يطولك و قدرتها تطولك، فلا يمكن أن يعصيَ هذه الجهة، أدنى الناس، لأنه قرار حازم و المخالفة تُسجَّل والعقاب أليم، فأي إنسان عنده ذرة تفكير لا يقدم على هذه المعصية، فإذا أنت آمنت أنَّ الله يعلم و سيُحاسِب، انتهى الأمر

حينئذٍ، ولأنك علمت أن علمه يطولك، أنت لماذا لا تقف عند الإشارة الحمراء على الساعة الثالثة ليلا، لأنك تعلم أن الذي أصدر القانون لا يطولك علمه و قدرته لا تطولك، فإنك تعصي أمره، أما إذا علمت أن علمه يطولك و قدرته تطولك لا يمكن أن تعصي أمره، وإذا استوردت بضاعة و نسخة من الفاتورة تذهب إلى المالية ولم تظهر هذه البضاعة قي حساباتك سيكلفك ذلك ضريبة كبيرة جدًّا، هل يمكن أن لا تقدِّم حسابات هذه الصفقة في دفاترك ؟ مستحيل، لذلك قال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا(12)﴾

[سورة الطلاق]

فالله اختار من أسماءه كلها علمه وقدرته، فلمجرد أن توقن أن علمه يطولك و أن قدرته تطولك مهما يكن الإنسان غبيا فلا بد من أن يستقيم على أمر الله فنحن في دار عمل ولا جزاء و سوف ننقَل إلى دار جزاء ولا عمل، فإذا أدرك الإنسان هذه الناحية ينضبط أشد الانضباط ويتقيَّد أشد التقييد و يكون وقَّافا عند حدود الله، فلا يتعدى ولا يظلم ولا يكذب و لا يغتاب، لأن الذي أمامه سوف يحاسبه وسيعذبه.

الآن إذا كان من لوازم الإيمان بالله أن تؤمن باليوم الآخر، من لوازم الكفر بالله أن تكفر باليوم الآخر، لذلك الكافر يقول لك: هذه الدنيا هي كل شيء هي جنتنا و نارنا، لذلك يبحث عن المال بأي سبيل، و يستتفع إلى أعلى درجة بكل الوسائل، ويريد أن يكون مع النماذج كلها هذه صورة الكافر، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3)﴾

[سورة سبأ]

أحد الإخوة الكرماء كلفوه بضريبة مخالفة سير كبيرة فانزعج وذهب حتى يراجع و يعترض، فأروْه صورة سيارته و رقمها في الشارع والساعة والدقيقة و السرعة، فسكت، فكلُّ أعمالنا مسجلة عند الله وسوف تعرض علينا باللون والصوت والصورة، قال تعالى

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(14)﴾

[سورة الإسراء]

قد تُسأَل لماذا طلقتَها و لماذا تزوجتها، لماذا أعطيتَ ولماذا منعتَ و لماذا غضبتَ ولماذا رضيتَ ؟ قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(93)﴾

[سورة الحجر]

والحقيقة يا أيها الإخوة أنه كلما نما عقل الإنسان يخاف بعقله و كلما ضعف عقله يخاف بعينه، فالغنيُّ إذا وصل إلى المشكلة ينهار والواحد المثقف يعلم أن الدخان يضيّق الشرايين و يرفع الضغط و يسرّع نبضات قلبه...؛ هذه الأشياء وغيرها أصبحت بديهية في الدخان، فمتى يترك الإنسان الدخان ؟ الغبي حينما يُصاب بالسرطان أما الذكي حينما يقرأ هذه المعلومات يترك، فكلما خاف الإنسان بعقله يكون راقيا، وكلما خاف بعينه يكون غبيا، والإنسان إذا جاءه ملك الموت سيعرف الحقيقة التي عرفها الأنبياء ولكن بعد فوات الأوان فالبطولة الآن أن تعرفها و أنت صحيح شحيح قوي، فنحن في دار عمل و لا جزاء و سوف ننقل إلى دار جزاء و لا عمل، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3)﴾

[سورة سبأ]

هذه الساعة التي " لتأتينكم " علَّتُها "قال تعالى:

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)﴾

[سورة سبأ]

ثم قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آَيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (5)﴾

[سورة سبأ]

إذاً أسماء الله تعالى كلها محقَّقة في الدنيا إلا اسم العدل، يُحقق يوم القيامة، أسماءه كلها ؛ اللطيف القوي الغني السميع البصير...، كل أسماءه مجسَّدة في خلقه إلا اسم العدل يُؤخَّر إلى يوم القيامة، إلا أن الله سبحانه وتعالى رحمة بعباده يكافئ بعض المحسنين تشجيعا لهم ولغيرهم، و يعاقب بعض المسيئين ردعًا لهم ولغيرهم، لكن قد تجد إنسانا مسيئا لم يُعاقب، فنحن في دار عمل والعقاب يوم القيامة، مثل أن يكون الامتحان في شهر حزيران، أما هناك أستاذ يُجري مذاكرة تجريبية، يشجع فيها المجتهدين وينبّه الكسلاء، أما الفحص النظامي ففي شهر حزيران، قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(185)﴾

[سورة آل عمران]

فإذا أيقنا باليوم الآخر فستنحل كل المشاكل و ننسى كل متاعبنا، و إذا وازنت بين الكافر والمؤمن، الكافر غني و متألق و يتحرك حركة واسعة جدا، صحة و أولاد و نساء و جمال وكمال، و المؤمن فقير ضعيف و دخله محدود و لكنه مستقيم، فإذا وازنت بين هذا وهذا في الدنيا يبدو الكافر أذكى من المؤمن، أما إذا وازنت بينهما في الدنيا و الآخرة معًا يظهر لك الكافر غبيا أحمق لأنه ضيَّع الأبد من أجل سنوات محدودة.
أيها الإخوة، الإيمان، قال تعالى:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا(21)﴾

[سورة الإسراء]

فحظُّ الدنيا مؤقَّت، كنتُ في هذه الأيام في تشييع جنازة، لحظة وضع الميّت في القبر لحظة غريبة جدا، القبر لا ماء فيه ولا كهرباء و لا نور، فالانتقال من بيت فخم فيه كل وسائل الراحة إلى القبر نقلة كبيرة جدا، لذلك الموت يلغي غنى الغنيّ وفقر الفقير وقوة القوي وضعف الضعيف ووسامة الوسيم ودمامة الدميم وذكاء الذكي وغباء الغبي وصحة الصحيح ومرض المريض، فإذا نقلنا اهتماماتنا إلى الآخرة نكون عقلاء، و دقِّق في قول النبي عليه الصلاة والسلام: إن أكيسكم أكثركم للموت ذكرا وإن أحزمكم أشدُّكم استعدادا له، ألا و إن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود و التزوُّد بسكنى القبور و التأهُّب ليوم النشور .

الآيات:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3)﴾

[سورة سبأ]

علة اليوم الآخر ؛ كما قال تعالى:

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ(4)﴾

[سورة يونس]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : تفسير الآيات 14 - 19

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، في سورة سبأ قصص كثيرة من أبرزها قصة سيدنا داود و قصة سيدنا سليمان وقصة قوم سبأ.

نستفيد من قصة سيدنا سليمان أن اله سبحانه وتعالى حينما قال:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)﴾

[سورة سبإ]

فسيدنا سليمان سُخِّرت له الجن والطير والريح، فقد كلَّف الجنَّ بأعمال مجهدة ومات، و عصاته حينما أكلتْها دابة الأرض ونخرتْ انكسرت فخرَّ سليمانُ على الأرض ولو أنهم يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

نستنبط من هذه الآية الكريمة أنَّ أحدا في الأرض لا يعلم الغيب، قال تعالى:

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(65)﴾

[سورة النمل]

وهذه القصة وهذه الآية وتلك الحقيقة يمكن أن تنفي من خلالهما آلاف القصص، لا أحد في الأرض يعلم الغيب إلا الله، وكل أقوال الكهان والسحرة افتراءات باطلة، قال عليه الصلاة والسلام

((حَدَّثَنَا خِلَاسٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

[رواه أحمد]

وقال: من أتى ساحرا فصدقه لم تُقبل منه صلاة أربعين يوما وبين العوام آلاف القصص تُروَى أن فلانا علم الغيب و فلانا قال كذا والذي قاله وقع، فأنت حينما تؤمن أن إنسانا كائنا من كان يعلم الغيب تكذِّب القرآن لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، وقد أُمر النبي أن يقول لمن حوله كما قال تعالى

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾

[سورة الأنعام]

و قال تعالى:

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(188)﴾

[سورة الأعراف]

العقيدة الصحيحة تحتاج إلى تنقية، لأن آلاف القصص يرويها العوام مُؤدَّاها أن من الناس من يعلم الغيب إلا أن الأحاديث الصحيحة التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم في شأن آخر الزمان من الغيب الذي أطلعه الله عليه، فإذا قلنا: لا يعلم الغيب إلا الله ؛ أي بذاته، أما إذا أطلع الله أحد أنبياءه على ما سيكون هذا غيب و لكن بإعلام الله له قال تعالى

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(26)﴾

[سورة الجن]

فكل أحاديث آخر الزمان و أحاديث قيام الساعة التي تنبَّأ النبي صلى الله عليه وسلم إنما أعلمه إياها ربُّه، أما إنسانا يعلم الغيب بذاته فهذا شيء مستحيل، فلذلك القرآن ميزان و مقياس، فأيَّة قصة مهما بدت محكمة و مهما بدت واقعية بأن فلانا يعلم الغيب فلك أن تركلها بقَدَمِك من خلال هذه الآية، قال عليه الصلاة والسلام: من أتى كاهنا..." و من هو الكاهن؟ هو الذي يتنبَّأ بالغيب، لذلك ما يلجأ إليه الناس في المجلات لمعرفة حظ الأسبوع وقراءة هذه الزاوية حرام لأنك بقراءتك لها فإنك تصدق من كتبها و لا يعلم الغيب إلا الله، والمنجِّمة في النزهات الإصغاء لها حرام، فنجان القهوة و تصديق فاعله حرام، كل تنبُّإ بالغيب تكذيب لآيات القرآن،

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(65)﴾

[سورة النمل]

من كان صدّق قبل خمس سنوات أن نصف الأرض القوي ينهار ؟ من قال بهذا وُضع في المستشفى، النبي عليه الصلاة والسلام كان عند أحد أصحابه الذين توفَّاهم الله عز وجل، وهو مُسجًّى، وكان من عادة النبي أنه إذا مات أحد أصحابه ذهب إلى بيته، فسمع امرأة تقول: هنيئا لك يا ابن السائب لقد أكرمك الله فقال عليه الصلاة والسلام: ومن أدراكِ أن الله أكرمه ؟ قولي أرجو الله أن يكرمه.

من خلال آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة لك أن تركل بقَدَمِك آلاف القصص التي يتعلق بها العامة، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)﴾

[سورة سبإ]

فالله عز وجل وكَّل سيدنا سليمان بأمر الجن و كلفهم بأعمال شاقة، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)﴾

[سورة سبإ]

وهذه آية من أوضح الآيات على أن مخلوقا ما كائنا من كان لا يعلم الغيب.

عِظَةٌ أخرى من قصة قوم سبأ، قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لسبأ فِي مَسْكَنِهِمْ

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15)﴾

[سورة سبإ]

وهناك آية أخرى في هذه القصة تلق في قلب الإنسان كلَّ الطمأنينة إذا كان مستقيما، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17)﴾

[سورة سبإ]

استفهام إنكاري، فكن مستقيما ولك عند الله معاملة خاصة قال تعالى:

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(61)﴾

[سورة الزمر]

قال تعالى:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(87)﴾

[سورة الأنبياء]

فأنت إذا استقمت على منهج الله فلك معاملة خاصة ولو كنت في طوفان المعاصي و لو كنت في مجتمع متفلِّت فاسد ومنحط ؛ إن استقمتَ على أمر الله في أي مجتمع فلك معاملة خاصة و الدليل قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30)﴾

[سورة فصلت]

هذه الآية لِتبقى في ذهنك

﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17)﴾

[سورة سبإ]

أي في كل التاريخ يا عبادي هل رأيتم أني أهلكت إنسانا مستقيما أو دمَّرت قرية صالحة

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17)﴾

[سورة سبأ]

قال تعالى

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا(59)﴾

[سورة الكهف]

وقال تعالى

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ(117) ﴾

[سورة هود]

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17)﴾

[سورة سبأ]

أنت عليك أن تطيع الله وعلى الله أن يحفظك و يرعاك ويؤيدك وينصرك، أما إذا تفلَّت المسلمون من أمر الله و منهج ربهم ولا فرق بينهم وبين الكفار إلا بالانتماء الشكلي ؛ فهذا الانتماء الشكلي لا قيمة له وهناك شيء آخر قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آَمِنِينَ (18)﴾

[سورة سبأ]

و من شدَّة الرخاء والأمطار والبساتين بلادهم متصلة، و علامة الرخاء اتصال البناء وعلامة القحط تباعد البناء فقال قوم سبأ شيئا يصعب تصديقه، قال تعالى:

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾

[سورة سبأ]

أي اجعل بلادنا قاحلة و جرداء و باعد بين قرانا، وهل هناك إنسان في الأرض عاقل يدع بهذا الدعاء ؟! بماذا فسره المفسِّرون، قالوا يا رب امحق رزقي،: إن الإنسان إذا عصى ربه كأن لسان حاله يقول: يا ربي دمِّرني يا ربي أهلكني، ومثله الإنسان المدخِّن الذي يعلم أضرار التدخين، كأن لسان حاله يقول: يا مرض تعال إليَّ، والعلماء قالوا: الذي يعصي ربه لسنُ حاله يقول: يا ربي دمرني يا ربي أهلكني يا ربي امحق رزقي يا ربي أنزل بيَ النوازل

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾

[سورة سبإ]

و العرب بالأندلس لما فتحوها مخلصين نصرهم الله، فلما التفتوا للموشحات والغناء والخمور والجواري خرجوا منها وقد ذُبِّحوا وقتِّلوا فالذي يعصي ربه كأنه يقول: ربي دمرني، ربي أتلف رزقي، هذا هو معنى الآية، أما الإنسان ذو العقل لا يقول هذا الكلام، بلاد متصلة وكلها رخاء ؛ جنات و أنهار و بساتين و أسعار رخيصة، و سيدنا شعيب لما قال لقوم سبأ كما ذكر الله تعالى عنه في كتابه:

﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ(84)إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ(84)﴾

[سورة هود]

فما معنى بخير ؟ فسَّر العلماء هذا الخير بوفرة المواد و رخص الأسعار، وفي حالة أشد، وفرة المواد و ارتفاع الأسعار و في حالة أشد لا مواد ولا أسعار، فوفرة المواد ورخص الأسعار هذا هو الخير أم وفرتها و غلاؤها هذا بعض الشر، أما عدم وفرتها و ندرتها هذا شرٌّ من الشر.

أيها الإخوة، قال تعالى:

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾

[سورة سبإ]

كانوا أقواما فجعلناهم أحاديث، لذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو فيقول: اللهم لا تجعلني عبرة لأحد من خلقك" و أنا أقول لكم إن الحياة مسرح فيها مقاعد للمشاهدين وفيها خشبة مسرح، فإن استقمتَ على أمر الله و التزمتَ منهجه لك مقعد مع المشاهدين أما إذا لم تستقم على أمره ولم تلتزم منهجه لابد من أن تُجَرّ إلى خشبة المسرح وأن تُضرَب ضربا مبرَّحا لتصبح قصة تُروَى

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾

[سورة سبإ]

كانوا قوما ملء السمع والبصر

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19)﴾

[سورة سبإ]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : تفسير الآية 46

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السادسة و الأربعون من سورة سبأ وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46)﴾

[سورة سبإ]

الموضوع في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل عقيدة بالتقليد ولا يقبلها إلا بالتحقيق، فالإنسان إذا استمع إلى خطبة أو إلى درس ولم يتفكّر فيما سمع ولم يطالب بالدليل ولم يبحث عن التعليل و لم يتبنَّ هذا الذي سمعه فكأنه ما سمع، لأنه لو قبل الله من عبد كائنا من كان أن يعتقد عقيدة من دون تحقيق لكانت كل الطوائف المنحرفة معهم الحُجة على الله يوم القيامة، فكل أصحاب الملل والنحل يقولون كما حكى الله عنهم فقال تعالى:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ(23)﴾

[سورة الزخرف]

فكل أصحاب الملل والنحل المنحرفون هؤلاء ما ذنبهم ؟ لذلك ربنا سبحانه و تعالى أمرنا في آيات كثيرة، فقال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ(117)﴾

[سورة المؤمنون]

و قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(36)﴾

[سورة الإسراء]

أنت في الدنيا تدقِّق و تسأل و تحقِّق و توازن، لماذا لا تفعل هذا في حقِّ الآخرة ؟ وفي شأن العقيدة، فالنقطة الدقيقة هو أنه أيَّة آية في كتاب الله إذا فيها أمر فتقتضي الوجوب وما تخلَّف المسلمون إلا حينما مسخوا دينهم إلى عبادات تُؤدَّى بلا مضمون، أمَّا كل أمر في كتاب الله فيقتضي الوجوب، مثلا ؛ قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ(119)﴾

[سورة التوبة]

فأنت مأمور بنص القرآن أن تكون مع المؤمنين و مع الصادقين، وقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(90)﴾

[سورة النحل]

فأنت مأمور أن تكون محسنا، ولو تتبعتم الآيات الكريمة التي فيها أوامر جليلة من الله عز وجل، كل أمر من هذه الأوامر يقتضي الوجوب، هذا فضلا عن الصلاة و الصيام والزكاة والحج التي فهم الناس أنها هي الإسلام ؛ مع أن الإسلام منهج كبير ودقيق وتفصيلي و متكامل، هذا أمر من الأوامر التي قد تغيب عن معظم المسلمين، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46)﴾

[سورة سبأ]

أي عليكم أن تتدارسوا هذا الدين و أحكامه و أوامره وشرائع هذا الدين أن تدرسوا القرآن الكريم وأن تصغوا إلى تفسيره وتسألوا عن محكمه و عن متشابه وعن أمره و نهيه وعن حلاله وحرامه وعن أخباره الماضية والحاضرة والمستقبلة قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46)﴾

[سورة سبأ]

فماذا يمنع أن يكون بين الجيران و بين الإخوة و الأقرباء لقاء دوري تُدرَس فيه بعض آيات القرآن وبعض أحاديث رسول الله و بعض أحكام الفقه، نقرأ القرآن أمام بعضنا بعضا، فجلسة على مستوى أبٍ و أولاده و أخ و إخوته و جارٍ و جيرانه، لقاء أسبوعي، لو تدارسوا كلام الله و تدارسوا حديث رسول الله و تدارسوا فحوى هذه الدعوى ليس هناك من ليس له لقاءات أسبوعية للولائم على مستوى أصدقاء تجار و موظفين، هذه اللقاءات التي فيها الغيبة والنميمة و الكلام الذي لا يرضي الله أو الكلام المباح لكنه يفرق ولا يجمع،

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46)﴾

[سورة سبأ]

فلنوازن بين أمر الله عز وجل وبين ما يفعله الناس، الفكر سلطان ولما يعطل الإنسان فكره و يتلقى تلقِّيًّا بدون تمحيص يمرُّ عليه كل دلالة، والمشكلة أن الإنسان أحيانا يكون خاليا، وقد قال أحد الشعراء:

عرفتُ هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكَّنا

إذا الإنسان سمع ضلالة أو شبهة أو طرحا معيَّنا أو تفسيرا منحرفا و ليس عنده ميزان و ليس عنده ضوابط يقبل هذا الضلال و يقبل هذه الشبهات فإذا قبلها تمكنت منه وانبنى سلوكه عليها، هذا هو الضلال المبين، ما الذي يعيدك إلى جادة الحق ؟ أن تتعلم أصول الدين فمشكلة الناس . و أقول كلاما خطيرا . لا يفقه شيئا عن أصول الدين ولكنه يدرس الشبهات، ماذا قال كتاب " قراءات معاصرة " ماذا قال فلان، يقرأ كل كتب فيها ضلالات وانحرافات و يدع أصول الدين ليصل إلى خلافات المسلمين، و أنت لستَ أهلا، و أوضح مثل لهذا أن طالبا يحمل الكفاءة و نوى أن يصير طبيبا، هل هذا ممكن أن ندخله في متاهة وجهات النظر المتباينة بين جراحة القلب في أمريكا وجراحة القلب في روسيا هل ممكن هذا ؟ ليس ممكنا، و إذا أراد أن يقفز إلى هذه الخلافات و تلك المعضلات ولم يدرس بعد قواعد الطب ولا أسس الطب و لا علم التشريح و لا علن الفيزيولوجيا ولا علم الأمراض ولا علم الأدوية، هذا هو حال المسلمين، الكتاب أصل و السُّنة أصل و الأحكام الفقهية أصل و السيرة أصل فهل قبل أن نقرأ الدين في أصوله نقفز إلى الشبهات وإلى الخلافيات و إلى ما طُرِح في الأسواق و إلى مناحرات العلماء و خلافاتهم، مادة دسمة ومغرية فترى الناس ينصِّب نفسه حَكَما على العلماء وهو لم تبتل بعد قدمُه ببحر المعرفة، ولا يعرف أحكام الصلاة، فلذلك قبل أن نصل إلى الخلافيات إلى ما يفرقنا وما يمزقنا ويجعلنا مللا و نحلا و إلى ما يضعف قوتنا، ينبغي أن نفهم أصل ديننا، آيات القرآن المحكمة كثيرة جدا، الآيات المتشابهة قليلة تعد على أصابع اليد، فدعْك من هذه الآيات و افهم الآيات المحكمة، مليون موضوع متفق عليه و عشرات الآلاف من الأحاديث المتفق عليها الآلاف من الأحكام المتفق عليه فقبل أن تنتقل من المتفق إلى المختلف ؛هل أتقنت المتفق ؟ وهل أتقنت أصول الدين ؟

هل عرفتَ أحكام الشريعة، لو فرضنا أن هيئة طبية عالية جاءها مريض معه جلطة مستحكِمة في أماكن حسَّاسة و له أظافر طويلة هؤلاء الأطباء لو تركوا قلبه وقلَّموا أظافره ما قولكم ؟! مريض أظافره طويلة وقلبه خطير، تركوا قلبه و قلَّموا أظافره، هناك في المسلمين من يفعل هذا، فتجد شخصا قد ترك أصلا من أصول الدين وذهب يجول في أمور بعيدة عنه تماما، لذلك، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46)﴾

[سورة سبأ]

ليس عبقريا و ليس مصلحا اجتماعيا و لكنه رسول الله و نبي الله يُوحى إليه حتى حديثه وحي غير متلُوٍّ لقول الله عز وجل:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3)﴾

[سورة النجم]

وهناك دعوة خطيرة جدا إلى ترك السنة، وأن نبقى في القرآن الكريم ولو صدر قانون من ثمانية وعشرين مادة ثم صدر مرسوم تفصيلي في مائة وخمسين مادة تبين أحكام القانون، فلو أغفلنا المرسوم و لم نعبأ به فهل نفهم القانون وحدنا ؟ وهل من الناس من يفهم القرآن بغير السنة، كم زكاة البقر ؟ وكم زكاة الإبل ؟ و كم زكاة عروض التجارة ؟ الله تعالى قال:

﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾

[سورة البقرة]

في حكم إجمالي، أما النبي فقد فصَّل، ومن دون السنة كيف نصلي ؟ وكيف نؤدي مناسك الحج ؟ و كيف نصوم رمضان ؟ والله عز وجل يقول:

﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر]

والذي يهمل السنة يعصي كلام الله عز وجل أين قوله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4)﴾

[سورة النجم]

أين قوله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(44)﴾

[سورة النحل]

اليوم وقع تحت يدي كتابا يدعو إلى ترك السنة كلها، فإذا قرأه شخص و أُعجب به لان عقله خالٍ، على قول الشاعر:

عرفتُ هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكَّنا

فلو كان مطَّلعا على أصول الدين ينبذ هذا الكلام بشكل يسير و لا يقبله .

أتمنى على إخوتنا الكرام قبل أن نقحم أنفسنا في الخلافيات و في المتاهات وفي قضايا لا تقدِّم ولا تؤخِّر علينا أن نتقن أصول الدين و هذه الآية الكريمة:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46)﴾

[سورة سبأ]

لقاء مع أخيك ومع أولادك و مع أصدقاءك وجيرانك ومع زملائك في حرفتك وفي دائرتك

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾

[سورة سبأ]

قال تعالى

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(36)﴾

[سورة الإسراء]

قال بعض العلماء: الفؤاد إذا جاء مع السمع والبصر فهو الفكر

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(36)﴾

[سورة الإسراء]

لِم لمْ تفكر، قد يقول الواحد: سألت شيخا وهكذا قال لي، طيب عندك بيت و أردت أن تبيعه، خرجتَ من بيتك سألت صاحب مكتب عقاري كم ثمنه ؟ فقالَ كذا، فهل تبيعه له ؟ طبعا لا، ستسأل مائة مكتب عقاري، فلماذا في أمر بيع بيت تعدِّد السؤال و تستقصي وتبحث و تمحِّص، لذلك حتى لو عُرض عليك فكر منحرف ضال، أو كتاب مشبوه أو فكر يعطل أحكام الدين، أو فكر يريد أن يميّع الدين إلى السلوك المعاصر، أو أن يربط الدين بالدنيا، والآن أيقن أعداء الدين أنهم لا يستطيعون أن يواجهوا الدين مباشرة فلجئوا إلى طريق آخر وهو طريق التفجير من الداخل عن طريق اصطناع فكر مزيَّف لإنهاء تمسك الناس بدينهم، هذه الخطة الجديدة لأعداء الدين، فهذه الآية

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46)﴾

[سورة سبأ]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 47 - 54

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة و الأربعون من سورة سبأ وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47)﴾

[سورة سبأ]

الإنسان أحيانا - كما يقول بعضهم - يكون ضحيّةَ داعيةٍ منحرِف يقول لك: أنا ضحيَّته فما ذنبي ؟ لماذا لا تقرأ القرآن الكريم ؟ فقد أشار كتاب الله جل جلاله إلى صفاتِ الدعاة الصادقين، فقال تعالى:

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20)اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ(21)﴾

[سورة يس]

وما دام هناك مكاسب و منافع ومكانة و سيطرةٌ و مغنم فالدعوةُ مشبوهةٌ، أما إذا لم تكن هناك أيُّ علاقة بالدنيا قال تعالى:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47)﴾

[سورة سبأ]

و لو أن النبيّ عليه الصلاة و السلام أراد الأجرَ لشكَّ الناسُ في دعوته إلى تعالى:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47)﴾

[سورة سبأ]

فإن استقمتم فاستقامتكم لكم، و إن أحسنتم فهو لكم

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47)﴾

[سورة سبأ]

تصوَّروا إنسانا أعطى درسًا لطالب، و الدرس تعويضُه خمسمائة ليرة قال لك أحدهم وهو يملك كلَّ شيء: أعطِهِ و لا تأخذْ منه شيئا و أنا أعطيك على كلِّ درس مليون ليرة، فلما يعرف المؤمن ما عند الله من العطاء لاستصغر أن ينال على عمله أجرا، فلذلك المؤمن بنى حياتَه على العطاء، و أنه يرجو رحمة الله تعالى، قال تعالى:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(32)﴾

(سورة الزخرف)

و لو جمع الإنسانُ في السنة مائة مليون

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(32)﴾

[سورة الزخرف]

هذه أولُ علامةٍ، قال تعالى:

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ(21)﴾

[سورة يس]

الآية الثانية قال تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ(108)﴾

[سورة يوسف]

فالدعوة إلى الله على بصيرة مع الحجة و البرهان و الدليل و المنطق و العقل و الفطرة و النقل، هذا هو الحق، دعوة الله لا تخشى البحث ودعوةُ الله تُلقَى تحت ضوء الشمس، ودعوة الله لا تخشى التدقيق ومهما دقَّقتَ فإنها من عند الله تعالى، وهذا معنى قول الله تعالى

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ(108)﴾

(سورة يوسف)

هناك علامةٌ ثالثة، قال تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(18)﴾

(سورة آل عمران)

من يشهد لك على عدالة الله تعالى فهو من أولي العلم، ومن شهد لك بعكس ذلك فهو جاهل، و مثال ذلك أن يقول لك: يمكن أن تفنيَ حياتَك في طاعته و يمكن ان يضعك في النار، أين قوله تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

(سورة الزلزلة)

هذه دعوة لا تحبِّب الناسَ بالله تعالى و لا ترقى إلى الدعوة الصحيحة، قال يا ربي أيُّ عبادك أحبُّ إليك حتى أحبَّه بحبِّك ؟ ال أحبُّ العباد إليَّ تقيُّ القلب نقيُّ اليدين لا يمشي إلى أحد بسوءٍ، أحبَّني و أحبَّ من أحبَّني و حبَّبَني إلى خلقي، يا داود ذكِّر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوسَ جُبِلتْ على حبِّ من أحسنَ إليها و بغضِ من أساء إليها، فلو لقيْتَ صورةً غيرَ صحيحة عن الله تعالى تُظهِر أنه يظلم العبادَ، إنما هما قبضتان، فقبضةٌ إلى جنَّتي و لا أبالي و قبضةٌ إلى النار و لا أبالي، هذا الحديث يحتاج إلى تفسير طويلٍ،

و قال، عليه الصلاة و السلام: لو لم تذنبوا.." فالإنسانُ مكلَّفٌ أن يحبِّب الناس بربهم عن طريق الفهم الصحيح و النطق الصحيح، لا أن ينقل نصوصا لا يفقه معناها فيُنفِّ الناسَ عن الله تعالى، و ما غضب النبيُّ غضبا أشدَّ من غضبه على أحد أصحابه حينما صلى و أطال، فقال له: إنما أنت منفر..." قال فكيف أحبّبهم ؟ قال ذكِّرْهم بآلائي و نعمائي وبلائي، فآلاؤه تدعو إلى تعظيمه و نعماؤه تدعو إلى محبَّته و بلاؤه يدعو إلى الخوف منه.

العلامةُ الأولى،

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47)﴾

[سورة سبأ]

و العلامة الثانية

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ(108)﴾

(سورة يوسف)

و العلامة الثالثة

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(18)﴾

(سورة آل عمران)

و العلامة الرابعة، قال تعالى:

﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(124)﴾

(سورة البقرة)

متى جعله الله للناس إماما ؟ بعد أن امتحِن و نجح في الامتحان، قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ(24)﴾

(سورة السجدة)

و قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا(39)﴾

(سورة الأحزاب)

و لو أن هذا الداعي خاف غيرَ الله و سكت عن الحق إرضاءً للقوي و تكلَّم بالباطل إرضاءً له فماذا بقيَ من دعوته ؟ فكأن الله تعالى أشار في القرآن إشاراتٍ لطيفة إلى من ينبغي أن تأخذ عنه، قال تعالى:

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(15)﴾

(سورة لقمان)

و قال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

(سورة الكهف)

فالآية، قال تعالى:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47)﴾

[سورة سبأ]

فإذا طلب النبيُّ منا شيئا فهو لنا، كالصلاة و الحج و الصوم، و ضبط اللسان و الإقبال على الله فهو لنا، و ما طلب شيئا لذاتِه، و خرج من الدنيا كأن لم يكن شيئا، وكلُّكم يعلم أن النبيّ عليه الصلاة و السلام خيَّره سيِّدُنا جبريل: أتحبُّ أن تكون نبيًّا ملِكًا أم نبيًّا عبدًا ؟ قال: بل نبيًّا عبدًا،أجوع يوما فأذكره و أشبع يوما فأشكره، قال تعالى:

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47)﴾

[سورة سبأ]

أيها الإخوة الكرام، تطبيقًا لهذه الآية، إذا ليس للإنسان عملٌ خالصٌ لوجه الله تعالى لا يرجو منه سُمعةً و لا مكانةً و لا رزقا و لا مالا و لا مديحا إنما يبتغيه لوجه الله تعالى، هذا الذي ينفعه يوم القيامة لأن الإنسانَ لما يُوضَع في قبره، يقول اللهُ عز وجل:

((عبدي رجعوا و تركوك و في التراب دفنوك و لو بقُوا معك ما نفعوك، و لم يبقَ لك إلا أنا، و أنا الحيُّ الذي لا يموت))

فمهما كانت الجنازةُ عظيمةً رجعوا و تركوك، و في التراب دفنوك و لو بقُوا معك ما نفعوك و لم يبقَ لك إلا أنا، و أنا الحيُّ الذي لا يموت.

ثم قال تعالى

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50)﴾

[سورة سبأ]

هذه الآية فيها معنى دقيقًا، أن الخيرَ من الله تعالى، والجنَّة محضُ فضل من الله و الهداية محضُ فضل من الله و الاستقامة محضُ فضل من الله، و لكنَّ الشرَّ يتأتَّى من أنفسنا و من بعدنا عن منهج الله تعالى، قال تعالى:

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (49) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ(50)﴾

[سورة سبأ]

ثم يقول الله تعالى في آخر هذه السورة:

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾

[سورة سبأ]

فالإنسانُ مركَّبٌ من جميع الشهواتِ و يأتي الموتُ فيحول بينه و بين كلِّ الشهواتِ

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾

[سورة سبأ]

ولو عدَّد الإنسانُ مباهجَه في الدنيا، بيتًا و مركبةً و وليمة و سفرًا و زوجة و مكانةً كل هذه الشهواتِ التي إذا تعلَّق الإنسانُ بها سوف يُحالُ بينه و بينها عند الموتِ

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾

[سورة سبأ]

فمن هو العاقل ؟ العاقل هو الذي يُعِدُّ لهذه اللحظة.

أيها الإخوة الأكارم الإنسانُ يُولد و حوله يضحكون وهو يبكي وحده أما إذا مات فكلُّ من حوله يبكي، و بقيَ هو، فإن كان بطلاً يضحك وحده، دقِّقْ !! كلُّ إنسانٍ إذا جاءته منِيَّتُه كلُّ من حوله سيبكي، و بطولتُه تتبدَّى في أن يضحك وحده إذا بكى الناسُ حوله، لأن الله تعالى قال:

﴿ قِيلَ ادْخُلْ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ(26)بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُكْرَمِينَ(27)﴾

(سورة يس)

و مَنْ هو العاقل ؟ الذي لا يندم، و أيُّ ندمٍ يدلُّ على نقص في العقل و العقل كلُّ العقل في الإعداد لمفارقة الدنيا، لذلك قال عليه الصلاة و السلام: إن أكيسكم أكثركم للموت ذكرا و أحزمكم أشدكم استعدادا له ألا و إن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود و التزود لسكنى القبور و التأهب ليوم النشور و الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله الأمانيَّ " هذا هو العاجز، يقول: نحن عبيد إحسان و لسنا عبيدَ امتحان، و يقول: لا تسعنا إلا رحمتُه، هذه أمانيُّ، و الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله الأمانيَّ

الفصل الثامن : تفسير سورة فاطر

الدرس (1-9) : تفسير الآية 2

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، في سورة فاطر آيةٌ كريمة هي الآيةُ الثانيةُ وهي قوله تعالى:

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)﴾

(سورة فاطر)

هذه الآية أيها الإخوة فيها معانٍ دقيقةٌ جدًّا، هناك دنيا و هناك المالُ و هناك السلطانُ وهناك النساءُ و هناك الطعام و الشراب و هناك البيت الفخمةُ و المزارع الغنَّاءُ، و هناك الأموال الكبيرةُ، هذه الدنيا، و هناك رحمة الله التي تجمع كلَّ شيء، وقد يعطي اللهُ المالَ و صاحبُه أشقى الناسِ، و قد يقتله أولادُه، وقد ُنهَى حياتُه بسبب ماله، وقد يكون مالُه سببَ شقائه في الدنيا، و قد يأتيه المرضُ العُضالُ الذي لا ينفع معه المالُ، فأُعطِيَ المالَ و أُمسَكتْ عنه رحمةُ الله تعالى، و قد يُعطَى رحمةَ الله، و بمالٍ قليل يبارك اللهُ له فيه و يسعد أهلُه به و أولادُه وينفقه في طاعة الله، و كما قلتُ في البداية، المال الوفيرُ و النساء الجميلات و البيوت الفاخرة و المراكب الرائعة و الحدائق الغنَّاء و القصور ؛ هذه الدنيا، و رحمة الله تعالى شيءٌ آخر، قال تعالى:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(32)﴾

(سورة الزخرف)

و قد يُحرَم الإنسان الولدَ و تأتيه رحمة الله، فهو أسعدُ الناس بها، و قد يأتيه أولادٌ أشرارٌ و بناتٌ منحرفاتٌ ينغِّصون حياتَه، و ليس معنى هذا أننا نرفض الولدَ، و لكن نريد رحمة الله، و ما أروعَ رحمةُ الله مع الأولاد و مع الأموال و مع الزوجة الصالحة، فربنا تعالى يقول:

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)﴾

(سورة فاطر)

وليس في الأرض كلِّها جهةٌ مهما قويتْ يمكن أن تحول بينك و بين رحمة الله تعالى، لذلك كلمة الحق لا تقطعه رزقًا و لا تقرِّب أجلا إذا طَلَبْتَ رحْمة الله تعالى نِلْتَها، ولكنَّ النبي عليه الصلاة والسلام كان في أعلى درجات الأدب،وكان يقول: اللهمّ إنّي أسألك موجبات رحمتك..." فالأديب يسأل موجبات الرحمة، وقد يُعْطِيَكَ الله مرْتبةً اجْتِماعِيَّة فإذا هذه المرتبة سبب الحسَد، والكَيْد والعَدَاوة وتنتهي هذه العَدَاوة بِمَرَضِكَ وقد تأتيك رحْمة الله وتأتيك معها مرْتبةً دينِيَّة، فإذا الناس حوْلك مُحشبُّون ولك مُخْلصون، فأنت ما عليك إلا أن تطلبَ رحْمة الله، وكلّ شيءٍ من الله تعالى مَقْبول، فالفقْر مَقبول، والغِنَى مَقبول، والصِّحة مَقْبولة والمرض مَقبول، فكَمْ مِن

صَحابيٌّ جَليل فَتَح البِلاد وهو مريض مرضًا شديدًا ! فَرَحمة الله عز وجل لا تتأثَّر لا بِمَرضٍ ولا بِخَوفٍ ولا بِقَلَق، ولكن ما تعريفها ؟

أردْتُ وأنا بِطَريقي إلى المسْجِد أردْتُ أن أضْرِبَ مثلاً، فلو أنَّ ملِكًا كبيرًا يمْلِكُ ممالِك كبيرة، ورضِيَ عن أحَدِ رعاياه ؛ بيتٌ ومركبة ومرتبة ومنْصِب وصلاحِيَّات، فهذا الملِكَ رضِيَ عن هذا الإنسان وملَّكَهُ ما يَحْتاج، فهذا مَلِكٌ مِن بني البشَر إن رضِيَ عن إنسانٍ أعْطاهُ كلّ شيءٍ، فإذا كان الواحدُ الدَّيان رضِيَ عن مؤمنٍ، فما معنى رحْمة الله مع هذا المؤْمِن ؟! الصِّحة ضِمْن الرَّحْمة، وكذا الزَّوْجة الصالحَة ضِمْن الرَّحمة والمكانة، إلا أنَّ هناك شيءٌ آخر، قال تعالى:

﴿وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(72)﴾

(سورة التوبة)

فإحْساس المؤمن أنَّ الله راضٍ عنه هذا شيءٌ لا يُقَدَّر بِثَمَن، ورحمة الله في الآخرة هِيَ النَّظَر إلى وجْهه الكريم ؛ الجِنان والحُور العين والوِلدان المُخلَّدون، والأنهار العسل واللَّبَن، كلّ ما وصَف الله لنا في الجنَّة لا يُعادِل رِضْوان الله عز وجل، والنظرُ إلى وجه الله الكريم لذلك ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن المؤمن ينظر إلى وجه الله الكريم فيغيب خمسين ألف سنة من نَشوة النظر، قال تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(22)إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(23)﴾

(سورة القيامة)

و قال تعالى:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(107)﴾

(سورة آل عمران)

اللهُ تعالى خالق الكون إذا أراد أن يسعدك يعرف كيف يسعدك من كلِّ النواحي و من كلِّ الألوان و الأشكال، فالإنسانُ لِيطلبْ رحمةَ الله اللهم رحمتَك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، هكذا كان يدعو النبيُّ عليه الصلاة والسلام. فالعبرة أيها الإخوة من هذه الآية أن الله تعالى قد يعطي عبدَه المالَ وهو لا يحبُّه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾

(سورة القصص)

وهو لا يحبُّه، و أعطى فرعونَ الملكَ وهو لا يحبه، و أعطى سليمانَ الملكَ وهو يحبه و أعطى عبد الرحمن بن عوف المالَ وهو يحبه، فرحمة الله لا علاقة لها بالدنيا، فقد تأتي و قد تذهب، و لكنَّ! رحمة الله شيءٌ ثمين جدًّا.

فلذلك أيها الإخوة رحمة الله لها أسبابٌ، و لو أنكم قرأتم القرآنَ الكريمَ ما هي أسبابُ رحمة الله؟ قال تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(56)﴾

(سورة النور)

فثمنُ رحمة الله الطاعةُ، وهي بين يديكم، فكلُّ إنسان بإمكانه أن يطيع الله تعالى

أطعْ أمرنا نرفعْ لأجلك حجبنا فإنا منحنا بالرضا من أحبَّنـا

و لُذْ بحمانا واحتمِ بجنابنـا لنحميك ما فيه أشرارُ خلقنـا

و عن ذكرنا لا يشغلَنَّك شاغلٌ و أخلصْ لنا تلقَ المسرَّة و الهنا

و سلِّم لنا الأمرَ في كلِّ ما يكن فما القربُ و الإبعادُ إلا بأمرنا

وجدناك مضطرًّا فقلنا أُدعونـا نُجِبْك، فهل أنت حقًّا دعوتَنا

دعوناك للخيرات أعرضْتَ نائيًا فهل تلق من يحسن لمثلك مثلَنا

فيا خجلي منه إذا هو قال لـي يا عبد نا ما قرأتَ كتابـنا

أما تستحي منا و يكفيك ما جرى أما تختشي من عتقنا يوم جمعنا

أما آنَ أن تقلع عن الذنب راجعا وتنظر ما به جاء وعدُنـا

أيها الإخوة، هذه الآية دقيقة جدًّ،قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)﴾

(سورة فاطر)

قد يعطيك المالَ الوفيرَ و يحجب عنك رحمتَه، فإذا المالُ سببُ شقائك وقد يعطيك المنصبَ الرفيعَ و يحجب عنك رحمتَه، فإذا هذا المنصب سببُ شقائك و هلاكك، و قد يعطيك الذرِيةَ الكثيرةَ ويحجب عنك رحمته فإذا هذه الذرّيةُ سببُ شقائك في الدنيا و الآخرة، تقول البنتُ يوم القيامة: يا رب لا أدخل النارَ حتى يدخل أبي قبلي، هو سببي، لم يعلِّمني، فتُعطَى المالَ و تُحجَب عنك حمة الله فالمالُ سببُ الشقاء، وتُحرَم من المال و تأتيك رحمة الله فأنت أسعد الناس، اللهم من أحبَّني فاجعل رزقَه كفافا، تُحرَم من المكانة العالية في المجتمع و تكون عبدا خفيًّا و تأتيك رحمة الله فأنت أسعدُ الناس، قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)﴾

(سورة فاطر)

و رحمة الله تعالى بالطاعة

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(56)﴾

(سورة النور)

و قال تعالى:

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ(56)﴾

(سورة الأعراف)

أحسِنْ لكلَّ الناسِ و لكلِّ المخلوقات

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ(56)﴾

(سورة الأعراف)

لو أن الإنسانَ قرأ القرآن ووقف عند كلمة " رحمة الله " ما أسبابها ؟ و هل تصدِّق أن علَّةَ خلق الكون أن يرحم اللهُ مخلوقاتِه، قال تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(سورة هود)

خلقَنا ليرحمنا، و رحمة الله أسبابها الطاعة و الإحسان، و إذا ملكْتَها ملكْتَ كلَّ شيءٍ، و إن غابتْ عنك غاب عنك كلُّ شيءٍ، " يا ربي ماذا فقدَ من وجدك واللهِ ما فقَد شيئا، و ماذا وجد من فقدك " أحدُ الأغنياء في العالم ترك البلايين، ماتتْ بنتُه منتحِرةً، وهي الوارثةُ الوحيدةُ، فلذلك العبرة أن يرحمك اللهُ، يرحمك بأولاد صالحين و بدخل معتدلٍ و بزوجة صالحةٍ، فإذا رحمك اللهُ أعطاك كلَّ شيءٍ يا ربي ماذا فقدَ من وجدك، و ماذا وجد من فقدك "

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-9) : تفسير الآية 5

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الخامسةُ من سورة فاطر، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)﴾

(سورة فاطر)

أوَّلاً ؛ إن وعد الله حق، أيْ واقعٌ لا محالةَ، لذلك ربنا تعالى يخبر عن المستقبل بالفعل المضارع، قال تعالى:

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾

(سورة النحل)

و قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

(سورة المائدة)

و لم يحدث هذا بعدُ، فاستخدامُ الفعل الماضي مكان المستقبل هدفُه أن وعد الله حق، وعدنا بالجنة فالجنةُ حقٌّ، ووعد العصاةَ بالنار فالنارُ حقٌّ،

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)﴾

(سورة فاطر)

فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار و معنى "لا تغرنكم " أي لا ينبغي أن تبدوَ لكم الحياةُ الدنيا بحجمٍ أكبرَ من حجمها، و الإنسانُ أحيانا يتوهَّم أن المالَ كلُّ شيءٍ و أن المرأةَ كلُّ شيء، و أن المنصبَ كلُّ شيءٍ، و أن السياحة و السفرَ كلُّ شيء و كلما تقدَّم به العمُرُ قلَّتْ قيمةُ هذه الأشياء، يقول: المالُ كلُّ شيء و ليس كلَّ شيء، أما إذا شارف القبرَ، يقول لك: المالُ ليس بشيء، فالمشكلةُ أن الإنسانَ قد يكشف الحقيقة و لكن بعد فوات الأوان، و ما قيمة التعليم إذًا ؟ أن تعرف الحقيقة في الوقت المناسب، الإنسان حينما يستجيب لأمر الله، و اللهُ هو الخالق، أعطى كلَّ شيء حجمَه الحقيقي، قال تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾

(سورة الحديد)

﴿و قال تعالى:وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(20)﴾

(سورة الحديد)

و قال تعالى

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى﴾

(سورة النساء)

﴿و قال تعالى "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(26)وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ(27)﴾

(سورة الرحمن)

و النبيُّ الكريم يقول:

((الدنيا جيفة...) " الدنيا دار من لا دار له..))

والدنيا ممرٌّ و ليست مقرًّا، هذا كلام الخبير، و الله هو الخبير و النبيُّ هو المبيِّنُ، فإذا كشف الإنسانُ الحقيقةَ بنفسه في الثمانين فليسعدنه من الوقت ما يستفيد منه، أما إذا عرفها بالثلاثين يتوازن، فربنا تعالى يقول:

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)﴾

(سورة فاطر)

و الشابُ يحلم ببيتٍ و زوجة و سيارة ومنصب رفيع و شهادة عليا بعد حين هذه الأشياءُ تصغر و تصغر إلى أن تصبح في عين الإنسان و ليستْ بشيء، و الشيءُ الوحيد هو رحمة اللهِ تعالى، و طاعة الله قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾

(سورة الأحزاب)

و الشيء الوحيد هو معرفة الله، فالإنسانُ الغافل لا يغترُّ بالدنيا.

ذكرْتُ لكم قصَّةً عدَّة مراتٍ و هي تناسب المقامَ، كان هنالك رجل تُوفِيَ رحمه الله و كان صانعا في الحميدية، و عنده دُعابةٌ، كلما دخل المحلَّ جمع قمامته في علبةٍ، و يلُفُّها لفًّا أنيقا جدًّ بورق الهدايا و يضع عليها شريطا أحمرَ، و يضعها على الرصيف، يأت الإنسان المغفَّلُ و يظن أن فيها هديةً ثمينةً، يحملها و يمشي، و يلحقه هذا الرجلُ، بعدها يفكُّ له شريطها و بعده يفك الورقَ، و يفتح فيلقي القمامةَ في وجهه، خيبة أمل مُرَّة، فإذا علَّق الإنسانُ آمالا على شيء ثم يكتشف أنها ليست بشيء، و أحد الرجال من أهل الدنيا اشترى بيتا و كسر البلاطَ كلَّه، و السيراميك و الأبواب و كسى البيتَ من جديد اشتغل فيها سنتين، بعد انتهاء البيت بأسبوع واحد جاءته المنيَّةُ القصص في هذا كثيرة جدًّا، "

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)﴾

(سورة فاطر)

أوقفني أحد الإخوة عند محلِ المفروشات فجاءه زبونٌ يطلب غرفة النوم من الدرجة الأولى، كلفتْه ثلاثُ سنوات، واتصلا بعجها بهذا المشتري، فأخبره أهلُه انه مات، و أحدهم اشترى بيتا له إطلالةٌ جميلةٌ بعد عشرة أيام جاءه الأجلُ

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)﴾

(سورة فاطر)

إياك أن تراها بحجم أكبرَ من حجمها، قال عليه الصلاة و السلام: من أصبح آمنا...بحذافرها " قال أحد الملوك لوزيره: من الملكُ؟ قال: أنت، قال: لا الملكُ رجلٌ لا نعرفه و لا يعرفنا، له بيتٌ يؤويه و زوجةٌ ترضيه و دخلٌ يكفيه "

الآية دقيقة جدا، أحيانا يغترُّ الإنسانُ بالحياة الدنيا فيضَيّع آخرتَه، "

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)﴾

(سورة فاطر)

و الغرور هو الشيطان يقول لك " إن الله لا يدقّق معك و الله غفور رحيم، والنبي يشفع لنا يوم القيامة، تماما كالطالب في أول العم الدراسي، قال له أحد الطلاب: أَعطِ للأستاذ هديةَ يعطيك الأسئلة ثم فوجِئَ في آخر السنة أن الأستاذَ نزيهٌ، رسب، لك قضيةٌ مع القاضي قال لك رجلٌ: بهديةٍ يحكم لك، فقدّامت هديةً فرفضها و حكم ضدَّك الغرور هو الشيطانُ، وهو الذي يوهم الإنسانَ أن الله لا يحاسبك وأنه يفسّر آيات القرآن الكريم تفسيرا ما أراده اللهُ، قال تعالى:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

[سورة الزمر]

و قال تعالى

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(49)وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ(50)﴾

(سورة الحجر)

﴿و قال تعالى فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

(سورة الحجر)

فهناك سؤال و حساب، و قاتل تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

(سورة الزلزلة)

أيها الإخوة الكرام، هذه الآية خطورتها من مُنْزَلَقَيْن، أوَل منزلق أن تبدوَ لك الحياةُ بحجم كبير فتسعى إليها على حساب آخرتك و دينك وعقيدتك، و المنزلق الثاني أن تصغِيَ إلى كلام الشيطان لأنه يصرفك عن الله و يمنّيك، قال تعالى:

﴿وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا(64)﴾

(سورة الإسراء)

فهنا عدُوَّان ؛ الدنيا و الشيطانُ، الدنيا إذا بدَتْ لك بحجم كبير فاستهوتْكَ و مِلْتَ إليها على حساب دينك و الشيطانُ يُشكّكُك بعِدَالة الله يُطَمئِنُكَ طمأنينة ساذجة أساسها الوَهم المُريح، والنبي عليه الصلاة والسلام يُقال له: اِرْفَع ! فيقول: لا أرفع حتَّى تشْفَعَ لأمَّتي، فَيُقال له: اِرْفَع واشْفَع تُشَفَّع فيَكْفي أن تنْضَمَّ لأمَّتي النبي حتَّى تنالكَ شفاعته صلى الله عليه وسلَّم فالشَّفاعة حق وفيها آيات وأحاديث ولكنْ لها معنى آخر غير هذا المعنى الساذِج، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ(19)﴾

(سورة الزمر)

يا فاطمة بنت محمَّد يا عبَّاس عمَّ رسول الله أنْقِذا نفسيْكما من النار فأنا لا أُغني عنكما من الله شيئًا، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابِكم، مَن يبطئ به عمله لم يُسْرِع بِهِ نسَبُهُ إنَّ فلانة تذكر أنَّها تُكثر من صلاتها وصِيامِها وصَدَقَتِها غير أنَّها تؤذي جيرانها بِلِسانِها فقال: هي في النار ! فأنت في خطَرين وهي أن تبْدُوَ لك الدنيا بِحَجْم كبير تسْعى إليها على حِساب دينِكَ، أو أن تُصْغي إلى الشَّيطان الذي يصْرِفُكَ عن الدِّين ويَعِدُكَ ويُمَنّيكَ وما يَعِدُكَ إلا غرورًا أو كذِبًا، فمثلاً البارحة كنت أقرأ لإنسان يعمل في الإعلان كان يقول: تعال إلى حيث النُّكْهَة، ويقصِد الدُّخان !! هذا الأخير مات بِسَرَطان في الرّئتين وآخر كلمة قالها: كنت أكذِبُ عليكم !! فهذا هو الشَّيْطان يَعِدُهم ويُمَنّيهم، فاليَهود قالت فيما قاله عنهم تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾

(سورة البقرة)

فالمُسلمون المُقَصِّرون والتائِهون يُمَنُّون أنفسَهم بأشياء لن تقَع.

إذًا لِنَحْذَر هذين الخَطَرَيْن ؛ أن تبدُوَ الدنيا بِحَجْم كبير، وأن نُصْغي إلى الشيطان الذي يوهِمَنا أنَّ الله تعالى لن يُحاسِبَنا، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (6)﴾

(سورة فاطر)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-9) : تفسير الآية 8

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثامنة من سورة فاطر، وهي قوله تعالى

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(8)﴾

[سورة فاطر]

النبي عليه الصلاة والسلام كان يدْعو ربَّهُ ويقول: اللَّهمّ أرِنَا الحقَّ حقًّا...." السَّبب أنَّ هناك أناسًا يرَوْن الحقَّ باطِلاً، والباطِل حقًّا، فما سِرُّ هذه الآية وهذا الدُّعاء ؟ الإنسان له بصَرٌ وبصيرة، فالبصَرُ عَينُهُ التي يرى بها الأشياء وهذه الأشياء لا يخْتَلِفُ عليها اثْنان، الأحمر أحمر، و الأبيض أبيض لكنَّ الخلافَ في رؤية البصيرة؛ فهناك إنسانٌ يملك رؤيةً صحيحة استنار بنور الله و هناك إنسانًا يملك رؤيةً فاسدةً، ابتعد عن الله فعميَ قلبُه، و إذا أردتَ أن ترجع كلَّ مشكلاتِ الإنسان يمكن أن نرجعها إلى قلبٍ أعمى ؛ يرى الحقَّ باطلا و الباطلَ حقًّا، إذاً لان الإنسانَ يحبُّ نفسَه ووجودَه و يحبُّ سلامةَ وجوده و يحبُّ كمالَ وجوده و يحبُّ استمرار وجوده، لمجرَّد أن يرى رؤيةً صحيحةً يتحرَّك وفق الطريق الصحيح، فالعبرةُ أن تملك هذه الرؤيةَ الصحيحةَ، فالذي يسرق أموال الناس، لماذا يسرق ؟ لأنه يرى أن السرقةَ جهدٌ قليل و دخلٌ كبير، لكنَّ قلبَه الأعمى غفل عن العقاب الأليم و عن السجن المديد، وعن الفضيحة الاجتماعية، فأنْ يرى الإنسان الحقائق بقَلبِهِ هذا أعظَم كَسْب يَصِل إليه الإنسان المؤمن لأنّ الإنسان إذا رأى الحقيقة سلَكَ طريقَها، وإن كان أعْمَى القَلْب تاهَ في مجالات الحياة فارْتَكَب الأخطاء، أوْضَحُ مثلٍ ؛ يُمكن لإنسانٍ أن يرْكَبَ مرْكبةً وعن يَمين الطريق وادي وعن يسارِهِ وادٍ آخر، والطُّرق مُتَعَرِّجَة وليس مَعَهُ مِصباح !! سُقوطُه في الوادي حَتْمي.

أيها الإخوة الكرَام، قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(28)﴾

[سورة فاطر]

بائِعٌ يأتيه إنسان لِيَشْتري منه حاجة، يُدْرِك بِحاسَّتِهِ السادِسة أنَّه غِرّ، لا يعْرِفُ مُسْتويات البضاعة فيَبيعُهُ أدنى البضاعة بأعلى ثَمَن، ويغْتَبِطُ هذا البائِع وهو أنَّه اسْتَطاع أن يُحَقِّق أكبر ربْح في هذا اليوم، فهذا التاجِر نظْرتُهُ قاصِرَة، وهو يرى حتْف أنْفِهِ، لي قريب له جار جاءَهُ صاحِب مرْكبة جديدة، وقد تعطَّلَت، وأدْرَكَ هذا

الإنسان أنَّ صاحب هذه المركبة قلق جدًّا على مرْكَبتِه، وأنَّ صاحبها مَيْسور فطلبَ منه عشْرة آلاف ليْرة ! هذا الشَّخص وافَقَ، فلمَّا انْصرَف صلَّحها له بِدَقائِق مَعْدودة، واتَّصَل بأهْلِهِ، وأخذَهم إلى الزَّبداني، وثاني يوم أخَذَهم إلى المطار، وثالث يوم أخذَهم إلى الوادي، وفي اليوم الرابع جاء صاحبها وتسلَّمَها، ودَفَع عشْرة آلاف ليرة ! فقال له جارُهُ: هذا حرامٌ عليك، وهذا غِشّ كبير، والقضِيَّة تَحتاج إلى مئات اللَّيرات فقط، فقال له: هكذا العَمل ! وهكذا الرِّبْح وبعد يوْمَين دَخَلَت بِعَين ابنِهِ ريشة ! فاضطرّ إلى أن يأخذه إلى بلدٍ مُجاوِر ويدْفع إحدى وعشرين ألف ليرة !! لو أنّه رأى أنَّ الله له بالمرصاد وسوف يُحاسِبُه حِسابًا عسيرًا في الدنيا والآخرة. وهذا إنسان أراد أن يُظهر مهارَتَهُ في السَّواقة، فرأى كلبًا نائِمًا فأراد أن يقطع له رِجْليه دون أن يمسَّ بقيَّة أعضائِهِ !! فقَطَع رِجليه وضَحِكَ ضحْكةً هِسْتيرِيَّة، وبعد أسبوع فقط وفي نفْس اليوم قُطِعَت يدا هذا السائِق ! أيُّها الإخوة، يُمكِنُ أن تُعْزى كلّ أخْطاء البشَر إلى عَمَى القلب، فهذا الذي يغشّ الناس في البِضاعة تأتيه مُصادَرات تَجْعلُهُ فقيرًا، وهو لا يرْبِطُ هذه المُصادرات و تلك الانحرافات، قال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ(14)﴾

[سورة الفجر]

و قال تعالى

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(8)﴾

[سورة الحجرات]

و قال تعالى:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(12)﴾

[سورة البروج]

فلكلِّ مخلوق أمامك مخلوق يدافع عنه، فالذي يملك رؤيةً صحيحة يستقيم بدافع الخوف من الله، و بدافع طلب السلامة، و لكن بعد ذلك يتصل بالله، فإذا اتصل به اصطبغ قلبُه بصبغة الله، قال تعالى:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ(138)﴾

[سورة البقرة]

أيها الإخوة، ما من انحرافاتٍ خطيرةٍ أو غير خطيرة ؛ إذْ أحيانا الإنسانُ يطلق بصرَه في الحرام، أو يرفع السعرَ بلا مبرّرٍ، أو يبيع بضاعةً فاسدةً، أو يستغل جهلَ المشتري، النبيُّ الكريم يقول: غبنُ المسترسل حرام.." و من هو المسترسل؟ هو الذي لا يدري السعرَ و لا نوع البضاعة، فالعبرة أن يلقيَ اللهُ في قلبك نورا عند الاتصال به وهذا النور يريك الحق حقًّا و الباطل باطلا، و إذا ملكتَ الرؤيةَ الصحيحة فقد ملك كلَّ

شيءٍ لأنَّك لن تخطئ، ولن تنْحرف، ولن تأخذ ما ليس لك، ولن تعْتدي على الآخرين، ولن تتطاوَلَ على غيْرِكَ، أما الذي يتطاوَل ويأكل المال الحرام، ويأثَم بِجَوارِحِه ويعْتَدي بِلِسانِهِ، قال تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ(14)﴾

[سورة الفجر]

فهو يفْعل هذا لأنَّه جاهِل، قال تعالى

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا(125)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى(126)﴾

(سورة طه)

لمَّا يفْتح الإنسان مَتجَر أو ملهى يقوم على المَعْصِيَة، يبيع الخمْر ويأتي بالراقِصات، وقد قال لي أحدهم في خمسةٍ وأربعين يوم ثمانيَة ملايين ربْح !! فالذي يَمْلِكُ رؤْيَةً صحيحة ولو قطَّعْتَهُ إرْبًا إرْبًا لا يعْمَل عملاً في معْصِيَة الله، وأذْكر أنَّه كان لي طالب كان خالهُ يَمْلِك دار سينما، في الثانيَة والأربعين أُصيبَ بِسَرَطان في دَمِهِ، فدَخَل عليه فرآهُ يبْكي، فقال له: مالكَ تبْكي يا خال ؟! فقال له: جَمَّعْتُ خمسة ملايين ليْرة - يوم كان الدولار بثَلاثة ليْرات - لأُنْفِقَها في خريف عُمُري وأسْعَدَ بها، وها هو ذا المرض قد عاجَلني ولم يسْمَح لي أن أتمتَّعَ بهذا المال ! فهذا جَمَع المال على أنقاض الشباب وتَدْمير الأُسَر، فالإنسان الذي يمْلِكُ رؤْيَة صحيحة يعُدّ للملْيار قبل أن يقْتَرِف معْصِيَة أو يُؤْذي المَخلوق، وقبل أن يضرّ غيره.

الطَّبيب لمَّا يرى إنسانًا يأكل الفاكِهَة من دون غسيل فإنَّه يراهُ أعْمى لا يعْرِف ما الجراثيم والعَدوى، طيِّب ؛ هذا الذي عرف أنَّ مرض الإيدْز انْتشَر ويزْني مع امرأةٍ ساقِطَة ألا تَظُنُّه جاهِلاً ؟ الإنسان كلَّما تعلَّم واتَّصَل بالله صحَّتْ رؤْيَتُهُ واسْتَقام عملُهُ، والآية الكريمة

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(8)﴾

[سورة فاطر]

عمل سيئ، وعمل فيه ظُلم وإثْم، وعَمَل فيه تَعَدّي، وفيه غشّ، كلّ هذا يراهُ حسَنًا، يُرْوى أنَّ رجلاً كان يطوف حوْلَ الكعْبة وهو يقول: ربِّ اغْفِرْ لي، ولا أظُنُّكَ تفْعَلُ !! فَعَجِبَ منه رجلٌ وقال له: يا هذا ما أشَدَّ يأسَكَ مِن رحْمة الله، فقال: ذَنْبي عَظيم، فقال له: ما ذَنْبُكَ ؟ فقال له: كنتُ جُنْدِيًّا في حَمْلة قَمْعِ فِتْنة فلمَّا قُمِعَت الفِتْنة أُبيحَت لنا المدينة، دَخَلْتُ أحدَ البيوت فرأيتُ فيه رجلاً وامرأةً وولَدَين، فقَتَلْتُ الرَّجُل، وقلتُ للمرأة: اِعْطِني كلَّ ما عِنْدَكِ، فأعْطَتْهُ كلَّ ما عِنْدَه فقَتَلتُ ولَدَها الأوَّل فلمَّا رأتْني جادًّا في قَتْلِ الثاني أعْطَتْني دِرْعًا من ذَهَب،

تأمَّلْتُها فإذا عليها بَيْتَين مِن الشِّعْر فلمَّا قرأْتُهما صُعِقْتُ ! وأتَيْتُ إلى بيت الله الحرام، قرأ على هذه الذِّرْع المُذْهَبة:

إذا جار الأمير وحاجِباه وقاضي الأرض أسْرَفَ في القضاء

فَوَيْلٌ ثمَّ وَيلٌ ثمَّ وَيْـلٌ لِقاضي الأرض مِن قاضي السَّماء

إنسانة تعْمل في المُحاماة لها أخٌ مُوَظَّف له أربعة عشرة طِفلاً، عَرَضَتْ عليه قبل عِشرين عامًا أن تشْتري وإيَّاه بيتًا عن طريق جَمْعِيَّة تعاوُنيَّة بِقَصْر العَدْل، ودَفَعَ لها نِصْف البيْت نقْدًا، ولم يُطالِبْها بالإيصالات لِثِقَتِهِ أنَّها أُخْتُهُ، والآن ثمنُهُ خمسة عشرة مليون !! وقبل عامَين قالَت له إمَّا أن تخْرج من هذا البيت وإمَّا أن أُخْلِيَكَ، والقانون معها، فَوَضَع أثاث بيْتِهِ في مُسْتَودعات، وقسَّم أُسْرته إلى قِسْمَين قسْم عند أهل زوْجَتِهِ، وقِسْم عند أهْلِهِ !! يقول لي ابن أخيها: أُصيبَتْ عمَّتي بِمَرَضٍ خبيثٍ في أمْعائِها وهي تَصيحُ كلَّ الليل، فإذا بها بعد شَهْرٍ واحِدٍ تَموت، وذَهَبْتُ إلى البيت وألْقَيتُ فيه كلمة، وكان وريثُها الوحيد هو أخوها ؛ فعاد إلى البيت، واسْتَحَقَّت هي لعنة الله والملائكة فهذه لو أعْمَلَت عقْلها لما وصَلَت إلى ما وصَلَت إليه.

أيها الإخوة، العِبرة أن ترى الحقَّ حقًّا والباطِل باطِلاً، قال تعالى

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(8)﴾

[سورة فاطر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-9) : تفسير الآية 10

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية العاشرة من سورة فاطر، وهي قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)﴾

[سورة فاطر]

في الإنسان دَوَافِعَ فِطْرِيَّة ثلاث ؛ دافِعُ الطَّعام والشَّراب، ودافِعُ الجِنس ودافِع الأهَمِيَّة ؛ تأكيد الذَّات، فالدافِعُ الأوَّل للحِفاظ على الفَرْد والدافِع الثاني للحِفاظ على النَّوع، والدافِع الثالث للحِفاظ على الذِّكْر فالإنسان إذا أكل وشَبِعَ، وتزوَّجَ وكُفِيَ، فإنَّه يحْتاجُ حاجةً مُلِحَّة أن تكون له قيمة في المُجْتَمَع، وأن يكون إنسانًا ذا أهَمِيَّة ويُشار إليه بالبَنان، فهذه حاجة أوْدَعَها الله في الإنسان، وأيَّةُ حاجةٍ أوْدَعَها الله في الإنسان يُمْكِنُ أن تسْلُكَ طريقًا وقناةً نظيفةً شرَعَها الله عز وجل ويُمكنُ أن تسلُكَ قنَوات قَذِرَة نهى الله عنها، فلكَ أن تأكل ما لذَّ وطاب مِن كسْبٍ حلال ولا شيءَ عليك، أما إذا أكلتَ لقمةً من حرام جُرِحتْ عدالتُك، و لك أن تتزوج، أما إذا أردتَ أن تشبع هذه الرغبةَ خارجَ الزواج فهذا هو الزنا، و خارج الفطرة هذا هو اللواطُ، فأيَّةُ شهوة أودعها اللهُ في الإنسان رسم لها طريقا صحيحا و سنَّ لها سنَّة نظيفةً و صنع لها قناةً رائعةً.

درسُنا اليوم، الدافع الثالث ؛ الشعور بالأهمِّية، فأحيانا الإنسانُ يُخيف الناسَ بظلمه، فحينما يبطش يريد أن يشعر الناسَ أنه ذو أهميةٍ و مَرهوبُ الجانب، هذا طريق خاطئٌ لإشباع هذا الهدف، أما حينما تُحسِن و حينما تعطي و تكون مثلاً أعلى و تكون في قلوب الناس و تعينهم على أمر حياتهم و تُخفِّف من آلامهم و تعلِّمهم وتنفق عليهم و تمسح دمعةَ الأسى عن وجوههم، و حينما تحُلُّ مشكلاتهم و توَفِّق بين خصوماتهم تشعر بأهميَّةٍ وترقى عند الله تعالى، الشعور الفطري و الشعور بالأهمية هذا يمكن أن يُلبَّى من طريق الإيمان، فالإنسانُ إذا فاته مجدُ النسب و مجد المال فمجدُ العلم بين يديه، و العلمُ هو كلُّ شيءٍ في الحياة حتى في مجتمع الكفر، لا يُتَّخذ قرارٌ إلا بعد استشارةِ العلماء فإذا فاتك مجد النسب أو مجد المال، فمجدُ العلم بين يديه تعلَّموا العلمَ فإن كنتم سوقة عِشتُم إن كنتم وسطا سُدْتُم و إن كنتم سادةً فُقْتُم، يتعلم الإنسانُ اختصاصا يأتيه منه دخلٌ يكفيه في حياته، فالعلم يرفع الإنسانَ العادي إلى منزلة الكفاية و يرفع الإنسانَ المتوسِّطَ إلى منزلة السيدة و يرفع الإنسانَ الشريف إلى مرتبة التفوُّقِ، فباب العلم مفتوحٌ، فهذه الحاجة النفسية التأكيد للذاتِ و الشعورُ بالأهمية، و هناك ناسٌ يحتلون وظائفَ يريدون أن يشعروا الناسَ بأهميتهم عن

طريق تعقيد الأمور، فتقف أمامه ذليلا، عندك مشكلة و بإمكانه أن يحلّها، فيعقّدها لتعرف أهميتَه، فهذا يروي حاجةً في نفسه لكنْ بطريقةٍ خطأ، ولو سهّل لك الأمرَ لاحترمْتَه أكثر.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)﴾

[سورة فاطر]

فإذا أردتَ العزةَ و السيادةَ و الكرامةَ و أن تكون متفوّقا، وأن تكون متألّقا أو يُشار إليك بالبنان و يتحدَّث الناسُ عنك في المجالس، اعلم أن هذا الدافع لا يُحقَّق إلا من طريق الإيمان، باستقامتك و طاعتك وخدمتك و أعمالك الصالحة تسمو عند الله الناس.

أيها الأخوة زوروا قبر النبيّ عليه الصلاة و السلام، هل تصدِّق أن في الأرض كلّها من آدمَ إلى يوم القيامة إنسانٌ أعزَّه اللهُ كمحمدٍ عليه الصلاة و السلام، أنت كلما خضعتَ لله رفعك اللهُ، و كلما تكبَّرتَ وضعك اللهُ، فالعلاقة عكسية، كلما خضعتَ لله رفعك اللهُ، و كلما تكبَّرتَ وضعك اللهُ، تجد إنسانا عاديا جدًّا لما طلب العلم واستقام على منهج الله صار يُشار إليه بالبنان، و قد سمعتُ قصّةً قديمةً من خمسين سنة، جاء والى إلى الشام من طرف السلطان عبد الحميد جلس فغي المجالس و يقول: أنا خالع الملِكين، خلع مرةً ملكين مدحت باشا، فبلغ ذلك الشيخَ بدر الدين الحسني فقال له أنا سأخلعك أرسل برقية للسلطان فجاء خلعُه فورا، لأنه أطاع اللهَ تعالى اكتسب هيبةً فوق التصوُّرِ، من هاب اللهَ هابه كلُّ شيءٍ، الحسنُ البصري أطاع اللهَ عز وجل و أدّى واجب العلماء و نصح الناسَ فأزعج الحَجَّاجَ فأمر بقتله، استدعاه ليقتله و السيَّاف جاهزٌ و قد مُدَّ النطْعُ، فلما دخل رأى السيَّافَ و النطع جاهز عرف القصةَ، فدعا اللهَ تعالى بكلام غير مسموع، و الحجَّج وهو لا يشعر وقف له واستقبله و رحّب به و قرَّبه إلى مجلسه و أجلسه على سريره وقال: يا أبا سعيد أنت سيِّد العلماء و استفتاه في قضيَّةٍ و عطَّره و أكرمه و شيَّعه إلى باب قصره الحاجب و السيَّفُ صُعِقا، فتبعاه و قالا له: يا أبا سعيد لقد جِيءَ بك لغير ما فُعِل بك، فماذا قلتَ ؟ قال: قلتُ: يا ملاذي عند كربتي و يا مؤنسي في وحشتي اِجعلْ نقمتَه عليَّ بردا و سلاما كما جعلتَ النارَ بردا و سلاما على إبراهيمَ، ماذا ألقى اللهُ في قلب الحجَّاجِ، لا أحد يعلم،ى كان يريد أن يقتله فرحَّب به ووضعه على سريره، قال تعالى

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)﴾

[سورة فاطر]

فطريق العزَّة طاعة الله، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[سورة الحجرات]

طريق السيادة طاعةُ اللهِ، قال تعالى: وعد الله..الأرض " الطريق الذي يرضيك أن تكون في طاعة الله، أنت تريد من الله الكرامة و هو يريد منك الاستقامةَ، قال تعالى :

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾

[سورة هود]

و قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30)﴾

[سورة الزخرف]

قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)﴾

[سورة فاطر]

السيادة و الشأن و المكانة و السمعة الطيّبة و الذكر العطر و التألق و العلو الشرعي، فإذا طلبتَ العلم رفعك اللهُ و إذا خدمتَ الناسَ أحبُّوك و إذا نصحتهم قدّسوك، و إذا كنت وقَّافا عند كتاب الله التفُّوا حولك، و إذا كنتَ قدوةً لهم فَدَوْك بأرواحهم،

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)﴾

[سورة فاطر]

من عند الله تأتي، من طاعته و من التقرُّب إليه و طلب العلم، و من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، إذا أردتَ العزةَ، و لا تصدِّقْ أحدا في الأرض لا يريد العزةَ إلا أن يكذب، فكلُّ إنسان يتمنى أن يكون له شأنٌ و مكانة، وهذا شيءٌ طبيعيٌّ، كما أنك تجوع كما أنك تشتهي أن تتزوَّج تشتهي أن تكون ذا شأن في المجتمع، و حتى أدنى حِرفي يقول لك: عملي متقَنٌ، و يفتخر بها، و أحيانا تتعطَّلُ سيارتُك فتقف أمام المُصَلِّح بكلِّ

أدب، لأنك بهذا الموضوع جاهل فمارس عزَّتَه معك، هذا شيء فطريٌّ، لكن له قناةٌ نظيفةٌ وهي أن تسلك طريق الإيمان، و أن تطيع اللهَ و أن تكون مع الله فكن مع الله ترَ اللهَ معك و اترك الكلَّ و حاذر طمعَك .

يقول الظاهرُ بيبرس: ما استقرَّ مُلكي حتى مات العزُّ بن عبد السلام، لمكانه في المجتمع تفوق مكانة الظاهر بيبرس، و أحدج الخلفاء كان في الحرم المكي قال: أريد عالما أنتفع بعلمه، فاختاروا الإمامَ مالكًا من كبار علماء المدينة، و إمام دار الهجرة، طلبوه للخليفة فقال لهم: قولوا له يا هارون العلم يُؤتَى و لا يأتي، فقال: صدق، نحن نأتيه و قولوا له: إن أتانا لا يتخطَّى رقابَ الناسِ،قال: صدق، أتاه و أجلسوه على كرسيٍّ فقال الإمامُ مالك: من تواضع لله رفعه و من تكبَّر وضعه، فقال الخليفة: خذوا عني هذا الكرسي، هذه عزة ؛ خليفة المسلمين لا تغيب الشمسُ عن ملكه، كان يخاطب السحابةَ و يقول: اِذهبي أين شئْتِ فإن خراجَك يأتيني، و اضطر لأن يستجيب لهذا الإمام، و لو كان يريد العزةَ فلله العزة جميعا، فإله الصحابة إلهنا و إله الأقدمين إلهنا و إله الأنبياء إلهنا، و إله المؤمنين إلهنا، ما عليك إلا أن تعامله بصدق،

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)﴾

[سورة فاطر]

الآية دقيقةٌ جدًّا، الكلام يصعد إلى الله و تبقى أنت في الأرض،أما إذا كان عملُك مؤيّدا لكلامك صعدتَ أنت إلى الله، و لا ترقى إلى الله إلا إذا جاء عملُك موافقا لعملك

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

[سورة فاطر]

فقد تقول كلاما أحلى من العسل لكنَّ واقعك مختلف عن هذا الكلام، أنت في الأرض و كلامك صعد إلى الله، أما إذا أردتَ أن تصعد أنت إلى الله و ترقى إليه و تقبل عليه يجب أن يكون عملُك موافقا و لقولك

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

[سورة فاطر]

إليه..يرفعه" ثم قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)﴾

[سورة فاطر]

قال تعالى

﴿:إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ(36)﴾

[سورة الأنفال]

آثِرْ آخرتك على دنياك تربحهما معاً، و آثر دنياك على آخرتك تخسرهما معاً

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-9) : تفسير الآية 14

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، لأن الله سبحانه و تعالى شاءتْ حكمتُه أن يخلق الإنسانَ ضعيفا، وما خلقه ضعيفا إلا ليفتقر إلى الله، فإذا افتقر إليه سعد بافتقاره، و لو خلقه قويًّا لاستغنى بقوَّته، فإذا استغنى بقوَّته شقيَ باستغنائه، و الإنسانُ إن لم يعرف اللهَ وهو ضعيف توجَّه إلى البشر يدعوهم و يعلِّق عليهم الآمالَ، و يرجو ما عندهم و يخاف بطشه، هذا هو الشركُ، وهو أحدُ أكبر العذاب في الحياة، و الله تعالى يقول

﴿"فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ(213)﴾

[سورة الشعراء]

لأن الإنسانَ لو أحبَّك قد لا يستطيع أن يستجيب لك، أحيانا الإنسانُ يكون معه مرضٌ عضالٌ لا يرحمه رغم وجود المال و الأولاد و الزوجة، فالإنسان ضعيف و ما عرف اللهَ القويَّ والتجأ إلى غير اللهِ يخيب أملُه و يحبط عملُه، قال تعالى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14)﴾

[سورة فاطر]

هذا إذا سمعك قد لا يستجيب، و إن لم يسمعك لا يستجيب من باب أولى، فتَصوَّرْ إنسانا واقعا في الشرك معلِّقا أملا على زيد، و معلقا رجاءً على عُبَيد، و الله تعالى يؤدِّب هذا الإنسان المشركَ بمشكلة لا تُحلُّ عند هؤلاء إطلاقا .

أحد الناس ممن أعرف وهو من أهل الغنَى، قال مرةً كلمة كبيرة في مجلسٍ، قال ك المالُ يحلُّ كلَّ شيء، بعد مدَّةٍ، اُتُّهِم بتهمة هو منها بريءٌ، فمكث في السجن شهرين، و طوال هذه المدة كان يخاطب نفسه ؛ هل المال يحلُّ كلَّ شيء ؟ لا ؛ فلما قال إن المال يحل كلَّ شيء جعله إلها و اعتمد عليه، فخيَّب اللهُ ظنَّه، و دقِّق أيها الأخ ؛ أيُّ شيء تعتمد عليه و تنسى ربَّك من أجله، و أيُّ شيء تحطُّ عنده الرِّحالَ و يطمئنك من دون الله ؛ علاج هذا الإنسان المشرك الشركَ الخفيَ أن يخيِّب اللهُ آمالَه في الذي وضع آماله فيه، و أحيانا الإنسان يضع كلَّ آماله في ابنه، ويرسله إلى الخارج للدراسة فيتزوج و يقطع كلَّ المراسلات، و أحيانا يضع كلَّ آماله في زوجته فتتنكَّر له و تعامله أقسى معاملة، و أحيانا يضع آماله في ماله، و المال لا يحلب كلَّ المشاكل، فالله تعالى يقول:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14)﴾

[سورة فاطر]

فإذا معك رقم الهاتف و كنت في مكان ليس فيه هاتف ماذا تفعل ؟ أو الهاتف معطَّلٌ أو صاحب الهاتف مسافر، الإنسان أحيانا ينسى اللهَ تعالى و يعتمد على غيره، هذا هو الشرك الخفي، و النبيُّ عليه الصلاة و السلام قال:

((أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي، أما إني لست أقول إنكم تعبدون صنما و لا حجرا و لكن شهوةٌ خفيةٌ و أعمال لغير الله))

أما بالمقابل ربُّنا عز وجل يقول:

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(62)﴾

[سورة النمل]

فإذا كنت مضطرا فالله معك، فقد كان مع سيدنا يونس في بطن الحوت، و هل يوجد مكانٌ أصعبَ من هذا المكان ؟ إنسان فوق سفينة يجد نفسه فجأةً في ثلاث ظلمات ؛ ظلمة بطن الحوت و ظلمة الليل و ظلمة البحر، و ينادي في بطن الحوت

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ(87)فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ(88)﴾

[سورة الأنبياء]

فأينما كنت في أطباق السماء أو في أعماق البحار، في الصحراء و في الطريق و في خلوتك و في جلوتك و في عملك و حيثما كنت فالله تعالى معك قال تعالى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سورة فاطر]

أما الشركاء فلا يسمعون، و لو سمعوا لم يقدروا، تنتهي صلاحياتُه هنا، ثم قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14)﴾

[سورة فاطر]

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)﴾

[سورة إبراهيم]

لا يكفي أنه لم يسمعك و لا يكفي أنه سمعك و ما استجاب، ولكن يقول لك يوم القيامة: أنت كنتَ واهما، و أنا بريء منك، هناك كتاب وقع في يدي و ما أُتيح لي أن أقرأه إلا قبل أسبوع عن الدخانِ و مؤلِّف الكتاب أحد علماء مصر الكبار، ذهب إلى أمريكا و نظر بأمّ عينه و زار معامل الدخان المشهورة في أمريكا، فإذا بأوراق التبغ تنقع في الخمر ثلاثُ سنوات، وهذه النكهةُ التي يتحدَّثون عنها، هي نكهة الخمر، وهذه الدخينة التي تبقى مشتعلة من أولها إلى آخرها فيها كحول، هذا الإنسان ذهب إلى أمريكا و شاهد معامل الخمر كيف تعتّق أوراق التبغ في براميل الخمر ثلاثَ سنوات، و ألَّف كتابا على غلافه مرسومٌ شابًا في ريعان الشباب، و هذا الإنسان دائما يظهر في الدعايات للدخان، فهذا الإنسان مات بسرطان الرئة، و قبل أن يموت قال ما يلي: كنتُ أكذب عليكم، الدخان قتلني، فلذلك قال تعالى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سورة فاطر]

دقِّقْ فيما يلي ؛ أنت عندك جهازٌ معقَّدٌ ؛ كومبيوتر عطَّل و من حولك مائة شخص يحبونك، هذا تاجر و هذا خضري و هذا لحَّام، تتوجَّه إلى من ؟ إلى الشركة الصانعة، و إلى الوكالة و إلى الخبير، هل يُعقَل أن تصلِّح هذا الجهاز عند الخضري ؟! هذا يحتاج إلى خبير فإذا أنت جهاز كومبيوتر بسيط لا تسخو نفسُك أن تعطيَه لإنسان غير خبير، و أنت أعظم مخلوق في الأرض و الإنسان الأول المكلَّف تسلِّم نفسَك لإنسان آخر، تستنصحه و تسترشده و تأخذ برأيه و تطيعه، قال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

ملخَّص الآية ؛ ما سوى الله إن دعوته لا يسمعك، و إن سمعك لا يستجيب، و فضلا عن أنه لا يستجيب يكفر بك و يسخر منك يوم القيامة، قال تعالى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سورة فاطر]

و الخبيرُ هو اللهُ، و ليس هناك جهة أولى من أن تتَّبع تعليماتُها كالجهة الصانعة، فملخَّص الآية، لأنك بالأصل ضعيف، وهذا الضعف خَلقي و هو لحكمةٍ كبيرةٍ من أجل أن تلجأ إلى الله فتسعد بالتجائك له، فإن اتَّجهت إلى غير الله تعالى خاب ظنُّك، لأنه أو لا يسمعك، و لا يستجيبون و يسخرون منك يوم القيامة، قال تعالى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سورة فاطر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-9) : تفسير الآيات 18 - 23

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآيات التاسعة عشرة و العشرون و الواحدة والعشرون و الثانية و العشرون و الثالثة و العشرون من سورة فاطر وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22)﴾

[سورة فاطر]

تصوَّرْ أن إنسانا فاقدَ البصر، يمشي في طريق وعرة كلّها حفرٌ و أكمات و حشرات و حيوانات، و نسبةُ نجاته صفر، لأنه لا يرى هذا المثل ينسحب على إنسان مقطوع عن الله، أعمى، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا(125)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى(126)﴾

[سورة فاطر]

لأنك كنت أعمى في الدنيا، قال تعالى:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(46)﴾

[سورة الحج]

ففرق واسعٌ جدًّا بين إنسان له بصيرة و إنسان طُمِست بصيرتُه، قال تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19)﴾

[سورة فاطر]

و المؤمن له هدايتان ؛ هداية دلالة و هداية استنارة، هداية الدلالة معه كتاب و سنّة افعل و لا تفعلْ، هذا حلال و هذا حرام وهذا مكروه وهذا مستحبٌّ وهذا مندوب وهذا واجب وهذا مباح، و كم موضوع في الحياة الدنيا له خمسة أحكام، بين الفرضية و الندب و بين الإباحة و الكراهة و التحريم، فهذه هداية الدلالة، أنت اجلسْ في مجلس العلم هذا حرام وهذا حلال، وفي الزَّواج هذا حلال وهذا حرام، فالمُسْلم بِهذه الدَّلالة يسْتنير، فأنت إذا دَخَلتَ إلى مَخْبَر تَجِد قوارير مواد سامَّة ومواد خَطرة وفيتامينات، فهذه اللُّصاقات على هذه القارورات هي هِدايَة ولكنَّ هذه الهِداية هي هِدايَة دلالة، وكأنَّكَ أصْبَحْتَ بصيرًا، فأنت لا تَمْلِكُ القُدْرة على معرفة هذه المواد الكيماوِيَّة، ولكنّ هذه اللُّصاقات أرْشَدَتْكَ، فالزّواج حلال، والزّنا حرام، والبيْع حلال والرِّبا حرام والصِّدق حلال والكذب حرام، فأوَّل هِدايَة هي هِدايَة دلالة، فالإنسان إذا قرأ القرآن وقرأ سنَّة النبي عليه

الصلاة والسلام، ثمّ قرأ كُتُبَ الفقه يَستنْبِط منظومة أوامر ونواهي، أما حينما يتَّصِل بالله يُلْقي الله في قلبهِ نورًا، والدليل قوله تعالى

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(28)﴾

[سورة الحديد]

فنحن عندنا هِداية دلالة وهِداية اسْتِنارَة، فَعَالِمُ الكيمياء من دون لُصاقة يقول لك: هذا زِئبق، وهذا صوديوم ؛ يعرف المواد مِن دون لُصاقات، فالإنسان إذا حضَر مجالِسَ العِلْم يعرف الحلال والحرام وإذا اتَّصل بالله عز وجل تَطْهُرُ نفْسُهُ وتصْفو نفْسُهُ ويُلقي في قلبِهِ نورًا، والدليل أنَّ الصَّحابة الكِرام يفْرحون بما أُنْزِل إليهم لماذا يفْرَحون ؟ لأنَّ فِطْرتهم كانت مُصَدِّقةً لما أُنْزِل إليهم، توافُق الفِطْرة مع التَّنْزيل، وهناك دليل آخر وهو قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7)﴾

[سورة الشمس]

وقال تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19)﴾

[سورة فاطر]

قِطْعَتا لَحْمٍ مِن خروفٍ واحِد، ومِن أصْلٍ واحِد، ومن مكانٍ واحِد فالأولى رائِحَتُها مِن مائة مِتْر، وتكاد تخْرج مِن جِلدِكَ مِن شِدَّة رائِحَتها، وقِطْعة لونُها وَرْدي، فالذي له مَجْلسُ عِلم، ويعرف الخَير مِن الشَّر والحق مِن الباطِل، وما ينبغي وما لا ينْبغي، وما يجوز وما لا يَجوز فهذا إنسان بصير.

قال تعالى:

﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20)﴾

[سورة فاطر]

النُّقْطة الدَّقيقة أنّ هذه العَيْن لو فَحَصْتها عند طَبيب العُيون، تَجِدُها مثلاً جيِّدة الرؤْيَة، ولكنَّ هذه العَين ما قيمتها مِن دون نورٍ ؟ صِفْر وكذا العَقل ؛ ما قيمته من دون وَحْي، فكما أنَّ النُّور ضَروريٌّ للعَين فالوَحي ضَروريّ لِعمَل العقْل فالذي يسْتَغني عن الوَحي يقَعُ في حماقات لا حُدود لها، وأكْبَر دليل المُجتمع الغربي، تَجِدُ في الأمراض والإيذْ، وتبادُل الزَّوجات، والمُخَدِّرات !! لِذا لا يستوي النور والظُّلمات ؛ مؤمنٌ مُسْتَنير مُهْتدي بِهداية الله مع إنسان يسْرِق ويزْني ؛ هذا أعْمى، بلغني أنَّ سائِق تاكسي أوْقَفَتْهُ أحدُ الفتيات فقال لها: إلى أين ؟ فقالتْ له إلى حيثُ ما تريد ! فَفَهِمَ ما تُريد، ولمَّا قضى منها حاجَتَهُ أعْطَتْهُ ظَرْفَيْن فلمَّا فَتَحَ الأوَّل

وَجَد خمسة آلاف دولار، وفي الثاني فيه رِسالة مَكتوبٌ فيها: مرْحبًا بِكَ في نادي الإيْدز، والمبْلَغ كان مُزَوَّرًا فَوَضَعوه في السِّجْن فهذا لو كان بصيرًا لرَكَلَها بِقَدَمِهِ ! فالظُّلمات هو الباطل، قال تعالى:

﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾

[سورة النور]

أما النبي عليه الصلاة والسلام قال: تركتكم على بيْضاء نَقِيَّة ليلها كنهارها..." فأنت مع مَنْهَج يُفَسِّر لك حقيقة الكَون، وحقيقة الحياة وحقيقة الإنسان، مِن أين ؟ وإلى أين ؟ ولماذا ؟ تَفاصيل دقيقة وتَفسيرات حقيقيَّة، وما بعد الموت ؛ هذا كلُّهُ نور.

قال تعالى:

﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21)﴾

[سورة فاطر]

هذا مَثَل نابِعٌ مِن بيئة الصّحراء فلو كنتَ جالسًا تحت أشِعَّة الشَّمس اللاهِبَة، وبين أن تَجْلس في ظِلّ ظليل، ونَسَماتٍ عليلة، ومِياه جارِيَةٍ أمامك ؛ فهل هُناك نِسْبَة بينهما ؟! فهكذا حالة المؤمن، كأنَّه في ظِلّ ظليل، وحالة الكافِر كأنَّه في لهَبٍ لا يسْتَمِرّ.

فأوَّل نقطة، فالإنسان المؤمن و غير المؤمن والأعمى و البصير، و النقطة الثانية الهدى الإلهي الواضح البيِّنُ النيّرُ، و الدلالات البشرية ظلمات بعضها فوق بعض

﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21)﴾

[سورة فاطر]

الواحد يرى أن المرأة تمشي في الحياة من ملهى إلى ملهى ثم يأتيه الأجل وهو في أسوأ حال، في عذاب جهنم إلى أبد الآبدين، هذا أعمى و البصير هو الذي في النور و في الظلِّ، بصر دلالة و بصر استنارة فالذي مع الحق في النور و في الظلِ السعادة النفسية، قال هذا هو الحيُّ و الأعمى الذي في الظلمات و في الحرور هذا هو الميّتُ:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾

[سورة فاطر]

معناها أن علامة الحياة أن تكون متفتّح البصيرة و أن تكون على هدًى من الله و أن تكون في السعادة الأبدية، أوّلًا أعمى البصيرة في ظلماتٍ بعضها فوق بعض، وثانيا عقيدتُه و أفكاره ظلماتٌ، و الثالثة و في حرور البعد عن الله و في حرور الشهوة و في حرور الكآبة، قال هذا ميّتٌ وهذا حيٌّ

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22)﴾

[سورة فاطر]

هذه الحياة ذكرها الله تعالى في آية أخرى فقال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة فاطر]

معنى الحياة، أوّلا البصيرةُ تهتدي بنور الله و ثانيا معرفة الحق من الباطل و الحلال من الحرام، ثالثا أنت على عقيدة صحيحة، و رابعا أنت في سعادة، فالحياة حق و بصيرة و سعادة قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة فاطر]

هذه هي الحياة،قال تعالى: فإن لم يستجيبوا لك..يتبعون أهواءهم " عندئذٍ:"

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22)﴾

أيُّ قبر هذا ؟ قبر الشهوات و الضلالات و قبر المبادئ الوضعية و الأنانية لما يكون الإنسان منقطعا عن الله

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22)﴾

[سورة فاطر]

الله يسمع من يشاء أن يسمع من الناس

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (23)﴾

[سورة فاطر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-9) : تفسير الآيات 32 - 38

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثانية و الثلاثون و التي بعدها من سورة فاطر

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ(32)﴾

[سورة فاطر]

من " هنا للتبعيض

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾

[سورة فاطر]

لم يأخذ هذا الكتابَ و لم يهتد به و لم يطبِّق أحكامه، و هذه هو أشدُّ أنواع الظلم،

﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾

[سورة فاطر]

ومنهم مقتصد، أخذ بالرخَصِ و فعل المباحات و لم يفعل العزائمَ

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

[سورة فاطر]

فأنت لك موقفٌ مع هذا الكتاب إما أن يكون الإنسان سابقا بالخيرات و إما أن يكون مقتصِدا و إما أن يكون ظالما لنفسه، فإن لم يفهم هذا الكتابَ ولم يتدبَّرْ آياته و لم يحلَّ حلالَه و يحرِّمْ حرامه و لم يعبأ بوعده و لا بوعيده و لم يتَّعِظْ بقصصه و لم يصدِّق أخبارَه، ظلم نفسَه ن كتاب هداية و سعادة، منهم ظالم لنفسه، وهناك إنسان آخر اتَّخذ الحدَّ الأدنى، هذا ينجو، ومنهم مُقْتَصِد وهو مِن أصْحاب اليمين، وهناك إنسان جَعَل هذا القُرآن ربيعَ قلْبِهِ، وجَعَلَهُ منْهَجًا دقيقًا، وأخذَهُ بِكِلْتا يدَيْه، وقرأه آناء الليل وأطراف النَّهار، وعاشَ في رِحاب مَعانيهِ وصدَّق أخْبارَهُ، وأخَذَ وَعْدهُ ووعيدَهُ على مَحْمَل الجدّ، ومنهم سابِق بالخَيْرات، قال تعالى

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32)﴾

[سورة فاطر]

أما هناك مَن يرى أنَّ الفضْل الكبير أن تشْتري بيتًا بِعشرين ألف ليْرة واليوم ثَمَنُهُ سبعين مليون ليرة، فالفَضْل الكبير أن تكون وكيل شَرِكَة لها بِضاعة رائِجَة ومَحصورة فيك، ولكنَّ الله عز وجل يُخْبِرُنا وهو العَليم الخبير، وهو رب العالمين أنَّ الفضْلَ الكبير أن يكون القرآن ربيعَ قلبِكَ، قال تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32)﴾

[سورة فاطر]

هذا الفضْل الكبير ينتهي إلى جنَّاتِ عَدنٍ يدْخُلونها، حينما تُحِلُّ حلاله وتُحَرِّم حرامه، وتُصَدِّق وَعْد ووعيدَهُ، وتأخذ بما أمر وتنتهي عمَّا عنه نهى وزَجَر ؛ هذا هو الفضْل الكبير، فهذه العقيدة وذاك السُّلوك وهذا الحال ينتهي بِكَ إلى الجنَّة، فأحيانًا تَجِدُ الدارس سبعة سَنَوات دِراسَة كي يُعْطُونه ورقَة فيها كلمة ماجِسْتير، ولكنَّ هذه الوَرَقة الصَّغيرة تنتهي بِكَ إلى دَخْلٍ كبير، وهذا الفضْل الكبير ينتهي بِكَ إلى الجنَّة، فالله تعالى قال

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ(33)﴾

[سورة فاطر]

كلّ ما في جنَّة غير ما في الأرض، أعْدَدْتُ لِعِبادي الصالحين ما لا عَيْنٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَت ولا خَطَر على قلْبِ بشَر ؛ فهذا الوَصْف مِن باب التَّقريب.

قال تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34)﴾

[سورة فاطر]

فالله تعالى وَعَدَنا بالجنَّة وهذه هِيَ الجنَّة، بِرَبِّكُم كم يوجد مِن مَصْدَرٍ للحَزَن ؟ مليون مصْدَر، مليون همّ مِن جِسْمِكَ ! ومليون ثاني مِن بيْتِكَ !! ومِن دَخْلك!! كلَّ هذه الهُموم تزول يوم القيامة، وينتهي الحَزَن مِن دون رَجْعة، والدُّنيا أيُّها الإخوة كلُّها أحْزان، ولا تَصْفو لِمُؤْمِن، ويقولون لا راحَةَ لِمُؤْمِنٍ إلا بِلِقاء وجْهِ ربِّه، فأحَدُهم سَمِعَ هذه الكلمة فقال: ولا الكافر يرْتاح !! فهذه الحياة مَبْنِيَّة على المتاعِب مِن أجل أن تسْعى إلى الجنَّة، فأجْمَل صِفَة للدُّنيا أنَّ الدنيا كلُّها حُزْن ومُقْلِقات والجنَّة راحةٌ ما بعدها راحة، ففي الدُّنيا شَبَح الأولاد والزَّوجة والفقْر ؛ هذه كُلُّها مشاكِل.

ثمَّ يقول تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34)﴾

[سورة فاطر]

على ما كان مِنْك، وشَكَر أعمالكَ الصالحة، فآلَتْ بِكَ الأمور إلى الجنَّة، قال تعالى:

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ(35)﴾

[سورة فاطر]

فلا تعَب ولا مشاكِل، ولا سِنَّ يُؤلِمُك، ولا بيت بالأُجْرة، فهذا حال أهل الجنَّة.

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ(36)﴾

[سورة فاطر]

ما قرؤوا القرآن وما عبئوا به، وما الْتَزَموا به، وما أحَلُّوا حلاله، وما حرَّموا حرامهُ، قال تعالى:

﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36)﴾

[سورة فاطر]

أصْعَب أن تكون دون مَوتٍ ودون حياة، لا حَرْب ولا سِلْم.

ثمّ قال تعالى

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)﴾

[سورة فاطر]

ثلاثة وسبْعون سنة فهذا العُمْر كافي لِمَعرفة الله، أفلا يتذَكَّر فيه مَن تذَكَّر ؟! فهذا العمر كافي للتَّوبة وإصلاح الأخطاء، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ(37)﴾

[سورة فاطر]

ما هو النَّذير ؟ هذا القرآن، والنبي العَدنان، وسِنُّ الأربعين والسِّتين والنَّذير الشَّيْب، عَبْدي كبرتْ سِنُّك، وضَعُف بصرُك، وانْحَنى ظَهْرك، وشاب شَعرك، فاسْتحي مِنّي فأنا أسْتحي منك

إلى متى أنت باللَّذات مَشْغول وأنت عن كلّ ما قدَّمْتَ مسؤول

تَعْصي الإله وأنت تُظهر حبَّه ذاك لَعَمْري في المقال بديعُ

لو كان كان حُبُّك صادِقًا لأطعْته إنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ يُطيعُ

فالنَّذير ما سبَقَ وَصْفه، ومن دَخَل الأربعين دَخَل أسْواق الآخرة والنَّذير سِنُّ السِّتين، والنَّذير المصائِب، ومَوْتُ الأقارِب، هكذا قال الإمام القرطُبي في تَفسير معنى كلمة النَّذير، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (38)﴾

[سورة فاطر]

هذه الآخرة قُدِّمَت لنا صُوَر منها، وكأنَّنا نراها رأْيَ العَين، فالله سرَّب لنا مشاهِد الآخرة، وهذا كلام آخر الكون، وكلام الله تعالى وهو الذي قال لك: الفضْل الكبير أن تأخذ بِهذا الكِتاب، وتعملَ به وأن تُصَدِّق وَعْده، وتخاف من وعيدِهِ، قال تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

[سورة فاطر]

أحدهم سأل أحد العلماء: كم الزَّكاة ؟ فقال له: عِندنا أم عِندكم ؟! فقال: وهل لنا زكاة ولكم زكاة ؟!! فقال: يا ابني أما عندنا فالعَبد ومالهُ لِسَيِّدِه، وأما عندكم اثنان ونصف بالمائة ! قال تعالى:

﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾

[سورة البقرة]

فإيتاء المال على حُبِّه شيءٍ، وإيتاء الزَّكاة شيءٌ آخر، فلَكَ أن تأخذ الحدّ الأدنى وأنت مُقْتَصِد بهذا، ويمْكِنُ أن تأخذ الحدّ الأعلى فأنت سابق بالخيرات، لذا هذا الكتاب الكريم لك مِنه ثلاثة مواقف: فإن لم تعْبأ به فقد ظَلَمتَ نفْسَكَ، وإن أخَذْتَ الحدّ الأدْنى اقْتَصَدْت، وإن أخَذْتهُ بكلِّك سبَقت الخيرات، لذلك قالوا: العِلْم لا يُعْطيكَ كُلَّه إلا إذا أعْطَتَهُ كُلَّك، فإذا أعْطَيْتَهُ بعْضَكَ لم يُعْطِكَ شيئًا، ويظلُّ المرء عالمًا ما طلب العِلم فإذا ظنَّ أنَّه عَلِمَ فقد جَهِل.

نسأل الله أن يجْعلنا من السابقين أو أقلّ شيء مِن المُقْتَصِدين، إما أن نكون من الظالمين فنَعوذ بالله تعالى من هذا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-9) : تفسير الآية 41

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الواحِدَة والأربعون من سورة فاطر وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً(41)﴾

[سورة فاطر]

زوال الشَّمس عن كَبِدِ السَّماء أي انْحِرافها، ووقْتُ الظُّهر يتوافقُ مع زوال الشَّمس، فإذا زالت الشَّمس عن كَبِدِ السَّماء دَخَلَ وقْتُ الظُّهر ومعنى زالَتْ أي انْحَرَفَتْ، والكون الذي يَعُدُّه بعض علماء الفلَك مليون مليون مَجَرَّة، وفي مُعظم الكجرَّات حوالي مليون مليون كَوْكَب ونَجْم، هذا الكَون كلُّه مُتَحَرِّك، وكلّ هذه الحَرَكة مُغْلَقَة، قال تعالى

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ(11)﴾

[سورة الطارق]

أي كلّ كوْكَبٍ يدور حول كَوْكَبٍ آخر حتَّى يرْجِعُ إلى مكان انْطِلاقِهِ وأنَّ هذا التَّوازن في الكَون هو مِن أعْظَمَ أنواع التَّوازُن ؛ تَوازُن حَرَكي، وهو مُتحَرِّك متوازي، ولولا حركة الكواكب لأصْبَحَ الكون كلُّه كتْلَةً واحِدَة ؛ لأنَّ قانون الجاذِبيَّة يقْضي بأنَّ الكُتلة الأكبر تَجْذِبُ الكتلة الأصْغَر، فإذا تَوَقَّف الكون عن الحركة انْجَذَب إلى بعْضِهِ بعْضًا، وشَكَّل كتْلَةً واحِدَة، أما في أثناء الحركة ينشأ عنها قِوى النَّبْذ وهي التي تكافئ قِوى الجَذْب، ومن هنا يأتي التَّوازُن، ولْنَأْخُذ أرْضَنا، فالأرض تدور حَوْل الشَّمس، ومِن دَوَرانِها تنشأ قُوَّة نابِذَة و لارتباطها بالشمس تنشأ قوَّةً جاذبة، و لا شك أن قوَّة الجذب أكبر من قوَّة النبذ لذلك تبقى الأرضُ على مسارها، و لو تصوَّرنا أن الأرض خرجت عن مسارها و سبحت في الفضاء الخارجي، أي زالتْ عن مسارها و تفلَّتتْ من جاذبية الشمس و انطلقت في الفضاء الخارجي سوف تفتقر إلى أشعة الشمس و سوف تبرد إلى أن تصل إلى الصفر المطلق، و الصفر المطلق مائتان و سبعون درجة تحت الصفر وعندها تزول المودَّة، فإذا زالت عن مسارها تلاشتْ، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

[سورة فاطر]

بعض العلماء قالوا: لو أردنا أن نعيد الشمس إلى الأرض لاحتجنا إلى مليون مليون كبلٍ فولاذي، و قطر كلِّ حبل خمسة أمتار، و هذا الحبل الفولاذي الذي قطره خمسة أمتار يتحمَّل قوى شدٍّ تكافئ مليوني طنٍّ، فنحن بحاجة إلى مليون مليون حبل، و كلُّ حبل يتحمَّل قوى شدٍّ تكافئ مليوني طنٍّ، يعني أن الأرض مرتبطة بالشمس بقوَّة جاذبيةٍ تساوي مليونين ضرب مليون، هذه قوَّة جذب الشمس إلى الأرض وجذب الشمس إلى الأرض منم أجل أن يحرف الأرضَ عن مسارها المستقيم إلى مسارها الإهليلجي ثلاثة ميلي في الثانية، و منها يتشكَّل مسارٌ مغلقٌ حول الشمس، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾

[سورة فاطر]

فإذا قطارٌ خرج عن سكَّته هل تستطيع أن ترجعه، قال تعالى

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾

[سورة فاطر]

أيها الأخوة، الشيء الذي يلفت النظرَ أن الأرضَ مادَّةٌ، و المادة غيرُ عاقلة، و المسارُ إهليلجي ؛ أي بيضوي ؛ الدائرة لها قطران ؛ قطر أصغري و قطر أعظمي، فالأرضُ إذا وصلت إلى قطرها الأصغري تزيد من سرعتها لأن المسافة قصرتْ و هناك احتمال للشمس أن تجذبها فتحترق، و إذا أُلقيتْ الأرضُ في الشمس تبخَّرتْ في ثانية واحدة، لأن الشمس حرارة سطحها ستة آلاف درجة، أما حرارة أعماقها عشرون مليون درجة، و الحديد ينصهر بألف وخمسمائة درجة، و الأرضُ وهي في مسارها حول الشمس إذا وصلتْ إلى القطر الأصغر لئلا تجذبها الشمسُ فتنتهي تزيد من سرعتها، فإذا زادت من سرعتها نشأ عن هذه الزيادة قوَّةٌ نابذة جديدة تكافئ القوَّةَ الجاذبةَ الجديدةَ الناتجة عن قرب الأرض من الشمس، فإذا وصلتْ إلى القطر الأعظم و بقيت سرعتُها عاليةً فهناك احتمال التفلُّتِ و أن تزول عن مسارها حول الشمس، و هناك تبطِئُ من سرعتها، فالأرضُ تزيد من سرعتها في القطر الأصغر و تبطئُ من سرعتها في القطر الأعظم، فمن الذي أبطأها و سرَّعها ؟ و من الذي ربطها بالأرض ؟ و هذه القوَّةُ الهائلة تجذبها إلى الشمس، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾

[سورة فاطر]

هؤلاء الذين يُعبَدون من دون الله، هل يستطيعوا أن يعيدوا الأرضَ إلى مسارها ؟ و لو أن الأرضَ خرجت عن مسارها ما الذي يحصل ؟ أيها الإخوة الكرام، القضيةُ تحتاج إلى دقَّةٍ، و لو جئنا بكتلتين مغناطيسيتين وَوَضَعْنَاهُما على سطح سقيل، و جئنا بكرةٍ ثقيلة صغيرة أكبرُ عالِمٍ في الفيزياء لا يستطيع أن يضع هذه الكرةَ في المكان المتوسط الدقيق بحيث تكافئ قوى الجذب هنا و هنا، و لو أُزيح واحد ميكرون تنظم إلى

الكرة الأولى، أما إذا استطعنا أن نحافظ على كرة صغيرة بين كتلتين مغناطيسيتين فهذا شيءٌ معجِز، و لو أن الكتلتين متفاوتتان في الحجم كان الأمرُ أصعبَ، و لو أن هناك ثلاث كتل مغناطيسية متفاوتة الحجم كان أصعب بكثير، و كان عليك أن تضع كتلة في الفضاء بحيث تستقِرُّ بين هذه الكتل، هذا شيء فوق طاقة البشر، و لو أن هذه الكتل متحرِّكةٌ و الكتلةُ التي نريد أن نجعلها تستقر متحرِّكةً أيضا في فضاء، هذا شيء فوق طاقة العقل البشري، هذا هو الكونُ، و الكون مليون مليون مجرَّة، و كلُّ مجرَّة مليون مليون نجم، و كلُّ نجم له حجم وله كثافة و له مسافة و له بعدٌ و كله متحرِّكٌ، وهذا التحرُّكُ يؤدِّي إلى نظام دقيق، بحيث أن أدقَّ ساعةٍ في العالَم تضبَطُ على النجم، ومعنى ذلك أن حركة النجوم أدقُّ من أدقِ ساعة في الأرضِ، ألا ترى إلى التقويم الهاشمي فيه مثلا، أن الشمسَ تطلع يوم 25 أيلول على الساعة الخامسة و دقيقتين، لأن الحركة على مستوى معشار الثانية، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

[سورة فاطر]

هذا الإله العظيم يُعصَى و يُزهَد فيه و لا يُخطَب وُدُّه، و نسير بِخلاف منهجه، و لا نبتغي رضاه و نبتغي رضا البشر، قال تعالى في الحديث القدسي: إني و الإنس..قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾

[سورة فاطر]

لذلك أيها الإخوة، قبل سنة تقريبا أُرسِلت مركبةٌ إلى المشتري وعليها مرصادٌ عملاق، و عدسة المرصاد قطرها تسعة أمتار، يستغرق تبريدها عشرُ سنوات، التقط قبل سنة مجرَّةً . أُذيعت هذه الأخبار في إذاعة الأخبار العالمية . التقط مجرَّةً تبعد عنا ثلاثمائة ألف مليون سنة ضوئية، و أربع سنوات ضوئية نحتاج إلى سيرها بمركبة أرضية خمسين مليون سنة، قال تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ(15)﴾

[سورة التكوير]

هذه الآية من إعجاز القرآن الكريم العلمي، قال تعالى:

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً (41)﴾

[سورة فاطر]

تعصي الإله و أنت تظهر حبَّه   ذاك لعمري في المقال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعتَه   إن المحبَّ لمن يحبُّ يطيع

الله تعالى أعطانا هذا الفكرَ و العقل كي نتعرَّف بهما على الله، فإذا عطَّلنا عقولنا أو استخدمنا عقولنا لغير ما خُلِق له فقد خسرنا خسارةً كبيرةً

والحمد لله رب العالمين

الدرس (9-9) : تفسير الآية 14

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الرابعة عشرة من سورة فاطر وهي قوله تعالى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سور فاطر]

أنت إن أردتَ أن تدعوَ إنسانا في الدنيا تدعو من؟ تدعو مَن تؤمن بوجوده، أتدعو خيالاً ووهْمًا ؟ تدعو إنسانًا بلحمه أمامك، فلنم تدعوَ إنسانًا إلا إذا آمنتَ بوجوده، و الآنَ آمنتَ بوجوده، و لن تدعوَ إنساناً إلا إذا استمع إليك، الآنَ آمنتَ أنه موجودٌ و يسمعُ، و لن تدعوَ إنساناً إلا إذا أيقنتَ أنه أن يعاوِنك و يحبُّك، آمنتَ أنه موجود و يسمع و يحبُّك، لن تدعوَ إنسانا إلا إذا أيقنتَ أن قدرتَه كافيةٌ لحلِّ مشكلتك، إن كنتَ محتاجا إلى الموافقةِ للسفرِ فلن ترجوَ حاجبًا بل ترجو وزير الدائرةِ، فأنت إذا أردتَ أن تدعوَ مخلوقًا مثلَك، لن تدعوَ إلا من تؤمن بوجوده و من يستمع إليك و من يحبُّ أن يقضِيَ حاجتك ومن يقدرُ أن يقضيَ حاجتك، فكيف مع الله عز وجل؟

أنت حينما تؤمن أن الله موجودٌ و أن الله سميعٌ بصيرٌ عليمٌ بما في الصدورِ، و أنه خلقَك ليرحمَك و أنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، فما الذي يمنعُك أن تدعوَ اللهَ؟ و إذا دعوتَه فأنت أقوى الناسِ، مثلًا ؛ دولةٌ قويَّةٌ جدًّا إذا كانت مع دولةٍ ضعيفةٍ، هذه الدولةُ الضعيفة أصبحتْ أقوى دولةٍ، أليس كذلك ؟ هذا مثلٌ أرضِي، ومهما كنتَ ضعيفَ الحيلة و مهما كنت مكتَّفَ اليدين و مهما كنت ضعيفَ الإمكاناتِ إذا كان الله معك فأنت أقوى الناسِ، لذلك بابُ الدعاءِ الذي حُرِمه كثيرٌ من المسلمين، لأنهم يرون فيما يبدو أن هناك مَن بفصاحةٍ ما بعدها فصاحةٌ و بصوتٍ مرتفعٍ ما بعده صوتٌ مرتفعٌ، وبطلاقةٍ ما بعدها طلاقةٌ، و ببلاغةٍ ما بعدها بلاغةٌ، و بدعاءٍ مأثورٍ ما بعده مأثورٌ، و مع ذلك لا يستجيبُ اللهُ لنا، ومعنى ذلك أن المانعَ منا، وأن الله تعالى يقول

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ(60)﴾

[سورة غافر]

وما أمرنا بالدعاء إلا ليستجيبَ فمن الذي يمنع الدعاءَ مِن الإجابةِ الكسبُ الحرامُ، فإذا أردتَ أن تكون مستجابَ الدعوةِ أطِبْ مطعمَك يا سعدُ أطِبْ مطعمك تكنْ مستجابَ الدعوةِ، قال عليه الصلاة و السلام: يقول العبد يا رب يا رب و مطعمه حرام.."

أكادُ أقول إن الاستقامةَ في معظمها في كسب الرزقِ، فإذا كان كسبُ رزقِك حلالا فدعاؤُك مستجابٌ، و إن كان دعاؤُك مستجابًا فأنت أقوى الناسِ، و الله تعالى على كلِّ شيءٍ قديرٌ، هل هناك أصعبُ من ورَمٍ خبيثٍ ؟ الله عز وجل قادرٌ، و هناك الملايينُ من الحالات تراجعَ هذا الورمُ، مَن الذي يمنع الخليَّةَ أن تتراجعَ ؟ الله عز وجل، سيّدنا يونسُ؛ هل هناك أصعبُ مِن أن يكون الإنسانُ في بطنِ الحوتِ ؟ و في ظلمةِ الليل و ظلمةِ البحر و ظلمة بطن الحوتِ، قال تعالى:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ(87)﴾

[سورة الأنبياء]

فأنت ليست لك طلباتٌ عند الله تعالى، لا تحتاج إلى بيتٍ ؟ و لا تحتاج إلى زوجة صالحةٍ ؟ و إلى رزقٍ موفورٍ يغطّي نفقاتِك ؟ و إلى سمعةٍ طيّبةٍ ؟ هذه حاجاتٌ أساسيةٌ للإنسان، سعادةٌ، و صحةٌ و عافيةٌ أطِبْ مطعمَك و ادْعُهُ، قال عليه الصلاة و السلام: إذا كان ثلثُ الليل الأخيرِ ينزل ربُّكم إلى السماءِ الدنيا، فيقول.... خالقُ الكون يقول لك اُدعُوني و أنا أنتظرك، أنتظر أن تتوب و تستغفرَ و تسألني حاجتَك أيها الإخوةُ الكرام، الشيءُ بين أيديكم، و كلُّ واحدٍ منا له عملٌ يكون صادقًا فيه و لا يكذب أبدا و لو خاف، فكلمة الحقِّ لا تقطع رزقا و لا تقرّب أجلًا، أظهِرْ للناس مَن هو المسلمُ، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ(58)﴾

[سورة الذاريات]

وقال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(40)﴾

[سورة الروم]

فَكلمة الحقِّ لا تقطع رزقا و لا تقرّب أجلًا، فنحتاج إلى إسلامٍ عملي و ليس إسلاما نظريًّا في الكتبِ، الإسلامُ مع الحياةِ، لا تغُشَّ أحدًا و لا تُخْفِ عيبًا يزيد رزقُك، أحد الإخوةِ من إخواننا يبيع قطعا للسياراتِ قال لي: عندي قطعةً منذ سنواتٍ، كلَّ سنةٍ أحوّلها من جردٍ إلى آخرَ وقيمتها عشرون ألف ليرة، جاءَه مرَّةً زبونٌ ليأخذ هذه القطعةَ، و سأله الزبونُ هل هي أصليةٌ أم لا ؟ فوقع في حرجٍ شديدٍ، فقال له ليستْ أصليَّةً، فقال له: ناولْنيها، كلمةٌ واحدةٌ، فالله عز وجل هو الرزَّاقُ فأطِبْ مطعمَك، و توكّلْ على الله في الدعاءِ، لتكون مستجابَ الدعوةِ فأنت لا يُمكن أن تسألَ إنسانا إلا إذا آمنتَ به موجودا و يسمعك و يحبُّ أن يلبِّيَ حاجتَك، و يقدر أن يلبِّيَ حاجتك، أما إذا كان لا يستطيعُ قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي(78)وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي(79)وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي(80)وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ(81)وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ(82)﴾

[سورة الشعراء]

وقال تعالى:

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّا تُؤْفَكُونَ(62)﴾

[سورة غافر]

فهل منكم من ليس له طلبٌ عند الله تعالى ؟ مستحيلٌ، أما إذا أشركتَ . لا سامح اللهُ . فتوجَّهتَ إلى المخلوقين، قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ(213)﴾

[سورة الشعراء]

إذا توجَّهتَ إلى المخلوقين فاسمع الآيةَ، قال تعالى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سور فاطر]

فبيْنَ أن تتوكَّلَ على مخلوقٍ ضعيفٍ قد لا يحبُّك، و ربما يحبُّك و لا يستطيع أن يساعدك، و بيْنَ أن تتوكَّل على خالق الأكوان و ربِّ الأرض و السماوات، قال تعالى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سور فاطر]

أضربُ لكم مثلًا حادًّا، الدنيا شتاءٌ و أنت لابسٌ قميصا و فوقه كنزةٌ جديدةٌ، و أنت تحمل أغراضًا كثيرة، فقال لك طفلٌ: كم الساعة عمي ؟ طفلٌ صغيرٌ لا ترضى أن لا تجيبَه و تتجاهل سؤالَه و أنت إنسانٌ ضعيفٌ فكيف بربِّ الأكوان ؟ هو يقول لك:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ(60)﴾

[سورة غافر]

ثم لا تدعوه و تدعو غيرَه، تبذلُ ماءَ وجهك أمام إنسانٍ، " من جلس إلى غنيٍّ فتَضَعْضَعَ له ذهب ثُلُثا دينه "

لا تسألنَّ بني آدم حاجـةً و سل الذي أبوابُه لا تُحجَب

اللهُ يغضب إن تركتَ سؤالَه و بني آدم حين يسأَل يغض

الذي أكرم الناسَ هو يكرمك، و الذي أغنى يغنيك، أنا أريد أن تعقدَ صلحًا مع الله تعالى، و أن تعقد علاقةً متينةً مع الله، و أن تستجيب له، قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة الأنفال]

أن تستجيب له ثم تدعوه فأنت أقوى الناسِ، وإذا أردتَ أن تكون أقوى الناسِ فتوكَّلْ على الله، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ(173)﴾

[سورة آل عمران]

أجملُ شيءٍ إنسانٌ عرف اللهَ عز وجل و بدأ يحاسب نفسَه، و مادام القلبُ حيٌّ ينبُضُ فكلُّ شيءٍ يُحلُّ، قال لي أحد الإخوة: عندي معملٌ للجرابات و كلُّ يومٍ أجد نقصًا في البضاعةِ، عيَّنتُ موظّفا للمراقبةِ فلم نفلح في إيقاف ذلك السارق، بعد اثنا عشر سنة طرق بابي رجلٌ محترمٌ، قال له: كنتُ عندك موظَّفا من زمان و كنتُ أسرقك، و أريد أن أحاسبك الآن على ما أخذتُه منك، فقال له: قد سامحتُك و إذا أردتَ أن تشتغل فارجع عندي، فممكنٌ أن يخطِأَ الإنسانُ و يتوب و يصحّح، و لأن حقوق العباد مبنيَّةٌ على المشاحَحَة لا تسقط إلا بالأداء أو المسامحةِ، بينما حقوقُ الله تعالى مبنيةٌ على المسامحةِ، فإذا راجع الإنسانُ نفسَه و ما دام القلبُ ينبُضُ فكلُّ شيءٍ له حلٌّ، أما إذا انتهى الأجلُ و خُتِمَ العملُ سِيق الإنسانُ ليلقى جزاءَ عمله .

فالآيةُ اليومَ الرابعة عشر، قال تعالى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سور فاطر]

والحمد لله رب العالمين

الفصل التاسع : تفسير سورة يس

الدرس (1-9) : تفسير الآية 33

الدرس (2-9) : تفسير الآيات 13 – 24

الدرس (3-9) : تفسير الآية 12

الدرس (4-9) : تفسير الآية 47

الدرس (5-9) : تفسير الآيات 33 – 35

الدرس (6-9) : تفسير الآية 65

الدرس (7-9) : تفسير الآية 67

الدرس (8-9) : تفسير الآيات 77 – 79

الدرس (9-9) : تفسير الآيات 77 – 83

الدرس (1-9) : تفسير الآية 33

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، وصلنا في الدرس الماضي إلى الآية الثالثة و الثلاثين في قوله تعالى:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33)﴾

[سورة يس]

بعد أن بيَّن الله جل جلاله مغبَّة الصدِّ عن سبيله و رفض رسالات الأنبياء و ضرب لنا مثلا حيًّا من أقوامٍ كذّبوا رسلهم و أهلكهم الله تعالى، و أوقعهم في شرِّ أعمالهم، و كيف أن الذي عرف الله تعالى لقيَ اللهَ و هو عنه راضٍ فَدخل جنة الخلد، بعد أن بيَّن الأمور النظريةَ و الأمثلة التطبيقيةَ بيَّن الله تعالى الطريقَ إليه.

الطريق إلى اللهِ يبدأ بمعرفته، و معرفةُ الله عز وجل هي اصلُ الدين هذه أصولٌ، و فروعُ الدين كثيرةٌ التي إذا خُضنَا فيها و لم نملك هذا الأصلَ القويمَ فإننا في متاهاتٍ كثيرةٍ، و ماذا فعل النبيُّ عليه الصلاة و السلام في مكَّةَ المكرمةِ ؟ و لماذا الآياتُ المكّيةُ كلُّها تتحدَّث عن الله تعالى و عن آياته الكونيةِ ؟

مرَّتْ الدعوةُ إلى الله بمرحلتين ؛ المرحلةُ المكّية و المرحلة المدنية في المرحلةُ المكّية تمَّ التعريفُ بالله من خلال آياته، فإذا قرأتَ الآياتِ المكّيةَ لوجدتَ العجبَ العُجابَ، كلُّها إشاراتٌ إلى آيات الله في الأرض، قال تعالى:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا(1)﴾

[سورة الشمس]

وقال تعالى:

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى(1)﴾

[سورة الليل]

وقال تعالى:

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ(1)﴾

[سورة الانفطار]

وقال تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ(47)﴾

[سورة الذاريات]

فلو تتبَّعتَ الآياتِ الكونيةَ لوجدتَّها في محورٍ واحدٍ الإيمانُ بالله من خلال آياته والإيمان باليوم الآخر، فإذا صحَّ إيمانُك بالله صحَّ كلُّ شيءٍ عندئذٍ يأتي دورُ الفروعِ، و دورُ التشريع، أحكام الزواج و أحكام الطلاق و أحكام البيوع، كلُّ هذه الأوامر و النواهي لها معنى حينئذٍ إنها تنفيذٌ لأمرِ اللهِ، و إنها طاعةٌ لله، فالأمرُ و النهيُ لا معنى له قبل معرفة الآمرِ و الناهي، لذلك ما من دعوةٍ تنجح إلا إذا بدأتْ بتعريف الناس بالله، و ما منْ دعوةٍ بدأتْ بالعكس، بدأتن بتعريف الناس بشرع الله دونَ أن يعرفوهم بأمر الله تعالى، هذه الدعوةُ لا تنجح، لأن قيمةَ الأمر من قيمةِ الآمرِ فإذا ما عرفتَ للآمرِ قدرًا هل تعرف لأمرِه قدرًا ؟ قال تعالى: و ما قدروا الله.." فدائماً إذا أردتَ أن تعلّمَ أو أن تتعلَّمَ فابدأْ بالآمرِ قبل الأمرِ، و من هو الآمرُ ؟ هذا الذي أمرني أن أفعل كذا و كذا من هو ؟ الله تعالى قال:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(4)﴾

[سورة السجدة]

وقال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ(2)﴾

[سورة الرعد]

وقال تعالى:

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(96)﴾

[سورة الأنعام]

قال تعالى:

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا(9)﴾

[سورة المزمّل]

إذا سلَّم الإنسانُ نفسَه لطبيبٍ، و هذا الطبيب درسَ في بلدٍ أجنبيّ و معه بورد مثلا، و متفوّقٌ في اختصاصه و شهادتُه امتياز، أجرى الآلافَ من العملياتِ الناجحة، حتى يسلِّم المريضُ نفسَ للطبيبِ يجب أن نعرّفه بهذا الطبيب، و حتى يعرف الإنسانُ كيف ينفِّذ أمرَ الله تعالى و الانتهاء عن نهيه يجب أن يعرفه، فالذي فعله النبيُّ عليه الصلاة و السلام هو أنه أمضى ثلاث عشرةَ سنةً في مكَّةَ، يعرِّف أصحابَه بالله و باليوم الآخر من خلال الآياتِ الكونيةِ، فلما جاء للمدينةِ بدأ الشرعُ ينزلُ اتِّباعًا، آياتُ الدَّيْن و آياتُ الطلاق و البيوعِ هذا كلُّه جاء في المرحلة المدنيةِ، فربُّنا عز وجل حينما أراد أن يعرّفنا بذاتِه بدأ بهذه الآياتِ، قال تعالى:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33)﴾

[سورة يس]

أُنظُر بشكلٍ بسيطٍ إلى الأرض في الشتاءِ و إلى الأشجار، خشبٌ يابسٌ، ثم انظُر إليها في الربيعِ، الحشيشُ الأخضرُ و الأزهارُ و الورودُ و الرياحينُ و الأشجارُ في حُلَّةٍ زاهيةٍ، أينَ كان هذا الجمالُ كلُّه في الشّتاءِ ؟ الأرضُ بأشجارها و ترابها في الشتاء، ثم انظُر إليها في الربيع، قال تعالى:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33)﴾

[سورة يس]

اِذهب إلى سهولِ حورانَ في الربيع تراها بساطًا أخضرَ، وكلُّها حبَّاتٌ، وهذه الحبَّةُ عبارةٌ عن رُشَيْمٍ، وهذا الرُشَيم له سُوَيقٌ و له جُذَيرٌ وهو كائنٌ حيٌّ، و له غذاءٌ، وله قشرَةٌ، فإذا جاءتْه الرُّطوبةُ نَمَا جُذيْرُه و سُوَيقُه على حساب الغذاءِ، إلى ظان تتمكّن جذورُه أن تمتصَّ الغذاءَ من التربةِ، عندئذٍ تصبح نبتةً، وهي آيةٌ من آيات الله الدالَّةِ على عظمتِه، قال تعالى:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33)﴾

[سورة يس]

تحدَّثْتُ في الدرسِ الماضي أنَّ القمحَ هو الغذاءُ الأولُ، و الرئيسي لحياة الإنسانِ وهو متناسِقٌ تناسُقًا عجيبا مع حاجات الإنسانِ، الأمرُ الذي يدعو إلى أن تقولَ يقيناً أنَّ الذي خلق هذه الحبَّةَ و الذي خلق الإنسانَ هو إلهٌ واحدٌ، و التناسقُ الدقيق بين بُنيَةِ هذا القمحِ و مكوّناتها الغذائية و بين بنية الجسم و حاجاته الطبيعية، فيه نَشاءٌ و حديد و فسفور...موادٌ سكَّرية كلُّها في هذه القمحةِ، و القمح أنواعٌ كثيرةٌ، و لو رأيتَ محلَّ المواد الغذائية لرأيتَ أن معظمَ مكوّنات هذه البضاعة هي القمحُ، و الحلوياتُ و أنواعُ المعَجَّناتِ و الخبزِ، كلُّ هذه المواد أساسها القمحُ، قال تعالى:

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33)﴾

[سورة يس]

فلما يشتري الإنسانُ ربطةَ الخبزِ و يقول باسم الله الرحمن الرحيم فهل تعني ما معنى باسم الله الرحمن الرحيم؟ أيْ أيها الإنسانُ هل فكَّرتَ في هذا الخبزِ ؟ و هل نفَّذْتَ أمرَ الله في تناولِ الطعامِ ؟ و البسملةُ كي تذكرَ أمرَ الله تعالى في تناولِ الطعامِ، و البسملةُ كي تذكرَ نِعَمَ الله عز وجل، باسم الله الرحمن الرحيم آكُلُ، أيْ آكُلُ باسم الله الرحمن الرحيم، وِفقَ أمرِهِ و مستنيرًا بنوره، فإذا شربتَ فقل: باسم الله الرحمن الرحيم، و هذا الماءُ من نعمةِ الله علينا أن جعله عذبًا فراتًا و سوف أشربُه وفقَ سنَّةِ رسول الله صلى اللهُ عليه و سلم قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34)﴾

[سورة يس]

الأرضُ غيرُ القمحِ و غيرُ المحاصيلِ ؛ القمحُ و الشعيرُ و العدسُ و الحُمُص.. أصنافٌ يعلمها الزُّراعُ، و المحاصيلُ لحكمةٍ يعلمها اللهُ تنبتُ في وقتٍ واحدٍ، تيسيرا على الإنسانِ، و فوقَ هذا و ذاك يصيبها السُّوسُ بعد حينٍ، و لولا هذا السُّوسُ الذي يصيبُ هذه الحبوبَ و المحاصيلَ لاحتكرَ الإنسانُ قوتَ أخيه الإنسانِ، و لأَمْكَنَ للإنسانِ أن يجمع القمحَ كلَّه و أن يبيعه بمائةِ ضعفٍ على رأسِ ماله، و لكنَّ هذا السُّوسُ الذي يصيبُه هو الذي يُفقِدُه ثمنَه بعد حينٍ، فلا بدَّ من أن يبيعَه، و هذا من حكمة الله عز وجل، حكمةٌ بالغةٌ. قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34)﴾

[سورة يس]

هذا النخيلُ ؛ في الحقيقةِ أن العلماءَ قالوا: إنَّ أطولَ الأشجارِ عُمُرًا هي النخيلُ، وبعضُ أشجار النخيل عمُرها اكثرُ من ستَّةِ آلاف عامٍ أطولُ الأشجار عمُرًا هي النخيلُ، و هناك صفاتٌ كثيرةٌ للنخيلِ، أنه إذا قُطِع رأسُه لا تنمو، كالإنسانِ،و أنَّ ثمارَ النخيلِ عُقِدَتْ عليه مؤتمَراتٌ، و قد قرأتُ عن مؤتمرٍ في العالَم عُقِد لدراسةِ بُنيةِ ثمرةِ النخيل، و حتى أنهم قالوا عن ثمرةِ النخيلِ: إنها صيدليَةٌ في حبَّةٍ، ستَّةٌ و أربعونَ مادَّةٍ داخلةٌ في تركيب التمر، مادة مُسَكِّنةٌ إذا الإنسانُ أعصابُه مشدودةٌ يُنصَح بأكلِ التمرِ، و إذا الطفلُ شرِسُ الطِّباعِ يُنصَح بإطعامه التمرَ، و لما ربُّنا عز وجل قال:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا(25)﴾

[سورة مريم]

فالتمرُ فيه مادَّةٌ تُقَبِّض الأوعيةَ، فالمرأةُ التي سَتَلِدُ أخطرُ شيءٍ في الولادةِ النزيفُ، لأن مئاتُ الألوفِ من الأوعية التي في الرَّحمِ سوف تتمزَّق، فإذا كان هناك مادَّةٌ تقبض هذه الأوعيةَ فالولادةُ سليمةٌ، فلذلك التمرُ يفيد المرأةَ التي على وشكِ الولادةِ، لأن المادَّةَ التي في التمرِ تقبض الأوعيةَ فتسهِم في انقطاعِ النزيفِ، و في التمر مادَّةٌ مُلَيّنةٌ، لأن الأمعاءَ التي في المرأةِ إذا كانت ممتلئةً بالفضلاتِ تعسرُ الولادةَ، مما يُسهّل الولادةَ أن تفرغ أمعاؤُها، و في التمر مادَّةٌ مسهّلةٌ و في التمرِ مادةٌ قابضةٌ و في التمرِ مادةٌ مضادَّةٌ للنزيفِ، و في التمرِ مادة تسرّع في تقلُّصِ العضلاتِ، كلُّ الموادِ التي في التمرِ لها علاقةٌ نفيسةٌ بالولادةِ، هذا معنى قول الله تعالى:

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا(25)﴾

[سورة مريم]

وفوقَ هذا وذاك التمرُ لا يتلوَّثُ، لأن شدَّةَ تركيز المادةِ السكَّريةِ فيه تمتصُّ أيَّةَ جرثومةٍ تقع على التمرِ، و هو مُعقَّمٌ دائما، و يُخزَّن التمرُ وقد قرأْتُ عنه، صيدليةٌ في حبَّةٍ، حتى أن إخوةً كثيرين حدَّثوني عن النتائجِ الطبيّةِ التي عاينوها في أجسامهم بعدَ تناولِ التمرِ، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34)﴾

[سورة يس]

والتمر أنواعٌ منوَّعةٌ، وقد سمعت أن قيمةَ بعض أنواعه ألف ليرةٍ، و أفخرُ أرقى أنواع الحلويات لا ترقى إلى مستواها، و العنبُ يُعدُّ المادةَ الغذائيةَ الأولى في الفواكه، لأنَّ فيه سكَّريات و فيتامينات لدرجةٍ أنه يُعدُّ الفاكهةَ الأولى، وهو أيضا أنواع منوَّعةٌ، و يمكن أن يُخزَّن زبيبا، وهو قوتٌ أساسيٌّ، ":

﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34)﴾

[سورة يس]

وكلّ! كلمةٍ فيها موضوعٌ للتفكُّرِ، موضوعُ تفجُّرُ الينابيعِ طويلٌ أساسُه تصميمُ طبقاتَ الأرضِ ؛ طبقةٌ نفوذةٌ و طبقةٌ كتيمةٌ و حوضٌ وصخورٌ معدنيةٌ، تُذابُ قليلا قليلا في الماءِ المعدني الذي يُرمِّم الجسمَ البشري حديثٌ طويلٌ حول، قال تعالى:

﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34)﴾

[سورة يس]

الماءُ أساسُه مالحٌ، و البحرُ لولا أنه مالحٌ ما تمَّتْ حياةٌ على وجه الأرض، ثم يُبخَّر و يقطَّر هذا الماءُ عن طريق السطوح المائية الواسعة و عن طريق أشعةِ الشمسِ وعن التبخُّرِ و تحمُّلِ الهواء لبخار الماءِ و عن طريق سوقِ الرياح لهذا السحابِ و عن طريق انعقادِ السحابِ على شكلِ حبَّات المطرِ، وهو بحثٌ طويلٌ، وكيف يتخلَّى الهواءُ عن بخارِ الماء إذا برَدَ و كيف يستوعِبُ هذا البخارُ إذا سخَنَ وكيف قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا(14)﴾

[سورة النبأ]

وكيف أن الضغط الجويَّ يُسَاهِم في تحويلِ بخار الماءِ إلى قطرات الماءِ ؟ و كيف أنَّ هذه القطراتِ لا تنعقدُ إلا على ذرَّاتٍ من الغبارِ الذي في السماء ؟ بحثٌ طويلٌ، قال تعالى:

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)﴾

[سورة يس]

اللامُ للتعليلِ، يعني هذه الثمارُ مُصممَّةٌ لك، و لإكرامك، في لونها و حجمها و طعمها و قوامها و رائحتها و شكلها، هذه كلُّها تسهِم في إكرام الإنسانِ، و الفواكهُ لها منظرٌ جميلٌ في حدِّ ذاتها، و قبل أن تأكلَها، و الفاكهةُ من حيثُ الجمالُ قطعةٌ فنّيةٌ، و التصميمُ مبدِعٌ، مِنتْ إلهٍ عظيمٍ، فهذه الفاكهةُ، قال تعالى:

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)﴾

[سورة يس]

هذه إشارةٌ دقيقةٌ في القرآن إلى أنَّ النباتَ له فائدُ لا تُعدُّ لا تُحصَى تزيد عن أنَّه تأكله، و الأساسُ هو الخشبُ، وأكثرُ الأدويةِ النافعة والمفيدةِ من النباتِ، و الأصبغةُ من النبات و المطَّاطُ من النباتِ

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)﴾

[سورة يس]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-9) : تفسير الآيات 13 - 24

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الرابعة عشرة والتي بعدها من سورة يس وهي قوله تعالى:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾

[سورة يس]

تطَيَّرنا أيْ تشاءَمْنا، والتَّطَيُّر عادَةٌ جاهِلِيَّة، فالإنسان كان إذا طار الطائِر عن يمينِهِ تفاءَلَ، وإن طار عن شِمالِهِ طائِر تشاءَم، فالتَّطَيُّر إذا أُطْلِقَ انْصَرَف إلى التَّشاؤُم، فهو إن طار عن يمينِهِ تفاءَلَ، وإن طار عن شِمالِهِ تشاءَم، أما إذا أُطْلِقَ نقول فلان تطيَّر.

قبل أن نُتابِعَ الآيات، التَّطَيُّر لا أصْل له إطلاقًا، ولا وُجود له فلا يومٌ مِن أيَّام الأُسبوع فيه تَشاؤُم، ولا رقم فيه تشاؤُم، ولا فلان قَدَمُهُ قَدَمُ سوء، ولا امْرأة تزوَّجْناها فدَخَل الشرّ علينا ! هذا كلُّهُ كلامُ إبْليس مِن أجل أن يفَرِّق بين الرَّجُل وزوْجَتِهِ، وبين الأخ وأخيه، وبين الشَّريك وشريكه.

فالتَّطَيُّر أن يطير الطائِر عن اليمين فتتفاءَل، وأن يطير مِن الشِّمال فتتشاءَم، فهذا لا أصْل له في الدِّين، والنبي صلى الله عليه وسلّم وهو سيِّد الخَلق، وحبيب الحَق، تُوُفِّيَ ابْنُهُ إبراهيم فَكَسفت الشَّمس، فظنَّ الصَّحابة الكِرام أنَّ الشَّمس كُسِفَت مِن أجل مَوْتِ إبراهيم، فلمَّا بلَغَ النبي صلى الله عليه وسلَّم، وقفَ فيهم خطيبًا وقال: إنَّ الشَّمس والقمر آيتان لا ينبغي أن تنْكَسِفا لِواحِدٍ من خلْقِهِ، فالأبراج والتَّشاؤم، ووقعَت لك مُشكلة يوم الثالث عشر، أو وجَدْت بالدُّرج كلمة في تشاؤم، فهذا كلُّه خَلط بِخَلْط بِخَلْط، ولا أساس له بالصِّحة، قال تعالى:

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18)﴾

[سورة يس]

الشَّق الثاني: قالوا طائِرُكم معكم، فالتَّشاؤُم مِنك، والتَّفاؤُل منك فأنت إذا فَعَلْتَ مَعْصِيَةً تشاءم والحق معك ! وإن فَعَلْتَ طاعةً فتفاءَل فالخير لا يأتيك من الخارِج، ولكن مِن الدَّاخِل، والشرّ لا يأتيك من الخارج ولكن من الداخل، ولا يخافنَّ العبد إلا ذَنْبه ولا يرْجُوَنَّ إلا ربَّهُ وهناك أُناسٌ مُخيفون، وأمراض وبيلة، وحشرات وفيروسات وأشْخاص شرِّيرون، هؤلاء لا تَخَفْهم، ولكن خَفْ ذَنْبَكَ، لأنّ هذا الذَّنْب يُسَلِّطُ عليك كلّ هؤلاء، فلا تخَف هؤلاء ولكن ذَنْبَكَ ! فَذَنْبُكَ هو الذي يسْتَقْدِمُهم، وهو الذي يُقَوِّيهم، فإذا الإنسان ارْتَكَب المعاصي كان عليه أن

يتشاءَم وإلا كان أبْلهًا، ويجب أن ينتظِر العِقاب، وإذا كان مالُهُ حرام يجب أن ينتَظِر تَدْمير مالِهِ، إلا أنْ يتوبَ طبْعًا، وإذا علاقاتُهُ الاجْتِماعِيَّة ساقِطَة عليه أن ينتظِر الشَّقاء الزَّوْجي إلا أن يتوب وإن أهْمَلَ أولادَهُ فَيَجِبُ أن ينتَظِر عُقوقَهم، وإن أقْلَتَ زوْجَتَهُ فيجب أن ينْتَظِر خِيانتها، فطائِرُكم معكم، والشَّر مِن داخِل الإنسان، فإذا الدَّخل حرام عليك أن تتوقَّع احْتِراق المَحَلّ، وتتصادَر الأموال وتَبُور التِّجارة، وتُفَلِّس، وإذا كان عَمَلُكَ طيِّب كان عليك أن تتفاءَل وقل لن يُصيبَنا إلا ما كتبَ الله لنا، فالله وعَدَك بالحياة الطَّيِّبَة فخَيْرُكَ مِنْكَ فلا يوجَد رقْم خارِجي، وحتَّى الشَّيطان، قال تعالى

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)﴾

[سورة إبراهيم]

ومن أتى كاهِنًا فقد كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ على مُحَمَّد ومن أتى ساحِرًا فصَدَّقه لم تُقبل صلاته أربعين صباحًا، فطائِرُنا مِنَّا، فإذا أدَّيتَ زكاة مالِكَ، وكنت مُستقيمًا فلا تَخَف، فهذا سيِّدنا أبو الدَّرداء كان له مَحَلّ تِجاري في المدينة، فقيل له: يا أبا الدَّرْداء احْتَرَقَ مَحلُّك، فقال: ما كان الله لِيَفْعَلَ !! اِذْهَبوا فلمَّا تأكَّدوا فإذا ليس بِمَحَلِّه وما تَلِفَ مال في برِّ ولا بحْر إلا بِحَبْسِ الزَّكاة، وتبرُّ والِدَيْك فسَوْف يكون أولادُكَ أبْرارًا لك، واخْتَرْتَ زوْجَةً لِدينِها فلن ترى منها سوءً فالخير مِنك، والشَّر منك، فَسَيِّدُنا هود عليه السلام ماذا قال ؟ قال تعالى:

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي(55)﴾

[سورة هود]

أنت أمام خمسين وَحْش مُخيف، ولكن كلّ وَحْش مربوط بِزِمام مُحْكَم بِيَدِ إنسان عادِل وقويّ وحليم، فأنت لا علاقة لك بالوُحوش، ولكن بِمَن بيَدِهِ أزِمَّة الوُحوش فإن رَضِيَ عنك أبْعَدَها عنك، وإن غَضِب عليك قرَّبَها مِنك، فهذه الآية دقيقة:

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ(19)﴾

[سورة يس]

لذلك لا يخافنَّ العبد إلا ذَنْبه ولا يرْجُوَنَّ إلا ربَّهُ ؛ هناك حوادِث مُرَوِّعة، وحشرات مُخيفة، وأناس ظالمون، وخِيانة زَوْجِيَّة، فأنت لا تَخَف مِن شيءٍ، وإنَّما عليك بالخَوف مِن ذَنْبِكَ فَهُوَ الذي يَجْلبُ لك كلّ هذا، وإذا كنتَ مُسْتقيمًا وِفقَ مَنْهَج الله وأنت راضٍ لله، فلا تتشاءَم، و أرجو من الله كل خير ، لأنّ الله تعالى يقول:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(97)﴾

[سورة النحل]

قال تعالى

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21)﴾

[سورة يس]

الإنسان بِطَبيعَتِهِ لا يتحرَّك إلا لِفائِدَة، وهناك أشْخاص مادِّيين، ولا يتكلَّم إلا بالدَّراهِم فأنت إن وَجَدْتَ إنسانًا لا يريدُ لا المديح ولا الأخضَر – أي الدولار – ولا أحْمر – الذَّهَب – ولا أبْيَض – الفِضَّة – وإنَّما يريد وَجْه الله عز وجل فهذا على حقّ، قال تعالى: اتَّبِعوا من لا يسألكم أجْرًا وهم مهتدون.

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ(23)﴾

[سورة يس]

سيِّدُنا الحسَن البصري وهو من كبار التابعين كان عند والي البصْرة لِيَزيد ابن معاوِيَة، وزير معاويَة أرْسَل له كتابًا بالبريد تسلَّمَهُ وفي حضْرَتِهِ الحسَن البصري ففتَحَ الكتاب، فإذا في الأمر فيه ظُلم، فوقَعَ في حَيْرة، إن نفَّذ أمْر يزيد رضِيَ عنه وسَخِط عنه الله، وإن نفَّذ أمْر الله رضي عنه تعالى وأسْخَطَ عنه يزيد وربَّما عزَلَهُ، فعرَض أمرهُ على الحسَن البصري فقال: ماذا أفْعل يا إمام ؟! فقال له الإمام الحسَن: إنَّ الله يمْنَعُكَ مِن يزيد ولكِنَّ يزيد لا يمْنَعُكَ مِن الله ! فهذه الكلمة نحن في أمسّ الحاجة إليها، فالله إذا أراد شيئًا لو أنَّ أهل الأرض جميعًا أرادوا أن يمْنَعوه لما اسْتطاعوا ! وإذا كان الله معك فَمَن عليك، وإذا كان عليك فَمَن معَكَ، فالإنسان أحيانًا يكون له ولاء كبير جدًّا لشَخصٍ قَوِي، ويَفديه روحه، ويأتيه مرض فما يفعل معه هذا القويُّ يدخله أفخم مستشفى و في الأخير يموت، هل استطاع أن ينقذه من هذا المرض ؟ لكنَّ الله يقدر لأنه هو الأقوى، فهل يمكن إن كنتَ في الجَيْش أن يُعطيك أحدهم ذو مرتبةٍ عالِيَة أمرًا ولا تُنَفِّذُه ؟! فالله أقْوى الأقْوِياء، وهذا هو معنى الكلام.

قال تعالى:

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24)﴾

[سورة يس]

إذا الإنسان نَسِيَ الله وأطاع مَن دونه فهو في ضلال مُبين، فهناك ضلال بعيد، فمثلاً لو أنَّ الإنسان كان بالسيارة وأراد أن يذهب لِمَكَّة واللَّوحة تُؤشّر إلى أنّ المكان جدَّة فهذا أضلَّ الطريق ضلالاً مُبينًا رغم اللَّوحة الكبيرة أما الذي دخل خطأً بالطريق وهو لا يعلم، ومشى فيه عدَّة كيلومترات ثمَّ علِمَ أنَّه أخطأ فهذا ضلال بعيد، فهناك إذًا ضلال بعيد وآخر مبين فالإنسان يُطيعُ مَخلوقًا ضعيفًا ولئيمًا، ويعْصي خالقًا عظيمًا بصيرًا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-9) : تفسير الآية 12

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآيةُ الثانية عشر من سورة يس، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12)﴾

[سورة يس]

أحيانا يعبِّر الله جل جلاله عن ذاتِه بضمير المفردِ قال تعالى:

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي(14)﴾

[سورة طه]

وأحيانا يذكر ضمير الجمع للتعظيم، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12)﴾

[سورة يس]

وقال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(9)﴾

[سورة الحِجر]

قال بعضُ العلماءِ: إذا وردت الذاتُ بضمير المفرد فالمقصودُ ذاتُ الله تعالى، أما إذا جاء التعبيرُ عن الله تعالى بضميرِ الجمعِ فالمقصودُ أفعالُه و فيها كلُّ أسمائه الحسنى، فعلُ الله تعالى فيه العدلُ و الرحمةُ و القوَّةُ و العلمُ و الحِلمُ و اللُّطفُ، كلُّ أسماء الله تعالى الحسنى منطويةٌ بضمير الجمع، فإما أن يعبِّر عنه بذاتِه بضمير المفرد أو بضمير الجمع

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12)﴾

[سورة يس]

الحقيقةُ الفعلُ " نكتب " جاء بصيغة المضارع، الفعل " قدموا" بصيغة الماضي، الإنسانُ حينما يفعل شيئًا و يصرُّ عليه لا يندم عليه و لا يتوب منه و لا يراجع نفسَه من أجله يُكتَب عليه، لذلك جعل اللهُ ملَكَ اليمين أميرًا على ملَكِ الشمال، فالإنسانُ إذا فعل سيّئةً واسترجع تُمحَى، أما إذا أصرَّ عليها و لم يتبْ منها عندئذٍ تُكتبُ عليه، فالكتابة جاءتْ بالفعل المضارعِ، و الفعل "قدموا " جاء بالماضي، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12)﴾

[سورة يس]

في الآيةِ كلمةٌ واحدةٌ لو عقلَها الإنسانُ لاقشعرَّ جلدُه، هذه الكلمةُ " و آثارهم " إنسانٌ طلَّق زوجتَه طلاقا تعسُّفِيًّا، الزوج له مظهرٌ ديني و كان طلاقُه تعسُّفِيًّا، فلما رأتْ زوجَها طلَّقها طلاقا تعسُّفيا أرادت أن تنتقم منه و من دينه فسكَرَتْ و انحرفتْ فإذا سقطتْ أو تزَوّجتْ من فاسقٍ أو أنجبتْ بنتا ربَّتْها على منوالها، فكلُّ الفساد الذي سيظهر من هذه المرأةِ بسبب الطلاق التعسُّفي الذي طالها من زوجها، فآثارُ هذا الطلاقِ وما جرَّ من انحرافٍ و إثمٍ و من فتياتٍ فاسداتٍ ومن ذرّيةٍ فاسدةٍ إلى يوم القيامة هو بسب الطلاق التعسُّفي الذي أوقعه الزوجُ ظلمًا على زوجته، فانتقمت منه ومن دينه، هذه هي الآثارُ، إنسانٌ أراد أن يعلِّم ابنَه اللغةَ الأجنبيةَ فأرسله إلى بلدٍ وهو يعرف أن ابنَه ذو مقاومةٍ هشَّةٍ، فجالس مع أسرةٍ متفلّتةٍ و زلَّتْ قدمُه فانحرفَ، و رجع إلى بلاد المسلمين في حالٍ أخرى، و رفض دينَ أُمَّتِه، و انحلَّتْ أخلاقُه و أتى بامرأةٍ أجنبيةٍ فسقتْ و فجرتْ في بلاده، كلُّ هذا الفسقُ و الفجورُ بسببِ قرار الأبِ غيرِ الحكيمِ، أحيانا الإنسانُ يسهِم في عملٍ يستمرُّ من بعده بشكلٍ سيئ كأنْ يؤَسِّس مشروعًا لا يرضِي اللهَ تعالى و مات بعد ذلك، فالآثارُ المترتِّبةُ عن هذا المشروع في صحيفة الذي أسَّسهُ إلى يوم القيامةِ، لذلك هذه الكلمةُ

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12)﴾

[سورة يس]

تقصِم الظهرَ، سهرةٌ مختلَطةٌ صار فيها إعجابٌ و هاتفٌ و زيارةٌ مفاجئةٌ و بعدها خيانةٌ زوجيةٌ، فالذي دعا إلى وليمةٍ و قال: نحن هكذا علَّمنا أبونا و لم يعبأ بقواعد الشرعِ، و من خلال هذا اللقاءِ المختلَطِ انتهى الأمرُ إلى خيانةٍ زوجيَّةٍ و إلى طلاقٍ و إلى تشرُّد الأولادِ، وهذه الآثارُ في صحيفة الذي دعاهم، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12)﴾

[سورة يس]

الإنسانُ إذا لم يربِّي ابنَه و ترك له مالًا وفسق به الابنُ لجهله فالأبُ محاسَبٌ عنه، ترك له مالا و لم يترك له علما، فالأبُ يقول:يا أهلي يا ولدي لا تلعبَنَّ بكم الدنيا كما لعبَتْ بي، جمعتُ المالَ مما حلَّ و حرم فأنفقْتُه في حِلِّه و في غير حِلِّه فالهناءُ لكم و التَّبِعةُ عليَّ، و قبل أن تجمع بين رجلٍ و امرأةٍ لا يحِلُّ لهما أن يجتمعا و قبل أن تطلِّق طلاقا تعسُّفِيا و قبل أن تبيعَ بضاعةً يمكن أن تُوَظَّف في الباطل فكلُّ ما يجري من هذه البضاعةِ من المعاصي في صحيفة الذي اشتراها و باعها و تاجر بها، فالمؤمن يقف وقفةً متأنيَّةً عند كلَّ عمل له آثارٌ لا يحكمها و لا يسيطر عليها، فأيُّ عمل أو سلوكٍ أدى إلى معصيةٍ واستمرَّتْ هذه المعصيةُ ففي صحيفة الذي فعله أوّلَ مرةٍ، رجلٌ جاء من السعودية إلى الشام بسيارته، و دخل إلى ورشةِ الصيانةِ من

أجلِ صيانةِ بعضِ أجزاء السيارةِ، صاحب المحلِّ كلَّف صانعا صغيرا أن يراقب الموضوعَ، هذا الصانعُ ما ضبط هذه الآلةَ هرب منها الزيتُ و بعد حينٍ توقَّفت السيارةُ، و الحَرُّ 57 درجة وخرج صاحبُ السيارة لينظر في الخللِ فأكل ضربةً من الشمسِ أودتْ بحياته، هذا الذي كلفَ الصانعَ لضبط الخلل يُبنَى عليه سلامةُ أسرةٍ أليس محاسبًا عند الله عز وجل ؟ و أحدُ الأخوة الكرام أطلعني على رقبته تقريبا عشرون حبَّةٍ مخيفةٍ بقيَ يعالجها سنواتٍ، و السَّببُ أن شفرةَ الحلاقة كان ملوَّثا فسبَّبَ جرثومًا و لم تنتهِ هذه المشكلة، فالإنسانُ الذي لم يهتم بمصلحته و لم يعقِّم أدواته يحاسَبُ عند الله تعالى، فأيُّ مضاعفاتٍ تنتج عن سلوكٍ وعن وعيٍ فالإنسانُ محاسَبٌ عنه، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12)﴾

[سورة يس]

فمن عمل عملا أصرَّ عليه و لم يندم عليه و لم يستغفرْ منه و فعَلَه عن قصدٍ و تصميمٍ سُجِّلَ عليه، و آثارُ هذا العملِ باقيةٌ في صحيفته إلى يوم القيامةِ، و لو فرضنا أنَّ فتاةً بريئةً من الممكنِ أن تكون زوجةً ثم تغدو أمًّا، لها زوجٌ يحترمها و يحبُّها و يرعى شؤونَها و ينفق عليها و أنجبتْ له الأولادَ يحبُّون أمَّهم و يعطفون عليها ثم أصبحتْ جدَّةً لها أولادُ الأولادِ و هي في أعلى مكانةٍ، و لو أنَّ شابا أغوى فتاةً و زنى بها وهذه خافتْ الفضيحةَ فهربتْ و لا تملك من حطامِ الدنيا إلا جمالها و امتهنت الدَّعارةَ، هذه الفتاةُ إذا جاء من نسلها مليون فتاةٍ فاسدةٍ إلى يوم القيامة كلُّ هؤلاء الفتيات الفاسداتِ في صحيفة الذي زنى بهات أول مرةٍ، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12)﴾

[سورة يس]

يُقالُ أنَّ الكاتبَ التافهَ تقرأ قصَّتَه تتثاءبُ و تنام، لكن الكاتبَ الخطيرَ تقرأ قصَّته فتبدأ متاعبُك، و يدعُك أمام مسؤولياتك.

هذه الآيةُ أيها الإخوةُ الكرام من أخطر الآياتِ، نكتبُ عليهم أعمالَهم و الآثارَ الناتجةَ عن أعمالهم، هذا الوجهُ السلبي القاتِمُ، و الوجهُ المُشرِقُ ؛ إذا أنت هديْتَ إنسانًا و هذا الإنسانُ تزوَّج و اختار امرأةً مؤمنةً وأنجب الأولادَ و ربَّاهم التربيةَ الإسلاميةَ و كان من ذريَّته ثلاثة ملايين صالحين، كلُّ هؤلاء في صحيفة الذي هداه أول مرةٍ، أنت ساهمتَ في بناء مسجدٍ، فكلُّ من دخل المسجدَ و صلى فيه و كلُّ درسٍ انعقد في المسجدِ و كلُّ توبةٍ انعقدتْ في المسجد في صحيفة الذي بناه و ساهم في بنائه، هذه الآيةُ مطلقةٌ، الآثارُ الإيجابيةُ و السلبيةُ في صحيفة الإنسان الأولِ الذي فعلها، لذلك كلُّ أعمال المسلمين إلى يوم القيامةِ في صحيفةِ سيِّد

المرسلين، من دون أن ينقص من أجرهم شيءٌ، يا عليُّ لئن يهديَ اللهُ بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من الدنيا و ما فيها و من حُمُرِ النَّعمِ و خيرٌ لك مما طلعتْ عليه الشمسُ.." أنت تسهِم في هداية إنسانٍ و هذا الإنسانُ سعِد وهدى ابنوَه و أخاه و من حوله، فالآيةُ لها وجهٌ إيجابيٌّ، و الوجهُ السلبيُّ ؛ إذا كنتَ سببًا في معصيةٍ و لهذه المعصيةِ مضاعفاتٌ خطيرةٌ، كلُّها في صحيفةِ من عصى، و إذا عملتَ صالحًا فاللهُ تعالى قال:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ(32)﴾

[سورة المائدة]

ويمكن لك أن تسافر إلى بلدٍ تهدي إنسانًا و تغيبُ عنه سنوات فتجدُ الآلافَ من الناسِ على الطريق المستقيمِ، كلُّهم من إنسانٍ واحدٍ و أنت سببُ هدايته، و كلُّهم في صحيفتك، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12)﴾

[سورة يس]

مكتوبٌ عليك أو لك آثارُ أعمالك، مكتوبٌ عليك آثارُ أعمالك السلبيةِ ومكتوبٌ لك آثارٌ أعمالك الإيجابيةِ، فقَبْلَ أن تتحرَّك حركةً انظُرْ إلى الآثار التي تتركها، هل هي لك أم عليك، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(12)﴾

[سورة يس]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-9) : تفسير الآية 47

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية السابعة والأربعون من سورة يس و هي قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(47)﴾

[سورة يس]

لا شكَّ أنَّ الله سبحانه وتعالى قادر أن يطعم الفقير و أن يغنيه و يجعل الغنيَّ محتاجا إليه، ولكنَّ الله سبحانه و تعالى امتحن بعضنا ببعض أرسل بنا إلى الدنيا من أجل أن نعمل عملا صالحا نرقى به، فالإنسان إذا تَوَهَّم أن الله تعالى هو الذي يطعم الفقيرَ و هو الذي يعين الضعيفَ و ينصر المظلومَ، وأنا لا علاقة لي، نسي دوره في الدنيا، نسي هويته لأن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا(72)﴾

[سورة الأحزاب]

الإنسان قَبِل حملَ الأمانة و قَبِل التكليفَ، وجاء اللهُ به إلى الدنيا لتكون مدرسةً للآخرة، لتكون الدنيا حياةً إعدادية للحياة العليا، فجاء بنا إلى الدنيا وخلق الكون من أجل أن نعرفه من خلاله، أحد أول المقوّمات حمل الأمانة الكونُ ؛ لأن الكون مظهر لصفات الله العليا و أسمائه العليا، والله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار، وإذا نظرتَ إلى الكون عرفت الله من خلاله، فعن قَتَادَةُ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا))

[رواه أبو داود]

الكون كله ببحاره وأنهاره بجباله وسهوله وبكل ما فيه من مَخلوقات وحيوانات وأسماك وطيور من إنسان و بكل ما فيه من مزروعات يدلُّ على الله، موجوداً وواحداً وكاملاً، فالكون مقوِّم، والعقل مقياس دقيق أودعه الله فينا، بل إن العقل في الإنسان أعظم ما في الكون من دون استثناء، الإنسان أعقد ما في الكون و أعقد ما في الإنسان دماغه، فالعقل البشري أعظم هدية وهبها الله لنا، ولمَّا خلق الله العقل قال له: أقبل ؛ فأقبل، ثمَّ قال: أَدْبِرْ، فأَدْبَر، قال: وعزَّتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً أحبَّ إليَّ منك، بك أعطي و بك آخُذ، فالإنسان لو أعملَ عقله ساعة واحدة لعرف الله، والإنسان وصل للقمر و غاص في أعماق البحار ووصل إلى خندق مِرْيانا في

المحيط الهادي الذي عمقه اثنا عشر ألف، نقل الصوت والصورة الملوَّنة عبر الأقمار، والإنجازات العلمية شيء لا يُصدَّق ! لو أنَّ الإنسان أعمل مِنْ عقله واحداً مِن مليار ممَّا أعمله من أجل الدنيا لعرف الله، وهذه حجة الله على الإنسان، ونحن نَنْعَم بهذه المنجزات فالإنسان يتصل بالعالم كلِّه في دقائق، والتلفون الخلوي أعظم، في أيِّ مكان أنت تستخدم هذا الهاتف تتَّصل بأيِّ إنسان، ونقل الصورة ليس قليلا، والكمبيوتر يقرأ أربعمائة و خمسين مليون حرف في الثانية والإنسان اختصر المسافات و الوقت ومع ذلك ما عرف الله، فلو أنَّه عمل مِن عقله ما يساوي مِنْ حيث الطاقة واحدا بالمليار ممَّا أعمله مِن أجل دنياه لعرف الله، و الطائرة التي تنقل سبعمائة راكب يأكلون الطعام الساخن و المشروبات الباردة و الفواكه والحلويات وهم مرتاحون في مقاعد على ارتفاع ثلاثةٍ و أربعين ألفِ قدمٍ و يتَّصلون بالعلم بالهاتف و يرَوْن ويسمعون، هذا كلُّه مِن إنجاز العقل البشري و هذا العقل الإنسان أعمله لغير ما خُلِق له، أعمله للدنيا و لحياة محدودة و لسنوات معدودة، ولو أنَّ الإنسان أعمل عقله لمعرفة الله عز وجل لَمَلَكَ السعادة الأبدية، لذلك لمَّا رأى سيِّدُنا رسول الله خالدَ ابنَ الوليد قال له: "عجبتُ لك يا خالد ! أرى لك فكرًا.أي ؛ لماذا تأخَّرْتَ في إسلامك ؟ أنت إنسان عاقل، وإنَّما الدِّينُ هو العقل، ومّن لا عقل له لا دِينَ له، ومَن لا دين له لا عقل له.

إنَّ الإنسان قد يكون ذكيًّا في اختصاصه و في حِرْفته، في طِبِّه، في هندسته، في إدارة أعماله، في كلِّ ما هو فيه قد يكون ذكيًّا، أمَّا إذا لم يعرف اللهَ فليس عاقلاً أبدً، لأنَّه اهتمَّ بالجزئيَّات و نسِيَ الكُلِّيات فالله عز وجل أعطانا الكون، والكون بلا عقل لا قيمةَ له، والعقل بلا كون لا قيمة له، فالعقلُ و الكون متكاملان، و الإنسان في دماغه مركز الذاكرة فيه لا يساوي حَبَّةَ العدس، فالإنسان إذا عاش ستِّينَ سنةً في ذاكرته سبعون مليار صورة، شيء مُعْجِز !! هذا هو العقل البشري، فيه تذَكُّرٌ و محاكمة وحكم واستقراء و استنتاج و تخَيُّل وتصوُّر، فنشاطُ العقل كبيرٌ، أحياناً الإنسان يتوَجَّهُ إلى بيته بغير تفكير و يقود سيَّارته و هو لا يشعر، فربُّنا عز وجل أعطانا في الدماغ مركزَ العمل الآلي رحمةً بنا، فكلُّ حركاتنا اليومية تنتقل إلى مركز العمل الآلي، تعملها و أنت لا تشعر، فالعقل البشري أعظمُ جهاز خلقه الله في الكون، وأعظم مخلوق هو الإنسان و أعظم ما فيه عقله البشري الذي يمكن أن يُوصلَك إلى سعادة الأبد، فجاء الإنسان و استخدمه للدنيا فقط، وإذا مات ترك كلَّ شيء و انتقل إلى دار أخرى، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: " ألاَ يا رُبَّ نفسٍ طاعمةٍ ناعمةٍ في الدنيا جائعةٍ عاريةٍ يوم القيامة، ألاَ يا رُبَّ نفسٍ جائعةٍ عاريةٍ في الدنيا طاعمةٍ ناعمةٍ يوم القيامة.أيَا رُبَّ مكْرِمٍ لنفسه وهو لها مُهين.

أحيانا الإنسان يترفَّعُ عن الدخل الحرام، و تكون حياتُه خشنةً و بيته صغيرًا و مَركَبتُه صغيرةً و لباسُه وسطًا، لكنَّه آثَرَ مرضاةَ الله عز وجل، و أحيانًا يقبلُ دخلاً كبيراً و لكنْ بطريقٍ مشبوه، فيُغَيّر مركبتَه و بيتَه و يلبس و يترتَّب،" ألا يا رُبَّ نفسٍ طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ".

ألا يا رُبَّ شهوةِ ساعةٍ أورثَتْ حُزْنًا طويلا، واحد من الناس سافر لمهمَّةٍ خارج القُطْر زلَّتْ قدمُه فأُصيبَ بمرض جنسيٍّ وبقيَ عشرين عامًا يعالج و هو متزوِّج و له أولادٌ وبنات، فشهوةُ ساعةٍ أورثت حُزْنًا طويلا، وسيِّدُنا يوسف عِفة ساعة جعلتْهُ سيِّدًا، مِنْ أين جاء بهذه المكانة العُظمَى ؟ مِنْ دعوة امرأة ذات منصِبٍ وجمال لنفسها، فقال: معاذ الله إنِّي أخاف الله ربَّ العالمين قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى(40)فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(4)﴾

[سورة النازعات]

أعطانا الله الكونَ والعقلَ و الفطرةَ، و أحيانًا الإنسانُ يرتكبُ عملاً خطأً و ما علِمَ بهذا الخطأ أحدٌ، أمَّا هو يعلمُ ذلك فينهارُ مِن داخله و يحتقر ذاتَه، لأنَّ احترام الإنسان لِذَاتِه شعورٌ لا يُوصَف، لكونه نزيهًا و نظيفًا و صادقًا أمينًا مُخلِصًا ومع ذلك قد يكون فقيرًا، الله تعالى يقول:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ(8)﴾

[سورة الحشر]

لكنْ فقرُهم وِسامُ شرفٍ لهم و الإنسانُ الغنيُّ معصيتُه وصمةُ عارٍ له ولأنَّ أهمَّ شيء هو احترامُ الذات، ولأنَّ احتقارَ الذات شعورٌ لا يُحتمَل لذلك مرَّةً مِنَ المرَّات سألوا ألفَ زوجٍ بِاسْتِبْيَانٍ عِلميٍّ في علم النفس لماذا لا تخونُ زوجكَ ؟ فجاءت الإجاباتُ متنوِّعةً صُنِّفَت تصنيفًا أخلاقيًّا إلى ثلاث زُمرٍ ؛ صنفٌ لا يستطيع أن يخونَها لأنَّها معه في العمل، هذه أدنى إجابة، وصنفٌ لا يحتمِلُ الشُّعورَ بالذنبِ ولا تأنيبَ الضمير و لا يحتمل شعورَ لخيانة، وهذا وسَطٌ، أمَّا الأرقى فنفسُه تعَافُ الخيانة مِن الأساس، قال عليه الصلاة والسلام:" نِعْمَ العبدُ صهيبٌ لو لم يَخَفِ اللهَ لم يعصهِ مَن السائِر في احترام ذاته، صادقًا في ذلك ليس عنده ازدواجيةٌ أبدًا و لا نفاق، ولا شيء مُعلَنٌ شيء و شيء مُبَطَّنٌ و لا مُجاملات و لا تمَلُّق، فهذا الذي يحترم ذاتَه إنسانٌ عظيمٌ و لو كانت حياتُه خشنةً ولو كان بيتُه صغيرًا و مركبتُه وسطًا، دخل على النبيِّ عليه الصلاة والسلام رجلٌ فقيرٌ فقال له عليه الصلاة والسلام:" أهلاً بِمَن خبَّرَني جبريلُ بقُدُومه، قال له الرجلُ أنا: قال: أنت في الأرض خاملٌ ولكنَّك في السماء عَلَمٌ،

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ

((أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ فَقُلْتُ وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))

[رواه النسائي]

يُحبَّك اللهُ و رسولُه ليس بالشيءِ الهَيِّن، ألا تطمئِنُّ إذا كان الله يحبُّك و يرعاك و كنتَ في رحمة الله، فالطاعةُ أمامك، أطِعْ أمْرَنا نرفعْ لأجْلك حُجْبَنا فإنَّما نحن بالرضا مَنْ أحبَّنا، و لُذْ بحِمانا واحتَمِ بجنابنا لنحميك ما فيه أشرارُ خلقنا وعن ذكرنا لا يُشغِلَنَّك شاغلٌ و أخلِصْ لنا تلقَ المسرَّةَ والهَنَا.

أليس بإمكانك أن تكون صادقًا مع كلِّ مخلوق ؟ أليس بإمكانك أن تكون أمينا ؟ أن تكون عفيفا ؟ أن تكتفي بما قسمَه الله لك مِن زوجةٍ و مِن دخلٍ وأن لا تطمعَ فيما ليس لك؟ بإمكانك ؛ أليس بإمكانك أن تؤدِّيَ الصلوات الخمس في وقتها ؟ وأحبُّ الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها أليس بإمكانك أن تنفق جزءًا مِن مالك، كلُّ ذلك بإمكانك، أليس بإمكانك أن تصلِّيَ الفجرَ في جماعة ؟ فأنت في ذِمَّة الله حتَّى تُمسِي أليس في إمكانك أن تصلِّيَ العشاء في جماعة ؟ فأنت في ذِمَّة الله حتَّى تُصبح، قال عليه الصلاة و السلام: لا تعجزْ عن ركعتين قبل الفجر أكفِكَ النهار كلَّه، فلذلك أعطانا العقل و أعطانا الكون و أعطانا الفطرة وأعطانا الشهوة لنرقى بها، و ما قيمة أعمالك الصالحة إن لم يُودِع فيك الله الشهوات، أودع فيك حُبَّ النساء وغضُّ البصر فيه شأنٌ كبير، لذلك لمَّا يطيع الإنسانُ ربَّه يشعرُ بالتَّألُّق و أنَّه اتصل به، لذلك يا ربِّ ماذا فقَدَ مَن وجَدك و ماذا وجد مَن فَقَدك، وأهلُ الدنيا ماعرفو الله ووصلوا إلى كلِّ شيء، و ما وصلوا إلى شيء، وأهل الآخرة دنياهم مُتواضعة لكنّهم عرفوا الله عز وجل فما فاتَهُم شيء.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-9) : تفسير الآيات 33 - 35

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثالثة والثلاثون من سورة يس و هي قوله تعالى:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33)﴾

[سورة يس]

آيةٌ أي دليلٌ على وجود الله و كماله ووحدانيته وعظمته و رحمته وعلمه وقدرته ومحبَّته لكم، قال تعالى:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾

[سورة يس]

أنزلنا عليها الماء فأنبتت أصبحت ذاتَ حياة لنا، القمح نأكله و العدس نأكله و الشَّعير نأكله قال تعالى:

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33)﴾

[سورة يس]

هناك محاصيل استراتيجية كالقمح وهو قِوام حياة الناس قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34)﴾

[سورة يس]

هناك نباتات أخرى و فواكه ؛ تفَّاح وعنب... أشجار جميلة ألوان زاهية و روائح عطرة و طعوم طيّبة، قال تعالى:

﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)﴾

[سورة يس]

يجب أن تعلم علم اليقين أنَّك حين تشتري التفاح تدفع ثمن خدمته أمَّا هو فلا ثمن له أو لا يُقدَّر بثمن، ولو أنَّ أهل الأرض جميعا اجتمعوا على أن يصنعوا تفاحة واحدة ما استطاعوا، فكلُّ أنواع النباتات و الخضر و الفواكه والمحاصيل ماذا فعل الفلاَّح؟ ألقى حبَّةً في الأرض وهذه الحبَّةُ كائنٌ حيٌّ راقٍ جدًّا، بائع البذور يقول لك: هذه البذرة تقاوم البرد, إنتاجها مُبكِّر وحموضتها عالية، والمادة النسيجية فيها كثيرة، والماء قليل، وهذه للتصدير، وهذه للاستهلاك، كم نوعا في الطماطم مثلاً ؟ أنواع كثيرة فإذا وقفتَ أمام بائع بذور النباتات ؛ وقلت له يعطيك بذور الخيار فيقول لك: هذه البذرة غالية لأنَّ إنتاجها مبكِّر لأنَّ حبة الخيار طويلة و جميلة و فيها لمعة وتقاوم الحشرات، يعطيك صفات عِدَّة و كلَ ُّّ صفة أمرٌ مُبَرمجٌ بالُرشَيْم، كم من أنواع العنب عندنا، ثلاثمئة نوع عنب، وأربعة آلاف و خمسمائة نوع قمح وهناك ساعة للمواقيت فيها سبعون ألف، هل

تُصَدِّقون في بعض نباتات الزينة الغرام الواحد فيه سبعون ألف بذرة ؟ وكلُّ بذرة رُشَيْم وسُوَيْق وجُزَيء وتحوي حوالي خمسة آلاف أمر مُبَرمج، فعالَم البذور عالَمٌ قائم بذاته، أمريكا متخلِّفة عن هولندا في البذور بخمسين سنة، والآن التهجين و التطعيم أمر عجيب تُدرَس في كُلِّيات الزراعة في سنوات والله تعالى لخَّصه في كلمة، قال تعالى:

﴿وَآَيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)﴾

[سورة يس]

أنت مأمور مِن رسول الله أن تُسمِّيَ الله قبل أن تأكل لأنَّك حينما تأكل هذه الفاكهة لستَ أنتَ الذي صنعْتَها وليس مِن قُدرتك، إنَّما هي قدرة الله، إذا أعطيناك بيتًا قدرُه خمسون مليون ليرة مملوء بالأثاث ثمَّ أعطيناك المفتاح فهل أنت الذي بَنيْتَه ؟ المفتاح يساوي خمسةً وعشرين ليرة، أنت ما فعلتَ شيئًا أبدًا، إنما أُعطِيتَ المفتاح وسكنتَ البيت، أنت حينما حملتَ كأس الماء، أنتَ خلقتَ الشمس المُسلَّطة على البحار ؟ أنت الذي جعلتَ أربعة أخماس اليابسة بحارًا ؟ أنت الذي صمَّم قانون التَّبخر ؟ أنتَ الذي حرَّك السحاب بالرياح إلى أماكن بعيدة واجهتْ جبهةً باردة فصار مُعصرات و انقلب إلى مطر فصار ينابيع وأنهارًا و ماءً زُلالاً، أنتَ إذا قلتَ بسم الله الرحمن الرحيم يجب أن تعلم أنَّك تشرب كأس الماء لا بذكائك ولا بقدرتك ولكن بقدرة الله وعلم الله ورحمة الله و فضل الله، هذه هي البسملة، أمسكتَ رغيف الخبز قلتَ بسم الله الرحمن الرحيم، في قشر القمح هناك ستة فيتامينات و ثمانية معادن و كلُّ المواد المفيدة بقشر القمح، ونحن بجهلنا الفاضح نُطعم الدوابَ النخالة و نأكل النشاء صرفًا، وقال أحد علماء التغذية: احذَرُوا السموم الثلاثة: الخبز الأبيض الناصع وهو النشاء ؛ و الملح والسُّكر الصناعي، فالإنسان إذا استعاض عن السُّكر بالفاكهة واستعاض عن الخبز الأبيض بالأسمر كانت له فائدة، وأوَّل بدعة ابتدعها المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم هي نَخْلُ الدقيق، فالله تعالى قال:

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)﴾

[سورة يس]

وأنت لمَّا تسمِّي تفكِّر في الماء ؛ كيف جعله الله سحابًا و مطرًا و ينابيع مُتفجِّرة، فنبْعُ الفيجة يعطي أيام قوَّته اثنين وثلاثين متر مكعب في الثانية و في الأيام العادية ستة عشر و في أيام الجفاف مترين أو ثلاثة، و مدينة دمشق فيها نهارًا ستةُ ملايين يشربون مِن نبع واحد وهذا النبع يمتدُّ مِن دمشق إلى حمص ومِن سيف البادية إلى منتصف لبنان و التدفقُ باعتدال على مدار السنة، مَن الذي صنع الماء وصمَّمه والماء المُحَلَّى في السعودية يؤذي الإنسان لأنَّ الماء فيه معادن وأنتَ تأخذ حاجتك مِن المعادن مِن ماء الشُّرب، مَن الذي

أمر المعادن أن تزول في الماء ؟ و مَن سمح بالتَّحليل ؟ فأوّل شيء في البسملة أن تتذكَّر وأنت جالس على مائدة الطعام التي فيها طبقان أو أكثر أن تتذكر مَن صنع ذلك، مَن صنع السمن ؟" السمن جاء مِن البقر و البقر مَن خلقها ؟ فأنت لمَّا تُسمِّيا الله تدخل على هذه النِعَم لا بقدرتك ولا بمالك ولا بذكائك، لكنْ بقدرة الله وعلم الله ورحمة الله ولطف الله بين يديك.

المعنى الثاني للبسملة ؛ يجب أن تأكل وفق منهج الله، أن تأكل طعاما حلالا و أن لا تأكل حرامًا لا لعينه ولا لغيره، لأنه عندنا حرام لِذَاته و حرام لغيره، فالحرام لذاته أن تأكل لحم خنزير، والحرام لغيره أن تأكل لحمًا حلالا لم تدفع ثمنه أو ثمنه حرام مِن مال مشبوه، واحد غشَّ في بيعه ثمَّ اشترى لحما فهذا الأكل حرام لأنَّ ثمنه فيه غش وحرام، لذلك الدخل الذي فيه تدليس و كذب و احتكار واستغلال يجعل المالَ حرامًا، و كل لحم نبت مِن حرام فالنار أولى به، وأنت حينما تُسمِّي يجب أن تتذكَّر أنَّ هذه النعم لم تدفع ثمنها ولكنْ دفعتَ ثمن خِدمتها، والبسملة أن لا تأكل حرامًا و لا تأكل كثيرًا و لا تُسرِف لا كَمًّا و لا نوعًا:

عن الْمِقْدَامَ بْنَ مَعْدِ يكَرِبَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ))

[رواه ابن ماجه]

فأنت حينما تُسمِّي تذكر نِعَمَ الله عليك و تذكر منهج الله الذي أمرك به فكلَّما سمَّيتَ في قضية تذكُّرْ النِعم وتذكُّر المنهج انطلقتَ إلى عملك ؛ بسم الله الرحمن الرحيم، ثمَّ فتحتَ الدُّكان، فيجب أن يكون كلَّ ما في الدُّكان على وفق منهج الله، ويجب أن تذكر أنَّ الله جعلك تاجرًا وأعطاك محلاً تعيش منه و قدرات عقلية و خبرات لكسب الرزق، و يجب أن يكون البيع والشراء وفق منهج الله قال عليه الصلاة والسلام

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهم قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((يَقُولُ الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ))

[رواه البخاري]

فكلمة

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)﴾

[سورة يس]

لها معنىً ثانٍ، إذا أكلتَ معمولة و هي مِن صنع يدك و لكنَّ مُقوّماتها من صنع الله عز وجل، فلك أن تفهمها نافية، ولك أن تفهمها مصدرية، وفي الحالين كله مِن نِعم الله عزوجل أفلا يشكرون.

الدرس (6-9) : تفسير الآية 65

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الخامسة والستون من سورة يس و هي قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)﴾

[سورة يس]

الإنسان في الأصل مُخَيَّر و الاختيار أصلٌ في التكليف، ولولا أنَّه مُخَيَّر، ما كُلّف و ما سُئِل،و كُوفِئ ولا عُقِب،و ما وُجِد ثوابٌ و لا عقابٌ، و لا كانت جنَّةٌ و لا كانت نارٌ.

أصل التكليف أنَّ الله سبحانه وتعالى كلَّ شيء أودعه في الإنسان حيادي يُمكن أن يستخدمه في الخير و يُمكِن أن يستخدمه في الشَّر لأنَّه مُخيَّر، و مِن هذه الأشياء التي وهَبك الله إياها العقلُ، وهو أعظمُ جهاز أودعه الله في الإنسان على الإطلاق، فالإنسان هو المخلوق الأوَّل وأعظم جهاز أودعه الله فيه هو العقل، ومِن خلال العقل يُمكن أن تعرف الله، وتعرف منهجه، و تعرف ما يُرضيه وما يُغضبه وأن تسعد بِقُربه في الدنيا و الآخرة، إلاَّ أنَّ الإنسان كما قُلتُ قبل قليل مُخيَّر، فحينما يختار الشَّر يجُد أنَّ عقله يُمكن أن يستخدمه في شيء آخر غيرِ معرفة الله ؛ في فلسفة الشَّر، فتجدُ في الدنيا ناسًا يقترفون كلَّ الجرائم ويُفلسِفون جرائمهم على شكل مبادئَ و أفكارٍ و مذاهبَ فهناك فكرٌ تبريري أساسه الانحرافُ، لذلك تجد الإنسان في الدنيا مُتفلِّتًا غيرَ مُلتزمٍ يسيئُ و يعيش لِذَاته ويبني أمجاده على أنقاض الآخرين، ومع كلِّ هذا الانحراف يُفلسِف سلوكَه على أنَّه واقعيٌّ وعلى أنَّه منفتح، فمَن الذي جعله يفعل كلَّ هذا ؟ هذا الفكر و ذاك العقل الذي أودعه الله في الإنسان ليعرف الله به فإذا هو يستخدمه لغير ما خُلِق له. هناك في السُّوق الآن آلاتٌ طابعةٌ مُلوّنةٌ يُمكن للمهندس أنْ يستخدم هذه الآلة و يربح منها الآلاف المُؤَلَّفة، لأنَّه يُمكن أن نستخدم هذه الآلة لكسب الرزق الحلال الوفير، ولو أنَّ صاحب هذه الآلة خَطَرَ له أنْ يُصوِّر العُملة الصعبة ؛ الدولار مثلاً، وقد فعلها الكثير وهم بالسجن استخدموا هذه الطابعة المُلوّنة في تزوير العُملة، فحينما استُخدِمت هذه الطابعة لغير ما صُمّمَتْ له عُوقب صاحبُها بالسِّجن، ضربْتُ هذا المَثلَ لِأرِيَكُم كيف أنَّ العقل البشري يُمكن أن يقودك إلى الله وإلى طاعته وإلى جنَّته و إلى الفوز بالدنيا و الآخرة، والعقل نفسُه إنْ أسيء استخدامُه أو إنِ اِستخدمْتَه لغير ما خُلِق له يُمكن أنْ يقودك إلى النار فلذلك الإنسان الكافر الفاجر في الدنيا يُفلسِف لك حياته المنحرفة و يُفلسف لك كسب المال، يأخذ ما ليس له، ثُمَّ يُعطي هذا العمَل طابَعًا فلسفيًّا مقبولاً.

الآية اخترتُها لكم اليوم لِأنَّ القدرة العقلية لفلسفة المعصيةَ فقدها الإنسان يوم القيامة، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)﴾

[سورة يس]

فالقدرة على فلسفة المعصية و التبرير و التسويغ و قلب الحقّ باطلاً والباطل حقًّا، هذه القدرة العقلية المنحرفة التي يُغطِّي بها الإنسانُ انحرافَه تصبح يوم القيامة مُعطَّلَةً، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)﴾

[سورة يس]

يقولون مثلاً نحن جِئنا بالتَّعليم المُختلَط حتَّى يصير هناك تهذيبٌ للمشاعر، وليس الأمرُ كذلك، الآن في أُوروبا يُمارس الزنا في دورات المياه في المدارس و اللُّقطاء بِمِئات الأُلوف، و أنت تقول مِن أجل تهذيب المشاعر، يُفلسفون شيئًا حرَّمه الله، ثمَّ نتفاجأ بأمراض لا تنتهي، هذا مِن جرَّاء فلسفة المعصية، يقول: أنا منفتح وواثقٌ مِن زوجتي حتَّى يتورَّط في الخيانة الزوجية، فالقصد مِن هذا كلِّه أنَّ كلَّ المُسوِّغات و المبرِّرات والفلسفات و المنطق التبريري الذي يستخدمه الإنسان في الدنيا يَفقده يوم القيامة، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)﴾

[سورة يس]

فأعمال الإنسان تُعرَض عليه عملاً عملاً بشكلها الصحيح ووقتها ومُلابساتها و بيئتها و عواملها ونواياها، قال تعالى:

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(14)﴾

[سورة الإسراء]

الإنسانُ في الدنيا بإمكانه أن يَخدع كلَّ الناس لبعض الوقت و بإمكانه أن يخدع الناس لكلِّ الوقت، أمَّا أن يخدع الناس في كلِّ الوقت فمستحيل، هذا في الدنيا مستحيل، فكيف عند الواحد الديَّان ؟!.

الإنسان إذا لم يعرف الله عز وجل يظنُّ أنَّ معه حُجَّةٌ و يُبرِّر لنفسه أمَّا إذا عرف الله عز وجل وأنَّه يعلم السِّرو أخفى و يعلم الخبايا و الخواطر يستقيم على أمره، وأكثرُ الأشياء التي يقع فيها الناس موضوع الميراث، فيحرِم بناته بِحُجَّة أنَّ هذا المال يذهب للغريب فهل زوجُ ابنتك و حامي عرضها غريب ؟ فلماذا تحرِم بناتك مِن الميراث ؟ هذا خِلافُ الشرع، و أحيانا يكون عنده أولادٌ مِن زوجة لا يُحبُّها، فيحرِمهم مِن كلِّ شيء، و يعطي أولادَ التي يحبُّها، فيوقع نفسه في الظلم بفلسفته، وماذا يوم القيامة ؟ قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)﴾

[سورة يس]

عندي صديق له زوجة مِن أُمٍّ مُطلَّقة لأبيها، فاشتهتْ هذه الزوجة أن تزور أباها يوم العيد، فذهبتْ مع زوجها وأولادها، فوجدت بناته مِن زوجته التي يعيش معها كلَّهنَّ في البيت و قد أعطى أبوهم كلَّ واحدة خمسة آلاف , و أعطى بنته مِن زوجته المطلَّقة خمسمائة ليرة ثمَّ أمرها بالخروج مِن بيته، فبقيت الزوجة تبكي شهرًا كاملاً، وهذا ظلم والظلم ظلمات يوم القيامة، فإذا لم يُدخل الإنسانُ في حسابه خالق الكون و لم يعدل في أبنائه فإنَّه سيحاسبك على ذلك،

عَنِ النُّعْمَانِ ابْنِ بَشِيرٍ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا قَالَ

((سَأَلَتْ أُمِّي أَبِي بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ ثُمَّ بَدَا لَهُ فَوَهَبَهَا لِي فَقَالَتْ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَنَا غُلَامٌ فَأَتَى بِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْنِي بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ لِهَذَا قَالَ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأُرَاهُ قَالَ لَا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ))

[رواه البخاري]

أنت حينما تفرّق في الوصيَّة أو في توزيع الإرث بينَ ابنٍ مُحِبٍّ وبينَ ابنٍ غير محبٍّ تزيد البعيد بُعدًا و تزيد العاق عُقوقًا، أمَّا إذا عدَلتَ تُؤلِّف بينهم، ولعلَّ هذه العداوة تزول.

فيا أيُّها الإخوة الأكارم ؛ أعمالنا يجب أن تكون مغطَّاةً بالشرع، أمَّا أن نجد لها تبريرا و تسويغًا نتفلسف به على الله عزوة جل و نقول: فعلْنا هكذا لأنَّه هو اللائق، وهل هذه الحُجَّة مقبولةٌ يوم القيامة ؟ و قد لا يُتاحُ لك يوم القيامة أن تقول كلمةً، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)﴾

[سورة يس]

أحيانًا الإنسان يُطلِّق زوجته طلاقًا تعسُّفيًّا بعد طول عشرة –بذنب أو بغير ذنب –وحتَّى يرتاح يلجأُ إلى تكبير أخطائها و يَفضحها، أمَّ يوم القيامة فهذا الكلام عند الله غير مقبول، فما ذنبها بعد طول عشرة ثمَّ ألقيتَ بها في الطريق و لا أحدَ لها، فالإنسان لا بُدَّ أن يتأنَّى كثيرًا قبل أن يتخِّذ قرارًا ومعه تبرير لذلك، قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(7)﴾

[سورة الأنبياء]

و قال تعالى:

﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا(59)﴾

[سورة الفرقان]

ففي أمور الدنيا اسأل به أهل الذكر و في أمور الآخرة اسألْ به خبيرًا حتَّى لا يَتوهَّم الإنسان أنَّ معه حجَّةٌ وهي غير مقبولة، فكلَّما سُئِلتُ عن موضوع إعطاء ابن شيئًا في حياته هو خلاف الإرث ؛ أقول له: معك لله حُجَّة، فيقول: كيف ذلك ؟ فأقول: إذا كان عندك ابنٌ مُصابٌ بعاهة و هيَّأْتَ له دكَّانًا فمَعَكَ حجَّة، إخوتُه يعملون جميعًا فأنت معك حجة، فلا بُدَّ أن تُهيِّئَ لله جوابًا مقبولاً، أمَّ أن تأتيَ بفلسفة لكلِّ انحراف قد لا تُقبَل عند الله عز وجل، فالآية هذه دقيقة جدًّا، أي يجب أن تكون تحت سمعنا و بصرنا، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)﴾

[سورة يس]

فكلُّ حركاتك وسكناتك مُسجَّلة بالصورة والصوت واللون والوقت والتاريخ، فالإنسان بسيط لو أراه الشرطيُّ صورة سيَّارته بالوقت والمكان والمخالفة، هل يستطيع أن يتكلَّم كلمة ؟ فهذا الإنسان ؛ فكيف بخالق الأكوان؟!.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-9) : تفسير الآية 67

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآيةُ السابعةُ و الستُّون من سورة يس وهي قوله تعالى:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ (67)﴾

[سورة يس]

كأنَّ هذه الآيةَ تشير إلى نعمةٍ عُظمى أنعم الله بها علينا وهي نعمة القوَّة الإدراكية و الذاكرةُ، فأحدُنا ينطلق من بيته و يعود إلى بيته دون أن يفكِّر في معرفةِ الطريقِ المُوصِلِ إلى بيته، و أحدُنا يدخل عليه ابنُه فيعرفُه و يدخل إلى دكَّانه فيعرف كلَّ ما فيها من البضاعةِ، هذه القوَّةُ الإدراكيةُ و هذا التَّذكُّرُ من نِعَم الله تعالى علينا.

أحدُ إخواننا الكرام تُوُفِّيَ رحمه الله، و قبل أن يموت بعامين تقريبا و له معملٌ في منطقة القَدَم، ركب مركبته واتَّجه نحو بيته، فنسيَ بيتَه، و بقيَ نصفَ ساعةٍ وهو يدورُ، أين بيتي ؟! لكنَّه تذكَّر بيتَ ابنه فذهب إلى بيت ابنه ليدُلَّه على بيته، و لما عالجه الأطِبَّاءُ قالوا إنَّه فَقَدَ الذاكرةَ جزئيًّا، أحد الصيادلة في المهاجرين فقَدَ ذاكِرَتَهُ كُلِيًّا إلى حدّ أنَّه دَخَل عليه ابنُهُ مِن أمريكا فما عرفهُ ! أحيانًا بعض المرْضى إذا تَقَدَّمَت بهم السِّن لا يعرفون أحدًا يدْخُل عليهم، فأنت لمَّا تدْخُل المسْجِد تضَعُ حِذاءَكَ في مكانٍ مُعَيَّن، وبعد أن تنتهي الصَّلاة تذهب بِشَكلٍ طبيعيّ لِتَأخذ حِذاء، فَكُلّ شيءٍ تفْعَلُهُ له مكان في الذاكرة فأنت حينما تدخل عند الصَّيدلي، وتسألُه إن كان له هذا الدَّواء، تَجِدُه يذْهب إلى أحد الرُّفوف من الجهة كذا وفي الطابق كذا، ويأتيك بالدَّواء، معنى هذا أنَّ كلّ الصَّيْدَلِيَّة في ذِهْنِهِ، فالبيت والمحل ؛ كلّ هذه يُمْكِن أن تكون بِذِهْنِكَ، وأنت إذا عشت سبعين سنة، يكون لك في ذِهْنِكَ سبعين مليار صورة ! وأيُّ إنسان يتَّصِل معك على الهاتِف فيقول لك: هل عرفْتني؟ تقول له: أنت فلان ! فما هذه الذاكرة ؟ العلماء قالوا: هذه الذاكرة مُقَسَّمَة إلى أنواع ؛ فَهُناك ذاكرة شَمِّيَّة فأنت تُمَيِّز أنواع الروائِح، فأنت مِن خلال لحظات تسْتطيع أن تعرف نوع الرائِحَة، فهذه الذاكرة هِيَ مِن أعظم النِّعَم الإلهيَّة، وهي أسْرع مِن الكمبيوتر، إذْ هناك الآن حواسِب تقرأ بالثانية أربعمائة وخمسون مليار حرف في الثانِيَة، فالطبيب مِن خِلال نظْرة يقول لك: معك كذا وكذا هذا يعني أنّ الطبيب بِذَاكِرَتِهِ ملايين المعلومات التي جَعَلَتهُ يكْشِف مرضَكَ، وكذا المحامي والصَّيدلي، والآن هناك حِرَف مِعَقَّدة جدًّا، لذا لولا الذاكرة لما اسْتَطاع الإنسان أن يعيش، قال تعالى:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ (67)﴾

[سورة يس]

أحد الإخوة خرج من بيتِهِ وكان ذا مستوى رفيع علميًّا، خرجَ ولم يعرف العَودة ! بَحَثوا عنه فإذا هو بالقنوات!!

قال تعالى

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ (67)﴾

[سورة يس]

وبالمناسبة، فقْد الذاكرة الكُلّي أو الجُزئي هو نوعٌ مِن الخرَف، ولكنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((مَن تعلَّم القرآن متَّعَهُ بِعَقْلِهِ حتَّى يموت...))

ونحن عندنا قاعِدَة بالطِّب هي أنَّ العُضْوَ الذي لا يعْمَل يضْمُر، فكلّ إنسان يعْمَل بِذِهْنه، فالذي يُصَلِّي خمْس صلوات باليوم يقوم بِنَشاط ذِهني، لي قريبة وهي أُخْت أُمِّي، أُصيبَت بِضيقٍ في شرايين الدِّماغ، فقال: حدِّثوها ! فقلتُ: وهل هذا هو الدَّواء ؟! فقال الطبيب: نعم، إنَّكم إن حدَّثتموها أرْغَمْتُموها على أن تُجيب ؟ عَمِلَت خلايَا الدِّماغ، فاتَّسَعت الأوْعِيَة، ورُوِيَ المخّ بالدَّم، فهذا الذي يُصَلِّي ويحْضُر مجالسَ العِلم ؛ هذا يعْمل بِذاكِرَتِهِ دائِمًا، فهذا النَّشاط الفِكري الدائِم يقيهِ مِن نشاط الذاكرة، ويقيهِ مِن فقْدِ الذاكرة.

فنحن قلنا هناك ذاكرة شَمِيَّة، وذاكرة ألوان، وذاكرة أشْكال، وذاكرة أصْوات، وخمسة آلاف مليون بالعالم ؛ لا يوجد ولا واحد يُشْبِهُ الآخرة بِنَبْرَة صَوْتِهِ ! لذا أنت تعرف الناس بالهاتِف بِنَبَرات صَوْتِهِم أذْكُر أنَّه مرةً اتَّصل بي شَخص فقال لي: هل عرفْتني ؟ فقلتُ له: لا فقال: أنا فلان الفلاني، فهذا الشَّخص نسيتُهُ لأنَّه دخل السِّجن، وفي اليوم نفْسِهِ الذي خرج منه اتَّصل بي، فأنا كنت قد أخليتُ ذاكرتي منه جرَّاء دُخوله السِّجن، فلذلك نسيتُهُ، وما اسْتَحْضرتُ نبْرَةَ صَوْتِهِ وكذا أرقام الهواتف، لذا قا العلماء: هناك بعض الأمور الدقيقة جدًّا تُحْفَظ في مكان دقيق، وبعض الأمور تُحْفَظ في مكانٍ مُتَوَسِّط وبعض الأمور تُحْفَظ في مكانٍ بعيد، فالأشياء التي لا قيمة لها توضَع في مكان بعيد في الذاكرة، فالذاكرة شيء لا ينتهي، ففي عالم الحيوانات هناك دودة لها اسم خاص يدْرُسها طلاب الشهادة الثانويَّة، وهذه الدودة إذا قَطَعْتها نملة ذَنَبُها رأْسًا، ونمى رأسُها ذَنَبًا، وهذه مِن أنْدَر المخلوقات ! أخذوا هذه الدودة ووضَعوها في محلول - مِن أجل معرفة الذاكرة - كَهْربوا المحلول وتألَّق مِصباح كهربائي موصول وعلى مُدَّة سِتَّة أشْهر كَهربوا المحلول، فاضْطَرَبَت، ولم يتألَّق المِصْباح !! هذه أبْسَط نوع من أنواع الذاكرة، ارْتبَك كهربَة المحلول مع تألُّق المِصباح، فلمَّا تألَّق المصباح وحْده اضْطربَت هذه الدودة لذا أيها الإخوة موضوع الذاكرة وحْده شيء مُذْهِل، قال تعالى:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ (67)﴾

[سورة يس]

هذه الذاكرة من آيات الله الدالة على عظمة الله، حدَّثونا بعض الأساتِذة في الجامعة أنَّهم رسَموا دائِرَتين مُتَداخِلَتين، وقالوا: هذه ذاكرةِ الذَّكاء وهذه دائرةِ الذاكرة، فليس شرْطًا أن يكون الذَّكي ذا ذاكرةِ قَوِيَّة، وليس شرْطًا أن يكون ذو الذاكرةِ القِويَّة ذَكِيًّا، ولكن لا بدّ مِن منْطِقَةٍ مُشْتركة بينهما، فكلّ إنسانٍ له قُوَّة مُحاكَمَة قَوِيَّة لا بدّ له من ذاكرة قَوِيَّة، وكلّ إنسان له ذاكرة قَوِيَّة فهذا يعني أنّ له مَلَكات قَوِيَّة، ولكن الذاكرة شيء، والمُحاكَمة شيء آخر، لذا إذا الله تعالى متَّع الإنسان بِذاكرة فهذه نِعْمة كبيرة، ومن تعلَّم القرآن متَّعَه الله حتَّى يموت، قال تعالى:

﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(5)﴾

[سورة الحج]

فالذي يصلِّي ويحضر مجالسَ العِلْم، وفكَّر في خَلق السماوات والأرض، فهذا في الأعمّ الأغْلَب مَحْفوظ أن يَخْرف أو أن يُرَدَّ إلى أرْذَل العُمر، وهذه الآية في سورة يس مُهِمَّة جدًّا، قال تعالى:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ (67)﴾

[سورة يس]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-9) : تفسير الآيات 77 - 79

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآيةُ السابعةُ السبعون والتي بعدها من سورة يس وهي قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77)﴾

[سورة يس]

أوَّلاً قوله: يَرَ ! فمَن مِنْكم رأى كيف خلقَهُ الله عز وجل ؟! يبْدأ الوعي والتَّمييز في سِنّ الخامسة، هل مِنَّا من يستطيع أن يرى يوْمَ كان نُطْفَةً كيف خَلَقَهُ الله عز وجل ؟ العلماء قالوا: إن لمْ تَرَ كيفَ خُلِقْتَ، ألا ترى كيف خُلِقَ ابنُك ؟ فكُلّ إنسانٍ تزوَّج، وهذا الماء المهين، الخمس مائة مليون حُوَين، والبُوَيْضَة تحتاج إلى حُوَين واحِد، والحُوَين لا يُرَى بالعَين، فَيَدْخُل إلى البُوَيْضَة ويُلَقِّحُها، وهذا الحُوَين عليه بالنَّواة خمسة آلاف مليون معلومة مُبَرْمَجَة ؛ شَكْلُ الإنسان وطولُه ولوْنُهُ ونوع شَعْرِه، ولون عَيْنَيْه، وشَكل رأسِه، ونوع عِظامِهِ، وبلازْمَا الدَّم، وقُزَحِيَّة العَيْن، ونَبْرَة الصَّوت، حلْوٌ أو غير هذا، فَكُلّ خصائِص الإنسان على نواة الحُوَين المَنَوي، الذي لا يُرَى بالعَين، والبُوَيْضَة فيها كذلك خمْسة آلاف مليون معْلومة مُبَرْمجة، وهذه المَعلومات تتفاعَل، وتتَّحِد، لذا قال عليه الصلاة والسلام:

((اغْتَرِبوا لا تضْوُوا...))

فلو أنَّ هناك عناصِر ضعيفة بالحُوَين أو البُوَيْضة بِسَبب القرابَة، فالضَّعْف يزْداد، أما إذا كانت هناك عناصِر مُتنافِرَة، فالحُوَيْن والبُوَيْضة، يُؤْخَذُ منهما العنْصر الأقْوى، فالإنسان كلَّما ابْتَعَد في زواجِهِ جاءَهُ النَّسْلُ قَوِيًّا، وقد ذَكَرْتُ لكم أنَّهُ عُقِدَ في دِمَشق قبل عشْرة أعوامٍ تقريبًا، أسبوع العِلم، وكان مِن أبْرَزِ مَوضوعاتِهِ تَحسين النَّسْل، وقد أُلْقِيَت مُحاضَرات مِن علماء كِبار مِن شَتَّى العالَم، وقام رئيس المَجْمَع العِلمي العربي رحمه الله، وألْقى كلمة مُخْتَصرة فقال: كلّ هذه المُحاضَرات مُلَخَّصُها قَوْل النبي عليه الصلاة والسلام: اغْتَرِبوا لا تَضْووا ! فهذه النُّوَيَّة التي في الحُوَين المَنَوي عليها خمسة آلاف مليون معلومة مُبَرْمَجَة، وكذا البُوَيْضة، فهذه المعلومات تتفاعَل، قال تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا(2)﴾

[سورة الإنسان]

هذه الأمْشاج هي اخْتِلاط المعلومات، فإذا كان بالمعلومات قُوَّة وضَعْف، فالمَخلوق يأخذ الصِّفة القَوِيَّة، أما إذا كان الضَّعف مِن الجِهَتَين فالضَّعف يزْداد فالنبي عليه الصلاة والسلام لا عن عِلْمٍ ذاتي، ولا عن ثقافَةٍ حصَّلها ولا عن حضارةٍ اسْتَوْعَبَها، بل عن وَحيٍ إلهي، وما ينطِق عن الهوى، قال تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4)﴾

[سورة النجم]

أعرفُ إنسانًا مُقيمًا في بلْدة قريبة من دمشْق جاءَهُ خمْسة أولاد عُته وبُلْهٌ، فلمَّا سأل عن السَّبَب، عرف الحقيقة، وهو أنَّه تزوَّجَ أُخْتَهُ مِن الرَّضاعة وهو لا يدْري !! لذلك الأوامر الإلهيَّة مِن نتائِجِها ما سبق ذِكرهُ، فلمَّا حرَّم الله الأخت مِن الرَّضاع، لأنَّ هناك عناصِر مشْتركة، فيأتي الولَد أبْله، وعِظامُهُ هشَّة !

قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77)﴾

[سورة يس]

أصبحَ يتفلْسَف، ويقول لك: أنا لا أومِن إلا بِشَيءٍ أراهُ بِعَيني ! هو في الأصْل إعْجاز نُطفة من ماء مهين، ومن بُوَيضة، وانْقِسامات ؛ وتشكَّلت العِظام و كسى الله العِظام لحْمًا، وفي تِسعة أشْهر خرج الجنين ؛ هذه كُلُّها لم يرَها، وهذا الطِّفل يضْحك ويتثاءَب، ويُصيبُهُ السُّعال، ويأكل ويسْحب الهواء، ويخرج منه البراز، وقلبُهُ ينْبض ومائة وأربعين خَلِيَّة بِدِماغِهِ، وأربعة عشرةِ مليار خليَّة قِشْرِيَّة وتسعمائة ألف عصَب بصري بِعَيْنِهِ، وألف وخمسمائة كيلومتر طول أوْعِيَةِ دَمِهِ وطريق بالكليتين طوله مائة كيلومتر !! ويقْطَعُهُ الدَّم في اليوم خمسة مرَّات، والأسنان عالم قائِم بذاتِهِ، فهذه لها لبّ، ووِعاء وشِريان وعصَب ؛ كلّ هذا من الماء المهين، وأقسى عُنصر في الأرض بعد الألماس هو الأسنان ! وهذا السِنّ مُسْتَنِد إلى وِسادة فإذا الإنسان عصَّب وضَغط على أسنانه هناك حوالي ربْع ميلي يتجاوبون معه، ولولا عَظْم مُسْتَنِد لانْكسَرَت أسنان الإنسان، فهذه الوِسادة تمْتَص الصَّدمات، فَعِلْم الأسنان عِلْمٌ قائِم بِذاتِهِ.

والشَّعْر عِلمٌ آخر، فلو أنَّ الله تعالى وضَعَ بالشَّعْر عصَب مُحَرِّك لاحْتَجتَ إلى عَمَلِيَّات جِراحِيَّة مُعَقَّدة مِن أن حلق الشَّعْر، وكذا الأظافر خالِيَة من الأعصاب الحِسِيَّة، فهذا مِن نِعمة اله عز وجل.

أيها الإخوة، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77)﴾

[سورة يس]

أَلَمْ ترَ ابْنَكَ ؟ وهل يوجَد من لا يعرف ابْنَهُ، خطَب وتزوَّج وبعد كم شَهرٍ حَمَلَت زوْجَتُهُ، فوَلَدَت وجاء طِفل، وكبُر، فابنُكَ الذي الآن تراه أطْوَل منك، كان نطفة ماء مهين ! فهذا عَظمُ عُنق الفَخِذ يتحمَّل مائتين وخمسين كيلو غرام، والثانية مائتان وخمسون، فالإنسان المتين له أن يتحمَّل وزْن خمسمائة كيلو !! فهذا كان ماءً مهين، فَبِفَضْل عَمَلِيَّة تَجري في العِلم اسْمُها التَّرسُّب، فَمِن أين جاءَت هذه الأسنان القاسِيَّة وهذا العَظم

الثَّخين ؟ جاء مِن عَمَلِيَّة اسْمُها التَّرسُّب، يأتي هذا الحليب فيه مُركَّبات الكِلْس، وتأتي هذه الخلايا فَتُرَتِّب الكِلْس في العِظام، ويُصْبِحُ متينًا، فاللَّحام تَجِدُه يكسِر العَظم أحيانًا بِحَديد حادَّة وقَوِيَّة ولا يُكْسَر العَظْم ! فهذه كان أصْلُها ماء، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77)﴾

[سورة يس]

يتفلْسَف الإنسان، فهل يُمكن أن تؤمن أنَّ هذه العُلْبَة من المحارِم التي أمامك، جاءَت هكذا ! وسَبَهْللاً !! وهذا الإنسان الذي يَحَار العَقْل في تَطبيقه، فهل تؤْمِن أنَّ الإنسان مِن دون خالق ؟ فإذا هو خصيمٌ مُبين، يقول لك: أنا لسْتُ قانِعًا بِهذا الدِّين وهذا العَصر عَصْرُ التَّقَدُّم وعصْر العِلْم، وأحيانًا يقول لك: هذا الإنسان نَتيجة شُعورِهِ بالضَّعْف تديَّن ! فالدِّينُ دليل ضَعْف الإنسان !! وأحيانًا تُقامُ مُحاضَرات في الإلْحاد، والطَّعْن بالدِّين، ويُقالُ له الدُّكتور الفلاني !! والطِّفْل تجِدُ فيه طِباعًا رُكِّبَت فيه يذْهَل العَقل في فهْمِها، قال تعالى

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى(45)﴾

[سورة النجم]

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78)﴾

[سورة يس]

كلٌّ مِنَّا رأى القبْر، ونظر إلى بقِيَّةٍ مِن العِظام فيه، قال تعالى

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78)﴾

[سورة يس]

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80)﴾

[سورة يس]

هذه الآية إن شاء الله نرجئها إلى درْس الغد.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (9-9) : تفسير الآيات 77 - 83

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآيةُ الثامنة والسبعون والتي بعدها من سورة يس وهي قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80)﴾

[سورة يس]

قد يسأل سائِلٌ ؛ كيف نُوَفِّقُ بين الشَّجَر الأخْضَر الذي لا يشْتَعِل، وبين النار التي تَحتاج إلى شَجَرٍ يابِس ؟ فَكَلِمَة أخْضَر لا تتناسَب مع الاشْتِعال ! قال بعض العلماء: إنَّ هذا الشَّجَر ما كان له أن يكون لولا الورَقَة الخضْراء ! فالوَرَقَة الخضْراء هِيَ مَعْمَل قرأتُ عنها في مَوْسوعَة عِلْمِيَّة أنَّ أعْظَمَ معْمَلٍ صَنَعَهُ الإنسان كالمُفاعِل النَّوَوِي ومعمل كمبيوتر، ومعمل طائِرات، كلّ هذه لا ترْقى إلى مُسْتَوى الورَقَة ! لأنّ هذا النَّبات يأخُذ من الأرض الماء وقد أذيبَت في أملاح المعادِن ففي الأرض يوجَد الحديد، والمغنزيوم، والبوتاسيوم، فحينما تسْقي الأرض ؛ هذه المعادِن التي هِيَ على شَكل أملاح تَذوبُ في الماء وهذا النَّبات يمْتَصُّ هذا الماء بطَريقَةٍ عجيبة لأنَّ قانون الجاذِبِيَّة أنَّ السَّوائِل تسْقط من الأعلى إلى الأسْفَل، وهذا الماء يصْعَد مِن جِذْر النَّبات إلى أعلى ورقَةٍ فيه، وقد تزيد بعض الأشْجار عن ثلاثين مترًا إلى الأعلى، وكلّ هذا بِطَريقة اسْمُها الخاصَّة الشِّعْرِيَّة، فهذا الماء المُحَمَّل بأملاح المعادِن يصْعَد في النبات مِن خِلال أوْعِيَّة، هذه الأوْعِيَة كَشرايين الرِّجْل تقريبًا، فشرايين الرِّجْل والأوْرِدَة، الدم فيها ينْدَفِع، فحينما ينْدَفع نحو الأعلى، هناك وُرَيْقات تُفْتَح، فإذا أراد الدَّم أن يرْجِع تُغْلَق، فلو أنَّه بِحَسب قانون الجاذِبِيَّة أراد الدَّم أن يرْجِع ضَغْط الدَّم على هذه الأوراق يُغْلقُها، وإذا الإنسان ما اعْتنى بِصِحَّتِهِ وكان عمله حاله الوُقوف دائِمًا، يُصاب الإنسان بالدَّوالي، ما هي الدَّوالي ؟ عدم فعاليَّة هذه الوُرَيقات التي في جُدْران الأوْعِيَّة، فالدَّم ينْدَفِعُ بِقُوَّة نبْض القلب، فإذا انْدَفَع يفْتح الوُريْقات، فإذا أراد أن يرْجِع فضَغْطُهُ مِن أعلى إلى أسْفل يُغْلِقُها، فهذه الأوْرِدَة تسْمَحُ للدَّم أن يمرّ باتِّجاه واحِد، ولا رُجوع، وكذلك أوْعِيَة النُّسغ الصاعِد فيها الخاصَّة نفْسُها، فهذا النُّسغ ينْطلق من الأرض إلى قِمَم النَّبات والأوْراق، أما في الورقة فالورَقة فيها يَخْضور - كلوروفين - هذه الورَقَة فيها آزوت، وطاقة شَمْسِيَّة، وفيها معْمَل حتَّى الآن يجْهل العلماء آلِيَّتَهُ ! هذا المعْمل يأخذ المعادِن الثمانِيَة عشْرة التي أذيبَت في الماء الصاعِد ويسْمَعُ نُسغًا نازِلاً، هذا النُّسُغ النازِل سائِل، إلا أنَّه ينزل بأوْعِيَة ومع نُمُوّ النَّبات يُخْشى أن تذوق لمْعة هذه الأوْعِيَة، لذلك هذه الأوْعِيَة النازِلَة مُدَعَّمة بألْياف حَلَزونِيَّة من ضَغطِها، فلو أنّ لك أنبوب مطَّاطي

ويسيل فيه مادَّة غاليَة جدًّا، وتخاف أن ينْثني هذا الأنبوب فيقْطَع مُرور المادَّة، فأنت تسدُّه بِرُوسُور، والمعجِزَة أنَّ هذا النُّسغ النازِل يصْنَعُ كلّ شيءٍ، يصْنع الجِذْر والجِذع، ويصْنع الأغصان والفروع، وأخيرًا يصْنَع الأوراق، ويصْنَعُ الثِّمار، ويصْنَع الأزهار فهل يوجد بِحايتنا سائل تحقنُه فيَصْعَدُ خَشَبًا ؟! ومرَّة ثانية بطيخ !! هذا النُّسغ النازِل يصْنَعُ كلَّ شيءٍ، وهو الذي يُعين على نُمُوّ النَّبات، فما كان لِهذا النبات أن يكون موجودًا لولا الورقَة الخضْراء، فلمَّا قال الله تعالى:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80)﴾

[سورة يس]

هذه صِفة مُترابِطَة مع المَوصوف ترابُطًا وُجودِيًّا، فإذا أُلْغِيَت الصِّفة أُلْغِيَ الموصوف، فالشَّجَرة معمَل بالِغ الدِّقَّة، ولا تزال المعلومات عنه قليلة، هذا المعمل فراغات ففي الصَّيف يُفْتَح وفي الشّتاء يُغلق ثمّ هناك شيء دقيق جدًّا وهو آلِيَّة الماء في الشَّجَرة عجيب ؛ فالشَّجَرة إذا إن لم تسْقِها تبدأ تسْتَهْلِك ماء الأوراق، فترى الورَق ذَبُل، فإذا لم يكْفِ ماءُ الورَق اِسْتَهْلَكَت ماء الأغْصان، وإن لم تكْفِ مِياه الأغصان اسْتَهْلَكَت مِياهَ الفُروع، فآخِر ماءٍ تسْتَهْلِكُهُ الشَّجرة ماء الجِذْع ! لذا لمَّا تموت الشَّجرة معنى ذلك أنَّها اسْتَنْفَذَت كلّ الماء الذي فيها ؛ بدْءً من الورَقة وانتِهاءً بالجِذْر، ففي القرآن الكريم هناك صِفة اسْمُها صِفة مُترابِطَة مع المَوصوف ترابُطًا وُجودِيًّا، فأنت تقول:الطائرة تطير فإذا ألْغَينا الطَّيَران ألْغَينا الطائرة أما إن قلتَ الطائرة فَخْمة، فكذلك البيت قد يكون فَخْمًا، والقِطار فَخْمة، والطائرة غالِيَة، وكذا اليَخت غالي، أما إن قلتَ الطائرة تَطير فهذه صِفة مُترابِطَة مع المَوصوف ترابُطًا وُجودِيًّا، فالله عز وجل قال:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80)﴾

[سورة يس]

لولا هذه الورقَة الخضْراء لما كانت هذه الشَّجرة.

هذه الأوراق ؛ كم لها مِن شَكْلٍ ؟ أكْثَر مِن مليون شَكل، هناك دوائِر ومُثَلَّثات، وشَكل بيْضَوي، وشَكل إبري، وشَكل مُكَسَّر ؛ أنواع لا تُعَدُّ ولا تُحصى، فأنت لا تسْتطيع أن تحصيها أبدًا ! فما علاقة فإذا أنتم منه توقِدون؟ بعضهم قال: هذه آية البترول، لأنَّ العصور الجيولوجِيَّة التي مرَّت على الأرض جَعَلَت في الأرض نباتات عِمْلاقة وهذه النباتات دُفِنَتْ في باطِن الأرض، وبعد أن دُفِنَت وطرأتْ عليها العوامِل المُتَعَدِّدَة انْقَلَبَتْ إلى بتْرول ؛ قال تعالى:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80)﴾

[سورة يس]

وكل أنواع البترول أساسها نباتات مِن العُصور الماضيَة المَدفونة تحت الأرض، وبعد دَفْنِها بِحِقَبٍ طويلة انْقَلَبت إلى بتْرول فلذلك هذه الآية مِن إعجاز القرآن العِلْمي.

وهذا البتْرول جعل الله في طبقَتِهِ الأولى من تحت ماءً مالِحًا، وهي الطَّبَقَة التي تَمْنَع تسرُّبَه إلى أعماق الأرض، وجعَلَ فوقه غازٌ ضاغِط فأنت بِمُجَرَّد أن تحفِر هذا البئْر يخْرج هذا البترول بِضَغط الغاز، فماءٌ مالِحٌ فوقهُ غازٌ ضاغِط، وهذا مِن أعْظَم الحِكَم ! ويكاد يكون هذا العَصْر عَصْر البتْرول، قال تعالى:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80)﴾

[سورة يس]

الله عز وجل قال:

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(8)﴾

(سورة النحل)

الخَيل والبغال ؛ هذه معروفة في عَهد النَّبي عليه الصلاة والسلام فلو أنَّ الآية انْتَهَت وزينَة، وجاء إنسانًا بالقَرن العِشرين، وركِب القِطار السَّريع، وركِب هذه المرْكَبات الفَخْمة، فهذا ماذا سيَقول ؟ يقول ما هذا القرآن؟ الخَيل والبِغال والحمير ! لكنَّ الله تعالى

﴿قال بعدها قال:وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(8)﴾

[سورة النحل]

فلأنَّ هذا كلام خالقِ الكَون، ولأنَّه كلام ربِّ العالمين، ولأنَّه كلام الذي عَلِمَ ما كان، وعَلِمَ ما يكون، وعَلِمَ ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فمَن الذي خلق فِكْرة الطائرة ؟ الله عز وجل، ومن خلق وَقودَها ؟ الله عز وجل، فهذه هي الآية الوحيدة التي تُشير إلى أنَّ الإبداع والاخْتِراع هو مِن الله عز وجل، وهي لمْعَةٌ تبْرِق في نَفس المُخْتَرِع، ولولا أنَّ الله تعالى أعْطاها للإنسان لما اخْتَرَع شيئًا، لذا قال العلماء: العَبْقَرِيَّة تِسْعة وتِسعون منها عَرَق ! أي جُهْد، وواحِد مِن المائة إلْهام، فهذه الآية:

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(8)﴾

]ٍسورة النحل]

عُزِيَ خلْق الطائرة والقِطار والسيارة إلى الله عز وجل لأنَّه المُلْهِم، لذا إذا رأى الإنسان الطائرة، أو الكمبيوتر، فلا يسْتَعْظِم صانِعَها ولكن عليه أن يسْتَعْظِم من أعطى هذا الإنسان هذا العَقْل ؛ فهل سَمِعْتُم بِمُجْتَمَع القرود أنَّهُ صَنَع طائرة ؟! لذا العَقل له دَور كبير، وهو مِن رحمة الله ونِعَمِهِ لذا قالوا الفرق بين الإنسان والحيوان في النَّوع لا في الدَّرَجة، فالله تعالى كرَّم الإنسان بالعَقْل.

ثمَّ قال تعالى

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)﴾

[سورة يس]

قال هذه تَقريب لنا لأنَّ أمر الله أسْرَع مِن كُنْ فَيَكون ! فالله بِمُجَرَّد أن يريد يخلقُ ما يريد، لذا لو أنَّ أوَّلكم وآخركم...".

والحمد لله رب العالمين

الباب السادس : تفسير سور (الصافات – ص – الزمر – غافر – فصلت – الشورى – الزخرف – الدخان – الجاثية – الأحقاف)

الفصل الأول : تفسير سورة الصافات

الفصل الثاني : تفسير سورة ص

الفصل الثالث : تفسير سورة الزمر

الفصل الرابع : تفسير سورة غافر

الفصل الخامس : تفسير سورة فصلت

الفصل السادس : تفسير سورة الشورى

الفصل السابع : تفسير سورة الزخرف

الفصل الثامن : تفسير سورة الدخان

الفصل التاسع : تفسير سورة الجاثية

الفصل العاشر : تفسير سورة الأحقاف

الفصل الأول : تفسير سورة الصافات

الدرس (1−7) : تفسير الآيات 12 – 27

الدرس (2−7) : تفسير الآيات 27 – 34

الدرس (3−7) : تفسير الآية 35

الدرس (4−7) : تفسير الآيات 50 – 57

الدرس (5−7) : تفسير الآيات 83 – 98

الدرس (6−7) : تفسير الآيات 98 – 113

الدرس (7−7) : تفسير من الآية 171 إلى آخر السورة

الدرس (1-7) : تفسير الآيات 12 - 27

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، ربنا سبحانه وتعالى جَعَل في كتابِهِ الكريم مَشاهِدَ مِن يوم القيامة، وأخبار الله عن يوم القيامة يجب أن نتلقَّاها وكأنَّنا نراها لأنَّ مِصْداقِيَّة كلام الله عز وجل في قِمَّة الأخبار، لذا قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(1)أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ(2)وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(3)تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ(4)فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ(5)﴾

[سورة الفيل]

لا شكَّ أنَّ أحدًا مِنَّا لم يرَهم، ولكنّ الله تعالى لمَّا قال: ألم تَر ؟ يجب أن يقَعَ خبرُ الله منك مَوْقِعَ الرؤْيَة لأنَّ مِصْداقِيَّة كلام الله في أعلى درجات الصِّدْق، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا(87)﴾

[سورة النساء]

قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(111)﴾

[سورة التوبة]

فإذا الإنسان غطَّتْهُ آية، لو كان وضْعُهُ المعاشي أقلّ مِمَّا ينبغي، مثلاً قال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

[سورة النور]

وإذا قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(97)﴾

[سورة النحل]

ولما يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ(38)﴾

[سورة الحج]

هذه الآيات التي تُطَمئِنُ المؤمن ينبغي أن تقَعَ منه مَوْقِعَ اليقين، هذا هو الإيمانُ أساسًا، إيمانُك أن تستبشر بوعد الله تعالى، و أن لا تعبأَ بواقعك، و مادام أن الله تعالى وعدك بالعاقبةِ، فقال تعالى:

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(83)﴾

[سورة القصص]

وهناك مثلٌ فرنسي يقول: العبرةُ لمن يضحك آخرًا " و آخرُ من يضحك هو الفائزُ، و اللهُ تعالى قال:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ(34)﴾

[سورة المطففين]

أحيانًا الإنسانُ يشعرُ بغُربةٍ، إذا استقامَ على أمرِ الله وطلبَ الحقَّ يشعرُ بغربةٍ، وقد قال عليه الصلاة و السلام:

((بدأ الدينُ غريبا....))

و مِن علامةِ إيمانك إحساسُك بالغربةِ، و من علامةِ ضعفِ الإيمانِ أن تستأنِسَ بمن حولك من العصاةِ، و إذا استأنسْتَ بهم و ارتحتَ لحياتهم و أقررْتَ سلوكهم و رأيتَ الإنسانَ هكذا يعيشُ فأنت لا تعيش الغربةَ أنْ تعيشَ الغربةَ هذه من علامات الإيمان، و بدأ الدينُ غريبا و سيعود كما بدأ...سوء كثير" .

اللهُ تعالى وصَفَ في بعضِ الآياتِ و السُّورِ مشاهدَ من مشاهدِ يوم القيامةِ، لأجل ماذا ؟ هذا كلامُ خالقِ الكونِ، فإذا حدَّث عن جهنمَ وعن عذابِ أهلِ النارِ، فمشكلةُ المسلمين أنَّ هذا الكلامَ لو عرفوه على حقيقتِه و يفهمونه في أبعاده لارتَعَدتْ مفاصِلُهم، قال عليه الصلاة و السلام: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم..." و إنَّ روحَ الميّتِ ترَفْرِفُ فوق النعْشِ تقول: يا أهلي يا ولدي لا تلعبَنَّ بكم الدنيا كما لعبتْ بي، جمعْتُ المالَ مما حلَّ و حرُمَ فأنفقْتُه في حِلِّه و في غيرِ حلِّه فالهناءُ لكم و التَّبِعةُ عليَّ " و يقول النبيُّ عليه الصلاة و السلامُ: فو الذي نفسُ محمد بيده لو تعلمون ما أنتم عليه بعد الموتِ ما أكلتم طعاما عن شهوةٍ..." و أنت إذا طلبَك إنسانٌ لا تنام ثلاثةَ أيامٍ، فكيف باللهِ عز وجل، قال تعالى:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24)﴾

[سورة الصافات]

و سوف تُسأَل عن كلِّ كلمةٍ و نظرةٍ و همسةٍ و عن كلِّ ابتسامةٍ و عن كلِّ عطاءٍ و منعٍ، قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجر]

هذا المشهدُ، و آية:

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا(60)﴾

[سورة الإسراء]

يفهمها العوامُ على غيرِ ما أراد الله تعالى، نخوّفهم لأجلِ أنْ يتسرَّب الخوفُ إلى قلوبهم و من أجلِ أن يرتدِعوا، و أحيانا طبيبُ القلبِ يقول للمريضِ: إذا قعدْتَ في هذا البيتِ تموتُ، ولو لم يقُلْ له ذلك ما خرج من البيتِ، و قال طبيبٌ لأحدِ المرضى: إمَّا أن تمشِيَ أو تمشِيَ ؛ أي تموت ؛ فهذا ليس تخويفًا، بالمعنى العامي هو تخويفٌ وراءَه شيءٌ، و لكنْ هذا كلامُ ربِّ العالمين، قال تعالى:

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا(60)﴾

[سورة الإسراء]

و هذه المشاهدُ سوف نعايِنُها، و لا مندوحَةَ منها.

أيها الإخوةُ الكرام، قال تعالى:

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (12)﴾

[سورة الصافات]

المؤمن الصادق يسمع درس العلم و يقرأ القرآن، وإذا كان عنده خللٌ في حياته و ليس عنده استقامةٌ و عنده مشكلةٌ، فإذا كان مؤمنًا ترتعد مفاصلُه و ينخلِعُ قلبُه، و المنافقُ يسخرُ، و كلُّ إنسانٍ يسخرُ من وعيدِ الله هو أحمقُ و هل يسخر الإنسان من وعيد رجلٍ يُخوِّف ؟ أنا مرةً لقيتُ أمام مصلِّحِ السياراتِ . و لا أبالغُ . عشرين سيارة تاكسي لأنه صدر من وزير الداخلية بلاغٌ إذا كان رقمُ المحرِّك ليس متوافقًا مع الميكانيك تُصادَرُ السيارةُ، فلو صدَّقوا ربَّهم كما صدَّقوا وزيرَ داخليتهم لدخلوا الجنَّةَ، إلهٌ يقول لك: هناك نارٌ و حسابٌ و عذاب برزخٍ، فإذا لم يستوعِب الإنسانُ هذا الكلامَ و لم يعرف أبعادَه فبِعقلِه خللٌ، قال تعالى:

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (12)﴾

[سورة الصافات]

سيِّدُنا عمرُ يقول: و اللهِ لو تعثَّرتْ بغلةٌ في العراقِ لحاسبني اللهُ عنها لِمَ لمْ تصلِح لها الطريقَ يا عمرُ ؟ و كان مرةً في جولةٍ في أطرافِ المدينةِ مع سيّدنا ابن عوفٍ، رأى قافلةً مستقِرَّةً في ظاهرِ المدينةِ، فقال له: تعالَ نحرُسها، فوجدوا طفلاً يبكي في الليلِ، فقام إلى أمِّه فقال: أرضعيه، فأرضعتْه، ثم بكى، فقام وقال: أرضعيه فأرضعتْه ثم بكى، فقام الثالثة و قال لها: يا أَمَةَ السوءِ أرضعيه، فقلت له: و ما شأنُك بنا ؟ إنني أفطِمُه، قال فلِمَ تفطِمينَه ؟ قالت ": لأن عمرَ لا يعطينا العطاءَ إلا بعد الفطامِ، فقال لنفسه: ويْحَكَ يا ابنَ

الخطَّابِ كم قتلْتَ من أطفالِ المسلمين ؟ فلما ذهب ليصَلِّيَ الفجرَ إماماً، قال: ما سمع الصحابةُ قراءته من شدَّةِ بكائه، و كان يقول: يا ربي هل قبِلتَ توبتي فأهَنِّئَ نفسي أم ردّدْتَها فأُعزِّيها، فإذا الإنسانُ ما خاف حقيقةً ما استفادَ شيئًا.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (13)﴾

[سورة الصافات]

أنت تحكي ساعةً عن النَّردِ قال عليه الصلاة و السلام: أنَّه من لعبَ النَّرْدَ فكأنما غمس يده فيلحم خنزير.. ثم تجدُ أنه صلى العشاءَ وقعد إلى الساعةِ الثانيةِ ليلًا على طاولةِ النردِ كأنَّ ذاك الكلامَ كتابةٌ في الماءِ قال تعالى:

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (13)﴾

[سورة الصافات]

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْا آَيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (14)﴾

[سورة الصافات]

أُمورُ الدينِ يأخذها بالسخريَةِ و التعليقاتِ اللاذِعةِ، قال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْا آَيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (14)﴾

[سورة الصافات]

قال تعالى:

﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (15) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (16) أَوَآَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (17) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ(18)﴾

[سورة الصافات]

مقهورون و قال تعالى:

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (19) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (20) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ(21)﴾

[سورة الصافات]

لمَّا سيّدُنا رسولُ اللهِ وقف أمامَ قتلى بدرٍ وقال: يا فلان ؛ و سمّ!أهم واحدًا واحدًا، يا عتبةَ بنَ شيبةَ و يا صفوانَ بنَ أُميَّةَ، فاستغْربَ الصحابةُ لذلك، قال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا....." قالوا:يا رسول الله أتخاطِب قومًا جيَّفُوا ؟ قال ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم و لكنهم لا يجيبونني، قال تعالى:

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23)﴾

[سورة الصافات]

أنتَ انظُرْ إلى شعورِ إنسانٍ يُساقُ إلى الإعدامِ، بعدما حُوكِم في جريمةٍ، ماذا يكون شعورُه ؟ فكيف بمن سيقَ إلى محكمةِ الله تعالى ؟ أعرف رجلا له مزرعةٌ و ليس معه المالُ لتشغيلها، فذهب إلى رجل و اقترحَ عليه أن يقرضَه مائتي ألف ليرةٍ و يرهنَه المزرعةَ على أن يرُدَّها إليه بعد ردِّه له المالَ، و بعد ثلاثِ سنواتٍ، جهَّزَ المبلغَ و جاء إلى الرجل ليرُدَّ له مزرعتَه بعد ردِّه له ديْنَه، و لكن لم يُرِدْ إرجاعه المزرعةَ فأصابه كمدٌ شديدٌ أوصلَه إلى جلطةٍ، و هو على فراشِ الموتِ استدعى أكبرَ أبنائِه و قال له: سِرْ بجنازتي إلى المهاجرين و قِلاِء أمامَ دكانِ الذي اغتصبَ هذا البستانِ، فأوقفْ الجنازةَ أمامه وامسِكْ الرسالةَ و ادخلْ بها عليه أمام الناسِ جميعاً، و قلْ له:هذه الرسالةُ من والدي الذي في النَّعشِ، و كتبَ له فيها: أنا ذاهبٌ إلى محكمةِ الحقِّ، فإذا كنتَ بطلاً لا تلحقْني، فأرجع المزرعةَ لأبناء الميّتِ، قال تعالى:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24)﴾

[سورة الصافات]

قال لي مرةً مُوَظِّفٌ في التموين: اِنصَحْني، قلت: هيِّئْ لله جوابًا عن كلِّ ضبطٍ و عن كلِّ رجلٍ وضعتَه في السجنِ، أما إذا غشَّ أو باع بضاعةً فاسدةً فمات بها الناسُ فيجب أن توقِفَه، إن الله يزع بالسلطان...." و إذا هيَّأَ كلُّ إنسانٍ جوابًا لله تعالى ينفذُ، قال تعالى:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24)﴾

[سورة الصافات]

قال تعالى:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (25)﴾

[سورة الصافات]

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ(94)﴾

[سورة الأنعام]

ثم قال تعالى:

﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26)﴾

[سورة الصافات]

في الدنيا إذا كان الإنسانُ يأمر و ينهى و يخاف منه الناسُ ثم يقع في السِّجنِ تراه مثلَ القِطِّ، قال تعالى:

﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26)﴾

[سورة الصافات]

و قال تعالى:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (27)﴾

[سورة الصافات]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-7) : تفسير الآيات 27 - 34

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآيةُ السابعة و العشرون و التي بعدها من سورة الصافاتِ والتي تبدأ بقوله تعالى:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (27)﴾

[سورة الصافات]

نحنُ في مشاهدِ يومِ القيامةِ، قال تعالى:

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (28)﴾

[سورة الصافات]

فهناك يمينٌ و هناك يسارٌ، و هناك أمامٌ و هناك خلْفٌ، و هناك فوق و هناك تحتُ، ستُّ جهاتٍ، في بعضِ الآياتِ الكريمةِ يقول الله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(39)﴾

[سورة الحجر]

و مادامت الآيةُ ذكرتْ اليمينَ قال تعالى:

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

[سورة الأعراف]

فما داموا في طريق الغيّ و الفسادِ و الضلالِ و المعصيةِ و الفجورِ الشيطان يهادنهم، أما حينما يعقِد الإنسانُ التوبةَ و يصطلِحُ مع اللهِ و يبدأُ صفحةً جديدةً يأتيه الشيطانُ، و أليس اللهُ قادرًا على أن يُثْنِيَه، فلماذا أتْعبَنا به ؟ الشيطانُ له فائدةٌ إيجابيةٌ لكنَّه لا يريدُها هو و لا يتمناها و لا يعرفها، أما الشيطانُ بوساوِسه و إغوائِه يحافظُ في المؤمنِ على حرارةِ إيمانه، و لولا الشيطانُ لهبطتْ مرتبةُ المؤمنِ، يلقِي فيه وسْوسةً فيخاف على دينه فيلجأُ إلى اللهِ فيرتقِي عنده، يُغْريه بمعصيةٍ فيستغفرُ اللهَ يرقى إلى اللهِ، فكلَّما أراد الشيطانُ أن يُغويَ المؤمنَ رفعه درجةً وهو لا يشعرُ، فالذي يحافظ على حرارةِ الإيمان هو الشيطانُ منت خلالِ وساوسه، و مثلُ ذلك ولدٌ ليس بارًّا بوالده، جاء إنسانٌ و سبَّ له أباهُ سبًّا مُفزِعًا، فاستثارَ فيه كلَّ معاني البُنُوَّةِ فدافع عن أبيه دفاعًا عظيماً و تذكَّر أن لأبيه عليه حقًّا، فلولا أن هذا الشابُ الفاسق الوقِحُ الذي سبَّ أباه لما استثار في نفس الابنِ كلَّ مشاعرِ البُنُوَّةِ الصادقةِ، فأحيانا الشيطانُ شرٌّ مطلَقٌ، إلا أنه يُوَظَّف للخيرِ المطلَقِ، وهو لا يشعرُ، لذلك قال تعالى:

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16)﴾

[سورة الأعراف]

فإذا تاب الإنسانُ إلى الله يقول له الشيطانُ يوسوِس له الشيطانُ بكلِّ الوسائلِ، قال تعالى:

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(268)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ(91)﴾

[سورة المائدة]

فدائمًا الشيطانُ يُفرّق و يُخوِّف فإذا اصطلح الإنسانُ مع الله تعالى و تاب إليه وسلك طريقَ الصلاح يجب أن يُوَطِّنَ نفسَه علة متاعبِ الشيطانِ، لأن الشيطان قال:

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16)﴾

[سورة الأعراف]

﴿و لكنَّ الله قال: لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(99)﴾

[سورة النحل]

مستحيلٌ على الشيطانِ أن ينال من المؤمنِ، قال تعالى:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا(65)﴾

[سورة الإسراء]

و قال تعالى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)﴾

[سورة إبراهيم]

وقال تعالى:

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16)ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الأعراف]

و نفسّرها بالحضارةِ و التَّقدُّمِ و العقلِ المفتوحِ، و العلمانيةُ هي الإتِّجاهُ الجديدُ و النظامُ العالمي الجديدُ و الاختلاطُ و المساواةُ بين الرجُلِ و المرأةِ و العصرنَةِ، و قال تعالى:

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾

[سورة الأعراف]

كلُّ التقاليدِ الباليةِ و العاداتِ الوثنيةِ و الجاهليةِ لو أرادوا أنم يضعوا شعارًا لمشروعٍ يتذكَّرون بعضَ الآلهةِ التي عبَدَها الإغريقُ، و قال تعالى:

﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾

[سورة الأعراف]

مِنْ طُرُقِ الدينِ ؛ صلاتُك غيرُ صحيحةٍ و الشَّدةُ في الفاتحةِ لم تأتِ بها و وضوءك غيرُ مسبوغٍ فصلاتُك باطلةٌ، فالشيطانُ يعطي أشياءَ لا تقدّم و لا تؤخّر و لكنَّها تحجبُه عن الله، فإذا لم يستطع الشيطانُ أن يغوِيَ ابن آدمَ من بين أيديهم ؛ بدعوى الحداثةِ و التقدُّمِ و لا من خلفهم بدعوى التقاليدِ و التراثِ و العاداتِ جاءهم عن أيمانهم، من خلالِ الدينِ، يريد القرآنَ بلا سنَّةٍ، و السُّنَّةُ فهمٌ مرحليٌّ للقرآن و قد انتهت المرحلةُ، خرافاتٌ و خزعْبلاتٌ و نظرياتٌ باطلةٌ ضمنَ الدينِ، فلما ييأسُ الشيطانُ من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمانهم، يأتيهم عن شمائلهم، حيثُ المعاصي ؛ الزنا و الخمرُ، ففي أربعِ جهاتٍ الشيطانُ يتمكَّنُ منها ؛ جهةُ التقدُّمِ و العصرنةِ و الحداثةِ و الانفتاحِ و العلمانيةِ، و من خلفهم التراثُ و العاداتُ و التقاليدُ التي ما أنزل اللهُ بها من سلطانٍ، و عن أيمانهم بإلقاءِ الشُّبَهِ في الدين و الوساوس و العقائد الباطلة ؛ الجبر و القهر، و عن شمائلهم، بالمعاصي و الموبِقاتِ، لكنَّ اللهَ سبحانه و تعالى أغفلَ جهتين ؛ فوق و تحت، لأنَّ الفوقَ طريقٌ إلى الله نحو السماءِ لا يستطيع الشيطانُ أن يدخلَ عليها، إذا قلتَ يا رب فليس هناك قوَّةٌ في الأرضِ تمنعك من أن تتَّصِل باللهِ، و لو اجتمعتْ شياطينُ الإنسِ و الجِنِّ نحو السماء فالطريقُ سالكٌ ومحروسٌ و مُحَصَّنٌ، و من تحتُ، العبوديةُ لله و الإفتقارُ إلى الله فهناك جهتان محروستانِ ؛ اتِّجاهُك نحو الله تعالى، و افتقارُك إليه فصار هناك سبعُ معانٍ ؛ الأول: أن الشيطانَ يقعد في أوَّلِ السراطِ المستقيمِ و كلُّ واحدٍ يسلكُه يأتيه، قال تعالى:

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16)ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

[سورة الأعراف]

أما من فوقهم اللهُ جلَّ جلالُه و من تحتهم افتقارُهم إليك يا ربُّ و عبوديتُهم فهاتان الجهتان مَحمِيتان و مُحصَّنتان سالكتان لا يستطيع الشيطانُ أن يصلَ إليهما، فلذلك الآيةُ الكريمةُ، قال تعالى:

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (28) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (29)﴾

[سورة الصافات]

أيها الإخوةُ الكرامُ، مستحيلٌ أن يُضِلَّ كافرٌ مؤمنًا، أما الكافرُ فيُضِلُّ الكافرَ، قال تعالى:

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (28) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (29)﴾

[سورة الصافات]

ومعنى ذلك أنَّ كلَّ إنسانٍ يستجيبُ للشيطانِ عنده استعدادٌ لهذه المعصيةِ، و رغبةٌ فيها، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ (30)﴾

[سورة الصافات]

فإذا جعل اللهُ عز وجل لجهةٍ ما في الكونِ عليك سلطانًا لكانت الحُجَّةُ معك يوم القيامةِ، و بَطُلَتْ حجَّةُ اللهِ تعالى، لأن اللهَ عز وجل قال:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(123)﴾

[سورة هود]

و قال تعالى:

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّا تُؤْفَكُونَ(62)﴾

[سورة غافر]

و قال تعالى:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(54)﴾

(سورة الأعراف)

و قال تعالى:

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا(26)﴾

[سورة الكهف]

و قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(2)﴾

[سورة فاطر]

هذا هو التوحيدُ، أما إذا اعتقدتَ أنَّ لجهةٍ في الأرض سلطانا فقد صارت الحجَّةُ معك، أما اللهُ تعالى قال:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ(149)﴾

[سورة الأنعام]

و لو اعتقدت أن لجهة ما أو لكبيرٍ ما سلطانًا عليك، تقول يا رب: ملَّكْتَه أمرِي و أن مضطرٌ أن أطيعَه، و لكنْ أمرُك بيدِك لذلك تُقامُ الحجَّةُ عليك قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ (30) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (31) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ(32)﴾

[سورة الصافات]

فإذا ارتكب الإنسانُ معصيةً لا يقُلْ الله يلعن إبليسَ،و يلعنْ نفسَه، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)﴾

[سورة إبراهيم]

مُلخَّصُ الدرسِ كلِّه أنَّ أحدا لا يستطيع أن يُضِلَّ أحدا، و أنت المسؤولُ، قال تعالى

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا(13)اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(14)﴾

[سورة الإسراء]

لا تحتَجْ بالتقاليدِ و لا بالعاداتِ و لا بالبيئةِ و لا بأسرتك و لا بأبيك، لك خالِقٌ خلقَك و انتهى الأمرُ، قال تعالى:

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (32) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (33) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (34)﴾

[سورة الصافات]

أما الآية لدرس الغدِ فهي قوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35)﴾

[سورة الصافات]

لا يقبل التفسير الإلهي بل التفسير الأرضي، لا يقبل أن الزلزالَ مشيئةُ الله، اهتزاز القشرة الأرضيةِ

الدرس (3-7) : تفسير الآية 35

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، لا زلنا في لا زلنا في مشاهدِ يوم القيامةِ، ونحنُ مع الآيةِ الثانيةِ و الأربعين من سورة الصافاتِ، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35)﴾

[سورة الصافات]

أيها الإخوةُ، هناك أحداثٌ تقع في الأرضِ، و كلُّ بني البشر يعلمونها من خلالِ وسائل الإعلامِ، وقع انفجارٌ في الخُبَرِ مثلا، و قعت حرب في البوسنةِ، هذه الأحداثُ التي تقع و يعلم الناسُ وقوعَها جميعًا، و ليس الخلافُ في أنها وقعتْ أم لم تقعْ، المشكلةُ في تفسير الخبر، ولو فرضْنا أن مشكلةً خطيرةً كحربٍ أهليةٍ وقعتْ في قُطْرٍ مجاورٍ، يُمكِن أن تُفسَّر هذه الحربُ التي دامتْ ستَّةَ عشر عاما و التي أطاحتْ بالكثيرِ من القتلى، يمكن أن تفسِّرها تفسيرًا محدوداً، تفسيرًا عربيًّا أو تفسيرًا دوليًّا أو تفسيرًا طائِفيًّا، فإذا قرأْتَ القرآنَ الكريمَ وجدتَ قوله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(112)﴾

[سورة النحل]

وهناك تفسيرٌ إقليميٌّ و تفسيرٌ عربيٌّ و تفسيرٌ دولِيٌّ و تفسيرٌ طائفيٌّ، و تفسير لا نسائِي ؛ إصابةٌ من عيْنٍ ؛ فما الذي يعنينا نحنُ، يعنينا التفسيرَ القرآني، قاتل تعالى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(112)﴾

[سورة النحل]

و قال تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا(58)﴾

[سورة الإسراء]

فالحَدَثُ ليس في المشكلةِ وقعت أم لم تقع، المشكلةُ هي هذا السؤالُ: لماذا وقعت ؟ و كيف وقعت ؟ و ما الحكمةُ من وقوعها ؟ هنا يختلفُ الناسُ، المشركُ دائما يريد أن يفسِّر الأمورَ بالتفسيرَ الأرضي و يعزو الأحداثَ إلى مُسَبِّباتٍ أرضيةٍ، لكنَّ المؤمنَ يريدُ أن يفسِّر الأحداثَ تفسيرًا توحيديا، و أن الله سبحانه و تعالى يقول:

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الفتح]

و قال تعالى:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

[سورة الأنفال]

و قال تعالى:

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا(26)﴾

[سورة الكهف]

و قال تعالى:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(62)﴾

(سورة غافر)

و قال تعالى:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(54)﴾

[سورة الأعراف]

و قال تعالى:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(123)﴾

[سورة هود]

و قال تعالى:

﴿ مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(2)﴾

[سورة فاطر]

و قال تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

[سورة محمد]

و قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ(84)﴾

[سورة الزخرف]

فالكافرُ يصِرُّ على تفسير الأحداثِ تفسيرًا أرضيًا، يقع زلزالٌ في بلدٍ وهذا البلدُ يُرتكَب فيه كلُّ أنواع الموبقاتِ، بل إن معظمَ سكانه من العراة من أجل جلبِ السُّياحِ و هذا في أغادير بالمغرب، أصابها زلزالٌ جعلها أثرًا بعد عدَّة ثواني، و أضخمُ فندق سياحي هناك غاص منه ثلاثون طابقا في الأرضِ، و بقي الطابقُ الأخيرُ فوق الأرض وفيه اسمُه، و كأنها شاهدةٌ لهذا القبرِ، فأنت إما أن تفسّرَ هذا الزلزالَ تفسيرًا أرضِيًّا ؛ حركةٌ في القشرةِ الأرضية بسبب تمدُّدٍ و غليانٍ...أو أن تفسّر هذه الأحداثَ، أن الله تعالى أحدثَها ليَعِظَ بها بقية الفاسِدين، فأهل الدنيا لا يرْضَون أن يُفسّروا الأحداث إلا تفسيرًا أرْضِيًا، ورْكِيًّا أو مادِيًّا أو مَعْزُوًّا إلى زيْدٍ أو عُبَيْد، أو فلان أو عِلاَّن، والذي أهْلَك العالم اليوم أنَّهم لا يرَوْن الله، ويرَوْن نِظام العالم الجديد، ويَرَوْن قَهْر النِّظام العالمي الجديد، ويرَون جَبروت النِّظام العالمي الجديد، ولا يرَون أنَّ الله تعالى يُعَذِّب عِباده بِهذا النِّظام العالمي الجديد، فأنت يُمْكِن أن تُفَسِّر الأحداث تَفسيرًا تَوْحيدِيًّا، وإن لم تفْعَل وَقَعْتَ في عذابٍ أليم، قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ(213)﴾

[سورة الشعراء]

هؤلاء الذين في النار، قال تعالى:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (25) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (27) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (28) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (29) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ (30) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (31) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (32) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (33) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ(34)﴾

[سورة الصافات]

ما سبب هذا العذاب الأليم ؟ وهذه النار المُشْتَعِلَة فيهم ؟ وهذا الشَّقاء الأبدي ؟ جاء التَّعليل من الله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35)﴾

[سورة الصافات]

يريدون آلِهَةً غير الله، ويُعْزون الأفعال إلى المخلوقات، وليس إلى ربِّ المَخلوقات ! فالآن يُقال لك: هناك نقْص بالمَواد الغذائيَّة ! ونقْص بالمِياه سيَتأتي حرْب بالمِياه، كُنَّا في حرْب النَّفْط، ثمّ انْتَقَلْنا إلى حرْب الصلح ونحن في حرب المِياه !! وأنَّ خطوط المطَر تنتقل مِن مكانٍ إلى مكانٍ وأنَّ الجفاف يَعُمّ بعض المساحات، ولأنَّ هناك انْفِجارًا سُكَّانِيًّا ونصْطَلِحُ أن يُلْغي الزَّواج ؛ كلّ هذا لأنَّهم لا يروْن الله، ويريدون أن يعموا الناس عن الله تعالى، كلّ هذا لأنَّ الأحْداث تُفَسَّر تفْسيرًا أرْضِيًّا ولكنَّ الله سبحانه وتعالى لا يُقَنِّن عن عَجْز، ولكن تَقنين تأديب، فالبشَر تَقنينهم تَقْنين عَجْز وضَعف، فالله تعالى بِيَدِهِ خزائن السماوات والأرض قال تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ(21)﴾

[سورة الحجر]

لذلك النُّقطة الدقيقة أنَّ الخِلاف الآن ليس حول وُقوع الحَدَث أو عدم وُقوعه، ولكنَّ الخِلاف لماذا وَقَعَ هذا الحَدَث ؟! وما الذي نسْتفيدُهُ مِن ذلك ؟ هذا وَقَع مِن أجل أن نسْتفيد في المُسْتَقبل، فأنت لك مَعْمَل والآن وقَفَ، ودَفَعْت أُجور العُمَّال مِن دون فائِدَة، فأنت تريد أن تسأل الذي صلَّحها ما العَطَب الذي أصابها ؟ تسْأل لِتَلافي الخطأ في المستقبل ! فأنا حينما أعْرِف حِكمة الإله تعالى في الأحداث مِن أجل أن لا أقَعَ في الذَّنْب مرَّتَين، ومَن لم تُحْدِث المُصيبة في نفْسِهِ موْعظَةً فمُصيبَتُهُ في نفْسِهِ أكبر ! فأنت إن أصابَكَ الله تعالى بِمُصيبَةٍ فإن كُنت مُشْرِكًا تُفَسِّرُها تَفْسيرًا أرْضِيًّا، وتقول: هكذا الحياة ؛ يوم لك ويومٌ عليك !! ولقد سَخِر القَدَر مِنِّي !! وليس لي حَظّ !! والدُّنيا ضدِّي !! فهذا تَفسير أرضي أما لو فسَّرْتَها تفْسيرًا سَمَاوِيًّا وتتذكَّر قوله تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(30)﴾

[سورة الشورى]

وقال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ(15)﴾

[سورة الحج]

الإنسان بالتَّوحيد يَحيْى قلبُهُ وبالشِّرْك يقْتَرِبُ مِن أن ينْتَحِر، قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ(213)﴾

[سورة الشعراء]

فأنت إن أرَدْت العذاب الدُّنيَوي فادْعوا مع الله إلهًا آخر، ولكنَّ الله تعالى طَمْأنَكَ وقال:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(123)﴾

[سورة هود]

أنْصَحُ إخواننا الكِرام، أنّ أيَّ حدَثٍ يقع لك لا بدَّ أن تنْظر إلى اليَدِ الخَفِيَّة التي أحْدَثَتْهُ وليس إلى ظاهِرِهِ، والله تعالى قال:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(24)﴾

[سورة يونس]

مُهِمَّتُنا أن نُوَحِّد وأن نرى يَدَ الله تعالى، وأنَّها فوق البشر جميعًا، وأنَّ ما شاءَهُ الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ الله تعالى لا يسُوق مُصيبَةً إلا بِسَببٍ مِن جَميع البشَر، لذلك نحن نريد أن نبْحَث عن السِّر مِن أجل أن لا نقَعَ في الذَّنْب مرَّتَين، ففي الفيزياء تدرس قانون التَّمَدُّد من أجل أن تخْطاط إذا أنشأتَ جِسْرًا إلى عامِل التَّمَدُّد، والعلماء يقولون: القانون يُعطيكَ قُدرة على التَّنَبُّه، وأنت إذا عرفْت قانون الله عز وجل تتعامَل معه باسْتِقامَةٍ، فالنُّقْطة الدَّقيقة أنَّ حدثٍ ينبغي أن تبْحَثَ عن تفْسيرِهِ التَّوحيدي، والقرآني، والإلهي، ولا تقْبَل بِتَفْسيرَاتٍ أرْضِيَّة مَبْنِيَّة على الجَهْل، وتفسيراتٍ مَبْتورة، ولا تكفي للدَّلالة على الحَدَث فمثلاً قوْسُ قُزَح أعطاه الناس تفسيرات مُضْحِكَة، ولكِّن الأصل فيه أنَّ الضَّوء الأبيَض يحْوي سبْعة ألوان فإذا واجَهَ سطْحًا شفَّافا كالزُّجاج أو فإنّ هذه الألوان تتفكَّك وتظْهر لك الألوان، فالإدراك سَهل، ولكنَّ العالِم يُفَسِّر، والبطولة ليس بالحَدَث ولكن بالتَّفسير، والمؤمن يُوَحِّد، وكلَّما رأى حدثًا يُفَسِّره قرآنيًّا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-7) : تفسير الآيات 50 - 57

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآياتُ التي شُرِحتْ يوم الاثنين الماضي وصلتْ إلى قوله تعالى:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (50)﴾

[سورة الصافات]

أهلُ الجنةِ في الجنةِ يتنعَّمون و أهلُ النارِ في النارِ يتعذَّبون، و هناك حديثٌ ممتِعٌ في ما بين أصحابِ الجنةِ، و لهم ذكرياتٌ في الدنيا، قال تعالى:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51)﴾

[سورة الصافات]

صديقٌ، قد يكون زميلًا لك أو جارًا و قد يكون قريبًا، و الشيءُ الثابتُ أنه على احتكاكٍ معك و على صِلةٍ متينةٍ معك، قال تعالى:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51)﴾

[سورة الصافات]

نحن في الدنيا لك أن تقولَ ما تشاءُ ولك أن تأكلَ ما تشاءُ و لك أن تذهبَ إلى حيثُ تشاءُ، كلُّ شيءٍ مُخَبَّأٌ إلى يوم القيامةِ، الدنيا دارُ عملٍ و الآخرةُ دارُ جزاءٍ، و الدنيا دارُ تكليفٍ و الآخرةُ دارُ تشريفٍ، و الدنيا لا عامٌ دراسِيٌّ و يوم القيامةِ الامتحانُ، فالبطولةُ أن تنجحَ هناك، و من هنا قال الإمامُ عليٌّ كرَّم اللهُ وجههُ: الغِنَى و الفقرُ بعد العرضِ على اللهِ ذاك هو الغِنى وذاك هو الفقرُ، والمؤمنُ حينما يأتيه ملَكُ الموتِ يرى إلى مقامِه في الجنَّةِ فيقول: لم أرَ شرًّا قط، كلُّ الشدائدِ التي ساقها اللهُ له في الدنيا يراها محْضَ نِعَمٍ و الكافرُ حينما يرى مكانَه في النارِ يقول: لم أرَ خيرًا قط، كلُّ المكانةِ و الغِنَى و الولائمِ و الرحلاتِ و العلُوّ في الأرضِ يقول: لم أرَ خيرًا قط، و يا بنيَّ ما خيرٌ بعده النارُ بخيرٍ، و ما شرٌّ بعده الجنةُ بشرٍّ و كلُّ نعيمٍ دون الجنةِ محقورٌ و كلُّ بلاءٍ بعد النارِ عافيةٌ .

طبيعةُ النفسِ في الجنةِ أنها محيطةٌ بجسدها، و طبيعةُ النفسِ في الدنيا أن الجسدَ محيطٌ بها، نفسُك في صدرِك و ترى من خلالِ عينيك تستمع إلى ما حولها من خلالِ أُذُنيك، و تتحرَّك من خلال رجليك، و تبطش بيدِك و تنتقل بقدمِك، أنت في الدنيا لك ابن في حلب، ما مشكلتُه ؟ طلبٌ في جامعةِ حلب، هلا بإمكانك أن

تنظرَ إليه ؟ إلا أن تركب السيارةَ خمسَ ساعاتٍ إليه، في الجنةِ شيءٌ آخر، أيُّ خاطرٍ يأتي في ذهنك يُحقَّق فورا، قال تعالى:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51)﴾

[سورة الصافات]

قال تعالى:

﴿فَاطَّلَعَ فَرَآَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55)﴾

[سورة الصافات]

النفسُ إشعاعٌ كلُّها أعيُنٌ، و آذانٌ , و كلُّها أذواقٌ، يكفي أن تنظرَ إلى شجرةٍ فيها ألفُ تفاحةٍ، تأكلها جميعًا و تذوق طعمها جميعا، و دون أن تتأذّى، و في الحديث قال عليه الصلاة و السلام فيما يرويه عن ربه: أعددت لعبادي ما لا عين..." دائرةُ المسموعاتِ أوسعُ بكثير من المرئياتِ، أما الخواطرُ ما لا نهايةَ لها، كلُّك أعينٌ و كلُّك آذانٌ , و كلُّك أذواقٌ، لهم ما تشتهي الأنفسُ، هل إذا اشتهيتَ شيئا في الدنيا كان بين يديك، مستحيل، العين بصيرةٌ و اليدُ قصيرةٌ، قال تعالى:

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ(35)﴾

[سورة ق]

و هو النظرُ إلى وجهِ الله الكريمِ، ينظرُ المؤمنُ إلى وجه الله عز وجل فيغيبُ من النشوةِ خمسين ألف عامٍ، فقضيةُ الجنة قضيةٌ لكنها واللهِ حقٌ، لأن اللهَ وعدنا بها، فإذا الإنسانُ لم يعمل للجنة فهو أحمقُ، إذا كنتَ تبني فيلا فيها مسبحٌ فاخر و كل أنواع الفاكهةِ و النعيمِ ثم تتركها و تموت و تنسى الجنةَ ! أنا أعرف رجلاً اشترى فيلا في برنية، فنزع البلاطَ و السيراميك و النوافذَ و الأبوابَ و كسى كسوةً خياليةً، و يومَ انتهى البيتَ كانتْ منِيَّتُه، فلذلك قال تعالى

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51)﴾

[سورة الصافات]

و هم جالسون في الجنةِ مبسوطين، يتذاكرون أصحابهم و جيرانهم، قال تعالى:

﴿فَاطَّلَعَ فَرَآَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55)﴾

[سورة الصافات]

و آخرون في الجنات مع الحور العين و الولدانِ المخلَّدين، فيها أنهارٌ من عسلٍ مُصَفًّى ومن لبن لم يتغير طعمُه و من خمرٍ لذَّةٍ للشاربين، لا فيها غولٌ و لا هم عنها ينزفون، قال تعالى:

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ(15)﴾

[سورة محمد]

هذه هي الجنةُ، فيها رضوانٌ من الله و فيها تجلّي من الله و فيها نظرٌ إلى وجه اللهِ الكريمِ، أن القرينُ؟ قال تعالى:

﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55)﴾

[سورة الصافات]

الإنسانُ لما يرى أهلَ النارِ في النارِ يزدادُ حبُّه لله تعالى، مثال ذلك أصحابُ شركةٍ أرادوا أن يشتغلوا ببضاعةٍ ممنوعة و مهرَّبةٍ، فقال أحدُ÷م: أنا لا أدخل معكم و انسحب من الشركةِ، و اشتغل الباقون فيما اتفقوا عليه فأُلقِيَ القبضُ عليهم و أُودعوا السِّجنَ، فصار يزورهم الذي انسحب منهم و لسانُ حاله يقول: الحمدُ لله الذي لم يجعلني منهم، فلما الإنسان يرى أهلَ النارِ في النارِ كيف يتعذَّبون، قال تعالى:

﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا(29)﴾

[سورة الكهف]

و قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا(56)﴾

[سورة النساء]

قال تعالى:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52)﴾

[سورة الصافات]

هل أنت مُصدِّقٌ لهذا الدين، و العصرُ عصرُ العلم، و هذه خرافاتٌ، و عِشْ وقتَك، هذه منطقُهم في الدنيا، قال تعالى:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (53)﴾

[سورة الصافات]

قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى(36)﴾

[سورة القيامة]

هل يعقلُ أن تنالَ الشهادةَ بلا امتحانٍ ؟ قال تعالى:

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56)﴾

[سورة الصافات]

لو أصغيْتُ لك و سمعتُ كلامك و اقتنعْتُ به و صِرتُ معك كنتُ معك في هذا المصيرِ.

أيها الإخوةُ الكرامُ، أخطر إنسانٍ عليك صاحبُك، و عندك إنسانانِ ؛ إنسانٌ مقرّبٌ و إنسانٌ مبعّدٌ، و إنسان موصِلٌ بالله و إنسانٌ مقطوعٌ عن الله، و الله تعالى قال:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

و لا تطع...فرطا" و قال تعالى

﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(15)﴾

[سورة لقمان]

قال تعالى:

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (53) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57)﴾

[سورة الصافات]

هنا سؤالٌ استفهامي، كان ينكر عذابَ النارِ و ينكر الآخرةَ و الجنةَ و البرزخَ قال تعالى:

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (59)﴾

[سورة الصافات]

هكذا كان يدَّعِي، ليس إلا الدنيا و تنتهي بالموت و انتهى كلُّ شيءٍ صار هناك قويٌّ و ضعيفٌ و معتدِي و معتدَى عليه و ظالمٌ و مظلومٌ و غنيٌّ و فقيرٌ ووسيمٌ و دميمٌ وصحيحٌ و مريضٌ، ثم تنتهي الدنيا، القويُّ أخذ ما ليس له و استخدمَ القوَّةَ، و الضعيفُ قُهِرَ وتنتهي الدنيا هكذا ؟!! قال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(115)فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ(116)﴾

[سورة المؤمنون]

تعالى اللهُ أن يخلقَ الخلقَ عبثًا، قال تعالى

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى(36)أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى(37)ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى(38)فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى(39)أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى(40)﴾

(سورة القيامة)

استفهامٌ تهكُّمِي، قال تعالى:

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (59) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60)﴾

[سورة الصافات]

الفوزُ في الجنة هو الفوز العظيم، هذه الدنيا عرضُ حاضِرٌ يأكل منه البَرُّ و الفاجرُ، والآخرة وعدٌ صادقٌ يحكم فيه ملِكٌ عادلٌ، و إن الله أعطى الدنيا لمن لا يحب و لمن يحب، أعطاها لقارون و أعطاه لفرعون، قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60)﴾

[سورة الصافات]

هذا كلام الإله العظيم و الخالقِ العظيمِ العليم الخبيرِ القويّ المتينِ البارئ الذي إليه المصيرُ، قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60)﴾

[سورة الصافات]

ثم قال تعالى:

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)﴾

[سورة الصافات]

هنا التنافسُ، و ليس التنافسُ على فتاةٍ و لا على معملٍ و لا على فيلا، قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)﴾

[سورة الصافات]

و قال تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ(26)﴾

[سورة المطففين]

و قال تعالى

﴿: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(58)﴾

[سورة يونس]

و إن هذه الدنيا دارُ التواءٍ لا دارُ استواءٍ و منزلُ ترحٍ لا منزلُ فرحٍ فمن عرفها لم يفرحْ لرخاءٍ و لم يحزن لشقاءٍ، قد جعلها اللهُ دارَ بلوى و جعل الآخرةَ دارَ عُقبى، فجعل بلاءَ الدنيا لعطاءِ الآخرةِ سببًا، و جعل عطاءَ الآخرةِ لبلوى الدنيا عِوضًا، فيأخذ ليعطِي، و يبتلِي ليجزِي.

أيها الإخوة الكرام، هذه الآياتُ مُؤثِّرةُ جدًّا، حالةُ المؤمنِ في الجنة يذكرُ جارَه و صديقَه و رفيقَه و قريبَه، قال تعالى:

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (53) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57)﴾

[سورة الصافات]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-7) : تفسير الآيات 83 - 98

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآياتُ الثالثة و الثمانون و التي بعدها من سورةِ الصافات و هي قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84)﴾

[سورة الصافات]

و الآيةُ الثانيةُ قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(88)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(89)﴾

[سورة الشعراء]

معنى ذلك أن رأسَ مالِ الإنسانِ القلب السليمُ، إذْ أن أمراض الجسدِ تنتهي عند الموت، أيُّ مرضٍ مهما كان ينتهي عند الموتِ، إلا أن أمراضَ القلبِ تبدأ بعد الموتِ، و إلى أبدِ الآبدين، فالذي في قلبه غِلٌّ و الذي في قلبه حسدٌ و الذي في قلبه كِبْرٌ إنه إعراضُ مرضٍ واحدٍ و هو الإعراضُ عن الله عز وجل، فهذه الآيةُ و هي قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84)﴾

[سورة الصافات]

وأثمنُ شيءٍ تملكه هو القلبُ السليمُ، فإذ كان قلبُك سليمًا من الحقدِ و الحسدِ و من الكِبرِ و من البغي و العدوانِ فأنت مع اللهِ، و اللهُ يوَفِّقك قال تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَئِفْكاً آَلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86)﴾

[سورة الصافات]

أيُعقَلُ أن تعبدَ غيرَ اللهِ ؟ أيُعقَل أن يعبد ثمانمائة مليون البقر في الهند؟ أيُعقَل أن يُعبَد بوذا ؟ أو أن تُعبَد النارُ في جنوبِ الصينِ ؟ أيُعقَل أن يُعبَد ذَكَرُ الرجلِ في اليابان ؟ و أن تُعبَد الجرذانُ في الهند ؟ عندي مجلَّةٌ فرنسيةٌ فيها تحقيقٌ حول عبادةِ الجرذان و كيف يطعمونها أفخر الطعامِ و بنوا لها أعظمَ المعابدِ، أيُعقل أن تُعبَد الشهوةُ من دون الله، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا(43)﴾

[سورة الفرقان]

قد تعبد أباك و يأمرك بمعصيةٍ، و حرصاً على مصالحك معه و على نصيب ميراثك منه، تعبده من دون الله، و قد تعجب شهوتَك، قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَئِفْكاً آَلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86)﴾

[سورة الصافات]

هذا الذي تعبده من دون الله هل ينجّيك ؟ و لما جاء كتابٌ من يزيدِ بن معاويةَ إلى والي البصرةِ و كان عنده الحسنُ البصري و في الكتاب أمرٌ لا يرضِي اللهَ عز وجل، فوقع والي البصرةِ في حيرةٍ شديدةٍ، أيُنفّذ أمرَ يزيدَ فيُغضِب اللهَ تعالى، أمن لا ينفِّذ أمرَ يزيدَ إرضاءً لله فيغضب يزيدُ، قال الحسنُ البصري: إن اللهَ يمنعُك من يزيدَ و لكنَّ يزيدَ لا يمنعُك من الله، هذا القولُ دستورٌ لكلِّ الناس، فإذا كنتَ مع الله كان اللهُ معك ومنعك من أعدائك، قال تعالى:

﴿أَئِفْكاً آَلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (87) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89)﴾

[سورة الصافات]

أي ضعيف، و معنى ضعيف أي مفتقِرٌ إلى اللهِ، لو افترضنا إنسانًا عنده آلةُ الخياطةِ يدوية، و قال لك: هذه أعظمُ آلة خياطة في العالم، و لو اطَّلع على آلةٍ حديثةٍ إلكترونيةٍ تعمل أربعين كنزة " جاكار" بأربعة ألوان في آنٍ واحدٍ، يرى نفسَه صغيرًا حقيرًا أمامها، فيظهر الإنسانُ لما يرى الأعظمَ، فإذا ما فكَّر الإنسانُ في العظيمِ يرى نفسَه عظيما قال تعالى

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89)﴾

[سورة الصافات]

متى قال" إني سقيم " حينما نظر نظرةِ في النجوم، لذلك الإنسانُ إذا عزل نفسَه عن المحيط الخارجي يكبُر وهو صغيرٌ، أما إذا فكر في خلق السماوات و الأرض يصغُر فيصبح كبيرا، أما إن لم تفكِّر فأنت كبير و لكنك في الحقيقة صغيرٌ، قال تعالى:

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَى آَلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91)﴾

[سورة الصافات]

هذه الأصنامُ التي تُعبَد من دون الله لا تأكل و لا تشرب و لا تتحرَّك و لا تسمع، قال تعالى:

﴿فَرَاغَ إِلَى آَلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96)﴾

[سورة الصافات]

هناك ناسٌ كثيرون عندهم رغبةٌ في تشويه النصوص، يقول مثلا:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(4)﴾

[سورة الماعون]

و الله تعالى قال: فويل...ساهون" ما قال فويل للمصلين، و سكت، قال تعالى: و الله..تعملون " يقول:أعمالُنا خلقها اللهُ وليست بأيدينا، ترتيبُ سيِّدك كما يقولون، هذا النظرُ فيه افتراءٌ على الله، قال تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(4)الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(5)﴾

[سورة الماعون]

قال تعالى:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(28)﴾

(سورة الأعراف)

قال تعالى:

﴿فَرَاغَ إِلَى آَلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96)﴾

[سورة الصافات]

قال تعالى:

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)﴾

[سورة الصافات]

أرادوا أن يحرقوه و أضرمت نارٌ عظيمةٌ، و تصف لنا الكتبُ القديمةُ أن هذه النارَ عظيمةٌ و الله سمح لهم أن يوقدوها و كان من الممكِن أن يطفِأها الله تعالى، و سمح لهم ان يُلقوا القبضَ عليه و كان من الممكن أن يتفلَّت منن قبضتهم، و سمح لهذه النارِ أن تشتعلَ و كان من الممكن أن تأتيَ أمطارٌ غزيرةٌ تطفئها، و الله عز وجل أخَّرَ آياتِه لآخِرِ مرحلةٍ، و بعد أن أُلقِيَ في النارِ، قال تعالى:

﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ(69)﴾

[سورة الأنبياء]

لو قال بردًا لمات من البردِ، و لو قال بردا و سلاما و لم يقل على إبراهيم لأُلغِيَ فعلُ النارِ إلى حدِّ الآن، فهذا الذي يقول للنارِ:

﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ(69)﴾

[سورة الأنبياء]

هذا الذي ينبغي أن تعبده، وهذا الذي يغيّر خصائصَ الأشياءِ، النارُ تحرقُ، و هي خاصيَّةٌ أساسيةٌ في النارِ، الذي يغيّر خصائصَ النار هو الذي ينبغي أن تعبدَه، يا إبراهيمُ ألك من الله حاجةٌ ؟ قال: علمُه بحالي يغني عن سؤالي، ينبغي أن تعبدَ من يعلم دونَ أن تقولَ.

أيها الإخوةُ ؛ قصصُ القرآن الكريم ليستْ مقصودةً لذاتها، و المقصودُ أن تعتبِر، و أن اللهَ في كلِّ دقيقةٍ و ثانيةٍ و في كلِّ عصرٍ ومَصرٍ قادرٌ على أن يُلغِيَ خصائصَ الأشياءِ، ورمٌ خبيثٌ توقَّف وتراجع بلا دواءٍ و لا معالجةٍ، هذا الذي يقدر أن يوقِف مرضا خبيثا ينبغي أن تعبده، الإنسانُ ضعيفٌ وقوَّاه اللهُ، و الإنسانُ فقيرٌ و أغناه اللهُ، و الإنسانُ شقيٌ و أسعده اللهُ، و الإنسانُ بعيدٌ و قرَّبه اللهُ، فالذي يُسعد و يقرّب و يغني و يقوّي و يشفي و يحفظ، هو الذي ينبغي أن تعبده، قال تعالى

﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ(75)أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ(76)فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ(77)الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي(78)وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي(79)وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي(80)وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ(81)وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾

[سورة الشعراء]

قال تعالى:

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)﴾

[سورة الصافات]

إذا كان اللهُ معك فمن عليك ؟ و إذا كان عليك فمن معك ؟ إذا وجدتَ اللهَ فماذا فقدْتَ و إذا فقدْتَ اللهَ فماذا وجدْتَ، قال تعالى:

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)﴾

[سورة الصافات]

أضعفُ دولةٍ في العالَم من حيث السكانُ ؛ ثمانمائة ألف ؛ لو أن أمريكا معها لأصبحتْ أقوى دولةٍ في العالَم، أليس كذلك، مثلٌ مُنتَزَع من الأخبارِ، أنت الآنَ أضعفُ مخلوق إذا كان اللهُ معك فأنت أقوى مخلوقٍ و أفقرُ إنسانٍ إذا كان اللهُ معه فهو أغنى إنسانٍ، و أجهلُ إنسانٍ إذا كان اللهُ معه فهو أعلمُ إنسانٍ، والنبي الكريم علَّم البشَرِيَّة إلى يوم الدِّين قال تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)﴾

[سورة العلق]

والنبي عليه الصلاة والسلام لا يقرأ ولا يكْتب، فلأنّ الله تعالى علَّمَهُ أصبَحَتْ أحاديثُهُ منتشرة في بِقاع الملِك، فإذا الواحِد دخَلَ إلى بيتٍ مِن بيوت الله لِيَطْلُب العِلم، فلْيَقُل إنّي ذاهِب إلى ربِّي، وإذا غضَّ بصرهُ بالطريق فهذا ذاهِب إلى ربِّه، وإذا ذَكَر الله تعالى فهذا سيَذْهَب إلى ربِّه إذا ذَهَب لِيَزور صَديقًا، فهذا ذاهِبٌ إلى ربِّه، وإذا ذَهَب إلى الحج فهذا ذاهِب إلى ربِّه وإذا عُدْتَ مريضًا كنت في طاعة الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: وجَبَت محبَّتي للمُتحابِّين فيَّ، والمُتَجالِسين فيَّ،..." والله تعالى قال:

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ(50)﴾

[سورة الذاريات]

ارْكُض إليه بالتَّوبة إليه، وبِعَمَلٍ صالِحٍ، وبالإقبال عليه، وبِبَذْل المال والنَّفس إليه.

وإنَّ بيوتي في الأرض المساجِد، وإنَّ زُوَّارها هم عُمَّارُها، فَطُوبى لِعَبْدٍ تطيَّب في بيْتِهِ ثمَّ زارني، وحُقَّ على المزور أن يُكْرِمَ الزائِرَ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-7) : تفسير الآيات 98 - 113

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، تَتِمَّة قِصَّة سيِّدنا إبراهيم، حينما قال الله عز وجل

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)﴾

[سورة الصافات]

قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا(15)وَأَكِيدُ كَيْدًا(16)فَمَهِّلْ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا(17)﴾

[سورة الطارق]

الله سبحانه وتعالى ليس كائِدًا، وليس مِن أسمائِه الكائِد لأنَّ الذي يكيد هو الضَّعيف إلا أنَّ الله عز وجل حينما يكيد يُسَمَّى كَيْدُه تَدْبيرًا حكيمًا يرُدُّ به كَيْد المُعْتَدين، فإذا كادك عَدُوُّك فالله سبحانه وتعالى له كَيْدٌ يَحْميكَ منه.

قال تعالى:

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)﴾

[سورة الصافات]

وهناك في كتاب الله تعالى كَلِمَتَين قال تعالى: والعاقِبَة للمُتَّقين.." فالأمور تَدور، يسْعَدُ أُناسٌ، ويسْكُت أناس ويشْقى أُناس، ولا تسْتَقِرُّ الأمور إلا على نُصْرة المؤمن، وإعْزازِهِ فالله تعالى قال:

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99)﴾

[سورة الصافات]

فأنت إن ذَهَبْتَ إلى بيتِ الله الحرام، فأنت قد ذَهَبْتَ إلى الله تعالى، وإذا ذَهَبْتَ لأداء العُمْرة فقد ذَهَبْتَ إلى الله، وإذا دَخَلْتَ بيتًا مِن بيوت الله تُصَلِّي، أو تسْتَمِعُ إلى مجْلس العِلم فأنت ذاهِبٌ إلى الله، وإذا رأيْتَ فِتَنًا في الطريق فغَضَضْتَ عيْنَكَ فأنت ذاهب لله تعالى، وطوبَى مَن وَسِعَهُ بيْتُهُ، ووسِعَتْهُ السنَّة ولم تسْتَهْوِهِ البِدْعة، ففي زَمَن الفِتَن يكون البيت مأوى، والله عزوجل قال:

﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا(16)﴾

[سورة الكهف]

فالمكان الذي تعْبُد الله تعالى فيه، والذي لا معْصِيَة فيه، ولا لغْوَ فيه يُعْتَبَر كَهْفًا، وهذا ينْطَبِقُ عليه قوله تعالى:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99)﴾

[سورة الصافات]

فالإنسان إن ضاقَت نفْسُهُ فَذَهَب إلى مكانٍ واسِع، وإلى فلات أو جبل ومكانٍ مُريح، وقرأ القرآن وناجى الواحِد الدَّيان فكأنَّه ذاهِب إلى الله تعالى، فالإنسان إن لم تَكن له خَلْوة مع الله ؛ يُناجيه ويَدْعوه ويذْكُرُهُ ويُمَرِّر جبْهَتَهُ في أعْتابِهِ والله تعالى حيثُما اتَّجَهْت إليه تَجِدُهُ، فالله تعالى لا يَحُدُّه مكانٍ، قال يا موسى أَتُحِبُّ أن أكون جَليسك ؟ قال: كيف ذلك يا ربّ ؟ قال: أما عَرِفْتَ أنّي جليس مَن ذَكَرَني وحيثما الْتَمَسني عَبْدي وَجَدَني، أحْيانًا تسْكُن بيْتًا في سفَح جبلٍ و ضاقت نفسُك، اِصعد إلى الجبل و اقرأ القرآنَ، ذهبت إلى بيت من بيوت الله كنت في الطريق و سقطت الأمطار ذهبتَ إلى البيتِ، و كلُّ بيتٍ تلتمس فيه ذكرَ الله و الابتعادَ عن الشيطان فهو المأوى، و ينطبق عليه قوله تعالى:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99)﴾

[سورة الصافات]

قال تعالى:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101)﴾

[سورة الصافات]

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101)﴾

[سورة الصافات]

و قوله تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ(72)﴾

[سورة الأنبياء]

قال تعالى:

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ(49)﴾

[سورة الشورى]

معنى ذلك أن الولدَ هبةٌ من الله عز وجل، وليس لك إلا أن تسأله ولدًا صالحا ينفع الناسَ من بعدك، و الولدُ الصالح استمرارٌ، و أثمنُ شيءٍ على الإطلاقِ الحياة . و قد تكون أغنى الناسِ . إلا أن أثمنَ شيءٍ على الإطلاق هو الولد ينفع الناسَ من بعدك، و هو استمرارٌ لوجودك، و كلُّ أعمالِه في صحيفتك، و أنت في

الجنة و أنت في البرزخ تأتيك الخيراتُ من دعاء ولدك الصالحِ، فإذا بذلتُم كلَّ طاقتكم في تربيةِ أولادكم و رأيتموهم تائبين إلى الله منيبين إليه فهذه قُرَّةُ العينِ التي ذكرها اللهُ في القرآنِ، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا(74)﴾

[سورة الفرقان]

لا يعرف قرَّةَ العينِ إلا من كان عنده ولدٌ و هو قرَّةُ عينه، صلاحٌ و أدبٌ و استقامةٌ و مُعاونةٌ، قال تعالى:

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾

[سورة الصافات]

فإذا كان للواحد مصلحة رائجةٌ أفضلُ إنسانٍ يتابع العملَ بعدك هو ابنُك، وهو بضعةٌ منه، قال تعالى:

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾

[سورة الصافات]

أيها الإخوةُ الكرامُ، أن يُأمر نبيٌّ بذبحِ ابنه وأن يقول سمعا و طاعةً يا ربي، هذا الاستسلامُ الحقيقي و المُطلَق، هذه هي العبوديةُ لله تعالى و كلُّ أوامرِ الله تعالى معقولةٌ، أمر بالصدق و الصلاة و الزكاة و الاستقامة، كلُّ أوامر الله تعالى معقولة، إذا طبق الإنسان أمرًا معقولاً تطبيق هذا الأمر المعقول تضعف فيه العبودية لله عز وجل، أحيانا عدوُّك يعطيك توجيها في مصلحتك فتنفِّذه، فهل بِتَنْفيذِكَ هذا تُطيعُ عَدُوَّكَ ؟ لا أبدًا، أنت تُحَقِّق مَصْلَحَتَكَ الذاتيَّة، أما حينما تَضْعُف حِكْمَة الأمْر فلو قال الأب لابنِهِ: نظِّفْ أسْنانَكَ ! ونَم باكِرًا، فهذا كُلُّه واضِح ولِمَصْلحة الابن، ولِمُسْتقبل الابن، أما إذا مَنَعْتَ ابْنَكَ عن الأكل للطّعام الطَّيّب ! فهذا غير مَعقول، فالأمر غير الواضِح، وغير العقلي تَرْتَفِعُ فيه نِسْبة العبوديَّة، أما أن يقول الله عز وجل لإنسانٍ: اِذْبَح ابْنَكَ !! فهذه أعلى درجات العُبوديَّة لله عز وجل إن نفَّذَ الأمْر، وأن يضَعَ زَوْجَتَه وابْنَهُ في وادٍ غير ذي زَرْعٍ، وأن يذْهَب هو، فهذا هو التَّوَكُّل المطْلق، والله عز وجل أعْطانا بِهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلَّم مثَلَيْن: توَكُّل مُطْلق، قال تعالى

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ(37)﴾

[سورة إبراهيم]

وقوله تعالى:

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾

[سورة الصافات]

هذه عُبودِيّة مطْلَقَة، أما كلَّما كُلِّفْت بأمْرٍ، قلتَ: إن لم أفْهم حِكْمَتَهُ فلا أقْبَل الأمر ! فأنت الآن تعْبُد نفْسَكَ وليس الله تعالى، هذه الأوامِر التي تفْعَلُها لأنَّك قانِعٌ بها ليسَت عِبادةً لله عز وجل، فهذا المَثَل دقيق جدًّا قال تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)﴾

[سورة الصافات]

ما هذا الابن ؟! رؤْيا الأنبياء حق فهو لم يقل له: افْعَل ما ترى في المنام، ولكن قال له: اِفْعَل ما تُؤْمَر !

هناك نقْطة ثانيَة، وهو الفِعل أر في قوله تعالى إنّي أرى، وهذا يُفيد الاسْتِمْرار، فهو رأى أوَّل مرَّة وثاني مرَّة، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)﴾

[سورة الصافات]

هذا هو المؤمن ؛ مُسْتَسلِمٌ لله عز وجل

هم الأحبَّة إن جاروا وإن عدَلوا فليس لي عنهم مَعْدِلٌ وإن عدَلوا

والله وإن فتَّتوا في حُبِّهم كَبِدي باقٍ على حُبِّهم راضٍ بما فعَلوا

والله تعالى يقول:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(23)﴾

[سورة الأحزاب]

هذا هو الإيمان، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103)﴾

[سورة الصافات]

لن تسْتطيعوا أن تعرفوا هذا الظَّرْف الصعْب الذي عاشَهُ هذا النبي الكريم ؛ لأنَّكم تعرفون من قراءة القرآن حلَّ العُقْدة، قال تعالى:

﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105)﴾

[سورة الصافات]

ما كان يدور في خلَدِ إبراهيم أنَّ الله سبحانه وتعالى سيَهْديهِ بِذِبْحٍ عظيم لذا قال سيِّدنا إبراهيم:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106)﴾

[سورة الصافات]

لذا وَطِّنوا أنْفسكم إن كنتم مؤمنين على أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يمْنَحُكم عطاؤُه العظيم إلا بعد امْتِحانٍ دقيق، ولكن ليس بِمَرْتبة هذا الامْتِحان فهذا الامْتِحان للأنبياء، فنحن لنا امْتِحانات مُخَفَّفة ؛ كالمرض، أو ضيق ذات اليَد، أو مشْكلة في البيت، فهذه المشْكِلات لا بدّ منها.

قال تعالى:

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(110)﴾

[سورة الصافات]

كلمة مُحْسِن مُطْلَقة ؛ فهو في البيت مُحْسِن، وكذا في العَمَل، وفي بيْتِهِ ومع أصْدِقائِهِ، وفي صَنْعَتِهِ مُحْسِن، وفي زراعَتِهِ، وكذا في تِجارَتِهِ وفي حزنِهِ وفَرَحِهِ، فهي تعني أنَّ عَمَلَهُ طيِّب في أيِّ مجال.

قال تعالى:

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ(113)﴾

[سورة الصافات]

مِن ذُرِيَّة هذا النبي الكريم الذي هو أبو الأنبياء ؛ مُحْسِنٌ وظالمٌ لِنَفْسِه ونحن مِن ذُرِيَّة إبراهيم عليه السلام ؛ محْسن وظالم لِنَفْسِهِ، أرْجو الله سبحانه وتعالى أن نكون مِن المُحْسنين

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-7) : تفسير من الآية 171 إلى آخر السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآيات الأخيرة من سورة الصافات، وتبدأ بقَوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171)﴾

[سورة الصافات]

ما معنى كلمَتُنا ؟ قال تعالى:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(115)﴾

[سورة الأنعام]

الكلمة هنا وفي الآيات المُشابِهَة هي القانون، وهي سنَّة الله تعالى في خلْقِهِ، وهي النِّظام الذي لا يتبدَّل ولا يتغيَّر، وهي الثابِتَة على مرّ العُصور والأيَّام، فالمؤمن إذا عرفَ قوانين الله عز وجل تأدَّب معها وانْتَفَع بها، فأنت ترْكَب الطائرة، ولابدّ وأن ينْزِلَ منها وهو في الجوّ فإذا عرفَ قانون السُّقوط اسْتَعْمل المِظَلَّة وسقَطَ سالمًا، أما إذا عرف قانون السُّقوط، أو لم يعْبأ به سقطَ ميِّتًا فالقوانين لا بدّ مِن أن نخْضَعَ لها ولا بدّ مِن أن نتأدَّب معها، ولا بدَّ مِن أن نأخذها بِعَين الاعْتِبار، فالله عز وجل له كلمات، قال تعالى:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(115)﴾

[سورة الأنعام]

فيا عِبادي مِنكم الصِّدق، ومِنِّي العَدْل فَكَلِمَتَان تُنَظِّم علاقة الخالق بالمَخلوق ويتفاوَتُ العِباد في صِدْقِهِم في طاعة ربِّهم، وتتفاوَتُ مَقاماتُهم في تَطبيقاتِهم، وعلى الله أن يعْدِلَ بينهم فَعَلى تُفيد الإلزام، قال تعالى:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(115)﴾

[سورة الأنعام]

وقال تعالى:

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(33)﴾

[سورة يونس]

قال تعالى:

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا(27)﴾

[سورة الكهف]

فلو تتبَّعت لفْظة كلمة، لوَجَدْتها تعني سنَّتَهُ وقانونَه وناموس الكون الأعظَم، فهذه سُنَن ثابِتَة على مرّ العُصور والدهور والأمْصار، وقديمًا وحديثًا، وفي ماضي البشَريَّة وفي حاضِرِها.

الآن ؛ مِن هذه الكلمات قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)﴾

[سورة الصافات]

فالوَيْل لِمَن كان في خَنْدقٍ مُعادٍ للدِّين

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)﴾

[سورة الصافات]

لأنَّه هالِكٌ لا مَحالَة، ولأنَّه مَقْهور لا محالَة، ولأنَّه ذليل لا مَحالة ولأنَّه مَهْزومٌ لا محالة، يا أُميَّة بن خلَف، ولا فلان ابن فلان ؛ ذَكَر النبي أسماءَ قَتْلى بدْر واحِدًا واحِدًا هل وجَدْتم ما وعَدَكم ربُّكم حقًّا، فإنّي وَجَدْتُ ما عَدَني ربِّي حقًّا، لقد قاتَلْتُموني ونصَرني الناس، وخذَلْتُموني وأيَّدَني الناس، فقالوا: أتُخاطِبُ قومًا جيَّفوا ؟!

فقال: ما أنتم بِأَسْمَعَ لما أقول منهم، ولكنْ لا يُجيبونني فهذه كلمة، قال تعالى

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(115)﴾

(سورة الأنعام)

وقال تعالى

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)﴾

[سورة الصافات]

فهؤلاء المرسلين فهل لك علاقة بهذه الآية ؟ علاقتك بهذه الآية قوله تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(83)﴾

[سورة القصص]

فالعاقبَة الحسَنَة هي النَّصْر والرِّفْعة، والسَّعادة والتَّفَوُّق والفوْز، والنَّجاح والفلاح، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)﴾

[سورة الصافات]

أيُّها الإخوة، معركة لا تكون، ومعركة لا تَطول، ومعركة لا تنتهي فالمعركة التي لا تكون هي التي بين حقَّيْن لأنَّ الحق واحِد، ولا يمكن لِحَقَّين أن يصْطَرِعا، فالحق واحد، وهذه المعركة لن تكون، ومعركَةٌ لا تطول وهي التي بين الحق والباطل ؛ لأنَّ الله مع الحق، أما المعركة التي لا تنتهي ؛ هي التي بين باطِلَين، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174)﴾

[سورة الصافات]

اللهُ تعالى يعطي للإنسان مددًا ليظهر على حقيقته، و يُرخي له الحبلَ ليأخذَ أبعادَه، و يحلُم عنهم لتتكشف حقيقتُه، و يدعُه بلا عقابٍ ليظهرَ معدنُه، ثم يأخذه و يقصِمه و يحاسبُه، قال تعالى:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174)﴾

[سورة الصافات]

بعد حينٍ هناك قصمٌ أو نصرٌ، المؤمنُ بعد حين ينتصِر و الكافرُ بعد حينٍ يُقصَم، قال هناك شيء اسمُه هُدْنةٌ، قال عليه الصلاة و السلام: إنكم في زمن هدنةٍ..." فنحن في الدنيا في زمن هدنةٍ، و الأوراق تختلفُ مؤمنٌ و كافرٌ، كلاهما يأكل و يشربُ و ينام و يتزوج و يسكن و يعمل أما هذا في وادي و هذا في وادي، و الدنيا دارُ تكليف و ليست دار تشريفٍ، و الدنيا دارُ ابتلاءٍ و الآخرةُ دار جزاءٍ، قال تعالى:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (175)﴾

[سورة الصافات]

حتى النبيُّ عليه الصلاة و السلام وهو سيِّد الخلق و حبيبُ الحقّ قد لا يُمتِّع عينيه بمصير الكافرين، قال تعالى:

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾

[سورة يونس]

فنحن في دار جزاءٍ، الإنسانُ قد يقع في كلِّ المعاصي و الموبقات و قد يعيش حياةً مديدةً و يموت موتا عجيبا، لكنَّ اللهِ عز وجل يعاقب بعضَ المسيئين ردعا لغيرهم، ولا يمنع من أن ترى إنسانا منحرفًا نجا من عقاب الدنيا لحكمةٍ أرادها اللهُ، و لا يُستبعَد أن ترى مؤمنًا ابتلاه الله تعالى و انتهى به البلاءُ إلى الموتِ و لكنَّ الجنةَ موعدُه، فنحن في دار ابتلاءٍ، قال تعالى:

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (204)﴾

[سورة الصافات]

و الذي يستعجل عذابَ الله هو الذي يسخر منه، و يستهزئُ به، قال تعالى:

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (176) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (177)﴾

[سورة الصافات]

و قال تعالى:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(12)﴾

[سورة البروج]

أحيانا اللهُ عز وجل يرسلُ مرضيْنِ، أدويةُ المرض الأولِ تؤذي المرض الثاني، و أدوية المرض الثاني تؤذي الأولَ، فإذا أراد اللهُ أن ينتقم أو أن يبطش فشيءٌ لا يُحتمَل قال تعالى:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(12)﴾

[سورة البروج]

فأشقى إنسانٍ هو الذي يستعجل عذابَ الله، و لما يأتي العذابُ يصيحُ الإنسانُ كالبهائم من شدَّة الألم. علامةُ إيمانك خوفُك من الله، قال تعالى:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (175)﴾

[سورة الصافات]

سوف تفيد الاستقبال، فالعبرةُ بالمستقبل و العبرة بخِتام العمل و العبرةُ لمن يضحك آخرًا، و إذا أحبَّ اللهُ عبدا عسَّله، قيلا و ما عسَّله قال رزقه عملا صالحا ثم توفاه عليه، لذلك نهايةُ حياة المؤمن تلخيصٌ لحياته كلِّها، و نهايةُ حياة الكافر تلخيص لحياته كلِّها، فنسأل اللهَ حسنَ الخاتمةِ، و من شبَّ على شيء شابَ عليه، ومن شاب على شيء مات عليه ومن مات على شيء حُشِر عليه، و من لم تكن له بدايةٌ مُحرِقةٌ لم تكن له نهايةٌ مُشرِقةٌ، قال تعالى:

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (182)﴾

[سورة الصافات]

الصلاة و السلام على المرسلين و على أتباع المرسلين، إذا كان النبيُّ في سلام و أنت تتَّبِعه فأنت في سلامٍ، و معنى سلام؛ سلامٌ مع نفسك و سلامٌ مع من حولك و سلامٌ مع الله، و ليس أحلى من السلام، ليس هناك مشاكلُ و مصائبُ و قهرٌ و سحقٌ و خوف و قلقٌ، الله تعالى قال:

﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ(9)دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾

[سورة يونس]

و قال تعالى:

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(127)﴾

[سورة الانعام]

أنت آكلٌ و شاربٌ ومتزوِّجٌ ولكنْ ينقصُك أهمُّ شيءٍ العزَّةُ و الكرامةُ و تأكيدُ الذاتِ هذه لن تصل إليها إلا عن طريق خالق الكون، و لن تكون عزيزًا إلا إذا عرفتَ العزيزَ، و لن تكون رافعَ الرأس إلا إذا كنتَ مطيعًا لله تعالى، أما كلُّ معصيةٍ فوراءها الذُّلُّ، ألا يا رُبَّ مُكرِمٍ لنفسه على حسابِ طاعته لله وهو لها مُهينٌ، ألا يا رُبَّ مُهينٍ لنفسه وهو لها مُكرِمٌ، ألا يا رُبَّ نفسٍ طاعمةٍ ناعمة في الدنيا جائعةٍ عاريةٍ يوم القيامةِ ألا يا رُبَّ نفسٍ جائعة عاريةٍ في الدنيا طاعمةٍ ناعمة يوم القيامةِ ألا يا رُبَّ شهوةِ ساعةٍ أورثتْ حزنا طويلا " قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)﴾

[سورة الصافات]

فإذا لم ينتصر الجندُ فمعنى ذلك أنهم ليسوا جند اللهِ، استنباطٌ دقيقٌ، إذا كان هناك نصرٌ فهم جندُنا، و إذا لم ينتصروا فليسوا جندَنا، قال تعالى:

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)﴾

[سورة الصافات]

قال تعالى:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (175) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (176) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (177)﴾

[سورة الصافات]

الويلُ لهم، قال تعالى:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (175) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (176) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (177) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (179)

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (182)﴾

[سورة الصافات]

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : تفسير سورة ص

الدرس (1-5) : تفسير الآيات 21 - 25

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، في سورة ص قِصَّتان، وهاتان القِصَّتان تُصَوِّران حالَتَين قد تُصيبَا المؤمن، فالحالة الأولى هو طُغيان عَمَلِهِ الصالِح على إقْبالهِ، والحالة الثانيَة طُغيانُ إقْبالِهِ على العَمَل الصالِح، والحالة الكاملة أن يُوازِن بين اتِّصالِهِ بالله، وبين أعمالِهِ الصالحَة، فلو أنَّ الإنسان أمْضى وَقْتَهُ في ذِكْر الله، وعِبادَتِهِ، ولم يعْمَل عملاً صالحًا، فهذا لا يرْقى عند الله تعالى، ولو أنَّ إنسانًا أمضى وقْتَهُ كلَّهُ في الأعمال الصالحة، ولم يعتني بِعِبادَتِهِ وذِكْرِهِ، واتِّصالِه بالله عز وجل، فهذا كذلك لا يرْقى عند الله تعالى، ففي الحالة الأولى نَقصُ العَمَل الصالِح يُضْعِفُ إقْبالَهُ على الله، وفي الحالة الثانِيَة نقْصُ عِبادَتِهِ يَحْجُبُه عن الله تعالى.
القِصَّة الأولى في هذه السورة، قوله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21)﴾

[سورة ص]

أَرْسَلَ الله مَلَكَين إلى سيِّدنا داود، قال تعالى:"

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22)﴾

[سورة ص]

وبالمناسبة يقول الله عز وجل:

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (23)﴾

[سورة ص]

اسْتَنْبَطَ العلماء أنَّ الذي يَبْغي على شَريكِهِ، أو على زوْجَتِه، أو على جارِهِ، أو على زميلِهِ، أنَّه ليس مؤمنًا، فَمِن لوازِمِ الإيمان الأنصاف والآية دقيقة جدًّا، قال تعالى

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾

[سورة ص]

ورثَة أم زوْجة أو خِلَّة، أو مسافران في الطريق أحدهم يأخذ المحلّ المريح، والآخر يُبْقي له المحلّ غير المُريح، قال تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

قال تعالى:

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23)﴾

[سورة ص]

نعْجة وليس امرأة كما في الإسرائيليات، كلّ ما قيل في كُتب التَّفسير أخْذًا عن بني إسرائيل باطل لا أساس له، فهؤلاء يقولون عن هذا النبي الكريم كانت له تسْعٌ وتِسعون امرأة، وأحبَّ زوْجة قائِدِهِ فأرْسَلهُ إلى ساحات القِتال وقال: قدِّموه لِيأخذَ زوْجته مِن بعْدِهِ !! هذا ليس مِن أخلاق النبي، وهذه قِصَّة لا أصْل لها، وباطلة.

قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23)﴾

[سورة ص]

أي كانت له تسْعٌ وتسْعون نعْجة، وقد أخذ نعْجَتي، فالمفروض لِسَيّدنا داود أن يسْتَمِع للطَّرَف الآخر، فالطَّرف الآخر يقول: لي تسْعٌ وتسعون نعْجة أرْعاها، وأخي له نعْجة واحِدَة، فقلْتُ لأخي: أعْطِني هذه النَّعْجة لأرْعاها وأُريحك من رعْيِها ! فهو ما اسْتَمَع للطَّرف الثاني، قال تعالى:

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

[سورة ص]

ثمَّ بيَّن الله له أنَّ هذين ملَكَين جاءَا لِيَمْتَحِناكَ في الحُكْم، قال تعالى:

﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (23) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (24) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة ص]

أيُّ هَوى ؟ كان يُحِبُّك أن يأكل، أو يلْتقي مع امرأة، فما هو الذي نهاهُ عنه الله ؟ هواهُ لِرَبِّهِ، فهو ظلَّ مُعْتكفًا في مِحْرابِهِ يُصَلِّي وكان مُتَّصِلاً بالله، ويُناجي ربَّه، ومع ذلك حينما لم يحْكُم بين اثْنَين بالعَدْل عاتَبَهُ ربُّه عز

جل لأنَّ عَدْل ساعة خير مِن عِبادة ! فهواه كان في حبِّهِ لله، وإقْبالِهِ على الله، والاتِّصال به، أرأيْتُم إلى هذا الخُلق الرفيع الذي أمرهم به ؟ قال تعالى:

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة ص]

فالله تعالى لا يُرْضيهِ أن تُهْمِلَ عِبادَهُ، فهل يُعْقل مِن عالمٍ خرجَ نُزْهة مع إخوانِهِ، أن يظلَّ مُعْتَكِفًا يذْكر الله تعالى ويَدع إخوانَهُ ؟! عليه أن يُرْشِدَهم وأن يعتني بهم، لذا هناك شيء هو اتِّصال بالله، وآخر عمل صالح، فإذا غلَبَ اتِّصالُكَ بالله كسيِّدِنا داود على عَمَلِكَ الصالحَ تكون قد ترَكْتَ الأولى، عكْس سيِّدنا سليمان الذي أحبَّ فِعْل الخير عن ذِكْر الله عز وجل، فَغَلَبَ عليه العمل الصالح عن إتْقان عِبادَتِهِ، فهذان سُلوكان الأوْلَى أن يُوازِن بينهما الإنسان، الأوَّل يُمَثِّل غلبَة الاتِّصال بالله على الأعمال الصالِحَة، فهناك مَن يعتني بِقَلْبِهِ وأذكارِهِ والأوراد، ويُهمل خِدْمة الخلْق، وآخر مُهِمَّتُهُ خِدْمة الناس، صلواته غير مُتْقنة، وتلاوته للقرآن قليلة، فهذا ترك الأولى، لذا موضوع الدَّرْس اليوم هو: عليكَ أن تُوازِن بين الاتِّصال بالله عز وجل، والإحْسان إلى الخَلْق، ولا ينبغي أن يطْغى شيءٌ على حِساب شيءٍ آخر، وإنَّ لله عملاً بالليل لا يقْبلُهُ بالنَّهار، وإنَّ لله عملاً بالنَّهار لا يقْبلُهُ بالليل، جاءَ رسول مِن أذْربيجان ليلْتقي عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، فَوَصَل المدينة في منْتَصَف الليل فَكَرِهَ أن يُزْعِجَهُ في هذا الوقْت، فتَوَجَّه إلى المسْجِد، ولم تكن الإضاءة ! فإذا بِهِ يسْمَعُ من في المسْجِد يقول: ربِّي هل قَبِلْتَ توْبتي فأهنئ نفْسي، أم رَدَدْتها فَأُعَزِّيَها، فقال: من أنتَ يرْحَمُكَ الله ؟ فقال: عمر! فقال: ألا تنام الليل ؟! فقال: إن نِمْتُ الليل كلَّه أضَعْتُ نفسي أمام ربِّي، وإن نمْتُ نهاري أضَعتُ رَعِيَّتي !! فأنت في المَسْجِد حينما تدْخل تقول: اللَّهمّ افْتَح لي أبواب رحْمتِك ؛ ففي المسْجِد تحتاج إلى رحْمة، ولما تخْرج من المسْجد تقول: اللَّهم افْتح لي أبواب فضلِك فالآن تحتاج إلى عملٍ صالِحٍ ؛ تكْسب رزْقك بِشَرفٍ وإتْقان ومنْهَجِيَّة، فأنت بين رحْمة الله تعالى وفضْلِهِ، فرَحْمة الله في الاتِّصال به، وفضْلُهُ في الخَيرات التي يُجْريها على يديْه، وأنت بالمسْجِد افتح لي أبواب رحْمتِك وأنت خارجَ المسْجِد افْتَح لي أبواب فضْلِك، فسيِّدُنا داود آثرَ رحمة الله على فضْله، وسيِّدُنا سليمان آثر فضل الله على رحْمته، وكلاهما ترَكَ الأولى ونحن نقْتَدي بالنبي عليه الصلاة والسلام، ونسْتفيد من هذه القِصَّة بأن نُوازِن بين الاتِّصال بالله، وبين خدمة الخلق، فلا ينبغي أن تشْغَلَنا خِدْمة الخَلْق عن عِبادة الله عز وجل، وينبغي أن لا تشْغلَنا عبادة الله عن خِدْمة الخَلْق، ففي وقْت العمل رأى النبي عليه الصلاة والسلام شابًّا يقرأ القرآن فقال: مَن يُطْعِمُكَ ؟ فقال: أخي، فقال: أخوك أعْبَدُ مِنْك ! وإنَّ لله عملاً بالليل لا يقْبلُهُ بالنَّهار، وإنَّ لله عملاً بالنَّهار لا يقْبلُهُ بالليل وكان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فُرْسانًا بالنَّهار، رُهبانًا بالليل قال تعالى:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا(6)﴾

[سورة المزمل]

وقال تعالى:

﴿أَقِمْ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا(78)﴾

[سورة الإسراء]

وفي النَّهار، قال تعالى:

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا(80)﴾

[سورة الإسراء]

ومن صلَّى الفجْر في جماعة فهو في ذِمَّة الله حتَّى يمْسي..." ومن صلَّى الفجر والعشاء فكأنَّما قام الليل.." احْرِصوا على صلاة الفجْر في المسجِد، وعلى صلاة العِشاء في المسْجِد، فإن فعَلْتَ هذا فكأنَّما قُمْتَ الليل. طبيبة نِسائِيَّة تتولَّى الإشراف على توليد النِّساء، أخْبروها أنَّ لكِ وِلادة فصلَّت سنَّة العصر، والفرض، وجاءت بالأذكار، ولمَّا ذَهَبَت إلى المستشفى وجدَت المرأة قد ولَدَت، فتقاضَت أُجْرَتها !! فهذه آثرَت عبادتها على واجِبها، وأحيانًا تقوم امرأة وتقوم الليل، وتُصلِّي الفجْ ولمَّا تأتي الساعة الثامنة تكون نائِمَة فيَذْهب أولادها من دون طعام، ويلْبسوا ثيابهم لِوَحدهم !! فهذا الموضوع دقيق، فهناك نِساء يُهْمِلنَ حُقوق أزْواجِهِنّ، وحقوقهنّ، ويحْفظْن كِتاب الله كلِّه، كلّ هذا على حِساب الزَّوج والأولاد، وهناك نِساء لِشِدَّة خِدْمَتِها لأولادها وزوْجِها تنْسى أن تُصَلِّي ! فلا ينبغي أن تطْغى العبادة على العمل، ولا العمل على العِبادة ولا بدّ مِن الموازَنة بينهما. موضوع الدَّرس في الغد إن شاء الله، قوله تعالى:

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (31)﴾

[سورة ص]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : تفسير الآيات 30 - 35

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، تَحَدَّثت في الدرس الماضي البارحة عن حالتَين الأولى أن تغْلِبَ العِبادة عن العمل الصالح، والحالة الثانِيَة ؛ أن يغْلِبَ العَمَل الصالح عن العِبادة، والأكْمَل أن يُوازِن المؤمن بينهما، فلا تنْمو عِبادته على حِساب أعماله، ولا تنْمو أعمالهُ على حِساب عِبادَتِهِ، والنَّموذج الأوَّل سيِّدنا داود عليه وعلى نبيِّنا أفْضل الصلاة والسلام حينما تسوَّرا عليه ملكَان، وذَكَرا له قَضِيَّة فاسْتَمَع للأوَّل، فقال كما قال تعالى

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

[سوة ص]

ثمَّ شرَعَ أنَّه تسرَّع في الحُكْمِ وكان عليه أن يسْتَمِعَ للطَّرَف الآخر.

واليوم سيِّدُنا سلَيْمان، وعملهُ الصالِح، وحُبُّه للخَيْر غلَبَ على عِبادَتِهِ قال تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (29)﴾

[سورة ص]

أوَّاب على وَزْن فعَّال أي كثير الأوْب، فكُلَّما شَعَر بِحِجاب يخْرِق الحِجاب، ويعود إلى الله تعالى وكلَّما شَعَرَ أنَّه ارْتَكَب ذَنْبًا تاب مِن هذا الذَّنْب من توِّه، وعاد إلى الله والمؤمن الصادِق كثير الأوْبَةِ إلى الله وقد قال عليه الصلاة والسلام: إنِّي لأسْتغفر الله وأتوب إليه مائة مرة..." والمنافق يبْقى على حالٍ واحِدٍ أربعين عامًّا، والمؤمن يتقلَّب في اليوم بأربعينَ حالاً، حالة الرِّضى والخوف، والإشْفاق، والتَّمنِّي الاسْتِعْطاف، والاسْتِغفار، فَمِن شِدَّة حِرْصِهِ على طاعة الله، وعلى محبَّةِ الله تعالى يتنقَّل في اليوم الواحِد مِن حال إلى حال.

قال تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (29)﴾

[سورة ص]

كان يُدَرِّب الخَيل على الجِهاد عُرِضَت عليه الخَيْل الصافِنات، وهي مِن نوْع الخَيل، فالإنسان أحيانًا تكون له نظْرة ثابتَة، فالخَيل الأصيلة لها وَضْع يُسَمَّى أنَّها صافِنات قال تعالى:

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (31)﴾

[سورة ص]

الحِجاب الشَّمس ؛ أيْ فاتَتْهُ صلاة العَصْر، قال تعالى:

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (32)﴾

[سورة ص]

الخَيْل حينما تَجْهَد يأتي صاحِبُها الرَّحيم فيَمْسَحُ لها رقَبَتَها، وسوقَها وجاء في بعْض التَّفاسير، ولا سيَما الإسرائيليَّات أنَّه أراد أن يُكَفِّر ذَنْبهُ فقطَع رأسَها وسوقَها !! فهل يُتَقَرَّبُ إلى الله تعالى بِقَتْل حَيَوانٍ بريء ؟! كلامٌ غير مَعْقول !! قال تعالى:

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (32) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (33)﴾

[سورة ص]

كيف شَعَرَ أنَّهُ فُتِنَ ؟ قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (33)﴾

[سورة ص]

الكرسيُّ في القرآن الكريم هو العِلم، قال تعالى:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)﴾

[سورة ص]

وسِعَ كرْسِيُّه السماوات والأرض أيْ عِلْمُهُ، فالشيء لا يسْتَقِرّ إلا على أُسُسٍ عِلْمِيَّة، فلو كانت لك أرْضٌ مُخَلْخلة، وغير صلْبَة، وبنَيْتَ عليها بناءً خِلاف قواعِد العِلْم فهذا البناء ينْهار، وأيُّ شيءٍ يُبْنى على غير أُسُسٍ عِلْمِية ينْهار، فَشُبِّهَ العِلْم بالكُرْسِيّ لأنَّه يثْبت على أربعة أرْجُل لذا قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (33)﴾

[سورة ص]

قد ينسى المرءُ بعض العِلم بالمَعْصِيَة

شَكَوْتُ إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرْشَدَني إلى ترْك المعاصي

وأنبأني بأنَّ العلم نـــور ونور الله لا يُهْدى لِعاصي

لا تعْصِهِ في النهار يُوقِظْكَ في الليل، قال تعالى:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا(6)﴾

[سورة المزمل]

أما أن يأتِيَ بالخَيْل فيَقْطَعَ رؤوسها، ويقْطَعَ أرْجُلَها تقرُّبًا إلى الله عز وجل فما ذَنْبُها، وهذا كلام مرْفوض لا يقِفُ على قَدَمين، وردَنا من بني إسرائيل وقد أخطأ بعض المُفَسِّرين حينما وضَعوا في تفاسيرهم تفاسير عن بني إسرائيل ما أنزل الله بها مِن سلطان ؛ هذه رِواية ثانيَة والرِّوايَة الأولى أنَّ كان له تسع وتسعون امرأة وأحبَّ زوْجة قائِدِهِ، فدَفعَهُ إلى القِتال ليأخذ امرأته !! فهذه غير صحيحة، والصحيح أنَّ هذا النَّبي الكريم تقرَّب إلى الله بالتَّلَطُّف مع الخيل التي أجْهَدها ولكنْ غلبَهُ العَمَل الصالِحُ عن ذِكْر ربِّه.

تطبيق هذه القِصّة اليوم، قد تجد إنسان مِن مسْجِد لآخر، وتأمين المأوى لِطَلَبَةِ العِلم، هذا شيءٌ جميل جدًّا ، ولكنَّ عِباداتِهِ وسَط، وأخلاقه وسَط قال تعالى:

((أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ))

[سورة التوبة]

ممكن أن تقول: هذا المسْجِد أنا أتولَّى بِناءهُ، وقد يكون معكَ ألْف مليون غضّ البصر أصْعَب مِن هذه، فهذه المبالِغ التي تدْفعها أنت أهْوَنُ عليك مِن غضّ البصَر، قال تعالى

((أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ))

[سورة التوبة]

فقد تَجِد أحيانًا من هو غارق في خِدْمة الخلْق، ولكن كلُّها توقيعات، واجْتِماعات، إلا أنّك إذا دَخَلْتَ بيْتَهُ لن تَجِد من الاسْتِقامة شيئًا، نقول له هذه الآية ؛ قال تعالى:

((أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ))

[سورة التوبة]

المسْجِد الحرام وُسِّع بثلاثمائة وثمانين مليار !! مكتوب بِلَوْحة، فالعبرة أن يُطَبِّق الإنسان منْهَج الله عز وجل، أنا لا أُقَلِّلُ مِن قيمة هذه الأعمال ولكنَّ هذه الأعمال لا تكون كامِلةً إلا إذا كان أصْحابُها ملْتَزِمين منْهَجَ الله عز وجل ؛ فهذه أعمال عظيمة جدًّا، فالذين يبْنون المساجِدَ ويَعْتنون بها ويُؤَسِّسون المساجِد، مِن ماء وإضاءة وتكْييف، فهؤلاء لهم فضْل كبير أما أن يتوهَّموا أنَّهم إن فعلوا هذه الأشياء المادِيَّة، فهم في حِلٍّ في تَطبيق منْهَجِ ربِّهم ! هذا هو الذي أريد أن لا يفْهمه الناس، قال تعالى

((أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ))

[سورة التوبة]

لذلك الله عز وجل لن يُعْطِيَكَ الجنَّة إلا إذا بذَلْتَ مِن أجْلِها ما تُحِبّ، فإذا ضَبطْت شَهواتِكَ، وعلاقاتِكَ، وأدَّيْتَ صلواتِكَ وطَلَبْتَ العِلْم، فالآن إن عمَّرْتَ مسْجِدًا أو عمَّرْتَهُ، فهذا تاجٌ يوضَعُ على رأسِك، أما التاج يحتاج للرأس ! أعرفُ ناسًا يدْفعون خمسمائة ألف ليرة وأولاد إخْوتِهم يموتون جوعًا !! لأنَّ هناك لا توجَد لوْحة، أما هنا في المسْجِدِ توجَد لَوْحة، فلذلك اللَّهُمَّ اجْعَل أعمالنا كلَّها خالصةً لِوَجْهِكَ الكريم، وكلّ واحِدٍ مِنَّا إذا غلبَتْ عِبادته عن عمله الصالح يكون ترَكَ الصالِحَ، واخْتلَّ توازنَهُ، وإذا غلبَ عملهُ الصالِح على عِبادَتِه يكون ترَكَ الصالِحَ واخْتلَّ توازنَهُ، ولا بدّ أن نجْمع بين الشَّيْئين.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (33)﴾

[سورة ص]

ما معنى فتنَّا ؟ الفتنة ليس معناها فسَدَ ولكن معناها كشْف الحقيقة، فأنت تقول: هذا ذَهَب، آخر يقول: لا هذا معْدن مَطْليٌّ ذهبًا، والدليل أنَّه تصدَّد، فالله تعالى مُتَكَفِّل أن يُحَجِّمَ كلّ إنسانٍ، وأن يُعْطِيَهُ حجْمَهُ الحقيقيّ، ويضَعُ له مشْكلة من خِلال تصرُّف يُكْشَف أمْره، لذا الموضوع دقيق جدًّا، لا تقل: يا أُمّي أنا إن تزوَّجْت لن أعْصي لَكِ أمْرًا، ثمّ تجدُهُ بعد الزَّوَاج يقول لأمّه: كلّ البلاء مِنك !! قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة العنكبوت]

وهذا يقول لك: أنا لا آكل ولا قِرْش حرام، لو عرضوا عليك ألف ليرة لا تأخذها، أما لو عرضوا عليك مليون ليرة تدْرسُ الموضوع، وتقول: لي أولاد ! وكذا الطبيب الشَّرْعي أحيانًا يُفْتتن بملايين مِن أجْل أن يشْهد أنَّ هذا الموت طبيعي وليس بالسَّم !! أين قسَمُكَ عند التَّخَرُّج: أقْسِم بالله أن أكون مُخْلصًا لِمِهْنَتي، قال تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(2)﴾

[سورة العنكبوت]

سُئِل الإمام الشافعي: أنَدْعو الله بالابْتِلاء أم بالتَّمكين ؟ فقا ل: لن تُمَكَّن قبل أن تُبتَلَى قال تعالى:

﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(124)﴾

[سورة البقرة]

ما جعَلَه إمامًا إلا بعدما ابْتَلاهُ ونَجَح في الامْتِحان، فالإنسان يفْضح المُتَسَتِّر الذي يدَّعي أنَّه صالِح. مُلَخَّص الدَّرس كالتالي ؛ أنت مَعَك كلغ مِن معْدن، وبِذَكاءٍ بارعِ أوْهَمْتَ الناس أنَّه ذَهَب ! مَن الخاسِر ؟ أنت الخاسِر، أو كان معَكَ كلغ ذَهَب حقيقيّ، والناس يقولون: فلان معه كلغ تنَك ! من الرابح ؟ أنت فنَظْرة الناس إليك لا تُقَدِّم ولا تؤخِّر، فمَن عرف نفْسَهُ ما ضرَّتْهُ مقالة الناس به .

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (33) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (34)﴾

[سورة ص]

فالله عز وجل آتاهُ الله المُلْك ولكنَّ هذا النبي ما طلبَ المُلْك للمُلْكِ وإنَّما لِيَكون وسيلةً لِتَعريف الناس بالله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : تفسير الآيات 45 - 47

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، آيات سورة ص مُتَنَوِّعة جدًّا، فَمِن هذه الآيات قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (44) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (45) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (46) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (47)﴾

[سورة ص]

الأنبياء لهم مُهِمَّة كبيرة في الحياة الدنيا، والمهمَّة الصغيرة أن يُبلِّغوا أما المُهِمَّة الكبيرة أن يكونوا قُدْوةً لأتْباعِهِم، فأنت لن تُصَدِّق الحق إلا إذا رأيْتَهُ مُطَبَّقًا في إنسان فالإنسان المسْلم المُتَحَرِّك أمامك، والذي يتكلَّم ويعْمَل، ويُعْطي ويمْنَع ويصِل ويقْطَع، ويرْضى ويغْضَب ؛ كلّ هذا وِفْق منْهَج الله تعالى، فهذا المسْلِم المُتَحَرِّك أقْوى مِن الأفكار النَّظَرِيَّة لذا قالوا: القَول قرآنٌ صامِت، والقرآن كَوْنٌ ناطِق، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآنًا مُتَحَرِّك، فهذه السيِّدة عائشة تصف النبي عليه الصلاة والسلام: كأنَّه قرآن يمشي فوق الأرض...." مائة ألف مُصْلح اجْتِماعي، ومائة كاتِب وألف خطيب، لا يُساوي هؤلاء جميعًا حركة النبي، لأنَّ النبي الكريم لا يُمْكن أن تَجِد مسافةً بين أقوالِهِ وأفعاله، هو القُدْوَة، وقد ذَكَرْتُ البارحة أنَّ معرفة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام فرْضُ عَينٍ لأنَّ الله جعلهُ أُسْوَةً لنا، وهنا قال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (44)﴾

[سورة ص]

لو أنَّ الله عز وجل أنْزَل الكُتُب من دون أنبياء ؛ أفكار نَظَرِيَّة لا قيمة لها، أما الناس يَرَون رأْيَ العَيْن يُنْكِر ذاته من أجل الآخرين، ويشْقى مِن أجل أن يسعَدوا، ويفْتَقِرُ مِن أجل أن يغْنَوا، هذا الإنسان الذي طبَّق الدِّين مائة بالمائة هو الذي يشُدُّنا إلى الدِّين، ونحن الآن لو أردْنا أن نُطَبِّق هذه القاعدة، لا يوقظنا كتاب عميق، ولا شريط، يوقِظُنا إنسانًا مُطَبِّقًا للأحكام الشَّرْعِيَّة مائة بالمائة، قال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (44)﴾

[سورة ص]

فأنت قد تُحِبُّ المُحْسِن ولا تحْتقِر فِكْرَهُ، وأحيانًا تُقَدِّر فِكْرًا عميقًا ولا ترى صاحِبَهُ مُطَبِّقًا لِما يقول: فأنت في شَكٍّ، وأحيانًا ترى إنسانًا تقول: ليْتَ عِلْمَهُ كأخلاقِه ! له خرافات وشَطَحات، ترى أحدهم مُتَفَوِّقًا في العِلم أما إذا عامَلْتَهُ بالدِّرْهم والدِّينار يُخَيِّبُ عِلْمكَ، أما الأنبياء فالله عز وجل كمَّلَهم مِن كلّ جوانِب شَخْصِيتهم،

والحقيقة أنَّه لا ينْصر هذا الدِّين إلا من أحاطَهُ من كلِّ جوانِبِه، فإذا تفوَّقت في العِلم وقصَّرْتَ في العمل تسْقط، وكذا العكس، فأيُّ شيءٍ تُقصِّر فيه يجعلك تسْقط منه.

أيها الإخوة الكرام ؛ ثلاثة خُطوط ؛ خطّ العِلْم، وخطُّ العمل، وخطُّ العِبادة، فإن لم تتحرَّك على هذه الخُطوط مُجْتَمِعةً فلن تتفوَّق، وإن تحرَّكْت على خطٍّ واحِدٍ تكون مُتَطَرِّفًا، فالغُلُوّ في الدِّين أن تأخذ فرْعًا في الدِّين وتُضَخِّمَهُ، أو أن تأخذَ كُلِيَّةً مِن كليَّات الدِّين وتَجْعَلها الدِّين كلَّه أما حينما تتحرَّك وِفْق منْهجٍ عِلمي، ووفْق منهجٍ في الذِّكْر والعبادة والعمل فأنت الآن تتفوَّق، ولا ينْصر هذا الدِّين إلا من أحاطَهُ مِن كلّ جوانِبِه، ونريد أن نكون مسلمين كما كان أصْحاب النبي عليه الصلاة والسلام، كانوا رُهبانًا في الليل فرْسانًا في النَّهار، وبِقَدْر تألُّقِهِم العِلمي بِقَدْر صفائِهِم النَّفسي، فالمنْهج إذًا وسَطي، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

[سورة البقرة]

أما التَّطَرُّف أن ينْمو جانِبٌ على حِسابِ جانبٍ، نحن الآن بِحاجة أن نتحرَّك وِفق كليَّة عِلْمِيَّة، وكليَّة سُلوكيَّة، وكليَّة جمالِيَّة على قدم المساواة مِن أجل أن نتفوَّق، وإلا نقَعُ في التَّطَرُّف، قال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (44)﴾

[سورة ص]

ما اتَّخَذ الله وليًّا جاهِلاً، ولو اتَّخذَهُ لعلَّمَهُ، فيَجِبُ أن تعلم، ويجب أن تعْمَل، ويجب أن تتَّصِل بالله تعالى فأنت تتَّصِل بالله مِن أجل أن تسْعَد وأن تعمل مِن أجل أن ترْقى ؛ ففي المجتمعات المادِيَّة هناك مقاييس كبيرة لِتَقييم الناس فَمِقياس الناس مِقياس مُهِمّ جدًّا، ومِقياس السُّلطان والقوَّة، ومِقياس الذَّكاء والفصاحة والوَسامة والنَّسب ؛ هذه كلُّها لم يعبأ الله بها، ولم يذْكرها، إنَّما اعْتَمَدَ مِقياسَين فقط ؛ العِلْم، قال تعالى:

﴿ يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

[سورة المجادلة]

وقال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ(9)﴾

[سورة الزمر]

هناك قيمة ترقى بها عند الله، أما بالمال ترقى بِهِ عند الناس، وكذا الذَّكاء والسُّلطان، والوَسامة، والنَّسَب، فالقيمة التي اعْتَمَدها الله تعالى في كتابِهِ للتَّفاضل بين خلْقِهِ هِيَ العِلْم، قال تعالى :

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا(114)﴾

[سورة طه]

والقيمة الثانية العمل، قال تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا(114)﴾

[سورة الأنعام]

حجْمُكَ عند الله بِحَجْم عملك الصالِح، وكلَّمات ازْدَدْت عملاً صالحًا ازْدَدْت رُقِيًّا عند الله عز وجل، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: ابْتغوا الرِّفْعَة عند الله..." فأنت بالمال والذَّكاء والوَسامة ترْقى عند الناس، أما الرِّفْعة عند الله بالعِلم أوّلاً، وبالعَمَل ثانِيًا، وما مِن قيمتين اعْتَمَدهُما القرآن الكريم كَقيمتين مُرجِّحَتين للتَّفاضل بين خلْقِهِ إلا قيمتا العِلم والعمل، لذا إذا أردْتَ أن ترْقى فعَلَيكم بالعَمَل، وإذا أردْتَ الدُّنيا فعليك بالعِلم وإذا أردت الآخرة فعليك بالعِلم، والعِلم لا يُعطيك بعضه إلا إذا أعْطَيتَهُ كُلَّك، فإذا أعْطَيتَهُ بعضَك لم يُعْطِكَ شيئًا، ويظلّ المرء عالمًا ما طلب العِلْم، فإذا ظنّ أنَّه قد علِمَ فقد جَهِل، ولا يوجد كلمة تجْرح كَكَلِمَة: أنا عالم ! كلمة فيها تطاوُل، وكِبْر، قلْ أنا طالب عِلم، وربُّنا عز وجل قال

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(85)﴾

[سورة إبراهيم]

والله تعالى قال:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(282)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(11)﴾

(سورة التغابن)

إذًا سيِّدُنا إبراهيم وإسحاق ويَعْقوب أولي الأيْد والأبصار، لهم أعمال صالحة كالجِبال، ولهم عِلمٌ متين، وعميق؛ وهذا هو المِقياس، فإذا أردْنا أن نسْعَد أو أن نرْقى علينا أن نرقى عند الله بِطَلب العِلم الشَّرعي والعمل به.

نحن عندنا عِلم بِخَلق الله، وعلم بأمر الله، وعِلْمٌ بالله، فالعِلم بِخَلقهِ كالفيزياء والكيمياء والتاريخ والجغرافيا، والفلسفة ولغات، والعلم بأمر الله كالفقه الشرعي، وأحكام الزواج والميراث، والعلم بِخَلقِهِ والعِلم بأمرِهِ يحْتاجان إلى مُدارَسَة، أما العِلمُ به فهذا شيءٌ آخر، فهذا لا يحتاج إلى مُدارَسَة بل إلى مُجاهَدَة ! قال الإمام الغزالي: جاهِد تُشاهِد، وحيثُ ما ورَدَ العِلم في القرآن الكريم فالمَقْصود به العِلْم بالله، وثَمَنُهُ المُجاهَدة لذلك أيُّ عِلم مِن هنْدسةٍ وجِراحة قلبٍ أو فلكٍ، وأيُّ عِلم أرضي ليس شرْطًا أن يكون صاحِبُهُ مُنْضَبِطًا سُلوكِيًّا، إلا عِلْم الدِّين فلا يمْكِن أن تكون عالمًا بالدِّين، وبِذات الله إلا إذا كنت مُلْتَزِمًا أمرهُ ونَهْيَهُ.

كلمة أولي الأيدي والأبصار ؛ عَمَل صالحٌ وعِلم عنه تعالى، قال تعالى

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (45)﴾

[سورة ص]

سبب إخلاصهم وتفوُّقهم وأعمالهم الصالحة أنَّهم دائِمًا تذكَّروا الدار الآخرة، فهؤلاء لهم خاصَّة هي ذِكْرى الدار، فهي لا تُغادِر مُخَيّلتهم ! ونحن علينا أن نُحاسب أنفسنا وأن نعدّ لهذا اليوم، وأن لا يُغدِر اهْتِمامنا ولو لحظة ؛ فالآخرة لا بدّ أن تدخل في حِساباتِك اليوْميَّة، أما نحن حركاتنا وسكناتنا الآخرة بعيدة عن نصب أعيُنِنَا، ولن ننْجو إلا إذا كانت الآخرة نُصب أعْيُنِنَا، فقبل أن أُطَلِّق ؛ هل هيَّأتُ إلى الله تعالى جواب ؟! وقبل أن أمْدَح ؛ هل هيَّأتُ إلى الله تعالى جواب ؟ لذلك قال تعالى

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (45)﴾

[سورة ص]

تذَكُّر الدار الآخرة سبب تَفَوُّقهم.

قال تعالى:

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (24)﴾

[سورة ص]

قبل عشرين سنة فيما أذْكر كان الأوائِل بالشَّهادات يُكَرِّموهم تكريمًا فقلتُ هؤلاء الطُّلاب لمَّا درسوا ولم يناموا الليل، وأهْمَلوا كلّ أُمورهم الخاصَّة حتَّى تفوَّقوا الآن أدَّوا الذي عليهم، ولم يبْق إلا الذي لهم، فإذا الإنسان أمْضى حياته في الطاعة وفي خِدْمة الخلق، وفي طلب العِلم فهذا أدَّى الذي عليه، فإذا جاءه ملك الموت بقي له التَّكريم إن شاء الله تعالى، فالدُّنيا دار تَكليف والآخرة دار تشْريف، والدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء، والدنيا دار همّ وحزن، والآخرة دار نعيم، وهنيئًا لِمَن يعْمل للآخرة، والويل لِمن يعمل للدنيا، فأهل الدنيا إذا

توقَّفت دقَّات قلوبهم انتهى كل شيء معهم فهذا بائِع خمْر حجَّ، ولما رجع أغلق محلَّه فخفَّت الزبائن، فإذا به يرجع إلى ما كان عليه، وبعد اثني عشرة يومًا وافتْهُ المنِيَّة !! فدرسنا اليوم قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (44) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (45) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (46) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (47)﴾

[سورة ص]

تذكُّرهم للدار الآخرة سِرُّ تفوُّقِهم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-5) : تفسير الآيات 67 - 88

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، في أواخر سورة ص آيات دقيقة جدًّا، من هذه الآيات الآية السابعة والسِّتون:

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (66) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (67)﴾

[سورة ص]

سأطْرَحُ عليكم بعض الأمثلة عن النَّبأ العظيم ؛ إنسانٌ أمْضى حياتهُ كُلَّها في بيتٍ مُستأْجَرٍ تحت الأرض، واقْتَطَعَ مِن دخْلِهِ مبالِغَ جمَّعَها من عشرين سنة لِيَشْتري بيتًا مُريحًا، وبعد أن اشْترى البيت واسْتَقَرَّ فيه، جاءَهُ إنذار بإخلائِهِ لأنَّ في أساساتِهِ ضَعْف !! ألَيْسَ هذا نبأٌ عظيم ؟! وإنسانٌ باعَ كلَّ ما يملك بعملةٍ صعبةٍ ثمَّ اكتشفَ إنها مُزوَّرةٌ، أليس هذا نبأٌ عظيمٌ؟ و إنسانٌ أجرى تحليلا فتبيَّن له ورمٌ خبيثٌ أليس هذا نبأٌ عظيمٌ ؟ أنباءُ الدنيا مزعجةٌ لا ينام الليلَ صاحبُها، و كلُّ مشكلةٍ تنتهي عند الموتِ، و الموتُ ينهي غنى الغنِيِّ و فقرَ الفقيرِ و قوةَ القويِّ و ضعفَ الضعيفِ و صحةَ الصحيح و مرضَ المريضِ ووسامةَ الوسيم و دمامةَ الدميمِ، الموتُ ينهي كلَّ شيءٍ، أما الحياةُ الأبديةُ فإلى ما شاءَ اللهُ، لذلك لما الإنسانُ يكونُ غافلا عن الآخرةِ يكون مجرما في حقِّ نفسه، قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (66)﴾

[سورة ص]

أحيانا الإنسانُ يكون قد عقد القرانَ و يحضر عالما ليلقيَ له كلمةً، و كأن العالم وردةٌ في صدره، يودُّ لو يلقِي كلمةً، أو يضع كتابا في بيته، فقضية الدين قضيةٌ ثانويةٌ جدًّا، أساسياتُ حياته كسبُ المالِ و إنفاقه و طعامه و شرابه، أما قضيةُ الدين يتزيَّن بها، شيءٌ من متاعِ الحياةِ أن يكون للإنسانِ مجلسُ علم يتعلَّم فيه، القضية اخطرُ من ذلك، أخطرُ بكثير، أخطر من وردةٍ تضعها على صدرِك، أخطر من إنسانٍ تفتخرُ انه حضر إلى عقد قرانك و ألقى كلمةً، القضيةُ مصيرٌ، قضيةُ سعادةٍ أبديةٍ أو شقاءٍ أبدي، قضيةُ، قال تعالى: إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ

﴿رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا(74)﴾

[سورة طه]

قال تعالى:

﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ(77)﴾

[سورة الزخرف]

و قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي(25)وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي(26)يَالَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ(27)مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي(28)هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي(29)خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(30)ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ(31)ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ(32)﴾

[سورة الحاقة]

هذه هي القضيةُ، قضية شقاءٍ إلى أبد الآبدين قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا(56)﴾

[سورة النساء]

و قال تعالى:

﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا(29)﴾

[سورة الكهف]

و قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ(1)وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(2)عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ(3)تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً()تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ(5)لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ(6)لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ(7)﴾

[سورة الغاشية]

فقضية الدين ليست قضيةَ تزيُّنٍ و استكمال المُتَعِ، كلُّ متاع الدنيا في حوزته تنقصه متعةُ الدين، و الدينُ في وادٍ وهو في وادٍ، إلا أنه يتزيَّن بالدينِ، يكمِّل متعته بالدين، و الأمرُ أخطرُ من ذلك، قال تعالى:

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ(59)وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ(60)وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ(61)﴾

[سورة النجم]

لاهون، قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (66)﴾

[سورة ص]

أحيانا الإنسانُ يتلقَّى نبأَ احتراقِ محلِّهِ التجاري ! يمكن أن تصيبَه جلطةٌ يموت منها، هناك أنباءٌ أخطرُ من هذه بألوف المرَّاتِ، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ(15)﴾

[سورة الزمر]

الواحدُ قد يخسر مالَه، و يعوِّضه، يخسر ابناً ينجب ولدًا ثانيا، يخسر زوجةً فيتزوج غيرَها و ينساها، فكلُّ شيءٍ يعوَّض في الدنيا، أما حين يخسرُ الإنسانُ نفسَه يومَ القيامةِ، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ(15)﴾

[سورة الزمر]

فلذلك الغِنى و الفقر بعد العرض على الله و النجاحُ الحقيقي كما قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(185)﴾

[سورة آل عمران]

الذي خلق الكونَ يقول لك يا عبدي فوزُك الحقيقي حينما تنجو من عذاب النارِ، قال تعالى كُلُّ

﴿نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(185)﴾

[سورة آل عمران]

ما معنى زحزح ؟ كلما كان الشيءُ ثقيلا احتاج إلى زحزحةٍ، و فعلُ زحزح يُسَمَّى ثُنائيًا مُضعَّفًا، يفيد التكرارَ، و معنى ذلك أن الشيءَ ثقيلٌ جدًّا تزحزحه، و يبدو أن الإنسانَ متعلِّقٌ بالدنيا تعلُّقا شديدا، و من أجل أن يُزَحْزَحَ عنها يحتاج إلى جهدٍ كبير قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(185)﴾

[سورة آل عمران]

و قال تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِي(19)إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي(20)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(21)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(22)قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(23)كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ(24)﴾

[سورة الحاقة]

ربُّنا عز وجل في القرآن الكريم يصوِّر لنا مشاهدَ يوم القيامة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(15)آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ(16)﴾

[سورة الذاريات]

أحياناً تحضر حفلاً يضعونك في أبهى مكانٍ تُقدَّم لك الضيافات و يُرحَّب بك و يُعظَّم قدرُك..قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(15)آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾

[سورة الذاريات]

لماذا ؟ قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ(16)كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(17)وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(18)وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(19) ﴾

[سورة الذاريات]

أيها الإخوة الكرامُ، قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (66) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (67)﴾

[سورة ص]

قضيةُ الدين ليست قضيةَ استكمال المُتعة، و لا قضية وردةٍ حمراءَ يضعها على الصدورِ و لا قضية استكمال ثقافةٍ، أحيان الإنسانُ في المجالسِ العامةِ يحبُّ أن يتكلَّم في الدين في وجاهةٍ، يأتي بآيةٍ قرآنيةٍ و حديث شريف، ليس هذا هو الدينُ، الدينُ انضباطٌ و أن نرى الدينَ في بيتك و في عملك و في حديثك، قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (66) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (67)﴾

[سورة ص]

ثم قال تعالى:

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (68) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (69)﴾

[سورة ص]

قِصَّة الإنسان قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ (70)﴾

[سورة ص]

فالله تعالى خلق ملائكةً لهم عقول فقط، وهم مع الله دائِمًا، ويُسَبِّحون الليل لا يسْأمون، وخلق حيوانات وأوْدَع فيها الشَّهوات، فحياتها شَهوتها ولكنَّها ليْسَت مُكَلَّفة ولا مُحاسبَة، إلا أنَّ الله عز وجل خلق إنسانًا فيه عنْصرٌ أرضي، وعُنصر ملائِكِي، قال تعالى:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (71)﴾

[سورة ص]

لا بدّ أن نعرف مَن نحن ؟ قال تعالى: إذ قال ربك للملائكة إنّي خالق بشرًا...ساجدين " لأنَّ الملَك رُكِّب مِن عقْل دون شَهْوَة، ورُكِّب الحيوان مِن شهوة دون عقل، ورُكِّب الإنسان من كِلَيْهما، فإن سما عقْلُهُ عن شَهْوَتِهِ أصْبَحَ فوق الملائكة، وإن سَمَت شهوته على عقلِهِ أصْبَحَ دون الحيوان.

قال تعالى:

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30)﴾

[سورة ص]

إبليس ليس ملكًا ؛ لأنّ الله تعالى يقول: كان مِن الجِنّ ففسَق عن أمْر ربِّه.." إلا أنّ هذه الاسْتِثناء اسْمُهُ باللُّغة اسْتِثناء منْقطِع، فلو قلتَ دَخَل الطلاب إلا خالدًا، فخالد طالب، أما دخل الطلاب إلا المُدَرِّس فالمُدَرِّس ليس طالب، وكذا إبليس ليس من الملائكة، اسْتَكبر وكان من الكافرين، ما هو الكفْر ؟ أن تسْتكبر أن تَخْضع لأمْر الله تعالى، أحدهم سأل النبي عليه الصلاة والسلام فقال: الواحد يحبّ أن تكون ثِيابُهُ حسَنَة ونَعْلهُ حسنًا، فهل هذا من الكِبْر ؟ قال: لا، إن الله جميل يحب الجمال..." أن تردَّ الحق هو الكِبْر، وأن تردّ أمْر الله هو الكِبْر، وأن تقول: القرآن ليس لِهذا الزَّمَن والقرآن لا يصْلحُ لِهذا الزَّمَن، وهذا عصْر عِلمٍ، وعصْر تقدُّم، فأنت حينما تردُّ على الله أمْرَهُ فهذا هو الكُفْر، قال تعالى:

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (73)﴾

[سورة ص]

و قال تعالى:

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (75)﴾

[سورة ص]

كلمة أنا مهْلكَة، وكذا نحن ولي وعندي، فهذه أربعُ كَلماتٍ مُهْلِكات، قال تعالى:

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (76) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (77) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (78)﴾

[سورة ص]

فإبليس منذ أن خلقهُ الله وسيَبْقى إلى يوْم القِيامة، ثمَّ قال تعالى

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (78) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (79) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (80) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (81) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (82)﴾

[سورة ص]

هل إبليس مؤمن أم كافر ؟ مؤمن بِوُجود الله ومؤمن بِعِزَّة الله، طيّب الآن لو قال لك أحدهم: أنا أومن بالله، أو، أنَّه عزيز ولكن لا أُطيعهُ ! فهذا الإنسان اسْمُهُ إيمان إبْليسي ! قال تعالى:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (81) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (82)﴾

[سورة ص]

فالمخلص لا يقربه الشَّيْطان، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(1)مَلِكِ النَّاسِ(2)إِلَهِ النَّاسِ(3)مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(4)الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5)مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(6)﴾

[سورة الناس]

لماذا سُمِّيَ خنَّاسًا ؟ لأنَّهُ لِمُجَرَّد أن تسْتعيذ بالله يخْنُس.

قال تعالى:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ(42)﴾

[سورة الحجر]

كنْ مُتَّبِعًا لله، قال تعالى

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (83) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (84) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (85)﴾

[سورة ص]

هل يوجد شيء من دون أجْر ؟ إلا الدَّعْوة إلى الله، قال تعالى:

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (85)﴾

[سورة ص]

لا يوجد تصنُّع أو مؤقف ديبلوماسي، أو أن تُعَبِّر عن أسْوأ النوايا بأحلى الألفاظ ! قال تعالى:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (85)﴾

[سورة ص]

من هذه تفيد اسْتِغراق ألفاظ النَّوع.

قال تعالى:

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (87)﴾

[سورة ص]

إذا لم تعتبروه عظيمًا، سوف تنتقلون من نبأ عظيم إلى واقِعٍ خطي فلو ركب الإنسان مرْكبة من دون مكابِح، ووجد نفْسه في نزْلةٍ، فهذا نبأ عظيم، فالذَّكي لا يصل إلى الواقِع المؤلم، فهذا الحيوان يخاف بِعَينِ أما الإنسان فيخاف بِعَقلِه، فإذا عاش الإنسان وقْته، وما فكَّر بِعَقلهِ حتَّى يواجه الخَطَر ؛ يكون كالحيوان، قال تعالى:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا(44)﴾

[سورة الفرقان]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : تفسير الآيات 67 - 88

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الحقيقةُ أن الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريفِ عليه الصلاة و السلام لا ينبغي أن يكون في شهر ربيعِ الأولِ و الثاني فحسبُ بل في كلِّ شهورِ العامِ، لا في عامٍ واحدٍ، بل في كلِّ أعوامِ الحياةِ لأن النبيَّ عبيه الصلاة و السلام أخطرُ إنسانٍ في حياتنا، وهو وحدَه الذي عصمَه اللهُ عن أن يخطِئَ في أقوالِه و في أفعالِه و في إقرارِه و في أحوالِه، هو وحدَه الذي ينبغي أن نأخذ عنه، وهو وحده الذي ينبغي أن نقتدي به، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21)﴾

[سورة الأحزاب]

ذاقَ الفقرَ، و لو أن النبيَّ عليه الصلاة و السلام كان غنِيًّا و نصحَ الفقراءَ لما صدَّقوه، و لكنه ذاق الفقرَ، كان إذا دخل بيتَه يسأل هل عندكم شيءٌ ؟ فتقول زوجاتُه: لا فيقول: إني صائمٌ ! وذاق الغِنَى، فسأله رجل لِمَن هذا الوادي مِن الغَنَم ؟ فقال: هو لك ! فقال: أتَهْزأُ بي ؟! فقال عليه الصلاة والسلام: لا، بل هو لك ! فقال: أشْهَد أنَّك رسول الله تُعْطي عَطَاء مَن لا يخْشى الفقْر.

فهو عليه الصلاة والسلام ذاق الفقْر فانْتصر على نفْسِهِ، وذاق الغِنَى فانْتصَر على نفْسِهِ، ذهب إلى الطائِف فكذَّبوه وسَخِروا منه، وأغْرَوا سُفهاءهم أن يضْربوه، فجاءَهُ جبريل وقال: يا محمَّد لو شئْت لأطْبقتُ عليهم الجَبَلين ! فقال: لا، يا أخي، اللَّهم اهْدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون ولعلّ الله يخْرج من أصلابِهم مَن يُوَحِّدُه ! ذاق القهْر، ثمَّ جاءَتْهُ القوَّة لِيَبْطِش بِمَن قهَرَهُ، لو ذاق القهْر فقط، ولم يأتِهِ جبريل لما كان امْتِحانًا كذَّبوه وسَخِروا منه، وأغرَوا سُفهاءَهم أن يضْربوه، وبعد هذا جاءهُ جبريل، فقال: اللَّهم اهْدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون ولعلّ الله يخْرج من أصلابِهم مَن يُوَحِّدُه !! فهو عليه الصلاة والسلام ما أراد أن ينْتَصِر.

وذاق النَّصْر عليه الصلاة والسلام، فقد دخَلَ مكَّة فاتِحًا، وما مِن قائِدٍ يفْتَحُ بلْدَةً إلا ويأخُذُهُ الزُّهوّ، والكِبْر، والغطْرسَة، حنا رأسَهُ تواضُعًا لله عز وجل، حتَّى كادَت عِمامَتُهُ تُلامِسُ عُنق بعيرِهِ، وكان معه عشرة آلاف سيْفٍ ينتَظِرون كلمةً منه، وكان بإمكانه أن يُلْغِيَ وُجودَ هؤلاء الذين نكَّلوا به، و أتمروا على قتْلِهِ، قرابة عشرين عامًا، وأخرجوه مِن بلْدَتِهِ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: ما تَظُنُّون أنِّي فاعِل بكم ؟ فقال: أخ كريم وابن أخٍ كريم، فقال: اذْهَبوا فأنتم الطُّلَقاء !

وذاق موت الولَد، فبَكى، وقال: إنَّ العَين لتَدْمَع وإنَّ القلب ليَحْزن ولا نقول إلا ما يُرْضي الربّ، وإنَّ على فِراقِكَ يا إبراهيم لَمَحزونون.

أصحابُهُ الكِرام لِحِكْمة أرادها الله، كُسِفَت الشَّمس لِوَقتٍ مُقارب لِمَوت ابنِهِ إبراهيم، فقال الصحابة الكرام: إنَّما كُسَفَت الشَّمس من أجل إبراهيم – هذه مَقولة لِصالحِ النبي، ولأنَّه أمين على وحْي السَّماء – فجَمَع عليه الصلاة والسلام أصْحابه وقال: إنَّ الشَّمس والقمر آيتان فلا ينبغي أن تنْكَسِفا لِواحِدٍ مِن خلْقِهِ ! هذه هي الأمانة العِلْمِيَّة على التَّعبير العصْري– والنبي رفضَ أيَّ تعْظيم لا أصل له، وأيَّ تعْظيمٍ خُرافيّ، وليس عِلْمِيّ ومَن مِنَّا يحْتَمِل أن يُقال عن زوْجَتِهِ زانِيَة ؟! وبقيَ الوَحي قرابة أربعين يومًا ! المدينة كلّها تتحدَّث عن هذا الخَبَر الذي لا يُحْتَمَل، فليس بِإمْكانِهِ أن ينْكر ولا أن يُثْبِت، وشيء آخر أنَّ الله تعالى علَّمَنا الله تعالى مِن خِلال تأخير الوَحي أنَّ الوَحي كيانٌ مسْتقلّ عنه صلى الله عليه وسلَّم ليس بإمْكانِهِ تقْديمه ولا أن يدْفعَهُ، فالوَحْيُ مسْتقِل اسْتِقلالاً تامًّا عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وإلى أن جاءَت البراءة فقال الصِّديق لابْنَتِهِ بعد أن برَّأها الله عز وجل " قومي إلى رسول الله واشْكُريه ! فقال: لا أقوم إلا لله تعالى ! فتبسَّم النبي عليه الصلاة والسلام: عرفت الحقّ لأهلهِ ! إنكار للنَّفْس منْقَطِة النَّظير.

والنبي عليه الصلاة والسلام ذاقَ مكانَةً علِيَّة بين أصْحابِهِ، فهل اسْتَثمرها أو اسْتَغَلَّها ؟! لا، كان مع أصْحابِهِ في سفرٍ فأرادوا أن يذْبحوا شاةً فقال الأوَّل عليَّ ذبحها وق...جمع الحطب " الدليل دخل عليه أعرابيًّا فقال: أيُّكم محمَّد ؟ ماذا نفْهَم مِن هذا ؟ كان عليه الصلاة والسلام متواضِعًا، ولمَّا كان عليه الصلاة والسلام صغيرًا دعوْهُ للَّعِب، فقال عليه الصلاة والسلام: ما خُلِقْتُ لِهذا ! جاءَتهُ رِسالة الهُدَى وحُمِّل رِسالة التَّكليف، قال زمِّلوني زمِّلوني، فأرادت خديجة أن تُريحهُ فقال عليه الصلاة والسلام: انْقضى عهْد النَّوم ! ودخل الناس في دين الله أفواجًا وجاء نصْر الله والفتْح، صَعِدَ المنْبر فقال: مَن كنتُ جَلَدْتُ له ظهْرًا فهذا ظَهري، ومن كنتُ أخَذْتُ له مالاً فهذا مالي فلْيأخذ منه، ومن كنتُ شَتَمْتُ له عِرْضًا فهذا عِرضي فلْيَقْتَد منه، وليَخْشَ الشَّحْناء فإنَّها ليْسَت مِن شأني ولا طبيعتي.

أيها الإخوة، صدِّقوني حجْم التَّبليغ أقلّ بِكثير مِن حجْم القُدْوَة، فالمُهِمَّة الأولى للنبي عليه الصلاة والسلام قبل أن يُبلِّغ عليه أن يكون قُدْوَةً، لأنّ الناس لا يُصَدِّقون بآذانهم ولكن بِعُيونِهم، وقد قرأتُ كلمةً لأحَدِ الكُتَّاب يقول: إنَّ نبيًّا واحِدًا أهْدى للبشَرِيَّة مِن آلاف الكُتَّاب والمُصْلِحين الذين ملئوا بالفضائِل والحِكم بُطون المُجَلَّدات، لماذا ؟ لأنَّ الكتَّاب والمُصْلِحين تحدَّثوا عن الفضيلة ولم يعيشوها، ولكنّ الأنبياء عاشوها لذلك فِعْل النبي الواحد في العالم أبْلَغُ مِن ألف ألف داعِيَةٍ، وألف ألف كاتِبٍ، وألف ألف مُفَكِّر، والحديث عن الفضيلة شيء، ومُمَارسَتُها شيءٌ آخر، فأنت مثلاً لك أن تقول: ألف مليون دولار، هذه سَهْلة ولكن دَقِّق الفارق بين أن

تلْفِظَها، وبين أن تمْلِكَها ! فالمسافة نفسهَا بين أن تتحدَّث عن الفضيلة، والحديث عنها مُمْتِعٌ وسَهْل ولا يُكَلِّف شيئًا وبين أن تُمارِسَها، وأن تعيشها، لذلك حجْم تبليغ النبي إلى حجْم دَعْوَتِهِ قليل جدًّا ؛ لأنَّ أيُّ إنسانٍ يُبَلِّغ، وأيُّ إنسانٍ يدْعو، ما عليه إلا أن يقول قال عليه الصلاة والسلام كذا وكذا، أما أن أضْبِطَ نفْسي فهذه هي البُطولة، لذلك المسلمون الآن ليْسُوا بِحاجَة إلى معلومات، ولا إلى خُطَب، ولا إلى كتب ولكنَّهم في أمَسِّ الحاجة إلى قُدْوةٍ بالنبي عليه الصلاة والسلام.

اللَّهمّ ارْحمنا وعافِنا واعْفُ عنَّا، ولقِّنا البُشْرى والأمْن، وأصْلِح لنا ديننا الذي هو عِصْمة أمْرِنا، وأصْلِح لنا دنيانا التي فيها معاشُنا، وأصْلِح لنا آخِرتَنا التي هي مردُّنا، واجْعل الحياةَ زادًا لنا مِن كلّ خير، واجْعَل لنا الموت راحةً لنا مِن كلّ شرّ، اللَّهمّ اكْفِنا بِحلالك عن حرامِك وبِفَضْلِكَ عمَّن سِواك، اللَّهمّ لا تُؤْمِنَّا مكْرَك، ولا تهْتِكْ عنَّا سِتْرَك، ولا تُنْسِنا ذِكْرَكَ يا ربّ، واللهمّ بِفضْلِكَ ورحمتِكَ أعْلي كلمة الحق والدِّين، وانْصُر الإسلام والمسلمين، واجْعَل جَمْعنا هذا جمْعًا مُبارَكًا مَرْحومًا واجْعَل تفرُّقَنا مِن بعدِهِ مَعْصومًا، واللَّهمّ ارْزُقْنا حُبَّكَ، وحُبَّ مَن يُحِبُّك وحبَّ عملٍ صالِحٍ يُقَرِّبُنا إلى حبِّك.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : تفسير سورة الزمر

الدرس (11-01) : تفسير الآيات 62 - 66

الدرس (11-02) : تفسير الآية 5

الدرس (11-03) : تفسير الآية 7

الدرس (11-04) : تفسير الآية 8

الدرس (11-05) : تفسير الآيات 9 – 13

الدرس (11-06) : تفسير الآيات 17 – 19

الدرس (11-07) : تفسير الآيات 54 – 61

الدرس (11-08) : تفسير الآيات 53 – 55

الدرس (11-09) : تفسير الآية 67

الدرس (11-10) : تفسير الآيتان 71 – 72

الدرس (11-11) : تفسير الآيتان 73 – 74

الدرس (01-11) : تفسير الآيات 62 - 66

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآياتُ الثانيةُ و الستُّون و الثالثةُ و الستُّون و الرابعةُ و الستُّون و الخامسةُ و الستُّون و السادسةُ و الستُّون من سورة الزمر توضِّح أن للإنسانِ في الحياةِ مهمَّةً، يقول الله عز وجل

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66)﴾

[سورة الزمر]

ما من مخلوقٍ إلا في قبضةِ الله عز وجل، وما من مخلوق في الكونِ إلا وفي يدِ الله عز وجل، قال تعالى:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)﴾

[سورة الزمر]

لذلك اطْمئِن، القوى الشريرةُ لا تتحرَّك إلا بمشيئة الله، و لن تُسلَّط على مخلوق إلا بأمر الله، و لن يُسمحَ لها أن تصل إليك إلا إذا شاء الله لها، هذه الآيةُ تدخِل في قلب الإنسان الطمأنينةَ، قال تعالى:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)﴾

[سورة الزمر]

الأفعى حركتُها بيد الله و العقرب و الفيروساتُ ومُسبِّباتُ الأمراض و الكائناتُ التي لا تُرَى بالعين كلُّ أنواع الجراثيم و الفيروساتِ و الأمراض القوى المخيفة والزلازلُ و الفياضاناتُ و الأعاصيرُ، قال تعالى:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)﴾

[سورة الزمر]

الأشخاصُ الشريرون المجرمون العتاةُ الأقوياءُ الطُّغاةُ، قال تعالى:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)﴾

[سورة الزمر]

لو أن الله عز وجل خلقَ الخلقَ و أطلقهم و ليس وكيلا عليهم لأكلَ القوِيُّ الضعيفَ، عندئذٍ لا حُجَّةَ لله علينا، يقول العبدُ: يا ربُّ ملَّكتَه أمري و أنا في قبضته، و أنا مضطرٌ أن أعبده من دونك، يقول الله عز وجل

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(123)﴾

[سورة الزمر]

و قال تعالى:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)﴾

[سورة الزمر]

في قبضته و لا يتحرك إلا بمشيئته، ولا يصل إليك إلا إذا شاء اللهُ له أن يصل، قال تعالى:

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾

[سورة الأنعام]

قال تعالى:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)﴾

[سورة الزمر]

إذا كان كلُّ شيءٍ في قبضة الله فأنت كإنسانٍ عاقلٍ ينبغي أن تخاف من الشيءِ أم مَن بيده هذا الشيءُ ؟ قال تعالى:

﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(54)مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي(55)إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(56)﴾

[سورة هود]

و قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ﴾

[سورة النساء]

قال تعالى:

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الزمر]

المقاليدُ أمرٌ، أي أمرُ السماوات و الأرض له و لو أن اللهَ تعالى قال: مقاليد السماوات و الأرض له،لا يمنع أن تكون لغيرِه، أما حينما عُكِستْ الصيغةُ، قال تعالى:

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الزمر]

صار في ذلك قصرٌ، أي له وحدَه، نعبد إياك، و نعبد غيرَك، أما قال تعالى:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(5)﴾

[سورة الفاتحة]

فهنا قصرٌ و حصرٌ، و مفاتح الغيب عنده و عند غيرِه، أما قال تعالى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(59)﴾

[سورة الأنعام]

قصرٌ و حصرٌ، واللغةُ تعين على فهم كتاب الله، تقديمُ الخبرِ شبه الجملة على المبتدأِ يدلُّ على القصرِ، له جارٌّ و مجرورٌ، قال تعالى:

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63)﴾

[سورة الزمر]

كفروا بآيات الله الكونيةِ الدالَّةِ على وحدانيته و كفروا بالآيات التكوينية الدالَّةِ على وحدانيته و كفروا بالآيات القرآنيةِ الدالَّةِ على وحدانيته، قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63)﴾

[سورة الزمر]

لأنهم حين توهَّموا أن جهةً بيدها كلُّ شيءٍ و توجَّهوا نحوها لم يجدوها شيئًا، قال تعالى

﴿:كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ(39)﴾

[سورة النور]

فلما جاءه لم يجده شيئا، فلما يتجِّه الإنسانُ لغير الله يتوهَّم أنه قويٌّ غنيٌّ يعطي و يمنع و يرفع و يخفض، توجَّه إليه، فلما وصل إليه، قال تعالى:

﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ(39)﴾

[سورة النور]

قال تعالى:

﴿وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63)﴾

[سورة الزمر]

الدالَّةِ على وحدانيته، و على أنه وحدَه المتصرّف و أنه وحدَه الإلهُ و أنه وحده المعطِي وحدَه المانعُ وحده القابضُ وحده الباسطُ وحده المعزُّ وحده المذِلُّ وحده الرازق وحده المُفقِرُ وحده المُكرّمُ وحده المُهينُ، قال تعالى:

﴿وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63)﴾

[سورة الزمر]

بعد هذه المناقشةِ الأمرُ بيد الله عز وجل، و مادام اللهُ عز وجل له مقاليدُ السماوات و الأرض و مادام اللهُ خالقَ كلِّ شيءٍ وهو على كلِّ شيء وكيل، و ما دام اللهُ لا إله غيرُه و لا معطِي و لا مانعَ إلا هو، قال تعالى:

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64)﴾

[سورة الزمر]

مضطَرٌّ للسفر و تعلّقٌ على السفرِ أهمّيةً كبيرةً، و قد تعقِد صفقةً بمليار ليرةٍ، لكن لا بدَّ من أن تأخذ تأشيرةَ الخروجِ، أو موافقةً على السفرِ دخلتَ إلى الهجرةِ و الجوازاتِ، أربعُ طوابقَ، في كلِّ طابق خمسين موظَّفًا، لا يمكن أن يوقِّعَ لك إلا واحدًا، أتبذُلُ ماءَ وجهك أمامَ شرطيٍّ أمام حاجبٍ، فإذا ترجَّيْت شخصًا لا يملك أمرَ الموافقة شيئًا، ألا يكون الإنسان أحمقَ، قال تعالى:

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63)﴾

[سورة الزمر]

ما دام أن الأمر يرجع إليه كلُّه و ما دام أنه خالق كلِّ شيءٍ، قال تعالى:

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64)﴾

[سورة الزمر]

قل أفغير..الجاهلون " و معنى ذلك أن كلَّ من يعبد غيرَ الله فهو جاهلُ، غبيٌّ أحمقُ عدوٌّ نفسه، لأنه سوف يتجِّه إليه و لن يجده شيئا، قال تعالى:

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ﴾

[سورة الزمر]

هذه حقيقةٌ أبديةٌ سرمديةٌ، قال تعالى

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65)﴾

[سورة الزمر]

عملُك لم يصبح صالحا، لماذا لأنك توجَّهت به إلى إنسانٍ، و الإنسانُ ضعيفٌ و فقيرٌ و لئيمٌ، الواحد علَق أهميَةً على شخصٍ فخيَّب ظنَّه، لذلك قال الله تعالى

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65)﴾

[سورة الزمر]

إحباط العمل له معنيان، إما أن يسقط العملُ من حيث قيمتُه، و إما أن تسقط نوعيَّتُه، فإذا عبدَ الإنسانُ المالَ و بنى ملهى، هذا أحبط اللهُ عملَه لأنه أشرك بالله و جعل المالَ إلهًا، هذا نوعٌ من الإحباطِ، حبط العملُ بمعنى سقط، من حيثُ النوعيةُ، و صار يعيش على إفساد أخلاقِ الآخرين، يعيش على إبداء العورات على إفساد النفوسِ و على إقامةِ المعاصي ورعايتها، وواحد بنى مستشفى و لكنَّه أراد المالَ فقط، فإنما العملُ يسقط من حيث القيمةُ لأنك أردتَ به غيرَ اللهِ أو أن يسقط من حيثُ النوعيةُ، و أنك أردتَ يع غيرَ الله، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65)﴾

[سورة الزمر]

لهذا قال اللهُ عز وجل:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا(23)﴾

[سورة الفرقان]

يا ربي أنا عملتُ مشروعا ضخما . لنقل الفساد . قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65)﴾

[سورة الزمر]

الحلُّ، قال تعالى:

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66)﴾

[سورة الزمر]

هذه مهمَّةُ العبدِ، عليك أن تعبده و عليك أن تشكره، و كلُّ شيءٍ سِوى ذلك على اللهِ، دعْهُ يتصرَّفُ، و عليك أن تعبده، قال سيِّدٌ لعبدٍ: بلغني أن سيِّدك سيبيعك، قال: يعرف شغلَه، قال له: بلغني أيضا أنه في نيتي أن أشتريك، قال له: تعرفُ شغلَك، قال له: أنصحُك أن تهرب، قال: أعرف شغلي، فكلَّ إنسانٍ يعرف شغلَه، أنت مهمَّتُك كعبدٍ تطيعه و عليك أن تعبده و تشكره وانتهتْ مهمَّتُك، قال تعالى:

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66)﴾

[سورة الزمر]

" بل " حرفُ إضرابٍ تنفي ما قبلها و تثبت ما بعدها قال تعالى:

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66)﴾

[سورة الزمر]

من جعل الهمومَ همًّا واحدا كفاه اللهُ الهمومَ كلَّها، اِعملْ لوجهٍ واحدٍ يكفِك الهمومَ كلَّها. في الدرس القادم إن شاء اللهُ نمرُّ إلى قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)﴾

[سورة الزمر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-11) : تفسير الآية 5

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الخامسة من سورة الزُّمر، وهي قوله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)﴾

[سورة الزمر]

كم آية في كتاب الله ورَدَ فيها قوله تعالى خلق السماوات والأرض بالحق ؟ ماذا تعني كلمة الحق؟ قال تعالى:

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا(105)﴾

[سورة الإسراء]

والله سبحانه وتعالى هو الحق هذه كلمة كثيرًا ما ترِدُ في كتاب الله تعالى، وفهْم المعاني الدقيقة لِمُصطلحات القرآن جزءٌ مِن فهْم القرآن فالله جلَّ جلاله يقول:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ(87)﴾

[سورة الحِجر]

فالله عز وجل وصَفَ كِتابهُ بأنَّه مثانيَ ؛ ما معنى مثاني ؟ قال بعض العلماء: أي أنَّ كل آية تنْثني على أُختِها فَتُفسِّرُها، قال تعالى:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ(99)﴾

[سورة الحِجْر]

ما هو اليقين ؟ الموت، والدليل أنَّ الله سبحانه وتعالى قال في كتابِهِ:

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(46)حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ(47)﴾

(سورة المدثر)

فاليقين هو الموت، فكُلّ آيةٍ تنثني على أُخْتِها فَتُفَسِّرُها، هل هناك آياتٌ تُفسِّر معنى الحق ؟ الله جلَّ جلاله قال:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾

[سورة الزمر]

وقال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ(38)﴾

[سورة الدخان]

فالحق إذًا ضِدّ اللَّعِب وقال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ(27)﴾

[سورة ص]

والحق ضِدُّ البُطْلان، ومعنى الباطل أنَّهُ زائِل، وكلّ شيءٍ باطِلٍ زائِلٍ فالحق ليس زائلاً وليس لعِبًا، ونحن فَهِمنا الحق مِن آيتين، فالله تعالى نفى أن يكون خلق السماوات والأرض لعبًا، ونفى أن يكون خَلْق السماوات والأرض باطِلاً، فليس باطلاً وليس لعِبًا، ولكنَّ خلق السماوات والأرض بالحق، فالحق الشيء المسْتقرّ، والباطل الشيء الزائِل، والحق الشيء الهادِف، واللَّعِب الشيء العابث، فالله عز وجل خلق السماوات والأرض لتبقى، وخلق الإنسان لِيَبقى، قال تعالى:

﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ(77)﴾

[سورة الزخرف]

فالإنسان يذوق الموت ولا يموت، قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

[سورة آل عمران]

أما أن يكون خلق السماوات والأرض لِهَدفٍ كبير فهذا حينما نفى الله عز وجل عن ذاتِهِ البُطْلان، والآية الكريمة:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا(81)﴾

[سورة الإسراء]

لو أشَدْنا بِناءً مائِل ! هذا مصيرُهُ إلى الانْهِيار، أما إذا أشَدْنا بِناءً وِفقَ القواعِد الصحيحة، فهذا أُشيدَ لِيَبقى فالحق باقٍ، والباطِل زائِل، ولو عاش سبعين سنة، سيَنْهار ويسْقط ويتداعَى، ويُفْتضَح، فكلمة زهوقًا اسم فاعِل مُبالغ به ؛ مهما كان الباطل كبير يسقط ويزْهَق، فالكون خُلِقَ لِيَبقى وخُلِق لِهَدَفٍ كبير، فالإنسان إذا أيْقَنَ أنَّه يذوق الموت ولا يموت وبعد الموت إما حياةٌ أبَدِيَّة في جنَّة عرضُها السماوات والأرض، وإمَّا شَقاءٌ أبدي، فهو خُلِقَ لِيَبقى.

المعنى الثاني ؛ خُلِقَ لِهَدَفٍ نبيل، فالله تعالى نفى عن خلْقِهِ البُطلان واللَّعِب، فالبُطلان الزَّوال، واللَّعِب هو العبَث، فالله تعالى خلق السماوات والأرض بالحق، وأنت مِن خلْق السماوات والأرض، فأنت خُلِقْتَ لِتَبقى، وخلقْتَ لِهَدَفٍ نبيل، اِبْحَث عن هذا الهَدَف مِن أجل أن تسْعَدَ به إلى أبَدِ الآبدين، قال تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾

[سورة التغابن]

هذه الآية تتكرَّر عَشَرات المرات، فالحق الشيء المُستقرّ، والباطل هو ما زال، فإبْطال العقْد إلْغاؤُهُ، وإبْطال الزَّواج فسْخُه، وإبْطال الدَّعْوة إسْقاطُها، فالإبْطال هو الزَّوال، حقَّ الشيء أيْ اسْتَقَرّ، فإذا تعامَلْتَ مع خلْق السماوات والأرض ؛ على أنَّ خلْق السماوات والأرض ثابت ولِهَدَفٍ كبير، فالآية الكريمة:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ﴾

[سورة الزمر]

لا يوجَد إلا شكل واحِد هَنْدسي، فإذا كانت هناك كرة تدور أمام منْبَع ضَوئي يتداخل فيه الضوء مع الظلام، فأنت بالمغرب والعشاء تجد تداخل الضوء مع الظلام، وكذا عند الشروق، ففي حال المكعَّب فالضَّوء يأتي فجأةً، وكذا في الموشور والمقطوع إلا الكرة، فَيُكَوِّرُ الليل على النَّهار أيْ يلفُّ الليل على النَّهار، فالليل والنَّهار يتداخلان، وهذه الآية مِن الآيات التي تُثْبِتُ كُرَوِيَّة الأرض، وقد يسأل سائل: لمَ لمْ يقل الله عز وجل في إحْدى آيات القرآن الكريم الأرضُ كرةٌ ؟ هذا فيه حِكمة بالغة لأنَّ الذين عاصَروا النبي عليه الصلاة والسلام ما توصَّلوا إلى أن يعْرفوا أنّ الأرض كرَة، فهم رأوْها مُنْبسِطَة فالله سبحانه وتعالى لو أغْفل أنَّها كرة لأخذْنا على كتابنا هذا المأخذ، ولو أنَّ الله تعالى بيَّنَ لهم أنَّها كرَة لما صدَّقوه ! فجاءَت بعض الآيات منها قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾

[سورة الرعد]

لا يوجد إلا شكل واحِدٌ تمْتَدُّ عليه الخُطوط إلى ما لا نِهايَة، فالدُّحْيَة دليل الكُرَوِيَّة، قال تعالى:

﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(30)﴾

(سورة النازعات)

فالآية الكريمة:

﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾

[سورة الزمر]

ففي الفجْر يتداخل النَّهار مع الليل، وبعد المغرب يتداخَل الليل مع النَّهار قال تعالى:

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾

[سورة الزمر]

فالشَّمس تكْبر الأرض بِمِليون وثلاثمائة ألف مرَّة، وألْسِنَة اللَّهَب طولها مِن نصف مليون إلى مليون كيلومتر، وبُعْد الشَّمس عن الأرض مائة وستٍّ وخمسين كيلومتر يقْطَعُها الضَّوء في ثماني دَقائِق، ودرجة حرارة الشَّمس سِتَّة آلاف درجة على سَطْحِها، وعِشرين مليون درجة في بطْنِها ولو أنَّ الأرض أُلْقِيَت فيها لَتَبخَّرَتْ في ثانِيَة واحِدَة، ويتَّسِع جوْف الشمس لِمِليون وثلاثمائة ألف أرض ! ومضى على تَوَقُّد الشمس كما يقول علماء الفلَك خمسة آلاف مليون سنة، وهناك تَقدير مُشابِه، وهو أنَّها سوف تبْقى مُتألِّقة لِخَمسة آلاف مليون قادِمَة، فاطْمَئِنُّوا ! فَمَن أعطى الشمس هذه الطاقة ؟ الله جلَّ جلاله، وفي بعض بُروج السَّماء برْج العقْرب يتَّسِع للشَّمس والأرض مع المسافة بينهما، قال تعالى:

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(102)﴾

[سورة الأنعام]

قال تعالى:

﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)﴾

[سورة الزمر]

القمر تَقويم، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(5)﴾

[سورة يونس]

تقويمٌ يراه جميع الناس.

قال تعالى

﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾

[سورة الزمر]

فالله تعالى:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(1)وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ(2)وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ(3)وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ(4)وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ(5)وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ(6)﴾

[سورة التكوير]

وقال تعالى:

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(38)﴾

[سورة يس]

ثمّ يقول تعالى:

﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)﴾

[سورة الزمر]

العزيز هو نادِر الوُجود، والشيء العزيز يصْعُب الوُصول إليه والشيء العزيز تشْتَدُّ الحاجة إليه أما إذا قلنا الله تعالى عزيز فلا نقول ينْدر وُجودهُ، ولكن معناه لا إله غيْرهُ، ويحْتاجُهُ كلّ شيء في كلّ شيء، ويسْتحيل أن تُحيطَ به، لذلك الآية:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)﴾

[سورة الزمر]

النقطة العمَلِيَّة في هذا الدرس أنَّ الله تعالى خلقَنا لِنَبقى إما في جنَّة عرْضُها السماوات والأرض، وإما في نارٍ لا يموت فيها الإنسان ولا يحْيى، والحق معناه أيضًا أنَّنا خُلقْنا لِهَدَفٍ نبيل، ما هو هذا الهدف ؟ قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)﴾

[سورة الذاريات]

أن نعْبُدَهُ، لكي يُسْعِدَنا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-11) : تفسير الآية 7

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة من سورة الزمر، وهي قوله تعالى:

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)﴾

[سورة الزمر]

هذه الآية تُبيّن أنَّ الله سبحانه وتعالى غَنِيٌّ عنَّا، ولكنَّه إذا دعانا تعالى إلى عِبادَتِهِ فَمِن أجْلِهِ، ومِن أجل أن يُسْعِدَنا، وأن يرْحَمَنا، وقد ذَكَرتُ لكم في الدَّرس الماضي أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال: وهذه عن عُثمان في بيْعَة الرِّضْوان، قال: فإنَّه في حاجة الله، وحاجة رسوله صلى الله عليه وسلَّم، فمَعَ أنَّ الله غَنِيٌّ عن عِباده، فحاجته أن يُسعِدَهم، وأن يرْحَمَهم لذلك قال: يا رب أيُّ العباد أحَبُّ إليك حتَّى أُحِبَّهُ بِحُبِّك ؟ قال: أحبُّ العِباد إليّ تَقِيُّ القلب، ونقيّ اليَدَين، لا يمْشي إلى أحدٍ بِسُوء، أحبَّني وأحبَّ مَن احبَّني، وحبَّبَني إلى خلْقي، فهُناك أشْخاص يُبَغِّون الدِّين للناس، يبْحثون عن القضايا الخِلافِيَّة التي قد لا يقْبَلُها العَقْل أحْيانًا، ويُبالِغون في شرْحِها إلى أن تنْفر العامَّة من الدِّين، يقول لك: لو أنَّك عبَدْتَهُ طوال حياتِك وأفْنَيتَ عُمُركَ في طاعَتِك ؛ يُمْكِنُ أن يضَعَك في النار ! لماذا ؟! يقول لك: يقول لك لأنَّ الله تعالى:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ(23)﴾

[سورة الأنبياء]

ولأنَّك جزْءِ مِن مُلْكِهِ، والذي يتصَّرف في مُلْكِهِ ليس ظالمًا !! فهل هذا كلام يقْبلُهُ المؤمن ؟! أين قوله تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

[سورة الزلزلة]

وأين قوله تعالى:

﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(16)﴾

[سورة لقمان]

أريد أن أقول: لا تُبَغِّض الدِّين للنَّاس، ولا تبْحث عن القضايا غير المُتَّفَق عليها، ثمّ تُضَخِّمُها وتُلقيها على الناس، حتَّى تنشأ لهم صَدْمة .

مرَّةً رأى النبي علي الصلاة والسلام أُمًّا تخْبِزُ على التَّنور، وابنُها إلى جانِبِها، وكلَّما وضَعَت رغيفًا في التَّنور قبَّلَت ابْنَها، فقال عليه الصلاة والسلام: أَتُلقي هذه بِوَلَدِها إلى النار ؟ قالوا: معاذ الله ! فقال عليه الصلاة والسلام: والذي نفْس محمَّد بِيَدِهِ للهّ أرحم بِعَبْدِهِ من هذه بِوَلَدِها ! ولمَّا وردَ بالحديث القُدْسي: إن تابوا فأنا حبيبُهُم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبْتَليهم بالمصائب لأطَهِّرهم من الذُّنوب والمعايِب، فالمعاني التي تُحَبِّب الله إلى عِبادِهِ ينبغي أن تُبَيِّنَها، وأن تشْرَحها، أما أن تبْحث في ثنايا الكتب عن نِقاط غير مُتَّفَقٍ عليها، ونِقاط سَلْبِيَّة، وتُبْرِزُها للناس من أجل أن تُخيفهم، فهذا ليس مِن سُلوكِ الداعِيَّة، فالله تعالى قال:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾

[سورة الزمر]

الآن اِسْمَع، قال تعالى:

﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾

[سورة الزمر]

قال العلماء في بعض كتُب العقيدة: أراد ولم يأْمُر، وأراد ولم يرْض و معنى اراد ن أنه سمح بوقوع الشيءِ، أنت صيدلي بحاجة إلى موَظَّف يعينك بعد الظهر، لا بد من أن يكون عنده ثقافةٌ صيدلية، لا بد من أن تمتحنه، جِئتَ به إلى مجموعة من الأدوية، و قلتَ له: ضع كلّ دواءٍ في مكانه، هنا سموم و فيتامينات، إذا أمسك دواءً سمومٍ و ذهب به إلى الفيتامينات ليضعه، لو منعتَه، ما امتحنتَه، و لا بدَّ من أن تسمح له أن يتحرك خطأً، سماحك له بالتحرك هو الإرادةُ، أراد، و لكنك لا ترضى له هذا الخطأَ، إنك في مجال امتحانه، أمسك دواءَ الفيتامينات ليضعه في مكان السموم، ولو منعتَه لم تكشف خبرتَه، فلا بد من أن تمتحنه ؛ فإذا الله تعالى سمح بمعصية ليس معنى هذا انه فعلها قهرا، لا يقع في ملك الله إلا ما يشاء الله،ما معنى مشيئة الله ؟ أنه سمح ان تقع، هل رضي الله بها ؟ هل أمر بها، فالعلماءُ قالوا: أراد و لم يرضَ و أراد و لم يأمر، و ما أمر بالزنا و لا رضيه من عباده، و لكن إنسانا إذا أصرَّ عليه و كانت هذه الشهوة حجابا بينه و بين الله وأصبح أصمّ! و أبكمَ، حبُّك الشيءَ يُعمِي و يصمُّ، يسمح الله له به لحكمة أرادها من أجل أن يتوب بعدها و أن يستغفر، قال تعالى:

﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾

[سورة الزمر]

الوازرةُ الحاملةُ، الوزرُ الحِملُ، لا تحمل نفسٌ حملَ نفسٍ أخرى، هذا مبدأ من أصول الدين، فإذا الإنسانُ أنجبَ ولدًا مؤمنا الأب كافرٌ و الأب ما أراده أن يكون مؤمنا، وضع كلَّ العراقيل لكي يؤمن، فالابن ولو أنَّ أباه ليس مؤمنًا يدخل الجنَّة، أو بالعَكس، أبٌ أنْجبَ ولدًا فاخْتار الابن الشَّقاء، ونصَحَهُ وبيَّن له، وتلطَّف به، وزجَرَهُ، ووعَظَهُ، قال تعالى:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

[سورة الزمر]

فهذا المبدأ مُريحٌ جدًّا، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

[سورة المائدة]

فأنت عليك بِنَفْسِكَ وكلٌّ مُحاسب على نفْسِهِ فامرأة فِرْعون كانت تحت رجل ادَّعَت الألوهِيَّة، جبَّار، ومع ذلك بيَّن لنا الله عز وجل أنّ المرأة مُسْتَقِلَّة في إيمانها عن زوجها، فأيَّةٌ امرأةٍ تقول: هكذا يريد زوْجي ! ويريدنا أن أتبرَّج ! ويريدنا أن أخْتلِطَ مع رِفاقِهِ ! فهذا الكلام غير مقبول في معْصِيَة الخالق، المرأة مُستقِلَّة في إرادتِها الإيمانِيَّة عن زوْجِها والله جَعَلَ لنا مثلاً صارِخًا ؛ فرْعون وزوْجَتُهُ صِدّيقة، وكَمُل مِن الرّجال كثير، وما كَمُل من النِّساء إلا أربع منهم آسيا امرأة فِرْعون قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(11)﴾

[سورة التحريم]

لو أنَّ امرأةً لها زوْجٌ فاسِق كافر شارِب خمْر، وهي مستقيمة وصائِمة فأعرف صاحِب ملْهى ما أكلَتْ ابْنَتُهُ مِن مالِهِ أبدًا، وكانت تعْمل في جوبر، ولو طلبَت مِن أبيها مليونين لأعطاها !! وأعرف زوْجة صاحب مقْمَرة مشْهورة، لم تحْضر عُرْس ابنَتِها لأنَّها في مكان عامٍ فيه معاصي وآثام، فهذه الآية:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

[سورة الزمر]

تُلقي في قلب الإنسان طمأنينة، فأنت لن تؤاخَذ بِجريرة غيرك .

قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ(15)﴾

[سورة الجاثية]

أحيانًا الإنسان له عمل مَشروع، ولكن صاحِب العَمَل له أعمال لا تُرضي الله بعد الدَّوام فهذا لا علاقة له بِصاحِب العَمل، فهذا بائِع أقْمِشَة جاءَتْهُ امرأة تشتري قِماشًا فأعْطَتْهُ مالاً أخذَتْهُ مِن البغاء، فالبائِع لا يعْلَم، فهذا لا علاقة له، لذا حُرْمة المال لا مِن عَينِهِ ولكن من طريقة كسْبِهِ، فالإنسان يُطَبِّق منهج الله ولا علاقة له بالآخرين، ولو كانوا من أهل منزِلِه، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: من اسْتَمَع إلى صوت أغّينة صُبَّ في أُذنه الآنك " فالنبي عليه الصلاة والسلام ما قال: من سَمِعَ، ولكن قال: من اسْتَمَع فالاسْتِماع يعني الجُلوس والمجيء بالمِذياع، والمُسَجِّلة وتسْتَمِع، أما أن ترْكَب سيارة لا تسْتطيع أن تتحكَّم في اسْتِعمال المذياع فيها، فالله تعالى قال:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

[سورة الزمر]

فهذه الآية المُريحة، فالمؤمن لا بدّ أن يَعُدَّ للمليون قبل مُشاركة الواحد فأيّ علاقة حميمة، ومن العلاقة الحميمة السَّفر، واللّقاء الأسبوعي فأيُّ علاقة حميمة لا بدّ أن تُبنى على الإسلام، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ *))

[سورة الترمذي]

قال تعالى:

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(13)﴾

[سورة الملك]

مُلَخَّص الآية ؛ مشيئة الله تعني أنَّه سَمَح بِوُقوع الشيء لأنَّ الله تعالى حينما خلق الإنسان خلقَهُ على أساس أنَّهُ مُخَيَّر، وأنّ الله تعالى يُمِدُّهُ بِقُوَّةٍ يُنَفِّذُ بها اخْتِيارَهُ، فإذا أمَدَّ اله تعالى بِقُوَّةٍ لِتَحقيق اخْتِيارِهِ، فهذا معنى مشيئَتِهِ سبحانه وتعالى، فإذا كان هذا الفِعْل خِلاف الشَّرع، ولم يأمر به الله تعالى، ولم يرْض به، وهذا هو مُلَخَّص الآية .

والآية الثانية،

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

[سورة الزمر]

أيْ أنَّ كلّ نفْس تحْمِلُ حِمْلها وحْدها ولا تحمِلُ حِمْل غيرِها، فأنت لسْتَ مُحاسَب عن أعمال والدِك، ولا أبوك يحْمِل أوزارَكَ، وهذه الحقيقة تُلْقي في قلب المؤمن راحة ما بعْدَها راحة .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-11) : تفسير الآية 8

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، في القرآن الكريم نماذجُ بشريةٌ متكرِّرةٌ، ما وردتْ في كتاب الله الذي هو قرآنٌ يُتعبَّد بتلاوته إلى يوم القيامةِ، إلا أن هذه النماذجُ نجدها في كلِّ عصرٍ، يجب أن نعلم علم اليقين أن كلَّ شيءٍ ورد في القرآن الكريم له صفةُ الديمومةُ، القرآنُ الكريم ليس كتابَ تاريخٍ و إنما هو كتابُ هدايةٍ و رشادٍ، فالنموذجُ البشري الذي في كتاب الله نموذجٌ متكرِّرٌ، يمكن أن نستفيد من وصفه سلبًا أو إيجابًا، فالله تعالى يقول:

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)﴾

[سورة الزمر]

الإنسانُ حيثما وردتْ هذه الكلمةُ معرَّفةً بـ "أل" تعني الإنسانَ قبلَ أن يهتديَ، و قبل أن يتصل بالله و قبل أن يعرف اللهَ، و قبل أن يصطبغ بصبغة اللهِ، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19)إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(20)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(21)إِلَّا الْمُصَلِّينَ(22)الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ(23)وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ(24)لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(25)وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ(26)﴾

[سورة المعارج]

فالمصلي مستثنًى، قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)﴾

[سورة الزمر]

الإنسان الذي لم يعرف اللهَ يعرفه بفطرته، لذلك طائرةٌ تحلّق في الأجواءِ عليها خبراءُ يؤمنون بأنه لا إله، فدخلتْ في سحابةٍ مكهربةٍ فكانت قاب قوسين أو أدنى أن تقع على الأرض، فما كان من هؤلاء الخبراء الذين يؤمنون أنه لا إله إلا أنهم تضرعوا إلى الله و سألوه النجاةَ هذا إيمانُ الفطرةِ، فإذا أصابتْ الإنسانَ مصيبةٌ، فقال: يا ربي، فلا يحسبْ نفسَه مؤمنا، المؤمنُ في الرخاءِ، و أنت صحيحٌ مُعافى، و المالُ بين يديك و لك بيتٌ و لك زوجةٌ و أولادٌ و لم عملٌ و لك مكانة و أنت في أعلى درجات النجاح .

إيمانُك يقتضي أن تكون عبدا لله، أما عند الشِّدَّةِ فالناسُ جميعا من دون استثناءٍ، قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)﴾

[سورة الزمر]

لعوامُ يروون قصةً طريفةً،أن بائعَ التماري يقول: يا كريم إذا الفرشُ مملوءٌ بالبضاعةِ، فإذا باع البضاعةَ سكتَ، متى يا كريم ؟! إذا كان فوق رأسه بضاعةٌ، هذا شأنُ الإنسان الجاهل، شأن الإنسان الذي لا يعرف اللهَ، و عند الضرورةِ بفطرته يلجأ إلى الله، قال تعالى

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

[سورة الزمر]

الحرارةُ 41درجة، التشخيص التهاب سحايا، الخطرُ 100/90، يا ربُّ، يصلي و يدعو و يبتهل، و لما شُفِيَ الطفلُ، يُقالُ: الطبيبُ الفلاني لا يُوجدُ مثلُه، هو الذي أعطانا الدواءَ و تمَّ الشفاءُ على يديه، و نسيَ أن الله عز وجل هو الذي شفاه، قال تعالى

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

[سورة الزمر]

يقول: خبرات و جهدٌ مُضْنِي حتى حصَّلتُ على هذه المكانةِ، و تعبُ دؤوبٌ و خبراتٌ متراكمةٌ، قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾

(سورة القصص)

بسب خبراتي و جهدي الدؤوبُ، و ينسى فضلَ الله عليه، مع أن الغنسانَ لو تجمَّدتْ قطرةُ دمٍ في أحد أوعية الدماغِ لفقد ذاكرتَه، و ما عرف أولادَه، و لفقدَ حركتَه، قال تعالى

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾

[سورة الزمر]

يرى أن فلانا يعطِي و يمنع و يغضب و يخفض و يرفع و يقرِّب و يبعِّد و يغني و يُفقِر و يعذِّب، و تعلُّقه بالأشخاص لا بالواحد الديَّان، و المؤمن تعلُّقه بالله، أما غيرُ المؤمن تعلُّقه بالأشخاص، قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾

[سورة الزمر]

هناك يرون أن العالَم كلَّه بيدِ شخصٍ واحدٍ فإذا رضي عن بلدٍ سلمتْ و إن غضب قاطعَنا اقتصادية و منع الطيرانَ، و هو يتوهَّم أن هذا بيد فلانٍ، هذا هو الشركُ، قال تعالى

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾

[سورة الزمر]

بدلَ أن يوجِّه الناسَ إلى الله و إلى معرفة الله و إلى توحيد الله و إلى الاعتماد على الله و إلى الطلب من الله يوجِّههُم إلى زيدٍ، كأن يقول: البلدُ الفلاني إن كان مع بلدٍ آخرَ، فهذا البلدُ سعِد، و إن كانتْ ضدَّه شقيَ، هذا يُقال في شكلٍ رسميّ، فأين الله ؟ نسيَ اللهَ، قال تعالى:

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)﴾

[سورة الزمر]

دقِّقوا الآنَ ؛ هذا الإنسانُ أصابه ضرٌّ فدعا ربَّه منيبا إليه، قال تعالى:

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)﴾

[سورة الزمر]

" فهو عند الله كافرٌ، أتحبُّون دليلا أقوى ؟ الآية الكريمةُ، قال تعالى

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ(54)﴾

[سورة التوبة]

يصلي و يدفع زكاةَ ماله وهو عند الله كافرٌ، قال تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ(54)﴾

(سورة التوبة)

معنى ذلك أن الكفرَ إعراضٌ، و ليسَ إنكارًا، أعرض عن الله و عن منهجه و لم يعبأ بأمره و لا نهيه، معترِفٌ بوجوده و عند الضرورة يدعوه، أرأيتَ إلى هذا النموذج ؟! قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)﴾

[سورة الزمر]

لذلك الإنسانُ لا ينبغي أن يغترَّ بتقييم نفسِه له، يجب لان يُقيِّمه القرآنُ، قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ(44)﴾

[سورة الزخرف]

مرَّةً أحدُ العلماء قرأ الآيةَ الكريمةَ، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(10)﴾

[سورة الأنبياء]

قال: و اللهِ لا بدَّ أن أبحث عن مكاني في القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(17)﴾

[سورة الذاريات]

قال: لستُ هناك، و ذكر الآياتِ، فلم يجد فسَه لا مع هؤلاء و لا مع هؤلاء، أنا مع الذين خلطوا عملا صالح آخر سيِّئا فأرجو اللهَ أن يعفوَ عني، فأنت يجب أن تعرف أين أنت في كتاب اللهِ، و على أيّ نموذجٍ، الناسُ نماذجُ، هذا الإنسانُ مسَّه الضرُّ قال تعالى

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)﴾

[سورة الزمر]

معنى ذلك ؛ لو أن أستاذا يقف أمام الطلاب وهو ملءُ السمع و البصر ضخمُ الجثَّة واضح النبراتِ يدرِّس و يحرك يديه و الدرسُ واضحٌ جدا و طالبٌ ينشغِل عن كلِّ هذا المدرِّسِ و عن درسِه و عن علمه و تعليقاته و حِكمه، يعبث بالقلم الورقةِ، نقول: هذا الطالبُ كافرٌ بالمدرِّسِ، هل معنى ذلك أنه ينكر وجودَه ؟ لا، يعرِض عنه، و الكفرُ تكذيبٌ و إعراضٌ، و الإيمانُ تصديقٌ و إقبالٌ، صدَّق بوجود الله و بوحدانيته و كماله فأقبل عليه، و الكافرُ كذَّب بأحقِّية هذا الدينِ و بفرضية الأوامرِ و بصلاحية الدين لكلِّ مكانٍ و زمانٍ، أعرض عنها، فقد جد إنسانًا مسلما يرتاد المساجدَ و لكن لا يُدخِل الدينَ في حساباته، نمطُه غربيٌّ و تعاملُه غربيٌّ و مبادئُه غربيةٌ، و الحياة هي كلُّ شيءٍ، و لا يُدخِل الموتَ في حسابه إطلاقا، يموت بموت الحياة كما هي عند الكفارِ، فهذا عند الله كافرٌ، الكافرُ هو الذي يُكذِّب و يعرِضُ، و المؤمنُ هو الذي يصدِّق و يقدِم، و الآيةُ دقيقةٌ جدًّا، وهذا نموذجٌ بشريٌّ، فهذا يعبد اللهَ على حرفٍ، كما قال تعالى:

﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ(11)﴾

(سورة الحج)

قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ﴾

[سورة الزمر]

و ليس ذلك خطأً، إذا مسَّ الإنسانَ الضُّرُّ أن تدعوَ اللهَ، و لكنَّ الخطأَ أن اللهَ حينما يستجيب لك و يزيح عنك هذا الضُّرُّ إيَّاك أن تعزوَ هذا إلى غيرِ اللهِ، و حينما تعاهد اللهَ على التوبةِ و أنت في الضرِّ ليس خطأً هذا، بل الخطأُ أن تنتكِس بعد أن يُزاح عنك الضرُّ، قال تعالى:"

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)﴾

[سورة الزمر]

لذلك أن أقول، اللهم صُنْ وجوهنَا باليسارِ، و لا تبذلْها بالإقتارِ، فنسأل شرَّ خلقِك، و نُبيلَى بحمدِ من أعطى وذمِّ من منع، المعطي و المانِع هو اللهُ، و أنت من فوقهم ولِيُّ العطاءِ، و بيدك وحدك خزائنُ الأرض و السماء .

من علامات التوحيد أن لا تحقد على الناسِ لشيءٍ منعه اللهُ عنك، و لا تمدحهم على شيءٍ أعطاك اللهُ إيَّاه، و إن فضلُ الله لا يجُرُّه حِرصُ حريصٍ و لا يدفعه كراهةُ كارهٍ، هذا هو التوحيد، قال تعالى:

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)﴾

[سورة الزمر]

هذا النموذج متكرِّرٌ و موجود، أما الشيءُ الغريبُ أنه يصلي و يدعو ربَّه عند الشدَّةِ و لكنَّه بعد الرخاءِ يشرك و يتخِذ لله أندادا و يضل عن سبيل الله و يُبعِد الناسَ عن طريق الحقِّ، قال تعالى:

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)﴾

[سورة الزمر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-11) : تفسير الآيات 9 - 13

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، آيةُ البارحةِ هي قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)﴾

[سورة الزمر]

ثم قال تعالى:

﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)﴾

[سورة الزمر]

و معنى قانت ؛ أي منقطِعٌ هذا الذي يعبد اللهَ و يصلي له في الليل و يرجوه و يتهجَّد له، و يبتهل إليه و يتوكَّل عليه، و يتلو كتابَه و يُذكِّر عبادَه به، هذا الذي شُغلُه الشاغِلُ معرفةُ اللهِ و تعريفُ الناس به هذا الذي انقطع إلى اللهِ ليس معنى هذا أنه ترك الدنيا، و لكنَّ قلبَه متعلِّقٌ بالله، و الدنيا بين يديه، فرقٌ كبيرٌ أن تكون الدنيا في القلب و ليس في اليدِ شيءٌ، هذا كفقراءِ اليهودِ، خسر الدنيا و الآخرةِ، قلبُه متعلِّقٌ بالدنيا و يدُه صِفرٌ من كلِّ شيءٍ، وبي من تكون الدنيا في يديه و قلبُه متعلِّقٌ بالآخرةِ، العلامة و الضابطُ ؛ ما الذي يميِّز إنسانا تعلَّق بالدنيا و إنسانا تعلَّق بالآخرة و هذا شيءٌ في القلب لا يُرَى ؟ الدليلُ ؛ من كان مقيما على شعائر الله مؤدِّيا للصلوات الخمس و يضبط مشاعرَه و غرائزَه و أهواءه وفق منهج الله نقول لهذا الإنسانِ إن الدنيا بين يديك و ليست في قلبك، ولو أنها في قلبك لتركْتَ بعض العبادات لأجلها، و لآثرْتَها على طاعة الله و لآثرت هواك على التقرُّب إلى الله، فالضابط الفاصلُ بين من الدنيا في قلبه و بين من الدنيا في يديه إقامتُه لشعائر الله وورعُه و تقرُّبُه إلى الله، فمن كان مقيما على أمر الله و الدنيا بين يديه هذه قوةٌ له، و قال عليه الصلاة و السلام،

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ *))

[رواه مسلم]

ما إذا كان القلبُ متعلّقًا بالدنيا أصبحتْ الدنيا عِبئًا عليه و حجابا بينه و بين الله، و لا أحدَ يعرف الحقيقةَ إلا صاحبُها، فإذا آثرتَ الآخرةَ على الدنيا لا تفعلُ معصيةً من أجل الدنيا.

قال تعالى:

﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾

[سورة الزمر]

هناك إنسانٌ يرجو المالَ و يرجو فلانةً أن يتزوَّجها و يرجو البيتَ و السُّمعةَ و المكانةَ، أما المؤمنُ يرجو رحمةَ الله، قال تعالى:

﴿ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(32)﴾

[سورة الزخرف]

الإنسانُ أحيانا بكسبه المالَ يتجاوز مرحلةَ الرزقِ، و يتناطح مع الآخرين لتجميع أكبرِ ثروةٍ، هذا اسمُه جامعٌ، و الله عز وجل قال:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(32)﴾

[سورة الزخرف]

و لو كان حجمُه سبعمائة مليون، و رحمة ربك إلى أبدين، و كلُ يوم فيه زيادةٌ وكلاٌّ يوم في أعلى علِّيين، و ربُّنا عز وجل يريدنا أن نقيمَ موازنةً، قال تعالى

﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾

[سورة الزمر]

الآنَ العلاقةُ الدقيقة و الموضوعيةُ و المتلاحمةُ بين شطرِ الآية الأول و الثاني، قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر]

طبعًا يستوون، لكنْ ما علاقتُها بأول الآية ؟ الذين يعلمون يحذرون الآخرةَ و يرجون رحمةَ الله، و الذين لا يعلمون يؤثرون الدنيا على الآخرة، إذًا علامة العلم أم نرجوَ رحمةَ الله و علامة الجهل أن تغترَّ بالدنيا، طيِّب؛ الواحد معه دكتوراه و يرجو الدنيا ؛ هو عند الله جاهلٌ و الإنسانُ معه ابتدائية ويرجو رحمة الله هو عند الله عالم، وهناك دليل آخرُ، كفى بالمرءِ جهلا أن يعصِيَ اللهَ، أكبر شخصٍ على الأرض إذا كان يعصي اللهَ فهو عند الله و رسوله جاهلٌ، كفى بالمرء جهلا أن يعصِيَ اللهَ، و كفى بالمرءِ علما أن يطيع اللهَ. الآيةُ دقيقة جدًّا، قال تعالى:

﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)﴾

[سورة الزمر]

أدركتُم العلاقةَ بين أول الآية و آخرها، إن كنتَ تعلم تحذر الآخرة و ترجو رحمة الله، وإن كنت لا تعلم تغتر بالدنيا و تؤثرها على رحمة الله، فالعلم إذا قادك إلى أن تؤثر الآخرةَ على الدنيا و أن ترجو رحمة الله فأنت عالم و ربِّ الكعبةِ، أما إذا قادتْك ثقافتُك الرفيعةُ و اطِّلاعُك الواسعُ و مكانتُك الضخمةُ إلى معصيةٍ فأنت وربِّ الكعبةِ جاهلٌ، و ليس في الإنسان صفةٌ أبشع من الجهل، و لا يُوجد عدوٌّ أشدُّ على الإنسان عداوةً من الجهل، و الجاهل عدوٌّ نفسه، و يفعل بنفسه ما لا يفعل العدوٌّ بعدوِّه، مزارعٌ عنده بيتين بلاستيك غلَّتهما تُقدَّر بأربعمائة ألف ليرة فاشترى سمادًا من أجل أن يضاعف المحصولَ ضاعف كمِّيةَ السمادِ استيقظ صباحا فوجد كلَّ شيءٍ أسودَ، ما الذي ضرَّه ؟ هل أحدٌ اقتحم مزرعتَه و أحرقها له ؟ لا ؛ جهلُه وحدَه الذي دمَّره، و يفعل الجاهلُ بنفسه ما لا يفعل العدوٌّ بعدوِّه، يقول الله عز وجل:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر]

بالمناسبة هناكَ مقاييسُ ماديَّة منتزَعةٌ من الحياة اليومية، فالناسُ يعظِّمون الغنيَّ و صاحبَ المنصب الرفيع و الوسيم الجميل و الذكيَّ العاقل، هذه مقاييس وضعها البشرُ استنبطوها من واقع الحياة، و لكنَّ اللهَ سبحانه و تعالى لم يعتمدْها و لم يعبأ بها و لم يقِرَّها، أقرَّ اللهُ تعالى قيمتين اثنتين ؛ القيمةُ الأولى قيمة العلم و القيمة الثانية قيمة العمل الدليل قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر]

هذه قيمة العلم، قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ(132)﴾

[سورة الأنعام]

هذه قيمة العمل، فأنت ترقى عند الله بعلمك و بعملك، و أيُّ علم هذا ؟ هناك علومٌ لا علاقة لها بالدين إطلاقا، فَنُّ الرقص يُدرَّس في المدارس و لا علاقة له بالدين، بل يتناقض مع الدين، العلمُ بالله ؛ العلم بأمره و العلمُ برسول الله ؛ العلم بشرعه، هذ هو العلمُ الذي أراده القرآنُ الكريم.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)﴾

[سورة الزمر]

وهذا مقياسٌ ثانٍ، أحيانا البرتقالةُ لو نزعتَ قشرَتها ثم صفَفْتَ القشرةَ بلا لُبٍّ ؛ ما قيمتُها ؟ لا شيء، أولوا الألباب، أي أولوا العقول، أصحاب العقول وحدهم هم الذين يتذكرون، و الذين لا عقل لهم هم الغافلون، و إنما الدينُ هو العقل و من لا عقل له لا دينَ له.

الآنَ توجيهٌ إلهيٌّ و لكنْ في رِقَّة بالغةٍ، قال تعالى

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

[سورة الزمر]

نسبَ اللهُ هؤلاء المؤمنين إلى ذاته، وهذه النسبةُ هي نسبةُ تشريفٍ، شرَّفنا اللهُ حينما قال:

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)﴾

[سورة الزمر]

أي أطيعوا ربكم، و اتقوا عذابَه، و اتقوا سخطَه و عقابَه في الدنيا، و اتقوا نارَه في الآخرة، قال تعالى:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾

[سورة الزمر]

في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾

[سورة الزمر]

أخطرُ شيء في حياتك أن تعبد اللهَ، فإذا كنتَ في أرضٍ و بيئةٍ حالتْ بينك و بين طاعة الله فاركلْ هذه البيئةَ بقدمك و انتقل إلى مكان آخرَ، لأن الأصلَ أن تعبد اللهَ، فإذا حالتْ جهةٌ ما في الأرض بينك و بين عبادة الله لا عذرَ لك عند الله، قال تعالى:

﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِي(56)﴾

[سورة العنكبوت]

لذلك الإنسانُ حينما لا يستطيع أن يقيم شعائرَ الله عليه أن ينتقل إلى بلد آخرَ يقيم شعائرَ الله، فكيف إذا كان في بلد تُقام فيه شعائرُ الله على نحوٍ لا يُوصَف، كبلدنا، وبين أهله، و دروس العلم و المساجد،كلُّ شيء يدعو إلى الله، فانتقل إلى بلدٍ تُرتكب فيه فاحشةُ الزنا على قارعة الطريق، هذه الهجرةُ التي أرادها من أجل الشيطان، أنت مكلَّفٌ أن تترك بيتَك و متجرَك و مزرعتك، و بيئتَك و كلَّ معطياتِ حياتك و تنتقل إلى بلدٍ لا تعرف فيه أحدًا من أجل أن تعبد اللهَ، فكيف بمن يقيم مع المشركين قد برِئَتْ منه ذِمَّةُ الله و كيف بمن يقيم ببلدِ فإذا كبرتْ بناتُه انحرفنَ أخلاقيًّا وهو يرى بأمِّ عينيه وهو لا يستطيع أن يفعل شيئًا قال تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)﴾

[سورة الزمر]

قال تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (11)﴾

[سورة الزمر]

من الظاهر عبادةٌ و من الباطن إخلاصٌ، و الجوارحُ طائعةٌ و القلبُ إخلاصٌ، قال تعالى

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12)﴾

[سورة الزمر]

فإذا كان مقام النبوَّة، بل إذا كان مقامُ سيِّد الأنبياء بل إذا كان مقام الرسلِ بل إذا كان مقام سيِّد الرسل هو هذا ؛ قال تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)﴾

[سورة الزمر]

فمن أنت حتى لا تخاف ؟ و إذا لم يخف الإنسانُ فلا عقلَ له، قال لي مرَّةً أحدُهم: أنا لا أخاف اللهَ، فقلتُ له: أنت بالذات معك الحقُّ أن لا تخاف الله، قال: لماذا ؟ قلت: أحيانا الفلاح يأخذ ابنَه الصغيرَ على الحصيدة و يمرُّ عليه ثعبانٌ كبيرٌ فلا يخاف منه، بل يداعبه، لأنه لا إدراك له فلا خوفَ له، فإذا لم يخف الإنسانُ من الله، فليس له إدراكٌ إطلاقا، و لو عنده إدراكٌ لارتعدتْ مفاصلُه خوفا من الله عز وجل، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: و اللهِ لو تعثَّرتْ بغلاةٌ في العراق لحاسبني الله عنها، لِمَ لَمْ تصلح لها الطريقَ يا عمرُ ؟ قال: و اللهِ لا أمثِّل بهم فيمثِّل اللهُ بي و لو كنتُ نبيًّا، فكلما ازداد حجمُ معرفتك بالله ازداد خوفك منه، لذلك المؤمن الصادقُ قبل أن يفكِّر في ظلم إنسان أو يدوس نملةً يعُدُّ للمليون فما قولك فيما فوق النملةِ ؟ قال عليه الصلاة و السلام

((عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّه عَنْهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ *))

[رواه البخاري]

فإذا كان حبسُ الهرَّة و عدمُ إطعامها يستوجب دخولَ النار فما قولك فيما فوق الهرة ؟

قال تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)﴾

[سورة الزمر]

هذا مقام النبيّ وهو القدوةُ

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-11) : تفسير الآيات 17 - 19

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعةُ عشرة و الثامنة عشرة و التاسعة عشرة من سورة الزمر وهي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17)﴾

[سورة الزمر]

أوّلاً ؛ ماذا تعني كلمةً " اجتنبوا " تيارٌ كهربائيٌّ بثمانية آلاف فولتْ، أيُّ إنسانٍ اقترب منه من مسافة ثمانية أمتار يسحبُه، و يحرقه، و إذا أردنا أن نضع إعلاناً تحذيرًا من هذا التيَّار، نكتب " ممنوع لمسِ التيَّار" أو " ممنوع الاقتراب من التيَّار" الاقتراب، فالسلامة تقتضي أن نضع بينها و بيننا مسافةَ أمانٍ، هذا معنى" اجتنبوا " يجب أن تُبقِيَ بينك و بين المعاصي هامِشَ أمانٍ، و من هنا يقول الله عز وجل:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا(32)﴾

[سورة الإسراء]

و ما قال: و لا تزنوا، و من هنا قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(152)﴾

[سورة الأنعام]

مالك مع مالِه فالحكَمُ هو الحسابُ، و إذا أخطأتَ في الحساب أكلتَ مالَه أما إذا عزلتَ مالَه عن مالك و لو أخطاتَ في الحساب فمالُه معزولٌ فأيَّةُ آيةٍ تبيّن " لا تقربوا " و " اجتنبوا " قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا(1)﴾

[سورة الطلاق]

هناك نهرٌ له شاطئٌ مائلٌ عليه نباتاتٌ زلِقةٌ و بعده شاطئٌ مستوٍ جاف و المشيُ على الشاطئِ المستوِي الجاف فيه أمانٌ، أما الشاطئُ المائل لزلق خطِرٌ، فالمؤمن يبتعد عن المحرَّماتِ يدع لها هامشَ أمانٍ، لذلك لا يقع أبدا، و لذلك قال عليه الصلاة و السلام:

((الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ))

[رواه البخاري]

الزنا معروف، و هامش الأمان الخلوةُ، و هامش الأمان النظرة، و هامش الأمان الاختلاط و أن تمشي في طريق مليء بالكاسيات العاريات قبل أسبوعين فتاةٌ ذهبتْ إلى بائع لتشتري حاجةً فطلبت من أجير هذا لبائع أن يفعل معها شيئًا رأتْه البارحةَ في المسلسل و فعل بها و زنى بها و عادت إلى أهلها، و أثناء المحاكمة قالت: رأيت هذا في المسلسل فأردتُ أن أجرِّبه، فلذلك: قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا(32)﴾

[سورة الإسراء]

أيُّ محرَّمٍ حرَّم اللهُ علينا الاقترابَ منه، أن ندعَه و ندَعَ ما حوله من الهوامشِ، هذا معنى قوله تعالى:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

[سورة البقرة]

جعلْ بينك و بين المعصية هامش أمان، لا تقع أبدا، لأنك في بحر الأمان، ذلك وردَ عن المسيح عليه السلام كلمةً: الشريفُ الذي يهرب من المعصية و لكنَّ الشريفَ الذي يهرب من أسباب المعصية " صخرةٌ مستقِرَّة في قمَّة الجبل أردتَ أن تزحزحها و أن تدعها تنحدرُ في الوادي، أنت حينما تزحزحها لك خياران ؛ إما أن تبقيَها في مكانها و إما أن تزحزحها، فإذا زحزحتها لن تستقرَّ إلا في قعر الوادي، ليس عندك خيارٌ، بالونٌ إما أن تبقيه بهذا الحجم و أما إذا ثقبتَه لن يبقى فيه هواءٌ إطلاقا، فلذلك قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾

[سورة الزمر]

بعضُهم يدَّعِي أن الخمرَ ليست محرمةً لأن الله تعالى قال:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(77)﴾

[سورة الحج]

اللهُ لم يقل إنه محرم، بل قال اجتنبوه، ما هو أكبرُ شيءٍ لا يُغفَر ؟ أن تعبد غيرَ الله، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾

[سورة الزمر]

و قال تعالى:

﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ(30)﴾

[سورة الحج]

أكبرُ معصيةٍ لا تُغفَر جاء تحريمُها بالاجتناب، و الاجتناب أبلغُ من التحريم، و لو أَّن الله حرَّم الخمر فقط، فلك أن تبيعها و لك أن تشتريها و لك أن تتاجر بها و لك أن تعصرها و أن تنقلها و تعلن عنها، أنت ما شربتها، قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(90)﴾

[سورة المائدة]

و قال عليه الصلاة و السلام،

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةً عَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَشَارِبَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَآكِلَ ثَمَنِهَا وَالْمُشْتَرِي لَهَا وَالْمُشْتَرَاةُ لَهُ))

[رواه الترمذي]

هذا هو الاجتناب أن تدع هامش أمان بينك و بين المعصية .

أيَّةُ آيةٍ في كتاب الله فيها اجتنابٌ، فإنها معصية لها قوة جذبٍ، و يجب أن تدع بينك و بينها هامش أمانٍ، أما هناك آياتٌ، قال تعالى:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ(229)﴾

[سورة البقرة]

أمور النساء لا تقربوها و أمور المال لا تقربوها، اجتنبوا الرجس من الأوثان.

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

[سورة الزمر]

كلمةُ " أحسن " تقابلها " أخشن " و هل معقول أن تكون في القرآن آيةٌ أحسن من آيةٍ ؟ كلُّه كلام الله عز وجل، فكيف نفسِّر هذه الآيةَ ؟ قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

[سورة الزمر]

هل هناك أسوأه ؟ العلماءُ قالوا: حينما يصف لك أهلَ الجنة و أهل النار تتّبع من؟ تتَّبع طريقَ أهل الجنة، و حينما يصف لك المؤمنين و غير المؤمنين تتّبع من ؟ طريقَ المؤمنين، هذا معنى قوله تعالى:

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

[سورة الزمر]

قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18)﴾

[سورة الزمر]

أولوا الألباب هم الذين هداهم اللهُ أولوا الألباب في الدرس الماضي الذي هو:

﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)﴾

[سورة الزمر]

الآنَ هذا الوهمُ الذي يعيشه المسلمون انه يوم القيامة يتعلقون بشفاعة النبيِّ عليه الصلاة و السلام، هذا وهمٌ كبيرٌ جدًّا، شفاعة النبي حقٌّ أما المفهوم الذي يفهمه الناسُ من الشفاعة فباطلٌ، أن الإنسانَ يرتكب الكبائرَ و يتحرك في الحياة كما يشاء و يعتمد على شفاعة النبيِّ، هذه الآيةُ أصلٌ في نفيِ هذا المعنى، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19)﴾

[سورة الزمر]

أفأنت يا محمد تنقذ من في النار، و يعضُد هذا قولُ النبيّ صلى الله عليه و سلم:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِمَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِالْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا))

[رواه البخاري]

لا ينال شفاعةَ النبيّ إلا من مات غيرَ مشركٍ مخلِصا، و إذا أردنا أن نوفّق بين هذه الآيات و تلك الأحاديث و بين بعض الأحاديث نمثِّل بطالبٍ قدَّم عشرَ موادٍ نجح في تسعةٍ و المادة العاشرة له فيها ثمانية و أربعون، ناقص علامتين، يشفع له النبيُّ، أما كلُّهم أصفارٌ تستحيل الشفاعةُ، هذا المعنى المقبولُ، وحينما سمح الله

للنبيّ أن يشفع له من أجل تمكين علاقة المؤمن بالنبيّ و لكرامته على الله، أحيانا الأب يريد أن يُمتّن علاقةَ ابنه مع أمِّه، يعطي الأمَّ ألفَ ليرةٍ و يقول لها: أعطيه إياها، فالأب هو الذي سمح و أذِن و أمر، في الظاهر الأم أعطت الابنَ آلأفَ ليرة، متَّنا العلاقة و بيَّنا كرامةَ الأم، فهذا هو المعنى المقبول لشفاعة رسول اللهِ، لذلك ورد في الحديث يقول النبيُّ يوم القيامة:

((اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ فَقَالَ اللَّهُ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ))

أيها الإخوة الكرام ؛ ما قولكم في طالبٍ عنده امتحان مصيري و لو نجح في هذا الامتحان له مستقبلٌ مزهِرٌ، فقال له واحدٌ: هذا الأستاذُ شغلُه سهلٌ، بألف ليرة يعطيك الأسئلةَ فلا تتعب نفسك، فارتاح و لم يدرس، قبل الفحص بيومين طرق بابَ الأستاذ وقام بالذي وصاه به صديقُه ولم ينجح، فدخل الامتحانَ و رسبَ، فالذي قال له: يعطيك الأستاذُ الأسئلةَ بألف ليرة ما خرَّب بيتَه ؟ الأستاذُ فوق ذلك، فكلُّ إنسان يتوهَّم الشفاعةَ قد أخطأ، و قد قال النبيُّ عليه الصلاة و السلام:

((شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي))

[رواه داود]

هذا يوم القيامة يتفاجأ مفاجأةً مذهلةً، يخسر نفسَه و آخرَته كلَّها، أين قوله تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

[سورة الزلزلة]

لو صدَّقنا أن الشفاعة للعصاةِ لتعطَّلت هذه الآيةُ، و أين قوله تعالى:

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا(77)﴾

[سورة النساء]

و قوله تعالى:

﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(16)﴾

سورة لقمان

أين كلُّ هذه الآيات؟

أيها الإخوة الكرام ليس هناك خطأٌ في العقيدة إلا و يقابله خطأٌ في السلوك، فلو أن الإنسانَ عنده قضيَّةٌ عند قاضٍ، و قال لك إنسان إن هذا القاضي بهدية تربح القضيةَ فلا داعي للمحامي، ثم ظهر القاضي أشرفَ من ذلك، أما أنت فمُغرَّرٌ بك، فلما أردت أن تتحرك وفقَ ما وجَّهوك وجدتَ الطريقَ مسدودا و قعتَ في إحباطٍ فخسرت الدنيا و الآخرةَ .

فلذلك إخواننا الكرام قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجر]

عدلٌ مطلقٌ و حسابٌ و عذابٌ و جنةٌ و نارٌ و مسؤوليةٌ، أما أن تتعلَق بالأماني و أن تتعلَّق بشفاعةٍ و بمفهوم ما أراده النبيُّ إطلاقا وقد قال تعالى:

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ(28)﴾

[سورة الأنبياء]

و قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(88)﴾

(سورة الشعراء)

هذه هي المعاني الصحيحة قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19)﴾

[سورة الزمر]

أفأنت يا محمد تنقذ من في النار ؟

هذه الآيةُ أصلٌ لنفي المفهوم الساذِجِ للشفاعةِ، أمَا لها مفهومٌ آخرُ نرجو اللهَ أن تنالنا شفاعةُ النبيّ

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-11) : تفسير الآيات 54 - 61

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآياتُ التي شُرِحت البارحةَ بفضل الله عز وجل لها تتِمَّةٌ، فحينما قال الله تعالى:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54)﴾

[سورة الزمر]

أي ؛ يا من أسرفتُم على أنفسكم لا تقنطوا من رحمة الله و في الحديث القدسي عن أنسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ

((قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً))

[رواه الترمذي]

المشكلة أن تنيبوا،أناب إلى الله رجع إليه و إلى أمره و إلى نهيه و إلى منهجه و رجع إلى ما يرضيه و ترك ما لا يرضيه، و الرجوع إلى الله هو الرجوع إلى منهجه و إلى الصراط المستقيم، قال تعالى:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54)﴾

[سورة الزمر]

و الرجوع في الإقبال إليه، في الحياة اليومية هناك استقامة هذا رجوع إلى منهجه و إلى طاعته في شأن بيته و عمله و تجارته و علاقاته و سفره و إقامته، قال تعالى:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾

[سورة الزمر]

ومعنى " أن " في اللغة لئلا تقول نفسٌ، قال تعالى:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)﴾

[سورة الزمر]

أيها الإخوة الكرام، ما من حالةٍ نفسيةٍ أشدُّ إيلاما لصاحبها من شعور الندمِ، الشيءُ بين يديكم متاحٌ لك و بإمكانك أن تصل إليه، فمثلا بيت عُرِض عليك بمائة ألف، و رفضتَه لسبب تافهٍ، و بعد عشر سنوات أصبحتَ بحاجة لهذا البيت و صار ثمنُه ثلاثين مليوناً، فتقول: أنا قلبي محروقٌ كيف ذهب البيتٌ عني، و أحيانا الإنسان يفرّط في زوجةٍ بسبب طارئٍ طلَّقها وهي جيّدة جدًّا ؛ أخلاق و دين و جمالٌ، فتشرَّد الأولاد و انحرفوا وتزوج الثانية و ما أعجبته، فيقول: أنا قلبي محروق كيف طلَّقتها، هذا ندم في الدنيا، و الموتُ ينهي فقر الفقير وغنى الغنيّ و صحة الصحيح و مرض المريض، و الموت ينهي كلَّ شيءٍ، أما الأبد فإلى أبد الآبدين، قال تعالى:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)﴾

[سورة الزمر]

و قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا(27)يَاوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا(28)لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا(29)﴾

[سورة الفرقان]

لا توجدُ حالةٌ نفسيةٌ تردُّ النفسَ و تؤلمها مثل الندم، و الشيءُ المستحيل لا تندم عليه، أما أنت فتندم على ما بين يديك و على ما في متناول يديك و على ما أنت قادرٌ عليه، فإذا لم تصعد إلى الفضاء الخارجي هل تندم ؟ لا، ليس لك المؤهِّلات و لا الإمكانات، وهو شيءُ فوق طاقتك، فلا تندم إلا على ما هو بين يديك متمكِّن منه قادر عليه، قال تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ(42)﴾

[سورة القلم]

قال تعالى:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)﴾

[سورة الزمر]

ومعظم الناس هم على حالة لا ترضي اللهَ، و حتى يتوازن همَّه الأولُ السُّخريةُ من أهل الدين، و التعليق على تصرفاتهم و انتقاد مواقفهم، حينئذٍ يرتاح، أما لو عرف الطريق المستقيمَ و الناسَ الملتزمين و الناجحين مع ربِّهم يختلُّ توازُنُه، أما حتى يستعيد توازنَه المنهارَ يطعن في أهل الحقِّ، قال تعالى:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)﴾

[سورة الزمر]

قلتُ لكم منذ يومين أنه معقول أن الله تعالى يقول:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)﴾

[سورة الزمر]

:قال تعالى:

﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ(4)﴾

[سورة التحريم]

إذا انتقدت لامرأةٌ مِلكًا هل من المعقولِ أن يستنفر خمسَ فرق من الجيشِ و سلاح الطيران و البحرية و الشرطة و الأمن ؟ فما معنى الآية؟

﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ(4)﴾

[سورة التحريم]

زوجتا النبيّ قال تعالى:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ(4)﴾

[سورة التحريم]

معقول هذا الاستنفار كلُّه من أجل امرأةٍ، المعنى الذي أراده اللهُ أن الإنسانَ قبل أن يتحرَّك ليطفئَ نور الله و ليعادي أولياء الله لابد أن يحسب الحساب، لأن هذا المؤمنَ يدافع الله عنه و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة أجمعين، مثلما أن الإنسان لا يستطيع أن يقترب من الشرطي، لأن وراءه وزير الداخلية، فإذا فكَّرت في أحد أولياء الله و أن تجعله مضغةً في الأفواهِ فكِّرْ، لا تقترب إلى المناطق الخطيرة، دعك وهؤلاء الذين نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله، و الذي لا يخطئُ هو رسول الله و معه شخصٌ ثانٍ هو الذي لا يعمل، لا دعا إلى الله و لا أمر بالمعروف و لا خدم المسجد، و قعد وصِيًّا على الناس، و من أنت حتى تكون وصيًّا على الناس، الذي لا يعمل يخطَئُ ؛ هذا معنى ثانٍ، قال تعالى:

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57)﴾

[سورة الزمر]

وهذه المشكلة التي يصفها اللهُ عز وجل أن الإنسانَ لمَّا يهتدي يقول: أنا اهتديتُ، أما إذا ضلَّ قال: هكذا الله كتب عليَّ لماذا في أمور الضلال و المعاصي و الآثام تعزوها إلى الله، قال تعالى:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(28)﴾

[سورة الأعراف]

لا يُعقل أن تُعزى الحسناتُ إلى الإنسان و السيّئاتُ إلى الله تعالى، هنا قال تعالى:

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57)﴾

[سورة الزمر]

واللهُ هداك، و الكونُ فيه هدًى و الأنبياءُ فيهم الهدى و الكتابُ فيه الهدى، و كلُّ شيء في الكون ينطق بالهدى، فالله هداك و بقيَت الاستجابة، قال تعالى:

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57)﴾

[سورة الزمر]

و قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي(99)لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(100)﴾

[سورة المؤمنون]

أيها الإخوة الكرام نحن مُخاطون بآياتٍ لا تُعدُّ و لا تُحصَى، آيات كونية و آيات قرآنية و آيات تكوينية، فأفعالُ الله آياتُه التكوينيةُ و خلقُه آياتُه الكونيةُ و كلامُه آياتُه القرآنية، و كلَّ ما خلق الله تعالى يدلُّ على وجوده و على كماله و على وحدانيته، و كلُّ كلامه يدلُّ على وحدانيته و كلُّ أفعاله تدلُّ على وحدانيته، قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60)﴾

[سورة الزمر]

من الكذب على الله أن تقول حينما تفعل الفاحشةَ: إن الله أمرني بها، وإن الله كتبها عليَّ، و العوام يقولون: طاقاتٌ معدودةٌ في أماكنَ محدودة، و لا تعترض فتترض، و كلٌّ شغلُ سيّدك،هذا كلُّه باطلٌ لا أساس له، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(28)﴾

[سورة الأعراف]

و قال تعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148)﴾

[سورة الأنعام]

قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60)﴾

[سورة الزمر]

هذا الوضعُ العصيبُ المُخيفُ الرهيبُ ؛ حسابٌ دقيقٌ و نارٌ مستعرةٌ، و المؤمنون وحدهم الناجون، قال تعالى:

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61)﴾

[سورة الزمر]

اتقوا ؛ أي اتقوا سخطَه و غضبه و أن يبتعدوا عنه، قال تعالى:

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61)﴾

[سورة الزمر]

لذلك الفوزُ كلُّ الفوزِ و النجاحُ كلُّ النجاحِ أن تكون في هذا اليوم العصيبِ من الفائزين، و إن غدا لناظره قريبٌ، و كلُّ متوقَّعٍ آتٍ و كلُّ آتٍ قريبٌ، و الإنسانُ بين عشيةٍ و ضحاها و بين التفالتةٍ أو سواها يصبح من أهل القبور، كان شخصًا ماءَ السمع و البصر فصار خبرا على الجدرانِ، واعلموا أن ملَك الموت قد تخطَّانا لغيرنا و سيتخطَّى غيرَنا إلينا، فلنتَّخِذْ حِذرَنا، فالبطولةُ أن تصل إلى هذه الساعة الحرجةِ و أنت من الفائزين، و الفوزُ بيدك، و الندمُ أساسيُه الشيءُ المُستطاعُ، و أنت لا تندم على المستحيل عليك، فلذلك قال تعالى:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)﴾

[سورة الزمر]

أو لئلا تعزُوَ ذنبَها حينما يختلُّ توازُنها إلى الله أو لئلا تطلبَ الكَرَّةَ الثانيةَ، قال تعالى:

﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60)﴾

[سورة الزمر]

وقال تعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148)﴾

[سورة الأنعام]

هذا كذبٌ، و تخرصون ؛ أي تكذبون، و حينما تعزو أخطاءك إلى الله أو إلى القضاء و القدر أو أنها مكتوبةٌ عليك قبل أن تُخلَق، هذا افتراءٌ على الله و هذا أشُدّ أنواعِ الكذبِ.

قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60)﴾

[سورة الزمر]

عرفوا ربَّهم في الدنيا و استقاموا على أمره واتقوا أن يعصوه فنجَّاهم اللهُ عز وجل، قال تعالى:

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61)﴾

[سورة الزمر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-11) : تفسير الآيات 53 - 55

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، ما من آيةٍ في كتاب الله تعالى أرجى من قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

[سورة الزمر]

أسرفوا على أنفسهم، فعلوا كلَّ المعاصي ليلا و نهارًا كبيرَها و صغيرَها، قال تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

[سورة الزمر]

القانطُ عند الله كافرٌ، و الذي ييأس من رحمة الله كافرٌ، قال تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

[سورة الزمر]

و في الحديث القدسي، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ

((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً *))

[رواه الترمذي]

عندي لك الصلحُ وهو برّي و عندك السيفُ و السّنانُ

ترضى بأن تنقضي الليالي وما انقضتْ حربُك العوانُ

فاستحِ من كتابٍ كريـم يُحصِي به العقلُ و اللسانُ

واستحِ من شيبةٍ تراهـا في النار مسجونة تُهـان

قال تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

[سورة الزمر]

و قال عليه الصلاة و السلام

((عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ *))

[رواه البخاري]

أعرابيٌّ يركب ناقته و يقطع بها الصحراءَ، عليها زادُه و شرابه، جلس ليستريح، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

((قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ))

[رواه مسلم]

اللّه أفرح بتوبة عبده من ذلك البدوي بناقته.

قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا(27)يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا(28)﴾

[سورة النساء]

و ما فتح اللّهُ باب التوبة لعباده إلا ليتوب عليهم، و ما أمر عبادَه أن يدعوه إلا ليستجيب لهم، و حسنُ الظنِّ بالله ثمنُ الجنة، قال لي أحدُهم: ليس هناك معصيةٌ ما عملتُها، و تاب إلى الله توبةً نصوحًا، و الآن يعيش حياةً فوق التصوُّرِ من السعادة، إذا قال العبدُ يا ربي وهو راكع، قال الله له: لبَّيك يا عبدي، فإذا قال يا ربي وهو ساجد، قال الله لبَّيك يا عبدي، فإذا قال يا ربي وهو عاصٍ قال الله لبَّيك ثم لبَّيك ثم لبَّيك، و لم يعلم المعرضون انتظاري لهم و شوقي إلى ترك معاصيهم لتقطَّعت أوصالُهم من حبي، و لماتوا شوقا إليَّ، هذه إرادتي بالمعرضين فكيف بالمقبلين ؟

هذا موقف الله تعالى، أهلُ ذكري أهلُ مودّتي، و أهلُ شكري أهل زيادتي، و أهل معصيتي لا أُقنّطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم و إن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لا أطهّرهم من الذنوب و المعايِب، الحسنةُ عندي بعشرة أمثالها و أزيد و السيّئة بمثلها و أعفو، وأنا أرأفُ بعبدي من الأمّ بولدها "

قال تعالى:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(64)﴾

[سورة غافر]

و قال تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

[سورة الزمر]

إعراب " جميعا " توكيدٌ، كلُّ الذنوب مهما كثرت و مهما عظُمتْ، بشرط أن تأتيَه تائبا، و المشكلةُ في الذين يقولون:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(4)﴾

[سورة الماعون]

لكن تمام الآية "

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(5)﴾

[سورة الماعون]

و لو أن الله قال: في صلاتهم ساهون، الإنسانُ يسهى أحيانا، أما عن صلاتهم اختلف الوضعُ قال تعالى:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54)﴾

[سورة الزمر]

متى أغفر الذنوب جميعا و متى رحمتي سبقت غضبي، متى، قال تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

[سورة الزمر]

متى، قال تعالى:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54)﴾

[سورة الزمر]

إذا أنبتم و رجعتم و ندمتم و استغفرتم و تبتم و أصلحتم و أقلعتم و عزمتم، متى ؟ قال تعالى

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54)﴾

[سورة الزمر]

أي استسلمتم لأمره و انصعتم لأمره و طبَّقتم أمرَه و تحرَّيتم الحلالَ و في الحديث: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

((قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً *))

[رواه الترمذي]

أيها الإخوة الكرام لا يجوز أن نقرأ آيةً و ندعَ الثانيةَ، قال تعالى:

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(49)وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ(50)﴾

[سورة الحجر]

قال تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

[سورة الزمر]

وفي دعاء النبيّ صلى الله عليه و سلم، يقول:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ *))

[رواه مسلم]

أحيانا التحليلُ يعطيك خبرَ البورم فيصبح الإنسانُ في كآبة و ألم، اللهم إنا نعوذ بك من فجاءة نقمتك.

أيها الإخوة الكرام، دقّقوا في هذا الحديث، هذا كلام النبيّ،عَنْ مُعَاذٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ

((كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ فَقَالَ يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا *))

[رواه البخاري]

هل تصدِّق أنك حينما تعبد اللهَ ينشأ لك حقٌّ على الله ؛ أن لا يعذبك، و الله تعالى عنده ألوانٌ من العذاب لا يحتملها الإنسانُ، و هناك آلامٌ لبعض الأمراض لا يحتملها الإنسانُ، و بعضُ الذُّلِّ و الإهانة لا يحتملها الإنسانُ، و الفقرُ المدقع لا يحتمله الإنسانُ و يجعل حياة الإنسانِ جحيما أنت حينما تعبد اللهَ ينشأ لك حقٌّ على الله، أن لا يعذِّبك، وهناك دليلٌ آخرُ، قال تعالى:وَقَالَتْ

﴿ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ(18)﴾

[سورة المائدة]

قال العلماءُ: لو أن اللهَ أقرَّهم على دعواهم لما عذَّبهم، و هم ادَّعَوا أنهم أحبابُه، إذًا اللهُ سبحانه و تعالى لا يعذِّب أحبابَه، و أدَقُّ من ذلك قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(21)﴾

[سورة الجاثية]

الدنيا قبل الآخرةِ، سواءٌ محياهم دنياك كمؤمن غيرُ دنيا الكافرِ، فيها طمأنينة و أمنٌ، قال تعالى:

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾

[سورة الأنعام]

أين قوله تعالى:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ(48)﴾

[سورة الطور]

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ(38)﴾

[سورة الحج]

و أين قوله تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(257)﴾

[سورة البقرة]

و أين قوله تعالى:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ(11)﴾

(سورة محمد)

و أين قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا(96)﴾

[سورة مريم]

أنت تعامِل خالقَ الأكوانِ، أنت تعامل من بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ، أنت تعامل من إذا قال: كن فيكون، و في الحديث:عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ

((ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))

[رواه مسلم]

موطِن الشاهدِ، الآيةُ الثانيةُ، قال تعالى

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54)﴾

[سورة الزمر]

فارجِعْ إلى الله و اصطلِحْ معه و راجعْ حساباتك و سدِّدْ ديونَك، و استسمِح من اغتبْتَهُ و أدِّ ما عليك، و غُضَّ بصرَك، و ربِّ أولادَك و زوجتَك و أقِم الإسلامَ في بيتك و في عملك و انظُرْ كيف يعاملُك اللهُ، عبدي

كنْ لي كما أريد أكنْ لك كما تريد، أنت تريد و أنا أريد فإذا سلَّمتَ لي فيما أريد كفيْتُك ما تريد، و إن لم تسلِّم لي فيما أريد أتعبْتُك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد "

فأوَّلُ آيةٍ قوله تعالى:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54)﴾

[سورة الزمر]

و قال تعالى:

﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ(11)﴾

[سورة الرعد]

و قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(41)﴾

[سورة الرعد]

ليس عنده استئناف، و قال تعالى:

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55)﴾

[سورة الزمر]

هو وزوجتُه و خمسةُ أولادٍ يمشون فإذا سائقٌ نائم قد اصطدم بهم، الزوجةُ ثلاثون كسرا، وولدان قد ماتوا، و هو مشلولٌ، هذه بغتة، فإذا كان الإنسانُ مستقيما فهو في حفظ اللهِ، قال تعالى:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الرعد]

الملائكة تحفظك، و قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ*))

[رواه مسلم]

الملائكةُ موَكَّلةٌ بحفظك من كلِّ مكروهٍ و حادثٍ ومن كلِّ مشكلةٍ، ومن كلِّ بلاءٍ، الواحدُ استيقظ الصبحَ فلم يجدْ سيارَته، سُرِقتْ، و السيارةُ فيها تهريب الحشيش و انضبطتْ أودِع السِّجنَ لخمسِ سنواتٍ، لذلك لا تعجزْ عن ركعتين قبل الفجرِ أكفِك النهارَ كلَّه، و قال عليه الصلاة و السلام:

((عَنْ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ *))

[رواه مسلم]

((فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ قَالَ دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ فَقَعَدَ وَحْدَهُ فَقَعَدْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ*))

[رواه مسلم]

فأنت في ذمَّة اللهِ وحفظِه، و أنت مع خالقِ الكونِ، و المسجد بيتُه، و إن بيوتي المساجد.

قال تعالى:

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55)﴾

[سورة الزمر]

و قال تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ(42)خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ(43)﴾

[سورة القلم]

و النبيُّ الكريمُ مرَّ على قبرٍ و قال: إن صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تنفلون في صلاتكم أحوجُ إليها من دنياكم كلِّها.." قال تعالى

﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمْ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ(45)﴾

[سورة الطور]

فأيها الإخوةُ الكرامُ، ليس لنا حجَّةٌ، و قال العلماءُ هذه أرجَى آيةٍ في كتاب اللهِ، وفي الحديث السابق: لو بلغت ذنوبك عنان السماء، بشرط أن تكملها بأولها قال تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54)﴾

[سورة الزمر]

وإلا يأتيك العذابُ فجأةً و أنت لا تشعر

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-11) : تفسير الآية 67

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآيةُ الكريمةُ السابعةُ و الستُّون من سورة الزمر وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)﴾

[سورة الزمر]

النقطةُ الدقيقةُ هو أن النبيَّ عليه الصلاة و السلامُ حينما بُعِث إلى قريشٍ و إلى الأمةِ العربيةِ و إلى جميع الأممِ بدأ بتعريف الناسِ باللهِ، و بقيَ ثلاث عشرةَ سنةً يعرّف الناسَ باللهِ، و الآياتُ المكيةُ كلُّها تقريبا تتحدَّث عن الكونِ، و في المدينة نزلتْ آياتُ التشريعِ، فالدعوةُ سلكتْ في مرحلتين، مرحلةُ التعريف بالآمرِ و مرحلة التعريف بالأمر، ونحن إذا أغفلنا المرحلةَ الأولى لا نفلح في دعوتنا أبدا، وهذه الآيةُ تغطّي هذا المعنى، قال تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)﴾

[سورة الزمر]

فكيف نقدِّر اللهَ حقَّ قدرِه ؟

تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ ستِّين عاما، قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(1)وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(2)لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(3)﴾

[سورة القدر]

ألف ثمانين عاما تعبد فيها اللهَ عز وجل، خيرٌ منها أن تتعرَّف على الله عز وجل و أن تعظِّمه، ألم يقل سيِّدُنا موسى: ربِّ أيُّ عبادك أحبُّ إليك حتى أحبه بحبِّك، قال يا موسى أحبُّ العباد إليَّ تقِيُّ القلبِ نقيُّ اليدين لا يمشي إلى أحد بسوءٍ، أحبَّني و أحبَّ من أحبَّني و حبَّبني إلى خلقي، قال: يا ربي إنك تعلم أني أحبُّك و أحب من يحبُّك، فكيف أحبِّبُك إلى خلقِك ؟ قال ذكِّرْهم بآلائي و نعمائي و بلائي " .

أنا أريد أن أبحث عن الخطوات العملية كي يقدِّر اللهَ حقَّ قدره، الله تعالى نفى عن هؤلاء التائهين الشاردين الغافلين العصاة المذنبين أنهم ما قدروا اللهَ حقَّ قدره، إذا الإنسانُ مجنَّدٌ في العسكرية و لمحَ لواءً في الطريق يحيِّيه أقوى تحيَّةٍ، أما إذا لمحه مدنيًّا لا يعرف ما هي الرُّتبُ لا يقدِّره، من يقدِّر؟ من ينظِّمُ لهذا السلك، من

يقدِّر أكبرَ جرَّاحِ قلبٍ في العالَمِ ؟ أطبَّاءُ القلب، من يقدِّر أكبرَ مهندسٍ ؟ المهندسُ، أنت لن تستطيع أن تقدِّر إلا إذا تأمَّلتَ و تعرَّفتَ، و ماذا تعني الآياتُ ؟ قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(164)﴾

[سورة البقرة]

إن أردتم صيغةً عمليةً لأن تقدِّر الله حقَّ قدره، الجوابُ: تفكَّرْ في خلق السماوات و الأرض، فكلما تفكرتَ في خلق السماوات و الأرض قدَّرت الله حقَّ قدره، بل إن الكونَ بمجرَّاته و مذنَّباته و كواكبه ونجومه، و المجموعة الشمسية و التي نحن فيها و الأرض بما فيها و ما عليها و ما في باطنها و بجماداتها بأنهارها و جبالها ببحورها و نباتاتها و حيواناتها، هذا الكونُ أوسعُ بابٍ تدخل منه إلى معرفة الله و أقصرُ طريقٍ تعبُره كي تصل إلى الله، و لا حاجةَ لإعادة بعض الآيات الكونية، أنا ذكرتُ لكم قبل عامٍ أن إحدى محطَّاتِ الأخبار العالمية أذاعتْ الخبرَ التالي: أُرسِلتْ مركبةٌ إلى الفضاء الخارجي بأعلى سرعةٍ صنعها الإنسانُ أربعين ألفَ ميلٍ في الساعة، بقيتْ تسير في الفضاء الخارجي ستَّ سنواتٍ، وصلتْ إلى قريب المشتري، و على هذه المركبة مرصدٌ عملاق، رصد قبل عام أبعدَ مجرَّةٍ كُشِفتْ للإنسانِ، الرقم بسيطٌ جدا ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية، و الضوءُ يقطع في الثانية ثلاثمائة ألف كيلومتر، قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ(75)وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(76)﴾

[سورة الواقعة]

انتقِلْ إلى الشيء الصغيرِ ؛ الحُوَيْن المنوي، الإنسانُ في اللقاءِ الزوجي يفرز خمسمائة مليون حُوَيْن، تحتاج البُوَيْضةُ إلى حوَيْن واحدٍ، و في الحوين الواحد موادٌ خمسة آلاف مليون معلومة مُبرمجة، على نُوَيَّة الحوين المنوي، قال تعالى:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(3)﴾

[سورة يونس]

قال تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)﴾

[سورة الزمر]

إن أردتم الصيغةَ العمليةَ لأن تقدِّر اللهَ حقَّ قدره، فإذا عرفت اللهَ عز وجل، تعُدُّ للمليون قبل أن تعصيَه، و إذا لم تعرفه تبحثُ عن فتوى من أجل أن تعصيَه، لذلك من عرف الأمرَ قبل الآمرِ تفنَّن في التفلُّت من أمر الآمرِ، و من عرف الآمرَ قبل الأمرِ تفانى في طاعته، أنت الآنَ جندي في الثكنةِ جاءك أمرٌ من سبعةٍ، من ثمانية ونجمتين أو أكثر من ذلك، فكلما صعدتْ الرتبةُ تندفع كلمح البصر إلى تنفيذ الأمرِ، هذا في السلك العسكري، و قد قيل: لا تنظر إلى صِغر الأمر و لكن انظرُ إلى على من اجْترأْتَ، اجترأْت على الله خالق الكون.

آيةُ اليوم قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)﴾

[سورة الزمر]

كيف أقدِّره حقَّ قدره ؟ لو أمضيتَ العمُرَ كلَّه في التدقيق في آيات الله في جسمك لا تنتهي، و الذي هو أقربُ شيء إليك، ثلاثمائة ألف شعرة و كلُّ! شعرةٍ فيها وريد و شريان و عصب و عضلة، غدَّة دهنية و غدة صبغية، و العين مائة و ثلاثون مليون عُصيَّة و مخروط في الشبكية من أجل نقل أدقِّ تفاصيل الصورة الملوَّنة، ثم انظُر إلى الدماغِ، أربعة عشر مليار خلية قشرية، ترتكز على مائة و أربعين خلية سمراء لم تُعرَف وضيفتُها بعدُ و الذاكرةُ تحتوي في عمرٍ متوسّط أربعين مليار صورة مصنفة في أرشيف، منها البعيد و المتوسط و القريب و شيء يُمحَى ، أتحسب أنك جِرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبرُ ، فجسمك وحده يمكن أن تعرف اللهَ من خلاله، طعامك، قال تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(24)أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا(25)ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا(26)فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(27)وَعِنَبًا وَقَضْبًا(28)وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا(29)وَحَدَائِقَ غُلْبًا(30)وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(31)مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ(32)﴾

[سورة عبس]

هذا البطِّيخ الذي نأكله في الصيف، كيف يعرف الفلاحُ أنها استوتْ ؟ الله تعالى جعل فيها حلزونا أخضرَ تمسكه و تضغطُه إذا انكسر معناها أنها استوتْ، ما انكسر اترُكْها، علامة راقية جدًّا، و العنب مهما هبَّتْ عليه الرياحُ لا يسقط، وهو محمولٌ بأربطةٍ متينةٍ جدًّا، فكِّرْ في البيض و الدجاج و الحليب و الخضر و الفواكه و القمح الذي فيه أربعة آلاف و خمسمائة نوع من القمح، أحدُ إخواننا الدكاترة في الجامعة قال لي:

خمسة و أربعون ألف نوع من القمح تنبت في رؤوس الجبال و الأغوار و في كلِّ المناطق، لأنه أساسي، فإذا أردتَ أن تقدِّر اللهَ حقَّ قدره عليك أن تتفكَّر، قال تعالى:

﴿ فَلْيَنظُرْ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ(5)خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ(6)يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(7)﴾

و قال تعالى

﴿فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(24)أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا(25)ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا(26)فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(27)وَعِنَبًا وَقَضْبًا(28)وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا(29)وَحَدَائِقَ غُلْبًا(30)وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(31)مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ(32)﴾

[سورة عبس]

و قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(17)وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(18)وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(19)وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ(20)﴾

[سورة الغاشية]

وقال تعالى:

﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ(101)﴾

[سورة يونس]

و قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(164)﴾

[سورة البقرة]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-11) : تفسير الآيتان 71 - 72

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام ؛ الآياتُ الأخيرة من سورة الزمر وهي قوله تعالى :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

معنى :

﴿ زُمَراً ﴾

الزناةُ زمرةٌ ، والشَّاذون زمرةٌ ، وأكِلوا الربا زمرةٌ ، والكذَّابون زمرةٌ ، والمحتالون زمرة ، والقتلةُ زمرة ، والمجرمون زمرة ، والمستغلُّون زمرة .

كلُّ عمل فيه إيذاءٌ للبشر يُعدُّ عملا شرّيرا يُجمع أصحابُه زمرةً واحدةً .

((الخلقُ كلُّهم عيالُ الله تعالى ، فأحبُّهم إلى الله عز وجل أنفعُهم لعياله))

[أخرجه أبو يعلى والحارث في مسنده]

قال تعالى :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

الذين كفروا هم الذين كذَّبوا و أعرضوا ، فإعراضُهم كفرٌ و تكذيبُهم كفرٌ هناك من يكذِّب و يعرض و هناك من لا يكذِّب ولكنَّه يعرض فإعراضُه سببُ كفرِه .

أيها الإخوةُ في آية أخرى يقول الله تعالى :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[سورة التغابن الآية : 1]

قال بعض العلماء : سبَّح أي نزَّهَ ومجّد وخضعَ ، وأضاف بعضُهم أن الخضوعَ علامةُ التسبيح والتمجيد ، فمن لم يخضع لم يسبِّح ولم يمجِّد ، فالإيمانُ علامتُه الخضوعُ ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

[سورة فصلت الآية : 30]

علامةُ صحَّة إيمانهم استقامتُهم ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة فصلت الآية : 33]

علامةُ إخلاص الدعوةِ العملُ الصالحُ ، قال تعالى :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

الضيفُ الكبيرُ تُفتَح له الأبوابُ قبل أن يأتي ، أما المسجونُ يصل إلى باب السجن بعد أن يصل يُفتَح له البابُ و يُدفَع إلى داخله دفعًا ، قال تعالى

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

لا أعتقد شعورا يرُدُّ النفسَ كشعور الندم ، قال تعالى :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

من " للتبعيض " أي من بني جلدتكم ، من البشر ، و لولا أن الرسلَ تجري عليهم كلُّ خصائص البشر لما كانوا سادةَ البشرِ ، والرسولُ بشرٌ يجوع و يعطش ويغضب ويرضى ويشتهي ، لكنَّه انتصر على بشريته وحلّق إلى مقامٍ رفيعٍ ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

و رسلُ الله عز وجل حجَجٌ على بني البشر ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

يقول الواحدُ ، أنا لا أعمل هذا العملَ ، لستُ نبيًّا ، ولم يعلم أن اللهَ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، قال تعالى :

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[سورة هود الآية : 112]

أيها الإخوةُ الكرامُ ؛ هناك في اللغة بحثٌ اسمه " التفضيل" لا يُفضّل من فعلٍ غيرِ قابلٍ للتفاوتِ ، أنت لا تقلْ : فلانٌ أموتُ من فلان ، لأن الموتَ حالةٌ واحدةٌ ، أما تقول : فلان أغنى من فلان ، وفلان أكبر وأطول وأعلم ، تستخدم اسمَ التفضيلِ للأفعال القابلة للتفاوتِ ، أما اسمُ التفضيل من فعلٍ غيرِ قابلٍ للتفاوتِ لا يُصاغُ منه اسمُ التفضيل ، الاستقامةُ غيرُ قابلةٍ للتفاوت ، وهي حدّيةٌ ، أما عدم الاستقامة فنسبيَّةٌ ، واحد يزني بعينيه ، واحد بلسانه وواحد بيده واحد بفرجه ، والكلُّ زنا ، ولكنه متفاوِتٌ ، الانحراف حدّي ، أما المستقيم فحالةٌ واحدةٌ ، يستوي في استقامته القرشُ مع المليون ، فلذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((إنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

[أخرجه مسلم والترمذي]

قال تعالى :

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[سورة هود الآية : 112]

و الحقنةُ التي يأخذها أعلى طبيب في العالم يجب أن يعقِّمها كما يعقِّمها أصغرُ ممَرِّضٍ في العالم ، فالنبيُّ له عند الله مقامٌ كبيرٌ جدًّا ، أما الله عز وجل أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، قال تعالى :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

الله عز وجل أرسل الرسلَ وبعث الأنبياء ووزَّع دعاةً في الأرضِ ، كلُّ هؤلاء لنشر الحقِّ ، ولإقامة الحجَّة على الإنسانِ ، أرسل الرسلَ و بعث أنبياءَ ووزَّع دعاةً في شتَّى بقاع الأرض ، هؤلاء ينوبون عن الأنبياء في تبليغ الناس الحقَّ ، هؤلاء حججٌ لله على خلقه ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

الآياتُ أنواعٌ :

- الآياتُ الكونية .

- الآيات التكوينية .

- الآيات القرآنية .

الكونية خلقُ السماوات والأرض .

التكوينية أفعالُ الله عز وجل .

القرآنية كلامه .

على كلِّ هذه الآياتُ تشير إلى الله ، و إلى وجوده وإله وحدانيته وإلى كماله ، قال تعالى :

﴿ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

هذا اليومُ الذي لا مندوحةَ منه ، سمَّاه الله الواقعةَ والطَّامَّةَ والحاقَّةَ ويومَ الفصل ، يوم الدين ، يوم الجزاء ، يوم القيامة ، قال تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِي * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾

[سورة الحاقة الآيات : 19-24]

وقال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي * يَالَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾

[سورة الحاقة الآيات : 25-32]

قال تعالى

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

قوانينُ الله تعالى انطبقتْ على هؤلاء الذين ضلوا و أضلوا فاستحقوا العذاب .

هذا الموقف العظيمُ الذي يُعدُّ الذكيُّ والعاقلُ والفائزُ من ينجو في هذه الساعةِ ، الغنيُّ في ثانية واحدة يصيرُ خبرًا ، قُطِعتْ سيارتُه لتُخرَج جُثَّتُه البطولة عندما تلقى اللهَ عز وجل ، و أن تنجوَ في ذلك اليومِ ، قال تعالى

﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

[سورة الزمر الآية : 72]

أيُّ تكبُّرٍ هذا ، تكبَّروا عن معرفة الله ليس عندك وقتٌ لتعرف الله عز وجل و تحضر مجلسَ العلم ، و لا أن تعرف آخرتَك و لا إلى أين أنت سائرٌ ، أما أن يتابع مسلسلا إلى الساعة الواحدة ليلا ، قال تعالى

﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

[سورة الزمر الآية : 72]

تكبروا عن معرفة اللهِ و عن طاعته و عن قبول منهجه ، يفعل كلَّ شيءٍ وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، قال تعالى :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

أيها الإخوة الكرام ؛ يقال : دقيقةُ الألم ساعةٌ ، وساعةُ اللذة دقيقةٌ ، والإنسانُ أحيانا يُمضي عشرَ ساعات وهو لا يشعر ، إذا كان مع أحبابه في مكان جميل ويأكل أطيبَ الطعام في مرحٍ و سرور ، أما حينما يؤلمه سِنُّه يقول : مضتْ عليَّ ليلةٌ مثل السنةِ ، هذا في الدنيا ، وهذا القرآن كلام من ؟ فإذا كان الإنسانُ شاكًا في كلام الله فليُعِدْ بناءَ إيمانه إذا كان ممكنًا أن يكون هذا الكلامُ غيرَ صحيحٍ فليؤمِنْ بالله و أسمائه الحسنى و بكلامه و قرآنه .

أيها الإخوةُ الكرام ؛ خبرٌ في الجريدة أربع أسطرٍ يُنزّل سعرَ السيارةِ مائتي ألف ، الناسُ يصدِّقون تصريحاتِ أولي الأمرِ ، وخالقُ الكونِ لا تصدِّقه ، فكيف لو أن الإنسانَ يقرأ كلام الله ، هذا مصير الكافر ، إلى النار و إلى أبد الآبدين ، لذلك قال أحدُ العلماء عندما قرأ حديثا استغنى به عن كلِّ حديثٍ ، قال فيه علمُ الأولِّين و الآخرين ، و قال : اِتَّقِ النارَ بقدر صبرك عليها ، و اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها ، واعمل للآخرة بقدر مقامك فيها ، و اتقِ اللهَ بقدر حاجتك إليه " لأنه كلُّ مخلوقٍ ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

[سورة الزمر الآية : 71]

غدًا إن شاء الله نتحدّث عن آيات المتقين ، قال تعالى

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾

[سورة الزمر الآية : 73]

الدرس (11-11) : تفسير الآيتان 73 - 74

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، البارحة الآياتُ كانت حول أهلِ النار الذين يُساقون إلى النار زمرا بحسب معاصيهم، و اليومَ، قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73)﴾

(سورة الزمر)

أيضا الذين دعوا إلى الله و الذين رعوا الأيتامَ و الذين تصدَّقوا بأموالهم و الذين أصلحوا بين الناس و الذين أدَّوا العباداتِ أداءً متقنا، و الذين جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله، أنواعُ الخيرِ لا تُعدُّ و لا تُحصَى بعضُهم قال: الطرائِقُ إلى الخالق بعددِ أنفاس الخلائقِ، وكلُّ إنسانٍ بإمكانه أن يصل إلى الجنَّة من بابٍ، فالأمومة الصحيحةُ، و هي الأم التي ربَّت أولادها و بناتها و اعتنتْ بهم و أحسنتْ رعايةَ زوجِها تدخل الجنةَ، و أبٌ اعتنى بأولاده و ربَّاهم تربيةً صحيحةً و زوَّجهم و اعتنى بهم يدخل الجنةَ، و البنُ البارُ لوالديه يدخل الجنَّةَ، و الإنسان الذي عمل عملا متقنا أخلص فيه إتقانه و نصح المسلمين، و لم يقسُ عليهم يدخل الجنةَ، و أصحابُ الحرفِ و التجارات مع الصدِّقين يوم القيامة، فلا يتوهَّم الواحدُ أنه حتى يطلع المنبرَ، أو يصير عالما، هذا أحد فروع الدين، فكلُّ إنسان باختصاصه و مهنته و تجارته و صناعته و الزوجة المثالية، و في الحديث

:((أيما امرأة ماتت و زوجُها عنها راضٍ دخلت الجنةَ.))"

اِعلمي أيتها المرأةَ و أعلِمي من وراءك أن حسنَ تبعُّل المرأة زوجَها يعدل الجهاد في سبيل الله، و قد ورد في الحديث الشريف: قابل اللهَ في برِّهما..." فيمكن أن تلقى اللهَ عز وجل و ليس لك عمل إلا برُّ الوالدين، و الزوجة و الأب و الأم،ضمنَ البيتِ كلُّها مداخلُ للجنة دخلتَ إلى عملك، و عملك مشروعٌ و سلكتَ به الطرقَ المشروعةَ، و ما كذبتَ و لا دلَّستَ و لا غششْت و لا احتكرتَ و لا أوهمتَ، و أردتَ به كفايةَ نفسك و أهلك و خدمة المسلمين، و لم يشغلْك عن الصلاة و لا عن الصيام و لا عن طلب العلم، هذا العملُ ينقلِب إلى عبادةٍ، فكيفما تحرَكتَ يمكن أن تجعل من عملك في بيتك و أن تضع اللُّقمةَ في فم زوجتك هي لك صدقةٌ، و أن تدخل على أولادك الفرحَ، و أن تعودَ مريضا و أعنتَ ضعيفا، و أفرغت من دلوك في دلو المستسقِي و أعطيت دورَك لإنسانٍ كبيرٍ في السنِّ، قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾

(سورة الزمر)

هناك من يتقي اللهَ و يجتنب المعاصي، وهناك من يتقي سخطَ الله و هناك من يتقي سخطَ الله، و هناك من يتقي معصيته، قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾

(سورة الزمر)

الذين عملوا بفكرهم بمؤلفات نشر بها الحقّ، إنسان بنى مسجدا، و إنسان حافظ على سلامة قلبه و لم يكن في قلبه غلٌّ، كلُّ هذه الأعمال مقبولةٌ عند الله، قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾

(سورة الزمر)

فُتِحت لهم من قبل تكريما لهم.

ذكرتُ لكم البارحةَ أن الضيوف الكبارَ هناك تهيئةٌ لهم، يأتي الضيفُ إلى المطار و يدخل قاعة الشرف وهي مهيَّأةٌ و المركبة جاهزة و القصرُ جاهزٌ و كلُّ شيءٍ جاهزٌ قبل أن يأتي، أما المجرمون فيُساقون إلى السجنِ و في الطريق يُضرَبون و يقفون و يُفتَح لهم بابُ السجن بعد أن يصلوا، قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾

(سورة الزمر)

فالله تعالى سمَّاها دارَ السلامِ ليس فيها مشاكلُ كالدنيا، حتى على المستقيمين في الدنيا تلحقهم المشاكلُ، مشكل الهرم والمرض و الشيخوخة.. إن هذه الدنيا دارُ ابتلاءٍ لا دارُ استواءٍ منزلُ ترحٍ لا منزلُ فرحٍ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء و لم يحزن لشقاء، أما الجنّةُ دارُ سلامٍ، لا كبَر و لا شيب شعرٍ، شبابٌ دائمٌ و لا مرض و لا حزن و لا فقر و لا قلق ولا خوف و لا قهر و لا زلزال، أكبر ثلاث شركات في اليابان دمَّرتها الزلازلُ، و فيها حوادث السير، و الإيدز، خمس و ثلاثون مليون مصابًا، الله تعالى سمَّى الجنَّة دار السلام، قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾

(سورة الزمر)

انتهت المشاكلُ،قال تعالى:

﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73)﴾

(سورة الزمر)

إلى أبد الآبدين، فهل تُضَيَّعُ الجنَّةٌ من أجل عشر سنوات في الدنيا ؟! حتى لا يتزوج الإنسانُ و يشتري سيارة و بيتًا كم يلزمه من السنين ؟ معقول أن يضيّع الجنّةَ كلَّها من أجل هذه السنوات المعدودة ؟

قال تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾

(سورة الزمر)

وعدُ الله كبيرٌ ، و الله تعالى قال:

﴿أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(1)﴾

[سورة الفيل]

أنت لم تر، و لكنَّ اللهَ ينتظر منك أن تنزِّلَ خبرَه منزلةَ الرؤيةِ لمصداقيته، فالله عز وجل وعَدَ، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

قال تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾

(سورة الزمر)

و قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(8)﴾

[سورة التحريم]

قال تعالى:

﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾

(سورة الزمر)

أيَّةُ أرض ؟ قال بعضهم: لو لم نكنْ في الأرضِ و عرفنا ربَّنا و أطعناه لما دخلنا الجنَّةَ، و كيف الطبيب يأخذ يوميا خمسين آلاف ليرة لولا السنوات التي أمضاها في الجامعة، و السهر في الليالي، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾

(سورة الزمر)

و لولا أن جئنا إلى الدنيا، كانت فيها الشهوات و المنهج و الكون يدلُّ على الله، و الإنسانُ أُعطِيَ حرّيةَ الاختيار، و لولا نظام الدنيا ؛ كونٌ مسخَّرٌ للإنسانِ تسخير تعريف و تسخير تكريم، عقلٌ يدلُّك على الله و فطرةٌ تدلُّك على خطأك، وحرّية اختيار تثمّن عملك، منهجٌ يُعدُّ ميزانا على الميزان، لولا هذه الأشياء في الدنيا لما كنا في الجنة، كما لو أن الإنسانَ تمتَّع بأعلى دخلٍ بدراسته الجامعية، و لولا الجامعة التي درس فيها ما كان في هذا الدخلِ قال تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)﴾

(سورة الزمر)

الآن نحن في المدرسةِ، وضعُنا مع ربّنا يقرّرُ مصيرَنا في الجنةِ، نحن في زمنِ المؤمنُ يوم القيامة لا يندم إلا على شيءٍ وهو ساعةٌ مرَّتْ لم يذكر اللهَ فيها، هذا الوقتُ محسوبٌ علينا، كيف الواحد إذا كان في النُّزهة . السيران . ثلاث أو أربع ساعات مرتاح يفعل ما يشاءُ، أما لو كان في الامتحان فالوقتُ محسوبٌ عليه، وهو وقتٌ مصيري، ينبني عليه نجاحُه، وهل معقول أن ينظِّف الواحد في الامتحان ساعته و يشتغل بها على حساب امتحانه، الوقتُ ثمين جدا، و كلُّ دقيقة لها معنى، فوقت الامتحان وقتٌ خطيرٌ و مصيري، و أنت في الدنيا في امتحان، و الإنسانُ بضعةُ أيام كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه.

الآيةُ الكريمةُ، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)﴾

(سورة الزمر)

قال تعالى:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ﴾

(سورة الزمر)

الآن الخلائقُ كلُّها علاقتُها مع الله ملخَّصةٌ في كلمةٍ واحدةٍ قال تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)﴾

(سورة الزمر)

كلُّ ما في الكونِ من زلازل ومن فيضانات و حروب و أمراض و فقر و من نزاعات و قهر و اجتياح، كلُّ المآسي، الخلائق تقول:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)﴾

(سورة الزمر)

من هنا قال الإمام الغزالي: ليس في الإمكان أبدعُ مما كان " و لو كُشف الغطاءُ لأصبتم الواقعَ، يقول سيدُنا عليٌّ: و اللهِ لو كُشِف الغطاءُ ما ازددتُ يقينا، و لو علمتُ أن غدا أجلي ما قدرتُ أن أزيد في عملي "

أيها الإخوة الكرام، فإذا أدخل الإنسانُ الآخرةَ في حساباته اليومية يختلف وضعُه كلّيا، يركل الدنيا بقدمه إذا كان فيها شبهةٌ، و يقبل مائة ليرة حلالا، يضيّع الساعات في خدمة الخلق، لأنه محسوب عند الله تعالى، و إذا الإنسان ما آمن بالآخرة فله وضعٌ، و إذا آمن بالآخر و فله وضعٌ ثانٍ.

آخرُ مثلٍ ؛ أحدُ إخواننا يصلّح المحركات، يفتح المحرك يجد فيه عطلا بسيطا يصلّحه و لا يكلّف شيئا، و لكنه يأخذ عليه خمسة آلاف، و بعد أن تاب إلى الله يأتيه المحرّك مثل الأول عطلُه بسيطٌ يصلّحه، ثم يأخذ عليه خمسة و عشرون ليرة، واللهِ أيها الإخوة قال لي أحدهم: أرجعتُ عشرين مليون ليرة لورثةٍ لا علم لهم بهذا المبلغ، تُوُفِي الأبُ في حادث و ترك هذا المبلغ عند هذا الشخص، تعرف اللهَ تصير أمينا صادقا كلُّ الأخلاق العالية تأتي من معرفة الله و من طاعة الله تعالى و من الخوف من حسابه.

أحدُ الفلاسفة الأجانب يقول: لا يمكن أن تكون الأخلاقُ دون أن تؤمن أنَّ لهذا الكون إلها يعلم و سيحاسب، حينما تؤمن أنَّ اللهَ يعلم و سيحاسب تستقيم

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : تفسير سورة غافر

الدرس (7-1) : تفسير الآية 21

الدرس (7-2) : تفسير الآيات 23 – 35

الدرس (7-3) : تفسير الآيات 10 – 12

الدرس (7-4) : تفسير الآيات 70 – 78

الدرس (7-5) : تفسير الآية 77

الدرس (7-6) : تفسير الآية 69

الدرس (7-7) : تفسير الآية 60

الدرس (1-7) : تفسير الآية 21

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، مع الآية الواحدة و العشرين من سورة غافر، وهي قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآَثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (21)﴾

[سورة غافر]

الأدلة في معرفة الله ثلاثة، كونية و تكوينية و قرآنية، فالآيات الكونية خلقُه و التكوينية أفعالُه و القرآنية كلامُه، لذلك ممكن أن تعرف اللهَ من أفعاله، كيف يوفّق المؤمنَ و يدمِّر الكافرَ، و كيف يُعلي قدرَ المؤمن و يذِلّ الكافرَ، سبحانه إنه لا يذل من واليتَ و لا يعزّ من عاديتَ، قال تعالى:

﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾

[سورة غافر]

إذا الإنسانُ ذهب إلى مصرَ و نظر إلى الأهرامات شيْق صعبٌ تصديقُه، أحجار الأهرام نقلوها من صعيد مصرَ، و صعيدُ مصرَ يبتعد ألف كيلومتر، و ما كانت حاملات و لا ناقلات، فكيف نُقِلتْ هذه الأحجارُ ؟ ثم كيف نُقِلت من شطِّ النيلِ إلى محلَّةِ الهرمِ، ثم كيف رُفِعت ؟ شيءٌ لا يَصدَّق، و الفراعنةُ إذا دخل الإنسان إلى متاحفهم يرى فيها العجبَ العُجابَ، كان الملِك حينما يموت، كلُّ أصابعه تلبَّسُ ب أقنعة من الذهب الخالص، أنا رأيتها بأمِّ عيني، و مُحنَّطٌ، و قد مضى على موته ستَّةُ آلاف عام وهوهو، بل لعلَّ هذا من آيات الله، وإن فرعون موسى هو الذي حُنِّط وهو الذي أُخِذ إلى فرنسا قبل سنوات ليُعالَج من بعض التعفُّناتِ، قال تعالى:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ(92)﴾

[سورة يونس]

فرعون موسى الذي أغرقه اللهُ في البحر الأحمر موجودٌ بكلِّ دقائقه في متحف مصرَ، فالله عز وجل الأقوامُ السابقةُ عمَّروا و شادوا و كانوا على مستوى رفيع من العلم، نافذةُ الأهرام مبنيَّةٌ بشكلٍ دقيق جدا بحيث أن الشمس لا تعبرها إلى نهايتها إلا في أحد أيام السنة وهو يوم وفاة فرعون، هل ممكن أن تقول لمهندسٍ: أنشِأْ بناءً و ضعْ نافذةً لا يمكن للشمس أن تخترق هذه النافذةَ إلا في يوم واحدٍ من أيام العام، هذا الذي حصل، برعوا في الرياضيات و الفلك، و مع ذلك عقيدتُهم سخيفةٌ جدًّا لو ذهبت إلى متاحفهم ترى الخبزَ من ستَّة آلاف عام و القمحَ و قطعَ اللحم المُقدَّد، كانوا يعتقدون متوهِّمين أن الإنسان إذا مات يعيش في القبر حياةً

ثانيةً، و مركباتهم الملكية كلُّ حاجاتهم و حُلِيّ نساءهم و كل طعامهم و شرابهم كلُّه مُحنَّطٌ، حتى أحذيتهم و ألبستهم، كلُّها في المتاحف، تحت الأرض مدفونة معهم، عقيدتهم سيئة جدا، و لكنه قد برعوا في الدنيا، و هذا ينطبق على إنسان اليوم، اليابان تفوّقت في الصناعة تفوُّقا مذهلا و تحدَّوا العالَم كلّه بصناعتهم، و راجت صناعتهم حتى في أكثر الدول تقدُّمًا، و الآن يهدِّدون العالم بتجارتهم، لكن ماذا يعبدون ؟ هل تصدِّقون أنهم يعبدون ذكَرَ الرجُل.

أخٌ كريم مهندس ذهب إلى معبدهم و عنده صورٌ، أسطوانة كبيرةٌ من الشمع كبيرة يسجدون لها، الذين اخترعوا المخترعاتِ الحديثة ؛ أجهزة الصوت و الرادارات يعبدون ذكرَ الرجل، و هذه الآية تنطبق على كلِّ الأقوام، الذين برعوا في الدنيا و شردوا عن الله عز وجل، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآَثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (21)﴾

[سورة غافر]

في سفح جبل " فِيزُوفْ " بإيطاليا بلدةٌ أثناءَ الحفريات اكتشفوا آثارًا ضخمةً، هذا الجبلُ بُرْكَانِي، و قبل ثمانين عاما ألقى هذا البركانُ من الرماد البركاني ما سماكتُه ثمانيةُ أمتار، فاضطروا لحفر هذه الأرض فوجدوا مدينةً من أعرق مدن الرومان سار عليهم هذا البركانُ أثناء الظهر، مع طعام الغذاء، هذا البركان غطَّاهم برماد بركاني ثمانية أمتار، الأشخاص و كلُّ حاجاتهم تفسَّختْ و ذابتْ في فراغ، حقنوا هذا الفراغَ في جبصين سائلٍ، ثم كسروا ما حوله فإذا هم أمام مُجسَّماتٍ لكلّ ما جرى وقتَ ثورة البركان، النساءُ بحليّهن و الطعام على الموائد، و أنا عندي صورٌ لهذه المجسمات من الجبصين السائل، ترى كيف أمة و مدينة عريقة و في أوجِ حضارتها جُمِّدتْ عن طريق البركان الرمادي، فاللهُ عز وجل ينبّهنا، و الرُّبْعُ الخالي كان دولاً عظيمةً، و تدمر دولة الأنباط، و لو ذهبتم إلى الأردن و نظرتم إلى الأنباطِ كيف نقبوا الأحجارَ، شيءٌ غيرُ معقولٍ، هناك قاعة ملَكية بحجم هذا المسجد محفورة من الصخر على مستوى الميليمتر المكعَّب مائة بالمائة، و من الخارج أعمدة و تيجان ومداخل و أبواب، كلٌّ من الجبل، و مع ذلك أهلكهم عز وجل، التدمريون، وتدمر من الشام إلى بغداد كلُّها بساتين غنّاء و أنهار و أمطار و مروج، أين هم ؟ قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآَثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (21)﴾

[سورة غافر]

ثم قال تعالى:

﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196)﴾

[سورة غافر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-7) : تفسير الآيات 23 - 35

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، في القرآن الكريم آيات تشيرُ إلى حقائقْ، و أيات تشيرْ إلى حوادث حقائق مجردة، أو حقائق مفصلة، وهي في الحقيقة حقاق ممدَّدة، حقيقة يمكن أن تُلقَى في كلمتين، قال تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ(19)﴾

[سورة محمد]

تأتي قصةُ سيدنا يوسف في عشر صفحات تقريبا، بتفاصيل و شخصيات و بداية و نهاية و حوار و تحليل ووصف و سردٌ، كلُّ هذا الآيات الطويلة من أجل أن تؤكد الحقيقة، يمكن أن تأكل ملعقةَ عسل و يمكن أن تشرب شربة عسل، هذه الملعقةُ إذا أذبتها في كأس من الماء و شربته صار شربةَ عسل ممدَّدة و لطيفة، أو لك أن تلعق هذه الملعقة لعقةً واحدةً، فالأفكار المكثَّفةُ هي لعقة العسل، أما الأفكار الممددةُ على شكل قصة هي شربة العسل.

النقطة الدقيقة في هذا الموضوع أن اللهَ جل جلالُه ما أراد من أيّة قصةٍ يتلوها علينا أن نفهمها قصَّة وقعت و لن تقع مرَّةً ثانيةً، و لو أن القرآن فعل هذا لكان كتابَ تاريخ، إنه كتابُ هدايةٍ، لا يتلو علينا قصَّةً على أنها وقعت و لن تقع، بل على أنها وقعت و ستقع كلَّ يومٍ، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(21)﴾

[سورة يوسف]

قصَّةُ اليوم، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24)﴾

[سورة غافر]

دائما أهلُ الحقِ إذا وضَّحوا آراءهم ووضَّحوا الحقَّ فأهل البطل الغارقون في شهواتهم يردُّون الحقَّ و يكذِّبون الأنبياءَ و الرسلَ، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (25)﴾

[سورة غافر]

تروي الكتبُ أن فرعون رأى في المنام طفلا من بني إسرائيل سيقضي على ملكه، فببساطةٍ شديدةٍ أمرَ بقتل أبناء بني إسرائيلَ جميعا، و لن يسمح لمولودٍ ذكرٍ أن يعيش، قال تعالى:

﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (25)﴾

[سورة غافر]

فكيدُ الكافر و تدبيرُه لا يمكن أن ينجح، لأن اللهَ لا يسمح له أن ينجح قال تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26)﴾

[سورة غافر]

أن يقول: أنا ربكم الأعلى ليس فسادا، أما أن يدعوَ موسى إلى اللهِ عز وجل عدَّه هو الفسادُ، معنى ذلك أن الإنسان أحيانا يتفلسف، و الإنسانُ كائنٌ فيه عقلٌ و فيه شهواتٌ، و لو أنه اتبع شهوتَه سوف يجد أن له عقلا جهاز خطير جدا، هذا الجهازُ يمكن أن يُفلسف شهوته فصار للعقل دَوْرَان، إما دورٌ قيادي و إما دورٌ تبريري، عند أهل الدنيا و العصاة و المنافقين و المنحرفين الشاذِّين و الجهَّالِ العقلُ له وظيفةٌ و لكنْ ليست وظيفتُه وظيفة قيادةٍ بل وظيفةُ تبريرٍ، هناك طُرْفةٌ، مرةً أردتُ أن أشتري سِتارةً فدخلتُ إلى محلٍ و فيه توصيةٌ، فقال لي: يا أستاذ الستارةُ لا يمكن أن تكون لا بالطول الفلاني، قلتُ له: كيف ؟ قال لي: الحائطُ مضروبٌ في اثنين يُضافُ له مترٌ، من أجل أن تكون جميلةً، اخترتُ ثوبا وقلت له من هذا أريد، فوجد أقلَّ من الحائط، قبل دقيقة قال أنها لا تكون جميلةً إلا إذا كانت ضعفًا زائد مترٍ، فقال: يا أستاذ هذا المُطرَّزُ على الفرد أجملُ، من خلال دقيقة تغيَّر، لأن من مصلحته أن يبيع هذا الثوبَ، ماذا فعل ؟ استخدم عقلَه لإقناعي أن هذا أفضل، و قبل دقيقة حكى العكسَ، فالعقل البشري إما أن يقودك إلى الحق و إما يقودك و إما أن تستخدمه مبرِّرا، كلما أخطأتَ تفلسِف خطأَك و كلما انغمس الإنسانُ في الشهوة يفلسِف شهوتَه، فالعقل مشكلتُه إما أن تستخدمه قائدا للحق و لسعادة الدارين وإما أن تستخدمه لتغطية كلِّ الأخطاءِ، ماذا قال فرعون ؟ قال تعالى:

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26)﴾

[سورة غافر]

هذا عقل تبْريري ! إنسان يقول: أنا ربكم الأعلى، ويُقَتِّل أبناءهم ويسْتحيي نِساءهم ! وكل هذا ليس فسادًا، أما أن يدْعوهم موسى للواحِدِ القهَّار ؛ هذا فساد ؟! لذلك قال عليه الصلاة والسلام: كيف بِكم إذا أصبح المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا...." مِن علامات آخر الزَّمان يؤْتَمَن الخائِن، ويُخَوَّن الأمين، ويُصدَّق

الكاذب، ويُكَذِّب الصادِق والرَّجل يبرُّ صديقهُ، ويَعقّ أباه، تجده لطيف مع أصْدِقائِهِ والغريب وعدوّ شرِسٌ مع والِدَيه، فالله تعالى قال:

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26)﴾

[سورة غافر]

فَفِرْعون اسْتَخْدم عقْلَهُ لا لِيَقودَهُ إلى الحق، ولكن لِيُغَطّي انْحِرافَهُ ؛ لذلك اعْتَقِدوا أنَّ هناك عَقلَيْن، عقْل قائِد مُسْعِد، وعقْل مُبرِّر للغلَط، فهذا الذي يقول: أنّ الاخْتِلاط يُهَذِّب المشاعِر ويْصقل الشباب ؛ هدَفهُ تِجاري أما تَبْريرهُ تهذيب المشاعر !

قال تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

[سورة غافر]

هناك ملاحظة مسْتنبطة مِن حقل الزِّراعة ؛ إذا كانت لك بُذور مِن الدَّرجة الأولى وبِعْتَ أنت هذه البذور لِخَمسين فلاح، فخمسٌ وأربعون فلاحًا شكا لك أنَّها لم تُنْبِت، وخمسةٌ منهم أثْنَوا على هذه البِذْرة ثناءً كبيرًا، فما دام هناك خمْسة بالمائة مِن ظرْف واحِد، نقول: الخطأ مِن الفلاحين، وإن لم تُنبِت ولا واحِدة كان الخطأ من البِذرة، فهذا المثَل له معنى ؛ فالله عز وجل بِكُلّ حقل، وبِكُلّ مكان، وبِكُلّ نشاط يتْرك شَواهِد تقوم بِهم الحجَّة وبأسْوَأ مكان تَجِد إنسانًا مُسْتقيمًا، فمهما تكون البيئة فاسِدَة، هناك أشْخاص مستقيمون، فهؤلاء حجَّة على مَن سِواهم، فقَوْل فِرعون أنَّه منْحَرِف، وقَومُهُ منْحَرِفون إلا مؤمن آل فرعون، وامرأة فرعون كذلك حجَّة لِكُلّ النِّساء اللَّواتي يدَّعين وجودهنّ بأماكن السوء، قال تعالى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(11)﴾

[سورة التحريم]

قال تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

[سورة غافر]

هذا الرجل قالوا: ابن عمّ فِرعون، ووَلِيُّ عهْدِهِ، وصاحِبه شريطَتِهِ ؛ أي وزير داخِليَّة ! فهذا لمَّا سَمِعَ أنَّ فرعون سيَقْتُل موسى لم يحْتَمِل ؛ قال تعالى عنه

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28)﴾

[سورة غافر]

فهو ألقى يده فكانت بيضاء للنَّاظِرين ! هذا ليس من عمل البشر ! ثمَّ قال تعالى

﴿ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾

[سورة غافر]

هذا تفْكير منطِقي، فلو قال لك أحدهم قدِّم طلبًا، واليوم آخر يوم ؛ قد يكون الطَّلَب شِراء بيت، أو طلب لِشِراء بيت بِسِعر مُخَفَّض، أو طلب لِشِراء مرْكبة، فأنت قد تُفَكِّر بِهذا الإنسان على أنَّه كاذِب، فإن كان الخبر كذبًا لم صِبك منه شيئًا، وإن يكن الخبَر صادِقًا تكون قد ضيَّعتَ منه فرْصة.

ثمَّ قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28)﴾

[سورة غافر]

مناقشة أخرى يقول تعالى:

﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾

[سورة غافر]

فهذه القوَّة والغِنى والصِّحة هل سَتَسْتَمِرّ إلى ما لا نِهايَة ؟! حينها قال فرعون كما في قوله تعالى

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29)﴾

[سورة غافر]

أيضًا هن يسْتخْدِم عقْلَهُ لِيُغَطِّي على انْحِرافاتِهِ.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30)﴾

[سورة غافر]

هؤلاء الذين تحزَّبوا على أنبيائِهم فأهْلَكَهم الله تعالى، فهو خاف عليهم أن يحدث لهم ما حدث لِهؤلاء، قال تعالى:

﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ (31) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32)﴾

[سورة غافر]

لمَّا يأتي بلاء كبير تجدُ الناس يصْرُخون، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(1)يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ(2)﴾

[سورة الحج]

قال تعالى:

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)﴾

[سورة غافر]

هذا الرَّجل من مؤمني آل فرعون رأى الحقائق وكان ابن عمِّ فرعون، ووليُّ عهْدِهِ، إلا أنَّه فكَّر، فالله تعالى لمَّا خلق العَقل قال أدْبِر فأدْبَر، قال: وعِزَّتي وجلالي ما خلقْتُ خلْقًا أحبَّ إليَّ منك ؛ بِكَ أعطي وبِكَ آخُذ ! لذا لحْظة تفكير صحيحة تسْعد بها في الدنيا والآخرة، والعكْس بالعكْس.

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (34)﴾

[سورة غافر]

أحد العلماء كان في درْسِهِ ثلاثين رجلاً، فلمَّا مات ردف جنازته المِئات !

فهذه الآية دقيقة، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾

[سورة غافر]

فالإنسان لا يكن كالنَّعامة.

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آَمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (35)﴾

[سورة غافر]

المتكبِّر يطْبع الله على قلْبِهِ، والجبَّار الذي يأبى الخضوع للحق.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-7) : تفسير الآيات 10 - 12

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية العاشرة من سورة غافر، وهي قوله تعالى

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (10)﴾

[سورة غافر]

الكافر يوم القيامة يَنْدمُ أشَدَّ النَّدَم، ويتألَّم أشَدَّ الألَم، ويمْقُتُ نفسه أشَدَّ المقت، ويكْرهُها، ويُبْغِضُها، فالإنسان أحيانًا في الدنيا يتَّخِذ قرارًا خاطئًا يلْعن نفْسهُ مليون مرَّة، لماذا طلَّقتُها ؟! هي أمُّ أولادي ومُمْتازة، ففي ساعة الغضب طلَّقَها فالإنسان قد يلعنُ نفْسَهُ مليون مرَّة على قرارٍ اتَّخَذَهُ، والمُحَصِّلة خسارة في الدُّنيا فقط، فالذي جاءتْهُ فرْصة شِراء بيتٍ وما اشْترى، وأصبَحَ ثمن ذلك البيت الآن بالملايين، فهذا يَنْدم أشَدَّ النَّدَم، وأحيانًا قد يكون لإنسان بيتًا يُسافر ويتْرُكُهُ للاسْتِثمار فإذا رجَعَ بيعَ البيت بِثَمَنٍ بخْسٍ من جرَّاء مُعامَلة ! فهذه الآلام في الدنيا، أما حينما تفوتُهُ الآخرة بأكْمَلِها وحينما تفوتُهُ جنَّة عرْضُها السماوات والأرض، وجنَّة فيها ما لا عينٌ رأتْ ولا خطَر على قلبِ بشَر، مِن أجل شَهوةٍ خسيسة، لذا قال تعالى: إنَّ الذين كفروا يُنادَون يوم القيامة.." المعنى دقيق جدًّا قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (10)﴾

[سورة غافر]

فلو أنّ أبًا واعِيًا حكيمًا وعاقِلاً ؛ كلَّما دَعى ابنَهُ للدِّراسة رفَض، فهذا الابن يرْفِض ملِلاً، أما الأب فيتألَّم من أعماق قلبِهِ لأنَّه يعْلمُ أنَّ مصير ابنِهِ سيَكون في المرتبة الأخيرة في المجتمَع، أما لمَّا يكْبر الابن تجدُ الابن يعْمل ليل نهار بِأجْرٍ لا يكْفيهِ طعامَهُ ! حينها يمْقُت نفسَهُ أشَدَّ المقت فالله تعالى قال عن الذين هم في النار أنَّهم سيتألَّمون أشَدَّ الألم، ويُعَذَّبون أشدّ العذاب، ويَنْدمون أشدَّ النَّدم، ووقْتَها يُنادَوْن لَمَقْتُ الله لكم ؛ حينما كان يدْعوكم إلى الإيمان وإلى التوبة وإلى الصُّلح لكم، وإلى مغفرة الذُّنوب، وإلى ستْر العيوب، وإلى صلاح الدنيا والآخرة ؛ تُدْعَون بِلُطْف، وليل نهار، وكتاب الله يُتلى عليكم صباح نهار، وأنتم تُديرون ظهْركم للدِّين، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (10)﴾

[سورة غافر]

وهم في النار يمْقتون أنفسهم أشدَّ المقت، ويحْتقِرونها وينْدمون أشَدَّ النَّدَم إلا أنَّ مقْتَ الله لكم يوم كان يدعوكم إلى الإيمان فتَكفرون أكبر من مقْتكم أنفسكم ؛ لأنّ الله تعالى علِمَ ما كان وعلِمَ ما يكون وعلِمَ ما يكوم لو كان كيف كان يكون، فحينما كنتم ترْفضون كان الله يمْقتكم أ شدَّ المقت فنحن الآن في الدنيا وباب الله مفتوح، وباب الإنابة مفتوح و باب إصلاح الأمور مفتوح، و باب المغرفة مفتوح، و الإسلام يهدم ما كان قبله، و لو أنك أتيتني ملء الأرض ذنوبا لأتيتك بمثلها مغفرة.

نحن الآن في الدنيا، و هذه الآية يوم القيامة، و الذي سيكون يوم القيامة أخبرنا الله به الآن . هذا تسريبُ المعلومات . قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (10)﴾

[سورة غافر]

قال تعالى:

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (11)﴾

[سورة غافر]

إخوانا الكرام، الإنسانُ أحيانا يصل إلى طريق مسدود، الواحد ارتكب جريمة القتل، عن سابق قصد و تصميم، أُجرِيت له محكمةٌ عادلة و حُكم عليه بالإعدام، أُستُأنِف الحكمُ و صُدّق الحكمُ من محكمة النقض و رُفع الحكمُ إلى رئاسة الجمهوريةِ ووقَّع الرئيسُ عليه و سيق المجرمُ إلى ساحة المرجةِ ليُشنَقَ، و قبل أن يصعد درجة المشنقة اِستعطفهم و ندم و بكى، فنقول له: لك أن تبكي و لك أن تضحك و لك أن تنهار و لك أن تستعطف، كلُّ ما تفعله لا يُجدي، و لا بدَّ من تنفيذ حكم الإعدام، لأنك أوصلتَ نفسَك إلى طريق مسدودٍ، فالإنسانُ اللهُ عز وجل شديد المِحال يسوق له من المواعظ و يدعوه دعوةً بيانيةً،الإنسانُ مُعافى و صحيح سليم و كلُّ أموره ميسَّرةٌ يُدعَى دعوةً بيانية في خطبة أو يقرأ كتاباً أو يسمع شريطا، أو له صديق صالح يقول له يا فلان تُبْ إلى الله، ثم ما استجاب، يُساق له تأديبٌ تربويٌّ، أو مشكلة في جسمه أو أولاده و لا يتوب، يُساق له إكرامٌ استدراجيٌّ فلا يشكر ثم يُقصَم، و بعدها يقول تعالى:

﴿يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي(24)﴾

[سورة الفجرِ]

أو يقول:

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

﴿الرَّاحِمِينَ(109)فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ(110)إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ(111)﴾

[سورة المؤمنون]

الآن وصل هؤلاء مع الله إلى طريق مسدود، قال تعالى:

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (11)﴾

[سورة غافر]

الموتُ الأولُ موتُ العدم و الموت الثاني موتُ الدنيا، و الحياة الأولى حياة ولادةٍ و الحياة الثانية حياة البعث يوم القيامة، قال تعالى:

﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾

[سورة غافر]

موت العدم وموت الدنيا "

﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾

[سورة غافر]

حياة الولادة و إحياء البعث يوم القيامة " قال تعالى:

﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (11)﴾

[سورة غافر]

طبعا الجوابُ لا، قال تعالى

﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾

[سورة غافر]

فإذا ساق اللهُ عز وجل الزلزالَ لبلد فسق و انحرف ترفضون هذا التفسيرَ و إذا قلنا أن القشرة الأرضية اهتزَّتْ هذا تقبلونه، فإذا قلنا مثلا قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(112)﴾

[سورة النحل]

هذا ترفضونه ! حروب أهْلِيَّة وجوع فتفسير هذه أنَّ الله تعالى ساق لِهَؤلاء مَن يُؤَدِّبُهم، وأنتم تريدون أنَّ زيْدًا فعل كذا، ولكن لا تقْلبون تفسيرًا سماوِيًّا، فأنتم لا تقبلون إلا تفسيرًا أرْضِيًّا أساسهُ الشِّرك ! فالله تعالى قد يُسَلِّط القويّ على الضَّعيف فإذا كنتَ مُوَحِّدًا ترى يد الله تعمل في الخفاء، وأنَّ هذا بِقَضاء الله وقدره أما الكافر فلا يقبل إلا التَّفسير الأرضي، ويكفر بالتَّفسير التَّوحيدي، قال تعالى:

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (12)﴾

[سورة غافر]

فأحداث لبنان لها تفسير طائفي، ولها تفسير عربي، ولها تفسير إلهي قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(112)﴾

[سورة النحل]

بما كانوا يصْنعون مِن فِسقٍ وفُجور، فهؤلاء يرفضون التَّفسير الإلهي فالقويّ بالعالم، والذي يمْلك كلّ مصادِر القِوَى، ويرْسُم خِططه على حِساب الشُّعوب، فنجاح هذه الخِطَط يتناقض مع وُجود الله، فالله موجود، قال تعالى:

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى(45)قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى(46)﴾

[سورة طه]

لا تلْغي وُجود الله عز وجل، فأحيانًا تجد من يعْزو كلّ القِوَى لإنسانٍ ما ؛ كلّ ما يريد يفعلُهُ ! هذه مُبالغة، قال تعالى:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(12)﴾

[سورة البروج]

وأحيانًا تعرف الله تعالى بالعزائِم، فالإنسان بالتَّوحيد يرْتاح، أما مِن دونه فهذا ينْسَحِق ! فالله تعالى لمَّا أمرنا أن نعْبُدَهُ قال:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(123)﴾

[سورة هود]

فهو ما أمركَ أن تعْبُدَهُ إلا بعد أن طمأنَكَ أنَّ أمْرَكَ بِيَدِهِ ؛ صِحَّتَكَ ورِزْقَكَ وأمانكَ وزوْجَتَك وأولادك، فأنت إذا اسْتَقَمتَ كانت لك مُعامَلَة خاصَّة، قال تعالى:

﴿وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(16)﴾

[سورة الجن]

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(96)﴾

[سورة الأعراف]

قد يُحْرَم المرء بعض الرِّزق بالمعْصِيَة، بيتٌ فيه صحون هوائِيَّة، فهذه بيوتٌ مُنهارة، فكلَّما قلَّ ماء الحياء قلَّ ماء السَّماء، فهذه الآيات وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (10)﴾

[سورة غافر]

نحن في الدنيا الآن، ووالصَّلاح سَهل، والتَّوبة سهْلة، ولو أنَّ أحدَنا اصْطَلَحَ مع الله لشَعَرَ أنَّ جِبالاً كانت جاسِمَة على صدْرِهِ انْزاحَت عنه ! قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَانُ وُدًّا(96)﴾

[سورة مريم]

فما دام القلب ينبض فَكلّ شيءٍ ينحلّ، فإذا جاء أجل الإنسان فلا يقدَّم ولا يؤَخَّر، قال تعالى

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي(99)لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(100)﴾

[سورة المؤمنون]

فهذا الذي وكيل شركة، وهذا الذي يمْلِكُ كذا وكذا، وهذا الذي يرْبَح مليون ليرة في اليوم لا قيمة له عند مجيء ملَكِ الموت، قال تعالى:

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (11)﴾

[سورة غافر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-7) : تفسير الآيات 70 - 78

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السبعون من سورة غافر، وهي قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (70) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (71) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (72) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73)﴾

[سورة غافر]

هؤلاء الشركاء في الدنيا، والذين اعْتقدتم أنَّهم ينفعون أو يضرُّون يرْفعون أو يخفضون، ويُعطون أو يمْنعون، هؤلاء الذين عبدتموهم من دون الله في الدنيا، وهؤلاء الذين استغنيتُم بهم عن معرفة الله وطاعته وقدَّسْتموهم وعظَّمتموهم وعملْتُم لهم ونسيتم ربَّكم، قال تعالى:

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73)﴾

[سورة غافر]

قال لي أحدهم: قضِيَّة ربَوِيَّة كانت فيها فتْوى، ويوم القيامة تقول: يا رب: أنا لي قضِيَّة مع فلان ! فيُقال لك: ابْحَث عنه فإذا لم تجِدْهُ فماذا تفعل ؟! فأنت إن كان لك مسْتند وحيد، وهو الوحيد الذي أفتى لك ولكن هناك فتوى وهناك تقْوى، ونفس المشكلة ؛ قال تعالى:

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

[سورة غافر]

بحثوا عنهم فلم يَجِدوهم، قال تعالى:

﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾

[سورة غافر]

ما وجدنا لهم ذِكْرًا ولا أثرًا، ولا قيمةً، ولا حركةً، ولا فِعلاً، وتأثيرًا قال تعالى:

﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74)﴾

[سورة غافر]

ثمَّ إنَّهم تذَكَّروا أنّهم كانوا يكذبون على أنفسهم في الدنيا، وهذه الآية ذَكَرتها لهذه الكلمة، قال تعالى:

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74)﴾

[سورة غافر]

كيف يُضِلُّهم ؟ يُضِلُّهم لا عن ذاته، ولكن عن شُركَائِهِ، وهذا معنى آخر للإضلال، فالإضلال إذا عُزِيَ إلى الله، فليس معناه أنَّه تعالى يُضِلُّهم عن ذاته، ولكن عن شُركائِهِ، ويُضِلُّهم عن آلهة مزْعومة اتَّخذوها افْتِراءً وانْحِرافًا، ويُضِلُّهم عن جِهَةٍ لا تمْلِكُ شيئًا، ولا تنفعهم ولا تضرُّهم، فالله تعالى إذا أضلَّ إنسانًا فليس إضلاله أن يُبْعِدَهُ عن ذاته بل العكس، يُبْعِدُه عن شُركائِهِ لِيَصِلَ إليه، وهذا الإضلال بِمَعنى الهدى، فلأنَّ الله تعالى موجود، ولأنَّه هو القويّ والمانع والمعطي، والمعزّ المذلّ والقابض الباسط ؛ جاءَ إنسان واتَّخذ إلهًا غيره تعالى، فهذا المخلوق هو الذي افترى على الله تعالى كذبًا، وهو الذي قال: هذا قويّ، وهذا يرفعني، ويعْطيني ويمنعُني، فالله عز وجل إذا أراد أن يهْدي هذا الإنسان ماذا يفْعل ؟ يُضِلُّه عن هذا الشريك الزائِه الذي لا يمْلِكُ شيئًا، فهذا معنى آخر مِن معاني الإضلال وهو أنَّه إذا عُزِيَ الإضلال إلى الله عز وجل، فهو الإضلال عن ذات الله تعالى بل عن شُركائِهِ المزعومين والمُزَوَّرين، والذين لا ينفعون ولا يضرُّون.

أُعيد الآية عليكم، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (70)﴾

[سورة غافر]

هو لماذا كذَّب بالكتاب ؟ وادَّعى أنَّ جهةً أخرى تنفعُه ! اسْتغنى عن الله تعالى وأخْلص لإنسان، وأعطى حياته وذكاءه لإنسانٍ، وولاءه ومحبَّتَهُ قال تعالى:

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (70)﴾

[سورة غافر]

سوف هذه تهديد من الله تعالى ؛ أيْ غدًا تعلمون الحقيقة، فأنت الآن واهِم وفي ضلال، وفي زَيْغ وانْحِراف ولكن متى ستَعلم ؟! أحيانًا يسْرق الإنسان سرقة كبيرة، ويهِم أنَّه أذكى من كُلِّ الناس، فهو يظنّ أنّ الناس يعملون بِجُهدٍ ومشقَّة، وهو بِنِصف ساعة يأخذ الملايين المُجَمّعة سنواتٍ طِوال ! فحينما يُحاسب الإنسان يعرف الحقيقة، فالعِصابات يأكلون ما يشتهون يزنون، قال تعالى:

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (71) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (72) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73)﴾

[سورة غافر]

أين شُركاؤُكم ؟ وآلهتكم المزعومة ؟ وأين الذين عبدْتموهم مِن دون الله ؟ وأغضبتم الله من أجلهم ؟ أين هم ؟! بحثوا عنهم فلم يجدوا لهم أثرًا ولا ذِكْرًا ولا قوَّةً ولا تأثيرًا، وقالوا: ضلُّوا عنَّا، ثمَّ تذكَّروا أنَّهم كانوا يكذبون على أنفسهم قال تعالى:

﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74)﴾

[سورة غافر]

كبار الكهنة يعلمون أنَّهم على الضلال، ففي بعض المعابد بالهند يُقدّمون لإلههم بوذا أغلى أنواع الفاكهة، لِيأكلها في الليل، ثمَّ يأكلونها عنه في الليل !! أحد أكبر الشَّخصيات للدِّعاية للدُّخان ماتَ بِسَرطان الرِّئة ! بسبب الدُّخان، وهو على فراش الموت قال: كنتُ أكذب عليكم ؛ إنَّ الدُّخان هو الذي قتلني ! قال تعالى:

﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74)﴾

[سورة غافر]

وهذه الكلمات الأخيرة هي موْطِنُ الشاهِد ؛ فالله تعالى يُضِلُّهم عن شُركائِهم المزْعومين فنحن الآن في الدنيا أيُّ واحد مِنَّا يعتمد على أي! جهة في الدنيا، ويعتقد أنَّها تنفعه أو تضرُّه ؛ لو أنَّها نفعتهُ فِعلاً أو لو أنَّها ضرَّتْهُ فعلاً ؛ الذي يحصَلُ أنَّ عقيدته تزْداد بها، كيف يهْديه الله إلى ذاته ؟ حينما تُخَيِّبُ ظنَّهُ ؛ يعْتَمِدُ عليها فَتُخَيِّبُ ظنَّهُ، فقد يعتمِدُ الإنسان على زوْجته، ويراها كلّ شيءٍ في حياته، ويمْحضُها كلّ حُبّه وكلّ اهْتِمامه، وكثيرًا ما يعْصي الله مِن أجلها، وحينما تُسيء هيَ إليه وتتخلَّى عنه، وتقسو عليه، وتُؤْثِرُ مصْلحتها على مسرَّتِهِ ؛ عندها يعلمُ أنَّه كان واهِمًا وأنّ الله أدَّبَهُ، فالإنسان كلَّما اتَّجَهَ إلى جهة أرْضِيَّة واعتَمَد عليها، ومحضَها وُدَّهُ واعتَقَدَ أنَّها تنفعُه وتضرُّه، فهِدايَةُ الله له أن يُضِلَّهُ عليك، فالاعتماد على المخلوق يُخَيِّبُ الظَّن، والإنسان قد يعتمد على ابنه، ويُعطيهِ كلَّ ما يمْلِك، فإذا بالولَد يذهب إلى بلاد الغرب ويأخذ جِنسِيَّة، ويبخل عليه بِرِسالة ! فالإنسان إذا اعتمد على جهة غير الله عز وجل فَهِدايَةُ الله له أن يُخَيِّب ظنَّه في الذي اعْتَمَد عليه، وكأنَّه أضلَّه عنه لِيَلفِتَهُ إلى ذاته تعالى، وهذا أحَدُ أنواع الإضلال الإلهي يُضِلَّك عن شُركائِهِ لِيَلفِتَك إلى ذاته، وهذا معنى جديد مِن معاني الإضلال، فإذا قلتَ أضلَّه الله ؛ أي أضلَّه عن شُركائِهِ.

ثمَّ يقول الله عز وجل:

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (75)﴾

[سورة غافر]

الإنسان قد يفرح، أما هناك فرح بالحق، وفرحٌ في غير الحق فالإنسان لو تزوَّج يفْرح لأنَّهُ سنَّة، وكذا لو اشْترى مأوى، ولو نال منْصِبًا رفيعًا يفرحُ، أما حينما يفرَحُ بِكَسبٍ حرامٍ، وبِلَذَّةٍ مُحَرَّمة، وبِعُلُوٍّ بُنِيَ على أنقاض الآخرين، وإفقار الآخرين ؛ فهذا فرح ممنوع ؛ لذلك قال تعالى:

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (75)﴾

[سورة غافر]

فهذا فرْقٌ، قال تعالى:

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا(13)﴾

[سورة الإنشقاق]

ينطوي نصفين من الضَّحِك، فهذا فرح بغير الحق، ولكنَّ الله تعالى وجَّهها توجيهًا آخر، قال تعالى:

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(58)﴾

[سورة يونس]

فأنت اِفْرَح بِفَضل الله تعالى أنَّه هداكَ إليه، وافْرَح بِهِداية ابْنِكَ وبالزَّوجة الصالحة، وإيَّاك والفرح بالمعاصي والآثام، والمكاسب بغير حقّ.

قال تعالى:

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (76)﴾

[سورة غافر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-7) : تفسير الآية 77

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة والسبعون من سورة غافر وهي قوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (77)﴾

[سورة غافر]

بعض المؤمنين يَظنّ أنَّ الدنيا دار جزاء، فهو ينتظِر مِن أيّ مُسيءٍ أن يُعاقَبَ في الدنيا، وينتظِر مِن كلّ مُحسِنٍ أن يُكافىء في الدُّنيا، وقد يأتي بِشَواهِد كثيرة، وهي أنَّ فلانًا أحْسَنَ فأكْرَمَهُ الله وفلانًا أساء فعاقَبَهُ الله تعالى، لو تحدَّث هذا أمام الناس لفاجأهُ بعضهم أنَّ فلانًا يرتكب كلّ المعاصي والآثام وهو في أتمِّ الصِّحة والقوَّة، وأغْنى إنسان ! كيف تُفسِّر هذا ؟! والحقيقة كلُّنا، وأنا منهم ؛ نتحدَّث كثيرًا عن إنسان أكل مالاً حرامًا فأتلفَ الله ماله وأتلفهُ، وإنسان اسْتقام على أمر الله فأكْرمه الله هذا الكلام نقوله في المساجِد فيلقى قَبُولاً، فلو جلستَ إلى مجلسٍ عام وليس هؤلاء المستَمِعون على شاكلَتِك، فإنَّهم يفاجئونك، فلو أنَّ هذا المِقياس كانَ صحيحًا، ففلانٌ من الناس يقتَرِفُ كلّ المعاصي، ولا يعترف بالدِّين، ومع ذلك مِن أقوى الناس، ومن أغْنى الناس، وفيما يبْدو لهذه العَينِ مِن أسْعَدِ الناس، فكيف نُوَفِّق بين القِصص التي نُلقيها على مسامِعِكم وبين حالاتٍ كثيرة لا يتبيَّن أنَّ المؤمن يسعَدُ في الدُّنيا ولا أنَّ الكافر يشقى في الدنيا؟! الجواب هو هذه الآية.

أيها الإخوة، حينما نوقِنُ أنّ هذه الدنيا دار ابْتِلاء، وبينما الآخرة دار جزاء، والدنيا دار تَكليف، والآخرة دار تَشْريف، وحينما نوقِنُ أيضًا أنَّ الله تعالى يكافئ بعض المُحسنين تشْجيعًا لِبَقِيَّة المحسنين، ويُعاقبُ المسيئين ردْعًا لِبَقِيَّة المسيئين نتوازَنُ، فإذا رأيتَ إنسانًا غارقًا في المعاصي والآثام، ويزداد قوَّةً ومنَعَةً وغِنًى ؛ ماذا نقول؟ هذا أرجأهُ الله إلى الدار الآخرة، وإذا رأينا إنسانًا مُستقيمًا يُعاني من مُشكلات كثيرة فإنَّا نُفسِّرُ ذلك أنَّ الله تعالى أرجأ إكرامَهُ إلى الدار الآخرة، فالفِكرة أنَّ الدنيا دار ابْتِلاء، وأنّ الآخرة دار جزاء، والدنيا دار تكليف، والآخرة دار تَشريف، والدنيا دار عمل، والآخرة دار نعيم، وفي الدنيا عملٌ ولا جزاء، وفي الآخرة جزاءٌ ولا عمَل، ثمّ إنَّ الله تعالى تَرْبِيَةً لنا ومَعونَةً لنا ؛ يكافئ بعض المحسنين تشْجيعًا لِبَقِيَّة المحسنين، ويُعاقِبُ بعض المُسيئين ردْعًا لِبَقِيَّة المسيئين، أما الحِساب الخِتامي، قال تعالى:

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

[سورة آل عمران]

ويقول الله عز وجل:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (77)﴾

[سورة غافر]

وَعَد أهْل النار بالنار ووعَدَ أهل الجنَّة بالجنَّة ووعْدُهُ حق، قال تعالى

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(55)﴾

[سورة النور]

وقال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(55)﴾

[سورة النور]

وُعود الله تعالى حقّ، وقال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(55)﴾

[سورة النور]

ولكن حينما ترى حالات يصْعب تفسيرها، فكيف تُحَلّ ؟ تُحَلّ بأنَّ الدنيا ليْسَت دار جزاء ولكنَّها دار ابْتِلاء، ففي البلاد الأجنبية أحيانًا يطغى فيهم الإنسان ويموت ويخرج في الجنازة، ولم يشْهد لها التاريخ مثيلاً ! فالنبي عليه الصلاة والسلام الذي هو نبيُّ الحق وحبيب الحق، قد لا يرى بِعَينِهِ مصير الآخرين، فقد تموت ولا ترى مصير الكفار، قال تعالى:

﴿ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (77)﴾

[سورة غافر]

فهذا أحد الإخوة اتَّفق مع شخص على أن يُقرضه ثلاثمائة ألف ليرة فقال الآخر: وما الضّمان ؟ فقال: مزرعي ! أُسَجِّلُها باسمك، وحينما أسَدِّد لك المبلغ تُرجِعُها إليّ، فوافق الدائن، وأعطاه ثلاثمائة ألف، وحينما أراد المديون أن يعطيه مبلغه، ويُرجع له هو مزرعته رفض ! وقال له كلّ واحِدٌ له حقَّه، والمزرعة ثمنها مليون ليرة ! فصاحب المزرعة ماتَ مِن شِدَّة القهْر ! وقبل أن يموت أوْصى ابنه أن يمشي بِجَنازَتِهِ إلى أمام دُكَّان المُغْتَصِب، وأن يوقف الجنازة ويدخل أمام الناس لِيُسَلِّمَهُ هذه الرِّسالة ؛ التي يقول فيها: أنا ذاهب إلى دار الحق، وسأتقاضى عند أحكم الحاكمين، فإن كنتَ بطلاً لا تأتي إلينا، قال تعالى:

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾

[سورة الغاشية]

وأنا معي آلاف الشَّواهد أنَّ المُسيء يُعاقب في الدنيا، والمحسِن يكافئ في الدنيا، ولكن أقول لكم أيضًا أنَّ الدّنيا ليست دار جزاء فأنت قد تجد إنسانًا مُسيئًا ولم يُعاقب في الدُّنيا، والعكس بالعكس، وهذه لِحِكمةٍ أرادها الله، فأحيانًا يكون الإنسان ضِمن العِناية المُشَدَّدة، وأذكر أنَّه جاءَتني رِسالة يقول صاحبها: نرجو قِراءة الفاتحة لِأخٍ شابٍّ هو في العناية المُشَدَّدة، أنا أقول لكم: لمَّا يسوق الله لإنسان بعض الشَّدائد لِيَعلَم عِلم يقين أنَّه في العناية المُشَدَّدة، فإن لم يكن في العناية المُشَدَّدة أطْلقه قال تعالى:

﴿لَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(165)﴾

[سورة الأعراف]

فلمَّا نسوا ما ذُكِّروا به، لذا الإنسان إذا ساق الله له بعض الشَّدائد فلْيَفرح لأنَّه في العناية الإلهيَّة المُشَدَّدة، وهذا معناه أنَّه مطلوب لِرَحمة الله وعِزَّتي وجلالي لا أقبضُ عبدي المؤمن وأنا أُحِبُّ أن أرحمهُ إلا ابتَلَيْتُهُ بِكُلِّ سيِّئة كان عملها سُقْمًا في جسَدِهِ، أو إقْتارًا في رزقِهِ، أو مُصيبَةً في مالِهِ وولَدِهِ، حتَّى أبلغَ منه مثل الذَّر، حتَّى إذا بقيَ عليه شيء شَدَّدْتُ عليه سَكرات الموت حتَّى يلْقاني كَيَوم ولَدَتهُ أُمّه ! فالله سبحانه وتعالى إذا تفضَّل علينا وأكرمنَا ساق لنا بعض الشَّدَائد حتَّى يُطَهِّرَنا مِن كلّ درن، فإذا وصَلنا إلى سفير القبر ونحن أطهار كيَوم ولَدَتنا أُمُّنا فَتِلك أفضل حال المؤمن، ونحن الفائزون، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: حمَّة لا بارك الله فيها..." اعْتَقِدوا

أيُّها الإخوة إن كنتم مؤمنين أنَّ كلّ المصائب التي يسوقها الله للمؤمن حصْرًا مصائب تكفير وتَطهير ومغفرة، ومصائب الكفار مصائب قصْمٍ وردعٍ، قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ(155)﴾

[سورة البقرة]

فالدنيا ليْسَت دار جزاء بل هي دار عمل إلا أنَّ الله سبحانه وتعالى رحمةً بنا، وتشْجيعًا وردْعًا يُعاقِب بعض المسيئين ردْعًا لِبَقِيَّة المسيئين ويكافئ بعض المُحسنين تشْجيعًا لبعض المُحسنين، ولكنَّ الحساب الخِتامي، والرَّصيد قوله تعالى:

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(185)﴾

[سورة آل عمران]

وما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيط إذا غُمِسَ البحر ؛ وهذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام، فهذا الذي علِقَ بالمخيَط هو الدنيا، والبحر هو الآخرة، فالله أكرمَكَ بالصِّحة والبيت والزوجة، ولكنَّ الإكرام الحقيقي في الآخرة، وهو العطاء الدائم، ولو أنَّ الدنيا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة ما سَقى منها شرْبة ماء فالنبي عليه الصلاة والسلام ما ركب طائرة ولا يخت، فالنبي عليه الصلاة والسلام لم ير إلا الصَّحراء، ولكنَّه رأى كلّ شيء، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى(18)﴾

[سورة النجم]

فهذا عبد الله ابن المبارك كان يمشي وحوله إخوانه يحفونه بالمعونة والإجلال، وكان بهيَّ الطَّلعة، وجميل المنظر، وكان أمامه ذِميّ يعرف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ))

[رواه مسلم]

فقال له يا سيِّدي: أيَّة جنَّةٍ أنا فيها وأيُّ سِجن أنت فيه ؟! فأجابه ابن المبارك: أيُّ جنَّة أنا فيها لو قِستَها بالجنَّة ؟ ولو قِسْتَ حالتَكَ بالنار فأنت في جنَّة ! فالله تعالى أعدَّ لنا ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَت ولا خطر على قلب بشر، والنُّقطة الدقيقة في هذا الدرس أنَّك إن رأيتَ إنسانًا عاصِيًا قَوِيًّا فلا يغرنَّك هذا، قال تعالى:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ(196)﴾

[سورة آل عمران]

حديث: أهلا بِمَن خبَّرني جبريل بِقدومه..." فالأصل الاستقامة، قال تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ(1)لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(2)خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(3)﴾

[سورة الواقعة]

فالذين كانوا في القاع في الدنيا تجدهم في الأعلى، والعكس بالعكس فالعبرة أن تكون مُطيعًا لله عز وجل، قال تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ(1)لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(2)خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(3)﴾

[سورة النور]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-7) : تفسير الآية 69

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية التاسعة والسِّتون من سورة غافر، وهي قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (69)﴾

[سورة غافر]

هناك آيات عديدة في كتاب الله ترْبط بين الإعراض عن الدِّين والانْحِراف السُّلوكي قال تعالى

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ(1)فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ(2)﴾

[سورة الماعون]

وقال تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص]

وقال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى(9)عَبْدًا إِذَا صَلَّى(10)﴾

[سورة العلق]

أريتَ إلى سُلوكِهِ ؟ أرأيتَ إن كان على الهُدى أو أمر بالتَّقوى، يستحيل على من يُكذِّب بالدِّين أن يكون مُستقيمًا، التَّفسير أنَّ الإنسان عندهُ عقل وعندهُ فِطرة، لمَّا ينحرِف يخْتَلّ توازنَهُ، وهو يستعيدُ توازُنَهُ الموهوم بالتَّكذيب بالدِّين، فإذا كذَّب بالدِّين أصْبَحَ حُرَّ الحركة، أما إن لم يُكَذِّب بالدِّين أصْبَحَ مُقَيَّد، فهو يُحاوِل أن يستعيد توازُنَهُ بالتَّكذيب بالدِّين وباتِّهام المؤمنين بالانْحِراف، فإذا بلغوا عن مؤمن مستقيم، وعفيف وعِصامي، ونقيّ طاهر، هو يريد أن يكون الناس كلُّهم منحرفين، فإذا كان الناس كلُّهم منحرفون يستعيد توازنَهُ النّفسي، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (69)﴾

[سورة غافر]

يُعارِضونها، ولا يقبلونها ويُكَذِّبونها ويقيمون الأدِلّة والواهِيَة على نقيضِها، فهؤلاء الذين يُكَذِّبون بالدِّين يرُدُّون آيات الله عز وجل ويفترون على الله الكذب، ويُكابرون بالمحسوس، هؤلاء اُنظُر أين يُصرفون ؟ أين يسهر ؟ وكيف يكْسِب مالهُ ؟ وحال علاقاته الاجْتِماعِيَّة وتَجِدُهُ أنانِيَّ النَّزْعة، ودنيء النَّفس، ومُتَعَجْرف، ومُتَكَبِّر، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (69)﴾

[سورة غافر]

وقال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى(9)عَبْدًا إِذَا صَلَّى(10)﴾

[سورة العلق]

فالآية الأخيرة تحوي معنى ضِمني ؛ أي أرأيتَ إلى أمانتهُ ؟ لا أمانة له وإلى اسْتِقامته، لا اسْتِقامة له، وإلى عهْدِهِ، لا عهْد له، فلا صِدقَ ولا أمانة، ولا إنصاف، ولا ورع، فالآيات هذه التي أُسْمِعتموها مُؤَدَّها أنَّ هناك تلازُمًا ضروريًّا بين التَّدَيُّن، والخُلُق القويم، وأنَّ هناك تلازُمًا آخر بين عدَم التَّدَيُّن والانْحِراف، فَكُلّ إنسان يُكَذِّب بالدِّين تَجِدُهُ منحرفًا فلو أنَّ إنسانًا أراد ان ينحرف انْحِرافًا كبيرًا جدًّا كأن يُكذِّبَ بِوُجود الله ! يفعل ما يريد فنحن أردنا من هذه الآيات الرَّبط بين التَّدَيُّن الصحيح والخُلُق القويم وبين التَّفَلُّت من الدِّين، والتَّفَلُّت مِن السُّلوك الصحيح يستحيل على مَن دَخلُهُ حرام، ثمَّ يُصَلِّي، فالذي يبْحث عن دَخلٍ حرامٍ ينبغي أن يُكَذِّب بالدِّين، قد يُكَذِّب تَكذيبًا نَظَريًّا، وقَوْلِيًّا، وقد يُكَذِّب تكذيبًا عمَلِيًّا، فالتَّكذيب العملي ؛ لا ينصاع لأوامِر الدِّين، أما التَّكذيب النَّظري كأن يقول لك: هذا الدِّين ليس لِهذا الزَّمَن !!! يُحاوِل أن يتفلَّت مِن أوامر الدِّين، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (69)﴾

[سورة غافر]

الآيات التي تبدأ بِأَلَمْ ترَ في الأعمّ الأغلب نماذِج مُتَكَرِّرة تَجِدُها في كلّ مكان وزمان، فلو كان نموذَجًا انْقرض لما قيل: أَلَمْ ترَ ؟ فهذا الكاتب يُخاطِب كلّ المؤمنين.

ما هي المُجادَلَة ؟ المُجادلة ؛ هي أنَّ الله سبحانه وتعالى أوْدَعَ في الإنسان عقْلاً، هذا العَقْل ينبغي أن يُعْمِلَهُ وِفْق خطَّةٍ إلَهِيَّة، وينبغي أن يُفَكِّر في خلق السماوات والأرض، وينبغي أن يتأكَّد مِن صِحَّة النَّقل ويفْهَمَهُ، وأن يتعرَّف إلى الله مِن خِلال خَلقِهِ، فالعَقل أداة معرفة الله فلمَّا يرفض الإنسان الدِّين وينغَمِسُ في الدُّنيا يفاجئ أنَّ معه عَقل ؛ كيف يستفيد مِن هذا العقل وهو غارق في شَهَواتِهِ، يستخدم العقل اسْتِخدامًا عَكْسِيًّا، فالعَقل أداة معرفة الله تعالى، ينقلب هذا العَقل عند الفاجر والفاسق إلى أداة تَبْرير أعمالِهِ، فإذا قرأتَ كتابًا باطِلاً تَجِدُهُ يُفَلْسِفُ لك المعْصِيَة، يُفَلْسِفُ الاخْتِلاط، وأكل أموال الناس بالباطل، فكُلَّما اتَّجَهَ العقل إلى فلسفة مَعصِيَة، وتَسْويغِها للناس، وتَبريرِها، معنى ذلك أنَّ هذا العقل أخذ دَوْر مُعاكِس للدَّوْر الذي أراده الله له، مثل آلات التَّصوير الملوَّنة هي صُنِعَت مِن أجل أخذ صورة طبق الأصل، فصانِعها ما أراد بها أن تكون آلة تَزوير، أما الذي يشتريها ويستعملها للتَّزوير ! نقول: هذا الإنسان اسْتَخدم هذه الآلة على خِلاف ما صُنِعَت

له، فذلك يدْفع الثَّمَن الباهِظ، وكذا العَقل البشري ؛ إمَّا أن تسْتخدِمَهُ وِفْق ما أراد الله تعالى، وتتعرَّفُ به إلى الله، وإلى منْهَجِ الله وإلى تحقيق مصالِحِك في الدُّنيا، ودَفع المفاسِدِ عنك، هذا هو الاسْتِخدام الطَّبيعي للعقل، أما إذا اسْتَخدَمْتَهُ للتَّبرير، والفلسفة، وتسويغ المعاصي والجرائِم، فهذا الاسْتِخدام مُعاكِس للهَدَف الذي خُلِقَ العَقل مِن أجلِهِ، ومن هنا تأتي المُجادَلَة، فالمُجادلة اسْتِخدام العَقل لِغَير ما أراد الله تعالى ولِغَير ما خُلِقَ.

فهؤلاء الذين يُجادِلون في آيات الله أنَّى يُصْرفون ؟! يُمكن لِهذا المُنْغَمِس في شَهَواتِهِ أن يبني مَجْدَهُ على أنقاض الآخرين، وحياتهُ على موتِهِم وأن يبني أمْنَهُ على إخافَتِهِم، فأصبَحَ بالأخير نموذَجَين ؛ نموذَج ربَّاني ونموذَج شيْطاني، فالرَّباني هو الإنسان الذي أحبَّ الله، وعبَدَهُ وتخلَّق بالخُلُق الكريم اِقْتِباسًا من الله عز وجل، والإنسان الشَّيطاني هو الذي اسْتَخدم عقْلَهُ لِغَير ما خُلِقَ له، أجْرى شَهَواتِهِ في قنواتٍ قَذِرة غير صحيحة، واسْتَخدمَ لِسانه في الإيقاع بين الناس، وللدَّعوة للباطل ؛ هذه كُلُّها مَلَكات، فاللِّسان مَلَكَة، وكذا الدِّماغ، واليد، والعضلات، والِكر اسْتَخدم هذه كلّها لِغَير ما أراد الله عز وجل، فالمُكَذِّب بالدِّين انسانٌ مُنحرِف، والمُصَدِّق بالدِّين تصديقًا حقيقيًّا هذا مُستقيم، وأوْضَح الآيات هذه الآية:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ(1)فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ(2)وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ(3)فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(4)الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ(5)الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ(6)وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ(7)﴾

[سورة الماعون]

قال تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

وقال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (69)﴾

[سورة غافر]

ففي حياتنا طريقان لا ثالث لهما ؛ طريق الحق، وطريق الباطل، والصِّدق والكذب، والاسْتِقامة والانْحِراف، والأمانة والخيانة، والنُّصْح والغشّ، والورَع والتَّفَلّت، والإحسان والإساءة، فالإنسان إن كان على أحد الخَطَّين هو قَطْعًا ليس على الخطِّ الآخر، وإن كان على الخطّ الآخر فهو ليس على الخطِّ الأوَّل، والدَّليل قوله تعالى:
قال تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

هذا هو الدِّين، فإن رفضْتَهُ فأنت على الباطل.

فهذه الآية وأخواتها في كتاب الله تربِطُ بين التَّكذيب بالدِّين، وبين انْحِراف السُّلوك، والحقيقة أنَّ الإنسان يُكَذِّب لِيَنحرف، وإذا انْحرف كذَّب، لذلك الله عز وجل قال:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ(112)﴾

[سورة الأنعام]

الغرور والباطل، قال تعالى:

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ(113)﴾

[سورة الأنعام]

فإذا كذَّب الإنسان فمَصيرهُ الانحراف، وإذا انْحرف كذَّب، فهذه علاقة قطْعِيَّة ووطيدة بين التَّكذيب والانحراف، وبين التَّديُّن والاسْتِقامة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30)﴾

[سورة فصلت]

فعلامة الإيمان الاستِقامة وتجد نفْسَكَ مع إخوتك المؤمنين، أما المنحرِف فحالُهُ التَّكذيب.

إذًا درسنا اليوم ذلك الرَّبط بين التَّديُّن الصحيح والخُلُق القويم، وبين التَّكذيب والانْحراف، فكلّ إنسان يُجادِل في آيات الله تعالى يُصْرف إلى المعْصِيَة، وإلى كسْب المال الحرام.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-7) : تفسير الآية 60

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الكريمة، وهي قوله تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ(60)﴾

[سورة غافر]

أدَقُّ ما في الآية أنَّ الله سبحانه وتعالى لو قال: يستكبرون عن دُعائي، كان سياق الكلام يقتضيه ! فلماذا بدَّل كلمة دُعائي بِعِبادتي ؟ فُهِمَ أنَّ الدُّعاء هو العِبادة، فأصْل العبادة أنَّك مُفْتَقِرٌ إلى الله، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19)إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(20)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(21)إِلَّا الْمُصَلِّينَ(22)﴾

[سورة المعارج]

فالإنسان مُفتَقِر، والإنسان ضَعيف، فذا دعا الله عز وجل صار غَنِيًّا، وقَوِيًّا، وطائِعًا، فأصْلُ الدِّين أن تعترف بِفَقْرِكَ، وأن تدْعُوَ ربَّك والعلماء قالوا: ما أمر الله عِبادَهُ بالدُّعاء إلا لِيَسْتجيب لهم، إذْ لا يُعْقَل أن نطْرح مُسابقة أو مُناقصة أو مُزايَدَة، ولا نُنَفِّذ، فالإنسان يستحي أن يفْعَلَ هذا فَكَيف بِخالِقِ الكون، فربُّنا عز وجل يقول لك: أُدْعوني، فالحقيقة المرَّة أن المسلمين كثيرين جدًّا موضوع الدُّعاء ليس داخِلاً في حِساباتِهم، لأنّ التَّفكير أصْبَحَ شِرْكي ووثَني، فالذي في قلبِهِ الشِّرْك لا يُصَدِّق أنَّ كلماتٍ معدودة تُغَيِّر واقِع، وتُبَدِّل تركيب جِسْم، وكلمات تُحْدِث شِفاء، ورِزْق، وكلمات تُحْدِثُ تَيْسير، فالقَضِيَّة أنَّ المسلمين اليوم لا يعبئون بالدُّعاء، وهناك أُناسٌ يُغالون بالدُّعاء، لأنَّ الله عز وجل قال:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(55)﴾

[سورة الأعراف]

مَن هو المُعتَدي ؟ هو الذي يعْتَدي على أخيه الإنسان، ويقول يا رب ؛ انصُرني، ووفِّقني فكأنَّ الله عز وجل يقول لِهَؤلاء ؛ إنَّني لا أُحِبُّكم لأنَّكم مُعْتَدون فلذلك لا أسْتجيب، فهذا أحدُ العلماء الكبار واسْمُهُ إبراهيم الأدْهم، قيل له: يا إبراهيم: ما لنا ندْعو، ولا يسْتجيب الله لنا ؟ فقال: لأنَّكم تسْعَون لجنَّة وعملكم ليس كذلك، وتقولون: نخاف النار، وعملكم يُخالفُ ذلك، وكلُّكم دَعْواكم لا تُصَدِّقُها أعمالكم، فأوَّل فئة من الغُلات الذين أنكروا فضْل الدُّعاء ؛ إمَّا إنكارًا لفْظِيًّا أو إنكارًا ضِمْنِيًّا، والفئة الثانِيَة عظَّمَتْ الدُّعاء لِدَرجة أنَّها لم تتحدَّث عن شُروطِهِ ! قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(186)﴾

[سورة البقرة]

فأنت إن آمنْتَ بالله، وأنَّهُ على كلّ شيءٍ قدير، واسْتَجَبْتَ لأمْرِهِ، ونَهْيِهِ فالآن أصْبَحتَ مُسْتَجاب الدَّعوَة ودَعْوَتَهُ مُخْلِصًا، فَشُروطُ الدُّعاء ثلاثة أن تؤمِنَ بالله، وأن تسْتجيب له، وأن تُخْلِصَ له، فإذا آمنْتَ، واسْتَجَبْتَ وأخْلَصْتَ أصْبحت مُستجابة الدَّعوة، إلا أنَّ الله سبحانه وتعالى ترغيبًا لِعبادِهِ المؤمنين كي يُقْبِلوا عليه اسْتثنى مِن هذه الشُّروط المُضْطرّ، قال تعالى: أمَّن يُجيب المضْطرَّ إذا دعاه، فأيُّ مُضْطرّ بأيّ وَضْع، وبأيّ عقيدة، وبأيّ سُلوك، فإذا كنتَ مُضْطرًّا وقلتَ يا ربّ ليس لي سِواك، قال الله لك: لبَّيْكَ يا عبدي، فالمُضْطرّ مُستثنى، وغير المُضْطرّ عليه أن يؤْمِن ويستجيب ويُخْلِص، والنبي الكريم يقول اسْتِنباطًا من هذه الآية:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ(60)﴾

[سورة غافر]

قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) قَالَ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ وَقَرَأَ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) إِلَى قَوْلِهِ (دَاخِرِينَ) *))

[رواه الترمذي]

بل إنَّ بعض العلماء يرى أنَّ الصَّلاة الدائِمَة هي الدُّعاء، فإذا الإنسان مسَكَ كاتب الأذكار للنَّووي يجِدُ فيه دعاء مَن دَخَلَ بيتهُ، ودُعاء مَن خرجَ مِن بيتِهِ، ودُعاء إذا آوى إلى فراشِهِ، ودُعاء إذا جلس لى الطَّعام، ودُعاء إذا انتهى من الطَّعام، ودُعاء إذا دَخَل الخلاء وخرج منها، ودعاء إتيان الأهل، فمعنى هذا أنَّك مع الله دائِمًا، كيف نُفَسِّر أنَّ هؤلاء على صلاتِهِم دائِمون ؟ لعلَّ المعنى أنَّهم يُؤَدُّون الصلوات على أوقاتها كما قال لي أحدهم، فقلتُ له هذا المعنى مُقْتَبَس من قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ(9)﴾

[سورة المؤمنون]

فالمُحافظة على الصلاة أن تُؤَدِّيَها في وقتِها، وأن تُتِمَّ رُكوعها وسُجوده وأن تخْشَعَ، أما الدَّوام على الصلاة هو الدُّعاء المُسْتَمِرّ.

هناك أمر ثانٍ بالدُّعاء، فالإنسان أحيانًا يَقِف أما خصْم، أو قاضي يدعو يا رب يا رب دون أن يحرِّك شَفَتاه، يدعو الله تعالى بِقَلْبِهِ، قال تعالى:

﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا(3)قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا(4)﴾

[سورة مريم]

أي ما دَعَوْتُكَ يا ربّ في حياتي مِن دُعاءٍ إلا اسْتَجَبْتَ لي، قال الشاعر:

وكُن عن هُمومك مُعْرِضًا وكِلِ الهموم إلى القضا

وأبْشِر بِخَيرٍ عاجِـلٍ تنسى بِهِ ما قد مضى

فلَرُبَّ أمْرٍ مُسْخِـطٍ لك في عواقِبِه رضا

ولرُبّما ضاق المضيـق ولربَّما اتَّسَع الفضا

الله يفعل ما يشــاء فلا تكن مُعْتَرِضـا

الله عوَّدَكَ الجميــل فقِس على ما قد مضى

فعلى المرءِ أن يُعَوِّد نفسه دُعاء الله تعالى، في حالات الخصوم المخيفة والورطات الكبيرة، أو مرض مُخيف، أو خِصام زوْجي، أو دخْل قليل أو تِجارة راكِدَة، مشكلة في الصِّحة، ليس لنا إلا الله، ولا يُعْقَل أن تَجِدَ إنسانًا يُعَلِّق رجاءه بالله تعالى ثمَّ يخَيِّبُ الله في دعائِهِ ! قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))

[رواه البخاري]

قال تعالى:

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا(77)﴾

[سورة الفرقان]

فأنتم إذا دَعَوتم الله فمعنى ذلك أنَّكم تعرفونه، وأنَّه الخالق، والمُسيِّر، والربّ، وهو على كلّ شيءٍ قدير، والمعطي المانع، فإذا علِمتُم انَّه تعالى موجود، ودَعَوْتُموه يَعْبأُ بكم ربِّي، وبالمناسبة أنت لا يمكِنُكَ أن تدعو إلا إنسانًا موقنًا بِوُجودِهِ، ويسْمَعُكَ، ويُحِبُّكَ، وقادِرٌ على تلْبِيَة دَعوَتِك، فإذا دعا الإنسان الله عز وجل، فَمِن باب أولى أنَّهُ آمَنَ بِوُجودِهِ، وآمَنَ بِسَمعِهِ وبِمَحَبَّتِهِ ورحمَتِهِ، وبِقُدْرَتِهِ، فلذلك قال تعالى:

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا(77)﴾

[سورة الفرقان]

فنحن إذا دَعَونا الله فقد عَبَدناه.

أردْتُ مِن هذا الدَّرس قولِ النبي الكريم صلى الله عليه وسلَّم: الدُّعاء هو العبادة..." قال تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ(60)﴾

[سورة غافر]

وقال عليه الصلاة والسلام: إنَّ الله يُحِبُّ المُلِحِّين في الدُّعاء..." وقال عليه الصلاة والسلام: إنَّ الله يحب من عبده أن يسأله شِسع نعلِهِ إذا انقطَع..." والدّعاء مخّ العبادة، وفي حالات نادِرة تدعو الله تعالى فلا يستجيب لك ؛ لأنَّ الحِكمة البالغة أن لا يسْتجيب لك، وأنت لا تعلم هذه الحِكمة أو أن يكون في الدُّعاء المستحيل أو الضَّرَر، فليس كلّ ما تدعوه تعالى يستجيب لك، وإن لم يستجِب لك كتبَ لك أجْر الدُّعاء، وادَّخَرَهُ لك في الآخرة.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : تفسير سورة فصلت

الدرس (1-10) : تفسير الآية 8

الدرس (2-10) : تفسير الآيات 6-7

الدرس (3-10) : تفسير الآية 17

الدرس (4-10) : تفسير تتمة الآية 17

الدرس (5-10) : تفسير الآية 30

الدرس (6-10) : تفسير الآية 33

الدرس (7-10) : تفسير الآية 36

الدرس (8-10) : تفسير الآية 37

الدرس (9-10) : تفسير الآية 44

الدرس (10-10) : تفسير الآية 52

الدرس (1-10) : تفسير الآية 8

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل في سورة فصِّلت في الآية الثامنة، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (8)﴾

[سورة فصلت]

أوّلاً آمنوا وعملوا الصالحات ؛ هاتان الكلمتان معًا في أكثر مِن مائتي مرّة في القرآن الكريم يُقاسُ عليه قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

ويُقاسُ عليها قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6)﴾

[سورة فصلت]

ما مِن آيةٍ في القرآن الكريم أشارتْ إلى الإيمان إلا قرَنَتْ معه العمَل الصالح ؛ لأنَّ الإيمان بِلا عمَل كالشَّجر بلا ثَمَر، فلو أنَّ هذه الشَّمس الساطِعة نظَرْتَ إليها وفكَّرتَ مليًّا ثمَّ قلتَ الشَّمسُ ساطعة ؛ أنت ماذا فَعَلْتَ ؟ إن قلتَ ساطِعَة فهي كذلك، وإن قلتَ: هي ليْسَت ساطِعَة فهي ساطِعة، فلا نفْيُكَ يُؤَثِّرُ في سُطوعها، ولا إثْباتُكَ يُضيف إلى سُطوعها، فإذا قلتَ أنت آمنْتَ بالله، فالله تعالى موجود، وإنْ قلتَ: الله عظيم فالله موجود وقوِيّ، أما إن لم تُغَيِّر موقفَك ولم تتحرَّك نحوه، وما طبَّقْتَ منهَجَهُ، فالله تعالى قال:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(1)﴾

[سورة التغابن]

التَّسبيح كما يفهَمُهُ عامَّة الناس هو أن تقول: سبحان الله أما بالمعنى الدّقيق التَّسبيح أن تُنَزِّه الله عن كلِّ ما لا يليق به، والمعنى الثاني أن تُمَجِّدَهُ، وأن تصِفَهُ بالكمالات التي تليق به، والمعنى الثالث أن تخْضَعَ له، فإن لم تَخضَع له فتنْزيهُكَ باطل، وتوحيدُكَ باطل.

أردتُ مِن هذه المُلاحظة أنَّ كلّ شُعور إيماني إذا لم يُرافِقْهُ عمل، فهذا الشُّعور لا يُقَدِّم ولا يؤخِّر، أُضيفُ على ذلك قَول إبليس، فإبليس ماذا قال ؟ قال تعالى عنه:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(82)﴾

[سورة ص]

فهو آمنَ بالله تعالى ربًّا، وآمنَ به عزيزًا، ويقول الله تعالى:

﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ(54)﴾

[سورة التوبة]

دقّقوا ؛ هم عند الله تعالى كافرون، يُصَلُّون بِكَسَل، ويُنْفِقون بِكُرْهٍ فالقضِيَّة أخطر مِن أن تقول: أنا مؤمن، فإبليس وآمن، وهذا فرعون عند الغرق قال: آمنتُ بالذي آمنت به بنو إسرائيل، لذا النُّقطة الحرِجَة ليس أن تقول: الله موجود، قال تعالى:

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ(38)﴾

[سورة الزمر]

فالصَّحابة الكِرام لأنَّهم فعَلوا وِفق ما اعْتَقَدوا ارْتَقَوا ولأنَّنا أفكارُنا في واد، والسُّلوك في وادِي آخر، مرَّةً كنتُ في مصيف، مسْجِد مُزْدَحِم بالمُصَلِّين بِيَوم جمعة، انتهَت الخُطبة، خرجَ منه المُصَلُّون، فإذا بِواحِد مُتَّجِهٌ نحو مركبتي، وبِمَركبَتِهِ إنسانة مُتَفَلِّتة ! فلو قدَّرنا أنَّها زوجتُهُ لكان هذا مشكلة، ولو قدَّرنا أنَّها أختهُ لكانت هذه مشكلة كذلك ! فَمُشكلة المسلمين اليوم هي الانْفِصال، انْفِصال بين العقيدة والسُّلوك، فاليوم لا تَجِدُ فرْقًا بين المسلم وغير المسلم بالتَّعامُل اليومي، هناك كذب، وغِشّ وخِداع، وتَفَلُّت، واخْتِلاط، وكسْب حرام، وتَجِدُهُ يُصَلِّي، ويولِمُ ويَحُجّ، ويعْتَمِر، مائتا آية لم يُذْكِر فيها الإيمان إلا اقْتَرَن معه العمل الصالح ! الله تعالى في آيات رائِعَة ؛ الدِّينُ كلُّه كلمتان، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي(25)﴾

[سورة الأنبياء]

الدِّين توحيد وعِبادة وكلاهما شرْطٌ لازِمٌ غير كافٍ، فمثلاً أسطوانة الغاز ورأس الغاز كلاهما شرط لازِمٌ غير كاف، فالرَّأس لا يشتغل من دون أُسطوانة ولا الأسطوانة من دون الغاز، لذا مَن يقول: أنا عملي طيّب ولا يؤمن فهذا لا يستفيد شيئًا، وتَجِدُ إنسانًا مُستقيمًا استِقامةً ليْسَت إليه ولكن لِمَصالِحِه، مثل أوروبا ؛ الساذِج من المسلمين تجدُه يقول: هؤلاء الكفار لا يكذبون ولا يغشُّون وكلمتهم كلمة، ومواعيدهم دقيقة، لكن نقول: لو

تضاربَتْ مصالِحُهم مع دعواهم يضربوه ما هم عليه عرْض الحائِط !!، خمسمائة ألف طِفل عراقي ميّت جوعًا!! وُحوش بِكُلّ معنى الكلمة، فنحن لا نريد العبادة التي مِن ورائِها المصالح، نحن نريد عبادة لله تعالى، فالذي يستقيم مِن أجل تحقيق مصالِح شَخصِيَّة، فهذا يعْبُدُ ذاتَهُ، أما الإيمان بالله فهو السَّير على منهَجِهِ مع عِبادَتِهِ، لذا قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[ورة فصلت]

ويقول الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[سورة فصلت]

فالقبول يستلزم القول والعمل، فهاتان الآيتان مِن أرْوَع الآيات، لذا نحن مُشكِلة مشاكلنا الانْفصال ؛ انْفصال القول عن العمل، هل تُصَدِّقون أنَّ إنسانًا يعيش مِن مَسْبح مُخْتَلَط، نساء كاسيات عاريات، ثمَّ تَجِدُهُ يعمل مَولِد حُبًّا في رسوله الله !! نحن بِوادٍ ودينُنَا بِواد، نحن بِحاجة لى الالْتِزام حتَّى يرفع الله عنَّا الغضب، مليار ومائتان مليون ليْسَت كلمتنا هي العليا، لأنَّ الله تعالى قال:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا(59)﴾

[ورة مريم]

والله لو علمنا آيةً مِن كتاب الله تعالى وطبَّقناها لكانت خير لنا من قراءة القرآن وفهمه ! قال له: عِظني ولا تُطِل قال تعالى:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

[سورة الزلزلة]

تجد مليون مشكلة بين الدُّعاة ؛ صوفي وسلفي...والله عز وجل ربَّما لا يعترف بِنا جميعًا فالله عز وجل يحبّ العمل والصِّدق، والإنسان الذي يقرأ القرآن ويُطَبِّقُهُ ولم يأتِ ذِكْر الإيمان إلا مع العمل، ولم يأتِ ذِكر الدَّعوة إلا مع العمل الصالح، وحيثما فصَلنا الإيمان عن العمَل فقَدْنا قيمة هذه الدِّين، وأصْبحنا في مؤخّرة الشُّعوب، وإيَّاك أن تقول: عمَّ الفساد !! أنت عليك نفْسَكَ وأهلَكَ ؛ بيتُكَ وعَمَلَك، لذا من تعلَّم العِلم لِيُجادِل به العلماء ويُماري به السُّفهاء، أو لِيَصْرِفَ وُجوه الناس إليه فلْيتجهَّز إلى النار.

أيُّها الإخوة، العِلم وسيلة وليْسَت غايَة، تتعلَّم مِن أجل أن تعمَل، راجِع نفْسَكَ وبيتَكَ وزوْجَتَك، وبيْعَكَ، ومعاملاتِكَ، طبِّق وسترَى ثِمار الدِّين يانِعَة، حتَّى يتجلّى الله على قلبِكَ، ويرْفَعَ مقامَكَ، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (8)﴾

[ورة فصلت]

الإيمان والعمل فأنت إن عمِلْتَ صالحًا ولم تؤمن فأنت لك الدُّنيا، قال تعالى:

﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ(200)﴾

[سورة البقرة]

شأنهم كشأنِ الأجانب، فالغرب مُسْتَعِدُّون أن يُدَمِّروا ملايين الشُّعوب مِن أجل مصالح صغيرة ؛ العقل في سبيل المصلحة، أما المؤمن فهو إنسانٌ آخر، يؤمن بالله ويعْبُدُه، وله الدنيا والآخرة، وهناك إنسان، وحيوان وشيْطان، فإذا اسْتَخدم الإنسان عقلهُ لِمَصلَحَتهِ فهو شيطان، وإذا عطّل عقلهُ فضاعَت عليه الدنيا والآخرة فهذا حيوان، أما إذا أعْمَلَ عقلَهُ وأطاع ربَّهُ أصْبَحَ إنسانًا، ونعوذ بالله أن نكون مِن الصِّنفين غير الإنسان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-10) : تفسير الآيات 6-7

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، ورد في الحديث الشريف أنَّ فضل كلام الله على كلام خلقه كفَضل الله على خلقه ! فكم هي المسافة بين مخلوقٍ ضعيفٍ فقير حادثٍ جاهلٍ، ومُفتَقِرٌ في وُجودِهِ إلى إمْداد خارجيّ، وبين خالقٍ عظيم أزليّ وقويّ، وفَرْدٍ صمَد، كم هي المسافة بين الخالق والمخلوق ؟ هي نفسها بين كلام الله وكلام خلقه ! كلام الخلق يُعَبِّر عن ضَعفِهِم، وعن مَحْدودِيَّتِهِم، وعن تَطَوُّرهم، وعن خلل أصاب عُقولهم، وكلام خالق الكون كلامٌ مُطلق لا يأتيه الباطل من بين يدَيه ولا مِن خلفِهِ، فما دام فضل كلام الله على كلام خلقه كفَضل الله على خلقه، وهذا القرآن كتاب الله ينبغي أن نفهمَهُ سورةً سورة، وآيةً آية، وكلمة كلمة، وحرفًا حرفًا، وحركةً حركة، مثلاً قوله تعالى في الآية:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ(6)﴾

[سورة فصلت]

ألا ينبغي أن يكون الفعل ؛ اسْتقيموا على ؟! فهنا جاءَتْ إلى ! فهل جاءَتْ هذه هكذا ؟! فالإنسان قد يستقيم خوْفًا من القانون، ويستقيم خوفًا من الفضيحة، وحِفاظًا على مكانَتِهِ ويستقيم لأنَّه كبير العائلة ؛ فهذه استقامة ولكن لا تُؤَدّي إليه، ولا تصِل بِصاحِبِها إليه، فهي اسْتِقامة ولكنَّها لِعِلَّةٍ أرْضِيَّة وشِرْكِيَّة، ولِعِلَّة إرْضاء زَيد أم عُبَيْد، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى يُريدنا أن نسْتقيم إليه، وأن تصِلَ اسْتِقامتنا إلى بابه، وأن تكون اسْتِقامتُنا طريقًا سالِكًا إليه، ولا تكون اسْتقامتنا إليه إلا إذا أخْلصناها له تعالى، فكلّ هذه الآية مَبْنِيَّة على كلمة استقيموا إليه، وهناك أمثلة كثيرة، فباللُّغة العربيَّة الفِعل أحْسَنَ يتعدَّى بِإلى، وكلّكم يعلم أنَّ الأفعال ثلاثة أنواع فِعل لازِم يكتفي بِفاعِلِه، وفِعل مُتَعَدٍّ يحتاج إلى مفعول به، وفِعل قاصِر ؛ لا هو لازِم، ولا هو مُتَعَدٍّ فاللاَّزِم كَغَضِبَ فلان وحَزِنَ فلان ؛ هذه أفعال لازِمة، والمُتَعَدِّية مثل أكل فلانٌ تفاحةً، وكسر فلانٌ قلمًا، أما القاصِر كأن تقول: بَحَثَ عن ونظَرَ إلى، ووجدَ في، ووقَّعَ عن، فالفِعل القاصِر بين اللاَّزِم والمُتَعَدِّي فربُّنا عز وجل في القرآن جعل الفِعل أحسَنَ يتعدَّى بالباء، ومعروف أنَّ هذا الفِعل يتعدَّى إلى ؛ تقول: أحْسَنتُ إليه، قال تعالى: وبالوالدين إحسانًا.." أي أحْسِنوا بالوالِدَين، والباء تُفيد الإلصاق، أي أنَّ الله عز وجل وجَّهَنا إلى أنَّه لا ينبغي أن يكون إحْسانُكَ لِأبوَيْك بالواسِطَة، فالواجِب أن تُحْسِنَ إليهما مُباشَرَةً، وأن تُؤَدّي حاجاتهما بِيَدِك، وأن تذهب إليهما بِنَفسِك، وأن تطلب رِضاهما كلَّ يوم، فكما قلتُ قبل قليل :

ينبغي أن نفهمَ كتاب الله سورةً سورة، وآيةً آية، وكلمة كلمة، وحرفًا حرفًا، وحركةً حركة، فكلمة استقيموا إليه أصل الكلمة استقام على أمر الله، لأنَّ الاستقامة طريق، وأنت على هذا الطريق، أما هناك إلى وهو لانتِهاء الغاية، تقول ذَهَبتُ مِن دمشق إلى حلب، فحَلَب نِهاية الغاية، فقوله استقيموا إليه تعني وُجوب وُصول استقامتك إليه، ولن تصِلَ إليه إلا إذا أخْلَصْتها، فأنت لا تسْرق لا إلى أنَّ القانون يُعاقِب على السَّرِقة، وأنت لا تفعل هذا الفِعل لا لأنَّك تخاف على سُمعَتِك ؛ إنَّك تفعل هذه الأعمال الطَّيِّبَة ابْتِغاء وَجهِ الله تعالى، وترضي بها الله عز وجل وهذه هي النِّيَّة الطَّيِّبة، ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام :

فعن عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّه عَنْهم عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ

((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ *))

[رواه البخاري]

رجُلٌ في مكَّة المُكَرَّمة أحبَّ امرأةً، وعرضَ الزَّواج منها فأبَتْ ! فلمَّا أصرَّ عليها اشْتَرَطَت أن يُهاجِرَ إلى المدينة، وبعدها يتزوَّجُها، هي اسْمُها أُمّ قَيس، فرَضِيَ وهاجر إلى المدينة وتزوَّجَها، فسمَّاهُ الصَّحابة مُهاجِر أُمِّ قيس ؛ لأنَّه هاجر مِن أجل الزَّواج لأمّ قيس، ومِن هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ *))

[رواه البخاري]

فأحيانًا يأتي الإنسان إلى بيت الله لا يبتغي إلا وَجه الله، وأحيانًا يَعِدُ إنسانًا في المسجد لِقَضاء حاجة، فهذا الدُّخول صار مَشوبًا لِقضاء حاجة، لذلك يقول الإمام الفُضَيل: لا تُقْبَلُ الأعمال إلا بِشَرطين: الإخلاص والصَّواب، فالصَّواب ما كان مُوافقًا للسُّنة، وخالصًا ما ابْتُغِيَ به وَجهُ الله، فالإنسان أحيانًا يُراقب نفْسَه، والإنسان العاقل هو الذي يتأمَّل ذاته فالذي يُقيم الوليمة لِيَتباهى بِبَيْتِهِ، بِطَبْخ زوْجته ! ويُقَدِّمُ هدِيَّةً كي تظهر أنَّها مِن فلان، فالمؤمن نواياهُ طيِّبة، فإذا قدَّم هَدِيَّة فَمِن أجل أن يُعين أخاه على الزَّواج مثلاً، لذا هناك اسْتِقامات ليْسَت إلى الله تعالى، تصِلُ بك إلى زيدٍ أو عُبَيد، وكلَّما ارْتقى الإنسان إلى الله حرَّر نواياه من الشِّرْك والخلْق، فالمُخلِصُ هو الذي لا يبتغي بِعَمَلِهِ إلا وجْه الله عز وجل.

الآن قد يسأل السائل ؛ هذه النِّيَّة الطَّيّبَة مِن أن تأتي ؟ ومن أين نأخذُها ؟ الجواب: أنّ هذه النِّيَّة الطيّبة هي مُحَصِّلة إيمانك كُلّهِ، مرةً سأل أحدهم طبيبًا، فقال له: لي عندك طلبٌ صغير ؛ فقال له: علِّمني كيف تَكتب الوَصْفة ! فابْتَسَمَ هذا الطبيب وقال: إنَّ كتابة الوَصْفة هو مُحَصِّلة دِراسة أربعًا وثلاثين سنة !! فأيضًا النِّيَّة العالِيَة هذه مُحَصِّلة الإيمان كُلّه، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا(9)﴾

[سورة الإنسان]

لذلك يا مُعاذ أَخْلِص دينَكَ يَكْفِكَ القليل مِن العَمَل.

قليل العمل وكثيرهُ ؛ هذا ينفعُ مع الإخلاص، أما مِن دون إخلاص فلا ينفعُ لا كثير العمل ولا قليلهُ.

الآن أصِلُ إلى نقطة دقيقة وأخيرة ؛ وهي أنَّ الإخلاص سببُهُ التَّوحيد فأنت إن وحَّدْتَ الله تُخلص له، وعدم الإخلاص سببهُ الشِّرْك، فأتن يضْعُف إخلاصك مِن ضَعف تَوحيدِك، ويزداد إخلاصك مِن ازْدِياد توحيدِك، فكأنَّ مُؤَشِّر التَّوحيد والإخلاص يتحرّكان معًا ؛ إذا ضَعُف الإخلاص ضَعُف التَّوحيد، وإذا ازْداد التَّوحيد ازْداد الإخلاص، وهناك إخلاص يحتاج إلى إخلاص، وإخلاص عبادة القلب، ولا يطَّلِعُ عليه بشرٌ فَيُفْسِدُهُ، ولا مَلَكٌ فيُفْسِدُهُ، وهو بينك وبين الله، لذا عليك بِعبادة الله بالجوارِح، أما القلب فعبادتُهُ إخلاص العبادة، لذا قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ(6)الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ(7)﴾

[سورة فصلت]

لِتَكُن اسْتِقامتكم واصِلَة إليه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-10) : تفسير الآية 17

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، كلُّ عامٍ و أنتم بخيرٍ، أطلَّتْ علينا ذكرى ميلادِ رسول اللهِ صلى اللهُ عليه و سلم، و ذكرتُ البارحةَ في الخطبةِ أن الاحتفالَ بعيد المولد النبويِّ الشريف، له وجهان؛ الوجهُ الأولُ أنك إذا أردتَ أن تعرفَ رسولَ اللهِ فهذا من صُلْبِ الدين ، و أردت أن تعرف سنّتَه القوليةِ، وهي فرضُ عينٍ، لماذا تصلّي الظهرَ ؟ لأن الصلاة فرضٌ، و هل يخطر في بالك أن معرفةَ سنّةَ رسول الله القوليةِ فرضُ عينٍ ؟ كالصلاة و الصيام و الحج و الزكاةِ، و إليكم الدليلُ ؛ " ما لا يتمُّ الفرضُ إلا به فهو فرضٌ، و ما لا تتِمُّ السنَّةُ إلا به فهو سنَّةٌ، و مالا يتم الواجبُ إلا به فهو واجبٌ، الوضوءُ فرضٌ لأن الصلاةَ لا تتم إلا به، حينما قال الله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(7)﴾

[سورة الحشر]

كيف تأخذون ما آتاكم و تنتهون عما نهاكم إن لم تعرفوا ما آتاكم وما نهاكم ؟ الاحتفالُ بعيد مولدِ رسول الله يبدأ من الآنَ و إلى نهاية الحياة، يجبُ أن تطلبَ العلمَ كلَّ يومٍ، من أجل أن تتراكم الحقائقُ، و معرفةُ سيرةِ النبيِّ فرضُ عينٍ كالصلاة، و الدليلُ ؛ مالا يتم الواجبُ إلا به فهو واجبٌ ؛ قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا(21)﴾

[سورة الأحزاب]

كيف يكون النبيُّ أسوةً حسنةً إن لم نعرف سيرتَه ؟ كيف كان في بيته و مع أهله و أولاده و مع جيرانه و ع إخوانه و كيف كان مع أعدائه، و في حضره و سفره، في سِلمه و حربه، في حزنه و فرحه، يجب ان نعلم علمَ اليقين أن معرفةَ سنةِ النبيِّ القوليةِ و العمليةِ فرضُ عينٍ على كلِّ مسلمٍ، شيءُ آخر، قال تعالى:

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(120)﴾

[سورة هود]

النبيُّ عليه الصلاة و السلام وهو سيِّدُ الخلق و حبيبُ الحقِّ يزدادُ قلبُه ثبوتا إذا تُلِيَتْ عليه سيرةُ نبيٍّ دونَه، فكيف بمؤمنٍ مُقصِّرٍ يستمع إلى سيرةِ سيِّد الخلق سيِّدِ الأنبياء و المرسلين، لا توهدوا، النبيُّ الكريمُ قال ؛: أدبوا أولادكم على ثلاث ؛ على حب نبيكم و حب آل بيته و تلاوة القرآن..." برَبِّك هل تأديبُ الولدِ يكون بقولك له: يا بُنيَّ أحِبَّ رسولَ الله ؟ كلامٌ لا معنى له، يجب أن تحدِّثه عن رسول الله و أن تتلُوَ عليه أخلاقَ رسول الله و شمائلَه و مواقفَه و أحوالَه، من أجل أن يحبَّه، و الإنسانُ يحبُّ ثلاثةَ أشياءَ، يحبُّ الجمالَ و

الكمالَ و النَّوالَ؛ وهو العطاءُ، فالذي يعطيك تحبُّه و الكاملُ كمالا رائعا لو لم ينلك من كماله شيءٌ تحبُّه، الذي ينالُك من كماله شيءٌ تحبه و تحبُّ النوالَ، و الجميلٌ تحبُّه

و أجملَ منك لم ترَ قطُّ عيني و أكملَ منك لم تلد النساءُ

خُلقتَ مُبرَّءًا من كلِّ عيبٍ كأنك قد خُلِقتَ كما تشاءُ

أيها الأخوة الكرامُ، لمَّا نتحدَّث عن سيَرِ المنحرفين و الظالمين يتعكَّر القلبُ، أما جرِّبْ الحديثَ عن رسول الله، الكمالُ المطلَقُ، و عن أصحابه الكرام، سيِّدُنا الصدِّيق له جيرانٌ عجائزٌ كان يحلب لهم الشِّياهَ فلما صار خليفةَ المسلمين أُخبِر أنهم في حزنٍ شديدٍ، لأن هذه الخدمةَ لن تستمرَّ، و في صبيحة اليوم الأول من تسلُّمه الخلافةَ طُرِق بابُ إحدى العجائزِ، قالت لابنتها: افتحي البابَ، فلما فتحت قالت من البطارِق يا بنيَّتي ؟ قالت: جاء حالِبُ الشاةِ يا أمَّاه، سيدنا الصديق حالبُ الشاةِ، استمعْ إلى التواضعِ و إلى الرحمةِ و إلى الكمالِ و إلى الصِّدق و إلى العطاء، و قال النبيُّ عليه الصلاة و السلام: كل ثلاثة على راحلةٍ..." قائد الجيش و رئيس الدولة و نبيُّ هذه الأمةِ سيّد الخلق و حبيبُ الحقّ رسولٌ الله، ركب النبي و سار صاحباه، فلما جاء دورُه في المشيِ توسَّلا إليه أن يبقى راكبا فقال عليه الصلاة والسلام: ما أنتما بالأقوى مني على السير و لا أنا بأغنى منكما عن الأجر، هذا رسول الله، و كانوا مرةً في سفر و أرادوا أن يعالجوا شاةً، قال أحدُهم: عليَّ ذبحُها و قال آخرُ عليَّ سلخُها و قال آخرُ عليَّ طبخُها فقال عليه الصلاة و السلام: و عليَّ جمعُ الحطبِ، و اختار أشقَّ الأعمالِ، قالوا نكفيك يا رسولَ اللهِ، قال أعلم أنكم كفونني و لكن الله يكرهُ أن يرى عبدَه متمَيِّزا عن أقرانه، إذا كانت لك زوجةٌ و أخطأتْ معك يُعنِّف معها ؛ تُخلَع رقبتُها؛ جاء لعائشةَ طبقُ طعامٍ من عند ضرَّتها صفيَّةَ، فأصابتْها غِيرةُ النساءِ فأمسكتْ الطبقَ و رمتْه أرضًا و كسرتْه أمام النبيّ، ماذا فعل النبيُّ جمع أشتاتَ الطبقِ فقال: غضبتْ أمُّكم غضبتْ أمُّكم.." هكذا كان في بيته و أرسل خادما في حاجةٍ فأطالَ كثيرًا، حتى غضب النبيُّ، فلما عاد قال: و اللهِ لولا خشيةُ القصاص لأوْجعتُك بهذا السِّواكِ، رحمة و إنصافٌ و الأنصارُ أعلنوا له صراحةً أنهم غاضبون و أنهم متألِّمون جاء زعيمُهم سعدُ بنُ عبادةَ قال: يا رسولَ اللهِ إنَّ قومي وجدوا عليك في أنفسهم قال لِمَ، قال: لهذا الذي وزَّعْتَه في الناس و لم يُصِبْ منه الأنصارُ شيئًا قال: يا سعدُ أين أنت من قومك ؟ قال: ما أنا إلا من قومي، فقال: اجمعْ لي قومَك . الآنَ النبيُّ في أعلى درجات القوةِ بعد حُنيْنٍ و فتح مكةَ و دانتْ له الجزيرةُ العربيةُ من أقصاها إلى أقصاها وآخرُ معركة هي حنين وانتصر فيها ووزَّع الغنائمَ و صار أقوى رجلٍ في الجزيرةِ، في مكة عشرةُ آلاف سيفٍ متوَهِّج ينظرون إليه، فقال: ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا أخٌ كريمٌ و ابنُ أخٍ كريمٍ، قال: اذهبوا فانتم الطُّلَقَاءُ، و الفاتحون من بني البشرِ الطُّغاة لجنودهم قتلا و تعذيبًا وسرقةً و نهبًا، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاءُ، قال له أبو سفيانَ: يا ابنَ

أخي ما أعقلَك و ما أحكمَك و ما أوصلَك و ما أرحمك . فجمع الأنصارَ و قال لهم: يا معشرَ الأنصارِ مقالةٌ بلغتْني عنكم، وجَدةٌ وجدتموها عليَّ في أنفسكم من أجل لُعاعةٍ من الدنيا تألَّفتُ بها قوما ليسلموا و وكَّلتُكم إلى إسلامكم يا معشر الأنصارِ . الآنَ تصوَّروا ماذا يقول النبيُّ، بإمكانه أن يُلغِيَ وجودَهم و يقتلهم وهذا لن يكون، و بإمكانه أن يهدرَ كرامتهم يقول إنهم منافقون و انتهى الأمر، و بإمكانه أن يعاتبهم لصالحهم و بإمكانه أن يهملهم، ماذا فعل؟ ذكَّرهم بفضلهم عليه، قال: يا معشرَ الأنصار أما إنكم لو كنتم فلَصدَقْتُم و لصُدِّقتُم، أتيتَنا مُكذَّبا فصدَّقناك طريدا فآويناك مخذولا فنصرناك، ذكَّرهم بفضلهم عليه، يا معشرَ الأنصار ألم تكونوا ضُلَّالا فهداكم اللهُ بي، ألم تكونوا عالةً فأغناكم اللهُ ألم تكونوا أعداءَ فألَّف بين قلوبكم، أما ترضوْن أن يذهب الله بالشاةِ و البعيرِ وترجعون أنتم إلى رِحالكم برسول اللهِ، لأنَّه لما فتح مكةَ ؛ بلدَه قالوا: أَيُعقَلُ أن تبْقى يا رسول الله ؟ فقال: معاذ الله ! بل المحْيا مَحياكم والممات مماتُكم، وُلِدَ بِمَكَّة ثمّ أخْرجوه منها ثمَّ فَتَحها ثمَّ لا يرْضى أن يبْقى فيها أما ترْضَون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترْجِعوا أنتم بِرَسول الله إلى رِحالكم، اللهمّ ارْحَمِ الأنصار ؛ هكذا قال، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، وما سلَك الأنصار شِعبًا، والناس شِعْبًا إلا وسَلكْتُ شِعْبَ الأنصار، فبَكوا حتَّى أخْضلوا لِحاهم ! هذا هو النبي عليه الصلاة والسلام ؛ البيت الذي لا يحوي كُتب السيرة لا خيْرَ فيه، وبيت لا تمْر فيه جِياعٌ أهْله، سيّدُ الخَلْق الذي أكْرمهُ الله، وعصَمَهُ، وجعلهُ مُشَرِّع وقُدْوَة، ابْحَث كيف كان ينام ؟ وكيف كان يُعامِل الناس ؟ فَعِكْرِمَة أسْلَم وكان أبوه أعْدى أعداء رسول الله ؛ أبو جَهْل، جَمَعَ أصْحابَهُ وقال: جاءَكم عِكْرِمَة مسْلِمًا فلا تسُبُّوا أباه، لأنَّ سبّ الميّت يؤْذي الحي، ولا يبْلُغ الميّت ! ما هذه الأخلاق ؟؟! وهذا ابن أبي سلول طلبَ قبل مَوْتِهِ قَميص النبي عليه الصلاة والسلام فألْبسَهُ القميص بِنَفْسِهِ وهو على فِراش الموت !! وكان سيّد المنافقين، فهو صلى الله عليه وسلَّم ترفَّقَ به مِن أجل ابنِهِ، ووفاءً معه.

أيها الإخوة، نحن شِعارنا في الاحْتِفال بِهذا اليوم المجيد أنْ نقرأ سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ؛ كي نعرفَ مَن هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

فاسْتِجابة الناس لِرَسول هي عَين الاسْتِجابة لله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-10) : تفسير تتمة الآية 17

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة عشرة من سورة فصِّلت، وهي قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17)﴾

[سورة فصلت]

هذه الآية ومثيلاتها تكِّد حقيقةً أساسيَّة في عِلم العقيدة، وهي أنَّ الإنسان مُخَيَّر فلو أنَّ الله تعالى أجْبَرَ عباده على الطاعة لبَطَلَ الثَّواب، ولو أجْبرهم على المعْصِيَة لبَطَل العِقاب، ولو تركَهَم هَمَلاً لكان عَجْزًا في القُدْرة إنَّ الله تعالى أمرَ عِبادهُ تَخييرًا، ونهاهُم تَحذيرًا، وكلَّفَ يسيرًا، ولم يُكَلِّف عسيرًا، وأعطى على القليل كثيرًا، لِمُجَرَّد أن تعتَقِد أنَّ الله تعالى أجبركَ على عَمَلِكَ صالحًا كان أم سيِّئًا فقد هَدَمْتَ جانِبًا كبيرًا مِن كمالات الله تعالى، فأنت إذا قلتَ أنَّ الله تعالى أجْبركَ على المعْصِيَة فكيف يُحاسِبُكَ، ولِمَ جَعَلَ النَّار عِقابًا لِمَن يعصيه ؟ ولِمَ جَعَل الجنَّة ثوابًا لِمَن يُطيعُه ؟ وما معنى الثّواب ؟ وما معنى العِقاب ؟ وما معنى الجنَّة والنار إن لم يكن الإنسان مُكَلَّفًا، لا مسؤولِيَّة مِن دون تَخيير، لِمُجَرَّد أنَّ الله تعالى أمرَكَ بِأمرٍ فأنت مُخَيَّر، لمُجَرَّد أنَّ الله نهاك عن شيءٍ فأنت مُخَيَّر ولو أجْبرَكَ على المعْصِيَة لبَطَل العِقاب، ولو أجْبرَكَ على الطاعة لبَطَل الثَّواب، أساسًا عقيدة الجَبْر هي عقيدة الشِّرك، والدليل أنَّ الله سبحانه وتعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148)﴾

[سورة الأنعام]

الإنسان المُقَصِّر والمنحرف، والذي يتَّبِعُ هواه يميلُ في عقلهِ الباطن إلى أن ينْسِبَ خطأَهُ إلى الله تعالى، يقول لك: هكذا القضاء والقدَر !! وإنَّ الله تعالى قدَّرَ عليَّ ذلك، وقد سَمِعَ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه عِملاق الإسلام هذه الكلمة من إنسان فأقام عليه الحدّ مرَّتَين، قال: يا أمير المؤمنين إنَّ الله قدَّر عليَّ شُرْبَ الخمر فقال رضي الله عنه: أقيموا الحدّ عليه مرَّتَين ؛ مرَّة لأنَّه شربَ الخمر، ومرَّة لأنَّه افْترى على الله، وقال أمير المؤمنين: وَيْحَكَ يا هذا ؛ إنَّ قضاء الله لن يُخْرِجْكَ من الاختيار إلى الاضْطِرار، وآيات كثيرة قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(148)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17)﴾

[سورة فصلت]

وقال تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(3)﴾

[سورة الإنسان]

أيها الإخوة، حينما تُلْغي حُرِيَّة الكَسْب، يقول الله عز وجل:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ لَبَث(286)﴾

[سورة البقرة]

الفِعْل فِعْلُ الله، والاختيار اختيار الإنسان، فأنت حينما تُلغي حُريّة الكسب تُلغي التَّكليف، تلغي الأمانة والثَّواب والعِقاب وتُلغي الجنَّة والنار، وتُلغي بِعْثة الأنبياء وإنزال الكتب، وتجعل من الحياة وأحداثها تَمثيليَّة، فالإنسان مُخَيَّر، ولو أنَّه مُخَيَّر لما كانت هناك مَسؤوليّة ولما كان هناك عقاب، بِربّكم لو أنَّ الإنسان كان مُجبرًا على الأعمال السيّئة، حينما يأتي يوم القيامة، وقد أجْبره الله تعالى على فِعلها ؛ فهل يقول: ربِّ ارْجعون لعلّي أعملُ صالحًا ؟! وهل يقول: يا ليتني قدَّمتُ لحياتي ؟! متى ينْدم الإنسان ؟ إذا كان بِإمكانهِ أن يفْعَل ولم يفْعل، عندها يندم، أما لو كان مجْبرًا، فلو أنّ طالبًا أعْطيناه الأسئلة، وأحْرزَ الدرجة الأولى، وكرَّمنه، وأقمنا له احْتِفالاً ضخْمًا، فهل لهذا النَّجاح قيمة ؟ ولو أنَّ الطالب أخذناه وحَجَزنا حُرّيَّتَهُ قبل يوم الامتِحان، ثمَّ نقول له: أنت كسول ورسَبْتَ ! فهل يُعْقَل أن يُجْبِرَ الله تعالى عباده على المعْصِيَة ثمَّ يُحاسِبهم؟ هكذا ظنُّكَ بالله تعالى ؟ قال تعالى:

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)﴾

[سورة فصلت]

وقال تعالى:

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنْ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(154)﴾

[سورة آل عمران]

حُسْن الظن بالله تعالى ثَمَن الجنَّة.

أيها الإخوة، أنا لا أقول لكم هذا الكلام من فراغ، أنا ألتقي بأشْخاص كثيرين من روَّاد المساجد، ومِمَّن يحْضر مجالس العلم وهو يعْتقِد أنَّ الإنسان مُجْبر على أعماله، ويقول لك: قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ(96)﴾

[سورة الصافات]

من أين جئت بهذه الآية ؟ وهل قرأت ما قبلها ؟ فالآية لها سياق، وسباق، ولها لِحاق، قال تعالى:

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ(95)وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ(96)﴾

[سورة الصافات]

تنْحتُ الصَّنَم بيَدِك، ثمَّ تقف أمامه ذليل !! فالله عَجِب منهم ! أما الآية الكريمة:

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ لَبَثْ(286)﴾

[سورة البقرة]

أي حينما تنْبعث النفس إلى الطاعة فهذا هو الكسب، وحينما تنبعث النَّفس إلى المعْصيَة هذا هو الكسب والإنسان مُسيَّر ومُخيَّر، ولكن متى مُسيَّر ؟ أنت مُسيَّر في أنَّك ابن فلان وابن فلانة فهذا ليس من اخْتِيارك، ووُلِدت عام كذا وكذا، وبإمكانيات معيَّة، وبِذكاء مُعيَّن، فهذه كلُّها ليْسَت من اخْتِيارِك إلا أنَّها في صالِحِك فليس بإمكانِكَ أبْدَعَ مِمَّا أعطاك، والآن خيَّرَكَ الله بين اِفْعَل ولا تفْعَل إن أردْتَ أن تفْعَلَ الطاعة سيَّرَكَ إلى تحقيقك، وإن أراد الإنسان المعْصِيَة أنْذَرَهُ وحذَّرَه، فإذا أصرَّ أطْلَقَهُ، فالفِعل فِعْلُ الله، بعد أن تُحَقِّق اخْتيارَكَ بالتَّسيير الإلهي، يأتي الآن تسْيير التَّأديب، إنسانٌ اختار أن يعصي الله فالله عز وجل يُسَيِّرُهُ كي يُعَذِّبُهُ، فنحن عندنا تسْيير خلْق، وتسْيير اختيار وتسيير تأديب، أما الأصْل فأنت مُخيَّر، وأيَّةُ آيةٍ يُعْزى فيها الضَّلال

والإضلال ؛ فهو إضْلال جزائي مبْنِيٌّ على ضلال اخْتِياري، فلا يوجد عقيدة فاسِدة تُثبِّط عزيمة الإنسان، وتشلُّ حركتَهُ، وتجعله كالخِرْقة، ولا يقْوى على فِعْل شيءٍ كَعَقيدَة الجَبْر ! هل يمكن لِمُدير المدرسة أن يجْمع التلاميذ أوّل يوم دراسي، ويقول لهم: فلان وفلان هم الناجحون !! وفلان وفلان راسِبون !! انْطلقوا وادْرسوا !! والنتائِج معلومة من البِداية !! فهنا لا توجد إمكانِيَّة الدِّراسة إطلاقًا، فلماذا يدْرس الراسب ؟ ولماذا يدْرس الناجح ؟ قال تعالى:

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(28)﴾

[سورة الأعراف]

هذه الأعمال السيِّئة مِن كَسْب الإنسان وسيُحاسَبُ عليها، والآية الكريمة:

﴿وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا(29)﴾

[سورة الكهف]

لولا أنَّ الله تعالى شاء لكم أن تشيئوا لما شِئْتُم، فانتم إن سَعِدْتُم بِمَشيئتكم فهي من مشيئة الله، فالله شاء لكم أن تكونوا مَخلوقين نم الطِّراز الأوّل، وشاء لكم أن تكونوا مُخيَّرين، فإذا سَعِدتم باختياركم فهذا من مشيئة اله تعالى لكم، وهذا هو المعنى، لذا قوله تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ(9)﴾

[سورة النحل]

لو أراد أن يُلْغِيَ اختياركم ويُجْبركم على طاعته لا تسْعدون به لهداكم أجمعين، فلو أنَّ مدير الجامعة وزَّع أجوبة الأسئلة، ونجحَ كلّ الطلاب، فهل يُفْتَخَرُ بهذا النَّجاح ؟ وهل تُعادل هذه الشهادة ؟ فالله عز وجل قادِرٌ على أن يهْدِينا جميعًا إلا أنَّ هذه الهداية لا قيمة لها، ولا تُسْعِدُنا ولا تُؤهِّلُنا لِدُخول الجنَّة، فما لم تأتِ طائِعًا، وما لم تأتِ بِمُبادرةٍ منك وما لم تخْتَر أنت طاعة الله وثمَن الطاعة، وما لم تتكلَّف ثمَن الطاعة فالتكاليف ما سمِّيَت بهذا إلا من أجل أنَّها ذات كُلْفة، فأنا انْطَلَقْتُ من هذه الآية ولكنَّني أردْتُ أن أتحدث عن حُريَّة الاخْتِيار، لأنَّ الإنسان إذا اعْتَقَد بِثَانِيَةٍ واحِدة أنَّ الله تعالى أجْبرَهُ على أعمالهِ بطَلَ الثَّواب، وبطَل العِقاب وبطَلت الجنَّة والنار.

وبطلَتْ بعثة الأنبياء، وأصبَحت الأعمال لا معنى ولكنَّ الله عز وجل أثنى على عباده الطائِعين، ووبَّخ عباده العُصاة ووعدَ بالجنَّة لِمَن أطاعه، وبالنار لِمن عصاه، وأنت أيُّها الأخ بِإمكانِك أن تُطيع وبإمكانِكَ أن تعصي، فأنت بإمكانك إن أذَّن للصلاة أن تُصلي أو لا تُصلِّي وبإمكانك أن تغضّ بصرك، وبإمكانك أن لا تغضَّه، وعُرِضَت عليك صفْقة فبإمكانِكَ أن تقْبلها، وبمكانك أن ترفضها، دَعْكَ من النُّصوص وانظر إلى الواقِع تَجِدُ أنَّك مُخيَّر، والطالب بإمكانه أن يدْرس، وبإمكانه أن لا يدرس، والبائع بإمكانه أن يغش، بإمكانه أن يصْدق، وبإمكانه أن يحلف يمينًا كاذبة أو يمينًا صادقة، فهذا دليل واقعي وفِطري ونقلي على الاختيار، قال تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17)﴾

[سورة فصلت]

وقال تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(13)﴾

[سورة الكهف]

قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(148)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(35)﴾

[سورة النحل]

فكل الآيات التي يُشمُّ منها رائحة الجبْر لها معنى دقيق، قال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

ليس المعنى أنَّنا خلقنا فيه الغفلة، ولكن وجدناه مُتغافلاً، فهو الذي تغافل فالتَّعديَة في اللُّغة لها معاني عِدَّة، تقول: حاكَكْتُها فما أبخَلتها، أي ما وَجَدتها بخيلة، فالتَّعدية من معانيها السَّبَبِيَّة، ومنها العِلم، ومنها الحُكم والاختبار.

وقال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(39)﴾

[سورة الحجر]

ليس المعنى أنَّ الله تعالى خلق فيه الغواية، ولكن المعنى أنَّ الله تعالى وَجَدهُ غاويًا، ووجدهُ غافلاً، لذا أيها الإخوة هذه قضِيّة خطيرة، حينما تعتقِدُ أنَّ الله أجْبرنا على أفعالنا كأنَّك تقول بِلِسانِ حالك: لِمَ يُحاسبنا إذا كُنَّا قد أُجْبرنا، قال الشاعر:

ألقاه في اليمّ مكتوفًا وقال إياك إياك أن تبْتلّ بالماء !

فأنت إن كنتَ مجبورًا لا يُصبح للأمر معنىً، لذلك هناك ألف دليل ودليل على أنَّك مخيّر، ولو لم تكن مخيَّر لما سألك تعالى، قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-10) : تفسير الآية 30

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، حروفُ الجرِّ موضوعٌ في النحو العربي، هناك حرفان من حروف الجرّ و هناك حرفان من حروف العطف، حرفا العطف هما ثمَّ و الفاء، و الواو لمطلق العطف، أما ثم للترتيب و التراخي و الفاء للترتيب مع التعقيب، إذا قلنا دخل فلان ثم فلان، بينها ساعات طويلة، أما دخل فلان ففلان، دخل وراءه مباشرة، فالفاء للترتيب مع التعقيب و ثم للتعقيب مع التراخي.

من خلال هذه المقدِّمة في معنى حرفي العطف الفاء وثم، نقرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

الإنسان إلى أن يستقيم على أمر الله لا بدَّ من أن يعرف الله كثيرا، ولا بدَّ من أن يعرف أمره، فلابدَّ من وقت ثمين تعرف الله فيه، فأيُّ إنسان يجلس في مجلس علم أو يحضر خطبةً تُلقَى عليه الأوامر و النواهي فلا يطبِّقها رأسًا، فلابد من أن يعرف الآمرَ و لا بدَّ من أن يعظِّم الآمرَ و لا بد من أن يعرف ما عنده من خير و ما ينتظره من عقاب إذا عصاه، لابد من أن تؤمن بوجوده و بكماله ووحدانيته و أن تؤمن بوعده ووعيده و جنَّته و ناره، ولا بدَّ أن عرف منهجه، أمره و نهيه، فحتَّى يستقيم الإنسان يستقيم يحتاج إلى حقائق كثيرة و إلى مجالس علم كثيرة، و يحتاج إلى معرفة كثيرة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

كلمة قالوا ربنا الله ليس لها أيَّ معنى، لأن الله موجود، وإن قلت إنه موجود أو لم تقل إنه موجود، هو موجود، كلامك تحصيل حاصل، إن كان مطابقا للحقيقة فهو تحصيل حاصل و إن كان مخالفا للحقيقة فلا معنى له، و ما زدتَ على الحقيقة شيئا، فلو قلت الشمس ليست ساطعة وهي ساطعة، لاتُّهِم الإنسان في عقله، و إذ قلتَ ساطعة و أنت في أمسِّ الحاجة إلى أشعتها و لم تعرِّض جسمك إلى أشعتها فكلمة ساطعة لا معنى لها، فالإنسان يوقِّر وقته، يقول: أنا مؤمن، و ماذا فعلتَ ؟ و ماذا أعطيتَ ؟ و هل منعت و هل أعطيت هل سالمتَ و هل قطعتَ و هل وصلتَ و هل غضبتَ ؟ أنا أريد الموقفَ العملي، الحركة اليومية التي تُبنَى على معرفة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

فعلامة صحة قولهم استقامتهم و علامة صدقهم في اعتقادهم استقامتُهم، و علامة إخلاصهم فيما يعتقد من استقامتم و علامة علمهم العميق استقامتهم، وعلامة وعيهم استقامتهم، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

والإنسان أحيانا يتوهَّم إذا استقام لا يجد شيئا وهذا من الشيطان، أنه إذا استقمت فقد حرمتَ نفسك المناظر المبهجة من النساء الغاديات الرائحات وحرمت نفسك السهرات، والاختِلاط والنُّزهات، فهذه المباهج التي يتوهَّمُها الإنسان في المعاصي يظنُّ أنَّهُ يُحْرمُ منها، قال تعالى

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

من لوازِم إيمانهم بِرَبِّهم استِقامتهم، ومن لوازم اسْتِقامتهم تنزُّل الملائكة عليهم أن لا تخافوا ولا تحْزنوا.

أيها الإخوة الكرام، صدِّقوني ما مِن نعمةٍ أثْمَن في الأرض مِن نعْمة الأمْن وأن تكون مُطمئنًّا، وأن تكون واثقا من الله عز وجل، وأن يكون المستقبل لِصالِحِك، فهناك مَن ينْجح نجاحًا كبيرًا إلا أنَّ الزَّمَن ليس في صالِحِه، ماذا يعني الزَّمَن ؟ مُضِيّ الأيَّام والأسابيع، والأشْهر، والسَّنوات كان صحيحًا فأصْبح مريضًا، سكَّر وضَغط، فماذا يخبئ الزَّمن للناس ؟ أشياء لا نعلمها، يخبئ تراجع في الصِّحة، وتقاعُدِيَّة انتقال من بؤرة النَّشا إلى هامش الحياة، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ *))

[رواه الترمذي]

لو أنَّ الدنيا غاية علمنا ومَبلغُ علمنا، ومحطّ رحالنا، ومنتهى آمالنا، فماذا ننتظر منها ؟ كلامٌ واقعي، كساد فضيع وبِضاعة مكدَّسة، والشِّراء قليل، والدخْل قليل، والمصروف كثير، فهل ننتظر إلا فقْرًا مُنْسِيًا أو غِنًى مُطْغيًا، فهذا دَخَل له دخل كبير فاشْتهى المعاصي والآثام فالفقْر المنْسي مُصيبة والغِنى المُطغي مُصيبة، أو مرضًا مُفْسِدًا يُفسِدُ عليه حياته، أو هرمًا مُفنِّدًا تضْعفُ فيه ذاكرته فَيُعيد الكلام مائة مرَّة، أو موتًا أو الدَّجال، فشَرٌّ غائبٍ يُنتظر، أو الساعة والساعة أدْهى وأمَرّ، فَمِن لوازم إيمانك بالله تعالى اسْتِقامتك على أمره، ومن لوازم اسْتِقامتك تنزلّ الملائكة عليك أن لا تخاف ولا تحْزن، فقوله تخاف وتحزن تُغطِّي الماضي والمستقبل، فلا تخفْ مِمَّا سيَكون، ولا تحزن على ما كان، فهناك من يخْترق قلبهُ على الماضي ويقول لك: ذَهَب شبابي! وضَعفَتْ قوَّتي، وكنتُ وكنتُ !! أما المؤمن فالماضي مُغْلَق، ومُغطَّى بِعَدم الحُزن، والمستقبل مُغطًّى بِعَدم الخوف، وقد كانت لي قريبة برَكتْ، وهي في حالٍ من الغِنى غير معقول، أوَّل أسبوعَين خُدِمَت خِدمة تفوق حدَّ الخيال، وكلَّما يمضي أسبوع كانت تنزل مستوى الخدمة، وبعد أيَّام أصبح أقربُ الناس يتمنَّى موتها ! بقِيَتْ سنتين أو ثلاثة ! وهناك آية تُطَمئِن، وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

لنا للتَّمَلُّك، تقول: هذه الجوهرة لِمَن ؟ تقول له: لي، أما المخالفة تقول: هذه المخالفة على مَن ؟ فالعِقاب دائِمًا على، أنا الثَّواب فهي تَمَلُّك ؛ لي، قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة]

فلذلك كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

ربّنا عز وجل يُكَمنُهم، ويُلْقي في روعِهم، ويُطَمْئِنُهم على لِسان الدُّعاة إلى الله، وعلى لِسان الملائكة، وعلى لسان الأنبياء، والرؤى الصالحة، قال تعالى:

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31)﴾

[سورة فصلت]

نظام الحياة الدنيا مَبني على الكَدح، وبَذْل الجهْد واتِّخاذ الأسباب، أما نِظام الآخرة فَمَبني على الطَّلَب، فَمِن أجْل أن تُحَقِّق شيء تَبذل جهْدًا غير معقول، فَمِن أجل أن تتناوَل طعام الغذاء تذْهب إلى السوق، وتشتري الخضار، وتحملها، والزَّوجة تغسل، وتجهِّز الأكل فَمِن الساعة تسعة إلى الساعة الثانية مساءً حتَّى تكل صَحن خِلال عشر دقائق، ولكي تُؤسسِّ عمل تِجاري تحتاج لِسَنوات طويلة، فالحياة مَبْنِيَّة على الكَدْح، ولكن تتزوَّج، ولكن تشتري بيتًا، أما الآخرة فلهم فيها ما يشاءون فأيُّ خاطِرٍ يأتي إلى ذهنك يُحقَّق لهم فوْرًا، قال تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31)﴾

[سورة فصلت]

هذه الآية كان النبي عليه الصلاة والسلام يُكثِرُ قراءَتها، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

قال تعالى:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾

[سورة الأنعام]

فالإنسان من طبيعته لا يستطيع تنْفيذ شيءٍ إلا بعد أن يعرف المُتكلِّم، فالذين قالوا ربُّنا الله وتعرَّفوا إليه موجودًا وواحِدًا، وكامِلاً، ولى منْهَجِهِ وأحقِّيَّة منهجه، وإلى القدوة والأُسْوَة، عندها تسْتقيم، عندئذٍ قال تعالى:

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-10) : تفسير الآية 33

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، آية البارحة قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30)﴾

[سورة فصلت]

وآية اليوم قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[سورة فصلت]

كما أنَّ علامة اسْتِقامة الإيمان اسْتِقامة الجوارِح، وكما أنَّ علامة صِحَّة الإيمان الاسْتِقامة على أمْر الله، ومِن لوازم الاسْتِقامة الطُّمأنينة للمستقبل وعدم النَّدم للماضي، كذلك الدَّعْوَةُ إلى الله تتذبْذَبُ بين أن تكون أتْفَهَ الأعمال، وبين أن تكون صَنْعة الأنبياء، فما مِن عَمَلٍ يَتَذَبْذَبُ بين التَّفاهة وبين الخطورة كالدَّعة إلى الله، فإذا دعا الإنسان إلى الله ولم يَكُن عملُهُ حسنًا، عملُهُ تافِهٌ جدًّا، ويسْتَحِقّ الازْدِراء والسُّخْريَة، لأنَّ الناس لا يتعلَّمون بآذانهم، ولكن يتعلَّمون بِعُيونِهم، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(2)كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(3)﴾

[سورة الصف]

وقال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[سورة فصلت]

قبل أن تنْصَحَ الناس، عُدَّ للمليون ؛ هذا الذي تقولهُ هل تفْعَلُهُ، لذا هناك سؤالان خطيران ؛ لو أنَّك قلتَ شيئًا وفَعَلْتَ شيئًا، وأحْسَنَ الناس بِكَ الظَّن وقالوا: دَعْوتُهُ غير واقِيَّة، والدليل أنت لا تُطبِّق ما تقول ! هذا إن أحْسنوا بِكَ الظَّن ! وإن كانت الدَّعوة واقِعِيَّة ؛ كيف تَدعونا وأنت لا تُطَبِّق فلسْتَ أهلاً أن تكون داعِيَة إلى الله عز وجل، فهذه الآية:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[سورة فصلت]

من لوازم صِدق الدَّعوة صلاحُ العَمَل، ومن إشارات كذِب الدَّعة و سوء العمل، فالأصْل صلاحُ العمل أو سوء العمل.

الآن هناك فِكرة ثانِيَة ؛ وهي أنَّك إن كنتَ ذا عملٍ صالِحٍ، لو بقيتَ ساكِتًا ولو تنْطِق بِكَلمة، لَكُنْتَ أكبرُ داعِيَة، فالدَّعوة بالعمل أبْلَغُ من الدَّعوة بالقَول، لُغَة العَمَل أبْلَغُ من لُغة القول، وموقفٌ أخلاقيٌّ واحِد أفْضَلُ عند الله من ألف مُحاضرةٍ تُلقى ! آيتان خطيرتان، قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30)﴾

[سورة فصلت]

وقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[سورة فصلت]

قد تَعْمل صالحًا مِن أجل أن تجْتنِب إعْجابَ الناس، عملي الصالح هو الاسْتِسلام له، والطاعة له، وليس مِن أجل الدُّنيا، وبِهذا يكون الإخلاص فهو يكون مخلِصًا بِهذه الدَّعوة.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34)﴾

[سورة فصلت]

مستحيل أن يكون الصِّدق كالكذب، والاستقامة كالانحراف، والإخلاص كالخِيانة، والدَّناءة كالسُّموّ والانْغِماسُ في الملذَّات كالعِفَّة، والطَّمَعُ كالتَّعَفُّف ؛ مستحيل ! ومستحيلٌ أن يكون الأب الكامل كالأب السيئ، والابن البار، كالابن العاق، والزَّوجة الصالحة كالزَّوجة السيِّئة، فهما على طرفي نقيض، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[سورة فصلت]

أحيانًا يقول أحدهم: أنا لا أُدخِّن حِفاظًا على صِحَّتي ! ولكن أحيانًا يُدعى إلى طعامٍ وفيه خَمْر فيقول: أنا معي قرْحة !! لماذا لا تقل: أنا مسْلم ؟! مرَّةً ذكر لي صديق كان بِبَلَد فجاءَتْ وزيرة لهذا البلد، وكان المستقبل لها الوزير المشابه لها وإلى جانِبه كبار الموظَّفين، وأحد هؤلاء الموظَّفين كان مُلْتَزِمًا، والنبي قال: إنِّي لا أُصافحُ النِّساء، فلمَّا مدَّت يدَها لِتُصافِحَهُ امْتَنَع، وأشار لها على صَدرِهِ، فتألَّمَت أشَدَّ الألَم، وعدَّت هذا الموقف إهانةً لها، فلمّا انتهى الاسْتقبال: سألَت الوزير: لِمَ لمْ يُصافحْني ؟ هو الوزير غضِبَ منه غضبًا شديدًا، وعقابًا

له: حرمَهُ نم مائِدَة الطَّعام، إلا أنَّها سألت عنه حين الغذاء ؛ أين فلان الذي لم يرِد مُصافحتي ؟! فقالتْ: أُريدُ أن أراه، وأصرَّتْ، فلمَّا طلبوه، قالتْ له: لِمَ لمْ تُصافِحْني ؟! فقال: إنَّني امرؤٌ مسلِم، وديني يأمرني أن لا أُصافِحَ المرأة الأجْنبيّة، وأنت امرأة أجْنبيَّة، فقالتْ له: لو أنَّ المسلمين أمثالك لَكُنَّا تحت حُكْمِكُم !! فإذا الواحد دُعِيَ إلى طعام فيه خمْر، لا تقلْ: أنا معي قرْحَة !! ولكن قُل: أنا مسْلِم، هذا الذي يُشَرِّفُكَ ويرْفَعُك، فلا تُفرِّغ الاسْتِقامة لِقَضايا صِحيّة واجْتِماعيَّة، واتْرُكْها عبادة لله تعالى.

سَمِعتُ عن خطيبٍ في الزَّبداني ؛ لمْ يبْقَ في المنطقة إنسان إلا وخرجَ في جنازَتِهِ ! شيءٌ غير معقول، فسألتُ عن السَّبب: فقيل لي: أنَّهُ كان لا يُسلِّم على كلِّ مَن أقامَ عُرْسًا مُخْتلطًا، حتَّى اسْتَطاع بِحَزْمِهِ أن يجعل الأعراس من دون اخْتِلاط !! لذا المُجاملَة الزائِدَة، وكلّ الناس خيرٌ وبركة هذا يُبْعِد الناس عن الإسلام، فأنت لكَ موقف تقول: لا، بملء فَمِك حكى لي قاضي أنَّه رفضَ حُكمًا لاتِّهام شخْصٍ وقال: لا أُوقِّعُ ولو قُطِّعْتُ إرْبًا إرْبًا !! وهذا قائِد طائرة قدَّم اسْتِقالتَهُ من أجل أنَّ الطائرة يُوزَّعُ فيها الخمْر وهو من كبار الطَّيارين، وقال: لا أركبُ طائرة فيها خمْر، ونحن في الجوّ تحت رحْمة الله، وكانوا بأمسّ الحاجة له: فأعْطَوْهُ اسْتِثناء !! وبعد سنة عمَّمُوا البلاغ على كلّ الرحلات، فالإنسان إن لم يُضَحِّ، ولم يقدِّم موقف جريء لا يستطيع أن يقيم الشرْع، وبالمناسبة الإنسان إذا رأى أنَّه ينْتُج عن إنكار المنْكر فتْنة أكبر منه، فيجب أن لا يُنْكره، قال تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(195)﴾

[سورة البقرة]

فإذا رأيْتُم شُحًّا مُطاعًا وإعْجاب كلّ ذي رأيٍ برأيِه،فلْزَم بيتَك، وأمْسِك لسانَك، وخُذ ما تعرفْ، ودَع ما تُنكِر، وعليك بِخاصَّة نفْسِك، فبناتك وأقرباؤك هم من خاصَّة نفسِك، لذا قُلْ: أنا أمْتَنِعُ عن هذا الشيء لأنِّي مسلِم، ولا أفعل هذا لأنِّي مسْلم ولا أدْفعُ هذا المبلغ لأنِّي مسلم، ولا تجْعل الإسلام عادات وتقاليد.

قال تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(195)﴾

[سورة فصلت]

إذا كان هناك ألف تصرُّف حسَن تُقابِل بها سيِّئة، فيجب أن تختار أحْسن المواقف، فلا بدّ أن تدْفع لا سيِّئة بالتي أحسن، لِدَرجة فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنَّه وليٌّ حميم قال تعالى

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35)﴾

[سورة فصلت]

مَن كان حظُّه من الله تعالى كبيرًا، الحظّ هنا النَّصيب، فالإنسان أثناء صلاته إذا كان أتأله بالله تعالى شديدًا ونال من الله كمالاً كبيرًا، فهذا يفْعلُ هذا، قال تعالى:

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35)﴾

[سورة فصلت]

فمن نصيبُهُ من الله تعالى كبيرًا بِسَبب إقْبالِه عليه هذا يستطيع أن يردّ على السيّئة لا بالحسَنة بل بأفضل أنواع الحسنات، وهذا المؤمن، أما نحن نصلّي ونحقِد، ونغشّ، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[سورة فصلت]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-10) : تفسير الآية 36

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السادسة والثلاثون من سورة فصّلت، وهي قوله تعالى:

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36)﴾

[سورة فصلت]

أوّلاً: الشَّيطان موجود وقد أخبرنا الله به، والشَّيطان يُوَسْوِس، والشيطان يأمر بالمنكر والفحشاء ويوقِعُ العداوَة والبغضاء بين المؤمنين، والشيطان يُخَوِّف، ويَعِدُ بالبُخْل وهو بصِفَة عامَّة عدوّ مبين، وهذا قرآن كريم، ومُعظَمُ الناس لا يُدخِلون هذا في حِساباتهم، فالإنسان أحيانًا يتحرَّك لإيذاء الناس، وهو لا يشْعر أنَّ الشيطان هو الذي يدْفعُهُ، وأحيانًا يُزَيِّن للناس المعاصي وهم لا يشعرون وأحيانًا يوقِعُ بين المرأة وزوجها، وهما لا يشعران أنَّه من الشَّيطان !

الشيطان كما قال عنه الله تعالى:

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

[سورة الأعراف]

فالشَّيطان له مداخِل كثيرة، فقد يأتي من بين يَدَيْك، يقول لك: الدِّين شيءٌ قديم لا يتناسب مع هذا العصْر ؛ الذي هو عصر العلْم وعصْر التَّقدُّم، إلخ... يُريكَ أنَّ الدين شيء قديم لا يصلح لهذا الزَّمان ؛ هذا مِن بين أيديهم ومن خلفهم، يقول لك: الآباء والأجداد، والتقاليد والعادات والتُّراث، فإذا تناقض التراث مع الدِّين تمسَّك بالتُّراث، وإذا تناقضت العادات والتقاليد مع الدِّين تمسَّك بالتقاليد.

وعن أيمانهم، من باب الوَسْوسة، يقول لك: أنت مكتوب عليك أنَّك من أهل النار قبل أن تُخْلق، فلماذا العمل؟! ويقول لك: صلاتك لم تصِحّ فالفاتحة فيها أربعة عشرة شدَّة، وأنت لم تأت بها !! وأتن آكل ثوم فلا تذهب الجامع اليوم، يأتيك من باب الوسوسة في العبادات والعقائِد.

وعن شمائلهم، يقول لك: إلى الآن لم تشْتري دشّ !! أنت خارج العصْر، يدعوك إلى المعاصي والموبقات والزّنا، وإلى كلّ المنكرات، فالله تعالى قال:

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

[سورة الأعراف]

أما من فوقهم فلا يستطيع، لأنَّ من فوق الله جلَّ جلاله، ومن تحتهم العبوديَّة لله، فهناك جِهتان مُغلقتان على الشَّيطان ؛ فقو وتحت، فالشيطان لا يستطيع أن يحول بينك وبين ربّك وإن جئتَ الله مِن باب التَّذلُّل والافتِقار؛ فهذه الجهة آمنة، فهناك جهتان آمنتان وأربع جهات غير آمنة، إلا أنَّ الله سبحانه وتعالى أعْطاكَ سِلاحًا فتَّاكًا ولِمُجرَّد أن تستعيذ بالله احْترق الشيطان، فالشيطان كما قال بعض علماء اللُّغة من شَطَن أي ابْتَعَد عن الحق، أو مِن شاط أي احْترق، فهذا سِلاحٌ فتَّاح لا يكَلِّفك إلا أن تقول هذه الكلمة، ولكنّ المُحَقَّق أنَّ هذه الاستعاذة لا تُجدي ولا تَنفع ما لم تكُن حاضِرة القلب، فإن لم تكن خاشِعًا، وإن لم تَكن مُخْلصًا فهذه الاستعاذة لا تَنْفع، لذلك بهذه الآية تُلغي مليون عمل مُشَعوذ ودجال، والله عز وجل في كتابه الكريم قال:

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36)﴾

[سورة فصلت]

هذا هو السِّلاح القرآني، والشيطان مع انَّهُ يريدُ أن يغْويَ بني آدَم ويريد أن يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن يمينهم وشمائلهم إلا أنَّ الشيطان يُوظَّف لخير المُطْلق من دون أن يريدُ ولا يشْعر، فهو يأتي لِهذا الإنسان فيُلقي فيه بعض الوساوِس فيفْزَع إلى الإيمان، ويسأل ويتعلَّم، ومن خِلال هذه الوَسْوسة التي أثارَتْهُ يزْدادُ إيمانًا، ويزْدادُ علمًا، فالإنسان أحيانًا يكون عاق لِوالِدَيه، فيأتي إنسان سفيه يسُبُّ أباهُ سُبابًا فاحِشًا ! فيسْتثيرُ أعمق ما فيه، فيَغْدو بارًّا لِوالِدَيه، فالشيطان يريد الإغْواء ولكنَّ الله سبحانه وتعالى يُوظِّف هذا الإغْواء لِصالِحِ المؤمن، ومع الفاسِق لِصَالح الفاسق، شَهْوة مُسْتحكِمَة حجابٌ بينه وبين الله، فيأتي الشَّيطان فيُزَيِّنُها له قال تعالى:

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(63)﴾

[سورة النحل]

هذا التَّزيين حَمَلَهُ على أن يفْعَلَها فإذا فعَلَها جاء العِقاب التأديبي فَشُفِيَ منها وكان تزْيين الشيطان له سب توْبَتِهِ، والله عز وجل كلُّه خير، وبيَدِهِ الخَير، فحتَّى الشيطان الذي يبْدو لكم مُغْوِيًا للإنسان، فإغْواؤُهُ هذا قد يُحَوَّ لِلصالِحِ المؤمن، والنتيجة كما قال تعالى:

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)﴾

[سورة إبراهيم]

فالسلطان لا يوجد، ولكنّ الوسْوسة موجودة، والوسوسة علاجها الاسْتعاذة بالله عز وجل، فأنت مع سِلاح فتَّاك قرآني، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ(201)﴾

[سورة الأعراف]

وقال تعالى:

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36)﴾

[سورة فصلت]

وقال تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(1)مَلِكِ النَّاسِ(2)إِلَهِ النَّاسِ(3)مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(4)الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5)مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(6)﴾

[سورة الناس]

سمَّاه الله خنَّاسًا لأنَّه لِمُجرَّد أن تسْتعيذ بالله عز وجل يهْرب ويخْنس، ويبْتعِد، ويحْترق.

فالآية الكريمة:

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36)﴾

[سورة فصلت]

والله معك دائِمًا حاضِر وناظر، لذلك قال تعالى:

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى(45)﴾

[سورة طه]

أيها الإخوة الكرام، هناك بالإسلام مليون مليون مَقولة غير صحيحة فَمِقياسُنا نحن هذا الكاتب الذي هو كلام الله، ووَحْيُ السماء، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فأيُّ قصَّة أو تصرُّف أو أسلوب غير قرآني يجب أن تركل صاحب هذا الطَّرْح، والطَّرح نفْسه، فلا يوجد أشخاص مُختصُّون بإخراج الشيطان من بني آدم ! نحن عندنا اسْتِعاذة بالله وكلَّما استعَذْت أذْهبتَ الشيطان، فالعِشرة الزَّوجيَّة التي تنتهي بالطَّلاق والزوجة صالحة ؛ هذه ساعة غضب، وساعة غفْلة، فالإنسان إذا دخَلَ البيت وسلَّم خنس الشيطان،

((فعن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ))

[رواه مسلم]

فالبيوت الآن خُصومات وضرب، وتخبيط أبواب، وبعدها الطلاق !! هذا البيت فيه شَيطان ؛ لأنَّه لو كان هناك ذِكْرٌ للرحمن لما كان هذا البيت بِهذه الحالة وأدقُّ كلامٍ أنَّه يُخَوِّفك من الإنفاق، ويقول لك: خبئ قرْشَكَ الأبيَض لِيوْمِكَ الأسْوَد !! يأتي مشروع خيري فيُخَوِّفُكَ، قال تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(261)﴾

[سورة البقرة]

والإنسان يُطعِم اللُّقْمة فيراها مثل جبل أُحد، قال تعالى:

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(268)﴾

[سورة البقرة]

فهو يوقِع العداوة والبغضاء، ففي الحي تجد فرَق كثيرة، بل في الأسرةِ الواحدة تفرُّق عداء ونميمة وحِقد ومحاكِم ودعاوَى ؛ هذا كُلُّه من عمل الشَّيطان لأنَّهم ما اسْتعاذوا منه، وجوُّهم شيطاني وليس رحماني، والدليل آثار هذه الخصومات، والخلافات الزَّوجيَّة، فهو يدْعوك للحرام، وللاختِلاط ويُكرِّه لك زوْجتك، ويُزيِّن لك زوْجة أخيك ! ويدعوك للسَّفر المحرَّم، فالشيطان يَعِدُك بالفقْر، ويوقِعُ العداوَة والبغضاء، ويُخَوِّفنا، ويُثبِّطُ عزائِمَنا، ويدْعونا إلى الكفر، قال تعالى

﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

[سورة الأعراف]

وعلاجُهُ أن تسْتعيذ بالله منه، لذلك أكْثِر نم ذِكْر الله، وبرئ نم النِّفاق من أكثر من ذِكْر الله، وبرئ من الكِبر مَن حمَلَ حاجَتَهُ بِيَدِهِ، وبرئ من البخل مَن أدَّى زكاة ماله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-10) : تفسير الآية 37

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة والثلاثون من سورة فصّلت، بعد الآيات التي قال الله فيها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

وبعد الآيات التي قال تعالى فيها:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[سورة فصلت]

الله جلَّ جلاله رسَمَ الطريق للإيمان به ومعرفَتِهِ ثمَّ لِطاعتِه، فقال تعالى:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37)﴾

[سورة فصلت]

أوَّلاً هذه الآية بيَّنَت أنَّ الطريق لِمعرفة الله أن تنْظر في خلق الله تعالى، لأنَّ الله عز وجل لا تُدرِكُهُ الأبصار، ولا الحوَاس، إنَّما يُعرُف بالعقل، والعقل لا يعْمَل إلا بأَثَر، فالعَقل أداة اسْتِدلال،تحتاج إلى أثَرَ لِتَنْتَقِلَ منه إلى المؤثِّر، وتحتاج إلى كون لتَنْتقل به إلى المُكَوِّن، وتحتاج إلى نِظام لِتَعرف به المنظِّم، فالعقل يحتاج إلى أن ير تَسييرًا لِيَعرف المُسيِّر، ويحتاج لأن يرى شيئًا لِيعرف من خلقَهُ، ولذا ربُّنا عز وجل بعد آيات الإيمان والاسْتِقامة، وآيات الدَّعوة والصَّلاح رسَمَ الطريق إلى معرفَتِهِ.

قال تعالى:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37)﴾

[سورة فصلت]

مِن هذه تُفيدُ التَّبعيض، والحقيقة أنَّ الكون كلَّهُ يدلّ على الله تعالى، والكون في التَّعبير القرآني هو السماوات والأرض، فالسماوات والأرض كلّ ما يدلّ فيها إلهًا واحِدًا موجودًا كاملاً، ومن هذه للتَّبعيض، والآيات كما تعلمون آياتٌ قرآنيَّة، وآيات تكْوينيَّة، وآيات كَوْنِيَّة، فالله له خلْق وله أفعال ولخ كلام، فالقرآن آيته القرآنيَّة،

والكون آياته الكونيَّة، والأفعال آياته التَّكوينيَّة، وقد تعرف الله من خلقه، ومن أفعاله، ومن كلامه، فَمِن آياته التَّكوينيَّة الليل والنهار، فالنُّقطة الدقيقة أنَّ الأرض تدور على مِحْور، ولو أنَّها لا تدور على مِحور لما كان هناك ليل ولا نهار، فإمَّا نهر سَرمدي أو ليل سَرمدي، فالنهار السرمدي ثلاثمائة وخمسين درجة فوق الصّفر، والليل السرمدي مائتان وسبعون تحت الصِّفْر فلولا هذه الدَورة لما كانت هناك حياة، فمن الذي أدار الأرض، والسؤال الثاني: لو أنّ الأرض تدور على مِحور مُوازي لِمُستوي دوران الأرض حول الشَّمس لما كانت هناك حياة، فمن الذي أبدع في هذا الخلْق، فالأرض تدور على محور عمودي على مستوى الدوران، فلو جعل الله المحور عمودي لما كانت الفصول الأربعة كذلك إما صيف أبدي أو شتاء أبدي لو كنَّ الله تعالى جعل المِحور مائِلاً، منها تكون الفصول الأربعة، فهذه من آياته، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37)﴾

[سورة فصلت]

الفرق بين المسلمين، وغير المسلمين، فغير المسلمين عبدوا الشمس والقمر و، عبدوا البقر والحجر، وعبدوا النار والمرأة، فأحدهم كان يُعبدُ صَنَم في قبيلته، وكان أهلها يضعون له الطَّعام، وكان فُضوليّا فأراد أن يرى من الذي يأكل الطَّعام، فانتظَر يومًا، فإذا بِثُعبان يأتي ويأكل ذاك الطَّعام، وثمّ بال على الصَّنَم، فقال:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسِهِ لقد زلَّ من بالت عليه الثعالبُ .

وعندها كفر بِعِبادة الأصنام، فالفرق بين المسلم، وغير المسلم، أنَّ المسلِم ينتقل من الكون إلى المُكَوِّن، ومن النِّعمة إلى المُنعِم، ومن البقرة البقرة إلى الذي خلقها، ومن الشَّمس والقمر إلى الذي كوَّنهما، ومن النِّظام إلى المنَظِّم، ومن التَّسيير إلى المُسيِّر، فهذا هو الفرق، فربّنا عز وجل يقول:

﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾

[سورة فصلت]

فأنت قد تنْعُم بالأرض، والأرض مستقِرَّة، قال تعالى:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(61)﴾

[سورة النمل]

تجِدُ بناءً عمره مائة سنة، ولا يوجد فيه شقّ، ونحن قبل يومين هزَّت بنا زلزال خمسة فاصل ستَّة ومن فوق الستَّة مُدمِّر، فالله رحمنا، فالإنسان ما هي ضمانتُهُ إذا عصى الله عز وجل ؟ قال تعالى

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(1)﴾

[سورة الحج]

فهذا الزِلزال الذي جاء بنا ما تصْنيفُهُ في عِلمِ التَّوحيد ؟ هذا أسنه التَّلْويحُ بالعصى ! أيْ انتبِهوا أيُّها العباد، فأنتم إن ابتَعَدتم عن الله، وارتكبتم المعاصي يُدمِّرنا، لذا الآية الكريمة:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37)﴾

[سورة فصلت]

أوَّلاً العبادة عِلَّة وُجودنا، فنحن موجودين من أجل عبادة الله، وتصوَّر طالبًا ذهب إلى فرنسا لِتَحصيل شَهادة الدكتوراه ففعَلَ كلّ شيء إلا نيْل الشَّهادة، ذَهَب إلى المتنزَّهات والمتاحف، وإلى السينما ونسيَ السَّبب الوحيد الذي من أجله جاء فرنسا، فالإنسان يأتي إلى الدنيا فيَكْبر، ويتزوَّج ويُزوّج أولاده ويُؤسّس عملاً، ويشتري بيتًا، ويُسافر ويتصدَّر المجالس، ويتبجَّح ولكن ينسى عبادة الله عز وجل، فهذا الذي يأتي إلى الدنيا ويتزوَّج ويرْبح، إذا نسِيَ عبادة الله فقد نسِيَ مُهِمَّتَهُ الكبرى والعلَّة التي مِن أجلها جاء، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ(45)﴾

[سورة الشورى]

قال تعالى :

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(103)﴾

[سورة الكهف]

وقال تعالى

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ(196)﴾

[سورة آل عمران]

قال تعالى :

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي(25)وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي(26)يَالَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ(27)مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي(28)هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي(29)خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(30)ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ(31)ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ(32)﴾

[سورة الحاقة]

فآية اليوم:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37)﴾

[سورة فصلت]

هناك معصيتان ؛ معصِية مَغلوبيَّة !! ومعْصِيَة كِبر ، فالإنسان حينما يعْصي الله تعالى مَغلوبًا؛ هذا حالهُ أفضلُ ممَّن يعصي الله تعالى كِبرًا وعِنادًا ! فالذي يعصي غلبةً توبتُهُ سهلة ؛ يعرف الله ويعرف منهجه، والصلحة بِلَمْحة قال تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ(60)﴾

(سورة غافر)

هذه آية اليوم:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (38)﴾

[سورة فصلت]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (9-10) : تفسير الآية 44

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الرابعة والأربعون من سورة فصّلت، وهي قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44)﴾

[سورة فصلت]

هذه الآية دقيقة جدًّا في التعريف بِخَصائص القرآن، فالقرآن بِلِسانٍ عربيٍّ مبين، ولكن له خصيصة، هذه الخصيصة أنَّك إن لم تكن قريبًا من الله لا تفْهَمُ معانيه التي أرادها، فإذا كنتَ بعيدًا عن الله تعالى، فَهِمْتَهُ فهْمًا مَعْكوسًا.

شيءٌ دقيق جدًّا، فأيُّ نصٍّ آخر تجد له معنى تأخذهُ من ظاهره، ولكنّ كتاب الله عز وجل، إما أن يكون هُدًى وشِفاءً، وإما أن يكون عمى على الذين في قلوبهم مرض، فالكتاب نفسه والسورة نفسها، والآية نفسها والحكمة نفسها في كتاب الله ؛ تكون على إنسانٍ عَمًى، وعلى آخر هُدًى وشِفا ! العلَّة كما قال تعالى :

﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44)﴾

[سورة فصلت]

فالمعنى أنَّ الإنسان إذا كان من الله تعالى قريبًا نودِيَ للقرآن مِن مكانٍ قريب فَفَهِمَ المُراد، أما إن كان مِن مكانٍ بعيد نودِيَ من مكانٍ بعيد ففَهِمَ عكْس المُراد وفَهِمَ فهْمًا معْكوسًا، لذلك ورد في آية أخرى، قوله تعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا(82)﴾

[سورة الإسراء]

الشِّفاء عِلاج، والرَّحمة عَطاء، والشِّفاء تطهير والرحمة تَعطير، والشِّفاء تَخْلِيَة، والرحمة تَحْلِيَة، فالقرآن في أدَقِّ تعاريفِهِ هُدًى وشِفاء، فالذي معه مرض العُجْب والحَّيْرة، ويقرأ القرآن فَيُجيبُهُ القرآن عن كلّ سؤال ويحلّ له كلّ مشكلة فِكْريَّة ونفْسيَّة، ثمَّ إنّ الإنسان إذا قرأ القرآن واتَّصَل بالواحِدِ الدَّيان اصطَبَغَ بِصِبْغة الله عز وجل فَبَعْدَ أن تطهَّر تعطَّر وبعد أن تخلَّى تحلَّى، وبعد أن شَفِيَ من أمراضِهِ استحلَّى بالكمالات الإنسان، فالقرآن هو هو، وآياتُهُ هي هي، تكون هُدًى وشِفاءً، وتكون عمًى.

الآن هناك علاقة ترابُطِيَّة، إن كنتَ بعيدًا لا تفْهم لاقرآن، وإن لم تكن تفهم القرآن فأنت حتْمًا بعيد ! مرَّةً ثانية، كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً﴾

[سورة فصلت]

بلُغَة فارسِيَّة لقالوا هذه ليْسَت لُغتنا قال تعالى:

﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾

[سورة فصلت]

وكان الجواب أيضًا يُقال: كيف اسْتفاد منه آخرون وتطهّروا به، وتحلَّت نُفوسهم وصَفَتْ، أَيُعْقل أن يكون شيءٌ واحد هُدًى وشِفاء من الله تعالى، وعمًى في الوقت نفسِهِ ؟! فالذي بعُدَ يكون عليه عمًى، فالذي لا يرى معانيه يُنادَى من مكانٍ بعيد، وهناك بِعَالم الزِّراعة ما يؤكِّد هذه الحقيقة، أنت بِعتَ ألف بذرة لِعَشرة مزارع، مُزارع أنبَتَتْ له هذه البذور ثمارًا يانعة، وآخر لم تُنبِت له ولا شيء، فإذا كان البِذْر واحِد، ففَلاَّح جنى مَحصولاً، وآخر جنى الكثير، فهل العلَّة في البذرة أم الفلاح ؟! في المزارع، فإهماله للبذرة وعدم الاعتِناء بها، فالفِكرة نفسُها قرآن واحد بِلِسان عربيٍّ مبين يقرؤُهُ أُناس فتطْهر قلوبهم، وتزكو نفوسهم، وتسعد أرواحهم، وأُناسٌ آخرون يفهمونه فهْمًا آخر ما أراده الله، فنقول العِلَّة لا في القرآن ولا في الذي أنزل القرآن، ولكن في الذي يتلقَّى القرآن فهذا الأخير إذا كان عاصِيًا للرحمن لا يفْهمُهُ على نَحْوٍ صحيح، يُؤيّد هذا المعنى آية التالية. يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ(77)فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ(78)لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(79)﴾

[سورة الواقعة]

الدِّقة البالغة في صِياغة الآية، لو قال: لا يمْسَسْهُ، إذا كان الله ينْهانا عن أنْ نمسَّ المصْحف إلا ونحن متوضئون يجب أن تكون بِحَسَب قواعِد اللُّغة لا يمْسَسْهُ، فالمضارع المُضَعَّف الآخر، وسبقَهُ حرف جزم يجب أن يُفكَّ التَّضعيف، تقول: يمسّ، لم يمْسَس، ويجرّ، لم يجْرر، ويشدّ لم يشْدُد فأيُّ فعْل مُضعَّف الآخر إن سبقه حرف جازِم يجب أن يفكّ التَّضعيف، أما إن سبقَهُ حرف نفْي فالتَّضعيف لا يُفَكّ، لأنَّ حرف النفي لا يعْمل عملاً نَحوِيًّا في الفعل، فإذا الفعل سبقه نهي يُجْزم، وإن سبقه نفي لا يُجْزم أما الآية يمسُّه، فاللام هنا نافية وليْسَت ناهِيَة، أي لا يستطيع أحدٌ متوضِّأ أو غير متوضأ أن يمسَّ معاني هذا الكتاب إن لم يكن قريبًا من الله تعالى فصار عندنا ثلاثة آيات ؛ قال تعالى:

﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44)﴾

[سورة فصلت]

فَشِدَّة قربِكَ من اله أحد أسباب فهْمك لِكلام الله، وبُعد الإنسان عن الله أحد أسباب انعكاس فهمه لكتاب الله، والآية الثانية:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا(82)﴾

[سورة الإسراء]

والثالثة قوله تعالى:

﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(79)﴾

الحديث الذي يؤكِّد كلامنا هذا قَوْل الصحابة الكرام: أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرآن ! فأنت إذا عرفت الله من خلال خلقه، وحملْتَ نفْسَكَ على طاعتِهِ، وثمَّ قرأت القرآن تفْهمه على نحو راقٍ جدًّا، صدِّقوني أيُّها الإخوة وهذا كلام بيني وبينكم، الإنسان حينما يضْبط سُلوكه، وحينما يُحَرِّر دَخلهُ وحينما يُقيم الإسلام في بيتِهِ، ويتَّجِهُ إلى الله تعالى مُخْلِصًا ؛ إذا قرأ القرآن يتفتَّق ذِهنُهُ عن معانٍ في هذا الكتاب، فمُلخَّص الآية:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآَناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آَيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44)﴾

[سورة فصلت]

فالعِلَّة فيهم وليس في الكتاب، والوقر هو حبُّ الدنيا وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ *))

[رواه أبو داود]

وحبُّ الدنيا رأس كل خطيئة.

إذا رأيت فهْم الذين هم بعيدين عن كلام الله تعْجب أعْجَب العَجَب، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(130)﴾

[سورة آل عمران]

فيفْهم أخونا أنَّك إن أكلت الربا غير أضعاف مُضاعفة جائِز ! ويقول لك:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ(96)﴾

[سورة الصافات]

ولكن هذه الآية لها سياق، قال تعالى قبلها:

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ(95)﴾

[سورة الصافات]

فأنت اقرأ ما قبل الآية ثمَّ تكلَّم ؛ أي خلقكم وهذه الحجارة التي من الله لذلك الإنسان البعيد عن الله يفْهم الكلام مَعكوسًا ما أراده الله عز وجل يذكرون كلامَ حقٍّ أريد به باطل، وهذا الكتاب الكريم له خاصَّة، وهي أنَّ ليس كلّ من يقرؤُهُ يفْهمُهُ على النحو الذي أراده الله، فلِذلك الله عز وجل إما أن تعْرفه، وإما تعرف أمره، وإما أن تعرف خلْقه، فَمِن أجل أن تعرف أمرَهُ وخلقهُ تحتاج إلى دماغ فقط ! أما إذا أردت أن تعرفه سبحانه، فلا يمكن أن تعرفَهُ إلا إذا كنتَ مستقيمًا على أمر الله، لذا هناك معركة مُدارسة، ومعركة مشاهدة، فالمشاهدة جاهِدْ تُشاهِد، فإن أردْت أن تعرف الله فجاهِد نفْسَها وهواها، وإن أردْت أن تعرف أمره أو خلقه فاعْكِف على كتاب واقرأْهُ

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-10) : تفسير الآية 52

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثالثة والخمسون من سورة فصلت، وهي قوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)﴾

[سورة فصلت]

السِّين للاستقبال، سَنُريهم ! من هم ؟ المُتَكَلِّم هو الله، والمُخاطب هو النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون، وهم الطَّرف الثالث الذين لم يؤمنوا فالحديث عن الذين لم يؤمنوا، قال سَنُريهم ! يُفْهم من هذه السِّين أنَّ معجزات الأنبياء كلّها كانت حِسِيَّة، بِمَعنى أنها وقَعَت في عهد الأنبياء، ثمّ انتَهت، وأصْبَحَت خبرًا يُصَدِّقهُ من يُصَدِّقهُ، ويُكَذِّبُهُ من يُكَذِّبُهُ، إلا معْجزة نبيّنا عليه الصلاة والسلام إنّها معجزة القرآن الكريم ! كلّما تقدَّم العِلم في كلّ يومٍ، وفي كلّ شهرٍ، وفي كلّ سنة، يكشِفُ العِلم جانبًا من القرآن الكريم، لذلك هذا الكتاب معجزةٌ خالدة إلى يوم القيامة، ولا يزال الناس الذين لم يؤمنوا يكْتشِفُوا حقائق تُؤَيِّدُهُ إلى يوم القيامة، فنحن مع معجزةٍ بين أيدينا، وليْسَت معْجزة نبيّنا عليه الصلاة والسلام خبرًا ؛ إما أن نصدِّقُه أو لا نصدِّقه ! إنَّها معجزةٌ حيَّةٌ، قال: سَنُريهِم، فبَعْدَما تقدَّمَتْ البُحوث تقدُّمًا كبيرًا اكْتُشف أنَّ الذي يُحدِّد جنس المولود ذكرًا كان أو أنثى ليْست بُوَيضة المرأة ولكنَّه حُوَين الرَّجل، فهناك كروموزنات أي مورّثات، هناك شكل واي وشكل أكس بالإنجليزي ! الواي ذكر و الإكس أنثى، فالبويضة لا دخل لها في تحديد جنس المولود، هذا بعد ألف وخمس مائة عام اكْتُشِفت هذه الحقيقة ربُّنا عز وجل:

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى(45)مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى(46)﴾

[سورة النجم]

اكْتُشِف أنّ الشَّمس تدور حول الأرض، ثمّ عُلم أنَّ الأرض هي التي تدور حول الشمس، ثمّ اكتُشف أنَّ الشمس تجري، وتُشَكِّل في جريانها مع الأرض لولبًا، قال تعالى:

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(38)﴾

[سورة يس]

الإنسان إذا كان على سطح كرة وابتعد ابتِعادًا كبيرًا، يصبح الخط مائل ومنحني فالبلاغة في البُعد ليْسَت من مكان بعيد، ولكن من مكان عميق قال تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(27)﴾

[سورة الحج]

ما قال: بعيد فالبعد سطحي، أما العمق حجمي ؛ كُرة، فالذي يأتي من أمريكا يسير بِخَط منحني، جرَتْ معركة بين الفرس والروم في غَوْر فلسطين، هكذا تؤكّد الروايات التاريخيّة ثمّ عن طريق اللّيزر اكْتُشف أنّ أعمق نقطة في الأرض هي غَورُ فلسطين قال تعالى:

﴿غُلِبَتْ الرُّومُ(2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(3)﴾

[سورة الروم]

هذا النقطة اكْتُشِفت بعد اكتِشاف اللَّيْزر ! وهناك آية بقي العلماء مئات السِّنين في حَيرة منها، وهي قوله تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(19)بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ(20)﴾

[سورة الرحمن]

ما هو البرزخ ؟ هذا البحر الأحمر وذاك المتوسّط، وأين البرزخ ؟ فَمِن خِلال المركبات الفضائيّة وُجِد خطّ بين كلّ بحرين، ثمّ اكْتُشف أنَّ مُكَوّنات كلّ بحر مستقلّة عن البحر الآخر ملوحته وكثافته وكائناته، وأنّ مياه كلّ بحرٍ لا يُمكن أن تخلِط بِمياه البحر الآخر، ثمّ قيل لا بدّ مِن حاجزٍ بين البحرين يمنعُ تداخل المياه، أما طبيعة هذا الحاجز فغير معروفة إطلاقًا حتى الآن! قال تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(19)بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ(20)﴾

[سورة الرحمن]

الأرض تدور حول الشمس هذه حقيقة، ولكنّ هذه الكواكب من يحملها ؟ قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ(2)﴾

[سورة الرعد]

فهي بأعمدة لا نراها، ثمّ اكْتُشف أنَّ الأرض مرتبطة مع الشَّمس بقُوَّة جذب تُساوي مليون مليون حبل فولاذي، ثخن كلّ حبلٍ خمسة أمتار ! ويقاوم كلّ حبل مليونين طنّ، والخيط الواحد الذي قطره مليمتر واحد من الفولاذ يحمل طنّ .

قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ(2)﴾

[سورة الرعد]

وقال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ(11)وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ(12)﴾

[سورة الطارق]

اكْتُشف أنَّ بخار الماء يصعد إلى السماء ثمّ يعود مطرًا، ثمّ اكْتُشف أنّ الأمواج الكهرطيسيَّة ترْسَل إلى الفضاء، وفي الفضاء طبقة اسمها الأثير تردُّها إلى الأرض، ولولا هذه الطَّبقة التي ترد الأمواج إلى الأرض لما كان هناك بثّ إذاعيّ إطلاقًا ! يقولون أحيانًا: حدث اضْطراب في طبقة الأثير وصبحَ الإرسال مُشوَّش، فالسماء ترجع البخار مطرًا وترجِعُ الأمواج الكهرطيسيّة إرسالاً، ثمَّ اكْتُشف أنَّ كلّ كوكبٍ في الكون يتحرَّك على مسار مُغْلق، معنى مسار مغلق أنَّه يرجع إلى مكان انْطِلاقه دائمًا فالصِّفة التي تجمع الكون كلّه قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ(11)وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ(12)﴾

[سورة الطارق]

والحديث طويل حول الآيات الكونيّة التي أشار القرآن إليها، وسوف نكتشف أشياء أخرى.

قال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ ﴾

[سورة فصلت]

هؤلاء الكافرون، والذين لم يؤمنوا، وأنكروا سوف يرَوْن مِن خِلال العِلم أنَّ حقائق القرآن صادقة وصحيحة، فمثلاً هذه علبة فيها سكر، أنا أقول لك: هذه العلبة فيها سكَّر، فأنت تُصدِّقني لأنَّني عندك صادق، ولكن هناك دليل آخر، افتح العلبة وخذ المسحوق وافْحَصهُ فالذي جاء بالحق والصحابة صدّقوه، أما العلم في المستقبل سيَكْشف أنّ كلّ ما قاله النبي صلى الله عليه وسلّم صحيح، سَنُرِيهِم ! طبعًا المتكلّم هو الله، والمُخاطب هو النبي والمؤمنون، والحديث عن الذي أنكروا، قال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾

[سورة فصلت]

آيات القرآن الكريم التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام مطابقة لآيات الكون، قال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ﴾

[سورة فصلت]

في المجرَّات، وقالوا أنّ القمر انشَقّ عن الشمس، وهذه نظريّة فلمَّا ذهب رُوَّاد الفضاء إلى القمر قبل عشرين عامًا تقريبًا اكْتُشف أنَّ طبيعة القمر ليْسَت من طبيعة الأرض ! والحقيقة أنَّ كلّ حقيقة عِلْمِيّة تُكْتَشف سوف تُلقي ضَوءً على آية قرآنيّة، فالأصل هو القرآن، وبعض إخواننا لهم خطأ كبير وهو أنَّهم يفْرحون إذا كان العِلم أيَّد القرآن ! فهو الأصل عنده هو العِلم !! بالعكس يجب أن تفرح للعِلم إن توافقَ مع القرآن، لأنَّه ما لم يتوافق مع القرآن فليس علمًا، هذا كلام الصانع والخالق، قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة فصلت]

مائة وثلاثين مليون عُصيَّة بالشَّبكِيَّة، ومائة وأربعون خليَّة بالدِّماغ اسْتِنادِيَّة وخمسة وثلاثون مليون عُصارة هاضمة بالمعدة، ومائة كيلو متر بالمعدة وخمسة آلاف وظيفة للكبد، وأمعاء الإنسان تتجدَّد كلّ ثمانية وأربعون ساعة ! وأقصر عمر خليّة هي خليّة بطانة الأمعاء، وهي التي تأخذ الغذاء وتجعله في الدم،و أطول عمر خمسة سنوات، معنى ذلك أنَّ الإنسان يتجدَّد كُليًّا كلّ خمسة سنوات، الجلد والعضلات والعظم عدا الدِّماغ والقلب فلو كان الدِّماغ يتجدَّد لقال الواحد: كنتُ دكتورًا، ولكنَّني فقدْتُ دماغي ! قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة فصلت]

لماذا ؟! قال تعالى:

﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)﴾

[سورة فصلت]

الهاء تعود على القرآن، قال تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾

[سورة الانعام]

فالكون آياته في خلقه، والقرآن آياته في كلامه والحوادث آياته في أفعاله ! هناك عالم باليمن اشْتُهر بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، أطْلعوني مرَّة على بحثٍ أجراه، وهو كان طموحًا جدًّا وسافر إلى معظم بلاد العالم ولا يلتقي إلا بِكِبار العلماء، بالجغرافيا والطبّ، ويأتي لهم بأحاديث، فالنبي من ألف وخمسمائة عام

يقول: إذا كنتم في أرض فيها طاعون فلا تخرجوا منها ! الدخول إليها واضح، ولكن كيف الخروج ؟! هناك إنسان سليم يحْمل مرضًا، فكيف عرف النبي صلى الله عليه وسلّم أنَّ هذا الإنسان الذي في أرض الطاعون ينبغي أن لا يخرج منها، نَّه ناقل للمرض غير مريض ! وهذا الآن اكْتُشف، نقَّبوا بالرُّبع الخالي، وجدوه صحراء رمال فوق حضارة، وفوق مدن، وفوق بساتين وينابيع، من قال للنبي عليه الصلاة والسلام سَتَعود بلاد العرب مروجًا وأنهارًا ! صدِّقوني أيها الإخوة ممكن أن نتكلّم سنوات في الإعجاز العِلمي ولا ينتهي الحديث، أما هذه الآية فهي تجمع الحقائق كلّها قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة فصلت]

الذي حرَّم الزنا وهو الله، خلق في الفتاة غشاء وهو غشاء البكارة، سلْ أطِبَّاء الأرض ؛ هل لِهذا الغشاء وظيفة فيزيولوجيَّة ؟! له وظيفة اجْتِماعيَّة فقط ! تشتري أحيانًا شريط كاسيت مغلّف بِنايلون، ومختوم، فهذا دليل أنَّ غير مستعمل سابقًا، وكلّ البنات هكذا، فالذي خلق هذا الغشاء في الفتاة ولا يقوم هذا الغشاء بأيّ وظيفة فيزيولوجيّة، ولكن له وظيفة اجتماعيّة وأنَّ هذه الفتاة عذراء ! قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة فصلت]

البروستات في الإنسان تلْتهب في حال عدم الزَّواج، فالذي أمر بالزَّواج جعل هذه الغدَّة خطيرة تلتهب في حال العزوف عن الزواج، والموضوع طويل جدًّا، وكذا الذي أمرك بالصلاة لما يسجد الإنسان بِفِعل الجاذبيَّة الدم ينصبّ على الرأس فتحْتقنُ أوْعِيَة الرأس، ويرتفع ضغط الأوعِيَة في الرأس، ولما يرفع الإنسان فجأةً ينزل الضَّغط، تنشأ حالة اسمها مرونة الشرايين بالدِّماغ ! فالذي أمر بالصلاة هو الله تعالى، وهو الذي أعطى هذه الأوعيّة خواصَّها، وهناك مرض اسمه انقلاب الرَّحِم لا تُصاب به المرأة المسلمة إطلاقًا، ولو سألتَ الطبيب علاج هذا المرض لقال لك: حركات رياضيَّة كالصَّلاة، وسرطان القضيب لا يُعرف بالعالم الإسلامي لأنّ عندنا الخِتان ! فالذي أمر بالخِتان هو الله، قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة فصلت]

والخمر حُرِّمَت في الاتِّحاد السوفياتي قبل أن ينهار ! والإنسان له حقّ إنجاب الأولاد، ولكن بالصِّين يُجبر الزَّوج على أن لا يُنجِبَ أكثر من واحد ! لذا موضوع الآية كبير جدًّا، لا عِلم والحياة والتجارب والخِبرات تؤكِّد أنَّ هذا الدِّين هو الحق، وأنَّه هو الذي سيَغدو في المستقبل قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ(33)﴾

[سورة التوبة]

قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)﴾

[سورة فصلت]

أيْ يشهد لك، فالله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(97)﴾

(سورة النحل)

الحياة الطيّبة التي يَحياها المؤمن هي شهادة الله لآياته، فتأويل القرآن هو الحوادث التي تقع وتؤيّدِ القرآن، فالمُرابي يُفلّس وتُصادر أمواله، وتحرق أمواله، فهذه الأخيرة هي تأويل الآية العملي فأفعال الله تؤيّد كلامه، قال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)﴾

[سورة فصلت]

فيكفي أنَّ الله يشهد للخَلق أنَّ هذا القرآن كلامه من خلال أفعاله ! يتصدَّق الإنسان فتنقص نقوده التي في جَيبِهِ، وما يكاد يرى إلا ويأتيه رِزق عشرة أضعاف ! فهذا الفِعل يؤكِّد أقوال الله، فأفعال الله تدعمُ كلامه.

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : تفسير سورة الشورى

الدرس (01–12) : تفسير الآيتان 8 – 31

الدرس (02–12) : تفسير الآية 10

الدرس (03–12) : تفسير الآية 14

الدرس (04–12) : تفسير الآية 15

الدرس (05–12) : تفسير الآية 20

الدرس (06–12) : تفسير الآيتان 22 – 23

الدرس (07–12) : تفسير الآيتان 27 – 28

الدرس (08–12) : تفسير الآية 30

الدرس (09–12) : تفسير الآيات 37–40 – 43

الدرس (10–12) : تفسير الآيتان 49 – 50

الدرس (11–12) : تفسير الآية 47

الدرس (12–12) : تفسير الآيات 39–41–43

الدرس (01-12) : تفسير الآيتان 8 - 31

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثامنة من سورة الشورى وهي قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (8)﴾

[سورة الشورى]

معنى هذه الآية يتكرِّر كثيرا في القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ الْجَاهِلِينَ(35)﴾

[سورة الأنعام]

وقال تعال:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[سورة الشورى]

قد يفهم بعض الناس هذه الآية و مثيلاتها فهما ما أراده الله، أن الله لو شاء لهدانا أجمعين، و لكن لم يشأ، قال تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(13)﴾

[سورة السجدة]

و لكن لم نشأ، و هذا المعنى هو ظنٌّ سوءٍ بالله عزوجل، و هذا المعنى لا يليق بكمال الله، قال تعالى:

﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنْ الْخَاسِرِينَ(23)﴾

[سورة فصلت]

فالإنسان إذا ظنَّ بالله ظن السوء، و إذا ظن أن الله يجبر العباد على أعمالهم السيئة، يقول لك أحدهم قال تعالى:

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(8)﴾

[سورة الشمس]

و يقول قال تعالى :

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ(96)﴾

[سورة الصافات]

وأخطر شيء في العقيدة أن تعقد عقيدة لا تليق بكمال الله عز وجل، و إنك بهذا تنقطع عنه و أنت لا تدري فلذلك الآية الكريمة قال تعالى:

﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا(6)﴾

[سورة الفتح]

يجب أن تفهم القرآن إما فهماً يليق بكمال الله أو فهماً مأخوذا عن أولياء الله لأن الله تعالى يقول

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(43)﴾

[سورة النحل]

و قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَانُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا(59)﴾

[سورة الفرقان]

فالإنسان إذا ظن أن الله سبحانه و تعالى يمكن أن يضع أولياءه في النار أو أن يضع أعداءه في الجنة لا لشيء إلا لأن الله لا يُسأل عما يفعل فقد ظنَّ بالله ظنَّ الجاهليَّة، وظنَّ بالله تعالى ظنَّ السَّوء، وقد قال عليه الصلاة والسلام: حُسن الظنّ بالله ثمن الجنَّة.." لأنَّ نفسَكَ ليْسَت بيَدِك فنفْسُكَ لها قوانين، إنَّها مَفطورة على حبِّ المُحسِن، وبُغْض المُسيء، ومَفطرة على حب العَدل، وبُغض الظُّلم، فإذا وجَّهتَ قِصَّة مُفادُها أنَّ في أسمائه تعالى ظلم، فالنَّفسُ تنْفر، فلِذلك حُسن الظَّن بالله ثَمَن الجنَّة، وهذه الآية ومثيلاتها لا تعني أنَّ الله تعالى لم يشأ أن يهْدِيَنا، فهذا المعنى ما أراده الله عز وجل، ولكن أراد الله عز وجل أن يقول لنا: أنَّ هَوِيَّة الإنسان أنَّه مختار، لأنَّ الله تعالى قال :

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا(72)﴾

[سورة الأحزاب]

فالإنسان هو المخلوق الأوَّل المُتفرِّد بِحُريَّة الاختيار، فما لم يأت ربَّهُ مُختارًا فهذا الهُدى لا قيمة له، وأوْضَحُ مثل ذَكرتُهُ من قبل أنَّ رئيس جامعة بإمكانِهِ أن يجْعل نِسبة النَّجاح في جامعَتِهِ مائة بالمائة، وهذا عن طريق إعطاء الطلاب الأسئلة قبل الامْتِحان ! ويأخذون جميعًا علامات جيّدة، وكلُّهم ينْجحون، ولكن ما قيمة هذا النَّجاح ؟! ليس له قيمة لا عند الناس ولا عند الطلاب، ولا عند الجامعة، فلو أنَّ الأستاذ أعطى لِطُلابّه في كليَّة الطبّ الأسئلة، ثمّ قال: أنا من فضل الله تعالى نِسبة النَّجاح عندي مائة بالمائة !! فهذه وصْمة عار للجامعة، وكذا لو أنَّ الله تعالى أراد أن يهْدِيَنا الهُدى الذي لا يُسْعِدُنا، والهُدَى القصري لَهَدانا، ولكن هذا الهدى لا يُدخِلنا الجنَّة، ويتناقض مع هويَّتنا، ويتناقض مع أنَّ الإنسان مُكلَّف، وهو مخيَّر، لذا ما لم تكن الله تعالى طائِعًا مُخْتارًا لا يقوم لِهذا الإنسان سعادة في الجنَّة، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[سورة الشورى]

فالله تعالى يضَعُ منْهجًا، وكلّ مَن خالفَهُ يأتيه العِقاب بعد ثانيَة، لو أنَّ الإنسان نظرَ إلى امرأةٍ فَقَدَ بصَرَهُ، لما نظرَ أحدٌ لامرأة ولكن هل مع هذه الطاعة حبّ لله تعالى ؟ وهل مع هذه الطاعة سعادة ؟ وهل مع هذه الطاعة إقْبال ؟ لذا لو أنَّ الله تعالى أجْبرنا على طاعتهِ لبَطَل الثَّواب والجنَّة، وفُقِدتْ السّعادة، فالبُطولة أن تأتِيَهُ طائِعًا، وأن تأتِيَهُ مُختارًا، وبِمُبادرةٍ منك، وأن تحِبَّهُ، والبطولة أن تُطيعَهُ وأنت بإمكانِكَ أن تعْصيه، وأن تُصلّي وبإمكانِكَ أن لا تُصلّي، وأن تصْدُق وبإمكانِكَ أن لا تصْدق، وأن تستقيم وبإمكانِكَ أن لا تستقيم، وأن تُحْسِن وبإمكانِكَ أن لا تُحْسِن، فما دام هناك خِيار فالعمَلُ لهُ قيمة، أما لو ألْغَينا لما أصبَحَ للعمل قيمة إطلاقًا ! لو أنَّك سيَّرْتَ إنسانًا بِطَريقةٍ إجْباريَّة لما أصبَحَ هناك شيء اسْمهُ بطولة، وحُسن اخْتيار، فأنت إن ألْغَيتَ الاخْتِيار أبْطَلتَ الثَّواب، ومن هنا قال الإمام الحسن البصري: لو أنَّ الله أجْبَرَ عبادهُ على الطاعة لبطَل الثَّواب، ولو أجْبرَهُم على المعْصِيَة لبَطَل العِقاب، ولو تركهم هملاً لكان عَجْزًا في القدرة، إنَّ الله أمرَ عبادهُ تخييرًا، ونهاهم تَحذيرًا، وكلَّفَ يسيرًا، ولم يُكَلِّف عسيرًا، وأعطى على القليل كثيرًا، فأنت تأتي إلى هذا المسجد باختيارك، وبإمكانِكَ أن لا تأتي ما دُمتَ قد جئتهُ مُختارًا فلك عند الله أجر كبير، أما لو أنَّ الله تعالى أجْبرنا على الإتيان لما كان هناك أجر وأصبح هناك إكْراهٌ، وقد قال الله عز وجل:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(256)﴾

[سورة البقرة]

كلّ شيءٍ يُمْكن أن تُكْرَهَ عليه إلا الدِّين، لأنَّ أساسه الاخْتيار والمُبادرة الفرْدِيَّة فأنت تأتي الله مُحِبًّا، ومن هان فرَّق العلماء بين العبيد والعباد، فالعبيد جمع عبْد، والعباد جمْع عبْدٍ ! أذكر أنَّني كنتُ في عَقْد قِران، وأحدُ العلماء الأفاضِل تُوفِّي رحمه الله أراد أن يُداعِب المنْشدين، فقال: أنتم بلابل هذا الحفل !! والبلابل جمعُ بلْبُل لا جَمع بَلْبَلَة ! لأنّ بلْبلة جمعها بلابل كذلك ففرَّق بين الاصْطِلاحين، وكذا عبيد وعباد، فالفرق بينهما كما قال ربنا عز وجل:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا(63)﴾

[سورة الفرقان]

وقال تعالى:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(46)﴾

[سورة فصلت]

والعلماء قالوا: العبيد جَمعُ عَبد القهْر، والعباد جمع عَبْد الشُّكر ! فكلٌّ مِنّا عبد لله تعالى قَهْرًا، هل تسْتطيع أن تُلْغي التَّنَفُّس ؟ فأنت عبْدٌ إذًا لله تعالى وهل تستطيع أن تُلي الأكل ؟ وهل تستطيع أن لا تشْرب ؟فأنت مُفتقر إلى الطَّعام والهواء والشَّراب، وإلى زوْجة وأولاد، فهذا عَبْدُ القهْر فَوُجودنا مُتوقِّف على إمداد الله، قال تعالى:

﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(26)﴾

[سورة آل عمران]

من الذي يملِك أن لا تنْمُوَ خلاياه نموًّا عَشْوائِيًّا ؟! ومن يمْلِك أن يبقى الدَّم سائلاً في أوْعِيَتِهِ ؟ ونم يمْلك أن تبقى شرايينه مرِنَة ؟ فنحن عبيد لله تعالى قَهْرًا أما العباد فهم عباد الشُّكْر، هذا فكَّر في الكون فأطاع الله تعالى فأطاعهُ وبِإمكانِهِ أن يعْصِيَهُ، وأنفَ مالهُ وبِمكانه أن لا ينْفقَهُ، قال له: كيف أصْبَحتَ يا عمر ؟ قال: أصْبحتُ أُحِبُّك اكثر من مالي وولدي والناس أجمعين إلا نفسي التي بين جنبي..." فالدِّين أساسُهُ الحب، لذلك دينٌ من بِعقيدة وشواهد وأدِلَّة، وخالي من المحبَّة والاتِّصال به تعالى، فهذا دينُ ثقافة، فالدِّين في آخر الزَّمان ؛ إما أنَّهُ ثقافة عند المفكِّرين الإسلامِيِّين، أو أنَّه فلْكلور عند الميلويَّة وهي تقاليد شَعبيَّة، أو أنَّه طرب عند المنْشِدين أو أنَّه احْتِفالات وتعظيم وتبْجيل فيما يجري بين الناس، والدِّين غير هذا إطلاقًا، الدِّين أنْ تتَّجِهَ كلّ خليَّة في جِسْمِكَ إلى الله، وأن تُحِبَّهُ، وهذا هو قول الله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[سورة الشورى]

القضِيَّة سَهلة جدًّا، قال تعالى:

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(31)﴾

[سورة الإنسان]

فَرحمة الله لا تأتي بالقهْر، ولكن بالاخْتِيار من يشاء رحمة الله يُدْخِلُهُ فيها، فلو أنَّ أبًا ملكًا قال لابنِهِ: اُطْلُب وتمنَّى، قال: أريد بيتًا فخْمًا جدًّا فالقضيَّة سهْلة، وأريد مركبة من أفْخم المركبات ؛ القضيَّة سهلة، أريد طائرة خاصَّة يقول له: القضيَّة سهلة، ولكن إذا قال له: أُريد أن أكون أُستاذًا في الجامعة ! يقول له: هذه ليْسَت لي! هذه بِسَعْيِك لذلك الله تعالى يُعطيك صحَّة، ومالاً ووسامةً، وذكاءً، ويُعطيك زوْجةً، ولكن لا يتجلَّى عليك إلا إذا أقْبَلْتَ عليه فلذلك قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾

[سورة الشورى]

قال تعالى :

﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (8)﴾

[سورة الشورى]

لعلَّكم تفهموا أنَّهم الذين ظلموا الناس ! لا، أشَدُّ أنواع الظُّلم أن تظْلم نفْسَكَ التي بين جَنْبيْك، قال تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(57)﴾

[سورة البقرة]

أشدُّ أنواع الظلم أن تُبْقي نفْسَكَ جاهِلةً، ومن دون عملٍ صالِح، ومِمَّا يُلفِتُ النَّظر، قال تعالى

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(195)﴾

[سورة البقرة]

الآية واضِحة، ولكن القسم التالي يُحيِّر، قال تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(195)﴾

[سورة البقرة]

قال العلماء: إن لم تُنْفق مالَكَ في سبيل الله ألْقَيتَ نفسَكَ إلى التَّهْلُكَة، لأنَّ الذي لا عملَ له صالح هو هالِكٌ عند الله تعالى، قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (8)﴾

[سورة الشورى]

فإذا شِئْتم رحمتي فارْحموا عبادي، والظالمون هم الذين ظَلموا أنفسهم أشَدَّ الظلم حينما تركوها جاهلةً، تقول له: تعال، واحْضَر مَجلسَ العِلم، فيقول لك: ليس لي وقت !! هذه الكلمة خطر، فهذا الذي ليس له وقت فراغ ليَتَعلَّم دينه ظلمَ نفسَه، قال تعالى عنهم:

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (31)﴾

[سورة الشورى]

ليس لهم وليّ يتولاَّهم، ولا نصيرٍ ينْصرُهم، تصوَّر طفلاً من دون أب ومن دون عمل ولا أمّ، ولا خال، ويسْرق، ويدخل السِّجن، وتصوَّر ابنًا له أب عظيم وفهم، قال تعالى:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ(11)﴾

[سورة محمد]

فإذا قَبِلَ الله أن يتولَّانا فهذا عطاءٌ عظيم منه تعالى، قال تعالى:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(257)﴾

(سورة البقرة)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-12) : تفسير الآية 10

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية العاشرة من سورة الشورى، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10)﴾

[سورة الشورى]

الحقيقة ؛ في مِساحة الأفكار، ملْيار ومليار مَقولة ؛ بعضها خطا وبعضها صواب، والآخر حق، وبعضها باطل، وبعضها مُبالَغٌ به، وبعضها مُزوَّر، وبعضها مُقلَّل من قيمته، فالإنسان أمام رُكام لا أفكار والمَطروح في الساحة الفِكريّة مليار مليار مقولة ؛ جمود وتزمُّت، والْتِزام وإباحِيَّة، وتَجديد وعَصْرنة وعقْلنة !! فأنا كإنسان كيف أُميّز بين هذه الأفكار ؟ قلتُ لكم: أنت كبائِع أقمِشَة أمام مائة ثوب، كلّ ثوب عليه رقم وقيل لك: هذه الأرقام غلط، فإذا اشْتَريتها على هذه الأرقام تكون مَغبون، أنت بِحاجة لى متر، وإلى مِقياس تكشِف صِحَّة هذه الأرقام أو خطأها، فنحن أهمّ شيء أن نملِكَ منْهجًا لِنُنَقِّي به، أنا كمُسلم ؛ يُطرح بالإعلان وبالنَّدَوات وبالخُطَب، وبالكُتب، كلّ يلقي سمَّه، فأنا في هذه المتاهة، وفي هذا الخِضَمّ ؛ كيف أهْتَدي إلى الحق، لا بدّ من منْهج تلقِّي هذه الآية أحدُ بنود منْهج التَّلقِّي قال تعالى:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10)﴾

(سورة الشورى)

كلّ شيخ له دَعوة، وله أفكار، يا ترى كلام الشيخ صحيح أم باطل ؟ له مقْصد دنيوي ! هل هو صادِق مع نفْسِهِ أو كاذِب ؟ كيف أعرف الحقيقة ؟ وما هو المِقياس ؟ نحن يهمُّنا أن نكشِف بالقرآن الكريم مناهِج التَّلقِّي؛ ما الذي أقْبلُهُ ؟ وما الذي أرفضهُ ؟

مثلٌ آخر ؛ دَخَلتَ إلى غرفة فيها ألف قِطعة صَفراء لامعة ؛ قيل لك: مائة قطعة منها ذَهَب خالص عيار أربع وعشرون، وقطعة أخرى عيار واحد وعشرون، ومائة ثالثة عيار ثمانية عشرة، وقطعة أخرى عيار ستَّة عشر والخامسة إحدى عشر، والسادسة نحاسٌ مَطليّ ذهبًا، والأخيرة تنَك إلا أنَّ كل هذه المعادن صَفراء تلْمَع، فما الذي يحتاجه الإنسان كي يأخذ قطَع الذّهب الأعلى عيارًا ؟ لا بدّ مِن مقياس تفْحص به، فهذا هو الواقِع، هناك أفكار مَطروحة في المساجد، وفي الإعلام، وفي الكتب، أفكارٌ تُطرح ليل نهار، بعضها صحيح والآخر غلط، وبعضها باطل، وباطل فيها مكْر فأنت بِحاجة إلى منهج تلقِّي، وإلى مِقياس، فربُّنا عز وجل في آية أخرى يقول:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا(59)﴾

[سورة النساء]

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أولوا الأمْر هم الأمراء، والعلماء، فالعلماء يعلمون الأمر، والأمراء يُنفِّذون الأمر، وقال تعالى:

﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا(59)﴾

[سورة النساء]

إلى الله تعالى بِكِتابِهِ، وإلى الرسول بِسُنَّتِهِ، فنحن عندنا مِقياسَين صحيحيْن، قال عليه الصلاة والسلام:

((مَا إِنْ تَمَسَّكْتُم بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بعْدِي أَبَدًا كِتَاب الله وسُنَّتِي))

[رواه مالك]

قال تعالى:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10)﴾

(سورة الشورى)

يقول لك أحيانًا: يجب أن نُنَمّي أنفسنا إذًا يجب اسْتقراض قرضًا ربَوِيًّا لإنشاء عمل جديد، لكنَّ الله تعالى يقول:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ(276)﴾

[سورة البقرة]

نحن بِمَنْهج التَّلَقِّي الرّبا حرام، وبِمَنْهج التَّلَقِّي الاخْتِلاط حرام، والكذب حرام، والنِّفاق حرام، فلو أنَّه كان لك كمبيوتر، وتعطَّل، ولك جار خُضَري تُحبُّه كثيرًا، هل يمكن أن تعْطِيَه حاسوبكَ كي يصلِّحُهُ لك ؟!! فالمحبَّة والعطف والقرب موضوع ثاني لا علاقة له بإصلاح الحاسب فالله عز وجل قال:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سورة فاطر]

من هو الخبير ؟ هو الله، فهذا هو كلام الله، وهذه تعليمات الصانِع وهذا كتالوك الإنسان، قال تعالى:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10)﴾

(سورة الشورى)

اختلفنا في موضوع المرأة فَحُكْمُهُ إلى الله واختلفنا في موضوع كَسْب المال فَحُكْمُهُ إلى الله، واختلفنا حول موضوع الاخْتِلاط، فَحُكمُهُ إلى الله تعالى، واخْتلفنا في مواضيع كثيرة ؛ كلُّها حكمها إلى الله تعالى، فالله عز وجل قال:

﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنْ الْمُسْلِمِينَ(15)﴾

[سورة الأحقاف]

فيجب أن يكون عملُكَ صالحًا وِفْق مِقياس الله، ووفق سنَّة رسول الله فالذي يصِحُّ في منهج الله ومنهج رسوله صلى الله عليه وسلَّم تأخذُهُ والذي لا يصِحُّ عنهما ترْكِلُهُ بِقَدَمِك، فأكثرُ الفتيات غير الملتزمات ما يدفعها لِتَغيير لِباسها ما في هذه الإعلانات، هل يُعْقَل من واحِدٍ يهودي أو نصراني في فرنسا يُصَمِّم ويفتح ما يشاء من لا ثِّياب، وأنا ألبسُهُ ؟؟ أليس لي منهج ؟ فنحن لمَّا نْعف بالمهَج، وفي فهْم كتاب الله، وفي فهْم سنَّة رسول الله يصبح لدينا مصادر تغذِيَة أخرى غير صحيحة.

على كُلٍّ هذه الآية أحَدُ بنود منْهَج التَّلَقِّي، قال تعالى:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾

(سورة الشورى)

قد تسْمع أنَّ دواءً صُنِعَ وظيفَتُهُ إطالة العُمْر !! فأنت إن كان لك منْهج تعلم أنَّ آيةً قرآنيَّة ترفض هذا الكلام

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ(34)﴾

[سورة الأعراف]

وقد تسْمع أنَّ فلانًا الفلاني يعلَم الغيب !! فلك آية تبطل هذه المقولة قال تعالى:

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(65)﴾

[سورة النمل]

إذا الإنسان قرأ القرآن واسْتَوْعَبَه وفهِمَه جيِّدًا أصبحَ له ألف مِقياس ومِقياس، فأيَّة قصَّة، وأيُّ فِكْر، وأيُّ طرحٍ، أو مقالةٍ، أو ندْوةٍ أو خُطبة، تكلَّم ما شئْتَ فأنا معي مِقياس فإمَّا أن أقْبَلَ كلامك إن كان وِفق المِقياس، وإما أن أرْفُضَهُ إذا كان خلاف المقياس، فالحقيقة أنَّ الإنسان يمْلِكُ ميزانًا ؛ الخَطَر الكبير أن يكون هناك خلَلٌ بالميزان، أما أحيانًا يكون الميزان صحيح ولكن أنا الذي توهَّمْتُ أنَّ الميزان اثنان كيلو غرام، فهذا خطأ ولكن بالوزن، وهو لا قيمة له لأنَّه لا يتكرَّر ! فليس مِنّا مَن هو مَعْصوم ولكنَّ الخطأ الكبير أن يكون ميزان التَّلَقِّي عندك خطأ، لو فرضنا أنَّ واحدًا يُتْقن اللُّغة العربيَّة وقام أحدهم يتكلَّم أمامه، فهذا يكشف له أخطاءً لا تُغْتفر،

أما إن كان أقلّ منه عِلْمًا يقول: لا يوجد أرْوَعَ منه !! فالاختِصاص يكْشف لك الخطأ، لذا العِبرة لا أن أكون وِعاءً لِمَعلومات، بل أن أكون ميزانًا لهذه المعلومات، وهذه هي الآية:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10)﴾

(سورة الشورى)

من الذي حُكمُهُ إليه ؟ هو الله، وله الأسماء الحسنى، الصِّفات العليا، قال عليه الصلاة والسلام: لا يكن أحدكم إمَّعة..." وطِّنْ نفْسَكَ على أن تُحْسِنَ إذا أحْسَنَ الناس، وعلى أن تُحسن إذا أساء الناس، والشِّعر الجاهلي يقول:

وما أنا إلا من غزيَّة إن غَوَتْ غَوَيتُ وإن ترشُد غزيَّة أرشُد

فالمجتمع الآن مُتَفَلِّت، ومنْحرف، فلا بدّ أن يكون لك رأي واسْتِقلاليَّة عن البيئة الفاسدة، قال تعالى:

﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا(16)﴾

[سورة الكهف]

إمَّا أن يأوي الإنسان إلى بيت من بيوت الله ليتلقَّى العلم الصحيح، أو أن يأوي إلى بيتِهِ يعبُدُ الله، أما إن خاض في غمار الحياة التي فيها الفساد والباطل، والغلوّ، وفيها ما فيها، والإنسان سَيُحاسِب، فالإنسان لا يُعقل أن يُسلِّم نفسه لِطَبيب لا يعرفه ! من أجل عمليَّة فقط، طيِّب نم أجل دينك أليس الأولى أن تسل إن كان هذا العالم كلامه صحيح أم لا ؟ منضبط أو لا وإنَّ هذا العلم دين فانْظروا عمَّن تأخذوا دينكم، وخذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-12) : تفسير الآية 14

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الرابعة عشْرة من سورة الشورى، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14)﴾

[سورة الشورى]

كلمة تفرَّقوا تقودنا إلى بحث موضوع التَّفرُّق بين المسلمين، بل التَّفرّق بين أتباع الأديان كلّها التَّفرُّق أنواع ثلاثة ؛ تفرّق طبيعي، وتفرّق مذموم وتفرّق محمود.

التَّفرّق الطبيعي سببُه نقْص المعلومات، كان الناس أُمَّة واحدة فاختلفوا لا يوجد وحي حاسِم فاختلفوا، أوْضح مثَل ليلة العيد، سَمعنا صوت مَدفع يا ترى هل هم يفتحون طريقًا في الجبل ؟ ناس يقولون: صخرة بالجبل هدَّموها، وناس قالوا: غدًا ليلة العيد، فنحن اختلفنا لِنَقص المعلومات وكل إنسان يتوهَّم شيء، ويأتي بالدليل الضَّعيف، فهذا النوع من الاختلاف نوع طبيعي، فلا توجد معلومات دقيقة، حينها نختلف، قال تعالى:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(213)﴾

[سورة البقرة]

الآن بعدما نزل الوحي والكتاب المبين، والقرآن الكريم، وسنة واضحة وإله واحد، ونبي واحد ؛ حينها اخْتلف المسلمون هذا الاختلاف اختلاف قذِر ، أساسه الحسَد، والبغي والعدوان والهوى قال تعالى :

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14)﴾

[سورة الشورى]

البغي هو العدوان بِدافِع الحسَد، فالتَّفرّق الطبيعي هو التفرّق الذي سببه نقص المعلومات والتَّفرّق المذموم هو الذي سببه الحسَد والبغي، فالخِلافات التي بين الدُّعاة والخلافات بين الجماعات، والخلافات بين الأطراف ؛ هذه ليس مردُّها نقْص المعلومات، ولكن مردُّها التنافس على المكاسب، كُنَّا نُعْجب بِبِلادٍ في أقصى الشرق، فوقَفَت أمام أكبر دولةٍ في العالم ؛ ثمّ الآن نتألَّم أشَدّ الألم، وهذا الخلاف جرّهم إلى سفْك الدِّماء بينهم،

فَخِلافهم الآن خلاف منصب، وبغي وعُدوان، وليس خلاف عقيدة، وهذا الخلاف عند الله مذموم، وقَذِر، فأنا حينما أختلف معك فلِمَصْلحةٍ مادّية، وحينما أختلف معك لأُنافِسَك، وحينما أخْتلف معك لِمَكاسِب بين يدَيّ لا أُفرِّط بها، لذلك كنتُ أقول لكم دائمًا ؛ هناك دعوة إلى الله تعالى خالصة، ودعوة إلى الذات باغيَة، دعوة إلى الذات مُغلّفة بِدَعوة إلى الله تعالى، فالدَّعوة إلى الذات مِن خصائصها ادّعاء التَّفرّد، ومن خصائصها الابتِداع، ومن خصائصها التنافس، ومن خصائصها جُحود ما عند الآخرين، أما الدعوة إلى الله تعالى الخالصة من خصائصها التَّواضع، ثمّ الاتِّباع، ثمّ التَّعاوُن ثمّ الإنصاف، فإذا كنت أيها الداعي مُتواضع ومُتَّبِع، وتعترف بِالآخرين، وتتعاون معهم، فأغلبُ الظنّ أنَّ دعوتك إلى الله تعالى خالصة، أما التنافس فهو دليل عدم الإخلاص، فيها دعوة إلى الذات، فنحن نُعاني لا من خلاف طبيعي مردُّه نقْص المعلومات، ولا من خلاف سيكون محمودًا بعد قليل، ولكن نحن نُعاني من خِلاف قَذِر سببهُ الحسَد والبغي، قال تعالى:

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14)﴾

[سورة الشورى]

بغْيًا مفعول لأجله، أيْ بِسَبب البغي والعدوان والحسد، إذًا هناك تفرّق طبيعي لا محمود ولا مذموم وتفرّق طبيعي سببه نقْص المعلومات.

الآن جاء الوحي الناصع، والنبي الصادق، وكلّ شيء واضِح ؛ قرآن كريم لا ريب فيه، وسنَّة مطهَّرة واضِحة، وقد قال عليه الصلاة والسلام

((فيما رواه ابن ماجه أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ *))

[رواه ابن ماجه]

أيها الإخوة الكرام، دقّقوا في هذه الكلمات التي سأقولها ؛ ما من فرقة ضالة إلا ولها خصائص، أوَّل خاصَّة أن التَّركيز في الفرقة لا على المبادئ، ولكن على الأشخاص، وتأليه الأشخاص، ثمّ يصبح هذا الشَّخص مُشرِّع، وما قاله هو الحق، وما لم يقلهُ هو الباطل، فهذا أعلى إنسان على وجْه الأرض بعد رسول الله هو سيّدنا الصِّديق رضي الله عنه وفي أوّل خطبة خطبها قال: وُلِّيتُ عليكم ولسْتُ بِخَيركم، إنَّما أنا مُتَّبِع ولسْتُ

بِمُبْتَدِع، إن أحْسنت فأَعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني، فهذا كلام الصِّديق، قال: وأطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، وإن عصيتُهُ فلا طاعة لي عليكم ! فهل يتجرأ أحدنا بعد الصِّديق أن يقول: أنا لا أخطئ ؟! أو يقول أنا خيركم !! وكلامي تشريع !!!! مستحيل، إذًا الدعوة إلى الذات شيء والدعوة إلى الله شيء آخر، فالدعوة إلى الله فيها تواضع واتِّباع وتعاون وفيها إنصاف، وإلى الذات فيها كِبر، وإنكار لفضل الآخرين، وتنافس، لذلك نحن لا يؤلمنا إلا التَّفرّق، وكلاً يُغنِّي ليلاه، وكلّ يدَّعي وصلاً بليلى فالذي يتوقَّع أنَّ الله له فقط، فهو خاطئ، وأنّ الجنّة له فقط ! نقول له: إنَّ الله تعالى لكلّ المسلمين، قال تعالى:

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾

[سورة الشورى]

عُدوانا وطغيانا وحسدًا، ويتَّبعون الدنيا والمكاسب.

لو سألني أحدكم ؛ أين هو التنافس المحمود ؟ قال: التفرّق المحمود هو تفرّق التنافس، فهذا اتَّجه إلى إعمار المساجد وهو يظنّ أنّه أعظم عمل وهذا اتَّجَه إلى نشْر الحق، وهذا اتَّجَه إلى إطعام الفقراء والمساكين وهذا أسَّس معاهد شرْعِيَّة، فهؤلاء تنافسوا مع إخوانهم في الحق، ولِخِدمة هذا الدِّين، وهناك من يعنيهم أن يرَوا الناس في بحبوحة ؛ فَيُؤَسّس جمعيَّة خيريَّة، وإعانة المساكين وطلبة العلم، وإنسان نشر الحق، ونشر الفضيلة فنحن يمكن أن نتنافس تنافسًا شديدًا، والله عز وجل قال:

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ(26)﴾

[سورة المطففين]

وقال تعالى:

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ(61)﴾

[سورة الصافات]

فالتنافس الشريف أن نتسابق لِخِدمة المسلمين، فالذي يُدرِّس يُساهم، والذي يبني يُساهم، والذي يُطعم الفقراء يُساهم، والذي يرعى الأيتام يُساهِم والذي ينشر الكتب يُساهم، فالاختلاف الأوّل طبيعي، والاختلاف الثاني قذِر ؛ اختلاف الحسد والبغي ولا تنافس على الدنيا، والاختلاف الثالث محمود، قال تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ(26)﴾

[سورة المطففين]

فهناك من يرى أن التجويد هو كل شيء، وآخر يرى الفقه، وذاك المواريث، وآخر مصطلح وذاك في التفسير، وآخر جرح وتعديل، وهذا عالم بالفقه المقارن والأحوال الشخصيَّة، وهناك من درس الإنجيل وردّ على مُدَّعيه، فكلّ عالم أخذ جانبًا وتفوّق فيه، فكل هؤلاء العلماء أخذوا جانبًا وتفوّقوا فيه وهذا تنافس محمود عند الله عز وجل، فالمسلمون والعلماء متكاملون يشدّ بعضهم بعضًا، لذا لو تعاون الدّعاة إلى الله تعالى لكانوا وحدة متكاملة، والعقيدة الصحيحة أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام معصوم بِمُفردِهِ، وأُمَّتُهُ معصومة بِمَجموعها، والله تعالى قال: وتعاونوا على البرّ..." فمُلخَّص الدرس أنَّ هناك تفرّق طبيعي سببه نقْص المعلومات، وآخر قذِر سببه المنافسة على الدنيا، وآخر محمود سبه التنافس في خِدمة هذا الدين، فأنت كُن مع الصِّنف الثالث، قال تعالى: فهدى الله الذين آمنوا....بإذنه " فكلٌّ مِنَّا يخدم الدِّين بما استطاع عليه، وبما يسَّر الله له، فكل إنسان يُيَسَّر لما خلق له، فأنْسب شيء يُناسبُك للجنَّة، وليس في الإمكان أبْدع مِمَّا كان.

أرجو الله أن يكون تنافسنا من أجل خدمة هذا الدِّين، وليس من أجل السعي للدنيا، وأن نُوطِّن أنفسنا من أجل التعاون لا التنافس القذِر، وأن لا نُنْكر فضل الآخرين، وأن تكون لنا أدوار، وأن نسمح لآخرين بإقامة أدوارهم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-12) : تفسير الآية 15

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، من المظاهر المرَضِيَّة في حياة المسلمين ؛ أنَّ الإسلام صار فِكْرًا وثقافةً، أو ما يُسَمَّى في بعض المجتمعات إسلام صالونات مجلس نتحدَّث بالدِّين وبالإسلام وبِقِيَم الإسلام، والحركات الإسلاميّة في العالم، وما يُعانيه المسلمون، فهؤلاء الذين يتحدَّثون ويتصدَّقون ويُشقِّقون الأفكار، لو دَخلت إلى بيوتهم لا ترى استقامة لا في سلوكهم ولا في أهلهم ولا في بناتهم، ولا في أوقاتهم، فالإسلام انْفصَل عن الحياة إلى الفِكْر وأصبح هناك مُفكِّر إسلامي يُقيم نَدَوات وهو لا يُصَلِّي ! وقد يشْرب الخمر فهذه الظاهرة الخطيرة ؛ انفصال الإسلام، أصبح عندنا سلوك وفِكر، فالسُّلوك غير مُطبَّق، الآية الكريمة:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)﴾

[سورة الشورى]

الدِّين فقط مهما تبحَّرت فيه، وتفنَّنْتَ في عرْضِهِ، ومهما تعمَّقت في دراسته، وطالَعْتَ، ومهما جمَّعت من الثقافات الإسلاميَّة، ومهما كان أفقُكَ واسِعًا الدِّين بالذات لا قيمة له إطلاقًا من دون الْتِزام، لذلك ربّنا عز وجل يقول:

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)﴾

[سورة الشورى]

إذا كان النبي صلى الله عليه وسلَّم وهو سيِّد الخلق، وحبيب الحق قد أُمر أن يستقيم فكيف بنا نحن ؟! لذا لا معنى للدَّعوة من دون استقامة، ولا معنى للتَّعاون الإسلامي من دون استقامة، ولا معنى من اقتناء كتب إسلاميَّة من دون استقامة، ولا معنى من اقتناء أشرطة من دون استقامة، تقريبًا ؛ فكيف أنَّ التِّجارة فيها نشاطات كبيرة جدًّا، ومتنوّعة جدًّا، إلا أنَّ هذه النَّشاطات تنتهي بشيء واحِدٍ هو الرِّبح، فإن لم ترْبَح فلسْتَ تاجِرًا ! كلّ هذه النشاطات ؛ من مَحلّ وموقع المحلّ، وتَزيين المحل، والمحاسب والكمبيوتر، والمستودعات والتِّلكسات، وكذا إن لم تسْتقِم فلسْتَ مؤمنًا وهذا كلام دقيق، وقِّروا وقتكم يقول عليه الصلاة والسلام:

((عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ *))

(رواه البخاري)

المؤمن الصادق يُراجِع حِساباته الدقيقة، ويُراجِع دَخْلهُ، وبيتهُ وبناته، وزوجته، وأوقات فراغِهِ، وأفراحِهِ، وأحزانِهِ، وعلاقاته، وذِمَمِهِ ودُيونِهِ وواجباته ؛ يراجعها كلّها فإن لم تنطبق على منهج الله فهناك تقْصير كبير، ومن هنا قال الله عز وجل:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)﴾

[سورة الشورى]

فالرَّبط بينهما الدَّعوة والاستِقامة، فلو أنَّه دعا ولم يسْتقِم فَدَعوتُهُ ساقِطة، فالآن أيّ داعِيَة لو دعا ولم يسْتقم لا أحَدَ يعْبأ بِكَلامه إطلاقًا، ولا أحد يُفكِّر فيما يقول، والناس يتعلَّمون بأعْيُنِهم لا بِأُذونهم، ولأنّ لغة العمل أبْلغُ من لغة القَول، والله تعالى يقول

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(2)كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(3)﴾

[سورة الصف]

المقْت أشدّ أنواع الكراهِيَّة، فأنت إذا أردْت أن تكون عند الله تعالى بِحالة المقْت فقُل شيئًا ولا تفْعلْهُ، ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِي اللَّه عَنْهم يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ قَالَ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ *))

[رواه الترمذي]

هود يعني سورة هود، والذي شيَّبَهُ فيها قوله تعالى:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(112)﴾

[سورة هود]

وإيَّاك أيُّها الأخ الكريم أن تتوهَّم أنَّ هذا نبي !! إنَّ الله أمر المؤمنين بِما أمر به المرسلين، فأنت إن حضرْت الدروس، وأُعْجِبْتَ بِفلان، وأثَّر الداعية الفلاني في كلامك، كل هذا لا قيمة له إن لم تسْتقِم أنت، ومهما كنتَ مُستمِعًا أديبًا لا ينفعُكَ من الكلام إلا ما طبَّقت منه ومهما كان المتكَلِّمُ فصيحًا لا تنفعُهُ فصاحتُهُ إلا إن طبَّقَ ما يقول، فالمُتَكَلِّم يُحاسَب على مدى مِصداقيَّة ما يقول، والمستمع مُحاسب على مدى تطبيق ما يقول، فَمِن أجل أن تنالَ من الدِّين أعلى مردود اسْتقِمْ، وكنتُ أقول دائمًا: كلمة ألف مليون دولار لِمُواطِن عادي ؛ ماذا تعني ؟! فلو أنَّ واحِدًا لفظها وما معه قيمة خُبز ؛ ما قيمة هذا اللَّفظ ؟! فبين أن تلفظها وبين أن تمْلِكَها ؛ كم في المسافة ؟!! كبيرة جدًّا، فالمسافة نفسها، بين أن تدْعو إلى الله تعالى وأنت غير مستقيم، وبين أن تستقيم؛ إنَّك إن اسْتَقَمتَ قطَفْتَ ثِمار الدِّين، والحقيقة أنت تُعامِل خالق الكون، دقِّق بِصلاتك، والخشوع فيها، ودقِّق

في معاملاتك التِّجاريَّة ؛ هل يوجد تدليس أو إيهام أو إخفاء عَيب أو احتِكار، دقِّق في بيتك هل بناتك يخرجن للشُّرفة من دون حِجاب أو سهرة لا تُرضي الله، أو حديث فيه غيبة، لا بدّ أن تُدقِّق، وأنت إن دقَّقت اتَّصَلْت بالله تعالى، فالذي يقوم للصلاة مُتكاسلاً، وهي من صفات المنافقين، قال تعالى:

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا(142)﴾

[سورة النساء]

لأنَّه غير مستقيم، ومحجوب عن الله تعالى، أما إن كان مستقيمًا وِفْق المنهَج، إذا قام للصلاة يرى كلّ السَّعادة في الصَّلاة، وهذا النبي عليه الصلاة والسلام: قال له:

((عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ قَالَ رَجُلٌ قَالَ مِسْعَرٌ أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا *))

[رواه أبو داود]

أما لسان معظم المسلمين: أرِحنا منها !! وفرق كبير بين أرِحنا بها، وبين أرِحنا منها، يقول لك: صلَّيْتُ العشاء وارْتَحْتُ !! فهذه الآية دقيقة، فلذلك كما قال تعالى:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)﴾

[سورة الشورى]

دعوتك لا قيمة لها إن لم تسْتَقِم فالمستقيم كبير عند الناس، وعند زوْجتك وعند أولادك، فالزَّوجة إن لاحَظت صلاح زوْجها، ودقَّته في الكلام ويغضّ بصرَهُ تحْتَرِمُهُ، ويقضي سهْراته بالغيبة فإنَّ هذا الزّوْج يسقط من عين زوجته.

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾

[سورة الشورى]

بديل الاسْتِقامة هو اتِّباع الهَوَى فأنت بين أمرين إما أنَّك مستقيم على أمر الله، وإما أن تتَّبِعَ الهوى، وهذا مخالف لمنهج الله.

ثمَّ قال تعالى:

﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)﴾

[سورة الشورى]

المؤمن عملهُ كلُّه استقامة، ونُصْح، وتَطبيق لِمَنهج الله، دقٌ على خلاص على نصيحة على تواضُع، فالله عز وجل وصف المؤمن فقال:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(6)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(7)وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى(11)﴾

[سورة الليل]

يبني حياته على العطاء، وهناك من يأخذ كلّ شيء فهذا ما أقرض الله عز وجل، قال تعالى

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(245)﴾

[سورة البقرة]

قال تعالى:

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾

[سورة الشورى]

فالعدل حسَن ولكن في الأمراء أحْسن، والحياء حسَن ولكن في النِّساء أحْسَن، والورع حسن، ولكن في العلماء أحسن، والتوبة حسنة ولكن في الشباب أحْسن والصَّبر حسن، ولكن في الفقراء أحْسن، والسّخاء حسن ولكن في الأغنياء أحْسن، عبادة الغني السَّخاء، وعبادة الغني الصَّبر وعبادة المرأة الحياء، وعبادة العالم الورع، وعبادة الأمير العدل.

قال تعالى

﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)﴾

[سورة الشورى]

فإذا كان الإنسان له خصْم وهذا الخصم قويّ وعنيد، ورد بأقوال سيّدنا علي: كفاك على عدوّك نصْرًا أنَّه في معْصيَة الله، وكفاك انْتِصارًا عليه أنَّك في طاعتِه ! فمهما كان خصْمك قويّ فأنت منتصر عليه لأنَّك مع الحق وفي طاعة الله.

هدفنا الأوَّل التطبيق العملي، وهذا الذي نحْرص عليه ونُعوِّلُ عليه، وهو الذي يجْعلنا متألِّقي

الدرس (05-12) : تفسير الآية 20

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية العشرون من سورة الشورى، وهي قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20)﴾

[سورة الشورى]

أنت مُخيَّر في أكثر من آية في القرآن الكريم، قطْعِيَّة الدلالة والثبوت، قال تعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148)﴾

[سورة الأنعام]

إذا ظَنَنْتَ أنَّ الله تعالى أجْبرَكَ على عملك فهذه عقيدة أهل الشِّرك، فأنت مُخيَّر ، قال تعالى:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا(29)﴾

[سورة الكهف]

قال تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(3)﴾

[سورة الإنسان]

وقال تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(17)﴾

[سورة فصلت]

وقال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(148)﴾

[سورة البقرة]

وأيَّة آيةٍ يُشَمُّ منها رائِحَة الجَبْر يجب أن تُحْمَل على آيات الاخْتِيار لأنّ القاعدة الأصوليّة تقول: أنَّ الآيات المشتبهات مهما كثُرت تُحْمل على الآيات المحْكَمات مهما قلَّتْ.

شيءٌ يلْفتُ النَّظر، قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ﴾

[سورة الشورى]

إن أردْت الآخرة تأتيك الدنيا والآخرة، قال تعالى

﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾

[سورة الشورى]

تأتيه الدنيا وهي راغمة، وهو في الآخرة من السُّعداء، قال تعالى

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20)﴾

[سورة الشورى]

ما قال نؤْتِه الدنيا، ولكن قال: نؤْتِهِ منها ! أي نؤْتيه بعضها ؛ يعطيه المال ويحْرِمُهُ الذريّة الصالحة، يُعطيه الذريَّة ويحْرمُهُ الزَّوجة الصالحة، يعْطيه الشَّأن والوَجَاهة ويحْرِمُهُ السَّعادة لأنّ هذه الدنيا لن يستطيع أحدٌ أن يُحصِّلها من كلّ أطرافها، لأنَّه إذا فعَل ذلك كرِهَ لِقاء الله عز وجل، هناك حِكمة بالغة فالله تعالى يأخذ لِيُعطي، ويبْتلي لِيَجزي، ذكرتُ البارحة في بعض الدُّروس أنَّ الله تعالى ضارّ ولكن ينبغي أن تقول: الضارّ النافع، فلا يجوز الإفراد في هذا الموضع لأنَّه يضرّ لِينفع،و يخفض لِيَرفع، ويُذِلّ لِيُعِزّ، ويأخذ ليُعطي، ويقبض لِيَبسط، لذلك كما قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20)﴾

[سورة الشورى]

فالإنسان أراد الدنيا، وأصرّ عليها، ولم يعبأ بِغيرها، وجعلها مُنتهى آمالِهِ ومحطّ رِحالِهِ، وكلّ طاقاته، وإمكاناته وقدراته، صرفها في الدنيا بعدها سيفاجئ أنَّه لا بدّ من مرض مُفْسِد، وهرم مُفَنِّد، ومن موت مُجهِز، ومن فقْرٍ مُنْسي، ومن غِنًى مُطْغي، ومن دجَّال يُدجِّل، فهذه الساعة لا بدّ آتِيَة، فالذي أراد الدنيا لا بدّ من أن يُحْرمَها شاء أم أبى، أعْجبَهُ أم لم يُعْجِبْهُ، فهذا خِيار، ومن هنا قيل: من آثر دنياه على آخرته خسِرهما معًا، ومن آثر آخرتَهُ على دُنياه ربِحَهُما معًا.

أجْملُ دعاءٍ سَمِعتُهُ، كان في أحد الولائم، وقال أحدهم فدعا وقال: اللهمّ اجْعل نِعَم الدُّنيا متَّصِلة بِنِعم الآخرة ! فالله عز وجل يقول

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

ممكن أن تعيش حياةً هانئة، ويأتي ملك الموت فتنتقل إلى جنَّة عرضها السماوات والأرض، لأنَّ المؤمن حينما يموت ينتقل من ضيق الدنيا إلى سعَةِ الآخرة، كما ينتقل الجنين من ضيق الرَّحِم إلى سعة الدنيا، رحم حجمه سبعمائة وخمسون سنتمتر مكعَّب الطِّفل إذا وُلد قد يسافر إلى أمريكا وإلى اليابان، وقد يصْعد إلى القمر، وازِن بين حجْم الرَّحم، وبين الفضاء والسَّفر من قارة إلى أخرى، أين كان يعيش ؟ فالمؤمن إذا مات انتقل من ضيق الدُّنيا إلى سعة الآخرة، لذلك الإنسان أيها الإخوة ونحن أحياء ونحن في بحبوحةٍ الآن ؛ نحن أمام خِيار صَعب، يجب أن تختار الآخرة وأن تنقل كلّ اهْتِماماتك إلى الآخرة، ويجب أن تكسب المال من أجل إنفاقه في سبيل الآخرة، ويجب أن تُربِّي أولادك من أجل أن يرْضى الله بك في الآخرة، وأن تأخذ بيَدِ زوْجَتِك إلى الله تعالى ورسوله من أجل أن تسْعد بها في الدنيا والآخرة، فلذلك هذا الخِيار الصَّعب ؛ إما أن تختار الدنيا وإما أن تختار الآخرة، فإن اخْترتَ الدنيا أعطاك بعضها، ومالك في الآخرة من خلاق، وإن اخْترتَ الآخرة أعطاك الدنيا والآخرة، من شغلهُ ذِكري عن مسألتي أعْطَيتُهُ فوق ما أُعطي السائلين، عبدي كُن لي كما أُريد أكُن لك كما تُريد، وكُن لي كما تُريد ولا تُعْلمني بِمَا يُصْلِحُك، أنت تريد وأنا أُريد فإذا سلَّمتَ لي فيما أريد كفَيْتُكَ ما تريد، وإن لم تُسلِّم لي فيما أريد أتْعَبتُكَ فيما تريد ثمَّ لا يكون إلا ما أُريد وخلقتُ لك السماوات والأرض ولم أعْيَ بِخَلقِهِنّ، أفَيُعْييني رغيف أسوقُهُ لك كلّ حين، وعِزَّتي وجلالي لي عليك فريضة ولك عليّ رِزْق، فإذا خالفْتني في فريضتي لم أُخالفْكَ في رِزْقِك، إن لم ترْض بما قسَمْتُهُ لك فلأُسلِطَنَّ عليك الدنيا، ترقُد فيها رقْد الوَحش في بريَّة، ثمَّ لا ينالكَ منها إلا ما قسْمته لك ولا أُبالي، وكنتَ عندي مذمومًا.

آية دقيقة جدًّا، ونحن أمام خِيارٍ صَعب، ويجب أن تختار الآخرة، فإن اخْتَرتَ الآخرة جاءَتك الدنيا وهب راغمة، أما إن اخْترتَ الدنيا أعطاك الله بعضَها، قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20)﴾

[سورة الشورى]

هناك معنى ضِمني، إذْ يستحيل أن تشتغل بِطاعة الله، ويشْغَلَك بِغَيرِهِ، أنت حينما تنْصرف إلى الله تتقدَّس نفْسُك، وعندها تكون أكرم على الله من أن يُخيفك، ومن أن يُذِلَّك ويشْغلَك بِنَفْسِكَ، فالذي ينصرف إلى الدنيا، وهو غافل ساهٍ لا بدّ من صَحْوةٍ يوقِضُه بها الله، أما إذا انْصرف إلى الله هو أكْرمُ على الله من أن يشْغلهُ بما سِواه، ذكروا أنَّ الإمام أبا حنيفة قرأ حديثًا عطفهُ مائة وثمانين درجة، قال: من طلب العِلم تكفَّل الله له بِرِزْقِه! ليس المعنى أن يَجِد تحت الوِسادة مالاً، ولكن يُوَفِّقُهُ إلى عملٍ وقْتهُ معقول، وأجْرهُ مَعقول ؛ فالذي يُحبّ أن يحضر مجالس العِلم، هذا وقت فأنت حينما تطلب العِلم يُيسِّر الله لك عملاً مُريحًا ووقْتُهُ قليل، ودخلُهُ كبير، فهذا يعني أنَّك طلبْتَ العِلم على حِساب الله، أما الذي يقول: أنا لا أطلب العِلم لأنَّه ليس لي وقت !! فهذا يحرق قلبه من العمل، والإنسان إذا أحبّ الدنيا منها بِثَلاث: شُغْل عناه ؛ أعمال فوق طاقته، والله تعالى قادِر أن يشغل لك أعمالك بِأشياء سَخيفة، وقادر على أن يخسرك المئات !! ولكنَّ الإنسان إذا حضر مجالس العلم فقد دفعَ زكاة وقته، وتجد وقته ثمين ولذا أجمل كلمة قيلَت: أنَّ المؤمن مُبارَك، كلمة مُتداولة كثيرًا بمعنى أنَّ الله تعالى بِمَال قليل يُعطيه الخير الكثير، وبِوَقت قليل يُنْجزُ فيه أعمال كثيرة، وبالمقابل تجد من له مال كثير لا يفعل به إلا القليل، وتجده قضى الشهور ولم يحصِّل ولا جزءً ممَّا أراد، ويا أيُّها الإخوة، كلُّكم يعلم أنَّ لو أنَّ أحدًا كلَّفته عمليَّة أربعة ملايين بفرنسا، وبيته ثمنه أربعة ملايين، فأنا لا أشكّ أنَّه يتردَّد ولا ثانية في بيع بيْتِه، طيِّب لو أنَّ إنسانًا مسَك خمسين ألف ليرة وحرقها، فهل تحترم أنت هذا الشخص ؟! تعُدُّه مجنونًا فالذي يُنفق وقته جُزافًا يُعدُّ أشدَّ سفهًا مِمَّن يُحرق خمسين ألف أمامك.

فَمِحور الدرس ؛ أنَّك إن أردت الدنيا وأصْررْت عليها أعطاك الله بعضها وأشقاك بِبَعضها الآخر، وليس لم في الآخرة من خلاق، أما إن أردْت الآخرة أعْطاك الآخرة، والدنيا، وكنتَ أسْعد الناس، فالله يُخيّرنا بين أن نأخذ الدنيا فنأخذ بعضها ونشق بالبعض الآخر، وبين أن نختار الآخرة فنأخذهما معًا، ونكون أسْعد الناس، وطاعة الله هي سبب السعادة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾

[سورة الأحزاب]

وقال تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(132)﴾

[سورة آل عمران]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-12) : تفسير الآيتان 22 - 23

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، ربنا عز وجل يقول في سورة الشورى:

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (22)﴾

[سورة الشورى]

من حكمة ربِّنا في كتابه الكريم أنَّه دائمًا يُزاوِج بين وصْف أهل الجنَّة ووصف أهل النار، وبين الوعيد والوعد وبين حالات النَّعيم وحالات الجحيم.

الحقيقة أنَّ قلب المؤمن يجب أن ينطوي على ثلاثة مشاعر دائمًا: شُعور التعظيم لله تعالى، وشُعور الخوف من الله، وشُعور المحبَّة لله تعالى يُستنبط هذا من أثرٍ قدسي، يقول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربّه: قال يا رب أيُّ العباد أحب إليك حتى أُحبَّه بِحُبِّك ؟ قال: أحبّ العباد إليّ تقيّ القلب، ونقي اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء، احبَّني، وأحبَّ من أحبَّني، وحبَّبني إلى خلقي ! فمِن لوازم محبَّتِك لله أن تُحبّ أنبياء الله وأن تحبّ رسله، وأن تحبّ أولياء، وأن تُحبّ المؤمنين، لذلك هذا الذي لا يحبّ المؤمنين هو دليل نفاقه، قال تعالى:

﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ(50)﴾

[سورة التوبة]

قال: يا رب، إنَّك تعلم أنِّي أُحبُّك، وأُحبُّ من يحِبُّك، فكيف أُحبِّبُك إلى خلقك ؟ قال: ذَكِّرهم بآلائي ونعمائي وبلائي ! الآلاء هي الآيات العظيمة وهذا من أجل أن يُعظِّموا الله تعالى، والآلاء من أجل أن يُحِبُّوني، والبلاء من أجل أن يخافوني، فالدعاة إلى الله إذا أكثروا من ذِكر البلايا والمصائب، والأمراض الوبيلة أخطئوا لأنَّهم ملئوا القلب خوفًا ولم يملئوه محبَّةً، وإذا بالغوا بإظهار النِّعَم، وأغفلوا المصائب والنِّقَم، لذا لا بدّ من أن تعبد الله تعالى رغبًا ورهبًا، ولا بدّ من أن ترْجُوَ رحمته، وتخشى عذابه، ولا بدّ نم أن يجتمع في قلبك حبٌّ وخوف، فالحبّ والخوف يتكاملان ويتوازنان، ولو ازْداد الحبّ على الخوف لقصّرْت في الطريق على الله، ولو ازْداد الخوف على الحب لقعَدْت عن المتابعة إلى الله فالحِكمة البالغة أن تجمع بين الحب والخوف، فربُّنا عز وجل من حكمته في كتابه الكريم أنَّه يجمع بين حالات أهل الجنَّة، وحالات أهل النار.

قال تعالى:

﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾

[سورة الشورى]

الإنسان أحيانًا إذا أراد أن يتحرَّك إلى هدف يحتاج إلى مُشَجِّعات، وأنت كأب أو معلِّم إذا كان عندك إنسان يتحرَّك نحو الأحْسن يجب أن تُشَجِّعهُ وقد ورَدَ عن النبي عليه الصلاة والسلام أنَّه ما مِن صحابيٍّ إلا وكان يظنّ أنَّه أقرب الناس إليه، فإذا كان يقول عن سيّدنا الصِّديق رضي الله عنه ما ساء ني قطّ، لقد أعطاني ماله وزوَّجني ابنته فاعْرِفوا له ذلك وما طلعت شمسٌ على رجل بعد نبيٍّ أفضل من أبي بكْر، ولو كان نبيّ بعدي لكان عمر رضي الله عنه، وكيف لا أستحي من عثمان والملائكة تستحي منه وما ضرّ عثمان بعدما فعله اليوم، أما علي رضي الله عنه فالحديث عنه كثير جدًّا، وسيدنا سعد كان يقول له: ارْمِ سعْدُ فداك أبي وأمي، وسيدنا معاذ قال له: والله إني لأحبّك، وسيّدنا عبيدة بن الجراح قال عنه: إنَّه أمين هذه الأمَّة، وخالد سيف من سيوف الله، فالنبي عليه الصلاة والسلام شجَّعَ أصْحابه، ومنهج الله تعالى في كتابه هو تشجيع المؤمنين على الطاعة، ويُعطيهِ دَفعة روحِيَّة، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23)﴾

[سورة الشورى]

الآن مِحْور الدرس، قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23)﴾

[سورة الشورى]

أحدُ أكبر علامات الدَّعوة الخالصة إلى الله تعالى أنّ الداعية الصادق لا يسأل أجْرًا لا مادِّي ولا معنوي، ولا مديح ولا ثناء، فهو يبتغي وجه الله عز وجل لكن هناك أداة استثناء في الآية وهو أدقّ ما في الآية، قال تعالى:

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾

[سورة الشورى]

إلا أن تعمل عملاً يعبِّر عن مودَّتِك لله يقرِّبك من الله فلو أنَّ أبًا غنيًّا وقويًّا ولا يحتاج ابنه أبدًا، ولكنَّ رحمة الأب تقتضي أنّه إن كان ابنه سعيدًا يسْعد به، يقول له: يا بنيّ، لا أُريد أن تكون شيئًا إلا أن تكون إنسانًا عظيمًا وأن تُوفَّق في حياتك، وأن تكون لامِعًا في الحياة أما أنا فلا أُريد منك شيئًا هذا هو موقف الأنبياء، دخل سيدنا عدي بن حاتم إلى بيت النبي عليه الصلاة والسلام ؛ قال: قذف إليّ وسادةً من أدم محْشوَّة ليفًا، فقلتُ: بل أنت، فقال: بل أنت ! قال: فجلسْتُ عليها، وجلس عليه الصلاة والسلام على الأرض !! هذا هو بيته صلى الله عليه وسلَّم وكان إذا أراد ان يُصلِّي الليل ابْتَعَدت السيّدة عائشة حتَّى يُصَلِّي !! قال تعالى:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23)﴾

[سورة الشورى]

لا قريب ولا بعيد، ولا مادي ولا معنوي، ولا ثناء، ولا مديح، إلا أن تكون أنت مؤمنًا متألِّقًا مستقيمًا هذا يُسْعِد من يدعو إلى الله، فأعظم سعادة تدخل على قلب من يدعو إلى الله أن يرى من حوْله في المستوى المطلوب والراقي، فالداعية يثلج قلبه حينما يرى إخوانه في مستوى الإيمان الحقيقي، أما الذي يبحث عن مكسب مادِّي للدعوة إلى الله ؛ هذا مسكين، واختار الخسيس عن النفيس، وهذه هي الآية

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23)﴾

[سورة الشورى]

الآية لها تفاسير كثيرة، أوْجه تفسير فيها أن تتودَّد إلى الله تعالى بِعَمل صالحٍ كي تتقرَّب إليه، أي أنا لا أريد شيئًا فكلمَّا ارتقى الإنسان مكانه عند الله لا يطلب المكاسب الأرْضيَّة، ولكن يطلب ما عند الله من أجر وثواب فالإنسان في زماننا لا يستطيع أن يدخل عند الطبيب وليس معه خمس مائة ليرة، وهل لك أن تدخل عند محامي أو مهندي من دون أتعاب ؟ إلا بيت الله تعالى ؛ لا رسم اشتراك، ولا بطاقة، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(17)﴾

[سورة القمر]

ذكر لي أخ أنّ سيارته تعطلت فيها العجلة فبقي يوقف الناس حوالي ساعة ونصف فلم يقف له أحد، إلى أن وقف له شخْص، فقال: له تفضَّل الكريك، فهذا الأخ كبر عند قلبه هذا الإنسان، كيف أنَّه أتعب حاله ووقف وفي الأخير هذا الذي وقف طلب من هذا الأخ نقودًا !! فقال الأخ في قلبه: ليْته لم يطلب منِّي !! فالإنسان الذي يأخذ الأجر على دعوته هذا إنسان لا قيمة لِعَمَله، أكيد أنّ المحامي والمهندس لا بد أن يأخذوا ثمن خدمتهم ؛ هذا موضوع ثاني ولكن الأمور الدِّينيَّة لا بد أن تكون له تامَّة.

هذه الآية كبيرة جدًّا تسعُ كلّ الناس، فهناك من لا يتحرّك إلا بِعُمولة، أما موقف الأنبياء والعلماء الصادقين هو: قل لا أسألكم عليه أجرًا ! لا تطلب شيئًا، أدِّ الذي عليك، واطْلب من الله الذي لك، هذا كلام ليس له علاقة بالأعمال الدنيويَّة، فهو حصْرًا في الأعمال الدِّينيَّة، وهناك آية أخرى تعضدها، وهي قوله تعالى ":

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20)اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ(21)﴾

[سورة يس]

فحياة المؤمن مبْنِيَّة على العطاء، أما غير المؤمن فَيُسْعِدُهُ أن يأخذ، وإذا أردت أن تعرف ما إذا كنت من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة أُنظر ما الذي يُسْعِدُك، فإن كان الذي يُسعدك العطاء فأنت من أهل الآخرة، وإن كان يُسعِدُك الأخذ فأنت من أهل الدنيا، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(5)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(6)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(7)وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى()وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)﴾

[سورة الليل]

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23)﴾

[سورة الشورى]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-12) : تفسير الآيتان 27 - 28

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة والعشرون من سورة الشورى، وهي قوله تعالى:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (27)﴾

[سورة الشورى]

الإنسان أوَّل ما يعنيه وُجوده ؛ يُحِب الحياة ويكره الموت، وثاني ما يعنيه رزْقه ؛ وُجودُهُ ورِزقهُ وهذان الأمران بيَدِ الله وحده، فلِكُلّ إنسان أجلٌ لا يتقدَّمه ولا يتأخره فإذا آمن الإنسان هذا الإيمان كان شجاعًا ومِقْدامًا، أما إذا علِم أنَّ رِزقه بيَد الله ما طلبه من حرام، وقد ذكرتُ من قبل حقيقة الرِّزْق، وهي أنَّ تُفَّاحةً على الغصن الثالث في الفرع الرابع في الشجرة الثانية في بُستان فلان هذه التُّفاحة لفُلان إلا أنَّ الإنسان مُخيَّر في طريقة وُصولها إليه ؛ فقد يشْتريها وقد يسْرقها، وقد يأكلها ضِيافةً، وقد يأكلها هديَّةً، فَطَريقة وُصول الرِّزق هي باختيارك، أما ما دام الله عز وجل قد خلقَك، فقد خلق لك رِزْقك، قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ(23)﴾

[سورة الذاريات]

وقال تعالى:

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ(22)﴾

[سورة الذاريات]

إلا أنّ الله سبحانه وتعالى في حياتنا ثبّ َت أشياء كثيرة، وحرَّك أشياء ؛ فَمَثلاً دورة الأرض حول الشمس ثابتة افْتح أيّ تقويم تجد أنّه بعد عشرين سنة سَتَشرق الشمس في الشهر الفلاني على الساعة كذا، معنى ذلك أنّ دورة الأرض ثابتة، وحركة الأفلاك ثابتة وخصائص الأشياء ثابتة، وهذا من أجل أن تنتظم الحياة، إلا أنَّ الله سبحانه وتعالى حرَّك الرِّزق، فقد تأتي أمطار غزيرة، وقد تشحّ الأمطار وقد يأتي رزْق وفير، وقد يقلّ الرِّزق، فالرِّزق متحرِّك، أما سوى الرزق فالكل ثابت، وهذه الثوابت من أجل انتظام الحياة، والمتغيّرات من أجل تربيَة الإنسان.

أوَّل حقيقة في الآية أنَّ الله سبحانه وتعالى إذا قبض، وإذا قلَّل، وإذا قتَّن وإذا أفْقَر لا لِعَجزٍ عنده، ولكن لِتَأديب الإنسان، فتقنين الله تعالى تقنينُ تأديب، أما تقنين الإنسان هو تَقنين عَجْز، فقد تقبضُ يَدَك لأنَّ دَخلك مَحدود، وقد تمْتَنِع عن الإنفاق لأنَّ لا تمْتلِكُ ما تُنفق ؛ هذا شأن الإنسان أما شأن الواحد الدَّيان فقد قال تعالى:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا﴾

[سورة الشورى]

لو هذه في الُّلغة هي حرْف امتِناع لِامتناع ؛ أيْ امْتَنَع البغي في الأرض لامتناع بسْط الرّزق، الإنسان إذا كانت نفسهُ ضعيفة، فالمال الكثير يُعطيه خيارات للفسق كثيرة جدًّا، فربُّنا عز وجل يعْلم حقيقة الإنسان، ويعلم صمودهُ، ويعلم هشاشة مُقاوَمَتِهِ، فإذا علِمَ في عبده ضَعًا في الإرادة أو الثبات على الحق لا يُعطيه فرْصةً يَفْسِق، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا﴾

[سورة الشورى]

فبَغْيُهم في الأرض بِسَبب الرِّزق، لذا ربُّنا عز وجل يُقَتِّن، من هنا قال الله عز وجل:

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي(15)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي(16)﴾

[سورة الفجر]

من قال لك: إنّ تَقنين الرِّزق إهانة ؟ إنَّه ترْبيَة، ومن قال لك إنَّ بسْط الرِّزق إكرام ؟ نَّه ابتلاء، أيْ يا عبادي ليس عطائي إكرامًا، ولا منْعي حِرمانًا، إنَّ عطائي ابتِلاء وحِرماني دواء؛ هكذا ينبغي أن نفْهم، وبالمناسبة أيُّ حظٍّ من حظوظ الدُّنيا أصابكَ منه شيء، لا يُسَمَّى نعمةً كما أنّه لا يُسَمَّى نِقمةً ؛ موقوف على نوع اسْتِخدامِهِ، فلو أنفقْت المال في طاعة الله تعالى، ووظَّفْته في سبيل الله، انْقلَبَ هذا المال من ابْتِلاء إلى نعمة ولو أُنْفِقَ هذا المال في معصِيَة الله، انْقلبَ المال من ابتلاء إلى نِقمة، فالمال والصِّحة والفراغ، والوسامة والقوَّة والذَّكاء، وطلاقة اللِّسان، والشَّان الاجْتماعي ؛ كلّ حُظوظ الدنيا سُلَّم نرْقى بها، أو دركات نهْوي بها كلّ حظوظ الدنيا موقوفة على نوع اسْتِخدامها، قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي(15)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي(16)﴾

[سورة الفجر]

لذا لا تقل هذا إكرام، ولا تقل هذه إهانة، ليس العطاء إكرامًا ولا المنْعُ إهانةً ؛ إنَّما العطاء ابتِلاء، والحِرمان دواء.

إذًا كما قال تعالى:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا﴾

[سورة الشورى]

لأنَّ الله تعالى يقول:

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ(21)﴾

[سورة الحجر]

يُقال لك: هناك نقْص بالمواد، وشحّ بالمياه، وحرب مياه، وتفجُّر سكاني لا يُقابله النموّ الزِّراعي ؛ هناك حِسابات خاطئة يقولها الذين لا يعرفون الله عز وجل، أذكر مرَّةً أنَّه في سنةٍ من السَّنوات كان مستوى المياه الجوْفيَّة في الشام إلى أدنى مستوى، وكنَّا على وشَك الجفاف الكامل، ثمّ جاءَت سنة كان في المطر غزيرًا ففجَّر ينابيع كان غائرة من ثلاثين عامًا، وجاء الإنتاج الزِّراعي بِكَمِّيات فلكيَّة، فقد كانت حاجتنا مليون طنّ، وحصدنا ثلاثة ملايين طنّ ! فالله تعالى إذا أعطى أدْهش، والله تعالى ثبَّتَ أشياء، وحرَّكَ أشياء، فالذي ثبَّتَهُ لانتِظام الحياة، والذي حرَّكه لِتَربيَة الناس، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾

[سورة الشورى]

لو الواحد سأل هذا السُّؤال: كيف أزيدُ رِزقي ؟ الجواب: قال تعالى:

﴿وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(16)﴾

(سورة الجن)

والآية الثانية قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(96)﴾

[سورة الأعراف]

الثالثة قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ(66)﴾

[سورة المائدة]

وقال تعالى:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(10)﴾

[سورة نوح]

فالاستغفار والاسْتِقامة، وصِلة الرَّحِم تزيد في الرِّزق، فكلٌ مِنَّا جعل الله له مالاً بين يَدَيه ؛ يستطيع أن يتفقَّد به من حوله ؛ هذه الصِّلة تزيد في الرِزق، وإتقان العمل يزيد في الرّزق، قال تعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى(132)﴾

[سورة طه]

بيتٌ تُقامُ في الصَّلوات الخمس، والأب يأمر بالصلاة، هذا البيت مُبارك، وله رِزق وفير، لذا هناك عوامل كثيرة تزيد في الرِّزق ؛ منها ما سبق، ومنها الأمانة، فكلّ هذه العوامل تزيد في الرِّزق، والله سبحانه وتعالى كي يربّينا، ويدفعنا إليه جعل الرِّزق غير ثابت، لماذا المُرابي بعيد عن الله فهذا له رِبْحٌ ثابت لا تهمُّه الأمطار، ولا رواج بِضاعة، أما غيره تجده يدعو الله تعالى، فبَيْع البضاعة بيدِ الله، والمُزارِع يدعو الله بالمطر فهؤلاء ينتظرون رحمة الله، لذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعل الرِّزق متغيّرًا كي يرْبطنا به، لأنّ ثاني أهمّ شيء في حياة الإنسان رِزقه، والله عز وجل خلق فينا دافِع الجوع، ودافِع الزَّواج، ودافِع العلوّ، وهذه الدوافِع الثلاث لولاها لما تحرَّك إنسان ؛ فَمِن أجل أن تأكل تدرس، ومن أجل أن تأكل تعمل، ومن أجل أن تأكل تُؤَسِّس عملاً ؛ لذا دافِعُ الجوع هو الذي يُحرِّك الناس.

أيها الإخوة، قال تعالى:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾

[سورة الشورى]

فلا رِّزق دقيق، والشيء الثاني، وهو أنَّ الرِّزق المُقنَّن يُمْتحنُ به الإنسان فإذا قال لك شخص: أقمْتُ عقْد قِران بِستِّين مليون، نقول له: نحن نُزوِّج به مائة وعشرين شاب، نزوِّجهم، وأنت أنفقْتهم في ليلة واحِدة ! لذا ما أتخم غنيّ إلا بِجُوع فقير، قال تعالى:

﴿وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾

[سورة الشورى]

قال: بعض الكلاب في أمريكا، تأكل من اللحم ما لا يأكله الشّعب الهندي من اللحم ! شعوب تموت من الجوع، وشعوب تُطْعم كلابها من اللَّحم ما لا يأكله الشَّعب الهندي بأكمَلِهِ، وهذه أستراليا تعدم عشرين مليونًا غنمًا بالرَّصاص للحِفاظ على أسعار اللَّحم المرتفعة، وشعوب أخرى تموت من الجوع كالصومال ! لذلك العقاب كان أنَّ الله تعالى أنزل عليهم بلاءً بِقَتل ثلاثة عشرة مليون بقرة من أنّها مصابة بالجنون، وثمن هذه الأبقار ثلاثة وثلاثون مليون جنيه استرليني !! فكان هذا عقابهم، لأنَّهم كانوا يُطعمون البقر لحوم الجِيَف فجنَّ البقر ! وانتقل هذا المرض للإنسان، وقد قال بعضهم: إنَّ جنون البقر من جنون البشر، حينما خرجوا عن منهج الله جُنَّت البقر، وانتقل هذا المرض للإنسان ! قال تعالى:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾

[سورة الشورى]

ولو بسَط الله الرزق لعباده لبغوا..يشاء" والحقيقة لما يكون الإنسان فقيرًا لا يكون معه فرصة لعصيان الله تعالى، فهذا له أجر على استقامته، أما الذي معه المال ويبقى على الصراط المستقيم ؛ فهذا له أجر عظيم جدًّا، وقد استعاذ النبي عليه الصلاة والسلام من الفقْر والكُفْر، وسأل الله التُّقى والعفاف والغنى،

((فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ *))

[رواه مسلم]

غِنَى الكِفاية لا غِنى البَطر، هذا الذي أراده النبي عليه الصلاة والسلام، كما أنّ هناك فقْر الكسل، وفقْر القَدَر، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (27)﴾

[سورة الشورى]

يعلم حقيقة الإنسان، وهشاشة مُقاومتِهِ ومدى صُموده أمام المُغريات.

قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28)﴾

[سورة الشورى]

يقول أحد العارفين بالله: ربما كان المنعُ عَين العطاء، وربّما كان العطاء عَين المنْع ! وإذا كُشِفَت لك الحكمة في المنع عاد المنعُ عَين العطاء فالمؤمن مستسلِم لقضاء الله، لأنَّه يعلم أنَّه لكلّ شيء حقيقة، وما بلغَ عبدٌ حقيقة الإيمان حتَّى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن لِيُخطئهُ، وما أخطئه لم يكن ليُصيبه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-12) : تفسير الآية 30

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الكريمة الثلاثون من سورة الشورى، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)﴾

[سورة الشورى]

مع أنَّ هذه الآية واضِحة الدلالة أو قطْعيَّة الدلالة، ومع أنَّ هذه الآية في كتاب الله، ولكن كثيرًا من المؤمنين ضِعاف الإيمان، لا يستطيعوا أن يفْهموا المصيبة كما أراد الله تعالى أن نفْهمها.

الله جلّ جلاله غنِيّ عن تعذيبنا، لأنَّه يقول:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147) ﴾

[سورة النساء]

ولأنّ الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة جدًّا، يبيّن عدالته المطلقة قال تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

[سورة الزلزلة]

ولأنَّه يقول في كتابه:

﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(17)﴾

[سورة غافر]

ولأنَّه تعالى يقول:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(40)﴾

[سورة العنكبوت]

ولأنَّ الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي يقول:

﴿عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(36)﴾

[سورة التوبة]

فالإنسان حينما يتَّهِم نفْسه عندما تلِمُّ به المصيبة ؛ هذا الاتِّهام صحيح طبْعًا لا شكَّ أنَّ المصائب تنقسم إلى خمسة أقسام: قسمان منها تُصيبُ العُصاة، وثلاثة أقسام منها تُصيب المؤمنين.

أما المصائب التي تُصيب العصاة، إنَّها مُصيبة قصْمٍ، أم مصيبة ردْعٍ إنسان خارج المنهَج يأكل مالاً حرامًا، ويعتدي على أعراض الناس ويوقِع بينهم العداوة والبغضاء، ويخون ويكذب، ولا يستقيم على أمر الله هذا العاصي إما أن يقْصِمَهُ الله، قال تعالى:

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(36)﴾

[سورة هود]

إما أن يقْصِمَهُ الله تعالى، وإما أن يرْدَعَهُ، فالذي خارج منهج الله عز وجل، ولا يعْبأ بِكَلام الله، ولا يأتَمِر بما أمر، ولا ينتهي عمَّا عنه نهى وزَجَر، هذا تُصيبُهُ مصيبة القصْم أو الرَّدْع، أما هؤلاء المؤمنون، قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ(155)﴾

[سورة البقرة]

أما المؤمنون يُصابون بالمصائب، وهم مستقيمون، فالقرآن الكريم يُخاطب كلّ الناس بهذه الآية:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)﴾

[سورة الشورى]

ويُخاطب المؤمنين بِآيةٍ أخرى هي قوله تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ(155)﴾

[سورة البقرة]

فالإنسان إذا كانت حركتُهُ إلى الله تعالى ضَعيفة، وهِمَّتُهُ بطيئة، وليْسَت عاليَة، ومُتكاسِل في السَّعي إلى الله عز وجل، تأتيه مُصيبة الدَّفْع، كأنّ الله سبحانه وتعالى يسوقهُ إلى بابه، ويدفَعُهُ إلى الجري السريع، ويحْمِلُ على أن يفْعَلَ النوافل، وعلى أن يُحْكِمَ الاتِّصال، ويُخْلِصَ النِّيَّة، يا أبا ذرّ جدِّد السَّفينة فإنَّ البحر عميق، وأخْلص النيَّة فإنَّ الناقد بصير، وخَفِّف الأثقال فإنَّ في الطريق عقبة كؤود لا يَجتازوها إلا المُخِفُّون، وأثقِل الزاد فإنَّ السَّفَر بعيد، فهذه المصيبة هي مُصيبة الدَّفْع، فإذا كان الإنسان مستقيمًا وجاءَتهُ مصيبة، كلَّما أساء الظنّ بربِّه كان أفْضَل، ولكنَّه لو كان مستقيمًا فِعلاً، ويطلب رضاء الله فِعْلاً وجاءَتهُ مصيبة ؛ هذه مُصيبة المؤمنين، وهي مصيبة الدَّعاء إلى الله.

وقد تكون المصيبة مُصيبة الرَّفْع، فلو أنّ سيارة تستطيع حمْل خمسة أطنان وهي تحمل طُنًّا واحِدًا، والأجْر غالي جدًّا، فإذا حمَّلناها أربعة من أجل أن تقْبض أكبر مبلغ، نقول: هذه مصيبة رفْع الدَّرجات، أما مصيبة الأنبياء فهي مُصيبة كَشْف، فحينما ذَهَب صلى الله عليه وسلَّم إلى الطائف وقابلَهُ أهلها بالتَّكذيب والسُّخْرِيَّة، بل والضَّرب، وألْجِأ إلى حائِطٍ أو بستان

قال: إن لم يكن بِكَ غضب عليّ فلا أُبالي، ولك العُتبى حتّى ترضى، ولكنّ عافِيَتَك أوْسَعُ لي، وجاءَهُ جبريل، وقال له: يا محمد، لو شِئْتَ لأطْبقتُ عليهم الأخشبين ! فقبل أن يتمكّن نقول: صبَر، وكان مَقهورًا أما حينما مكَّنَهُ الله أن يجعلهم بين جبلَين، وأن يسْحقهم، وعالِيَها سافلها فقال: لا، اللَّهمّ اهْدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون !! فهو لم يتخلَّى عنهم، ودعا لهم بالهِداية، واعتذَر عنهم، ثمَّ تفاءَلَ في المستقبل، فقال:لعلّ الله يُخرج من أصلابهم من يوحِّدك !! هذا الموقف سُجِّل للنبي عليه الصلاة والسلام، لذا قال ك سَلوا لي الوسيلة فإنَّها مقامٌ لا ينبغي إلا لواحِدٍ من خلقه، وأرجو أن أكون أنا، وبهذا الموقف الرائع ارْتقى النبي إلى سِدرة المنتهى، متى ردَّ الله عليه هذا الدُّعاء ؟ كان الردّ الإلهي في الإسراء والمِعراج ؛ أعلَمَهُ الله أنَّه سيّدُ الخلق أجمعين، وأنَّه سيّد الأنبياء والمرسلين، وأنّه سيّد ولد آدم وأنَّه حبيبه.

أيها الإخوة الكرام، نقيس على قياسًا صغيرًا، ما من عملٍ تعملهُ خالصًا لله، وتبتغي به رِضوان الله، ولو كان هناك متاعب، وتشْويش، ومُعارضَة، الله عز وجل له ردّ، ولو تأخَّر، فإذا علِمَ الله منك صبْرًا وإخلاصًا وثباتًا، وتضْحِيَةً بِمَصالِحِك، يأتيكَ بعد حين ردّ فوق الوصْف ويرفَعُكَ الله تعالى، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(1)وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ(2)الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ(3)وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(4)فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(5)إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(6)فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ(7)وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ(8)﴾

[سورة الشرح]

وهذا لكلّ مؤمن، والمضايق التي مرَّ بها النبي عليه الصلاة والسلام والصُّعوبات التي عاناها، هذه ثَمَن مقامِهِ الرَّفيع، وثمن المقام المحمود قال تعالى

﴿ أَقِمْ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا(78)﴾

[سورة الإسراء]

وإذا أردتَ أيها المؤمن أن يرفَعَ الله ذِكْرك، ويرفعك إليه، يجب أن تلتزِمَ أمره ونهْيَهُ، لو طِرتَ في الهواء، ومشَيت على وجه الماء لسْتَ وليًّا ولكنَّ الوليّ كلّ الوليّ الذي تَجِدهُ عند الحلال والحرام، قال تعالى

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(62)﴾

[سورة يونس]

هذه هي الولاية فيا أيها الإخوة، النوع الثاني قضيَّة الدَّفع، والمصيبة الأولى للمؤمنين، والمصيبة الثانية رفْع، وأما للأنبياء فهي كَشف، فأصبَحَ عندنا قَصم، وردْع ودَفع، ورفع وكشف، أما الآية التي تسَعُ الناس جميعًا:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)﴾

[سورة الشورى]

ورد في الجامع الصغير: ما من عثرة، ولا اختلاج عرق ولا خدْش عود إلا بما كسبت أيديكم وما يعفو الله أكثر.

تُرْوى قِصَّة طريفة أنّ سوحة جاءت سيِّدنا سليمان، قالت له يا نبيّ الله سَل ربَّك: هو مَهول أم عَجول ؟! فلمَّا سال الله عز وجل، وقال: يا ربّ ماذا أُجيبها ؟! قل لها: إنَّني مهول ! أي لا أُعاقب سريعًا، فرأتْ أُناسًا يشْرون لحْمًا فخطفَت قِطعة اللَّحم وطارَت بها، وغاب عنها أنّ جمرة علِقت باللَّحم، فلمَّا وضَعت اللَّحم في العشّ احْترَقَ العُشّ ! واحترَقَ أبناؤها وأصابتها مُصيبة كبيرة، فعادَت إلى سيّدنا سليمان، ألم تقل إنَّ الله مهول؟ فجاء الجواب: أنّ هذا الذي ألَمَّ بك هو حِساب قديم !!! ما من عثرة، ولا اختلاج عرق ولا خدْش عود إلا بما كسبت أيديكم وما يعفو الله أكثر.

وهناك نقطة دقيقة، وهي أنّ أخوك إن أصابته مصيبة الأكمل أن تقول: إنَّها رفعُ درجات، وتَطهير، لأنَّني أعلم أنّ أخي صادِق، أحْسبهُ صادِقًا وأحْسبُهُ مستقيمًا، وأحْسبُهُ ورعًا، وأرجو أن تكون مصيبته رفْعًا لِدَرجاته عند الله، أما إذا أصابتني مصيبة فلا ينبغي أن أقول: هذه رفع لي للدرجات، ولكن قل: لعلّ هذه تَطهير من ذنوبٍ صَدَرتْ مِنِّي، وسيِّدنا عمر رضي الله عنه كان إذا أصابتْهُ مصيبة قال: الحمد لله ثلاثًا، الحمد لله إذْ لم تكن في ديني، والحمد لله إذْ لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذْ أُلْهِمتُ الصبر عليها.

هناك مصائب لا تُعدُّ ولا تُحْصى، ومصائب بالنَّفس والأهل، والأهل والأولاد، وبالعلاقات الاجتماعيَّة، ومصائب بالصّحة ؛ هذه المصائب أنا أُشَبِّهها كالمِكْبح في السيارة ؛ فلماذا صُنِعَت السيارة ؟ صُنِعت من أجل أن تسير، طيّب ما علاقة المِكْبح ؟ إذْ هو مُخالف لِهَدَفها، فهو يوقِفُها ! معنى ذلك أنّ المِكْبح ضَمانٌ لِسَلامتها، وأنت مَخلوق لِيَرحمك الله، ولِتَسْعد بالله تعالى، وتأتي المصائب ضَمانات لِسَلامة هذه السَّعادة، فالإنسان إذا انْحرف وبغى ترْدَعُهُ المصائب، ويعود إلى ما كان عليه، فكل إنسان إذا كان منْصِفًا، وخالصًا، وصادِقًا يكْشف الله حكمة المصيبة، قال تعالى

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(11)﴾

(سورة التغابن)

لأنَّ الله تعالى مُربِّي، فإذا ساق للإنسان مصيبة ولم يبَيِّن له حِكمتها فلا فائدة من هذه المصيبة، كيف يُبيِّن له سببها ؟ يُلقي في روعِهِ أنَّ هذه من أجل تلك، أو أن يجعل العقاب مُشابه للذَّنب، أو يُسَخِّر من يقول له ذلك ! فهذه كلُّها دلالات على فهم هذه المصيبة، أما أكبر مصيبة أن تأتي المصيبة ولا يتَّعظ بها الإنسان، ومن لم تُحْدِث المصيبة في نفسِهِ موعظةً فمُصيبتُهُ في نفسِهِ أكبر، فإذا ساق الله للإنسان مصيبة، وفسَّرها تفسيرًا سَخيفًا، هو أنّ الدنيا هكذا يوم لك ويوم عليك، وهذه الحياة إدبار وإقبال، ومدّ وجزر فهذا تفكير شِرْكي، وبعيد عن روح التوحيد، أما القرآن فيقول:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)﴾

[سورة الشورى]

والإنسان إذا راجَعَ نفسهُ هداه الله تعالى إلى العلّة، وتصوّر مؤمنًا جاءتْهُ مصيبة، يقول له: يا رب، أنت الحكيم والعليم والقدير، لما جاءَت هذه المصيبة ؟ أريد أن أعرف السبب حتَّى لا أعود ! هذا هو موقف المؤمن أما غير المؤمن فكالناقة عقلها أهلها ثمَّ أطلقوها، فلا تدري لا لِمَ عقلتْ، ولا لما أطْلقتْ !!

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-12) : تفسير الآيات 37-40 - 43

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الإنسان مخلوق مُخيَّر، وقد أُعْطِيَ منهَجًا دقيقًا، فإذا خرج عن منهَج الله اعْتدى على أخيه، فلأنّ الإنسان مُخيَّر، ولأنّ الإنسان أودِعَتْ فيه الشّهوات، فإذا تحرَّك بِدَافِعٍ من شَهَواتِهِ من دون منهَج من الله عز وجل وقَعَ العُدوان والفساد، فأسباب الفساد والعُدوان أنَّ مخلوقًا مُخيَّرًا أودِعَتْ فيه الشَّهوات، فتحرَّك بِدافِعٍ منها من دون منْهجٍ صحيح فاعْتَدى على أموال الناس، وعلى أعراضِهم، ووقَع الخصومات والمُشاحنات. أن تعتدي على الآخرين ؛ هذا سمّاهُ القرآن الكريم بَغْيًا، يقول الله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (38) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39)﴾

[سورة الشورى]

الشاهد إذا أصابهم البغي هم ينتصرون، فمن صفات المؤمنين أنَّهم ليْسوا خانِعين، وليْسوا مستسلمين، وليْسوا ضِعافًا، فالله معهم، وهو ينصرهم فَمِن خصائص المؤمن المسلم أنَّه إذا أصابهُ بغْيٌ ينتصر، فإذا كان ضعيفًا يقول: ربِّي إنِّي مغلوب فانتَصِر، إما أن تنتصِر أو تدعوَ الله عز وجل أن ينْصرَكَ.

النقطة الدقيقة، إذا انتصروا لا ينبغي أن يُبنى على ردّ البغي بغْيٌ، إذْ هناك من يبني على ردّ البغي بغْيًا آخر، قال تعالى:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)﴾

[سورة الشورى]

فقَوْلُ عوام الناس: سَأَكِلُ له الصاعَ صاعَين !!هذا خِلاف القرآن، وسأُنَكِّل به، هذا خلاف القرآن، ولكن المنهج القويم، ومنهج العدل قال تعالى:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾

[سورة الشورى]

ففي بعض الدِّيانات من ضربك على يدِك الأيْمَن فأَدِر له الأيْسَر.

إلا أنَّه أحيانًا يغلبُ على يقينك، أنَّك إذا عفوتَ عنه قرَّبتَهُ إلى الله وأصْلحته، وأنْهضْتَهُ، وأقلْت عثْرته، ومالك إليك، وإلى دينك، ومال إلى منْهج الله، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة الشورى]

العفو هنا مُقيَّد بالإصْلاح، فالعَفْو أحيانًا يُصَغِّرك عند خَصْمِكَ، ويظنُّك ضعيفًا ! فالعَفو مُقيَّد بالإصلاح، فإن غلب على ظنِّك أنَّ عَفْوَكَ على أخيك يُصْلِحُهُ ويُقرِّبه ويجعله يعظِّم الإسلام، يذوب في كرمك، قال: ينبغي أن تعفو عنه وحينما تعفو عنه الله جلّ جلاله هو الذي سيُكافِئُكَ، لِتَوضيح المعنى لو قال ملكٌ لِمُواطِن: أنا سأُكافِئُكَ، فما معنى أن يقول ملك لِمُواطِن سأُكافِئُكَ ؟ ماذا سيُعْطيه ؟ مائة ليرة ! أقلّ عطاء بيت، أو فيلا، أو سيارة، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة الشورى]

إنَّك حينما تعْفو عن أخيك بِنِيَّة أن تُصْلِحَهُ وتأخذ بيَدِهِ، فأنت تحْتسِبُ هذا العمل عند الله، وأقرضْتَ الله قرْضًا حسنًا ولأنَّه أحدُ عباده، والخلق كلُّهم عِيَالُ الله، وأحبُّهم إلى الله أنْفعهم لِعِيالِهِ فالآية تُنظِّم علاقتك مع الآخرين عند البغي والعدوان، صار هناك بغي أو تجاوُز أو عُدوان ؛ يجب أن تُفكِّر أن تنْتقِم لِنَفْسِكَ ليس هذا مِن شأن المؤمن، وأن تشْفِيَ غليلك فليس هذا من شأن المؤمن، الغِلّ والحقد والانتقام، المؤمن أرْقى من ذلك إلا أنّ المؤمن يتحرَّك وفْق منهج لو أنَّ هذا السائق الطائش الذي يسْتهين بأرواح الناس لو عفَوْنا عنه لَزِدْناه طيْشًا وتجاوُزًا، فهذا يجب أن نوقِفَهُ عند حدِّه، ويجب أن تُسْلَب حريَّته وأن يدفَعَ ثمن طيْشِهِ واسْتِهتارِهِ بأرواح الناس، قال تعالى:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)﴾

[سورة الشورى]

قال تعالى:

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ(2)﴾

[سورة النور]

إنسان قصَّر وسبَّب مشكلةً كبيرة، جاء مريض للإسعاف، والطبيب تماهل في إسعافه فمات! لا تقل: هذا قضاء وقدر !! هذا يجب أن يُحاسب، وأن يدفع ثمن إهماله، ويجب أن يُرْدع، لذا لا تقوم حياة منظَّمة من دون عقوبات، والحقيقة الإسلام فيه وازِع، ولكن لا يكتفي به بل هناك رادِع فالوازع داخلي، والرادِع داخلي، والمنهج الكامل يجب أن يعْتَمِدَ عليهما معًا، فلو اكتفينا بالوازع لصار هناك تسيُّب، ولو بالغنا بالرادع لصار هناك قسْوة، وظلم، وعُنف والعنف لا يلد إلا العنف، قال تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(139)﴾

[سورة آل عمران]

وقال تعالى:

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ(35)﴾

[سورة محمد]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ(38)﴾

[سورة الحج]

وقال تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ(146)﴾

[سورة آل عمران]

نفس المؤمن عزيزة وقويَّة ويسْتعين بالله، ويتحرّك وفْق منهج الله، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39)﴾

[سورة الشورى]

الآن حينما تنتصر، قال تعالى:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾

[سورة الشورى]

فإذا غلب على ظنّك أنّ عفْوَكَ على أخيك يُقرّبه إلى الله تعالى ينبغي أن تعْفوَ عنه، وعندها أجْرك على الله، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة الشورى]

أيها الإخوة، هناك نقطة دقيقة، حينما يأتيك عُدْوان خارجي، وبغي وظُلم، وعُدوان على مالك، وكرامتك، أوّلاً لماذا المؤمن لا يحْقِد ؟ لأنَّه مُوَحّد، ويرى أنَّ يد اتلله فوق أيدي كلّ الناس، قال تعالى:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(17)﴾

[سورة الأنفال]

وقال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)﴾

[سورة الشورى]

لأنَّك موحِّد فلا تحْقد، الآن تتحرَّك وِفق منهَج، فإذا كان من الحِكمة أن آخذ على يده لن أعْفُوَ عنه، بل أعاقبه بِقَدر ذَنبِهِ، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِي اللَّه عَنْهم يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا *))

[رواه البخاري]

إذا وقف الناس أمام المعتدي موقفًا عنيفًا فالحياة تنتظِم عندئذٍ، أما إن جامَلناه، وتركناه على حاله، وأيَّدناه انْتَشَر الظلم، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39)﴾

[سورة الشورى]

أما إن غلب على ظنِّك أن عفْوَكَ يُقَرّبُه إلى الله، قال تعالى:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)﴾

[سورة الشورى]

فهذا هو منهجنا ؛ لا يوجد الحِقد، لأنَّ لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبدٌ حقيقة الإيمان حتَّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن لِيُخْطِئه وما أخطأهُ لم يكن لِيُصيبه، إنسان عنده موظَّف ولمَّا اختلف معه طردَهُ أراد هذا أن ينتقم فسبَّب له مع الجمارك متاعب كبيرة جدًّا، ففي ساعة حِقْدٍ وغضَب قتلَهُ !! وحُكِمَ بِثَلاثين عامًا سِجْنًا، فهو قتله لأنَّه لم يكن التوحيد في قلبه، فالحِقد سببه عدم التوحيد، فهذا هو منهجنا، والله عز وجل قال:

﴿يَابُنَيَّ أَقِمْ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(17)﴾

[سورة لقمان]

وفي آية أخرى، قال تعالى:

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)﴾

[سورة الشورى]

فالعلماء قالوا: قد يأتي القضاء والقدر مباشرة، فيجب أن تصبر، فلو أنّ إنسانًا وقَعَ ابنه من الشرفة فوقع ميّتًا! لا توجد جِهة تُطالب بِحقّ ابنك منها أما لو أنَّ سائِقًا دهس ابنه، هذه مسألة أخرى، صبر على قضاء الله وغفر للذي أجرى الله القدر على يده، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)﴾

[سورة الشورى]

فالحقد أساسه الشرك والتوحيد يلغي الحقد، وبقي التصرف وفق هذا المنهج فإذا كان أن تأخذ على يده لِتُصْلِحَهُ ينبغي أن تأخذ بيده، وإن كان عفْوُكَ عنه يصلحه فينبغي أن تُصلِحه، فالمهمّ أن يكون الهدف في مصلحة وأجرك على الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-12) : تفسير الآيتان 49 - 50

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية التاسعة والأربعون من سورة الشورى، وهي قوله تعالى:

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)﴾

[سورة الشورى]

أوَّلاً: لله ملك السماوات والأرض، هذه الملكيَّة المطلقة، ملْكِيَّة خَلقٍ وتصرّف، ومصير، وفقد تمْلِكُ ولا تنتفع، وقد تنتفع ولا تمْلك وأوضَح مثل أن تملك بيتًا ولا تنتفعُ به ؛ مؤجَّر قبل السَّبعين، أو لا تملكه وتنتفع به أو تملكه وتنتفع به، وقد يُسْتَملك، ومصيره ليس إليك إلا أنَّ الله سبحانه وتعالى ملْكِيَّتُهُ لِخَلقِهِ ملْكِيَّة مطلقة ؛ مُلْكِيَّة خلق، ومُلْكِيَّة تصرّف، ومُلْكِيَّة مصير، فلا أحد يملِكُ بصرهُ ولا سمْعهُ ولا سُيولة دَمِهِ، ولا دسَّامات قلبهِ ولا انتِظام دماغه، ولا نملِكُ شيئًا، ونحن مالكون لِما ملَّكنا ربُّنا، والذين ملَّكنا إيَّاه يسْلبه منا في ثانية، فالله تعالى إذا أعطى أدْهش، وإذا أخذ أدْهش.

قال تعالى

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ﴾

[سورة الشورى]

الهِبة من دون مُقابل عَقْد الهِبَة ليس عقد عِوَض، وإنما عقد تَمليك من دون عِوَض، فالإنسان إذا أكرمه الله بِوَلَدٍ صالحٍ يجب أن يشكر الله شُكرًا لا حدود له لأنَّه هِبَةٌ مِن الله، قال تعالى:

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ(27)﴾

[سورة العنكبوت]

النقطة أنَّك فيما أنت مُخيَّر به قد تُحْسِن أو تُسيء، وقد تفعلُ خيرًا أو شرًّا وقد تربح أو تخْسَر، فيما أنت مُكلَّف به ؛ أُمِرتَ بالصلاة فأنت تُصلِّي أو لا تُصَلِّي، وأُمِرت بالصِّدق قد تصدق أو لا تصدق، وأمِرْت بأداء الأمانة تُؤَدِّيها أو لا تؤدِّيها فيما أنت مُكَلَّف به تُحْسِن أو تُسيء، أما فيما أنت مُسيَّر به فهو لِصالِحِك، فَلِصالِحِ هذا الإنسان يهَبُهُ إناثًا، أو ذُكورًا، أو يهبه ذكورًا أو إناثًا أو يجعله عقيمًا والمؤمن راضٍ بما أعطاه

الله، فهناك دائرة أنت فيها مُخيَّر، ودائرة أنت فيها مسيَّر، أن يهبك ذُكورًا نُجباء، أو إناثًا صالحات، أو ذُكورًا غير صالحين، أو إناثًا غير صالحات، هذا من حكمة الله ورحمته.

قال بعض العلماء: قدَّم الأنثى على الذَّكر، تقديم تكريم لأنَّها ضعيفة وجاءت كلمة إناثًا مُنَكَّرة، والذّكور معرَّف، فالذَّكر يمشي سافِرًا ومعروفًا، ويقول: أنا فلان بن فلان، وينظر الناس إليه، أما المرأة فلا ينبغي ان تكون مَشْهورة، ولا ينبغي أن تكون معروفةً، ولا ينبغي أن تظْهر أمام الرِّجال، ولا أن تُخالِطَ الرِّجال، ولا أن يُشار إليها بالبنان، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ما أكرمهنّ إلا كريم، وما أهانهنّ إلا لئيم..."، وقال عليه الصلاة والسلام: خيركم خيركم لأهله..." مِقياس الخَيْرِيَّة عند رسول الله داخل البيت أما خارج البيت فكلّ واحد يتجمَّل، وينتقي أحلى الكلمات ويبْتسم، ولطيف ولبق، فإذا دخل البيت فهو الوحش !! فالنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا دخل بيته بسَّامًا ضَحَّاكًا، يقول عن النِّساء إنَّهنّ المؤنِسات الغاليات ! وحينما أمرنا ربُّنا أن نُعاشرهنّ بالمعروف، قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا(19)﴾

[سورة النساء]

فسَّر العلماء المعاشرة بالمعروف لا أن تمْتَنِعَ عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحْتَمِلَ الأذى منها، والذي يصْبر على زوْجته له أجر عظيم، وهو أحد أبواب الجنَّة، والمؤمن حينما يأتيه أولاد من زوْجته يضَع حظَّه تحت قَدَمِهِ من أجل أولاده، ومن أجل أن ينشأ الأولاد في بيتٍ مُنْسَجِم، وما كلّ بيتٍ يُبنى على الحبّ، فآلاف البيوت تُبْنى على المصْلحة، والنبي عليه الصلاة والسلام أجازَ لنا أن نكذب على زوجاتنا لا في صِغار الحاجيات، فهي إن سألتك ؛ هل تُحِبُّني ؟ لك أن تقول لها: نعم وأنت لا تُحِبُّها، فبعض الأزواج يفهمون أنَّ الكذب على الزَّوجة في أسعار الحاجيات، فما هذا الذي أمرنا به النبي صلى الله عليه وسلم، وقد سألت السيِّدة عائشة النبي عليه الصلاة والسلام: كيف حبُّك لي ؟ فقال: كَعُقْدة الحَبْل ! فكانت من حين لآخر تسأله: كيف العقْدة؟! يقول: على حالها !! فَمِن الحِكمة أن يؤكّد الزَّوج لِزوَجَتِهِ انَّهُ يُحِبُّها، ولو لم يكن يحبُّها، وأخطر شيءٍ في السَّعادة الزَّوجيَّة أن تُشير إلى نقائِصِها في خَلْقِها

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ *))

[رواه الترمذي]

لا تُشِر إلى عُيوبٍ لا دَخل لها بها، ولا إلى عيوب لَيْسَت من صُنعها ؛ هذا هو الزَّوج المؤمن وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ *))

(رواه البخاري)

فلذلك قدَّم الإناث على الذُّكور تقديم تكريم، وكرّم الذُّكور على الإناث تكريم تعريف، والإناث جاءت نكرة للدَّلالة على أنّ المرأة لا بدّ أن تكون مُحَجَّبة فإن لم تكن مُحَجَّبة كانت مَحجوبة من الله تعالى، فالمرأة السافرة محجوبة عن الله تعالى.

قال تعالى:

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)﴾

[سورة الشورى]

في دولة كبرى بآسيا فيها ملِك جعله الله تعالى عقيمًا، ما معنى ملك ؟ الأمور كلّها بيَدِهِ، وما استطاع أن يُنْجِب ولدًا من هذه الزَّوْجة، أما إذا كان الإنسان عندهُ ضَعف بالحُوَينات فالطبّ تقدَّم، وأمكن أن تُقيم طِفل أُنبوب، تزْرع الحُوَين برَحِمِ زوْجَتِك هذا مُباح وقد أقرَّه مجْمع الفقه الإسلامي، فهناك أزواج لا يُنجبون والعلم تقدَّم وبالإمكان أن ينجب عن طريق الأنابيب، ولا يفعل هذا ثمّ يُطَلِّق زوْجته لأنَّها لا تُنْجِب. أما إذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودًّا وهو كظيم، مع أنّ المرأة لا علاقة لا بِجِنس المولود، هذا ما أكَّدَهُ العِلم، أن يكون المولود ذَكَرًا فهذا مِن حُوَين الرَّجل، أن يكون أنثى من حُوَين الرَّجل، لذا امرأة في الجاهليَّ قالت:

ما لأبي حمزة لا يأتينا غضبان أن لا نلد البنين

والله ما هذا بأيدينـا وإنما نعطي الذي يُعطينا

فالمرأة لا علاقة لها بالموضوع، فهذا حلف بالله إن أنْجَبَت أنثى يُطَلِّقُها علَّق الطلاق، فإذا بامرأتِه تنْجب توأمان أنثى !! فلم يقَعِ الطَّلاق !!! قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(35)﴾

[سورة آل عمران]

فالذي يكره البيت يأتيه الخير من ابنَتِهِ لا يعلمه إلا الله، لذلك لما جاءته عليه الصلاة والسلام فاطمة: ضمَّها وشمَّها وقال: ريْحانة أضُمُّها وعلى الله رزْقها..." والبنت غاليَة جدًّا، وكلّما هبط الإنسان مستواه الإنساني، وكان أقرب إلى الحُمق يتألَّم من البنت !

هل تُصَدِّق أنَّ هذه البنت التي في بيتِك ربَّما تكون سبَبًا في دُخولك الجنَّة ؛ هذا كلام رسول الله،

((فعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ اتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ))

[رواه أحمد]

فهل تتألَّم إن جاءتك بنات ؟

هم الأحبّة إن جاروا وإن عدلو ا وليس لي عنهم مَعدل ون عدلوا

والله وإن فتَّتوا في حبِّهم كبدي باق على حبِّهم راضٍ بما فعلوا

فالذَّكر والأنثى ؛ هذه هدايا من الله تعالى، قال تعالى:

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)﴾

[سورة الشورى]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (11-12) : تفسير الآية 47

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة والأربعون من سورة الشورى، وهي قوله تعالى:

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (47)﴾

[سورة الشورى]

القضِيَّة في الدِّين هي قضِيَّة اسْتِجابة، وليسَت قضِيَّة إيمان، فإذا آمنْتَ بأنَّ الله موجود، أنت ماذا فعلْت ؟ هو موجود، إذا آمنْتَ بأنَّ الشَّمس ساطِعة ماذا فعلْت ؟ هي أصلاً ساطعة، هذا اسمُهُ تَحصيل حاصِل، إذا أنكرْتَ سَقَطت من أعْيُن الناس، أما إذا أقْررْتَ فما فعلْت شيئًا، فالإنسان حينما يكون جلدُهُ بِحاجة ماسَّة إلى الشَّمس، وآمنَ بأنَّ الشَّمس ساطعة عليه أن يتحرَّك نحوها، فالمُعَوَّلُ عليه في الدِّين أن تسْتجيب لله تعالى، أما إذا آمنتَ به، ولم تسْتَجِب، ما فعلْتَ شيئًا، بل إنَّ هذا الإيمان سيكون حسْرةً يوم القيامة، بل إنَّ هذا الإيمان سيُضاعف العذاب يوم القيامة، لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا(145)﴾

[سورة النساء]

ربُّنا سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(110)﴾

[سورة الكهف]

كأنَّ الله عز وجل بِهذه الآية يُلخِّص القرآن كلَّه، فأنت ما موقفُكَ من هذه العقيدة قال تعالى:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

[سورة الزلزلة]

الدِّين كلّه أن ترجو لقاء الله عن طريق العمل الصالح، فثَمَن لقاء الله تعالى العمل الصالح، وهذا هو الدِّين كلُّه، فالإنسان إذا كانت ثقافتهُ الإسلاميّة جيِّدة، وتطِّلعاته وخلفيَّاته وعاطفته جيِّدة، ولكن لا يوجد عنده عمل ولا حركة، ولا موقف قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله..." الله جلّ جلاله يعدّ الحياة الحقيقيَّة ؛ حياة الجسد، وحياة القلب، وحياة العقل، فحياة العقل بالعلم وحياة القلب بالذِّكر،و حياة الجسد بالطَّعام والشَّراب، قال تعالى:

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (47)﴾

[سورة الشورى]

وقال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ(38)﴾

[سورة التوبة]

لأنّ الله سبحانه وتعالى ربُّنا فلو أنَّ العبد الذي يُربِّيه الله تعالى أخذَ موقفًا غير صحيح، لا يدعُهُ وشأنه بل يربّيه، قال تعالى:

﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(39)﴾

(سورة التوبة)

إن اتَّخَذت القرار الصحيح واتَّجَهت إلى الله، فهذا شيء جيّد، وإن لم تفعل تعذَّب عذابًا شديدًا، فإذا أصْرَرْت استبدل قومًا غيرنا، فالله ربنا، ما دُمتَ تتحرَّك حركةً صحيحة فهو يحْفظك، ويُؤيِّدُك، أما إن أردْت أن تفْعَل شيئًا آخر لا يدعك وشأنك لأنَّه لو تركك وشأنَكَ لعاتبْتَهُ يوم القيامة !! قال تعالى

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى(134)﴾

[سورة طه]

فلو أنَّ الابن بِساعة طَيْش، وحُمق اتَّخَذ قرارًا بِتَرك المدرسة، فقال له أبوه: كما تشاء ! هذا الابن حينما يكْبر يقول له: لو ضربتني، ولولا عنَّفتني، لقد ضيَّعتُ مستقبلي، وأنت السّبب! فالنُّقطة أنَّ الإنسان إن لم يسْتَجب يُعذَّب، قال تعالى:

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(سورة التوبة)

موطِنُ الشاهد أنَّ الدِّين ليس أن تؤْمِن فاليمان ليس هدفًا بِذاتِهِ ولكن هو وسيلة، فأنت تؤمن من أجل أن تستجيب لله، ومن أجل أن تطيعه، وتصل إليه، لذا الآية الكريمة:

﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (47)﴾

[سورة الشورى]

لا تُحاسب نفسَك وتقول: أنا مسلِم، وأنا مؤمن، ونحن نشأنا في بيئةٍ إسلاميَّة، حاسِب نفْسَكَ، هل دخْلك فيه شُبْهة ؟ وعلى إنفاقك وعلاقاتك وعلى علاقاتك الاجتماعيَّة، وعلى دخلك، وإنفاقك، وزوجتك، وبناتك وعلى أولادك، هنا تُحاسبُ نفْسَكَ.

النقطة الثانية في هذه الآية أنَّ خيارك مع الإيمان هو خيار وقت، فإن لم تستجب، قال تعالى

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ(22)﴾

[سورة ق]

حينما أدركه الغرق، قال تعالى عنه:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ(90)﴾

[سورة يونس]

ما من إنسان على وجه الأرض إلا وسيُؤْمِن بالحقيقة التي جاء بها الأنبياء فإن آمن بها وهو حيّ يُرْزَق انتَفَع بها، وإن آمن بها وهو على فراش الموت زادَتهُ حسْرةً ! قال تعالى

﴿ يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي(24)فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ(25)وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾

[سورة الفجر]

وقال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي(25) ﴾

[سورة الحاقة]

أيها الإخوة، النقطة الأولى والثانية، فالأولى المُعَوَّل عليه في الدِّين أن تسْتجيب لله تعالى، وفي شؤونك كلّها، والنقطة الثانية إن لم تسْتَجب وتنتفع باستجابتك الآن ؛ سوف تستَجِب وتزداد حسرةً يوم القيامة، فليس الموضوع تؤمن أو لا تؤمن، ولكن القضِيَّة متى تؤمن ؟ تؤمن أو لا تؤمن مقولة مرْفوضة لأنَّنا كلُّنا سنُؤمن، فهذا الذي قال: أنا ربكم الأعلى وآمن ! ما من إنسان على وجه الأرض إلا وسيُؤْمِن، ولكن بعد فوات الأوان، فالمقولة متى ستُؤْمِن ؟ قال تعالى

﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (47)﴾

[سورة الشورى]

من حياتنا الواقعِيَّة ؛ إنسان ارتكب جريمة قتل فسيقَ إلى السِّجن، ثمّ إلى المحاكمة والأدلَّة متوافرة عليه، وحكم عليه القاضي بالإعدام، وصدِّقت القضِيَّة، وصدَّق الحكم رئيس الجمهوريَّة فصدَّق الحكم، سيق إلى الشَّنق فوقَّف على حبل المشْنقة ؛ هذا اليوم لا مردَّ له، فله أن يبكي أو يضْحك فلا بدّ له من أن يُشْنق، فإياك أن تصل مع الله إلى طريق مَسْدود ؛ كسب مال الحرام وأصرّ عليه فبطشه الله، أما إن تبْت و أنبْت فقد فزْت فالمُعوَّل عليه الاستجابة لله تعالى قبل فوات الأوان، فالإنسان إذا وصل مع الله إلى طريق مسدود هذه أكبر مصيبة، وهي أن يموت كافرًا، وعاصيًا وفي هذا اليوم كما قال تعالى

﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (47)﴾

[سورة الشورى]

الإنسان قد يكون ببَلدِه مُعَذَّب فيلْجأ لِبَلدٍ ثاني، هذا البلد يستقبلهُ، هذا يحصل في الدنيا ولكن عند الله لا ملجأ منه إلا إليه، فلا تنجو من غضبه إلا بطاعته، ولا من سخطه إلا بِمَرضاتِه.

فالذي يقطع إشارة المرور، ثمّ ينكر ويقول كنتُ مسافِرًا، فإذا به تعطى له صورة سيارته ! حينها يسْكت !! رادار، فالله يوم القيامة يعرض على الإنسان أعماله صورة وصوت ! فهذا اليوم ليس له ملجأ ولا نكير، ولا تستطيع أن تنكر، ولا أن تهرب.

قال تعالى: فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظًا...فرح بها " لِضَعف إيمان الإنسان، وضَعف تَفكيره، وضيق أُفقِهِ يفرحُ بالدنيا، أما النبي عليه الصلاة والسلام قال: فمن عرفها لم يفرح لِرخاء، ولم يحْزن لِشَقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لِعَطاء الآخرة سببًا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عِوَضًا، فيأخذ لِيُعطي، ويبتلي ليجزي، قال تعالى: وإن تصبهم...كفور ".

ملخَّص هذه الآية ؛ المُعَوَّل عليه الاستجابة لله تعالى، والشيء الثاني خيارك مع الإيمان خيار وقت، والشيء الثالث أنَّ يوم الميعاد ليس لك أن تنكر، ولا أن تهرب، وكلَّما زاد عقلك زادت طاعتك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12-12) : تفسير الآيات 39-41-43

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، يقول تعالى:

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41)﴾

[سورة الشورى]

فالذي ينتصر مِمَّن ظَلَمه ما عليه من مُساءلة، وما عليه من سبيل، لأنَّ المؤمن عزيز، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39)﴾

[سورة الشورى]

والخنوع والهروب والاستِسلام والتَّقَوْقُع والذلّ ليس من صفات المؤمنين، أحد الصحابة الكرام كان يمشي مُتبخْتِرًا أمام جيْش العدوّ، فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله يكرهِ هذه المِشْيَة إلا في هذا الموطن..." والتكبّر على المتكبِّر صدَقة، ويقول الإمام الشافعي: لا أسْمحُ لأحدٍ أن يتكبَّر عليَّ مرَّتَين، قال تعالى:

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنْ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا(148)﴾

[سورة النساء]

فالمظلوم له أن يتكلَّم وهناك حديث يُعدُّ فيْصَلاً في العلاقات العامة، يقول عليه الصلاة والسلام: إنَّ الله يلوم على العجز..." فحينما تغلب قل: حسبي الله ونعم الوكيل، أما قبل أن تُغلب يجب أن تأخذ بالأسباب، وقبل أن تُغلَب يجب أن تسْعى، وتُغطِّي كلّ ثغرة وأن تأخذ الأمور بِجِدِيَّة، فإذا غُلبْت لا سمَح الله فقل: حسبي الله ونعم الوكيل،وهذا هو حال المسلم، فالمُسلم يُمثِّل دين الله تعالى، ودين الله عظيم، والمؤمن عزيز، قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ(8)﴾

(سورة المنافقون)

ابتغوا الحوائِجَ بِعِزَّة الأنفس فإنّ الأمور تجري بمقادير، فلا ينبغي للمؤمن أن يُذِلّ نفسَه، فالمؤمن عزيز لأنّه سفير هذا الدِّين.

فالله تعالى:

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41)﴾

[سورة الشورى]

من ضربك في خدِّك الأيْمن فأدِر له الأيْسَر !! هذه عندنا غير مقبولة، أو أن تكيل له الصاع صاعين كذلك غير مقبولة، هذا ه والدِّين، وهذا هو المنطق، وهذا هو الكمال، أما حينما يغلبُ على ظنِّك أن عَفْوَك على أخيك يُصْلِحُهُ ينبغي أن تعْفُوَ عنه، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42)﴾

[سورة الشورى]

الخلطاء هم الأزواج والأقرباء والجيران، أضَعكم الآن أمام اسْتِنباط قَطعي الذي يبْغي على خليطِهِ ليس مؤمنًا، طبعًا في بلاد معيَّنة ممنوع حمل السِّلاح فهل يمكن أن تذهب للمخفر وتُشْهر السِّلاح أمام رجال الأمْن ؟! مستحيل لأنَّك تعرف جزاء هذا العمل، والآية الكريمة:

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة ص]

فالمؤمن لا يبغي، وإذا بغى فليس مؤمنًا، كما قال عليه الصلاة والسلام: يطبع المؤمن على الخلال كلها...." فإذا خان وكذب فليس مؤمنًا قال تعالى:

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42)﴾

[سورة الشورى]

أيها الإخوة، والله لو صلَّيْتُم ألف ركعةٍ في اليوم، وصُمْتُم الدَّهر كلّه، ثمَّ أكلْتُم حُقوق بعضِمك فأنتم لا تعرفون الله تعالى، لأنَّك لو طرْتَ في الهواء أو مشيْت على وجه الماء، ولم تكن عند الحلال والحرام، فأنت لسْتَ مؤمنًا، ولا تعرف الحلال والحرام، وترْكُ دانِقٍ من حرام، والدانق سدس الدِّرهم فتَرك هذا الدانق خير من ثمانين حجَّة بعد حجَّة الإسلام ! من مشكلات المسلمين الكبرى أنَّهم ضَغطوا الدِّين كلَّه إلى عبادات جَوفاء، لو أخذنا الحج، يحجّ أحدهم بالمال الحرام فإذا قال: لبَّيك اللهمّ لبَّيك، يناديه منادٍ في السَّماء أن لا لبَّيْك ولا سَعدَيك، وحجُّك مردود عليك ! ويصوم الإنسان عن الطَّعام والشّراب فإن لم تَصُم جوارحه عن المعاصي والآثام فهذا الصائم ليس له مِن صيامه إلا الجوع والعطش ! وينفق الإنسان ماله، وقد قال تعالى

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ(53)﴾

[سورة التوبة]

وكذا الصلاة قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ(45)﴾

[سورة العنكبوت]

فإن لم تنهكَ صلاته عن الفحشاء والمنكر ليسَت هذه الصلاة التي أرادها الله فالصَّحابة حينما فَهِموا الدِّين على أنَّه بناء أخلاقي فتحوا العالم، وحينما فهِمناه عبادات جوفاء ليس غير، فلا بيوتنا إسلاميَّة، ولا أعمالنا إسلاميَّة لا دخلنا إسلامي، ولا إنفاقنا، ولا أفراحنا وأتراحنا إسلاميّة، لكنَّنا نصلِّي ونصوم، ونحج ونزكي ليس غير، لما قال له حدِّثنا عن دينكم سيدنا النجاشي لسيّدنا جعفر ؛ قال له: أيها الملك كنَّا أهل جاهلية...." هذا هو الدِّين فنحن إن أردنا أن يرضى الله عنا، وأن نُعيد لهذا الدِّين مَجدهُ وإن أردنا أن نُجَدِّد هذا الدِّين كما وعدَ الله أن يُجدِّده على رأس كلّ مائة عام، فيجب أن نعود إلى ينابيعه الأصيلة ؛ إذًا كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42)

[سورة الشورى]

الآية التي تلفت النَّظَر:

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)﴾

[سورة الشورى]

الآية التي تلفت النَّظر أيضًا قوله تعالى:

﴿يَابُنَيَّ أَقِمْ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(17)﴾

[سورة لقمان]

العلماء لهم لفْتة لطيفة، قالوا: حينما يأتي قضاء الله وقدرُه مُباشرةً فهذا يحتاج إلى صبْر، والصَّبر له أجر كبير، أما حينما يأتي قضاء الله على يد إنسان فكلَّما كنتَ مُوَحِّدًا لم يكن في قلبِكَ حِقْدٌ على هذا الإنسان، ورأيْت الواحد الدَّيان هو الذي سمَح له، ومكَّنه، فأن يأتيك قضاء الله وقدره على يد إنسان ؛ هذا يحتاج إلى إيمان مُضاعف، فلو أنّ واحِدًا وقع ابنه من الشرفة ؛ هذا قضاء وقدر، وما عليه إلا أن يصبر، أما حينما يدهس ابنه ويموت على يد سائق، فأنت أمامك إنسان يمْكن أن تصبّ حِقدك عليه فهنا التوحيد ضَروري، لعلَّه مخطئ فنُحاسبُهُ، ولكن لا نحقد عليه، ونأخذ حقَّنا، ونجعله يدفع الدِّيَّة، أما أن نرى أنَّه قتَل ابننا، فلا، هذا بيَدِ الله عز وجل، وهذا قضاء من الله تعالى وقدر، وهذا هو قوله تعالى

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)﴾

[سورة الشورى]

وهذا لمن عزم الأمور، أي يحتاج إلى إيمان كبير، هنا يجب أن تتمثّل قوله تعالى:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(17)﴾

[سورة الأنفال]

وأن ترى الله قبل كل شيء، وفي كلّ شيء، ومع كل شيء، وهذا الذي يُلقي في قلبِكَ الطمأنينة والأمْن والرِّضا، وهذا الذي يمْنعُ عنك الحِقد والضَّغينة، لذلك قال تعالى:

﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)﴾

[ورة الشورى]

درسنا اليوم، إذا جاءتْك مشكلة، كأن يأتيك موظَّف تموين، كتب ضَبط شَهرين بِعَدرا، لا ينبغي أن تحقدَ عليه، وأن ترى أنَّ هذا قضاء من الله تعالى وقدر، وينبغي أن تُراجِع نفْسَك، كالذي ضُرِبَ بالعصا ؛ أيَحْقِدُ على العصا أم الضارب ؟! فإذا كان الضارب هو الله، وهو حكيم ورحيم، فكلّ الأشرار هم عِصِيّ بيَدِ الله تعالى، فإذا جاءك منهم أذَى فراجِع نفْسَك لأنَّ الله تعالى رحيم وحكيم وعادل، وقدير، وغني ولطيف، لذا ما من عثرة ولا اختلاج عرف ولا خدش عود إلا بما قدَّمت أيديكم وما يعفو الله أكثر فدرسنا اليوم ؛ قوله تعالى:

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)﴾

[سورة الشورى]

ذكر لي أحدهم قصّة وهو أن أحد الموظَّفين طردَه صاحب المعمل، هذا الموظَّف استطاع أن ينتقم منه، وأخبر الجهات الجمركيَّة عن مستودع فيه بضاعة غير نظاميَّة فجاءوا وكشفوا المخالفة، وغرَّموه بِمَبلغ كبير جدًّا تقريبًا ستُّ مائة ألف سنة السابع والأربعين، فصاحب المعمل حقدَ على هذا الموظَّف، وما كان منه إلا أن أطلقَ عليه النار فأرداه قتيلاً، فَحكموا عليه ثلاثون سنة سِجن !! فلو أنّ هذا الإنسان رأى أنّ الذي حدث له من الله تعالى لما فعل هذا، فهو من أجل أنّ توحيده ضعيفًا فعل الذي فعل، لذا هذه النقطة الدقيقة، وهي أنَّه إن جاءتْك مشاكل من بني البشر، فهم عِصِيٌّ بيَدِ الله تعالى، راجِع نفْسَك وحاسِب نفْسَك، ومن هنا قال الإمام الشعراني: أنا أعرف مقامي عند ربِّي من أخلاق زوجتي ! فإذا كنت مع الله كان الله معك، وانساقت زوجتك إليك، وأحد الصالحين يقول: أعرف مقامي عند ربِّي من دابَّتي !! قال تعالى:

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)﴾

[سورة الشورى]

سألوا تايمورلانك: من أنت ؟ فقال: أنا غضب الربّ !! فلا يخافنّ العبد إلا ذنبه، ولا يرجونّ إلا ربَّه، ودقِّقوا في هذا الحديث القدسي: أنا ملك الملوك، ومالك الملوك، قلوب العباد بيدي، فإن هم أطاعوني حوَّلتُ قلوب ملوكهم عليهم بالرحمة والرأفة، وإن العباد عصوني حوَّلت قلوب ملوكهم عليهم بالنقمة والسخطة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبِّ الملوك فإنّ صلاحهم بِصَلاحكم.

وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه: لو أن أوَّلكم وآخركم وإنسكم و...."

الفصل السابع : تفسير سورة الزخرف

الدرس (10-01) : تفسير الآية 32

الدرس (10-02) : تفسير الآية 5

الدرس (10-03) : تفسير الآيتان 31 – 32

الدرس (10-04) : تفسير الآيات 33 – 35

الدرس (10-05) : تفسير الآيات 36 – 39

الدرس (10-06) : تفسير الآيتان 40 – 41

الدرس (10-07) : تفسير الآية 67

الدرس (10-08) : تفسير الآية 72

الدرس (10-09) : تفسير الآية 79

الدرس (10-10) : تفسير الآيتان 83 – 84

الدرس (01-10) : تفسير الآية 32

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد:

الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾

سأسمعكم تفسيراً لهذه الآية، وسأسمعكم تفسيراً آخر.

الأول:

معنى قوله تعالى، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات. أي أن الله جعل غنياً وفقيراً، قوياً وضعيفاً، صحيحاً ومريضاً، وسيماً ودميماً الوسامة تتفاوت، والغنى يتفاوت، والقوة تتفاوت، والصحة تتفاوت والشأن يتفاوت، والسلطان يتفاوت، قال لماذا ؟ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا. من السخرية، كي يسخر الغني من الفقير، والقوي من الضعيف، والصحيح من السقيم، هذا معنى ورد، لكنا وجوهكم لم ترتح لهذا المعنى !.

المعنى الآخر:

ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات. يعني الله عز وجل أعطى كل إنسان ميزة بالحياة، وقد يكون عمله ميزةَ اختصاص، هذا الإنسان يسر الله له طريق الطب، وهذا يسر له طريق الهندسة، وهذا المحامة وهذا التجارة، وهذا الصناعة، وهذا الخدمات العامة، وهذا التعليم وهذا الخطابة، وهذا التصليح.

هذه الميزة، الإنسان صاحب الاختصاص، مفضل على إنسان آخر، كيف؟

قد تكون أنت أعظم إنسان، أكبر غني أكبر تاجر، بتعطل آله عندك بالبيت، تتعطل الغسالة، سبعة أيام ما في غسيل، تقف أمام المختص بتصليحها آديب هو الآن أعلى منك، رفع عنك درجة درجة الاختصاص، فكل إنسان باختصاصه، مفضل، كل إنسان بما يتقن، رفع الله عز وجل، فإذا أنت أتقنت شيء، أتقنت عمل، يسر الله لك سبيل التجارة، الصناعة، الزراعة، الطب، الهندسة، مثلاً المحامة، التدريس، الخدمات العامة طلب العلم، تعليم العلم اختصاص، فأنت في اختصاصك، قد رفعت على بقية الناس درجة طيب لماذا ؟ !

قال: ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، من السخرة، لتخدم أخاك الإنسان أعطاك الميزة، من أجل أن تخدمه، فإذا خدمته ارتقيت عند الله فاستحقت الجنة، الجنة سبيلها العمل الصالح، أعطاك الله عز وجل ميزة تعمل بها صالحاً، كيف تدخل الجنة ؟ الجنة بالعمل، أعطاك اختصاص، أعطاك ميزة، أعطاك قدرة، أعطاك جاه،

أعطاك مال أعطاك علم، أعطاك طلاقة لسان، أعطاك حظ من حظوظ الدنيا أنت بهذا الحظ فضلت على بقية الخلق، من أجل ماذا ؟ من أجل أن تخدم أخاك الإنسان، فإذا خدمته، استحققت دخول الجنة، وأنت في الأصل مخلوقٌ للجنة.

يعني يا عبدي: أنت خلقت من أجل أن تكون في جنة عرضها السماوات والأرض إلى أبد الآبدين، هذه الجنة ثمنها العمل الصالح والعمل الصالح من خلال ما ميزك الله به، بقلك ضربت المعلم بألف ولو شلفها شلف، هذا الله يسره فك هالمحرك، هذا الله يسره نقب الجبل، أنت عندك رخام بالبيت، من أين هذا الرخام ؟ في أشخاص مختصون بقلع الرخام، فكل إنسان بعمله قد رفع درجة، على بقية الناس، من أجل أن يقدم خدماتٍ لأخي الإنسان، خدمات مخلصة صادقة، ما في غش، ما في تدليس، ما في كذب، ما في احتيال، ما في إيهام، ما في احتكار، عما تقدم خدمة خالصة، طبعاً مقابل أجرة والأجر مشروع، بس ما في كذب، ما في غش، ما في تدليس، ما في كذب، ما في إيهام، ما في احتكار، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا.

من السخرة لا من السخرية، طيب هذا الذي يتخذ اختصاصه وسيلة لابتزاز أموال الناس، طبيب أسنان جاءه مريض من دولة نفطية فاثقب له أربعة أسنان، بالمثقب، وأوهمه أن كلن بحاجة إلى تحشاية طيب هذا أستخدم اختصاصه، لابتزاز أموال الناس، جمع ثروة طائلة فربنا عز وجل أبلغه، قال له: ورحمة ربك خير مما يجمعون.

يعني الآية مترابطة، يعني أنا أعطيتك اختصاص، صرت طبيب، أنت محامي، أنت مهندس، أنت مدرس، أنت تاجر، أنت صانع، أنت صاحب أرض زراعية، أنت معقب معاملات، إذا أخلصت وصدقت، وخدمت المسلمين، وما غشيتهم، وما أبتزيت أموالهم، ما ألعبت عليهن، ما أحتلت عليهن، ما أحتكرت، ما أوهمت، ما دلست، ما أرتكبت غلط، وخدمت خدمة خالصة، تستحق الجنة عندي.

أما إذا أبتزيت أموالهم، اضحكت عليهم، غشيتهم، كذبت عليهن، احتلت عليهن، وجمعت أموال طائلة، بيجي الموت ينهلك ياها كلياتها، بتصف بالكفن، والكفن ماله جيبة سمعت، ما في جيبة، ولا في دفتر شيكات يوضع بالداخل، ورحمة ربك خير مما يجمعون.

فأنت بين خيارين، بين أن تصل إلى رحمة الله، وبين أن تصل إلى ثروةٍ طائلة، الله طمأنك قال لك: رحمتي أحسن لك من الثروة الطائلة لأن الثروة الطائلة، تنتهي عند الموت، لكن رحمتي تبد_أ منذ أن عرفتني وحتى أبد الأبدين، أحسن لك، فهل الآية، آية بسموها مفصلية، كل واحد باختصاصه، ممكن يدخل الجنة، بالصدق، أنت محامي على عين وراسي، أنت على العين والرأس، أخي هذه الدعوة ما بقبلها، لأنه أنت ظالم، الدعوة أنت محق لكن ما منها آمل لأن القانون ليس معك، لا تغلب حالك، لا تقول له: بلعنلك أبوه، هات أول دفعه، لا تقل شئ، قل له: هي ما بتشتغل.

كون صادق، بتأكل مال حلال، أشتري به طعام صار الطعام طيب، إذا دعوة الله يستجيب لك الدعاء، شغلة مثل الشمس واضحة بسيطة جداً، يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، الطعام الطيب مو يلي في سمن بلدي، لا ! يلي ثمنه حلال، والثمن الحلال يعني عمل شريف، ما في ابتزاز، ما بتبيع أشياء تثير الفتن، في ملابس نسائية بيعها والله ما يجوز، أنت عما تساهم بترويج هل الفتنه هي، ما بتبيع شيء بسبب فتنه، عملك مو مبني على ابتزاز أموال الناس.

لذلك، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات.

كل إنسان باختصاصه رفع درجة، أحيان الواحد، يضطر يصلح آله بالبيت، بتلاقي هو طبيب وشخصية مهمة، يقف أمام المختص بهل آله متأدب، بتصير يقول له بتصير، يقول له بتصير، شو بتكلف سيدي، يقول له سيدي أحياناً، لأن هو الآن أعلى منك، أعلى منك باختصاصه، هي معنى، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات.

هي فيها عدالة، كل واحد باختصاصه سيد، كل واحد باختصاصه مرفوع درجة عند الله، قال له يا عبدي: أنا رفعت الدرجة من أجل أن تخدم عبادي، حتى حبك أنا، بتقرب إلي بخدمت عبادي.

طيب واحد بشوف أب وابنه، بكون الأب مهم جداً، يبحث عن شغلة في بجيبه عن نوكايه عن شكولاته، بعطيها للابن، هي مو للابن الحقيقة للأب هي، بس عن طريق الإبن.

فالمؤمن الصادق، بترقى عند الله عز وجل بخدمة عباده، فكل إنسان باختصاصه يخدم الناس، لا يغش، لا يكذب، لا يقول هذا غشيم لبسته هل البيعة، لا تقول لبست ياها، أنت لبسها، لبس الإثم تبعها . لا تكتم عيب، لا تخوفه، لا توهمه، أنه ما في منها البضاعة، انتهى انتهت هي، حلق حالك، إذا قال لك: نقي لي أنت، بتعطي أسوء لون، بقلك هذا ما فهمان، مادام قلي نقيلي أنا حأعطيه اللون الكاسد لا.

أنا رفعت درجة باختصاصك، بخبرتك، بذوقك، بجاهك، بمالك بسلطانك، بعلمك، طبيب، مهندس، محامي.

رفعت درجة، من أجل أن تخدم عبادي، حتى أحبك وحتى أدخلك الجنة، أما إذا استخدمت اختصاصك، وما رفعتك به لابتزازي أموال الناس، عن طريق الغش والتدليس والكذب والاحتيال والاحتكار والاستغلال، وجمعت ثروة طائلة، بطمنك ما بتفيدك.

ورحمة ربك خير مما يجمعون.

إذا الإنسان، يعني واحد شاف جنازة وأتبعها شوفي مانع شوف لحظة برفعه الغطاء الخشب عن النعش، بيحملوا بالشرشف الأبيض مربوط ربطتين من تحت من فوق ، بنزلوا بها الجورة، كان بيته بالمالكي، حقه ثلاثين مليون، وين صفي البيت، وين السيارة يلي حقه 18 مليون، وين صفيت، بباب الصغير، هذا المثوى الأخير ورحمة ربك خير مما يجمعون.

بطولتك أن تضحك حينما يبكي الناس عليك، أن تكون ممن رضي الله عنه، والقبر صندوق العمل، وكل إنسان، سألوا مرة طالب نجح الأولي على القطر، بالبكلوريا، ساوا معه بالصحيفة محاورة، أنا تأثرت بكلمة قالها هذا الطالب: قال أنا: سبب نجاحي الأول، أن لحظة الامتحان لم تفارق مخيلتي طوال العام.

أن أكل الامتحان، أن نام الامتحان ، والمؤمن الصادق، لحظة دخول القبر، لا تفارق مخليته طوال حياته، معناها هو بفكر بالموت لكن يعمل، ويتاجر، ويدرس، لكن الموت له معنى إيجابي، معنى سلبي، ما بيبرك الموت بحرك، الموت بحرك على طريق الإيمان، وبيقيك الزلال.

سيارة ماشية على طريق أوتوستراد، على الأيمن وادي، وعلى اليسار وادي، في عنا مشكلتين، أول مشكلة تمشي ما تم واقفه والثاني ما تقع هون أو هون، مهمة الموت، مهمة التفكر بالموت، أن يدفعك في الطريق إلى الله، والمهمة الثانية، أن يقيك أن تنحرف يميناً أو شمالاً، هي مهمته الموت، فكل إنسان إذا فكر بالموت، معناه يستقيم.

ورحمة ربك خير مما يجمعون. هي شعار المؤمن، أطلب رحمة الله أطلب رضوانه، لأنه إذا كان الله معك فمن عليك، وإذا كان عليك فمن معك، يا رب ماذا فقد من وجدك وماذا وجد من فقدك، ما وجد شيء.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-10) : تفسير الآية 5

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما ، وأرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه ، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين .

قال تعالى : أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين.

أيُّها الإخوة الكرام؛ في الزخرف الآية الخامسة ، وهي قوله تعالى :

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ ﴾

[سورة الزخرف الآية : 5]

الاستفهام الإنكاري .

هذه الهمزة هي همزة الاسْتِفهام الإنكارية ، أيْ نحن لا نفْعل هذا.

ضَرَبَ عنه الذِّكر صَفحًا ؛ هذا تركيب يعني أنَّه نَسيَهُ ، أو أهْمَلَهُ ، أو أنَّه ألغاه من دائرة اهْتِمامه ، ولم يعبأ به ، ولم أُعْنَ به.

فربُّنا عز وجل يُنْكر أنَّه إن عصَينا الله تعالى أهملنا الله تعالى هذا المعنى دقيق ، يتَّضِح من انَّ النبي عليه الصلاة والسلام حينما رأى امرأة تُقبِّل ابنها ، وهي على التنور ، قال : أَتُلقي هذه بِوَلَدِها إلى النار ؟ قالوا : معاذ الله ، فقال : والذي نفسُ محمَّد بيَدِهِ ، للَّه أرحم بِعَبده بهذه بِوَلَدِها.

الرحمة .

النبي عليه الصلاة والسلام أرْحم الخلق بالخلق ، فهو حينما ذهب إلى الطائف ضربهُ أهلها ، فهو مَقهور ، ولكنَّ الله تعالى مكَّنهُ أن ينتقِمَ منهم ، قال له جبريل : لو شئْت لأطْبقتُ عليهم الأخْشبين أي الجبلين! فقال عليه الصلاة والسلام : اللَّهمّ اهْدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون ، لعلَّ الله يُخرِجُ من أصلابهم من يُوَحِّد الله ، وهو أرحم بالخلق على الخلق على الإطلاق ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة التوبة الآية : 128]

ومع كل هذه الرحمة قال عليه الصلاة والسلام :

((لو تعلمون ما أعلمُ لضَحِكتم قليلاً ، ولبَكَيْتمْ كثيراً))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي]

ومع كلّ هذه الرحمة قال تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية : 159]

تنكير هذه الكلمة يعني التقليل ، أي أنت لا تملك إلا رحمةً قليلة ، ومع ذلك لِنْتَ لهم ! أما ربنا عز وجل أخبرنا عن ذاته فقال :

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾

[سورة الكهف الآية : 58]

فالرحمة كلّها عنده ، والنبي عليه الصلاة والسلام بِسَبب اتّصاله بالله استقَرَّت في قلبه رحمة بحيث أنَّه لانَ أهل الكُفر والعِصيان ، فهذا الذي خانهُ خِيانةً عُظمى ، وقال لأهل مكَّة : سيَأتيكم محمَّدًا غازِيًا فَخُذوا حِذْركم هذا الذي فعل هذا يسْتحِقّ في أيّ نظام في العالم أن يُقْتَل ! حاطِبَ بن أَبي بَلْتَعةَ أرْسَلَ كتابًا إلى قريش قبل أن يفتح النبي مكَّة ، فَعُمر بن الخطاب قال للنبي عليه الصلاة والسلام : دَعْني أضْربُ عُنق هذا المنافق ! قال : لا يا عمر إنَّهُ شَهِدَ بدْرًا ! ما أراد أن يهْدِرَ عملهُ السابق ، قال له : يا حاطب ما حمَلَكَ على ما فعلْتَ؟! قال : والله يا رسول الله ما كفرْتُ وما ارْتَدَدْتُ ، ولكن أردْتُ أن تكون لي يدٌ عند قريش ؛ إنَّني لصيقٌ بهم، ولستُ من أصلابهم فاغْفِر لي يا رسول الله ، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلَّم إلا أن قال لأصحابِهِ : إنِّي صَدَّقْتهُ فصَدِّقوه ، ولا تقولوا فيه إلا خيرًا!! هذا هو القلب المفحم بالرَّحمة ، كلُّ لينِكَ ورحمتِكَ بِأُمَّتِك بِسَبب رحمةٍ اسْتقرَّت في قلبِكَ من خلال اتِّصالك بالله تعالى ، ولو كنتَ منقطِعًا عن الله تعالى ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية : 159]

هذه رحمة النبي وقد وصفها الله عز وجل بالتَّنكير ، قال تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾

هذا تنكير تقليل ، وربنا سبحانه وتعالى يُحدِّثنا عن نفسه فيقول :

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾

فالرحمة كلّها عنده ، والنبي عليه الصلاة والسلام بِسَبب اتِّصاله بالله لاحظوا الفرق بين الأب والأخ ، فالأخ إذا رأى من أخيه نقْصًا يُهْمِلُهُ ويضرب عنه الذِّكْر صَفحًا ، ولا يعبأ به ، ولا يتألَّم لِشَقائِه ولكنَّ الأب يتفطَّر قلبه إذا رأى ابنهُ منحَرِفًا ، لأنَّ رحمة الأب ، ورحمة الأخ شيءٌ آخر ، وهنا الآية :

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً ﴾

[سورة الزخرف الآية : 5]

هذه الهمزة للاستفهام الإنكاري ، أي نحن لا نفعل ذلك ، قال تعالى :

﴿ أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ ﴾

[سورة الزخرف الآية : 5]

حتى هؤلاء الذين أسرفوا على أنفسهم ، وحتى هؤلاء الذين غرقوا في المعاصي و الآثام ، حتى هذا الذي ذبَّح أبناءَ بني إسرائيل و استحيا نساءهم و قال :

﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾

[سورة النازعات الآية : 24]

قال تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

[سورة القصص الآية :38]

ماذا فعل الله به؟ قال تعالى :

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾

[سورة طه الآية : 43]

فالإنسان مطلوبٌ برحمة الله لأن الله إلهٌ و ربٌّ ، هو المسَيِّر وهو المرَبِّي فالإنسان حينما يتخِّذ قرارا مخالفا لمنهج الله ، اللهُ جلَّ جلالُه لا يضرب عنه الذكرَ صفحا ، و جُلُّنا إن رأى من إنسان خيانةً أو إساءةً تهمله و تضرب عنه الذكر صفحاً و كأنه ليس في حياتك من ذكره شيءٌ و انتهى الأمر ، و لكن ربُّنا سبحانه و تعالى هو عبدٌ له ، لذلك:

أهل ذكري أهلُ مودَّتي ، و أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقنِّطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم و إن لم يتوبوا فأنا طبيبُهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهِّرهم من الذنوب و المعايب ، الحسنةُ عندي بعشرة أمثالها و أزيد و السيِّئة بمثلها و أعفو و أنا أرأفُ بعبدي من الأمِّ بولدها.

إنْ عرفتَ رحمة الله عز وجل أقبلتَ عليه ، فيا أيها العباد إذا أسرفتُم في المعاصي و الآثام و انغمسْتُم في المُلهياتِ و إذا بالغتُم في الإساءة إلى الخلق ألا نؤَدِّبكم ؟ ألا نربِّيكم ؟ ألا ندفعُكم إلى بابي ؟ لأن الله سبحانه و تعالى يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

[سورة التوبة الآية : 38]

فإنك إن لم تكن كما أراد الله يدفعك إلى بابه ، و قد قال عليه الصلاة و السلام : عجب ربكم من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل .." سلاسل التأديب و سلاسل الابتلاء ، و المؤمن الموَفَّق إذا جاءه ما يكرهه يصحو ماذا يريد اللهُ مني ؟ لماذا أنا أعاني مثل هذه المشكلة ؟ لعلَ اللهَ يريد مني أن أكون في وضعٍ أفضلَ ، لذلك ما هي أكبرُ مصيبةٍ ؟ أكبرُ مصيبة أن لا تتَّعِظْ بالمصيبة ، و من لم تحدث المصيبةُ في نفسه موعظةً فمصيبتُه في نفسه أكبر ، قال تعالى :

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً ﴾

[سورة الزخرف الآية : 5]

كنْ مَن كنتَ ، و في أيِّ وضع و في أيِّ حال و في أيِّ معصية و في أيِّ بعدٍ و في أيِّ إسراف ، قال تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[سورة الزمر الآية : 53]

لا تنسوا أيها الإخوة؛ للّهُ أفرحُ بتوبة عبده من الضال الواجد و العقيم الوارد و الظمآن الوارد.

و هذا البدوي الذي ركب ناقته و ضلَّ الطريق في الصحراء فجلس ليستريح فاستيقظ فلم يجد الناقةَ ، فبكى حتى أدركه النعاسُ فنام فـ أفاق فرأى الناقةَ ، من شدَّة فرحه اختلَّ توازنُه فقال : اللهم أنت عبدي و أنا ربك، للّهُ أفرح بتوبة عبده من هذا بناقته، لذلك إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى منادٍ في السماوات و الأرض أن هنِّئوا فلانا فقد اصطلح مع الله ، و إذا قال العبدُ يا رب وهو راكع ، قال الله : لبَّيْك يا عبدي ، فإذا قال :

يا ربّي ، وهو ساجد ، قال الله : لبَّيك يا عبدي ، فإذا قال العبد : يا ربّ وهو عاصي : لبَّيك ثمَّ لبَّيك!! والصُّلحة بِلَمحة ، والله تعالى ينتظرك ، والله عز وجل يُبيّن لنا رحمته ، فمهما عصَيتم وابْتَعدتم لا نضرب عنكم الذِّكر صفحًا ، وهذه هي رحمة الله، ويؤكِّد هذا المعنى قَول الله عز وجل :

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة الأنعام الآية : 147]

الإنسان المجرم ، رحمة الله الواسعة أن لا يردّ بأسَهُ عن هذا الإنسان المنحرف ، فلا بدّ نم أن يتفقَّدَك الله بطَريقة أو بأخرى لِتَعود إليه ، فَعُد إليه طواعِيَةً هذا أشْرف ألف مرَّة مِن أن تأتيَهُ طائِعًا ولكن بعد مصيبةٍ شديدة .

قلتُ لكم من قبل أنَّ هناك أرع مراحل يمرّ بها الإنسان ؛ مرحلة الدعوة البيانيَّة ؛ كأن تسمع خطبة أو تجلس إلى درس أو تقرأ كتابًا أو تسمع شريطًا فهذه دعوة بيانيَّة ، والموقف الكامل من هذه الدعوة البيانيّة أن تستجيب إلى الله ورسوله ، فإن لن تستجب تدخل بمرحلة ثانية وهي التأديب التربوي ؛ مضايقات وشِدّة ، فالموقف الكامل من التأديب التربوي أن تتوب إلى الله ، وتعود إليه ، فإن لم تتُب دخَلت بِمَرحلة ثالثة وهو الإكرام الاستِدراجي ، يُعطيك الدنيا ، وما تشتهي إليه ، والموقف الكامل في هذه المرحلة أن تشكرهُ وتتوب ، لم تستجب لِدَعوته البيانيَّة ، ولم تتُب عند التأديب التربوي ، ولن تشكر عند الإكرام الاستدراجي فلم يبْقَ القصْم قال تعالى :

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[سورة الأنفال الآية : 52]

فهذه أربعة مراحل ، يجب عليك إدراكها ونحن الآن في بحبوحة ، فالحقوق تُؤدَّى.

أحد الإخوة قال لي: طرق بابي وأنا في معمل رجل فقال لي : كنتَ موظَّفًا عندك ، وقد أتيت لك بالمبلغ !

فهذا حلّ قضِيَّته وهو في الدنيا فالحقوق إما أن تؤدَّى أو يُسامحك بها صاحبك ، وحقوق الله عز وجل مَبنيَّة على المسامحة ، بينما حقوق العباد مَبنيَّة على المُشاححة ، فهذه الآية رقم خمسة من سورة الزخرف :

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ ﴾

[سورة الزخرف الآية : 5]

الاستفهام إنكاري أي لا نضرب عنكم الذِّكر صَفحًا ، ولا ننساكم أن كنتم قومًا مُسرفين ، ولو ابتعدتم ، ويأخذ بيَدِكم إليه .

يُروى أنَّ سيدنا موسى دعا ربه بالسقيا ، فقال له تعالى : إنَّ فيكم عاصِيًا فأمره بالمغادرة ، فقال موسى لأصحابه : إنَّ فيكم عاصِيًا فلْيُغادِرنا ! فما انصرف أحد، والأمطار مُغدِقة وانْهمرَت ، فقال: من هو يا رب ؟ فقال له تعالى : عجِبتُ لك يا موسى ! أسْترهُ وهو عاصٍ ، وأفْضَحُهُ وهو تائِب!! فالله تعالى ينتظرنا ، وباب التوبة مفتوح ، قال الشاعر :

إلى متى أنت باللّذات مشغول وأنت عن كلّ ما قدَّمت مسؤول

تعصي الإله وأنت تُظْـهر حُبَّه ذاك لَعَمري في المقال بديعُ

لو حبُّك صادقًا لأطَعْتَــهُ إن المُحِبّ لِمَن يُحِب يطيع

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-10) : تفسير الآيتان 31 - 32

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الواحدة والثلاثون، والآية الثانية والثلاثون من سورة الزخرف، وهي قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (31)﴾

[سورة الزخرف]

يبْدو من هذه الآية أنّ هناك مقاييس للتَّفوُّق عند أهل الدنيا، ولعلّ من هذه المقاييس الغِنى، ولعلّ من هذه المقاييس القوَّة فالعظيم عندهم هو القويّ والعظيم عندهم هو الغنيّ، والعظيم عندهم هو الذي له أثرٌ قويّ، يقول الله عز وجل ناقلاً لنا عمَّا يقوله هؤلاء، كيف يُنَزِّل الله هذه الرِّسالة على إنسانٍ يتيم ؟ كأنَّ اليُتْم والفقْر يُقَلِّلان من قيمة الإنسان ! المشكلة الدقيقة في هذه الآية أنَّ للبشر مقاييس، ولِرَبِّ البشر مقاييس فإذا كنتَ على مقاييس ربِّ البشر مُتَفَوِّقًا فأنت الفائز، أما إذن كنتَ على مقاييس البشر مُتَفَوِّقًا فهذا التَّفَوُّق ينتهي عند الموت، فالتَّفوُّق الذي على مقاييس رب البشر يبدأ بعد الموت، ومن هنا قال الله عز وجل:

﴿ إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ(1)لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(2)خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(3)﴾

[سورة الواقعة]

فالذي كان بمقياس البشر عظيماً و كان مسيئاً و منحرفًا و كان عاصيا صار في الآخرة إلى أسفل سافلين، و الذي كان بمقياس الله عاليا متفوِّقا على الرغم من أنه كان في الدنيا ضعيفَ الشأن في الظِّل و التعتيم صار يوم القيامة في أعلى علِّيين، فالبطولةُ أن تكون عظيما على مقاييس مَن ؟ على مقاييس البشر لا قيمة لها، يقول عليه الصلاة و السلام: رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين...." هؤلاء العظماء في مقياس البشر يقول الله عنهم يوم القيامة:

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا(105)﴾

[سورة الكهف]

هؤلاء العظماء في مقياس البشر يقول الله عنهم:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا(23)﴾

[سورة الفرقان]

العظيم عند البشر هو الغنيُّ، والعظيم عند البشر هو القوي، ولكنَّ العظيم عند الله تعالى هو القويّ والوليّ، والمُطيعُ والمُحِبّ، والمخلص، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (31) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾

[سورة الزخرف]

هل هم آلهة حتَّى يقسمون رحمة الله تعالى ؟ قال تعالى:

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾

[سورة الزخرف]

هناك طبيب، وهنا مُمَرِّض، وهناك معلِّم ثانوي، وهناك أستاذ في الجامعة، وهناك مُجَنَّد، وهناك رئيس أركان، وبائع مُتَجَوِّل، ورئيس غرفة تِجارة، فالدنيا مراتب، أهُم يقسِمون رحمة ربِّك ؟ فَحَتَّى مراتب الدنيا بِمِقياس البشر هي بقِسمة الله عز وجل ؛ نحن الذين قَسَمناها بينهم فهذا الذي قُسِمَت منزلتهُ في الدنيا أهُوَ الذي سيَحْكم على هذا النبي ؟ قال تعالى:

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾

[سورة الزخرف]

السُّخريَة هنا ليْسَت من السّخريَة، ولكن مِن السُّخْرة، أيْ لولا أنَّ إنسانًا مُعيَّنًا بِمَلكات مُعيَّنَة ما قبلَ عملاً، يُروَى أنّ ملِكًا كان يجوب مملَكَتَهُ فدَخَل إلى بستانٍ، فرأى حِصانًا يدور على بئر، وقد عصب البستانيّ عَيْنيه ووضَع الخنجر في عنقه، فقال هذا الملك للبستاني: لِمَ عصَبتَ عَينَيه؟ فقال البستاني لأن لا يُصاب بالدُّوار، ولما وضَعت ذاك في عنقِه ؟ فقال: كي إذا وقف أعرف أنَّه وقف، فكَّر الملِك وقال: فإذا وقف وهزَّ رأسَهُ فقال: وهل له عقلٌ كَعَقلِك ؟! أحيانًا بعض الإخوة التُّجار يريدُ نم هذا الصانِع المبتدئ أن يكون في فهْمِهِ وذكائِهِ وحِكمتهِ ! لو كان يا أخي في فهمِكَ وذكائِك وحِكمتكَ ما قبِلَ أن يعمل عندك، ولَعَملتَ عنده أنت !! فهناك من له وسامة،وهناك من له ذكاء، وهناك من له حِدَّة في الذكاء، وآخر ذاكرة قويَّة، وإنسانٌ مهاراته حركِيَّة، وآخر مهاراتُه عَقليَّة، فهناك تنوّع وليس معنى هذا أنّ الأقلّ هو الأقلّ عند الله تعالى ! أبدًا قال تعالى: ليتَّخِذ بعضهم بعضًا سخريًّا.." كي تنتظِم الحياة، ولو أنَّ الناس جميعًا في مستوى عَقْليٍّ واحِدٍ ما خدم أحدٌ آخر، فالمرأة لو كانت بِعَقل الرَّجل لما رضِيَت أن تكون له زوْجة ! لكن طبيعتها وعَقْليَّتُها، ونفْسِيَّتها، وبُنيتُها مُهيَّأة لِتَكون زوجة ؛ تطبخ وتخدم وتكْنس، وتحبّ زوجها وأولادها، وتتفانى في خِدمتهم، فهذه الآية دقيقة جدًّا، قال تعالى:

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾

[سورة الزخرف]

أيْ أَهُم يُعَلِّمون الله كيف يُوَزِّع النبوَّة على عباده، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (31)﴾

[سورة الزخرف]

فمرتبتهم في الحياة الدنيا هي مِن تقدير الله عز وجل، ويتنطَّعون لِيُملوا على الله عز وجل على مَن يُنْزِلُ رسالته، فهذه مراتب الدنيا من تقدير الله تعالى، فكيف مراتب الآخرة ؟!

لكنَّ الله سبحانه وتعالى في آيةٍ دقيقة دقيقة يقول:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾

[سورة الزخرف]

فالذين تركوا ألف مليون وماتوا، وهناك واحد بأمريكا لِشَركة مايكروسوفت يملك ثلاثة وعشرون مليار دولار، ولكنَّه سيموت، ورحمة ربِّك خير مما يجمعون، فمهما جمعت من أموال الدنيا ؛ هذه تبقى في الدنيا، وتنقلب إلى الله عز وجل صِفر اليدين إلا مِن عملٍ صالحٍ، إذًا الدنيا لها مراتب والآخرة لها مراتب، فمراتب الآخرة بِحَسب طاعة الله والإخلاص له، والتوحيد، والحبّ له تعالى، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(54)فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ(55)﴾

[سورة القمر]

أما مراتب الدنيا فَقِوامها المال والقوَّة، والوسامة والذَّكاء، والنسَّب والحسب، والشَّكل والهندام، والبيت والزوجة متاع الحياة الدنيا، فهم يعترضون على الله عز وجل لما أرسلَ هذا الإنسان اليتيم الفقير !! فها أنتم لا تملكون مراتب الدنيا، وهي مقدَّرةٌ عليكم فكيف تتنطَّعون للبحث عن مراتب الآخرة، لذلك يقول الله عز وجل:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾

[سورة الزخرف]

قرأتُ مرَّةً كتابا عن قِصص العرب، بعد أن نَهَيْتُهُ وجَدْتُ أنَّ القويّ مات والضَّعيف مات، والذكِيّ مات، والأحمق مات، والغني مات، والفقير مات، والوسيم مات، والذميم مات والصحيح مات، والمريض مات كلُّهم إلى الموت، وكلّ مخلوقٍ يموت ولا يبقى إلى ذو العزَّة والجبروت قال الشاعر :

الليل مهما طال فلا بدّ من طلوع الفجر

والعمر مهما طال ف لابدّ من نزول القبر

وكا ابن أنثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

فإذا حملتَ إلى القبور جنــازةً فاعلَم بأنَّك بعدها مَحمـول

فشِعار المؤمن، قوله تعالى:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾

[سورة الزخرف]

فالدنيا زائلة، والعِبرة أن يكون لك عند الله رصيد كبير، والعبرة أن تكون في ظلّ الله تعالى، والعبرة أن تكون في رعاية الله، والعاقبة للمتقين، والأمور تدور وتدور ولا تستقيم إلا على إكرام التقيّ، وإهلاك البغيّ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-10) : تفسير الآيات 33 - 35

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثالثة والثلاثون من سورة الزخرف، وهي قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33)﴾

[سورة الزخرف]

لولا أداة شرْط غير جازِمة، وهي حرف امتِناعٍ لِوُجود، أما لو فهي أداة شرْط غير جازمة، وهي حرف امتناع لامتناع، فما معنى حرف امتناع لامتناع ؟ لو جئتني لأكرمتك، فأنا لم أُكْرِمك لأنَّ لم تَجِئني ! امتَنَع إكرامي لك لامتناع مجيئك، قال تعالى

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(96)﴾

[سورة الأعراف]

لماذا لم نفْتَح عليهم بركات من السماء والأرض ؟ لأنَّهم لم يؤمنوا ولم يتَّقوا وقال تعالى:

﴿ وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(16)﴾

[سورة الجن]

لماذا لم نُسْقِهم ماءً غدقًا ؟ لأنَّهم ما استقاموا على الطريقة، أما لولا فلها معنى آخر فهي حرف امتناع لِوُجود؛ إذا قلتَ: لولا المطر لهَلَكَ الزَّرع امْتَنَع هلاك الزَّرع لِوُجود المطر، حرف امتناع لوجود، قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33)﴾

[سورة الزخرف]

فما معنى لولا أن يكون الناس أمَّة واحِدَة ؟ أي أنَّ الناس جميعًا من دون اسْتِثناء خُلِقوا لِرَحمة الله، وخُلِقوا للجنَّة، فمن يزْعم أنَّ الله تعالى خلق الكافر كافِرًا، وقدَّر عليه الكُفْر قبل أن يولَد، وسيَضَعُهُ في جهنَّم إلى أبد الآبدين من دون إرادةٍ منه، ومن دون اختيار، فهذا خالف العقيدة الصحيحة التي جاء بها القرآن، فليس هناك إنسان خلق كافرًا، ولا إنسان خُلِقَ مؤمنًا، قال تعالى:

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(30)﴾

[سورة الروم]

كلّ البشر مَخلوقون وِفْق فِطرة سليمة، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(2)﴾

[سورة التغابن]

قال تعالى:

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(3)﴾

[سورة الإنسان]

وقال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(148)﴾

[سورة البقرة]

فالناس جميعًا خُلقوا للجنَّة، والدليل القاطِع، قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ(118)إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود]

هل هناك آيةٌ أوْضَحُ من هذه الآية ؟! يعني خلقهم لِيَرْحمهم، فهل يمكن لأبٍ أن يقول لك: ولدي هذا أتْركُهُ يدْرس، وهذا صانِع ! إذا كان أيها الأب أردْتَ من أحد أولادك أن يكون جاهِلاً، لماذا تضْربُهُ على عدم الدِّراسة ؟!! هذا شيء غير منطقي ! فلو أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق جميع الناس للجنَّة لأراح الكافر من عذاب الدنيا، قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34)﴾

[سورة الزخرف]

فهذا الذي يزْعمُ أنَّه خلقهُ كافرًا، ومصيرُهُ إلى النار، فلماذا يُعَذِّبُهُ في الدنيا ؟! هذا ينبغي أن يجعل له بيتًا جميلاً، وسَقْفًا مُزخرف، ومعارِج من فِضَّة، ومُتَّكت مُريحة، وبيت جميل، لو أنَّ الله خلق الإنسان للنار، وخلقه كافرًا، وقدَّر عليه الكفر قبل أن يولد، ومصيرُهُ إلى النار، فلا داعي أن يُعَذِّبه، ولكن لأنَّ الله تعالى يُعالج كلّ الخلق، فمعنى ذلك أنَّ كلّ الخلق خلقهم لِيَرحمهم ومعنى ذلك أنَّ كلّ الخلق خلقهم للجنَّة، فهذه الآية دقيقة جدًّا، فالذي يقول: الله تعالى خلق الكافر كافرًا، والمؤمن مؤمنًا هي عقيدة الجَبر، والكافر ليس له ذَنب إلا أنَّه

يُنَفِّذ قضاء الله، والمؤمن ليس له فضْل إلا أنَّه قدَّر عليه الإيمان ؛ هذه الفِكرة مرفوضة أصلاً، وهذه الآية تنْفيها قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34)﴾

[سورة الزخرف]

أي خُلِقوا لِيَؤُمُّوا إلى وِجهةٍ واحِدَة وخُلِقوا لِيَتَعَرَّفوا إلى الله تعالى، وخُلقوا لِيَكونوا من أهل الجنَّة، وجنَّة عرضها السماوات والأرض، وخُلقوا لِيُطيعوا، ويعْبدوا، والناس جميعًا سَواسِيَة كأسنان المِشْط، يُؤَكِّد هذا قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ(189)﴾

[سورة الأعراف]

من طبيعةٍ واحِدَة، ومن جِبِلّة واحدة، ومن خصائص واحدة فالكافر كفَر لأنَّه اختار الكُفر، والله سيُعالجهُ، والمؤمن اختار الإيمان قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(2)﴾

[سورة التغابن]

قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35)﴾

[سورة الزخرف]

قال تعالى :

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا(77)﴾

[سورة النساء]

ألا تُصَدِّقون الله عز وجل، قال تعالى :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ(38)﴾

[سورة التوبة]

قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

عليّ الكفر ! والله كتب عليّ أن لا أُصلي ! هذا كلام العوام والجهلة، أحدهم جاء سيّدنا عمر، وكان شارِب خمرٍ، فقال: والله يا أمير المؤمنين إنَّ الله قدَّر عليّ ذلك، فقال عمر بن الخطاب، وهو عملاق الإسلام: أقيموا عليه الحد مرَّتين ؛ مرَّةً لأنَّه شرب الخمر، ومرَّة لأنَّه افترى على الله تعالى !! قال له: وَيْحَكَ يا هذا إنَّ قضاء الله لن يُخْرِجْك من الاختيار إلى الاضْطرار !! لو أنَّ الله تعالى أجْبر عباده على الطاعة لبَطَل الثواب، ولو أجْبرهم على المعصيَة لبَطَل العقاب، ولو تركهم هملاً لكان عَجْزًا في القدرة، إنَّ الله أمرَ عبادهُ تَخييرًا ونهاهم تَحذيرًا، وكلَّف يسيرًا ولم يُكَلِّف عسيرًا، وأعطى على القليل كثيرًا، ولم يُعْصَ مَغلوبًا، ولم يطَع مُكْرهًا، ولم يُنَزِّل الكُتُب عبثًا، ولم يُرْسِل الأنبياء لعبًا.

فلذلك أنَّ القضيَّة مُقدَّرة، وكلّ إنسان خُلِق لِيَكون كافرًا أو مؤمنًا، من دون اختيار، لكان إرسال الأنبياء عبثًا، ولكان إنزال الكتب لعبًا، ولبَطَلت الجنّة والنار، والثَّواب والعقاب، ولتعطَّل لا اختيار، والتَّكليف، وأصْبحت الحياة تَمْثيليَّة ! فالإنسان مُخيَّر، ومخلوق للجنَّة، وأنت مطلوب إلى الله، وإلى رحمته أكثر ممَّا أنت طالب، والنبي عليه الصلاة والسلام أرْحم الخلق بالخلق قال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم..." لا يوجد إنسان على وَجه الأرض إلا ويتمنَّى السَّلامة والسَّعادة، ولكنَّ المؤمن أصابها، والكافر أخْطأها، فالكافر بَحَث عنها في المال فلم يَجِدها، وبحث عنها في النِّساء فلم يَجِدها، وبحثَ عنها في العلوّ في الأرض فلم يَجِدها، والمؤمن بحث عنها في طاعة الله فَوَجَدَها، أما مؤمن وكافر، وملْحِد، ومجوسي وعابد صنم، أو بقر، وأيّ إنسان على وَجه الأرض يبْحث عن شيئين عن سلامته، وعن سعادتهِ، والبطولة أن تبْحث عن اللُّؤلؤ في البحر، أما لو بَحثت عن اللّؤلؤ في الصَّحراء فلن تَجِدَهُ، فكلّ إنسان يبْحث عن السَّعادة بالمال فلن يَجِدها؛ لأنَّ السعادة لا تأتيك من الخارج بل تنْبُع من الداخل إن بَحَثْت عن السَّعادة في مضامنِها تَجِدها، ومضامنُها طاعة الله، وقال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾

[سورة الأحزاب]

وقال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى(14)﴾

[سورة الأعلى]

وقال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(1) الْذِينَ هُمْ فِيْ صَلاَتِهِم خَاشِعُوْن(2) ﴾

[سورة المؤمنون]

ابْحث في القرآن عن كلمة قد أفلح فإنَّك تجد معنى السَّعيد.

مُلخَّص الجلسة ؛ أنَّ كلّ إنسانٍ يبحث عن سلامته، وسعادته، فإما أن يبْحث عن سلامته وسعادته في مضانِّها، وهي طاعة الله والإقبال عليه وإما أن تبْحث عليها في غير مضانِّها، كما بحث عنها الكافر في المال فلم يَجِدها، وفي المرأة فلم يجِدها، وفي العلوّ فلم يَجدها، قال تعالى

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(103)الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(104)﴾

[سورة الكهف]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ(10)﴾

[سورة غافر]

فإذا الإنسان دخل النار يتألَّم من نفسه أشدّ الألم لماذا أنا هنا ؟ فهذا الإنسان إذا ارتَكَب حماقةً في الدنيا وأوْدَتْ به إلى السِّجن تجدهُ يلْعَنُ نفْسَهُ كلّ يوم ! قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ(10)﴾

[سورة غافر]

وأنتم في الدنيا حينما يدعوكم الله تعالى إلى طاعته والصلح معه وإلى التقرب منه، وإلى عبادته، ترفضون بِدَعاوى باطلة، ربُّنا عز وجل من ذاك الوقت يمْقتكم ! فلو أنَّ أبًا ترك ابنه الدِّراسة، فالابن فرحان وثاني ينام إلى الظهر، أما الأب يقطر قلبُهُ دمًا، أما الابن متى يتألَّم ؟ لمّا يكبر، لا بيت ولا زواج، ولا شهادة، ويشتغل عملاً شاقًّا، قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35)﴾

[سورة الزخرف]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-10) : تفسير الآيات 36 - 39

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السادسة والثلاثون من سورة الزخرف، وهي قول الله عز وجل:

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (37) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (38) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (39)﴾

[سورة الزخرف]

الإنسان في الحياة الدنيا مُكَلَّف أن يعبد الله عز وجل، ولِحِكمة بالغة قيَّض الله ملاكًا يُلْهِمُه الخير، وشيطانًا يُوَسْوِسُ له، ولكنَّ الشيطان ليس له على هذا الإنسان سلطان، قال تعالى

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)﴾

[سورة إبراهيم]

هذا الشيطان القرين الذي يُوَسْوِس ليس له على الإنسان سلطان إطلاقًا ! إلا أنَّه يُوَسْوِس، فإن لم يسْتجب له ارْتقى الإنسان، وإن استجاب له فهذا اختيار الإنسان، فالشيطان يُحَرّك الإنسان، فهو من حيث لا يريد، ولا يتمنَّى، يجعل حرارة الإيمان عالِيَة عند المؤمن، فأحيانًا يُطْرح في الأسواق كتاب كلّه ضلالات، قد يسأل سائل: ربُّنا جلّ جلاله ألا يعلم أنَّ هذا الكتاب كلّه ضلالات، فلماذا سَمَحَ لِمُؤَلِّفِهِ أن يُؤَلِّفه ؟ ولماذا سَمَح بِهذا الكتاب أن يُنْشَر ؟ هذا الكتاب يرفع حرارة الإيمان في المجتمع الإسلامي ! شبهات وضلالات، ويُقرأ ويُرَدُّ عليه، وتتحرَّك الفعاليَّة الدينيَّة في المجتمع، قال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ(112)﴾

[سورة الأنعام]

فيجب أن تعتقد أنّ أحدًا لا يضلّ أحدًا إلا أنَّ أحدًا يُحرّك أحدًا، فالشيطان حينما جعله الله قرينًا للإنسان من أجل أن يُحرِّكَهُ، وما أكثر مما يجعل الشيطان من وسوسته وهو لا يريد سببًا لِهداية الإنسان، فأحيانًا يكون هناك ابن عاق فيأتي شخص في الطريق فيَسُبّ له أباه سبابًا لا يُحتمل فعلى الرَّغم من أنَّه عاق، هذا السُّباب يُوَلِّد في نفسِه الحنين إلى الأب فيُدافِعُ عن أبيه، فهو قبل يومين كان عاقًّا، وبهذا السُّباب صار بارًّا فنحن لنا

الظاهر، ولكنّ الله جلّ جلاله له حِكَمٌ بالغة، لأنّ سؤالاً قد يُطْرح ؛ وهو يا ربّنا لما خلقْت لنا هذا الشيطان ؟! الشيطان لا يتحرَّك إلا بأمر الله، قال تعالى:

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(63)﴾

[سورة النحل]

أحيانًا تسْتحكم الشَّهوة في الإنسان فتَكون حِجابًا بينه وبين الله، وحِجابًا ثخينًا، فيأتي الشَّيطان فَيُوَسْوِس، ويُزَيِّن وينطلق الإنسان إلى الشَّهوة وكما يقول علماء النفس: فينْتشر الضَّغط، ويتبدَّد التوتر، ويكون هناك إصْغاء فتأتي المصيبة بعد هذه الشَّهوة التي أفرغها الإنسان بِوَسْوسة الشيطان فيُصغي إلى الواحد الدَّيان فيستقيم على أمره فالشيطان له دَور ولكنَّه هو بِوَسْوَسَتِهِ يجعل حرارة الإيمان عاليَة، يقول لك: كلّ شيء يحتاج إلى خالق، فمن خلق الله ؟!! ونحن عندنا قاعدة، وهي أنّ كلّ شيءٍ وقع فهذا يعني أنَّ له حِكمة، فما دام واقع فهذا له حكمة بالغة، فالذي يُصغي إلى الشيطان هذا يُصغي إلى شَهوته، ويفعل ما تُمليه عليه شَهوتُه، والشيطان قال كما قال عنه تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)﴾

[سورة إبراهيم]

والذي لا يُصغي إلى الشيطان يرْقى عند الواحد الدَّيان قال تعالى:

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(23)﴾

[سورة يوسف]

فالله عظيم، وهو الغني.

قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36)﴾

[سورة الزخرف]

أيْ إذا الإنسان ما نظَّف بيْته، فيأتي الذُّباب والبعوض، وكلاهما مُزعِج ووجود البعوض والذباب في البيت يعني ؛ قُمْ أيها الإنسان ونظِّف بيْتَك فالتَّقصير هذا ينشأ عنه حركة، والإنسان إذا ما اتَّصل بالله عز وجل يأتي الشيطان جاهزًا، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36)﴾

[سورة الزخرف]

فالشيطان وظيفته ؟ لما عَشِيَ الإنسان أيْ عَمِيَ عن ذِكْر الرحمن، فالعمى شيء، والعشَى شيء آخر، فالعَشى ضَعف الرؤيا، تجده مسلم يُصَلِّي ويرتاد المساجد ولكن رؤيته للتوحيد ضعيفة، ويؤمن أنّ الله خالق الكون أما أنّ كلّ شيء عنده فهذه يعتقدها ولكنّها ضعيفة في الواقع العملي فالعشى أقلّ من العمى، قال تعالى:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(46)﴾

[سورة الحج]

فالإنسان حينما تكون رؤيتُهُ ضبابيَّة، وغير واضِحة، يُقيِّ له شيطان وهذا الشيطان مهمَّته كالذُّباب تمامًا، يُزْعِج، ويُلقي الوساوِس، فلا يكون من الإنسان إلا أن يتوب، ويكون هذا الشيطان سبب توبة هذا الإنسان وهو لا يدري، لذا قال الله عز وجل:

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16)﴾

[سورة الأعراف]

يكون الإنسان شارد بالمعاصي والآثام، فلمَّا يتوب يأتيه الشيطان، ويُلقي له الوساوِس، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة الأعراف]

التقدّم والحداثة والعصْرنة، وعصر تكافؤ الفرص، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾

[سورة الأعراف]

التقاليد البالية، والعادات والتراث، قال تعالى:

﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾

[سورة الأعراف]

يقول له: لقد قرأت الفاتحة، ولكنَّ ما شدَّدت في الموضع اللاني فالصلاة فيها نقص والفاتحة فيها سبعة عشرة شدَّة ! يُيئِّسه !! فعن شمائلهم هي المعاصي والآثام والدش، والملهيات والزنا والاختلاط، والسباحة المختلطة قال تعالى:

﴿ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17) ﴾

[سورة الأعراف]

كان يرْبح خمسة ملايين وأصبح أربعة، ويشكي الفقر !! فلا يشكر ودائمًا يشْكو، قال لي شخص: لي مزرعة كلها تفاح، وقد خسرتُ فيها، فقلتُ له: هل أنت قادر على أن تعمل غسيل كلية ؟ فقال: لا، وهل تستطيع تغيير دسَّام قلب ؟ قال: لا، فقلتُ: احمَد الله، فكلٌّ من هذه تحتاج إلى الملايين ! فهذه زراعة الأسنان تحتاج إلى مليونين ليرة !! فالذي في صِحَّة تامَّة عليه أن يشكر الله، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17) ﴾

[سورة الأعراف]

كل شيء عنده ويشْكو الفقْر، وهم من خوفهم الفقر في فقْر، ومن خوفهم المرض في مرض، وتوقُّع المصيبة مُصيبة أكبر منها، قال تعالى

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36)﴾

[سورة الزخرف]

فمثلاً السوس من حِكَم الله البالغة، لأنَّه لولاه لخزَّنوا القمح بالسَّنتين، ثمَّ لا يبيعونه إلا بسِعر مغرٍ جدًّا، وبها تموت الشُّعوب ! فالإنسان لما يغفل عن الله تجد الشيطان جاهِز سألني أحدهم وقال: العسل عليه زكاة ؟ فقلتُ: نعم ! فقال: وإن لم ندْفَع فقلتُ له: قرَّاد النَّحل جاهِز !! هذه حشرة تفتك بالنَّحل، ولا تترُك، فإن أردتَ أن تدْفع الزَّكاة فأهلاً وسَهلاً، وإن لم تُرِد دفعها فقُرَّاد النِّحل جاهز قال تعالى

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (37)﴾

[سورة الزخرف]

دائِمًا وساوس الشيطان نحو المعصيَة، ونحو الدنيا، تجد الواحد يفكِّر في آمال بعيد، وقد يكون أجلهُ بعد ساعتين، وقد نُسِجَت أكفانه وهو لا يدري قال لي أحدهم " جاءني شخص وحيَّرني سِتَّة أشْهر أيعْمل الشوفاج داخلي أم خارجي !! لأنَّه خاف أن يعمله داخلي وبعد عشرين سنة يُكسِّر البلاط !!! أرأيت أمَل هذا الإنسان!! قال تعالى:

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67)﴾

[سورة الزخرف]

لذا لا تصاحب إلا من ينهضك حاله، ويدلّك على الله مقاله، وقال عليه الصلاة والسلام لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقيّ...".

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-10) : تفسير الآيتان 40 - 41

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الرابعة عشْرة من سورة الشورى، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14)﴾

[سورة الشورى]

كلمة تفرَّقوا تقودنا إلى بحث موضوع التَّفرُّق بين المسلمين، بل التَّفرّق بين أتباع الأديان كلِّها التَّفَرُّق أنواع ثلاثة ؛ تفرّق طبيعي، وتفرّق مذموم وتفرّق محمود.

التَّفرّق الطبيعي سببُه نقْص المعلومات، كان الناس أُمَّة واحدة فاختلفوا لا يوجد وحي حاسِم فاختلفوا، أوْضح مثَل ليلة العيد، سَمعنا صوت مَدفع يا ترى هل هم يفتحون طريقًا في الجبل ؟ ناس يقولون: صخرة بالجبل هدَّموها، وناس قالوا: غدًا ليلة العيد، فنحن اختلفنا لِنَقص المعلومات وكل إنسان يتوهَّم شيء، ويأتي بالدليل الضَّعيف، فهذا النوع من الاختلاف نوع طبيعي، فلا توجد معلومات دقيقة، حينها نختلف، قال تعالى:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(213)﴾

[سورة البقرة]

الآن بعدما نزل الوحي والكتاب المبين، والقرآن الكريم، وسنة واضحة وإله واحد، ونبي واحد ؛ حينها اخْتلف المسلمون هذا الاختلاف اختلاف قذِر ، أساسه الحسَد، والبغي والعدوان والهوى قال تعالى :

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14)﴾

[سورة الشورى]

البغي هو العدوان بِدافِع الحسَد، فالتّفرّق الطبيعي هو التفرّق الذي سببه نقص المعلومات والتّفرّق المذموم هو الذي سببه الحسَد والبغي، فالخِلافات التي بين الدُّعاة والخلافات بين الجماعات، والخلافات بين الأطراف ؛ هذه ليس مردُّها نقْص المعلومات، ولكن مردُّها التنافس على المكاسب، كُنَّا نُعْجب بِبِلادٍ في أقصى الشرق، فوقَفَت أمام أكبر دولةٍ في العالم ؛ ثمّ الآن نتألَّم أشَدّ الألم، وهذا الخلاف جرّهم إلى سفْك الدِّماء بينهم،

فَخِلافهم الآن خلاف منصب، وبغي وعُدوان، وليس خلاف عقيدة، وهذا الخلاف عند الله مذموم، وقَذِر، فأنا حينما أختلف معك فلِمَصْلحةٍ مادّية، وحينما أختلف معك لأُنافِسَك، وحينما أخْتلف معك لِمَكاسِب بين يدَيّ لا أُفرِّط بها، لذلك كنتُ أقول لكم دائِمًا ؛ هناك دعوة إلى الله تعالى خالصة، ودعوة إلى الذات باغيَة، دعوة إلى الذات مُغلّفة بِدَعوة إلى الله تعالى، فالدَّعوة إلى الذات مِن خصائصها ادّعاء التَّفرّد، ومن خصائصها الابتِداع، ومن خصائصها التنافس، ومن خصائصها جُحود ما عند الآخرين، أما الدعوة إلى الله تعالى الخالصة من خصائصها التَّواضع، ثمّ الاتِّباع، ثمّ التَّعاوُن ثمّ الإنصاف، فإذا كنت أيها الداعي مُتواضع ومُتَّبِع، وتعترف بِالآخرين، وتتعاون معهم، فأغلبُ الظنّ أنَّ دعوتك إلى الله تعالى خالصة، أما التنافس فهو دليل عدم الإخلاص، فيها دعوة إلى الذات، فنحن نُعاني لا من خلاف طبيعي مردُّه نقْص المعلومات، ولا من خلاف سيكون محمودًا بعد قليل، ولكن نحن نُعاني من خِلاف قَذِر سببهُ الحسَد والبغي، قال تعالى:

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14)﴾

[سورة الشورى]

بغْيًا مفعول لأجله، أيْ بِسَبب البغي والعدوان والحسد، إذًا هناك تفرّق طبيعي لا محمود ولا مذموم وتفرّق طبيعي سببه نقْص المعلومات.

الآن جاء الوحي الناصع، والنبي الصادق، وكلّ شيء واضِح ؛ قرآن كريم لا ريب فيه، وسنَّة مطهَّرة واضِحة، وقد قال عليه الصلاة والسلام

((فيما رواه ابن ماجه أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ *))

[رواه ابن ماجه]

أيها الإخوة الكرام، دقِّقوا في هذه الكلمات التي سأقولها ؛ ما من فرقة ضالة إلا ولها خصائص، أوَّل خاصَّة أن التَّركيز في الفرقة لا على المبادئ، ولكن على الأشخاص، وتأليه الأشخاص، ثمّ يصبح هذا الشَّخص مُشرِّع، وما قاله هو الحق، وما لم يقلهُ هو الباطل، فهذا أعلى إنسان على وجْه الأرض بعد رسول الله هو سيّدنا الصِّديق رضي الله عنه وفي أوّل خطبة خطبها قال: وُلِّيتُ عليكم ولسْتُ بِخَيرِكم، إنَّما أنا مُتَّبِع ولسْتُ

بِمُبْتَدِع، إن أحْسنت فأَعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني، فهذا كلام الصِّديق، قال: وأطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، وإن عصيتُهُ فلا طاعة لي عليكم ! فهل يتجرأ أحدنا بعد الصِّديق أن يقول: أنا لا أخطئ ؟! أو يقول أنا خيركم !! وكلامي تشريع !!!! مستحيل، إذًا الدعوة إلى الذات شيء والدعوة إلى الله شيء آخر، فالدعوة إلى الله فيها تواضع واتّباع وتعاون وفيها إنصاف، وإلى الذات فيها كِبر، وإنكار لفضل الآخرين، وتنافس، لذلك نحن لا يؤلمنا إلا التَّفرّق، وكلاً يُغنِّي ليلاه، وكلّ يدَّعي وصلاً بليلى فالذي يتوقَّع أنَّ الله له فقط، فهو خاطئ، وأنّ الجنّة له فقط ! نقول له: إنَّ الله تعالى لكلّ المسلمين، قال تعالى:

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾

[سورة الشورى]

عُدوانا وطغيانا وحسدًا، ويتَّبعون الدنيا والمكاسب.

لو سألني أحدكم ؛ أين هو التنافس المحمود ؟ قال: التفرّق المحمود هو تفرّق التنافس، فهذا اتَّجه إلى إعمار المساجد وهو يظنّ أنّه أعظم عمل وهذا اتَّجَه إلى نشْر الحق، وهذا اتَّجَه إلى إطعام الفقراء والمساكين وهذا أسَّس معاهد شرْعِيَّة، فهؤلاء تنافسوا مع إخوانهم في الحق، ولِخِدمة هذا الدِّين، وهناك من يعنيهم أن يرَوا الناس في بحبوحة ؛ فَيُؤَسِّس جمعيَّة خيريَّة، وإعانة المساكين وطلبة العلم، وإنسان نشر الحق، ونشر الفضيلة فنحن يمكن أن نتنافس تنافسًا شديدًا، والله عز وجل قال:

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ(26)﴾

[سورة المطففين]

وقال تعالى:

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ(61)﴾

[سورة الصافات]

فالتنافس الشريف أن نتسابق لِخِدمة المسلمين، فالذي يُدرِّس يُساهم، والذي يبني يُساهم، والذي يُطعم الفقراء يُساهم، والذي يرعى الأيتام يُساهِم والذي ينشر الكتب يُساهم، فالاختلاف الأوّل طبيعي، والاختلاف الثاني قذِر ؛ اختلاف الحسد والبغي ولا تنافس على الدنيا، والاختلاف الثالث محمود، قال تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ(26)﴾

[سورة المطففين]

فهناك من يرى أن التجويد هو كل شيء، وآخر يرى الفقه، وذاك المواريث، وآخر مصطلح وذاك في التفسير، وآخر جرح وتعديل، وهذا عالم بالفقه المقارن والأحوال الشخصيَّة، وهناك من درس الإنجيل وردّ على مُدَّعيه، فكلّ عالم أخذ جانبًا وتفوَّق فيه، فكل هؤلاء العلماء أخذوا جانبًا وتفوّقوا فيه وهذا تنافس محمود عند الله عز وجل، فالمسلمون والعلماء متكاملون يشدّ بعضهم بعضًا، لذا لو تعاون الدّعاة إلى الله تعالى لكانوا وحدة متكاملة، والعقيدة الصحيحة أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام معصوم بِمُفردِهِ، وأُمَّتُهُ معصومة بِمَجموعها، والله تعالى قال: وتعاونوا على البرّ..." فمُلخَّص الدرس أنَّ هناك تفرّق طبيعي سببه نقْص المعلومات، وآخر قذِر سببه المنافسة على الدنيا، وآخر محمود سببه التنافس في خِدمة هذا الدين، فأنت كُن مع الصِّنف الثالث، قال تعالى: فهدى الله الذين آمنوا....بإذنه " فكلٌّ مِنَّا يخدم الدِّين بما استطاع عليه، وبما يسَّر الله له، فكل إنسان يُيَسَّر لما خلق له، فأنْسب شيء يُناسبُك للجنَّة، وليس في الإمكان أبْدع مِمَّا كان.

أرجو الله أن يكون تنافسنا من أجل خدمة هذا الدِّين، وليس من أجل السعي للدنيا، وأن نُوطِّن أنفسنا من أجل التعاون لا التنافس القذِر، وأن لا نُنْكر فضل الآخرين، وأن تكون لنا أدوار، وأن نسمح لآخرين بإقامة أدوارهم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-10) : تفسير الآية 67

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة والستون من سورة الزخرف، وهي قوله تعالى:

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67)﴾

[سورة الزخرف]

الخُلَّة أعلى درجة في العلاقة بين شَخصين ؛ هناك الحبّ، وهناك المودَّة وهناك الخُلَّة، فإذا قلنا فلان خليل لِفُلان أيْ أنَّ أعلى علاقة بين اثنين تُغطِّيها الخُلّة، قال عليه الصلاة والسلام: المرءِ على دين خليله..." فالمرأة على دين خليلها، والنبي عليه الصلاة والسلام خليل الله، ونبيُّنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الله، فالأخِلاّء جَمع خليل، فكُلّ الأخلاَّء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوّ إلا المتقين لأنَّ أيَّة علاقة بين شَخْصين بُنِيَت على مصْلحة، أو على منْفعة، أو هدف مشْترك ؛ فهذه العلاقة يوم القيامة سوف تنقلب إلى عداوة فأحيانًا شَخصان يسرقان معًا ويكْسبان معًا ويتوزَّعان معًا، وينشأُ بينهما وُدٌّ من هذه المكاسب المشتركة، فإذا وقعا في قبضة العدالة انقلَبَتْ هذه العداوة والخُلَّة إلى عداوة، فأيَّة علاقة بين اثنين إن لم تكن وفق منْهج الله تعالى، وفي سبيل الله تعالى ؛ هذه العلاقة سوف تنقلب إلى عداوة، وهل مِن علاقة أقرب أو أمْتن من علاقة الزَّوج من زوجته، قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(14)﴾

(سورة التغابن)

فحينما تحملهُ زوْجته على الكسب الحرام سوف تنقلب هذه المودَّة والمحبَّة عداوةً يوم القيامة، وحينما تنشأ مودَّة بالغة بين الأب وابنته من دون أن تكون وفق منهج الله، وأطلق لها العنان، وسمح لها أن تخرج كما تشاء وأن تلتقي مع من تشاء، هذه يوم القيامة تقول: يا رب لا أدخل النار حتَّى أُدخل أبي قبلي ! فعلاقة الأم بابنها يقول عليه الصلاة والسلام بعد أن سألته السيدة عائشة: يا رسول الله أيعرف بعضنا بعضًا يوم القيامة؟ فقال: نعم إلا في أربعة مواطن..." فقد تقع عين الأم على ابنها، تقول له: يا بني، قد جعلتُ لك صدري سِقاءً، وحجري وِطاءً، وبطني وعاءً، فهل من حسنة يعود عليّ خيرها اليوم ؟يقول: ليتني أستطيع ذلك يا أُمَّاه إنّي أشكو مِمَّا أنتِ منه تشكين !! قال تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ(101)﴾

[سورة المؤمنون]

فالإنسان في الدنيا له جماعة وله من ينصرُه ولو على باطل، وله مَن يدْعَمُهُ، وله من يُدافِعُ عنه، ولكنّ الناس يأتون يوم القيامة فرادى، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ(94)﴾

[سورة الأنعام]

الله جلّ جلاله يقول في هذا الموضوع بالذات:

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ(24)﴾

[سورة ص]

لذلك لا يوجد واحد منَّا إلا وله مئات العلاقات أو آلاف العلاقات، هذه العلاقات إن كان أساسها الحق، وإن كانت وِفق منْهج الله، وابتِغاء مرضاة الله فهذه علاقة تدوم، وتبقى العلاقة والمودَّة حتَّى بعد الموت قال تعالى:

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67)﴾

[سورة الزخرف]

ولا يكملُ إيمان عبدٍ حتّى يُحِبَّ لله تعالى ويُبغض لله، ويحب لله، ويُعطي لله، ويمْنع لله تعالى، فإن كنت كذلك فقد اسْتَكملْتَ الإيمان، لذا دَقِّق في أيِّ علاقة بينك وبين الآخرين ؛ هل أساسها إرضاء الله، وهل تزور فلان في سبيل الله أم هناك مصالح ؟ وهل هذه المصالح مشروعة أو غير مشروعة ؟ وهل هي وفق منهج الله أم لا ؟.

أيها الإخوة الكرام، الله جلّ جلاله يقول:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾

[سورة الحديد]

أيْ أطيعوه، واتَّقوا أن تُغْضِبوه، واتَّقوا سَخَطه، واتَّقوا أن تَعصوه وتتِمَّة الآية وكونوا مع الصادقين، فكأنّ الله تعالى يقول: إن أردتم أن تُطيعوني فكونوا مع الصادقين ؛ اِجْعل البيئة التي حولك بيئةً مؤمنةً، ولا تُصاحِب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامَكَ إلا تقيّ، قال تعالى:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

وقال تعالى:

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

أذكر قبل عامٍ تقريبًا أخٌ كريم قال لي بالحرف الواحد: نستمع إلى الدرس فنتأثَّر به تأثُّرًا شديدًا، فإذا ذهَبنا إلى البيت عُدنا إلى ما كنَّا ! وقتها أجَبتُهُ إجابةً سريعة مختصرة، وقلتُ له: غَيِّرْ الطَّقْم !! فهؤلاء الذين تسْهر معهم وهؤلاء الذين تعيش معهم، وهؤلاء الذين تتعامل معهم إن لم يكونوا مؤمنين على شاكلتك جرُّوك إليهم، ونقلوك من حال إلى آخر، ومن تألّق إلى كمود، ومن إقبال إلى إدبار، ومن عطاء إلى منع، فيجب أن تُدَقِّق مع من تجلس، ومع من تسهر، ومع من تتعامل، ومع من تُسافر، وتمْحضُه وُدّك، فقَضِيَّة البيئة إن صحَّ التَّعبير أو العلاقات الاجتماعيَّة لها تأثير بالغ في سيْرِكَ إلى الله، إذا كنت مع المؤمنين فهذا نصَحك، وهذا أعانَك وهذا قدَّم لك الحقيقة، وهذا لم يُجامِلَك في معْصِيَة وهذا صبَّرك، وهذا دعَّمَك وهذا رفعك، لذلك الجماعة رحمة، والفرقة عذاب، قال عليه الصلاة والسلام: عليكم بالجماعة....القاصية " وقد ورد في الحديث أنْ وجَبَت محبَّتي للمُتحابِّين فيّ، وللمتجالسين فيّ، وللمُتباذلين فيّ، وللمتزاورين فيّ والمتحابون في جلالي على منابر من نور يغبطهم عليها النبيون يوم القيامة..." قُلْ لي مَن تُصاحِب أقُلْ لك مَن أنت. درسُ اليوم في العلاقات الاجتماعيّة، أو البيئة الاجتماعيَّة، وأنت مع من ؟ فإن كنتَ مع المؤمنين كان حالُك راقيًا جدًّا، وإن كنتَ مع أهل الدنيا كان حالك دونه، وكما قال سيّدنا عمر: من دخل على الأغنياء – غير المؤمنين طبعًا – خرج من عندهم وهو على الله تعالى ساخِط، والنبي عليه الصلاة والسلام في بعض توجيهاته يقول: لا تُصاحِب مَن لا يرى مِن الفَضْل مِثلما ترى له ! فأنت كمُؤمن مكانتك بِإيمانك، وإخلاصك، فلو جلسْت مع واحِدٍ من أهل الدنيا بِضاعته غير بِضاعتك، ومكتسباته غير مكتسباتك، ومجاله غير مجالك، فهو يُقَيِّمُكَ بِدخْلك فقط، وأنت تُقيّمُهُ بِعِلمِه واستقامته فلا هو يُعْجِبُك، ولا أنت تُعْجِبُهُ، فاللِّقاء بينكما لقاءٌ مُستحيل، لذلك لا بدّ من أن تكون مع الصادقين، قال تعالى

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(28)﴾

[سورة الكهف]

لا تُصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقيّ، قال تعالى:

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67)﴾

[سورة الزخرف]

فلا أحد ينفعُ أحد، ولو كان النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ(19)﴾

[سورة الزمر]

فلو أنّك استطعت أن تنتزِع من فم النبي عليه الصلاة والسلام فتوى لِصالِحِك، ولم تكن صادقًا لن تنْجو من عذاب الله !! قال عليه الصلاة والسلام: لعل أحدكم ألحن بحجّته من أخيه..." لذا لن تكون مؤمنًا حتَّى تبني كلّ علاقاتك وفق منْهج الله، تُحب لله، وتبْغض لله تعالى، وتعطي لله، وتمْنع لله، وتصل لله، وتقْطع لله، فإذا كنتَ كذلك كان هذا الذي تُعامله في الدنيا خليلاً لك في الدنيا والآخرة فالخلّة في مجال التقوى أبدِيَّة لذلك قال تعالى:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ(47)﴾

[سورة الحجر]

فأنت في الجنّة مع الصِّديقين والشهداء والنبيين، والصالحين، فنحن ما أُتيح لنا بِنَبيّ، وأن تلتقي بِنَبيّ شيءٌ لا يُصَدَّق، فهذا سيّدنا ربيعة يخدم النبي فيصْرفهُ عند العشاء، فيبقى على عتبة بيته حتى الفجر من شِدَّة تعلُّقه به، وسروره به، فالنبي أخذ من الله حظًا كبيرًا، قال عليه الصلاة والسلام: نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا..." فأنت في مجلس العلم لك حالٌ آخر، وإن جلسْت مع مؤمن كان لك حالاً آخر، فيجب أن تختار أصدقاءك وقرناءَك، وجُلساءك بعِنايةٍ بالغة، وكُن مع المؤمنين، فقد تجلس مع مؤمن سنوات ولا تسمع نمه إلى الخير، وحتى في المزاح، وقد تجلس مع غير المؤمن فلا تسمع إلا الشر، والمزاح المنحطّ، فأنت ممكن أن تُقيم علاقة مع غير المؤمنين في تجارة ؛ هذا لا يؤثِّر في إيمانك، أما المنهيّ هو العلاقات الحميمة، والسَّهرات، والنزهة فهذا يؤثِّر فيك، بدليل لو خلطت كأس ماءٍ صاف مع ماء عكر فالذي يتأثّر هو الماء الصافي، أما الماء العكر فقد يصفو قليلا!!

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-10) : تفسير الآية 72

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثانية والسبعون من سورة الزخرف، وهي قوله تعالى:

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (72)﴾

[سورة الزخرف]

هذه الآية الكريمة لو جمعناها مع حديث شريف صحيح نقَعُ في إشكال يقول عليه الصلاة والسلام: لن يدخل أحد منكم الجنة بعَمله، قالوا: ولا أنت...يتغمَّدني " فكيف نُوَفِّق بين هذه الحديث الصحيح الذي يُؤَكِّد أنَّ الإنسان لن يدخل الجنة بِعَمَلِهِ إنما يدخل الجنَّة بِرَحمة الله، وبين هذه الآية ومثيلاتها من الآيات التي تؤكِّد أنّ الجنَّة بالعمل، قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (72)﴾

[سورة الزخرف]

أضَعُ بين أيديكم مثَلَين يُوَضِّحان لكم طريقة التوفيق بين هذه الآية وهذا الحديث.

لو أنَّ شابًا في مُقتبل العمر تُوفِّيَ والدُه، وليس بين يديه مال يُنفقه على نفسه لِيُتابِعَ دِراسته، فجاء عمُّه وقال: يا بن أخي، إن عاهَدْتني أن أدْرُس فأنا أُنفقُ عليك إلى آخر مرحلةٍ من مراحل الدِّراسة، ففي السَّنة الأولى نال الدرجة الأولى فتشَجَّع العمّ وأنفق عليه، وتابع هذا الشاب دراسته إلى أن دخل الجامعة، وكليَّة الطبّ، والعمّ دائمًا يُنفق، وابن الأخ يتفوّق، وأنهى دراسته، فأرسله العمّ إلى أمريكا فنال درجة البورد، وفتح عيادةً، ومرَّةً يجلسان معًا، ويتسامران فقال الطبيب: لولا فضْلك عليّ لما كنتُ في هذا المقام، ولولا إنفاقُك لما كنتُ بهذا المقام، فقال العمّ: ولولا اجتهادك لما نِلْت ما أنت عليه، فقد حِزْت هذا بالاجْتِهاد، فكلام العمّ صحيح، وكلام ابن العمّ صحيح ! فإذا قلنا إنَّ الجنَّة هي بِعَمَل الإنسان الله جلّ جلاله جعل مفتاح الجنَّة عمل الإنسان، أما الجنَّة فهي بِفَضل الله عز وجل، تمامًا لو قلتَ: أنا سأهَبكَ بيتًا ثمنهُ خمسون مليون، أنت عليك أن تُدِّم لي ثمن المفتاح، خمسة عشرة ليرة، ولن أُعْطِيَن البيت إلا بهذا المفتاح ! فالمفتاح لا يساوي قيمة البيت، إلا أنَّني أردتُ أن أجعل نظاما فهذا البيت أمْنحُهُ لمَن يُقدِّم لي ثمن المِفتاح.

مثلٌ آخر، لو أنَّ أبًا وعد ابنهُ بِدَرَّاجةغاليَة جدًّا لِتَفوُّقِهِ، فلمَّا تلقَّى الابن نتيجة الدِّراسة إذا بِجَلائه امتياز، يتوجَّه مباشرةً إلى بائع الدرجات ويقول له: أعْطِني هذه الدراجة، وهذا هو الجلاء !! هل يعطيه البائع الدراجة؟! هذه الدراجة لها ثمن يدفعُهُ الأب، ولكنّ الأب ربَطَ الدراجة بِالتَّفوُّق فالدَّراجة محظ فضْل من الأب،

أما ثمنها تفوّق الابن، فإذا قلنا في أكثر آيات القرآن إنَّ الجنَّة بالعمل أيْ أنَّ الله جلّ جلاله لِيَكون عادلاً بين خلقه ولِيكون هناك تكافؤ فُرَص، واقتِسام للجنَّة بِحَسب العمل، قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(19)﴾

[سورة الأحقاف]

جعل هذه الجنَّة ثمنها أو سببُها العمل الصالح أما هي مخض فضْل من الله عز وجل، عندها يقول عليه الصلاة والسلام: لا يدخل أحدكم الجنة بعمله..." فالعمل لا يكفي ان يكون ثَمن الجنّة ولكنّ الله تعالى جعل هذا العمل الصالح والمستقيم سببًا لدُخول الجنَّة، فالمفتاح ثمنها خمسة عشرة ليرة لا يكفي ثمنًا للبيت، لكن هذا المفتاح سبب لِدُخول البيت وليس ثمنًا، ونحن كلّ أعمالنا الصالحة، وكل استقامتنا، وكلّ ارتباطنا وصدقاتنا، وأداء العبادات، والمعاملات ؛ كلّ هذه الأعمال هي سبب لِدُخول الجنَّة وليْسَت ثمنًا لها لأنَّها لا تُقدَّر بِثَمَن، إنما هي مِنْحة من الله عز وجل، وفضْل منه ولذا قال علماء العقيدة: الجنّة مَحضُ فضْل، والنار محْض عَدلٍ، وعلماء النحو يقولون: هذه الباء هي باء السَّببِيَّة، قال تعالى:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(32)﴾

[سورة النحل]

بِسَبب عملكم، وليس تعويضًا عن عملكم لأنَّها أكبر بِكَثير، لذلك لو استقام الإنسان وقال: أنا أسْتَحِقّ الجنَّة ! فهذا كلام غلط، لأنَّك باستِقامتك قدَّمْت سبب الجنَّة وليس ثمنها، فثَمَنُ الجنَّة لا يُقدّر، أحد الصحابة الكرام اسمهُ زَيد الخير، وهو من الشخصيات النادرة في الجاهليَّة، وكان طويل القامة إلى درجة أنَّه إذا ركب فرسَهُ لامَستْ رِجلاه الأرض ! وكان صَبوح الوَجه، ومن أجمل خلق الله، وكان شُجاعًا وكريمًا...ولمَّا سَمِع بِدَعوة النبي عليه الصلاة والسلام قَدِم المدينة فدَخَل المدينة وقْت صلاة الجمعة، والنبي عليه الصلاة والسلام يخطب، فقال عليه الصلاة والسلام مُنوّهًا للحاضرين: أنا خير لكم من الجمل الأسود، وخير لكم من الذَّهب والفضَّة، وخير لكم مما تعبدون، تقدَّم منه بعد انتهاء الصلاة وعرَّفهُ بِنَفسهِ، وقال: أن زيد الخيل فقال عليه الصلاة والسلام: بل أنت زيد الخير ! وأخذهُ إلى بيته، وفي البيت قال له: يا زيد، ما وُصِف لي رجل فرأيتُهُ إلا رأيتُه دون ما وُصِف إلا أنت يا زيد !! ولله درُّك أيُّ رجلٍ أنت ؟! فقال: أعْطِني ثلاث مائة فارس لأغْزُوَ بهم الروم ! فأعطاهُ النبي وِسادةً لِيَتَّكِأ عليها، فقال له: والله يا رسول الله لا أتكئ في حضْرتك، ثمَّ ودَّع النبي وسار إلى أهله، وفي الطريق وافتْهُ المنيَّة، وهو أقْصر عمر صحابي وافتْهُ المنيَّة !!! فالجنَّة ليسَت بعَمَلنا، ولكنَّها بِفَضْل الله تعالى، أما عملنا فهو سبب للجنَّة، وليس ثمنًا لها، لذا ورد عن الإمام جعفر رضي الله عنه أنَّه روى قدسيًا يقول الله عز وجل: أُدخلوا الجنَّة بِفَضلي، واقْتَسِموها بِأعمالكم، قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(19)﴾

[سورة الأحقاف]

هناك درجات عالية، كما أنَّ هناك درجات منخفضة، والنبي عليه الصلاة والسلام قال: عُلُوّ الهمَّة من الإيمان..." الآية الكريمة:

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (72)﴾

[سورة الزخرف]

فالعمل سبب وليس ثمن، ولذا ورد في سورة يونس:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ(108)﴾

[سورة هود]

قال علماء التفسير: ليس هناك خر زج من الجنَّة، ولكن ينبغي أن لا يتوهَّم أهل الجنّة وهم في الجنَّة أنَّهم دخلوها بِعَمَلِهم، فأنت قد تشتري بيتًا بثلاثة ملايين دون أن يُنقص لك صاحبهُ شيئًا، فأنت لا تشعر بالفضل من صاحب البيت إطلاقًا، أما في الجنَّة فالإنسان إن قال: هي بِعَملي ! لا، هي بِفضْل الله ورحمته، فالعمل سببًا لدخولنا الجنَّة وليس ثمنًا، فهذه الآية وهذا الحديث ينبغي أن نفهمهما فهمًا جيِّدًا، قال عليه الصلاة والسلام: لن يدخل الجنَّة.....يتغمَّدني الله برحمته ".

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-10) : تفسير الآية 79

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية التاسعة والسبعون من سورة الزخرف، وهي قوله تعالى:

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79)﴾

[سورة الزخرف]

أبْرَمَ الأمر أي عقَدَهُ وأقَرَّهُ وأنْفَذَهُ، والآية دقيقة جدًّا، فالإنسان أحيانًا يتَّخذُ قرارًا فيغْتَصِبُ مالاً ويتّخذُ قرارًا فيَنْتَهِكُ عِرْضًا، يتَّخِذُ قرارًا فَيُطَلِّقُ زوْجةً، يتَّخِذُ قرارًا فيَغُشُّ في بيْعِهِ وشِرائِهِ، هذا الإنسان حينما يتَّخِذُ هذا القرار ليْتَ أنَّهُ يعْلمُ أنَّهُ في قبْضَةِ الله، وأنَّ الله تعالى قد يُعاقِبُهُ عِقابا سريعًا، فيَجْعَلُهُ يدْفعُ الثَّمَن باهِظًا. حدَّثني رجلٌ أنَّهُ عَمِلَ مكان أبيه في تِجارةِ الصوف، توهَّم أنَّ الذَّكاء أنْ تأخذ ما ليس لك، فذَهَبَ لِيَشْتَرِيَ الصوف مِن البادِيَة وقال لي بالحرف الواحِد: بدأتُ أوهِمُ صاحب الصوف أنَّ الوزْن دقيق جدًّا، فيقول له مثلاً: ثلاثة وعشرون وسبع مائة غرام، فصاحِبُ الصوف ما سَمِعَ بِحياتِهِ وزنٌ بالغرامات، فَطَرِبَ أشَدّ الطَّرَب وأثنى على هذا التاجِر الصادِق الدقيق والورِع، ولكنَّهُ كان يُنَقِّص عشرة كيلو غرامات ويُضيف له ثلاث مائة غرام، فلمَّا جمَعَ هذه البِضاعة في الشاحِنَة ؛ نظَرَ هذا البدَوي إلى هذه الكَمِيَّة، ووازَنَ بين الوَزن الذي أعطاهُ إيَّاه، فشعَرَ بالحاسَّة السادسة أنَّ هذا الوَزن الذي أعطاه إيَّاه لا يتناسَب مع هذا الحجْم فقال له: إن شاء الله بِرَقَبتِك !! يقول لي صاحب العمل: بعد أن خَرَجتُ من عند هذا البدَوي، واتَّجَهْتُ نحو الشام، ومعي سيارة شاحِنَة فيها صوف وسَمن بلدي، دَخَلتُ في صِراع ؛ هل أعود إليه فأدْفَعُ له الفرْق، أم أُتابِعُ السَّير إلى دمشق، قال لي: دَخَلتُ في صِراعٍ مديد مِن مكان بيع الصوف إلى قرب مدينة كذا وكذا، وبهذا المكان بالذَّات قلتُ: لن أعود ! فهذا أقْسَمَ بالله العظيم ما إن أتمَّ قرارهُ هذا النفسي فإذا به يصْطَدِم بِشاحنة أخرى، ووجدَ نفسهُ في وسَط من الدِّماء، وتدفَّق السَّمن وعَلِمتُ أنَّ الله تعالى قد أبْرَمَ قرارًا بعد أن أبْرَمتُ قرارًا ! قال تعالى:

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79)﴾

[سورة الزخرف]

هذه الآية دقيقة جدًّا، فقبْلَ أن تتَّخِذ قرارًا بأخْذ ما ليس لك، وقبل أن تتّخِذ قرارًا باغْتِصاب بيْتٍ أم دُكَّانٍ أو أرْضٍ وقبل أن تتَّخِذ قرارًا بأن تتلاعب في التَّرِكَة، فإذا كنتَ أخًا أكبر، وأخذتَ حقّ إخوتِكَ الصِّغار، ويخافون

منك، ونِلْتَ الحِصَّة الأوْفى، وسكتوا خوفًا منك، يجب أن تعلم أنَّك إن اتَّخَذْتَ قرارًا باغْتِصاب بيتٍ فالله تعالى يتَّخِذُ قرارًا، وأنت في قبْضَتِهِ.

حدَّثني رجل يعْمَل في تصليح السيارات، وجاءهُ شَخص معه سيارة حديثة جدًّا، وهو يجهل طبيعة الخلل الذي أصابها، فقال له المصلِّح هذه تحتاج إلى عشرة آلاف ! وهي تحتاج إلى عشرة آلاف ليرة، وتصليحها يدوم ثلاثة أيَّام ! فهذا المصَلِّح أخذَ أهله أوَّل اليوم إلى الزَّبداني، وثاني يوم إلى المطار، وثالث يوم إلى الوادي، وصلَّحها بِرُبْع ساعة، وبعدها جاء صاحبُ السيارة فأعطاهُ سيَّارتهُ، وأخذ عشرة آلاف ليرة، جارُه أحدُ إخواننا بالمسْجد قال له: هذا لا يجوز، فقال له الغاشّ: هكذا الأصول ! في التالي دفَّعَهُ الله خمسة وعشرون ألف ليرة لِمُصيبةٍ أصابت ابنَهُ كلَّفته هذا المبلغ ! قال تعالى:

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79)﴾

[سورة الزخرف]

لذا قبل أن تُبْرِمَ أمرا تذكَّر أنَّ الله يُبْرِم، وقبل أن تعتَدي تذكّر أنَّ الله تعالى أقْدرُ عليك مِمّن اعْتَدَيتَ عليه، حديث: اعلم أبا ذرّ أنَّ الله أقْدر عليك مِنك عليه..." وقفَ رجلٌ مُتَّهَمٌ أمام الحجَّاج وأراد أن يقتُلَهُ، فقال: أسألكَ بالذي أنت بين يدَيه أذَلُّ مِنّي بين يدَيك، وهو على عِقابِكَ أقدرُ منك على عِقابي ! فالإنسان إذا تكبَّر أو تجبَّر أو تبخْتر أو إذا تَعَجْرف وتغَطْرس، وقال: أنا أفعلُ ما أشاء، وأنا سأتّخذُ هذا القرار لِيَذْكُر أنَّ الله سبحانه وتعالى له بالمِرصاد، وأنَّ الله قد يُحاسِبُهُ حِسابًا عسيرًا، وإنَّ بطش ربِّك لشديد، الله جلَّ جلاله إذا أخذ العبد الظالم أخَذَهُ أخْذَ عزيز مُقْتَدِر، وجَعَلَهُ عِبرةً لِمَن يعْتَبِر.

وقِصصٌ كثيرة لا تُحصى أمام هذه الآية، فكُلَّما كنتَ عاقلاً، وكنتَ مُوَفَّقا، ومؤمنًا خاف الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: رأس الحكمة مخافة الله.." أنت إذا خِفْتَ من الله عز وجل كنتَ أعْقَل الناس، وأذْكر أنَّني قلتُ مرَّةً لِرجُلٍ وبإمكانِهِ أن يؤْذي الناس جميعًا ولا يُحاسَب فقلتُ له: اعْلَم أنَّ الله تعالى عندهُ تَشَمُّع كَبِد، و خثْرة بالدِّماغ، وسرطَان، وعنده أمراضٌ لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، وكلُّ مرضٍ إذا ساقَه الله للإنسان يجْعَلُ حياتَهُ جحيمًا، فهُنَاك مَن يدُهُ طولى في الأذى، فجأةً كفَّ عن الأذى، فلمَّا سُئِلَ ؛ قال: أربعة أولادٍ بُلْهٍ جاءوني ! وهناك مَن يُحِبُّ أن يُثْبِتَ وُجوده بالإيقاع أمام الآخرين، هؤلاء الناس الذين يعيشون على أنقاض الآخرين، ويبْنون سَعادتهم على شَقاء الآخرين، ويبْنون اموالهم على إفْقار الآخرين، وهؤلاء الذين يحْتالون في البيع والشِّراء، هناك أساليب للغِشّ لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، وأساليب للاحْتِيال لا تُعَدُّ ولا تُعْصى، فهؤلاء الذين تَغُشُّهم وتُؤذيهم تُخيفُهم، لهم ربّ وأنت بِيَدِهِ، وصِحَّتُكَ بيَدِه، وقلبُكَ بيَدِهِ، ودسَّاماتُ قلبكَ بيَدِهِ، وشرايينُكَ بيَدِهِ، وكلّ

أجْهِزَتِك، فقد تنْمو الخلايا نموًّا غير طبيعيّ، وأحيانًا يتلقَّى الإنسان خبرًا عن صِحَّتِهِ، يموت مِن شِدَّة الخوف، قال له الطبيب: معك مرض خبيث، ومعك أربعة أشْهر كَعُمْرٍ أقصى ! في اليوم الثاني مات ذلك المريض !! فالإنسان جِسْمُهُ بِقَبْضة الله.

فقُلتُ له: كلُّ هؤلاء الناس عِباد الله، والله عنده أورام، وفشَل كَلَوي ذكَر لي شَخص توفِّي رحمه الله: أنَّ الطبيبة بِمَركز غسيل الكلاوي ضربتْهُ وقالت له لا تشْرب الماء كثيرًا !! وهناك تشمُّع كبد، وورم خبيث، وخثرة بالدِّماغ، وفقْد ذاكرة، قال تعالى:

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79)﴾

[سورة الزخرف]

هذه الآية أيها الإخوة يجب أن تبْقى في ذِهْن كلّ إنسان فالطبيب أحيانًا يقول لك: أنا أستطيع تَحصيل دَخل كبير جدًّا وبطَريقة يسيرة ؛ فقط عشرة تحاليل للمريض، يتَّفِق مع المُحَلِّل، والباقي يُرمى ! فهذا أبْرَمَ أمرًا، شَهِدَ الله تعالى أنّهُ زارني طبيب معه اثنان بورْد وخرَّج خمسين جيلاً من الأطِبَّاء، عمره سبعون سنة، وأنا أحْسبُهُ صالحًا ولا أُزكّي على الله أحدًا، قال لي: جاءَتني طبيبة معها سرطان بالصَّدر ومنتَشِر إلى الكَتِف، فتألَّم أشَدّ الألم لِحالها، وعنَّف زوْجها في غرفة أخرى، وقال لِزَوجها أنت مُجرِم بحَقِّها، فقال الزَّوج: ولماذا ؟ فقال الطبيب: لأنَّ هذا المرض لمَّا كان كَحَبَّة الحِمِّص ما عالَجتَهُ، فلماذا أنت مُهْمِل لِزَوجتك ؟ فقال الزَّوج: أنا لسْتُ مهمِلاً، وإنّما كنتُ أُعالج عند الطبيب الفلاني سنَتَين !! قال لي هذا الطبيب: والله طالب طِبّ صفّ ثاني يعلم أنَّه مرض خبيث ! ولو أرْسلَهُ إلى طبيب مخْتصّ لعالَجَهُ، ولكن تركَهُ لِيَبْتزَّ مالهُ، وبعد سِتّة أيَّام ماتَتْ المرأة، وبعد أحَدَ عشرة شهْرًا يدْخُل عليَّ إنسان أنيق المظْهر، وجلسَ على الكرسي الذي جلسَ عليه زوْج المريضة المُتَوفّاة، وجلسَ مُتهالِكًا، فقلتُ له: أهْلاً وسَهلاً ما الموضوع ؟ فقال لي: سرطان بالصَّدر، فقال له وما اسْمُك ؟ فقال له: الطبيب الفلاني، وكان هو الطبيب نفسُه الذي عالَجَ المرأة المُتَوَفَّاة !! يُقْسِم بالله العظيم بِحَسبِ خِبْرتِهِ أنَّ هذا المرض بدأ ينْمو ساعة مُخاطبة زوج المُتَوَفَّاة ربَّه !! قال تعالى:

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79)﴾

[سورة الزخرف]

وهذا إنسان في طريق عريض أراد أن يخْتبِرَ قُدراتهِ في سياقة السيارة فقصَّ يدي كلبٍ كان جلسًا على الطريق بمهارة فائِقَة، وأطْلَقَ ضِحْكةً هِسْتيريَّة، وكان يوْمها السَّبت، وفي السَّبت التالي ؛ تعطَّلَت سيارة ذلك الأبله، فرفَع سيارته على الجهاز، ونزَعَ الدولاب مِن مكانِهِ، فوَقَعَت السيارة فوق الدُّولاب، والدُّولاب فوق يَدَيه، وإلى أن ذَهَب إلى المستشفى اسْوَدَّت يداه، فقُطِعَتَا من رُسُغَيْه في السَّبت التالي، قال تعالى:

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79)﴾

[سورة الزخرف]

وهذا رجل طرقَ الباب على عائِلَة وهم يأكلون، فهمَّت الزَّوجة أن تُعْطيه بعض الطعام، فقال الزَّوج: اطْرُديه ! بعد ذلك ساءَت العلاقة بين الزَّوجين حتَّى طلَّقها، فتزوَّجَت مِن إنسانٍ آخر، فكانت جالسَة مع الزَّوجِ الجديد فَطُرِقَ الباب، وذَهَبت لِتَفْتَحَ الباب فرَجَعَت مُضْطربة، فقال: من السائل ؟ فقالت: سائل ! فقال: من هو ؟ فقالت: زوْجي الأوَّل، فقال لها: هل تعلمين مَن أنا ؟ أنا السائل الأوَّل، قال تعالى:

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79)﴾

[سورة الزخرف]

أحدهم ذَهَب للحجّ على الباخرة، وحوله حُجَّاج كلُّهم تُجَّار، جلسوا يتكلَّمون على تِجارتهم، وكان هو مُوَظَّف مالِيَة، فلمَّا رجع إلى بلَدِهِ حاسبهم واحِدًا واحدًا ! فأُصيبَ بِمَرض عُضال !! سبحان الله وهو بالحجّ يشتغل للدنيا ! فهذه الآية دقيقة جدًّا، وعلى المؤمن أن يُفَكِّر فيها دائمًا فقبْلَ أن تغْتصب، وقبل أن تُطَلِّق، وقبل أن تنتهِكَ عرضًا، اقْرأ هذه الآية.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-10) : تفسير الآيتان 83 - 84

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، ربنا جلَّ جلاله هو الذي خلقنا، وأنزل علينا الكتاب وجعلهُ منْهجًا لنا، وجَعَل الكون كلَّه دالاًّ عليه ؛ على وُجودِهِ ووحْدانِيَّتِهِ وكمالِهِ، فلو تركنا وشأننا دون أن يُربّيَنا، ففي الأعمّ الأغلب يموت الناس كُفَّارًا، ولكنَّ الله ربُّ العالمين، بِمعنى أنَّنا إن ارْتَكَبنا خطأً يُحاسبنا، ويُرْشِدُنا، ويُقَرِّبُنا، ويحْمِلُنا على التَّوبة. أَضْربُ لكم مثلاً، لو أنَّ صاحب معمل أو مُؤسَّسة تِجاريَّة أراد أن يُعَيِّن مُوَظَّف، فهذا المُوَظَّف قد يُعَيّنُهُ على شرْط التَّدريب، ستَّة أشْهر تدريب فإمَّا أن يقْبلَهُ ويُثَبِّتَهُ، وإمَّا أن يصْرِفَهُ، ومدير هذه المؤسَّسة لو كان ينْطوي على قلبٍ رحيم، وعلى حِرصٍ شديد على هذا الموظَّف، كلَّما أخْطأ أرْشَدَهُ إلى خطئِهِ، ودلَّهُ على الصَّواب، فإذا هذا الموظَّف يصْعد في خِبراتِهِ إلى أن يُرْضِيَ صاحِبَ المعمَل، والموقف الآخر كلَّما أخطأ نُسَجِّل عليه خطأَهُ، ولا نقول له شيئًا فإذا تراكَمَتْ أخطاؤُهُ نصْرِفُهُ مِن العَمَل، فالموقف الأوَّل هو موقف ترْبيَة، والموقف الثاني قمْص، لذا الكون يدُلُّ على الله، والأنبياء يدْعون إلى الله، والكتُب السماوِيَّة تُشير إلى عظمة الله، وانتهى الأمْر، ويَدَعنا ربُّنا وشأننا، وعِنْدئِذٍ يستسْلِم الإنسان لِشَهواتِهِ، وينْساق مع لذَّاته، وإلى أن يأتِيَ ملكُ الموت فإذا هو حاسِر.

قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ(47)﴾

[سورة القصص]

لولا أنَّ الله يؤدِّبُنا يرْشِدُنا ويُخيفنا أحيانًا، ويُضَيِّقُ علينا ويُقنِّنُ علينا رزْقنا، لما الْتَفَتنا إليه، و فهو تعالى ربُّنا، فالبديل أن تُلغى الأمراض ويُلغى الفقْر، وكلّ شيء متوافِر، والله عز وجل إذا قنَّن لا يُقَنِّن عن عَجْز، ولكن للتَّأديب، فالتَّقنين هو تقنين تأديب، لأنَّ ما مِن شيءٍ إلا وعند الله خزائِنُهُ، قال تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ(21)﴾

[سورة الحجر]

فلمَّا يفْهم الإنسان المُصيبة فهْمًا عميقًا وفَهْم ترَوي، وفَهم تأديبي يتفاعَل معها، ويستفيد منها.

مرَّةً جاءني رجل، وقال لي بالحرف الواحِد: أنا كنتُ في فرنسا أدْرس وما مِن معْصِيَةٍ على الإطلاق تطر في بالِك إلا ارْتَكَبتُها، ومهما تكن شاذَّة إلا القتْل، وجئتُ إلى البلد، ونقلتُ ما في فرنسا مِن معاصي إلى بلدي ؛ بيتي فيه الاخْتِلاط والرَّقص والغناء والنوادي الليليَّة، وفجأةً الصورة التي أمامي بدأتْ تهتزّ، وفقدْتُ القُدرة على التَّوافق الحركي مِن أجل أن أمْسِك بالكأس أحاول الكثير حتَّى تأتي يدي مع الكأس، وإذا سِرْتُ فقَدْتُ التَّوازُن، ولا بدَّ مِن إنسانين يقوداني إلى هدفي، وفي الشام الْتَقَيتُ بِسَبعة عشر طبيبًا، ولم أسْتَفِد شيئًا، وعُدتُ إلى فرنسا، ودخَلتُ أرْقى مشْفى فيها، وأوَّل ما فَحَصوني على بِساط إلكتروني قالوا لي: هذا المرض نادِر جدًّا في العالم، نِسبة حُصولِهِ واحِد على ثلاثة عشرة مليون !! وقالوا لي كلامًا آلَمَني أشَدَّ الإيلام ؛ أنت ضَيفٌ فرنسا ذهابًا وإيَّابًا وإقامةً ونفقَةً !! قال لي: صِرتُ حقْل تجارب !! فهو يَهُمُّهم مُتابعة المرض مِن أجل الاسْتِفادة منه، والتَقى مع أعلى طبيب في العالم في هذا الاخْتِصاص، جاءوا به مِن بلدة أخرى بِطائرة، وبعد مُعالجات دامَتْ سِتَّة أشهر قال الطبيب: هذا المرض لا شِفاء له ! اِذْهَب إلى الهِند ومارِس رِياضة اليوكا فلعلَّكَ تنسى بِها مرضَك !! وهذه القِصَّة مِن فَمِهِ إلى أُذُني، فعاد هذا الأخ إلى الشام، فساقهُ أحدُ الأشخاص إلى درس مِن دروسِك، وأثناء الدَّرس خاطَب الله عز وجل، وقال له: يا ربّ إن شَفَيتني سأُصَلِّي ! لأنَّني ما صلَّيتُ بِحياتي ولا ركعة، ولا توضَّأْتُ ولا اغْتَسَلتُ ! فَحَضِرَ درسًا ثاني فألْهَمَني الله تعالى أن قلتُ في درسي: الله جلَّ جلاله، لا يُشارَط ولا يُجَرَّب ! فنوى هذا الأخ أن يُصَلِّي، فذَهَب إلى البيت، واسْتعان بِزَوجَتِهِ على أن يتوضَّأ، وصلَّى أوَّل ركعتين في حياتِهِ، وانْهَمَرَتْ دُموعِهِ بالبُكاء، ثمَّ فوجئ بعد ساعة أنَّ صورة للأشياء ثَبَتَتْ، فلمَّا وقفَ وقَعَ، وبعد ساعة ثانِيَة وُفِّق إلى تناوُل كأس الماء وإلى أن يمْشي وحْدهُ، والْتَزَم دُروس العِلم، وتاب إلى الله توبةً نصوحة، فهذا الذي آتاهُ الله ذكاءً وشَكلاً ووسامةً لو ترَكَهُ بلا مرض لماتَ وهو على الكُفر والعِصْيان، وهذه القِصَّة تتكرَّر ملايين المرَّات قال تعالى:

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(17)﴾

[سورة القلم]

في نهاية هذه القِصَّة قال تعالى عن أوسَطِهم، قال تعالى:

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ(28)﴾

[سورة القلم]

ربُّنا عز وجل يقول فيها:

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(33)﴾

[سورة القلم]

أي يا عبادي، كلُّ أنواع العذابات التي أسوقها لكم مِن هذا النَّوع التَّأديبي قال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(30)﴾

[سورة الشورى]

الآية الثانِيَة، وهي قوله تعالى:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(21)﴾

[سورة السجدة]

فآية اليوم إذا الإنسان أدخلهُ الله تعالى بالهُدى البياني، وما اسْتَجاب فأدْخَلَهُ بِمَرحلة التَّأديب التَّرْبَوي فما تاب، فأدْخلهُ بِمَرحلة التَّأديب الاسْتِدراجي فما شَكَر، لم يبْق إلا أن يقْصِمَهُ، فآيَةُ اليوم:

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83)﴾

[سورة الزخرف]

هذه آية تَهديد، فالإنسان إذا ما اسْتَجاب لله تعالى، فالله جلَّ جلاله يقول: ذَرْهم، أما حينما يأتون سَيُصْعَقون قال تعالى:

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83)﴾

[سورة الزخرف]

وقال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84)﴾

[سورة الزخرف]

هو يُربّينا وحينما تعتَقِدُ أنَّ جهةً غير الله تُديرُ أمْر العالم فهذا هو الكُفْر بِعَينِهِ، أو هذا هو الشِّرك بِعَيْنِهِ ؛ الشِّرك الجليّ ومن هذه القِصَّة التي ذَكَرتها لكم آلاف القِصص، بل إنَّ كلَّ مصيبةٍ يسوقها الله تعالى للإنسان هدفُها أن تأخذ بِيَدِهِ إلى الله، وأدَقُّ ما في الموضوع أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول في آيتَين تدَعان الإنسان في حَيْرة، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(118)﴾

[سورة التوبة]

وفي أخرى، قال تعالى:

﴿تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(89)﴾

[سورة آل عمران]

يا ترى توبة الله ما معناها ؟ما معناها إذا جاءَت قبل توبة العبد ؟ وما معناها إذا جاءَت بعد توبة العبد ؟ العلماء قالوا: تاب عليهم لِيتوبوا ؛ أي ساق لهم مِن الشَّدائد ما حَمَلهم بها على التَّوبة، وألْجأهم إلى أن يتوبوا وضيَّقَ عليهم، أما الثانيَة تابوا فتاب عليهم أي تابوا فقَبِلَ توبتَهُم، وفرْقٌ بين أن يتوبوا فَيَقْبَلَ الله تعالى توبتَهم، وبين أن يسوق لهم مِن الشَّدائِد ما يحْملهم على التَّوبة، فآية اليوم:

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84)﴾

[سورة الزخرف]

أصحاب المراكز القويَّة الذين معهم السِّلاح النَّوَوِي، والذين معهم أزرار هؤلاء عندهم من الأسلِحَة النَّوَوِيَّة ما يُدمِّرون بها الأرض خمسة مرَّات فغير المؤمن ينظر إلى هؤلاء، مع أنّ الله عز وجل يقول:

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(24)وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(25)﴾

[سورة يونس]

آخر آية بالدَّرس، هناك آية تُحيِّر العُقول، قال تعالى:

﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ(53)﴾

[سورة الشورى]

ما معنى صارَ ؟ تقول: صار الماء ثلجًا، فإذا قلنا إلى الله تصير الأمور، فَبِيَدِ مَن كانت حتَّى صارَت إليه ؟ فأهل الدنيا لا يرَوْنَ أنَّ الأمر بيَد الله، أما إذا توفَّاهم الله يوم القيامة أكثر كفَّار الناس يرى أنَّ الأمر بيَدِ الله، أما في الدنيا يراه بيَدِ زيدٍ أو عُبيْدٍ أو علاَّن أما في الآخرة يوَحِّد شاء أم أبى، وهذا توحيد لا قيمة له، فَفِرْعون ووحَّد قال تعالى:

﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ(91)﴾

[سورة يونس]

فنحن خيارنَا مع الإيمان خِيار وقت، وليس خِيار قَبول أو رفض.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثامن : تفسير سورة الدخان

الدرس (1-1) : تفسير الآيتان 38 - 39

الدرس (1-1) : تفسير الآيتان 38 - 39

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام ؛ الآية الثامنة والثلاثون من سورة الدُّخان ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾

[سورة الدخان الآية : 38]

فهذا الذي يقول : جِئْتُ مِن أين ؟ ولكنّي أتَيْتُ ! فرأيتُ قُدَّامي طريقًا فَمَشَيْتُ أينَ كنتُ ؟ لسْتُ أدْري ! فهذا الذي يقول : لا أدري ، يظنُّ أنَّ الله سبحانه وتعالى خلقَ السماوات والأرض لَعِبًا ! لكنَّ الله عز وجل يقول :

﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الدخان الآية : 39]

الحقيقة أنَّ الله عز وجل في بعض آيات كتابه الكريم يصف القرآن الكريم بأنَّه مثاني ، وقد فسَّر بعض العلماء كلمة مثاني بأنَّ كلّ تنْثني على أُخْتِها فَتُفَسِّرُها ، وأعلى مُستوى في تفسير كلام الله عز وجل أنْ تُفسَّرهُ بكلام الله يقول الله عز وجل :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الدخان الآيات : 38-39]

الله جل جلاله أثبَتَ أنَّ السماوات والأرض بالحق ، ونفى أنْ يكون الخلق لَعِبًا ، فما تعريف الحق ؟ فالحق ضِدُّ اللَّعِب ، طيّب وما تعريف اللَّعِب ؟ هو العَبَث ، يعني عملٌ لا هَدَف له ، فالإنسان الشارد قد يلْعب النَّرْد إلى ساعة متأخِّرة من الليل ، فهل يكون أحد اللاعِبَين طبيبًا ؟ وهل يُصْبحُ تاجِرًا كبيرًا ؟ أو شَخْصِيَّةً مرموقة؟ هذا لا يفعل شيئًا ، فالعمل الذي لا ينفع والذي لا هدف له ، ولا أثر له في المستقبل ينقضي بانْقِضائِهِ ، أو العمل العابِث ، فاللَّعِب هو العبَث ، وبعضهم قال : إنَّما الحياة الدنيا لهو ولعب ! اللَّهو هو اشْتِغالك بالخسيس عن النَّفيس ، والنَّفيس هو عبادة الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي ﴾

[سورة الذاريات ،الآية : 56]

الشيء الذي خُلِقْتَ من أجله ، والذي جاء بِكَ الله من أجله هو أن تعبُدَ الله تعالى ، فالخسيس أن تلْهو بالدنيا وتهتمَّ بِحُطامها ومالها ، وزُخْرها ، وبيوتها ومركباتها ، ثمَّ يأتي ملك الموت وأنت صفْر اليَدَين ، فهذا هو اللَّهو ؛ تَلْهو بالخسيس عن النَّفيس ، واللَّعب كلَّما دخلتَ لى مرحلة وخرجْتَ منها رأيتها مُحْتقرة في نَظَرِك ، فالطِّفل الذي يبكي مِن أجل دُمْيَة ، لمَّا يكْبُر يسْخر مِن نفسِهِ كيف أنَّه كان يبْكي من أجل دُمْيَة ! والشاب الذي يهْتَمّ بأشياء حينما يبْلغُ الأربعين يَحْتَقِرُها ، وكيف أنَّه كان مَغْنِيًّا بها ، فالدُّنيا كلُّها كما وصفها الله عز وجل لهو ولعب تدخل مرحلة الدِّراسة تعيش سنوات طويلة في حُلم أنَّك سَتَكون مُجازًا ومعك دكتوراه ، وبعد أن تأخذ هذه الشهادة بِأسابيع تَبدو لك طبيعيَّة ، وتهتمّ بالزَّواج ، وتظنّ أنَّه قِطعة من الجنَّة ، فتتزوَّج وتأتي الزَّوجة إلى البيت ، وبعد حينٍ يغْدو الزَّواج عادِيًّا جدًّا ، وتَطمَح أن تُسافر ، وتطمَحُ أن تُنْجِب أولادًا ، وأنْ تُزَوِّجهم ، فَكُلَّما نِلْتَ مرحلةً صَغُرَت في نَظَرِكَ ، لذلك لا يُمْكن للدُّنيا أن تمِدَّ إنسانًا بِسعادةٍ مُستَمِرَّة ، فضلاً أن تكون صاعِدة ، إنَّها تُمِدُّه بسعادة متناقصة ، وموطِنُ الشهادة أنَّ الإنسان نفسُهُ، نفْسُهُ ليسَتْ نِهائِيَّة ، إذا تعلَّق في الدُّنيا فالدُّنيا محدودة فالشاب يشْعر بِالسَّعادة لأنَّه يعيش الأحلام، يحْلُم بِبَيتٍ مُعَيَّن وبِمَساحة مُعيَّنة، وبِتَرتيب مُعَيَّن ، وبِثَقافة معَيَّنة ، وبِمَركز مُعَيَّن ، وبعَمَلٍ ودَخْل ، وبعد حينٍ تبدو هذه الأحلام وقائِع محدودة، ونفسُهُ لا نِهائِيَّة ، ويبدأ الإنسان بالسَّأم والضَّجَر والضّيق حينما تُحَدَّدُ كلُّ أهدافِهِ ، فهي كانت مفتوحة فأُغْلِقَت، فلا بيت ولا زوجة ولا دخل ، فمن يغْدو شابًّا طوال حياتِهِ ؟ هو الله جعل الله هدفَهُ ، فالنَّفس لا نهائِيَّة ، والله لا نهائي، فأنت تَجِد المؤمن وهو في التِّسعين شابّ – وأنا أعني ما أقول – لأنَّ طلبهُ كبير جدًّا، وهدفه مُقَدَّس جدًّا ، ويسعى دائِمًا إلى الرُّقِي ، والتَّقرُّب إلى الله عز وجل ، لذا ورَدَ عن رسول الله أنَّه مَن تعلَّم القرآن متَّعَهُ الله بِعَقلِهِ حتَّى يموت ، لأنَّه يقرأ القرآن ويفهمه ، وينقلهُ للناس ، والله جعل تعليمهُ جِهادًا كبيرًا ، وهذا الجِهاد المُتاح الآن أنْ تتعلَّم القرآن وتُعَلِّمهُ ، ولو طالبْتني بالدَّليل، أقول لك : قال تعالى :

﴿ فَلَا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾

[سورة الفرقان الآية : 52]

الله جَلَّ جلاله يأمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يجاهد بالقرآن جِهادًا كبيرًا ، فَتَعَلُّم القرآن مُتاحٌ لك ، وتعليمُهُ مُتاحٌ لك والإنسان يغْدو شابًا إذا جعَلَ الله همَّهُ ، قال الشاعر :

اِعْمَل لِوَجهٍ واحِدٍ يكْفِكَ الوُجوهَ كُلّهـا

من جعَلَ الهُموم همًّا واحِدًا كفاهُ الله الهموم كلَّها

أما إذا جَعَلَ الدنيا هَدَفَهُ ، ومنتهى آمالِهِ ، ومحطَّ رِحالِهِ ، حينها تبْدو الدنيا صغيرة في نظرِهِ ، ويبْدأ السَّأم والضَّجَر ، وتَجِد أهل الدنيا بِضيقٍ قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه الآية : 124]

الضِّيق النَّفسي ، والضَّجَر والملل ، ولكنَّ الذي آمن بالله وعمِلَ صالحًا فهو في أعلى عِلِيّين ، فاللَّعِب إذًا مرحلة كلَّما دخلتها وخرجتَ منها احْتَقَرْتها وهو أن تلْهو بالخسيس عن النَّفيس ، والنَّفيس طاعة الله ، والخسيس الدُّنيا الفانية ، وقد قال تعالى :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

[سورة الحديد الآية : 20]

إنَّما هذه أداة حصْر ، وهذا إخبار الله لنا ، أنَّ الدنيا لهو ولعِب ، وتفاخر وتكاثر ، لذلك الله عز وجل هو أكبر وأجلُّ مِن أن يخلق الدنيا لهْوًا ولَعِبًا ، قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الدخان الآيات : 38-39]

السؤال الآن ؛ ما الذي يُقابل اللَّعِب ؟ الهَدَف النَّبيل ، فمثلاً يُنشأ سيرك ! هذا دوره التَّرفيه واللَّعِب ليس إلا ، ولكن إذا أنشأنا جامعة ، فهذه غير السيرك ، إذْ نُخَرِّج بها قادة وعلماء ، وأُدباء، واخْتِصاصِيُّون وأطِبَّاء فَبِناء الجامعة ليس لعبًا ، فَعكس اللَّعِب هو الهَدَف ، فالعمل العابث لعب والعَمَل الهادف حق ، وفي آيةٍ ثانِيَة ، قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾

[سورة ص الآية : 27]

فالحق غير الباطل ، والباطل الشيء الزائل ، وكلّ شيءٍ لا يتَّصِل بالله ، ولا بِمَنهَجِهِ ، ولا بالعقيدة الصَّحيحة لا بدَّ مِن أن ينهار ، ولو عاشَ سبعين عامًا ، قال تعالى :

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

[سورة الإسراء الآية : 81]

فكلَّما مرَّت بك كلمة حقّ بالقرآن الكريم اِعْتَقِد اعْتِقادًا جازِمًا مُسْتنْبَطًا مِن كتاب الله كُلِّه أنَّ الحق الشيءُ الهادف ، والشيء الثابت ، فرَبُّنا حينما نفى أن يكون خلقُهُ للسماوات والأرض لَعِبًا وباطِلاً ، فَمُقابل الباطل الشيء الثابت والحق ، ومُقابل اللَّعِب الشيء الهادِف ، والله هو الحق وقد خلق البشر لِيرْحَمَهم ، ويقول الله عز وجل :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الدخان الآيات : 38-39]

الشيء اللَّطيف أنَّ حياة المؤمن مُتَعَلِّقَة بالحق ، والحق ثابت ، لذا لن يفاجئ المؤمن أنَّ الذي كان يَعْتَقِدُهُ باطِلاً ، وأنَّ الذي كان يعْمَلُهُ كان سُدًا ، وربنَّا عز وجل يقول :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

[سورة المؤمنون الآية : 115]

العلماء يقولون ؛ حينما يقول الله عز وجل خلق السماوات والأرض بالحق أيْ أنَّ الحق لاَبَسَ خلق السماوات والأرض ، وهي خلقَتْ لِهَدَف عظيم وخُلِقَت لِتَبقى لا لِتَزول ، فالزَّوال مِن صفات الباطل .

والحمد لله رب العالمين

الفصل التاسع : تفسير سورة الجاثية

الدرس (3-1) : تفسير الآية 21

الدرس (3-2) : تفسير الآية 15

الدرس (3-3) : تفسير الآية 23

الدرس (1-3) : تفسير الآية 21

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الواحدة والعشرون من سورة الجاثية، وهي قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

[سورة الجاثية]

أوّلاً إذا توهَّم الإنسان لِثانِيَة واحِدَة أنَّه يمْكنُ أن يُعامِلَ المحْسِنُ كالمُسيء والمستقيم كالمنحرف، والذي له دَخل حلال مع الذي له دخْلٌ حرام والكاذب مع الصادِق ؛ إذا اسْتويا هؤلاء فهذا الاسْتِواء يتناقض مع وُجود الله، ويتناقض مع كمالِهِ، ويتناقضُ مع عدالَتِهِ، وأقْسِمُ بالله العظيم لو لم يكن في كاتب الله إلا هذه الآية لَكَفتنا جميعًا.

ربُّنا عز جل يُطَمْئِنُنَا ؛ أنَّه لا يمْكن أن يُعامَلَ المؤمن كالكافر، أو الكافر كالمؤمن، لا يُعامَل المستقيم كالمنحرِف، والصادق كالكاذب والمخلص كالخائن، والرحيم كالقاسي، والذي يكْسِبُ المال الحلال مع الذي يكْسِبُ المال الحرام ؛ هذه آية ولكن يقول قد يقول أحدكم: المستقيم له أجر، ولعلَّ الأجْر في الآخرة، وليس في الدنيا ! نحن نقول له الآية تقول:

﴿مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

[سورة الجاثية]

محياهم في الدنيا، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(97)﴾

[سورة النحل]

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)﴾

(سورة طه)

معنى ذلك أنَّ المؤمن حياته في بيْتِهِ، وحياته في عمله وصِحَّته وأولاده وأهْلُهُ، وسُمْعتهُ ومكانته ؛ هذه مُتَمَيِّزَة، لذا ورد انَّه إذا رُئِيَ أولياء أُمَّتي ذُكِر الله بهم ! حينما قال الله عز وجل عن بعض الطُّغاة:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ(29)﴾

[سورة الدخان]

هذا الكلام في علم أصول الفقه قاعدة اسْمُها العِلم المُخالف ؛ هؤلاء الذين أساءوا حينما ماتوا ما بكَت عليهم السماوات والأرض، فالذين أحْسنوا إذا ماتوا ما الذي يكون ؟ تبْكي عليهم السماوات والأرض، والأرض تتبارَك بالمؤمن.

أيُّها الإخوة، أن يستوي المؤمن وغير المؤمن ؛ هذا غير ممكن، ويتناقض مع كمال الله، إنسان مُسيء، ويغُشُّ الناس، ويحْتال عليهم ويعتدي عليهم، ويبني حياته على فقرهم، أتُريد من الله عز وجل أن يُعامل المؤمن كغير المؤمن ؟! مؤمن مستقيم، ومؤمن يخاف الله، وفي قلبه خَشية وخوف، ويبْحث عن الدِّرهم الحلال، ويُنفقُهُ في الوجه الصحيح، فهذا خلاف من يسلب أموال الناس، لذلك الآية الكريمة:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ(18)﴾

[سورة السجدة]

وقال تعالى:

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(35)﴾

[سورة القلم]

وقال تعالى

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

وقال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى(9)عَبْدًا إِذَا صَلَّى(10)﴾

[سورة العلق]

وقال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِي(19)إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي(20)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(21)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(22)قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(23)كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ(24)وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي(25)وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي(26)يَالَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ(27)مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي(28)هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي(29)خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(30)ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ(31)ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ(32)﴾

[سورة الحاقة]

وقال تعالى:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(107)﴾

[سورة آل عمران]

فهذه مسافة كبيرة جدًّا بين المؤمن وغير المؤمن، لذلك يتوهَّم الإنسان ويقول: شيءٌ يُحَيِّر ! هذه الآية تدفع عنك الحَيرة، لا يمكن أن يُعامَل المحْسِن كالمُسيء، إنسانٌ دَخلُهُ حلال، وبِمالٍ قليل ينتفِعُ به انتِفاعًا كبيرًا، وبِمالٍ كثير يُدمَّر المال ولا يُنتفَعُ به، وإنسانٌ اختار زوْجةً صالحة مؤمنةً متديِّنة يسْعَدُ بها وتَسْعَدُ به، أما من تزوَّجها لِجَمالها فقط أذَلَّهُ الله تعالى، ومن تزوَّجها لِمالها أفْقرَهُ الله، ومن تزوَّجها لِحَسَبِها زادَهُ الله تعالى دناءة.

وإنسان بنى دَخلَهُ على إفساد أخلاق الآخرين، صاحب دار سينما جمَّع ثروةً طائلة قبل خمسة وعشرين عامًا، وجمَّع خمسة ملايين، وأُصيب بِمَرض خبيث، وله ابن أخت هو تلميذي، فقال لي: رأيْتُهُ يبكي، فقال له: ما لك تبكي ؟! فقال له: جَمَعْتُ هذا المال لأتمتَّع به في خريف عمري، وهذا المرض قد عاجلني، فهذا جَمَع المال على حِساب أخلاق الشَّباب، وعلى حساب دينهم، وتوجُّههم إلى الله عز وجل، فالمال الحلال له عند الله حِساب، والحرام له حِساب، والمُحْسِن له حِساب والمسيء له حِساب، والعابِد له حِساب وغير العابد له حِساب، والأمين له حِساب، والخائن له حِساب، أما حينما تتوهَّم أنَّه قد يسْتوي الخائِن والأمين، والصادق والكاذب، والأب الكامل والأب المُتَفَلِّت، والأمّ الحنون، والأم المتفلِّتة، والمعلِّم الذي يُلْقي درْسهُ بإخلاص والمعلِّم الذي لا يلقي درسه بإخلاص، والطبيب الذي ينْصحُ المريض، والطبيب الذي لا ينصحُ المريض ويبْتزّ ماله، والمحامي الذي يعلمُ أنَّ هذه القضِيَّة سلفا فيأخذُها ويُماطِل الموكِّل إلى ما شاء الله، والمحامي الذي ينْصح الموكِّل.

الله عز وجل عنده لِكُلّ إنسانٍ درجة، فإذا كان على وَجه الأرض خمسة آلاف مليون إنسان، فهذا يعني أنَّه يوجد خمسة آلاف مليون درجة، والدليل قوله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(19)﴾

[سورة الأحقاف]

فأنت لك عند الله تعالى درجة بمَعرفتِكَ واسْتِقامَتِكَ، وبإخلاصك، بِأُبوَّتِكَ الكاملة، وبُنُوَّتِكَ الكاملة، والإنسان العاق غير الإنسان البارّ، فلذلك أيُّها الإخوة هناك معايير دقيقة، قال تعالى: فو ربِّك لنسألنَّهم أجمعين عمَّا كانوا يعملون أنت إذا أنفذت نملة وأنت تتوضَّأ فهذه لها عند الله ثمن، وما أكْرَمَ شابٌّ شَيْخًا لِكِبَر سِنِّه إلا سخَّر الله له مَن يُكْرِمهُ عند سِنِّه، وبُرُّوا آباءَكم تبُرُّكم أولادكم.

أيُّها الإخوة الكرام، عليكم أن لا تتوهَّموا ولو ثانِيَة أنَّ المُحْسِن يُعامَل كالمُسيء، قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

[سورة الجاثية]

لِمَ لم يقل أم حَسِبَ الذين كفروا واجْترحوا السيّئات ؟ طبعًا الحسَنَات تحتاج إلى إيمان، أما السيِّئات فلا تحتاج إلى إيمان لأنَّ غير المؤمن سيَكذب ويسرق ويزني ويحتال على الناس، ويظنُّ نفسهُ ذَكِيّ وهو أحمقهم، قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

[سورة الجاثية]

اجْتِراحُ السيّئات يعني أنَّك لسْتَ مؤمنًا، والإمام الغزالي يقول: يا نفسُ لو أنَّ طبيبًا منعَكِي مِن أكْلةٍ تُحِبِّينها، فلا شكَّ أنَّك تمْتَنِعين، أفيكون الطبيب أصدَقَ عندك من الله ؟ فما أجهلكي، فكلُّ إنسانٍ يرتَكِب معْصِيَة فهذا مدموغ، قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

[سورة الجاثية]

ثمّ قال تعالى:

﴿ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

[سورة الجاثية]

تدخل إلى بيت ثمنهُ ثلاثين مليون فإذا بالدَّاخِل جحيم لا يُطاق، ونَكَد، وبغْضاء، وخُصومة، والأب في جهة والزّوجة في جهة أخرى، وبالمقابل تجد بيتًا متواضِع وفي الجبل والدّخل محدود جدًّا، وأهله في نعيم مطلق، فعند الله كلّ شيءٍ بِحِسابه قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

[سورة الجاثية]

فالذي يموت بالمسجد، والذي يموت بِلَيلة القَدر، ويموت وهو يتلو القرآن يموت بين أهلِهِ مُعَزَّزًا مُكَرَّما، وآخر تجد قد مات بالمرحاض ! وقد يموت ولا يدري به أحد، ويموت وهو يركّب الدّش ! فالإنسان يأتيه ملك الموت بِطَريقةٍ يُلَخِّص حياته كلَّها، ومرَّةً كنتُ بِتَعْزِيَة وأمامي شيخ عالم، وبعدها خرج من التَّعزِيَة، فما مشَى رجل لا يعرفه ولا يعرف اسمه، وبيت هذا الرَّجل إلى جانب التَّعزِيَة، فأراد أن ينقلَهُ إلى بيتِهِ، فهذا الشيَّخ أوصله هذا الأخ إلى بيتِهِ، فصَعِدَ الطوابق الأربعة، ودخل بيتهُ، ودخل إلى غرفتِهِ، ونزع العمامة، واسْتلقى في الفراش، وسُلِّم أمرهُ إلى رب الأرض والسماء ! فهذا لو أراد أن يأخذ التَّاكسي لما وصل إلى بيتِهِ !! فالله سخَّر له إنسان لِيُوصِلَهُ إلى بيتِهِ، ويموت على سريره.

وبالمقابل كنتُ مارًّا بالحريقة فوَجَدتُ إنسانًا مُلقى ميّتًا على الأرض، فرجعتُ من العَمَل بعد ثماني ساعات وهو على حاله الأولى ! فهذه الآية يجب أن تبقى في أذْهاننا وعقولنا، وكلّ شيء بِحِساب دقيق، فالمال فيه بركة، والزَّوجة الصالحة مُسْعِدَة، تَسْعَدُ وتُسْعِدُ، قال تعالى:

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(221)﴾

(سورة البقرة)

هذه الآية محْوَرِيَّة، وإِحْدى دعائِم العقيدة وهو أنَّ الله بيَدِهِ كلّ شيء ويُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-3) : تفسير الآية 15

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الخامسة عشْرة من سورة الجاثِيَة، وهي قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15)﴾

[سورة الجاثية]

النُّقطة الدقيقة في هذه الآية كلمة اللام، وكلمة على :

اللام تُفيدُ التَّمَلُّك ؛ يبْدو أنَّ العمل السيئ كالصَّخرة الجاثمة على صَدر الإنسان تسْحَقُهُ في الدنيا حِجابًا، وفي الآخرة ندمًا، وقد ورَدَ في الحديث الشريف: إنّ العار ليَلْزَمُ المرءِ يوم القيامة حتَّى يقول....وإنَّه ليعلم ما فيها مِن شِدَّة العذاب " وربُّنا عز وجل يعْجبُ ويقول:

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ(175)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا(56)﴾

[سورة النساء]

قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15)﴾

[سورة الجاثية]

تقول: هذه الجَوْهرة لي، أما هذا الدَّيْنُ عليَّ، والدَّينُ همٌّ بالليل، وذلٌّ في النَّهار، والدَّين يُتْعِبُ صاحِبَهُ فالعَمَل الصالِح يُمَلِّك، أما العمل السيئ سيْحَق.

الشيء الآخر، أنَّ مِن معاني الحُروف، أنَّ هذا الدِّين كُلُّه قُيود، وهو في الحقيقة ليس قُيودًا، ولكن حُدود، وليس حُدودًا، ولكن ضَمانات للسَّلامة، وفرقٌ كبير بين أن تفْهَمَ هذه اللَّوْحة على نحْوٍ أو على نَحْوٍ آخر فلو كنتَ تتجوَّل في أرضٍ واسِعَة، ورأيْتَ لوحَةً كُتِبَ عليها: أنت بحَقل الأنعام، لا تتجاوَز، فهل تشْعر أنَّ هؤلاء الذين وضَعوا هذه اللَّوحة قيَّدوا حُرِيَّتَك ؟ وكذا إن فَهِمْتَ أنَّ الدِّين تَقييد لِضمانات الإنسان فالفَهمُ خاطئ، أما إن فَهِمْتَهُ أنَّهُ ضمان لِسَلامَتِهِ فالفَهم صحيح، وكذا إن رأيْتَ أوامر الدِّين ونواهِيَهُ تَقييدًا لِحُرِيَّتِكَ، وحركتِكَ في الحياة فهذا فَهم الشَّيطان للدِّين ! فكلُّ أوامر الدِّين ضمانٌ لِسلامَتِك، وكلُّ التَّفلُّت والانْطِلاق هو مخاطِر،

لذلك هناك قاعدة، هي القُيود تُؤدّي إلى الحريَّة على المستوى الدُّنْيَوي فالمواطِن المُنضبط بِقَوانين الدَّولة تَجدُه حُرّ، يُسافر، ويُغادر، ويشتغل أما إن ارْتَكَب مُخالفةً قانونِيَّة تسْتَوجِب حجْز الحُريَّة، فالتَّفلُّت يُؤدِّي إلى التَّقَيُّد، والتَّقَيُّد يؤدِّي إلى الانْطِلاق، فالانْطِلاق أساسه التَّقَيُّد، وهناك آية قرآنِيَّة واحدة لو تأمَّلتُم فيها لَدُهِشْتُم يقول الله عز وجل:

﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا(144)﴾

[سورة النساء]

لمَّا يأكل الإنسان المال الحرام، ويعتدي على أعراض الناس، ويُطلق بصرهُ وسَمعَهُ، ويدَهُ، ويتفلَّت، ويفْعل ما يشاء، ويلتقي مع مَن يشاء ويُصافِح مَن يشاء، إذا تفلَّت صار لله عليه سُلطان هو التَّأديب، آتيكم بِمَثَل ؛ لو أنَّ محلاً تِجاريًّا كلّ بِضاعَتِهِ وَطَنِيَّة، وكلَّها تحوي فواتير، ومرَّ ضابِط الجُمرك ؛ هل تتضايَق أو تخاف ؟! لا، أما إذا كان بِضاعتُكَ تَهريب، ومرَّ الجمرك، تجدهُ يرْجُف ! فأنت بِمُخالفَتِكَ النِّظام جَعَلتَ لهذا الإنسان عليك سُلطان، فكيف بالواحِد الدَّيان ؟! فأنت إذا اْستَقَمتَ وغضَضْتَ بصَرَك، وما كذَبتَ، وحرَّرْتَ دَخْلكَ، فالله عز وجل يقول:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

أما إذا كانت هناك أخطاء كبيرة جدًّا، فلا بدَّ مِن التَّدَخُّلات، لذا كما قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(46)﴾

[سورة فصلت]

النُّقطة الثانيَة ؛ وهذه النُّقطة بِشارة، قال تعالى:

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

هناك فرْق بين كتَبَ الله علينا، وكتَبَ لنا ! كتَبَ لنا يْ الخَير والتَّوفيق، والطُّمأنينة والسَّكينة، والبحبوحَة، السَّعادة، فَحُروف الجرّ وحدها مِن آيات الله الدالة على عَظَمَتِهِ، فمثلاً النبي عليه الصلاة والسلام يقول: بُعِثْتُ بِمُدارات الناس..." لو أنَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم قال: بُعِثْتُ لِمُدارات الناس ! فرْقٌ كبير جدًّا، فلو قلنا باللام لصارَتْ المُدارات جُزْءً مِن الدِّين، أما النبي قال بالباء، والباء للاسْتِعانة، أيْ أسْتَعين على هِدايَتِهِم بِمُداراتِهِم، والعلماء فرَّقوا بين المُدارات والمُداهَنَة، قال تعالى:

﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ(9)﴾

[سورة القلم]

المُداهَنَة أن تبْذِل الدِّين من أجل الدُّنيا، تُضَحِّي بِعِباداتكَ من أجل إرْضاء زَيْد أو عُبَيْد وتُضَحِّي باسْتِقامَتِكَ ونزاهَتِك، فأنت حينما تُضَحِّك بدينِكَ مِن أجل دُنياكَ فأنت تُداهِنُ ! أما حينما تُضَحِّي بِدُنياك مِن أجل دينِكَ فأنت تُداري، ورأسُ العَقْل بعد الإيمان مُدارات الناس، وهو مَوقف حكيم جدًّا، فالحِكمة أرْوَعُ مثلٍ سَمِعْتُهُ حول الحِكمة ؛ الدَّواء المرّ الذي نُعْطيهِ الصّغير ؛ ماذا نفْعلُ به ؟ نخْلِطُهُ بالسُّكَّر حتَّى يحْلو، فالداعِيَة الحكيم يُقَدِّم مَضْمون دعوتهِ مع طَعمٍ عَذْبٍ، وحُلْوِ المذاق، فالحقيقة ذَكَرها ولكن معها مُرَغِّبات، أما الداعِيَة غير المُوَفَّق تَجِدُهُ سَلبي، يُرهِّب ولا يُرَغِّب، ويُحَذِّر ولا يُبشِّر، ويُنَفِّر ولا يُقرِّب، إذًا كما قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(46)﴾

[سورة فصلت]

الآن معنا معنى آخر، قال تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(24)﴾

[سورة سبأ]

على تُفيد العُلُوّ، فالعُلَا يرْفَعُك، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(1)وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ(2)الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ(3)وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(4)فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(5)إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(6)فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ(7)وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ(8)﴾

[سورة الشرح]

الهُدَى يرْفَه، والضَّلال يُسْقِط، فالضَّال المُنْحرف آخرتُهُ بالسِّجن، أو آخرتُهُ فضيحَة أخلاقِيّة أو ماليَّة، فالضَّلال والتَّفلُّت ينتهي بِكَ إلى الفضيحة والفضيحة تنتهي إلى القَيد، قال تعالى:

﴿ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(22)﴾

[سورة الزمر]

أما المؤمن المُهتدي قال تعالى:

﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ(5)﴾

[سورة البقرة]

الهُدى يرْفع والضَّلال يخْفض، لذا لو وقَفْنا على حُروف الجرّ وحْدَها لَوَجَدنا العَجَب العُجاب، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15)﴾

[سورة الجاثية]

ثمَّ يقول تعالى

﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15)﴾

[سورة الجاثية]

هناك إقْرار، وهناك إلْزام فأنت تُقِرّ أنَّ هذا الذَّنْب فَعَلْتَهُ، ولكن هذا الذَّنب له عُقوبة، كما مرَّ بِنَا من قبل قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ *))

[رواه مسلم]

فسَّرْتُ هذا الحديث أنْ كُتِب على ابن آدَمَ أن ينالَ نصيبَهُ من عقوبة الزِّنا مُدْرِكٌ ذلك لا مَحَالة، وهذه فيها رَدعٌ، قال تعالى:

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾

[سورة الغاشية]

أيُّها الإخوة، ثلاثة كلمات إن آمنْتُم بها، اسْتَقَمْتُم بها قَطْعًا ؛ إن علِمْتم أنَّ الله موجود، ويعلم، وسيُحاسِب، فلا يُمْكِنُ أن تعْصِيَهُ، فهل يستطيع الموظَّف العادي أن يسْرق من الخزنة أمام سيِّدِه ؟! هذا الحادِث لا يقع أبدًا وهل يستطيع صاحب السيارةِ أن يُخالف الإشارة والشُّرطي موجود أمامه ؟! مستحيل، وكذا إن أيْقَنْتَ أنَّ الله يعْم وموجود وسيُحاسِب لا يمكن أن تعْصِيَ الله تعالى، لأنَّك إن عصَيتَ فأنت لا توقِنُ به حقيقةً، وتكون حينها غبِيًّا، إذًا كما قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15)﴾

[سورة الجاثية]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-3) : تفسير الآية 23

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام ؛ من آيات الله الكريمة ، قوله تعالى :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

[سورة يوسف الآية : 106]

هذا الذي يُعَدُّ عند الناس مؤمنًا ، وهذا المحسوب على المؤمنين ، والذي يرْتاد بيوت الله ، ما هو الشريك الذي يتلبَّس به معظم الناس ؟ الهَوَى ، والدليل هذه الآية ، وهي الآية الثالثة والعشرون من سورة الجاثيَة ، وهي قوله تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية الآية : 23]

يعبُدُ شَهَواتِهِ ، ويعْبُدُ أهواءَهُ ، وهي التي تتحكَّم به ، ويعْبدُها من دون الله ، كيف يكون ذلك ؟ تُوَضِّح هذه الآية آيَةٌ أخرى ، وهي قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبة الآية : 24]

أي إذا آثَرْتُم تِجارةً مُحَرّمة على طاعة الله ، والاسْتِثمار المال على طريقة غير مَشْروعة ، أيْ إذا أحْببت المال أكثر من حبِّ الله .

زوْجَتُكَ تخرُجُ كما تريد ، وهي تُسْعِدُكَ بِطَرِيقةٍ أو بأخرى ، وأتن تسْكُتُ عن انْحِرافها لأنَّها أحد أسباب سَعادَتِكَ في الدنيا ، آثرْتَ زوْجتكَ على طاعة الله ، أم أنَّ لك مِن أبيكَ نصيبٌ كبير ولكنَّه حَمَلَكَ على معْصِيَة تُؤْثِرُ نصيبَكَ مِن أبيك على طاعة الله ، والابن أحيانًا تبْحَثُ عن دُنياه ، ولا تبْحَثُ عن آخِرَتِهِ ، وتريد أن تفْتَخِر به ولو على حِساب دينِهِ ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾

[سورة التوبة الآية : 24]

هناك تِجارات غير شَرْعِيَّة يقول عليه الصلاة والسلام : الاقْتِصاد في المعيشة خير من بعض التِّجار، إذا كانت البِضاعة مُحَرَّمة ، وهناك شُبْهَة ، وأحيانًا يتأجَّر البيت بالليلة عشرة آلاف ، وصاحِبُهُ يعْلمُ عِلمَ يقين لماذا اسْتُأجِرَ هذه اللَّيلة وبِهذا المَبلغ ! وتَجِدُهُ يُصَلِّي ، ويقول لك : التَّأجير حلال !! فهذه المَعصِيَة التِّي تَمَّتْ فيه ، مَن أعانَهُ عليها ؟! صاحِبُ البيت ، لذا آلاف الطُّرُق لِكَسْب المال غير الَشروع ؛ الكَذِب والتَّدليس والغِشّ والاحْتِكار والاسْتِغلال ، وتغيير صِفات البِضاعة ، أو لإعلان أنَّها أجْنَبِيَّة وهي وَطَنِيَّة ، وبِضاعة يابانِيَّة وهي تايْوانِيَّة ، وشَرقِيَّة على أنَّها إنجليزِيَّة وتغيير خصائص البِضاعة ، فهذا كُلُّه يجْلِب مالاً كثيرًا ولكنَّ فيه الغِشّ فالذي يُؤْثِرُ المال على طاعة الله ، أو يُؤْثِرُ زوْجَتَهُ على طاعة الله ، أو أباهُ على طاعة الله ، أو ابنَهُ على طاعة الله، أو عشيرتَهُ على طاعة الله ، أو الذي يسْكُن بِمَسْكَن يُؤَجِّره مائة ليرة على النِّظام القديم ، وثَمَن البيت الملايين ، وأنت لك بيتٌ ثاني ، وصاحِبُ هذا البيت ليس لديه سِواه وأنت تعلم علم اليقين حاجته لهذا البيت ، ثمَّ تجد هذا السارق يُصلِّي !! نحن لا نحكم على هذه المعاملات ، ولكن هناك مُؤجِّر ظالم ومستأجِر ظالم ، لو فرضْنا مستأجر عنده بيت ، ويسكن بيتًا بمائة ليرة قبل السَّبعين وصاحِب هذا البيت أرْمَلَة ، وليس لها موْرِد إلا أُجْرة هذا البيت ، فهل يكْفيها أجرةً ؟ مستحيل ، ثمَّ تُصَلِّي بالمسجد ، وتقول أنا صاحِب دين ! أيُّها الإخوة ، هناك نقطة دقيقة ذَكَرتُها في جامِع النابلسي ، وهي قوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾

[سورة المائدة الآية : 1]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ :

((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ))

[رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط]

لو صلَّيْتَ الخمس ، وقيام الليل ، وصُمْتَ ، وحجَجْتَ ، ولم تَكُن صاحِب عَهْد ، ولا أمينًا ، فَكُلّ هذه العِبادات لا قيمة لها ، لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يقول : بُنِيَ الإسلام على خَمس ، فالإسلام بِناء أخلاقي ، قال تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية الآية : 23]

آخر شيءٍ يُشير إلى أنَّك مسلم أنَّك تُصَلِّي ، أما أوَّل شيء فَصِدْقُكَ وأمانتُكَ وإخلاصَك ، فأخلاق المؤمن صارِخَة ، وتَجِدُهُ مُتَمَيِّز ولا يكْذِب ، ولا يخون ، ويُؤَدِّي الأمانات إلى أهلِها ، يَفِي بالعَهْد هذا هو المؤمن ، فهذا الذي يتَّخِذُ إلهه هواه ، أقْسَمَ لي بالله شَخص أنَّ بيتًا يزيدُ ثمَنُهُ عن سِتَّة ملايين ، مستأجَر مِن قِبَل إنسانٍ صاحِبَتُهُ أرْمَلَة وليس لها مِن الدُّنيا إلا هذا البيت ، اسْتَطاع أن يُخَلِّصها منه بِمِليون وسبعمائة ألف !! وهو مِن رُواد المساجِد !! فالدِّين المعاملة ، تَجِد إنسانًا حضَر مئات الدُّروس ، وآلاف الخُطَب ، ويقرأ كُتُبًا كثيرة ، ثمَّ يأكل المال الحرام ، فهذا دليل على أنَّه لا يعرف الله أبدًا ، لو ذَهَبتَ إلى قَصر العَدل لوَجَدْت عشرات الدَّعاوى الكَيْدِيَّة ، وكلُّهم يُصَلُّون في المساجِد ، لذا كثرتنا اليوم كَغُثاء السَّيْل ، يقول عليه الصلاة والسلام :

عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))

[رواه أحمد]

أخٌ يشْتكي على أخْتِهِ ، وأمٌّ ترْفَعُ دَعوى على ابنِها ! شيءٌ لا يُحْتَمَل ، فهذا المُجْتَمَع المُفَكَّك لا يسْتَحِق أن يسْتَخْلِفَهُ الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾

[سورة الرعد الآية : 11]

فلمَّا يفْهم الإنسان أنَّ الدِّين صلاةٌ بالمَسْجد ، وصَوم وحجّ وزكاة ثمَّ يأكل أموال النّاس بالباطل ، ويفْعَلُ ما يشاء فهذا يكون قد اتَّخَذَ إلهه هواه ، وهو بِهذه الحال مُشْرِك ، قال تعالى :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

[سورة يوسف الآية : 106]

فالمال أغلى عليه مِن الله ، وكذا زوْجَتُهُ ، فأنت لو قلتَ الله أكبر مائة ألف مرَّة وأطَعْتَ مخلوقًا وعَصَيْتَ خالقًا لم تَقُلْها أيَّ مرَّة ! صارتْ هذه عادات ، فأنت آثَرْت المال والزَّوجة والشَّأن على الله عز وجل ، وجلسْتَ في مكانٍ لا ينبغي أن تجلسَ فيه ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾

[سورة التوبة الآية : 24]

إنَّك حينما تؤْثِرُ شيئًا من هذه الأشياء على طاعة الله فأنت اتَّخَذْتها إلهًا وعَبَدتها من دون الله ، وقد أشْرَكتَ بالله عز وجل .

الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية الآية : 23]

أضلَّه الله على عِلْم ، فالعِقاب يتضاعَف هنا ، فهو يعْلم أنَّها مَعْصِية وأنَّه قد أكَلَ أموال اليتامى ظُلمًا ، فهذا الذي يجعل أموال اليتامى في تِجارته المشكوك فيها ، فإن ربِحَ في التِّجارة أدْخَلَ ماله ، وإنْ خَسِر في التِّجارة قال لليتامى : سبحان الله ! هذا تقدير الله !! قال عليه الصلاة والسلام : لا تجعل ماله دون مالِكَ ! المعنى الدقيق أدْركَهُ النبي عليه الصلاة والسلام ، وهذه الحقيقة لا يكْشِفُها إلا الله ، فأنت تاجِر ، ولكَ مائة صَفْقَة اخْتَرتَ صفْقة فيها مُغامرة وتاجَرتَ بأموال الأيتام ، أما الصَّفْقات الثابت رِبْحُها تُدْخل فيها مالك ! لذلك هناك أشخص لهم شأن كبير عند الناس أمَّا عند الله فلا نُقيم لهم يوم القيامة وزنًا .

أيُّها الإخوة ، عَظَمة هذا الدِّين في اسْتِقامة المؤمن ، وفي صِدْقِهِ ، وفي إخلاصِهِ ، وفي تطبيقِهِ ، ومُؤاثرتِهِ لِجانب الله عز وجل ، والمؤمن الليرة مثل المليون إذا كانت في معصِيَة الله .

فالله إما أن يُضِلَّهُ على عِلم ديني ، أو دُنْيَوي ، تَجِدُه دكتور ويشْرب الخمْر ، ويزْني ، ويحْمِل شهادة عُليا ، كان عندنا أستاذ في الجامعة يَحمِل شهادة عالية ، وله شأن عندنا ، فإذا بي أراه دخل قاعة التَّدريس في رمضان ، وفي يَدِهِ فِنْجان القهْوة !! قال تعالى :

﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية الآية : 23]

والحمد لله رب العالمين

الفصل العاشر : تفسير سورة الأحقاف

الدرس (5-1) : تفسير الآية 19

الدرس (5-2) : تفسير الآية 9

الدرس (5-3) : تفسير الآيات 29 – 32

الدرس (5-4) : تفسير الآيات 34 – 35

الدرس (5-5) : تفسير الآية 20

الدرس (1-5) : تفسير الآية 19

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، في القرآن الكريم أنواع مُنوَّعة من الآيات، آياتُ أمْرٍ وآياتُ نَهي، وآياتُ تَحليل، آيات تَحريم، وأخبار الأُمَم السابقة والآيات الكَوْنيَّة ومشاهِدُ من يوم القيامة، إلا أنَّ نوعًا من الآيات مُرْتَبِط أَشَدَّ الارْتِباط بِحياة الإنسان، إنَّها آيات الكلمات، فالكلمة في القرآن الكريم تعني القانون، والسنَّة الثابتة، فلو أنَّ الإنسان تعامَلَ مع هذه الآيات تعامُلاً حقيقيًّا صحيحًا، وإيجابيًّا لسَعِدَ في الدنيا والآخرة.

من هذه الآيات الكبرى، الآية التاسعة عشرة من سورة الأحقاف، وهي قوله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (19)﴾

[سورة الأحقاف]

هذه الدَّرَجات عند الله، أما عند الناس فمالُكَ يرْفَعُ دَرجَتَك، ووسامَتُكَ ترفعُ مِن مقامِكَ، وذكاؤُكَ يرْفعُ شأنَكَ، فمقاييس الناس كثيرة ؛ المال والقوَّة والوسامة والذَّكاء والله عز وجل أوْدَعَ في الإنسان قدرات كثيرة ولكن كيف أنَّ الله سبحانه وتعالى يرفع عباده بعضهم على بعض ؟ عند الله يرفعهم بالعمل الصالح وإن أرَدْتَ الرِّفْعة عند الله فليس أمامك إلا العمل الصالح، فسيِّدنا موسى حينما سقى للمرأتين، سقى لهما ثمَّ تولَّى إلى الظِّل فقال: ربِّي إنِّي لما أنزلتَ إليّ مِن خيرٍ فقير، وغير المؤمن يظنُّ أنَّ الغِنَى غِنَى المال، وأنَّ الفقْر فقْر المال، أما المؤمن فهو يوقِنُ أنَّ الغِنَى هو غِنَى العَمَل الصالح، وأنَّ الفقْر الحقيقيّ أن تأتِيَ الله تعالى يوم القيامة ويداكَ صِفْر من العمل الصالح، فالآن هذه الآية:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (19)﴾

[سورة الأحقاف]

لكل إنسان في أيِّ مكان، وفي أيِّ ومكان درجات مما عملوا، ولكن كيف يُقيَّم العمل ؟ أوَّلاً يُقيَّم باتِّساع رقْعتِهِ، والنبي عليه الصلاة والسلام نشر هذا الدِّين القويم في أرْجاء الأرض، فَمِن الصّين إلى المغرب، وإلى بعض دُوَل أوروبا، ومن أذْربيجان إلى جنوب إفريقيا، فالعمَل يُقيَّم باتِّساع رُقْعَتِهِ ويُقَيَّم أيضًا بامْتِداد أمَدِهِ، فَمِن ألف وأربعمائة عام ودَعْوةُ النبي عليه الصلاة والسلام تسْري في الأفاق، ويُقيَّم العمل من عمق تأثيره، والعمل يزداد عند الله تعالى قيمةً لمّا تشْتدُّ الصوارف عنه، وتكثر العوائق في طريق فالإنسان أحيانًا يأتي لِمَجْلس العِلم، ويأتي للمسجد ويجلس على رُكْبتَيْه، أما الآن فهناك مسلسلات، ومناظر، وطعام وشراب، فلمَّا الإنسان يأتي إلى بيت الله لِيَتَعَلَّم العِلم فقد دافَعَ صوارِف فأحيانًا يُلقي الخوف في قلبِكَ ؛ يقول لك: ليس مِن صالِحِكَ أن تأتي إلى المسْجِد، فهذا عائِق شيْطاني، وهناك صارِف، فَكُلَّما اشتدَّت الصوارف والعمل العائق يشْتدُّ

العمل الصالح عند الله تعالى قيمةً، أما أكبر قيمة ينالُها العمل الصالح حينما يموتُ صاحِبُهُ ويسْتمِرُّ هذا العمل، ساهَمَ ببِناء مسْجِدٍ ومات، والمسْجِد تُقام فيه الصَّلوات والأذكار إلى يوم القيامة، أو أسَّسَ ملْهى وماتَ، فهو صدقة جارية له إلى يوم القيامة، لذا أخْطَر الأعمال ما اسْتَمرَّتْ بعد موتِ صاحِبِها، وأعظَم الأعمال ما اسْتَمَرَّت بعد موتِ صاحِبِها،

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو *))

[رواه الترمذي]

الدَّرس اليوم ؛ حجْمُكَ عند الله بحَجْمِ عملِكَ الصالِح، فكُلَّما ازْدَدْتَ معرفةً بالله، وإقْبالاً عليه، إخلاصًا له قدَّر على يَدِكَ أعمالاً صالحة كثيرة.

الإمام النَّووي جاء إلى الدنيا وغادَرَها، ولم يَعِشْ أكثر مِن خمسين عامًا ولكن ماذا تَرَكَ ؟ ترك الأذكار، ورياض الصالحين، ومغني المحتاج، وكتُبًا من أجلِّ الكُتُب الآن، فحَجم الإنسان عند الله بحَجم عمله، لذلك العُمر الزَّمني لا قيمة له، والعِبرة بالإنجاز، في هذا العمر ماذا فَعَل؟ هذا نبيُّنا صلى الله عليه وسلَّم عاشَ ثلاثًا وسِتُّون سنة نشَر خِلالها الخير والعطَاء والفضيلة والتُّقى، وكل هذا الخَير للآخرة، لهذا قال تعالى:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ(72)﴾

[سورة الحجر]

أقْسَمَ بِعُمر النبي عليه الصلاة والسلام، ونحن إذا آمنَّا أنَّ حجْمَكَ عند الله بِحَجم عمَلِكَ الصالح، والدليل هذه الآية:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (19)﴾

[سورة الأحقاف]

والعمل قيمتُهُ في نِيَّتِهِ، وقيمته في إخلاصِهِ، وحجْمِهِ، وزمَنِهِ، واتِّساع رُقْعتِهِ، وبُلوغ أمَدِهِ، وفي امْتِداد أثرِهِ بعد موت صاحِبِه، ولكن أعلى عمل صالح على الإطلاق أنْ يُوَفِّقَكَ الله عز وجل لِهدايَة إنسان ؛ قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ(32)﴾

[سورة المائدة]

فأنت إذا ساهَمْتَ في إعانة أخ للتَّزَوّج بِفَتاة مؤمنة، وإنشاء أسرة مؤمنة، ونشر الحق بهم، وينتفع جيرانه وأصحابه وإخوته، وبهذا يكون هذا الإنسان الذي هَدَيْتَهُ إلى الله تعالى أُمَّةً، وكلّ هؤلاء في صحيفَتِهِ، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((أَخْبَرَنِي سَهْلٌ رَضِي الله عَنْه يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ فَقَالَ أَيْنَ عَلِيٌّ فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ فَقَالَ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ *))

[رواه البخاري]

السؤال الآن، أنّ كلَّ واحِدٍ مِنّا عليه أن يسأل نفسَهُ سؤالاً خطيًا، ومُحْرِجًا وهو: ما العَمَل الذي أُقدِّمُهُ بين يَدَي الله عز وجل يوم القيامة ؟! مرَّةً حضَرْتُ جنازة، والمُتَوَفَّى كان مؤذِّنًا، وكان له شيخ حضر هذه الجنازة وأبَّنَهُ بِكَلِمَتين ؛ فقال: يا إخوتي إنَّ أخوكم كان مؤذِّنًا فتَرَحَّموا عليه وهذا الميّت كان ثريًّا، وله أذواق عاليَة في الدُّنيا، وسافر إلى شتَّى بِقاع العالم فأنا لفتَ نظري أنَّ كلّ ما امْتَلَكَهُ في الدُّنيا لا قيمة له إلا العمل الصالح، أما سيِّدُنا الصِّديق فتتكلَّم عنه الساعات ولا تنتهي، فأنت حجْمك بِحَجم عمل الصالح، أما أكلنا وجَمَعنا، وسُرِرْنا، وهي لا تجعلك ترقى عند الله فالذي ينفع ؛ هل واليْتَ في الله ؟ وهل عادَيتَ في الله ؟ وهل قَطَعتَ لله ؟ وهل وَصَلْتَ لله ؟ وراعَيْتَ الأيتام ؟ وهل أمرتَ بالمعروف ونهَيْتَ عن المنكر ؟ قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (19)﴾

[سورة الأحقاف]

كل واحد يعرف نفسه حقيقة.

قال له: ما الذي حصَل معك بأمريكا ؟ فأجابهُ أنَّه تزوَّج امرأةً عمرها خمسين سنة !! والهدف منها الإقامة ! فالله يعرف حقيقة النَّوايا، وخلْفِيَّة الأعمال، ومُؤدَّاها، ويعرف كلّ شيء، وما عليك إلا أن تُخْلص له، وتخْدُمَ عباده، وتبتغي بها وجْه الله، وما على الإنسان إلا أن يبْتغي الرِّفْعة عند الله، أما عند الناس فالمال والجاه والقوَّة هي الأصل عند الخلق أما عند الله فالذي يرْفعُكَ هو العمل الصالح والانْضِباط، والإخلاص وأن يكون العمل موافقًا للسُّنة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : تفسير الآية 9

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الكريمة، وهي التاسعة من سورة الأحقاف وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (9)﴾

[سورة الأحقاف]

تَرْوي كُتب السيرة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلّم بلغه أنّ أحدَ أصْحابه وافتْهُ المنِيَّة، وهو أبو السائب، فَدَخَل عليه، وهذه مِن عادة النبي صلى الله عليه وسلَّم، فقد كان يتفقَّدُ أصْحابه فإذا بلغَهُ أنَّ أحدهم قد تُوُفِّي زار أهل الميّت في بيتِهِ قبل أن يُدْفن فبعد أن زارهُ النبي عليه الصلاة والسلام سَمِع امرأةً تقول: هنيئًا لك أبا السائب، لقد أكْرَمَكَ الله ! صحابيٌّ جليل عاشَ مع رسول الله صى الله عليه وسلَّم، وخاض معه أكثر الغزوات وقدَّم كلّ ما يمْلِك في سبيل الله فماذا فعلتْ هذه المرأة؟ قالت: هنيئًا لك أبا السائب لقد أكْرمك الله ! النبي صلى الله عليه وسلّم مُشرِّع فكلامُهُ تَشريع، وصَمْتُهُ تَشْريع، وفِعلُه تَشريع، ونحن عندنا سنَّة قَوْليَّة، وسنَّة عَمَلِيَّة، وسنَّة إقْرارِيَّة، فلو أنَّ أحدًا فعل معهُ شَيئًا، وسكَتَ النبي صلى الله عليه وسلم فهذا الشيء صحيح أما أيُّ إنسان آخر، ولو جماعة من المسلمين لو سكتوا لما عنيَ ذلك أنَّ سكوتهم أنَّه ليس بِمُنْكر ؛ إلا النبي لأنَّه مُرْسَل ومُبلِّغ ومُكَلَّف، فهو لو رأى منكرًا وسكت، لكان هذا معروفًا، ماذا قالتْ هذه المرأة هنيئًا لك أبا السائب لقد أكْرمك الله، فقال عليه الصلاة والسلام: وما أدْراك أنَّ الله أكْرمه ؟! هذا سمَّاهُ العلماء تألِّي على الله، وهذا المرض شائِع في العالم الإسلامي، فَكُلّ واحِد تجِدُهُ يُقيِّم جماعةً من المسلمين، يُدْخِل جماعةً إلى جهنَّم، وأخرى إلى الجنَّة، وأناس يجعلهم عارفين بالله، وآخرين زنادقة وكأنَّه مِحوَر العالم، وهو الذي وَسِع الإسلام، فَكُلّ مَن يتحدَّث عن المُسْتقبل فيما يتعلَّق بالأشْخاص هو يتألَّى على الله، فالنبي قال لها: وما أدراكي أنَّ الله أكْرمه، قولوا: أرْجو الله أن يُكْرِمهُ ! فرْق كبير بين لقد أكرمك الله؛ أيْ أنَّها تعلم الغيب، وتعلم ماذا سيفْعل الله به، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: وأنا نبيٌّ مرسَل لا أدْري ما يُفعل بي ولا بكم ! ليس معنى هذا أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يتوقَّعُ مِن ربِّه أن يُخْزيَه ! لا قال تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(8)﴾

[سورة التحريم]

ولكن معنى ذلك أنَّ ليس مِن شأن الإنسان أن يتحدَّث عن الغَيْب، وليس مِن شأن الإنسان أن يُصْدِر قرارًا قَطْعِيًّا، فهذا مِن شأن الخالق، فالنبي عليه الصلاة والسلام وقفَ موْقِفَ الأدب مع الله عز وجل، قال: وما أدْراكي أنَّ الله أكْرمَهُ، قولي أرْجو الله أن يُكْرِمَهُ !

الإنسان أحْيانًا يحْتَقِرُ شَخْصًا، طبعًا مُتَلَبِّس بالمعاصي والآثام، مَن أدْراك أنَّ هذا الشَّخص إذا تابَ إلى الله توبةً نصوحة وجدَّ في السَّعيِ إلى الله تعالى يسْبِقُكَ ؟! ونحن لا نُبالِغ كما يفْعل بعض الناس، حيث تجِدُهُ مُتَلَبِّس في شُرب الخمْر والزِّنا، ثمَّ نقول: قد يكون هذا ولِيّ !!! هذا تشْويش في الدِّين، فالخمر خمر، والزِّنا زنا، فالعاصي عاصي، ولكن هل تدْري كيفَ يُخْتمُ له عملُهُ ؟ لعلَّهُ يتوب، ويسْبِقُكَ، وهذا مِن دواعي التَّأدُّب مع الله عز وجل.

إذًا مِن شان الله أنَّه بِيَدِهِ مصيرُ خلْقِهِ، ومِن شأن الله أنَّه كفى به خبيرًا بصيرًا بِذُنوب عِبادِهِ، ومن شأن الله أنَّهُ أعلَمُ بِمَن اتَّقى مِن خلْقِهِ، قال تعالى:

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى(32)﴾

[سورة النجم]

فلا تمدحْ نفسَك ولا تذُمّها ولا تُزَكِّي على الله أحدًا، فإن كنتَ فاعِلاً فقل: والله أعلم، والدليل أنَّ سيّدنا عملا لمَّا اسْتخلفهُ سيّدنا الصِّديق، تأثَّر الصَّحابة، فقالوا له: ألا تخاف الله عز وجل، اسْتَخْلَفْتَ علينا عمر ؟ فقال سيّدنا الصِّديق: والله لو سألني ربِّي لِمَ اسْتَخْلَفْتُه لقلت: لقد اسْتخلفْتُهُ عليه لأنّي وجدْتُهُ أرْحَمُهُم !! فإنْ بدَّل وغيَّر فلا عِلم لي بالغيب !! هذا هو الأدَب، ولذا التَّأدُّب مع الله أنَّك لا تمْدح إنسانًا إلا مع التَّحَفُّظ ؛ أحسبه كذا ولا أُزكِّي على الله أحدًا، أما المديح القطعي فهو ليس مِن شأنِكَ أنت، بل هو مِن شأن الله، فلا أحدَ يعلمُ مصائِر العباد إلا الله، هناك رجل في الهند بلغَ من علوم الدِّين مبلغًا لا يوصَف، ونهايتُهُ أنَّهُ ادَّعى الألوهِيَّة!! لماذا قال الله عز وجل:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾

[سورة الإسراء]

لِمَ لمْ يقُلْ ربِّ اجْعَلني صادِقًا ؟ لأنَّه قد تَدخُل صادِقًا ولا تخْرُجُ صادِقًا، فقد يُفْتَنُ الإنسان ضِمْن العمل الصالح، وقد تزِلُّ قدَمُه، فلذلك لا أحَدَ يعْلمُ مصائِر الخلق إلا الله، فالمعْصِيَة معْصِيَة، والطاعة طاعة، ولكِنَّ هذا الطائر لعلَّهُ تزِلُّ قدَمُه، ولعلَّهُ يُفْتَن وهذا العاصي لعلَّهُ يتوب، وفي التاريخ الإسلام كِبار كبار العلماء كانوا عُصاة، وقُطَّاعُ طُرُق، وكانوا مُجْرمين وقتَلَة، والصُّلحة بِلمْحة، وإذا رجَعَ العبد العاصي إلى الله نادى

مُنادٍ في السماوات والأرض أنْ هنئوا فلانًا فقد اصْطَلَحَ مع الله ! فالنبي يرْجُو مِن ربِّه كُلّ خير، ولكنَّهُ أديبٌ مع الله، يقول: أرْجو الله أن يرْحَمَني، وأرْجو الله أن يُدخِلني الجنَّة.

سبحان الله ؛ سَمِعتُ شريطًا لأحد المدرِّسين، يقول لِتلامِذَتِهِ: أنتم غدًا تحتاجون إليّ في الجنَّة !! وكأنَّهُ ضَمِنَ دُخول الجنَّة !! فهذا سيّدنا عمر يسأل حذيفة رضي الله عنهما ؛ بِرَبِّكَ هل اسمي مع المنافقين ؟ فسيِّدُنا عمر مُبشَّر بالجنَّة، فَمِن شِدَّة خوفِهِ مِن الله سأل حُذيفة هل أُدْرِجَ اسمُهُ مع المنافقين ! لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام أمْلى على حُذَيفة ابن اليمان أسماء المنافقين، والمؤمن يتقلَّب في اليوم الواحد بِأربعين حالة من شِدَّة خوفه من الله، وأما المنافق فيبقى على حالٍ واحِدٍ أربعين عامًا.

فهذا ابن أبي مليْكة التقى بأربعين صحابي كلُّهم يَخشى على نفْسِهِ النِّفاق لذا إن قلنا رضي الله عن إنسان فهذه ليس تَقريرِيَّة ولكن دُعائِيَّة، أي نرْجو الله أن يرْضى عنه.

قال تعالى:

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (9)﴾

[سورة الأحقاف]

قلتُ لكم سابقًا إنَّ أعداء الإسلام يطفون على النبي طابع العبقريَّة والذَّكاء فهو كذلك ولكنَّه نبيٌّ يوحَى إليه، وهو ناقل أمين على وحي السَّماء، والله جلَّ جلاله خاطبَهُ وقال:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(272)﴾

[سورة البقرة]

قال تعالى:

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ(107)﴾

[سورة الأنعام]

فالتَّألِّي على الله أن تُوَزِّع ألقاب الإيمان والكفر والشِّرْك بِبَساطة وسُهولة وأنت واثِقٌ مِن نفْسِك، وهذا مُخالفة شَرْعِيَّة كبيرة سمَّاها العلماء التَّألِّي وهي أن تُحِلَّ نفْسَكَ محلَّ الوَصِيّ، ومحلّ الذي يعلم الغيب ومحلَّ الذي يعلم مصائر الخلق، وتقول: هذا كذا، وهذا كذا.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (11)﴾

[سورة الأحقاف]

الكافر يدَّعي أنَّهُ ذكِيّ بِدَليل أنَّهُ يتوهَّم أنَّه على حق، والآخرون على باطل فلو كان الدِّين خيرًا ما سبقونا إليه، والجواري كما قاله أحد الأنبياء الكرام قال تعالى:

﴿ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ(28)﴾

[سورة هود]

إذا الإنسان ما ذاقَ العَسَل في حياته، وأقْسَمَ يمينًا مُعظَّما أنَّ أطْيبَ شيءٍ أكلَهُ في حياته هو الدِّبس ! هو صادِق لأنَّه ما ذاق العسَل فالكافر حاله هكذا فهو ما ذاق طعْم الإيمان، وطَعْم القُرْب، ومشاعر الإيمان، فالإيمان يذوقُهُ الإنسان، والإيمان له حلاوة، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: من غضَّ بصرهُ عن محارم الله أورثه الله حلاوةً يجدها في قلبه.

أيها الإخوة الكرام، هذه الآية مِحْورُها ؛ إيَّاك أن تقول آيةً تتجاوَزُ بها قدْرَكَ، ورَحِم اله عبْدًا عرفَ قدْره، فوَقَف عنده، والله هو وحْده الخبير بِذُنوب عبادِهِ، قال تعالى:

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا(17)﴾

[سورة الأسراء]

وقال تعالى:

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى(32)﴾

[سورة النجم]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : تفسير الآيات 29 - 32

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية التاسعة والعشرون والتي بعدها من سورة الأحقاف، والتي تبدأ بقوله تعالى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآَنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآَمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (32)﴾

[سورة الأحقاف]

أيها الإخوة، عندنا عذاب أليم، وهذا العذاب قد لا يحتمِلُ الإنسان وبِمُجرَّد أن يُجيب داعِيَ الله أيْ أن يستجيب له، فربُّنا عز وجل يقول:

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآَمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾

[سورة الأحقاف]

ماذا تُفيد مِن هذه ؟ لماذا لم يقل ربنا عز وجل يغْفر لكم ذنوبكم ؟ علماء التفسير قالوا: هذه مِن تُفيد التَّبعيض، يعني يغْفر لكم بعض ذُنوبِكم التي بينكم وبينه، أما التي بينكم وبين العباد فلا تُغْفر إلا بالأداء أو المُسامحة، فإمَّا أن تؤدّي الحق وإما أن يُسامِحَك، لذلك الذي يتوهَّم أنَّه إذا ذَهَب إلى الحج غفرَتْ له كلّ ذنوبه، فهذا وَهمٌ خاطئ، فالذُّنوب لا يُغْفَرُ منها إلا التي بينك وبين الله، أما التي بينه وبين العباد فلا بدّ أن يؤدِّيَها، حتَّى لا يقعَ الإنسان في وَهم.

قال تعالى:

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآَمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾

[سورة الأحقاف]

والحقيقة أنَّ أَكْمَل شيءٍ في الإنسان أن يسْتجيب للدَّعوة البيانِيَّة، وهو صحيح مُعافى قَوِيٌّ، وغنِيٌّ عن الناس، ولأنَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم يقول: اللَّهمّ من أحبَّني فاجْعَل رِزْقهُ كفافًا، هكذا دعا لنا النبي عليه الصلاة والسلام، ثمَّ إنَّ هناك حقيقة ثانِيَة، وهو أنَّ الذي يُحِبُّ رسول الله لا بدَّ مِن أن يُنْفِقَ ماله على حُبِّه، لأنّ أحدًا

سألهُ فقال: يا رسول الله، إنّ أُحِبُّك فقال: أُنظر ماذا تقول ؟ هذا الفقْر اسْمُهُ فقْرُ الإنفاق ويُقابِلُهُ كما قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(34)﴾

[سورة التوبة]

فالمؤمن الذي أحبَّ الله ورسوله تجدهُ يُنْفقُ، فإذا افْتَقر فهذا فقْر الإنفاق وعندنا فقر الكسل ؛ هذا مذموم والإنسان محاسب عليه، ويوجد فقر القدَر ؛ الإنسان معذور ؛ إذْ أنّه قضاء الله وقدره، فالإنسان العاجز، والإنسان كفيف البصر، والمُصاب بشلل طفل عنده كساح هذا فقير إنه لا يستطيع أن يكسب قوت يومه فهذا فقير فقر القدر، أما إنسان كسول مهمل، لا يتقن عمله، ولا يداوم، وينام إلى الظهر، وإذا عمل عملا لا يتقنه، يسوِّف، يماطل، يهمل، فهذا إذا فتقر ففقره عقاب، اسْمُهُ فقْر الكسَل، ونحن عندنا فقْر القَدَر، وفقْر الكسَل، والفقْر الثالث هو فقْر الإنفاق ؛ فالصحابة الكرام كانوا يُنفقون أموالهم في سبيل الله، والنُّقطة الدقيقة أنَّه يستحيل عليك أنْ تُحِبَّ الله، وتُحِبَّ رسوله وأن تكْنِزَ الذَّهَب والفِضَّة، ولأنّ الله عز وجل يقول:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(35)﴾

[سورة المائدة]

فإذا الإنسان أحبَّ فتاةً، وخطَبَها وعقَدَ عليها، فلا يأتيها إلا ومعه هدِيَّة وهذا شيء معقول، فالمؤمن إذا أحبَّ الله عز وجل يُقَدِّم له هَدِيَّة، أن يُنْفقَ مِن ماله على عباد الله تعالى، مرةً دُعيت إلى طعام لأيْتام، فالطَّعام نفيس جدًّا، وليس مِن صُنع المطاعم، ولكن مِن صُنْع البيوت،علمت أن هناك أسر تتنافس وتأخذ دور كي تصنع طعام للأيتام في رمضان، وهذا شيء جميل جدًّا، فالإنسان حينما يحب الله يبحث عما يرضيه، عن عملٍ يرضيه، عن إنسان يكرمه، لذلك المؤمن ينفق ماله، وإذا افتقر المؤمن فهذا ليس فقْر قَدَر ولا فَقْر كَسَل إنما فقر إنفاق، قال: انظر ما تقول قال: والله إني أحبك، قال:إن كنت صادقا فيما تقول لَلفقر أقرب إليك من شِرْك نَعْلَيْكَ، لذا أجمل شيء أن تستجيب لله وأنت صحيح معافى، وأنت قوي شاب وغَنِيّ، لكن الإنسان قد لا يسْتجيب فيأتي التَّأديب، فهو إن اسْتَجاب مع التَّأديب فهذا شيءٌ جيِّد، لكنَّ الأَجْوَدَ منه أن يستجيب إذا دُعِيَ إلى الله عز وجل، وأحيانًا يُعطي الله تعالى هذا العبد التائِهَ الشارد الدُّنيا، فنقول: الأولى أن يشْكر فإذا لم يسْتَجِب، ولم يشْكر، ولم يَتُب، فهذا موتُهُ خير مِن حياته، وهذا يأتي القَصْم فَيُنْهيه، قال تعالى:

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾

[سورة الأحقاف]

أي لا تسْتَطيعوا أن تُجيبوا داعِيَ الله إلا إذا آمنْتُم به، لأنَّك إذا عرفتَ الأمر، ولم تعرف الآمر تفنَّنْتَ في معْصِيَة الآمِر، وفي حِيَلٍ تتهرَّبُ بها من طاعته أما إذا عرفْتَ الآمِر، ثمّ عرَفْتَ الأمْر تتفانى في طاعته.
الجواب، قوله تعالى:

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾

[سورة الأحقاف]

في الدنيا مغفرة وفي الآخرة نجاة من عذاب أليم، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(185)﴾

[سورة آل عمران]

ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (32)﴾

[سورة الأحقاف]

قال له عليه الصلاة والسلام: قل آمنت بالله ثم استقم..."، فقوله ليس بِمُعْجِزٍ أي لا يستطيع أن يتفلَّتَ من ملَكِ الموت، وتُرْوى قِصَّة رَمْزِيَّة وهي أنَّ سليمان الحكيم كان عنده إنسان، وكان عندهُ ملَكُ الموت، فصار ملكُ الموت يُحدِّقُ في هذا الإنسان فسأل هذا الإنسان سليمان ؛ مَن هذا الذي يُحدِّق فيَّ ؟ فقال: ملَكُ الموت فانْخَلَع، وطلبَ منه أن يُرْسِلَهُ إلى أقْصى الدُّنيا على بِساطِ الريح ! فَنُقِلَ إلى الهِنْد، بعد يومين ماتَ هناك، فسُليمان الحكيم سأل ملك الموت: لماذا كُنْتَ تُحِدُّ في البصَر ؟ فقال له: عَجِبْتُ له أنا كان معي أمْر قبْض روحِهِ بالهِند فما الذي جاء بِهِ هناك ؟! فكلُّ مَخلوقٍ يموت، ولا يبقى إلا ذو العِزَّة والجبروت، الليل مهما طال فلا بدَّ من طلوع الفَجر، والعمر مهما طال فلا بدّ مِن نزول القبر.

قالوا: أنَّه بِقديم الزَّمان كان هناك ملِك جبَّار وبطَّاش، غضِبَ على أحد رعاياه، وكان يعْملُ نجَّارًا، فطالبَهُ بمائة كيس نجارة، فأدْرَكَ النَّجار أنَّه قاتِلُه، لأنَّ الطَّلَب مستحيل، فودَّع أهله، وكتَب وصِيَّتَهُ، ومع الفجْر طُرِق الباب، فقبَّل أهْلَهُ وذهب لِيُقْتَل، فإذا الخَبَر أنَّ المَلِك هو الذي مات ! قال تعالى:

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾

[سورة الأحقاف]

فَسُبحان مَن قهَر عبادهُ بالموت ! فلا بدّ من الموت، فهذا معنى.

المعنى الثاني، لا يستطيع المؤمن لإنسان مهما كان قوِيًّا أن يتفلَّتَ مِن عِقاب الله، كنتُ عندَ طبيب، وجاءَهُ اتِّصال هاتفي من طبيب، فالذي سَمِعتُهُ، وكنتُ قريبًا من الهاتف، قال له: أيّ مكان بالعالم، وأيّ مبلَغ نحن جاهزون له ! فقال له الطبيب: والله لا يوجد أمَل ! فالسَّرَطان في الدَّرجة الخامسة، فالمرض يأتي أحيانًا في أوج نشاط الإنسان.

أيها الإخوة، كلمة قاسي هي كلمة توصف بها المواد التي تُقاوِم قِوى الضَّغط، فأقسى عنصر في الأرض هو الألْماس، وعندنا قِوَى الشَّدّ فالله تعالى:

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ(183)﴾

[سورة الأعراف]

فما معنى متين ؟ أمْتَنُ شيءٍ الحِبال الفولاذِيَّة فالتِّيليفريك يُحمل بها، أما أقسى شيءٍ هي الألماس، فالإنسان مهما كان قَوِيًّا، ومهما كان جبَّارًا، ومهما كان ذَكِيًّا، ومهما كان مُتَمَكِّنًا فالحَبْل متين لا ينْقَطِع، وبِلَحظة واحِدَة يأتي في قبْضَةِ الله، قال تعالى:

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾

[سوة الأحقاف]

الإنسان في الدنيا له جماعة، وأنصار وأقْرباء وأعوان، وقد يقع الإنسان بِوَرْطة فيتَّصِل بفلان وفلان، أما في الآخرة قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ(94)﴾

[سورة الأنعام]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-5) : تفسير الآيات 34 – 35

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الرابعة والثلاثون والتي بعدها من سورة الأحقاف وهي قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (34)﴾

[سورة الأحقاف]

أيها الإخوة، النَّفسُ البشَرِيَّة مُصَمَّمة، ومَفْطورة، ومَجبولةٌ مِن أجل أن تؤْمِنَ بالله، وأن ترْكَنَ إليه، وتنْطَوِيَ تحت ظِلِّه، لذلك معرفة الحق معْرفةٌ تَتِمُّ بالفِطرة، وأطْرَحُ عليكم هذه الحقيقة، أسْهَلُ معرفة في الأرض لا تحتاج إلى دليل، ولا إلى وثيقة، ولا تريُّث ؛ هي أن تعْرف ابْنَكَ أيس كذلك ؟ فالأب لا يتردَّد في معرفة ابنِهِ، ماذا قال الله عز وجل:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(146)﴾

[سورة البقرة]

يعرفون رسول الله كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك كفروا به، لماذا كفروا به ؟ بغْيًا، وحسَدًا واسْتِكبارًا، وحِفاظًا على مكاسِبِهم، وعلى مكانتهم، وعلى ثرواتِهم، وعلى شأنِهم ، وعلى وجاهَتِهم، فالأصْل أن تؤمن، والإيمان يتِمُّ بالفِطرة، فكما لا تتردَّدُ في معرفة ابْنِك، فالمُشكلة يوم القيامة قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى﴾

[سورة الأحقاف]

كلّ أنواع الإنكار والجُحود في الدُّنيا غير مَعقولة، وغير طبيعِيَّة، وغير فِطْرِيَّة، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ(23)انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة الأنعام]

فالحق قديم، وبالمناسبة الإنسان لا ترْكَنُ نفْسُهُ ولا يسْتَقِرّ ولا يتوازَن إلا إذا أطاعَ الله تعالى، وإلا فالزَّمَنُ يُسَبِّبُ له قلقًا، ماذا يخبئ المستقبل ؟ هناك أمراض، ومُشكلات، ودَمار ثَرْوَة أحيانًا، ومتاعِب، أما المؤمن فيقْرأُ قوله تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

فالله تعالى قال:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35)﴾

[سورة الأحقاف]

هذه الدنيا أساسُها الصَّبْر، وقد فسَّر بعضهم قَوْل النبي صلى الله عليه وسلَّم أنَّ الإيمان الصَّبْر والسَّماحة فالشَّجاعة صَبْر والإنفاق صَبْر، والصَّلَوات صَبر، والزَّكاة صَبر، وغضّ البصَر صبر، وأن تكتفي بِزَوْجَتِكَ صَبْر، وأن تتحرَّى الحلال صَبْر ، وأن تُرَبِّيَ أولادك صَبْر، فلو ذَهَبْتَ إلى التَّكاليف الإسلاميَّة لَوَجَدْتها مَبْنِيَّةً على الصَّبْر، لأنَّ كلمة تَكليف تعني أنَّها ذاتُ كُلْفَة، وهو فِعْلُ الشيء خِلاف الطَّبْع، فهذا الجسَد يميلُ إلى النَّظَر، والتَّكليف أن لا تنْظُر، واللِّسان يميل إلى التَّكَلُّم في أعراض الناس، والتَّكليف أن تسْكُت، وهذه اليد تميل أن تلْمسَ الشيء المُحَرَّم، والتَّكليف أن تبْتَعِد، فَكُلّ شيءٍ مُصَمَّم أن تفْعَل خِلافَهُ، فالتَّكليف يتناقض مع الطَّبْع، والطَّبع مُرتبِط بالجسَد فالإنسان بعد أن يصْبِر ترْتاحُ نفْسُهُ، وسيِّدنا يوسف حينما قال: معاذ الله وصبرَ، وبعض العلماء عدَّ اثْنَي عشرة بنتًا تَدعوهُ، فلمَّا صبر توافَقَ مع فِطْرَتِهِ فارْتاحَتْ نفْسُهُ، فالقضِيَّة دقيقة جدًّا، فالتَّكاليف كلُّها تتناقض مع الطَّبع، فالواحد قد ينام الساعة الثانية صباحًا، والفجْر الساعة الرابِعَة وفي أيام الشِّتاء، والبرْد، فكيف يسْتَيقِظ ؟ فالاسْتِيقاظ يتنافى مع الطَّبْع، ولكن بعد أن يُصَلِّي، ويتجلَّى الله على قلْبِهِ، ويشْعُر أنَّهُ أدَّى واجِبَهُ الدِّيني يرْتاح وينام ويسْتَيقِظ الساعة التاسِعَة براحة كبيرة جدًّا، فهذه الراحة هي راحة الفطرة، وراحة تأدِيَة عبادة الله تعالى، فالحياة كلّها صَبر، وخِلاف الصَّبْر أن تسْتَرْسِل مع الغرائز والمُيول والشَّهوات، وجهنَّم كلُّها سَهْوة واحِدَة، قال عليه الصلاة والسلام: إنَّ عمل الجنَّة حزن بِرَبْوَة، وإنّ عمل النار سَهل بِسَهوة فالاسْتِرْخاء وإطلاق البصر واللِّسان، وأكْل المال الحرام، وتتفلَّت كالدابة، أما المؤمن مُنْضَبِط بِمَنهَج، وعنده اِفْعَل أو لا تفْعَل، وهناك حلال، وحرام، ويجوز، ولا يجوز، وحق وباطل، فالمنْهَج الدِّيني أُعيدُ وأقول يتناقض مع الطب من أجل أن ترقى إلي الله و يتوافق مع الفطرة من أجل أن تسعد به، لذلك قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(30)﴾

[سورة الروم]

السيارة المُصمَّمة للطريق المُعبَّد لا تجد فيها صوتاً، و لو انك ركبتَها في طريق وعِرٍ تنزعج جدًّا، لأن هذه المركبة مصمَّمة لغير هذا الطريق، و لما يسلك الإنسان طريق الحق، فيصلِّي الصلواتِ الخمس و يحرِّر دخله من الحرام و يغضُّ بصره عن محارم الله و يجعل بيتَه إسلاميًّا و عملَه إسلاميًّا يشعر أن اللهَ يحبُّه، و اللهُ قويٌّ و بيده كلُّ شيء و غنيٌّ وقويٌّ تطمئِن نفسُه، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ(28)﴾

[سورة الرعد]

لذلك الإيمان هو الصبرُ، و الشجاعة صبرٌ و كظمُ الغيظ صبرٌ و أداء العبادات صبرٌ، قال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾

[سورة الأحقاف]

واحد يركب مركبةً و نازل في طريق حاد الانخفاض ينتهي بمُنعطفٍ تسعين درجة و السرعةُ كبيرةٌ جدًّا و ليس معه مِكبحٌ و لا يعرف، فهو مبسوط، و لكن حينما يعلم سوف يُولوِل، قال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾

[سورة الأحقاف]

نحن الآن كلُّنا لنا أعمارٌ، فكيف مضتْ الأربعون و الخمسون و الستُّون، كلمح البصر، إذا الستُّون مضت كلمح البصر، فكيف تمضي هذه الأخرى ؟ الإنسان دائما يسأل سؤالا حرِجا، كم بقيَ لي من عمُر؟ و أعقلُ إنسان من يضع الموتَ بين يديه و يستعد له بالتوبة والعمل الصالح و خدمة الناس والدعوة إلى اللله و نشر الحق و تربية الأولاد، قال تعالى:

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾

[سورة الأحقاف]

البارحة جاء رمضان و اليوم هو العاشر، و بعد حين عشرين و بعدها ثلاثين و بعدها العيد، ثم بعد ساعة يأتي الأضحى، و يمرُّ العقدُ الأول و الإنسان يمشي بقطار و في آخر المحطَّة لا بدَّ من أن ينزل فيها، قال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾

[سورة الأحقاف]

الدنيا ساعة اجعلْها طاعةً، و الحقيقة أن الإنسان لما يواجه الموتَ تُعرَض عليه حياتُه في ثوانٍ كشريط، فهنيئًا لمن لمضى حياته في طاعة الله و في عمل الخير، و الويلُ لمَن أمضاها في المعاصي و الآثام و الدليل لو أن الإنسان آلمه سِنُّه ألما لا يُحتمَل، كم حضر من الولائم في حياته و كم أكلٍ طيّبٍ ذاقها في هذا السنّ ؟ لِيذكرْ هذه الطعوم الطيّبة هل يذهب ألمُه الآن، الآن الألم هو الواقع، و الماضي مضى، لذلك الكافر حينما يرى مكانه في النار يقول: لم أرَ خيرا قط، كان يسكن في أجمل بيت و ركب أجملَ سيارة، و كلُّ يوم له عزيمة مكانة ووجاهة، كلّ هذه الطيِّبات نسيَها أمام مصيرِه الحتمي، و المؤمن يرى مقامه في الجنة فيقول: لم أرَ شرًّا قط.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : تفسير الآية 20

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام ، الآية العشرون من سورة الأحقاف ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

[سورة الأحقاف الآية : 20]

جزء من عقيدة المؤمن أن يعرف حقيقة الحياة الدنيا ، وأنَّها دار عمل وليسَت دار أمَل ، ودار تكليف وليْسَت دار تشريف ، فالذي يفْهم أن الحياة الدُّنيا دار اسْتِمتاع وتقلّب في النّعيم ، وطعام وشراب ، وسهرات ، ومُتَاع فحاله يكون كما وصف الله في هذه الآية .

رَدَ في بعض الأحاديث : إيَّاك عبد اله والتَّنَعُّم فإنَّ عباد الله ليْسُوا بالمتنعّمين ! الإنسان قد يتنعَّم ، أما أن يجْعل التَّنَعُّم هدفه ، يعمل من أجله ؛ طعام وشراب واستمتاع ، فالأُناس الطَّيِّبُّون غارقون في المباحات والمباحات شَغَلتهم عن الطاعات ، فالعُصاة موضوعهم آخر ، وهم خارج الحِساب ، فهذا الذي جَعَل همُّه مُتَعَ الحياة الدُّنيا والانْغِماس فيها ؛ موقفُهُ يوم القيامة ، كما قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

[سورة الأحقاف الآية : 20]

طبعًا كلمة الكُفْر واسِعَة جدًّا ، تضيق لِتَعني الخروج مِن مِلَّة الإسلام ، وتتَّسِع كما قال الله عز وجل :

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾

[سورة التوبة الآية : 54]

فهؤلاء يُصَلُّون ويُنْفِقون ، وقد وُصِفُوا عند الله تعالى بالكُفْر .

هناك كفء يُخْرِج مِن مِلَّة ؛ كأن تُكَذِّب بالوحي ، وبالقرآن ، وتُنْكِر فرْضِيَّة الصلاة والصِّيم والحج ، وذا هو الكُفر الأكبر ، أما حينما لا تعبأ بِقَوله تعالى :

﴿ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية : 221]

تُزوّج ابنتَك لإنسانٍ غَنيٍّ دون أن تعبأ بِدِينِهِ ، فأنت بِهذا كأنَّك كذَّبْت هذه الآية ، وهذا نوعٌ مِن الكُفْر ، وحينما يقول الله عز وجل :

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾

[سورة البقرة الآية : 276]

فليمْتَنِعْ عن التَّصَدُّق ويُنَمِّي مالهُ بِطَرِيقٍ ربَوِي هو كافِرٌ بِهذه الآية بالذَّات فهناك كُفْر يشْمَل الدِّين كلَّه ، ويشْمَل الوَحي كلَّه والكتب السماوِيَّة ، والأنبياء وهناك كُفر جُزئي ، فحينما يقول الله عز وجل

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

[سورة النور الآية : 30]

فإذا قال الواحِد أين أضَعُ عَيناي ؟!! فهل الآية غلَط ؟ ألم يقل الله عز وجل :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

[سورة البقرة الآية : 286]

فالكُفْر يضيق لِيشْمل تَكذيب الدِّين والوحي ، والقرآن ، وإنكار الفروض ، ويتَّسِعُ الكُفْر لِيَشْمَل كُلّ مَن يتحرَّك حركةً خِلاف منهج الله ؛ لأنَّه ليس قانِعًا بها ، أما إن كان مُقصِّرًا فهذا اسمُهُ فُسْق ، فالإنسان حينما يُغلبُ أمرُهُ يُسَمَّى فاسِقًا ، أما حينما يُنكِر يُسمَّى كافر ، رجلان لا يُصَلِّيان ، فالذي يقول : والله أنا مُقصِّر ؛ هذا فاسق أما الذي يقول : ما فائدة الصلاة ؟! فهذا كافر ، فالذي يُنْكِرُ فرْضِيَتها كافر أما الذي يدَّعي أنَّهُ مُقصِّر فهذا فاسِق ، قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

[سورة الأحقاف الآية : 20]

يُرْوَى أنَّ سيِّدنا عمر أمْسَكَ تُفاحةً شَهِيَّة فقال : أكلتها ذَهَبت ، أطْعَمْتُها بَقِيَتْ !

سيِّدُنا النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان يُوزِّعُ شاةً ، قالت له عائشة رضي الله عنها : لم يبْقَ إلى كَتِفُها! فقال عليه الصلاة والسلام : بل بقِيَتْ كلُّها إلا كتفها !!

ليس لكَ مِن مالِكَ إلا ما أكَلتَ فأفْنَيْتَ ، أو لبِسْتَ فأبْليْت ، أو تصدَّقْتَ فأبقَيت ، فالمال جزءان ؛ قسم لك ، وقِسم ليس لك ، فالذي لك يُسَمَّى رِزْق والذي ليس لك يُسمَّى كَسْب ، فالرِّزْق ما انْتَفَعْتَ به ، والكسب ما لم تنتفع به ، فالرِّزق ما انْتفعْتَ به وسَتُحاسَبُ عليه ، والكَسْب ما لم تنتفع به وسَتُحاسَبُ عليه ! تصوَّر إنسانًا

اقْتَرض مليون ليرة ، سُرِقتْ منه في الطريق ، فهذا الشَّخص سيُؤدِّي هذا المَبلَغ مع أنَّه لم ينْتفِع به ، فالرِّزْق ما انْتَفَعتَ به ، والكَسْب ما لم تنتفِع به .

الآن الذي تنتفِعُ به ثلاثة أقْسام ؛ قِسمٌ هلَكَ كالطَّعام والشَّراب ، وقِسم بقِيَ وبلِيَ كالثِّياب ، فهؤلاء الذين كفروا يُقال لهم القيامة :

﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

[سورة الأحقاف الآية : 20]

لذلك أيُّها الإخوة ، الإنسان الذي بلا رسالة ، ولا هَدَف ، ولا قيمة يسعى لها ، ولا درجة ولا مرْضاة يسْعى لِحُصولها هو إنسان شارِد وتائِه ! ما الذي يُعرِّفُكَ بِمَوْقِعِك من الدِّين ؟ دُروس العِلم ، وكنتُ أقول لكم دائِمًا ؛ متى تُعالِجُ نَفْسَكَ مِن الضَّغط المرْتَفِع ؟ إذا عرِفْتَ أنَّهُ معَكَ ضَغطٌ مرْتَفِع ، فلا بُدَّ مِن أن تقيسَ ضَغْطك مِن حينٍ لآخر عند الطَّبيب ، والمؤمن الصادِق لا بُدَّ من أن يحْضُر مَجلسَ العِلْم كي يعْرِف موقِعَهُ من الدِّين ؛ هل هو مع المُقْتَصِدين أم السابقين أم المُقصِّرين؟ وهل هو واقِعٌ في الشِّرْك الخَفِيّ أو الشِّرْك الجليّ ؟ وهل هو واقِع في الكُفْر ؟ فلا بدَّ مِن معرفة ذلك ، يقول تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

[سورة الأحقاف الآية : 20]

قال تعالى :

﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

[سورة الأحقاف الآية : 20]

الحقيقة أنَّ الإنسان أحيانًا يسْتكبر بِغَير الحق ، قال تعالى :

﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة آل عمران الآية : 26]

سَمْعُكَ تمْلِكُهُ ، وبصرك تمْلِكُهُ ، وعَقَلَكَ تمْلِكُهُ ، وحركتكَ تمْلِكُهُ فالذي يسْتكبر بِغَير الحق ، ويقول : أنا ! فهذا لا شيء ، نقطة دم في دِماغِهِ تَجْعلُهُ مَشْلولاً ، وأقْربُ الناس إليه يتمنَّى موْتَهُ ، فإمَّا أن يُسْمِعَهُ الدُّعاء ويقول له : خفَّف اله عنك ! وإمَّا أن يدعوَهُ سِرًّا ، فأقرب الناس إليك ؛ زوْجتُكَ وأهْلُكَ والإنسان وهو في الفراش خِدْمتُهُ صَعْبة جدًّا ، لذا أنت لا تمْلك شيئًا ، لا حركتك ولا قوَّتَك ولا سمْعَكَ ، وهل تمْلِكُ أولادك

وأهلَكَ؟ أنت لا تمْلِكُ شيئًا ، فالذي يسْتَكبر فهذا اسْتِكبار بِغير الحق ، وكلّ إنسان يقول : أنا يدَّعِي ما ليس له ، وكلّ ذَنْب له عِقاب يُناسِبُهُ ، فالكِبر عذابُهُ الهون ونحن عندنا عذاب أليم ، وعذاب عظيم ، وعذاب مُهين ، فالمستكبر عذابه الهون قال تعالى :

﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

[سورة الأحقاف الآية : 20]

تجد كلمات يقولها الناس هي كبيرة جدًّا ، وتقتضي لَيُقصَموا ، قال تعالى

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

[سورة البروج الآية : 12]

لذا على الإنسان أن يَعُدَّ للمليون قبل أن يقول كلمة أكبر مِن حجْمِهِ ، فالله عز وجل يهْدِمُ أشياء كبيرة جدًّا ، ولذا قال : عرفْتُ اله مِن نقْض العزائِم .

وهناك اسْتِكبار ، وهناك فِسق ، إلا أنَّني أُبلِّغُكم أنَّ معْصِيَةً سببُها الغلبَة شيء ، ومعْصِيَة سببها العِناد والاسْتِكبار شيء آخر ، فإبليس ما هو الذي أسْخَطَ عليه ؟ قال : أنا خير منه ! ولك أكن لأسْجُدَ لِبشَر خلقتَهُ مِن طين فَمَعْصِيَتُهُ معْصِيَةُ اسْتِكبار ، أما سيّدنا آدم قال تعالى عنه :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾

[سورة طه الآية : 115]

ففرْقٌ بين معْصِيَة آدَم ، ومعْصِيَة إبليس ، فإبليس عصى اسْتِكبارًا ، وآدَمَ عصى غلبَةً ؛ نسِيَ ، والذي يقَع في ذَنب بِدافِعِ الغلبة توْبتُهُ سَهلة جدًّا ، فالعبد لمَّا يقول : يا رب : أنا أخطأتُ ، يقول الله : وأنا يا عبْدي قبِلْتُ ، ويا رب قد تُبْتُ إليك ، والله يقول ، وأنا ق تُبْتُ على عبْدي ، أما الذُّنوب التي أساسها الاسْتِكبار فَتَوْبَتُها صَعبة جدًّا ، وعليه فَكُلّ إنسان يقْلبُ الموازين ، ويَجْعل الحياة الدُّنيا دار اسْتِمتاع ، ودار لَهو ، ونعيم، ودار سُرور ، وحفلات ، وأماكن جميلة ، هذا الإنسان جَهِلَ حقيقة الحياة الدُّنيا ، فالطالب الذي بِقاعة التَّدريس معه راديو يسمع الأخبار ، ومجلاَّت ، ومكسَّرات يأكلها ، فهل يليق هذا بِطالب ؟! هذا المكان مكان دِراسة ، وليس مكان اسْتِمتاع ، أما إذا ذهَب الإنسان إلى نزهة ، وأخذ معه ما أخذ ، فهذا له ذلك ، فالنُّزْهة شيء ، والدِّراسة شيءٌ آخر ، فلمَّا يجعل الإنسان الدُّنيا دار نعيم ، فقد أدْخَل سيّدنا عمر أحد الشّعراء السِّجن؛ لأنَّه قال بيتًا بِحَق أحد رؤساء القبائل اسمه الزِّبرقان ، وعدَّتْهُ العرَب أهْجى بيتٍ قالهُ شاعر ، ماذا قال هذا الشاعر ؛ حُطَيأة ؟ قال :

دع المكارم لا ترْحل لِبُغيَتِها واقْعُد فإنَّك أنت الطاعِمُ الكاسي

هذا البيت الذي قاله هذا الشاعر هو شِعار الناس اليوم ، فما دام دخْله كبير وبيتُه واسِع ، ومُتمتِّع ، فهذا تجدهُ لا يعْبأ بِشيءٍ ، وهذا هو الذي عكَسَ الحياة الدُّنيا ، فهي دار عمل ، وجعلها هو دار أمَل ، وهي دار تكليف وهو جعلها دار تشريف ، فهذا هو الخطأ ، قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

[سورة الأحقاف الآية : 20]

آخر مثل لِتَوضيح الحقيقة ، أنَّه لو كان معك مليون ليرة ، ممكن أن تسْتثمرها بِشَركة تعطي بالمائة سبعين ، وبالمائة ثمانين ، فأنت يمكنك بالمليون أن تقوم بِرِحلة إلى اليابان ، وأوربا ، وينتهي المليون فإنفاق المليون هذا هو إنفاق اسْتِهلاكي ، وفيه حُمْق ، أما إنفاق المليون إنفاق اسْتِثماري ، فهذا فيه ذكاء ، وكلّ شيءٍ تمْلكُه في الدنيا ، مِن صِحَّة وفراغ وأمْن ، والزَّوجة والأولاد ، وطلاقة اللِّسان ، والذَّكاء ، هذه كُلُّها مواد أوَّلِيَّة ، وهي رأسُ مالِكَ ؛ فإمَّا أن تسْتَهْلِكَها ، وإمَّا أن تسْتَثْمِرها ، فإذا الإنسان سرَّ ، أدْخل على قلبهِ السُّرور فقد اسْتَهلكها، أما إذا فكَّر بالكون فأنت يمكن أن تقرأ قِصَّة ، والقصَّة ممْتِعة ، أما لو قرأت الحديث والقرآن والسيرة ارْتقيْتَ عند الله، فالقراءة إمّا أن تكون اسْتِهلاكِيَّة ، أو اسْتِثْمارِيَّة وكذلك الأمر في الأكل ؛ إمَّا أن تأكل حُبًّا في الأكل ، وإمَّا أن تأكل لِتَتَقوَّى على طاعة الله ، وإما أن تتزوَّج مِن اجل المُتْعة فقط ، وإما من أجل أن تنْجِبَ أولادًا يدعون إلى الله ، فَكُلّ شيءٍ يمكن أن توصِلَهُ بالحق أو بالباطل ، وأخْطَر شيء أن تُنْفِقَ ملَكاتِك ، وقُدْراتِك إنفاقًا استِهلاكيًّا ، فهذا هو الخاسِر ، وأعْقل الناس الذي لا يُضَيِّعُ مِن عُمُرِهِ ثانِيَة واحِدَة يُنفِقها في طاعة الله ، قال عليه الصلاة والسلام :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْهم عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى))

[رواه البخاري]

فالمؤمن حركاته وسَكَناته أعمال صالحة له .

والحمد لله رب العالمين

الباب السابع : تفسير سور (محمد – الفتح – الحجرات – ق – الذاريات – الطور – النجم – القمر – الرحمن – الواقعة – الحديد)

الفصل الأول : تفسير سورة محمد

الفصل الثاني : تفسير سورة الفتح

الفصل الثالث : تفسير سورة الحجرات

الفصل الرابع : تفسير سورة ق

الفصل الخامس : تفسير سورة الذاريات

الفصل السادس : تفسير سورة الطور

الفصل السابع : تفسير سورة النجم

الفصل الثامن : تفسير سورة القمر

الفصل التاسع : تفسير سورة الرحمن

الفصل العاشر : تفسير سورة الواقعة

الفصل الحادي عشر : تفسير سورة الحديد

الفصل الأول : تفسير سورة محمد

الدرس (01-10) : تفسير الآية 1 ، الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه ، وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

قال تعالى : الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ....

أيُّها الأخوة الكرام ؛ الآية الأولى من سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية : 1]

أما الذين كفروا فهؤلاء الذين كذبوا الحقَّ وأعرضوا عن الحقِّ، لكنَّ الكفرَ كما قلتُ دائما يتسّع ليشمل انكار آية ، أو انكار حكم من التشريع ، أو انكار موعظة، ويضيق ليشمل انكار أصل الدين وأصل العبادات، فليس كلّ كافر يُشْبهُ كافِرًا آخر، فالإنسان الذي يُصلِّي ويصوم، ويُؤدّي العبادات ولكنَّهُ يتعامَل بالرّبا، فآية:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

[سورة البقرة الآية : 276]

لم يعْبأ بها، ولم يُصَدِّق، فهذا واقِع في نوعٍ من الكُفْر، فحينما يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

[سورة البقرة الآية : 221]

فحينما يختار الأب الشاب الغَنِيّ الفاسِق على شابٍّ مؤمنٍ فقير، هذا نوعٌ مِن الكُفْر، ولكنَّه بِالمعنى المُوَسَّع، وبالمعنى ضَّيّق أن تُنْكِر أصْل الدِّين ، وأن تُنْكِر أنَّ هذا القرآن كلام الله وأن تُنْكِرَ نُبُوَّة النبي عليه الصلاة والسلام ، وأن تُنْكِر العبادات، ولا تعْبأ بها، فهذا الذي قال: لو أنَّ محمَّدًا صادِق فيما يقول لَكُنَّا شرًّا مِن الحُمُر ! قال عنه الله في القرآن الكريم:

﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُنْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

[سورة التوبة الآية : 74]

حتَّى إنّ بعض العلماء يقول: مَن أمْسَكَ المُصْحَف، وألْقاهُ إهانةً فقد كفَر فنحن عندنا كُفر اعْتِقادي، وهم أن تَعْتَقِدَ أنَّ مع الله إلهًا آخر، أو أن تَعْتَقِد أنَّ الله ليس إلهًا، وأنَّ آلِهَة الأرض فلان وفلان ! وأنَّ القرار بِيَدِهِم، ولهم أن يرفعوا ويخفضوا، فهذا هو الكُفر، فالإنسان حينما يُنْكِر أصْل الدِّين وأصْل الوَحي والقرآن، والأمر والنَّهي، فهذا كافر بالمعنى الضَّيِّق، وهذا خالدٌ مُخلّدٌ في النار، أما حينما لا تفْعَلُ أمرًا لا غلبَةً بل إنكاراً، فلو أنّ شَخصان من الناس عصيا الله، أحدهم يعْصيهِ غلبَةً، والآخر يعْصيهِ اسْتِكبارًا، ويقول لك: هذا الأمر غير منطِقي، وغير معقول، وأين أذْهَبُ بِعُيوني، أنكر آية غضّ البصَر، فَفَرْقٌ كبير بين مَعْصِيَة الغَلَبَة، ومعْصِيَة الكِبْر، فإبليس عصى ربَّهُ فلم يسْجُد اسْتِكبارًا، أما آدم، فالله تعالى قال عنه:

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾

[سورة طه الآية : 115]

ففَرْقٌ كبير بين أن تعْصي الله مَغْلوبًا، وبين أن تَعْصِيَهُ اسْتِكبارًاوعِنَادًا ، وعلى كلٍّكُلِّ أنواع الكُفْر الواسِعُ منها والضَّيِّق، والكُفْر بالأصول والفروع ، وكُفْر الاعْتِقاد والسُّلوك، وسواء كفر الاعْتِقاد، أو كُفْر السُّلوك، أو كُفْر الأقوال، فالإنسان الساكت لا يتكلَّم أيَّ كلمة، إلا أنَّهُ يعْلمُ عِلْمَ اليقين أنَّ الذي يُعْطي ويَمْنَعُ هو زَيْد، فهذا كافر وأنَّ هذا الإنسان القَوِيّ إذا رضِيَ عن إنسانٍ أعْطاهُ كلّ شيء، ومن غضِبَ عليه حرَمَهُ كلّ شيء، فهذا كافر، وعبَدَ إلهًا آخر من دون الله وربُّنا عز وجل يقول:

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾

[سورة الزخرف الآية : 84]

أنْكَرَ أنَّ الله عز وجل بِيَدِهِ كُل شيء، فحينما تُنْكِرُ أنَّ الأمر بيَدِ الله، بِكُلّ أحداث الكَون، بالزَّلازِل والبراكين، وبالاجْتِياحات، وكلّ شيءٍ تَسْمَعُهُ أُذُنُك إذا أنْكرْتَهُ أنَّهُ مِنْ فِعْل الله فهذا نوعٌ من الكُفْر، وسواءٌ كان بِمَعناه الواسِع أو الضَّيِّق وسواءٌ أكان الكُفْر بالأُصول أو الفروع، وسواء أكان الكُفْر كُفْر اعتِقاد أم أقوال أو كُفْر أفعال، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾

[سورة محمد الآية : 1]

هنا محطٌّ شاهِد، وقال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية : 23]

لا بدّ مِن أن يرْتَكِب الحماقة، ولا بدّ مِن أن يرْتَكِبَ عملاً يحْتَرق عليه، ومع الله لا يوجد ذَكِي أبدًا، وإذا أراد الله إنْفاذ أمْرٍ أخَذَ من كلّ ذي لُبِّ لبَّه، وهذا يَجري كلّ يوم، إنسان في أعلى درجات الذَّكاء، ولكنَّه بعيد عن الله ؛ يرْتَكِب حماقات لأتْفَهِ الأسباب، يُطَلِّق زوْجته لأتْفَهِ الأسباب ومعها خمسة أسباب، ويتكلَّم كلمة غير مَعقولة فيَخْسِرُ منْصِبَه، أما إذا كنتَ مع الله فأنت مُسَدَّد رشيد، ومعك مِن الله تعالى حافِظ، ومُلْهَم، ومُوَفَّق، ومَنْصور، ويَهديك إلى سواء السَّبيل، ويُلْهِمُكَ الخير، ويُلْهِمُك الحِكمة في الأقوال والأفعال، وأن تكون أبًا ناجحًا، وزوْجًا ناجحًا، وتاجرًا ناجحًا، ومُوظَّفًا ناجحًا، وطبيبًا ناجحًا، ومُحامِيًا ناجحًا .

بالمناسبة الإنسان مُخَيَّر، ومع أنَّه مُخيَّر مُسيَّر، حينما يَختار الكُفْر الآن يُسَيَّر لِدَفْع ثَمَن الكُفْر والحماقات، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾

[سورة محمد الآية : 1]

معنى أضَلَّ أعمالهم ؛ إمَّا أنَّ عملهم يسْقُط أو أنَّ عملهم يوم القيامة لا يجِدونه شيئًا يقول يا رب، تعلَّمتُ العِلم، فيُقال له: تعلَّمْتَ العِلْم ليُقال عنك عالم ؛ خُذوه إلى النار ! وقد قيل !! فإمَّا أنَّ عملهُ يسْقُط لأنَّه عمله للدُّنيا، ولِمَكاسِب أرْضِيَّة، أو أنَّ عملَهُ أصْلاً يُصْبِحُ تافِهًا حقيرًا، والله عز وجل قال:

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية : 23]

فهذا الذي اختَرَع هذا الجِهاز الذي ترى به كلَّ الدنيا وأنت في بلَدِك تنطَبق عليه هذه الآية، وكذا الذي اخْتَرَع الدِّيناميك، فلِذلك العمَل إن كان من كافر قد يكون له بُهْرُج، هناك أناسٌ أشادوا أبنِيَة كبيرة جدًّا، وجعلوا فيها برامج مُهْلِكة للشَّباب، قال تعالى عنهم:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾

[سورة محمد الآية : 1]

فالإنسان لا بدَّ أن يعلَم نوعَ عَمَلِهِ في الدُّنيا ؛ بنائي أم تَخْريبي ؟ هناك مَن عَمَلُهُ تخريبي، يخَرِّب الأخلاق والدِّين، أحيانًا كاتب قِصَّة يكتُب قِصَّة مِن أجل أن يُثير شَهوة الشباب فهذا الكاتب دمَّر أخلاق الشَّباب بكِتابِهِ، وبدَلَ أن يُعطيهم القِيَم والبطولات أعطاهم الخراب، قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان الآية : 23]

فأنت عليك أن تُراقِبَ عَمَلَكَ ؛ هل هو بنائي أو تَخريبي ؟ إصلاحٌ أم إفساد ؟ وأنت كَتَاجِر ؛ ماذا تبيع؟اخْتار مِهنة شريفة، ومِهْنة عطاء، فَهُناك أعمال أساسها تحطيم البيوت، فلِذلك إن أرَدْتَ أن تعرف مقامَك فانْظر فيما اسْتَعملَك أذكُر أنَّني كنتُ مرَّةً في حَفل افْتِتاح مسْجِد فجلسَ لِجانبي مدير أوقاف الرِّيف فقلتُ له: أُشْكر الله، على تيسيره لك افتِتَاح هذا المسْجِد، فالبارحة افْتَتَح أحدهم مَلْهى !قال تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية : 1]

المعنى المُخالف أنَّ الذين آمنوا ودَعَوا إلى الله سدَّدَ الله خُطاهم، ووفَّقَهم، والإنسان يضَعُ اللُّقْمة في يَدِ الفقير يراها يوم القيامة كَجَبل أُحُد ؛ هذا أنشأ معْهَد، وذاك مسْجِد، وهذا دعا إلى الله، وأعمال البرّ لا تنتهي، فهناك آلاف الأعمال الصالحة التي رْقى بها إلى الله، وقُلْ لي ما تعلم أقُل لك مَن أنت ؟

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-10) : تفسير الآيات 2 - 3- 5

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثانية من سورة محمَّد صلى الله عليه وسلَّم وهي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2)﴾

[سورة محمد]

أيها الإخوة الكرام، لعلَّي لا أُبالِغ إن قلتُ: أنَّهُ مِن أعْظم النِّعَم صلاح البال، وفي آية أخرى يقول تعالى:

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5)﴾

[سورة محمد]

رفَعَ صلاحَ البال إلى مُستوى الهُدَى، وصدِّقوني أنَّ صَلاح البال نِعمةٌ يَخْتصُّ بها المؤمن، لأنَّ الله يُعطي الصِّحة والذَّكاء والجمال للكثيرين مِن خِلْقِهِ ولكنَّهُ يُعطي السَّكينة والطُّمأنينة لأصْفِيائِهِ المؤمنين، قال تعالى:

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ(4)﴾

[سورة قريش]

وقال تعالى:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾

[سورة الأنعام]

لو أنَّ الله قال: أولئك الأمْنُ لهم، لكان الأمن لهم ولغيرهم أما حينما نقول: لهم الأمْن، فالأمْن لهم وَحْدهم، وهذه نِعمةٌ يَختصُّ بها المؤمن، وأسباب هذه النِّعْمة أنَّهُ مُوَحِّد ؛ لأنَّهُ يرى أنَّ الأمْر كلَّهُ بيَدِ الله والله سبحانه وتعالى أسماؤُهُ حُسنى، وصِفاتُهُ فُضْلى، والله غنِيّ قَوِيّ رحيم وعادِل رؤوف، والأفعال كلُّها أفْعاله، والأمْرُ كُلُّه له عائِد، فلو أنَّ شَخْصا ما كان بِدَائِرَة حُكومِيَّة، وكان هناك نِظام صارِم، وكان المدير العام هو أبوهُ، فهل يقْلق ؟ أو يتحرَّج ؟ فالله عز وجل يُحاسِب أدَقَّ الحِساب، قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجر]

يُحاسِبُ على الكلمة، وعلى الخُطْوَة، وعلى النَّظْرة، ولكن بالعَدْل، فالله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2)﴾

[سورة محمد]

إن أرَدْتَ صلاحَ البال، وهو مِن أعظم النِّعَم، عليك أن تُؤْمِن، وعليك أن تعْمَل صالحًا، فالكُلّ يدَّعي أنَّه مؤمن، هل بإمكان الناس ادِّعاء الدُّكتوراه ؟؟! دون أن يقرأ أو يكتُب أو يلْتَحِ بِمَدْرسة ! فالإيمان درجة عِلْمِيَّة، ودرجة أخلاقِيَّة، وجماليَّة، يُقال له: متى آمنْتَ ؟ هل حضَرْتَ مجالِسَ العِلْم ؟ وهل قرأْتَ القرآن ؟ هل قرأْتَ السنَّة والفقْه ؟ وهل قرأتَ السيرة ؟ هل الْتَزَمْتَ جماعة ؟ وهل بذَلْتَ مِن مالِكَ ؟ مِن الصَّباح وحتَّى المساء، وهو في العَمَل، وبالجمعة يذْهب للسيران ! ثمَّ يقول لك: أنا مؤمن، وأحْسَنُ مِنك !! هل يوجَد إنسان يسْتيقِظ فإذا هو دُكتور ؟ وهل يوجد مَن هو غارق بِشَهواتِهِ ويصْبِح أكْبر تاجِر ؟ قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2)﴾

[سورة محمد]

سيِّدُنا سَعد بن أبي وقَّاص يقول: ثلاثةٌ أن فيهِنَّ رجل، وفيما سِوى ذلك فأنا واحِدٌ مِن الناس ما صَلَّيْتُ صلاةً وشُغِلَتْ نفسي حتَّى أقْضِيَها، ولا سِرْتُ في جنازة فحدَّثْتُ نفسي بِغَير ما أقول حتَّى أنْصَرِف منها، ولا سَمِعْتُ حديثًا من رسول الله صلى الله عليه وسلَّم إلا علِمْتُ أنَّهُ حقٌّ من الله تعالى، والنبي عليه الصلاة والسلام لا ينْطِق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحَى، فأيُّ حديثٍ قالهُ النبي صلى الله عليه وسلّم يجب أن تعْلَمَ أنَّه من الله، فالله تعالى أوحاهُ له مَتْلُوًّا، وأوْحى له السنَّة وحيًا غير مَتْلُوٍّ، فكَلامُهُ حقّ، سألَهُ أحدُ أصْحابِهِ: أنَكْتُبُ عنك، وأنت غضْبان ؟! فقال عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيَده، لا ينطِق هذا اللِّسان إلا بالحق ! قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2)﴾

[سورة محمد]

الهُدَى واحِد، ولا يتعدَّد، والدليل قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(153)﴾

[سورة الأنعام]

فَكَما أنَّهُ لا يُمْكِنُ أن نرْسُمَ بين نُقْطَتين إلا مُستقيمًا واحِدًا، يمْكنُ أن نرْسُمَ ألف خطّ مُنْحَني بين هاتين النُّقْطَتين، وألف خطّ مُتَعَرّج، وألف خطّ منْكَسِر، فالحق واحِد قال تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(257)﴾

[سورة البقرة]

الظلمات جَمْع، والنور مُفْرد، لذا مَعْركةٌ بين حقَّين لا تكون في الأرض، ومعركةٌ بين حقٍّ وباطِل لا تَدوم، فلا بدَّ من أن تنتهي، ومعركة بين باطِلين لا تنتهي !

الشيء العجيب ؛ أنَّه مهما يكون الماضي ثَقيلاً كفَّر عنهم سيِّئاتهم، قال تعالى:

﴿قُلْ يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

[سورة الزمر]

لو بلغَتْ ذنوبُكَ عنان السَّماء ثمَّ جِئتني تائِبًا غفَرْتُها لك، ولا أُبالي، باب التَّوبة مَفتوحٌ على مصارِعِه، إلا أنَّ التوبة مفتوحة قبل أن يأتِيَ مَلَكُ الموت:

وليْسَت التوبة حتَّى إذا جاء أحدهم الموت قال إنِّي تبْتُ الآن

وبالمناسبة ؛ خِيارُكَ مع الإيمان خِيار وَقت، فرعون وأسْلم قبل أن يموت فإمَّا أن تُؤْمِن في الوقت المناسب، وإلا فما قيمة هذا الإيمان لمَّا يأتي بعد فوات الأوان ؟! بِرَبِّكم، لو أنَّ طالبًا رسَبَ في الشَّهادة الثانَوِيَّة، ثمَّ عاد إلى البيت فقرأ الأسئلة، ثمَّ قدَّم طلبًا إلى الوزارة أنِّي قد عُدْتُ إلى البيت، وقرأْتُ الأجْوِبَة، وعرفتُها، لذا يُرْجَى إدْراج اسْمي مع الناجحين ! وكذلك الإيمان بعد فوات الأوان لا قيمة له إطلاقًا، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2)﴾

[سورة محمد]

معنى حقّ أنَّهُ ثابت، ألف نَظَرِيَّة نُقِضَتْ، وألف فِكرة ثبَتَ فشَلُها، وألف تَرتيب أصْبَحَ مَدعاةً للسُّخْرِيَة، ولكنَّ الحق ثابِت، وهذا الدِّين يستحيل أن تظْهر نَظَرِيَّة تنقض أسسهُ.

قال تعالى:

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2)﴾

[سورة محمد]

صلاح البال لا يُقدّر بِثَمَن، وهو يخْتصُّ به المؤمن دون غيره، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)﴾

[سورة طه]

قد يسأل السائل: ما بالُ الأغنياء ؟ وما بال المُلوك ؟ يقول الله عز وجل:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)﴾

[سورة طه]

فقال العالم الذي سئِلَ هذا السؤال: المعيشة الضَّنك للأغنياء والأقوياء ضيقُ القلب، ولو وُزِّع هذا الضِّيق على أهل بلدٍ لقَتَلَهم !

أيُّها الإخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ(3)﴾

[سورة محمد]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-10) : تفسير الآيات 4 - 10

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الرابعة من سورة محمَّد صلى الله عليه وسلَّم وهي قوله تعالى:

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)﴾

[سورة محمد]

نقف قليلاً عند قوله تعالى:

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)﴾

[سورة محمد]

يقول بعض العارفين بالله: في الدُّنيا جنَّة من لم يدْخُلها لم يدخل جنَّة الآخرة ! فمساكين أهل الدُّنيا ؛ جاءوا إلى الدنيا وخرجوا منها ولم يذوقوا أجْملَ ما فيها، وهو القُرْبُ من الله عز وجل.

الدُّنيا فيها أموال، وفيها نِساء، وفيها بيوت ومزارِع، وسفرٌ وسِياحة وفيها حفلات ولكنَّ أجْمَلَ ما في الدُّنيا كلِّها أن تتَّصِلَ بالله عز وجل، فالله تعالى يُدْخِلُهم الجنَّة عرَّفها لهم يوم القيامة، وأذاقهم نموذَجًا منها، وأذاقَهم طَعْم القُرْب فعرَفوا حقيقة الجنَّة، وأذاقهم لذَّة اللِّقاء فعرفوا حقيقة الجنَّة، وأذاقهم سِرَّ التَّوفيق الإلهي فكشَفَ لهم عن بصيرتهم، وطَمْأن قلوبهم، فالإنسان في الدُّنيا إذا قال: والله أنا أسْعَدُ الناس، إلا أن يكون أحدهم أتْقى مِنِّي، فالبشَر يتفاوَتون في طاعة الله، وتقواهم له، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(13)﴾

[سورة الحجرات]

أما إنسان بعيد عن الله، ومن الإقبال، والسَّعادة، وقلبهُ جافّ ؛ هذا ما ذاقَ حلاوَة الإيمان، قال عليه الصلاة والسلام: من غضَّ بصره عن محارِمِ الله أوْرثَهُ الله حلاوةً..." و ذاق حلاوة الإيمان من آمن بالله ربًّا و بالإسلام دينا و بمحمد صلى الله عليه و سلم نبيًّا و رسولا.

هناك أحاديث كثيرة تتحدَّث عن حلاوة الإيمان، و أنا وقفتي هنا في قوله تعالى:

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)﴾

[سورة محمد]

في الدنيا، المؤمن القريب من الله سعيد ولو كان بيتُه صغيرا و دخلُه قليلا و صحَّتُه معلولةً، الله عز وجل حينما يفتح رحمتَه ينقلب كلُّ شيء إلى عطاءٍ، قال تعالى:

﴿ مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(2)﴾

[سورة فاطر]

إن أمسك الله رحمتَه و آتاك المالَ كان المالُ نقمةً عليك و إن أمسك رحمته و آتاك الأولادَ، الأولاد أعداءُ أولياء الله، و غن أمسك رحمته و آتاك منصبًا رفيعا، هذا المنصب سببُ شقاء، أمَّا إن أعطاك رحمته و حجب عنك المالَ تقلَّبتَ في ألوان النعيم، و لو أعطاك رحمته و حجب عنك الأولادَ كنتَ من أسعد الناس، فمع الحرمان من رحمة الله كلُّ شيء لا معنى له، و مع رحمة الله لو فقدتَ كلَّ شيءٍ لا تتأثَّر إطلاقا، هذا معنى قوله تعالى:

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)﴾

[سورة محمد]

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4)﴾

[سورة محمد]

عملهم كبير و سوف يلقون جزاءه وافيا، قال تعالى:

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5)﴾

[سورة محمد]

وقد ذكرتُ مرةً أن حرف العطف من خصائصه الانسجام بين المعطوفين، لا تستطيع ان تقول: اشتريتُ سيارةً و ملعقةً، لا يجتمعان، تقول بيتا و أرضا، بيتا و سيارةً، ملعقة و شوكة، فالعطفُ يقتضي التناسبَ، فربُّنا عز وجل نعمة صلاح البال رفعها إلى مستوى الهدى، قال تعالى:

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5)﴾

[سورة محمد]

صلاح البال من نعم الله على المؤمن لأنه مستسلمٌ و متوكِّل و يعلم أن أمره بيد الله، وأن الله عادل و رحيم و قوي و غني، و كلُّ شيء بيده، استسلامه لله و توكُّله على الله يورثه طمأنينة.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7)﴾

[سورة محمد]

هل تظنون أن الله سبحانه و تعالى بحاجة إلى أن تنصروه ؟ هو القوي العزيز، و قد قال عليه الصلاة و السلام: لو أن أولكم و آخركم و إنسكم.. أفجر...أتقى..نفسه "

فما معنى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7)﴾

[سورة محمد]

هو غني عنا و عن نصرنا، المقصود هنا كما قال المفسِّرون: إن تنصروا دين الله ينصركم، إن عظَّمت شعائر الله ينصرك الله، و أنا سمعتُ بعضَ الدول العربية طيَّر قدَّم استقالتَه لأنه لا يطير على طائرة يُوزَّع فيها الخمرُ، فمدراءُ الشركة وازنوا بين خسارة هذا الطيَّار و أن نمنع في رحلاته توزيع الخمر فرجَّحوا أن يمنعوا في رحلاته توزيع الخمر و أن يبقوه طيَّارًا عندهم، و بعد عام صدر قرارٌ بمنع توزيع الخمر على كلِّ الرحلات و على كلِّ الطائرات، هو نصر دين الله فنصره اللهُ، قصص كثيرة، فأنت حينما تنصر دين الله ينصرك الله عز وجل، القصدُ إن تنصروا الله تنصروا دينه، جالس في اجتماع لابدَّ أن نصلي، قمتَ للصلاة و قام معك جمعٌ غفيرٌ، أنت نصرت دين الله، جلست على مائدة فيها خمرٌ، وقفتَ وخرجتَ، أنت حينما تخرج نصرتَ دين الله عز وجل.

حدَّثني رجلٌ فقال: أنا سببُ توبتي سائق تكسي، قلت كيف ؟ قال: كنتُ أشرب الخمرَ فاشتريتُ الخمر من مكان ووضعتُه في محفظة ظاهر للناس فلما أشرتُ إلى سيارة التكسي وقفت، فلما لمح ما معي من الخمر وقف و طردني، و لحكمة بالغة بقيتُ ساعات طويلة لم أستطع أن أصل إلى بيتي، تألَّمتُ ألما شديدا، كان هذا السائقُ الذي نصر دين الله سببَ هدايتي، و هناك إنسان يعمل على خطِّ دمشق – بيروت، جاء من بيروت ومعه شابٌ و زوجته ليسافرا معه إلى الشام، قالوا له انتظر لتأتينا محفظةٌ قبل قليل، طال الانتظار حتى جاء رجلٌ عمره سبعين سنة يحمل محفظة على ظهره و قدَّمها إلى الشاب، ما كان من هذا الشاب إلا أن ضربه على رأسه لتأخُّره، ولم ينتبه السائق، ركبوا في السيارة و مشوا عشر كيلومتر فقالت له زوجته: لماذا ضربتَ أباك، فقال السائق: هذا أبوك فوقف و قال له انزِلْ، ببساطة سائق غير متعلِّم شعر أن هذا الراكب الشاب لما ضرب أباه خشي أن يصيبه حادث فأنزله، و هذا نصر دين الله عز وجل، و لو كان كلٌّ واحد منا يكون يقظا حريصا على الدين كان الباطل زهق، أما إذا كان الأمر لا يعنيني، بنت أختك لابسة لباس

العُري ثم لا تنهاها، و ابن أخيك منحرف الأخلاق و أنت عمُّه و تنفق عليه، فإذا لم ينصر الإنسانُ دين الله لا ينصره الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ(32)﴾

[سورة الحج]

فبقدرِ ما تستطيع انصُرْ دين الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ(8)﴾

[سورة محمد]

هم أشقياء و أعمالهم تذهب أدراج الرياح، هذا أكبر عقاب، لا نجاح في أعمالهم و لا سعادة في أنفسهم، المؤمن سعيد في نفسه مُسدَّدٌ في عمله، سعادة مع التوفيق، هذا الكافر إخفاق في عمله و شقاء في نفسه. أيها الإخوة الكرام لو أننا عقلنا هذه الآيةَ عقلا صحيحا، قال تعال:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)﴾

[سورة طه]

كتعليق على ما يجري الآن، إذا دخل الإنسانُ إلى مسجد فيه درس علم حرام عليه أن يلقي السلام، لأنه تشويشٌ، فأرجو الله تعالى أن نُلهَم أن لا نصلي جماعة بهذا الصوت المرتفع.

هؤلاء الذين تعسوا في الدنيا وذاقوا ألوان الشقاء، و هؤلاء الذين حبطتْ أعمالُهم لم يُوفَّقوا إلى أهدافهم، ما سببُ ذلك ؟ قال تعالى:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9)﴾

[سورة محمد]

المنافق يرى أن الدين عِبئًا عليه، قال تعالى:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9)﴾

[سورة محمد]

كلُّ إنسان يكره أحكام الشرع هو منافق، بينما الصحابة الكرام يفرحون بما أُنزل إليهم، كلما جاء أمرٌ تشريعي يفرحون به، و علامة فرحهم هي علامة إيمانهم، فالمؤمن نفسُه متوافقة مع شرع الله، و المنافق يرى حدود الشرع قيودًا و ليست حدودًا، و الصحيح أنَّك إذا كنت في حقل تمشي و رأيت لوحةً كُتِب عليها: اِنتبِهْ لا

تتجاوز حقل الألغام، هل تحقد على من وضع هذه اللوحةَ ؟ أم تشكره ؟ هل هذه اللوحةُ قيدٌ لحرِّيتك أم ضمان لسلامتك ؟ هي ضمانٌ، جاءني رجلٌ أوّلَ ما خطبتُ في سنة 1974 بعد الخطبة قال لي: علي عندك سؤالٌ، زوجتي تخونني منذ خمس سنوات و أنا لا أدري، البارحة ضبطْتُها بالجرم المشهود و في بيتي، قلت له: مع منْ ؟ قال مع جارنا، قلتُ كيف عرفها ؟ قال: مرة كان في زيارتي قلت لزوجتي: تعالي اجلسي معنا فإنه مثل أخوك، قلت له: لو حضرت مجلس علم و عرفت أمر الله عز وجل و شرعه و حدوده لما وقعتَ فيما وقعت فيه الآن، هذا جزاء جهلك، فالشرع ليس قيودا و لكنه حدود، فلما تفلّت من قيود الشرع خانته زوجتُه، و عنده منها خمسة أولاد .

أيها الإخوة الكرام، من علامة الفقه أن تشعر أن كلَّ أمر إلهيّ وكلَّنيٍ إلهيٍّ و كلَّ أمر نبوي و نهي نبوي من أجل سعادتك و من أجل راحة بالك و من أجل تقدُّمك و من أجل أن تكون من أهل الجنة، فلذلك قال تعالى:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9)﴾

[سورة محمد]

يكره تطبيق الشرع و يكره أن يكون ملتزما و يرى الحرّية أريحَ له، فلذلك أيها الإخوة، علامة إيمانك أن تفرح بما أُنزِل على نبيّك، و أن تفرح بالقيود التي هي حدود.

الآية الأخيرة قال تعال:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (10)﴾

[سورة محمد]

الدنيا ساعة اجعلها طاعة، في النهاية المنحرف و الكافر سوف يُدمَّر مالُه وسوف يُحبط عمله و سوف يشقى في الدنيا و الآخرة.\

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-10) : تفسير الآيات 11 - 14

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الحادية عشرة من سورة محمد صلى الله عليه و سلم هي قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11)﴾

[سورة محمد]

هذه الآية أيها الإخوة إذا قرأها الإنسان و تعمَّق في فهمها يجد شعورا عجيبا، تصوَّرْ أبًا عالما كريما غنيا حريصا على أولاده يعتني بهم عناية فائقة و يتابع صحَّتهم و يتابع أخلاقهم و علمهم و تحصيلهم و يغذِّيهم أفضل الغذاء و يكسوهم أفضل الكساء، هذا الابن الذي له هذا الأبُ يعيش في شكل صحيح و سلوك قويم و تحصيل عالٍ و رُقِيٍّ كبير، تصوَّر طفلا في الطرقات ليس له أبٌ يتعلم الكلام البذيء و يسقط في حمأة الرذيلة و يتعوَّد على السرقة و يُسجَن و يَوضع في الأحداث، أخلاقه سيِّئة و عباراته بذيئة، هل يُوازن بين طفل هكذا و طفل هكذا ؟ هل توازن بين جوهرة – و قد رأيتها في متحف استنبول ثمنها مائة و أربعون مليون دولار هي مثل البيضة –هل تساوي قطعة الفحم التي ثمنها قرش واحد ؟! هذا الذي له أب يعتني به يطعمه و يكسوه و يؤدِّبه و يعلِّمه و يرقى به إلى أن يكون شخصيةً فذَّة لامعة في المجتمع و بين طفل لا والد له، نشأ يتيما ضائعا شريدا طريدا جائعا مريضا أخلاقُه سافلة و عباراته بذيئة تعوَّد السرقة و أودع السجن.

بعد هذه المقدِّمة للآية الكريمة، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11)﴾

[سورة محمد]

المؤمن وليُّه الله يسدِّد خطاه و يؤدِّبه أحيانا و يضيِّق عليه و يجمعه مع أهل الحقِّ و يعتني به و يعاتبه و يثبِّته و ينصره و يؤيِّده و يرعاه و يحفظه، و هذا الكافر ليس له مولى، من حماقة إلى حماقة و من خطأ إلى خطأ و من حمق إلى حمق و من مأساة إلا مأساة و من مصيبة إلى مصيبة، هذا هو الفرق بين المؤمن و الكافر وهو فرق كبير جدًّا، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11)﴾

[سورة محمد]

فإذا تولَّاك اللهُ بالتربية، ضيّق عليك تارةِ و أعطاك تارة و حرمك تارة و تجلَّى على قلبك تارة و حجب عنك التجلِّي تارة و ذكَّرك و علَّمك و جمعك مع مَن ينصحك و يسَّر لك الخيرَ و حجبك عن الشرِّ، هذه نعمة كبيرةٌ جدًّا و هي نعمة لا تعدلها نعمةٌ، أن يكون اللهُ مولاك، و أن تكون ضمن التربية الإلهية و ضمن العناية المشدَّدة، المؤمن في العناية المشدّدة و غير المؤمن شارد عن الله يحلو له أن ينحرف فينحرف و يحلو له أن يأخذ ما ليس له فيُعاقَب أشدَّ العقاب، و يحلو له أن يعتديَ على أعراض الناس و تخونه و جنتُه، و بيتُه جحيمٌ و عملُه جحيم و دخله فيه مفاجآت ساحقة، لأنه لو اتَّبع رضوان الله عز وجل لهداه الله إلى سبل السلام.

أحيانا هناك آيات معناها بسيط و لكنْ صداها العاطفي كبير، قال تعالى

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11)﴾

[سورة محمد]

الله يتولَّى المؤمنَ بكلِّ خير، قال تعالى:

﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11)﴾

[سورة محمد]

لا أحد يعطيهم و لا أحد يرحمهم و لا أحد يهديهم، لذلك إذا أحبَّ اللهُ عبدَه عجَّل له العقوبةَ، فإذا أخطأتَ و رأيت بعد الخطأ عقابا فيجب أن تفرح، لأنك ضمن العناية الإلهية و ضمن العناية المشدَّدة.

أحد الإخوة من إخواننا له معمل ألبسة، جاءه أخٌ مؤمن يودُّ أن يشتري قطعًا عدَّةً، اعتذر له لأنه يبيع بالجملة و رأى في البيع المُفرقّ إهانة له، قال لي هذا الأخ: لمدَّة ثلاثين يوما لم يدخل إنسان إلى معملي ليشتري شيئا، أدَّبه الله، أحيانا الإنسان يقول كلمةً يأتيه تأديبٌ سريعٌ، فإذا جاء التأديب السريع فهذه رحمة الله، و معنى ذلك أنه مطموع فيك، اسأل الطبيبَ إذا جاءه مريضٌ و هذا المريض معه ورمٌ خبيث منتشر في كل أحشائه و بلغ الدرجة الخامسة و سأله: يا حكيم ماذا آكُل ؟ قال له: كُل ما شئت و اشرب ما شئت، و امشِ ما شئت و اقعدْ و نَمْ، فلماذا الطبيب لا يبالي به ل أنه ميؤوسٌ من شفائه، أمَّا لو كان التهاب المعدة يعطيه قائمة محظورات، البهارات و المواد القاسية، يجب شرب الحليب ة تأكل التفاح فقط، فحيثما تأتي الموانع و القيود و الحدود و السدود معناه يوجد أملٌ للشفاء، أما إذا أُطلِق الإنسان إلى شهواته من دون قيد و شرط فهذه علامة موت قلبه، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)﴾

[سورة الأنعام]

إذًا إذا أحبَّ الله عبدَه عجَّل له بالعقوبة و عاتبه في بنانه و جعل حوائج الناس إليه، يجهد في خدمة الخلق، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11)﴾

[سورة محمد]

قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (12)﴾

[سورة محمد]

كلام دقيق، يتمتعون و يأكلون، سيدنا عمر رضي الله عنه بلغه أن بعض ولاة البصرة ابتنى دار حسنة واشترى مركبة وطيئة و رفضه نفسه كثيرا فقال له في رسالة: بلغني أنه قد صارت لك هيئةٌ حسنة في مسكنك و مركبك و مطعمك و مشربك ليست لعامة المسلمين، اِحذرْ يا عبد الله أن تكون كالدابة مرَّتْ بوادٍ خصبٍ فجعلت همَّها في السِّمن و في السّمن حتفُها".

هؤلاء الذين كفروا المتعة الرخيصة و غير الرخيصة هي ديدنُهم و غلهم هواهم و مصلحتهم مبدأهم و علاقاتهم مبنية على المصالح لا على المبادئ، قال تعالى:

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا(44)﴾

[سورة الفرقان]

وقال تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (13)﴾

[سورة محمد]

قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (14)﴾

[سورة محمد]

إذا كان مع الإنسان ضغطٌ مرتفع وقد علِم أن الملح يرفع الضغطَ فابتعد عنه و إنسان آخر توهَّم أن تناول الملح يخفِّض الضغطَ، مَن هو الناجح ؟ الأول، قال تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(103)الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(104)أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا(105)﴾

[سورة الكهف]

قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (14)﴾

[سورة محمد]

المؤمن على بينة، قال تعالى:

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنصُرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ(63)﴾

[سورة هود]

مَن هو المؤمن ؟ إنسان على بيّنة من الله أُتيح له أن يعرف الحقيقة التي أرادها الله و آتاه الله رحمة و طمأنينة و توفيق و سعادة و رضا، فعُمِّيتْ على الكافرين، ما رأوا رحمته التي ينعم بها قلبُه و ما سمعوا أفكاره التي يؤمن بها و ما اطَّلعوا على أفكاره و لا عاينوا رحمة الله في قلبه، بل نظروا إليه كإنسان له دخل محدود فازْدرَوه، قال تعالى:

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنصُرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ(63)﴾

[سورة هود]

فملخَّص هذا الدرس، إن رأيت الله يشدِّد عليك و يتابعك و يحصي عليك أنفاسك و كلماتك و حركاتك و سكناتك، فهذه بشارة طيّبة جدًّا، و معنى هذه البشارة أنك ضمن العناية الإلهية و أنك ضمن التربية الإلهية و أنك في العناية المشدَّدة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-10) : تفسير الآية 19

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية التاسعة عشرة من سورة محمَّد صلى الله عليه وسلَّم، وهي وله تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (19)﴾

[سورة محمد]

في هذه الآية مراكِز ثِقَل ؛ المركز الأوَّل أنَّ الله تعالى قال: فاعْلَم، ولم يَقُل: فَقُلْ، فالشيء الثابتُ في العقيدة الإسلاميَّة أنَّ أيَة عقيدة يَعْقِدُها المسلِمُ تقْليدا لا تُقْبَلُ منه، وأنَّ الله عز وجل لو قَبِلَ التَّقليد في العقيدة لكانَت أيَّة فِرْقةٍ ضالَّة على حقّ، فما ذَنبُ أتباعها، سَمِعوا فتَّابوا !! لو أمْكَنَ أن يكون التَّقليدُ في العقيدة لكانَتْ أيَّةُ فرقة ضالَّةٍ على حق، فالعقيدة لا تُقْبَلُ إلا تَحقيقًا، قال تعالى

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ(117)﴾

[سورة المؤمنون]

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(36)﴾

[سورة الإسراء]

اِعْتَقِدوا وتيقَّنوا أنّ كلّ اعْتِقاداتنا إن لم تَكُن عن تَحقيق وتَدقيق وَحْثٍ ودَرْسٍ ودليل، واسْتِنباط، ونصٍّ فهذه العقيدة لا تُقْبل، وعَوِّدْ نفْسَكَ أن لا تقْبَلَ شيئا إلا بالدَّليل، وأن لا ترْفُضَ شيئًا إلا بالدَّليل ؛ لأنَّ هذه الدِّين حياةَ الإنسان، ابْنَ عُمَر ؛ دينَكَ دينَكَ إنَّهُ لَحْمُكَ ودَمُكَ، خُذْ عن الذين اسْتقاموا، ولا تأخُذ عن الذين مالوا، أما أنْ نقول: سَمِعنا آباءَنا يقولون هذا فَقُلْناه ! فهذا لا يَنفعُنا شيئًا، وقال تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ(69)إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ(70)قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ(71)قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ(72)أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ(73)قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ(74)قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ(75)أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ(76)فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ(77)﴾

[سورة الشعراء]

مِحْوَرُ هذه الآية ؛ لن تُقْبَلَ منك العقيدة تَقليدًا، فلا بدَّ مِن إعمال العَقل فالإيمان فوق العَقل، فلا تُحَكِّم عَقْلَكَ في الإيمان، فالفئة التي هي في قِمَّة المجتمع الصِّناعي في اليابان يَعبدون ذَكَر الرَّجل، وفي الهند يعبدون الجرذان، وفيهم الذَّكاء !! مُدَرِّسون وعلماء ومُفكِّرون وخُطباء، فنحن إن عطَّلنا العَقل وقَعنا في متاهة لا

تنتهي ؛ فيُمْكِن أن ترى إنسانًا في أعظم درجات الذَّكاء والعِلم، ويعبُدُ صنمًا وحجرًا أو يعبُدُ نارًا لأنَّه انْطَلَق أنَّ حقائِق الدّين لا علاقة لها بالعَقل.

النبي عليه الصلاة والسلام أمَّر...لو اقْتَحَمتموها لبقيتم فيها..." الشريعة عَدلٌ ورحمةٌ ومصْلحةٌ كلّها، فأيُّ قَضِيَّة خرجَت من المَصْلحة إلى المَفْسَدة ومن العَدل إلى الجَوْر، ومِن الرَّحمة إلى القَسْوة فليس من الشريعة ولو أُدْخِلَت عليها بالتَّأويل، فلِذلك حينما تنطَلق أيُّها الأخ مِن أنَّ حقائِق الدِّين لا علاقة لها بالعَقل تقَعُ في خطأ كبير مِن دون برهان ودليل، العَقل لا يُعطَّل أبدًا أمام خُرافة.

أيُّها الإخوة، قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ(108)﴾

[سورة يوسف]

دَقِّقوا في هذه الآية، فأنت إن دَعَوْتَ إلى الله بلا بصيرة، أو دُعيتَ إلى الله بلا بصيرة، لمَّا يقول الإنسان: هكذا ! اِقْبَل مِنّي من دون مُناقشَة، نقول له: لسْتَ عالمًا، إذْ لو كنتَ كذلك لدَعَوْتنا على بصيرة، وجِئْتنا بالدَّليل والتَّعليل، وفي الآية نقطتان سياسيَّتان ؛ الأولى أنَّك إن لم تَدْعو إلى الله لسْتَ مُتَّبِعا لِرَسول الله وإن لم تَكُن مُتَّبعًا له فأنت لا تحِبُّ الله، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(31)﴾

[سورة آل عمران]

فاتِّباع الله يعني اتِّباع النبي عليه الصلاة والسلام، واتِّباع النبي عليه الصلاة والسلام يعني اتِّباع الله، فالعلاقة مُتعاكِسَة، فَكُلّ إنسان لا يُفَكِّر في الدَّعوة إلى الله يموت على شعبةٍ من النِّفاق، لأنّ الله تعالى يقول:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ(108)﴾

[سورة يوسف]

فالدَّعوة شرْط لازمٌ لِكُلّ مؤمن، ولذلك من لم يُحَدِّث نفْسهُ بالجِهاد مات على شعبة من شُعَب النِّفاق، ما هو الجِهاد المُتاحُ الآن ؟ قال تعالى:

﴿فَلَا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا(52)﴾

[سورة الفرقان]

الهاء تعود على القرن، تعلَّمْ القرآن، وبيِّنهُ، وحبِّبْ الناس بالله، وبِرَسول الله، وأحكام الفقه، وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام، لذلك الآية الكريمة:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (19)﴾

[سورة محمد]

فالتَّقليد غير جائِز في العقيدة ! فلو قبِلنا من الناس أن يعْتقِدوا تَقليدًا لكانت هذه الفئات على حق ! فهذه الحقيقة خطيرة جدًّا، فلا تقْبل ولا ترفض إلا بالدَّليل، ولولا الدَّليل لقال مَن شاء ما شاء، وهذا منْهج البحث في الإسلام .

بعضهم يقول: النبي عليه الصلاة والسلام قال: من قالها دَخَل الجنَّة ! مَن قالها بِحقِّها ؟ قيل وما حَقُّها ؟ قال: أن تَحْجزهُ عن محارِمِ الله، فهذا يعني أنَّك قلتها عن تحقيق، وعن دليل.

مركز الثِّقَل الثاني في الآية:

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

[سورة محمد]

فما العلاقة بين الأمْرين ؟ الأمْر بيَدِ الله، والله هو الفعَّال، فإذا جاءَكَ شيءٌ لا يُعْجِبُكَ ويُقْلِقُك اِبْحَث عن ذَنْبِكَ، وما مِن عثْرَةٍ ولا اخْتِلاجِ عِرقٍ، ولا خَدْش عودٍ إلا بما قدَّمَت أيديكم، يقول الله عز وجل:

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ(17)﴾

[سورة سبأ]

وقال تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ(18)﴾

(سورة السجدة)

وقال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

[سورة القصص]

فهذه علاقة بين التَّسْيير، وبين التَّأديب، لذلك هناك حديث جامِعٌ مانِعٌ قَطْعي ؛ لا يخافنَّ العبد إلا ذنبه ولا يرْجونَّ إلا ربَّه، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (19)﴾

[سورة محمد]

الحالات الطارئة والحالات المُسْتقِرَّة فالله يعلم ما لكَ مِن ثوابِت ومن مُتَغَيِّرات.

الدرس (06-10) : تفسير الآية 24

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الرابعة والعشرون من سورة محمَّد صلى الله عليه وسلَّم، وهي قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)﴾

[سورة محمد]

وفي آيةٍ ثانِيَة قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(82)﴾

[سورة النساء]

ما مِن كتابٍ مِن تأليف البشَر إلا وفيه بعض التناقُضات، إلاّ أنَّ كلام الله عز وجل كلامٌ مُحْكَم، قال تعالى:

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ(1)﴾

[سورة هود]

ربُّنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(2)﴾

(سورة البقرة)

لذلك معنى التَّدَبُّر أن تنظُر إلى نِهايَة العَمَل، وكان عليه الصلاة والسلام يقول: إذا أراد أحدكم إنفاذَ أمرٍ فلْيتدبَّر عاقِبَتَه " أنا حينما أذْهَبُ إلى بِلاد الغَرب حيثُ العمل وفير، والدَّخْل كبير، والبلاد جميلة، والحاجات مَيْسورة، هلاَّ فكَّرْتَ في بناتِكَ لمَّا يَكْبُرْن، وفي أولادِكَ الذين هم قِطْعةٌ منك، حينما ينشئون على الكُفْر، والزِّنا، وشُرْب الخمر، إذا أراد أحدكم إنفاذ أمْرٍ فلْيتدبَّر عاقبتَهُ، آيات القرآن الكريم، ما معنى التَّدَبُّر ؟ أن تقول وأنت تقرأ: أين أنا من هذه الآية ؟ لو أنَّني طبّقتها ما النتيجة ؟ ولو أنَّني خالفتها ما النَّتيجة، لا يهود حينما لعنهم الله عز وجل جعلوا كتابهم المُقدَّس قراطيس ونَخْشى أن يُصاب المسلمون بِمَرض اليهود ؛ حيث يغْدو هذا القرآن للتِّلاوَة وللتَّبرُّك والتَّباهي دون العمل به، وهذا هو هَجْر القرآن قال تعالى:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا(30)﴾

[سورة الفرقان]

هل يُعقل لِبائِع الفلافل أن يكتُب: إنَّا فتحنا لك فتحًا مبينًا ! اتُّخِذ القرآن قراطيس، فلم يبْقَ من الإسلام إلا اسْمُه، ومن القرآن إلا رسْمُه، لذلك أيُّها الإخوة، القراءة التَّعَبُّدِيَّة على العين والرَّأس ولكن لا بدَّ من القراءة التَّدَبُّرِيَّة، اِقْرأ وانْظُر أين أنت من هذه الآية ؟ حينما قال الله عز وجل:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(30)﴾

[سورة النور]

أين أنت من هذه الآية ؟ وحينما يقول الله عز وجل:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(30)﴾

[سورة المؤمنون]

أين أنت من هذه الآية ؟ وحينما قال الله عز وجل:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ(83)﴾

[سورة البقرة]

أين أنت من هذه الآية ؟ وحينما قال لله عز وجل:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا(19)﴾

[سورة النساء]

فأين أنت من هذه الآية ؟ وحينما قال تعالى:

﴿ يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا(11)﴾

[سورة النساء]

أين أنت من هذه الآية ؟ حينما تقرأ آيات الأحكام ؛ اِفْعَلْ ولا تَفْعَل ؛ أين أنت منها ؟! آيات كثيرة وكثيرة، كلَّما وقفْتَ على أمْرٍ أو نَهْيٍ، أو وَصْفٍ للمؤمنين، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(2)﴾

[سورة الأنفال]

أيها الإخوة، إنّك حينما تُصَلِّي، ماذا قال الله عز وجل ؟ قال تعالى:

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا(43)﴾

[سورة النساء]

حتَّى تعلم ما تقول، فإذا لم تكن سكْران، وكنتَ ساهِيًا في الصلاة كان لك حُكْم السَّكران، قال عليه الصلاة والسلام ليس للمرءِ من صلاته إلا ما عقَلَ منها، لذلك اقرأ القرآن قراءةً تدبُّرِيَّة أحدهم سأل النبي عليه الصلاة والسلام فقال: عِظني ولا تُطِل..." لو واحد جاء إلى مهندس لينشئ له بناية، وقال له: يُرْجى تقليل كَمِيَّة الحديد، وكمِيَّة الإسمنت، فهل يكون البناء ماكنًا ؟! مستحيل، وكذا حينما تفهم الدِّين على أنَّه حقائق وقوانين عندها تقف عند حُدود الله، أما حينما تظنّ أنَّ الدِّين تكاليف، والله عز وجل لا يُدقِّق ! والنبي يشْفعُ لك، فهذه المفاهيم الخاطئة، والتَّصوُّرات السَّخيفة، أبطلَت عمل المسلمين، وتواكلوا، وخنعوا، ونافقوا، لذلك قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)﴾

[سورة محمد]

أيها الإخوة، هناك حقيقة تقول: الحقيقة المُرّة من الوَهْم المُريح، فكلّ إنسان يتوهَّم أنَّه مؤمن، وهو في الجنّة، فهذا وهْمٌ مُريح، أما حينما تُكشف الحقيقة يُصعق الإنسان، لذا تعامَل مع الحقائق ولا تتعامَل مع الأوهام، قال تعالى:

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا(123)﴾

(سورة النساء)

ونحن في رمضان نقرأ القرآن، ونستمع له، ونقفُ في التراويح، فإذا قال الله عز وجل آيةً تعامَل مع الله عز وجل بإخلاص، ومع الله بِوُضوح وبِجِدِيَّة، أحِلَّ ما أحلَّ الله، وحرِّم ما حرَّمَهُ، وأعْطِ كلّ ذي حقٍّ حقَّه أتْقِن عملَكَ، واضْبط دَخْلَكَ وجوارحك،و أمر بالمعروف وانْهَ عن المنكر ولقد كان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يقرؤون عشْر آيات فلا ينتقلون منها إلى غيرها إلا بعد تطبيقها، وكلُّكم يعلَم قِصَّة الذي كان له عَبْد وكان هذا العبد يتمنَّى أن يُفكَّ أَسْرُهُ، وكان سيِّدُه له شيخٌ كبير، فجاء الشيخ لِيَزور تلميذه في البيت، فسألَهُ سؤالاً أن تأمُرَ سيِّدي أن يطلِقَ سراحي ! قال الشيخ: أفْعلُ إن شاء الله، ومضى الأشْهُر ولم يُعْتَق، علمًا أنَّ العَبْدَ يوقِنُ أنَّ مكانة الشيخ كبيرة عند تلميذِهِ، وبعد أشْهرٍ عِدَّة عاد الشيخ لِيَزور تلميذهُ ثانِيَةً، فقال: رجَوتُكَ فلم تُلَبِّ طلبي، فقال الشيخ: سأفعل إن شاء الله، ومضَت الأشهر: ولم يحصل شيء، ورجع الشيخ مرَّة ثالثة:

فلما سأل العبد الشيخ، قال له: الشيخ: إنّي أجْمَعُ المال لأُعْتِقَ عبْدًا، فلا أستطيع أن آمرَ تلميذي قبل إعتاقي عبدًا ! هو أراد أن يكون قُدْوةً لِتِلْميذِهِ، فالسَّلف الصالح كانوا يُطَبِّقون، ولذلك أعزَّهم الله عز وجل، ونحن مع كلّ ما يشْكوه الناس من كساد في الأسواق لو أنَّ الإنسان عامَلَ الله معاملةً مُباشرة لوَجَد الشيء الذي لا يُصدَّق، على الرَّغم من كلّ الظروف القاسيَة، لأنَّك عامَلْتَ الله، فهو بيَدِه كلّ شيء، لا يُعْجزُهُ شيء، وعلمهُ شامِل، ورحمتُهُ كبيرة، وغِناهُ لا حُدود له، اقْرأ القرآن وتدبّرهُ، فهذا جاءه رجل يخْطب ابنتَهُ، فسأل الأب عن عمله فقال الرجل أعمل مع أبي، فقال: وهل لك بيتٌ ؟ قال: نعم، قال الأب: إئتني بالعَقد فجاء له بالعقْد، ثمَّ سألهُ عن السيارة، فقال: أمْلِكُ سيارةً، فقال الأب: إئتني بالرُّخصة، حينها وافقَ الأب عن الخِطْبة، ومرَّة كان وهو وخطيب ابنَتِهِ، فقال الأب: هذا خطيب ابنَتي، فتعجَّب الحاضرون: سبحان الله، هذا ليس مسلمًا !! فقال الأب: هل هذا صحيح ؟ فقال خطيب ابنتِه: نعم فقال الأب: ولِمَ لمْ تَقُل لي ؟! فقال خطيب ابْنَتِهِ سألتني عن كلّ شيء إلا عن دينِك !!! أين قوله تعالى:

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(221)﴾

[سورة البقرة]

لذا أيُّها الإخوة، اقرؤوا القرآن وتدبَّرهُ، واعْمَل به، من أجل أن يكون هذا الكتاب غِنًى لنا لا فقْر بعده

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-10) : تفسير الآية 33

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثانية والثلاثون، والتي بعدها من سورة محمَّد صلى الله عليه وسلَّم، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (33)﴾

[سورة محمد]

حيثما وردَتْ هذه الآية في كتاب الله تعالى ؛ فهي تعني أنَّ الله تعالى يُخاطِبُ عِبادَهُ وكأنَّهُ يقول لهم: يا من آمنتم بي، ويا مَن آمنتُم بِقُدرتي، ويا من آمنتُم بِوَحدانِيَّتي، ويا من آمنتُم بِغِناي، ويا من آمنتُم بِحِكمتي، اِفْعَلوا ما أقول لكم، فأنت إذا آمنتَ بالله ينبغي أن تفْعَلَ شيئًا مُتَمَيِّزًا، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

[سورة محمد]

العلماء قالوا: حينما تأتي مثل هذه الآية فالمَقصودِ أن تُطيعَ الأوامِرَ في كتاب الله، ولأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(7)لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

[سورة الحشر]

هناك دَعْوَة مَشْبوهة، ومُنْحرِفَة أشدَّ الانحراف، تقول: يَكفينا كِاتب الله !! ومع أنَّ السنّة سنَّة النبي عليه الصلاة والسلام وَحيٌ غير مثْلُوّ، لقوله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4)﴾

[سورة النجم]

مِن أين تَعْرفُ نِصاب الزَّكاة من دون السنَّة ؟ ومِن أين تعرف عدد الصَّلوات الخمس وسُنَنَها مِن غير السنَّة وأحكامٌ كثيرة جدًّا جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام بِوَحْيٍ مِن الله، فالقرآن فيه الكُلِيَّات، والسنَّة فيها التَّفاصيل، فَكُلّ مَن يَدعو إلى الاكْتِفاء بالقرآن الكريم هو يُخالفُ القرآن الكريم، وهذه الآية دليل، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

[سورة محمد]

أيْ أطيعوا الله في قرآنِهِ، وأطيعوا الرسول في سنَّتِهِ.

مِن لوازِمِ طاعة رسول الله، حسْب القاعدة الأُصوليَّة: ما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجِب، فالصَّلاة فرْض، وكذا الوُضوء، لأنَّ الصلاة لا تتِمُّ إلا بالوُضوء، يقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

[سورة محمد]

كيفَ تسْتطيع أن تُطيعَ رسول الله إن لم تعْرِف سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وهذا أمْرٌ يقْتضي الوجوب وعندنا مُباح ومندوب ومكروه ومحرَّم، فالأمْر يقتضي الفرْضِيَّة، والنَّهي يقْتضي التَّرْك والمندوب أقلّ مِن الفرض، ومكروه أقلّ مِن الحرام، والوسَط هو المُباح فما مِن شيءٍ في الحياة إلا ويتعاوَرُ عليه هذه الأحكام الخمْسة ؛ أمْر نَدْب ومباح ومكروه ومُحَرَّم، كيف نعرِف الأمْر ؟ مِن فِعل الأمْر، كلّ أمْرٍ يقتضي الوُجوب، وإن أرَدْتَ أن تُنَفِّذ هذا الأمْر عليك أن تفْهم فَحْوى هذا الأمْر، مِن هنا كان طلبُ العِلم فريضةٌ على كلّ مسلِم ؛ لأنَّك لن تستطيعَ أن تعْبُدَ الله إلا إذا عرفْتَ أمْرَهُ، كما أنَّهُ لن تسْتطيع اتِّقاء ارْتِفاع الضَّغْط إلا إذا عرفْتَ أنَّ ضَغْطَكَ مُرْتَفِع، فالعِلْم هو أوَّلُ شيءٍ، كيف يُعالِجُ الطبيب المريض ؟ يقول له: حلِّل ، كيف يأمُره وينْهاه؟ ينبغي أن يعرف حالهُ، وأنتَ لن تستطيعَ أن تُطيعَ الله عز وجل إلا إذا عرفْت أمْر الله فأنْ تحْضر مَجلس العِلم كي تعرف الأمْر والنَّهي هو فرض عَيْن وإنّي أعْجَبُ مِمَّن يقول: ليس لي وَقت !! فإذا كان الإنسان ليس له وقت لأخْطر شيء في حياته، فلو أنَّ مريضًا أُصيب بِمَرضٍ عُضال، وقال له الطبيب لا بدّ من أن تُجري تَحليلاً على النَّسيج، فقال المريض: أما الآن فليس لي وقت ! فكلمة مَشْغول تُقال للثانَوِيَّات، والفرْعِيَّات، أما في الحياة يوجد أساسيَّات، فكيانُكَ أساسهُ معرفة الله عز وجل، فكلّ إنسان يقول: ليس لي وقت لِحُضور مجلس عِلْم، كَمَن يقول سأسوقُ سيَّارتي دون أن يتعلَّم أُصول السِّياقة، والحصول على الشهادة؛ أنا أُعلِّق على كلمة: ليس لي وقت، الله عز وجل قال:

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(7)﴾

[سورة التحريم]

أي إن لم تكونوا مُتَفَرّغين، ومعرفة حقيقة الحياة الدنيا، ومعرفة مصيركم فماذا تعملون إذًا، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

[سورة محمد]

أطيعوا الله في كتابه وأطيعوا رسول الله في سنَّتِهِ، فلا بدَّ مِن أن تعرف سُنّة النبي عليه الصلاة والسلام، فآلاف وآلاف الأوامر التّفصيليّة التي تَجعل حياتَكَ سعيدة جدًّا وما مِن مشكلةٍ على وَجه الأرض إلا بِسَببِ مُخالفةٍ لأمْر الله، وما مِن مُخالفةٍ لأمْر الله إلا بِسَبب الجَهْل، والجَهل أعْدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل بِنَفْسِهِ ما لا يستطع عدُوٌّ أن يفْعَلَهُ به ! فأحد المزارعين كانت له نسبة رِبح في مزرعَتِهِ ثمان مائة ألف ليرة،

مِن شِدَّة حِرصِهِ على الزّيادة والنَّماء بدل أن يضَع كيلوا سميد، يضَع اثنان كيلو غرام، فإذا به يسْتيقظ صباحًا فيَجِد مَحصوله كلّه أسْوَد !! فالجَهل أعدى أعداء الإنسان، فهذا فعَلَ بنَفْسِهِ ما لا يفْعَلُهُ أعداؤُه به ! فأنت إذا أردْت الآخرة فعَلَيك بالعِلم، وإذا أرَدْت الدنيا فعَلَيك بالعِلم، والمؤمن الصادِق يُبَرْمِج حياته وفْق مجالس العلم، وهناك من يَجعل هذه المجالس على الفراغ، والمفروض أنَّ حُضور هذه المجالس قبل كلّ شيء، كي تتعرَّف على دينك، وعلى سنَّة رسول الله، وإن شاء الله تعالى إن وفَّقنا الله لإنهاء التفسير ننتقل إلى دراسة سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (33)﴾

[سورة محمد]

هناك إنجازات جبَّارة في الأرض، وهذه إن لم تسْبِقْها معرفة الله عز وجل لا قيمة لها، قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا(23)﴾

[سورة الفرقان]

لأنَّه ما آمن بالله، ولا آمَنَ بِرَسول الله، وما أطاع الله ورسوله، فالله تعالى أبْطَلَ عملهُ هناك تِجارات ليل نهار، ورواج مبيعات، ومخازِن، والمال حرام، والبِضاعة مُحرّمَة.

أيها الإخوة الكرام، سَلُوا تاجِرا أتى بِتِجارة، وسَهِر عليها خمْس سنوات ثمَّ ما ربِحَ، يقول: يا للخسارة، ويا لِهذه التِّجارة، يتألَّم كثيرًا، فإنسان يعيش ستِّين سنة أو أكثر ؛ بنى وتاجرَ، وكلّ عمله هباءً منثورًا، فإذا كان عملُكَ وِفْق المنْهج كان عِبادة، وإذا كان زواجُكَ وِفْق المنهَج كان عبادة أما العمل الذي هو خلاف منْهج الله لا تَرْقى به، فهناك محلاَّت متسلسلة في منطقة باب الجابيَة أصْبحت كلّها بالدُّش ! لو عرفوا أنَّ هناك منهج لما فعلوا، حدَّثني أحدهم أنَّ أرباح أحد أصدقائه كانت ثمانيَة ملايين خِلال خمسة وأربعين يومًا ! خمور، ودعارة، والناس لا يعبئون إذا الأمر حلالاً أمْ حرامًا.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (33)﴾

[سورة محمد]

فالأُبوَّة عمل، والبنوَّة عمَل، وإتقان العمل عمل، والأمومة عمل، والمهنة عمل، ونفْع المسلمين عمل، وطلب العلم عمل.

أحدُ المُغَنِّيين فيما سَمِعتُ عنه ما ركِب طائرةً في حياتِهِ خَوف الموت وما تناوَل طعام العشاء إلا فواكِه، ثمَّ بعدها مات، وهو عنده عدَّة أغاني !! ماذا سيقول يوم القيامة ؟! قال تعالى:

﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (33)﴾

[سورة محمد]

ابْحَث عن عملٍ صالحٍ، وعن عملٍ ترقى به، يا رب أنا علَّمتُ علمًا، ووزَّعْتُ المال على الفقراء، وراعيتُ الأيتام ؛ هذا الذي ترقى به، فالأصل أن يتحرَّى الإنسان في دَخلهِ، وكلمة تُبطوا أعمالكم مركز ثقل الآية، قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا(23)﴾

[سورة الفرقان]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-10) : تفسير الآية 34

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الرابعة والثلاثون من سورة محمَّد صلى الله عليه وسلَّم، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (34)﴾

[سورة محمد]

يُقابلُ هؤلاء آمنوا ودَعوا إلى الله تعالى، يُستنبطُ من هذا حقيقة، وهو أنَّ شيءٍ يسْتَقِرُّ في القلب فلا بدَّ أن يُعَبِّر عن ذاته، فالضال يُضِلُّ، والفاسِد يُفْسِد والمنحرِف يدعو إلى الانْحِراف، والبخيل يدعو للبُخل، وكلّ إنسان إذا اتَّصَفَ بِصِفَةٍ مِن دونِ أن يدْري يَدعو الناس إليها، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾

[سورة محمد]

معنى ذلك أنَّك إذا رأيْتَ إنسانًا كافرًا أو عاصِيًّا أو فاسِقًا، أو فاجِرًا هل تستطيع أن تَحْكُم على نِهايَتِهِ ؟ باب التوبة مفتوح، ولعلَّهُ يسْبقُك ؛ هذا يدْعوك إلى أن تحْتوي الناس جميعًا، وإلى أن يتَّسِعَ قلبُكَ إلى كلّ الناس، وهذا يَدعوك إلى أن تتبرَّم بالناس، قال تعالى:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ(159)﴾

[سورة آل عمران]

أحيانًا يُنْعِمُ الله على الإنسان بِنِعمة الإيمان، ونِعمة الهُدَى والطاعة، فإذا رأى عاصِيًا يشْمئزُّ منه، ويبتعِدُ عنه ويحْتقِرُهُ، فالأكْمَل أن تراهُ أخاك في الإنسانِيَّة، وأن تَحْتَوِيَهُ، وأن تَدُلَّهُ على الله، والدليل قوله تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ(6)﴾

[سورة التوبة]

شارِبُ خمْرٍ أسْمِعْهُ كلام الله، أحدُ الجُهَّال قال لِوَاحِدٍ من الناس: سأَعِظُكَ بِغِلْظة، فقال الموعوظ: ولِم الغِلظة يا أخي، لقد أرسَلَ الله مَن هو خير منك، إلى مَن هو شرٌ مِنِّي ! أرْسَلَ موسى إلى فرعون، ومع ذلك قال تعالى:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(44)﴾

[سورة طه]

الإنسان إذا دعا إلى اله عز وجل يَحتاج إلى حِكمة بالغة، لِيَشُدَّ الناس إليه، لأنَّه مائة تصرُّف ذَكِيّ ودقيق ومخْلصٍ وحكيم يشُدُّ إنسانًا طريق، وتصرُّف أحمق واحِد يبْعِدُهُ عن طريق الإيمان، فَمَن أمَر بِمَعروف فلْيَكن أمْرُهُ بِمَعروف.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(161)﴾

[سورة البقرة]

فالإنسان ما دام لم يمُت فلعلَّهُ يتوب، والإنسان مُهيَّأ أن يتوب، ووالله أيُّها الإخوة، في تَجربتي المتواضِعة للدَّعوة إلى الله، نحو عشرة أشخاص في السَّنوات الماضِيّة وقالوا جميعًا بِصيغة أو بأُخرى: لا يوجد معْصِيَة في الأرض إلا واقْتَرَفناها، ثمَّ اصْطَلحوا مع الله وتابوا إليه.

إذا رجَعَ العبد إلى الله، نادى مُنادٍ في السماوات والأرض أنْ هنئوا فلانًا فقد اصْطَلَحَ مع الله، عبدي لو بلغَت ذنوبك عنان السَّماء غفرتها ولا أبالي ولله أفرحُ بِتَوبة عبدِهِ من الضال الواجِد والعقيم الوالد، والظمآن الوارد فالعِبرة أن تسْتَدْرِك وأنت حيّ، وتُقْلِع وفي الحياة بقيَّة، وأن تنْدم وفي العُمُر مُتَّسَع من الوقت، أما عند النِّزاع والغرغرة فلا قيمة للتَّوبة، قال تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي(99)﴾

[سورة المؤمنون]

لأنَّه عند الموت، يكْشف الله عن كلّ إنسانٍ غِطاءهُ، قال تعالى: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ(22)﴾

[سورة ق]

الرؤية التي رآها أعلى المؤمنين يراها أكْفرُ الكافرين عند الموت، أما الرؤية الثانية فهي رؤية الكافر، وهي تزيدُهُ ندمًا ؛ لأنَّه ينْدم أشدُّ النَّدَم، قال تعالى:

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ(2)﴾

[سورة الحجر]

ربما لا تُفيد التَّقليل، ولكن تُفيد التَّكثير قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (34)﴾

[سورة محمد]

هؤلاء مُخلَّدون في النار إلى أبد الآبدين، لذا نحن في بَحبوحَتَين ؛ نحن في بَحبوحة طاعة رسول الله، وفي بَحبوحة الاسْتِغفار، فلو أنَّ الإنسان وِفق منْهج رسول الله، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(33)﴾

[سورة الأنفال]

بيوتٌ إسلامِيَّة، واحْتِفالات إسلامِيَّة، وأعيادٌ إسلامِيَّة، وزواجٌ إسلامي وبيعٌ وشراء إسلامي، فالحركات والسَّكنات كلُّها إسلامِيَّة، فما دامتْ سُنّة النبي عليه الصلاة والسلام مُطبَّقة في بيوتنا فلن يُعذِّبنا الله تعالى، أما حينما تُقامُ عُقود القران في الفنادق الكبرى، وتأتي الراقصات، فهؤلاء يُعذِّبهم الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (35)﴾

[سورة الحجرات]

قد يُصاب الإنسان بِمَصائب كثيرة، ولكنَّ أكْبر مصيبة أن يقَعَ في الهَون وأن تَضْعُفَ نفسُهُ، والرَّجُل المؤمن يتلقَّى كلَّ المصائب بِصَبْر شديد، لأنَّه يعْلم هذه الدنيا دار الْتِواء لا دار اسْتِواء، ومنزل ترَحٍ لا منزل فرحٍ، فمَن عرفها لم يفرح لِرخاء، ولم يحْزن لِشَقاء، قد جَعَلها الله دار بلْوى، وجعل الآخرة دار عُقبى. أحدُ التابعين الأجِلاَّء كان لا بدّ مِن قَطع رِجْله، فقال: إن أخذَ الله واحِدَة أبْقى لي ثلاثًا، ففي اليوم نفسِهِ مات ابنُهُ وأنجبهم، فقال: إن أخذ لي واحِدًا أبْقى لي خمسًا !! لذا الدُّعاء النبوي الشريف: اللَّهمّ هب لنا من خشيتنا ما تحول بيننا وبين معْصِيَتِك، ومن طاعتك ما تُبلِّغُنا بها جنَّتَك، ومن اليقين ما تُهوِّن به علينا مصائب الدنيا، فالمصائب عندنا المؤمن تقَع وكأنَّها لم تقَع.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(139)﴾

[سورة آل عمران]

فهل تقبل دولة عُظمى الإهانة من دولة لا قيمة لها ؟ فأنت إذا كنتَ مع الله عز وجل فاسْمَع قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ(173)﴾

[سورة الصافات]

الخيل والليل والبيْداء تعرفني والسَّيف والرُّمح والقرْطاس والقلم

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدَبي وأسْمَعَتْ كلماتي مَن به صَمَمُ

أنامُ ملء جُفوني عن شواربها ويسْهر الخلق جرَّاها ويخْتَصِمُ

في طريقِهِ إلى حلب فاجأهُ لُصوص، فولّى هاربًا، فقال له غلامُهُ: ألم تقل الخيل والليل والبيداء تعرفني ؟ فنظر إليه وقال: قَتَلْتني قتلَك الله ! فعاد فقَتَل حتَّى قُتِل !! فالكلام سَهل، فأشَدُّ الناس بُخلاً يتبجَّحون بإنفاقهم، وأشَدُّ الناس جهلاً يتبجّحون باطِّلاعاتهم، فقَضِيَّة الكلام سَهلة، أما مع القرآن فالكلام لا ينفَع، فالكتب المؤلَّف في كلّ العالم في جانب، وكلام الله في جانب آخر ! دخل مغنّي شَهير جدًّا إلى مكْتبة فلفَتَ نظرهُ إلى كتاب، قال: أعْطِني هذا الكتاب، ثمَّ سأل من مؤلِّفُهُ ؟ فقال صاحب المكتبة مُشيرًا إلى السماء أنَّه الله تعالى ! فأخذَهُ وأراد أن يدْحضَ هذه الفِرْيَة، فعكَفَ على دراسَتِهِ لِيُظْهر كذب هذا القول ؛ فإذا بِهِ يُسْلِم، وكلّ أمواله أنفقها لِشِراء أُسْطُواناته لإتْلافِها ! اسمُهُ يوسف إسلام، فالله يقول لك:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ(51)﴾

[سورة غافر]

كلام خالق الكون، وهذا في الدنيا، فأنت إن كنتَ مؤمنًا حَقًّا فالله وعَدَك بالنَّصْر في الدنيا، وهذا في كلّ المعارك، وفي أيّ صِدام، فالله معك.

قال تعالى:

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ(35)﴾

(سورة الحجرات)

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-10) : تفسير الآيتان 22 - 23

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثانية والعشرون من سورة محمَّد صلى الله عليه وسلَّم، وهي قوله تعالى:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23)﴾

[سورة محمد]

وقَفْنا في هذه الآية عند قوله تعالى:

﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22)﴾

[سورة محمد]

أجمع العلماء على أن الأرحام هم الأقرباء من جهة الأب أو من جهة الأم، و النظام الإسلامي يقيم تكافلا اجتماعيا على مستوى الأسرة، فالإنسان مكفَّل بمَن يلوذ به، بوالديه و أولاده و زوجته على إجماع الفقهاء، فالإنسان مكلَّف أن ينفق على أبيه و جده مهما علَوْا، و على ابنه و ابن ابنه مهما نزلوا، و على زوجته، بإجماع الفقهاء، فربُّنا عز وجل جعل التكافلَ الاجتماعي أحدَ أنظمة الإسلام الاقتصادية، وكل أسرة مُتكفِّلة بأفرادها إلا أنَّ صِلَة الرَّحِم ورَدَتْ فيها أحاديث كثيرة صحيحة، مُفادُها أنَّ كلّ إنسانٍ عليه أنْ يصِلَ رحِمَهُ ؛ كيف ؟ نبدأ بالزّيارة، لا تعلم وَقع الزِّيارة عند نفسي هؤلاء الذين ينْتمون إليك، فالواحد إذا زارَ أُخْتهُ رفَعَ مَعْنويّاتها، ولو على مُسْتوى اتِّصال هاتفي، والصِّلة الأعلى أن تتفقَّدَ أحْوالها ؛ هل هي بِحاجة إلى مُساعدة ماليَّة أو اجْتِماعِيَّة أو زوْجِيَّة، فالزِّيارة وسيلة والهَدَف هو التَّفَقُّد، والدليل أنَّ الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن ندْفع الزّكاة والصَّدقات لا إلى الذين يُلِحُّون في الطَّلَب، بل إلى الذين يحسَبهم الجاهل أغنِياء مِن التَّعَفُّف، وتعرفهم بِسيماهم، والأقربون أولى بالمعروف، فالإنسان إذا زار أهْله وأقرباءَهُ ينبغي أن يقفَ عند وضْعِهم المعاشي، والتَّعليمي، والصِّحي، والاجْتِماعي، فالزِّيارة وسيلة والهدف هو التَّفَقُّد، فلو أنَّكَ حلَلْتَ قضاياهم الاجْتِماعِيَّة، وفي حلّ خِلاف زوْجي وقدَّمْتَ لهم بعض الدَّعْم، وقدَّمتَ لهم بعض المال، تأتي المرحلة الثالثة، وهي الأخذ بيَدِهم إلى الله عز وجل، وأن تدْعوهم إلى الصلاة، وحُضور مجالس العِلم، وإلى الحِجاب، فَكُلّ واحِدٍ له طريق إلى الله من خلال رحمه، والطرائق إلى الخالق بعَدَدِ أنفاس الخلائق، فلو فرضنا أنَّ إنسانًا عظيمًا لا تستطيع أن تصِلَ إليه ماذا تسْتفيد منه، هناك أشْخاص أقوياء، وأغنياء، فإن وصَلْتَ إليه أعْطاكَ مِمَّا عندهُ، ولكن الطُّرُق إليه كلّها مسْدودة، لا يُوجد أملٌ، إلا أن الله جل جلاله مؤمنٌ بذاته أنه يُسعِد خلقَه و أن الأمر بيده وأنه إذا تجلَّى على عبدٍ أسعده، هو المغني وهو المعطي ولكنه جعل لك آلافَ الوسائل كي تصل إليه، منها

صلةُ الأرحام، الزيارة أوّلا و التفقُّد ثانيا و الدعوةُ ثالثا، وهذا الشهر شهر الأرحام، و العيد أكبر مناسبة لزيارة الأقارب و الإحسان إليهم و إسداء النصح لهم.

فيا أيها الإخوة الكرام، باب صلة الأرحام من أكبر الأبواب التي تقرِّب إلى الله، و الرحم تقول: يا رب من وصلني وصلتَه و من قطعني قطعتَه قال تعالى:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23)﴾

[سورة محمد]

الإنسان أحيانا يتسلَّى بعمل مهمٍّ، و يتنكَّر لأهله و ينساهم، و هناك إنسان أصيلٌ لا ينسى الذين كانوا حوله قبل أن يصل إلى هذا المكان الدقيق.

موضوع الدرس اليوم هو صلةُ الأرحام، مَن هم الأرحام ؟ هم الأقرباء قاطبةً من جهة الأب و من جهة الأم، بل إن النبيَّ عليه الصلاة و السلام سأله أحدُ أصحابه: ماذا بقيَ عليَّ من برِّ والديَّ بعد موتهما ؟ فقال عليه الصلاة و السلام: أن تصلي عليهما الجنازة و أن تدعوَ لهما عقب الصلوات الخمس و أن تصل الرحم التي لم يكن لها صلةٌ إلا بهما.."

واحد له خالٌ تُوفِّيت والدتُه، السبب هي والدتُه، فينبغي أن يصل أخواله بعد موت أمه، و له أعمام ينبغي أن يصل أعمامه بعد موت أبيه، له أولاد أخت و تُوفِّيت أختُه عليه أن يصل أولاد أخته بعد موت أخته، و أن تصل الرحم التي لم يكن لها صلة إلا بهما، و في رواية: أن تصل صديقهما " و أن تنفذ عهدهما، فالأرحام الأقارب مطلقا، ذكورا و إناثا من جهة الأب و من جهة الأم، هم و أولادهم، و الشيء الثاني الصلة، و الزيارة وسيلة، نبدأ بالاتصال ؛ رسالة، زيارة، و تفقد وضع معاشي و اجتماعي و صحي و تعليمي، فإن كان ثمة نقص قدمنا المساعدة، و إذا انتهينا من تقديم المساعدة ندعوهم إلى المسجد و إلى طاعة الله و إلى الحجاب و إلى إقامة الصلوات في البيت، هذا باب كبير من أبواب الجنة.

و لو أن كلَّ إنسان تفقَّد أهله و إخوته و أخواته و عمَّاته و خالاته و أقرباءه لكنا في حال غير هذه الحال، قال تعالى:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23)﴾

[سورة محمد]

مرَّةً كانت هناك مشكلة تُحلُّ عن طريق إنسان يحتلُّ منصبا رفيعا، والدُه يحضر عندنا، فقلتُ له سأذهب معك إلى فلان لنحلَّ هذه المشكلة، فأجاب و لكنَّه كان متردِّدا، فما إن دخلتُ على ابنه حتى قال لأبيه: أبو فلان اجلسْ هناك، و ما أشعر أحدا من الحاضرين أنه أبوه و تنكَّر له، لذلك قال تعالى:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23)﴾

[سورة محمد]

الإنسان الأصيلُ الذي يعرف الله عز وجل كلما أكرمه الله يزداد غراما لأهله الأقربين، وهذه الرحم يصل اللهُ من وصلها و يقطع من قطعها، و قد حدَّثني أخٌ كان بألمانيا أنه نزل في بيت، و صاحبة البيت امرأة مسِنَّة عندها حديقة، أقسمَ لي بالله أنه لم يرَ مثلها في حياته، هذه الحديقة تعتني بها هذه العناية رجاء أن يتكرَّم أولادُها الخمسةُ أن يزوروها في العام يومًا واحدا، و كان من المفروض أن يأتوا في عيد الميلاد، و كان هذا الصديق مستأجِرا غرفةً عندها في عيد الميلاد، و هيَّأتْ كلَّ أنواع الحلويات و الورود، و نظَّمت الحدائق، ثم لم يأتِ أحدٌ، هذا الذي يعيشه الناس في الغرب نحن مُعافَون منه والحمد لله.

شَخصٌ قال لي: أسْكُن بِغرفة بِبِناء في لندن طابق أوَّل، وفي الطابق السادس إنسان، في أيَّام الشِّتاء القارصة تُوُفِّي وبقِيَ في غرفتِهِ بعد وفاتِهِ سِتَّة أشْهر ! إلى أن خرَجَتْ رائحة من الغرفة لا تُحْتَمَل، والغريب أنَّ له سِتَّة أولاد مُقيمين في لندن، لم يُفكِّر ولا واحد منهم ان يزور أباه في هذه المدَّة الطويلة ؛ هكذا يعيشون هناك، وعندنا الأب مُقدَّس، فَصِلَةُ الرَّحِم باب كبير جدًّا للقُرْب من الله عز وجل، ومرَّةً ثانِيَة رسالة اتِّصال زيارة وتفقُّد ومساعدة، ثمَّ الأخْذ بيَدِهم إلى الله عز وجل، وعندها تكون كلّ أسرة قد تكفَّلَتْ بأفرادها اقْتِصادِيًّا واجْتِماعيًّا وطِبِيًّا، أما أن توزر لا زِّيارة التي لا تتفقّد بها المزور، ولا تُلبِّي له حاجاته، ثمَّ تدَّعي زيارة الرَّحِم فأنت إن لم تُقدِّم يد المساعدة، وتحلّ المشاكل فلا تُعْتبر زيارةً، وقد ورَدَ عند الفقهاء: لا تُقْبَلُ زكاة إنسانٍ، وفي أقْربائِهِ محاويج ! ابْدأ بالأقْرَبْ فالأقرب، الأقربُ إليكَ نسبًا، ثمّ الأقرب إلى الإيمان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-10) : تفسير الآية 38

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثامنة والثلاثون من سورة محمَّد صلى الله عليه وسلَّم، وهي قوله تعالى:

﴿ هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38)﴾

[سورة محمد]

أحيانًا يتوهَّم الإنسان أنَّ له عملاً طيِّبًا يُدِلُّ به، ويَمُنُّ به ويفْتَخِرُ به، هذا العمل من فضْل الله عز وجل، والإنسان إذا دُعِيَ إلى الإنفاق فَبَخِلَ، وأبتْ نفْسُهُ أن تُنْفق، الله جلَّ جلاله يُهَدِّدُهُ، قال تعالى:

﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38)﴾

[سورة محمد]

فإذا سمَّعَك الله عز وجل الحق، فهذا شرَفٌ عظيم وبِشارة، قال تعالى:

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ(23)﴾

[سورة الأنفال]

علامة الخَيْرِيّة أنَّهُ أْمَعَكَ الحق، والذي يبْقى عليك أن تسْتجيب، وأن تُنْفق وأن تعْملَ صالحًا، فإن أبَيتَ اسْتَبْدَلَ قومًا غيرَكَ.

قال تعالى:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلْ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(17)﴾

[سورة الحجرات]

لا يوجد إنسان آتاهُ الله من فضْلِهِ، وشَكَر إلا زادَهُ، أما إذا اعْتدَّ بِنَفْسِه، وظنَّ أنَّ هذا الفضْل مِن صُنْعِهِ، وخِبْرَتِهِ، وذكائِهِ، فلعلَّ الله سبحانه وتعالى يحْرِمُهُ منه فشُعور المؤمن كما قال الله عز وجل في الحديث القدسي: إذا أراد الله إظهار فضْلِهِ عليك خلقَ الفضْل ونسَبَهُ إليك، فالإنسان حينما يُوَحِّد يتواضَع وحينما يُعرض عن التَّوحيد يتكبَّر، وهناك علاقة بين التَّوحيد والإخلاص وبين التَّوحيد والتَّواضُع، فالمُوَحِّد يشْكر الله عز وجل، ويرى فضْه، لذلك يتواضَع، وغير المُوَحِّد يرى فضْلَهُ، وإنفاقهُ، ودَعْوَتَهُ، ويرى اسْتِقامتَهُ، والمُوَحِّد يُخْلِص، وغيرهُ يُشْرك، فإذا علِمْتَ أنّ الأمْر كلَّهُ بيَدِ الله لا تتَّجِهُ إلى أحدٍ غيرِهِ، أما إذا توهَّمْتَ جِهَةً في

الأرض تُعطي أو تمْنَع وترفع أو تخفض، فتوجَّهُ إليها، أصبَحَ هناك شِرك، وديننا دين توحيد لا دين الشِّرْك، وما مِن إنسان على وَجه الأرض إلا ما قلَّ أو شذَّ أن ندَرَ يقول: لا إله ! لكنّ معظم الشُّعوب في الأرض تُؤمن أنّ لهذا الكون خالقًا وهذا الإيمان لا يُقَدِّم ولا يؤخِّر، ولأنّ إبليس قال:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(82)﴾

[سورة ص]

آمن بِعزّة الله، ومع ذلك هو أكْفر أهل الأرض ! فالإيمان بالله تعالى خالقًا لا يرْفَعُكَ عند الله، أما الإيمان بالله تعالى مُسيِّرًا، وفعَّالاً، وبيَدِهِ الأمْر ؛ إن آمنْتَ هذا الإيمان، وأنت لا تشْعُر أخْلَصْتَ لله تعالى، وأنت لا تشْعُر تتواضَع، والكبرياء إزاري، والعظمة ردائي، فمن نازَعني شيئًا منهما أذَقْتُهُ عذابي ولا أُبالي، وكنتُ قول دائمًا: هناك أخطاءٌ تُغْفر، ولكنَّ خطأ الكِبْر لا يُغْفر، لأنّ هذا الخطأ يتناقض مع عُبودِيَّة الله عز وجل، فاللَّبن قد يحْتمل الماء، ولكن لا يَحْتَمِل قطرة مازوت واحِدَة ! فهذه القطْرة تُفْسِدُهُ، فالتَّوحيد يُؤدّي إلى التَّواضُع، والعبودِيَّة لله عز وجل، والشُّعور بِفَضْل الله عز وجل، والشِّرْك يؤدّي إلى الكِبْر، والاسْتِعلاء والعُنْجُهِيَّة والغَطْرسة، والتَّوحيد يُدّي إلى الإخلاص، فالله هو المُنْعِم المُتفضّل فتَتّجِهُ إليه وحْدَهُ، طبعًا هذا لا يعني أنَّ الإنسان إذا أصابَهُ خيرٌ مِن إنسانٍ أن يتجاهَلَهُ، قال عليه الصلاة والسلام: من لم يشْكر الناس لم يشْكر الله..." يُرْوى أنَّ أحدَ أصْحاب النبي عليه الصلاة والسلام نزَعَ على ثوْبِهِ ريشَة، فرفَعَ النبي يَدَيْه إلى السَّماء: اللَّهمّ اجْزِهِ عنِّي خيرًا ! ومن أجْزى إليكم معْروفًا فجاءوه، فإن لم تَجِدُوا ادْعوا له حتَّى تعلموا أنّكم كافأتُموه والتَّوحيد لا يتناقض مع شُكْر الناس، ولكن الأصْل أنَّ قلْبَكَ مُتَعَلِّق بالله تعالى، فأنت ترى أنَّ هذا الذي خدمك كان بِمَعونة نم الله تعالى، فهو سبحانه الذي ألْقى في قلبه معونتك، فالشُّكر لله أوّلاً، فهذه عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك التي تألَّم لها النبي عليه الصلاة والسلام، ولِحِكمة أرادها الله تأخَّر الوحي أربعين يومًا ! فالله أراد أن يُبيِّن للناس أنَّ الوَحي كيانٌ مُستقلّ عن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال لها أبوها أبو بكر: قومي فاشْكريه للنبي عليه الصلاة والسلام قالت له: والله لا أقوم إلا لله تعالى ! فالنبي عليه الصلاة والسلام تبسَّم وقال: عرفت الحق لأهْلِهِ فالأصْل هو الله تعالى.

إذا خدَمَك إنسان فاشْكُرهُ، وقدِّم له هدِيَّة، وأثْنِ عليه، ولكن قلبَ المؤمن الصادِق رأى أنَّ هذا فضْل الله ساقَهُ إليك عن طريق فلان، وهذا هو التَّوحيد أن لا ترى نِعْمةً إلا مِن الله تعالى، فإن كانت لك زوْجة صالحة وكان مِن المُمْكن أن تأتيك زوْجة كالجحيم، والله هو الذي ساق لك هذه الزَّوجة، ويسَّرَها لك، تحْترِمُك، وتعتني بك، فإذا قال لك: أنا أعرف تنْقِيَة الزَّوجة فهذا قد أشْرَكَ ! أما إذا قال: لقد أكرمني الله بهذه الزَّوجة فقد وحَّد. وهذا له تِجارة، فيقول: هذا من كرامي الله لي، والله هو الذي أعانني على هذا، ورزقني، فهذا الشُّعور الذي

يُبارِكُ في الرِّزق، وإن جاءَكَ مولود يملأُ البيتَ سُرورًا، إذْ هناك بيوت ليس فيها أولاد، يدْفَعُ الملايين على أن يأتيه مولود ! والله حتَّى الضَّحِك عليك أن تشْكر الله عليه، أذْكُر أنِّي كنتُ مدعُوًّا لطعام الغذاء في أحد الحدائق لإخواننا، وكنَّا نحو ثلاثين شَخصًا، ونحن جُلوس مرَّ علينا شَخص فما سلَّم، فقلْتُ لِمَن دعانا ما بِهِ من هذا ولِمَ لمْ يُسَلِّم ؟! فقال: هذا عمِّي، وهو صاحب البستان، وقد جاء من مستشفى غسيل الكلية !! لا يرى بِعَيْنَيْه شيئًا مِن شِدَّة الخوف والقلق فاشْكر الله على أنَّه أضْحَكَكَ، والدليل قوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى(43)﴾

[سورة النجم]

فالذي يُصاب بِمُصيبة لا يضْحك مهما كانت النُّكتة مُضْحِكة !

إن وجَدتَ الناس يَحْترِموك معناه أنَّ الله تعالى ألْقى محبَّتَك في قلوبهم، وكان بإمكانِهِم أن يُبْغِضوك، قال تعالى:

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(39)﴾

[سورة طه]

وما أخْلصَ عبدٌ لله تعالى إلا جعلَ قلوب المؤمنين تهْفو إليه بالمودَّة والرَّحمة وأنت حينما تعْزو الفضْل إلى الله تزْدادُ فضلاً، قال تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ(7)﴾

[سورة إبراهيم]

وحينما تعزوهُ إلى ذاتِك تُشْرك وتسْقط من عَين الله، ولأَن يسْقط الإنسان من السماء إلى الأرض أهْوَنُ من أن يسقط من عَين الله.

فالله تعالى قال:

﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38)﴾

[سورة محمد]

فالواحد لا يمنّ على الله عز وجل لحُضورهِ مجالس العلم، وإنفاقه المال وأخْتِمُ لكم الكلام بهذه القِصَّة ؛ إنسانٌ قدَّمَ بيتًا ثمنُهُ خمسة ملايين، وثمنهُ الآن أثنى عشرة مليونًا، قدَّمَهُ لِجَمْعِيَّة خَيْريَّة لِيَكون مرْكزًا لِتَدريب الفتيات الفقيرات الخياطة، لِيَنقلوا هؤلاء الفتيات من مُتَسَوِّلات إلى مُنْتِجات، ومن آخذة زكاة إلى دافعة زكاة، وأُقيم حَفل لِتَكريم هذا المُحسِن، فكُلّ الناس أثْنَوا على إحسانه وفضْله وكرمِهِ، فأحدُ الإخوة قال له: كان مِن المُمْكن أيُّها الأخ الكريم، وأيُّها المُحْسِنُ الكبير أن تكون أحَد المُنتفِعين من جَمْعِيَّتنا فالإنسان لا يعْتدّ بالمال أو القوَّة فقد يفقدهما فجْأةً، وإذا أردتَ أن تعتمد فاعْتَمِد على الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : تفسير سورة الفتح

الدرس (4-1) : تفسير الآيتان 1 - 2

الدرس (4-2) : تفسير الآية 18

الدرس (4-3) : تفسير الآية 28

الدرس (4-4) : تفسير الآية 29

الدرس (1-4) : تفسير الآيتان 1 - 2

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الأولى من سورة الفتح، وهي قوله تعالى:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً (2)﴾

[سورة الفتح]

كلُّ إنسانٍ بِحَسَبِ مرْتبَتِهِ عند الله له ذَنْبٌ يَحْجُبُهُ عن الله، فكلَّما ارْتقى مقامُ الإنسان أصْبَحَتْ صغائِرُ الذُّنوب تحْجُب عن الله عز وجل، وأصْبحَت المباحات التي يفْعَلُها مُعْظمُ الناس، وهم مُطمئِنُّون إذا قاموا بها حُجِبوا عن الله عز وجل، فما ذَنْبُ النبي عليه الصلاة والسلام ؟ وهو الذي أثْنى الله عليه فقال تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ(4)﴾

[سرة القلم]

النبي عليه الصلاة والسلام مِن أعْظَمِ القُوَّاد ؛ وعالِمٌ مِن أعْظَمِ العلماء، يا أيُّها الأُمِّيُّ حَسْبُكَ رتْبةً في العِلْم أنْ دانَتْ لك العُلماء ! خطيبٌ وأعظم خطيب، وأعظمُ عالمٍ، وأعظَمُ مجْتَهِدٍ، وأعظَمُ قائِدٍ، وأعْظَمُ سِيَاسِيٍّ، كلُّ هذه الصِّفات التي توافَرَتْ فيه لم يُثني الله عليه بها، إنَّما أثْنى عليه بِخُلُقِهِ العظيم.

التَّفسير اجْتِهادي، بعضهم قال: الله جلَّ جلاله لا نِهاية لِعَظَمَتِهِ، ولا نِهايَةَ لِكمالِهِ، وكلّما أقْبلْتَ إليه رأيْتَ رؤيَةً أكْبر مِن التي رأيْتَها من قبل وكلَّما أقْبلْتَ إليه رأيْتَ مِن كماله، ومِن رحْمَتِهِ، ومن عِلْمِهِ، ومِن قدْرَتِهِ رؤيةً لمْ تكُن تراها من قبل، ذَنْبُ النبي عليه الصلاة والسلام أنَّه إذا أقْبَلَ على الله إقْبالاً جديدًا رأى رؤْيَتَهُ السابقة لا تليق بالله عز وجل، فهذا هو ذَنْبُهُ، وهذا الذَّنْب يتناسبُ مع مقام النبي عليه الصلاة والسلام، فأحيانًا الإنسان إذا كان غارِقًا في المعاصي يكْفيهِ أن يَدَع شُرْب الخمْر، نقول له: هنيئًا له على هذه التَّوبة، وهو لا يزال عنده آلاف المعاصي، فهو إن ترَكَ الكبائِر نُسَمِّيهِ إنسانًا تائِبًا، الآن ترك الكبائر، ما سواها الذُّنوب، ثمّ ترَكَ الذُّنوب، هناك صغائر الذُّنوب تحْجبُهُ عن الله عز وجل، فكلَّما ارْتقى إيمان الإنسان دقَّتْ ذُنوبُهُ التي تحجُبُهُ عن الله تعالى ؛ لذا قال عليه الصلاة والسلام: لو لم تُذنبوا لأبدل الله قوما غيركم..." قد يتبادَر إلى الذِّهْن أنّ هذا الحديث يَدعونا لارْتِكاب الذُّنوب حتَّى يُغْفَرَ لنا ! لكنَّ الحديث يُشير أنَّهُ مِن خصائص المؤمن أنْ يشْعُرَ بِذَنْبِهِ، فإن لم يشْعُر فهو ميّت، فالطَّبيب يُمْسِكُ بنَبْض المريض، فيأتي بِمِرآة

فيضَعُها على أنفه فلا يرى بخار الماء، فيقول لعلَّ هذا البخار قليل جدًّا، فيأتي بِمِصباح فيَضَعُهُ في بؤرة عَيْنِهِ، فإذا لمْ تَضِق قُزَحِيَّةُ العَين يقول: هذا ميِّت ! وكذا الإنسان إن لم يشْعُر بِذَنبِهِ فهو ميِّت، قال تعالى

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ(22)﴾

[سورة فاطر]

فالذي لا يشْعُر بِذَنبِهِ هو ميِّت، قال تعالى:

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(21)﴾

[سورة النحل]

والحياةُ حياتان أيُّها الإخوة ؛ حياة الجِسم، فالقضِيَّة سَهلة، وهي بِفَحْص الأعضاء أما حياة النَّفس فلا تكون بِفَحص الأعضاء، ولكن بِمَعْرِفة الله عز وجل، وحياة النَّفس بِطاعة الله، فالذي لا يعرف الله، ولا يُطيعُهُ، ويرْتَكِبُ لا ذَّنْبُ ثمَّ يقول: هل هناك مشكلة ؟! وهذا الذي يأكل مال الحرام، ويَعُدُّ هذا ذكاءً، والذي يعْتدي على أعراض الناس، ويعُدُّ هذا حَيَوِيَّةً !! فالمَعْصِيَة في زماننا أصْبَحَت حَيَوِيَّة مُتَدَفِّقة، وذكاءً وشطارةً، هذا الإنسان ميِّت عند الله تعالى.

أيُّها الإخوة، اِكْتَشِفوا حياتكم، وحياة قلوبكم، وإيمانكم مِن إحساسِكُم بالذَّنب، إن لم تُحِسَّ بالذَّنب فالمرضُ خطير جدًّا، قال تعالى:

﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(36)﴾

[سورة هود]

فلذلك اِبْحَث عن الذي يَحْجُبُكَ عن الله تعالى، إن لم تَحْجُبهُ الغيبة، ولا النَّميمة، ولا إطلاق البصر، ولا خَلوة مع الأجنبيَّات، ولا أكل المال الحرام، فلْيَعْلَم عِلْمَ يقين أنَّهُ ميِّت، ولا خَيْر فيه إطلاقًا، فالثَّوب الأبيَض المصنوع من الحرير، إن وقَعت عليه ذبابة وتركتْ أثرًا لظَهَر أثرها من بعيد وكذا نفس المؤمن كهذا الثَّوب، وهناك إنسانٌ آخر، يرْتدي ثوبًا أصلُهُ أزرقًا، ومن الوَحْل والزَّيت أصْبح أسْوَدًا لو جِئْتَ بِلِتر حِبْر، ووضَعْتَهُ فوقهُ فلَوْنُهُ لا يتأثَّر ! لذلك سيِّدنا عمر رضي الله عنه يقول: تعاهَد قلْبَكَ، هل تكلَّمْتَ كلمةً تَجْرح ؟ وهل في كلمة احْتِقار للآخرين ؟ فهذه السيِّدة عائشة قالتْ لأُختها صفيَّة: يا صفيّة، إنَّك قصيرة ! فقال عليه الصلاة والسلام: يا عائشة قد قلت كلمة لو مُزِجَت بِمياه البحر لأفْسدتْهُ..." فالإنسان الذي يتَّهِم الناس، ويغْتاب النَّاس، ويتحدَّث في أعراضِهم، ذمامة وجوههم ؛ هذا كُلُّه مُحَرَّم، ولن يستقيم إيمانُ عبدٍ حتَّى يسْتقيم قلبُهُ، ولا يستقيمُ قلبُهُ حتَّى يستقيم لِسانُه، فالإنسان قد يتكلّم كلمات يُثيرُ بها الشَّهوات، والنبي قال لِفتاةٍ ترتدي ثيابًا شفَّافة: إنَّ هذه الثِّياب تكشف حجم عظْمِكِ..." هل هناك عِظام ؟! لم يُرِد أن يتكلَّم الكلامَ المُثير، وأنت

تعرف الإنسان مِن منْطِقِهِ، شخصٌ كان يرتدي ثيابًا جميلة جدًّا، ثمَّ تكلَّم كلامًا بذيئًا، فقال له أحدهم: إمَّا أن تتكلَّم بِمُستوى ثِيابِك، وإما أن ترْتدي ثِيابًا بِمُسْتوى كلامك ! فَضَبْطُ اللِّسان جزْءِ من الكلام، وقد أدْرج الإمام الغزالي بابا سماه آفات اللِّسان فارْجِعوا إليها.

قال تعالى:

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً (2)﴾

[سورة الفتح]

ما تقدَّم ؛ هذه مغْفرة الشُّعور بالذَّنب، ولن ما تأخَّر هذه مغفرة وِقائِيَّة فالإنسان يمكن أن يقع بِحُفرة، فالمِصباحُ يُعفيه من الوقوع، فهذا المصباح وِقائي، وكذا إن كان لك قريبًا غنيًّا، وأنت تتوهَّم معه مليون، وهو معه ألف مليون، تُعامله على أساس مليون، فإن عُرِضَ مشروع بِثَلاثة ملايين تقول له: هذا فوق طاقتك، فإذا به يقول لك: أنا معي مائة مليون !! ألا تشْعر أنَّك لا تعرفهُ ؟ هذا مِن باب التَّقريب، وكذا لا يعرف الله إلا هو، ومهما ارْتقى الإنسان، وحتَّى سيِّدُ الأنام، ولكنَّ النبي الكريم عليه الصلاة والتسليم أعْرفنا بالله تعالى على الإطلاق، ومع ذلك قال تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ(159)﴾

[سورة آل عمران]

فالذي يرى الأخبار ويملأُ عَيْنَيه من هذه التي تُذيع ألا يشْعر بِشَيء ؟ هذا نوعٌ من الذُّنوب، فكلَّما ارْتقى الإنسان عند الله تضيقُ القَنَوات التي يتعامل معها، حتَّى يصل إلى الله عز وجل، فالذي يتباهى بِتَرْك الكبائر ! الكبائر بديهِيَّة جدًّا، ومُجْتَمَعُ الكُفْر موضوعٌ ثاني، أنت ضِمْن مجتَمَعٍ إسلامي، بل إنّ الشيطان نفسُه يئِس أن يُعبَدَ في أرض المسلمين لكن رضِيَ فيما نحْقِرُ مِن أعمالنا، فكلَّما ارْتقى مقام الإنسان لم يعد هناك مجال لارتِكاب الذُّنوب، إلى أن يصِل إلى المنهج القويم الذي سنَّهُ سيِّدُ المرسلين عليه الصلاة والسلام. تأخَّر نزول الوحي على النبي عليه الصلاة والسلام فقال لِعائشة لعلَّها تمرة أكلْتُها من صدقة المسلمين ! هذا هو الورَع.

والآن تُقام سَهَرات، والاخْتِلاط، والنِّساء مع الرِّجال يضْحَكنَ، ثمَّ يقول لك: هذه كأُختي !! كلّ هذا خَلط في خَلْط، فَمَنْهجُ الله أحقُّ أن يُتّبَع، وكلمة ليغفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، لعلَّ ذَنْب النبي عليه الصلاة والسلام إذا رأى رؤيَة جديدة استحيا بِرُؤْيَتِهِ القديمة، وأما ما تأخَّر فهو النور الذي أُلْقِيَ في قلبِهِ يقيهِ أن يقَع في الذَّنْب.

ولكن كلمة ويُتِمُّ نعْمته عليك، أقِفُ عندها دقيقة واحدة، الإنسان عنده زوْجة ومأوى، وأولاد، وله دخْل يكفيه، لا شكَّ أنَّ هذه نِعَم، لكنَّها تنتهي عند الموت، ولكنَّ تمام النِّعمة هو الهُدى، فأنت إن اهْتَدَيْتَ إلى الله فقد أتمَّ الله عليك نِعْمتَهُ، لذلك هذه النِّعَم الدُّنْيَوِيَّة ما دامَت تنتهي بالموت فليس لها معنى النِّعمة الحقيقي، أما النِّعمة الحقيقيَّة هي أن تهتدي إلى الله، وتسعَدَ به إلى أبد الآبدين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2–4) : تفسير الآية 18

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثامنة عشْرة من سورة الفتح، وهي قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (18)﴾

[سورة الفتح]

لا شكَّ أنَّ أعْظَمَ شيءٍ تصلُ إليه في الدنيا أن يرْضى الله عنك، وهو أعظمُ شيء على الإطلاق، وهو خير لك من الدنيا وما فيها، لأنَّ الدنيا زائلة، والآخرة باقِيَة، ولأنَّ الله سبحانه وتعالى إذا وفَّقَكَ في الحياة الدنيا فليس في الأرض كُلِّها جِهةٌ تَستطيع أن تحول بينَكَ وبين هذا التَّوفيق قال تعالى:

﴿ مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(2)﴾

[سورة فاطر]

وإذا حجَبَ الله عن الإنسان التَّوفيق، لو أنَّ الدنيا كلَّها معه لا يُوَفَّق، فأَنْ يرضى الله عنك خير لك من الدنيا وما فيها، ولا يعْرِفُ حقيقة هذا الكلام إلا من اتَّصَل بالله عز وجل، وذاق مِن طَعْمِ قُرْبِهِ عندها يشْعُر أنَّ طاعة اله هي أَثْمَنَ شيءٍ يفعلها في الحياة الدنيا.

الثِّمار ؛ أوَّلاً الصَّحابة الكرام رضي الله عنهم تَحْقيقًا، وتقريرًا، ولكنَّ الناس إذا ذَكَروا إنسانًا فاضِلاً أو عالمًا جليلاً وقالوا رضي الله عنه فهذا دُعاءً، وفرْقٌ كبير بين أن تقول: رضي الله عنه تَحقيقًا، وبين أن تقولها دعاءً، فأنت لك أن تقول لإنسانٍ فقير أغناك الله، أما إن رأيْتَ إنسانًا غنيًّا تقول: قد أغناك الله، فأغناك الله التَّقريريَّة غير أغناك الله الدُّعائيَّة فنحن إذا ذكرنا إنسانًا جليلاً وقلنا رضي الله عنه فهذا رضا دُعائي، أما التَّحقيقي فلأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلَّم.

الشيء الثاني ؛ أنَّني ما دُمتُ قلتُ قبل قليل إنَّ رِضاء الله عز وجل أثْمَنُ شيءٍ تَمْلِكُهُ، فالشيء الذي يُثْلِجُ الصَّدْر أنَّ هذا الرّضا سُبُلُهُ مُيسَّرة لك، فسبيلُهُ الوحيد أن تُطيعَهُ، قال تعالى

﴿: يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾

[سورة الأحزاب]

والأدَقُّ من ذلك أنَّ بِفِطْرتِكَ وحِسِّك السليم، وجِبِلَّتِك في أيّ لحْظةٍ نم حياتِك تعْلم ما إن كان هذا العمل يُرضي الله أم لا يُرضيه، فإن صَدَقْتَ يرْضى الله عنه، وإن كذَبْت يغْضَبُ عنك، وإن أخْلَصْتَ يرْضى الله عنك، وإن خُنْتَ لا يرْضى عنك، وإن غَشَشْتَ الناس لا يرْضى الله عنك، وإن استَغْلَّيْتَ ضَعْف زوْجَتِكَ، وأنَّ أهْلها ليْسُوا في بلَدِك، وقسَوْتَ عليها لا يرْضى الله عنك، أنا أؤَكِّد لكم أنَّ الواحِد مِنَّا من دون أن يقرأ، ومن دون أن يكْتُب، ومن دون أن يسْتمع أوْدَعَ الله فيه مُفتيا صغيرًا، أو جهازًا حسَّاسًا جدًّا، فن حادَ عن الصَّواب شَعَرَ بالضِّيق، والبرّ ما اطمأنّت إليه النَّفس، والإثْم ما حاك في صَدرك، وكرهْت أنْ يطَّلِع عليه الناس ! فالله تعالى قال:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (18)﴾

[سورة الفتح]

في كلّ مكان وزمان، ونحن اليوم في آخر الزَّمان يُمْكن أن نسْعى إلى رِضاء الله عز وجل عن طريق طاعته، ولكن أنت بِحاجَة فضْلاً عن الفِطرة السليمة، أنت بِحاجَة إلى أن تعرف دقائق الأمْر والنَّهي، فَتَعلُّم أحكام الفقه مُهِمٌّ جدًّا لِمَن أراد أن يُرْضِيَ الله عز وجل، فهو تعالى لا يرْضى عليك إلا إذا أطعته وفْق المنهَج الذي أنزلَهُ الله على نبيّه صلى الله عليه وسلَّم.

الثَّمرَة ؛ قال تعالى:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (18)﴾

[سورة الفتح]

من لوازم رضاء الله عز وجل أنَّ قلْبَكَ مُفْعَمٌ بالسَّكينة والطمأنينة، والسُّرور والسَّعادة، والثِّقة والمستقبل، فالمؤمن لا يتشاءَم، ويُصَدِّق قوله تعالى:

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

والمؤمن لا يَحقِد لأنَّ يد الله فوق أيدي الناس جميعًا، والمؤمن لا يسْتسْلِم لأنَّ الله تعالى معه، وإذا كان الله معه فَمَن عليه، فهذا هو معنى إنزال السَّكينة على قُلوبهم، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ﴾

[سورة الفتح]

عَلِمَ صِدق نِيَّتِهم، وعَلِمَ صدْق بَيْعَتِهِم وعَلِمَ حُبَّهم وشُعورهم بالطاعة، قال تعالى:

﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة الفتح]

هذا مِن الداخل، ومن الخارج الفَتْحُ، والفَتْحُ هو مُطْلَقُ التَّوفيق، فالإنسان قد تُفْتَحُ له التِّجارة، أو الصِّناعة والدَّرجات العِلْمِيَّة، وتُفْتَحُ مغركةً ينتصِرُ بها وأثابهم فتْحًا قريبًا، راحةٌ من الداخل، ونجاحٌ من الخارِج، والثَّمن هو الطاعة، والطاعة ثمنها أن تعرفَ الآمِر، وأن تعرفَ الأمْر، ومن عرف الآمر والأمر تفانى في طاعة الآمر، ومن لم يعرِف الآمر وعرف الأمْر تفنَّنَ بالتَّفلُّت من هذه الطاعة بأساليب شَتَّى، إذا رضاء الله عز وجل أثْمن شيء، بل هو أثمنُ شيء في الدنيا والآخرة.

في الآخرة هناك جنَّاتٌ تجري من تحتها الأنهار، وهناك حورٌ عين وولِدانٌ مُخَلَّدون، وهناك نَظْرةٌ إلى وَجه الله الكريم، وهناك رضوان نم الله أكبر كما قال تعالى، فنكادُ نَصِل إلى أنَّ رِضوان الله عز وجل أعْظمُ شيءٍ في الدُّنيا، وأعظمُ شيءٍ في الآخرة، والشيء المُفْرِحُ أنَّ هذا الرِّضْوان تمْلِكُ أسبابهُ، ألا تمْلِكُ أن تكون صادِقًا ؟ أو مُتَوَكِّلاً ؟ أو نظيفًا ؟ أقرأ القرآن، وقِفْ عند قوله تعالى إنَّ الله يُحِبُّ، وهناك اثنتا عشرة خصْلة يُحِبُّها الله عز وجل كنتَ في رِضْوان الله عز وجل.

أيها الإخوة الكرام، أعْقَلُ العقلاء الذي سَعَى إلى رِضْوان الله عز وجل، وأحْمَقُ الحَمْقى الذي اغْترَّ بالدُّنيا ونسِيَ الآخرة، والدُّنيا ساعة تمْضي سريعًا، ويبقى العذاب، فنحن الآن في رمضان، البارحة فقط بدأ، ونحن اليوم في اليوم الثامن والعشرين، فالذي صامَهُ وقامَهُ، وضَبَطَ لِسانَهُ انتهى التَّعَب وبقِيَ الثَّواب، والذي أفْطر، وسَهِرَ سهراتٍ لا تُرضي الله عز وجل انتهى السَّهر ورمضان وبقِيَ العِقاب، لذا القضِيَّة دقيقة جدًّا ؛ رِضْوانُ الله عز وجل مُيسَّرٌ لِكُلِّ إنسان، وهو أثْمَنُ شيءٍ في الدُّنيا، وهو أثْمَنُ شيءٍ في الآخرة، وأتن برضوان الله تجد الله معك، وإذا وَجَدْتَهُ ما فاتَكَ شيء، وإن فاتَكَ ربُّك ما وَجَدْتَ شيء، ومَن عامَلَ الناس فلم يظْلمهم، وحدَّثهم فلمْ يكْذِبْهم، ووعدَهم فلم يخْلِفهم، فهو مِمَّن كَمُلَت مروءَتُه، وظَهَرَت عدالَتُه، ووجَبَتْ أخوَّتُه، وحرُمتْ غيبتُه. وما دام الصَّحابة الكرام رضي الله عنهم، هل يُعْقل أن يرْضى الله عنهم وهم على غير استِقامة ؟ فأيَّةُ قِصَّة لا تنبؤنا بِطُهْر أصحاب النبي وصِدْقهم وصِدقهم وعِفَّتِهم، هي قِصَّة مكْذوبة، ومن هنا قال عليهم الصلاة والسلام: إذا ذُكِر أصحابي فأمْسِكوا..." فشهادة الله أقوى من شهادة العالمين، فالذي يُشَكِّك في أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كاذِب منافق، وهو يُكَذِّب هذه الآية، ألَمْ يُبايِعوا النبي عليه الصلاة واللام تحت الشَّجرة واحِدًا واحِدًا ؟ بدءً من الصِّديق وانتهاءً بآخِرِ صحابيٍّ، فمن ردَّ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فهو كذَّاب، ومن كذَّب آيةً فقد كفر، وأصحابي لو تركوا العُشْر لهلكوا..." لأنَّ فيهم النبي صلى الله عليه

وسلّم فالإنسان قبل أن يخوض في القرآن الكريم، وقبل أن يتكلَّم عليه أن يحْسب الحساب الكبير، ونحن نُحبُّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ونتأسَّى بهم.

والشيء الثاني ؛ أليس بين المسلمين قواسِم مُشْتركة ؟ نعم، هناك آلاف القواسِم المشتركة، أفلا يستطيع الدُّعاة إلى الله أن يبْقَوا في المُتَّفقِ عليه ؟ يستطيعون بالتَّأكيد، ونحن إذا بقينا على الكتاب والسنَّة اتَّحَدْنا ولن نختلف وبذلك نقْوى، ونتعاوَن، وما مِن هدف يُثْلِجُ صَدْر أعدائِنَا إلا تفرُّق المسلمين، لذا ندعو إلى وِحدة المسلمين في المشارق والمغارب، فهؤلاء الذين يشْهدون أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله أليسُوا مؤمنين ؟ قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(159)﴾

[سورة الأنعام]

والخوض في ما حصل بين الصحابة ليس مِن شُغلِك، فَجُزءٌ من عقيدتك أن تضْبِطَ لسانَك مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: إنَّ الله اختارني واختار لي أصحابي...".

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : تفسير الآية 28

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثامنة و العشرون من سورة الفتح وهي قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (28)﴾

[سورة الفتح]

ربُّنا سبحانه و تعالى في هذه الآية يبيّن أن هذا الدين العظيم سيظهر على الأديان كلّها، ولا شكَّ أنكم تسمعون كلَّ يوم أن عدد المسلمين في أمريكا و فرنسا و إنجلترا و الصين و الهند و اليابان و إفريقيا يتزايد في سلسلة هندسية، و قبل عامين أو أكثر احتُفِل في فرنسا بإنشاء مسجد رقم ألف، و في الجزائر أُنشِأت أربعة آلاف كنيسة في أثناء الاستعمار الفرنسي وأقبلتْ كلُّها إلى مساجد الآن، و في بعض بلاد الغربية عدد المسلمين يشكّلون نسبة كبيرة بحيث أصبح دينُ الدولة الثاني هو الإسلام، و على كلٍّ لا عنينا هذه الأرقام، و إنما يعنينا شيءٌ آخر هو أن العالم شرقا و غربا عاد مقهورا من الإسلام، لا عودة تعبُّد بل لا عودة قهر، فقد جرَّب الناسُ الفردية فإذا هي مدمّرة، فأكرموا الفرد على حساب المجتمع ففسد المجتمع و أكرموا المجتمع على حساب الفرد فسُحِق الفردُ، و العالم كلُّه شرقا و غربا عاد إلى الإسلام مقهورا لا عودة تعبُّد و لكن عودة قهر، لذلك المذاهب الو ضعية الغربية خفَّفت من غلائها و عادت إلى الوسطية الإسلامية، و المذاهب الشرقية خفَّفت من غلائها و عادت إلى الوسطية الإسلامية، و يبدو أن كلّ المذاهب الوضعية سقطتْ في الوحل و لم يبقَ في الساحة إلا الإسلام، لذلك هو يُحارَب هذه المُحاربة في شتَّى بقاع الأرض لا لأنه دين الله فحسب، بل لأن هذا الدين كشف أخطاء بقية المذاهب الوضعية.

أضرب لكم بعضَ الأمثلة، كلُّ الأنظمة الوضعية أساسها الرابع الخارجي، ضبط المجتمع يتمُّ عن طريق أجهزة و عن طريق كواشف و عن طريق كميرات التصوير، و لو تعطَّلت هذه الأجهزة لتُم العجب العُجاب، فقد قُطِعتْ الكهرباء في إحدى الليالي في نيويورك، تمَّتْ في هذه الليلة مائتا ألف سرقة، و صارت في بعض ولايات أمريكا اضطرابات عِرقية، خسائر أعمال العنف بلغت ثلاثين مليار دولار، كُسِرت المحلّات و سُرقت، فهذه الأنظمة الغربية أساسها الردعُ الخارجي، و لكنَّ دين الله عز وجل أساسه الوازع الداخلي، و لما سيدنا عمر قال للراعي بِعْني هذه الشاة و خذْ ثمنها، قال ليست لي، قال: قل لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب، قال: ليست لي و إنني في أشدِّ الحاجة إلى ثمنها، و لو قلتُ لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدَّقني فإني عنده صادق أمين و لكنْ أين اللهُ ؟

أروعُ ما في هذا الدين الوازع الداخلي، و أقلُّ ما في الأنظمة الوضعية الرادع الخارجي، هذا الذي يرى في برميل الزيت فأرةً يبيعها في اليوم التالي إلا أن يخاف اللهَ عز وجل، و في التاريخ الإسلامي قصص لا تُصدَّق، و أروع مثلٍ شهر الصيام، و لو أن هذا الشهر جاء في شهر الصيف الحارّ و دخلتَ أنت إلى الحمَّام وحدك، و في الحمَّام صنبور ماء بارد عذب زلال، هل تستطيع أن تشرب قطرةً واحدة ؟ فما الذي يمنعك ؟ الله معك.

أيها الإخوة، لا تنجح الحياةُ من دون دين، وهذا الذي يدخل إلى دورة المياه وهو يعمل في عجن العجين، لو أنه كان بعيدا عن الله، من الذي يضبط غسلَ يديه قبل أن يعجن العجينَ و قد كان في دورة المياه ؟ إيمانه هو الذي يضبطه، لذلك مرَّة جاءت كلمة من وزير المعارف قبل خمسين عاما، قال: كلُّ ما نملك من السلطة على المدرِّس و المعلِّم أن ندخله الصفَّ الساعة الثامنة، وهو في الصفِ يعلِّم أو لا يعلِّم بحسب إيمانه و بحسب ضميره المسلكي، و بحسب اعتقاده أن الله يراقبه، و مراقبة الإنسان تنتهي عند إدخاله الصفَّ عند الساعة الثامنة، ثم انظُرْ إلى مدير ثانوية، كلُّ سيطرته على المدرّسين إذا قُرِع الجرسُ يدخل المدرّسون الصفَّ، أما وهو في الصفِّ يعلِّم أو لا يعلِّم يصحِّح أو لا يصحِّح، يتابع مستوى الطلَّاب أو لا يتابع، هذا لا يكون إلا من خلال رجل مؤمن، فالحياة لا تستقيم إلا بالإيمان، كما أن المقولة الشهيرة: الحياة لا تُعاش بلا قِيَم، و الحياة لا تستقيم بلا إيمان، لأنك لو أردتَ أن تقيم على كلّ إنسان مراقب لاحتجتَ إلى مليون شرطي إذا كان عندك مليون مواطن، فإذا تواطأ هذا الشرطي مع المواطن لزمك مليون ثالث يراقب عدم التواطؤ و القضية لا تنتهي إلا أن ينموَ الوازع الداخلي، فإذا نما الوازع الداخلي حدِّث و لا حرج.

إنسان يحمل تاجَ كسرى و يحمل سواري كسرى و قميص كسرى و يحمل متاعا يساوي اليوم مئات الملايين، دولةٌ عظمى تنهار أمام جيوش المسلمين يأتي جنديٌّ يحمل تاج كسرى وقميص كسرى و سواري كسرى كلُّه من الذهب الخالص المُرصَّع بالألماس، يحمله إلى المدينة، و يرفض أن ينطق باسمه لئلا يشكره أحد، يقول عمر: إن هذا الذي أدَّى لأمين، يقول له عليٌّ، يا أمير المؤمنين لقد عففْتَ فعفُّوا و لو وقعتَ لوقعوا، فمجتمع المسلمين شيء لا يُصدَّق، و نحن نعيش أفكار الإسلام، و لا نعيش واقع الإسلام، الأمانة و الصدق و الورع و الخوف، هذا كلُّه في تاريخنا، هل تصدِّقون أن الزكاة جُبِيتْ من اليمن و لم يجد والي اليمن فقيرا يعطيه الزكاة، أرسلها كلَّها إلى عمر.

في الحقيقة الذي يلفت نظر الناس إلى الإسلام تطبيقُه لا أفكارُه، و ذكرتُ البارحة في خطبة الجمعة أن النبيَّ عليه الصلاة و السلام يقول: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان..." قلتُ: حلاوة الإيمان شيء و منطق الإيمان شيء، أنت إن أعملتَ عقلك اهتديتَ إلى منطق الإيمان، لكنَّ منطق الإيمان لا يساوي حلاوة الإيمان، و ضربتُ مثل: لو أنه وُضع على الطاولة خرائط لقصر فخم،الطابق الأول و الثاني و الثالث، و تقسيم الغرف و تقسيم الأبهاء، و الحسابات الهندسية، ثم تزيين القصر، ثمَّ إكْساء القصر، وفرْشُهُ، والحدائق، معك مائة خريطة عن قَصْر لا يوصَف، وأنت لا تَمْلِك ثَمَن غرفة في أحد أحياء دِمشق، فرْق كبير بين أن تمتلِكَ هذه الخرائِط وبين أن تمْتَلِكَ هذا القصْر، فحَلاوَةُ لا إيمان يذوقها مَن رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحمَّد صلى الله عليه وسلَّم رسولاً ونبيًّا.

حلاوَةُ لا إيمان لها شروط، قال عليه الصلاة والسلام: ثلاث مَن كنَّ فيه وجَدَ حلاوَة الإيمان..." طبعًا كلّ إنسان يقول: أنا أُحبّ الله ورسوله أكثر من أيّ شيءٍ آخر ؛ هذا كلامٌ لا يُقَدِّم ولا يؤخِّر، فالعِبْرة إن جاءَكَ أمرٌ من الله، وجاءَكَ أمرٌ من إنسان، والأمْران مُتعارضان ؛إن عصَيتَ الخالق، وأطعْتَ المخلوق، فأنت تُحبّ المخلوق أكثر مِمَّا تُحبُّ الخالق ؛ هذا كلامٌ دقيق، ولو جاءَكَ أمرٌ مِن أُمِّك أن تزورها، أمرٌ من صديقك كي تزورَهُ وادَّعيْتَ أنَّك تُحبُّ أمَّك حبًّا جمًّا، ولم تعبأ بِدَعْوة أمِّك، ولبَّيْتَ دَعوة الصَّديق فأنت تُحبُّ صديقَكَ ولا تحِبُّ أُمَّك.

وأن يحبَّ المرْء لا يُحِبُّه إلا لله، فهل تستطيع أن تُحبّ إنسانًا لا تنتفِعَ منه لا نفْعًا مادِيًّا ولا معْنوِيًّا، وقد يكون فقيرًا وضعيفًا، فأنت إن فَعَلْتَ هذا حُبًّا في الله فهذه خصْلة عظيمة، بها يُذيقَكَ الله حلاوة الإيمان.

ثمَّ إنَّ إعْمال العَقْل في أمور العقيدة والشّريعة يُكْسِبُكَ منطِق الإيمان، ولكنَّكَ إذا أطعتَ الله عز وجل وآثرْتَهُ على كلِّ مَخلوق، وأحْبَبْتَ الناس وِفْق الولاء والبراء، وكرِهْتَ الجاهِليَّة التي كُنتَ فيها كما تكرهُ أن تُلقى في النار عندئذٍ تَذوقُ حلاوة الإيمان، فلذلك النِّظام الوّضْعي أساسهُ الرادِعُ الخارجي، وهذا قد لا يكون مُحْكمًا، فلإنسان لا يُمْكِنُ أن يُراقبَ الإنسان فإذا دخل بيته، وإلى دُكَّانِهِ لا يُراقب، فملايين المخالفات تُرْتَكَب في ظلّ الرقابة الرَّدْعِيَّة، أمَّا في ظِلّ الوازع الداخلي لا يُمكن أن يُرْتَكَب ولا خطأ لأنَّ الله مع الإنسان، وهو رقيب عليه، ويعلم سِرَّهُ ونَجْواه، فكما أنّ الحياة من دون قِيَمٍ لا تُعاش فالحياة لا تستقيم من دون إيمان، والذي ترونهُ أمامكم ؛ مُوظَّف ما الذي يمْنَعُهُ أن يأخذ ما ليس له ؟ خوف الله فقط ! فإن لم يكن الموظّف مؤمن وأمين سيَأخُذ ما ليس له، وقد لا تَكْشِفُهُ إلا في وقتٍ متأخِّرٍ جدًّا، فلذلك كما قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (28)﴾

[سورة الفتح]

وهذه بِشارة، وقد لاحَتْ معالِمُها، سَمِعتُ في بعض البلاد الغربيَّة أنَّ عدد المسلمين في زيادة كبيرة جدًّا، وقد وصَلوا إلى بعض المراكز، فهذا من بشائر الله عز وجل، فنحن علينا أن نسْعى لإحقاق الحق، ولِنَشْر هذا الدِّين بالحُسنى، وبالمعروف، وكفى بالله شَهيدًا فمعنى وكفى بالله شَهيدًا أنَّ أفعال الله تأتي مُطابقةً لأقواله، فهو يشْهَدُ لنا أنَّ هذا القرآن كلامهُ، فأنت تقرأ القرآن تجد أنَّ أفعال الله تأتي مُطابقَةً لأقواله، فالذي ترَكَ ذِكر الله، طاعته ؛ مَعيشَتَهُ الضَّنْك شهادة الله أنَّ هذا القرآن كلامه، وكذا إن أكلْتَ الرِّبا ومُحِقَ مالك فهذه شهادة الله على صِدق كلامه، لذلك أجمل في القرآن تأويلُهُ، وأولُهُ وُقوع الوَعد والوعيد، فتلف المال تأويل أكل مال الربا، وزكاة المال تأويل آيات الصَّدَقة، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (28)﴾

[سورة الفتح]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : تفسير الآية 29

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، كما تعلمون مِن قبل أنَّ الله سبحانه وتعالى تَكريمًا لهذا النبي العظيم لم يُخاطِبْهُ باسْمِهِ إطلاقًا، يقول الله عز وجل:

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(9)﴾

[سورة التحريم]

وقال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(67)﴾

[سورة المائدة]

ولكنَّهُ ذكرهُ بِصيغَة الغائب، فقال الله تعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (29)﴾

[سورة الفتح]

أيها الإخوة الكرام، إنَّ مِن أخطر ما تُصاب به الأمَّة أي يكونوا أشِدَّاء فيما بينهم، ورحماء على غيرهم، وأن يُجْعَلَ بأسُهُم بينهم، ورحماء على الآخرين، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى يصِفُ مجتَمَع المؤمنين، أو يصِفُ مجتَمَع الصَّحابة الكرام، وهم قِمَّة المجتَمَع الإسلامي أنَّه أشِدَّاء على الكُفَّار رُحماء بينهم، وهناك وصْفٌ آخر، قال تعالى:

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(54)﴾

[سورة المائدة]

أما إن كُنَّا أشِدَّاء على بعضِنا، وأعزَّةً على بعضِنا، وأذِلاَّء على مَن سِوانا وعُكِسَت الآية فالهَلاك لِهذه الأُمَّة، قال تعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

(سورة محمد)

قد يقول قائِل: ولكن هو رسول الله ! نقول له: أَلَمْ تقرأ قوله تعالى:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(112)﴾

[سورة هود]

وألَم تقرأ قَول النبي عليه الصلاة والسلام: إنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر..." قال تعالى

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

[سورة محمد]

معهُ في الطاعة، ومعهُ في البذْل، ومعه في التَّضْحِيَة، ومعه مُتعاوِنين ومعه مُتناصِرين، ومعه مُتباذِلين، ومعه مُتزاورين، إنَّهم معه، قال تعالى:

﴿ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ(24)﴾

[سورة المائدة]

هؤلاء أصحابُ سيّدنا موسى، أما أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ قال: والذي بعثَكَ بالحق، لقد آمنَّا بِكَ، وصَدَّقناك، وشَهِدنا أنَّما جئْتَ به هو الحق، فامْضِ بما أردْتَ، وصِل حِبال من شئْتَ، واقْطَع حِبال مَن شئْتَ، سالِمْ مَن شئْتَ وعادي مَن شئْت، خُذْ مِن أموالنا ما شئْتَ، ودَعْ ما شئْت، فهو الذي بَعَثك بالحق، وسِرْ على بركة الله، ولو خُضْتَ بنا هذا البحر لَخُضْناهُ معَك، وما تخلَّفَ مِنَّا، ولعلَّ الله يُريكَ مِنَّا ما تقرُّ منه عَيْنُكَ، فهكذا كان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ هؤلاء الذين نصروا الله، وهؤلاء الذين رضي الله عنهم، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (18)﴾

[سورة الفتح]

وبإمكانِكَ في أيّ زمانٍ أن تكون مسلمًا صادِقا مُتعاوِنًا مع إخوانِكَ، قال تعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

[سورة محمد]

أما أن تبْحَثَ عن الشيء الذي يُزْعِجُ أخاك ؛ مِن أين يتألَّم ؟ وكيف تُعَطِّل عليه الأمر ؟ وكيف تَجْعلُهُ لا ينام الليل وهو أخوك في الإسلام ؟ إذا كُنَّا كذلك فاقْرأ على هذه الأمَّة السَّلام !

وقفَ رجل على الحجّاج، والحجَّاج يريدُ أن يقتُلَهُ قال: أسألُكَ بالذي أنت بين يَديه أذَلُّ مِنّ بين يَدَيك، وهو على عِقابِكَ أقْدر منك على عِقابي، مرَّ النبي عليه الصلاة والسلام على صحابيٍّ وهو يضرب غلامه فقال له: اعْلم أبا ذَر أنَّ الله أقْدرُ عليك منك عليه، وهناك شَواهِد لا تُعَدُّ ولا تُحْصى نم حياتنا، ومن علاقاتنا، لا نرْحَمُ بعضَنا أبدًا، ويا عبادي إن أردتم رحمتي فارْحموا عِبادي.

أيُّها الإخوة مرضٌ خطير يسْري في أعضاء المجتمع الإسلامي أنَّهم أشِدَّاءُ على بعضِهم، ورُحَماء مع غيرهم، وضِعافٌ أمام غيرهم، ومُتَلطِّفون مع مَن سِواهم، وشديد في البيت، ورحيم خارجها، هذا لا يليق بالإنسان، قال عليه الصلاة والسلام: خيركم خيركم لأهله..." هذا وَصْفُ الله عز وجل للمؤمنين فيما بينهم ؛ أشِدَّاء على الكفار رُحَماء بينهم، فإذا الإنسان أكْرَمَهُ الله بِعَمَل، وأمامه شَخصٌ ضَعيف يرْجوه بإمكانِكَ أن تُيسِّر له أمْرهُ وبإمكانِكَ أن تُنْجِزَ له معامَلَتَهُ اليوم، لا تقلْ له تعالى غدًا، هو آتٍ من مكان بعيد !! فما معنى أن يأتيَكَ غدًا؟ يجب أن ينام في الفندق، ويجب أن يدْفَعَ مئاتٍ وألوفًا، فيا أيُّها الإخوة الكرام إن أردْتُم رحمة الله فارْحموا خلق الله، إنسانٌ ذَهَب إلى طبيب يُريدُ جْراء عمليَّة، أخذَ منه دَفعَة أولى والمبلغ كبير جدًّا، فقال له: اِذْهب، واجْمَع المال مِمَّن تشاء، لا أُجْري هذه العَمَليَّة أقلّ مِن مائة ألف !!! هناك أناس قُساة لا يرحمون الناس ولكنَّ الله بالمرصاد، وهؤلاء كلُّهم عباد الله إن كانت رؤيَتُكَ صحيحة فإن أردْتَ أن تُغْضِبَ الله فآذِي عباده، وإن أردْتَ أن تُرْضِيَهُ فاخْدُم عباده، والراحمون يرْحمهم الله، فكلّ واحِد منَّا يستطيع أن يرْحَمَ المسلمين بِخِدْمَتِهِ يبيعُهم بِضاعة جيِّدة، ويتلطَّف معهم، والتاجر الصَّدوق مع النَّبيّين والصِّديقين يوم القيامة، وكذا إن كنتَ طبيبًا، وهذا الكلام للمحامي والمهندس والمعلِّم وللتاجر، والصانِع، والمزارع، تَجِدُ لا مزارِع يضَع هرمون لِكي ينمو النبات بسُرعة، وهذا الهرمون مُسَرْطِن !! فهذا الذي لا يراقب الله في أعماله فالله له بالمرصاد. قال تعالى:

﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً ﴾

[سورة الفتح]

يخضعون لأمر الله، ويستمدُّون منه العَون، قال تعالى:

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً ﴾

[سرة الفتح]

يريدون فضْله ورِضْوانَهُ، فهناك من يريد فضْلَهُ فقط ؛ مال وبيتًا فخْمًا، وامرأةً، وتِجارةً ولا يرجو رِضوان الله، أما المؤمنون الصادقون يبْتغون فضْل الله ورِضْوانه، وهذا أعلى شيء، والجزاء الجنَّة من أنهار وعسل وخمر لذَّة للشاربين، وحور عين، وأعلى من ذلك، قال تعالى :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(26)﴾

[سرة يونس]

النَّظَر إلى وجْه الله الكريم، وأعلى من ذلك، ورِضوان من الله أكبر فأعلى شيء يُمْكِنُ أن تصِل إليه أن يرْضى الله عنك، وبِإمكانك أن ترْضِيَه أحْسِنْ إلى خلْقِهِ، يرْض عنك، وكُنْ مصْدَر نورٍ وإشعاع وخير، وإيَّاك وأن تقْبَلَ عملاً فيه إيذاءٌ للمؤمنين.

قال تعالى:

﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾

[سورة الفتح]

وَجه صافي، ومُنيب، وبريء، واتَّقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظُر بِنُور الله، طُهر وبساطة، ولا يوجد التَّعقيد والمكر، والخِداع فالإنسان يرْتاحُ مؤمن، والوَجْهُ صفحة النَّفس، وبراءتُكَ تظْهر على وَجهك قال تعالى:

﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾

[سورة الفتح]

فالمؤمن مثلهُ في الإنجيل كَمَثَلِهِ في التَّوراة، كمَثَلِهِ في الإنجيل، كمثَلِهِ في القرآن.

قال تعالى:

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾

[سورة الفتح]

الزَّيتون له فسيلة هذا اسمُهُ شطْ النبات، فالشَّجرة آزَرَت هذه الفسيلة، وفي تفسير آخر، الفسيلة آزَرت هذه الشَّجَرة، النبي يُقَوِّي المؤمنين، والمُؤمنين يَدْعمون النبي ! تعاوُن مُشْترَك، فالداعيَة يُعلِّم الناس، وهم يَدْعمون، ويتعاونون معه، قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(2)﴾

[سورة المائدة]

قال تعالى:

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾

[سورة الفتح]

هناك تَسلسُل، وتدرُّج، أنت تبدأُ طريق الإيمان، فيبْدأ وتشْتدُّ عزيمتُك، وتقْوى اسْتِقامتُك ويسْمو عملُك. ثمَّ قال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (29)﴾

[سورة الفتح]

فأيُّ مؤمنٍ إلى آخر الدّوران آمنَ وعَمِلَ صالحًا، له مِن الأجْر والثَّواب كما لِهؤلاء الصَّحابة الكرام فربُّنا ربُّهم، والطريق إليه سالِك، ومنهم في الآية بيانِيَّة وليْسَت تبْعيضِيَّة أي مِن جنس الصَّحابة، فنحن إن كنَّا منهم، تقول هذا القمحُ من هذا الكيس، قال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (29)﴾

[سورة الفتح]

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : تفسير سورة الحجرات

الدرس (10-01) : تفسير الآية 1

الدرس (10-02) : تفسير الآيتان 2 – 3

الدرس (10-03) : تفسير الآية 6

الدرس (10-04) : تفسير الآية 7

الدرس (10-05) : تفسير الآية 10

الدرس (10-06) : تفسير الآية 11

الدرس (10-07) : تفسير الآية 12

الدرس (10-08) : تفسير الآية 13

الدرس (10-09) : تفسير الآية 14

الدرس (10-10) : تفسير الآيتان 17 – 18

الدرس (01-10) : تفسير الآية 1

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الأولى من سورة الحجرات، وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1)﴾

[سورة الحجرات]

أي أنت تُقدِّم اقْتراحًا، وبديلاً لأمر الله تعالى، ولِسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فحينما تقْترحُ شيئًا لم يكن في منْهج الله، وحينما تريد أن تُضيف شيئًا ليس مِن دين الله، وحينما تتمنَّى أنَّ هذا الحكْم الإلهي لا يتناسبُ مع هذا العصْر وحينما تريد أن يُضاف على الإسلام شيئًا، أو أن يُحْذَفَ منه شيئًا فأنت لا تعرف الله عز وجل، لأنّ الله الذي شرَّعَهُ هو الخبير والصانِع.

لذا لا تُقَدِّموا ؛ لا تضَع حُلولاً لم تَرِد في شَرْع الله، ولا تقْتَرِح اقْتراحاتٍ لا تتوافق مع سنَّة رسول الله، فالذي جاء به القرآن الكريم، والذي جاءَت به السُّنة المطهَّرة ؛ قوْلٌ فصْلٌ مِن عند خبير عليم ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(3)﴾

[سورة المائدة]

فالتَّمام عَدَي، والكمال نَوْعي أيْ عدَدُ القضايا التي عالجهَا الدِّينُ الإسلامي تام لا يقْبَلُ زِيادَةً، ولا يَحْتَمِلُ نقْصًا، وطريقة المُعالجَة كاملة، ولا تقْبَلُ تَعْديلاً، ولا تطْويرًا، فالعَدد تانّ، والطريقة كاملة، لذلك أمر الله عز وجل بأشياء لِحكمةٍ مُطلقة، ونهى عن أشياء لِحكمة مُطلقة، وسَكَتَ عن أشياء لِحكمةٍ مُطلقة، فالذي سَكَتَ عنه يتعلَّق بالمُتَغَيِّرات ؛ اختلاف البيئات، والتَّقاليد والعادات، والأماكن الجغرافيَّة، والأعْراق، والأجناس، والذي سَكَتَ عنه مُتَعَلِّق بالمُتَغَيِّرات، والذي أمرَ به أمْرًا قَطْعِيَّ الدَّلال هذا مُتَعَلِّق بالثَّوابت، والذي نهى عنه نَهْيًا قَطْعِيَّ الدَّلالة مُتَعَلِّق بالثَّوابت، والذي أمرَ به أمْرًا ظَنِيًّا فهذا مُتَعَلِّق بالمُتَغَيِّرات، والذي نهى عنه نَهْيًا ظَنيًّا مُتَعَلِّق بالمُتَغَيِّرات، فحينما تعْلَمُ أنَّ هذا القرآن الكريم كلام خالق الكون، وأنَّ كلام النبي عليه الصلاة والسلام حقٌّ مِن عند خالق الكون، لِقَول الله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4)عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(5)﴾

[سورة النجم]

فَحينما تعْتَقدُ ذلك لا تجرأ أن تُضيف على الدِّين شيئًا ولا أن تحْذِفَ منه شيئًا، ولا أن تتمنَّى أن يكون الحُكْم غير ذلك، ولا أن ترْجو أن تضَعَ بديلاً لِهذا المنْهج الإلهي، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1)﴾

[سورة الحجرات]

لا تُقَدِّم اقْتِراحًا ولا بديل، ولا سُلوكا لم يفْعَلْهُ النبي عليه الصلاة والسلام.

ورَدَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أن حد البشر....والذي نفسُ محمَّد بيدِه لا ينطق هذا اللِّسان إلا بحق..." في الرِّضَا وفي الغضب، ولو لم يعْصِمْهُ عن الخطأ كان الأمْر أن نُطيعَهُ في كلّ ما جاءَنَا به، وأن ننتَهي عن كلّ ما نهانا عنه ؛ أمْرًا لا معنى له، كأنَّ الله أمرنا أن نخطئ، لو أنَّه غير معصوم، وقد أمرنا الله تعالى في قوله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(7)﴾

[سورة الحشر]

لو أنَّه غير مَعصوم، وأُمِرْنا أن نأخذ عنه كلّ شيء، وأن ننْتهي عن كلّ شيء نهانا عنه، لكان هناك أمْر بالمعْصِيَة إذا كان النبي غير معصوم إذًا هو معصوم بأقواله، وأفعاله، بل إنَّ سنَّتَهُ التي نطَقَ لها، والتي فعلها والتي أقرَّها هي وَحيٌ يوحَى، فالإنسان يتطاوَل، وهو لا يشْعُر، يريدُ أن يضَعَ توجيها ؛ يا أخي الحياة مُعَقَّدة ! وأن نُجمِّد المال بطريقة غير ربَوِيَّة ؛ هذا غير مألوف ! يريدُ هو أن يضَعَ بدائل لاسْتِثمار المال، ويريدُ نِسبًا ثابتة، فكثر التُّجار الآن يُعْطون رِبَحًا ثابتة ! وما معنى أرباحًا ثابتة ؟! يعني هذا ربا، لذا ينبغي أن لا تُقدِّم أتراح ولا بديلاً، ولا إضافةً ولا حذْفًا لما جاء به الله عز وجل، أتن لا تتعامَل مع جِهةٍ أرْضِيَّة تُصيبُ وتخطئ إنَّك لا تتعامَل مع مُشَرِّع مِن بني البَشَر يكشِفُ حقيقةً، وتغيبُ عنه حقيقة ولا مع إنسان يُحابي نفسَه، إنَّكَ أمام تشْريعٍ إلهي خالق الكون.

فهذه الآية على مدار الأيام، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1)﴾

[سورة الحجرات]

إنَّك إن قلتَ: هذه فيها نقْص، وأنا أضيف كذا، وهذه لا أُطيقها ! فأنت تتَّهِمُ الله تعالى، قال تعالى

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة]

فإذا قلتَ هذا لا نسْتطيعُهُ ! فمعنى ذلك أنَّ الله تعالى كلَّفَنا ما لا نُطيق.

أيها الإخوة، القِصَّة أنَّ الإنسان إذا عرفَ الله انْصاع إلى أمْرِهِ، وكنتُ أقول دائِمًا: إن عرفْتَ الآمِر، ثمَّ عرفْتَ الأمْر، تفانَيْتَ في تطبيق الأمر أما إن لم تعرف الآمر، وعرفْت الأمْر تفنَّنْت في التَّفلُّت منه، فبين أن تتفانى في تَطبيقه، وبين أن تتفنَّنَ في التَّفلُّت منه ؛ مسافة كبيرة، لذا اِعْرِفِ الآمِر قبل الأمْر، وأنَّ هذا الذي شرَّعَ هذا الدِّين هو خالق الأرض والسماوات، فهذه مجرَّة تبْعُدُ عنَّا ثلاثمائة ألف بليون سنة ضَوْئِيَّة مع أنَّ الضوء يقْطع في الثانيَة الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر، فالذي صَنَعَ هذه المجرَّة وخلقها هو الذي أنزَلَ الكاتب، وشرف الكتاب من شرف المرْسِل فالله هو الذي شرَّعَ، ومن هنا قال سيّدنا سَعد بن أبي وقاص: ثلاثة أنا فيهنّ رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحِد من الناس، من هذه الثلاثة قال: ما سَمِعْتُ حديثًا من رسول الله صلى الله عليه وسلَّم إلا علِمْتُ أنَّه حقٌّ نم الله تعالى، فالعِلْم كلَّما تقدَّم الْتقى مع الدِّين، فلا تفْرح بالدِّين إذا وافق العِلْم ولكن اِفْرَح بالعِلم إذا طابق الدِّين، فالأصل هو الدِّين، والأصْل كلام الله فأنت إن فرِحتَ مُطابقة الدِّين للعلم إنَّك بهذا تجْعل العِلم هو الأصْل، والعِلم تَجريبي يخطئ ويُصيب، وكلُّه تَجاريب ونظريَّات، درسناها وثبَتَ خطأها، قلتُ البارحة لإنسان: قال تعالى:

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(8)﴾

[سورة النحل]

في عصْر النبي كان هناك خيل وبِغال وحمير، ويُتباهى بها، فلو أنَّ القرآن من عند النبي لنتعت الآية هنا، يأتي إنسان في هذا العصْر ويركب أفْخر أنواع المركبات من سيارات وطائرات وقطارات، فأين الآية ؟ ولكنَّ الله تعالى قال:

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(8)﴾

[سورة النحل]

كلُّ شيءٍ دخَلَ هنا، لأنَّ الله يعلمُ ما سيصْنع الإنسان.

أيها الإخوة، يجب أن نعلم ونعتَقِد أنَّ هذا القرآن من عند الله الخبير، ومن عند الله الصانِع، ونحن أعْقَدُ آلةٍ في الكون، ونحن علينا أن نُطَبِّق تعليمات الصانِع.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-10) : تفسير الآيتان 2 - 3

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ(32)﴾

[سورة الحج]

سيِّدُنا زَيد الخَيْر حينما أسْلَمَ، أخَذَهُ النبي صلى الله عليه وسلَّم إلى بيتِهِ تَكريمًا له، أعطاهُ وِسادةً لِيَتَّكأ عليها ؛ فقال: والله يا رسول الله لا أتكئ في حَضْرتِكَ ! إذًا هذا الصَّحابي عرف قيمة النبي عليه الصلاة والسلام في حَضْرَتِهِ.

سُهَيْل بن عَمرو حينما وقَّعَ مع النبي عليه الصلاة والسلام صُلْحَ الحُدَيْبِيَّة رفضَ أن يُكْتب فيما تعاهَد عليه محمد بن عبد الله رسول الله ! قال: أمْحوا رسول الله، أما حينما أسْلَمَ كان يتمنَّى ان يُفدي النبي عليه الصلاة والسلام بِرُوحِهِ ! مَوْقِفُه قبل الإسلام غير موقفِهِ بعده.

وهذا سُراقة مِن أجل مائة ناقة أراد أن يقْتُل النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يقتُلَ النبي عليه الصلاة والسلام ! فلمَّا أسْلَمَ أيْقَنَ أنَّ نُوقَ الدنيا كلّها لا تعْدل ظفْر النبي عليه الصلاة والسلام .

فأنتَ يُمْكن أن تقيس إيمانَكَ بقَدْر ما تُعَظِّمُ الله ورسوله صلى الله عليه وسلَّم، فكتاب الله، ورسول الله، وبيتُ الله، ودينُ الله، وشرْعِهِ، ومنْهَجِهِ، وكذا المؤمنين، فقد تَجِدُ من المؤمنين من هم فقراء لا يمْلِكون شيئًا، فأنت تَحْتَرِمُ هذا المؤمن وكأنَّهُ إنسانٌ عظيم، لذا يُمْكنُ أن يكون مِقياس تَعظيم شَعائِرِ الله هو مِقياس لإيمانِك. يقول الله عز وجل

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2)﴾

[سورة الحجرات]

أحَدُ كبار العلماء كان لا يرْفَعُ صوتَهُ أمام درْس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وكان يتوضَّأ ويرْتدي أجْمَلَ ثِيابِهِ، ويُحَدِّث بِحَديث رسول الله، ولا يسْمَحُ لأحدٍ أن يرْفَعَ صَوْتَهُ في مجْلس حديث رسول الله، وأنا أسوق لكم هذه الأمثلة مِن أجل أن نسْتنبط حقيقة واحِدَة، وهي بِقَدْر ما تُعَظِّم الله ورسوله وكاتبَهُ، ودينهُ، والمؤمنين هو قَدْرُ إيمانِكَ بالضَّبط، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2)﴾

[سورة الحجرات]

كان أصْحاب النبي عليه الصلاة والسلام يطْرقون باب النبي عليه الصلاة والسلام بأظافِرِهم، ولم يرْفعوا صَوتهم أمامه صلى الله عليه وسلَّم، وبعد موتِهِ نُعَظِّم سيرتَهُ، وحديثهُ، وتَوْجيهَهُ فلا نستهزئ بِتَوْجيهِ النبي عليه الصَّلاة والسَّلام.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2)﴾

[سورة الحجرات]

لذا قال العلماء هناك كُفْر قَولي، وكُفْر عَمَلي، وكُفْر اعْتِقادي، فإذا أمْسَكَ الإنسان بالمصْحف لِيُهينَهُ فقد كَفَر؛ هذا كُفْر عملي، وهناك كُفْر اعْتِقادي وهو أن تعْتَقِدَ مع الله إلهًا آخر، أو أن ترفضَ آيةً في كتاب الله، أو حديث رسول الله، والقول أن تنْطِق بالكفر، والسُّلوكي أن تفْعَلَ شيئا فيه إهانةٌ لِكِتاب الله، لذا نهى العلماء عن أن تقول لإنسانٍ اسمُهُ يحيى: يا يحيى خُذ الكتاب! لأنَّكَ تستخْدِمُ آيةً قرآنِيَّة لِغَرَضٍ دُنيَوي، ونهَوا على أن تقول لإنسان تريد أن تدْفَع: اِدْفَع بالتي هي أحْسَن ! فأنت تسْتخدم آيات القرآن الكريم لِغَير ما اسْتُخْدِمَت له. أرَدْتُ من هذه الأمثلة أن تقيس إيمانَك بِقَدْر ما تُعَظِّم الله عز وجل ورسوله وكتابه وشعائرهُ، قال تعالى:

((ومن يُعَظِّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب.."))

هناك إنسان يضَعُ القرآن في غرفة نومِهِ بِمَكانٍ غير لائِق والأولى أن لا يكون في غرفة نوْمِهِ مصْحف ! وإن لم يكن لك إلا هذه الغرفة فضَعهُ في مكانٍ عالٍ.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3)﴾

[سرة الحجرات]

هناك مواقف في السيرة مُذْهِلَة، قال له: أيُّهما أكبر ؟ أنت أم رسول الله ؟ سيِّدنا العباس، فقال له: هو أكبر مِنِّي، وأنا وُلِدْتُ قبلَهُ !

تعظيمُ رسول الله وتَعظيمُ سنَّتِهِ من بعده، وتعظيم كتاب الله، وتعظيم الذين ينقلون هذا العِلْم، هذا جزءٌ من دينِك، فلو وقفْتَ بالسيارة لإنسان يرتدي جبَّة في الطريق، فأنت عظَّمتَ هذا الأخ لأنَّه يرتدي لِباس رسول الله، فَكُلّ مَن يُساهِم في تَكريم مَن يرْتدي الزِّي الإسلامي ؛ هذا عمل رفيع يقول عليه الصلاة والسلام: إنَّ من إجلال الله إكرام ذي الشَّيبة المسلم..." فالإنسان يحْرِصُ على الدِّين حينما يُكَرِّم أهل الحق، هذا بعد وفاة رسول الله، فهؤلاء ينيبون عنه في إبلاغ الناس الحق، أما في حياة النَّبي فما استطاع أصحابهُ أن يصفوه، لأنَّهم ما دقَّقُوا في وَجْهه مِن شِدَّة حيائِهم منه وخجَلِهم، ومِن شِدَّة وقاره صلى الله عليه وسلَّم.

فالمرأة مساحة دينها مُتَعَلِّقة بِلِباسها، فكلَّما كانت ثيابها مستورة كلَّما كان دينها أقْوى، فكلَّما كانت ثيابها ساترةً وفضْفاضَةً، ودينُ الرجل يُقاسُ بتَعظيمه لأمر الله عز وجل، فأحيانًا تجِدُ أشخاصًا يرفعون أصْواتهم في المساجِد، هذا بيتُ الله، ويرفع صَوتَهُ، فهذا النبي عليه الصلاة والسلام الذي هو سيِّدُ الخلق وحبيب الحق ما رُئِيَ مادًّا رِجْلَيه أمام الأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وهو سيِّدُهم. فهذه الآيات ذَكَرتها ما أُريدُ منها التَّفاصيل، ولكن أريدُ جَوهرها، والآية واضِحَة، قال تعالى

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ(32)﴾

[سورة الحج]

والله أذْكُر أنَّني كنتُ بِمَكان، فرأيتُ أحدهم يأخذ لُبَّ الخُبْز فيمْسَحُ به حِذاءَهُ ! والله تعالى:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(12)﴾

[سورة البروج]

وهذا ورقٌ فيه آيات يرْميهِ بِسَلَّة المُهْملات !!

مُلخَّصُ الدرس، وهو قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2)﴾

[سورة الحجرات]

هناك أشْخاص يُصَلُّون بِقَميص داخلي ! الإنسان يقف بين يدي الله، أنت تستحي أن تقف أمام إنسان بهذا القميص، فكيف بالله عز وجل ؟! ولقد كان الصَّحابة الكرام إذا صلُّوا قيام الليل يلْبِسون أجْمَلَ ثِيابِهم ويتعطَّرون ويغْتسلون، ويُصَلُّون، فَكُلَّما عظّمْتَ شعائِرَ الله كلَّما كان إيمانُك أكْبر، وهذا الذي يرْفَعُ صَوْته فوق صَوت النبي حبِط عملُه، قد يقول أحدهم: لا حياء في الدِّين!! هذه آية أم حديث بل الدِّين كلُّه حياء، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(29)إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(30)فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ(31)﴾

[سورة المعارج]

تعلَّم من كلام الله الأدب، قال تعالى:

﴿وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا(43)﴾

[سورة المائدة]

وقال تعالى:

﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ(189)﴾

[سورة الأعراف]

فهذه الحالات بأسمائِها وتفاصيلها يتنافى مع أصول الدِّين، قال لها عليه الصلاة والسلام: يا بُنَيَّتي إنَّ هذه الثِّياب تصِفُ حجْم عِظامك..." أدَبٌ جمّ، وقال عليه الصلاة والسلام: أدَّبني ربِّي فأحْسن تأديبي..." فَفَرْقٌ كبير بين مؤمن مُنضبِطِ في حركاته وسكناته وبين آخر لا يعرف من الانْضباط إلا اسمه.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ(3)﴾

[سورة الحجرات]

فهذا أبو بكر رضي الله عنه كان يمْشي مرَّة أمام النبي، ومرَّة من خلف ومرَّة من اليمين، وأخرى عن يساره، فيقول له عليه الصلاة والسلام: ما هذا يا أبا بكر ؟ فيقول: والله ما أخاف على نفسي، ولكن أخاف عليك !! وهذا الذي يقول عنه صلى الله عليه وسلَّم: ما ساء ني قطّ !! وهناك أعرابي مسَكَ النبي من ثوبه، وقال له: اعْدل فإنَّ هذا المال ليس مالك ولا مال أبيك ! فالإنسان عليه أن يقيسَ إيمانه بِقَدر تَعظيمه لأمر الله، فأنت إن رأيت الكعبة هناك دُعاء، وإيَّاك ورفْع الصَّوت، فعَدَم رفع الصوت من شعائر الله، وكان النبي يغْضب أشدّ الغضب إذا استُخْدم المسْجد لِغَرض الدنيا.

فنحن علينا أن نتَّبِع النبي عليه الصلاة والسلام وقد توفِّي، ونستنُّ بِسُنَّتِهِ وهذا الذي يُرضيه بعد موته صلى الله عليه وسلَّم، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(33)﴾

[سورة الأنفال]

مادام سنَّته صلى الله عليه وسلَّم فينا فلن يُعذِّبنا الله تعالى إن شاء الله وقد قال عليه الصلاة والسلام: إنَّ من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المؤمن..." وقال عليه الصلاة والسلام: ليس مِنَّا من لم يُوقّر كبيرنا، ويرحم صغيرنا..." والإنسان يرْقى بالأفعال الطَّيّبة.

كان عليه الصلاة والسلام لا يُواجِه أحدًا بما يكْره، فكان يقول: ما بال أقوامٍ ! سمعتُ عن قاضي دخلَتْ عليه امرأة ذاتُ صِحَّة جيِّدة، وهي تصْعد الدَّرج خرج منها صوتٌ فاحْمرَّ وجهها، وقالت لأختها: سَمِعنا القاضي: فوصَلتْ إليه: فقال لها: ما اسْمُكِ يا أختي ؟ فقالت: فلانة، فقال لها: ما سمِعْتُك ! فأعادتْ عليه، وهو يقول: ما سمِعْتُك، فقالت لأختها: أرأيتِ، الحمد لله لم يسْمَعنا! وسيّدنا أنس خدم النبي عليه الصلاة والسلام السِّنين فلم يقل له النبي صلى الله عليه وسلَّم لِمَ فعلْتَ كذا، أو لِمَ لمْ تفْعل كذا ؟ فهناك مواقف على المؤمن أن يُحْسِن الأدب فيها.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-10) : تفسير الآية 6

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السادسة من سورة الحجرات، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ(6)﴾

[سورة الحجرات]

كأنَّ الله سبحانه وتعالى يريدُ أن يتماسَكَ المؤمنون، وأن يُحِبَّ بعضهم بعْضًا، وأن تكون العلاقات فيما بينهم مُحْكمةً متينة، فما الذي يقطع هذه العلاقات ؟ ما الذي يُضْعِفُهم ويُشَتِّتُهم أن يتفرَّقوا، قال تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(46)﴾

[سورة الأنفال]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(159)﴾

(سوة الأنعام)

الذي يُفَرِّق بينهم سوء العلاقة بينهم، وسوء العلاقة سببُهُ الغيبة والنَّميمة.

النَّميمة أن تنْقلَ خبرًا سيّئًا عن إنسان، قد يبْدو للناس أنَّ المجتمع مُتماسِكًا قال تعالى:

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ(14)﴾

[سورة الحشر]

هذه الآية لو طُبِّقَت لَكنَّا في حالٍ غير هذا الحال، فن جاءَكَ خبَر لا بدَّ مِن التَّحَقُّق، ولا بدَّ من التَّثبُّت ولا بدّ من الاسْتِمْهال، فلو بلَّغَكَ أحدٌ عن شَخْصٍ أنَّه قال في حَقِّكَ: كذا وكذا، تريَّث ففي القرآن آية، وهي قوله تعالى:

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْكَاذِبِينَ(27)﴾

[سورة النمل]

نصيحَةٌ لِوَجْه الله، إيَّاك أن تتَّخِذ قرارًا على خبر الآحاد، فلا بدَّ من التَّثبُّت والتَّحقُّق.

حدَّثني صديق له معمل حلويَّات، طلبَ من المعمل مائة علبة زبدة، فأرْسَلَها له، عدَّها صاحب المحلّ، فذَهَب إلى معطف أحد الموظَّفين فرأى في جَيْبِه قِطْعةً منها ! فالدليل قَوِيّ جدًّا ! كاد أن يطْرده، وأن يفْضَحَهُ وأن يسْحَقَهُ، ولكنَّ الله تعالى صبَّرَني، فقلتُ في نفسي: انْتَظِر ! ذَهَب إلى المعمل لِيُحاسِبَهم، فلما ذَهَب قالوا له: بعثْنا لك مائة باكيت، واشْترى أحد من يشْتغل عند باكيت، ونودُّ منك فقط ثمن التِّسعة و التِّسعين ! فالتَّثَبُّت والتَّمَهُّل يريحُ.

سيِّدُنا عمر جاءتهُ رسالة من أحَدِ الوُلاة محتواها: أنَّ أُناسًا قد اغْتصَبوا مالاً ليس لهم، ولسْتُ على اسْتِخراجه منهم إلا أن أمسَّهم بالعذَاب، فإن أذَنْتَ لي فَعَلْتُ، قال: يا سبحان الله ! أتسْتأْذِنُنِي في تَعذيب بشر ؟! وهل أنا لك حِصْنٌ من عذاب الله ؟ وهل رِضائي عنك يُنْجيكَ من سَخَطِ الله ثمَّ قال له: أَقِم عليهم البيّنة، فإن قامَت فَخُذْهم بالبيّنة، وإن لم تقُم فادْعُهُم إلى الإقرار، فإن أقرُّوا فَخُذْهم بإقرارهم، فإن لم يُقِرُّوا فادْعُهُ لِحلف اليمين فإن حلفوا فأطْلِق سراحهم، ويْمُ الله لأَنْ يلْقَوا الله بِخِيانتِهم أهْوَن عليَّ مِن ألقى الله بِدِمائِهم !! فإن جاءَتْك ابنَتُكَ وقالت لك: فَعَل معي زوْجي كذا وكذا فإذا بِكَ تغْضَب، ولكن هل سألْتَ زوْجَكَ ماذا فَعَلت به ؟! أنت لسْتَ قاضي عَدل لأنَّ سَمِعْتَ مِن طرفٍ واحِد، لذا أيُّها الإخوة الكرام، أسأل الله أن لا تسْمعوا من طرَفٍ واحِدٍ بل من الطَّرَفَيْن، وتَحَقَّق، وقد ألْقَيْتُ درسًا في جامِع النابلسي عن القضاء، قال لي أحدهم: وما علاقتنا بِهذا الدَّرْس ؟ قلتُ له: كل إنسان بالحياة هو قاضٍ، فهو قاضٍ بين أولادِهِ، وقاضٍ بين أولادِهِ وزوْجاتهم، وقاضٍ بين إخوته، وشُركائِهِ، وقاضٍ بين جيرانِهِ شئْتَ أم أبيْت، لذا عَدلُ ساعةٍ أفْضَلُ مِن أن تعْبُدَ الله ثمانين عامًا!! إيَّاك أن تتسرَّع، فَكَم مِن جريمة قَتْل كانت المرأة ضَحِيَّة بريئة، وهناك مسْرَحِيَّة لِشِكْسبير مُلَخَّصُها: أنَّ أحدهم شكَّ بِزوجتِهِ بِوشاية، فقَتَلها، وبعد أن قتلها وهي بريئة ثبتَ له أنَّه بريئة فانْتَحَر !! فشيءٌ كبير أن تتَّهِمَ إنسانًا وهو بريء، قال تعالى:

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6)﴾

[سورة الحجرات]

وفي قراءة فتثبَّتوا، وقذْف مُحصنةٍ يهْدِمُ عملَ مائة سنة، إنسانة بريئة وشريفة تتَّهِمُها في شرفها بِبَساطة، ومن دون تَحَقُّق، بِمُجرَد أن تُقال فيها كلمة بِقيل تُرَوِّجُها، لذا قال عليه الصلاة والسلام: كفى بالمرء إثمًا أن يُحدِّث بكل ما سمِع..." ألا يوجد عندك رقابة، ومُصَفِّي للكلام، ولا سيما إن كان هذا المُخْبِرُ فاسِقًا، لأنَّ الفاسق عادةً يكْذب، والشرع وحدة مُتكاملة لا تجزأ فالفضيلة لا تجزأ، فالذي يشْربُ الخمْر يكْذب، والذي يزْني يكْذب، والذي يُطْلقُ بصرَهُ في الحرام يكْذب، فالفِسق علامة الكذب، قال تعالى:

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6)﴾

[سوة الحجرات]

والله أيها الإخوة مئات القضايا لمَّا سَمِعْتها مِن طرفٍ واحِدٍ وجَدْتُ أنَّ الطرَف الآخر مُجْرِم، ولكن لمَّا اسْتَمَعْتُ من الطَّرف الثاني اسْتَحْيَيْتُ ! فالإنسان بِحُكم عمله بالمسْجد تُرْفَع على قضايا كثيرة فهذه خِبرة لمَّا سْمع من طرف واحِد أشعر بأنَّ الطرف الثاني مُجرم، ولكن عند استِماع الطرف الثاني أسْتَحي من الله على سوء ظَنِّي به.

قُبَيْل معركة بدْر قال لأصحابِهِ: لا تقْتُلوا عَمِّيَ العباس ! قال أحدهم: أحدنا يقْتُل أباهُ وأخاه وينهانا عن قَتل عمِّه !! فهذا الذي قال هذه الكلمة لمَّا كُشِفَت له الحقيقة يقول: تصدَّقْتُ عشْر سنين وأنا أرْجو اله أن يغْفِرَ سوء ظَنِّي بِرَسول الله !! عَمُّهُ العباس كان مُسلِمًا، ولكن كان عَيْنًا في مكَّة فهو إن لم يُشارِك قومه في مُحاربة رسول الله كشَف أمْره، وإن ذَكَر النبي لأصحابِهِ أنَّهُ مسلِم كشَفَهُ وانتهى دَوْرُهُ، وإن سَكَتَ النبي عليه الصلاة والسلام قَتَلوهُ ! وأنا أقول لكم: آلاف البيوت هُدِمَت بِخَبرٍ غير صحيح وآلاف الشركات وُقِّفَت بِخَبر سيئ غير صحيح، وآلاف الأُسَر شُرِّدَت بِخَبر غير صحيح فما دام عندنا حُكم شَرعي اخْتلَّ سَطْرين مِن كلام الله، فهذا شيءٌ خطير، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ(6)﴾

[سورة الحجرات]

الشيء الدقيق أنَّ المُتَكَلِّم فاسِق، وما دام فاسِقًا فاحْتِمال أن يكون كلامُهُ كذِبًا قائِم، إذًا لا بدَّ من التَّحقُّق والدليل والتَّثبُّت، ونحن إذا بنَيْنا علاقاتنا على سوء الظَّن انتَهَيْنا وخُرِبَت البيوت، وانتهى كلّ شيء، ولكنَّ الحياة لا تُبْنى إلا على وقائِع وعلى حقائق ويقينيَّات.

التاريخ الإسلامي يُؤَكِّد لنا كثيرًا أنَّهُ لا بدّ مِن التَّحَقُّق، ولا بدّ من التَّثبُّت وعلامة نُضْج الإنسان، وعلامة رُقِيِّه النَّفسي، والاجْتِماعي، وذكائِهِ في علاقاته أنَّه لا يبْني حُكْمًا إلا بعد تحقيق وبَحث ودِراسة، فهو حينما يقول: هذا الشيء حُكمُهُ كذا ومع الأدلَّة، ولولا الدَّليل لقال مَنْ شاء ما شاء، فلا بدَّ من الدليل، وأنت عوِّدْ نفْسَكَ عدم قَبول اتِّهام من دون دليل، ولا تكن إمَّعة كما قال عليه الصلاة والسلام: إن أحسن الناس...."

ما أنا إلا مِن غَزِيَّة إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإن ترْشُد غَزِيَّة أرْشُدِ

فهذه الآية تَكفينا، ونريد نحن التَّطبيق، فإن حدَّثَك شَخص عن أخيك انَّه قال فيك كذا وكذا، لا بدّ نم أن تطْلبَ الدليل، ومتى قال هذا الكلام ؟ وفي أيِّ مناسبة، وصدِّقوني آلاف القِصص لو عرفْتَ ملابساتها، وما رافقها، والسَّبب الذي قيلَتْ من أجلِهِ.

أذكر أنَّني قلتُ مرَّة: من قبَّل القرآن من وُجوهِهِ السِّتة، ثمّ لم يُطَبِّق أحكامه ما فعَلَ شيئًا لِقَول النبي الكريم: ما آمن بالقرآن من اسْتحلَّ محارِمَه...." أخٌ مِن إخواننا يحْمل شهادة هنْدسة قال لبعْض العلماء: الأستاذ ينهى عن تَقبيل المُصْحف !! وهذا العالم غضِب، وقال في درْسٍ عام: هذا لا يجوز، أن ينْهى إنسانًا عن تقبيل المصحف، ومن يُعظِّم شعائر الله فإنَّها نم تقوى القلوب، وسبحان الله كان أحدُ الحُضور جالسًا في المجلس وقد سَمِع درسي، فقال له: ما هكذا قال !! الْتقى بي بعد حين وطلب منِّي العفْو، وقال لي: تسرَّعْتُ ! فَكَم مِن قصَّة نُقِلَت على غير ما قيلَتْ، والأمْر الثاني أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام علَّمنا أنْ لا نضَع أنفسنا مَوْضِعَ التُّهمة ثمَّ تلوم الناس إذا اتَّهَموك، ونبيُّنا أعظم من أن يُشْتبَه، ولكن لمَّا كان يمشي مع صفيَّة رآه صحابيَّان فقال لهما: على رِسلكما، هذه زوْجتي صفيَّة ! فقالا: أفيك شُكَ ؟! فقال: لا، ولكن الشيطان يجري مجْرى الدَّم.

ذكر لي أحدُ إخواننا التُّجار أن يضْطرّ لِجَلبِ مسْتنَدِهِ الساعة الواحدة بالليل فهذا الأخ بلَّغ الحاجب، وأفْهمَهُ سبب أخْذِهِ لهذا المستند حتَّى لا يُقال عنه: أخذ نقود شريكِهِ بالليل !!

فأنت إن سافرْت ووصَّيْت أخاك أن يعتني ببَيتِك في غِيابِك، عليك أن تُبَلِّغ وقلْ: أنا مسافر، وقد أوْصَيت أخو زوْجتي أن يتفقَّدها، أما أن يَرَوا أنّ رجلاً دَخَل، وآخر خرَج، فها يعني أنَّ مشكلةً بالبيت، والبيان يطْرُد الشَّيْطان، فأنت بيّن، وإن جاءَكَ فاسِق فتثبَّت، وكقاعدة: أنت مُتَّهَم حتَّى تثْبُتَ براءَتُك، فكلّ شيءٍ بيِّنْهُ، عندها نتماسَك ونتحابَبْ، ويثِقُ بعضُنا بِبَعض، فأحدُ الإخوة كان عملهُ إداري، فكان يجْلب له أحدهم بيضًا، ظنَّ بعضهم أنَّ هذه رشْوَة، والأخ كان يُعطيه ثمنَهُ في الخارج، حتَّى نُصِح ذاك الأخ، فأصْبَحَ حينما يأتيه ذلك الشَّخص يُعطيه النقود أمامهم ! فالبيان يطْرد الشيطان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-10) : تفسير الآية 7

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة من سورة الحجرات، وهي قوله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)﴾

[سورة الحجرات]

النبي عليه الصلاة والسلام نبيُّ الله، ورسول الله، وهناك مَن يخلو لهُ أن يقول: هو عَبْقَرِيّ، وفَطِن، ولكنَّهُ يتلقَّى مِن ربِّهِ وَحْيًا، فالذي يأتينا به ليس من عنده، ولا مِن عبقَرِيَّتِهِ، ولا مِن خِبْرَتِهِ، ولا مِن ثقافَتِهِ، ولكن مِن وحَي السَّماء، فالله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)﴾

[سورة الحجرات]

كما قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(1)﴾

[سورة الحجرات]

لا تُقدِّم اقْتِراحات، ولا بديلاً لسُنَّتِهِ فإنَّ الذي بينكم هو رسول الله، وأُوحِيَ إليه، والوَحيُ كمالٌ مُطلق، وحِكمةٌ مُطلقة، وصوابٌ مطلق، قال تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾

[سورة الحجرات]

معنى عنِتُّم أي هَلَكْتُم وأثمْتم، لأنَّ الله هو الخبير، وقد قال الله عز وجل:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ(14)﴾

[سورة فاطر]

هو الخالق والبارئ والمُصَوِّر، وهو الذي خلق الإنسان، وجبلَهُ جِبِلَّةً خاصَّة ويعرف خصائص النَّفس البشَرِيَّة فَتَشْريعُ الله عز وجل هو الصَّواب المطلق، فأيُّ إنسانٍ يُقَدِّم بين يدي رسول الله بديلاً لأمْر من الله عز وجل هو لا يعْلمُ حقيقة التَّشريع، قال تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾

[سورة الحجرات]

هو يوحَى إليه، والوَحيُ هو تَوجيهُ الخالق، فأيُّ تَوجيهٍ أرضي، بين توجيه أهل الأرض، وتوجيهِ أهل الدنيا ما بين الخالق والمخلوق، وفضل كلام الله على كلام خلقهِ كَفَضل الله على خلْقِهِ، فلا يُمْكن أن تضعَ التَّشريع الإلهي جَنبًا إلى جنب مع التَّشريع الوضعي، ولا يُمكن أن تضَعَ التَّشريع الإلهي في دائرة المناقشة، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا(36)﴾

[سورة الأحزاب]

لا يُمكن أن يوضَعَ تشريع الله مَوْضِعَ الفحْص والدَّرس والمناقشة، فالحدّ الأدنى من الإيمان أنَّه إذا ثبت لك أنَّ هذا حُكمٌ شرعي مُستقى من كتاب الله تعالى، أو مِن سنَّة رسوله أن تُفَكِّر كيف تُطَبِّقُهُ فقط أما أن تفْحصَهُ وتضَعَهُ على بِساط البحث، وأن تُحَكِّمَ عقْلَكَ فيه، هذا كُلُّه لا يجوز فالعقْل وظيفته قبل النَّقْل التَّأكُّد مِن صِحَّة النَّقل، وبعد النَّقل فَهمُ النَّقْل، فالعقل له دوران مع العَقل دَورٌ تثبُّتي، ودوْر في فهْم النَّقْل أما أن يكون العقل حكَمًا على النَّقل، وأن أُفكِّر وأقول: هذه الآية لا تصلُحُ لهذا الزَّمان، مثل هذا الإنسان ينْطلق مِن جهْل كبير، قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا(59)﴾

[سورة النساء]

قال الإمام الشافعي: أولوا الأمْر هم الأمراء والعلماء، فالعلماء يعرفون الأمْر، والأمراء يُطَبِّقون الأمر، قال تعالى:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا(59)﴾

[سورة النساء]

فالحَكَم هو الله في كتابه، والنبي صلى الله عليه وسلَّم في سنَّتِهِ، إذًا كما قال تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾

[سورة الحجرات]

آلاف العباقرة، فهناك شَخصيَّات لامعة، وشَخْصِيَّات قيادِيَّة، وعباقرة في شَتَّى العلوم، وكلُّهم في كفَّة، ورسول الله صلى الله عليه وسلَّم في كفَّة لأنَّه يتلقَّى عِلْمهُ من الله تعالى، قال تعالى:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(5)﴾

(سورة النجم)

قد يقول أحدكم: إنَّهُ أُمِّيٌّ !! ولكنَّ أُمِّيَّتَهُ في الحقيقة كمالٌ فيه، ضربْتُ مثلاً مرَّةً لإخواننا الكرام فقلتُ لهم: لو جِئنَا بِعالِمٍ كبير كبير من أوروبا في الفيزياء ولْيَكُن آنْشتايْن الذي اكْتَشَفَ النَّظَرِيَّة النِّسْبيَّة وأمْسَكَ كتابًا باللُّغة العربيَّة فلم يسْتَطِع أن يقْرأهُ !! وحدَّثناهُ باللُّغة العربيَّة فلم يفْهم شيئًا، هذا إذًا أُمِّيٌّ في هذه اللُّغة، لذا هل تعني كلمة أُمِّيّ أنّهُ جاهِل، وهو أعلمُ علماء الأرض بالفيزياء !! فالله سبحانه وتعالى تولَّى تعليم النبي صلى الله عليه وسلَّم، ولكن لماذا منَعَهُ من ثقافة عصْرِهِ ؟ لأنَّه لو حصَّل ثقافة عصْرِهِ ثمَّ جاءَهُ وَحْيُ السَّماء وتكلَّم الْتبسَ على الناس أَوَحْيٌ أم ثقافة ؟ ولو كان الأمر كذلك لسُئِلَ كلّ مرة: أهذا مِن ثقافَتِك أم من وحيٍ من السماء ؟! فالله جعلَهُ أُمِّيًا لكي لا يأتي إلى إنائِهِ شيء من ثقافات الأرض، ولِيَكون كلامه كلُّه مِن وَحيٍ الله، قال تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3)﴾

[سورة النجم]

فإذا قال النبي شيئًا فهذا ليس مِن ثقافته، ولا مِن ذكائِهِ، ولا مِن مُحاكمتِهِ بل هو من الله عز وجل، بل إنَّ علماء الأُصول يؤكِّدون أنَّ سنَّة النبي عليه الصلاة والسلام وَحْيٌ غير مَتْلُوّ، خِلاف القرآن الذي هو وَحيٌ مَتْلُوّ، فأنت حينما تُلقي النَّظَرَ إلى حديث رسول الله فهذا ليس كلام بشَر، هذا وَحيٌ غير مَتْلو، ومن هنا قال سيِّدنا سعْد بن أبي وقَّاص: ثلاثة أنا فيهنّ رجل، وفيما سِوى ذلك فأنا واحد من الناس، من هذه الثلاثة: ما سَمِعْتُ حديثًا من رسول الله صلى الله عليه وسلَّم إلا علِمْتُ أنَّهُ حقٌّ من الله تعالى، فلا مِن ذكائِهِ، ولا مِن تَجْرِبتِهِ، ولا مِن تحْصيلِهِ بل كلامهُ كلّه من السماء، وأُمِّيَّتُهُ كمال فيه، أما أُمِّيَّتُنا نحن فَنَقْصٌ فينا، فإن لم نتعلَّم مِن بعضِنا بعْضًا بقينا جُهَلاء، فإذا وصَفنا إنسانًا غير الرسول أنَّه أُمِيّ فهذا يعني أنَّ فيه نقْص، أما إن وصَفنا النبي الكريم أنَّ أُمِيّ فهذا كمال فيه لأنّ كلامه من عند الله وليس من عنده.

إذًا معنى قول الله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)﴾

[سورة الحجرات]

أيْ فيكم إنسان يتلقَّى مِن وَحي السَّماء، فهذا الذي يقولهُ لا يُمكن أن يخْضَعَ لِمُناقشاتكم ولا يخْضَعُ لِتَقييمِكُم، ولا يُمكن أن يكون عقْلكم حكمًا عليه، بل هو حكمٌ على عُقولِكم.

أما لو اسْتجاب لكم وأطاعَكم، واقْترحْتُم عليه اقْتِراحات فاسْتجاب لكم فأنتُم بشَر تُصيبون وتخطئون فإذا شرَّعْتُم فكثيرًا ما تخطئون، لأنَّكم تتملَّقون أنفسكم، وتجرون المصالح إليكم، فالتَّشريع لا يمْكن أن يضَعَهُ بشر لأنَّه إن وضَعَهُ بشر حابى نفْسَه، وحابى طبقَتَه، وجماعته، أما حينما يكون التَّشريع من عند الله يخْضَعُ له الجميع، قال تعالى:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)﴾

[سورة الحجرات]

فالعقل له مدى، فأنت لك مصالح، ولك أهواء وهناك منطقة قد لا تعرفها

قل لِمَن يدَّعي في العِلم فلْسفةً حَفِظْتَ شيئًا وغابَت عنك أشْياءُ

التَّشريعات الأرضيَّة تُعَدَّل، ثمّ تُعَدَّل، إلى أن يُصبح التَّعديل عشرة أمثال الأصل، ثمّ تُلغ وينشأ تشْريع جديد، وهكذا، فهذا مِن شأن البشر، أما شانُ خالق البشر أنَّ الحقيقة عندهُ مطلقة، والحكمة مطلقة والصواب مطلق ثمَّ قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)﴾

[سورة الحجرات]

هذه نقطة دقيقة جدًا، فقلبنا بيد الله، وهو لِمَصالحنا، فإذا اتَّخَذ الإنسان قرارًا حكيمًا، وأراد أن يعرف الله تعالى، وأن يسْتقيم على أمْرِهِ تَجِدُهُ يشْعر بِرَاحة وسعادة، وطمأنينة، ويشْعر بِسُرور، فهذا مَبْعَثُهُ أنَّ قلبَ العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)﴾

[سورة الحجرات]

فَمِن معاونة الله لنا أنَّنا إذا أردنا أن نعرف الله شرَحَ لنا صُدورنا،فإذا أردنا أن نعْصِيَهُ ضاقَت أنفسنا، فهذا لِصالحِنا، وكأنَّ الله تعالى يدعمنا دَعْمًا داخِلِيًّا.

الشيء الآخر، أنَّ الإنسان مُخَيَّر، والله هو المُسيِّر، فلو أنَّ الإنسان أطْلقهُ الله عز وجل لفَعَل الإنسان أشياء ما أرادها الله، فما دام قلبُ الإنسان بيَدِ الله فإذا أراد أن يرْحم الله إنسانًا ألْقى حُبَّهُ في قلوب الآخرين ون أراد أن يؤدِّب إنسانًا ألقى بُغْضهُ في قلوب الآخرين، فالآخرون يتحرَّكون وِفْقَ مشاعر تنْبع، هي من تسْيير الله عز وجل، وهذه قاعدة ثابتة، فالقلب الذي أمامك إما أن يلين لك، وإما أن يقْسو عليك لِحِكمة الله ومن هنا يُنسِّق الله بين العباد قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)﴾

[سورة الحجرات]

ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام: قلب ابن آدم بين إصبع من أصابع الرحمن..." أراد الله أن ينقذ سيّدنا موسى وهو طفلٌ صغير في التابوت، قال تعالى:

﴿أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(39)﴾

[سورة طه]

من الذي ألقى الحنان في قلب امرأة فرعون ؟ الله تعالى، قال تعالى

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(21)﴾

[سورة يوسف]

فَفِرْعون رأى في المنام أنَّ طفلاً من بني إسرائيل سيَقضي على مُلْكِهِ، فقَتَل كلّ أبناء بني إسرائيل، أما الذي سيَقضي على مُلْكِهِ ربَّاهُ في قصْرهِ !! قال تعالى:

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ(8)﴾

[سورة القصص]

اللام هنا لام المآل، فالأقوياء قلوبهم بيَدِ الله عز وجل فلا تشغلوا أنفسكم.

يُنادى له في الكون أنَّا نُحِبُّه فَيَسْمَعُ من في الكون أمْر مُحِبّنا

فإذا أراد الله أن يُكَرِّمَكَ ألقى حُبَّك في قلوب الخلائق، وإذا أراد الله أن يؤدِّب إنسانًا ألقى بُغضَهُ في قلوب الخلائق، وهذا لِصالح الإنسان، فالإنسان الواحد يقْسو على زيْد، ويرحم على عُبيْد !! قال تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)﴾

[سورة الحجرات]

هناك بأوروبا مرض نفسي اسمهُ الكآبة، وهذا تأديب من الله، وهو من أكثر الأمراض النَّفسيَّة انتشارًا وهذا من تأنيب الفطرة، وتعذيب النَّفس لِصاحبها، والدليل قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(8)﴾

[سورة الشمس]

أحد الإخوة دهس طفلاً فلم يرهُ أحد فتابَعَ سيْرَهُ، وحينها أُصيب بمرض نفسي، فلا نام الليل ولا أكل، عشرين يومًا، ولمَّا ذهب لِطَبيب نفسي أخبره، فقال الطبيب: معك اكْتِئاب نفسي، ولا بدّ لك مِن أن تُعطي ديَّة هذا الطِّفل لأهله، فبحَث عنه، وأعطى أهلهُ مبلغًا كبيرًا كي يستطيع أن ينام !! فالنَّفس إن انْفجرت تشْعر أنَّها اكتأبَت، وإن اتَّقَتْ تشعر أنَّها اتَّقَت فتسْعَد.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-10) : تفسير الآية 10

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية العاشرة من سورة الحجرات، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)﴾

[سورة الحجرات]

أوَّلاً: إنما تُفيد لا قصْر، والحصْر، والمؤمنون إخوة ؛ هذا تركيب اسمي فكُلُّكم يعلم أنَّ التركيب في اللغة العربيّة فِعْليّ أو اسمي، جملة إسميّة من مبتدأ وخبر، وجملة فعلية من فعل وفاعل، وكلاهما يعني شيئًا واحِدًا وهو الإسناد حضر خالد، أسْنَدنا الحُضور إلى خالد، فأساس اللُّغة إسناد وحُكْم فنحن حَكَمْنا على خالد بالحضور، ولولا الإسناد والحُكم فاللُّغة لا معنى لها لأنّ الدابة إذا رأتْ أنَّ الشمس غابَت تعود إلى اصْطَبْلِها! الحيوانات تعرف الأشياء من دون أسماء، واللغة أساسها لا إسناد والحُكم، وأن تحْكم على شيءٍ بِشَيء، فالحُكم نوعان، والنقطة الدقيقة أنّ التركيب الاسمي أكثر ثباتًا ودَيْمومةً، والتركيب الفعلي طارئ ومُوقَّت، مثلاً خالد كريم ؛ هذا تركيب اسمي، أما دخل خالد فالدُّخول طارئ، فربنا سبحانه وتعالى جعل أُخوَّة المؤمنين أخوَّة ثابتةً ومستمرّة، وقال: إنما المؤمنون إخوة تركيب اسمي يُفيد الثبات والدَّيمومة، والتركيب الفعلي يُفيد الانقطاع والتَّوقيت.

أوَّلاً: إنما المؤمنون إخوة، هناك علاقات كثيرة، وأخوَّة النَّسَب من أرقى العلاقات، فربُّنا سبحانه وتعالى رفَعَ علاقات المؤمنين بعضهم بِبَعض إلى علاقة حميمة جدًّا، وهي علاقة النَّسَب، فلو قال:إنما المؤمنون إخوانٌ فالإخوان هم الأصدقاء، أما الإخوة فهم من أب وأم، والمعنى الجديد أنَّه ما لم تشْعر بانتمائِك لا إلى فئةٍ خاصَّة، ولا إلى مجموعة خاصَّة، ولا إلى جماعة، فما لم تشعر بانتمائِكَ إلى مجموع المؤمنين في شتَّى أقطارهم وأصقاعِهم، فالذي يشْهد لا إله إلا الله هو أخوك في الإسلام، والذي يتوجَّه نحو القبلة ؛ هذا أخوك في الإسلام، والذي يؤمن بما تؤمن، ويعتقد بما تعتقد، ويُصلِّي كما تُصَلِّي، ويصوم كما تصوم ؛ هذا أخوك في الإسلام.

إلا أنّ أمراضًا كثيرة دخَلت على المسلمين، صار الانتماء لا إلى مجموع المؤمنين، بل إلى جماعة خاصَّة، أو إلى فئة خاصَّة، فهذا الانتماء إلى مجموعة صغيرة يُفَتِّت مجموع المسلمين، ويُفتِّتهم، ويجعلهم يفْشَلون، قال تعالى:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(46)﴾

(سورة الأنفال)

فإنَّما تفيد القصر، والإخوة هي أُخوَّة النسب، وهي أرقى علاقة بين اثنين من أب وأم، والشيء الثالث أنَّه ينبغي أن يكون الانتماء لا إلى حلقة أو طائفة أو جماعة أو فئة أو طريقة بل إلى مجموع المؤمنين، فالأصل أنَّهم إخوة، فإن ظَهَر بينهم نِزاعٌ أو شِقاق أو خصومة، أو حسَد، أو تجاوُز فَمُهِمَّة كلّ مؤمن الأولى أن يُصْلِحَ بين أخوته المؤمنين، لذا قال عليه الصلاة والسلام: ليس مِنَّا من فرَّق، ويقول عليه الصلاة والسلام:

((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ *))

[رواه أحمد]

فالخصومة بين مؤمنين قد تودي بهما، وأن يُطْرِدا من حيِّز الإيمان وهناك حوادث كثيرة جدًّا، فَخُصومة أخ مع أخٍ في المسْجد فأحداهما يدع المسجد لذا المؤمن الصادق يحْرص على حُسن العلاقة بين المؤمنين حرْصًا لا حدود له، لذا كلّ شيءٍ يُقوِّي العلاقة أمر به النبي عليه الصلاة والسلام فهو أمرك أن تعود المريض وتهنئ أخاك وأمرَكَ أن تُعينه، وتنادِيَهُ بأحبِّ الأسماء إليه، وأمرك أن تعوده إذا مرض وأن تُهنِّئَهُ إذا أصابتْه حسنة وأن تُعزِّيَه إذا أصابتْه مصيبة، أو تُقْرِضَهُ وإذا دعاك أن تُلَبِّيَهُ، وإذا اسْتقرضَكَ أن تقرضَهُ، وأمركَ أن لا تسْخر منه وأن لا تغتابَهُ، وأن لا توقِعَ بينه وبين إخوانه، فكلّ شيءٍ يُمَتِّن العلاقة بين المؤمنين أمرَ به النبي كأن تلقاهُ بِوَجه باشّ، وأن تُسَلِّم عليه، وقد كان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يسيرون في طريق فإذا فرَّقَت بينهم شَجرة، بعد الشَّجرة يقول لأخيه: السلام عليكم ! فالسلام فيه مودَّة، أُريد أن أقول لكم: أيّ شيءٍ يُمَتِّن العلاقة بينك وبين أخيك أمرَكَ الله به، كأن تعوده إذا مرض، وأن تُعينَهُ إذا استعان بك، وأن تقرضَهُ إذا اسْتقرضَك، وأن تُحْسِن إليه وأن لا تغتابه.

أضرب لك بعض الأمثلة، صحابيّ تخلَّف عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أحدهم: والله يا رسول الله لقد شَغلهُ بستانه عن الجهاد معك !! فقام صحابيّ آخر وقال: لا، والله يا رسول الله ما نعلم عليه إلا خيرًا، وقد تخلَّف عنك أُناسٌ ما نحن بِأشدَّ حُبًّا لك منهم ولو علموا أنَّك تلقى عَدُوًّا ما تخلَّفوا عنك ! المؤمن يُدافع عن إخوته، وهذا رجل أراد أن يوقِعَ بين سيّدنا الصِّديق وسيّدنا عمر، فالفاروق رضي الله عنه أراد أن يأخذ رأي عمر في قضِيَّة: فرفضَ عمر هذه القضِيَّة، فقال هذا الرجل صاحب القضِيَّة: الخليفة أنت أم هو ؟! فقال: هو إذا شاء !! وسيّدنا الصِّديق يوم السقيفة قال لسيّدنا عمر: مُدَّ يدَك لأُبايعَك ! فقال: أنا أيُّ أرْضٍ تُقِلُّني، وأيُّ سماء تُظِلُّني، إن كنتُ أميرًا على قومٍ أنت فيهم فقال أبو بكر: أنت أقْوى مِنِّي يا عمر !

فقال عمر: وأنت أفضل مِنّي فقال له عمر: قوّتي إلى فضْلك، ويقول سيّدنا عمر: كنتَ سيْف رسول الله المسلول، وجِلْواذه، وخادمه، وتُوُفّيَ وهو عنّي راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيرًا، ثمّ كنتُ سيْف أبي بكر المسلول، وجِلواذهُ وخادِمَه، وتُوفّي عنّي وهو راضٍ، وأنا بذلك أسْعَد !! لذا إذا عزَّ أخوك فَهُنْ أنت ! فإذا تكلَّم أخوكَ مثلا فاسْمع وأنصِت، ولا تقل: أيتكلَّم وحده ؟!! إذا عزَّ أخوك فَهُنْ أنت ! لذا نحن تنقصنا روح التعاون، وإنقاص الذات، وينقصنا أن نُغلّب مصلحة المسلمين على مصلحتنا الفرديَّة، وينقصنا أن نحمِل هموم المسلمين، وينقصنا أن نكون في خدمة بعضنا بعضًا، وينقصنا أن لا نفرّق بين اثنين، قال تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْأَنْفَالِ قُلْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(1)﴾

[سورة الأنفال]

أيها الإخوة، بالسَّلام، وبالاعتِذار، وبالابتسامة تُحلّ كلّ المشكلات فإن أخْطأتَ فكُن جريئًا، وكُن بطلاً، وقل: أنا أخطأت ! فهذه كلمة تُذيبُ الصَّخر ! إذ هناك مَن لا يعترف بِخَطِئِهِ أبدًا ويركبُ رأسَهُ.

أيها الإخوة، خُصومة طويلة وعريضة قد تنتهي بِتَفجير مواقف، وتذوب هذه الخصومة بِكَلمة اعتِذار، وطِّن نفْسك أن تعتذِر، ولو كان طفلاً صغيرًا، وَطِّن نفْسَكَ أن تعتذِر لِزَوجتك، فأنت قد تخطئ، ما عليك إلا أن تطلب منها الاعتذار، مرَّة أخطأ معي شَخص، فجاء وطلب منّي الاعتذار، والله لم أستطِع أن أتكلَّك ولا كلمة! فالاعتذار والابتسامة والعيادة والهديَّة، وأن تُلبّي دَعوتهُ، يقول عليه الصلاة والسلام

((لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ *))

[رواه البخاري]

مكان بعيد لأجاب، إذًا الله تعالى يقول:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)﴾

[سورة الحجرات]

مهمَّتنا جميعًا أن نُقرّب وِجهات النَّظر ولك أن تكذب في هذه المهمّة، فالنمام لا يدخل الجنَّة، ولو نقل كلامًا صحيحًا.

الملخَّص أمْتنُ علاقة بين اثنين على الإطلاق علاقة المؤمنين بعضهم بِبَعض والشيء الثاني، يجب أن تنتمي إلى مجموع المؤمنين، يؤيِّد ذلك قوله تعالى:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ(215)﴾

[سورة الشعراء]

وفي آية أخرى :

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ(88)﴾

[سورة الحجر]

هذه عامَّة، ولو لم يتَّبِعك والشيء الثالث أنّ مهمَّتنا الأولى الإصلاح بين المؤمنين، وقدِّم وسائل يلتقي بها الناس هذا إذا أردت أن تؤثر مصالح المؤمنين على مصالحك الشَّخصيَّة وحملْت هموم المؤمنين، حينها نكون إخوة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-10) : تفسير الآية 11

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الحادية عشرة من سورة الحجرات، وهي قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ﴾

[سورة الحجرات]

يا من آمنتُم أنّه خلقك، ويُربّيكم ويُسيّرُكم ويا من آمنتُم بأنَّ المصير إلي وأنّ المآل إليه، ويا من آمنتم بأنّ منهجه هو القويم، الله عز وجل لِحكمة بالغة بالغة وزَّع الحظوظ في الدنيا، فالناس مُتفاوِتون في أشكالهم، فهناك الجميل جدًّا والأقلّ جمالاً، والوسيم، والأقلّ وسامةً، والوسَط، والذميم وهناك الصحيح، وهناك المريض، والقويّ والضّعيف، وهناك من يتْقدِحُ ذِهنُهُ ذكاءً، وهناك الأقلّ ذكاءً، فهذه الحُظوظ متفاوتة في الدنيا، وتفاوُتها لِحِكمةٍ بالغة، لو كُشِف الغطاء لاخترتم الواقِع ! الناس يُقيِّمون بعضهم بعضًا من خِلال هذه الحظوظ، ولكن الله تعالى له موازين أخرى فالمؤمن الصادق يُحكِّم موازين الله تعالى، وموازين الله عز وجل لا عِلم والخلق والعلم والعمل، قال تعالى:

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ(9)﴾

[سورة الزمر]

قال تعالى:

﴿ يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(11)﴾

[سورة المجادلة]

مقياس الله تعالى العلم والعمل وأنت حينما تُحكِّم وازين أهل الدنيا تكون قد خالفْتَ نص هذه الآية، فلعلَّ المرأة الجميلة تزْدري المرأة الذميمة، ولعلّ هذه الذميمة هي عند الله تعالى في أعلى علِيّين، ولعلّ الغنيّ القوي يزْدري حاجبه، وقد يكون هذا الحاجب عند الله تعالى أعلى من سيّده، فلا تعجل الله تعالى يقول:

﴿لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ﴾

[سورة الحجرات]

طبعًا الذي يسْخر القوي من الضعيف، والغني من الفقير، والوسيم من الذميم، والصحيح من المريض، فلعلّ هذا الذي تسْخر منه هو أعلى منك بدرجات كبيرة عند الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ(55)﴾

[سورة التوبة]

من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط، طبعًا الأغنياء غير المؤمنين، لذا هناك ثلاثة نعم متدرّجة ؛ نعمة الهدى، ونعمة الصّحة، ونعمة الكفايَة، ولا معنى لِنِعمة الصِّحة من دون هُدى، كما أنَّه لا معنى لِنِعمة الكفاية من دون صِحَّة، فالذي عرف الله، وأكرمه الله تعالى بِصِحَّة، وهيَّأ له رزْقًا يكفيه حاز الدنيا بِحذافيرها، ملكٌ جبّار سأل وزيره: من الملِك ؟ قال: أنت، فقال: لا، الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا، له بيتٌ يأويه وزوجة ترضيه، ورزق يكفيه، إنّه إن عرفنا جَهِد في اسْتِرضائنا، وإنَّنا إن عرفناه جهدنا في إذْلالِهِ، فلا يعرفنا، ولا نعرفه ! فإذا أكرمك الله بالهدى، تعرف الله فأنت لا تعرفه المعرفة المطلقة، فلا يعرف الله إلا الله، فهذا سيّد الأنبياء وما عرف الله المعرفة المطلقة، فأنت تعرفهُ المعرفة التي تكفي أن تُطيعهُ فالحدّ الأدنى من معرفة الله تلك التي تمن لطاعته تعالى، فما دام هناك معْصيَة فأنت لا تعرفه، واجْتهِد كي تعرفه، لأنّك لو عرفْتهُ لاسْتقمتَ على أمره، ثمّ الله تعالى أمدَّك بِصِحَّة طيّبة، وكان عليه الصلاة والسلام يستيقظ فيَدعو ويقول:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ *))

[رواه البخاري]

أحد إخواننا نام، العادة يُصلّي الفجر في المسجد، فالأهل ما انتبهوا له، وبقيَ نائمًا، وفي الساعة الثامنة هيئوا الأكل، وقالت لابنها أيقِظ أباك فذهب ورجع وقال لها: أبي ميّت ! فالنبي علَّمنا هذا الدعاء عند الاستيقاظ من النوم، أنت اعْتَمِد مقاييس القرآن المعرفة والعمل، واعتَمِد مقاييس النبي عليه الصلاة والسلام، كما قال: من أصبح معافى في جسده له قوت يومه..." فلماذا السُّخرية، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)﴾

[سورة الحجرات]

تسْخر امرأة زوْجها غنيّ من امرأة زوْجها فقير ! وقد تسخر امرأة عندها أولاد من التي ليس عندها أولاد، فلعلّ التي صَبرَت واحْتسبَت هي أرقى عند الله من الأولى، والآية هذه مُوَجَّهة للمؤمنين نساءً ورِجالاً، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)﴾

[سورة الحجرات]

قد يقول إنسان: أنا لا أسخر من أحد ! فنقول له: أنت لا تسخر بلِسَانِك ولكن الأكمل أن لا تزدريه في نفسِك وتقول: مسكين ليس عنده شيء ! يا ربي ماذا وجَدَ من فقَدَكَ، وماذا فقَدَ من وجَدَك ؟! وإذا كان الله معك فَمن عليك، وإذا كان عليك فمن معك ؟!

كلمة عسى تُفيد الاحتمال الأكبر، قال تعالى:

﴿لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ﴾

[سورة الحجرات]

دخل على النبي رجل يبدو وأنه فقير، فبشَّ له وهشّ وقال: أهلا بِمن خبَّرني جبريل بِقدومه قال: أوَمِثلي ؟! فقال: نعم يا أخي، خاملٌ في الأرض علمٌ في السماء ! والله أيها الإخوة، قد تجد دابَّة خيرًا من الذي يركبها!! فقد تجد من يفْتِكُ بالآخرين حبًا في الفتك فقط ! ويروى أنّ رجلاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلّم سافر، ووكَّل جاره أن يتفقَّد شأن أهله فخانَهُ في أهله، فقتلهُ الكلب، فقال عليه الصلاة والسلام: خان صاحبه والكلب قتله، والكلب خير منه ! قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ(6)﴾

[سورة البينة]

فأيّ مخلوق تحتقرهُ تحتقره هو أفضل من الكافر، وهو أفضل ممَّن سخَّر الله له السماوات والأرض وعتى ونسيَ المبتدى والمنتهى، وكان سببًا في إيقاع الألم بين الناس، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)﴾

[سورة الحجرات]

كلَّما ارتقى إيمانك تتأدَّب مع ربِّك سبحانه ومع خلقه، وتحترم الناس جميعًا، فلعلّ هذا الذي تزْدريه هو عند الله تعالى في مكان عليّ، ولعلّ هذا الفقير هو من أغنى الأغنياء عند الله تعالى، وسيّدنا عليّ يقول: الغِنى والفقْر بعد العرض على الله تعالى، ولعلّ هذا الذميم خير من هذا الوسيم.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

[سورة الحجرات]

لا تضع نفسَك موضع التُّهمة، ولا تضع نفسك في مكان لا يليق بك، ومن جلسَ إلى غنيّ فتَضَعْضَعَ له ذهَب ثلثا دينه، وقد سئل سيّدنا عليّ رضي الله عنه: ما الذلّ ؟ فقال: أن يقف الكريم بِبَاب اللَّئيم، ثمّ يردّه، ووالله مرَّتين لحفر بئرين بإبرتين، وكنس أرض الحجاز في يوم عاصف بريشَتين، ونقل بحرين ذاخرين إلى أرض الصعيد بمِنخلين، وغسل عبدين أسْوَدين حتَّى يصيرَا أبيَضين أهون عليَّ مِن طلب حاجةٍ من لئيم لِوَفاءِ دَين ! فلا تبذل ماء وجهك لإنسان لئيم، ويُعابُ من يشْكو الرحيم إلى الذي لا يرحم، قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(86)﴾

[سورة يوسف]

الله عز وجل يحبّ العبد الذي لا يشكوه لأحد، إلا أنَّه من اشتكى إلى مؤمن فكأنَّما اشتكى إلى الله، ومن اشتكى إلى كافر فكأنّما اشتكى على الله قال تعالى:

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

[سورة الحجرات]

باتوا الحوائج بِعِزَّة الأنفس، وشرف المؤمن قيامه بالليل، وعِزُّه استغناؤُه عن الناس، اسْتغْن عن الرجل تكن نظيره، وأحْسن إليه تكن أميره.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾

[سورة الحجرات]

لا تقل: أنا أمزح ! لا هذا يجرح المشاعر، فالألقاب التي لا تليق ابتعِد عنها، فالفاروق والصِّديق هذه ألقاب حسنة، أما هناك ألقاب أخرى لا تليق بالإنسان، فهذه عائشة:

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ *))

[رواه الترمذي]

قال تعالى:

﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)﴾

[سورة الحجرات]

إذا قلت: فلان مؤمن، لا يُمكن أن تُضيف على هذه الكلمة كلمة ! الإسلام هذَّبه، حليم رقيق، ومتواضِع وجواد وكريم، هذا هو المؤمن، فالمؤمن الغني على العَين والرَّأس وتشتهي الغنى منه، من تواضعه وسخائِه ومؤمن فقير تشتهي الفقر منه عفيف، ومتجمِّل، وصابر، ومؤمن ذو دَخْل محدود تشتهي منه الدَّخْل المحدود، فالمؤمن مهما كان تشتهيه، فالإسلام يضبط والإيمان يسْمو وربنا عز وجل يصْبغ، قال تعالى:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ(138)﴾

[سورة البقرة]

قال تعالى:

﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)﴾

[سورة الحجرات]

نسأل الله أن يُلْهِمَنا الصّواب، قد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله أفات اللِّسان وكانت نحو أربعة عشرة آفة كالمحاكاة وتقليد بالمشي، وأن تصفه باسم لا يحبّه، أعرف معلِّم درَّسنا بالابتدائي إذا في اسم أحدنا إشكال غيَّرهُ ! حتى يرفع معنويَّاته، وهذه الآية أيها الإخوة الكرام، من آيات لآداب الاجتماعيّة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)﴾

[سورة الحجرات]

وهناك سخريات مقبولة عند المؤمنين كأن تقول: هذا كافر منحرف، فهذا سيّدنا خالد رضي الله عنه: أما حاربَ النبي عليه الصلاة والسلام مرَّتَين ! كيف انتهَتْ حياته ؟ سيفٌ من سيوف الله فقد يرتكب الإنسان كلّ الموبقات ويقبل الله توبته بعدها، وإذا تاب العبد توبةً نصوحة أنسى الله حافِظَيه، والملائكة وبقاع الأرض ذنوبه ! فهذا أحد أكبر العلماء مالك بن دينار كان من قطاع الطرق، وتاب الله عليه وأصبح العارف بالله، والله خلقنا ليرْحمنا، ويتوب علينا، وإذا قال العبد: يا رب، وهو راكع لبّيك يا عبدي، وإذا قال يا رب وهو ساجد! قال: لبّيك يا عبدي، فإذا قال: لبّيك يا عبدي وهو عاصٍ ! قال الله له: لبّيك ثمَّ لبّيك ثمَّ لبَّيك !!

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-10) : تفسير الآية 12

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام ، الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات ، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12)﴾

[سورة الحجرات]

موضوع الظنّ موضوع دقيق ، يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

[سورة الحجرات]

المعنى المخالف أنَّ بعضهُ الآخر ليس إثْمًا ولكنَّه من الحزْم ، بعض الظنّ إثم ، وبعضهُ الآخر حزْم ، وردَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن احْتَرِس من الناس بسوءِ الظنّ ! إنسانٌ لا تعرفهُ لو سلَّمتَ له كلّ شيء ثمّ خابَ أمَلُك كنتَ أنت الضَّحِيَّة ، لا تعرفهُ إطلاقًا ؛ كم مِن مَطَبٍّ خطير ؟ ومأساة فاجعة ؟ ومن تلفٍ للمال بسبب ظنّ ساذج ، فما الظنّ الذي عند الله تعالى إثْم ؟ وما هو الظنّ الذي هو حزم ؟ الضابط في ذلك هو الدليل ، فإذا كان هناك دليل صار سوء الظنّ عِصْمة ، ومن الحزم ، وأصبح العقل والذكاء والأخذ بالأسباب أن تُسيء الظنّ ، إلا أنّه إن أسأتَ الظنّ لا ينبغي أن يظهر ذلك عليك إطلاقًا ، والدليل أنَّ النبي صلى الله عليه وسلّم كان يحْذر الناس ، ويحترس منهم ، مِن غير أن يَطْوِيَ بِشْرهُ عن أحد ، فَوَجههُ صلوات الله عليه وسلامه طَلَق ، وباشّ لِجَميع الناس ، فالذي يعرفه يُسلِّم له ، والذي لا يعرفه يحْترسُ منه من الداخل ، دون أن يبدو هذا على وجهه أما إذا بدى الشكّ على وجهك قطَّعتَ العلاقات فيما بينك وبين الناس فربّما كان هذا الذي تُسيء الظنّ به لا تعرفهُ ، قد يصلح لخير كثير ، ولكنّك بِسُوء الظنّ أبعدْتَ هذا الخير ، وقَطَعتَهُ ، ومن أشدّ الناس أدبًا في هذا الموضوع سيّدنا عمر رضي الله عنه ، جاءهُ رجل ، فقال له: أنا لا أعرفُك ائتني بِمَن يعرفُك ! فجاء بِرجُل مُعرِّف له ، فقال له عمر: أسافرْتَ معه ؟ قال: لا ، قال: أجاورْتَهُ ؟ قال: لا ، قال له: أحاككْتَهُ بالدِّرهم والدِّينار ؟ قال: لا ، فقال عمر عندها: إنّك لا تعرفهُ ، يا هذا أنا لا أعرفُكَ ، ولا يضرّ أنَّني لا أعرفك ! فقد تكون أحسن مِنِّي !! ولما جاءهُ رسول معركة نهاوند قال: يا أمير المؤمنين ، مات خلقٌ كثير أنت لا تعرفهم ، فبكى عمر وقال: وما ضرَّهم أنِّي لا أعرفهم إذا كان الله يعرفهُ ! فإذا كان هناك دليل لك أن تُسيء الظنّ ، أما إن لم يكن دليل صار سوء الظنّ من الإثم.

الآن تجد أزواج لهم غَيرة عَمياء ، ليس هناك أيّ دليل ويتَّهِمُ زوْجته بالانْحِراف ، وقذف محْصنة يهْدِمُ عمل مائة سنة ، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ﴾

[سورة الحجرات]

مهما كنت حريصًا ، ويقِظًا ، وعميق الفهْم فلا بدّ من هامشٍ لِحُسن الظنّ بالناس ، وإلا تقف الحياة ، ولا تقوم لها قائمة ، إلا أنّ الإنسان حينما يُعامِلُ مؤمنًا صادِقًا كما قال عليه الصلاة والسلام

))ا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ))

[رواه الترمذي]

أما إن كان مؤمنًا ورعًا فلا ينبغي أن تسيء الظنّ به لأنَّه من أساء الظنّ بأخيه فكأنَّه أساء الظنّ بِرَبِّه ، فهناك من تجدهُ بِبَساطة يقول لك: فلان غير أمين ! هذا إن كان فاسقًا !! أما إن كان مؤمنًا ، ومستقيما ، والناس يشهدون عليه بالصَّلاح ، ثمّ تأتي وتقول: غير آمن ! هذا لا يجوز ، وهذا منهاج لا يصلح ، وأعداء الدِّين يحلو لهم كثيرًا أن تتَّهِمَ أهل الصلاح بأبْشع التُّهَم لأتْفه الأسباب ، فهذا لا يُعَوَّل عليه ، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

[سورة الحجرات]

بقِيَ شيء ، وهي أنَّ كلمة الظنّ ترِدُ في كتاب الله تعالى بِمعنى آخر ، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(46)﴾

[سورة البقرة]

هذا معنى آخر ، وهذا فيه يقين ، فالذين يعتقدون اعتقادًا جازمًا أنهم مُلاقوا ربّهم لكنّ سياق الآية هو الذي يكْشف نوع الظنّ ، فهناك ظنّ بِمَعنى حَسِب وظنّ بِمَعنى أيْقن ، وهذا يُعلم من السِّياق.

وبالمناسبة لا يوجد شيء يجْرح الإنسان حتَّى يصل الجُرح إلى العظم كأن يكون طاهِرًا ، وسليمًا ، وأمينًا وتُسيء الظنّ به ! أيها الإخوة ، قبل أن تُسيئوا الظنّ بإنسان عُدَّ للمليون ، لأنّك إن فعلتَ هذا مع مؤمن خيَّبتَ ظنَّه فيك ، وقد تكون أنت سببًا في تفلُّتِهِ ، فلو أنّ صاحب محلّ شكّ في موظَّفه لسَحَقَه ، وأنت في حقِّه مجرم ، هذا إن لم يكن هناك دليل ، وأذْكر قِصَّة أنَّ إنسانًا دخل لِمَحلّ تِجاري ، وخرج ، وبعد ساعة عاد مُتلهِّفًا ، وقال: وضَعتُ خمسة آلاف ليرة ، وهذه سنة الخمسة والسبعون وكان لهذا المبلغ قيمة بيت ! صاحب المحلّ لا يعلم عن هذا شيئًا ! فسأل أمين الصندوق فما وجد شيئًا ، فقال له أجري حِساب الصندوق، فإذا بالحِساب صحيح فهذا الذي دخل المحلّ ما قَنع ، وأمين الصندوق أمين ، فخرج هذا الإنسان

وهو يظنّ أنَّ هذا الموظَّف قد أخذ المبلغ ، وبعد سنة ذهب صاحب المحلّ إليه في بلده ، ورحَّب به ترحيبًا غير معقول ، وفي أثناء هذا الترحيب قال له المبلغ الذي ظَنَنْتُ أنّ موظَّفك قد أخذهُ ، دَفَعْتُهُ دَفعة وقد نسيتُ لِمَن دَفعْتُهُ !! فقبل أن تتَّهِم إنسانًا عُدَّ للمليون ، وتكون بِحَقِّهِ مُجْرِمًا ، لذلك سوء الظنّ بِدَليل عِصمة ، ومن الحزْم ، ومن العَقل ، ومن غير دليل مِنَ الإثْم ، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

[سورة الحجرات]

أنت حينما تثق بالناس وتمْنحهم ثِقَتَك العمل يجري بِشَكل رائِع ، وأحْسِن اختيار من حولك ، وامنَحْهم الثِّقة وهذا من حُسن الإدارة.

قال تعالى:

﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12)﴾

[سورة الحجرات]

التجسُّس هو تتبُّع الأخبار السيّئة ، والتَّحسُّس تتبُّع الأخبار الطيّبة ، قال تعالى:

﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ(87)﴾

[سورة يوسف]

فالتَّحسُّس والتَّجسُّس لفظان مختلفان ، وإذا ابتغي الوالي في رعِيَّتِهِ الريبة فقد أفْسَدَهم ، فإن كنتَ مُدير معمل أو مدير مؤسَّسة لا تُكلِّف أشخاصًا يعطونك معلومات عن أشخاص آخرين ! ضَعْ شيئًا دقيقًا ، ودقِّق بِنَفْسِكَ ولا تجعَل إنسانًا يستطيع أن ينال من آخر ظُلمًا وعُدوانًا ، فالله تعالى:

﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12)﴾

[سورة الحجرات]

فالذي يَغتاب الناس كأنَّه يأكل لحوم الناس ، وهناك لحوم مسمومة إن كان الشخص طاهرًا ومؤمنًا ، فالذي يجْترأُ على أولياء الله ربنا عز وجل ينتقم منه أشدّ الانتقام ، قال تعالى:

﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12)﴾

[سورة الحجرات]

فالإنسان ما عليه إلا أن يفتح مع ربِّه صفْحة جديدة ، يضْبط لسانه ويتَّق ربَّه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-10) : تفسير الآية 13

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾

[سورة الحجرات]

شاءَت حِكمة الله أن يكون البشر من ذكر وأنثى، وأنّ للذَّكر خصائص جِسْميّة، وعَقْليَّة، ونفْسيَّة، واجتماعيَّة هي كمالٌ لِمُهِمَّتِهِ، وأنّ للأنثى خصائص جِسميَّة ونفْسيَّة، وعقليّة واجتماعيَّة؛ هي كمال لِمُهِمَّتِهِ، وأنّ الذَّكَرَ والأنثى متكاملان، وكلٌّ منهما يسْكُن للطَّرف الآخر، ومعنى يسْكن أيْ يُكَمِّلُ بِهِ نقْصَهُ، فالذَّكر والأنثى متكاملان، ومتعاوِنان، وقد خلق الله آياتٍ كثيرة، مِن أبرز هذه الآيات، قوله تعالى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(21)﴾

[سورة الروم]

فالإنسان من أجل الحِفاظ على وُجوده يأكل ويشْرب، ومن أجل الحِفاظ على النَّوع يتزوَّج، هذه الحقيقة الأولى فبنُو البشر ذكرٌ وأنثى.

الآن البشر شُعوب، وقبائل، وكلّ شعب له عاداته وتقاليدهُ، وبيئتُهُ وظروفهُ المحيطة به، ولغته وشَكلهُ، ويمكن أن لكل شعب نمط، فالشَّعب الصيني غير الشعب الإفريقي، فالشعوب في إفريقيا لها شَكل، وفي إفريقيا لها شَكل، وفي أوروبا لها شَكل، قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ﴾

[سورة الحجرات]

هناك أشكال، وثقافات، وتقاليد، وتضاريس، فهناك مَن يسْكن في الصَّحراء، وأخرى في السَّواحل، وفي قِمَم الجِبال، وفي القطب، وفي المنطقة المعتدلة، وفي المنطقة الجنوبيّة، فالتضاريس والعادات والتقاليد واللَّون واللّغة، لِكُلّ شَعبٍ هُوِيَّة بدْءً من شَكلهِ الخارجي إلى عاداته وتقاليده وطِباعِهِ وبيئتِه، وأُسس حياته ومعطياته، فهذا التَّقسيم من أجل أن يتعاونَ هؤلاء فيما بينهم، كان مِن الممْكن أن تكون كلّ النباتات في كلّ البلاد، ولكن بلدٌ في البنّ، وبلد عندها الشاي، وبلد عندها البترول، وبلد عندها الفواكه، وأخرى الخضار، وبلد عندها

التِّكنولوجيا، فكلّ شَعب له خصائص وميزات، ومنتجات من أجل التعارف، ولعلّ هذا التعارف من أجل أن الشعوب التي عرفَت الله عز وجل أنْ تنقل هذه الهِداية لِشُعوبٍ أخرى، كما هو الحال بين المسلمين الذين ذهبوا إلى شرق آسيا والآن أكبر دولة إسلاميَّة في العالم أنْدونيسيا ! فهذي أسْلَمت عن طريق التِّجارة وحدها فالآية دقيقة، فالإنسان ذكر وأنثى، والبشر شُعوب وقبائل، وهناك شَخصيات، وخصائص، فكما أنّ للذَّكر خصائص عقليَّة نفسيّة واجتماعيَّة وكذا للأنثى، فكذلك الشعوب لها خصائص، وهذا لا مِن أجل أن نتحارب ولكن لِنَتعارف، ولا من أجل أن يسْتعمر بعضنا بعضًا، ولا من أجل أن نبْنِيَ أمجادَ حضارة على إنقاذ الشُّعوب، ولا مِن أجل أن يأكل الكلاب في أمريكا من اللَّحم ما لا يأكلهُ الشَّعب الهندي بأكمَلِهِ ! ولا مِن أجل أن نُرَفِّهَ أُمَّة، ونُشْقِيَ أُمَمًا، قَتْلُ امرئ في غابةٍ جريمةٌ لا تُغْتفر، وقتل شَعبٍ آمن مسألة فيها نظَر ! فالآية الكريمة تُبيِّن أنَّ خصائص الشُّعوب من شَكل وتضاريس بيئتها، ومنتجاتها الزراعيَّة، وثَرَواتها الباطنيَّة، ولغتها، وعاداتها تُشَكِّل هويَّتها، هذا التَّبايُن من أجل الشُّعوب لا من أجل العداوات وأن يقوم شَعب على أنقاض شَعب، ولكن لِتَعارفوا، فإذا اخْتصَّ شَعبٌ بِمَعرفة الله، نقَلَ هذه المعرفة لِبَقِيَّة الشُّعوب، فلذلك مُهمَّة كلّ إنسان عرف الله أن ينقل هذه المعرفة، قال تعالى يُخاطب الأمَّة العربيَّة:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(143)﴾

[سورة البقرة]

فأنتم يا عبادي وُسَطاء بيني وبين خلقي، فربُّنا عز وجل حمَّلنا هذه الرِّسالة، وكلَّفنا أن ننقلها لِبَقِيَّة الشُّعوب، ونحن حَمَلة رسالة، فالعرب في الجاهليَّة كانوا رعاة غَنم، فلمَّا جاءهم النبي عليه الصلاة والسلام صاروا قادة الأُمَم !! ولا يصْلُح آخر هذه الأمَّة إلا بما صَلَح به أوَّلها، قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ *))

[رواه مسلم]

فهذه الآية، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾

[سورة الحجرات]

ما هو الفساد ؟ أن تختلط الأوراق بين الذَّكر والأنثى، وأن تجد الأنثى في مكان الذَّكر، وأن تجد الذَّكر في مكان الأنثى تقريبًا نحن بِحاجة الِتراكسْ ! لِهَدم بِناء، وبِحاجة إلى سيارةِ سِياحيَّة لطيفة وناعمة لِنَقلنا إلى مكانٍ جميل، فإذا أردنا أن نهدِمَ هذا البناء بهذه السيارة السِّياحيَّة نُحَطِّمها، وإذا أردنا أن نذهب إلى مكان جميل بِهذا التراكسْ ننْزَعِج جدًّا فهذا له خصائص وهذه لها خصائص، فالفساد أن تجد المرأة حيث ينبغي أن لا توجد، وأن تفتقدها حيث ينبغي أن توجَد، وأن تُكَلِّفها بِعَمَلٍ ليس من طبيعتها، ولا من خصائصها، ولا من بنيتِها النَّفسيَّة، ولا الاجتماعيَّة، ولا الفِكريَّة، فما هو الفساد في الأرض ؟ أن تُغَيِّر صفة الأشياء ! ماءٌ فاسِد، فالماء لا لوْنَ له، ولا طَعْم له، ولا رائِحة له، فإذا كان له أحد هذه الصِّفات صار ماءً آثنًا، أيْ أنّ الماء فسَد، فالله تعالى خلقَ المرأة لِمُهِمَّة جليلة، ومُقَدَّسة قال: اعْلَمي أيَّتُها المرأة وأعْلِمي من دونك من النِّساء أنَّ حُسن تبعُّل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله !! وخلَقَ الرجل لِمُهِمَّة كبيرة، فنحن إذا غيَّرنا خلق الله عز وجل، وأعطَيْنا كلّ طرفٍ مُهِمَّة الطَّرَف الآخر كان الفساد في الأرض، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ﴾

[سورة الحجرات]

لا يَحِقُّ لشَعبٍ أن يحْتَقِرَ شَعْبًا آخر، فالألمان احْتَقروا كلّ الشُّعوب، وعدُّوا شَعبهم الأوَّل، وبقِيَّة الشُّعوب من الدَّرجة الثانية أو الثالثة، واليهود فعلوا هذا، وكلّ شَعبٍ جاهِلٍ يدَّعي أنَّه شَعب الله المُختار، وبقيَّة الشُّعوب لا قيمة لها، هذا كلام غلط، لأنَّ الله تعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

[سورة الحجرات]

لِيَعرف بعضكم بعضًا، وبعد التعارف لِتَتَعاوَنوا، وبعد التَّعاوُن لِيَهْدي بعضكم بعضًا، تعارف، وتعاوُن، وهِداية، وخاطَب الأمَّة العربيّة فقال تعالى:

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِي(152)﴾

[سورة البقرة]

أي أُذكروني لِعِبادي كما ذكَّركم رسولي بي.

لذلك هذه العداوات والحروب الطاحِنة ؛ هذه ليْسَت من منهج الله عز وجل قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

[سورة الحجرات]

فالحقيقة ولا أُبالغ إنَّ أدقّ آيةٍ في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾

[سورة الحجرات]

هذا هو المِقياس الذي يتمايَزُ به البشر عند ربِّهم، فلا تقل أنا ابن فلان، وأنا لي شَكلٌ مُعَيَّن، ولا تقل: أنا حجمي المالي كذا ؛ كُلُّ هذه المقاييس الأرضيَّة عاداتٌ جاهِلِيَّة، ويُروى أنَّ سيّدنا عمر جاءَهُ مِلك اسمُهُ جبلة بن الأيْهَم، وجاء مسلمًا، وفي أثناء طوافه حول الكعبة، داسَ بدَوِيّ طرف رِدائِه، فانْخَلَع عن كتافه، والْتَفَت إليه جبلة بن الأيْهم وضربهُ ضربةً هشَّت أنفه ! هذا البدوي شكاه إلى عمر بن الخطَّاب، فدعاه عمر، وأحد الشُّعراء صاغ هذا الحوار شِعرًا، وقال:

أَصَحيحٌ ما ادَّعى هذا الفزاريّ الجريح، فال جبلة: لسْتُ مِمَّن يكتُم شيئًا

أنا أدَّبتُ الفتى أدْركتُ الحقّ بيدَيّ قال: أرْضِ الفتى لا بدّ من إرضائِه ما زال ظِفرُكَ عالقًا بِدِمائِه ، أو يهشمنّ الآن أنفك، وتنال ما فعلتْهُ كفُّك، فقال: كيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ هو سوقةٌ !! وأنا عرشٌ وتاج !! كيف ترضى أن يخِرَّ النَّجم أرضًا ؟! قال له نزَوَاتُ الجاهليَّة ورياح العنجهيَّة قد دفنَّاها، أقمنا فوقها صرْحًا جديدًا، وتساوى الناس لدينا أحرارًا وعبيدًا، فقال جبلة: كان وهْمًا ما جرى في خلدي أنَّني عندك أقوى وأعزّ، أنا مرتدّ إذا أكْرهتني ! فقال عمر: عنق المرتدّ بالسَّيف تُحزّ عالم نبْنيه، كلّ صَدعٍ فيه، بِشَبَى السَّيفِ يُداوى، وأعزُّ الناس بالعبد بالصُّعلوك تساوى !

والله أيها الإخوة، لا نتقدَّم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا إذا اتَّخَذنا هذه الآية مِقياسًا لنا، قال تعالى: إنا أكرمكم عند الله أتقاكم.." ويجب أن تبني مَجدك على طاعة الله، ولا على نسبٍ، ولا على حسبٍ، ولا على عِرقٍ، ولا على قبيلة، ولا على شَعبٍ، ولا على مال، ولا على وسامةٍ، ولا على ذكاءٍ، ولا على منْصِبٍ، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾

[سورة الحجرات]

يُروى أنّ أحد الصحابة غلِط، وخاطَب أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلَّم وكان أسود اللَّون فقال له: يا ابن السَّوداء ! سيِّدنا بلال لمَّا قَدِم المدينة خرج عمر بن الخطَّاب لاستقباله، وسيّدنا الصِّديق وضَعَ يدَهُ تحت إبْطِهِ وقال: هذا أخي حقًّا ! هذا هو الإسلام، فما دُمتَ تشعر أنّ كلّ البشر عند الله سواء، وأنَّهم يتفاضلون فقط بِطَاعتِه له تعالى، ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ *))

[رواه مسلم]

إيَّاك أن تزْدري مسلمًا، ويقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ *))

[رواه ابن ماجه]

أكبر إثْم فقد تَحتقرُهُ لِفَقرِهِ أو لِدمامته، أو لِضَعف شأنه الاجتماعي، هذا الذي يُفكِّر هذا التَّفكير هو إنسانٌ عُنصري، الإسلام يتناقض مع العنصريَّة، فمَّا أن تكون مسلمًا، وشِعارك:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾

[سورة الحجرات]

وإما أن تكون عُنْصريًّا، وتتعصَّب لِقَبيلتك، وعشيرتك، ولحِرفَتِك، أو لمالك، أو حسبِك.

الإسلام يُلغي الفوارق الطَّبقيَّة، ويلغي الفوارق العِرْقيَّة، ولا يُبقي إلا مِقياسًا واحِدًا، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾

[سورة الحجرات]

الْتَقيتُ بإنسان كان في الحجّ فهنَّأتُهُ على هذه الفريضة، فقال لي كلمة أعْجبتني: ليس في الأرض من هو أسْعَدُ منِّي ! إلا أن يكون أتقى مِنِّي، فإنَّ الله تعالى يقول :

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾

[سورة الحجرات]

فالانتساب إلى الأُسر، والتبختر بالمال فأبو لهب وهو عمّ النبي والله تعالى قال فيه:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(1)﴾

[سورة المسد]

وسلمان مِنَّا نحن آل البيت ! هكذا كان عليه الصلاة والسلام، وكان يضعُ على فخِذِه الأيمن حِبَّه أسامة بن زَيد، ويضَعُ على الفخذ الآخر سيّدنا الحسن فيَضُمُّهما، ويشمُّهما، ويقول: اللَّهمّ إنِّي أُحِبُّهما فأحِبَّهما ! لا توجد الفوارق، ونحن لا نتقدَّم إلا بهذه الطريقة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾

[سورة الحجرات]

عليم بكم خبير بِنَواياكم وأفعالكم.

ملخَّص الدرس، إيَّاك أن تحتقر إنسانًا، وعليك أن تتأدب مع الله، فقد يكون هذا الذي احتقرْتَهُ أقربَ منك إلى الله، فلو أنّ عالمًا له آذِن، ومرَّت امرأةٌ فغضَّ الآذِن بصرهُ، وملأ ذاك العالم بصره منها، من هو العالم ؟ عند الله تعالى الآذن هو العالم، فالأصل خشيَة الله تعالى، والعاصي هو الجاهل، ولو كان معه دكتوراه على التعبير العصري ! قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾

[سورة الحجرات]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-10) : تفسير الآية 14

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الرابعة عشرة من سورة الحجرات وهي قوله تعالى:

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14)﴾

[سورة الحجرات]

يتضِّح من هذه الآية أن هناك إسلاما و أن هناك إيمانا، وفي بعض الأحاديث الشريفة الصحيحة يبيِّن النبيُّ عليه الصلاة و السلام أن هناك مرتبة ثالثة هي الإحسان، ليس في الإسلام إلا هذه المراتب الثلاث، مرتبة الإسلام و مرتبة الإيمان و مرتبة الإحسان، فالإسلام حينما يخضع الإنسانُ لأمر الله فهو مسلم، لا يعنينا يقينُه أو إقبالُه أو اتِّصالُه أو معرفته أو عمقُ تفكيره، يعنينا إذا غضَّ بصرَه عن محارم الله و أدَّى الصلوات الخمس، و صام رمضان و حجَّ بيتَ الله الحرام، وأدَّى زكاة ماله، و كان صادقا و أميناً مستقيماً، إذا طبَّق منهج الله عز وجل بحذافيره فهو مسلم، أمَّا هذا الذي لا يعرف من هذا الدين إلا الصلاة فقط، أما في علاقاته الاجتماعية يرتكب كلَّ المحظورات، و في بيته ليس هناك انضباط إطلاقا، لا في أولاده و لا في بناته و لا في زوجاته، و لا في كسب ماله و لا إنفاقه و لا في أفراحه و لا في أحزانه و لا في سفره و لا في حضره أنت حينما تطبِّق منهج الله كلَّه و في كلِّ مناحيه و في كلِّ تفصيلاته تكون مسلما و قد لا تصل إلى الإيمان.

نحن في الدنيا عندنا إتمام مرحلة و كفاءة و ثانوية و ليسانس ثم دبلوم عام و دبلوم خاص، ثم ماجستير ثم دكتوراه، ثم البورد، فالإنسان لا يقرأ و لا يكتب يقول أنا دكتور، هذا يحتاج إلى صفعة، كأن مراتب الدنيا واضحة و لها طرق واضحة أيضا، فلماذا في مراتب الآخرة كلُّ إنسان يدَّعي أنه مؤمن و هو متلبِّسٌ بألف معصية، صدِّقوني أيُّها الإخوة، الذي يقترف معْصيَة ويعلم أنَّها معْصيَة، لا يُمكن أن يكونَ في قلبه إيمان بالمستوى الذي يُنجيه، أما إبليس مؤمن، والدليل قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(82)﴾

[سورة ص]

آمنَ بالله ربًّا، وبالله عزيزًا، لكن قال: أغوي، فأنا أقول: الإيمان المُنجي، حينما تقترف معْصيَة فهذا دليل أنّ إيمانك لا يكفي، تقريبًا كالميزان، فإن سَمِعتَ خطبةً حصَّلت خمسة غرامات، وبخطبة أخرى خمسة ثانية، وإن حضرتَ درس علم خمسة غرامات، ولكن عندك شَهَوات خمسة كيلو غرام ! فالله أَوْدَعَ بالإنسان حُبّ المرأة، وحبّ المال يبيعُ آخرتَهُ من أجل المال، يغتَصِب بيتًا، أو محلاًّ، أما حينما تتعمَّق بالعلم أصبح عندك عِلم تقريبًا من باب التقريب عشرة كيلو، والشَّهوات خمسة كيلو حينها ترْجح الكفَّة، فحينما تتوقَّع أنَّك تترفَّع عن الشَّهوات من دون زادٍ من الإيمان، ومن دون اتِّصال بالله حقيقي، هذا هو حال الناس يصومون، ويُزَكُّون، ويحجُّون، ويعْتَمروا وعندهم شُعور إسلامي، أما إن دخلْتَ بيوتهم فلا تجد للاسْتِقامة أثرًا وتِجارتهم ليس فيها انْضِباط، وعلاقاتهم الاجْتِماعيَّة الانضباط منعدم فيها فَمِثْلُ هذا المسلم لا يفلح.

الإيمان أرقى بكَثير، ونحن في مرتبة الإسلام، فالمسلم من أدَّى العبادات، وطبَّق المعاملات، وتأدَّب بآداب الإسلام، فإن فعَل كلّ هذا فهو عند الله تعالى مسلم، أما حينما يُصَدِّق كلَّما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ويُقْبلُ على الله تعالى فهو مؤمن، فالتَّصديق والإقبال هو الإيمان، والكفر تَكذيب وإعراض، فالإيمان وضَع نفسي ؛ جزءٌ منه عقلي صَدّق فأيّ إنسان طبَّق الإسلام فهو مسلم، وربمَّا لا يكون قانِعًا بما يعْتَقِد ! أما لمَّا تُصَدِّق أنَّ هذا هو الحق فهذا هو الإيمان، فقد كنتُ في العمرة، وفي غرفتي بالفندق، وكانت على مدخل الفندق، وضعوا كُتيِّبات، لفتَ نظري كُتَيِّب عنوانه شريط الفيديو، هذا الكُتيِّب فيه أنَّ امرأة حُكِم عليها ثلاثين سنة بالسِّجن مع الأشغال، أرْسَلَت إلى دار نَشر رِسالة ؛ هذه الرِّسالة طُبِعَت بهذا الكُتيِّب، قرأتُ الكتاب، ملخَّصه، فتاة جامِعيّة من أسرة مُحافظة، في طريقها إلى الجامعة – يبْدو أنَّها على جانبٍ من الجمال – تَبِعها شابّ، أسْمَعها كلمات إطراء فانْزَعَجَتْ أشدَّ الانزِعاج، وتألَّمَت أشدَّ الألم، ثمّ اتَّصل بها بالهاتف، وقال لها: لعلِّي أزْعَجتُك أنا أراقبكِ من شَهر أو شَهرين، أنا مُعجَبٌ بأخلاقك، وأدَبِك، وكل شيءٍ فيك، وأتمنَّى أن أخطبَك من أهلِك ! تقول كاتبة هذه الرِّسالة: صِرْتُ أتمنَّى أن يتَّصِل بي، وصِرْتُ أتمنَّى إن خرجْتُ أن أراه في الطريق ! بعد شَهر اسْتَدرجها إلى شقَّة، وقضى حاجته منها، فلمَّا صَحَت من المُخدِّر، صَرَخت فقال: لا، أنت زوْجتي وسأَخْطُبكِ بعد حين ! ثمَّ بدأ يأخذها إلى هذه الشقَّة مرَّاتٍ عديدة، ثمَّ فوجِئَتْ بِتَنَكُّرِه ! لماذا تنكَّر؟ قال لها: أنا معي شريط !! فالذي جرى بيني وبينك مُصَوَّر في شريط فيديو !! فإن لم تُنَفِّذي تعليماتي كاملةً سوف أُعطي هذا الشريط لأهلِك ! صار يُؤَجِّرها كلّ يومٍ مع شاب، بِمَبالغ ضَخمة جدًّا ثمّ تطوَّر معه الحال فصار يُؤجِّر شريط الفيديو، فوصَل إلى ابن عمِّها ! ففُضِحَت وباعتْ الأسرة البيت، وهاجَرَت من البلدة كلِّها دَفعًا للعار، وهي لمَّا رأتْ أنَّ أسرتها دُمِّرَت وأصْبحت هي عاهرة قَتَلَت هذا الشَّخص بالسِّكين فَحُكِمَت بِثَلاثين عامًا !!

أنا أروي لكم هذه القصَّة لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قال

((لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ *))

[رواه الترمذي]

يقول سيّدنا سعد ثلاثة أنا فيهنّ رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحِدٌ من الناس: ما سَمِعتُ حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلا علمتُ أنَّه حقّ من الله تعالى فلمَّا نُخالف نحن منهج الله ؛ أُسْرة بِكَاملها تدمَّرَت، وفتاة كان بإمكانها أن تكون زوجة طبيب ! وأن تكون أُمًّا محترمة جدًّا، فهي في الأصل تَرْبِيَتُها عاليَة، ولكنَّها من أجل أنَّها جَهِلَتْ حديث رسول الله ودخَلَت إلى الشقَّة انتَهتْ، فهذا الذي قالهُ النبي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى وما نم مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب مخالفة منهج الله، وما من مخالفة لِمنهج الله إلا بِسَبب الجهل، والجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعَلُ في نفسِهِ ما لا يستطيعُ عدوّه أن يفعلَهُ به فالحديث هو كلام رسول الله بِوَحيٍ من الله تعالى، وأيّ مخالفة تُدَمِّر، فتَصَوَّر هذه الفتاة كيف دُمِّرَت؟ وكيف قتلَتْهُ؟ وكيف حُكِمَ عليها بِسِجن ثلاثين عامًا ! لذا طوبى لِمَن وَسِعَتهُ السنَّة، ولم تسْتَهْوِهِ البدعة، فعلينا أن نكون دقيقين جدًّا، ونراقب أنفسنا، فالإنسان حينما يُطَبِّق المنهج اسمُهُ مسلم، ولم يرْتَقِ إلى الإيمان، فالإيمان أن تتحقَّق من أحَقِّيَّة هذا المنهج، وأن تُقبِل على الله والإحسان أن تجْعل كلّ أعمالك إحسانًا للخلق، وأن تعبد كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك.

مُلخَّص الدرس، إلى أن نُطَبِّق منهج الله في كلّ شؤون حياتنا نكون مسلمين، أما لا يقرأ ولا يكتب ويقول: أنا معي دكتوراه، قال:

الشعراء فاعْلَمَنَّ أربعة: فشاعِرٌ يجري ولا يُجرى معه، وشاعر يُنْشِدُ وسط المَعْمعة، وشاعر من حقِّه أن تسْمَعَ، وشاعر من أن تصْفَعَ، فالإنسان إذا تخطَّى المراتب وقال: أنا مؤمن ! قال تعالى:

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14)﴾

[سورة الحجرات]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-10) : تفسير الآيتان 17 - 18

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة عشرة من سورة الحجرات، وهي قوله تعالى:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(17)﴾

[سورة الحجرات]

هذه الآية تنقلنا إلى موضوع الشُّكر، والشُّكر ينقلنا إلى موضوع آخر وهو أنَّ الله سبحانه وتعالى سخَّر لنا ما في السماوات والأرض جميعًا منه بِنَصّ القرآن الكريم، وبآيات كثيرة جدًّا قَطْعِيَّة الدلالة، فالكون كلّه مُسَخَّر لهذا الإنسان، إلا أنَّ هذا التَّسخير نوعان ؛ تَسْخير تَعريف، وتَسخير تَكريم.

أنت أمام كَونٍ مُسخَّر لك، فالهواء لك، والماء لك، والأزهار والأطيار لك، والأسماك لك، والزوجة والأولاد، وأنواع الطُّعوم والقوت، والفواكه فكلّ شيءٍ مُصَمَّم لك، فهذا الكون معَرَّف تعرفين، تسخير تعريف، وتسخير تَكريم، فَمِن أجل أن تعرفهُ من جِهة، ومن أجل أن تُحِبَّهُ من جهةٍ ثانيَة، فرَدُّ فِعل التَّعريف الإيمان، وردّ فِعْل التكريم الشُّكر، فإذا آمنْتَ بالله وشَكرتهُ، فقد حقَّقْت الهدف من وُجودِك، وحينما تُحَقِّق الهدف من وُجودك تتوقَّف المعالجة.

الآن الآية التي تؤكِّد هذا المعنى، قوله تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

حينما تؤمنوا، وحينما تشْكروا ما يفعل الله بعذابكم، إذًا كلّ أنواع العذاب التي يسوقها الله للإنسان في الدنيا إما لِضَعفٍ في إيمانه أو لِضَعفٍ في شُكرِه، قد تؤمن ولا تشكر، وقد تشْكُرُ غير الله إن لم تكن مؤمنًا، تُساق المتاعب، فالمتاعب تتوقَّف فجْأةً حينما تؤمن الإيمان الكامل وحينما تشكر الله عز وجل على كلّ نِعَمِهِ.

موضوع الشُّكر أيَّة نعمة أنت فيها ؛ نِعمة الحركة، نعمة السمع والنطق والبصر، ونعمة العقْل، ونعمة الأجهزة، ونعمة نموّ الخلايا طبيعيًّا، ونعمة الشرايين، أنت أمام أجهزة لا تُعدُّ ولا تحصى، وأنت عالَمٍ في جسمك، فقد يقول قائلٌ: كيف خُلقتَ ؟ قال تعالى:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا(11)﴾

[سورة المدثر]

ما معنى بنين شُهودًا ؟ الإنسان هو المخلوق الأوّل، والوحيد المكرَّم ذرني ومن خلقتُ وحيدًا، وأيُّ إنسان له ابن يعْم عِلمَ اليقين كيف نشأ هذا الابن ! هُوَ نشأ بعد زواج، ونشأ بعد تلقيح، والتَّلقيح حُوَين لا يُرى بالعين خمسمائة حُوَين في لقاءٍ واحد، وهذا الحُوَين الذي لا يُرَى بالعين لقَّح بُوَيضة، وهذه البويْضة مَشَتْ في أنبوب ضيّق من المِبْيَضِ إلى الرَّحم وفي تسعة أشهر أصبَح كائنًا، وله دماغ مائة وأربعون مليار خليَّة، وأربعة عشرة مليار خليَّة قِشْريَّة، ومائة وثلاثين مليون عُصيَّة ومخروط في العين والذَّوق واللِّسان، والقصبة الهوائيَّة، والمري، والكبد، والكليتين بِطَريق طوله مائة كيلو متر ! ابْنُكَ وحدَهُ يُعلِمُكَ كيف خُلقْت ؟! فالبنين يشْهدون له كيف خُلِقَ هو، لأنّ ابنَك خلِق على شاكلتك، كما أنَّ ابنك جاء من زواج فأنت جئتَ من زواج أُمّك وأبيك، وكنتَ في الرَّحِم لا تقوى على شيء فالقلب ينبض وأنت ببَطن أمِّك ! فالرِّئتان موجودتان ولكن مُعطَّلتان، فالله جعل ثُقبًا بين الأُذَيْنَين، بحيث أنَّ الدم في الحياة ينقبض البُطَين لِيُخرجَ الدَّم إلى الرِّئتين، والرئتان تُصفِّيَان الدَّم، وتُعيدانه أحمرَ نقيًّا إلى الأُذَيْن والأُذَين يُعيده إلى البُطَين، والبُطَين يضخُّه إلى الجسم كلِّه، ففي الرحم لا يوجد هواء، هناك ثقب بين الأُذينين ؛ حينما يولَد الطِّفل هكذا قال العلماء: تأتي جلطة فَتُغلِقُ هذا الثُّقب، وإن لم يُغلق فهذا يُسَبِّب مرضًا خطيرًا اسمهُ مرض الزُّرَق، يُصبح لون الطِّفل أزرق ولا يقدر على المشي ولو مترًا واحِدًا، وعمليَّتُهُ تُكَلِّف الكثير ! وأنا رأيت العمليَّة بِأمّ عيني، يُفتح القلب فتَدخل رُقعة صغيرة، يُسَدُّ بها هذا الثُّقب ! فابْنُك يؤكِّد لك كيف وُلِدْت ؟ قال تعالى:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا(11)وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا(12)وَبَنِينَ شُهُودًا(13)وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا(14)ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ(15)كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا(16)سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا(17)إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ(18)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(19)ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(20)ثُمَّ نَظَرَ(21)ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ(22)ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ(23)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ(24)إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ(25)سَأُصْلِيهِ سَقَرَ(26)وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(27)لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ(28)لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ(29)عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ(30)﴾

[سورة المدثر]

فحينما تؤمن وحينما تشكر تُحقِّق الهدف من وُجودك، فلِمُجرَّد أن تعلم أنَّ هذه النِّعمة من الله تعالى، فهذا نوعٌ من الشَّكر، يا أمير المؤمنين لِهارون الرشيد: بِكَم تشتري هذا الكأس من الماء إذا مُنِع منك ؟ قال: بِنِصف مُلكي ! قال: فإذا مُنِعَ إخراجُهُ ! قال: بِنِصفي ملكِيَ الآخر !! فقال: مُلْكُكَ لا يعدل كأس ماء تشربهُ هنيئًا مريئًا، فإذا الإنسان نام فهذا من نِعَم الله الكبرى، وإذا مشى على قَدَمَيه فهذا مِن نِعم الله الكبرى، والإنسان إذا كان له مأوى فهو من نِعم الله، إن كانت له زوجة فهي من نِعَم الله وعنده أولاد هو من نعمة الله، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا *))

[رواه الترمذي]

أوَّل أنواع الشُّكر أن تعلم أنّ هذه مِن نِعم الله، والمستوى الأرقى أن يمتلأ قلبك امْتِنانًا لله عز وجل، أما أرقى أنواع الشكر أن تعمل صالحًا لِخِدمة الخلق، وأن تكافئ المُحْسِن بالإحسان إلى خلقِهِ، لذا مرتبة الإحسان أعلى مرتبة، وأنت عليك أن تكون كتلة من الإحسان في حركاتك وسَكَناتك، وأقوالك وأفعالك، وتِجارتك، وتدعو الناس إلى الله، وتحضُّهم على طاعته، وتُعطيهم من مالك ووقْتِك، وجُهدِك، فأعلى درجات الإسلام الإحسان، أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك، لذا الإنسان من ضَعف إيمانه يمنُّ على الله أنّه آمن، قال تعالى:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(17)﴾

[سورة الحجرات]

فإن سَمَح الله لك أن تقف بين يَدَيه لا تقل: ها قد صلَّينا له !! فإيَّاك أن تمتنَّع على الله تعالى بِعَمَلٍ صالح، فهذا من أنواع الشِّرْك لأنَّك ترى عملك أمامك، ومن أدعية النبي الكريم الرائعة: اللَّهمّ مغفرتك أوْسع لي من ذنوبي، ورحمتك أرْجى لي من عملي ! فالذي يقول لأخيه: هذا اللَّحم الذي عليك من خيري !! فهذا كلام فيه وقاحة وتألّي على الله تعالى وتطاوُل، فكلّ إنسان يمنّ على الناس بمِنَّة فها لا يعرف الله، لأنَّك مفتقرٌ إليه في كلّ لحظة، قال تعالى :

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (17)﴾

[سورة الحجرات]

فالله تعالى بصير بِحجم عملك، والبواعث، والعِلَل، والأهداف والملابسات والتَّضْحِيَة، والثَّمَن الباهظ الذي دَفعْته، فهذا كلّه بِعِلم الله تعالى، قال تعالى:

﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ(35)﴾

[سورة محمد]

وقال تعالى:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

[سورة الزلزلة]

الفصل الرابع : تفسير سورة ق

الدرس (8-1) : تفسير الآيات 6-8

الدرس (8-2) : تفسير الآية 16

الدرس (8-3) : تفسير الآيات 17-19- 21-22

الدرس (8-4) : تفسير الآيات 21-30

الدرس (8-5) : تفسير الآيات 31 – 34

الدرس (8-6) : تفسير الآية 35

الدرس (8-7) : تفسير الآية 37

الدرس (8-8) : تفسير الآيات 39 - 43

الدرس (8-1) : تفسير الآيات 6-8

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السادسة والسابعة من سورة ق، وهي قوله تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7)﴾

[سورة ق]

النقطة الدقيقة أنَّ المسلم حينما يتعرّف إلى أمر الله دون أن يتعرَّف إلى الله عز وجل يتفنَّنُ في التَّفلّت منه، أما حينما يعرف الله، ثمَّ يعرف أمْرَه يتفانى في طاعته فالعبرة أن تُطيعه، وأنت لن تُطيعه إلا إذا عرفْت الآمر وكيف تعرف الآمر ؟ لا تُدركه الأبصار ! فكيف نعرفه وأبصارنا لا تدركه ؟ مِن آثاره وهذا معنى كلّ الآيات الكونيّة في القرآن الكريم، فإن أردت أن تعرفهُ فعليك بالتَّفكّر في مخلوقاته، وإن أردت أن تعرفهُ فعليك بالتَّفكّر في أفعاله وإن أردت أن تعرفه فعليك بالتأمّل في كلامه، كلامه وأفعاله، وخَلْقُهُ كلّ هذه الآيات توصِلُك إليه، آياته تَكْوينيَّة، وآياته كَوْنيَّة، وآياته قرآنيَّة كلاميّة، موطِن الشاهد أنَّك لن تُطيعه إلا إذا عرفْتهُ، ربنا عز وجل يقول:

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7)﴾

[سورة ق]

فالمليون مليون مجَرَّة، وبِكلّ مجرَّة مليون مليون نَجم، وهي أرقام تَقريبيَّة الآن أو أحدَث ما وصل إليه عِلم الفلَك، فما معنى مجرَّة ؟ مجموعة من النُّجوم لا تُعدّ ولا تحصى، فالشَّمس والأرض، والقمر، والمريخ والمشتري وزحل، وبلوتو ؛ هذه المجموعة الشَّمسيّة على درب التَّبابِنَة على شَكل عضلة تُمثَّل بنقطة واحدة، ومجرَّتنا مجرّة متواضِعة وصغيرة اسمها درب التَّبابنة، وفي أوّل الشّهر، لو أنَّ السماء صافيَة لرأيْت غيومًا من النُّجوم ؛ هذه الغيوم من النُّجوم هي درب التبابنة وهي مجرّتنا، وهذه المجرَّة المجموعة الشَّمسيَّة بأكملها تساوي فيها نقطة واحدة، فنحن إن أردنا أن نصل إلى المشتري نحتاج إلى سِتَّة سَنَوات على مركبة تُعدّ من أسْرع المركبات التي صَنَعها الإنسان وسرعتها تسعين ألف كيلو متر بالساعة، وكي تصل لا بدّ لها سِتَّة سنوات إلى كوكب يمثّل على كوكب درب التبابنة بنقطة ! وهذه مجرَّة من مليون مليون مجرَّة، أما أبعَدُ مجرَّة ثلاثمائة ألف بليون سنة ضَوئيَّة، فهذا أقرب نجم ملتهب إلى الأرض بعده عنَّا أربعة سنوات ضَوْئيَّة، وكلمة

أربعة سنوات ضوئيَّة، تعني أنْ تركبَ سيارة، وتسير بِسُرعة مائة خمسين مليون سنة، فهذه المجرَّة التي تبعد عنَّا ثلاثمائة ألف بليون سنة ضَوئيَّة ؛ كم بُعدها عنَّا ؟ لذا موضوع السماوات موضوع كبير، قال تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7)﴾

[سورة ق]

الشيء الغريب أنَّ هناك نِظام التَّجاذب بين الكواكب، أضَعُ لكم مثلاً بسيطًا: لو وضَعنا كرتين أو كتلتين مِغناطِيسيَّتَين متساويتان في الحجم تمامًا ووضَعناهما على سَطح مستوي سيل، وجئنا بِكُرة معْدنيَّة، بحيث نضَعها في مكان لا تجذب لا إلى هنا، ولا إلى هنا يجب أن نضَعها في المتوسّط الدقيق جدًّا بين الكتلتين، فلو أُزيحت ولو بعشرة ميلي لانجذبَت، وهي تحتاج إلى دِقَّة بالغة، فلو كانت كتلة أكبر وكتلة أصْغر، لاحتاجت المسألة إلى حِسابات أكثر، فمن أجل أن تضَع الكرة المعدنيَّة في متوسِّط مغناطيسي بحيث لا تنجذب لا إلى هنا ولا إلى هنا ! فكيف إذا كانت هذه الكتل في الفراغ ! ليسوا على سَطح واحد لكان الحساب أعْقد، فكيف بالأمر إن كانت هذه الكرات متحرّكة ! فهذا مثل مُبسَّط عن الكون، مجموعة نُجوم متفاوتة في المسافة والحجم والسعة، وكلّ نجْمٍ ينجَذِب إلى نجْمٍ آخر والمحصّلة حركة متوازنة ؛ هذه قدرة مَن ؟ قال تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7)﴾

[سورة ق]

وقال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ(2)﴾

[سورة الرعد]

هذه الآية تلفت النَّظر إلى معرفة الله من خلال خلقِهِ.

بحثوا عن العلبة السوداء في الطائرة التي وقَعت فوق طائرة للأعداء وذهبَ ضَحِيَّة هذا الحادث ثلاثة و سبعون ضابطًا مِغوار من الدَّرجة الأولى، ولا يُعوَّضون ولو بعشرين عامًا، والعدد الحقيقي مائة وخمسون ضابط، عثروا على هذه العلبة، وكان فيها آخر كلام قاله الطَّيار: أنا أسقط فوق زميلي ولا أدري لِمَ أسقط ! فهم أرادوا أن يأخذوا أُناسًا من المسجد لِيَجلبوهم إلى العدوّ ! فجعل الله كَيدهم في نحرهم، وتدبيرهم في

تدميرهم، وجعل الدائرة تدور عليهم، هذه أفعاله، وأنا سَمِعتُ أنّ إمام الحرم دعا أكثر من عشرين دقيقة عليهم وبكى، وفي الوقت نفْسه وقَعَت هذه الطائرة ! والكون خلقهُ، فإذا أردْتَ أن تعرفهُ ففَكِّر في أفعاله وأقواله وفي خلقه، قال تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7)﴾

[سورة ق]

بناء ولكنَّه بناء متحرّك، فالأرض تقطع ثلاثون كيلو متر في الثانية فالأرض قَطَعت من بداية الدرس إلى الآن حوالي مائة ألف كيلو متر ! هذه حقائق بديهيّة، وكلّ شيء مستقرّ، قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(64)﴾

[سورة غافر]

يجب أن تعرف من هو الله ؟ ومن هذا الذي تُصلِّي له ؟ ومن هذا الذي تحلفُ به ؟ يحلف البائع بالقرآن وبالله وبأيمان معظَّمة أنَّه اشترى هذه السّعة بأكثر مِمَّا يعرض سِعرها للبيْع !! والحقيقة عكس ذلك !! وتُشهد الله على ذلك !! لذلك كما قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ(2)﴾

[سورة الرعد]

والله الذي سخَّر لنا كلّ شيء، وله ملكوت كلّ شيء، اقْرأ هذه الآيات التي تصف الذات الإلهيَّة بأفعالها وكمالاتها وكلامها.

قال تعالى:

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7)﴾

[سورة ق]

لا يوجد شَكل هندسي تسير عليه الخطوط ما لا نهاية إلا الكرة، المكعّب والموشور فيه حروف، وكذا الهرم فأيّ شَكل هندسي له حروف إلا الكرة فالخطوط تسير عليه إلى ما لا نهاية، قال تعالى :

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾

[سورة ق]

سبب استقرار الأرض الرواسي فهذه الجبال هي مثبتة للأرض، فالعجلة مثلاً توضَع على جهاز تدور بِدَورات سريعة جدًّا، وتضطرب، وفيها مكان يضعون فيها عشرون غرامًا، ويضعون قطعة رصاص في مكان معيَّن، ثمَّ تدور فلا تضطرب ! يسمونها رَصْرصة أصحاب السيارات، وهذه الجبال التي ألقاها الله كرواسيَ في الأرض من هذا النوع، قال تعالى:

﴿وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (9)﴾

[سورة ق]

هذه الورود زوْج بهيج، وهذه النباتات الرائحة، وهذه الرائحة والألوان وتناسق العجيب، فهذه الجمال لِمَن ؟ للإنسان، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا(70)﴾

(سورة الإسراء)

أيها الإخوة الكرام، لا تُطيعُ الله إلا إذا عرفْتَهُ، وهو لا تدركُهُ الأبصار ولن تعرفهُ بحَواسِّك الخمس، ولا يمكن أن تعرفه إلا بِعَقلِكَ، ومن خلال آثره وآثره ثلاث ؛ آياته الكونيَّة، وآياته التَّكوينيَّة التي هي أفعاله، وآياته القرآنيَّة لذلك أنت بالكون تعرفهُ، وبالشرع تعبدُهُ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-8) : تفسير الآية 16

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السادسة عشرة من سورة ق، وهي قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16)﴾

[سورة ق]

الإنسان حينما يعلم أنَّ الله يعْلَم استقامَ على أمْره، وإن استقامَ على أمرِهِ سَعِدَ بِقُربِهِ في الدنيا والآخرة، يُمكن أن يُضْغط الدِّين كلَّه في هذه الآية، إذا علمتَ أن الله يعلم استقمتَ على أمره، و إن استقمت على أمره صار الطريق سالكا إليه، و اقتربتَ منه و سعدتَ في الدنيا و الآخرة.

يؤكِّد هذا المعنى قولُه تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا(12)﴾

[سورة الطلاق]

دقِّقوا في لام التعليل في قوله "لتعلموا " إذا علمتَ أن الله أحاط بكلِّ شيء علما و أن الله على كلِّ شيء قدير لا يمكن إلا أن تطيعه، و الذي لا يطيعه عنده خللٌ إما في يقينه أن الله يعلم أو في يقينه أن الله يقدر فإما أن يكون هناك خللٌ في اليقين أن الله يعلم أو أن الله يقدر أو لا يقدر أما إذا تيقّنتَ أن الله يعلم و يقدر، فعلمُه يطولك و قدرتُه تطولُك، و هو محيطٌ بك علما و أنت في قبضته لا يمكن أن تعصيه، يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾

[سورة ق]

خواطره و دوافعه الخفيَّة و أهدافه البعيدة، و صراعاته الداخلية و بواعثه النفسية، و خططه الضمنية التي يكتمها عن أقرب الناس إليه.

أحيانا يسافر الإنسان إلى بلد أجنبي و يتزوَّج زواجا شرعيا، بوليٍّ و مهر و شاهدي عدل، و في نيته أنه حينما تنتهي دراستُه يطلِّقها، وليس في الكون كلِّه من يكشف هذه الحقيقة إلا الله، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾

[سورة ق]

أنت مكشوف، ومن تزوّج امرأةً على صداقٍ، وفي نيَّتِهِ أن لا يؤدِّيَهُ لها لَقِيَ الله زانيًا، ومن أخذ أموال الناس يُريد أداءها أدّى الله عنه، فمُشكلة المسلم أنَّه إن أيْقَنَ أنّ الله يعلم استقام، هذا هو مفتاح التشغيل، فالدِّين مفتاح تشغيله هي الاستقامة، والباقي على الله تعالى فأنت حينما تستقيم تُصلي، وإن صلَّيت اقتربْت من الله تعالى، ووفَّقك الله عز وجا، ورزقَكَ رزْقًا حلالاً، وحينما تكون طاهرًا، وعفيفًا ومُتّبعًا لِمَنهج الله تعالى انتهى كلّ شيء، فالدِّين أبْسَط مِن أن يُفلْسف، وأبْسَط بِكَثير وهناك من وضَع كتب عقيدة كلّ درس يحتاج إلى ساعة ! فكتاب الله تعالى واضح ومبين، والدِّين كالهواء يجب أن يسْتنشِقه كلّ إنسان بِبَساطة، ومن دون تعقيدات، ومن دون أن تقف في الدَّور، وهذا لكلّ الناس، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾

[سورة ق]

فلا يوجد جِهة بالكون يمكن أن تراك إن اطَّلعْت على جارتك وهي بالشُّرفة فحينما تغضّ بصرك عنها فالله وحده هو الذي يعلم عفَّتَك، فالإنسان أحيانًا يفكِّر بأشياء كلّها معاصي، وشرور ويظنّ أنَّه أمام الناس جيّد، أما الله عز وجل يعرفُكَ من الداخل، فالناس يعرفونك من الخارج ؛ أنيق ومُعطّر ومركبتك جيّدة، وأقمْتَ وليمة بِأذواق عاليَة ؛ هذا كلّه في الخارج، أما الله تعالى يعرفك من الداخل كيف تُفكِّر مع شريكك ؟ وكيف تُفكِّر في تركَة إخوتك ؟ وتكتب المحلّ باسمك ! فمن يعلم ذلك ؟ الله عز وجل يعرفك من الداخل، والناس يعرفونك من الخارج، لذلك يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: عبدي طهَّرت منْظر الخلق سنين، أفلا طهَّرت منظري ساعة ! فإذا كان بيتك غير منظَّف فهذه مشكلة، وإن كان سيارتك غير نظيفة فهذه مشكلة لأنّك إن لم تنظّف يتَّهمك العامّة أنَّك قذِر ! وتطهِّر منظرك الخارجي فأنت بهذا تطهِّر منظر الخلق ! ما هو منظر الله عز وجل ؟

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ *))

[رواه مسلم]

قال تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(88)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(89)﴾

[سورة الشعراء]

أكبر رأس مال تمْلكُه أن يكون قلبك سليمًا ؛ لا يوجد غشّ ولا ضغينة ولا حسد، ولا بغض، ولا استِعلاء.
أيهاالإخوة الكرام، إذا علمتَ أنّ الله يعلم فهذا هو مِفتاح التشغيل كلّه، وإن علمتَ أنَّ الله يعلم اسْتقمْت على أمره، فإن استقمتَ على أمره سَعِدتَ بِقُربِهِ في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16)﴾

[سورة ق]

قال تعالى:

﴿ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة الأنفال]

أقرب شيءٍ إليك قلبَك، أحيانًا تأتيك خواطر داخليَّة، والله تعالى بينك وبين قلبِك، وقال تعالى

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ(83)﴾

[سورة الواقعة]

ميّت بين يديه فالابن يده على رأس والده، والابن الثاني على قلبه والثالث على نبضه قال تعالى:

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16)﴾

[سورة ق]

كلّهم يحيطون به، وخائفون أن يلفظ النَّفَس الأخير، قال: ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تشعرون ! فالله عز وجل معك، قال تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(4)﴾

[سورة الحديد]

معك بِعلمه، أما مع المؤمن بِتَوفيقه، ونصرِهِ، وتأييده وحِفظه، فالمعيَّة نوعان: عامَّة، وخاصَّة، فالمعِيَّة العامة، أنَّه تعالى معنا بعِلمه، والمعيَّة الخاصة، قال تعالى:

﴿ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(123)﴾

[سورة التوبة]

معهم بِتَأييده، ومعهم بِحِفظه، ومعهم بِتَوفيه ونصرِهِ، فهذه الآية تكفي:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16)﴾

[سورة ق]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-8) : تفسير الآيات 17 -19- 21-22

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة عشرة من سورة ق، وهي قوله تعالى:

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)﴾

[سورة ق]

ملك اليمين، وملَكُ الشِّمال، وهذا كلام الله وأنا أؤكِّد لكم أنَّ معظم المسلمين لا يأخذون بهذه الحقيقة وكأنَّها لم تكن، لو أنَّ الإنسان قالوا له أنَّ خطَّكَ مُراقب ! كيف يتكلَّم ؟ بِحَذَرٍ بالغ، فإذا كان الله يُراقب، قال تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ(14)﴾

[سورة الفجر]

إذا كان الملَكان يكتبان كلّ كلمة تنطقها، قال تعالى: إِذْ يتلقَّى المتلقيان...عتيد " عتيد ي قويّ فقد يكون الرقيب ضعيفًا يُنَحَّى، يُجمَّد، ويُحال بينه وبين أن يُراقِب، لكنّ هذا الرقيب عتيد وقويّ، وموجود وحاضر دائمًا، ويتخطَّى الأسوار والجدر.

هذه الآية أيها الأخوة لو عقلناها، أو لو فَهمناها عن ربِّنا عز وجل لَكُنَّا في حالة مع الله عز وجل غير هذه الحالة، قال تعالى:

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)﴾

[سورة ق

ولكن شاءَت حكمة الله جلّ جلاله أن يكون العمل الطيّب مكتوبًا مباشرةً أما العمل السيئ فلا يُكتبُ إلا إن أصرَّ عليه، ولم يسْتغفر منه وتباهى به ولم يعْبأ بما يترتَّب عليه، من هنا قال الله تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ لَبَث(286)﴾

[سورة البقرة]

كسَب فِعل ماضي مُجرّد ثلاثي، واكتَسَب فعل خماسي على وزن افتَعَل تقول: كتَب، وتقول: اِكْتتَب، كتبَ أيُّ إنسان كتَبَ صار كاتبًا، أما اكْتَتَب هو الذي يتَّخِذ الكتابة مهْنةً له، فمعنى ذلك أنَّ الاكْتِتاب أو الاكتساب أراده وتمناه، وأصرّ عليه، ولم يستغفر منه، وتباهى به عندئذٍ جَعَل الله ملَكَ اليمين أميرًا على ملكِ الشِّمال،

يقول له: أُكتبْ فالحسنة تُكتب مباشرةً من دون تردّد، ولكنّ السيِّئة لا تُكتب إلا إذا أصرّ الإنسان عليها ولم يتُب منها ؛ عندئذٍ تكتب عليه، قال تعالى:

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)﴾

[سورة ق]

قال تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19)﴾

[سورة ق]

هذا الذي لا يستطيع أن يتفلَّت منه إنسان، حُكِمَ علينا بالموت مع وقْف التَّنفيذ ! كلّ واحد له يوم تُنَفَّذ فيه هذه القضِيَّة، قال تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19)﴾

[سورة ق]

الإنسان كما قال تعالى:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ(96)﴾

[سورة البقرة]

رجل في مِصر سَمِعتُ عنه يعْمل في الفنّ، والغِناء، يخاف الموت خوفًا لا حدود له، فما ركِب طائرةً في حياته، وما أكل مساءً إلا فاكهةً، ويأكل يومًا سمكًا وآخر دجاجًا والرياضة، ثمّ مات، قال تعالى:

﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19)﴾

[سورة ق]

والإنسان إذا كان عمله سيئ يحيدُ عن الموت، وإذا عملهُ طيّب يتمنَّى لقاء الله عز وجل، وأعرف رجلاً والله قِصَّته لولا أنَّ الذي رواها لي أُصَدِّقه لما صدّقتُ قصَّتهُ ؛ أُصيبَ بِمَرضٍ في دَمِهِ خبيث، ولِحِكمة أرادها الله أصبح هناك اتِّصال مع المنزل، والقصْد أن المستشفي يريدون إخبار أهل هذا المريض أنَّ المرض خبيث، ولا يعيش إلا يومين أو ثلاثة، وكأنّ المستشفى بِتَحاليل دقيقة عيَّنوا وقت الموت ! فلمَّا اتَّصلوا بالأهل كان في البيت سمَّاعتَين، فرفعوا السَّماعة، ورفع هو السماعة وسَمَع ما قيل لأولاده ! وكان هذا الرجل صالحًا، أنشأ مسْجِدًا، وكلّما دَخَلتْ عليه لجنة لدفع التبرعات يُعطيها مِفتاح الصُّندوق، ويقول: لِرئيس اللَّجنة: افْتَح وخُذْ ما تشاء ولا تُعلِمني ! فهذا الرّجل سَمِع بأُذنه أنَّ حيته انتَهتْ، أوَّل الأمر اتَّصل بأصدقائِهِ التُّجارة، وقال لي:

خمسة صفقات، وطلب من أصدقائه ما يُثبِّتونه وما يلغونه، ففي أوَّل اليوم حلّ كلّ مشاكله الماليَّة ثاني يوم اسْتَقدمَ كلّ أقربائِهِ وودَّعهم ثاني واحدًا واحِدًا، وفي ثالث يوم اغْتسَل بِنَفْسِهِ اغتسالاً جيِّدًا ودرجة الأولى، واضْطَجَعَ على فراشِهِ الساعة الثانية عشر وجاءهُ شيخُهُ وأقاموا حلقة ذِكرٍ، وفي الساعة الواحدة خرجت أنفاسُهُ !! فالإنسان إذا كان عملهُ طيّب يتمنَّى لقاء الله تعالى، وهو تُحفة المؤمن وعُرْسُ المؤمن، وكما قال عليه الصلاة والسلام: للصائِمِ فرحتان..." فاطمة رضي الله عنها قالت: واكربتاه على أبت ! فقال لها عليه الصلاة والسلام: لا كرب بعد اليوم على أبيك !! غدًا نلقى الأحبَّة محمَّدًا وصحبه فالذي يريد أن ينقل كلّ أمواله إلى خارج البيت، باع بيته ومحلَّه، وطلع المطار، وأخذ بِطاقة صُعود، وأقلعَت الطيارة، فهذا الإنسان تجِدهُ بِأَسْعد لحظات حياته لأنَّه قدَّم ماله أمامه فسرَّهُ اللَّحاق به، فكلّ إنسان قدّم من الخير يكون الموت عنده تُحفة، والموت عنده عرس، وكلّ من أكل الحرام وانْحرف، وتجاوزات، وغيبة ونميمة، واحْتِيال بالورثة، وغِشّ بالبيْع والشِّراء، وعلاقات غير طيّبة، هذا إذا ذُكِرَ الموت ارْتَعَدَت فرائِسُهُ وبالمقابل إنسانٌ أُصيب بِنَفس المرض ؛ ابْيِضاض الدَّم، وهو سرطان في الدّم، و أكبر التجار، زارهِ أحد أقربائي، قال له: لا تنزَع لي طَعمة فَمِي لأنَّ فلانة المغنيَّة قبَّلتني !!! وبعد شَهر مات، يُقْسِمُ أهل تلك البناية أنَّه لا يوجد إنسان في البناية إلا سَمِعَ صُراخهُ !! عمرهُ ثمانية وثلاثون سنة ! فإذا الإنسان مُتفلِّت فإنّ الموت يكون له مثل الصاعقة، قال تعالى:

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ(83)﴾

[سورة الزخرف]

قال تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19)﴾

[سورة ق]

كلّ ذكائِنا، وكلّ تفوقنا أنْ نعُدّ لهذه الساعة التي لا ريب فيها، ونهيئ التوبة، والعمل الصالح، وضَبط البيت والعمل، وضَبط الإنفاق، وتربيَة الأولاد، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والدَّعوة إلى الله تعالى. قال تعالى:

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21)﴾

[سورة ق]

ملَكٌ يسوقها، وملَكٌ يشْهد عليها وهذا يُطَبَّق على كلّ الناس من دون استثناء، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ﴾

[سورة ق]

خطَّطْت لِكُلّ شيء وهيَّأ كُلّ شيء، أما الموت ما أدْخلَهُ في حِساباته ! فالإنسان يعدّ للدنيا كلّ شيء، أما ساعة لِقاء الله عز وجل نسيَها، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾

[سورة ق]

والناس نِيام، وإذا ماتوا انتبهوا، والناس الآن في عَمَى، البطن والفرْج والدِّرهم والدِّينار، قال عليه الصلاة والسلام: تعس عبد الدرهم..." قال تعالى:

﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)﴾

[سورة ق]

الآن عرفت الحقيقة بعد فوات الأوان كمن رأى أجوبة الامتحان بعد الامتحان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-8) : تفسير الآيات 21-30

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الواحدة والعشرون من سورة ق، وهي قوله تعالى:

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21)﴾

[سورة ق]

سائقٌ يسوقها إلى المحكمة، وشهيد يشْهد عليها ! قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾

[سورة ق]

في أثناء حياته الدنيَوِيَّة خطَّط نظَّم وبنى وأسَّس، وفكَّر في كلّ شيء إلا في هذه الساعة كانَتْ غائبةً عن ذِهْنه، قال تعالى:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)﴾

[سورة ق]

والغطاءُ غِطَاؤُك فأنت الذي وضَعتَهُ على عَيْنيْك، فأنت بإرادتِك واخْتِيارِك أحْببْتَ الدنيا، فكان حُبُّ الدنيا غِشاءً يُغَشِّي عَيْنَيك، وحُبُّك الشيء يُعْمي ويُصِمّ.

قال تعالى:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)﴾

بصرك حديد أيْ نافِذ، ففي الدنيا البصر قاصِر، كان يرى المال كلّ شيء هذا نظرٌ قاصِر، والمرأة كلّ شيء أما حينما كُشِفَ عنه غِطاؤُه أُزيحَتْ عنه هذه الشَّهوات بعد الموت وأصبَحَ نظرُهُ حديدًا.

قال تعالى:

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25)﴾

[سورة ق]

وصْفٌ بالِغٌ جدًّا، فهو ليس حاله أنَّه لا يفْعل الخير، بل يمْنَعُ الخير وليس مانِعًا للخير بل منَّاعًا للخير فالإنسان إذا كفَر ليْتَهُ لا يفْعَلُ الخير، فعدم فِعل الخير درجة، ويمنع الخير درجة، ومنَّاعٍ للخير درجة أعلى،

فهو لا يُعطي شيئًا، ولا يُلقي دَعوةً ولا يسْمَح بِنَصيحةٍ، أما إذا أعطى الإنسان واسْتقام واتّقى يُقيم عليه النكير قال تعالى:

﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24)﴾

[سورة ق]

ليس كافرًا ولكن كفَّارا صيغة مبالغة، أي شديد الكفر، وعنيد متكبِّر، ليس كُفْرُهُ عن جَهل بل عن تَكَبّر قال تعالى:

﴿ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25)﴾

[سورة ق]

سيئ الظنّ، ونمطُهُ عُدواني، ويبني حياته على أنقاض الآخرين، هذا هو الكافر ؛ حدّث عليه ولا حرَج، حدّث عن دناءتِهِ، وعن عُدْوانه، ظنونه وحدّث عن كِبْرِهِ وغَطْرسَتِهِ، وعن عدم إنصافه، وعن ظُلمِهِ، قال تعالى:

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(7)تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ(8)وَنَزَّلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ(9)وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ(10)رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ(11)كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ(12)وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ(13)وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ(14)أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ(15)وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ(16)إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ قَعِيدٌ(17)مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(18)وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ(19)وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ(20)وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ(21)لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ(22)وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ(23)أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ(24)مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ(25)الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ(26)﴾

[سورة ق]

كلّ هذا لأنَّ جعل مع الله إلهًا آخر، لذلك قال تعالى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ(106)﴾

[سورة يوسف]

في الظاهر مُوحِّد، وفي الحقيقة جَعَل مع الله إلهًا آخر، ومن أقرب هذه الآلهات هواه، قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا(43)﴾

[سورة الفرقان]

شَهوته فوق كلّ شيء إذا كان المال إلههُ، يأخذُهُ بأيَّة طريقة مشروعة أو غير مشروعة، صحيحة أو مغلوطة، وبِحَقٍّ أو بِغير حقّ جعل المال إلهًا له كالذي جعل المرأة إلهًا له، يريدها في أيّ وقت وبأيّ طريقة ؛ يجوز أو لا يجوز ! قال تعالى:

﴿ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26)﴾

[سورة ق]

أغلب الناس يرتكبون المعاصي ويسبُّون إبليس، وما لإبليس علاقة ! والدليل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)﴾

[سورة إبراهيم]

هو مُهيَّأ للضلال والطُّغيان، وهو يريد الطغيان، ولكن كان في ضلال بعيد نأتي بِمَثَلٍ واقعي: صفّ يحوي خمسين طالبًا، هناك طالب سيئ جدًّا يُغري أكثر الطلاب كي ينساقوا معه إلى طريق السرقة والغياب عن المدرسة، يسْتجيب له بعض الطلاب، والباقون لا يستجيبون، فالذين استجابوا له هم على شاكلته، فهذا الطالب الفاسد ما فعل شيئًا إلا أنَّه ذكَّرهم بالفساد فالذي استجاب هو على شاكلته، قال تعالى:

﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (29)﴾

[سورة ق]

هذا مشْهد من مشاهد يوم القيامة، قال تعالى:

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21)﴾

[سورة ق]

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا..." من هو الموفَّق ؟ والعاقل ؟ والذكيّ؟ الذي يصْحو في الدنيا، فكلّ الناس سيصْحون عند الموت، ويعرفون الحقائق التي جاء بها الأنبياء ويعرفونها معرفةً دقيقة، فإما أن تصْحوَ الآن، أما أن تصْحُوَ غدًا وعندها كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ(158)﴾

[سورة الأنعام]

كأن يطَّلِع طالب بعد الامتحان على الأجوبة، ويأخذ أصفار في كل المواد ولكن يطلب من الإدارة إدراج اسمه لأنّه عرف الأسئلة بعد الامتحان !! قال تعالى:

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (29) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (30)﴾

[سورة ق]

أيها الإخوة، العقل، والذّكاء والفلاح، والتَّوفيق، والفوز والنَّجاح والتَّفوّق أن تعرف الحقيقة قبل فوات الأوان، لأنَّه بعد فوات الأوان لا قيمة لهذه الحقيقة بل إنّ هذه الحقيقة تزيد الإنسان ندمًا وشقاءً، وإنَّ العار ليلْزم المرء يوم القيامة حتَّى يقول: يا رب، لإرسالك بي لى النار أهْونُ عليَّ ما ألقى، وإنَّه يعلم ما فيها من شِدَّة العذاب ! نحن في الدنيا إذا الإنسان تورَّط في ورْطة وكان مِن الممكن أن لا يقع فيها يَنْدم أشدّ النَّدَم. فالإنسان العاقل يتحمَّل مسؤوليَّة أعماله، ودائمًا غير العاقل تجد له رغبة غير جامحة أن يرمي بِأعماله السيّئة على مسؤوليّة الآخرين ! يقول لك: ما علَّمني أهلي، والشيطان أغراني، والبيئة سيّئة، أو لفِتَن قائمة، والدَّخل قليل ؛ هذا كلّه غير مقبول عند الله، لأنّه تعالى يقول

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة]

فلو قلتَ إنَّ طاعة الله فوق وُسْعي لكذَّبتَ بهذه الآية ومن كذَّب بآيةٍ كفر لأنّ الاستقامة في وُسْع الإنسان، والله موجود وهو الرزاق والآمر ضامِن فلو سألك نصَحت إنسانا بِنَصيحة ما هل تستطيع أن تضْمن له النتائج ؟! أما إن أمرك الله بِأمرٍ فهو ضامِن للنتيجة.

لذلك آخر ما أختم به هذا الدرس، قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30)﴾

[سورة فصلت]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-8) : تفسير الآيات 31 - 34

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، ربنا سبحانه وتعالى إذا ساق لنا وصْفًا من أوصاف أهل النار التي يرْتعد لها القلب، يسوق بعدها وصْفًا لأهل الجنَّة، لذلك ينبغي أن يتَّجِهَ المؤمن إلى الله عز وجل راغبًا تارةً، وخائِفًا تارةً أخرى وقد ورَدَ في بعض الأحاديث القدسيّة أن: يا رب إنِّ أعلم أنَّني أُحِبُّك وأُحِبُّ مَن يُحِبُّك، فكيف أُحبِّبُك غلى خلقك ؟ قال: ذَكّرهم بآلائي ونعمائي وبلائي! الآلاء من أجل أن تُعظِّم الله، والنَّعماء نم أجل أن تُحِبَّهُ والبلاء من أجل أن تخافهُ.

أحيانًا نقول للإنسان: يتفضَّل الله عليك بِنِعمة الصّحة، ونِعمة الزَّوجة ونِعمة الأهل، ونِعمة السُّمعة الطَّيِّبة، ونعمة راحة البال، ويُجري على أعماله أعمالاً طيّبة، وأحيانًا نقول: هناك أورام خبيثة، وهناك تشمّع في الكبد، وهناك فشلٌ كلوي، ذَكّرهم بآلائي ونعمائي وبلائي، البلاء مكابح والنعماء محرِّك يقودك إلى الله، يا داود ذكِّر عبادي بالإحسان إليهم فإنّ النفوس جُبِلَت على حُبِّ مَن أحسَن إليها ! فربُّنا عز وجل مِن حكمته البالغة في كتابه الكريم كلَّما ساقَ مشْهدًا من مشاهد أهل النار، أتْبعَهُ بِمَشْهدٍ من مشاهد أهل الجنَّة، فالدرس البارحة كان على أهل النار، قال تعالى:

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19)﴾

[سورة ق]

ثمَّ يقول الله تعالى:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31)﴾

[سورة ق]

صار المتَّقون بينهم وبين الجنَّة قاب قوسين أو أدنى، تقرأ في الدنيا القرآن الكريم، وتستمعُ إلى حديث رسول الله، والنبي عليه الصلاة والسلام يُبشِّر المؤمن بالجنَّة، والله جلّ جلاله يُبشِّر المؤمن بالجنَّة، لذلك قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(8)﴾

[سورة التحريم]

الوُعود التي وعَدَ الله بها المؤمنين ؛ هاأنتم أولاء ترونها رَأْيَ العَيْن ! قال تعالى:

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32)﴾

[سورة ق]

أي هذا ما وُعِدتُم به وهي الجنَّة، فيها ما لا عين رأَت، ولا أُذُن سَمِعت ولا خطر على قلب بشر، وأنا أقول لكم – وأنا أعْني ما أقول – أحيانًا مفهوم الجنَّة والنار، والعذاب والحساب، والجنَّة والآخرة كأنَّ هذه المفهومات ليْسَت في حساب الإنسان المسلم الآن ! يعيش دُنياهُ فقط وآلامه فقط، وكأنَّ الحياة تنتهي عند الموت، وقد نسِيَ أنَّ الحياة تبدأ عند الموت ! لذلك قال تعالى:

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32)﴾

[سورة ق]

أوَّاب على وزن فعَّال أيْ كثير الأوْبَة إلى الله تعالى، كلما أخطأ يتوب إلى الله وكلما زلَّت قدمهُ يرجع إلى الله تعالى وكلما تكلّم كلمة لا تُرضي الله تعالى تاب إلى الله، تاب مرَّةً، ودفعَ صدقةً مرَّةً، ومرَّغ جبهته، وصلى على النبي أخرى، فالله تعالى ما قال: آيِبٍ، ولكن قال أوَّاب ؛ كثير الرجوع إلى الله تعالى، فممكن أن تستغفر الله باليوم مائة مرَّة، وكلما وقع الإنسان بغَلَك، فمعنى ذلك أنَّه أوَّاب ؛ أي كثير الأوبة إلى الله تعالى، وحفيظ يَحفظ أمْر الله تعالى ونَهْيَهُ، وهو على وزن فعيل، يحافظ على أمر الله نهْيِه، وكان عمر رضي الله عنه وقَّافًا عند حدود الله، أما قولهم: لا تُدقِّق هذه من الشيطان ! قال تعالى:

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(49)﴾

[سورة الحجر]

وقال تعالى:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ(54)﴾

[سورة الزمر]

فأوَّاب هو كثير الأوبة والرجوع عند كلّ خطأ، وعند كلّ كلمة أو نظرة لا ترضي الله، فهذه السيّدة عائشة ماذا قالت عن السيّدة صفيَّة ؟قصيرة!

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ *))

[رواه الترمذي]

قذف محصنة يهدم عمل مائة سنة ! ولو بالإشارة !! فمن هو المؤمن ؟ الوقاف عند حدود الله والوقاف عند حدوده تعالى، ويُعظِّم شعائر الله، ويؤدِّي العبادات أداءً متقنًا أما من يقول: لا تُدقِّق فهذا كلام الشيطان لأنّ المؤمن عليه أن يُدَقِّق، وركعتين من ورِع خير من ألف ركعة من مخلِّط !

قال تعالى:

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33)﴾

[سورة ق]

خافهُ بِعَقلِهِ، أما الحيوان فيخاف بِعَينيه، وكذا الأحمق، أما الإنسان الراقي يخاف بِعَقلِه، ومرَّةً ناقش الإمام الغزالي نفسه فقال: يا نفسُ لو أنَّ طبيبًا منَعَك من أكلةٍ تُحِبّينها، فلا شكّ أنَّك تمتنعين منها، أَيَكُون الطبيب عندك أصْدَق من الله تعالى ؟! فالله منعك من أشياء كثيرة، قال تعالى:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا(37)﴾

[سورة الإسراء]

ومنعَكَ من الكِبر والشحّ، ومنعك بالخوض في أعراض الناس، ومنَعَك من الكذب، ومن أشياء كثيرة، فالطبيب تُنفِّذ له ما يقول، ولا تنفّذ أمر الله تعالى ! فما أكفرَكِ، أيَكون وعيد الطبيب أشدّ عندك من وعيد الله إذًا فما أجْهلَكِ ! فكلّ إنسان يعصي فهو إنسان غبيّ وجاهل، قال تعالى:

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33)﴾

[سورة ق]

فهو ما رأى النار، وما رأى الجنَّى ولكنّ الله تعالى أخبره بها.

قال تعالى:

﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33)﴾

[سورة ق]

أيْ قاب آيبٌ إلى الله تعالى، قال تعالى:

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34)﴾

[سورة ق]

لا مرض ولا قلق، ولا زواج غير موفّق، ولا ابن لا يُحتَمل، ولا دخل قليل ! ولا أولاد لا تحتملهم، ولا أزمة سَكَن، ولا طعام ولا خوف، كلّ هذا منهيّ عند دخول الإنسان الجنَّة ! قال تعالى:

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34)﴾

[سورة ق]

الآخرة مَبنيَّة على شيء غير الدنيا، ففي الدنيا قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ(6)﴾

[سورة الانشقاق]

لو أردت أن تأكل صحن سلطة لاحتجت إلى ساعة، وكذا من أجل البناء خرائط وتخطيط ومال، وكدّ فَنِظام الحياة الدنيا نِظام سَعي أما في الآخرة فالأمر خلاف هذا، لهم ما يشاءون ! هذا هو نظام الآخرة، أيُّ شيءٍ خطر بِبَالك تراه أمامك، يجلس الواحد في الجنَّة فيقول: إنَّه كان لي قرين، فإذا به يطَّلع عليه في لحظتها ! قال تعالى:

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ(51)﴾

[سورة الصافات]

كلّك أعْين وآذان، فالجنّة نظامها لهم ما يشاءون، قال تعالى:

﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(23)﴾

[سورة الحاقة]

تأتيك الشجرة فتأكل ثمرها، والحقيقة إذا أمضى الإنسان سنوات في معصِيَة الله وخَسِر الجنَّة، ويكون أعقل عقلاء الأرض إذا تحمَّل بعض المتاعب من أجل الجنَّة، وقد ذكرتُ مثلاً، وردَّدْتُهُ كثيرًا إلا أنَّه يُناسب المقام الآن: كان هناك باصات في المهاجرين تقف قبل المرجة، ففي أيام الصيف الحارة، يصعد الراكب فيجد على اليمين شمس محرقة، وعلى اليسار ظلّ فيجلس في الظلّ، ويصعَد راكب ويُشَغِّل عقله فيجلس بالشمس ! لماذا لأنَّ هذا الباص سيدور بعد دقيقة واحدة، وتنعكس الآية إلى آخر موقف، فهذا المثل يمثِّل الحياة الدنيا والآخرة، فالذي جلس بالظِلّ وتمتَّع به نصف ساعة، والذي عطَّل عقله جلس بالظل دقائق، وخسر الظلّ نصف ساعة، فكيف إذا كان للأبد فالراكب الذكي عاش المستقبل وليس الحاضر، فالحاضر هنا شمس، وهنا ظلّ، والإنسان لا ينجو إلا إذا عاش المستقبل، والأقل غباء يعيشون الحاضر، وهل هناك في المستقبل حدَث أخطر من الموت ؟ هذا أخطر حدَث، وهو ينتظرنا جميعًا، ولا يمكن لمَخلوق أن ينْجُوَ منه، فما دام لا بدّ آتٍ فلْنُعِدَّ له التوبة والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-8) : تفسير الآية 35

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية الخامسة والثلاثون من سورة ق، وهي قوله تعالى:

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)﴾

[سورة ق]

أيُّ طلبٍ يرِدُ على خاطرِك تَجِدهُ أمام، هذا نِظام الآخرة، فَنِظام الدنيا أساسه الكدّ، والسَّعي، وبذْل الجهد، وعبَّر الله عنه بِقوله:

﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ(6)﴾

[سرة الانشقاق]

الدنيا مَبنيَّة على التَّكليف، والتكليف يعني ذو كُلفة، وضبط الشهوات مُجاهدة النفس والهوى، وهذه الجاهدة، وهذه الطلعة، وهذا التكليف ثَمنُ الجنّة، ففيها ينتهز غضّ البصر، وضبط اللِّسان، وأيّ شيءٍ تريده أمامك، أما الأدَقّ من ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)﴾

[سورة ق]

المزيد النَّظر إلى وجه الله الكريم فالمؤمن في الجنّة يرى ربَّه كما يرى القمر ليلة البدر، وقد ورد في بعض الآثار أنَّه يغيب خمسين ألف عامٍ من نشْوة النّظرة الواحدة، قال تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(22)إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(23)﴾

[سورة القيامة]

والآية واضِحة وصريحة، هل هناك أكبر من ذلك ؟ قال تعالى:

﴿ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(72)﴾

[سورة التوبة]

أكبر من النَّضرة إلى وجه الله الكريم ؛ الرِّضوان، فلهم ما يشاءون ولدينا مزيد من النظر إلى وجه الله الكريم، ومن رِضوان الله عز وجل وهذه الحياة إلى ما شاء الله ثمنها هذه السَّنوات المعدودة، إذًا ضبَط الإنسان نفسه وحواسَّه، وضبَط دخله وإنفاقهُ، وعمله نجح.

أيها الإخوة الكرام، ربُّنا عز وجل ما كلَّفنا فوق ما نُطيق، فأنت أمير بيْتِك وأمير عَمَلك، إن أقَمْتَ الإسلام في بيتك وعملِك فلا شيء عليك وإن نصَحت المسلمين تولَّى بك، فهذا أحدُ خلفاء بني أُميَّة صَعِد المنبر في العيد وأراد أن يخطب قبل صلاة العيد لِيَضْمن بقاء الناس في الخطبة، فأمْسَكَ به أحد التابعين وهو سعيد بن جبير، وقال له: إنَّ رسول الله لم يفْعل هذا فقال أحدهم: إنَّ هذا أدَّى الذي عليه ! فأنت أطِعْ ربَّك وانْصَح الناس سواء استجابوا أم لم يستجيبوا فأنت أدَّيتَ الذي عليك، وأمرْتَ بالمعروف ونهَيْت عن المنكر، فجنَّة إلى أبد الآبدين ثمنها طاعة معدودة.

وبالمناسبة كلّ شَهوة أودعها الله في الإنسان جعل لها قناةً نظيفة،فالقضيَّة قضيّة ضَبط، وقضيَّة نِظام، فالمؤمن إنسان يبحث عن منهج ربِّه، لذلك قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

المعنى المخالف أنَّه لو اتَّبع هواه وِفق هدى الله، أحبّ المال وأراده فَكَسِب المال الحلال، لا شيء عليه، أحبّ المرأة فتزوَّج، أحبّ العلوم فَحَفِظ كتاب الله عز وجل، وأحبّ أن يكون شَخصيَّة مرموقة فبالغ في طاعة الله وفي ذِكر الله، فكلّ خصيصة خصَّك الله بها، لها طريق مشروع ترقى عند الله وعند المؤمنين وعند الناس، ولها طريق غير مشروع يكسب الإنسان لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فالقضيَّة قضيَّة تفكير ومُحاكمة فمن ابتغى أمرًا بِمعصيَةً كان أبعَدَ ممَّا رجى، وأقرب مِمَّا اتَّقى، وما عند الله لا يُنال إلا بِطَاعته، قال تعالى:

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾

[سورة الأحزاب]

فالآية تُفيدنا أنَّ على الإنسان أن يضَعَ في أولويَّات حِسابه الدار الآخرة ينتج عن هذا أنَّ كلّ حركة أو سكنَةٍ أو كلمة أو ابتسامة أو عطاء أو منع أو صلة أو قطيعة أو غضب أو رضا تدرسُهُ وتهيئ له جوابًا يوم القيامة مثلاً من هو أعلى قاضٍ بالأرض ؟ رسول الله صلى الله عليه وسلّم فهو سيّد الخلق، وحبيب الحق، و يوحى إليه، ومعصوم، وأنت ذو لِسانٍ طليق، فإذا احْتَكَمْتَ إليه وكنتَ طليق اللِّسان فحكَمَ لك، مَن حَكَم لك ؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن مُحِقًّا لا تنجو من عذاب الله تعالى،

((فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا*))

[رواه البخاري]

علاقتك مع الله وحده، والله ناظر إليك، وإلى قلبك وسلوكك، ونواياك وبواعثك فحينما تعلم أنّ الله يعلم تستقيم، فلا يمكن لإنسان مهما كان غبيًّا أن يرتكب مخالفة سَير أمام الشرطي والنقيب والسيارة أمامه ! فما دمت تعلم أنّ الله يعلم تستقيم، لذا اِجْهد أن تعلم أن الله يعلم، وأنَّه معك، واعبُد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك ويقول عليه الصلاة والسلام: أفضل إيمان المرءِ أن يعلم المرءِ أن الله معه حيثما كان! فحينما تجهد أن تعلم أنّ الله يعلم، ولعلّ سِرَّ خلق السماوات والأرض من أجل أن تعلم أنَّ الله يعلم ، وقد تستغربون في قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا(12)﴾

[سورة الطلاق]

حينما تعلم أنَّك في قبضة الله وعلمه، فَكُن أيَّ إنسان فلا بدّ أن تستقيم على أمره، ولا يعصي الإنسان الله إلا حينما تهتزّ عنده هاتان الفكرتان ؛ يعلم وأنَّه قدير، بِثانِيَة تنقلب الحياة إلى جحيم قد تتعطَّل أحد أجهزتك، وتمرض حينها لا قيمة للمال ولا للأولاد ولا للزوجة فأنت في قبضة الله دائمًا، كما أنَّك في رحمة الله دائمًا، والله تعالى إذا أعْطى أدْهش، لذلك اِحْرَص على أن يرضَى الذي بِيَدِهِ كلّ شيء، والذي بيَدِهِ صحَّتك وأهلك وأولادك ورزقك، والسكينة التي يتجلَّى الله بها عليك وهذا كلّه من قول الله تعالى

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)﴾

[سورة ق]

أما أهل النار فقد قال تعالى عنهم:

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا(56)﴾

[سورة النساء]

قال تعالى:

﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ(77)﴾

[سورة الزخرف]

أنت خُلِقت من نور الله، وأنت خُلِقتَ لِتَبقى، إلى أبد الآبدين، إما في جنَّة يدوم نعيمها، أو في نارٍ لا ينفذ عذابها، ونحن الآن في بحبوحة الحياة الدنيا، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(33)﴾

[سورة الأنفال]

فنحن ما دمنا في سنَّة النبي عليه الصلاة والسلام فنحن في بحبوحة الله تعالى.

والآية الثانية المطمئِنَة، قال تعالى:

﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ(18)﴾

[سورة المائدة]

لو كانوا أحبابه لما عذَّبهم، وقال تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ(51)﴾

[سورة التوبة]

فأنت ما دمتَ مستقيما فأنت تحت رحمة الله عز وجل

((فقد روى مسلم وغيره عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ قَالَ فَقَالَ يَا مُعَاذُ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا *))

[رواه مسلم]

فالله أنشأ لك حق عليه، أطِعهُ كما أمركَ وطالبْهُ بِحَقِّك كما وعدَك، فهذا حديث رسول الله، فما عليك إلا أن تستقيم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-8) : تفسير الآية 37

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآية السابعة والثلاثون من سورة ق، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)﴾

[سورة ق]

الحقيقة أنَّ هذه الآية أشارَت إلى طريقين اثنين لِتَلَقِّي الحقائق ؛ الطريق الأوَّل أن تُفكِّر في خلق السماوات والأرض لأنَّ القلب هنا يعني مركز النَّفس، قال تعالى:

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(46)﴾

[سورة الحج]

القلب الصَّنوبري مركز الجَسَد، قال عليه الصلاة والسلام

((إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ *))

[رواه البخاري]

هناك قلبُ النَّفس، فالنَّفسُ البشريَّة ذات الإنسان وهي التي تؤمن وهي التفكر، وهي التي تحبّ وتبغض، وهي التي تسْمو تسْقط هي تنافق وتُخلِص، والنّفس البشريَّة لا تموت، ولكنَّها تذوق الموت، وهذه النَّفس البشريَّة قلبها مركزها، فالإنسان يعْقِلُ بِقلبِهِ، أوضِّح لكم هذه الحقيقة بِبَعض الأجْهزة الحديثة.

الحاسوب فيه هارد، وفيه ذاكرة، فالذاكرة تُمحى إذا انقطَعت الكهرباء أما الهارد فالمعلومات تُخزَّن به ميكانيكيًّا، ولا تُمحى، فالإنسان يُفَكِّر فإذا وصَل إلى حقيقة عَقَلها القلب فأصْبَحَت من مكْتسباته، ومن ممتلكاته اِجْلِس بين أشخاص، فالذي تتحدَّث به من دون تَحضير؛ خِبراتُك والحقائق الراسِخة فيك، هذه تتحدَّث بها من دون إعداد، وهذه هي التي عَقَلتها فلذلك لا قلب مركز العقل النَّفسي، فالرأس فيه دِماغ، والدِّماغ فِكر والفكر جِهاز استشاري، وفيه استنباط واستِدلال ومحاكمة وتذكّر وتخيّل وتصوّر فهذه نشاطات الدِّماغ، ولكنّ الحقائق التي توصَّل إليها الفِكر البشري إذا تكرَّرت وترسَّخَت ودَعَمَتها الأدلَّة والشَّواهد والخِبرات والممارسات ؛ هذه تنقلب إلى عَقل نَفسي، لذلك الإنسان حينما يموت ليس معه إلا عقلهُ النَّفسي مَن ربُّك ؟ الله ربّي، وما دينُك ؟ الإسلام ديني ومن نبيُّك ؟ محمَّد صلى الله عليه وسلَّم نبيّي، فلو سُئِلَ هذا السُّؤال، وكان الشَّهوات دينه، من ربُّك ؟ لقال: الشَّهوات والمرأة والمال، ففي القبر لا مجال للظُّهور بِمَظهر لسْتَ عليه !

ففي القبر تُجيبُ عن واقِع، فالذي تكون عقَلْتَهُ في الدنيا هو الذي تُجيب عليه، فقد تقول: المال إلهي ! وقد تقول: الشَّهوة ديني، فإذا قال الإنسان في القبر : الله ربِّي، والقرآن كتابي ومحمَّد صلى الله عليه وسلَّم نبيِّي ؛ معنى ذلك أنَّ هذه الحقائق عقَلَها في الدنيا، فلذلك كما قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)﴾

[سورة ق]

لا إنسان أحيانًا يطبخُ طبْخةً بيَدَيْه فيأكلها، وأحيانًا يأكل أكلاً جاهزًا، فقد تأتيك لا حقائق جاهزةً، وقد يأتيك درسُ عِلْمٍ، ودرسُ تفسير أو فقه أو سيرة أو حديث، حقائق جاهزة تُقَدَّم لك، وما عليك إلا الإصغاء لها، فهذا طريق إلى الإيمان أيضًا، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)﴾

[سورة ق]

ما معنى لَذِكْرى ؟ أنت إذا ذَهَبتَ إلى بيروت، ورأيتَ الصَّخرة المشهورة صَخرة الانتحار، ثمَّ عُدتَ إلى الشام، وقال لك أحدٌ: أنا كنتُ البارحة في بيروت وأنا وقفتُ عند هذه الصَّخرة، تقول له: نعم هذا صحيح ! فكيف تذكَّرت أنت هذه الصَّخرة ؟ لأنَّكَ شاهَدتها، وإلا لكان الكلام لا معنى له يقول الله:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)﴾

[سورة ق]

معنى ذلك أنّ الحق فِطري، ونفسُكَ مفطرة على الإيمان، فإذا آمنْتَ ارْتاحَت نفْسُك، واطمأنَّ قلبُك، وسَكَنَتْ جوارحك، واعتَدَلتْ سيرتُك، أما إذا ابْتَعَدَ عن الإيمان اضْطرب الإنسان، واختلَّ، وتطرَّف، وقسا، لذا أوَّل فِكرة: إنَّ في ذلك لذِكْرى ! أيْ كلّ هذا القرآن يُذَكِّرُك بِفِطرَتِك، فأنت مفطور على معرفة الله وعلى طاعته، فإذا اسْتَقَمتَ على طاعته وَجَدْتَ نفْسَكَ، لذا قالوا: في النَّفسِ فراغٌ لا يملؤُه المال، ولا المركز العالي، ولا الشَّهوات، فلا يملؤُهُ إلا الإيمان بالله عز وجل، وأيّ أخٍ كريم يبْحثُ عن سعادَتِهِ، ويبْحثُ عن سعادته، فليس هناك إلا طريق واحِد، ومكان واحِد هو أن تتَّصِل بالله عز وجل، لذا الدِّين الإسلامي متوافق مع الفطرة البشريَّة، فالإنسان لا يرتاح ولا يسْتقرّ ولا يطمئنّ ولا يستلقي على فِراشِه ناعِم البال إلا إذا أطاع الواحِد الدَّيان واصْطَلَحَ معه، وشَعَر أنَّ الله يُحِبُّه وهو معه أينما كان يُدافِعُ عنه، وينصُرهُ، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾

[سورة ق]

أيْ فكَّر مليًّا، وبحَث عن الدليل، ووصل إلى حقيقة وعاشها، وأكَّدَها الواقع، وارتاحَت إليها الفطرة، وجاء بها النَّقْل فَوُضِعَت على الهارد –سواقة الأقراص الصلبة التي تُخزَّن فيها المعلومات في الحاسوب – والذي لا يزول بِقَطع الكهرباء، وهذا هو العقل البشريّ، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)﴾

[سورة ق]

لذا كلّ أخ من إخواننا الحاضرين هناك بِحَقْل لا تِّجارة مثلاً حقائق مُسَلَّمَة مِن خلال خبراتِه والخسارات السابقة، ومن خلال الدُّيون التي لم تُدْفَع ومن خلال البيع السريع، ومن خلال عدم ضَبط الحِسابات، تجد التاجر عندهُ مُسَلَّمات وهذه المُسَلَّمات نتيجة خِبرات، ومآسي، وآلام، فهذه الحقائق العميقة والثابتة، والتي دَعَمها الفِكر، والعقل، والفِطرة، والواقع هذه معقولات مكانها في القلب، وكلّ واحِد منَّا له معقولات، قد تكون في الدنيا، فقد تقول: لا أبيعُ أيَّ إنسان! ولا أُتاجِر بِمَال الغير ! هذه حقيقة ثانية، وحتَّى في الخِبرات الأسريَّة، ففي موضوع زواج البنات، تجد أب له خِبرات عاليَة جدًّا، فَمِن خِلال خِبراته أصْبح لديه حقائق ثابتة جدًّا وحقائق مُسَلَّم بها، وفي الدِّين مِن أكبر المعقولات ؛ لا يُمكن أن تسْعَد بِالبُعْد عن الله تعالى، قال تعالى

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)﴾

[سورة طه]

وبالواقِع حينما أهْمَلَ صلاته واتِّصاله بالله شَقِيَ شقاءً كبيرًا، وبالفطرة يجد نفسَهُ انْقبَضَت والمنطق عارِضَهُ، فحينما يأتي العقل والمنطق فيُؤَكِّدُهُ والنَّقل فيدْعَمُهُ والفِطرة فترتاح له، والواقع يقبلُهُ، أصْبَحَتْ هذه الفكرة مُسلَّم بها ومعْقولة لأذلك المعقولات لا تحيدون عنها أبدًا، أما كأفكار وانْطِباعات قد لا تقْنعُ بها، وقد تفهَمُها وتُخالفها، أما المعقولات، فلو أنَّ إنسانًا له شُرفة جِدارها منخَفِض، وأحدُ أولاده وقَعَ، ماذا يفعل بعد ذلك ؟! يُنشِأُ حاجزًا أعلى فإذا اشْترى بيتًا ثانيًا فأوَّل شيء يقول لك: ضَعْ لي حاجزًا ! لأنَّ تألَّم مِمَّا سبق، وأحيانًا يُدَيِّنُ شَخصًا من دون سند، ويكون صاحب هذا الدَّين نصَّاب، ففي المرّة الثانية يُوثِّقُ هذا بِسَنَد، هذه الحقائق الني بلغت حدًّا عميقًا اسمها المعقولات، وهذه مكانها القلب، ويؤكِّد هذا قوله تعالى:

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(46)﴾

[سورة الحج]

عند حالة أخرى كَهذه الحالة إنسان دَخل بيت الله فجلس واستَمَع درسَ دينٍ، يأتي بِحقائق مع الأدِلَّة والبراهين والواقع ؛ هذا عِلم جاءَك عن طريق السَّماع فن أعْمَلْتَ عقْلَكَ وقبِلْتَهُ تبنَّيْتَهُ، وأصْبحَ مِلْكَك قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)﴾

[سورة ق]

لذلك الأزْمة يوم القيامة هي أزْمة عِلم فقط ! ماذا يقول أهل النار، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ(10)﴾

[سورة الملك]

بين أهب النار وأهل الجنَّة العلم والعقل، فلا يُعَدُّ هناك عملٌ أعظمُ أهمِّيَةً من أن تتلقَّى العِلم، والعلم المصيري الذي يتعلَّق بِمَصيرِكَ، فليس كلّ عِلْمٍ ينفع، قال عليه الصلاة والسلام: نسَّابة هذا علم لا يضرّ من جهل به ولا ينفع من تعلَّمه، فلو أنَّ أحدًا عنده مكتبة ضَخمة، وعند بعد يومين فحْص فهل من المعقول أن يقرأ غير الكتاب المُقرَّر ؟! فنحن مصيرنا بالآخرة هذا الكتاب الكريم، وهو المقرَّر علينا،و غِنًى لا فقْر بعدهُ، ومن أوتِيَ القرآن فظنَّ أنّ أحدًا أوتِيَ خيرًا منه فقد حقَر ما عظَّم الله تعالى، ومن تعلَّم القرآن متَّعَهُ الله بِعَقلِه حتَّى يموت هذا كتابنا المقرَّر ولا يبلى مع كثرة التكرير، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)﴾

[سورة ق]

يشْهد الحقائق، وسَمِع تحليلها وتعليلها وتفسيرها وبيانها، فقَبِلَها فأصْبَحت من معقولاته، لذا حياةٌ من دون عَقْل ولا إلقاء سَمعٍ حياةٌ بهيميَّة والناس رجلان كما قال عليه الصلاة والسلام

((النَّاسُ عَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ *))

[رواه الدرامي]

كُن عالمًا أو متعلِّمًا أو مسْتَمِعًا أو محِبًّا ولا تكن الخامس فتَهلَك، قال علي رضي الله عنه: الناس ثلاثة ؛ عالِمٌ ربَّاني ومتعلِّم على سبيل نجاة وهمجٌ رعاع أتباع كلّ ناعِق ! لم يستضيئوا بِنُور العِلم ولم يلجئوا إلى ركنٍ وثيق فاحْذَر يا كُمَيلُ أن تكون منهم ! هؤلاء يُسَمُّونهم في المصطلحات الحديثة الخطّ العريض، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ(116)﴾

[سورة الأنعام]

هؤلاء الذين يُشكِّلون سواد الناس، أتباع كلّ ناعِق بيتٌ مسلم من أسرة مسلمة يرتادون المساجد، وبِمُجرّد أن تُذيع المذيعة في ثيابٍ فاضِحَة يُسارع أهلهُ بشْراء هذه الثياب !أين الدّين ؟ وأين المنهج ؟ وأين كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال

((يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))

[رواه أحمد]

فنحن أيها الإخوة الكرام نحتاج إلى أن نعقِل أو نلقي السَّمع، ونحتاج إلى العلم حتَّى ننْجُوَ.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-8) : تفسير الآيات 39 - 43

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، الآيات التاسعة والثلاثون، والأربعون والواحد والأربعون من سورة ق، وهي قوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾

[سورة ق]

دائمًا الكافر يتطاوَل، ويُجَرِّح، ويتَّهِم، ويسْخَر، ويُكَذِّب ؛ هذا شأنُ الكافر، ومنذ خلق الله السماوات والأرض إلى يوم القيامة، معركة الكُفر والإيمان معركةٌ قديمة ومستمرَّة، فالكافر هو الكافر، والمؤمن هو المؤمن. ربُّنا عز وجل يأمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يصْبِر، فلأنْ نصْبِرَ نحن من باب أولى، قال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾

[سورة ق]

وأنت في أعلى درجات الإخلاص، تُتَّهَم أنَّ لكَ غرضًا من هذه الدَّعوة وأنت في أعلى درجات الصِّدق، تُتَّهَم بالكذب، وأنت في أعلى درجات الأمانة تُتَّهم بالخيانة، فَمِن علامات آخر الزَّمان أن يُصَدَّق الكاذب ويُكَذَّب الصادق، وأن يُؤْتَمَن الخان، ويُخَوَّن الأمين، قال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾

[سورة ق]

كلّ ما يستطيع أن يفْعَلَهُ أهل الكُفْر أن ينالوكم بِألْسِنتهم، أما أفعالهم فهي بيَدِ الله عز وجل، لن يصِلوا إليكم لأنَّ الله تعالى يُدافِعُ عنكم، وقد يسأل سائلٌ: ربُّنا سبحانه وتعالى أثبتَ في القرآن الكريم كلَّ التُّهَم التي اتُّهِمَ بها النبي عليه الصلاة والسلام مِن قِبَلِ كُفَّار مكَّة، قد يقول أحدنا: يا ربّ هؤلاء قالوا عنه عليه الصلاة والسلام: مَجنون ! وقالوا عنه: ساحر وقالوا عنه: شاعر، فلماذا ثبَّتَّ يا ربّ هذه التُّهم في القرآن الكريم ؟ وهو يُتْلى إلى يوم القيامة ! فلو أنّ أحدًا سبَّ الآخر نُسَجِّل هذا السُّباب في كتاب ونُوَزِّعُهُ في كلّ أنحاء العالم ! فلماذا أثبَتَ الله التُّهم التي اتُّهِمَ بها النبي مِن قبل الأعداء ؟ قال تعالى:

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(52)﴾

[سورة الذاريات]

ووصَفوه أنَّه كاهن أو شاعر، ووصفوه بأنَّه مجنون ! قال تعالى:

﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ(2)﴾

[سورة القلم]

فالله تعالى أثْبَتَ هذه التُّهَم في كتابه الكريم لِيَكون لنا أُسوةً حسنة وتَسْليةً لنا إذا اتُّهمنا، يُرْوَى أنَّ سيّدنا موسى عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والتسليم يُناجي ربَّه فقال: يا ربّ لا تُبقي لي عَدُوًّا قال يا موسى هذه ليْسَت لي !! ألَيس هناك أعداء لله عز وجل، هناك أعداء كثيرون يتَّهِمون الله عز وجل بالظُّلم، قال تعالى:

﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(64)﴾

[سورة المائدة]

وقال تعالى

﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ(181)﴾

[سورة آل عمران]

هذا كلام اليهود والمؤمن يمضي إلى هدفِهِ، ولا يصْغي إلى أحد، قال تعالى:

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ(110)﴾

[سورة الأنعام]

المؤمن كلَّما تمرَّس بالإيمان لا يعبأ بِقَول أهل الباطل، ولا يُقيمُ وزْنًا لِتُهَمِهِم، ولا لِتَعليقاتهم، ولا لِسُخريَّاتهم، قال تعالى:

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ(38)﴾

[سورة هود]

قال تعالى:

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ(104)﴾

[سورة المؤمنون]

قال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(115)﴾

[سورة المؤمنون]

وفي آيةٍ أخرى قال تعالى:

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ(34)﴾

[سورة المطففين]

أيها الإخوة الكرام، البُطولة مَن يضْحَكُ آخر الأمْر، ومن يضْحكُ في النَّهايَة، لا في البِدايَة، فَوَطِّنْ نفْسَكَ إذا اسْتَقَمْتَ على أمْر الله تعالى سَتُتَّهَم بالتَّزمُّت، والعقليَّة الغيبيَّة، وبالقَوْقَعَة، وتُتّهَم بالجمود، والبُعد عن العَصر فهذه كُلُّها تُهَم قائمةٌ، ونحْفظها غَيْبًا.

قال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾

[سورة ق]

فلو كنتَ تأكلُ أكلة من أرقى مستوى وقال لك أحدهم: هذا طعامٌ سيئ ! أنت تأكل وتستمتع، دَقِّقوا في هذه الآية، قال تعالى:

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ(88)﴾

[سورة هود]

الأمور واضِحة، والهدف واضِح، ويقيني بالله قويّ، وكأنَّني أرى أهل الجنَّة في الجنَّة يتنعَّمون، وأهل النار في النار يتعذَّبون، قال تعالى:

﴿ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ(28)﴾

[سورة هود]

أنت على بيّنة، وفي قلبِكَ رحمة وأنت على بيّنة وفي قلبِكَ تَجَلّي، وأنت على بيّنة، وفي قلبِكَ نورٌ، وأنت على بيّنة وفي قلبِكَ أمنٌ ومرتاح ومطمئنّ إلى حُكم الله تعالى، وراضٍ بما قسَمَهُ الله لك، وتشْعرُ أنَّ أمْرَكَ بيَدِ الله وحْدهُ، وأنَّ الأمّة لو اجْتَمَعَت على أن ينفعوك بِشَيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبهُ الله لك، وأنهم لو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبهُ الله عليك قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ﴾

[سورة هود]

هذه هي البيّنة، قال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39)﴾

[سورة ق]

فَهِمَ النبي عليه الصلاة والسلام من هذه الآيات الصلوات الخمس، والتَّسبيح هو التَّنزيه والتَّمجيد، والتسبيح الخُضوع، وكلَّما قرأتَ في كتاب الله: فسبّح بِحَمد ربّك ؛ اِفْهَم المعاني الثلاث، فلا بدّ من أن تُنَزِّه الله على كلّ ما لا يليق به، ولا بدّ من أن تجول جولات وجولات في كمالات الله عز وجل ؛ في رحمته، وفي عِلمه، وفي قدرتِهِ، وفي لُطفِهِ، وفي حِكمته وفي رأْفَتِهِ، وفي عَدلِهِ، هذا هو التَّسبيح أن تُنَزِّه وأن تُمَجِّد، وما قيمة التَّنزيه والتَّمجيد إن لم تخْضَع، قال تعالى:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39)﴾

[سورة ق]

((ابن آدم لا تعجز عن ركعتين قبل الشَّمس أكْفِكَ النَّهار كلّه ! فعن جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ *))

[رواه مسلم]

إن أردْتَ أن تأخذ ضمانةً من الله بِيَوم وليلةٍ فصَلِّ الفجر والعشاء في جماعة، وقال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا *))

[رواه البخاري]

وهذه أوقات الرَّحمات.

قال تعالى

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40)﴾

[سورة ق]

أي بعد أن تُصَلِّي قل: الحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42)﴾

[سورة ق]

والله أيها الإخوة لا يُسَمَّى العاقل عاقلاً إلا إذا أعدَّ لهذه الساعة الحَرِجَة، قال تعالى:

﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ(9)﴾

[سورة المدثر]

تصوَّر إنسانًا مجرمًا، يأخذ الأموال ويُنفقها على ملذَّاته، وشَهَواته وفي النوادي الليليَّة، وعلى السَّهرات الحمراء وخضراء، ثمَّ أُلْقِيَ القبض عليه وسيق إلى السِّجن وحوكِمَ، وحُكِمَ عليه بالإعدام ! هذا اليوم عسير فهذا المجرم وصَل مع المجتمع إلى طريق مسدود، حينما تُصدِّقهُ محكمة النَّقد وحينما يُرْفع إلى رئاسة الجمهوريَّة، ويُصَدَّق، ويُساق هذا المُجرم لِيُشْنَق قبل أن يُشْنق إن أحبَّ أن يضْحك فلْيَضْحك، ولكن لا بدّ أن يُشْنق، وإن أحبّ أن يبكي فلْيبكي فلا بدّ من الشَّنق، وإن أحبَّ أن يسْتعطِف فلْيسْتَعطِف فلا بدّ من الشَّنق ؛ هذا اسمهُ الطريق المسدود.

أيها الإخوة الكرام، كلّ الذي أرجوه من الله عز وجل أن لا نصِلَ مع الله تعالى إلى طريق مسدود، وأنت الآن في بحبوحة، فما عليك إلا بالتوبة وتأدِيَة ما عليك من حقوق وواجِبات، ذِمَم، واطْلُب السَّماح مِمَّن نهَشْتَ عِرْضَهُ، ومِمَّن اغْتَبْتَهُ، أنت الآن في بحبوحة الحياة الدنيا، ولكن إيّاك أن تصل مع الله إلى طريق مسدود، قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42)﴾

[سورة ق]

كلّ عملٍ عمِلْتَهُ في الدُّنيا سيُعْرضُ عليك، قال تعالى:

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(14)﴾

[سورة الإسراء]

والله أيها الإخوة لِشدَّة ما أسْتَمِع حول طغيان الناس وأكلهم المال الحرام وحول عُدوانهم على بعضهم بعضًا ولو على مستوى النَّظر والحديث والاستمتاع كأنَّهم ليْسُوا مسلمين، وكأنَّهم لن يموتوا، ولن يُحاسبوا، مع أنَّ كلّ شيءٍ له حِساب دقيق، قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجر]

قبل أن تأخذ، وأقبل أن تعطي، وقبل أن تعطي وقبل أن تمْنَع، وقبل أن تغضب، هل هيَّأْتَ لله تعالى جوابًا الإنسان أحيانًا يهيئ مليون جواب لِواحد قويّ، لماذا قلتَ كذا ؟ هذه سُجِّلَت عليك، ولماذا ذَهَبْتَ إلى المكان الفلاني ؟ فالواحِد مع الإنسان القويّ يهيئ ألف جواب، فكيف مع الذي لا يخفى عليه خافيَة ؟ قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43)﴾

[سورة ق]

الإنسان حينما يُدْفنُ في قبرِهِ أوّل ليلة يُناديه منادي أنْ عبدي قد رجعوا وتركوك، وفي التراب دَفَنوك، ولو بقوا مع ما نفعوك، ولم يبْقَ لك إلا أنا وأنا الحيّ الذي لا يموت ! هل يستطيع واحِدٌ مِنَّا أن ينْفذ من القبر ؟! ما الذي يُؤنِسُ في القبر ؟ العمل الصالح واستقامته هذا الذي يُؤنسُ في القبر يا قُيْس إنَّ لك قرينًا يُدْفنُ معك وأنت ميّت وتُدفنُ معه وهو حيّ، إن كان كريمًا أكرمك، وإن كان لئيمًا أسْلمَك ألا وهو عملك ! أحد الإخوة خبَّرني بِمَوت هذا أحد الإخوة، فقلتُ أزورهُ في البيت قبل أخذه إلى المقبرة فذَهَبتُ ورأيتُهُ، والله أيها الإخوة كأنَّه واحدٌ من الجلوس جالسٌ معنا ! هذا الأخ كن يقول لي: إن كان هناك أخ فقير اِبْعَثه لي كي أُقْرِضَهُ !! وأنا هناك تذكَّرتُ عملهُ الصالح ! فكُلٌّ مِنَّا يلقى عمله الصالح.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : تفسير سورة الذاريات

الدرس (1-7) : تفسير الآيات 1-5 ، التفكر في الكون

الدرس (2-7) : تفسير الآيات 15-21 ، ثمرة العمل الطيب

الدرس (3-7) : تفسير الآية 25 ، آداب الضيافة

الدرس (4-7) : تفسير الآيات 32-45 ، البلاء

الدرس (5-7) : تفسير الآيات 47-51 ، الكون

الدرس (6-7) : تفسير الآية 56 ، لماذا خلق الإنسان؟

الدرس (7-7) : تفسير الآية 56 ، أسباب الرزق

الدرس (1-7) : تفسير الآيات 1-5 ، التفكر في الكون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين :

أيها الإخوة الكرام :

الآيات الأولى من سورة الذاريات ، وهي قوله تعالى :

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً (2) فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً (3) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً (4) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5)﴾

أيها الأخوة:

هناك ربطٌ بين مظاهر الكون وبين حقائق الدين، الذاريات هي الرياح التي تحمل السحاب، والسحاب يجري بيسرٍ من دون صوتٍ، هذا السحاب توزع أمطاره في أماكن شتى من الأرض، هذا المقسم به جواب القسم، إنما توعدون لصادق، وإن الدين لواقع، هذا الربط بين خلق السماوات والأرض، وبين اليوم الآخر.
أيها الأخوة:

لو رأيتم في بعض الموانئ، رافعةً عملاقة يمكن أن ترفع مائة طن، ماذا تقول ؟ لابد من أن هناك بواخر عليها بضائع ثقيلة جداً يجب أن تربط بين هذه الرافعة العملاقة التي يمكن أن تحمل مائة طن في حملةٍ واحدة، وبينما على السفن من بضائع ثقيلة جداً، قاطرات أحياناً.

لذلك ربنا عز وجل في بداية هذه السورة، الذي خلق السماوات والأرض، الذي خلق المجرات، الذي خلق الرياح، الرياح عملية معقدة جداً، الهواء يتمدد بالحرارة، وينكمش بالبرودة، فإذا في حر نقول ضغط منخفض، هواء مخلخل، وإذا في برد نقول ضغط مرتفع هواء كثيف، الهواء يتحرك من الضغط المرتفع، إلى الضغط المنخفض، فالقطب بارد، وخط الإستواء حار، يجب أن تتجه الرياح من الشمال إلى الجنوب، هذه رياح فرق الضغطين.

الآن أشعل مدفئ في غرفة، وضع شمعةً على شق الباب تتجه شعلتها نحو الداخل، إنه الحر في الغرفة خلخل الهواء، أصبح ضغط منخفض والهواء خارج الغرفة بارد ضغطه مرتفع، والهواء خارج الغرفة بارد ضغطه مرتفع، الهواء ينتقل من الضغط المترفع إلى الضغط المنخفض، موضوع الرياح موضوع معقد جداً،

هذه الرياح تحمل بخار الماء، وبخار الماء يتشعب في الرياح بحسب حرارة الرياح فكل درجة حرارة للهواء استيعابٌ لبخار الماء، فإذا انتقل الهواء المحمل ببخار الماء إلى منطقةٍ باردة، تخلى عن بعض ذرات الماء فعقدت حبات المطر.

ربنا عز وجل قال:

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً (14)﴾

(سورة عم: 14)

يعني الهواء المحمل ببخار حينما يواجه جبهة باردة كأنه يُعصر، وتنزل عندئذٍ الأمطار.

آيات الله عز وجل دقيقةٌ جداً، فهذه الذاريات، وتلك الحاملات، وهذه الجاريات، وتلك المقسمات،

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5).﴾

يعني الذي خلق هذا الكون لن يعقل أن يترك الإنسان سُدى.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37)﴾

(سورة القيامة: 36 . 37)

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)﴾

(سورة المؤمنون)

إذاً إذا دخلت إلى جامعة، ورأيت أبنيتها الشاهقة، ومخابرها الدقيقة ومدرجاتها الفسيحة، وحدائقها الغناء، وأبنية سكن طلابها، وملاعبها وقاعاتها، ومخابرها، ماذا تستنتج ؟ لابد من امتحان في آخر العام أيعقل أن يداوم الطالب بلى امتحان، ينال شهادة بلى امتحان.

هنا بالآيات الربط، والذاريات ذروا، فالحاملات وقرا، فالجاريات يسرا، فالمقسمات أمر، إنما توعدون لصادق.

يعني مثلاً لو جمعنا هطول المطر في العالم كله، كل بلد في عندها نشرة جوية وعندها نسب هطول، لو جمعنا هطول الأمطار في العالم كله، خلال عشر سنوات لفوجئنا أن كمية الأمطار التي تهطل على شتى بقاع الأرض ثابتة لا تتغير، طبعاً بعد إحصاءات طويلة عريضة، نحن قطرنا المتواضع في شي مائة مركز قياس أمطار، أيام يبلغونا إياها، بالقامشلي ثلاث وعشرين ميليمتر، الحسكة، جرابلس، تل أبيض، النبك، تدمر، دمشق المطار، دمشق المزة، بعطيك مائة مركز لتجميع الأمطار.

لو أخذنا كميات الأمطار الهاطلة في خمس قارات، لفوجئنا أن كمية الأمطار ثابتة في كل السنين، كيف عرف النبي هذه الحقيقة ؟ قال عليه الصلاة والسلام

((: ما عامٌ بأمطر من عام. كيف ؟ ما عامٌ بأمطر من عام))

ولكن كل عام في توزيع جديد، يأتي أحيانا جفاف في أوربا، وشتاء مطير بالشرق الأوسط، أحياناً جفاف في إفريقيا، شتاء مطير في آسيا، المطر واحدة، لكن التوزيع مختلف، فالمقسمات أمر والذاريات ذروا، فالحاملات وقرا ، كيف يحمل الهواء بخار الماء ؟ علم، يحمل بخار الماء بحسب حرارته، فإذا واجه الهواء الذي يحمل بخار الماء جبهة باردة تخلى عن مائه وكأن عصر مائه.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً (14)﴾

طيب، لابد من أن ينعقد هذا الماء على ذرة غبار أيضاً، تكون نواة لقطرة المطر، هذا الذي خلق الكون بهذه الدقة وهذا الإعجاز لن يحاسب الإنسان، لن يسأله عن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه لن يسأله عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل به، لن يسأله عن تقصيره، عن تجاوزه، عن عدوانه، عن كسب مالٍ حرام، عن عدوانٍ على عرضٍ لن يحاسب ؟

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ﴾

إنما توعدون لصادق، وإن الدين الجزاء لواقع.

فإذا أيقنا أنه لابد من حسابٍ دقيق، وأن كل عملٍ يحاسب عليه الإنسان إن خيراً فخير وإن شراً فشر، إذا أيقنا بهذه الحقيقة لابد من أن نستقيم على أمر الله.

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (6)﴾

يوم الدين يوم الجزاء.

أسماء الله الحسنى كلها محققةٌ في الدنيا، إلا اسم العدل يحقق في الآخرة، في الآخرة تسوى الحسابات، يعطى ذي كل حقٍ حقه، يعطى كل إنسانٍ نصيبه من جهده وعمله الصالح،

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (6)﴾

إذا الربط بين مظاهر الكون ويوم الجزاء، لذلك الذي يفكر في خلق السماوات والأرض، يقول الذي خلق هذا الكون: لم يخلق الإنسان عبثاً ولم يخلقه بلى هدف، لابد من هدف ولابد من حساب، لأنه في عنا حقيقة كمال الخلق يدل على كمال التصرف.

أنت لو تعاملت مع شركة تصنع الحواسيب الإلكترونية، لابد من أن يكن تعاملها وفق قواعد علمية، لا يليق بشركة في أعلى درجة من الفهم والدقة والخبرة أن يكون التعامل بطريقة بدائية.

كمال الخلق يدل على كمال التصرف فربنا عز وجل ذاتٌ كاملة، خلقه كامل، خلقه معجز، إذاً تصرفه حكيم، ليس من الحكمة أن يخلق غنياً وفقيراً، قوياً وضعيفاً صحيحاً ومريضاً، معمراً وقصير العمر، وسيماً ودميماً، لو ما في آخرة في مشكلة، في مشكلة كبيرة جداً، قد يقول الفقير يا رب أنت أفقرتني أنا أشتهي الطعام لأجده، الغني يكاد يتمزق من التخمة، من دون آخرة هناك ألف سؤال وسؤال، فلذلك النقطة الدقيقة في هذه الآية.

إن كمال الخلق يدل على كمال التصرف، فمن كمال الله عز وجل وهذه صنعته بين أيدينا، من كمال الله أن يسألنا يوم القيامة عن أعمالنا، وعن حركاتنا، وسكناتنا، وعن أعمارنا، وعن شبابنا وعن كسبنا وعن إنفاقنا وعن علمنا،

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (6)﴾

هذا هو الربط، في بالقرآن الكريم آيات ربط رائعة جداً.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)﴾

(سورة الماعون: 1 ـ 2)

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

(سورة القصص: 50)

إذا وجدتم آية فيها ربط بين شيئين، هذان الشيئان متغيران يحكمهما قانونٌ واحد، فكلما تأملت في عظمة الخالق استنبطت أن تصرفه حكيم ومن الحكمة أن يحاسب الخلق عن أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-7) : تفسير الآيات 15-21 ، ثمرة العمل الطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام:

الآيات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة وحتى الآية الواحدة والعشرين تبدأ بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19) وَفِي الْأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

هؤلاء الذين اتقوا ربهم في الدنيا، هؤلاء الذين غضوا أبصارهم هؤلاء الذين حفظوا فروجهم، هؤلاء الذين حرروا دخلهم، هؤلاء الذين أنفقوا مالهم فيما شرع الله عز وجل، هؤلاء الذين ربوا أولادهم، هؤلاء الذين حملوا زوجاتهم على طاعة الله، هؤلاء الذين أقاموا الإسلام في بيوتهم، هؤلاء الذين أقاموا الإسلام في عملهم، هؤلاء الذين رجوا رحمة ربهم.

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15)﴾

هذه الثمرة، وهذه النتيجة،

﴿ آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾

يعني، أيام إنسان يدع ويكرم، يجلس في أجمل مكان وعلى أفخر أريكة وأمام أجمل مناظر، تقدم له أنواع الشرابات، أنواع المقبلات، يخدم خدمةً رائعة، تقدم له ألوان الأطعمة، ألوان اللحوم، أنواع الفواكه، أنواع الحلويات، الورود، يعطر، يكرم، يشيع إلى الباب.

﴿ آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾

كانوا في دنيا، كانوا في دار عمل، واليوم دار جزاء، كانوا في دار تكليف، واليوم دار تشريف، كانوا في دار كد والآن دار متعة،

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾

لماذا يعاملون هذه المعاملة ؟ لماذا يكرمون هذا التكريم ؟ لماذا هم في أعلى درجات السعادة ؟ قال:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) ﴾

هذا الثمن أن تكون محسناً في الدنيا، مطلق، تحسن عملك، تتقن عملك، تضبط لسانك، تربي أولادك، تكتفي بما أحل الله لك، تأخذ ما لك تترك ما ليس لك

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) ﴾

لك صنعة أتقنها إرحم المسلمين بالأسعار، أتقن الصنعة من أجل أن ترقى،

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) ﴾

ثمن هذه الجنة، التي لهم فيها ما يشاءون، التي هم يأخذون ما أتاهم ربهم، ثمن هذه الجنة

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) ﴾

عمله طيب، في إنسان عمله سيئ، جار خبيث، جار شرير، جار عدواني.

أخ كريم يعمل في إكساء البيوت، أحد العمال يحمل أنبوب حديد مس سيارة الضوء الخلفي، أقسم لي بالله وهو صادق الضوء جرح اثنين سانتي، جرح ما انكسر، نزل صاحب المركبة أقام النفير، قال له كل خساره عليك، قال له: أمهلني إلى الغد، في الغد قال له: ثمانية عشر ألف وخمسمائة، قال له الضوء كله ثمنه ثلاثة آلاف، قال له ثمانية عشر ألف وخمسمائة، وإلا بقيم قيامتك، لأنه السيارة خاست قال له ركب ضوء جديد، قال له بفك الضوء وتركيبه السيارة خاست قال لي ثاني يوم آكل ضرب الصندوق واصل للمقعد الخلفي، بكاملها ما عاد طالبني بشي أبداً.

في إنسان عدواني، شرير، ما بريح أحد، واحد عمر غرفة بأرض الديار، بيته أرضي، بدو يزوج ابنه، لا حجب ريح، لا حجب منظر لا حجب شمس ضمن وجيبته الداخلية، خبر هدلوا ياها، عدواني.

هؤلاء

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) ﴾

في محسن، وفي مسيء، في متواضع، في متكبر، في مفسد، في مصلح ، في مستقيم، في منحرف، في خائن، في مخلص، في معطاء، في أخَاذ، يبني حياته على الأخذ، في إنسان يبني حياته على العطاء.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) ﴾

هذه الجنة التي ينعمون بها، هذا النعيم المقيم، لهم فيها ما يشاءون،

﴿ آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16)﴾

هذا العطاء بسبب ذاك الإحسان.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) ﴾

لماذا صار محسناً ؟ من أين جاءه الإحسان ؟ من أين جاءه هذا الفضل ؟ طيب ما هذا التواضع ! ما هذه الرحمة التي في قلبه ؟ ما هذا الإنصاف ؟ ما هذه الواقعية التي يحياها؟ ما هذا القلب الكبير الذي يسع جميع الناس

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) ﴾

قال

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) ﴾

آيات متسلسلة، الجنة بسبب الإحسان، الإحسان بسبب الاتصال بالله، الله عز وجل مصدر كل كمال، فاتصلوا به فأصبحوا محسنين

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17)﴾

اتصالهم وتهجدهم وإقبالهم وتذللهم وافتقارهم وصلتهم بالله عز وجل صبغة قلوبهم بالكمال، فأصبحوا محسنين.

يعني الإنسان إذا اتصل بالله، الأثر الواضح أنه محسن، في كل شيء محسن، في بيته في عمله، في صنعته إن كان تاجر صادق، أمين لا يكذب، لا يغش، لا يحتال، لا يحاذي، إذا كان صانع متقن معتدل، في أي شيء

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) ﴾

طيب، كيف اتصلوا بالله عز وجل ؟ بدنا السبب، قال

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19)﴾

أنفقوا من أموالهم فاتصلوا بربهم فأحسنوا إلى خلقه فاستحقوا جنة ربهم بالتسلسل،

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19)﴾

لماذا أنفقوا أموالهم وغيرهم لا ينفق ؟ لأنهم عرفوا ربهم، وفي الأرض آياتٌ للموقنين فكروا في ملكوت السماوات والأرض.

إذا كانت الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، وبين الأرض والشمس مائة وستة وخمسين مليون كيلومتر، وفي نجم أحمر يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، فكروا في الكون، فكروا في المجرات، فكروا في الشمس، في القمر، في الليل، في النهار، في خلقهم في هذه العين هذا الأنف، هذه الأذن، هذه الأعضاء، هذا الهيكل العظمي العضلات، القلب، الكبد، البنكرياس.

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)﴾

طيب، لماذا شغلوا غيرهم بكسب المال والمزاحمة على الشهوات ؟ وهم انشغلوا بالله، قال: لأنهم اعتقدوا،

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23) ﴾

بالتسلسل، اعتقدوا أن الرزق مضمون، فاشغلوا أنفسهم بعض الوقت في رزقهم، بعض الوقت، وبعض الوقت في معرفة ربهم، فلما عرفوا ربهم تقربوا إليه في إنفاق المال، فلما تقربوا إليه في إنفاق المال اتصلوا به فلما اتصلوا به اصطبغت قلوبهم بالكمال، الانعكاس المادي إحسان للخلق، الإحسان سبب الجنة، انصرفوا إلى معرفة الله تقربوا إليه بإنفاق المال، أقبلوا عليه اصطبغت نفوسهم بكمال الله أصبحوا محسنين استحقوا جنة رب العالمين.

هذه الآيات:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19) وَفِي الْأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23)﴾

الطريق مفتوح، أولاً أطلب العلم ولا تجعل كسب المال يأكل كل وقتك، أنت أكبر خاسر، لو كان دخلك باليوم مليون ودخلك الكبير ما سمح لك أن تفعل شيئاً ولا أن تستمع إلى مجلس علم ولا أن تؤدي طاعةً ولا أن تأمر بالمعروف، فأنت خاسر.

إخواننا الكرام: دققوا في هذه الجملة، العمل الذي يأكل كل وقتك خسارةٌ محققةٌ لك.

واحد راح لفرنسا ليدرس، ما معه، قال: بشتغل ساعة هالساعة بتكفي مصروف الشهر كل يوم ساعة، مهيأ يأتي بالدكتورة، موعود بمنصب رفيع ببلده، بأجمل بيت، بأجمل زوجة، بأجمل مكانة، بأجمل دخل، بأجمل مركبة، فلقى في شغلة ساعتين ضاعف مبلغه أحسن، ثلاث ساعات ثلاث أمثال، قام وجد شغلة حارس ليلي أثنى عشر ساعة، ووجد شغلة بالنهار أثنى عشر ساعة، قام غطى وقته كله أصبح دخله كبير كثير بفرنسا، يا ترى هذا الدخل ربح أم خسارة خسارة، ضيع بلده، وضيع مكانته، وضيع المنصب.

فأي عمل يأكل كل وقتك هو أكبر خسارةٍ لك، الإنسان يحيى في وقت فراغه، يلي ما عنده وقت فراغ ماله إنسان، هذا آله، يلي عمله يستغرق كل وقته هذا آلة، لا يفهم شيئاً، يأتي الموت فجأةً، أبداً، ماله مستعد، الموت يأتي فجأةً والقبر صندوق العمل.

ملخص الدرس:

إذا سمحت لعملك التجاري، أو الصناعي، أو المهني أن يأكل كل وقتك فأنت أكبر خاسر، لابد من أن تقتطع وقتاً لمعرفة الله، ومعرفة منهجه، لابد من أن تقتطع وقتاً لخدمة الخلق، للعمل الصالح، من أجل أن ترقى.

الشيء الثاني هي تسلسل، يعني عرفت الله، تقربت إليه اتصلت به، اصطبغت نفسك بالكمال، كنت محسناً دخلت الجنة.

لذلك الإنسان إذا وصل إلى الجنة حقق الهدف من وجوده، وكل إنسان يصل إلى الجنة فهو العاقل، وما سواه مجنون، عليه الصلاة والسلام رجل مجنون في الطريق، علم أصحابه قال من هذا، هو يعلم من هذا، قال هذا مجنون، قال لا، هذا مبتلى ! المجنون من عصى الله،

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28)﴾

(سورة هود: 28)

المجنون من عصى الله، لأنه في موت، نحن جميعاً بعد مائة عام ما في حدى منا موجود، كلنا تحت الأرض، بس موزعين، شيء بباب صغير وشيء بالجبل، كلنا تحت الأرض، أليس كذلك، قلت مائة عام حتى واحد صغير ما يقول أنا بكير عليَ، مائة عام، الموت مصير كل إنسان، والآخرة هي الأصل، لذلك هنيئاً لمن عمل لآخرته، يقول عليه الصلاة والسلام

((الكيس من دان نفسه وعمل إلى ما بعد الموت، والعاجز من أتبعى نفسه هواها وتمنى على الله الأماني))

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-7) : تفسير الآية 25 ، آداب الضيافة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

إكرام الضيف :

أيها الإخوة الكرام ؛ الآية الرابعة والعشرون من سورة الذاريات و هي قوله تعالى :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾

[سورة الذاريات الآية : 24]

هل تصدقون أن آداب الضيافة كلها وردت في آية واحدة ، في سطر واحد .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾

[سورة الذاريات الآية : 24-25]

يعني لا أعرفكم .

﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ ﴾

[سورة الذاريات الآية : 26]

راغ إلى أهله ، قال علماء التفسير ، إنسله خفية ، يعني راغ إلى أهله ليعد لهم طعاماً دون أن يسألهم ، الضيف لا يسأل ، نعملك عشى ، بقلك لا والله شكراً ، بتحب تتغذى لا والله ، قهوة لا شكراً محمي عنها ، كل ما سأله بيرفض ، يعني علمنا ربنا في هذه الآية أن الضيف لا يسأل إن أردته أن تكرمه لا تسأله .



السرعة بالإتيان بالطعام من إكرام الضيف

﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾

[سورة الذاريات الآية : 26]

الفاء تفيد الترتيب على التعقيب ثم بعد ساعة ، ذهب إلى أهله وعاد بالطعام ، معنى ذلك أنه مستعد مما يزعج الضيف ، أن تأخر إطعام الطعام ، أن تأخر الطعام ، أجمل شيء بالضيافة أن يأتي الطعام سريعاً ، حتى في المطاعم ، هناك مطاعم تستقطب زبائن كثيراً ،

بسبب سرعة إنجاز الطعام ، أما الانتظار ساعات ، بعطيك المقبلات تأكلها كلها ، الأكل ما أجي .

فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ،

﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾

[سورة هود الآية : 69]


المؤمن كالنحلة لا يأكل إلا طيبا

هي آية ثانية . هنا ..

﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾

المؤمن كالنحلة ، لا يأكل إلا طيباً ولا يطعم إلا طيباً ، لا يأكل إلا طيباً ولا يطعم إلا طيباً

﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾

إذاً :

أولاً : ينبغي ألا تسأل الضيف .

ثانياً : ينبغي أن تعد الطعام سريعاً .


لا تجعل مسافة كبيرة بين الضيف والطعام

أحياناً تضع طبق من الطعام الطيب في طرف المائدة ، والضيف في الطرف الآخر ، يستحي أن يقول لك أعطني من هذا الطبق ، يسكت يجب أن تقرب له أطباق الطعام ، يجب أن تقرب أنت له أطباق الطعام .

أحياناً تضع الفاكهة للضيف وأنت مسترسل في حديث ، تبقى الفاكهة ساعة وساعتين وثلاث ، دون أن تقول له تفضل ، ما راح يأكل لحاله هو ، إلا لم تقل له تفضل لا يأكل .

الآية الكريمة :

﴿ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾

أولاً : الضيف لا يسأل .

ثانياً : ينبغي أن يعد الطعام سريعاً .

ثالثاً : ينبغي أن تقرب له أطباق الطعام .

رابعاً : ينبغي أن تدعوه للطعام .

خامساً : ينبغي أن يكون الطعام طيباً .

لأن المؤمن كالنحلة ، خمسة آداب للضيافة .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾

[سورة الذاريات]

ما أكلوا

﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾

[سورة الذاريات]

الله جل جلاله لا يعجز شيئاً في السماء ولا في الأرض .

القضاء والقدر :

الآن هذه الآية ، قل ما ينتبه إليها أحد ، هذه الآية تلقي الطمأنينة في قلب المؤمن .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾

[سورة الذاريات]

قوم لوط

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾

[سورة الذاريات]


لا يوجد بالإسلام قذيفة طائشة فلو لم تطلق ما قتل بها أحد

على كل حجر أسم الذي سيقتله ، إذاً شيء أسم قذيفة طائشة ما في عنا ، بعقيدتنا ، لو ما ذهب ما مات .

لكل شيء حقيقة وما بلغ عبداً حقيقة الإيمان حتى يعلم ، أنما ما أصابه لم يكن ليخطئه وأنما ما أخطئه لم يكن ليصيبه ، وليس في قاموس المسلم كلمة لو أبداً لا تقل لو أن فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان .

إلا أن العلماء أستسنوا من لو ، لو الإجابية ، واحد استثمر ماله بالربا فصودر المال ، أو محق المال ، أو تلف المال ، لو قال لو لم أستثمره في الربا لما تلف ، صح هذا الكلام صح .

إنسان سهر سهرات مختلطة ، فا شعر أن زوجته ليست على ما يرام مالت لغيره ، وأصبح في هواتف وعلاقات ، لو قال لو أنني ما سمحت بالاختلاط لما كان من شئن زوجتي هذا ، كلامك صح .
لا تقل لو إني فعلت كذا ، و كذا ، في القضاء والقدر ، أما في محاسبة النفس قل لو لم يكن كسبي حرام لما تلف مالي ، لو لم أطلق بصري لما شقيت في بيتي ، لولا لم أفعل كذا لما شعرت بهذه المصيبة .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾

[سورة الذاريات]

لم تأتي البشارة بعد .

﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة الذاريات]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجب المسلم :

في بقى كلام أسمه البلاء بعم والرحمة خاصة ، لا البلاء خاص والرحمة خاصة ، عند الله فوضى ما في خطأ ما في ، الله كماله مطلق ، ماذا نفعل بقوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

[سورة الأنفال : 25]

هذه الآية معناها ، أنك إذا رأيت منكراً ولم تنهِ عنه وصل إليك ، سكوتك عن هذا المنكر معصيةٌ كبيره .

ورد بالأثر :

يا ملائكتي أهلكوا هذه القرية ، قالوا يا رب أن فيها عابداً ، قال به فبدؤوا قالوا ، ولما قال لأن وجهه كان لا يتمعر إذا رأى منكراً ، إذا رأى منكراً لا يتمعر وجهه .

معنى ذلك أن البلاء خاص ، والرحمة خاصة ، أما إذا عما البلاء المؤمن ، فبذنبٍ اقترفه وهو تقصيره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .



كمثل واضح لو أن حريقاً نشب في آخر الشارع ، إذا قلت أنا مالي علاقة ولم تساعد في إطفاء الحريق وصل إليك ، هذا المعنى ، إن لم تساهم في إطفاء الحريق وصل إليك .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آَيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

[سورة الذاريات]

يجب أن تعتقد أنك إذا كنت في طاعة الله فلك معاملةٌ خاصة ، وعدل الله أعظم من أن يأخذ الطائع بالعاصي ، هذا كلام العوام راح الطائع بين رجلين العاصي ، كل واحد له حساب خاص ، البلاء خاص والرحمة خاصة ، أما إذا الإنسان لم يأمر بالمعروف ، ولم ينهى عن المنكر وقع في معصية .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

[سورة هود : 117]

ما قال صالحون ، لو أنهم صالحون لأهلكهم ، صالحون في أنفسهم ، أما الآية مصلحون ، إذا كانوا مصلحين لن يهلكهم الله عز وجل ، يعني في عنا فريضة سادسة ، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى :

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

[سورة آل عمران : 104]

يعني آلاف القصص ، قال لي واحد : أنا سبب هدايتي سائق تكسي حامل خمر قام وطردني من السيارة ، سبب هدايته ، فإذا واحد شاف أهله ، أقربائه بنات أخوه ، بنات أخته ، متفلتات ، كاسيات عاريات وقال أنا مالي علاقة يسطفلوا تنطبق عليه هذه الآية .

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

[سورة الأنفال : 25]

هذا التفلت سينتقل إلى بيتك ، هذه المعصية سوف تنتهي إلى بيتك هذه الفتنة سوف تستعر في بيتك .

فنحن الفريضة السادسة ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرض عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم ..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-7) : تفسير الآيات 32-45 ، البلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الإخوة الكرام:

سيدنا عمر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى ورضي الله عنه كلما دخل مكان عمله دار الإمارة كان يتلوا قوله تعالى:

﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾

(سورة الشعراء: 205 . 206 . 207)

ينبغي لكل إنسان مؤمن أن يقرأ هذا الآيات.

قد تكون في بيت مريح، ومع زوجة تروق لك، ولك دخل كبير ، ومركبتك جاهزة، ولك مكانة اجتماعية، هذه كلها من متع الحياة الدنيا.

أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون.

﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا ﴾

(سورة البقرة: 38)

﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾

(سورة البقرة: 36)

متاع إلى حين كل بطولة الإنسان ماذا بعد هذا الحين ؟ ماذا ينتظرنا بعد هذا الحين؟ ماذا نجد بعد أن يحين الحين ؟

﴿ متاع إلى حين.﴾

انطلقت من آية كريمة في سورة الذاريات وهي قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (37)﴾

سورة الذاريات: الآيات: 31 . 32 . 33 . 34 . 35 . 36 . 37)

هؤلاء أهلكهم الله عز وجل.

﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (40) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (42) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (43) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (44) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (45) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ (46)﴾

(سورة الذاريات: الآيات: 38 . 39 .40 .41 .42 . 43 . 44 . 45 . 46)

قوم نوح، وقوم ثمود، وقوم عاد، وقوم موسى، وقوم لوط، ستة أقوام أهلكهم الله عز وجل، يخاطبنا الله عز وجل، يقول عن آخر الزمان،

﴿ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر﴾

(سورة القمر: 43)

﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾

(سورة القمر: 46)

لأن كل قوماً من السابقين عصوا ربهم معصية واحدة، وقوم لوط، قوم تبع، قوم صالح، قوم عاد، قوم ثمود، قوم موسى، لكن هذا العصر في من كل المعاصي والموبقات.

لذلك قال تعالى،

﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا ﴾

(سورة الإسراء: 58)

من الذي ينجينا نحن ؟ أن نطيع الله عز وجل.

من الذي يطمئننا ؟ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين. معنى ذلك، الرحمة خاصة، والبلاء خاص، إذا قلنا أن البلاء عام، يعني ذلك أن هؤلاء الذين استقاموا عصوا ربهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾

(سورة هود: 117)

الذي يعنينا من هذه الآيات، كلمة حين، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، متاع إلى حين، هذا الحين متى ؟

يعني الآية الكريمة الدقيقة جداً،

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾

(سورة آل عمران: 102)

ما معنى حق تقاته ؟ قال أن تطيعه فلا تعصيه، وأن تشكره فلا تكفره وأن تذكره فلا تنساه، وأن تذكره فلا تنساه، وأن تشكره فلا تكفره، وأن تطيعه فلا تعصيه.

قال: ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، ينهانا أن نموت إلا ونحن مسلمين، الموت بيدنا يا رب، كيف تنهانا عن شئ لا نملكه، قال علماء التفسير: أي لا يأتينكم الموت إلا وأنتم مسلمين.

أوضح مثل لهذه الآية، شركة طيران ثمن البطاقة خمسمائة ألف، افتراضاً، إن لم تسافر يذهب الثمن ولا تسترده، نصف مليون، إن لن تسافر، الثمن يضيع عليك، هذه الشركة، هي التي تأخذك من البيت، ولا تنظر إلا دقيقة واحدة، والموعد من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الثامنة مساءً، أنت ماذا تفعل ؟ أعطيتك هذه الظروف، البطاقة ثمنها خمسمائة ألف، لن تسترد إن لم تسافر، الشركة هي التي تأخذك من البيت، لا تقف إلا دقيقة واحدة، الموعد من الثامنة صباحاً وحتى الثامنة مساءً، أغلب الظن أنك ترتدي ثيابك وتنظر من الثامنة صباحاً وتقف خلف الباب، نصف مليون لأنه، ولن يسترد، هذا معنى الآية، ما دام الموت ليس بيدنا، وقد يأتي بغتة، إذاً: ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، مجهز حالك، مؤدي الحقوق، مؤدي الواجبات، دافع الديون، مستسمح من الناس، بيت إسلامي، عملك إسلامي، كاتب وصية، مجهز حالك، هذا معنى قول الله عز وجل:

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. ذكرت هذه الآية لتوضيح معنى الحين، متى الحين ؟ نكرة، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، كلمة حين نكرة، ليست محددة، يعني أنا ذكرت كثيراً، مرة زرت مدير ثانوية، عندي ساعة فراغ، جلست عنده حدثني حديثاً طويلاً عن طموحاته، وعن مشاريعه، خلال عشرين عام، عشرين عام، سيذهب إلى البلد الفلاني، مدرس معار، وسيمضي الصيف الأول، في بريطانية، والصيف الثاني في فرنسا، والصيف الثالث في إيطاليا، والصيف الرابع في إسبانيا، وسيعود إلى بلده بعد خمس سنوات، وسوف يشتري محلاً تجارياً، وسوف يجعله تحفاً، يعني هي مالها تموين، ما بتنزع، هيك عما يقول، ويكبر أولاده ويأتون إلى هذا المحل ويتسلمونه حديث طويل، وأنا أستمع إليه وضيفني وانتهى اللقاء، ودخلت إلى الدرس وفي مساء اليوم نفسه، قرأت نعوته على الجدران، والله الذي لا إله إلا هو، في مساء اليوم نفسه، قرأت نعوته على الجدران، معنى حين، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين.

بهذه الطلعة بالطريق الصاعد إلى الحجاز، واحد راكب سيارته جاءته أزمة قلبية وهو يقود سيارته، من حسن الحظ، ومن غرائب الصدف أو من توفيق الله عز وجل كان صديقه وراءه، فلما صرخت زوجته حمله إلى سيارته وأخذه إلى المستشفى.

هذا بعد يومين أو ثلاثة طلب آلة تسجيل، ذكر بهذه الآلة على الشريط إن المحل الفلاني كنت قد اغتصبته من أخي، هو لأخي، والمحل الفلاني لفلان، بهذا الشريط وزع كل المغتصبات وذكرها صراحةً، بعد سبعة أيام شعر بنشاط عجيب، وين الجلطة مافي شي، أين الشريط هاتوا كسره، وعاد إلى ما كان عليه، بعد ثمانية أشهر جاءته القاضية، القاضية لم ينجو منها، كانت القاضية، فكانت الأولى إنذاراً من الله عز وجل. أيام الله يعمل إنذار، يبعث للإنسان مرضة، بس مرضة مخيفة مو مرضة عادية، يعني أنتبه اللقاء صار قريب، حتى الإنسان حينما يشيب شعره ويضعف بصره بحط كذلك، وبيغير أسنانه، يعني صار كله اكسسوار، حتى أن الإنسان حينما يشيب شعره وينحني ظهره ويضعف بصره، هذه كلها إشارات لطيفة، لطيفة من الله، أن عبدي قد اقترب اللقاء، فهل أنت مستعد له، يا عبدي قد اقترب اللقاء هل أنت مستعدٌ له، هذا معنى إلى حين،

﴿ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاع إلى حين ﴾

متعناهم إلى حين.

سيدنا عمر بن عبد العزيز كلما دخل دار الإمارة، قبل ما يجلس كان يتلو قوله تعالى هذه آية الشعار، أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-7) : تفسير الآيات 47-51 ، الكون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: الآيات السابعة والأربعون وما بعدها وهي قوله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (48) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (50) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (51)﴾

أيها الأخوة:

من الحقائق التي يعرفها معظم العلماء، علماء الفلك، أن في الكون أكثر من مليون مليون مجرة، وفي كل مجرة، ما يقرب من مليون مليون نجم وكوكب، وأن مجرتنا درب التبان، مجرةٌ متواضعة على شكل مغزل فيها نقطةٌ هي المجموعة الشمسية، التي أرضنا جزءٌ يسيرٌ منها.

أيها الأخوة: كلمة السماء والأرض في القرآن، تعني الكون، والكون ما سوى الله، فإذا وصلنا الآن إلى مليون مليون مجرة، وفي كل مجرة مليون مليون نجم، وكل نجم يتحرك في مسارٍ مغلق.

قال تعالى:

﴿والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إن كل نفسٍ لما عليها حافظ ﴾

(سورة الطارق: 1 . 2 . 3 . 4)

آيةٌ أخرى:

﴿ والسماء ذات الرجع ﴾

(سورة الطارق: 1 1)

الصفة التي تنتظم كل أفلاك السماء، أن كل كوكبٍ يسير في مسارٍ مغلق، أي يرجع بعد حين إلى مكان انطلاقه.

أبعد مجرة اكتشفت حتى الآن بعدها عنا ثلاث مائة ألف بليون سنة ضوئية، ثلاث مائة ألف بليون سنة ضوئية، مع أن الضوء يقطع في الثانية الواحدة، ثلاث مائة ألف كيلو متر بالثانية، وبالدقيقة ستين والساعة

ضرب ستين، وباليوم ضرب أربعة وعشرين، وبالسنة ضرب ثلاث مائة وخمسون وستون، وضرب ثلاث مائة ألف بليون سنة، هذه مجرة اكتشفت قبل عام ونصف، أذاعتها محطة الأخبار العالمية.

طيب، ما عظمة هذا الكون، إذا في ببرج العقرب نجم صغير يتسع للشمس والأرض ومع المسافة بينهما، برج العقرب أحد الأبراج العديدة التي نمر بها في دورتنا حول الشمس خلال عام، إذا كان أحد هذه النجوم الصغيرة، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما.

﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾

في قال بالسماء أماكن ضغط عالي، في نجم اسمه النجم النتروني كان حجمه بجم الشمس، فصار حجمه بحجم الأرض، يعني انضغط مليون وثلاث مائة ألف مرة، في نجم ضغط أكثر من ذلك، هذا أحدث مقال قرأته في مجلة علمية، كان حجمه كحجم الشمس، فصار قطره أربعة عشر كيلو متر، هذا النجم النتروني، الأول اسمه النجم القزمي، في أماكن ضغط عالية، لو دخلتها الأرض، دققوا، لأصبحت بحجم البيضة مع وزنها نفسه، أماكن ضغط عالية، لو دخلت الأرض هذه المنطقة لأصبح حجمها بحجم البيضة مع الوزن نفسه.

نحن كلنا فوقنا في ضغط جوي، لو جبنا حوض من الزئبق وأتينا بأنبوب قطره سانتي متر طويل ونكسناه على هذا الحوض لأرتفع الزئبق في هذا الأنبوب ستة وسبعين سانتي متر، وزن هذه السانتي مترات الستة والسبعين من الزئبق، ألف وثلاث وثلاثين غرام، معنى كل إنسان على سطح البحر، على كل سانتي مربع من جسمه، في وزن ألف وثلاثة وثلاثين غرام، الإنسان كم مساحته، لو فردنا بيطلع مترين، يعني فوقك في عشرين طن، أنت متحمل عشرين طن، إذاً المساحة متر ونصف، خمسة عشر طن، إذا المساحة متر، مو شرط السانتي متر يكون أفقي، عامودي، أي سانتي متر في جسمك فوقه في ضغط كيلو وثلاثة وثلاثين غرام، يلي مساحته مترين حامل وزن عشرين طن.

طيب الألماس كما ذكرت في خطبة سابقة، الألماس فحم، جاءه خمس ملايين ضغط جوي، خمس ملايين ضغط جوي، وحرارة عالية جداً.

لذلك

﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾

يعني، جبل قاسيون في بالأرض معمل بيجعله قد البيضة ؟ كله مستحيل ! الأرض بأكملها إذا دخلت ثقباً أسوداً من هذه الثقوب العملاقة يصبح حجمها بحجم البيضة مع الوزن نفسه، النجم القزمي قطره أربعة عشر كيلو متر، وكان حجمه بحجم الشمس، هذا النجم النتروني والقزمي كان حجمه بحجم الشمس صار بحجم الأرض، هذه معنى بأيدٍ، في قوى كبيرة جداً، هذا جبل هملايا كم ارتفاعه ؟ اثني عشر ألف كيلو متر، اثني عشر ألف متر، يعني اثني عشر كيلو متر وأربعة وعشرين ألف متر تحت الأرض، كل جبل الذي يظهر منه الثلث والثلثان تحت الأرض، الله سماها أوتاد، والجبال جعلها أوتاد.

﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾

معنى، موسعون الكون يتمدد، وهذه أحدث نظرية في الفلك، الكون يتمدد

﴿ وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون.﴾

هذه الأرض حجمها مناسب، سرعتها حول نفسها مناسبة، لو أنها أسرعت، الليل ساعة والنهار ساعة، الحياة لا تطاق، لو أبطأت الليل عشرين يوم، بالقطب الليل ستة أشهر بالليل، الحياة لا تطاق، لو أنها توقفت، وجه ثلاث مائة وخمسين درجة الحرارة قاتلة، وجه مائتين سبعين تحت الصفر، لو أنها توقفت، لو أنها دارت على محور موازي لمستوي دورانها حول الشمس، أيضاً الوجه المقابل للشمس ثلاث مائة وخمسين درجة، الوجه الآخر مائتين وسبعين تحت الصفر.

فهذه الآيات آيات الله في السماء، الشمس لسان اللهب وحده طوله مليون كيلو متر لسان اللهب، مركز الشمس حرارته عشرين مليون درجة مركز الشمس، نعم، والسماء بنيناها بأيدٍ، طيب هي الشمس منذ متى تتألق ؟ قال من فترة بسيطة من خمسة آلاف مليون سنة، من خمسة آلاف مليون سنة، وإلى متى تتألق ؟ قال اطمئنوا لخمسة آلاف مليون سنة قادمة، هي الشمس، طيب، كم حجمها ؟ مليون وثلاث مائة ألف مرة زيادة عن حجم الأرض، يعني الشمس يمكن أن تتسع لمليون وثلاث مائة ألف أرض، وبين الشمس والأرض مائة وستة وخمسين ألف كيلو متر وهذا النجم الصغير قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما.

طيب، الأرض الآن تدور حول الشمس ما سرعتها ؟ ثلاثين كيلو بالثانية، أنا بدأت الساعة وحدة وخمسة الآن وحدة وربع، مضى علينا عشر دقائق، كل ثانية ثلاثين كيلومتر، العشر ثواني ثلاث مائة، بالستين ثانية ألف وثمانمائة، بالستين ثانية يعني بالدقيقة، بالعشر دقائق ثمانية عشر ألف كيلومتر ماشيين بالعشر دقائق نحنا، هذه حقيقة بديهية كل ثانية ثلاثين كيلو متر، كل ثانية، والأرض بدور حول نفسها كل ساعة ألف وست مائة

ألف كيلومتر، والهواء يدور معها، لو الهواء ما دار معها ماذا يحصل، لو الهواء ثابت والأرض عما دور، ألف وست مائة بالساعة، ينشأ أعاصير سرعتها ألف وست مائة، معناها لا تبقي ولا تذر، أي شيء على وجه الأرض يُهدم بفعل هذه الأعاصير، سمعنا عن أعاصير حدثت في مصر، سرعتها مائة وعشرين كيلومتر، لو الهواء وقف والأرض دارت الأعاصير سرعتها ألف وست مائة لا تبقي بناء. لذلك العلماء قالوا: حينما قال الله عز وجل:

﴿ قل سيروا في الأرض ﴾

(سورة الأنعام: 11)

كيف في الأرض ؟ نحن نسير عليها.

الله عز وجل عدا الهواء منها فأنت إذا سرت على سطحها والهواء جزء منها يدور معها أنت إذاً تسير في الأرض لا عليها، لأن الهواء جزءٌ منها، يدور معها.

هذا معنى قول الله عز وجل:

﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون.﴾

يعني الضغوط الجوية، موضوع الضغط، الضغط الجوي عالسانتي ألف غرام وثلاث وثلاثين، طيب، الضغط الجوي على الأرض كم ؟ لو أن الأرض تفلتت من الجاذبية الشمسية، لو أنها تفلتت وأردنا أن نعيدها إلى الشمس، نحتاج إلى مليون مليون حبل فولاذي قطر كل حبل خمسة أمتار، وأمتن عنصر في الأرض هو الفولاذ المضفور يصنعون منه المصاعد والتلفريكات، نحتاج إلى مليون مليون حبل فولاذي قطر كل حبل خمسة أمتار، طيب، كل حبل بيتحمل قوه شد مليونين طن، يعني الأرض مربوطة بالشمس بقوة جذب تساوي مليون مليون ضرب مليونين طن، هذه قوة الجذب، قال من أجل أن تحرفها ثلاثة ميلي بالثانية، كل ثانية ثلاثة ميلي، لينشأ مسار مغلق حول الشمس، لو ما في هالجذب تسير مستقيمةً تتفلت من أشعتها. هذه

﴿والسماء بنيناها بأيدٍ ﴾

الأرض مربوطة بالشمس بقوة جذب تساوي مليون مليون، ضرب مليونين، يعني مليونين، مليون مليون طن.

﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون والأرض فرشناها ﴾

في ترب زراعية، في سهول، في جبال، في وديان، في أغوار، شو الأغوار ؟ الأغوار يعني بيت بلاستكي لكن غور، كل الخضار تنضج مبكرةً بالغور، في بحار، أربع أخماس اليابسة بحار، طبعاً لولا هذا السطح المائي الكبير لما كان هناك أمطار،

﴿ والأرض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾

أحدث نظرية بالفيزياء، حتى المادة ذكر وأنثى، حتى المادة، حتى الذرة في شحنات موجبة وشحنات سالبة، ربنا عما يقول

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين لعلكم تذكرون ﴾

الاستنباط ماذا نفعل إذا كان الكون بهذه العظمة، ففروا إلى الله، هذا الجواب ففروا إلى الله إني لكم نذيرٌ مبين، يعني هذا الإله العظيم الذي خلق هذا الكون ألا تحسب حساباً له، ألا ترجوا رحمته، ألا تخشى، عذابه ألا تطمح برضاه، ألا تطيعه، يعني دقة الآيات.

﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيئ خلقنا زوجين﴾

هذا كلام رب العالمين، الآن اكتشفوا حتى المادة ذكر وأنثى حتى المادة حتى النبات ذكر وأنثى، الحيوان ذكر وأنثى، الإنسان ذكر وأنثى. ومن كل شيئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون.

إذاً ماذا ينبغي أن نفعل ؟ ففروا إلى الله، انطلقوا إليه، توبوا إليه اصطلحوا معه، عودوا إلى منهجه، طبقوا أوامره، ابحثوا عن ما يرضيه

﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله إله آخر إني لكم منه نذيرٌ مبين ﴾

يعني أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا، أطع الله وحده ولا تعبد غيره، فصار الربط، لما بقلك واحد أنه فلان عنده معامل عنده مؤسسات غني كبير، قلبه رحيم، بحب يعطي، كلام ما معناه، يعني أنضم له، أنضم له لينالك من فضله، فلما ربنا يمدح، يمدح ذاته العلية، من أجل أن تطمع من فضله، قلك: والسماء بنيناها بأيد

﴿ وإنا لموسعون والأرض فرشناها ونعم الماهدون ومن كل شيئ خلقنا زوجين، ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-7) : تفسير الآية 56 ، لماذا خلق الإنسان؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمن والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمن: أيها الإخوة الكرام:
يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الذاريات:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)﴾

الحقيقة أنك إذا سافرت إلى بلداً ما، في ذهنك هدفاً واضح، قد تسافر سائحاً، وقد تسافر تاجراً، وقد تسافر طالباً.

إذا سافرت طالباً، وأنت في البلد الأجنبي، كل حركة وكل سكنة تقاسه بالهدف، لو رأيت مقصفاً جميلاً، وعندك غداً امتحان لا تدخل، كل إغراءٍ، وكل حركةٍ وكل سكنةٍ وأنت مسافر بهذا البلد تقيسها بالهدف الذي جئت من أجله.

لذلك الطالب إذا كان هدفه واضحاً، يرجع معه دكتوراه، أما إذا نسيه هدفه وإنساق وراء مغريات طارئة، عاد بخفي حنين.

هذه المقدمة ذكرتها كي نصل إلى أنه لا تصح حركتك إلا إذا عرفت هدفك، لا تصح حركتك إلا إذا عرفت هدفك.

فأنت في الدنيا لماذا خلقت ؟ آلاف الأشخاص يتحيرون، يقول لك لماذا خلقنا الله عز وجل ؟ والجواب واضح مثل الشمس، واضح بجلاء منقطع النظير، يقول الله لك:

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.

العبادة علة وجودنا، علة وجودنا، أنت في الدنيا من أجل أن تعبد الله، فهذا الذي يقول جئت لا من أين أتيت، ولقد رأيت قدامي طريقاً فمشيت، ثم يقول لا أدري لا أدري لا أدري، لكن المؤمن يدري، المؤمن يدري، والذي جعله يدري كتاب الله، والذي جعله يدري هذه الآية، أنت في الدنيا من أجل أن تعبده.

هذا أول شيء، أول حقيقة لا تصح حركتك إلا إذا عرفت هدفك.

أنت الآن في باريس، تاجر الحركة نحوه المعامل.

أنت الآن في باريس سائح الحركة نحوه المتاحف.

أنت الآن في باريس طالب علم الحركة نحو الجامعات.

الحركة تتحدد بحسب الهدف.

طيب هلق الناس يجمعون الأموال الطائلة، يأتيهم الموت فجأة، واحد كان في بلد بالسعودية، بقي له هناك ثلاثون عاماً، وجمع أموال طائلة ولم يحج ولا مرة واحدة، وافته المنية في بلداً سياحي جميل، وهو في الفندق، سكت قلبية، انتهى.

فالإنسان حينما يتحرك بلا هدف هناك صعق، مفاجئة لم تكن بالحسبان أما حينما تتحرك وهدفك واضح، يأتي الموت متوقعاً.

لذلك يقول الله عز وجل وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. والعبادة الطاعة.

العلماء قالوا خالص الطاعة، مع خالص الحب، مع خالص الإخلاص طاعةٌ وحبٌ وإخلاص، لكن هذا الطاعة وهذا الحب وهذا الإخلاص لا يمكن أن يكون من دون أن تعرف الله.

كيف أنه لا تصح الصلاة من غير وضوء، فالوضوء فرض لأنه شرط الصلاة، ولا تصح الطاعة من دون معرفة الله.

طيب إذا عرفته وأطعته، تقطف ثمار الطاعة هي السعادة، التي يبحث عنها كل إنسان كائن من كان، هي السلامة و السعادة.

إذاً معرفةٌ، طاعةٌ، وحبٌ، وإخلاص، سلامةٌ وسعادة، هذه العبادة، معرفةٌ بالله من خلال آياته الكونية، والتكوينة، والقرآنية، وطاعةٌ طوعيةٌ ممزوجةٍ بمحبةٍ قلبيةٍ، وإخلاصٍ شديد هذه تفضي إلى سعادة أبديةٍ وسلامةٍ من كل عطب، فأنت سليمٌ معافى سعيد، هي معنى العبادة.

لذلك ما عبد الله من أطاعه ولم يحبه، وما عبد الله من حبه ولم يطعه تعصي الإله

وأنـت تظـهر حبـه ذاك لعمري في المقال شنيـع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

أيها الأخ الكريم:

يعني كيف إذا كان الهدف أمامك واضح كالشمس ؟ الآن أنت ماذا تفعل باليوم دعيت إلى سهرة مختلطة، هذه تتناقض مع العبادة، أعتذر، دعيت إلى عمل صالح يتوافق مع العبادة بلبي رأساً، دعيت إلى إدلاء بشهادة، وأنا لم أكن شاهداً بتناقض مع العبادة أعتذر، فصار إذا أنت عرفت هدفك، كل حركةٍ وكل سكنةٍ تقيسها بهدفك.

الآن إذا كان طالب عنه امتحان مصيري بينبنى عليه تخرجه، وبينبنى على التخرج تعينه في منصب رفيع، بينبنى على التعين زواجه وبينبنى على التعين رفعة مكانته فرضاً، فقبل الامتحان بأسبوع لو رأى مجلة ما بيقرأها، طيب أن تقرأ مقالة ليس حرام ما بيقرأها، بس ما في عنده وقت لأنه، مادام هدفه واضح والامتحان

مصيري لها ينبني على الامتحان نجاحه وتخرجه، وعلى التخرج تعينه، وعلى التعين زواجه وعلى زواجه بناء أسرة، وتحقيق مكانة علية، إذاً كل هذا الهدف الكبير أساسه هذا الكتاب المقرر، وقد يمتنع عن قراءة صحيفة أحياناً، يأتي هاتف من صديقه، كيفك والله مشغول بتعذرني، طبق السماعة، ليش عملت هيك ؟ هدفه واضح لأنه، قال له صديق أنا في مسألة بالموضوع الفلاني حليتها، تعى لعندي، طيب هلق رفض واحد، قال له تعى لعندي، مادام موضوع مسألة ورياضيات وفحص رياضيات بيستقبله، استقبل، ورفض، واعتذر، ورحب، هكذا المؤمن هدفه واضح، هلق في إغرائات، في مطاليب، بيدرس المطلب، قالت له بدنا كذا، وكذا زوجته أحد الصحابة قال لها: إعلمي أيتها المرأة أن في الجنة من الحور العين مالا لو أطلت إحداهن على الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلا أن أضحي بك من أجلهن أهون من أضحي بهن من أجلك. والله أيها الأخوة، الناس يتحركون بلا هدف يركضون وراء المال، يغتصبون المال، يأخذونه حراماً، بالكذب والخداع، والغش، والاحتيال، ولا يحسبون حساباً لمغادرة الدنيا .

النقطة الدقيقة إذا عرفت هدفك صحت حركتك، واحد جايه لفرنسا طالب علم ركب السيارة على السوربون، قام لقى نادي، نادي كولف يقف ويدخل إلى الداخل ؟ لا هدفه السربون الجامعة، في ألف شيء مغري على الطريق، في نوادي، في مسابح، في متاحف، في مطاعم هدفه الجامعة هلق، هدفه الواضح.

هلق إذا واحد راح لحلب، كم مفرق على اليمن واليسار ؟ مفرق طرطوس، مفرق تدمر، مفرق السلمية، مفرق جبلة، مفرق المعرة، هدفه حلب، كل هذه المنعطفات الجانبية لا يلقي لها بالاً أبداً، هذا حال المؤمن. الله عز وجل يقول: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.

فكل شيئاً يتوافق مع العبادة تفعله حباً وكرامة من كل قلبك، وكل شيء ببعدك عن الله عز وجل ممنوع، يعني أحيان إنسان يمتنع عن قراءة قصة سخيفة، طيب هذا الذي يمضي خمس ساعات وراء أفلام متكرر ساقطة، سخيفة، يعني قصة معروفه، وشيء ممل، وهبوط في الأخلاق وهبوط، خيانات وانحرافات، أين هدفه ؟ هدفه غير واضح، هذا الذي يمضي حتى الساعة الواحدة بالطاولة، هذا ما هدفه، مر أحد علماء الشام الكبار أمام مقهى، قال يا سبحان الله، لو أن الوقت يشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم، بتلاقي المؤمن ما عنده دقيقة فراغ دقيقة ما في عنده، لأنه هدفه كبير، هدفه معرفة الله، هدفه الدعوة إلى الله، هدفه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تربية أولاده، تحصين زوجته، تحقيق شيء، يترك أثر علمي أثر ديني أثر اجتماعي عمل صالح، هذا هدفه، فوقته ضيق جداً، لذلك: إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافه ودنيه، الإنسان إذا عرف هدفه سلك هذا الطريق صار مشغول، قال علية الصلاة والسلام إن لفي الصلاة لشغله، قال كان علية الصلاة والسلام يجلس مع أصحابه، قال فإذا دخل وقت الصلاة فكأنه لايعرفنا ولانعرفه، هدفه كبير.

فيا أيها الأخوة:

لا يحق لواحد منكم أن يقول ليش الله خلقنا، أجابك عن هذا السؤال، أجابك إجابة واضحة، وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، أن تطيعه وأن تحبه وأن تخلص له، ولن تطعيه ولن تحبه ولن تخلص له إلا إذا عرفته، إن عرفته أطعته، إن عرفته تحبه، إن عرفته أخلصت له، إن أطعته وأحببته وأخلصت له تسلم وتسعد، وهذا مطلب كل إنسان في الأرض، من آدم إلى يوم القيامة، من يحب المرض منكم وأنا معكم والله ؟ من يحب العمليات الخطيرة ؟ من يحب الأمراض الخبيث ؟ من يحب الأمراض العضالة ؟ من يحب السجن ؟ من يحب القهر ؟ من يحب الفقر ؟ من يحب الذل ؟ من يحبه ؟ كلنا نبحث عن سلامتنا وسعادتنا، أما الإنسان يبحث عن اللؤلؤ في الصحراء لن يجده اللؤلؤ في البحار، والسعادة في طاعة الله، والسعادة في القرب منه، والسعادة في التضحية والبذل من أجله، والسعادة في مجاهدة النفس والهوى، هي السعادة. فيا أيها الأخوة الكرام:

آية من أدق الآيات وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، العبادة هدفنا العبادة منهجنا، العبادة دستورنا، والله عز وجل يسعدك في الدنيا قبل الآخرة،

﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾

(سورة الرحمن: 46)

﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾

(سورة النحل: 97)

هذا وعد إلهي، هذا فوق المكانة والزمانة والظروف والكساد وقلة الأعمال وعد الله عز وجل، الله عز وجل ليس فقيراً، هو غني، قوي، إذا بدى لكم أن في الشيء قليل، هذا تقنين تأديب لا تقنين عجز،

﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾

(سورة الحجر:21)

يعني إذا الله أعطى أدهش، أعطى أدهش...

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمن، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-7) : تفسير الآية 56 ، أسباب الرزق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: الآية السادسة والخمسون، التي شرحت في الدرس الماضي وما بعدها وهي قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)﴾

الحقيقة أكبر شيئين يقلقان الإنسان، أجله ورزقه، أكبر شيئين يقلقان الإنسان، أجله ورزقه.

أجله مقطوعٌ به،

﴿ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستئخرون ساعة ولا يستقدمون﴾

(سورة الأعراف: 34)

لا علاقة للمرض بأجل إطلاقاً، الأجل شيء، والمرض شيء آخر،

فكم من صحيح مات من غير علةٍ
وكم من سقيمٍ عاش حيناً من الدهر

أحد أخوتنا الكرام:

ولد قبل ستين عاماً، في بيتٍ متواضع في أحد أحياء دمشق، في الغرفة المجاورة، غرفة عمه وزوجة عمه، جاء الأطباء وأخبروا أهل الزوجة، أنها قد انتهت، ولا عليهم أن يكتبوا نعوتها، وأن يستعدوا لموتها، وعاشت هذه المرأة بعد هذا الإنذار سبعةً وأربعين عاماً .

فكم من صحيحٍ مات من غير علةٍ
وكم من سقيمٍ عاش حيناً من الدهر

أيها الأخوة: موضوع الأجل منته ، موضوع الرزق،

﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾

﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ﴾

(سورة الروم: 40)

دقة هذه الآية، أن كلمة رزقكم، جاءت بصيغة الماضي، يعني الرزق مكفول ومضمون، لكن الرزق، أداةٌ تربويةٌ بيد الله، لن تموت جوعاً، ولكن وفرة الرزق، وضيق الرزق، متعلقٌ بسيرك إلى الله طالبني بالدليل ؟

﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ﴾

(سورة الجن: 16 . 17)

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض ﴾

(سورة الأعراف: 34)

هذه اثنين.

﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾

(سورة نوح: 10 . 11

هذه ثلاثة.

الآمانة غناً، الآمين يغتني، الآمانة غناً، هذه أربعة.

قد يحرم المر بعض الرزق بالمعصية خمسة .

وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا

ستة :

صلة الرحم تزيد في الرزق، سبعة.

هناك أدلةٌ كثيرة من كتاب الله ومن سنة رسول الله، أن الرزق جعله الله أداة تربوية.

بالمناسبة ربنا جل جلاله ثبت أشياء، وحرك أشياء، الذي ثبته من أجل استقرار النظام في الكون، دورة الأرض حول الشمس ثابتة، شروق الشمس ثابت من ملايين ملايين السنين، وإلى أبد الآبدين، إلى أن تنتهي الحياة من على سطح الأرض،

﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾

(سورة يس: 38)

إلى أن تصل لهذا الاستقرار، شروق الشمس وغيابها ثابت.

هناك أشياء كثيرة ثابتة، خصائص المواد ثابتة، الحديد حديد، والذهب ذهب، والفضة فضة، أما لو إنسان اشترى كيلو ذهب، فرأى بعد يوم حديداً، انخرب بيته بيكون، ثبات خصائص الأشياء، هذه ثابتة كلها. أما الرزق حركه الله عز وجل، حركه، حركه كأداةٍ تربوية، الصحة حركها.

ذكرت لكم من قبل أنه بعد أن أجريت تجربة، تجربة تفجير نووي بصحراء الجزائر الكبرى، ثاني يوم، رأوا عقرباً يمشي في أرض الانفجار، عكفوا على دراسته خمساً وعشرين عاماً، ثم اكتشفوا أن العقرب بإمكانه أن يعيش ثلاثة سنين متواليات من دون طعامٍ وشراب وأنه يستطيع أن يبقى ثلاثة أيام من دون تنفس، وأنه عرَض لأشعةٍ نوويةٍ قاتلةٍ ثلاث مائة ضعف الأشعة التي تميت الإنسان فلم يتأثر، وأنه نقل من حرارة عشرة تحت الصفر، إلى ستين فوق الصفر لم يتأثر.

أليس من الممكن أن يكون الإنسان كالعقرب ؟ صحيح، الله ممكن أن يلغي مرض كلياً، بس الصحة حركها، الرزق حركه، ثبت شروق الشمس، ثبت دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، ثبت خصائص المعادن، خصائص النباتات، بتزرع خيار بيطلع خيار، لو كان ما في ثبات، بتزرع فستق حلبي بيطلع فستق عبيد، مشكلة هي، بتزرع خيار بيطلع بندورة، البزور خصائصها ثابتة، المعادن خصائصها ثابتة، دورة الأفلاك ثابتة.

أما يلي حركه الصحة والرزق.

فالإنسان قلق على أجله، وقلق على صحته، النبي قال: خيركم من طال عمره وحسن عمله.

لذلك

﴿ ما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ﴾

(سورة الذاريات: 56)

إذا الإنسان احتج على تقصيره في العبادة من أجل الرزق، بماذا نجيبه نجيبه بأن من ابتغى أمراً بمعصيةٍ كان أبعد مما رجى، وأقرب مما اتقى، نجيبه أن كلمة الحق، لا تقطع رزقاٍ ولا تقرب أجلاً، نجيبه بأن الله سبحانه وتعالى ما كان ليظلمك،

﴿ إليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه﴾

(سورة هود: 133)

الآمر ضامن، يعني أنا أريد من هذا الدرس أن أطمئن الأخوة الكرام أن أجلك بيد الله، وأن المرض لا علاقة له بالأجل إطلاقاً، إطلاقاً، أما أقول لك اعتنى بجسمك، اعتنى بغذائك، اعتنى بالرياضة لماذا؟ الأجل أجل، بس إما أن تعيش هكذا واقفاً أو مضجعاً، الأجل أجل لماذا النبي علمنا أن نأكل باعتدال ؟ علمنا بذل الجهد، علمنا النظافة الأجل لا يتأثر، ولكن الصحة تتأثر، فبين أن تمضي هذا الأجل مستلقياً على سرير، وبين أن تمضيه واقفاً نشيطاً، الصحة متعلقة بنوعية مضي الزمن، أما الأجل لا يتقدم ولا يتأخر، الرزق عند الله، فإذا استقمت على أمر الله، فتح الله لك أبواب الرزق، ولا تنسى هذه الآية،

﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليما ﴾

(سورة النساء: 147

العذاب لماذا ؟ واستنبط الإمام الشافعي، أن الله لا يعذب أحبابه، وقد يكون ضيق ذات اليد، أحد أسباب العذابات في الدنيا، قال الإمام الشافعي: مستنبطاً من قوله تعالى

﴿ قالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلما يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾

(سورة المائدة: 18)

لو أن الله قبل دعواكم بأنكم أحبابه لما عذبكم، إذاً إن الله لا يعذب أحبابه، هذه المعاني سقتها لكم، حول العلاقة بين قوله تعالى:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾

(سورة الذاريات: 56)

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾

(سورة الإسراء: 31)

﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾

(سورة الأنعام: 151)

فالله هو الرزاق، والدليل ؟ أنه أعطاك حرفة، أعطاك ذاكرة، أعطاك خبرات متراكمة، ساق الناس إليك، إنسان بيفتح محل يقول يا رزاق يا كريم، الله يسوق الناس إليك، فرزقك بيد الله.

ولما قال الله عز وجل

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾

البيت التي تؤدى فيه الصلوات وتقام فيه العبادات، بيتٌ مرزوق والمحل التجاري التي لا تنتهب في حرمات الله، بتفوت إنسانة تُكلم بجدية مطلقة، يغض البصر عنها، وكأنها أختك، المحل التجاري التي لا ترتكب فيه المعاصي، هذا محل مرزوق، لوفي قانون عام قانون كساد، أسواق مسمومة بتعبير التجار، المؤمن له معاملة خاصة لأن الله عز وجل لا يسوق الناس جميعاً بعصاةٍ واحدة، كل إنسان له معاملة بحسب استقامته. إذا،

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.﴾

الإمام أبو حنيفه رضي الله عنه يقال: أن حديثاً شريفاً غير مجرى حياته، هذا الحديث من طلب العلم تكفل الله له برزقه.

يعني أنت لما بتفرغ للعلم الله عز وجل لا ينساك من فضله، يؤتيك رزقاً معقولاً بجهد يسير، مستحيل إنسان يطلب العلم، والله عز وجل ما يستخدمه في نشر هذا العلم أنت عند الله موظف، إذاً.

﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾

الرزاق صيغة المبالغة، والمبالغة في حق ذات الله العلية، أما نوعاً أو كماً، يعني يمكن يعطيك رزق يكفيك لولد ولدك في التعبير العامة ممكن يرزق مليار إنسان، إما نوعاً أو عدداً.

﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. ﴾

يعني الله عز وجل قوي

﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾

(سورة الحجر :21)

وإذا الله قنن، تقنين تأديب، لا تقنين عجز، إذا الإنسان قنن تقنين عجز، إذا الإله قنن تقنين تأديب، إذاً لنطمئن على أرزاقنا، وأرزاق ذرياتنا، وأرزاق أولادنا.

لكن لو توكلتم على الله حق التوكل، لرزقكم كما يرزق الطير، ماذا تفعل الطير ؟ تغدوا، تتحرك، تغدوا خماصاً، وتعودوا بطاناً، في حركة على الإنسان أن يسعى، وليس عليه إدراك النجاح.

لما بيستقيم يقول يافتاح يا عليم يا رزاق يا كريم، اللهم ارزقني رزقاً حلالاً اللهم ارزقني طيباً واستعملني صالحاً.

الله عز وجل لا ينسى أحداً من فضله، وأدلكم على هذا العلاج، إذا الإنسان ضاق رزقه، ليصلي قيام الليل وليدع الله عز وجل قبل صلاة الفجر، لأن الله عز وجل يقول: في الحديث الصحيح القدسي إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه، هل من تائباً لأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من طالب حاجةٍ فأقضيها له، حتى ينفجر الفجر.

فربنا عز وجل عرض عليكم، أن يجيبكم عن سؤآلكم، هذا وقت إجابة فإذا الإنسان له مشكلة ليسأل الله عز وجل.

﴿ومن يتقي الله يجعل له مخرجاً، ما كان في مخرج، ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾

(سورة الطلاق: 3)

يعني متى تبحث عن مخرج، إذا ما لقيت مخرج.

إذاً ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظن أنها لا تفرج

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : تفسير سورة الطور

الدرس (1-2) : تفسير الآية 21 ، نتائج العمل الصالح في الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: الآية الواحدة والعشرون من سورة الطور وهي قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21)﴾

أيها الأباء: هذه الآية خاصةٌ بالأباء المؤمنين فكل جهد يبذله الأب في تربية أولاده، التربية الإيمانية، والتربية الأخلاقية، والتربية الجسمية والتربية العلمية، والتربية النفسية، والتربية الاجتماعية، كل جهد يبذله الأب، في سبيل تربية أولاده، هذا الجهد محفوظ عند الله بشكل لا يصدق، بحيث أن كل أعمال الأولاد في صحيفة أبيهم.

﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾

ألحقنا بهم أعمال ذرياتهم، إلحاق كامل، لو أنه إنسان أنجب ولد ورباه تربية إسلامية، وأصبح هذا الابن عالماً كبيراً، أو داعيةً كبيراً، أن كل هذا الحجم الكبير، في صفيحة الأب، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: خير كسب الرجل ولده.

طبعاً، والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين.

يعني أنت في النهاية، رهين عملك، رهين عملك، وعملك يعبر عنك وحجمك عند الله بحجم عملك الصالح. أيها الأخوة:

يجب أن نفرق بين الاستقامة والعمل الصالح، الاستقامة طابعها سلبي، طابعها سلبي، فلان لم يكذب، لم يغش، لم يطلق بصره في الحرام، جيد جداً وجميل ولكن ماذا فعل، ماذا قدم، يقول يا ربي زهت في الدنيا، يقول الله له يا عبدي أما زهدك فقد تعجلت فيه الراحة لقلبك، ولكن ماذا فعلت من أجلي ؟

أيام الإنسان بيصدق يحترمه الناس، يعفوا عن أعراض الناس يأمنه الناس، يكونوا أميناً يغنيه الناس، كل هذه الأعمال مردها إلى الإنسان ولكن ماذا قدمت ؟ ماذا بذلت؟ بماذا ضحيت ؟ ما العمل الذي تتمنى أن يعرض على الله عز وجل يوم القيامة ؟ يا بشر لا صدقة ولا جهاد فبما تلقى الله إذاً.

إذاً أعظم الأعمال ولده، أعظم كسب الرجل ولده، لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقةٍ جاريةٍ، وعلمٍ ينتفع به، وولدٍ صالحٍ يدعوا له.

فالجهود الجبارة التي تبذل في تربية الأبناء وتعليمهم وتعريفهم بالله عز وجل، وتعليمهم كتاب الله، وسنة رسول الله، وأخلاق نبيهم وشمائله، وهذا الجهد المبذول، يجعل أعمال ابنك كلها، في صحيفتك وما ألتناهم من عملهم من شيء، أي ما ضيعنا من عملهم شئ.

الابن يحتاج إلى متابعة، إلى عناية، إلى عناية بصحته، عناية بعلمه عناية بعقله، عناية بنفسه، أن ترقب أصدقائه، أين يذهب، أين يعود مع من يصاحب مع من يجلس، هل صلى أم لم يصلي، هل أدى الفرائض أم لم يؤديها، هل المتابعة المستمرة، وأن تحيطه ببيئة صالحة، وأن تتابعه، وأن تنصحه، وأن تجلس معه ملياً، هذه الجهود كلها في النهاية تجعل أعمال ابنك كلها في صحيفتك.

ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين.

يعني أنت عند الله بعملك، هذا الكلام لمين موجه ؟ للمؤمنين، يعني الاستقامة مفروغ منها، مفروغ منه أنك لا تأكل الحرام، ولا ترتكب الكبائر، ولا تطلق بصرك في الحرام، ولا تكسب الدرهم الحرام ولا تنم بين المؤمنين، ولا تغتب، كل شي لا، لا، لا، استقامة هي، وكل شيء، فعلت، قدمت، دفعت أنفقت. فالإنسان يجب أن يبقي أثراً بعد موته.

ذكرت لكم مرة أن أحد خطباء دمشق المرموقين، توفي رحمه الله فحضرت التعزية، فكانت في الأموي، فلما جاء أكثر علماء الشام وقدموا تعازيهم، قام الخطباء يثنون على هذا الخطيب، وعلى جرئته وعلى نزاهته، وعلى خطابته الرائعة، ثم قام ابنه فألقى كلمة، من أروع ما سمعت، ابنه، لغة، وعلم، تناسق، قوة شخصية، وكان حضر أنه وزير الأوقاف، فأراد أن يهنئ الحضور، فعين ابنه خطيباً مكانه، إذاً ما مات الأب، الأب ما مات.

فيا أيها الأخوة:

أنا أعلم أنه في ألف حاجز يمنع أولادكم عن المسجد، فتن كثيرة جداً، رفقاء السوء كثيرون جداً، هناك سهرات حمراء، هناك سهرات خضراء، هناك صحون، هناك أفلام، هناك محطات إباحية، وهذا أشياء كله مفجرة، بتفجر الابن.

قديماً كان الفساد محصور في بئر محدودة، والإنسان طليق، الآن الفساد طليق، فإذا أنت ما حصنت نفسك وحصنت أولادك ففي خطر كبير جداً.

أيام شمة وحدة راح الابن، شمة وحدة، صار مدمن مخدرات، شمة وحدة، وفي شيء كثير جداً.

فإذا كان عناية الآباء بالأبناء، قبل عشرين سنة، ثلاثين سنة، خمسة الآن مائة العناية، المراقبة، المتابعة، ويجب أن تحتوي ابنك، تكون صديق له، لأنه هو يحب الصديق، فإذا أنت بينك وبينه مساقة كبيرة بالعمر، وبالعقلية، وبالتفكير بحس حاله بغربة عنك، الأب العاقل هو الذي يقرب أولاده منه، ويحتويهم ويفكر بتفكيرهم ليكون بديلاً عن أصدقائهم، أصدقاء السوء، هو الأب.

محور الدرس اليوم هو تربية الأولاد، أعمال أولادك كلها في صفيحتك نرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في تربية أولادنا، من جاءه بنتان فأحسن تربيتهما فأنا كفيله في الجنة، في بيت ما في بنات، قالوا واحدة قال واحدة، إذا عندك بنت واحدة أحسنت تربيتها، تربية صحيحة علمتها كتاب الله، علمتها سنة رسول الله، علمتها أن تكون محشومة جعلت خروجها وفق منهج الله، ثم جاءها خاطب مؤمناً، زوجته إياها ولم تعبى بماله بل عبئت بأخلاقه، هذه البنت ضمانة لك إلى الجنة أبداً قالوا واحدة قال واحدة، والابن إذا علمته علم شرعي، جعلته داعية، جعلته عالم، تبنيته عاونته، فأنا أدعوكم وسط بيتكم في أعمال صالحة لا يعلمها إلا الله، وسط البيت، داخل البيت، زوجتك وأن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة، وتراها يوم القيامة كجبل أحد، وابنك إذا ربيته تربية صحيحة، هو لك صدقة، وبنتك إذا ربيتها تربية صحيحة هي لك صدقة، كل هؤلاء ضمانة لدخول الجنة، والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين،

أنت رهين عملك، كل واحد له عمل، يا قويس إن لك رهينة يدفن معك وأنت حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً أسلمك ألا وهو عملك .

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 48-49 ، الصبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: الآية الثامنة والأربعون والتاسعة والأربعون من سورة الطور وهي قوله تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49)﴾

أولاً: الصبر علم .

أضرب لكم هذا المثل...

لو أن طفلاً صغيراً أخذ إلى طبيب أسنان، يصيح، ويتحرك حركه عشوائية، ويرفض، لأنه يجهل هذا الذي سيكون لصالحه.

أما الراشد، قد يتألم، قد يشعر بألم شديد، قد يكون قلبه لا يحتمل المخدر، فيقلعه ضرسه من دون مخدر، والألم لا يطاق، ومع ذلك يصبر، لماذا يصبر ؟ لأنه يعلم أن هذا العمل لصالحه، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾

(سورة النساء: 147)

فالصبر في القرآن دليل معرفة الله عز وجل، الذي يعرف الله يصبر، والذي لا يعرفه لا يصبر. شئن هذا الطفل الصغير، الذي يبكي ويصيح وقد يسب الطبيب، والطبيب يريد أن يريحه من ألم طويل. أما الراشد يتحمل ألماً موقتاً ليستريح راحةً طويلة.

إذاً... هناك من يصبر لا لحكم الله، يصبر لقوي، يضطهده.

هناك من يصبر خوفاً على مركزه.

هناك من يصبر خوفاً على ماله الذي جمعه من حرام.

هذه أنواع الصبر التي لا علاقة لها بهذه الآية.

الآية الكريمة

﴿ ولربك فاصبر ﴾

الصبر المحمود أن تصبر لله، أن تكون قادراً على إنزال أشد العقاب بخصمك، لكنك كظمت غيظك وصبرت لله.

الصبر الذي يرفع من قيمة الإنسان، هو الصبر الذي يكون باعثه إرضاء الله عز وجل، هذا صبر الأقوياء. قد تكون قوياً وبإمكانك أن تسحق خصمك، ولكنك تعفو عنه لله، هذا هو الصبر الذي ذكره الله في هذه الآية

﴿ واصبر لحكم ربك ﴾

شيئاً آخر الله عز وجل، له أمر تكليفي، وله أمر تكويني.

الأمر التكليفي افعل ولا تفعل، وفي أغلب الأحوال افعل يتناقض مع الطبع غض البصر، والطبع يدعوك إلى أن تطلق البصر، أنفق المال والطبع يأمرك أن تأخذ المال، لا تنفقه.

فالأمر والنهي، يتناقضان مع الطبع يتوافقان مع الفطرة، الأمر والنهي يتنقضان مع الطبع يتوافقان مع الفطرة.

فهناك صبرٌ على أمر الله التكليفي، وهناك صبرٌ على أمر الله التكويني جعل هذا الإنسان عقيماً لا يلد، جعل هذا الإنسان ذات دخلٍ محدود، جعل هذا الإنسان ذات قامة معينة، فيها مرض وراثي، هذا أمر تكويني. فأنت ينبغي أن تصبر على أمر الله التكليفي، وعلى أمره التكويني. يعني يجب أن تصبر عن الشهوات المحرمة وعلى الطاعات وعلى قضاء الله وقدره.

ثلاثة أنواع، أن تصبر عن الشهوة المحرمة، وأن تصبر على الطاعة المتعبة، وأن تصبر لحكم الله التكويني. فالنتيجة الإيمان هو الصبر، بشكل أو بآخر.

ذكرت البارحة أن الله سبحانه وتعالى: حينما أثنى على النبي عليه الصلاة والسلام، أثنى على خلقه العظيم. السؤال...

ألم يكن النبي أبرع خطيبٍ في الأرض ؟ نعم خطيب من الدرجة الأولى ألم يكن النبي عليه الصلاة والسلام قاضياً عدلاً ؟ نعم كان قاضياً عدلاً من أرفع أنواع القضات.

ألم يكن النبي مجتهداً ؟

ألم يكن النبي رباً لأسرةٍ ناجحاً ؟ زوجاً مثالياً ؟ أخاً صديقاً ؟

كل هذه الصفات التي اتصف بها النبي، أهملها القرآن الكريم وأبرز خلقه العظيم.

السبب...

أحياناً التفوق بيكون بسبب ملاكات أودعها الله في الإنسان، قد يعطيه ذكائاً، قد يعطيه طلاقة لسان، قد يعطيه قوة في المحاكمة، فالتفوق لقدرةٍ أودعها الله فيك، لا .

ترقى بك عند الله، التفوق في قدرةٍ أودعها الله فيك، لا ترقى بها إلى الله عز وجل.

أما الصبر الذي هو أساس الأخلاق، الإنسان يمتلئ غيظاً فيصبر فيكظم غيظه، كظم الغيظ صبرٌ، إنفاق المال صبرٌ أداء الصلوات صبرٌ، صيام رمضان صبرٌ، الحج صبرٌ، إنفاق المال صبرٌ، أداء الزكاة صبر، ضبط اللسان صبرٌ.

يكاد الصبر أن يكون الدين كله، الصبر يعني أودعت فيك شهوات، وضبطها، من أجل قوة أكبر، هي الله عز وجل.

فالذي يرقى بك عند الله هو الصبر، الذي هو ثمن الخلق.

لذلك الله جل جلاله، حينما أثنى على النبي، قال:

﴿ وإنك على خلق عظيم ﴾

ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك بالإيمان، والإيمان حسن الخلق،

﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا.﴾

هذه الآية موجهةٌ للنبي عليه الصلاة والسلام، إنه بعين الله، بعين رعاية الله، بعين حراسة الله، بعين حفظ الله، بعين تأييد الله.

﴿ فإنك بأعيننا ﴾

عين الحفظ، وعين التأييد، وعين النصر، وعين التوفيق وعين التقريب، وعين الإسعاد.

﴿ فإنك بأعيننا ﴾

قال العلماء: كل مؤمن من المؤمنين الصادقين له من هذه الآية نصيب، على قدر إيمانه، وعلى قدر إخلاصه، وعلى قدر شوقه

﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم.﴾

يعني، كن مسبحاً لله، والتسبيح كما تعلمون، التنزيه، والتمجيد والخضوع، التنزيه، والتمجيد، والخضرع.

أما أن تقول، سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، بقلبٍ شاردٍ ولسانٍ غافلٍ هذا ليس تسبيحاً، التسبيح أن تنزهه عن كل ما لا يليق به وأن تمجده، وتجول في كمالاته، وأن تخضع له في النهاية.

﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾

بعد أن تدبر، يعني صلاة الفجر.

أيها الأخوة الكرام:

أساس هذا الدين الصلاة، ومن ترك الصلاة فقد هدم الدين، والخشوع في الصلاة من فرائضها، لا من فضائلها. لقوله تعالى:

﴿ قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾

(سورة المؤمنون: 1 ـ 2)

فإذا الإنسان قلد النبي عليه الصلاة والسلام وأتبع أثره، وأتبع سنته، له من هذه الآية نصيب، فإنك بأعيننا، يعني أنت بعين الله ترعاك، عين الله ترعاك، وعين الله تحفظك، وعين الله تحرسك، وعين الله تأيدك، وعين الله توفقك، وعين الله تقربك.

﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾

يعني كلما أردت أن تقوم لعمل، سبح بحمد الله، لماذا ؟ من أجل أن يأتي هذا العمل متوافقاً مع منهج الله، قلت يا الله أنا ذاهب لسوق سبح بحمد ربك، نزهه، ومجده، واخضع له، لا تعقد صفقةً بيمين كاذبة لا تشتري حاجةً لا تنفع المسلمين، لا تبخس من قيمة البضاعة مثلاً إن أطيب الكسب كسب التجار، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا كان لهم لم يعثروا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا اشتروا لم يذموا.

﴿ سبح بحمد ربك حين تقوم ﴾

قمت إلى إلقاء درس، قمت إلى عيادتك قمت إلى مكتبك التجاري، قمت إلى مكتب المحامى، قمت إلى أرضك لتزرعها، في ناس بيحطوا هرمونات هذه مسرطنة، تعطي إنتاج غزير، وحجم كبير، وسعر عالي، بس على حساب صحة المسلمين.

سبح بحمد ربك حين تقوم، فكر في عظمة الله، فكر في منهج الله فكر في لقائك مع الله، فكر في اليوم الآخر.

﴿ سبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل ﴾

الليل له نشاط، والنهار له نشاط في النهار عمل، وتجارة، ووظيفة، وكسب مال، في الليل في سهرات في اختلاط في السهرات ؟ في ملهيات ؟ في أفلام ؟ في صحون ؟

﴿ ومن الليل سبحه وإدبار النجوم﴾

يعني كن مع الله نهاراً وليلاً طبق منهج الله نهاراً وليلاً، حاول أن تنزه عملك عن كل معصيةٍ نهاراً وليلاً.
أيها الأخوة الكرام قال تعالى

﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾

الصبر لحكم الله، لا الصبر للقوي، ولا خوفاً على سمعة، ولا خوفاً على مال.

﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم.﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ول اتهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الفصل السابع : تفسير سورة النجم

الدرس (01-12) : تفسير الآيات 1-15 ، وما ينطق عن الهوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: الآيات الأولى من سورة النجم وهي قوله تعالى:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15)﴾

يعنينا في هذا الدرس، أن نقف عند قوله تعالى، وما ينطق عن الهوى.

أيها الأخوة الأكارم: معظم الناس غير الملتزمين، غير المؤمنين الصادقين، ينطق عن الهوى، يتحدث وفق مصلحته، يُقوم الأشياء وفق مصالحه، يمدح ما عنده، يذم ما ليس عنده.

فأكثر كلام الناس لا يعبأ به، لأنهم ينطقون عن الهوى، أحكامه غير موضوعية تقيمهم غير صحيح، الذي يواليهم يرفعونه إلى أعلى عليين الذي لا يواليهم يضعونه في أسفل السافلين، إذا كان هناك مصالح يتغاضى عن كل السيئات، لم يكن هناك مصالح تكشف كل العيوب.

إذاً لاينطق عن الهوى، يعني أضع بين أيديكم، قصة طريفة توضح هذا المعنى.

مرة أردت أن أشتري ستائر لبيتي، عندي نافذة في حائط عرضه ثلاثة أمتار، دخلت إلى أحد المحلات التجارية، قلت له: أريد ستارة لهذه النافذة، أما هي في حائط عرضه ثلاثة أمتار، قال لي: أستاذ هذه الستائر لا تبدو جميلةً ولا رائعةً إلا! إذا قست طول الحائط وضربته باثنين وأضفت له متراً يعني ثلاثة ضرب أثنين زائد واحد سبعة، تأتي الستارة جميلة جداً مثناة، قلت جيد، أعطني من هذا الثوب، كله فإذا هو خمسة أمتار، قال لي: أستاذ المطرز على الفرد أجمل بكثير، شاهد واضح، هو الآن ينطق عن الهوى، أراد أن يبع هذا الثوب، قبل أن يعرف طوله أفضل شيء ضعف الحائط زائد متر أفضل شيء، فلما كان الثوب خمسة أمتار، قال لي المطرز على الفرد أجمل بكثير أستاذ ما في نسبة، هو ينطق عن الهوى، ولا أبالغ تسعة وتسعين بالمائة من أحكام الناس وتقيماتهم، وآرائهم، ومقترحاتهم وتمنياتهم، ومشكلاتهم ينطقون به عن الهوى.

بيخطب بنتك إنسان بيصير ولي، عالم فهيم، ورع، بينشأ خلاف، بيطلع سافل، واطي، معقول، ينطقون عن الهوى، تقيم موضوعي ما في، أما المؤمن منصف.

هذا النبي الكريم، سيد المرسلين، سيد ولد آدم ولا فخر، حبيب رب العالمين، الذي عصمه الله، لا ينطق عن الهوى، أبداً.

اسمعوا هذه القصة، سيدنا رسول الله، في معركة بدر، قبيل معركة بدر قال: لاتقتلوا عميّ العباس، فقط، بلا تعليل، بلا توضيح، بلا تفسير، بلا تعليق، صحابيّ جليل، عمه العباس في مكة، لم يهاجر عمه العباس مع المشركين، مع علية القوم هناك، عمه العباس مسلم، عمه العباس عينه في مكة، عمه العباس يعطيه كل حركات قريش، وكل قرراتهم، وكل ما يبحثون عن فعله.

فالنبي عليه الصلاة والسلام، لو قال عمي العباس مسلم كشف أمره وانتهت مهمته، لو أن العباس لم يشارك في معركة بدر، كشف هو أمر، وانتهى دوره، لو أن النبي سكت، لم يقل لا تقتلوا عمي العباس لقتلوه، إن لم يشارك كشف، وإن وصفه النبي بأنه مسلم كشف، وإن سكت النبي قتل، فقال بشكل موجز لا تقتلوا عمي العباس.

أحد الصحابة تأمل، قال أحدنا يقتل أباه وأخاه، وينهانا عن قتل عمه هو ظن هذا تعصباً، أو انحيازاً، أو نطق بهذا عن الهوى، ثم كشفت الحقيقة من أن عمه قد أسلم، وأن المصلحة المطلقة، تقتضي أن يقول لا تقتلوا عمي العباس، من دون تعليق، من دون تفسير، يقول هذا الصحابي الجليل: عشر سنواتٍ وأنا أتصدق، وأستغفر رجاء أن يغفر الله لي سوء ظني برسول الله.

مستحيل يتكلم النبي كلمة عن الهوى، أما عامة الناس قلما ينطقون عن الحق قلما، كل أحكامهم متعلقة بالهوى، والمصالح.

حتى أن النبي عليه الصلاة والسلام، لما وصف التاجر الصدوق الأمين .

قال الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا باعوا لم يطروا. الآن التاجر بضاعته الأولى، وما في منها، وأمتن بضاعة، وما عد يصير مثلها، بضاعة جاره سيئة، درجة ثانية، والخيط صناعي ببخس لو أخذ بضاعة مثل جاره بينعكس الأمر، بينعكس، أكثر شيء، هناك تجارات يعني فيها دجل، وفيها مبالغات، يعني معظم الناس ينطقون عن الهوى، لكن نبينا صلى الله عليه وسلم، عصمه الله من أن ينطق كلمةً عن الهوى.

لذلك سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول ثلاثةٌ أنا فيهن رجل وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس، من هذه الثلاثة التي هو فيها رجل، ما سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى.

النقطة الدقيقة أنك إذا قرأت حديثاً لرسول الله، إياك، ثم إياك، ثم إياك أن تظن أن هذا من عند رسول الله، هو من عند الله، من عند خالق الكون.

أضرب لكم هذا المثل، الخروف أمرنا النبي أن نذبحه من أوداجه فقط ، وأن نقطع بلعومه وقصبته فقط، وأن نبقي رأسه، لافي عهد النبي، ولا في مراكز الحضارات في عهد النبي، ولا بعد مئة عام، ولا بعد مئتي عام، ولا بعد خمسة مئة عام، ولا بعد ألف عام، ولا بعد ألف وأربعة مائة عام، هناك حقائق تكشف، ماذا يعني النبي من عدم قطع رأس الذبيحة.

قبل سنوات معدودة كشفت الحقيقة، أن هذا الخروف شأنه كشأن الإنسان يتلقى أمراً بالنبض من داخل القلب، القلب في مركز كهربائي ذاتي، يعطي أمر بالنبض، النبض النظامي، ثمانين نبضة أما الأمر الاستثنائي مائة وثمانين نبضة، لا تأتي إلا عن طريق الرأس، لو قطعت رأس الدابة أثناء ذبحها، القلب نبض النبض النظامي، وهذا النبض النظامي لا يكفي لإخراج الدم من الذبيحة، يخرج ربع الدم، أما إذا أبقيت رأسها، جاء أمر استثنائي برفع النبضات، من ثمانين إلى مائة وثمانين، عندئذٍ يصبح لون الذبيحة وردياً، والدم كله خارج الجسم.

بعد ألف وخمسة مائة عام، كشف العلم سر هذا الأمر.

أقول لكم مرة ثانية، إياكم، ثم إياكم، ثم إياكم، أن تتوهموا، أنه الذي قاله النبي من عنده، الآن هناك من يحلوا لهم أن يقولوا النبي عبقري النبي، مصلح اجتماعي، النبي قائد هو عبقري، إنهم الأنبياء كلهم أصحاب فطانة، إلا أن كل الذي قاله وحيٌ من السماء من عند خالق الكون، تعليمات من الصانع، خبرات الخبير، ولا ينبئك مثل الخبير.

لذلك في طبيب في جامعة دمشق، ثلاثين سنة يعارض كل زملائه في الجامعة، كل زملائه في الجامعة يعتقدون أن شرب الماء بعد الطعام مضر، مع الطعام، وبعد الطعام مضر جداً، قال لأن العصارة الهاضمة تتمدد، وإذا تمددت ضعف مفعولها، إلا أن هذا الطبيب المسلم ينطلق من حديث رسول الله، أنه الإنسان إذا أكل، ثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمنا صلبه فإن كان لابدا فاعل فثلث

لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه، مادام مسموح لك أن تشرب ماء بقدر الطعام أثناء الطعام إذاً هذه النظريات لا أصل لها، هذا الطبيب لا ينطلق من دراسات، ينطلق من حديث رسول الله فقط، قبل سنتين بالتحديد، ظهرت دراسة دقيقة جداً تبين أن شرب الماء مع الطعام، ضروري مع لهضم الطعام، وأن الماء يحث عصارات الهضم على إفراز حمض كلور الماء، وأن الماء إذا تخلخل في الطعام، أمكن هضمه. أنا عبرت عن هذه الحقيقة، بآلة تطحن الحمص، ضع الطحينة والحمض مكربجة، بكاسة ماء بصير شيء جيد جداً.

فهذا الطبيب ينطق عن رسول الله، ثبت أخيراً أنه كلام النبي هو الصح وسوف ترون إن امتد بنا العمر، أن كل حقيقة جاء بها النبي، العلم سيصل إليها، شاء أم أبا، وأن النبي معصوم عن أن يخطئ في أقواله وفي أفعاله وأن كل ما قاله النبي حق من الله تعالى.

ثلاثة أنا فيهن رجل وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس.

ما سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عرفت أنه حق من الله تعالى، وما صليت صلاة فشغلت نفسي بغيره حتى اقضيها، ولا سرت بجنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف منها. بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-12) : تفسير الآيات 5-9 ، أمية النبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: الآيات الأولى من سورة النجم وهي قوله تعالى:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾

هاتان الآيتان تم شرحهما في الدرس السابق.

﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9)﴾

الذي يعنينا اليوم، أن النبي صلى الله عليه وسلم، نبيٌ أمي لا يقرأ ولا يكتب، لكن إياكم أيها الأخوة، أن تتوهموا أن الأمية في حق النبي متعلقة بالجهل، أبداً، لأن الله علمه، وإذا كان الله قد علمه فهو سيد العلماء، وضحت هذا بمثلاً سابق.

لو زارنا أكبر علماء الفيزياء في العالم، أنشتاين، وضعنا أمامه كتاباً في اللغة العربية، فلم يفق منه شيئاً، حدثناه بالعربية فلم يفهم شيئاً، نقول هذا العالم الكبير، الكبير، الذي جاء بالنظرية النسبية وهي من أخطر النظريات الفيزيائية، هذا العالم أميٌ في اللغة العربية لا يقرأ ولا يكتب.

فهل إذا قلنا هذا أمي ؟ معنى ذلك أنه جاهل، أعوذ بالله.

الأمية تعني عدم الكتابة والقراءة، إلا أن الله جل جلاله، لحكمة بالغة بالغة بالغة، جعله أمياً، ليكون وعائه من الوحي فقط، لو كان يقرأ ويكتب، لطلع على ثقافات العصور، في ثقافة إغريقية، ثقافة يونانية، ثقافة فارسية، ثقافة مصرية، لو أنه يقرأ ويكتب لطلع على ثقافات الشعوب، ثم جاء الوحي تداخلت ثقافات الشعوب مع الوحي فإذا تكلم سيُسأل في كل لحظة، هل هذا من عند الوحي أو من عندك شاءت حكمة الله أن يكون نبينا علية الصلاة والسلام أمياً، أي لم يشوش عليه أي ثقافة من ثقافات العصر، فكل معلوماته وكل الحقائق التي نطق بها إن هي إلا وحي يوحى، من وحي الله عز وجل.

لذلك الأمية في حق النبي وسام شرف، وفي حقنا وصمة عار نحن ليس هناك وحي يعلمنا، فإن لم نكن نقرأ ولا نكتب، من يعلمنا نبقى جاهلين، فإذا قلت فلان أمي يعني جاهل، أما إذا قلت هذا النبي العظيم أمي، يعني أبعده الله عن ثقافات العصر، وجعل كل علمه من عنده، جعله وحياً يوحى، هذا المعنى.

والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، ضل وغوى، الغواية السلوك، والضلال خطأ.

الإنسان له عقل وله سلوك، أحياناً يخطئ في أفكاره، يعتقد خطأً يعتقد عقيدةً فاسدة، يتوهم أوهاماً، لا أصل لها، يؤمن بالخرافات يؤمن بالجن، وأثر الجن في حياة الإنسان، الفراعنة توهموا أنه بعد الحياة حياة، في القبر فملئوا الأهرامات بكل ما يشتهي الإنسان، حتى العربات، حتى الطعام، أنا رأيت خبز مقدد من عهد الفراعنة، ستة آلاف عام ، وجدت لحم مقدد بالأهرامات، الذهب الذي يوضع مع فراعنة مصر في الأهرامات لا يقدر بثمن، لكل إصبع غطاء من الذهب لفرعون، توهموا أن في القبر في حياة، وناس توهموا أن هذه الروح خرجت من إنسان ودخلت في حيوان، كلها أوهام، فالإنسان بدون وحي من الله عز وجل، يخطئ. لذلك :

ماضل صاحبكم

ما أخطأ، يعني في شعوب ضالة 750 مليون بالهند يعبدون البقر، 750 مليون، في بوذيين، في سيخ في عُباد الشمس، في عُباد الفرج، في عُباد النار، في عُباد الشهوات.

ما ضل صاحبكم وما غوى

ما انحرف، في ضلال فكري، انحراف سلوكي، فالنبي عليه الصلاة والسلام، عصمه الله عن أن يضل بفكره وعن أن ينحرف بسلوكه .

ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى

تحدثت عنها البارحة : إن هو إلا وحيٌ يوحى.

فالإنسان حينما يعتقد أن هذا نبيٌ عظيم، ليس عبقرياً، ولا مصلحاً ولا قائداً، إنما هو نبيٌ، يلقي علينا وحي السماء، لا من أفكاره ولا من تجاربه، ولا من خبراته، ولا من تأمله، ولا من إدراكه كلامه كله لا علاقة له بكل هذا، علاقته بالوحي، هو في الحقيقة أمين وحي السماء، تعريفه الدقيق، أمين وحي السماء، أمين على هذا الوحي، نقله كما هو، أما لو زاد عليه،

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47) ﴾

(سورة الحاقة: 44 . 45 . 46 . 47)

وفي أدلة في السيرة النبوية دقيقة جداً، لما اتهمت السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي أم المؤمنين، بأنها زنت.

مثلاً لو أن الوحي من عند رسول الله، بعد دقيقة يصوغ آيةً، يبرئها وتنحل المشكلة، كم يوماً تأخر الوحي ؟ تأخر الوحي أربعين يوماً !

ما معنى، ما مغزى تأخر الوحي في تبرأت السيدة عائشة ؟

هناك معاني كثيرة من تأخر الوحي ! أولها أن الناس كشفوا على حقيقتهم، منهم من أحسن الظن بالسيدة عائشة، ما علمنا إلا خيراً ظنوا بأنفسهم خيراً، ومنهم من فرح بهذه الفضيحة وروجها، وأشاعها بالمدينة، لذلك فرز المؤمنون، بين مؤمنين صادقين، ومنافقين يحبون أن تشيع الفاحشة بالذين آمنوا،

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾

(سورة النور: 11)

أما أهم شيء في تأخير الوحي، أهم شيء، عرف الصحابة أن الوحي لا يملكه النبي، لا يملك له استقداماً ولا يملك له رداً، إذاً هو وحي يوحى مستقل عن مشيئة النبي علية الصلاة والسلام، والذي علمه هو الله والآية موضع خلاف بين المفسرين، بعضهم قال جبريل من جبريل من علم جبريل هو الله عز وجل تحصيل حاصل يعني.

ذو مرة فاستوى، المرة القوة، يعني في علم قوي، لا يمكن أن يظهر خطأ منه في المستقبل، وهو بالأفق الأعلى، طيب لماذا علمه جبريل أو علمه رب جبريل، قال لأنه بالأفق الأعلى، من معاني هذه الآية الإشارية، أن النبي عليه الصلاة والسلام يعيش في أفق أعلى وعامة الناس يعيشون في أفق أدنى. شق على صدري إنسان، همه طعامه، همه فرجه، همه شهوته همه أولاده وانتهى الأمر.

بينما الأنبياء والصديقين، همهم الناس جميعاً، همهم نشر الحق همهم هداية الخلق، همهم السمو في الناس، إلى رب الناس، هموم منوعة، والمؤمن الصادق أيها الأخوة يحمل هموم المسلمين، يحمل هموم المسلمين، والإنسان التافه يحمل همه فقط.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

سؤال دقيق الآن، أنت ما الذي يهمك ؟ يهمك أمره بيتك فقط يهمك دخلك فقط، ولا تعبئ بالمسلمين، بعيداً عن سنة النبي، هو بالأفق الأعلى، يسعى لترسيخ الحق، لهداية الخلق.

ثم دنا فتدلى، يعني الدنو من الله عز وجل، هو قمة السعادة

ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، وصل النبي عليه الصلاة والسلام إلى أعلى درجةٍ وصلها مخلوق فهو سيد الخلق، لا سيد البشر، وصل إلى أعلى درجة وصلها مخلوق على الإطلاق، هو سيد الخلق وحبيب الحق، وهو نبينا عليه الصلاة والسلام، وهو قدوتنا، وأسوتنا، وحياته خيرٌ لنا ومماته خيرٌ لنا، من يفسر مماته خيرٌ لنا ؟ سنته.

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

(سورة الأنفال: 33)

نحن في بحبوحة أن نعذب، كل واحد منكم إذا طبق سنة النبي في بيته، وسنته في عمله، وفي طعامه وشرابه، وفي إقامته وسفره، وفي أفراحه وأحزانه، وفي كسب ماله، وإنفاق ماله، إذا طبق سنة النبي فهو في بحبوحةٍ من أن يعذب، وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم .

وإذا قال الله عز وجل:

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

(سورة الأنفال: 20)

مات، لا، أطيعوا الله في كتابه ورسوله في سنته،

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾

(سورة النساء: 65)

وين النبي نحكمه، نتمنى نحكمه، سنته بيننا بحكم سنته، فهو عاش عمر محدد ومات، أما الذي نطق به من الحق بين أيدينا، كتاب البخاري، ومسلم، وابن ماجة، والترمذي، والنسائي، والدارمي ، وأحمد، وابن حنبل، كله بين أيدينا.

إذاً، ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى.

إخوانا الكرام، قبل أن أنهي الدرس، أقول لكم هذه الكلمة إذا كان من الممكن أن يسعد إنسانٌ بغير الله، فهذا جهل كبير، عندها جنت المأوى، ثم دنا فتدلى، الله عز وجل كيف يدنيك منه ؟ باستقامتك على أمره وعملك الصالح، تستقيم على أمره وتعمل صالحاً، بقربك منه، فإذا اقتربت منه، هذه قمة السعادة. ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى.

جنتك القرب من الله، ونارك البعد عن الله.

يعني ممكن بيت صغير، خمسين متر، ودخل قليل كثير، وأنت قريب من الله تكون أسعد إنسان، وبيت حقه خمسين مليون، ودخل كل يوم مليون، وأنت أشقى الأشقياء، مثلاً.

السعادة القرب من الله، والقرب ثمنه واضح، طاعة الله ورسوله والعمل الصالح، فنحن قد يقول قائل، ماذا تعنينا هذه الآيات، تعنينا الدنو من الله، هو الجنة، وتعنينا إن كنت بالأفق الأعلى تحمل هموم المسلمين، فأنت عند الله مقدس، وتعنينا أنك إذا وجدت الله ما فقدت شيئاً، وإذا فقدت الله ما وجدت شيئاً.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-12) : تفسير الآيات 19-23 ، تنزيه الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام:
الآيات التاسعة عشرة وما بعدها في قوله تعالى من سورة النجم:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾

نقف عند هذه الآية:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23)﴾

الناس فريقان... ؟

فريق آمن بالله، وآمن بمنهج القويم وصراط المستقيم فاتبعوا وسعد في الدنيا والآخرة.

الفريق الثاني، لماذا آمن ؟ الفريق الثاني آمن، إن يتبعون إلا الظن، أوهام لا علاقة لها بالواقع.

الشيء العلمي، ما طابق الواقع، وما كان الحكم به قطعياً لا ظنياً، ومعه دليل.

علاقة مقطوعٌ بها تطابق الواقع عليها دليل.

لو لم يكن مقطوعاً بها لكانت وهماً أو ظناً أو شكاً.

الشك 50 بالمائة.

الوهم 30 بالمائة.

الظن 80 بالمائة.

لو لم يكن مقطوعاً بها مائة بالمائة، لكانت شكاً أو وهماً أو ظناً.

لو لم تطابق الواقع، لكانت جهلاً.

من دون دليل لكانت تقليداً.

الحق منزه عن التقليد، والحق منزه عن الوهم والظن والشك، والحق منزه عن عدم مطابقة الواقع !!!

الحق يوافق النقل الذي هو من عند الله، ويوافق العقل الذي هو مقياس أودعه الله فينا، ويوافق الفطرة التي هي جبلة الإنسان الذي جُبل عليه ويوافق الواقع.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾

يعني العالم بكمله الخمس قارات معظم البشر الخمس آلاف مليون إنسان،

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾

750 مليون يعبدون البقر، كذا مليون يعبدون النار، ملايين يعبدون أهوائهم.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾

(سورة الجاثية: 23)

الناس رجلان لا ثالث لهما، على الرغم من التقسيمات التي لا تعد ولا تحصى، الشمال والجنوب، والشرق والغرب، الملون والأبيض، المتخلف والمتقدم، الدول الصناعية والدول الزراعية، والدول النامية والشعب الإنكليزي واللاتينية والسامي والآري، تقسيمات لا تنتهي هم عند الله رجلان .

إنسان عرف الله فأتصل به، وأطاعه، ونضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه وسعد بقربه، واحد.

والثاني غابت عنه حقيقة الألوهية، جهلها ولم يطلبها أساساً، تفلت من منهجه، تحرك وفق أهوائه ونزواته، أساء إلى خلقه، انقطع عن الله عز وجل شقي في الدنيا والآخرة.

الناس رجلان، بر تقي كريم على الله، وفاجر شقياً هيناً على الله.

هذا تقسيم، التقسيم الحقيقي، مؤمن وكافر، مستقيم ومنحرف، صادق وكاذب، أمين وخائن، مخلص وغير مخلص، محسن ومسيء منصف وظالم، متكبر ومتواضع.

أبداً، في تقسيم بالأخلاق، فالذي مع الله له خلق، والشارد عنه له خلق، الآية الدقيقة،

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾

نحن اتخذنا أسماء نحن قلنا فلان كذا وفلان كذا، أعطينه أشياء لا يملكها، اصطلاح محض اصطلاح ما أنزل الله بها من سلطان.

يعني إذا أنت، البنزين في قوة اشتعال، في قوة انفجار، لو جبت تنكت ماء كتبت بنزين صار بنزين، يبقى ماء، أكتب على تنكت ماء بنزين 99، هو ماء.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾

الماء ما في قوة اشتعال، فلما الإنسان يسمي، يتخذ آلهة، وفق أهوائه وفق نزواته، هذه الآلهة أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان.

طبعاً في العصر الجاهلي، لابد من أن يكون هناك أصنام، لو لم يجدوا حجارة لصنعوا من التمر صنماً، فإذا جاعوا أكلوا، قبيلة عندها صنم رأته أحد صبيحة الأيام مبلاً، فراقبته هناك ثعلب يبول عليه فقال بعضهم:

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ضل من بالت عليه الثعاليب

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ ﴾

نحنا ما في عنا أصنام الآن بس عنا شهوات، الشهوات تعبد من دون الله، الشهوات، يعني شهوة الإنسان، شهوة الطعام والشراب، وشهوة الجنس، هذه أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم تعبد من دون الله.

يبع الإنسان في آخر الزمان دينه بعرض من الدنيا قليل، يبع دينه، في آخر الزمان يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبع دينه بعرض من الدنيا قليل، آلاف الدعاوي في قصر العدل اغتصاب بيوت واغتصاب أراضي، وتزوير حقوق، وأيامين كاذبة

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ ﴾

بقلك الضمير، أي ضمير هذا الضمير

﴿ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ ﴾

ما في إلا خوف من الله الخُلق إلا لم يكن متصلاً بالدين، لا معنى له، ما في أخلاق اطلاقاً الخلق هو الخوف من الله عز وجل.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾

باليابان عندّ ملك، يعد عندهم آلهاً، هو الميكادو، له طبيب، هذا الطبيب أعتنق دين السلام، السبب ؟ هذا الذي يعد عندهم إلهاً يمرض في عنده خمسين علة في جسمه، آله يمرض، آله يحتاج إلى أدوية ومعالجات، فأحد أسباب إسلام طبيبه، أنه رأى ديناً، لا أصل له ماله أرضيه واقعية.

يعني أن أريد لا تعتقد إلا ما جاء بالقرآن الكريم، والباقي

﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾

وهمٌ وشهوةٌ، ألهه الناس أوهام يعتنقونها لأنها تريحهم، تتوافق مع تفلتهم، وشهوات هي أصل حياتهم هؤلاء الذين شرده عن الله عز وجل، يتبعون أوهاماً تغطي انحرافهم ويتبعون شهواتهم هي أصل حياتهم، وما تهوى الأنفس، أما الذي جاء في هذا القرآن الكريم،

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23)﴾

الهدى تنوير الله لهذا الإنسان، معنى قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة النور: 35)

يعني الله جل جلاله خلق السماوات والأرض، نورها بالشمس والقمر، ونور الخلق بالتشريع، أنت إذا قرأت القرآن تعرف ما هو حرام وما هو حلال، ما ينبغي وما لا ينبغي، ما هو حق وما هو باطل ما يجوز وما لا يجوز، لماذا أنت مخلوق ؟ ما فلسفة الحياة الدنيا ؟ ما فلسفة الكون ؟ ما حقيقة الإنسان ؟ ما حقيقة المنهج ؟ هذا كله من تنوير الله لك

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23) ﴾

فهنيئاً لمن أتبع الهدى ولم يتبع أهوائه، ولم يتبع أوهاماً، بس هي ضمن العالم الإسلامي، ملايين العقائد الزائغة التي هي محض وهم، السحر على قدم وساق، وأحيان نعتقد بالأولياء اعتقاد شرك، يعني نستجير بهم ونطلب منهم العون وربنا عز وجل يسمعنا وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فالنقطة بدا مراجعات، أيام التاجر يعمل جرد، لابد من جر من العقائد الفاسدة التي تلقاها الإنسان خطأً.

من العقائد الفاسدة، أفعل ما تشاء والنبي عليه الصلاة والسلام يوم القيامة يشفع لك، طيب أين قول النبي لأبنته فاطمة

((يا فاطمة بنت محمد أنا لا أغني عنك من الله شئ، لايأتي الناس بأعمالهم وتأتون بأنسابكم، من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه.))

ماذا نفعل بهذا الحديث، ماذا نفعل بقوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19)﴾

(سورة الزمر: 19)

ماذا نفعل بعدالة الله

((يقول أمتي يقول لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، يقول سحقاً سحقا))

فلذلك في أوهام كثيرة ضمن العالم الإسلامي، لابد من مراجعة من هذه الأوهام أنه كل شئ الله عز وجل، الإنسان مسير كلياً فأعمال الصالحة من قدري الله عز وجل وأعمال السيئ من قدري الله عز وجل، ماله ذنب هو، ألقاه في اليم مكتوف الأيدي وقال له إياك إياك أن تبتل بالمائي، بقلك كل ترتيب سيدك، الضلالات والجرائم والانحرافات، الزنى، ترتيب سيدك لا تعترض بتتضرب، أقام العباد فيما أراد ولو المراد فيما يريد، هي عقيدة زائغة، والدليل:

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾

هذا كلام من، كلام المشركين

﴿ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)﴾

سورة الأنعام:148)

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

(سورة الكهف: 29)

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (3)﴾

(سورة الإنسان: 3)

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

(سورة البقرة: 148)

آيات كثيرة جداً تؤكد أن الإنسان مخير

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

(سورة البقرة: 286)

هكذا، إذا ضمن العالم الإسلامي في آلاف العقائد الزائغة، التي تحتاج إلى تصحيح، وهذه العقائد الزائغة تشل قدرة الإنسان.

يعني أصور مجموعة طلاب، أول يوم بالعام الدراسي، وقف المدير بينهم خطيباً وقال: قرأ أسماء، أول يوم بالعام الدراسي، قرأ أسماء هؤلاء ناجحون، آخر العام، وهؤلاء راسبون، آخر العام، انطلقوا إلى الصفوف، ما عاد في حيل حدى يدرس، انتهى كل شئ، أما الإنسان بإمكانه أن يتوب، بإمكانه أن يعرف الله، لو جئتني بملء السماوات والأرض خطايا غفرت لك ولا أبالي، يعني أحاديث كثيرة تبين خطأ هذه العقائد الزائغة.
ملخص الدرس اليوم:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12-04) : تفسير الآية 29 ، الإعراض عن الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمن: أيها الإخوة الكرام: الآية التاسعة والعشرون، من سورة النجم، وهي قوله تعالى:

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29)﴾

يعني، المسلم إذا أقام علاقة حميمة مع إنسان أعرض عن ذكر الله، سهرة، نزهة، شراكة، زيارة متكررة، وليمة، إذا أقام علاقة حميمة حميمة مع إنسانٍ أعرض عن ذكر الله، ولم يرد إلا الحياة الدنيا هذا الإنسان من شأنه أن يبعدك عن الله عز وجل، وأن يقربك من الدنيا فلآية الكريمة، واضحةٌ جداً، وقطعية الدلالة

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾

يعني كل علمه في الدنيا، كل علمه في كسب المال، كل علمه في إنفاق المال، كل علمه في متع الحياة، كل علمه في مباهج الدنيا كل علمه في الأطعمة والأشربة، في البيوت، في المتنزهات، هذا مجمل علمه، فإذا صاحبته، وخالطه، وأقمت معه علاقةً حميمة إذا ساكنته، إذا رافقته، إذا دعوته، ودعاك، وأقمت معه علاقةً حميمة هذا من شأنه أن يبعدك عن الحق، وعن طلب الآخرة، فصاحب ساحب، هذا أمر قرآني، وكل أمرٍ يقتضي الوجوب، يجب أن تجري تقيماً لمن حولك.

المؤمنون الصادقون المطبقون الملتزمون، هؤلاء تتعامل معهم وتزورهم، وتقيم معهم علاقةً حميمة، لأنهم يذكروك بالله عز وجل لأنهم يعينوك على أمر دينك، لأنهم يأخذوا بيدك إلى الدار الآخرة، لأنهم معوانٌ لك على الشيطان.

أما إذا صاحبت أهل الدنيا، ما أقول كافر

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾

لم يذكر الله عز وجل، لا يذكره إلا قليلاً، الدنيا أكبر همه مبلغ علمه، منتهى آماله، جُل طموحاته.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ﴾

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً (18)﴾

(سورة الإسراء: 18)

لأنه، السيدة عائشة، حينما سئلت عن أخلاق النبي، ماذا قالت ؟ قالت كان خلقه القرآن، هي توجيه، هذه آية بندٌ من بنود أخلاق النبي .

إنسان لا يصلي، إنسان فاسق، إنسان لا يعبئ بأمرٍ ولا نهيٍ، لا يعبئ بحرام ولا حلال، علاقة حميمة. زيارات، ولائم، نزهات، هذا من شأنه أن يبعدك عن الدين شيئاً فشيئاً، يزهدك في الآخرة، ويرغبك في الدنيا، يدعوك إلى معصية، بشكلٍ أو بآخر، فهذا توجيه إلهي،

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29)﴾

يعني أحياناً إنسان، يجد نفسه كلما جلس مجلس علم شعر بقربٍ من الله عز وجل، فإذا خالط الناس، خالطا أهل الدنيا، هذه الروحانية تذهب، هذه الحرارة تفتر، هذا الاتقاد ينطفئ، هذه الرغبة القوية تضعف، هذه العزيمة الصادقة تخور، طيب ما سر خوران العزيمة وفتور الهمة ؟ وانطفاء الاتقاد ؟ ما سره ! أنك خالطا إنساناً من أهل الدنيا، يشكك، يبخس، يطعن، يقلل من قيمة أي دعوة، يتهمها بأشياء هي بريئةٌ منها.

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29)﴾

في آية أخرى،

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (28)﴾

(سورة الكهف: 28)

لا تطع، وهذا أكثره في شأن الزواج، يعني بتسأل صديق من أهل الدنيا، خطب بنتك خاطب، دينه رقيق، بقلك عنده بيت ؟ طبعاً ممتاز لا توقف، ما اهتم بدينه، اهتم ببيته، ما اهتم بصلاته، اهتم بدخله ما اهتم بورعه، اهتم بمكانته، فإذا سألت إنسان من أهل الدنيا أعطاك توجيهات ليست في مصلحتك، أما اجلس مع مؤمن، يقول لك قال تعالى:

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾

(سورة البقرة: 221)

فالإنسان اجتماعي بالطبع، إذا كان الطقم يلي حوله، متفلت، من أهل الدنيا، تولى عن ذكر الله، لم يرد إلا الحياة الدنيا، هؤلاء الذين حولك يثبطون عزيمتك، يضعفون همتك، يضعفون رغبتك يشككون يطعنون، يهونون أمر المعصية، يعظمون أمر الدنيا، هذا توجيه، نحن نتقوى ببعضنا بعض، المؤمن خالطه، وأكله، شاربه سافر معه، شاركه، المؤمن يعينك على أمر دينك، يأخذ بيدك إلى الله، يحصنك من المعصية، ينصحك، كلما عثرت قدمك، ينهضك قال

﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾

هذا علمه.

يعني واحد كل علمه في الدنيا، لاحظ أنت من أهل الدنيا، إن حدثته عن الله، بقلك عدم المآخذ بنام، قل له عن أسعار العملات، بتلاقيه صحيان، بيعطيك معلومات دقيقة جداً، أسعار البيوت، أسعار العملات، الوضع العام، شو سمعان أخبار، بتلاقيه نشيط، قل له قال الله تعالى: بتلاقيه صار يبكي،

﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾

فأنت تحتاج لإنسان يلهبك في الدين، يقويلك عزيمتك، يشحنك شحنة قوية، يزهدك في الدنيا، يرغبك بالآخرة بدك إنسان يأخذ بيدك إذا عثرت، لا أن يجلس فوقك إذا عثرت

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (30) ﴾

الله عز وجل هو وحده يعلم خبايا الأمور، يعلم طوايا النفوس يعلم حقيقة الإنسان، يعلم ما ينطوي عليه، من خيرٍ أو من شرٍ، من هدىً أو من ضلال، إن ربك هو

﴿أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (30)﴾

لذلك الصاحب ساحب، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي.))

إذا كان صاحبت مؤمن، وفتت لبيته يا الله خذوا طريق، لا ترى زوجته أبداً، لا ترى بناته، بقلك أستاذ العصر مصليه، لا والله، تقوم نصلي سوى، يا عيني ذكرك بالصلاة، طيب بدي أتوضأ، شو عليه سهل، أعانك على الوضوء، صليت معه، لو أقمت علاقة مع إنسان بعيد عن الدنيا، الصلاة مو داخلة بحساباته إطلاقاً، بتجمعهن سوى، بقلك بتجمعهن سوى، لو طلبت أن تصلي بتجمعهن سوى،

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29)﴾

إخواننا الكرام: من سعادة المرء في الدنيا، أن يكون له إخوان مؤمنين طيبين طاهرين، ينصحونه، يعاونه، يأخذون بيده إذا عثر يتفقدونه، يزورونه، يعودونه، يعينونه، هذه من سعادة المؤمن في الدنيا، لذلك الإيمان لا ينجح إلا بمجتمع إيماني.

الآن المؤمن لوحده وحوله فسقة، وأهل دنيا، حياته صعبة جداً الكل ضده، لذلك أنت مكانك الطبيعي، بيجلس بقهوة، أخي قهوة هي قهوة، أنت زوجتك محجبة، هون غير محجبة، وفي غناء، هذا المكان ليس لك، هذا المكان ليس لك، أنت لك مكان آخر، مكان طاهر نظيف، من أجل الحفاظ على نقائك، وعلى صفائك، وعلى طهارتك يجب أن تختار البيئة المناسبة لك، بيئتك المناسبة بيئة مؤمنين، بيئة طهر ونقاء، وصفاء. أما ما دام في علاقات حميمة، مع أهل الدنيا، مع من أعرض عن ذكرنا، مع من لم يرد إلا الحياة الدنيا، فأمر الدين صعب جداً.

في تراجع دائماً، لأنه مثبيتات، تشكيك، إضعاف همة، تزهيد بالآخرة، تحبيب بالدنيا، هذه الآية، هذه من أخلاق النبي، إنسان فاسق فاجر، ما بيصلي، غرقان بالمعاصي، مالك علاقة معه، إذا في قرابة نزوره في العيد مرة، نزوره في المناسبات فقط، من أجل صلة الرحم، أنا قلت علاقة حميمة، علاقة زيارات متكررة، علاقة نزهات علاقة ولائم، علاقة شراكة، علاقة سفر، هذه لا تصح إلا للمؤمن، والإنسان قوي بأخوة، ضعيف وحده، وضعيف جداً مع بيئة مناقضة له، ضعيف جداً بصير، لأنه كل الناس ضده. مرة يعني سألني آخ شو السر ؟ بالدرس في حال عالي، بالبيت نعود إلى ما كنا عليه، قلنا له بدنا تشوف من أصحابك ! من أقرانك من أصدقائك ! هؤلاء، يجب أن تبحث عن مستوى أرقى، أن تعيش معهم أن تقتبس من علمهم، من أخلاقهم، من أحوالهم، من أدبهم من هنا قال ابن عطاء الله السكندري: لا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله ويدلك على الله مقاله.

تحتاج إلى صاحب، إن تكلم استفدت من علمه، وإن عاملك استفدت من معاملته، وإن أحببته استفدت من حاله.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمن، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-12) : تفسير الآيتان 24-25 ، التمني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: الآية الرابعة والعشرون، والخامسة والعشرون، من سورة النجم وهي قوله تعالى:

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) فَلِلَّهِ الْآَخِرَةُ وَالْأُولَى (25)﴾

هذا سؤال هو استفهام إنكاري، أي ليس للإنسان ما تمنى الإنسان يتمنى، يخطط، يبرمج، يفكر، يطمح، لكن أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد، أبن آدم إذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وأن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد، بمعنى، أن لهذا الكون قوانين، وأن لله سنن لخلقه، هذه السنن وتلك القوانين، إن آمنت بها أو لم تؤمن، إن سعدت بها أو لم تسعد إن رضيت بها أو لم ترضى، إن أعجبتك أو لم تعجبك، هي نافذة عدم إيمانك بها لا يعطلها ! عدم إعجابك بها لا يلغيها !.

أضرب لكم هذا المثل: الأجسام حينما تسقط لها قانون، لو أن الإنسان يركب طائرة، وأراد أن يهبط منها، أن تأدب مع قانون السقوط، أستخدم المظلة، وأن لم يعبئ بهذا القانون، وأحتقر هذا القانون، ولم يرضى بهذا القانون، وأنتقد هذا القانون، وألقى بنفسه من دون مظلة، هل يلغى القانون ؟ ينزل ميتاً ! فالقانون مطبق عليه شاء أم أبى ! أحب أم كره ! أعجبه أو لم يعجبه !.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) فَلِلَّهِ الْآَخِرَةُ وَالْأُولَى (25)﴾

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾

(سورة النساء: 123)

الإنسان بخطط، قال لي رجل: زرته في دائرته، في مكتبه مدير ثانوية كان ! قال لي أنا إن شاء الله: بعد عام سأقدم طلب لأنتقل لبلاد الغرب ؛ أعمل هناك في التدريس، خير إن شاء الله ! وقال لي وسأبقى خمس سنوات، خير إن شاء الله ! ولن أتي إلى الشام في الصيف ! خير إن شاء الله ! وسأطوف البلاد الغربية ! عامٌ في فرنسا وعامٌ في إنجلترا، وعام في إسبانيا، وعام في إيطاليا، وسأطلع وسأتفهم أحوال البلدان، وتراث وثقافتها ومتاحفها وأحوال أهلها ومقاصفها الجميلة وريفها ومدنها ومكتباتها، طيب، وسأعود إلى الشام بعد خمس سنوات ! أفتح محل تجاري ! أضع فيه التحف، هذا بضاعة لطيفة جميلة، وسوف يكبر أولادي، إلى آخره، وأن انصرفت من عندها بعد ساعة، وذهبت إلى عملي، ثم ذهبت إلى البيت ظهراً وعدت إلى عمل آخر مساء، وأنا في طريق العودة إلى البيت، والله الذي لا إله إلا هو، رأيت نعوته على الجدران !.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) ﴾

الإنسان بتمنى يعيش مائة سنة، بتمنى يبني قصر جميل، يقتني أجمل مركبه، يزوج أجمل امرأة، هذا بتمنى، بس الله عز وجل: أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد !.

أبن آدم إذا سلمت لي فيما أريد ؛ كفيتك ما تريد، وأن لم تسلم لي فيما أريد ؛ أتعبتك فيما تريد، ثم لايكون إلا ما أريد !.

فأنت تتحرك بمشيئة الله، وبقوة الله. يعني تصور، سيارة كهربائية في مدينة الألعاب، صاحب هذا المكان، بيده حركه، إذا رفعها انقطعت الكهرباء، وتوقفت كل هذه السيارات، فمشية راكب السيارة من أين مشيئته ؟ من الذي أعطى هذا المكان الكهرباء ؟ لو قطع الكهرباء توقفت السيارة.

فنحن نعيش نسلم، نمرض، نغتني، نفتقر، نسعد، نشقى، نسافر نقيم، نعطي، نأخذ، بمشيئة الله، لا بمشيئتنا.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) ﴾

لك أن تختار، والله سبحانه وتعالى، يسيرك لما اخترت أولاً ، ويسيرك لدفع ثمن اختيارك ثانياً، يعطيك القوة كي تحقق اختيارك، وبعد ذلك، يحاسبك على اختيارك.

لو أن إنسان اختار، أن يغش الناس، أو أن يكذب عليهم.

امرأة تعمل في المحاماة، لها أخ شقيق، سألته، أتشترك معي في بيت تعاوني. القصة قبل خمس وعشرون سنة، فوافق الأخ، أخوها عند أربعة عشر ولد، وافق ودخل معها في هذا البيت شراكة ؛ البيت باسمها لأنها محامية، وهو شريكها في الدفع، دفع نصف ثمن البيت عداً ونقداً، وسكن هو في جانب وهي في جانب، ومضى على هذه الحادثة عشرين عام.

قالت له يا أخي: إما أن تأخذ هذا المليون، وتخرج من البيت، أو أن أخرجك منه قصراً ! البيت ثمنه 18 مليون ! أشتروا بـ 500 ألف ! ثمنه 18 مليون.

قالت له: إما أن تأخذ مليون أو بطالعك أنا ؛ هي محاميه، توسل إليه رجاها أنا أخوكي، دفعت نصف، أبداً، بالأسم بالسجلات مالك، كله بأسمها، أحد أولاده، أخ عندنا في المسجد، حدثني بما فعلت معه عمته، من دون رحمه، عنده أربعة عشر ولداً، الطريق صار مسدود تمكنت أن تعقد عقد إيجار صوري لإنسان قوي، وأخرجه من البيت وتسلمت البيت وحدها، الأولاد نصفهم عند جدتهم، ونصفهم عند جدهم لأبيهم، والأغراض في المستودعات، الأسرة تشتت، هذه قصة وقعت أيها الأخوة، جاءني أحد أولاده، وهو أخ لنا في المسجد،

قال لي عمتي مريضة بالسرطان ! خير إن شاء الله، أنا أعلم أن هذا المرض يمتد سنتين، بعد شهر، قال توفيت ! هل بالإمكان أن تأتينا لتقي كلمة ذهبت إلى البيت، وألقيت فيه كلمة، من وريثها الوحيد أخوها وأولاده عادوا إلى البيت، أم للإنسان ما تمنى، لا ! الله قهار

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12)﴾

(سورة البروج: 12)

والذي لا يخاف الله أحمق ! وغبي !.

شهر لعنها الله، ولعنتها الملائكة، ولعنها الناس أجمعين، وعاد أخوها إلى البيت ؛ مالكاً له بكامله، لأنه وريثها الوحيد !

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) ﴾

يعنى لا تخطط خلاف المنهج، لا تخطط وتبني التخطيط على عدوان، لا تغتصب شيء ليس لك، لا تأخذ ما ليس لك لا تبني مجدك على إنقاذ الآخرين، لا تبني غناك على إفقارهم، لا تبني سعادتك على شقائهم، لا تبني حياتك على موتهم، لا تظن أنك تفعل ما تريد، الله وحده فعال لما يريد، أنت أريد وأنا تريد والله يفعل ما يريد،

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) ﴾

الإنسان يتمنى أن يفعل كل شيء، أن يأكل كل شيء، أن يسافر إلى أي مكان، بس ما الذي يحصل، لا يسمح الله لك من الدنيا إلا بالقدر الذي أعطاه إياك، وبحسب استقامتك.

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً (16) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾

(سورة الجن: 16 . 17)

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

((سورة المائدة: 66

أيها الأخوة الكرام: القصد من هذه الآية إياك أن تخطط وتبني هذا التخطيط على ظلم الناس، إياك أن تخطط لمستقبلك على حساب أصحاب الحقوق.

أنا كنت عند أحد الأقرباء، في أحد الأعياد، قال: له جار يعني تزوج شابةً في سن بناته، أحبها وأقنعته أن يطوب البيت باسمها فستجاب لرغبتها، ثم استطاعت أن تقنعه، أن يسجل المعمل باسمها فستجاب لها، ثم طردته من البيت وتزوجت شاب تحبه، وبيدها المعمل، صار يبكي ؛ صار في الطريق.

قال لي قريبي: هذا الذي حدث، قلت له هذه قصة أنت لا تعرف بداياتها، نبهته إلى شيء لم تكن بالحسبان، قال إي والله ! قال هذا أحد خمسة أخوة ؛ ورثوا مالاً طائلاً عن أبيهم، استطاع هذا الأخ الأكبر، أن يأخذ كل المال له، وأن يحرم أربعة إخوة له من هذا المال فسلط الله عليه امرأةً سلبته كل شيء.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) فَلِلَّهِ الْآَخِرَةُ وَالْأُولَى (25) ﴾

الأمر بي الله عز وجل وهناك آلاف القصص، ومئات ألوف القصص، وملايين القصص التي تؤكد هذه الحقيقة.

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾

(سورة النساء: 123)

تمنى ما شئت وخطط ما تشاء

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79)﴾

(سورة الزخرف: 79)

ذهب إنسان ليشتري صوف من البادية، والله حدثني هذه القصة بنفسه له أبٌ محترم جداً، مستقيمٌ جداً، يعني تقدمت به السن فوكل ابنه، أن يتابع العمل من بعده، فهذا شاب جاهل، فصار يزن الصوف ويعطي رقماً أقل، فهذا البدوي ما سمع غرامات، ثمانية عشر كيلو وسبعمائة غرام طار عقله ! قال والله هالزين، زين ! سمع غرامات، ما سمع غرامات بحياته، بس هيه الجزة خمسة وعشرون كيلو ؟ ليست ثمانية عشر ! قال له ثمانية عشر وسبع مائة غرام، بعد أن انتهى، شعر أن الكمية لا تتناسب مع المبلغ، أدرك بخبرته، قال له إن شاء الله تلكاها بصحتك إذا لعبت عليّ، قال لي: حملت هالصوفات ومشيت، صار معه صراع، ارجع أدفع له، ما ارجع أدفع له، أمشي ارجع، حاسبه ثاني مرة، دخلت بصراع، قال لي من مكان شراء البضاعة لضمير، قال لي بالضمير أخذت قرار، قلت حط بالخرج شو صار، قال لي والله ما كملت هذا الخاطر إلا وجدت نفسي وصت بركةٍ من الدماء ! تدهورت السيارة ! وتناثر الصوف، وسال السمن الذي اشتراه، وكسر الميزان، وهو وصت بركةٍ من الدماء وعرف ذنبه، هو ماذا فعل ؟ تمنى أن يأخذ هذا الصوف بأقل ثمن فلم يزن ميزانه صحيحاً،

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)﴾

(سورة الفجر: 14)

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً ﴾

(سورة الزخرف: 79)

أنت هكذا اتخذت قراراً ماشي،

﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79)﴾

فلاح أعطوه عشرين دنم، من أموال إقطاعي، هذا كاد يطير فرحاً ! له شيخ بالشام.

قال له: يا سيدي أعطوني عشرين دنم والحمد لله، صرت صاحب أرض.

قال له: هذه الأرض مغتصبة، لا يجوز أن تأخذها، أعوذ بالله، كل هذه السعادة طفئت، كل هذا الفرح انتهى. قال له حرام: اذهب إلى صاحب الأرض، وحاول أن تشتريها منه تقسيطاً، فذهب إلى صاحب الأرض. قال له ياسيدي: أنا أعطوني أرض من أراضيك، وأنا ما عندي ثمنها إذا كان بعت أساور زوجتي ودفعتها لك.

قال له: يا ابني أنا راح لي أربع مائة دنم ما نفد لعندي ولا واحد، إلا أنت، هذه هديه لك، ازرعها و اتهنى فيها، لك هذه، هدية مني لك هبا، هو أراد طاعة الله، بس أراد، وسئل شيخه.

قال له: يا بني، الأرض اشتريها شره، ألقى في قلب صاحب الأرض أن أعطها له هبةً، الآن زرعها حلال. الإنسان أيها الأخوة، لا تتمنى المعصية، لا تتمنى أن تأخذ ما ليس لك لا تتمنى أن تغتصب أموال الآخرين، لا تتمنى أن تحتال عليهم، لأن الله كبير،

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)﴾

(سورة الفجر: 14)

عليه زكاة مال إحدى عشر ألف وخمسمائة وستين، زوجته أقنعته أنه الآن بلا زكاة مال، بدنا اندهن البيت، دهنه عنده مركبة عملت حادث، صلح وجلس، وبخ، واشترى قطع، طلعوا إحدى عشر ألف وخمسمائة وستين، ما طلعت ربحان شي

﴿ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) فَلِلَّهِ الْآَخِرَةُ وَالْأُولَى (25) ﴾

الآية معناها، ليس بأمانيكم، ولا بتخطيكم، ولا بأهدافكم، ولا ببرمجتكم، بمشيئة الله، وقدر الله، وفعل الله، وإرادات الله.

لذلك أنت لا تنجوا من الله إلا بطاعته، لا تنجوا منه إلا بطاعته، فإذا عن طاعته.

إخوانا الكرام، من ابتغ أمراً بمعصيةٍ كان أبعد مما رجى، وأقرب مما اتقى.

الدرس (06-12) : تفسير الآية 31 ، مكافأة المحسن ومعاقبة المسيء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: الآية الواحدة والثلاثون من سورة النجم وهي قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31)﴾

أيها الأخوة الكرام:

حينما توقن أن المحسن لابد من أن يكافئ على إحسانه ؛ من قبل الله، والمسيء لابد من أن يعاقب على إساءته، ولا يمكن أن يتفلت من هذا القانون أحد، عندئذٍ تستقيم.

يقول الله عزوجل:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

يعني هذا الكون ملك الله، هو مالكه، هو مالك الملك، مالكه خلقاً ومالكه تصرفاً، ومالكه مصيراً، خلقاً وتصرفاً، ومصيراً.

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

(سورة هود: 123)

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102)﴾

(سورة هود: 123)

﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾

(سورة الأعراف: 54)

﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾

(سورة السجدة: 4)

﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً (26)﴾

(سورة الكهف: 26)

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)﴾

(سورة فاطر: 2)

هذا هو الإيمان. الأمر كله بيد الله، هو المعطي، هو المانع هو الرافع، هو الخافض، هو المعز، هو المذل، هو المصح، هو الممرض، هو الرزاق، هو القابض.

إن أيقنت أن الله بيده كل شيء، هذه واحدة، وأنه سيجازي المسيء وسيكافئ المحسن، ماذا بقي أمامك ؟ إلا أن تستقيم على أمره. إنسانٌ أحياناً، شخص من بني البشر، قويٌ جداً، يفعل ما يقول، لن تستطيع أن تتفلت من علمه، ولا من قبضته، تطيعه في النهاية، إنسان عادي تطيعه، ما في حل، لابد من أن نطيعه حتى ننجو منه.

أما ربنا عز وجل خالق السماوات والأرض، قال لك:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

بالمناسبة السماوات والأرض مصطلحٌ قرآني، يعني الكون، والكون ماذا يعني ؟ ما سوى الله، الله فوق الخلق فيها وحده، ما سوى الله هو الكون، بالقرآن السماوات والأرض:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

مالكم لأنه خلقهم ويتصرف بهم وإليه مصيرهم،

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31)﴾

هذه اللام لام التعليل، يعني هو خلقنا ليجزينا أيام الإنسان، دقيقة هذه الفكرة، تقيم وليمة أنت، تدعو فيها عشر أشخاص، يطرق الباب فجأةً، يأتيك زائر على غير موعد، تقول له تفضل، كل، هو أكل، مع من أكل، لكنه ليس المقصود في بهذه الدعوة، أكل عرضاً، أما هذا الذي دعوته، ورجوته، وأرسلت له بطاقة، وجعلت الدعوة على شرفه، شيء آخر، هذا أكل، وهذا أكل لكن هذه الوليمة على شرف فلان.

يعني أحيان، الله خلق السماوات والأرض، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ويعاقب الذين أساءوا بالسوء، لكن هنا الآية وضع ثاني

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِي﴾

يعني علة خلق السماوات والأرض، أن يكافئ المحسن، ويعاقب المسيء.

لذلك قالوا إن لكل حسنةٍ ثواباً، ولكل سيئةٍ عقاباً، ماذا يفهم بعد هذا الكلام ؟ يفهم أنه من سابع المستحيلات! أن يتساوى المسيء والمحسن والمؤمن والكافر، والمستقيم والمنحرف، والصادق والكاذب والمخلص والخائن، والمنصف والجاحد، مستحيل، بل أن هناك فكرةٌ أخطر ! أن يستوي المحسن والمسيء، والمؤمن والكافر،

والمستقيم والمنحرف، هذا يتناقض مع وجود الله، إما أن تؤمن بوجود الله وإما أن تؤمن بالعبثية، إذا في إله ما في عبثية، ما في إله في عبثية عبث، قال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً ﴾

(سورة المؤمنون: 115)

بلا هدف،

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38)﴾

(سورة الدخان: 38)

﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

(سورة ص: 27)

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)﴾

(سورة المؤمنون: 115)

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36)﴾

(سورة القيامة: 36)

يعني ممكن تعمر بناء يكلفك مئات الملايين، ويستغرق عشرات السنين بعد أن ينتهي تهدمه، نقول هذا عبث.

الله عز وجل يقول:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) ﴾

(سورة المؤمنون: 115 . 116)

لا يليق بالله أن يخلق الإنسان عبثاً، ولا يليق بكمال الله أن يتركه سداً ولا يليق بكمال الله أن يخلق الخلق لعباً.

إذاً:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31)﴾

أيها الأخوة الكرام:

الإنسان متى يعصي الله، أو متى يتفلت من منهجه، إذا لم يكن متأكداً أن المحسن سيكافئ، والمسيء سيعاقب، أما إذا تأكد أن لكل حسنةٍ ثواباً، ولكل سيئةٍ عقاباً، يستقيم.

هل هناك آيات تدعم هذه الآية ؟ استمعوا:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

معقول ! في الدنيا .

﴿ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ﴾

في الدنيا ! في الآخرة مفروغ منها هي، بديهية في الآخرة، في الدنيا !

﴿ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

(سورة الجاثية: 21)

طيب

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)﴾

(سورة السجدة: 18)

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)﴾

(سورة القلم: 35 . 36)

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)﴾

(سورة القصص: 61)

إخوانا الكرام:

هي آيات، إن أيقينتم بها لا يمكن أن تعصي الله، كل شي بحسابه هلق قالت لك المالية، بتدفع أول شهرين، في خصم بالمياه عشرة بعد شهرين بالمياه خمسة، بعد بشهرين ما في خصم، بعدين في غرامة انظر إلى أبواب وزارة المالية، كيف أن الناس، يقول لك وفرت ستين آلاف، أنا أولى فيهن، يعني بلاغ بسيط بس موقن، إذا دفعت الآن في حسم بالمائة عشرة، بعد شهرين بالمائة خمسة، بعد بشهرين ما في حسم، بعدين في غرامة، بعدين تصل الغرامة للعشرة بالمائة، إذا أيقنت أن هذا الذي أصدر هذا القرار يفعل ما يقول، بتلاقي رأساً.

إذا إنسان استورد بضاعة، وفي ورقة تذهب إلى المالية، من الجمرك إلى المالية، وقدم ميزانية، فيه يغفل هذه الصفقة، عندئذٍ تهدر حساباته كلها، طيب مع إنسان مع بشر، مع بشر، ما دام عرفان كله مضبوط، صعب تنفد، بتلاقي تنضبط، كيف مع خالق البشر ؟:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31)﴾

لاحظ مؤمن مستقيم، حياته، زواجه عمله، دخله، صحته، مكانته، كإنسان غير مستقيم.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) ﴾

(سورة البقرة: 161)

هؤلاء

﴿ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً (17)﴾

(سورة الجن: 17)

من عذاب لعذاب، فأنت إذا أيقنت أن المحسن سيكافئ، والمسيء سيعاقب، تستقيم على أمر الله تماماً،

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

ملك خلقٍ، وملك تصرفٍ، وملك مصير، وكل ما سوى الله بيده، علة خلقنا،

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31)﴾

من هم الذين أحسنوا ؟ هذا إلى الغد إن شاء الله.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-12) : تفسير الآية 32 ، الذنوب الصغيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: الآية الواحدة والثلاثون من سورة النجم وهي متصلةٌ بالآية السابقة.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31)﴾

من هم الذين أحسنوا:

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32)﴾

أيها الأخوة الكرام:

يقول عليه الصلاة والسلام: وقوله هذا يلقي ضوءاً على هذه الآية:

﴿ لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ﴾

ويقول عليه الصلاة والسلام، إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم، ولكن رضي فيما دون ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

هناك أعمال يفعلها المسلم، لا يلقي لها بالاً ؛ هي التي تحجبه عن الله يعني بيت فيه براد، في مروحة، في مكيف، في مكواة، في مسجلة في فرن، وفي أجهزة كثيرة جداً تعمل على الكهرباء، لو أنك قطعت التيار الأساسي، ميلليمتر، أم متر، مثل بعضها، الأجهزة كلها معطلة، لو أنك باعدت بين وصلتي تيارٍ أساسي، ميلليمتر، أو عشرة سانتي، أو مائة سانتي، المهم أن التيار انقطع.

فهناك مسلم تحجبه صغيرة، وهناك مسلم تحجبه كبيرة، فهل يعقل أن يحجب الإنسان عن الله وقد ترك الكبائر، وحجبته الصغائر، إنه عندئذ خاسرٌ أشد الخسارة، لو أن الإنسان قاتل، أو شارب خمر، أو زاني أو سارق، ومحجوب له أعمال تساوي حجبه، أما مصافحة، وإطلاق بصر، وحفلة مختلطة، عما يعدها صغائر هذه،

إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم، ولكن رضي فيما دون ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

يعني لن يقوم بالعالم الإسلامي، وثنية بعد الإسلام، مستحيل ! أما في آلاف الصغائر التي يفعلها المسلمون، وهم محجوبون.

أضرب لكم مثلاً يوضح لكم الحقيقة، طريق عريض، مستقيم على يمينه وادي سحيق، وأنت تقود مركبةً على هذا الطريق ؛ الصغيرة حرفت المقود درجة واحدة، سانتي واحد، أنت في منتصف الطريق على اليمين عشرة أمتار، وعلى اليسار عشرة أمتار، وعلى اليمين وادي، وعلى اليسار وادي، حرفت المقود سانتي واحد ! هذه صغيرة لماذا هي صغيرة ؟ لأن تعديلها يسيرٌ جداً، حركة أخرى تعيد المركبة إلى وسط الطريق، أما هذا السانتي لو ثبته، على الوادي، كالكبيرة الكبيرة حرف تسعين درجة فجأةً، سلت بالوادي، الصغيرة سانتي واحد، بس ثابت، هذا السانتي الثبت في النهاية على الوادي، لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار.

فيا أيها الأخوة الكرام:

يعني من الغبن الفاحش، من الغباء الشديد، أن تضحي بتصالك بالله عز وجل من أجل صغيرة، أنت الكبائر تركتها، هذه الصغائر دعك منها، هي التي تحكم الصلة بالله عز وجل، يعني بقل لك أنا ما بسرق بقل لك ما أحلاك تسرق، أنا ما بزني، ما بشرب خمر، شي بديهي واحد من رواد المسجد يحضر مجلس علم، الله أنعم عليه بالإسلام وهداه بالإيمان، بيسرق مستحيل ! بيزني مستحيل ! بيشرب خمر مستحيل ! بيقتل مستحيل ! ما الذي يحجب الناس عن ربهم ؟ هذه الصغائر، لا صغيرة مع الإصرار، لا كبيرة مع الاستغفار.
أنا أسألكم بربكم ؟ لو إنسان أطلق عينه إلى هذه الشاشة التي في كل بيت، واستمتع بما يراه، وأذن العشاء، وقام ليصلي، هل يستطيع أن يتصل بالله ؟ إذا بيقدر ! أنا غلطان بكون، وإذا ما بيقدر معنى هذه النظرة، إلى امرأةٍ في الشاشة، ملئ عينية من محاسنها، لن يستطيع بعدها أن يحكم اتصاله بالله، هذه صغيرة، فيما يبدو له صغيرة، هي حجبته كالكبيرة، تذكروا هذا المثل، فصل طرفين التيار، ميلي، أو سانتي، أو عشرة سانتي، أو متر، مادام انفصل كل الأجهزة واقفة، تعطلة.

لذلك هذا الدين، لا يفلح به الإنسان إلا إذا أحاطه من كل جوانبه، أحاطه، قال:

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾

ما اللمم هنا ؟ اللمم خاطر ألم بذهنك، لم تفعله، ما في مشكلة، هذه لا تحاسب عليها، أي خاطر، لو شبح معصية، واحد تصور نفسه يفعل معصية، بس ما فعلها، ألمت به خاطرة، لا ترضي الله، استعاذ بالله منها وانتهى الأمر، هي اللمم، أو أنه فعل خطيئةً ولم يعلم أنها خطيئة، توبته سهلةٌ جداً، إما أن خاطراً ألم بذهنه، واستعاذ بالله منه أو أن ذنباً صغيراً فعله وهو لا يدري، فلما علم أنه ذنب، استغفر الله عز وجل، العبرة شيءٌ

ألم بذهنك ولم تفعله، أو شيءٌ فعلته، ولم تكن تدري أنه معصية، الاستغفار سريع جداً، وسهل جداً، والصلحة بلمحة، أما حينما تعرف أن هذه مخالفة وتفعلها أنشأت حجاباً بينك وبين الله، والأشقياء هم الذين يكثرون الحجب بينهم وبين الله، كل معصية حجاب، فإذا كثرت هذا الحجب، كان الران، الران ظلام يغلف القلب

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) ﴾

(سورة المطففين:14)

من ترك الجمعة ثلاث مراتٍ من غير عذرٍ نكتت نكتتٌ سوداء في قلبه، نكتت نكتتٌ سوداء في قلبه، هذا الدرس المتواضع شحنة، شحنة روحية، الإنسان عليه أن يشحن روحياً باستمرار، بقلك أخي أنت اشتريت سيارة، كل أسبوع بدك تعبيها بنزين، حاجة مرة وحدة يا أخي، شو مرة وحدة، كل أسبوع بدك تعبيها، وإلا بتوقف، تصبح عبئ عليك، إن أردتها أن تمشي بدها تعباية، هذا الشحن.

مرة أهديّ لي بيل، بيل ينشحن بالكهرباء، حينما أنساه ولا أشحنه وأطر إلى استعماله، نايص، قلت وكذلك المؤمن الذي يضعف شحنه ولما أنساه بالشحن، وأستخدمه كالشمس، قلت وكذلك المؤمن الذي يكثر شحن نفسه، فدرس علم يعطيك شحنة، يقربك من الله، يحملك على طاعة الله، يذكرك بالآخرة، يذكرك بالموت، يذكرك بالعمل الصالح، يذكرك بالصدقة، يذكرك بغض البصر، يذكرك بضبط اللسان، نحن، وأنا معكم والله، أنا أحتاج إلى شحنات كما أنتم محتاجون، نتعاون نحن،

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾

(سورة المائدة:2)

والتقوى صلاح الآخرة.

إذاً:

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾

خاطرٌ ألم بك أما بعض إخوانا الكرام، المتساهلون، بقلك النظرة لمم، أعوذ بالله والقبلة لمم، شو بقى لكن، فإذا كل المعاصي لمم، ما هذا الفهم للمم ؟ فهم مضحك هذا الفهم، خاطر ألم بذهنك واستعذت بالله منه، لا تحاسب عليه،

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (54)﴾

سورة الأنعام:54)

ما في مشكلة، مالك عرفان، ثم علمت أنه معصية، استغفرت الله، اللمم يعني خاطر ألم أو ذنب لا تعلمه ذنباً، أما تعلم أنها معصية، وأنها تخالف السنة وتفعلها عن تصميمٍ وقصدٍ وإرادة، وتقول هذه من اللمم، لا والله هذه صغيرةٌ أصررت عليها، إن وافقناك على رأيك، إن سميناها صغيرة كما تريد، هذه صغيرةٌ أصررت عليها، ولا صغيرة ومع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار.

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

لا تحاول تظهر بمظهر أكبر من حجمك، لأن الله يعلم الحقيقة، لأن الله كاشفك، لأنك مكشوفٌ عند الله.

الإنسان لا يحاول يظهر بمظهر أكبر من حجمه، إيام بتلاقي لابس كلابية بيضة ومسبحة بيده، ومسواك حاطه، رايح عالجمعة يصلي وين كنت مبارح سهران الخميس حتى الساعة الواحدة بلليل الله أعلم لاتظهر بمظهر التقي والورع، وأنت لست كذلك، لا توهم الناس أنك محسن كبير.

قال لي والله يا أستاذ الله أكرمنا وزوجناها وحدة أمريكية وعمرها ستين سنة، لعلي أن أهديها إلى الله عز وجل، قلت له: قول ميشان كرين كارت أخذتها، ميشان الإقامة أخذتها، مو ميشان تهديها إلى الله عز وجل، لا تعمل تلبسة وزعبرة،

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾

الله كاشفك الله يعلم الحقيقة تمام، أنت تواضع أنت قول يا رب أقبل عملي، يا رب استرني، يا ربي خذ بيدي إليك يا ربي دلني بك عليك، دلني على من يدلني عليك، خليك بالحجم الطبيعي.

قال: سيدنا عمر عملاق الإسلام، عملاق الإسلام، لو كان نبي بعدي لكان عمر، عمر محدث حدثه الله عز وجل، لأن آيات كثيرة جاءت مطابقة لما يقول، وسيدنا رسول الله أعطى سيدنا حذيفة أسماء المنافقين، قال له يا حذيفة بربك اسمي معهم، شفلي اسمي معهم، هذا هو الخوف من الله.

قال والله لو تعثرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها، لما لم تصلح لها الطريق يا عمر، لو أن الله أنزل أنه معزب واحداً لخفت أن أكون أنا، ولو أنه أنزل أنه راحمٌ واحداً لرجوت أن أكون أنا، أنت بين الأمل والرجاء،

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُم﴾

لاتعمل مظاهر، لاتعمل مظاهر دينية، بحط مصحف بالسيارة، ما في مانع حطه، بس لا تعمل مخالفات وواضع المصحف، تكتب:

﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾

(سورة الفتح: 1)

بالمحل التجاري، ودجل، وغش، وكذب واحتيال، وتغير مواصفات، وأيمان كاذبة، لا تعمل مظهر ديني، آية الكرسي بالصدر، بنعمل عرس مختلط، ونرتكب كل الفواحش وعلى الكرت الطيبون للطيبات، أين الطيبون للطيبات، هؤلاء الخبيثون للخبيثات، والفاسقون للفاسقات ,

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32) ﴾

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32) ﴾

لو عملت عملاً صالحاً في صخرة، لطلع عليه الناس، الناس ليسوا أغبياء يعرفون الحقائق، يعرفون الحقائق بفطرتهم، بدون دجل.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-12) : تفسير الآيات 33-41 ، السعي المحمود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: الآية الكريمة السادسة والثلاثون، وهي قوله تعالى:

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36)﴾

قبلها:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (33) وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى (34) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (35) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37)﴾

موطن الشاهد:

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41)﴾

أيها الأخوة الكرام:

لو عقل الناس هذه الآية، لكانوا في حالٍ غير هذا الحال، وهي قوله تعالى

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41)﴾

أيها الأخوة:

لو أن الله عز وجل قال: للإنسان ما سعى، هذا ليس قرآناً، لو كانت الآية كذلك، للإنسان ما سعى، أي له ما سعى وله ما لم يسعى أما حينما قال الله عز وجل

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) ﴾

هذا تركيب قصري، قصر يعني ليس لك إلا ما سعيت.

أيها الأخوة الكرام:

المشكلة أن الله سبحانه وتعالى، ضمن لك شيئاً، وكلفك بشيء ضمن لك رزقك، وكلفك أن تعمل للآخرة. واقع أكثر الناس، أنهم تركوا ما كلفوا به، وعملوا فيما ضمن لهم أنهم تركوا ما كلفوا به، وعملوا فيما ضمن لهم.

الإنسان حينما يسعى لكسب رزقه، يغيب عن ذهنه أن هذا المال الذي بين يديه، الذي استهلكه هو رزقه، والذي لم يستهلكه هو كسبه المال الذي لم تستهلكه، ولم تنتفع به، لم تنتفع به وأما الذي استهلكته هو الذي انتفعت به، فأكثر الناس عندهم أموال أضعاف مضاعفة، عن حاجتهم، هذا كسبهم، ورزقهم المنتفع به، أما في الآخرة كل عملك لك، كل سعيك لك،

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) ﴾

فأنظر كم يمضي من الوقت، وأنت تستهلك هذا الوقت في شؤون الدنيا الفانية التي ضمنها الله لك، وكم ينبغي أن تستهلك من الوقت، فيما كلفت به.

بقلك فلان مؤمن، الإيمان مرتبة، مرتبة علمية، مرتبة جمالية مرتبة أخلاقية، مرتبة قيم، مرتبة علم، مرتبة ذوق.

طيب متى آمنت ؟ أي وقتٍ استهلكته من أجل أن تؤمن، هل حضرت مجلس علم ؟ هل قرأت ؟ هل استمعت إلى شريط ؟ هل سألت عالماً ؟ هل جلست على ركبتيك في المسجد، من أجل أن تصبح مؤمناً،

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) ﴾

أمور الدنيا يسعى الناس إليها، بجدٍ ما بعده جد، أمور الآخرة بقلك على الله،

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) ﴾

لذلك، بعض الناس بقلك سقوط صلاة، والله شيء مضحك ما صلى في حياته، وترك ثروة طائلة، بدفعوا كم ألف سقوط صلاة، وحجة بدل وانتهى الأمر، الجواب، لا،

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) ﴾

إن العمل الذي أردته وجهدت في تحقيقه، وتنفيذه هذا الذي يكتب لك

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40)﴾

يعني ممكن في عالم الدنيا، إنسان معه شهادة عليا، يدخل للامتحان محل طالب كسول يقبلوه، أخي فلان نائب عني محلي وكيلي، بقدم فحص عني، لا، نريدك أنت، لا يقبل الطالب إلا أن يؤدي الامتحان هو ، طيب ممكن إنسان مريض، نعطي الدواء للصحيح، خذ هذا الدواء عنه، لا، هذا مستحيل،

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) ﴾

يعني الصدقات التي أنفقتها أنت هي لك، الأعمال التي فعلتها أنت هي لك، الأعمال الصالحة التي بذلتها هي لك، وما سوى ذلك ليس لك إطلاقاً،

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40)﴾

على رؤوس الأشهاد.

قال واحد لرسول الله، اللهم صلي عليه، ادعوا الله لي أن يذهب عني النوم، كان نوماً، فقال سيدنا عمر ويحك يا رجل، فضحت نفسك قال له النبي الكريم، دعه يا عمر، فضوح الدنيا خير من فضوح الآخرة. أما يوم القيامة عملك يظهر، على رؤوس الأشهاد، أنت في الدنيا قد تستطيع أن تخدع بعضاً من الناس بطول الوقت، وقد تخدع كل الناس ببعض الوقت، أما أن تخدع كل الناس لكل الوقت هذا مستحيل. أما الذي أولى منه، لن تستطيع، أن تخدع الله عز وجل أبداً، ولا أن تخدع نفسك، ولا أن تخدع كل الناس بكل الوقت، إنما هو مسموح لك بذكاءٍ بارع أن تخدع بعض الناس، لكل الوقت، أو أن تخدع الناس لبعض الوقت .

أما ربنا جل جلاله:

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾

(سورة النساء: 142)

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) ﴾

(سورة البقرة: 9)

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41)﴾

كثير في أعمال مظهرها صالح، قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً (23) ﴾

(سورة الفرقان: 23)

قال تعالى:

﴿ لَهُمْ صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾

(سورة الأنعام: 124)

قال تعالى:

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً (105)﴾

(سورة الكهف: 105)

قال تعالى

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾

(سورة الكهف: 105)

ففي مظاهر في الحياة صارخة، بيت فخم، دخل كبير، مركبه فخمه مزرعة، هذا قد لا يعدل عند الله جناح بعوضة.

إخواننا الكرام:

ليس لك إلا ما سعيت، أنا ابن فلان، نحنا والحمد لله مسلمين طيب خير أن شاء الله، أمتي ! أمتي ! يقال للنبي الكريم لا تدري ماذا أحدثوا بعدك ! يقول سحقاً، سحقا، يا فاطمة بنت محمد ! يا عباس عم رسول الله أنقذا نفسكما من النار، أنا لا أغني عنكما من الله شيء لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم، من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه.

يروى أن أبو سفيان وقف في باب عمر طويلاً، فلم يؤذن له، وكان صهيبٌ وبلال، يدخلان ويخرجان بلا استئذان، آلمه ذلك، فلما دخل عليه قال: سيد قريش يقف ببابك الساعات الطوال، وصهيبٌ وبلال يدخلان بلا استئذان ! ماذا كان جواب سيدنا عمر : أنت مثلاهما

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39)﴾

رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبره.

لا تتأمل، الله عز وجل قال:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(سورة آل عمران: 110)

إياك أن تنخدع، أنك من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أمة سيدنا محمد أمتان، أمة التبليغ، وأمة الاستجابة، فإن لم تستجب لدعوة الله عز وجل في طاعته، وطاعة رسوله، أنت من أمة التبليغ، وأمة التبليغ ليس لها أية ميزة على الإطلاق

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ﴾

(سورة المائدة: 18)

يقاس على هذه الآية لو أن المسلمين قالوا: نحن أمة محمد عليه الصلاة والسلام، نقول: لما يعذبنا الله بذنوبنا بل نحن بشر مما خلق، أما إذا استجبت لأمر الله، وأقمت شرع الله في بيتك وفي عملك، الآن أنت من أمة الاستجابة، الآن نقول لك تنطبق عليك الآية الكريمة:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بالله ﴾

خيرته هذه الأمة متعلقة بطاعتها لله عز وجل، أما مجرد الانتماء لهذه الأمة، هذا لا يقدم ولا يؤخر، ولا يرفع، ولا يخفض، الآية الكريمة، وأن

﴿ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39)﴾

ليس لك، سيقول هذا مالي، ليس لك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت، ثلاثة أشياء اثنين مستهلكات وواحدة باقية، وما سوى هذه الثلاثة ليس لك، هي للورثة، هذا كسبٌ وليس رزقاً، الرزق هو الذي انتفعت به. والله هذه الآيات ممكن أن تكون شعار لكل مؤمن،

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40)﴾

سعي النبي رؤي، طبعاً رؤي، كل هذه البلاد في صحيفة رسول الله علية الصلاة والسلام، طيب، سعي الكفار لإطفاء نور الله رؤي، هم في مزبلة التاريخ، وكل إنسان له عمل.

سيدنا صلاح الدين الأيوبي، وضعوا له تمثال لماذا ؟ لأنه بطل، بطل عظيم، رد 27 جيش أوربي، ورفع رأس الإسلام عالياً.

بتركيا محمد الفاتح، رد البزنطيين وفتح أستنبول، بالقسطنطينية، كل إنسان له عمل ظاهر.

سيدنا عمر ماذا فعل ؟ سيدنا الصديق ماذا فعل ؟ سيدنا عثمان ماذا فعل سيدنا علي ماذا فعل ؟ أصحاب رسول الله، أبو حنيفة معروف، سيدنا الشافعي، الإمام مالك، المفسرون، علماء الحديث، أعلام الأمة هؤلاء.

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41)﴾

بالتمام والكمال، في دفعات بالدنيا، دفعات على الحساب، تشجيعية، أما رصيد الحساب، يوم القيامة.

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

(سورة آل عمران: 185)

الرصيد، دفعة رصيد يوم القيامة، أما في الدنيا، ربنا عز وجل رحيم، يعطيك بعض الإكرام، مشان تتشجع.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-12) : تفسير الآيات 33-41 ، نعمة الله عليك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: الآيات التي شرحت في الدرس الماضي من سورة النجم وهي قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (33) وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى (34) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (35) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40)﴾

ذكرت في الدرس الماضي أيها الأخوة، أن الإنسان، إذا أيقن أن الله يعلم حركاته وسكناته، وأنها مسجلةٌ عليه، وأنه سيحاسبه لابد من أن يستقيم على أمره، وهذه الآيات تؤكد ذلك

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38)﴾

يعني لا تحمل نفسٌ حمل نفسٍ أخرى، كل إنسانٍ يحمل أعماله صالحةً أو طالحة، وسيحاسب عليها،

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39)﴾

لن يأخذ سعي غيره، ولن يأخذ من سعيه شيء، وأن سعيه سوف يرى، على رؤوس الأشهاد،

﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41)﴾

ربنا سبحانه وتعالى، أسمائه الحسنى، كلها محققةٌ في الدنيا إلا أن إسم العدل يتحقق يوم القيامة،

﴿ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾

(سورة يونس: 4)

﴿ لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)﴾

(سورة طه: 15)

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42) ﴾

وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى.

لا شك أنك تجلس مع أهلك أحياناً، أو مع أصدقائك، أو مع جيرانك أو مع زملائك، في جلسة، في ندوة، في وليمة، في نزهة ويسود جو من المرح، تضحك، هل تعلم أن هذا الضحك ؟ نعمةٌ من الله عز وجل أنعمها عليك، لو أن هناك مرضاً عضالاً، لا تضحك إطلاقاً، ولا ابتسامة، لو أن هناك مشكلةً زوجيةً خطيرةً لا

تضحك لو أن هناك نبأً تجارياً صاعقاً لا تضحك، ما دمت تضحك، معنى ذلك أن الله سمح لك أن تضحك، طمأنك جعل جسمك سليماً، جعل أهلك وأولادك في خير، لك مالٌ تنفق منه على نفسك، لك سمعةٌ طيبة هذه الأشياء تدعوك إلى التبسم والضحك، والأنس، والمرح، أما لو كان هناك خبر سيئ جداً، لو كان في خبر خيانة زوجية، لا تستطيع أن تنظر إلى أحد، أليس كذلك ؟ لو خبر موت ولد، لو خبر احتراق محل والمستودعات كلها، لو خبر تقرير، أنه هل النمو هذا، نمو غير سليم نمو خبيث، يذهب الفرح كلياً .

إذاً أنت حينما تضحك، يجب أن تشكر الله عز وجل، سمح لك أن تضحك، عافاك في بدنك، عافاك في أهلك، سمعتك طيبة، معك ما تنفق، معك ما تنفق، لك بيتٌ تأوي إليه، الذي عليه دعوى إخلاء والحكم صدر بالإخلاء، والتنفيذ بعد أسبوعين، ولا يملك ثمن بيت وليس هناك بيت للأجرة، ماذا يفعل ؟ هل يضحك ؟ أبداً. إذاً أيها الأخوة: وأنه هو أضحك وأبكى، إن ضحكت فبنعمة الله عز وجل، سلمك، مكنك، أعطاك، أكرمك، أيضاً سلم سمعتك من الدنس، وأبكى، بالمقابل قد تعجب أن يبكي الرجل، قد تجد رجلاً وهو في أعلى درجات الرجولة يبكي كالأطفال، الله عنده مصائب بتهد الرجال،

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) ﴾

(سورة البروج: 12)

عنده مصائب الجبابرة يسحقون، الجبابرة يخنعون، الجبابرة يذلون.

فالإنسان، ليكن مع الله على أحسن حال، حتى الله عز وجل يسمح له يضحك وإلا يبكيك، طبعاً الطفل يبكي سريعاً، والمرأة تبكي أسرع لكن الرجل قلما يبكي، إلا إذا كان مؤمن إيمان عالي، بكاء القرب من الله هذا موضوع ثاني، هذا بكاء وسام شرف، أيام الإنسان يصلي فيبكي، يقرأ القرآن فيبكي، هذا البكاء أعلى درجة في الإيمان يعني بلغت محبتك لله، وشوقك إليه، وخشوعك له أنك تبكي

﴿ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾

(سورة المائدة: 83)

هذا البكاء لا علاقة له بالآية البكاء هنا بكاء القهر، بكاء المصيبة، بكاء المرض العضال، بكاء الشقاء الزوجي، بكاء الإفلاس، إنسان.

أنا حدثني شخص كيف جاء إلى هنا، قال لي: أنا عندي أربعة آلاف دنم، مختار قرية كان، هذه القرية اشتاحها العدو يطلب أن يعمل ناطور، وصار يبكي، ناطور بأربعة آلاف، أربعة آلاف دنم ومضافات، وذبايح، ومكانة، وشئن، ذهب كل ماله، وهو يبحث عن عمل ناطور، عمره سبعين سنة، في أي مكان.

ربنا عز وجل، أيها الأخوة: كلام دقيق جداً، أضحك وأبكى حتى في ساعات السرور، والضحك، والانشراح، لا تنسى ذكر الله لا تنسى أن الله سمح لك أن تضحك، لا تنسى أن الله أواك في بيت لا تنسى أن الله أكرمك بزوجة، لا تنسى أن الله أكرمك بأولاد، لا تنسى أنه معك ما تنفق، ولو بالكفاف، هناك رجل لا يجد ما ينفق هناك أشخاص كثيرون ينقبون في لقمامة، يبحثون عن شيءٍ يؤكل رجل، يعني كان من الممكن أن تكون مثله، لكن الله كرمك.

إخواننا الكرام:

أحد الأخوة توفي رحمه الله، تبرع ببيت، يعني قيمته ثمانية ملايين، لجمعية خيرية، هذا البيت أصبح، مركز تدريب مهني للفتيات الفقيرات، يعني مشروع طيب، فتاة فقيرة، بدل أن تتسول تأتي إلى هذا المركز، تتعلم الخياطة بأعلى مستوى، ثم تشتغل يشترى لها ماكينة خياطة، ثم تشتغل وتبيع إنتاجها، يعني هذه الجمعية الخيرية، بهذا المشغل الدقيق، حولت المتسولات، إلى منتجات وأعظم عمل في الزكاة، أن تحول آخذ الزكاة إلى دافع زكاة، هذا أعظم عمل.

هذا الرجل لما قدم البيت ثمانية ملايين ثمنه، أقيمت له حفلة تكريمية، لأنه قدم شيء طيب، كل من ألقى كلمات، أثنى على كرمه وسخائه، وإحسانه، وعطائه، وفضله، إلا أخ كريم من أخوتنا، قال له مايلي: فهو الأخ مدير الجمعية، قال له أيها المحسن الكبير: لولا فضل الله عليك، لكان من الممكن _أن تكون أحد المنتفعين بجمعيتنا وأن نعطيك في الشهر مائتين ليرة، أو ألف ليرة تأخذها وأنت خانع ها أنت تعطي بيت، بثمانية ملايين، هذا من فضل الله عليك، أعطاك الله فأعطيت.

فكل إنسان يحدث نفسه هذا الحديث، كان من الممكن أن تمد يدك كان من الممكن أن تنام في الطريق، لماذا ربنا عز وجل ؟ يقول:

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾

(سورة مريم: 71)

ورود النار شيء، ودخولها شيء آخر، وورود النار ترى المؤمن يوم القيامة، يرد النار، لا ليحترق بها، أبداً، حتى لا يؤذيه وجهها، لكن يرى مكانه في النار لو لم يكن مؤمناً، بتضاعف سعادته، ويرى مكان الذين دعاهم إلى الله وأبوا، يراهم معذبون، من أجل أن يتحقق من عدل الله عز وجل، قد يكون إنسان قوي في الدنيا، يستعلي على خلق الله، يرى عدل الله كاملاً مطلقاً، ويرى مكانه في النار لو أنه لم يكن مؤمناً. وأهل النار، يرون مكانهم في الجنة، لو آمنوا، تزيد سعادة المؤمن في الجنة، حينما يرد النار،

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾

وتزيد حسرة الكافر في النار، حينما يرى مكانه في الجنة، لو أنه مؤمن.

فلذلك أيها الأخوة: هذه الآية تكفينا، وأنه هو أضحك وأبكى بضحك، طبعاً يطمئنك، أيام برزقك، معك ما تغطي نفقاتك، مطمئن إذا أحرزت النفس قوتها اطمأنت، أيام بسلمك صحتك ما في شي الحمد لله، أجهزة القلب، والرئتين، والكبد، والأمعاء، والمعدة والجهاز العصبي، والدم سيولته جيدة، خثرة ما في بالدماغ، ما في مشكلة يعني شو الإنسان، يعني كل إنسان وعظمته، نقطة دم بحجم رأس الدبوس إذا تجمدت في الدماغ، بمكان بينشل، وبمكان بيفقد ذاكرته وبمكان بيعمى، وبمكان بيفقد محاكمته، شي مخيف، يعني كل عظمة الإنسان، إذا كان يتوهم أنه عظيم، منوط في سيولة دمه، فالدم يسيل الأعضاء تامة، الأجهزة سليمة، الصحة طيبة، المأوى موجود الأهل موجودون، الأولاد معافون، معك ما تنفق، إذاً تضحك تروي نكتة، تضحك، بضحك الناس، في فرح عندك، في بشاشة في طيب، في روح خفيفة، هذه كلها، لولا هذه المسلمات، لما كنت هكذا، وأنه هو أضحك وأبكى

﴿وأنه هو أمات وأحيا ﴾

الإنسان يعيش لأن الله سمح له أن يعيش، ما من يوم ينشق فجره ألا وينادي يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

أيها الأخوة الكرام: أرجو الله سبحانه وتعالى، أن يكون هذا واضحاً عندكم، أنت حينما تستيقظ، يجب أن تعلم علم اليقين، أن الله سمح أن تعيش يوماً جديداً، استيقظت، ما في شي، حركات، وقفت ترى، تسمع، تتكلم، تمشي، ما في شي.

كان النبي، يدعو ويقول: الحمد لله الذي رد إليّ روحي النوم موت لأنه، النوم موت، موت وقت، لأن كان النبي، إذا وضع رأسه على الوسادة، يقول: اللهم إن أمسكت نفسي فرحمها وإن أرسلتها فحفظها.

استيقظ، معناها سمح لي بيوم جديد، وعافاني في بدني ثانياً وأذن لي بذكره ثالثة، فأنت ثلاث نعم، سمح لك أن تعيش، وأن تكون معافى، وأن تذكر الله، بتلاقي واحد قاعد بمجلس علم، في إنسان قاعد بملهى عما يشرب، عما يتأمل براقصة، إنسان، سيارته واقفة بره، هذا مقيم على معصية، عنده كل يوم سهرة، يبحث في النوادي، والملاهي، وأنت بجامع قاعد، بمجلس علم، تستمع إلى كتاب الله، هذه نعمةٌ أيضاً، وأنه هو أضحك وأبكى :

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) ﴾

كون المولود ذكر أو أنثى، من الرجل لا من المرأة، فالا أحد يطلق زوجته إذا جابت له بنت، بكون أحمق، لأنه هذا منه، وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة، لا من بويضةٍ، من نطفة إذا تمنى وأن عليه النشأة الأخرى،

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-12) : تفسير الآيات 42-46 ، كلمة الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام الآية التي شرحت البارحة:

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44)﴾

يعني الحياة تنتهي، أو لا تنتهي، بأمر الله، فإذا كنت في عداد الأحياء، تضحك، أو تبكي، يعني، الحياة والموت، والسعادة والشقاء، بيد الله عز وجل، الحياة والموت، والسعادة والشقاء، بيد الله عز وجل، وما من إنسان بيده أمر الرزق، وأمر الأجل إطلاقاً لأن الله سبحانه وتعالى، قطع أمر الحياة، وأمر الرزق، من العباد وجعله بيده وحده،

﴿ إليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾

(سورة هود: 123)

لذلك قيل، إن كلمة الحق، لا تقطع رزقاً، ولا تقرب أجلاً أجلك ورزقك بيد الله، ولا سلطاناً لكائن من كان، على أجلك، وعلى رزقك، أما الناس قد يخافون، يخافون على أرزاقهم فينافقون، أو يخافون على آجالهم، فيذلون.

لكن المؤمن، كما قال عليه الصلاة والسلام: عزيز النفس، لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، وقد ورد أيضاً، ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير وشرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغنائه عن الناس.

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت

فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت.

النقطة الدقيقة، أن جرأتك، وأن كرامتك، وأن عزتك، وأن مواقفك المشرفة، سببها إيمانك، أن أجلك ورزقك بيد الله وحده، لو أن الله جل جلاله، جعل رزقنا بيد بعضنا بعضاً، أو جعل آجالنا منوطةً بيد إنسان، لكنا مجبرين على طاعته.

يقول الله عز وجل

﴿ إليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه﴾

ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك، أن أمرك كله بيد الله،

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر، والأنثى من نطفة إذا تمنى﴾

(سورة النجم: 45 . 46)

هذه النطفة حوين، له رأس مدبب، وله عنق، وله ذيل، هذا الرأس المدبب، عليه مادةٌ نبيلة مغلفةٌ بغلافٍ رقيق، لو أن هذا الغلاف تمزق هذه المادة النبيلة، بإمكانها أن تذيب غشاء البويضة، فينطلق من الزوج، في اللقاء الزوجي، خمس مائة مليون حوين، خمس مائة مليون حوين، والبويضة تحتاج إلى حوين واحد تستقبل الأقوى والأسبق، فإذا ارتطم بها، تمزق الغشاء، والمادة النبيلة أذابت جدار البيضة، ودخل هذا الحوين إلى البيضة،

﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾

(سورة الإنسان: 2)

الآن شغل الناس الشاغل، الهندسة الوراثية، أن هذا الحوين عليه، بعضهم قال مليون معلومة، أنا سمعت بأذني، من إذاعةٍ محترمةٍ جداً تنقل رأي عالمٍ، أن هناك خمسة آلاف مليون معلومة بعضهم قال مليون، بعضهم ألف مليون، على كلٍ عرفوا حتى الآن مائة معلومة وارثية ، هذه الهندسة الوراثية، إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا، كل خلايا الأنسان فيها ست وأربعين مورث، إلا الحوين المنوي ثلاث وعشرين، والبويضة ثلاث وعشرين.

فلما تحدثوا عن الاستنساخ، جاءوا ببويضة، ونزعوا منها نواتها، وجاءوا بخلية من الثدي، ووضعوها في البويضة، وبعد مائتين وثمانية وثمانين حالة فاشلة، نجحت حالة واحدة بخمسة أرجل وطبلوا، وزمروا، وملئوا الدنيا صياحاً، وضجيجاً، وتحدثوا عن الاستنساخ، مع أن الله جل جلالة يقول:

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾

(سورة التين: 4)

يعني النموذج والأسلوب، الذي جعله الله للتكاثر هو أمثل شئ نطفةٌ وبويضة، المورثات في النطفة والمورثات في البويضة تتفاعل ويأخذ الجنين صفة الأقوى، دائماً الأقوى، فكل أخطاء البويضة الوراثية، يتلافها الحوين المنوي، وكل أخطاء الحوين الوراثية، تتلافها البويضة، لذلك يأتي الطفل قوي.

أما هذا الاستنساخ، الذي يتحدثون عنه، هذه المرأة لا تلد ابنها تلد شقيق زوجها، إن نجحت التجربة، على حد زعمهم، إن نجحت لأن المورثات، من خلية ثدية ست وأربعين، كل المورثات من الرجل أما ربنا عز وجل يقول :

﴿: إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾

مورثات الحوين، مع مورثات البويضة تتفاعل وينتج من تفاعلهما، الجنين الأقوى

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46)﴾

يعني في بالمورثات إكس وواي، الإكس ذكر، والواي أنثى، أو العكس، فالذي يحدد نوع الجنين هو الحوين المنوي لا البويضة، فأي إنسان يغضب من زوجته، إن أنجبت له بنتاً يكون أحمقاً، وجاهلاً، وغافلاً، لا علاقة لها إطلاقاً بنوع الجنين.

مالي لأبى الحمزة لا يأتينا غضبان ألا نلد البنيـن

تالله ما هذا بأيدينــا وإنما نعطي الذي أعطينا

هذه أمرأةٌ بالجاهلية عاتبت زوجها لأنها أنجبت بنتاً فتحول عنها إلى غيرها، قالت

مالي لأبى الحمزة لا يأتينا غضبان ألا نلد البنيـن

تالله ما هذا بأيدينــا وإنما نعطي الذي أعطينا

هذه الآية الكريمة

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46)﴾

بعدين الذكر والأنثى، يعني حينما كنا في الجامعة، درسنا كتاباً لأكبر عالم نفس طفولة، اسمه بياجر، عالم فسرنسي، كتابه مترجم إلى معظم لغات العالم، فهذا الكتاب، من دفته، إلى دفته يشرح آيةً واحدة ،

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

(سورة آل عمران: 36)

الذكر له خصائص نفسية اجتماعية، جسمية، عقلية، جنسية، والأنثى لها خصائص نفسية اجتماعية، عقلية، جسمية، جنسية، أنظر إلى البنت الصغيرة، تأتي بوسادة وتربط على طرفها، وأنظر إلى الطفل الصغير يأتي بقضيب ويركبه، من علمهما ؟ وهو طفلٌ صغير مبرمج على أنه رجل، وهي بنتٌ صغيرة مبرمجة، على أنها أنثى أم، والدة.

فلذلك بعضهم يقول: أخي عرفنا نحن، عن طريق العلوم الحديثة، نوع الجنين، ذكر، أو أنثى، وربنا عز وجل قال: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما، ما قال يعلم من في الأرحام ذكر أم أنثى، قال: يعلم ما، ما تغطي خمسة آلاف مليون حالة يعني أدق التفاصيل، أدق الطباع، أدق الأجهزة، كل إنسان له قزحية

خاصة به، وله بصمة خاصة به، وله رائحة جلدٍ خاصة به ، وله بلازمة دم خاصة به، وله زمرة نسيجية خاصة به، وله قزحية خاصة به، فلإنسان نسيج وحده، من صممه هكذا ؟

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى ﴾

إخوانا الكرام:

من الجهل الفاضح، ومن ضيق الأفق، أن تتصور أنك أعظم عند الله من الأنثى، أبداً، الأنثى مساوية للرجل تماماً، في أشياء ثلاثة.

في التكليف، مكلفةٌ كما هو مكلف، مكلفةٌ بالإسلام كما هو مكلف مكلفةٌ بالإيمان كما هو مكلف، وبإمكان الأنثى أن ترقى عند الله، وأن تؤمن، وأن يزداد إيمانها، وأن تبلغ أعلى درجات القرب من الله عز وجل، بعملها، وإخلاصها.

والأنثى مساويةٌ للرجل في التشريف، مشرفةٌ كما هو رجل مشرف أبداً، ليست أقل درجةً إطلاقاً.

مساويةٌ في المسؤولية، كلكم راع وكل راعٍ مسؤول عن رعيته المرأة في بيت زوجها راعيةٌ، وهي مسؤولةٌ عن رعيتها.

مساويةٌ لك في التكليف، مساويةٌ لك في التشريف، مساويةٌ لك في المسؤولية، لكن لها خصائصها، ولك خصائصك، خصائصها كمالٌ لها وخصائصك كمالٌ لك، فما زاد من عاطفتها، ونقص من عقلها كمالٌ فيها، وما زاد من عقلك ونقص من عاطفتك كمالٌ فيك.

لذلك، المرأة والرجل يتكاملان، ولا يتناقضان، لماذا جعل الله المرأة سكناً للزوج ؟ لأن الرجل يكمل في زوجته نقصه، ولماذا جعل الله الرجل سكناً لزوجته؟ لأن المرأة تكمل في زوجها نقصها

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى ﴾

أنت ممتحن كرجل، أنت أيتها الأخت المؤمنة، ممتحنةٌ كأنثى فالمرأة إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وحفظت نفسها، وأطاعت ربها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها، هي لها خصائص، وأنت لك خصائص، وقد تكون المرأة أقرب إلى الله عز وجل، من أكبر المؤمنين، لأنه هي إنسان مكلفةٌ، كما هو مكلف.

فهذه النظرة الصحيحة للمرأة، هي التي تجعل الحياة مقبولةً وسعيدة.

وأن عليه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى، أعطى ومنع

﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾

(سورة الذاريات: 58)

إذا أعطى أدهش، وإذا منع أدهش، والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب، أما إذا منع، منعه عين العطاء قد يكون المنع عين العطاء، وقد يكون العطاء عين المنع، فمن فهم على عز وجل حكمته رضي بقضائه وقدره، والرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (11-12) : حقوق الزوج على الزوجة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الإخوة الكرام: في درس البارحة، إشارة إلى حقوق الزوج على زوجته فبعض الأخوة الكرام طلبوا مني، أن أزيد هذا الموضوع شرحاً، في هذا الدرس، وها أنا أستجيب لهذا الطلب.

نحن منهجنا في معرفة حق الزوج، وحق الزوجة، كلام الله الذي هو خالقنا، وتعليمات الصانع كما تعلمون، هي أعلى تعليمات في تشغيل الآلة وصيانتها، أعلى تعليمات، فربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

قوامون جمع قوام، وقوام صيغة مبالغة، من اسم فاعل قائم يعني هو قائمٌ على رعاية هذه الأسرة، بل هو قوام، علامة الاهتمام الشديد أن تقف، وأن تنتبه، وأن ترعى، فربنا عز وجل أعطى الرجل صفة القوامة، هو المسؤول، هو الراعي، هو المنفق، هو المربي هو الذي يتابع، هو الذي يعطي، هو الذي يوجه، هو الذي يأمر

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

إلا أن هذه القوامة، ليست قوامة قهرٍ واستبداد، وليست قوامة تعسفٍ وإذلال، إنها قوامة القيادة فقط لو أن قطعةً عسكرية، لابد لها من قائد، لو أن في هذه القطعة ضابطين، برتبةٍ واحدة، لابد من أن نأمر أحدهما على الآخر.

لذلك قال عز وجل

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

(سورة البقرة: 228)

درجة واحدة، هي درجة القوامة، درجة القيادة، قد يفهم بعض الجهلة أن المرأة لاشيء، وأن الرجل كل شيء، لا،

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة البقرة: 228)

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾

من أدق الآيات، إن كان له الحق أن تبدو أمامه، بهندامٍ حسن، لها الحق أن يبدو أمامها بهندام حسن، إن كان له الحق أن تحترمه، وأن توقره وأن توقر أهله، لها الحق أن يحترمها، وأن يوقرها، وأن يوقر أهلها إن كان له الحق، أن ترضى بما ينفق عليها، لها الحق أن ينفق عليها كما ينفق على نفسه، وليس أكثر، هي آية دقيقة جداً،

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

(سورة البقرة: 228)

درجة القيادة لأن مؤسسةً معملاً، مدرسةً، ليس فيها قائدٌ واحد، أمرها إلى فساد وإلى إطراب، وإلى تمزق إذاً

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا ﴾

هي باء، باء السببية

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

الرجل مصمم، مبرمج أن يكون هو القائد، فعقله أكبر من قلبه، وإدراكه أعمق من عاطفته، وبنيته تقاوم كل الصعوبات، بنيته قوية، وإدراكه واسع، وعزيمته شديدة.

يعني مثلاً، نريد أن نهدم بناء، نأتي بتركس، ثلاث آلاف حصان، نريد أن نذهب إلى نزهة، نأتي بسيارة سياحية، صوتها لطيف، محركها معتدل، فهذه مهمتها شيء، وهذا مهمته شيء أخطر شيء بالمجتمع تبادل الأوراق، يعني أن تتشبه المرأة بالرجل وأن يتشبه الرجل بالمرأة، هذا هو الفساد، الفساد أن يخرج الشيء عن طبيعته، وعن خصائصه، وعن مهمته، المرأة محببة، مرغوب فيها جعلها الله كذلك، كي يسعد بها زوجها، وكي يسعد بها أولادها، فإذا كانت على احتكاك مباشر مع كل الناس، فسدت، وأفسدت، فسدت وأفسدت، أجرينا تبادل في المهمات، في أي مكان موطن اهتمام موطن نظر، موطن رغبة، فإذا كان الإنسان أقوى منها وهي تحت أمره، ومرغوبةٌ عنده، ينشأ فساد اجتماعي.

لذلك الآية الكريمة،

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: 33)

لا يعني الإقرار أن تكون جاهلة، لأن لكن هذه مهمتها، وهي تملك أخطر مهمتٍ على الإطلاق، اعلم أيتها المرأة وأعلمي من دونك النساء، أن حسن تبعل المرأة زوجها، يعدل الجهاد في سبيل الله، ولا يخف عليكم أن الجهاد، ذروة سلام الإسلام، يعني سلام الإسلام أعلى شيء فيه، وذروته أعلى نقطة بالسلام، الجهاد ذروة سلام الإسلام، وأي امرأة أحسنت تبعل زوجها، أي أعطته حقه، ورعته أفضل رعاية في كل النواحي، ورعت أولادها، فهي كالمجاهد في سبيل الله العبرة، ما هو الفساد ؟ معك مسحوق أبيض هو الملح، مسحوق أبيض هو السكر، مسحوق أبيض هو الصابون، المواد الثلاثة مهمة جداً ضع الصابون في الطعام، أتلفت الطعام، ضع الملح في الشاي أتلفت الشاي، ضع السكر في الطعام، أتلفت الطعام، الفساد تبديل موقع الأشياء، هذا الفساد

فكل شيء في مكانه، في أكمل وجه، فالمرأة في البيت.

يا رسول الله، امرأة شكت إلى النبي

((قالت إن زوجي تزوجني وأنا شابة، ذات أهلٍ، ومالٍ، وجمال، فلما كبرت سني، ونثر بطني وتفرق أهلي، وذهب مالي، قال أنت عليّ كظهر أمي، ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، أنا أربيهم وهو يطعمهم))

هي أدوار الزوج، والزوجة، طبعاً حينما تعرف الزوجة وظيفتها ومهمتها، وأن رعاية زوجها هي أعظم أعمالها، وأن رعاية أولادها هي أعظم أعمالها، وتؤدي واجبها بالتمام والكمال، تستحق جنة ربها فالمرأة إذا صامت شهرها، وصلت خمسها، وحفظت نفسها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

يعني يجب أن يكون قائمين، بل قوامين رعاية وملاحظة وتصحيحاً وأمراً ونهياً وتوجيهاً ورحمة واهتماماً، بسبب أن الله فضلهم بذلك، هذا تفضيل فطري وهبي تفضيل فطري في تفضيل كسبي، الكسبي،

﴿ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

المرأة في بيتها أما هو في العمل والعمل في متاعب، وفي مطبات وفي صعوبات، فهذا الذي يكسب المال بشق الأنفس، يستحق أن تكون له القوامة هو الذي يكسب المال،

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

لكن أجمل ما في هذه الآية، بما فضل الله، ما قال الرجال على النساء،

﴿ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

يعني أنت من أجل أن تأكل، أنت مفتقر إلى زوجتك، هي التي تطبخ الطعام من أجل أن ترى ابنك في حالة طيبة، أنت مفتقر إلى زوجتك، هي الآن تفضلك إلى تأمين الطعام، إعداد الطعام، وفي تنظيف الأولاد ورعايتهم، وإطعامهم وتربيتهم، أما من حيث الكسب، أن تفضلها.

إذاً ما في تميز جنسي، أنت في موطن في حاجة إليها، وهي في موطن في حاجةٍ إليك، ماذا نسمي هذه العلاقة، علاقة تكامل، في مواطن كثيرة، أنت في أمس الحاجةٍ إليها، وفي مواطن كثيرة، هي في أمس الحاجة إليك.

لذلك أي امرأة سألت زوجها الطلاق، من غير بئسٍ لم ترح رائحة الجنة، لأنها كفرت بنعمة الزوج، وأي زوج يطلق زوجته لأتفه الأسباب، فقد كفر نعمة الزوجة.

هو في أمس الحاجة إليها، وهي في أمس الحاجة إليه، وأنا ألاحظ أحياناً، هذا الذي يطرد زوجته إلى بيت أهلها، أو يطردها لأتفه سبب، أو يهجرها لأتفه مشكلة، يعاني كثيراً حينما تتركه، يطرب كثيراً، ينزعج كثيراً، هي عنك في البيت، اعرف قيمتها، واعرف دورها الإيجابي، دون أن تطردها، وأن تقيم علاقةً سيئةً معها لذلك الإنسان، قد ينجح نجاحاً كبيراً، في كسب المال، وفي نيل الشهادات، وفي إدارت الأعمال، ولا ينجح في قيادة امرأةٍ في البيت، نجاحك في قيادة زوجتك، نجاح مهم جداً في حياتك، والمؤمن يستلهم الله عز وجل،

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

أما إذا أنت ساكن ببيتها، وعما تأخذ نصف معاشها، وأنت علمك أقل من علمها، وأنت شهواني وهي مترفع عن هل الأسلوب هذا مالك قوامة صار، فقدت القوامة، فقدت القوامة الفطرية، والقوامة الكسبية، أما إذا أنت أعلى منها علماً، أعلى منها خلقاً، أعلى منها ورعاً وتنفق عليها، مندون بخل ولا تقطير، بسخاء أنا لا أعتقد أن امرأة في الأرض، تريد ترك زوجها إذا كان ينفق عليها بكرم، إذا كان يحترمها، يحترم أهلها، هي من حكمة الزوج، أن تكون زوجتك بمكان محترم هي وأهلها، أما هذا الذي يقيم النكير إذا سخرت من أهله وليل نهار يسخر من أهلها، هذا إنسان غير منطقي، ولا يعاملها بالعدل،

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

أنا الذي أتمناه، أن تكون بيوت المسلمين جنة، تكون جنة بالكلمة الطيبة، تكون جنة بالابتسامة، تكون جنة بالمنطق، تكون جنة بالبذل والسخاء، ويكون البيت قطعةً من الجحيم، بالمشاحنة والبغضاء، يعني في أسر

والعياذ بالله نعوذ بالله أن نكون من هؤلاء البيت شحنة غضب، وشحنة مشكلات، هذا شيء مزعج جداً فأين السعادة الزوجية ؟

لذلك

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

(سورة النحل: 97)

ولي كلمة بالغة الدارجة، لما الزوج بكون منقطع عن الله، والزوجة كذلك، الله بيلهمهم الحيوانة، بيتحونوا على بعضهم كتير، وبتنشأ مشكلات كبيرة، لأسباب سخيفة، وإذا كنت مع الله عز وجل، الله يلهمك الحكمة،

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾

(سورة البقرة: 269)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12-12) : تفسير الآيات 56-62 ، العبرة في النهاية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الأخوة الكرام: الآيات الأخيرة من سورة النجم، وهي قوله تعالى:

﴿ أَزِفَتِ الْآَزِفَةُ (57) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (58) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (62)﴾

أولاً: الإنسان العاقل يجب أن يرتب القضايا التي يفكر فيها ترتيباً بحسب أهميتها، ففي قضايا مصيرية، في قضايا ثانوية، في قضايا متعلقة بالدنيا، في قضايا متعلقة بالآخرة، فالعاقل هو الذي يرتب أموره ترتيباً بحسب أهميتها، فربنا عز وجل يقول،

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60)﴾

كل إنسان يتلقى أمور الدين بروحٍ غير مسؤولة، بروحٍ متساهلة ، بشكلٍ غير مكترث، هذا إنسان أحمق، لأنه يتناول أخطر قضيةٍ في حياته، قضية الدين قضيةٌ مصيرية، يعني فهو الذي نفس محمدٍ بيده، ما بعد الدنيا، من دار إلا الجنة أو النار، يعني بعد الموت إما في جنةٍ يدوم نعيمها، أو نارٍ لا ينفذ عذابها . الإنسان وهو في الدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام: الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا .

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)﴾

(سورة ق: 22)

الإنسان في الدنيا منصرف إلى طعامه، وشرابه، وبيته، وأولاده ونزهاته، وإقامته، وسفره، وأرباحه، وحفلاته، ومناسباته.

هذه أحداث تدور ، وتتكرر ، أما حينما يفاجئ الإنسان، أنه على وشك مغادرة الدنيا، قد يبدو في جسمه بعض الأعراض المخيفة حينما يفاجئ أنه على وشك مغادرة الدنيا، عندئذٍ يأخذ هذا الأمر مأخذاً جدياً، عندئذٍ يبكي ولا يضحك، ما من بيتٍ إلا وملك الموت يقف فيه في اليوم خمس مرات، فإذا رأى أن العبد قد انقضى أجله وانقطع رزقه، ألقى عليه غم الموت فغشيته سكراته، فمن أهل البيت الضاربة وجهها، والممزقة ثوبها والصارخة بويلها، يقول: مما الفزع، وفيما الجزع، ما أذهبت لواحد منكم رزقاً، ولا قربت له أجل وإنني فيكم لعودة، ثم عودة، حتى لا أبقي منكم أحداً، فهو الذي نفس محمداً بيده، لو يرونا مكانه، ويسمعون كلامه، لذهبوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم .

يقول عليه الصلاة والسلام: لو تعلون ما أنتم عليه بعد الموت ما أكلتم طعاماً عن شهوةٍ، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه، ولذهبتم إلى الصعدات تبكون على أنفسكم، لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً.

أكثر الناس قضية الدين بقلك والله مالي فاضي، ما في عندي وقت، والله الله يهنيك، بس أنا مالي فاضي، كأنه يرى الدين قضية ثانوية، أما لو جاءه تبليغ، قابلنا يوم الخميس، لا ينام الليل ماذا فعلت ؟ ماذا تكلمت ؟ ماذا سأجيب ؟ إنسان عادي إذا دعاك إلى مقابلته، ولست متهماً بشيء، بدليل تعال إلينا، على اختيارك، لا تنام الليل، فكيف إذا دعاك خالق الأكوان، من بيده كل شيء،

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61)﴾

أي تغنون أينما ركبت، في طائرةٍ، أو سيارةٍ، أو باصٍ كبيرٍ، ما في غير الغناء، أبداً، والغناء ينبت النفاق، غير الغناء ما في، ومن استمع إلى صوت قينةٍ صب في أذنيه الآنك يوم القيامة، قيل وما الآنك قيل الرصاص المذاب، طبعاً، ليس منا من لم يتغنى بالقرآن .

فالناس نيام، الناس في غفلة، الناس تستهلكهم الحياة يستهلكون، نأكل، ونشرب، وننام، ونستيقظ، ونسهر، ونذهب ونسافر، ونقيم، ونأكل، ونشرب، إلى أن، بقلك في وجع بصدري يومين، ثلاثة عالمستشفى، شهرين ثلاثة تعلقت نعوته، وكلنا على هذا الطريق، أبداً، الموت لا ينسى أحداً، كل مخلوقٍ يموت، أنا أقول هذا الكلام، لا من أجل التخويف، ولكن ما في حدث أشدُ واقعيةً في حياة كل إنسان من الموت، ملوك تموت، أنبياء تموت، أغنياء تموت، فقراء يموتون، الموت ينهي كل شيء، ينهي قوة القوي وضعف الضعيف، وفقر الفقير، وغنى الغني، ووسامة الوسيم ودمامة الذميم، وصحة الصحيح، وسقم السقيم، ينهي كل شيء وياما ذهبت لبيوت لأعزي، ساكنيها بوفاة قريبهم، البيت حقه ثمانين مليون، وصاحب البيت في قبرٍ نصف متر بمترين، تحت الأرض تراب، بلاط ما في، إضاءة ما في، هذا مصير كل حي.

أيها الأخوة: مركز الثقل في هذه الآيات

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) ﴾

هناك من يضحك من أمور الدين هناك من يسخر، هناك من يبتسم، هناك من يلقي طرفاً على أمور الدين، يلقي طرفة، يضحك، ولو عرف الحقيقة لبكى، وفي أشياء كثيرة.

واحد ساكن ببيت مثلاً، ساكن ببيت اشتراه خلال ثلاثين سنة ورتبه، وأسسه، بتجي ورقة صغيرة، البناء في خطر، عليك أن تخلي البيت خلال أربع وعشرين ساعة، بضحك بعد منها، ما بيضحك قاعد بمكان جميل

بيجي هاتف، المستودع احترق، في ثمانية عشرة مليون، كله احترق، بيضحك ؟ شوف خسارة مستودع، خسارة بيت خسارة وكالة، كنت وكيل شركة مبيعاتك كبيرة جداً، بهاتف أنه راجع فلان إن أردت أن تشتري بضاعتك، راجع فلان سحبنا الوكالة منك بيضحك ؟ انتهى، انتهى الضحك، خسارة مؤقته، خسارة جزئية خسارة تعوض، ينتهي الضحك كلياً .

أما أن تخسر الآخرة، الحياة الأبدية، وتضحك ! والله أيها الأخوة: في شيء واحد لا أفهمه أبداً بالحياة، إنسان بالستين، بالخمس وخمسين، بالخمسين، لا يصلي، إنسان بالستين، بالخمس وخمسين بالخمسين، يأكل المال الحرام، إنسان بالستين، بالخمس وخمسين يتابع كل المعاصي في بيته، جايب صحن مائتين محطة، وللساعة الخامسة بالليل، الخامسة الصبح، هذا كيف يتوازن مع ربه ؟ كيف ينام الليل ؟ لو أن ملك الموت جاءه فجأةً، يعني قبض، الصورة شوشة، صعد إلى السطح، رأى لص، يصرق الإبر، فتعارك معه فأرداه قتيلاً، صاحب البيت مات، شهيد هذا، أليس شهيد ؟ شهيد الآبرة،

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61)﴾

يعني ماذا أعدت للقاء الله عز وجل ؟ هل أعدت صلاةً، صياماً صدقةً، غض بصرٍ، ضبط لسانٍ، بيتاً إسلامياً، دعوةً إلى الله عملاً صالحاً، تبنيت طالب علمٍ، أنفقت من مالك على الفقراء والمساكين، يا بشر لا صدقة ولا جهاد فبما تلقى الله إذاً، بما تلقى الله الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد يعني ملخص الدرس، قضية الدين، قضيةٌ خطيرةٌ، خطيرةٌ جداً، جداً، جداً، قضيةٌ مصيرية، يعني الإنسان أحياناً بكون في عنده قوائم أعمال، جدول بتنشأ مشكلة مفاجئة، بينسى كل هذه المشاغل، ويواجه هذه المشكلة، فإذا مشكلة في الدنيا تهدد صحتك لا سمح الله، ما بتنام الليل، إذا مشكلة تهدد مالك، ما بتنام الليل، إذا مشكلة تهدد بيتك أساسه غلط، يجب أن تخليه ما بتنام الليل، إذا شاري بيت بعقد وطلع عقد البيت مزور، ويلي باعك البيت مو له، كثير صارت دافع له ثلاثين مليون، وعامل عقود موثقة، طلع يلي بايعك البيت لا يملك البيت، لما الخبر بيصلك شو بتساوي ؟ هي عما أضرب أمثلة جزئية، أما حينما يكتشف الإنسان أنه خسر الآخرة، خسر الأبد

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

(سورة الشورى: 45)

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61)﴾

تغنون تضحكون، تمرحون، هي حفلة، وهي أغنية، وهي أمسية، وهي ملهى، وهذا مسبح،

﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (62)﴾

الرد العملي، اسجد لله، واصطلح مع الله واعبده حتى يأتيك اليقين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم ..

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثامن : تفسير سورة القمر

الدرس (1-4) : تفسير الآيات 1-2-3 ، الزمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الأخوة الكرام: في آيات سورة القمر الأولى، في هذه الآيات الأولى يشم منها رائحة موضوعٍ خطير، ألا وهو الزمن، فالإنسان في حقيقته زمن الإنسان في حقيقته بضعة أيام، كلما انقضى يومٌ، انقضى بضعٌ منه من هنا أقسم الله، بمطلق الزمن، لهذا المخلوق الكريم، الذي هو في حقيقته زمن، فقال تعالى:

﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾

(سورة العصر : 2، 3)

يعني الزمن يمضي، والزمن يستهلك الإنسان، فهو بضعة أيام مضي الأيام، يعني استهلاكه.

لذلك يقول سيدنا عُمر بن عبد العزيز، الليل والنهار يعملان فيك، كل واحد منا له صورة، وله صورة قبل عشر سنوات، وله صورة قبل عشرين عاماً، وله صورة حينما كان صغيراً، فهناك فرقٌ واضحٌ وصارخ، بين يوم صورته يوم كان طفلاً، وبين صورته يوم صار كهلاً، هذه التغيرات من فعلها ؟ الزمن، مضي الأيام والليالي فالليل والنهار يعملان فيك.

أنت ماذا عليك أن تواجه هذا الفعل المدمر؟ أن تعمل فيهما الأعمال الصالحة، يعني إذا عملت عملاً صالحاً ينفعك بعد انقضاء الزمن، لا يستطيع الزمن أن ينهيك، الزمن يمضي، ومع مضيه يستهلك الإنسان، والإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضعٌ منه.

يعني كل واحد منا له عند الله عمر، لنطرح عمر افتراضي ثلاث وستين سنة، وخمسة أشهر، وسبعة أيام، وخمس ساعات وثماني دقائق، وسبع ثواني.

انظر إلى الساعة، كلما تحرك عقرب الثواني، ثانية واحدة اقتربت من الصفر، هناك عدٌ تنازلي فالإنسان ينبغي، أن يحسب عمره لا أساس كم مضى من عمري، كم بقي لي من عمري، وأغلب الظن أن الذي بقي أقل من الذي مضى، وأن الذي مضى، مضى، كلمح البصر، والذي بقي، سيمضي كلمح البصر، والإنسان ما بين طرفة عين وانتباهتها، يبدل الله من حالٍ، إلى حال، فجأةً يرى نفسه على فراش الموت، فجأةً تقبض روحه، فجأةً يصبح من أهل القبور، فجأةً يصبح خبراً بعد عين، بعد أن كان رجلاً، شخصاً مهماً، له مكانته له سمعته، له قراره، له أملاكه، فجأةً يصبح خبراً على الجدران المرحوم فلان، فإن لم يكن صالحاً،

﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾

(سورة المؤمنين: 44)

أحاديث، الله قال:

وجعلناهم أحاديث.

إخوانا الكرام: أسوق لكم هذا المثل، وهو واقعيٌ جداً، الحياة تشبه مسرحاً في مقاعد، وفي خشبة مسرح، فالمستقيم له مكانٌ على أحد المقاعد، يرى على خشبة المسرح، شيء صحيح شيء غير صحيح، شيء مقبول، شيء غير مقبول، شيء يصدق شيء لا يصدق، شيء جميل، شيء قبيح، موقف أخلاقي، موقف لا أخلاقي هو له مقعدٌ مع المشاهدين، أما إن لم يكن مستقيماً لابد من أن يجرى إلى خشبة المسرح، وأن يضرب، وأن يهان، وأن يصبح قصةً يستمتع بها المشاهدون.

لذلك، اللهم لا تجعلنا عبرةً لأحد من خلقك، لا تجعلنا قصةً مسليةً للناس، لا تجعل من حياتنا أضحوكةً في أفواه الناس، لا تجعل من أحداث حياتنا، عبرةً يعتبر بها الناس،

﴿وجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾

(سورة سبأ: 19)

فالإنسان أيها الأخوة زمن، والزمن يمضي، والزمن يقربك من النهاية الحتمية، وكل إنسان له عند الله عمر. فلذلك يقول الله عز وجل

﴿اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾

(سورة القمر: 1)

يقول الله: في آيةٍ أخرى،

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾

(سورة النحل: 1)

فعل ماضي أتى،

﴿ فلا تستعجلوه ﴾

(سورة النحل: 1)

معناها لم يأتي، يا ربي ما معنى هذه الآية ؟ الشيء الذي يعد الله به، يجب أن تفهمه وأنه وقع لمصداقية الله عز وجل، الشيء الذي وعد الله به، يجب أن تعده وقع وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾

(سورة الفيل: 1)

والله يا ربي ما رأيتهم، لكن يجب أن تتلقى أمر الله، وكأنه مشاهد لمصداقية.

﴿اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾

العلماء، وقفوا وقفات متعددة عند انشقاق القمر، بعضهم قال من أشراط الساعة، بعضهم قال وقع في عهد النبي،

﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر LL

(سورة القمر: 2)

﴿ إنما سكرت أبصارنا ﴾

(سورة الحجر: 15)

هذا سحر، هذه براعة

﴿ وكذبوا واتبعوا أهواء هم ﴾

(سورة القمر: 3)

دقق ! العلاقة بين التكذيب وإتباع الهوى،

﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ﴾

(سورة الماعون: 2، 3)

﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواء هم﴾

(سورة القصص: 5)

من لوازم التكذيب إتباع الهوى، ومن لوازم إتباع الهوى التكذيب،

﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾

(سورة مريم: 59)

﴿ وكل أمر مستقر﴾

(سورة القمر: 3)

في كرة، في داخلها قطعة رصاص، هذه تتدحرج، لكن كيف تستقر ؟ لا تستقر إلا وقطعت الرصاص في أسفلها، مهما حركتها مهما أدرتها، مهما قذفتها، مهما فتلتها، في النهاية، لا تستقر إلا على هذه الحالة، والأمور هناك من يصعد، هناك من ينزل، هناك من يعتز هناك من يزل، هناك من يعطى، هناك من يأخذ

منه، هناك من يتألق، هناك من يعتم عليه في النهاية لا يحق إلا الحق، مسموح للباطل يتحرك مسموح، بس إلى حين.

﴿ قل للذين كفروا ستغلبون ﴾

(سورة آل عمران: 12)

في سين، الآن لستم مغلوبين، لكن،

﴿ قل للذين كفروا ستغلبون ﴾

معنى مصير الكافر الغلبة، مسموح له أن يتحرك، أن يجول جولةً، أن يتغطرس، أن يستعلي، أن يقول أنا أن يكذب بالدين، أن يزدري قيم الإسلام مسموح له، لأنه لا يفعل هذا،

﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ﴾

(سورة الأنعام: 112، 113)

مسموح للباطل أن يجول جولةً، مسموح للكفر أن يستعلي إلى حين، أما المصير ،

﴿ والعاقبة للمتقين تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾

(سورة القصص: 83)

الأمور تدور ، وتدور ولا تستقر إلا على نصر المؤمنين، اقرأ تاريخ رسول الله، كم عارضه معارض كم كذبه مكذب ؟ كم رد دعوته كافر ؟ كم ائتمروا على قتله مؤتمر ، أخرج من مكة، كاد كفار مكة أصحابه، نكلوا بهم، ائتمروا على قتله حاربوه في عشرين عاماً وفي النهاية.

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾

(سورة النصر: 1، 2، 3،)

هذا دين الله، والله يتولى نصره، لا تقلق عليه، ولو تكالبت عليه قوى الأرض، لا تقلق لأنه دين الله عز وجل، لكن مسموح للكافر أن يعرض عضلاته.

تروى قصة، في الصحيحين وردت، أنه سيدنا إبراهيم، حينما ألقي في النار ، جاء حيوان اسمه الوزغ، يعني أبو بريص، ونفخ في النار ليزيد اشتعالها، وجاءت ضفدع فملئت فمها ماءً وأرادت أن تطفئها، لا الوزغ

استطاع أن يزيد اشتعالها، ولا الضفدع استطاعت أن تطفئها، ولكن كل إنسان عبر عن ذاته، كل إنسان ظهر ما في نفسه كل إنسان أخذ خط، كل إنسان أخذ هوية، كل إنسان وقف موقف.

فلذلك،

﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه ﴾

(سورة التحريم: 4)

امرأةٍ من نساء النبي،

﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾

(سورة التحريم: 4)

إذا كان سيدنا جبريل وحده، يملئ ما بين السماء والأرض يعني معقول كل هذا الحشد، من أجل امرأتين، ليس هذا هو المعنى يعني معقول إذا مواطنة اعترضت على شيء، نستنفر السلاح الجوي وسلاح المدرعات، معقول، وسلاح البحرية، والقوات المسلحة كلها كلها امرأة وحدة أو امرأتين.

مقصود هذه الآية، أن كل من يقف في خندقٍ معادٍ للحق، كلما من يريد إطفاء نور الله، يجب أن يحسب حسابه، من هو الطرف الآخر ؟ الله، ورسوله، وصالح المؤمنين، والملائكة يعني معركتك خاسرة، سلفاً. يعني ممكن إنسان فرد يقاوم أكبر دولة في العالم، معها سلاح نووي، معها سلاح صاروخي، معها سلاح كيمائي، معها سلاح جرثومي، في عندها حاملات طائرات، في عندها قوى محمولة في عندها قوى مظلية، معقول إنسان واحد معه سكين، يقاوم أعظم دولة بالعالم معقول، لن تستطيع الآن دولة صغيرة، أن تقاوم أكبر دولة.

فإذا الإنسان أراد أن يطعن، في أهل الحق، إن أراد أن يطفئ نور الله، إن أراد أن يعادي دين الله، يجب أن يعرف من هو الطرف الآخر ؟ من هو خصمه،

﴿ فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾

إذاً

﴿ وكذبوا واتبعوا أهواء هم، وكل أمر مستقر ﴾

الأمور سوف تستقر على الصحيح، والعوام لهم كلمة لطيفة، في النهاية لا يصح إلا الصحيح.

أيام بيطلع قانون، مرتجل، منع بيع السيارات، صار في زواج سيارات، صار في احتيال، اضطروا أن يلغوا القانون، ما صح إلا الصحيح بالنهاية، إذا كان طلع قانون غير مدروس، مرتجل سريع، له مضاعفات خطيرة، في النهاية يلغى القانون، يعني ما صح إلا الصحيح، هذا مثل طبعاً، إذا الأب أخذ موقف غير صحيح بيتراجع عنه، لأنه الله عز وجل قال

﴿ وكل أمر مستقر ﴾

الله هو الحق والأمور في النهاية لا تستقر إلا على وضعٍ صحيح، مسموح للباطل أن يجول جولة، مسموح للباطل أن يستعلي أحياناً إلى حين، ولكن

﴿ قل للذين كفروا ستغلبون، وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ﴾

(سورة آل عمران: 12)

هي آية مطمئنة، في النهاية،

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾

(سورة غافر : 51)

لا في الآخرة فقط، في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، هذا تطمين إلهي،

﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ﴾

(سورة آل عمران: 146)

﴿ إن الله مع الصابرين ﴾

(سورة الأنفال: 46)

﴿ أن الله مع المتقين ﴾

(سورة البقرة: 194)

﴿ وأن الله مع المؤمنين ﴾

(سورة الأنفال: 19)

﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾

(سورة الحج: 38)

﴿ ولن يتركم أعمالكم ﴾

(سورة محمد: 35)

﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾

(سورة آل عمران: 139)

المؤمن يجب أن يثق بكلام الله.

إذا واحد له دعوة، بقصر العدل، والمحامي طمئنه، أنه في اجتهاد في محكمة النقد، لصالحه، بيمشي بالعرض، يعني قاضيين اجتهدوا، وعملوا اجتهاد، وكتب في المجلة العدلية، أن مالك البيت من حقه أن يخلي البيت، إذا كان المستأجر في عنده بيت آخر هذا اجتهاد محكمة النقد، فإذا أنت معك مادة، من اجتهاد قاضيين من كبار القضاة، تطمئن، وإذا كان في شي مائة آية، بطمنك مالك مطمئن، مائة آية من كلام خالق الكون، مالك مطمئن، مالك مرتاح

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾

(سورة النور: 55)

من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة،

(سورة النحل: 97)

وين، إذاً،

﴿ وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ﴾

(سورة القمر: 3)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : تفسير الآيتان 4-5 ، متى ينزجر الإنسان ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الأخوة الكرام: الآيات الرابعة والخامسة، من سورة القمر ، وهي قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5)﴾

﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ﴾

يعني هناك حقائق نقلت إليهم، كافية لزجرهم عن غيهم، ومع ذلك لم ينزجروا، هناك حقائق قطعية وضعت بين أيديهم كافية لزجرهم عن غيهم، ومع ذلك لم ينزجروا.

قال

﴿ حكمة بالغة فما تغني النذر ﴾

كيف نفهم هاتين الآيتين يعني النذر ! لا تجدي، النصيحة لا تجدي، وضع حقائق خطيرة بين أيدي إنسان مدخن، عن الدخان لا ينزجر، طيب متى ينزجر ؟ كيف نحل هذه المشكلة،

﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ﴾

ما أكثر العبر، الآن ما أقل المعتبرين، كم إنسان ينتقل من بيت فخمٍ جداً إلى قبرٍ ضيق، كل يوم، ينتقل من كل شئ إلى لا شئ من من الناس يفكر بالموت؟ يفكر بمغادرة الدنيا، من من الناس يصدق حقيقة أن الله سيسأله عن كل كلمة، وعن كل نظرة، وعن كل درهم أنفقه، وعن كل درهم أخذه، من أين أخذه؟ وفيما أنفقه ؟ وما أبتغى به.

﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾

(سورة الإسراء: 14)

﴿ مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحد، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴾

(سورة الكهف:49)

آيات قرآنية واضحة كالشمس، فكيف ينحرف الإنسان مع الآيات ؟ ينحرف مع الدلائل، ينحرف مع الحجج ينحرف مع البراهين، ما حكمت ذلك ؟ كيف نوفق بين الآيتين ؟.

قال: حكمة بالغة فما تغني النذر، ربنا عز وجل يقول: فما تغني النذر، طيب ما جدوى الإنذار إذاً، إذا كان نذر لا تجدي، والحقائق لا تكفي، متى ينزجر الإنسان ؟ الجواب، أن الإنسان إذا طلب الحقيقة إن أراد الحقيقة، أقل شيءٍ بين يده يدله عليه، وإن لم يرد الحقيقة لو حشرت له علوم الأرض، لو حشرت له علماء المسلمين جميعاً، لو وضعت بين يديه كل الكتب الدينية، لا يتأثر.

أضرب لكم مثل بسيط، نحن في الخمسينيات حينما كنا صغاراً كان في آلة تصوير، عبارة عن علبة، ثمنها عشر ليرات، فيها عدسة والفلم عبارة عن صفيحة، هذه الآلة يمكن أبسط آلة صنعها الإنسان بُكس، علبة، وعدسة، والكبسة الزر، بتفتح وبتسكر، هذه الآلة إذا فيها فلم، تلتقط صورة، الآن في آلات ثمنها نصف مليون ليرة خمسمائة ألف، وثمانية مائة ألف، وفي آلات بمليون، إذا ما فيها فلم ؟ ما تأخذ شي. طلب الحقيقة هو الفلم، إن أردت الحقيقة أبسط شيء، يدلك على الله، طعامك

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾

(سورة عبس: 24)

وإلى شرابه، ومما خلق، كأس الماء، ابنك الذي أمامك، تعلم علم اليقين أنه كان حوينًا لقح بويضةً، وصار إنساناً سوياً، هذا بين يدك هذه الفواكه، هذه الخضراوات، هذه المحاصيل، هذا الحر، هذا البرد هذا الرياح، هذه الأمطار، هذه الجبال، هذه الصحارى، هذه السهول وفي كل شيء له آيةٌ يدل على أنه واحد. أما الإنسان إذا أعرض عن الحقيقة ما أرادها، قد تكون آلته أغلى آلة بالعالم، ذكي جداً، ثقافته واسعة جداً، مطلع جداً، معه أعلى شهادة، بس فلم ما في، ما استفاد شيئاً.

بيجي إنسان، أعرابي لا معه كفاءة ولا بكالوريا، ولا ليسانس ولا ماجستير، ولا بورد، ولا أكريج، ولا أف أر أس، ما معه شئ بنوب، يقول:

الأقدام تدل على المسير، والبعر يدل على البعير، والماء يدل على الغدير، أفسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فجاج، ألا تدلاني على الحكيم الخبير، ما معه شهادات بنوب.

يعني إنسان إذا طلب الحقيقة يراها، والله يراها رأي العين والله يراها صارخة، ماذا قال الله عز وجل ؟ ممكن تشك بابن الجيران، ابن من أنت عم ؟ ابن من، الأمر عندك تتداخل، ابن جارك اليمين، لما اليسار ؟ ابن من أنت ؟ ممكن تشك بابنك من أنت تقول له من أنت ؟ تقع بالأرض مرة، إطلاقاً، مستحيل أب في الأرض، يقول لابنه أنت من، ابنه.

ماذا قال الله عن بني إسرائيل ؟

﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناء هم ﴾

(سورة البقرة: 146)

شايف هالتشبيه،

﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناء هم ﴾

يمكن ما في معرفة بسيط جداً، لاتحتاج إلى برهان، ولا إلى دليل ولا إلى تريث انتظر، بقلك بتعرفني بيطلع، امهلني شوي، إذا كان شخص التق فيك فجأة، بقلك بتعرفني بتقله، طول بالك سأقول لك من أنت، أما أبنك بتقول انتظر، لأعرف من أنت،

﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناء هم ﴾

فالمشكلة: هذا قرار داخلي، إن بحثت عن الحقيقة أي شيئاً يدلك عليها، أي شئ، وإن أردت الدنيا ولم ترد الحقيقة، لو حشر لك الأنبياء جميعاً.

النبي الكريم سيد العالمين، أعلى درجة في العلم، أعلى درجة في الكمال،

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾

(سورة القلم: 4)

وحيٌ يتنزل عليه معجزات بين يديه، كمالٌ ما بعده كمال، رحمةٌ ما بعدها رحمة أليس هناك من كفر به ؟ وكذبوا دعوته، وسخروا منه، وحاولوا قتله وأبغضوه.

معنى ذلك إن أردت الحقيقة وجدتها، وإن لم ترد الحقيقة، لن تجدها.

الآن مع هذه المقدمة تتضح هذه الآية

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4)﴾

يعني معهم حقائق، الآن، بين أيدي الأطباء حقائق عن الإيدز، وحقائق عن أخطار الدخان، الشيء الكثير، ومع ذلك هناك من يدخن، وهناك من يمارس الزنى، مع كل هذه الحقائق

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5)﴾

يعني إن أعرضت عن الحقيقة، لا تنفعك النذر، ولا الدلائل ولا البراهين، ولا أي شئ ينفعك، وإن أردتها. بالمناسبة، آية تتمم،

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾

(سورة العنكبوت: 69)

لنهدينهم اللام للام التوكيد، النون نون التوكيد الثقيلة اطمئنوا أيها الأخوة، إن أردت الحقيقة، لابد من أن تصل إليها، لابد من أن تجدها، والله عز وجل يسوقك إلى من يعطيك إياها، دليل آخر

﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ﴾

(سورة الأنفال: 23)

فإذا أسمعك الله الحق هي علامة طيبة جداً، علامة من الله، أنه أراد بك خيراً،

﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ﴾

إذاً:

﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر، حكمة بالغة فما تغني النذر، فتول عنهم. يعني، وما أنت بمسمع من في القبور ﴾

(سورة فاطر: 22)

واحد مقبور بشهوته، مقبور بتجارته مقبور قبر ميت يعني تزوج الدنيا

﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾

زهرة الحياة الدنيا،

﴿ ولا تحزن عليهم ﴾

(سورة الحجر: 88)

هؤلاء انصرفوا إلى دنياهم، هؤلاء قلوبهم غُلف، هؤلاء في آذانهم وقرٌ، هؤلاء هو عليهم عماً، هؤلاء،

﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾

(سورة البقرة: 18)

حبك الشيء يعمي ويصم، حب الدنيا رأس كل خطيئة.

إذا كانت الدنيا ملكت قلبه، وأغلقت عليه منافذ الهدى

﴿ فتول عنهم يوم يدع الداعي إلى شيء نكر ﴾

(سورة القمر: 6)

يعني هؤلاء لا يصحون إلا بمصيبة الموت،

﴿ خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾

(سورة القمر: 7)

﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾

(سورة الأعلى: 9)

إنسان الدنيا استحوذت على قلبه، وملئت أركانه، وكانت غشاوةً بينه وبين الحقيقة، هذا دعه وانصرف إلى إنسان آخر، يلقي لك أذنٌ صاغية .

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : تفسير الآية 49 ، دقة الخلق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الأخوة الكرام: الآية التاسعة والأربعون، من سورة القمر، وهي قوله تعالى:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)﴾

بقدر دقيق، فأي شيء تقع عينك عليه، وضع في مكانه الصحيح، وكان إحكامه مطلقاً.

فمثلاً: كلكم يعلم أن الأرض تدور حول الشمس، في مسارٍ مغلق، وأن هذا المسار، إهليلجي، يعني بيضوي، والشكل البيضوي له قطران، قطر أصغر، وقطر أكبر، وأن الأرض في دورتها حول الشمس، حينما تصل إلى القطر الأصغر، تزيد من سرعتها، لينشئ من هذه السرعة الزائدة، قوة نابذة، لينشئ من هذه السرعة الزائدة قوة نابذة، تكافئ القوة الجاذبة الجديدة، بسبب قرب المسافة بين الأرض والشمس، فلو أنها حافظت على سرعتها، لجذبتها الشمس وانتهت الحياة، في هذه المنطقة بالذات، تزيد الأرض سرعتها، من أجل أن ينشأ من هذه السرعة الزائدة، قوة نابذة، تكافئ القوة الجاذبة

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

فإذا وصلت الأرض، إلى القطر الأكبر، خفضت سرعتها، لينشأ من تخفيض السرعة، قوة جاذبة تبقى مع الشمس، أما الشيء الذي لا يصدق، أن هذه السرعة، حينما تزيد أو حينما تنخفض، تزيد ببطء شديد، هذا التعبير سماه الرياضيون، التسارع، إنها تتسارع، بتسارعٍ بطيء، وحينما تتباطأ تكون تتباطأ بتباطؤ بطيء.
يعني مثلاً: ممكن من صفر إلى مائة وخمس ثواني، إذا سيارة حديثة جداً، نقول تسارع سريع ممكن من صفر إلى مائة، بعشرين ثانية، بقول تسارع أبطأ، فالأرض تزيد سرعتها، بشكلٍ بطيء جداً لئلا ينهدم ما عليها، لو أنها رفعت سرعتها فجأةً لنهدم كل ما على الأرض، ولو أن سرعتها انخفضت فجأةً لنهدم كل ما على الأرض.

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

الأرض تسير حول الشمس، لو أنها تفلتت من جاذبيتها من الشمس، افتراض، وأردنا أن نعيدها إلى خط سيرها الأول، قال العلماء الرياضيون، لاحتجنا إلى مليون، مليون كبل فولاذي قطر الكبل خمس أمتار، وهذا الكبل الذي قطره خمسة أمتار، يتحمل قوى شد مليونين طن، معنى ذلك أن الأرض مربوطة بالشمس بقوة

جذب تساوي مليون ضرب مليون ضرب ملونين، هذه القوة الهائلة، الجاذبة نحو الشمس، من أجل أن تبقي الأرض في مسارها حول الشمس، ومن أجل أن تحرف الأرض ثلاثة 3مم كل ثانية، إذا انحرفت ثلاثة ميلي كل ثانية، تبقى في مسار مغلق حول الشمس.

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

هذه الحبال الفولاذية، إذا زرعناها على الوجه المقابل للشمس، سنفاجئ أن بين كل حبلين خمس أمتار فقط، معنى ذلك تنشأ غابة من الحبال الفولاذية تعيق أشعة الشمس تعيق البناء، تعيق الزراعة، تعيق كل شيء. يؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ﴾

(سورة الرعد: 2)

قال علماء التفسير بعمد لا ترونها، في مهندس في الأرض فيه يبني هذا السقف بلا أعمدة وجدران، يبدأ بالسقف بلا شيء.

قال السماوات هكذا

﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾

قال العلماء: أي بعمد لا ترونها، هي قوة تجاذب، الأرض مربوطة بالشمس، بقوة تجاذب تزيد عن مليونين ضرب مليون مليون طن وهذه القوة من أجل أن تحرفها 3مم كل ثانية فقط، إذا انحرفت 3مم كل ثانية، على ثلاثمائة وخمس وستين يوم، تبقى في مسار مغلق حول الشمس، لو أن سرعتها زادت فجأةً لنهدم كل ما عليها، لو أن سرعتها تباطأت فجأةً لنهدم كل ما عليها.

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر، وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾

هذا في خلق السماوات والأرض، ذكرت لكم من قبل، أن بين الأرض والشمس 156 مليون كيلو متر، يقطعها الضوء في ثمان دقائق، وأن الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، وأن أحد نجوم السماء أسمه قلب العقرب، في برج العقرب، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، وأننا كشفنا أقرب نجماً ملتهباً إلى الأرض يبعد عنا أربع سنوات ضوئية أقرب نجم على الطلاق، وأن بعض المجرات تبعد عنا ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية، وذيع هذا الخبر في محطة أخبار عالمية، قبل عام ونصف، ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية، وكلكم يعلم أن الضوء يقطع بالثانية الواحدة

ثلاثمائة ألف كيلومتر، وفي الدقيقة ضرب ستين وفي الساعة ضرب ستين، وفي اليوم ضرب 24، وفي السنة ضرب 365، ثم ضرب ثلاثمائة ألف بليون،

﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾

(سورة الواقعة: 75 . 76)

هذه آيات الله في الأفاق فماذا عن آيات الله في النفس ؟.

أكتشف حديثاً أن في الإنسان جهاز مناعة، هذا الجهاز يشبه جيش، في أعلى مستوى، قيادة، ومعامل أسلحة، وفرق مستطلعة وفرق مقاتلة، وفرق مصنعة، وفرق خدمات، شيء لا يصدق، ما أن يدخل جرثوم إلى الجسم، تتجه إليه عناصر لتكشف تركيبه الكيميائي عناصر استطلاع، تتجسس عليه فتأخذ شفرته الكيماوية، لا تقاتله تعود إلى مكان أسمه العقد اللمفاوية، هذا المكان مكان تصنيع السلاح تسلم هذه العناصر هذه الشفرة إلى خلايا أخرى، مهمتها تصنيع سلاح مضاد لهذا الجرثوم، يصنع السلاح، تأتي فرقة مقاتله، تحمل هذا السلاح، وتتجه نحو الجرثوم، وتقاتله إلى أن تصرعه، فإذا صرعته بقيت جثته في ساحة المعركة، يُتصل بفرق الخدمات، لتنظيف أرض المعركة من جثث القتلة، كل هذا يتم بتنسيق عجيب، وبقدرة هائلة وهذا الجهاز المناعي، أكتشف أن قيادته خارج الجسم، قيادته خارج الجسم ولا يعلم أحد من يقوده، لأن هذا الجهاز المناعي، أخطر جهاز بالجسم، يقويه الحب، والأمن، والطمأنينة، ويضعفه القلق، والحقد والبغض، معنى ذلك إذا وحدة الله عز وجل وطمأنة نفسك، فأنت في صحة، وأن هذا الجهاز المناعي، في عناصر اكتشفت في عام الثمانين عناصر، أسمها خلايا القاتلة بالفطرة، اغرب ما في هذه الخلايا، أنها تستطيع اكتشاف شذوذ الخلية قبل أن تشذ، فتلتهمها، لذلك في ارتباط كبير بين السرطان وجهاز المناعة، فحينما يضعف هذا الجهاز، تنمو الخلايا نمواً عشوائياً وحينما يقوى هذا الجهاز يضبط نمو الخلايا.

إذاً: أحياناً الشرك، والخوف، والقلق، يؤديان إلى ضعف هذا الجهاز، ومع ضعف هذا الجهاز، يضعف ضبط نمو الخلايا، لذلك أكثر المصابين بالإيدز يصابون بالسرطان، أنه حينما يضعف هذا الجهاز، تتفلت هذه الخلايا من نظام دقيق.

أيها الأخوة: هذا جهاز المناعة هو الذي يفسر الشفاء الذاتي شيء عجيب، قد تجد إنسان مصاب بمرض عضال، هذا المرض يتراجع ذاتياً، ويشفى شفاءً تاماً من دون دواء، ليس هناك تفسير علمي، لهذا الذي يحدث من الشفاء الذاتي إلا بفهم هذا الجهاز الخطر قال هذا الجهاز عنده ذاكرة قوية جداً، لولا هذه الذاكرة لما كان هناك معمل من التلقيح كله في العالم، كيف ؟ حينما يكتشف تركيب جرثوم شفرته الكيماوية، ويصنع له مصلاً مضاداً، هذا هو التلقيح، نحن إذا لقحنا إنسان ضد الكوليرا ماذا نفعل ؟ نعطيه جرثوم كوليرا،

نعطيه جرثوم نفسه بشكل مضعف، حتى يهيئ جهاز المناعة مصل مضاد لهذا الجرثوم، فإذا جاء الجرثوم بعد حين، فاجئنا بهجوم شرس السلاح جاهز، هذا هو أصل التلقيح، قال لو أن هذا الجرثوم غاب أربعين عاماً ثم أتى مرةً ثانية، في عنده إضبارة هذا الجرثوم يعرف مركز تصنيع المصول في جسم الإنسان ما ترتيبه قبل أربعين عاماً فيصنع السلاح من دون تخطيط، في عنده ترتيب جاهز، لولا ذاكرة هذا الجهاز، لما كان لكل التلقيح في العالم معنى إطلاقاً، معنى التلقيح أن هذا الجهاز يتمتع بذاكرة عجيبة جداً.

قال تعالى

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾

سورة الذاريات: 21

﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

نسبة الملح بالدم، من سبعة إلى ثمانية بالألف، لو أنها انخفضت درجة أو زادت درجة لمات الإنسان، تأكل موالح، تأكل طبخة مالحة، في جهاز تعير بالجسم، المعير هي الكلية، تطرح دائماً الملح الزائد، الكلية تحافظ على سبع إلى ثمانية بالألف ملح دائماً لأنه أقل من هذا تتكمش الخلايا، وأكثر تنفجر الخلايا، فمن أجل الحفاظ على.

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

في بالدم هرمون اسمه هرمون التجلط، وهرمون آخر اسمه هرمون التميع، من نسب دقيقة جداً بين هاذين الهرمونين، يتمتع الدم بسيولة جيدة جداً، لو أن هرمون التجلط زاد قليلاً لأصبح الدم كالوحل في الشرايين، ولو أن هرمون التميع زاد قليلاً لنزف الإنسان دمه كله من ثقب دبوس صغير، أنت ما تعرف. لي صديق توفي رحمه الله، زرته خير، قال لي الصفائح الدموية قليلة جداً، ثم انعدم توريدها، يعني في معامل في نقي العظام لتوريد الصفائح الدموية، سبعمائة ألف صفيحة في الميليمتر مكعب معمل توريد الصفائح تعطل.

إخوانا الكرام: أصيب برعاف، أمامه لاصقات طبية حوالي عشرة سانتي، والرعاف مستمر، ومات بهذا المرض، وكلنا تجرح يدنا، بشكل طبيعي بعد خمس دقائق الجرح يلتئم، ما الذي حصل ؟ الصفائح تماماً، عبارة عن صفائح تأتي وتغلق الجرح المفتوح، لولا هذه الصفائح، لنزف دمنا كله من جرح يسير، فالصفائح مع التجلط والتميع المناسبين.

لي صديق طبيب جراح، أجرى عملية لإنسان عملية قلب مفتوح هو ليس مريضه، فتح القلب العملية ناجحة جداً، بعد أن خاط الجرح قال المريض سيموت فوراً، لماذا ؟ آخذ أسبرين ما بلغ الطبيب معناه دمه مايع، قال لي كأنك وضعت لبن مصفى في كيس، كل عما يسيل ميوعة الدم بتنهي حياة الإنسان، زيادة التجلط تنهي حياة الإنسان،

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

أيام إنسان بشوف ذبابة بعينه، يفحص ضغط عينه، ما ضغط عينه ؟ ضغط عينه في سائل بالعين في صنبور يغذيه، وفي فتحة تُصرف الزائد لو أن هذه الفتحة سدت بسجم بروتيني العين تنفجر فأول شي طبيب العين يفحص ضغط العين، شيء لا يرى بالعين سائل في صنبور، وفي فتحة، من توازي صب الصنبور مع الفتحة ينشأ الضغط الطبيعي للعين،

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾

أيها الأخوة الكرام: موضوعات توضيح هذه الآية، من خلال آيات كونية لا تنتهي، لكن يجب أن تعلم أن نظام الكون نظام معجز وأن كمال الخلق الآن دقفوا، يدل على كمال التصرف كمال الخلق يدل على كمال التصرف، الذي خلق هذا الإنسان بهذا الإعجاز يحاسبه حساباً دقيقاً، وليس عنده ما يسمى بالظلم أو التجاوز، أو الفوضى كما يذكر في بعض ما يأتي في كتب الدين، غير المعتمدة، غير الصحيحة،

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾

واحد كان ماشي بالطريق، يسمع صوت زمور سيارة، الدماغ في جهاز يحسب تفاضل وصول الصوتين إلى الدماغ، التفاضل عبارة عن واحد على ألف وستمائة وعشرين من الثانية، فالدماغ يكشف، أين وصل الصوت أولاً من هنا، أم من هنا، إذا من هنا معنى السيارة من اليمين، يتجه نحو اليسار، لولا هذا الجهاز لمات نصف الناس، يسمع بوق سيارة بيجي ناح السيارة بتدعسه، في جهاز بيكشف جهة الصوت

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : تفسير الآيتان 49-50 ، أمر الله كن فيكون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الأخوة الكرام: الآيات الأخيرة، من سورة القمر، وهي قوله تعالى:

﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾

ولقد شرحت البارحة.

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50) ﴾

الآن الإنسان توصل إلى صنع حاسوب، يقرأ أربعمائة وخمسين مليون حرف بالثانية، أربعمائة وخمسين مليون حرف في ثانية واحدة يعني: إذا أمرته أن يستعرض كتاباً بأكمله، كتاب مؤلف من ثلاثة وستين ألف حديث شريف، يستعرضها في ثواني، ويعطيك الجواب، فإذا إنسان استطاع أن يتوصل إلى حاسوب يقرأ أربعمائة وخمسين مليون حرف بالثانية، يعني حينما تعطيه أمر، أن يعطيك الجواب، يعطيك الجواب فوراً، والذي يستخدم الحاسوب الآن يستخدم الحاسوب ذا السرعات العالية، لمجرد أن يأمره أمر، الجواب على الشاشة فوراً.

طيب إذا كان هذا فعل الإنسان، فكيف فعل الله عز وجل،

﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾

وربنا عز وجل، سمح أن يوازن بين ذاته العلية، وبين مخلوقاته في آيات عدة، من هذه الآيات ؟.

﴿ وهو أسرع الحاسبين﴾

(سورة الأنعام: 62)

الحاسب من بني البشر، يقرأ أربعمائة وخمسين مليون حرف بالثانية يقرؤها، ويعطيك الجواب فكيف الله عز وجل ؟

﴿ وهو أسرع الحاسبين ، وهو أحسن الخالقين ﴾

(سورة المؤمنين: 14)

﴿ خير الوارثين ﴾

(سورة الأنبياء: 89)

﴿ وهو أكرم الأكرمين ﴾

إذاً: أمر الله عز وجل كن فيكون، زول فيزول

﴿ فعال لما يريد﴾

(سورة البروج: 16)

أما نحن نريد أشياء كثيرة، ولا نستطيع أن نصل إليها، نريد لكن لسنا فعالين، أما ربنا عز وجل،

﴿ فعال لما يريد، كن فيكون ﴾

(سورة مريم: 35)

زول فيزول.

ورد في بعض الأحاديث القدسية، أن يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، كلكم جائع إلا من أطعمته فستطعموني أطعمكم، كلكم عار إلا من كسوته، فستكسوني أكسكم يا عبادي لو أن أولكم وأخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيء، ولو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص في ملكي شيئاً، ولو أن أولكم وأخركم وأنسكم وجنكم، وقفوا على صعيد واحد وسألني كل واحد منكم مسألته، ما نقص ذلك في ملكي ألا كما ينقص المخيط إذا غمس في مياه البحر . يعني إبرة غمستها في مياه البحر المتوسط، وسحبتها فبما ترجع . ولو أن أولكم وأخركم وأنسكم وجنكم، وقفوا على صعيد واحد وسألني كل واحد منكم مسألته، ما نقص ذلك في ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في مياه البحر ذلك ! لأن عطائي كلام، كن فيكون،

﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾

زول فيزول.

سيدنا موسى، وراءه فرعون، بجبروته، وذنوبه، وقهره وبطشه، وقسوته، وظلمه، والبحر أمامه، بالحسابات الأرضية النجاة مستحيلة،

﴿ قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهديني ﴾

(سورة الشعراء: 61)

فالله أعطى البحر أمر، كن طريقاً يبساً صار طريق، مشى فيه سيدنا موسى وأتباعه، خرجوا من الشط الآخر هذا خليج السويس فيما أعلم أو العقبة، السويس، تبعهم فرعون وهو في وسط ما كان بحراً عاد بحراً، فلما غرق

﴿ حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾

(سورة يونس:90)

أمر بسيط، كن فيكون، زول فيزول، ما نقص ذلك في ملكي ألا كما ينقص المخيط إذا غمس مياه البحر، ذلك لأن عطاء كلام وأخذ كلام .

الآن أيها الأخوة: نهاية هذا الحديث القدسي، الذي ورد في الصحاح، في صحيح البخاري ومسلم، أخطر ما فيه، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنا فلا نفسه، لا تقول مالي حظ، لا تقول الدهر ضدي، لا تقول القدر قلب لي ظهر المجن، لا تقول أنا مالي حظ أبداً، أنا بيئتي صعبة نشأت في أسرة فقيرة، أبي ظالم كان، يتيم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنا فلا نفسه، الله يلعن إبليس بقلك، لا ! ألعن حالك أحسن الإنسان وحده مسؤول،

﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل ﴾

(سورة أبراهيم: 22)

أخوانا الكرام: ليتكم تجعلون شعاركم، من خلال هذا الدرس فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه حاسب نفسك، ما من عثرة، ولا اختلاج عرقاً، ولا خدج عوداً، إلا بما قدمت أيديكم، وما يعفوا الله أكثر، وما أصابكم من مصيبة فبأذن الله،

﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾

(سورة الشورى: 30)

﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما ﴾

(سورة النساء: 147)

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾

(سورة النحل: 97)

﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾

(سورة غافر: 51)

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾

(سورة طه: 124)

إذا:

﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾

كن فيكون، زول فيزول، من وجد خيراً فليحمد الله، من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه،

﴿ ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر ﴾

الهلاك مستمر، يعني أمم عظمة، دول عظمة، نشرت الإلحاد سبعين عاماً، أين هي الآن ؟ في الحضيض،

﴿ ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر. وكل شيء فعلوه في الزبر، وكل صغير وكبير مستطر ﴾

إذا الإنسان يعني، أبلغوا أن أنت مراقب، يعد للمليون قبل أن يقول كلمة على الهاتف، أليس كذلك ؟ أنت مراقب من قبل الله

﴿ إن الله كان عليكم رقيبا، إن الله كان عليكم رقيبا ﴾

(سورة النساء: 1)

لذلك والله عز وجل هو الرقيب الحقيقي، لأنه أنت بيده، وأنت في القبر في يده، وأنت في البرزخ في يده، وأنت يوم القيامة في يده وأنت بيده الله عز وجل، الإنسان الأحمق.

* * *

إذاً: نحنا يعني في تطور صار بشرطة السير، يبعث له المخالفة مع صورة، سيارتك، النمرة، الساعة، التاريخ، السرعة 120، الطريق الفلاني بقدر يعطس، طيب ؟ مع صورة انتهى كل شيء، والله أعلم، ولا أتلى على الله يوم القيامة، تعرض عليك أعمالك كلها، كشريط، كفلم، مع أدق التفاصيل، مع أدق الجزئيات بس،

﴿ وكل صغير وكبير مستطر، إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾

يعني الحقيقة اعظم نجاح، دققوا، أعظم نجاح، أعظم عطاء أعظم تفوق، أعظم علو، أعظم فوز، أن يكون لك مقعد صدق عند مليك مقتدر، لأن الدنيا زائلة، الدنيا زائلة، مهما كنت قوياً في الدنيا إلى الموت، وإلى الهلاك، أما إذا كنت مع الله فإلى الفوز والنجاح.

والحمد لله رب العالمين

الفصل التاسع : تفسير سورة الرحمن

الدرس (1-9) : تفسير الآيات 1 – 4 ، البيان القرآني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآية الأولى في سورة الرحمن وهي قوله تعالى:

﴿ الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآَنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾

قد يتساءل الإنسان، الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان علمه القرآن ثم خلقه، هذا الترتيب لا يقبل العقل ! إلا أن علماء التفسير قالوا: قُدم تعليم القرآن على خلق الإنسان تقديم رتبياً، لا تقديماً زمنياً، لأن الله سبحانه وتعالى أراد من هذا التقديم أن يبين لنا أن وجود الإنسان، لا معنى له من دون منهجاً يسير عليه.

الإنسان بلا منهج، بيهمه ! دابة متفلتة ! من دون منهج، لأن الله أودع فيه الشهوات، والشهوات تدفعه إلى حركة عدوانية، إلى أن يأخذ ما ليس له، إلى أن يعتدي على أعراض الناس، إلى أن يأخذ أموالهم، إلى أن يستكبر، يتغطرس، يستعلي، كل الصفات المذمومة سببها كائنٌ وضعت فيه شهوات، رفض المنهج الذي شرع له، فتحرك وفق شهوته، فلذلك قدم الله تعليم القرآن على خلق الإنسان ليبن لنا أن وجود الإنسان أصلاً لا قيمة له ولا معنى له من دون منهج يسير عليه.

وفرق المؤمن على غير المؤمن، أن المؤمن في حياته منهج في حرام وفي حلال، في مباح في مكروه، في محرم تحريم قطعي في كراهة تحريمه، كراهة تنزيهية، في إباحة، في ندب، في استحسان، في واجب، في فرض، كل شيئاً في حياته، لا بد من أن ينطبق عليه أحد هذه الأحكام، إما أنه فرض كالصلاة والصوم والحج والزكاة، والصدق والأمانة، أو أنه واجب كصلاة الوتر مثلاً، أو أنه سنة مؤكدة، أو سنة غير مؤكدة، أو مستحب، أو مباح، أو مكروه تنزيهاً أو مكروه تحريماً، أو محرم، في منهج، في حلال، في حرام، في حق، في باطل، في خير، في شر، في كمال، في نقص .

لذلك:

﴿الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان﴾

لماذا علمه البيان ؟ ليتعرف إلى الرحمن، ليطلب العلم، علمه البيان ليعرف، وليُعرف، يعني أخطر ما يتميز به الإنسان هذا البيان الإنسان يتكلم، يعبر عن أفكاره، وعن مشاعره تعبيراً شفهياً وكتابياً ويتلقى أفكار الآخرين، ومشاعرهم، قراءةً أو سماعاً.

هناك أربع نشاطات، أن تنطق، وأن تكتب، وأن تستمع وأن تقرأ التكلم، والكتابة، والاستماع، والقراءة، نشاطات لغوية أساسية، هذا من كرامة الإنسان على الله عز وجل، لولا أنه مكرم لما علمه البيان، البيان شيء رائع جداً، تعبر عن كل حاجاتك، وعن كل أفكارك، وعن كل مشاعرك، تعبيراً بكلمات قليلة، تصل إلى أهداف كبيرة، فهنيئاً لمن استخدم البيان لطلب العلم، وفي تعليم العلم والويل لمن استخدم البيان لإثارة الشهوات، هناك قصص ماجلة هناك أدب رخيص، هناك أدب يثير الشهوات السفلة في الإنسان هناك أدب يقلب الإنسان إلى كائن شهواني متمرد، فهذا أدب رخيص فهذا أدب يدمر أمة بأكملها.

فلذلك كل شيء الله خلق حيادي، البيان حيادي، يمكن أن يكون سلم ترقى به إلى أعلى عليين، أو دركات تهوي بها إلى أسفل السافلين، البيان.

﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا ﴾

(سورة الشعراء: 224 ـ 225 ـ 226 .)

فهذا البيان التكلف، في جلسة، جلسة علم، جلسة في بيت، الحديث عن الله عز وجل، كل الحاضرين تسموا نفوسهم ويسعدون، ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتدارسون الكتاب، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عندهم، والمادة هو الكلام، والأنبياء جاءوا بالكلمة، جلسة نفسه، لو أن الحديث عن النساء، وعن الشهوات، قاموا عن أنتن من جيفة حمار، ما جلس قوم مجلساً، لم يذكروا الله فيه، إلا قاموا عن أنتن من جيفة حمار.

فهذا البيان، إن طلبت به العلم وأن علمت به العلم، ارتقى بك، كان سلم إلى الجنة.

وهذا البيان، إن أردت أن توقع بين الناس، إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً، كلمة يتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً، قالت إن قصيرة !. السيدة عائشة، قالت عن أخته صفية إنها قصيرة.

قال يا عائشة: لقد قلت كلمة لو مزجت في مياه البحر لأفسدته .

فبهذا اللسان ترقى، وبهذا اللسان تسفر، ما ذكرني عبدي في نفسه إلا ذكرته في ملئٍ من ملائكتي، ولا ذكرني عبدي في ملئٍ من خلقي، إلا ذكرت في ملئٍ خير منهم، أمرت أن يكون صمت فكراً ونطقي ذكراً، ونظري عبرة، علمه البيان ليتعرف إلى الواحد الديان علمه البيان ليعلم القرآن، خيركم من تعلم القرآن وعلمه، علمه البيان ليجاهد بالقرآن جهاداً كبيراً.

﴿ وجاهدهم به جهادا كبيرا ﴾

(سورة الفرقان: 52)

بالبيان كله والأنبياء جاءوا بالكلمة.

﴿ مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس ﴾

(سورة إبراهيم: 24)

فالكلمة الطيبة تطير في أطراف الأرض، وينتفع بها خلق كثير والكلمة الخبيثة تطير أيضاً في أطراف في الأرض، وتؤذي خلقاً كثيرين المذاهب الهدامة كلمات، مقالات، كتب، هذه كلمة تلقى فكرة تطرح تزلزل عقائد الناس.

مرة قرأت بمقالة لإنسان ملحد، هي أربع كلمات قالهن، إذا الإنسان صدقهن بيتزلزل، أنت أخلاقي لأنك ضعيف، وأنت ضعيف لأنك أخلاقي، هل رأيتم كلمة تهدم الأخلاق كهذه الكلمة ؟ هي بالكلام علمه البيان، ليتعرف للواحد الديان، ليطلب العلم، ليعلم العلم، ليتعلم القرآن، ليعلم القرآن، ليسمو بنفسه وهناك من يقرأ القصص والروايات، ويتابع الأفلام، طبعاً نفسه تسفل، لأنها تعالج موضوعات لا تسمو بالنفس، موضوعات ساقطة، فإذا عشت معها دائماً سقط الإنسان معها.

﴿الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان ﴾

لا معنى لوجود الإنسان من دون منهج يسير عليه، علمه القرآن وخلقه

﴿ الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان، والسماء رفعها ووضع الميزان ﴾

يعني في حسابات دقيقة جداً بالكون، حسابات دقيقة إلى درجة مذهلة، نحن مثلاً نضبط ساعاتنا على ساعات بك بن، نظنها أدق ساعة بالعالم، ساعة بغ بن تضبط على نجم، قد تقصر بالعام ثانية واحدة، في العام، هذا النجم هو الأصل، نجم يمشي ملايين، ملايين الأميال، بسرعات مذهلة، ولا يتأخر ولا يتقدم، ولا معشار الثانية حتى أن ساعةً بك بن تضبط عليه.

﴿ الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان ﴾

كل مخلوق يستمد مقومات وجوده ومقومات استمرار وجوده من الله عز وجل، يستمد مقومات وجوده، ومقومات استمرار وجوده من الله عز وجل، والنجم، النبات الصغير، والشجر، العملاق سيان، فيروس الإيدز أضعف فيروس بالأرض، والفيل، والحوت الأزرق 150 طن وزنه، كلاهما مفتقر إلى الله.

﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ﴾

في عقل، وفي كون الميزان هنا العقل يعني أعطاك ميزان تزن به الأشياء، الذي يهمل الميزان يتألم أشد الألم.

واحد باع بيته بالعملة الصعبة، بمبلغ فلكي، وفي بجيبته ميزان يكشف ما إذا كانت هذه العملة مزورة أو صحيحة، ما استعمله قبض المبلغ ثم اكتشف أنه مزور، وبيته ثمنه مائة مليون، قبض مليونين دولار بسعر مغري، وفي معه جهاز يكشف زيف هذه العملة من صحيحها، ما استخدمه، طبعاً هذا مثل حاد وكل واحد منا معه جهاز يكشف الحق من الباطل، والخير من الشر، والحلال من الحرام ما استخدمه، وقع في شر عمله.

﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ﴾

مبادئ الميزان تتوافق مع مبادئ الكون، بالكون كل شيء له سبب، وعقلك لا يقبل شيء بلا سبب، بالكون كل شيء له غاية، وعقلك لا يقبل شيء بلا غاية وعقلك لا يقبل شيئاً بلا غاية، بالكون ليس هناك تناقض، والعقل البشري يرفض التناقض.

إذاً مبادئ العقل متوافقة مع مبادئ الكون، لذلك لا معنى للعقل من دون كون ينطبق عليه، ولا معنى لكون عظيم، من دون عقل يدرك قيمته.

﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان. ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-9) : تفسير الآية 10 ، الأرض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الأخوة الكرام: الآية العاشرة، من سورة الرحمن، وهي قوله تعالى:

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)﴾

في هذه الصيغة، تقديم وتأخير، وضع الله الأرض للأنام فجاءت الآية:

﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾

حينما تقدم المفعول به، تقصد معناً جديداً وهو القصر، لو قال الإنسان لربه نعبد إياك يا رب، هذا لا يمنع أن نعبد غيرك، نعبد إياك أما حينما نقول إياك نعبد، لا نعبد إلا أنت

﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾

يعني الأرض وضعت للأنام وحدهم وضعت خصيصاً لهم، وضعت تلبية لحاجاتهم، وضعت تكريماً لهم.

نبدأ بحجمها، حجم الأرض، يحدد وزنك عليها، لو كنت على القمر لكان وزنك سدس وزنك الحالي، لو كنت على كوكب أكبر لكان الوزن مائتين كيلو فهذا الوزن المناسب حجم الأرض حدد وزن الإنسان، ثم إن دورة الأرض حول نفسها حددت طول اليوم، اليوم عشر ساعات، أثنى عشر ساعة، معقول تستيقظ تتناول طعام الفطور تذهب إلى عملك تعمل ثماني ساعات، تعود إلى البيت لو النهار ساعة والليل ساعة، لو النهار مائة ساعة، طاقتك ثمان ساعات، وأنت في النهار تعمل، وتنام، تعمل وتنام، تعمل وتنام، فطول الليل والنهار يتناسب مع طاقة الإنسان، وزن الإنسان المريح ستين، سبعين، أما عالقمر عشر كيلو أي حركة تصبح بالهواء، وزنك ضعيف، أما على كوكب آخر قد يكون وزن الإنسان نصف طن، أو طن.

فالأرض أربعة أخماسها بحر، وخمسها يابسة، هذا المسطح المائي الكبير هو الذي يسبب هذه الأمطار، الأمطار لولاها لما كان هناك نبات، لولا النبات لما كان هناك حيوان، لولا الحيوان لما كان هناك إنسان، فلولا هذا المسطح المائي الكبير لما كانت حياة على وجه الأرض، الهواء غلاف، الهواء من رحمة الله بنا أنه يدور مع الأرض، يدور معها، لو أن الهواء متوقف والأرض تدور تنشأ عواصف سرعتها 1600 كيلو متر بالساعة، نحن 800 فما فوق تدمير كامل يعني إذا نشأ إعصار على مدينة سرعته ثمان مائة كيلو متر، لا يبقي بها شيئاً ولا بناء، على 125 فيها هدم جدران، اقتلاع أشجار سقوط بعض الأبنية، على 125، 150،

200، أما على 800 إعصار مدمر لو الهواء واقف ، والأرض تدور، ينشأ تيار سرعته 1600 كيلو متر بالساعة، لا يبقي على الأرض شيئاً الهواء، أنت فوقك ضغط، على كل سانتي متر في كيلو وثلاث وثلاثين غرام، يلي مساحة جسمه متر ونصف، في عليه 15 طن ضغط، هل تشعر بهذا ؟ كل واحد من بني البشر، إذا كان على سطح البحر، مساحة جلده متر ونصف في عليه 15 طن ضغط جوي، هذا الضغط يبقي الدماغ في الأوعية، لو قلى الضغط الدماء تخرج من الأوعية إلى الخارج.

لذلك الطائرات، حينما تحلق على ارتفاع أربعين ألف قدم يحقن الهواء فيها ليكون الضغط في داخلها مساوياً لثمانية أمثال الضغط على الأرض، فلو تعطل جهاز حقن الهواء، لخرج الدم من آذان الركاب، ولاضطر الطيار أن يهبط هبوط اضطراري، إذا تعطل جهاز ضخ الهواء في الطائرة، الضغط.

الآن أنت بحاجة إلى ماء، إلى سائل وسيط، بين المواد الغذائية، والخلايا تشرب الماء، من جعل الماء، لا لون له، ولا طعم له، ولا رائحة، من جعله عذباً فراتاً، بعد أن كان ملحاً أجاجاً

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾

طيب هذا القمح من صممه، غذاءً كاملاً للإنسان، غذاء كامل يمكن أن تعيش على عنصرين في الأرض، على الحليب، وعلى القمح، طيب من صمم الحليب الذي في ضرع البقرة ؟ أن يكون غذاءً كاملاً لك،

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾

ضرع البقرة قبة، أو ليست ضرع، الغدة الثديية، على شكل قبة، يغطيها شبكة أوعية دموية كثيفة جداً، نقاط الحليب ترشح من هنا، من داخل القبة، هي الخلايا أسمها الخلايا الثديية، تحيط بها شبكة دماء، شبكة أوعية دموية طيب هذه الخلية عاقلة تأخذ من الدم، من بين فرث ودمٍ، الفرث هنا الفضلات السائلة في الدم التي تطرحها الكلية، فهذه الخلية ذكية جداً تأخذ من الدم حاجتها.

تأخذ بروتينات، تأخذ شحوم، تأخذ فيتامينات، تأخذ معادن تأخذ التركيب الأمثل ويرشح هنا نقاط من الحليب، كل أربعمائة حجم من الدم، بساووا حجم من الحليب واحد، يعني كل لتر حليب، هذا محصلة جريان أربعمائة لتر دم، في خلايا البقرة الثديية، البقرة معمل متنقل، صامت، يعطيك الحليب المادة الأولى في حياة الإنسان السمن، والجبن، واللبن، وما إلى ذلك، والأرض وضعها للأنام.

الدجاجة خلقت خصيصاً للإنسان، البقرة خلقت خصيصاً للإنسان، الغنمة يعني حيوان مهمته أن تأكله، تنتفع بصوفه، وبجلده وبعظامه، وبدهنه، وبلحمه، وبأمعائه، وفي كل شيء له نفع للإنسان

﴿ والأنعام خلقها لكم ﴾

(سورة النحل: 5)

وديعة، بقلك فلان مثل الغنمة، لو أن الله عز وجل ركب طباع الضبع بالغنمة، هل تستطيع أن تأكلها ؟ تأكلك ولا تأكلها، من ذللها لك ؟ الله جل جلاله، من ذلل البقرة ؟ والدليل حينما جنت في بريطانيا، أطروا إلى أن يحرقوا 13 مليون بقرة، ثمنهم 33 مليار جنيه إسترليني، هنا حينما أطعموا البقر طحين الجيف، وقد حرم الله أكل الميتة جن البقر، وما جنون البقر إلا من جنون البشر.

قبل أن آتي إليكم، قرأت قرار لوزير الاقتصاد، والله حمدته على هذا القرار، ممنوع استيراد الألبان ومشتقاتها من بريطانيا وايرلندا، خوفاً من انتقال مرض جنون البقر، يعني الدول، والحمد لله، دول النفط، والخليج، ودولتنا اتفقوا على أن هذا المكان، ربما انتقل إلينا بعض أمراض البقر.

طيب البقر مذلل، الناقة مذللة، الغنمة مذللة، الدجاجة مذللة الماء كان مالح، صار عذب فرات بفعل الأمطار والينابيع، القمح غذاء كامل، ساق القمح، غذاء كامل للحيوان، كامل، يمكن أن تعيش الأنعام أشهراً مديدة على التبن فقط، والتبن هو طحين، أو تكسير ساق القمح.

فكلمة،

﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾

يجب أن تنتبه، الهواء الذي تستنشقه، أكسجين، وآزوت، النسب مدروسة جداً، النبات يعطيك في النهار أكسجين، في الليل غاز الفحم، النبات يتنفس عكس الإنسان الماء الذي تشربه، الطعام الذي تأكله، المحاصيل تنضج في يوم واحد تنضج المحاصيل الاستراتيجية إن صح التعبير، في يوم واحد وتخزن أما الفواكه تنضج على مدى ثلاثة أشهر، البطيخ يلي ضامن حقل بطيخ، كل يوم يجني منه شاحنة، كل يوم، على مدى ثلاثة أشهر لو أن البطيخ نضج كالقمح في يوم واحد، ماذا تفعل به، الآن الفواكه مبرمجة بالصيف، مبرمجة، أول فاكهة الكرز، بعدين المشمش بعدين مثلاً الدراق، بعدين الأجاص، بعدين التفاح، مبرمجة، وكل فاكهة مبرمجة على شهر عشرين يوم، ثلاثين يوم، شهرين، من صمم هذا ؟.

﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾

جعل سهول، جعل أغوار، جعل جبال، جعل صحارى، هي الصحارى مهمة جداً، هذه فيها حر شديد، الهواء فيها متمدد، يعني ضغطه ضعيف، والأماكن الباردة فيها برد شديد، والهواء كثيف، ضغط عالي، من فرق الضغطيين تنشأ الرياح لولا الرياح لما ساقت السحاب، فالمناطق الصحراوية لها فوائد جداً.

ملخص هذه الآية، أنك إذا فكرت فيما على الأرض كل شيء في الأرض مخصص للإنسان، يؤكد هذا،

﴿ وهو الذي سخر ﴾

(سورة النحل: 14)

﴿ ما في الأرض جميعا﴾

(سورة البقرة: 29)

سخر لكم، فمن هو أكرم على الله المسخر، أم المسخر له ؟ المسخر له، هو المخلوق الأول أما المسخر،

﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾

(سورة الإسراء: 44)

فإذا كان المسخر له غافلاً، فما أشقاه، المسخر له الإنسان غافل والمسخر لهذا الإنسان يذكر الله عز وجل.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-9) : تفسير الآيات 17-20 ، شروق الشمس وغروبها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الأكارم:

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20)﴾

هذا الموضوع، ورد في القرآن الكريم في صيغٍ ثلاث :

ورد

﴿ رب المشرق والمغرب ﴾

(سورة المزمل: 9)

وورد كهذه الآية

﴿ رب المشرقين ورب المغربين ﴾

وورد

﴿ برب المشارق والمغارب ﴾

(سورة المعراج: 40)

وهذه الآيات الثلاث، بين مشرق ومغرب، ومشرقين ومغربين ومشارق ومغارب، تفيد أن الآية الأولى تشير إلى جهتين، الشمس تشرق من الشرق، وتغرب من الغرب، فالذي يحركها هو الذي يدير الأرض حول نفسها، كي يظهر الشروق والغروب هو الله عز وجل هل،

﴿ من إله غير الله ﴾

(سورة الأنعام: 46)

يحرك الأرض حول نفسها فينشأ من حركتها الذاتية، شرقٌ وغرب، هذا المعنى الأول.

أما حينما يكون محور الأرض مائلاً والشمس من هنا، فأشعة الشمس عموديةٌ على قسم الأرض العلوي، إذاً صيف، أما حينما تكون الأرض هكذا، الشمس عموديةٌ على قسمها الجنوبي إذاً الصيف في الجنوب.

فالشمس لها شروقان، شروق في الشتاء، وشروق في الصيف شروق الشتاء نحو الجنوب، وشروق الصيف نحو الشمال، فالشمس تشرق في أقصى شمال الشرق في الصيف، تكون عموديةً، لذلك قلما تدخل الشمس إلى البيوت، أما شروق الشمس في الشتاء، نحو الجنوب إذاً تدخل الشمس إلى أقصى الغرف في الشتاء. فالذي رتب الشمس انتقال الشمس في شروقها، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب الشرقي، هو الله عز جل.

أما حينما يقول الله عز وجل:

﴿ برب المشارق والمغارب ﴾

بحسب دورة الأرض حول الشمس، كل يوم هناك زاوية تشرق منها الشمس، فهناك ثلاث مائة وخمسةٌ وستون شرقاً، ثلاث مائة وخمسةٌ وستون غرباً

﴿ رب المشرق ورب المغرب ﴾

جهة الشرق، وجهة الغرب

﴿رب المشرقين ورب المغربين ﴾

النهايات العظمة، في الشتاء وفي الصيف

﴿ برب المشارق والمغارب ﴾

أن الشمس تشرق كل يوم في زاوية محددة، هذا معنى قول الله عز وجل: في هذه الآيات الثلاث.

﴿ فبأي آلاء ربكما ﴾

أي يا معشر الجن والأنس، تكذبان، يعني قال

﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾

(سورة البقرة: 258)

قال النمرود: أنا أحي وأميت، توهم هذا الملك الأحمق، أنه إذا عفى عن إنسان يستحق القتل فقد أحياه، وإذا أمر بقتل إنسان فقد أنهى حياته، قال: أنا أحي وأميت .

سيدنا إبراهيم، الله عز وجل آتاه الحكمة، ما سمح للنمرود أن يتابعه في هذا الموضوع تركه وقال:

﴿ قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾

(سورة البقرة: 258)

إذاً شروق الشمس من جهة، وغروبها من جهة من قدرة الله شروق الشمس في أقصى الشمال صيفاً، وفي أقصى الجنوب الشرقي شتاءً، هذا أيضاً يدل على دورة الأرض حول الشمس، ولها محورٌ مائل، إذاً تبدلت أشعة الشمس العمودية، من الصيف، إلى الشتاء.

أما،

﴿ برب المشارق والمغارب ﴾

هناك كل يوم زاوية شروق خاصة.

في شيء ثاني في هذه الآية، هو أن الشروق، والغروب ثابت، لا يتبدل، والمطر متغيرة، ففي أشياء بحياتنا ثابتة، ثابتة ثبات مطلق، وفي أشياء متغيرة، يعني ممكن تمسك تقويم تعرف قبل مائة عام، أن الشمس أشرقت الساعة الخامسة وثلاث دقائق وإحدى عشرة ثانية، وهذا الشروق مستمر إلى يوم القيامة، إلى أن تنتهي الأرض، ثبات.

الآن التقويم الهاشمي كم سنة أصبح له ؟ ما تبدل هو، هو أفتح بالتقويم ست وعشرين أيلول سنة سبعة وتسعين، الشمس تشرق ست وإحدى عشرة دقيقة ثابتة.

فإذاً ثبت ربنا عز وجل الشروق، والغروب، هذا الثبات لانتظام الحياة، ولاستقرار النظام، ولراحة الإنسان، فالذي ثبته من أجل الاستقرار، والذي بدله كالمطر، سنوات أمطار غزيرة، سنوات أمطار قليلة، سنوات قحط، سنوات ينعدم الإنتاج، سنوات يأتي إنتاج غزير جداً، الذي غيره هو الرزق، الذي ثبته استقرار النظام، والذي غيره للتأديب،

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾

(سورة الأعراف: 96)

ثبت أشياء، وحرك أشياء

﴿ مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان ﴾

الشيء الذي يلفت النظر، أنه عبر المركبات الفضائية اكتشف أن بين البحرين حاجزاً، برزخ، بين البحر الأحمر والبحر العربي، بين البحر الأسود والبحر الأبيض، بين الأبيض والأطلس من مركبات الفضاء شوهد خط بين البحرين، العلماء تأكدوا الآن، أن لكل بحر مكوناته، وملوحته، وكثافته، وخصائصه، وأن مياه أي بحر لا يمكن أن تختلط بمياه بحرٍ آخر،

﴿ مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان ﴾

علماء التفسير لألف وأربع مائة عام في حيرةٍ من هذه الآية أين هو البرزخ

﴿ مرج البحرين يلتقيان ﴾

المرج الاضطراب،

﴿بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾

لما صوروا الأرض من الفضاء، رأوا هذا الخط، ثم اكتشفوا أن هذا الخط هو تباين للبحرين أي أن مياه البحرين لا تختلطان أبداً، مياه كل بحر بمكوناته وملوحته، وكثافته، وخصائصه، وشوائبه، لا تنتقل إلى البحر الآخر عبر حاجز مرن، لو تحركت الأمواج هذا الحاجز يضطرب مع الأمواج لكنه موجود، طبيعة هذا الحاجز حتى الآن لا تزال مجهولة وأحد أكبر علماء البحار سبب إسلامه هذه الآية، هو عدا هذا كشفاً كبيراً جداً، أن يكتشف أن مياه كل بحر، لا تختلط بالبحر الآخر.

والإنسان العادي أحياناً، إذا ذهب إلى العقبة مثلاً في الأردن يجد البحر الأحمر مياهه خفيفة، بينما البحر المتوسط مياهه أثقل وعند التقائهما لا يختلطان.

في آية ثانية

﴿وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ﴾

(سورة الفرقان: 53)

فسر علماء البحار هذا الحجر، بأن أسماك المياه العذبة لانتقل إلى المياه المالحة، وأن أسماك المياه المالحة، لا تنتقل إلى العذبة،

﴿ وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ﴾

لذلك تعد أغزر أماكن لاصطياد السمك، هي مصبات الأنهار في البحار، لأن المياه عذبة، وأسماك المياه العذبة، تبقى في المياه العذبة فتجمع سمكي كبير جداً في مصبات الأنهار في البحار، سفن الصيد تصطاد هناك بألوف الأطنان، لأن الأسماك التي عاشت في المياه العذبة، لا تنتقل إلى المياه المالحة، وأسماك المياه المالحة، لا تنتقل إلى المياه العذبة،

﴿ فبأي آلاء ربكما ﴾

هاتان الآيتان الدالتان على عظمة الله عز وجل.

﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾

من يصدق أن المرجان حيوان ؟ حيوان ينمو بحجوب فلكية، الآن البحر الأحمر كله مرجان، حيوان، يتكلس هذا الحيوان ويشكل جذب، البارحة، قبل يومين، ناقلة نفط يابانية ضخمة جداً ارتطمت بجزر مرجانية فتصدعت وسال النفط منها، وشغل بقعةً تزيد عن ثمانية عشر كيلو متر مربع، قرأت هذا في جريدة تأتي من الخليج.

إذاً جذر المرجان يخرج منهما اللؤلؤ، ما اللؤلؤ ؟ اللؤلؤ حيوان، اسمه المحار، إذا دخل عليه شيء جسم غريب، يدافع عن نفسه بالطريقة التالية، يفرز حول هذا الجسم الغريب مادةً، كلسيةً فسفوريةً، هذه المادة هي اللؤلؤ، لكن الله سبحانه وتعالى صممها تكريماً للإنسان،

﴿ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾

(سورة النحل: 14)

مصممة خصيصاً، هو الحيوان يدافع عن نفسه، بصب مادةٍ كلسيةٍ فسفوريةٍ حول الجسم الغريب، الآن صار في لؤلؤ مزروع، يأتون بالمحارات الفارغة، يضعون بها حبة رمل، يعيدونها إلى البحار تبقى في البحار أشهر، في صناديق مفرغة، مربوطة بسفن، يفتحون المحار مرة ثانية يجدون حبة لؤلؤ، إلا أن اللؤلؤ الطبيعي شيء واللؤلؤ الزراعي شيء آخر، والصناعي شيء ثالث، الصناعي صب أما الزراعي يفتحون المحار ويضعون فيها حبة رمل ويغلقونها هذا الحيوان يدافع عن نفسه بالطريقة المألوفة، فيصب حول هذه حبة الرمل مادة فسورية كلسية، هي اللؤلؤة، إلا أن هذه اللؤلؤة فيها سواد هي حبة الرمل، لكن اللؤلؤة الطبيعية ليس فيها شيء، فيها ألق وجمال عجيب.

هذا معنى قوله تعالى:

﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾

في سفن عملاقة الآن، سفن معامل، اليابان تذهب سفنها إلى أستراليا فتشتري فلذات معينة، تصنعها في الطريق استانلس وتصدرها إلى الشرق الأوسط، تشتري الفلذات المواد الأولية من أستراليا، وفي الطريق إلى الشرق الأوسط يتم صنعها صفائح استانلس فالمعمل يمشي فوق البحار.

الآن في ناقلات نفط مليون طن، طيب من يحمل هذه الناقلة ؟ لولا قوة دفع الماء من الأسفل، قانون أرخميدس الذي قال وجدتها وجدتها، وخرج من الحمام عارياً، ماذا وجد ؟ وضع يده في الماء فشعر أن قوةً تدفعها نحو الأعلى، لولا هذا القانون ما في سفن إطلاقاً ما في شي اسمه ملاحة بحرية، ما في شي اسمه نقل بضائع.

فربنا عز وجل جعل هذه البحار، نحن نتوهم أنها همزات فصل، هي همزات وصل، البحار طرق معبدة، طرق معبدة مجانية لكل الأمم والشعوب، تنتقل الباخرة تحمل قاطرات، تحمل شاحنات تحمل سيارات، تحمل معامل، تحمل مليون طن الباخرة، تمشي في عرض البحر، من يحملها ؟ وهي من حديد، معلومكم قانون أرخميدس في قوة دافعة نحو الماء، أنت امسك وعاء ماء ممتلئ وزينه ضعه في الماء راح نص وزنه، وقد يذهب ثلاث أرباع وزنه ما السبب ؟ قوة تدفع نحو الأعلى.

إذاً الآية

﴿ وله الجوار ﴾

الجاريات يعني

﴿ المنشآت في البحر كالأعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾

نعمة البحار، ونعمة دفع الماء نحو الأعلى، ونعمة هذه المنشآت الجواري، ونعمة اللؤلؤ والمرجان ونعمة

﴿ مرج البحرين يلتقيان ﴾

ونعمة

﴿ رب المشرقين ورب المغربين ﴾

هذه آيات اليوم.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-9) : تفسير الآية 29 ، شأن الله مع العباد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الكريمة التاسعة والعشرون، من سورة الرحمن، وهي قوله تعالى:

﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)﴾

هذه الآية تتصل اتصالاً وثيقاً بكل مؤمن، شأن الله مع المستقيم الإكرام، وشأن الله مع المنحرف التأديب، وشأن الله مع من جمع المال من حلال حفظ هذا المال، وشأن الله من جمع مال من حرام إتلاف هذا المال، شأن الله مع من غض بصره عن محارم الله إسعاده في بيته، وشأن الله مع من أطلق بصره، وملئ عينيه من محارم الله شقائه في بيته، شأن الذي بر والديه، شأن الله معه أن يبره أبناءه، وشأن الذي عق والديه شأن الله معه أن يعقه أبناءه، كل يوم هو في شأن.

في أي أحال أنت ؟ شأنه معك شأن الإكرام، أو التأديب، فإن كنت على ما يريد شأنه شأن الإكرام، وإن لم تكن على ما يريد، شأنه شأن التأديب.

من هنا ورد في الحديث الصحيح القدسي

((لو أن أولكم وأخركم وأنسكم وجنكم، وقفوا على صعيد واحد، وسألني كل واحد منك مسألته، ما نقص ذلك في ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في مياه البحر، ذلك بأن عطائي كلام وأخذي كلام، فمن وجد خيراً فليحمد الله، إن وجد من الله الخير وهو على منهجه وطاعته، فشأن الله معه شأن الإكرام، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))

لذلك تكاد تكون سعادتك أو شقاءك بيدك، شأن الله شأن المربي والمربي بين إكرامٍ وبين تأديب، وليس هناك شأن آخر.

لذلك يسأله من في السماوات والأرض، السؤال نوعان سؤال بلسان القال، وسؤال بلسان الحال، البهيمة العطشى تبحث عن ماء، وكأنها تسأل الله الماء، فكل إنسان قد يسأل بلسانه، وقد يسأل بحاله، وقد يسأل بسلوكه

﴿ يسأله من في السماوات والأرض ﴾

كل الخلائق، النبات حينما لا يسقى يسأل الله الماء، تذبل أوراقه، يسأل الله الماء فإذا جاء المطر، أو جاء من سقى، انتعش، فكل مخلوق على وجه الأرض مفتقر في وجوده، وفي استمرار وجوده، وفي كمال وجوده إلى الله عز و جل،

﴿ يسأله من في السماوات والأرض ﴾

يسألونه سؤال بلسان القال يا رب أعطنا، أو بلسان الحال، الإنسان حينما يبحث عن شيء، أو بلسان السلوك، رد الله لهم،

﴿ كل يوم هو في شأن ﴾

السيدة خديجة رضي الله عنها، حينما رأت من النبي صدقه وأمانته، وعفافه، وعطفه، ورأت إكرام ضيفه، ورأته يحمل الكل ويعين على نوائب الدهر، ماذا قالت للنبي الكريم حينما جاءه جبريل ؟ والله لن يخزك الله أبداً.

أقول لكم هذه الكلمة تعنينا جميعاً، كن كما يريد، يكن الله لك كما تريد، أنت تريد وأنا أتريد، عبدي، فإذا سلمت لي بما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلملي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد. فا الله عز وجل كريم، لكن رحيم، لكن مربي، لكن عليم فعلمه، ورحمته، وتربيته، وحكمته، تقتضي أن يسوق الشدائد لمن يستحقها.

فهذه الآية من أصول الآيات،

﴿ يسأله من في السماوات والأرض ﴾

اسأل بلسان قالك، أو بلسان حالك، أو بلسان حركتك والله عز وجل يعطيك بقدر ما تستحق، وبقدر ما يناسبك،

﴿ كل يوم هو في شأن ﴾

مثل، إنسان يشكو من ضعف في كليتيه، ذهب إلى الطبيب صورت كليتاه فإذا بإحداهما واقفة، وقوف تام، لابد من استئصالها فشأن الطبيب الجراح مع هذه الكلية المتوقفة الاستئصال، وإن لم يستأصلها انتقلت العدوى إلى أختها، فشأن الطبيب العالم، المخلص الرحيم، الناصح، إجراء عملية جراحية لاستئصال الكلية، لو أنه فرضاً، وجدلاً، بقدرة قادر، هذه الكلية عادت إلى العمل، وفي يوم إجراء العملية، طلب الطبيب صورة احتياطية، صورت فإذا بها تعمل بتم شأنه استئصال الكلية، لما بغير شأنه، معقول يقلك نحن اتخذنا قرار

لأنه خلص ما في مجال، طيب يا أخي اشتغلت، اتخذنا قرار ما دام عملت صار للطبيب شأن آخر يعني إنسان منحرف يستحق التأديب أم راح تاب، وأصلح من شأنه، هو حينما تاب غير شأن الله معه، تاب،

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ ﴾

(سورة النساء: 147)

بالمناسبة أخوانا، موضوع ما له علاقة بالآية، زارني طبيب جراح، يعني أنا أحسبه مؤمناً، وأحسبه نصوحا، فرجاني رجاءً حاراً أن لا أسمح لأحد أخواني بعملية استئصال مهما كان السبب وجيهاً، إلا باستشارة عدة أطباء، عدة، والله أنا قدرة له هذه النصيحة، قلت جزاك الله خيراً، من غرائب الصدف بعد أسبوع أحد أخوانا الكرام مهندس، عنده فتاة صغيرة عمرها سنتين توقفت إحدى كليتيها، فقال له الطبيب لا بد من استئصالها فوراً وإلا تنتقل العدوى إلى أختها، فأنا بحسب كلام الطبيب الناصح، قلت له أنا لا أقبل إلا برأي طبيب آخر ودللته على طبيب أحسبه مؤمناً ونصوحاً قال له: لا يا أبني ! البنت بسنتين يمكن أن ننتظر ستة أشهر، لأنه في طور البناء، يمكن أن تعمل، والله بعد ثمانية عشر يوم جاءني الساعة الثانية عشر ليلاً من شدة فرحه، عملت الثانية، عملت، الأول كي يحقق أجر العملية قال له يجب أن نستأصلها فوراً، وإلا انتقلت العدوى إلى الثانية، الطبيب المؤمن قال له لا: ما دام سنتين عمرها في معنا ستة أشهر، ننتظرها بعد ثمانية عشر يوماً عملت بأحسن ما يكون .

مستحيل ينفعك إنسان ما في دين، مستحيل، ينفع نفسه فقط لا طبيب ولا مهندس، ولا محامي، ولا تاجر، ولا بائع، مستحيل.

لذلك لا تصاحب إلا مؤمناً، إياك أن تتعامل مع غير المؤمن هو المؤمن له مشكلات، لكن ليس بالخيانة، ليس بالكذب، يطبع المؤمن على الخلال كلها، بتلاقي مؤمن لطيف، مؤمن كلامه قاسي قليلاً، مؤمن أنيق جداً، مؤمن أقل أناقة، مؤمن منفتح، مؤمن منعزل مؤمن اجتماعي، مؤمن انعزالي، كل هذه الصفات على العين والرأس مؤمن لأنه، يطبع المؤمن على الخلال كلها، إلا الكذب والخيانة، فإذا كذب وخان فليس مؤمناً، فإذا أنت صاحبت مؤمن يغلط معك كثير ماله معصوم لأنه، لكن يغلب على ظني أنه لن يكذب عليك، ولن يخونك، وهاتان الصفتان كافيتان للتعامل مع الناس.

لما جاء النبي الوحي، سئل النجاشي سيدنا جعفر، قال كنا قوم أهل جاهلية بعث الله فينا رجلاً، ماذا نقى من الصفات ؟ قال نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبه، فقط، ثلاث كسبيات، واحدة وهبيه، النسب وهبه، لكن النسب يتوج الكسبيات، نعرف أمانته وصدقه، وعفافه، ونسبه.

فإذا تريد ثلاث صفات أساسية بحياتنا، أن لا يكذب، وأن لا يخون، و يلي عنده موظف لا يكذبه، ولا يخونه، مهما أكرمه يستحق أكثر، لا يكذبه، ولا يخونه، أما ما في إنسان ما بيغلط الأخطاء كثيرة جداً. فأخوانا الكرام، كل يوم هو في شأن، مثل الكلية، شأن الطبيب استئصال هذه الكلية، أنه الصورة واقفة، حينما عملت هذا الطبيب نفسه، بعلمه، بحكمته، برحمته، بفهمه، اتخذ قرار آخر معاكس اشتغلت لأن الكلية ، خلص،

﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29) ﴾

هل تصدق أن دعائك وحده يرد القضاء ؟ دعائك، قال عليه الصلاة والسلام

((لا يرد القضاء إلا الدعاء))

يعني أنت مقصر لا سمح الله، أدركت تقصيرك، فاستغفرت الله ودعوته أن يعفو عنك، دعائك وحده يوقف القضاء والقدر، يوقفه، فاسعادتك بيدك، وشقائك بيدك توفيقك بيدك، وتعسيرك بيدك.

سألني أحد الأخوة في قانون التيسير والتعسير، قلت له: نعم

﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾

(سورة الليل: من 5 . إلى 10)

التعسير بيدك، والتيسير بيدك، والرزق بيدك كمان بيدك،

﴿ وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ﴾

(سورة الجن: 16)

الرزق بيدك، والتعسير بيدك، والتيسير بيدك، وسعادتك الزوجية بيدك، وشقائك الزوجي بيدك، وموقف أولادك منك بيدك، عامل أباك يعاملك أولادك.

فيا أيها الأخوة الكرام: الحجة قائمة علينا، والإنسان لا يتهم الشيطان،

﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل ﴾

(سورة إبراهيم 22)

الدرس (5-9) : تفسير الآية 31 ، الوهم في الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الأخوة الكرام: الآية الواحدة والثلاثون من سورة الرحمن، وهي قوله تعالى:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31)﴾

قالوا علماء التفسير: سنفرغ لكم أي نقصد إلى محاسبتكم وفي حياتنا الدنيا، الإنسان يتحرك حركة، يتصل، يدفع، يقبض يتكلم، يصرح، ينتقد، وهو في غفلة، عن أن كل حركاته، وسكناته وتصريحاته، وأقواله، في جهره، وفي سره، ولقاءاته، مسجلٌ عليه حينما يعلم ذلك ينخلع قلبه.

وربنا عز وجل ولله المثل الأعلى يقول

﴿ سنفرغ لكم﴾

أي سنقصد إلى محاسبتكم .

فالإنسان يبدو بسذاجة أنه حر طليق، يتكلم ما يشاء، يتصل مع من يشاء يملئ بصره من الحرام كما يشاء، يستمتع في الليل كما يشاء، يرى كل شيء يعجبه، وقد يغفل عن على أن الله عز وجل سيقصد إلى محاسبته حساباً دقيقاً.

معنى

﴿ سنفرغ لكم ﴾

أي سنقصد إلى محاسبتكم، طيب لما لا يحاسبنا في الدنيا ؟ هو يحاسبنا، ولكن في الدنيا ربنا عز وجل يكافئ بعض المحسنين، تشجيعاً لبقية المحسنين، ويعاقب بعض المسيئين ردعاً لبقية المسيئين، ولكن الحساب الإجمالي، ولكن الرصيد يحاسب به الإنسان يوم القيامة وفي قوله تعالى:

﴿ وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾

(سورة آل عمران: 185)

﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾

(سورة يونس:4)

فإذا المؤمن واعي، أنه أعطى، منع، طلق، نظر، تكلم أوقع بين اثنين، بث العداوة والبغضاء، كسب مالاً حرام، استغل ثقة الناس به، استغل الحرف العالية، جنى ثروةً طائلة، ولا أحد يشعر عليه.

إذا الطبيب اتفق مع مخبر، قال له ابعث لك ثمان تحاليل بتساوي الأول والسبعة مناصفة بيني وبينك، بيقدر مريض يكشفها هذه الطبيب موثوق لأنه إذا محامي يعلم علم اليقين أنه الدعوة خاسرة وأوهم الموكل أن الدعوة رابحة، وبدأ يأخذ منه أتعابه وقد مدد الدعوة إلى سنتين أو ثلاثة، هل الموكل يكشف ذلك ؟ أبداً ! هذه مهن راقية أساسها الثقة، من الذي سيحاسب عن هؤلاء ؟ رب هؤلاء، هو الإيمان كله خوف من الله، الإيمان كله أن تعلم أن هؤلاء عبيده، وأن الذي يدافع عنهم هو ربهم.

قال: سيدنا عمر بن عبيد العزيز، كان جالساً في مصلاه يبكي دخلت عليه زوجته فاطمة، قالت ما لي أراك تبكي، قال دعيني وشأني فلما ألحت عليه قال نظرت في الفقير الجائع، والشيخ الكبير، والأسير وابن السبيل، والمرأة الأرملة، والطفل اليتيم، والذي لا يجد طعاماً والمريض، فعلمت أن الله سيحاسبني عنهم جميعاً، وأن حجيجي دونهم رسول الله، فلهذا أبكي فدعيني وشأني

﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾

بالمناسبة أخوانا: في وهم مريح، وفي حقيقة مرة، الأحمق هو الذي يرتاح للوهم المريح، بقلك النبي يتشفع لنا اللهم صلي عليه بقلك أنا هيك سمعت من بعض المشايخ، أنه يسجد يقول له ربه ارفع رأسك يا محمد، يقول يا ربي لا أرفع رأسي حتى أشفع لأمتي، فيقول الله له اشفع تشفع، يلا فوتوا وخلصونا هي هي الشغلة كلها، هي الفكرة ساذجة، مريحة، مريحة جداً افعل ما تشاء، قالها اليهود

﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ﴾

(سورة البقرة: 111)

﴿ قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات ﴾

(سورة آل عمران: 24)

لن يعذبنا الله،

﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾

(سورة: المائدة 18)

فكل إنسان مقصر له أعمال سيئة يتعلق بأوهام، أوهام مريحة، وفي ألف فكرة بالإسلام غير صحيحة لكنها مريحة، غير صحيحة لكنها مريحة، الآن ما أكثر الكتب التي تألف، والتي يدعي مؤلفوها، أنهم يفهمون كلام الله فهماً عصرياً، وأن هذا الفهم الذي ما فهمه الصحابة الكرام يبيح لهم كل شيء، وأن من تخطيط اليهود في

العالم أن تألف كتب تربط السلوك الإباحي بالدين، يعني شيء مريح جداً، أنه تفعل كل الشهوات المحرمة، وأنت مغطى بالقرآن، والله شي مريح.

فتلاقي في كتاب في ضلالات يطبع أربع طبعات، ويوزع بمئات ألوف النسخ، مريح لأنه، وهم مريح.

الآن واحد معه شك مزور، بمائة ألف دولار، مريح إذا قلت له مزور يتألم، إذا قلت له ممتاز بتريحه، يا ترى الإنسان العاقل هل يقبل الوهم المريح ؟ أم الحقيقة المرة ؟ الحقيقة المرة، ابحث عن الحقيقة المرة، التي لا تجاملك، التي لا تغطي تصرفاتك، ابحث عن رجل لا يستحي منك، يجابهك بالحقيقة.

لذلك نحن ما مرضنا، تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاملنا بعضنا، فكل واحد يطلب السلامة، فلو أخوه ارتكب خطأ كبير يقره عليه، بالعكس ويثني عليه به، حتى يخلص من شره حينما يلغى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تنتهي خيرية هذه الأمة، قال تعالى:

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾

(سورة آل عمران: 110)

خيريتنا علتها، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فقدنا هذه الميزة، فقدنا الخيرية نحن إذاً كغيرنا من بقية الأمم.

لذلك أقول لكم هذه الكلمة أيها الأخوة: إن رأيت أن المجتمعات الإسلامية تعاني ما تعاني، تتألم أشد الألم، كلمتها في الوحول، إن رأيت هذا فقل هؤلاء الذين يدعون أنهم مسلمون، هان أمر الله عليهم فهانوا على الله، ولو عظمت أمر الله لكنت كريماً على الله ، لو عظمت أمر الله لكنت كريماً، ولكانت حياتك مقدسة، وكرامتك مقدسة ولك عزة لا تعدلها عزة.

لذلك محور هذا اللقاء السريع لا تقبل وهماً مريحاً، بكل دين في أوهام مريحة إلى ما شاء الله، ثلث ثلثين العالم يؤمن أنك إذا أمنت بالمسيح خلصك من كل الذنوب، فما عنده مشكلة أبداً، يأكلون المال الحرام، يشربون الخمر، يقعون في الفواحش، لأنه إن أمنت به سيخلصك، والله فكره مريحة، إن أمنت به فسيخلصك، وإن أمنت بشفاعة النبي فسيخلصك، وإن كنت من أهل الكتاب لن تدخل النار إلا أيام معدودات، ربنا قال:

﴿ تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾

(سورة البقرة: 111)

أجيب لك مثل أوضح، طالب كسول، سمع كلمة طائرة أن الأستاذ إذا إنسان قدم له هدية ثمينة يعطيه الأسئلة، قام ارتاح ما عد درس أبداً، قضى تسعة أشهر براحة التامة، وسهرات، وزيارات وسينمات، ولقاء مع أصدقائه، مرتاح الأسئلة جاهزة لأنه، عاش هذا الطالب بوهم مريح تسعة أشهر، فلما ذهب إلى بيت الأستاذ قبل الفحص بيومين ليعطيه الهدية ويأخذ الأسئلة، فصفعه على وجهه وطرده، هذه الحقيقة المرة، لو عرف الحقيقة المرة أول العام الدراسي كان درس، أما لأنه تعلق بوهم مريح انتهى، هذه حقيقة مهمة جداً .

إياك أن تستمع إلى درس من الدرجة الخامسة، أنه النبي يشفع لنا نحن مسلمين، والنصارى أمن بالمسيح فسيخلصك، واليهود لن ندخل النار، إلا أيام معدودات، فليهود اعتقدوا أنهم لن يبقوا في النار إلا أيام معدودات دون العشرة أيام، والنصارى أمنا بالمسيح فسيخلصنا ونحن أمنا برسول الله فسيشفع لنا هي أوهام مريحة، ما في التزام.

أما لو عرفت أن الله سيسألنا جميعاً،

﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾

(سورة الحجر: 92)

لو علمت أن الله يقول:

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾

(سورة الزلزلة: 7)

ولو علمت أن الله،

﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾

(سورة غافر: 19)

إذا طبيب أمامه امرأة يفحصها، تشكو له مكان في بطنها فنظر إلى مكان آخر، أي جهة في الأرض تكشفه، مسموح له أن يعالجها، وهي أمامه، ومكان الوجع يراقبه، فنظر نظرةً إلى مكان آخر لا تدعي أنه يؤلمها، اختلس نظرةً من يعلم هذه النظرة ؟ الله وحده الله قال:

﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾

هو يلي عما يحاسب.

فيا أيها الأخوة الكرام: لا تقبلوا وهماً مريحاً، بل ابحثوا عن حقيقة مؤلمة مرة، مرة قرأت كلمة عن بعض الكتاب، قال في كاتب قصة، تقرأ قصته تتثاءب وتنام، قصة تثير الشهوات السفلية، في كاتب كبير جداً تقرأ قصته فتبدأ متاعبك لا تنام أبداً، وضعك أمام مسئوليات، أيقظ فيك الشعور الإنساني، وضعك أمام الرسالة التي أناطك الله بها.

فالإنسان لا يقبل كلام فيه دغدغة للمشاعر، ما في دين إلا فيه أفكار تريح العصاة، وما في معصية إلا ولها فتوى، لها فتوى من الدرجة الخامسة، الآن هات لي أي معصية على الإطلاق، بقلك في فتوى للعالم الفلاني بالكتاب الفلاني تجيز ذلك، ما بقي شيء بالدين يعني ممكن تفعل أي شيء وأنت مغطى بالفتاوى، وممكن تفعل أي شيء وأنت مغطى بعقائد زائغة، لكن البطولة هو الذي يتحر العقائد الصحيحة ويتحر الحقيقة المرة، التي تدفعه إلى العمل، لا تثنه وأوضح مثل الطالب لما توهم أن الأستاذ يعطي الأسئلة ما عد درس فلما طلب من السؤال صفعه الأستاذ وطرده ورسب، أما لو عرفان الطالب من أول العام، أن الأستاذ نزيه، سيكون هناك امتحان نزيه وقوي، كان درس.

هذا معنى،

﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾

يعني الله عز وجل سوف يقصد إلى محاسبتنا عن كل حركةٍ، وسكنةٍ، ونفسٍ، وكلمةٍ وصلةٍ، وقطيعةٍ، وغضبٍ ، ورضاً، وطلاقٍ، وزواجٍ، وأكل مالٍ حرام، وأكل مال حلال، إلى أن يحاسبنا عن مثقال ذرة. إذا الإنسان عنده غرفة قبلية بالشتاء، ومفتوح النافذة القبلية وفايتة الشمس وكنس يطلع هباب، شايف هالبابة مالها وزن أبداً، بتم عالقة بالجو، تكشفها أشعة الشمس، مثل هذه من مثقال ذرة،

﴿ يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾

الآن في موازين تضع بورقة بيضاء وتزينها، وتكتب عليها كلمة محمد تطبش الكفة وزن الحبرات بكلمة محمد، ترجح الكفة هيك ميزان ربنا عز وجل، أما في موازين للسيارات حط عليه مائة كيلو ما يتحرك، هو مصمم للشحن، يزين عشرين ثلثين طن فحساسيته دون خمسمائة كيلو، أما في موازين، كلمة اكتبها على ورقة ترجح الكفة.

فميزان ربنا دقيق جداً وسيحاسب، وإذا أمنت أن الله يعلم وسيحاسب، وسيعاقب تستقيم على أمره.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-9) : تفسير الآية 31 ، الإنسان إما دون الحيوان أو فوق الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين: أيها الأخوة الكرام: آية البارحة:

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31)﴾

الثقلان هم الإنس والجن ، وحينما قال الله عز وجل:

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾

(سورة الأحزاب: 72)

الخلائق على أصناف ثلاث ، أو على أصناف أربعة ، جمادات وحيوانات ، وملائكة ، وبشر.

فالبشر: ركبوا من عقل وشهوة.

والملائكة: ركبوا من عقل بلا شهوة.

والحيوانات: ركبوا من شهوة بلا عقل.

فالحيوان غير مكلف ، مع أنه يعيش لشهوته لكن دون أن يؤذي أحداً.

والملك غير مكلف ، مع أنه اختار تسبيح الله عز وجل.

إلا أن الإنسان في نفخة من روح الله ، وقبضة من تراب الأرض ، ففيه شهوات ، وفيه عقل ، فإن سمى عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة ، وأن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان والإنسان ما في حل وسط ، والدليل قوله تعالى:

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾

(سورة البينة: 7)

أي خير ما برء الله ،

﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴾

(سورة البينة: 6)

فالإنسان يتأرجح بين أن يكون فوق الملائكة ، وبين أن يكون دون الحيوان ، إذا غلبت شهواته على عقله كان دون الحيوان ، وإذا سمى عقله على شهوته كان فوق الملائكة ، لأن الملائكة ما في عندهم شهوات يصترعون معها ، والحيوانات ما في عندهم عقل يحتكمون إليه فالحيوان غير مكلف ، والملك غير مكلف ، الإنسان وحده مكلف ،

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾

(سورة الأحزاب 72)

تقريباً من باب التوضيح ، أب عرض على أبنائه عرضاً ، لك أن تبقى في المحل ولك معاش ثابت ، وبيت، وزوجة ، أما إذا أردت أن تطلب العلم ، وأن تأتي بدكتوراه ، أكتب لك خمسمائة فدان ، أو خمسمائة دنم ، عطاء مذهل ، فهذا هذا الابن إذا اختار العطاء الكبير مع الجهد الكبير ، في جهد وفي عطاء ، فإذا ذهب إلى بلاد الغرب ولم يدرس ، وعاد بلا شهادة ، وأمضى الوقت في انحرافات أخلاقية ، كان أخوته الذين أبوا أن يحملوا هذه الأمانة فوقه ، أما إذا عاد كما أراد الأب يحمل هذه الشهادة كان فوقهم ، ما عد في حل وسط.

نحن من بني البشر ، حملنا الأمانة ، فإما أن نكون بها فوق الملائكة ، وإما أن نكون دون الحيوانات. لذلك قال الله عز وجل:

﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾

من هم الثقلان

﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾

الشيء الذي يلفت النظر ، أن الله عز وجل قال:

قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون

﴿ بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾

(سورة الإسراء: 88)

بدأ بالإنس ، أما هنا بدأ بالجن ،

﴿ يا معشر الجن والإنس ﴾

قال علماء التفسير: بدأ هنا بالجن لأن الجن هنا أقدر على قطع المسافات، وبدأ هناك بالإنس لأن الإنس أقدر من الجن على صياغة الكلمات.

مثلاً قال تعالى:

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾

(سورة النور: 2)

بدأ بالزانية لأنها سبب الزنى ، تغري الرجال بثيابها ، بمشيتها بكلامها ، بتفلتها ، أما السرقة ، قال:

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾

(سورة المائدة: 38)

بدأ بالسارق لأنه أقدر من السارقة على السرقة ، وبدأ بالزانية لأنها هي التي تسبب حالة الزنى هنا:

﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾

الإنسان كما يدعي المتألهون أنه غزى الفضاء ، والشيء الذي يضحك ، أن الإنسان حينما وصل إلى القمر، ماذا قطع من أقطار السماوات والأرض ؟ قطع ثانية ضوئيةً واحدة ، ثانية ضوئية ، هذه المركبة أبولو ثمانية، كلفت أربع وعشرين ألف مليون دولار ، أربع وعشرين ألف مليون دولار ، من أجل أن تتوفر الحياة لشخصين على سطح القمر ، البدلة التي ارتداها الفضائي ثمنها سبعة عشر مليون دولار ، لا يستطيع رائد فضاء أن يخاطب زميله بالهواء ، ما في هواء لأنه ، لابد من جهاز لاسلكي وهو إلى جانبه ، لا يقدر أن يحكي ، فهذه الرحلة كلفت أربع وعشرين ألف مليون ، ماذا قطعوا ؟ وهذا المبلغ أخل بالتوازنات بالعالم المالية يعني كان في سعر ثابت ، تعوم سعر الدولار ، ودفعت الدول المتخلفة والفقيرة أثمان باهظة ، حينما ذهبت هذه الرحلة ، الآن في رحلة أخرى إلى المريخ ، المريخ من أقرب النجوم للأرض ، لو أخذنا أبعد نجم، أبعد نجم على الإطلاق بالمجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة ، أقرب كتلة في السماء للأرض هي القمر ثانية ضوئية أبعد نجم المتعلق بالمجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة ، أقطار السماوات والأرض لا يعلموا إلا الله ، يعني بعض المجرات تبعد عنا ثلاث ألف بليون سنة ضوئية ، وهذه ليست أقطار السماوات والأرض، يعني من سابع المستحيلات ، أن الإنسان يخرج من المجموعة الشمسية ، وصل للقمر وللمريخ ، والنفقات التي دفعت من أجل هاتين الرحلتين فوق طاقة البشر ،

﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا . ﴾

تنفذوا أي تخترقوا ، القطر الخط الواصل بين طرفين ، هذا القطر ، قطر الدائرة ، قطر الأرض من أقصى مكان باليابسة ، إلى أقصى مكان باليابسة ، من أقصى مكان لأقصى مكان يتعامدان في مكة المكرمة ، مكة المكرمة وسط هندسي للخمس قارات.

فلذلك الله عز وجل يقول:

﴿ فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾

بعضهم قال سلطان العلم ، وبعضهم قال سلطان الله عز وجل ،

﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾

المركبة الفضائية حينما تلامس الغلاف الجوي تصبح كتلة من اللهب ، الاحتكاك الغلاف الجوي يجعلها تلتهب ، لذلك محاطة بمادة عازلة تمنع احتراقها ، أمين.

قضية الفضاء علم البشر كلهم ، منذ أن ظهر العلم وحتى الآن ملخص في هذه المركبة ، رياضيات ، فيزياء، كيمياء ، فلك ، طب زراعة ، كل علوم الأرض مجموعة في هذه المركبة ، من أجل توفير حياة لإنسان يومين أو ثلاثة على سطح أقرب كتلة إلى الأرض وهي القمر ، فهذه أيضاً آية من آيات الله الدالة على عظمته ،

﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان.﴾

في بالفضاء الخارجي ثقوب سوداء ، ما هو الثقب الأسود ؟ منطقة فيها ضغط عالي ، هل تصدقون أيها الأخوة: أن الأرض إذا دخلت إلى هذا الثقب ، كلام دقيق جداً ، يغدو حجمها كحجم البيضة ، مع الوزن نفسه ، الأرض بكاملها ، والدليل ، أن هناك نجوم من هذه النجوم ، نجم النتروني ، كان حجمه بحجم الشمس دخل ثقباً أسوداً فصار حجمه كحجم القمر ، وفي نجم كان حجمه بحجم الشمس فصار قطره أربعة عشرة ألف كيلو متر فقط ، الأرض لو دخلت إلى هذا الثقب لأصبحت كالبيضة مع الوزن نفسه. ففي بالفلك حقائق مذهلة ، فالإنسان كيف يعصي الله ؟ هذا الكتاب ،

﴿ تنزيل رب العالمين ﴾

(سورة الشعراء: 192)

الذي خلق العوالم كلها ، هو الذي نزله على محمد صلى الله عليه وسلم ،

﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا ﴾

لا تفذون بقدراتكم الذاتية ، لا تنفذون إلا بسلطان. إما هذا سلطان من الله عز وجل، أو إذا أمنتم القوانين التي قننها الله والسنن التي سنها الله ،

﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾

طبعاً هذه السورة بأكملها تتحدث عن الإنس والجن ، وكيف أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون ليكون دليلاً على عظمته وعلى قدرته ، والله جل جلاله يقول:

﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾

(سورة الطلاق: 12)

فصار الكون بمجموعه أوسع باب تدخل منه على الله وأقصر طريق تصل به إلى الله ،

﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾

(سورة آل عمران : 190 ـ 191)

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-9) : تفسير الآيات 46 – 77 ، أمور الإخبارية يعجز العقل عن إدراكها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وبعد:

تمهيد :

أيها الأخوة الكرام:

سورة الرحمن في معظمها، وصف لحال أهل الجنة، قبل أن نقرأ هذه الآيات، وقبل أن نشرحها، لابد من حقيقة أضعها بين أيديكم، وهي أن كل شيء متعلق بالجنة والنار، والدار الآخرة، والجن والملائكة، والصراط، والحوض، والعرش والكرسي، هذه الموضوعات كلها موضوعات إخبارية لا يستطيع العقل أن يثبتها بذاته. يعني معلومات مبنية على حقائق سابقة.

أنت حينما أمنت بالله عز وجل إيماناً تحقيقاً أساسه العقل، أمنت بالله من خلال هذا الكون الذي ينطق بوجوده وينطق بوحدانيته وينطق بكماله.

ثم حينما أمنت بالله، أمنت بأن هذا القرآن الكريم الذي بين أيدينا هو كلامه، بدليل إعجازه عن طريق العقل.

وأنت حينما أمنت بأن محمد صلى الله عليه وسلم هو رسوله، بدليل القرآن الذي أنزل عليه.

عن طريق العقل الإيمان بالله، وعن طريق العقل الإيمان بكتابه، وعن طريق العقل الإيمان برسوله، وانتهى دور العقل، وجاء دور النقل.

هذا الكتاب الذي ثبت عندك أنه كلام الله من خلال إعجازه، والذي ثبت عندك أنه أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، من خلال هذا الكتاب، أخبرك عن الجنة، أخبرك عن النار، أخبرك عن الجن، أخبرك عن الملائكة، أخبرك عن يوم الحساب، أخبرك عن الحوض، أخبرك عن الصراط، أخبرك عن عرش الله، أخبرك عن الماضي السحيق، أخبرك عن المستقبل البعيد، أخبرك عن صفات الله وذاته، هذه موضوعات إخبارية، لا تستطيع أن تخضعها للعقل، لأن العقل حصان ركبته إلى قصر السلطان، فلما وصلت باب القصر دخلت وحدك وتركت الحصان على باب القصر.

الآن :

لو أنه واحد سألك هل عندك ما يثبت أن هناك جنة ؟

عندي ما يثبت بالدليل الإخباري، لا بالدليل العقلي.

العقل متعلق بالمادة، العقل يرى كأس ماء، يقول هذا الكأس فيه ماء صافي، وبارد، عن طريق النظر، بخار الماء، إذاً الماء بارد، وعن طرق الحمل الوزن، وعن طريق اللمس، فالعقل يحتاج إلى حواس، فأي حقيقة لا تدركها الحواس، العقل في معزل عنها، والذي يُعمل العقل في موضوعات إخبارية، يقع في متاهات لا نهاية لها، وأكبر خطأ يقع به المسلمون حينما يأتوا بقضية إخبارية، يضعونها تحت مشرحة العقل، فالعقل لا يصل إلى شيء، هذا الكلام قدمته لأبين لكم أن أي زيادة على النص الإخباري، زيادة ظنية ولا معنى لها.

فالذي قاله الله عن الجنة، هو ما ذكره الله فقط، ولحكمة بالغة الله عز وجل ذكر هذا النص دون زيادة، فأنا لا يحق لي أن أزيد على شيء ذكره الله عز وجل، لا أزيد ولا أنقص، ولا أفصل، ولا أشرح، هذه آيات إخبارية، أخبرنا الله فيها عن حال أهل الجنة.

لكن في نقطة دقيقة جداً الآن، لو أن قصراً في رأس جبل فيه كل شيء كل ما تشتهيه الأنفس، من طعام، وشراب، وحدائق، ومناظر، وفرش فخم، وهذا القصر لمن يصل إليه، ورجلان في الطريق إلى القصر، هل يصح منهما أن يختلفا على ما في القصر، وأن يقفا في الطريق، نقول هذا عمل ليس ذكياً، ما دام هذا القصر لمن يصل إليه، فأنت أنفق الوقت في السير إلى هذا القصر، وإذا دخلت القصر رأيت كل شيء، وأنت بغنى عن هذه الخصومة.

أي لا يمنعني على أن أسير إلى الآخرة موضوعات إخبارية، يا ترى الجنة هناك حور عين، حور العين يا ترى أصلهن بشر، من النساء لما مخلوقات خاصة، والله ما بعرف يا أخي، هذا موضوع إخباري لأنه، ما في نص يؤكد ذلك، فينشأ مليون سؤال في القضايا الإخبارية، ولا لها جواب، ومهما كنت في أعلى درجة من درجات العلم.

الآن أنت قاعد بجامع، في حواس خمس لك، ترى في مصابيح متألقة، تراها بعينك، تحكم بعقلك أنه في كهرباء بالمسجد، ترى مثلاً صوتك يكبر، معنى في جهاز تكبير صوت، يعني أي شيء، إما بالصوت أو بالصورة، أو باللمس، الطاولة ناعمة، عن طريق اللمس، هي الحواس، أما لو سألتني عن غرفة مقفلة في هذا المسجد ما في داخلها أقول لك لا أعلم ! مهما كنت ذكي، مهما كنت عاقل، مهما كنت ألمعي، مهما كنت

عبقري، مهما كنت وحيد عصرك، هذا موضوع غيبي، لا أعلمه إلا إذا أخبرتني عنه، ما في طريقة ثانية.
لذلك أخونا الكرام: إذا ناقشتم أعداء الدين، إذا ناقشتم الطرف الآخر قال لك بدي دليل على الجن، قول له ما في دليل، في دليل إخباري، الله أخبرنا، فإذا أنت ما صدقت الله عز وجل ارجع وأعد إيمانك بالله، نحن بعد ما أمنا بالله، خالقاً مربياً، مسيراً، موجوداً، واحداً، كاملاً، بعد أن أمنا بهذا القرآن كلام الله عز وجل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، عن طريق إعجازه، بعد أن أمنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بأن القرآن أنزل عليه، الآن انتهى دور العقل، وبدأ دور النقل، الله أخبرنا عن الجنة، قال في حور عين، قال في ولدان مخلدين، قال في جنات تجري من تحتها الأنهار، قال في فواكه وهم مكرمون، هي كلها موضوعات الله أخبرني عنها، دليلها أنها وردت بالقرآن فقط، لكن ما في دليل عقلي لها، العقل لأنه متعلق بالحواس، لو رأيتها رأيت صورتها، سمعت صوتها، تتكلم.

الجنة وأحوال المؤمنين.

فربنا عز وجل يقول:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾

[سورة الرحمن الآيات : 46-56]

وأجمل ما في المرأة أن تقصر طرفها على زوجها، فلان أطول منك، فلان أجمل منك، هذه تزعج الزوج .

﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

[سورة الرحمن الآيات : 56-61]

هذه الجنة خمس نجوم، في أربعة هذه للسابقين، الآن أصحاب اليمين، قال :

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾

هذه مستوى عالي كثير .

﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان، مدهامتان ﴾

واحد قال صلى التراويح وقالوا له بدك تقرأ أقصر آية، مستعجلين، قام قرأ الفاتحة قال: مدهامتان، قال الله هو أكبر، كلمة وحدة، قال له: مدهامتان بركعة وحدة ؟ معقول.

﴿ مدهامتان، فبأي آلاء ربكما تكذبان شوف، فيهما عينان نضاختان ﴾

بير، هناك تجريان، هذه الأربع نجوم، الخمسة، عينان تجريان، أما الأربعة.

﴿عينان نضاختان ﴾

بدها تسحب الماء.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، فيهما فاكهة ونخل ورمان مو من كل فاكهة زوجان ﴾

لا!!!

﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾

محدد، يعني كمية محددة، وأنواع محددة،

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان، فيهن خيرات حسان، فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾

حور مقصورات في الخيام، فبأي آلاء ربكما تكذبان، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان، في سابقين، سابقين، وفي أصحاب اليمين، وهؤلاء ناجون إن شاء الله عز وجل، وفي أصحاب الشمال، السابقون، السابقون هؤلاء باعوا وقتهم كله، أعطوا ما لهم كله، وقتهم كله، جهدهم كله، خبرتهم كلها أعطوها لله.

قال يا سيدي كم الزكاة ؟ شيخ عارف بالله، قال عندكم أم عندنا ؟ قال سبحان الله، ما عندكم وما عندنا ؟ ليش كم دين في ؟ قال له عندكم اثنان ونصف في المائة، أما عندنا العبد والمال لسيده، هذا معنى قوله تعالى:

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾

[سورة التوبة الآية : 111]

يلي وقته كله وإمكاناته كلها وكل شيء بحياته، موظف للحق هذا من السابقين، له خمس نجوم يلي يعمل ويرتاح، ويؤدي الصلوات الخمس، يغض بصره، دخله حلال مستقيم ، مقتصد، بصلي الجمعة، يحضر مجلس علم، ما يكذب، ما يغش، ما له معصية، بس ما له عطاء، يعني عايش لذاته، ومتوسع في المباحات، هذا ناجي لكنه من أصحاب اليمين، طيب يا أخي ما عما نشوفك، والله يا أخي أنا آخذ بيت

بالمصيف، لغى الدروس كلها، قاعد بالزبداني، مبسوط، مكيف، يعني مرتاح تمام، مو حرام إياكم أن تفهموا حرام، بس يعني راحته فوق كل شيء، راحته، وبيته، وترتيباته، وطعامه، وشرابه، ووقت نومه، بيندق الباب بقول له مو هون، نايم ما بقوم مشانك، هذا من أصحاب اليمين، هذا ناجي، لكن أخذ أربع نجوم، مو خمس نجوم، مو من كل فاكهة زوجان، نخل ورمان بس، مو عينان تجريان، نضاختان، اسحاب، في فرق، فكل شيء بحسابه يا أخوان.

﴿ والسابقون السابقون، أولئك المقربون، في جنات النعيم ﴾

[سورة الواقعة الآيات : 10-11]

في إنسان باع نفسه، أصحاب رسول الله، ناس لازموه ليلاً نهاراً افتدوه بأرواحهم، وناس شافوه بالعمر مرة، أسلموا، وعاهدوا، ورجعوا إلى بلادهم، تجارة، وبيع، وشري، عايشين، فالذي يعيش لذاته، ويتوسع في المباحات، هذا من أصحاب اليمين و ناجي، يا ليت نصل كمان.

أما الذي أعطى ربه كل شيء، أعطاه وقته وماله وجهده، السيدة امرأة عمران.

﴿ إني نذرت لك ما في بطني محررا﴾

[سورة آل عمران الآية : 35]

يعني نحنا مثلاً بس للدردشة، الثانويات الشرعية، إذا واحد أبنه ما نجح بعلامات عالية، ما صح له عام، حطه بالشرعية، بطلع عالم بقلك، ما بطلع عالم، هذا أبنك كسلان حطه بالشرعية، مو لأنه بطلع عالم، قاموا طالعوا قرار جديد، إذا الواحد ما جاب علامات العام، ما في شرعية أمامه، حدثنا أحد أخوانا بالأوقاف، القطر كله صار في خمس طلاب، لأنه أبنه جاب علامات عالية دخله عام، ما بدو ياه بدو ياه طبيب، ما قدم أبنه لله، كم إنسان بقدم أبنه داعية، يطلب العلم، إذا كان متفوق على الطب، بدو إياه طبيب، بدو إياه بورد معه، ما بدو إياه عالم أما البطولة، يأخذ أبنك 250 بالكفاءة، بدخله شرعية، إني نذرت لك ما في بطني محررا، ما يتحمل أب ودخله كبير، يطالع أبنه عالم شرع، بقلك يهمني مستقبله، أي مستقبل، يريد له مستقبل دنيوياً، أصحاب اليمين هكذا، هؤلاء ما عصوا الله، دخلهن حلال، إنفاقهن حلال، جوارحهن مضبوط، بيتهن إسلامي ما عصوا الله، لكن عاشوا لذواتهم، وتوسعوا في المباحات، فاستحقوا الدرجة الثانية، الأربع نجوم، أو ثلاثة يجوز تكون ثلاثة، ما بعرف.

أما أصحاب الشمال عندو نجوم الظهر، شغلة ثانية هديك، هؤلاء سوف يرون النجوم ظهراً، بعد الموت، بالواقعة السورة بعد منها.

﴿ فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم، وأما إن كان من أصحاب اليمين، فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾

[سورة الواقعة الآيات : 88-91]

الآن بالجامعة، في ناجح مقبول، دفش، 48 أعطوا 2 صار 50، بس في امتياز، في شرف، في جيد جداً، في جيد، في فوق الوسط، وفي مقبول، أصحاب اليمين الدرجة مقبول، دفش ماشي الحال، أما السابقون السابقون هؤلاء مرتبة الشرف الأولى هنا في نقطة، إذا الواحد قبل أن يكون من أصحاب اليمين، لا يصلها، دقيقة الفكرة، إذا قبل أن يكون من أصحاب اليمين لا يصلها، إذا كان طمح أن يكون من السابقين يمكن يصل لأصحاب اليمين، هذه بالدنيا مطبقة، قال لك أنا بس بدي أنجح فقط، بس تنجح ما بتنجح، بدك تنوي تأخذ درجات عالية مشان تنجح بدك تخلي هامش أمان، فإذا الواحد قبل بأصحاب اليمين، يكون وراء الباب يمكن ما يفوت، يبقى بره، أما إذا كان طمح أن يكون من السابقين، وصار في تقصيرات، لحق أصحاب اليمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-9) : تفسير الآية 78 ، ذو - ذي - الجلال -الإكرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الأخيرة من سورة الرحمن وهي قوله تعالى:

﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)﴾

أولاً: قد يسأل سائل قوله تعالى:

﴿ كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾

(سورة الرحمن: 26 ـ 27)

هنا، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام، لماذا الآية الأولى، ذو ! وهذه، ذي !.

العلماء قالوا: هناك في الكون جوهراً وعرض، العرض صفة زائلة ليست في أصل الموصوف، أما الجوهر هو أصل الموصوف، فربنا عز وجل حينما قال: ويبقى وجه ربك، الوجه ذات الله عز وجل، إذاً:

﴿ ذو الجلال والإكرام، ويبقى وجه ربك ذو الجلال ﴾

أما هنا، تبارك اسم ربك، الاسم ليس جوهراً عرضاً إذاً: ذي تعود على ربك.

﴿ كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ﴾

المضاف إليه مجرور، والمضاف مرفوع، فجاءت ذو صفة للمضاف.

أما هنا

﴿ تبارك اسم ربك ذي ﴾

الاسم ليس جوهراً بل هو عرض، إذاً تأتي ذي تابعة لربك أما الوجه ذات الله عز وجل، إذاً تأتي ذو تابعة للوجه، هي واحدة.

الشيء الثاني في خبراتنا نحن، قد تلتقي بإنسان تعجب به أشد الإعجاب لكنك لا تحبه، متفوق في اختصاصه، لئيم لكن فهمان، قد تجد طبيب بأعلى مستوى، معاملته في منتهى القسوة، فأنت تعجب به ولا تحبه، وقد تكون لك أم طيبه، صالحه لكنها غير متعلمة، وأنت معك دكتوراه، تحبها ولست معجبٌ بعلمها، إنسانة تحبها، تملئ قلبك محبة، لكنك لست معجبٌ بعلمها، إنها غير متعلمة، أنت متعلم، مثقف، وقد تجد

إنسان في أعلى درجة العلم، لكن معاملته قاسية جداً، لا تحبه، أما أن تلتقي بإنسان بقدر ما هو عالم، بقدر ما هو كامل هذه في الأنبياء فقط، لو التقيت بنبيٍ، تأخذ بعلمه، ودقة فهمه، وفطانته، وسرعة إدراكه، ولفتاته الذكية، وتأخذ مرة ثانية بطيبة، وتواضعه، وحبه وتسامحه، وكماله، وفهمه، وإنصافه، إذا الإنسان أحيان، يعجب بصفة دون أن يعجب بأخرى.

ربنا عز وجل، يمكن ولله المثل الأعلى، يمكن، أن نقسم صفاته، أسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى، إلى زمرتين.

زمرة أساسها القوة: قوي، جبار، متكبر، علي عظيم، القاهر فوق عباده، فعالٌ لما يريد.

وزمرة ثانية: رحيمٌ، ودودٌ، لطيفٌ، مجيدٌ، عفوٌ، غفورٌ، كريمٌ.

فكل صفات الكمال، مجموعة بالإكرام، وكل صفات القوى مجموعة بالجلال،

﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾

قويٌ كريم، عظيمٌ رحيم، عليٌ كريم.

فا هذا معنى قول الله عز وجل:

﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾

يعني أنت بقدر ما تحبه تعظمه، وبقدر ما تعظمه تحبه.

أحياناً تسأل، من مدير هذه الدائرة ؟ من مدير هذه المستشفى ؟ من مدير هذه الثانوية ؟ من مدير هذه الجامعة ؟ يقال لك فلان، هو الآن بيده الأمر، يا ترى صالح، مستقيم، نظيف يده نظيفة، قراره سليم، عادل. ربنا عز وجل مرة ثانية، ولله المثل الأعلى، قال:

﴿ له الملك وله الحمد ﴾

(سورة التغابن: 1)

الملك بيده، لكنه يحمد، أنت قد تجد هذه المدرسة، مديرها فلان بيده السلطة، لكنك لا تحمده، وقد تحمد في هذه الثانوية، موظفاً بسيطاً لكنه لا يملك شيئاً، أنت في حياتك الدنيا، قد تعجب بطيب إنسان، لكنه ضعيف، وقد تعجب بقوة قوي، لكنه غير كريم.

فاجمع الصفات الكاملة من قوة إلى كمال، من ملك إلى حمد، من جلال إلى إكرام، من فعال لما يريد إلى أرحم الراحمين، هذا الجمع، بين صفات القوة وصفات الكمال، هذه الصفات تبدو واضحة في هذه الآية. لذلك هذا الذي لا يحب الله عز وجل، أجهل الجهلاء، الإنسان عقل يدرك وقلب يحب، وجعل الله العقل أميراً على القلب، جعل الله العقل أميراً على القلب، قال: أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً، أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً.

مرة ضربت مثل، يعني فيه طرافة المثل، إنسان وضعنا أمامه، أنا رأيت جوهرة في أستنبول، في المتحف، ثمنها مائة وخمسين مليون دولار، 150مليون دولار مو سوري، مو ليرة تركي، دولار، لو وضعنا أماك هذه الجوهرة كالبيضة تماماً، وإلى جانبها كأس ماء كريستال، حقه ألف ليرة، وإلى جانبها قطرميز أزرق كبير، حقه عشرين ليرة، وقلنا لك أختر من هذه الأشياء واحدة فاستكبرت القطرميز، هل أنت عاقل، أبداً، هو مثل مضحك، وفي الحقيقة الذي يختار الدنيا، يختار زينة الدنيا، يختار بيت فخم من الحرام طبعاً، يختار تجارة ببضائعه محرمة، يختار أن يأكل مال الناس بالباطل، هذا أختار أقل ما في الدنيا، وضيع الجوهرة، ضيع الآخرة، لذلك أشد الناس شعور بالألم عند الموت، الذي خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة،

﴿ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾

(سورة الزمر: 15)

هذا الذي خسر نفسه وخسر الآخرة هو الخاسر الأكبر، بس متى يعرف هذا، الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا، حينما يكشف الغطاء،

﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾

(سورة ق: 22)

يعني إذا إنسان بساعة غفلة، بساعة غيبوبة، إنسان وقعه على ورقة بيضة، وكتب فيها عقد بيع بيت حقه خمسين مليون، بخمسة آلاف، ثم صحح، ثم أدرك أنه ضيع شيء ثمين، بثمن بخس، ألا يشعر أن الألم يعتصر قلبه ؟ هذا الذي يضيع الآخرة بعرض من الدنيا قليل.

فيا أيها الأخوة الكرام:

﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾

أما تبارك الخير الكثير، في حديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام: استقيموا ولن تحصوا، استقيموا ولن تحصوا الخيرات، خيرات مادية، خيرات معنوية، خيرات نفسية، خيرات اجتماعية، خيرات علمية، خيرات مالية، فاستقيموا ولن تحصوا.

لأن ربنا عز وجل: تبارك اسم ربك، الخير كله من الله، والشر ليس إليك يا رب، الخير كله منك، والشر ليس إليك، هذه عقيدة المسلم، ختمت بها هذه السورة الكريمة، سورة الرحمن في قوله تعالى:

﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (9-9) : تفسير الآيات 1-4 ، تطبيق منهج الله تعالى والسَّيْر عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون، في سورة الرحمن، الآية الأولى قال تعالى:

﴿ الرَّحْمَانُ(1)عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2)خَلَقَ الإنسَانَ(3)عَلَّمَهُ الْبَيَانَ(4)﴾

[الرحمن: الآية 1-4]

ترتيب الآيات الآيات يتَّضِحُ أنَّ الله تعالى عَلَّم القرآن ثمَّ خلق الإنسان وهذا التَرْتيبُ لا يسْتقيمُ عَقْلاً، يُعَلَّم القرآن ثمَّ يُخلق أم يُخْلق ثمَّ يُعَلَّم القرآن ؟ قال علماء التفْسير ليس هذا الترتيب تَرْتيباً زَمَنِياً بل هو تَرْتيبٌ رُتَبيّ بِمَعْنى أنَّ وُجود الإنسان من دون منْهَجٍ يسير عليه لا معنى له، وحينما يطَّلعُ الإنسان على المُجْتمعات الأُخْرى التي لا منْهج لها ولا قلْبَ يُقَيِّدُها حُرِّيَّةٌ مُطْلقة تُؤدي إلى الكآبة والأمراض النَّفْسيَّة إنَّ القُيود التي يُقَيِّدُنا بها الشَّرْع هي ضمانٌ لنا، وليسَت حداً لِحُرِّيَّتنا ضمانٌ لِسَلامتنا، نحن في حياتنا لنا الحلال والحرام وما يجوز وما لا يجوز هذا يُرْضي الله وهذا لا يُرْضي الله، مادام هناك منْظومة قِيَم نسير من خِلالها إذاً هناك ضمانات لِسلامتنا، الأسرة تسْتَمِرّ إلى نهاية الحياة، أما الأُسَر في المُجتمعات التي لم تُؤمن بِمَنْهَجٍ تسير عليه بل آمنتْ بِحُرِيَّة الإنسان المُطْلقة لا تسْتَمِرُّ أكثر من سَنَتَيْن ! ثمَّ تتفرَّق، نِصْفُ نِساء هذه الدُّوَل يَعِشْنَ وحْدَهُنّ لأنَّ الحُرِيَّة المُطْلقة التي نالَتْها المرأة أصبحت لا تُحْتمل والحُرِيَّة المُطلقة التي نالها الشاب أصبح لا يُحْتملُ بها لذلك لم يبق شابٌ مع والِدَيْه، ولا امرأةٌ مع زَوْجِها ! ولا نعرفُ قيمة مُجْتمعاتنا الدِّينيَّة والإسلامِيَّة التي فيها ضوابط وخُطوط حمْراء، وفيها أشْياء ممنوعة والأخرى مسْموحة، وأشياء تجوز وأخرى لا تجوز لأنَّ هذا المنهج من عند الخالق الخبير، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14)﴾

[فاطر: الآية 14]

لذلك الإمام الشافعي قال: من لم يُعْهَد منه سَفَرٌ، لم يُعْهَد منه عِلْمٌ فالإنسان لا يعْلمُ إيجابِيات حياته ومَيِّزات حياته ومنهجه الإسْلامي إلا إذا رأى منْهجاً آخر وتَفَلُّتاً شديداً.

أيها الإخوة الكرام، الشيء الذي ينبغي أنْ يُقال هو أنَّ منهج الإسلام منهج عِلْمي بِمَعنى أنَّ كُلَّ مُقَدِّماته تُؤدي بالضرورة إلى نتائِجه، كيف أنَّك إنْ أمْسَكْتَ النار تحْتَرِقُ أُصبعُك ؟! فاحْتِراق الأصبع نتيجةٌ لِسَبب حَتْمي وهو مَسُّ النار، فَمَنْهَجُ الإسْلام - والله أعلم - منهجٌ عِلْمي، فأيَّةُ جِهَةٍ في الأرض لو أخَذَتْ بهذا المنهَج قَطَفَتْ ثِمارها، وأيُّ جِهَةٍ في الأرض ولو والَتْ هذا المنهَج، ولم تأخذ به تدفَعُ الثَّمَن باهِظاً ؛ منهَجٌ

عِلْمي لو أنَّ عَدُوَّ هذا المنْهج أخذ به لَقَطَفَ ثِمارَهُ، ولو أنَّ أصْحاب هذا المنهج قَصَّروا في تطْبيقِهِ لَدَفَعوا الثَّمَن، هذا كلامٌ دقيق، أيْ أنَّ كُلَّ الإيجابِيات التي يُمْكن أنْ توجد في المُجْتمعات الأُخرى، هذه الإيجابيات أساسها آيةٌ أو حديث أُكْتُشِف لا عن طريق الوَحْي ولا عن طريق طاعة الله عز وجل، ولكن عن طريق العَقْل وَحْدَهُ ؛ العَقْلُ هداهُم إلى قاعِدَة إذا طَبَّقوها قطفوا ثِمارَ جُهْدِهم وهي تُمَثِّلُها آيةٌ أو حديث، لذلك المُسلمون مُقَصِّرون في معْرفة قيمة منْهَجِهم، شيءٌ لَفَت نَظَري أنَّ صناعَةً مُتأخِّرة عن صناعة اليابان هناك فأرْسلوا وُفود إلى اليابان لِيَبْحثوا عن سِرِّ تَقَدُّم السيارات عندهم ؛ درسوا واجتمعوا وحَلَّلوا ووازنوا وقرَّروا فَوَجدوا أنَّ الأمر لا علاقة له بالتِّكْنولوجْيا ولا بِمُسْتوى الخِبْرة، إنما له علاقة بالنواحي الاجتماعية، فالعامل في اليابان يأكل مع مُديرِهِ، ومُديرهُ يعيشُ مع العُمال، ليس هناك حُدود وفواصل بين هذا وذاك، فهذا الانْدِماج، وهذه المَعْنَويات العالِيَة للعُمال جَعَلَهُم يُتْقِنون صناعتهم، وهذا الأخير رَوَّج بِضاعَتَهُم فَسَبَق البِضاعة الأُخرى، فلما النبي عليه الصلاة والسلام قاتل: وعليَّ جمْعُ الحطب وكان بين أصْحابِهِ كواحدٍ منهم لم يتميَّز عليهم إطْلاقاً، فلما قالوا له: نَكْفيك ذلك قال: أعلم أنَّكم تكْفونني ذلك ولكنَّ الله يكْرهُ أنْ يرى عَبْدَهُ مُتَمَيِّزاً على أقْرانه ؛ فهذا من ديننا أنْ يعيشَ ربُّ العَمَل مع عُمالهِ، وأنْ يُزيل الفوارق بينهم، وأنْ يعيشَ معهم وكأنَّهُ واحِدٌ منهم، يرْفَعُ معْنَوِياتِهم، ويبُثُّ فيهم الطمأنينة فيهم، هذا ينْعَكِسُ إتْقاناً في عملِهِم، وإتْقانهم ينْعكِسُ رواجاً للبضاعة، فحينما يأخذون هذه القاعدة ويُطَبِّقونها على صناعاتهم من أجْل رواج بِضاعتِهم، هذه قاعِدَة إسْلاميَّة، لما كان عليه الصلاة والسلام قُبَيل معركة بدْر، الرواحل ثلاث مائة والأصْحاب ألف، فقال: كُلُّ ثلاثة على راحِلَة، وأنا وعليٌّ وأبو لُبابة على راحِلَةٍ واحدة، فلما جاءَ دَوْرُه في المَشْي صلى الله عليه وسلَّم تَوسلاه صاحِباهُ أن يبْقى راكِباً فقال: لا، ما أنتم بِأقْوى منِّي على السَّيْر، ولا أنا بأغنى منكم على الأجر، ما رأيْتُ إيجابِيَّة في هذه المُجْتمعات تلْفِتُ النَّظر إلا أساسها آيةٌ أو حديث، فكأنَّهُم حاربوا منْهَجَنا وطبَّقوه فقَطَفوا ثِمارهُ، ونحن دَعَوْنا إليه وقَصَّرْنا في تطْبيقِهِ فَدَفَعْنا الثَّمن باهِظا لأنَّ منْهج الإسلام منهجٌ موْضوعي، وكُلُّ من أخذ به يقطفُ ثِمارَهُ، ولو أخذ به العَدُوّ، فآنَ للمسلمين أن ينتبِهوا لهذا المنهَج الذي بين أيْديهم، ولهذا القرآن العظيم الذي فَتَحوا به أطْراف الدنيا، آن لهم أن يتعاوَنوا لا أن يتنافسوا، الشيء الذي يُؤْلِمُ كثيراً أنَّ أعْداء المسلمين يتعاونون على خمسةٍ بالمائة على القواسِم المُشْتركة، بينما المُسلمون ومَعَهُم الحقّ وكتاب الله وسُنَّةُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ومعهم خمسةٌ وتسْعون بالمائة من القواسِم المُشْتركة، فلا بدَّ من أن نعود غلى هذا المنهج وإلى ينابيعِهِ الأصيلة، أُنظر إلى نَبع بردى، كم مياهُهُ صافِيَة، وعَذْبة وحُلْوةٌ وانْظُر إلى مَصَبِّه كم هي المياهُ آسِنَةٌ وسَوْداء، الإسْلام له ينابيع وله مصبات، الأوْلى أن نعود إلى ينابيعِه لِنَنْهَل من ينابيعه الماء العَذْب.

أيها الإخوة الكرام، أوّلُ شيءٍ يلْفِتُ النَّظر أنَّ الإنسان لا معنى لِوُجوده بلا منهَجٍ يسير عليه، ومن دون منْظومة قِيَم ؛ الحلال والحرام وما يجوز وما لا يجوز هذا يُرْضي الله وهذا لا يُرْضي الله، فالنقطة الدقيقة أنَّ القُيود تُفْضي إلى الحُرِيَّة، وأنَّ التفلُّت البهيمي يُفْضي إلى القَيْد، فالمُتَفَلِّت ينتهي بِمَرضٍ نفْسي أو السِّجْن، الذي يفعل ما يشاء من دون قَيْد ويرْتَكِبُ الموبِقات، ويَخْتَرِقُ كُلَّ الحُدود ينتَهِكُ كُلَّ الحُرُمات، هذا تَفَلُّت بهيمي وهذا رأيْتُهُ كثيراً في هذه المُجْتَمعات، إذْ نِسْبَةُ الشذوذ عالِيَةٌ جداً وتَصِلُ إلى سِتين بالمائة، نِسَبُ المُخَدِّرات عالِيَةٌ جداً، وكذا نِسَبُ الزنا وزنا المحارم هذه كُلُّها أمْراضٌ فتاكَةٌ تفْتِكُ بالمُجْتمع المُتَفَلِّت، ونحن والحمد لله في خيرٍ عميم، نحن في مُجْتمعاتنا الدِّينيَّة ومع أنَّنا مُقَصِّرون جداً في تطبيق قرارات منْهَجِنا إلا أنَّ الوَضْع العام سليمٌ ومُسْتَمِرَّة، أنا مرَّةً من مراتِ دُروس الأحد كُنْتُ أتَكَلَّم عن حالات الطلاق، وكان أمامي إحْصاء، فكان إحْصاء الطلاق بِأمْريكا خمسٌ وسِتون بالمائة من كُلِّ مائة من الزواج تنتهي بالطلاق من أقلّ من سنَتَيْن، ومعي إحْصاء آخر لِألمانيا فيه سبعةٌ وثلاثون بالمائة من كُلِّ زواج تنتهي إلى الطلاق، وكان حاضِر للدَّرْس أحدُ إخْواننا الكِرام وهو القاضي الشَّرْعي الأوَّل فسَألْتُهُ، كم نِسَبُ الطلاق عندنا، فقال لي وَقْتَها ثمانِيَة بالألف ! هذه نِسْبة رائِعة جداً، وهذا بِسَبب ديننا وأنَّ العلاقة الزَّوْجِيَّة فيها شيء حلال والآخر حرام، والنقْطة الدقيقة الدقيقة أنَّه في المُجْتمعات الإسْلامِيَّة هناك ميزةٌ كبيرة هو أنَّ الله تعالى بين كُلِّ اثنَيْن بِمَعنى أنَّك إذا عامَلتَ أخاك تخاف الله أن تؤْذِيَهُ وتخاف الله أن تظْلِمَهُ فالله بينك وبينهُ، وتَرْجو رحْمة الله في إكْرامِهِ، وفي الصَّفْح عنه فإذا كنت تخاف الله وترْجوهُ في علاقَتِكَ بِأخيك فهذه العلاقات تنْمو، لا بدّ من أن نعرف إيجابِيات مُجْتمعاتنا، والنواحي التي تُرْضي الله عز وجل في بُيوتنا نحن بِخَيْر إذا قِسْنا مُجتمعاتنا بالمُجْتمعات التي تفلَّتَتْ تَفَلُّتاً بهيمياً، الحياة فيها براقَةٌ لِهذه العَيْن، لكِنَّها مؤلِمَةٌ أشَدّ الألم بِالمُعايَنَة، فقد ترى الشيء فَتُعْجَبُ به، أما إذا عايَنْتَهُ تَمْقُتُه.

فيا أيها الإخوة الكراك أنا أدْعوكم بِفَضْل الله عز وجل إلى التَّدْقيق في منهج الله عز وجل وتطْبيقِهِ لأنّ أعْداء المُسلمين يأخذون به دون أنْ يشْعُروا ويأخذون به وقد اهْتَدَوا به بِعَقْلِهِم فقط، وقَطَفوا ثِمارَهُ يانِعَةً مع أنَّهُم يُحارِبوه، ولم يؤمنوا بالله عز وجل الذي أنزله، لا عن دين ولا عن طاعة لله ولكن بِمَحْض مَصْلَحَتِهم بَحثوا عن حقائِق تقودُهم إلى النَّمُوّ وإلى الاسْتِقْرار، فَنَحْنُ أوْلى بِهذا المنهَج من أعْدائِنا، أوْلى أنْ نُطَبِّقَهُ في حياتنا اليَوْمِيَّة ؛ هذه العُجالة في هذه الكلمة هي انْطِباعٌ سريع عما شاهَدْتُهُ في بلاد الغَرْب من تَفَلُّت، ومن إيجابِيات، فالإيجابِيات أخَذوا منهَجَنا وطَبَّقوه فهُم يصْدُقون ولا يكْذِبون، ويُتْقِنون صِناعاتهم ولا يُخِلُّون بها فَنواحيهِم الصِّناعِيَّة عالِيَة جداً، أما نواحيهم الاجتِماعِيَّة فهي مُتَدَنِّيَة جداً، فهُم يحْتاجون إلى ألف عام كي

يَصِلوا في علاقاتِهم إلى علاقاتنا الاجتماعِيَّة الإسْلامِيَّة والمَبْنِيَّة على المَحَبَّة والتواصل والمودَّة، ونحْتاجُ نحن كذلك إلى سنوات طويلة كي نصل إلى ما وصلوا إليه من قواعد الحياة العِلْمِيَّة والله وَلِيُّ التوفيق.

والحمد لله رب العالمين

الفصل العاشر : تفسير سورة الواقعة

الدرس (1-8) : تفسير الآيات 1 - 6 ، إذا لتحقيق الوقوع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:

سورة الواقعة تبدأ بقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1)﴾

كلمة إذا في اللغة تفيد تحقق الوقوع،

﴿إذا جاء نصر الله والفتح ﴾

(سورة النصر: 1)

﴿ إذا وقعت الواقعة، إذا الشمس كورت ﴾

(سورة التكوير: 1)

﴿ إذا السماء انفطرت ﴾

(سورة الإنفطار: 1)

حينما تأتي أداة إذا في اللغة تعني تحقق الوقوع، أما حينما تأتي كلمة إن، تأتي بمعنى احتمال الوقوع،

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ﴾

(سورة الحجرات: 6)

يعني قد يأتي، وقد لا يأتي، إن جاءت كلمة إن قد يأتي، وقد لا يأتي، أما إذا جاءت كلمة إذا، لا بد من أن يأتي.

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2)﴾

الشيء الذي يخبر الله به، يجب أن تعد وقع، هو لم يقع بعد، يجب أن تعد قد وقع، والدليل:

﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾

(سورة النحل: 1)

معناها ما أجى،

﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾

الدليل

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾

(سورة الفيل: 1)

من منكم رأى، ولا واحد، وأنا لم أرى، بس الله يقول: ألم تر، أي أن إخبار الله للإنسان، يجب أن تأخذ وكأنك تراه، لشدة مصداقيته.

الآن يعني دولة محترمة، إذا أعطت آمان لا تنقضه، إنسان محترم إذا وعد لا يخلف، إذا تحدث لا يكذب، فكيف خالق الكون، قال:

﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾

سميت واقعة لأنه لا بد من أن تقع.

الآن مثلاً مرض، مرض فشل كلوي، هذا المرض يقع أو لا يقع، أما الموت لا بد من أن يقع، الفشل الكلوي، تشمع الكبد، سكة دماغيه، شلل، يقع أو لا يقع، أما الموت، مصير كل حي، لا بد من أن يقع، فلأن هذه الواقعة، لابد، واقعة، سميت واقعة، وقوعها محقق.

﴿ إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة ﴾

لو أن أناس حضروا مسرحية بالفصل الأول، إنسان قتل إنسان، ثم أرخي الستار، لا أحد يقوم من مقعده، لماذا ؟ لم تنتهي المسرحية، نريد أن نرى هذا القاتل ماذا حل به ؟ وهذا المقتول ماذا فعل أهله ؟ تشعر بالفطرة أن المسرحية ما انتهت.

طيب في الدنيا، إنسان قوي، طاغي، جبار، إنسان ضعيف، مسحوق إنسان معه هذا ميكروسوفت، ثلاثين مليار دولار شاب، بالأربعينات، يملك وحدة ثلاثين مليار دولار، وواحد ينقب في القمامة، ليأكل، إنسان بعمر تسعين سنة بكامل صحته، إنسان بثمانية وثلاثين يموت، معه مجموعة أمراض، طيب أعمار مختلفة، والصحة مختلفة، والمال مختلف، والوسامة مختلفة، والقوة مختلفة، بتكون فتاة جميلة بتلاقي ألف خاطب، وأغنى الناس، الجمال قليل كاسدة، طيب شو ذنبها هي والله خلقها، مالها ذنب، في بالدنيا غنى وفقر، وقوة وضعف، ووسامة ودمامة، وصحة ومرض، وعمر مديد، وعمر قصير، طيب هذه الحظوظ كيف وزعت ؟ هل هناك تسوية حسابات .

يعني مثلاً: جامعة، فيها كلية، الصف سنة رابعة، خمسين طالب، طالب درس، طالب ما درس، طالب كتب، طالب نقل، معقول يستوي الذي غش والذي لم يغش، والذي درس والذي لم يدرس، إذا أستو معناها عبثية، كل ما في الكون يبين أنه لا بد من يومٍ آخر، تسوى فيه الحسابات،

﴿ إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾

(سورة يونس: 4)

﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾

(سورة طه: 15)

لا بد من يوم تسوى به الحسابات، هذا ملخص الملخص.

فهذه الواقعة، المنطق يؤكدها، والفطرة تؤكدها، يعني أيام الإنسان شوف إنسان ظالم، آكل مال أيتام، ما برتاح حتى الله يدمره، خمس أولاد أيتام أخذ مالٌ، أخوهم الأكبر، وخلاهن فقراء، وعاش بحبوحة، الإنسان ما برتاح لحتى يرى عدالة الله في هذا المغتصب للمال، فما دام في ظلم ظاهري، في غنى وفقر، وصحة ومرض، حظوظ موزعة توزيع ليس كما ينبغي كما نتوهم، لابد من يوم آخر تسوى به الحسابات،

﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾

أما في هذا اليوم،

﴿ خافضة رافعة ﴾

يعني مدرسة، في آذن، في حاجب، في معلم وكيل، وفي معلم أصيل، وفي معلم مقرر، في آمين سر، في معاون مدير، في مدير، هي مراتب الدنيا، بالآخرة، قد يكون هذا الآذن هو الأول، هون بقى، كيف في قلابة، الذين كانوا في الأسفل، بعد حين في الأعلى، والذين كانوا في الأعلى بعد حين في الأسفل،

﴿ خافضة رافعة ﴾

رب غنيٍ حشر فقيراً، ورب قويٍ حشر ضعيفاً، ورب متجبرٍ حشر ذليلاً، ورب مستضعفٍ حشر ملكاً، هي الآخرة لها ترتيب آخر.

في مقياس آخر، نحنا في حياتنا الدنيا، في عنا مقاييس نتمايز فيما بيننا، عنا مقياس المال، مقياس العلم، هذا دكتور، هذا بورد، هذا أمي، عنا مقياس الوسامة، عنا مقياس النسب، عنا مقياس القرب من الأقوياء، في عنا مقاييس كثيرة نقيم بها أنفسنا، نقيم بها بعضنا بعض، أما في الآخرة مقياس واحد ، مدى طاعتك لله، من هنا قال عليه الصلاة والسلام: رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره.

دخل على النبي رجل، فرحب به النبي أشد الترحيب، قال أهلاً بمن أخبرني جبرائيل بقدومه، قال أو مثلي، قال نعم يا أخي، أنت خاملٌ في الأرض علمٌ في السماء.

يعني مثل طريف، لو في مصر، أعلى مقام ديني الشيخ الأزهر، لو عنده حاجب، أمي لا يقرأ ولا يكتب، أما الشيخ الأزهر، معه ابتدائي، و إعدادي، وثانوي، وجامعة، وعالمية، وله مائتين مؤلف بالسوق، ومن فلتات الزمان، فريد عصره، ووحيد زمانه، لو أن فتاة دخلت لتأخذ منه حديث صحفي، الآذن الأمي غض بصره عنها خوفاً من الله، وهذا فرضاً، أضرب مثل افتراضي فقط، ملئ عيناه من محاسنها، وهو على علو مقامه، العالم عند الله هو الآذن والجاهل عند الله الثاني، في عند الله مقاييس غير مقايسنا، مقاييس الطاعة، مقاييس الإخلاص، مقاييس الحب، مقاييس الإتقان، المتقن، والمحب، والمطيع والمخلص، يعلو عند الله.

﴿ خافضة رافعة ﴾

يعني الآن حتى في الدين في مقامات، قد يكون طالب علم مغمور لا أحد يعرفه، هو عند الله هو المقبول، بحسب الإخلاص.

﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً (4) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً (6) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً (7)﴾

فنحنا درسنا اليوم: إذا تفيد تحقق الوقوع، وسميت الواقعة واقعة، لأن وقوعها حتمي.

والشيء الثالث كل العقل، والنقل، والفطرة، والواقع تؤكد أنه لابد من يوم آخر، تسوى به الحسابات، خافضة رافعة، تقيم أنت في الدنيا بمقياس، وتقيم في الآخرة بمقياس آخر، وهذا المقياس الآخر هو الأساس، فإذا الإنسان في الدنيا مرتبته متدنية، لكنه مصطلح مع الله، له في الآخرة مرتبة عالية جداً، وإذا مرتبة الدنيوية عالية، لأسباب مادية، أسباب اجتماعية، مادية، أسباب تاريخه فبالآخرة له حساب آخر.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-8) : تفسير الآيات 1 – 56 ، مقياس الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: سورة الواقعة تحدثنا عنها في الدرس الأخير عن آياته الأولى:

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3)﴾

كيف أن هناك مقاييس لبني البشر، يقيم بها الناس، وهناك مقاييس يقيم بها الإنسان يوم القيامة، فمن اختلاف المقاييس، يختلف التقييم، فالذي كان في الدنيا في أعلى مرتبة، قد يكون في الآخرة في أدنى مرتبة، والذي كان في الدنيا في مرتبة دنيا قد يكون في الآخرة في مرتبة عليا.

فالإنسان يحاسب في الآخرة على قدر خدمة للعباد، فالذي بنى مجده على أنقاد الناس له حسابٌ خاص، الذي بنى غناه على إفقارهم له حساب خاص، أما الذي كان معطائاً، إذا أردت أن تعرف مقامك فنظر فيما استعملك، كل إنسان يطرح على نفسه هذا السؤال، ما حقيقة عملي ؟ في عمل قائم على الكذب والغش، والاحتيال، في عمل قائم على ابتزاز أموال الناس، في عمل قائم على إيقاع الأذى بالناس، في عمل قائم على الإيقاع بين الناس، التحريش بينهم، فكل هذه الأعمال التي يعملها الناس، والتي بنيت على إيذاء الآخرين، هذه الأعمال سوف تكون عليهم وبالاً يوم القيامة، فالعبرة أن تسأل نفسك هذا السؤال؟ مرة سألني أخ يعمل في التموين، موظف، ماذا أفعل ؟ أردت أن أفاجئه بفتوى لم يصدقها، قلت له افعل ما تشاء، ضع الناس في السجن، أُكثر من كتابة الضبوط، قال كيف ؟ هكذا تقول لي، قلت له نعم، إن كنت بطلاً هيئ لربك يوم القيامة جوابٌ عن كل ضبط، هيئ لا لعبد الله، لله، جواباً عن كل ضبط. فكل إنسان بمكان يقدر يؤذي الناس، في دوائر كثيرة، يقدر يؤذي، يقدر لا يؤذي، بيقدر يرحم، بيقدر يقسو، بيقدر يكون واقعي منطقي، بيقدر يكون حرفي، نصي، فهذا بيد الإنسان.

فهذا الذي يدمر أسراً بأكملها عن طريق ضريبة غير معقولة، بإمكانه أن يرحمه بإمكانه أن يحط له الشريحة الدنيا، فهذا الذي يفعل ويظن أنه بطل، هذا سوف يحاسب حساباً شديداً، الصغار يسيئون، الكبار ما أمروك أن تفعل هذا أعطوك حركة مرنة، حد أدنى، وحد أقصى، بدأ بالأقصى، غير معقول.

فلذلك إذا أردت أن تعرف مقامك، فنظر فيما استعملك، عد للمليون قبل أن تؤذي إنسان، لأن ربناً سوف يعاقبك على إيذائه عقاباً شديداً، عد للمليون قبل أن تكذب، قبل أن تغش الناس.

أذكر قصة، رجل يعمل في الميكانيك، جاءه إنسان يركب سيارة جديدة اشتراها حديثاً، وهو يجهل أمورها الداخلية، فيها علة، فهذا الذي يعمل في الميكانيك أدرك أن هذا الشخص يجهل كل شيء في السيارة، فقال له عشرة آلاف، السيارة جديدة، بس صاحبها غشيم، جاهل فقال له مثل ما بدك، هي عملية تصليح ربع ساعة، تستهلك خمس مائة ليرة، بس أدرك أنه جاهل.

ورد بالحديث أن غبن المسترسل ربا، غبن المسترسل حرام، هذا مسترسل، بقول جاره، صلحها بربع ساعة وراح أول يوم على المطار، أخذ أهله، وثاني يوم على الوادي، واليوم الثالث على الزبداني، ثلاثة أيام استخدمها صلحها بربع ساعة، واليوم الرابع أخذ عشرة آلاف عداً ونقداً، من عما يراقبه ؟ جاره، فعاتبه، قال له: هكذا العمل، هكذا، هكذا أصول العمل، قال له: مثل ما بدك، ابنه يعمل بمخرطة، بتفوت نثرة حديد بقرنية العين، يأخذه إلى بيروت، في الجامعة الأمريكية، بيدفع للعملية عشرين ألف ليرة لبناني، والليرة بمائة وستين كانت قبل السبعينات، فمن طلع ذكي ؟ المستقيم هو الذكي، أخذهم عشرة دفعهم ثمانية وعشرين، دفعهم على ابنه.

فأنت حينما توقن أن المال الحرام سوف يدمر، يدمر ومعه مال آخر، بل إن المال الحرام سيدمر صاحبه، هذا الشعور، شعور إيماني، أنه كل شيء بحسابه.

يروى طرفة، طرفة مضحكة، أن شوحى سألت سيدنا سليمان، قالت له اسأل ربك، هو مهول أم عجول، يعني يعاقب سريعاً أم يمهل، فلما سأله قال: قل لها إنني مهول ولست عجولاً، اطمأنت، رأت أناس يأكلون اللحم فخطفت هذا اللحم وطارت به، علق ببعض قطع اللحم فحمة مشتعلة، فحرقت عشها وبيضها، فرجعت إلى سيدنا سليمان، قالت له يا سليمان: ألم تسأل ربك فقال إنه مهول ؟ هو عجول، قال يا ربي ماذا أجيبها ؟ قال: قل لها هذا حساب قديم، هي قديمة، عن ذنب آخر.

فكل شيء بحسابه، والله أيها الأخوة، والله، ما من عثرةٍ، ولا اختلاج عرق، ولا خدش عودٍ، إلا بما قدمت أيديكم، والله الابتسامة، المال الحرام، الإساءة، الظلم، كله بحسابه، فإذا الإنسان عرف أنه في إله عظيم، عادل يستقيم ينجو باستقامته.

فلذلك الواقعة إذا وقعت.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً (4) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً (6) ﴾

الإنسان أحياناً يكنس غرفته في الشتاء، وأشعة الشمس داخلة إلى وسط الغرفة، يرى ذرات عالقة في الأشعة، هذا الهباء فبجبال ضخمة.

﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً (6) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً (7) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11)﴾

معناها في ثلاث أصناف، أصحاب الشمال إلى النار، أصحاب اليمين إلى الجنة، أما والسابقون السابقون، أولئك المقربون، يعني في راسب، وفي ناجح مقبول، وفي ناجح شرف، الناجحين صنفان، والراسبين صنف.

﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾

يعني كثيرون.

﴿ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآَخِرِينَ (14) ﴾

يعني عدد المتفوقين عند الله، في الآخرين قليل، في الأولين كثير.

﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (16) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (19) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21) وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً (25) إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً (26)﴾

هذه أعلى درجة في الجنة، والسابقون السابقون للذين باعوا أنفسهم، وأموالهم، ووقتهم، وعلمهم، وعضلاتهم، وكل شيء بحوزتهم باعوه لله عز وجل، هؤلاء الذين صاحبوا رسول الله، فدوه بالغالي، والرخيص، والنفس، والنفيس، هؤلاء ليس لهم في الدنيا هم إلا طاعة الله، هؤلاء الذين أعطوا كل شيء، ولم يأخذوا شيئاً هؤلاء، والسابقون السابقون هؤلاء في درجة علية عند الله عز وجل.

الصنف الثاني، توسعوا في المباحات، والتزموا المنهج، لكن ساعة له، ساعة لربك، له حظوظ في الدنيا، لكن مباحة، ما عمل شيء، رتب بيته، رتب أموره، بحب الراحة، السرور، الأكل، السيران، السفر، يعني بحب يكون في عنده بالبيت شي درجة أولى، هذا يعني دروس علم ماله فاضي كثير يحضرها، عنده شغل، عنده تجارة، بس ما بيكذب، ما بغش، بصلي، بصوم بحج، بذكي، أموره كلها مطبقة، بس ما في بذل كبير.
قال:

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (31) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (33) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (34) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً (36) عُرُباً أَتْرَاباً (37) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (38)﴾

هي درجة ثانية، مثل ما حكينا بسورة الرحمن، في درجة أولى، تحتاج إلى تفصيل، وفي درجة ثانية قال هؤلاء:

﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (39) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (40)﴾

يعني عددهم كثير قديماً، وكثير حديثاً.

أما المشكلة:

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (45)﴾

الترف اقترن مع النار، إنفاق الأموال جزافاً، البذخ، التبذير، العلو في الأرض، هذه من صفات الكفار

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (47) أَوَآَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (48) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآَخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (50) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآَكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (56)﴾

هذا كلام خطير أيها الأخوة، يجب أن تسأل نفسك أنت مع من ؟ هل أنت مع السابقين ؟ السابقين لهم شروط، هل أنت مع أصحاب اليمين، أصحاب اليمين مطيعون لله عز وجل، ولكن توسعوا في المباحات، أما العصاة مع الصنف الثالث.

﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون، وتضحكون ولا تبكون، وأنتم سامدون ﴾

(سورة النجم: 59 ـ 60)

تستمعون إلى الغناء، فهذا كلام خطير، ومصيري، فالمؤمن يجب أن يعرف أين هو من هؤلاء، إن كان مع أصحاب اليمين جيد ولكن الأجود أن يكون مع السابقين، أما في التعليم، الذي يطلب النجاح فقط لا ينجح، أما الذي يطلب التفوق قد ينجح فاطلبوا التفوق كي نكون مع أصحاب اليمين إن طلبنا أن نكون مع السابقين ربما نكون مع أصحاب اليمين، أما إذا اكتفينا مع أصحاب اليمين قد لا نصل إلى هذه المرتبة.

الدرس (3-8) : تفسير الآيات 51 – 65 ، رزق الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: في كلام ربنا جل جلاله تسلسل بليغ، فكلما تحدث ربنا عن حال أهل الجنة وعن حال أهل النار، عقب على هاذين المشهدين، بالطريق الموصل إليه، هؤلاء، الضالون المكذبون.

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (45) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (46) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (47) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (48) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (50) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52)﴾

﴿ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53)﴾

نحن نقرأ هذه الآيات، نحن نرى أن هؤلاء الناس انتهوا إلى النار، وهم في عذاب بئيس، ما الطريق إلى الله، كيف الخلاص ؟ جاء الجواب:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59)﴾

يعني هذا الماء، الإنسان لا يصدق، أن كمية الماء، ماء الحياة، التي تخرج من الرجل تزيد عن خمسمائة مليون حوين خمسمائة مليون حوين، وأن الحوين كائن، كائن حي، له رأس وله عنق، وله ذيل، وأن هذا الحوين يمشي بسرعة عشرة سانتي بالساعة، وأن خمس مائة مليون تتنافس، ليسمح لواحد منها بدخول البيضة، فإذا دخلت أقفل الباب.

﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾

(سورة الإنسان: 2)

هذا الحوين خلية من أكبر خلايا الجسم، خلية لها غلاف، ولها هيولة ولها نوية، وعلى النوية شريط المورثات، هذا الشريط فيه كل تفاصيل خلق الإنسان، سمعت مرة ببرنامج علمي أن عدد هذه المعلومات خمسة آلاف مليون وسمعت أنها مليون، وسمعت أنها خمس ملايين، على كلٍ أقل رقم مليون، مليون مورث يحدد دقائق الإنسان، وكل ما يفعله العلماء اليوم في معرفة هذه المورثات، وخصائصها، ووظيفة كلن منها، وصلوا إلى ثمانمائة مورث، هذه تسهم في تكوين الإنسان، تكوين شكله، لونه، شعره، عيونه، حركته، نبرة صوته، رائحة جلده، قزحية عينه، بصمته، كل التفاصيل، مهما دقت تحددها هذه المورثات،

﴿ أفرأيتم ما تمنون ﴾

هذه المورثات تصنع أين ؟ تصنع في الخصيتين، لماذا الخصيتان خارج الجسم ؟ لأن هذه الحوينات تموت في درجة 37، لابد من أن تكون في درجة أقل، لذلك الخصيتان خارج الجسم، هذه الحوينات تصنع في الخصيتين، ويمضي على تهيئتها على لتكون فعالةً 18 عشر يوماً، فالذي يخرج اليوم معد من 18 عشر يوماً، إعداداً دقيقاً جداً كي تكون فعالة، أفرأيتم ما تمنون، دخل هذا الحوين إلى تلك البويضة، وبدأ الانقسام من خلال تلقيح البويضة، وحتى وصولها إلى الرحم، تنقسم هذه البويضة الملقحة، إلى عشرة آلاف قسم، دون أن يزيد حجمها، لأنه لو زاد حجمها علقت في الأنبوب الضيق، تنقسم إلى عشرة آلاف قسم، دون أن يزيد حجمها ثم تنغرس في الرحم، أفرأيتم ما تمنون، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون.

أيها الأخوة:

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60)﴾

ما معنى كلمة مسبوقين في القرآن الكريم ؟ معنى هذه الكلمة أن الإنسان لا يمكن أن تكون له إرادة مستقلة عن إرادة الله، كل أفعال الإنسان بعلم الله وبموافقته، وبمشيئته، إلا لم يسمح الله بفعل لا يقع، فالإنسان حينما يفعل شيئاً، حينما يتوهم أنه أحدث شيئاً ليس سابق بمشيئة الله إطلاقاً، وما نحن بمسبوقين.

شيء آخر:

﴿ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61)﴾

حينما يتبجحون أنه تمت عملية الاستنساخ مغطاة بهذه الآية،

﴿ وننشئكم في ما لا تعلمون ﴾

نظام التوالد الذي أراده الله عز وجل، حوين وبويضة، والطفل يأخذ من كلى الوالدين، الأب، والأم، والشيء الدقيق أن هذه البويضة الملقحة تتلاف أي ضعف في كلى الجانبين، وتأخذ الأقوى دائماً، فلذلك حينما يتم التلقيح يأتي النسل قوياً، أما لو أخذنا خلية من ثدي الحيوان وزرعناها في الرحم، ونبتت وصارت كائناً هذه ليست،

﴿ من نطفة أمشاج نبتليه ﴾

هذه من جانب واحد، والجانب الواحد قد تزداد نقاط ضعفه، على كل الاستنساخ سابق لأوانه كثيراً أن يدلي الشرع الحنيف في فتوى فيه، لأنه على الإنسان لم ينجح بعد، وحينما ينجح للدين موقف من هذا الموضوع،

﴿ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62)﴾

الإنسان إذا أحب أن يعرف كيف نشأ لينظر إلى ابنه، أعلم الناس بالابن أبوه وأمه، كيف تم الزواج، وكان نقطة من ماء مهين، معنى ماء مهين، يعني الإنسان يستحي بهذا الماء أن يكون على ثيابه فالإنسان خرج من عورة، ودخل إلى عورة، وسيخرج من عورة، ومع ذلك يتبجح، ويتكبر، ويستعلي، ويقول كما قال فرعون:

﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾

(سورة النازعات: 24)

بئس العبد عبد سهى ولهى، سهى ولهى ونسي المبتدى والمنتهى، نسي ابتداءه،

﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾

فالإنسان إذا عاد إلى أصله كيف كان نقطة، من ماء مهين، حوين لا يرى بالعين، لقح بويضة لا ترى بالعين، ثم صار إنساناً سوياً، رأس فيه دماغ، وفيه شعر، وفيه عينان، وأذنان وأنف، وشفتان، وأسنان، ولسان، ومحاكمة، وتخيل، وتصور، وإدراك واستنباط، واستنتاج، واستقراء، كل هذه العمليات المعقدة في موطن الذاكرة في رأس الإنسان ما يزيد عن سبعين مليار صورة، سبعين ألف مليون صورة والحجم لا يزيد عن حبة عدس، هل تستطيع أن تخزن سبعين مليار صورة بحجم لا يزيد عن حبة عدس، هكذا الدماغ. ثم ننتقل إلى القلب والرئتين، والأوعية الدموية، والمعدة والأمعاء والكليتين، وجهاز فرز الفضلات، وتنقل إلى العظام والعضلات، وتنقل إلى الأعضاء والأجهزة، والمفاصل، تجد العجب العجاب.

إذاً:

﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون، نحن خلقناكم ﴾

الله جل جلاله، هو الخالق،

﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون، أفرأيتم ما تمنون، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾

حتى حدثني طبيب، أن هذا الحوين المنوي، في رأسه مادة نبيلة، هذا المادة النبيلة، قادرة على أن تذيب جدار البويضة، هذه المادة النبيلة مغطاة بغشاء رقيق، لمجرد أن تصطدم، أن يصطدم رأس الحوين بجدار البويضة، يتمزق الغلاف، فتسيل هذه المادة النبيلة فتؤثر في غلاف البويضة، فتنتقل عبرها إلى الداخل ويتم التلقيح

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (57) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65)﴾

معنى ذلك أن خلق الإنسان، أحد أكبر الآيات الدالة على عظمته، الدالة على وجوده، الدالة على وحدانيته، الدالة على كماله.

الآن طعام الإنسان وشرابه، أكبر آية تدل على عظمة الله عز وجل.

لذلك قال تعالى:

﴿ فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، إنه على رجعه لقادر ﴾

(سورة الطارق: من 5 إلى 8)

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه، أنا صببنا الماء صبا، ثم شققنا الأرض شقا، فأنبتنا فيها حبا، وعنبا وقضبا، وزيتونا ونخلا، وحدائق غلبا، وفاكهة وأبا، متاعا لكم ولأنعامكم ﴾

(سورة عبس: من 24إلى 32)

هي فلينظر، هي لام لام الأمر، ولام الأمر مع المضارع فعل أمر، إذا قلت لك اكتب فعل أمر، أو لتكتب المعنى واحد، إما أن يأتي فعل أمر، أو أن يأتي فعل مضارع مسبوق بلام الأمر، فلما ربنا عز وجل يقول:

﴿ فلينظر الإنسان مما خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب ﴾

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه، أنا صببنا الماء صبا، ثم شققنا الأرض شقا، فأنبتنا فيها حبا، وعنبا وقضبا﴾

أنت أمام أمرين إلهيين، فإذا أردت أن تؤمن، طبعاً،

﴿ خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ﴾

(سورة الحاقة: من 30 . إلى 32)

إن فكرت في خلق الله، أمنت بالله العظيم، أما إذا أمنت بالله ولم تؤمن به عظيماً لا تطيعه، من أجل ماذا قال الله عز وجل ؟ لا يؤمن بالله العظيم، إن لم ترونه عظيما، لا تطيعه، العبرة لا أن تقول أنا أمنت بالله خالقاً، إبليس قال:

﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾

(سورة ص: 82)

فإن لم تؤمن بالله العظيم لا تستقيم على أمره، فبذلك ربنا عز وجل وضع بين أيدينا آيتين كبيرتين، آية خلق الإنسان، وآية رزقه وطعامه وشرابه، فإذا الإنسان اكتفى بهاتين الآيتين، وصل إلى الله، وإذا وصل إلى الله، استقام على أمره، وسعد بقربه، في الدنيا والآخرة.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-8) : تفسير الآيات 63 – 65 ، الدين معرفة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل الدين معرفة الله.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام : أصل الدين معرفة الله ، الدين فيه أصول وفيه فروع ، ولا قيمة للفروع ما لم تكن الأصول ، أصل الدين أن تعرف الله ، وما دامت الحواس لا يمكن أن تدركه لقوله تعالى :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة الأنعام الآية : 103]

إذا لا بد من أن نستخدم طريقة الاستدلال العقلي ، لمعرفة الله عز وجل ، الطريق الوحيد لمعرفة الله الاستدلال العقلي .

لذلك ثلث آيات القرآن الكريم آيات كونية.

الله جل جلاله له آيات كونية هي خلقه، وله آيات تكونيه هي أفعاله، وله آيات قرآنية هي كلامه.

الآيات الكونية:

فنبدأ بالآيات الكونية ، البارحة تحدثنا عن أقرب آية إلى الإنسان، وجوده ، من أي شيئاً خلق.

﴿ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾

[سورة الطارق الآية : 6]

وجوده.

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾

[سورة الطارق الآية : 5]

فعل أمر ، لام الأمر مع المضارع يساوي فعل أمر.

قال تعالى: أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون.

اليوم :

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾

[سورة الواقعة الآيات : 63-64]

الإنسان أيها الأخوة: حينما يألف شيئاً ، ألفته لهذا الشيء تفقده معناه.

هل من واحد لم ير شجرة مثمرة ؟

خشب.

كيف أزهرت ؟ وكيف أورقت ؟ وكيف حملت هذه الثمار الشهية ؟

طيب هذه الثمار الشهية ، فيها طعم سكري ، وفيها كلسيوم ، وفيها حديد ، فيها فوسفات ، فيها مواد بروتينية، فيها مواد دهنيه ، فيها فيتامينات ، لو حللنا الفواكه ، لوجدنا العجب العجاب.

طيب هذه الشجرة خشب كيف انتقت المواد الأولية من التربة ؟

وكيف أذيبت هذه المواد بالماء ؟

إذاً ربنا عز وجل ، أودع في التربة أملاح المعادن ، ولم يودع المعادن ، لو أودع المعادن لا تذوب المعادن، أودع أملاح المعادن ، هذا الماء حل أملاح المعادن.

طيب كيف سار بطريقة معاكسة نحو الأعلى، على خلاف نظام الجاذبية؟

كيف وصل هذا الماء إلى الورقة؟ وما الورقة ؟

هي أعظم معمل على الإطلاق ، إن أعظم معمل صنعه الإنسان يبدو أمام الورقة تافهاً ، يخضور ، فتون ، آزوت ، أشعة شمس ، نسغ صاعد ، تتفاعل هذه كلها ، ليصنع نسغ نازل ، يصنع الثمرة ، يصنع الزهرة يصنع الورقة ، يصنع الغصن ، يصنع الفرع ، يصنع الجزع ، يصنع الجزر .

ظاهرة النبات ، تعد ثاني أكبر ظاهرة تتصل بحياتك ، ظاهرة النبات، طعامنا من النبات ، قمحنا من النبات، أنواع المحاصيل ، قمح ، رز ، عدس ، حمص ، شعير ، نبات ، أنواع الخضراوات ، نبات ، في نبات جزري ، مثل الجزر، في نبات زهري ، الزهرة ، في نبات ورقي ، الملفوف ، في نبات ثمري الكوسا ، نبات جزري ، نبات ورقي ، نبات زهري ، نبات ثمري ، المحاصيل تنضج في يوم واحد، الخضراوات ، تنضج على مراحل ، هذه مصمم لفصل الصيف ، تدخل إلى حقل بندورة ، تجد يعني بالمائة خمسة عشر أحمر ، والباقي أخضر ، كل يومين بالمائة خمسة عشر والباقي أخضر ، هذا الحقل ينضج على ثلاثة أشهر ، أو أربعة أشهر .

ظاهرة النبات:

أيها الأخوة : بينكم جميعاً ، اجلس إلى المائدة في فأصولية ، في ملوخية ، في لوبية ، في كوسا ، في باذنجان ، السلطة ، بقدونس ، بندورة خيار طيب هذه الخضراوات من صنعها ؟ من صممها ؟ من جعلها متوافقة مع جسم الإنسان ؟ كأس الحليب الذي تشربه ، بقرة ، معمل البقرة ، معمل صامت ، معمل صامت، الشجرة معمل صامت ، معمل يعد أعقد معمل في الوجود ، لكنها بسيطة ، تضع هذه الفسيلة وتنام ، تكبر هذه الفسيلة ، تحمل الزيتون ، المشمش البرتقال ، الدراق ، التفاح ، التوت.

﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾

أنت ماذا فعلت ؟ أودعت هذه الفسيلة في الأرض وانتهى الأمر ، وسقيتها، من كونها؟ من نماها ؟ من جعلها تورق ؟ من جعلها تزهر ؟ من جعلها تثمر ؟ الآن التين ، أمسك حبة تين ، كم بزرة فيها ؟ في شي خمسة آلاف بزرة ، كل بزرة شجرة ، وكل شجرة كم حبة فيها ؟ كم حبة تين ؟ وكل حبة فيها خمسة آلاف بزرة ، هذا عطائنا .

يعني تكاثر النبات شي عجيب ، يعني بحسب بعض المصالح ، خمس غرامات بزر بندورة ، ماذا تعطي هذه الخمس غرامات ، خمس طن ، خمس طن، خمس غرامات بيعطوا خمس طن ، يعني مليون ضعف ، حقل نصف كيلومتر مربع، تضع فيه خمس غرامات بزور ، بتجني خمسه طن ، يعني مليون ضعف . لذلك :

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾

هذا النبات ، في نبات للأدوية ، في نبات صناعي ، الفلين ، الكوشوك ، نبات صناعي ، في نبات زينة ، في نبات حدودي سياج ، في نبات للرائحة عطر ، في نبات للمتعة ، في نبات مظلة ، في أشجار مظلة ، في نبات سواك ، في نبات خلة ، في نبات ليفة ، في نبات مسبحة ، في نبات كواز ، في نبات أساسات ، المنزل أساسه خشب ، خشب خاص للأساسات إذا جاءه الماء توسع ، أمتن من الإسمنت . حدثني أخ نجار مائة نوع من الخشب ، في خشب للأثاث ، الزان ، خشب للنوافذ ، الكندي ، لا يتأثر بالماء والهواء ، خشب للصناعة الكبريت ، لين ، خشب للمنظر لاتينوس ، أنواع منوعة من الخشب ، خشب للأثاث، خشب للصناعة ، خشب للزينة ، خشب لأشياء أخرى ، نباتات أنواع لا يعلمها إلا الله ، ثاني أكبر ظاهرة تدلنا على الله هي النبات ، بزرة ، رشيم ، سويق ، جزير ، محفظة غذاء ، في قمح أستخرج من أهرامات مصر ، زرع فانبت ، يعني بزرة عمرها ستة آلاف سنة لا تزال حية ، حية ، رشيم كائن حي ، الرشيم كائن حي ، حياته في رأسه لذلك النملة تأكل رأسه ، كي لا ينبت ، بعض الحشرات كأنها درست

النبات في الجامعات ، تعلم هذه الحشرة ، أين منطقة الحياة في الرشيم تأكله ، لئلا ينبت ، في بذور لها رشيمين ، تأكل الرشيمين ، في بذور لها أربع رشيمات ، تأكل الأربعة ، من أجل ألا ينبت.

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾

نمو النبات شي عجيب ، بزرة بتلاقي صغيرة ، أنت الآن ائتي بحمص ، ضعه في قطن مبلل ، أنتظر يومين ثلاثة ، بتلاقي هذه الحبة فضية ، ظهر سويق ، جزير ، رأس ، بعد حين صار الصحن كله أخضر ، أنبت ، ما هذا النبات ؟ .

الآيات الكونية:

أول ظاهرة: وجودك.

لذلك أول ظاهرة وجودك ، كيف خلقت من ماء مهين ، من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب.

ثاني ظاهرة : النبات.

ثاني ظاهرة النبات ، وفي نباتات عجيبة ، في نبات مفترس بالغابات ، يدخل له حيوان مفترس ، يضعه ضمن مخالبه ويموت ، ويستهلكه نبات ، في نبات متوحش ، في نباتات زينة أخوانا ، لو أُكلت لمات الإنسان ، في نبات مشهور ، يوضع في أكثر البيوت ، بس لا أحد ينتبه له ، هذا النبات مصمم كي يمتع نظرك ، أما لو أكله إنسان ، لمات من فوره ، نبات سام ، معناه مصمم ، الورود لمن خلقت؟ للإنسان ، هل خلقت ليأكلها ، لا ، ليستمتع بها ، ليمتع نظره بها ليشمها فكم أنت مكرم.

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء الآية : 70]

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾

[سورة الواقعة الآيات : 63-65]

لو أن هذا النبات لم ينبت ، لم يزهر ، لم يورق ، لم يثمر ، ماذا تأكل ؟ الآن أذهب إلى أسواق الخضراوات، بتلاقي أكوام ، بالأطنان ، كلها للاستهلاك ، كم يستهلك ؟ القطر يستهلك مليون طن قمح ، مليون طن قمح، من أجل أن تأكل رغيف خبز صباحاً ، ورغيف ظهراً ، ورغيف مساء ، مليون طن قمح ، كم طن يستهلك القطر من الخضراوات ؟ من الفواكه ؟ من الثمار ؟ بمئات الألوف ، اللبس نبات ، القطن ، لباسنا نبات ، كسائنا نبات ، الكتان نبات ، طعامنا نبات ، أدويتنا نبات ، الأصبغة نبات ، الآن أرق أصبغه بالعالم بإيران،

بتلاقي السجاد الإيراني ألوان مذهلة ، سرها لا يعلمه أحد ، أصبغه نباتية كلها ، لا تتأثر لا بالشمس ، ولا بالحر .

طيب الألوان ، والروائح ، والنباتات الزينة ، الصناعي ، التجاري ، الأثاث كله من النبات .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ* لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾

الآن إذا شجرة يبست ، ماذا نفعل به نقطعها ، ما لها قيمة إطلاقا ، أما قيمتها بأوراقها ، وأزهارها ، وثمارها ، إنا لمغرمون ، بل نحن محرومون ، وفي الدرس القادم إن شاء الله ، ننتقل إلى الآية الثالثة :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾

[سورة الواقعة الآيات : 68-70]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-8) : تفسير الآيات 68-69-70 ، يجب أن لا نعطل آيات الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآيات الكونية التي وردت في كتاب الله عز وجل، ينبغي ألا تعطل، لا ينبغي أن نقرأها دون أن نقف عندها، دون أن ننفذ أمر الله فيها، هنا يقول الله عز وجل في سورة الواقعة، في الآية الثامنة والستين، وما بعدها:

﴿ فَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70)﴾

أية سفينة غرقت في البحر، وعليها قوارب نجاة، وركب هؤلاء الذين أرادوا إنقاذ أنفسهم، في قارب النجاة، ما هو أخطر شيءٍ في حياتهم، إلى أن يصلوا إلى البر، الماء العذب، لولا الماء العذب لماتوا عطشاً، وهم على ماذا ؟ على بحر !. عمق البحر في المحيط الهادي /12/ كيلومتر، كمية ماء البحر أربعة أخماس اليابسة، أربعة أخماس اليابسة، ومع ذلك يموت راكب قارب النجاة عطشاً ، وهو فوق الماء محمول. كالعيس في الصحراء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول.

فكل هذا البحر، الذي يساوي أربعة أخماس اليابسة، لولا أن الله سبحانه وتعالى، صفاه بماء عذب فرات، ما نستطيع العيش

﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون ﴾

ماذا يفعلوا إخواننا في بلاد النفط ؟ يأتون بمحطات تحليه، كم تكلف تحلية التر من الماء ؟ أغلى من سعر البنزين ! كلفته ! تحليت لتر من الماء ؛ أغلى عندهم من سعر لتر بنزين، فنحن حينما نشرب الماء العذب الفرات، من الصنبور في بيوتنا، ومن ينبوع الفيجة التي حول دمشق، هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها. أنا كنت في أيام الحج، الماء الذي نستخدمه في البيت لا يشرب لابد من أن تشتري الماء، تشتري قارورة من شدة العطش تشربها كلها شربة واحدة ! خمس وعشرين ليرة ! بحثنا عن مصدر للمياه غير القوارير، قال في محطات لبيع الماء ؛ كبيع البنزين، ذهبنا إلى هناك ومعنا الأوعية، و اشترينا الماء، بعداد البنزين، أما أنت تفتح الصنبور، ماء عذب فرات،

﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾

لولا أن هناك مساحات مسطحات مائية كبيرة جداً في الأرض ما كانت كمية البخر تكفي لإرواء العطش، أربعة أخماس المساحة مسطح مائي، أشعة الشمس مسلطة عليها، البخار، من قال ؟ أو من قنن ؟ أن الهواء يحمل بخار الماء، وأنه كلما ازدادت حرارة الهواء حمل بخار الماء بكمية أكبر، وأن هذا الهواء المحمل ببخار الماء ؛ إذا واجه جبهة باردة ؛ يتخل عن بعض مائه ؛ وهذه آلية نزول المطر هواء ساخن محمل ببخار الماء؛ تدفعه التيارات من مكان إلى مكان

﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه ﴾

(سورة فاطر: 9)

يساق هذا السحاب، هو بخار ماء يحمله الهواء، يساق إلى منطقة باردة، هذه المنطقة الباردة، حينما يبرد الهواء، كل درجة حرارة ؛ تستوعب كمية من بخار الماء، فإذا هبطت حرارته، تخل عن الكمية الزائدة التي حملها وهو حار، قال تعالى:

﴿ وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ﴾

(سورة النباء: 14)

﴿ ماء ثجاجا ﴾

آلية المطر معقدة جداً، نحن نبسطها تبسيط، أيام التبسيط يشوه الحقيقة، نعلم الطلاب أنك ؛ أتي بإبريق، أملئه ماء، سخنه ضع كأساً بارداً على طرف الإبريق، يتحول هذا البخار إلى قطرات من الماء، هذه عملية التقطير، هذا تبسيط، تبسيط كبير جداً، لآلية نزول الأمطار، بخار الماء العالق في الهواء، لا ينقلب إلى قطرة ماء إلا بنواة، بنواة، هذه النواة هي هباب، هباب نشره الله في الجو تنعقد عليه قطرات الماء، وهذا السحاب الذي ترونه في الشتاء، كم يساوي، أركب طائرة، وسافر في الشتاء ماذا تجد ؟ تمشي فوق جبال والله لا أبالغ، جبال، ما كنت أفهم هذه الآية، إلا حينما ركبت طائرة من جبال من برد، جبال، تلال، قمم مؤنفة، وديان سحيقة مسطحات، تلال، نحن في الأسفل نرى سقف أبيض، نقول الدنيا مغيمة، سقف أبيض، لو ركبت طائرة وحلقت فوق السحاب، تجد معنى قوله تعالى:

﴿ من جبال ﴾

(سورة النور: 53)

هذه الكميات بألوف ألوف ملايين الأطنان، يمشي هذا السحاب بلا صوت،

﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾

(سورة النمل: 88)

بلا صوت

﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾

(سورة النمل: 88)

السحاب وحده آية.

إذاً: مسطحات الماء، مع أشعة الشمس، مع التبخر، مع تعامل الهواء مع بخار الماء، هل الهواء هذا شفاف؟ هذا في بخار الماء، لكن بخار الماء إذا زاد عن حد معين، انقلب إلى سحابة، أي هواء فيه بخار ماء، بقلك درجة الرطوبة في الشام خمس وثلاثين، في الغوطة سبعين، في الساحل تسعين، في عنا درجة حرارة، ودرجة رطوبة، ما معنى الرطوبة ؟ يعني مقدار بخار الماء الذي يحمله الهواء، هذا الهواء شفاف، لكن في بخار ماء، والدليل حينما توقد مدفأةً في غرفة في الشتاء، تجد قطرات من الماء على البلور، بللور النوافذ، بخار الماء الذي في الغرفة، تحول إلى قطرات ماء حينما مس سطحاً بارداً، حينما تصب في الكأس ماءً بارداً، تجد قطرات بخار الماء هنا، من أين جاءت هذه ؟ من بخار الماء الذي في الهواء تعامل الهواء مع بخار الماء بقوانين مذهلة، بكون شفاف، بعد حين يصبح هذا البخار عاتماً، يعني بياض، هو السحاب، حينما يواجه جبهةً باردة، وهناك ذرة ينعقد عليها، ينقلب إلى قطرات ماء، هي الأمطار، فإذا اشتد البرد انقلب إلى حب العزيز، فإذا اشتد البرد انقلب إلى ثلج، والثلج معروف عندكم.

يا أيها الأخوة:

أراد الله عز وجل أن نقف عند هذه الآيات، أن نفهمها، أن ندقق فيها، أن نضع يدنا عليها،

﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون، لو نشاء جعلناه أجاجا ﴾

لو انعدم التبخر، صار الماء أجاجاً

﴿ فلولا تشكرون ﴾

قضية الماء.

أخوانا الكرام:

الحرب كانت حرب نفط، ثم انقلبت إلى حرب قمح، الآن الحرب الأولى في العالم حرب ماء، لأنه هي المادة الأساسية، وإذا الله قنن ؛ لا يقنن تقنين عجز، يقنن تقنين تأديب، وفرق كبير بين تقنين العجز، تقنين التأديب الإنسان يقنن تقنين عجز، أما الإله يقنن تقنين تأديب، فحينما تشح الأمطار، ويتلف النبات، هذا تقنين تأديب طبعاً هذا الماء له سيولة، هذا الماء لو وضعته في مستودع، وفوق المستودع مكبس وزنه ثمانمائة طن، لا ينضغط ولا ميلي، أبداً الماء لا ينضغط، وإذا أراد الماء أن يتمدد بفعل البرودة، لا يمكن لشيء في الأرض

أن يقف في وجهه، الآن طريقة تفتيت الصخور يحفرون حفرة يعبئونها ماء، الماء يبرد، الصخر يتشقق، محرك سيارة من أغلى أنواع المعادن، إذا نسي يضع صاحبه مادة مضادة للتجمد ينشطر شطرين. طيب، في بالعين ماء، لو ذهبت إلى بلد بشمال الأرض الحرارة سبعين تحت الصفر، وتجمد ماء العين فقدت البصر، الله عز وجل، وضع في ماء العين مادةً مضادةً للتجمد، كي تستخدم العين دون أن تخشى فقد البصر.

فهذا الماء آية من آيات الله، التبخر أن يحمل مع الهواء بدرجات متفاوتة أن يسوق الهواء السحاب، أن يواجه جبهةً باردة، أن ينعقد على ذرات، على شكل قطرات، وأن يسقي الله به الأرض العطشاء، نشرب نحن، والبهائم، والنبات، هذه آيه فالإنسان كلما شرب كأس ماء، يقول بسم الله الرحمن الرحيم، يعني هذا الماء العذب ليس بشطارتك، ولا بذكائك، أنت فقط نقلته من الينبوع إلى الأرض للمنزل، عملك شكلي، أما الذي جعله عذباً فراتاً هو الله عز وجل، تسمي بسم الله صار عذباً فراتاً، وبسم الله أشربه وفق منهج الله. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، أثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا أرضى عنا و صلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-8) : تفسير الآيات 71-72 -73 ، أهمية النار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: ربنا سبحانه وتعالى بث في الكون آيات دالة على عظمته وعلى وحدانيته، وعلى قدرته، وعلى رحمته، وعلى كل أسمائه الحسنى، إن الكون بشكلٍ أو بآخر مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى. فالآية الأولى:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) ﴾

وجودكم، طريقة وجودكم، والآية الثانية: طعامكم، والثالثة شرابكم، والرابعة دفئكم: وجود، طعام، شراب، دفئ، الآية التي قبل الأخيرة:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71)﴾

تصور أن النار ألغيت من حياتنا، أولاً: كل الأدوات المعدنية التي نستخدمها في الصناعة، إنما صنعت عن طريق النار، الحديد تراب، فلذات الحديد تراب، أخرجت هذه الفلذات وضعت في أفران عالية، صهرت، واستخلص منها الحديد، فكل أدوات الصناعة على الإطلاق، لا تجد سكين تقطع بها الفاكهة، ولا تقطع بها اللحم، لا تجد قدوم، لا تجد محفار، لا تجد محراث، كل الأدوات مهما تكن بدائيةً من دون نارٍ لن تجدها، هذا النسيج، هذه الثياب التي تلبسونها صنعت بآلات نسيج، آلات النسيج من الحديد، الحديد لولا النار لما كان حديد، فيمكن أن تعد النار سبباً لكل شيء تراه عينك، حتى طعامك، وشرابك، لولا النار لما أكلته، البقول لا تأكل من دون طبخ إطلاقاً، هل بإمكانكم أن تأكلوا القمح من دون طبخ، من دون سلق مستحيل، الخبز، لو تصورت النار لوجدتها داخلة في كل شيء تراه عينك، لذلك:

﴿أفرأيتم النار التي تورون ﴾

تشعلونها.

طيب، من جعل في باطن الأرض هذه الثروات النفطية ؟.

قال تعالى:

الذي

﴿جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾

(سورة يس: 80)

قد يعجب الإنسان ! الشجر الأخضر لا يشتعل ! كيف يقول الله عز وجل:

﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ﴾

قال العلماء: الورقة الخضراء هي المعمل، لولاها لما كان النبات، فوصف بسببه من الشجر الأخضر نارا، هذه الغابات العملاقة التي كانت في العصور المطيرة، والتي دفنت تحت الأرض، والتي أصبحت نفطاً هو الطاقة الأولى في حياتنا

﴿جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾

يعني أنت من أجل أن تعرف ما قيمة هذا الوقود السائل مركبة وزنها طونين فيها خمس ركاب، في طريق صاعدة هكذا، كم رجل يستطيع أن يحركها نحو الأمام، بينما بالبنزين هذا السائل الانفجاري يدفعها نحو الأمام بوزنها، وركابها، وأمتعتهم، الطائرة تزن مائة و خمسين طن، الجانبو وقودها مائة وخمسين طن، وقودها بقدر وزنها هذا الوقود تستهلكه في أربعة عشرة ساعة، تستهلك الطائرة وقوداً بقدر وزنها بأربعة عشرة ساعة، من أجل أن تحمل مائة وخمسين طن ركاب، مع الوقود، مع أمتعتهم، على ارتفاع أربعين ألف قدم، من صمم هذا الوقود.

﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾

(سورة النحل: 8)

لو الآية انتهت هنا لكان كلام محمد، لأنه عاش في صحراء، في أمامه خيل وبغال، وحمير، وجمال، أما لأنه كلام الله،

﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾

ويوجد أيضاً، سيارات، وبواخر، وطائرات، وصواريخ ومراكب فضائية، عزي خلق الطائرة إلى الله، إلهاماً، ومواد أولية ووقوداً، ما قيمة الطائرة بلا وقود ؟ لا قيمة لها إطلاقاً.

لذلك:

﴿ أفرأيتم النار التي تورون ﴾

هذه النار، يعني في أشياء عندك بسيطة جداً، والله طبخنا على الغاز، ما هذا الغاز ؟ من أين جاء الغاز ؟ هذا الغاز في حقول النفط بين الحقل، وبين سقفه غاز مضغوط، فإذا حفرت بئر النفط، انطلق النفط ذاتيا بضغط الغاز، ثم إن الغاز مادةٌ ثمينة جداً، الآن بأوربا معظم السيارات على الغاز، لا يلوث الطبيعة أبداً، مصروفه أقل بكثير، هذا الغاز الذي يشتعل لهبة زرقاء هذا من باطن الأرض.

﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72)﴾

يعني سواءً جئت بقطع من الحطب أحرقتها في الفرن، أو جئت بالبترول أحرقته، المؤدى واحد، لأن هذا البترول أصله شجر في العصور المطيرة نشأت غابات عملاقة في الأرض، بفعل الزلازل والبراكين دفنت تحت الأرض، فكانت حقول النفط، بقلك الحقل الفلاني، مثلاً السعودية مخزون النفط فيها يكفي مائة وسبعين عاماً قادمة، البلد الفلاني مخزون النفط في طاقة كبيرة جداً في الأرض

﴿ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾

لماذا ؟ في نار جهنم، هل تقوى على تحمل النار ؟ قال أحد العلماء: قرأ حديثاً أغناه عن أربعة مائة ألف حديث، اتقي النار بقدر صبرك عليها، واعمل للجنة بقدر مقامك فيها، واعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، واتقي الله بقدر حاجتك إليه كل شيء يحتاج الله في كل شيء، وجودك، قيامك.

إذا واحد ماشي هي نعمة كبرى، إذا ماشي نعمة الحركة، لو تعطلت أقرب الناس إليك يتمنى أن يخفف الله عنك، أقرب الناس إليك نعمة الحركة، نعمة السمع، والبصر، فالله عز وجل يحتاجه كل شيء في كل شيء، اعمل لله بقدر حاجتك إليه، واعمل للجنة بقدر مقامك فيها إلى أبد الآبدين، واعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، واتقي النار بقد صبرك عليها،

﴿ نحن جعلناها تذكرة ﴾

يعني موجة حر 45، الناس يخرجون من جلودهم أليس كذلك موجة حر 45، الشمس درجة حرارة سطحها ستة آلاف درجة حرارة باطنها عشرين مليون درجة، لو أن الأرض ألقيت في جوف الشمس لتبخرت في ثانية واحدة، ثانية، تبخرت، هذه نار الدنيا فكيف بنار الآخرة ؟

﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ﴾

(سورة النساء: 56)

فالإنسان قبل أن يعصي الله ليأتي بشمعة مشتعلة، ويضع إصبعه عليها، قبل أن يعصي الله ليأتي بموقد الغاز يضع كفه عليه، قبل أن يعصي الله، قبل أن يأكل المال الحرام، قبل أن يملئ عينيه من الحرام، قبل أن يكذب، قبل أن يغتاب، قبل أن يطلق طلاقاً تعسفياً، قبل أن يقبض مالاً حراماً، قبل أن يفعل هذه المعاصي ليضع يده على موقد الغاز،

﴿ نحن جعلناها تذكرة ﴾

في نار في الدنيا، لكن نار الدنيا، مخففة جداً، مخففة ملايين المرات.

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ (73)﴾

المقوينن ؟ المسافرين، يشعلون النار يتدفئون بها.

﴿ إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾

(سورة طه: 10)

قال بعض العلماء: كن لي مالا ترجو، أرجا مما أنت منه ترجو، ما معنى هذا الكلام ؟ سيدنا موسى ذهب ليأخذ قبساً من نار فكلمه الله عز وجل:

﴿ إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ﴾

أربع آيات أخوانا... آيات خلقنا.. وآيات رزقنا.. وآيات الماء.. وآيات النار.. خلق.. ورزق.. وماء.. ونار.

وهي أساسيات جداً بحياتنا، أنت موجود تأكل، وتشرب وتتحرك بالنار، راكب مركبة، لو ما في نار ما بتتحرك السيارات بالأرض، ما في طائرات، ما في زراعة، ما في أي أداة لأن الله عز وجل قال:

﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾

(سورة الحديد: 25)

هذا الحديد أساسه النار، لأنه فلذات تراب، هل تستطيع من دون نار أن تجعل من هذا الترب حديداً ؟ مستحيل.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهو أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا أثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا أرضى عنا و صلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-8) : تفسير الآيات 75 – 80 ، الطهارة الحقيقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
يقول الله عز وجل في سورة الواقعة:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)﴾

جواب القسم ؟.

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (80)﴾

ما معنى فلا أقسم ؟ هناك أشياء موضع شك، موضع إنكار تحتاج إلى قسم، لكن هناك أشياء بديهية، مسلم بها، لا تحتاج إلى قسم، فإذا قلت لإنسان ؛ الأب أكبر من ابنه سناً، هل تحتاج إلى قسم هذه الحقيقة ؟ هل يستطيع أن ينكرها إنسان على وجه الأرض ؟ لأن الأب سنه أكبر من ابنه، والجزء أصغر من الكل، وزن اليد أقل من وزن الجسم بكامله، هل تحتاج إلى قسم ؟ فالحقيقة إذا كانت بديهية ومسلماً بها، لدرجة واحد من بني البشر، لا يستطيع إنكارها، نقول فلا أقسم، بعضهم قال لا زائدة، يعني أقسموا، على كلٍ ربنا جل جلاله إن لم يقسم فبالنسبة إلى ذاته، وإن أقسم فبالنسبة إلينا.

إذا قال:

﴿ والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها ﴾

(سورة الشمس: 1)

﴿ والفجر وليال عشر ﴾

(سورة الفجر: 1)

هذا قسم، بالنسبة إلينا، هي شيء عظيم بالنسبة إلينا، أما إذا قال: لا أقسم بالنسبة إليه، هذا معنى ثاني، وبعضهم قال لا زائدة بمعنى لا أقسم، والمعنى الثالث، أن الحقائق الناصعة البديهية التي لا يستطيع إنسان على وجه الأرض أن ينكرها، لا تحتاج إلى قسم.

﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾

المواقع لها معنيان، إما المسافات البينية بين النجوم، وإما سرعة حركة هذه النجوم، وتنقل هذه النجوم من موقع إلى موقع، بعض الدارسات الفلكية تبين أن سرعة بعض المجرات يقترب من مائتين وأربعين ألف كيلو بالثانية، يعني هذه السرعات تقترب من سرعة الضوء، هذه مواقع النجوم تنقلها من موقع إلى موقع.

نحن حينما رصدنا أبعد مجرة على الإطلاق، هذه رصدها مرصد مركب على مركبة فضائية انطلقت إلى المشتري، وبقيت تسبح في الفضاء الخارجي ست سنوات، هذا المرصد على مركبة فضائية وصل إلى المشتري والتقط أبعد مجرة، ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية، ما معنى ذلك ؟ أن هذه المجرة كانت في هذا الموقع قبل ثلاث مائة ألف بليون سنة ضوئية ! الآن أين هي ؟! لا نعلم ! قبل ثلاثمائة ألف بليون كانت هنا، وأرسلت ضوء وصل إلينا، الضوء يقطع في الثانية ثلاثمائة ألف كيلو متر، ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية، مواقع النجوم، تنقلات النجوم.

موقع الأرض، الأرض تسير حول الشمس، بسرعة تزيد عن ثلاثين كيلو متر في الثانية، بدأت الدرس في الواحدة وخمس عشرة دقيقة، الآن واحدة وعشرين دقيقة، ست دقائق، ضرب ستين، ستة في ستة بستة وثلاثين، وصفر ثلاثمائة وستين ثانية، ضرب ثلاثين ثلاثمائة وستين، ستة وثلاثين ضرب ثلاثة، قول مائة، وصفرين عشرة آلاف كيلومتر منذ أن بدأت، قلت بسم الله الرحمن الرحيم حتى الآن، منذ أن بدأت قولي بسم الله الرحمن الرحيم، حتى الآن قطعنا في الفضاء الخارجي عشرة آلاف كيلو متر، من هنا إلى جدة ألف كيلو متر،

﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾

أما أكثر المجرات سرعتها مائتين وأربعين ألف كيلو متر بالثانية، والضوء سرعته ثلاث ألف كيلو متر بالثانية.

المعنى الثاني: المسافات، طيب هي ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية، ما هذه المسافة ؟ كل ثانية ثلاثمائة ألف كيلو متر، كل ثانية والدقيقة ضرب ستين، بساعة ضرب ستين، باليوم ضرب أربع وعشرين، بالسنة ضرب ثلاثمائة وخمس وستين، بعدين ضرب ثلاثمائة ألف بليون، هذه مسافة، قال:

﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾

من هنا قال الله عز وجل:

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾

(سورة فاطر: 28)

هذا القسم،

﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، جواب القسم: إنه لقرآن كريم ﴾

هذا الكتاب في الأرض، يطبع كل يوم من الكتب باللغة الإنكليزية فقط، ما يحتاج إنسان إلى قراءته في مائتين عام، ما يطبع في اليوم باللغة الواحدة في العالم، باللغة الإنكليزية لا تستطيع أن تقرأه بلا عمل، ولا صلاة، ولا طعام، قراءة مستمرة في مائتين عام كل هذه الكتب في كفة، وهذا الكتاب في كفة، لأنه كلام خالق الكون فضل كلام الله على كلام خلقه، كفضل الله على خلقه، الذي خلق هذا الكون أنزل هذا الكتاب.

﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾

جواب القسم فلان بقلك والله، ثم والله، أو بقلك والله، وبالله وتالله، طيب شو بدنا جواب، ما هو المقسم عليه، أين جواب القسم

﴿ إنه لقرآن كريم ﴾

يعني حينما تمسك هذا الكتاب يجب أن تعلم هذا كلام خالق الكون، الذي خلق مليون مليون مجرة، وبكل مجرة مليون مليون نجم والذي خلق الكون، وكان الله ولم يكن معه شيء، والذي إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، هو الذي أنزل هذا الكتاب،

﴿ إنه لقرآن كريم ﴾

كريم صافي، نقي من كل شائبة، ولا غلطة

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾

(سورة فصلت: 42)

منهج كامل تفاصيل دقيقة معالجة كاملة، موضوعات تامة، يناسب كل إنسان في كل مكان وفي كل زمان. لكن هذا القرآن الله وصفه قال:

﴿ وهو عليهم عمى ﴾

(سورة فصلت: 44)

على الظالمين.

وصفه أيضاً قال:

﴿ ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾

(سورة الإسراء: 82)

هذا القرآن مكنون، يعني مخبأ لا يعطيك ما فيه، إلا إذا كنت مؤمناً،

﴿ لا يمسه إلا المطهرون، إنه لقرآن كريم، في كتاب مكنون ﴾

لو كان النهي ، لقال لا يمسسه، لو أن الله ينهانا عن أن مسه إلا طاهرين، لقال لا يمسسه، لأن الفعل المضعف ؛ إذا سبقه حرف نفي فك إضعافه، وظهر الجزم على الحرف الأول، لا يمسسه، أما حينما قال الله عز وجل:

﴿ لا يمسه ﴾

هي لا نافية، يعني لا يمكن أن تضع يدك على معانيه، ولا على أسراره، ولا على إعجازه، إلا إذا كنت طاهراً من الشك، طاهراً من الشرك، طاهراً من الذنب، لذلك يقرأه أهل الدنيا يقولون ما في نظام، ما في تسلسل، ما في منهجية، ما في موضوعية، يقرأه أهل الإيمان،

﴿ يخرون للأذقان سجدا ﴾

(سورة الإسراء: 107)

ويبكون، ويزيدهم خشوعاً، قال تعالى:

﴿ وهو عليهم عمى ﴾

قال تعالى:

﴿ ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾

قال:

﴿ أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾

(سورة فصلت: 44)

لن تستطيع أن تفهم هذا الكتاب العظيم ولا أن تضع يدك على أسراره العظيمة، إلا إذا كنت طاهراً، من الشك، طاهراً من الشرك، طاهراً من الذنب. شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي وأنبئني بأن العلم نـور ونـور الله لا يهد لعاصي يعني على قدر استقامتك، وعلى قدر طهارتك، وعلى قدر إخلاصك، وعلى قدر صفائك، وعلى قدر تألقك، تفهم كلام الله.

ويا أيها الأخوة: والله لا يحتاج هذا القرآن، أكثر من طهر نفسي، ومن إخلاص لله، ومن استقامة على أمره، تقرأ فتبكي، تقرأ فتفهم، إذا قرأ القرآن مؤمن زاده خشوعاً.

﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم ﴾

(سورة الزمر: 23)

﴿ في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون، تنزيل من رب العالمين ﴾

أنا لا أنفي أنه ينبغي أن تتوضأ إذا أردت أن تمس القرآن ينبغي أن تتوضأ إذا أردت أن تمس القرآن، أما لك أن تقرأه غير متوضئ شفيهاً، راكب في سيارة في سفر، تحفظ سورة الواقعة، لك أن تقرأه دون وضوء، أما إذا أردت أن تلمسه، ينبغي أن تتوضأ هذا المعنى لا ينفى، لكن الفرق بين لا النافية ولا الناهية فرق كبير جداً، لا النافية، ليس لها، لا تجزم، أما الناهية تجزم، ربنا لا ينهانا ينفي.

أوضح مثل للنفي والنهي: طريق سالك مفتوح، لوحة ممنوع المرور هذا نهي، لكن بإمكانك أن تمشي، أن تخترق هذا المنع طريق سالك، بس في مخالفة، أما لو وضعوا على الطريق قطع أسمنتية، مكعبة، على عرض الطريق وارتفاعها مترين، لا تستطيع أن تمشي، النهي شيء، والمنع شيء آخر، ربنا هنا لا ينهى، ولكن يمنع، ينفي، قال:

﴿ لا يمسه إلا المطهرون﴾

إلا لم تكن طاهر الجنان طاهر اللسان، إن لم تكن مخلصاً، إن لم تكن محب لله عز وجل تنادى من مكان بعيد، من مكان بعيد، أما المؤمن ينادى من مكان قريب، ألم يقرأه أبي جهل ؟ قرأه، ليش ما آمن ، ألم يقرأه الوليد ابن المغيرة؟ قرأه، كل من قرأ القرآن ولم يكن طاهر النفس، لم يفهمه ولم يؤمن به.

الآية الكريمة أصبحت:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (42) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (43)﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-8) : تفسير الآيات 81 - 87 ، الإجحاد لله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآية الواحدة والثمانون والتي بعدها من سورة الواقعة، وهي قوله تعالى:

﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (81) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (82)﴾

يعني لك عند الله رزق كبير، خلقك الله عز وجل ليسعدك في الدنيا والآخرة، خلقك ليرحمك، خلقك لجنة عرضها السماوات والأرض، ثمنها أن تعرفه في الدنيا، وأن تطيعه فيما أمرك، وما نهاك، نصيبك من الله كبير، أعلى نصيب ناله مخلوق

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾

(سورة الأحزاب: 72)

أيعقل أن يكون نصيبك من الله عز وجل أنك كذبت بكتابه ولم تتبع سنة نبيه ؟ ! فحرمت سعادة الدنيا والآخرة ، نصيبك من الله الجنة، ثمنها أن تؤمن به، وأن تستقيم على أمره وأن تتقرب إليه بخدمة خلقه، هذا ثمن الجنة، ولك جنة عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

أيعقل أن تكون أيها الإنسان، وأنت المخلوق الأول، الذي قبلت الأمانة حينما عرضت عليك، وسخر الله لك الكون كله،

﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ﴾

(سورة الجاثية: 13)

أعطاك العقل، وأعطاك الفطرة، وأعطاك الطيبات،

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾

(سورة الإسراء: 70)

كل هذا العطاء في الدنيا من أجل أن تعرفه، ومن أجل أن تحبه، ومن أجل أن تطيعه، والجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر هي لك، وثمنها بين يديك، أيعقل أن تكذب ! وأن تعرض ! وأن تعصي ! وأن تدير ظهرك لهذا الحق ! وتكون علاقتك بالله علاقة كفر علاقة تكذيب، علاقة عصية،

﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾

يعني هذا الذي ظهر منك بالنهاية، كل هذا الكون مسخر لك كل هذا الكون ينطق بوجود الله، ووحدانيته، وكماله، ومع كل هذا تقابل هذا الإحسان بالكفر، والعصاين

﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾

أيعقل أن كل المخلوقات التي من دونك تسبح الله عز وجل !

﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾

(سورة الإسراء: 44)

كل المخلوقات تسبح ربها، بطريقة، أو بأخرى، وأنت الذي سخرت له كل هذه المخلوقات، أنت وحدك الغافل؟ أنت وحدك الجاحد ؟ أنت وحدك العاصي؟

﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ﴾

تحاول أن تأخذه يمنة أو يسرة، وأن تغطي شيء بشيء، وأن تقول هذا تفكير غيبي، وهذه أشياء لا نحتاجها اليوم، هذا تفكير ساذج قديم، هي الأديان حالات الإنسانية الضعيفة، شعور إنسان بالضعف، قام اخترع الأديان، تجعل هذا الحق العظيم، تجعله خرافةً، تجعله أفيوناً كما قال بعضهم تجعله غيبيات، أنت إنسان واقعي، إنسان علمي، هكذا ؟ أفبهذا الحديث، كلام رب العالمين، كلام خالق السماوات والأرض، الذي

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾

(سورة فصلت: 42)

تدهن به تشده إلى مصالحك، تغطي به انحرافك،

﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ﴾

من المداهنة، المداهنة تحاول تغطي الباطل بالحق، وتحاول تجر الحق للباطل، وتحاول تتكر من أجل مصالحك.

﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون، وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾

وماذا تفعل أيها الإنسان حينما يأتي ملك الموت ؟ ما قيمة المال الذي جمعته من حرام ؟ ما أثر الشهوات التي انغمست بها في الدنيا ؟.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84)﴾

أولاده، أخوته، زوجته، بناته، أصهاره، عيونهم عليه

﴿ وأنتم حينئذ تنظرون﴾

بعضكم يضع يده على جبهته، بعضكم يضع يده على نبضه، بعضكم يضع يده على قلبه

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (87)﴾

تفضل أعد له الحياة.

أنا كنت مرة عند طبيب قلب، جاءته مكالمة، الجهاز قديم جداً سمعت الطرف الآخر وأنا بعيد عن الجهاز، قال له أي بلد بالعالم وأي مبلغ نحن حاضرين، قال له ما في أمل والله، السرطان من الدرجة الخامسة. يعني من يملك أن يعيش ساعة، بعد هذه الساعة،

﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين، ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾

طيب في الدنيا تكذب، في الدنيا تنكر، في الدنيا تجحد، في الدنيا تعصي، في الدنيا تستعلي، في الدنيا تتغطرس، في الدنيا تقول أنا، طيب ماذا تفعل إذا جاء ملك الموت ؟ ماذا تفعل ؟ إذا بلغت الحلقوم أطرافه كلها بردت، جاء الطبيب حط السماعة لقى القلب واقف لعله ضعيف جداً هاتوا مراية، حطها ما في بخار ماء، لعله الدماغ لم يمت بعد ، أعطونا بيل، وضع هذا البيل، المصباح في قزحية العين إذا الدماغ يعمل تصغر الحدقة على الضوء، ما تأثرت، عظم الله أجركم، خلص اكتبوا النعوة.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) ﴾

نحن مدينون لله عز وجل، مدين لله ببقائك.

ما دام أخوانا كل الحاضرين، صباحاً استيقظتوا، وجئتم إلى هذا المسجد، فأنتم مدينون إلى الله بوجودكم، وباستمرار وجودكم وبصحتكم، وبعمل أجهزتكم غلط بالجسم تجعل حياة الإنسان جحيماً غلط، نسب معينه بالدم، غدة نصف غرام وزنها، النخامية، لها أثنى عشر هرمون، لو هرمون أختل، لازم تجلس جنب الصنبور أثنى عشر ساعة، تشرب وتبول، هرمون توازون السوائل، إذا أختل انتهت حياتك، مدين أنت، مدين ببقائك، مدين بوجودك، مدين بصحتك، مدين بعمل أجهزتك، مدين بعقلك، لو أختل، من الذي يسعى ليأخذك إلى مشفى المجانين ؟ أقرب الناس إليك، زوجتك بواسطة كمان، دخلك خلصونا منه، هو شاري البيت، هو شاري البيت، هو بزوج، هو أنجبكم، خلصونا منه على القصير، إذا العقل أختل،

﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾

أنت مدين لله عز وجل،

تفضل أرجع.

قال له: أريد أن أعصي الله.

قال: خمس أشياء، إن فعلتها لا عليك أن عصيت الله.

قال له كيف ؟.

قال له: إن أردت أن تعصيه، فلا تسكن أرضه.

قال له أين أسكن إذاً ؟!.

تسكن أرضه وتعصيه، معقول !.

قال له: هات الثانية.

قال له: إن أردت أن تعصيه فلا تأكل من رزقه.

قال له وماذا أكل إذاً ؟!.

قال له: تسكن أرضه وتأكل رزقه وتعصيه.

قال له: هات الثالثة.

قال له: إن أردت أن تعصيه، فعصيه في مكان لا يراك في. قال له: وهو معي دائماً !.

قال له: تسكن أرضه وتأكل رزقه وتعصيه وهو يراك.

قال له: هات الرابعة.

قال له: إن أردت أن تعصيه وجاءك ملك الموت فلا تذهب معه، لا ترد عليه.

قال له: لا أستطيع !.

قال له: تسكن أرضه، وتأكل رزقه، وتعصيه وهو يراك ولا تملك أن لا تذهب مع ملك الموت.

قال له: هات الخامسة.

قال له: إذا جاءك الزبانية ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم.

قال له: لا أستطيع.

قال له: تسكن أرضه، وتأكل رزقه، وتعصيه وهو يراك ولا تملك أن ترفض دعوة ملك الموت، ولا زبانية جهنم.

قال له كفيت.

﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين، ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾

مليون تصنيف بالأرض، بالنهاية ثلاثة تصنيفات أنكلواسكسوني، سامي، عرق آري، ملون، أبيض، أسود، دول شمال، دول جنوب، المذاهب، الطوائف، النحل، الملل، كل هذه التقسيمات باطلة، ثلاثة صفيوا.

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (89) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90)﴾

مقبول...

﴿ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91)﴾

الأول ممتاز، الثاني مقبول، شحط.

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (94) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (96)﴾

أخوانا الكرام: هذا كلام جاد، هذا كلام خالق الكون، وهذا مصيرنا جميعاً، كلياتنا لا بد من أن نطوي تحت أحد هذه البنود،

﴿ فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم ﴾

هؤلاء ممتاز، جيد جداً، مرتبة الشرف الأولى،

﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين ﴾

مقبول ماشي الحال، جيد،

﴿فسلام لك من أصحاب اليمين، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم، إن هذا لهو حق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الفصل الحادي عشر : تفسير سورة الحديد

الدرس (1-9) : تفسير الآية 7 ، استخلاف الإنسان في الأرض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية السابعة من سورة الحديد، وهي قوله تعالى:

﴿ آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7)﴾

دلو وقفنا عند كلمة، مستخلفين فيه،

﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾

المال مثلاً أنت مستخلف فيه، أنت أمينٌ عليه، ليس ملكك بالمعنى الضيق، يدك عليه، يد الأمانة، عليك أن تنفقه وفق منهج الله.

سُئل أعرابي معه قطيع من الإبل، لمن هذه الإبل ؟ أجاب أبلغ إجابة باللغة قال لله في يدي، لله في يدي، يعني هي لله، لكن تحت تصرفي،

﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾

مطلقة، المال أنت فيه مستخلف، الصحة أنت فيها مستخلف، ينبغي أن تنفق هذه الصحة في الهدف الذي خلقت من أجله، لك شئن في المجتمع، هذا حظ من حظوظ الدنيا، أنت مستخلف فيه، لهذا الشأن والحظ ينبغي أن تعين الضعيف، وأن تدافع عن المظلوم، أعطاك علماً، هذا العلم مستخلف فيه الأصل أن الله عز وجل يقول:

﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾

(سورة البقرة: 30)

فالإنسان خليفة الله في الأرض، أعطاه المال وجعل يده عليه، يد الأمانة، فهذا المال ليس لك، والأصل ما لك، ليس لك يعني، مالي، ليس لي، يعني: ماله ليس له، مالك ليس لك، ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت.

يا رسول الله... كان يوزع شاةً، لم يبقى إلا كتفها، فقال عليه الصلاة والسلام: بل بقيت كلها، إلا كتفها، الذي تصدقت به هو الذي بقي، والذي استهلكته هو الذي ضاع منك.

فيا أيها الأخوة: كلمة مستخلفين، يلي عنده مركبة، أنت مستخلف بها، إما أن توظفها في الحق، أن تلبي بها حاجة المستغيث أن تستخدمها في الحق، أو تحاسب على ذلك، عندك بيت هذا البيت يجب أن تجمع به الناس لتعرفهم بالله عز وجل، لا للعب النرد، لا لسهرة مختلطة، لا لحفلات لا ترضي الله عز وجل، لا لحديث فيه معصية لله، البيت أنت مستخلف فيه، والمركبة أنت مستخلف فيها ومركزك التجاري مستخلف فيه، وعلمك مستخلف فيه، طلاقة لسانك مستخلف فيها، ومالك مستخلف فيه، وصحتك مستخلف فيها، وجاهك مستخلف فيه.

كل حظوظ الدنيا أعطيتها كي توظفها في الحق، ليست نعمةً وليست نقمةً، لكنها موقوفة على نوع استعمالها، المال نعمة ؟ لا أعرف، إن أنفقته في المعاصي فهو نقمة، إن أنفقته في الطاعات فهو نعمة، أبواب الخير لا يعلمها إلا الله، كلها مفتحة، الذي يملك المال ينفق المال، الذي يملك العلم، ينفق العلم، الذي يملك الجاه ينفق الجاه الذي يملك الخبرة، ينفق الخبرة.

أروع ما في الموضوع أن بعض العلماء قال: هناك عبادة مقيدة، وهناك عبادة مطلقة، فربنا عز وجل أقام كل إنسان بخصائص يتميز بها، أقام الغني بالمال، عبادته أنفاق المال، أقام العالم بالعلم عبادته أنفاق العلم، أقام الإمام بالعدل، عبادته تحقيق العدل، أقام الخطيب بطلاقه لسانه، عبادته أن يطلق لسانه بذكر الله، كل إنسان له خاصة، هي بحسب الشخص، وأما بحسب الحال، عندك ضيف عبادتك إكرام الضيف، عندك أخ مريض، عبادتك مداواة هذا المريض، عندك ابن يحتاج إلى راعية بالغة، عبادتك رعاية هذا الابن عندك زوجة تحتاج إلى توجيه، عبادتك توجيه هذه الزوجة، فالعبادة متعلقة بالعابد، ومتعلقة بالظرف، لكل ظرف عبادته، داهم عدو شرس لئيم، العبادة أن نقاومه جميعاً، فرض عين على كل إنسان فالإنسان أو البيئة، أو الحال، لكل حال عبادته ولكل إنسان عبادته وأنت مستخلف في.

إنسان الله أعطاه صوت حسن، بإمكانه أن يقرأ القرآن وبإمكانه أن يغني، أنفق هذا الصوت بما جعلك مستخلف فيه، قراء القرآن الذين ماتوا، أصواتهم الشجية، تصدح في كل مكان إلى آخر الزمان، والمغنون الذين أتوا موهبةً بالغناء أصواتهم المتكسرة ومعانيهم الساقطة، يأثمون عليها بعد موتهم إلى يوم القيامة.
كل شيء بحسابه، الكلمة الدقيقة، أنت مستخلف، يدك على هذا الشيء، يد الأمانة، لا تقل هذا لي، قل هذا لله في يدي، مادام لله في يدك، ينبغي أن تنفقه وفق منهج الله، هذا معنى قول الله عز وجل، في الآية السابعة، من سورة الحديد:

﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾

من يقول كبير ؟ الكبير، أوضح معنى، لو أمامك طفل صغير قال لك أنا معي مبلغ كبير، كم تقدر هذا المبلغ ؟ طفل عمره أربع سنوات، قال لك أنا معي مبلغ كبير تقدره بخمس وعشرين ليرة، مائة ليرة، خمسمائة، أما إذا قال لك أكبر غني بالعالم أنا معي مبلغ كبير تقدره ثلاثين مليون دولار، المبلغ يقدر بقدر القائل، في رجل بأمريكة يملك ثلاثين مليار دولار، يلي اخترع برامج الكمبيوتر.

طيب شوف، قال:

﴿ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾

من قال هذه الكلمة ؟ الكبير، الكبير قال لكم أجر كبير .

لذلك الإنسان قد يطعم لقمة في سبيل الله، يراها يوم القيامة كجبل أحد، كجبل أحد.

يعني العقل كل العقل، والذكاء كل الذكاء، والتفوق، كل التفوق، والفلاح كل الفلاح، والتوفيق كل التوفيق، أن تنفق مما رزقك الله.

ممكن تقسم الناس إلى قسمين... قسم يأخذ.. وقسم يعطي الذي يأخذ من أهل الدنيا، بجمع بجمع، بجمع، بجمع، صار عنده حب الجمع،

﴿ كلا إنها لظى، نزاعة للشوى تدعوا من أدبر وتولى وجمع فأوعى ﴾

(سورة المعراج: من 15 . إلى 18)

﴿ ورحمة خير مما يجمعون ﴾

(سورة آل عمران: 157)

بعد ما يجمع، يعيش فقير ليموت غنياً، تسأل ابنه إلى أين أنت ذاهب يا فلان ؟ قال لأشرب الخمر على روح أبي، ترك هذا المال بين أيدي شباب جهلاء، أشقياء، فكان جمعه أثماً في جمعه وأثماً في إنفاقه، وأندم الناس غني دخل بماله النار.

لذلك:

﴿ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾

فالعقل بالإنفاق، أقول لك مطلق الإنفاق، أنفق مما أعطاك الله، مالذي أعطاك الله ؟ إنسان طبيب الله أعطاه علم، معه دكتوراه بالطب متفوق، إذا عالج المرضى الفقراء، هذا أنفق من علمه، إنسان محامي، قد تجد إنسان مظلوم، مسحوق، لا يملك ثمن التوكيل دافع عنه، هذا إنفاق من علمك، إنسان عنده مخبر قد يأتي إنسان مضطر لتحليل ما معه، فكل إنسان بحسب اختصاصه، يعني أنا أشاهد أحياناً مشاهدات رائعة كل

إنسان بقدم اختصاصه في سبيل الله، يعني في عنا معهد متواضع، طبيب أصر إلا أن يأتي كل يوم يداوم ساعة بالمعهد يفحص الطلاب لوجه الله، أكبرته جداً، ما أحد كلفه، تبرع من عنده يأتي كل يوم، يجلس معهم ساعة، يعالجهم كل يوم شعبة، هذا أنفق مما أعطاه الله عز وجل، في إنسان ماله اختصاص الآن في إنسان ما عنده حرفة، في إنسان ماله ميزة بالحياة، هذه الميزة أنفقها في سبيل الله، هل تصدق أنك إذا أنفقت مما أعطاك الله، تقرض الله قرضاً حسناً ليضاعفه لك أضعافاً كثيرة،

﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾

(سورة البقرة: 245)

والله أحد أخوانا الأطباء الجراحين قال لي أي إنسان فقير، أنا أعمل له عملية مجاناً، بعثت له أول واحد، ممتاز، ثاني واحد، ثالث واحد، اتفقنا، قال لي فقير خبرني، اعمل لي توقيع معين، هذا أنفق، طبيب جراح، درس في بريطانيا له مكانة كبيرة، قال لي أنا بدي أنفق من علمي في سبيل الله، في أعمال صالحة كبيرة جداً، ما بيحضرني التفاصيل، بس في أعمال كبيرة جداً، كل إنسان بحسب ما الله أقامه، بتحس أنه الإنسان بلا عمل صالح تافه، حقير، مادي شهواني، يأتي ملك الموت فيسحقه، لا تشوف واحد صحته طيبة الآن لما بقرب من مغادرة الدنيا.

والله اليوم في لي مبلغ بسيط مع محاسب، ذهبت لأقبضه لقيت طاولته فارغة، العادة كلها أوراق، وين أخونا؟ قال والله مات هيك بهذه البساطة، قال له صار له جمعتين ميت، ما في شي والله الطاولة فارغة كلها هذا الحدث سهل الموت ؟ سهل ؟ لوين راح مغادرة بلا عودة، بلا عودة، استغربت ما في شي، الطاولة كلها فارغة، العادة أضابير، وأوراق، ما في شي وينه قلت لهم ؟ قال لي مات، خلص انتهت، فلم وخلص، هكذا الدنيا منام، الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا.

فيا أيها الأخوة:

﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-9) : تفسير الآية 9 ، رحمة الله ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية التاسعة من سورة الحديد، وهي قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (9) ﴾

الآية هي العلامة، والعلامة هي الأثر الذي يدل على مؤثر.

لله عز وجل آيات نصبها في الآفاق.. ولله عز وجل آيات تظهر في أفعاله.. ولله عز وجل آيات في قرأنه. فآياته كونية وتكوينية وقرآنية،

هو الذي ينزل على عبده آيات بينات .

المقصود بها، آيات القرآن الكريم، والآيات، كلمة آية علامة، و أكد هذا المعنى بكلمة بينات، يعني واضحات، نيرات ظاهرات، من أجل ماذا ؟ هذه اللام لام التعليل ، ليخرجكم من الظلمات إلى النور الجهل ظلام، الكفر ظلام، الشرك ظلام، أتباع الهوى ظلام، فالإنسان قبل أن يعرف الله، في ظلمات،

﴿ ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾

(سورة النور: 40)

الإنسان إذا كان في ظلام دامس، وتحرك، لا بد من إن يقع لا بد من إن يصطدم بحجر، أن يقع في حفرة، أن تؤذيه حشرة، أن يصطدم بشجرة، ما دام في حركة، وفي ظلام، ما هي الحركة الحركة هذه الشهوات، التي أودعها الله في الإنسان، هذه تحركه تحركه نحو أخذ المال، أو تحركه نحو الطرف الآخر، ليقضي حاجته وشهوته، ما دام في شهوات، في اندفاع، نحو تحقيقها، فالإنسان إذا وقف في الظلام، ما تحرك ما في مشكلة، لكن هو في الظلام، ولا بد من إن يتحرك، بدافع الشهوات، حركة من دون إضاءة، الحادث حتمي، مثل بسيط جداً، طريق كله منعطفات، على اليمين وادي وعلى اليسار وادي، والإنسان أطفئ مصابيح سيارته فجأة، احتمال الحادث بالمائة مائة.

لذلك العلم نور، هذا القرآن منور، قال تعالى

﴿ الله نور السماوات والأرض﴾

(سورة النور: 35)

يعني الله جل جلاله، خلق السماوات والأرض ونورها، بهذا الكتاب، يعني وضح الهدف من خلق الإنسان، وضح حقيقة الإنسان، وضح مهمة الإنسان، وضح المنهج الذي ينبغي إن يسير عليه، بين له ماذا بعد الموت، ماذا قبل الموت، كيف يتزوج، كيف يأكل، كيف يشرب، فهذه التعليمات هي تنوير، أنت حينما تشتري آلة بالغة التعقيد، غالية الثمن، عظيمة النفع، الكتيب الذي يهديك إلى طريقة استعمالها، وصيانتها، كأنه نور ينير لك طريقة استعمالها.

إذاً الآية الكريمة:

هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات، الظلمات جمع، النور مفرد، الحق لا يتعدد الباطل متعدد، في باطل اعتقادي، في باطل سلوكي، في باطل أساسه الانحراف، في باطل أساسه التكذيب، في باطل أساسه الطغيان الباطل الاعتقادي مليون مذهب، ومليون فرقة، ومليون نِحلة ومليون اتجاه، فالباطل يتعدد، كما إن الخط المنحي يتعدد، والخط المنكسر يتعدد، ممكن بين نقطتين، ترسم مليون خط منحني، ومليون خط منكسر، لكن بين نقطتين لا يرسم إلا خط مستقيم واحد، لذلك أينما جاءت، جاء طريق الاستقامة جاء مفرداً.

﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾

(سورة الأنعام: 153)

﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾

فالسبل متعددة، السبل التي لا توصل إلى الله متعددة، أما السبيل الذي يوصل إلى الله واحد.

إذاً المؤمن خرج من ظلمات الجهل، والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، خرج من وحول الشهوات إلى جنات القربات، هذا ملخص الملخص، خرج من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، و من وحول الشهوات إلى جنات القربات.

طيب لماذا فعل ربنا هذا جل جلاله ؟ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جمعياً إن الله غني عنكم لو أن أولكم و أخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب واحد منكم، ما زاد في ملكي شيئاً، لو أن أولكم و أخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد في ملكي شيئاً، لو كنتم على أفجر قلب رجل، ما نقص في ملكي لو كنتم على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد في ملكي شيئاً، لو أن أولكم وأخركم وأنسكم وجنكم، وقفوا على صعيد واحد، وسألني كل واحد منكم مسألة، ما نقص ذلك في ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا

غمس في مياه البحر، ذلك لأن عطائي كلام، وأخذي كلام، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنا إلا نفسه.

طيب ما دام الله جل جلاله لا يزيده هدايتنا، ولا ينقصه ضلالنا، ولا يغتني إذا أطعناه، ولا يفتقر إذا عصيناه، فلماذا أخرجنا من الظلمات إلى النور قال:

﴿ وإن الله بكم لرءوف رحيم ﴾

ما في أب الآن غني، وقوي، وله شئن كبير، فلماذا يجهد بصلاح ابنه، بدافع رحمته، أكثر الآباء، لا تريد من أبنائها شيئاً ولا شيء، إلا إن يكون سعيداً، إلا إن يكون في مكانة علية فهذا الكمال،

﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾

(سورة الشورى: 23)

إلا أن تود الله عز وجل بعمل تتقرب به إليه.

إذاً:

هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم. يعني رحمة الله عز وجل هي السبب، إني والأنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي، وهم أفقر شيء إليّ، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنتهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها.

مر النبي عليه الصلاة والسلام، في الطريق مع أصحابه بامرأة تقبل أبنها، وتضمه، فقال عليه الصلاة والسلام: أتلقي هذه المرأة بولده إلى النار ؟ قالوا معاذ الله، قال: والذي نفس محمد بيده لله أرحم بعبده من هذه بولدها.

رحمة أمهات العالم من آدم إلى يوم القيامة، لا تساوي جزء من مليار من مليار، مليار من رحمة الله عز وجل، والدليل قال تعالى:

فبما رحمة . نكرة .

﴿ من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾

(سورة آل عمران: 159)

عن نفسه ماذا قال:

﴿ وربك الغفور ذو الرحمة ﴾

(سورة الكهف: 58)

الرحمة كلها عند الله وسيد الخلق، وأرحم الخلق بالخلق، أوتي جزء منها، وأمهات العوالم أمهات البشر، وأمهات الحيوانات، وأمهات الأطيار، وأمهات الأسماك، أوتيت جزء من رحمة الله عز وجل.

إذاً : هو الذي ينزل على عبده آيات بينات . هذا القرآن .

ليخرجكم من الظلمات . ظلمات الجهل، والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم .

إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-9) : تفسير الآيات 12-15 ، مشاهد من يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: من مشاهد يوم القيامة التي أكرمنا الله عز وجل بأن ذكرها في كتابه الكريم من أجل أن نعلم ما سوف ينتظر الناس .

يعني ما حكمة ربنا جل وعلا من أنه أورد في كتابه الكريم مشاهد من يوم القيامة.

كما لو أن أستاذاً، جليلاً، رحيماً، أعطى طلابه نماذج الأسئلة، ربما تسألون في هذه المادة سؤالاً نظرياً، ربما كان السؤال حل مسألة في الفيزياء، ربما كان السؤال اختيارياً، ربما كان السؤال إجبارياً، ربما كان السؤال سؤال مناقشة، لا سؤال سرد، فالأستاذ الرائع، الرحيم الحكيم، الماهر، يعطي طلابه نماذج من الأسئلة هذه النماذج لا يفاجئون بها، لا يفاجئوا الطلاب بأسئلة غير متوقعة.

وكأن الله جل جلاله أراد أن يضع بين أيدينا نماذج من مشاهد يوم القيامة ما الذي يحصل ؟

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾

(سورة الحديد: 12)

الإنسان حينما يتصل بالله يستنير قلبه، إن استنار قلبه رأى طريقه، وأوضح مثل يجسد هذه الحقيقة النظرية، تركب مركبةً، في طريق وعرٍ، متعرجٍ، فيه حفر، فيه أكمات، فيه مفاجئات، فيه مضائق، فيه منزلقات، ومعك مصباح شديد، هذا المصباح يكشف لك الطريق، تتلافى الحفرة، تبتعد عن الأكمة، تتمهل عند المنزلق تنجو، ما الذي دعاك إلى النجاة ؟ هذا النور الذي تستعين به على معرفة ما حولك.

فالمؤمن حينما يتصل بالله عز وجل يقذف الله في قلبه نوراً يريه الحق حقاً، والباطل باطلاً، وهذا كلام له دليل قوي في القرآن الكريم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾

دققوا .

﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾

(سورة الحديد: 28)

كفالة رحمة في الدنيا، وكفالة في الآخرة.

﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾

(سورة الحديد: 28)

آية قرآنية ومحكمة، قطعية الدلالة.

إذاً: النور حينما تتصل بالله، يقذف الله بقلبك النور، ترى الخير من الشر.

الآن واحد من رواد المساجد، لو بتعطيه مليار، بيشرب خمر ؟ لا ! بيزني ؟ لا ! يقتل ؟ لا ! طيب في أناس يقتلون، هذا الذي قتل ماذا رأى ؟ رأى القتل مغنم قتل السائق، وأخذ ثلاث عشر كيلو ذهب، من النبك، بعد جمعة عدموهم كلهم، هو حينما تحرك ظن أنه فالح، وذكي جداً، حيصير غني كبير بدون تعب، هكذا رأى، هي المشكلة كلها بالرؤية، الذي يسرق يرى أن السرقة مغنم، الذي يزني يرى أن الزنى مغنم. سيدنا يوسف دعته امرأة ذات منصب وجمال، أولاً كان عبد وعبد مأمور، وأعزب، وبعيد عن أهله، والتي أمرته سيدته، وليس من مصلحتها أن تفضحه، العلماء عددوا أثنى عشر ظرف يعينه على أن يزني، ومع ذلك

﴿ قال معاذ الله ﴾

(سورة يوسف: 23)

﴿ إني أخاف الله رب العالمين ﴾

(سورة المائدة: 28)

قام صار سيدنا يوسف، فماذا رأى ؟ قال:

﴿ إنه ربي أحسن مثواي ﴾

(سورة يوسف: 23)

هي مشكلة الرؤية، الواحد منا يتحرك، يقبض مال، ينفق مال، يتصدق، ما يتصدق، يطلق بصره في الحرام، قضية رؤية.

المؤمن يرى الحق حقاً، والباطل باطلاً، والإيمان قيد.... أما غير المؤمن يرى الباطل حقاً، والحق باطلاً. لذلك يلجأ أثناء، وهم في النار يصطرخون فيها،

﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾

(سورة الملك: 10)

قضية أن تسمع الحق، أو أن تعقله، أو أن ترى الحقيقة، إما أن تسمع، يعني واحد أيام معه اختصاص عالي جداً، يعرف السم من نظرته إليه، هذا سم، وإنسان درجة ثانية، مكتوب على اللصاقة سم أحذر، فأنت ممكن أن تتقي السم إما أن تعرفه، أو أنك حذرت منه كلاهما جيد.

فإذا الإنسان معلوماته ضعيفة، ونوره قليل الله حذره من الزنى، من الكذب، من السرقة، من كذا، أو أنه يرى بنور الله عز وجل ما في هذه المعصية.

فالمؤمنون حينما استقاموا على أمر الله في الدنيا، واتصلوا به وألقى الله في قلبهم النور، من ثمرات هذا النور أعمالهم الصالحة.

مثلاً طالب بالبكلوريا، رأى أنه السعادة يحضر أفلام، يسهر مع رفقاته يلعب شدة، يشوف أفلام فيديو، يسبح، يعمل نزهات، وما درس، في طالب ثاني رأى أنه النجاح بعلامات عالية مغنم كبير فعكف على الدراسة حتى حقق نجاح عالي، ودخل طب، وأصبح طبيب.

الآن قاعد الطبيب بعيادته، دخل كبير، ومكانه جيدة، كل أموره ميسرة مثلاً، هذا الطب، وهذه المهنة، ودخله، ومكانته ثمرة رؤيته السابقة، وقت كان بالبكلوريا، ويلي عما يعاني الأمرين ومرتبته الاجتماعية في السفل، السفلى، هي ثمن رؤيته السابقة الغلط كلام دقيق جداً.

المؤمن:

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾

أعمالهم الصالحة، واستقامتهم التي هي بسبب تنوير قلوبهم الله ألقى بقلبهم النور، فاستقاموا، ألقى بقلبهم النور فأنفقوا مالهم ألقى بقلبهم النور فطلبوا العلم، ألقى بقلبهم النور تعلموا العلم.

﴿ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)﴾

يعني سمعت في بعض البلاد، الأوائل في الجامعات يدعون لحفل تكريمي كبير جداً، أعلى مقام في الحكومة يستقبلهم، ويرحب بهم، ويكافئهم، ويثني عليهم، التعب أنتهى، بقي التكريم، انتهى التعب، بقي التكريم.

والذي أمضى وقته في شهوات رخيصة، المتعة انتهت بقي الجزاء.

﴿ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾

يعني لو فرضنا إنسان عنده امتحان ماله دارس إطلاقاً، قام قال لرفيقه قدم محلي الامتحان، ادخل اكتب محلي، ممكن هذه ؟ بتسمح الدولة يدخل طالب معه لصنص بالرياضيات محل طالب بكلوريا صفر آخذ، يقدم امتحان محله ؟ مستحيل هذا .

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾

هذا مكانه في الدنيا وليس الآن، حينما كنتم في الدنيا، ينبغي أن تبحثوا عن النور، وعن الحبور، وعن العمل الصالح.

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13)﴾

بينهم سور، جهتهم عذاب، جهة المؤمنون رحمة، هنا بقى الحوار المؤلم.

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾

كنا ببلد واحد، يعني لو كنا في جامع واحد، إذا واحد دخله حرام عما يضحك على الناس، عما يخادعهم، عامل له عشرين ثلاثين عمرة، ولابس جلابية، وحاطت مسواك، ومسبحة، وماله كله بالحرام، معقول ؟ كثير ناس، بتلاقي تلبس جلابية بيضاء، بيحمل مسبحة، بيتعطر، بروح على صلاة الجمعة، طيب البنك يلي لك حصة منه، والمطعم خمس نجوم فيه خمور عما تتوزع، وين قاعد أنت، عما تعملي دعايات بالتلفزيون كلها نساء شبه عارية، علشان تروج بضاعتك، وأما يوم الجمعة لابس جلابية، وحاطت مسواك ومسبحة، ومعطر.

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

والله واحد عنده مسبح مختلط، عمل مولد فيه، ويلي خطبوا أشادوا فيه إنسان محسن عظيم، مسبح مختلط.

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

حبيتوا الدنيا، ولم تعبئوا بالشرع، ولم تعبئوا بالحرام.

﴿ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ﴾

وكنتم تظنوا نحن الخسرانين، هذا غير فهمان عما يورط حاله عما يروح يصلي بالجامع، الله يصلحه عما يتورط، بظن إذا واحد آمن واستقام هلك، المنافق من حمقه إذا واحد عرف الله وأطاعه هو الغلطان، بقلك ضيع دنياه، فقد كل ميزاته.

﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾

يعني ما كنتم قابضين وعد الله عز وجل ولا وعيده، القرآن الكريم واضح، الآن عايش بالدنيا، عايش بالمال، عايش بالأسعار عايش بالمباهج.

﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾

يلي عمل ملهى بالصبورة وافتتحه بعد جمعة كان تحت الأرض هو شو متوقع، يعيش ثلاثين سنة ثانية، ويتمتع بدخله الكبير والفسق والفجور، بعد أسبوع من افتتاحه وافته المنية.

﴿ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14)﴾

الشيطان بقلك الله غفور رحيم، ما راح يحط عقله بعقلك ويحاسبك، الله أكبر من ذلك ما بيحاسبك، كلام شيطان هذا "

﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين، عما كانوا يعملون ﴾

(سورة الحجر: 92 ـ 93)

﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾

(سورة الحديد: 15)

لو أنك تملك ما في الأرض جميعاً، على فراش الموت، واحد عنده مشاريع كلها حرام، دور قمار، جمع ثماني مائة مليون، هو عما ينازع طلب عالم، جاء العالم، قال له: ماذا أعمل ؟ قال له والله لو دفعتهم كلهم ما بتنفد.

﴿ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15) ﴾

هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة، عرضه الله في القرآن.

ألم نكن معكم ؟.. قالوا بلى.. ولكنكم فتنتم أنفسكم.. أحببتم الدنيا، وتربصتم بالمؤمنين.. توقعتم الهلاك لهم، وارتبتم.. وما كنتم تصدقون وعد الله ووعيده.

﴿وغرتكم الأماني.. حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴾

كل كلمة لها درس، الغرور الشيطان، الأماني مهلكة والشيطان مهلك وعدم تصديق الله عز وجل مهلك، وأن تفتن بالدنيا مهلكة، الدنيا مهلكة، وعدم التصديق مهلك، الشيطان مهلك، الأماني مهلكة ، ولو صليت وصمت.

﴿ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ﴾

(سورة التوبة: 80)

دققوا الآن:

﴿ ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾

(سورة التوبة: 54)

معناها يصلوا الجماعة، وهم عند الله كافرون.

﴿ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله...﴾
﴿ ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى...﴾
﴿ ولا ينفقون إلا وهم كارهون...﴾

يصلي، وينفق، وهو عند الله كافر، شي مخيف.

يا أيها الأخوة:

مشد من مشاهد يوم القيامة، سربه الله إلينا في القرآن الكريم ليرحمنا، لنأخذ حذرنا، فكل واحد يراجع حساباته، قبل أن يأتي الأجل بغتةً، ولا يفعل شيئاً عندها.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-9) : تفسير الآية 11 ، إقراض الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11)﴾

خالق الكون، الغني، القوي، الذي منحك الوجود، ومنحك الهدى ومنحك الإمداد، ومنحك النعم كلها، يقول لك أتقرضني كيف تقرض الله عز وجل ؟.

يا داوود مرضت فلم تعدني. قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال مرض عبدي فلان فلم تعده، أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده، استطعمتك فلم تطعمني، قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت ولو أنك أطعمته لوجدت ذلك عندي.

يعني إن أطعمت إنسان، فكأنما أطعمت الله، وإن عدت إنسان فكأنما عدت الله، وإن خدمت إنسان فكأنما خدمت الله، لأن الله سبحانه وتعالى نسب عباده إليه نسبة تشريف وتكريم

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾

(سورة الزمر: 53)

نسب عباده إليه

﴿ قل يا عبادي ﴾

الياء ياء النسب، فنسبتنا إلى الله، نسبة تشريف وتكريم، أنت حينما توقن، أن أي مخلوق، إذا خدمته، أو فرجت كربه، أو يسرت عسره، أو حللت مشكلته، أو أمنته، أو أعنته، أو أقرضته، أو دللته، أو أرشدته، أو اعتنيت به أو نصحته، أو أخلصت له، هذه الأعمال على تنوعها، تلخص في كلمة واحدة، إنما هي قرض إلى الله.

يعني قرض، أما الجزاء، عند البشر قرض حسن، المائة بمائة، ألف بألف، مليون بمليون، هذا القرض الحسن بلا فائدة، إلا أن الله سبحانه وتعالى وهو ملك الملوك، أغنى الأغنياء، إن أقرضته لا تعد ولا يحص عدد الأضعاف التي هيأها لك.

لذلك أعظم تاجر، هو الذي يتاجر مع الله .

لو فرضنا قدمت خدمة لإنسان، عطاءك ألف، عشرة آلاف مائة ألف، مليون، مائة مليون، الرقم مهما كان كبيراً، إما أن تنفقه وإما أن تستهلكه، وإما أن تورثه، لمن لم يتعب به، وتموت وينتهي الأمر أما إن خدمته لله، ولم تأخذ شيئاً، هذا العمل أضعاف مضاعف لا يعلمها إلا الله

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً﴾

لذلك ترى المؤمن، سر اهتمامه بالناس، وسر خدمته لهم وسر نصح إياهم، وسر بذل وقته وجهده رخيصاً، هو لا يعاملهم ولكنه يعامل الله، هو لا يعطيهم، ولكنه يعطيهم لله، هو لا يكرمهم ولكنه يكرمهم لله، لذلك إن تاجرت مع الله ربحت ربحاً غير معقول

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾

(سورة الصف: 10)

أكبر شركة بالعالم، شركة سيارات أمريكية، حققت أرباح العام الماضي 14%، يعني هيك الصناعة، التجارة أقل، وإذا في 70% هي ليست تجارة، هي نوع من التدجيل، رأس المال راح يروح كله بعدين إذا كان في شركات عما تعطي 70% و60%، هذه ليست تجارة هذه قنص، بعد حين طار المال كله، أرباح التجار 14%، 20 %، يعني 28%، شغلة شاطحة كثير، أما تربح بالمائة مليون، بالمائة مائة مليون، بالمائة مليون مليون، بالمائة ألف مليون، هكذا أرباحه تضاعف، لذلك إنسان يطعم لقمة في سبيل الله، يراها كجبل أحد

﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾

(سورة السجدة: 17)

أعدته لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

شوف يا أخوانا:

إذا أنت انطلقت، أنا إن تكلمت كلمة حق هذه قرضٌ حسن لله إن أعنت إنسان قرض حسن لله، إن أفرغت من دلوي في دلو المستسقي، قرض حسن لله، إن أزحت شيئاً يؤذي المسلمين من طريقهم، قرض حسن لله، إن سقيت هرة قرض حسن لله، إن أطعمت كلباً قرض حسن لله، إن حلت بين نملة وبين أن تغرق أثناء الوضوء، قرض حسن لله، أي عمل يقدم بدأ من نملة وإلى أكبر عمل، إنما هو قرض حسن لله عز وجل فربنا عز وجل يسألنا، أتقرضونني ؟

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11)﴾

والله أيها الأخوة:

إن أردتم أن تسعدوا، أيام الإنسان بكون ساكن ببيت، وعنده أموال، وعنده مركبة، ومتزوج، وعنده أولاد، بتلاقي بيقرف وبقرف، مالل، مارس كل شيء، ساكن ببيت فخم، وعند سيارة على الباب، وأكل طيب، و عزايم، بتلاقي نمطه نوع من الاشمئزاز لأن الدنيا لا تسعد، لكن أخرج من ذاتك لخدمت مخلوق لوجه الله تتألق، بتحس حالك إنسان آخر، إنسان عند الله لك مركبة علية، أنت تفعل شيئاً لوجه الله تعالى، ولا تبتغي أجراً، ولا جزاء، ولا شكورا.

﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾

(سورة الإنسان: 9)

المؤمن بيحير، يعني منطق الناس، كل حركة بده لحسة وكمان ما في شي نلحس أصبعتنا منه، ما لنا عمولة، ما لنا حركة ما لنا شي، كل حركة، لو أجبت عن جواب، لو دللت على معمل بخبر بعد ساعة، شو طلعنا عندك كله بثمن، جرب تطلع من ذاتك أن تعمل عمل بلا ثمن، لوجه الله عز وجل، جرب أن تخدم إنسان، أن تعين فقير، أن تقرض قرض حسن لإنسان محتاج، أن تدعو إلى الله أن تعلم العلم، أن تبذل من مالك، أومن جهدك، أومن وقتك، في سبيل الله، عندئذ تسعد .

أنا مرة قرأت كلمة بمجلة، هي عبارة عن حكمة، إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين، فهي الآية الكريمة أخوانا الكرام:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11)﴾

أضعاف مضاعفة، لا ظن إذا خدمت ضيعت وقتك، ضيعت مالك، نحنا اتفقنا سابقاً في ميزانين ميزان الدنيا:

إذا الإنسان بذل من وقته بلا ثمن، بذل جهده بلا ثمن، بذل خبرته بلا ثمن بذل علمه بلا ثمن، بكون مجنون أما بميزان الآخرة هو العاقل .

كان عليه الصلاة والسلام يوزع شاة، وزعها ولم يبقى إلا كتفها، السيدة عائشة يعني يبدو أنه دع لنا منها شيئاً، قالت له لم يبقى إلا كتفها، فقال عليه الصلاة والسلام: بل بقيت كلها إلا كتفها .

يلي وزعنا هو الذي بقي، والذي سنأكله هو المستهلك، فهذا المعنى الناس بعيدون عنه بعد شديد جداً، الناس يبحثون عن أخذ المال عن أخذ الميزات، أي حركة، بدو عمولة، بدو مبلغ، بدو أجرة، ما بقبل إلا أجرة، الإنسان أحياناً، في بعض المستشفيات، بصير معه جلط بالفاتورة، بكون فايت لمرض، طلع بمرض ثاني

70ألف ليلتين ما في شي لله، والمبلغ فوق طاقتك، وغير معقول، حتى الأعمال الإنسانية، أجورها باهظة جداً، لدرجة إنسان يتمنى المرض ولا أن يعالج بهذه الطريقة، ما عاد في خير، بتلاقي الله عز وجل كأنه تخلى عنك، هانا أمر الله، ما في خدمة، ما في أحد مستعد يقدم شي، أبداً كل إنسان يحرص أن يجمع أكبر مبلغ ممكن، بأي طريق، بأي سبب ما بدقق، لا دقق عند أولاد بقلك، يعبدوا أولاده من دون الله، يأكل المال الحرام من أجل أولاده، حتى يرفع شأنهم، ثم الله سبحانه وتعالى، يعاقبه بأن يبعدهم عنهم، أو يعقونه، لأنه أطاعهم وعصى ربه.

أيها الأخوة الكرام:

هذا الدرس مهم جداً، إذا أردت أن تسعد

﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾

(سورة الكهف: 110)

الأعمال الصالحة، ولا سيما في هذه الأيام، والله الذي لا اله إلا هو، لا تعد ولا تحصى، مليون باب للعمل الصالح، مليون فقير مليون مسكين، مليون طالب علم، مليون شب لا يتزوج، مليون فتاة تبحث عن زوج، مليون أسرة مسكينة، فقر متقع، أعمال مسدودة فإذا أردت أن تسعد أسعد الآخرين، تحرك أخرج من ذاتك، إلى خدمة الخلق، حتى يحبك خالق الخلق، الله عز وجل يدعونا أن نقرضه قرضاً حسناً، شوف قولك ؟ من ذا الذي يقرضني يا عبادي، من ذا الذي يعطيني، فيضاعفه له، وله أجر كريم.

ضع في ذهنك، أن كل الخلق عيال الله، وأن الإنسان بنيان الله، أي إنسان، من أي مذهب، من أي ملة، من أي نحلة، أي إنسان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي.

أيام بيشعر البائع أنه هالسلعة نادرة، وصاحبها مضطر لها يضاعف السعر رأساً، في إنسان يرحم الخلق، يسعد إذا رحمهم يسعد إذا أعطاهم، يسعد إذا عاش الناس في بحبوحة، المحتكر إذا أرخص الله الأسعار حزن، وإذا ارتفعت الأسعار فرح، المؤمن ليس كذلك، المؤمن يتمنى ألا يربح، وأن يكون الناس في بحبوحة.

أيها الأخوة:

تعامل مع خالق الكون، تعامل مع الله الذي يعلم السر وأخفى تعامل مع الله الذي لا تخف عليه خافيه، تعامل مع الله الذي خلق الخلق ليرحمهم، فإذا كانت رحمتهم على يديك، فأنت أسعد الناس.

أخوانا الكرام: ورد في الحديث القدسي

((الخير بيدي والشر بيدي، فطوبى لمن قدرت على يديه الخير، والويل لمن قدرت على يديه الشر))

لا بتكون أنت سبب للعطاء أو سبب للمنع، سبب للبناء، أو سبب للهدم، سبب للإكرام، أو سبب للإهانة، فالإنسان لا ينبغي أن يكون عصاةً بيد الله عز وجل، ينتقم به، ثم ينتقم منه، يؤدب به، ثم يؤدبه، يفجع به، ثم يفجعه، ينكل به، ثم ينكل به، أبداً، لا تكون أداة بيد الله عز وجل، كون أداة خير.

لذلك في أناس كثيرون، لا يمكن أن يكون سبباً للشر مهما كلف الأمر، ولا يدخل في فراق زوجي، ولا في طلاق، ولا في إيذاء إنسان، ولا في إيذاء حيوان.

لذلك أيها الأخوة:

درسنا اليوم، كل خدمة لأي مخلوق، نملة على المغسلة ممكن تنظر دقيقة بتطلع، لا بفتح الحنفية بغرقها، نملة ليش جايه لهون ؟ أرحم هذه النملة يرحمك الله عز وجل، أرحم هرة:

دخلت امرأة النار في هرة حبستها، إن أردتم رحمتي فارحموا خلقي.

درسنا اليوم كل المخلوقات عيال الله، خدمتهم قرضاً حسناً لله الله يطالبنا بالقرض الحسن، وتاجر مع الله، ومع الله أربح تجارة

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾

(سورة الصف: 10. 11)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-9) : تفسير الآيتان 11-12، الرؤية الصحيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: عرضت لكم البارحة من خلال سورة الحديد ، مشهد من مشاهد يوم القيامة كيف أن هؤلاء المنافقين ، يحال بينهم وبين المؤمنين يقولون:

﴿ انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾

وبينت لكم أن هذا النور ، الذي يقذف في قلب المؤمن ، والذي تؤكده الآيات الكريمة، والأحاديث الصحيحة، هذا النور هو الذي يهدي إلى الاستقامة هو الذي يهدي إلى صالح العمل ، فكأن الله سبحانه وتعالى سما نتائج النور.

قال تعالى:

﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾

الإنسان إذا رأى رؤية صحيحة ، ونتج عن هذه الرؤية عمل طيب ، فهذا العمل بسبب الرؤية ، وهذه الرؤية ولدت هذا العمل.

فأول خطوة في سبيل نجاتك أن تعلم ...

وكنت أقول دائماً ، متى تعالج نفسك من الضغط المرتفع ؟ أول خطوة أن تعلم أنك معك ضغط مرتفع ، العلم أول شي ، بتقيس ضغطك أول شي ، لن تعالج الضغط المرتفع إلا إذا علمت أنه لا سمح الله معك ضغط مرتفع ، فلن تعالج نفسك في أي مجال ، قبل أن تعلم ، ما هي المشكلة.

والآن العلماء يبنون أنه ما لم تحدد حدود المشكلة لا تعالج هذا العمل الطيب ، الذي للمؤمن ، وهذه الاستقامة التي يحرص عليها هي بسبب رؤيته الصحيحة ، وذكرت لكم البارحة أمثلة صارخة ، هذا الذي يقتل ماذا رأى ؟ هذا الذي يسرق ماذا رأى ؟ هذا الذي يزني ماذا رأى ؟ هذا الذي يأكل المال الحرام ماذا رأى؟ هذا الذي يعتدي على من معه من النساء ماذا رأى ؟ رأى هذا كله مغنماً ، رأى نفسه ذكياً عاقلاً ، لذلك الخطأ في الرؤية ، وأهل النار في النار حينما يتصايحون ماذا يقولون ؟.

﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾

(سورة الملك: 10)

فيمكن أن ترجع كل هلاك الإنسان إلى الجهل ، ويمكن أن ترجع كل سعادته إلى العلم ، قضية علم وجهل ، الأزمة أزمة علم معك سيارة حقها 25 مليون ، ما لها إشكال ، أحدث سيارة بالعالم الطريق منعطفات ، وديان ، أكمات حفر .

يمكن أن تهلك أنت والسيارة ، إذا أطفأت المصابيح بالليل بس ، لماذا تدهورت هذه السيارة ؟ ولماذا أهلكت من فيها ؟ لسبب بسيط ، هو أن المصباح أطفئ ، في أعلى ميزات هي السيارة.

أحياناً تتدهور سيارة موديل 48 ، بقلك أنكسر الميزان وهي ماشية ، ممكن، نقول تدهورت لأن نوعيتها سيئة جداً ، في حوادث ، حادث بسبب النوعية السيئة ، سيارة قديمة كثير ، مالها صيانة ما فيها مكابح ، ما فيها ميزان ، غير متوازنة ، أدهورت نقول السبب النوعية ، أما السيارة أحدث موديل ، أرقى نوع ، أدهورت طبعاً طريق كله منعطفات ، وعلى اليمن واليسار وديان ، وأطفئ السائق المصباح فجأة ، نزل بالوادي ، أزمة رؤية لذلك لما ربنا عز وجل قال:

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾

هذا النور الذي اكتسبوه ، من خلال اتصالهم بالله عز وجل هداهم إلى طاعته ، وهداهم إلى العمل الصالح.

أنا مرة كنت مسافراً من حلب إلى دمشق ، وصلت إلى دمشق ليلاً ، في أحد أيام الشتاء المطيرة ، فلما وصلنا إلى شارع العدوي رأيت رجل يركض رياضةً ، قلت الشام فيها خمسة ملايين ، أو ستة كل هؤلاء الناس وراء المدافئ يأكلون ، هذا لماذا يركض ؟ ماذا في عقله ؟ في عقله قناعة ، أن الرياضة لا بد منها ، رغم المطر ، والبرد وما في إنسان يركض في هذا الوقت ، يركض حينما تملك القناعة تغير اتجاهك كله ، نمط حياتك كله بتغير ، في بيتك بتغير ، في علاقاتك.

أنا قلتك مرة كلمة ، أخ من أخوانا بلف محركات ، قبل ما بيعرف الله بجيه محرك ، محروق ، الأجرة خمسة آلاف ، يفتحه يلاقي في طاق خارجي مقطوع ، بلحمه بالكاوي دقيقة ، بطبق أشتغل المحرك ، بجي صاحبه بقله خمسة آلاف ، لفنالك إياه ، صاحبه مستحيل يكشف الخلل ، لأنه كان واقف أشتغل ، والشرط خمسة آلاف نفس الإنسان بعد أن عرف الله ، أجته حالة مماثلة ، الشرط خمسة آلاف قله 25 ليرة ، معقول ، طلع ما في شي ، أختلف الميزان كل إذا ما أختلف ميزانك في البيع والشراء ، والعلاقات ، والسهرات واللقاءات والحضر ، وكلامك ، إذا ما اختلف 180 درجة مالك مهتدي ، إياك أن تظن أنك مهتدي إذا صليت الصلوات.

﴿ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ﴾

(سورة التوبة: 80)

﴿ ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ﴾

سورة التوب.

﴿ ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾

(سورة التوبة: 54)

﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾

(سورة التوبة: 55)

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾

يعني أعمالهم الصالحة ، دعا إلى الله ، علم القرآن ، نصر الضعيف ، عطف على المسكين ، أطعم الفقير ، أنشأ مشروع خيري ساهم بحل مشكلة الشباب ، له أعمال طيبة ، تتجاوز مصالحة الشخصية هذه الأعمال الطيبة سببها النور الذي اكتسبوه في الدنيا.

﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾

وهم في النار ، للذين أمنوا ، طبعاً بالجنة والنار ما في مثل الدنيا ، في نظام آخر ، أنت بالدنيا قاعد بالشام، ابنك بحلب ، أو بأمريكة ، من أجل أن تراه شخصياً بدك تركب 33 ساعة طيران تدفع مائة ألف ، وبعد جهد شهر بالسفارة الأمريكية للفيزا ، بعد شهر جهد ، وركب 33 ساعة طيران ، ودفع مائة ألف من أجل أن تراه هذا نظام الدنيا.

أما نظام الآخرة: وإنسان قاعد بالجنة.

﴿ قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾

(سورة الصافات: 51)

أين هو الآن ؟

قال:

﴿ فاطلع فرآه في سواء الجحيم ﴾

(سورة الصافات: 55)

بالجنة والنار ما في حواجز ، أي خاطر يخطر في بالك يحقق فوراً ، هؤلاء المنافقون وهم في النار.

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾

مثل الطالب ما قرأ ولا كلمة ، هات ورقتك لنكتب منها ، قال له ممنوع النقل.

﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾

هذه فات أوانها ، هذه وقتها في الدنيا ، لو أنك في الدنيا عرفت الله وأقبلت عليه ، وألقى الله في قلبك النور ، رأيت الحق حقاً والباطل باطلاً ، في الدنيا ممكن أن تكتسب النور من الله ، فينقلب هذا النور إلى عمل فندخل الجنة الآن

﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ﴾

معكم نحن من حارة وحدة ، من أسرة وحدة ، من بيت واحد من جامع واحد كليتنا وينكن أنتم ؟

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى﴾

مرة كنت بجامع عما صلي الجمعة ، قديمة القصة ، بمصيف طلعوا هالناس وأنا ماشي معهم ، في واحد ماشي جنبي وصل لسيارته مسلم بالجامع عما يصلي معي ، والعياذ بالله له زوجة شبه عارية شو هالصلاة هي ، عما يصلي ، طيب ما في من رواد المساجد مالهم حرام ، والله في ، ما في من رواد المساجد ، يغتصبون شيئاً ليس لهم ما في من رواد المساجد انحرافات أخلاقية واجتماعية ، ومالية ، باب مفتوح من من كان بفوت.

﴿ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

فتنتم في الدنيا ، أثرتموها على طاعة الله ، قال لي: إن شاء الله برقبته واحد ، أنا لي شريك عنده مطعم ببيع خمر ، إن شاء الله برقبته ، شو ساوي له ، قلت له: بس أنت عما تأخذ نصف الربح قال لي: برقبته ، يصطفل أنا ما دخلني أنا عالمطعم ما بفوت ، بس بأخذ الربح آخر السنة.

﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

يعني أثرتم المال على طاعة الله ، قاعد ببيت مائة ليرة بالشهر ثمنه 12 مليون ، القانون معي ، هي المحاكم، فعلاً ما في أمل يطلع وعنده بيت ثاني.

﴿ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا ﴾

(سورة التوبة: 24)

الطريق مسدود ، إذا ممكن تآثر بيت على طاعة الله ، تقول القانون معي.

﴿ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾

إذا ممكن تآثر تجارة محرمة على طاعة الله ، تربصوا مكانك تحمدي أو تستريحي ، هي باللغة الفصحى ، باللغة العامية عيش يا كديش لينبت الحشيش ، ما في أمل ، إذا كان طمعان تصل لمرتبة عالية وأنت مقيم على مال حرام ، على عدوان ، على اغتصاب ، هي الصلاة مالها قيمة إطلاقا ، لا تقدم ، ولا تأخر.

﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ﴾

يعني: بترتاح إذا المؤمن تدمر ، أنت مالك مستقيم ، المؤمن مستقيم وقت يدمر معناها أنت مالك غلطان. لذلك شي بخوف.

﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴾

يا لطيف .

﴿ لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾

(سورة النور: 19)

معناها أنت بخندق آخر ، لمجرد أن تتمنى أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين إذا ارتحت أنه إنسان مؤمن تدمر، إذا بترتاح ، أوضح مثل ، ممكن أم بالأرض ترتاح لفضيحة ابنتها ، مستحيل ، فإن ارتاحت ليست أمها.

قال واحد راح لأوربا ، يعني لخص أوربا بحوار بين أب وابنه الابن قال لأبيه ، رأيت فتاة أعجبتني ، وأني أتمنى أن أتزوجها ، هل أنت موافق ؟ قال له: لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري ، الأب متفلت ، ثم رأى فتاةً ثانية ، قال طيب هذه ، قال وهذه أيضاً: هي أختك وأمك لا تدري ، رأى فتاة ثالثة وهذه ، قال له وهذه أيضاً ، إنها أختك وأمك لا تدري ، فذهب إلى أمه وشكى لها ، قالت له: خذ أين شئت أنت لست ابنه وهو لا يدري.

﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ﴾

تربصتم بالمؤمنين ، ورتبتم بهذا القرآن ، يعني ما حدا قابض هلق والله ما حدا قابض ، صدقوني ، بصلوا ، بس انه لم ربنا بقلك.

﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾

(سورة البقرة: 221)

شو عما يساوي الناس ، بدوهن غني فقط ، غني بدوهن فقط ما بهمه دينه وصلاته ، عندك بيت ، ارجيني الطابوا ، المعمل لك بدي السجل الصناعي ، لك السيارة هات الميكانيك ، معمل ، بيت ، سيارة موافقين ، دينه مو مشكلة دينه ، هذا واقع المسلمين ، وقت الله بتخلى عن المسلمين لتعرفوا ما السبب.

﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾

كل واحد في موال في رأسه ، ما بتحقق بخمسين سنة قادمة وقد يكون أجله بعد ساعة ، معظم الناس هيك ، أسس ملهى ضخم ، بعد جمعة كان ميت.

﴿ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14)﴾

الشيطان ، الشيطان بخوفك تنفق ، بخوفك تفوت لجامع ، بقلك أخذوا أسمك مثلاً ، بخوفك تعمل عمل صالح، بخوفك تعاون إنسان بخوفك تعمل عمل طيب.

﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين﴾

(سورة آل عمران: 175)

يأمركم بالبخل ، الشيطان.

﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

لو إنسان يملك الأرض بأكملها ، وقدمها فدية لينجوا لا ينجوا.

﴿ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15)﴾

أخوانا الكرام:

هذا مشهد ، يعني أنا لأهميته البالغة ، أعدته مرة ثانية ، هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة ، حيث أن الله سبحانه وتعالى ، بالتعبير الامتحاني سربه لنا ؛ كي نحتاط ، فالإنسان لا يغتر بمظهر إسلامي لا يغتر بارتياد مسجد ، يغتر باستقامته ، يعتد باستقامته ، بماله الحلال بصدقه ، بأمانته ، بعفته ، صادق ، أمين ، عفيف ، جوارحه كلها وفق منهج الله ، بيته إسلامي ، عمله إسلامي ، هذا الولي ، ما بدنا ولي يمشي على الماء ، ما هذا الولي ، لا نريد ولي يطير في الهواء ، ليس الولي هو الذي يمشي على وجه الماء ، ولا الذي يطير في الهواء ولكن الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام ، وأبلغ تعريف.

﴿ إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾

(سورة يونس: 62 ـ 63)

انتهى الأمر ، هذا كل شيء.

الدرس (6-9) : تفسير الآية 16 ، إفراغ الدين من مضمونه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية السادسة عشرة من سورة الحديد وهي قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)﴾

يعني هناك مرض خطير أصاب أهل الكتاب من قبل، هذا المرض الخطير أنهم فسقوا، فلما فسقوا انقطعوا عن الله عز وجل فأصبح الدين عندهم طقوساً، طقوس لا معنى لها، يؤدونها وهم غافلون عن الله عز وجل، جزء من عاداتهم، من تقاليدهم، أصبح الدين تراثاً، فلكلور، في عيد أضحى، وعيد فطر، في صيام، وكل فندق يقدم أجمل الرقصات إكراماً لشهر رمضان المبارك، يعني صار الرقص، والغناء، والطرب، والاختلاط، وشرب الخمور، هذا إكراماً لشهر رمضان المبارك، فصار رمضان فلكلور، تقاليد عادات، تراث، قلوب مغلقة.

﴿ قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم ﴾

(سورة البقرة: 88)

فالمشكلة هناك مرضٌ خطير أصاب بني إسرائيل، هذا المرض أنهم فسقوا، واستمروا على فسقهم، فقست قلوبهم.

﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)﴾

لأنه في فسق في قطيعة، شوف علاقته مع الدين صلاة الجمعة مثلاً، علاقته مع الدين رمضان، علاقته مع الدين بحج، صار الحاج فلان، صار قدرته على إضلال الناس أكثر، صار حجي موثوق.

فأخطر شيء أن يفرغ الدين من مضمونه، أخطر شيء، أن لا يطبق في الحياة، أن تكون الحياة في واد، والدين في واد، حينما ينقطع الدين عن حياتنا، حينما يصبح الدين في المسجد فقط، في المسجد نصلي، في بيت الله الحرام نطوف، في رمضان نصوم، في الأعياد نرتدي الجديد، ونأكل الثريد، أما وبيعنا، وشرائنا، وبيتنا وبناتنا، وأجهزة اللهو يلي عنا، وعلاقتنا بالنساء، والاختلاط وكسب المال، والسفر، والرحلات، وطريقة كسب المال، ونوع البضاعة، وطريقة التعامل التجاري، هذا ماله علاقة بالدين إطلاقاً مع أن الدين يدخل في كل جزئية من جزئيات الحياة، يدخل في علاقتك الحميمة مع زوجتك، وفي علاقتك مع أولادك، وفي طريقة مشيك في الطريق، وفي ضبط جوارحك، لذلك:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾

يعني:

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمته مسؤول
تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال بديـــع
لو كان حبك صادقاً لأطعتـه إن المحب لمن يحب يطيـــع

جاءني هاتف من يومين لطيف جداً، يدل على ورع، وحب لله ورسوله، قال أهديت إليها . شابة متزوجة، صالحة، تقرأ القرآن تحفظ القرآن . أهدي إليها زجاجة خمر غالية جداً، هل بإمكانها أن تهديها لإنسان يشرب الخمر ؟ يا عيني شو هالورع هذا ؟ هي نماذج هذا المسلم، يعني أهديت إليها، من أهداها إليها ؟ رجل ؟! ما علاقتها به ؟ لمن ستهديها لرجل يشرب الخمر، ليس مسلماً طيب ما علاقتها به خمر، لعن الله شاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها وشاريها، والمعلن عنها، هذه ملحق للحديث، والمعلن عنها، أيجوز أن نهديها لإنسان ليس مسلماً يشرب الخمر، ثمينة لأنه غالية كثير معتقة، هكذا بالبساطة بدنا نكسرها، نهدرها، هي نماذج، حافظة كتاب الله، صالحة، دينة.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمته مسؤول
تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيـــع
لو كان حبك صادقاً لأطعتـه إن المحب لمن يحب يطيـــع

يعني في سؤال إلى متى على ما نحن عليه ؟ في مخالفات في البيت، في مخالفات في العمل، في كسب للمال مشبوه، خروج الزوجة والبنات ليس شرعياً، الأولاد ليسوا منضبطين، الزوج يبيح لنفسه أن يجلس مع نساء أجنبيات لا يحللن له، إلى متى.

﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾

(سورة النساء: 142)

﴿ أَلَمْ يَأْنِ﴾

يعني مو حاجة، طيب بالأربعين مو حاجة، خمس وأربعين خمسين، خمس وخمسين، واحد وستين، من الظهر من الساعة واحدة أركيلة وطاولة، طيب ما في صلوات ؟ ما في آخره ؟ ما في موت هذا الموت يعني لغيرنا، مات فلان مسكين، وأنت مسكين، وأنت سوف تموت، آية خطيرة جداً.

الله عز وجل يقول:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)﴾

الفسق يقطع عن الله، والقطيعة تسبب تصحر في القلب قسوة في القلب علاقته بالدين علاقة تراث، نحن أمة لنا تراث، الدين من تراثنا، في رمضان، وفي الأضحى، وفي الحج، وفي العمرة وفي صلوات الخمس، وفي المساجد، فقط، أما البيت، يعني كل النساء بأبهى زينة، كلهن أجنبيات على مائدة واحدة، حتى ما نفرق العيلة، هيك أبي بدو، هيك أمي بدها، طيب بالأعراس تصوير فيديو طيب هي النساء يلي عما تصورهم كلهن نساء لهن أزواج، يرتدين أبهى زينة، أي رجل يرى هذا الفلم بالبيت، هي من فلانة ؟ هي مرت فلان، والله عرفان ينقي، هي من ؟ هذا إسلام هذا ؟

فيا أيها الأخوة:

يعني إذا كان توهمنا أن الله تخلى عنا لمعاصينا، إذا توهمنا أن الله عز وجل لن ينصرنا، لما نحن فيه من مخالفات.

فالإنسان لازم يحاسب نفسه، إلى متى ؟ إلى متى تدفيش تدفيش، تدفيش، إلى متى بدي أخذ موقف، متى أريد أن أطبق الإسلام في بيتي، متى أريد أن أجعل دخلي حللاً مائة في المائة، أن أجعل بيتي إسلامياً، متى أضبط جوارحي كلها، متى أنطق بالحق متى أعاهد الله عز وجل ألا أكذب أبداً ؟ وأن لا أغير من الحقائق شيئاً متى ؟

يعني الإنسان في عنا سؤال، عينت في مقتبل حياتي مدير ثانوية، في بلدة في الجنوب، فإنسان دعاني قبل شهر تقريباً إلى طعام الغداء في هذه البلدة ، مضى على عملي في هذه البلدة ثلاثون عاماً والله كالمح البصر يا أخوان، ثلاثين سنة، كنت هناك قبل ثلاثين عاماً مديراً لثانوية، قلت كيف مضت هذه الأعوام ؟ ثلاثين سنة كيف مضت كالمح البصر، والمتبقي يمضي أقل من ذلك، فالكل واحد طلع عن الأربعين يسأل نفسه سؤال محرج هل بقي بقدر ما مضى ؟ بالثمانينات نادر، الآن الناس كلها، أنا عندي رغبة كل ما أسمع إنسان توفي كم عمره ؟ بقلك 62، 59، 55، 54، 51، 49، الثمانينات قلائل جداً، يلي وصل للأربعين أغلب الظن، الذي بقي أقل مما مضى، أقل أغلب الظن، هو يلي مضى، مضى كلمح البصر، فالذي بقي أقل بكثير الإنسان بفتح بغمض نعوته على الجدران، بفتح بغمض وصول القبر سهل جداً، بثانية. يعني أحد أخوانا له أب مرة جلست معه، والله عنده مشاريع ما بتنتهي بخمس وعشرين سنة قادمة، ساكن ببيت في مضايا، طلع عالبيت، زوجته متعبة، وعندها أعمال بالشام، قالت له: أطلع لوحدك، طلع لوحده،

بدو يخبر مكالمة من مضايا التلفون معطل شاف وين مقطوع الخط طلع، نزل خالص، ثانية نعوته على الجدران.

ما بيعرف واحد منا متى يموت، طيب مهيء حاله، مهيئ لحساب طويل عريض، مهيئ نفسك لكي تقف بين يدي الله عز وجل.

فهذه الآية أخوانا الكرام:

يعني حاجة، يعني إلى متى ؟ بالعوام بقلك قلك شوي بقى لفها بقى، إلى متى.

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمته مسؤول

﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)﴾

الإنسان، في عنا شي بالفيزياء أسمه مبدأ العطالة، فالأجسام ترفض الحركة إذا هي ساكنة، وترفض السكون إذا هي متحركة.

اركب سيارة، لو السائق استعمل المكبح فجأةً تهجم لقدام لماذا ؟ لأنه أنت متحرك، لما السيارة وقفت أنت رفضت الحركة رفضت الوقوف، بقيت ماشي، طيب لما بتركب سيارة، وبتقلع فيك بتحس المقعد الخلفي دفعك، أنت ساكن ترفض الحركة، فلما تحركت أنت قاومت الحركة شعرت شيء دفعك نحو الأمام، ولما وقفت أنت متحرك، رفضت السكون، هجمت لقدام.

هذا مبدأ بالفيزياء، يطبق على الدين، إذا الإنسان أخذت رجله على المعاصي صعب يرجع، صعب كثير، إذا استمرأ المعصية واستمر عليها حسب مبدأ العطالة، من معصية لمعصية، وإذا كان استقر في الطاعة، أيضاً الطاعة حصن تكون له.

فالقصة كلها أن يعود الإنسان إلى الله في الوقت المناسب وأن يصطلح معه، وأن يتعامل معه وحده، والله سبحانه وتعالى معك حاضر وناظر، فالمجرد أن تقول يا ربي تبت، يقول لك عبدي وأنا قد قبلت. إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله. يعني بدها حركة، في حالة سكون، نسمع، نروح إلى البيت نأكل، بنام، نمط حياتنا هو، هو، المخالفات هي، هي، التقصير هو، هو، هذا النمط يجب أن نثور عليه، نمط إسلامي، في بيتك في عملك، في حركتك مع الله، في تلاوة القرآن، في فهم القرآن في تطبيق الشرع، في العمل الصالح.

والله في عون العبد، ما دام العبد في عون أخيه.

الدرس (7-9) : تفسير الآيات 16 - 18، عدم اليأس من التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية السادسة عشرة من سورة الحديد ، وهي قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)﴾

الآية التي بعدها:

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17)﴾

ما علاقة هذه الآية بالآية التي قبلها ، يتحدث ربنا جل جلاله عن المؤمنين الذين ماتت قلوبهم بطول الأمد ، ومداومتهم على الانحرافات ، والشهوات ، ثم جاء موضوع آخر:

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

هناك علاقة وشيجة بين الآيتين ، يعني هذا الإنسان إذا استمر على المعصية ، فقس قلبه ، وتصحر قلبه ، وأصبح أغلف ، لا يعي على شيء ، لا ينبغي أن يقطع الأمل ، لو أنه رجع إلى الله واصطلح معه ، لو أنه طال عليه الأمد ، لو أن قلبه قس ، لو أنه ظن أن لن يعود إلى الله عز وجل ، لو أنه ظن أن الله لن يقبله ، لو أنه توهم أن الله لن يتوب عليه ، لو أنه شعر بوحشة في قلبه ، وغربة في نفسه لو أنه شعر أن الطريق مسدود ، ينبغي أن يعلم أن هذه الأرض الجافة التي لا نبات فيها ، ولا ماء ، منظرها غير مريح ، انظر إليها في الربيع ، ماذا يحصل ، تهتز ، وتنبت ، وتزهر ، و تورق ، وكأنها قطعة من الجنة.

فكما أن الله قادر على أن يحي الأرض بعد موتها ، قادر على أن يحي قلب الإنسان بعد موته ، أعطانا الأمل ، حذرنا في الآية الأولى أنه.

﴿ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾

فإن تابعتم المعاصي ، والآثام ، والغفلة ، تكونون.

﴿ كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)﴾

لو أن الإنسان وصل إلى هذا الحد ، وصل إلى قسوة القلب وصل إلى القطيعة عن الله عز وجل ، وصل إلى جفوة ، وصل إلى تصحر ، ماذا يفعل ؟ ليس له إلا الله.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

لذلك:

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾

(سورة الزمر: 53)

عبدي لو جئتني بملء السماوات والأرض خطايا غفرتها لك ولا أبالي ، إذا رجع العبد العاصي إلى الله ناد منادي في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله.

إذا تاب العبد توبةً نصوحة ، أنسى الله حافظيه والملائكة وبقاع الأرض كلها خطاياه ، وذنوبه ، والله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد ، والعقيم الوالد ، والظمآن الوارد.

أعرابياً يركب ناقةً عليها طعامه وشرابه ، جلس ليستريح أخذته سنة من النوم ، استيقظ فلم يجد الناقة ، أيقن بالهلاك المحتم ، فجلس يبكي ، حتى أدركه النعاس حتى نام ، فأفاق فرأى الناقة ، فمن شدة فرح اختلت موازنة ، قال: يا ربي أنا ربك وأنت عبدي.

يقول عليه الصلاة والسلام: في الحديث الصحيح: لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من ذلك البدوي بناقته.

إذاً لو أن القلب قسى ، لو أن النفس بعدت ، لو أن النفس انحرفت ، لو أن الإنسان توهم أن الطريق مسدود، وأن قلبه لن يستجيب لله عز وجل ، الباب مفتوح، مادام القلب ينبض الباب مفتوح هذه الآيات تبث الأمل في نفس الإنسان ، جميل جداً ، الله عز وجل حذرنا من أن نفسق ، إن فسقنا قس قلبنا ، وطال علينا الأمد ، وكنا كبني إسرائيل.

ومع كل ذلك ، ومع الحالة الصعبة ، ومع الحالة العسيرة ومع الإعراض الشديد ، ومع القلب المتصخر ، الصخري ، ومع القلب المتصحر.

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

أنت انظر إلى شجرة في الشتاء ، خشب ، حطب ، انظر إليها في الربيع عروس ، من أين جاءها الزهر ؟ والأوراق ، والثمار أرأيت إلى شجرة يابسة انظر إليها في الربيع ، امتدت ، وأورقت ارتدت حلة..... الفرق بين المؤمن بعد أن يعرف الله عز وجل ، وعن وضعه السابق قبل أن يعرف الله ، كهذه الشجرة الحطبة، ثم كيف أصبحت نضرة ، متألقة ، مزدهرة، مورقة ، مثمرة.

أخطر شيء أن تيأس ، اليأس يقترن مع الكفر.

﴿ إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾

(سورة يوسف: 87)

اليأس كفر ، القنوط من رحمة الله كفر ، الله عز وجل قادر على كل شيء .

ورد في البخاري:

أن هذا الذي قتل 99 رجلاً ، جاء إلى راهب فسأله ، ألِيّ توبة قال لا: فقتله ، صاروا مائة ما عاد بدو يتوب ساوى مائة ، والقصة معروفة عندكم ، ثم جاء إلى عالم آخر ، قال له: لك توبة ، وربنا عز وجل ، وهو في طريقه إلى بلدة فيها صالحون قبض ، فقال قيسوا المسافة التي بينها وبين البلدة التي توجه إليها فإذ كانت المسافة أقصر من المسافة التي تخطاها غفر الله له على نيته ، وأوح ربك إلى الأرض بينه وبين البلدة أن ضيقي ، حتى يرحمه الله عز وجل.

فالإنسان ينبغي أن يعرف أن الله ينتظره.

ورد في الآثار:

((يا داوود لو يعلم المعرضون انتظاري لهم ، وشوقي إلى ترك معاصيهم ، لتقطعت أوصالهم من وجدي ، ولماتوا شوقاً إلي ، يا داوود هذه إرادتي في المعرضين ، فكيف إرادتي في المقبلين))

إياك أن تيأس ، إياك أن تقنط ، إياك أن تقول ذنوبي كبيرة.

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾

(سورة الزمر: 53)

والقنوط ، يساوي الكفر.

يعني علاقة هذه الآية السابعة عشرة ، بالآية السادسة عشرة علاقة مثل ، كيف أن الله يحي هذه الشجرة ، الأرض الميتة ، الجدباء بالأمطار تنبت الربيع تصبح مخضرة ، مزدانة ، كذلك يحي الله قلب الذي قس ، وابتعد عن الله عز وجل.

ثم يقول الله عز وجل:

﴿ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18)﴾

يعني الذي صدق الحق ، وقبله ، وتبناه ، وعمل صالحاً ، يعني أراد الله بهذه الآية أن يضغط الدين كله في كلمتين ، صدق بالحق وأقرض الله قرضاً حسناً ، كلمة أقرض ، دفع ولم يأخذ ، متى يأخذ بالآخرة ، لا تنتظر الثواب في الدنيا ، ربنا عز وجل قد يفيد بعض المحسنين في الدنيا ، تشجيعاً لبقية المحسنين ، وقد يعاقب بعض المسيئين في الدنيا ردعاً لبقية المسيئين.

أما الحساب الكامل ، الأوفى ، الدقيق ، الرصيد ، في الآخرة.

﴿ وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾

(سورة آل عمران: 185)

لا يجعل من الدنيا دار جزاء ، هي دار عمل ، والجزاء في الآخرة ، فإذا كافئه الله على استقامته ، فهذا فضل كبير ، أما لو لم يكافئه هو يعمل للآخرة ، هو أقرض الله قرضاً حسناً ، والوفاء في الآخرة.

﴿ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (8-9) : تفسير الآيتان 22 - 23 ، المصيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الثانية والعشرون، والتي بعدها من سورة الحديد، وهي قوله تعالى:

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)﴾

ما أصاب أي إنسان، أي إنسان على الإطلاق من مصيبة [من] تفيد استغراق أفراد النوع، يعني أية مصيبة مهما تكون صغيرةً حقيرةً، ماديةً، معنويةً، اجتماعيةً، نفسيةً، موهومةً، محققةً ؛ أية مصيبة، في الأرض قحط، فيضانات، سيول، براكين، زلازل مجاعات، حروب أهلية.

﴿ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾

مرض، هم، حزن، خوف، قلق، هذه الآية من أشمل الآيات.

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾

مثلاً: من أجل أن تعرفوا معنى [مِن] ، لو إنسان دخل إلى صف، قال كل طالب في هذا الصف له عندي جائزة، الحاضرين يعني، لو قال ما من طالب في هذا الصف إلا وله عندي جائزة، حتى الغائبين، حتى الراسبين، حتى المسجلين سابقاً، تستغرق أفراد النوع [من] لاستغراق أفراد النوع.

لو واحد سأل الثاني أمعك مال لنؤسس تجارة ؟ قال له: كم تريد؟ قال نصف مليون، قال له: ما معي مالٌ، ماذا يعني هذا الترتيب ؟ ما معي مالٌ يقابل هذا المبلغ، إذا معه مائة ألف، وقال ما معي مال، صح كلامه، طلب نصف مليون، لو قلك ما معي من مال ولا فرنك، لو أضفت [من] تستغرق أدق جزئيات الليرة، قرش ما معك، إذا قلت ما معي من مال، ولا قرش، إذا قلت ما معي مالٌ لهذا المشروع، معك مائة ألف والمشروع بكلف نصف مليون، قلت ما معي مال، فهذه [من] في اللغة لاستغراق أفراد النوع.

واحد ماشي بالطريق، طلع بسمار من باب شطب يده شي بسيط حطلها اسبتروا.

ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفوا الله أكثر.

أنا قصدت كلمة [مِن] ماذا تعني، استغراق أفراد النوع.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾

ثقب الأزون داخل فيها، ارتفعت درجات الحرارة، ارتفاع ثاني أكسيد الكربون، سبب تصحر، هي مصيبة، مثلاً الإشعاع النووي في روسيا هي مصيبة، بركان، فيضانات، حر شديد، صقيع قحط، آفة، آفة زراعية، الذبابة البيضاء، وما أكثر الآفات الزراعية يعني أية مصيبة على وجه الأرض ولو أنها في السماء، إلا أنها انعكست على الأرض، هذه داخلة في هذه الآية.

﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾

واحد انسدت قناة الدمع عنده هي مصيبة، دائماً يمسح دموعه إنسان في عنده اضطراب بالنبض هي مصيبة.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾

هون بق الدقة، لها أسباب وجيها، لها أسباب حكيمة، لها أسباب رحيمة مدروسة، دارسة جيدة. يعني مثلاً:

موظف يتهم باختلاس بعض الأموال، يقال الأفكار انتشرت إلى أن وصلت إلى سمع رئيس الدائرة، سأل من حول هذا الموظف في شيء من هذا، فأرسل كتاب إلى الرقابة والتفتيش، أحاله إلى التفتيش، خلال ستة أشهر، تحقيقات، ومداولات، ووثائق، ثبت التهمة، رفع المفتش تقرير لدائرته، الدائرة رفعت تقرير إلى الوزارة الوزارة اتخذت قرار بكف يده، باجتماع كبير، الكل وقعوا، وانكتب القرار على المسودة، ثم طبع، ثم وقع، ثم أرسل إلى الديوان، أخذ رقم ثم بلغ.

يعني هذا الكتاب الذي تبلغ خلال سطرين نكف يد الموظف فلان الفلاني عن العمل نظراً لسوء النزاهة، التوقيع المدير.

هذا الكتاب عمره ستة أشهر، تحقيقات، وتدقيقات، ووثائق لجان تحقيق وتقارير، واجتماعات، ومداولات، وتصويت، إلى أن صدر هذا القرار، هل نقول أن هذا القرار ابن وقته، كتب بثانية لا!.

جبت مثل مطول، يعني الإنسان غلط أول مرة، وغلط ثاني مرة، وثالث مرة، وما استغفر، ولا تاب، وتباهه، وأفتخر، وقال شو عملت، والله غفور رحيم، وأتبجح، عندئذ صدر قرار إلهي بتأديبه.

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾

ما في ارتجالي عند الله عز وجل، ما في شيء خطأ، ما في غلطة، الله مطلق، كماله مطلق، لأنه ما كنا عرفانين، هي بحكيها إنسان، راح بالخطأ شظية طائشة، عند الله طائشة ما في، عند الله كله مسوم، كل شظية عليها أسم صاحبها، أبداً.

﴿ مسومة عند ربك للمسرفين ﴾

(سورة الذاريات: 34)

إذاً يجب أن تنفي عن ربنا عز وجل كل خطأ، أبداً، كماله مطلق، عدله مطلق، حكمته مطلقة، هذا معنى قول الله عز وجل:

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)﴾

طبعاً يسير، العلماء قالوا يسير على رحمته، أب جاهل وأكل طيب وابنه جوعان، يقول له كول، أما الأب الطبيب، رغم محبته لأبنه، إذا كان هذا الطعام يؤدي إلى التهاب في أمعائه، يمنع لأن في مع الرحمة علم، مع الرحمة علم.

﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)﴾

يسير على رحمته المطلقة، أن تصاب بمصيبة، حتى يأدبك لو فرضنا إنسان أبوه متساهل معه، وأبوه جاهل، بنحرف، في واحد صار لص كبير، مع السرقة مجرم صار، أستحق الإعدام فجاءوا به ليشنقوا، ألك طلب؟ قال أريد أن أرى أمي، أمي، جاءوا بها إليه فلما اقتربت منه، قال مد لسانك كي أقبله، فلما مدت لسانها قطعه بأسنانه، وقال لو لم يكن هذا اللسان مشجعاً لي في الجرائم ما فقدت حياتي.

إذاً الرحمة مع الجهل بشعة جداً، ربنا رحيم وعليم، لذلك يؤدب عباده يؤدبهم و يتوبهم، ويصلحن، حتى يتهيئوا للجنة، لذلك الإنسان بالجنة أول كلمة.

﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾

(سورة الزمر: 74)

آخر كلمة يقولها أهل الجنة.

﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾

(سورة يونس: 10)

عل كل ما ساق لنا، لذلك لو كشف الغطاء لاخترتم الواقع يقول سيدنا علي كرم الله وجهه: والله لو كشف الغطاء ما ازددت يقين.

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾

في رأي ثاني، بس وجيه، يتوضح لهذه الحادثة، مر الطبيب على المرض، كل مريض له لائحة، ضغطه، حرارته، نبضه، إلى آخره، نسبة الكلسترول، نسبة الشحوم الثلاثية، نسبة أسيد أوريك فنظر إلى هذه اللوحة وقفوا الملح، ضغطه مرتفع، هذا التوجيه من أين جاء به ؟ من لائحة أعماله، لما أمر بمنع الملح لأن ضغطه مرتفع قام لاقى ثالث يوم ضغطه ستة، كثر الملح عمل فيه متناقض، هو ينظر إلى اللوحة ويبني على النظرة قرار.

﴿ ولله المثل الأعلى﴾

(سورة النحل: 60)

من باب التقريب.

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾

إلا في كتاب أعماله، هذا الإنسان سرق، هذا الإنسان كذب هذا الإنسان غش، هذا الإنسان أحتال، يبنى على احتياله تأديب، على غشه تأديب، على كذبه تأديب، يعني هذه المصيبة جاءت علاجاً له لأنه جاء في كتاب أعماله ما يستحق هذه المصيبة.

﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾

الهاء على من تعود، على المصيبة، لو أعدتها على النفس في مشكلة قبل أن يخلقه قدر عليه المصائب، لا! هذا معنى جبري، الله منزه عنه، لكن جاء إلى الدنيا، وفعل، وأرتكب، وعصى، وأثم وكذب، وغش الناس، هذه صحيفة أعماله هي كتابه، يبنى على هذا الكتاب قدر، قضاء حقوق، وقدر معالجه يبنى معالجة.

لو أن أولكم و أخركم وأنسكم وجنكم وقفوا على صعيد واحد وسألني كل واحد منكم مسألته، ما نقص ذلك في ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في مياه البحر، ذلك لأن عطائي كلام وأخذي كلام فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

فلذلك أيها الأخوة:

هذه الآية مهمة جداً كل شي بيجيك أفتح أضبارتك عند الله أفتح الإضبارة، شوف شو مساوي.

يعني يروى طرفة شوحة جاءت سيدنا سليمان، كان أوتي منطق الطير قالت له: سل ربك أعجول هو أم مهول، فلما سأل ربه قال يا ربي: ماذا أجيبها قال: قل لها إني مهول، ولست عجول فاطمأنت، بحثت عن طعام لها، رأت أناس يشوون اللحم، خطفت هذا اللحم وطارت به، علقت جمرة في هذا اللحم، فلما وضعت قطعة اللحم في عشها، أحترق عشها، وأحترق بيضها، فعادت إلى سيدنا سليمان، قالت: سألتك أن تسأل لي

ربك أعجول هو أم مهول فأخبرتني أنه مهول هاهو ذا عجول ! قال يا ربي: ماذا أجيبها، قال له لها حساب قديم مو على هي، حساب قديم هذا، قديم كثير، كله مسجل أخوانا، والله هناك أخطاء تدفع ثمنها بعد خمسين سنة.

طلع واحد على قطار ليركب، في شباب زعران، سبوا وضربوا، فبكى قال والله فعلت هذا قبل ثلاثين عاماً، مع إنسان كبير في السن، نفس طويل، كله مسجل، كيف بتعامل والدك، والدتك كيف بتعامل هي الغريبة كنتك، مرة ابنك بالبيت، عند بنات لسع سوف تعامل بناتك كم تعامل زوجة ابنك، بالضبط، كيف عما بتعامل والدتك، لسع لك أولاد، كيف عما تعامل والدك، حساب دقيق عدل مطلق.

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾

من قبل أن نبرأ المصيبة، جاءت مصيبة من الإصابة، في موقعها، في وقتها المناسب، بحجمها المناسب، بتأثيرها المناسب.

﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)﴾

الله رحيم لأنه، رحيم وعليم، إذا واحد حب يرحم ابنه فاق للظهر كل يوم للظهر بفيق، بيأكل يتمطئ، بصير شخص راقي هذا الإنسان ؟ أما إذا كان أدبه، وخلاه يستيقظ باكراً، ويدرس، وأخذ بورد، قعد بالعيادة، وكتب لوحة مثلاً، الله يجزي الخير والدي لو ما شد علي كنت هل نوري، لو ما شد علي.

الإنسان بس يستقيم، ويتوب إلى الله عز وجل، ويصطلح مع الله، يقول يا رب لك الحمد على ما سقت لي من مصائب.

أخ عنده مطبعة، ربح ربح جيد، حط بجيبه ثلاثة أرباع المليون، طلع على أمريكا ينبسط، بدو ينبسط لا وفق منهج الله كمان خلاف منهج الله، المؤمن بينسر بطلع على سيران بأخذ زوجته وأولاده، بيشربوا، مكان هادي جميل، بيرتاحوا ما في مانع، بس في بسط لغير منهج الله، سموا الآن سياحة جنسية، له مصطلح صار قال له: وصلت إلى هناك آلام في ظهري لا تحتمل، آلام، زار أول طبيب قال له: سرطان في النخاع الشوكي، قطع إجازته وعاد إلى الشام، من جامع إلى جامع، ومن شيخ إلى شيخ، يصلي، ويصوم أثنين وخميس، ويبكي، ثم ظهر ما معه شيء طلع، بس الله رجعه وين رايح أتخبص.

﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)﴾

بخوفك الله، بخوفك كثير، ببكيك، بيبعتلك شغلة تحتار فيها.

﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)﴾

رحيم لأنه، رحيم.

﴿" فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ﴾

(سورة الأنعام: 147)

أنا أقول لكم ولا أبالغ، تسعين بالمائة، ممن أصطلح مع الله وتاب إليه وصلح حاله معه وسعد بقربه، عاد إليه على أثر مصيبة تأديبه، أشكر الله عز وجل، من لم تحدث المصبية في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر، قال:

﴿ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾

لا تقول لو، أبدا، لا تقول لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله ما شاء فعل، فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان، أيام تأتي المصيبة على حرف في وثيقة على كلمة، على حركة، يا ليت ما حكيتها، لا تقول لو، ليس في قاموس المؤمن كلمة لو، بس العلماء استثنوا لو واحدة، لو الإيجابية، لو لم أكل هذا المبلغ الحرام لما أتلف الله مالي، صح، لو لم أكن شارداً لما وقعت هذه المصيبة، صح لو لم أطلق بصري في الحرام.

في شخص هوايته، هو جار صديقي، عنده خمس بنات مزوجهن، هوايته بالصيف ينزل من المزة بالباص على طريق الصالحية، يطلع من البوابة للجسر، طلعة نزلة، يملئ عينيه من الحسناوات، فقط ما بيساوي شي، أكابر كثير، صاحب دين، فقط يحب يطلع، أصيب بمرض من أندر الأمراض، ارتخاء الجفون، إذا بدو يشوف شخص، بدو يرفع أجفانه بيديه، هذا ارتخاء الجفون العصب بيضعف، هي مقابل هي، يعني نازل خصوصي من المزة لطريق الصالحية، طلعة نزلة، كل يوم، أول صيفية، وثاني صيفية وثالث صيفية، تخنتا، هي الثمن.

بس تفهم على الله تنحل كل مشاكلك، بس تفهم عليه، ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفوا الله أكثر.

لو عندك نفس طويل، وتدقيق لتجد العجب العجاب، ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفوا الله أكثر.

لا تقول لو إطلاقاً، لا تيئس على ما فاتك، فاتك بقدر الله ولا تفرح بما أتاك امتحان وليس إكرام، هذا امتحان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (9-9) : تفسير الآية 25، تأييد الرسل وفوائد الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

الآية الخامسة والعشرون من سورة الحديد وهي قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)﴾

أولاً: ربنا جل جلاله من لوازم رحمته أنه يرسل الرسل، وقد قال تعالى:

﴿ ولكل قوم هاد ﴾

(سورة الرعد: 7)

من رحمته بعباده يرسل الرسل، لكن الناس الذين ألفوا بعض الشهوات حينما يأتي منهج الله ليحد من شهواتهم، ماذا يفعلون ؟ يكذبون الرسل.

﴿ ويقول الذين كفروا لست مرسلا ﴾

(سورة الرعد: 43)

كيف يثبت هذا الإنسان الضعيف الذي هو رسول الله، أنه رسول الله ؟

يؤده الله بالمعجزات.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾

البينات تبين أنه رسول، فلا يستطيع قلب الماء إلى طريق يابسة إلا الله، فإذا جاء سيدنا موسى، وضرب البحر بعصاه فأصبحت طريق يبساً، إذاً هو رسول الله، لا يستطيع إنسان على وجه الأرض أن يحي الموتى، إلا أن يؤيده الله بذلك، إذاً الذي يفعل ذلك هو رسول الله، لا يستطيع إنسان أن يأمر الجبل فينشق عن ناقة، لا يفعل هذا إلا الله، كن فيكون، فإذا فعل هذا إنسان إذاً هو رسول الله إذاً:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾

أعطاهم المعجزات التي تبين للناس أنهم رسل، لأن رد فعل الناس مباشرة التكذيب، حينما يأتي الرسول بدعوة إلى الله، مصالح الذين يعبدون الأصنام تتضرر، مصالح المنغمسون بالشهوات تتوقف إذاً رد فعل هؤلاء المنافقين والمنغمسين بالشهوات هو التكذيب، طيب ماذا يقول هذا الإنسان لمن يكذبه ؟ يأتي بالمعجزات.

﴿ هذه ناقة الله لكم آية ﴾

(سورة الأعراف: 73)

﴿ أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله ﴾

(سورة آل عمران: 49)

فما من نبي إلا أيده الله بالمعجزات، ولكن نبيناً عليه الصلاة والسلام لكرامة عند الله العالية، أيده بمعجزة تدوم، كل معجزات الأنبياء السابقين كعود ثقاب تتألق وتنطفئ، وتبقى خبراً، يصدقها من يصدقها، ويكذبها من يكذبها، إلا معجزة نبيناً عليه الصلاة والسلام معجزة باقية إلى نهاية الدوران.

أنه هذا الكتاب، في حقائق كونية، كلما تقدم العلم كشف أحد هذه الحقائق، الأرض كرة، أما في عهد رسول الله، صحراء منبسطة، كلهم يعتقدون أنها منبسط، قال:

﴿ وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾

(سورة الحج: 27)

ما قال من كل فج بعيد، لو أن الأرض منبسط ، لكان من كل فج بعيد، مادامت كرة، من كل فج عميق، فكلما ازدادت المسافة بين نقطة وأخرى على كرة يصبح هناك العمق، العمق هو البعد، هذا كلام الله عز وجل.

معركة جرت بين الفرس والروم، في غور فلسطين، ولم يكن يعلم أحد أن غور فلسطين هو أعمق نقطة في الأرض، إلا بعد أن اخترعت أشعة الليزر، الآن غور فلسطين أعمق نقطة على وجه الأرض، قال تعالى:

﴿ غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين ﴾

(سورة الروم: 2. 3)

آية قرآنية يتلوها الناس ألفاً وأربعمائة عام.

﴿ مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان، فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾

(سورة الرحمن: 19. 20)

أين هو هذا البرزخ بين البحرين، بحر متصل، الأحمر مع العربي والأحمر مع الأبيض، والأبيض مع الأسود، والأبيض مع الأطلسي، إلى أن اخترعت المركبات الفضائية، فوجدوا في الصور الملتقط من الفضاء أن خطاً بين البحرين، علماء البحار ما هذا الخط خط تباين، فحصوا مياه البحر الأحمر وجدوا له مكونات، وكثافة ومواد، وملوحة خاصة به، فحصوا مياه البحر العربي، مكونات وكثافة، وملوحة خاصة به، جاءوا بقصاصات أوراق وضعوها عند باب المندب، تحركت إلى الخط الفاصل ثم عادت، جاءوا بقصاصات أخرى وضعوها على القرب من هذا الخط في المحيط العربي تحركت نحو الشمال ثم رجعت.

﴿ لا يبغيان، فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾

(سورة الرحمن: 19 . 20)

الآن كشفت هذه الحقيقة، ثم أن الله عز وجل بين.

﴿ وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ﴾

(سورة الفرقان: 53)

البرزخ بين البحرين لئلا يختلطان، ولكن الحجر المحجور بين المياه المالحة والمياه العذبة، وجد أن المياه المالحة لا تنتقل أسماكها إلى المياه العذبة وأن أسماك المياه العذبة لا تنتقل إلى المياه المالحة.

لذلك أكثف منطقة صيد أسماك بالعالم في مصبات الأنهار فيها سمك يعيش في الماء الحلو لا ينتقل إلى الماء المالح.

﴿ وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ﴾

طبعاً أنا أعطيكم نماذج، أكتشف أخيراً عن طريق الجينات أن الذي يحدد الذكر أو الأنثى هو الحوين المنوي لا البويضة قال تعالى:

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى، من نطفة إذا تمنى ﴾

(سورة النجم: 45 . 46)

تبين أن هذه الطاولة كائنات حية، حركة دائبة، ذرات الخشب تدور بسرعات مذهلة، نواة، وكهارب، ومدارات، أي شيء في الكون حديد، خشب رخام، أي شيء، قال تعالى:

﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾

(سورة يس: 40)

تجد هذا القرآن الكريم، لكن الله يشهد أنزله بعلمه، يعني علم الله في هذا القرآن.

لذلك معجزة نبينا عليه الصلاة والسلام معجزة دائمة، دائمة مستمرة، بينما معجزات الأنبياء السابقين معجزة كعود الثقاب تألقت ثم انطفأت، وأصبحت خبراً، يصدقها من يصدقها، ويكذبها من يكذبها.

الآية الكريمة:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾

مطلق الكتاب، القرآن هو الكتاب، والتوراة سابقاً هي الكتاب والإنجيل هو الكتاب، [الميزان]، بعضهم قال الميزان هو العقل بعضهم قال هو الشرع كلاهما صحيح، يعني في رسل من بني البشر ومعهم معجزات، ومع المعجزات كتاب، ومع الكتاب شرع، الشرع هو الميزان، لماذا ؟ قال:

﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

لتأخذ مالك، وتدع ما ليس لك، لئلا تدخل إلى المحاكم لتعيش حياةً هادئة مستقرةً، من عرف ماله وما عليه أراح واستراح.

﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

عبد الله بن رواحة الصحابي الجليل، أرسله النبي عليه الصلاة والسلام إلى يهود خيبر ليقدر الثمار، ويأخذ نصيب المسلمين فيهود خيبر كما هي العادة أرادوا أن يغروه بالمال، ليرشوه، فلعله يقدر تقدير أقل مما هو واقع، فقال هذا الصحابي الجليل كلمةً، يقشعر منها الجلد، قال: والله يا يهود لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليه ولأنتم عندي أبغض من القردة والخنازير، ومع أني جئت من عند أحب الخلق إلي، وأنتم عندي كذلك لن أحكم بينكم إلا بالعدل، لا حبي لرسول الله يدعوني أن أظلمكم، ولا بغضي لكم يدعوني أن أظلمكم فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض، وقالوا: وبهذا غلبتمونا.

لذلك قال بعض العلماء: الحياة تستقيم، دققوا، كلامي دقيق مع الكفر والعدل، ولا تستقيم مع الإيمان والظلم، الحياة تستقيم أعدائنا كفار لكن عندهم أعمال مع أتباعهم فيها إنصاف، وإذا المسلمين لم يكونوا منصفين لا تستقيم دنياهم مع الإيمان والظلم، بل تستقيم مع الكفر والعدل، وهذه مشكلة كبيرة.

بهذا قامت السماوات والأرض، وبهذا غلبتمونا، ليقوم الناس بالقسط ليقوم العدل مكان الظلم.

ورد عن رسول صلى الله عليه وسلم :

((أن الأرض في آخر الزمان تمتلئ جوراً وظلماً، تمتلئ، وسيملئها أخي عيسى قسطاً وعدلاً))

تسمع أخبار تسعين إنسان يقتلون بلا سبب بالجزائر، بلا سبب .

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً:

((أنه من علامات قيام الساعة موت كعقاص الغنم، لا يدري القاتل لما يقتل ولا المقتول لما قتل))

﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾

حديد لماذا ؟ للحرب والسلم، في الحرب:

﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾

وللسلم

﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾

تصنع منه الأسلحة لتكون ردعاً للكفر والظلم، وتصنع منه الأدوات لتكون نفعاً للناس، ولن تجد شيئاً في الأرض إلا صنع بآلة من حديد، هذه السجادة، هذه الطاولة، ما في شيء على الإطلاق إلا والحديد داخل فيه.

﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)﴾

كلمة صغيرة: لا تقلق على دين الله، إنه دينه، و لكن اقلق هل سمح الله لك أن تنصره أم لم يسمح ؟ هل منحك شرف أن تنصره أم لم يمنحك هذا الشرف ؟ لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾

(سورة محمد: 38)

فأنت خاف، واقلق على أن الله يسمح أو لا يسمح لك أن تنصر دينه، إنه دينه فسينصره شئت أم لم تشأ، شئت أم أبيت، ولكن هل سمح الله لك أن تنصره هل منحك هذا الشرف.

﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾

(سورة محمد: 4)

يعني أعداء الأعداء، الأشداء، الأرداء، الأقوياء، ألا يستطيع الله بكلمة واحدة أن يصبحوا أمواتاً، هؤلاء الذين يتحدون الأمة العربية بأكملها، هؤلاء شذاذ الأفاق، ألا يستطيع الله أن ينهيهم بكلمة.

﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾

يعني ليمنحكم شرف نصرة دينه، الله ليس فقيراً، وليس ضعيفاً، لكنه يحب من عباده أن يكسبوا شرف نصرة هذا الدين، هذه آية دقيقة جداً.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾

بالمعجزات.

﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾

المنهج.

﴿ وَالْمِيزَانَ﴾

الشرع.

﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

ليتفرغوا لعبادة الله.

﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾

في الحرب.

في السلم.

﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)﴾

عقد مؤتمر في عام 1917، هذا المؤتمر عقد للدول الصناعية في أوربا هناك قلق شديد أن مخزون الحديد في الأرض لا يكفي أكثر من أربعين عاماً فكان في قلق، الآن اكتشف، أن خمسة بالمائة، من قشرة الأرض فيها حديد يعني لمئات ألوف السنين.

﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾

أيام الغربيين يفعلوا أزمات حتى يخيفوا الناس، بقلك في تفجر سكاني، في نقص بالغذاء، في نقص بالمياه.
أخوانا الكرام أسمعوا هذه الكلمة:

ربنا جل جلاله، إذا قنن تقنينه تقنين تأديب، لا تقنيين عجز .

﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾

(سورة الحجر: 21)

أنا مرة التقيت مع أحد الأخوة، هو طبيب عضو في لجنة حوض دمشق فكان في سنوات شحيحة، ومخزون المياه أنخفض كثيراً وصار أكثر الينابيع جفت، وصار في خطر جفاف هذه المنطقة، والله أيها الأخوة، حدثني حديثاً مليئاً بالوقائع والدارسات، لم أستطع أن أقف على قدمي، الشام انتهت معنى ذلك في العام نفسه، الكلام حدثني إياه في أول الشتاء، هطل 350 مليمتر بدمشق هناك ينابيع من ثلاثين سنة تفجرت، مياه منين وصلت إلى دمشق، عين الصاحب تفجرت 350 مليمتر، نحنا معدلنا السنوي 212، الله يفاجئ المتشائمين.

﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾

(سورة الحجر: 21)

مرة في أحد السنوات، إنتاجنا من القمح كان ثلاثة ملايين طن واستهلكنا الكامل مليون طن، ضعفي استهلكنا الفائض، إذا الله أعطى أدهش، هي درس عملي، أنا عندي كل شيء، لكن إذا قننت تقنين تأديب لا تقنين عجز .

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾

(سورة الأعراف: 96)

﴿ وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ﴾

(سورة الجن: 16)

﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾

(سورة المائدة: 66)

أو القرآن قياساً عليها.

لكن كلما اتسعت الصحون على السطوح ضاقت صحون المائدة عندك صحنين، صحن على السطوح وصحن على الطاولة، إذا كبرت الفوقاني بصغر التحتاني، وكلما رخص لحم النساء غلى لحم الضان وكلما قل ماء الحياء قل ماء السماء.

والحمد لله رب العالمين

الباب الثامن : تفسير سور (من المجادلة و لغاية المزمل)

الفصل الأول : تفسير سورة المجادلة

الفصل الثاني : تفسير سورة الحشر

الفصل الثالث : تفسير سورة الممتحنة

الفصل الرابع : تفسير سورة الصف

الفصل الخامس : تفسير سورة الجمعة

الفصل السادس : تفسير سورة التغابن

الفصل السابع : تفسير سورة الطلاق

الفصل الثامن : تفسير سورة التحريم

الفصل التاسع : تفسير سورة الملك

الفصل العاشر : تفسير سورة القلم

الفصل الحادي عشر : تفسير سورة الحاقة

الفصل الثاني عشر : تفسير سورة المعارج

الفصل الثالث عشر : تفسير سورة الجن

الفصل الرابع عشر : تفسير سورة المزمل

الفصل الأول : تفسير سورة المجادلة

الدرس (5-1) : تفسير الآيات 1 – 4 ، حق الزوجة على الزوج

الدرس (5-2) : تفسير الآيات 7 – 10 ، الصدق في القول

الدرس (5-3) : تفسير الآية 11 ، العلم خير من الجهل

الدرس (5-4) : تفسير الآيتان 20 – 21 ، كن مع الله ولاتبالي

الدرس (5-5) : تفسير الآية 22 ، الولاء والبراء

الدرس (5-1) : تفسير الآيات 1 - 4 ، حق الزوجة على الزوج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

حق الزوجة على زوجها :

أيها الأخوة الكرام؛ الآية الأولى هي قوله تعالى في سورة المجادلة:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

[سورة المجادلة: 1]

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمشي في أسواق المدينة ويركب دابةً، فرأى امرأةً فسألته سؤالاً، فنزل عن دابته وبقي معها تكلمه طويلاً، فعجب من حوله من هذا التصرف، خليفة المسلمين ينزل عن دابته، ويستمع إلى امرأة ضعيفة طويلاً، فلما سئل، قال: هذه المرأة التي سمع الله شكواها من فوق سبع سموات أفلا أسمع أنا شكواها؟

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

[سورة المجادلة: 1]



هذه المرأة جاءت رسول صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة، ذات أهلٍ، ومالٍ، وجمال، فلما كبرت سني، ونثر بطني- عندها خمسة أولاد- وذهب مالي، وتفرق أهلي، قال لي: أنت عليّ كظهر أمي - أي هجرها - ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، فبكى النبي عليه الصلاة والسلام، قال: ما أظن إلا قد بنتي منه- كأنه طلاق- ثم جاء التشريع فسماه الله ظهاراً، أنت عليّ كظهر أمي.

أي هذه المرأة التي حبست من أجلك، نحن ليس في شرعنا أن امرأة لها زوجان، هناك رجل له امرأتان، المرأة محبوسة لزوجها، فإذا تركها و لم يطلقها لن تستطيع أن تتزوج، وهي ليست زوجة تنال حقها من زوجها، فيكون بذلك قد ظلمها ظلماً شديداً. قال تعالى:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

[سورة البقرة: 229]

القاضي شريح تزوج امرأة، أراد أن يمس يدها ليلة الزفاف، فقالت: على رسلك أبا أمية، ثم قامت فخطبت، قالت: أما بعد فيا أبا أمية إنني امرأة غريبة لا أعرف ما تحب، ولا ما تكره، فقل لي ما تحب حتى أطيع، وما تكره حتى أجتنبه، ويا أبا أمية لقد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك، وكان لي من رجال قومي من هم كفء لي، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله، ليقض الله أمراً كان مفعولاً، فاتق الله فيّ، وامتثل قوله تعالى:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

[سورة البقرة: 229]

أما إمساك بغير معروف، فالزوجة لن تنال حقها من زوجها، وليست مطلقة لتتزوج، إن لم تعجبك هناك من تعجبه، إما أن تمسك بمعروف، أن تعاملها كزوجة، وتنال منك كل حظوظها المادية والمعنوية، وإما دعها وشأنها، الله عز وجل يرسل لها من يأخذ بيدها، فالنبي عليه الصلاة والسلام بكى.

أشدّ أنواع الظلم ظلم إنسان لا يستطيع أن ينتصر لنفسه :

أخواننا الكرام؛ الإنسان أحياناً يطغى:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى ﴾

[سورة العلق: 6-7]

يغتني أحياناً، يشعر بنشاط، بقوة، يعلو شأنه، تزداد أمواله، فيهمل زوجته، هذه من لها إلا أنت؟ لذلك أشدّ أنواع الظلم أن تظلم إنساناً لا يستطيع أن ينتصر لنفسه.

يقول لك: مقطوعة ليس لها أحد، أو أهلها فقراء، أقل كلمة يقولها لها: اذهبي لبيت أهلك، هي تعلم علم اليقين أن أهلها لن يحتملوها، لذلك أهلها معك لا لأنك على حق، بل لأنك تحل مشكلتهم.

فأنا أقول لكم أيها الأخوة، عد للمليون قبل أن تظلم إنساناً لا يستطيع أن ينتصر لنفسه، وعندئذ يتولى الله الدفاع عنها.

يروى أن امرأةً تعيش مع زوجها، طرق الباب، ذهبت لتفتح الباب، فإذا بالباب سائل، وكانت تأكل مع زوجها دجاجاً، فهمت أن تعطيه قطعة من الدجاج يسد بها رمقه، فما كان من زوجها إلا أن سبها وعنفها، قال: اطرديه، فطردته، والعلاقات ساءت بينها وبين زوجها إلى درجة أنه طلقها، فجاء من يخطبها وكان رجلاً ميسور الحال، والشيء الذي لا يصدق أنها كانت تأكل الدجاج مع زوجها الجديد فطرق الباب طارق، فذهبت لتفتح الباب فاضطربت، شعر زوجها بها، قال: من الطارق؟ قالت: سائل: قال: لماذا اضطربت؟ قالت إنه زوجي الأول، قال: هل تعلمين من أنا؟ أنا السائل الأول. فالله يبدل الأحوال، يجعل عاليها سافلها، وسافلها عاليها.

فالإنسان يتكلم كلمة قاسية، يظلم زوجة، والله أذكر أيها الأخوة: أحد أخواننا الكرام حدثني عن رجل، آتاه الله مالاً كثيراً، خطب ابنته مهندس، فاحتقره قال له: كم تأخذ راتباً؟ خمسة آلاف؟ عشرة آلاف؟ هذا المبلغ لا يكفي، فطرده، والأيام دارت، وهذا الإنسان افتقر – والله عز وجل يدهش إذا أعطى، ويدهش إذا أخذ– وكان له أعمال في المنطقة الحرة، وعليه التزامات ضخمة، لا يستطيع أن يسدد فأفلس، هذا التاجر قال لرجل يعرفه – وهذا الرجل الوسيط هو أحد أخواننا–: هذا المهندس الذي خطب ابنتي هل تزوج؟ قال له: لا، قال له: أقنعه مرة ثانية أن يتزوج ابنتي، أقنعوه فتزوج ابنته، وهذا العم عمل عند الصهر موظفاً، الله عز وجل يجعل عاليها سافلها.

تعليم الفتاة أمور الدين أخطر من تعليم الشاب :



دقق في كلامك، عد للمليون قبل أن تظلم امرأة، قبل أن تظلم موظفاً عندك، قد تكون عنده موظفاً في المستقبل، فربنا عز وجل قال:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

[سورة المجادلة: 1]

هذه المرأة أيضاً رسمت منهجاً، أنها لو ضمتهم إليّها جاعوا، هو الذي يكسب، ولو تركتهم إليه ضاعوا، هي التي تربيهم.

لذلك من علم فتاةً أمور دينها، وعلمها أحكام الفقه، وحقوق الزوج، وواجباتها تجاه الأولاد، من علم فتاةً علم أسرةً، والذي أراه الآن أن تعليم الفتاة أمور الدين أخطر من تعليم الشاب، لأن هذه الفتاة في النهاية أم، وزوجة، فإذا عرفت أمر دينها رعت أولادها وربتهم التربية العالية.

اللعب بدين الله يفسد العلاقة بين الأزواج :

الآن العقاب:

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾

[سورة المجادلة: 2]

يوجد هنا حكم فرعي، تقعد مع فتاة وتقول: إن شاء الله مثل أختي، لا هي ليست أختك، إن شاء الله مثل أمي، إن شاء الله مثل خالتي، هي أجنبية، وتشتهيها، وتملأ عينيك من محاسنها، وتعمل على الناس دجلاً، مثل أختي إن شاء الله، هذا كلام فارغ. قال:

﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾

[سورة المجادلة: 2]

تقول: هي عليّ كظهر أمي، هي ليست أمك هي زوجة، لها حق عندك، أمك موضوع ثان.

﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾

[سورة المجادلة: 2]

فقط، لا تدخل شعبان برمضان، مثل أختي، ومثل خالتي، ومثل عمتي، خالتك شيء، وعمتك شيء، هي امرأة غريبة، أجنبية تُشتهى، يمكن أن تزل قدمك فتقع في الفاحشة.

إنسان مقيم بجدة، زوجته أرادت أن تذهب إلى بيت أهلها في الشام، أرسلها مع سائق على انفراد، من جدة إلى الشام، قال: هذا الشخص موثوق، ما هذا الكلام؟ امرأة شابة، في ريعان الشباب، ترسلها مع سائق إلى الشام ليومين وليلة، وتقول: موثوق؟! هذا لعب بدين الله، هذه الآية دقيقة:

﴿ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾

[سورة المجادلة: 2]

أي غداء مشترك، خمس كنائن أو ست مع أزواجهن، نحن أسرة واحدة، لا نحب أن نفرق العائلة، هذا الشب نظر إلى امرأة أخيه، فرآها أجمل من زوجته بكثير، ماذا حدث معه داخلياً؟ نظر إلى امرأة أخيه الثانية، كلامها أحلى، نظر إلى امرأة أخيه الثالثة قوامها أجمل، نظر إلى امرأة أخيه الرابعة مثقفة، كلامها منطقي، إذاً ماذا حصل في الداخل؟ في الخارج لا يوجد شيء، أهلية بمحلية، بالداخل ماذا حصل؟ فسدت العلاقات

بين الأزواج، ودائماً الشيطان يزين لك المرأة الأجنبية، ويبخس في نظرك زوجتك، دائماً هناك عزوف عن الزوجة، وتعلق بامرأة أجنبية، هذا من عمل الشيطان، المؤمن بالعكس، يزهد فيما سوى زوجته، ويتعلق بزوجته، قال:

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾

[سورة المجادلة: 2]

كلام كذب، وكلام منكر.

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾

[سورة المجادلة: 2]

كفارة يمين الظّهار :

إذا الإنسان لم يكن يعرف:

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾

[سورة المجادلة: 3]

كلمة كبيرة جداً:

﴿ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾

[سورة المجادلة: 3-4]

لأنك قلت: أنت عليّ كظهر أمي وحرمتها على نفسك، عقابك صيام شهرين متتابعين، هل تستطيع؟ فكر، هذا كفارة يمين الظهار، كفارة يمين الظهار صيام شهرين متتابعين.

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾

[سورة المجادلة: 4]

قبل أن يضع يده على يدها يجب أن يصوم ستين يوماً، لأنه هي لها حق عندك، هي زوجة، حبست نفسها من أجلك، أين تركتها و غادرت؟ حبست نفسها من أجلك.

﴿ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[سورة المجادلة: 4]

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

[سورة البقرة: 229]

يجب أن تعاملها كزوجة، في المبيت، وفي الإنفاق، وفي المعاشرة، وفي المسكن، وإلا طلقها، والطلاق له حساب طويل عند الله، لا تطلق المرأة إلا من ريبة، وأبغض الحلال إلى الله الطلاق، والطلاق يهتز له عرش الرحمن.

تكامل الأنثى مع الذكر :

شيء آخر: إن النساء خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج ما فيه أعلاه، فإذا ذهبت تقيمه كسرته، وكسرهن طلاقهن، فاستمتعوا بهن على عوج.

هكذا علمنا النبي عليه الصلاة والسلام، طبعاً لها عقلية غير عقليتك، لها تفكير غير تفكيرك، لأنها أنثى مصممة بعقلها، وجسمها، ونفسيتها، وعلاقاتها أن تكون أنثى، تتكامل معك، فلو أنها تشبهك لما تفاهمت معها، لو أنها تشبهك لكانت نداً لك، هي تتكامل معك.

الابتعاد عن الظلم و الاستقامة على أمر الله :



أيها الأخوة؛ ملخص هذا الدرس إياكم أن تظلموا إنساناً لا يستطيع أن ينتصر لحقه عندئذ يتولى الله الانتقام، والله إذا انتقم فانتقامه مخيف.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾

[سورة البروج: 12]

هؤلاء الذين يطلقون زوجاتهم طلاقاً تعسفياً، هؤلاء لهم عند الله حساب كبير، لو أن قدمها زلت، وانحرفت، وأنجبت من ذريتها مئات الفتيات الفاسدات، كل هذا الفساد في صحيفة الذي طلقها طلاقاً تعسفياً.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾

[سورة يس: 12]

أي لينجُ الإنسان بجلده من الله عز وجل، ليكن مستقيماً، ويؤدي الحق إلى أهله، ليكن محسناً.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : تفسير الآيات 7 - 10 ، الصدق في القول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين :

الشعور بمراقبة الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ؛ أفضل إيمان المرء ؟ أن يعلم أن الله معه حيث كان ، لأن الواحد منا ، لو كان في حضرة رجل ، وقور ، محترم ، له مكانة علية في المجتمع ، يضبط نفسه أشد الضبط ، يضبط كلماته ، يضبط حركاته سكناته ، طريقة جلسته ، يضبط ثيابه ، يرتب بيته ، من أجل شخصاً محترماً في المجتمع . فإذا علمت أن الله معك ، كيف يكون حالك معه ؟ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، أن تشعر الله يراقبك والله أيها الأخوة لو لم يكن في كتاب الله عز وجل إلا هذه الآية لكفتنا .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾

[سورة النساء : 1]

لاحظ بقلك الطريق مراقب بالرادار ، أكثر السائقين يحرصون على أن تبقى السرعة نظامية ، يكتب لك الصالة مراقبة بالتلفزيون مكان للبيع واسع جداً بس الصالة مراقبة ، في كاميرات ، بتلاقي في انضباط ، إذا إنسان راقبك .



أنا مرة دخلت لمحل تجاري ، قديمة القصة في بيروت ، وجدت جهاز تلفزيون جنب صاحب المحل ، وعليه صورة إنسان يكتب ، قلت له من هذا ؟ قال هذا المحاسب ، عليه كاميرا ، طوال الوقت ، مادامت هذه الكاميرا مسلطة على هذا المحاسب ، هل يستطيع إن ينام ؟ لا هل يستطيع إن يقرأ مجلة ؟ لا ، مراقب يعني إذا إنسان راقبك تنضبط ، إذا قيل لك أن تلفونك مراقب شو بتحكي على التلفون ، إذا قيل لك أن حركاتك مراقبه ، إذا إنسان راقبك ترتعد فرائسك ، إذا مكان للبيع مراقب بآلات تصوير ، تحسب ألف حساب ، إذا كان الطريق مراقب بالرادار ، تهتم بالسرعة ،

أنت حينما تراقب ، تنضبط ، لذلك ثلاث كلمات إذا أيقنت بها ، تستقيم على أمر الله ، إن علمت أن الله يعلم، وسيحاسب ، وعقابه أليم ، وإكرامه عظيم ، بس .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾

[سورة الطلاق : 12]

يعني أنت في علمه ، علمه يطولك ، وقدرته تطولك ، وكنت أضرب هذا المثل كثيراً ، تركب مركبة والإشارة حمراء ، والشرطي واقف ، والسيارة واقفه والمتورات واقفه ، والإشارة حمراء وأنت مواطن عادي ، مالك سلطة، هل تخترقها مستحيل ؟ مستحيل ، لأنك إن اخترقتها ، يعلم واضعوا النظام بأنك اخترقتها من خلال الشرطي ولأنك لا تقوى على مقاومتهم تنصاع لأمرهم ، فكيف بأمر الله عز وجل ؟ الآن :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

[سورة المجادلة الآية : 7]

هل يليق بهذا الإله العظيم ألا يعلم .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة المجادلة الآية : 7]

قال له والله يا صفوان ، عمير بن وهب في مكة ، وحدهما والله يا صفوان ، لولا ديون ركبتني ما أطيق سدادها ، لولا أولاد صغار أخشى عليهم العنت من بعدي ، لذهبت لمحمد وقتلته وأرحتكم منه ، صفوان ذكي جداً ، قال له أما ديونك فهي علي بلغت ما بلغت وأما أولادك فهم أولادي ما مدت بهم العمر فامضي لما أردت ، فذهب إلى البيت ، وسقى سيفه سماً ، ليقتل به محمد ، وركب راحلته وتوجه إلى المدينة ، طبعاً مغطى جاء ليفدي ابنه الأسير، في المدينة فلما وصل إلى المدينة ، رآه عمر قال هذا عدو الله عمير جاء يريد شراً ، فقيده بحمالة سيفه ، وساقه إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، قال له هذا عدو الله ، فالنبي قال يا عمر : أطلقه ، فأطلقه ، أبتعد عنه فابتعد عنه ، أدنو مني يا عمير ، فدنا منه قال له ما الذي جاء بك إلينا؟ قال له جئت أفدي ابني ، وقال له وهذا السيف الذي على عاتقك لماذا جئت بها ؟ قال : قاتلها الله من سيوف وهل نفعتنا يوم بدر ، قال له : ألم تقل يا عمير لصفوان لولا ديون ركبتني ما أطيق سدادها ولولا أولاد صغار أخشى عليهم العنت من بعدي ، لذهبت وقتلت محمداً وأرحتكم منه ، وقال لك صفوان كذا وكذا ، وقف عمير ، قال أشهد أنك رسول الله ، لأن الذي جرى بين وبين صفوان لا يعلم أحد إلا الله وأنت رسول ، عندئذ أسلم ، أما صفوان يعني شاعر شعور بالإنجاز كبير ، بأنه بعد يومين أو ثلاثة سيأتي خبر مقتل

محمد عليه الصلاة والسلام ، كان يقول لمن حوله انتظروا أخباراً سارة ، كان يخرج إلى ظاهر مكة ، يتلقى الركبان ، ليتلقى هذا الخبر المفرح ، نبئ مقتل محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء الخبر المؤسف أنه أسلم.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة المجادلة الآية : 7]

يعني إذا كان أحياناً في بعض المدارس ، في لاقط لعند المدير فالمدير بأي لحظة ، يستطيع أن يسمع أي معلم ماذا يقول في صفه ، ما دام هناك هذا الجهاز ، كيف ، هل يعقل للمعلم أن يسب المدير ؟ أمام الطلاب ، مستحيل ، لأنه في رقابة .

فهذه الآية واضح جداً ، هذا الذي يجري بين الناس ، هذا الذي يفعله الناس بغيبة بعضهم بعض ، إذا علموا أن الله يراقبهم ، كفوا عنهم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾

[سورة النساء : 1]

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾

[سورة المجادلة الآية : 8]

بالإثم بالمعاصي ، والعدوان على أموال الناس وأعراضهم ومعصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

التحلي بأخلاق حسنة والوقوف يد واحدة ضد العدو :

﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾

[سورة المجادلة الآية : 8]

وجهان ولسانان ، وذو الوجهين ليس عند الله وجيه ، ذو الوجهين ، هذا الشيء الآن شاع جداً ، بتلاقي يجلس معك ويثن عليك وعلى أفكارك ، وعلى كل شيء ، فإذا ذهب إلى نظيرك ، ذمك ومدحه إذا جاء إليك مدحك وذمه ، أبداً متقن دوره ، يعني إن جلس مع



العلمانيين ، علماني ، إن جلس مع الدينين ، أمير المؤمنين ، إن جلس مع الإباحيين ، إباحي ، القدرة على التلون ، ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً ، لا تكن ذا وجهين .

﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ﴾

[سورة المجادلة الآية : 8]

في غيبتك .

﴿ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

[سورة المجادلة الآية : 8]

هذا الموقف الملون ، يعني ماذا ينقصنا عن عصر النبي ؟! عنا صلاة ، عنا مساجد ، عنا مصاحف ، عنا خطب ، عنا كتب ، كل شي عنا ، بس ما في محبه ما في ود ، ما في إخلاص ، في طعن بالظهر في غيبه ، في نميمة ، المؤمنين ممزقين ، كل إنسان ضد إنسان ، كل اثنان ضد اثنان ، كل خمسه ضد خمسه ، كل جماعة ضد جماعة وكل دعوة ضد دعوة ، وحال المسلمين ممزقه ، ولم يمر عليهم وقت هم في أشد الحاجة إلى التعاون كهذا الوقت ، ومع ذلك لا يتعاونون .

أما أعدائنا لعنهم الله ، اليهود يتعاونون على خمس بالمائة من القواسم المشتركة ، ونحن مع الأسف نتخاصم بل نتقاتل على خمسه وتسعين بالمائة من القواسم المشتركة .

الآن : جماعة مع جماعة ، قرآن واحد ، نبي واحد ، السنة واحدة ، الفقه واحد ، ويتقاتلون ، إذاً :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴾

[سورة المجادلة الآية : 9]

أضبط لسانك .

﴿ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾

[سورة المجادلة الآية : 9]

حدثنا ماذا عندك من خطط لتزويج الشباب ، هذا بر ، ماذا عندك من خطط لحل مشكلات المسلمين ، ماذا عندك من خطط لتأمين أعمال للشباب ، ماذا عندك من خطط لقمع الفساد ، ماذا عندك من خطط لرقي الأمة ، والتقوى، صلاح الآخرة .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

[سورة المجادلة الآية : 9]


إنما النجوى من الشيطان

الآن : إنما النجوى من الشيطان ، هذه اللقاءات الجانبية ، هذه المؤامرات ، هل التدبير الماكر ، الخداع ، المظهر الازدواجي ، شكل وشكل ، مظهر ومظهر معك وضدك بآن واحد ، يثني عليك في وجهك ويطعن في غيبتك ، هذا شخص حقير ، شخص قذر ، ما له مبدأ مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

والله أيها الأخوة أقول هذا من قلب محروق :

لأن هذا النموذج شائع جداً ، بتلاقي تلتقي برجل ، الترحيب منقطع النظير ، الثناء على علمك ، وعلى إمكاناتك ، وبغيبتك يطعن بك ، ويحط من قدرك ، ويذمك ، شو حربايه ، كالحرباء تماماً ، ألف لون ولون ، مذبذبين ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾

[سورة المجادلة الآية : 9-10]

لو فرضنا الطرف الآخر ، أعداء المؤمنين ، خططوا لتدميرهم خططوا لإفشالهم ، خططوا لإضعافهم ، لو أن هذا الأمر بلغ المؤمنين يتألمون .

قال :

﴿ وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة المجادلة الآية : 10]


التلون كالحرباء من سمة الكثيرين في هذا العصر

الله موجود ، الله ما سلمك لجهة ، ما سلمك لجهة ، قال لك :

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

[سورة هود : 123]

يخططوا .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾

[سورة الأنفال : 36]

يعني ثلاثين شخص نخبة الجيش الإسرائيلي ، نخبة ، هؤلاء ممرنين على السلاح الأبيض ، وممرنين على المتفجرات ، وعلى القتال ، تدريبات عشرين سنة ، معهم متفجرات على شكل صخور على شكل أسلحة ، على شكل حاجات شخصية ، وهم ينزلون فُجروا بها جاءوا بها ليقتلوا المؤمنين ، ففجروا بها ، أسوأ كارثة مرت على الأعداء هذه الكارثة ، نخبة الجيش ، كلهم ضباط ، وإمكانات غير محدودة ، مروحيات .

هذا من فضل الله عليك ، مشان نكسر عين إبليس شي مرة يعني الله عز وجل بيده كل شيء .

لذلك :

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً ﴾

[سورة المجادلة الآية : 10]

في قبلها واحدة ، ليلة القدر ، إمام مكة المكرمة دعا عليهم ربع ساعة وصار يبكي ، في أثناء الدعاء ، طائرتان تقلان خمس وسبعين عنصر ، قمم ، تدريبهم عشرين سنة ، مكلف الواحد خمس ملايين دولار ، وقعت طائرة فوق طائرة ووقعتا فوق مستعمرة .

يقول قائد الطائرة العليا : أنا أسقط ولا أدري لما أسقط .

إذا ربنا تدخل هو القوي .

﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾

[سورة محمد : 4]

لكن حتى يسمح لك تنصر دينه ، هو ترك الأمر لك مشان يكسبك الشرف هذا دينه ، لن يتخلى عنه أبداً .

﴿ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾

[سورة محمد : 4]

﴿ وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة المجادلة الآية : 10]

الأمر كله بيد الله عز وجل ، ومن كان الله معه فمن عليه إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان الله عليك فمن معك .



أنت مكلف أن تطيعه فقط ، والباقي كله عليه ، لذلك أقول لكم هذه الكلمة واحفظوها جيداً ، المعركة بين حقين لا تكون ، لماذا ؟ لأن الحق لا يتعدد ، الحق واحد ، وبين حق وباطل لا تدوم ، لماذا ؟ لأن الله مع الحق ، مرجح ، أما بين باطلين لا تنتهي .

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا أن ننتصر على أنفسنا حتى نستحق أن ننتصر على عدونا .

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾

[سورة الروم : 3 . 4]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : تفسير الآية 11 ، العلم خير من الجهل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الحادية عشر من سورة المجادلة وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)﴾

الحقيقة في بالآية مركز ثقل.

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)﴾

المجتمع الإنساني في قيم، يتفاضل بها، فالغني محترم القوي محترم، الوسيم الجميل محترم، الرياضي محترم، صاحب النسب الرفيع محترم، صاحب الذكاء اللماع محترم، هذه قيم يتفاضل الناس بها.

طيب ربنا عز وجل ما المقياس الذي يرفع به أناساً ؟ يا ترى المقاييس التي تعارف الناس عليها أنها ذات قيمة والناس يتفاضلون بها هي نفسها عند الله ؟ لا البطولة أن تكشف المقاييس التي ترتفع بها عند الله، إن الله يحب الصادقين.

﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾

(سورة البقرة: 195)

﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾

(سورة البقرة: 222)

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾

(سورة الأنعام: 132)

فأنت إذا قرأت القرآن أبحث عن القيمة المعتمدة عند الله هناك قيم معتمدة عند البشر، قد يكون الغني ما بصلي، شارب خمر يدخل مجلس ينهض الناس له يعلقون أبصارهم به، يتضعضعون أمامه يستجدونه، يعظمونه، يتعامون عن كل أخطائه، محترم، هذا مجتمع المادة، مجتمع البعد عن الله عز وجل، الأغنياء محترمون جداً والأقوياء محترمون أكثر، وأصحاب الأشكال الجميلة أيضاً محترمون طيب هذه القيم التي يتفاضل بها الناس في مجتمعات البشر، هل هي عند الله معتمدة ؟ الجواب لا، الله عز وجل قال:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

يكاد يكون هناك قيمتان أساسيتان أعتمدها القرآن للترجيح بين البشر، القيمة الأولى:

العلم:

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾

والقيمة الثانية:

﴿ ولكل درجات مما عملوا﴾

فالدرجة التي تحتلها عند الله متعلق بعلمك، ومتعلق بعملك هاتان القيمتان المعتمدتان في القرآن الكريم للتفاضل بين الخلق، هي درجة.

أما المحبة، الله يحب الصادق، يحب التواب، يحب المحسن يحب الذي لا يخون، يحب المتصدق، يحب الصادق، فابحث في الكتاب الكريم عمن يحب الله، وعن مقياس يرفع الله به مكانتك عنده هذا معنى قوله تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)﴾

لذلك قيمة العلم قيمة عالية جداً، العلم يحتاج إلى طلب.

الآن:

من سلك طريقاً يلتمس به علماً، سهل الله به طريقاً إلى الجنة.

إذا الإنسان ارتدا ثيابه وذهب إلى المسجد ليزداد علماً بالله ليزداد معرفة به، ليفهم كلامه، ليفهم أحكام الشريعة، ليفهم مواقف الصحابة، هذا الطريق من بيته إلى المسجد، سالك إلى الجنة.

وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، رضاً بما يصنع ولعل أكبر إكرامٍ يكرمه الله به وأنت في بيته أنه يزيدك علماً، وربنا عز وجل يقول:

﴿ وقل رب زدني علما ﴾

(سورة طه: 114)

ما قال وقل ربي زدني مالاً.

لأن العلم يتعلق بالعمل، والعمل أساس سلامتك وسعادتك العمل متعلق بالعلم، بقدر علمك يصلح عملك، والعلم والعمل أساس سعادتك الدنيوية والأخروية، لذلك ليس هناك طلب يعلو على طلب العلم، وليس هناك عمل أخطر في حياتك من طلب العلم.

مرة إنسان التقاني في المسجد بعد خطبة الجمعة، والقصة في أغلب الظن من 21 سنة، لكن لا أنساها، رجل في العقد الخامس من عمره، ما إن انفرد بي حتى بدأ يبكي، خير إن شاء الله !!

قال لي: زوجتي تخونني من خمس سنوات، وأنا لا أدري.

قلت له: مع من ؟

قال لي: مع جارنا.

قلت: كيف عرفها ؟

قال لي: مرةً كان عندنا في زيارة، فقلت لها: تعالي اجلسي معنا هو كأخوكي، بدأت العلاقة بينهما، صار يأتي في غيبته، له أوقات ثابتة، صارت تضع له في الشاي مادة منومة، ما إن يتناول طعام العشاء حتى يأوي إلى الفراش ولا يستيقظ قبل الساعة الثامنة خلال خمس سنوات، قلت له: لو أنك حضرة مجلس علم واحد وعرفت حكم الشرع في الاختلاط لما فعلت هذا.

إذاً: ما من مشكلة على وجه الأرض، انظروا، هذا كلام خطير، ما من مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله، إلا بسبب الجهل، والجهل العدو رقم واحد، أعدا أعدائك الجهل، وإزالته بالعلم، وليس العار أن تكون جاهلاً، العار أن تبقى جاهلاً، ليس العار أن تخطئ، العار أن تبقى مخطئاً، لذلك طلب العلم مهم جداً.

سائق تكسي: قصة ثانية، أشرت له امرأة، ترتدي عباءة جلست في السيارة، إلى أين يا أختي ؟ قالت له: خذني إلى حيث تريد فهم، فاعتبرها غنيمة بعد أن قضى حاجته منها، أعطته ظرفين ظرف فيه خمسة آلاف دولار، خمسة آلاف دولار /250 / ألف يعني وظرف فيه رسالة، أفرغ الرسالة فيها سطر واحد، مرحباً بك في نادي الإيدز، والدولارات مزورين وضعوه بالسجن.

هذا لو حضران مجلس علم، وقالت له خذني إلى حيث تريد يفتح الباب ويرتلها برجله، لو كان عرفان. قال له يا بني: العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق.

كلام خطير لا يصح العمل إلا بالعلم، سلامتك، وسعادتك متعلقة بعملك، وعملك أساسه العلم، طلب العلم إذاً فريضة على كل مسلم، والعلم والعمل قيمتان وحيدتان اعتمدهما القرآن الكريم للترجيح بين الخلق، أما قيم الناس لا قيمة لها مهما كنت عند الله عظيماً العبرة أن تكون عند الله ذا مركز مرموق.

﴿ إن المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾

(سورة القمر: 54)

النبي يقول عليه الصلاة والسلام: ابتغوا الرفعة عند الله.

الإنسان أحياناً يسقط من السماء إلى الأرض، يقع من طائرة ينزل ميت إذا كان مستقيم إلى الجنة. قال: لأن يسقط أحدنا من السماء فتتحطم أضلاعه أهون من أن يسقط من عين الله، الإنسان حينما يخون، حينما يكذب، حينما يعتدي، حينما يظلم، حينما يسيء، حينما يتفلت، هو يسقط من عين الله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ

﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا ﴾

﴿ فَانْشُزُوا ﴾

يعني انهضوا ؛ وغيروا مكانكم حتى يتسع المجلس بأصحابه.

﴿فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)﴾

هذه آية يكملها على كلمة درجات:

﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾

(سورة الأنعام: 132)

فعلمك وعملك يرفعانك عند الله، ولا شيء آخر، من هنا قال الله عز وجل:

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾

(سورة الحجرات: 13)

فأنت علاقتك مع الله، ومكانتك عند الله، والله عز وجل ناظر إلى عملك.

عبدي طهرت منظر الخلق سنين، أفلا طهرت منظري ساعة.

الإنسان يطلي بيته، بقلك مشان الضيوف، بحسن مدخل البيت بحسن غرفة الضيوف، يشتري أثاث جديد، يرتدي بدلة جديدة، يغسل مركبته، هذا منظر الخلق، قال له:

أفلا طهرت منظري ساعة، طهرت منظر الخلق سنين، أفلا طهرت منظري ساعة.

لأن الله عز وجل لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

فاحفظ هذه الكلمتين، درجتك عند الله بحجم علمك وعملك ومحبتك عند الله بحسب /12/ آية، الله يجب الطاهر، بحب التواب بحب الصادق، بحب المحسن، بحب المنصف، فإن أردت أن يحبك الله طبق هذه، ثمن محبة الله بيدك، وإن أردت أن ترتقي عند الله العلم، والعمل، هذا منهج، اطلب العلم، هم في مساجدهم، والله في حوائجهم.

طرفة تروى:

أن إنسان آثر درس العلم على قضاء حوائجه، فله عند الخباز خبزة، الخباز بالخطأ أعطاها لجاره، فلما وصل الجار للبيت لقى هذه ليست خبزته، قام أعطاها لجاره، وله أرض لازم يسقيها، جاره فتح العدان على أرضه ونام، فابعد ما انتهت أرضه طفت على أرض جاره طفت على أرضه، هي طرفة، وباع دابته جاءت لحالها، هم في مساجدهم، والله في حوائجهم.

بتلاقي أمورك ميسرة، إذا الإنسان طلب العلم، حضر مجلس علم، أموره ميسرة.

أخ حدثني: له مجلس علم لازم يحضره، قال اليوم تعبان رايحين نرتاح، جاء على البيت حرارة ابنته /40/ يوم جمعة ما خل محل، لحتى لقى واحد بالقصاع طبيب انتظر ساعتين قال له اعمل لي تحليل، لحتى لقى محل، أربع خمس ساعات راحوا بدون طعمة ودفع خمسمائة ليرة، قال يا ريت حضرة مجلس علم، كان أريح لي خلوها ببالكم هي، هم في مساجدهم، والله في حوائجهم.

واحد ثاني، من باب الموعظة، ملازم الدروس كلها، يوم من الأيام ضاق خلقه حاجتي، لأطلع سيران على الزبداني، لغى الخطبة والدرس وطلع، قال لي أنا على نبع بقين، شب ناعم قال له: عم عبيلك البيدون، قال له: الله يرضى عليك، قال لي: عبالي هذا البيدون وشكرته ونزلت، عملت هيك ما لقيت دزداني، الهوية وشهادة السواقة، ومكانيك السيارة، وثمانمائة ليرة، ستة أشهر من فرع لفرع لجددتهم، يا ريتني حضرة هالدرس وما طلعت على الزبداني، هم في مساجدهم، والله في حوائجهم.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم ..

الدرس (4-5) : تفسير الآيتان 20 - 21 ، كن مع الله ولاتبالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الواحدة والعشرون من سورة المجادلة وهي قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)﴾

يعني هذا الذي يقف في خندق معادٍ للدين، هذا الذي ينصب نفسه عدواً لدين الله، هذا الذي يطعن في كل من دعا إلى الله عز وجل، هذا الذي يسفه كل من دعا إلى طاعة الله، هذا الذي يبين أن الدين لا يصلح لهذا الزمان، أن الدين غيبيات، هذا الذي يجند نفسه لمحاربة الله ورسوله، لابد من أن يكون في مزبلة التاريخ.

﴿فِي الْأَذَلِّينَ (20)﴾

والتاريخ بين أيديكم، سيدنا الصديق، وعمر، وعثمان وعلي، والصحابة الذين ناصروا النبي، وأمنوا به، وعزروه ونصروه، أين مقامهم، في أعلى عليين، كم مرة يذكر سيدنا الصديق ويترضى الناس عنه في اليوم الواحد ؟ ملايين المرات، وسيدنا عمر وسيدنا عثمان، وسيدنا علي، وسيدنا خالد، وأبو عبيده الجراح، وكل صحابي ناصر النبي هو في أعلى عليين، وأبو جهل، وأبو لهب وصفوان أين هم ؟ في أسفل السافلين.
خاطبهم النبي عليه الصلاة والسلام واحداً، واحداً بأسمائهم قال كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، خذلتموني ونصرني الناس، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإني وجدت ما وعد ربي حقا، قالوا يا رسول الله: أتخاطب قوم جيفوا، قال ما أنتم بأسمع مما أقول منهم.

أنا أقول لكم أيها الأخوة: هنيئاً لمن يكن له سهم في نصرة في الدين، هنيئاً لمن له باع في دعم هذا الدين، في نصر هذا الدين، في الدفاع عن أهل الحق في نصرة أهل الدعوة إلى الله.

والويل لمن يناصبهم العداء، لأن الله سبحانه وتعالى يغضب لأوليائه.

﴿ إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾

(سورة يونس: 62)

يعني ما أجمل من أن تكون في خدمة الحق، الحق ليس بحاجة إليك، سأطمئنكم، لا تقلقوا على الحق، ولا على الدين، هذا دين الله لن يخذله أبداً ولكن بين أن يسمح لك أن تنصره ويكسبك هذا الشرف العظيم، وبين أن يزيحك جانباً ليسمح لغيرك أن ينصره.

﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾

(سورة محمد: 38)

فهذه الآية إذا الإنسان قرأها ينقطع ظهره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20)﴾

كيف تحادد الله ورسوله ؟ إن طعنت في القرآن الكريم، بينت للناس أنه لا يصلح لهذا الزمان، إن طعنت في سنة رسول الله، إن طعنت في أهل الحق، أردت أن تشيع الفاحشة في الذين أمنوا، أردت أن تحبط مسعاهم، إن دللت إنسان على معصية، وسهلته في الطاعة إن رأيت إنسان يتجه نحو الله فخوفته، انتبه تعطل كل مصالحك، لا يسمح لك أن تعمل شيئاً، انتبه، هذا يحادد الله ورسوله، يعني في مليون أسلوب لمحادات الله ورسوله، إما بالطعن في أصل عقيدة الدين أو بالطعن في سنة سيد المرسلين، أو بالطعن في الخلفاء الراشدين أو بتقليل قيمة الفقه الإسلامي، أو بتعظيم أهل الكفر.

في شخص دون أن يشعر يعظم أهل الكفر، ويذم أهل الإيمان، يعظم غير المسلمين، ويذم المسلمين، إن ذكر اسم إنسان غير مسلم يثني عليه وعلى أمانته، وعلى استقامته، وعلى وضوحه وعلى محبته للآخرين، بقلك مع أنه لا يصلي، العبرة مو بالصلاة ثم يأتي علي يصلي، سارق، كذاب، دجال، أنت أكبر عدو لله أنت بهذا الكلام، إذا بينت للناس أن أهل الحق متخلفون، جاهلون، غير أخلاقيين، وأن أهل الباطل هم الأذكياء، هم المصلحون، هل هناك دعوة إلى الباطل كهذه الدعوة ؟

طيب إذا بينت أن المرأة المحجبة كذابة، أمٌ سيئة، أمٌ مهملة وأن هذه السافرة زوجة صالحة، أم مثالية، هل هناك طعن في الدين أشد من هذا ؟ هذا الطعن، مليون أسلوب، مليون طريق.

والذي يحارب الله ورسوله يحاربه على مستويات كثيرة فحينما تسفه المؤمن تحارب الله ورسوله، وحينما تعظم أهل الحق تناصر الله ورسوله، يعني الله عز وجل هل يحتاج إلى أن ننصره ؟ بالتأكيد لا، لكن الله يقول:

﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾

(سورة محمد: 5)

يعني لك قريبة تحجبت، يكفي أن تلقي على مسامعها مزاحاً ثقيلاً على حجابها، مثل كيس الزبالة أسود، والله هذه الكلمة لو قلتها لشابة تحجبت، والله تهوي به في النار سبعين خريفاً، أنت تعادي الدين، يوم كانت سافرة تثني على جمالها، بنت أخوك فرضاً، فلما تحجبت تثني على هيئتها كغراب ككيس القمامة هكذا يقول الناس، هذه التي تحجبت إرضاءً لله، سفهتها طعنتها في أثمن ما تملك في جمالها وبين أن تقول لها، أن تحتفل

بحجابها، أن تقدم لها هدية، قضية ولاء وبراء، الذي يوالي الحق، يوالي المؤمنين، يوالي كل إنسان نصر الحق والذي هو عدوٌ لله ورسوله، أي تصرف ديني يهاجمه، يطعن به، يشكك في نيته

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20)﴾

وقد يتاح لك أن تر الذي يحادد الله ورسوله، أو لا يتاح لك أن تراه.

﴿ وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك ﴾

(سورة يونس: 46)

مو معقول، ليس شرطاً أن تر بعينك مصير هذا الذي يحادد الله ورسوله، هذا الذي يحادد الله يعني يعادي، يقيم من نفسه نداً لله ورسوله، يطعن، إن طعنت في القرآن، فإنك تحادد الله ورسوله إن طعنت في السنة فإنك تحادد الله ورسوله، إن طعنت في الصحابة فإنك تحادد الله ورسوله، هؤلاء الذين يرضي الله عنهم، وربنا عز وجل من فوق سبع سماوات قال:

﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾

(سورة الفتح: 18)

وفيهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومن أنت حتى لا ترضى عنهم فمحادات الله ورسوله لها مليون أسلوب، إن ازدريت أمراه محجبة، فهذه من محادات الله ورسوله، رجل يعمل في حقل الدين إمام مسجد، يعني ازدريت به، لم تحترمه الاحترام الكافي فأنت تحادد الله ورسوله، هذا يمثل الدين.

يعني الإنسان أحياناً، قماش، قماش أخضر مصنوع باليابان وقماش أبيض مصنوع باليابان، وقماش أسود مصنوع باليابان، صف الأخضر والأبيض والأسود، وضع قدمك عليه تدخل السجن، شو هذا قماش ياباني، هذا رمز الوطن، هذا علم، إذا جبت قماش أخضر وأحمر وأبيض، ودست عليه بقدمك تدخل السجن، وتسجن سنوات طويلة، لأن هذه الألوان الثلاثة تمثل هذا الوطن، إنسان يدخل السجن لأنه أحتقر قماش مصنوع ببلاد أجنبية، لكن يمثل الوطن.

فأنت إذا طعنت بالقرآن، طعنت بالسنة، طعنت بالصحابة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20)﴾

ألا تدعون معي، أو تدعون في صلاة الفجر، سبحانك أنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، مستحيل، أن يعز الله إنسان يعادي الله ورسوله مستحيل، ومستحيل إن يذل إنساناً يوالي الله ورسوله، يعني أنت في، يا ربي كيف نضام في سلطانك وكيف نذل في عزك، وكيف نفتقر في غناك، لا والله لا نضام في سلطان الله ولا نذل في عز الله، ولا نفتقر في غنى الله عز وجل.

﴿ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20)﴾

سوف يذل، سوف يمرغ في التراب، سوف يدفع الثمن باهظاً، يعني ما معنى قوله تعالى:

﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾

(سورة التحريم: 4)

زوجتان لرسول الله.

﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾

(سورة التحريم: 4)

يعني معقول خالق الكون، والملائكة وفيهم سيدنا جبريل وصالح المؤمنين كلهم مقابل امرأتين ضعيفتين.

يعني إذا إمرة استعصت، عملت كنه معقول نستنفر سلاح الطيران، وسلاح المدفعية، وسلاح المشاة، وسلاح البحرية، معقول يعني، طيب ما تفسير هذه الآية، يعني أي الإنسان، إذا فكرت مرة أن تحادد الله ورسوله يجب أن تعرف من هو الله ورسوله، من هو الطرف الآخر الذي تطعن به، الذي تعاديه، ينسحق سحق. خبير جاء من دولة تؤمن بأنه لا إله، قصة قديمة كثير، سأل سؤال، المترجم قال له: أن هذه بعناية الله، فأشمئز، وكشر عن وجهه، ويبدو أنه قال كلمات قبيحة جداً، بعد ثانية طرف ثوبه دخل بعجلة عليها شريط رفعته إلى سقف المعمل ونزل ميتاً، بثانية، بثانية تتجمد نقطة بالدماغ بتعمل خثره دماغيه، بصير، بلتوء حنكه، ثانية بثانية بعوي مثل الكلاب، شوية خلايا نمو، نمو غير طبيعي بالأمعاء يعطوه مسكنات حتى لا تؤثر به بعدين، الإنسان ضعيف جداً.

يعني إذا فكر الإنسان إن يحادد الله ورسوله، يجب أن يعرف من هو خصمه، يعني ممكن هيك نملة، نملة صغيرة، تقف أمام جبل هملاية ثلثين ارتفاعه بالأرض، وثلث لفوق، إلى أن الله سبحانه وتعالى يرخي الحبل، ليظهر كل إنسان على حقيقته، ليأخذ أبعاده يرخي الحبل ثم يقبضه فجأة فإذا هو في قبضة الله.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)﴾

هذا كتب، يعني سنة الله في خلقه، العاقبة للمتقين، يعني سيدنا رسول الله في الخندق، جاء كفار الجزيرة، وقريش، والأحزاب وتحزبوا جميعاً لا ليحاربوه، بل ليستأصلوه، ليست معركة هزيمة ونصر، معركة بقاء، أو فناء معركة الخندق مخطط لها أن تستأصل شفقة المسلمين.

﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾

(سورة الأحزاب: 10)

حتى قال أحدهم أيعدنا صاحبكم، لم يقل رسول الله، أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته، وين كسرى وقيصر نريد أن نقضي حاجتنا لا نستطيع، انتهى الإسلام، وعلى اتفه الأسباب سيدنا النعيم بن مسعود وهو في خيمته قال: لماذا أنا هنا ؟ لماذا أحارب هذا الإنسان الصالح ؟ لماذا أكون في صف الكفار ؟ تسلل في الظلام واسلم بين يدي رسول الله، وقال أمرني يا رسول الله، قال له: أنت واحد ماذا تفعل ؟ خفف عنا ما استطعت، هذا الإنسان البسيط ذهب إلى قريش، وأوغل صدرها على اليهود، وذهب إلى اليهود وأوغل صدرهم على قريش، وكلا الطرفين لا يعلم بإسلامه وهبت رياح عاتية قلبت قدورهم، واقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم وكف الله المؤمنين القتال وولوا على أدبارهم .

الله بيده كل شيء، كل الخيارات بيده، اسمعتوا بليلة القدر خمس وسبعين ضابط من نخبة الجيش الإسرائيلي، النخبة كل واحد مدرب عشرين سنة، ومكلف خمس ملايين، ركبوا طائرتين، الأولى سقطت فوق الثانية، وكلاهما سقطتا فوق مستعمرة، يمكن ما مُني العدو بخسارة على الإطلاق أفدح من هذه الخسارة، والثانية قبل أسبوع كلهم ضباط كبار، الله موجود، إذا بدخل الله عز وجل ما في مشكلة أبداً، يعني إن نصرت الحق لك الشرف فقط، أما الحق منتصر .

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾

الصندوق الأسود فتحوه، وجدوا فيه آخر كلمة قالها الطيار الأعلى، أنا أسقط ولا أدري لما أسقط، أنا أقدم لكم بعض الأمثلة ربنا عز وجل إذا كنا نستحق النصر ينصرنا، ويؤيدونا.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)﴾

وكل إنسان يتكبر، ويتعجرف لا بد من إن يذله الله عز وجل الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئاً فيهما، أذقته عذابي ولا أبالي.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)﴾

هذه الآيات تدعوا إلى التفاؤل أم إلى التشاؤم، لا تقول إسلام انتهى بالعالم، لا ! أعدائه كثيرون، لا تقول انتهى، هذا دين الله بس في مد وجزر، الآن بالجزر نحنا، وفي مد إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : تفسير الآية 22 ، الولاء والبراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الثانية والعشرون من سورة المجادلة وهي قوله تعالى:

﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

طبعاً كان من المكن أن يقول الله عز وجل، لا تبذلوا ودكم لمن يحادد الله ورسوله، صار في نهي، والنهي ينشأ عنه تصور المخالفة، لكن الله عز وجل يقول: شأن المؤمن أنه لا يوادد الذي يحادد الله ورسوله، لا يودوده إطلاقاً.

﴿لَا تَجِدُ قَوْماً﴾

يعني من المستحيلات، هذا لا يكون مع الإيمان، هذا يتناقض مع الإيمان هذا ينفي الإيمان.

﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

الذي يحادد الله ورسوله، هو الذي يريد أن يطفئ نور الله يريد أن يطعن في هذا الدين، أن يقلل من قيمة القرآن الكريم، أن يبين أن هذا الكتاب لا يصلح لهذه الأيام، العلماني الذي يعتمد العقل والقانون مكان الشرع والقيم الإسلامية، هذا الإنسان الذي يحادد الله ورسوله، ينصب نفسه نداً لله عز وجل، يطعن في دينه، يطعن في دينه، يطعن في كتابه، يبين نقائص أنبيائه، يضخمها، يؤولها تأويلاً على غير ما أراد الله عز وجل، أضرب لكم مثلاً:

أحد التابعين، قال: والله التقيت بأربعين صحابياً من صحابة رسول الله، ما منهم وأحد إلا يحسب نفسه منافقاً، لشدة خوف من الله عز وجل.

جاء عدو من أعداء الدين، قال: أصحاب النبي منافقون، هم اعترفوا.

هم من شدة خوفهم، من شدة خشيتهم، من شدة شوقهم، من شدة هيبتهم لله عز وجل، ظنوا أنهم منافقون، لأنهم حاسبوا أنفسهم حساباً شديداً.

فجاء إنسان مغرض قال هم: هم قالوا عن أنفسهم إنهم منافقون.

فهذا الذي القناص، الذي كلما قرأ فكرة يقنص، رجل قال لله رجال إذا أرادوا أراد، هذه الكلمة إن فسرتها على أن هؤلاء الرجال مستجابوا الدعوة، كلام جيد ما في شيء، أما إن فسرتها على أن هؤلاء الرجال لهم إرادة مستقلة عن إرادة الله، هذا شرك طبعاً، دائما القناص يبحث عن نص فيه شبها يضخم هذه الشبهة. النبي عليه الصلاة والسلام قال

((لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون، فيستغفرون فيغفر الله لهم))

هذا قناص، بقلك لا بد من أن تذنب وإلا تهلك ! لا ! المعنى أنك أن لم تشعر على ذنبك فأنت ميت، إذا الإنسان اقترف معصية تكلم كلمة لا ترضي الله، تكلم كلمة من سخط الله، وقف موقف قاسي، ظلم، ما عدل، المؤمن لا ينام الليل، يبكي، يدفع صدقة كبيرة لعل الله يعفو عنه، لأنه عنده إحساس بالذنب، في حياة، في نبض، أما الكافر يرتكب الموبقات كلها، يزني، يشرب الخمر، بقلك ماذا فعلت ؟ حاجة جسمية لبيتها فلولا لم تذنبوا بمعنى أن لم تشعروا بذنوبكم فأنتم ميتون.

فالقناص دائماً يلتقط النص الذي فيه شبهة، يعني أنا قد أقول لك أدفع لفلان 1500 ليرة ذهب، هذا النص لا يحتاج إلى اجتهاد.

أما إذا قلت لك أدفع لفلان ألف درهم ونصفه، حسن الظن يدفع له 1500 أما سيئ الظن بقلك ألف ونصف درهم، لأن الهاء تعود على الدرهم لا تعود على الألف.

فكل إنسان عدو للدين سيجد في الكتب وفي الأحاديث شيء يتخذه تفأةً ليطعن في الدين، هذأ الذي يحادد الله ورسوله، يعني بقلك سيدنا موسى قتل قتيل.

الله قال:

﴿ فوكزه موسى فقضى عليه ﴾

(سورة القصص: 15)

دفعه، معه أزمة قلبية وقع ميت، هو ماله علاقة هو، ليس قاتلاً، بقلك سيدنا إبراهيم كذب، شو كذب.

﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا ﴾

(سورة الأنبياء: 63)

حتى يحرك عقولهم.

﴿ قال أتعبدون ما تنحتون، والله خلقكم وما تعملون ﴾

(سورة الصافات: 95)

قام ذكرهم.

سيدنا داوود، ورد في الإسرائيليات له تسعن وتسعون زوجة ورأى زوجة قائده فرآها جميلةً جداً، فأرسله في مهمة خطيرة، وقال قدموه، قدموه لعله يموت ويأخذ زوجته، مائة زوجة !!! قصة مالها أصل، لا أصل لها إطلاقاً أنبياء الله فوق هذا.

دائماً بقلك النبي كان يحب النساء، أخذ تسعة، أهل تعلم من هؤلاء اللواتي أخذهن ؟ ما في غير واحدة شابة

((عائشة))

والباقيات كلهن أرامل، وعندهن أولاد، ولحكمة بالغةٍ، بالغةٍ، لا يعلمها إلا الله، ولو أراد النساء بقي مع زوجته السيدة

((خديجة))

التي في عمر أمه ربع قرنٍ دون أن يفكر بأخرى.

فالقناص يبحث عن نص يطعن في الإسلام، هذا يحادد الله ورسوله، دائما ينتقد، في عنده هوس ينتقد البلاد الإسلامية، ينتقد المسلمين، ينتقد رجال الدين، ينتقد أفكار الدين، ينتقد الأحكام الفقهية إذا كان ذهب إلى أوربا يثني ثناءً عطراً أما أوربا كلها ملخصة بهذه القصة.

شاب أحب فتاةً فستأذن أباه أن يتزوجها، قال له أبوه: لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري، ثم أعجبته فتاةٌ أخرى أراد أن يتزوجها استأذن أباه قال لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري، ثم رأى فتاةً ثالثةً فستأذن أباه في الزواج منها قال له لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري فذهب إلى أمه ضجراً، وحدثها بما سمع قالت: خذ أين شئت فأنت لست ابنه وهو لا يدري، هذه أوربا، ما في أنساب أبداً.

فالإنسان القناص يطعن في الشرق، وفي بلاد المسلمين، وفي المسلمين وفي دين المسلمين، وفي كتابهم الكريم، وفي العلماء العاملين، وكل شيء إسلامي يطعن به، ويمدح كل شيء غربي ويتعامى عن جرائمهم، وعن وحشيتهم، وعن أنانيتهم، وعن أنهم يعيشون على أنقاد الشعوب، يتعامى عنهم.

فلذلك:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

في بالإسلام شيء اسمه الولاء، وشيء اسمه البراء.

فإذا الإنسان ما والا الله عز وجل ورسوله والمؤمنين والحق ليس مؤمنا.

وإذا ما تبرء من الشيطان والكفر والمنحرفين ما أمن.

من لوازم إيمانك: الولاء والبراء.

طيب سنأخذ عينة اجتماعية، لك قريب غني، لكن ما فيه دين أبداً، بسافر بيرجع، بتهنيه، مو حلوة، بتعمل له عزيمة، إن حضر بتلغي كل مواعيدك تثني عليه، ولا بصلي، ولا بصوم، بس غني.

لك قريب صالح، مؤمن، بس فقير الحال، يزورك خمس مرات ما بترد له الزيارة، ما تبالي فيه، مالك فاضي له، طيب هلق أنت ماذا فعلت ؟ واليت الذي لا يصلي، وأهملت الذي يصلي، مافيك إيمان معناها أنت، يجب أن توالي المؤمنين وأن تتبرأ من الكفار والمشركين.

الولاء والبراء: إذا ما بتوالي أهل الحق، والمؤمنين، وكل شيء بمت للدين بصلة، لست مؤمنا.

وإذا لم تتبرأ من أهل الكفر، والفسوق، والعصيان، لست مؤمنا.

لذلك:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

علاقات عمل مسموحة، أما علاقات حميمة، معناه في ولاء علاقات حميمة شراكه، علاقات حميمة زواج، علاقات حميمة سهرات مختلطة، علاقات حميمة رحلات مشتركة، رحلات، وسهرات وولائم، وزواج، وشراكه، هي علاقة حميمة، لا يمكن أن تكون مع غير المؤمنين هذه، أما علاقات عمل ما في مانع.

النبي عليه الصلاة والسلام رهن درعه عند واحد من أهل الكتاب، لك أن تتعامل مع كل الناس، لكن علاقاتك الحميمة الخصوصية جداً هذه ينبغي أن تكون مع المؤمنين، لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي.

﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾

قالت له يا بني: أم سيدنا سعد، إما أن تدع دين محمد، وإما أن أدع الطعام حتى أموت، قال لها يا أمي: لو أن لك مائة نفس فخرجت واحدةً واحدة ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئتِ أو لا تأكلي.

﴿ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾

أنا أقول لكم كلاماً واضحاً، إذا أحدكم له أخ نسبي من أمه وأبيه فاجر فاسق، متفلت، يحادد الله ورسوله.

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

يعني إذا واحد لابس ثوب أبيض ناصع، يعني من أرقى أنواع الأقمشة له لمعة، وبياض كالثلج تماماً، مكوي، وقف جانب واحد لابس أفرول أصله أزرق، من الفحم، والشحم، والوحل ماله لون وقف جانبه، يعني ممكن يتعانقوا ؟ مستحيل، هذا عنده نقاء كالثلج وهذا عنده ألوان متداخلة، وقذرة لا تحتمل، فهذا مثل مادي.

المؤمن باستقامته، بأخلاقه، بطهارة نفسه، بمحبته لله بضبط لسانه، بمشاعره العلوية كالثوب الأبيض، والإنسان الثاني ببذاءة لسانه، وأنانيته، وترفعه، ونظره إلى عورات المسلمين وتطاوله على الناس، وأنانيته، كالثوب القذر، فالإنسان إذا عنده ثوب أبيض نظيف، لا يمكن أن يجلس إلى إنسان ثوبه قذر.

﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾

أعطاهم قوة تأثير.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

واحد عما يطوف حول الكعبة، قال له: ياربي هل أنت راضٍ عني ؟ وراءه الإمام الشافعي، قال له يا هذا: هل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك ؟ فالتفت فقال من أنت يرحمك الله ؟ قال له: أنا محمد بن إدريس،

((الشافعي))

يعني، قال له: كيف أرضى عنه وأنا أتمنى رضاه، قال له: إذا كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله.

إذا كان بتجي مصيبة تقول يا ربي لك الحمد من أعماقك رضيت عنه، لا يرضى عنك إلا إذا رضيت عنه.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾

هذا تبع القران غير الثاني.

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)﴾

الآية أصبحت:

﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)﴾

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : تفسير سورة الحشر

الدرس (7-1) : تفسير الآيتان 1 - 2 ، الثقة بالله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآيات الأولى من سورة الحشر وهي قوله تعالى:

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾

اليهود لهم حصون، وأقوياء، ولهم دخول كبيرة، ولهم بساتين.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾

بحسب الحسابات الأرضية، والمعادلات الأرضية، لن تستطيعوا إخراجهم.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾

هم ظنوا أن مانعتهم حصونهم، من الله، أنتم رأيت أنفسكم أقل من أن تخرجوهم، وهم يعتدون بأنفسهم، ويعتقدون أنهم أولوا قوة وأولوا بئس شديد، ولن يستطيع أحد إن يزحزحهم، وهذه آية نحتاجها كثيراً، هذه الآية تلقي في قلبنا التفاؤل.

﴿ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾

هل العمالقة الكبار قبل عشر سنوات، العملاق الشرقي، هل يظن أحد أنه سينهار ؟ ومن ظن ذلك، أدخل مستشفى المجانين، أليس كذلك ؟.

﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾

قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، قد تكون أقوى إنسان وقلبك بيد الله، يلقي في قلبك الرعب، النبي الكريم قال: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأمته حينما تركت سنته، وتركت دينها، ولم تعتمد على الله، هزمت بالرعب مسيرة سنة، نصر بالرعب مسيرة شهر، شوف هذه الآية ما أدقها.

﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2)﴾

لا تسمح لليأس أن يدخل قلبك، مهما بدا لك المسافة كبيرة جداً في القوة والعتاد، والتكنولوجيا، والأسلحة الحديثة، والأقمار الصناعية، والطائرات النفاثة والصواريخ البعيدة المدى، التاريخ يعيد نفسه.

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ﴾

وأي جهة بالأرض الآن، تظن أن حصونها تمنعها من الله لا بد من أن يجعلها الله آية.

عرفت الله من نقض العزائم، الآية قانون، لا تظن أن الحديث عن اليهود، الحديث عن كل إنسان، ظن أن حصونه تمنعه من الله، كل إنسان أعتد بقوته ونسي الجبار الأعلى، طغى وبغى ونسي المبتدى والمنتهى، ونسي الجبار الأعلى، وظن أن حصونه تمنعه من الله.

واحد، والله قريب ميسور جداً، فقال كلمة في جلسة، المال يحل أي مشكلة، قال الدراهم مراهم، يعني أنا أي قضية بحلها بالمال دخل المنفردة ثلاث وستين يوماً، ولن يستطع أن يحل هذه بالمال فأدبه الله عز وجل، لا تقول أنا بحل كل شيء، لا تقول أنا بالأساس قول الله، إذا تفضل الله عليّ يحفظني إذا تفضل الله عليّ ينصرني إذا تفضل الله عليّ يوفقني، إذا كنت موحداً جاءتك معونة الله عز وجل.

إخوانا الكرام:

كلمتان خفيفتان، كلمة بدر، وكلمة حنين، الصحابة في بدر افتقروا إلى الله، فنصرهم الله.

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ﴾

(سورة آل عمران: 123)

أذلة إلى الله، مفتقرون إليه، شوف بحنين.

﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾

(سورة التوبة: 25)

بحياة كل واحد منا، كل واحد منا بحياته، يوم بدر، ويوم حنين، إذا قال أنا، تخلى الله عنه، إذا قال أنا تخلى الله عنه، وإذا قال الله، تولاه، فأنت بين التخلي والتولي، بتقول أنا بتخلى عنك يكلك إلى قوتك الذاتية وأنت لا شيء.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك.

بالتجارة بتقول أنا عندي خدمات متراكمة، أنا مقلع أسناني بالتجارة، بتفلس، بتشتري صفقة بتفلسك، وقد تراها أنها صفقة رابحة جداً، بالعمل الوظيفي، بالدراسة أنا المادة قوي فيها، ما بتنجح فيها، حينما تقول أنا يتخلى الله عنك، حينما تقول الله يتولاك فإذا أردت أن يتخلى الله عنك قول أنا، أعزي كل شيء إلى قدراتك الذاتية، وإذا أردت أن يتولاك الله، وأن ينصرك، وأن يرعاك وأن يوفقك، وأن يحفظك، وأن يأخذ بيدك، وأن يرفع ذكرك، وأن يعلي شأنك، وأن يرزقك، قول الله، هذا من فضل ربي، ليبلوني أأشكر أم أكفر، فهذه الآية، يعني التاريخ يعيد نفسه.

﴿ هُوَ الَّذِي ﴾

هو لا أنتم، هو، الله.

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

طيب أن أذكركم، ليلة القدر ذكرتها لكم، إمام الحرمين، دعا على اليهود ربع ساعة وصار يبكي، وفي الوقت نفسه، اليهود هيئوا طائرتين ليعتدوا بهما على جنوب لبنان، والطائرتان فيهم نخبة ضباط إسرائيل، النخبة، كل واحد مكلف خمس ملايين، ومدرب عشرين سنة، وقعت طائرة فوق طائرة، والاثنتين فوق مستعمرة، يعني لم يسبق أن خسرت، خسر الأعداء عدد كبير من الضباط بهذا العدد.

﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾

فتحوا الصندوق الأسود آخر كلمة قالها الطيران العلوي، قال أنا أسقط ولا أدري لماذا أسقط.

﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾

هذه الأحداث تقع من أجل ألا تيئسوا، أن نتفاءل، كن مع الله ترى الله معك.

وترك الكل وحاذر طمعك وإذا أعطاك من يمنعه

ثم من يعطي إذا ما منعك

لا ينبغي أن تر مع الله أحد، التوحيد ألا ترى مع الله أحد والآية دقيقة دقيقة جداً.

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾

ببلادهم، خيبر، وقير نقاع، وبني نضير، من ديارهم بساتينهم، نخيلهم، حصونهم.

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾

أنتم ما صدقتم، بحسب الحسابات الأرضية، المعادلات، سيدنا خالد بن الوليد، أرسله سيدنا الصديق لفتح بلاد فارس، أعطاه ثلاثين ألف، وصل إلى هناك، جيش الفرس مائة وثلاثين ألف، ما في إمكان، ما في تناسب إطلاقاً طلب المدد، ينتظر خمسين ألف ثلاثين ثانية، خمس وعشرين، أربعين، بعت له واحد القعقاع بن عمر، فلما وصل إليه بيديه، قال له: من أنت، قال له أنا القعقاع بن عمر، قال له: أين المدد ؟ قال له: أنا المدد، قال له أنت ؟ وحدك قال له: أنا ما في غيري، معه رسالة فتحها سيدنا خالد يكتب سيدنا الصديق من عبد الله أبي بكر أمير المؤمنين، إلى خالد بن الوليد، أحمد الله إليك، ولا تعجب يا خالد، أني أنبتك بالقعقاع بن عمر وحده فو الله الذي لا إله إلا هو، إن جيشاً فيه القعقاع بن عمر لا يهزمه أحد، وانتصر، وحده، ثلاثين ألف وواحد، على مائة وثلاثين ألف، هي الآية واضحة.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾

أنتم وهم.

﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2)﴾

مع الله ما في قوي، مع الله ما في ذكي، مع الله ما في تكنلوجيا، مع الله ما في أقمار صناعية، مع الله ما في صواريخ.

﴿ إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ﴾

(سورة يونس: 24)

قال المعسكر الشرقي عنده قنابل ذرية تكفي لتدمير العالم خمس مرات، العالم كله، تهاوى كبيت العنكبوت، من الداخل.

﴿ وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ﴾

أمرنا.

﴿ ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغني بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون، والله يدعو إلى دار السلام ﴾

(سورة يونس: 24 . 25)

وحده، لا ينبغي أن تر مع الله أحد.

﴿ وإليه يرجع الأمر كله ﴾

(سورة هود: 123)

﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾

(سورة الزخرف: 84)

﴿ ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا﴾

(سورة الكهف: 26)

﴿ له الخلق والأمر ﴾

(سورة الأعراف: 54)

﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾

(سورة الزمر: 62)

﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ﴾

(سورة فاطر: 2)

أقرأ آيات التوحيد.

﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾

(سورة الأنفال: 17)

﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾

(سورة آل عمران: 128)

أبداً، الأمر كله بيد الله، أطع أمر الله، حتى ينصرك الله اللهم انصرنا على أنفسنا، حتى نستحق أن تنصرنا على أعدائنا، هي الآية دقيقة جداً، لا هم ظنوا ولا أنتم ظننتم.

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾

إذا أراد ربك إنفاذ أمرٍ أخذ من كل ذي لب لبه، هلق فرعون فرعون قال:

﴿ فقال أنا ربكم الأعلى ﴾

(سورة النازعات: 24)

﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾

(سورة القصص: 38)

ليش في إله غيري ؟ هكذا قال فرعون، رأى في المنام أن طفلاً سيقضي على ملكه، القضية بسيطة جداً، أصدر أمر كل طفل يولد من بني إسرائيل ينبغي إن يذبح.

﴿ يذبح أبناء هم ويستحيي نساء هم ﴾

(سورة القصص: 4)

والولادة، إلا لم تخبر تذبح مكان الطفل، ما في طريق إطلاقاً أما الطفل الذي سيقضي على ملكه رباه في قصره.

﴿ لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ﴾

(سورة القصص: 9)

ماذا سيكون، سيدنا يوسف أراد أخوته يتخلصوا منه قذفوه في الجب.

﴿ وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾

(سورة يوسف: 15)

﴿ قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾

(سورة يوسف: 90)

كم قصة في القرآن الكريم، إلى بطن الحوت، في مصيبة أصور عليك دفع ما معك مال، صعبة، شاري بضاعة ما نباعة عليك دين، في مرض، في مشكلة، دعوة إخلاء، محل، فك شركة مليون مشكلة، بس هل هناك مشكلة أكبر من أن تجد نفسك فجأة في بطن حوت ؟ والحوت في البحر، في أعماق البحر وبالليل، في أمل ولا بالمليون واحد في أمل.

﴿ فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم ﴾

(سورة الأنبياء: 87 . 88)

هذه ليست لسيدنا يونس وحده.

﴿ وكذلك ننجي المؤمنين ﴾

(سورة الأنبياء: 87)

مكن ثقة بالله عز وجل، الله لن يتخل عنك.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-7) : تفسير الآيتان 8 - 9 ، الأخوة بين الأنصار والمهاجرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الثامنة والتاسعة من سورة الحشر وهي قوله تعالى:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)﴾

أيها الأخوة الكرام:

من خلال هاتين الآيتين يتبين ؛ أن هناك ما يسمى بالأنصار وهناك ما يسمى بالمهاجرين، إنسان اقتلع من جذوره، ترك بيته ترك ماله، ترك تجارته ترك معارفه، ترك أصدقائه، اقتلع من جذوره، وانتقل إلى بلد يبتغي وجه الله عز وجل، يفر بدينه.

أيها الأخوة:

إذا كنت في بلدٍ، وحيل بينك وبين أن تعبد الله، حيل بينك وبين أن تمارس شعائر الله، ينبغي أن تهاجر، ويوم القيامة تحاسب.

﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا ﴾

(سورة النساء: 97)

يعني لا ينبغي إن يشغلك شيء عن عبادة الله، مهما كان هذا الشيء عظيماً، مهما كان هذا الشيء مقدساً، لا ينبغي إن يشغلك شيء عن عبادة الله بدليل أنك مكلف أن تدع أرضك التي ولدت فيها ومسقط رأسك، وأن تهجر كل ما تملك، وكل ما حصلته، من أشياء مادية أو معنوية، من أجل أن تعبد الله، لأن الله عز وجل قال:

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوني﴾

(سورة الذاريات: 56)

فهذا المهاجر الذي هجر ما نهى الله عنه، بشارة لكل مؤمن قال الله تعالى في الحديث القدسي: عبادة الله في الهرج . في الفتن كهجرة إليّ.

أنت مقيم في بلدك، لكن من بيتك إلى عملك، ومن عملك إلى مسجدك، كل أماكن اللهو، كل الموبقات، كل الصرعات الحديثة كل التفلت، أنت بعيد عنه.

﴿ فأووا إلى الكهف ﴾

(سورة الكهف: 16)

كهفك بيتك، وكهفك مسجدك، فإذا عبدت الله في زمن الفتنة في زمن الفتنة المضطربة، فأنت كمهاجر في سبيل الله، والحديث في البخاري.

عبادة في الهرج، كهجرة إليّ.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

الأنصار.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾

سيدنا سعد بن الربيع، أخاه النبي مع سيدنا عبد الرحمن بن عوف، قال له سعد يا أخي: هذان بستانان فأختر واحد منهما، وهذان دكانان فأختر واحدة منهما يعني عرض مغري، نزل عن نصف مال لأخيه، قال له سيدنا عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في مالك دلني على السوق، يعني ظهر مؤاثرة من الأنصار لا توصف وظهرت عفة من المهاجرين لا توصف، فبقدر ما كان الأنصار أسخياء بقدر ما كان المهاجرون أعفه، لم يسجل التاريخ، ولا السيرة أن صحابياً واحداً مهاجراً أخذ من أنصارياً شيئاً، مع أن الأنصار عرضوا نصف ممتلكاتهم على المهاجرين.

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾

وهذا مرض خطير.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)﴾

أنت مقيم بالشام، ببلدك، بيتك، وعملك، ومكتبك، وتجارتك لقيت طالب علم جاء من أقاصي الدنيا، من أقاصي الشمال، حيث بقي هؤلاء الناس سبعين عام في الجهل، أو من أفريقيا، أو من الصين إذا قدمت لهذا الطالب طالب العلم مساعدة، معونة، بيت يسكنه حاجة يستعملها، أثاثاً يستفد منه، أنت ماذا فعلت، فعلت كما فعل الأنصار مع المهاجرين، الشام مليئة بطلاب العلم، لذلك الإنسان المؤمن، يحب طالب العلم، لأنه سيعود إلى بلده داعية كبيرة، وكلما لقي من أهل البلد، محبة، ومودة، وخدمة، ورعاية، نطمئنه ونجعل يثق بالإسلام والمسلمين.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

يعني كانوا في المدينة وآمنوا ، يعني أقاموا فيها وكان إيمانهم كبيرا، من قبلهم.

﴿ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

الحقيقة في مقياس، ما الذي يسعدك أن تأخذ أم أن تعطي ؟ إذا كان يسعد الأخذ فأنت من أهل الدنيا، وإذا كان يسعدك العطاء فأنت من أهل الآخرة، والذي تعطيه هو الذي يبقى، والذي تأخذ قد لا تنتفع به لأن العلماء فرق بين الكسب والرزق، الرزق ما انتفعت به، الطعام الذي أكلته فقط، الثياب التي ترتديها فقط السرير الذي تنام عليه، هذا رزقك، أما كسبك حجمك المالي، أرصدتك ممتلكاتك المنقولة وغير المنقولة، هذا كسبك، كسبك محاسب عليه دون أن تنتفع به، محاسب عليه ولم تنتفع به، أما رزقك الذي اكتسبته حلالاً ليس لك منه إلا قسم ضئيل، هو الذي أنفقته في سبيل الله، الذي أكلته وأفنيته ليس لك والذي لبسته وأتلفته ليس لك، والذي تصدقت به هو الذي لك.

يا رسول الله: لم يبقى إلا كتفها، أثناء توزيع الشاة، قال بل بقيت كلها إلا كتفها، أمسك سيدنا عمر تفاحة، قال: أكلتها ذهبت أطعمتها بقيت.

ليس لك إلا ما لبست فأبليت، أو أكلت فأفنيت، أو تصدقت فأبقيت، قسم حجمك المالي إلى كسب، وإلى رزق، الكسب حجمك ما هو مسجل باسمك منقولاً أو غير منقول، والرزق الذي أكلته، ماذا تأكل ؟ لو كنت أغنى إنسان بالعالم ماذا تأكل ؟ حجم قليل، فالذي أكلته والذي لبسته لك ولم تنتفع به بعد الموت، أما الذي تصدقت به هو وحده لك وما أقله، هذا الذي تسعد به يوم القيامة لذلك الرجل يطعم اللقمة لفقيرٍ يراها يوم القيامة كجبل أحد، وما عرف لذة الإنفاق إلا من أنفق، حتى أن العرب في لغتهم يسمون الكريم جداً

((الأريحي))

ترتاح نفسه للعطاء، سعادته في إعطائه لا في أخذه.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن نكون من هؤلاء.

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾

يعني سمعت بالأخبار أنه بعض المتطرفين بـ ألمانية يقتلون الأتراك لأنهم جاءوا إلى بلادهم، وزاحموهم على أرزاقهم، هذا شأن الكفر، الأنانية من صفات الإنسان قبل أن يعرف الله، الأنانية طبع أما السخاء تكليف، إذا كنت منقاداً إلى منهج الله تحب من هاجر إليك أما إذا كنت بعيداً عن الله عز وجل منساقاً لطبعك تكره من هاجر إليك.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾

حينما يسخو بماله لا يشعر أنه محتاج إليه، محتاج إلى إنفاقه لا إلا ضمه.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

أخونا الكرام:

الخصاصة الجوع، النقطة الدقيقة إن صح التعبير الحديث المؤمن له استراتيجية، له سياسة عليا، المؤمن يبني حياته على العطاء، وغير المؤمن يبني حياته على الأخذ.

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-3) : تفسير الآيات 11 - 16 ، العزة لله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآية الحادية عشرة، والتي بعدها في سورة الحشر وهي قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

فالمنافق أخو الكافر، الكافر كفره معلن، المنافق كفره مبطن إلا أنه هناك كافر مظهره منافق، وهناك مؤمن وقع في النفاق، هذا شيء، وذاك شيء آخر، الكافر الذي ارتق أن من مصلحته أن يداهن أهل الإيمان هو في الحقيقة كافر لكنه يظهر مالا يبطن، وهو في الدرك الأسفل من النار.

﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾

(سورة البقرة: 18)

أما في مؤمن إيمانه ضعيف، في عنده شبهات ما استطاع أن يرد عليها، وفي عنده شهوات ما تمكن أن يغلبها، وهو حريص على أن يكون عند الناس مؤمناً وضعف أمام شهواته، وأمام شبهاته، فصار له شخصية مزدوجة، مع المؤمنين.

﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾

(سورة البقرة: 14)

حينما يخلو مع شياطينهم.

﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ﴾

(سورة البقرة: 14)

قال هؤلاء المنافقون يرجى لهم الخير، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام أملا أسمائهم على سيدنا

((حذيفة))

وكثيراً منهم تابوا، وحسن إسلامهم، وماتوا على الإيمان.

فالمنافق رجلان: إما أنه كافر، لكن اقتضت مصالحه أن يكون مع المؤمنين بمظهر إيماني، أو في الأصل مؤمن ضعف أمام بعض شهواته، وأمام بعض شبهاته، وحريص على أن يكون مع المؤمنين فصار عنده ازدواج شخصية.

المنافق الثاني:

كلما أضاء الذي يرجى له الخير.

﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾

(سورة البقرة: 20)

أبقى لهم سمعهم وأبصارهم لعلهم يرجعون.

إذاً:

النفاق نفاقان، نفاق مستحكم، وهو نفاق الكفر، ونفاق يرجى علاجه وهو نفاق الضعف، وربنا عز وجل في سورة البقرة ذكر النوعين، مثلاً قال:

﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾

(سورة البقرة: 17 ـ 18)

هؤلاء المنافقون الكافرون.

الضعاف:

﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾

(سورة البقرة: 19 ـ 20)

إذا في احتفال في مولد بقلك أنا بحضر، بينسر، إذا في تكليف في دفع في مشقة، في غض بصر، بقلك والله صعب، في المغانم جاهز، في التبعات غائب.

﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير ﴾

(سورة البقرة: 20)

يعني منافق حكم الله عليه بالكفر وهو في الدرك الأسفل من النار، ومنافق ترجى توبته لأن أصله، إيمانٌ ألم به ضعف فكري وسلوكي.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11)﴾

نحن الآن ماذا نستفيد من هذه الآية ؟ إذا إنسان متفلت، إذا إنسان عاصي إنسان عقيدته سيئة جداً، قال لك لا تخاف أنا معك، لا تصدقه.

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12)﴾

كل وعدهم كاذبة.

لذلك:

﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ﴾

(سورة هود: 113)

لا تركن له، لا تصدقه، لا تعلق أملاً عليه، لا تنتظر منه خيراً أبداً، الخير عند الله، كم من مؤمن ضعيف الإيمان علق أمله بإنسان شارد، متفلت فخيب ظنه، أبداً، لا تنتظر منه وعداً، لا تعلق عليه أملاً، أبداً، لا تصدق منه قولاً، والآية واضحة.

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (13)﴾

المشكلة كبيرة جداً أن الإنسان يخاف من الناس، ولا يخاف من الله، أكبر مشكلة أن يكون الله أهون الناظرين إليك، يا لطيف بيستحي من إنسان، بصلي أمام إنسان، فإذا كان وحده لا يصلي، ولا يستحي من الواحد الديان، ترتعب فرائسه من مخلوق، وهو يرتكب أقبح المعاصي والله عز وجل يراه.

يعني يروى:

أن امرأة وقعت في شرف رجل أراد أن يغتصبها، وقد غلق كل الأبواب، قالت له هناك باب لن تستطيع أن تغلقه، وهو باب الله عز وجل، هو معكم أينما كنتم.

يعني هي على مستوى أكبر، لن يعطينا عدونا شيئاً، أبداً هم علقوا آمالهم على الغرب والشرق، خيبت آمالهم، الكافر لن يعطيك شيئاً، كثير أيام بيغلطوا المسلمين، أنه نحنا إذا كان صاحبنا هذه الدولة العظمة تنحل كل مشاكلنا، تمتص كل خيرتنا، ولا تعطينا شيئاً، أبداً، لا تعلق آمال على إنسان شرد عن الله، يأخذون كل شيء ولا يعطون شيئاً، ونحن لن نقف على أقدامنا إلا إذا اعتمدنا على الله واعتمدنا على ما أعطانا الله، أما أن نعلق الآمال على زيد، وعلى عبيد، والدولة العظمة، يعني إذا كان نحنا تصافينا معها تحل كل

مشاكلنا، تأخذ منا كل شيء ولا تعطينا شيئاً، ودول كثيرة ارتمت على أحضان الدول عظمة ولم تأخذ مها شيئاً، إلا مزيداً من المشكلات.

هذه آية دقيقة على مستوى فردي وعلى ومستوى جماعي، أيام يكون لك قريب غني، أو قوي، لكن ما في دين أبداً، بقلك ما يهمك أنا بدبرك، تصدقه أنت المسكين، هو ما بدبرك لا، ولا يعطيك شي ويخلف وعده معك، صدق المؤمن، كن ما في يدي الله أوثق ما في يديك، لا تصدقه.

﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾

(سورة الكهف: 28)

لا تعلق أملك بإنسان شارد، بل إن كمال التوحيد أن لا تعلق أملك بمخلوق كائناً من كان، لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي، ولكن أخ وصاحب في الله.

هؤلاء اليهود أهل الكتاب الذين تحدثت عنهم الآيتان الكريمتان.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ﴾

لذلك ما في عند اليهود سلاح المشاة لا أبداً، عندهم سلاح المدرعات، سلاح الطيران، حتى الذين جاءوا من ثلاثين دولة، ماذا فعلوا ؟ ما واجهوا قصفوا بالطيران.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14)﴾

لأن المؤمن شجاع، لثقته أن الله معه، غير المؤمن جبان لذلك يحتمي بالدروع، يحتمي برؤوس الجبال، في بعض الخطط يحتلون رؤوس الجبال والطرق المعبدة، ولا يقاتلون إلا من وراء جدر أو من المدرعات، هؤلاء أعدائنا اليهود.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾

بالمناسبة أخونا نحنا في عنا قانون الخوف.

﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ﴾

(سورة آل عمران: 151)

الإنسان بخاف بقدر إشراكه، ويطمئن بقدر إيمانه، فكلما اقتربت من الإيمان يطمئن قلبك، وكلما اقترب الإنسان من الشرك ينخلع قلبه.

فالنبي كما قال عن نفسه: نصر بالرعب مسيرة شهر، أما إذا تركت أمته سنته، قد تهزم بالرعب مسيرة عام.

يعني الواحد لا يكون ضحية إنسان كافر، يضحك عليه، يمنيه يعطيه وعود، يطمنه، ثم يتخلى عنه في أحرج الأوقات، الإنسان صعب أن يكون ضحية، لا تكن ضحيةً صدق الله عز وجل، هؤلاء الذين كفروا، هؤلاء المنافقون لا يعتد بهم، ولا يسمع قولهم، ولا تأخذ نصي

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (15) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16) ﴾

حتهم.

﴿ واتبع سبيل من أناب إلي ﴾

(سورة لقمان: 15)

﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾

(سورة الكهف: 28)

﴿ واتبع سبيل من أناب إلي ﴾

(سورة لقمان: 15)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-7) : تفسير الآيات 18-20 ، طاعة الله ثمنها الجنة،آيات 18-20

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الثامنة عشرة من سورة الحشر وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18)﴾

ذكرت من قبل أن العاقل يتميز بأنه يعيش المستقبل، والأقل عقلاً يعيش الحاضر، ومن سمات الغبي أنه يعيش الماضي، يفتخر بآبائه وأجداده، ويجتر أحياناً بعض المواقف التي فعلها في الماضي و حاضره لا يتناسب مع ماضيه.

الله جل جلاله في هذه الآية، يدفعنا إلى أن نعيش المستقبل الإنسان يعيش في بيت، لكن هذا البيت موقت، لا بد من أن ينتقل إلى قبر ضيق، مظلم ليس فيه شيء، إلا عمله.

يا قيس إن لك قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ألا وهو عملك.

لذلك كان بعض الصالحين يجلس في القبر كل خميس، ويتلو قوله تعالى:

﴿ رب ارجعوني، لعلي أعمل صالحا فيما تركت ﴾

(سورة المؤمنون: 99 . 100)

فيخاطب نفسه قائلاً:

يا نفس قد أرجعناك قومي اعملي صالحاً.

مشكلة الناس أنهم يعيشون لحظتهم، يأكل، يشرب، ينام يتاجر، أما هذه اللحظة الحرجة، لحظة مغادرة الدنيا.

أتبع جنازة يفتح النعش، يحمل الميت، يدخل في القبر، قبل يومين كان على فراش وثير، وفي غرفة مكيفة، وحوله زوجته وأولاده، وبناته، وأصهاره، وله مكتبه، وتجارته، وعمله، الآن وضع تحت التراب، ووضع الحجر، وأهيل التراب على الحجر وانتهى هذا الإنسان، واصبح خبراً، واصبح حديثاً بين الناس، انتهت شهواته، وانتهت طموحاته، وانتهت آماله، يقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

يعني إذا سالك الله عز وجل يوم القيامة، سخرت لك ما في السماوات والأرض، أعطيتك العقل، منحتك الفطرة، جاءتك الأنبياء أنزلت عليهم الكتب، جعلت لك مالاً ممدودا، وبنين شهودا، ماذا فعلت من أجلي، ماذا فعلت في هذا العمر المديد ؟ ماذا فعلت في شبابك ؟ لمن أعطيت شبابك ؟ كيف استهلكت عمرك ؟ كيف فعلت بمالك ؟ مما كسبته ؟ وفيما أنفقته ؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

قدمت عمل صالح ؟ قدمت ولد صالح يدعو لك من بعدك ؟ قدمت علم ينتفع به ؟ ساهمت بمشروع خيري ؟ هل دللت على الله ؟ دعوت إلى الله ؟ هل أخذت بيد أهلك وأولادك ؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

ماذا قدمت لله عز وجل ؟

أحياناً:

أقول الإنسان يسلم إذا أطاعه، ويسعد إذا تقرب منه، التقرب له ثمن، قال تعالى:

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ﴾
(سورة الكهف: 110)

كلام واضح كالشمس، إن أردت أن تتقرب إلى الله ليس هناك من وسيلة إلا العمل الصالح.

﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ﴾

أنت بطاعتك تسلم، وبذلك تسعد، إن أردت السلامة فأطع الله ورسوله، وإن أردت السعادة فتقرب إلى الله بالعمل الصالح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

ماذا قدمت ؟ أنت حينما تأتي يوم القيامة ماذا تقول لله عز وجل ؟ يا عبدي ماذا فعلت من أجلي ؟ يارب لقد صليت، لقد زهدت في الدنيا، يقول الله له: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة لقلبك، وأما صلاتك وعبادتك فقد اعتززت بي، ولكن ماذا فعلت من أجلي ؟.

يعني أب يعطي ابنه، كرمه، علمه، زوجه، هيئ له عمل طيب، هذا الابن ماذا فعل من أجل أبيه ؟ ماذا قدم؟

لذلك أحد الصحابة، كان قائد جيش بالترتيب الثلاث، فأول قائد أستشهد والثاني أستشهد، والثالث رأى الموت قريب جداً فخاطب نفسه وقال:

يا نفُس إلا تُقْتَلي تموتـي هذا حِمَام الموتِ قد صَلِيتِ

إن تَفعلي فعلهما رضيتِ وإن توليـت فقد شـــقيت

وقاتل حتى قتل.

يذكر النبي عليه الصلاة والسلام: أن أخاكم زيد أخذ الراية وقاتل حتى قتل، وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم أخذها أخوك جعفر فقاتل بها حتى قتل، وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم سكت النبي عليه الصلاة والسلام، فقال أصحابه ما فعل عبد الله، قال: ثم أخذها عبد الله فقاتل بها حتى قتل، وإني لأرى في مقامه ازوراراً عن صاحبيه هبط درجة، لأنه تردد ثلاثين ثانية ببذل روحه.

إذاً: ماذا فعلت من أجلي ؟ ماذا قدمت ؟ هذا سؤال محرج وسؤال خطير ليسأل كل واحد منكم نفسه، ما العمل الذي أعرض الله يوم القيامة ؟ أو ما العمل الذي يصلح للعرض على الله يوم القيامة ؟ ماذا فعلت ؟ ماذا فعلت لأولادك لزوجتك، لبناتك، بتجارتك بعملك أين ذهبت ؟ أين سافرت ؟ مع من جلست ؟ في السهرات ماذا تكلمت ؟ في اللقاءات، في الندوات، ماذا فعلت ؟ ولكن ماذا فعلت من أجلي ؟ قال يا ربي وماذا أفعل من أجلك ؟! قال هل واليت فيا ولياً ؟ هل عاديت فيا عدواً ؟ لك ولاء وبراء، واليت أهل الحق ؟ أعنتهم على دعوتهم ؟ كنت في خدمتهم؟ أما عاديتهم ؟ هل واليت أهل الباطل ؟.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ﴾

قد يدعي إنسان أن عمله صالح، هذا كلام لطيف، بس هذه نظرته للعمل لكن:

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18)﴾

الله عز وجل يعلم العمل، حجمه، دوافعه، بواعثه، أهدافه مقدار التضحية، النوايا الطيبة أو الخبيثة، العمل بكل تفاصيله، وبكل تقويماته، هو في علم الله عز وجل.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18)﴾

شو معنى إن الله عليم بما تعملون، وخبير بما تعملون ؟.

إنسان تصدق على فقير، رأيته بعينك يتصدق على هذا الفقير جيد، أنت علمت أنه تصدق، أما الخبير قد يكون هذا المال حراماً وقد يدفع هذا المال أمام صديق له، ليتزع ثقته بالتجارة، من يعلم ذلك ؟ الله وحده، العليم غير الخبير، الخبير يعني معرفة مطلقة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19)﴾

حينما نسي الله نسيانه لله أنساه نفسه، لأنك إن عرفت نفسك عرفت ربك، وإن عرفت ربك عرفت نفسك، أما إذا نسي الإنسان ربه نسيانه لله ينسيه نفسه، ينسيه قدرها، ينسيه قيمتها، ينسيه مهمتها ينسيه علة وجودها، ينسيه أن يعطيه حقها، إذا نسيت الله نسيت نفسك وإن نسيت نفسك نسيت الله عز وجل، شيئان مترابطان.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19)﴾

لماذا نسي الله ؟ لأنه فسق، لماذا نسي نفسه ؟ نسي نفسه لأنه نسي الله، ولماذا نسي الله ؟ لأنه فسق.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19)﴾

الفسق حجابٌ بينك وبين الله.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾

بالدنيا واحد غني، واحد فقير، هما لا يستويان، لكن أحياناً الفقير يأكل صحن، وصحته طيبة، يستمتع بهذا الصحن المتواضع الخشن، أضعاف ما يستمتع الغني، في بالحياة الدنيا قواسم مشتركة بين الأغنياء والفقراء، أيام تهب نسمات لطيفة، أيام جو لطيف أحياناً أكلة يحبها الفقير يأكلها بشغف ونهم، يتزوج والزواج واحد بين الأغنياء والفقراء، في ألف قاسم مشترك بين الأغنياء والفقراء، بين الأقوياء والضعفاء، أما بالآخرة هؤلاء في نار يدوم عذابها، وهؤلاء في جنة لا ينتهي أمدها.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)﴾

بشهادة الله عز وجل هم وحدهم الفائزون، أصحاب الجنة فائزون، إذا قال الله عز وجل أصحابه الجنة فائزون، لا يعني أن غير أصحاب الجنة غير فائزين أما حينما يقول: أصحاب الجنة هم الفائزون، يعني وحدهم، خالق الكون يقول لك إذا وصلت إلى الجنة فأنت الفائز، والجنة ثمنها طاعة الله عز وجل، والقرب منه، إذاً.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)﴾

ملخص هذا الدرس، يجب أن تعيش المستقبل، واحد ساكن ببيت، يا ترى أنا إذا مت وين بغسلوني، بالغرفة الفلانية، أما بالمطبخ، أما بالحمام، وين بندفن ماذا يفعل أولادي من بعدي ؟ أسئلة مزعجة، لكنها واقعية، هيئ نفسك للقاء الله عز وجل، فكر بالموت قال عليه الصلاة والسلام: أكثروا ذكرا هذه اللذات، مفرق الأحباب مشتت الجماعات.

عش ما شئت فإنك ميت وأحبب ما شئت فإنك مفارق

واعمل ما شئت فإنك مجزي به

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾

أيها الأخوة:

أن تعيش المستقبل فأنت العاقل، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-7) : تفسير الآية 20 ، المؤمن والفاسق لايستويان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام : الآية العشرون والتي بعدها من سورة الحشر وهي قوله تعالى :

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾

من يقول يستويان ؟ لا أحد، أما الذي يسلك طريق النار لسان حاله يقول يستويان، لا أحد يقول بلسانه يستويان.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)﴾

هذا لسان القال، أما لسان الحال، الذي لا يعمل للجنة ويسلك طريق النار، عنده الجنة والنار سيان، لأنه لا يعمل للجنة ولا يتقي النار، كأنه سوى بينهما، لو بحثنا عن آيات كريمة، تنفي المشابهة.

﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ﴾

(سورة السجدة : 18)

يعني إنسان صادق، آمين، رحيم، منصف، متواضع محسن، مستقيم طليق اللسان، يده سخية بالعطاء، أب مثالي، ابن بار، هذا الإنسان المؤمن كإنسان فاسق، يضرب أباه، ويسهر حتى ساعة متأخرة في النوادي الليلية، ويرتكب الموبقات، ويشرب الخمر أيعقل هذا ؟!

﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ﴾

(سورة السجدة : 18)

﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾

(سورة القلم : 35)

إنسان يبني مجده على أنقاض الناس، يبني غناه على فقرهم يبني راحته على متاعبهم، كيف ينام الليل ؟ شيء ثالث :

﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾

(سورة طه : 61)

﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾

(سورة الجاثية، 21)

أيها الأخوة :

أنا أركز على فكرةٍ خطيرة جداً، أن يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أن يستوي المؤمن والفاسق، أن يستوي المسلم والمجرم، أن يستوي من وعد وعداً حسناً، ومن كان من المحضرين هذا لا يتناقض مع عدالة الله فحسب، بل يتناقض مع وجود الله.

أنت أمام خيار صعب، إما أن تؤمن بالعبثية، أنهم أقوياء ضعفاء، أغنياء، وفقراء، أصحاء، ومرضى، جميلوا الصورة ودميموا المظهر، يأتي الموت ينهي كل شيء، وخلص.

أنت إذا كنت بمسرحية ولا تفعلها، فرضاً، وجرى فصل من فصول المسرحية، وفي واحد ظالم والثاني مظلوم، وألقي الستار هل تقوم من المسرحية ؟ طيب ما انتهى ؟ لا، ما انتهت المسرحية لابد من أن تسوى الحسابات.

هناك دليل عقلي على الدار الآخرة، الله خلق أقوياء وضعفاء، أغنياء، وفقراء، أصحاء، ومرضى، أصحاب شأن كبير وأصحاب تفاهة، طيب هل يعقل أن تنتهي الحياة هكذا ؟ هذا هتلر الذي خلف 55 مليون قتيل، يعني بعد ما مات انتهى كل شيء ؟ طغاة العالم يلي سببوا مآسي لا تنتهي، آثارها حتى اليوم في هيروشيما باليابان، هؤلاء فعلوا ما فعلوا، وانتهى كل شيء !! ليس هناك بعد الموت شيء ؟ هذا معناه أنك مؤمن بالعبثية، والله عز وجل قال :

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ﴾

(سورة المؤمنين : 115)

بلا حساب، تصور جامعة، أبنية فخمة، مدرجات قاعات تدريس، حدائق، مكتبة ضخمة، مدينة جامعية، هل يعقل أن يبقى العام الدراسي بلا امتحان، يستوي الكسول مع المجتهد، طالب ما نام الليل طوال العام، وطالب ما درس كلمة، وفي نهاية العام يعطى الطالبان علامة واحدة شكلية !! هل يقبلها الإنسان ؟

﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾

(سورة العنكبوت : 2)

حينما لا تتقي الله، ولا تسلك طريق الجنة، وحينما تزل القدم إلى طريق النار، معنى ذلك أنه عندك تستوي الجنة والنار، لو أنهما لا تستويان لبحثت عن طريق الجنة، واتقيت طريق النار.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)﴾

أيها الأخوة الكرام :

من هو العاقل ؟ التي تأتي مقاييسه وفق مقاييس القرآن الكريم الآن مجتمع المادة من هو الفائز ؟ الغني، بصلي ما بصلي، شارب خمر، ما دام غني محترم جداً، بالعالم المادي من هو المحترم جداً ؟ القوي، إذا كان له مكانة كبيرة في المجتمع، وله منصب حساس، محترم جداً، طيب، هذا مقياس الأرض الذي عنده أراضي يلي عنده فيلات، مزارع، بساتين، عنده شركات ضخمة، هذا في مقياس الأرض، طيب، في مقياس الله عز وجل.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)﴾

رب أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبره، أهلاً بما خبرني جبريل بقدومه، قال : أو مثلي ؟ قال نعم يا أخي، خاملٌ في الأرض علم في السماء.

هي البطولة أن ترتقي في مدارج القرب من الله، ولا تعبأ في مقاييس البشر.

أحد التابعين الأجلاء

((سعيد بن المسيب))

فمرةً قال سيب الله من سيبني المُسيب

((سعيد بن المسيب))

كان قاضي كبير، وخطب ابنت

((الوليد بن عبد الملك))

الذي بنى مسجد الأمية الكبير، فرفض عنده تلميذ فقير جداً غاب عن درسه مرةً فسأل عنه، فلما قدم عليه قال له : يا سيدي لقد ماتت زوجتي، قال له : هل لك في زوجة؟ قال له : والله أتمنى، قال له : سأعطيك ابنتي، كاد يختل توازنه، رجل كبير الشأن، عظيم العلم، له مكانه كبيرة، قال له : يا سيدي لا أملك شيئاً، قال له : كم تملك، قال له : درهماً، قال له : زوجتك على درهمين القصة ليست هنا، هذا ذهب إلى بيته هذا الشاب التي ماتت زوجته، من أين يأتي بحاجات الزوجة الجديدة ؟ فجلس، وكان صائماً يأكل، طرق الباب، قال من الطارق ؟ قال : سعيد، قال : والله تصورت أربعين سعيد، وما كنت أتخيل أن شيخي سعيد بن المسيب هو طارق الباب، طرق الباب، نعم يا سيدي، قال له هذه زوجتك كرهت أن تبيت الليلة وحدك، فإذا هي عالمةٌ، فقيهةٌ، حافظةٌ لكتاب الله، على أي مقياس زوجها ؟ على مقياس أهل الدنيا ؟ لما على مقياس أهل الآخرة .

قال : زوج ابنتك للمؤمن، إن أحبها أكرمها، وإن لم يحبها لم يظلمها يخاف الله عز وجل.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)﴾

في شيء دقيق بالموضوع : موضوع لسان الحال، زرت طبيب وصف لك وصفة، أثنيت على علمه، شكرته بحرارة، ولم تشتري الوصفة، لأنك لست قانعاً بهذه الوصفة، فثنائك عليه واحترامك له، ومصافحتك، لها قيمة؟ أنت كذبته بلسان حالك، لا بلسان قالك.

فالإنسان حينما لا يسعى إلى الجنة، وبابها مفتوح، طريقها طاعة الله طريقها طلب العلم، طريقها إنفاق العلم، طريقها إنفاق المال، حينما لا تسعى إلى الجنة، ولا تتقي النار معنى ذلك أنك لا تعبئ لا بالجنة ولا بالنار، معنى ذلك أنهما يستويان عندك، يستويان وربنا عز وجل يقول :

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)﴾

فالمشكلة أن تبحث عن الفوز لا في مقياس البشر، بل بمقياس رب البشر أن تبحث عن الفوز، لا عند الناس، بل عند الله.

من هنا قال عليه الصلاة والسلام : ابتغوا الرفعة عند الله.

بالمناسبة : لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثلما ترى له أنت إنسان مؤمن، كل مكتسبات بإيمانك، واستقامتك، ومعرفة بالله عز وجل، لو صاحبت إنسان مادي، لا يعبئ بعلمك، بل يقيمك بمالك فتعاني منه ما تعاني، فالنبي الكريم ورد عنه : لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له. ومن سعادة المرء، أن يكون الذين حوله على شاكلته، يعني أعظم إكرام للإنسان يكون محاط بأناس مؤمنين، يفهمون عليه يقدرون إيمانه، يعرفون القيم الأخلاقية.

يعني نحن في آخر الزمان، يصبح المعروف منكراً، إذا إنسان أتيح له أن يمارس شهوة من طريق غير مشروع ورفضها هو عند الناس مجنون، أما هو عند العقلاء عاقل، أما عند البله أبله.

إذاً : يجب أن نبحث عن مقياس الله عز وجل، الله يحب الصادق، يحب الآمين، يحب المنصف، المقسط، يحب المحسن والله الذي لا إله إلا هو، قد تجد إنسان، في أدنى درجة اجتماعية لكن يحب الله ورسوله، ويخشى الله، هذا قلامة ظفره أغلى عند الله من ألف من العصاة، من مليون من العصاة، فنحن بطولتنا أن تكون ذا مكانة عند الله.

﴿ إن المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾

(سورة القمر : 54 . 55)

والله عز وجل لا يحتاج إلى يمين تحلف له، ولا إلى إيصال توريه إياه، ولا إلى شهادة، يعلم السر وأخفى، علاقة معه سهله جداً أخلص قلبك، طهرت منظر الخلق سنين، أفلا طهرت منظري ساعة قلبك منظر ربك.

﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾

(سورة الشعراء : 88 . 89)

رأس مالك في الجنة قلبك السليم، الذي لا ينطوي لا على غلٍ ولا على حسدٍ، ولا على حقدٍ، ولا على بغض، ولا على مكراً، هذا رأس مال المؤمن، قلب سليم.

سيدنا عمر يقول تعاهد قلبك.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-7) : تفسير الآية 21 ، خيركم من تعلم القرآن وعلمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآية الواحد والعشرون من سورة الحشر وهي قوله تعالى:

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾

الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى، خلق الكون، والكون بين أيدينا، كل ما في الكون يدل على أن له خالقاً، ومسيراً، ومربياً، كل ما في الكون ينطق بوجود الله، ووحدانية الله، وكمال الله.

كمال الخلق يدل على كمال التصرف، ومن كمال التصرف أن الله سبحانه وتعالى لن يدع عباده من دون منهج يسيرون عليه، من دون تعريف بهم، وبسبب مجيئهم إلى الدنيا، وبالغاية التي خلقوا من أجلها، لذلك قالوا:

الله جل جلاله خلق الكون ونوره بالرسالات، والقرآن الكريم كتاب إن قرأته ووقفت عند إعجازه، عرفت أنه كلام الله عز وجل فالكون يدل على الله، وإعجاز القرآن يدل على أنه كلام الله، والقرآن الكريم يدل على أن الذي جاء به هو رسول الله.

الكون من خلاله تتعرف على الله، والقرآن من خلال إعجازه توقن أنه كلام الله، والنبي عليه الصلاة والسلام من خلال القرآن الذي جاء به وهو معجزته الكبرى والمستمرة، توقن أنه رسول الله، هذا هو دور العقل، بعد أن عرفت الله، وعرفت كتابه، وعرفت رسوله الآن يأتي دور النقل، تتلقى عن الله عز وجل من خلال هذا القرآن.

فضل كلام الله على كلام خلقه، كفضل الله على خلقه.

يعني أنت حينما تدخل إلى مكتبة، ولتكن أضخم مكتبة بالعالم فيها كتب من كل الموضوعات، وأمسكت بيدك كتاب الله عز وجل يجب أن تعلم أن بين هذه الكتب كلها، وبين هذا الكتاب كما بين الله وخلقه، لذلك القرآن الكريم منهج المسلم.

كتاب فيه تعريف بهوية الإنسان، ومهمته.

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾

(سورة الأحزاب: 72)

فيه تعريف بمهمته.

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوني ﴾

(سورة الذاريات: 56)

فيه تعريف بالكون، ولماذا سخر الله عز وجل للإنسان.

﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ﴾

(سورة الجاثية: 13)

فيه تعريف بالدنيا وبالدار الآخرة.

﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾

(سورة الروم: 27)

﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾

(سورة طه: 15)

يعني هذا القرآن يعطيك تصور صحيح عن الكون والحياة والإنسان، الأشياء موجودة، لكن البطولة في فهمها، وفي إدراك حجمها، وقيمتها، ومدلولاتها.

فهذا الكتاب هو الذي يبن لك حقيقة الكون، وحقيقة الحياة الدنيا وحقيقة الإنسان، يبن لك ما ينبغي وما لا ينبغي، يبن لك الحلال والحرام، يبن لك الخير والشر، يبن لك الماضي السحيق والمستقبل البعيد، يبن لك ما تئول إليه الخلائق بعد القيامة، لذلك القرآن الكريم يعني كيف أنه معجزة مستمرة، كل المعجزات التي جاء بها الأنبياء هذه المعجزات كعود الثقاب تألقت مرة واحدة، وأصبحت خبراً يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه، إلا هذا الكتاب الذي بين أيدينا هذا الكتاب الذي بين أيدينا معجزة مستمرة، كلما تقدم العلم كشف جانب من إعجازه.

فبعد أن عرف العلم أن الذكر والأنثى يحدهما الحوين لا البويضة قال تعالى

﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى، من نطفة إذا تمنى ﴾

(سورة النجم: 45 ـ 46)

بعد أن عرف العلم أن كل شيء يدور حول نواة من المجرة إلى الذرة قال تعالى:

﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾

(سورة ياسين: 40)

بعد أن عرفت أن الأرض كروية قال تعالى:

﴿ وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾

(سورة الحج: 27)

لم يقل من كل فج بعيد، الأرض كرة، فكلما بعدت المسافة ظهر العمق.

﴿ وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾

بعد أن أكتشف العلم أن أخفض نقطة في الأرض، غور فلسطين، وفي هذا الغور تمت المعركة بين الفرس والروم، قال تعالى:

﴿ غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين ﴾

(سورة الروم: 2 . 3 . 4)

بعد أن عرف للجبال خصائص كثيرة جداً، منها أنها تثبت طبقات الأرض لكل جبل جزر يزيد عن ثلثين ارتفاعه، هذا الجزر يثبت طبقات الأرض، لأنك إذا أردت أن تدور بيضة غير مسلوقة لا تدور، اختلاف الكثافة في مضمونها تضطرب حركتها، أما إذا سلقتها تدور، جرب بيضة غير مسلوقة لا تدور معك أما المسلوق تدور، فمن أجل هذه الطبقات المتباينة في الأرض يأتي الجبل كالوتد

﴿ والجبال أوتادا﴾

(سورة النبأ: 7)

والجبال من أجل ألا تميد الأرض بنا.

﴿ أن تميد بكم ﴾

(سورة النحل: 15)

كأنها أماكن تثبت حركة الأرض على سرعتها العالية.

يعني الجبال، والأنهار، والبحار، والسهول، والوديان والهضاب، والنبات، والحيوان، والإنسان، يعني في إشارات بكتاب الله عز وجل إشارات إلى أصول العلوم، وكلما تقدم العلم كشف جانب من هذه الأصول. فلذلك: من أوتي القرآن فظن أن أحد أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه الله النبي عليه الصلاة والسلام، جعل الخيرة المطلقة لمن تعلم القرآن وعلمه قال:

خيركم من تعلمه وعلمه، لأنه منهج الإنسان، لأنه المنهج القويم دقق في هذه الآية:

﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾

(سورة طه: 123)

لا يضل عقله ولا تشقى نفسه.

﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

(سورة البقرة: 38)

أجمع الآيتين، الذي يتبع هدى الله عز وجل، لا يضل عقله ولا تشقى نفسه ولا يندم على ما فات ولا يخشى مما هو آت.

الله جل جلاله عد تعلم القرآن وتعليمه جهاداً أكبر وأعظم قال تعالى:

﴿ وجاهدهم به جهادا كبيرا ﴾

(سورة الفرقان: 52)

الخيرة المطلقة، لمن تعلم القرآن وعلمه، والجهاد الأكبر لمن تعلم القرآن وعلم، إنه الصراط المستقيم، إنه حبل الله المتين، إنه نور الله ألقاه في الأرض ليكون هادياً إليه.

فيا أيها الأخوة الكرام:

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآَنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾

كما إنسان يعزف عن سماع القرآن، إذا فتح بالمذياع على القرآن، كما من مسافر يقض ساعات طويلة في الغناء، وبإمكانه إن يستمع إلى كتاب الله لذلك:

من هو الفقير ؟ من هو المحروم ؟ الذي حرم فهم هذا القرآن الكريم، الذي حرم تلاوته أناء الليل وأطراف النهار.

ورد في الأثر: أنه من تعلم القرآن، متعه الله بعقله حتى يموت، والسبب واضح جداً، العضو الذي لا يعمل يضمر، في العلم لو أن يدك ثبتها في الجبصين تذوب العضلات تذوب بعد ستة أشهر العضو الذي لا يعمل يضمر.

طيب هذا القرآن الكريم، إن قرأته، وحفظته، وتدبرته وتأملت آياته، وقفت عند الحلال والحرام، عند الأمر والنهي، عند مشاهد يوم القيامة، عند قصص الأمم السابقة، عند آيات الله في الكون، هذا ما هذا، نشاط فكري، الذي يقرأ القرآن في نشاط فكري دائم.

إذاً: هذا الإنسان بحسب مفهومات العلم الحديث، لا يخرف لا يخرف أبداً لذلك الآن في بعض الجامعات في أوربا، الجامعة مستثناة من سن التقاعد ؛ لأن أستاذ الجامعة يعمل بعقله، إذاً لا يخرف في أستاذة بالجامعات في فرنسا بالتسعين، بالخمس والتسعين، ما دام يعمل بعقله قلما يخرف، الإنسان، فكل إنسان يتلو هذا القرآن يتدبر هذا القرآن، يقيم أمر الله من خلال القرآن، هذا الإنسان متعه الله بعقله حتى يموت، والقرآن غناً لا فقر بعده ولا غناً دونه، لا فقر بعده ولا غناً دونه.

والله جل جلاله قد يؤتي الملك لمن يحب ولمن لا يحب أتاه لمن يحب لسيدنا سليمان، وأتاه لمن لا يحب لقاروق، ويؤتي المال لمن يحب ولمن لا يحب، أتاه لسيدنا عبد الرحمن بن عوف، وسيدنا عثمان بن عفان، وأتاه لقارون، أما أن تفهم هذا القرآن حق الفهم وأن تقف عند حلاله وحرام، وأن ترزق تلاوته أناء الليل وأطراف النهار، وأن ترزق العمل به، وأن ترزق تعليمه.

﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ﴾

(سورة يوسف: 22)

فالحكم والعلم لمن يحب، فإذا كان عطائك من الله ، من العطاء الذي يحب، فقط، فهذه نعمة كبرى.

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾

الذي يقرأ القرآن ولا يتأثر به، ولا يقشعر جلده من خشية الله ولا تنهمر عينيه خشوعاً لله عز وجل، لا يتأثر به، لا يعظمه، هذا قلبه أشد قسوة من الصخر، لأنك لو تلوت هذا القرآن على جبلٍ لرايته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، فإذا قرأه الإنسان ولم يتأثر به كان قلبه أشد من الصخر الجلمود.

شيء آخر:

القرآن نفسه:

﴿ وهو عليهم عمى ﴾

(سورة فصلت: 44)

﴿ ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾

(سورة الإسراء: 82)

القرآن يحتاج إلى طهارة لذلك قال تعالى:

﴿لا يمسه إلا المطهرون ﴾

(سورة الواقعة: 79)

والمطهرون من المشترك اللفظي، بمعنى:

المعنى الأول: يجب أن تكون طاهراً لكي تمس القرآن.

والمعنى الإشاري: إلا لم تكن طاهرة القلب، لا يمكن أن تقف على معاني كتاب الله إطلاقاً.

لذلك قال: لم يقل لا يمسسه، الفعل المضعف إذا سبقه حرف جازم، يفك تضعيفه، لو أن اللام ناهية لكان قوله تعالى: لا يمسسه إلا المطهرون.

أما لا نافية، ربنا ينفي أن يستطيع الإنسان أن يقترب من المعاني السامية التي ينطوي عليها القرآن. لذلك هو كتابنا، ومنهجنا، ودستورنا، وقانونا، وهو حبل الله المتين، هو الصراط المستقيم، هو النور المبين، هو الهادي إلى طريق الله عز وجل.

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآَنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (7-7) : تفسير الآيات 22-24 ، أسماء الله الحسنى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآيات الأخيرة من سورة الحشر وهي قوله تعالى:

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)﴾

هذه الآية الكريمة من أجمع الآيات في كتاب الله، التي انطوت على عدد كبير من أسماء الله الحسنى، ويا أيها الأخوة، أن تعرف أسماء الله الحسنى، كل أسم على حدا، ومدلول كل اسم، وأبعاد كل اسم، وتطويق كل اسم، والدليل على كل اسم، هذا جزء من إيمان المؤمن، لأنه لو اكتفى بأنه قال الله خالق السماوات والأرض، ولم يتعمق في معرفة أسماء الله الحسنى، وصفاته الفضلى تنطبق عليه الآية الكريمة:

﴿ خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ﴾

(سورة الحاقة: من 30 إلى 33)

آمن بالله، لكنه لم يؤمن بالله العظيم، كيف تعرف عظمة الله عز وجل ؟ كيف تعرف كماله وحدانيته قوته غناه رحمته لطفه ؟ إلا لم تقف عند أسمائه اسماً اسماً، فمعرفة أسماء الله الحسنى، وصفاته الفضلى، جزء من الدين وهناك دروس كثيرة في أسماء الله الحسنى هذه ينبغي أن تطلع عليها، أو أن تستمع إليها، أو أن تقف عند دقائقها لأنك إن عرفت الله، استقمت على أمره، حجم خشيتك كحجم معرفتك حجم طاعتك بحجم معرفتك، حجم خوفك من الله بحجم معرفتك له.

فلذلك أيها الأخوة : هذا الذي ينشأ في بيئة إسلامية، ويتلقى يعني شذرات من العلم بلا تركيز، يعني حضر عقد قرآن وألقى خطيب كلمة، حضر خطبة جمعة سمع كلمة هكذا من دون بحث ذاتي، من دون تركيز على معرفة أسماء الله الحسنى، هذا الإيمان الذي يأتي عفو الخاطر من طلب حفيف، ولا درس و بحث دقيقين، هذا لا يحملك على طاعة الله عز وجل، بالنتيجة أي إيمان لا يحملك على طاعة الله لا قيمة له، لا يكون الإيمان مجدياً إلا إذا حملك على طاعة الله، فمن كان في استقامته خللٌ، من كان في سلوكه انحرافٌ فهو قطعاً انطلق من هذا بسبب ضعف إيمانه، وضعف معرفته، وعدم إيمانه بالله العظيم.

والإنسان بالعادة يطيع العظيم، أما الشخص العادي لا يطيعه ولا يعبئ بأمره.

لذلك:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾

يعني من خلق السماوات والأرض ؟ هو الله، من أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها ؟ هو الله، من خلق الإنسان من نطفة إذا تمنى ؟ هو الله، من أنبت النبات ؟ هو الله، من خلق الأسماك في البحار ؟ هو الله، من جعل الطيور يطرن بالسماء ؟

﴿ ما يمسكهن إلا الرحمن ﴾

(سورة الملك: 19)

هو الله ؛ معنى هو، يعني أنت أينما ما نظرت في الكون وتسألت من فعل هذا ؟ من خلق هذا ؟ من أبدع هذا ؟ من فطر هذا ؟ من سير هذا ؟ من قدر هذا، من وكل هذا ؟ الجواب هو الله، هو الله القوي، وفي الوقت نفسه كامل.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22)﴾

في بعض الأحاديث الشريفة ورد: أن الرحمن الرحيم هو اسم الله الأعظم، والله اسم الله الأعظم، والبر الرحيم اسم الله الأعظم وقال بعض العلماء: إنك في أي موطنٍ، الاسم الذي أنت في أمس الحاجة إليه هو اسم الله الأعظم، إذا كنت في محنة شديدة، أو في مرض شديد، فالله الشافي، فالشافي للمريض اسم الله الأعظم، وإن كنت في حاجة إلى رحمة من الله، الرحمن الرحيم، وأنت بحاجة ماسة إلى رحمته فهو اسم الله الأعظم، وإن كنت في أمس الحاجة إلى لطفه فهو اسم اللطيف اسم الله الأعظم، فأي حالة تعيشها، وأي حاجة أنت تحتاجها، الاسم الذي يناسبها هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعوة به أجابك، وإذا سألت به أعطاك.

السيدة عائشة: إني أسألك بكل اسم سميته، ما علمته، وما لم أعلمه، أن ترحمني يا رب.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

يعني الآية فيها دقة بالغة، الأمر كله بيد الرحمن، شي مريح الأمر كله بيد الرحيم، بيد العادل، بيد الخبير، بيد العليم، بيد القوي بيد الغني.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾

يعني الإنسان قد يملك ولا يحكم، وقد يحكم ولا يملك، وقد لا يملك ولا يحكم، لكن الله عز وجل يملك ويحكم، وهو ملك الملوك ومالك الملوك، وقلوب الملوك بيده، فإن العباد أطاعوه حول قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن هم عصوه حولها عليهم بالسخطة والنقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم بصلاحكم.

﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾

أي تنزهت ذاته عن كل نقص.

﴿السَّلَامُ﴾

إن كنت معه فأنت في سلام.

﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾

(سورة المائدة: 16)

سلام مع نفسك، سلام مع من حولك، سلام مع ربك.

يعني أجمل شيء بالحياة، تكون الحياة هادئة، سليمة، فيها راحة بال فيها معافاة، فيها سرور، فيها طمأنينة، فيها نوم مريح فيها زوجة صالحة، فيها أولاد أبرار، فيها رزق كافي، فيها منزل واسع، فيها رزق ببلدك، الله عز وجل هو السلام، إن كنت معه فأنت في سلام، وإن ابتعدت عنه فأنت في خطر.

﴿الْمُؤْمِنُ﴾

يعني مؤمن بذاته أنه يسعدك.

﴿الْمُهَيْمِنُ﴾

هو المسيطر وحده.

﴿الْعَزِيزُ﴾

الذي يحتاجه كل شيء في كل شيء.

﴿الْجَبَّارُ﴾

من الجبر ؛ يعني كل إنسان مكسور، الله عز وجل يجبره يعني يعطيه سؤله، لا ينسى من فضله أحداً.

﴿ الْمُتَكَبِّرُ﴾

مهما تصورت من عظمته فهو أعظم، مهما تصورت من غناه فهو أغنى، لذلك قالوا بعض العلماء: إن معنى الذنب الذي ورد في حق النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿ واستغفر لذنبك ﴾

(سورة محمد: 19)

إني أتوب إلى الله في اليوم سبعين مرة، بعض العلماء قالوا كلما رأى النبي رؤيةً، أو وصل إلى مرتبة في معرفة الله، ثم في اليوم التالي بلغ مرتبةً أعلى استحيّ بفهمه السابق، فكان هذا من الذنوب التي اختص بها النبي عليه الصلاة والسلام.

يعني أنا أعرفك غنياً بذهني أن مركزك المالي ألف مليون طلع عندك ألف ألف مليون، مثلاً.

فكلما ظننت ربي بكمال معين، ثم اكتشفت أنه أكمل، وأرحم وأعظم وأقوى، وأرحم، وألطف، استحييت بفهمي السابق، فكان هذا من ذنب النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23)﴾

يعني تنزه، تنزه اسمه عن هذا الذي يشركونه به، يعني صنعوا من تمر إله وعبدوه، فلما جاعوا أكلوه، هذا إله هذا ؟

أحد الأعراب رأى صنماً وقد بال الثعلبان برأسه، فقال:

أربٌ يبول الثعلبان برأسه لقد ضل من بالت عليه الثعالب

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾

خلقك، وأعطاك صورة.

﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

أسمائه كلها حسنى، وصفاته كلها فضلى، وحسن الظن بالله ثمن الجنة.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

إلا هذا الإنسان التي سخرت له السماوات والأرض جميعاً منه هو وحده الغافلٌ عنه.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)﴾

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : تفسير سورة الممتحنة

الدرس (5-1) : تفسير الآيات 1-3 ، الولاء لله والبراء من الكفار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الأولى من سورة الممتحنة وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1)﴾

صحابيٌ أسمه حاطب بن أبي بلتعة، نزلت هذه الآية فيه أرسل كتاباً إلى قريش.

يقول لهم:

إن محمداً سيغزوكم فخذوا حذركم، أرسل هذا الكتاب مع امرأة مسافرة إلى مكة، واخفت هذا الكتاب في عقاصة شعرها، وجاء النبي عليه الصلاة والسلام الوحي، واخبره بما فعل حاطب، فأرسل صحابيين جليلين يلحقان بهذه المرأة التي خرجت من المدينة إلى مكة لتعلم قريشاً أن محمداً سيغزو أهل مكة وسيفتح مكة.
فلما جيء بالكتاب وقرأه النبي عليه الصلاة والسلام، أستدع حاطب بن بلتعة، وقال ما هذا يا حاطب ؟ هذا اسمه في العرف العالمي خيانة عظمة، خيانة عظمة، يستحق عليها الإعدام في كل الأنظمة، وفي كل العصور، ما كان من سيدنا عمر إلا أن قال دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال عليه الصلاة والسلام: لا يا عمر إنه شهد بدرا.

يا حاطب ما حملك على ما فعلت ؟ النبي أراد التفسير، الوضع خيانة عظمة، الفعل خيانة عظمة، ولكن هل هناك أسباب مخففة، ما حملك على ما صنعت ؟ فقال حاطب: والله يا رسول الله ما كفرت ولا ارتددت، ولكني لصيقٌ في قريش، لست من صلبهم، أردت بهذا الكتاب أن أحمي أهلي ومالي، فغفر لي ذلك يا رسول الله.

النبي عليه الصلاة والسلام بشجاعة بالغة، قال: إني صدقته فصدقوه ولا تقولوا فيه إلا خيراً، فالنبي عليه الصلاة والسلام بهذا العمل أنهضه، وحمله وغفر له ذنبه، وصدقه، وأمر أصحابه إن يصدقوا، وإن يكفوا عنه بأسهم، إثر هذه الحادثة نزلت هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾

في نقطة دقيقة جداً، في كلمة عدوي وعدوكم، حينما قال الله عز وجل:

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾

(سورة الأنفال: 60)

يعني، لو أن لكم عدواً وليس عدواً لله، أنتم إذاً أعداء الله يجب أن يكون عدوكم دائماً عدوا الله، وإلا الحرب غير مشروعة، لو أنك حاربت عدواً ليس عدواً لله، معنى ذلك أنت عدو الله، لا يمكن أن تحارب إنسان عدواً لك إلا إذا كان في الوقت نفسه عدواً لله عز وجل.

﴿ ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾

وكلمة ترهبون تعني شيئاً كثيراً، تعني أن السلاح ليست العبرة منه، أن نستخدمه، بل أن نرهب به، والدول الكبرى الآن التي عندها سلاح نووي، قد لا تستعمله إطلاقاً، ولكن وجود هذا السلاح عندها تصبح مرهوبة الجانب، فالسلاح مهمته أن تكون مرهوباً، أن تكون مرهوب الجانب، لا أن تكون مهيض الجناح.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾

لذلك العلماء قالوا: من لوازم الإيمان الولاء والبراء، من لوازم الإيمان فمن لم يوالي المؤمنين، من لم يوالي الحق، من لم يوالي أهل الحق، من لم يوالي القرآن والسنة، من لم يوالي الأنبياء بل وال أعداء الله، وال المنافقين، وال الكفار، وال المنحرفين أحبهم، جلس معهم، سهر معهم، سافر معهم شاركهم، أنسجم معهم أندمج معهم، أحبهم، هذا ليس فيه ذرة من الإيمان.

الحد الأدنى بإيمانك أن توالي المؤمنين، وأن تتبرأ من الكفار والمشركين، ما دام الكافر تعظمه، وتبجله، وتوقره، وتحترمه وتتمنى أن تكون معه وتحت جناحه، وأن يرعاك، وأن تستقوي به وأن تعتمد عليه، فعلم اليقين أنه ليس في القلب ذرة إيمان.

من لوازم الإيمان الولاء.

من لوازم الإيمان البراء.

توالي وتتبرأ، توالي المؤمنين، وتتبرأ من الكفار والمشركين.

يعني واحد له قريب ميسور الحال غني جداً، ما بصلي، ينكر على أهل الدين دينهم، يستخف بالحق، هذا لا ينبغي أن تحتفل به وأن تندمج معه، وأن تزوره، وأن تستعين به، وأن تتضعضع أمامه وإلا لست مؤمناً، الولاء والبراء توالي أهل الإيمان، وتتبرأ من أهل الكفر والعصيان.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾

علاقات العمل مسموح بها، علاقات العمل، أنت موظف أنت معلم، عندك مدير ثانوية، يجب أن تحترمه، وأن تطيع أمره ضمن العمل، وأن تكون لك معه علاقة طيبة، هذا شيء غير الولاء الولاء:

﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾

﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون، الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾

(سورة البقرة: 14 ـ 15)

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ﴾

معنى ذلك: الحب والولاء أساس التوافق في العقيدة، التوافق في القيم، التوافق في المبادئ، التوافق في الأهداف، التوافق في الوسائل، التوافق بالتمنيات، هذا الولاء بكون.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ﴾

كيف توالونهم ؟ أنت تخاف الله، كيف تحب من لا يخاف الله ؟! ترجو الآخرة، كيف تحب من يرجو الدنيا ؟! لا تحب الكذب كيف تحب الكاذب ؟!.

﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾

هؤلاء الكفار الذين توالوهم، لماذا أخرجوا النبي عليه الصلاة والسلام من مكة، وطاردوه وأتمروا على قتله، ونكلوا بأصحابه لماذا ؟! لأنه دعا إلى الله أيقل أن توالي هؤلاء.

﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1)﴾

لذلك: من شهد معصية فأنكرها كان كمن غاب عنها، ومن غاب عن معصية فاقرها كان كمن شهدها.

أنت ساكن بالشام، لك قريب ساكن بكندة، أسمعت قصته، إنه قدر يحتال ويأخذ مال وفير، سرقة أو احتيالاً، وعمر قصر، وسكن واشترى مركبة، وعاش ببحبوحة، أنت قلت بس والله دبر حاله شاطر طلع، هو بكندة وأنت بالشام، شاركته في الإثم، لأنك أقرته عليه.

من غاب عن معصية فأقرها كان كمن شهدها، ومن شهد معصية فأنكرها كان كمن غاب عنها لو أبنك بالبيت، عمل عملاً لا يرضي الله عز وجل، فأنكرته ووبخته، كأنك غبت عنه.

إذاً درسنا اليوم الولاء والبراء، لا بد من أن توالي المؤمنين ولا بد من أن تتبرأ من الكفار والمنافقين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾

أنتم فعلتم هذا، كيف توادون من أخرجكم ؟ من شردكم ؟ من طردكم ؟ هذا شيء غير معقول.

﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾

يعني لو أمام المؤمنين، أظهرت العداوة الشكلية، وفيما بينك وبينهم محطهم الود، الله عز وجل يعلم ما أخفيت وما أعلنت.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1)﴾

أنحرف انحراف خطير.

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾

يعني إن سيطروا عليكم، يكون لكم أعداء.

﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (2)﴾

أعداء ألداء، إن تمكنوا منكم، آذوكم، وإن لم يتمكنوا منكم سلقكم بألسنتن حداد، فلا ينبغي أن توالي من جعله الله عدواً لك.

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3)﴾

قالت له: إما أن تكفر بمحمد وإما أن أدع الطعام حتى أموت أم سيدنا سعد بن أبي وقاص، قال يا أمي: لو أن لك مائة نفس وخرجت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئتِ أو لا تأكلي.

يعني إذا الإنسان له أقارب منحرفين، لن ينفعوا يوم القيامة أنت ولائك للمؤمنين، فدرس اليوم على الولاء والبراء، مسموح لك أن تقيم علاقات عمل وليس مسموح لك أن تقيم علاقات حميمة، بينك وبين الكفار والمنافقين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : تفسير الآية 5 ، المؤمن على ثغرة من ثغر الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الخامسة من سورة الممتحنة وهي قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5)﴾

كيف يكون المؤمن فتنة للكافرين ؟ كيف ؟

المؤمن حينما يخطئ ، حينما يقصر ، حينما يرتكب مخالفة يعطي الكافر حجة على أن الدين باطل ، المؤمن إذا قصر في واجبه أو إذا أخذ ما ليس له ، أو أنحرف عن منهج الله ، يعطي الكافر حجة على أن الدين باطل ، وعلى أن الدين لا يربي الإنسان تربية صحيحة وعلى أن المسلم ليس مستقيماً ، إذا كان الرجل كافر ورأى مسلماً ينحرف ، يأخذ ما ليس له ، يرتاح الكافر ، معنى ذلك أنني على حق ومعي الحق ألا أكون مع المؤمنين ، يعني أنت فضلاً عن أنك عصيت الله لا سمح الله ، وانحرفت وقصرت في أداء الحقوق، أعنت الكافر على أن يبقى كافراً.

يعني الكافر إذا رأى مؤمن مستقيم ، رأى مؤمن صاحب حق رأى مؤمن عفيف ، رأى مؤمن ورع ، يحاصر نفسياً ، أنا مقصر هذا الإنسان الكامل ، أنا منحرف ، أما إذا رأى الكافر إنسان مؤمن منحرف يبقى على كفره، يعتز بكفره ، يرفض أن يكون مع المؤمنين ، لأن هذا النموذج لا يعجبه ، القضية خطيرة جداً المسلم حينما ينحرف يعطى الكافر حجة على أن يبقى كافراً ، وعلى أن يعتز بكفره ، وعلى أن يزداد كفره ، فأنت حينما تقصر ليت الأمر ينتهي عند التقصير أنت محسوب على المسلمين ، أنت محسوب على المؤمنين ، فكل أخطائك تحسب على مجموع الدين ، أنت لاحظ كافر ، كافر رأى مؤمن يأخذ ما ليس له أو يكذب ما بقلك فلان يكذب ، الإسلام يكذب، يلغي أسم المسلم وينسب هذا الخطأ للإسلام ، الإسلام لا يربي أتباعه تربية صحيحة ، الإسلام دين غير صحيح ، غير واقعي ، فأنت حينما تخطئ تعطي الكافر حجة على أن يبقى كافراً ، وعلى أن يستمر كافراً ، وعلى أن يعتز بكفره ، وعلى أن يحتقر المؤمنين.

لي كلمة سأقولها بس أعزوني ، إلا لم تتفوق في دنياك ، ولم تكن منضبطاً لا يحترم دينك ، أبداً ، لا يحترم دينك ، تفوق باختصاصك ، في حرفتك ، في مهنتك ، كن صادقاً أميناً ، احترامك ينسحب على دينك ، هذا الإسلام.

يعني حدثني أخ كريم هو مهندس ، رجل من أهل اليسار الغنى أراد أن يبني مسجد ، ففي منطقة أختارها ، منطقة يعنها سلفاً ، بحث عن محاضر تناسب مسجد وجد محضر ، صاحب المحضر آذن مدرسة ورث هذه الأرض من أشهر ، دخله ثلاثة آلاف ليرة ، عنده خمس أولاد ، فهذا الرجل الغني غني كبير ، فاوضه على السعر أستقر على ثلاثة ونصف مليون ، اتفقوا ، قرءوا الفاتحة ، عمل له شيك بـ 2 مليون قال له الباقي بعد التنازل ، قال له: وين التنازل ؟ قال له: بالأوقاف ، ليش الأوقاف ؟ قال له: هي مسجد ، قال له: مسجد هات شيك أخذه مزقه ، قال له: أنا أولى منك أن أقدمها للأوقاف ، يقول هذا الرجل الغني بحياتي ما شعرت حالي صغير إلى درجة غير معقولة أمام الإنسان ، ثلاثة آلاف بالشهر ، عند خمس أولاد ، لا يملك من الدنيا إلا هذا المحضر ، أبت نفسه أن يسبقه إلى الجنة غيره ، قال له أنا بقدم محضر.

فأنت باستقامتك ، بتعففك ، بصدقك ، بأمانتك ، تحبب الناس بالدين ، ولما الإنسان يكذب ، أو ينحرف ، أو يحتال ، يعطي الكافر حجة ، أنه خليك كافر ، الإسلام غلط ، خليك كافر ، الإسلام زعبرة خليك كافر ، الإسلام تلبسة، ما في شي.

قال عليه الصلاة والسلام: أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك.

كل واحد منكم سفير الإسلام ، محاسب على حركاته سكناته كلماته ، وذهابه ، وإيابه ، وأخذه ، وعطائه ، وسلطه ، ومنعه وغضبه ، ورضاه.

فأنت مظنة صلاح ، باستقامتك تحبب الناس بالإيمان وبتقصيرك تنفرهم من الإيمان.

فلذلك:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

هذا المعنى. في معنى ثاني:

المعنى الثاني: المسلم حينما ينحرف ، حينما يأخذ ما ليس له حينما يقصر ، صار يستحق العلاج ، الله يسلمه لكافر يعالجه ، الكافر ينفتن فيه ، يتمنى يهينه ، يتمنى يضيق عليه ، يتمنى يصغر شأنه يتمنى يطعن فيه ، لأنه استحق العلاج من الله عز وجل ، بالتقصير تستحق العلاج من الله عز وجل.

﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا ﴾

(سورة النساء: 144)

نحن حينما نقصر جعلنا لله علينا سلطاناً مبيناً ، سلطان التربية سيربينا عن طريق من يربينا ؟ عن طريق الكافر ، فصار في مشكلتين مشكلة أن الكافر سيصل إلينا.

قال تعالى:

﴿ ولن يجعل الله﴾

(سورة النساء: 141)

لو تفيد تأبيد النفي.

﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾

(سورة النساء: 141)

ما دمت مؤمناً لم يسمح لغير المؤمن أن يصل إليك ، أما إذا قصرت أخذت ما ليس لك ، سيسمح للكافر أن ينتصر عليك ، ويضيق عليك ، ويعمل لك مشكلة ، فأنت فتنته ، بمعصيتك فتنته بمعصيتك أغريته أن يبقى كافراً ، فهذه آية خطيرة جداً.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

ما أكون سبب يا ربي بكفر كافر ، كم إنسان بجامع ترك المسجد لأن واحد أساء له ، ولحق الانحراف ، وترك الصلاة ، ومارس الشهوات المنحرفة ، لأن واحد أساء له ، هذا الدين ؟ إذاً الدين باطل فأنت لا تكون سبب لخروج إنسان عن دين الله .

في آخر الزمان ، في عهد النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ﴾

(سورة النصر: 1. 2)

سيأتي على الناس زمان يخرج الناس من دين الناس أفواجا من المعاملة السيئة ، قال لي واحد أول صف بصلي ، ساكن ببيت ثمنه سبع ملايين ، خلصه من صاحبته بسبعمائة ألف ، بأساليب منوعة ومطولة ، أنا أقول لواحد يأكل المال الحرام ضع صلاتك ، وصومك وحجك في الحاوية.

إذا امرأة تكثر من صدقتها وصلاتها ، وصيامها ، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال: هي في النار.

وترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام.

فأنت باستقامتك ، وبعفتك ، وبأمانتك ، وبصدقك ، تجذب الناس إلى الدين وكذبة واحدة ، احتيال واحد ، انحراف واحد ، دجل واحد كسب مال حرام واحد يصرفهم عن الدين.

بالمناسبة: ودققوا في هذه الكلمة مائة تصرف ذكي ، ومخلص وحكيم بشد الناس لشيء ، مائة تصرف متلاحقة فيها ذكاء ، وفيها حكمة ، وفيها إخلاص ، تصرف واحد فيه خيانة ، وفي كذب واحد ينفر مائة إنسان من الدين.

قال العلماء: حال إنسانٍ مستقيم أنفع من ألف رجل يتكلم بالدين حال واحد مستقيم وهو ساكت أنفع من ألف رجل يتكلم بالدين ، ليش نحنا مليار ومائتين مليون مالنا شأن بالعالم ؟ ليش !! وين وعد الله عز وجل.

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾

(سورة النور: 55)

وين الاستخلاف ؟ ما في استخلاف ، وين التمكين.

﴿ وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾

أين التمكين ؟ وين التطمين ؟

﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾

لا استخلاف ، ولاتطمين ، ولا تمكين.

لأنه:

﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾

(سورة مريم: 59)

فهذه نقطة دقيقة ، لا تخلي كافر يتمسك بكفره بسببك ، بقلك هذا إسلام ؟ هذا مو إسلام ، لا تخلي كافر يتشبث بكفره لانحراف مسلم الإنسان يجب أن يكون كماله صارخاً ، بتلاقي احتيال ، وكذب وتدليس ، ودجل، وغش ، ونحنا الصلاة نحافظ عليها ، الصلاة على العين والرأس ، الدين يا أخوان بأماكن عملكم مو بالجامع ، بالجامع تتلقوا معلومات وتنفذوها بأماكن عملكم ، إذا اعتبرت مجيئك للجامع هو الدين ، لا ، المجيء لا يقدم ولا يؤخر.

في واحد طلب قميص النبي عليه الصلاة والسلام بالسيرة ورد أنه ألبسه قميصه بيديه قبل أن يموت ، فلما مات قال عليه الصلاة والسلام: الآن استقر في جهنم حجر ، كان يهوي به سبعين خريفاً.

هذه المشكلة ، مشكلة أنت محاسب على حركاتك ، وسكناتك لأنك محسوب على المسلمين ، الإنسان ماله زي ديني نصف مصيبة أما له زي ديني معناها محاسب حساب أشد ، لأنه مظنة صلاح ، قال لي واحد بالأسواق واقف شخص يعمل في الحقل الديني في مسجد تمر إنسانة سائحة بثياب فاضحة ، قال لي ما قام

عينه منها لحتى ما عادت بينت ، طيب الناس يلي حولك ، بيطلعوا فيك وين الورع ؟ معناها مصلحة صفيت هي مصلحة ، كار صفي.

فلذلك: أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك ابن عمر دينك دينك إنه لحمك ودمك ، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذي مالوا.

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-3) : تفسير الآية 10 ، وعي المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآية العاشرة من سورة الممتحنة ، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآَتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10)﴾

المسلمون أيها الأخوة: أحياناً يأتيهم رجل يقول أنا أسلمت كنت غير مسلم والآن أسلمت ، يفرحوا المسلمون فرحاً شديداً ، ولا يخطر ببال أحدهم أن يسأله ما الذي أعجبك بإسلامنا ؟ لماذا أسلمت ؟ تجده يرتبك ، معنى ذلك أن هناك شك في صحة إسلامه ، فأحياناً يسلم ليتزوج امرأةً يحبها مسلمة.

وأحياناً يسلم ليكون عيناً لقومه علينا.

فربنا عز وجل علمنا ، أنه إذا ادع أحدهم الإيمان ، أو الإسلام ينبغي أن تمتحنه ، وفي معظم الأحيان يرسب، قد يكون دافع إسلامه المادة ، وقد يكون دافع إسلامه زوجة ، وقد يكون دافع إسلامه التجسس أما هذه البساطة والسذاجة التي يؤخذ بها المسلمون.

رجل أعلن إسلامه بفرنسا ، وملئ الدنيا ضجةً إعلامية ، ثم قرأت مقالةً في مجلة محترمة جداً أنه صرح ويقول: أنا لا أصلي ولا أصوم ، صلاتي تأمل وصيامي ترك المنكرات ، وأن علماء المسلمين جهلة ، وأن السنة لا جدوى منها وأنني أشرب الخمر ، ولا زلت على ديني السابق ، طيب أين هذه الضجة ، ما في جامعة ما دعته الجامعات الإسلامية دعته لإلقاء محاضرات ، ألفت الكتب فرحنا فرحاً شديداً ، هذه سذاجة أيها الأخوة ، الله قال:

﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾

صرح بلسانه أنه لا يصلي ، ولا يصوم ، والحج ليس قانعاً به وأن العلماء المسلمين جهلة ، وأن السنة لا حاجة إليها ، وأنه لا زال على عقيدته السابقة ، أي إسلامٍ هذا ؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾

يجب أن تمتحن ، الإيمان قضية مصيرية ، لكن:

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾

الجهة التي تعرف الحقيقة المطلقة هي الله عز وجل ، أنا لي الظاهر ، لي الدلائل ، نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

أما لو سألت إنسان ليس مسلماً دخل في دين الإسلام ، هذا الذي يترك دينه ليدخل في دين جديد ، هناك مشوغات ، ومبررات ، وأسباب وجيهة جداً حملته على الدخول في هذا الدين ، إن لم يذكر لك ولا واحدة منها ، يجب أن تشك في إعلانه أنه أسلم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾

هون بقى:

المسلم ممكن يتزوج كتابيه لأنه المسيطر ، ولأنه القوام.

﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾

(سورة النساء: 34)

ولأنه ضمانة لها ، يعطيها حقوقها ، أما العكس غير صحيح لو أن مسلمة تحت كافر ، الكافر قد يجبرها على معصية ، قد يجبرها أن تبدو أمام الرجال هكذا قد يجبرها أن تشرب الخمر ، قد يجبرها أن تكفر معه. لذلك لا يجوز أبداً أن تكون مؤمنة تحت كافر.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾

المرأة بنيتها تابعة ، ليست قائدة ، مقوده ، ليست لها الكلمة الأولى ، لها الكلمة الثانية ، فإذا كانت تحت كافر، الكافر قد يجبرها على معصية ، وقد يهينها وقد يحتقر دينها ، وقد يحملها على ما لا يرضي الله عز وجل.

﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾

أبداً ، حينما يختلف الدين ، ويكون الزوج كافراً فالزواج باطل.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام ، أمر أبي العاص أن يطلق ابنته زينب ، وعادت إلى النبي ، فلما أسلم أرجعها إليه ، ليس في ديننا امرأة مؤمنة تحت كافر.

طيب هذا الموضوع ماذا يعنينا ؟ يعنينا أن بعض المسلمين يتسرعون في تزويج بناتهم ، الزوج متفلت ، قد يشرب ، لا يصلي لأنه غني ، لأن له بيت فخم ، لأنه عنده مركبة فاخرة نقبل أن نزوجه ماذا فعلت بفتاة طاهرة مؤمنة يحملها زوجها على معصية الله ، هذا شيء دقيق جداً.

﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾

امرأة كافرة ، عنيدة ، تخرج متبذلة ، لا تحترم دينك أبداً ، هذه لا ينبغي أن تبقيها عندك.

﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾

أرأيت إلى عدل الإسلام ، هذا الكافر الذي دفع مهر امرأة وتزوجها ، ثم آمنت هذه المرأة ، يجب أن نأخذها منه ، لكن هو دفع مهر ، قال من حقه أن يسأل ، و أن نعطيه ما أنفق ، هو كافر ، العدل فوق الجميع.

﴿" ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾

(سورة المائدة: 8)

كافر يعادي المسلمين ، أخذنا منه زوجته لأنه كافر ، ولأنها مؤمنة يجب أن نعطيه ما أنفق عليها ، وهذا هو العدل أن نعطيه ما أنفق عليها.

لذلك أحد الصحابة الكرام في طريق الهجرة ألقي القبض عليه من قبل مشركين قريش ، أرادوا أن يمنعوه ، فعادهم أنهم إذا أطلقوا سراحه لن يقاتلهم وجاء النبي عليه الصلاة والسلام وأخبره بما كان بينه وبينهم من عهد ، فالنبي فرح من مجيئه ، وبعد سنوات عدة كانت هناك غزوة فهذا الصحابي الجليل الذي عاهد الكفار ألا يقاتلهم نسي، وانخرط مع المقاتلين يريد أن يغزو مع رسول الله ، نظر إليه النبي عليه الصلاة والسلام قال أنت ألم تعاهدهم؟ ارجع. لهذا خرج الإسلام إلى مكة المكرمة إلى شتى بقاع الأرض.

سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام أرسل عبد الله بن رواحة ليأخذ من اليهود نصيبه من تمرهم ، كان في معاهدة ثلث التمر للمسلمين ، فأرسل هذا الصحابي الجليل ليقدر حجم الثمار ، وليأخذ ثلث هذه الثمار ، اليهود أرادوا أن يرشوه ليخفض تقدير الثمار ، فقال هذا الصحابي الجليل: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليّ ، ولأنتم أبغض إليّ من القردة والخنازير ، ومع ذلك لن أظلمكم ، ولن أبخسكم حقكم ، فقال اليهود: بهذا قامت السماوات والأرض بالحق ، وبهذا غلبتمونا.

نظام.

إلى يمين النبي عليه الصلاة والسلام يجلس غلام وإلى جنب الغلام صحابي جليل ، فجاءت ضيافة ، فالسنة أن يبدأ بالنبي ثم من على يمينه ، قال يا غلام أتأذن لي أن أعطي الذي يليك قبلك ، قال لا والله لن أذن

لك، نظام ، من حق هذا الطفل الصغير أن يشرب بعد رسول الله ، فالنبي أراد أن يكرم الصحابي الذي إلى جنب الطفل فستأذن الغلام فالطفل ما أذن ، فشرب الغلام بعد رسول الله.

سيدنا أسامة بن زيد عمره سبعة عشرة عاماً عينه النبي قائداً لجيش فيهم أبو بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعلي، فلما تعسر خروج هذا الجيش بسبب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأراد سيدنا الصديق أن يجيشه مرةً ثانية بعد وفاة النبي ، عينه قائداً وسار في ركابه ، أسامة بن زيد يركب الناقة ، والصديق يمشي على الأرض قال: والله يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن ، قال والله لا ركبت ولا نزلت ، وما عليّ أن تغبر قدماي ساعة في سبيل الله ، ولما وصل إلى موقع انطلاق الجيش ، شوف سيدنا الصديق ، شمخ الوقور ، خليفة المسلمين ، يستأذن أسامة بن زيد أن يسمح له بعمر ليبقى إلى جانبه قال يا أسامة: أتأذن لي بعمر ؟ هذا النظام ، بهذا النظام ، وبهذا العدل ، الإسلام انتشر في الخافقين ، ونحن نفهم الإسلام أن نصلي ، أما العدل لا نعمل به ، نفهم أن الإسلام حج وعمره ، نفهم أن الإسلام صلوات ، وشعائر تؤدى شكلياً ، وننسى عهودنا ومواثقنا.

أيها الأخوة:

ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، سيدنا علي فقدت درعه الثمينة ، وجدها عند يهودي، كان أمير المؤمنين ، ما في طريق إلا أن يرفع عليه قضية ، رفع عليه قضية للقاضي ، المسلم شريح ، أمير المؤمنين المدعي ، ويهودي مدعى عليه ، قال: يا أمير المؤمنين أين البينة على أن هذه درعك ، قال: ابني الحسن ، وابني الحسين ، قال شهادة الأولاد لأبيهم ليست مقبولة ، قال الحسن والحسين مبشران بالجنة ، قال غير مقبولة عندي غير مقبولة ، النبي عليه الصلاة والسلام يبشر بالجنة الحسن والحسين ، وعند القاضي النزيه هذه الشهادة لا تسمح لهما أن يشهدا لأبيهما ، فلما نظر اليهودي إلى أمير المؤمنين يقف إلى جانبه ، ويأتي بشاهدين لم يقبل بهما القاضي قال: أشهد أن الإسلام حق ، وأنا أعلن إسلامي.

لماذا نطمع أن يسلم الناس ونحن لا نعاملهم الأعمال الأخلاقية لن تستطيع أن تجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، إلا إذا رأوا الكمال ، الحق الإنصاف لذلك أجمل آية.

﴿" ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ﴾

تقول هذا كافر ، هذا كافر عند الله ، بس هو له حق عندك يجب أن تعطيه حقه الكامل.

﴿ اعدلوا ﴾

أمر إلهي مع هؤلاء الكفار.

﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾

يعني إن عدلتم معهم قربتموهم مني ، وإن عدلتم معهم قربتموهم منكم وهؤلاء عبادي ، فهذه النظرة السخيفة أنه هذا كافر أجرمه ، غشه ، اكذب عليه ، خذ ماله ، أعوذ بالله.

لي رأي آخر: إذا كان الله يعاقب مسلماً على أنه أساء إلى مسلم فإنه يعاقب المسلم ألف مرة إذا أساء لكافر، لماذا ؟ لأنه شوه سمعة المسلمين.

يقول عليه الصلاة والسلام

((أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))

هذا الحديث معروف عندكم ، لكن له معنى عميق جداً ، يعني المسلم لا يسبب سمعة سيئة للمسلمين ، يسلمون المسلمون من لسانه ويده ؛ بمعنى أنه لا يؤذي الكفار ، لا يأخذ أموالهم بالباطل ، عندئذٍ يردون عليه بسب الإسلام ، فالذي ينجو منه المسلمون ، تنجو سمعتهم هو المسلم الحق.

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-5) : تفسير الآيات 4 – 9 ، مولاة المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الرابعة من سورة الممتحنة وهي قوله تعالى:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5)﴾

يعني سيدنا إبراهيم هو القدوة ، والأسوة ، لكل المؤمنين ، في موقفه من الكفار ، والمنحرفين ، موقف البراءة، وكل مؤمن لا يقتدي بإبراهيم عليه والسلام في أنه ينكر على أهل الكفر الضلال ، كفرهم وضلالهم ، أما إذا سايرهم ، رضي عنهم ، أقام معهم علاقة حميمة أثنى عليهم ، على ذكائهم ، على لطفهم وهم كفار ، يأكلون المال الحرام ، وينتهكون أعراض الناس ، هذا الذي يقر الكافر على كفره والمنحرف على انحرافه ، والمنافق على نفاقه ، هذا مثله منافق منحرف.

ما لم تتبرأ من الذين كفروا ، ما لم تجعل إبراهيم عليه السلام قدوة وأسوة لك ، ليس معنى هذا أن تقاتلهم لا أبداً ، معنى هذا ألا تقرهم على عملهم ألا تثني عليهم ، ألا تمدحهم ، ابن عندك ابن صغير وأنت الأب الكريم ، جاء ضيف معروف بفجور ، وانحرافه ، ولا يصلي ، ولا يؤدي زكاة ماله ، ويتهكم على الدين ، أنت لمجرد أن تحترمه ، وأنت تبجله ، وأنت تعظمه أمام ابنك ، ماذا فهم هذا الصغير أنه إنسان عظيم ، إنسان في بيته بار ، يكفي أن تزوره مع أبنك وأن تثني على ذكائه ، وعلى أخلاقه ، وهذا الخمر ؟ !! ضيعت أبنك أنت يعني إذا المؤمن أقر على الكافر كفره ، وعلى العاصي معصيته وعلى الفاجر فجوره ، وعلى المنافق نفاقه ، ضاعت المعالم ، ضاعت معالم الدين ، تداخل الأمر ، يعني المنحرف منحرف ، مالك مكلف تقاتله أبداً ، بس أنت مكلف ألا تقيم معه علاقة حميمة ، ألا تثني عليه ألا تعظمه ، ألا تبجله ، ألا تبالغ في تكريمه ، لا.

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾

أيام بكون صاحب ملهى ، طبعاً له أقرباء ، يزار في العيد ويعظم ، ويبجل ، تقدم له آيات الاحترام ، والتهنئة أمام الصغار ، هذا من أين يكسب ماله ؟ من تهديم أخلاق الناس ، أنت حينما تعظم كافراً حينما تثني على أخلاق منحرف ، حينما تقدر عاصياً ضاعت معالم الدين ، فأنت لك موقف ، هذه المودة ، والابتسامة

والثناء ، والمديح للمؤمنين فقط ، هذا الذي يرضي الناس كلهم هذا منافق معنى ذلك مالك موقف أنت ، مالك هوية ، مالك اتجاه ، مالك مبدأ ، مالك قيم تؤمن بها.

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾

في عندنا استثناء بسيط:

﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4)﴾

الحقيقة آية اليوم هي هذه الآية.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾

أيها المؤمنون:

﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

لقد كان لكم فيهم ، على من تعود ؟ بعد أن قال الله عز وجل:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾

يعني أتباعه ، في موقفهم من الكفار ، موقف التبرئة ، موقف الإنكار موقف التباعد.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾

أيها المؤمنين ، يخاطب الله المؤمنين في عهد النبي ، لقد كان لكم في هؤلاء:

﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ﴾

إن كنت من أهل الآخرة ، إن كنت ممن ترجو رحمة الله إن كنت ترجو رضوان الله ، لا تمحض ودك ، ولطفك ، وابتسامتك ومديحك ، وثنائك إلا للمؤمن الصادق.

أحياناً أب يعلم أن ابنه لا يصلي ، وأن ابنه منحرف ، وأن دخل ابنه من الحرام ، يدخل إلى البيت ويعظم ، ويبجل ، ابني يحمل شهادة عليا ، ابني كذا ابني كذا ، وين دينه صفيان ؟ أين دينه ؟ في قضية ولاء وبراء ، هذه قضية أساسية في الإيمان ، أن توالي المؤمنين وأن تتبرأ من الكفار والمشركين ، لابد من أن توالي ، وأن تتبرأ ، لا أقول تعادي ، لا أقول تقاتل ، موضوع ثاني هذا موضوع ألا تقرهم على ما هم عليه ، ألا تمحضهم مودتك ، ما الذي يحدث الآن ؟ إنسان لا يطبق شيئاً من الدين ، لا يلتزم إطلاقاً ، يقيم عقد قران لابنه ويدعو العلماء بهذا العقد ، جيد ، الغلطة أن هؤلاء الدعاة يقفون ويثنون على هاتين الأسرتين العريقتين ، الطيبتين ، الطاهرتين ، وين ماشي ؟

أقيم عقد قران في أحد الأماكن العامة ، ودعي فيه كبير من علماء دمشق وقام بعض الخطباء وأثنوا على هاتين الأسرتين ، ثناءً لا حدود له ، بعد أيام عدة أقيم العرس بالشيراتون ، جيء بالراقصات ووزع الخمر ، النساء بدون كاسياتٍ عاريات ، جيء بالصحف اللبنانية صورت العرس ، والنساء شبه عرايا ، وين بقى الأسرتين ، العريقتين الدينتين ، الطاهرتين ، وين هي ؟ هذا نوع من الولاء ، أنا لا أتكلم من الهواء ، أنا أتكلم من وقائع.

مرة حضرة عقد قران ، قام الذي ألقى الكلمة أثنى ثناء على الشاب وكأنه صحابي جليل ، حينما خرجت أنا أعرفه من هو ، لا يصلي ، من كبار الزناة ، وين وضعت علمك ؟ ولفتك ؟ وجبتك ؟ وين وضعتها ؟ عما تمدح إنسان فاسق ، هذا كلامي أنا ، ينبغي ألا توالي أهل الكفر ، والفسق ، والعصيان ، اللهم وفق الزوجين لما تحب وترضى ، فقط ، أنت لا تعلم من هما الزوجان ، لا تعلم من هما الزوجان ، بعدين بالبطاقة ، الطيبون للطيبات ، أي طيبين ؟ وأي طيبات ؟ وأي ملتزمين ؟ وأي ملتزمات ؟ صار في دجل ، صار في تزوير ، هذا موقف البراء والولاء ، ابتسامتك ، مودتك ، المصافحة الحارة ، ثنائك ، مديحك للمؤمنين ، المستقيمين ، الطاهرين ، الذين يرجون الله واليوم الآخر ، أما الطرف الآخر مالك مكلف أن تعاديهم ولا أن تقاتلهم ، بس مكلف ألا تقرهم على عملهم وإلا ضاعت معالم الدين ، الأمور ماعت ، وساحت.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾

أيها المؤمنون:

﴿فِيهِمْ﴾

لسيدنا إبراهيم والذين من معه.

﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ﴾

معنى ذلك الذي يوادد الكفار ، يمحضهم وده ، ومحبته ، ويقيم علاقة حميمة ، يثني عليهم ، من هو إذاً ؟ هو ممن يرجو الدنيا واضحة ، ترجو ما عندهم.

من جلس إلى غني وتضعضع له ذهب ثلثا دينه.

صار في عنا شيء غريب ، والنبي عليه الصلاة والسلام تحدث عنه إنسان ما في دين إطلاقاً ، لبق ، ذكي، مرن ، متكيف مع المجتمع ، يعني عنده حصافة ، عنده ذكاء ، عنده حكمة ، وهو لا يصلي ، ولا يتعرف إلى الله إطلاقاً فلما الجيل ينشأ على معرفة هذا الثناء مع هذا الانحراف تضيع معالم الدين.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾

إذا أنت واليت أهل الكفر والعصيان توليت عن الله عز وجل لأنه بصراحة ، نقطتان: وأنت بينهما ، كلما اقتربت من نقطة ابتعدت حكماً عن الثانية ، هون الآخرة ، هون الدار الآخرة ، هون رضوان الله ، رحمة الله، المؤمنين ، الحق ، وهون الكفر ، والضلال والمعصية ، والانحراف ، إذا اقتربت من هذه النقطة ، ابتعدت حكماً عن هذه النقطة ، حكماً كلما اقتربت من هذه ابتعدت حكماً عن هذه وهكذا.

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (6)﴾

لكن لك قريب منحرف ، قد يكون أخوك ، قد يكون عمك ، قد يكون خالك ، طيب القرابة أساسية بالحياة ، لو أنت نصحته ، وداريته والمداراة بذل الدنيا من أجل الدين ، إذا نصحته ، وتلطفت معه ، بنية هدايته.

قال:

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7)﴾

يعني ممكن الإنسان المنحرف ، الشارد ، بموقف منك أخلاقي بنصيحة خالصة ، بتوجيه لطيف ، بمودة بالغة ، تستجلبه ، إذا استجلبته ، وتاب إلى الله عز وجل صار من صفك.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾

دخل عمير بن وهب على النبي الكريم ، جاء ليقتله ، وسقى سيفه سماً يقول سيدنا عمر: دخل عمير على رسول الله والخنزير أحب إليّ منه ، وخرج من عنده وهو أحب إليّ من بعض أولادي.

آمن لأنه ، نحن ما عندنا عداوة دائمة ، ما عندنا عداوة لذات الإنسان ، عداوة لعمله فقط ، فالمؤمن ما عنده حقد ، لكن عنده حكمة هذا الإنسان يلي من طرف آخر لو رجع إلى الله ، وتاب إلى الله ، ما عاد في مشكلةً أبداً.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7)﴾

الموقف الثاني:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾

الآن حالة ثالثة:

لك قريب ما فيه دين بس مقدرك ، ندمان على حاله ، هو ندمان ومقدرك ما هاجمك ، ما استهزئ باتجاهك، ما طعن فيك ، ما سخر منك ، وقف موقف احترام ، هو غير ملتزم إطلاقاً ، لا يصلي ، ولا يلتزم بالدين ، لكن بقدر فيك دينك.

هذا موضوع ثالث:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)﴾

إذا عندك إنسان حيادي ، أنت عامله بلطف حتى تجره لطرفك لو عاملته بقسوة ينضم للطرف الآخر ، الحيادي مهم جداً ، هو لا يقاتلك ، ولا يطعن فيك ولا يستهزئ بك ، ولا يستخف باتجاهك إطلاقاً هذا حيادي، أنت حكمتك الكاملة أن تجلبه إلى صفك.

هذا:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)﴾

إذا أنت توالي كافر ، تتعاون معه على أخوك المؤمن ، هذا إنسان ظالم وهو في أشد حالات الظلم ، وهذا الشيء يطبق على الأفراد ، وعلى الجماعات مو معقول نستعين بدولة عظمة على دولة شقيقة ، مو معقول ، مو معقول نستعين بدولة عظمة كافرة ، على دولة مسلمة نتعاون معها ، هذا أيضاً يدخل في هذا الباب. هذه آيات الولاء والبراء أخونا الكرام ، الولاء والبراء ، إن كنت مؤمناً لابد من أن توالي المؤمنين ، ولابد من أن تتبرأ من الكفار والمشركين ، ليس معنى البراء أن تقاتلهم ، ولا أن تعاديهم ، ولكن ألا تقيم معهم علاقات حميمة ، وألا أن تثني عليهم أبداً.

في إنسان أيام جلسة من دون ما ننتبه ، كل ما جاء ذكر مسلم نطعن فيه ، كذاب ، فلان غير مسلم يا أخي أخلاقي ، يدفع على الوقت ، بس أنت عما تخرب الدين بهذا العمل ، أنت عما تحطم مبادئ الدين ، ما راق لك أن تمدح إلا إنسان غير مسلم ، هو الأمين ، هو الفهيم ، هو الذكي ، هو الأخلاقي ، هو عند وعده ، وهل المسلم كله إساءة ؟ ، هذا الشيطان يتكلم وهو لا يشعر ، كلام الشيطان هذا ، من أجل زعزعة الثقة بالمؤمنين.

مرة كنا بجلسة ، أنه كان في بلد أجنبيي ، نقصه مبلغ بسيط واحدة من وراءه دفعت المبلغ ، شو هالرقي ؟ نحن في عنا ألف حادثة ببلادنا فيها عمل طيب وفيها عمل صالح ، ليش تتعامى عن المواقف الأخلاقية في بلدنا ، ومجتمعنا وتبرز عمل بسيط ، نهبوا ثرواتنا وأخذوا أراضينا ، وعاشوا على أنقاضنا كل عمرنا الأجانب.

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : تفسير الآيتان 12-13 ، لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآيات الأخيرة، الآية الثانية عشرة والثلاثة عشرة من سورة الممتحنة وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12)﴾

مركز الثقل في هذه الآية:

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

لو أن الله عز وجل قال: ولا يعصينك، مطلقاً، بتكون هي معنى آخر يعني إذا أكل النبي أكلت، فأكلت أنت خلافها فقد عصيت النبي، أما:

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

أي لا يعصينك فيما هو شرعي، لذلك رماة أحد الذين عصوا النبي عليه الصلاة والسلام حينما قتلوا صلى عليهم النبي، لماذا ؟ لأنهم عصوه في أمرٍ تنظيم ولم يعصوه في أمرٍ تشريعي.

يعني أنت قال لك الشيخ مثلاً، صلي، غض بصرك، حرر دخلك، أضبط لسانك، يجب أن تطيع الله من خلال كلام الشيخ، لأن هذا ليس كلامه، هو كلام الله، رجل الدين ينقل لك ما في الكتاب والسنة، فقط، الطاعة ليست له هي لله، أما لو أمرك بأمرٍ، مخالف لمنهج الله، لا طاعة لمخلوق في معصية الله، طبعاً لحكمة بالغة أرادها الله عز وجل، أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسل سرية وأمر عليها أنصارياً ذا دعابة، عنده روح المرح، في بعض الطريق أمر بإضرام نارٍ عظيمة، وقال لأفراد سريته اقتحموها، ألست أميركم أليست طاعتي طاعة رسول الله ؟ فأختلف أصحابه، بعضهم قال كيف نقتحمها وقد آمنا بالله فراراً منها ؟ وبعضهم قال نقتحمها لأن طاعة الأمير هي طاعة رسول الله، اختلفوا، فلما عرضوا الأمر على النبي عليه الصلاة والسلام، قال لهم: والله لو اقتحمتموها لا زلتم فيها إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في معروف.

يعني أحياناً الإنسان، الله عز وجل وصف أهل الكتاب قال:

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾

(سورة التوبة: 31)

رجل الدين، يأمرك بما في الكتاب والسنة فقط، والطاعة ليست له إنما هي لله عز وجل.

أحد الخطباء أمام النبي قال ما شاء الله وشئت، فقال عليه الصلاة والسلام: بئس الخطيب أنت، ما شاء الله وحده كان وما لم يئش لم يكن، من أنا حتى جعلتني نداً لله تعالى، ما شاء الله وشئت.

السيدة عائشة حينما نزلت براءتها من فوق سبع سماوات، قالت لها أمها قومي إلى رسول الله فشكريه، قالت والله لا أقوم إلا لله سمع النبي ذلك فقال عرفت الحق لأهله، نحن ليس عندنا في الإسلام رهبان، ولا طبقت رجال دين، عندنا تعبير قرآني.

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾

(سورة يونس: 62 . 63)

إنما الطاعة في معروف، أما إنسان يعطيك أوامر ليست من كتاب الله طلق زوجتك، هكذا، وإلا لست مؤمناً، لا، لا أطلقها إلا بسبب، دع هذا البيت لفلان، لا، بسبب، الأمر التشريعي أنا أطيعه حباً وكرامة، وأطيعه ولو خرج من فم إنسانٍ.

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ))

(رواه البخاري)

أبداً: إنما هي طاعة الله عز وجل، ولكن هناك، يعني رجال يعملون في حقل الدعوة، يعدون أهوائهم هي الأوامر، يعطي أمر وينهى ويحفز ويفعل وكل هذه الأوامر ليست من منهج الله عز وجل إنما الطاعة في معروف، لو أنا النبي أكل هذا الطعام، وأنت أكلت خلافه ما في مشكلة، يجب ألا تعصيه في أمرٍ تشريعي، أما الإنسان له طبيعة خاصة يأكل أكلة ما فيها ملح، أكلة فيها ملح بحب الخضراوات بحب اللحوم بحب المقبلات، له نظام خاص في نومه في حياته، هذه ليست تشريعات، كل إنسان له مزاج خاص، تشريع كن صادقاً، كن أميناً، كن مستقيماً، أدي الصلوات، صوم رمضان حج البيت، غض بصرك، حرر دخلك، هي الأوامر، فلذلك:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

يعني حتى معصية النبي، قيدت بما هو معروف، حتى معصية النبي.

مرة كنت في العمرة، وجلست في أحد الدروس في الحرم النبوي، كان هذا الذي يلقي درساً، قال رجل من شدة حبه للنبي كان يأكل الأكل الذي أكله النبي، النبي كان يحب اليقطين، الدباء، لأن ابنه رفض أن يأكل هذه الأكلة قتله، قتله على الخالص يعني، وأراد هذا الذي يلقي هذا الدرس أن يبن محبة هذا الإنسان للنبي، من قال لك هذه محبة ؟ إذا كان ابن ما حب القطين، ليش القطين أمر تشريعي هذا ليس أمر تشريعي، هذا أمر شخصي، كل واحد له في الطعام ذوق معيناً، هذه سكت عنها، الذي أمر الله به، علينا أن نأخذه والذي نهى عنه، علينا أن ننتهي عنه، والذي سكت عنه الشرع سكت لا عن نسيانٍ لا رحمة بنا، هذا لابس كحلي، وهذا أبيض، وهذا أصفر، وهذا أزرق، هذا في بيته قعدة عربي، هذا كنبات، هذا يأكل على طاولة، هذا على

القاعد، هذه أشياء ماله علاقة فيها، نحن علاقتنا مأمورين ألا نكذب، ألا نخون، أن نصلي، أن نصوم، أن نحج، أن نفعل الخيرات، أن نضبط جوارحنا، أن نضبط أعضائنا هكذا:

﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12)﴾

آخر آية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

أكثر يعني ما أسمع أنه أراد هذه الشاب أن يتزوج فتاة لقضية مزاجية فقط أبوه رفض، وإن تزوجها يغضب عليه، هذا ليس له علاقة بالرضى والغضب، ابن مؤمن أختار شابة مؤمنة، الأب يريدها إنسانة أخرى، يريدها إنسانة من نوع آخر من اتجاه آخر شكل آخر، هذه زوجته وليست زوجتك.

أم سيدنا سعد ابن أبي وقاص، أرادت أن تحمل ابنها على ترك دين الإسلام، فقالت له يا بني: إما أن تكفر بمحمد وإما إن أدع الطعام حتى أموت، فقال يا أمي: لو أن لك مائة نفسٍ، خرجت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئت أو لا تأكلي، ليس كل شيئاً متعلق بالرضى والغضب، لو أن الأب أمرك بمعصية، وقال لك إلا لم تفعل أغضب عليك، ليس له غضب إطلاقاً، أما قال لك أنا بحاجة إلى طعام فلم تأتيه بالطعام، أنت الآن عققته، قال لك بحاجة إلى ثياب، قال لك بحاجة إلى دفئ، بحاجة إلى دواء، بحاجة إلى طبيب، أما قال لك طلق امرأتك، تعنتاً، لأنه أغضبته، أو لأنها لم تكن على مزاجه طاعة النبي بالمعروف مقيدة، طاعة النبي المعصوم مقيدة بالمعروف فمن أنت ؟ النبي الذي قال الله عز وجل لنا:

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾

(سورة الحشر: 7)

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾

(سورة الأحزاب: 21)

هذا النبي المعصوم طاعته مقيدة بمعروف، فكيف إنسان عادي،فلذلك:

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

سمعت بالأخبار أن رجل بتركية، له شيخ، أمره أن يذبح ابنه وذبحه، أحياناً الإنسان يتطرف، يتوهم، يتبرمج، بنغسل دماغه لدرجة أنه الذي يتلقاه من فلان هو الحق، من دون تفكير، العقل لا يعطل أبداً، شوف الآية:

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

ما في طاعة لإنسان، أطيعوني، يعني سيدنا الصديق يضع في جيبه مليون شيخ، في طرف جيبه، قال: أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، يعني راقبوني، أرأيت إلى هذه الموضوعية، أرأيت إلى هذا التواضع، أرأيت إلى هذا الشعور بالمسئولية، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، هل هناك في الأرض إنسان يحب النبي كحب الصديق له فلما مات، قال من كان يعبد محمد . ما قال رسول الله . فإن محمد قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، لئلا يعبد النبي من بعد الله عز وجل، هي آية:

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

أنا لا أطيعه إلا الأمر الإلهي، بالدليل، والتعليل، لذلك أنا بحب من أخوانا الكرام ما يقبل شئ إلا بالدليل، ولا يدع شيء إلا بالدليل، أما أمر مزاجي، أمر عاطفي، أمر شخصي، أمر أساسه هوى، ما في.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

والله لو اقتحمتموها لا زلتم فيها إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في معروف، إذا كانت طاعة النبي وهو سيد الخلق وحبيب الحق وهو المعصوم الذي يوحى إليه مقيدة بالمعروف، خلص هذا هو ديننا، دينا دين أمر ونهي، دينا دين دليل، دينا دين تعليل، دينا دين منهج قويم مو دينا مزاجي شخصي لا في منامات، ولا في أحوال، ولا في خرافات ولا في سحبات، ولا في كرمات، نحنا في عنا كتاب في أمر وعنا سنة مبينة بالكتاب، هذا الذي ينبغي أن نأتمر به، وهذا الذي ينجبنا من عذاب الله عز وجل وإلا في تطرفات كثيرة جداً، كبيرة جداً.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (13)﴾

الإنسان ولاءه للمؤمنين، أما إنسان غضب الله عليه، لا ينبغي أن تواليه ولا أن تصافيه، ولا أن تجاريه، ولا أن تجالسه وهذه علامة الإيمان أن توالي المؤمنين، وأن تتبرأ من الكفار والمنافقين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : تفسير سورة الصف

الدرس (4-1) : تفسير الآيتان 2-3 ، العبرة في الأفعال لا في الأقوال

الدرس (4-2) : تفسير الآية 5 ، الإنسان مخير

الدرس (4-3) : تفسير الايات 10-12 ، الربح مع الله

الدرس (4-4) : تفسير الآية 9 ، نصر دين الله

الدرس (1-4) : تفسير الآيتان 2-3 ، العبرة في الأفعال لا في الأقوال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الثانية من سورة الصف ، وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3)﴾

الإنسان إن لم يؤمن ، مشكلته الأولى أن يؤمن ، فإذا آمن ، ما هي المشكلة الأولى ؟ أن يفعل مالا يقول ، أو أن يقول مالا يفعل يعني هذه المسافة بين أقواله وأفعاله ، هذه الازدواجية ، وهذه مصيبة المصائب ، بين أن تقول ما تفعل ، وبين أن تقول قولاً لا تفعله مسافة كبيرة جداً.

لذلك قالوا: ألف قول في رجل ، لا يساوي حال رجل في ألف رجل ، يعني رجل يفعل ما يقول ، له تأثير بألف إنسان ، بينما ألف إنسان يقولون مالا يفعلون لا يؤثرون بواحد ، الألف من الذين يقولون مالا يفعلون ، لا يؤثرون بواحد ، وواحد ممن يقول ويفعل ، يؤثر في ألف ، ألف مقال في رجل أقل من حال واحد في ألف، قبل أن نعرف الله ، المشكلة الأولى أن نعرفه ، بعد أن عرفناه ، المشكلة الأولى أن نقول مالا نفعل ، وهذه مصيبة المصائب ، وهذه آفة بني إسرائيل.

﴿ قالوا سمعنا وعصينا ﴾

(سورة البقرة: 93)

سمعنا وعصينا ، فكل مجتمع المؤمنين ، معرض إلى هذا المنزلق الخطر ، الحديث بالدين سهل ، بالعكس في وجاهة ، أجلس في مجالس الناس ، كل واحد يتحدث عن القيم الأخلاقية ، وعن الوطنية وعن الأخلاق ، وعن الاستقامة ، إذا دخلت إلى معترك الحياة ، إلى الأسواق ، في البيع والشراء ، في اقتسام الميراث ، تجد كل الذي سمعته من الناس ، هم في واد وأفعالهم في واد ، لذلك هذا المجتمع الذي يصل عدده إلى مليار ومائتين مليون ، ليس له عند الله وزن بعوضة.

﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾

(سورة الكهف: 105)

للكافرين عليهم ألف سبيلٍ وسبيل ، ألف سبيلٍ وسبيل ، مع أن الله عز وجل يقول:

﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾

(سورة النساء: 141)

تعود المسلمون أن يسمعوا كلاماً طيباً ، أما إذا دخلوا إلى الواقع ، لا يجدون وفاء ، ولا ذمة ، ولا استقامة ، ولا صدقاً ، وأمانة تعودنا أن نستهلك الكلام استهلاكاً ، فالأب يلقي على ابنه محاضرة في الصدق ، يقرع الباب بعد عشر دقائق ، قل لهم مو هون يا بني ، انتهى الدين كله انتهى بهذه الكلمة ، أنت هل تدري ماذا فعلت ؟ أنت الآن بحق أبنك مجرم ، لأن علمته وأنت أبوه ، بأن الكذب شيء طبيعي جداً.

فإذا الإنسان ألقى موعظة بالصدق ولم يكن صادقاً ، ألقى موعظة بالأمانة ولم يكن أميناً ، ألقى موعظة بالرحمة ولم يكن رحيماً ألقى موعظة بالحكمة ولم يكن حكيماً ، ساوه شرح بالإسلام ، صار في كلام للاستهلاك ، يلقى من على المنابر ، في الدروس ، كلام سهل كلام سهل جداً ، ما في عليه ضرائب ، تكلم ساعة ، بلاش ، ساعتين ثلاثة للساعة الواحدة بالليل ، بلاش ، أما مثل ما قال أحد الأدباء ، إن معظم الناس يستطيعون الحديث عن المثل العلية ، ولكنهم لا يعيشونها لذلك كانت حياة الأنبياء إعجازاً ، من هو النبي ؟ هو رجل ، ما تكلم كلمة إلا وفعلها أبداً.

كنت أقول سابقاً ، لو أن المسلمين الذين عاصروا النبي عليه الصلاة والسلام ، فهموا الإسلام كم نفهمه نحن اليوم ، والله الذي لا إله إلا هو ، ما خرج الإسلام من مكة المكرمة ، كيف وصل الإسلام إلى أطراف الدنيا، إلى الصين ، إلى فينا ، إلى أسبانيا ، وصل بالاستقامة بالأمانة ، بالصدق ، بالعفاف ، لذلك الآن مشكلتنا، علم في ، أدخل إلى معرض الكتب ، الإقبال على الكتب الدينية منقطع النظير ، بدك تفاسير مائة تفسير في، وكل تفسير ثلاثين جزء، بدك كتب حديث أرقى كتب الحديث ، تريد كتب حديث ، في على الكمبيوتر أحاديث ، بسؤال بسيط تأخذ بحث ، يقرأ لك الكمبيوتر ثلاثة وستين حديث بأربع ثواني ، قل له بدي حديث فيه كلمة محمد ، أمور ميسرة جداً ، الحديث ، التفسير العقائد ، الفقه ، المذاهب كلها ، الفقه المقارن ، يعني في مكتبات ، في كتب إسلامية ، يفوق حد الحصر ، ومع ذلك لا تجد إسلاماً.

أما في عهد سيدنا عمر ، رأى راعي ، قال له بعني هذه الشاة وخذ ثمنها ، راعي ، قال له هذه ليست لي ، قال: قل لصاحبها مات قال له: والله ليست لي ، قال: قل له أكلها الذئب وخذ ثمنها ، قال: والله إنني لفي أشد الحاجة لثمنها ، ولو قلت لصاحبها مات أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادق أمين ولكن أين الله؟.

يعني هذا الراعي لا معه دكتوراه في الشرعية ، لا معه اختصاص ، ماله بقدم أطروحة معينة ، لا له منصب بالكلية ، هذا الراعي البسيط وضع يده على حقيقة الدين ، تألق ، بجي إنسان يحمل شهادات ، وعنده كتب ، وعنده مكتبة ضخمة ، حينما لا يطبق تعاليم الدين ، يسقط من عين الله ، فالمحك هو التطبيق ، لا تعبئ بكلام الناس إطلاقاً ، كلام الإنسان يهدر ، والكلام سهل ، والكلام ليس عليه ضرائب ، وكل إنسان يعني

يكسب مكانته من حديثه ، ومن قيمه ولكن أنظر إليه في بيته ، في عمله ، في بيعه ، في شرائه ، في غض بصره ، في ضبط لسانه ، في الرحمة التي في قلبه ، هذا الذي يرقى عند الله عز وجل.

إنسان كلما أذن المؤذن كان في الصف الأول ، يسكن بيت ثمنه سبعة ملايين ، تملكه امرأة من تركية ، استطاع أن يخلصها إياه بسبعمائة ألف ، بالعشر ، بأساليب ذكية جداً ، ما قيمة هذه الصلوات يعني أنا أحياناً ، أضطر إلى أن أقول ، هذا الذي يأكل المال الحرام هذا الذي يكذب ، هذا الذي يحتال ، بإمكانه أن يضع صلاته وعباداته في الحاوية ، وهي عند الله ليست مقبولة ، بأنك إذا حججت بمال حرام نادك منادي في السماء أن لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك فنحن لا نتحاج إلى كثرة مقصرة ، بدنا قلة مطبقة ، لا نحتاج إلى كثرة كثيرة ، لن تغلب أمتي من أثني عشرة ألف من قلة ، نحن نريد أن نكون عند الله مقبولين عند الله عز وجل ، لا نقبل إلا بالعمل ، فالواحد يحاسب نفسه حساب عسير ، موضع الصدق ، موضع الأمانة ، موضع الاستقامة ، موضع الضبط ، موضع غض البصر ، موضع العفة هذه ، مثل أضربه دائماً: شوف واحد قال لك ألف مليون ، لفظها سهل ، أن تملكها ، كم هي المسافة بين أن تلفظها وبين أن تملكها ؟ مسافة كبيرة كثير بإمكان أي فقير بالعالم أن ينطق بألف مليون ، أما الذي يملكها ، طبعاً بحبوحة كبيرة جداً، ما في عنده مشكلة مالية أساساً ، لو أن أسعار البيوت أرتفع يشتري أكبر بيت ، ولو أسعار المركبات أرتفع يشتري أغلى مركبة ، لأنه يملكها ، الآن المسلمون ينطقون يلفظون بكلمات الحق ، ولا يعيشونها ، لذلك أحد الأدباء قال: إن معظم الناس يستطيعوا أن يتحدث عن القيم الأخلاقية ، ولكنه لا يعيشها ، لذلك كانت حياة الأنبياء معجزات ، ونبي واحد أهدى للبشرية من آلاف الكتاب الذي ملئوا بالفضائل والحكم بطون المجلدات ، مثل أضعه بين أيديكم.

شاعر كالمتنبي قال:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملئ جفون عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم
الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فارس ، شجاع ، شاعر ، حكيم ، في طريقة من البصرة إلى حلب ، هاجمه قاطع طريق ، فولى هارباً ، قال له غلامه ألست القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال له قتلتني قتلك الله ، وقتل ، يعني أستح من غلامه قام رجع قاتل قتلوه.

فالكلام سهل ، لك أن تقول ما تشاء ، لك أن تدعي ما تشاء لك أن تضع نفسك بأكبر حجم ، لكن الله متكفلٌ أن يعيدك إلى حجمك الحقيقي ، أنا ما بأكل قرش حرام ، لأنه عرض عليه خمسة آلاف ، أما إذا كان مليون، بختلف الوضع ، يقلك أنا عندي أولاد شو بدي ساوي أختلف الوضع كلياً ، فربنا عز وجل متكفل أن يضعك في حجمك الحقيقي ، قل ما تشاء ، اجعل لك حجم كبيراً ، الله يخلق ظرف دقيق جداً يحجمك ، تعود إلى حجمك الحقيقي ، فالإنسان يجهد في تطبيق العلم يجهد أن يكون عند الله مرضياً ، يجهد أن يبتغي الرفعة عند الله والله عز وجل يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾

معاتباً ، أنتم آمنتم بي وعرفتموني ، يا من عرفتموني.

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3)﴾

يعني هو ، الله عز وجل كيف يمقتاً ؟ أو لماذا يمقتاً ؟ إذا رآنا في طريق شقائنا.

يعني أوضح مثل ، لما الابن يقول لأبوه أنا بدي أخذ دكتوراه طيب ولا يدرس إطلاقاً ، طول النهار مع رفاقه، مع أصدقائه ، نوم وأكل ، يتألم الأب ، لأن الكلام طيب ، وأما الفعل سيئ ، معنى ذلك أن هذا الشاب يمشي في طريق الهاوية ، يمشي في طريق الانحراف يمشي في طريق الفقر ، برحمة الأب يتألم من ابنه الذي يدعي شيء ويفعل شيء آخر.

﴿كَبُرَ مَقْتاً﴾

يعني أشد حالات المقت ، التي يمقت الله بها الإنسان ، أن يقول مالا يفعل ، كان أصحاب رسول الله ، يقرؤون عشر آيات ويطبقونها ، فإذا طبقوها انتقلوا إلى عشر آيات أخرى.

مرة أحد أخوانا الدعاة له والد عالم جليل ، كان يحمل حاجة بيده ، ويقضي بعض الأعمال التي ، يعني في من يفعلها محله ، فعاتبه وقال له يا أبت أنت تعمل شيئاً لا يليق بك ، قال له أتريدنا أن أخالف سنة رسول الله ، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام: برء من الكبر من حمل حاجته بيده ، وبرء من البخل من أدى زكاة ماله ، وبرء من النفاق من أكثر من ذكر الله عز وجل ، فنحنا إذا بدكم نحتل عند الله مكانة مرموقة ، أنا لست عند كلام الحكيم الكلام سهل ، ولكن عند همه وهمته ، فالإنسان يجهد نفسه ، أن يكون في مستوى كلامه.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام ، واحد أثناء الهجرة عاهد كفار قريش إن أطلقوا ألا يقاتلهم ، وانضم إلى النبي وفرح به النبي وبعد سنوات عدة ، في غزوة رآه يشارك في الغزوة ، قال له إلى أين قال معك أغزو ، قال له ألم تعاهدهم ألا تقاتلهم ، أرجع.

كن دقيقاً في تعاملك ، حتى يرض الله عنا ، نحنا شو مشكلتنا مع الله عز وجل.

هان أمر الله علينا فهنا على الله ، يعني شذاذ الآفاق ، يكيدون لنا ، قلة قليلة من أعدائنا يتحدون أمة كبيرة ، لأنه ضعفنا ، لأن الحق بين حقين لا تكون ، لأن الحق لا يتعدد ، والمعركة بين حق وباطل لا تطول ، لأن الله مع الحق ، أما بين باطلين لا تنتهي ، فحن الآن مشكلتنا لا بالعلم ، بالتطبيق ، كل إنسان يحاسب نفسه حساب عسير إذا حاسب نفسه حساباً عسيراً كان حسابه يوم القيامة يسير.

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرض عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : تفسير الآية 5 ، الإنسان مخير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآية الخامسة من سورة الصف وهي قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5)﴾

أولاً: تروي بعض التفاسير، التي أخذت عن بني إسرائيل قصص الأنبياء، أن قوم موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام بلغهم أن به عاهة في مكان خفي من جسمه، فحينما كان يسبح أخذ ثيابه، فلما خرج يبحث عن ثيابه، أرادوا أن ينظروا إلى عورته، هذه قصة ما أنزل الله به من سلطان، الأنبياء فوق ذلك، أكبر خطأ أن بعض المفسرين، أخذوا من كتب بني إسرائيل، عن قصص الأنبياء والمرسلين، الأنبياء صفوة الله من خلقه، قمم البشرية.

﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾

(سورة آل عمران: 33)

سيدنا داوود عنده تسع وتسعون نعجة، يعني زوجة، هكذا ورد في كتب بني إسرائيل، أحب زوجة قائد عنده، فأرسله في معركة خطيرة، وقال قدموه قدموه، هل يقبل هذا عن نبي ؟ من أجل أن يقتل فيتزوج زوجته، ليجعل من زوجاته مائة.

هذه القصة ما أنزل الله به من سلطان، القصة لها منح آخر يؤكد محبته لله عز وجل.

سيدنا سليمان، قطع رؤوس الخيل، لأنها شغلته عن صلاة العصر، طفق مسح بالسوق والأعناق، مع أن الذين يرعون الخيل إذا أجهدوها يمسحوا لها سوقها وأعناقها، تخفيفاً لمتاعبها، فنحن يجب أن نعتقد أن الأنبياء، يعني نخبة البشرية، قمم البشرية، بل إن في التوراة قصص عن الأنبياء ما أنزل الله بها من سلطان يشربون الخمر ويزنون ببناتهم، هذا ما في التوراة، طبعاً ليس التوراة الذي أنزلها الله على موسى، في التوراة التي أضيف إليها ما أضيف، من عقول و أخليت الكهان ورجال الدين، على كل:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾

هل هناك قرينة تبين ما هو الأذى ؟ أنت حينما تكذب النبي تؤذيه أشد الأذى، حينما لا تستجيب لدعوته تؤذيه أشد الأذى، حينما تقوي المشككين في النبوة تؤذيه أشد الأذى، يعني إذا أرسل الله نبياً إذا تمنى ألق الشيطان في أمنيته، الشيطان يلقي في أمنيته هو، أن يضل الناس، بينما النبي يتمنى هداية الخلق، هذه المعاني تليق بالأنبياء الكمل، اصطفاهم الله على علم، جعلهم أسوة وقدوة للبشرية أما كلما تمنى شيئاً، جاء الشيطان ودخل إلى نفس النبي، فألق فيه شيئاً آخر، طيب ما ميزة النبي إذاً ؟ إذا كان من الممكن للشيطان أن يدخل إلى النبي ويلقي فيه ما يشاء، نحن من نحن إذاً ؟ إلا إذا تنمى النبي هداية قومه ألقى الشيطان في أمنيته هو، أن يضل الناس.

لذلك الأنبياء أشد أنواع الأذى الذي يتلقونه من الناس التكذيب التكذيب، وعدم الاستجابة، وعدم الإيمان برسالتهم.

لذلك الآية الكريمة:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾

يعني لما لم تؤمنوا برسالتي ؟ لما لو تؤمنوا بنبوتي ؟ لما لم تستجيبوا لي لما لم تستجيبوا على أمر الله ؟ هذا هو الأذى الذي يليق بالنبي عليه الصلاة والسلام.

أدق ما في هذه الآية.

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

هناك زيغ اختياري، وهناك إزاغة جزائية، وهذه الآية تحل آلاف المشكلات العقدية عند المسلم، حيثما عزي الإضلال إلى الله في القرآن كله، حيثما عزي الإضلال إلى الله في القرآن كله، فهو الإضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري، الإضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري، وهذه الآية هي الشاهد.

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا﴾

هم باختيارهم:

﴿ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

أوضح لكم هذا بمثل: طالب في الجامعة، لم يداوم إطلاقاً ولا ساعة، ولم يقدم الامتحان، ولم يشتري الكتب، ولم يلتقي بالمدريسين ولم يفعل شيئاً واحداً يؤكد أنه طالب، جاءه إنذار من إدارة الجامعة بضرورة الدوام، إنذار آخر بضرورة أداء الامتحان، إنذار ثالث، لم يستجب لكل هذه الإنذارات، الآن صدر قرار بترقيم قيده،

هذه القرار التي أصدرته إدارة الجامعة، بترقيم قيد هذا الطالب هو قرار جزائي مبني على رفض الطالب الاختياري لهذه الجامعة.

حيثما عزي الإضلال إلى الله في القرآن الكريم، فهو الإضلال الجزائي المبني على ضلال اختياري.

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

طيب هم لماذا أزاغوا ؟ فلما زاغوا، قال:

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5)﴾

هم فسقوا، فلما فسقوا حجبوا عن الله عز وجل، فلما حجبوا أزاغ الله قلوبهم، صرفها إلى الدنيا.

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾

(سورة الأنعام: 44)

لذلك لا يعقل أن يضل الله الناس وقد خلقهم للهدى، والدليل:

﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ﴾

(سورة النساء: 27)

﴿ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾

(سورة هود: 119)

خلقهم ليرحمهم، خلقهم ليسعدهم، خلقهم ليهديهم، خلقهم إلى الجنة، أما أن يعزى الإضلال إلى الله عز وجل، ابتداءً هذا لا يجوز ولا يتناسب مع كمال الله عز وجل، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول والشر ليس إليك يارب.

الشر ليس من عندك، الشر من عند مخلوق، أعطيته حرية الاختيار، ورسمت له منهجاً يسير عليه، فلم يلتزم بهذا المنهج، وقع منه الشر، الشر ليس إليك، فلذلك النقطة الدقيقة: هو أن الإنسان حينما يعزو معصيته وضلاله إلى الله يقع في بهتانٍ كبير.

جيء برجل يشرب الخمر، إلى سيدنا عمر رضي الله عنه فقال رضي الله عنه: أقيموا عليه الحد، قال: والله يا أمير المؤمنين إن الله قدر عليّ ذلك، مو من عندي، أكثر العوام يقول: بشغل سيدك يرتكب كل الموبقات، بقلك: شغله ترتيبه، ما بيدنا شي، كاسات معدودة، بأماكن محدودة، لا تعترض بتنطرد، هذا كلام الجهلاء قال له: والله يا أمير المؤمنين، إن الله قدر عليّ ذلك، فقال رضي الله عنه: أقيموا عليه الحد مرتين، مرةً لأنك

شربت الخمر، ومرةً لأنك افتريت على الله، قال: ويحك يا هذا، إن قضاء الله لن يخرجك من الاختيار، إلى الاضطرار، أنت مخير، وهذا الذي تفعله محض اختيارك، لا تنسبه إلى الله عز وجل.

لذلك الآية الفاصلة بهذا الموضوع:

﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾

(سورة الأنعام: 148)

هذه الآية أصل في نفي الجبر.

الآن في عندنا قاعدة أصولية دقيقة، الآيات المتشابهات، مهما كثرت تحمل على الآيات المحكمات مهما قلت، كيف ؟.

لو أنني قلت القمح مادة خطيرة، معنى خطيرة، يعني فيها متفجرة ؟ أم أنها أساسية في حياة الإنسان، كلمة خطيرة تحتمل أنها متفجرة، أو أساسية، هذا النص فيه شبهة، ثم بعد قليل قلت، القمح مادة أساسية في حياة الإنسان، كيف نفهم كلمة خطيرة ؟ على أنها أساسية.

فالآيات المتشابهات مهما كثرت تحمل على الآيات المحكمات مهما قلت فهذه الآية.

﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾

لو أن في القرآن مائة آية يشم منها رائحة الجبر، كل هذه الآيات المتشابهات تحمل على هذه الآية.

﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾

(سورة الإنسان: 3)

﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ﴾

(سورة البقرة: 148)

بل إن بعض العلماء يقول: مجرد الأمر والنهي دليل الاختيار.

لو أنك سيرت إنسان في طريق عرض جدرانه كعرض كتفيك تماماً، ثم قال لك الذي سيرك في هذا الطريق: خذ اليمين، أي يمين هذا ؟ لو أنت مسير الأمر ما له معنى، والنهي ما له معنى.

لمجرد أن الله أمرك فأنت مخير، ولمجرد أن الله نهاك فأنت مخير، وإلا لما كان للأمر والنهي من معنى. لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب، لو أنه أجبرهم على المعصية لبطل العقاب، لو أنه تركهم

هملاً لكان عجزاً في القدرة، إن الله أمر عباده تخيراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعصى مغلوباً ولم يطع مكرهاً.

يعني إذا ألغيت الاختيار، ألغيت الثواب والعقاب، ألغيت الجنة والنار، ألغيت حمل الأمانة، ألغيت التكليف، ألغيت رسالة الأنبياء، ألغيت إنزال الكتب، جعلت الحياة تمثيلية سمجة، كله مرتب كله منتهى.

يعني مدير مدرسة في أول يوم من العام الدراسي، جمع الطلاب في الباحة، وقرأ عليهم أسماء الناجحين في أخر العام وأسماء الراسبين، ثم انطلقوا أيها الطلاب وادرسوا، ما بقى حدا يدرس، الناجح ناجح، والراسب راسب، وانتهى الأمر، لماذا الدراسة ؟

يعني إذا أنت ألغيت الاختيار، ألغيت كل شيء، ألغيت الثواب والعقاب، والجنة، والنار، والأنبياء، والكتب، وجعلت الحياة تمثيلية سمجة.

﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ﴾

(سورة البقرة: 148)

﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾

(سورة البقرة: 286)

الفعل فعل الله، لكن الاختيار اختيارك، الانبعاث للفعل هو الذي لك، أنت تنبعث إلى الخير أو إلى الشر، والشيء الواقعي، أنك في هذه الساعة تأتي إلى المسجد وبإمكانك ألا تأتي، عندك سهرة لا ترضي الله، تحضرها أو لا تحضرها عندك مجلس علم تأتيه أو لا تأتيه، تمر امرأة جميلة تطلق البصر فيها أو لا تطلق أنت مخير لولا هذا الاختيار لما كان للإيمان من معنى.

لذلك هذه من أدق الآيات:

﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾

(سورة السجدة: 13)

هذه الآية بمعناها الظاهري جبر.

﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾

ما معنى هذه الآية ؟ يعني يا عبادي أنتم تزعمون أنني أجبرتكم على المعاصي، لو كنت مجبراً واحداً منكم على المعاصي لأجبرتكم على الهدى، إذا كان من الممكن أن ألغي اختياركم، ألغي هويتكم وأن أجبركم على شيء ما، لما أجبرتكم إلا على الطاعات والهدى ولو شئنا أن نجبركم، ولو شئنا أن نلغي اختياركم، ولو شئنا

لآتينا كل نفس هداها، ولكن هذه الأعمال التي تفعلونها هي محض اختياركم وسوف تعاقبون عليها، ولن يجديكم أن تقولوا هذا من قدر الله علينا.

﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم ﴾

من هؤلاء الذين يرتكبون المعاصي، ويزعمون أنها من قدر الله عز وجل.

﴿ قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾

(سورة الأعراف: 28)

يعني أنت تقبل من مدير مؤسسة يرسل موظف لحلب بهمة رسمية، وثاني يوم يلاقيه بالدوام غايب، يعمل له ستة أشهر عقوبة !! حسم راتب، يقول له أنت أمرتني أن أذهب إلى حلب، إن ما ذهبت تأخذني، لأني ذهبت عم تعاقبني !!

لو أن الله أجبر العباد على أعمالهم لماذا يحاسبهم ؟

ربطه، كتفه تماماً، وألقاه في اليم، ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء، ما بقدر ما أبتل بالماء، أنت ألقيتني وكتفتني، فكيف لا أبتل بالماء.

يعني محور هذا اللقاء، إياك أن تعتقد أن الله أجبرك على المعاصي، أنت مخير، الفعل فعلك.

يعني أنا ممكن هذه الثريا مفتاحها عندي، لها مفتاح سري أطلب من ابني أن يطفئ هذه الثريا، يقول لا أطفئها، أنا امتحنته امتحان، إياك أن تطفئها فذهب ليطفئها المفتاح خلبي، أنا أطفأتها من عندي، بس امتحنت طاعته ومعصيته، هذه الثريا مفتاحها عندي ولها مفتاح خلبي هناك، فأردت أن أمر ابني ألا يطفئها، فأراد أن يتحداني فذهب ووضع يده على المفتاح ليتحداني، أنا أطفأتها من عندي الفعل فعلي، أما أنا امتحنت رغبته في المعصية.

الفعل فعل الله، الإنسان ينبعث، أو لا ينبعث إلى المعصية أو الطاعة.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون وفيت موضوع الاختيار حقه لأنه:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا﴾

اختياراً، ابتداءً.

﴿ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

جزاءً، وعقاباً، لأنهم فاسقون.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5)﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : تفسير الايات 10-12 ، الربح مع الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية العاشرة والتي بعدها من سورة الصف وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)﴾

أولاً: ربنا عز وجل خاطبنا بمصطلحات التجارة، التجارة أن يكون لك رأس مال، تشتري به بضاعة وتبيعها بسعر أعلى، فتربح أصل التجارة أن تربح.

لو أن إنساناً أسس عمل تجارياً مكاتب، ومستودعات ومستوردات، ودعاية، وموظفين، ولم يربح شيئاً، هذه التجارة لا قيمة لها، لأن أصل التجارة أن تربح.

فربنا عز وجل يدعوننا إلى أن نتاجر معه، تجار أهل الأرض إذا ربح 30% ، 40% ، 50، يعني في حالات نادرة جداً بالمائة مائة حالات بالحروب بالمائة ألف، هي حالات نادرة، كأن الله جل جلاله يدعوك إلى أن تتاجر معه بربح مليار بالمائة، مليار مليار بالمائة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ﴾

أخوانا التجار يعلمون الربح مسعد، والخسارة مؤلمة جداً الربح مسعد، والخسارة مؤلمة جداً، فربنا عز وجل يقول تاجروا معي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ﴾

طيب، هذه التجارة مع الله ما رأس مالها ؟ رأس مالها عمرك العمر رأس مالك، ورأس مالها فراغك، ورأس مالها صحتك، ورأس مالها أمنك.

﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾

(سورة التكاثر: 8)

العلماء قالوا النعيم الصحة، والنعيم الفراغ، والنعيم الأمن والنعيم الكفاية، يلي ربنا عز وجل أتم عليه نعمة الصحة، أتم عليه نعمة الفراغ، أتم عليه نعمة الأمن، ليس ملاحقاً، ليس في حقه مذكرة بحث، أتم عليه نعمة الأمن، ونعمة الفراغ، ونعمة الصحة، ونعمة الوقت، هذا رأس مالك، إذا وظفته في الحق كان الربح جنة عرضها السماوات والأرض، رأس مالك عمرك، العمر هو رأس المال، طبعاً مع العمر الصحة، مع الصحة الفراغ، مع الفراغ الأمن، مع الأمن الكفاية، العمر بما فيه من صحة، وفراغ، وأمن، وكفاية، هذا رأس مالك، إذا وظفته في الحق، يعني إذا أطعت الله في جوارحك وطلبت العلم، وعلمت العلم، وعملت الأعمال الصالحة، وجلست في مجالس العلم، وتليت القرآن، وفهمت القرآن، وعلمت القرآن، وكان لك باع في الدعوة إلى الله بشكل أو بآخر، أنت وظفت عمرك وصحتك، و فراغك، وكفايتك، وأمنك في العمل الصالح، الجنة هي الربح، لكن الجنة أبد، رأس مال محدود، رأس مال محدود جداً سنوات معدودة نقضيها في الدنيا، ثم يعقبها جنة إلى أبد الآبدين، فهذا هو الربح مع الله عز وجل.

﴿ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾

(سورة ق: 35)

﴿ إن المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾

(سورة القمر: 54 . 55)

الربح:

﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه، إني ظننت أني ملاق حسابيه، فهو في عيشة راضية، في جنة عالية قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾

(سورة الحاقة: من 19 إلى 24)

هذا هو الربح.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ﴾

فهذه التجارة لها شقين، شق سلبي وشق إيجابي، الشق السلبي أن تنجو من عذاب أليم، والشق الإيجابي أن تكون في جنات النعيم تنجو من عذاب أليم وتكون في جنات النعيم.

﴿ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾

يعني إيمان، واستقامة، وعمل صالح:

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾

(سورة يونس: 62 . 63)

﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11)﴾

طيب أي إنسان عزف عن الإيمان لضيق الوقت، ما لي فاضي وعزف عن العمل الصالح لتعلقه بالدنيا، خبي قرش الأبيض ليومك الأسود، عزف عن الإيمان لضيق الوقت، ما طلب العلم، وعزف عن العمل الصالح لحصره على الدنيا، وفر ماله، وفر وقته، هذا الإنسان في هذه الآية جاهل، من هو الذي يعلم هو الذي آمن بالله ورسوله وجاهد بأمواله وأنفسه في سبيل الله، هذا هو الذي يعلم.

﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11)﴾

فإن لم تروا هذا خيراً، أنتم لا تعلمون معنى ذلك، إن كنتم ترون أن هذا ليس بخير، وليس هو العقل، والنجاح، والفلاح والتفوق، والفوز، فأنتم لا تعلمون، فأنت متى تعلم ؟ إذا تطابقت مقاييسك مع مقاييس القرآن، إذا تطابقت مقاييسي الفوز عندك مع مقاييس الفوز في القرآن، فأنت تعلم إذا رأيت أن التجارة مع الله رابحة، وأنت لا تعلم إذا رأيت أن إنفاق المال خسارة، وتهور وضياع للمال، إن رأيت طلب العلم مضيعة للوقت، يا أخي كل شيء حكوه نعرفه، حاجة بقى، ألتف لشغلك، والتفت لبيت، اعمل لك مشروع ترفه به، روح سافر، عمر فيلة، أعمل مسبح، شو بدك بوجع الراس، فإذا الإنسان عزف عن طلب العلم لضيق الوقت وعزف عن العمل الصالح لحرصه على الدنيا، فهو عند الله لا يعلم جاهل، لو معه دكتورا.

﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11)﴾

إن كنتم تعلمون ترون هذا خير لكم، فإن رأيتم عكسه هو الخير فأنت لا تعلمون، فالعبرة أن تكون عالماً عند الله، لا أن تكون عالماً عند أهل الدنيا، أي إنسان درس، وجمع كتب، وألف صار دكتور، هذا عند الدنيا عالم، أما عند الله عز وجل ليس بعالم، هو جاهل.

الآن الشق الإيجابي:

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)﴾

يا الله، الإله العظيم يقول لك ذلك الفوز العظيم، كلمة عظيم من العظيم شي عظيم.

قال لك طفل أنا معي مبلغ كبير، عمره ثلاث سنوات، قال لك معي مبلغ كبير، شو تقدره ؟ خمس ليرات، عشر ليرات، خمسة وعشرين، مائة، أما إذا قال لك أحد أكبر أغنياء العالم أنا معي مبلغ ضخم جداً تقدره بأربع وعشرين ألف مليون، هذا صاحب ميكروسوفت، معه الآن ثلاثين مليون دولار، ثلاثين مليار شب عمره أربعين سنة، مو كبير كثير، فإذا قال لك أنا معي مبلغ ضخم، هو غني.

شوف العظيم، يقول لك:

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)﴾

خالق الكون العظيم يقول لك يا عبدي، هذا هو الفوز العظيم أن تؤمن بالله ورسوله، وأن تجاهد في سبيل الله، بمالك ونفسك.

﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11)﴾

هذا أولاً:

﴿ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10)﴾

السلبي.

الإيجابي:

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)﴾

هذه بالآخرة، بدنا شي على النار، على المقلاية، بدنا شي الآن، نحنا بالدنيا قاعدين.

قال:

﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾

وبالدنيا نصر، مو ذل، نصر، نصر في الدنيا، وجنة في الآخرة ومغفرة، ونجاة من عذاب أليم في الدنيا والآخرة، الثمن أن تؤمن بالله ورسوله وأن وتجاهد بمالك ونفسك، والثمن بمتناول كل واحد منا، ما بيقدر يأمن بالله؟ يقرأ القرآن ؟ يفكر بالأكوان ؟ يطلب العلم ؟ يقرأ السنة ؟ يحضر مجلس فقه ؟ ما بيقدر ؟ ما بيقدر يغض بصره ؟ يضبط لسانه ؟ ما يكذب ؟ ما يغتاب ؟ ينفق جزء من ماله صدقة ؟ ما بيقدر ؟ جنة إلى الأبد بثمن محدود.

إذا واحد قال لك بيت بالمالكي ثمنه مائة خمسين مليون بس ادفع ثمن مفتاحه 16 ليرة، لا ما بدي، بكون بده قصير، مائة وخمسين مليون، بس ثمن مفتاح ادفع، 16 ليرة، ما لي فاضي، ما عندي وقت.

هذه تجارة مع الله، الله عز وجل يردنا أن نربح عليه والثمن بمتناول أيديكم.

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13)﴾

السؤال الآن ماذا ننتظر ؟ ما الذي يمنعنا أن نتاجر مع الله ؟ ما الذي يمنعنا أن نطلب الجنة ؟ ما الذي يمنعنا أن نكون في مرضاة الله ؟ ما الذي يمنعنا أن نكون أصفياء الله عز وجل ؟ والثمن بين أيدينا، والواحد من الناس إذا كان له صلة مع مساعد في جهة قوية مساعد يمشي بالعرض، بقلك معي تلفونه، يمكن ما يلاقيه أحياناً و الله يطلب منك تكون معه، خالق الأكوان قال لك:

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾

(سورة مريم: 96)

مودة مع الله:

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾

قال:

﴿ يحبهم ويحبونه ﴾

(سورة المائدة: 45)

قال:

﴿ فإنك بأعيننا ﴾

(سورة الطور: 48)

ولك مؤمن من هذه الآية نصيب، أن تكون في عين الله، أن تكون في حفظ الله، في رعاية الله، في توفيق الله، يدافع الله عنك ينصرك على عدوك لن يجعل لكافر عليك سبيل، كل هذه العطاءات في الدنيا، والآخرة جنة، والثمن أن تعرفه، وأن تستقيم على أمره وأن تجاهد نفسك وهواك في سبيله.

هذه آية اليوم تجارة، هي تجارة، يا ما تجار يشتغل ثمان سنوات في صفقة بعدين يخسر مائة ألف، ثماني سنوات، مراسلات وجلب بضاعة، وشحنها، وبيعها، ولم ثمنها، بقلك ما ربحنا منها معروض عليك تجارة بالمائة مليار، بالمائة مليار مليار، بالمائة رقم واحد والصفار للشمس، هذه تجارتك مع الله عز وجل، بس بدها أن تقيم الإسلام في بيتك، وفي عملك، يعني مجلس علم تلاوة قرآن عمل صالح، إنفاق المال، ضبط الجوارح، ضبط اللسان، إقامة الإسلام في البيت، في العمل، الشيء بمتناول بيد كل واحد منك.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : تفسير الآية 9 ، نصر دين الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: في القرآن الكريم آيات تشير إلى ما سيكون عليه حال الناس في آخر الزمان ، يسميها علماء العقيدة غيب المستقبل ، هناك غيب الماضي ، وهناك غيب الحاضر ، وهناك غيب المستقبل.
فالآية الكريمة التاسعة من سورة الصف وهي قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9)﴾

وما يجري في العالم اليوم أن هذا الدين يعلو على كل الأديان مع أن كلن من في الأرض يحارب هذا الدين، ومحاربة الدين تشبه إنساناً يريد أن يطفئ النار بالزيت ، فكلما صب على النار زيتاً اشتدت اشتعالاً.

فانتشار الإسلام في القارات الخمس ، شيء لا يصدق ، يعني بالبلاد التي تحارب هذا الدين ينفجر فيها الإسلام في سلسلة هندسية وقال بعضهم بسلسلة انفجارية ، وكل النظم الوضعية أعلنت إفلاسها ما استطاعت أي من هذه النظم أن تحقق للبشرية سعادة أبداً ، شقي الإنسان بالشرق ، وشقي بالغرب ، شقي في الشرق قهراً ، وشقي في الغرب تفسخاً ، تفسخ في الغرب وشقي ، وقهر في الغرب ، وقهر في الشرق ، فشقي.

أما الإسلام دين وسطي ، والشرق قهراً عنه عاد إلى بعض أحكام الإسلام لا عن تعبد ، ولكن عن قهر ، والغرب اضطر أن يعود إلى بعض أحكام الإسلام لا عن تعبد ، ولكن عن قهر.

لذلك المستقبل لهذا الدين ، وأقول لكم مرات عديدة ، هذا الدين دين الله ، والله جل جلاله متكفل بنصره ، ورفع رايته ، ونصرة أهله ولكن لكل أجل كتاب ، والمؤمن يجب أن يقلق لا على هذا الدين بل على أن الله سبحانه وتعالى سمح أم لم يسمح له بنصر هذا الدين ، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾

(سورة محمد: 38)

فالإنسان حينما ينال شرف نصر هذا الدين ، هذا وسام شرف رفيع ، يعني أعلى وسام يعلق على صدرك أن تكون جندياً للحق ، أن تسهم بنشر الحق ، أن تسهم بترسيخ قيم الدين ، أن تسهم بإخراج الناس من الظلمات إلى النور، أن تمسك بالكتاب ، أن تسعد الناس بتعريفهم بالله ، أن تسعدهم بحملهم على طاعته ، أن تسعدهم بالبذل والعطاء.

لذلك هذه آية مبشرة ، ثلاث آيات مبشرات:

الآية الأولى:

﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ﴾

(سورة آل عمران: 12)

﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ﴾

هؤلاء الصناديد الذين ناصبوا النبي العداء ، أبو جهل ، أبو لهب ، صفوان أين مصيرهم ؟ في التاريخ في مزابل التاريخ ، وفي النهاية في النار ، هؤلاء الذين نصروا دين الله ، سيدنا الصديق سيدنا عمر ، سيدنا عثمان ، سيدنا علي ، في أعلى عليين.

جاء عكرمة مسلماً ، خلق النبي يفوق حد الخيال ، قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: جاءكم عكرمة مسلماً فإياكم أن تسبوا أباه أبوه أبو جهل ، وهو من أعدا أعداء النبي ، قال إياكم أن تسبوا أباه لأن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت ، إكراماً لأبنه عكرمة إياكم أن تسبوا أباه.

فالله عز وجل ناصر لدينه ، وناصر لأهل الحق ، يدافع عن الذين أمنوا لا يتخلى عن عباده المؤمنين.

ذكرت قبل يومين في خطبة ، أن الحجاج بن علاق السلمي هذا من أغنياء أهل اليسار جاء النبي مسلماً ، وأعلن إسلامه ، ثم استأذنه أن يذهب إلى مكة لأن في مكة ماله ، قال مالي عند زوجتي أم شيبة في مكة ، ومتفرق بين تجار مكة فأذن لي أن أذهب إلى مكة لأجمع مالي قبل أن يعلموا بإسلامي ، فإن علموا بإسلامي لم يعطوني شيئاً ، فأذن له النبي ، ثم أستأذنه بشيء محرج ، قال أذن لي أن أتقول عليك ، كي أحتال على استرداد مالي ، قال له تقول ، وصل إلى ظاهر مكة ، رأى رجالاً ينتظرون الأخبار ، لأن أهل مكة علموا أن النبي سار إلى أهل خيبر ، سار إلى خيبر ، وتراهنوا على مائة ناقة ، من سيغلب رسول الله أم أهل خيبر ، لأن أهل خيبر من أشد قرى الحجاز قوة ، ومنعة ، وتحصن ، وغناً ، ولقد سار إليه النبي ، فلما رأوا الحجاج بن علاق السلمي ، قالوا هذا والله الحجاج عنده الخبر اليقين تعالى يا حجاج ، ما عندك من أخبار ، قال والله معي لكم أخبار سارا لقد سار إليهم محمد وأصحابه ، ولم يلق قوم أشد منهم فهزموا ، ووقع محمد أسيراً ، وأبوا أن يقتلوه ، أرادوا أن يقتلوه في مكة ، أن يأتوا به إليكم أن تقتلوه بما أصاب من رجالكم ، كاد هؤلاء أن يخرجون من جلودهم لهذا الخبر ، هذا أفرح خبر يأتيهم ، فانطلقوا إلى أهل مكة وأشاعوا الخبر ، أن محمد ذهب إلى خيبر وهزم شر هزيمة ، ووقع أسيراً ، وأراد أهل خيبر تكريماً لقريش ، أن يسوقوه إلى مكة المكرمة ليقتل برجال قتلهم النبي في معركة بدر ، وأحد ، أنتعش الكفار فرحوا ، وطربوا،

لكن المسلمين سراً في مكة كُسروا بهذا الخبر ، من على رأس هؤلاء المؤمنين سيدنا العباس ، عم النبي عليه الصلاة والسلام ، قال حينما بلغه هذا الخبر ، شلت حركته ، واستلقى على فراشه ، ولم يستطع أن يقف على قدميه ، خبر مؤلم جداً ، وأرسل إلى علاق إلى الحجاج غلاماً له ، قال يا حجاج قل له دققوا ماذا قال ، قال له يا حجاج ، إن الله أجل وأكرم من أن يكون هذا الذي قلت صحيحاً حسن ظن بالله ، الله أجل وأكرم من أن يكون هذا الذي قلت صحيحاً فرد عليه الحجاج ، فقال له أقرأ أب الفضل السلام وقل له عندي لك خبر سار، لكن أخلى لي بعض غرفك ، حتى أنفرد معك وأنبئك الخبر من شدة فرح العباس رضي الله عنه ، أعتق غلامه لوجه الله ، ولم يكتفي بهذا الخبر ، قال لله عليّ عشر رقاب أعتقها في سبيل الله ، وفي اليوم التالي جاءه الحجاج ، وأنبئه الخبر ، قال بس أرجوك أكتم عني ثلاثة أيام ، هو حينما أبلغهم هذا الخبر ، قال أريد مالي ، أجمعوا لي مالي ، قال فجمعوا له ماله على أحسن ما يكون ، جمع كل أمواله وأنطلق من مكة ، قال أكتم عني ثلاثة أيام ، وبعد ذلك تكلم ما شئت قال مضت عليه هذا الأيام كثلاثة سنوات ، سيدنا العباس ، بعد أن مضت هذه الأيام ارتد حلة جديدة ، وتطيب بخلوق ، تعطر ، وأمسك قضيباً ، وذهب إلى أهل مكة في ندواتهم ، فلما رأوه قالوا لك الحق أن تتجلدا يا أب الفضل ، يعني معك حق ، مصيبتك كبيرة كثير ، ابن أخيك وقع في الأسر ، وسيأتى به إلينا كي نقتله ، قال لهم كذبتم والله ابن أخي محمد ، سار إلى خيبر وأنتصر عليها وجرت سهام الله وسهام رسوله في أهلها ، وتزوج بنت ملكهم صفية ، قال فرد الله الكآبة التي كانت في المسلمين على المشركين ، رد الله الكآبة التي كانت في المسلمين على المشركين ، وبعد حين لم يلبث أن جاءهم الخبر الصادق بأن محمد سار إلى خيبر وأنتصر عليها ونال منها ، وتزوج بنت ملكهم صفية ، وأخذ غنائمهم وأموالهم....

أيها الأخوة:

الله عز وجل ، أنا ذكرت هذه القصة ، ذكرني بها قول سيدنا العباس ، الله أجل وأكرم من أن يفعل هكذا بالمؤمنين ، ويجب أن نثق بالله عز وجل ، الله أجل وأكرم من أن يصدق علينا قول أعدائنا انتهوا المسلمون لا ما انتهوا ، الله معنا ولكن حاول أن تكسب شرف نصر هذا الدين ، حاول أن يكون لك سهم في نصرة هذا الدين والشيء المتاح لنا الآن ، قال تعالى:

﴿ وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾

(سورة الفرقان: 52)

الله سماه جهاد كبير ما سماه جهاد صغير ، أن تتعلم القرآن وأن تعلمه هو ربيع القلوب ، هو منهجنا ، هو دستورنا ، هو حبل الله المتين ، فيه النجاة ، وفيه السعادة ، وفيه السلامة ، فلذلك:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9)﴾

الأديان كلها سقطت ، والنظريات كلها سقطت ، والمذاهب الوضعية سقطت هي في الوحل ، ولم يبق في الساحة إلا الإسلام لذلك يحارب هذه المحاربة ، لم يبق في الساحة إلا الإسلام ، هذا هو دين الله ، والله ناصره.

عليه الصلاة والسلام ، أذكركم بشيء من السيرة ، كان في الهجرة من مكة إلى المدينة ، وضعت مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، إنسان مهدور دمه وضعت مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً تبعه سراقة ، القصة معروفة عندكم بس أنا أريد هذه الفقرة ، قال يا سراقة كيف بك إذا لبست سواري كسرى ، ما هذا الكلام ، أنت ملاحق مهدور دمك ، قد تقتل ، النبي واثق أنه سيصل ، وأنه سيؤسس دولة وأنه سيحارب الفرس والروم ، وأن سواري كسرى وتاجه ، سيأتي بهما إلى المدينة ، قال له يا سراقة ، كيف بك إذا لبست سواري كسرى ، في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه ، جيء بالغنائم ، ولو وقف رجلاني طويلان لا يرى أحدهم الأخر ، من كثرة الغنائم ، الذهب ، والدروع والسوار ، والتاج سيدنا عمر قال سبحان الله ، أن هؤلاء الذين جاءوا بهذه الغنائم أمناء ، سيدنا علي كان إلى جانبه ، قال يا أمير المؤمنين أعجبت من أمانتهم ، لقد عففت فعفوا ، ولو وقعت لوقعوا ، لقد عففت فعفوا ، وعد الله ثابت:

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾

(سورة النور: 55)

وعدنا الله بالاستخلاف ، والتمكين ، والتطمين ، لكن أية آية تنطبق علينا اليوم:

﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾

(سورة مريم: 59)

لذلك سجاج الآفاق ، الشعوب التي تبغضها شعوب الأرض هذه تتحدا المسلمين ، لضعف استقامتهم ، وضعف تعاونهم ، وضعف منهجهم الذي خرجوا عنه ، ارجوا الله سبحانه وتعالى أن يمتعنا بنصر هذا الدين وقد قال الله عز وجل:

﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ﴾

(سورة المؤمنون: 4 . 5)

النصر ممتع ، ومسعد ، والأمر بيدنا ، نعم ، بيدكم أن تستقيموا ، وكل إنسان إذا استقام واصطلح مع الله ، له معاملة خاصة.

الفصل الخامس : تفسير سورة الجمعة

الدرس (4-1) : تفسير الآيات 6-8 ، الدليل هو البيان

الدرس (4-2) : تفسير الآية 2، الدعوة الصحيحة بالقدوة الحسنة

الدرس (4-3) : تفسير الآية 5 ، يجب أن يكون القرآن حجة لك لا عليك

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 9-11 ، صلاة الجمعة

الدرس (1-4) : تفسير الآيات 6-8 ، الدليل هو البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية السادسة والتي بعدها من سورة الجمعة وهي قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)﴾

أيها الأخوة الكرام:

من البساطة والسذاجة أن تقول أنا أحب الله ، هذه المحبة تحتاج إلى دليل ، ربنا عز وجل ما قبل إدعاء محبته إلا بالدليل ، قال:

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ﴾

(سورة آل عمران: 31)

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   ذاك لعمري في المقال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعتـه   إن المحب لمن يحب يطيـع

عود نفسك ألا تقبل شيئاً إلا بالدليل ، وألا ترفض شيئاً إلا بالدليل ، وألا تمدح نفسك إلا بالدليل ، وأن لا تذم غيرك إلا بالدليل أما إذا ألغينا الدليل لقال من شاء ما شاء.

هؤلاء الذين هادوا يزعمون أنهم أولياء الله من دون الناس يزعمون أنهم أحباب الله ، أبناء الله وأحباءه.

﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾

(سورة المائدة: 18)

لو المسلمين قالوا مثل قولهم نحن أحباب الله ، نحن أوليائه نحن من أمته.

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾

(سورة آل عمران: 110)

نحن من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ، شي جميل.

﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾

فالمقدمة: لا تقبل شيء إلا بالدليل ، ولا ترفض شيئاً إلا بالدليل ، ولا تمدح نفسك إلا بالدليل ، ولا تتهم غيرك إلا بالدليل ولولا الدليل لقال من شاء ما شاء.

ربنا عز وجل يضعنا أمام مناقشة علمية.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾

ولربنا جل جلاله أسلوب رائع ، هذا الأسلوب عبر عنه القدماء بالكلمة التالية ، إياك أعني واسمعي يا جارة، هذا القرآن نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أنزل إلينا ، ربنا عز وجل يحدثنا عن اليهود.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ﴾

ادعيتم ، توهمتم ، تخيلتم ، ظننتم أنكم أولياء لله من دون الناس ، أنتم شعب الله المختار ، أنتم الأمة التي لن تعذب في النار إلا أيام معدودة ، أنتم الأمة التي اصطفاها الله عز وجل ، وما سواكم بحسب ادعائهم خنازير ، وقردة.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6)﴾

الإنسان حينما يشعر أنه على وشك الموت يختلف الأمر كلياً.

رجل يركب السيارة في هذا الشارع ، وصل إلى الإشارة الحمراء التي عند المحطة الحجازية ، أصابته أزمةً قلبية ، إلى جانبه زوجته ، ومن غرائب الصدف أن صديقه وراءه ، فلما انكب على المقود صرخت الزوجة ، وجاء الصديق وحمله وضعه في سيارته وأخذه إلى المستشفى ، إلى العناية المشددة ، بعد ساعات ، أول ما صحي ، قال أعطوني مسجلة ، أعطوه مسجلة قال في هذه المسجلة المحل الفلاني ليس لي أنا اغتصبته ، والمحضر الفلاني ليس لي لشريكي نصفه ، والدكان الفلانية ليست لي ، كل شيء اغتصبه صرح به في هذا الشريط ، بعد أيام عدة شعر أنه نشيط ، ما في شي إطلاقاً قال أين الشريط ، أخذه وكسره ، وبعد ثمانية أشهر جاءته القاتلة ، الله أعطاه إنذار ، أعطاه إنذار مبكر ، فلم يستفيد من هذا الإنذار.

أحد علماء دمشق الأجلاء أيضاً من غرائب الصدف ، أنه كان في حضرت شيخ أزهر سابق ، وكان على فراش الموت ، وكان في النزع الأخير ، ما كان من هذا الشيخ إلا أن رفع يديه هكذا وأشار بإصبعيه معاً قال يا رب إني بريء من كل فتوى أفتيتها في المصارف والفوائد ، أصعب شيء حينما تلقى الله عز وجل وأصعب شيء حينما تشعر أن الأجل قد اقترب ، وأن اللقاء قد اقترب.

لذلك أي إنسان لا يفكر في هذه الساعة التي سيغادر فيها الدنيا وسيلقى الله ، وسيحاسب ، عن الكلمة ، وعن النظرة ، وعن الدرهم الإنسان أحمق.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾

والدليل:

﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6)﴾

سيدنا بلال كان على فراش الموت ، وقالت له ابنته وا كربتاه يا أبت قال لا كرب على أبيك بعد اليوم غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه.

هالعبد الفقير قرأت أكثر من سبعين سيرة للصحابة أدهشني أن هؤلاء الصحابة جميعاً في سيرتهم قاسم مشترك واحد ، هذا القاسم المشترك أنهم جميعاً عند لقاء الله عز وجل كانوا في أسعد لحظات حياتهم ، يؤكد هذا النبي عليه الصلاة والسلام حينما يقول: الموت عرس المؤمن ، والموت تحفة المؤمن.

يعني إذا إنسان ذهب إلى بلاد الغرب ليعمل ، ويدرس ، اشتغل في مطاعم يغسل الصحون ، اشتغل في مرآب يغسل السيارات ، يعمل أربع ساعات ، ويدرس ثمان ساعات ، وينام ساعتين ، ويأكل أخشن الطعام ، ويسكن في غرفة دنيئة ، موعود إذا أخذ الدكتورا أن يكون في بلده وزيراً ، وأن يسكن في أفخر بيت ، وأن يركب أفخر سيارة ، وأن يتزوج أجمل امرأة ، هذا الإنسان الذي يعمل عملاً شاقاً في الغرب يغسل السيارات ، ويغسل الصحون ، ويدرس ساعات طويلة ، ويعاني من المشقة ما يعاني ، هذا حينما يأخذ الشهادة ، ويصدقها ، ويقطع بطاقة الطائرة ، ويصعد إلى الطائرة ليعود إلى بلده ، ليكون أحد الأشخاص المرموقين في بلده ، وهو يضع رجله على سلم الطائرة هل يشعر بحزن ؟ هذه الساعة التي ينتظرها.

الموت عرس المؤمن ، الموت تحفة المؤمن ، الموت نهاية المطاف ، بداية النعيم.

لذلك الإنسان حينما يولد يبكي وحده ، وكل من حوله يضحكون فإذا مات كل من حوله يبكي ، فإذا كان بطلاً، يضحك وحده.

﴿ قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون ﴾

(سورة يس: 26)

هذا الذي أمضى حياته في طاعة الله ، في ضبط جوارحه ، في إنفاق المال في طلب العلم ، في خدمة الناس، في الدعوة إلى الله ينتظر هذه الساعة ، أما اليهود.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾

إياك أعني ، واسمعي يا جارة.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾

الأعمال السيئة ، والعدوان على أموال الناس ، وعلى أعراضهم ، والتفلت من منهج الله ، والاحتيال على الناس ، وإهمال الصلوات ، وأخذ المال الحرام ، هذه كلها حجب كثيفة بينك وبين الله فأنت في الدنيا في لهو، لهو كثير ، يعني لقاءات ، وندوات ، وسهرات وولائم ، وسفر ، وسرور ، وصحون ، بقلك مائتين محطة عندي ، في لهو، أما حينما يوضع في قبره ، ويأتي ملك الموت.

في بعض البلاد قصة رمزية:

رجل غني كبير توفاه الله عز وجل ، أولاده من شدة حرصهم على سلامة أبيهم سمعوا أن أول ليلة أصعب ليلة ، يأتي الملكان ليسألانه ، ترجوا إنسان ينزل مع أبيهم يسليه ، فقير جداً أعطوا مبلغ رآه ثروة كبيرة ، هذا نزل ، هذه قصة رمزية ، جاء الملكان رأوا شخصين في القبر ، شغلة جديدة هي ، واحد حرك رجل ، هذا طيب هذا ، نبدأ فيه ، لابس كيس خيش ، رابط بحبله ، من هذه الحبلة جبتها هي ، قال له من البستان ، شلون فت على البستان ، نزلوا فيه ، شلون فت على البستان استأذنت صاحب ، هذا صباحاً طلع قال الله يعين أبوكم.

يعني إذا زعمتم:

﴿زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾

هذا مقياس لنا جمعياً ، أدخل إلى غرفة وأطفئ الضوء ، أجلس لحالك ، هذا هو القبر ، شو بصير معك ، وين يا جماعة ، القبر على طول ، هي ساعة القبر لا بد منها ، قال أول ليلة هي أصعب ليلة يقول الله عز وجل:

((عبدي رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبقى لك إلا أنا ، وأنا الحي الذي لا يموت))

الجواب:

﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7)﴾

لأنهم ظالمون ، الآن في عنا مشهد حركة ، إنسان يهرب من إنسان ، الذي يلاحقه مخيف ، وحش ، معه سلاح فتاك ، يريد أن يقتله فهو يركض ركضاً غير معقول ، متى يصعق ؟ إذا رآه أمامه ، يظنه خلفه ، شوف ، قال:

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾

واحد صار معه أزمنة قلبية ، الله يعافينا جميع ، اعتنى بحاله عناية تفوق حد الخيال ، أكل مقنن ، رياضة ، أدوية ، يعني هو ظن الموت سيأتي من قلبه العناية غير معقولة ، جاء ابنه من بلد خليجي ومعه سيارة فخمة ، أخذه إلى الزبداني في العودة صار في حادث مات الأب ، هي الآية نفسها ، هو متوقع الموت من قلبه ، مات بحادث.

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)﴾

بكل عمل ، بكل وصل ، بكل قطع ، بكل غضب ، بكل رضى بكل العطاء ، بكل حرمان ، بكل ابتسامة ، بكل كلمة ، بكل نظرة كله مسجل.

﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)﴾

إياك أعني واسمعي يا جارة.

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)﴾

من أدق الآيات ، محور هذا الدرس ، لا تقبل شيئاً إلا بالدليل ولا ترفض شيئاً إلا بالدليل ، ولا تمدح إنسان إلا بالدليل ، ولا تتهم إنسان إلا بالدليل فهم زعموا أنهم أولياء لله ، طالبهم بالدليل فرسبوا تمنوا الموت إن كنتم صادقين من هو الولي ؟ في التعريف الدقيق القرآني.

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾

(سورة يونس: 62 . 63)

آمن بالله واتقى أن يعصيه ، اتقى سخطه وغضبه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : تفسير الآية 2، الدعوة الصحيحة بالقدوة الحسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآية الثانية من سورة الجمعة وهي قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2)﴾

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾

كلمة منهم:

... أولاً: من بـني البشر.

... ثانياً: بلسانـــــهم.

... ثالثاً: عاش في بيئتهم.

لو أن النبي عليه الصلاة والسلام له مهمتان كبيرتان جداً الأولى مهمة التبليغ، لكن الأخطر منها، مهمة القدوة.

أحياناً، في دائرة في مكان عمل، يكثر فيه الفساد، تجد إنسان طيب مستقيم، ورع، لماذا سمح الله لهذا الإنسان الطيب الورع أن يكون في هذا المكان ليكون حجة على الآخرين، المنحرفين، يا رب البيئة صعبة، فلان معك بالدائرة، لم يأخذ درهم حراماً، فلان سهل مصالح الناس، أنت لماذا عقدت عليهم أمورهم، في كل مكان مهما بد سيئاً، ومنحرفاً، وفاسداً، ربنا جل جلاله، يجعل فيه أناس طيبن، مستقيمين، ورعين، ليكون هؤلاء حجة.

فلو أن النبي مَلَك، وأمرهم بغض البصر، طيب أنت ملك بس نحن بشر، أودع الله فينا شهوات.

لولا أن النبي عليه الصلاة والسلام، وأي نبيٍ آخر، من بني البشر، وتجري عليه كل خصائص البشر، لما كان سيد البشر، يجوع كما نجوع، يعرى كما نعرى، يتألم كما نتألم، يخاف كما نخاف يتنمى كما نتمنى. يقول عليه الصلاة والسلام:

((خفت وما خاف أحد مثلي وأوذيت وما أوذي أحد مثلي، ومضى عليّ ثلاثون يوماً لم يدخل جوفي إلا ما يواريه إبط بلال))

لولا أنه بشر، تجري عليه كل خصائص البشر، لما كان سيد البشر، سيد البشر لأنه أنتصر على نفسه، تجد مثلاً شاب يطلق بصره في الحرام، وزميله في الجامعة يغض بصره عن محارم الله، إذا قلت البيئة صعبة بالجامعة لماذا فلان مستقيم ! وفلان منحرف ! معنى ذلك أن هذا اختياره، أما البيئة ثبتناها بيئة فاسدة، يعني نساء كاسيات عاريات في أي مكان، إنسان يطلق بصره في الحرام، وإنسان يغض بصره، أحياناً في مجال لكسب المال الحرام، إنسان يأخذه حراماً إنسان آخر يتعفف عنه، يقول معاذ الله إني أخاف الله رب العالمين. إذاً: لولا أن النبي منا من بني جلدتنا، من بني البشر، عاش في بيئتنا، عاش في كل الظروف التي أحاطت بنا، لما كان قدوة لنا.

يعني النبي عليه الصلاة والسلام، ذاق موت الولد، أنا أعرف رجل عنده معمل، وله ابن يحبه كثيراً، مات ابنه، ترك الصلاة وكفر.

النبي عليه الصلاة والسلام، مات ابنه إبراهيم، دمعت عينه قالوا أتبكي يا رسول الله ؟ قال: إن العين لتدمع، وإن القلب ليخشع ولا نقول إلا ما يرضي الرب.

النبي أمتحن بأن زوجته، أوشيع عنها أنها زانية، السيدة عائشة، صبر، إذاً عاين هذه المشكلة، وكان كاملاً فيها.

ذاق الهجرة، إنسان مستقر في بلده له عمل، له مكانة، له معارف، يقتلع من جزروه، يذهب إلى مكان لا يعرفه، ذاق النبي الهجرة.

ذاق القهر، في الطائف، كذبوه، وسخروا منه، وضربوه قال إلا لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي، ولك العتبة حتى ترضى لكن مع هذا القهر سمح له أن ينتقم، قال يا محمد، إن ربي أمرني أن أكون طوع إرادتك، لو شئت لأطبقت عليهم الجبلين، قال لا يا أخي اللهم أهدي قومي إنهم لا يعلمون، ذاق القهر.

ذاق النصر في مكة، عشرة آلاف سيف متوهجة، تنظر كلمة من فمه الشريف، نقتلوهم، قال ما تظنوا أني فاعل بكم، قالوا أخ كريم وابن أخ كريم، قال أذهبوا فأنتم الطلقاء، أذقه الله النصر فكان متواضعاً، دخل مكة فاتحاً وذوآبت عمامته كادت تلامس عنق بعيره تواضع لله عز وجل، وعفى عنهم، وذاق القهر فصبر، وذاق موت الولد فصبر، وذاق سمعة الزوجة السيئة فصبر، وذاق الهجرة فصبر وذاق الفقر.

يعني هلق الشام كم بيت فيها ؟ فيها خمس ونصف مليون يعني إذا كل خمسة ببيت يعني مليون بيت، في بيت ما في سكر وشاي، وقهوة، و جبنه، وزيتون، وبرغل، ورز، وسمنة، قد ما كان فقير، دخل إلى بيته لم يجد شيئاً يأكله قال فأني صائم، ذاق الفقر لأنه إذا أمر الفقراء بالصبر أنت ما ذقت الصبر يا رسول الله، نحن فقراء، لا، ذاق الفقر، وذاق الغنى، لمن هذا الوادي ؟ قال هو لك واحد سأله لمن هذا الوادي من الغنم ؟ قال هو لك، قال أتهزئ بي قال لا والله هو لك، قال أشهد أنك رسول الله، تعطي عطاء من لا يخش الفقر، أذقه الله الغنى، وأذاقه الفقر، أذاقه النصر، وأذاقه القهر، أذاقه موت الولد أذاقه حديث الإفك، أذاقه الهجرة، مرض اللهم صلي عليه، سج جبينه، كسرت ثنيته بالجهاد، وأذاقه الخوف مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، أذاقه الخوف أذاقه كل شيء.

لذلك:

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾

(سورة الأحزاب: 21)

هذا معنى قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾

من بني جلدتهم، من بيئتهم، بلسانهم، ذاق كل شيء.

﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ﴾

الدالة على عظمته.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾

يدعوهم إلى السمو، إلى الصدق، إلى الأمانة، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم ونسيء الجوار، هي الجاهلية، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه، وعفافه، ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده، ونوحده، ونخلع ما كانوا يعبدوا آبائنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدم.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾

مسلم، كاذب ما في، المسلم صادق، المسلم أمين، المسلم عفيف، المسلم رحيم، المسلم منصف، المسلم متواضع، المسلم يحب للآخرين ما يحب لنفسه هذا المسلم.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾

كيف يزكيهم ؟ بالاتصال بالله عز وجل، لأن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً حسناً.

﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ﴾

الدالة على عظمته.

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

منه، أو السنة، العلماء قالوا: الحكمة ؛ أي السنة، السنة بمجملها بيان لما في الكتاب، الكتاب فيه كليات، والسنة فيها التفصيلات، الله قال لك:

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾

(سورة البقرة: 110)

طيب ما نصاب الزكاة، من بينه ؟ النبي، مصارف الزكاة فصل فيها النبي، نصاب الذهب والفضة، نصاب المواشي والأنعام نصاب الذهب، نصاب الركاز، نصاب المزروعات، من بين هذا كله النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾

كيف نصلي ؟ كم ركعة ؟ كم فرض ؟ السنة كم ؟ الفرض كم ؟ بينها النبي فالسنة بيان للكليات.

﴿ إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾

(سورة النساء: 29)

بس ما في غير هي الآية، مائتين حديث يقابلوا هذه الآية بين النبي، فالكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة، من خلال هذه الآية يتضح أن أي دعوة إلى الله، ينبغي أن تنطوي على خمس بنود آيات دالة على عظمة الله، يجب أن تعرف الله من آياته الكونية والتكوينية، لأنك إن عرفت الله من آياته الكونية والتكوينية، ثم عرفت أمره تفانيت في تطبيق الأمر، أما إذا عرفت الأمر فقط ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر، بين تتفنن بالتفلت، بين تتفانى في الطاعة.

إذاً:

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾

الاتصال بالله عز وجل.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

الكتاب القرآن والحكمة.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2)﴾

أي دعوة إلى الله تتجه إلى الأمر والنهي فقط لا تنجح ما عرف الآمر، أي دعوة إلى الله تتجه إلى معرفة الآمر دون أن تعرفهم بالأمر لا تنجح، أي دعوة إلى الله تنهي السمو والتزكية النفسية لا تنجح، أي دعوة إلى الله تكتفي بالقرآن تلغي السنة لا تنجح لابد من آيات كونية، وتكوينية، ولابد من اتصال بالله من أجل التزكية، ولا بد من معرفة في كتاب الله بكلياته، والسنة بتفصيلاتها وأن يكون النبي قدوة منهم.

في شخص أمامك، شخص مستقيم يمثل هذا الدين، في قدوة وفي آيات دالة على عظمة الله، وفي اتصال بالله ينتهي بالتزكية وفي معرفة كلام الله عز وجل، وفي معرفة السنة، شخص النبي قدوة والآيات الدالة على عظمة الله الكونية والتكوينية، والاتصال بالله من أجل التزكية، ومعرفة كلام الله، وكلام النبي عليه الصلاة والسلام أي دعوة إلى الله تفتقر إلى أحد هذه العناصر لا تنجح، دعوة ضخمة لكن ما فيها قدوة، خذوا أقوالهم ولا تفعلوا أفعالهم، مستحيل، كلام مضحك هذا نقول لهذا الذي يقول ولا يفعل، أو يفعل ما لا يقول نقول له لو أن دعوتك صحيحة لطبقتها أنت، لو كنت قانعاً بها طبقتها فإن لم تستطيع تطبيقها لأنها غير واقعية الدعوة، دعوة خيالية، في إحراج كبير جداً، نقول للذي يدعو إلى الله ولا يطبق أمر الله، نقول له أنت حينما لا تطبق أمر الله عز وجل كيف نفسر ذلك ؟ لا تستطيع إذاً أنت ضعيف الإرادة، فكيف تأمرنا أن نطبق هذه الدعوة ؟! هي مستحيلة إذاً لم تدعونا إليها ؟ إما أنها مستحيلة للتطبيق، أو أنك لا تستطيع، إن كنت لا تستطيع إذاً لست أهل أن تكون قدوة لنا، وإن كانت مستحيلة، الدعوة كلها ما في حاجة لها.

لذلك لابد من قدوة، ولابد من آيات، ولابد من اتصال، ولابد من كتاب ولابد من شرح.

هذه ملخص هذه الآية.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2)﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : تفسير الآية 5 ، يجب أن يكون القرآن حجة لك لا عليك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآية الخامسة من سورة الجمعة، وهي قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5)﴾

كلام دقيق وبليغ، إنسانٌ جاءه كتاب الله، كتاب الله بين يديه يسمعه صباحاً ومساءً، يستمع إلى تفسيره في كل جمعة، يقرأ تفسيره يستمع إلى تلاوته، يصغي إلى تفسيره، القرآن بين أيدينا جميعاً نحن إذاً حملنا هذا الكتاب، جاءنا هذا الكتاب، يسر الله لنا قراءة هذا الكتاب، تقرأه بطبعات أنيقة، تستمع إليه بتسجيلات صافيه، قد تراه بعينك، يعني التسهيلات التي يسرت لهذا الكتاب تفوق حد الخيال بأي لغة مترجم، نصاً، وروحاً، ومعناً، أشرطة مسموعة، أشرطة مرئية، دعاة، علماء، حفاظ، في أي مكان، هناك من يقرئك كلام الله عز وجل هذا معنى:

﴿ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾

يقاس عليها القرآن.

﴿ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾

الكتاب بين أيدينا، بمتناول كل منا، بإمكانه أن يقرأ آياته، أن يقرأ تفسيره أن يستمع إلى تفسيره، أن يشاهد تفسيره.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

حملوا ولم يحملوا، يعني بلغوا ولم يطبقوا، لم يرتفعوا إلى مستوى القرآن الكريم، لم يحل حلاله، لم يحرموا حرامه، لم يتعظوا بقصصه، لم يعتبروا بآياته، لم يشاهدوا ما أشار إليه القرآن من آيات بينات دالة على عظمة الله عز وجل، هؤلاء:

﴿ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

لم يحلوا حلاله في محلاتهم، وفي بيوعهم، وفي علاقاتهم وفي تجارتهم ، وفي صناعتهم، وفي زراعتهم، لم يحلوا حلاله، ولم يحرموا حرامه في احتفالاتهم، في مناسبات الزواج، في مآسيهم، في إنفاق أموالهم، في كسب أموالهم.

﴿ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

ما طبقوه، ما أخذوا به، ما استجابوا له.

﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

هذا الإنسان الذي بين يديه الحق ولا يتبعه، هو المغضوب عليه.

قال تعالى:

﴿ اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

(سورة الفاتحة: 6)

الضالون: ما عرفوا الحق، ولم يتبعوه طوعاً، أما المغضوب عليهم، هم الذين عرفوا وانحرفوا.

﴿ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

﴿ قالوا سمعنا وعصينا ﴾

(سورة البقرة: 93)

﴿ يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾

(سورة النور: 51)

قال هذا الإنسان النموذج، المتكرر، الذي تجده في أرجاء العالم الإسلامي الذي يستمع إلى كتاب الله، يصغي إلى شرحه يحضر خطبة جمعة، يسمع شريط، يقرأ كتاب، يتلقى العلم الشفهي فإذا دخلت إلى بيته، وإلى معمله، وإلى دكانه، ما وجدت شيئاً من هذا، أراد أن يعلن عن بضاعته يأتي بالسقطات الإعلانات على يد الساقطات، العاريات، وهو من رواد المساجد.

﴿حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

يريد أن يقيم عرس لابنه، عرس مختلط، توزع فيه الخمور وهو من بلد مسلم، وهو ينتمي إلى الإسلام.

﴿حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

يعني حمل القرآن ثم لم يحمله، يعني ملخص الآية هؤلاء الذين لم يستجيبوا لكلام الله عز وجل، قال هذا النموذج البشري المتكرر.

﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾

هو شيء بين يديكم، ائتي بدابة وضع فوقها كتاب بالفلسفة كتاب آخر في الفيزياء، كتاب في المناهج التربوية، كتاب في الفلك ضع مجلة راقية جداً، كتاب الدين في العقيدة، امشي مع هالدابة عشر ساعات ثم اسأله ماذا فهمت ؟ قل له كم حجم الأرض ؟ قل له خصائص الحديد ؟ بشنهق بس، ما عنده غير يشنهق

﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾

(سورة لقمان: 19)

﴿حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾

ليس المثل قاسياً، هذا الإنسان الذي يعلم، ولا يتعلم، يكلف ولا يستجيب دابة، مثله كمثل دابة.

﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ﴾

هنا التكذيب عملي، وليس نظرياً، إنسان مسلم تسأله هل أنت مؤمن بالله بقلك الحمد لله، هل أنت تؤمن بالجنة ؟ طبعاً، أعوذ بالله يدخلنا الجنة، هل أنت مؤمن بالنار ؟ طبعاً الله يقينا حرها، طيب انظر إلى عمله، لا تجد في عمله ما يؤكد أنه يسعى إلى الجنة، ولا ما يؤكد أنه يخاف النار، لا هذه ولا تلك، هذا هو التكذيب العملي.

أيام إنسان ينصحك بنصيحة، نصيحة طبية قد تكون، بقلك عشية ساويها تشكره أنت، تصافحه، ممنون، إنشاء الله، أنت في المساء حينما لا تطبق هذه النصيحة أنت أحد المكذبين له، بس تكذيب عملي، مو تكذيب نظري، لسانك نطق بالشكر، أثنيت عليه، لكن لأنك لم تفعل ما قاله لك إذاً أنت تكذبه. فكل إنسان:

﴿حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

هو مكذب بها.

بدليل: لو أنك تاجر وأيقنت أن هذه الصفقة تربح أضعاف مضاعفة، وبالسوق مطلوبة جداً، ومعروضة عليك، ومعك ثمنها ومن يشتريها جاهز، والأرباح عالية، لا تتردد ثانية بشرائها، تاجر أنت، معروض عليك بمائة، سعرها بالسوق ثلاث مائة، ومحصورا فيك، وتملك ثمنها، وزبونها جاهز تتردد ثانية ؟ هكذا تعامل الإنسان مع الحياة.

لو أنك أيقنت أن هذا القرآن لصالحك، ويسعدك، وينجيك لما ترددت في تطبيقه.

﴿حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

أي بين يديه القرآن ولا يطبق آيات القرآن.

﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5)﴾

هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، وأشد أنواع الظلم، ألا تستفيد من دعوة الله إليك.

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾

(سورة الأنفال: 24)

فالذي لا يستجيب يظلم نفسه أشد الظلم، يعني لو إذا إنسان معرض لمرض خطير وبائي، ولم يستجيب لنصيحة الطبيب بأخذ المصل المضاد، هو يظلم من ؟ يظلم نفسه، وأشد أنواع الظلم أن تظلم نفسك، والظالم الكبير هو الذي يحرم نفسه سعادة الآخرة، هي الآية دقيقة جداً، وهذه الآية أسلوب تربوي رائع المرض الخطير الذي ممكن أن نعانيه مرض اليهود.

﴿ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

والذي يشبه هذا المرض، أن يحل الإنسان القرآن ثم لا يحمله فهذا أولاً مكذب، وثانياً ظالم، مكذب، وظالم لنفسه.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5)﴾

هناك تعليق بسيط على آية البارحة.

قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) وَآَخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3)﴾

يعني أمتي كما قال النبي الكريم: كالمطر لا يدري أولها خير أم آخرها الخير، فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة.

لا تكون يائس، قد تأتي في آخر الزمان ولك عند الله مقام كبير، لأن الله هو الله، في أي مكان وزمان، وبإمكانك أن تعبده وأن تطيعه، وأن تتقرب إليه، وأن تصل إليه باستقامتك وعملك الصالح. لذلك فضل الله عز وجل العظيم ليس لأصحاب رسول الله لوحدهم.

قال:

﴿ وَآَخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3)﴾

أيها الأخوة:

الإنسان إذا عرف الحقيقة جند نفسه لطاعة الله عز وجل.

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول ويتبعون أحسنه.

بني إسرائيل:

﴿ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾

هم عند الله كالدواب.

﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾

والمسلمون إذا جاءهم كتاب الله، أو كتاب الله بين أيديهم ولم يعملوا به هم كالدواب أيضاً.

لذلك حينما يهون أمر الله علينا، نهون على الله.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 9-11 ، صلاة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية التاسعة والتي بعدها من سورة الجمعة ، وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)﴾

العبادة الوحيدة من بين الأديان السماوية التي فيها تعليم أسبوعي هي صلاة الجمعة.

لذلك أجمع المفسرون على أن كلمة فاسعوا إلى ذكر الله ، ذكر الله ؛ الخطبة ، الخطبة ، لأن الصلاة صلاة، صلاة ركعتين كصلاة الظهر تماماً ، إلا الذي يطلب من المصلي يوم الجمعة أن يستمع إلى الخطبة ، لأن فيها آية ، أو حديثاً ، أو حكم فقيهاً ، أو قصة ، أو موعظة حسنة ، أو تذكيراً ، أو وعظاً ، أو إرشاداً ، فأي مسلم عليه أن يؤدي صلاة الجمعة على وجه الوجوب ، ومن ترك الجمعة ثلاث مرات من غير عذرٍ نكثت نكثت سوداء في قلبه ، ثم يكون الران ، ثم ترى قوله تعالى:

﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾

(سورة المطففين: 14)

فصلاة الجمعة ، ولا سيما سماع خطبة الجمعة ، من أوجب الواجبات عند المسلم.

بقي نقطة ، الإنسان أحياناً ، من أجل سلعة بسيطة جداً ، يعني الذي يبع هذه السلعة الممتازة في طرف المدينة ، وأنت تركب مركبة وتذهب إليه ، وتقطع قطر المدينة لتشتري كيلو فول يوم الجمعة ، أما دينك رخيص عليك جداً ، أي مسجد ، أي خطيب ، أي خطبة ، مهما يكن الخطيب بعيداً عن المنهج الصحيح ، العبرة أن تركع ركعتين الجمعة ، وتقول الحمد لله صليت صلاة الجمعة ، ووضع هذا الإنسان سقط الوجوب وإن لم يحصل المطلوب، المطلوب ما حصل ، فلما قال الله عز وجل:

﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾

المؤمن ، يعني المفروض أن تبحث عن خطيب تثق بعلمه وورعه واستقامته وأن تأتي أول الخطبة. لذلك الذي يأتي في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه ، والذي يأتي في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، والذي يأتي في الساعة الثلاثة فكأنما قرب شاة والذي يأتي في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة فإذا صعد الخطيب المنبر جلست الملائكة تستمع إلى الخطبة.

أول ساعة ، ثاني ساعة ، ثالث ساعة ، رابع ساعة ، الخطيب لم يصعد إلى المنبر بعد ، فكلما بكرت إلى صلاة الجمعة ، وقرأت القرآن ، وقد سن لنا النبي عليه الصلاة والسلام أن نقرأ يوم الجمعة سورة الكهف ، فعود نفسك أن تكون في المسجد قبل ساعة ، وأن تكون يعني ترتدي أجمل الثياب ، هذا جمعة عيد ، هناك بيوت تجعل يوم الجمعة يوم عمل بالبيت كثيف ، تنظيف ، تركيب المدافئ ، ترتيب البيت ، إنجاز التنظيفات المتعبة يوم الجمعة ، أم المؤمن هذا يوم عيد ينبغي أن ينجز أعماله يوم الخميس ، وأن يجلس في هذا اليوم مع أهله ليكون عيد حقيقياً ، يأكل مع أولاده وأهله ، ويذهب إلى الجامع مبكراً ليذكر الله عز وجل ، ويقرأ القرآن ويكون مهيئاً لسماع الخطبة ، فإذا سمعها عقلها ، وسجل بعض أفكارها ، وجعلها محور حديثه طوال الجمعة ، هذا الذي ينبغي أن نفعله جعلها محور حديثه طوال الجمعة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9)﴾

فالذي يرى أن الذهاب إلى النزهة خير من صلاة الجمعة ، أو أن الذي يذهب إلى مسجد ليلحق الركعة الأخيرة ، ويحسبها على الله صلاة جمعة ، هذا لا يعلم ، لا يعلم ، المؤمن الصادق يبرامج حياته وفق العبادات ، لا أن يجعل العبادات يؤديها بحسب فراغه ، أو بحسب تعطله عن بعض الأعمال ، القصد العبادات ، هذا يوم مقدس ويوم عيد وفي ساعة ، فيها ساعة أيجابه ، لا يوافقها العبد إلا أجاب الله دعائه ولم تحدد هذه الساعة كي تكون مستعد طوال اليوم ، يوم الجمعة في ساعة أيجابه ، ما من عبد يسأل الله شيئاً من أمر الدنيا أو الآخرة إلا أجابه الله عز وجل ، يعني اجعلوا هذا اليوم يوم عيد ، اجعلوا هذا اليوم يوم لقاء مع الأهل ، يوم صلة أرحام ، صل رحمك مساء واستعد لسماع الخطبة صباحاً ، واجلس مع أولادك صباحاً ، أكثر الناس ، يبقون في الفراش إلى الساعة الحادية عشرة ، هذا يوم عيد أستيقظ في الساعة التاسعة ، صلي الفجر وعد إلى الفراش ، وأستيقظ الساعة التاسعة ، أجلس مع أهلك ساعتين ، واذهب إلى المسجد ، وعد واصل أرحامك بعد الظهر ، يعني يجب أن تستغل هذا اليوم بطاعة الله اجعلوه من الصباح حتى المساء في طاعة الله عز وجل ، ما بين كسب ود الأهل والأولاد ، وما بين سماع الخطبة والتبكير إلى المسجد ، وما بين صلة الأرحام ما بعد الظهر.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾

البيع محرم ، محرم في أثناء الآذان والصلاة لأنه هذا اليوم لله عز وجل فإذا جعلت كل الأيام للدنيا كنت الخاسر الأكبر.

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾

(سورة الكهف: 103)

﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾

لم يقول والشراء لأنه كل بيع فيه شراء ، والبيع محبب للناس البيع فيه قبض ، أما الشراء فيه دفع.

﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾

أنت في المسجد تبتغي رحمة الله ، وخارج المسجد تبتغي فضل الله.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10)﴾

لذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه برء من النفاق من أكثر من ذكر الله.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً﴾

يعني هذا الذي سمعته في الخطبة اذكره للناس كثيراً ، ماذا قال الخطيب قرأ آية ، شرح آية ، قرأ حديث ، شرح حديث ، قرأ قصة استنبط منها بعض الحقائق ، أعطى حكم شرعي ، هذا كله متصل بالله عز وجل ، فالذي أصغيت عليه ينبغي أن تجعله مدار حديثك.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10)﴾

الفلاح ، والنجاح ، والفوز ، والتفوق ، بذكر الله ذكر الكثير أما أهل الدنيا.

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾

يعني مادام ما في مشكلة ، نحن في المسجد ، أما لأتفه الأسباب ندع الصلاة ، ونذهب إلى متاجرنا ، بقلك موسم.

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾

قال المفسرون: قدم الله التجارة على اللهو ، لأن لا لهو بلا تجارة ، اللهو يحتاج إلى أنفاق كثير ، لذلك يقتضي أن تكون هناك تجارة واقعة ، المؤمن يتاجر لينفق المال في طاعة الله ، يتاجر ليتقرب إلى الله بماله، يتاجر ليطعم الفقراء والمساكين ، يتاجر لينشئ ميتماً لينشئ معهداً شرعياً ، ليزوج الشباب ، يتاجر من أجل

أن يدخل الجنة من أعرض أبوابها ، هذا المؤمن ، أهل الدنيا يتاجرون ليتمتعوا ليشتروا في مكان جميل بناء فخماً ، ليتمتع في الحياة الدنيا ، بكل مباهجها

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾

يعني أحياناً تذهب إلى مسجد الفجر ، تجد سبع أشخاص خمسة ، اثنان ، واحد ، وحول المسجد كل بناية أثنى عشرة طابق ، كل طابق ثمانية شقات ، وفي عشر بنايات ، قال بعضهم: إذا أم الناس المساجد في صلاة الفجر، كما يؤموها في صلاة الجمعة ، نستحق نصر الله عز وجل ، أما بالجمعة نصف ساعة زمان بنقي جامع خطبته عشر دقائق ، أو خمس دقائق ، في جامع السيرنجية مشهور هذا الخطبة ثلاث دقائق ، أكثر رواد المسجد ، زوجات بالسيارات مع اللحمات والفحمات ، بطج هل الركعتين ، وعلى السيران ، هذا آخر الزمان.

﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾

(سورة مريم: 59)

يجب أن تهتم بصلاة الجمعة ، أن تهتم باختيار المسجد ، أن تهتم بسماع الخطبة ، أن تعي ما قال الخطيب، أن تجعل كلام الخطيب منهجاً طوال الأسبوع يعني مناسبة وحيدة ، فريدة ، فرض على كل مسلم أن يكون في المسجد يوم الجمعة ، وفي الساعة الأولى ، إذا أول ساعة بدنه ، طيب ثاني ساعة بقرة ، ثالث ساعة شاة ، رابع ساعة دجاجة، خامس ساعة بيضة ، هذا كله قبل أن يصعد الخطيب المنبر معناها مهما بكرت لك أجر أكبر ، هذا يوم عبادة، فأكثر الناس يدركون ركعة أو ركعتين في صلاة الجمعة ، ولم يتح لهم أن يسمعوا كلمة واحدة من كلام الخطيب، ماذا استفاد ، إله عظيم يقول:

﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾

افتحوا كل التفاسير ، القرطبي ، الجلالين ، ابن كثير الألوسي ، الرازي الطبري ، افتحوا كل التفاسير ما معنى:

﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾

إلى سماع خطبة الجمعة ، مشان تستفيد ، أنا أسمي هذه العبادة عبادة تعليمية ، عبادة تعليمية ، من خلالها تتعلم ، وهي الحد الأدنى الأدنى ، الأدنى ، نعم.

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾

بس في قضية بلاغية ، الله قدم التجارة على اللهو في أول آية ثم قدم اللهو على التجارة في آخر الآية ، يعني إذا الإنسان ترك صلاة الجمعة ، من أجل اللهو أثمه أكبر بكثير مما لو تركها من أجل التجارة يعني بالحالتين غير معذور ، بس أيهما أشد إثماً ، ترك الصلاة ليسبح أما ترك الصلاة عنده جمارك بالمحل مثلاً، عم ينقل بضاعته من محل إلى محل ، طبعاً بالحالتين آثم ، بس أنو أهون ، إذا كنت في أمرٍ عصيب ، عذرك ! يعني غير مقبول العذر، بس أثمك قليل ، الله قدم التجارة على اللهو في مطلع الآية ، لأنه لا لهو بلا تجارة ، ثم قدم اللهو على التجارة في آخر الآية ، لأن ترك الصلاة لعلة اللهو أشد أثماً من ، أشد أثماً في كلا الحالين أنت آثم ، من تركها لعلة التجارة.

﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)﴾

وما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خير منه في دينه ودنياه.

أنا هيك في منظر كان يلفت نظري ، في بسوق الحميدية بآخرها على اليمين ، بائع مرطبات بس صالح جداً، هذه قصة من أنثى عشر سنة ، الآن لا أعرف ما حال المحل يبيع ليموناضا ، وتمر هندي إذا أذن الظهر يغلق المحل ويذهب إلى المسجد ، بكون عنده عشرين زبون ، أما الشيء الذي لا يصدق ، أن هؤلاء ينتظرونه ، بتلاقي على المحل عشرين واقفين ، روحوا صلوا معه ، ليذهب يصلي السنة والفرض ، يرجع واقفين عما يستتوا كلهم ، مشان كاسة ليمون شيء مو معقول مو معقول إطلاقا ، تستنا واحد ثلث ساعة مشان كاسة لبن أو ليمون ، هي بضاعته جيدة جداً ورخيصة ، لكن هو مات ، أذن الظهر يغلق المحل وجرب إذا أنت أردت أن تعظم شعائر الله الرزقة هي هي.

﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)﴾

هي لها علاقة ، أنت لماذا تركت تجارتك ، في أثناء الصلاة ؟ طاعة لله.

﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)﴾

هي آية الجمعة ، فيجب أن يكون يوم الجمعة يوم مقدس عندنا وأن تعتني بصلاة الجمعة ، وأن تبحث عن مسجد تثق بعلم خطيبه وورعه ، وأن تستفيد مما قيل يوم الجمعة ، وأن تجعل هذا الحديث مدار حديثك طوال الأسبوع.

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : تفسير سورة التغابن

الدرس (1-2) : تفسير الآيات 7 – 9 ، يوم التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية السابعة من سورة التغابن وهي قوله تعالى:

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7)﴾

أخوانا الكرام:

عامة المسلمين يؤمنون بالله واليوم الآخر، إيماناً ضبابياً لو أنهم آمنوا باليوم الآخر إيماناً حقيقياً، لا يمكن للإنسان أن يعصي الله أبداً، لأنه الحساب عسير، والخسارة كبيرة، والعقاب أليم، والعقاب مديد، فهذا الإيمان الضبابي، هذا التسليم الساذج، هذا لا يقدم ولا يؤخر.

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾

أنت حينما تؤمن بالله واليوم الآخر، تستخدم ميزان خاصاً قبل أن تؤمن باليوم الآخر، قد تجد كسب المال الكثير بطريق غير مشروع، قد تجده ذكاء وشطارة، وتفوق، أما حينما تؤمن بأن الله سيحاسبك عن كل درهم اكتسبت، من أين اكتسبت وكيف أنفقت تستخدم مقياس الحساب، عندئذ تركل بقدمك ألوف الملايين وتقبل بمبلغ بسيط حلال، فلن يستقيم سلوكك إلا إذا آمنت باليوم الآخر، إن أردت أعمق من ذلك كل ما يقال عن الوازع الداخلي، والضمير، هذا كله كلام فارغ، حينما تخاف من الله تستقيم على أمره، حينما تؤمن أن الله ستقف أمامه ليسألك عن كل شيء، عن صلتك، وعن قطيعتك عن عطائك، وعن حرمانك، عن ابتسامتك، وعن عبوسك، عن زواجك، وعن طلاقك، أي شيء فعلته تسأل عنه وله حساب عسير.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾

ما في إنسان يعصي الله عز وجل إلا ومتوهم ما في آخرى هذه الدنيا هي كل شيء، وإذا أقر بلسانه فعمله لا يؤكد هذا الإقرار إنسان يأخذ ما ليس له ويعلم علم اليقين أن في الآخرة عذاباً أليماً إلى أبد الآبدين، ولن يتفلت من عذاب الله مستحيل، أو يكون مجنون إنسان بعقله وموقن أن الحساب عسير، ويأخذ ما ليس له، يرتكب المعاصي والأثام هذا تفكيره معطل.

فلذلك:

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7)﴾

تصور إنسان يرى عمله عملاً، عملاً، بتفصيلاته، بدقائقه ببواعثه بمؤداه، بكل ملابساته.

﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾

(سورة الإسراء: 14)

﴿ مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾

(سورة الكهف: 49)

لذلك هذا الأعرابي الذي سأل النبي عليه الصلاة والسلام أن يعظه دون أن يطيل، قال عليه الصلاة والسلام تلا عليه قوله تعالى:

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾

(سورة الزلزلة: 7)

ما كان من هذا الأعرابي تأمل، قال: كفيت، تكفيني هذه الآية إلى الموت، نحن 600 صفحة، مجود، ومرتل، ومفسر وكتب تفسير، وأشرطة، وأشرطة مرئية، ومكتبة ضخمة، وخطب ودروس، ومواعظ، ومع ذلك اغتصاب المال على قدم وساق، إما بطريق صريح، أو بطريق الاحتيال، والغش، والكذب، والتزوير وكأن الله لن يحاسب أحداً، وكأن الحياة الدنيا هي كل شيء وكأن الموت كلام فارغ.

لذلك:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾

مثل واضح جداً، إنسان يعمل في مصلحة، فلما تأتيه آله للتصليح قد يطلب سعر معين، يفتحها يجد أنها غير معطلة، قبل أن يؤمن باليوم الآخر يأخذ المبلغ نفسه خمسة آلاف، فلما آمن باليوم الآخر أخذ خمس وعشرين ليرة، عوض الخمسة آلاف، لأنه عرف في حساب، تأخذ منه هذا المبلغ لقاء ماذا، الآلة غير معطلة، فيها فصل بسيط.

﴿ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (8) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾

اخترت هذه الآية لعلاقتها باسم السورة، سورة التغابن التغابن ؛ أنه في هذا اليوم يشعر الإنسان أنه مغبون جداً حينما أقبل على الدنيا ونسي الآخرة.

مغبون جداً حينما تعلق بالسفاسف وترك الأشياء الصحيحة.

مغبون جداً حينما تعلق بالخسيس وترك النفيس.

مغبون جداً حينما جعل الدنيا هي كل همه، ومبلغ علمه.

كلمة مغبون ؛ كلمة عميقة جداً، يعني أنت في الدنيا، إن اشتريت قطعة ثياب وتوهمت أنها من صنع دولة عظيمة في النسيج الصوف، ثم اكتشفت أنها خيط صناعي، وخيط مستعمل سابقاً وقيمتها لا تساوي عشر الثمن، يعني من أجل ثياب تتألم أشد الألم دفعت مبلغ كبير، وأخذت شياً خسيساً، هذا التغابن، هذا الغبن الفاحش.

بعت بيت بمليونين وحقه خمس ملايين، يعني ما انتبهت اشتريت شيء بسعر غالي جداً، هذا الشيء مستعمل طلع، مجدد، هذا الغبن.

فأنت بالدنيا لا تحتمل الغبن، أما إذا اكتشف الإنسان أنه ضيع دنياه في القيل والقال، وتوافه الأعمال، ونسي الآخرة، ذات الأمد المستمر، هنا يأتي الشعور بالغبن، قال هذا اليوم اسمه يوم القيامة واسمه الحاقة، واسمه الواقعة، واسمه الطامة، ومن أسمائه يوم التغابن، لا تعرف الغبن إلا يوم القيامة.

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾

(سورة الكهف: 103)

والله آلاف القصص، وأنا لا أتكلم من فراغ، والله آلاف القصص، بعقله، وإدراكه، وذكائه، يغتصب ما ليس له، يغش في البيع والشراء، يعني ممكن تبيع بيت شمالي وتقول له قبلي، ممكن الدلال بصلي العشاء باتجاه الشمال حتى يوهم الشاري أنه قبلي، بدي صلي العشاء عندكم سجادة صلاة، ووضعها باتجاه الشمال، وقبلي بقول له، ممكن تبيع بضاعة منته مفعولها، ممكن دواء انتهى مفعوله وتحك مكان التاريخ وتبيعه، والله الذي يفعل ذلك اليوم الآخر ما آمن به إطلاقاً، ممكن توهم إنسان بدك عملية وهو ما بدو عملية القصص لا تعد ولا تحصى، بكل الحقول، بالتجارة، بالصناعة بالطب، بالهندسة، بالعمار، بالتدريس، بالعلم، بالمحاماة، في كل المجالات، الكذب على قدم وساق، وابتزاز المال على قدم وساق والغش على قدم وساق، والإيهام على قدم وساق، والاحتيال على قدم وساق، هؤلاء الذين يصلون في المساجد.

لن تغلب أمتي من أثني عشرة ألف من قلة

أثني عشرة ألف من قلة، لن يغلبوا في الأرض، أما مليار ومائتين مليون مغلوبين لأنهم فهموا الإسلام طقوساً تؤدى، صلوات تؤدى، ما فهموا الإسلام سلوكاً يمارس، ما فهموا الإسلام قيماً ترعى فهموه عبادات جوفاء تؤدى.

لذلك:

﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾

(سورة الكهف: 105)

يعني أنا أقول لكم هذه الكلمة هان أمر الله عليهم فهانوا على الله، هانت على الله كرامتهم، وهانت على الله عزتهم، وهانت على الله سلامتهم، لأنهم يأكلون أموال بعضهم بعضاً، ما في خوف من الله، حتى في الحقل الديني، حتى في أعمال الخير تجد أيدي غير نظيفة.

فيا أيها الأخوة الكرام:

آن لنا أن نصحوا، آن لنا أن نفهم هذا الدين على حقيقته كما أنزله الله عز وجل، هذا التجديد أن تزيل من الدين ما علق به من أوهام، من خرافات، من ممارسات غير صحيحة، الدين ليس صلاةً وصياماً، وحجاً، وزكاةً إنه استقامة، إنه طهر، إنه عفاف، إنه صدق.

يا جعفر تحدث عن هذا الدين، النجاشي سأل سيدنا جعفر، قال له كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم ونسيء الجوار، هذه الجاهلية، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه، وعفافه، ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده، ونخلع ما كانوا يعبدوا آباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا؛ . اسمع تعريف الإسلام من سيدنا جعفر . بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن محارم والدماء.

هذا الإسلام بناء أخلاقي، دعائمه العبادات، بني الإسلام على خمس ودعائمه العبادات، لو ألغينا البناء بقيت هذه الدعائم لا قيمة لها وحدها، هي دعائم بناء، وين البناء ؟

فكل واحد منا سفير الإسلام، كل واحد منا يمثل الإسلام، وكل واحد منا إذا طبق فيما يملك كفاه الله مالا يملك، تملك بيتك وعملك كل واحد منا يطبق الإسلام في بيته وعمله، هل يستر جئ مخلوق في الأرض أن يمنعك أن تصلي في البيت، أن تربي أولادك، أن تحجب زوجتك، أن تكون صادقاً في عملك.

يعني آن الأوان أن نصحوا من غفلتنا، يعني أيمكن أن نكون في مؤخرة الأمم ؟ مو معقول، لأن المشكلة أنه الإيمان في يوم الآخر غير صحيح عندنا مهزوز، كل إنسان يعصي الله معنى ذلك يتوهم أنه ما في حساب، والحساب موجود وقائم.

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (8) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾

الحقيقة الإنسان يحترق قلبه كيف ضيع هذه الدنيا بالسفاسف بالترهات، بالقيل والقال، كيف أمضى هذه السهرات وراء التلفاز للساعة الواحدة كل يوم كل يوم، هذه القصص ما ختمتها، كيف الإنسان يبيح لأهله أن يفعلوا ما يشاءون بلا منهج يضبطهم، هذا الذي نعول عليه أن نطبق الدين في بيوتنا، وفي أعمالنا وانتهى الأمر.

﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾

تقول البنت لرب العزة يوم القيامة يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، يعني هؤلاء الفتيات في الطريق اللواتي ترتدين ثياباً تصف كل شيء في أجسامهن، ما لهم آباء هؤلاء ؟ أخوة ذكور ما لهم ؟ ما فيه نخوة ؟ ما فيه شرف ما فيه ذوق ؟ ما فيه خوف من الله ؟ فتيات المسلمين في الطرقات يكشفن عن كل شيء منع الله أن يكشف.

سألوا مرة مفتي البوسنة، سمع المقابلة صديق لي في الإنكليزية، قال أخوانا بالشرق لا تعتبون على الله من أجلنا، نحن لسنا مسلمين، نأكل لحم الخنزير، ونشرب الخمر، الآن أصبحنا مسلمين، بعد هذه المحنة أصبحنا مسلمين.

لا تسمي المسلمين وتحسبهم على الإسلام، المسلم مطبق، فإن لم يطبق لا ينبغي أن يحسب على الإسلام هذا يجب أن يستبعد.

موطن الثقل في هذه الآية:

﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾

الغبن الصحيح المخيف يوم القيامة، حينما يشعر الإنسان أنه فقد كل شيء ولم يحصل على شيء.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)﴾

الباب مفتوح، الصلحة بلمحة، التوبة بلحظة، ما دام القلب ينبض كل شيء يحل، تقول يا رب لقد تبت، يقول لك عبدي لقد قبلت يجب أن تنعقد التوبة عند كل مسلم كي يلقى الله عز وجل وهو راضي عنه، والموت حق يا أخون عما نسمع بجلطات بالخمسة والعشرين حضرت تعزية من أسبوع شاب في مقتبل العمر توفي بجلطة بالخمسة والعشرين، والموت قريب.

فيا أيها الأخوة الكرام:

كلمة يوم التغابن الغبن الحقيقي نشعر به لا سمح الله ولا قدر عند الموت.

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) ﴾

(سورة المؤمنين: 99)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم...

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : تفسير الآية 14 ، لا طاقة لمخلوق في معصية الخالق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الرابعة عشرة وما بعدها من سورة التغابن، وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾

زواجكم وأولادكم عدو لكم اختلف المعنى اختلاف كلي، أي أية زوجة، أو أي ولد عدو للإنسان.

أما ربنا عز وجل قال:

﴿ إِنَّ مِنْ﴾

ومن تفيد التبعيض، يعني إن بعض أزواجكم، وبعض أولادكم عدو لكم مع أن الله جل جلاله أودع في قلب الزوج محبة زوجته، لقوله تعالى:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾

(سورة الروم: 21)

السكنة من خصائص الزواج، لذلك العلماء حاروا في هذه الآية.

آية تقول:

﴿ ومن آياته الليل والنهار ﴾

(سورة فصلت: 37)

﴿ ومن آياته والشمس والقمر ﴾

(سورة فصلت: 37)

﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض ﴾

(سورة الشورى: 29)

ومن آياته الدالة على عظمته.

﴿ أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾

هنا:

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾

إلا أن الإشكال يزول بكلمة من، إن بعض أزواجكم، وبعض أولادكم عدو لكم، ولكن هذه العداوة في الأعم الأغلب في حالات نادرة هناك عداوة حقيقية عداوة حال، أما في حالات عداوة مآل، يعني في النهاية يوم القيامة يرى أنه كسب المال الحرام إرضاءً لزوجته، فكانت زوجته سبب دخوله النار، في النهاية يوم القيامة يرى أنه أقحم أولاده في بئر قذرة ليأخذوا شهادات عليا أحياناً، أو ليتعلموا اللغة الأجنبية فانغمسوا في الزنى، أرسل أولاده الشباب إلى بلد غربي ليتعلموا فانغمسوا بالزنى، فكان هذا الزنى في صحيفة الأب، يعني إذا حملتك زوجتك على معصية الله سوف تراها أكبر عدو لك، إذا حملك ابنك على معصية الله سوف ترى ابنك أكبر عدو لك.

لذلك: كانت الصحابية الجليلة تقول لزوجها صباحاً قبل أن ينطلق إلى عمله يا فلان اتقي الله نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا نصبر على الفقر ولا نصبر على الحرام.

هذه الزوجة المؤمنة، وأعظم النساء بركة عند الله أقلهن مهراً أعظم النساء بركة أقلهن مهراً، أية زوجة تحمل زوجها ما لا يطيق حتى تحمله على كسب حرام إرضاءً لها، وتخفيفاً للضغط اليومي فيكسب المال الحرام، يمد يده ليكسب المال الحرام، هذه الزوجة لو أنه يحبها في الحال سوف يمقتها في المآل في النهاية.
لو أن شريكين، الشريك أقترح بجيب بضاعة غير نظامية، ثم ألقي الشريكان في السجن، حكموهم عشر سنوات، هذا في الزنزانة الشريك الله يلعن هالشريك، لولاه ما كنت دخلت إلى هنا، مادام اقتراح شريكه، وجاب بضاعة غير نظامية، وأودعوا في السجن وحكموا عشر سنوات، كل يوم يلعنه، لولا اقتراحه، لولا أفكاره النتنة ما دخلت هذا السجن.

أيضاً الزوج تحمله زوجته على معصية، على كسب مال حرام من أجل المظاهر، والرفاه، هذه مشكلة معظم الأسر، يعني أكثر النساء تضغط على أزواجهن، تغير أساس البيت، شراء سيارة توسيع البيت، تزين البيت، الناس بيحكوا علينا، عندك بنات، كبرو البنات، بيجوا خطابين، مدخل البيت مذري هذا الكلام مضحك يسرق، يأكل المال الحرام، يرتشي، حتى يغطي النفقات فيوم القيامة حينما يكتشف أنه انغمس في المعصية إرضاء لزوجته، يرى أن زوجته أكبر عدو له.

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾

أخوانا الكرام:

بالمناسبة نحنا في عنا فقر الكسل، وعنا فقر القدر، وعنا فقر الأنفاق، فقر الكسل مذموم، إنسان خمول لا يعمل، يكره عمله، غير متقن، يعمل يوم ويترك أيام، هذا طبعاً فقير، فعليه ضغط من زوجته لكن هو الآثم، هو الكسول.

البارحة في درس بجامع النابلسي مذاكرة، وفي شاب يعني هذا الشاب أجاب إجابات غير معقولة، يعني يحفظ درس التفسير كلمة كلمة، أجاب إجابات غير معقولة، انضباط، ودوام، وتألق، وحافظة جيدة، فأنا أثنيت على هذا الشاب ولم أكن أعرف من هو والده، ثم التقيت اليوم بوالده قال لي هذا ابني ماذا قال لي ؟ قال لي والله يا أستاذ أعمل ليلاً نهاراً لأربي الأولاد، أنا أشرق أمامي معنى اليوم قلت والله لو اشتغلت 12 ساعة، قال لي اشتغلت بسطة، واشتغلت ببيع القماش على الرصيف، ونقيت له أحسن مدرسة، وربيته، قلت له والله هذا الابن لا يقدر بثمن، ولا ألف مليون دولار، شب مستقيم منفتح، متفوق، يحب الله ورسوله، طليق اللسان، حافظ، فإذا كان عندك عمل شاق، والثمرة هيك أولاد، هنيئاً لك، فإذا كان أنت اشتغلت، وكسبت المال وأنفقت على أولادك وربيتهم، وأصبحوا أعلام هؤلاء الأولاد شهاداتهم العليا لك، بين إنسان يربي ابنه فاسق.

أقسم لي شاب كان أبوه يأخذه إلى كازينو في لبنان ويحمله على شرب الخمر، ويجبره أن يعاشر المومسات، هذا الابن إذا وقف يوم القيامة، الابن لكن الله تاب عليه، هذا الابن لو أنه وقف يوم القيامة، واستحق دخول النار وقال يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، صح من حقه.

بقولوا إنسان سرق بيضة شجعته أمه، كبر، كبر سرقاته بعدين ارتكب جريمة قتل واستحق الإعدام، وهو أمام حبل المشنقة طلب والدته ظنوا أنه يريد أن يودعها، فلما جاءت ليودعها قال مدي لسانك كي أقبله، فلما مدت لسانها قطعه، قال لها: لو لم يكن هذا اللسان مشجعاً لي في الجرائم ما فقدت حياتي.

إياك تقول لابنك عفارم عليك إذا ارتكب عمل سيئ، إذا كسب مال حرام إذا احتال على إنسان، لا تقول له شاطر، إذا قلت له شاطر خربت بيته، شجعته أقريته على عمله.

فتربية الأولاد مهمة جداً، فبين أن يكون الابن سبب دخول أبيه النار، وبين أن يكون الابن دخول أبيه الجنة، أولادك جنتك ونارك.

فلذلك:

هذا فقر الكسل مذموم، فقر القدر، واحد عنده عاهة، معذور نعاونه، أما فقر الإنفاق جاء إنسان للنبي عليه الصلاة والسلام قال يا رسول الله إني أحبك قال له انظر ما تقول، دققوا، قال له والله إني أحبك، قال له أنظر ما تقول، قال له والله إني أحبك، قال له إن كنت صادقاً فيما تقول للفقر أقرب إليك من شرك عليك، إذا كنت محباً فعلاً تنفق المال في سبيله.

﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾

(سورة الإنسان: 8)

من علامة المؤمن أنه يستخدم ماله لإسعاد الناس، فيفتقر ما عنده مال زائد، سيدنا الصديق أنفق كل ماله، افتقر، هذا فقر كسل ؟ لا، فقر قدر ؟ لا، هذا فقر الإيمان، فقر الإنفاق، فإما أن تكون لا سمح الله فقير فقر كسل فأنت مذموم، وإما أن تكون فقيراً قدر فأنت معذور، وإما أن تكون فقيراً إنفاق فأنت محمود. إذا الإنسان أنفق وظف ماله بالحق محمود.

ملخص الآية: إياك أن تحملك زوجتك على معصية، تغدو عدوة لك، وتمقتها يوم القيامة لأنها سبب انحرافك.

لذلك امرأة ضغطت على زوجها من الصحابيات قال لها اعلمي أيتها المرأة أن من الجنة من الحور العين مالا لو أطلت إحداهن على الأرض لغلب نور وجهها نور الشمس والقمر، فلئن أضحي بك من أجلهن أهون من أن أضحي بهن من أجلك، هذا الجواب الدقيق.

الآن إذا أنت مالك كسلان، أما دخلك محدود، يعني هالخمسة آلاف بكفوك أكل وشرب فقط، ومن الدرجة الخشنة نجمة واحدة، ماذا تفعل ؟ مالك مكلف أن تكسب قرشاً حراماً، أطعمهم مما تأكل وألبسهم مما تلبس، مالا تكلف، مالا تطيق، مهما تكلموا، أنت أمام الله مالك مسئول، مسئول إذا أنت أكلت بالسوق لحمة بالمطعم وشبعت، وبالبيت عملت مجدرة، شو عندهم، دبروا حالكم، تمضاية أنت عما تأكل بالمطاعم مع رفقاتك وتنبسط، وعما تطعمهم أخشن الطعام الآن الله يحاسبك، أما إذا عما تأكل معهم، إذا كان أكلك من أكلهم، وثيابك من مستوى ثيابهم ما بقى في مشكلة، لأن الله ما كلفك فوق طاقتك، ما كلفك أبداً، الواحد لا يقول، احكي ساعة، هذا معاشي، ومُقسم، قسم للخبز، والطعام، والفواكي، والخضراوات واللحمة، وجزء للألبسة، غير هيك ما في عندي، جدد أثاث بيت ما في إمكان، قد ما ضغطت، لأنه إذا ضغطت واستجبت، ومديت يدك للحرام.

شب بأول حياته اشتغل بمحل جملة مواد تجميل، صاحبه واحد من أخوانا، قال لي أعطيته 8 آلاف، وهو زوجته لوحدهم، ضغطت عليه، صار يبيع، ويضع بجيبه، وجد البضاعة تنقص، هو صاحب المحل ذكي، كلف أحد أقربائه أن يأتي على المحل بغيابه ويشتري بضاعة، فجاء واشترى بضاعة بغيابه، وصل صاحب المحل، قال له هل جاء أحد ؟ قال له أبداً ما أحد جاء، بعت ؟ لا ما بعت، قال له ما شي، طبعاً كلفه يرجع البضاعة بحضوره، جاء وقال هذه أريد أن أبدلها، قال له متى أخذتها، قال اليوم أخذتها، قال له ما قلت لي عنها قال له هذا آخر يوم لك بالدوام، جاء لعندي الصانع ليترجاني، قلت له أنت خنت، أنت سرقت، آلاف نعمة، أنت وزوجتك، نعمة كبيرة ضغطت عليه قام مد يده للحرام، فقد عمله.

فهذه الآية دقيقة جداً ، يعني النعومة الزائدة مع الزوجة والأولاد، مثل ما بدكم، تكرموا، عما يلعب، عما يشتغل بأساليب غير صحيحة.

﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾

بس لا تحقد، المرأة طبيعتها بدها مظاهر، هي أساساً لو ما بدها مظاهر ما بتحبها أنت أساساً، بتحب الأناقة، واللبس، والترتيب وبيت مرتب، وأثاث جديد، وبيت مدهن، بتحب هالشي هذا.

قال:

﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾

لا تحقد عليها، جزء من طبيعتها، لكن أنت القائد، وأنت المسيطر.

﴿ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14)﴾

ثم يقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

الإنسان يمتحن بماله وأولاده.

﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15)﴾

واحد جاء النبي أنه فقير، قال له: كيف حالك ؟ قال له: حالي كما تراني فالنبي دعا له بالغنى صار من أكبر أغنياء المدينة فبعث له صحابي يعطيه الزكاة، قال له قل لصاحبك، ما عاد قال رسول الله، ليس في الإسلام زكاة.

قال:

﴿ فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه ﴾

(سورة التوبة: 77)

مشهورة قصته، ما اسمه ؟ ثعلبة، كان يصلي وراء رسول الله، لكنه لم يشكر الله على نعمة الهدى، شكى له الفقر، فالنبي دعا له بالغنى، صار غني منع الزكاة.

﴿ فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه ﴾

بما كذبوا الله بما وعدوا.

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15)﴾

غداً إن شاء الله نتابع هذه الآيات.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الفصل السابع : تفسير سورة الطلاق

الدرس (1-5) : تفسير الآيتان 1-2 ، الطلاق البدعي والطلاق السني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الأول من سورة الطلاق وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً (1)﴾

هذه الآية أيها الأخوة:

تبين الطلاق السني ، والذي يفعله معظم المسلمين ، يطلقون طلاقاً بدعياً ، فهذا الذي يطلق زوجته ثلاث طلقات متواليات في مجلس واحد ، ماذا فعل بقوله تعالى:

﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً (1)﴾

أي أمراً يحدث بعد أن طلقتها ثلاث طلقات متتاليات في مجلس واحد وانتهى الأمر ، ماذا أمرا الله عز وجل؟ أمر أن تطلقها طلقة واحدة ، وأن تبقى زوجتك عندك في البيت ، وأن تتزين لك ، وفي أية لحظة خلال ثلاثة قروء ، أو ثلاثة أشهر ، بإمكانك أن تراجعها بكلمة أو بلمسة ، وترجع إليك وليس هناك شيء.
لذلك قال الله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2)﴾

هذه الآية جاءت في سياق سورة الطلاق ، من يتق الله في تطليق زوجته يجعل الله له مخرجاً إلى إرجاعها ، لو أنه طلقها كما سن النبي عليه الصلاة والسلام ، وكما نطقت به هذه الآية ، طلقها طلقة واحدة رجعية ، وأبقاها عنده في البيت ، فالموضوع الذي من أجله ، كان الطلاق ، إذا كان صغيراً بعد أياماً عدة ينتهي ، ويندم على فعلته ، ويسترجعها ، بكلمة أو بلمسة وانتهى الأمر ، فإذا بقيت ثلاث قروءٍ عنده في البيت ، تتزين له كل يوم ، وهو مصر على طلاقها ، وانقضت العدة ، كانت طلقة رجعية بإمكانه أن يسترجعها بعقدً ومهرٍ جديدين ، ولا شيء عليه ، بعد الثلاثة قروء ، ثم إنه بإمكانه أن يطلقها مرة ثانية كما فعل في المرة الأولى ، يطلقها طلقة واحدة وبإمكانه أن يسترجعها بكلمة أو لمسة خلال ثلاثة قروء ، فإذا مضت القروء الثلاثة ، ملكت نفسها ، بإمكانه أن يسترجعها بعقد ومهرٍ جديدين ولا شيء عليه ، لأنه طلق طلاقاً سنياً.
وقد قال الله عز وجل:

﴿ الطلاق مرتان ﴾

(سورة البقرة: 229)

هو جعله مرة واحدة ، الذي يطلق طلقات ثلاث في مجلس واحد يخالف أحكام هذه الآية ، الله عز وجل قال:

﴿ الطلاق مرتان ﴾

في الثلاثة.

﴿ فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾

هو جعل الثلاثة في مجلس واحد ، وعنده أولاد ، فهذا الذي يطلق تطليقات ثلاثاً في مجلس واحد يعد طلاقه بدعياً مخالفاً للسنة.

أما الذي ، قال الله عز وجل:

﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً (1)﴾

لعل هذا القلب يلين ، لعل هذه المشكلة تصغر ، لعل هذا الخصام يفتر ، لعل هذه الكراهة تنقضي.

﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً (1)﴾

آلاف الزيجات فيها خلافات مستعصية بعد حين حلت الأمور وعاد الوئام وسار الركب ، فلماذا التعنت.
أيها الأخوة الكرام:

ابن عباس رضي الله عنه قال مرة: أيرتكب أحدكم أحموقته ويقول يا بن عباس يا بن عباس ، يعني حينما تلقى الخطب ، وحينما ينزل الخطيب من على المنبر ، أكبر موضوع يسأل عنه موضوع الطلاق ، لأتفه سبب ، لأتفه انفعال ، لأتفه غضب ، يحلف على زوجته يمين طلاق ، هذا من الحمق ، وأنت حينما تحلف على زوجتك يمين الطلاق ، صارت هي المطلقة ، إن قلت لها: إن زرت أختك فأنت طالق ، صار طالقها بيدها ، كنت أنت الآمر فأصبحت مأموراً ، كنت أنت الحاكم فأصبحت محكوماً ، كنت أنت القوي فأصبحت ضعيفاً.

يا أيها الأخوة الكرام:

يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾

يعني في عدة ، أول قرء ، ثاني قرء ، ثالث قرء ، معناها طلقة واحدة بينونة صغره ، إذا مرت القروء الثالثة ولم تراجعها ، ولم تراجعها ، بانت منك بينونة صغره ، أي بإمكانك أن تنشئ عقداً جديداً ومهراً جديداً وأن تسترجعها ، ولك أن تفعل هذا مرة ثانية ، أول قرء وثاني قرء ، وثالث قرء ، وهي في بيتك تتزين لك ، فأكبر

موضوع يصغر ، مهما يكن الخلاف شديداً ، ينسى ، يصغر يمحى ، أنت في بحر الآمان ، أنت في بحبوحة الطلقة الثانية والثالثة.

لذلك أكثر شيئاً أتمنى على أخوتنا ، أن يتريثوا عند موضوع الطلاق.

أيها الأخوة:

لفتة لطيفة جداً في هذه الآية:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾

إلى من نسب البيت ، إلى الزوجة ، هو ملكك ، في السجلات العقارية البيت باسمك ، أم هنا نسب البيت إلى الزوجة ، لأنها المشرفة على البيت ، استنبط بعض العلماء من هذه الإضافة ، أنه من حق الزوجة أن تستقل ببيت ، فطعم الزواج لا يتذوق إلا في بيت منفرد أما بيت في نساء ورجال ، وشباب ، وشابات ورقابة وتفتيش وملاحظات ، وتعليقات ، هذا زواج تعيس ، يعني لو خُير الإنسان العالق ، بين بيت من غرفة واحدة في رأس الجبل ، هو وزوجته وحدهما ، وبين أن يسكن في أرق أحياء دمشق ، مع أناس كثيرين ، لا ينجح الزواج إلا في بيت مستقل ، ولو كان متواضعاً ، ولو كان غرفة واحدة ، هذه ملاحظة ، هي نسبة البيت إلى الزوجة.

شيء آخر الإنسان له شخصية ، ويؤكد ذاته في حقول كثيرة منها عمله ، منها دعوته ، منها عمله الصالح، أما الزوجة ليس لها إلا مجال واحد فقط تؤكد فيه شخصيتها ، ألا وهو بيتها ، فدع لها حق الإشراف على البيت ، هذا من أجل أن تشعر أنها ذات شخصية ، أنها تقدم شيئاً ثميناً ، أما إذا تدخلت في شؤونها الدقيقة، التفصيلية ، في شؤون بيتها ، أفقدتها شخصيتها ، لذلك نسب البيت إليها نسبت إشراف لا نسبت تملك ، ونسب البيت إليها نسبت استقلال.

في نقطة دقيق جداً جداً ، صدقوني أنها قاعدة ذهبية ، ما من مشكلة مهما كبرت بين الزوجين ، إذا بقيت الزوجة في بيت زوجها هذه المشكلة تتناقص مهما تكن المشكلة كبيرة ، تتناقص إذا بقيت الزوجة في بيت زوجها ، ومهما تكن المشكلة صغيرة ، لو أنها ذهبت إلى بيت أهلها ، أو أنه أذهبها إلى بيت أهلها صار في أطراف ، صار في تغذية ، خالاتها ، عماتها ، أخواتها ، أخوات الذكور ، أخوات البنات ، ما بيليق فيكِ ، أنت أرق من هيك ، ألف مين بخطبك ، بكبروا برأسها ، بزهدوا بزوجها ، بكرهوها في ، هو ينتظر أن تتصل به هي تنظر أن يتصل بها ، حلقة مغرقة ، هي لا ترجع إلا أن يأتي ليأخذها ، وهو لا يذهب ليأخذها إلا أن

تأتي وحدها ، كل واحد ركب رأسه ، من أصغر مشكلة إلى أكبر مشكلة ، وقد تنتهي بالطلاق. لذلك خطأ كبير ، لا تخرجوها من هذا البيت ، وكأنه بيتها.

المعنى الثالث:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾

أول معنـــى: ينبغي أن تكون مستقلة في بيتها.

المعنى الثـاني: لها حق الإشراف.

المعنى الثـالث: لا تخرجها من هذا البيت وكأنه بيتها.

المعنى الرابع: أيتها المرأة لا تخرجي من هذا البيت وكأنه ليس لك بيت سواه.

فطبقوا هذه القاعدة الذهبية ، مهما تكن المشكلة كبيرة ، ما دامت الزوجة عند زوجها في البيت هذه تتناقص إلى أن تتلاشى وطلقتها طلقة واحدة ، يسهل في ، أول قرء ، خمس وعشرين يوم وثاني قرء ، خمس وعشرين يوم ، وثالث قرء خمس وعشرين يوم وما راجعها ، تمت العدة ، بإمكانه أن يراجعها ، وأن يعقد عليها عقد جديداً ، ومهراً صورياً ، طرق ، في بحبوحة كبيرة جداً أما حينما يطلق طلقات ثلاث في مجلس واحد هذه حماقة ما بعدها حماقة ، لأنه ألغى هذه الآية ، قال تعالى وهو خالق الكون:

﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً (1)﴾

أنت قطعت هذا الأمر ، والآية الثانية:

﴿ الطلاق مرتان ﴾

جعلته مرة واحدة.

والدليل الثالث:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾

أين العدة ؟ إن طلقتها طلقات ثلاث ألغيت العدة ، خلص ما عاد في عدة أخرجتها إلى بيت أهلها و انتهى الأمر .

لذلك جهل عميم ، وحماقات لا تنتهي ، كلها بسبب الجهل والإنسان من دون علم يتعامل مع الآخرين تعامل مريعاً وأحمقاً.

فهذه آية كريمة ، والنبي عليه الصلاة والسلام لم يطلق لكن المؤمنين أمروا من خلاله.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾

يجب أن تحصيها تماماً ، أول قرء ، ثاني قرء ، ثالث قرء.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾

إن قلت لها الحقي بأهلك فهذا مخالف للشريعة ، وإن خرجت من غير إذنك والتجأت إلى بيت أهلها فهي عاصية ، هي تعصي الله إن خرجت من دون إذنك إلى بيت أهلها ، وأنت تعصي الله إذا طردتها إلى بيت أهلها ، هذا هو الشرط ، هذا بيتها وبيت أولادها ، والزواج ما أنشئ ليفسخ ، أنشئ ليبقى ، والإنسان غير الحكيم ، هو الذي يعرض هذا الزواج لهزات كثيرة ، ولأسباب تافهة ، طبعاً المرأة تطلق ، من ريبة ، إذا خانت زوجها ، أما لأسباب غير متعلقة بالخيانة.

قال عليه الصلاة والسلام: لعن الله الذواقين والذواقات.

هذا المزوج المطلاق ، وكل إنسان في عنده بنات ، فعليه أن يتقي الله في زوجته ، لئلا يعامل في بناته كما عامل زوجته.

أيها الأخوة الكرام:

نستخلص من هذا ، أن أي طلاق مخالف إلى هذه الآية ، طلاق بدعي لكن العلماء على مذهبين.

بعض العلماء أمضى طلاق البدعة وبعضهم الآخر لم يمضي طالق البدعة لكن جمهور العلماء على أنه يقع ، لكن يقع وصاحبه عاصي لله عز وجل.

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرض عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : تفسير الآيات 2 - 5 ، اتق الله واتكل عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الكريمة في سورة الطلاق وهي قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2)﴾

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (4)﴾

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (5)﴾

ثلاث آيات في سورة الطلاق، الآية الأولى قانون إلهي، أصل من أصول التعامل بين العبد وربه.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2)﴾

قد يتوهم، أن الأبواب كلها مغلقة، نزلت فلما استحكمت حلقاتها.

كن عن همومك معرض الأمور إلى القضى

وأبشر بخير عاجل تنسى به ما قد مضى

فالرب أمر مسخط لك في عواقبه رضى

ولربما ضاق المضيق ولربما أتسع الفضى

الله يفعل ما يشاء فلا تكن معترض

الله عودك الجميل فقس على ما قد مضى

من يتق الله في اختيار زوجته، يجعل الله له مخرجاً، من الشقاء الزوجي، من يتق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقه، من يتق الله في كسب المال يجعل الله له مخرجاً من إتلاف المال، من يتق الله في تطبيق الشرع الحنيف في صحته يجعل الله له مخرجاً من الأمراض العضال، من يتق الله في معاملة جيرانه، هذه الآية تكتب عليها مئات الصفحات، وآلاف الصفحات، ما دمت في طاعة الله فلك ألف ميزة وميزة لأن الله عز وجل يقول:

﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾

(سورة الأحزاب:71).

البائعون، البائع الذي يتق الله في معاملة الزبائن، يجعل الله له مخرجاً من موظفين يقهرونه، لأن أنت إذا خفت من الله مباشرةً لن يخيفك من أحد سواه ، إذا اتقيت الله فيما بينك وبينه، كفاك ما بينك وبين الناس، إذا اتقيت الله فيما تملك كفاك الله ما لا تملك، هي تقوى الله عز وجل ؛ أي طاعته، ومن يتق الله، مهما بدت لك الأمور عسيرة، مهما بدت لك الأبواب مغلقة، مهما بدت لك الظروف صعبة، مهما بد لك الأمل معدوماً.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2)﴾

أما كلمة يجعل له مخرجاً، تعني أن الأمور تبدو لك مغلقة محكمة، ما في أمل، الأبواب كلها مغلقة، الطرق كلها غير سالكة الأسباب كلها معدومة، الأمل صفر، نزلت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظن أنها لا تفرج، كلام رب العالمين.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ﴾

لو أن إنسان ضاقت به الدنيا، أنعدم دخله، أصبح دخله صفراً ثم أتيح له عمل غير مشروع، يكسب منه أموالاً طائلة، وضعه الله في ظرف محرج أغلق عليه كل أبواب الكسب المشروع، وفتح له باب غير مشروع، هذا الامتحان الصعب، المؤمن الصادق يقول الله هو الغني، لن أعصيه، ولو مت جوعاً، حينما يقف هذا الموقف تفتح له الأبواب الحلال، المشروعة، هذه سياسة ربنا مع عباده، يرد أن يمتحنك.

﴿ وإن كنا لمبتلين﴾

(سورة المؤمنون:30).

﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾

(سورة العنكبوت: 2).

وما أكثر هذا الامتحان، تغلق أمامك كل الطرق المشروعة يفتح لك باب مشبوه، في شبها، في حرام، دخل كبير، الإنسان إذا سخط بقلك مضطر أنا عندي أولاد، الله ما بآخذني إن شاء الله بقلك:

﴿ لا يكلف الله نفسا ﴾

(سورة البقرة: 286)

بجيب آيات كمان.

﴿ إلا وسعها ﴾

(سورة البقرة: 286)

أم المؤمن الصادق، يقول والله لن أعصيه ولو مت جوعاً هكذا !! هذا موقفك !! حلق.

﴿ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2)﴾

هي سياسة ربنا، مع عباده المؤمنين، حينما تضع مصلحتك تحت قدمك من أجل إرضاء ربك، يخضعك الله لقانون خاص، قانون العناية الإلهية، أنت الآن في عنايته، وأنت في عينه.

﴿ فإنك بأعيننا ﴾

(سورة الطور: 48).

فالإنسان بد صبر، كمن من إنسان يعرض عليه عمل لا يرضي الله، قال معاذ الله، إني أخاف الله رب العالمين.

لذلك أيها الأخوة:

هذا الحديث، صدقوني يجب أن يكون أمام كل إنسان كل ساعة ما ترك عبد شيئاً لله، إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه.

أحد الأخوة الكرام، ذهب إلى بلد، عنده معمل بسكوت فوجد خط حقه ثلاثمائة مليون، خط، ففاوضهم بشكل عجيب على سعر نقدي ثم قال أنا لا أقبل شراء هذا الخط إلا بالتقسيط، أما بهذا السعر، يعني دفعاً للشبهة، أرعدوا وازهدوا، وضجروا، ثم غادرهم إلى الشام تبعوه وباعوا هذا الخط بالسعر الذي فرضه، وبالطريقة التي أرادها هو يشتري هذا الشراء ليرضي الله عز وجل، قال لي والله أقل من سنة، الله عز وجل مكني من وفاء الدين، الشرط ثلاث سنوات الشرط.

قال لي إنسان آخر، ذهب قال لك مضطر في علاقة ربوية بالبيع والشراء، أثنى عشر سنة لسَع ما وفى حق معمله.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2)﴾

دائماً في قانون غير مرئي، قانون العناية الإلهية، هذا غير مرئي القانون لما الله عز وجل يرى عبداً يصر على طاعته، ويضع مصلحته تحت قدمه ويقول والله لا أعصي الله ولو مت جوعاً، الآن:

﴿ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2)﴾

بنفتح الباب، كان مغلق، هذا لا يفتح إلا بعد الامتحان.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

صدقوني عندي مائة قصة حول هذه الآية، بهذا المعنى إنسان ترك شيء لله مغري، دخل كبير، معاذ الله إني أخاف الله رب العالمين، حسبيا الله ونعم الوكيل، حسبي رضاء ربي، هذا يكفيني وهذا أثمن شيء أساساً، فعندئذ ربنا عز وجل يعطيه، طاعته ورضائه، وتأتيه الدنيا وهي راغمة، إلا إذا في حكمة معينة، هذا شيء آخر.

الآية الثانية:

"﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾

ما في أصعب من تعسير الأمور، بدك الوثيقة الفلانية، راحت لشهر ثاني ناقص هذا التوقيع، كلما فتح باب أغلقت الأبواب، أصعب شيء على الإنسان أن تعسر أموره، والدعاء ربي يسر ولا تعسر، التيسير له قانون، هذا قانون التيسير.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (4)﴾

ثمن التيسير طاعة الله عز وجل.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (4)﴾

فإن أردت أن تيسر أمورك، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهل أحياناً في الأمور تيسر إلى درجة مذهلة، وأحياناً توضع العقبات بشكل غير معقول، فإذا رضي الله عنك، ألقى حبك في قلوب الخلق، كله ميسر، وإذا غضب على الإنسان ألقى كراهيته في قلوب الخلق، كله معسر، كله بدو تدقيق، كله يشك في كله تعسير، من أين يجعك، من أين يؤلمك، من الذي يزعجك سنفعله معك، إذا الإنسان أغضب الله عز وجل، ينادى له في الكون أنا نحبه فيسمع من في الكون أمر محبنا ألا تريد هذه الميزة، ينادى له في الكون أنا نحبه فيسمع من في الكون أمر محبنا.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (4)﴾

هذه الآية تؤكدها آية ثانية.

﴿ فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى ﴾

(سورة الليل: من 5 إلى 10).

هذان قانونان التيسير والتعسير.

" أعطى ": عمله صالح.

" واتقى ": أطاع الله.

" وصدق بالحسنى": آمن.

يعني آمن، واستقام، وعمل عمل صالح.

" وأما من بخل ": لم يعمل عملاً صالحاً.

" واستغنى ": واستغنى عن طاعة الله.

" وكذب ": وكذب بالدين.

" فسنيسره للعسرى ".

آمن، واستقام، وله عمل صالح، لم يؤمن، ولم يستقيم وليس له عمل صالح هذا يسر له، وهذا يعسر عليه. الآية الثالثة والأخيرة:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾

بدنا الماضي، الماضي.

﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾

التوبة، الماضي مغطى بالتوبة، والمغفرة.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾

يعني أيام إنسان، بجعل من ماضيه عقبة، أنا أخي ما كنت مستقيم، أنا لي إساءات كبيرة جداً، كيف بدي توب حلق، الله قال له:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾

الماضي يغطى بالتوبة، بالتوبة والمغفرة.

﴿ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (5)﴾

وتأتيه الدنيا وهي راغمة، ثلاث آيات، بسورة وحدة.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2)﴾
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (4)﴾
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (5)﴾

والتقوى في أبسط معانيها طاعة الله عز وجل، أن تطيع الله إن أطعته فيما تعلم، كفاك الله ما لم تعلم، إن أطعته فيما تستطيع كفاك ما لا تستطيع، إن أطعته في أي شئن من شؤون حياتك، من يتق الله في بر والديه، يجعل الله له مخرجاً من عقوق الأولاد، من يتق الله في اختيار زوجته، من يتق الله في كسب ماله، من يتق الله في أمر صحته، من يتق الله في كل شيء، يجعل الله له مخرجاً، من يتق الله فلا يشرك، يجعل الله له مخرجاً من الخوف، من يتق الله فيوحد، يجعل الله له أمناً لا يوصف، فهي آية تعد أصل من أصول الدين، دائماً في مقدمة وفي نتيجة، إذا قدمت طاعة الله، جاءتك نتائج مذهلة، والمريحة.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

من حيث لا يحتسب، بقلك أنا ما في إمكان أزوج، فعلاً معه حق، معاشي أربعة آلاف، بيت ما عندي، ما بكفوني أكل، أنت أتقي الله وأنظر، قال له يا معاذ ما حق العباد على الله، إذا هم عبدوه قال ألا يعذبهم، حق المسلم على الله أن يعينه إذا هو طلب العفاف.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

هي الآية الأولى.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

حلق أنت تقول حسبي الله ونعم الوكيل، هي جواب هذه الآية.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

لو توكلت على الله توكل حقيقياً، كفاك كل مؤنه، فهو حسبك.

﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (3)﴾

فهي ثلاثة آيات يجب أن توضع في الذهن دائماً.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (4)﴾

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (5)﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-3) : تفسير الآيات 7 - 10 ، مخافة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
في آيات الطلاق، أو في آيات سورة الطلاق، الآية السابعة وهي قوله تعالى:

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً (7)﴾

هذه الآية أيها الأخوة:

لها علاقة وشيجة بحياة المسلمين، فأية امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق وتحمله على الكسب الحرام، تكون سبب لدخوله النار.

لذلك الإنسان الزوج ليس مكلفاً أن ينفق إلا مما آتاه الله، عليه أن يطعمها مما يأكل، وأن يلبسها مما يلبس، أما أن نتكلف ما لا نطيق إرضاءً لزوجاتنا، أما أن تمد اليد إلى الحرام إرضاء لزوجاتنا.

كانت الصحابية الجليلة تقول لزوجها قبل الخروج إلى العمل يا فلان أتقي الله بنا، نحن بك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا، نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام، هؤلاء نساء الصحابة الكرام.
مرة هكذا، في طرفة:

امرأة في الطريق رأت شيخ من الأزهر، شيخ أزهري، قالت له يا سيدي أيحق للنبي عليه الصلاة والسلام، أن يتهمنا بأننا ناقصات عقلٍ ودين، معقول يعني هذا كلام النبي، فهو صاحب دعابة، قال لها والله ما له حق، بس هذا الكلام ليس لكنْ، هذا للصحابيات، أم أنتن لا عقل ولا دين، أنتن لا عقل ولا دين، ناقصات عقل ودين الصحابيات.

وهذه الصحابية تقول لزوجها أتقي الله بنا، نحن بك وإليك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا، نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام، أعظم النساء بركة أقلهن مؤنةً، أعظم النساء بركة أقلهن مهراً، فالمرأة التي لا تحمل زوجها ما لا يطيق، امرأة صالحة، الصابرة، التي ترضى باليسير، يا عائشة إذا أردت اللحوق بي، أن تكون معي في الجنة، فليكفك من الدنيا كزاد الراكب، ولا تستخلفي ثوباً حتى ترقعي، وإياك والدخول على الأغنياء، لأنه كما قال سيدنا عمر: من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط.

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾

الإنسان غير مكلف أن يمد يده للحرام ليدخل على قلب امرأته السرور، أما ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله، ليس منا ينفي النبي الكريم انتمائه لهذا الدين، البخيل، أما إنسان دخل محدود ليس محاسباً عند أحد، وليس عند الله محاسباً إذا أطعم أهله مما يأكل وألبسهم مما يلبس، أما المؤاخذة أن يعطيهم أخشن الطعام، وأن يأكل هو ما لذا وطاب مع أصدقائه في المطاعم، هذا لا يجوز، بل إن المؤمن الصادق، يأكل بشهوة أهله، أنا والله معجب بأزواج كثيرين لا يأكل لقمة في الطريق، ولا في مطعم، الأكلة التي أكلها دعوة وكانت طيبة، يأتي بمثلها إلى زوجته، كي يكون معها شريكاً في حلو الحياة ومرها.

إذاً:

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ﴾

أما النقطة الدقيقة، الدقيقة جداً، أن الإنسان إن كان فقير ورضي عن الله عز وجل، وكان فقره فقر معذور به.

نحنا في عنا فقر كسل، صاحبه مذموم.

وفي عنا فقر قدر، صاحبه معذور.

وعنا فقر أنفاق، صاحبه مشكور.

الذي ينفق كثيراً ما معه مال، قال له ماذا أبقيت لنفسك يا أب بكر، قال له الله ورسوله أنفق كل ماله، فهذا فقر الإنفاق، هذا وسام شرف، قال له والله إني أحبك، قال له أنظر ماذا تقول، قال له والله إني أحبك، قال له أنظر ماذا تقول، قال له والله إني أحبك، فقال عليه الصلاة والسلام: إذا كنت صادق فيما تقول للفقر أقرب إليك من شرك نعليك، هذا فقر ماذا ؟ فقر الإنفاق، فقر الحب في الله، فقر أن تؤدي كل ما عندك في سبيل الله، هذا موضوع ثالث، هذا ليس فرضاً على كل المسلمين.

من سيدنا عمر ما أخذ النبي إلا نصف ماله، أما من الصديق أخذ كل ماله ماذا أبقيت، قال الله ورسوله. في عنا فقر الإنفاق، وعنا فقر الكسل، وعنا فقر القدر.

إذا كان فقر الكسل، صاحبه مذموم، والله الذي لا إله إلا هو كسول لا يحب العمل، ينام إلى ساعة متأخرة، لا يتقن عمله، عمل يوم يرتاح عشرة، هذا فقر مذموم.

أما فقر القدر، بذل قصار جهده فحصل هذا الرزق، معذور سعى في الأرض يمنة ويسرة حصل هذا الرزق، هذا الفقير فقر القدر إذا رضي عن الله، وصبر.

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً (7)﴾

هذا الامتحان، يجب أن يعلم كل أخ مؤمن أنه في ثلاثة أطوار طور التأديب، وطور الابتلاء، وطور التكريم، لا بد من الابتلاء ولكن لا يطول محدود، والأمور لا تستقر إلا على التكريم، المؤمن أموره تستقر على التكريم ويمر بمرحلتين، التأديب والابتلاء.

إذاً:

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾

ليس منا من وسع الله عليه، ثم قتر على عياله، ليس منا.

﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً (7)﴾

هي الآية نزعناها من السياق من معناها العام، أما حينما نضعها في السياق الإنفاق على المرأة المطلقة.

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾

القاضي الآن كما دخلك يا أبني، ثلاثة آلاف، قيم لها خمسمائة أو ألف للزوجة المطلقة، ترك النفقة، فالنفقة التي يقررها القاضي بحسب دخل الإنسان أما الشيء الدقيق الآن، نحن في الطلاق، ونحن في تفاصيل الطلاق، تأتي آية يبدو أنه لا علاقة لها بالسياق.

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً (8) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً (9) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آَمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً (10)﴾

طيب هذه السورة مترابطة، وحدة معنوية كاملة، ما علاقة هذه الآية بسياق الطلاق ؟ أخوانا القضاة، ودارسوا الحقوق يعلمون ما هو المؤيد القانوني، لو طلع نظام للسير، يجب على المركبة أن تستحصل على شهادة، أو على موافقة وعلى.... الخ، بس فقط، أن تلزم اليمين، أن تعمل على تجديد المحرك كل فترة، بس ما في عقوبات، له قيمة النظام، ما في نظام من دون عقوبات له قيمة إطلاقاً، أما إذا وقفت في محل موقف في سحب إجازة، في حجز مركبة، فلولا العقوبات لما كان للأنظمة والقوانين من معنى إطلاقاً هذا اسمه في الحقوق المؤيد القانوني.

هنا، يعني أنت طلق طلاقاً سنياً، أعمل كذا، أنفق على زوجتك، أعطها نفقة، أفعل ولا تفعل، ثم يقول الله عز وجل:

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً (8)﴾

يعني أيها الزوج إن أردت السلامة، فعامل زوجتك وفق منهج الله، إن أردت السلامة طلقها طلاقاً سنياً لا طلاقاً بدعياً، إن أردت السلامة لا تفتري عليها لا تشوه سمعتها، القذف محصنة يهدم عمل مائة سنة، إن أردت السلامة أرحمها، إن أردت السلامة أرحم ضعفها، إن أردت السلامة أعطها ما تستحق أعطها مهرها كاملاً، إن طلقتها، وإن لم تفعل:

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً (8)﴾

قلت لواحد مرة يعني له عمل بقدر يؤذي بسهولة، قلت له كل هؤلاء الناس عباد الله، الله عنده سرطان، عنده خثره بالدماغ، عنده فشل كلوي، عنده جلطة، عنده تبديل صمام، عنده شلل، عنده فالج عنده مرض جلدي، ذكرت له أمراض وبيلة، يعني يخر لهولها الرجال، هذا الله عنده مؤيد قانوني، وكل هؤلاء الناس عباده، فإن كنت بطلاً هيئ لله عز وجل جواباً عن كل تصرف تفعل مع الناس هذا كلام لنا، إذا أنت بطل، وعندك قدر على الأذى، هيئ لله جواب عن كل شيء فعلته.

يعني إذا إنسان فرضاً يفرم خروف مدهوس ميت يطعمه للناس ما لازم نعاقبه ؟ يجب أن نعاقبه أشد العقاب، إنسان عما يطعم الناس أكل فاسد، معلبات منتهي مفعولها، أحياناً لحم قطط يوضع في الصفيحة، كشفوا مرة لحم قطط في الطريق يذبحها يضعها.

فإذا إنسان قال إن الله يذع للسلطان ما لا يذع للقرآن، في مصر من حوالي شهر، كتبت الجرائد إنسان عما يطعم الناس لحم حمير، ففات للسجن قتلوه لشبعوا المساجين، بس واحد قتل كثير زيادة، قال له أنا آكل نصف حمار من عندك، بياع كباب هو عما يطعم الناس لحم حمير، المسيء يجب أن يعاقب وبلا رحمة. والدليل:

﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾

(سورة النور: 2)

بعض المعامل عما يحطوا بالسكاكر أصبغه بلاط، بعض المعامل يحطوا بالطحينة اسبداج دهان مشان تصير ناصعة، فالمسيء والذي يتلاعب بغذاء المسلمين هذا يجب أن يعاقب، قلت لهذا الموظف أفعل ما تشاء، بس بطولتك أن تهيئ لله جواب، عن كل ضبط تكتبه لله جواب كبير، كلهم عباده.

إذاً هذه الآية:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً (8)﴾

يعني أيها الأزواج لا تقول أنا رجل، هي زوجة مقطوعة أهلها فقراء ما لها مكان تأوي إليه، تضغط عليها، أتخلصها أموالها تكتب لك البيت، بعدين تطلقها، الله كبير ، وفي آلاف الحوادث، إن لم تتقي الله في معاملة زوجتك الله عز وجل قد يحيجك إليها وأنت في أشد حالات الضعف، هي علاقة الآية:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً (8) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً (9)﴾

إذاً رأس الحكمة مخافة الله، بأعلى درجات الذكاء تخاف من الله، وكلما ضعف العقل قل الخوف، لدرجة أن الطفل الصغير يلي عمره سنتين ممكن يتلمس ثعبان ضخم طوله عشر أمتار لا يخاف منه لأنه ما في أدراك، إذا ما في إدراك ما في خوف، كلما نمى الإدراك نمى معه الخوف، وأعقل إنسان هو الذي يخاف من الله، يخاف من الله ويحسب حاسباً دقيقاً، أو يحاسب نفسه حساباً دقيقاً.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-4) : تفسير الآيات 1 – 5 ، الزواج الصحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
في الدرس الماضي، شُرحت الآيات الثلاث:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2) ﴾

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (4) ﴾

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (5)﴾

في نهاية الدرس سألني أخ كريم ما علاقة هذه الآية بسورة الطلاق ؟ قلت والله فاتتني أن أذكر العلاقة بين هذه الآيات وسورة الطلاق، سأذكرها الآن.

القرآن الكريم من أعجازه أنك إذا أخذت آية ونزعتها من سياقها آية واسعة، شاملة، مانعة، جامعة إلى ما لا نهاية، فإذا قرأتها مع سياقها لها معنى آخر، فحينما حدثنا ربنا عز وجل عن الطلاق، قال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾

في طلقة أولى، وطلقة ثانية، وطلقة ثالثة، وكل طلقة في قرء أولى، قرء ثاني، قرء ثالث، وقبل نهاية القروء الثلاثة يمكن أن تراجعها بكلمة، أو بلمسة، وبعد القروء الثلاثة لك أن تعقد عليها عقد جديداً بمهر، وشاهدي عدلٍ، أما في الطلقة الثلاثة تبين عنك بينونة كبرى، هذا النظام الذي شرعه الله لنا هو الطلاق السني، أما الذي يطلق ثلاث تطليقات في جلسة واحدة، عطل هذه الآية الله عز وجل قال:

﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً (1)﴾

تعطلت، ما جعل فرصة للزوجة أن تراجع نفسها، وما جعل فرصة له لعله ندم على تطليقها، ساعة غضب، قضية طارئة، بعد حين نسيها، فمن يتق الله في تطليق زوجته أن يطلقها طلاقاً سنياً طلقة واحدة، وينتظر ثلاث قروء، فإن راجعها في هذه القروء الثلاثة انتهى الأمر، وإن لم يراجعها بإمكانه أن يعيد عقده عليها، بعد انتهاء القروء، وهذا اسمه بينونة صغرى، وله أن يعيد هذه الكرة مرة ثانية أول قرء، وثاني قرء، وثالث قرء، وبإمكانه أن يراجعها بكلمة أو بلمسة، لو وضع يده عليها راجعها، فإن مضت القروء الثلاثة ولم يراجعها بإمكانه أن يعيد عقده عليها من دون أي إشكال، أول قرء وثاني قرء، وثالث قرء هي فرصة، طلق تطليقة ثانية، رابع قرء وخامس قرء، وسادس قرء، ما هي المشكلة التي تستمر ستة أشهر ؟ والزوج مصر على الطلاق ؟ معناها قضية كبيرة جداً، قضية لا تحتمل.

أما أية مشكلة لها عمر محدود، قد تتلاشى تتناقص بعد شهر بعد أسبوع أحياناً، أيام ثورة غضب بعد ثلاثة أيام ما عاد في شيء فهذا الذي طلقها في ثورة الغضب وعنده خمسة أولاد مجرم بحق هذه الأسرة، لأنه أخذ قرار وهو غضبان، فلذلك كل من طلق امرأته طالقاً سنياً، من يتق الله في تطليق زوجته يجعل الله له مخرجاً إلى إرجاعها، يرجعها، قضية سهلة جداً، لا تحتاج إلا إلى كلمة راجعتك، أو إلى لمسة، وضع يده على يدها انتهى الأمر، أول قرءِ وثاني قرءِ، وثالث قرءِ، ورابع قرءِ، وخامس قرءِ، وسادس قرءِ فإن طلقها تطليقة ثالثة بانت بينونة كبرى، ولا تحل له إلا إذا تزوجت زواجاً طبيعياً عفوياً حراً رجلاً آخر، ثم إن هذا الرجل طلقها طلاقاً عادياً حراً طبيعياً، وإلا فهو التيس المستعار، وهذا نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام، هي أحكام الطلاق، المرأة إلا لم تكن لها علاقة بموضوع الطلاق هذا طلاق بدعي، أختلف مع شريكه فحلف بالطلاق فحنث بيمينه فوقع الطلاق، تقول له يا هذا ما ذنب هذه المسكينة جالسة في بيتها تطبخ، وتمسح، وتربي أولادها ما ذنبها أنها أصبحت في الطريق لنزوة غاضبة بينك وبين شريك، هذا طلاق بدعي، الذي يطلق امرأة في الحيض طالق بدعي، الذي يطلق امرأة في طهرٍ مسها في طالق بدعي، الذي يطلق امرأة وليس لها علاقة بموضوع الطلاق طالق بدعي، الذي يطلق ثلاث تطليقات في جلسة واحدة طالق بدعي، من يتق الله في تطليق زوجته يجعل الله له مخرجاً إلى إرجاعها، صار في ندم الإرجاع سهل، ما في مشكلة، لكن حينما تطلق ثلاث طلقات دفعة واحدة في مجلس واحد، أضيف تعليق لطيف وكلما حلالك شيخ يحرمك عشرة، هذا إنسان أحمق، إنسان جاهل ليس أهلاً أن يكون زوجاً، لأنه يقامر بهذه الأسرة، يقامر بزوجته وأولاده لذلك حق هذا الطلاق يعطى للزواج، أما الحمقى مشكلة كبيرة، وهذا كان قديماً كان ابن عباس يقول: أيرتكب أحدكم أحموقته ويقول يا ابن عباس يا ابن عباس، يعني أكثر سؤال يواجه خطباء المساجد بعد الخطبة، الطلاق، كان الزوج مالك الزمام، كان سيد، كان هو بيده السلطة، فلما طلقها طلاقاً معلقاً، إن ذهبت إلى بيت أهلك أنت طالق إن فعلت كذا فأنت طالق، إن دخلت الجارة الفلانيه فأنت طالق، تنازل عن سلطته، وعن قيادته، وعن مكانته، وعن الصلاحية التي أودعت بيده إلى زوجته، في أية لحظة إن ذهبت إلى ما منعتها عنه تطلق أصبح الطلاق بيدها، أنت سلمتها هذه السلطة عن طيب خاطر، فإذا حنثت، وخالفت أمرك، وقع الطلاق، وأنت بتحب وعندك منها أولاد ومستقبلهم بين يدك ويدها، من شيخ لشيخ، تتسكع على أبواب المشايخ تتسكع، وإن جاء مفتي وأعطاك الحكم الشديد، يزعجك، وإن جاء مفتي آخر أعطاك الأمر السهل، لا تثق به، بتفوت بمتاهة ما بعدها متاهة هذه نصيحة للأزواج، هي الزوجة جملةً وتفصيلاً، إذا كان جيدة، يعني وفية عفيفة، قانعة بما أنت في، ما دام الزوجة مقبولة إجمالاً، فأي خلاف معها لا تحل له عن طريق الطلاق، لا تكلمها عنفها، أي شيء فعلته معها قضية سهل جداً، ما لك علاقة مع المشايخ ولامع الإفتاء، ولا مع الحلال والحرام، أنت في بحبوحة، وفي عز وفي مكانة، واجعل هذه العلاقة بينك وبينها، وذكرت في درس سابق أن

أي امرأة خرجت من بيت أهلها عقب مشكلة، أصغر مشكلة وهي في بيت أهلها تغدو أكبر مشكلة، وقد تنتهي إلى الطلاق، وأكبر مشكلة بين الزوجين إذا بقيت الزوجة في بيت زوجها، تتلاشى وتتناقص، لذلك من الخطأ الفاحش من قبل الزواج والزوجات أنه عقب مشكلة أن تطردها إلى بيت أهلها، ومن الخطأ الفاحش من قبل الزوجة أنها إذا اختلفت مع زوجها تذهب إلى بيت أهلها، هون صار في أطراف، صار في أطراف أخرى، الأطراف الأخرى يعنيهم أن يحطموا الزوج، فيثروا حفيظة الزوجة، يغيرون صدرها، ويمنونها ويعدونها بأشياء كثيرة، فإذا صدقت هذا الكلام، وركبت رأسها، وتألم الزوج طلقها قضية قد تنتهي بعد يومين في البيت، في بيت أهلها انقلبت إلى مشكلة كبيرة ولا تحل إلا بالطلاق، كم من أسرة انهارت ؟ كم من أولاد تشردوا ؟ كم من مصلحة تحطمت ؟ وراء الطلاق التعسفي المبني على لحظة طارئة، مبني على غضب شديد، خذ هذه النصيحة لا تتخذ أي قرار وأنت غضبان، أبداً، وأنت غضبان لا تتخذ أي قرار لا في تجارتك، ولا بوظيفتك، ولا ببيتك، لأن هذا القرار غير صحيح، ماذا فعل سيدنا سليمان لما جاءه الهدهد، قال:

﴿ قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ﴾

(سورة النمل: 27)

أصحاب القرار هي أخلاقهم، قال:

﴿ قال سننظر ﴾

لا تتخذ قرار وأنت غضبان، لأنه لا بد من أن تندم أشد الندم والعاقل هو الذي لا يندم، وكل إنسان أتخذ قرار وعقب القرار ندم أشد الندم فالقرار غير صحيح.

قال عليه الصلاة والسلام

((لا يفرك مؤمن مؤمنة، يفرك ؛ لا يكره، إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر))

مرة جاءني أخ كريم يشكو لي زوجته، قلت له: أتخونك ؟ قال معاذ الله امرأة عفيفة طاهرة، طيب شي جميل، لا تحسن الطبخ ؟ لا والله طبخها جيد، قلت له قذرة ؟ قال لا والله نظيفة، أنا أقصد من هذه الأسئلة أن أدفعه إلى أن يذكر ميزاتها، فلما ذكر أربع ميزات قام أستح ما عاد كمل، قال لي ما في شي.

كن منصف، حلق في نعمة لا يعرفها إلا من فقدها، واحد طلع من بيته جاء لعنا هون، مطمئن، ما أحد دخل لبيته، هي ميزة لا تقدر بثمن، ولا يعرفها إلا من فقدها، إذا الإنسان شك بزوجته، شك باستقامتها، بأخلاقها، انتهى، ما عاد زوج، صار كتلة توتر، فنعمة الزوجة الصالحة، لا تقدر بثمن، نعمة أن زوجة راضية بك، تسعدك ما في إنسان كامل، وأنت ما لك كامل، وأنت أيضاً ما لك كامل فكل إنسان ما بكون

منصف يجعل بيته جحيم، وكل إنسان يكون منصف يجعل بيته جنة، والبيت لا يحتاج ليكون جنة لا يحتاج إلى فخامة، ولا إلى إنفاق، يحتاج إلى تفاهم.

فلذلك نظام الطلاق، نظام بالسلام معقد جداً، أول طلقة وأول قرء شهر زمان، وهي ببيتك، ومزينة، إن مسستها انتهى الطلاق، وأي مشكلة تتناقص، بكون أول يوم قايمة القيامة، ثاني يوم سكتت، ثالث يوم والله أنا زودتها، رابع يوم والله مو عامله شي إذا كان هيك مشاكل الزواج المفروض ما يطلقوا، وإذا كان ركبوا رأسهم وطلقوا طلاق سني، مو طلاق بدعي، طلقة واحدة، الأمر فيه بحبوحة.

فعلاقة الآية بالطلاق بالضبط هو:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2)﴾

قانون هذا.

من يتقي الله في كسب ماله يجعل الله له مخرجاً من إتلاف المال.

من يتقي الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقهم.

من يتقي الله في اختيار زوجته يجعل الله له مخرجاً من الشقاء الزوجي.

فهذه الآية قانون تطبق على مليون حالة، أما حينما جاءت هذه الآية في سورة الطلاق لها معنى آخر، معناها من يتقي الله في تطليق زوجته يجعل الله له مخرجاً إلى إرجاعها.

في أشياء في حياة الإنسان، في تعبير حديث تحتها خط أحمر لا تقرب من أشياء تحتها خط أحمر، أسرتك، وكيانك، وأولادك، لا تعمل الزواج لعبة بيدك، هذه إنسانة مستقرة، حينما تهددها بالطلاق تخاف، وإذا خافت تغير لونها أساساً، ارتبكت، أما إذا طمأنتها وشعرت أنك وفي لها، فالطلاق لا يستخدم إلا في حالات نادرة جداً لا تطلق المرأة إلا من ريبة، يعني إذا تيقنت أنها تخونك أما الأزواج يرتكبون حماقات الطلاق لأسباب تافهة جداً، هذا اسمه طلاق تعسفي والله سبحانه وتعالى يعاقب عليه، ودائماً الله مع المظلوم، بالشراكة والزواج إذا شريكين واحد ظلم الله مع المظلوم، إذا زوجين واحد ظلم الله مع المظلوم.

تأكل مع زوجها دجاجة، طرق الباب سائل همت أن تعطيه قطعة من هذا الدجاج فعنفها زوجها ونهرها وسبها، فصرفت هذا السائل، بعد حين المشكلات تفاقمت بينها وبينه إلى أن طلقها، ثم جاءها رجل تزوجها، وكان غنياً عاشت في بحبوحة، وكان دين، بعد سنتين ثلاثة طرق الباب، من غرائب الصدف أنها جالسة مع

الزوج الثاني، وتأكل دجاج، طرق الباب، ذهبت لتفتح الباب اضطربت اضطراب شديد، قال ما الذي حدث، قالت سائل على الباب، قال لماذا اضطربت، قالت أتدري من هو ؟ إنه زوجي الأول، قال أتدرين من أنا ؟

أنا السائل الأول.

الله قدير، قادر يعكس الميزان، فأية امرأة تطلق مظلومة الله معها، وأي زوج تظلموه زوجته الله معه، الزوج المظلوم تأتيه زوجة تنسيه الماضي، والزوجة المظلومة يأتيها زوج ينسيها الماضي، وهذه قاعدة بالشراكة والزواج إذا فسخت شراكه، أو فسخ زواج الله عز وجل مع المظلوم دائماً، فكن عبد الله المظلوم، ولا تكن عبد الله الظالم، أفضل لك ألف مرة أن تكون مظلوم، من أن تكون ظالماً لأن الظالم مرتعه وخيم، وكل إنسان يستضعف زوجته، مالها أحد مقطوعة، أهلها فقراء، ما بيتحملوها، يضغط عليها، الله عز وجل يضغط عليه يضغط عليه بصحته، قد تأتيه أمراض يجعل حياته جحيماً، وكم من زوج ظالم صار يعوي كالكلاب أمام زوجته.

فالإنسان يتقي الله عز وجل، ويعامل زوجته بإحسان، قال تعالى:

((وعاشروهن بالمعروف))

(سورة النساء: 19)

أروع ما في التفاسير أن المعاشرة بالمعروف ليست أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتمل الأذى منها، معنى المعاشرة بالمعروف أن تحتمل الأذى منها، وكل إنسان يصبر على زوجته من أجل الحفاظ على هذه الأسرة، وعلى سلامة تربية الأولاد، هذا له أجر كبير.

رجل أعرابي اختلف مع زوجته خلاف كبير، فجاء لسيدنا عمر يشكو له وإذا به يسمع صياح في البيت، فولى هارباً، سيدنا عمر سمع طرق للباب بعدين ما عاد سمع فتح لقى واحد بعيد يا أخ العرب، لماذا ذهبت ؟ قال جئتك أشكو مما أنت منه تشكو.

يعني ما في بيت مائة بالمائة سلام، ما في زواج مائة بالمائة سعيد، يعني كل واحد هو وسط وزوجته وسط، أرضى بها ولترضى بك.

قال له يا أخ العرب هذه الزوجة تغسل ثيابنا، وتطهو طعامنا وتربي أولادنا، نحتملها وتحتملنا.

فإذا ما في احتمال، ما في تساهل، ما في إنصاف حلول، لا يستمر زواج.

فلذلك:

((وعاشروهن بالمعروف))

لا يفرك مؤمن مؤمنة، يفرك، إن كره منها خلقاً رضي بها خلقاً آخر.

واحد خطب امرأة وحب ينصحها، قال إن في خلقي سوءاً، أنا رجل عصبي كثير، وأخلاقي سيئة جداً، فقالت له إن أسوأ خلقاً منك من حاجك لسوء الخلق.

واحد عنده زوجة سيئة جداً، قيل له طلقها، قال والله لا أطلقها فأغش بها المسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : تفسير الآية 12 ، التوبة قبل فوات الأوان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآية الأخيرة من سورة الطلاق، وهي قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12)﴾

أيها الأخوة:

هذه الآية خطيرة جداً، لأنها تبين للإنسان علة وجوده على وجه الأرض وعلة خلق السماوات والأرض، لماذا خلق الله السماوات والأرض ؟ ولماذا خلق الإنسان ؟

قال:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾

وبعضهم قال سبعة للتكثير، لا للكم، للتكثير، رقم سبعة في اللغة العربية يفيد التكثير، عشرات، بل مئات الطبقات.

﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾

والأرض طبقات، القشرة، الطبقة البازلتية، الخ.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾

الأمر بيد الله، هو المتصرف.

﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾

(سورة الزخرف: 84)

﴿ ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا ﴾

(سورة الكهف: 26)

﴿ له الخلق والأمر ﴾

(سورة الأعراف: 54)

﴿ خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾

(سورة الزمر: 62)

﴿ وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾

(سورة هود: 123)

هذا الإيمان، الإيمان ألا ترى مع الله أحد، ألا ترى معطياً ولا مانعاً، ولا رافعاً، ولا خافضاً، ولا معزاً، ولا مذلاً، ولا مسعداً ولا مشقياً، والشرك أن ترى مع الله أحد.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾

هنا

﴿ لِتَعْلَمُوا﴾

علة خلق السماوات والأرض أن تعلموا، فالذي لا يعلم عطل الحكمة من خلق السماوات والأرض، والذي لا يعلم ألغى وجوده الإنساني، وبقي له وجوده الحيواني، كائن يأكل، يشرب، يتنفس ينام، يتوالد، يعمل، يكسب المال، هذا وجود حيواني، والدابة تأكل وتشرب، وتتنفس، وتنام، وتعمل، أبداً، الدواب تأكل، وتشرب وتتنفس، وتنام، وتتزوج، وتنجب، وتعمل، صح ؟ فالذي لا يعلم ألغى وجوده الإنساني، وبقي على وجوده الحيواني.

﴿ أموات غير أحياء ﴾

(سورة النحل: 21)

﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾

(سورة الفرقان: 44)

﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾

(سورة الأعراف: 176)

﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾

(سورة الجمعة: 5)

آيات قرآنية كلها، كالأنعام، كالكلب، كالحمار، فالذي لا يعلم، الذي لا يطلب العلم، الذي لا يدري لما خلقه الله عز وجل ألغى وجوده الإنساني، وبقي على وجوده الحيواني.

﴿ أموات غير أحياء ﴾

﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾

(سورة المنافقون: 4)

أبلغ، الحيوان على شيءٍ من الإدراك، هلق الدابة إن رأت حفرة تحيد عنها، إن رأت ناراً تبتعد عنها، أما الخشب ما في إدراك.

﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾

خشب، وأنعام، وكلاب، وحمير، حينما لا تطلب العلم، ولا تعرف لماذا خلقت، ولا تبحث عن منهج تسير عليه، ولا تبحث لهدف سامي ترقى إليه حينما تكتفي بالطعام، والشراب، والتنفس، والنوم والتزاوج، والإنجاب والعمل، والاستغراق بمتع الدنيا، هذا وجود حيواني.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا﴾

هي اللام لام التعليل، معنى التعليل يعني لام العلة، معنى العلة السبب.

واحد سافر إلى فرنسا، سألناه ما علة وجودك في هذا البلد ؟ يقول للدراسة، أتيتها لأدرس، نسأل آخر، ما علة وجودك في هذا البلد ؟ يقول للتجارة، نسأل ثالث، ما علة وجودك في هذا البلد ؟ يقول للسياحة، في سفر سياحي، في سفر تجاري، في سفر تعلمي، إذاً علة وجودك على وجه الأرض أن تعرف الله.

لذلك أول آية في كتاب الله.

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾

(سورة العلق: 1)

اقرأ، فكل إنسان بقلك أنا مالي فاضي أحضر مجلس علم مشاي، حينما لا تجد وقتاً لطلب العلم، ألغيت وجودك الإنساني، في بالإنسان حاجة عليا، في حاجات سفلى، أن يقترن بامرأة يشبع منها رغبته، هي حاجة دنيا، أن يأكل بنهم هي حاجة دنيا، أن يشرب حاجة دنيا، أما أن يتعلم حاجة عليا، فالذي ليس له حاجات عليا تسمو به بقي على وجوده الحيواني.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا﴾

هذا المعنى الدقيق للآية هذا معنى يسمونه، معنى لازم هلق واحد قال لك إذا خالفت المخالفة الفلانية من نتائجه مصادرة المركبة، بلاغ واضح، مصادرة غير حجزها، الحجز شيء والمصادرة شيء ثاني، فيجب أن تفهم القرآن فهم دقيق.

هنا:

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12)﴾

الله عز وجل له مائة أسم، له مائة أسم، لماذا أختار من بين أسمائه أسمين فقط ؟

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12)﴾

أختار أسم القدير، وأسم العليم، اسمع هذا الكلام، أنت لست مع الله، مع إنسان عادي لكنه أقوى منك، إذا كان علمه يطولك وقدرته تطولك، لا يمكن أن تعصيه، لا يمكن أن تعصيه.

مثل:

راكب مركبة، الإشارة حمراء، واقف الشرطي، وسيارة ودراجات نارية، وأنت مواطن عادي، ما لك ميزة، ممكن تتجاوز ؟ والقانون واضح، حجز المركبة، وأيام في اعتقال، لماذا تلتزم ؟ لأنه الذي وضع هذا القانون وزير الداخلية، علمه يطولك من خلال الشرطي، قدرته تطولك من خلال السيارة يلاحقوك، علمه يطولك وقدرته

تطولك، متى يمكن أن تخالف ؟ الساعة الثلاث بالليل، شرطي ما في لأنه، أو إذا كنت أقوى من الذي وضع القانون، ما بترد عليه بحالتين، أما إذا أنت إنسان عادي، والإشارة حمراء، والشرطي واقف لا يمكن تخالف، أنت مع إنسان هكذا، فكيف مع الواحد الديان مع إنسان من بني جنسك، من جلدك، أقوى منك لكن، علمه يطولك وقدرته تطولك.

فربنا عز وجل أختار من أسمائه كلها أسمين، العليم والقدير إذا أيقنت أن الله يعلم وقادر أن يحاسب، وسيحاسب، لا يمكن أن تعصيه، والذي يعصي الله في عنده خلل في إدراكه، خلل كبير بإدراكه، يعلم وسيحاسب، لو أنك اكتفيت من كل أسماء الله الحسنى باسم العليم القدير، لا يمكن أن تعصي الجليل، أبداً، قلت أنا خطيرة هذه الآية، هذه آية الاستقامة.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12)﴾

يعلم وسيحاسب.

لذلك الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يقول:

يا نفس لو أن طبيباً منعك من أكلة تحبينها، لا شك أنك تمتنعين، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله، طبيب قال لك هالبيت ما يناسبك ثاني يوم تعرضه للبيع، معك قلب لا سمح الله، هذا أربع طوابق، لا يناسبك، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله، إذاً فما أكفرك، أيكون وعيد الطبيب أشد عندك من وعيد الله، إذاً فما أجهلك

الإنسان حينما يعصي مدموغ بالجهل والكفر. تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال بديع لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمته مسؤول ؟ " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم

﴿ لذكر الله وما نزل من الحق ﴾

(سورة الحديد: 16)

ألم يأن أن تصطلح مع الله، ألم يأن أن تتصل بالله، ألم يأن أن تراجع حساباتك، ألم يأن أن تزيل المنكرات من بيتك، ألم يأن أن تستقيم في معاملاتك إلى متى، وملك الموت يخطف أرواح الناس بلا قاعدة، شاب يموت في الخامسة والعشرين بجلطة، من منا يملك أن يعيش ساعة واحدة، أنا أذكر هذا كثيراً.

التقيت مع مدير مدرسة حدثني عن عشرين سنة قادمة، سيسافر إلى البلد الفلاني والفلاني، خمس سنوات إعارة، وسنة بإيطاليا وسنة بفرنسا، وسنة بإنكلترا، وسنة ببريطانيا، وسنة بدو من البلاد ومن أحوال البلاد، ومتاحف البلاد، وريفها، ومدينتها، وبعدين بيرجع يشتري محل يبيع فيه تحف هذه مالها إشكالات، ما لها

تسعيرة ما لها تلف مثلاً، كبرو أولاده، والله الذي لا إله إلا هو في اليوم نفسه توفاه الله، قرأت نعوته مساءً، وقد حدثني صباحاً.

كنت في العمرة لي صديق هناك ذكر لي أن بدوياً يملك أرض في شمال جدة، فلما توسعت جدة نحو الشمال أصبح لهذه الأرض قيمة فجاء مكتب عقاري مؤلف من ثلاث شركاء واشتراها منه بربع قيمتها احتالوا عليه، وأنشاؤوا بناية عالية جداً اثنى عشر طابق، أول شريك وقع من الطابق الأعلى فنزل ميتاً، والثاني مات في حادث، أدرك الثالث أنه في خطأ كبير بشراء الأرض، فبحث عن صاحب الأرض ستة أشهر إلى أن التقى به، ونقده فرق الثمن، فقال له البدوي ترى أنت لحقت حالك.

يا أخوان لحقوا حالكم، ما دام في قلب ينبض لحق حالك الباب مفتوح باب التوبة مفتوح.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثامن : تفسير سورة التحريم

الدرس (1-4) : تفسير الآيتان 4-5 ، محاربة الدين تعني محاربة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه.........

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين :
أيها الأخوة الكرام :
الآية الرابعة والخامسة من سورة التحريم وهي قوله تعالى :

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾

أي تتعاونا عليه .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾

حقيقة هذه الآية الإصغاء للحق.

الحقيقة أن هذه الآية فيها إشارة دقيقة جداً إلى أن الإصغاء للحق من علاماته التطبيق، فمن لم يطبق لا يعد مصغياً.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾

[سورة الأنفال الآية : 21]

السماع عند الله معناه التطبيق، فمن أستمع ولم يطبق ليس عند الله مستمعاً، نفى عنه الله الاستماع كلياً ، أنت مستمعٌ إذا تحركت أنت مستمعٌ إذا التزمت ، أنت مستمعٌ إذا أطعت ، أنت مستمعٌ إذا طبقت ، أما تطبيق ، ليس هناك تطبيق ، ولا التزام ، ولا تنفيذ صرت كابني إسرائيل إذا قالوا :

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾

[سورة البقرة الآية : 93]

أما المؤمن يسمع ويطيع ، بل إن الله عز وجل لا يعده مستمعاً إلا إذا طبق الآية :

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾

يعني إنسان تقول له على كتفك عقرب شائلة ، يبقى محافظاً على هدوءه تماماً ، ويبتسم ، ثم يقول لك أنا أشكرك على هذه الملاحظة التي أبديتها ، وإن شاء الله سأرد لك هذا الجميل في المستقبل ، ما غير ولا بدل، ولا تحرك ، ولا التفت ، ولا خلع ثيابه ، معنى ذلك أنه ما فهم ما قلت له، لو فهم لصرخ ، ولخرج من جلده ،

ولقفز ، وخلع معطفه فوراً ، لو فهم ما قلت له ، لأنه بقي هادئاً ، وبقي مطمئناً ، ورد عليك رداً بسيطاً لطيفاً، معنى ذلك ما فهم ما معنى العقرب ، معنى ذلك ما فهم ما قلت له هي الآية :

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾

الإصغاء علامته التوبة.

قال تعالى: وإن تظاهرا عليه.....

أما الآن الشيء الذي يحير .

﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾

السيدة عائشة والسيدة حفصة ، اثنتان .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴾

ماشي .

﴿ وَجِبْرِيلُ ﴾

راءه النبي ملئ الأفق .

﴿ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾

يعني معقول إذا امرأتان في دولة ، يعني انتقدتا ، نجري استنفار للقوات المسلحة والفرق كلها ، وسلاح الطيران ، وسلاح المدرعات ، معقول يعني ، امرأتان ضعيفتان ، نقول :

﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾

كيف نفسر هذا ؟ معقول ؟ الله عز وجل ، وجبريل رئيس الملائكة ، والملائكة بأكملهم ، والملائكة نقلوا عرش بلقيس بلمح البصر ، من اليمن إلى بيت المقدس ، قدرات الملائكة فوق التصور .

﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾

قال علماء التفسير :

الحقيقة لا تستأهل هاتان المرأتان مهما عل شأنهما أن يقول الله عز وجل :

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾

إلا أن الله بين لنا أن أية جهة بالأرض إن أرادت أن تقف في خط معادي لهذا الدين يجب أن تعلم من هو الطرف الآخر ؟ من هو الطرف الآخر ؟ يعني إذا إنسان إذا حب أن يسئ للدين ، أراد أن يطفئ نور الله ،

أراد أن يلبس مؤمناً تهمة هو بريء منها ، أراد أن يمنع دعوة إلى الله ، يجب أن تعلم علم اليقين من هو الطرف الآخر ؟ الطرف الآخر بيده الكون بأكمله ، والملائكة ، والمؤمنين وجبريل .

لما الإنسان بدو يقيم حرب على دولة ، هل الدول ، قبل أن تعلن حرب على هذه الدولة ، يجب أن تعلم من هذه الدولة ، عندها سلاح نووي وأنت ما عندك ، عندها أقمار وأنت ما عندك ، عندها صواريخ تعبر القارات وأنت ما عندك ، عندها أجهزة تكتشف ما عندك، عندها أجهزة تشوش على كل راداراتك ، قبل أن تعلن الحرب على دولة ، يجب أن تعرف إمكانات هذه الدولة ، لذلك نحن بالدنيا متعقلين دائماً ، إذا دولة ما لنا قدها ، لا نحاربها ، هذا بالمفهوم اليومي الدنيوي .

محاربة الدين تعني محاربة الله.

فكل إنسان بدو يحارب الدين ، يحب أن يطفئ نور الله ، أن يلغي دعوة ، يجب أن يعلم من هو الطرف الآخر ؟ خالق الكون بيده كل شيء ، جبريل ، الملائكة ، المؤمنون ، هؤلاء خصموه ، ومن كان الله خصمه فهو في الأذلين .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾

[سورة المجادلة الآية : 20]

في مزبلة التاريخ ، مع الأشقياء ، مع الهلكة ، مع أصحاب النار إلى أبد الآبدين ، والتاريخ أمامكم ، أين أبو لهب وأبو جهل ؟ في أسفل السافلين ، أين أبو بكر وعمر في أعلى عليين ، في الدنيا تذهب إلى المدينة المنورة تقف أمام سيدنا الصديق بأدب وخشوع وتخاطبه وتبكي أمامه ، ماذا فعل ؟ ناصر النبي ، وإذا ذكرت أبا لهب تقول لعنة الله عليه ، في أسفل السافلين ، أبو جهل لعنة الله عليه في مزبلة التاريخ ، هكذا .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

[سورة المجادلة الآيات: 20-21]

دائماً الغلبة لله والمؤمنين .

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[سورة آل عمران الآية: 12]

القلعة الشامخة التي عاشت سبعين عاماً تقول لا إله ، بس ، ألم تتداعى كما يتداعى بيت العنكبوت ، ألم تصبح أقل أمة في الأرض الآن ، الفقر والفوضى ، شيء لا يحتمل .

﴿ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾

لذلك أيها الأخوة :

الإنسان يعد للمليار قبل أن يفكر أن يقف في خندق معادياً للدين يعد للمليار ، لأن الطرف الآخر هو الله ، وإذا كان الله عليك فمن معك ، وإذا كان الله معك فمن عليك .

أيها الأخوة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾

[سورة الأنفال الآية: 36]

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة إبراهيم الآية: 42]

من أعانه ظالماً سلطه الله عليه ، الأمر بيد الله وحده .

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الفتح الآية: 10]

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

[سورة الأنفال الآية: 17]

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾

[سورة فاطر الآية: 2]

هذا التوحيد .

لذلك الإنسان يكون جندي للحق ، وإياه ثم إياه ثم إياه أن يكون جندياً للباطل ، قد يقول أحدكم معقول أن نفعل هذا ؟ نقول معقول ونصف ، إن وجدت إنسان يدعو إلى الله ، هم العامة تجريحه ، تلذذ هذا دجال ، هذا كذاب ، هذا منافق ، إذا كان كل إنسان دعا إلى الله حطمته أنت ، ماذا تفعل؟! تفعل كما يفعل الشيطان وأنت لا تدري ، هلق في جلسات المسلمين ينهشون أعراض العلماء ، بلا سبب ، بلا دليل بلا تحقق ، أنا لا أنزههم جميعاً ، لكن ما رأيت أحداً في الخلق إلا هؤلاء ، إنسان مستفيد بقلك ، والله أنا عم أحضر عند فلان، مين.. دجال، لا تروح لعنده ، رأساً .. ليش ؟ طيب ماذا فعل معك ؟ معك دليل ؟ هذا الذي يحب أن يصرف الناس عن الله ، وعن طاعة الله ، وعن طريق الآخرة، هو يحارب الله ورسوله ، بشكل أو بآخر ، وقد يصلي ويحارب من يتبع أهل الحق ، يصلي ويقف في الخندق المضاد لأهل الحق ، تجعل لنفسك عمل كعمل الشيطان ، عمل تخريب ، عمل تفريق ، مرة الملكة اليزابيت في أعياد الميلاد ألقت خطاب ، يعني مرة لفت نظري كلمة قالتها ، أن المجتمع الغربي استطاع أن يشكك بالدين لكن ما استطاع أن يأتي بالبديل .

بكون شب منصرف إلى طاعة الله ، وقيام الليل ، وتلاوة القرآن ، نحنا نشككه بالجهة هي ، نشككه فيها ، قام تركها ، فلت يعني إذا فلت أحسن ، أين المصلحة ؟ أن يبقى مع هؤلاء ، منضبط ، مستقيم يغض بصره فإذا شككنا وحطمنا مثله الأعلى ، أنصرف عنهم إلى شهواته ، صار شاب لا يطاق ، كنت تحمده فلما ترك

الدين أصبح عبئاً عليك ، فأنا أقول لا تكون أداة فصل ، كن أداة وصل ، لا تفرق أجمع لا تشتت إرئب ، لا تطعن، حمس ، شجع ، إنسان يفعل خير ، بارك له عمله ، له أخطاء أنصحه بينك وبينه ، أنا لا أنزه الدعاة عن أخطاء كثير جداً ، لكن مثلاً

بلغك عن داعية شيء أنت ما عجبك ، الموقف الكامل ما هو ؟ أن أذهب إليه ، أقول له ياأستاذ لك عمل طيب ، ولك أثر حميد بالبلد وأنت رجل مثل أعلى ، بلغني عنك هذا وهذا إما أن تشرح لي ذلك وإما أن تنفيه، وإما أن يعني تقول أنا لن أعود إليه ، يعني نصيحة لكن بينك وبينه على انفراد ، أما النصيحة أمام الملأ فضيحة ، وليست نصيحة ، عواض ما شكك فيه وتخلي الناس ينصرفوا عنه ، أذهب إليه وانصحه ، هذا الموقف السليم ، لأنه الآن المسلمين فقدوا المثل الأعلى ما في مثل أعلى ، والعوام لا يرتاحون إلا إذا طعنوا بالمثلى العلية فإذا طعنا بهم جميعاً أصبحنا بلا مثل ، إذا طعنا بهم جميعاً أصبحنا بلا قدوة وانتهى الأمر .

لذلك الفرق بين الصحابة الكرام وأهل الزمان ، الصحابة الكرام لهم مثل أعلى رسول الله ، ونحن الأولى أنه ، يعني العلماء لحمهم مسموم كما قال ، يعني أنا لا أقول هذا من فراغ ، أينما جلست أمتع حديث أن تطعن بالعلماء أمتع حديث لماذا هذا الموقف ؟ التمس لأخيك عذر ولو سبعين مرة ، كن لرئب الصدع لا لتفريق الشمل ، كن أداة وصل لا أداة فصل ، طبعاً إذا في معاصي صارخة موضوع ثاني هذا ، إذا في عقيدة منحرفة موضوع ثاني ، أما ما في إنسان معصوم ، أنت كن مرمم ، لا تكون مهدم مرمم ، هذا معنى قول الله عز وجل :

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾

لا تكن في خندق مضاد للدين ، لا تكون أداة هدمٍ ، ولا أداة فصلٍ ، ولا أداة تفرقة ، كن أداة وصلٍ ، وأداة جمعٍ ، وأداة وئام هكذا يريد الله عز وجل ، في لك مأخذ على بعض العلماء ، بعض الدعاة ، أذهب إليهم وتبادل معه النصيحة فيما بينك وبينهم ، هذا الذي يرضي الله عز وجل ، لا تشهر، لا تنقل كلام لعامة الناس هذا كلام أقول لكم هذه مشكلة هذه البلدة ، وفي أكثر بلاد المسلمين .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : تفسير الآية 5 ، صفات المرأة الصالحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : اللهم.. لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

الآية الخامسة من سورة التحريم وهي قوله تعالى:

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً (5)﴾

أولاً:

هذه الآيات تشير إليها آية كريمة وهي قوله تعالى:

﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾

(سورة محمد: 38)

﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾

(سورة الحجرات: 17)

لمجرد أن تتأفف، أو أن تستعلي، يستبدل الله إنسان آخر بك غيرك، ثم لا يكون هذا مثلك، هي قاعدة.

فالإنسان يجب أن يشعر إن الله سبحان وتعالى متفضل عليه بهذا الدين، متفضل عليه بهذه الطاعة، متفضل عليه بهذا الهدى، أما إذا منى على الله أنه مسلم، أو أنه مؤمن، عندئذ يستبدل الله إنسان غيره ثم لا يكون مثله.

نساء النبي عليه الصلاة والسلام ورضوان الله عليهم أجمعين.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ﴾

الآن، صفات المرأة الصالحة، في آية تقول:

﴿ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾

(سورة الأحزاب: 59)

يعني أدنى شيء يشير في المرأة إلى أنها مسلمة حجابها، أدنى شيء، كما لو رأيت طالباً يرتدي بدلة الفتوة، تقول هذا طالب، قد يكون مطرود من كل المدارس، قد يكون نال الأصفار كلها في كل المواد، لكن يرتدي هذه البدلة، إذاً هو طالب، فالمرأة التي تتحجب لا يكفي حجابها، ليعبر عن تدينها، قال:

﴿مُسْلِمَاتٍ﴾

والمسلمة هي التي خضعت لأمر الله، الله عز وجل له منهج أمرٌ ونهيٌ فالمسلم الذي انصاع لأمر الله، انصاعت جوارحه لأوامر الله، أما المؤمن هو الذي أقبل على الله، صدق كتابه وأقبل عليه الإيمان تصديق وإقبال، والكفر إعراض ومعصية، تكذيب وإعراض فالإسلام طابعه عملي، والإيمان طابعه نفسي، الإسلام طاعة والإيمان إقبال، اتصال بالله.

﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾

يعني في أمر الله ونهيه، في الحلال والحرام، هذه المرأة منصاعة لأمر الله، إذاً هي مسلمة، طبعاً نشأ الآن مفهوم جديد للإسلام، أن إنسان مكتوب بالهوية مسلم، يعني ولدان في بيئة مسلمة ولدان ببلاد مسلمين، وليس فيه من الإسلام شيء، هذا تقيم جديد، إذا ما في شيء من الإسلام إطلاقاً ليس مسلماً، أما بالمفهوم المعاصر كل من ولد من أبويين مسلمين فهو مسلم، وقد يكون ملحداً، أما الإسلام في القرآن، يعني الانصياع لأمر الله عز وجل.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾

الإسلام انصياع ظاهري، انصياع الجوارح والأعضاء لأمر الله ونيهه فغض البصر من الإسلام، النطق بالحق من الإسلام الصدق من الإسلام ، الأمانة من الإسلام، حفظ الفرج من الإسلام تحرير الدخل من المال الحرام من الإسلام، النظر في ملكوت السماوات و الأرض من الإسلام، قل انظروا، في أمر لأنه، فأي أمراً في القرآن يقتضي الوجوب، فالذي انصاع لأمر الله هو عند الله مسلم، أما الذي أقبل عليه، وأتصل به، وسعد بقربه، هذا مؤمن فالإيمان طابعه نفسي، والإسلام طابعه مادي، الإسلام انصياع الجوارح والأعضاء، والإيمان إقبال القلب على الله.

﴿ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾

﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ﴾

القنوت هو الطاعة المستمرة، يعني في أشخاص لهم فورات يعني قد يسير في طريق الإيمان أسبوع أسبوعين شهر ثم يعود إلى ما كان عليه، ليس هذا هو القنوت، القنوت الخضوع المستمر لله، هي قضية مصير، هو عاهد الله على ألا يعصيه إطلاقاً، هي قضية مصير، والإنسان أحياناً يذهب إلى بيت الله الحرام ويقبل الحجر الأسود، ويقول له عهداً يا ربي على طاعتك، اللهم إيماناً بكتابك وتصديقاً لنبيك، وعهداً على طاعتك، والله عز وجل قال:

﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾

(سورة الأعراف: 102)

فالإنسان إذا عاهد الله عز وجل ينبغي أن يكون عند عهده، أخ كريم مقيم ببلد غربي يعمل طبيب، متفوق جداً في جراحة العظام أمض ستة وعشرين سنة في هذا البلد الغربي، وهو من أعلى مستوى في الجراحة، وله ثروة طائلة وله مكانة حميدة، وله وله، قال لي أجريت عملية تركيب مفصل، شعرت بتعب قليل، أجرى عملية ثانية لامرأة تبديل مفصل شعر بتعب أشد، أجرى الثالثة شعر بتعب شديد ذهب إلى البيت شعر أن مركبته تميل نحو اليمين، ظن أن في مركبته خللاً، وصل إلى البيت، سألته زوجته ما لك، قال مالي، ليس بي شيء قالت أنظر إلى وجهك، نظر إلى وجهه فإذا هو متورم، فعلم أنها خثره بالدماغ، جلط بالدماغ، أستدع أحد أقاربه طبيب قلب فعرف أنها خثره بالدماغ، قال لي أخذوني إلى المستشفى، في المستشفى ساءت حالتي، شلت يدي ورجلي، وذهب صوتي، قال لي والله أصابني من الألم ما لا يوصف، شعرت بالإحباط وأنا في قمة نجاحي، وأنا في قمة عطائي، وأنا بهذه الحالة الراقية، مكانة، وعلم وثروة، وكل شيء، قال لي أصابني ألم لا يوصف، ضيق، هكذا حالتي أصبحت، طريح الفراش، على كرسي، قال لي في الليل هكذا قال لي، نظرت إلى النافذة فإذا في السماء القمر، قال أقسم بالله وهو صادق، وكأنني أرى الله، ألم يقل النبي الكريم، اعبدوا الله كأنك تراه، قال كأنني أرى الله، ناجيته، قلت يا رب، إن أردت أن ابقى هكذا، فأمتني، وإن أردت أن أعيش فداوني، عالجني، وبكى، الذي أذكره من قصته، أن ما من خلية في جسمه، إلا ناجت ربها، قال لي بعد ساعة أو ساعتين منتصف الليل، قمت من فراشي، كأنني شفيت أمسك الدرابزين بالمستشفى فاندفعت ممرضة وقالت له مجنون يا دكتور أنت، أنت مشلول، قال لها ما بي شيء، أقسم بالله من هذا التاريخ إلى الآن هو في أتم الصحة، أما عاهد الله، قال له والله يا رب لن أعصيك حتى الموت، وسأكون في خدمة عبادك، عاهد الله، إذا واحد منا عاهد الله عهد موثق، الله عز وجل لن يضيعه، يعني مرض خطير، قد يجعل الإنسان مشلول قعيد الفراش، على كرسي طوال حياته، يتنهى دوره المهني، يصبح عاجز، عبئ على الناس، في ساعة إخلاص، صدق، وتوجه وعهد، قال لي والله شفيت تماماً وإلى الآن، أما الآن يسعى جهده إلى خدمة الخلق إكراماً لله عز وجل على هذا العهد، لو كل واحد منا عاهد الله عز وجل ألا يعصيه، ألا يأكل مالاً حرام، ألا يسئ لخلقه يعني هذا الشيء يبعث بالنفس التفاؤل.

﴿ قَانِتَاتٍ ﴾

يعني طاعة دائمة، مو طاعة نوبية، تحت الفرش يا كريم نفق.. ما عاد له علاقة مع الله عز وجل، هي مشهوره عند العوام يذكر الله والفرش فوق رأسه والبضاعة كاسدة، فإذا نفقت، ينسى الله عز وجل، كل إنسان عند الشدة يسأل الله لكن بطولتك أن تسأله وأنت صحيح، وأنت معافى، وأنت غني، وأنت قوي وأنت في أوجه نجاحك، وأنت في أوجه عطائك.

﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ﴾

التوبة النصوح، التوبة التي لا تجرح بمعصية، يعني عقد العزم للمستقبل واصلح الماضي، وأقلع من توه، الحاضر إقلاع عن الذنب، والمستقبل عزيمة والماضي ندم وتوبة وإصلاح.

﴿ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ﴾

خاضعات لأمر الله، مع المحبة، لا يسمى عابداً من أطاع الله ولم يحبه، كم أنه تحب ولا تطعه هذا مستحيل.

تعصي الله وأنت تظهر حبه ذاك في المقال شـــــنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾

سياحة يعني ؟ قال العلماء:

مهاجرات، يعني تركن بلدهن إلى الله ورسوله

إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمري ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه.

﴿ سَائِحَاتٍ﴾

يعني مهاجرات كما قال بعض العلماء.

﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً (5)﴾

فهذا ، هي صفات المرأة المؤمنة.

﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً (5)﴾

والإنسان لا يسعد بزوجته إلا إذا كانت هكذا، والأزواج مقصرون كثيراً في توجيه زوجاتهم إلى الله، بل إنك لن تسعد بزوجتك إلا إذا عرفت الله، لأنها إذا عرفت الله عز وجل عرفت حقك عليها، إن عرفت الله ربت أولادها، إن عرفت الله عز وجل قامت بحقك الذي عليها، ثم يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)﴾

هذه إلى الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

الدرس (3-4) : تفسير الآية 6 ، مسؤولية الأب عن أهله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : الآية السادسة من سورة التحريم وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)﴾

أيها الأخوة الكرام:

هذه الآية تؤكد مسئولية الأب عن أهله، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾

الرجل مسؤول عن زوجته وعن أولاده، ذكوراً وإناثاً، ليس مسؤولاً عن إطعامهم، وإكسائهم، وإوائهم فحسب، بل هو مسؤول عن دينهم، وعن خلقهم، وعن صلاتهم.

وقد قال الله عز وجل:

﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾

(سورة طه: 132)

جزء من مهمة الأب، أن يهتم بدين أولاده.

سيدنا عمر رضي الله عنه حينما طعن، قبيل وفاته بساعات حينما طعن وغاب عن الوعي، ثم صحا، قد تستغربون أو لا تصدقون ماذا قال ؟! هل صلى المسلمون الفجر ؟ ما قال من طعنني ؟ من قتلني ؟ قال هل صلى المسلمون الفجر ؟ أنت كأب، هل تسأل زوجتك أصلى العشاء أولادي، تعشوا تعشوا، طيب، هل صلى العشاء، فلان فإذا كنت أباً كم ينبغي أن تكون، تطبق هذه الآية، وهي قوله تعالى:

﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

فأنت مأمور أن تقي نفسك النار، وأن تقي أهلك، كيف تقي أهلك النار ؟ أولاً حينما تكون أب مثالياً لأولادك، أو زوج مثالياً لزوجتك، قلب الزوجة يميل إليك، وقلب الأولاد يميل إليك، فالقاسي والغضوب، والذي يضرب بقسوة وعنف، والذي يبخل، لن يستطيع أن يوجه أولاده إطلاقاً، ولا زوجته، بالعكس إن الزوجة والأولاد ينفرون من منهج أبيهم أي منهج، فإذا كان ديناً في الظاهر كرهوا الدين لأجله، فالأب القاسي والبخيل لا

يستطيع أن يوجه أولاده ولا زوجته فمن أجل أن تقيهم النار ينبغي أن يحبونك، أن يحبوك بالمعاملة الطيبة. لذلك قال الله عز وجل:

﴿ وعاشروهن بالمعروف﴾

(سورة النساء: 19)

وقال العلماء: ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها بل !!! أن تحتمل الأذى منها، فالأب الصبور، والزوج الصبور، والكريم، والحريص، والرحيم، هذا فتح القلوب بإحسانه ليفتح العقول ببيانه، طريق إقناع الناس بالدين، أن تفتح قلوبهم بالإحسان، من أجل أن تفتح عقولهم ببيانك، الأب القاسي والغضوب والبخيل لو كان أفصح الفصحاء، لو ألقى عليهم كل يوم محاضرة لن يستجيب أحد إليه، أفتح قلوبهم بالإحسان ثم أفتح عقولهم بالبيان، لا تكن قمعياً كن مقنعاً، في آباء قمعيون، يعني قوم صلي، أو بضربك ليس هذا هو الأمر، تحجبي لو لم تفعلي ذبحتك، إذا مات مثل هذا الأب يتفلت أولاده أشد التفلت لا تكن قمعياً، كن مقنعاً، أقنع ولا تلزم.

﴿ لا إكراه في الدين ﴾

(سورة البقرة: 256)

أول مبدأ أحسن كي تفتح القلوب تمهيداً لفتح العقول.

الشيء الثاني:

لا تكن قمعياً، كن محسناً، مقنعاً.

الشيء الثالث:

حاسب، كافئ على الإحسان وعاقب على الإساءة، إذا ما في مكافئة، ولا في عقاب ما في التزام، بعض الوسائل أن تقي أهلك وأولادك النار.

﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

ينبغي أن تفتح القلوب بالإحسان لفتح العقول بالبيان، ينبغي ألا تكون قمعياً ينبغي أن تكون مقنعاً، ينبغي ألا تعري، ينبغي أن تربي لا تفضح ابنك أمام أخوته، لا تعنفه أمام الناس، تشكيه لأخوك، لعمه لأولاد عمه، تصغره، لن يحبك، اجعل معالجتك له فيما بينك وبينه اجعل له شخصية، نمي له هذه الشخصية، اجعل له مكانه ليشعر بقيمته، فإذا أخطأ حاسبه بينك وبينه، لابد من بذل جهد كبير لتربية الأولاد.

قال عليه الصلاة والسلام: أدبوا أولادكم على حب القرآن وحب آل بيتي.

يعني ماذا تتصور من تنفيذ هذه الوصية ؟ تعال إلى هنا يا ابني حب رسول الله، حب أصحابه، لا مو هيك، هذا أسوأ أسلوب اجلس معهم واقرأ لهم سيرة أحد الصحابة، انظر إلى وفائه، انظر إلى رحمته، انظر إلى ورعه، انظر إلى حبه لله عز وجل، انظر إلى شجاعته، انظر إلى نصرته للنبي، الآن يحبون أصحاب رسول الله .

إذاً:

لا تكن قمعياً، كن مقنعاً، لا تكن ملزماً، كن مُبين، لا تكن واعظاً كن محسناً، بهذه الطرائق ممكن أن تستميل أولادك إليك، وأن تجلبهم إلى صف الحق، وأن تكون منقذاً لهم من النار، كم من بيت علم تفلت الأولاد وانحرفوا أشد الانحراف ؟ الأب قمعي، أنا أعرف رجل والله كان صالحاً، وكان مستقيماً، وكان ورعاً، وليس في بيته شيء منهي عنه، وبناته محجبات حتى الوجه حجاب كامل، لمجرد أن الله توفاه، خرجت بناته بالبنطال، بلا شيء، لأنه كان قمعي ما كان مقنع، وتجد بالمقابل أسر يموت الأب لا يتغير شيء في البيت الالتزام هو هو لأنه كان يقنعهم، بطولتك لا تكون بالقمع، بالعنف علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف.

فدرسنا اليوم:

الكلمة واضحة، أما تفسيرها ؟ كيف أستطيع أن أقي أولادي وأهلي النار، لابد من أن يحبونني.

إذاً: الإحسان، بعد الإحسان البيان لابد من أكون قدوة لهم، القدوة قبل الدعوة، لن أكون مؤثراً إلا بالإقناع لا بالقمع، لا تقمع أقنع، ثم استخدم أسلوب التدرج، قوم صلي قيام الليل، طول بالك، هو الخمس لم يصليهم بعد، ابدأ بالصلوات الخمس، واتغاضا عن وقت لم يصليه واستحى منك لا تضيق كثير، غض بصرك عن تسعة وحاسب العشرة ادرج معهم، فالتدرج لا تعريه أمام أقربائه، لا تفضحه، لا تعنفه أمام أخوته البنات، لا تخليه صغير، خليه كبير، وحاسبه بينك وبينه بعدين لا تخليه يبتعد عنك، خليه معك دائماً، في آباء يكره يمشي معه ابنه، اقعد خليك بالبيت، البيت فيه طريق والطريق فيه رفقاء سوء طبعاً إذا أخذته معك إلى هذا الاجتماع، أو إلى هذه السهرة، أو لهذا السيران بدك تلاحظه، متعب لكنك ضممته إليك، ولم ينفر عنك هذه كلها بعض الوسائل من أجل أن تقي أهلك وأولادك النار.

فلإنسان حينما يرى ابنه يصلي صلاة متقنه وهو صادق وأمين يدخل على قلبه من السرور مالا يوصف.

﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

الحجر لا يحترق، لكنه في نار جهنم يحترق، من أقسى أنواع الحجارة البازلت الأسود، هذا بالبراكين يسيل كالسائل، طبعاً من فوق 1500 درجة البازلت يصبح سائل ماء.

﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

هذه إشارة إلى ارتفاع حرارتها.

﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)﴾

يعني نار محرقة، وعذاب أليم، وغلظة فائقة.

فلذلك منهجنا أن نقي أنفسنا، وأولادنا، وزوجاتنا النار بهذه الطريقة.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : تفسير الآيتان 10 - 11 ، ولا تزر وازرة وزر أخرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام: الآية العاشرة والتي بعدها من سورة التحريم وهي قوله تعالى:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10)﴾

هذه الآية أيها الأخوة:

تبين أنه ولا تزر وازرة وزر أخرى، أي الوازرة النفس لا تحمل حمل غيرها، كل إنسان محاسب عن عمله، مسؤول عن خطئه من أشد العلاقات متانةً، من أشد اللقاءات قوةً الزوج وزوجته، ومع ذلك الزوج نبي والزوجة لم تؤمن بدعوة النبي، فزوجها، وأقرب الناس إليها، وأشد الناس قرباً منها لا يستطيع أن يمنعها من عذاب الله عز وجل.

من هنا قال عليه الصلاة والسلام يخاطب فاطمة حبيبته: يقول فاطمة بضعة مني من أكرمها فقد أكرمني، ومن أبغضها فقد أبغضني قال لها يا فاطمة بنت محمد، لو أنه قال يا فاطمة يكفي، يا فاطمة بنت محمد: يعني أبوك محمد، أنا لا أغني عنك من الله شيئاً، يا عباس عم رسول الله، أنا لا أغني عنك من الله شيئاً، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم، من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه يعني كل إنسان وحده محاسب عن أعماله كلها، ولا يتحمل إنسان حمل آخر.

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾

(سورة الزمر: 7)

ربنا عز وجل ضرب أمثلة كثيرة لكن هذا من أبلغ الأمثلة يعني ما من علاقة بين اثنين أكثر التصاقاً وقوةً ومتانةً من الزوجين يعني اندماج تقريباً ومع ذلك الزوج نبي والزوجة كافرة، لا يستطيع النبي أن يحول بينها وبين العذاب.

لو أن الإنسان له أب صالح، بقلك أنا أبي صالح، خير إن شاء الله، لو كان أبوك نبي لا تنجو من عذاب الله، أنا من بيت فلان خير إن شاء الله، لو أن هذه أرقى أسرة في الشام ولم تكن مستقيماً لا تنجو من عذاب الله، فأي اعتزاز بالقرابة، بالنسب، بالعائلة، كلام فارغ.

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

الكافر مهما كان علاقته بالمؤمن لن تكون كعلاقة زوجة بزوجها، مرفوعة الكلفة كلياً، لن تكون أفضى إليها وأفضت إليه ومع ذلك هذه العلاقة الحميمة جداً لا تمنع عنها العذاب إن لم تكن مؤمنةً.

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾

طبعاً من الثابت والمؤكد أن هذه خيانة دعوة، وليست خيانة فراش، خيانة دعوة، لا خيانة فراش.

﴿ فَخَانَتَاهُمَا﴾

أي لم تؤمنا بدعوتهما، لم تؤمنا لهما.

﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10)﴾

لذلك:

عليه الصلاة والسلام قال: سلمان منا آل البيت، سلمان الفارسي قال: سلمان منا آل البيت، والقرآن يقول:

﴿ تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾

(سورة المسد: 1. 2)

هذه الآية تقطع أي أمل، وأي وهم، وأي تعلق خرافي، أنه أنا منسوب، أنا من الأشراف، أنا من بيت فلان، أنا والدي فلان مهما يكن أبوك، لا ينفعك إلا عملك، فهذه امرأة نوح، وامرأة لوط كانتا كافرتين، وزوجاهما نبيان، ومع ذلك لم يمنعان عنهما عذاب النار.

﴿ وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10)﴾

معنى ذلك ؛ المرأة مسؤولة عن إيمانها، مستقلة بهذه المسئولية عن زوجها هذا أول نسب، الزوج نبي، والزوجة كافرة، هذه العلاقة الحميمة، الوطيدة المتينة التي أفضى بها إليها، وأفضت بها إليه لم تمنع عنها العذاب.

بالمقابل:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آَمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾

يعني لماذا اختار الله السيدة آسيا وهي واحدة من أربع نساء كملن قال عليه الصلاة والسلام: كمل من الرجال الكثير ولم يكمل من النساء إلا أربع:

السيدة خديجة.. السيدة فاطمة.. السيدة مريم.. السيدة آسيا امرأة فرعون.

ما الحكمة من جعل هذه المرأة الصديقة، صديقة النساء زوجة أكفر كفار الأرض، بالعكس، يعني المرأة مستقلة بإيمانها عن زوجها ولا يقبل منها عذر أن زوجها كافر، الآن معظم النساء، المسلمات المقصرات، المتبذلات، ماذا يقلن لك إذا عاتبتهن، هيك بدو زوجي إن شاء الله برقبته، لا مو برقبته، برقبتك، هيك بدو زوجي، هذا الكلام عند الله غير مقبول، والدليل مهما كان زوجها قوي الشخصية ليس كفرعون، مهما كان زوجها صعب ليس كفرعون، فرعون قال أنا ربكم الأعلى، فرعون ذبح بني إسرائيل، واستحي نسائهم، جبار مجرم، طاغية، ولم يستطيع أن يحمل امرأته على دينه.

﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11)﴾

فأقرب علاقة بين اثنين علاقة الزوج بزوجته، فزوجة كافرة وزوجها نبي وزوجة صديقة وزوجها كافر، بعكس بعضهم، لا استطاع النبي أن يحمي امرأته الكافرة من عذاب النار، ولا استطاع فرعون أن يحمل زوجته على دينه الوثني الملخص أنه:

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾

الملخص:

أن كل إنسان محاسب عن عمله، دون أن يكون لأحد علاقة بهذه المحاسبة، الحجة هكذا.

البارحة يعني أخ كريم قال لي أن فلان معه فتوى، يعني أكل الربا على أساس فتوى، في مفتي في مصر أفتى بالربا، قلت له أيهما أعظم قيمة فتوى مفتي مصر أم فتوى رسول الله، لو أنك انتزعت من فم رسول الله فتوى لصالحك ببيان ناصع، وحجة قوية، وطلاقة لسان وانتزعت منه فتوى من فمه الشريف وهو سيد الخلق وحبيب الحق وهو المعصوم الذي يوحي إليه، ولم تكن محقاً لا تنجو من عذاب الله.

لقول النبي عليه الصلاة والسلام: لعل أحدكم ألحن بحجته من الآخر فإذا قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقضي له بقطعة من النار.

احفظوا هذه النصوص الأربعة:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11)﴾

واحفظوا معها الحديثين:

يا فاطمة بنت محمد يا عباس عم رسول الله أنقذا نفسيكما من النار، أنا لا أغني عنكما من الله شيئاً، لا يأتين الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم.

واحفظوا معها هاتين الآيتين، وهذا الحديث: لعل أحدكما ألحن بحجته من الآخر فإذا قضيت له بشيء فإنما أقضي له بقطعة من النار.

لذلك لا تتعلق بفتوى، استفتي قلبك وإن أفتاك المفتون وأفتوك لا تتعلق بأب صالح، ولا بأسرة راقية، ولا بانتساب إلى أمة محمد نحن أمة محمد مرحومة، هكذا يقول المسلمون وهم ينغمسون بالملذات والمعاصي، إن لم تكن مستجيباً لرسول الله بدعوته فأنت من أمة التبليغ، لا من أمة التشريف.

العلماء قسموا أمة محمد إلى قسمين، أمة التشريف، وأمة التبليغ، فالذي استجاب لرسول الله من أمة التشريف.

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

(سورة آل عمران: 110)

فعلة هذه الخيرية أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر.

لذلك:

﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾

فإن لم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر، ولم تؤمنوا بالله فأنتم من أمة التبليغ، وهذه الأمة ليس لها أية ميزة على الإطلاق استأنسوا بقول الله عز وجل:

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾

(سورة المائدة: 18)

قال لهم كذبتم.

﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾

أنتم من هؤلاء الناس، إذا هان أمر الله عليكم هنتم على الله طبعاً المسلمون يعذبون أحياناً، في ضعف، في تفرق، في تشتت في تشرذم، في خصومات داخلية، بأسهم بينهم، متخلفون، أمرهم ليس بيدهم، مقهورون، لأن أمر الله هان عليكم فهنتم على الله.

أنا ركبت طائرة من دمشق إلى أبو ظبي، وشركة خليجية أثناء الطيران وزع الخمر، طيب من بلد مسلم إلى بلد مسلم والشركة خليجية، من الخليج وزع الخمر، ونحن في الجو عددت الذين لم يشربوا فقط، لا الذين

شربوا، الذين لم يشربوا عددتهم قلة، قلائل فكيف ننتظر نصر الله عز وجل ؟ ونحن في الجو يشربوا المسلمون الخمر، لو شركة أجنبية ما في مانع، شركة خليجية، الطيران الخليج ومن عاصمة إسلامية إلى عاصمة إسلامية، والركاب يشربون الخمر فكيف ننتظر أن ينصرنا الله عز وجل ؟

لذلك: أمة محمد عليه الصلاة والسلام إن لم تستجب لله ورسوله فهي أمة التبليغ، ولا قيمة لها عند الله بشيء، هي كأية أمة أخرى.

﴿ بل أنتم بشر ممن خلق ﴾

أما الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هؤلاء من أمة التشريف، هؤلاء من خير أمة أخرجت للناس.
آيات اليوم:

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾

(سورة المدثر: 38)

وأقوى علاقة بين إنسانين لا تشفع لأحدهما عند الآخر، هذا ملخص الآيات.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الفصل التاسع : تفسير سورة الملك

الدرس (6-1) : تفسير الآيتان 1 – 2 ، لماذا قدم الموت على الحياة ؟

الدرس (6-2) : تفسير الآية 12 ، خشية الله بالغيب

الدرس (6-3) : تفسير الآيتان 3 – 4 ، إتقان الله تعالى

الدرس (6-4) : تفسير الآيات 6 – 10 ، المسارعة للخير

الدرس (6-5) : تفسير الآيات 28 – 30 ، اتباع الحق

الدرس (6-6) : تفسير الآية 22 ، الموازنة بين الحق والباطل

الدرس (1-6) : تفسير الآيتان 1 – 2 ، لماذا قدم الموت على الحياة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين : أيها الأخوة الكرام:
الآية الأولى والثانية من سورة الملك وهي قوله تعالى:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)﴾

كلمة تبارك ؛ يعني تناما خيره، عظم خيره، والله سبحانه وتعالى هو الخير المطلق، خلق الخلق ليسعده.

﴿ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾

(سورة هود: 119)

والملك بيده.

﴿ وإليه يرجع الأمر ﴾

(سورة هود: 123)

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ﴾

(سورة آل عمران: 26)

كل شيء يملك فهو ملك، وهو بيد الله، كل شيء يملك هو ملك، والملك بيد الله، والله سبحانه وتعالى خيره عميم، وخيره عظيم، وهو على كل شيء قدير ، بشكل مطلق.

أنا أعرف رجل يعمل مدرس في إحدى الثانويات، أصيب بمرض خبيث في إحدى رئتيه، والذين عالجوه هم أصدقائي، عالجوه وتأكدوا أن هذا الورم بلغ الدرجة الخامسة، وأخذت خزعات إلى بريطانيا، وجاء الجواب مرض خبيث بالدرجة الخامسة، وكان على شفى الموت، وكان هناك احتمال أن تجرى له عملية في أمريكا تكلف ثمن بيته بالضبط، وله أولاد أيتام، كل هذا الكلام قطعي الأطباء جميعاً، التصوير الشعاعي، التحليل المخبري، تحليل النسج كله يؤكد المرض الخبيث في الدرجة الخامسة، ثم تراجع هذا المرض تلقائياً، والقصة مضى عليها أكثر من 18 سنة، وهو حي يرزق ويتمتع بأعلى درجة من الصحة.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)﴾

شيء على الله مستحيل ما في، يخلق من الضعف قوة، من الفقر غناً، من المرض صحة.

﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾

هذه اللام لام التعليل، يعني علة وجودنا على سطح الأرض علة وجودنا في الدنيا الابتلاء، وفي آية أخرى:

﴿وإن كنا لمبتلين ﴾

(سورة المؤمنين: 30)

﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾

(سورة العنكبوت: 2 ـ 3)

أنت في هذه الدنيا خلقت من أجل أن تبتلى ؛ أي أن تمتحن فإما أن تستقيم وإما أن تنحرف، إما أن تصدق وإما أن تكذب، إما أن تنصح وإما أن تغش، إما أن تعطي وإما أن تمنع، إما أن ترحم وإما أن تقسو، إما أن تعدل وإما أن تظلم، إما أن تحسن وإما أن تسيء.

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ ﴾

ذكرت مرة أن الأقوياء في العالم كله ملكوا الرقاب بقوتهم والأنبياء ملكوا القلوب بكمالهم، وشتان بين أن تملك القلوب، وأن تملك الرقاب، وكل واحد منا إما تابع لنبي، أو تابع لقوي، ولو كان شرطي، هذا تابع لقوي، والمؤمن تابع لنبي، فالمؤمن يملك القلوب بكماله، وأي إنسان يملك شيء من القوة يملك الرقاب بقوته. فالناس رجلان برٌ تقي، كريم على الله، وفاجر شقي، هين على الله.

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾

أما في بالآية شيء قد لا يصدق، هو ليمتحننا، طيب النتائج ؟ نجاح أو رسوب، أيام يجرى امتحان من ينجح، ومن يرسب، أما إذا قلت أنا أجري هذا الامتحان فقط لأرتب الناجحين وفق التسلسل، معنى الأصل أن تنجح، قدم لك كل شيء من أجل أن تنجح، فالنجاح مفروغ منه، بقي الامتحان من أجل ماذا ؟ من أجل تسلسل الناجحين، انظر الآية:

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾

نتائج الامتحان لأن الله سخر لك الكون، أعطاك العقل أعطاك الفطرة سخر لك الأشياء، أنزل على نبيه الكتاب، أفعاله تدل عليه، كلامه يدل عليه، خلقه يدل عليه، ويربيك يوما بيوم، وساعة بساعة.

﴿ كل يوم هو في شأن ﴾

(سورة الرحمن: 29)

فالهدى قطعي، الهدى حتمي، الهدى مفروغ منه، أما نحن نجري هذا الامتحان لا لنعرف الناجح من الراسب، لا، لنعرف ترتيب الناجحين فقط، فالذي يرسب معنى ذلك هذا خالف العقل، وخالف الفطرة، وخالف المتوقع، وخالف المألوف، وكان شاذاً شذوذ كبيراً لأنه رسب، الامتحان لترتيب الناجحين، أنت أحياناً لو عندك ناجحين تجري امتحان شفهي لإعطائهم علامات تسلسل.

فربنا عز وجل يقول:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾

فلماذا قدم الموت على الحياة ؟ تقديم رتبي، الإنسان حينما يحيى أمامه آلاف الطرق، قد يكون متعلم، وقد يكون غير متعلم.

واحد دخل دير، ليخدم هذا الدير، رئيس هذا الدير سأله أتقرأ وتكتب قال له لا، طرده، فلما طرده هام على وجهه، مشى في شارع مديد لم يجد بائع دخان في هذا الشارع، فصار يبيع الدخان في هذا الشارع، نمت أمواله إلى أن صار أحد أكبر أغنياء لندن، ذهب إلى بنك ليوقع، قال له أنا لا أوقع، قال له عجيب لو أنك تقرأ وتكتب ماذا كنت ؟ قال له كنت خادم بالكنيسة.

بالحياة ممكن ما تتعلم وتكون مليونير، في خيار العلم، خيار التجارة ، خيار الصناعة، خيار الوظيفة، طبيب، مهندس، معلم صاحب مهنة عادية، عندك ألف خيار، معقب معاملات مثلاً، مهندس ديكور، كم مهنة في بالأرض، وكم حالة ؟ والله جعل الناس درجات أما عند الموت، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، الخيار صعب جداً، الخيار في الدنيا واسع جداً، أما عند الموت إما من أهل الجنة وهذا هو الفوز العظيم، وإما من أهل النار وهذا هو الخسران المبين، يعني أكبر خسارة أن يخسر الإنسان نفسه.

﴿ قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾

(سورة الزمر: 15)

إذاً ربنا عز وجل قدم الموت على الحياة، لأنه أخطر الإنسان حينما يولد آلاف الطرق مفتوحة أمامه، وقد يكون تفاوت ضئيل بين الناس، يعني مثلاً كل الناس يستنشقوا الهواء واحد، فقراء أغنياء، متفوقين، أطباء، أميين، الهواء واحد، وكل كأس الماء بارد مبذول للناس كلهم من دون براد، الفيجة باردة طيب صحن فول طعمه واحد للجميع، كأس شاي للجميع، الزواج موحد تقريباً فالتفاوت بسيط جداً في الدنيا، لكن في مظاهر، الأغنياء عندهم مظاهر فخمة، أما إذا واحد فقير.

سأل الملك وزيره من المالك ؟ قال له: أنت، قال له: لا الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا، له بيت يؤويه، وزوجة ترضيه ودخل يكفيه هذا ملك.

أما عند الموت ما في تفاوت بسيط.

﴿ تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون، ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون، قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، قال اخسئوا فيها ولا تكلموني﴾

(سورة المؤمنين: من 104 . إلى 107)

أما أهل الجنة:

﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾

(سورة يس: 55)

فالتفاوت كبير جداً، لذلك الموت أخطر حدث في حياة الإنسان من هو العاقل ؟ من هو الذكي ؟ من هو الفالح ؟ من هو الموفق ؟ من هو المتفوق ؟ هو الذي يعد لهذه الساعة عدتها، هو الذي يعد لهذه الساعة حتى يضحك وحده ومن حوله يبكي، حينما تولد كل من حولك يضحك، إلا أنت تبكي، عند الموت المؤمن وحده يضحك وحده وكل من حوله يبكي، فمن أجل أن تصل إلى هذه الساعة التي لا ريب فيها يجب أن تعد العدة للتوبة، بالطاعة، بالأمر بالمعروف بالنهي عن المنكر، أن تقيم الإسلام في بيتك، في عملك، أن تحرر دخلك من الحرام أن تضبط لسانك، عينك، سمعك، جوارحك، يدك، رجلك هذا ثمن الجنة.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)﴾

عزيز ؛ يعني لا ينال جانبه، غفور ؛ كل ما سبق يغفر بكلمة واحدة فالإنسان مادام قلبه ينبض هو في بحبوحة، ما دام في عمره بقية بإمكانه أن يتوب أن يستغفر، أن يصحح، أن يعتذر، أن يؤدي ما عليه، أن يطلب المسامحة، ما دام حي يرزق هناك ألف حل وحل أما حينما يأتي ملك الموت ختم العمل وانقلب الإنسان إما إلى جنة قال المؤمن حينما يأتيه ملك الموت يرى مقامه في الجنة فيقول لم أرى شراً قط، كل متاعب الدنيا ينساها، والكافر حينما يرى مكانه في النار يصيح صيحة لو سمعها أهل الأرض لصعقوا، يقول لم أرى خيراً قط.

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾

(سورة الكهف: 103)

إذاً هذه الآية دقيقة جداً، الموت قدم على الحياة، والامتحان المفروض بالإنسان أن ينجح، والامتحان لمعرفة تسلسله بالنجاح فقط لا لمعرفة ناجح أو راسب، لأنه الكون يدل عليه، وكلامه يدل عليه وأفعاله تدل عليه، أعطاك عقل، وأعطاك فطرة، أعطاك كل شيء.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-6) : تفسير الآية 12 ، خشية الله بالغيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين . أيها الإخوة الكرام ؛ الآية الثانِية عشرة من سورة الملك وهي قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (12)﴾

[الملك:الآية 12]

هذه الآية على إيجازِها تعني شيئاً كبيراً وهو أنّ هذه الجنة التي خُلِقنا لها والتي وُعِدنا بها والتي لا يليق بالإنسان أن يعْمل إلا لها ثمنها أنْ تخْشى الله بالغيب، فما معنى كلمة بالغيب ؟ أيّ إنسان إذا رأى خطراً بِعَيْنِه يبْتعد عنه بل أيّ حيوان إذا رأى خطراً بِعَيْنِه يبْتعد عنه فابْتِعاد الإنسان عن خطرٍ محْسوس لا أجْر له به ؛ ابْتِعاد الإنسان عن خطرٍ محْسوس لا أجْر له به أما ابْتِعادك عن خطرٍ أخْبرك الله عنه مكتوب وخبر أما المحسوس لا قيمة له إذْ أنّ أكثر الناس تجده ذو صحةٍ طيّبة ومال وأكل وولائم وسفر ونزهات ومسلْسلات وصحون وسهرات وفنادق وإطلاق بصر لا شيء يمْنَعُهُ أما المؤمن يقرأ آيةً من كتاب الله :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)﴾

[النور:الآية 30]

تجده يغض بصره إذْ المرأة مُحَبّبة جداً فهو يخْشى الله بالغيب أما لو افْتَرَضْنا أنه صدر تشْريع أنّ كلّ إنسانٍ ينظر بامْرأةٍ يُطْلَق عليه الرصاص فهل من أحدٍ أنْ يتطلّع ؟ لا... ولو كان بالأجر فالخوف يُراوِدُهُ ؛

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (12)﴾

[الملك:الآية 12]

فإذا كان معك مال يتيم ولا أحدَ يسْألك عنه ممكن أن تضعه بصَفْقة غريبة ما تدْري ربحها تجُسّ السوق بمالِه أما مالك تتركه للصفقات النِّظاميّة والتي لها بيْعٌ قويّ وأرْباحها قويّة والزبائن لها جاهزون أما مال اليتيم بِصَفْقة لا تعْرف مصيرها فإذا خسرَت تقول:هذا أمر سيّدك وإن ربِحت تُدْخِل مالك الأساسي بهذه الصَّفْقَة فَمَن يعْرف هذا ؟ الله وحْده ؛ فهذه الجنة الرفيعة التي فيها ما عَيْنٌ رأَت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلْب بشر ثمنها أن تخْشى الله بالغيب ؛ جالِسٌ بالغُرفة والنافذة مفْتوحة والجارة خرجَت إلى الشرْفة المُقابلة بِثِيابٍ مُتَبَذِّلة ليس في الأرض كلّها إنسانٌ يُحاسِبُك فأنت بالبيت جالس ولا أحدَ يطَّلِع عليك إلا الله فإذا بك تغضّ بصرك وتغلق السِّتار فأنت الآن خشِيتَ الله بِالغَيب ؛ الذي يخشى الله بالغيب ؛ يأْتي إليك مريض معه أعراض مرض إذا قلت له:يمكنك تخْطيط بِألف ليرة أو إيكو بِألفين لا يوجد إنسان يُحاسِبك لأنّك مَوْثوق ولكنّك تعلم عِلْم اليقين أن هذا المريض لا يحْتاج لِكل هذا العمليات ولكنّك أخذت منه ثلاثة آلاف زيادة على

حَقّك ؛ فَمَن يعْرف ذلك ؟ الله وحْده أما المؤمن تجده سباق للخير، أصْحاب المِهَن ذكر لي أخ أنّه أخذ سيارته وقال له المصلّح أنَّها لا تحْتاج إلى أيّ شيء إلا أنني كنت مُقْتَنِعاً أنها تحْتاج إلى تصْليح فأَذْهَبْت ثلاثين أَلْفاً هباءً منثوراً ؛ ثمن الجنّة أنْ تخْشى الله بِالغَيب، مثلاً لك شريك وبعَثَ بِضاعةً مُرابحةً تَكْشف وراءك ثمن البِضاعة من الشركة والشحن والجمارك والتأمينات... إلخ وأنت سافرت إلى أوروبا فأنت سافرْتَ إلى خمْس موضوعات ووضَعْتَ كلّ هذه المصاريف على هذه الصَّفْقة فمن الذي يكْشف هذا ؟ لأنك سافرت من أجل البِضاعة فأنت سافرت إلى خمس شرِكات وأخذْت معك زوْجَتَك وتنزَّهْت كان يجب عليك أن تتْرك له خمسمائة ألف على هذه الصفْقة لأنها تكاليف بِضاعة ومن الذي يكْشِفُها ؟ الله عز وجل ؛ فيا أيها الإخوة، إن لم تخْش الله بِالغيب فالطريق غير سالك أما مظاهر العِبادات والصلوات والصوم والحج والعمرة هذه عِبادات شعائِرية أما الله عز وجل يُحاسِب على الدِّرْهم وعلى القِرْش والمَلّيم وعلى النظْرة ؛ طبيب لا يوجد إنسان يُحاسِبُهُ وعنده مريضة شَكَتْ له من مَوْضِع فَمِن حقِّهِ أنْ ينْظر إلى هذا الموْضِع أما إذا نظر إلى مؤْضِعٍ آخر لا تشْكوهُ منه فمن الذي يُحاسِبُهُ ؟ ومن يعْلم خائِنة الأعْيُن ؟ الله وحْده ؛ فَلو أنّ الدنيا محْسوسة والآخرة محْسوسة لما كانت هناك جنّة ولو أنّ الشهوات محْسوسة وجهنّم محْسوسة لما كانت هناك نار أما متى يسْتحقّ الإنسان دُخول الجنّة حينما يكون حُرًّا وبإمْكانِه أنْ يفْعل ما يشاء ويقول ما يشاء ثم يخاف الله فيما بينه وبينها فهذا وَرَع والخوف هذا هو ثمن الجنّة ؛

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (12)﴾

[الملك:الآية 12]

إنّك لا ترى الله ولا ترى الجنّة بِعَيْنك فالجنّة خبر والنار خبر ؛ أما المرْأة المُتَبَذّلة في الطريق حقيقة ومحْسوسة والمرْكبة التي ثمنها ثمانية وعشرون ملْيون والبيت الفَخْم المُكَلّف خمس وسِتون ملْيون و الطعام النفيس كلّ هذا تراه بِعَيْنِك أما النصوص بالكتاب والسنّة فالمؤمن لا يأكل المال الحرام لأن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن أكْل المال الحرام ؛ ومن أخذ أمْوال الناس يريد إتْلافها أتْلفهُ الله، فالنقطة الدقيقة بالدرس والتي هي مِحْوَرُهُ الشهوات محْسوسة والأمر والنهي غَيْبٌ مكْتوب بالقرآن والسنّة فقط ؛ حينما تُصَدِّق قوْل الله عز وجل وتأْخذ مَوْقف يأتي الأجر وهو ثمن الجنّة ؛ كل الشهوات بين يدَيك ومع ذلك تخاف الله رب العالمين ؛ ومن لم يكن له ورَعٌ يصُدُّهُ عن معْصِيَة الله إذا خلى لم يَعْبأ الله بِشيءٍ من عملِه فَقيمة عملِك إذا خلَوْت مع الله أو إذا خَلَوْت مع نفْسك تخْشى الله، المؤمن أخلاقه صارخة فالمال بِيَدِه لكنّه لا يُدْخل عليه ولا قِرْش حرام ؛ أبو حنيفة – لعلها مُبالغة– كان واقِفاً بِظِلّ بيْت فانْزاح عنه إلى الشمس وقال هذا البيت مرْهونٌ عندي وأنا أخاف أنْ أنْتَفِع بِظِلّه فالمؤمن من أجل خشْيَتِهِ يقِف أعلى مَوْقف من ورَع وهذا الورع والذي هو خوْف الله بالغيب هو ثمن الجنة ؛

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (12)﴾

[الملك:الآية 12]

أما الإنسان أمام الناس تجده يتجمّل ويتعطّر ويصلي أحْياناً ويأْخذ موْقف أديب ويضْبط مشاعره وجوارحه كل هذا من أجْل انْتِزاع إعْجاب الناس أو من أجْل أن تُحافظ على مكانَتِك ؛ متى تكون عند الله محْبوباً ؟ إذا خشيتَهُ بالغيب قِصَّة غريبة لا أعْرف تفاصيلها لكن جاءتْني ورقة من سنتين لا زِلت أحْتفظ بها ؛ إنسانٌ بخيلٌ جداً وغنيٌّ جداً وتقَدَّمت به السّن فأعطى شخْصاً عشرين مليون ليرة ولأن بخيل لم يُخْبر أحداً ولا أهله وأولاده وثاني يومٍ مات بِحادِث ولا توجد أيّ وثيقة ضدّ الذي أخذ المبْلغ ؛ سمِع درْساً بالعثمان – أنا لا أعْرفه – لكنّه أرْسل لي ورقَةً فقال:سمِعْت درْس الأمانة وأدَّيت للورَثَة عشرين مليون عن طيب خاطِر ولو أني أخذْتُها لا أحد في الأرض يسْألني عنها لكنّ الله يعْلم فهذا هو ثمن الجنّة أنْ تخْشى الله بالغيب، وهذه قصة سمِعْتُها من أحد إخْواننا يشْتغِل بِلَفّ المُحَرّكات جاءه مُحَرّك كُلْفَتُهُ خمْسة آلاف ولما فتحه لم يجِد فيه شيئاً يُصَلّح إلا اليسير فَلَحم ما يجب تلْحيمُهُ خِلال ثانية وفي اليوم الثاني جاء صاحِبها وأخذ منه خمسة آلاف ولما تاب إلى الله أُعيدت معه العملية فلم يأخذ من صاحِبها إلا خمسة وعشرون ليرة فَتَعَجَّب صاحِبها هذه هي خَشْية الله بالغيب ومن الذي يعْرف أنه لم يلُفّ المحرك ؟ الله وحْده.

وهذا أخ آخر من إخواننا يشْتغل بِتَصْليح السيارات قال لي:جاءني بواط فَكَّهُ فَوَجَدَ قِطعة مكْسورة وثمنها بالسوق خمسين ليرة ولما صاحب السيارة أخذ منه خمسون ليرة فقط وكان بإمْكانه أن يقول له هذه قطعة غير موْجودة بالسوق ويأْخذ منه الكثير ؛ فهذه هو سؤال درْسنا ؛

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (12)﴾

[الملك:الآية 12]

يجب أن تخاف الله والمؤمن ورَعُهُ صارِخ واسْتِقامَتُهُ واضِحة وأكثر شيءٍ بِكَسْب المال والنِّساء وهاتان النقطتان هما نقْطتا الضعف عند الإنسان ؛ المال والنساء والمؤمن عفيف عن المحارم عفيف عن المطامِع وهذا المال الذي يبْقى معه بِالحلال يُبارك الله عز وجل فيه وهذه الزوجة التي هي له والتي يقصر طرْفه عليها ولا ينْظر إلى غيرها يُبارك الله له فيها ويَسْعد بها لأن هذه بقِيَّة الله ؛ بَقِيَله من النساء زوْجته ومن المال:الحلال وهذا هو ثمن الجنّة لأن الله تعالى قادِر على أنْ يجْعل العذاب محْسوس والشهوات محْسوسة والأعمال الصالحة محْسوسة والجنّة محْسوسة والكل يعْل العمل الصالح ولكن عندئذ لا توجد هناك جنّة وانْتَفى أمامك عملٌ فيه بُطولة أما أنت كلّ شيء يدْعوك للمعْصِيَة ومن أجْل أنّ الله تعالى يأْمرك بالطاعة تُطيعُهُ وكلّ الناس يبْحثون عن شيء قريب وأنت تبْحث عن شيء بعيد بعد الموت وهذا هو ثمن الجنّة.

الدرس (3-6) : تفسير الآيتان 3 - 4 ، إتقان الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين. الآية الثالثة والرابعة من سورة الملك وهي قوله تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ (4)﴾

[الملك: الآية 3-4]

أيها الإخوة أكثر الصناعات البشرية على مُسْتوياتٍ ؛ صِناعةٌ عالِيَة الجوْدة وصِناعةٌ أقلّ إتْقاناً وصِناعةٌ شعْبيّة رخيصة فَصُنْع الإنسان يتفاوَتُ بالإتْقان من مُسْتوى رفيع إلى مُسْتوى مُتَدَنٍّ وكل بِضاعة لها سِعْر كلّ هذا في صَنْعة الإنسان أما في صَنعة الواحد الدَّيان كُلُّ شيءٍ خلقه الله هو على أعلى مُسْتوى من الإتْقان قال تعالى:

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)﴾

[النمل: الآية 88]

فهذا الصوص الذي في البيْضة كيف يسْتطيع أنْ يخْرج منها ينبُتُ له على رأس مِنقاره نُتوءٌ رقيقٌ جداً كالإبْرة فَيَكْسِر بها البيْضة فإذا خرج من البيْضة عاد هذا النتوء إلى ما كان عليه ؛ في الوقت المُناسب وهذا الماء الذي نشْربه كلُّ ما في الكَون إذا سخَّنْتَهُ يتمَدَّدُ وإذا برَّدْته يتقلَّص وكل العناصر في الأرض حتى الحِجار وحتى المعادن كلّها والهواء بالسخونة يتَخَلْخَل وضغْط مُنْخفض وبالبُرودة يتكاثف وبذلك ضغط مرتفع والماء كذلك إلا أنّ هذا الماء فيه صِفَةٌ وهي أنَّك إذا برَّدْته كلما برَّدْته ينْكمِش أيْ تزْداد كثافَتُهُ بالمعنى الفيزيائي فإذا وصل إلى زائد أربعة تنْعكس الآية ويتمدَّد فَمِن تحت زائد أربعة يتمدَّد ولولا هذه الخاصة التي في الماء لما كنا نحن في المسجد ولانتهت الحياة على سطح الأرض لأن البِحار كلما تجمّدت غاصت هذه الكُتل الثليجيّة إلى الأغماق لأن كثافتها كبرت فَغَاصت ثم تتجمَّد الطبقة الثانية إلى أن تتجمَّد كل المحيطات فَيَنعدم التبخر وتنْعدم الأمطار ويموت النبات والحيوان ويموت الإنسان، فالماء عند الدرجة زائد أربعة تنْعكس آلِيَة حركَتِه فالإنسان إذا وضع الثلاجة قارورة زجاج وأحْكم إغْلاقها وكانت ممتلِئةً تنْفجر لأن الماء إذا أراد أن يتمدَّد لا يوجد قوَّة في الأرض تقف أمامه ؛ محرِّك السيارة من أعلى مستوى من الخلائط المعدنية فإذا لم يضع صاحب السيارة مادة للتجمّد وجاء الصقيع في الليل وتجمّد الماء الذي في المُحرّك شقَّق هذا المُحرّك لِذلك أحدث طريقة لاقتِلاع الرخام حفْر ثقوب في أعماق الرُّخام وملْؤها بالماء ثمّ تجْميد هذا الماء فإذا بهذه الكتلة

تنْعتق من الجبل والماء إذا أراد أن يتمدّد لا توجد قوة في الأرض تقف في وجْهه ائتِ بأشد المعادن صلابةً وبِأَشدّ الصخور تماسكاً يتصدَّع ولولا هذه الخاصة لما كان هناك تربة زراعِيّة فالأرض أساسها صخرٌ متجمِّد وعن طريق تغَلْغُل الماء في الصخور وعن طريق تجمّد الماء تتصدّع الصخور قال تعالى:

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (13) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (14) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (15) وَأَكِيدُ كَيْداً (16) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (17)﴾

[الطارق: الآية 13-17]

فهذه خاصّة، إنسانٌ ذهب إلى فِرْلَنْدا الحرارة هناك تسعة وستون درجة تحت الصِّفر مما تجعل أهلها يرتدون قفازات ومِعطف سميك ويرتدي ألبسة داخلية صوفِيَّة وجوارب سميكة جداً وأحذية مُبَطَّنةٌ بِالفَرْو كل عُضوٍ بِإمكنته أن يضع عليه الصوف ولكن هل يستطيع أن يغلق عَيْنَيْه ؟ فالعَيْنُ مُلامِسة للهواء والهواء تسعة وستون درجة تحت الصِّفر فالله عز وجل أوْدع في العَين مادَّةً مُضادّةً للتجمّد قال تعالى:

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3)﴾

[الملك: الآية 3]

وهذه السمكة التي بالبحر كيف تعلم أنها باتجاه سطح الماء أم باتّجاه أغْماقِه ؟ الله عز وجل جعل لها جُراب وجعل في الجُراب بعض حبات الرمل وجعل أعْصاباً حساسةً جداً في أرضِيَة هذا الجُراب فإذا كانت الرمال على أرْضِيَّة الجُراب معنى ذلك أنها نحو الأعلى فإذا اخْتفتْ الرِّمال والأعصاب لم تتحسّس بها فهي باتّجاه قاع البحر ؛ دقّق بالسمكة تجد أنَّ لها خيْط بِقِسْمها العُلوي بين حراشِفِها خيط وهذا الخيط جِهاز ضغط وهو أنبوب مُفَرَّغ من الهواء وتعلم السمكة في أيّ لحظة أين هي من سطح الماء ؛ قال تعالى

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3)﴾

[الملك: الآية 3]

وهذه الدجاجة تأكل كلّ شيء حتى الأقذار وتُعْطيك بيْضة لها ستَّة عشر فيتامين وثمانيَة معادن وبروتينات ومواد دُهنِيَّة وشحوم وسكَّريات شيءٌ مُذهل ! البيضة غِذاء كامل لأنها تصْنع مخلوق كامل ولو أنه وُضِع البيض تحت أمّهم للتفْريغ تصنع هذه البيضة صوصاً وكائن كامل يحْوي عِظام وعضلات وأعْصاب وأجهزة كلها من هذه البيضة قال تعالى:

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3)﴾

[الملك: الآية 3]

وهذه البقرة تأكل الحشيش ويجري الدم في عُروقها فوق غدةٍ ثدْيِيَة على شكل قُبَّة وهذه الغُدَّة عبارة عن خلايا ثدْيِيَة تأخذ حاجتها من أعلى دم البقرة وترشح هنا نقطة حليب وكل ستمائة حجم من الدم يعادل حجم واحد من الحليب فهذا الحليب الذي تشربه ساهم فيه ستمائة حجم من الدم قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ (66)﴾

[النحل: الآية 66]

كأنّ البقرة دكتور في العلوم عاقل ؛ بروتين شحوم ومواد دسمة سكريات وفيتامينات فالحليب غداء كامل قال تعالى:

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3)﴾

[الملك: الآية 3]

وهذه أوراق النباتات لها مسامات تغلق في الصيف وتفتح بالشتاء لأن في الشتاء رطوبة عالية والبرد شديد مفتوحة للتنفّس أما حين الحر الشديد والتبخّر العالي تُغلق هذه المسامات، إنسان ذهب بِحقِل بطيخ كلُّه أخضار أيَّةُ حبَّةٍ يقطعها ؛ جبل البطيخ ينضج خلال ثلاثة أشهر وأنت بالمنطق إذا وضعت في المِقلاة زيت وأوْقَدت النار ووضعت حبات البطاطا في هذا الزيت بالمنطق لابد أن تنْضج خلال ساعة واحدة لأن الظروف واحدة ؛ ضعْ كميَّة من قطع البطاطا وبعد ثمانية دقائق تجدها قد نضجت جميعاً فالظروف واحدة في الزراعة فالبَرد واحد والمطر واحد، هذا الحقل ينضج بطيخهُ اتباعاً خلال تسعين يوم فماذا نفْعل بالبطيخ لو نضج في يوم واحد ؟ لابد من اِتْلافه لكن كيف يعرف الفلاح أنّ هذه البطيخة قد نضجت ؟ إذْ كلُّه أخضر اللون ! بعضه أبيض والآخر أحمر ؛ الله عز وجل وضع خيط على شكل حلزون يمْسكه الفلاح فإذا انْكسر معنى ذلك أنها نضجت وإذا لم ينْكسر معنى ذلك أنّ البطيخة لم تنْضج بعد قال تعالى

﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16)﴾

[النحل: الآية 16]

يُمْكنك أنْ تُفكِّر بالكون وتقف وجْهاً لوَجْهٍ أمام عظمة الله ؛ هذه الثِّمار قال الله عز وجل:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)﴾

التفاح ثلاثمائة نوع وكذلك العِنب وهذا تفاح حامض وذاك حُلو والآخر أحمر داكن وذاك له لون ورْدي وتفاح سكري وشتْوي والقمح هناك خمسة وأربعين ألف نوع في العالم وكنت ظن أربعة آلاف وخمسمائة لكن دكتوراً من إخْواننا قافل لي: بل خمسة وأربعين ألف نوع في العالم ؛ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، والجمل سفينة الصحراء والدواب تنام مُضْطجِعةً على جنْبِها أما الجمل ينام بِجَلْسة نِظاميَّة إذْ لو أنه كان مضْطَجِعاً كيف يمكنك أن تُحَمِّل عليه ؟ فإذا كان واقِفاً كان أعلى منك وإذا صعدْت إليه بالسُّلم لأسْقطك لكنَّه يجْلس جلْسة نِظاميَّة ثم تُحَمِّل عليه وبعدها يقف ؛ غبار الصحراء دقيق جداً لكن للجمل في عَينَيْه رُموش كالشبكة تماماً تمْنَع عنه غبار الصحْراء وعَين الجمل على شكل تلسْكوب وميكروسْكوب في آنٍ واحد تُريه البعيد قريباً

والصغير كبيراً والجمل يستطيع أن يعيش من دون الماء أكثر من سنة ويستطيع أن يأخذ ماء الخلايا ويعيش من دون غِداءٍ ثلاثة سنوات فهُو مُصمَّم للصحراء ويستهلك سنامه للغداء مُصمَّم للصحراء والصخْراء باعْتبار رمل كأنّ له خُف وقاعات اسْتِناده عريضة جلْسَتُهُ النِّظامِيَّة تحْتاج إلى ثَفِنات بِبَطْنه وعلى قدَمَيْه وعلى يديْه كذلك جِلْدٌ مُتَقَرِّم وله بَوْل يكاد يكون لزِج وكثافة بَوْل الجمل عشرين ضعف بَوْل الإنسان شيء دقيق جداً قال تعالى

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24)﴾

[الغاشية: الآية 17-24]

أردتُ من هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى كُلُّ شيء خلقه جعلَهُ مُتْقَناً اتْقاناً عجيباً قال تعالى

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)﴾

[النمل: الآية 88]

وأحْقر كائِنٍ حيواني تحْتقِره به أجهْزة تفوق الخيال هناك سمك يمْشي في قاع المحيطات والغواصة إنْ هبَطَتْ أقل من مائتان متر عن سطح البحر تتحطَّم بِفِعْل الضغط وفي خليج مرْيانة بالمحيط الهادي عُمْقُه اثنا عشر ألف متر فإذا كانت غواصة من فلاذ تحطَّمت إذا جاوزت الحد فَلِما لا يتحطَّم السمك الذي في هذا المحيط ؟ قال لأن له فَجْوات مفْتوحة والضغط بالداخل يُكافىء الذي بالخارج ؛ لذلك لو كان الإنسان بالسيارة وحدث حادث وكان فمُهُ مُغلق يُثقب غِشاء الطبل أما إذا كان مفْتوحاً فلا يحدث شيئاً بِمعنى إذا فتح فمهُ أصبح دخول الهواء من فمِهِ وأُذُنِهِ مُتكافِيء وبالتالي أصبح هناك ضغط مُتكافىء ؛ فهذا السمك الذي يعيش في قاع المحيطات له فَتْحات داخِلِيّة وخارجيَّة وبهذه الطريقة يتحمَّل الضغط العالي وهناك سمك يُفرِز سحابة أمامه بالحِبر وهناك سمك له كهرباء ستة آلاف فولط يُمكِنُها أن تُضيء بِناية عجائب بالبحر.

أيها الإخوة، كلُّ شيءٍ خلقه الله عز وجل خلقه في أحسن تقْويم والإنسان سيّد المخلوقات قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ (4)﴾

[الملك: الآية 3-4]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-6) : تفسير الآيات 6 - 10 ، المسارعة للخير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين. أيها الإخوة الكرام، الآية السادسة والآيات التي تليها من سورة المُلك وهي قوله تعالى:

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (6)﴾

[الملك: الآية 6]

فهؤلاء الذين كفروا بِرَبِّهم بالذي خلقهم وبالذي أمدَّهم ورباهم ودلَّهم عليه ومع هذا كفروا بِرَبِّهم هؤلاء سَيَنْدمون أشدّ النَّدم:

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (6) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ (7) ﴾

أي أُلقوا في جهنم " سمعوا لها شهيقاً وهي تفور " جهنم في هذه الآية نفْس "

﴿ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8)﴾

[الملك: الآية 8]

أيْ ما الذي أوْصلكم إليه وأين عقْلكم فكُلّ هذا الكون يدلّ على الله وكلّ أفعاله تدل عليه وكلكم مغْمورون بِنِعَمٍ لا تعدّ ولا تُحصى فما الذي جعلكم تكفرون وما الذي جعلكم تأتون إليّ:

﴿تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8)﴾

[الملك: الآية 8]

هناك آية أخرى قال تعالى

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)﴾

[فاطر: الآية 37]

ما هو النذير ؟ هذا القرآن الكريم هو النذير في كلِّ شيء ؛ في مشاهد يوم القيامة وفي صُور مُعَبِّرة عن أهل النار ومشاهد مُعَبِّرة عن أهل الجنة وفي تاريخ الأمم السابقة وفي آيات دالة على الله وفي منهج تفصيلي اِفعَل ولا تفْعل فالقرآن الكريم هو النذير والنبي عليه الصلاة والسلام الذي جاء بِسُنَّتِه المطهرة والذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحْيٌ يوحى والنبي عليه الصلاة والسلام بِبَيانِه وبِخُلُقِهِ أيضاً نذير ألم يأتِكُم نذير؟ فالقرآن بين أيْدينا وسُنَّة النبي عليه الصلاة والسلام بين أيدينا والنذير أيضاً سِنُّ الأربعين وكلُّ إنسانٍ بلغَ الأربعين فقد جاءه النذير ؛ كان شاباً طائِشاً أكل وشرب وتزوَّج وذاق طعْم كلِّ شيء وعرف كلّ شيء وبلغ سِنَّ النُّضج ونضج عقله وقَوِيَ عودُهُ لذلك من بلغ الأربعين ورد بالأثر: ولم يغْلب خيرهُ شرّه فَلْيَتَجَهَّز إلى النار

إلى متى أنت باللذات مشْغولُ وأنت عن كلّ ما قدَّمْتَ مسؤولُ

فالنذير سِنُّ الأربعين وقال بعْضهم النذير: سِنُّ السِّتين، بالسِّتين ولا زِلْتَ تجْلس بالطاولة في القهوة إلى الساعة الواحدة بالليل معْقولٌ هذا ! ماذا بقيَ لك من عُمُرك ؟ وماذا تنتظر ؟ هناك شيء اسمُهُ مُراهقة مُتأخِّرة بالستين تجد أنه يحبُّ أن يُلْبِسَ زوْجَتَهُ لِباساً مُعَيَّناً سبحان الله هذه زوجةٌ مُسِنَّة وأنت قد جاوزْت سِنّ المراهقة وهذا السن هو سِنُّ العبادة والتوبة وتلاوة القرآن وإقبال على الله فالسِّتين هو أيضاً نذير، وهذا سؤال لمن جاوز الأربعين ؛ سؤالٌ مُحْرِج ومُزْعِج: هل بقيَ بِقَدْر ما مضى ؟ أغلب الظن بقي أقل مما مضى وكيف مضى الذي مضى ؟ كَلَمْحِ البصر وهذا الذي يبقى يمْضي كَلَمْح البصر وهل أعْددْت للموت عُدَّتَهُ فالإنسان إما أن يكون ملء السمع والبصر وبين أن يكون أمام الناس إنساناً مُحْتَرَماً ذا شخْصِيَةٍ ومالٍ وفير ومكانةٍ علِيَّة وبين أن يكون خبراً على الجُدران ؛ عظَّم الله أجره إذا كان هناك سِنّ ذهب يُقيمونه بالبِنْز من فمِهِ ؛ حاجاته وأمواله ومركباته كل شيءٍ يورَث من بعده وكل سَيُشَيَّع كُلٌّ منا إلى مثْواه الأخير فالبيت الذي نسكُنُه بيتٌ مُوَقَّت فالنذير سِنُّ الأربعين والنذير كذلك سِنّ السِّتين والنذير قالوا: الشَّيْب وورد في الأثر: أنْ عبْدي كبِرَتْ سِنُّكَ وانْحنى ظهْرك وضعُف بصرك وشاب شعْرك فاسْتحي مني فأنا أسْتحي منك الذي يرْتكب المعصية بعد الأربعين لا يسْتحي من الله ؛ النذير سِنُّ الأربعين والنذير كذلك سِنّ السِّتين والنذير الشَّيْب ومَوْتُ الأقارب نذير ؛ أغلب الناس إذا تجاوَزوا سِناً مُعَيَّنة أتْرابهم ومن في سِنِّهم أصْدقاؤهم وزُملاؤُهم في العمل يموتون واحداً واحداً فَكُلٌّ منا يُجْري حِساباً مَن هم أصْدقاؤه ؟ الذين هم أتْرابُهم والذين هم في سِنِّه كم واحدٍ منهم قد مات ! قالوا: إذا انتهى أجل الإنسان وانتهى رزقُهُ ألْقى عليه ملَك المَوْت غمَّ الموت فَغَشِيَتْهُ سكراتُهُ فَمِن أهل البيت الصارخة بِوَيْلِها ومن أهل البيت المُمزّقة ثِيابها والناشِرة شعْرها يقول ملك الموت: فيمَ الفزع ومما الجزع ما أذْهبْتُ لأحدٍ منكم رزقاً ولا قرَّبْتُ له أجَلاً وإنَّ لي فيكم لَعَوْدَةً ثمّ عَوْدة حتى لا أُبْقي فيكم أحداً فَوَالذي نفْسُ محمَّدٍ بِيَدِه لو يرَوْن مكانه ويسْمعون كلامه لَذَهِلوا عن ميِّتِهم ولَبَكَوا على أنْفسهم، وقفت مرةً بِسوق الحميديَّة وقلت: كل خمسين سنة هناك طقم جديد لأصحاب المحلات ؛ جعلكم خلائف وهذا بِكل سوق وكذلك بالبيوت كل خمسين أو ستين سنة هناك طقمٌ جديد يكون البيت كبير ويتخانق الورثة مما يجعلهم يبيعون ففي المحلات والبيوت تجد كلّ مرة طقم جديد ؛ رجل تُوُفي وترك ثروة كبيرة جداً فأحد الورثة نصيبهُ تسعين مليون طبعاً أصبح يُتابع قضايا الإرث وبراءات الذمة والمعاملات كلّ يوم من الصبح إلى المساء دخل إلى الحمام مرةً لِيتَوَضأ فَمات ولم يأخذ قِرش فهذه هي الدنيا لا يمْلك أحدنا أن يعيش ساعة فالمغايرة سريعة، دعانا أحد إخواننا إلى بسْتانه وقال لي: اخْتر من الأصدقاء من تُحِبّ فاخْترْتُ من إخْواننا من أتَوَسَّم فيهم الصلاح من هؤلاء المدعُوين صديق يشْغل منصب رفيع في القضاء وشاءت الأقدار أن توفى هذا المدعو بالجمعة وكانت الدعوة بِيَوم السبت دَفَناه ثم أجَبْنا الدعوة وهناك قصص كثيرة من هذا الشكل فالنذير القرآن والنذير النبي

والنذير سِنّ الأربعين والنذير سنّ الستين والنذير الشّيب والنذير موت الأقارب والنذير المصائب فهذه كلها نُذُر قال تعالى :

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8)﴾

[الملك: الآية 8]

والله أيها الإخوة إذا الإنسان ما اسْتجاب وما اسْتفاد مما يُلقى إليه وما تاب وما عمل بما سمِع وبما علِم سَيَأتي عليه وقْتٌ يَنْدم عليه ندم لا يوصف فنحن الآن أحْياء وفي بحْبوحة العُمُر فكُلّ شيء يُحل وأنت حيّ تتوب وتتصدّق وتَسْتَسْمِح ؛ لو جِئتني بملء السماوات والأرض خطايا غفرْتها لك ولا أُبالي ولكنَّك أنت لا بد عليك من التوبة قبل الموت وإذا رجع العبد غلى الله نادى مُنادي في أهل السماوات والأرض أنْ هنئوا فلاناً فقد اصْطلح مع الله ؛ ألم يأتكم نذير؟ قالوا بلى، قد جاءنا نذيرٌ فكذَّبْنا، أهل هذا الزمن أهل مادّة يقول لك: لابد من شهادات وذاك يتكلم بما وراء الطبيعة والآخر يقول لك نحن واقِعيين ولا بد من المال والتقدم وكلما ذكَّرْته بالآخرة يُعيدك إلى الدنيا وكلما ذكرته برِسالته يُعيدك إلى الواقع ؛ فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء، تقول له فلان درسهُ جيّد فإذا يقول لك: أنت لا تعرفه ذاك له أغراض ولا يترك أحداً إلا ويطْعن فيه هكذا الناس ؛

﴿ وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (9)﴾

[الملك: الآية 9]

الآن "

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)﴾

[الملك: الآية 10]

أي أنَّ السبب لِشَقاء الإنسان وهلاكه بِجَهَنَّم وعذابهُ إلى أبد الآبدين أنَّهُ ما تأمَّل وما اسْتمع فالتأمُّل أن تطبخ أنت الطعام والسماع أن تأكل طعاماً جاهزاً فإذا حضرت مجْلس علم فأنت تأكل أكْلة جاهزة وإذا قرأت القرآن تأمَّلت من تِلقاء نفْسك وتفكّرت بالكون ممكن أن تصل إلى الكون من خلال التفكر الهادف الجاد وممكن أن تأخذ الحقيقة جاهزة قال تعالى:" لو كنا نسمع أو نعقل " فهم ما سمعوا وما عقلوا ولا تفكَّرنا وما حضرْنا مجْلس علم قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)﴾

[الملك: الآية 10]

يقول عليه الصلاة والسلام:

((... إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي "))

[رواه البخاري]

قال تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (59)﴾

[مريم: الآية 59]

وقد لقِيَ المسلمون هذا الغيّ وهل من غيٍّ أشد من الغَيِّ الذي يلْقَوْنه الآن ؟

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-5) : تفسير الآيات 28 – 30 ، اتباع الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام الآية الثامنة والعشرون من سورة المُلك وهي قوله تعالى

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (28)﴾

[الملك: الآية 28]

هذه الآية تشير إلى معنى دقيق جداً وهو أنّ الكافر دائماً يتمنى ضعف المسلمين ويتمنى إطْفاء نور الله ويتمنى إشاعة الفاحشة وكلّ شرٍ للمسلمين قال تعالى:

﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (50)﴾

[التوبة: الآية 50]

لو أنّ الكافر حُقق له ما تمنى وأهلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ هل يُعفى الكافر من الحِساب والعذاب؟ لا... سواءٌ انتصر المسلمون أو لم ينْتصروا سعِدوا أو لم يسْعدوا وارْتفعوا في الأرض أو لم يرْتفعوا فَسَعادتهم وعدمها وارتفاعهم وعدمه هل تُلغي حساب الكافرين ؟ لا... ما علاقة هذه الآية بِحياتنا اليوميّة ؟ يقول لك أحدهم كلُّ الناس على هذه الوتيرة ! لو أنّ على وجه الأرض خمسة آلاف مليون إنسان وكانوا كلهم على الضلال إلا واحداً فهل أنت مُعْفى من الحساب ؟ لا... أيُّ إنسانٍ يعتمد على الأكثرية المُنْحرفة قال تعالى

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116)﴾

[الأنعام: الآية 116]

الله عز وجل أثبت في كتابه أنّ الأكثرية على غير الحق دائماً قال تعالى:

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102)﴾

[الأعراف: الآية 102]

وقوله:

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116)﴾

[الأنعام: الآية 116]

فلو أنَّ أكثر الناس لم يكونوا على الحق فهل يُعْفيك هذا من الحساب ؟ أبداً، فإذا عافى الله إنساناً وكان أُناسٌ يسْبحون في بِركةٍ آسِنة وهم كُثر فهل ينبغي أن تسبح أنت معهم ؟ وإذا نزلت معهم فهل تُعفى من رائِحتها

الكريهة ومن جراثيمها الضارة ؟ أبداً وكذلك الذي يُؤَلِّهُ المجتمع ويفْعل ما يفعل فهو يعْبُدُه من دون الله ويقول لك: كل الناس على هذه الوتيرة قال تعالى:

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22)﴾

[الزخرف: الآية 22]

فهذا هو شأن ضعيف التفكير الذي يُقلِّد تقْليداً أعمى أو يطْمئنّ اطْمِئناناً ساذِج للأكثريَّة المُنْحرفة فأنت علاقتك مع الله عز وجل فلو كنت مع مُجتمعٍ جُلُّ أهله فُساق لا يُغْنيك هذا من المسؤوليَّة حتى لو أنَّ الكافر تمنى هلاك النبي وأهلك الله النبي هل تُحلُّ المشكلة قال تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (28)﴾

[الملك: الآية 28]

الكافر سَيُحاسب وكلُّ إنسانٍ مُحاسب بِما يفْعل قال تعالى:

﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً (15)﴾

[الإسراء: الآية 15]

وقوله تعالى:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92)﴾

[الحجر: الآية 92]

أردتُ من هذه الآية الأوهام التي تُعَشْعِش في أذهان الناس القائلة: كل الناس هكذا ومن يستطيع أنْ يغض بصره ؟ ومن الذي يستطيع أنْ لا يقْتني هذا الصحن وأصبح شيئاً ضروريا وحياتي فكلما شاعت معصية أو بدعة أو مفْسدةٌ الإنسان الجاهل يطمئن ويقول لك: الناس كلهم هكذا ؛ لو أنّ الناس كلهم عصَوا ربهم هل تُعفى أنت من الطاعة ولا تُحاسب على المعصية ؟ هذه هي النقطة التي تنْطوي عليها الآية وهو أنه لا تزر وازرة وزر أخرى وكلُّ إنسانٍ مُحاسب بِصَرف النظر عن الذين يعْصون الله بِكَثْرتهم أو بِقِلَّتِهم وعن قوتِهم أو عن ضعْفهم بعض الأشخاص لِضَعْفٍ في تفكيرهم يقول لك: الآن ملايين من البشر في آسيا تعبد النار والبوذا والجرذان والسيخ فهل كلُّ هؤلاء عن ضلال ؟ هذا ليس من شأنك أن تفهمه فهو من شأن الله ؛ شأنك أنّ الله تعالى أعطاك منهج فإذا وجد طالب أن كل الصف ما كتب الوظيفة فهل هذا يعني أنه مُعفى ؟ وهل ينجح ؟ لن ينجح وسَيَكون مصيره كَمَصيرهم، فهذه الآية التي أراد الله أن يُطَمْئن المؤمنين وأن يُحَذِّر الكافرين مِن أنّ هلاك المؤمنين أو نجاحهم نجاحهم في دعْوتهم أو إخْفاقهم سعادتهم أو عدم سعادتهم وعُلُوُّهم في الأرض أو سُقوطهم هذا لا يُقَدِّم ولا يؤخِّر في شأن حِسابك مع الله لذلك المؤمن يُعبِّر عن إيمانه بالولاء للمؤمنين والمنافق الكافر يُعبِّر عن كُفره بالبراء من المؤمنين وبِمُعاداتهم وقد قال الله عز وجل:

﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (50)﴾

[التوبة: الآية 50]

قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (29)﴾

[الملك: الآية 29]

المؤمن متوَكِّل على الله ولا يستطيع أنْ يُغطي كلّ المُفاجآت المُستقبلية إذْ هناك مليون خطر أمام كلِّ واحدٍ منا فمن الذي يضمن أن يبقى دمُهُ سائلاً إذْ لو تجمَّد لصار مشلول ومن الذي يضمن أن لا تأتيه سيارة وقائد طائش ؟ ومن يضمن أن لا يخسر ماله كله ؟ ومن الذي يضمن أن لا يفقد بعض حواسِّه ؟ أما المؤمن يعيش بِرَحمة الله وبِوَعْد الله له قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (29)﴾

[الملك: الآية 29]

أنت متوكِّل على الله ومن يتوكَّل على الله فهو حسْبُهُ والله عز وجل يُلَبيه ثم قال تعالى:" فستعلمون من هو في ضلال مبين " تعلمون من هو الذي سيضْحك أخيراً والإنسان في أوج نجاحه في الحياة الدنيا يفْرح وربنا عز وجل يُعاتِبُهُ فقال لقارون في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76)﴾

[القصص: الآية 76]

وقال تعالى:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)﴾

[يونس: الآية 58]

قل لي ما الذي يُفْرحك أقول لك من أنت ؛ ما الذي يُفرحك ؟ إذا أفْرحتك الدنيا فأنت من أهلها أما إذا أفْرحتْك طاعة الله عز وجل فأنت من أهل الله، خرج على قومه بِزينَتِهِ قال تعالى:

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79)﴾

[القصص: الآية 79]

مُلخَّص الآية أنَّ المؤمنون سلامتهم أو عطبهم وتفَوُّقهم أو سقوطهم نجاحهم أو إخْفاقهم وعُلُوُّهم أو دُنُوُّهم لا يغني عنك شيئاً إذْ أنك مُحاسبٌ على عملك ولا يُعْفيك من هذه المُحاسبة شأن المؤمنين فالمؤمن يجب أن لا يفكِّر في هذا الموضوع قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (29)﴾

[الملك: الآية 29]

هذه السين هي سين الاستقبال والله عز وجل يبْتلي ويمْتحن ويُؤدِّب ويُكَرِّم أما في النهاية الذي يضْحك هو المؤمن وآخر الأمر قوله تعالى:

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34)﴾

[المطففين: الآية 34]

قال تعالى:

﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107)﴾

[المؤمنون: الآية 107]

وقوله تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)﴾

[المؤمنون: الآية 115]

فالعِبرة في الخِتام ونِهاية الحياة وعلى ما يُختم له تجد أشخاص ترك الصلاة بالخامسة والستين من عمره واشترى صحن فالعِبرة ما الذي يُختم للإنسان وربنا عز وجل قال في كتابه:

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً (80)﴾

[الإسراء: الآية 80]

هناك دخولٌ وخروج فالعِبرة بالخروج لا بالدخول وسيّدنا معاوية سأل سيّنا عمرو ابن العاص وكان من دُهاة العرب: قال يا عمرو ما بلغ من دهائك ؟ قال له: والله ما دخلت مُدْخلاً إلا وأحسنت الخروج منه فقال له: لسْتَ بِداهِيَة أما أنا فو الله ما دخلتُ مُدخلاً أحتاج الخروج منه ففي الأساس لا أدخل وأنت تدخل وتُحسن الخروج أما أنا فلا أدخل أبداً وفي آخر الآية قال تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (30)﴾

[الملك: الآية 30]

الله جل جلاله فالماء قِوام الحياة ولو جفَّت الأنهار وغارت الينابيع وانقطعت الأنهار يُصبح البيت الذي ثمنه خمسة ملايين لا يساوي ليرة وكذا المُدُن الجميلة فالله هو الرزاق ذو القوة المتين وليس في الأرض جِهة تستطيع إنزال المطر:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (30)﴾

[الملك: الآية 30]

في إفريقيا مرت عليها بعض السنوات العِجاف ومعي صُوَرٌ في البيت كلّ الأشجار يَبِسَتْ والزراعة انتهت والحيوانات ماتت فالناس هجروا بلادهم إلى بلادٍ فيها ماء فانقِطاع الماء يُنهي الحياة ويموت النبات ويموت الحيوان ويموت الإنسان فالله هو الرزاق ذو القوة المتين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-6) : تفسير الآية 22 ، الموازنة بين الحق والباطل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة مع الآية الثانية والعشرين من سورة الملك وهي قوله تعالى:"

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (22)﴾

[الملك: الآية 22]

دائما وأبدا في كتاب الله عز وجل موازنة بين حالتين حادَّتين سأُذكِّركم بالموازنات في كتاب الله قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)﴾

[السجدة: الآية 18]

أحْياناً لسْتَ مضطراً إلى أنْ تقْنع بِفِكرة المُنحرف لكن انْحرافه يكْشفُهُ قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْداً إِذَا صَلَّى (10) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13)﴾

[العلق: الآية 9-13]

أين الجواب ؟ أيْ أُنظر إلى أخلاقه وأثَرَتِه وحِرْصِه وكِبره وشهْوانِيَتِهِ وإيثارِهِ مصْلحته على كل شيء فهذه الأخلاق التي تُرضي تؤكِّد أنه على باطل قال تعالى

﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12)﴾

[العلق: الآية 12]

أُنظر إلى هذا المؤمن ولو لم ينطق بِشَفاه أخلاقه واسْتقامته وأمانته وحياؤه وأدبه وتواضعه وحُبُّه للحق وقلبه الرحيم وانْصافه ودِقَّة كلامه واعْتِماده على الحجة وعِلْمُهُ هذا يُنَبِّؤك أنه على حقٍّ فهناك أدِلَّة أقوى من الكلام فلو أنَّ المُنحرف بقِيَ ساكِتاً تكْشف انْحرافه من أخلاقه دائماً هناك ارتِباط بين العقيدة والسلوك:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْداً إِذَا صَلَّى (10) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13)﴾

[العلق: الآية 9-13]

هذه عقيدته وانظر إلى أخلاقه قال تعالى

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)﴾

[القصص: الآية 50]

وقال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)﴾

[الماعون: الآية 1-7]

إذاً هناك مُوازنات بكِتاب الله:

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)﴾

[السجدة: الآية 18]

المؤمن أمين وغير المؤمن ليس بأَمين فأنت لا تثِق بغير المؤمن ولو بِقِنطار أو لِدينار أما المؤمن تأْمنه بِقِنطار أما غير المؤمن لا تأْمنه بدينار فالأمانة شيء مهمٌ جداً فأركان الاستقامة الصدق والأمانة والعفاف ولولم تكن في المؤمن غير هذه الصفات لَكَفَتْهُ ؛ مَوْضِع ثقة وتعامُلُهُ أمين وبين المطامع والشهوات عفيف فهذا الذي يرفع الإنسان لذلك:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْداً إِذَا صَلَّى (10) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13)﴾

[العلق: الآية 9-13]

وقوله تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)﴾

[الماعون: الآية 1-7]

وقوله:

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)﴾

[السجدة: الآية 18]

وقال تعالى:

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35)﴾

[القلم: الآية 35]

وقال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

[الجاثية: الآية 21]

هل يُعقل هذا ؟ شابٌ مستقيم يتحرى الحلال ويخْشى الله عز وجل ولا يُؤذي أحداً ولا يكْسب المال الحرام ويغض بصره عن محارم الله ويُنفق من ماله في سبيل الله ويطلب العلم وآخر من ملهى إلى ملْهى ومن شهوة خسيسة إلى سقوط مُريع هذا يُعامل كهذا ؟ أقول لكم أيها الإخوة دقيق جداً: أنْ يسْتوي عند الله مستقيم ومُنْحرف ومؤمن وكافر وصادق وكاذب وظالم ومُنصف ورحيم وقاسي أن يستقيم هذان الرجلان عند الله هذا لا يتناقض مع عدالة الله فَحَسْب بل يتناقض مع وُجوده ! لا يمكن أن يكون الله مَوْجوداً وأن يسْتوي مستقيم ومُنْحرف لا في الحال ولا في المآل وهذا هو القول الثابت الذي يملأ القلب طمأنينةً:

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35)﴾

[القلم: الآية 35]

وقوله:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)﴾

[الجاثية: الآية 21]

حياة هذا كَحَياة هذا وعمل هذا كعمل هذا وبيت هذا كَبَيْت هذا وزوجة هذا كزوْجة هذا وأولاد هذا كأولاد هذا مستحيل، لا زِلنا في المُوازنات قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)﴾

[القصص: الآية 61]

خذ الدنيا واسْتمْتع بها كما شِئت وقد قال الله عز وجل

﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40)﴾

[فصّلت: الآية 40]

وبالتعبير العامي: اعمل وكثِّر ؛ هناك موت في النهاية وحِسابٌ وعذاب وهناك سؤال دقيق وهناك نار يقودها الناس والحجارة وهناك عذاب أبدي إلى ما شاء الله ؛ أهل النار يرون رجلاً مشهوراً في الدنيا ومن أهل العلم يقولون: فيما رواه البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم

((يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ))

[رواه البخاري]

فالحِسابات تعمل يوم القيامة يظهر الصادق والكاذب والمخلص والمنافق لذلك قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)﴾

[القصص: الآية 61]

وقد قال الله عز وجل قبل هذه الآية:

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60)﴾

[القصص: الآية 60]

إذا كان لأحد ألف مليون دولار مثل هذا الذي أصبح معه ثلاثون مليار دولار صاحب مايكروسوفت كمن متَّعناه الحياة، كل إنسان مُحاسب فأربح شركة بالعالم هي شركة الأسلحة تعيش على دمار الناس فهذه الأسلحة المتطوِّرة ساعة قنبلة عُنقوديّة وساعة قنبلة ذكيّة وصواريخ تنْفجربعد أن تدخل إلى البناء لِتُضاعف القتلى والجرحى كل هذا من صُنع أدْمغة ذكِيَّة جداً كل هذا سَيُحاسَب عليه الإنسان نقطة دقيقة جداً وهي أنَّ كلّ إنسانٍ يعلم ماذا بعمل في هذه الحياة الدنيا هناك عمل شريف وهناك عمل أساسه خدمة الناس وهناك عمل أساسه التعليم أو التجارة لكن يوجد أعمال أساسها ابْتِذاذ الناس وإيقاع الخوف بين الناس فإذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما اسْتعملك وأخطر شيء عملك لأنه ألصق شيء بك وهو الذي تُحاسب عليه ويدْخل معك القبر والإنسان يموت ويُشَيِّعُهُ أهله فالأثاث الفخم الذي اشْتراه يبْقى في البيت الثريات والسُّجاد والتحف الثمينة كل شيءٍ يبقى بالبيت إلا أنّ أهله يُرافقونه إلى شفير القبر أما حينما ينزل القبر لا ينزل معه أحد إلا عمله يا قُيَيْس إنّ لك قرينا تُدْفن معه وهو حيّ وتُدفن معه وأنت ميّت إن كان كريماً أكْرمك وإن كان لئيماً أسلمك ألا وهو عملك.

أيها الإخوة أفمن كمن يمشي مكِباً على وجهه – آية اليوم – أهدى لا يرى أمامه إلا شهْوته كالنعامة تتخلص من الخطر بِغَمس رأسها في الرِّمال هؤلاء الذين ينْغمسون في الملذات ويظنون أنهم نجَوا من عذابٍ نفسي هؤلاء حمْقى

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (22)﴾

[الملك: الآية 22]

الإنسان أموره واضحةٌ أمامه طريق الخير واضح وكذا طريق الشر وعِلّة وُجوده يعرفها غاية وُجوده يعرفها ومنهج ربّه يعْرفه لذلك

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (22)﴾

يا أيها الإخوة الكرام هذا الحديث خطير قال تعالى:

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59)﴾

[النجم: الآية 59]

ليست القضيّة قضيّة تسْلِيَة أو قضيّة شهر أو مَوْسِم إنما القضيّة قضيّة مصير أبدي فأيُّ عتَبٍ بسيط على هؤلاء الذين يُضاعِفون عِباداتهم بِرَمَضان يُشْكرون على فِعْلهم هذا ولكن ألَيْتَهم جعلوا هذا النشاط على مدار العام أوليس من الأنْسب أنْ يُطَبِّق الإنسان منهج ربِّه كُلّ حياته ؟ فلذلك أيها الإخوة جمعْتُ لكم في هذا الدرس المُوازنات قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30)﴾

[الحاقة: الآية 19-30]

هذه موازنة ثانِيَة قال تعالى

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106)﴾

[آل عمران: الآية 106]

كان لي صديق يعمل في قصر العدل بالتحقيق وهو قاضي تحقيق وكان أمامه مُجرم يُحَقِّق معه والآخر تاجر مُخضِّرات وُجوههما سَوْداء ودخل شاب مُتأنِّق فقال له هل الساعة مضْبوطة فقال: نعم، وجَدْتُ فرقاً كبيراً جداً بين المُذنب والبريء ؛ هؤلاء الذين كان يُحقِّق معهم أحدهم قاتل والآخر تاجر مخضِّرات بِوَضْع من القهر والخوف لا يوصف والذي دخل في الأخير لا علاقة له بالموضوع إذْ أنه كان يعْمل بِحِرْفة الساعات فأما الذين ابْيَضَّت وُجوههم والمؤمن مستقيم والمستقيم ملِك ووجْهُهُ أبيض ولا يخشى أحداً رافِعُ الرأس عزيز النفس قال تعالى:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26)﴾

[يونس: الآية 26]

أما الذين أساءوا ترْهقهم ذِلَّة وما لهم من الله عاصم، ممكن أثناء التلاوة المُوازنات بالقرآن الكريم مهِمَّة جداً لا يوجد حلّ ثالث مسْتقيم أو مُنحرف مؤمن أو كافر مُنصف أو ظالم مُحسن مسيء أمين خائن صادق كاذب فهؤلاء ليْسوا كَهَؤلاء بالتأكيد وحين يسْتوي هؤلاء وهؤلاء اعْلم أنّ هذا الدين باطل إذا المُحْسن مع المسيء

والقوي مع الضعيف والظالم مع المظلوم ويأتي الموت وينتهي كل شيء فهذا الدين ليس له معنى إطْلاقاً اما عظمة هذا الدين أنّ الله تعالى موجود وسَيُحاسب ويوم القيامة فالبطل هو الذي يؤمن بالغيب وبِيَوم لم يره بعد.

والحمد لله رب العالمين

الفصل العاشر : تفسير سورة القلم

الدرس (5-1) : تفسير الآيات 17 - 33 ، تأديب الله لعبده

الدرس (5-2) : تفسير الآيات 1 - 4 ، غربة الدين

الدرس (5-3) : تفسير الآية 4 ، منزلة الخُلق العظيم

الدرس (5-4) : تفسير الآيات 42 - 45 ، المسارعة إلى التوبة

الدرس (5-5) : تفسير الآيات 48 - 50 ، الصبر والدعاء

الدرس (5-1) : تفسير الآيات 17 - 33 ، تأديب الله لعبده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام ربنا جل جلاله في سورة القلم روى لنا قصة أصحاب الجنة فقال تعالى:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17)﴾

[القلم: الآية 17]

أصحاب البساتين وأصحاب البساتين والمزارع

﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17)﴾

أيْ يقطِفون ثِمارها مُصبحين

﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ (18)﴾

لا يعطون منها شيئاً للمساكين

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19)﴾

لعلها موجة صقيع لا تُبقي ولا تذر ؛ لاحظ العلاقة بين النِّيَة والسلوك "

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17)﴾

مباشرة

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20)﴾

وكأنها قُطِفَتْ لا شيء فيها ولا فاكهة ولا هم يخْزنون فعقدوا اتّفاقاً بينهم "

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (21)﴾

أيْ صباحاً "

﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (22)﴾

اليوم جَنْيُ القطاف وتجميع الثمار وبيْعِها وتخزين أثمانها بالصناديق "

﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (23)﴾

أرادوا أنْ يقْطِفوا الثِّمار بعيداً عن أعْيُن الفقراء فَبَكَّروا

﴿ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (24)﴾

بُخلٌ وشُحٌّ " وغَدوا على حرْدٍ قادرين فلما رأوْها " قالوا هذه ليْست بساتيننا إنا لضالون تأكدوا أن البناء نفسه إلا أن الثمار منعدمة

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (26)﴾

ثم أدركوا أنّ الله أتْلف محاصيلهم

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27)﴾

أيْ أقربهم إلى الله

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (28)﴾

لو سبَّحْتم الله عز وجل لكان قلبكم رقيقاً ولأطْعمْتم المساكين ولكن حينما ابْتعدتم عن الله قسى قلبكم وأردتم هذه الثروة وحدكم

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (29) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (30)﴾

كلٌ يُنيح باللائمة على أخيه "

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31) ﴾

﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (32)﴾

إتْلاف المحصول والخسارة الكبيرة كانت سبباً في عَوْدتهم إلى الله وسبباً في توْبتهم ومُحاسبة نفْسهم وفي إقْبالهم وندمهم مغزى القصة في كلمة واحدة قال تعالى:

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾

أيْ أيُّ عذابٍ يسوقه الله تعالى لِعِباده في الأرض من هذا النوع وليس هناك في الأرض شرٌ مطلق شرٌ للشر لا وُجود له بل إنّ وُجود الشر للشر يتناقض مع وُجود الله قال تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)﴾

الإعزاز خير والإذلال خير والإيتاء خير والمنع خير والأشياء الإيجابية نِعَمٌ ظاهرة والمصائب نِعَمٌ باطنة فالعطاء عطاء والمنعُ عطاء وربما كان المَنْع عين العطاء منعك لِتَلْتَفِتَ إليه ومنعك كي تتذكَّره وكي تُحاسب

نفسك وتُقبل إليه ولِيَسْمع صوتك بالليل ولكي تُوَحِّده لذلك المصائب لها حِكَم أُنظر ضاع منهم محْصول وثمنه كبير لكنهم

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31)﴾

أيْ كنا في طغيان كبير

﴿ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (32)﴾

لولا هذا التأديب لما كان هذا الكلام ولولا هذه الشِدَّة لما كانت هذه الشَدَّة ولولا هذه المَحْنَة لما كانت هذه المِنْحَة لذلك قد تجد أن تسعين بالمائة من توبة المؤمنين هي تربية الله لهم والتضييق الذي أحاطهم به والشدة التي ساقها لهم والخوف الذي بثَّهُ في روْعهم، فكلمة

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾

أيْ أيُّ عذابٍ على وجه الأرض مُوَظَّفٌ للخير هو فيما يبْدو شر إتلاف المحصول شر وإتلاف مال تاجر شرٌ كبير إذْ يُصبح في الوحْل لكنه ما كان يُفكِّر بالصلاة في حياته ؛ مالٌ وقوة ومَنَعَة ومكانة وأُبَّهة وعظمة وما قال: يا رب ولكن لما فلّس قال: يا رب على كلِّ الإنسان إذا أتى الله على قُوَّتِه غناهُ وصِحَّتِه فهذا شيء رائع جداً وإذا أتاه بعد المصيبة هذا كذلك شيء جيّد لا بد من أن تأتيه، قال لي مرةٌ أخ مُداعِباً: ما مُلخّص دعْوتك ؟ وقلتُها له بالتركيب العامي: إما أن تأتي مُسرعاً وإما أن يأتي بك مُسْرعاً فهذا مُلخّص الملخص والله عز وجل يعرف كيف يُعالج ويعْرف المنطقة الحَرِجة والمؤلِمة والتي تفْزع منها " كذلك العذاب " شابٌ وزوْجته شاردان ومُتَفَلِّتان معهم المال والغنى والجمال ومن مكانٍ إلى مكان ومن نزهة إلى أخرى لا يُصلون ولا يصومون ولا... عندهم فتاة صغيرة ملكتْ قلوبهم لِجمالِها وروْعتها وأُصيبتْ بِمَرض خبيث فصاروا من طبيب إلى طبيب ومن تحليل إلى آخر ومن مستشفى إلى مستشفى مما جعلهم يأخذونها إلى بريطانيا فاضطرّ أبوها وأُمُّها أن يبيعا بيتهما الوحيد لِيُعالِجاها ؛ فجاءَتهم خاطِرة ولعلها خاطرة ملَك لو أنَّكم تُبتم إلى الله لعل الله يشْفيها فتاب الأب والأم فصارا يصليان والأم تحجَّبَتْ وعاهدا ربهما على الطاعة والتوبة والاستقامة فتراجع هذا المرض شيئاً فشيئاً وهذا الأخ من أصْدقائنا بعد سبْع سنوات دُعيت إلى عقد قِران فألْقَيْتُ كلمة ثم قلتُ له: هي هي فقال: هي هي تلك البنت التي كانت سبباً في إنابة والِدَيها إلى الله فهذا المرض مُخيف ولكن مُحَصِّلته ؛ فبعْد أن كانا مُتَفَلِّتين صار مُلْتزمين وبعدما كانا شقِيّن صارا سعيدين وكانا مُعْرِضَيْن فصاراَ مُقبِلَين وكانا مُسيئين فصارا مُحسنين كلّ هذا عن طريق هذا المرض لذلك يجب أن تعلم عِلْم يقين أنّ وراء كلِّ مصيبة حِكمة قد تعْرفها وقد لا تعْرفها، فهذه السيارة من أجل ماذا صُنِعت ؟ أصل صُنعها من أجل أن تسير فهل يُعقل أن يقْتني إنسان سيارة بدون مُحرِّك ؟ إذْ أنها صُنِعت كي تسير ولكن لماذا في السيارة مِكْبح

فالمِكْبح يوقِفُها ؟ كلٌّ هذا من أجل سلامتها فالمصائب كالمِكْبح فأنت مخلوق للسعادة والعطاء والتكريم ولِجَنَّةٍ عرضها السماوات والأرض لكن حينما الإنسان يشرد ويتيه تأتي المصائب كي تَرُدَّهُ إلى الله:

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾

فهذه السورة كلها بِكَلِمة واحدة:" كذلك العذاب " أيُ عذاب على الإطلاق يسوقه الله لِعِباده هو من هذا النوع ؛ شُحّ وبُخل وأثَرَة وحُبٌّ للمال وقلب قاسي كراهِيَة للعمل الصالح ؛ ثِمارٌ يانعة بالملايين ثمنها بحثوا عنها فما وجدوها فقالوا:

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (28) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (29)﴾

فهذه قصة وقِصة القرآن ليْست للتسْلية ولا للمُتْعة ولكن كي تسْتنبط منها حقيقةً تُلقي لك نوراً في درْب الحياة، قال لي كان عليَّ زكاة قدْرها إحدى عشر ألف وخمس مائة وثلاثين رقمٌ دقيق وكانت له زوجةٌ فقلت له: لا داعي لِدَفْع الزكاة ولْنُذْهن بها البيت وضغطت عليه حتى حملتْه على دفع الزكاة فاسْتجاب لها ولغى الزكاة وكانت عنده سيارة فانْضربتْ ومن أغرب الصُّدف أنّ كُلفة تلك السيارة إحدى عشر ألف وخمس مائة وثلاثين فالله علَّمه درس لأنّ هذا حق الفقير وهذه القصة تتكرر مئات المرات في اليوم أما الإنسان يُحْجم عن إطعام الفقراء والمساكين فالله يُحْرِمُهُ مالهُ إلا أنَّ هذا العذاب في الدنيا سهْلٌ جداً لأنّ في آخر الآية قال تعالى:

﴿ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (33)﴾

فالله عز وجل من رحْمتِه يُذيقنا من العذاب الأدنى لكي لا نستحق العذاب الأكبر قال تعالى:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21)﴾

[السجدة: الآية 21]

ففي الدنيا هناك مرض وقهر وفقر وسِجنٌ وذُلّ وإفْلاس لكن هذا دون العذاب الأكبر وهو جهنّم لذلك ورد في بعض الأحاديث القدسيّة:" وعِزتي وجلالي لا أقبض عبْدي المؤمن وأنا أحبّ أن أرْحمه إلا ابْتَلَيْتُهُ بِكُلّ سيّئة كان عمِلها سُقْما في جسده أو إقْتاراً في رزقه أو مُصيبة في ماله وولده حتى أبلغ منه مثل الذرّ فإذا بقي عليه شيء شدَّدْتُ عليه سكرات الموت حتى يلْقاني كَيَوْم ولَدَتْهُ أُمّه "

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : تفسير الآيات 1 - 4 ، غربة الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة الكرام مع الآيات الثانية والثالثة والرابعة من سورة القلم وهي قوله تعالى:

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾

[القلم: الآية 1-4]

مرَّ النبي عليه الصلاة والسلام مع أصْحابه فرأَوا مجْنوناً فسألهم وهو سيِّد المُربين وهو العارف قال: من هذا؟ قالوا هذا مجْنون فقال: لا هذا مُبتلى المجنون من عصى الله ومرَّةً دخل إلى المسجد فرأى فيه نسَّابة تحلَّق الناس حوْلها فقال: من هذا وهو يعلمه ؟ سؤال العارف فقالوا: هذا نسَّابة فقال: ذاك عِلمٌ لا ينْفع من تعلَّمه ولا يضرّ من جهل به وكان عليه الصلاة والسلام يدْعو ويقول: اللهم إنا نعوذ بك من علمٍ لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن عينٍ لا تدمع ومن أذنٍ لا تسْمع وفي رواية ومن نفْس لا تشْبع ففي الحياة هناك العاقل والذكي وكلّ إنسانٍ أتقن اختصاص وتفوّق فيه في الزراعة أو التجارة أو الصناعة وفي العلوم المجردة وفي الجامعة ونال درجة بورد - طبعاً هذا ذكيّ ولكن ليس كلّ ذكي عاقل فالعاقل من عرف الله والعاقل من أدرك الكُلّيات ومن أدرك الحقائق الكبرى والعاقل من عرف سِرَّ وُجوده وغاية وُجوده وبحث عن منهج ربه وتعْليمات الصانع واسْتقام على أمره وأعدّ للقاء الله عز وجل وهيَّأ في قبْره روْضةً من رياض الجنّة فالعاقل تعلَّق بالحياة الأبديَّة ويسْعى لِجَنَّةٍ عرْضها السماوات والأرض فكُلما بحثْت عن الحقيقة وتعرَّفْت إلى الله وكلَّما بحَثْتَ عن دار الخلود وكنت عبْداً لله وأوْقَعْتَ حركاتك وسكناتك وِفق منهج الله كنت عاقِلاً أما إذا تَفَوَّقْت في اخْتِصاصك أو كسْب المال والاسْتِحْواذ على اهْتِمام الناس كان ذلك ذكاء وليس عقْلاً لذلك قد تُتَّهَم بين الغافلين أنَّك مجنون والحقيقة أنهم هم المجانين لماذا ؟ لأن الله تعالى قال:

﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110)﴾

[المؤمنون: الآية 110]

فالكفار كانوا في الدنيا يضْحكون قال تعالى

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34)﴾

[المطففين: الآية 34]

من هو الذي يضْحك آخر الأمر ؟ ومن هو الذي له العاقبة ؟ الله عز وجل قال:

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾

[القصص: الآية 83]

كلمة مُختصرة فالأمور تتحرَّك يسْعد أُناس يهبط أُناس ويشْقى أُناس والأمور تتداول بين جِهاتٍ كثيرة أما أنها لا تسْتقِرّ إلا على نُصرة المؤمن قال تعالى

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12)﴾

[آل عمران: الآية 12]

والتاريخ أمامك قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آَيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (51)﴾

[الحج: الآية 51]

هم في مزْبلة التاريخ والذين ناهضوا الحق هم في الأذلين: سبحانك إنه لا يذل من واليْت ولا يعزّ من عاديْت لذلك:

﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)﴾

[القلم: الآية 2]

علاقتنا بالآية: بدأ الدين غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء فَمِن علامة إيمانك أنك تشْعر بالغربة حتى من أقرب الناس إليك والناس دينهم الدرهم والدينار وهَمُّهُم بطونهم وهمُّهُم فروجُهم أما من أصبح وكان أكبر همِّهِ الآخرة هذا إنسانٌ آخر ؛ جعل الله غِناهُ في قلْبه وجمع عليه شمْله وأتَتْهُ الدنيا وهي راغمة ومن أصبح وأكبر همِّه الدنيا جعل الله فقْره بين عيْنَيْه وشَتَّتَ عليه شمْله ولم يُؤْتِهِ من الدنيا إلا ما قُدِّر له ؛ الذين همُّهُم بطونهم وقِبْلَتُهُم نِساؤهم ويسْعَوْن إلى حُطام فانٍ هؤلاء ليْسوا عُقلاء وقد يكونوا أذكياء فالعِبْرة في النهاية والمصير فإذا عِشْتَ في مُجْتمعٍ مُتَفَلِّتْ وشعَرْت بالغُربة هذا الشعور صِحي ؛ بدأ الدين غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء لو أنَّ أحداً فوَّتَ مائة ألف أو مليون لأنهم فيهم شبهة ألا يُتَّهم أنه مجْنون لِشُبْهةٍ بسيطة فوَّتَ عليه هذا الربح الكبير ورضي بِدَخْلٍ يسير حلال فهذا عند الناس مجنون أما عند الله فهو عاقل، ذكر لنا أحد إخْواننا يعْمل في القضاء أنه سألَه شخصٌ: ما حلّ هذه القضِيَّة ؟ فقال له هذه القضيَّة لا تحْتاج إلا إلى اسْتدعاء فقط فسأل مُحامي آخر لا يعرف الله فقال له: هذا غَلْطان ولا يعْرف شيء وقال له: هذه عليها مسْؤولية وخَوَّفَهُ وقال له هذه عليها مسْؤولية وأخذ منه عشرين ألف أتْعاب مُقدَّمة وما اكْتفى بِهذا فقط بل اتَّهم الأول بأنه لا يفْقه شيء وطعنه بِكَلمة كبيرة فهذا الأخ المحامي جاء مُتألِّم وقال لي: قد نصَحْتُه وقلت له هذه القضيَّة لا تحْتاج إلا إلى اسْتدعاء فقط لأنّها لا تحتاج لِمُحامي أصْلاً ولا إلى تَوْكيل أما الثاني فأقْنعه أنَّ

قضِيَّته خطيرة وأخذ منه عشرين ألف واتَّهم زميله أنَّهُ حمار فَقُلتُ له: هذه الكلمة التي قالها عنك هي وِسام شرف يوم القِيامة فالعِبْرَة أنْ تُرضِيَ الله لا أن تُرضِيَ العبيد هناك حديث شريف: حَدَّثَنَا

((أَبُو مَسْعُودٍ عُقْبَةُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ))

[رواه البخاري]

من المعاني الدقيقة لِهذا الحديث: إذا لم تسْتحِ من الله فاصْنع ما تشاء ولا تعْبأ بِقَول الناس فالإنسان إذا اسْتقام وأدى الحقوق لأصْحابها وأعطى كلّ ذي حقٍّ حقَّهُ يُتَّهَمُ عند المُتَفَلّتين أنَّهُ مجْنون ؛ لِماذا أثبت الله عزّ وجل تُهْمة الجنون بالنبي صلى الله عليه وسلّم قالوا عنه مجنون والله تعالى أثْبتها في القرآن يُتْلى إلى يوم القيامة كلُّ هذا من أجل أنَّك بعد ألف سنة إذا اسْتقَمْت وعارضك المُعارِضون وتَقَوَّلوا عنك لا تتأثر لأنه قيل هذا فيمن هو أفضل منك قال تعالى:" ما أنت بنعمة ربك بمجنون " فَيَجِب عليك أن تكون واثِقاً من اتِّجاهِك فأنت تُرْضي الله ولو تكلَّم عنك الناس ما تكلَّموا ولو اتَّهموك فما دُمْتَ مع الله فلا تعْبأ بِأحد ؛

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91)﴾

[الأنعام: الآية 91]

فالله جلّ جلاله هو الحق ولا يُحِقّ إلا الحق في النهاية فقوْله تعالى: ما أنت بنعمة ربك بمجنون " هذه تُغَطي أيَّة تُهْمة يُتَّهم بها الإنسان المستقيم من قِبَل المُنْحرفين قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (3)﴾

[القلم: الآية 3]

أجور الدنيا محْدودة ولو كان معك ألف ملْيون ماذا تسْتطيع أنْ تأكل ؟ وَجْبة مُعْتدلة وماذا تسْتطيع أنْ تلْبس؟ بذْلة واحدة وكم من غُرْفة تنام فيها ؟ واحدة وكم من سرير ؟ واحد، أما عطاء الآخرة فما له حدود فالدنيا محْدودة والزمن ليس بِصالِح الإنسان وكلُّ ما تقَدَّم به السِّن تُصبح إمكانِيَة اسْتِمْتاعه بالدنيا محْدودة فالأكل يُصبح ممنوعاً عنه جُزئِياً ؛ هذه لا آكُلها لأنها تزيد من الكُولِسْتِرول والأشياء المُحَبَّبة ممنوع أكْلها فهذه هي الدنيا أما بالآخرة:" قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (3)﴾

[القلم: الآية 3]

والله عز وجل قال:

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)﴾

[الصافات: الآية 61]

وقال تعالى

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)﴾

[مطففين: الآية 26]

وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم هذه الآية تحْتاج إلى درسٍ كامِلٍ غداً إن شاء الله

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : تفسير الآية 4 ، منزلة الخُلق العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
أيها الإخوة الكرام، مع الآية الرابعة من سورة القلم وهي قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾

[القلم: الآية 4]

أوّلاً الله جلّ جلاله حينما أثنى على النبي عليه الصلاة والسلام ما أثنى إلا على خلقٍ وكان عليه الصلاة والسلام سيّد العلماء وسيّد الفقهاء وسيّد الخطباء وسيّد القضاة الزعماء وسيّد المُربين والمُعلّمين كلُّ هذه الصِّفات التي كان يتمتّعُ بها في أعلى درجة حينما جاء الثناء الإلهي جاء على خلقه عليه الصلاة والسلام فما سِرّ ذلك ؟ هذا السِّرّ هو أنّ الإنسانُ قُدْراته من الله إذا منحَهُ ذاكِرةً قوِيَّةً أة لِساناً طليقاً أو قُوَّة مُحاكمة أو إدْراكاً عميقاً فهذه خصائص خصَّها الله تعالى به فأنت حينما تريد أن تمْدح ابنك أمام الناس هل تقول لهم عنده سيارة وأنا الذي أعْطَيْته إياها ؟ يجب أن تمْدحه بِشيءٍ فيه تقول: نال شهادة بِدرجة شرف مثلاً فالإنسان أوْدع الله فيه نوازع وشهوات ورغبات وطبع فحينما يضبط هذه كلّها ويُخالف طبْعه ارْضاءً لله عز وجلّ فهذا هو الذي يرْقى به وهذا هو الخُلق فالخُلُق عملِيَّة ضبط لك لِسانٌ ويدٌ وعَيْنٌ وأُذن فالخُلق عملِيَّة ضبط لهذه الأعضاء والجوارح وهذه المصالح والرغبات فحينما تضْبطها تقرُّباً لله عز وجل كان هذا من كسْبِك وهذا الذي يُثْنى به عليك لذلك ورد في عشْر أحاديث صحيحة أنَّ الإيمان حُسْنُ الخُلُق وأكْمل المؤنين إيماناً أحْسنهم خُلُقاً وأحسنُ المسلمين إسْلاماً أحْسنُهم أخْلاقاً وحُسْنُ الخلُق أفضل من أنْ تعْبد الله كذا سنة وسوءُ الخُلُق يُذيب الحسنات كما يُذيب الخل العسل ويُفْسِدها كما يُفْسد الخلّ العسل فَحُسْنُ الخُلُق هو كُلّ شيءٍ في الإسلام لأنه ثمن الجنَّة وهو الذي يَرْقى بالإنسان والذي يليق به فأنت بِأخْلاقِك أما بِما تمْلك من قُدْرات فهذه وهَبَها الله لك والإنسان حينما يفْقد ذاكِرته ماذا يفْعل ؟ مرضٌ خطير هو فقْدُ الذاكرة ولكن بِالمُقابل الذي يتمتَّعُ بِذاكِرة قوِيَّة هذه من عند الله عز وجل منحهُ الله إياها والذي يتمتَّعُ بِبَصر حاد وبِمُحاكَمَةٍ قوِيَّة وبِفَصاحَةٍ كبيرة هذه كلها قُدُرات أوْدعها الله فينا أما الذي في كسْبه والذي يَرْقى به هي أخْلاقه فالأخلاق عمَلِيَّةُ ضبْطٍ لِحَركة دافع ورغباتٍ مُعَيَّنَة فالضبط هو الخُلُق لذلك قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

((الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ))

[رواه الترمذي]

لو أَلْغَيْتَ من الإسلام حُسْن الخُلق لأَلْغَيْت الإسلام كلَّهُ ولو أَلْغَيْتَ من الإيمان حُسْن الخُلق لأَلْغَيْت الإيمان كلَّهُ ولو أَلْغَيْتَ من الإنسان م حُسْن الخُلق لأَلْغَيْت إنْسانِيَّتَهُ فَحينما نُلْغي الأخلاق الفاضِلة نُلْغي الدين لذلك قال عليه الصلاة والسلام:عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

[رواه الترمذي]

فإياكم ثمّ إياكم أنْ تعُدوا الخُلُق شيءٌ ثانَوي بِالدين إذْ أنَّهُ الدين كُلُّه وقد ورد في بعض الأحاديث: الدين حسن الخلق " وقال عليه الصلاة والسلام عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا*))

[رواه الترمذي]

فحينما تُضحي بِحُسن الخُلق تكون قد ضَحَّيْتَ بالدين وبالعمل الصالح وبِثَمَنِ الجنّة وضَحَّيْتَ بما رفعك الله به عن المخْلوقات فهذا الدرس بليغ لنا والله عز وجل ما أثنى على النبي أنّه عالم وعلى أنه قاضي أو خطيب أو قائد وأنه لم ينْس من القرآن حرْفاً إنما أثْنى عليه بِحُسْن خُلُقِه قال تعالى:

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (6)﴾

[الأعلى: الآية 6]

وقد منحه تعالى ذاكِرة قَوِّية جداً فالمدْح يكون بِشيءٍ كسْبي لا بِشَيءٍ وهْبي نعود للمَثَل ونقول: إذا اشْتريْتَ بيْتاً لابْنك وأردْت أن تمْدحه بين الناس فإذا قلتَ عنده بيت: يقولون لك البيت من عندك وتقول: عنده مَرْكبة فيقولون: السيارة من عندك أما إذا قلت لقد نال شهادة عُليا بِتَقْدير شرَفٌ فهذا هو المدح لأنّ هذه الدرجة العِلمية من اجْتِهاده ومن كسْبِهِ ودِراسَتِهِ فهذا هو السِّر الذي مُدِحَ النبي عليه الصلاة والسلام من أجله وهو الخلق، والشيء الآخر هو ما الذي جذب المؤمنين إلى النبي عليه الصلاة والسلام ؟ هي أخْلاقه ؛ فأنت أحْياناً تسْمع إلى أُسْتاذٍ جامعي في مُحاضرة تُعْجبُ بِعِلْمِه وقد لا تُحِبُّهُ وقد لا تجد فيه هذا القلْب الكبير فَهُو مُتَفَوِّق وذكيّ فالإعْجاب بِالعلم شيء والمحبَّة شيء آخر لأنّ الأخْلاق سبب المحبّة والإنسان يهْوى ثلاثة أشْياء: يُحِبّ الكمال ويُحِبّ الجمال ويُحبّ النواي وهي مُجْتمعة في الله عز وجل فهو تعالى جميل وكامل ومُتَفَضِّل قال تعالى:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (113)﴾

[النساء: الآية 113]

لذلك أقرب الناس إلى النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي حسن خُلُقُه: عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا))

[رواه الترمذي]

فَحُسن الخُلق ذهب بالدين كُلِّه قال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾

[القلم: الآية 4]

فَيَجِب أنْ نعلم أنّ مكانة الخُلق العظيم في الدين عظيمة وحينما تهْتزّ هذه القيمة ولا نعْتني بها ونُصلي ونصوم ونقْسو في كلامنا ومُعاملاتنا ؛ وهنا سؤال: لقد جاء على المسلمين وقْتٌ دخلوا في دين الله أفْواجاً قال تعالى:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً (3)﴾

[النصر: الآية 1-3]

إذا صحّ التعْبير: إذا جاء على المسلمين وقْتٌ خرجوا من دين الله أفْواجاً فما هو السبب ؟ سوء الخُلُق ؛ يُصلي ولكنّ أخلاقه سيِّئة ويكْذب ويغُشّ ويحْتال ويأْخذ ما ليس له فإذا كان هناك مِنْ سببٍ يدْفع الناس إلى أنْ يدْخلوا في دين الله أفْواجاً هو حُسْن الخُلق وإذا كان هناك مِنْ سببٍ يدْفع الناس إلى أنْ يخرجوا من دين الله أفْواجاً هو سوء الخُلق وبِسُوء الخلق تُلْغي قيمة الدين ودوْرَ الدين ومحبَّة أهل الحق والثقة بالدين ودَوْر العلماء وبِحُسن الخُلق تهْفو قلوب الناس إليك لذلك الآية الكريمة:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)﴾

[آل عمران: الآية 159]

رسولٌ ونبِيٌّ ومعه القرآن ومُعْجِزات ويوحى إليه ومعْصوم ومع كُلِّ هذا ولو كنت فضاً غليظ القول لانْفضوا من حَوْلك فالقضِيَّة نفْسانِيَّة والخُلق هو الدين فإذا تساهل الإنسان في أخْلاقه بِأَخْذ ما ليس له ونظره إلى ما ليس مُحَلَّلٌ له وتكلَّم بِكلامٍ لا يليق به وأصْغى إلى الغناء فإذا تساهل في اقْتِراف المعاصي والآثام فَقَد أكبر شيءٍ في الدين فَقَدَ القُدْوة فلم يَعُد قُدْوةً للناس وفَقَدَ المكانة وشَوَّهَ الدين وجعل الدين تُراثاً وثقافة وعادات وتقاليد وأنْهى دَوْر الدين فهؤلاء صحابة رسول الله ما الذي حبَّبَهُم في رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؟ أخْلاقُهُ وتواضُعُهُ وانْصافُهُ ورحْمته ووفاؤُه ولُطْفُهُ فأنا أُلِحُّ على الخلق لأنه أساس الدين ويُمْكِنُك أن تكون أكبر داعِيَة ومعْلوماتُك قليلة بِأَخْلاقك الحسنة والعكس بالعكس، أحْياناً أنْظر إلى إنْسان فَأَرى عنده عِلْمٌ ثمين لكنّ أخْلاقه ليْسَتْ حسنة فأقول: ليْت أخْلاقه كَعِلْمِه وقد تجد إنسان أخْلاقي ولكنّ معْلوماته قليلة فأقول: ليْت علْمه

كأخلاقه أما الأكمل أن تكون عالِما وأخْلاقِياً في الوقتِ نفْسه فإياك تُضحي بِقيمة الخلق إنْ ضَحَّيْتَ بها ضَحَّيْتَ بِدينك وبِثَمن الجنة وأثْقل شيءٍ في الميزان يوم القيامة هو حُسن الخلق لذلك قال الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)﴾

[آل عمران: الآية 134]

فهذا أعْرابي فيما رواه البخاري

((أمْسك النبي من ثوْبه وشَدَّه إلى أنْ أثَّر على صفْحة عُنُقه وقال له أعْطِني من مال الله فإنه ليس من مالك ولا من مال أبيك فقال عليه الصلاة والسلام صدق إنه مال الله –ولكنّه لو قالها مع غيره لطار عُنُقُه وذاك – قال له: اعْدِل يا محمّد فقال له وَيْحَك من يعْدِل إنْ لم أعْدل))

[رواه البخاري]

وآخر احتكم للنبي عليه الصلاة والسلام في موضوع خُصومي فَحَكم لِبَعْض أصْحابه فقال لأنه ابن عمَّتِك ؛ وهذا أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عطاءً فقال له: هل أعْطيْتك ؟ فقال: لا ولا أجْمَلْت أمام أصْحابه فقالوا: إليهْ فَمَنَعَهُم عنه ثم أدْخله إلى البيت وأعْطاه عطاءً زائِداً وقال له: هل أحْسنْتُ إليك ؟ فقال: نعم، جزاك الله عن أهْل وعشيرةٍ خيراً فقال له عليه الصلاة والسلام أعْطيتك أوّل الأمر فقُلت ما قلت وفي نفْسك من أصحابي شيء فاخرج الآن وقل غير ما قلت: فلما خرج قال له النبي هل أحسنت إليك ؟ فقال: نعم فقال عليه الصلاة والسلام: مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجلٍ له ناقة شردَتْ عنه فتبِعَها الناس فزادوها نُفوراً أما هو أخذ لها من قُمام الأرض واسْتجْلبها بهذا القُمام حتى ركِب عليها قال: لو تركتكم وما أنتم فاعِلون فقَتَلْتموه فدخل النار، وهذا وقف بالصلاة والذي كان بِجَنْبه عطس فقال له يرْحمك الله فالصحابة ضربوا على أرْجلهم أُسْكت فخاف من أصْحاب النبي في أثْناء صلاته فلما سلَّم النبي قال له عليه الصلاة والسلام: إنَّ هذا لا يصِحُّ في الصلاة فقال: فِداك روحي ما رأيتُ مُعلِّما أحكم منه والله ما قهرني وما أهانني إلا أنَّهُ قال لي: هذا لا يصح في الصلاة ؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أخْلاقِياً ونحن إذا أردنا أنْ نُطبِّق سُنَّتَهُ ينْبغي أنْ نتخلّق بِأخْلاقه وأما قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾

[القلم: الآية 4]

على تفيد التمكُّن تقول: أنا على عِلمٍ وعلى دِراية وخِبْرة، قد يدخل الإنسان أحْياناً في صِراعٍ مع النفْس وبعد منافسة كبيرة حتى كاد يغْلط ويقْسو تدراك الموْقف وعفى فهذا ليس خُلُقاً عظيماً أما النبي الكريم صلى الله عليه وسلّم كان مُتَمَكِّناً من الخلق وكان الخلق في عُمْقه فإذا كان الإنسان واقف بالشاطىء يُمْكن أنْ تأتيه

مَوْجة عاتِيَة وتَجْلبه للبحر أما إذا كان بِجَبَلٍ مهما علا المَوْج فهو في مكان والمَوْجُ في مكان وهذا هو معنى قول الله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾

[القلم: الآية 4]

مُتَمَكِّن من خُلُقه وهو في الأعْماق وليس عنده ما يُسمى بِالصِّراع هذا انتصر فيها والأخرى انتَقَم فيها لا... وقد ذهب عليه الصلاة والسلام للطائف وكفروا به وسخِروا منه وأغْروا سُفَهاءهم به وجاءه جِبْريل ومكَّنه أن ينْتَقِم منهم وقال له: فيما رواه البخاري أَنَّ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا.. فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا *))

[رواه البخاري]

فالإسلام لا ترجع له عِزَّته إلا بالخُلُق وإذا كنا أخْلاقيين أحبَّنا الله وتماسكْنا وتعاوَنا واسْتَحْقَقْنا نصْر الله عز وجل أما الخصومات والغيبة والنميمة وعداوات وطعن وحسد وهدم كرامات وبغي وعُدْوان ثم يُصلي كلُّ هذا لا يُرْضي الله عز وجل، ودرْسنا اليوم عن الخلق العظيم والنبي عليه الصلاة والسلام كان على خُلُقٍ عظيم وما رُئِيَ مادّاً رِجْلَيْه قط وما عاب طعاماً قط وكان أشدّ حياءً من العذْراء في خِدْرِها ولولا التشهد كانت لاؤُهُ نعم، وهذا طِفل خادم أرسله النبي فَتَأَخَّر فقال له النبي والله لولا خوف القِصاص لأوْجَعْتُك بهذا السِّواك كان خُلُقُه عظيم وهذا سيّدنا أنس خدمه عشْر سنوات فما قال له لِما أو لماذا ويجب أنْ نُطَبِّق هذه القيمة

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-5) : تفسير الآيات 42 - 45 ، المسارعة إلى التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الآية الثانية والأربعون من سورة القلم وهي قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42)﴾

[القلم: الآية 42]

فالجَنَّة ثمنها يُدْفع في الدنيا، الإنسان لا يسْتطيع تلافي الأمر ؛ قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آَمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13)﴾

[الحديد: الآية 13]

ارْجعوا إلى الدنيا حينما يدْخل المؤمنون الجنَّة ؛ قال تعالى عنهم:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)﴾

[الزمر: الآية 74]

فهذا العَطاء الكبير ؛ الجنَّة يُدْفع ثَمَنُهُ في الدنيا، فالذي عرف الله واسْتقام على أمْره يدْخُل الجنّة، لذلك هذا اليوم العَصيب ؛ كلِمَة: يُكْشَف عن ساقٍ تعبير عربي قديم بِمَعْنى أنَّهُ يوجد شيءٌ صَعْبٌ ويومٌ عسير يوْمَ يُكْشَفُ عن ساقٍ ويُدْعَوْنَ إلى السجود فلا يسْتطيعون لأنه أمْضى حياته الدنيا في ما لا يُرْضي الله، هناك حِجابٌ بينه وبين الله ؛ خاشِعَةً أبْصارُهم تَرْهَقُهم ذِلَّة فأعْمالُهُ السيّئة ومعاصيه وانْحِرافُهُ في الحياة الدنيا كانت حِجاباً كثيفاً بينه وبين الله؛ وقد كانوا يُدْعون إلى السجود وهم سالمون قبل مجيئِهم إلى الآخرة وقبل اسْتِحْقاقِهم النار، يوْمَ كانوا في الحياة الدنيا كانوا سالمين وكانوا في صِحَّةٍ وعافِيَةٍ ومالٍ وقُوَّة ودُعوا إلى الله فَأبَوا فالآن الطريق مسْدود لأنّ الإنسان إذا مات على الكُفْر أو المَعْصِيَة والانْحِراف ودُعِيَ فَلَم يسْتَجِب ؛ من الصعْبِ جداً أنْ يتنافى الأمر بعد المَوْت، فالحياة فُرْصة وما دام قلْبُهُ ينْبُض فهُوَ في بَحْبوحَةِ التَّوْبة وما دام عُمُرِه بَقِيَّة وفي بحْبوحة الصُّلْح مع الله ؛ أما حينما يموت على حالٍ لا يُرْضي الله تلافي الأمر أصبح صعباً جداً، ذكرت في المسجد صباحاً أنَّ أخاً من إخْواننا له والد أُصيب بِمَرضٍ عُضال جعله في الفراش مشْلول الحركة، فَجاءَهُ صِهْره زوجُ ابْنَتِهِ ونظر إلى عَمِّه في الفراش غائِباً عن الوَعي فقال: والله هذه النَّوْمَة صَعْبة في اليوم التالي تُوُفي ؛ مُبادرة سريعة جداً ؛ وكانوا يُدْعَون إلى السجود وهم سالمون.

إخواننا الكِرام، الإنسان حينما يُدْرك أنه بِضْعة أيام وكلما انْقضى يومٌ انْقضى يوم منه يُدَقِّقُ كثيراً في إنْفاق الوقت، الوقتُ أثمن من المال ؛ لأنك قد تبيع بيْتك الذي تسْكُنُهُ وليس لك مأوىً سِواه من أجْل إجْراء عَمَلِيَّةٍ تتَوَهَّمُ أنها تَمُدّ في عُمُرك فالذي يُبَدِّدُ المال يُعَدُّ سفيهاً والذي يُبَدِّدُ الوقت يُعَدُّ أشدُّ سفاهَةً، فلو أنَّ شخْصاً أمْسك خمسين ألف ليرة سورية وأحْرَقَها بِلا سبب ألا تشْعر أنه مجْنون وسفيهٌ فهذا الذي يُحْرق خمسين ألف لا تشُكّ أنه مجْنون فَكَيْفَ الذي يُمْضي الليالي والسهرات والأشْهر والسنوات في سفاسِفِ الأمور وفي المعاصي التي لا تُرْضي الله عز وجل والمُشْكلة أنّ بعد الموت الأمور لا تُصَحَّحُ وصَعْبَةٌ جداً قال تعالى:

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)﴾

[غافر: الآية 46]

فالقَبْر رَوْضَة من رِياض الجنّة أو حُفْرةٌ من حُفَر النار، والإنسان الذي لا يخافُ مجْنون، ذكرتُ لكم عدَّةَ مراتٍ أنَّ طالباً مُنْحَرِفاً توْجيه ديني قال لي كلِمة لما كنتُ أوَجِّهُ الطلاب توْجيهاً دينياً، أنا: لا أخاف الله فقُلْتُ له: لك الحق أن لا تخافَهُ، فقال لي: لماذا ؟ فقلت له يا ابني، إنّ الفلاح يأخذ ابنه وعُمْرُهُ سنتين إلى الحصيدة يضَعُهُ بين القمْح لو مرَّ بِجانِب هذا الطفل ثعْبان طوله خمسة أمْتار فإنّ هذا الطِّفل لن يخاف وبالعَكس سَيَضَعُ يده عليه؛ لأنَّه إذا انعدم الإدْراك انعدم الخوف، الخوف يأتي من الإدراك أما الذي لا يُدْرك لا يخاف فَكُلّ إنسانٍ لا يخاف من الله عطَّل عقْله وألْغاه ؛ هذا الذي يعيشُ لحْظته إذْ أنّ أكثر الناس تجِدُهُ يأكل ويشْرب لكنهُ لا يُدَقِّق إنْ كان هذا الأكل وهذا الدَّخْل حلالٌ أم حرامٌ، وهذه الجَلْسة هل تجوز أم لا تجوز؟! وهل هذه العلاقة صحيحة أم غير صحيحة ؟ يعيشُ لحْظته، كُتْلَةُ شهواتٍ تتحرَّك نحو إرْواء هذه الشهوات، فالإنسان إذا عَطَّل فِكْرَهُ وعاش وُجوده الحيواني ثمّ جاءَهُ ملَكُ المَوْت لم يجد الحلّ أمامه والآية تدلّ على هذا:" يوم يُكْشف عن ساقٍ.." في هذا اليوم العصيب وهذا اليوم العسير ؛ فَحالُ هؤلاء كما قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (27)﴾

[الإنسان: الآية 27]

فالإنسان إذا ضُبط بِخِيانة عُظمى لِوَطَنِه ثمّ أُلْقي القَبْض عليه ماذا ينْتظره ؟ الإعْدامُ، أليس كذلك ؟ إذا ضُبِط بِخِيانة وطَنِهِ أو خِيانة أُمَّتِهِ وهناك أدِلّة ؛ سَيُساق إلى السِّجْن وإلى المحْكمة ويُهانُ ويُشْتم ثمّ يُساقُ إلى حَبْل المَشْنَقَة، هذا يومٌ عسير، قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (27)﴾

[الإنسان: الآية 27]

فإذا مات الإنسان وكان عديمُ الاتِّصال بالله كان الأمر على أشدّ قال تعالى:

﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42)﴾

[القلم: الآية 42]

نحن الآن تنْطبق علينا الكلمات الأخيرة في الآية ؛ نحن الآن سالمون ونحن الآن أحْياء، ونحن الآن في الحياة الدنيا، ونحن الآن نسْتمع إلى الحق، وفي عُمُرنا بقِيَّة ومعنا بَحْبوحةٌ فإذا سَجَدْنا الآن ؛ هذا السُّجود ينْفعنا يوم القِيامة لذلك مَرَّ النبي عليه الصلاة والسلام بِقَبْر فقال عليه الصلاة والسلام: إنَّ ركْعَتين مما تحْقرون من تَنَفُّلِكم أنفع له من كلّ دنْياكم، ففي المحلات يقول لك: مترٌ بِمَلْيون وهذه القصور، والمرْكبات، والشركات الكُبرى، والنِّساءُ الجميلات، والبيوت الجميلة، والأرباح الطائِلة ؛ إنَّ ركْعَتين مما تحْقرون من تَنَفُّلِكم أنفع له من كلّ دنْياكم، قال تعالى:

﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43)﴾

[القلم: الآية 43]

دُعوا إلى السجود فَلَم يسْتجيبوا، لذلك يقول الكافر كما قال تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾

[الفجر: الآية 23-25]

وقال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (27)﴾

[الفرقان: الآية 27]

فالإنسانُ حينما يرى مكانه في النار يندم أشَدّ النَّدَم لذلك يتألَّمُ ويقول: يا لَيْتني فَعَلْتُ كذا وكذا قال تعالى:

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)﴾

[المؤمنون: الآية 99-100]

أرَدْتُ من هاتين الكلمتين أنْ لا نصل إلى الله من طريقٍ مسْدود ؛ ماتَ على معْصِيَة، أُناسٌ كثيرون كثيرون؛ مطْعم يبيع الخَمْر أَقْنَعَهُ أصْحابُهُ إلى درجة أنَّهُ تاب ومنع بيْعَ الخَمْر ثمّ وَجَد أنَّ الدخْل قليل وعاد عما كان عليه وبعد عشْرة أيام ماتَ على معْصِيَة بيْع الخمْر، وهذا يموت وما صلى لله أبداً وذاك يموت ومالُهُ حرام وكسْبُهُ حرام وبناتُهُ لسْنَ على ما لا يُرْضي الله عز وجل، يموتُ ومالهُ غير مشْروع، فهذه هي النقْطة الدقيقة وهي قوله تعالى:

﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43)﴾

[القلم: الآية 43]

فَنَحْنُ الآن نُدْعى إلى السجود وإلى صلاةٍ صحيحة، وأساسُها اسْتِقامةٌ صحيحة، وإلى عِبادةٍ صحيحة، وإلى ذِكْرٍ صحيح قال تعالى

﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45)﴾

[القلم: الآية 43-45]

المتينُ صِفَةٌ، فهِيَ صِفَةٌ للحَبْلِ مثلاً تقول: حَبْلٌ فُلاذي يُقاوِمُ قِوى الشدّ والقساوة تُقاوِمُ قِوى الضغْط فالشيء الذي يُقوِم قِوى الضغط اسْمُهُ قاسي فأقْسى شيءٍ بِالأرض الألْماس وميناء الأسنان بعد الألْماس، وأمْتَنُ شيءٍ في الأرض الفولاذ المضْفور لذلك المصاعد والمَرْكبات المُعَلَّقة من الفولاذ المضْفور، فقوله تعالى:" إنَّ كَيْدي متين " كأنَّ كَيْد الله حَبْلٌ متين، فهُوَ مُرْخى والإنسان طليقٌ يأكل ويشرب ويكْفر أحْياناً ويَرْتَكب المعاصي والآثام، ويتحَدى ويتَغَطْرس ويسْتعْلي على الناس كما تسْمعون في الأخبار اسْتِعْلاءٌ وغَطْرسَة وانْحِرافٌ وفُجورٌ وزِنا وشُرْب فَكُلُّ هذا ثمّ يظنُّ أنه هو إله الأرض وأنَّهُ يفْعل ما يشاء لأنَّ معه أسْلِحَةٌ فتَّاكة ونَسِيَ أنَّ كَيْد الله متين، ما معنى أنَّ كَيْد الله متين ؟ في لَحْظةٍ واحدةٍ يُشَدُّ الحَبْل فإذا هو في قَبْضة الله ويصيحُ كالكِلاب ؛ هذا هو إنّ كَيْدي متين فالإنسانُ مرْبوطٌ بِحَبْلٍ ولكنّ الحبل مرخىً فَلِأنَّهُ مُرْخى يتوَهَّم أنَّهُ لا حَبْل ! أما من فوق..، ومهْما حاول لا ينْقطع هذا الحَبْل ومهما كانَ قوِياً ومُتَمَكِّناً ومُغَطِّي لِكُلّ الاحْتِمالات إنّ كَيْدي متين، قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (15) وَأَكِيدُ كَيْداً (16) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (17)﴾

[الطارق: الآية 15-17]

فالإنسانُ في لَحْظةٍ واحدة يقع في قبْضة اله عز وجل، ومن هو الذكي ؟ الذي ينظر إلى هذا الحَبْل المَرْخي؛ يعْلَمُ أنه في رحْمة الله وفي عِلْم الله وأنَّ حركاته وسكناته كُلُّها مُسَجَّلَةٌ عليه لذلك يسْتقيم فإذا اسْتقام فَالحَبْلُ لا يُشّدّ لأنه في بحْبوحة الطاعة، قال تعالى:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً (147)﴾

[النساء: الآية 147]

مهما كُنْتَ ذكِياً فذكاؤك لا يفْعل لك شيئاً مع الله ويسْتَدْرِجُك الله ويُفْلِسُكَ ثمّ يُبْدي لك صَفْقَة تُصْبح من ورائِها مِلْيونير ؛ تنْتهي ثَرْوَتُك من خِلالها ويسْتَدْرِجُك في سَفَرٍ تقول فيه أنت: سأجْمع فيه أموال قارون فإذا بك تُفْلِسُ أشدّ الفلس، ويُمْكن أنْ يسْتَدْرِجَك إلى وضْع وتَتَحَكَمُ عليها سنوات طويلة وأنت بريء ؛ سَنَسْتَدْرِجُهُم ومع

الله لا يوجد ذَكِيّ، لا ينْفع ذا الجَدّ منك الجدّ مهما كنت ذكِياً ذكاؤك عند الله ليس له قيمة إطْلاقاً ؛ يُمْكن أن تخْسر مالك ومنصِبك ومكانتك وأهْلك وأوْلادك:

﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45)﴾

[القلم: الآية 44-45]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : تفسير الآيات 48 - 50 ، الصبر والدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أيها الإخوة الكِرام، الآيات الأخيرة من سورة القلم وهي قوله تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50)﴾

[القلم: الآية 48-50]

لو أنّ أحداً منا كان عند طبيب الأسنان وأخْبره أنَّ المُخَدِّر يُضِرّ قلبه ولا بد من قَلْع ضِرْسِه، سَيُقْلعُ الضِّرْسُ من دون مُخَدِّر وهذا لِصالحِهِ وقَنِع المريض وبدأ الطبيب ينْزعُ الضِّرس سَيَكون هناك ألَمٌ شديد ولكنّ المريض واعي ومُثَقَّفٌ وعلِمَ أنّ هذا الألم لا بدّ منه وأنّ هذا لِصالِحِه، والألم محْدود وتَعْقِبُهُ راحَةٌ فَهُوَ يصْبِرُ لِأَنَّ الأمر واضِحٌ، متى يكونُ أجرك على الصبر كبيراً ؟ حينما لا ترى الأمر واضِحاً ؛ قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)﴾

[الصافات: الآية 102]

هناك أوامر نِسْبَةُ العُبودِيَّة فيها عالِيَةٌ جداً، وهناك أوامِرٌ واضِحَةٌ نِسْبَةُ العُبودِيَّة فيها ضئيلةٌ، كلما اتَّضَحَ لك الأمر وانْجلتْ لك حِكْمَتُهُ، وعُرِفَتْ مقاصِدُهُ وكانت هذه المقاصِد لِصالِحِك تضْعُفُ في هذا الأمر درجة العُبودِيَّة لله تعالى، وكلما غابَتْ عنك الحِكمة وغاب عنك المَقْصد ورأيْتَ شيئاً يصْعُبُ تفْسيره أنت هنا بِحاجَةٍ كبيرةٍ إلى عِبادة واسْتِسْلامٍ لله، فالأوامر أنواعٌ ؛ هناك من تحْتاج إلى عُبودِيَّة كاملة وأُخْرى تحْتاجُ إلى عُبودِيَّة مُتَدَنِّيَة ؛ فالأمر واضِحٌ جداً، أنت حينما تُؤمَرُ بالزواج، فالزواجُ شيءٌ مُحَبَّبٌ جداً، أما حينما تؤمر بِتَرْك الطعام والشراب في أيام الصيف وفي الصِّيام ؛ شيءٌ لا يُحْتمل ومع ذلك أنت صابرٌ، إلا أنّ الذي ينْصاعُ لِأَمْر الله دون أنْ يفْهَمَ حِكْمَتَهُ واسْتِسْلاماً له يُكافِؤُه الله تعالى عليه بِأَجْر العُبودِيَّة ثمّ يكْشِفُ له حِكْمة الأمر، فَجَمَع بين العِلم والعُبودِيّة في وقْتٍ واحدٍ والصبر على طاعة وعن معْصِيَة وعلى قضاء الله وقَدَرِه، أحْياناً تجد أنّ مصْلَحَتَك في غير هذا الأمر ويكون هذا الأمر إلهي وقد تجد أنَّ كُلّ المتاعب تأتي من جراء تطبيق هذا الأمر الإلهي لِحِكْمَةٍ أرادها الله فلابدّ من أنَّك تصْبر لأنّ لصبر ثمن الجنّة، وكلما ضَعُفَت حِكْمة الأمر في نظرك كُلَّما بَعُدَت عنك حِكْمة الأمر وغابتْ يرْتفعُ أجْرُ العُبودِيَّة، أوْضَحُ الأمصلة: لو أنَّ أباً قال لابنِهِ: يا بُنيّ نظِّفْ أسْنانك لكي لا تُصاب بِالنَّخْر، ويا بُنيّ اجْتَهِد كي لا تكون في مُؤَخِّرة الرَّكْب ؛ الأمر واضِح، الابنُ جائِعٌ جداً والطعامُ نفيس وإخوته ووالده جالِسون المائِدة ثمّ يقول له الأب: لا تأْكُلْ ! يحْتاجُ الابن هنا

إلى أنْ يثِقَ بِأبيه، ويحْتاجُ إلى أنْ يُظْهِر طاعَتَهُ لِأبيه ؛ فالأمر بِتَنْظيف الأسْنان واضِح، وبالدِّراسة واضِح، أما الأمر بِعَدم الأكل وهو جائِعٌ، وحالُهُ الجَوْع، ولا يوجد مُبَرِّر ؛ هذا يحْتاجُ إلى اسْتِسْلامٍ، فَكُلَما اتَّضَحَتْ لك حِكْمة الأمر ضَعُف في الأمر مرْتبة العُبودِيَّة، وكلما غابَتْ عنك الحِكْمة ارْتَفَعَتْ نِسْبَةُ العُبوديَّة في الأمر، بِالمُناسَبَةُ هناك قاعِدة أُصوليَّة: الانْتِفاعُ بِالشيءِ ليس أحَدَ فُروع العِلْم به ؛ فإذا كُنْتُ أمْتَلِكُ مُكَيَّفاً وكنت أجهل جهْلاً تاماً حقيقة المُكَيِّف وعَمَلَهُ ومبْدأ عمله ؛ لا أعْرِفُ منه شيئاً إلا أنْ أكْبِس هذا المِفْتاح فإذا الهواءُ يأتيني بارِداً ؛ فالانْتِفاعُ بِالشيءِ ليس أحَدَ فُروع العِلْم به، عَلِمْتَ أو لم تعْلم فأنَّك سَتَنْتَفِعُ، كُلّ إنْسانٍ طبَّق أمْر الله عز وجل قَطَفَ ثِمارهُ ؛ لكنَّ هذا الذي يَقْطِفُ الثِّمار دون أن يعْرِف الحِكمة ؛ هذا عابِدٌ، أما الذي يقْطِفُ الثِّمار ويَعْرِفُ الحِكْمة هذا عالِمٌ، وهذا يصْلُحُ أنْ يُعَلِّمَ الآخرين، على كُلٍّ كما قال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48)﴾

[القلم: الآية 48]

شابٌّ ضَيِّقُ ذات اليَد، لا يمْلِكُ حِرْفَةً ولا بارِقَةَ عمَلٍ ولا زواج ولا عمل ولا شيء ولكنَّهُ يعْبد الله ويسْتقيمُ على أمْرِه ويغُضُّ بصَرَهُ ويصْدُق وبِالمُقابل يجد شاباً آخر كُتْلَةُ الانْحِراف والفُجور والمال بين يدَيْهِ بِلا حِساب ؛ نقول له: قال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48)﴾

[القلم: الآية 48]

هناك حِكْمَةٌ لا تعْرِفها، مُلَخَّصُ هذا الكلام: أنت حينما تُؤْمر بِطاعة أو تُنْهى عن معْصِيَة أو يأتي قضاءُ الله وقَدَرُه ينْبغي أن تصْبر، سواءٌ كانت الحِكَمُ واضِحة أو غيرُ واضِحةٍ يجبُ أن تصْبر ؛ لكنّ أجْر الصبر حينما تغيب الحِكْمة أشدّ من أجْر الصبر حينما تأتيك الحِكمة، إنَّك إنْ صَبَرْت وانْصَعْتَ لأمر الله ولم تعرِف الحِكمة يُكافِئك الله بِأنْ يُعْطيك أعلى درجات العُبودِيَّة ثمّ يكْشِفُ لك الحِكْمة، قال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50)﴾

[القلم: الآية 48-50]

سيِّدنا يونس ؛ نبِيٌّ كريم لَبِث في قومه أمداً طويلاً يدْعوهم إلى عبادة الله عز وجل ؛ لكن يبْدو أنَّهُ شَعَر أنه لن يؤمن منهم أحدٌ، نفْسُهُ انْقَبَضَتْ من إعْراضِ هؤلاء، ومن صَدِّهم عن سبيل الله ؛ فَتَرَكهم بِمُبادَرَةٍ منه فالْتَقَمَهُ الحوت، فجْأةً وجد نفْسه في ظُلُماتٍ ثلاث، يُمْكن هذه أكبر مُصيبة على الإطْلاق قبل الموت، الموتُ مُصيبة عند بعض المُفَسِّرين، أما حين الحياة فأكبر مصيبة أن تجد نفْسك في بطنِ حوتٍ أزرق وَزْنُهُ مئة وخمسون طناً وَوَجْبَتُهُ المُعْتَدِلة أربعة طُنّ، رَبْعَةُ أنْثاه ثلاث مائة كيلو غرام، ثلاث أرباع الطن، أُنثى الحوت

ترْضع ثلاث رضْعاتٍ من أُمِّها ؛ طنّ حليب، وَجْبَتُهُ بين الوَجْبَتَيْن أربعة طن سمَك، سيّدنا يونس نبيٌّ كريم يجد نفْسه فجأةً في بطن حوتٍ وفي ظُلمة البحر وفي ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت، فهل هناك من أمَلٍ ؟ بِالمُعْطيات الأرضيّة والحِسابات وبالعادات وبالمألوف وبالمعْروف ؛ الأمل صِفْرٌ، قال تعالى:

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)﴾

[الأنبياء: الآية 87]

وقال بعضهم الثناء دعاء، فما قال له: يا رب أنْقِضني ؛ إنما قال: لا إله إلا أنت وهذا الفِعْلُ فِعْلُك يا رب، وأنا مُسْتَسْلِمٌ لك، وإني كنتُ من الظالمين ؛ إذْ لو لم أكن من الظالمين لما كنت في هذا المكان، سُبْحانك: أنت مُنَزَّهٌ عن الظلم يا رب ومُنَزَّهٌ عن عملٍ بلا حِكْمة، وهناك عَدْلٌ ورحْمة، لا إله إلا أنت: هذا فِعْلُك ولا صُدْفَةَ في الأمر ؛ إني كنت من الظالمين، قال: فاسْتَجَبْنا له ؛ الآن أصْبحَ دُعاء ومعنى ذلك أنّ الثناء على الله دُعاء، سُبْحان الله دُعاء، ولا حولَ ولا قُوّة إلا بالله دُعاء، لا إله إلا أنت يا رب العالمين دُعاء، قال تعالى:

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾

[الأنبياء: الآية 87]

يدُ الله الخَفِيَّة، إلى الآن قِصَّة وإلى الآن شيءٌ وقَعَ ولن يقع مرَّةً ثانِيَة لكنَّ الذي لا يُصَدَّقُ أنَّ الله بِكَلِمَتَيْن جعلها قانوناً ينْتَفِعُ به كلّ المؤمنون إلى يوم الدِّين ؛ قال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

[الأنبياء: الآية 88]

بِأَيِّ مِصْر وعصْرٍ وبِأيِّ مكان ؛ في الأرض وفي البحر وفي الجوّ إذا كنت مؤمن تدخل في هذا الخِطاب طائِرَةٌ انْشَطَرَت إلى شطْرين وتحْمل ثلاث مائة راكب، وراكِبٌ واحد كان مقْعَدُهُ بِجانِب انْشِطارها ؛ فَوَقَعَ ونزل على غابة فوق جِبال الألد من أشْجار الأُرز، مُغُطات بِخَمْسة أمْطار من الثلج فهذه الكثافة الموجودة في الثلج ومع لُيونة الأغصان جعلت هذا الراكب يسقط واقِفاً من ارتِفاع أربعين ألف قدمٍ، الأغْصان والثلج كانتا جِهاز امْتِصاص صدمات ؛ فالله على كلّ شيءٍ قدير، وهذه الآية تُلْقي في نفْس المؤمن طُمَأنينة لا حُدودَ لها، مهما تكون مُصيبتك لن تكون أكبر من أنْ تكون في بطْن الحوت ؛ حوتٌ أزرق وفي أعْماق البحر وفي ظُلْمة الليل فإذا كان معك تِلفون خَلَوي لا يشْتغل، ماذا سَتَفْعَل ؟ قال تعالى

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾

[الأنبياء: الآية 87]

فالدُعاء ثناء وهذا الفِعْل هو فِعْل الله، لكِنَّك يا رب أنت كامل سُبْحانك أنْ تظلِم أو أن تفْعل فِعْلاً لا حِكْمة فيه، فهذا العَمَل فيه حِكمة وفيه عدْلٌ ورحْمة قال تعالى:

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

[الأنبياء: الآية 88]

فَهَذِه ليْست لِسَيّدنا يونس وحْده وإنما لِكُلّ مؤمن إلى يومِ الدّين، فكُلَّما ألَمَّتْ بِك مُلِمَّة وازِنها مع مُصيبة سيّدِنا يونس، أيَّةُ مصيبةٍ وازِنها بِبَطْن الحوت تجدها هيِّنَةٌ، ابْني مريض ولكن هذا ليس كَمُصيبة بطن الحوت، ولم أجِد بيْتاً وأجارُ البيت غالي، كلّ هذا لا يُعادِل مصيبة المكث في بطْن الحوت، لذلك كما قال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50)﴾

[القلم: الآية 38-50]

لأنه ترك قَوْمَهُ بِمُبادرةٍ منه، والعلماء تأدّبوا مع الأنبياء وقالوا: ترك الأوْلى إذْ الأوْلى أن ينْتظر، والشيء الثاني: هذه تُعَلّم الدُّعاة الصبر، مهما كان الإنسان جلْفاً فهل يمكن ونحن جالسون على السجاد يقفُ أحدُ الأشخاص ويبول فوق السجاد ؟ النبي عليه الصلاة السلام عاش مع أصْناف من مثل هذا النوع، إذْ دخل أعْرابي إلى المسْجد فبال في المسْجد أمام الصحابة فقال لهم النبي: لا تزْرموا عليه بَوْله وهو من رحمته صلى الله عليه وسلّم صُبوا عليه ذنوباً من ماء، ثمّ قال: يا أخَا العَرَب إنَّ هذا المكان ليس لِهذا إنما هو للصلاة وقِراءة القرآن، فالنبي عليه الصلاة السلام عاش مع أصْناف من مثل هذا النوع وصبر عليهم،:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50)﴾

[القلم: الآية 48-50]

بِلا عملٍ صالِحٍ لكنّ الله سبحانه وتعالى أرْسله إلى قَوْمه ثانِيَةً فاسْتجابوا له وآمنوا معه، تُعَلِّمنا الصبر والنَّفَس الطويل، فإذا دَعَوْتَ إنْساناً أوَّلَ مرَّةٍ وثاني مرّة... ثمَّ اسْتجاب وتألَّق وأصبح كلّ هذا في صحيفتك، والله أيها الإخوة عَشَراتٍ بل بضعُ عشرات من الأشْخاص في خلال دَعْوتي إلى الله يقول لي أحدهم: لا توجد معْصِيَةٌ تتصوَّرُها إلا وارْتَكَبْتُها ثمّ تاب إلى الله عليه، فلا تيْأس ولا تقْنَط من رحْمة الله ولا تكن من الذين يُقَنِّطون من رحْمة الله ويُيَئِّسون من رحمة الله، قال تعالى:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

[الزمر: الآية 53]

ثمّ قال تعالى:

﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50)﴾

[القلم: الآية 50]

علِمَ حُسن نِيَّتِه وجعله من الصالحين لِعَطائِنا، فأنت عَوِّد نفْسك أنّ هذه المُصيبة هي أشد ما في الأرض ومع ذلك نجاهُ الله منها وهي لِكُلّ مؤمن.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الحادي عشر : تفسير سورة الحاقة

الدرس (2-1) : تفسير الآيات 18 - 37 ، مصير أهل الجنة وأهل النار

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 38 - 52 ، الإيمان بالغيب

الدرس (1-2) : تفسير الآيات 18 - 37 ، مصير أهل الجنة وأهل النار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أيها الإخوة الكِرام، مع الآية الثامنة عشرة من سورة الحاقة وهي قوله تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18)﴾

[الحاقة: الآية 18]

الله عز وجل ستر الإنسان في الدنيا، له أنْ يُبْدي شيئاً وأن يُخْفي شيئاً فالإنسانُ مسْتورٌ بِسَتْر الله عز وجل أما في الآخرة:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18)﴾

[الحاقة: الآية 18]

كلّ النوايا السيّئة مكْشوفة أمام الخلق كُلِّهم وكلّ الأعمال الشّريرة مكْشوفة للخلق كُلّهم:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18)﴾

[الحاقة: الآية 18]

والناس فريقان: فريقٌ إلى الجنة وفريق إلى السعير، فأما من أوتيَ كِتابه بِيَمينِه ؛ كِتابُ أعْماله الصالحة التي فعلها في الدنيا، هذا الإنسان يشْعُر أنه فاز وأنه نجح وتفوَّق وحقَّق وُجوده الإنساني ووصل إلى أثْمن شيءٍ وهو الجنة، قال تعالى

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20)﴾

[الحاقة:الآية19-20]

ظنَّ هنا بِمَعنى أيْقَن، لماذا كان عمله صالحاً ؟ لأنه أيْقن أنه هناك حِساباً وعِقاباً ومن هو المُستقيم؟ هو الذي وضع الآخرة نُصْب عَيْنَيْه، هو الذي يُحاسِبُ نفْسه عن كلِّ كلمة ونظرةٍ وعن كل درْهَمٍ وحركةٍ، لو أنّ الله سأله ماذا يقول ؟ مادُمْتَ تُحاسِبُ نفْسك حِساباً عسيراً سَيَكون حِسابك يوم القِيامة يسيراً،:

﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20)﴾

[الحاقة: الآية 20]

هذا الفوز وهذا النجاح وهذا الفلاح وهذه الجنة التي عرْضها السماوات والأرض وهذه الحياة الأبديَّة التي لهم ما يشاؤون فيها، في الدنيا ليس لك ما تشاء قال تعالى

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39)﴾

[النجم: الآية 39]

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ (6)﴾

[الانشقاق: الآية 6]

في الدنيا هناك تعبٌ ونصَبٌ وجُهْدٌ، ولن تنالَ شيئاً إلا بِجُهْدٍ كبير، هذا نِظام الحياة الدنيا، أما في الآخرة فهي دارُ تكْريم، فالدنيا دار عمل أما الآخرة دار تكْريم والدنيا دار تكْليف أما الآخرة دار تشْريف، وفي الآخرة لهم ما يشاءون قال تعالى:

﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23)﴾

[الحاقة: الآية 23]

وقال تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20)﴾

[الحاقة:الآية19-20]

مفتاح الآية: إني ظننت أني ملاق حسابيه، حينما توقِن بِاليَوم الآخر تخْتلف كلّ تصرُّفاتك، ويخْتلف الميزان، بِميزانِ الدنيا تجد أحْياناً أنَّ إنساناً ربح خمس وثلاثون مليون فرَضاً هذا بِميزانِ الدنيا أما بِميزان الآخرة هناك حِسابٌ آخر، لا ترْقى عند الله إلا بالدَّخْل الطَّيِّب أما بِميزان الدنيا ؛ يُمْكن أنْ تعرض صورة لإنْسانٍ يلْبس بذْلة وبِجَنْبِهِ امرأةٌ فاضِحة وتُوَزِّعُها بِكُلِّ الشام من أجل أن ترفع مبيعاتِك أما بِنِظام الآخرة فلن تسْتطيع أنْ تفْعل هذا، بِمُجَرَّد أن تُدْخل ميزان الآخرة بِحِساباتك تخْتلف كلّ تصرُّفاتك وحِساباتك وأعْمالك وأقْوالك ومبادئك؛ قال تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21)﴾

[الحاقة: الآية 19-21]

الثمن:" فهو في عيشةٍ راضِيَة " يا ترى هل هي راضِيَة ظام مرضِيَّة ؟ شيءٌ يُحَيِّر ! لكن بعض العلماء قال: العيشَةُ في الدنيا إذا كانت مرْضِيَّة لا بد من أن يتْركها وذلك بِالموت أما إذا كانت راضِيَة فلا تتْرُكُهُ أبداً، بالدنيا هناك قلقٌ عميق ولكنّ الإنسان إذا تمكَّن هناك قلقُ المَوْت والمرض والمُغادرة السريعة، أما في الآخرة لسْتُ الراضي عن هذه العيشة إنما هي الراضِيَة عنك وهي التي لا تُفارِقُك:

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24)﴾

[الحاقة: الآية 21 – 24]

يقول لك: في أعْلى مُسْتوى ؛ القُصور والطعام والشراب والبساتين والجنات والحور العين والوِلْدان المُخَلَّدون ثم قال تعالى:

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

[الحاقة: الآية 23]

بلا جُهْدٍ، ففي الدنيا من أجل أن تهيئ طبق طعام تحتاج إلى ساعة ونصْف ساعة بعد الطعام لِغَسيل الأطْباق، ومن أجل أن تسْكن بيتاً هناك جُهْدٌ مُضْني للعمَل الوظيفي أو التِّجاري أو الصِّناعي أما في الآخرة قُطوفها دانِيَة لك ما تشاء وتطْلب وتتمنى، إذا دُعِيَ الإنسان إلى وليمَةٍ لا يَكْتفي أنَّ الطعام طيِّبٌ بل يتمنى أن يُرَحَّب به، هناك مُظيفين: يا أهْلاً وسَهْلاً وبارَكْتُم، هذا الكلام طيّب فإذا أُضيف إلى الطعام الطيّب أصْبح مُنْتهى التكريم ؛ كلامٌ طيّب وطعامٌ طيّب قال تعالى:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24)﴾

[الحاقة: الآية 24]

أيام الدنيا وأيام الصيام وأيام الحج وأيام القِيام وغضّ البصر وضبط اللّسان وإنْفاق المال وترْبِيَة الأولاد وتَحْجيب الزوجة وطلب العِلم ونشْر العِلم أعْمالٌ صَعْبة، قال تعالى:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24)﴾

[الحاقة: الآية 24]

هذا هو الجواب، ثمّ قال تعالى

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29)﴾

[الحاقة: الآية 25-29]

حدَّثني أخٌ يُنْشِأُ بِنايَة في أحد مصايِف دِمَشق، بِنايَةٌ مُتَمَيّزة بِجمالِها وأناقَتِها واتِّساع بُيوتها ؛ جَهَّز أوَّل بيتٍ أما الكِسْوة ففي أعلى مستوى – أنا رأيت البيت – وصاحب البيت أذْواقه عالية جداً، وأمْواله عالية جداً، فَبَقِيَ له قبل أيام مُنَظِّم الكهْرباء، يضعُهُ ثمّ يسْكن، وكان الأمر أنه وضعه ولم يسْكن، اتَّصلوا به فقالوا: لقد مات، موضوع الموت يأتي فَجْأةٍ قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29)﴾

[الحاقة: الآية 25-29]

الإنسان يتْرك أموالٌ منْقولة وغير منْقولة، ويترك حِسابات في البنوك وأمْوالٌ نقْدِيَّة في مَحَلِّه أو بيْتِه، ويتْرك بيوت ودكاكين وأراضي وأسهم سَنَدات، حجم مالي كبير:

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29)﴾

[الحاقة: الآية 28-29]

الإنسان له مكانة كبيرة، وأتْباعٌ كثيرون، ألْفُ إنسانٍ يُقدِّم له خِدمة:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ (32)﴾

[الحاقة: الآية 30 -32]

مُقَيَّدٌ ويَحْتَرِق، كُلُّ هذا لماذا ؟ قال تعالى:

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (35) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (36)﴾

غِسْلين: الماءُ المُسْتَعْمل، الماء القذِر، والماء المالح، هذا الماء يجب أن يشْربه، هناك رجل – أنا أعرف ابنه – يعْمل في تِجارة التُّحَف، دَخَلْتُ بيْتَهُ فإذا شيءٌ فوق الخيال ؛ جناح شرْقي وجناحٌ غربي، التُّحْفَة ارْتِفاعُها مِتْرين، التُّحَف الصينِيَّة ثمنها بِمِئات الأُلوف، ولِكُلِّ زاوية تُحْفة ؛ فهُوَ رجلٌ ذواقٌ، ومَيْسور الحال، مات في أحد الأيام المُمْطِرة في الشام قبل عشر سنوات جاءَتْ سبعة أيامٍ ممطِرة جداً ؛ فاض نهْرُ بردى ودخل إلى المحلات التِّجارِيَّة، مُدير معْمله يحضر عندنا في المسْجد فقال لي: أُدِيَتْ جنازته إلى المَقْبرة وفُتِح القَبْر فإذا مِياهٌ سَوْداء تجْري فيه، سئل ابنه ماذا نفْعل فقال: ضَعوهُ، مُدير المَعْمل المُوَظَّف يقول: مرَّتْ عليَّ سبْعة أيامٍ لا آكُل الطعام ولا أُصدِّق، مُعَلِّمي هنا وُضِع ! أذْواقُهُ عالِيَة جداً، نظيفٌ ومُوَسْوَس ودائِماً أثاثه من أعلى المُستوى وُضِع في قبرٍ تجْري فيه المِياه وهذا القَبْرُ مصيرُنا جميعاً، قال تعالى:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33)﴾

[الحاقة: الآية 30 -33]

تدْعوه إلى درْس عِلْمٍ وإلى حُضور درْس جمعة وإلى سماع شريط وإلى قِراءة كِتابٍ يقول لك: ليْس معي الوقت ؛ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم وفضْلاً عن ذلك: ولا يحُضُّ على طعام المِسْكين؛ يَمْنع الخير قال تعالى:

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (35) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (36) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (37)﴾

[الحاقة: الآية 35-37]

هذا مشْهد وذاك مشْهدٌ ؛ النموذج الأول ثمنه الطاعة والثاني ثمنه المعْصِيَة والأول إقْبال والثاني إعْراض والأول تصْديق والثاني تكْذيب الأول إحْسان والثاني إساءة والأول اسْتِقامة والثاني تَفَلُّت ؛ إنْ أردْتَ هذا الطريق كان لك ما تريد وإن أردتَ ذاك كان لك ذاك الطريق.

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 38 - 52 ، الإيمان بالغيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين .
أيها الإخوة الكرام، الآية التاسعة والثلاثون من سورة الحاقة وهي قوله تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39)﴾

[الحاقة: الآية 38-39]

أوّلاً ربنا جلّ جلاله إذا أقسم بِشَيءٍ فبالنسبة إلينا وإن لم يُقْسِم فبالنِّسْبة إلى ذاته العَلِيَّة وهناك تفْسير آخر وهو أنَّ الله تعالى إذا قال لا أُقسِم أيْ أنَّ هذا شيءٌ بديهي لا يحْتاج إلى قَسَمٍ فإما أنْ تفْهم معنى لا أُقسِم على هذا المعنى أو أنْ تفْهمه على أنَّ الشيءَ إذا نُسب للإنْسان فالله يُقْسِم به لِيَلْفِتَ نظرنا إليه وإنْ لم يُقْسم فَبِالنِّسْبة إليه على كُلِّ مضمون هذا القَسَم:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39)﴾

[الحاقة: الآية 38-39]

كأسُ ماءٍ صافٍ عذْبٌ فُرات لو وُضِع تحت المِجْهر لَرَأيْتَ تحت هذا الكأس الصافي الذي تشْتهيه نفْسك من الكائِنات ما لا يُصدَّق ! ولو كان بِإمْكانك أنْ ترى ما فيه لما شَرِبْتَهُ قال تعالى

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)﴾

[القمر: الآية 49]

أنت لا تُبْصر وهناك عَتَبَة رُؤْيا محْدودة وعَتَبَة سمع محدودة وعَتَبَة إدْراك محدودة فالحواسُ محدودة ؛ هناك أشِعَّة فوق الحَمْراء يُمْكن أنْ ترى بها في الليل وهناك أصْوات فوق العَتَبَة الإنسانيّة إذْ هناك صوْتٌ تُصْدِره بعض الأجهزة لا تسْمَعُهُ أنت أبداً ولكن تتضايَقُ وهناك صُوَر تراها في الظلام الدامس عن طريق أشِعَّة أنت لا تراها، على كُلِّ هذه الآية من أوْسع الآيات ؛ فأنت إذا وقَفْتَ على شاطئ بحْرٍ ماذا ترى ؟ ترى مِياهاً زرقاء فَهَل غُصْتَ في أعْماق البحر ورأيت الجُزُر المُرْجانِيَّة والحيتان ومليون نوع من الأسْماك ونباتات لا يعْلم عددها وحقيقتها إلا الله أما في باطن البحر لا تُبْصِرُ شيئاً فَهَل تُصَدِّق أنَّ هذه الطاولة مُؤَلَّفة من ذراتٍ وكُلّ ذرّة مُؤَلَّفة من نواة ؟ ومن كهارِب تدور بسُرعة حول النواة ؟ أيُّ شيءٍ تقع عَيْنُك عليه هو ذرات والذرات فيها حركة كبيرة جداً فَكُلّ ذرة عِبارة عن نواة ومسارات وكَهارِب وسُرْعات مُتبايِنَة وكُلّ ما في الكوْن أساسه عناصِر والعناصِر أساسها جُزَيْئات والجُزَيْئات أساسها ذرات ؛ كُلُّ هذا لا تراه عَيْنُك فماذا ترى أنت ؟ أنّ الشمس تُشْرق وتغيب، أما الذي لا تُبْصِرُهُ أنّ الأرض تدور حول الشمس وأيْنما ذهبْتَ إلى سطح الأرض ترى السماء من أعْلى وأما في الجنوب ففي الحقيقة أنّ السماء من أسْفل فالقُرى من هنا والبحار من هناك واذْهب

للقُطْب الجنوبي ترى السماء نحو الأعلى الماء نحو الأسفل أما الواقع السماء نحو الأسفل والماء كذلك فماذا تُبْصر أنت ؟ الحواس محدودة والله عز وجل رحْمَةً بنا جعل لنا الحواس محدودة فالأمْواج الصوْتِيَّة تتخامد ولو أنها لا تتخامد كالمَوْجة الكَهْرطيسِيَّة كُلّ أمواج البحر نسْمعها في الشام وكُلّ أصوات المعامِل نسْمعها هنا، ففي سوق النحاسين هل تحْتمل أنْ تمْشِيَ فيه ؟ لو أنّ الصوت لا يتخامد المَوْجة الصَّوْتِيَّة تسْتمرّ بِسِعَة ثابتة كالموجة الكهرطيسيّة فالأصْوات في الأرض كُلّها عندنا هنا وبذلك تُصْبح حواس الإنسان جحيماً، فالحواس محدودة:" فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصِرون " أنت لا ترى الذرة في الخشب ولا الذرة في الحجر ولا ترى ما في الماء من كائنات حيَّة بيكْتيرْيات فَهِيَ موجودة ولكنّك لا تراها، فربنا عز وجل أقْسَم بما تقع عليه حواسنا ؛ أنت إذا نظَرْتَ إلى السماء ماذا ترى ؟ وكم بالإمكان أنْ تعُدّ من النجوم ؟ العلماء قالوا عشْرة آلاف فأكْبر إحْصاءٍ للنجوم بالعَيْن عشْرة آلاف فَكَم من مَجَرَّة فيها ؟ هناك مليون مليون مجَرَّة تقْريباً وكُلّ مجَرَّة هنام مليون مليون نجْمٍ فاثْنى عشر صِفْر مع اثْنى عشر صِفر هو تقْديرٌ مبْدَئي لِما في الكَوْن من كواكب ونجوم فماذا ترى العَيْن من هذا الكَمّ الكبير ؟ عددٌ قليل، فحَواسُنا محْدودة لِذلك قالوا: عدم وِجْدان لا يَدُلُّ على عدم الوُجود ؛ ففي جَوّ هذا المسْجد هل تَرَوْنَ شيئاً ؟ لا ترى شيئاً ولكنَّك إذا أتيْتَ بِمِذْياع واسْتَقْبلت به المحطات تجد هناك بثٌّ لإذاعة لُنْدن وبثٌّ لإذاعة دمشق وبثٌّ لإذاعة الشرق لكنّك لا ترى شيئاً بِعَيْنِك فَهُناك أمْواج إذاعِيَّة وأمْواج تِلِفِزْيونيَّة وهناك في أعْماق الجِبال مُسْتَوْدعات المِياه وفي أعْماق الأرض سائل ناري كُلُّ هذا لا تراهُ عَيْنُك، أنت إذا نظرْت إلى جِلْدك ماذا ترى ؟ جِلْد ناعم ولطيف و جميل فهل ترى الخلايا ؟! لو كبَّرْتَ سطح جِلْدِك لَرَأَيْتَ جِبال وَوِهاد وتِلال وصُخور وكُهوف ؛ هناك بعض المجاهر الإلِكْترونيَّة تُكَبِّر ثلاثمائة ألف مرَّة فَسَطْحُ الشَّعْرة تراهُ خَشِناً ومَوْضِع البصلة تراها مثل الكُهوف فأنت لا ترى شيئاً بل الظاهر البسيط فَرَبُّنا عز وجل يلْفِتُ النظر في هذه الآية إلى ما في هذا الكَوْن من عجائِب ؛ وهل ترى البتْرول ؟ يُقال لك: كُلّ يوم هناك أربعة مائة ألف برْميل ومن خمْسين سنة ولا يزال هناك اِحْتياطي لمائة سنة قادِمَة كُلّ يوم أربعة مائة ألف برْميل فأين هذه المُسْتَوْدعات ؟ قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39)﴾

[الحاقة: الآية 38-39]

وقال تعالى:

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)﴾

[طه: الآية 6]

ثروات تحت الثرى ومعادن ونفائِس وفُسْفات وبِتْرول ؛ أنت ماذا ترى ؟ لا ترى شيئاً لذلك عدم وِجْدان لا يَدُلُّ على عدم الوُجود والله عز وجل أعْطاك حَواساً وأعْطاك عَقْلاً مع الحواس وهذا العَقْل من أجْل أنْ تكشِف به الحقائق ما هو جواب القَسَم في قوله تعالى

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40)﴾

[الحاقة: الآية 38-40]

فالذي أنْزل هذا القرآن هو الذي خلق ما تُبْصِرون وما لا تبصِرون قال تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)﴾

[الأنعام: الآية 1]

وقال تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (1)﴾

[الكهف: الآية 1]

فَالكَوْنُ كلُّه في كَفَّة والقرآن في كَفَّةٍ والكون خلْقُهُ والقرآن كلامه فَجَواب القَسَم: هذا ليس كلامَ البشَر وليس كلامَ محمد عليه الصلاة والسلام وليس من صِياغة البشر إنما من خالق البشر

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40)﴾

[القلم: الآية 38-40]

إنه– القرآن – لقول رسول كريمٍ، وكلام النبي الذي أوْحى الله به إليه قال تعالى:

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (41)﴾

[الحاقة: الآية 41]

هل هذا شِعْر ؟ هذا ليس بِشِعْر

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (42)﴾

[الحاقة: الآية 42]

فَما هو إذاً ؟ قال تعالى:

﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (43)﴾

[الحاقة: الآية 43]

هذا هو تعْريف القرآن ؛ الذي خلق السماوات والأرض نزَّل على محمد هذا الكِتاب،ولن نسْعَدَ ولن نسْلَمَ ولن نفْلحَ ولن نرْقى إلا إذا فهِمْناهُ وطبَّقْناه ؛ تنْزيلٌ من رب العالمين كُلّ ما في المَكْتبات في العالم في كَفَّةٍ وهذا الكِتاب في كَفَّة لأنَّ فضْل كلام الله على فضْل كلام خلْقِهِ كَفَضْلِ الله على خلْقِهِ فهذا كلام الخالق والمُبْدِع وكلام الإله وكلامُ رب العالمين لا يأتيه الباطل لا من بين يدَيْهِ ولا من خلْفِهِ فهو كما قال تعالى:

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (42) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (43)﴾

[الحاقة: الآية 40-43]

لو تَصَوَّرْنا أنَّ النبي جاء من عِنْدِهِ ألا يتدَخَّلُ الله تعالى ؟ إذا ادَّعى إنسانٌ أنه رسول الله وهو ليس كذلك ألا يتدَخَّلُ ربنا عز وجل ؟ وهل يسْمح أنْ يوهِمَ الناس أنه رسول الله ؟ مُسْتحيل قال تعالى:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44)﴾

[الحاقة: الآية 44]

لو قال شيئاً ما أنْزلْناهُ عليه وما أوْحَيْناه عليه قال تعالى

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47)﴾

[الحاقة: الآية 44-47]

فما مصير من يجْرُؤُ على الله ويدَّعي أنه رسول الله ؟ يُقْتل ويُكَذَّب والله تعالى قال:

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً (51)﴾

[الكهف: الآية 51]

يسْتحيل على الله أنْ يدْعَمَ إنْساناً كاذِباً ومُفْتري ويهيئ سُبُلَ النجاح قال تعالى:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47)﴾

[الحاقة: الآية 44-47]

بِشِدَّة ولَبَطَشْنا به ثم قال تعالى:" ثم لقطعنا منه الوتين " أنْهَيْنا حياته ثم قال تعالى:" فما منكم من أحد عنه حاجِزين " من يحول بينك وبين الله ؟ لا أحَدَ، ومن ذا الذي يجْرُؤ إذا أراد الله بإنْسانٍ شيئاً أن يحول بين مشيئة الله وهذا الإنسان:" فما منكم من أحد عنه حاجِزين " ثم قال تعالى

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48)﴾

[الحاقة: الآية 48]

هو تَذْكرة لأنّ الإنسان مُجَهَّز بِعَقْلِهِ وفِطْرته أن يؤمن بالله والقرآن تذكرة مُجَهَّز بِعَقْلِهِ وفِطْرته أن يؤمن بالله ولكنّ القرآن جاء لِيُذَكِّر لا لِيُحْدِث شيئاً لم يكن من قبل بالأساس مؤمن بِعَقْلِك وفِطْرتك لكنّ القرآن للتذْكرة قال تعالى:

﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (49) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (50) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52)﴾

[الحاقة: الآية 48-52]

نحن أحْياء الآن وقلبنا ينبض وفي العُمُر بقِيَّة وهو بين أيْدينا فإذا قرَأْناه واتَّبَعْنا ما فيه سَعِدْنا أما الذي يُهْمِلُهُ فالوَيْلُ له كَمَثَلٍ للإيضاح فقط: هناك جِهاز يكْشِف زيتَ العُمْلات مُمكن أن تبيع كلّ ثَرْوَتك بِعُمْلَةٍ أجْنَبِيَّة وتقْبِضُها ولا تُدَقِّقُ بِمِصْداقِيَتِها ومعك جِهازٌ في جَيْبِك ! لك أن تسْتعْمِلَهُ وتكْشِف زَيْفَها من صِحَّتِها ؛ ثمّ فوجِئتَ أنّ كلّ هذه العُمْلة مُزَوَّرة وهي تُساوي كلّ ثَرْوَتِك سَتكون لك كالصاعِقَة، لذلك الكِتاب بين أيْدينا فيه الدلالة والإرشاد والهدى والبيان وهو كِتاب الله المُبين وحبْلُهُ المتين وهو العِصامُ الذي يعْصِمُ المؤمن قال تعالى

﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (50) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51)﴾

[الحاقة: الآية 50-51

الحق هو الشيء الثابت واليقين هو القَطْعي فالله تعالى قال في كِتابه:

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)﴾

[ابراهيم: الآية 27]

فالقول الثابت هو هذا الكِتاب لا يتبَدَّل ولا يتغَيَّرُ ولا يُعَدَّلُ ولا يُضافُ عليه ولا يُحْذَفُ منه كمالٌ مُطْلق كلام رب العالمين:

﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52)﴾

[الحاقة: الآية 51-52]

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني عشر : تفسير سورة المعارج

الدرس (2-1) : تفسير الآيات 19 – 22 ، ضعف المخلوق

بسم الله الرحمن الرحيم

المعنى الحقيقي وراء مفهوم الخوف :



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أيها الإخوة الكرام ؛ الآية التاسعة عشرة من سورة المعارج ، وهي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * ﴾

[سورة المعارج الآية : 19-22]

كلمة الإنسان أيْنما وردت في القرآن مُعَرَّفَةً بِأَلْ فهي تعْني الإنسان قبل أنْ يعرف الله ، الإنسان قبل أن يتَّصِل به , وقبل أنْ يُطيعهُ ما طبيعَتُهُ ؟

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾

شديد الهَلَع : يخافُ كثيراً .

﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ﴾

جذوع على وزن فعول , وهي صيغة مُبالغة أيْ كثير الجَزَع .

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾

لي صديق يعْمل في الطيران , فقال لي كنا في رحلةٍ إلى باريس , وإذا بالطائرة تدخل في سحابةٍ مُكَهْربة في الشتاء , فَقُطِعَ رأسها الأمامي مكان الرادار , وكُسِرَ بِلَّوْر كبير وتعَطَّلت بعض الأجهزة , وكان سُقوط الطائرة مُحَقَّقاً ، رُبان الطائرة أعطى أمر بالهُدوء , والركاب بِوَضْعٍ مُخيف , ومنهم من يضْرب رأسه , ومنهم من يصيحُ بِوَيْلِه , ومنهم من يذكر أولاده لأن الموت مُحَقَّق ، وحركة الركاب , وضجيجُهُم يُسيء إلى سلامة الطيَران , فأعطوا لهم أمراَ من جديد , ثمّ اضْطر إلى إعْطاء أمر إلى أحد الركاب لِيُهَدِّأهم , فما وجدوا أحداً يُصْغي من شِدَّة الهَلَع , وبالنِّهاية وَجَدوا رجلاً هادِئاً , ومُغْمِض العَيْنَيْن فَتَوَسَّموا فيه الخير لعلَّهُ يقف وينصح الركاب بِالهُدوء , فلما وصلوا إليه وجدوهُ مُغْماً عليه من شِدَّة الخوْف ؛ وهذا معه مرضٌ خبيث , وقال له

الطبيب : اِنْهِ مُشكِلاتك وصَفِّ حِساباتك وودِّع أوْلادك إذْ معه ثلاثة أشهر على الأكثر ، ثاني يومٍ ماتَ لأنَّهُ ما تحَمَّل هذه المُدّة فماتَ .

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾
[سورة المعارج الآية : 19-22]

وهناك أشْخاص يَرْجِفون عند الخوف , وآخرون يخْتلّ توازُنُهم , ومنهم من يُفْرِغ مثانته .

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ﴾


خوف الإنسان في أصل خلقه

فهل هذا ذَنْبٌ له ؟ لا ، هذا ضَعْفٌ في أصْل خلْقِهِ , وهو لِمَصْلَحَتِهِ ؛ كيف ذلك ؟ الذي معه أجْهزة إلِكْترونية غالِيَة جداً , وكُلفة الجِهاز بالمَلايين ، يجد هناك ما يُسمى بالفيوز ، فما هي الفيوز ؟ وصْلة كهْربائية ضعيفة جداً , فإذا جاء التيار بِقُوَّة مائتين وأرْبعين يحدث هناك احْتِراق وينْقطع التيار فَبَدَل أنْ ينْعطِب الجِهاز ينْعَطِب الفيوز الذي لا تزيد كُلْفَتُهُ عن ليرتين , فهذا الفيوز نُقْطة الضَّعْف بِالجِهاز فهي لِمَصْلَحتِه ، لذلك الضعف في أصل خلق الإنسان مصْلحته كلما لاح له شَبَح مُصيبة لجأ إلى الله وتاب إلى الله , وأقبل إلى الصلاة وأصْلح نفسه , وراجع حِساباته .

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ﴾


الخوف يفضي إلى التوبة والاصطلاح مع الله

لو أنّ الله خلقه , ولم يجْعل فيه الخوف لن يتوب , ولا يصْطَلِحُ مع الله , ولا يُطَبِّق المنهج , ولا يلْتجِئُ إلى الله , لأنه قوي , وفي الحالات النادرة .

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى ﴾
[سورة العلق الآية : 6]

فهو إذا رأى نفْسه غنياً يطْغى ؛ مالٌ , وصِحَّة, ومنْصب رفيع , وسَيْطرة .

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى ﴾

الهَلوع ، الجذوع , هذه صِفَةٌ خلْق في الإنسان , ولكنها لِمَصْلَحَتِه , ومن أجل أن تُلْجِئَهُ إلى الله ، كان عليه الصلاة والسلام إذا حَزَمهُ أمرٌ سارع إلى الصلاة ؛ من أجل أنْ يتذكَّر الله عز وجل , فالإنسان إذا كان بِأَعلى درجات الصحَّة يشْعر بِكُتلة في جِسْمِه يزْداد حجْمُها , فإذا صلى , وقام الليل , ودعا الله , وقرأ القرآن , ويحضر درس علم ، كلُّ هذا الخَوْف هو سبب نجاتِهِ , وتَوْبَتِه , وإقْباله على الله ، كُلّ هذه الخصائص التي اخْتصها للإنسان هي لِمَصْلَحة الإنسان ؛ حالات كثيرة للتَّوْبة أساسها الخوف من المُصيبة , والإفْلاس , والخوف من مرض خبيث , وخوفٌ من فقْدِ حُرّيَة , وخوفٌ من تدْمير المال .

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * ﴾

[سورة المعارج الآية : 19-22]

العمل الصالح تجارة رابحة :

الأمر الثاني هو:

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾

[سورة المعارج الآية : 21]

فإذا كان معه مالٌ تجِدُه حريصاً على عدم إنْفاقه , وحريصٌ على كنْزِهِ وتَنْمِيَتِه والسبب أنَّ المال مُحَبَّب ، لماذا جعل الله الإنسان يُحِبُّ المال ؟ من أجل أنْ يرقى إلى الله إذا أنْفَقَهُ , شيءٌ محْبوب .

فإذا أعْطَيْتَ لِشَخْصٍ خمسة آلاف , فالمال مُحَبَّب لأنك به تأكل وتشْرب , وتلْبس , وتتنزَّه , وتُحَسِّن به بيْتَك, وتُحَقِّق وُجودك به , فأنت اِقْتطَعْته من حاجاتك وبذَلْتَهُ لِوَجْه الله ، ولولا أنَّ الإنسان يُحِبُّ المال في أصل خلقه لما ارْتقى بإنْفاقِه والدليل قوله تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾

[سورة آل عمران الآية : 14]

ولولا أنك تُحِبّ أن ترى امرأةً جميلةً لما كان هناك ارْتِقاءٌ بِغَضّ البصر عنها إذْ أنَّها مُحَبَّبَة , فَحِين تغضُّ بصرك عنها ترْقى إلى الله , وتكون ممن عاكسَ شَهْوته ، ولولا أنك تُحِبّ المال لما ارْتَقَيْتَ في إنْفاقِه , فهاتان الصِّفتان الخوف , والضَّعْف , والحِرْص الخوف من خطرٍ والحِرْص للخير قال تعالى :

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ﴾

بعد أنْ يعْرف الله , ويتَّصِل به يُصْبح مُتَوَكِّلاً عليه , وإذا أردْتَ أنْ تكون أقْوى الناس فَتَوَكَّل على الله , وبعد ما ترى ما عند الله من خير تُنْفِقُ بِسَخاء , فَشِدَّة الجزع , وشِدَّة الحِرْص دليل عدم معْرفة الله إذْ بعد المعْرفة تُصبِحُ شُجاعاً , وثابت الجنان , ومُتوازِناً , وقوراً , ومُنْفِقاً للمال بِسَخاء ، قالت السيّدة عائِشَة عن سيّدنا عَوْف:

((أخْشى أنْ يدخل الجنّة حَبْواً فلما بلغه ذلك قال : والله لأَدْخُلَنَّها خَبَباً وماذا عَلَيَّ إذا كنتُ أُنْفِقُ مِئَةً في الصباح فَيُؤْتيني الله ألفاً في المساء ؟!.))

وهذا سيّدنا عثمان جاءَت سِتّ مئة ناقَةٍ مُحَمَّلَةٍ بِضاعَةً من الشام مما يُعادل ستّ مائة شاحنة معَمّرة بالبضائع , وكان من الأغْنِياء رضي الله عنه , وكان ذاك العام عامُ مَجَاعة ؛ ربَّحوه عليها بالمائة عشرة وعِشْرين , حتى بالمائة خمس مائة فَدُفِع أكثر فلما يَئِسوا منه قال : هي لِوَجْه الله لِأهل المدينة لأنّ الله وعدني بالحسنة عَشْر أمْثالها .



فالإنسان بعد أنْ يؤمن وبعد أنْ يعرف الله يُصبح يُحِب المال لِيُنْفِقَهُ لا لِيَخْزِنه ؛ مُحَبَّبٌ بِإنْفاقِه والعلماء قالوا : من أجل أن تعرف ما إذا كنت من أهل الدنيا أمِن أهل الآخرة ؛ أهل الدنيا يُحِبون أخْذ المال , وأهل الآخرة يُحِبون إنْفاقه , وهذا هو الأرْيَح الذي يرْتاحُ للعطاء فهذه الآية :

﴿ إنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾

تَصَوَّروا إنْساناً أراد أنْ يُهاجِر من بلَدِه , وكان طُموحُه أنْ يكون بِبَلَدٍ مُعَيَّن الأمور مُيَسَّرو والبيوت رخيصة , والتجارة سهْلة , والمناظر جميلة , والأرباح طائِلة , فإذا به يبيعُ بَيْتَهُ , ومعْمَلَهُ وحوَّلَ كُلّ أمْلاكِه إلى بلد الذي يطْمحُ أنْ يصِل إليه فَمَن قدَّم ماله سَرَّهُ اللحاقُ به فإذا كان للواحد منا ملايين في بلدٍ أجْنبي ولا شيءَ معه في بلدِهِ سَتَكون أصْعبُ لحظاته حين ركوبه الطائرة للذهاب لِمالِهِ فَهُناك يشْتري الفِلات , والبيوت , والمَرْكبات ، والمؤمن حينما يُرْسِل ماله أمامه إلى الآخرة يُسِرُّه اللحاقُ به , أما إذا كان لإنْسانٍ كلُّ مُكْتَسَباته ؛ بيْتٌ فَخْمٌ , وزينة , وتركيب , ومكاتب , ومرْكبات تُصْبح الموت عليه كالجبل .



قالوا : لماذا نَكْره الموت ؟ قال : لأنكم عَمَّرْتم الدنيا وخَرَّبْتم الآخرة , والإنسانُ يكْرهُ أنْ ينْتَقِل من عمار إلى الخَراب ، إذا سَكَّنا شخْصاً بالمالكي أربعة مائة متر ؛ تكييف وتدْفئة وفرْش وتزيين , وكلُّ شيءٍ جميل , فإذا أسْكَنْتَه تحت الأرض بِبَيْتٍ فيه غُرْفة ! فالإنسانُ يكْرهُ الموت لأنَّ لا عَمَلَ له صالح ويكره الموت لأنه عَمَّر الدنيا , وخَرَّب الآخرة , ويكره الموت لأنه ما قدَّم ماله أمامه ، أصعبُ شيءٍ المُغادرة .

لي صديق كان معه شخْصٌ عنده مرض في قلبه فقال لي , لقد كان مُتَألِّماً وسأقول لكم – سامِحوني – عِبارته : قال له : بنْتُ هذا الحرامي – على زوْجَتِه – غداً أموت وسَتَتَزَوَّجُ ؛ لأنَّهُ رأى مصيره حتى ركَّزَ هذا البيت وأفْرَشَهُ , فإذا مات وزوْجَتُهُ شابة تتزوَّجُ آخر على سِنِّها فإذا دخل ذاك الزوْج البيت وَجَدَهُ جاهِزاً ، فالإنسان إذا لم يكن له عملٌ صالح ينْسَحِقُ سَحْقاً أما الذي بِكَفَّتِهِ أعْمالٌ صالحَة قالت له : واكرْبتاهُ فقال : لا كَرْبَ على أبيك بعد اليوم غداً نلْقى الأحِبَّة محمداً وصَحْبه فاجْهَد إذا جاءَك ملَكُ الموتِ أن تمون أسْعَدَ الناس وأنْ تضْحك وحْدَك ومن حَوْلك يبْكون اِجْهد أنْ تضْحك وحْدك ، الأعمال الصالحة .

إخْواننا الكِرام ؛ ضبط الجوارح , وضبط اللسان , وغضّ البصر , وإنْفاق المال وذِكر الله عز وجل , وطلب العلم وتعْليم العِلم , هذه كُلُّها بِضاعة الآخرةِ فمن أكثر من هذه البِضاعة سَرَّهُ الذهاب إليها ومن قلَّل من هذه البِضاعة يكون قد آلمه جداً ترْكُ الدنيا .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 19-35 ، أثر الصلاة في المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين .
أيها الإخوة الكِرام، مع الآية الثانية والعِشرين من سورة المعارج والتي بعدها وهي قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)﴾

[المعارج: الآية 19-22]

شرحْتُ في الدرس الماضي أنّ الإنسان فيه ضَعْفٌ خلقي في أصل خلقِه لِمَصْلَحته ؛ خلقه ضعيفاً لِيَفْتَقر إليه فَيَسْعَد بافْتِقاره إليه ولو خلقه قوياً لاعْتَدَّ بِقُوَّتِه واسْتَغْنى بها فَشَقِيَ باسْتِغْنائِه وهذه الصَّفة الهلوع ؛ كثير الجزع شديد الحِرْص ؛ لأنَّهُ شديد الحِرص يرْقى إذا أنفق المال ومن شِدَّة الجزع إذا لاحَ له شبحُ مصيبةٍ أسرع إلى باب الله عز وجل فَسَبَبُ الإقْبال إلى الله والرُّقِيّ إليه هي هذه الصِّفة التي هي ضَعْفٌ في أصْل خلقه ؛ إلا أنَّ الله تعالى اسْتثنى المُصَلين قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)﴾

[المعارج: الآية 19-22]

وأنا في طريقي البارحة للخروج من هذا المسْجد اسْتَوْقَفني أخٌ كريم وقال لي الناسُ كلُّهم يُصَلُّون وهم يجْزعون ويحْرِصون على المال ولا يُنْفِقون والجواب أنَّه ليس كل مُصَلٍّ يصلي ! إنما أَتَقَبَّلُ الصلاة ممن تواضع لِعَظَمَتي وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي وأطعم الجائع وكسى العريان ورحم المصاب وآوى الغريب كل ذلك لي وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس على أن أجعل الجهالة له حلما والظلمة نوراً يدعوني فألبيه ويسألني فأعطيه ويُقسم عليَّ فأبره أكلأه بقُربي وأستحفظه ملائكتي مثله عندي كمثل الفردوس لا يُمسّ ثمرها ولا يتغيَّر حالها.

الآية الكريمة يقول فيها تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)﴾

[المعارج: الآية 19-22]

كلمة إنسان كم تُغطي ؟ تُغَطي خمسة آلاف مليون، أضِف لهذه الكلمة صِفَة واحدة ؛ إنسانٌ مُسْلِم، تجد أنَّ الرقم نزل من خمسة آلاف مليون إلى مِلْيار ومائتين، بِكَلِمة واحدة طارَتْ أربعة أخْماس وإذا أضَفْتَ كلمة ثانية ؛ إنسانٌ مسلِمٌ عربي ؛ مائتان مليون فَمِن مليار ومائتين إلى مليار، طيِّب إذا قُلت: إنسانٌ مسلم عربي مُستقيم... كُلُّ صِفَةٍ تُضاف على المَوْصوف هي قَيْدٌ له وتُضَيِّقُ دائِرَتَهُ، الآن اسْمعوا الآية:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)﴾

[المعارج: الآية 19-22]

كُلّ واحدٍ قال: الله أكبر فَهُوَ مُصَلي، ثم قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23)﴾

هذه أوَّلُ صِفة ثم قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)﴾

ضاقَتْ:

﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26)﴾

ضاقَت أكثر:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35)﴾

[المعارج: الآية 26-35]

إذا تَوَفَّرَتْ في المُصَلي كُلّ هذه الصِّفات فهو ممن تعْنيه الآية وتَشْمَلُهُ شرْطَ تَوَفُّرِها فيه، لذلك المُصيبة الكبيرة أنَّ الإسلامَ منهَجٌ كامل في كُلِّ شؤون الحياة، وهذا المنهج مُسِخَ إلى خمْس عِبادات ؛ تُصَلي وتصوم وتحُجّ وانتهى الأمر أما في التعاملات والبيع والشِّراء والعلاقات العامة تَفَلُّتٌ والمنهج كبيرٌ جداً وهو منهج تَفْصيلي لِكُلّ حركاتك وسَكَناتك فهذا هو الشيء المُهِمّ جداً.

أيها الإخوة هناك تَوَهُّم ؛ أنَّ الدِّين بِالمَسْجد، الشركات الكُبرى لَدَيْهِم مندوبو مبيعات، يأتي للمَكْتب الساعة الثامنة والنِّصْف يتلَقى التَّعْليمات ثمّ يُغادِر ثمّ يأتي أوَّل الشهر ويَقْبِض معاشَهُ فَعَلاقَتُهُ بِالشركة تَلَقي التعْليمات وقَبْض الراتب ؛ أين عملُهُ ؟ في الحقول والأسْواق ويُسافر، كذلك المسجد تتلقى منه التعْليمات وبالصلاة تقْبض الجائزة، أما الدِّين أين هو ؟ بِالبَيت والدُّكان والعمل والمكتب المُحامي وعِيادة الطبيب والمكْتب

الهندسي وبِالأسْواق وبالبَيْع والشِّراء ؛ هنا الدِّين، ولا يبْدو الدِّينُ صارِخاً إلا في التعامُلات والدِّينُ المُعاملة فأنت تتلقى التعليمات بِالمَسْجِد في الخُطَب والدروس وحينما تأتي لِتُصَلي تَقْبُض جائِزة من الله، إذا تمَثَّلْت أوامر الشرع سَتَشْعُرُ بِحالٍ مع الله في الصلاة لم تكُن تشْعر به من قبل، فأما أنْ يمْسخ الدين إلى خَمْس عِبادات ؛ لا، النبي عليه الصلاة والسلام قال:" بني الإسلام على خمس " هل الإسلام هذه الخَمْس أم البِناء الذي فوقهُ ؟ هذه دعائِم فالعِبادات دعائِم أما الأصل البناء الأخلاقي، فيا إخواننا الكرام، ما لم تتفَقَّه في الدين وتعْرف الحلال والحرام وما ينْبغي وما لا ينْبغي وما يجوز وما لا يجوز، في كَسْب المال، في إنْفاق الطعام، في تناوُل الطعام في علاقتك بِزَوْجَتك وأوْلادك وجيرانِك، في بَيْعِك وشِرائك وكلامك، في لَهْوِكَ وفرَحِك وحُزْنك، وفي اتِّصالاتك وحفلاتك والمآتم والأفراح، وفي السفر والحضر ؛ منهجٌ كاملٌ، فالمُسلم يُطَبِّق منهج الله عز وجل بِكُلّ حذافِرِه وتَفْصيلاته كيْ يكون من المُصلين ويقْبض الأجرة في الصلاة، ذَكَرْتُ مرَّةً أنّ هناك عِبادات تعامُلِيَّة وهناك عِبادات شعائِرِيَّة، فالصلاة والصوم والحج كُلُّ هذه عِبادة شعائِرِيَّة، أما العبادة التعامُلِيَّة أن تكون صادِقاً وأميناً وعَفيفاً فإذا طَبَّقْتَ العِبادات التعامُلِيَّة صَحَّتِ العبادات الشعائِرِيَّة ؛ لذلك من حَجَّ بِمالٍ حرامٍ يُناديهِ مُنادٍ في السماء: أنْ لا لَبَّيْتَ ولا سَعْدَيْتَ وحَجُّكَ مرْدودٌ عليك، من لم يَدَع قول الزور والعمل به فَلَيْس لله حاجَةٌ في أنْ يدع طعامه وشرابه ؛ هذا حديثٌ آخر، قال تعالى

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا﴾
﴿ يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54)﴾

[التوبة: الآية 54]

فالإنسان كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23)﴾

[المعارج: الآية 19-22]

في ما بين الصلاتين بالدعاء والاسْتِغْفار والتسْبيح والحمْدُ والثناء فهُو دائِماً يذكر الله عز وجل أو يُذَكِّر العِباد بالله عز وجل فيما بين الصلوات ؛

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28)﴾

[المعارج: الآية 23-28]

فهُوَ يُدْخل الآخرة في حِساباته اليَوْمِيَّة فأَيُّ كلِمَةٍ يتفَوَّهُ بها وأيُّ علاقة يُقيمُها ينتظِر أنْ يسْأله الله عنها ؛ يَغْضِها على ميزان الآخرةِ هل هي تُرْضي الله أم لا تُرْضيه ؟ قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29)﴾

[المعارج: الآية 27-28]

يغُضّ بصره ويضْبط لِسانه ؛ العَيْنُ تزْني وزِناها النظر والأذن تزْني وزِناها الاسْتماع، واللسان يزْني واليد تَزْني والرِّجْل تزْني وهناك الزنا الفاحِش قال تعالى:

﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35)﴾

[المعارج: الآية 30-34]

إذاً ليس كُلّ مُصلٍّ يُصلي، يجب أنْ تُصلي وتُقيم تفاصيل منهج الله تعالى حتى يكون للصلاة عندك معنى.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث عشر : تفسير سورة الجن

الدرس (4-1) : تفسير الآية 13 ، جزاء الاستقامة على أمر الله

الدرس (4-2) : تفسير الآية 15 ، حكمة الله في الرزق

الدرس (4-3) : تفسير الآية 18 ، فضل المكوث بالمساجد والدعوة فيها

الدرس (4-4) : تفسير الآية 21

الدرس (1-4) : تفسير الآية 13 ، جزاء الاستقامة على أمر الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثالثة عشرة من سورة الجنّ، وهي قوله تعالى حِكايَةً على لِسانِ الجنّ:

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا(13)﴾

[الجن: الآية 13]

أيْ لا يخافُ أنْ يُغْلب ولا يخاف أنْ يُجْهَد، لن يرْهَق، ولن يُظلم ؛ هذا كلامُ الله عز وجل، فإذا آمنْتَ بالله واسْتَقَمْتَ على أمْره لا يُمكن أنْ يكون العاصي أنْجَحَ منك، ولا أفْلح منك، ولا أشَدَّ فَوْزاً منك، ولا أعْقَلَ منك إنَّكَ إنْ آمنْتَ بالله عز وجل لن يُضَيِّعَ عملك، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (8)﴾

[الزلزلة: الآية 7-8]

عملك محْفوظٌ، والأعمال الصالحة مهما دَقَّتْ لها حِسابٌ دقيق عند الله والأعمال السيِّئة مهما صغُرتْ لها حسابٌ دقيق عند الله، مركز الثِّقل في الآية ؛ فلا يخاف بخْساً ؛ أنْ يُبخس حقُّه ولا يُعْطاه، وأن يكون في المؤخِّرة، وأنْ يكون قد أطاع الله وخَسِر ؛ هذا مُسْتحيل ! كُلُّ شيءٍ ضَحَّيْتَ من أجْله يُضاعِفُه الله لك أضْعافاً كثيرة قال تعالى:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)﴾

[البقرة: الآية 245]

أَرَدْتَ الزواج من فتاةٍ مُتَفَلِّتة رائِعَةُ الجمال، وفتاةٌ مُلْتَزِمة أقلّ منها جمالاً فأنت اِخْتَرْتَ الأقلّ لِدينها، الله عز وجل يُعَوِّضُك عن الفَرْق في الجمال طِيبٌ ووفاءٌ وخيرٌ وأوْلادٌ نُجباء، وحياة مُسْتَقِرَّة وهُدوءٌ نفْسي لا يعْلمه إلا الله، أما لو آثَرْتَ حظَّ نفْسك واخْتَرْتَ البارعة في الجمال مع رِقَّةٍ في دينها فقد يكون البيتُ جحيماً، وقد يكون الشِّقاق مُستَمِراً وقد تكون النتائِج على خِلاف التَّوَقُّعات ؛ مُستحيل أنْ تُؤْثِرَ جانب الله عز وجل في أيِّ شيء عُرِضَ عليك عملٌ بِدَخْلٍ كبير إلا أنَّهُ مشْبوه فقد تكون البِضاعة مُحَرَّمة أو الأساليب مُحَرَّمة، أو هذا العمل في جُمْلَتِهِ لا يُرْضي الله عز وجل، أو اخْتَرْتَ عملاً أقَلَّ دخْلاً لكنَّهُ صحيح وفيه خير للناس فحينما اخْتَرْتَ الأقلّ دخْلاً مؤْثِراً طاعة الله عز وجل وخِدْمَةَ عباده ينْبغي أنْ لا تخاف أنْ يبْخَسَكَ الله حقَّك، هذا الدَّخْل القليل فيه برَكَةٌ كثيرة وفيه رِضْوان الله تعالى، ثمَّ يُعَوِّضُ الله عليك ما فاتك أضْعافاً مُضاعَفَة، أردتُ أنْ أقف على هذه الآية ؛ فمن يؤمن بربِّه فلا يخاف بخْساً أنْ يُبْخسَ حقُّه وأنْ يُؤخذ من حقِّه ولا يُظلم، ولا رَهَقَاً أنْ

يُحَمّله الله ما لا يُطيق لأنَّ الله تعالى لا يُكَلّفُ نفساً إلا وُسْعها بل إنَّ الله تعالى يُعينك على طاعَتِه ألا تقول في كُلِّ صلاة إياك نعبد وإياك نسْتعين ؛ أنت إنْ أردْتَ الطاعة وَفَّقَك الله إليها وإنْ أردتَ إنْفاق المال أعْطاك مالاً لِتُنْفِقَهُ، وإن أردتَ مُعاوَنَة الخلق ألْهَمَك فالفِعْلُ فعلهُ والطلب طلبك، تطلب الخير فَيَخْلُق الله لك الخير ويُنْسِبُه إليك أخٌ من إخْواننا له ابن عَمٍ مُوَظَّف تُوُفِّيَ رقيق الحال فَدَخَل إلى بيْتِهِ وهو مُسَجَّى ؛ يُغَسِّلونه فقال لأولاده: أَعَلى أبيكم دَيْن، قال: نعم، فقال: والله اسْتَحْيَيْتُ أنْ أقول كم الدَّيْن ؟ تَوَقَّعْتُهُ ما بين العشرة والثلاثين، في اليوم التالي سألْتُ عن حجْم الدَّيْن فإذا هو مائة وثلاثون ألفاً، فقال لي: والله دَفَعْتُها بالتمام والكمال وطِيبِ قلْب إلا أنَّني فوجِئتُ فقال لي يوم السبْت – هو دفع الخميس المبْلغ – اِتّصالات للمعْمَل غير معْقولة بحيث أنَّهُ كان ربْحُه الصافي من تلك المبيعات مائة وثلاثين ألْفاً، وكانت الأسْواق جامدة ؛ قال تعالى:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)﴾

[البقرة: الآية 245]

هل تتصدّق ثمّ تخسر ؟ تغضّ البصر ثمّ يذهَب عنك ما رأيْت ؛ يمْنحُهُ مما نظر !! لك الله عز وجل،الذي يقول أن في الجنة من الحور العين ممَّا لو أطلَّت إحداهنَّ على الأرض لغلب نورُ وجهها ضوء الشمس والقمر، فلئن أُضَحِّيَ بكِ من أجلهن أهون من أن أُضحِّيَ بهن من أجلكِ، هؤلاء الذين يستعجلون حظوزهم في الحياة الدنيا ؛ أذهبوا طيِّباتهم في الحياة الدنيا واستمتعوا بها ؛ وفي الآخرة ما لهم من خلاق،أما الذي كان وقَّافًا عند حدود الله و غضَّ بصره عن محارم الله، لم يملأ عينه من الحرام و لم يملأ جيبه من الحرام، لم يكذب من أجل أن يأخذ المال الكثير، هذا حال معظم المسلمين، يُمتِّعون أسماعهم بالغناء و أبصارهم بالمناظر التي لا تُرضي الله، سمعتُ البارحة خبرًا مُضحكاً ؛ أحد أعضاء مجلس الشعب بمصرَ قدَّم عريضة من أجل تأخير البرامج الكوميدية لوقتٍ متأخِّرٍ حتَّى يراها، سبحان الله !! حريصون على هذه المناظر والتسليات و هذه البرامج و هذه المسلسلات أكثر من حرصهم على صلاة التراويح، لذلك ما ترك عبدٌ شيئاًله إلا عوَّضه الله خيرًا منه في دينه ودنياه وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ

﴿ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا(13)﴾

[اجن: الآية 13]

فأنت اخترتَ الطريق الصحيح، غيرك معه مائة مليون أما أنت ليس معك شيء فأنت الرابح، أقول لكم يا أيها الإخوة، في لحْظةٍ دقيقة تتَوَهَّمُ أنَّك خاسِرٌ بِطاعتك، وأنَّ الذي عصاهُ رابِحٌ فأنت لا تعْرف الله تعالى لأنَّ الله عز وجل يقول:

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (71)﴾

[الأحزاب: الآية 71]

معْنى ذلك أنَّك تُكَذِّبُ الله تعالى ؛ إذا رأيْتَ أنَّ طاعتك والْتِزامك خسارة وأنَّ الذي أخذ المال الحرام هو خيرٌ منك وأنَّ الذي تفَلَّت من منهج الله أرْقى منك فأنت لا تعرف الله تعالى، يجب أنْ تكون غَنِياً بطاعتك ؛ كان عليه الصلاة والسلام يدْعو ويقول:" اللهمّ كما أقْررْت أعْيُنَ أهل الدنيا بِدُنْياهم فأَقْرِرْ أعْيُننا بِرِضْوانك " ذاك له أرضٌ يقول لك: لا أبيعُها ولو بمائة مليون وهذا لمع نجْمُهُ فلان وفلان يتكلَّم عن أوْلاده وشهاداته، وهذا قريرٌ بِزَوْجَته وهذا بِتجاراته إذْ هناك من دخْلُهُ مليون باليوم، وهذا قرير بِبَيْتِهِ ، المؤمن يقول: حسْبِيَ الله ونِعْم الوكيل فأنت إذا كنت في طاعةٍ فأنت أقْوى إنْسان والمُسْتَقْبل لك، والله أيها الإخوة لو تعْلمون فَحْوى هاتَيْن الكلمتين: والعاقِبَة للمُتَّقين، هناك أشْخاص أقْوِياء وأغْنياء ؛ أُنْظر لِهؤلاء الذين عارضوا النبي صناديد وأقْوِياء وزعماء ؛ أين هم الآن ؟ في المزابل وأين هم أصْحاب النبي صلى اله عليه وسلَّمْ ؟ في أعْلى عِلِيّين، إياك أنْ تكون في خندق المعادات للحق، لأنَّ الطرف الثاني هو الله ؛ فَمن أنت ؟! كُنْ جُندِياً للحق، ولا تعْبأ، ولو كانت درجتك في المجتمع دنِيَّة ؛ ربَّ أشعث أغبر ذي تمرين مذْفوعٍ بالأبواب لو أقْسم على الله لأبَرَّهُ، هذا مدير عام بِمَصْنع كبير، غُرْفَتَين للسكرِتارِيًّا، مكتب علاقات وسيارات، وكان له حاجب ؛ فهذا الحاجب إذا كان مُسْتقيم فظِفْرُ هذا الحاجب قد تكون خيرٌ من في هذا المعْمل، ذهَبْتُ مرَّةً للمغْرب في مؤتمر إسْلامي مَثَّلْتُ سوريا ففي الفجْر سمِعْتُ عامل الحديقة يُصَلي الفجر بِصَوْتٍ لطيف، فقلتُ: ربما هذا العامل خير عند الله من كلِّ من في الفندق ! فأنت لا تعرف من هو أعظم شأناً عند الله ؛ لذلك الإنسان غَنِيٌّ بِطاعة الله وفقير بِمَعْصِيَته تعالى النقْطة الدقيقة:

﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا(13)﴾

[الجن: الآية 13]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : تفسير الآية 15 ، حكمة الله في الرزق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا.

أيها الإخوة الكرام؛ الآية السادسة عشرة من سورة الجنّ وهي قوله تعالى:

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾

[سورة الجن الآية: 16]

سؤال: هل الرزق مضمون؟!!

قد يسأل سائِل سؤال فيقول:

هل الرّزْقُ مضْمون؟

الجواب:

مضْمون ومَوْزون فأصل الرّزق مضمون ولكنَّ كَمّيَته تتناسب مع حِكْمة الله عز وجل ، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾

[سورة الشورى الآية: 27]



قد يُحْرَمُ المرء بعض الرّزق بالمعْصِيَة، فالله سبحانه وتعالى حَرَّك الرِّزق وثَبَّتَ أشياء كثيرة لِيَسْتَقِرَّ النِّظام على الأرض...

شُروق الشمس وغُروبها مِن مليون سنة وهي بالدقيقة يقول لك : سنة ألفين وعشرة شروق الشمس الخامسة وثلاثة دقائِق ، الليل والنهار والدَّوَران والأنظمة العامة وخصائص المواد الحديدُ حديد والذَّهب ذهب، والنحاس نحاس والفِضَّة فِضَّة، والبذْرة بذْرة، كُلُّ الخصائِص للعناصر ثابِتَة، كُلُّ خصائص البذور ثابتة، وكذا دوَرَات الكواكب ثابتة، إلا أنَّ الأمْطار مُتَغَيِّرَة قد تأتي أعْوامٌ كثيرة فَيَأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرْجلهم، وقد تأتي أعْوامٌ شحيحة يتْركون أرضَهم.

فالرّزق من عند الله يسْتخدمه كيف يشاء ويستخْدِمُهُ – دقّق – لِتَرْبِيَة الإنسان، الدليل أنَّ هذه الآية السادسة عشرة من سورة الجنّ وهي قوله تعالى:

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾

[سورة الجن الآية: 16]

سؤال: ما هي العوامل التي تكثر الرزق؟

الآن سَيَنْشأُ سؤالٌ ثاني...

الرِّزْق مضْمون في أصْله ومُتَبَدِّل في كَمّيَتِهِ بِحَسَبِ حال الإنسان.

فما العوامل التي تُكْثِرُ الرِّزْق؟

مع أنَّ كُلَّ إنْسانٍ حريصٌ كُلَّ الحِرْص على رِزْقه؛ لأَّنهُ قِوامُ حياته، لابد من أنْ يأكل فهُو مُفْتقِرٌ إلى الطعام والشراب، وإلى ثمَنِ الطعام والشراب؛ فأنت مُضْطرٌ للعمل كي تأكل ومن أجل أنْ تبْقى؛ تعملُ من أجل أنْ تكْسب المال لكي تأكل فَتَبْقى، فالحاجة إلى الطعام والشراب من أجل بقاء الفَرْد، وحينما تبْحث عن زوْجة فهذا من أجْل أنْ تُكْمِلَ ضَعْفَكَ، وأنْ تكمِل النقْص في الطرف الآخر جعل الله الزوْجَيْن مُتكامِلَين؛ هي عاطِفَتُها مُتأجِّجة وتحْتاجُ إلى من يرْعاها ومن يحْتويها ومن يقودُها، وهو عاطِفَتُهُ ضعيفة يحْتاجُ إلى من يُحيطه بها؛ هي سَكَنٌ له وهو سَكَنٌ لها، وهذه سُنَّة الله في خلْقه فالبَحْث عن زوْجة من أجل بقاء النَّوْع، وتأكيدُ الذات والتَّفَوُّق من أجل بقاء الذِّكْر ثلاث دوافِعٍ أساسِيَّة:

دافع الطعام والشراب ، ودافع الجِنْس ، ودافعُ تأكيد الذات.

فالأوَّلُ للحِفاظ على الفَرْد، والثاني للحِفاظ على النَّوع، والثالث للحِفاظ على الذِّكْر.

فالله عز وجل جعل الرِّزْق أداة تَرْبِيَة بِيَدِه قال الله تعالى:

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾

[سورة الجن الآية: 16]

أولاً: الاستقامة سبب لزيادة الرزق.

يُفْهَمُ من هذه الآية أنَّ الاسْتِقامة على منْهج الله تزيدُ في الرِّزْق ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾

[سورة النساء الآية: 87]

أقْوى كلمة تتمَسَّكُ بها هي هذه الآية ؛ لا تنْسوا – هذه إخْواننا المُحامين يعْرفونها – إذا كان هناك قَضِيَّة عويصة بالملايين ، والمُحامي المُوَكَّل وجد اِجْتِهاداً بمحْكمة النَّقْد لِصالح مُوَكِّلِهِ يُطَمْئِنُهُ ويقول له : ربِحْتَ الدَّعْوى وهو لم يرْبح لكِنَّ هذا اِجْتِهاد ، والقاضي مُلْزَمٌ به فإذا كان هذا اِجْتِهاد محْكمة النقْد يملأ قلب المُوَكَّل طمأنينة ، فكيف إذا قال الله تعالى :



﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾

[سورة الجن الآية: 16]

فما عليك إلا أنْ تسْتقيم وعِنْدها ترى كيف أنَّ الله يرْزُقُك من حيث لا تحْتسِب ، وما من مؤمن طبَّقَ هذه الآية إلا وقطفَ ثِمارها ؛ من أين ؟ لا يدْري .

ثانياً: التقوى سبب لزيادة الرزق.

الآية الثانِيَة قال تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية: 96]

اِتَّقَوا أنْ يعْصوا ، هل يُمكن أنْ يكون هذا الكلام لا معْنى له ؟! وهل يمكن أنْ لا يُنَفَّذ كلام خالق الكون ؟! إذا الْتَقَيْتَ بِمُوَظَّف كبير وأصدر تعليمات وما نفَّذها ؛ تَحْتَقِرُهُ أليس كذلك؟

والله أيها الإخوة عندنا أخ لا يمْلك من الدنيا إلا ثِيابه؛ لا بيْت، ولا مأوى، ترك بلْدته بِمُحافظة نائِيَة ، وطلب العلم ينامُ عند بعض أصْدقائِه طلبة العلم ؛ حفظ كتاب الله، وطلب العلم بإخْلاص واسْتقام على أمر الله، فجْأةً طلبوا منّي بِأحد المناطق الراقِيَة عندنا إمام مسْجد، فَرَشَّحْتُهُ بِيَوْمٍ واحدٍ مدير معْهد شَرْعي وخطيب مسْجد وساعات في التعْليم الثانوي، وبيْتٍ وسيارة وزوْجة؛ شيءٌ لا يُصَدَّق ! فهذا هو قوله تعالى :

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾

[سورة الجن الآية: 16]

وهو الآن يتَمَتَّعُ بِمَكانة كبيرة وبِدَخْلٍ كبير وطُمَأنينة ، تأتي الدنيا وهي راغِمَة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ))

[رواه الترمذي]

لا تنْسَوا أنَّ الله يؤَدِّبُنا عن طريق الرِّزْق ، إذا كان في المَحَلّ من ينظر نظْرَةً غير شرعِيَّة ويتكلَّم بِكلامٍ غير مسْموحٍ به فإنَّ هذا المحلّ لن يرْبح لأنَّ هناك معْصِيَة ، وإذا المحلّ خالٍ عن الكذب والغِشّ ولا كلام بذيء وأسْعار معتدلة فإنَّ هذا المحلّ مرْزوق.

أيها الإخوة؛ أنا لا أُحب أنْ أُكثر عليكم من القصص، رغْمَ الأزْمة الموجودة الآن بالأسْواق في البيْع والشِّراء ، حدَّثني أخٌ أنَّ بضاعته بيعَتْ على شَهْرَيْن حتى لا يجد أنْ يُلَبِّي المتطلبات ؛ لأنه لا يغِشّ ، وهو يُعامل الله عز وجل ، جاء التمْوين فما صَدَّق أنَّهُ كيف يبيع بِهذا السِّعْر وموادك عالِيَة؛ حَتْماً عندك مادَّة تُضيفُها، فَحَصوا المصْنع مكان مكان ، وعَمِلَ طبْخة أمامهم فجعلوا تلك النِّسْب مُواصَفات قِياسِيَّة للقطر، هذا يدْفع زكاة وصدقات ولا يغُشّ وزَوَّجَ أوْلاده وكُلّ واحد سيارة، ومعْمَلُ بسيط جداً؛ هذا شيءٌ ملْموس، لا تقُل لي هناك طُرق، لما ربُّنا عز وجل يُوَفِّقُ عبده يُصبح هذا الكلام كلُّه لا معْنى له ، قال تعالى :

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾

[سورة الجن الآية: 16]

ثالثاً: صلة الرحم سبب لزيادة الرزق.

صِلَةُ الرَّحِم تزيدُ في الرِّزْق .



لك أقْرباء ، وأخواتٍ بِمَحَلٍّ بعيد زُرْتَهُمْ وتَفَقَّدْتَ أحْوالهم، أكْرَمْتَهُم وواسَيْتَهُم بِرَمَضان ، قدَّمْتَ لهم هَدِيَّة.

رابعاً: الصلاة سبب لزيادة الرزق.

قال تعالى :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾

[سورة طه الآية: 132]

فالبَيْتُ الذي تُقامُ فيه الصلوات الخمسُ هو بيْتٌ مرْزوق.

خامساً: الصدقة سبب لزيادة الرزق.

اِسْتَمْطِروا الرِّزْق بالصَّدَقَة ، أحدُ أسْباب الزِّيادة الصدقة.

سادساً: الاستغفار سبب لزيادة الرزق.

الاسْتِغْفار قال تعالى :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾

[سورة نوح الآيات: 10-12]

الاسْتِغْفار وصِلَةُ الرَّحِم والصلاة والإيمان والاسْتِقامة والتَّقْوى؛ هذه كُلُّها عوامل الرِّزْق.

سابعاً: إتقان العمل سبب لزيادة الرزق.

وهناك أشْياء كثيرة منها ؛ إتْقانُ العَمَلِ : " إنَّ الله يحبُّ من العبد إذا عمل عملاً أنْ يُتْقِنَهُ" أصبح هناك كسادٌ بالأسواق من عدم الإتْقان.

ثامناً: الأمانة سبب لزيادة الرزق.

الأمانة هي من أسباب الرِّزق قال عليه الصلاة والسلام : الأمانة غِنىً، أحدهم كان يبيع في الحميدِيَّة على الرَّصيف أقمشة فجاءتْ امْرأةٌ فاشْترتْ منه واحدة بِخَمْسين ليرة وهو ما يُعادل واحد دولار ، بعد دقيقتَيْن وجد أنَّهُ قد أعْطَتْهُ مائة دولار فرجع إليها وأعْطاها الزائِد ، أحد التجار كان يُراقب من مَحَلِّه ما فعله هذا البائع على الرصيف ، فأعْجَبَهُ صنيعُهُ هذا فقال له : هل تُشارِكُني في مَحَلِّي ؟! فقال : يا ليْت! فأصبح شريكه وهو الآن بِبَيْتٍ وسيارة ومحلّ ! بالمُقابل – قِصَّة مُشابهة – بالسِّتْ رُقَيَّة جاءَتْ امْرأة بِنَفْس الطريقة السابقة في الخطأ لكن هذا أخذ المائة دولار وخَبَّأها في اليوم الثاني جاءَتْ الشرطة وضَرَبَتْهُ وأخذت منه المائة دولار ، ودفع عِوَضاً خمسة آلاف ليرة !! كُنْ أميناً وسَتَرى ، مادام أميناً سَيَزْدادُ معاشُهُ ويرْتَقي مرْكَزُهُ.

الاسْتِغْفار وصِلَةُ الرَّحِم والصلاة والإيمان والاسْتِقامة والتَّقْوى والأمانة ؛ هذه كُلُّها عوامل الرِّزْق.

تاسعاً: التغيير سبب لزيادة الرزق.

هناك أمرٌ آخر قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾

[سورة الرعد الآية: 11]

غَيِّرْ يُغَيَّر لك ! ضعْ حِساباً لِنَفْسِك ، أين ثغرات المعاصي ؟ بَيْتُكَ وزَوْجَتُكَ ودَخْلَكَ وغلطٌ وكذِبٌ وتدْليس ، هذه هي الكلمات غَيِّر كي يُغَيِّر فإذا ما غَيَّرْتَ ما غَيَّرَ كلمات مُخْتَصَرَة ومُفيدة ، وهذا هو مُلَخَّصُ المُلَخَّص.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : تفسير الآية 18 ، فضل المكوث بالمساجد والدعوة فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون، الآية الثامنة عشرة من سورة الجِنّ وهي قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا(18)﴾

[الجن: الآية 18]

بَيْتُ الله مُنَزَّهٌ عن كُلِّ غَرَضٍ دُنْيَوِي، بيتُ الله الذي جعله الله عز وجل مَرْجِعاً لِعِباده ونوراً يهْتَدون بِهَدْيِهِ ؛ هذا البَيْت لا ينبغي أنْ يكون لِغَيْر الله فأيَّةُ دَعْوَةٍ لِغَير الله في هذا البيت لا تجوز وأيَّةُ مصْلَحَةٍ تُحقق في بيت الله لا تجوز:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا(18)﴾

[الجن: الآية 18]

لذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قال: خير البلاد مساجدها وشرُّها أسْواقها، الإنسان في المسجد يتعرَّفُ إلى الله وإلى منْهجه وإلى المؤمنين، وفي المسْجد تنشأُ روحٌ جماعِيَّة لذلك قال عليه الصلاة والسلام

((عَنْ سَمُرَةَ ابْنِ جُنْدَبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[رواه ابن ماجه]

النبي عليه الصلاة والسلام حينما هاجر إلى المدينة بدأ بِبِناء المسْجد قبل أنْ يبْنِيَ بيْته، لو دقَّقْتم لَوَجَدْتُم أنَّ أخْطر مكانٍ في حياة الناس هو المسْجد لأنَّكَ فيه تعْرف لماذا خُلِقْتَ ؟ ولماذا جيءَ بك إلى الدنيا ؟ وتعرف ما بعْد الموت ؛ من حِسابٍ وعذابٍ أوْ نعيم، تعرف الحلال والحرام، تعرف منهجك وكتاب الله، لذلك المسْجد أخْطر في حياة المسلمين، لذلك لا بد مِن أنْ يُعْتنى به، ويُعْتنى بِمَن يقومون عليه، وبِبِنائِه، أنْ يكون مُريحاً:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا(18)﴾

[الجن: الآية 18]

والشيء الذي يُطَمْئِنُ أنَّهُ ما مِن بلْدَةٍ في بِقاع الأرض فيها حركة بناء المساجد على قدمٍ وساق كَهَذه البلْدَة ! والحمد لله رب العالمين، والمساجد عامِرَة بالمُصلِّين، بقِيَ فقط أنْ يكون هؤلاء المُصَلُّون في المستوى الذي أراده الله لهم، أنت في المسْجد تتلَقَّى تعْليمات الصانِع، وتقْبِضُ الجائزة في أثناء الصلاة ؛ تأخذ التعليمات في طلب العِلم وتقْبِضُ الجائزة في أثناء الصلاة، أما مجال عملك هو البَيْت والسوق والطريق، وكُلُّ نشاطات الحياة، هذه من أجل التطبيق، هنا تأخذ تعليمات الصانع، لذلك من نَشَدَ ضالةً في المسْجد فقولوا له: لا ردَّها الله إليك ؛ بَيْعٌ شِراءٌ، قضِيَّة دُنْيَوِيَّة، خُصومات في المسْجد، المساجد صُمِّمَت للعِبادة، ونشْر العِلْم ولِمَعْرِف ؛

وأنَّ المساجد لله حصْراً فلا تدْعوا مع الله أحداً، لا يُعْقل أنْ يكون المسْجد لِدِعايَة إنْتِخابِيَّة مثَلاً ! هذا البيت لله عز وجل ؛ الدَّعْوة إلى الله خالِصَة هناك مجالات كبيرة للتعْبير عن حال المُرَشَّحين لِمَجْلس الشعْب مثلاً، أما بُيوت الله فهِيَ لم تُخْلق لِزَيْدٍ أو عُبَيْد ؛ قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا(18)﴾

[الجن: الآية 18]

أحْياناً إذا دَعَوْتَ إلى النبي وإلى معْرِفَتِهِ، ومحَبَّتِهِ وطاعته ؛ هذه من جمْلة الدَّعْوة إلى الله، ذَكَّرْتُكم في دُروسٍ سابقة أنَّني قلتُ لكم أنَّهُ يوجد حُبٌّ في الله وحُبٌّ مع الله، أنت حينما تُحِبُّ المؤمنين حُبُّكَ هذا يَنْبُع من حُبِّكَ لله أنت حينما تُحِبُّ العلماء العامِلين والصحابة الكِرام حُبُّكَ هذا يَنْبُع من حُبِّكَ لله، أنت حينما تُحِبُّ النبي عليه الصلاة والسلام وسائر الأنبياء حُبُّكَ هذا يَنْبُع من حُبِّكَ لله وهذا حُبٌّ في الله وهو عَيْنُ التوْحيد، أما حينما تُحِبُّ إنْساناً بعيداً عن الله، ولِمَصْلَحَةٍ بينك وبيْنه هذا حُبٌّ مع الله، وهو عَيْنُ الشِّرْك، لو أنَّك وَقَفْتَ على المِنْبر وبيَّنْتَ شمائِل النبي عليه الصلاة والسلام وفضائله وصِفاته وأخْلاقه وفَحْوى رِسالته صلى الله عليه وسلم كان هذا عَيْنُ الدَّعْوة إلى الله لأنَّ الأنبياء تقْريباً كَلَوْحٍ شفاف يَشِفُّون عمن وراءَهم فقط ؛ ليس لهم ذاتٌ تظْهر، ذوات الأنبياء مُخْتَفِيَّة كيْ تَشِفَّ عن ذات الله عز وجل، لذلك الدعوة إلى معْرفة رسول الله عَيْنُ الدَّعْوة إلى الله، ومن هنا قال الله عز وجل

﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62)﴾

[التوبة: الآية 62]

ضمير المُفْرد لأنَّ إرْضاءُ الله هو عَيْن إرْضاء رسول الله وإرْضاء رسول الله هو عَيْنُ إرْضاء الله، وحياةُ النبي كُلُّها للتعْريف بالله، فإذا قلنا فلا تدعوا مع الله وليس في الله ؛ إنْ دَعَوْتَ إلى النبي فهذه دَعْوَةٌ في الله، أما إنْ دَعَوْتَ إلى إنْسانٍ ليس مُستقيم على أمْر الله فهذه دَعوةٌ مع الله، دائِماً المؤمن ضِمْن البَوْتَقَة أما غير المؤمن يرى نفْسهُ نِداًّ لِكُلِّ المعالم التي ينبغي أنْ تُقَدَّس، فالإنسان إذا دخل بيْتَ الله ينبغي أنْ يدْخُلَهُ بِنِيَّةِ التقرُّب إلى الله، وإنَّ بيوتي في الأرض المساجد وإنَّ زُوارُها هم عُمارُها فطوبى لِعَبْدٍ تطَهَّر في بيْتِهِ ثمَّ زارني وحُقَّ على المزور أنْ يُكْرِمَ الزائِر، كيفَ يُكْرِمُكَ الله عز وجل ؟ يُكْرِمُك بأنْ يُلقي الأمْنَ في قلْبك، والأمن أثْمن عطاء نفْسي، يُكْرِمُك بأنْ يُوَفِّقَك في حياتك هُمْ في مساجِدِهم والله في حوائِجِهم، ولا شيءَ أمْتَعَ من التَّوْفيق، ولا شيءَ يُزْعِج كالتَّعْسير، أحَدُ أنواع الضِّيافات التي تنالُها في بيت الله التَّوْفيق ؛ تُوَفَّقُ في بَيْتِك، وفي عملِكَ، وفي صِحَّتِك، وفي دُنْياك، وفي آخِرَتِك، فحالةُ المؤمن التي يَحُسُّ بها المؤمن هي ضِيافة، لأنَّ من دخَلَ بَيْتَ الله كان آمِناً، فالشُّعور بالأمن شيءٌ ثمينٌ جداً وقد جعلهُ الله خاصاً بالمؤمنين، والدليل قوله تعالى:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81)﴾

[الأنعام: الآية 81]

إذاً أيها الإخوة، الشُّعور بالأمن والرِّضا والسعادة و التَّفوُّق وتيْسير الأمور بِبَيْتِكَ ونجاحُك بِبَيْتِكَ وفي عملكَ وفي علاقاتك وفي تزْويجِ بناتك وأولادك هذه كُلُّها ثِمار زِيارةِ الله في بيْتِهِ ؛ وإنَّ بيوتي في الأرض المساجد وإنَّ زُوارها هم عُمارُها، أحْياناً تحمِلُ كَيْساً من الدنانير فرْطَ – قِطَع وليس ورق – فَيَظُنُّ الناس أنَّكَ تحْمِلُ الملايين، وما هو إلا ثلاثة آلاف وأحْياناً تحْمِلُ شيكاً قدْرُهُ ثلاثة ملايين، فالعِبْرَةُ ليس بالحجْم المادي، قد تأتي إلى بيتِ الله فَتَقْطِفُ ثِمار الأمل والحياة والتيْسير في كُلِّ علاقاتك، وبِالمُناسبة ؛ كُلُّكُم يعْلم أنَّك إنْ أدَّيْتَ زكاةَ مالِك حفظ الله لك بَقِيَّة مالك، أنت حينما تقْتطِعُ زمناً من وقْتِكَ الثَّمين لِتأتي إلى المسْجد؛ الوَقْتُ أصلٌ في كسْب المال، إنْسانٌ له محَلٌ في موقِعٍ حساس ؛ هذا دخل وذاك خرج، فلو أذِّن للصلاة وأغْلق محَلَّهُ يكون قد ضَحَّى بِكَسْبٍ مادِّي، هذا قد أدَّى زكاةَ وقْتِهِ وإذا أدَّيْتَ زكاة وقْتِكَ حفِظَ الله لك بَقِيَّة وقْتِك، أحْياناً في وَقْتٍ قصيرٍ تُنْجِزُ عملاً كبيراً، حدَّثني شخْصٌ مُسافر من دِمَشق إلى أبو ضبي بالسيارة فقال لي: وَصَلْتُ إلى مسْجِد – المفْروض أنْ أُصَلي – فَقُلْتُ أكْسِبُ الوقْت وأُكْمل السَّفَر، أثناء الطريق تَعِبَ فَدَخَلَ إلى مطْعم ووجد فيه حمام فاسْتَحَمَّ لِيتَنَشَّط وترك جواز سفره عند صاحب المطْعم، ثمَّ ارْتاح ساعَتَيْن وبعْدها أكْمَلَ الطريق ولما قطع مائة وثمانون كيلومتر تذَكَّر أنَّه نَسِيَ الجواز فقال لي: كَلَّفني ترْكُ الصلاة ثلاث مائة وستون كيلومتر ! هم في مساجِدِهم والله في حوائِجِهم، وذكر لي أخٌ أنَّ أهْله أرادوا النُّزْهَة يوم الجمعة فأخَذْتُهُم وما صَلَّيْتُ الجمعة، فأخذ أهْله إلى الزبداني، وهو فيها أراد أنْ يملأ قليلاً من ماء بَقِّين، فإذا بِشابٍّ ركد نحْوي واحْتَرَمَني اِحْتِراماً غير طبيعي، وبعْدما ملأ له الدَّلْوَ ودخل السيارة فإذا به فَقَدَ حقيبَتَهُ الجِلْدِيَّة التي فيها مبْلَغاً من المال وهَوِيَّتُهُ الشَّخْصِيَّة، وشهادة سواقة، كَلَّفني ضياعُ هذه الوثائِق إلى أشْغالٍ كبيرة دامَتْ ستَّةَ أشْهر !! وإذا آثرتَ مصلحة مادِيَّة على الصلاة بالمسْجد خَسِرْتَ، أنت حينما تُؤدي الصلاة في المسْجد تدْفعُ بِهذا زكاة الوقت، وهذا معْناه أنَّ بَقِيَّة الوقت فيه بَرَكَة، في وقْتٍ صغير تُنْجِزُ عَمَلاً كبيراً، والله قادِرٌ على أنْ يُتْلِفَ لك خمسون ساعَةَ هباءً، لا تتشاغل عن الله في وَقْتٍ تُصَلي فيه، تَوْظيفُ الوقْت، إذْ حينما تقْتطِعُ وقْتاً لأداء الصلاة في المسْجد أو طلب العلم في المسْجد فأنت قد حَفِظْتَ الوقْتَ من التَّلَف ؛ هذا أوَّلاً، وثانِياً: قد بارك الله لك في وَقْتِكَ فأنْجَزْتَ في وقْتٍ قصيرٍ أعْمالاً كثيرة ؛ بارك الله لك في وقْتِكَ وفي صِحَّتِك وفي أهْلِكَ وفي وَلَدِكَ، أحْياناً تتعَبُ بِتَرْبِيَة ولَدِكَ فإذا به يُسافر ويأخذ جِنْسِيَّة ويتزَوَّج بامْرأة أمريكِيَّة وينْساكَ ؛ ولا رِسالة، لأنَّكَ أنْشَأْتَهُ نشأةً دُنْيَوِيَّة وبذلك خَسِرْتَهُ، أما لو أنَّك أنْشَأْتَهُ نشأةً إسْلامِيَّة يكون لك، فَفَرْقٌ كبير بين أنْ يكون ابنك لك وزَوْجَتُك لك وتِجارتك لك ومالك لك، فالنقطة الدقيقة يجب أنْ تقْتطِعَ من وَقْتِكَ الثَّمين لأداء الصلاة في المسْجد ولِطَلَبِ العِلْم في المسْجد من أجل أنْ يحْفظ الله لك بَقِيَّة وقْتِك ومن أجل أنْ يُبارك لك فيه، أحد

العلماء تُوُفي فَتَرَكَ مجْموعة كُتُب ؛ قَسَّموا أيامَ حياته على عدد صفْحات كُتُبِهِ فكان يَكْتُبُ كُلَّ يوم تسْعين صفْحة !! نحن لا يسعُنا أنْ نقْرأ عشْر صفْحات – لا الكِتابة– وليس التأليف !، وكذا الإمام النووي عاش خمسة وأربعين سنة، ترك الأذكار، ورِياضُ الصالِحين، وشرْح صحيح مسْلم وبُغْيَةُ المُحْتاج وهو أوْسَعُ كِتابٍ بالفِقْه، وهذا الإمام الشافِعي عاشَ سبعٌ وأربعون سنة ؛ ترك الأمُّ أكبر كتاب في أصول الفِقْه وهو أوَّل كتاب في أُصول الفِقْه، تجد علماء مائة مُؤَلَّف وذاك مائتان وثلاث مائة ؛ ما هذا ؟! هؤلاء ألْقى الله عز وجل البَرَكَة في وَقْتِهِم لأنَّهم اِقْتَطَعوا من وَقْتِهِم الثمين وقْتاً لأداء الصلوات، ولِمَعْرِفَة الله، وطاعَتِهِ، لذلك قال تعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا

﴿ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا(18)﴾

[الجن: الآية 18]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : تفسير الآية 21

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الواحدةُ والعِشرون والتي بعدها في سورة الجِنّ وهي قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا(21)قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنْ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا(22)إِلَّا بَلَاغًا مِنْ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا(23)﴾

[الجن: الآية 21-23]

القضِيَّة في هذه الآية أنَّهُ لا يسْتطيع أحدُ من الخلق أنْ يضُرّك ولا أنْ ينفعك إلا الله ؛ هذا هو التوْحيد فما دُمْتَ مُتَعَلِّقاً بِزَيْدٍ أو عُبَيْد، ومُعَلِّقاً الأمل على فُلان أو علان فأنت محْجوبٌ عن الله عز وجل ؛ فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يمْلِكُ لنا وهو سيِّدُ الخلق وحبيب الحق ضَراً ولا رَشَداً فَمِن باب أوْلى أنَّ أحداً كم دون رسول الله لا يمْلك، لذلك هناك مُنْزَلَقٌ خطير، أنَّ الإنْسان يمْشي مع شيخٍ مثَلاً، يظُنّ أنَّ الشيخ يُنْجيه، ليس فقط الشيخ الذي لا يُمْكنه تخْليصُك بل وسيِّدُ الخلق وحبيي الحقّ إذا لم يكُنْ مُسْتقيماً، ولا أبْلَغَ من قول النبي الكريم صلى الله عليه وسلَّم: يا فاطِمَة بنتَ محمَّد، يا عباس عمَّ رسول الله، أنْقضا نَفْسَيْكما من النار، أنا لا أُغْني عنكما من الله شيئاً، لا يأتيني الناسُ بِأعْمالهم، وتأتوني بِأَنْسابكم من يُبْطِىء به عَمَلُهُ لمْ يُسْرِع به أجله ؛ هذا فَيْصل، علاقتك مع الله حتى لو اسْتَطَعْتَ أنْ تنْتَزِعَ من فَمِ النبي الشريف – وهو الصادق المصْدوق وهو المعْصوم – بِطَلاقَةِ لِسانك، وَقُوَّة حُجَّتِك فَتْوى لِصالِحِك أو حُكْماً لِصالِحِك ولم تكنْ على الحق لا تنْجو من عذاب الله قال عليه الصلاة والسلام .

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

((إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا *))

[رواه البخاري]

علاقتك مع الله وحْده وهو يسْتمِعُ إلى قَوْلِك، وعليمٌ بِحالك، ويعْلم ما لم تكُن تعْلم، عَلِمَ ما كان وعلمَ ما يكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، عالِمٌ وقدير، حكيمٌ وخبير، بِيَدِه مقاليد السماوات والأرض وإليه يُرْجِعُ الأمر كُلُّه فاعبُدْهُ وتَوَكَّل، مُلَخَّصُ هذا الكلام أنْ تعقد الأمل على الله وأن ترْجُوَ الله وأنْ تخاف الله، وأنْ تُعاهد الله ؛ إنَّك إنْ فَعَلْتَ هذا وَجَدْتَ نتائِجَ باهِرَة وتَوْفيق عجيب، وتيسير مُدْهِش وسعادة نَفْسِيَّة وطُمأنينة وراحة وتشعر بِعَيْن الرِّعاية الحِفْظ والتأييد، وهذا هو معْنى قول الله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)﴾

[البقرة: الآية 194]

معهم بالنَّصْر والتأييد والحِفْظ والتَّوْفيق، إنَّ الله مع المُتَّقين، وإنَّ الله مع الصابِرين، إذاً قلْ يا مُحَمَّد لا أمْلِكُ لكم ضَراً ولا رشَداً، هناك آيةٌ لا أقول أدَقّ ولكن في هذا الموضوع أبْلغ وهي قوله تعالى:

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)﴾

[الأعراف: الآية 188]

فإذا كان عليه الصلاة والسلام لا يمْلك لِنَفْسِهِ نفْعاً ولا ضراً فمِن باب أوْلى أنَّهُ لا يمْلِكُ لِغَيْرِه، دخل عليه الصلاة والسلام على سيِّدنا عثمان بن مضْعون وهو مُسَجىً على فِراش المَوْت ؛ تُوُفِّي، كشَفَ عنه الرِّداء وقبَّلَهُ فَسَمِعَ امْرأةً تقول: هنيئاً لك أبا السائِب فقد أكْرَمَك الله فقال عليه الصلاة والسلام:" ومن أدْراك أنَّ الله أكْرَمَهُ ؟ هذا تألِّي على الله وتطاول ؛ هذا صحابِيٌّ جليل وغزا مع رسول الله، وكان من أصْحابِهِ المُقَرَّبين، ومع ذلك قال لها عليه الصلاة والسلام ومن أدْراك أنَّ الله أكْرَمَهُ ؟ قال: قولي له أرْجو الله أنْ يُكْرِمَهُ ! مسافة كبيرة جداً بين أن تقول: لقد أكْرَمَكَ الله – كأنَّك تعْلمُ الغيب،ووَضَعْتَ نفْسَكَ مكان الإله – وبين رجاء الأكْرام قال عليه الصلاة والسلام: وأنا نَبِيٌّ مُرْسَل لا أدْري ما يُفْعَلُ بي ولا بِكُم، هذا هو الأدب مع الله، والإنسان إذا بَقِيَ في حَجْمِهِ أَعَزَّهُ الله فإذا تطاوَلَ وتجاوَزَ حدَّهُ أذَلَّهُ الله، لذلك علاقَتُكم مع الله مباشِرة، إسْمحوا لي بِهذه الكلمة: رجُلٌ داعِيَة يُحِبُّهُ ويُبَجِّلُهُ – المحبَّة في الله جُزْءٌ من الدِّين بل هي عَيْنُ التوحيد – وكُلُّ إنْسان يُحبُّ الرجل الصالح وذو العقيدة السَّليمة وصاحب الأخْلاق والمُتَبَصِّر وخِبْراته في الدِّين عالِيَة، لكنْ إياك أنْ تَتَوَهَّمَ لحْظَةً أنَّ مَحَبَّتَك لإنْسانٍ صالِحٍ تُنْجيك من عذاب الله، التَّوْجيه مفاده الاسْتِقامة مع أيِّ إنْسان وفي أيِّ مكان، أما إذا تَوَهَّمْتَ أنَّ إنْساناً صالِحاً يُخَلِّصُك من العذاب وهو ليس كذلك – طبْعاً يَرْوون قِصَصاً لا أصْل لها وكُلُّها خُرافات – أحدُ تلاميذ المشايِخ الكِبار تُوُفِّي ؛ فَدُفِنَ في قَبْرِهِ جاء المَلَكان لِيَسْألانه: فَتَلَقَّيا ضَرْبَةً من شَيْخِهِ قَذَفَتْهُما إلى خارِجِ القَبْر قال لهما الشَّيْخُ أَمِثْلُ هذا يُسْأل ؛ إنَّ هذا مِن جماعَتِنا !! هذه كُلُّها خُزَعْبَلات لا أصْلَ لها، هذا النبي عليه الصلاة والسلام ويقول: سبحان الله إنَّ لِلمَوْتِ لَسَكرات، وقال: اِسْتَغْفِروا لِأخيكم فإنَّهُ الآن يُسْأل، هو عليه الصلاة والسلام لا يمْلِكُ لِنَفْسِهِ نفْعاً ولا ضَراً فلأنْ لا يمْلِكَ لنا نفْعاً ولا ضَراً من باب أوْلى، مقامه صلى الله عليه وسلَّم عند الله عظيم، أما أنْ يتَدَخَّل في شؤون الله تعالى ويُلْغي معْصِيَة ؛ فهذا كلامٌ باطِل وغير معْقول أبداً !!! المقْبول هو كما قال تعالى:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (8)﴾

[الزلزلة: الآية 7-8]

والمقْبول أنْ لا نُظْلَمَ فتيلاً، ولا قِطْمير ونقير، وما كان الله لِيَظْلِمَ عِباده هناك عدْلٌ والإنسان كلما عرف الله اِحْتَرَمَ نِظامه، النبي عليه الصلاة والسلام عَلَّمنا أنْ نسأل الله مُوجِبات رَحْمَتِه، وعزائِمَ المغْفِرَة، هذا أُمِّيٌ قَدَّم طلب لِرئيس الجامعة يُرْجى إدْراجُ اسْمي في قائمَة الدكاترة التي تُدَرِّس في الجامعة !! هل معك شهادة ؟ لا، هذا يمْشي على التَّوَكُّل ؛ شيءٌ مُضْحِك ! المُؤَهِّلات مُنْعَدِمة الجَنَّة لا بدّ لها من مُؤَهِّلات ؛ سِلْعَةُ الله غالِيَة وطلب الجنَّة من دون عَمَلٍ ذَنْبٌ من الذُّنوب، هل يسْتطيعُ من عنده كفاءة أنْ يُقَدِّم مُسابقة تحْتاج إلى ليسانْس ؟! فاسْأل الله موجِبات الرحمة وعزائِمَ المغْفرة، أما أنْ تتَمَنى على الله الأماني، هناك شخصٌ ساذِج بلا عمل ضاقَتْ به السُّبُل ونفْسُه فإذا به وجد حَذْوَة حِصان نِصْفُها ذَهَبي اللَّون والآخر غير ذلك فقال: أنا أمَّلْتُ مُسْتَقْبلي، كيف ؟ قال: فقط أُضيف عربة ودزينة خيط وإذا أُصبحُ عَرْبَجي !!! تفاؤُلٌ ساذِج، وهذا يُصَلي فقط ! كأنَّ الإسلام يحْوي بُنْدَ الصلاة فقط الجنَّة فيها بُنودٌ كثيرة ؛ في بَيْتِك وفي عَمَلِك، ومع زَوْجَتِك وأوْلادك، بِسَمْعِكَ بِبَصَرِك ولِسانك وخواطِرِك وعبادتك، وإنْفاقك، وصلواتك، وتِجارتك، وحِرْفَتِك... هذا هو الدِّين فإذا طَبَّقْتَ كُلَّ منهج الله قَطَفْتَ ثِمار الدِّين، الأمل سَخيفٌ ! بعضُهم أملهم بالجنة كَأَمَلِ إبْليس بالجنَّة ! قال تعالى:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48)﴾

[الحاقة: الآية 44-48]

إذا لم تكن تخاف الله تعالى فَمُشْكِلَتُكَ كبيرة ؛ كلما كَبُرَ عَقْلُكَ كلما تزْداد خَوْفاً من الله، وتضْبطُ لسانك أكثر، ودَخْلَك، وإنْفاقك، وبَيْتُك، وعَمَلَك وعلامة العَقْل الاسْتِقامة على منهج الله، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا(22)﴾

[الجن: الآية 22]

مرَّة كان الحَسَن البصْري عند والي البصرة فجاء توْجيهٌ من يزيد ؛ هذا التَّوْجيه لا يُرْضي الله عز وجل، فَوَقَعَ في صِراع أنا إنْ أطَعْتُ يزيد أغْضَبْتُ الله وإنْ لم أُطِعْهُ عَزَلَني، فقال للحسن ماذا أفْعل ؟ فقال له الحَسَنُ كلِمَةً تُكْتَبُ بِماء الذَّهَب وأتَمَنى على كُلِّ واحِدٍ مناً أنْ يحْفَظَها: إنَّ الله يمْنَعُكَ من يزيدٍ ولكنَّ يزيد لا يمْنَعُك من الله! إذا أَعَنْتَ إنْساناً على الباطل ورَضِيَ عنك ثمَّ أُصِبْتَ بِوَرَمٍ خبيثٍ، هل يُنْجيكَ هو منه ؟! الله عز وجل له أدْوِيَة مُرَّة قال تعالى:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12)﴾

[البروج: الآية 12]

ومن أعانَ ظالِماً سَلَّطَهُ الله عليه، أوّلُ ضحايا الظالم الذي أعانَهُ، من أعانَ ظالِماً ولو بِشَطْر كلمة جاء يومَ القِيامة مكْتوباً على جبينِهِ آيِساً من رحْمة الله ! قال تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)﴾

[المائدة: الآية 2]

كم من إنْسانٍ عَلَّقَ أمله على أوْلاده فَسَافَروا عليه وأخَذوا جِنْسِيَّة وتَزَوَّجوا ثمَّ قطعوا أباهم ! كم من إنْسانٍ أطاعَ زَوْجَتَهُ فأطاعَها وأغْضَبَ الله ؟! فلما ضَعُفَ أُهينَ إهاناتٍ لا يعْلمها إلا الله، تَتْرُكُهُ وتذْهَب إلى بَيْتِ أهْلِها وحاله الكِبَر ! إذا عَلَّقَ الإنسان آماله على سِوى الله زَلَّ، ومن اعْتَمَد على ماله ضَلَّ، ومن اعْتَمَد على الله ما ضَلَّ وما زَلَّ قال تعالى:

﴿ إلا بَلَاغًا مِنْ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا(23)﴾

[الجن: الآية 23]

مُهِمَّةُ النبي أنْ يُبَلِّغ، ومُهِمَّة العلماء أنْ يُبَلِّغ وتنْتهي مُهِمَّتُهُ هنا ! ولا يُنْجيك من عذاب الله، ولا يُصاحبك في كُلِّ أحْوالك !! هناكَ كُتُبٌ فيها خُرافات يقول لك: شيْخي رآني وأنا بالفِراش ! من قال لك هذا الكلام ؟! هذا كلامٌ باطِل، الله عز وجل ما أعْطى أحداً عِلْمَ الغَيْب، أعْطى النبي عِلْمَ الغَيْب بِما يتعلَّقُ بالمُسْتَقْبل من أجل أنْ تُصَدِّقَهُ ؛ حَدَّثَنا عن أشْراط الساعة، ولكن ما أعْطى أحداً عِلْمَ الغَيْب، هناك شَطَحات شَوَّهَتْ معالِمَ الدِّين، عُدْ إلى الكِتاب والسُّنَة وإلى النَصِّ الصحيح، عُدْ إلى فِعْل النبي عليه الصلاة السلام عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ *))

[رواه ابن ماجه]

ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا(23)﴾

[الجن: الآية 23]

فالمَعْصِيَة تنْتهي إلى جَهَنَّم.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع عشر : تفسير سورة المزمل

الدرس (1-2) : تفسير الآيات 1-7 ، الصلة بالله

الدرس (2-2) : تفسير الآية 20 ، جزاء الإحسان

الدرس (1-2) : تفسير الآيات 1-7 ، الصلة بالله

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآيات الأولى من سورة المُزَمِّل وهي قوله تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ(1)قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا(2)نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا(3)أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا(4)إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا(5)إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا(6)إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا(7)﴾

[المزمل: الآية 1-7]

كما قال الله عز وجل:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (78)﴾

[الإسراء: الآية 78]

فالإنسان لا بدَّ له من أنْ يُشْحنَ حتى يتألَّق، فالتألُّق يحْتاج إلى شَحْن مثلاً بعض المصابيح تحْتاج إلى شَحْن حتى تُضيء فإذا شُحِنَتْ كثيراً أضاءَتْ أكثر، وإذا قلَّ شحْنُها قلَّ ضوْؤُها فإذا انْعَدَمَ شَحْنُها اِنْطَفَأتْ فالإنسان لا بدّ له من شَحْن وهو الاتِّصال بالله ؛ في أيّ الأوقات تكون الصِّلة مُحْكَمَة والجَوُّ مُناسِباً والإقْبال مُكَثَّفاً، والالْتِجاءُ حاراًّ ؛ هو وَقْتُ الليل، إنَّ ناشِئَة الليل هي أشدُّ وطْئاً وأقْوَمُ قيلاً، أعْمَقُ تأثير بالنّفْس بِحَيْث ينتج عنها قَوْل سديد، والقَوْل من عَمَل الإنسان فَكُلَّما اِرْتَفَع مُسْتوى قوله صحَّ عمله لأنَّ أحد الصحابة سأل سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أوَنُؤاخذ بما نقول فقال:

عَنْ مُعَاذٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ *))

[رواه أحمد]

لا يسْتقيمُ إيمانُ عَبْدٍ حتى يسْتقيم قلبه ولا يسْتقيم قلبه حتى يسْتقيم لِسانه، فما لم يسْتَقِم اللّسام لم يسْتَقِم القلب وبذلك الإيمانُ لا يصِحّ، فالذي يتَّصِل بالله اتِّصالاً مُكَثَّفاً الله عز وجل يُطْلق لِسانه بالخير، بالدَّعْوة إلى الله، وبِذِكْر الله فأسباب هذه الدَّعْوة وأسْباب التألُّق ؛ إنَّ ناشِئَة الليل هي أشدُّ وطْئاً وأقْوَمُ قيلاً.

بعض العلماء اِعْتَمدوا على بعض الأدلَّة أنَّهُ من صلى الفجْر في جماعة والعِشاء في جماعة فكأنَّهُ قام الليل، فهاتان الصلاتان مُتَّصِلتان بالليل وهما من الليل، والأوْلى على الإنْسان قبل الفجْر ولو صلى رَكْعَتَين يكون مُحَقِّقاً لِقِيام الليل، هو للنَبِيّ فرْضٌ وعلى أُمَّتِهِ سُنَّة أيها المُزَمِّل قمِ الليل إلا قليلاً المُزَّمِّل المُتَحَمِّل لِعِبْء الدَّعْوة، الإنسان حينما يعْرف من هو، ويعْرف حقيقته وهَوِيَّته، يشْعُر أنَّ رِسالةً قد حُمِّلَها من الله عز وجل، والإنسان التافِه ؛ ذو العَقْل يشْقى في النَّعيم بِعَقْله، وأخو الجهالة في الشقاوَةِ ينْعَمُ فالإنسان التافِه لا رِسالَةَ له،

أما الإنسان المؤمن له رِسالة ينبغي أنْ يوصِلَها ؛ فهناك إنْسان يعيش لِيَأكل، وهناك من يأكل لِيَعيش لكن هناك من هو أرْقى منهما ؛ يعيشُ لِمَبْدأ، فالأنبياء والمرسلون، والعلماء والصالحون هؤلاء يعيشون لِمَبْدأ لذلك يسعدون، أيها الإخوة دَقِّقوا في هذه الفِكْرة لكم نفْسٌ إنْ جعلْتَ هَدَفَكَ محْدوداً تسْتَوْعِبُهُ النفْس، لا ينشأ معها الملل والسأم والضجر، لذلك تبْحث عن المُتْعَة المشْروعة وغير المشْروعة، النفيسة والخسيسة، المقْبولة والمرْفوضة، السبب هو الفراغ أما إذا جَعَلْتَ هَدَفَك أكبر من كُلِّ طاقَتِك ؛ إن جعلت هدفك الله عز وجل فأنت في شباب دائم فالإنسان في شيخوخة حينما تنتهي أهدافُه، أنت أوَّلاً شاب متَّقِدٌ، يعيشُ بالأحلام، في أوَّل حياته يتصَوَّر بيتاً له وزوْجَة بِمُواصَفات مُعَيَّنة، مَرْكز اجْتماعي، يعيش بالأحلام، متى تنْتهي سعادَتُهُ لما يتَحَدَّد بَيْتُهُ وزوْجَتُهُ وعَمَلُهُ ودخْلُهُ، الآن يشْعر بِالمَلَل والضجَر والتفاهَة أما المؤمن فلا يُمكن أنْ يضْجر لأنَّ هدفه الله، النَّفْسُ مُصَمَّمَة لأنْ تسْتَوْعِب أهْدافاً لا نِهائِيَّة فإذا جَعَلْتَ هَدَفَك محْدوداً ضَجِرَتْ نفْسُك، وكُلُّ إنْحِرافات الناس من الضَّجر مثلاً الانْحِرافات الموجودة بِأمريكا لا يُصَدِّقُها العقْل، سببها الضَّجر وهدفه خسيس ومُنْحَط، وصل إلى هَدَفِه فإذا به يريدُ شيئاً آخر، أما المؤمن الأمور المادِيَّة عنده وسائِل ؛ هَدَفُهُ الله عز وجل لذلك هو في شبابٍ دائِمٍ شبابةُ الدائِمِ تفْسيرٌ لِطُموحه، لذلك قال تعالى:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا(5)﴾

[المزمل: الآية 5]

كُلُّ أخٍ من الإخوة الحاضِرين إذا لم يشْعر أنَّ عليه رِسالة ينْبغي أن يُؤَدِّيَها، فهذا إنْسانٌ يعيشُ لِذاته، والذي يعيشُ لذاته يعيشُ على الهامِش أما الذي يعيش لِغَيْرِه يأتي على بُؤْرَة الاهتِمام فإنْ أرَدْتَ أنْ تسْعد فأَسْعِدِ الناس وساهِم تعريفهم وخِدْمَتِهم ورَفْعِ مُسْتواهم وفي نشْر الحقِّ والفضيلة، وأما إنْ أردْتَ أنْ تعيش على هامش الحياة فاهْتَمّ بِذاتك والذي يهْتَمُّ بِذاته يسْقُط في دائِرَةِ المَلَل والضَّجَر، وهناك نقطةُ مُهِمَّة من جعل الهُمومَ ذاته شغلهُ بالدنيا ومن جعل الهُمومَ هماً واحداً وهو الله تعالى كَفاهُ الله الهُموم كُلَّها اِعْمَل لِوَجْهٍ واحدٍ يكْفِكَ الوُجوه كُلَّها، قال تعالى:

﴿ إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا(7)﴾

[المزمل: الآية 7]

في النهار تُسَبِّح، وتُنَفِّذ هذا الذي اكْتَسَبْتَهُ بالليل، ففي النهار تُطَبِّق وتكْتَسِبُ وتُشْحَنُ بالليل، قال تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا(8)﴾

[المزمل: الآية 8]

اِنْقَطِع له انْقِطاعاً تاماً لأنَّهُ أهْلُ التقْوى وأهل المغْفِرَة ؛ أهْلٌ أنْ تنْقَطِعَ له وأهْلٌ أن تجعل مرْضاتِه كلَّ هَمِّك، ومبلغَ عِلْمِك، ونِهاية آمالك، ومحَطَّ رِحالِك ؛ قال تعالى:

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا(9)﴾

[المزمل: الآية 9]

هناك مُحامون لامِعون إذا أعْطَيْتَهُ قَضِيَّتَك تشْعُر بِراحَةٍ وطُمأنينة ؛ القوانين واضِحَةٌ عنده ومُذَكِّراته قَوِيَّة، فإذا أنت سلَّمْتَ أمْرَك لِخالق السماوات والأرض، الله عز وجل قال:" فاتَّخِذهُ وكيلاً " ألا تُريدُ أنْ يكون الله وَكيلك، يُدافِعُ عنك، الثَّمَنُ والأتْعابُ المُقَدَّمة هي طاعَتُهُ فقط !

أطِعْ أمْرَنا نرْفَع لأجلك حُجْبنا فإنا مَنَحْنا بالرِّضى من أحَبَّنا

ولُذْ بِحِمانا واحْتَمِ بِجنابِنـا لِنَحْميك مما فيه أشْرار خلْقِنا

فأنت حينما تُطيع الله عز وجل يتَوَلَّى أمْرَك قال تعالى

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48)﴾

[الطور: الآية 48]

وقال تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا(10)﴾

[المزمل: الآية 10]

فالكافر الفاسق المُنْحَرف الفاجر الشارد ؛ يتكَلَّمُ كلاماً بلا ضَبْطٍ، ولا مسْؤولِيَّة ولا دليل، وَصَلوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا: كاهِنٌ وساحِر ومجْنون... الله عز وجل أثْبَتَ هذه التُّهَم في القرآن لِيُرِيَنا أين رسول الله وأين كلامهم فَشيءٌ طبيعي جداً أنْ يُتَّهَم الإنسان الذي يُريد أنْ يُقَدِّم للناس شيئاً ثمينا ؛ إما حَسَداً أو ضَيْقَ أُفُقٍ أو ما شاكل ذلك، وقال تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا(10)﴾

[المزمل: الآية 10]

أما التَّهْديد الذي يقْصِمُ الظهر فَهُوَ قوله تعالى:

﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا(11)﴾

[المزمل: الآية 11]

دَعْهُم لي أنا أُعالِجُهُم فإذا النبي عليه الصلاة والسلام دعا شخْصاً إلى الله وما اسْتَجاب، فالله حينها يتولى ترْبِيَتَك !

﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا(11)﴾

[المزمل: الآية 11]

الإنسان لا يُمْكن أنْ يسبق الله عز وجل أنت في قَبْضَة الله، فإنْ أَبَيْتَ دينه كان هناك حساباً عسيراً ودفْعُ ثمنٍ باهِظ.

الدرس (2-2) : تفسير الآية 20 ، جزاء الإحسان

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية العِشرون من سورة المُزَّمل وهي قوله تعالى

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

[المزمل: الآية 20]

أنت لكَ عمل – أيُّ عمَلٍ – سواء بِحَجْمِهِ أو بواعِثِه أو غاياتُهُ أو الصوارف التي تصْرفُ عنه، أو العَقَبات التي تقفُ أمامه، حجْمُ التضْحيَة من أجْلِهِ ؛ كُلُّ هذه الخصائص للعَمَل يعْلَمُها الله، الواحدُ مُرْتاح لأنَّ الذي يعْمل له يُقَدِّرُ عملَهُ حقَّ التقْدير، أحْياناً دِرْهَمٌ يسْبِقُ ألْفَ دِرْهَم، دِرْهَمٌ يُنْفَقُ في إخْلاصٍ خير من مائة ألفِ دِرْهَمٍ يُنْفَقُ في رِياء، دِرْهَمٌ يُنْفَقُ في حياتك خيرٌ لك من مائة ألف درهمٍ يُنْفق لك بعد مَوْتِك، العَمَلُ له حجْمٌ هناك قصَّة ذكرتُها لكم ؛ إنسان ميسور أراد أن يبنيَ مسجداً في بعض أحياء دمشق الجديدة ؛ فبحث عن أرض فوجد أرضاً مناسبة، بحث عن صاحبها فإذا هو قد ورِثها قبل أشهرٍ يعمل مستَخدَمًا في مدرسة – آذن– راتبه ثلاث آلاف ليرة و عنده خمسة أولاد، فقير جدًّا، ساومه في الأرض حتَّى استقرَّ الأمر في ثلاثة ملايين و نصف، دفع له شيكاً بمليونين، الذي سيشتريها مليونير؛ وأراد أن يتقرَّب إلى الله ببناء مسجد ؛ فوقَّع له الشيك وسلَّمه إياه ؛ فقال له أين الباقي ؟ قال له الباقي ندفعها في الأوقاف بعد التنازل عن الأرض للأوقاف، قال له: ولِمَ التنازل ؟ قال له سأنشئها مسجداً ؛ قال له: مسجد !! هاتِ الشيك و مزَّقه، قال له: أنا أولى أن أُقدِّمها للأوقاف منك، لا أسمح لك أن تقدِّمها أنت ؛ أنا أولى بها منك يقول هذا التاجر – و هو من المحسنين –: في حياتي ما غضبتُ مثل ذاك الغضب و ما صغُرتُ عند إنسان كما صغُرْتُ عند هذا الآذن يومئذٍ ؛ لأنه عندما قدَّم هذه الأرض قدَّم كل شيء يملكه على الإطلاق وبقيَ فقيراً، أما الأول فجزاه الله خيراً ؛ لو اشترى هذه الأرض فمن جزءٍ بسيط من حجمه المالي، فمن يُقدِّر حجم العمل ؟! الله جل جلاله، من يُقدِّر مضاعفات هذا العمل ؟ الله جل جلاله، من يقدِّر الخسارة التي تحمَّلها من جراء هذا العمل ؟ الله جل جلاله، من يقدِّر العقبات الكأداء التي كانت أمام هذا العمل ؟ الله جل جلاله، من يقدِّر الثوابت المغريات التي يمكن أن تصرف عن هذا العمل ؟ الله جل جلاله، من يقدِّر البواعث الخفية ؟ الله جل جلاله من يقدِّر الأهداف؟ الله جل جلاله، العمل بكل تفاصيله و ملابساته ودوافعه و أهدافه و تضحياته و عقباته وصوارفه، الله جل جلاله يقدِّرها فالتَّعامل مع الله مُريحٌ لا يحتاج إلى واسطة و لا حلف يِنين و لا شاهد أعرف عبدي، أعرف نيتك

وحركتك و ما تحمَّلتَ في ؤ كم مجلس علم جلست، كل ذلك أعرفه، الله يقدِّر الليل والنهار، ليس هناك شعور مؤلم كأن تفعل عملاً كبيراً لا يقدِّره الآخرون، سفَّانة بنت حاتم الطائي دعتْ للنبي، قالت: أتأذن لي أن أدعوَ لك، قال: نعم، وقال لأصحابه: اسمعوا وعوا، قالت: جعل الله صنائعك في أهل الخير والحفاظ، أي جعل الله معروفك عند من يُقَدِّرُهُ ويعرف قيمته، فهذه الآية لها معْنى عام وخاص ؛ إنَّك ربَّك يعلم أنَّك تقوم أدْنى من ثلثي الليل ونصْفه، أنت أخذْتَ شخْصاً معك في السيارة – طبْعاً البنْزين – غالٍ وأجَبْتَ دَعْوَةً لا لِشَيءٍ إلا إجابة الدَّعْوة ؛ أنت بِهذا قُمْتَ بِعَمَلٍ لا يعرف قيمته إلا أهله، أحْياناً يدْفعُ الإنسان لِوالِدِه مبْلَغاً هو بِأَمَسّ الحاجة إليه ويُلَبِّي أمر والِدَتِه، أحْياناً تُطْلَبُ في وقْتٍ حَرِجٍ ؛ وأنت تأكل جاءَ طلبٌ لِعَمَلٍ صالح، فالله عز وجل يُقَدِّرُ كُلَّ شيءٍ بِكُلِّ بواعِثِهِ ومُلابساته وظروفه وعواقبه ومعْطَياته وأهْدافه قال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنْ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾

[المزمل: الآية 20]

قد يسْهر الإنسان من أجل ترْبِيَة أوْلاده طويلاً، يُتْعِبُ نفْسَهُ كثيرًا، ويُقَدِّمُ لهم كُلَّ شيء، ويعْمَلُ عمَلاً شاقاً لِيُكْرِمَهُم كي يَدُلَّهُم على الله هذا غير الأب الذي يقول: يتَرَبَّوْنَ لِحالِهِم ! والله يُقَدِّرُ الليل والنهار ؛ يُقَدِّرُ كُلَّ شيء.

ثمّ قال تعالى:

﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾

[المزمل: الآية 20]

قالوا: هذه الآية نَسَخَتْ فَرَضِيَّة قِيام الليل، إذْ أصْبح قِيامُ الليل فرْضاً على النبي صلى الله عليه وسلَّم وسُنَّةً على أصْحابه وأُمَّتِهِ من بعْدِهِ، عَلِمَ أنْ لا تُحْصوه فَتَاب عليكم فاقْرؤوا ما تَيَسَّرَ من القرآن فإذا اسْتَيْقَظتَ من الليل فاقْرأ ما تيَسَّرَ من القرآن ؛ رَكْعَتَيْن أو ثلاثة... ثمّ قال تعالى

﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

(سورة المزمل)

السَّفَرُ له أرْبع أهْداف: أعْظَمُ أنواع السَّفر ؛ سَفَرُ الجِهاد ونشْر الحق ثاني درجة: لِطَلَب العِلْم، ثالث درجة: للفِرار بالدِّين، رابِع درجة: لِكَسْب الرِّزْق، خامسُ درجة: للسِّياحة المَشْروعة الخالِيَة من المَعْصِيَة هنا الخطّ الأحمر، وبعد هذا الخط تبْدأ المعاصي والآثام، وينْتهي بِما يُسَمى اليوم السِّياحة الجِنْسِيَّة، يُسافرُ لِيَزْني !! وهي الغالِبَة على مُعْظَم الناس الآن فإذا سافر المرْءِ من أجل معْصِيَة الله والعِياذ بالله هذه أكبر أنواع المعاصي ثمَّ قال تعالى:

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

[المزمل: الآية 20]

أيُّ عَمَلٍ صالِحٍ تُقَدِّمُهُ لأيِّ مخْلوق كائِناً من كان هو قَرْضٌ حَسَنٌ، تُقْرِضُ من ؟ الله جلّ جلاله، والله يُضاعف لك هذا أضعافاً كثيرة قال تعالى:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)﴾

[البقرة: الآية 245]

من هو الشَقِيّ والمَحْروم ؟ هو الذي لم يُقرض الله قرْضاً حَسَناً، حَدَّثني أخٌ أنَّهُ كان بِسَفَرٍ بسيط ؛ بِمَصْيَف، ونسى جِهازَ الرَّفْع، وأوَّلُ مكانٍ صادَفْناه بِطَلْعَةٍ اخْتَلَّتْ العَجَلَة ! والمُشْكِلة أنَّ الرافعة غير الموجودة !! فأصْبَحَ يُؤَشِّر للمارَّة ساعَة وساعَتَيْن إلى أنْ وَقَفَ شخْصُ فقال: ما الأمر فقلتُ رافِعَة فأعطانيهاَ، فأَكْبَرْتُ صنيعَ هذا الأخ وقُلْتُ لا تخْلو الدنيا من أهل الخير لما انْتَهَيْت قال لي: أوَدُّ خَمْسَ لِيْرات !! فقُلْتُ له: لو طَلَبْتَ ألفاً لأعْطَيْتُك ؛ لَيْتَكَ لم تطْلُب خمس لِيْرات، حَبِطَ عمله كان مُقْرِضاً لله ثمَّ أصبح ثمنه خمس ليرات، إذا كان مُقابل العمل الدراهم انْدثر الأجر، يوم القيامة يرى الإنسان اللُّقْمة التي أطْعَمَها لِفَقير مثل جبل أُحُد هناك من لا يتَحَرَّك حركة إلا وهو طالبٌ للنقود ! هؤلاء ما أقْرضوا الله قَرْضا حَسَناً، تُوُفِّيَ لأحد إخْواننا أخ، فالأخ الذي لم يتَوَفَّ معه الملايين، والذي تَوَفى لا يمْلكُ من الدنيا شيئاً، فقال لي ابن الأخ عزم أخزه هذا كُلَّ الذين جاءوا للتَّعْزِيَة وأعْطاهم ثمان مائة لَيْرة ؛ وهي تُعادل الآن ثمانين ألف ليرة !! وقال هذه لأوْلاد أخي الفقراء، كسب الوَجاهَة والسُّمْعة، وأقْرِضوا الله قرْضاً حسناً، وما تُقَدِّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله، ذَكَرَتْ لي أُخْت كنت معْزومَةَ على عُرْس فإذا قَدَّمْتُ باقة وُرود وَحَسِبْتُهُ من الزكاة فهل يجوز هذا ؟! قال تعالى:

﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(20)﴾

[المزمل: الآية 20]

والحمد لله رب العالمين

الباب التاسع : تفسير سور (من المدثر و لغاية البلد)

الفصل الأول : تفسير سورة المدثر

الدرس (1-3) : تفسير الآيات 8-30 ، نعم الله على عباده

الدرس (2-3) : تفسير الآيات 38-46 ، وصف حال أهل النار

الدرس (3-3) : تفسير الآيات 54-56 ، مشيئة الله

الدرس (1-3) : تفسير الآيات 8-30 ، نعم الله على عباده

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل في سورة المُدَّثِر:

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ(8)﴾

[المدثر: الآية 8]

أيْ نُفِخَ في الصور:

﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ(9)عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ(10)﴾

[المدثر: الآية 9-10]

ذَرْنِي

يا محمَّد صلى الله عليه وسلم

﴿ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾

خلقْتُهُ المخْلوق الأول ؛ كَرَّمْتُهُ وسَخَّرْتُ له ما في السماوات والأرض ومَنَحْتُهُ نعمة العقْل وحُرّيَّة الاخْتيار وأوْدَعْتُ فيه الشهوات لِيَرْقى بها إلى ربِّ الأرض والسماوات، جَعَلْتُ له مالاً ممدوداً وزَوْجَةً من نفْسِهِ، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾

[الروم: الآية 21]

فهذا المخْلوق الذي عَرَضَ الله عليه الأمانة قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (72)﴾

[الأحزاب: الآية 72]

هذا هو معْنى قوله تعالى:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا(11)﴾

[المدثر: الآية 11]

وهناك رأيٌ آخر وتفْسيرٌ آخر، خَلَقْتُهُ ضعيفاً لا عُزْوَةَ له ولا أتْباع له ولا أهْل له ؛ وحيداً وسَيَأْتيني وحيداً، خُلِقَ وحيداً إلا أنَّهُ حينما يَكْبُر يُكَوِّنُ له جماعة، وأتْباعٌ وأنْصار، ويَدْعَمُ نفْسَهُ بأساليب مُتَعَدِّدة، يشْعُرُ بمَكانة فإذا كان الإنسان بِبَلَدِهِ وله مكانةٌ فيه ومنْصَب وله أتْباع ومُريدين وأنْصار هذا مرْكَزٌ قَوِيّ، أما إذا جاء الموتُ لَقِيَ الله وحْدَهُ كما خَلَقَهُ وحْدهُ قال تعالى:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا(11)وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا(12)﴾

[المدثر: الآية 11-12]

الأغْنِياء يُعْطَوْنَ الدنيا، هذا يقول: لي مالٌ لا تأكُلُهُ النِّيران، ومالٌ لا ينْفَذ ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا(13)﴾

[المدثر: الآية 13]

أوْلادٌ في بَيْت يشْهدون له فضْل الله عليه، أوْ أوْلادٌ يملئون له حياته بهْجَةً ويشْهَدون له كيْفَ خُلِقَ من ماءٍ مهين ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا(14)﴾

[المدثر: الآية 14]

الأمور كُلُّها مُيسَّرة له الآن بلغ الإنسان درَجَةً من الحضارة المادِّية جَعَلَتْ له كُلَّ شيءٍ مُيَسَّرٌ ؛ السفر، والطعامُ والشراب، والمَسْكن، والاتِّصالات والمَرْكب، الأرض مُذَلَّلةٌ وصُمِّمَتْ خِصيصاً لِتَقومَ بِحاجات الإنْسان، هذه الأرض أمينَةٌ على مصالح الإنسان، ثمَّ قال تعالى:

﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ(15)﴾

[المدثر: الآية 15]

ينْسى ربَّهُ ويغفُل عنه ويطْمعُ أنْ أزيده عطاءً قال تعالى عندها: كلاًّ، هذه الآية معْناها أنَّ الإنسان أحْياناً يكون خَطُّهُ البياني صاعِد، إنْ لم يكن على طاعة الله فهذا الصُّعود مؤقتٌ ؛ لا بد من هُبوط، مُستحيل أنْ يكون خطُّك البياني صاعداً صعوداً مُسْتمِراً إنْ لم تكن على طاعة الله ! هذا صُعودٌ مؤقت، و صُعودٌ اسْتِدْراجي، وصُعودٌ يكْشِفُ عن حقيقتك، وصُعودٌ لِتُبْتلى، ثمَّ هناك هُبوطٌ حادّ ؛ إلا إذا كان طائِعاً لله فَصُعودُهُ مُسْتَمِرّ ثمَّ قال تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا(16)سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا(17)إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ(18)﴾

[المدثر: الآية 16-18]

هذه الآية تُبَيِّن أنَّ عقْل الإنسان كَعَيْنِهِ ؛ عَيْنُ الإنسان رائِعَةٌ جداً ولكن لا قيمة لها من دون ضَوْء لو وَضَعْنا إنْساناً أعْمى في غُرْفَة، وإنْساناً بصيراً في أدَقِّ أنواع البَصَر وأطْفأنا المِصباح لهما، فهما سواء ! فالعَيْنُ لا قيمة لها من دون نور كذلك العقل لا قيمة له إلا إذا كان هناك وَحْيٌ يهْتدي به لا بدّ من وَحْيٍ فِبِدون الوَحْي إنَّهُ فكَّر وقدَّر، الأجانب يُفَكِّرون ويَرَوْنَ أنَّ السعادة بالإباحِيَّة وبالزِّنى والشذوذ، وبِكَسْب المال بأيِّ طريق، وبِقَهْر الشعوب، وغصْب الثروات، وبالاسْتِعْلاء ؛ تفْكيرهم قادهم إلى هذا غفلوا عن الآخرة وظنوا أنَّ هذه الدنيا لهم وحْدهم، زارني أخٌ صباحاً فقُلْتُ له كلمة موجَزَة مهما ذَهَبْتَ إلى بلاد الغرب ورأيْتَ من إنْجازات علميَّة حدائق، مواصَلات، نظام صارم، أرض خضْراء، بلادٍ غَنِيَّة، ونظام قاسي ؛ إنْ كان هناك آخرة المؤمنون أذْكى منهم ؛ من باب الدُّعابة إنْ لم تكنْ هناك آخرة هم أذْكى منا لأنَّهم يعيشون في الرَّفاه واغتصبوا ما أرادوا، ثمَّ الحساب منعدم! أما إذا كان هناك حساب دقيق وآخرة أبدِيَّة للمُحْسِنِ المُستقيم، هنا يُصبحُ المؤمنون أذكى منهم، لذلك الإنسان عليه أن لا يتسَرَّع ؛ قال تعالى:

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ(18)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(19)ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(20)ثُمَّ نَظَرَ(21)ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ(22)ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ(23)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ(24)إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ(25)سَأُصْلِيهِ سَقَرَ(26)وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(27)﴾

[المدثر: الآية 18-26]

لا يُنكِرُ الإنسان أنَّهُ يُمكن أن يتفلَّتَ من منهج الله دون أنْ يطْعن في الدِّين الإنسانُ المُتَفَلِّت له رأيٌ في الدِّين غريب، يقول لك: الدِّين شيءٌ قديم فيه سذاجة، ومحْدوديَّة، فيه غَيْبِيات وهو غير عِلْمي لا ترى الإنسانُ المُتَفَلِّت له رأيٌ في الدِّين غريب إلا وهو مُتَفَلِّت عن المنهج الرباني ؛ هذا الرأي السَّلْبي حتى يتوازن مع نفْسِهِ، الدِّين حقّ وهو مُخالفٌ لأوامره يخْتَلّ توازنه ويقعُ في قلقٍ شديد، فلذلك الإنسان من علامة ضَعْفِهِ أنَّهُ يتفَلَّت من منهج الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ(18)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(19)ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(20)ثُمَّ نَظَرَ(21)ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ(22)ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ(23)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ(24)إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ(25)سَأُصْلِيهِ سَقَرَ(26)وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(27)لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ(28)لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ(29)عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ(30)﴾

[المدثر: الآية 18-30]

هذا كلام ربِّ العالمين أيها الإخوة، كما قُلْتُ سابِقاً الأمور لا تجْري على ما يُرام إلا ما شاء الله، غير المؤمنين هناك صُعود ثمّ هبوط، أما إذا كنت مؤمناً فَخَطُّك البياني دائِماً في صُعود واسْتِمْرار إنْ شاء الله، ويجْعَلُ الله للمؤمن نِعَمَ الآخرة مُتَّصِلَة بِنِعَم الدنيا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-3) : تفسير الآيات 38-46 ، وصف حال أهل النار

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الكريمة في سورة المُدَّثِّر وهي قوله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(38)إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ(39)فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ(40)عَنْ الْمُجْرِمِينَ(41)مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(42)قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(43)وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(44)وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(45)وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(46)حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾

[المدثر: الآية 38-47]

لو أنَّ تاجِراً ذهب إلى سِجْن عدرا، وسأل مسْجوناً هناك، ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ يقول مثلاً: بضاعة غير نِظامِيَّة، وأنت ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ قال: تحْويل العملة خِلاف القانون، هذا الجواب من هذين السجينَيْن ألَيْسا درساً بليغاً لِهذا التاجر الطليق، الآن ربنا عز وجل ينقلنا إلى مشهد من مشاهد يوم القِيامة ؛ جَهَنَّم ممتلئة بمن فيها، وقد سُئِلَ بعض من فيها: ما الذي أوْصَلَكم إليها ؟ هذا كلامٌ دقيق جداً، فالله عز وجل أعاننا على أنْفسنا، وأعْطانا أحد أكبر أسباب دُخول النار، قال:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(42)قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(43)﴾

[المدثر: الآية 42-43]

الدينُ هو الصلاة ولا خير في دينٍ لا صلاة فيه، والصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدِّين ومن هَدَمها فقد هدَم الدِّين، الصلاة هي الفرْض الذي لا يسْقط بِحالٍ، فالصيام يسقط عن المريض والمُسافر، ويسقط الحجّ عن المريض والفقير، والشهادة تُؤَدى مرَّةً واحدة، وكذا الزكاة على الفقير إلا الصلاة فهي الفرض المُتَكَرِّر الذي لا يسقط بِحال، وهي عماد الدِّين، فلو تَصَوَّرْتَ خَيْمة لها عمود بالوَسَط، لو ألْغَيْتَ هذا العمود لم تبْقَ خَيْمة وأصْبَحتْ قِماشاً على الأرض، هذه الخَيْمة بِهذا العَمود، فالصلاة عمود الدِّين أو عماد الدِّين، الشيء الذي يوصِل إلى النار قولهم: لم نكنُ من المُصَلين ! والدِّين اِتِّصال بالخالق وإحْسانٌ إلى المَخْلوق، فَهُناك حرَكَة نحو الله، وحركة نحو عِباد الله، نحوَ الله اتِّصالاً ونحو عباد الله إحْساناً قال تعالى:

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْت حَيّاً (31)﴾

[مريم: الآية 31]

الدِّينُ كُلِّه في كلمتين: اِتِّصال بالخالق وإحْسانٌ إلى المَخْلوق.

الآن هناك ألف مُشْكلة مع الخَلْق، وهذه المُشْكِلات مع الخَلْق هي أعْراض انْقِطاعُ الإنسان عن الله، فإذا صَحَّت صِلَتُهُ بالله حُلَّتْ مُشْكِلاته مع الخَلْق والطبيب الناجح إذا رأى اِرْتِفاع الحرارة يَعُدّ هذا الارْتفاع عارِضاً وليس مَرَضاً، فَهُوَ عرَضٌ لِمَرَضٍ، فهُوَ يُعالِجُ المَرَض وليس يُعالِجُ العَرَض أما الطبيب غير الناجح يُعْطي خافِض للحرارةِ أما السبب موْجود والمرض موجود فأنت بين أن تُعالِجَ العَرَض بِمُسَكِّن، وبين أنْ تُعالِجَ أصْل المَرَض بِدَواءٍ مُضادٍّ للالْتِهاب، إذاً المُشْكِلات مع الخَلْق هي أعْراض انْقِطاعُ الإنسان عن الله عز وجل، فالانْقِطاع عنه تعالى يُورث أنانِيَّة وكِبْر وعُدْوان وأن تأخذ ما ليس لك، وأن تخْدع وتكْذب وتُنافِق، هذه كُلُّها أعْراض الإعْراض، ولو أنَّك اِتَّصَلْتَ بالله عز وجل لَكُنْتَ إنْساناً آخر فلذلك الآية الكريمة:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(38)﴾

[المدثر : الآية 38]

يعْني اكْتَسَبَت عملُها والعمل مُطْلق حركة الإنسان، فأنت لك حركة إذْ تخرج من البيتْ وتلْتقي مع صديق، دَخَلْتَ إلى بَيْتك، وعامَلْتَ زَوْجَتَك وأوْلادك حركتُك في الحياة ما بين بيْتِك وعمَلِك، وطريقِكَ وحِلِّكَ وتِرْحالِكَ وسَفَرِك وإقامَتِكَ ومَرَضِكَ وصِحَتِك وغناك وفَقْرِك، فالحَرَكَة هي الكَسْب وهي من اخْتِيارك وأنت منوطٌ بهذا الكَسْب، وهذا الكَسْب والحركة والعمل إن كان كريماً أكْرَمَكَ، وإن كان لئيماً أسْلَمَك، وفي النِّهاية إنْسانٌ مُحْسن في بيْتِه وفي عَمَلِه، وصادق ومُستقيم، فهذا إذاً عمله صالح، وما دام عملهُ صالح فالثَّمَن الجَنَّة، قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(38)﴾

[المدثر : الآية 38]

والدين كُلُّهُ قُيود، بل حُدود وضمانات لِسَلامَتِك، وهذه الأخيرةِ سبيل إلى الحُرِيَّة والرُّقَي، وتَرْكُ الدِّين كُلِّه هي حُرِيَّة البهائِم، وحُرِيَّة التَفَلُّت وتنْتهي إلى القَيْد ؛ إما قَيْدٍ نفْسي كالكآبة، وإما قيْدٍ حقيقيٍّ كَالسِّجْن، فإذا تَفَلَّتَ الإنسان من منْهج الله سَيَنْتهي بِمَرَضٍ نفْسي أو مهْجَعٍ من مهاجِع السِّجْن، أم إذا تَقَيَّد بِأمْر الله رَفَعَهُ الله عز وجل، فالنَّفْسُ رهينَةٌ عَمَلِها ومَحْبوسَةٌ بِعَمَلِها، وبالحياة العَمَلِيَّة نفْس الشيء ؛ المُواطن المُنضَبط بالقوانين طليق، ومعه تأشيرة خُروج دائِماً، ويُسافر إلى أيِّ بلَدٍ أراده ولا أحد يمْنَعُهُ من ذلك، أما المُتَلَبِّسْ بِجَريمة قابعٌ بالسِّجْن، وحُجِزَتْ نَفْسِيَّتُه قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(38)إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ(39)﴾

[المدثر : الآية 38-39]

قال تعالى:

﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ(40)عَنْ الْمُجْرِمِينَ(41)مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(42)﴾

[المدثر: الآية 40–42]

ما الذي أوْصَلَكم إلى النار قال تعالى:

﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(43)﴾

[المدثر: الآية 43]

التِّصال بالله منعدِم قال تعالى:

﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(44)﴾

[المدثر: الآية 44]

الإحْسان إلى الخلق منعدِم قال تعالى:

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(45)﴾

[المدثر: الآية 45]

مُصَمِّم أزْياء بِفِرَنْسا، يُحَدِّد للمُسلِمات في العالم الإسْلامي ثِيابَهُم، إذا أراد أنْ يُقَصِّر فله ذلك، وإن أراد التضْييق ضَيَّق، لو دَخلوا جُحْر ضَبٍّ لَدخَلْتُموه، يقولون لك: هكذا المُودا، رَكِّبوا صُحوناً فَرَكَّبْناها فأنت مع التيار العام والانْحِراف، ومع صَرْعات الأزْياء، والمُسْتَجَدات السَّخيفة ومع السُّلوط الرخيص، هكذا الناس، وهي حُجَّةُ الناس جميعاً ؛ هكذا الناس ! هل الكُلُّ على الغلط ؟! نعم كُلُّهم على الخطأ والغلط قال تعالى:

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116)﴾

[الأنعام: الآية 116]

وقال تعالى:

﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً (28)﴾

[النجم: الآية 28]

وعندك بيْتاً ومُسْتأجر بيت وتوَدُّ النِّصْف الآخر لماذا ؟ كُلُّ الناس هكذا !! أصْبح هذا عُرْف، فإذا كان الإنسان ليس له بيت، وكان مُضْطر وسَيُصْبحُ بالطريق، يقول لك: سَنُعْطيه له بِنِصْف ثَمَنِهِ مع أنّه هذا الأخير له بيْت ! فالذي يُحَكِّم العادات والتقاليد غير الصحيحة ويَلْهَث وراء صَرْعات الأزْياء ؛ هذا هو معنى قوله تعالى:

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(45)﴾

[المدثر : الآية 45]

والناس تقول: ضع رأسك بين الرؤوس وقل يا قُطاع الرؤوس.

قال تعالى:

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(46)﴾

[المدثر:الآية 46]

لا يوجد تَكْذيب قولي في العالم الإسلامي، لا يجْرأ مُسلم أنْ يقول ليس هناك آخرة، أما إذا تَفَحَّصْتَ عملَهُ تجِدُهُ قطْعاً، لا يؤمن بالآخرة، فالذي يأخذ ما ليس له هل هذا يؤمن بالحِساب الدقيق، وهل يؤمن بِقَوْله تعالى

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (8)﴾

[الزلزلة: الآية 7-8]

لو ذَهَبْتَ إلى بَيْروت هناك أشْياءٌ جميلة جداً، لكن هناك أمور ليْسَت من أهْلك، كُلَّما اشْتَرَيْتَ شيئاً تُفَكِّر بالطريق عن الجُمْرك هل تُؤخذُ منّي ؟! وهل يُدَقِّقون فيها ؟ معقول أن تجد في بَيْروت سيارة رخيصة ولا تُدْخِلُها للشام ! لن يُسْمح لك بإدْخالها، وكذا المؤمن كلما وَقَف بِمَوْقف فَكَّر بِمَوْقِفِه أمام الله عز وجل، وهل يُسامِحُني فيها الله تعالى ؟ هذا هو مَوْقف المؤمن إذاً التَّكْذيب عَمَلي وليس قَوْلي، الآن تجد ستة آلاف دَعْوة كُلُّها كَيْدِيَّة بِقَصْر العَدْل، وكُلٌّ يأكل الآخر، مع أنَّهُم مُصلون !! نقول بِصَوْتٍ كبير هذا الذي يأخذ ما ليس له عُدْواناً: هذا يُكَذِّبُ بالآخرة ولكن تَكْذيباً عمَلِياً وليس قوْلِياً إذْ لو كَذَّبْتَ قَوْلِياً لناقَشْناك، أما أنت تُلَبِّس في الكَلام وهذا أخْطر، يقول: لا سبحان الله نؤمن بالله واليوم الآخر، أم لو تَفَحَّصْنا عَمَلَك لَوَجَدْناهُ خالِياً من الإيمان، فَحَرَكَتُك خِلاف منهج الله تعالى فهذه أربع خصائص:

لم نك من المُصَلين ولم نَكُ نُطعمُ المسكين وحركتنا بالحياة أننا كنا نخوض مع الخائِضين، وسبب اِنْكِبابنا على المعاصي: التكذيب العَمَلي كنا نُكَذِّب بِيَوم الدِّين، بِصَراحة بالتعْبير العامي: لا أحد قابِض جهنَّم، أما لو وضَع كبريت على يده وَلْوَلَ، إذا كان زبون غشيم تُلْبِسُه أسْوء بِضاعة بِأغبى سِعْر، وتشْعر أنَّك شاطر، وإذا الأخ الكبير يأخذ كُلَّ الثَّرْوة ويسْتغِلّ ضَعْف إخْوته ويأخذ وكالة عامَّة ويتْركهم لا شيء، لذلك من آمن بقوله تعالى:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (8)﴾

[الزلزلة: الآية 7-8]

وقفَ عند حُدود الله، فهؤلاء الذين في النار سبب دُخولهم فيها هذه الأشياء الأربع، ونحن في الدنيا أعْطانا مَشْهد من مشاهد يوم القيامة قال تعالى:

﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(43)وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(44)وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(45)وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(46)حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾

[المدثر: الآية 43- 46]

الحقائق التي جاء بها الأنبياء يعرفها الناس جميعاً يومَ القِيامة، وهذه المعْرِفَة لا قيمة لها إطْلاقاً ولا تُقَدِّم ولا تُؤَخِّر تماماً كالذي يدخل للامتحان والورقة بيْضاء يأخذ صِفْر، ثمَّ إذا رجع إلى البيتْ يفْتح الكتاب فإذا به يفْهم السؤال، فَفَهْمُ السؤال بعد أداء الامتحان لا قيمة له إطْلاقاً، فلو قدَّم للوزير أنَّني عُدْتُ إلى المنزل وفَهِمْتُ الجواب على السؤال، كي يُدْرج اسمي مع الناجِحين ! لذلك قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158)﴾

[الأنعام: الآية 158]

الإيمان قيمتُه في الوقْت المُناسب، وأنت حيٌّ تُرْزق وأنت صحيح قَوِيٌّ غَنيّ، أما على فِراش الموت كُلُّهم يؤمن حتى فرعون، من الذي أنكر وُجود الله، الذين قالوا: لا إله هذا نفسُه تؤمن وسيقول كما قال تعالى:

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)﴾

[يونس: الآية90]

فرعَون وآمن، والإنسان قبل فوات الأوان يجب أنْ يعرف الواحد الدّيان.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ(48)﴾

[المدثر: الآية 48]

يا فاطمة بيت محمد ويا عباس عمَّ رسول الله أنقِضا نفْسَيْكما من النار فأنا لا أُغْني عنكما من الله شيئاً لا يأتيني الناس بِأعْمالهم وتأتوني بِأنْسابكم من يبطئ به عمله لم يسْرِع به أجله، قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19)﴾

[الزمر: الآية 19]

يعني يا محمّد هل تُنْقذ من في النار؟ مُسْتحيل، أما مفهوم من مات مُوَحّدا غير مُشْرك بالله فهذا درس الشفاعة له مفهومه الصحيح لا بد أن لا يخرج عليه الإنسان في فهْمه، أما أن يتفلَّت الإنسان ثمّ يقال شفاعة، فهذا مفْهوم ما أراده النبي عليه الصلاة والسلام، مثاله من قدَّم لامتحان اثنى عشرة مادّة فَنَجح إلا في واحدة تنقصه بعض النقاط فهذا يُمكن أنْ يُشْفع له، أما كُلُّ المواد صِفْر ثمَّ الشفاعة !! هذا كلامٌ مَرْفوض.قال تعالى:

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(49)كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ(50)فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ(51)﴾

[المدثر: الآية 49-51]

خلقْتُ لك السماوات والأرض ولم أعْيَ بِخَلْقِهِنّ أفَيُعْييني رغيفٌ أسوقُهُ لك كُلَّ حين، لي عليك فريضة ولك عليَّ رِزْق، فإذا خالَفْتني في فريضتي لم أُخالِفْكَ في رِزْقِك، وعِزَّتي وجلالي: إن لم ترضَ بما قَسَمْتُهُ لك فلأُسَلّطَنَّ عليك الدنيا، ترْكُض فيها ركْض الوَحْش في البريَّة ثمَّ لا ينالك منها إلا ما قَسَمْتُه لك ولا أُبالي، أنت تريد وأنا أريد فإذا سلَّمْت لي فيما أريد كَفَيْتُكَ ما تريد وإنْ لم تُسلِّم لي فيما أريد أتْعَبْتُك فيما تريد ثمَّ لا يكون إلا ما أريد.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-3) : تفسير الآيات 54-56 ، مشيئة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل في أواخر سورة المدَّثر:

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ(54)فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ(55)وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ(56)﴾

[المدثر: الآية 54-56]

فالإنسان يتحرَّك، يعْمل، ينتمي، يُوالي، يتعلَّق، يميل، من هذه الجِهَة التي ينبغي أنْ تميل إليها ؟ وأن تتعلَّق بها وتُحِبَّها ؟ وأن تمْحَضَها إخْلاصَك وحُبَّك ؟ وأن تُطيعَها وتُفْنِيَ شبابك فيها ؟ وتُمْضِيَ طول عُمْرك في طلب رِضْوانها ؟ إذا كنت تعرف من أنت ؟ فلن ترْضى إلا أنْ يكون الله عز وجل هو مَحَطُّ آمالك، ونِهايَةُ رغباتك.

الإنسانُ أحْياناً تصْغُرُ نفْسهُ فَيَتَعَلَّقُ بِزَوْجَةٍ، أو بِقَوِيٍّ يُواليهِ، يُقَدِّمُ له كُلَّ إمْكانِياته، طبْعاً هو أهْل التقْوى، ليس إلا الله أهْلٌ أن تُطيعَهُ وتتَّقِيَهُ وأن تُخْلِصَ له، لأنَّ المخْلوق ضعيف، قال تعالى:

﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14)﴾

[فاطر: الآية 14]

لكنَّ الله سبحانه وتعالى معك ويسْمَعُ دعاءَك، ويسْتجيبُ لك ويُحِبُّك فقَضِيَّةُ الإيمان هي ولاءٌ لله عز وجل، المؤمن يُوالي لله قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)﴾

[البقرة: الآية 165]

إحْدى الصحابِيات الجليلات عَقِبَ معْركة أُحُد ذَهَبَتْ إلى أرْض المعْركة فإذا زَوْجُها بين القَتْلى، قالت: ما فعَلَ رسول الله ؟ فإذا بِأبيها بين القَتْلى فقالت: ما فعل رسول الله ؟ فإذا ابنها بين القَتْلى، فقالت: ما فعل رسول الله ؟ فإذا أخوها بين القَتْلى ؛ ما من امرأةٍ ترى زَوْجها وأباها وأخاها وابنها قتْلى وتسأل عن رسول الله ! فمازالتْ تسْأل عنه حتى رأتْهُ بِأُمِّ عَيْنِها واطْمأنَّتْ، وقالتْ: يا رسول الله كُلُّ مُصيبةٍ بعدك جَلَل ! أردتُ أن أبيِّنَ لكم أنت تُوالي من ؟ هناك من يعْصي الله من أجْل زَوْجَتِه معنى ذلك أنَّ ولاءه لِزَوْجَتِه، وإنسانٌ يعْصي الله من أجل أولاده، ومعنى ذلك أنَّ ولاءه لأوْلاده، إنْسان يعْصي الله من أجل قَوِيٍّ يتمنى قُرْباً

منه أو نوالاً أو عطاءً أو يتّقي شَرَّهُ فَيَعْصي الله، إذاً ولاؤهُ لهذا القَويّ بينما المؤمن ولاؤه لله عزَّ وجل، ومن كان الله وَلِيَّهُ كاهُ كُلَّ شيء.

الله عز وجل حينما يتدَخَّل فَكُلُّ شيء بِيَدِهِ، فَمَن هو العاقل ؟ هو الذي يُوالي أقْوى الأقْوِياء وهو الله تعالى، وملِكَ المُلوك، أنا ملِكُ المُلوك ومالكُ المُلوك قُلوبُ المُلوك بِيَدي، فإن العِبادُ أطاعوني حَوَّلْتُ قلوب المُلوك عليهم بالرَّحْمة والرأفة، وإنْ العباد عَصَوْني حَوَّلْتُ قُلوب العِباد عليهم بالسُّخط والنقْمة، فلا تشْغُلو أنْفُسَكم بِسَبِّ المُلوك، وادْعوا لهم بالصلاح فإنَّ صلاحَهم بِصَلاحِكم، ما من مخْلوقٍ يعْتَصِمُ بي من دون خَلْقي أعْرِفُ ذلك من نِيَّتِه فَتَكيدُهُ أهْلُ السماوات والأرض إلا جعَلْتُ له من بين ذلك مخْرجاً وما من مخْلوقٍ يعْتَصِمُ بِمَخْلوقٍ دوني أعْرِفُ ذلك من نِيَّتِه إلا جَعَلْتُ الأرضَ هَوِياً تحت قَدَمَيْه، وقطَّعْتُ أسباب السماء بين يَدَيْه، المؤمن وَلِيُّه الله، قال تعالى:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)﴾

[يونس: الآية 62]

ولله رِجالٌ إذا دَعَوا الله أجابَهُم، وأعْظَمُ كرامَة ينالُها المؤمن عند الله كرامَةُ العِلْم وكرامة الدُّعاء المُسْتجاب، فحينما تكون وَلِياً لله عز وجل يكون دُعاؤُكَ مُسْتجاب وهو يَحْفَظُك لذلك قال تعالى:

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19)﴾

[الأنفال: الآية 19]

قال تعالى:

﴿ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)﴾

[البقرة: الآية 193]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)﴾

[البقرة: الآية 153]

ماذا تعْني كلمة مع ؟! معَهُم بالتأييد والنَّصْر والحِفْظ والتَّوْفيق، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12)﴾

[المائدة: الآية 12]

هذه مَعِيَّةُ الله مبْذولةٌ لكم جميعاً ؛ هو أهل التَّقْوى، ولذلك من قال: الله أكبر ألْفَ مرَّة وأطاعَ مخْلوقاً وعصى خالقاً فما قالها ولا مرَّة ولو رَدَّدها ألْف مرَّة، لو كانت لك بضاعة كاسِدة جاءك من يطْلبها أوْهَمْتَهُ أنَّها جيّدة جداً، وكذَبْتَ عليه حتى بِعْتَها، مع أنَّكَ خالَفْتَ أمْر الله عز وجل إذْ كَتَمْتَ عَيْبَها وحقيقَتَها، فأنت بِهذا العَمَل ترى أنَّ بَيْع هذه السِّلْعة أغْلى من رضى الله تعالى، فالقَضِيَّة مع الله ليس كلاماً تتكَلَّمه فَبِالكلام نحن فِداه، ونُحِبُّه ونُطيعُهُ، دينُكَ يظْهر في مَحَلِّكَ التِّجاري، وفي بَيْعِكَ وشِرائِك وفي صِدْقِكَ وأمانتك، فإذا كانت طاعة الله عندك أغنى من كُلِّ شيء كنت ولِياً لله وإن لم تكن كذلك كانت هناك مُشْكلة كبيرة تتعَرَّضُ لها، قال تعالى:

﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ(56) ﴾

[المدثر: الآية 56]

فلا يليق بك أنْ تكون لِغَيْر الله، وإلا تحْتقِرُ نفْسك كلُّ إنسان يجْعل نفْسهُ تَبَعاً لِجِهَة أرْضِيَّة أو تبعاً لِجِهَة قَوِيَّة، أو لشَهْوة من شَهَواتِه، معنى ذلك أنَّهُ لا يعرف الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ(54)فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ(55) ﴾

[المدثر: الآية 54-55]

فالإنسان بِصِحَّة جيِّدة وفي بَحْبوحة وفي بَيْتِهِ، يتحرَّك، وحواسُّهُ الخَمْس سليمة، وعندهُ قوتُ يومه، وله أهْل، أما حينما يقترب الأجل وكان هناك تقْصيرٌ سابقاً يصيحُ الرَّجُلُ صَيْحَةً لو سَمِعَها أهْل الأرض لَصُعِقوا، نَدَماً على ما فرَّطَ، قال تعالى:

﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)﴾

[الزمر: الآية 56]

وقال تعالى:

﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30)﴾

[الفجر: الآية 24-30]

وقال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (27)﴾

[الفرقان: الآية 27]

فَكُلُّ إنسان يندم كان ذلك دليلاً على نَقْصٍ في العَقْل أما سيِّدُنا عليّ قال: لو كُشِفَ الغِطاء ما ازْدَدْتُ يقيناً، ولو عَلِمْتُ أنَّ غداً أجلي ما قَدَرْتُ أنْ أزيدَ في عَمَلي.

أنا وَقَفْتُ عند هاتين الكلمتين ؛ هو أهل التقوى أيْ أهْلٌ أنْ تُحِبَّهُ أبَدِي وسَرْمدي، لو أحْبَبْتَ من دونه ؛ أحْياناً يُحِبُّ الإنسان زوْجتهُ فإذا كبرَتْ بالسِّنّ ذهب أكثر بريقِها، أو تتنَكَّرُ له حينما يكبرُ أوْلادها تُهْمِلُ زوْجَها وما أكثر من يفْعَلْن ذلك، فَهُوَ مَحَضَها حُبَّهُ وإخْلاصَهُ، وهي قابَلَتْهُ إنْكاراً لِجَميلِهِ، والنبي قال: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ

((رَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ قَالُوا لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بِكُفْرِهِنَّ قَالَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لَا وَلَكِنْ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ *))

[رواه أحمد]

فَكُلُّ إنسان يضَعُ كُلَّ آمالهِ بِزَوْجَتِهِ أو أوْلاده أو مالِهِ، قال أحدهم كلمَةً أظُنُّهُ مؤمناً لكِنَّهُ غلط: الدراهِم كالمَراهِم، تَحُلُّ كُلَّ مُشْكِلَة، فإذا بالله بعثَ له مُشْكلة بَقِيَ بالسِّجن ثمانٍ وستون يوماً ولم تحلّ معه بالدراهم، فأنت بِتَوْفيق الله وحِفْظِهِ لا بِمالِك ولا بِأعْوانك، وكُلُّ إنسانٍ يتعلَّق بآخر ويضَعُ كُلَّ الثِّقَة عليه ويعْقِدُ كُلَّ الآمال عليه الله عز وجل يُلْهِمَ هذا المُتَّبَع أنْ يتنكَّرَ لك ! وهذا يحْصل دائماً.

قال تعالى:

﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ(56)﴾

[المدثر: الآية 54-56]

فإذا أراد أنْ يغفر لك فلا جِهَة تمْنعُه، أما الأشْخاص يقول لك: لا أستطيع والقانون لا يسْمحُ لي أنْ أُسامِحَكَ بالضَّريبة، وهناك لجنة مُبايعات فلا أستطيعُ أنْ آخُذها بهذا السِّعْر، فأيُّ جِهَةٍ أرْضِيَّة هناك جِهَةٌ أعلى منها قال تعالى:

﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ(56)﴾

[المدثر: الآية 54-56]

قال تعالى:

﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)﴾

[المائدة: الآية 118]

الذي لا يحفظ كتاب الله يقول: فإنَّك أنت الغفور الرحيم ! ولكن الآية فإنَّك أنت العزيز الحكيم، أيْ إنْ أردْتَ أنْ تغْفر فلا جِهَة تُحاسِبُك لماذا غَفَرْتَ ؟! فلو أنَّ أعلى إنسانٍ أعْفاك من ضريبة لَحُوسِبَ، أما إذا أراد الله تعالى أنْ يغْفر لك فلا يوجد في الأرض جِهَةٌ تمْنَعُه ولله المَثَلُ الأعلى قال تعالى:

﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)﴾

(المائدة: الآية 118)

عزيزٌ فلا يسْتطيعُ أحدٌ أن ينال منك أو أن يصِلَ إليك أو أن يُحاسِبَك.

فالقصْدُ من هذا أنْ تتَّجِهَ لله وحْدهُ، ولا تُعَلِّقَ الأمل على زَيْدٍ أم عُبَيْد إنما أنْ تُعَلِّقَ الأمل على الله عز وجل، وأكبر مرض يُصيبُ المسلمين الآن الشِّرْك الخَفيّ، أما الشِّرك الجليّ لا يوجد ولله الحمد، هناك آلاف الآلهة كُلُّها أصْنام وبوذاً وما إلى ذلك، نحن لا يوجد لدينا آلهة نعْبدها من دون الله، لكن يوجد مليون إله نعْبُدُه ولا نشْعر، قال تعالى

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (43)﴾

[الفرقان: الآية 43]

فالهوى أحد هذه الآلهات تعْبده وأنت لا تشْعر، وتُضَحي بِطاعتك لله من أجل هواك، فالشِّرْك الخَفيّ كما قال النبي الكريم: أخوف ما أخاف عليكم الشِّرْك الخفيّ...شَهْوَةٌ خَفِيَّة وأعمال لغير الله ".

إذاً كما قال تعالى:

﴿ " كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ(54) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ(55)وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ(56)﴾

[المدثر: الآية 54-56]

فقوله تعالى: كلا إنه تذكرة أي القرآن، وقوله:

﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ(55)وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾

هذا ربْط فضْل، وقَيْد فضْل وليس قيْدُ جَبْرٍ كلامٌ دقيق جداً، فأنا دخَلْتُ إلى مَحَلٍّ تِجاري يبيعُ ألْماس فأقول لك: اِخْتر ما شئْت فانْتَقَيْتَ خاتماً ثمنُهُ ثمان مائة ألف !! ثمَّ عند خروجك قلتُ لك: لولا أنَّني سَمَحْتُ لك بالاختيار لما أخذْتَ هذا الخاتم، فلو مَنَعْتُكَ أن تخْتار ربما كنتُ أهْدَيْتُكَ خاتماً ثمنه ثمان مائة ليرة، فَرَبْطُ مشيئة العَبْد بِمَشيئة الربّ ربْط فضْل وليس ربْط جبْرٍ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ لولا أنَّ الله شاء لهم أنْ يذْكروا لما ذَكروا، ولولا أنَّ الله تعالى شاء لهم أنْ يشاءوا لما شاءوا، ولولا أنَّ الله تعالى شاء لهم أنْ يعْقِلوا لما عقلوا، أعْطاهم عقْلاً فهذا كُلُّه من مشيئة الله لنا، فقد شاء لنا أنْ نكون المخْلوقين الأوَّلين في الكون

﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ(56)﴾

[المدثر: الآية 54-56]

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : تفسير سورة القيامة

الدرس (4-1) : تفسير الآيات 13-19 ، نفوس البشر

الدرس (4-2) : تفسير الآيات 3-4 -7-9

الدرس (4-3) : تفسير الآيات 10 - 15 ، دِقَّة الحساب

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 20 - 40 ، الدنيا

الدرس (1-4) : تفسير الآيات 13-19 ، نفوس البشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، النفوس أيها الإخوة في القرآن ثلاثة ؛ نفْسٌ أمَّارةٌ بالسوء، ونفْسٌ لوَّامة ونفْسٌ مطمئنَّة قال تعالى:

﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(28)فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(29)وَادْخُلِي جَنَّتِي(30)﴾

[سورة الفجر]

فالنفسُ اللوَّامة قوله تعالى:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2)﴾

[سورة القيامة]

والنفس الأمَّارة بالسوء كما ورد في قِصَّة سيِّدنا يوسف قوله تعالى:

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ(53)﴾

[سورة يوسف]

وأصْل هذا التَّقْسيم هو أنَّ الإنسان المخلوق الأوَّل أوْدَعَ الله تعالى فيه شَهَوات، قال تعالى

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ(14)﴾

[سورة آل عمران]

هذه لشَّهوات عَمْياء، والله عز وجل أعْطاه عقْلاً وفِطْرةً وشَرْعاً فالعَقْل ميزان والفِطْرة ميزان والشرْع ميزانٌ على ميزتانَي العقل والفِطْرة العلماء قالوا: الحَسَنُ ما حَسَّنَهُ الشَّرْع والقبيح ما قَبَّحَهُ الشَّرْع فالأصْل هو الشَّرْع لأنَّه كلام الخبير جلَّ وعلا، والغَرْب اسْتَحْسنوا تبادل الزَّوْجات، واسْتَحْسنوا زِنا المحارِم والشُّذوذ من ذُكورٍ مع الذُّكور والإناث مع الإناث، فالحَسَن مِقْياسُه الشَّرْع وليس عَقْلنا، أما العَقْل إذا اسْتنار بالوحْي توافق مع الشرْع فالعَقْل يحْتاج إلى وَحْيٍ ونورٍ، فَكُلُّ إنْسانٍ أوْدَعَ الله فيه الشَّهوات وهي حِيادِيَّة، فإذا قلتَ شَهْوَةً يعْني أنَّها حِيادِيَّة، يُمْكن أن تكون طريقاً لك إلى الله وسبيلاً إلى الجَنَّة، فالإنسان يشْتهي المرأة ويتزَوَّج ويُنْجِب أوْلاد، وطاهِرين طيِّبين ومؤمنين وهم في صحيفته إذا رَبَّاهم تَرْبِيَةً صحيحة فهم صَدَقَةٌ جارِيَة إلى يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ *))

[رواه الترمذي]

فالمرأة تُشْتهي، وهذه الشَّهْوة تُلَبَّى عن طريق الزَّواج فَتَرْقى، وتُلَبَّى عن طريق الزِّنا فَتَسْقُط، فالشَّهْوة هي سُلَّم نرْقى بها أو نهْوي بها.

كُلُّ إنسان له شَهَوات فإذا لم يرْجِع إلى عقْلِه ولم يصْغ إلى فِطْرتِه ولم يطْلب العِلْم فَحَتْماً نفْسه أمَّارة بالسوء وهو طبيعِيٌّ جداً، فلو أنَّ مُحَرِّكا يندَفِع بِقُوَّة بِسُرْعة مائة وليس هناك مِقْواد، فالنُّزول بالوِدْيان حَتْمي لأنَّ الطرقات مُتَعَرِّجة والمحرِّك قَوِيّ إذاً الحادث حَتْمي، فالله عز وجل ما خلَقَ مفْساً أمَّارة بالسوء، لا ! بل جعَلَ فيها شَهَوات حِيادِيَّة، وهذه الشَّهوات ترْقى بها إلى الله، أو تهْوي بها إلى النار.

فأنت تحْتاج إلى شرْعٍ ومنْهَجٍ إلهي ؛ اِفْعل ولا تفْعَل، وتحتاج مع الشَّرْع إلى عَقْل، ومع العَقْل إلى فِطْرة، فالأصْل هو الشَّرْع، الحَسَنُ ما حَسَّنَهُ الشَّرْع والقبيح ما قَبَّحَهُ الشَّرْع، إلا أنَّ العقْل والفِطْرة يُعيناك على ذلك فإذا لم يصْغَ الإنسان إلى فِطْرته ولم يسْتَجِب إلى عَقْلِه ولم يطْلب العِلْم الشَّرْعي فَنَفْسُهُ حَتْماً أمَّارةٌ بالسُّوء، هذه الأولى، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول

((وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ... *))

[رواه أبوداود]

مَثَلٌ بسيط جداً ؛ كيلو سُكَّر ثَمَنُهُ ثلاثون لَيْرَة، إذا وَضَعْتَهُ بِمُحَرّك سيارة يُكَلِّفك المُحَرِّك ثلاثين ألف !! فهل السُّكَر شرّ ؟ لا، وهل المُحَرِّك شرّ ؟ لا، إلا أنَّ وَضْعَ السُّكَر بالمُحَرِّك شرّ، فالشَّرّ جاء من سوء الاسْتِعْمال، وليس بِأصْل الشيء وكذا لو وَضَعْتَ أوقِيَّة سكَّر داخل الطعام لا تسْتطيع أكْلها ! فالشَّر أساسه سوء الاسْتِخْدام والمنْهَج يُبَيِّن لك طريقة الاسْتِعْمال، فَكُلّ إنسانٍ خرج عن منهَج الله تعالى سَقَط، وأصْل الأشْياء كُلُّها خَيِّرَة، فالله تعالى خلَق الزَّوْجَيْن الذَّكَر والأُنْثى ولِقاؤهم وِفْقَ الشَّرْع ووِفْق الزَّواج وأسْرة، فلو أنَّ صَوْتهم علا في الجِماع لما كان هذا خَطأً لأنَّهُ حلال، دون أن ينْحَرِجوا، ولكن لو كان في الحرام تجدهم في خوْف وإرْباك، فالعَلاقة إذا كانت مَشْروعة لا حياء فيها، أما غير المَشْروعَة تخاف منها فالشَّهوات إذاً حِيادِيَّة والمنْهَج هو الشَّرْع، والعَقْل يُعينُك ولكن لا يكْفي وَحْده، والفِطْرة كذا لا تُعينك بِمُفْرَدِها، إذْ هناك فِطْرة مُنْطَمِسة وعَقْل مُنْحَرِف، أما العَقل المطلق يتوافق مع الشَّرْع، والفِطْرة السَّليمة تتوافق مع الشَّرْع، والحق دائرة يمُرّ بها خط النَّقْل وهو القرآن والسنَّة وخطّ الفِطْرة والواقِع، فالواقِع المَوْضوعي يتوافق مع الفِطْرة السَّليمة ومع العقل الصريح والنَّقل الصحيح، أما العقل المُنْحرِف والتَّبْريري لا يتوافق مع الشَّرْع.

الفِطْرة المُنْطَمِسَة تتناقض مع الشَّرْع، من هو الحَكَم ؟ هو الشَّرْع فالحَسَن ما حَسَّنه الشَّرْع والقبيح ما قَبَّحَهُ الشَّرْع، فهذه هي النَّفْس الأمارة بالسوء، أما نفْسُ المؤمن، المؤمن بين إقْبال وتألُّق وبين فُتور أحْياناً تَغْلِبُهُ نفْسُهُ فَيَتَكَلَّم كَلِمَة غير مُناسِبَة، وتكون منه نظْرة غير مناسِبَة ماذا يفْعل ؟ لا يوجد إلا الله الذي يقْبل التوبة عن عِبادِه فَعَلامة المؤمن أنَّهُ يلوم نفْسَهُ دائِماً، والمؤمن إنسانٌ غير مَعْصوم فلا هو نَبِيٌّ ولا هو كافِر، إذْ الكافِر نفْسه أمَّارة بالسوء، والمؤمن نفْسُه لوَّامة أما الأنْبِياء نُفوسهم مُطْمَئِنَّة ؛ اِطْمَأنَّت إلى طاعَتِه وإقْباله وإلى صِلَتِه وإلى إخْلاصِه وأعْماله الصالحة، فَنَحن إذا أكْرَمَنا الله عز وجل مع النَّفْس اللَّوامَة.

لو صَدَر من الإنسان عَمَلٌ ولم يشْعُر بِشَيْء، فهذا نَفْسُهُ مَيِّتَة وهو الصِّنْف الرابِع، قال تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ(22)﴾

[سورة فاطر]

قال عليه الصلاة والسلام

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ *))

[رواه مسلم]

فَمَعنى لو لم تُذْنِبوا أيْ لم تشْعُروا بِذُنوبِكم، سَهْرو كُلُّها غيبة وبعدها يقول لك: ماذا فَعَلْنا ! وهذا باع بِثَمَن مُغْرٍ جداً وبعدها يقول لك: هكذا البيْع شطارة، وذاك ظَلَم زَوْجته ثمَّ يقول لك: هذه مقطوعين لا أحد لها ! وأنا حُرّ فَكُلُّ إنسانٍ يرْتَكِبُ المعاصي ولا يتَحَرَّكُ له قَلْب ولا يتألَّم ولا يُحاسِب نفْسَهُ فهذا إنسانٌ مَيِّت ومعنى كلِمة يُذْنبون في هذا الحديث أيْ أنَّهم شَعَروا بِذُنوبِهِم، فلو كان هناك مثَلاً إنسان مُسْتلقي على الأرض، ثمَّ جئت بمرآة ووضَعْها قرب أنفه ولم تجد أثر البخار، ووضَعت له الإنارة الشَّديدة على عَيْنِه فلم تَصْغر، حينها تقول: هذا مَيِّت، ولا حياة فيه، وكذا حال الإنسان المُرلْتكب للمعاصي والآثام ويأكل المال الحرام ولا يشْعر بشَيء فهذا مَيِّت وهو صِنْفٌ رابِع، لذلك قوله تعالى:

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ(53)﴾

[سورة يوسف]

هذا الكافر والمؤمن نفْسه لوَّامة، والذي وَصَل إلى مرْتَبَةٍ عالِيَةٍ في الإيمان أو كان نَبِيًّا فهذا نفْسُهُ مُطمئِنَّة، قال تعالى:

﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(28)فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(29)وَادْخُلِي جَنَّتِي(30)﴾

[سورة الفجر]

علامة إيمانك أنَّك تُحاسِبُ نفسك حِساباً عَسيراً، وهذا سيِّدُنا عمر عِمْلاق الإسلام والذي قال النبي عليه الصلاة والسلام: لو كان نَبِيٌّ بعدي لكان عمر..." هذا الأخير جاء إلى حُذَيْفة ابن اليَمان وهو أمين سِرُّ رسول الله، وأمْلى عليه أسْماء المنافقين، وهذا سِرٌّ بين النبي وبين حُذَيْفَة فجاءه عمَر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وقال له: يا حُذَيْفة بِرَبِّك هل اسْمي مع المنافقين ؟! فالاطْمِئنان الساذج هو الحمق يقول أحد التابِعين: الْتَقَيْت بأربعين صَحابياً ما من أحدِ إلا ويخْشى النِّفاق على نفْسِه، وهذا كلّه من شِدَّة الخزف من الله والحرْص على طاعَتِه، فإذا الواحِد ارْتَكَب ما يُغْضِبُ ربَّه كأن ينظر نظْرة فيها سُخْرِيَة أو تَكَلَّمْتُ كلاماً غير صحيح أو شَهِدْت شهادة فيها باطل، أو كنت تاجِراً فَبِعْتُ قِطْعة قُماش مثلاً منْكَمِشَة لِزَبون وبِسِعْر عالٍ ولم تُحاسِب نفْسَك فهذا يعني أنَّك مَيِّت وعَظَّم الله أجْركم.

فيا أيها الإخوة، ربنا عز وجل يقول:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2)﴾

[سورة القيامة]

وإذا قال تعالى لا أُقْسِم فهذا شيء عظيمٌ جداً، فلو قال لك إنسان الشَّمْس ساطِعة لَوافَقْتَهُ لأنَّها كذلك، ويكفي أن ينظر إليها ويراها، فهل يحْتاج الأمر إذاً أن تقول: والله والله هي ساطِعَة !!! فهذا رأي بعض المُفَسِّرين في قوله تعالى:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1)﴾

[سورة القيامة]

وهذه النَّفْس اللَّوامَة نفْسٌ عَرَفَتْ ربَّها وحاسَبَتْ نفْسَها حِساباً عسيراً، فإذا حاسَبَتْ نفْسَها حِساباً عسيراً كان حِسابها يسيراً يوم القِيامة، قال تعالى:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2)﴾

[سورة القيامة]

ويا أيها الإخوة هناك نقطة دقيقة جداً أرْجو أن تكون واضِحةً عندكم يقول الله عز وجل:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(33)﴾

[سورة الأنفال]

الأوَّل معناه واضِح ؛ إنسانٌ على منْهج رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فَلِمَ العذاب والعِقاب والشِّدَّة والضِّيق ؟ ولِمَ المرض الشديد والخوف المُرعِب ؟ لا داعي لهذا لأنَّ الله عز وجل يقول:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا(147)﴾

[سورة النساء]

أما أنت في بَحبوحة الاسْتِقامة على منهج رسول الله قال علماء التَّفْسير: ما دامَتْ يا محمَّد سُنَّتُك في حياتِهم فَهُم في بَحْبوحَة من عذاب الله تعالى قال الله عز وجل:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(33)﴾

[سورة الأنفال]

ليس شَخْصُكَ فيهم، ولكن سُنَّتُك فيهم، فإذا كانت بُيوتنا إسْلامِيَّة وتِجارتنا إسْلامِيَّة ونزهاتنا إسْلامِيَّة واحْتِفالاتنا إسْلامِيَّة وأعْراسنا إسْلامِيَّة وتَوْزيع الثَّرْوة إسْلامي وميراثنا إسْلامي فَنَحْنُ في بَحْبوحَةٍ من عذاب الله تعالى الله عز وجل:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(33)﴾

[سورة الأنفال]

ولك بَحْبوحَةٌ ثانِيَة قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(33)﴾

[سورة الأنفال]

إنسان غلط، فَطَلَب المغْفرة من الله واسْتَغْفَر الله، وراجع نفْسَهُ وخاف من الله فمادام هو في حالة الخوف والاسْتِغفار واعْتِذار وطلب المُسامَحَة من الله تعالى ودفع صَدَقة أو صام فَهُوَ يسْتَرْضي الله تعالى، فالله عز وجل لما يجد عبْدَهُ تاب إليه واسْتغفر وندم وصام يغفر له إن شاء الله ومثل هذا المذْنِب في بَحْبوحَة من عذاب الله، وهذا معنى قَوْل الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(33)﴾

[سورة الأنفال]

فنحن في بحْبوحَتَين ؛ بحْبوحَة تطبيق السنَّة وبَحْبوحَة الاسْتِغفار والتوبة والله عز وجل يُسْتَرْضى، أما الإنسان القَوِيّ لا يُسْترْضى، واسْتِرْضاء الله تعالى بالصَّدقة فَصَدَقَةُ السرّ تطفئ غضب الربّ، باكِروا بالصَّدقة فإنَّ البلاء لا يتخطاها، وهي تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير ! فالله تعالى يُسْترضى بالتوبة الصَّدقة والصوم والاسْتِغفار، والذِّكْر والتَّسْبيح، فهذا يونس عليه وعلى نَبِيِّنا أفضل الصلاة والتَّسْليم قال وهو في بطْن الحوت في قوله تعالى:

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ(87)﴾

[سورة الأنبياء]

فهذه هي النفوس الثلاث أمارة بالسوء ولوامة ومطمئِنَّة والرابِعَة كما قلنا مَيِّتَة.

الدرس (2-4) : تفسير الآيات 3 -4 -7 -9

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في عِلْم المنطِق شيئان مُتعاكِسان، وشيْئان مُتناقِضان، فالشيئان المُتعاكِسان يجْتمعان كالأبْيَضِ والأسْود، أما الشيئان المتناقِضان فلا يجْتَمِعان كالظلام والنور، فَوُجود أحدهما ينْفي الآخر، فالأشْياء المتعاكِسَة تجْتَمِع بينما المتناقِضة لا تجْتَمِع.

حقيقتان إن آمَنْتَ بِأحَدِهما يجب أن تُنْكِرَ الأُخرى، فَوُجودُ إلهٍ في هذا الكون بِيَدِهِ كُلُّ شيء وكاملٌ كمالاً مُطْلَقاً، وإما أن تُؤمن بالعَبَثِيَّة فإن آمَنْتَ بالعَبَثِيَّة فلا معنى لأن تُؤمن بالله، وإن آمنتَ بالله فَيَجِب أن تنفي العَبَثِيَّة إطْلاقاً، يقول الله عز وجل:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40)﴾

[سورة القيامة]

أكل أموال الناس بالباطل وطغى وبغى ويأتي الموت وينتهي كلُّ شيء ولا شيء بعد الموت، هذه هي العَبَثِيَّة، هناك ضعيف وقويّ وفقير وضعيف، وهناك صحيح ومريض، وإنسانٌ عَمَّر والآخر مات بِسِنٍّ مُبَكِّرَة، وهناك إنسان وسيم جداً وآخر دميم جداً، فهذا الذي تَمَتَّع بالمال طوال حياتِه وحار في إنْفاقِه، وهذا الذي يتمنى أن يكون معه ألف ليرة وهذا الذي أكل أَطْيَبَ الطعام، وهذا الذي لم يأكل شيئاً، وهذه المرأة التي تَمَتَّعَت بِجَمال صارِخ فَخَطَبها أغنى الأغْنِياء، وهذه الدَّميمة التي ما خَطَبها أحد، ثمَّ يأتي الموت وينتهي كُلُّ شيء، ولا شيء بعد الموت ! هذه عَبَثِيَّة، قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3)﴾

[سورة القيامة]

وقال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(115)﴾

[سورة المؤمنون]

وقال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ(42)﴾

[سورة إبراهيم]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا(27)﴾

[سورة الإنسان]

فأنت إذا آمنْتَ بالعَبَثِيَّة فلا معنى أن تؤمن بالله تعالى إطْلاقاً، أم إذا آمَنْتَ بالإله فلا يُمْكن أن تعْتدي على أحد لأنَّك سَتَدْفَعُ الثَّمن باهِظا، ولا يمكن أن تأخذ مال أحد، فأنت مع الإنسان القَوِيّ وتنْضَبِط فَكَيْف بالله تعالى ؟! إذا عَلِمْتَ أنَّ هذا الإنسان القويّ يعلم كلّ حركاتك وسَكَناتك وسوف يُحاسِبُك حِساباً عسيراً، فلا يُمكن أن تُخالف أمره، فَكَيْف مع الواحِد الدَّيان ؟! فالله تعالى يقول:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2)﴾

[سورة القيامة]

يوم الجزاء والدَّيْمومة، ويوم تُوَفَّى كُلُّ نفْسٍ ما كَسَبَتْ ويوم تُسَوَّى الحِسابات، ويوم يؤخَذ من المظلوم للظالم، ويوم يأخذ للمغتصَب من مُغْتَصِب، يقوم العدْل المطلق بين الخلْق ؛ هذا يوم القِيامة، نحن في دار ابْتِلاء، وغداً في جزاء، ونحن في دار تَكْليف وغداً تشْريف ونحن في دار عَمَل وغداً دار أمَل، ونحن في حياةٍ دُنيا مُتْعِبَة، والإنسان ينشأ ويتنامى إلى أن يَصِل إلى قِمَّةِ مَجْدِه، ثمَّ يأتي مَلَكُ الموت بعد أن ضَبَط أُموره، وحقَّق دَخْلاً كبيراً، واشْترى بيْتاً مُريحاً، ورَكِبَ مَرْكَبَة فَخْمَةً وعلا اسْمُه وذاع صيتُه يأتي ملكُ الموت ليأخذ منه ما جَمَعَهُ من عُمْرٍ مديد في ثانِيَةٍ واحِدَة، إذاً هذه الدنيا أحْقر من أن تكون عطاءً من الله تعالى، لأنَّ الله تعالى إذا أعْطى لا يأخذ، فالدنيا ليسَتْ عطاءً، ولو أنَّها تَعْدِل عند الله جناح بَعُوضة ما سَقى منها الكافر شَرْبة ماء، هي أحْقَر من أن تكون عَطاءً، وأحْقر من أن يكون الحِرْمان منها عِقاباً قد يحْرِمُها الله تعالى من أحْبابه، وقد يُعْطيها لأعْدائِه، والدليل أنَّهُ أعْطى المُلْك لمن لا يُحِبّ ولِمَن يُحِبّ، فهذا إذاً ليس مِقْياساً، فقد أعْطاهُ لِفِرْعَون، وأعْطى لِخِيرَتِه كَعُثْمان، فالمال إذاً ليس مِقْياساً، وكذا القوَّة فالعِبْرة أن تعْمل لِهذا اليوم الذي سوف يدْفع الإنسان فيه الحِساب دقيقاً فهذا أعْرابِيٌّ سأل النبي عليه الصلاة والسلام أن يَعِظَهُ وأن لا يُطيل عليه فتَلا عليه قوله تعالى:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾

[سورة الزلزلة]

فقال: كُفيت فقال عليه الصلاة والسلام فَقُهَ الرَّجل ! أي صار فقيهاً وكذا كلّ آية في كِتاب الله تعالى تَكْفينا طوال حياتنا، ألا يَكْفينا قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(1)﴾

[سورة النساء]

أنت تحت المُراقبة، فلو قلنا لك أنت مُراقب فَيُمْكن أن تتوَهَّم الخطأ توهّماً، فَكيف إذا كان الله تعالى هو الذي يُراقبك، فقوله تعالى:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2)﴾

[سورة القيامة]

هي التي تَحَدَّثنا عنها البارحة بالتفصيل وذَكَرْنا أنَّ النفْس اللَّوامَة نفْسٌ يُحِبُّها الله عز وجل، قال تعالى:

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (4)﴾

[سورة القيامة]

فهذا الإبْهام دَرَسَهُ العلماء فَوَجدوا فيه مائة نقْطة، ومائة علامة، وطَبَعوا إبْهاماً بِحَجْم مائة مُرَبَّع، وطَبَعوا مائة ألف إبْهام، ومَرَّروا هذه المائة ألف على هذا الإبْهام فلم يكن يَجِدوا ولا واحِداً يُوافق الآخر ! بل إنَّ العلماء قالوا: لو أنَّ سَبْعة نِقاط تشابَهَت في إبْهامَيْن لكان الإبْهامان لِرَجُلٍ واحِد فهذا الإبْهام بَصْمة وتوقيع بل وأدَقُّ توقيع، بعض المُجْرمين بِأمْريكا وَضَعوا جزءً من جِلْدٍ على إبْهامِهم بِعَمَلِيَّة جِراحِيَّة حتى يخْلصوا من موضوع البَصْمات، بعد ثلاثة أشْهر عاد شَكْل الإبْهام الأصْلي إلى الجِلْد الذي رُكِّب فوقه ! والعلماء قالوا: قُزَحِيَّة العَيْن هوِيَّة لك، ليس في الأرْض كُلِّها له قُزَحِيَّة عَيْن تُشْبِهُك، لذلك هناك أقْفال على قُزَحِيَّة العين يَضَعَهُ الإنسان عَيْنَيْه على القِفْل فَيُفْتَحُ الباب ! ولا يُفْتح إلا لِصاحِب هاتين العَيْنين، وكذا رائِحَة الجِلْد هُوِيَّة، فَكُلُّ إنسانٍ له رائِحَة والكلاب البولِسيَّة تهْتدي بهذه الرائِحَة والكلب له قوَّة شمّ يُساوي مليون ضِعْف الإنسان، وكلّ إنسان له نَبْرة صوت خاصَّة وهي هَوِيَّة ثانية، وكلّ إنسان له بلازما دم خاص، وكل إنسان له زمرة نسيجِيَّة خاصَّة ؛ خمسة آلاف زمرة نسيجِيَّة، فَقُزَحِيَّة العَيْن ورائِحَة الجِلْد، ونبرة الصوت وبلازما الدم والزمرة النَّسيجِيَّة والإبهام، فالله تعالى جعل فرْداً لا شبيه لك، وذلك لِكَرامتك عند الله قال تعالى:

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (4)﴾

[سورة القيامة]

فهذا الشكل الذي على الإبهام سوف يعود كما كان، لكن متى ؟! قال:

﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9)﴾

لا يوجد لُجوء سياسي هناك، أما هنا فلَدَيْك لُجوء سياسي تنتقل به من دولة لأخرى، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ(94)﴾

[سوة الأنعام]

فالإنسان في الدنيا له جماعة ووُسَطاء وأتباع، يقول لك أحدهم: فلان جاءَتْهُ أزْمَة، فَجاءَهُ مائة تلفون من أجله! أما هناك كما قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ(94)﴾

[سورة الأنعام]

قال تعالى:

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(25)وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ(26)وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ(27)كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ(28)فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ(29)وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ الْعَذَابِ الْمُهِينِ(30)﴾

[سورة الدخان]

خِطاباً لِفِرْعَون، فهذه الآية أيها الإخوة تُبَيّن أنَّه لا عَبَثِيَّة في الكون قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36)﴾

[سورة القيامة]

لن تُحاسَب ! طَلَّقْتَ زَوْجَتَك ظُلماً وأخذْتَ بيتها ولن تُحاسَب ! وأكلت أموال الناس بالباطل ولن تُحاسَب، واعْتَدَيْتَ على أعْراضِهم، واسْتَغَلَّيْتَ ضَعْفَهُم ولن تُحاسب، قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37)﴾

[سورة القيامة]

باللِّقاء الزوْجي يُفْرز الرجل خمسمائة مليون حُوَيْن، والبُوَيْضَة تحتاج إلى حُوَيْنٍ واحدٍ ! أكبر رقم سَمِعْتُه خمسة آلاف مليون معلومة مُبَرْمَجة وسَمِعْتُ رقماً بِمِلْيون، ولا أدري الدِّقة بينهما، أما هناك مليون أمر مُبَرْمَج على الحُوَيْن المنوي، وكذا على البُوَيْضَة، فإيَّاك أم تؤمن بالعَبَثِيَّة وأن تقول: هذا القوي يفْعل ما يشاء ! ألا يوجد إلهٌ يُحاسِبُه ؟! هذا سوء ظَنٍّ بالله عز وجل، هؤلاء سَيُحاسبون حِساباً عسيراً، الذين يعيشون على أنْقاض الشُّعوب ويتَحَكَّمون بِمَصائِر الشُّعوب، والله عز وجل يُمْهِل ولا يُهْمِل وإليكم هذه القِصَّة الرَّمْزِيَّة وهي شوحَةً جاءَت سيّدنا سليمان قبل الطوفان وقد أوتِيَ لغة الطير، فقالت له: ربُّك عَجول أم مَهول ؟ فسأل ربَّهُ فقال تعالى: أنا مَهول ولسْتُ عَجول، فاطْمَأنَّتْ فَسَرَقَتْ لحْماً على النار فَعَلِقَتْ جمْرةٌ في اللَّحْم أحْرَقَت عُشَّ أوْلادِها فعادَتْ إليه وقالت له: ألم تقل إنَّه مَهول ؟! فقال له قل لها: هذا حِسابٌ قديم وليس على آخر شيء فَعَلْتيه !! قال: ما من علقة ولا اخْتلاج عِرْقٍ ولا خَدْشِ عودٍ إلا بما قَدَّمَتْ أيديكم، وما يَعْفو الله أكثر، فإذا وَقَع الإنسان بِمُشْكلة عليه أن يُراجِعَ نفْسه، فالله تعالى أكبر من أن يُصيبك بِمُصيبة، قال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(30)﴾

[سورة الشورى]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : تفسير الآيات 10 - 15 ، دِقَّة الحساب

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لا زلنا في سورة القيامة، ومع الآية العاشرة وهي قوله تعالى:

﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10) كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12) يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15)﴾

[سورة القيامة]

أيها الإخوة الكرام، إنسان يحمل دكتوراه، هل تُصَدِّقون أنَّهُ نالها وهو نائم ؟ نالها في ليلة واحِدة وفي ساعَةٍ واحِدة ! قَدَّم طلباً للجامعة قائِلاً: يُرْجى مَنْحي دكتوراه، وهو لا يقرأو لا يكتب ! فَمُنِحَ هذه الشهادة لأنَّها مرْتبة عِلْميَّة، فهل مَرْتبة الإيمان هَيِّنَة على الناس إلى هذه الدَّرَجة ؟ لا لِطَلَبِ العلم، ولا يحضر مجالس العِلْم، وما قرأ القرآن، وما فَهِمَ كلام ربِّه، وما سأل عن حُكْمِ الشَّرْع في قَضِيَّاته، ثمَّ يقول لك: أنا مؤمن ! الإيمان يُبْنى عليه عَمَلاً فمن لم يعْمل عَمَلاً وِفْق إيمانِه فليس مؤمناً، لو أنَّ أحداً من الناس بأشَدِّ الحاجة إلى المال وقلتَ له في الجِهَة الفلانِيَّة تُعْطى لك حاجتك التَّامَّة، ولكن بِكَلِمَة، فلو أنَّ هذا الأخير ما تَحَرَّك كان دليلاً على أنَّ فيه خَلَلاً، قال تعالى:

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾

[سورة الأنعام]

هنا الإيمان باليوم الآخر يقوله الناس بألْسِنَتِهِم إلا أنَّك تفاجئ أنَّ معظَمَ الناس يأكلون أموال بعضهم بعْضاً وكأنَّهم لا يُحاسَبون ويعْتدون على أعْراض بعضهم بعْضاً وكأنَّهم لا يُحاسبون، حركة المسلم والمؤمن المُعاصِر الآن تدلّ وكأنَّه لا قِيامة، اِغْتِصاب أموال وغيبة ونَميمة، وطَعْن، وخُضوض النَّفْس في أعلى درجة، وكأنَّ الله تعالى لن يُحاسِبَهم، تجد شَخْص بِسِنٍّ مُتَقَدِّن يريد أن يفْعل شيئاً الشباب لا يجرأ أن يفعله ! ألا يوجد موت ؟! دائِماً وراء هذه المُلْهِيات، ساعة النزول للقبر ماذا تقول لله عز وجل ؟ أين المَفَرّ ؟! لو أنَّ سارِقاً ارْتَكَب جريمة، حين يسْرق المال يتنعَّم ويزْني ويُسافِر، ثمَّ أُلْقِيَ القبْض عليه وسيقَ للمُحاسَبَة، قُبَيْل أن يُشْنَق يمكن أن ينْسى كُلَّ اللَّذائذ التي اسْتَمْتَع بها، فالإنسان حينما يدْنو أجله ويقرب من مُغادرة الدنيا يقول: لم أرَ خيراً قطّ ! في هذه اللَّحْظة تظْهر بُطولة الإنسان يُنَبَّؤ الإنسان ويقول أين المفَرّ ؟ أنا أقول للإخوة إياك ثمَّ إياك أن تَصِل مع الله تعالى إلى طريق مَسْدود، قال تعالى:

﴿ وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ(77)﴾

[سورة الزخرف]

وقال تعالى:

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ(104)أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ(105)قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ(106)رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ(107)قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِي(108)إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ(109)فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ(110)﴾

[سورة المؤمنون]

إياك أن تَصِل مع الله تعالى إلى طريق مَسْدود، كما أنَّ المَشْنوق قُبَيل أن يُشْنق يُحِبّ أن يبكي أو يضْحك المُهِمّ ؛ اِفْعَل ما شئْتَ سَيُشْنَق، لذا نحن الآن في بَحبوحة والتوبة مقبولة، والباب مَفْتوح، قال تعالى:

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10)﴾

[سورة القيامة]

لا أهْل ولا مال ولا جماعة ولا أتْباع، ولا أحد.

قال تعالى:

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12)﴾

[سورة القيامة]

قال تعالى:

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾

[سورة الغاشية]

وقال تعالى:

﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13)﴾

[سورة القيامة]

كُلُّ شيءٍ تُقَدِّمُهُ سوف تُخْبَرُ به، وكل شيء تُؤَخِّرُه سوف تُخْبر به، ما معنى بِما قَدَّم ؟ قدَّم من عملٍ صالحٍ فَتَقَدَّم به إلى الله، وهذا أخَّر فتأخَّر عن اللُّحوق بِأهْل الإيمان، فهناك ما يُقَدِّمُك وهناك ما يؤَخِّرُك، فالإيمان يُقَدِّمك وكذا الاسْتِقامة والإخلاص والصِّدْق والإحْسان للناس، إلا أنَّ الكذِب يُؤَخِّرُك، الحقيقة العُظْمى في الكون ولا حقيقة بعدها ؛ كُلُّ شيءٍ يُقَدِّمك منه هو عمل صالح، وكلُّ شيء يُبْعِدُك عنه هو عَمَل سيئ كان لي صديق بِبَلَدٍ أجْنبي وقال لي: كنت أتَصَفَّحُ مَجَلَّة، ووجَدْتُ دِعاية لِهاتِف فضائي، مَرْسوم رجل دين واضِع قُبَّعَة على رأسِه، والأنوار تَشِعُّ منها، وتَمُرُّ أمامه فتاةٌ مُتَبَذِّلَة فَيَنْظر إليها فإذا هذه الأنوار تنْطفيء ! فهم أدْرَكوا بِفِطَرِهم أنَّ إطْلاق البصر لهذه الفتاة يَحْجُبهم عن الله، فإطْلاق البصر يُبْعِدُك وغضُّهُ يُقَرِّبُك، وكذا

الصَّبْر والضَّجَر، وضَبْط اللِّسان يُقَدِّمك وتفْليت اللِّسان يُبْعِدُك، وإنفاق المال يُقَرِّبك وحبْسه يُبْعِدك زَوْج مِثالي يُقَدِّمك وزوْجٌ سيّء يُؤَخِّرُك، يُنَبَّؤُ الإنسان بما قَدَّم وأخَّر، والعِبْرَة أن تقْترب من الله.

قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(35)﴾

[سورة المائدة]

أحْياناً رجل قَوِيّ ومَلِك من ملوك الأرض، ولك عنده حاجة، تجد أنَّ الطريق له صَعْب وليس لك أن تُقابلَهُ،ولكنَّ مَلِكَ المُلوك سبحانه وتعالى وَضَع لك ألف طريق إليه، فالطرائِق إلى الخالق بِعَدد أنْفاس الخلائِق، فأنت ببَيْتِك إذا كنت زوْج صالح كان هذا طريقاً إليه تعالى، وكذا إذا كنت ابناً صالحاً، وممكن أن تخْدم زوْجَتَك بِالبيْت طريق إلى الله، وإذا صَدَقْت بِعَمَلِك كان هذا طريقاً إلى الله، فأنت تُصَلِّي باليوم خمْس صلوات أما إذا كنت ماشِياً بالطريق فكلَّما غَضَضْتَ بصرك عن محارِم ترْقى دَرَجة والآية الواضِحة جداً، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف]

خَلَقنا لِيَرْحَمنا ولِيَتوب علينا، ولِيَسْتجيب لنا، فالمُشْكلة إذا جاء مَلَك الموت انتهى كلُّ شيء، كنت البارِحة مع طبيب قلب، وأنا شَخْصِياً لا أعْرِف قُطْر الشريان القلب التاجي الذي يشْغل الأرض كلَّها الآن، فَكُلُّ إنسان يضيق شِرْيانه التاجي يحْتاج إلى قِصْطَرة، فالقُطْر ملم واحِد، فَكُلُّ آمالك وقوَّتِك وجَبَروتِك على هذا الطريق الواحد، فإذا انغلق أصْبحت الحياة جحيماً، فهل يُعْقل أن تكون كلَّ آمالك ومُنْجَزاتِك وكلّ سَيْطَرَتِك على ملم واحِد مَفْتوح، فهم خَمْسُ شرايين كُلُّ شِرْيان قُطْره ملم واحِد، والقَضِيَّة الثانِيَة أنَّ كلَّ آمالك مَبنِيَة على سُيولَة دمك، ومتى تَجَلَّط الدم أصْبحت مُشْكِلة، فما عليك إلا أن تتوب قبل تَجَمُّد الدَّم وتَضَيُّق الشريان، يُمْكِن أن تَكْذِب على كلّ أهل الأرض وتفوقهم بِحِيَلِك إلا نفْسَك فَمُسْتَحيل قال تعالى:

﴿ بَلْ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ(14)﴾

[سورة القيامة]

مهما كانت عندك طلاقة لِسان وذكاء ونصوص وتُغطِّي اِنْحِرافاتك كُلِّها بالمنْطق، أما يوم القيامة فكما قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(65)﴾

[سورة يس]

لا تقل يوم القيامة أنا قَصْدي كذا ونَوَيْتُ كذا، إنَّما أعْمالك هي التي تنْطق، قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(21)﴾

[سورة فصلت]

فهذه الآية:

﴿ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15)﴾

[سورة القيامة]

واحِد سرق فَسيق لِسَيِّدنا عمر كي يقْطع يده، فقال السارق هذه أوَّل مَرَّة، فقال له عمر: كَذَبْت إنَّ الله لا يفْضح من أوَّل مَرَّة، وهذا الذي أرْجوه من الله عز وجل أنْ نصْطَلِح معه قبل فوات الأوان، البارِحَة قرأت مقالة بمَجَلَّة خليجِيَّة أنَّ الأمر القَلْبِيَّة تكون بالخمْسين والسِتِّين، أما الآن بالأربعينات أو الخمسينات، شيء ليس بالحُسْبان وتَجِدُه بِكامل قِواه ونشاطِه، في ثانِيَة انتهى، كان شَخْصاً وصار خَبَراً على الجُدْران اِعْلموا أنَّ ملك الموت قد تَخَطَّانا إلى غَيْرنا وسيتَخَطى غيرنا إلينا فلْنَتَّخِذ حذْرنا، فكُلُّ البطولة أنْ نَعُدَّ العِدَّة لِهذا اليوم إذا نُبِّئْت بأعْمالك لم فَعلْتَ كذا ؟ وإذا لم تسْتحِ فاصْنَع ما شئْت.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 20 - 40 ، الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل في سورة القيامة في الآية العشرين:

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ (21)﴾

[سورة القيامة]

فالله تعالى سمَّى هذه الحياة حياةً دُنيا، وسَمَّى الآخرة حياةً عُلْيا فالآخرة حياةٌ أبَدِيَّة، والدنيا حياةٌ مُنقَطِعة، والآخرة أساسها الإكرام والدنيا أساسها الكدْح والتَّعَب، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ(6)﴾

[سورة الانشقاق]

الدنيا أساسها السَّعْي والآخرة أساسها الإكرام، والدنيا دار ابْتِلاء والآخرة دار جزاء، والدنيا دار تَكْليف والآخرة دار تَشْريف، والدنيا منقطعة والآخرة مُتَّصِلَة، لذلك ربنا عز وجل في آيات كثيرة يلوم هؤلاء الناس الذين يَتَعَلَّقون بالحياة الدنيا، قال تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ (21)﴾

[سورة القيامة]

هناك درجات كثيرة بين الناس، فكما أنَّه هناك مسافة كبيرة جداً بين طبيبٍ وبين مُمرِّض، وبين أكبر أستاذ بالجامعة وبين مُعَلِّم بالقرية وبين تاجرٍ وبين بائِع مُتَجَوِّل، وبين أعلى رتبة في الجيْش وبين مُتَجَوِّل إذاً هناك مسافات كبيرة حتى في البيوت ؛ بيت في طرف المدينة وبين ثمنه مائة وخمسون مليون ! وحتى بالمركبات، والطائرات والبواخر، وحتى بالطعام والشراب، قال تعالى:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا(21)﴾

[سورة الاسراء]

مرتبة الدنيا لا تعني شيئاً وهي مُؤقَّتة، وقد تعني العكْس قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(44)﴾

[سورة الأنعام]

ربَّ أشْعث أغبر ذي طمرين مدْفوعٍ بالأبواب لو أقْسم على الله تعالى لأبَرَّه أهْلاً بِمَن خَبَّرني جبريل بِقُدُومِه ؛ رَجُلٌ فقير من الصحابة قال: أَوَمِثْلي فقال:نعم يا أخي ! خامِلٌ في الأرض عَلَمٌ في السماء، فَمَرْتَبَة الدنيا لا تعني شيئاً، والمال لا يعْني شيئاً، أعْطاهُ الله تعالى لِعَدُوِّهِ قارون، قال تعالى:

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ(81)﴾

[سورة القصص]

والمُلْك لا يغْني شيئاً فقد أعْطاهُ لِفِرْعَون، أما المؤمن يُعْطاه كما قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(22)﴾

[سورة يوسف]

فإذا آتاك الله تعالى الحِكْمة وعَرِفْتَ سِرَّ وُجودك وغاية ذلك، وعرفْتَ ربَّكَ ومَنْهَجَهُ، واسْتَعَنْتَ به على طاعته فأنت من الفائِزين، قال تعالى:

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾

[سورة الأحزاب]

خالِقُ الكون يقول لك: إذا أطَعْتني فُزْتَ فوزاً عظيماً، والناس يرَوْن الفوْز بِجَمْع المال وبِبِناءٍ يملِكُهُ وبِأَرْض ارْتَفَعَ سِعْرها مائة ضِعْف وبِبَيْت كذلك، والفوز بِتِجارةٍ رابِحَة وبِوَكالة حَصْرِيَّة وبِزَوْجة جميلة، أما الفوز عند الله تعالى بِطَاعَتِه قال تعالى:

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(71)﴾

[سورة الأحزاب]

فقوله تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20)﴾

[سورة القيامة]

اخْتِقاراً، أحْياناً عِصابة تسْرِق، وتقع في قَبْضَة العدالة والتُّساق إلى السِّجْن، وتُعَذَّب حتى تعْتَرِف، وتُؤخذ الأموال كلّها منها، بعد هذا الحُكْم تجد هؤلاء العِصابة نَسِيَت كُلَّ المَلَذَّات التي تَمَتَّعَتْ بها في سَرِقاتها ! فالعِبْرة في النِّهاية والعاقِبَة ولِمَن يضْحك آخِراً، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(35)﴾

[سورة إبراهيم]

وقال تعالى:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ(196)مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(197)لَكِنْ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ(198)﴾

[سورة آل عمران]

والله أيها الإخوة، لو أنَّ الْنسان يقرأ كلام الله تعالى قِراءَةً مُتَأَنِّيَة، فالله تعالى يقول

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا(77)﴾

[سورة النساء]

فَرَبُّنا عز وجل يُخْبرنا أنَّ متاع الدنيا قليل، وأنَّها أحْقَرُ من أن تكون عطاءً، والحِرْمان منها أحْقر من أن يكون عِقاباً، تافِهَة، لذلك العِبْرة أن تكون مُطيعاً لله تعالى فيها، أنا هؤلاء الناس الذين غفلوا عن الله عز وجل يَرَوْنها كُلَّ شيء، ويُعَظِّمونها ويُعَظِّمون أغْنياءَها وأرْبابها وأقْوِياءَها، وينْسَوْن الله عز وجل فيأتي الموت فَيُنْهي هذا الغِنى.

قال تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21)﴾

[سورة القيامة]

فالمؤمن الصادِق يسْعى للآخرة في كُلِّ يوم، وفي كُلِّ حَرَكة، وفي كُلِّ سَكَنة وفي كُلِّ كَسْب مالٍ، وفي كُلِّ إنْفاق مالٍ، وفي كُلِّ زِيارَةٍ يسْعى للآخرة قال تعالى:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ(196)مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(197)لَكِنْ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ(198)﴾

[سورة آل عمران]

المؤمن الذي صَلى في الدنيا وضَبَط شَهَواتِه وأعْضاءَهُ ودَخْلَهُ وجوارِحَهُ واسْتقام على أمْر الله تعالى، وطلب العِلْم في الآخرة، يقول تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)﴾

[سورة القيامة]

ففي الآخرةِ أيها الإخوة، يُتاحُ للمؤمن أن يرى الله عز وجل كما في الأحاديث الصحيحة، كما يرى القمر ليلة البدْر، وفي بعض الرِّوايات أنَّ الذي يرى الله عز وجل يغيب من نَشْوة النظر خمسين ألف عام !

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)﴾

[سورة القيامة]

ثمّ قال تعالى: ووُجوه يومئذ باسرة.." شديدة الكلوحة، كالِحَة ومُسْوَدَّة ومُغْبرَّة وقاتمَة، قال تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25)﴾

[سورة القيامة]

الفاقرة الداهِيَة التي تقسم الظَّهْر، ففي النِّهاية البَشَرُ كلّهم على اخْتِلاف مشاربهم وأعراقِهم وأجْناسِهم ومِلَلِهم ونِحَلِهم، وكلّ هذه الاختلافات شَكْلِيَّة فالناس في الآخرة رجلان كما قال تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25)﴾

[سورة القيامة]

كَمَن أُلْقِيَ القبْض عليه وينتظر العِقاب، ولا يعرف هل سَيكون بِسِجْن مُأبَّد أو أعمال شاقَّة ؟ فهذه الأيام تَمْضي عليه كالسنوات، وانْتِظار الحُكْم صَعْب جداً.

ثمَّ قال تعالى

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29)﴾

[سورة القيامة]

إنْسَحَبت الروح قال تعالى:

﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27)﴾

[سورة القيامة]

من يرْقى له، من يقرأ له قال تعالى:

﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28)﴾

[سورة القيامة]

فالإنسان يمْرض إلا أنَّه في كُلِّ أمْراضِه يغلِبُ عليه الأمَل في الحياة أما أحْياناً تأتيه تقارير عن حالته النِّهائِيَّة، أحدهم قال له: أنت معك سرطان وسَتَعيش أربعة أشْهر ! ففي هذه الأيام ما عليك إلا أن تُنهي أمورك ووَصِيَّتَك، وأنْهي علاقاتِك، ثاني يوم تَوَفَّى هذا الشَّخْص، ولم ينتظر أربعة أشهر .

قال تعالى:

﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28)﴾

[سورة القيامة]

أحياناً المريض يَتَيَقَّن أنَّهُ سَيَنْتهي، كان هناك رجل حكوا لي عنه إلا أنَّها سبحان الله قِصَّة يصْعب أن تُصَدَّق وأنا لم أرَهُ إلا أنَّني سَمِعْتُ عنه ؛ رَجُلٌ صالِح وكان يُنفق أموالاً طائلة في سبيل الله، وله مكْتب في الحريقة، كُلَّما دَخَلَتْ عليه لَجْنة خَيْرِيَّة له طريقة رائِعَة وهي أنَّهُ يعْطيهِم مِفتاح الصُّنْدوق ويقول لهم: خُذوا ما شِئْتم، ولا تُعْلِموني، أُصيب بِمَرضٍ في دَمِه ولِحِكْمَةٍ أرادها الله تعالى وَصَلَ الخبر له حيث أنَّه رفع السَّماعة الإضافِيَّة فكان من الطبيب لابنه، ولأنَّ عمله الطَّيِّب ولأنَّه كان مُسْتقيماً ما تأثَّر كثيراً، إنَّما خَبَّر صديقه من أصْدِقائِه

وقال له: أنا انْتَهَيْتُ ! عندي صَفْقَة الفُلانِيَّة تُنهيها لي، وتُعْطي أرْباحها لأوْلادي ورَتَّب أموره وقضايا العمل والتِّجارة والاسْتيراد والمُسْتوْدعات، وثاني يوم وَدَّع كُلَّ أهْلِه، واحِداً واحِداً، وثالث يوم تَغَسَّل بِنَفْسِه، وفي الساعة الواحِدَة له شَيْخ بالشام صالِح، ذَهَب إليه وبَقِيَ يذكر الله عنده، وفي الساعة الثانِيَة فارق الحياة، هذا الأمر صَعْب جداً أن تعرف أنَّك في الرقت الفلاني سَتُفارِقُ الحياة، فَكَلامي أنَّك إنْ عَمِلْتَ عَمَلاً طَيِّباً لن يكون الموت مُخيفاً لك، قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ(158)﴾

[سورة آل عمران]

تَجِد فلان من الناس مُهِمَّتُه جمْع المال، والله تعالى قال:وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ

﴿ مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(157)﴾

[سورة آل عمران]

قال تعالى:

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30)﴾

[سورة القيامة]

سُئِلَ عالِمٌ جليل: كيف القُدوم على الله ؟ فقال: أما العبْدُ المؤمن فكالغائِب رُدَّ إلى أهْلِه، لو كان لك ابن بِمَنْطقة من البلاد الأوروبيَّة وبقي هناك ثماني سنوات فلو عَلِمْتم قُدومه لرَتَّبْتُم له غرفة خاصَّة به، وتطْبخون له أكْلات يُحِبُّها، أليس كذلك ؟! وأما العَبْد الكافر فكالعَبْد الآبِق رُدَّ إلى مَوْلاه، وهذه قِصَّة قديمة أذْكرها لكم ؛ أنَّ أحد الناس خرج من بلدِه إلى أروبا وهاجم نِظام بلَدِه وكان صَحَفِيًّا، ودَبَّروا له حتى أصْبح بين أيْديهم، فكيف سَيفعلون الآن به؟! قال تعالى:

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾

[سورة الغاشية]

ففي النِّهاية نذْهب كلنا إلى الله تعالى، فالذي يأكل مال الحرام، ويعتدي على أعْراض الناس، والذي يسْتَعلي على خلق الله ؛ كُلُّه سَيُحاسَب وأصْعب ليلة في القبر هي أوَّلها، يقول الله عز جل: عَبْدي رجعوا فَتَركوك وفي التراب دَفَنوك، ولو بَقوا معك ما نَفَعوك، ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحيُّ الذي لا يموت، كُلَّما زُرْتُ بيْتاً لأُعَزِّي آتي بهذا الكلام، أرى بيْتاً فَخْماً، بِكامِل المُعِدَّات، أقول: أين صاحبُه الآن ؟! الثريَّات كُلُّها كريستال، وصالون ثمانية أمْتار، وتُحَف أقول كيف انتقل صاحِبُه إلى باب صغير ؟ نحن عندنا حيّ المالكي هو حيّ أكْواخ بالنِّسْبة لِحَيّ الشَّهْباء بِحَلَب، هناك قِلَّة أرانيها شَخْص وقال لي: هذه فيها رُخام من سنة الأربع والسَّبْعين، وكان الدولار بِثَلاثة ليرات وثَمانِيَة قِرْش، ثَمَنُ هذا الرُّخام خمْس ملايين ليرة، هذا الرُّخام هو رخام أونِكْس

شَفاف، الآن ثَمَنها أكثر من ثمانمائة مليون !! صاحبها عمره اثنان وأربعون سنة، وكان طويل القامة، فكان القبْر قصيراً عليه، فاضْطر الذي حَفَر القبر أن يُمَيِّل رأسَه!! فهذا الذي كان يسْكن في بيْتِ ثمنه ثمان مائة مليون، كان مثْوه في قبر أصغر منه !

قال تعالى:

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (31)﴾

[سورة القيامة]

أعرف رجل، يقرب أحد أصْدِقائي، عاش بالسَّعوديَّة ثلاثين سنة، وجَمَّع ثلاثة آلاف مليون وما صلى الفرْض بِحياتِه، ولا حجَّ ! ذهَب لاسْتنبول فمات بالفندق هناك، والبارِحَة بِجامِع النابلسي كان جالساً في القاعة فانقلب ومات في الصلاة ! الموت يأتي بَغْتَةً، والقبر صندوق العمَل.

قال تعالى:

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (31) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33)﴾

[سورة القيامة]

فالفاجِر يجْلس قَعْدَةً لا أدَب فيها، وقد يضْطجع اضْطِجاعاً غير لائِق.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (34) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (35)﴾

[سورة القيامة]

أي أوْلى لك أن تؤمن،وأن تسْتقيم وأن تُفَكِّر بهذا اليوم، قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36)﴾

[سورة القيامة]

الذي خلق هذا الكون العظيم والذي خلقك ألا يُحاسِبُ أحداً ؟ هل يعْتدي الإنسان على من يُحِبُّ ويظْلم ثمَّ ينْجو من عذاب الله، وهل يُعْقل من جامِعَة بأرْقى الأساتِذة والغُرف والسَّكن ثمَّ لا يوجد فيها امْتِحان ؟! وكُلُّهم ناجِحون، قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40)﴾

[سورة القيامة]

هذا هو الإيمان إذا آمَنْتَ أنَّ هناك آخرة وحِساب ومَسْؤولِيَّة، وتُحاسَب على أدَقِّ الحركات السَّكَنات، قال تعالى:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)﴾

[سورة الحجر]

وقال تعالى:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾

[سورة الزلزلة]

ما من عثرة ولا اخْتلاج عِرق ولا خدْش عود إلا بما قَدَّمت أيديكم، وما يعْفوا الله أكثر.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : تفسير سورة الإنسان

الدرس (4-1) : تفسير الآيات 01 – 05 ، حكمة خلق الإنسان

الدرس (4-2) : تفسير الآيتان 23 – 24

الدرس (4-3) : تفسير الآيات 24 – 28 ، التذكير باليوم الثقيل!

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 29 – 31 ، فصل الخطاب بالتذكير!!

الدرس (1-4) : تفسير الآيات 01 - 05 ، حكمة خلق الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآيات الأولى من سورة الإنسان وهي قوله تعالى:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا(1)﴾

[سورة الإنسان]

لا شكَّ أنّ أحدنا وقع تحت يدِه كتاب مَطبوع قبل تاريخ ميلاده، ففي أثناء طبع هذا الكتاب هل هناك شَخْص هو أنت ؟ فأنت إذا تَصَفَّحْتَ كتاباً قبل تاريخ ميلادِك ألم يخْطر في بالك أنَّهُ في أثناء طبْع هذا الكتاب لم تكن إطْلاقاً، ولم يكن لك وُجود ولا مكان ولا حجم ولا هُوِيَّة، فهذا معنى قوله تعالى:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا(1)﴾

[سورة الإنسان]

فَمَن أنْعم عليك بِنِعْمة الإيجاد ؟ الله جلَّ جلاله، وُجِدْتَ بعد إذْ لم تكن هذه أكبر نِعْمة ألم تسأل نفْسك هذا السؤال ؛ لماذا أوْجَدني الله عز وجل ؟ لا يليق بالله ولا بِكَماله ولا بِعَظَمَتِه ولا بِطَلاق قدرته لِيَخْلق مَخْلوقاً لِيُعَذِّبَهُ، العوام يقولون كلاماً مُضْحِكاً ! يقولون: الله تعالى خَلَقنا للعذاب من قال لك هذا ؟ القرآن يردُّ على هذا، قال تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(119)﴾

[سورة هود]

خلقهم لِيَرْحمهم، ولِجَنَّةٍ عرْضها السماوات والأرض، وَخَلَقهم لِيُسْعِدَهم وليَجْعل لهم من نِعَم الدنيا مُتَّصِلَةً بِنِعَمِ الآخرة، ولله المَثَل الأعلى سيارة مُصَمَّمة أعلى تَصْميم كي تَكون لِخِدْمَتِك ولكي تنقلك إلى مكانٍ جميل فلو أنَّ إنساناً ساقَها وهو سَكْران، قد تَتَدَهْوروتنكسِرُ أضْلاعه، فَمَن المسؤول ؟ هو الذي قادها بِطَريقة مَغْلوطة والذي شَرِبَ الخَمْر وقاد السيارة والأصل أنَّ هذه المركبة صُنِعَت كي تنقلك إلى أيِّ مكانٍ تشاء وكي ترْتاح باسْتِعْمالها، وكي تسْعَدَ بها، صُمِّمَت لإسْعادِك وليس لِتَدْميرك أما لو قُدْتَها دون وَعْي وكان هناك حادِث والحادِث مؤْلم فأنت هو السَّبب، فربُّنا عز وجل خلقنا لِيُسْعِدنا ولِيَرْحَمنا، ولِيَنْصُرنا ويُطَمْئِننا خلقنا لِجَنَّةٍ عرْضها السماوات والأرض، لِجَنَّةٍ يدوم نعيمها، لذلك أوَّل سؤال: ألم يمُرّ وقْتٌ في الأرض لم تكن مَذْكوراً ؟ لو رَجَعْنا إلى عَهْد رسول الله تعالى، فهل كُنَّا مَوْجودين ؟ لم نك إطْلاقاً وكذا إلى عهْد الصحابة والتابِعين والأمَويِّين والعباسيِّين وإلى عهْد الدُّوَل المُتتابعَة، هذه الأزْمِنَة لم نكن موجودين فيها، فهذه نِعْمةٌ أولى.

النِّعْمة الثانِيَة هي نِعْمة الإمْداد، مَنَحَك الله تعالى نِعْمة الوُجود ثمّ نِعْمة الإمْداد، أمَدَّك بالهواء، فالهواء ليس له فاتورة، ولو كان كذلك لكانت هذه مُشْكِلَة، تأتيك الفاتورة تجد فيها ؛ ثمان مائة ليرة تَنَفُّس ! تَدْفَع أو نقْطع عليك التَّنَفُّس !! شيء غير مَعْقول، إذْ هو مُباحٌ للجميع، وكذا الماء، والطعام وأمَدَّك بِزَوْجة تأنَسُ بها من جِنْسِك وطبيعتك ونفْسِك تُحِبُّ كما تُحِبُّ وتكْره كما تكْره وترقى كما ترْقى وتَسْمو كما تَسْمو جعلها مُتْعَةً لك وأنْجَب لك منها أوْلاداً، يملئون لك البيْت فرْحَةً، فإذا تَقَدَّمَتْ بك السِنّ كانوا لك مِعْواناً، فهو تعالى أمَدَّك بِكُلِّ شيء، ثمَّ دَلَّكَ عليه وأمَدَّك بِنِعْمة الهُدى والرَّشاد، يقول عليه الصلاة والسلام: أحِبوا الله لما يغْدوكم..." فهذه الكلية الصغيرة تعمل بِصَمْت ؛ الدم يُصَفَّى فيها في اليوم خمْس مرات، أما الكلية الصِناعِيَّة فَثَمانِيَةُ ساعات ويدك مَمْدودة وأنت مُعَطَّل والسيروم بِيَدِك، كُلُّ هذا من أجل جمعة أو ثلاثة أيام ! والتَّصْفِيَة ثمانون بالمائة، وحجم الكلية قدْر هذه الطاولة، وكذا الكبد لولاه لما عِشْتَ ثلاث ساعات، وكذا القلب، فهذا دَسَّام خنزير ثَمَنُه ثمانون ألف وأحْياناً الشرْيان الأبْهر يتعطَّل ووَصْلة طولها اثْنى عشرة سنتمتر ثَمنها اثْنى عشَر ألف ! كُلُّ شيءٍ فيك ثَمين، فهذا زَرْع الكلية يُكَلِّف مليون أو مليونين، فالله تعالى أمَدَّك بالإمداد والإيجاد، والهُدى والرَّشاد، فإذا كان الإنسان من الشاكرين قَيَّدَ هذه النِّعَم بالشُّكْر، وإن لم يَشْكُرْها ضَيَّعَها وأحد أنواع شُكْر النِّعَم أن تسْتَعْمِلها في مَرْضاة الله، لا أن تنظر بِهذه العَيْن إلى ما حَرَّم الله، وكذا السَّمْع والنطْق والبطْش باليد ولا أن تقودك رجلك إلى ما لا يُرْضي الله، فالله تعالى قال:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا(1)إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا(2)﴾

[سورة الإنسان]

فهذه النُّطْفة تُلَقِّح البُوَيْضة، وهناك ثلاثة وعشرون مُوَرِّث وكذا البُوَيْضَة أصْبَحَ عددهم ستٌّ وأرْبعون، فالحُوَيْن المنوي فقط فيه ثلاث وعشرون مُوَرِّث، وفقط البُوَيْضة عليها ثلاث وعشرون، أما أيُّ خَلِيَّة أخرى عليها سِتٌّ وأربعون، لذلك الاسْتِنْساخ مُشْكِلَتُه أن نأخذ خَلِيَّةً عليها سِتاً وأربعون وليس ثلاث وعِشْرون، فهذا الذي يأتي هو أخٌ لأبيه أو أُخْتٌ لأمِّها، أما هنا من نُطْفَةٍ أمْشاج، الحُوَيْن والبُوَيْضة تفاعَلا وكَوَّنا هذا الجنين، وهذا الجنين فيه صِفات الأب والأمّ، وفيه أقْوى الصِّفتَيْن ويُتَلافى فيه أضْعَف الصِّفتَيْن، فهذه الآية وَحْدَها تنْفي الاسْتِنساخ قال تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا(2)﴾

[سورة الإنسان]

أي نَمْتَحِنُه، جَعَلْناهُ سميعاً كي يسْمَعَ الحقّ، وبصيراً لِيَرى الآيات، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ(10)﴾

[سورة الملك]

أحدُ أسباب دُخول النار ما سَمِعَ وما عَقَلَ، فهو لا فَكَّر بالحق وتأمَّل ولا سَمِع له، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة الأنفال]

هذه الآية تَكْفينا، أخٌ كان في أمْريكا ودَخَل إلى مَسجِدٍ ووجَدَ شَخْص يبْدو من مَظْهره من أرْقى الأُسَر وشَخْصِيَة مُحْتَرَمَة جداً، تُنَظِّف المَسْجد فقال له: أنت من أين ؟ فقال: له أنا من أمريكا، ماذا تعمل ؟ قال: بأعلى الرتب البحْرِيَّة بأمريكا ! قال: كيف أسْلَمْت ؟ فقال له: ذَهَبْتُ إلى الشَّرْق بِمُهِمَّة، وسَكَنْتُ بِبَيْت وكان هناك رجل داعِيَة أقْنَعني بالإسلام فأسْلمْتُ، هذه الآية تُريحُ الإنسان، وهذه بِشارةٌ لكم ولي فمادام الله تعالى أسْمَعَنا الحق لَعَلَّ فينا خيراً، فالآية هكذا نَصُّها، قال تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(3)﴾

[سورة الإنسان]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى(12)﴾

[سورة الليل]

لفظة على إذا أُضيفَتْ إلى ذات الله عز وجل تُفيد الإلْزام الذاتي، فالهُدى من الله، هو الذي يهْدي، فهو تعالى هداك بالعَقْل والفِطْرة وهداك بالقرآن والنبي العَدْنان والدُّعاة والمنامات، فالكَوْنُ يُعَرِّف بالله، وعَقْلُك يَصِلُ بك إلى الله، وفِطْرَتُك تَدُلُّك على الله، والقرآن والنبي عليه الصلاة والسلام يدلان على الله تعالى، وأفعال الله تدُلُّ عليه، والعلماء من بعد الأنبياء يَدُلُّون على الله، فقوله تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(3)﴾

[سورة الإنسان]

السبيل المُوصِل إلى الله، والسبيل الموصِل إلى السعادة في الدنيا والآخرة، والسبيل الموصِل إلى السلام مع الله تعالى، والسبيل الموصِل إلى الدنيا كما أرادها الله والآخِرة، أما الذي كفر وانْحرف وضَلَّ وتَكَبَّر فقد قال تعالى:

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا(4)﴾

[سورة الإنسان]

لذلك قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا(27)﴾

[سورة الإنسان]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا(5)﴾

[سورة الإنسان]

أيها الإخوة، نحن في بَحْبوحَة الحياة والقلب يعْمل، الصّحة طَيِّبَة فلما علينا إلا التوبة الصُّلْح مع الله، وما علينا إلا أن نُحاسِبَ أنفُسَنا حِساباً عسيراً، وأن نتوب قبل أن لا نتوب، وأن نُؤَدِّي ما علينا من حُقوق قبل أن لا نجِد، فمادُمْتَ حيًّا كُلُّ شيء مَحْلول، لو جِئْتني بملء السماوات والأرض غفرتها ولا أُبالي، يوم يعلم المعْرضون انْتِظاري لهم وشَوْقي إليهم، وترْك معاصيهم لَتَقَطَّعَت أوْصالهم من حُبّي، ولماتوا شَوْقاً إليَّ إنّي والإنس في نبإٍ عظيم أخْلق ويُعْبَدُ غيري، وأرزق ويُذْكر سِواي خيري إلى العباد نازِل، وشَرُّهم إليَّ صاعِد، أتحبب إليهم بِنِعَمي، وأنا الغَنِيُّ عنهم، ويتبغَّضون إليَّ بالمعاصي، وهم أفقر شيء إليّ، من أقبل عليَّ منهم تَلَقَّيْته من بعيد، ومن أعرض عنّي منهم نادَيْتُه من قريب أهْل ذِكْري أهْلُ مَوَدَّتي، وأهْل شُكْري أهْل زِيادتي، وأهْل مَعْصِيَتي لا أُقَنِّطُهم من مَعْصِيَتي، إن تابوا فأنا حَبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبْتَليهم بالمصائِب لأُطَهِّرهم من الذُّنوب والمعايِب، الحَسَنَةُ عندي بِعَشَرَة أمْثالها وأزيد، والسَّيِّئة بِمِثْلِها وأعْفو وأنا أرْأف بالعَبْد من الأمِّ بِوَلَدِها خَلَقْتُ لك السماوات والأرض ولم أعْيَ بِخَلْقِهِنّ، أفَيُعْيِيني رغيف أسوقُه لك كُلَّ حين، لي عليك فريضة ولك عَلَيَّ رِزْق، فإذا خالَفْتني في فريضَتي لم أُخالِفْك في رِزقِك، وَعِزَّتي وجلالي إن لم ترْض بما قَسَمْتُهُ لك فلَأُسَلِّطَنَّ عليك الدنيا، ترقُد فيها رقْد الوَحْش في البَرِيَّة، ثمَّ لا ينالك منها إلا ما قَسَمْتُه لك ولا أُبالي وكنت عندي مَذْموماً، أنت تريد وأنا أُريد فإذا سَلَّمْتَ لي فيما أريد كَفَيْتُك ما تريد، وإن لم تُسَلِّم لي فيما أريد أتْعَبْتُكَ فيما تريد ثمَّ لا يكون إلا ما أريد.

أيها الإخوة الكرام، مِحْوَرُ هذا الدرْس أنَّ ربَّنا عز وجل مَنَحَنا نِعْمَة الإيجاد، وأوْجَدَنا لِيُسْعِدنا ويرْحَمَنا، فإذا أخْطأنا شَقَيْنا، قال تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(30)﴾

[سورة الشورى]

وقال تعالى:

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(57)﴾

[سورة البقرة]

ثمَّ إنَّ الله تعالى أكْرَمَنا بِنِعْمة الإمْداد، أمَدَّك بِمالٍ وبنين وبِنِعمَة الهُدى والرَّشاد، وما علينا إلا أن نسْتجيب، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24)﴾

[سورة الأنفال]

قال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

فإن لم نسْتَجِب شَقَيْنا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : تفسير الآيتان 23 - 24

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآيات الثالثة والعشرون والتي بعدها من سورة الإنسان، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا(23)﴾

[سورة الإنسان]

قد يُعَبِّر عن ذات الله عز وجل في القرآن الكريم بِكَلِمَة أنا قال تعالى:

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي(14)﴾

[سورة طه]

وقد يُعَبَّر عن لفْظ الجلالة في القرآن الكريم بالضَّمير نحن، قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا(23)﴾

[سورة الإنسان]

فهل هناك فرْق بين التَّعْبيرَين ؟ متى يقول الله عن ذاته العَلِيَّة:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي(14)﴾

[سورة طه]

﴿ومتى يقول الله عز وجل عن ذاته العَلِيَّة: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا(23)﴾

[سورة الإنسان]

قال علماء التَّفْسير، إذا كان المُراد ذات الله عز وجل جاء التَّعْبير إنَّني أنا الله أما إذا كان المقْود أفعاله وأسْماؤُهُ فَكُلُّ أفعاله تَدْخُل فيها كُلُّ أسْمائِهِ، فَفِعْلُهُ رَحْمَةٌ وفِعْلُهُ حِكْمَةٌ وعَدْلٌ وقُوَّةٌ وَهَيْمَنة فإذا عَبَّر عن أفْعاله يقول: إنَّا نحن، فهذا القرآن رحْمة وعَدْل كما قال العلماء ؛ الشَّريعة عَدْلٌ كُلُّها، ورَحْمَةٌ ومَصْلَحَةٌ كُلُّها، لا يليق بِشَريعة الله تعالى إلا أن تكون كذلك فأيَّةُ قَضِيَّة خَرَجَت من العَدْل إلى الجَوْر أو من الرَّحْمة إلى خِلافِها أو من المَصْلحة إلى المَفْسَدَة فليسَتْ من الشريعة ولو أُدْخِلَت عليها بألْف تأويل وتأويل، هل تُصَدَّق أن يذْهب مليون حاج أو أكثر إلى الدِّيار المُقَدَّسَة وأن يذْبحوا الخرفان ويُلقونها في العَراء فَيُصْبِحُ الجوُّ نَتِنا لِعِدَّةِ أشْهر ! هل هذه هي الشَّريعة ؟! لا، الآن تُذْبح في مَسالِخ وتُبَرَّد وتُرْسَل إلى الفقراء، هذه هي الشَّريعة، أما أن نذْبَح مليون خروف وتذْهب هباءً والناس يموتون بالجوع ! ليْسَت هذه الشَّريعة، فلابدّ أن تكون الشريعة رحْمةً وحِكْمَةً ومَصْلَحة، فإذا ورد في قوله تعالى: إنَّا نحن، فأسْماء الله تعالى كُلُّها حُسْنى وفُضْلى وأفعاله كُلُّها حكيمة فإذا كان التعبير عن أفْعاله يأتي ضمير الجَمْع، لأنَّ هذا الفِعْل تدْخل فيه أسْماؤُهُ كُلُّها، وإذا كان التعبير عن ذاته يقول: إنَّني أنا الله، أحْياناً الإنسان لا تتَّضِحُ له الصورة، لو دَخَلْنا إلى أكبر مَكْتبة بالعالم،

ورأيْنا فيها فَرَضاً مليون مُجَلّد، أو أكثر وكانت كُلُّ هذه الكُتب في كَفَّة، وكتاب الله تعالى في كَفَّة هذا كلام خالق الكَوْن، دَخَل مُغَنّي بريطاني في إيطاليا إلى مَكْتبة وهو مُغَنّي شَهير جداً وتُباع أشْرِطَتُهُ بِمئات الملايين، ورأى في هذه المكتبة القرآن مُتَرْجَم، فسأل صاحب المَكْتبة من مُؤَلِّف هذا الكتاب ظن فأشار صاحب المَكْتبة إلى السَّماء فَسَخِرَ هذا المُغَنّي أشَدَّ السُّخْرِيَة واشْترى الكتاب لِيَنْتَقِدَهُ ويدْحض هذا الادِّعاء فآمَنَ بالله تعالى ! وتاب تَوْبَةً نصوحَة وكُلُّ دَخْلِهِ من الأغاني تَصَدَّق به، وكان يشْتري تسْجيلاته وأسْطُواناتِه ويُتْلِفُها لأن لا يرْتَكِب مَعْصِيَةً، وهو الآن من أكبر الدُّعاة إلى الله اسمهُ يوسف إسلام، لذلك فَضْلُ كلامِ الله على فضْل كلام خَلْقِهِ كَفَضْل الله على خلْقِه، وازِن بين خالق الكون وبين إنْسان ! بين عِلْمٍ مُطْلَقٍ وبين جَهْلٍ، وحِكْمَةٌ وغباوَة ! المسافة التي بين الله وبين خلْقِه هي نفْسها بين كلام الله وكلام خلْقِه، فإذا قرأ الإنسان القرآن فهذا كلام الواحِد الدَّيان، قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا(23)فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا(24)﴾

[سورة الإنسان]

فالله عز وجل قَضى أن تكون ذا دَخْلٍ مَحْدود فهذا قضاء الله عز وجل ويوم القيامة يكْشِفُ لك الحِكْمة فَتَذوب كالشَّمْعَة مَحَبَّةً لله عز وجل وقضى أن تكون أباً لِبَناتٍ فقط، فهذه هي حِكْمَتُهُ، وقضى أن تكون أباً لأوْلاد، وقضى أن تكون عقيماً أو صحيحاً أو مريضاً فهذه مشيئة الله وعلامة إيمانك بالله أن تحْتَرِم مشيئته وأن ترْضى بقَضائِه وقَدَرِه ولكن هذا متى ؟! بعد اسْتِنفاذ الجُهْد، فإذا كنت كَسول ولا أدْرس ثمَّ أقول حَسْبِيَ الله ونِعْم الوَكيل، هذا كلام باطِل، الأصْل أن أقول هذا بعد الاجْتِهاد وبذْل كُلّ ما في الوُسْع لِتَحْسين مَعيشَتي ونَيْل الدَّرَجات العُلْيا فإذا انتهى بك السَّعْي إلى هذا المكان فهذا قضاء الله تعالى وقدره.

إذاً قال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا(24)﴾

[سورة الإنسان]

لو أنَّ أحدكم ذَهَب إلى طبيب أسْنان وقال له: أنت لك مُشْكلة في القلب والبنج لا يُناسِبك، ولا بدّ من أن تُقلع الضِرْس من دون بنْج، واقْتَنَعْتَ أنت، فَمِن أجل قناعَتِك بالسَّبب تتَحَمَّل الألم وتصْبِر، وهذا الصبْر لا يحْتاج إلى جُهْد إطْلاقاً، ولكن متى يكون الأجْر على الصَّبْر عالياً ؟ إذا لم تكن الحِكْمة غير واضِحَة لك ! يا ترى ألا يسْتحق الله عز وجل أن تُسَلِّم له الأمْر ولو لم تتَّضِح لك الحِكْمة ؟ فأنت مع طبيب تُسَلِّم الأمْر فكيف مع الخالق، فالله عز وجل يمْتَحِنُ عُبوديَّتك له، ويبْعث لك مشكلة غير معْقولة، وليس معها مُبَرِّر، ولو أنَّك في أعلى درجة من الاسْتِقامة تأتي مُشْكلة فلا تقل والله أنا المفروض لا تأتيني مثل هذه المصائب ! وأعلى امتحان عُبودِيَّة أن يقول الله عز وجل لِنَبِيٍّ كريم اِذْبَح ابنك، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة الصافات]

وكلمَّا كان أمر الإلهي واضِح كلَّما كانت العبودِيَّة قليلة وكلَّما كان الأمر الإلهي غير واضِح كانت العبودِيَّة فيه أعلى، أبٌ قال لابنه نَظِّف أسْنانك وآخر قال لابنه أنت معك اِلْتِهاب أمْعاء ما عليك إلا أن تأكل الشاي واللَّبَن فقط كُلُّ هذا لِمَصْلحة الولد، أما إن كان الابن جائِعاً والطعام موجود وأراد أن يأكل ثمَّ يقول له الأب لا تأكل ! فهنا تظْهر طاعة الابن لأبيه لأنَّ الأمر معْقول وهذا اسْمه اِمْتِحان عُبودِيَّة، فالله تعالى يمْتَحِننا إمْتِحان عُبودِيَّة، فهذا سيِّدُ الخلق وحبيب الحق في الطائِف كَذَّبوه وسَخِروا منه واسْتَخَفوا بِدَعْوَتِه، وفي روايةٍ ضَربوه، قال عليه الصلاة والسلام: يا ربّ إن لم يكن بِكَ عليَّ غَضَبٌ فلا أُبالي ولك العُتْبَة حتى تَرْضى ولَكِنَّ عافِيَتَك أوْسِعُ لي، وامْرَأةٌ في مَعْرَكة أُحُد والله مليون رجل لا يُساوي قلامة ظفرها، رأَتْ زَوْجَها قتيلاً، فقالت: ما فعل رسول الله، ورأتْ ابنها قَتيلاً فقالتْ: ما فعل رسول الله، ورأتْ أخاها قتيلاً، فقالت: ما فعل رسول الله، ورَأَتْ أباها قتيلاً، إلى أن رأَتْهُ فقالتْ: يا رسول الله، كُلُّ مصيبةٍ بعدك تهون ! فنحن لِضَعْف إيماننا لا نُمْتَحَنُ هذه الامتحانات، هناك صحابي فقَدَ بَصَرَهُ، فقال: أُدْعو الله أن يردَّ لك بصرَك، فقال: والله إنَّني أسْتحي من الله، هو اخْتار لي هذا وأنا أرْفُضه ! فالإيمان له مُسْتَوَيات، لما قال لنَبِيّه اِذْبح ابنك، هل ذُبِحَ الابن ؟ لا، الله تعالى رحيم إلا أنَّهُ امْتحنَك، إذاً هناك امتحانات عُبودِيَّة، والواضِحَة لا تحتاج إلى صبْر، كَحال الذي يؤلِمُه ضِرْسه ولكن متى تحْتاج إلى الصبْر، إذا لم يكن الأمر واضِحاً، تجد شاباً مُسْتَقيماً فقَدَ عمله فجْأةً ! وما أكل مال الحرام، فأصْبَحَ يَدَّيَن أوَّل الشَّهْر وثانيه وثالثه ؛ هذا امتحان عُبودِيَّة فإذا قال: يارب لك الحمْد، مَن أحَبَّنا أحْبَبْناه، ومن طلب منَّا أعْطَيْناه، ومن اكْتفى عمَّا لنا كُنَّا له وما لنا تأتي الدنيا وهي راغِمَة، ما ترك عبد شيئاً لله إلا عَوَّضَهُ الله تعالى خيراً منه، في دينه ودُنْياه، ولا يوجد واحِدٌ مِنَّا ليس له قائِمَة مُزْعِجات بِحَياتِه ونقائِص ومُشْكِلات، فإذا قلتَ أنت: يا ربّ أنا راضٍ حَدَّثونا عن رجل معه ورم خبيث بأمْعائِه، فَدَخَل إلى المُسْتَشْفى، فأحد إخْواننا الأطِبَّاء قال: ما دخل عليه إنسان إلا بادَرَهُ بهذه الكلمة ؛ إشْهَد أنَّني راضٍ عن الله ! وكانت به آلام لا يعلمها إلا الله تعالى وكان يُغْمِضُ عيْناه ويسْتَغْفِر، وكان يُكْثِرُ الحمْد، ثلاثة أيام تُوفِّي، ولِحِكْمةٍ بالغة بالغة بالغة جاء بعده مريض مُصاب بِنَفْس المرض، ما تَرَكَ نَبِيًّا ما سَبَّهُ فذاك المؤمن يحْمد وذاك يشْتم ! قال تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ(127)﴾

[سورة النحل]

اسْتَعِن باللهِ على الصبْر، وفي آيةٍ ثانِيَة:

﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ(7)﴾

[سورة المدثر]

هناك شَخْص ينْقهِر فَيَصْبر، فهذا ليس لله، ولكنَّهُ مَقْهور، أما المؤمن وهو في أعلى درجات القوَّة يصْبر لله، فاصْبِر وصابِر، وكان سيّدنا عمر إذا أصابته مُصيبةٌ قال: الحمد لله ثلاثاً: الحمد لله إذْ لم تكن في ديني، والحمْد لله إذْ لم تكن أكبر منها، والحمد لله أَنَّني أُلْهِمْتُ الصَّبْر عليها.

قال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا(24)﴾

[سورة الإنسان]

فلا شيء يقعُ لك إلا والله تعالى هو الذي سمح فيه، والله تعالى حكيم وعادِل، وفَسِّر كُلَّ أفْعاله بالرَّحْمة والعَدْل واللُّطْف، فما دام الشيء وَقَع فهذا قرار ربِّك فاصْبِر والصَّبْر مُريح، قال تعالى:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة الزمر]

كأنَّ لك شيك مَفْتوح، فهذه الصَّحابيَّة أُمُّ سَلَمة تُوُفِّي زوْجها ومن ألْمَع الصحابة والنبي علَّمَنا أن إذا أصابتْنا أن نقول: اللهمّ اخْلُفني خيراً منها فإذا بالنَّبي صلى الله عليه وسلَّم هو الذي خَطَبها.

فإذا صَبَرْتَ ورضيت بِقَضاء الله فالله تعالى يُحِبُّك ويُعَوِّضك أحْسن منه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : تفسير الآيات 24 – 28 ، التذكير باليوم الثقيل !

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الخامسة والعشرون من سورة الإنسان وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (27)﴾

[سورة الإنسان]

الله جلّ جلاله يأمرنا أن نذكره بُكْرَةً وأصيلاً، وصباحاً ومساءً، أي ذِكراً كثيراً، وفي آيةٍ أخْرى يقول الله عز وجل:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(41)﴾

[سورة الأحزاب]

وقد ورد في الأثر القُدْسي: ابن آدم إنّك إن ذَكَرْتني شَكَرْتني، وإذا ما نسيتَني كَفَرْتني، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران]

قالوا: حقَّ تُقاتِهِ أن تَذْكره فلا تنساه، وأن تُطيعهُ فلا تعْصِيَه، وأن تشْكُرَهُ فلا تكْفره، وقد قال عليه الصلاة والسلام: برِءَ من النِّفاق من أكثر من ذِكْر الله.." وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلَّم:

((عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ *))

[رواه الترمذي]

وما والاه ؛ أيُّ شيء يُقَرِّبك من الله، فإذا جَلَسْتَ في مَجْلس عِلْم وتَعَلَّمْتَ تفْسير آية فهذا المَجْلس من ذِكْر الله، وإذا قرأْتَ كِتاب فِقْهٍ لِتَعْرِفَ أحْكام الشَّرْع والحلال والحرام فهذا من ذِكْر الله، وإذا تَلَوْتَ القرآن تِلاوَة تَعَبُّد فهو من ذِكْر الله، وإذا فَكَّرْت في السماوات والأرض التي بثَّها في الكون فهذا من ذِكْر الله، وإذا دَخَلْتَ إلى المسْجد لِتُصَلي، قال تعالى

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي(14)﴾

[سورة طه]

فهذا من ذِكْر الله، والقلب لا يطْمئِنُّ إلا لِذِكْر الله تعالى، ولا يسْعَدُ إلا لِذِكْر الله، وما من شيء في الدنيا يمْلأ هذه الثَّغْرة، فقد تكون غَنِيًّا إلا أنَّك تجد شيئاً فارغاً تبْحَثُ عن سَدِّه، وقد تكون قَوِيًّا وصحيحاً وقد تمْلك الدنيا بِما فيها، وما لم تذْكر الله فالقلب يصْدأ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: إنَّ القلوب لتصْدأ كما يصْدأ الحديد..." وحينما قال الله عز وجل ألا بِذِكْر الله تَطمَئِنُّ القلوب، فلو قال تطْمئِنُّ القلوب بِذِكْر الله لَكان معنى الآية أنَّها تطْمَئِنُّ بِذِكر الله وبِغَيْر ذِكْر الله، أما حينما جاءَت بهذه الصِّيغة المُقَدَّمة، فالمَعْمول إذا قُدِّم على العامل في اللُّغة أفاد الحصْر فلو أنَّ الله تعالى قال: مفاتيح الغيْب عنده، فهذا يمكن أن يكون عند غيره أما حينما قال:

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(59)﴾

[سورة الأنعام]

صار هناك حصْر فالتَّقْديم والتأخير يُفيد الحصْر، فلما قال الله عز وجل:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد]

فالقلوب إذاً لا تطْمَئِنّ ولا تسْكن النُّفوس الأفئِدَة لا ترْتاح إلا بِذِكْر الله قال عليه الصلاة والسلام: وما جلس قوم مجْلساً..." لذلك احْرِص على أن تُكْثِرَ من ذِكْر الله، ولأمْر لا ينْصَبُّ على ذِكْر الله وحْدهُ، لأنَّ المنافق يذْكر الله، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا(142)﴾

[سورة النساء]

المؤمن يذْكر الله تعالى ذِكْراً كثيراً، قال تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا(8)﴾

[سورة المزمل]

ففي بعض الآثار أنَّه يجب أن تذكر الله تعالى حتى يُقال عنك مَجْنون وأنت أعْقَلُ العُقَلاء، والإنسان إذا ذَكَر الله تعالى ألْقى في قلبه طمأنينةً لو وُزِّعَت على أهْل بلدٍ لَكَفَتْهُم، إذا ذَكَرَ الله عز وجل ألْقى في قلبه سكينةً، وراحَةً، وسعادَةً، لأنَّ إن ذَكَرْتَهُ ذَكَرَك، وما ذَكَرني عبدي في نفْسه إلا ذَكَرْته في نفْسي، وما ذَكَرني في ملأ إلا ذَكَرْته في ملأ خير منه، وكلُّ إنسان يتَحَدَّث عن نفسه، ويقول: أنا يمْقُتُه الناس فإذا تَحَدَّثْت عن الله عز وجل أَحَبَّك الناس، فَمَعْقِدُ الآمال، ومَحَطُّ الرِّحال، ومُنْتهى الغايات، هو الله تعالى، هناك أشْخاص عندهم عُقَد نفْسِيَّة في التَّحَدُّث عن أنْفسِهم وعن أعْمالهم، فهؤلاء يعبدون ذواتهم من دون الله، وهؤلاء يمْقتهم الخَلْق، أما إن

أَرَدْتَ أن يُعَظِّمَك الخلْق بَيّن عَظَمَة الله، سيّدنا نور الدِّين الشَّهيد لما ردَّ التتار هولاكو ترْمونلاند أمر أن توضَع خمسين ألف رأس على شَكْل هرَم، وهو المعْروف بِبُرْج الروس ؛ خمْسين ألف رأس وُضِعَت على شَكْل هَرَم، ثمَّ نظر وقال: سامِحونا فإنَّا سَبب دُخولكم الجنَّة ! مَن الذي وَقَف في وَجهه ؟ الظاهِر بيبَرْس وقُطز ونور الدِّين الشَّهيد، وفي بعض المعارك سَجَد نور الدِّين الشَّهيد وقال: يا ربّ من هو الكلب نور الدِّين حتى تنْصره ! فالمؤمن يُعَتِّب على نفْسِه، وقد جاء رسولٌ من بعض الغزوات إلى سيّدنا عمر فقال له عمر: طمْئِنّي ؟ فقال: مات خلْقٌ كثير فذَكَر له منهم فلما قال له عمر: تابِع، قال له الرسول: إنَّك لا تعْرفهم، فبَكَى عمر بكاءً شديداً وقال: وما ضَرَّهم أنِّي لا أعْرفهم إذا كان الله يعْرِفُهم.

فيا أيها الإخوة، الذِّكْر جزْء كبير من الدِّين، وغِذاء القلب، والعِلْم غذاء العَقْل، والطَّعام والشَّراب غِذاء الجِسْم، فكما أنَّك بِحاجَة يوْمِيَّة إلى كأس ماء يوْمِيًّا عليك أن تذكر الله يَوْمِيًّا، ولما يُغَذِّي الإنسان جانِباً على آخر يُصبح له شَكْل كاريكاتوري ! لذلك كما قال تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِماً أَوْ كَفُوراً (24)﴾

[سورة الإنسان]

من أجل أن تصْبر اُذْكر اسم ربّك، ومن أجل أن تطْمئِنّ وتسْعد وترْتاح اُذْكر اسم ربّك، من صلى الفجْر في جماعة فهو في ذِمَّة الله حتى يُمسي ومن صلى العِشاء في جماعة فهو في ذِمَّة الله حتى يُصبِح قال تعالى:

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (26) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (27)﴾

[سورة الإنسان]

يُشير لهم اخْتِقاراً، أموات غير أحْياء ينامون ويسْتيقِظون، ويحْلمون بالأموال والتِّجارات والأرْباح ؛ ساحته النَّفْسِيَّة كُلّها دنيا ، قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (27)﴾

[سورة الإنسان]

أحْياناً يُهَرِّب الواحد حشيش ويُعْطونه مائة ألف ! إلا أنَّه لما يحكمونه في السِّجْن ثلاثين سنة ينْسى حليب أمِّه، وإذا كان في التِّجارةِ إعْدام، فالذي يعيش على أنْقاض الآخرين وعلى أموال الآخرين، وعلى اغتصاب الأموال، المحاكم الآن كُلُّها دعاوى كَيْدِيَّة، دون مُبَرِّر، فلا تفْرح بالمال الحرام، ولا تفرح أنَّك طلَّقْتها ولا أحد معها، ولا تفْرح أنَّك أخْرجت شريكك من المَحَلّ فالذَّكاء لا يكون إلا بِطاعة الله.

ذكر لي أحد الإخوة، أنَّهُ كان ماشِياً بِسُرْعة في الطريق، وكانوا قد وضَعوا رادار جديد، فقالوا له: كنت مُسْرِعاً، فقال: لا، أنا لم أكن مُسرِعاً، فأعْطَوْهُ الصورة، فما عليه إلا أن يدْفع، فالعبرة أن تعمل عملاً لا تندم عليه، والله تعالى يُحاسب حِسلباً دقيقاً، قال تعالى:

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(49)﴾

[سورة الحجر]

غفور رحيم إذا رَجَعْتُ وتُبْت ونَدِمْت، أما الإصْرار على الخطأ فقد قال تعالى:

﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ(50)﴾

[سورة الحجر]

قال تعالى:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

[سورة الزمر]

فلا تأخذ شطْر الآية دون أن تكمِلَها، لأنَّ إن فَعَلْتَ هذا كأنَّ تقول: ويْلٌ للمُصَلِّين ! ، إذاً قال تعالى :

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (28)﴾

[سورة الإنسان]

فالإنسان يمْشي ويقف، فكيف يكون هذا ؟ لأنَّه يوجد هَيْكل عظْمي، عُنق الفخِذ يحْمل وزْن مائتان وخمْسون كيلو، وأمْتن نقطة بالعظْم عنق الفخِذ مِن أين جاءَت هذه المتانة ؟! فالإنسان أصْله ماء ونطْفة وبويْضة، ولو ظاهرةً بالفيزياء اسمها التَّرسُّب لما كان هناك عظْم، فأنت تأكل الجبن وهو فيه الكِلْس، وتأكل الحليب، فهذا الكِلْس يترسَّب على شَكْل عِظام مَتينة جداً، بل إنَّ الأسنان أقْسى عنصر بالكَوْن بعد الألْماس، قال تعالى:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (28)﴾

[سورة الإنسان]

ذكر لي طبيب جراح عِظام لما نَفُكّ مُشاشة عظْم عُنق الفخِذ من مَحَلِّها يساعدني أربعة أشْخاص ولا أقْدِر، وقرأْتُ في بحْثٍ أنّ هذا العظْم داخل إلى شِبْه كُرَة، وهناك تفْريغ من الهواء، لا يسْتطيع أن يفكوها عن بعْضِها، نحن خلقناهم وشَدَدْنا أسْرهم، فالإنسان مَشْدود وهذا يُلاحظ من حَمْل الابن، فلو كانت الأرْبِطَة ضعيفة لكان وزْن الابن يُمَزِّق الأرْبِطَة وتتقَطَّع أيديه، قال تعالى:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (28)﴾

[سورة الإنسان]

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 29 – 31 ، فصل الخطاب بالتذكير !!

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية التاسعة والعشرون والتي بعدها إلى نِهاية السورة من سورة الإنسان، وهي قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (29)﴾

[سورة الإنسان]

أوّلاً كلمة تذْكرة تعْني أنَّك مؤمن بالفِطْرة، والقرآن يُذَكِّرك بشيءٍ مُنْطَبِعٍ فيك، كما لو زُرْت بلْدَة ثمَّ أريك صورة هذه البلدة، نقول لك: أتعرف هذه البلدة ؟ لولا أنَّك زُرْت هذه البلدة وانْطَبَعَت معالِمُها في ذِهْنِك ثمَّ أرَيْناك الصورة لما من معنى أن نقول لك: إنَّ هذه تَذْكِرة، فالتَّذْكرة لِشَيْءٍ رَأيْتهُ سابِقاً، فالنَّفْس البَشَرِيَّة مَفْطورة على ذِكْر الله، وفي أصْل فِطْرتها مؤمنة بالله، والخَلْق جميعاً في ساعات الشِدَّة يعودون إلى فِطْرَتِهم وحتى المُلْحِد إذا رَكِبَ سفينةً أو طائِرَةً واضْطَرَبَت وكادَتْ أن تقع أو تغْرق يقول: يا ألله ! إلا أنَّ الشَّهوات تطْمِسُ هذه الفِطْرة وتُبْعِدُها عن صفائِها، فَكُلُّ إنسانٍ مؤمن بالفِطْرة، لذلك جاء هذا القرآن الكريم لِيُذَكِّرنا بأصْل فِطْرتنا، قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾

[سورة الإنسان]

كلمة تذْكرة تعني أنَّك مؤمن بالفِطْرة، فالهُموم والشَّهوات والنوازِع والرَّغبات طَمَسَتْ هذه الفِطْرة. المعنى الثاني: إنَّ هذه تَذْكرة، وأنت مُخَيَّر، والدليل قوله تعالى بعدها:

﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (29)﴾

[سورة الإنسان]

الله جلَّ وعلا أعْظم وأجلّ من أن يقول كلاماً لا معنى له، لو أنَّنا مُجْبرون، ومُسَيَّرون ولَسْنا مُخَيَّرين لما كان هناك معنى لقوله تعالى:

﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (29)﴾

[سورة الإنسان]

فلو كنت راكباً سيارة والمِقْوَد بيَدِك، لا يَصِحُّ عقْلا أن تقول لِواحِدٍ وراءك، لُفَّ على اليمين ! فلو أنّ الإنسان مُكْره ومُسَيَّر وليس مُخَيَّراً فالآية لا معنى لها، يقول لك الله عز وجل:

﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (29)﴾

[سورة الإنسان]

المعنى الثالث: أنَّ الله جلَّ جلاله جعل إليه ألف سبيل وسبيل لِرَحْمته بِنا فأنت قد تكون حاجتك عند قَوِيّ أو عند مَلِك ولكن لا سبيل ولا طريق إليه، ولا تسْتطيع أن تُقابله، ولا تسْتطيع أن تُرْسِل إليه رسالة، فهذا الإنسان القويّ والمَلِك لا سبيل إليه، لَكِنَّ مَلِكَ المُلوك لك إليه ألف سبيل وسبيل، فالعَمل الصالح سبيل، وتِلاوة القرآن سبيل، والإخلاص والوَرَع سبيل، إنْفاق المال سبيل، وترْبِيَة الأوْلاد سبيل، أن تكون زوْجاً كامِلاً سبيل، وأن تُطْعِمَ الفقراء سبيل، فالطرائِق إلى الخالق بِعَدد أنْفاس الخلائِق، فلو أنَّ واحِداً عَمَّرَ مسْجِداً، والثاني خطَبَ، والثالث دَرَّس، والرابع أطْعم الفقراء، والخامس أوْقَفَ أرْضاً لأبْناء السبيل والسادس رعى الأيْتام، والسابِع ألَّف كِتاب، فأيُّ عَمَلٍ يُقَرِّب إلى الله عز وجل فهو سبيل إليه، قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(35)﴾

[سورة المائدة]

فأنت لك إلى الله ألف سبيل وسبيل، غَضُّ البصر سبيل، وأن تصوم يوماً تقرُّباً إلى الله سبيل، وأن تقرأ الله وأن تدْعُوَهُ وتسْتغفره وتتوب إليه، أن تُطْعِم حيوان، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (29)﴾

[سورة الإنسان]

إلا أنَّه كما قال تعالى:

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (30)﴾

[سورة الإنسان]

والمعنى هنا دقيق جداً، لو قلْتُ للطلاب مثَلاً من شاء منكم أن ينْتَسِب لِكُلِيَّة الطِب فلْيُقَدِّم طلباً، وأنا أعلم أنَّ هذه الكليَّة لها علامات خاصَّة فَكُلُّ طلبٍ علامته دون المائتان مرْفوض ! مشيئَةُ الله تعالى مشيئةُ فحْصٍ واخْتِبار، ومشيئة اخْتِيار، إلا أنّ مشيئة الله هنا مشيئة فحْصٍ واخْتِبار فلو قال أحدهم: اللهمّ ارْزقني الجنَّة وما اسْتقام فهو كذَّاب، تطْلب الجنَّة ولا تعْمل عمل أهْل الجنَّة، تخْشى النار وأنت لا تتَّقيها، وتتحدَّث عن مَحَبَّة الله وأنت تعْصيه، فمشيئة الإنسان هنا مشيئة اخْتِيار لكِنَّ مشيئة الله هنا مشيئة فحْصٍ واخْتِبار، قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (29) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (30)﴾

[سورة الإنسان]

مشيئة الله تفْحص مشيئتكم فإن كنتم صادقين ومُخلصين ودَفَعْتُم الثَّمَن يشاء الله لكم ما تشاءون، ودليل هذا قوله تعالى:

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (30)﴾

[سورة الإنسان]

أي عليماً بِنَواياكم وصِدْقكم وإخْلاصِكم واسْتِقامتكم وورَعِكم وتوحيدكم.

قال تعالى:

﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (31)﴾

[سورة الإنسان]

رحْمة الله مبْذولة لِكُلِّ الخلْق إلا الظالمين، قال تعالى:

﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (31)﴾

[سورة الإنسان]

فأشَدُّ أنواع الظُّلْم أن تظْلِم نفْسَك، قال تعالى:

﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (31)﴾

[سورة الإنسان]

أي أنَّ كُلّ إنسانٍ لم يتلبَّس بِظُلْمٍ هو في رحمة الله، والدليل قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ(82)﴾

[سورة الأنعام]

لذلك قال بعض العلماء الأجِلاء: الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالِصاً أو صواباً، فخالِصاً ما ابْتُغِيَ به وجْه الله، وصواباً ما وافق السنَّة، فأيّ عملٍ لم يُوافق السنَّة لا يقبله الله، وأيّ عملٍ لم يكن مُخْلِصاً لا يقبله الله، ويجب أن تعبد الله وِفْقَ ما شَرَّع، فالبارحة جاءني سؤال على الهاتِف وهو أنّ امْرأة حجَّتْ حجَّة الفرْض إلا أنَّها مُتَشَوِّقة للدِّيار المُقَدَّسة جداً، سَتَعْقِدُ عقْداً صورياً لِيَكون مَحْرماً لها ! سبحان الله ! الله عز وجل لا يُعْبد إلا وِفْق ما شَرَّع ولا يُعْبد إلا هو، فهذا تحايل وتجاوز للحدود الإلهيَّة، فَكُلُّ من لم يظلم نفْسَهُ أو لم يظلم غيره مُؤَهَّلٌ لِرَحْمة الله قال تعالى:

﴿ مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(2)﴾

[سورة فاطر]

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : تفسير سورة المرسلات

الدرس (1-2) : تفسير الآيات 41 - 44 ، حال المتَّقين

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل في سورة المرسلات:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44)﴾

[سورة المرسلات]

كلّ نشاطات الإنسان في الدنيا لا معنى لها إن لم تكن مُحْسِنَة لأنَّ علاقة الدنيا بالآخرة علاقة العمل الصالح، قال تعالى:

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي(99)لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(100)﴾

[سورة المؤمنون]

وقال تعالى:

﴿ يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي(24)﴾

[سورة الفجر]

فأنت في هذه الدنيا أُرْسِلْت إليها من أجل أن تعمل عملاً صالحاً يكون سَبَباً لِدُخول جَنَّةٍ عرْضُها السماوات والأرْض، مَخْلوقٌ للجَنَّة وثَمَنها في الدنيا وثمنها العمل الصالح، لذلك هذه الجنَّة كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44)﴾

(سوة المرسلات)

الإحْسان كلمة مطلقة، يمكن أن تُحْسن إلى كُلِّ من حولك، والإحسان إتْقان العمل والنصح له، والرحْمة بالخلْق، وأن تكون زوْجاً مِثالياً وأن تكون أباً كامِلاً، وتاجِراً أميناً، وأن زارِعاً مُسْتقيماً، ولا يوجد إنسان وأنتم سْامعون كلكم إلا وهو بِمَصْلحته ومِهْنته، وممكن أن يُحْسن وممكن أن يُسيء ويمكن أن يغُشّ، ويمكن للصَّيْدلي أن يمْسح نِهاية الصلاحِيَّة ويبيع الدواء، ويأخذ ثمنه، أما الدواء فقد انتهى مَفْعوله، وممكن مُحامي أن يوهِم المُوَكِّل أنَّ الدَّعْوى رابِحَة، وهو يعْلم عِلْم يقين أنَّها ليْسَت كذلك ويمكن لطبيب أن يقْنع المريض بِعَمَلِيَّة جِراحِيَّة لا جدْوى منها، وكذا المُدَرِّس يرْفع مستوى لأسْئِلة من أجْل دُروس خاصَّة، فالإحْسان والإساءة أبواب مفْتوحة، قال تعالى:

﴿ بَلْ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ(14)وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ(15)﴾

[سورة القيامة]

ممكن للكهربائي أن يصنع وصْلاتٍ غير جيِّدة ممكن أن تحرقَ البيت وهذا من أجل أن يُوَفِّر ألف ليرة ! وممكن لأيّ ميكانيكي أن يُسيء وكذا الفلاح يضع هُرمونات فيأتي الإنتاج كبير، ومنظره جميل وثمنه غالي، وهذه الهرمونات تهْريب ممنوع أن يأتي بها للبلاد، وكلُّ هذا من أجل أن يكون إنتاجه غالي، فالإحْسان الاسْتِقامة والصِّدق والأمانة وعدم الغِشّ، وأن تكون زوْجاً مُحْسِناً وأباً مُحْسِناً، وكُلُّ واحِدٍ منَّا يعرف أن يُحْسِن بالفِطْرة والدليل قوله تعالى وَنَفْسٍ

﴿ وَمَا سَوَّاهَا(7)﴾

[سورة الشمس]

أنت معك مُفْتي صغير وفِطْرة عالِيَة، وكلّ واحِد يغْلط أو يوهِم الناس أو يكْذب يحُسُّ بالانْقِباض وما من واحِدٍ إلا ويعْلم نفْسهُ عِلْمَ اليقين، وماذا يفْعَل لذلك الجنَّة كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44)﴾

(سورة المرسلات)

بالمناسبة قال تعالى:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(14)﴾

[سورة القصص]

أنت أَحْسِن واصدُق ولا تغُشّ ولا تكْذِب وكُن صادِقاً فالله تعالى هو الرزاق ذكر لي أخٌ عندي قطعة لسَيارة ثمنها عشرين ألف، ولي ثمان سنوات وأنا أَرَجِّها من جَرْدٍ آخر، فجاء زبون، ولما طلبها كاد أن يخْتَلّ توازني طلب منّي أن أُنزلها وقال لي: هل هي أصْلِيَّة ؟ فقال له: لا ليْسَت أصْليَّة ! كُلُّ إنسان يظنّ أنّه يكْسب بالمَعْصِيَة فهو أحْمَق، بالمعْصِيَة لا كَسْب فيها تُجَمِّع النقود بالمئات حراماً، وتدفعهم بالملايين ! ذَكَر لي أخٌ أنَّ مَحَلَّه احْتَرق وقال لي لو خَبَّرني واحدٌ من الناس لأعْطَيْتُه سبعة ملايين ! وهذا في سنة الأربعة والسَّبعين، كُلُّ صَندوق فيه ثمان مئة ألف كُلّها صارَت فَحْماً ! ماذا قال لي بعدها ؟ ثلاثون سنة وأنا تاجر فَلَعَلَّ الله تعالى جَمَّعهم لي في هذه اللَّحْظَة، وذكر صديق لي فقال لي: بِعْتُ فلاناً من الناس سيارة وفيها عَيْب ضَخْم في المُحَرِّك ! ظَنَّ أنَّهُ ذكِيّ، بعدها ذهب لِطَرْطوس واشْترى سيارة حديثة، بعد خمْسة أيام أُصيب بِحادِث سيارة ولم يبْق من سيارته شيء ! فجاءَني يرْجف فقلتُ له: ألم تقل لي: بِعْتها أحداً بِعَيْبِها !! الله تعالى كبير، مع الله لا يوجد ذكاء، فلا تغُشّ ولا تحْتال ولا تقل هذه لا أحد لها ولن أُعْطيها المتأخِّر.

سَمِعْتُ قِصَّةً ؛ إمام جامِع الورْد قبل خمسين أو ستِّين سنة رأى بالمنام رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وقال له: يا فلان بَشِّر رفيقك فلان أنَّه رفيقي في الجَنَّة، وكان جارُهُ سَمَّان، وهو إمام، فتألَّم من البِشارة ! دَقَّ على جارِهِ وقال له: لي معي بِشارة لك، ومُهِمَّة جداً، إلا أنَّني لن أقولها لك حتَّى تقول لي ما فَعَلْتَ مع ربِّك حتى جاءَتْكَ هذه البِشارة التي هي من رسول الله، حينها حكى ؛ فقال له: والله تَزَوَّجْتُ واحِدَةً صالِحة ومن عائِلَة مَسْتورة، وبعد خمْسة أشْهر وَلَدَتْ ! فلم أحبّ أن أفْضَحها، وسَتَرْتُها وكان بإمكاني أن أُطَلِّقها، فقلتُ: لَعَلَّها غلْطة لن تُعاد، فجاء بقابِلَة وولَّدها وحَمَل هذا الصغير إلى الجامع بعد صلاة الفجْر بعدما نوى الإمام الصلاة وبعد الصلاة سَمِعوا بكاء الطِّفْل فالْتَفَّ المُصَلون، فتساءل عن الخبر وكأنَّه لا يعرف شيئاً، فلما قالوا: طِفْلٌ يبكي، قام هو وقال: أنا ليس لي ولد لعلِّي أكْفُله فأخَذَهُ على أساس أنَّهُ لقيط ورَدَّهُ لأمِّه !! وقال لها: ربِّيه فهو هذا الشَّخْص كان قادِراً على أن يفْضح إلا أنَّه اتَّقى الله، فالإنسان دون عمل فقير، الغِنى والفقْر بعد العرْض على الله، وسيِّدنا موسى لما تولى إلى الظلّ قال تعالى عنه:

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(24)﴾

[سورة القصص]

فأنت فقير ولو كان معك ألف مليون إن لم يكن لك عمل، قال له يا بِشر: لا صَدَقَة ولا جِهاد فبِمَ تلقى الله عز وجل ؟

وأقول لكم الصراحة غير المخلوق هو الآن يأكل وينجب ويشْتغل، فإذا أنت حالك الأكل والشرب والإنجاب ونزْهات فأنت لا مَيِّزَة لك، أما إن كنت للخير ساعِياً وطلبْت العِلم أو أعَنْت عليه، وساهَمْت بِنَشْر الدِّين أنظروا إلى الآية:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44)﴾

(سورة المرسلات)

هذه الباء هي باء السَّبب، ذكر أحد أصْدقائنا الأطِباء أنَّه جاءتْه امرأة فقيرة وأحسَّ هو بذلك وشعر منها بالخوف في الدَّفْع فلم يأخذ منها، فقال لي: ولله تعالى ما شَعَرْت بِسَعادة في العمل إلا في هذه الخِدْمة ! فأنت بِإمكانك أن تكون تاجِراً مُحْسِناً، أو طبيباً مُحْسِناً أو مُدرِّساً مُحْسِناً.

وهناك إخوة في قلوبهم الرَّحْمة، فهو لا يسْتطيع أن يرى أخاه يتألَّم، وأحد الإخوة كان عمره تسعة وسِتون سنة، منتصِب القامة وحادّ البصر وسمعه جيِّد وفي كلا خَدَّيْه ورْدة سُئِل ما هذه الصِحَّة ؟ فقال: حَفِظْناها في

الصِّغر فَحَفِظَها الله تعالى في الكِبَر، ومن عاشَ تَقِيًّا عاش قَوِيًّا، فأنت لا تدْري بِحَسَنة من يغنيك أو يرْحمك، فالأصل كما قال تعالى:

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44)﴾

(سورة المرسلات)

كثير من إخواننا ذوي الشركات الضَّخْمة يتحمَّلون الذي يشْتغلون عندهم من أجل عائلته وأولاده ! ولا يوجد من لا يسْتطيع أن يخْدم الناس، أحد الإخوة ذهب لِمُدير الشركة وقال له والدتي لها تعويض ومُقْعدة والمبْلغ قدْر الوكالة فهل تتكَرَّم علينا على البيت، فقال: له في خِدْمتك فهذا الأخ لم يُصَدِّق من شِدَّة الفرح، فلما ذهَب معه، وقال له الأخ: هل أوصِلك ؟ قال له: لا أنا جئت لِوَجْه الله.

فيا أيها الإخوة، نودّ من كم الإحسان، والاسْتقامة الطريق سالك، أما المَشْي على طريق الاسْتِقامة لا بدّ له من عملٍ صالح، والعمل الصالح يرْفعك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 15 - 18 - 48-50 ، الترهيب من التكذيب بيوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآيات الأخيرة في سورة المرسلات وهي قوله تعالى:

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50)﴾

[سورة المرسلات]

أوَّلاً كلمة وَيْل معناها الهلاك وبعضهم قال: هي واد في جَهَنَّم، والمعنى الأوْسَع هو الأقرب ؛ الهلاك للمُكَذِّبين، وهذا الوَيْل أي الهلاك لو أدْركه الإنسان وهو حَيّ لاخْتَلَّ توازنه، وما من بيْتٍ إلا ومَلَكُ الموت يقف فيه خمْس مرات فإذا وَجَد أنَّ العبْد قد انْقضى أجلُه وانقطع رزقه ألقى عليه غَمَّ الموت فَغَشِيَتْهُ سكراته فَمِن أهل البيت الضاربة وَجْهها، ومنها الصارخة بِوَيْلها، والمُمَزِّقَة ثوبها فيقول ملك الموت: فيم الجَزَع، ومِمَّ الفزَع، ما أذْهَبْتُ لِوَاحِدٍ منكم رِزْقاً ولا قَرَّبْتُ لكم أجَلاً، وإنَّ لي فيكم عَوْدَة ثمَّ عوْدة ثمَّ عَوْدة حتى لا أبْقي منكم أحداً، فو الذي نَفْس مُحَمَّدٍ بِيَدِه لو يسْمعون كلامه ويروْن مكانه لَذَهِلوا عن مَيِّتِهم، ولَبَكَوا على أنْفسِهم أوْضَحُ مثَلٍ في توضيح هذه الآية ؛ إنسان يرْكب مَرْكبة جَيِّدة في طريق هابِط، والهواء عليل، وأطراف الطريق كُلُّها ورود و زُهور، وهو مُسْتمْتِع بهذه الرِّحْلة وهذه الانْطِلاقة إلا أنَّ هذا الطريق شديد الانْحِدار وينتهي بِمُنعَطَف حادّ، وهو في هذه السرْعة العالية والمناظر الجميلة اكْتَشَف فجْأةً أنَّ مِكْبَحَهُ مُعَطَّل ! ماذا سَيَفْعَل ؟! هذا هو الوَيْل، قال عليه الصلاة والسلام

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِي الله عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا *))

[رواه البخاري]

لو يعلم الإنسان ما ينتظره من حِساب دقيق، كُلُّ شيء بِمِثْقال قال تعالى

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾

[سورة الزلزلة]

هناك حِرَفٌ كثيرة مَبْنِيَّة على الظُّلْم وإيذاء الناس، وأخْذ أموالهم بالباطل فهذا الذي يفْعل هذا لو يعْلم الحقيقة لَصُعِقَ، ففي مِثالنا صاحب السيارة لو عَلِم في البداية أنَّ المِكْبح مُعَطَّل لما أسْرع، ولذلك البطولة أن تعرف الحقيقة المُرَّة في الوقْت المناسب، إذْ هناك حقيقة مُرَّة وهناك وَهْمٌ مُريح والوَهْم المُريح يقوله العوام، غفر الله لنا ! نحن عبيد إحسان وليس عبيد امتحان ! وأُمَّة محمَّد مَرْحومة ! أما لو تعلم الحقيقة فقد لا تنام، لذلك

قالوا قد تقرأ قِصَّة وتنتهي منها وتتثاءب وتنام، وقد تقرأ مقالةً، وتنتهي منها وحينها تبدأ متاعِبُك، والشيء الدقيق أنَّ الحقيقة المُرَّة أفْضل ألْفَ مَرَّة من الوَهْم المُريح، فلذلك كما قال تعالى:

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49)﴾

[سورة المرسلات]

التَّكْذيب نوعان: تكذيب قولي اعْتِقادي وتكذيب عَمَلي فالتَّكذيب القولي لا أعتقِد أنَّ في العالم الإسلامي إلا قِلَّة قليلة جداً مِمَّن رَكِبَتْ رؤوسَها تُكَذِّبُ هذا القرآن تكْذيباً قوْليًّا، وقد نجد نسبَةً أكثر مِمَّن تُكَذِّب تكْذيباً اعْتِقادِياً أما جَمْهرَةُ المسلمين يُكَذِّبون تكْذيباً عَمَلِيًّا والتَّكْذيب العمَلي أخْطر أنواع التَّكْذيب ! لماذا ؟ لأنَّ الذي يُكَذِّب بلِسانِه تُناقِشُه وتُقْنِعُهُ، أما الذي يُقِرُّ بِلِسانه ويعْتَقِدُ أنَّ هذا الدِّين حقّ ولا ترى في سُلوكِه ما ينبئ بِذلك فهذا إنْسان خطير جداً، فلو أنَّك زرْتَ طبيباً راقٍ ووصَفَ لك وَصْفة وشَكَرْتهُ شُكْراً عميقاً، وصافَحْتَهُ بِحَرارة، لكِنَّك حينما لا تشْتري الوَصْفة فأنت لا تعبأ بِعِلْمِه، فأنت كَذَّبْتَ علمه بِسَبب عدم اشْتِراء الوَصْفة، فهذا هو أخْطر التكذيب أن تعتقد شيئاً وأن تقول شيئاً وأن تقول خِلاف الشيئيين وهو حال المسلمين، تقول لأحدهم هناك آخرة، فيُجيبُك أنَّ الآخرة حق ! فلِمَ تأكل المال الحرام، ولم نساؤك غير مُنضَبِطات، وكذا بناتك ولك مليون شبْهة ومعصِيَة بِحَياتِك تجد أنَّ آخر كلامه يقول لك: نسأل الله أن يتوب علينا ! فهذا يُكَذِّب تكذيباً عَمَلِيًّا، قال تعالى:

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآَخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18)﴾

[سورة المرسلات]

قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ(12)﴾

[سورة محمد]

قال تعالى:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ(196)مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(197)﴾

[سورة آل عمران]

قال تعالى:

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا(77)﴾

[سورة النساء]

وقال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(35)﴾

[سورة إبراهيم]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا(27)﴾

[سورة الإنسان]

وقال تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ(20)وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ(21)﴾

[سورة القيامة]

وقال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ(42)﴾

[سورة إبراهيم]

لو أنَّ واحِداً حُكِمَ عليه بالإعْدام وطلب قطعة لحْم يُطْعِموه، كلّ شيء يريده، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(165)﴾

[سورة الأعراف]

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48)﴾

[سورة المرسلات]

لا تفْهم هذه الآية بِشَكْل ضَيِّق، فالرُّكوع هو الخُضوع، إذا دَعَوْته أن يسْتجيب لله لا يسْتجيب، وإلى أن يُطيعه لا يُطيعه، وإلى أن ينتهي عما تعالى عنه نهى لا ينتهي قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48)﴾

[سورة المرسلات]

العبرة ليس بما تقول ولكن بما تفْعل، فالركوع هو الخضوع لله عز وجل.

دخلتُ مَرَّة في قَضِيَّة إصْلاح ذات البيْن ؛ فتاة يعْضِلُها أبوها عن الزواج، فأنا دُعيت إلى إقْناع الأب، وجَلَسْتُ عنده من التاسِعَة ليلاً إلى الثانِيَة عشر ليلاً، فقد جاءَها ثلاثون خطيباً، ورَفَضَهم جميعاً، وآخر خطيب ممتاز جداً، وسألوا عنه وتَحَقَّقوا منه، ولا إشْكال، ويقول لها أبوها: إذا تتَزَوَّجي أُطَلِّق أُمّك ! شيء عجيب، آخر كلام قاله لي أبوها: لو يأتي رسول الله ويقول لي: زَوِّجْها لن أُزَوِّجها ! قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48)﴾

[سورة المرسلات]

لا يستجيب.

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50)﴾

[سورة المرسلات]

الكون ينطق بِوُجودِ الله ووَحْدَانِيَّتِه وكماله، والقرآن كذلك والحوادث وكذا أفعاله تعالى، وخلقه وكلامه ؛ كُلُّ هذا ينطق بالحق، روى من قبلنا أنَّ أحدهم جاء بِطُنّ مِلْح وقال: من أكله أعْطيه جائزة فَخْمَة وأُزَوِّجُه بِنْتي، فَتَراوَد عليه الناس جميعاً وما استطاعوا، فجاءه واحد من الناس وقال له: إذا كانت أمامك كُلّ هذه البيِّنات من الناس وإلى الآن لم تسْتَفِد منها فَبِأيِّ حديث بعده يؤمنون.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : تفسير سورة النبأ

الدرس (1-1) : تفسير السورة بكاملها

الدرس (1-1) : تفسير السورة بكاملها

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة النبأ سورة عمَّ يقول الله عز وجل:

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2)﴾

[سورة النبأ]

أي عن ماذا ؟ الميم أساسها اسْتِفهامِيَّة، فإذا اتَّصل حرْف الجرّ بِما الاسْتِفهامِيَّة حُذِفَت ألفها، تقول: عمَّ وفيمَ ولِمَ، وإلامَ، وهذا للتَّفْريق بينها وبين ما المَصْدَرِيّة، أسْأل طالباً تَفَوَّق في النَّجاح قائِلاً: بِمَ نِلْتَ هذا المجموع ؟ يقول لك بِما بَذَلْتُ من جُهْدٍ، فالأولى اسْتِفهامِيَّة والثانِيَة مَصْدَرِيَّة، وهنا عَمَّ، ويمكن لِكُلِّ واحِدٍ مثَّل بِحياته له آلاف الأنباء، فهو يأكل يسْمع الأخبار أنَّ طائرة سَقَطَت فيها أربع مائة وخمسين راكِباً ولم ينجو منهم أحد! وأنت تأكل سلَطَة وشاي ومُرْتاح فهذا نبأ لا علاقة لك فيه، أما لو كان أحد رُكاب الطائرة وبَلَّغوه أنَّها على وَشَك السُّقوط، ذكر لي أحد إخواننا وكان مُظيفاً بالطائرة أنَّهم أحد المرات دخلوا في سحابة مُكَهْرَبَة، مما أدى إلى انقطاع رأس الطائرة فقال لي: والله لو رأيْت حال الركاب لما صَدَّقْت ؛ أحدهم يبكي والآخر يندب شعْره، وذاك مُنْبطِح، شيء عجيب ! فما استطَعنا أن نُهَدِّأهم إلا واحِداً وجَدْناه ساكِتاً فقلنا لعلَّه يمكن أن يُسْكِتَهم بحُكم أنَّه مُسافر مثلهم فلما ذهبنا إليه وجَدْناه مُغْمىً عليه !! فيخْتلف الحال بين أن تسْمع نبأ طائرة وأنت تأكل مع أهْلك، وبين أن تكون أحد رُكاب الطائرة، هناك أنباء خطيرة، وأذْكر مَرَّةً أنَّنا كُنَّا مَدْعُوِّين لِطعام غذاء في بسْتان بالغوطة والداعي أخ من إخواننا، والبستان لِعَمِّه، ونحن جالسين جاء عَمُّه وكنَّا ثلاثين واحد، فما سَلَّم علينا ! فَسَأَلْتُه عن هذا، فقال ك دَعْهُ يا أستاذ فلقد جاء من غسيل الكِلْيَة ! وهو الآن مُهْتَمّ بحاله ولا يرى أحداً، إذاً هناك نبأ عظيم أيها الإخوة، هذا النبأ أوَّلُه عند الموت حينما يوقِن الإنسان بالمُغادرة، ويُصبح بِحالة أخْرى، فَكَيْف يوم الحِساب بِكُلِّ نظْرة، وبِكُلِّ حِساب وقِرْش ومؤْقف، هذا هو النبأ العظيم قال تعالى:

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)﴾

[سورة النبأ]

كلا سَيَعلمون الأولى على فِراش الموت، وكلا سَيَعْلمون الثانِيَة هي يوم القِيامة أنَّهم كانوا عُصاةً أغْبِياء، والعاصي أيها الإخوة غَبِيّ والتقيّ هو العاقِل لأنَّ الحِساب دقيق، قال تعالى

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92)عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(93)﴾

[سورة الحجر]

﴿ إنَّ لِكُلِّ سيّئة عِقاباً، ولِكُلِّ حَسَنَة ثواباً، قال تعالى:فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه(8)﴾

[سورة الزلزلة]

قال تعالى:

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)﴾

[سورة النبأ]

نحن مختلفون فيما بيننا، في الكلام والحِساب ودِقَّتِه، وبين موقِن أنَّ القَضِيّة سَهْلة جداً، وإنسان مؤمن بالشفاعة الآخر غير مؤمن بها، وذاك يقول لا تُدَقِّقوا علينا، ذاك يُسَهِّل.

فقوله تعالى

﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)﴾

[سورة النبأ]

هذا تهْديد، وبالتعبير العامي: غداً ترى ! وغداً ستَعْلم !

الآن عندنا علاقة، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً (11) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً (12) وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً (13) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً (16) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً (17) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً (18) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً (19)﴾

[سورة النبأ]

ما يعني هذا الكلام ؟ قال تعالى:

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً (17)﴾

[سورة النبأ]

أي الذي خلق الأرض مِهاداً سَيُحاسِبُكم، والذي خلق الجبال أوتاداً سَيُحاسِبُكم والذي خلقكم أزواجاً من ذكر وأنثى سَيُحاسِبُكم، والذي جعل نومكم سباتاً سَيُحاسِبُكم، والذي جعل النهار معاشاً سَيُحاسِبُكم والذي بنى فوقكم سبْعاً شِداداً سَيُحاسِبُكم، والذي جعل الشمس والقمر سِراجاً وهاجاً سَيُحاسِبُكم والذي أنزل الأمطار وأحيى الأرض بعد موتِها سَيُحاسِبُكم، والذي أخْرج الحبّ والنبات سَيُحاسِبُكم، والذي جعل من هذه الأنهار جناتٍ وألفافاً سَيُحاسِبُكم، كُلُّ هذا في يوم الفصْل، والذي خلق الكون لا يُعْقل أن يخلق الإنسان سُدىً ! بِرَبِّكم، أنتم الآن تعيشون حياة مَدَنِيَّة، هل هناك دوْلة في العالم تنشأ جامعة تُكَلِّفها ألف مليون، ومساحات وأبْنِيَة

ومُدَرَّجات وقاعات ومُحاضَرات وأبْنِيَة للطلاب، وحدائِق وملاعب ومطاعِم، ومخابر وأجْهزة تِقْنِيَّة، ثمَّ بعد هذا لا توجد امْتِحانات ! هل يُعقل هذا على الإنسان العادي ؟ لا، فكيف بالذي خلق هذا الكون ؟!! فالذي خلق الكون سَيُحاسِبُكم، وهو الذي يعلم السِرَّ وأخْفى ولا تخْفى عليه خافِيَة، قال تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ(18)﴾

[سورة الحاقة]

ومهما كنت ذَكِيًّا فالله تعالى ليس معه ذكاء، ولو أقْنَعْتني أنّ هذا المعدن ذهب وكنت طليق اللِّسان وأوْهَمْتني، فَمَن الخسْران ؟ ومن الرابح ؟ فأنت علاقتك مع الله، وكُلُّ إنسان يُحاوِل أن يوهِم الناس فهو أحْمَق ولو قَنِعوا ما ينفعوك، ولو اتَّهموك لن يُخْسِروك، تجد أحدهم يقول لك: أنا معي فتْوة بِرَبِّكم أي المفتين أعْظم ؟ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وكُلُّ علماء الأرض لا يُساوي شيئاً منه عليه الصلاة والسلام، فلو أنَّك اسْتَطَعْت أن تأخذ فتْوى من فَمِ النبي عليه الصلاة والسلام لِصَالِحِك ولم تكن مُحِقًّا لا تنجو من عذاب الله، ولم تسْتَفِد شيئاً، قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ(19)﴾

[سورة الزمر]

فما عليك إلا أن تُدَقِّق باثين هذه العلاقة، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً (11) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً (12) وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً (13) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً (16) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً (17) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً (18) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً (19)﴾

[سورة النبأ]

الذي خلق هذا الكون سَيُحاسِبُكم قال تعالى:

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً (17)﴾

[سورة النبأ]

قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً (18) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً (19) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً (20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً (21)﴾

[سورة النبأ]

لا توجد دُول قَوِيَّة تُسَخِّر العالم لِمَصْلَحَتها، يعيش شعْبها في رفاه مُنقَطِع النَّظير والشُّعوب الأخرى تموت من الجوع، فهل يُعْقل أن لا تكون آخرة العالم كُلُّه يئِنُّ من الجوع، وهو وَحْده يعيش حياة تفوق حدَّ الخيال، ثمَّ نموت ولا شيء بعد هذا !! قال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ(42)﴾

[سورة إبراهيم]

خمس مائة طفل يموتون بالعِراق أليس لهم ربّ ؟ الألف قتيل بين العراق والإيران ماتوا بِلُعْبة أجْنَبِيَّة، أليس لهم ربّ، وهذه الشُّعوب الجائِعَة بإفريقيا والصومال من أجل كيْد أجنبي، أليس هناك إله يُحاسِب ؟ قال تعالى:

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً (17)﴾

[سورة النبأ]

الذَكّي هو المُسْتقيم، والعاصي هو الغَبِيّ لأنَّه سَيَدْفع الثَّمن بعد حين.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً (21) لِلطَّاغِينَ مَآباً (22) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً (23) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً (24) إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً (25) جَزَاءً وِفَاقاً (26)﴾

[سورة النبأ]

هناك عَدْل إلهي، وعدله رائِع، وأسْماؤُه كُلُّها مُحَقَّقة في الدنيا إلا اسم العَدْل قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(27)﴾

[سورة الروم]

إِعْمَل ما شئْت فَكُلُّ شيء مُسَجَّل سوف ترى أعْمالك كُلَّها في أزْمانها وصُوَرِها، قال تعالى:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا(49)﴾

[سورة الكهف]

((عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ

وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ *))

[رواه مسلم]

فمن وجد خيراً فلْيَحْمد اله، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نفْسَه.

قال تعالى:

﴿ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً (23) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً (24) إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً (25) جَزَاءً وِفَاقاً (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً (27)﴾

[سورة النبأ]

السبب أنَّهم كانوا لا يرْجون حِساباً، يقول لك: من مات ورجع وقال لك أنَّه توجد آخرة ؟

قال تعالى:

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً (30) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً (33) وَكَأْساً دِهَاقاً (34) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً (35) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً (36) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً (37) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً (38)﴾

[سورة النبأ]

اِلْحقوا بالركْب، مادام هناك قلب ينْبض، وتمْشي عليك أن تُسارِع.

قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً (38) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً (39) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً (40)﴾

[سورة النبأ]

أيها الإخوة، هذا الكلام كلام ربِّ العالمين، وهو جوابٌ على كُلِّ من شَكَّ بالآخرة، فالذي خلق الكون هو الذي سَيُحاسِب، وأنت إذا آمنْتَ أنَّ الله يعلم وسَيُحاسِب، لا بدّ من أن تسْتقيم على أمْره.

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : تفسير سورة النازعات

الدرس (1-1) : تفسير الآية 34 – لنهاية السورة ، إذا جاءت الطامَّة !

الدرس (1-1) : تفسير الآية 34 - لنهاية السورة ، إذا جاءت الطامَّة !

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة النازعات يقول الله عز وجل:

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34)﴾

[سورة النازعات]

الطامَّة تُلْغي كُلَّ ما سِواها، كيف أنَّ الإنسان بالدنيا له مائة قَضِيَّة ومَشْروع، ومائة مُشْكلة تَحُلُّها، تنشأ مُشْكلة تُنْسيك كُلَّ شيء ! إذاً هناك أشياء تُنْسيك أشياءً أخْرى، وشيءٌ يُنْسي شيئان وآخر يُنْسي مائة شيء، وشيء يُنسي كُلّ شيء، فهذه الطامَّة ينسى فيها الإنسان كُلَّ شيء، لذلك يقول الإنسان لم أرَ خيراً قطّ، عاش مائة سنة أكثر، وكان من الأغْنياء، وأصْحاب الاسْتِضافات، والنزْهات، ومُتَمَتِّع بالنِّساء والشراب والأكل، فإذا وقَفَ هذا الموقف يقول: لم أرَ خيراً قطّ وينسى كُلَّ شيء، فهذا معنى الطامَّة.

بالدنيا الإنسان أحياناً لا يرى شيئاً، فإذا شَعَر بتقْرير أثناء عِلاجه يتدَهْور، فهذا طبيب قال للمريض بقِيَ لك أربعة أشْهر، وفي اليوم الثاني مات، قال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34)﴾

[سورة النازعات]

لذلك أيها الإخوة هناك دُعاء: اللهم إنَّا نعوذ بك من فجْأة نقْمتك، وتحَوُّل عافِيَتِك زجميع سَخَطِك، ولك العُتبى حتى ترْضى، والإنسان بِلَحْظة تُصبح حياته جحيماً، ويفقد كُلَّ شيء، وأحد الشباب ذَهَب للخليج كي يشْتغل ورَغِبَ أن يقْتني سيارة، فاقْتناها، أوَّل رِحْلة من أبو ضبي إلى دُبَيّ انْشَلَّ نصفه السفلي بِحادِث، طبْعاً كُلَّ شيء بِقَضاء وقَدَرٍ من الله، هناك مصائِب تسْحق الإنسان، فنحن لما نطيع الله عز وجل - ديقول معي - يُنشِأ الله لك عليه حق، قال له يا معاذ ما حقّ العباد على الله إذا هم عبدوه ؟ قال: أن لا يُعَذِّبَهم، ألا تُحِبُّ أن يكون لك ضَمان من الله وقد اسْتنبط الإمام الشافعي اسْتنباطاً مذْهِلاً في قوله تعالى

﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ(18)﴾

[سورة المائدة]

فالله تعالى ما قَبِلَ اِدِّعاءهم لأنَّه كاذِب، ولو قَبِلَهُ ما عَذَّبهم، فاسْتنبط الإمام الشافعي أنَّ الله تعالى لا يُعَذِّب أحْبابه، فإذا كنت مُحِبًّا لله ولِخَلْقِه ومُلْتَزِماً بِأمْره وترْجو رحْمته أنْشأ لك حقًّا عليه، وهو أن لا تُعَذَّب، وإنَّني أقول هذه الآية ألف مرَّة وهي قوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(21)﴾

[سورة الجاثِيَة]

أن يسْتوي هؤلاء وهؤلاء ؛ هذا يتناقض مع وُجود الله، يسْتحيل على من يخاف الله ويرْجو رحْمته وعذابه ويرْجو رِضاه، ويُخْلِصُ لِخَلْقِهِ ولا يؤْذيهم ولا يأخذ أموالهم ويطمْئنهم ويهْديهم إلى سبيل الله، فهذا الإنسان له حياة خاصَّة ؛ حياته غير حياتهم وزواجُه غير زواجهم وراحتُه غير راحتهم، وعمله غير عملهم.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35)﴾

[سورة النازعات]

أحد الصحفيِّين والقصَّة لها ثلاثون سنة الآن هرب من بلده وذهب إلى بلدٍ آخر، وبدأ يُهاجم نظام بلده، واسْتطاعوا أن يأتوا، ماذا سيفعلون به ؟ هذا هو معنى قوْل الله عز وجل:

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾

[سورة الغاشية]

كلُّ المخلوقات بيده الله عز وجل، وعُدَّ للمليار قبل أن تُفَكِّر بإيذاء إنسان وأخذ ماله وبيته أو محَلِّه التِّجاري فالله تعالى أكبر، وحَدَّثني مرَّة أخ وكان طيَّاراً، فقال لي: أثناء التَّدْريب كان في الطائرة خطا فسَقَطَت – طبْعاً قفز من المقْعد دون مِظَلَّة – واحْترقَت، فأقْسَم بالله أنَّه من لحْظة مُغادَرَتي الطائرة إلى لحْظة هُبوطي على الأرض، عُرِضَتْ عليَّ كُلُّ أعمالي ! واسألوا الناس أثناء الخطر لذلك قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)﴾

[سورة النازعات]

كيف أكل الأموال ؟ وكيف طَلَّق ؟ وكيف خالف الشَّرْع ؟.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)﴾

[سورة النازعات]

هاتين الآيتين تكفيان، فالذي جاوز الحدّ كانت له جهنَّم جاهِزة، ومن قال إنّي أخاف الله فإنَّ الجنَّة هي مأواه، واتِّباع الهوى هوان، واخَجْلتي من عِتاب ربّي إذا قال لي أسْرَفْتَ يا فلان، إلى متى أنت في المعاصي تسير مُرْخى العِنان عندي لك الصُّلْح وهو برّي وعندك السَّيْف والسِّنان، ترْضى أن تنقضي الليالي وما انقَضَت حرْبك العوان، فاسْتحي من كتابٍ كريم يُحصى به العقل واللِّسان، واستحي من شيبةٍ تراها في النار مَسْجونَةً تُهان، فالطاغي مأواه الجحيم، والتقي مأواه الجنَّة.

ثمَّ قال تعالى

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (43) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (44) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (45) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (46)﴾

[سورة النازعات]

كُلُّ واحِدٍ منَّا له عُمْر، كيف مضى هذا العُمْر ؟ السِّتين كيْف مَضَت ؟ وكذا الخمسين والأربعين ؟ يقول لك: البارحة كنَّا غلمان وفي المدْرسة، فإذا الأربعين مَضَت كَلَمْحِ البصر، فَمِن باب أولى العشرين، دائِماً هناك سؤال قاسي ومُحْرِج ؛ كم بَقِيَ لي ؟

إلى متى أنت باللَّذات مَشْغول وأنت عن كُلِّ ما قَدَّمْتَ مسْؤول

لا يلفت نظري إلا رجل بالأربعين ولا يُصلي، أو يُصلي وهو مُنشَغِل بالشهوات، أو لا يذكر الله ولا يقرأ القرآن، ولا يفعل الخير، كان لنا صديق من إخواننا يعْمل مُهَنْدِس، وكانت هناك أخوه صاحب شركة ضَخْمة، مُقيمٌ بالسّعودِيَّة، ثلاثين سنة ما صلى وما حجَّ، ويوماً ذَهَب لاستنبول، فمات هناك، ترك ثلاثة آلاف مليون ! خاسِر، الإنسان أحْياناً يقع في خطأ كبير حينما ينسى الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ الْفَاسِقُونَ(67)﴾

[سورة التوبة]

لذلك كما قال تعالى:

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمْ الَّذِي يُوعَدُونَ(83)﴾

[سورة الزخرف]

يوم القيامة يوم مُخيف، وقبلها، مُغادرة الدنيا، وقبل المغادرة المرض الذي يسْبق الموت، لو زُرْتَ شخْصاً في مرَضِه تجد رقيقاً وخاضِعاً وهذا شيء جميل، لكن ليتنا أحْببنا الله قبل المرض ! ليتنا أحْببناه ونحن أقْوياء وأغْنياء.

أيها الإخوة، هاتان تكْفِيان كُلَّ إنسان ؛ قال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)﴾

[سورة النازعات]

بالمناسبة، خُذوا منِّي هذه القاعِدة، يسْتحيل أن تخاف من الله، ثمَّ يُخيفك مِمَّن سِواه ! أما إن لم تَخَف منه يُخيفك من أحْقَر إنسان، يأتي شَخْص تافه يجعلك ترْجف، من اتَّقى الله هابهُ كُلُّ شيء، ومن لم يتَّق الله أهابه من كُلِّ شيء، إن أردْت أن تكون أقْوى فتَوَكَّل على الله، وإن أردْت أن تكون أغْنى الناس فَكُن بما في يدي الله أوْثق منك ممل في يَدَيْك، وإن أردْت أن تكون أكْرم الناس فاتَّق الله، وأرْجو الله سبحانه وتعالى أي ينفعنا بهذا القرآن الكريم، وأن يكون ربيع قلوبنا ومنْهج حياتنا.

والحمد لله رب العالمين

الفصل السابع : تفسير سورة عبس

الدرس (5-1) : تفسير الآيات 1 - 4

الدرس (5-2) : تفسير الآيات 1-10 ، عِتاب الله تعالى لِصالح النبي

الدرس (5-3) : تفسير الآيات 17-23 ، ما أكفر الإنسان

الدرس (5-4) : تفسير الآيات 24 - 32 ، التفكير في نعم الله للاتِّعاظ

الدرس (5-5) : تفسير الآيات 33 - 42 ، هَوْل الموقف

الدرس (1-5) : تفسير الآيات 1 - 4

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة الكرام، خروجا عن التسلسل الذي نسير فيه في تفسير سورة الحج،أخ كريم رجاني بإلحاح أن أوضح معاني أوائل سورة عبس وتولى وها أنا ألبي رغبته.

قال تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4)﴾

[سورة عبس]

أيها الأخوة الكرام لابد من حقيقة بين أيديكم، هي أن الوصف شيء و التقييم شيء آخر، أقول لكم: فلان قعد أو وقف أنا لا أقيِّم عمله إنما أصف عمله، أما لو قلت: قعد مخطئا أو قعد تائها أو أخطأ حينما قعد أنا قيَّمت عمله، و فرق بين التقييم و الوصف، فربنا سبحانه و تعالى يصف، قال تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4)﴾

[سورة عبس]

و لا يقيِّم، والشيء الثاني لو أن لهذا المسجد بابين وليس هناك ما يمنع أن تخرج من أحدهما و من أي باب خرج لست عاصيا، أما حينما أصدر أمرا: ممنوع الخروج من هذا الباب،وخرجت منه فعندئذ تكون عاصيا، متى تكون المعصية ؟ بعد التكليف، أما قبل التكليف ليست هناك معصية، هذه حقيقة ثانية، الحقيقة الأولى الوصف شيء و التقييم شيء آخر والله سبحانه وتعالى في هذه السورة وصف ولم يقيِّم و الحقيقة الثانية لا يمكن أن تكون عاصيا إلا بعد التمثيل أما قبل التكليف لست عاصيا، من أنت إذا ؟ أنت مجتهد، و المجتهد بين الأجر و الأجرين، إن أصاب فله أجران و إن أخطأ فله أجر، هذه الحقيقة الثانية، و الحقيقة الثالثة هناك عتب لك و عتب عليك، وفرق كبير بينهما، قد يجد الأب ابنه يسهر حتى ساعة متأخرة من الليل يدرس فيعتب له لا عليه، ارفق بنفسك يا بني، وإذا كان هناك تعنيتا ليس معناه أن الابن أخطأ بل هو يبالغ في الدراسة، فهناك عتب لك وهناك عتب عليك، أما لو رآه يلعب بالنرد و الفحص على الأبواب يعنفه، لكن هذا التعنيت غير هذا التعنيت، الأول يعتب له والثاني يعتب عليه،هذه الحقيقة الثالثة، و الحقيقة الرابعة هي أن النبي صلى الله عليه وسلم عنده رؤوس قريش، جاءه أحد أصحابه . وبربكم و نحن في هذا الزمان لو أن رجلا داعية إلى الله عز وجل أيهما أهون عليه وأمتع له أن يجلس مع إخوانه المحبين الصادقين المتفانين في خدمته أم مع عدو لدود وخصم عنيد كافر ملحد أيهما أهون ؟ الأهون أن تجلس مع إخوانك المحبين المخلصين المعظمين، النبي كان بين خيارين، بين أن يجلس مع أحد أصحابه وهو ابن أم مكتوم الأعمى و بين أن يجلس مع خصم عنيد شرس منكر، النبي عليه الصلاة والسلام اجتهد أنه إذا جلس مع هذا الخصم

الشرس المنكر و أخذ الله بيده و اهتدى اهتدت معه قريش، لأن الأمة برؤوسها وبوجهائها و زعمائها و بأغنيائها، فالأقوياء إذا سلكوا سبيلا تبعه الآخرون، هذا اجتهاد النبي، هل هناك أمر و نهي و تكليف ؟ النبي اختار الطريق الأصعب اختار أن يجلس مع الأشرس مع العنيد فلعل هؤلاء التائهون الشاردون يهتدون، الشيء الرابع أن الله تعالى كان من الممكن أن لا تقع هذه الحادثة، فلماذا وقعت ؟ وجاء الوحي يلفت نظر النبي إلى أن هذا الرجل الذي ترجو منه الخير أنا أعرفه و أنت لا تعرفه، لا رجوى منه، و لا خير فيه و لا أمل معه، لا تعلق على لقاءك معه أيَّة فائدة، لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، فربنا عز وجل لفت نظر النبي صلى الله عليه و سلم إلى أنه لا جدوى من هذا الرجل فاجلس مع ابن أم مكتوم، فماذا فعل النبي ؟ النبي كان في أعلى درجات الكمال وفي أعلى، درجات الاجتهاد و كان محبا مخلصا واختار الطريق الأصعب واختار أن يجلس مع الإنسان العنيد، ما فعل شيئا، و الله تعالى ما قيَّم له عمله إلا أنه وصف له عمله، سأضرب لكم مثلا ؛ لو فرضنا أن واحدا منكم له قريب ملحد و يجلس معه، وفي جلسة حامية و نقاش حامي الوطيس دخل ابنه الصغير في الصف الرابع و قال له: حلَّلي هذه المسألة يا أبي فقال له: اذهب لا وقت لي، إنه في نقاش حاد يتوقف عليه إسلام القريب وهدايته، و من هو ابن أم مكتوم ؟ أحد أصحاب رسول الله، في أي وقت يمكن أن يلتقي به، فالنبي ما فعل شيئا، هذا الذي يتهمه الناس به أن الله عاتبه، عتب له ولم يعتب عليه ووصف عمله و لم يقيّمه، ولا معصية قبل التكليف، والنبي اجتهد واختار الطريق الأصعب الذي يضمن هداية كل قريش، ولكن الله بيَّن أن مقام النبوة شيء و مقام الألوهية شيء آخر، النبي لا يعلم و الله يعلم، فالنبي عليه الصلاة والسلام على علو مقامه وعلى أنه سيد الخلق و حبيب الحق جاءه وفد طلب منه سبعين قارئا للقرآن ليعلمهم القرآن، فأعطاهم سبعين و في الطريق ذبحوهم، لِمَ لمْ يعلم ؟ هذا شأن البشر لا يعلمون، لا يعلم إلا أن يُعلَم، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(216)﴾

[سورة البقرة]

النقطة الخامسة أن الله أراد أن يبين أن العبد عبد و أن الرب رب و أن مقام النبوة مقام و أن مقام الألوهية مقام آخر، قال تعالى: عبس و تولى..تلهى وصف الله عز وجل اجتهاد النبي الذي لم يكن في معصية وليس هناك عتب عليه بل عتب له وهو وصف وليس هناك تقييم والله عز وجل يعلم والنبي لا يعلم وهذا مقام النبوة وذاك مقام الألوهية، هذا كل إشكال هذه السورة.

الشيء الآخر أراد الله سبحانه وتعالى أن يبيّن أن هذا الوحي هو أصل الدين، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ:

((أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِي اللَّهم عَنْهَا فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِالْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ))

[رواه البخاري]

لِماذا ضمه هذه الضمات الثلاث ؟ لئلا يتوهم متوهم أن الوحي منام هو في أعلى درجات اليقظة، ضمه وأرسله وخاف عليه الصلاة و السلام و حينما تحدث الناس ما تحدثوا عن السيدة عائشة في حديث الإفك لو أن الوحي بيد النبي يملك مجيئه وإرساله بعد ساعة تنزل آية تبرئ السيدة عائشة، ولكن تأخر الوحي في حديث الإفك ثلاثين يوما، لا يملك جلبا له ولا دفعا، فديننا بكلياته وحي السماء إلى الأرض، فلذلك موضوع الوحي واضح، لو أن الوحي من عند النبي لما تكلم بهذه الآيات، وهنا أبلغ من ذلك، ماذا قال عنه الكفار قالوا عنه ساحر و مجنون شاعر وكاهن، السؤال الدقيق الآن ؛ لماذا أثبت الله هذه التهم في الوحي ؟ أصبحت قرآنا يتلى إلى يوم القيامة ولو كان الوحي من عند النبي لما ذكر عن نفسه هذه التهم، وما قال عن نفسه إنه مجنون ولا ساحر ولا كاهن ولا شاعر، لكن هناك آلاف الأدلة تبين أن هذا الوحي مستقل عن النبي، النبي على علو مقامه لا يملك له جلبا و لا دفعا، لا يعلم، و سأله مرة إنسانٌ فقال له: غدا أجيبك، معتمدا على أن الوحي سيأتيه غدا، فلم يأته، فهذا مقام النبوة، فهناك فرق بين مقام النبوة ومقام الألوهية، والشيء الثاني أن الله أراد أن يصف لا أن يحكم عليه، و إن كان هناك من عتب فهو عتب له لا عليه، و النبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يكون مخالفا لأنه لا معصية قبل التكليف.

هذه بعض النقاط التي يمكن أن تقال في هذه السورة الكريمة، قال تعالى

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4)﴾

[سورة عبس]

ونحن بالمقابل المؤمن الصادق المخلص من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر، والله عز وجل يعلم أن هذا الذي تعلِّق عليه الآمال لا خير فيه ولا جدوى منه ولا تتعب نفسك معه، ووقتك أثمن من أن تجلس معه، فاجلس مع هذا المنيب الصادق لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : تفسير الآيات 1-10 ، عِتاب الله تعالى لِصالح النبي

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ، سورة عبس التي مَطْلعها بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10)﴾

[سورة عبس]

بعضهم يقولون إنَّ هذه الآيات هي عِتاب للنبي عليه الصلاة والسلام وفرْقٌ كبير بين أن يعْتِبَ الله عليه ، وبين أن يعْتِبَ له ، لو أنَّ لك ابناً لا يدْرس تَعْتَبُ عليه وتُعَنِّفُهُ أما إن كانت دِراسته فوق طاقته حيث يدْرس في الساعة الثانية والثالثة الرابعة ولا ينام الليل إطْلاقاً تُعَنِّفُهُ إلا أنَّكَ تعْتَبُ له لا عليه ، فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يُخالف في هذا المَوْقف حُكْماً شَرْعِياً إنّما جاءهُ زُعماءُ قُرَيْش ، وقد عقد عليه الصلاة والسلام الأمَلَ أنْ يهْتَدوا فإذا اهْتَدَوا اهْتَدى معهم خَلْقٌ كثير ، أيُّهما أهْوَنُ على النبي عليه الصلاة والسلام أنْ يجْلس مع ابن أمّ مكْتوم الصحابيّ الجليل الذي يذُوبُ مَحَبَّةً للنبي أم أن يجْلِسَ مع مُعْرِضين وكُفار ؟ فالنبي عليه الصلاة والسلام اخْتار الأصْعب ، واخْتار الذي يُرْضي الله تعالى أكْثر باجْتِهادِهِ فلو كان بابان لهذا المَسْجد ، ولا يوجد أيَّة علامة تُشير إلى أنَّ هذا الباب ممنوع الخُروج منه أو مسْموح ، وخرج أحدهم باباً من هذين ؛ فَهَل يُعَدُّ عاصِياً ؟! لا معْصِيَةَ إلا بالتَّكْليف ، فلو كان هناك تَكْليف وفعل النبي خِلافه فهذا يسْتحيل على النبي عليه الصلاة والسلام أن يفْعل خِلاف التَّكْليف ! إنَّما كان اجْتِهاداً منه صلى الله عليه وسلّم واخْتار الأصْعب فنحن قلنا لو أنَّ الأب رأى ابنه قد بالغ في الدِّراسة بحيث خاف عليه أبوه وعَنَّفه وعاتبه فهذا له وليس عليه ، والابن اخْتار الأصْعب وليس الأسْهل، لذلك العلماء قالوا: إنَّ الله جلَّ جلاله في هذه السورة يعْتَبُ لِصالِح النبي عليه الصلاة والسلام ولا يعْتَبُ عليه ، فقد لفت نظره إلى أنَّ هؤلاء الذين تريد أن تعْتني بهم لا خيْر فيهم ، ولا جَدْوى منهم ، ولا تُتْعِب نفْسَكَ معهم إذْ قُلوبهم مُغَلَّفَة ، قال تعالى:

﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(6)ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم(7)﴾

[سورة البقرة]

فلأنَّ على قلوبهم غِشاوة خَتَمَ الله على قلوبهم ، وهذا الخَتْم هو تَحْصيلُ حاصِل ، فمنافذ العقْل والقلب السَّمْع والبصر فالله تعالى ختم على قلوبهم لأنَّ على سمْعهم وعلى أبْصارهم غِشاوة ، وحُبُّكَ الشيء يُعْمي ويُصِمّ فَحُبُّ الدنيا غِشاوةٌ على الحقّ فلا يسْمعه ، وغِشاوة على البصر فلا يرى الحق ! فَخَتْمُ القلب تحْصيل

حاصِلٍ، فَرَبُّنا عز وجل قَدَّر في النبي عليه الصلاة والسلام حِرْصَهُ على هِداية الخَلْق واهْتِمامه على هؤلاء الكِبار من زُعَماء قريش إلا أنَّهُ لفت نظره إلى أنَّ هؤلاء لا خير فيهم ، فلا داعي أن تُتْعِبَ نفْسَكَ معهم قال تعالى:

﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(6)ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم(7)﴾

[سورة البقرة]

فَهَؤلاء الذين يَرَوْن في هذه السورة مَطْعَناً للنبي عليه الصلاة والسلام واهِمون ، وقف النبي في أعلى دَرَجة من الكمال ، واخْتار الأصعب والذي لا يحْتَمِلُهُ بشَر ، فأعظم داعية بهذا البلد يختار أن يبقى مع أخٍ له في الله من أن يبقى مع مُلْحد يطْعن بالدِّين والقرآن ، فالنبي عليه الصلاة والسلام اخْتار الأصْعب ، ولأنَّهُ ليس هناك تكْليف فلا مَعْصِيَة بلا تكْليف فاجْتَهَدَ ، فالأمر كَمَن كان أسْتاذ لغة عربِيَّة ، وجاءَكَ ضَيْف مهمّ تبْني عليه طريقاً كبيراً في الدَّعوة ، ثمّ يأتي ابنك والحديث جارٍ ويقول لك: أعْرض لي هذا البيْت !

ذكرتُ لأخٍ أنا يهمني ابنك أكثر منك ، فاسْتغرب ! لأنَّك أنت مَضْمون أما ابنك فأمامه مزالق كثيرة ، وألف إنسان يسْحبه للباطل ، وألف شيء مُغْري ، فأنت زبون مَضْمون.

فالله تعالى قال:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5)﴾

[سورة عبس]

أي هذا المنحرف الشارد ، الواقع عليه غضب الله ، كلَّما قلت كذا وكذا يقول لك ممكن أن تكون هذه المَقولة صحيحة ! ليس له تَلَهّف للحقّ ، أما المؤمن فله لَهْفة للحق ، وشَغَف ، وحبّ لِسَماع الحق ، ويبْدو هذا على وجْهه وعلى اهْتِمامه ، لذلك من تَكَلَّم بالحِكْمة لِغَيْر أهْلِها فقد ظَلَمها ومن منعها أهلها فقد ظَلَمهم ، والله عز وجل قال:

﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى(9)﴾

[سورة الأعلى]

فأنت تُذَكِّر الإنسان في حياء وخجلٍ من الله تعالى ، ورحمة في قلبه أما هناك أناس شارِدون على منهج الله عز وجل فهؤلاء لا تُجْدي معهم النَّصيحة ، ولا تنْفعُ معهم حقيقة !

ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10)﴾

[سورة عبس]

هل هذا تقْريعٌ أم وَصْفٌ ؟ هذا وَصْفٌ ! فالله تعالى وَصَفَ مَوْقف النبي عليه الصلاة والسلام فقال:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2)﴾

(سورة عبس)

ولم يقل له لمَ عَبَسْتَ ؟ ولِمَ لم تعْبس ؟ فهذا وَصْف ، فالله تعالى قال

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10)

[سورة عبس]

فالله عز وجل قال:

﴿ طه(1)مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى(2)إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى(3)﴾

[سورة طه]

فَلِكَثْرة اهْتِمامه وصلاته وقِيامه وتِلاوته فكأنَّما يبْدو أنَّهُ شَقِيَ بهذا القرآن مِن شِدَّة ما تَحَمَّل من متاعب ، فالله عز وجل يُسَلي نَبِيَّهُ عليه الصلاة والسلام ويُخَفِّفُ عنه ، مَهْلاً يا محمَد ، فقد روى البخاري ،

((قَالَ سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه يَقُولُ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ فَيُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا *))

[رواه البخاري]

فهل يُعْقل من خالق الكون أن يخلق المَجَرات يَتَوَدَّد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! قال تعالى:

﴿ وَالضُّحَى(1)وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(2)مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى(3)وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى(4)وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى(5)أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى(6)وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى(7)وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى(8)فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(9)وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ(10)وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ(11) ﴾

[سورة الضحى]

كُلّ واحد مِنَّا يُفَكِّر ؛ ألم تكن إنساناً صغيراً ؟! ألم تكن بلا بيْتٍ ولا زَوْجة فالله تعالى أكْرَمَك ورزَقَك ومَنَحَك شهادة عُلْيا ومَكَّنَك من حِرْفة وجعل لك شيئاً تَرْتَزِقُ به وسَتَرَك ورزقك ، ومنَحَكَ قوّة وأراح لك بالك ، فَكُلّ إنسان يجب أن يُفَكِّر بِنِعَمِ الله عز وجل ، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(1)وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ(2)الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ(3)وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(4)فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(5)إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(6)﴾

[سورة الشرح]

أيها الإخوة الكرام ، هذه هي مُقَدِّمة هذه السورة ، إنَّهُ لا مَعْصِيَةَ إلا بعد التَّكْليف ، وإنَّ الله في هذه السورة عَتِبَ له لا عليه ، والنبي عليه الصلاة والسلام اخْتار الأصْعب ، واخْتار الذي يُكَلِّفُهُ ثَمَناً باهِظاً لكِنَّ الله جل جلاله لفَتَ نظره إلى أنَّ هذا الذي تَعْتني به لا خيْر فيه ، ودَعْكَ منه ولا تُلْقي له بالاً فإنَّ قلبه بعيدٌ عن أن يُصْغي إلى الحق.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : تفسير الآيات 17-23 ، ما أكفر الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ، يقول الله عز وجل في الآية السابعة عشرة وما بعْدها

﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (23) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً (27) وَعِنَباً وَقَضْباً (28) وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً (29) وَحَدَائِقَ غُلْباً (30) وَفَاكِهَةً وَأَبّاً (31)﴾

[سورة عبس]

الإنسان حينما يكْفر يُهْلِكُ نفسه لأنَّ الله تعالى خلق الإنسان لِيُسْعِدَهُ في الدنيا والآخرة فإذا أعْرَضَ عن ربِّهِ ، وكأنَّهُ قُتِلَ ، قُتِلَ لإعراضِهِ عن ربِّهِ ، وشَقِيَ وأهلك نفْسه.

ما أكْفَره ! ما الذي جعله يكْفر ؟ إما أن نفْهَمَها اسْتِفْهامِيَّة ، والأصَحّ أن تكون تَعَجُّبِيَّة ، ما أشَدَّ كُفره مع أنَّهُ خُلِقَ من نُطْفة ، ففي اللِّقاء الزَّوْجي هناك خمسمائة مليون حُوَيْن ، الإنسان مُخَلَّق من حُوَيْنٍ واحد ، يدْخل إلى البيْضة لِيُلَقِّحها ، وهذه البيْضة والحُوَيْن هي أوَّل لْقِ الإنسان، تنْقسِمُ البُوَيْضَةُ المُلَقَّحة إلى عشرة آلاف قِسْمٍ وهي في طريقها إلى الرَّحم دون أن يزيد حجمها ، فلو زاد حجمها لتَعَثَّر سَيْرُها ، وتنْغَرِسُ في جِدار الرَّحِم ، ويأتي الغِذاء ، وفي أشْهر عديدة تُصبح هذه البُوَيْضة المُلَقَّحة والحُوَيْن المَنَوي عليه مُوَرِّثات ثلاثةٌ وعِشرون مُوَرِّث وكذا على البُوَيْضة فَيَكون مَجْموعهم ستٌّ وأربعون ، والله عز وجل قال

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا(2)﴾

[سورة الإنسان]

فَمَعْنى أمْشاج أنَّ الإنسان مُخَلَّق من أُمِّه وأبيه ، وأغْرَب ما في الأمْر أنَّ المُوَرِّثات تنْقسِمُ إلى قِسْمَيْن: قِسْمٍ يُشَكِّلُ الجنين ، وقِسْمٍ يودَع في جِهاز الجنين التناسلي لِيَكون ابن الجنين كالجنين ، وهذه هي السُّلالة ، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(12) ﴾

[سورة المؤمنون]

فتجد الصِّينِيّين لهم شَكْل ، والأفارِقَة ، والعرب لهم شَكْل ، فَمِن أين جاء الشَّكْل المُسْتَمِرّ؟ لأنَّ المُوَرِّثات تنقسِمُ إلى قسمين ، فالاستنساخ ليس من نطْفة أمْشاجٍ نبْتليه ، إنْ نَجَح فهو إن كان من الأنثى فالمولود هو أخوها وليس ابنها ، وإن كان مأخوذاً من الرَّجل فكذلك ؛ لماذا ؟ لأنَّهُ ليس هناك أمشاج ، بل هو مُخَلَّق من

مِحْفَظَة واحدة ، ومن النُّطْفة فقط ، تُأخذ خَلِيَّة من ثَدْيها تُنْزَعُ منها المُوَرِّثات وتُزْرع في الرَّحم وتثبت ، على كُلِّ صِفات الرَّجل إن كان أقْوى فالجنين يَتَخَلّق وِفق صفات أبيه ، وإن كانت صِفات الأمّ أقْوى يَتَخَلَّق وِفْق صِفات أمِّه ، فالضَّعْف إن كان بالحُوَيْن أو البُوَيْضة يتخَلَّق الجنين بالصِفات الأقوى من الأب أو الأم ، ورد قَوْل لِسَيِّدنا عمر: اقْتَرِبوا لا تَضْوُوا ، فإذا الإنسان تَزَوَّج من أقاربه الضَّعْف يتكَرَّر ويُصبح واضِحاً ، وقد عُقِدَ مؤْتَمَر لتَحْسين النَّسْل بِسُوريا قبل عشْر أعوام تَقْريباً ، وكان رئيس المجْمع العِلمي العربي حيّ ، فَبَعْدما انْتَهت المُحاضَرات بِأمْريكا ومن أوروبا أُلْقِيَتْ مُحاضَرات لِعُلَماء كبار في طُرُق تَحْسين النَّسْل ، فقام رئيس المَجْمع العِلْمي وقال: ناقِلاً هذه المَقولة اغْتَرِبوا لا تَضْوُوا ، أي سَبَب الضَّعْف هو الزواج من الأقارب.

إذاً مِن أيِّ شيءٍ خلقه ؟! من نطفةٍ خلقه ، وبعدها أصبح الدِّماغ مائة وأربعون خَلِيَّة ، وثلاثمائة ألف شَعْرة لِكُلِّ شَعْرة وريد وَشِرْيان ، وغُدَّة عَرَقِيَّة وغُدَّة دَهْنِيَّة ، وعَصَب مُحَرِّك ، وعَضَلَة ، وأصبح مائة وثلاثين مليون عُصَيَّة بالشَّبَكِيَّة ، وعِشْرين مليون نِهاية عَصَبِيَّة بالأنف، ولِكُلّ نِهاية سَبْعة أهْداب ، ولِكُلِّ هُدْبٍ مادَّة مُخاطِيَّة تتفاعل مع الرائِحَة ويتَشَكَّل شَكْل هَنْدسي وتُشْحن إلى الدِّماغ ، وبالدِّماغ تأتي على مِلَف الروائِح عَشْرة آلاف بنْد ، وتُسْتَعْرَضُ هذه واحِدَةً واحِدة إلى أن تعْرِف أنَّ هذه الرائِحَة ياسَمين بِخِلال ثواني ؛ قُتِلَ الإنسان ما أكْفَرَه! المَعِدَة تَحْوي خمسُ وثلاثون مليون عُصارة هاضِمَة ، وهناك بالكِلْيَة طريق طوله مائة كيلو متْر يقْطعه الدَّم في اليوْم خمْسة مرَّات ؛ شيء بالجِسْم مُذْهل وبِكُلِّ ثانِيَة يولد اثنان ونِصف مليون كريَّة حَمْراء ، وبِكُلِّ ثانِيَة يموت اثنان ونصف مليون كريَّة حمْراء ؛ قُتِلَ الإنسان ما أكْفَره ، وما الذي حَمَلَهُ على أن يكْفر ؟ وما أشَدّ كفره ! ومع أنَّهُ خُلِقَ من نُطْفةٍ مُخَلَّقة وغير مُخَلَّقة ، ومن نطفة أمْشاجٍ ، ونطْفة ضَعيفة ، عَظْمُ عُنُق الفخذ يحْمل مائتان وخمسين كيلوغرام، كُلّ هذا وأصْل الإنسان من ماءٍ مهين ، معنى مَهين أنَّهُ يسْتَحْيي به لو كان على ثَوْبِه ، فهذا الماء المَهين كيف أصْبح عَظْماً قاسٍ ؟

فيا أيها الإخوة الكرام ، ربنا عز وجل يقول: أيها الإنسان أنت حينما كَفَرْت أهْلَكْتَ نفْسك وأشْقَيْتها وقتلْتَها ، قال تعالى:

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19)﴾

[سورة عبس]

تجد الطِّفْل رئتاهُ وهو جنين مُعَطَّلتان ! بِقَلْبِه يوجد ثُقْب اسْمه ثُقْب بوتال وهو ضِمْن الأُذَيْنين ينتقل الدَّم من أُذَيْن لآخر ، فَحينما يَلِد تأتي جَلْطة فتُغْلِق هذا الثُّقْب ، من فعل هذا ؟! فَتْحُ القلب يحْتاج إلى ثلاث مئة ألف ليرة ، فلو بَقِيَ الثُّقْب مَفْتوحاً أُصيب الجنين بِمَرَض الزَّرَق ، يعيش عَشْر سَنوات وبعدها يموت الطِّفْل ، كان لي صديق بنته معها هذا المرض وبيته عَشْر درجات ، ربْع ساعة من أجْل تصعد طابقاً واحِداً ، وكذا الأمعاء والرئتان والبِنْكِرْياس ، فالإنسان أحْياناً يرى حَيَوانا يخاف منه فهذا بِواسِطَة العَيْن إذْ تُرْسِل إشارة إلى

الدِّماغ ، فَيُدْرك الدِّماغ الخطر ويُكَلِّف وسيط بينه وبين مِلكَة الجِهاز الهُرْموني ، والوسيط هذا جِسْم تحت السرير البصري ، والغُدَّة النُّخامِيَّة وزْنها نِصف غرام ، تُعْطي اثْنى عَشَرَ هرمون وأحد الهرمونات اسمه الكزر، وهو الذي يُنَبِّهك على وُجود الخطر ، ويبْعث هرمون يُضَعِّف ضَرَبات القلْب ، وهرمون يرْفع وجيب الرئتان ، وهرمون يطْرح سُكَّر زائِد بالدم ، وهرمون يطْرح هرمون التَجَلُّط ، وهرمون يُضَيِّق الأوْعِيَة فَتَجِد الإنسان قد اصْفَرَّ لونه ما هذا الإنسان؟! وكذا غُدَده الصَّماء والدرقِيَّة والعِظام ؛ من أيِّ شيء خلقه ؟! قال تعالى:

﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20)﴾

[سورة عبس]

فهذا الرَّحِم فيه الغُلام ، وحجم الرحم سبعة مائة وخمسون سم3 فإذا أراد طلْقاً ، يفعل تَقَلُّصات لطيفة ، إلى أن يخْرج الطِّفل قُوَّة التَّقلّص لو كان الطريق مَفْتوحاً لَقُذِفَ الولد إلى اثْنى عَشَر متْر ! ثمَّ هناك عَمَلِيَّة ميكانيكيَّة إذْ عَظْمُ الحوْض يتَوَسَّع وذلك بِهُرْمونٍ خاصٍ يقْلب الجنين ويجْعل رأسه لِتَحْت ، وهرمون يفتح الغشاء الذي حول الجنين ، ثمَّ الرَّحِم يضْغط فَيَخْرج الغُلام ، بعدما يخْرخ يخْرُجُ معه الخَلاص ، وبع الخَلاص يَتَقَلَّص الرَّحِم تَقَلُّص ويُصْبح مثل الصَّخْر ، فلولا هذا التَّقَلّص لماتَتْ الأمّ لأنَّ جميع الشرايين مَفْتوحة ، فَكُلّ هذه الشرايين تُغْلق والعلماء قالوا: لو عُكِسَ التَّقَلُّصان لماتَت الأمّ وجنينها ، فلو كان التقلّص عنيف مات الجنين ولو كان ليّناً ماتت الأم ، قال تعالى:

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20)﴾

[سورة عبس]

فالوِلادة عَمَلِيَّة مُعَقَّدة جداً ، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22)﴾

[سورة عبس]

فَمِن نطْفة إلى علقة إلى مضْغة إلى جنين فولد يَسَّره ثمَّ يكْبر ويصبح شخْصاً كبيراً ، غَنياً، ثمَّ أزْمة قلْبِيَّة ؛ عَظَّم الله أجْركم ، ثمَّ يوم القيامة الحِساب.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (23)﴾

[سورة عبس]

إلى الآن ما تاب وما اسْتقام ! وما أَطلح مع الله ، فهذه الآيات تكْفي فالله أمرك أن تصوم فهل صُمْت ؟ وأمرك أن تزكي فهل زَكَّيْت ؟وأمرك أن تضْبط لسان فهل فعلْتَ ؟ وغضّ البصر ، هذا هو دَرْس اليوم الإنسان كأنَّه قتل نفْسه حينما يكْفر مع أنَّه لا مُبَرِّرَ للكُفْر ، فقد كان من لا شيء ، فكُلّ من قال: أنا فَهُوَ أحْمَق ، خلق من نطفة خرجت من عورة ودخلت إلى عوْرة ، ولو كانت على الثِّياب لاسْتَحْيَيْتَ بها ؛ من ماءٍ مهين ! فعلى الإنسان أن لا ينْسى أصْله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-5) : تفسير الآيات 24 – 32 ، التفكير في نعم الله للاتِّعاظ

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآيات الرابعة والعشرون والتي بعدها، وهي قوله تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً (27) وَعِنَباً وَقَضْباً (28) وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً (29) وَحَدَائِقَ غُلْباً (30) وَفَاكِهَةً وَأَبّاً (31) مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32)﴾

[سورة عبس]

أيها الإخوة الكرام، علماء الأصول قالوا: كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، المسلمون في أواخر عهدهم ؛ في عصور تخلفهم فهموا الدِّين عبادات شعائرية صلاةً وزكاةً وصياماً وحجاً بينما كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، هذه اللام لام الأمر، قال تعالى فلْينظر الإنسان إلى طعامه، فأنت مأمور أيها الإنسان أن تُفَكِّر في طعامك، كأس الماء هذا من أين جاء، كيف أصبح عذْباً فُراتاً بعدما كان مِلْحاً أُجاجاً ؟ من أعطى خصائص التَّبَخُّر للماء ؟ من جاعل الماء يتبَخَّر بِدَرجات دُنيا ؟ ومن جعل الهواء يحْمِل بُخار الماء بتفاوت الدرجات؟ من ساق الرياح لتسوق السحاب؟ كيف واجهَ السحابُ المتحمل لبخار الماء جبهةً باردةً فتَخَلّ عن الماء الزائد فأصبح مطراً ؟ كيف سلكه ينابيع ؟ كيف تفجرت الينابيع ؟ كيف كان هذا الماء العذب ؟ فَمثلا في أندنيسيا أربعين ألف جزيرة لكل جزيرة نبع ماءٍ خاص بها يتناسب مع مساحتها، في بعض الجبال بهِمَلايا ينابيع ماء في قمة الجبل ولا يمكن أن تُفسَّر هذه الظاهرة إلا بِمُسْتوْدِعٍ في جبل أعلى، من أجل الوُعول، إذْ تعيش هناك في القِمَم حيوانات اسمها الوُعول، وهذه الحيوانات ينبغي أن تشْرب، لها ينلبيع في قِمَم الجِبال، ولابد أن يكون مُسْتودع هذا الماء في جَبَلٍ أعلى، كما أنَّهُ لا بدّ من تَمْديدات، حتى أنَّ بعض الأنهار في الجُزر كَنَهْر التايْمْزفي بريطانيا، كُلُّ أمطار بريطانيا لا تكْفي لِغَزارة هذا النَّهْر، يقولون : إنَّ مُسْتَوْدعاته في أوروبا، وهوناك تَمْديدات تحت الأرْض، فقَضِيَّة الماء العَذْب هس قَضِيَّة تحتاج إلى تأمُّل شديد، فالله عز وجل قال :

﴿ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ(22)﴾

[سورة الحجر]

الإنسان لا يسْتطيع أن يُخَزِّن الماء أبداً فإذا خَزَّنه فسَدَ، أما ربُّنا جلَّ جلاله يُخَزِّن الماء العَذْب الفُرات في جُيوبٍ في أعماق الجِبال، وهناك فَتْحات مُقَنَّنة، فَمَثَلاً نبْع الفيجة من ستَّة عشر مِتْر بالثانِيَة إلى نصْف مِتْر بالثانِيَة إلا أنَّ مُسْتوْدعه من نبْع الفيجة إلى قُرْب حمْص، ومن سيف البادِيَة إلى جنوب لبنان ؛ هذا هو حَوْض ماء الفيجة، كُلُّ هذه المدينة لا قيمة لها إطْلاقاً بِبُيوتِها وشوارِعها ومُسْتَشْفياتها من دون هذا النَّبْع، فلو

أنَّ الله سبحانه وتعالى أوْكَلَ لنا تَخْزين المِياه لاحْتاج كُلُّ بَيْتٍ إلى مساحة بيْتٍ آخر بالضَّبْط، فطيلة العام يحْتاج الإنسان إلى الماء العَذْب ما يُساوي مساحة بيْتِهِ، فالله تعالى تولى لنا تَخْزين الماء، وقال تعالى :

﴿ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ(22)﴾

[سورة الحجر]

ذَكَرْتُ قبل يومين في خُطْبة الجُمعة أنَّ مِرْصَداً عِمْلاقاً أوربّياً يعْمل بالأشِعَّة الحمْراء اكْتَشَفَ وُجود سَحابة في الكون، وهذه السَّحابة يُمْكن أن تمْلأ مُحيطات العالم بِستّين مرَّة في أربعٍ وعِشرين ساعة ! والأرض كما تعْلمون أربعة أخْماسِها مُحيطات، اليابِسَة خُمْس، فقارَّة آسيا وأوروبا وإفْريقيا وأمريكا الشماليَّة والجنوبيَّة، وقارَّة المُتَجَمِّد الجنوب كُلُّ هذه القارات تُساوي خُمْس مساحة الأرض ! والمُحيط أعْماقه في بعض المُحيطات اثْنى عشر ألف متْر !!! في وادي مِرْيانة بالمُحيط الهادي وهو أعْمق نقْطة في المُحيط، هذه المُحيطات تمْلؤُها هذه السحابة سِتّين مرَّة في يومٍ واحد قال تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ(21)﴾

[سورة الحجر]

يوهِمُنا أعْداؤُنا أنَّ هناك حرْب مياه، فهذا التَّقْنين تَقْنين تأديب لا تقْنين عَجْز ! ذَكَرَ لي أخ البارحة كان بِحوران فقال لي : القمْح هناك أعلى من قامة الإنسان وخيْراتٍ لا يعْلمها إلا الله، حوران وحْدها كانت تُطْعم الدَّوْلة الرومانِيَّة!

ورومانْيا كان فيها تسعةُ وخمسون مليون نسمة، ويذْكر التاريخ أنَّ عدد الساكنين بِسُوريا في العهْد الروماني تسعةُ وخمسون مليون، وحوران وحْدها تُمِدُّ هذه الملايين المُمَلْيَنَة بالقمْح الذي يحْتلّ أعلى درجة في المواصفات، فربُّنا أيّ شيء عنده خزائِنُه، وفي إحدى السنوات وهذه ذَكَرْتها لكم كان اسْتِهلاك القطْر كُلُّه مليون طنّ القمْح، وكان إنتاجنا للقمْح ثلاثة ونصف مليون، فالله تعالى إذا أعطى أدْهَش ! وفي سنة من السَّنوات كان هناك شحّ للمياه في دِمَشْق، والمياه الجَوْفِيَة انْخَفَض مُسْتواها إلى درجة كبيرة جداً حتى أصْبح هناك عطش مُهَدَّدون به جاءتْ سنة مجموع أمطار دمشق ثلاث مائة وخمسون ملم، هناك ينابيع من ثلاثين عاماً تَفَجَّرَتْ، مياه عين منين وصلَتْ إلى برْزة وعين الصاحب تَفَجَّرَتْ، عشرات الينابيع في غوطة تَفَجَّرَتْ، وكانت قد جَفَّتْ من ثلاثين عاماً، فلا أحد يقلق على نقْص المياه والغِذاء فهذا من وَهْم الكُفار لنا، أنَّ هناك أزْمَة سُكانِيَّة وانْفِجار سُكاني، ونقْص للمياه يُنَوِّعون، فَمَرَّةً يقولون حرْبُ نفْط، ومرَّةً حرْبُ قمْح، والآن حرْب مياه وإذا الله عز وجل قَنَّن فهو تقْنين تأديب لا تقْنين عجْز، قال تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ(21)﴾

[سورة الحجر]

وقال تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24)﴾

[سورة عبس]

فأنت تأكل ثلاث وَجَبات باليوم، فكأس الحليب مَثَلاً لو خطر بِبَالك من أين يأتي ؟ هذه البقرة، وهذا المَعْمل الصامت، ومعمل الغذاء الكامل فيه الكالسيوم والمغْنزيوم والحديد والفوسْفات وفيتامينات ومواد سُكَرِيَّة ومواد دَسِمَة ومواد مُرَمِّمة، وهناك بقر يُعْطي ستين كيلو في اليوم فلو كان هذا الحليب لولدها فهو لا يحْتاج إلا كيليين حليب، والآن أصبح هناك تهْجين بقر على بقر من نوعٍ آخر، أصْبح يُنْتِج باليوم ستين كيلو حليب باليوم ! فالدم يمُرّ في الخَلِيَّة الثَّدْيِيَة البقريَّة على شَكْل قُبَّة وحول هذه القبَّة مجموعة شَعْرِيات كثيفة جداً، أربع مائة حجم من الدَّم تمرّ في هذه الشَّعْريات كي يصَنِّع حجْم حليب واحد، فكُلّ لتر من الحليب يُسْهم في صُنْعه أربعمائة لتْر دم تمْشي في قُبَّة هذه الخليَّة الثَّدْيِيَة، والخليَّة الثَّدْيِيَة المُصَنِّعة للحليب حتى الآن لا أحد يعْرف كيف تَعْمل وكأنَّها عَقْل فالدَّم يمرّ في أعْلاها، فَتَخْتار الدَّم من بين فرْثٍ ودمٍ، فالفرث هذه الفضلات السائِلَة، نحن لدينا فرْث جامد وهو الغائط، وفرْث سائل وهو حمض اللَّبن وفرثْ غازي وهو غاز الفحْم، نواتِج الاحتراق الصُّلْبة غائِط، والسائلة حمْض البول بالدم، والغازِيَّة غاز الفحْم، فَرَبُّنا عزَّ وجل قال : هذه الخلِيَّة الثَّدْيِيَة تخْتار مواد السُكَّرِيَّة من الدم، مواد بروتينِيَّة والدِّهنيات، والفيتامينات، والمعادن، تختار غِذاء كامل قال تعالى :

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ(66)﴾

[سورة النحل]

فكأس الحليب هو من فضْل الله عز وجل، قال تعالى :

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(5)﴾

(سورة النحل)

خُلِقَتْ خِصِّيصاً لكم، وذَلَّلْناها لكم، أحد إخواننا بِجوبر حكى لي أنَّ بقرةً جَنَّتْ فَقَتَلَتْ أوَّ رجل والثاني والثالث، واسْتطاع صاحبها أن يُلْقي عليها الرَّصاص فقتَلَها، وثَمَنها سبعين ألف، فَهُوَ أساساً جَنَّ بأوروبا إذْ خالفوا منهج الله عز وجل وأطْعَموا البقر طحين اللَّحْم، والجِيَف، والبقر مُصَمّم لِيَأكل النبات، فهو حيوان نباتي فهم تشاطروا وأطْعموه الجيَف فأصْبح هناك جُنون البقر فاضْطَرُّوا لِيَعْدموا ثلاثة عشر مليون بقرة ! ثمنها ثلاثون مليار جُنَيْه اسْتَرْليني ! ثمَّ بعد هذا عرفوا خَطَأهم، والآن مُنِيَتْ بريطانيا بأكبر كارِثَة بِحَياتها في موضوع جُنون البقر لأنَّه بِأُسْتُراليا أطْلَقوا النار على عشرين مليون غنَمَة للحِفاظ على أسْعار الغَنَم مُرْتَفِعَة ! ودُفِنَتْ

تحت الأرض فالكافر وَحْش، فَكم من شَعْبٍ يموت من الجوع ؟ عشرين مليون غنَمَة للحِفاظ على أسْعار الغَنَم مُرْتَفِعَة ! قال تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24)﴾

[سورة عبس]

أُنظر إلى هذه الغنمة والبقرة من خلقها ؟ ومن جَعَلها مُذَلَّلة ؟ لو أنَّ الله تعالى رَكَّب أخلاق الضَّبع بالغنمة ! وهذا الزَّيْتون من أرْقى أنواع الدهْن وهو يُعَدُّ الآن دواء وليس غِذاءً فهو دواء للضَّغْط المُرْتفع والكولِسترول المرْتفع، ولِتَصَلُّب الشرايين والنبي عليه الصلاة والسلام قال :

((عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ *))

[رواه الترمذي]

فأنت تأكل اللَّبن والجُبْن والقشْطة وكُلّ مُشْتقات الحليب، فَمَن الذي سخَّر هذا المعمل المُذْهِل ؟! ورَوْثُ البقر سمادٌ غالٍ، فالسَّماد العُضْوي أغلى سماد روْثُ البقر ثمَنُ الكيلو عشْرُ ليْرات وجلدها للأحذِيَة والمصْنوعات الجِلْدِيَّة، ولحْمها يُؤْكل، هناك جداران وسط الثَّدْي مُتعامدان، وهناك أربع حلْمات للبقرة، كلّ حلمة تُعْطي ربع الضرع تماماً، وهو مُقَسَّم إلى أربع أجْواف، وهل فَكَّرْتَ بالقمْح فهو ينْضج بِيَوْم واحد، والبندورة تنْضج على ثلاثة أشْهر، لو كان الحقْل ينْضج بِيَوم واحد ماذا نفْعل بالطماطم، وكذا البطيخ ! من الذي صَمَّم أنَّ البطيخ له حلزون يمْسكها الفلاح فإذا انْكسر معنى ذلك أن قد نضجَت وإذا لم ينْكسر أي لم تنْضج بعد ! أما القمْح والعدس والحمص بِيَوم واحد فالمحاصيل الأساسيَّة تنْضج بيوم واحد، أما أشْجار الفواكه وغيرها فَبِالتَّسَلْسُل، من برْمج هذه الأمور، فالله تعالى قال :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً (27) وَعِنَباً وَقَضْباً (28) وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً (29)﴾

[سورة عبس]

شجرة التَّمْر تعيش ستَّة آلاف سنة، أطْول شَجَرة مُعَمِّرة، وفيها ستة وأربعون مادَّة غِذائِيَّة، وأسْرع مادَّة سُكَّرِيَّة على الإطْلاق تنتقل من الفم إلى الدم، فإذا جلس الإنسان لِيَأكل لو أكل عشْر أضْعاف لن يشْبع حتى يصِل السكَّر إلى مرْكز الشِّبَع، فالنبي عليه الصلاة والسلام عَلَّمنا أن نأكل التمْر أوَّلاً، كيف أنَّ القمْح مادَّة أساسِيَّة جداً لنا ؛ يُسَموه مَحْصول اسْتراتيجي، التِّبْن المادَّة العَلَفِيَّة الأولى، والحيوان يسْتطيع أن يعيش على التِّبْن فقط، قال تعالى :

﴿ وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً (29) وَحَدَائِقَ غُلْباً (30) وَفَاكِهَةً وَأَبّاً (31) مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32)﴾

[سورة عبس]

يجب أن تُفَكِّر في خلق السماوات والأرض، وفي طعامك، فلا بدّ أن تُعْمِلَ العقْل في الآيات الكَوْنِيَّة لأنَّها طريق الإيمان بالله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : تفسير الآيات 33 – 42 ، هَوْل الموقف

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآيات الأخيرة من سورة عبس وهي قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42)﴾

[سورة عبس]

الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة، يوم يفرّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه فالإنسان له زوْجة وأمّ وولد وأخ وأب، لماذا بدأ الله تعالى بالأخ ؟ لأنَّ أمَّه وأبيه كبيران في كبيران وولده صغير، من الذي يُعينك عند الشِدَّة ففي هذه الآية قُدِّم الأخ على كلّ الأقرباء، في آيةٍ أخرى قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(24)﴾

[سورة التوبة]

قُدِّمَ الأب، وفي آيةٍ ثالثة:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ(14) ﴾

[سورة آل عمران]

قُدِّمَت المرأة، وفي آيةٍ رابعة قال تعالى:

﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ(11)﴾

[سورة المعارج]

فما هذا الترتيب ؟ في آيةٍ قُدِّمَ الولد، وفي أخرى قُدِّمَت المرأة، وفي آيةٍ قُدِّمَ الأب، وفي آيةٍ قُدِّم الابن، وفي أخرى الأخ، ففي مَوْطن الاسْتِنجاد والاسْتِعانة والاسْتِغاثة، فالذي يُنجدك أخوك أما أبوك وأمَّك وابنك ضِعاف، فالابن صغير وأمَّك وأبوك كبيران، فالمُؤَهَّل كي يُنجدك أخوك أما في موطن الاعتِزاز الاجْتِماعي نبدأ بالأب؛ قُل إن كان آباؤكم تقول: أنا ابن فلان، في موطن الشَّهوة المرأة، زُيِّن للناس حبّ الشهوات من النِّساء، في موطِن الفِدْيَة أغنى شيء الولد، يودُّ المُجرم لو يفْتدي من عذاب يومئذٍ ببَنيه، فهذه الآية:

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34)﴾

[سورة عبس]

وقد ورد في بعض الآثار النَّبَوِيَّة أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام

((سألتْهُ السيّدة عائشَة أيَعْرِفُ بعضنا بعْضاً يوم القيامة ؟ – هل يمكن أن يقول الإنسان فلان ابني وذاك أخي – فقال عليه الصلاة والسلام: نعم، إلا في ثلاثة مواقف إذا الصُحُف نُشِرَت، وعند الميزان، وعند الصِّراط....))

في هذه المواطن الثلاثة لو وقَعَت عَيْن الأم على ابنها لا تعْرفه ! وذاك من هَوْل المصيبة، حَدَّثني أخٌ بالقاهرة أنَّه لما حدث زلزال بها أنّ شِدَّة خوف أحد الأمَّهات حَمَلْتها على أن تحْمل حِذاءها مكان ابنها الصغير ! قال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(1)يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ(2) ﴾

[سورة الحج]

وفي غير هذه المواطن قد تقع عَيْنُ الأم على ابنها، تقول له: يا بني جعلْتُ لك بطْني وِعاءً وصَدْري سِقاءً، وحجري وِطاءً فهل من حَسَنَةٍ يعود عليَّ خيرها اليوم ؟! الأم تسْتنجد ابنها ! بِماذا يُجيبها الابن ؟ يقول لها: ليْتني أسْتطيع يا أُمَّاه !! فإنَّني أشْكو مما أنت تَشْكين ! فالله عز وجل قال:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ(101) ﴾

[سورة المؤمنون]

فالأنْساب في الدنيا كي نتراحم، وكي تسْتَمِرَّ الحياة، تجد الأب يعْمل ليْل نهار من أجل أولاده، ومن أجل إسْعادِهم، ومن أجل اسْتِقْرارهم، أما لو كان تواصل النَّسب في اليوم الآخرة لما كانت هناك جنَّة ! قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ(94)﴾

[سورة الأنعام]

قال:

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36)﴾

[سورة عبس]

طبْعاً الأقارب كلَّهم ذُكِروا ؛ من أخيه وأمِّه وأبيه وصاحبته وبنيه، قُدِّمَ الأخ لأنَّه الأخ كل المُنْجد، ومع ذلك هذا الأخ يوم القِيامة يَفِرُّ منك ويتخلى عنك، ويقول: نفْسي نفْسي فالله تعالى يُقَدِّمُ لنا صُوَر حقيقيَّة لِيَوْم القيامة، وذلك كي يُنَبِّهنا لأهَمّيَة الموضوع، ومن أجل أن نكون على بَيِّنَة من أمرنا.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37)﴾

[سورة عبس]

ورد بِبَعض الأحاديث أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((يُحْشَر الناس يوم القيامة حُفاةً عراةً...))

لو أنَّ أحداً مَحْكوم عليه بالإعْدام، وفي الطريق من نافذة السيارة رأى امْرأة جميلة فهل ينتَبِه إليها ؟! عنده شأنٌ يُغْنيه عن النَّظر دعانا أحد المرات أخٌ إلى مزْرعَتِه، مع بعض الأصْدِقاء، فقال لي هذه مزْرعة عَمّي، بعد جاء عَمُّه وما سَلَّم علينا ونحن ثلاثين واحِد، فقُلْت هذا هو عَمّك ! ألا يُسَلِّم علينا ؟ فقال: لم يرَكُم، لقد جاء من مُسْتَشْفى غسيل الكُلْيَتَيْن ! فالمَرَضُ يُنْسيك أن تُسَلِّم على الناس قال تعالى:

﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37)﴾

[سورة عبس]

لا يوجد إنسان ليس لديه مُشْكِلة إلا أنَّ بعض المشاكل عويصة، ليس مُلاحق ولا مطْلوب ولا مرض يحتاج إلى أمريكا مُعالجة فقط أمراض صغيرة كوليسْتِيرول وشُحوم وسكَّر عالي، والحموض الثلاثيَّة، فأحد الإخوة رحمه الله تعالى سِتُّ عَمَلِيَّات أقامَها في سنة ونِصْف، لم يَعُد يحْوي شيئاً في بطْنِه، أقاموا المَعِدَة والمُسْتَقيم والأمعاء الدقيقة ونصف البِنْكِرْياس ! فعلى الإنسان أن يشْكر الله تعالى على ما عنده لا على ما ينْقصُه، فَكِّر بما عندك، لأنَّ الله تعالى قال:

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(16)ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17)﴾

[سورة الأعراف]

إن كان تاجراً بالسوق أو مُوَظَّف بالمعاش، فهو دائِماً في شَكْوى، وهذه صِفَة من صفات البعيد عن الله تعالى، أما المؤمن يُفَكِّر بما عنده من نِعَم، لذلك على الإنسان أن يشْكر الله عز وجل حتى يُديمَها تعالى عليه قال تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ(7)﴾

[سورة إبراهيم]

ثمَّ قال تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40)﴾

[سورة عبس]

فالناجِح مُبْيَضَّ الوَجْه والخاسِر مُسْوَدَّ الوَجْه، قال تعالى:

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42)﴾

[سورة عبس]

فالمُؤمن وجْهه مُشْرِق، لي صديق قاضي تَحْقيق، والقِصَّة قديمة فكنت جالس أمامه وكان معه شَخْص يُحَقِّق معه وَجْهه مُخيف، ثمَّ دخل آخر وَجْهه مُشْرق فقال: له صلَّحْتُ ساعتك، فوازَنْتُ بين هذين الشَّخْصَين فذاك وَجهه مُشرِق لأنَّه نبيل، ذاك مُجْرِم وَجهه كالح وأسْود، قال تعالى:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ(106)وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(107)﴾

[سورة آل عمران]

فالعِبْرة بالنِّهاية والعاقِبَة، وبِمَن يضْحك أخيراً وبِهذا الوَجه النَّظِر الذي ينظر إلى الله تعالى، وأن تكون في الدنيا صالِحاً كي يكون وَجْهك يوم القيامة مُبْيَضًّا وضاحِكاً ومُسْتَبْشِراً، وإلا وَجْهٌ أسْود ووجْهٌ مُغْبَر، ترْهَقُها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة.

فهذا مَشْهد من مشاهد يوم القيامة أرجو الله سبحانه وتعالى أن يُنْقِضنا من النار، وأن يُدْخِلَنا الجَنَّة.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثامن : تفسير سورة الانفطار

الدرس (1-2) : تفسير الآيات 6 – 8 ، ما غرَّك أيها الإنسان

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 13 – 19 ، مصير الأبرار والفجار

الدرس (1-2) : تفسير الآيات 6 - 8 ، ما غرَّك أيها الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآيات التي في سورة الانفطار، وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)﴾

[سورة الانفطار]

القرآن الكريم يُخاطب في الإنسان عقْله تارَةً، ويُخاطِبُ في الإنسان قلْبَهُ تارَةً أخرى، وفي بعض الآيات يُخاطب القرآن الكريم عقْل وقلْب الإنسان في آيَةٍ واحدة، ومن هذه الآيات هذه الآية، والنبي عليه الصلاة والسلام أحياناً في أحاديثه يُخاطِبُ عقْل الإنسان، فقد جاءه رجل وقال له

((ائْذن لي بالزنا فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ *))

[رواه أحمد]

فالنبي خاطب عقْله، وأحياناً يقول:" أحِبُّوا الله لما يغْدوكم به من نعمه فالحديث الأوَّل خاطب في الإنسان عقْله، وفي الحديث الثاني خاطب في الإنسان قلْبَهُ، والنبي عليه الصلاة والسلام اقْتَبَسَ هذه الطريقة في مُخاطبة الناس من القرآن الكريم، لذلك أيّ دَعْوة إذا اتَّجَهت إلى عقل الإنسان وحده لا تنْجح، والإنسان عقْلٌ يُدْرِك وقلْبٌ يُحِبّ، وأيّ دَعْوةٍ إذا اتَّجهت إلى قلب الإنسان وحْده لا تنْجح، لا تنْجح الدعوة إلا إذا تَوَجَّهَت إلى قلب الإنسان وعقْلِهِ معاً، فالعَقْل يحْتاج إلى غِذاء، والقلب يحْتاج إلى غذِاء، وكذا الجِسْم، وأيّ تجاهل لأحد هذه الجوانب الثلاثة هو تجاهل للواقِع، وفَشَل في نقْل الحقائِق لِهذا الإنسان.

هذه الآية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7)﴾

[سورة الانفطار]

التَّسْوِيَة شيء، وإتْقانُ الصَّنْعة شيءٌ آخر، مثال ذلك ؛ لو بَنَيْنا غُرْفة من أجل أن نضع فيها سيارة، فقد تُبْنى الغرفة من أعلى درجة من الإتْقان ولكن ليْسَت مُتماثِلَة مع السيارة فإذا دَخَلَتْ هذه السيارة لا يسْتطيع سائِقُها أن يفْتح الباب لِيَخْرج، نقول هذه الغرفة ليْسَت مُسَوَّات مع هذه السيارة، قد تدْخل ويبقى قِسْمٌ منها خارج الغرفة، فالقياسات غير مناسبة، منه نقول التَّسْوِيَة من التناسب، وربُّنا عز وجل قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7)﴾

[سورة الانفطار]

فالأنْفُ فوق الفمِ، فإذا كان الطعامُ فاسِداً كان الأنف جاهِزاً، علاقة بينهما، وهذه العَيْنَيْن من اجل البُعْد الثالث، لأنَّك بالواحدة ترى الطول والعرْض، وبالعَيْنَيْن ترى العُمْق، والأذنان من أجل جهَة الصوت فالواحدة تعرف الصوت ولكن لا تعرف جِهَةَ الصوت وكذا المفاصل مربوطة بإتْقان وبحيث لو أنَّ الأب حَمَل الأب من يده كافِيَة لِحَمْل وزْن الطِّفل كلَّه وإلا لانْهار كلّ إنسان، فهذا تناسب مُحْكم، فقد يحْمِلُ الإنسان أثْقال كبيرة جداً، فَعِظامه متينة لِدَرَجَة أنَّه يحْمِل خمسمائة كيلو ! عظْمُ عُنق الفخذ يتحَمَّل هذا الوزْن، فهذه هي كَلِمَة سوَّاك لو أنَّ الله تعالى جعل بالشَّعر أعْصاب حِسّ لما أصبح الإنسان يقْدِر أن يُحْلِق ! وتُصْبح الحِلاقة تحتاج إلى عَمَلِيَّة جِراحِيَّة كاملة ! فالله تعالى ما جعل بالشَّعْر أعْصاب حِسّ، ولا بالأظافر، والله عز وجل جعل المثانة لها عَضَلات لو لم يكن فيها عَضَلات لاحْتاج الإنسان كي يُفْرِغَ مثانته إلى أَمَدٍ طويل وقد لا تُفَرَّغ حتى يأتي هواء من أعلى، إذْ لا بدّ لها من أنبوب تنْفيس وأيُّ مُسْتوْدع ماء من دون أنبوب تنْفيس لا يتحرَّك لكن بالعضلات تُفَرَّغ المثانة بِدَقائِق، ولولا المثانة كُلّ عشرين ثانية نقْطتا بوْل، ولاحْتاج الإنسان إلى فوطة، أما بالمثانة تتَجَمَّع، وأنت نظيف ومكانتك عالِيَة ودون إحراج، في جلْسة ولِقاء، فهذه المثانة لها عَطاء كبير ثمَّ عندنا أعظم الأشياء، وهو أنَّه لدينا عضلات إرادِيَّة وعَضَلات لا إرادِيَّة فالقلب ينْبض من دون إرادتِك، لو كان بِإرادَتِك فَلأدْنى سبب يقف القلب وكذا الرئتان تتحَرَّكان من دون إرادَتِك، وهناك عضلات إرادِيَّة كعضلات اليد إلا أنَّ عضلات إفْراغ المثانة فهي نوع مُسْتَقِلّ فهي إرادِيَّة إلى حدّ، لما البول امْتلأت المثانة به ربَّما يتَّجِه نحو الكلْيَتَين ويصبح هناك تَسَمُّم حينها يمكن أن تبول من دون إرادَتِك إنْقاضاً لِحَياتِك، فَكُلّ أعضاء الإنسان لها بحْث، فالأنف فيه عشرون مليون نِهاية عَصَبِيَّة، كُلّ نِهاية تنتهي بِسَبْعة أهْداب، وكلّ هُدْب مُغَطَّى بِمادَّة مُخاطِيَة، تتفاعل مع الرائِحة، ويتشَكَّل شكْل هنْدسي، يُرْسل إلى ملف الدِّماغ فيه عشْرة آلاف رائِحَة، يُعْرض على هذه الروائِح كُلِّها واحِدة واحِدَة إلى أن تتوافق هذه الرائحة مع البند في الملف، تعرف هذه رائِحَة ياسمين، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7)﴾

[سورة الانفطار]

مائة وأربعون مليار خَلِيَّة في الدِماغ لم تُعرف وظيفتها بعد، أربعة عشرة مليار خَلِيَّة في قِشْرة الدِّماغ، والغدَّة الصَّماء النُّخامِيَّة مِلِكَة الغُدد، وزْنها نصف غرام تتَحَكَّم بِكُل غُدد الإنسان، وترسل اثنى عشر هُرمون، ولو تَعَطَّل هُرمون واحِد لأصْبَحتْ حياةُ الإنسان جحيماً ! هُرمون النموّ لولاه لَتَقَزَّم الإنسان، أو لَتَعَمْلَق، وهرمون توازن السوائل لولاه لَشَرِبَ الإنسان في اليوم برْميل ماء ولأفْرَغَهُ، وهرمون الدَّرَقِيَّة، هرمون الكظر لو واجه الإنسان عَدُوًّا أعطى هذا الأخير أمْر بالتَصرّف، ويرسل إلى القلب هرمون يرْفع ضرباته إلى المائة والثمانين، وهرمون إلى الرئتين وإلى الأوْعِيَة كي تضيق ويصْفرّ الخائِف، وهرمون إلى الكبد ويتْلف كَمِيَّة سُكَّر، وهرمون إلى بعض الأجْهزة تطلق هرمون التَجَلُّط هذه كُلُّها نصْف غرام، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7)﴾

[سورة الانفطار]

طيِّب هذا الذي خلق الإنسان بهذا الإعْجاز ألا يُحاسِبُه ؟! قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى(36)أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى(37)ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى(38)فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى(39)أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى(40)﴾

[سورة القيامة]

إذا هذه الآية من أدَقِ الآيات التي تُخاطب الإنسان ؛ ما غَرَّك بِرَبِّك الكريم فإذا كان طالب عند أستاذ قدير جداً وأشاع بين أصْدِقائِه أن نأخذ إلى الأُستاذ هَدِيَّة كي يُعطينا الأسْئِلَة نقول: هذا الطالب اغْتَرَّ بِهذا الأُسْتاذ وَظَنَّ به ما لا يليق به فما معنى هذه الآية ؟ الإنسان يأكل أموال الناس بالباطل ويكْذِبُ عليهم وينتَهِكُ أعْراضهم، فهل يتركك الله تعالى من دون حِساب، أنت مُغْتَرٌّ به، الاغْتِرار بالله أن تظنَّ به ظناً لا يليق به، إنسان له قَضِيَّة عند قاضي فَتَوَهَّم أنَّ القاضي بِمَبْلغ ضَخْم يحْكُمُ لي، نقول هذا الخصْم اغْتَرَّ بالقاضي وظنَّ بِه ظنًّا لا يليق به، القاضي نزيه ويطْرده كان هناك قاضي، أنَّهُ يحبُّ الرطب في بواكيره، طُرِقَ بابه مَرَّةً ففتح الخادِم الباب، وأعْطِيَ له طبق من الرطب في بواكيرِه نفيسٌ جداً، فقال القاضي من أتى به، فقال رجل بالباب، فقال له: صِفْهُ لي ؟ فقال: كذا وكذا، فَعَلِمَ القاضي أنَّهُ أحد المُتخاصِمَيْن، فقال له: رُدَّهُ، فَرَدَّهُ وفي اليوم التالي ذهب إلى الخليفة لِيعْتَذِر عن منْصِب القضاء، فقال له: وَلِمَ ؟ فقال له والله جاءني رجل مع طبَقٍ من الرطب فَرَدَدْتُهُ، لأنَّهُ خصْمٌ، في اليوم التالي لما كان معي تَمَنَّيْتُ أن يكون الحق معه ! مع أنِّي رَدَدْتُ الطبق فكيف لو قَبِلْتُهُ ! لذلك قالوا: القاضِيان إلى النار، وقاضٍ إلى جهَنَّم – وهي مُعَدَّلة حديثاً –، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)﴾

[سورة الانفطار]

لو ركَّب لك عَيْناك في الخلف ماذا تفْعل ؟ لو رَكَّب لك الفم في مكان آخر ! لو لم تكن هناك عَضَلة تقْبض كُلَّ شيءٍ بالمُسْتقيم، ماذا فَعَلْتَ ؟! فالإنسان في آخر عُمره إذا لم يتَمَكَّن أن يضْبط نفْسه يأكل إهانات من زوْجَتِه حتى يشْبع ! أليس كذلك ؟ فَكُلُّ كرامتك بهذه العضلة، وصِرْتَ مُحْتاجاً لِفوطة واحْتِياطات، فعلى الإنسان أن ينْتَبِه ؛ هذا الذي خلقه في أحْسَن تقْويم ينبغي أن يتَّقي أمْره، ما غَرَّك بِرَبِّك الكريم ؟! ولماذا تظنّ ظنَّ السوء به تعالى ؟ وأنّ الله لن يُحاسِب، وكل من ظنَّ هذا فهو إنسانٌ وقع في شَرِّ عمله فأنت أمام خِيار صَعْب إما أن تؤمن أنَّ لهذا الكون إلهاً عظيماً عادِلاً، وإما أن تؤمن بالعَبَثِيَّة ! قال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(115)﴾

[سورة المؤمنون]

ففي الجامعة مَثَلاً، هذا درس بِجِدِّيَّة، وهذا شاكس، وذاك تأخَّر، وهذا ما تأدَّب وبالأخير أخذوا كلَّهم مائة درجة ! أهَذه جامِعَة ؟! العِبْرة أن تأتي النتائِج مُتوافقة مع المُقَدِّمات، وإلا ما قيمة هذه الجامِعَة ؟!

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7)﴾

[سورة الانفطار]

فالرأس يدور، ولو لم يكن كذلك كَلَّفَك أن تدور كُلِّيَّةً ! من نِعَمِ الله العُظْمى ولولا هذه المفاصل لما أكلْتَ، إلا أن تأكل كالهِرَّة على صَحْن الأكل وكذا الإبهام، ما كَتَبْتَ وما خَيَّطْتَ ! وهذه المعِدَة فيها وخمْسٌ وثلاثون مليون عصارة هاضِمَة، وبالقلب يضخّ باليوم ثمانِيَة أمْتار مُكَعَّبَة، فالذي عنده مُسْتودع للوَقود السائِل يقول لك: ملأنا ألف لتْر ! وقلب الإنسان المُتَوَسِّط يضخُّ بِعُمْره ما يمْلأُ أكبر ناطِحَة سحاب بالعالم،

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7)﴾

[سورة الانفطار]

فالذي خَلَقَك فَسَوَّاك فَعَدَلك يجب أن تُطيعه، وأن تحِبَّه وأو تنْصاع لأوامره ونواهيه وأن تُخْلِص له، وأن لا تؤذِيَ عبادَه، الخلْق كلُّهم عِيال الرحمن وأحبُّهم أنفعهم لِعِيالِه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 13 - 19 ، مصير الأبرار والفجار

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية الثالثة عشْرة، والتي بعدها من سورة الانفطار، وهي قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)﴾

[سورة الإنفطار]

يبْدو من خلال هذه الآية أنَّ البشر على اخْتِلاف مِلَلِهم ونِحَلِهم وانْتِماءاتهم وأجْناسِهم وطبقاتِهم ؛ كُلُّ هذه التَّقْسيمات التي يسْتعملها البشر في تقسيم الناس من أقوياء وضعفاء، ومُسْتَغِلّين ومُسْتَغَلُّون، دُوَل عُظْمة ونامِيَة ومُتَقَدِّمة ومتأخِّرة، وجنوب وشرق وغرب، كُلُّ هذه التَّقْسيمات مُلَخَّصَةٌ عند الله عز وجل بِنَوْعيْن اثنين لا ثالث لهما قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)﴾

[سورة الإنفطار]

الناس رجُلان لا ثالث لهما: رجُلٌ عرف الله تعالى فأحْسَن إلى خلقه واسْتَقام على أمْره فَسَعِدَ في الدنيا، مهما كان اتِّجاهه ومهما كانت ملَّتُه ومهما كان جنْسهُ، ورجل غفل عن الله وبالتالي تَفَلَّت عن منهجه ولأنَّه ألَّه الشَّهوات فَشَقِيَ في الدنيا والآخرة، مهما كان اتِّجاهه ومهما كانت ملَّتُه، ومهما كان جنْسهُ، ولن تَجِد رجل ثالث يقول عليه الصلاة والسلام:

((فيما رواه عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ قَالَ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ *))

[رواه الترمذي]

هذا تقسيم القرآن.

الأنبياء ملَكُوا القلوب بِكَمالهم، والأقوياء مَلَكوا الرِّقاب بِقُوَّتِهم، وما من واحِدٍ من بني البشر إلا وتابِعٌ لِنَبِيٍّ أو لِقَوِيّ، فإذا كنت تابع لِنَبِيّ رأس مالك كمالك، ويُلْقي الله تعالى مَحَبَّتك في قلوب الخلْق، وإذا كنت تابع لِقَوِيّ رأس مالك قُوَّتك، تمْلِك بها الرِّقاب لا القلوب، دخل سيِّدنا عمر عِمْلاق الإسلام على النبي عليه الصلاة والسلام ورآه مُضْطَجِعاً على حَصير وقد أثَّر في خَدِّه الشريف، فَبَكى، فقال: ما يُبْكيك يا عمر فقال رسول الله ينام على الحصير، وكِسْرى ملِكُ الفرْس وعابد النار والطاغِيَة الذي يبْني مَجْده على أنْقاض الناس ينام

الحرير والدِّيباج فقال: يا عمر إنَّما هي نُبُوَّةٌ وليْسَتْ مُلْكاً " هذا هو الجواب، وفي رِواية: أفي شَكٍّ أنت يا عمر، وفي رِوايةٍ ثالثة: أما ترْضى أن تكون الجنَّةُ لنا والنار لهم ؟! فهذه الآية تَقْسيم مصيري وفرْزٌ كامل، كُنْ أيَّ إنسان فأنت إما برٌّ وإما فاجِر، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)﴾

[سورة الإنفطار]

والنُّقْطة الدقيقة كما كنت أقول لكم لا يوجد صحابي فداه النبي عليه الصلاة والسلام بِأُمِّه وأبيه قال له: ارْمِ سَعْدُ فداك أبي وأمي..." كم هو يُحِبُّهُ ويُقَدِّرُه ؟ وكان إذا دخل قال: هذا خالي، وأروني خالاً مثل خالي ! النبي عليه الصلاة والسلام عظيم يُرَحِّب بأصْحابه ويُداعِبُهُم، ومع هذا كلِّه قال له عمر: يا سَعْدُ لا يَغُرَنَّكَ أنَّك خال رسول الله ! فالخلْق كلُّهم عند الله تعالى سَواسِيَة وليس بينهم وبينه قرابة إلا طاعته ؛ فَعلاقتك مع الله وحده، ولو اسْتَطَعْتَ أن تنتزِعَ حُكْماً من فمِ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وهو سيِّد الخلق وحبيب الحق، ولم تكن مُحِقاً لا تنْجو من عذاب الله تعالى، علاقتك مع الله وحْده، أقول لكم هذه الكلمة: من سابِع المُسْتَحيلات أن تخاف من الله، وأن يُخيفك أحدٌ من خلقه مُسْتحيل أن تخافه ثمَّ يُخيفك من خلقه أما إن لم تَخَفْهُ يُمكن أن تخاف من خلقه ويمكن أن يُسَلّط عليك الأقوياء والقُساة الذين لا يرْحمون، أما إذا كنت مع الله فهو معك، وإذا كان معك فَمَنْ عليك ؟ دائِماً وأبداً أثْمن شيء هو مَعيَّةُ الله تعالى، يقول الله عز وجل:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ(12)﴾

[سورة المائدة]

فإذا الواحد مثلاً كان يعرف شَخْصِيَّة في البلد، يقول لك: معي تلفون فلان، بِأيِّ لحْظة أُخَبِّرُه ! فهو يتَقَوّى بِشَخْصٍ قويّ ويطْمئِنّ، فكيف إذا كنت مع خالق الأرض والسماوات وإذا كان الله تعالى يُحِبُّك، كيف تكون أنت ؟ قال تعالى:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ(12)﴾

[سورة المائدة]

إلا أنَّ مَعِيَّة الله مشْروطة، أما قوله تعالى: أينما كنتم فهو معكم.." فهي مَعِيَّة عامَّة، كلّ مخلوق معه بِعِلْمِه ولو كان كافِراً، أما هو مع المؤمن بالتوفيق والنَّصْر والتأييد والنَّصْر، فَشَتَّان بين مَعِيَّة العِلْم ومَعِيَّة التوفيق ! كما أنَّ مَعِيَّة الله تعالى لها ثَمَن، عز وجل:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ(12)﴾

[سورة المائدة]

وقال:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13)﴾

[سورة الإنفطار]

في الدنيا والآخرة، إذاً هي مُطلقة وغير مُقَيَّدة، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول أبو بكر في الجنَّة..." ففي الدنيا جَنَّة من لم يدْخُلها لم يدْخل جَنَّة الآخرة فَجَنَّةُ الدنيا القُرْب من الله تعالى، ويقول بعض العلماء: ماذا يفعل أعْدائي بي بُسْتاني في صَدْري، إن أبْعَدوني فإبْعادي سِياحة وإن سَجَنوني فَسِجْني خلْوة، وإن قَتَلوني فَقَتْلي شَهادة ! فالمُطْلَق على إطْلاقه، في الدنيا نعيم القُرْب وفي الآخرة نعيم القرب والجنّة ورِضْوان الله عز وجل، ففي الجنَّة حور العين لو أطَلَّت إحْداهنّ على الأرْض لَغَلَبَ نور وجْهها ضوْءِ الشمْس والقمر، وفي الجنَّة بساتين وعَسَل مُصَفى، ولبَن لم يتغَيَّر طعْمه، وعسل وماء غير آثن، وخمْر لَذَّة للشاربين، وجنات تجْري من تحتِها الأنهار، فهل من شيء أفضل من هذا ؟ نعم، النَّظر إلى وجْه الله تعالى، الله تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(22)إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(23)﴾

[سورة القيامة]

وهل من فوق هذا ؟ نعم، ورِضْوان من الله عز وجل قال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(72)﴾

[سورة التوبة]

أن يرضى الله عنك هو أعلى عطاء يناله مَخْلوق بالكون، أن يكون الله تعالى راضٍ عنك، قال تعالى:

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ(8)﴾

[سورة البيّنة]

كما أنَّك تتمنى رِضاه هو سَيُرْضيك، قال تعالى:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى(5)﴾

[سورة الضحى]

أما إذا كنت مؤمن دون سوف انتظر، فالدنيا ليسَت مِقْياسَك، قال تعالى

﴿ إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ(1)لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(2)خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(3)﴾

[سورة الواقعة]

المِقْياس هو الآخرة.

إذاً كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)﴾

[سورة الإنفطار]

في جحيم البُعد والإخْفاق والنَّكَد والمعيشة الضَّنْك والضِّيق والخُصومات والحَسَد والخوف، وفي جحيم الشِّرْك، أنواع مُنَوَّعَة، أما هذه العَيْن فهي ترى الفاجر غَنِيّ كأن يكون بيْته فَخْم، والأثاث فخْم وسيارات، فهذا الجحيم يكون ظاهِراً للعَيان يوم الدِّين، قال تعالى:

﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17)﴾

[سورة الانفطار]

فالدنيا فيها وسَائِط، وجماعات وأتْباع، فالحياة الدنيا مبْنيَّة على العلاقات، أما بالآخرة فقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ(94)﴾

[سورة الأنعام]

وقال تعالى:

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)﴾

[سورة الانفطار]

يمكن أغلى شيء بِحَياتك ابنتك، والبنت غير الصَّبِيّ، والبنت ولاؤُها لأبيها أشَدّ، يقول عليه الصلاة والسلام: فاطمة بضْعة منّي من أكرمها.ز.."، وحينما جاءتْهُ فاطِمَة ضَمَّها وشَمَّها وقال: ريْحانةٌ أشمّها وعلى الله تعالى رزقها ومع ذلك قال: يا فاطمة بنت محمد أنا لا أغني عنك من الله شيئاً..." وقال عليه الصلاة والسلام: إنما أهلك الله بني إسرائيل أنهم إذا سرق فيهم الشريك تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا فيه الحدّ، ويْمُ الله لو أنَّ فاطمة بنت محد سرقت لقطعت يدها..." هذا هو الدِّين.

فآيات اليوم: قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)﴾

[سورة الإنفطار]

الفصل التاسع : تفسير سورة المطففين

الدرس (4-1) : تفسير الآيات 01 – 06

الدرس (4-2) : تفسير الآيات 07 - 09 ، الكتاب الرقوم

الدرس (4-3) : تفسير الآيات 10 - 14 ، ويل للمكذبين

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 14-15-22-26-29-34

الدرس (1-4) : تفسير الآيات 01 - 06

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، سورة المطفِّفين تبدأ بقوله تعالى:

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1)﴾

[سورة المطففين]

الوَيْل هو الهلاك والشَّقاء، لِمَن ؟ للمُطَفِّف، نحن عندنا كفْر وعندنا انْحِراف، فالإنسان قد يعتقد اعْتِقاداً فاسِداً، وعقيدته الفاسدة توصِلُه إلى المعاصي والآثام، وأحْياناً يرْتكب معْصِيَة كبيرة تُلغي اعْتِقاده، قولوا لِفُلان أنَّه أبْطل جِهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، الانْحِراف يبدأ من العقيدة ويظْهر في السُّلوك، وقد يبدأ في السلوك فَيُلْغي العقيدة إنَّ فلانة تذكر أنَّها تُكثر من صلاتها، وصِيامها وصَدَقتها، غير أنَّها تُؤذي جيرانها بِلِسانِها، فقال: هي في النار، وقال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ *))

[رواه مسلم]

فقد يبدأ الخلل من العقيدة ويظْهر في السُّلوك، وقد يبدأ من السلوك، وهو مسلمٌ ابن مُسْلم وناشئ في بلاد إسلامِيَّة، واستَمَع إلى آلاف الخُطَب، إلا أنَّ حُبَّ المال غلبهُ فَطَفَّى ؛ من هو المُطَفِّف ؟ قال: المُطَفِّفون الذين يُنقِصون الكَيْل أو الميزان فبائِع الأقْمِشَة إذا اسْتَلَم البِضاعة، تجد الثوْب مرخي وعامِل قوس على المتر فإذا باع شَدَّ الثوب ؛ هذا من التَّطْفيف، وأحْياناً القَصَّاب يضع اللَّحْم بِعُنْف على الميزان ويرْفعها مُباشَرَة، والصائِغ المِرْوحة فوق الميزان ! يخْتلف الميزان حينها، هناك للتَّطْفيف مليون أُسْلوب، قد تخْفى على مُعْظم الناس إلا أنَّها لا تخْفى على الواحِد الدَّيَّان، المُطَفِّف يأكل أموال الناس بالباطل، والذي لا يُعْطي الناس أموالهم يدْخل في هذا الغِشّ طبْعاً العِلْم حرْف، والقِياس ألف ؛ الغشّ في المواصفات والغِشّ في المصْدر اشْترى جوخ إنجليزي وهو تايْواني ! وهذا يضع قطعة مكتوب عليها إنتاج فرنسا، ومصدر القماش تايواني ! هذا مُطَفِّف، وأساليب التَّطْفيف في الأقْمِشَة المواد الأوَّلِيَّة ومواد الغِذاء، وحتى الآن في مجال تصْنيع الكمبيوتر أصْبحت بعض الشركات عندنا تأتي بِبِضاعة رخيصة وتبيعها على أساس أنَّها ذات جَوْدة ! وفي بعض البلاد المجاورة تُغَيِّر لُصاقة منتجاتها من المأكولات بعد انتِهاء المُدَّة بِلُصاقة حديثة مثلها لِسَنَتَيْن قادِمَتَيْن ! ثمَّ تُرْسِلها تهْريب، وفي مِصْر وصل الأمر إلى أنَّه بيعَتْ لُحوم الكِلاب بحيث نزعوا اللُّصاقة

المكتوب عليها لحْم البشر وأبْدلوها بِلُصاقة لحم الكلاب، وبيعَتْ للبَشَر، فالمال شقيق الروح، وحقوق العباد مَبْنِيَّة على المُشاحة، وحُقوق الله عز وجل مَبْنِيَّة على المُشاحة فالله عز وجل يقول:

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1)﴾

[سورة المطففين]

تجد له مِكْيالَيْن مِكْيال شِراء، ومِكيال بيع، فالأمْثِلَة لا تنتهي، فأساليب الغِشّ والتَّطْفيف وتغيير المُواصَفات ومنشأ البِضاعة، فأحْياناً تُعَطَّش الشاة وبعدها تُتْرك تشرب الماء ويبيعها بِوَزْنٍ زائِدٍ.

أيها الإخوة، الرزاق هو الله، إن رآك مُسْتقيماً رزق رِزْقاً حلالاً طيّباً وبارك له فيه، فهذه الآية واسِعة كثيراً، وتدخل في كُلّ المجالات ومع كُلِّ المصالح، فهذا الدَّلال باع أحدهم بيْتاً في الطابق الخامس، والزبون ما شَعَر بهذا لأنَّ الدلال كان يقُصّ عليه قِصَّة مُمْتِعة فباعَهُ البيْت ! والبيت شمالي، وهو صلى العِشاء من جِهَة الشمال، فقال الدلال: البيت قبْلي ! كُلُّ هذا من بعد الناس عن الله، وحِرْصِهم على الدِّرْهم والدِّينار، والدِّرْهم الحرام.

قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3)﴾

[سورة المطفِّفين]

لو قُلْتَ لِنَجار غُرْفة نوم، أريد تَخْت واحد، يخْصُم لك مائتان ليرة خمْسة آلاف ففي الخَصم مبالغ زهيدة وفي البيع مبالغ خيالية، إن رأى التخْت كبيراً حاسبك على الكِبَر، وإن رآه ثقيلاً حاسبك على الوزْن، لا توجد قاعِدَة مُحدَّدة في البيع، الجهالة تُفْضي إلى المنازعة، لذلك إذا أدْت أن تسْتريح عليه أن يُوَضِّح كُلَّ شيء شِراءً أو بيْعاً، كُلُّ نقْطة غامِضة في البيْع أو الشِّراء تنتهي إلى قَضاء ومنازَعة، وأحْياناً يُدْفع على القضايا أضْعاف موضوع الخِلاف، فالإنسان البَطَل الذي لا يُحْرِج نفسه بالدخول لهذه الأماكن.

قال تعالى:

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5)﴾

[سورة المطفِّفين]

هذا الذي يأكل أموال الناس بالباطل ويَغُشُّهم، الزَّيْت أحْياناً له مواضيع لا تنتهي، بائِع يضع قالب واحدة بجنة مثل القشطة، يُذَوِّق الناس منه، والباقي من تحت لا يُرى، حياةٌ مَبْنِيَّة على الغِشّ والخِداع، ولذا نزع الله البركة من أيدي الناس.

الإنسان حينما يعلم أنَّه مُراقب ينضبط، فلو أنَّ شخْصاً علِم أنَّ الطريق مُراقب بالرادار ينضبط، لأنّ السيارة مُصَوَّرة، مع الرقْم والوقت والسرعة، فإذا أنت شَعَرْت أنَّ الإنسان يضبط انْضبط معه، فَكَيف الله عز وجل ؟ قال تعالى

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(1)﴾

[سورة النِّساء]

قد يسأل سائل لماذا سورة المُطَفِّفين التي تتحَدَّث بشأن سلوكي اقْتُحِمَت بين آيات تتحَدَّث عن الكون ؛ بين سورة إذا السماء انفطرت وإذا الشَّمْس كُوِّرَت، والسماء ذات البروج ؟ فما سِرُّ ذلك ؟ قال: الذي لا يؤمن بهذه الآيات فهو كافر والذي يعْصي الله يُحْجَب عن الله كمن كان كافِراً، فالعِبْرة المُؤَدَّى الكافر مَحْجوب بِكُفْره، فإذا كان الواحد فاسِق أو ظالم أو مُعتدي عن الناس فهذا مَحْجوب بِمَعْصِيَتِه، فربُّنا عز وجل جعل هذه السورة المُتَعَلِّقَة بِسُلوك تعاملي جعلها بين سُوَرٍ تتحَدَّث عن الإيمان بالله، فكما أنَّ الكفر يحْجبك عن الله فالتَّطْفيف يحْجبك عن الله، وإمَّا أن يبدأ الخلل في فسادٍ في العقيدة فيَنْعَكِس في فسادٍ في السُّلوك، وإما أن يبدأ من السلوك فيُلْغي العقيدة، ما قيمة إيمانك بالله إن لم تكن مُنضَبِطاً، السيِّدَة عائِشَة لها كلمة ؛ تقول: بلِّغوا فلاناً من الذين تعامل معهم النبي عليه الصلاة والسلام إنَّهُ أبْطل جهاده مع رسول الله ! أذْكر أنَّني وَقَفْت مرَّة أمام بائع بندورة، وَضَع نَوْعَين، نوع جَيِّد جداً سعره ستَّ ليرات، ونوع سَيِّء جداً سعره ليرتين، فوقف شَخْص لم أنتبِه له، ووضَع من النوع الجيِّد ثمَّ في الأخير وَضَع من النوع السيِّء، أخذ ستَّ كيلو من النوع الجَيِّد وضعه من تحت والرديء من فوق، والبائِع مَشْغول لم ينتبِه، فهذا تَطْفيف، ذكرْتُ لكم هذا كي تعلموا أنّ هناك تطْفيف من المُشْترين، وهناك قِصَّتين أذكرهم لكم ؛ أحد إخواننا الكرام رجل فقير، وعِصامي وليس له محَلَّ تِجاري فاضْطَرَّ أن يبيع القُماش على الرَّصيف بالحَميدِيَّة فجاءَتْهُ امرأة إيرانِيَّة فاشْتَرَتْ قِطْعة، وكان معها دولارات، فهي بِذِهْنِها أنَّها دَفَعَتْ له دولار، أما هي دَفَعَت مائة دولار خطأً، بعد ما ذَهَبَتْ تطلَّع في النقود فإذا هي مائة دولار ! فتَرَك البَسْطة ولاحقها، وأعطاها ثَمَنها وأخذ حَقَّه، وكان يُراقبه صاحب مَحَلّ فأعْجَبَتْهُ أمانته، فقال له: هل تُشارِكُني ؟ فقال أتمنَّى، خلال أسبوعَيْن أصْبح بِمَحَلّ، والله تعالى وَفَّق هذا التاجر المُخْلص واشْترى بيت وسيارة وهو من إخواننا الكِرام وذكر لي أخ من إخواننا أنَّ واحِداً بِمَنطقة سِتّ رُقيَّة، كذلك امرأة اشْترتْ قِطْعة قُماش كذلك دَفَعَت بالخطأ مائة دولار، فوجد البائِع هذا مَغْنم، إلا أنَّها راجَعَت الشرْطة فأخذوه وضُرِبَ حتى أقَرَّ ودفَّعوه خمْسة آلاف ليرة فوق المبلغ، أرَأيْتُم الاسْتِقامة ؟ فالمُسْتقيم صار غَنِيًّا، قال عليه الصلاة والسلام: الأمانة غِنىً..." فالمؤمن لا يأكل مال الحرام تَرْك دانِقٍ من حرام خير من ثمانين حجَّةً بعد الإسلام ! فحاوِل أن تُؤَدِّي الذي عليك، حَدَّثني أخٌ أنَّ قطعة سيارة ما بيعَت معه عشرين سنة، وهي تتنقل من جَرد لآخر، فجاءه زبون أحد المرات فقال: له هل هي أصْلِيَّة ؟ فأجابه: ليستْ أصْلِيَّة !

فقال الزبون أعطينها ! كلمة واحِدَة فقط تفْصل بين الحلال والحرام، فلو قال له: أصْلِيَّة لكان ثمنها حرام فقوله تعالى:

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1)﴾

[سورة المطففين]

تشْمل كُلَّ المصالح، فالقَضِيَّة دقيقة تدْخل مع كلِّ واحِدٍ منَّا، ما من واحِدٍ يخرج من هذه الآية، وكُلّ واحِد بالمَصْلحة يسْتطيع أن يغُشّ، فلو أنَّ الثَّيْدلي غيَّر تاريخ الدواء لكان مُطَفِّف، فالدواء إن انتهت مدَّته أصْبح سامًّا، لأنه تَفَكَّكت ذراته، والذي يقول لك مثَلاً لا بدّ لك من اثنى عشر تحْليلاً، وأنت لا تحْتاج إلا إلى واحد، فالآن هناك عُقود بين الأطِبَّاء والمُحَلِّلين، هذا تَطْفيف، والله تعالى حينها يَمْحَق البَرَكة، المِهَن الراقِيَة داخِلة في هذا الموضوع، وكذا ذوي المِهَن المُنْحَطَّة، وبائِعوا البطيخ والزَّيْت والأقْمِشَة، وكُلَّ مصالح المسلمين. قال تعالى:

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6)﴾

[سورة المطفِّفين]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : تفسير الآيات 07 - 09 ، الكتاب الرقوم

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل في سورة المطَفِّفون:

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (7)﴾

[سورة المطففين]

أي أعمال الكفار كُلُّها مُثْبَتة في كِتاب ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9)﴾

[سورة المطففين]

كلمة مرْقوم تعني شيْئين: أنَّهُ مُرَقَّم، وتعني أنَّه مُصَوَّر ، فالرَّقْم الصورةِ الرَّقم العدد، فهو إما مَرْقوم من الصورة، وإما مرْقوم من العدد، أحْياناً الدفاترِ التِّجارِيَّة مُرَقَّمة ومَخْتومة بالمالِيَة، فلا يسْتطيع البائِع إذا كتب مليون أن يمْحي هذا الرقم لأنّ صفحاته مُرَقَّمة ولا يُمْكن أن تُنزع منها صَفْحة، أما مرْقوم بِمَعنى مُصَوَّر وهو من الصورة أي كُلُّ مُخالفة مع صورتها، وهذا أبْلغ، فأنت إذا جاوَزْت السرْعة في الطريق يلتقط الرادار السرعة والوقت والرقم والشارع، وقد تكون صادِقَة أو كاذِبة لكن إذا كان معها صورة السيارة، ورقمها انتهى الأمْر كان هذا دليلاً، فَكِتاب الإنسان صَفْحاتُهُ مُرَقَّمَة ولا يُمْكن أن تُنْزَع منها صَفْحة، وهي مرْقومة أي لا يُمْكن أن تُنْزع منها الصُّوَر، لذلك هذا الكتاب يُعْرض على الإنسان يوم القِيامة، يقول كما قال تعالى :

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا(49)﴾

[سورة الكهف]

فأنت في الدنيا إذا شَعَرْتَ أنَّك مُراقَب، كيف تتصَرَّف ؟ إذا خطّك الهاتفي مُراقب ؛ كيف تشْعر ؟ وإذا عَلِمْت أنَّ فلاناً من الناس يُلاحقك كيف تشْعر ؟ فكيف إذا كنت تحت مُراقبة الله عز وجل، والآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(1)﴾

[سورة النِّساء]

الإنسان يخاف الله قَدَر مَعْرِفَتِه به، ويرْحم الخَلْق بِقَدَر اتِّصاله به، وفي قلبك رحْمةٌ بِقَدْر اتِّصالك بالله، وتخاف منه بِقَدْر معْرفتك به، ولاحظ الإنسان أنَّه كلَّما ارْتقى علْمه ازْداد خوْفه أذْكر أنَّني دخَلْتُ مَرَّة لِمَعْمَل فَوَجَدْتُ صاحِبُه بأَلَمٍ شديد، وقال لي: انْظر فوَجَدْتُ كُلَّ شيء على ما يُرام، حتى أراني شَق موجود بالسَّقف وقال لي: جئت البارحة بِمُهَنْدس فقال لي الأساس في حال انْهِيار إذْ سُلِّطَت عليه المياه المالحة، فهي التي

فَتَّتَتْ التربة تحت الأساس، وأقلّ تكلفة خمس مائة ألف ليرة تدْعيم للأساس! فهذا الشّق لما رآه المهندس قال: هناك انهيار ولو رآه دهان لقال مَعْجَنة، فانْظر الفرق بين أن تعجنه وبين أن تدعم الأساس كلَّه، فهذا هو الفرق بين العِلم والجَهْل، فكُلَّما ارْتقى العِلْم يشْتَدُّ الخوف، مرَّةً كنت جالساً مه طبيب جراح قلب فقُدِّم له قشْطة فلما رَضِيَ أن يأكلها، وهذا من شِدَّة ما يراه من انْسِداد الأوْعِيَة من هذه المأكولات، فَكُلّما ازْداد العِلْم ازْدادا الخوف العكْس بالعكْس ومرَّة قال لي طالب: أنا لا أخاف من الله، فقلتُ له: أنت بالذات لك الحق أن لا تخاف الله ! فقال: كيف ؟ فقلت: أحْياناً الطِّفْل إذا أخذه أبوه معه إلى المزْرعة، وتركه، ثمّ جاءه ثعبان فإنَّ هذا الطِّفْل لا يخاف لماذا لأنَّه لا يُدْرك أنّ هذا الثعبان يقتل، وكذلك الإنسان إذا فقَدَ الإدْراك على الأمور فإنَّه لا يخاف منها !

أشَدُّ الناس خوْفاً من الله رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد قيل له: مَثِّل بِهؤلاء الذي مَثَّلوا بِعَمِّك الحمْزة، فقال: لا أُمَثِّل بهم فَيُمَثِّل الله بي ولو كنت نَبِيًّا ! المؤمن يَعُدُّ للمليون قبل أن يؤْذي الإنسان، وقبل أن يُسَبِّب مشاكل ويهزّ كيانه ويؤذي إنسان يَعُدُّ للمليون، قال تعالى:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(12)﴾

[سورة البروج]

هتف لي أحد الأشْخاص من أقص أمْريكا، وقال لي: يا أستاذ، أنا أعمالي تفوق حدّ الخيال ! ما هي ؟ قال: أُنْتِجُ أفلام الدعارة !! وقد تُبْتُ إلى الله تعالى من شريطٍ سَمِعْتُهُ لك حيث فَسَّرْت فيه قوله تعالى:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(12)﴾

[سورة البروج]

وذَكَرْتَ قِصَّة نزَلَت عليَّ كالصاعِقَة: وهي أنَّ رجلاً مُتَزَوِّج كان له أبناء وبنات، وكان هَمُّه أن يتجوَّل في منطِقَة مملوءة بالنساء، يملأ عيناه بالنَّظر للحَسْناوات فأُصيب بِمَرض ارْتِخاء الجفون، بحيث لو أراد النَّظر رفع جفْناه بِيَدَيْه ! فقال: وقد أثَّرت فيَّ هذه القِصَّة، وتَرَكَت فيَّ أثراً كبيراً، فالإنسان إن لم يخَف من الفله فهو أحْمَق وغَبِيّ وجاهِل، وأنت تخاف بِقَدْر معْرِفَتِك به، وترْحم الخلْق بِقَدْر اتِّصالك بالله، ومن لا يرْحم لا يُرْحم، وإن أرَدْتُم رحْمتي فارْحَموا خَلْقي، تجده يحلف أيمان كلُّها كذب ويغْتاب ويسْتَعْلي ويأكل مال حرام. قال لي أخٌ، الحمد لله يا أستاذ أنَّني بعْت البارحة أحداً من الناس سيارتي وفيها عطل بالمُحَرِّك ! وإذا به يأخذ سيارة من النوع الحديث واصْطدم بها بالباص بعد خمْسة أيام من بيعِهِ السيارة الأولى، والله عز وجل بالمرصاد، قال تعالى: إنَّ الله كان عليكم رقيباً، فَكُلَّما كبرت علمك به كلّما ازْداد خوفك منه تعالى، وأشَدُّ الناس خوفاً من الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، والمؤمن يَعُدُّ للمليون قبل أن يتكَلَّم، عندنا أخٌ كريم يُعَدُّ أوَّل إنسان خبير بالكمبيوتر بالمعامل قال لي: دُعيت إلى أحد المعامل للإصلاح فلم أتناسب مع صاحب

المعمل وقلت له: أنت بِحاجةٍ لي، فَتَركني ولم يقل شيئاً، وكان عنده مشكلة في الكمبيوتر فَبقيت معها ثمانِيَة أيام لم يتبيَّن معي الخطأ، ثمَّ قلتُ لعلّي أُراجع نفسي فلرُبَّما قلت كلاماً مُخالفاً للشَّرْع فإذا بي أجد أنَّني قلتُ له: أنت بِحاجَةٍ لي !! فَتُبْتُ إلى الله، وفي اليوم التاسِع انْحَلَّتْ المُشْكلة بِرُبْع ساعة ! فإذا قلت: يا الله تولاك، وإذا قلت: أنا تَخَلَّى عنك، فهؤلاء الصحابة وقالوا: لن نُغْلب من قِلَّة، فقال تعالى:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(25)﴾

[سورة التوبة]

وفيهم رسول الله، فهذا مُلَخَّص المُلَخَّص إذا قلت: يا الله تولاك، وإذا قلت: أنا تَخَلَّى عنك، فهذا النبي عليه الصلاة والسلام بعث خادِماً فتأخَّر والنبي أدْركه الغضب الشديد، أنت إذا بَعَثْت واحِداً من أجل ربع ساعة لا يبقى خمْس ساعات ! فلما جاء قال له النبي عليه الصلاة والسلام: والله لولا خَشْية القِصاص لأوْجَعْتُكَ بهذا السِّواك، ماذا يفعل السِّواك ؟ ومَرَّ عليه الصلاة والسلام أمام صحابيّ يضرب غلامه، فقال له: إعْلَم أبا ذَرّ أن الله أقْدر عليك منك عليه، وفي أحد المرات أوْقف الحجاج إنساناً لِيَقْتُلَه فقال له: أسألك بالذي أنت بين يَدَيه أذَلُّ منّي بين يَدَيْك، وهو على عِقابك أقدر منك على عقابي، فاسْتَحْيى الحجاج من الله، وعفى عنه، فَعَظمة الإنسان كلّها على مليمتر شريان قلبه، وعلى خلاياه، ومتى حدث إشْكال أصبح في النَّعْي ! كان شَخْصاً ملء السمْع والبصر، وصار في الخبر، هذه هي الدنيا، فأنت أيها الأخ ترْحم الناس بِقَدْر اتِّصالك بالله فإذا كان قلبك قاسِياً فأنت مقْطوعٌ عن الله تعالى ولو صَلَّيْت، وأنت تخاف منه بِقَدْر معرِفَتِك به، وكلَّما ازْدَدْتَ معرِفَةً ازْدَدْتَ منه خوفاً، وأشَدُّ الناس خوفاً من الله رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، هناك أشْخاص لا تتركه نفسه يقتل ولو نمْلة، ولقد دَخَلَت امرأة النار في هِرَّةٍ حَبَسَتْها فلا هي أطْعَمَتها ولا هي أطْلَقَتْها تأكل من الأرض، فعلى الإنسان أن ينتبه، فالحِساب شديد، وكُلُّ إنسان سَيُشاهد فلم فيديو يوم القيامة ؛ هكذا الآية كتابٌ مرقوم، قال تعالى:

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(14)﴾

[سورة الإسراء]

ذكروا أنَّ في ألمانيا إذا الضابط خان تُعْرض عليه خِيانته، ويُتْرَك له الحُكْم على نفْسه، فيأخذ مُسَدَّس ويقتل نفْسه، إياك أن تتجاوز، واطلب من الله السلامة، وإياك أن تحْتقر إنساناً، وأن تُخَوِّف إنساناً أو تقْهَرَه الإنسان بُنْيان الله وملْعونٌ من هَدَم بُنيان الله.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : تفسير الآيات 10 - 14 ، ويل للمكذبين

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، يقول الله تعالى:

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12)﴾

[سورة المطفِّفين]

هذه هي الآية العاشرة من سورة المُطَفِّفين.

الإنسان إذا صَدَّق بِيَوم الدِّين، وصَدَّق بِيَوم الحِساب، وأنَّ كُلَّ عَمَلٍ مهما دَقَّ تقْبض عمله، وأنَّ كُلَّ سيِّئةٍ مهما دَقَّتْ تدْفع ثَمَنها، إذا صَدَّق الإنسان بيوم الدِّين فلا بدّ من أن يسْتقيم، فإن لم يسْتَقيم يضْطرّ إلى أن يُكَذِّب بِيَوم الدِّين، حتى يتوازن، فهذه قَضِيَّة التوازن الداخلي والتوازن الداخلي بالإنسان يخْتَلّ إذا آمَنَ بِيَوم الدِّين وما اسْتقام يَحُسُّ بالخطأ والذَّنب، ويَحُسُّ وكأنَّه يمْشي بطَريق مَسْدود، أما إذا كَذَّبَ بِيَوْم الدِّين يتَوَهَّم أنَّه يستعيد توازنه، لذلك كما قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ(1)فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ(2)﴾

[سورة الماعون]

هو نفسه، قال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

أنت حينما تؤمن بِيَوم الدِّين تسْتقيم على أمْر الله، وإذا كنت مُستقيماً على أمْر الله، ترى نفْسك مُنْدَفِعاً إلى الإيمان بِيَوم الدِّين ؛ لأنَّه لِصالِحِك فالله تعالى قال:

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12)﴾

[سورة المطفِّفين]

وهناك آيةٌ ثانيَة وهي قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنْ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ(74)﴾

[سورة المؤمنون]

فالإنسان لمَّا يأكل مال الحرام ويغْتَصِب بيْت وشَرِكات، ويعْتدي على شريكه، وعلى أمْوال زوْجته، حينما يخْتَلُّ شيْئاً ليس له الحقّ أن يخْتَلَّهُ ؛ كيف تُوازِن ؟ توازن بِحيث لا آخرة موجودة، والحياة للشاطِر، والقَوِيّ يأكل الضعيف أما لو آمن أنَّ هناك حِساب دقيق، وعذاب أليم لا يفْعَل هذا، لذلك دائِماً وأبَداً الإساءة مُرْتبطة بالتَّكْذيب باليوم الآخر، لكن ليس من الضروري أن تُكَذِّب بِلِسانك، فهذا لا يفْعله أحدٌ في العالم الإسْلامي، أما عَمَلِيًّا فلا يعْتقد اعْتِقاداً جازِماً أنَّ الله تعالى سَيُحاسِب ، وسَيُحاسِبُ الناس حِساباً دقيقاً، قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ قَالَ قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ *))

[رواه مسلم]

فإذا أردَت أخفَّ من ذلم فاسْتَعِدَّ للبلاء.

قال تعالى

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ(10)هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ(11)مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ(12)عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ(13)أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ(14)إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(15)﴾

[سورة القلم]

لماذا تُتْلى آياتنا على إنسان تنْهَمِرُ دُموعه خَشْيَةً لله ؟! وتُتْلى آياتنا على إنسان فيقول: أساطير الأوَّلين ؟ فالذي تنهمرُ دُموعه عند سماع الآيات هذا أراد الإيمان والحقيقة وأراد الله عز وجل، فجاء الكلام مُولفِقاً لما أراد، أما الذي تُتْلى عليه آياتنا فيقول: أساطير الأوَّلين، فَهُوَ إنسان أراد الدنيا، وشَهَواتها لذلك لا يَعْتَدُّ بهذا الكلام، قال تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)﴾

[سورة المطففين]

هناك آية دقيقة جداً يقول فيها تعالى:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ(198)فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ(199)كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ(200)لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ(201)فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(202)﴾

[سورة الشعراء]

فلو نزل هذا القرآن باللُّغة الفارِسيَّة، وكان النبي فارِسياً، وجاء من بلاد فارس إلى مكَّة، وقرأ عليهم القرآن بالفارِسي، هل يؤمنون بالله عز وجل ؟ مُسْتحيل ! لذلك قال تعالى في آخر الآية:

﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ(200)﴾

[سورة المطففين]

القرآن الفصيح العربي الواضِح المُعْجِز البليغ، إذا قرأه مُجْرِم كأنَّه باللُّغَة الفارِسِيَّة، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ(198)فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ(199)كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ(200)لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ(201)فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(202)﴾

[سورة الشعراء]

فهم لا يؤمنون به حتى يرَوْن العذاب الأليم، والكافر يخاف بِعَيْنِه فقط ! لو قلتَ لِواحدٍ يُدَخِّن أنَّ الدخان يُسَبِّب سرطان وجَلْطة وضيق أوْعِيَة، لا يدعه، أما حينما يُصاب بالسرطان فِعْلاً يدَعُ الدُّخان متى ترك الدُّخان ؟ حينما جاءهُ المرض، فالذي يَخاف بِعَيْنه وحواسِّه قريب من البهائِم ؛ الإنسان يخاف بِعَقْلِه، قبل أن يأتي المرض، يؤمن بِيَوم الدِّين قبل أن يأتي يوم الدِّين، أما الحقيقة المُذْهِلَة أنَّ كُلَّ كُفار الأرض وعلى رأسِهم فِرْعون الذي قال: أنا ربُّكم الأعلى، حينما أدْركه الغَرَق قال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل! كُلُّ كُفار الأرض بِمللهم وقاراتِهم ؛ حينما يأتيهم مَلَكُ الموت يعْرفون الحقيقة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام، فالتَّكْذيب يأتي من جراء من يخاف بِعَيْنِه وحواسِّه فقط أما المؤمن يخاف بِعَقْلِه، لذلك لا يُكَذِّب ولكن يؤمن بالدليل.

العَمَل الشيِّء حِجابٌ بينك وبين الله، قال تعالى

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ(88)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ(18)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(7)﴾

[سورة البقرة]

أي لأنَّ على سمعهم وأبصارهم غِشاوة خَتَم الله على قلوبهم، فهذه الآية الكريمة:

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)﴾

[سورة المطففين]

العمل الشيّء حِجاب بينك وبين الله، ويجعل هذا القرآن كالفارِسيَّة، والله عز وجل قال:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا(82)﴾

[سورة الإسراء]

فالعِبْرة أن تكون مُسْتقيماً حتى تتفَتَّح أُذُنك وبصيرتك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 14-15-22-26-29-34

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في قوله تعالى من سورة المطفِّفين:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)﴾

[سورة الطففين]

هذه الآيات وآيات أخرى تُبَيّن أنَّ سلوك الإنسان له علاقة بِهِدايته فَكُلَّما كنت أقرب إلى الاسْتِقامة كنت أقرب إلى الهُدى والدليل كما قلتُ في درْس سابق قال تعالى:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ(198)﴾

[سورة الشعراء]

إنسان فارِسِيٌّ وأعْجمي لو نزل هذا القرآن عليه، وجاء هذا الأعْجمي إلى مكَّة المكَرَّمة وقرأ عليهم القرآن بِلُغَة فارِس ما كانوا به مؤمنين وأنت الآن لو ذَهَبْت إلى تركيا أو إلى بلاد فارس، لا تفْهم ولا كلمة لذلك قال تعالى:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ(198)﴾

[سورة الشعراء]

الإنسان حينما يعْصي وينْحرف ويخطأ، وينتهِك حرمات الله عز وجل يُصْبح على عَيْنه غِشاوة، وفي آذانِه وقْر، قال تعالى:

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(7)﴾

[سورة البقرة]

وهذه الآية تُؤَكِّد المعنى نفْسه ؛ قال تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)﴾

[سورة الطففين]

وقال تعالى:

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ(88)﴾

(سورة البقرة)

القلب المُغَلَّف الذي لا يعي الخير أساسه سُلوك منحرف، آية أخرى وهي قوله تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ(1)﴾

[سورة الماعون]

وقال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

هناك طريقان لا ثالث لهما فإن لم تكن على أحدهما فأنت على الآخر حتْماً قال تعالى::

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

هناك طريق الاسْتِجابة وطريق الهوى، وطريق العقْل وطريق الشَّهوة طريق الدنيا وطريق الآخرة، وطريق الخير وطريق الشر، وطريق القرب من الله وطريق البعد عنه، وطريق المعْصِيَة وطريق الطاعة وطريق الإنصاف وطريق الظلْم، قال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(50)﴾

[سورة القصص]

لذلك كلَّما كنت مُسْتقيماً كانت أُذنك واعِيَةً، وكلَّما كان المرء منْحرفاً كانت أُذُنه صَمَّاء عن سماع الحق، لذلك قد تعجب من الذين عاصروا النبي عليه الصلاة والسلام، ألم يرَوا فَصاحته ؟ ألم يرَوا كماله ورحْمته وعطْفه ؟ ألم يرَوا لطْفه ؟ ومع ذلك تَمَنَّوا أن يقْتلوه، والذين ابْتعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلَّم زَمَنِيًّا واسْتقاموا على أمْره إذا زاروا مقامه يبْكون ! ما هذه المُفارقة ؟ كلّما كنت أقْرب إلى الاسْتِقامة كلَّما كنت أقرب إلى الهدى، قال تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)﴾

[سورة الطففين]

أيها الإخوة، هناك أمراض لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، وهناك مصائِب لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، مصائب تُصيب الإنسان ؛ تُصيب أهْله وأولاده، مصائب تُصيب ماله، يفقِدُ الإنسان بعض أحْبابه، ويخْسر الإنسان ماله كلَّهُ يُعْلِنُ إفْلاسه ويُصاب بِمَرض عُضال، إذا سألْتني ؛ ما هي أكبر مُصيبة على الإطْلاق تُصيب الإنسان في دُنْياه وآخرته ؟ هي هذه الآية الكريمة:

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15)﴾

[سورة المطففين]

كُلُّ السعادة في القُرْب من الله والنَّظر إلى وجْهه الكريم، هؤلاء الكافرون المُنْحرفون مَحْجوبون عن ربِّهم في الدنيا، قد تُؤْتى المال كُلَّه وقد تُؤتى أعلى منْصب وأجْمل زوْجةٍ وأجْمل بيْت، إلا أنَّك إذا كنت محْجوباً عن الله فأنت أشْقى الأشْقِياء، وقد تكون فقيراً وقد تكون مريضاً ومُضْطهَداً ومُعَذَّباً، وقد تكون مَحْروماً إلا أنَّه إذا تجلى الله تعالى على قلبك فأنت أسْعد الناس يا داود مرِضْتُ فلم تَعُدْني ! قال: كيف أعودك وأنت ربُّ العالمين ؟! قال: مرِضَ عبدي فُلان ولم تَعُده ألم تعلم أنَّك لو عُدْته لوَجَدْتني عنده، أنا أخذْت منه صِحَّته إلا أنَّني عَوَّضْتُ عليه قرْباً وتَجَلِيًّا ونوراً وطمأنينةً وأمْناً وسلاماً، لذلك لِيَكُن نصيبك من الله تعالى رحْمته والإقبال عليه وأن يُلقي عليك من أنواره وأن يُطمئِنَ قلبك، قال تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15)﴾

[سورة المطففين]

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(13)﴾

[سورة الإنفطار]

نعيم القُرْب، ونعيم الجنات التي تجْري من تحْتِها الأنهار، ونعيم الحور العين، ونعيم رِضْوان الله عز وجل، ونعيم النظر لِوَجه الله الكريم، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ(13)﴾

[سورة الإنفطار]

فَمِن شِدَّة النعيم والسرور والطمأنينة، وجْهه مُتألِّق، والإنسان أحْياناً في الدنيا يُوَفَّق بِتِجارة أو شهادة أو مَنْصب أو عمل أو بِصِحَّة فإذا بك تجده مُتألِّق في وجهه.

قال تعالى:

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)﴾

[سورة المطففين]

سَأُصَوِّر لك سِباق والطريق طويل جداً، وهناك ألف سيارة من أحْدث الماركات ! ومن أعلى المُحَرِّكات، وبِأمْهر السائِقين، فإذا بآخر الطريق مغارة، فلما تصل السيارة الأولى تسْقط، وكذا الثانِيَة، فهل يَهُمُّنا أن نعرف الأوَّل والآخر ؟ كُلُّكم سَيَموتون، وموتهم مُحَقَّق والكُلّ دمار، فهكذا سِباق الدنيا، فقير مات وغنِيّ مات، وكذا القويّ والضعيف، والصحيح والسقيم، والوسيم والذميم ؛ سِباق مُضْحِك وهذا تنافس أحْمق، وهو التنافس على الدنيا، أما الله عز وجل قال:

﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)﴾

[سورة المطففين]

تنافس في معرفة الله، وتنافس في الآخرة، وفي الإنفاق والدعوة إلى الله، وفي رِعاية الصِّغار، فهذا هو التنافس المعقول لأنّ فيه جوائز أعدَّها الله للمؤمنين، فالله تعالى يقول:

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)﴾

[سورة المطففين]

وهناك آية أخرى:

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ(61)﴾

[سورة الصافات]

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31)﴾

[سورة المطففين]

دَعَوْهُ لفندق خمس نجمات فأبى أن يُلبِّي ! يقولون عنه: مجنون ويستهزئون به، والآخرين يقولون: لا يزال من الذين يُحَجِّبون أزواجهم ؛ لن نأكلها له ! ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32)﴾

[سورةالمطففين]

لا يعيش في عصْره ومُتخَلِّف ومُتَزَمِّت، ومُتَقَوْقِع وانْعِزالي، تفكيره ثمَّ قال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34)﴾

[سورة المطففين]

البطولة في آخر المطاف، فالبطولة أن تكون آخر الضاحكين، فالله تعالى قال:

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34)﴾

[سورة المطففين]

والحمد لله رب العالمين

الفصل العاشر : تفسير سورة الانشقاق

الدرس (2-1) : تفسير الآيات 06 - 15

الدرس (2-2) : تفسير الآية 16 ، فلا أقسم بالشفق

الدرس (1-2) : تفسير الآيات 06 - 15

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآية السادسة من سورة الانْشقاق، وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ (6)﴾

(سورة الإنشقاق)

كم من إنسان خَدَمَ جِهَة ثمَّ خاب ظنُّه ؟ وكم من إنسان أنْفق ماله وخَسِر ؟ وكم من إنسان أنْشأ علاقات ولم تُثْمِر هذه العلاقات ؟ أيَّةُ جِهَة أرْضِيَّة قد تُخَيِّبُ ظنَّك، وقد توقِعُكَ في الإحباط إلا أنَّ الله عز وجل يقول: أيُّ جُهْدٍ وأيُّ وقْتٍ وأيُّ مالٍ وأيُّ حركةٍ وصِلَة وأيُّ ذهابٍ وإيَّاب، وأيُّ منْعٍ أو إنفاق، وأيُّ صِلَةٍ أو قطيعَةٍ إذا ابْتَغَيْتَ بها وجْه الله فإنَّك سوف تُلاقيها أضْعافاً مُضاعفة، أي تكون تاجِراً مع الله تعالى، والله عز وجل أرادك أن ترْبح عليه أرْباحاً طائلة وإياك أن تُتاجِر مع سِواه فإنَّ خاسِرٌ لا محالة، مهما تاجَرْت مع سِواه ثمَّ جاءك مرض ما يفْعل هؤلاء اتِّجاهك ؟ زيارة فقط ! وإذا مات بِطاقة تَعْزِيَة أكثر من هذا لا يوجد ! أما الله تعالى يقول:

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾

(سورة الغاشية)

المفروض على الإنسان مادام علاقته مع الله والمصير إليه تعالى عليه أن يُحَسِّن علاقته معه، كثير من المُوَظَّفين لهم ذكاء زائِد، ويُحاول أن يسْتطْلع، من الذي سوف يأتي بعد المُدير الحالي، فإذا عرفَ من فإنَّهُ يقيم علاقات طَيِّبَة، زيارات وهدايا يقول لك: أُرَكِّز وضْعي معه وهذا منْطق الإنسان الذَكِّي ومنطق الإنسان الذي يبْحث عن مصالِحِه العُلْيا، فأنت مصْلحتك الكبرى مع الله، وممكن أن تُقيم علاقتك معه الآن ؛ علاقة طَيِّبة بِخِدْمة عِباده والنُّصْح لهم وطلب العلم ونشْر العلم وحمْل النفْس على طاعته، لذلك قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ (6)﴾

[سورة الانشاق]

والله لو لم يكن في القرآن إلا هذه الآية لَكَفَتْ ! كلام الواحد الدَّيان وكلام خالق الأكوان، فإذا كان الإنسان مُتْعب ومُرْهق، فإذا مع غير الله كان النَّدَم والإحْباط والخسارة، أحْياناً ينتمي الإنسان إلى جهة بِزَعْمٍ منهم أن يفعلوا له كذا وكذا، فيَسْتَغِلُّوه ثمَّ يرْمونه ! والله أيها الإخوة، الإنسان أحْياناً يُعامل مثل هذا المنديل، تُمْسح به أقْذر عَمَلِيَّة ثُمَّ يُلْقى، قال تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ (6)﴾

[سورة الانشقاق]

قال: إنَّ الرجل لَيُطْعِمُ زَوْجته لُقْمةً واحِدة، يراها يوم القيامة كَجَبل أُحد، قال تعالى: يَاأَيُّهَا

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(10)﴾

[سورة الصف]

إذا كنت عالِماً كنت مِمَّن تاجر مع خالق الكون، ولا يليق أن تكون مع غير الله إن فعَلْت هذا احْتَقَرْت نفْسك، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ(130)﴾

[سورة البقرة]

إذا كنت مع غير الله احْتَقَرْت نفْسك لأنَّك ما وَضَعْتها في مُسْتواها فأصْلها أن تكون لله، سألوا عالماً جليلاً من علماء مِصْر، وأَثِقُ بِنَزَاهتِهم وبُعْدهم عن الدنيا، وعن الِّنفاق، فاضْطَرّ أن يُجْري عَمَلِيَّة فإذا باليوم الواحد فاكْسات ورسائل والهواتف ليل نهار، فأحد المحطات الإخباريَّة أجْرت معه حِوار وسألْته ما هذه المكانة التي أنت فيها ؟ فقال لهم كلمة في مُنتهى الأدب مع الله: قال لهم إنَّني مَحْسوب على الله ! فمهما كنت مُهِمًّا في الدنيا وجاءتْك المَنِيَّة فالتَّعْزِيَة في الدرجة الأولى، وباقات وُرود وأكثر من هذه لا شيء ! أما عند الله تعالى الجِنان إلى أبد الآبدين قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ (6)﴾

[سورة الانشقاق]

سأعرض عليكم بعض الأمْثلة: سيِّدُنا عثمان جاءَتْهُ ستُّ مائة ناقة مُحَمَّلة بالبضائِع من الشام، وهي تُعادل سِتُّ مائة شاحنة الآن ! وكُلُّها له، فجاءه التُّجار، فدفعوا له سِعْر فقال: دُفِعَ أكثر، ورفعوا السِّعْر فطلب أكثر إلى أن طلب سِعْراً غير معْقول، فقالوا: هذه ليْست تِجارة، فقال: من الذي دفع أكثر قالوا: الله تعالى، فقال: هي لِوَجْه الله تعالى ! وكان ذاك العام عام مجاعة، لذلك تاجِر مع الله وبإخْلاص ومن دون ضَجَّة، والله تعالى يُعَوِّض عليك أضْعافاً كثيرة، قال: من أحَبَّنا أحْبَبْناه، ومن طلب مِنَّا أعطيْناه، ومن اكْتفى بنا عمَّا لنا كنَّا له وما لنا، والله الدنيا أحْقر من أن تُحْرم منها ؛ تأتيك وهي ذليلة، وقد أوْحى ربُّك للدنيا أنَّه من خَدَمني فاخْدُميه، ومن خَدَمَكِ فاسْتَخْدميه ذكرْتُ مثَلاً مِراراً إلا أنَّه يُناسب في هذا المقام، هناك رجل تُوُفِّي رحمه الله تعالى، وكان صاحب دُعابة، وصانِع بالمَحَلّ في الحميديَّة، ويُكَنِّس هذا المَحَلّ ويجْمع القُمامة بِعُلْبة ويلُفها بِشَريط أحْمر وورق هدايا ولها عقْدة فيأتي واحد غشيم يظنّ أنّ فيها شيئاً ثميناً، ويهرب بها، فبعد أمتار يفْتحها الهارب وهو يجْري فلا يجد شيئاً فيَضْحك عليه هذا الرجل، وكذا حال الإنسان إذا جاءه ملَكُ الموت،

ظنَّ أنَّ الدنيا شيء ثمين فإذا هي غثاء لا شيء فيها بِمالها ونِسائِها، فحتى لا يحدث للإنسان خَيْبَة أمَل قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ (6)﴾

[سورة الانشقاق]

أعمالك كُلُّها تجدها كبيرةً جداً، وأضعاف مُضاعفة.

قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً (9)﴾

[سورة الانشقاق]

فالكافر كان في أهْله مسْروراً، غارقٌ بالمعاصي والآثام، ويضْحك ملء فيهِ، يقول سيّدنا عمر عَجِبْتُ لثلاث: عجِبْتُ لِمُؤَمِّل والموت يطْلبه، وضاحِكٍ ملء فيه ولا يدْري أساخِطٌ عنه الله أو راضٍ، وغافل وليس بِمَغْولٍ عنه، فمن كان من أهل الإيمان فسوف يُحاسب حِساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسْروراً، ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً (11) وَيَصْلَى سَعِيراً (12) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً (13)﴾

[سورة الانشقاق]

يدْعوا بالهلاك، فهذين النموذجين أحدهما أُعْطِيَ الكتاب بِيَمينه، فسوف يُحاسب حِساباً يسيراً، كمن جاء الأوَّل في الدِّراسة، وذهب إلى أهله يضْحك من شِدَّة الفرح، فنقول: إنَّ هذا الطالب انْقلب إلى أهله مسْروراً، أما الطالب الراسب فقد كان يسْهر مع رفاقه بالليل ويضْحكون، والمصير هو الإحْباط والرسوب، لذلك يدْعوا ثُبوراً أي بِهلاكه، قال تعالى:

﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (14)﴾

[سورة الانشقاق]

أي لن ينتقل إلى دار المقام، قال تعالى

﴿ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً (15)﴾

[سورة الانشقاق]

فأنت تحت المراقبة قال تعالى:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ(217)الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ(218)وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ(219)إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(220)﴾

[سورة الشعراء]

فأنت مَكْشوف تماماً، فإذا كنت طاهِراً أحَبَّك الله، وإذا أحَبَّك ألْقى حُبَّ في الخلْق.

الدرس (2-2) : تفسير الآية 16 ، فلا أقسم بالشفق.....

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانشقاق : فلا أقسم بالشفق .....

مركز ثقل هذه السورة قوله تعالى : لتركبن طبقا عن طبق .

أيها الإخوة الكرام ؛ في سورة الانشقاق آيات كريمة وهي قوله تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾

[سورة الانشقاق الآيات : 16-19]

مركز الثِّقل في هذه الآية ، قوله تعالى :

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾

فالإنسان يمْشي في ممرّ إجباري وينتقل من حال إلى حال ، ومن اهْتِمام لآخر إلى أن ينتهي الأجل ويُحاسبه الله على كُلِّ أعماله فالطِّفْل يولد وأوَّل موضوع بِوِلادته أنَّه سليم أو غير سليم ، فإذا أدْرك الأب والأمّ أنَّه سليم شكرا الله عز وجل على ذلك ، هذا أوَّل طبَق ؛ سَلامة المَوْلود ثمَّ يفرح الأهل حينما تظْهر أسنانه ، وحينما يمْشي وحينما يُصْبِحُ نظيفاً ، ثمَّ حينما يقول بابا وهي أوَّل كلمة ، كُلُّ طَوْر من أطْوار الطِّفْل طبَق ، والآن أصبح في سِنِّ المدْرسة وذهب إلى هناك ، وحفظ بعض الأناشيد ، وطرِبَ له الأهْل ، ثمَّ دخل الإعدادي ثمَّ الثانوي ، ثمَّ موضوع الجامعة ومُسْتقبله ، ثمَّ موضوع العَمَل ، وموضوع الدِّراسة ، ثمَّ موضوع الزواج ، وكذا مُشْكِلَة العُقْم ، وما أنْجب ، فإذا أنْجب أصْبح الموضوع موضوع ثاني ، وهو تَرْبِيَتُهم وتعليمهم وتزْويجهم ، وكذا موضوع الصِّحَة ، قال تعالى :

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾

[سورة الانشقاق الآية : 19]

يوم خطَب دخل في موضوع المرأة ؛ تَوَفَّقْت أم لم تُوَفَّق ! طويلة أم قصيرة ! جميلة أم دميمة ، هذه قِصَّة الناس جميعاً ، وآخر شيء صِحَّته ، معه كولسترول أو الْتِهاب مفاصل أو ضَعْف أسنانه ، والشُّحوم الثلاثيَّة مُرْتَفِعة ، فالصِّحة طَبَق وتَزْويج بناته طَبَق ، وكذا أولاده ونجاحه في زواجه طَبَق ، نوعُ زَوْجَته طَبَق ودِراسَتُه طبَق ، قال تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾

[سورة الانشقاق الآية : 16]

الأرض كُرَة ، ولا يوجد شَكْل هَنْدسي تتداخل فيه الظُّلْمة والنور كالكُرَة قال تعالى :

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾

[سورة الزمر الآية : 5]

لو أنَّ الأرض مُكَعَّب يدور يأتي النور فجْأةً ، ويأتي الظلام فَجْأةً ، أما لأنَّ الأرض كُرَة يتداخل الظلام مع النور ، غابَتْ الشَّمْس أما الجوّ واضِح كيف يتلاشى الضوء شَيْئاً فشَيئاً خِلال عِشْرين دقيقة ؟ دَخَلْنا فيما بين المغرب والعِشاء ، ففي العِشاء اخْتفى الشَّفَق ، وما دام هناك شَفَق معنى ذلك أنَّ آثار الشَّمْس لا تزال واضِحَة ، لأنّ الشَّمْس أشِعَّتها مُسْتقيمة والأرض كُرَة ، فلَمَّا غابَتْ عَيْنُ الشَّمْس بَقِيَت أَشِعَّتُها ، وأشِعَّتُها تَصْطدِم بالسَّحاب فَتَجِد أنَّ هناك شَفَق أحْمر ، وهو سحاب جاءَتْهُ أَشِعَّة الشَّمْس ، والأرض تدور وهي كُرَة ، والشَّمْس ثابتة ، والشَّفَق آيَةٌ دالَّةٌ على عَظَمَة الله ، وعلى كُرَوِيَّة الأرض ، وعلى أَشِعَّة الشَّمْس وعلى السُّحُب، لذلك وَقْت العِشاء هو وقْتُ غِياب الشّفق ، ووقْتُ المغرب هو وَقْتُ غِياب عَيْن الشَّمْس ، وَقْتُ الفَجْر هو وَقْتُ بدء أثر الشَّمْس قبل أن تظْهر عَيْنُها ، والمغرب كالفجْر تماماً ، فالمَغْرب غابَتْ عَيْن الشَّمْس وبَقِيَ ضوءها ، والفجْر جاء ضوءها قبل أن تأتي عَيْنُها ، فالفَجْر ظُهور آثار الشَّمْس ، قال تعالى :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾

[سورة البقرة الآية : 187]

فالفجر الصادق يظْهر في خَيْط أبيض في الأُفُق والشَّمْس ظُهور عَيْن الشَّمْس والظُّهْر انتِصاف الشَّمْس في كَبِد السَّماء مع الزوال قليلاً ، والمغْرب غِياب عَيْنِ الشَّمْس ؛ بين انْتِصاف الشَّمْس في كَبِد السَّماء وبين غِيابها العَصْر ، والعِشاء غِيابُ الشَّفَقِ الأحْمَر فقوله تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾

[سورة هود الآية : 114]

هذه الأوقات الخَمْس فَزُلُفاً من الليل هو الفجْر والعِشاء ، وطَرَفَي النَّهار شُروق الشَّمْس وغِيابها، وضِمْن النَّهار الظُّهْر والعصْر ، قال تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾

[سورة الانشقاق الآية : 16]

ما علاقة الشَّفَق بتَرْكَبُنَّ طبَقاً عن طبَق ؟ الذي خلق الكون هو الذي خلق الإنسان ، وهو الذي صَمَّم هذا الإنسان لِيَمُرّ من طوْر لآخر وهو الذي سَيُحاسِب الإنسان ، وكما قال بعض الفلاسفة في فرنسا : عوامل السعادة ثلاثة : الوقت والصِّحة والمال ، بِمَنْظورهم وفَهْمِهم دائِماً ينْقصك أحد عوامل السعادة ، ففي سِنّ الشباب ينقصك عامل المال ، ويكون لك عامِلَي الصِّحة والوقت ، وفي منتَصف العُمر ينقصك الوقت ، فلصِّحة مَوْجودة والمال موجود لكن لا يوجد وَقْت ، لأنَّها مرحلة تأسيس الأعمال ، وفي خريف العُمر ينقصك

الصِّحة ، ففي مَنْظور أهْل الدنيا الإنسان دائِماً تنقصه أحد عوامل السعادة ، أما في منظور الإيمان حينما تعرف الله عز وجل وتَصْطَلِح معه وتُطَبِّقُ منهجه فأنت معه دائِماً ، تُواجِهُ كُلَّ مُشْكِلات الحياة من دون قلق وخوف ، ومن دون ألَم والله عز وجل إذا مكا أقْسم كان هناك معنى ، وإذا لم يُقْسِم كان هناك معنى آخر ، فإذا قال تعالى :

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾

[سورة الشمس الآية : 1]

أقْسم ، وكذا قال تعالى :

﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾

[سورة الفجر الآيات : 1-2]

والليل إذا يغشى ؛ كُلُّ هذا قَسَم ، أما إذا قال :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِي الْكُنَّسِ ﴾

[سورة التكوير الآيات : 15-16]

العلماء قالوا : إذا لم يُقْسِم فبالنِّسْبة إليه ، وإذا أَقْسم فبالنِّسْبة إلينا ، وهناك معنى آخر وهو أنَّه تعالى إذا قال:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾

أي أنَّ هذا الأمْر شيء بديهي ، قال تعالى :

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

[سورة الانشقاق الآيات : 20-24]

نحن الآن في طَوْر التَّبليغ وفي طَوْر التَّكْليف ، ونحن الآن في طَوْر السماع ، وباب المَغْفِرَة مَفْتوح ، وباب التوبة الصُّلْح مع الله تعالى مَفْتوح الأبواب الآن كُلُّها مُفَتَّحَة فإذا جاء الأَجَل أُغْلِقَت هذه الأبواب كُلّها وعندها يقول :

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

[سورة المؤمنون الآيات : 99-100]

يتمنَّى أنْ يُؤَخَّر ساعة والله تعالى يقول : ولن يُؤخِّر الله نفْساً إذا جاء أجلها فالإنسان يسْتَغِلّ وقْته ، وكان عليه الصلاة والسلام يمْشي مع أصْحابه فرَأَوْا قبْراً فقال صاحب هذا القَبْر إلى رَكْعَتَيْن مِمَّا تحْقِرون من تنفُّلِكم أفضل عنده من كُلِّ دُنياكم ، دُنيا عريقة فيها محَلات ومعامل وقُصور ومزارع ، فالإنسان أيُّ طبق كان فيه فباب التوبة مَفْتوح ؛ بالكُهول أو الشباب أو بعده وأخْطر شيء بالحياة أن يُعَلِّق تَوْبَتَهُ على أحد الأطباق كأن

يقول إلى أن أتزَوَّج أو إلى أن أُأَسِّس عَمَلاً ، أو حينما أعود من السَّفر ، أو حينما أُنْجِبُ الأولاد ، وقد ورد بالأثر : هلَكَ مُسَوِّفون " لا ترْبط صُلْحك مع الله بِطَبَق من هذه الأطْباق ، أَنْهَيْت الزواج جاء الأولاد وأنْهَيْت الأولاد جاءت الصِّحة ، فأَيُّ إنسان يربط صُلحه مع الله بِطَبَق من هذه الأطباق فقد ضلَّ سواء السبيل ، الصُّلْح مع الله تعالى يُبْرم فَوْراً فأنت لك يوم مَشهود ، ويوم مَوْعود ، ويومٌ مَوْرود ، ويومٌ ممدود ، ويومٌ مَفْقود أخْطر أيَّامِك المَشْهورة ؛ ففيه تَتُوب ، وفيه تؤمن ، وفيه تعبد وتفعل الخير وتطلب العِلْم ، إذاً مرْكز الثِّقل في هذه الآية لترْكَبُنَّ طبَقاً عن طبَق ، ولا يجوز أبداً أن تربط تَوْبتك بِأحد هذه الأطباق ، وحتى الذين يموتون عندهم قوائِم أعمال لم تنْتَهِ ، سَل أهْل المُتَوَفَّى تجد له بنود كثيرة لم تَنْتَهِ ، وقد جاءَه الموت ، فأَيُّ إنسان – هنا النقطة الدقيقة – يُعَلِّق صُلْحَهُ مع الله بأحد هذه الأطباق فقد ضلَّ سواء السبيل ، وهذه الأطباق لابدّ منها ، وكُلّ وَقْت له هُموم ، فهذا هو اكبر خطأ ؛ التَّسْويف ، وهذه الأطباق لا علاقة لها بإيمانك ، وهي مَمَرّ إجْباري لِكُلّ الناس ، فَكُلّ إنسان بِحَسَب سِنِّه له اهْتِمامات ، فعلى مُسْتوى الطلاب تجدهم يتكلَّمون على الأساتذة ، ويجعلوا حديثهم واهْتِمامهم على العلامات ومستوى الامْتِحانات ، ولما يخْطب حديثه على النِّساء ، وما اتَّصل بهم ، فهذه الأطباق مَمَرّ إجباري لِكُلِّ الناس ، فلا تربط هذا بالدِّين .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الحادي عشر : تفسير سورة البروج

الدرس (4-1) : تفسير الآية 01

الدرس (4-2) : تفسير الآية 10 ، إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق

الدرس (4-3) : تفسير الآية 14 ، الغفور

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 14 – 16 ، الودود

الدرس (1-4) : تفسير الآية 01

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة البروج، في قوله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1)﴾

[سورة البروج]

فالأرض كما تعلمون تدور حول الشَّمْس في ثلاث مائة وخمْسة وستِّين يوماً ورُبْعاً، سُرعة الأرض حول الشَّمس ثلاثون كيلومتر في الثانِيَة فَمُنْذ أن أذَّنَ الظُّهْر مضى ثلاثون دقيقة، فإذا ثلاثون كيلومتر بالثانِية ضرْب ثلاثين ؛ ألف وثمان مائة كيلو، ضَرْب عشرة ثمانية عشرة ألف حوالي خمسين ألف كيلومتر نحن نمشي من أذان الظهر إلى الآن، من أذان الظُّهر وحتى هذه الساعة قطَعَتْ الأرض خمسين ألف كيلومتر وسرعتها ثلاثون كيلومتر في الثانِيَة في هذه الدَّوْرة أيها الإخوة تَمُرّ بِبُروج، وهناك اثنى عشَرة بُرجاً ؛ بُرج العقرب وبرج الأسد وبرج الجدي إلخ... أحد هذه البروج هو برْج العقرب، فيه نَجْمٌ أحمر اللَّون ومتألِّق صغير، قالوا: هذا النَّجْم يتَّسِعُ للأرض والشَّمْس مع المسافة بينهما ! والشَّمس تَكْبُرُ الأرض بِمِليون وثلاث مائة ألف مرَّة، وبين الأرض والشَّمْس مائة وخمسون كيلومتر، وهذا النَّجْم الضغير يتَّسِعُ للأرض والشَّمْس مع المسافة بينهما ! رئيس أكبر قاعدة فضاء أمريكِيَّة مُسْلم من مِصْر، سُئِل في لِقاء عن الشُّموس فقال: الشُّموس لها ثلاثة أطوار ؛ الطَّوْر الأحمر، والطَّوْر الأبيَض والطَّوْر الأَسْوَد، شَمْسُنا شَمْسٌ حَمْراء اللَّون في منتصف عُمْرها، ومضى على تألُّقِها خَمْسَة آلاف مليون سنة، ويُنْتَظَر في استِمرار تألُّقِها خمْسة آلاف مليون سنة ! وحينما تتجاوَزُ الشَّمْس الطَّوْر الأوَّل تنتقِلُ إلى الطَّوْر الثاني ويزيد حَجْمُها مراتٍ كثيرة، ثُمَّ تَتْكَمِشُ فجْأةً إلى واحد بالمائة، وتنقلِبُ أَشِعَّتُها من حمْراء إلى بيْضاء، وعِنْدئِذٍ تتضاعَفُ حرارتها أضْعافاً كثيرة، ثُمَّ تدْخل الشَّمْس في مرحلةٍ ثالثة وهي مرحلة السَّوَاد، تَصَوَّر متر كلغ مُكَعَّب من الحديد ضُغطَ في ذَرَّة لا تُرى بالعَيْن ولا بِالمِجْهر، وحينها تدْخُل الشَّمْس في مرْحلة التَّكَدُّس فَتَنْكَمِشُ إلى حجْمٍ قليل جداً من شِدَّة الضَّغْط الذي تتحَمَّلُه وينعدِمُ خروج الشُّعاع منها، لأنَّ الشُّعاع كَتَفسير دقيق ذرات كهربائِيَّة تخرج من الجِسْم المُلْتَهِب، وهذا هو النور، هذا الثُّقْبُ الأسود مَقْبرة النُّجوم ولو أنَّ الأرض اقْتربَت من هذا الثُّقْب لأصْبَحَت في حجْم البَيْضَة مع الوَزْن نفْسه، وهذا أحدَث ما في العِلْم الشَّمْس الحَمْراء والشَّمْس البيْضاء والشَّمْس السَّوداء، وأخرج ابن أبي شيبة والترمذي وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوقدت النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى

اسودت، فهي سوداء مظلمة " مِن أين جاء هذا النبي صلى الله عليه وسلَّم بِهذا العِلْم ؟ هذا الحديث الذي ورد في سنن الترمذي وابن ماجه من دلائل النبي صلى الله عليه وسلَّم.

قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1)﴾

[سورة البروج]

أحدُ البروج بُرْج العَقْرَب، وأحَدُ نُجومِه قَلْبُ العَقْرب، ويتَّسِعُ للشَّمْس والأرض والمسافة بينهما، لذلك أنت حينما ترى النُّجوم بيضاء في الليل، وليس حمْراء، البيضاء يعني في المرحلة الثانِيَة، والسوداء لا تراها أبداً، ثُقْب أسْوَد كالمَقْبَرَة، ثُمَّ إنَّ هذه الأرض – دَقِقوا معي– في دَوْرَتِها حول الشَّمْس، المسار إهليلجي، وسرعة الأرض ثلاثون كيلومتر بالثانِيَة، وعندنا قانون الجاذِبِيَّة، الكُتَل تتجاذب بِحَسب حُجومها مضروباً بجداء المسافة بينهما وهذا القانون الذي اكْتَشَفَهُ نيوتن والأرض حينما تقترب من القطْر الأصغري، نحن عندنا القطْر أعظمي بالشِّكْل الإهليلجي، وعندنا القطر الأصغري، الأرض حينما تصل إلى القطر الأصغري تزيد من سرعَتِها وكأنَّها عاقلة، وينشأ من هذه الزِّيادة قُوَّة نابذة تُكافيء القُوَّة الجاذِبَة، وإلا تنجذب الأرض إلى الشَّمْس فتتبَخَّر في ثانية واحِدَة ! لو بَقِيَت علىسرعتخا هنا لتَفَلَّتَت من جاذِبِيَّة الشَّمْس فَذَهَبَت في الفضاء الخارجي، وانْعَدَمَت أشِعَّةُ الشَّمْس في برودة مُميتة لمات على من في الأرض من أحْياء، والعلماء قالوا: لو أنَّها تفَلَّتَتْ وأرَدْنا أن نُعيدها إلى الشَّمْس كافْتِراض، قالوا: نربطها بِمِليون مليون حبْل فولاذي، قُطْر الحَبْل خَمْسة أمتار، هذه الحِبال تُزْرع على سَطح الأرض المُقابل للشَّمْس، فإذا زُرِعَت أصْبَحنا أمام غابة من الحِبال بين كُلّ حَبْلَيْن خمْس أمتار، وحينها ينعدم البناء والزِّراعة، وتنعدِمُ الشَّمْس أساساً وكُلٌّ من هذه الحِبال يتَحَمَّل قُوَّة شدّ مقدارها مليونين طنّ، فَقُوَّة جذْب الأرض للشَّمْس بِقُوَّة تُساوي مليون مليون طنّ، وَكُلّ هذه القُوَّة المُخيفة من أجل أن تحْرِف الأرض ثلاثة ملمتر كلّ ثانِيَة، قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ(2)﴾

[سورة الرعد]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(41)﴾

[سورة فاطر]

معنى الزوال الانْحِراف ولو أنَّها اِنْحَرَفَت عن مسارها لَدَخَلَتْ في ظلام الكَوْن وفي بُرودَةٍ مُميتة قال تعالى:

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ(88)﴾

[سورة النمل]

قال تعالى

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3)﴾

(سورة البروج)

الذي خلق السماوات والأرض سوْفَ يجْمَعُنا جميعاً في يوم نُحاسب فيه وعلاقة السماء والبُروج والكواكب والمَجَرَّات والسُّرْعات العاليَة، هي بِعلاقة اليوم الآخر، فالذي خلق هذا الكون لم يَخْلُقْهُ عَبَثاً والذي خَلَق الإنسان لم يخْلُقْهُ سُداً، قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى(36)﴾

[سورة القيامة]

وقال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(115)﴾

[سورة المؤمنون]

أيها الإخوة، إنَّ هذه الآيات الكَوْنِيَّة إذا لم نُفَكِّر فيها عطَّلْناها، وإذا عطَّلْناها عَطَّلْنا ثُلث القرآن، وإن لم نؤمن بالله تعالى من خِلال الكَوْن فكَيْف نؤمن به ؟ قال تعالى:

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ(6)﴾

[سورة الجاثية]

الإيمان عن طريق الآيات الكونِيَّة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : تفسير الآية 10 ، إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ....

أيها الإخوة الكرام ، الآيات في سورة البروج ، وهي قوله تعالى :

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ



[سورة البروج الآيات : 4-7]

هؤلاء الذي حفروا أخْدوداً ووضَعوا فيه المؤمنين وأحْرقوهم ، ما ذَنْب هؤلاء الذين أُلقوا في هذا الأخدود وحُرِقوا قال تعالى :

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

[سورة البروج الآية : 8]

ليْسُوا قَتَلَة وليْسُوا مُجْرمين ، وليسوا قُطاع طُرُق ، ولكنَّ ذَنْبهم الوحيد هو أنّهم آمنوا بالله، لأنَّ المعركة بين الحقّ والباطل معركة قديمة ، وهي معركة مُسْتَمِرَّة ولن تنتهي إلا بِقِيام الساعة ، فَلِذلك لِمن كان مع أهل الحقّ ، وفي خَنْدق أهل الحق ، وخَنْدق المؤمنين ، وهنيئاً لِمَن ساهَمَ بِشَكْلٍ أو بآخر لِنَصْر دين الله ، ونصْر المؤمنين ، وهنيئاً لِمَن دافَع عن مؤمن ، والوَيْل ثمّ الوَيْل ثم الوَيْل لِمَن كان في خنْدق المُعادي ، ولِمَن ساهَمَ بِشَكْل أو آخر في إزْعاج المؤمنين ، وفي إطفاء نور الحق أو الطَّعْن بالدِّين ، أو ضَعْضَعة ثِقَةِ الناس بالحقّ.

الحقيقة ، لا بدّ أن تكون مع الحق أو الباطل ، قال تعالى :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : 50]

هناك طريقان لا ثالث لهما ، إن لم تَكُن على أحدهما فأنت على الآخر حَتْماً ، والدليل الآية السابقة ، وقال تعالى :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : 50]

فلِذلك القَضِيَّة اِثْنَيْنِيَّة لا تحْتَمِل حالاً ثالثة ، هناك ولاء ، وهناك براء ، فالمؤمن الصادق ولاؤه للدِّين والحق والمؤمنين ، والخير والصادقين ويتبرأُ من الكُفار والفُجَّار والعُصاة ويَدْعَمُ المؤمنين بِحَرَكَتِه اليَوْمِيَّة ويُدافِعُ عنهم ويُعينهم ، ويُقَدِّم لهم ما يسْتطيع ، ولا يتعاطف مع الساخرين ، ولا يُدافع عنهم ، ولا يَدْعَمُهم لايُثْني عليهم ، لا يوجد حلّ وَسَط ، فالمنافق مُذَبْذَب لا مع هؤلاء ، ولا مع هؤلاء ، أما المؤمن فأمْرُهُ واضِح ، والله تعالى قال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية : 6]

إلا أنَّ صِنْفاً آخر يقول كما قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

[سورة البقرة الآيات : 8-15]

لذلك القَضِيَّة حاسِمَة ، إن لم تكن مع أهل الإيمان فأنت حَتْماً مع أهل الكفر ، أما الذي يتوَهَّم أنَّه مع هؤلاء ومع هؤلاء ، ويظنّ أنَّهُ ذَكِيًّا فهذا في الدَّرْك الأسْفل من النار ، وهؤلاء هم المنافقون ، والسَّبَب أنَّهم أعْلنوا شيئاً وأبْطَنوا شيئاً آخر ، تركوا شيئاً وفعلوا شيئاً آخر ، لأنَّهم غَشُّوا المؤمنين ، فالإنسان الكافر والمُلْحِد ، والفاجر لا أحد يقتدي به أما الذي يوهِمُ الناس أنَّه مؤمن ، وأنَّه يفْعل فِعْل الكُفار فهذا إنسان غشَّاش لذلك هو في الدَّرْك الأسفل من النار ، ولا يوجد إنسان يجمع بين الحالين ، والمؤمن له لَوْنٌ واحد ، ومن اسْتطاع ان يُرْضِيَ الناس كُلَّهم فَهُوَ منافق ، قال تعالى :

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

[سورة البروج الآيات : 4-9]

الآن المُؤَيِّد القانوني قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾

[سورة البروج الآية : 10]

فهذا المؤمن إن أرَدْتَ أن تُلْبِسَهُ تُهْمَةً هو بريءٌ منها ، وإن أرَدْتَ أن تفْضَحَهُ ظلماً ، وإن أرَدْتَ أن تُخيفه ، هل تعرف من هو خَصْمُكَ ؟ الله جلَّ جلاله ، والدليل خِطاب الله عز وجل لِزَوْجَتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلَّم :

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾

[سورة التحريم الآية : 4]

هل يُعْقل أن نسْتَنْفِر القُوَّات البحرِيَّة والجَوِيَّة لامْرأتَيْن ؟ ما معنى هذه الآية ؟ الله تعالى يُخاطب زَوْجتَين ، قال تعالى :

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾

[سورة التحريم الآية : 4]

قُلْتُ لأحَدِهم : كُلّ هؤلاء العباد عِباد الله وعِياله ، فإنْ أرَدْتَ أن تُؤْذِيَهم أو أن تبْتزَّ أموالهم ، او أن تُخيفهم ، فالله قد يبتليك بالسَّرطان أو خثرةِ بالدِّماغ ، وتشَمُّع بالكَبِد أو فَشَل كبدي ، وأمراض تُعويك مثل الكلب ، أمراض الأورام الخبيثة بالأحْشاء لا تُحْتَمَل ، وكُلُّ هؤلاء عباد الله وكُلُّهم خَلْقُه ، فإذا أرَدتَ أن تُخيفَهم أو تبْتزَّ أموالهم ، أو أن تُؤْذِيَهم فإنَّ خَصْمَكَ هو الله .

أحدهم يطوف حول الكعبة ، وهو يقول : ربي اغفر لي ذنبي ولا أظنك تفعل ؟! وراءه رجل قال له : يا هذا ما أشد كلامك ويأسك من رحمة الله ؟ قال له : ذنبي عظيم ، قال له : ما ذنبك ؟ قال له : كنت جندياً في قمع فتنة ، فلما قُمعت أُبيحت لنا المدينة ، فدخلت أحد البيوت فرأيت فيه رجلاً ، وامرأة ، وطفلين ، قتلت الرجل ، وقلت لامرأته : أعطيني كل ما عندك ، أعطتني كل ما عندها ، فقتلت ولدها الأول ، ولما رأتني جاداً في قتل الثاني أعطتني درعاً مذهبة – من الذهب – ، أعجبتني أيما إعجاب ، تأملتها ، تفحصتها فإذا عليها بيتان من الشعر قرأتهما فوقعت مغشياً عليّ ، البيتان:

إذا جار الأمير وحـاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء

فـويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

قبل أن تُفَكِّر في إذْيَةِ مؤمن ، أو أن تُلْبِسَه تُهْمة ، أو تُشَوِّه سُمْعَتَهُ أو تبْتَزَّ ماله فَهَل تعْلم من هو خَصْمُه ؟ من أمْرُكَ كُلُّهُ بِيَدِه ؟ الشريان بِيَدِه ، وكذا الكلية . والخثرة بالدِّماغ ، وزَوْجتك بِيَده ، فقَبْل أن تُؤْذي عليك أن تعُدَّ للمليون ؛ من هو الطرف الآخر ، فمعنى هذه الآية أنّ أيَّ إنسان فكَّر أن يُؤْذي ، عليه أن يعلم من هو الطرف الآخر ! هل تستطيع أن تؤذي شرْطِيًّا ؟ قد تكون أقوى منه الآن ، إلا أنَّ هذا الأخير وراءه الدَّولة كلَّها ، أليس كذلك ؟ تَعُدُّ للمليون كي تتكَلَّم معه ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾

[سورة البروج الآية : 10]

عليك أن تُدافع على المؤمنين ، لذلك كُل إنسان يقتل مؤمناً مُتَعَمِّداً فجزاؤه جهنَّم خالداً فيها ، وأن تكون أداة وَصْل ، تُدافع عن المؤمنين وتُعينهم وتُطَمْئِنُهم ، وأَدْخِل عليهم السرور ، هذه هي مُهِمَّة المؤمن ، عُدَّ للمليون قبل أن تُفَكِّر في إذْيَة المؤمن .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

[سورة البروج الآيات : 11-12]

إذا الله تعالى بَطَش شيء يُحَيِّر العُقول ، قال لي أحدهم مرض وبيت بالأُجرة ، ودَعْوة إخلاء ، وليس معه مال للدواء ، ناهيك أن يأكل ، وأولاده عاقُّون ، مِن كُلّ الجِهات ، وذكر لي أحدهم : عندي مرضين ؛ مرض القلب ، ومرض المعدة ، فدَوَاء المعِدَة يُؤذي القلب ودواء القلب يُؤذي المعِدَة ! إنَّ بطْش ربِّك لشَديد ، وأحدهم دخل الحديد في رأسه بِحادِث ؛ لأنَّه قبل ثلاثين يوما ظَلَم إنسان ظُلماً غير مَحْدود .

ثمَّ قال تعالى :

﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾

[سورة البروج الآيات : 13-14]

هذه الآيات نشْرحها غداً إن شاء الله .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : تفسير الآية 14 ، الغفور

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، الآيات الأخيرة من سورة البروج، وهي قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16)﴾

[سورة البروج]

الغفور صِيغة مُبالغة، فهناك رجل غافِر، على وزْن فاعِل، وصيغة اسم الفاعل هذه من الفِعْل الثُّلاثي، غَفَرَ يغْفِرُ غافِر، أما إذا كان الإنسان شديد المغفرة وكثير المغفِرَة فإنَّنا نسْتخْدِم اسم فاعل مُبالغ به على وزْن فعول، ووزْن فعيل وكذا فاعول، وفَعِل، هناك ما يقرب من عَشْر صِيَغٍ لِمُبالغة اسم الفاعل ؛ مِن هذه الصِّيَغ وَزن فَعُول، قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14)﴾

[سورة البروج]

ما معنى أن يكون اسم الله تعالى مُبالَغاً في صيغته ؟ قال العلماء: إذا بولِغَ باسم الفاعل كاسمٍ من أسماء الله الحُسنى كان معنى ذلك أنّ الله تعالى شديد المَغْفِرَة ؛ لِمَعْنَيَيْن: نوْعاً وعدداً، عدداً فلو كان لك مليون ذَنْب، واسْتَغْفَرْتَ الله فإنَّك تجده غفَّاراً، أما نوعًا كما قَتَل تِسعاً وتِسْعون إنسانا، وسأل أحد الكَهَنَة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: ألِيَ تَوْبَة ؟ فقال: لا، فأتَمَّ به المائة ! ثُمَّ أخْبَرَنا النبي عليه الصلاة والسلام أنَّ لِهذا الإنسان مَغْفِرَة، فأوَّلاً تتَّسِعُ مغفرة الله تعالى لِكُلِّ ذَنْب ولِملايين الذُّنوب وتتَّسِعُ لأكبر ذَنْبٍ يَخْطُر بِبَالك شَرْط أن تتوب إليه إذا رجَعَ العبد العاصي إلى الله نادى مُنادٍ في السماوات والأرض أنْ هنئوا فلاناً فقد اصْطَلَح مع الله، والنُّقْطة الدقيقة أنَّ الله تعالى يقول:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

[سورة الزمر]

ليس الخِطاب مُوَجَّهٌ إلى العُصاة وإنَّما لِمَن أسْرف في المَعْصِيَة، لا تقْنَطوا من رحْمة الله، قال تعالى:

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(49)﴾

[سورة الحجر]

وإذا قال العَبْد: يا ربّ، وهو راكِع، قال الله: لبَّيْك يا عَبْدي، وإذا قال: يا ربّ، وهو ساجِد قال الله له لبَّيْك يا عبدي، فإذا قال العَبْد يا ربّ وهو عاصٍ، قال الله له، لبَّيْك ثمّ لبَّيْك ثمَّ لَبَّيْك ! هل تتصَوَّر أنَّ خالق الأكوان يفْرَحُ بِتَوْبَتِك ؟ للهُ أفْرح بِتَوْبة عبْده من الضال الواجِد، والعقيم الوالد، والظَّمْآن الوارِد، تصَوَّر أنَّه معك سَنَد بِخَمْسة مائة ألْف، وضاعَ منك، وأنْتبَه صاحِب السَّنَد، فقال لك: اِعْطنيه، وخُذ المَبْلَغ ! ثمّ بعد عناءٍ وَجَدَتْه، فكيف يكون فَرَحُك ؟! إنسان عقيم وغَنِيّ، ويتمنَّى ولَد فإذا امْرأتُه حامِل، كم فَرَحُهُ ؟ وإنسان على وَشَك الموت عطَشاً ورأى الماء ! للهُ أفْرح بِتَوْبة عبْده من الضال الواجِد، والعقيم الوالد، والظَّمْآن الوارِد وهذا الذي رَكِبَ ناقَتَهُ لِيَجْتاز الصَّحْراء، وعليها طعامه وشرابه، جلس لِيَسْتريح تحت ظِلّ النَّخْلة فلما أفاق لم يَجِد الناقَّة فأيْقَن بالهلاك، فَبَكى حتى أدْرَكَهُ النُّعاس فأفاق فإذا به رأى الناقة، ومن شِدَّة فرحِه قال: يا ربّ، أنا ربُّك وأنت عبْدي ! يقول عليه الصلاة والسلام: للهُ أفرحُ بِتَوْبة عبْده من ذلك البَدَوي من ناقته ! وإذا تاب العبْد توْبَةً نصوحا أنْسى الله حافِظَيْه، والملائكة كُلَّهم وبِقاع الأرض خطاياه وذُنوبَه، والصُّلح بِلَمْحَة وإذا تاب الإنسان – صَدِّقوني أيها الإخوة – يشْعُر كأنَّ ثِقْلاً كالجبل أُزيح عنه، واله عز وجل يُشْعِرُه أنَّهُ قَبِلَهُ، وعفى عنه، أما عَلِمْتَ يا مُعاذ أنَّ الإسلام يهْدِمُ ما كان قبله والهِجْرة تَهْدِمُ ما كان قبلها، وأنَّ الحجّ يهْدِمُ ما كان قبله، ومن وقَفَ في عرفات، ولم يغْلِب على ظَنِّه أنَّ الله تعالى قد غفَرَ له فلا حجَّ له، لا بدّ أنيغلبَ على ظَنِّك أنَّ الله تعالى قَبِلَك واجْتباك والتَّوبة بِيَدِكم أيها الإخوة وما عليك إلا أن تقول: يا ربّ، تُبْتُ إليك ومِن خِلال خِبْرَتي المَتواضِعَة في الدعوة إلى الله رُبْع قرْن أكثر من عشْرة أشْخاص قالوا بالحَرْف الواحِد: أُسْتاذ لا يوجد ذَنْب يُمْكن أن تتصَوَّره لم نفْعَلْهُ ! والله عز وجل قَبِلَهم، فهذه قَضَتْ عُمْرَها بالرَّقْص فتابتْ وتَحَجَّبَت وتنقَّبَت بِمِصْر، ومُديرة التلفزيون هناك تعرضلها كُلّ أسبوع فِيلْم نِكايَةً لِحِجابِها أنا أُعْطيكم أمثلة ناطِقة، مهما كان الذَّنْب كبير فإنَّ الله غفور، صيغة مُبالغة ؛ إنسانة تُتاجِر بِجِسْمِها تابَتْ فتاب الله عليها، وكذا قاتِل وزاني فالله تعالى ينتظرك، لو يعلَمُ المُعْرِضون انْتِظاري لهم، وشَوْقي إلى تَرْك معاصيهم تقطَّقتعَت أوْصالهم من حُبّي ولماتوا شَوْقاً إليّ، هذه إرادَتي للمُعْرِضين فَكَيف بالمُقْبلين ؟ أحدهم ناجى ربَّه فقال: يا ربّ، إذا كانت رَحْمتُك ولُطْفُك بِمَن قال: أنا ربُّكم الأعلى ماذا قال فرعون لموسى قال تعالى:

﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(17)﴾

[سورة النازعات]

فَكَيْفَ رَحمتك بِمَن قال: سبحان ربِّيَ الأعلى ؟! إذا كانتْ رحْمتك بِمَن قال: ما أرى لكم من إلهٍ غيري فَكَيْفَ رحْمتك بِمَن قال: لا إله إلا الله فمادام القلب ينبض فالنَّجاة حاصِلَة، ومادام نُمُوّ الخلايا طبيعي فباب التوبة مَفْتوح، ما دام الدم فيه سُيولة فباب التوبة مَفْتوح، فإذا أصبح بالدَّم جَلطة أو ضاق الشريان أو نَمَتْ الخلايا عَشْوائِيًا، كانت المُشْكلة، لذلك أيها الإخوة، عليكم باغْتِنام الصِّحَة، واغْتَنِم خَمْسًا قبل خَمْس، شبابك قبل

هَرَمِك، وصِحَّتك قبل سَقَمِك، وفراغك قبل شُغْلِك، وحياتك قبل موتِك، والتوبة تنْعَقِدُ بِكَلِمة واحِدة، يا ربِّ تُبْتُ إليك، ويقول سبحانه وتعالى: وأنا يا عبْدي قَبِلْتُ قال تعالى:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53)﴾

[سورة الزمر]

والله عز وجل يُغَطِّي لك الماضي كُلَّهُ بالمَغْفِرَة والمُسْتَقْبل بالطُمأنينة فالماضي مَغْفورةٌ ذُنوبه والمُسْتَقْبل مضْمونَةٌ حوادِثَهُ، قال تعالى:

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(38)﴾

[سورة البقرة]

والله تعالى ما أمرنا أن نسْتَغْفِرَهُ إلا لِيَسْتغْفِرَ لنا، وما أمَرَنا أنْ نَدْعُوَهُ إلا لِيَسْتجيب لنا، وما أمَرَنا أن نسْتعين به ؛ إياك نعبد وإياك نسْتعين إلا لِيُعيننا ووَسِعَت رحْمة الله كُلَّ شيء.

قالوا: مَرَّةً دعا سيّدنا موسى الله تعالى بِالسُّقيا، حين قحَطَت الأرض وجفَّتْ، فناجى ربَّهُ بالسُّقْيا، فقال الله: يا موسى إنَّ فيكم عاصِيًا ! فَغَضِبَ سيِّدُنا موسى وقال لِقَوْمه: من كان فيكم عاصِيًا فلْيُغادِرْنا، ثُمَّ هَطَلَت الأمْطار ولم يُغادِر أحد المَجْلس ! فسأل موسى ربَّه: من هذا العاصي يا ربّ ؟ فقال له: عَجَبًا لك يا موسى، أسْتُرُه وهو عاصٍ وأفْضَحُهُ وهو تائِب ! والله تعالى يسْتُر وشُعور التائب لا يوصف ولو جاء الموت، قال تعالى:

﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(157)﴾

[سورة آل عمران]

إلا أنَّ العِبْرة أن نموت على الإيمان وعلى الطاعة، لا أن نموت ونحن على الهوائي المُقَعَّر ! وقد حدث هذا، فالعِبْرة أن يراك تائِبًا ومُنيباً وطائِعاً وأن يراك مُحِبًا، والتوبة لها ثلاثة شُروط: عِلْمٌ وحال وعمَل فإذا أنت لم تَحْضُر مَجْلِس العِلْم، كيف تعرف أنَّك مُذْنِبٌ ؟! إذا كان الواحد ضغْطه ثمانية عشر فاصل اثنى عشر ! مُهَدَّد بِفَقْد البصر، وبِجَلْطة في الدِّماغ وبأمراض وبيلة، فكيف يُعالِج هذه الأمراض إن لم يعْلم أنَّ ضَغْطه مُرْتَفِع ؟! والضَّغْط ليس له أعراض وقلَّما يكون له أعْراض فأنت تُعالِجُ ضَغْطك إذا عَلِمْتَ أنّه مُرتفِع، وكذا دروس العِلْم ؛ هذه البِضاعة حرام، وهذا الكَسْب غير مَشْروع، ووَضْعُ زوْجتِك غير صحيح، وهذا البيْت مُغْتَصب، فأنت كيف تعرف الحلال والحرام إن لم تتعَلَّم أحكام الفِقْه وكتاب الله وسُنَّة رسول الله، فالتوبة عِلْم، فإذا كان هناك عِلْم ينْشأ النَّدَم والحال، وإذا كان هناك حال كانتهناك ثلاثة أعْمال: الماضي بالإصْلاح والحاضِر بالإقْلاع، والمُسْتَقْبل بالعَزيمة، وحاجة الناس إلى العِلْم كحاجَتِهم إلى الهواء، والإمام مالك يقول:

حاجة الناس إلى العِلْم أشَدُّ من حاجتِهم إلى الأكل والشراب، لأنّك أنت تأكل في اليوم مرَّتَين أو ثلاثة، أما في الطريق فهناك مائة امرأة ! فإن لم تغضّ بصَرَك وَقَعْت في مُشْكلة، وإن لم تَضْبِط لِسانَكَ وَقَعْتَ في الغيبة والنَّميمة، وسُخْرِيَة والعين والفم واليد، فإذا لم يعرف الإنسان الشَّرْع، كيف يتوب إلى ذَنْبِهِ وكآخِر فِكْرة أعْتَقِد أنّ أربعاً أو خمْسة آيات، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(119)﴾

[سورة النحل]

افْتح المُعْجم في كلمة بعدِها، تجِد أنَّ الله غفور رحيم ولكن بِشَرْط، وهو بعد التوبة والإيمان والعَمَل الصالِح، تابوا فتاب عليهم، وهناك تاب الله عليهم لِيَتوبوا ؛ شيءٌ يُحَيِّر ! فَتَوْبَةُ الله مِن قبل أم مِن بعد ؟ قال: تابوا فتاب الله عليهم، أي تابوا فَقَبِلَ الله توْبَتَهم أما تب الله عليهم أي ساق لهم من الشدائِد ما يَحْمِلُهم بها على التوبة، وشُعور التوبة شُعور لا يُقَدَّر والآية هذه واضِحَة والصُّلْح بِلَمْحَة والله غفور رحيم، قال تعالى:

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(49)﴾

[سورة الحجر]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : تفسير الآيات 14 - 16 ، الودود

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، ربُّنا سبحانه وتعالى يقول في آخر سورة البروج:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16)﴾

[سورة البروج]

الوَدود، أي أنَّ أفعاله سبحانه وتعالى فيها مَوَدَّةٌ لِخَلْقِه، خَلَقَكَ في أحْسَن تَقْويم، ومنَحَكَ عَيْنَيْن لِتَرى بهما البُعْد الثالث فلو أنَّها كانت عيناً واحِدَة لرأيْتَ بُعْدَيْن فقط، ومنَحَك أُذُنَيْن لِتعْرِفَ بهما جِهَة الصَّوْت ولو كانت أُذُنًا واحِدَة لما عَرِفْت جِهَة الصَّوْت، ومنَحَك جِهاز التوازن فلو نظَرْت إلى بعض المَحَلَّات التِّجارِيَّة وفيها أشْخاص مِن الشَّمْع تُسْتَخْدم لِتُوضَع عليها الأجْهزة لها قاعِدَة عريضة جداً تزيد عن سبعين سنتمتر، لأنَّ هذا الإنسان من أجل أن يبقى واقفاً لا بدّ من قاعِدَة اسْتِناد لذلك لابدّ له من قَدَمَيْن كَخُفَّي الجَمَل، والإنسان إذا سار في الطِّين وَعَلِقَ به يُصْبِحُ المَشْيُ شاقًا فهذه القَدَم اللَّطيفة، ما سِرُّ انْتِصاب قامَتِك مع قاعِدَة اسْتِناد صغيرة جداً بِدليل أنّ المَيِّت لا يُمْكِن أن يقوم، هل تستطيع أن تُوقِفَ ميِّتًا ؟ مُستحيل، فهذا بِفَضْل جِهاز توازن أودِع في الأذن الوُسْطى، وهذا الجِهاز ثلاث قَنَوات، فيها سائل وأشْعار والإنسان إذا مال قليلاً بِحُكْم بقاء السائل مُسْتوي رغم الملَيان، فهذا السائل يصِل إلى الأشْعار فلولا هذا الجهاز ما أمْكن أن يمْشي على قَدَمَيْه إطْلاقاً، ولا أمْكَنَهُ أن يرْكَب درَّاجة، راكِب الدراجة، هل تستطيع أن تُبقيها واقفة إلا بِفَضْل جِهاز التوازن، فالإنسان كرَّمَه الله تعالى أعظمَ تَكْريم، ولو لم يكن فيها عضلات، لما أمْكَنَك تفريغُها ولاحْتَجْتَ إلى أُنبوب تَهْوِيَة، بهذه العَضلات تُفَرَّغ بِثَواني معدودات ثمَّ لولا هذه المثانة للَزِمَك كُلّ عشرين ثانِيَة أن تنزِل نقطة بول، ولاحتاج الإنسان إلى فُوَط ، وهذا شيء مُزْعِج ؛ رائِحَة، فالله تعالى كرَّمَك وعَزَّزَك من خِلال المثاني ومن خِلال هذه العضلة العجيبة، والعَضلَة القابِضَة، وهي في أشَدِّ حالات القَبْض أنت مُرْتاح، فلو كنت تحتاج إلى شَدِّ دائِم لأصْبَحَت الحياة شاقَّة، فهاتان العضلتان التي تُحْدِثان الغائِط والبَوْل، وهي في أشَدِّ حالات التَقَلُّص تكون مُرْتاحاً، فهذا تَكْريم، والله تعالى جعل هذا الرأس يدور هكذا، وهذه عَمَلِيَّة مُعَقَّدة جعل هذا الرُّسغ وهذا الإبهام وهذا المِفْصَل، فلو فَكَّر الإنسان في جِسْمِهِ لَعَلِمَ قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14)﴾

[سورة البروج]

مَنَحَك الطعام والشراب وأنواع مُنَوَّعة من الطعام والشراب، ومُبَرْمَجَة كرز ثمَّ التُّفاح ثمَّ الدراق ؛ كُلُّ هذا بِبَرْنامج لطيف وخُضراوات تنْضج اتِّباعاً خِلال شَهْرين، وجعل لك الهواء، وهو ينثر الضَّوء، فبِالقَمَر إما أن يكون هناك أشِعَّة شَمْس أو ظلام دامِس، أما الهواء فهو يجعل المنطقة لا شَمْسِيَّة ولا ظلامِيَّة، وجعل لك الهواء وسيط بينك وبين الآخرين، فلو لا الهواء لما كان هناك كلام ولا صوْت، وذَكَرْتُ البارحة أنَّ هذه المَوْجَة الصَّوْتِيَة تتخامَد، ولو أنَّها لا تتخامَد لكانتْ أصوات البِحار وأمواجها في كُلِّ مكان ! وأصْوات الانْفِجارات في كُلِّ مكان، وأصْوات المعامِل في كُلِّ مكان، لأنّ المَوْجة الكَهْرطيسِيَّة لا تتخامد، فقد أرْسَلوا للمُشْتري مَرْكبة بأعلى سُرْعة صَنَعها الإنسان أربعين ألف ميل في الساعة أي ستِّين كيلو متر في الساعة ! هذه بَقِيَتْ تَمْشي في الفضاء الخارِجي سِتّ سنوات حتى وَصَلَت إلى كَوْكب ضِمْن المجموعة الشَّمْسِيَّة ؛ مِن هذه الكوكب المُشْتري أُرْسِلَن إشارات وصُوَر كيف أُرْسِلَت هذه الإشارات والصُّوَر ؟ عن طريق مَوْجَة كَهْرطيسِيَّة أما الصَّوْتِيَّة فَتَتَخامَد، فلو أنَّها لا تتخامَد فالحياة على وَجْه الأرض لا تُطاق، أحْياناً تكون في بُستان وفي نُزْهة ويكون مُحَرِّك الماء مُشْعَلاً يُفْسِدُ عليك الاسْتِمْتاع بالطبيعة، فهذه السُّحب التي تَزِن ملايين الأطْنان بل آلاف ملايين الأطْنان ؛ يقول لك: مُنْخَفَض جَوّي يُغَطِّي القُطْر كُلَّه ! وإذا رَكِب الإنسان الطائرة يعرِفُ قيمة هذه الآية، يجد فوق السَّحاب جِبال وأكَمَات سُحُبِيَّة ووِدْيان، قال تعالى:

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ(88)﴾

[سورة النمل]

بلا ضجيج، والذي عنده مركبة إذا صَوْت المُحَرِّك يتشَوَّش وهذه الأرض التي تَمْشي ثلاثين كيلو متر في الثانِيَة ألا تُبْدي صَوْتاً ؟ سُكون واسْتِقْرار تام ! قال تعالى:

﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(61)﴾

[سورة النمل]

فالأرض وحَجْم الأرض، والشَّمْس والقمر والفُصول والليل والنَّهار والنباتات والأطْيار، والخُضار والفواكِه، وهذا الماء العَذْب، قال تعالى:

﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ(70)﴾

[سورة الواقعة]

وقال تعالى:

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ(22)﴾

[سورة الحجر]

قال لي أحد إخواننا بِعِين الفيجة: كُلّ ثانِيَة أربع وعشرون متر مُكَعَّب هذه سُقْيا دِمَشق، من سَخَّرَها ؟ وأين حُدود هذا النَّبْع ؟ نصف لبنان فوق حوْض الفيجة، فَتْحَتُه في عين الفيجة أما امْتِداده إلى حِمْص، ما قيمة هذه البَلْدة من دون هذا الماء العَذْب الفُرات، فهذه مَوَدَّة من الله عز وجل، ثمَّ أنت لك زوْجة بالبَيْت، وهي مثلك تفرح وتتألَّم وتشْعر وتُشاركك متاعِبك وأفراحك، ومُؤْنِسَة ومُمْتِعة، وجاءك منها ولَد يمْلأ البيت فرَحًا وأنْساً أليس هذه مَوَدَّة من الله تعالى، وبعدها صَوَّرَك في أحْسن صورة وجعل لك قِوام ورأس وشَعْر، قال

﴿ تعالى: أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(8)وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(9)﴾

[سورة البلد]

فإذا وُلِدَ الطِّفل، من الذي عَلَّمَهُ مصَّ الثَّدْي ؟ عَمَلِيَّة مُعَقَّدة جدًا لو أنَّ الطِّفْل لا يعلم كيفِيَّة مَصِّه لِثَدْي أُمِّه، كيف يفْعل أبوه ؟ يُحْكِمُ الإغلاق ويَسْحب الحليب، ومن جعل أوَّل الأربع والعشرين ساعة صَمْغَة فهذا الطِّفل يولد وفيه أنابيب مملوءة شَحمًا، فلا بدّ في الأربع والعشرين ساعة لا يكون هناك حليب، وإنَّما مادَّة مُزيلة للشَّحْم يأخذ صَمْغة ويُخْرِج لون أسْوَد، مَن صَمَّم هذا التَّصْميم ؟ قال تعالى:

﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ(20)﴾

[سورة عبس]

ومن الذي أعطى أمْر لِحَوْض المرأة أن يتوسَّع ؟ ومن أعطى أمْر للطِّفْل أن ينقلِب ؟ ومن أعطى أمْر للغِشاء يتمزَّق ؟ وأمْر للرَّحِم أن يتقلَّص تقلُّصًا مُتَزَامِنًا وبِلُطْف، كم بين الطَّلْقتين ؟ ثلث ساعة ثمَّ خمسة عشرة دقيقة ثم أربعة عشر ثمّ خمْسة عشر، ثمَّ تتسارَع الطَّلَقات ضَغْط عضلات لطيف، فإذا خَرَجَ الجنين ينقبِض الرَّحِم انْقِباض شديد جدًا، ويُصْبح الرَّحِم مثل الصَّخْر، ولو لم يكن كذلك لماتَتْ المرأة من النَّزيف ! ولمّا ينزل الولد يقطع مائة ألف شريان كُلُّها مَفْتوحة ويأتي الرَّحِم فَيَنْقَبِض انْقِباضاً شديداً، ويمْنَع نزيف الدَّم، ولو كان تقَلُّص الطَّلْق شديداً، وتقَلُّص الرَّحِم لَيِّنًا، لماتت الأم وولدها، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ(20)ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ(21)ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ(22)كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ(23)﴾

[سورة عبس]

هذا هو معنى ودود هل الصَّنوبر أساسي في حياتنا ؟ وهل الفلفل أساسي ؟ وَكُلّ أنواع الخضر والفواكه ؛ كُلّ هذه لَيْسَت ؟ أساسِيَّة، إنَّما الحليب والقمْح هما الأساسيَّان، فلماذا توجد كل هذه الأنواع من الخُضر والفواكه، ولماذا يوجد ثلاثون نوعًا من العِنب ؟ وحَدَّثني جماعة من الدكاترة أنَّ خمساً وأربعون ألف نوع من القَمْح ! وكذا الشعير، والحُمَص والعدس وكذا الأطيار والأسماك، فأنت ضِمْن نِعَم الله، لذلك قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14)﴾

[سورة البروج]

توَدَّد إليك، فلذلك الإنسان غافل عن الله، وكان عليه أن يشْكره أذكر مَرَّةً كُنَّا في صلاة جنازة، وكان لي صديق كنت أنا وهو على مقعد الدِّراسة وتسلَّم منْصب رفيع جدا، وكان عمره ستِّين سنة، دخَلْنا لِنُشَيِّع جنازة أحد إخواننا فلم يدخل معنا ! تَعَجَّبْنا، هل أنت أكبر من أن تُصَلِّي ؟ من منحك نِعْمة الوُجود والإمداد ؟ ألا يسْتَحِقّ هذا أن تُصَلِّي له ؟ لذلك علينا أن نلحق بالتوبة النصوح قال تعالى:

﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15)﴾

الكون له، دقِّق الآن في قوله تعالى:

﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16)﴾

[سورة البروج]

الأحداث قال تعالى:

﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة آل عمران]

قدر ما كان الإنسان قويّ فلا يمكنه أن يكون فعَّال لما يريد، لو أصابه مرض عُضال فهل هو فعَّال لما يريد؟ لو اجْتَمَعنا وقرَّرنا أن تنزل الأمطار، فهل نستطيع أن نقول: قرَّر المجلس إنزال الأمطار ! فهل يتحقَّق هذا؟! مرَّةً كنت عند طبيب قلب فجاءهُ هاتف، ويبدو أنَّه غنِيّ جدًا، فقال له: أيّ مكان بالعالم نبعثه، وأيّ رقم يُكَلِّف نذْفَعُهُ ! فقال له الطبيب: والله لا يوجد أمَل ! السَّرَطان بِدَرَجَتِهِ الخامِسَة ! فَشَعَرْتُ حينها أنَّ الإنسان ضعيف ومَقْهور، من الفعَّال لِما يريد ؟ الله وحْدَهُ فإذا كنت مع الفعَّال لِما يريد أحْسن من أن تكون مع إنسان لا يفْعل ما يريد، يريد مليون قَضِيَّة فلا يَتَحَقَّق منها شيء، كلمة فعَّال لما يريد معناه: الله تعالى قادِر؛ كُنْ فيَكون ! فإذا كنت مع من يقول: كن فيكون ! فأنت من أسْعد الناس، وإذا كنت مع عَبْدٍ ضعيف، إذا بعَثَ لك أحد الأقرباء برْقِيَّة عن وفاة شَخْص ؟ فهل تستطيع أن تمْنَعَ عنه الموت ؟ أو أن تمْنَعَ عنه المرض، إذاً كما قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16)﴾

[سورة البروج]

هو القاهر وهو الكبير والعظيم، وإذا أعْطى أدْهَش، وإذا حاسب أدْهَش، زُرْتُ أحد التُّجار في معمله، وهو نائِم على طاولة الخياطة ويأكل من علبة سردين ! فقال: لي كان عندي ثلاثة مصانِع، وثمانين عامِل، وثلاثة سيَّارات، للنُّزْهة وللبلد وللعَمَل خَفْ من الذي إذا أخذَ أدْهَش، قال له: يا معاذ ما حقُّ الله على عِباده ؟ قال:

أي يعْبُدوه قال: فما حقُّ العباد على الله إذا عبَدوه ؟ قال: أن لا يُعَذِّبَهم ! فالله منَحَكَ حقٌّ عليه، وقال لك: طالِبْني فيه وهذا أعظم حقّ ؛ قال تعالى:

﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) ﴾

[سورة البروج]

أنت تُريد وأنا أُريد فإذا سَلَّمْت لي فيما أريد كَفَيْتُك ما تريد وإذا لم تُسَلِّم لي فيما أريد أتْعَبْتُك فيما تريد ثمَّ لا يكون إلا ما أُريد، ماذا فعلوا إخْوة يوسف ؟ أرادوا به كَيْدًا وأرادوا أن يقْتلوه الله تعالى قال:

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(21)﴾

[سورة يوسف]

جعلهُ عزيز مصر، وجعل إخوته تحت إمْرتِهِ، قالت: امْرأة رأتْهُ حينما كان عَبْداً في القصْر، ثمَّ كيف صار عزيز مِصر، قالت: سبحان مَن جَعَل العبيد مُلوكًا لِطاعَتِه، وسبحان مَن جَعَل المُلوك عبيدًا لِمَعْصِيَتِه، قال أحدهم: ألْقَتْني أمريكا خارجِ إيران كما تُلقى الفأرة المَيِّتَة خارج المنزل ! فالله يقْهَر عِباده، وأنت كُنْ مع القويّ والعادِل والرحيم، وكن في خِدْمة عبيده، والسَّعْي لهم.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني عشر : تفسير سورة الطارق

الدرس (1-1) : تفسير الآيات 01 - 11

الدرس (1-1) : تفسير الآيات 01 - 11

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في لُغَتِنا اليَوْمِيَّة نستخدم القسَم، تقول لإنسانٍ: والله، هذا كلامٌ ناقِص ! أين جواب القَسَم ؟ فإذا قُلْتَ: والله إنّي لأُحِبُّك ! كان قولك: أُحِبُّك جواباً للقَسَم، تالله لأفْعَلَنَّ كذا وكذا، فما من قَسَمٍ إلا ويحْتاج إلى جواب، والدليل: لو كُنْتَ في مَجْلسٍ وقام أحدهم وقال: والله ثمّ والله ثمَّ والله، ثُمَّ سَكَت، لما فَهِمْتَ المَقصود من كلامه، فَكُلّ كلامٍ يحْتاج إلى قَسَم، والآن لو طَبَّقْنا هذه القاعِدَة في القسَم على كتاب الله عز وجل، يقول الله عز وجل:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3)﴾

[سورة الطارق]

إلى هنا لم يأت جواب القَسَم ثمّ قال تعالى:

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)﴾

[سورة الطارق]

هذا جواب القَسَم، لا يوجد إنسان فَلْتان ولا يوجد إنسان لا يُحاسَب، ولا يوجد إنسان يتحرَّك على مِزاجِه دون أن يُسأل لماذا فَعَلْت ؟ الذي خلق الكون، وخلق هذه النُّجوم، المَجَرَّات تقريباً مليون مليون مَجَرَّة، وبالمَجَرَّة وَسَطِيًّا مليون مليون نجْم، ولا تزال حدود الكون غير معْروفة، أحدث معلومة على أبْعَد مَجَرَّة اكْتُشِفَتْ حتَّى الآن ؛ ثلاثمائة ألف بليون سنة ضَوْئِيَّة، والبليون ألف مليون، والضوء يقْطع في السَّنة ثلاثمائة ألف ضرْب ستِّين ضرْب ستِّين ضرْب أربع وعشرون ضرْب ثلاث مائة وخمْسٌ وسِتُّون ولأنَّ الضوء يقطع في الثانِيَة الواحِدَة ثلاثمائة ألف كيلومتر، والله عز وجل قال:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ(75)﴾

[سورة الواقعة]

المسافات بينها ثمّ قال:

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(76)﴾

[سورة الواقعة]

إذا كنتم تعلمون ما معنى قول الله عز وجل:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1)﴾

(سورة الطارق)

تَجِدُ نجْمَةً بعيدة مُتألِّقة وبيْضاء، حجمها سنتمتر بالعين، وهذه النَّجْمة قد تتَّسِع للأرض والشَّمْس والمسافة بينهما، وبين الأرض والشَّمْس مائة وستٌّ وخمسون كيلومتر، والشَّمْس يتَّسِعُ جوْفُها إلى مليون وثلاثمائة أرْض، وبينهما مائة وستّ وخمسون سنة ضَوْئِيَّة وهناك نَجْم يبْدو حجْمُه واحِد سنتمتر مُرَبَّع بالعَيْن المُجَرَّد اسْمُهُ قلب العقْرب واسمه برْج العقرب يتَّسِعُ للأرض والشَّمْس مع المسافة بينهما فقوله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1)﴾

[سورة الطارق]

هذا النَّجْم:

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3)﴾

[سورة الطارق]

يعني يَصِلُ ضوْؤُهُ إلينا، فإذا أشْعَلَ الواحِدُ مِنَّا الضوء الشَّديد يُرى إلى خمْسين متر وحتى مائتان متر، لكن لا يُمْكننا أن نصِلَ بِنَظَرِنا إلى حلب، وكذا بِحِمْص، طيِّب وَضَوْءٌ يأتي إلينا من مِلْيارات ملْيارات السنوات الضَّوْئِيَّة ويَصِلُ إلينا، لذلك شَمْسُنا شَمْسٌ حمراء في منتصف عُمرها، وكذا النُّجوم لها أعْمار، أما إذا تَقَدَّم بها العُمْر يزْداد حجْمُها كثيراً، ثُمَّ تنْكمِشُ إلى واحد بالمائة وينقلبُ ضوءها إلى لوْنٍ أبْيَض، والضَّوْء الأبْيَض حرارته عالِيَةٌ جدًا، وبعد حين ينقلبُ ضوءها إلى ضوْءٍ أسْوَد وينْعَدِمُ ضوءها، وهي حالةُ التكَدُّس، وهذه الذَرَّات تتراكَم على بعْضِها بعْضًا، ومن شِدَّة الضَّغْط لا يسْمَحُ الضَّغْط بِخُروج الضوْء منها، فَيَغْدو ثُقْبًا أسْوَدًا هي مَقْبَرَةُ النُّجوم، ولو أنَّ الأرْض مرَّتْ بِجَانِبِها لأصْبَحَت بِحَجْم بيْضَة، فالشَّمْس تنتقِل من طَوْر أحْمر إلى طَوْر أبْيَض إلى طَوْر أسْوَد، فهذا النَّجْم الثاقِب الذي تراه مِن بُعْد ملاين وملايين السنوات الضَّوْئِيَّة، الذي خلق هذا النَّجْم لن يتْرُكَكَ سُدًى، ولن يدَعَكَ تفْعَلُ ما تشاء دون أن يُحاسِبَك، قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)﴾

[سورة الطارق]

هذا هو جواب القَسَم، هناك ملائكة وسِجِلاَّت وشريط مُلَوَّن ناطِق، وكُلّ الأعمال والحركات مُسَجَلَّة فيه ويوم القِيامة يُقال لِهذا الإنسان كما قال تعالى:

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(14)﴾

[سورة الكهف]

فالقَضِيَّة أن تُؤمن أنَّ هناك حِساب، وأن تَكْفُر بما يُسَمِّيه الناس العَبَثِيَّة، إذْ لا عَبَثِيَّة في ديننا، ولا يوجد إنسان يأكل مال الناس وينْفذ، ولا يوجد من يعْتَدي على أعْراض الناس ولا يحْدُث له شيء، ولا شيءَ بعد الموت هذا الشيء مُسْتَحيل، ولِهذا هذه السورة تُؤَكِّد اليوم الآخر، قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)﴾

[سورة الطارق]

هناك حَفَظَة ورُقَباء وملائكة وهَيْبَة إلا أنَّ الله عز وجل لطيف، ولا يُشْعِرُكَ أنَّ هناك رقابة، أما لو راقَبَك فلن تسْتطيع أن تتحمَّل، أما الله عز وجل لطيف والحبْل مرخي حتى تتوَهَّم أنَّك لسْتَ مُقَيَّد، وفي أيَّةِ لحْظة يُشَدُّ الحَبْل فإذا أنت في قَبْضَة الله، قال تعالى

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)﴾

[سورة الطارق]

كُلُّ شيءٍ مُسَجَّل فلو أنَّ شَخْصاً أبْلَغوه أن هاتِفَك مُراقَب، يَعُدّ للمليون قبل أن يقول كلمة يُحاسَبُ عليها، وإنَّما يمْشي بالطرق السَّليمَة الواضِحَة، ولا يتْرُك قَضِيَّة عليها شُبْهَة، والله عز وجل يقول:

﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)﴾

[سورة الطارق]

والدليل:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5)﴾

[سورة الطارق]

كُلّ واحِد له أولاد وكُلٌّ مِنَّا يعرف سبب خلْق الولد، ومن أين أتى ؟ الماء المَهين، والذي خمس مائة مليون حُوَيْن منوي تحْتاج البيْضَة إلى حُوَيْن واحِد، وفي اللّقاء الزَّوْجي هناك خمس مائة مليون يفْرزها الرَّجل، وتحتاج البُوَيْضة إلى حُوَيْن واحِد لا يُرى بالعَيْن، ويدْخُل البُوَيْضة ويَتِمُّ التَّلْقيح ويتِمُّ الانْقِسام إلى عشْرة آلاف قِسْم، وهي في طريقها إلى الرَّحِم دون أن يزْداد حجْمُها، فإذا وَصَلَتْ إلى الرَّحِم انْغَرَسَت فيه، وبدأت التَّغْذِيَة، وبعد تِسْعَة أشْهر تجِدُه طِفْلاً ؛ رأس وجمجمة ودماغ، ومائة وأربعين مليار خَلِيَّة اسْتِنادِيَّة بالدِّماغ، عَيْن تحوي مائة ومليون عُصَيَّة ومخروط وشَمّ من عشرين مليون نِهاية عَصَبِيَّة، وكُل نِهاية تحْوي سبْعة أهْداب، وكُلّ هُدب له مادَّة مُخاطِيَّة، وأذن متكوّنة من أذُنٍ داخِلِيَّة ووُسْطى وخارِجِيَّة وصيوان، وأمور مُعَقَّدَة جدًا، وأعْصاب سَمْع وذَوْق، وبلعوم ورئتان، وقلب، ودَسَّمات، وشريان أبْهر، وشريان تاجي ودم يُضَخ للرّئة ومنها إلى القلب، ومن القلب إلى الجِسم، ومن الجِسم إلى القلب مرَّةً ثانِيَة، وكلية تحوي طريق فيه مائة كيلومتر يمُرُّ فيها الدمّ خمْسة مرَّات ؛ كُلُّ هذا من ماءٍ مهين، قال تعالى:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5)﴾

[سورة الطارق]

هَيْكل عظْمي متين، أسْناخ رِؤَوِيَّة لو نُشِرَت لكانت مساحتها مائتان متر مربَّع ! وبالشَّعْر ثلاثمائة ألف شَعْرة وبالشَّعْرة شريان ووريد وغُدَّة دَهْنِيَّة وصِبْغِيَّة عصَب وعضَلة، وهذه العِظام والعضلات والشُّحوم وغضاريف، وغُدَّة النُّخامِيَّة وزنها نصْف غرام تُفْرِز اثنى عشر هرمون، وكُلّ هُرمون لو تعطَّل إفْرازه لأصْبَحت حياة الإنسان جحيماً والله عز وجل يقول:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8)﴾

[سورة الطارق]

فالذي خلقك أوَّل الخَلْق قادِر أن يُعيدَك خلْقًا آخر.

قال تعالى:

﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (9)﴾

[سورة الطارق]

تُمْتَحَنُ هذه النُّفوس من حِقْد وحَسَد وغِشّ وكِبْر ونِيَّة الاغْتِصاب والاسْتيلاء على أموال الناس، ونِيَّة بناء المَجْد على أنْقاض الآخرين ؛ كُلُّ هذا مَكْشوف، والإنسان حينما تُكْشَفُ حقيقته وَقْتَها ضعيف، قال تعالى:

﴿ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (10)﴾

[سورة الطارق]

سورةٌ خطيرة جدًا، قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)﴾

[سورة الطارق]

أي كُلُّ نفْس عليها حافظ يُسَجِّل كُلَّ أفعالها، وطريق الإيمان بالله:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (9) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (10) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11)﴾

[سورة الطارق]

العلماء فَهِموا هذه الآية أنَّ البِحار تتبَخَّر، والبُخار يصْعَدُ في السماء، ويعود أمْطارًا وحينما تقَدَّم العِلْم وجَدوا هذه الأمْواج الكهرطيسِيَّة التي تُبَثُّ إلى الفضاء الخارِجي لولا أنَّه هناك طبقة اسمها الأثير لما عادَت إلى الأرض إذْ أنَّ هذه الطبقة هي التي تردّ الأمواج الكهرطيسِيَّة إلى الأرض، ولولاها لما كانت هناك إذاعة، ثُمَّ اكْتَشَفوا أنَّ السماء ذات الرَّجع ؛ هذه الكلمة تنتظم الكون كُلَّه، أيُّ كوكبٍ في الفضاء يدور في مسار مُغْلَق، ومعنى مسار مُغْلق أنَّ الكوكب يعود إلى نقطة انْطِلاقِه، ولو كان المسار غير هذا لما عاد، ولكن لما كان

مُغْلقًا فَكُلّ ستة وسبعون سنة يعود إلى مكانه، وهذا في كُلُّ نَجْم في السَّماء، فالأرض تدور حول الشَّمْس وتعود إلى مكان انْطلاقها، فقالوا: هذه كلمة جَمَعَت خصائِص الكون كُلِّه ! لو أنَّ الكون لا يتحرَّك بِفِعْل الجاذِبِيَّة لأصْبَحَ كُتْلَةً واحِدة وهذه الحرَكَة ينشأ عنها قُوَّة جاذِبَة تكافئ القُوَّة النابِذة، لو ألْغَيْنا الحركة لجَذَبَتْ كُلّ الكواكب بعضها بعْضًا حتى تَجْتَمِع في كُتْلَةٍ واحِدَة ولانتهى الكون، فهذه الحركة فيها بَرَكَة، وهذه الحَرَكة ينشأ عنها قِوى، قال تعالى: والسماء ذات الرجع، والأرض ذات الصَّدع.." يخرجُ منها النبات:

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (13) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (14) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (15)﴾

[سورة الطارق]

قال تعالى:

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ(54)﴾

[سورة آل عمران]

وقال تعالى:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ(46)﴾

[سورة إبراهيم]

أعداء الدِّين يمْكُرون لكنّ الله يُدَبِّرُ تَدْبيراً يردُّ عليهم، قال تعالى:

﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (17)﴾

[سورة الطارق]

هذا تهْديد، أي سوف يلقى هؤلاء حِساباً عسيرًا، وعذابًا أليمًا.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث عشر : تفسير سورة الأعلى

الدرس (3-1) : تفسير الآيات 01 – 05

الدرس (3-2) : تفسير الآيات 06 – 08

الدرس (3-3) : تفسير الآيات 14 – 17

الدرس (1-3) : تفسير الآيات 01 - 05

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، سورة الأعلى تبدأ بِقَوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1)﴾

[سورة الأعلى]

التَسبيح التَّنْزيه، والتَّسبيح التَّعْظيم والتَّسبيح الخُضوع، فمَنَ نَزَّه الله تعالى عمَّا لا يليق به، ومَجَّدَ الله عز وجل، وخضَعَ له فقد سبَّحَهُ والإنسان مأمور، وكل أمْرٍ في القرآن الكريم يقْتضي الوُجوب، فَسَبِّحْ فِعْلُ أمْرٍ، فالإنسان مُكَلَّفٌ أن يُمَجِّدَ الله وأن يُنَزِّهَهُ وأن يخْضَعَ له لِيَكون مُسَبِّحًا له.

تُنَزِّهُهُ مِن خِلال التَّعَرُّف عليه من الكون الذي هو مَظْهر لأسْمائِهِ ومِن خِلال التَّعَرُّف عليه من كلامه ؛ فالقرآن كَوْنٌ ناطِق، والكَوْنُ قرآنٌ صامِت، وأنت مُكَلَّفٌ أن تُسَبِّحَهُ وأن تعرِفَهُ مِن خِلال أفْعالِهِ فأفْعالُهُ تَدُلُّ عليه وخَلْقُهُ يدُلُّ عليه وكلامُهُ يدُلُّ عليه فإذا تفَكَّرْتَ في خلْق السماوات والأرض، وإذا تأمّلْتَ في أفعال الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ(42)﴾

[سورة الروم]

وإذا قرأتَ القرآن بِتَدَبُّر عَمَّا لا يليق به ومَجَّدْتَهُ وعَظَّمْتَهُ وخَضَعْتَ له في النِّهاية فقد سبَّحْتَهُ تعالى وهذه طُرق سالكَة إلى الله، قال تعالى:

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1)﴾

[سورة الأعلى]

لكن ما جاء اسم الذات الله هنا اسمٌ من أسماء الصِّفات وأقرب اسم من أسماء الصِّفات هو الربّ سبِّحْ اسم الذي يُرَبِّيك، والذي منَحَكَ نِعْمَة الوُجود والإمْداد، والذي دلَّكَ عليه ويسَّر لك أُمورَك.

قال تعالى:

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2)﴾

[سورة الأعلى]

أيها الإخوة الكرام، التَّسْوِيَة غير الخَلْق، والفرق دقيق جدًا، فقد تكون مُهَنْدِسًا، وتنشئ غرفةً مَبْنِيَّة على عِلْم، ولها أساس، ونِسْبَة الإسْمَنْت جيّدة، والسَّقْف مَدْروس لكن قد تكون هذه لغرفة مُعَدَّة لِمَبيت سيَّارة لكنَّ مساحتها لا تكفي، فقد تدخل السيارة ولكنَّك لا تستطيع فتْح الباب نقول هذه الغرفة مَبْنِيَّة على عِلْم ولكِنَّها غير مُسَوَّاة مع السيَّارة ! فيجب أن تفتح هذه السيارة بِرَاحة وغطاء السيارة كذلك ؛ كلّ هذا والمركبة داخل الغرفة، إذًا التَّسْوِيَة غير العِلْم ؛ فالشيء قد يكون مَبْنِيًّا على عِلْم إلا أنَّه غير مناسب للاستِعمال فلاني، فمثلاً القمْح فيه علم إلا أنّه مناسب كغِذاء كامل للإنسان، وهو مُسَوًّى معه، وكذا الحليب الذي هو من إنتاج البقرة إلا أنَّ تركيبه يتناسب مع الإنسان، فالتَّسْوِيَة هي التَّنْسيق والتناسب فأنت أحْيانًا ترى في هَيْكَل السيَّارة فتْحَة ثمَّ تكتَشف أنَّ هذه الفتْحة لِمُرور كَبل كبير كهربائي، وألم ترَ في الجمجمة فتحات في قعْر المَحْجر هذه لِمُرور العصب البصري، وأنت تشعر أنَّه هذه الجمجمة مُسَوَّات تَسْوِيَةً كاملَة، وهذا موضوع طويل جدًا يبْدأ بالإنسان والحيوان والنبات فالصُّوص الصغير الذي في البيضة ينشأ له نُتوء صغيرة في مِنْقارِهِ لِيَكْسِرَ به البيْضة فإذا كُسِرَت وخرج منها تلاشى هذا النُّتوء.

الطِّفل الصَّغير تجد أنفهُ قاسي وغُضروفُه كذلك ؛ فإذا تقَدَّمَتْ به السِنّ أصْبَحَ طَرِيًّا ؛ لأنَّهُ هو صغير ويرْضَعُ من ثدْيأُمِّه، فلو كان أنفُهُ ليِّن لأُغْلقَ عليه مَجْرى التَّنَفُّس، فلا بدَّ من غُضْروف قاسٍ لِأنْف الطِّفْل وقناة الدَّمْع مُسَوَّاة مع الدَّمْع، وهي أدَقُّ قناةٍ في جِسْم الإنسان، ولو سُدَّتْ لأصْبَحَ الأمر صعب جدًا، والدّمْع قلوي، والمادَّة القَلَوِيَّة تُخَرِّش الجلد، والبروسْتات غُدَّة في ملتقى مجرى ماء الحياة مع البَوْل ؛ ففي ملتقى المَجْرَيَيْن هنا الغُدَّة، تعْمل ثمانين عامًا، وهي تُفْرِز مادَّة قُلَوِيَّة تتناسب مع المادَّة الحمْضِيَّة في البول لِتُعَدِّلها، وفي وقت خروج ماء الحياة ؛ ففي هذا المجرى هناك بول، تُفْرِز هذه الغدَّة مادَّة مُطَهِّرة ثمَّ مادَّة مُعَطِّرَة ثمَّ مادَّة مُغَذِّيَة ؛ هذه هي البروستات التي تعمل ثمانين عامًا دون توَقُّف، وكذلك وأنت نائِم يزْداد اللُّعاب، ويأتي أمر للدِّماغ إلى لسان المزمار يغلق طريق الهواء، ويفتح طريق المري، فَتَبْلع اللُّعاب.

خلقُ الإنسان كامِل يحوي تَسْوِيَة كاملة، وأنت نائم هناك عضلات لحْمِيَّة تلف العظْم من فوق ومن تحت، وهي تحوي أوْعِيَة، ومع الضَّغْط تضيق لمْعَتُها، فَيَخْضَرّ الإنسان، ما معنى اخْضرار جسم الإنسان ؟ معنى ذلك أنَّ التَّرْوِية منعدِمة وضاقَتْ ! إذْ هناك مراكز ضَغْط في الإنسان تعطي إشارة للدِّماغ وأنت نائِم، فَيُعْطي الدِّماغ أمْر فينْقَلِبُ الإنسان ؛ شيء لا يُصَدَّق !

تمشي بالطريق تسْمع بوق سيَّارة، هناك جِهاز بالدِّماغ يحسب تفاضل وُصول الصَّوْتَين إلى الأذن، والتَّفاضل واحد على ألف وستُّ مائة جزء بالثانِيَة تكْشِفُ الصوت باليمين فتَتَّجِه إلى اليسار ! الذي خلق فَسَوَّى.
أيضًا خلق النَّبات، فالبطيخ على الأرض، ولو كان على الشَّجر للزِمَ من ذلك وفيات سنوِيَّة نتيجتها البَطِّيخ!! والمحاصيل الاسْتراتيجِيَّة تنْضج بِيَوم واحِد ؛ القمح والعدس والحمص، أما المحاصيل كالخضراوات والفاواكه فهي تنْضج خِلال تسعون يومًا، وذكر لي أخ كيفِيَّة معرِفَة نضج البطيخ أم لا ؛ له حلزون فإذا انْكسر كان ذلك دليل النُّضج وإن لم ينكسر كان دليل عدم النُّضج ! والله تعالى قال:

﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ(16)﴾

[سورة النحل]

وكذا البقرة تُعْطي الحليب ؛ غُدَّة ثَدْيِيَّة على شَكْل قُبَّة تعطي الحليب وهي تخْتار من الدَّم الذي فوقها فيتامينات ؛ شُحوم وبروتينات ومعادن وسُكَّريات، وترشح من تحت نقطة حليب وكلّ أربعة مائة لتر دم تجْري فوق الغُدَّة الثَّدْيِيَة تصنع منهم لتر واحد من الحليب، وزْن الحليب يُمَزِّق جدار الضَّرع لو كانت كمِيَّة الحليب أربعمائة لتر ! وجدار الضرع يحوي جداران متعامِدان.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3)﴾

[سورة الأعلى]

كل حيوان له أجْهزة تتناسب مع وَضْعِهِ فالخَفَّاش أعْمى، ولكن له جِهاز رادار، إذْ وَضَعوا جِهاز خفَّاش في غرفة وقسموها بحاجز وفَتَحوا ثغْرةً قدْر جِسْمِهِ، فهو لمَّا فرَّ عبَرَ من تلك الفتْحة أربعة مائة مرَّة دون أن يصْطدم بِجِدار الغرفة ! كل هذا عن طريق الرادار والسَّمَك بالبحر كيف يعرف على أيّ ارتِفاعٍ هو ؟ بالضَّغْط، فعلى حراشِفِها العُلْيا، وفي هذا الخطّ أنبوب مُفَرَّغ من الهواء، والسَّمَكة تعْلم بِأيِّ ارتِفاعٍ هي من البحر، ثمَّ بالسَّمَكة مِخفظة وبِأسْفلها أعْصاب حسَّاسة، وهناك حبَّات رمْل، ومادام الحبَّات بِأرْض المحفظة وضْعُها مستقيم، ظهرها نحو السَّطح وبطْنها نحو القاع، فلو أنَّ السَّمَكة انْقلبَتْ لَعَلِمَتْ جِهَة جسْمها أهي نحو الأعلى أم نحو الأسفل وهناك سمَك يعْبر المُحيطات من أعالي النّيل إلى مَصَبِّهِ، غلى غرب جبل طارق إلى شمال إسبانيا وإلى بحْر الشَّمال، إلى أن يسْتقِرّ، كل هذا كما قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3)﴾

[سورة الأعلى]

وقال تعالى

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى(49)﴾

[سورة طه]

فالله تعالى أعْطاه الأجْهزة الكاملة ثمَّ هداه، أحد بُستانِيِّين رأى أفعى يأكلها قنْفذ، يأكل قطْعة ويذْهب لِمَكان يأكل حشيشة، فهذا البُسْتاني قلَعَ الحشيشة، فأكل القنفذ حشيشَةً ثانِيَة فمات ! من الذي هدى هذا القنفذ إلى أن يأكل حشيشًا يتناسب مع سُمِّ الأفعى ؟! الله عز وجل، والله عز وجل، وُعول في رؤوس الجبال بهِمَلايا، هناك ينابيع في رؤوس الجبال، فَحَسَب قوانين الفيزياء لا يمْكِن أن تكون ينابيع بِقِمَم الجِبال إلا أن تكون مُسْتوْدعاتِها في جبالٍ أعلى منها.

أربعة آلاف جزيرة ماء بأندونيسيا، وبكل جزرة ماء عَذْب، يتناسب مع مساحتِها، وكلٌّ منها لها تَمْديدات تحت الأرض، كيف تعرف الله؟ مِن خلال خلْقِهِ وكلامِه وأفعالِهِ.

صَنَعوا مَرْكبة سَمَّوْها المُتَحَدِّي بأمريكا، وبعد سبعين ثانِيَة أصْبَحَت كتْلة من اللَّهَب ! تَحَدَّوا مَن ؟ الذي تَحَدَّوْهُ تَحَدَّاهم !!

الله تعالى هداك إلى مصالِحِك، فالطَّعام المُتَفَسِّخ يرُدُّه الإنسان ولا يتقَبَّلُه، والتَّقَيُّق عَمَلِيَّة مُعَقَّدَة جدًا، وهو لِمَصْلحة الإنسان، والرائِحَة الكريهة يفِرُّ منها، أعْطاهُ حوَسيًّا، فالآية مفهومها عميق وكل شيء ينطوي تحتها، قال تعالى:

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3)﴾

(سورة الأعلى)

فاليَد تتلاءم مع الإنسان ولولا المِفْصَل لما أكَلْتَ، فلولاه لأكلْتَ مثل الهِرَّة ! فالله تعالى كرَّمَك وجعل لك مَفْصل، وآخر دائِري بِكُلّ الحركات وجعل لك إبْهامًا ؛ فهل لك أن تكتب دونه ؟! وهل لك أن تخيط دونه ؟ الذي خلق فَسَوَّى، ولولا مفصَل الرأس الدائري للَزِمَك أن تتَحَرَّك كُلِيَّةً ! فالسيارة مثلاً قد تتوقَّف فجْأةً لانعدام البنزين، أما مع الإنسان فهذا غير ممكن، هناك حِكْمة إلهِيَّة ؛ إذْ لمَّا تجوع لدَيْك نقْص بالمُسْتودَعات وليس بالدَّم، فلو فَحَصْنا دمَ جائِعٍ لَوَجَدْنا مواد غِذائِيَّة كامِلَة، فإحْساسك بالجوع يعني أنَّ مستودعات الغِذاء بالكبد نقُصَت، والدليل أنَّ الإنسان لمَّا يكون جَوْعان ويأتيه خبر سار أو مُؤْلِم ينْسى جوعَهُ ! أمَّا أن يبْرك كالسيارة مرَّةً واحِدَة فهذا غير ممكن ؛ الذي خلق فَسَوَّى.

هذا الطِّفل الصغير ليس معه أطْفال إذْ لو كانت معه أسنان لأذْهَبَ حلَمَةَ ثدْي أمِّهِ ! ثمَّ إنَّ هناك أسنان لطيفة لَبَنِيَّ، وسُقوط هذا السِنّ اللَّبني آيَةٌ ن آيات الله الدالَّة على عظمَتِه تعالى، فلا يوجد أن طبيب بالعالم يستطيع أن ينزَع سِنّ إنسان إلا أن يؤلِمَهُ، أما الله تعالى تكون تأكل فَيَسْقُط السنّ لِوَحْدِه !.
ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4)﴾

[سورة الأعلى]

فهو تعالى خلقنا وخلق لنا طعامًا، وخلق لأنْعامِنا طعامًا.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (5)﴾

[سورة الأعلى]

ففي الربيع الأرض كالجنَّة، والبُروج خضْراء والأشجار ثمَّ بيضاء ثمَّ صفراء ؛ دَوْرَة مِن بِدايَة إلى قِمَّة تألُّق ثمّ نِهايَة، والإنسان كذلك ؛ يصعد خمسة درجات سواء، وينزل خمْسة خمْسَة، أما لما يَصِل إلى التِّسْعين فإنَّك تراه يمْشي خَطْوَةً خَطْوَة ودرجَةً درَجَة.

كان أحدهم بالشام له أب رياضي يحْمل بغْل على كتفِهِ، بعدها لمَّا كبر أصْبَحَ يمْشي خطوة خطْوة، فعلى الإنسان إذا كان شابًّا قَوِيًّا عليه أن لا ينسى خريف العمر ! ويا بُنَي حفظْناها في الصِّغَر فَحَفِظَها الله تعالى في الكِبَر، ومن عاشَ تَقِيًّا عاش قَوِيًّا، والإنسان إذا أمْضى شبابه في طاعة الله، فإنَّ له خريف عمْرٍ متألّق، وبِكُلّ قِواه العَقْلِيَّة، ومن حفظ القرآن متَّعَهُ الله بعَقْلِهِ حتّى يموت.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-3) : تفسير الآيات 06 - 08

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، يقول الله تعالى:

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (6)﴾

[سورة الأعلى]

النبي عليه الصَّلاة والسلام لا ينسى بِمَعونَةِ الله، فإذا نَسَيَ فقد شاء الله له أن ينسى ولِحِكْمَةٍ بالِغَة، فقد صلى عليه الصلاة والسلام الظهر ركْعتَين فقال له أحدُ أصْحابِهِ: يا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ! أَقَصُرَتِ الصَّلاة أم نسيت ؟! فقال: إنَّ كلّ ذلك لم يكن ! فقال هذا الصَّحابي الجليل ذو اليَدَين: بعضُهُ قد كان، فسأل أصْحابَهُ الكرام: فإذا به عليه الصَّلاة والسلام صلَّى ركْعتَين: فقامَ وصلَّى ركْعَتَيْن أُخْرَيَيْن، وقال عليه الصَّلاة والسلام: إنَّما نُسِّيتُ كي أَسُنّ ! فلو أنَّه لم ينْسَ هذه الصَّلاة طوال حياته فكيف يُشَّرَعُ لنا سُجود السَّهْو، فالله تعالى أنْساهُ ذلك كي يُسَنّ.

إذًا ذاكِرَتُك بِيَدِ الله، فإمَّا أن تتذَكَّر وإمَّا أن تنْسى، والنِّسْيان مِن نِعَم الله الكبرى، فأحْيانًا يتكلَّم الإنسان كلمة لا أدَبَ فيها، وغير لائِقَة بِسَاعَة غَضَب، ولو أنَّهُ يذْكرُها لاحْترق بها طوال عمره، ولكِنَّ فضْل الله على الإنسان عظيم فَهُناك مواقف مُحْرِجَة، ومواقف ضَغْط وقَمْع وكلمات مُحْرِجَة، لو أنَّ الإنسان يتذَكَّر كلّ هذه المواقف المُؤْلِمَة لكان في جحيم، إلا أنَّهُ مِن نِعْمة الله علينا أنَّنا ننْسى، والنبي عليه الصَّلاة والسلام ينسى، ولكنَّ الله تعالى لا ينْسى ؛ قال تعالى:

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى(52)﴾

[سورة طه]

فالله تعالى قال:

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (7)﴾

[سورة الأعلى]

يُفْهَمُ معنى جديد وهو أنَّ الإنسان يتَذَكَّر بِقَدْر اهْتِمامِه، فَكُلَّما زاد اهْتِمامُك بِمَوضوع تَذَكَّرْتَهُ لذا لا تشْكو ضَعْف ذاكِرَتِك ولكن أشكو ضَعْف اهْتِمامِك، فأنت قد تدخل إلى محَل فيه آلاف القطع تسأل عن واحِدَة فَتَجِد الأب يرْسل ابنه إلى المكان الفلاني في الرفّ الفلاني وفي الطابق الفلاني ! ما هذه الذاكرة؟ كل هذا لأنَّه مهْتَمّ وهناك ميزانِيَّة وكَسْب مال ؛ لذا لا تشْكو ضَعْف ذاكِرَتِك ولكن أشكو ضَعْف اهْتِمامِك.

النبي عليه الصلاة والسلام بشَرٌ مثلنا، ولولا أنَّه بشَر وتَجْري عليه جميع خصائِص البشر لما كان سيِّد البَشَر، لماذا إذا قرأ القرآن أو أقرئ عليه مرَّةً واحِدَة حَفِظَهُ ؟ لِشِدَّة اهْتِمامِه، وكُلَّما زاد اهْتِمامُك في موضوع قَوِيَت ذاكرتك فيه، فالذاكرة القَوِيَّة ليس لها علاقة بالبُنْيَة الدِّماغِيَّة، ولكن بالبُنْيَة النَّفْسِيَّة، فالشيء الذي تهْتَمُّ له لا تنْساه والشيء الذي لا تهْتَمُّ له تنْساه، ودَقِّق في الناس تَجِدُهم يُعْطونَك معْلومات دقيقة في شؤون دُنياهم، أما أن يحْفظ حديثًا فَذاكِرتُه خالِيَة وذاك يحْضر الخُطَب قائِلاً: إنَّها في القِمَّة ولكنَّه لا يفْقه ولا يذْكُر منها شيئًا ! والآخر تشَهَّد وهو واقفٌ ! وذلك صلَّى ثلاث ركعات ؛ حَلَّ في كلّ ركْعة صندوق من صناديقهِ! فإذا كانت صلاتك كذا فَابْك على نفْسِك، والصَّلاة عماد الدِّين من أقامَها فقد أقام الدِّين، ومن هَدَمَها فقد هَدَمَ الدِّين، وأوَّل ما يُحاسب عليه المرء هو الصَّلاة فإن صحَّت فاز ورَبِح، وإن لم تَصِحّ خاب وخَسِر. قال تعالى:

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (6)﴾

[سورة الأعلى]

لا تشْكو ضَعْف ذاكِرَتِك ولكن أشكو ضَعْف اهْتِمامِك، والدليل تجد إنسانًا في موضوع ذاكرته رائِعَة، وفي موضوعات أخرى قليلة فأخوكم المتَحَدِّث سألتُ أخًا عن عَمِّه، فاسْتَغْرَب وقال لي: قبل سَنَتيْن ألْقَيْت تعْزِيَةً وموعِظةً على وفاتِهِ !! أما الأمور المتَعَلِّقَة بالدِّين من قرآن وسنَّة يلزَمُ عليك أن لا تنْساها.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (7)﴾

[سورة الأعلى]

إلا إذا شاء الله لك أن تنسى، ولِحِكْمَةٍ بالِغَة، والإنسان أحْيانًا تنْحَلُّ مُشْكِلَةً له بالنِّسْيان ! فالنِّسْيان من نِعَمِ الله الكبرى، فالله تعالى يُذَكِّرُكَ لِحِكْمَة ويُنْسيك لِحِكْمَة، ويُقَسِّي القلب ويُلَيِّنُهُ لِحِكْمَة، فإذا كنت أمام إنسان، علاقتك بالله، يُلَيِّن قلْبَهُ فَيَخْدُمُكَ، ويُقَسِّي قلبَهُ فَيُتْعِبُكَ، وإذا ذَكَّرَهُ قِصَّةً قديمة يُهْلِكُكَ، وإذا أنساه إيَّاه تمشي قَضِيَّتُك ؛ فَعَلاقَتُكَ ليس مع الإنسان ولكن مع الواحِدِ الدَّيان، فَمُلَخَّص المُلَخَّص أنَّ هناك وُحوش كاسرَة مرْبوطون بإحْكام وبِيَد إنسان عظيم وحكيم ونزيه وكريم فعلاقتك أنت ليس مع الوُحوش ولكن بِمَن هي في يَدِهِ، فإذا أرْخى الزِّمام نَهَشوك، وإذا أحْكَمَهم سَلِمْتَ منهم، والدليل قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِي(39)﴾

[سورة المرسلات]

فلو كنت تمشي بالطريق ورأيتَ كلْبًا عاقًّا بِيَدِ صاحِبِه، فهل علاقتك مع الطلب أم مع صاحب الكلب ؟ مع صاحب الكلب، لأنَّه إن أرْخى الزِّمام نَهشَكَ، وهذا توحيد رائِع وما تعَلَّمت العبيد أفضل من التوحيد. جاء توْجيهٌ لِوَالي البصْرة في عهْد الحسن البصري، وكان سيّد التابعين، وهذا التَّوجيه مُزْعِج من الخليفة ؛ ماذا يفْعل ؟ إن لم يُنَفِّذ التَّوْجيه أبعَدَهُ الخليفة ؛ هذا إن لم يُعَذِّبْهُ، وإن نفَّذْتُهُ غضب الله عليَّ جلّ جلاله، فاسْتحْقَقْتُ النار، فقال له الحسن رحمه الله: غنَّ الله يمْنعُك من يزيد ولكِنَّ يزيد لا يمْنعك من الله، فأنت إن أرْضَيْتَ الله عز وجل يمْنَعُ عنك يزيد، أما إن أغْضَبْتَ الله عز وجل ؛ فَمَن يمْنَعُهُ عنك، والله عز وجل مُهَيْمِن.

قال تعالى:

﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (7)﴾

[سورة الأعلى]

فهو تعالى يعْلم الجَهْر وبالمُقابل السرّ، ويعْلَمُ ما تُمِنُّه وما خَفِيَ عنك، أربعة أشياء، لذلك علم ما كان وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

فواحِدٌ مثلاً على دَخْل مُعْتَدِل من البيْت إلى المسْجد ؛ لو كان مع هذا ألف مليون ماذا سَيَفْعَل ؟ لا يعْلم إلا الله ماذا سيَفْعَل ؟ قد لا يسْتقيم على أمْر الله، لذلك ليس بالإمكان أبْدَعُ مِمَّا أعْطاك، لذلك الإنسان يوم القيامة يُلَخِّص علاقته بكلمة واحدة، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، وحتَّى أهل النار ؛ تُكْشَفُ الحقائق ورحْمة الله تعالى وحِكْمَتُهُ وعَدْلُهُ وما ساق للإنسان مِن مصائِب، مِن أجل أن يرْتَدِع بها، ولا يوجد إلا أن يقول كلمة واحِدَةً كل الخَلْق ؛، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

قال تعالى:

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (8)﴾

[سورة الأعلى]

أيها الإخوة، لا شيءَ أمْتَعَ من التيْسير، احْيانًا في عَمَلك ؛ عقَبَة صغيرة المَشْروع فشل، ورقة صغيرة ذهب من جرَّائِها كل الملف ! لا يوجد أصْعب من التَّعْسير، وهو يصنع في الإنسان خِبْرة حزينة صادِمَة، أما التَّيْسير فَهُوَ مُريح، ولِكُلٍّ من التَّعْسير والتَّيْسير مُريح.

قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)﴾

[سورة الليل]

بنى حياته على العطاء، واتّقى أن يعْصي الله، فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرى ؛ في عمله وعلاقاته وصِحَّتِه،و ترْبِيَة أولاده، وفي كلّ شؤون حياتِه.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)﴾

[سورة الليل]

بنى حياته على البخل والأخذ، واسْتغْنى عن طاعة الله وكذَّب بهذا الدِّين العظيم فَسَنُيَسِّره للعُسْرى.

فهذا رجل من الأغنياء ؛ مصانع ومعامل وشركات، وحجْمُه المالي كبير جدًا، كان هناك قاطع كهربائي مُعَطَّل، فذهب ليُصْلِحَه وصعد الكرسي، فإذا به يسْقط في الأرض فوق هذا القطعة التي طولها ثمانية عشرة سنتمتر في مِقعَدَتِه وقضيبِهِ، ذهب إلى المستشفى، فمات بهذا المرض وهو تَسَمُّم بالنُّسُج ؛ ترك عشرين مليون دولار ! ولو جلَسْتَ معه فأكثر كلمة يرْويها...خُوزقنار !!! فالإنسان قد تنتهي حياته على أتْفه سبب، وآخر مؤمن يحْفظه الله، لذلك كما قال تعالى

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(8)وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(9)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(10)﴾

[سورة الليل]

فالتَّيْسير له قانون، وكذا التَّعْسير، ولا تقل لي: يدهُ خضْراء ؛ هذا كلام لا قيمة له ! والدَّهْر معه ! هذا كلام فارغ، هذا كذب، ولا تقل لي القدَر قلب له ظهر المجنّ ! أيُّ قدَرٍ، قُل لي مُوَفَّق أم لا ! وأُموره مُيَسَّرة أم لا ! فهي مُيَسَّرة لأنَّه أعطى واتَّقى وصَدَّق بالحسنة، ومُعسَّرة لأنَّه بخل واسْتغنى وكذَّب بالحسنى ؛ هذا قانون إلهي، فإذا منت مِمَّن يرْجو أن تتيَسَّر له تِجارته وتربيَةُ أولاده ؛ أعْطِ واتَّق وصَدِّق بالحُسنى، والحياة جنَّة أو نار، فهي جنَّة بِطاعة الله، ونارٌ بِمَعْصِيَتِه، وهي تيْسير أو تعْسير، ولا يُحَقَّقُ شيء إلا بِتَوفيق الله، قال تعالى:

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود]

وأحْيانًا ربُّنا عز وجل لأتْفَه سبب يُعَسِّر لك أمْرك، والله تعالى يمْكنه أن يُضَيِّع لك عشرين ساعة من دون فائدة، وقَّفتْ آلة وتحتاج إلى قطْعة، قمتَ بِفاكس وبريد واتِّصالات، ولمَّا وصلَت، بعد هذه الأيام إذا بها أكبر حجْمًا من التي طلَبْتَها !! فإذا الواحد بَخِل أن يُصلي أو اسْتثْقل أن يحضر مجْلس علم جوزِيَ.
ذكر لي أحد الإخوة – وهو الآن قد تُوُفِّي رحمه الله – أنَّه ذهب يوم جمعة إلى التنزُّه ولم يُصلِّ ! ونحن في النُّزْهة قال لي أحد الأطفال هناك: وقد أحْببتُه لِحُسن مُعامَلَتِه: هل أمْلأُ لك من ماء بقين ؟!

فقلتُ: نعم، لمَّا ركِبْنا السيَّارة، ومشَيْنا نصف الطريق إذا بي أَفْقِدُ جزداني!! فيه ميكانيك السيارة وشهادة سواقة، وبقيت ستَّة أشْهر مِن فرْع لآخر حتنَّى اسْتَكْمَلْتُ الأوراق !! زكاة الوقت الصلوات وحضور مجالس العلم، حينما يُزَكِّي الله لك وقْتَك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-3) : تفسير الآيات 14 - 17

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة الأعلى ؛ الآيات الأخيرة وهي قوله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14)﴾

[سورة الأعلى]

أقِفُ عند قوله أفْلَحَ، فَكُلّ إنسانٍ عنده مِقْياس للفَلاح، فأحدُهم يتَوَهَّم أنّ حِيازَة المال هو الفلاح، وآخر أن يَتَزَوَّج امْرأةً تروق له ؛ هي الفَلاح وإنسان آخر يَتَوَهَّم أنَّه إن كان في منصبٍ رفيعٍ هو الفلاح، وذاك يَتَوَهَّم أنَّه إن امْتَلَك البيوت والحوانيت هو الفلاح، وذلك يتَوَهَّم أنَّهُ إن انْغَمَسَ في الشَّهوات إلى قِمَّة رأسِه هو الفلاَح؛ لذا قُلْ لي ما مِقْياس الفَلاح عندك أقول لك: مَن أنت ؟! ما مِقْياس الفَلاح في القرآن ؟ قد أفْلَحَ من تَزَكَّى، وكلمة: قد أفلَحَ وَرَدَت في القرآن الكريم في بِضْع آيات، وهي في قوله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14)﴾

[سورة الأعلى]

وفي قوله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(10)﴾

[سورة الشمس]

وفي قوله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(1)الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(2)وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ(3)وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ(4)وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(5)إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(6)فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ(7)وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ(8)﴾

فقط، فالفَلاَح كُلُّ الفلاح، والنَّجاح كُلّ النَّجاح، والفوز كلّ الفَوْز، والتَّفَوّق كلّ التَّفَوّق في أن تُزَكّيَ نَفْسَك لأنَّها أمانَةٌ بين يدَيْك، قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا(72)﴾

[سورة الأحزاب]

فما معنى الأمانة ؟ بالمَفْهوم الضَّيّق ؛ مَبْلغٌ أودِعَ عندك، وعليك أن تُؤَدّيَه بالتَّمام والكمال في الوقت المناسب أما الأمانة بِمَفْهومها الواسِع أيّ شيء وُضِعَ تحت تَصَرّفك وأطلقت يَدُكَ فيه فإمَّا أن تَحْفَظَها وإما أن تُضَيّعَها، وإما أن تُتْقِن وإما أن تُهْمِل، وإما أن تُنْصِف وإما أن تَعْدِل، وإما أن تُؤَدّي الحُقوق وإما أن تُقَصِّر فلذلك أخطر أنواع الأمانات أمانة التّكليف، فهناك أمانة التَّبليغ وهي للأنبياء، وهناك أمانة التَّبيين للعلماء،و هناك أمانة الوِلاية للأُمراء وهناك أمانة التَّوْلِيَة، فإذا كان المُعَلِّم في صفٍّ فيه أربعون طالبًا، وعَيَّن من التلاميذ من هو ليس كُفْؤًا، وكان من هو أتقى منه وأعلم وأذكى فقد خان الله ورسوله والمؤمنون، قال له: ماذا تفعل إذا جاءك الناس بِسارِقٍ أو ناهِب ؟ قال: أَقْطَعُ يَدَهُ، قال: إذاً إذا جاءَني من رَعِيَّتِك وهو جائعٌ أو عاطل فسَأُقْطَعُ يدَك، إنّ اله قد اسْتَخْلَفَنا عن خلقِهِ لِنَسُدَّ جَوْعَتَهم ونسْتُرَ عوْرَتهم، ونُوَفِّرَ لهم حِرْفَتَهم، فإنْ وَفَّيْناهم ذلك تقاضْينا شكرها فإنّ هذه الأيْدي خُلِقَت لِتَعْمَل، فإذا لم تَجِد في الطاعة عَمَلاً الْتَمَسَت في المَعْصِيَة أعْمالاً، أمانة الوِلاية ؛ فهذا سيّدُنا عمر كان يطوف في المدينة فرأى قافِلَةً فقال: لِعَبد الرحمن ابن عَوْف تعال لِنَحْرسها ! بكى طِفْل فقام عمر إلى أُمّه فقال لها عمر: أرْضِعيه، وبكى ثانِيَةً فقال: أرْضِعيه، فَبَكى ثالثَةً فقال: يا أمَةَ السوءِ أرْضِعيه، فقالتْ: وما شأنك بنا ؟! إنَّني أُفْطِمُه، فقال: ولِمَ ؟ فقالتْ: لأنّ عمر ابن الخطاب لا يُعْطينا العَطاء إلا بعد الفِطام ! فَضَرَب جَبْهَتَهُ وقال: وَيْلَك يا ابن الخَطَّاب كم قَتَلْتَ من أطفال المسلمين ؟ وصلى صلاة الفَجْر في أصْحابه فَلَم يسمع أصحابه صَوْته مِن شِدَّة بُكائه، وهو يقول: ربِّي هل قَبِلْتَ تَوْبَتي فأهَنِّأها، أم رَدَدْتها فأُعَزّيَها ؟!

وهذا سيّدنا عمر ابن عبد العزيز رَأَتْهُ زوْجَته فاطمة بنت عبد المَلِك يبكي في مُصَلاَّه فقالت: ما يُبكيك ؟ فقال: دعيني وشأني، فلمَّا ألَحَّتْ عليه، قال: نظرْتُ في الفقير والبائس والأرملة الضائعة وابن السبيل وفي ذا حب القوت القليل والعيال الكثير، وفي المريض والأسير، وذكَرَ أربعين أو خمسين صنف، فَعَلِمْتُ أنّ الله سَيَسْألني عنهم جميعًا وأنَّ حجيجي دونهم رسول الله، فلِهذا أبْكي ! فهناك أمانة التَّبليغ وهي للأنبياء، وهناك أمانة التَّبيين للعلماء،و هناك أمانة الوِلاية للأُمراء وهناك أمانة التَّوْلِيَة التَّعْيين، وكذا أمانة الزَّوْجِيَّة، وأمانة الواجب فهذا المواطن الذي أمامك أمانَةٌ في عُنقك، فإمَّا أن تنصحه وإما أن تغشّه وإمَّا أن تُيَسِّر أموره وإما تُعَقِّدَها عليه لِتَبْتَزَّ ماله، فأنت إذا كنت طبيبًا فالمريض أمانة في عُنقك، وإذا كنت مُحامِيًا فالمُوَكِّل أمانة في عنقِك إما أن تُلْهِمَه أنَّ الدَّعْوة رابِحَة فتَأْخُذَ أمواله وإما أن تنْصَح له فيتصالح مع الخَصْم، وكذا إن كنت مُهَنْدِسًا كان هذا البناء أمانة في عُنقك فإذا انْهار وقتل بعض الأشْخاص فأنت المُتَسَبِّب ؛ لذا عليك أن تَضَعَ الإسْمَنْت الكافي والحديد الكافي، أشرف على الأمور بِنَفْسِك، وإن كنت مُعَلّمًا فَهَذا الطالب أمانةٌ في عُنقك، أو كنت ربَّ بيْت فالزَّوْجة أمانة في عُنقك، وكذا أمانة الأولاد، فأصْبَح لدينا أمانة التَّبليغ وأمانة التَّعْيين وأمانة

التَّبْيين، وأمانة الوِلاية والتَّوْلِيَة، وأمانة الواجب، وأمانة المجالس، أما أعظم أمانةٍ فَهِيَ أمانة التَّكْليف، قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا(72)﴾

[سورة الأحزاب]

إن صَحَّتْ أمانة التَّبليغ صَحَّت كلّ الأمانات، وإن لم تَصِحّ أمانة التَّبْليغ والتَّكْليف لم تَصِحّ كلّ الأمانات، فالذي لم يُؤَدِّي أمانة نفسه التي هي بين جَنْبَيْه لم يُؤَدِّيَ أمانة الآخرين، يا موسى خَفْ ثلاثًا: خَفْني وخَفْ نَفْسَك وخَفْ مَن لا يخافُني، فالذي لم يُؤَدِّي أمانة التَّكْليف لم يُؤَدِّ أيَّة أمانة أخرى، لذلك قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14)﴾

[سورة الأعلى]

ومن هو الذي تزَكَّى ؟ هو الذي أدَّى أمانة التَّكْليف ؛ نَفْسُك بين جَنْبَيْك ووُضِعَت أمانةً في عُنقك، وأطلَقَت يدك في نفسك فإمَّا أن تُزَكِّيَها وإما أن تُدَسِّيَها، ولن تفلح إلا إذا زَكَّيْتَها، كيف تُزَكِّيها ؟ ينبغي أن تُعَرِّفَها بالله، وأن تُعَرِّفَها بِمَنْهَجِه، فصار بِذلك طلب العِلْم فرْض أن تحْمِلَها على طاعة الله ؛ وهي الإرادة كي تتقَرَّب إلى الله تعالى بِخِدْمة عِباده ؛ وذلك بالأعمال الصالحة، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110)﴾

[سورة الكهف]

إذاً قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15)/

[سورة الأعلى]

كيف يتَزَكَّى ؟ يذكر اسم الله، ويُفَكِّر في خلقه، وفي آياته وأفْعاله، ففي خلقه كما قال تعالى

﴿: إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ(6)/

[سورة يونس]

في قرآنِهِ قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا(24)﴾

[سورة محمد]

في أفعاله، قال تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ(42)﴾

[سورة الروم]

فأنت إذا فَكَّرْتَ في أفعاله وفي قرآنه وفي آياته عَرَفْتَهُ وإذا عرَفْتَهُ اتَّصَلْتَ به فإذا اتَّصَلْتَ به زَكَتْ نفسُك، وإذا زَكَتْ تكون قد أدَّيْتَ أمانة التَّكْليف، وتكون بهذا قد حَقَّقْتَ الهَدَف الذي من أجله خُلِقْتَ، لذا يا ربِّي كما أقْرَرْتَ أعْيُنَ أهل الدنيا بِدُنْياهم أقْرِرْ أعْيُنَنَا بِرِضْوانِك، والناس إذا سأل بعضهم بعْضًا فاسْأل الله أنت ! وإن لَجَأوا إلى الأقْوِياء اِلْجَأ إلى الله أنت، وإن اغْتَنَوا واكْتَفَوا فاغْتَنِ بالله أنت، لكن أكبر عَقَبَة كما قال تعالى:

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16)﴾

[سورة الأعلى]

حُبُّكَ الشيء يُعْمي ويُصِمَ وحُبُّكَ الدنيا رأسُ كلّ خطيئة والدنيا دار من لا دار له، ولها يسْعى من لا عَقْل له، ودار الدنيا الذي تُجَمِّعُه في خمسين عاماً تُفْقده في ثانِيَة واحِدة، فَكُلّ شيء تمْلِكُه وكلّ مكانةٍ حَصَّلْتَها، وكلّ حجْمِك الاجْتِماعي والاقْتِصادي والمالي، والبورد والدكتوراه، والمنْصِب الرفيع والقوَّة كلّ هذا الحجم مُتَعَلِّق بميلمتر قطر شريانك التاجي فإذا ضاق كانت الطامَّة الكبرى، وتدْخل بِمَتاهة ثانِيَة، تحتاج إلى قسطرة وتوسيعه بالبالون، ووَضْع نابض، وتجريفات ؛ كنت بِوَادٍ وأصْبَحْتَ بِلَوَادٍ آخر، فَقُطْر الشريان التاجي، والأمر الثاني نُمُوّ الخلايا، والأمر الثالث مادام الدم سائِلاً فأنت مرْتاح، أما إذا تَجَمَّد انتَهَت الحياة ؛ ثلاثة عوامل بسيطة ؛ سُيولة الدَّم، وعلى تَوَسُّع الشريان التاجي، وعلى نموّ الخلايا وكلّ هذه ليْسَت لك، قال تعالى:

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16)﴾

[سورة الأعلى]

بِرَبِّكم إذا خُيِّر الواحد بين أن يرْكب سيَّارة ربْع ساعة فقط، وبين أن يرْكب درَّاجة ويمتلِكَها، طَيِّب إذا خَيَّروه بين أن يركب سيَّارة وبين أن يتملَّكها ! هل يترَدَّد ثانية ؟ طَيِّب إذا خيَّروه بين أن يركب سيَّارة فَخْمة ثمنها غالٍ جدًا ويمتلكها، وبين أن يركب درَّاجة ! هل يترَدَّد ؟! لذا قال تعالى:

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)﴾

[سورة الأعلى]

فيها ما لا عينٌ رأَت ولا أذن سَمِعت ولا خطر على قلب بشر، وإلى أبد الآبدين أما الدنيا ففيها هرم، والْتِهاب مفاصِل، وفيها ارْتِفاع كوليسترول، وهذه الأكلة لا آكلها لأنَّها ممنوعة عليَّ، وهذا اللَّحم ممنوع، ولا بدّ أن أمْشي والمَشْيُ ممنوع لأنَّ المفاصل هشَّة، فقد كان بالبؤرة وأصبح بالهامش، دنيا فيها قلق ؛ قد تموت زوجتك، وقد يفقِد أحبابه وأصدِقاءه، وقد تخسر مالك، هموم ؛ الحياة كلّها مشاكل، خُذ من الدنيا ما شئت، وخذ بِقَدَرِها هَمًّا، ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حَتْفه دون أن يشعر، قال تعالى

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)﴾

[سورة الأعلى]

أخذ بيتان مَكْسِيَّان بالميسات اثنا عشر طابقًا ولم يكن هناك مصعد، فَنَزَع البلاط والسيراميك، رَجَّع البيت وكأنَّه الآن بُنِي، واشْتَغَل بالكِسوة أكثر من سَنَتَيْن ونصف، وعَمَّر البيت بأفضل أنواع الكسوة، وبعدما انتهى من التَّعمير وافَتْهُ المَنِيَّة ! هذه هي الدنيا، وهذا عاش طوال حياته بِبَيْتٍ قَبْو، ورطوبة، وجَمَّع من الدراهم قِرْشًا فوق أخيه إلى أن اشْترى وأمَّن بيْتًا بالمُهاجرين، وله إطْلالة على الشام، حينها قال لِزَوْجته الآن أمَنَّا مُستقْبَلَنا! وبعد جمعة توَفَّى ؛ هذه هي الدنيا وهذا ترك ألف مليون، وأحد الورَثَة نصيبهُ كان تسعين مليون وخِلال سِتَّة أشهر وهو في مالِيَة طالِع ونازل، وقبل أن يأخذ نصيبه من المال، دخل إلى الحمام وأثناء قضاء حاجته وافَتْهُ المَنِيَّة ! قال تعالى

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)﴾

[سورة الأعلى]

كل شيء مُتَوَقِّف على نبْض القلب فإذا تَوَقَّف عَظَّمَ الله أجركم، كُلُّنا على هذا الطريق شِئْنا أم أبَيْنا، ومن هو العاقِل ؟ الذي يعمل للآخرة، قال تعالى:

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)﴾

[سورة الأعلى]

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع عشر : تفسير سورة الغاشية

الدرس (6-1) : تفسير الآيات 01 – 16

الدرس (6-2) : تفسير الآية 17

الدرس (6-3) : تفسير الآية 18

الدرس (6-4) : تفسير الآية 19

الدرس (6-5) : تفسير الآية 20

الدرس (6-6) : تفسير الآيات 21 – 26

الدرس (1-6) : تفسير الآيات 01 - 16

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة الغاشِيَة وَصْفٌ لِحال أهل النار، وحال أهل الجَنَّة، ويتَّضِح من حال هذين الوَصْفَيْن أنَّ البَشَر جميعًا سوف ينتهون إما إلى جنَّةٍ وإما إلى نار، فَو الذي نفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِه ما بعد الدنيا من دار إلا الجنَّة أو النار، قال تعالى:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1)﴾

[سورة الغاشية]

أحْيانًا يكون الإنسان يعيش ولَدَيْهِ نشاطات وتِجارة، ولِقاءات وزِيارات وسَفَر وطُموحات وتأسيس مشاريع، لا سَمَحَ الله يأتيه مَرَضٌ عُضال يُنْسيه كُلَّ شيء، كُلُّ هذا يُلْغى، فإذا بهذه الأُسْرة يتغَشَّاها هَمٌّ كبير، فَيَوْم القِيامة السيِّدَة عائِشَة سألتْ النبي عليه الصلاة والسلام بعد أن قال: يُحْشَر الناس حُفاة عُراة..." الآن لو ساقوه إلى الإعدام، ومن نافذة السيَّارة رأى امرأة سافرة وبِأبْشع صورة ؛ فَهَل يشْتَهيها ؟ هل يراها ؟ لا ينظر إليها إطْلاقًا وكأنَّها لم تَكُن ! لذلك قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1)﴾

[سورة الغاشية]

يوم القِيامة يومٌ آتٍ لا مَحَالَةَ، قال تعالى: يَغْشى الناس هذا عذاب أليم..." قال تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2)﴾

[سورة الغاشية]

ساكنة، أوْضَح تفسير لهذه الآية أُنْظر إلى صُوَر المُجْرِمين حينما يُلقى القَبْض عليهم وهم وراء القُضْبان. قال تعالى:

﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3)﴾

[سورة الغاشية]

مُجْرِم، ثمَّ قال تعالى:

﴿ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5)﴾

[سورة الغاشية]

فإذا الإنسان سَكَب في صَحْنه والطعام حارّ، فأوَّل لُقْمة يحْترق لِسانه.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6)﴾

[سورة الغاشية]

شَوْك، الماء يغلي والطعام كالشوك لا يُسْمِن ولا يغني من جوع، هؤلاء أهل النار.

قال تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2)﴾

[سورة الغاشية]

أحْيانًا ترى إنسانًا مُرْتاح وأكْله جيّد، عصير وبيت مُكَيَّف، وليس له مُشْكِلة ؛ ترى وَجْهه مُتألّق، فهذا مثال من حياتنا الدنيا، فَكَيف بالإنسان يوم القيامة إذا كان بالجَنَّة ووصَل إليها.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9)﴾

[سورة الغاشية]

الإنسان أحْيانًا يرْضى عن نفْسِه، وأحْيانًا يَحْتَقِرُ نفْسه ؛ اِتَّصَل بي رجل الآن قبل ساعات، وقال لي: اِرْتَكَبْتُ ذَنْبًا سَقَطْتُ من عَين الله، وأنا أقول لإخواننا: والله لأنْ يسْقُطَ الإنسان من السماء إلى الأرض فَتَنْحَطِمُ أضْلاعه أهْوَنُ مِن أن يسْقط من عَيْن الله ؛ لمَّا يكذب أو يسْرق أو يبْتَزَّ أموال الناس، ويُدَلِّس أو يُعَذِّب الناس، فالبُطولة أن ترْضى عن نفْسِك لأنَّها أقرب إليك، وأنت على نفْسِك بصيرة ولو ألْقَيْتَ المعاذير، قال تعالى:

﴿ بَلْ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ(14)وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ(15)﴾

[سورة القيامة]

واحِد وجد سيَّارة بِبَلَد مُجاوِر وغالِيَة جدًا، وفَنَظَر إلى المِفْتاح فَوَجَدَهُ فيها، فشَغَّلَها ومَشى، وما انْتَبَه بعد حين أنْ وَجَدَ رضيعًا فَخَنَقَهُ ورماه بالسَّاقِيَة ! صار معه حادِث جعله أولاده أشلاء، وجاء المُعَزُّون وقالوا: والله أمثالكم لا تسْتَحِقُّون مثل هذه المصائب، فقالتْ زوْجته: لا، بل نسْتحِقّ أكثر من هذا ! فالإنسان يعرف نفسَه، وإذا كان ماشي بالحرام يعرفها، وإذا كان يؤْذي الناس يعرف نفسه، وهذا أحدهم كان من طَبْعِهِ الأذى فقال:

حُرٌّ ومَذْهَبُ كُلِّ حُرٍّ مذْهبي ما كنت بالغالي ولا بالمُتَعَصِّبِ
يَأبي فُؤادي أن يميل إلى الأذى حُبُّ الأذِيَّة من طِباع العَقْرب

هناك أشْخاص كالعقرب، تجده يتلَذَّذُ بالأذى، يُؤذي ولا ينتفع من هذا الأذى، فالفائدة أقلّ الفائدة أت تُؤذي كي تنتفِع إلا هناك من يُؤذي ولا ينتفع من هذا الأذى، ثمّ أتَمَّ البيْتَ قائِلاً

لي أن أردَّ مساءةً بِمَساءَةٍ لو أنَّني أرْضى بِبَرقٍ خُلَّبِ

حَسْبُ المسيءِ شُعوره ومقالُه في سِرِّهِ يا ليتني لم أُذْنِبِ

فالإنسان لمَّا يكون سَعْيُهُ جيِّد يرْضى عن نفْسِه، وهذا شُعور جَيِّد جدًّا وحينما يَحْتال يسْقط من عَيْنِ نفْسِه، فقد تكون في عَيْن الناس كبيرًا وأنت في عيْنِكَ صغيرًا، قال تعالى:

﴿ بَلْ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ(14)وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ(15)﴾

[سورة القيامة]

ثمَّ قال تعالى:

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12)﴾

[سورة الغاشية]

الإنسان أحْيانًا كي يبْرد يتَحَمَّل صوت مُزْعِج من المُكَيِّف، فإذا ألْغى الصوت شَعَر بالحرّ، ففي الجنَّة لا تسْمع فيها لاغِيَة ؛ هُدوء.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)﴾

[سورة الغاشية]

النَّمارِق وسائِد، والزَّرابِيّ البُسط الفاخِرَة، مصيرنا جميعًا إما إلى هؤلاء، إما إلى هؤلاء، والدنيا فيها خِيارات كثيرة،قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ(2)﴾

[سورة الملك]

أما عند الموت هناك خِيارَيْن ! إلا أنَّه بالدنيا هناك من دَخْله ألف، وألْفَيْن وثلاثة وأربعة إلى مائة ألف، وهناك من دَخْلُه مليون باليوم، وهناك مائة مليون ! الفارق في الدنيا كبير،أما عند الموت فَكُلُّ هؤلاء إما إلى النعيم وإما إلى الجحيم، لذلك قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ(2)﴾

[سورة الملك]

فالطريق إلى الجنَّة أن تعبد الله، والطريق إلى طاعته، فهو كما قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾

[سورة الغاشية]

أي أنْ تعرف الله مِن خِلال خلْقه، وإن شاء اله تعالى غدًا نتَحَدَّث عن هذه الآيات الثلاث:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾

[سورة الغاشية]

مِن أكبر الآيات الدالة على عظمة الله تعالى الإبل.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-6) : تفسير الآية 17

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في أواخر سورة الغاشِية وهي قوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17)﴾

[سورة الغاشية]

أوّل شيء الآيات التي في القرآن الكريم، والتي تتَحَدَّث عن الآيات الكَوْنِيَّة تَقْتَرِبُ من رُبع القرآن ؛ فهذه الآيات التي اخْتارها الله لنا موضوعات للتَّفَكُّر، كم هناك مِن الحيوانات ؟ هناك الملايين من أنواع الأسماك، وثلاثمائة ألف نوع من الطيور، والله عزَّ وجل اخْتار الإبِل، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17)﴾

[سورة الغاشية]

لو أنَّ الإنسان بادئ ذي بدء اسْتَخْدم هذه الآيات القرآنِيَّة الكونِيَّة وفَكَّر فيها لَوَصل إلى الله عز وجل، لذا هي مَنْهج، وعلى هذا الإنسان إذا فَكَّر، والتَّفَكُّر أعلى عِبادة على الإطلاق لأنَّه يزيدك معْرِفَةً بالله، وإذا عرَفْتَ الله تعالى عَرَفْتَ كُلَّ شيء، لذا طاعة مَن يعْرِف الله، ومَن لا يعرِف الله تعالى بينهما فرْقٌ كبير، فالذي لا يعرِفُ الله تعالى مُقاوَمَتُهُ هَشَّة، وتحت تأثير أيّ ضَغْط يخْرِقُ الاسْتِقامة، وتحت تأثير أيّ إغْراء يخرق الاسْتِقامة، بينما الذي يعرف الله تعالى لو قَطَّعْتَهُ إرْبًا إرْبًا لا يتَغَيَّر، قال تعالى:

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(23)﴾

[سورة الأحزاب]

لو تساءَلْنا: رجلان مؤمنان، مِن أبوان مُسْلِمان، عاشا في بيئةٍ واحدَة، وفي مُعْطَياتٍ واحِدَة، فَلِما هذا يُطيعُ الله، وذاك يَعْصي الله تعالى ؟! لو أرَدْتَ جوابًا عِلْمِيًّا، فالذي يُطيعُ الله تَجِدُه انْطَلَق مِن معْرِفَة الله، والذي يعْصي الله انْطَلَقَ من ضَعْف معرِفَتِه بالله تعالى، فالإنسان ضِمْنَ الجَيْش، مهما كان مُسْتواه يعرف معنى لِواء، ويعرف معنى عصْيان أوامِر القادَة، كما أنَّه يعرِف معنى أنْ تُطيعَ أمْرًا فقَدْ ترْتَقي، وتترَقَّع إلى رُتْبة أعلى، فأنت ضِمْن هذا النِّطاق المَحْدود تعرفُ معنى الطاعة ومعنى المَعْصِيَة، أما الإنسان المَدَني والذي يبْعُد عن النِّطاق العَسْكري لا يُقَدِّر هذه الرُّتَب والصلاحِيَّات والإمْكانات، والعُقوبات، والمُكافئات، لذا أنت تُطيعُ الله تعالى بِقَدْر ما تعْرِفُه، والإنسان يَعْصي الله بِقَدْر ضَعْفِ إيمانه لذلك الإيمان المُنَجّي هو الذي يحْمِلُك على طاعة الله تعالى، فإنْ لم يَحْمِلْك على طاعة الله، فلا قيمة لهذا الإيمان، إنَّهُ إيمان كما قال بعضهم إيمانٌ إبْليسي ! فإبْليسُ آمَنَ، وقال تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(39)﴾

[سورة الحجر]

يُخاطب الله تعالى بالرُّبوبِيَّة، ويحلف به تعالى، فالمُلَخَّص أنَّ الإيمان الذي لا يحْمِلُك على طاعة الله تعالى لا قيمة له، أما حينما تَسْتقيم على طاعة الله، فهذا الإيمان حقيقيّ، مِن أجْل أن يَزْداد إيماني قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17)﴾

[سورة الغاشية]

قال العلماء: الله جلَّ جلاله زوَّدَ الإبِل بِعَيْنَيْن تُشْبِهان الميكروسْكوب والتيليسْكوب بِآنٍ واحِد ! فالثاني يُقَرِّب البعيد، والأوَّل يُكَبِّر الصغير، فَعَيْنُ الجَمَل تُريهِ البعيد قريبًا، والصغير كبيرًا، وقد يأتي غُبار في الصَّحْراء يُعيق الرؤيا، فَلِلْجَمَل جَفْنٌ خاصّ يمْنعُ هذا الغُبار الدقيق جدًا الذي يُؤذي العَيْن، والجَمَل يستطيع أن يعيش بلا ماء ثلاثة أشْهر ! إذْ أجْهزة الجَمَل قادِرَة أن تأخذ ماء الخلايا، فالخَلِيَّة فيها ماء، وهذا السَّنام الذي تراه في الجَمَل هذه مُدَّخَرة غِذائِيَّة حتَّى هذا التاريخ، هناك دُوَل عُظْمى تسْتعين بالجَمَل على اجْتِياز الصَّحْراء، إذْ هناك عقَبات ورِمال وجبال من الرِّمال لا يستطيع اجْتِيازَها إلا الجَمَل ؛ مُصَمَّم للصَّحْراء، وهناك أكثر من خَمْسة عشرة مليون جمل بالأرض الآن، والجِمال لها طِباع عجيبة إلى درَجَة غير مَعْقولة، فالجَمَل لو أراد أن يسْتريح على جَنْبِهِ لبَطَلَتْ قيمته كُلِّيًا ! كيف تُحَمِّل عليه ؟ فلو أرَدْتَ أن تُحَمِّل عليه وهو واقِف لاحْتَجْتَ إلى سُلَّم، ولو تَحَرَّك أثناء التَّحْميل لسَقَط صاحبه مَغْشِيًّا عليه فهذه حِكْمَةٌ رائِعَة أنَّه يجْلس جلسةً نِظامِيَّة، وهو مُنْخَفِض ؛ تَضَعُ عليه الأحْمال كُلَّها ثمّ ينْهَض وكأنَّ شيئًا لم يكن، إذاً اله تعالى هيَّأ له سفينة في بطنه، وسفينتان في يَدَيه، وسفينتان في رجليه فإذا جلس ارْتاح بطنه.

ثمَّ لماذا هذه الرَّقَبة الطويلة ؟ لأنَّه لو وقفَ لَوَقَعَ الحِمْل مِن عَلى ظَهْره هذه الرَّقَبَة الطويلة تُمَثِّل زراع القَبَّان الطويلة، وبها يتوازن حينما يقف ولأنَّ الجَمَل يعيش في الصَّحْراء، والتي فيها الشَّوْك، فإنَّ أطْيَبُ طعامٍ يأكله هو الشَّوك، كيف أنَّ ألَذَّ الطعام لدَيْك اللُّحوم مع الرزّ مثَلاً فإنَّ الله تعالى رَكَّبَ طَبْعَ الجَمَل على حُبِّ الشَّوْك، يأكل الشَّوْك وكأنَّهُ يأكل الحَلَوِيَّات الفاخِرَة، وفيه لُعاب سميك جدًا، لأنَّ هذه صَحْراء قاسِيَة، ولابدّ أن يستهلك الجَمَل أقلّ قَدَر مِن الماء، ولذلك بَوْل الجَمَل لَزِج، لأنَّهُ مُرَكَّز ترْكيزًا شديداً، وأقَلّ كَمِيَّة من الماء تَجْمع حمض اللَّبَن بِدَمِه فإذا بال الجمَل كان بوْله سميكًا ولَزِجًا لاسْتِهْلاك أقلّ كَمِيَّة ماء في جسمه، وحَتى فَمُه لكي لا يستهلك كمِيَّة من الماء فإنَّ شَفَتاهُ مُبَطَّنَتَان تَلْتَقِمان اللُّقْمة وتُغْلِقُهما، الجمَل مُعَمِّر، ويعيش زمنًا وثَمَنُه الآن بِبَلَدِنا تقريبًا مائة وخمسون ألفاً، فَسَيِّدُنا عثمان رضي الله عنه جاءَهُ في تِجارتِه ستُّ مائة جَمَل مُحَمَّلة بالبَضائِع، وعَرَضَها للبَيْع مِثل شاحنة وزنها عشرين طنًا في عصرنا، ربُّنا عزَّ وجل كيف أنَّ هذا الحيوان مُصَمَّم للصَّحراء في حركته، أُنْظر خُفَّ الجَمَل مُصَمَّم للرِّمال فلو أنَّ خُفَّ الجَمَل كَأرْجُل الحِصان لانتهى

ولانْغَرَسَت رجلاه، ولسَبَّب هذا عرقلة الحَرَكة، وبإمكانِهِ أن يُغْلِقَ أُذُنَه كي لا تؤْذيها الرِّمال هذا كُلُّه مِن خلق الله عز وجل.

صَنْعَةُ الله عز وجل مُتْقَنَة، وحينما قال الله عز وجل:

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ(3)﴾

[سورة الملك]

يعني النَّمْلة والبعوضة، لا يوجد مَخلوق هَيِّن على الإنسان كالبَعُوضَة، فلو أنَّه قَتَل بعوضَةً أحْرَجَتْهُ بالصَّلاة لارْتاح منها، ولا يُفَكِّر نِهائِيًّا أنَّه قَتَل نفْسًا ! هذه البَعُوضة لها ثلاثة قُلوب ؛ قَلْب مركزي، وقلب لِكُلِّ جناح، وجناح البَعُوضَة يرفِّ أرْبعة آلاف مرَّة في الثانيَة ! والبَعوضة لها جِهاز رادار، فهي تَتَّجِه لِجَبين الإنسان في الظلام الدامس دون أن تتَّجِه إلى الوِسادة، لأنَّها تحمل جِهاز رادار فَهِيَ تَتَّجِهه إلى الهَدَف مِن دون رؤْيا أو بِأشِعَّةٍ تحت الحمراء، ولها جِهاز تَخْدير فإذا وَقَعَت على جبين إنسان فهِيَ تُخدِّر هذا الموقِع لكي لا يقتلَها ! والبَعوضة لها جِهاز تَمْييع، فالدَّم لا يدخل في خُرطومِها، فلا بدّ أن تُمَيِّعَهُ، ولها جهازٌ تَحْليلي، هناك دَمٌ يُناسبها وآخر لا يُناسِبُها، ولها مخالِب لِتَقِفَ على سَطْحٍ خَشِن، ولها محاجِم تعتَمِد تَفْريغ الهواء لِتَقِفَ على سَطْحٍ أمْلَس، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ(26)﴾

[سورة البقرة]

إذاً أيُّها الإخوة، لو تَفَكَّرْنا في موضوعات التي وَرَدَت في القرآن عن الكَوْن لكان هذا مَنْهَجًا للتَّفَكُّر لنا.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-6) : تفسير الآية 18

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، تَحَدَّثْتُ في الدرس الماضي عن قوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18)﴾

[سورة الغاشية]

كلُّ ما علاك فَهُوَ سماء، وفي السَّماء مَجَرَّات يُقَدِّرُها بعض العلماء مليون مليون مجَرَّة، والمجَرَّة مجْموعة نُجوم، وكُلّ هذه الأرقام في حُدود ما عرفهُ العلماء الآن، والمسْتقبل يكشِف عن حقائق مُذْهلَة، والكَون ما سِوى الله، ونَظَرِيًّا الكون مَحْدود، لأنَّ ما سوى الله حادِث، والحادِث يسْبِقُهُ عَدَم وينتهي إلى عدم، إذًا مَحْدود، ويبْدو لنا أنَّ ما غير سِوى الله مَحْدود وكُلَّما تقَدَّم العِلْم كشَفَ عن حقائق في الفَلَك يصْعُبُ تَصَوُّرها، فَمَجَرَّةً تَبْعُدُ عنَّا ثلاثمائة ألف بليون سنة ضَوْئِيَّة ؛ هذه مِن سنَتَيْن أرْسَلوا مَرْكَبَة إلى المُشْتَري بِسُرْعَة أربعين ألف ميل بالساعة ، وهي أعلى سرعةٍ وصَلَها الإنسان، وأربعين ألف ميل تعني سِتّين ألف كيلومتر بالساعة ؛ فالطائرة النَّفاثة تسعة مائة كيلومتر، والتي تسْبق جدار الصَّوْت ألف ومائتان أو أكثر ؛ هنا سِتّين ألف كيلومتر بالساعة، وبَقِيَتْ هذه المركبة تمْشي نحو المشْتري ستَّة سنوات، والمُشْتري كوكب في المجموعة الشَّمْسِيَّة، والمجموعة الشَّمْسِيَّة قطْرها الضَّوئي ثلاثة عشرة ساعة يعني الضوء يقْطعُها مِن أوَّلِها إلى آخرِها في ثلاثة عشر ساعة، والقمر ثانية ضَوْئِيَّة، وقطعهُ الإنسان بأربعة أيَّام، والشَّمْسُ تبْعُد عنَّا ثمانِيَة دقائق ضَوْئِيَّة، أمَّا المسافة فمائة مائة وستُّ وخمسون مليون كيلومتر ! فَستَّةُ سنوات إلى أن وَصَلوا إلى المُشْتري، في المركبة يوجد مرْصَد عِمْلاق، وهذا المرْصد، وقد رصَدَ أبْعَد جرَّة كُشِفَت حتى الآن ؛ ثلاثمائة ألف بليون سنة ضَوْئِيَّة، والبليون هو ألف مليون والسَّنة الضَّوْئِيَّة بالثانية ثلاثمائة ألف كيلومتر، وبالدقيقة ضرْب ستّين، وباليوم ضرب أربعًا وعشرون ساعة وبالسنة ضرب ثلاثمائة وخمس وستون ؛ هذا ما يقطَعُهُ الضَّوْء في سنة واحِدَة، قال تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ(75)وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(76)﴾

[سورة الواقعة]

فقوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18)﴾

[سورة الغاشية]

دخلنا الآن في صُلْب الآية كيف رُفِعَت ؟ هناك تجاذب بين الكواكب، والتَّجاذب يقتضي التجاذب، لمَ لا تنجذب الكواكب كلُّها إلى أكبر كتلة في الكون ؟! نَظَرِيًّا ينبغي أن يجْتمع الكون كلّه وِفْق نِظام الجاذِبِيَّة في كتلةٍ واحِدَة، فلماذا كما هو عليه ؟ حركة مع توازن، قال: الحركة عند العوام فيها بركَة ! والحركة في الكواكب ينشأ عنها قوَّة نابذة تكافئ القوة الجاذِبَة، فما دام الكوكب يدور فهو إذًا في وَضْعهِ المِثالي، فإذا تَوَقَّف انْجَذَب، فالله عز وجل قال:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ(11)﴾

[سورة الطارق]

أي أنَّ كل كوكب في السماء ينطلق ويرجع إلى مكان انْطِلاقِهِ، فَكُلُّ كواكب الكون إذًا تدور في مسارات مُغْلَقَة.

الآن هناك سؤال أدَقّ ! إذا كان لدينا كتْلتان مغناطيسيتان بِحَجْمٍ واحِدٍ ووضَعْناهما على سطْحٍ مُسْتوي، وجِئْنا بِكُرة حديديَّة ثقيلة، فهل نستطيع أن نضَعها بين الكتلتين في الوسَك الهندسي تمامًا بِحَيث لا تنجذب لا إلى هنا ولا إلى هنا ؟ نَظَرِيًّا ممكن أما عَمَلِيًّا فهذا مُسْتحيل لأنَّه لو انْجَذَبَتْ واحد بالمليار ميلي، لا يوجد أجْهزة دقيقة تضعُها في الوسط تمامًا !

الآن لو أنَّ الكتلتين مُتفاوِتتان في الحجْم، هنا نحْتاج إلى حِسابات ! المسافات والقوى الجذْب والكتلة، ونحتاج إلى مختَصُّوا رياضيات وفيزياء، طيِّب لو كانت ثلاثة كُتَل ! مِن سابع المستحيلات أن يضع إنسان كتلة في الهواء بِحَيث تبقى مُستَقِرَّة، فإذا كانت عشرون كتلة متفاوتة في الحجم والمسافات بِقُوَّة الجذب والفراغ وهي مُتَحَرِّكَة والمُحَصِّلة اسْتِقرار المُتَحَرِّك؛ وهذا شيء يَصْعُب تَصَوُّره، فالكون كُلُّه مَجَرَّات وحُجوم مُتفاوِتَة وأماكن مُتفاوِتَة والكون كلُّه يدور ومُحَصِّلة هذا الدَّوران توازن حركي ؛ حَرَكَة مع توازن بحيث لو أيّ كتلة زاد انْجذابها إلى كتلة ثانِيَة ارْتَطَمَت بها ؛ ولا يعرف هذا الكلام إلا أستاذ رياضيات مُتَعَمِّق بالهَنْدسَة الفراغِيَّة، وهذا معنى قوله تعالى

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ(2)﴾

[سورة الرعد]

من يستطيع أن يُعَمِّرَ جامِعًا دون دعائِم ! ومن دون جدران ! هذا فوق طاقة البشر، لكن هذا هو وَضْعُ الكون، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18)﴾

[سورة الغاشية]

وما الذي جعلها متوازنة ؟ فالقِطار باليابان إذا وصل متأخِّرًا ثلاثة دقائق يَدْفَع للرُّكاب تَعْويض، فلا بدّ أن ينطلق من توكيو إلى أوساكا وهناك حوالي ستُّ مائة كيلومتر، فيَلْزَم أن يصل بِفارِق أقلّ من ثلاثة دقائق، طيِّب أدَقُّ ساعَةٍ بالعالم ساعة بيكبِن ؛ كيف تُضْبط ؟ على مُرور نجْم، فهي حينما ترْصُد نجْمًا بِسَمْتٍ دقيق، يأتي في وقْتٍ مناسب لا يزيد ولا يتأخَّر ثانيَة، فَحَركات النُّجوم بِمِعشار الثواني تنضبط، وتمْشي مسافات مُذْهِلَة، ولا أدَلَّ على ذلك، فالإنسان أحيانًا لا ينتبِه إذْ هناك تَقْويم، ففي اليوم التاسع عشر آب المغرب على الساعة السابعة وثلاثة عشر فرَضًا، فهل يُعْقَل أن نعرِف بعد سِتِّين يومٍ وبعد سنة وبعد ألف سنة، نعرف تَوْقيت المغرب مثلاً، فهذا التَّقْويم ماذا يعْني ؟ يعني أنَّ حركة الكواكب بِمِعْشار الثانِيَة، ونحن نتنبَّأ بِنِظام دقيق أنَّ الأرض دَوْرَتُها ثابتة، وكذا سرْعتها، وحركتها حول الشَّمْس ثابتة، وهذا التَّقْويم مأخوذ من دَوْرة الأرض حول نفسِها، ومن دورتِها حول الشَّمس، وكلّ هذه الدَّورات بِسُرْعاتٍ ثابتة لا تزيد ولا تنقص ! الأمر الثاني أنت عندك نهار وليل، فالأرض تدور ولو أنَّها واقفة لما كان هناك ليل ونهار، ولكان هناك نهار وليل سَرْمدي، فالنَّهار السَّرْمدي ثلاثمائة وخمسين درجة فوق الصِّفر ؛ حينها يموت كلّ شيء، الليل السرْمدي ومائتان وسبعون درجة تحت الصِّفْر، ولانْتَهَت الحياة حينها أما بِدَورَتِها ينشأ الليل والنهار.

لو أنّ الأرض محورُها عمودي ؛ لكان هناك ليل ونهار ولكن فُصول ثابِتَة ! الصَّيْف أبدي والشِّتاء أبدي والرَّبيع أبدي، ولكن بِمَيْل المِحْوَر صار هناك صيف مُتَبَدِّل، وشتاء مُتَبَدِّل، وربيع مُتَبَدِّل، وخريف مُتَبَدِّل، وبِحَرَكَتِها حول نفْسِها نشأ الليل والنَّهار، فلو كان محورها متوازي مع مِحْوَر دورانِها لالْتَغى الليل والنَّهار ! فالميل دقيق جدًا في الأرض، فالله تعالى ذكَرَ الليل والنهار، وذَكر الشَّمس والقمر بِآيات كثيرة جدًا، وقال تعالى:

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(38)﴾

[سورة يس]

فالأرض شَكَّلَت حلزون في حركتها حول الشَّمس.

فالله عز وجل يأمرنا قائِلاً:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18)﴾

[سورة الغاشية]

أشِعَّةُ الشمْس في الصَّيْف لا تدْخل الغرف وفي الشِّتاء تَصِل إلى أقْصى مكان في الغرفة، ما معنى ذلك ؟ أنَّ الشَّمْس في الصَّيْف عمودِيَّة وفي الشِّتاء مائلة، فما هو الصَّيْف ؟ أن تكون أشِعَّةُ الشمْس عمودِيَّة على سطْح الأرض، فالأرض مِحْوَرُها مائِل.

طيِّب مَن جعل هذه الدَّوْرَة أثنى عشرة ساعة ؟ ليلاً ونهارًا ! تَصَوَّر لو كان الأمر ساعة ليل وساعة نهار، أو سنة ليل وسنة نهار، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ(71)﴾

[سورة القصص]

هذه آيَةٌ قُرْآنِيَّة، ونحن عندنا اخْتِلاف الليل والنهار، وعندنا اخْتِلاف طول اللَّيل والنَّهار ففي الصَّيْف تجد المغرب على الساعة الثامِنَة، وبالشِّتاء الرابعة وستُّ وثلاثون دقيقة، فاختِلاف الليل والنهار آية من آيات الله تعالى.

الإنسان إذا فكَّر في هذا الكون المُحْكَم، وصُنْعَ الله الذي أتْقَنَ كلّ شيء عرف الله، والتَّفَكُّر أعلى عِبادة، وقَضِيَّة الكوْن قَضِيَّة كبيرة جدًا في حل أن تسْتوْعِب حركة الأرض حول نفْسِها، والله عز وجل قال:

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾

[سورة الشعراء]

ومرَّةً قال:

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ(17)﴾

[سورة الرحمن]

وذكر مرَّةً:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ(40)﴾

[سورة المعارج]

فمرَّة بالإفراد والأخرى بالتَّثْنِيَة وتلك بالجمْع !

فما هذا ؟ فَرَبُّ المشرِق يعني ربُّ المشرِق إجْمالاً، أما ربُّ المَشرقين فهي النِّهاية العُظْمى في الشِّتاء، والعُظْمى في الصَّيْف، وفي الحقيقة كلّ يوم هناك مشرق ومغرب جديد ؛ ربُّ المشارق والمغارب فهذا كلام خالق الكون وليس كلام إنسان، وعِلْمُ الفلَك عِلْمٌ كبير جدًا، فالأرض تسير حول الشَّمْس بِمَسار إهْليلجي تسْتغرق حركتها حول الشَّمْس ثلاثمائة وخمس وستون يومًا وربْع ! وفي أثناء سَيْرِها تمُرُّ بالبُروج، وفي كل

شهر تمرّ بِبُرْجٍ، ولذلك نُجوم السماء تختلف من شهر إلى شهر، فهناك نُجوم ثابتة مع الأرض وتدور معها، ومُتَحَرِّكَة تبْدو ثابتة، فالله تعالى قال: والسماء ذات البروج واليوم...مشهود " أبراج السماء بحْث قائِم بِذاتِه ؛ ضَرْب التَّبابِنَة، ففي أيام غِياب القمر الشديدة نام على السَّطْح يجد مثل الغبار في السماء ؛ وهذا هو ضَرْب التَّبابِنَة وهي مجَرَّتُنا، وهي تبْدو على شَكل عضَلة، والمجموعة الشَّمسيَّة بِأكْملها نقطة في هذه العضلة ! هذه نراها بالصَّيف أيام غياب القمر، كأنَّ سحابة مُمْتَدَّة، وهي مجَرَّة مُتَوَسِّطة جدًا، وأقرب نجْم فيها مُلْتَهِب بُعْدُهُ عنَّا أربعة سنوات ضَوْئِيَّة، ولو كانت هناك سيَّارة وطريق مُعَبَّد لاحْتَجْنا أنْ نصِلَ إليه خمسين مليون سنة، وهو أقرب نجْم مُلْتَهِب على الإطلاق، قال تعالى: فلا أقسم بمواقع النجوم..عظيم "

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-6) : تفسير الآية 19

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19)﴾

[سورة الغاشية]

الجبال من آيات الله الدالة على عظمَتِه.

بادئ ذي بدْء جعل الله الجبال رواسيَ لأن لا تَميد بنا الأرض وكلّ شيء يدور بِسُرْعة عاليَة يضْطرب، ومِن أجل أن لا يضْطرب لا بدّ من أن توضَعَ في أماكن من جِسْمهِ أوْزان بحيث هذه الأوْزان تُعَدِّل سُرْعَة الدَّورَان، ويبْقى الدَّوران مُسْتَقِرًّا، قال تعالى:

﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(10)﴾

[سورة لقمان]

فالأرض تدور حول نفْسِها بِسُرْعة ألف وستِّين كيلومتر بالساعة، فأسْرَع طائرة ألف ومائتان، والطائرة العادِيَّة تسعمائة وهي النَّفاثة التي تخْرِقُ جِدار الصَّوت، فدَوْرة الأرض حول نفْسِها بِسُرْعة ألف وستِّين كيلومتر بالساعة ؛ وهي دوْرةَ سريعة جدًا، فهذه الجبال جعلها الله تعالى في أماكن مُعَيَّنَة مِن اجل أن يسْتَقِرَّ دَوَران الأرض، ومِن أجل أن تكون الأرض قَرَارًا ! ينشئ بناء يبقى ثلاثين سنة إلى سبعين أو أكثر ولا تجد فيه بعد ذلك ولا شقّ ! والسَّبب أنَّ الأرض مُسْتَقَرّة في دَوْرَتِها، ودوْرَتُها حول الشَّمْس ثلاثين كيلومتر بالثانِيَة، فهناك حركة حول الشَّمس وحركة حول نفْسِها، وهي مع الحركَتَين تبْدو مُسْتَقَرَّة تمامًا، أما الإنسان فلم يسْتطع حتَّى الآن أن يصْنعَ مرْكَبَةً تسْتَقِرّ اسْتِقْرارًا تامًا أثناء حركَتِها، وهذا مهما كانت المركبة عالِيَة المستوى ؛ لا سفينة ولا باخرة ولا طائرة ولا سيَّارة فلا بدّ مِن أن تضطرب كل من هذه الوسائل.

قوله تعالى:

﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾

[سورة النمل]

لها عِدَّة معاني ؛ الأشياء التي على سطْح الأرض تسْتقرُّ على سطْح الأرض ؛ كيف تسْتقِرّ ؟ متى عَرَفنا قيمة الجاذِبيَّة ؟ حينما أُرْسِلَت مرْكبة إلى الفضاء، ففي منطقة بين الأرض والقمر تنْعَدِمُ الجاذِبيَّة، وهو شيء مُزْعِج جدًا، ينام على السرير فإذا اسْتيْقَظ وَجَد نفْسَه في السَّقف، فأنْ تضع الكأس على الطاوِلَة ويستقِرّ كما وضَعْتَهُ ؛ هذه نِعْمة لا يعْرفها إلا من فقَدَها؛ قوله تعالى:

﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾

[سورة النمل]

كل هذا بِفِعْل الجاذِبيَّة، أما لو انْعَدَمت الجاذِبيَّة لما اسْتَطَعنا أن نزِنَ التفاح ! ولو كان طنًّا !! أما بِفِعْل الجاذِبيَّة فإنَّ حبَّات التُّفاح تنْجذِب إلى الأرض وهذا هو الوَزْن، فالله تعالى جعل الأرض مُسْتَقِرَّة بِمَعنى ما عليها مُسْتَقِرّ.

المعنى الثاني: على الرُّغْم من حركتِها هي مُسْتَقِرَّة اسْتِقْراراً تامًا، والدليل الزلازِل، ففي بِضْعة ثواني تتَحَطَّمُ عمارات، القاهرة تحطَّمت عمارة كاملة في بضْعة ثواني لمَّا باغت درجة الزلزال سبعة على ريشتر، لذلك الدُّعاء النبوي الشريف: اللَّهم أرِنَا نعمك بِكَثرتها لا بزوالها، فهذا فندق بالمغرب ثلاثين طابق أصبح كلّه بالأرض ولم يبْق إلا اسمُه ! قال تعالى:

﴿ أءمنتم من في السماء أن يخْسف بكم ﴾

الزلازِل تُبَيِّن لكم نِعْمة الاسْتِقرار، وهنا بالشام هزَّتْ هزَّة أربعة ريشتر، فالضَّمان الوحيد هو الله، وأن يسْمَحَ لك أن يحْفظك، وان يحْفظ لك بيْتَكَ وجِسْمَكَ، وأن يحْفظ لك صِحَّتَك.

قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19)﴾

[سورة الغاشية]

الجبل الذي تَرَوْنهُ طبْعًا أعلى جبل في العالم هو الهِمالايا ارتِفاعه أثنى عشر ألف وثماني مائة مِتْر ! وكلّ جبلٍ تَرَوْنهُ فإنَّ ثلثه مَغْروس في الأرض، والله تعالى جعل الجبال أوْتاد، والأرض فيها طبَقات ولها كثافة ومع الدَّوَران تضْطرب الأرض، فيأتي الجبل فيَرْدِف هذه الطَّبقات بِبَعْضِها بعض وانغِراس ثلث من الجبل في الأرض كانْغِراس الضّرس تمامًا.

فأصبح الجبل وتدًا، ومرْساة، ومصَدٌّ للرِّياح، والجبال مناطق فيها برودة فإذا كان الحرّ ففي الجبال تجد نعومة، كما أنَّها خزَّانات للمياه فهذا نَهْر الأمازون كثافتُه ثلاثمائة ألف متر مُكَعَّب بالثانِيَة ! أعلى كثافة نهر بالعالم ؛ فأين مُسْتوْدعاته ؟ بالجبال، لذلك أكثر آيات الجبال تُرافقها آيات المياه، قال تعالى

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19)﴾

[سورة الغاشية]

فهي آية من آيتان الله تعالى، وهي على ألْوان ؛ هناك جبال سوداء وحمراء وجبال كِلْسِيَّة، وكل جبل له بُنْيَة، وهي تزيد مِن مساحة الأرض، وهي تُعْطي الأرض جمالاً، وتعْطي برودة، وهي تربط طبقات الأرض بعضها ببَعْض، وهي مِصَدَّات ورواسي، وهي مستوْدَعات.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-6) : تفسير الآية 20

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، لازِلنا في الآيات التي أوْرَدَها الله عز وجل لِتكون دليلاً على معرفة الله عز وجل، وعلى معرفة أسمائه الحسنى وصِاتِه الفضلى، وآية اليوم قوله تعالى:

﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾

(سورة الغاشية)

الأرض تبْدو مُسَطَّحَة، وهي في الوقْت نفْسِه كُرَة، لَكِنَّ حجْمَها الكبير مع أنَّها كُرَة تبْدو مُسَطَّحَة !

أوَّلاً الأرض تتوافق مع حاجات الإنسان، لو أنَّها تضاريس مائلة حادَّة وسَخْرِيَّة، يموت البشر جوعًا، ففي منطقة السويْداء منطقة اسمُها اللَّجات ؛ سَخْرِيَّة، فلو أنَّ الأراضي كلُّها هكذا لما بقِيَ واحِدٌ على قَيْد الحياة، لكنَّ الله سبحانه وتعالى جعل الأرض تُرابِيَّة، فيها ثمانِيَة عشر معْدَنًا، وهناك مُكَوِّنات النَّبات، فالأرض أوَّلاً مُمْتَدَّة، هي كُرَةٌ وتَبْدو أنَّها ممْتَدَّة لِعِظَمِ حجْمِها.

ثانياً: هي أُفقِيَّة وليْسَت مائِلَة، وثالثًا: تُرابِيَّة، ووزْنُك يتناسب مع حجْم الأرض، ولو أنَّ الإنسان صَعِدَ إلى القمر لكان وزْنُهُ سدُس الوزْن الحالي، فلو كان بالأرض وزْنُهُ ستِّين كلغ لكان وَزْنُه بالقمر عشرة كلغ ! ولو كانت الأرض حجْمُها ضعف الحجم الحالي لأصبح من وزنه ستِّين مائة وعشرين ! فَحَجْمُ الأرض متناسب مع الإنسان، ودَوْرَتُها حول نفْسِها متناسبة مع طاقتِهِ، فالإنسان يعْمل ثمانية ساعات ويأكل ويعود إلى بيْتِه، ويجْلسُ مع أهْلِهِ وينام، فكيف لو كان الليل ساعة والنهار ساعة ! أو الليل ستَّة أشْهر، والنَّهار ستَّة أشْهر، فَوَزْنُهُ متناسِب مع حجْم الأرض، وطاقاتِهِ مع العمل متناسبة مع سرعة دورانها حول نفْسِها، وتَحَمُّله للحرارة والبرودة متناسبة مع الفُصول الأربعة فَبالشِّتاء صفْر، وبالصَّيْف أربعون، أما لو الأمر مائتان تحت الصِّفْر لانْتهى الإنسان !

وبالمناسبة لو أنَّ الإنسان ذهَب إلى فرْلاندا، أقلّ درجة حرارة بالعالم هناك ؛ تسْعةٌ وسِتُّون تحت الصِّفْر، والإنسان هناك بِإمكانِهِ أن يرْتدي قُفَّازات، ويرْتَدي طاقِيَّة ومِعْطَف وجوارب صوفِيَّة وألْبِسَة داخِلِيَّة إلا أنَّهُ لا يستطيع أن يقي عَيْنَيْه ! إذًا لا بدّ أن يتَجَمَّد ماء العَيْن فَوْرًا لِهذا ربُّنا جلّ جلاله جعل فيماء العَيْن مادَّةً مُضَادَّةً للتَّجَمُّد، وذلك من أجبل أن ترى ؛ خَلْقٌ كامِل قال تعالى:

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ(88)﴾

[سورة النمل]

فَوَزْنُك يتناسب مع حجْم الأرض، وطاقاتِك مع العمل متناسبة مع سرعة دورانها حول نفْسِها.

الآن الأرض ليْسَت تضاريسُها حادَّة، ومُيول حادّ، أحيانًا هناك أراضي جَبَلِيَّة مُشْكِلَتُها بالأمطار تُجْرَفُ التربة؛ شيء لا يُحْتَمَل وبناء جدْران اسْتِنادِيَّة هذا شيء مُكْلِف كُلْفَةً كثيرة، فلو كانت مائلة وصَخْرِيَّة لمات الناس جوعًا، قال تعالى:

﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾

[سورة الغاشية]

والله عز وجل جعل أربع أخْماس الأرض ماء ! لماذا ؟ لأنَّ هذه المُسَطَّحات المائِيَّة تكْفي لإرْواء الخُمْس، ولو كان البحر نصف الأرض لمات الناس جوعًا، فهذه المُسَطَّحات المائِيَّة تتبَخَّر مياهُها بالشَّمْس الشديدة وتُصْبح سحابًا وتُساق إلى اليابسة فَتُرْوى الأرض، وتَحْيى النباتات.

الأمر الآخر ؛ أنَّ الله تعالى جعل السَّواحِل وجعل رؤوس، وخُلْجان وقنوات، وجعل معابِر ومِياه عَذْبة، وبَحْث الأنهار وَحْده مِن أعْظَم ما يُؤَكِّدُ عظَمَة الله عز وجل.

بِأيّ مكان هناك ينابيع ماء عذْب، أربعة وعشرون ألف جزيرة بِأنْدونيسْيا هناك نبْع عّذْب يتناسب مع الجزيرة، وكل نبع له تمْديدات تحت الأرض ؛ فَنَهْر التَّايْمز بابريطانيا، كلّ أمطار بريطانيا لا تطفي لِغَزارة نهْر التَّايْمز، وعلماء الجغرافيا يَرَوْن أنَّ مُسْتوْدعاتُهُ بِأوروبا ومُمَدَّدَة تحت بحر المانس إلى ينابيع نهر التايمز بابريطانيا.

ونهر الأمازون كما قلتُ لكم ؛ ثلاثمائة ألف متر مُكَعَّب بالثانية، وهناك من يقول أنَّ هناك حرْب مياه، ثمّ حرب البترول، ثمّ انتقَلنا إلى حرب القَمْح، والآن نحن في حرب المياه، وكأنّ الله سبحانه وتعالى ليس عنده مياهٌ عذْبة لِيَسْقي بها البشر، مع أنَّني قرأتُ مقالَةً عِلْمِيَّة عن مرْصَدٍ أوروبِيّ يعْمل تحت الأشِعَّة الحمراء، كشَفَ سحابةً يُمْكن أن تملأ مُحيطات العالم سِتِّين مرَّة في كلّ أربعة وعشرين ساعة بالمِياه العَذْبة ؛ سحابة واحدة ! قال تعالى:

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ(21)﴾

[سورة الحجر]

لذلك ربُّنا عز وجا إذا قنَّن كان التَّقنين تقْنين تأديب وليس تقْنين عَجْز ، قال تعالى:

﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾

[سورة الغاشية]

فيها فلْزات، ما هي الفلْزات ؟ يعني الحديد، فلو كان الحديد كُتَلاً في أعْماق الأرض فلا يُمْكن أن يُسْتَخْرج، أما الفلْزات هو حديد مع تُراب ؛ تَجْمَعُ التُّراب بِعَرَبات في معامِل صهْر الحديد، لو كان المعادن ليس على شَكْل فلْزات لما أمْكن أن نسْتفيد منها، وكم هناك معادن بالأرض ؟! لا يعلمها إلا الله ؛ معْدَن خفيف جدًا ومتين هو الألمنيوم، ومعدن ناقل للحرارة وهو النُّحاس صالح للطَّبْخ، مرَّةً لفت نظري وأنا أنظر إلى حديقة وهم يهْدِمونها، كان هناك أعمِدَة حديديَّة مُثْبتة بالحِجارة، فالآن يقْطعون الحديد لا بِسَحْبِهِ من الحجَر بل عن طريق الأكسجين ! فسألْتَ هل يُمْكِن أن تقْطع الحديد بالأكسجين ؟ فقال: هذا أسْهل شيء ! لأنَّ الحديد بعدما دخل إلى الحجَر فلا يوجد قُوَّة يمكننا أن ننزعه من الحجر ولكن بِفَضْل معْدن الرَّصاص ! ما هذا المعْدَن ؟ فقال لي: نحن نَحْفر حُفْرَةً بالحَجَر مثل الأجاصة نضَعُ الحديد ونَسْكُب الرَّصاص المُذاب فالرَّصاص ينْصهر لِدَرَجة مائة ؛ على الغاز ينصهر، وهذا المعدن هو الوحيد إذا تبرَّد اتَّسَع حجْمُه، فيَضَعون الحديد بالحجر بِحُفرة على شكل أجاصة ويسْكبون قليلاً من الرَّصاص، فإذا برُدَ توَسَّع، ولا توجد قوَّة تنزعُه بعد ذلك ! لذا حَشْوُ الأسنان الآن عن طريق مَسْحوق الرَّصاص وبالتَّبْريد يتوسَّع.

فالله تعالى خلق رصاصًا ونُحاسًا وحديدًا بِأنواعِه، والحديد إذا لم يصْدأ نموت نحن !! كيف ؟! في جسْم الإنسان حديد يفعل مسمار ستَّة عشر ولك أنت أملاح الحديد ؛ ولأنّ الحديد يصْدأ فهو يُصبحُ أملاحًا فأنت تأكل العدس وهو فيه الحديد، والسبانِخ وتفاح ؛ كل هذه فيها حديد فالتُّفاح فيه حديد ! كيف لو قَطَعْتَ تُفاحَّة وتركْتها لوَجَدْتَها اسْوَدَّتْ فهذا دليل على أنّ الحديد فيها تأكْسَد ! فالله تعالى جعل هذه المعادن في الفواكه والخُضار على شكْل أملاح، فلو كان الحديد نفْسُه نأكلهُ لَمِتْنا فالإنسان إذا اصْفَرَّ لونُه لكان علامةً أنَّ معه فقْر دمّ، وفَقْر الدمّ يعني ينْقُصُه الحديد، فالذي معه بُستان ووَجَد أوراقها أخضر فاتِح كان هذا دليلاً على أنّ الشجرة تحتاج إلى شلات الحديد، والخضار الداكن يعني أنَّ هناك حديد جيّد بالتُّرْبة، لذلك من أحد الأسْمِدَة شلأت الحديد وهي لا بدّ منها ؛ نِظامٌ دقيق جدًا ! فالله عز وجل هذه الأرض جعل فيها معادن وأشباه معادن وفلزات، وينابيع، وبترول ؛ ما هو البترول ؟ البترول في عُهودٍ قديمة جدًا كانت هناك أمطار عزيرة بالأرض تَشَكَّلَت من جرَّائِها غابات عِمْلاقة، فهذه الغابات دُفِنَت تحت الأرض فكانت بتْرولاً ! والدليل قوله تعالى:

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ(80)﴾

[سورة يس]

كنتُ أقرأ هذه الآية فأشْعُرُ بِحَرَج ! يا ربّ الشَّجر الأخضر لا يشعل، إنَّما الشَّجر اليابس هو الذي يشعل، فَرَبُّنا لمَّا قال شَجَر لولا هذه المادَّة الكلوروفيل ؛ مادَّة اليَخْضور لما كان الشَّجر وهذا الشَّجر العملاق دُفِنَ فكان بتْرولاً.

فهذه الآية هي آية البترول فالأر وَحْدها بِتَضاريسِها وجبالها وسُهولها وهِضابِها وتلالها وجبالها العمْلاقة فأنت أحْيانًا كي تبني بيْتًا بلاستيكي يُكَلِّفك الأمر إلى مائة وخمسون ألف ولو كان بيْتًا زُجاجِيًّا لكَلَّف مليون ! فالله تعالى جعلك لك مدينة كلَّها بلاستيكِيَّة ؛ غَوْرُ فلسطين وهي أعْمَقُ نقْطة في الأرض، زُرْتُها مرَّةً قبل لأن تُحْتَلّ وصَلْنا إلى محَلٍّ كتبوا فيه: هنا مُستوى سطْح البحْر ! تابعْنا فإذا ستُّ مئة نتر تحت سطْح البحر ! غَور فلسطين بيت بلاستيكي كلُّه كانت تأتينا الخُضار والفواكِه بِأثناء الشِّتاء، وهناك آية فيها إعْجاز قرآني، طبْعًا جرَتْ معركة بين الفرس والروم في غَوْر فلسطين، وقبل سنوات مَعدودة اكْتُشَف أنَّ هذه المنطقة أعْمق نقطة على سطْح الأرض فالله تعالى قال:

﴿ الم(1)غُلِبَتْ الرُّومُ(2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(3)فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ(4)بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

[سورة الروم]

وبعدما كشفْنا أشِعَّة اللَّيْزر عرفنا أنَّ غَوْر فلسطين أعْمق نقطة أما الله تعالى قال:

﴿ الم(1)غُلِبَتْ الرُّومُ(2) ﴾

فيا أيها الإخوة الكرام، أرضٌ للزّراعة أقول لك: جَرِّب فَلِكُلّ أرض خصائص، فالسَّفرجل مثلاً بالشام أطْيَب منطقة ينمو فيها هي الأشْرَفِيَّة ومنطقة أخرى تُناسب البندورة بِحُوران، فَتُرْبَة حوران أنْسَب ترْبة للبندورة، وفيها منطقة ينمو فيها قمْح قاسي، وهو أقْسى قمح في العالم ما هذا السرّ ؟ كل تربة لها خصائص ؛ هذه للشاي وتلك للبنّ والأخرى للتفاح، وهذه للزَّيتون، تَركيب التُّرب عجيب جدًا، لذلك الإنسان لا يزرع إلا بالأماكن المناسبة للزّراعة لِتِلك التي يوَدُّ زراعتها، فَمَن صنَع هذه التُّرْبَة ؟ ومن أعْطاها مُكَوِّناتِها ؟ التُّرْبة تحوي تقريبًا ثمانية عشرة معْدَنًا، وهذه المعادن تُحَلّ بالماء على شَكْل أمْلاح ويأتي النبات فيأخذ هذا الماء المعْدني إلى أعلى قِمَّة في الشَّجَرة عن طريق ظاهرة غريبة جدًا اسْمُها الحُلول .

ثمّ الأرض فيها جاذِبِيَّة والإنسان يسْتغرب، وهي أنَّها كُرَوِيَّة وهنا يوجد بِحار فَلِمَ لا تنْزِل البِحار ؟ كُلّ شيء بالأرض مَرْبوط بالمَرْكز فلو ذَهَب الإنسان إلى أر جنتين لكان هنْدَسِيًّا رأسه نحو الأرض ورجله نحو السماء، ولكانت السماء نحو الأسفل ! على كُلٍّ هناك آيات الأرض كثيرة جدًا تسْطيحُها وكُرَوِيَّتُها، وانْجِذاب الأشاء إليها، وحجمها وسُرعتها وتركيب تربتِها، هذا كُلُّه تنْطوي تحت هذه الآية الكريمة قال تعالى:

﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾

[سورة الغاشية]

الدرس (6-6) : تفسير الآيات 21 - 26

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، آخر آيات سورة الغاشية هي قوله تعالى

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (22)﴾

[سورة الغاشية]

الإنسان مُخَيَّر ولا يستطيع أحَدٌ أن يُجْبرَهُ على شيء، والدليل قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(56)﴾

[سورة القصص]

قال تعالى: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ

[سورة الشورى]

فإنسانٌ لإنسان ينْصَحُه، أما أن يجْبره فلا يمكن والأبلَغُ من ذلك، قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(22)﴾

[سورة إبراهيم]

فَحَتَّى الشيطان الذي يسْعى جُهْدهُ لإغْواء بني آدم ليس له على الإنسان سُلطان بل كما قال: إلا أني دعوتكم فاستَجَبْتُم لي ! فالإنسان في الأصل مُخَيَّر، وجاء إلى الدنيا وفْق هذا الشَّرط، ولولا أنَّهُ مُخَيَّر لما كان هناك معنى للتَّكْليف، ولا لِحَمْل الأمانة ولا للجنَّة ولا للنار، ولا لثَّواب ولا للعِقاب ؛ كُلُّ هذا يُلْغى لو أنَّهُ مُجْبر، فالله تعالى لو أجْبر على الطاعة لبَطَل الثَّواب، ولو أنَّه أجْبرهم على النعْصِيَة لبَطَل العِقاب، فَتَخْيير الإنسان هو سبب رُقِيِّهِ، قال تعالى: فذَكِّر إنما أنت مذكر ...مسيطر " لذلك الذين رأوا النبي عليه الصلاة والسلام وكماله وعِلْمَهُ ورحْمَتَهُ وبلاغَتَهُ، وسَمِعوا الوَحْي من فَمِهِ الشريف، ولم يؤمنوا به ! عَمُّه أبو لهب وأبو جهل وأبو طالب ؛ كُلُّهم كفروا به ! قال تعالى:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (22)﴾

[سورة الغاشية]

فالإنسان إذا أراد الحقيقة كلّ شيء يدلُّه عليه، ولو رفضَها لو الْتَقى بِأكبر الأنبياء ولو رأى المعجِزات، فبنو إسرائيل رأَوا البحر أصبحَ يابِسًا وساروا فيه فلمَّا خرجوا مِن ضَفَّتِه الثانِيَة دخل فرعون فعاد البحر بحْرًا فَغَرِقَ، وهل من آيَةٍ أبْلَغُ من هذه الآية ؟! ومع ذلك لمَّا رأَوا أناسًا يعْكِفون على أصْنامٍ يعْبُدونها من دون الله قالوا:

﴿ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(138)﴾

[سورة الأعراف]

كلامٌ دقيق ؛ فالإنسان إذا أراد الحقيقة كلّ شيء يدلُّه عليه،ويستفيد من أيّ نصّ ومن أيّ كتاب ومقولة ودرس، ولو رفضَها لو الْتَقى بِأكبر الأنبياء ولو رأى المعجِزات ؛ لا يؤمن بك، قالوا: لن نؤمن بك يا صالح حتَّى تخرج ناقَةٌ من هذا الجبل !قال تعالى:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا(14)وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا(15)﴾

[سورة الشمس]

توضيحٌ لهذه الحقيقة: أرْخَص آلة تَصْوير إذا فيها فيلم تأخذ صورة، وأغْلى آلة تَصْوير إذا لم يكن فيها فيلم لا تأخذ أيَّة صورة ! فالفيلم هو سبب الحقيقة، فالإنسان إذا أراد الحقيقة وصل إليها، وإن رفضها فهو يرفضها حَتْمًا، والدليل أنَّ أحداث الدنيا لو درسْتها دراسة دقيقة مِن زاوية القرآن الكريم لوَجَدْتها تنطق بِوُجود الله وقدرته ووحْدانِيَّتِه، قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ(65)﴾

[سورة الأنعام]

والآية الثانية قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(112)﴾

[سورة النحل]

إذًا كما قال تعالى:

﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24)﴾

(سورة الغاشية)

توَلَّى ؛ اعرض عن الله وكذَّب هذا الدِّين، ولم يعْبأ بِهذا المنهج، فهذا يُعَذِّبُه الله العذاب الأكبر فعَذاب الدنيا أصغر ؛ الأمراض العُضالة، والقَهْر، وفَقْد الحُرِيَّة، والفقْر الشديد، والذلّ والعذاب المُهين والأليم ؛ كل هذا أصْغر قال تعالى: ولنذيقنَّهم من العذاب الأدنى..." فالعذاب في النار عذابٌ أكبر والسَّعيد مَن نجى من هذا

العذاب، قال تعالى: فمن زحزح عن النار..." لو وَصَلْتَ إلى قِمَّة المالي أو الإداري أو العلمي ؛ يأتي الموت يُنْهي هذا النَّجاح ويبْقى الحِساب.

ثمَّ قال تعالى: إنَّ إلينا إيابهم...حسابهم " أوَّل ليلة يوضَعُ فيها المَيّت في قبْره يقول له الله عز وجل: عَبْدي رجعوا وتركوك، وفي التراب دَفَنوك، ولو بَقُوا معك ما نفعوك، ولم يبْقَ لك إلا أنا، وأنا الحيّ الذي لا يموت، أنْصَحُ كلّ أخ أن يتَّبِعَ جنازة كلّ ميّت ولو لم يعْرِفْهُ، كنتُ قبل يومَين في تشْييع جنازة أحد إخواننا، فقُلْتُ كلمَةً فيها سطْرين وذلك لِشِدَّة الحرّ، فَخِفْتُ على الحاضرين: اِعْلموا أنَّ ملَكَ الموت قد تَخَطَّانا إلى غَيرنا وسيتَخَطَّى غيرنا إلينا، فلا بدّ أن يأتي يوم ويكون مَحَلّ هذا المَيّت الذي أنتم أمامه نحن ! فهذا الذي يعيش في بيْتٍ أنيق ورفاهة سَيُوضَع في قبْرٍ ويُرْمى عليه التراب ؛ اِعْلموا أنَّ ملَكَ الموت قد تَخَطَّانا إلى غَيرنا وسيتَخَطَّى غيرنا إلينا، فلْنَتَّخِذ حِذْرنا، الكيّس من ذان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتْبَعَ نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني ؛ وهذا حال المسلمين الآن، غارقين بالمعاصي سهرات فاجرة، وتِجارة فاسدة، ورِبْح حرام، ونساؤُهُ كاسِيات عاريات، ثمَّ يقول: تسَعُنا رحْمةُ الله، أعطى نفسَهُ هواها وتمنى على الله الأماني. العاقل كلّ العاقل، والذكِيّ كل الذَكيّ، والفالِح كلّ الفالِح، والمُتَفَوّق كلّ المُتَفَوّق مَن يُعِدُّ لِهذه الساعة التي لا بدّ منها، يُعِدُّ لها بالتوبة والاسْتِقامة والعمل الصالِح، وطلب العِلم وتعْليمه، لذلك كما قال تعالى: " إنَّا إلينا إيابهم..." يوضَع بالقَبْر، وسَيُعامَل إلى الأبَد وِفْقَ ما سَلَك في الدنيا، فقد ينجح الواحد من الصف الحادي عشر إلى الباكالوريا وقد تكون علامته تعيسة أو جيِّدة ؛ المُهِمّ نَجَح أما للارْتِقاء إلى الجامعة لا بدّ من علامات تخْتَلِف من فرْعٍ لآخر، هناك علامات هنْدسة وعلامات للطبّ، وأخرى كليَّة علوم، ومعهد مُتَوَسِّط، فَمَجْموع علاماته يُحَدِّد مصيرَهُ، أما النَّجاح الآلي في الصُّفوف الأخرى هو نجاح لا اعْتِبار له ! فكذلك يوم القيامة اسْتِقامتنا تُحَدِّدُ مصيرَنا الأبدي، ومتى يُحَدَّدُ هذا ؟ عند الموت، فَكُلُّنا يموت ولا يبْقى إلا ذو العِزَّة والجبروت، والليل مهما طال فلا بدّ من طلوع الفجْر، والعُمْر مهما طال فلا بدّ مِن نزول القَبْر.

وكل ابن أنثى وإن طالتْ سلامتُهُ يوْمًا على آلَةٍ حَدْباء محمول
فإذا حَمَلْتَ إلى القُبور جنازَةً فاعْلَم بأنَّك بعدَها مَحْمول

كان عندي شريط قديم سَمِعْتُه، فإذا ثمانيَة أشخاص في هذا الشريط قد ماتوا ! فقُلْتُ ياتي وقت ويكون كلّ مَن في الشريط قد ماتوا ! هذه الدنيا ! هي ساعةٌ فاجْعَلْها طاعة، والنَّفْسُ طمَّاعة فَعَوّدْها القناعة.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس عشر : تفسير سورة الفجر

الدرس (1-2) : تفسير الآيات 15-16-17 ، الإبتلاء1

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 15-17، الإبتلاء2

الدرس (1-2) : تفسير الآيات 15-16-17 ، الإبتلاء 1

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام: في سورة الفجر آيات كريمة دقيقة جداً يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً (20)﴾

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً(20)﴾

أيها الأخوة:

مفتاح هذه الآيات في كلمة كلا ؟ كلا في اللغة العربية، أداة ردعٍ ونفيٍ والردع غير النفي ؟ إذا واحد سألك هل صليت الظهر ؟ تقول له لا.

أما لو قال لك هل أنت سارق ؟ وأنت إنسان عظيم، لك مكانتك، رجل مؤمن، لا تقول له لا ! تقول له كلا ! إنك تردعه وتنفي عنك هذا الشيء.الإنسان أيام يتوهم إذا الله أغناه ومتعه بالصحة، وعمل له بيت فخم، وعنده زوجه وأولاد، يتوهم الإنسان أن الله يحبه.

وإذا إنسان آخر الله حرمه، دخله محدود، أقل من مصروفه، بزواجه غير سعيد، عنده أولاد غير أبرار، يتوهم أن الله حارمه ما بحبه.

هذان المعنيان ليسا صحيحين قال الله تعالى:

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)﴾

هذه مقولته، هذه دعواه، هذا توهمه، هذا تصوره، لا.

وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه . إنسان دخله محدود. فيقول ربي أهانن.

الله عز وجل قال:

﴿كَلَّا ﴾

هذا كلامكم، هذا ادعائكم، هذا وهمكم، كيف !!!

ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء وحرماني دواء،ليس عطائي إكراماً.

لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر شربة ماء فإذا واحد يتمتع بصحة، له دخل كبير، له بيت، هذه نعم ولا شك.

أما يتوهم أن الله يحبه، والله عز وجل أعطى الدنيا لمن لا يحب، أعطاها لقارون، وأعطى القوة لمن لا يحب أعطاها لفرعون، لكن الذي يحبه الله عز وجل آتاه العلم والحكمة..

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾

(سورة القصص: الآية 14)

الله عز وجل قال هذا ابتلاء، الآن دخلنا في صميم الآية.

إذاً حظوظ الدنيا، كلمة حظوظ أنا وسعتها، الصحة حظ من حظوظ الدنيا... المال حظ... الزواج الناجح حظ... الأولاد حظ... السمعة حظ... الذكاء حظ... حظوظ الدنيا ليست نعماً وليست نقماً حياديه.

إما أنها سلم ترقى بها إلى أعلى عليين، وإما أنها دركات تهوي بها إلى أسفل السافلين، يا أما سلم يا أما دركة.

متى تبدو هذه النعم سلم ؟ قال إذا وظفتها في طاعة الله.

هذا المال أنفقته فيما يرضي الله، الآن أصبح نعمه، لماذا أصبح نعمه لأن خير هذا المال سيعود عليك بعد الموت.

الزوجة.. إذا أخذت بيدها إلى الله وحملتها على طاعة الله، الزوجة نعمه أصبحت الآن، لأنك تنتفع بعملك هذا بعد الموت.

الأولاد.. نعمه ونقمه ؟! إذا ربيتهم تربية إسلامية نعمه، لأنك تلقى هذا العمل بعد الموت، ينقطع العمل ويبقى الولد الصالح صدقة لك جارية.

إذاً نستنبط استنباطا أن حظوظ الدنيا مجتمعة أو متفرقة، إما أنها درجات نرقى بها إلى الجنة،وإما أنها دركات نهوي بها إلى النار حياديه إذا وظفتها في طاعة الله.

الإنسان أيام عنده بالبيت سكين يستخدمها في تحضير الطعام، وأيام المجرم يذبح بها رجلاً آخر، فهي حياديه.

السكين.....إما أنها تعينك على تحضير الطعام، وإما أنها تعينك على ارتكاب جريمة.

أبداً ؟! إما أنها درجات نرقى بها، وإما أنها دركات نهوي بها.

الواحد لا يتوهم أن المال دليل محبة الله، قارون أغنا منا، لا يتوهم إذا كان الإنسان في منصب رفيع هذا دليل محبة الله، لا!!!

فرعون ما كان الله يحبه، سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام كان قوي، بس كان الله يحبه، سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان الله يحبه مع أنه كان غنياً.

إذاً... الغنى ليس مؤثراً والقوة ليست مؤثراً، لكن الشيء الدقيق هو العلم والحكمة وطاعة الله عز وجل.

إذاً... ملخص الآية، يا عبادي هذه الحظوظ التي أعطيكم إياها لا تعدوها مؤثرات على رضائي عنكم،المؤثر هو طاعتكم لي فقط، إنها درجات ترقون بها أو دركات تسقطون بها.

إنما الله أكد لنا، هذا وهمكم، هذه مقولتكم، هذا ادعائكم، هذا ظنكم ليس عطائي إكراماً وليس منعي حرماناً عطائي ابتلاء وحرماني دواء لذلك الله عز وجل قال:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ ﴾

(سورة القصص: الآية 77)

صحتك كيف تنفقها، مالك كيف تنفقه، وقتك كيف تنفقه.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾

(سورة القصص: الآية 77)

في بهذه السورة كلمة وجاء ربك. بعض الآيات بالقرآن الكريم متعلقة بذات الله عز وجل.

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

(سورة الفتح: الآية 10)

هل له يد.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

(سورة الطور: الآية 48)

هل له عين.

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾

(سورة المجادلة: الآية 1)

هل له سمع.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾

الله يأتي.

قال هذه الآيات المتعلقة بذات الله، في أربعة مواقف منهم، موقفين صحيحين، وموقفين فاسدين.

السلف الصالح فوضوا أمر معناها إلى الله، أما الخلف أولو.

هناك من فوض وهو على حق، وهناك من أول وهو على حق، لكن الذي أنكر هذه الصفات الزائدة على ذات الله عز وجل فقد عطل، وأما الذي أثبتها كما هي فقد جسَم، والتجسَيم عقيدة فاسدة والتعطيل عقيدة فاسدة، أما التفويض عقيدة صحيحه والتأويل عقيدة صحيحه.

تأويل هذه الآية.

إنسان يرتكب المعاصي باستعمال حرام يظن حاله ذكي، الله يرخي الحبل يقول لك ما صار لي شئ كله خلط هذا الذي تحكوا، يكون ماله حرام، الله يعطي مهله حتى يأخذ أبعاده الكامله، بعدين فجأة بشد الحبل الله عز وجل، إذاً هو في قبضة الله.

وقع لإنسان قصة.

واحد راكب سيارة، ذهب لعند البريد، أصيب بأزمة قلبية، وهو عما يقود السيارة، صدفة لحسن الحظ ولرحمة الله به، أثناء الوقوف في ازدحام، واقف، والله عز وجل مرَر شريكه أو صديقه في هل المكان، رأساً حمله وحطه في المقعد الخلفي، وقاد السيارة إلى مشفى الشامي، إلى العناية المشددة، فهذا بعد ما صحي طلب آلة تسجيل، جابوا له آلة تسجيل، قال المحل الفلاني ليس لي، أن مغتصبه من أخوتي الأيتام، والأرض الفلانيه ليست لي، كان أكبر أخوته، ومسيطر وقعن تنازل وعملن وكالة، كل شيء سجل باسمه، خلاهن بلا شيء، لما صار معه الأزمة هي أتذكر، هذا بعد مرور فترة شفي تماماً وقام، وين الشريط، أعطني، كسر، على القديم رجع، هذا يلي صار معه إنذار، بعد ثمانية أشهر **وجاء ربك**. قالوا العلماء وجاء أمر ربك، نحنا أنذرناك ما فهمت علينا، فكانت القاضية بعد ثمانية أشهر.

فربنا أيام، الإنسان بعصي ربه، الله بمهلة، يأخذ أبعاده، يرخي له الحبل، فإذا أخذ أبعاده وأصر على معصيته.

واحد راح ليشتري صوف من البادية، كان والده من كبار تجار الصوف، من الكبار، وكان صالح وصاحب ذمة، بعد ما تقاعد الأب، وكل ابنه بالتجارة.

راح على البادية ليشتري صوف، فكر أن الشطارة أن تأكل حق الناس فصار يزين للبدوي الصوفات بالغرامات، هذا البدوي بحياته ما سمع غرامات، بسمع أن الجزة 23 كيلو غرام، قال له 23 كيلو و800 غرام وقال له هذا هو الزين، والله شغلة غير معقولة.

بعد ما انتهى الميزان، البدوي يحس بالحاسة السادسة، وجد أن كوم الصوف مثلاً حقه 30 ألف قال له حقه 20 ألف، قال له إن شاء الله بتلقاها بصحتك إذا كان أنت غلبت عليَ.

هذا الإنسان، القصة والله سمعتها منه من فمه، قال ركبنا السيارة وحملنا الصوفات والسمنات ومشينا، قال لي دخلت بصراع مع نفسي لك أرجع أعطيه الفرق أو تم ساكت، شو ساوي بحالي، هذا خوفني.

قال لي بقيت ماشي من محل شراء الصوف إلى الضمير وأنا داخل في صراع مع نفسي.

قال لي عند الضمير قلت في نفسي حط بالخرج شو صار، قال لي ما كملت هذه الكلمة، لأني أخذت قرار، لقيت نفسي وسط بركة من الدماء والسيارة قلبت والسمن انكب وجاءوا البدو وأخذوني وأسعفوني.

فأنا ماذا قلت.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً ﴾

هذا الذي طلع معك بعدين، حط بالخرج وقف لقلك.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79)﴾

(سورة حم: الآية 79)

الله عز وجل عالجوا لما أخذ قرار لما دخل بصراع مع نفسه، الله ما عالجوا، وهذا لما الله بعت له هل الأزمة حتى يرجع المال لأصحابه، فلما صحي وجد ما في شيء، هات الشريط، كسر الشريط، رجع على القديم.
قال له وقف لقلك، هي معنى **وجاء ربك** الله ما بيجي بس بيجي أمره الإنسان يظن حاله بحمقه وجهله أنه شاطر.
أكل مال الناس، اعتدى على أعراض الناس، ما صار معه شيء، الله عز وجل من سممه في خلقه، أنه يؤخر أمره قليلاً، حتى الإنسان يأخذ أبعاده حتى ينعرف اتجاهه الحقيقي، نعرف عند الناس وعند الله عز وجل وجاء أمر ربك **وجاء ربك** يعني... جاء أمره.
في آية تفيدنا في هذا الموطن الله عز وجل قال:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

(سورة يونس: الآية 39)

كلكن تتوهموا أن التأويل هو التفسير، العلماء قالوا تأويل القرآن وقوع الوعد والوعيد .

إذا إنسان واقع بمال حرام أو له علاقة محرمة أو معتدي على آخرين عدوان أدبي أو مادي أو معنوي إلى آخره.

الله عز وجل، تأويل الآيات وقوع الوعد والوعيد كأنه الله عز وجل شهد بخلقه إن هذا الكلام كلامه والدليل تنفيذ الوعد.

لو فرضنا طالب جاءوا على المدرسة، مكتوب على السبورة غداً الساعة الأولى مذاكرة رياضيات، هذا كلام، يا ترى من كتب الكلام، يا ترى الأستاذ كتبه، لعلى مزحه من طالب، هذا الكلام، ثاني يوم الساعة الأولى إذا قال الأستاذ: افتحوا الأوراق عندكم مذاكرة، معناها الكلام صحيح، معناه كلام الأستاذ، لما ثاني يوم الساعة الأولى يقول افتحوا الأوراق عندكم مذاكرة، مثل ما بلغتكم البارحة، معناه تنفيذ الأمر تنفيذ الوعيد، هو الشهادة لله لعباده أن هذا القرآن كلامه.

أخوانا في آيتين ننهي فيهن الدرس.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

(سورة طه: الآية 124)

إذا بتلاقي واحد بالأرض سعيد بالبعد عن الله بكون القرآن باطل ولا واحد.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾

واحد سئل سؤال غريب، قال الأغنياء، وين معيشة الضنك، عما ياكلوا أكل،مركبات وبيوت، وين معيشة الضنك.

أجاب علماء التفسير... ضيق القلب .

إذا الإنسان صار ماله كثير وعيش وفير ومعرض عن الله عز وجل بيصير بقلبه قلق وشقاء، ما لو وزع على أهل بلدٍ لكفاهم .

وجاء ربك.. ضعوا في أذهانكم أن معناها وجاء أمر ربك رد الله على المعامل هو عقاب.

الإنسان يكون أحمق وغبي إذا كان قال لك أنا عما أعصي ربي ما صار معي شيء، قال **يا ربي كم عصيتك ولم تعاقبني قال يا عبدي كم عاقبتك ولم تدري.**

مالك أشعر أنت من مصيبة لمصيبة ومن مطب لمطب ومن ضيق لضيق ومن شقاء زوجي لشقاء زوجي ومن عقوق أولاد لعقوق أولاد ومن تلف مال لتلف مال.

إذاً... المصائب كلها عبارة عن عقوبات من الله عز وجل.

قال له :**يا ربي كم عصيتك ولم تعاقبني قال يا عبدي كم عاقبتك ولم تدري.**

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 15-17، الإبتلاء 2

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة الفجْر قوله تعالى الآية الخامسة عشرة: فأما الإنسان إذا ما ابتلاه...أهانني " الإنسان يتوَهَّم أنّه إذا كان غَنِيًّا فقد كرَّمه الله، وأنَّه إن كان فقيرًا فقد أهانه الله، فالله تعالى يردُّ على هذا الوَهْم؛ كَلاَّ وهي أداة ردْعٍ ونفْيٍ، ليْسَت نفْيًا فقط، فلو قال لك أحدهم: هل أنت سارق ؟ تقول له: كلاَّ، ترْدَعُهُ على هذه التُّهْمة أما لو سألك: هل أنت جائع ؟ تقول له: لا، فالجوع ليس تُهْمَة، فَكَلاَّ تُضيف إلى النَّفْي الرَّدْع، أي يا عبادي ليس عطائي إكْرامًا، ولا مَنْعي حِرْمانًا، عطائي ابتِلاء، وحِرْماني دواء ؛ وهذا مع التَّفصيل.

إنسان آتاه الله المال ؛ هل يُعَدُّ المال نِعْمَةً ؟ لا ! هل يُعَدُّ نِقْمَةً ؟ لا ! ليس نِعْمَةً وليس نقْمَة، إنَّما المال ابتِلاء، فهو يكون نِعْمة إذا أُنْفقَ في طاعة الله، ويكون نقْمَةً إذا أُنْفِقَ في معْصِيَة الله، فهُوَ مَوْقوف على كَيْفِيَّة اسْتِخْدامِه ؛ ليس نِعْمَةً وليس نقْمَة وليس عطاءً إنَّما ابْتِلاء، وقِسْ على المال كلّ حُظوظ الحياة، فالذَّكاء هل هو نِعْمَة أم نِقْمَة ؟ هو مَوْقوف على نَوْع اسْتِعْمال الذَّكاء، فلو اسْتَعْمَلْتَ الذَّكاء في أخذ أموال الناس والإيقاء بينهم، وفي قهْرِهِم فَهُوَ ذكاء، ولو اسْتَخْدَمْتَ الذَّكاء في نَشْر الحق، وعَرْضِهِ عرْضًا رائِعًا، وفي تأليف القلوب وحل مُشْكِلاتِهم ؛ الدُّنْيَوِيَّة والأُخْرَوِيَّة فهذا الذَّكاء نِعْمة كبيرة وُظِّف في الحق.

طيِّب الوَسامَة ؛ واحِد وسيم، إذا الوسامَة جعلها في الحق بأن دعا إلى الله وشَكْلُهُ وسيم وأنيق، فالناس تُحِبُّ الشَّكْل الوَسيم، أما إن اسْتَخْدَمَ وسامَتَهُ لإغْواء الفتيات فقد جعل هذا الحظّ نِقْمَة ومَعْصِيَةً ؛ فما مِن حظٍّ مِن حُظوظ الدنيا إلا ويُوَظَّفُ في الخير أو الشرّ.

دُعينَا مَرَّةً لافْتِتاح مسْجد في الصَّبورة ؛ مَسْجِدٌ رائع ضِمْن حديقة، ويحوي كلّ المرافق الرائِعَة، والذي بنى المَسْجِد اسْتَقْبلَنا واحِدًا واحِدًا ثمَّ دعانا إلى الغذاء، ثُمَّ ألقيت الكلمات مِن قِبَل عدَدٍ من العلماء وحينما ودَّعَنا كان باشًّا ! رَكِبْتُ مَرْكَبة مُتَّجِهًا إلى دمَشْق فإذا على الطَّرَف الآخر مَلْهى ؛ وما مِن موبِقَةٍ إلا وفي هذا المَلْهى، فهذا المَسْجد احْتاج إلى أموال، وهذا الملْهى احْتاج إلى أموال، فالمال واحِد ولكن من المال ما أُنفِق لِيَكون مسْجِدًا، ومنه ما أُنْفق لِيَكون ملْهًى.

واحِدٌ آتاه الله تعالى صوْتًا حَسَنًا، قرأ القرآن ؛ مات ولكن صَوْتُه يصدح به إلى يوم القيامة، وهذا مُغَنِّي مات فأُغْنيَّاتُه تصْدح إلى يوم القيامة، وكذا الخط الحسَن، والمال والعقل والحسَب والنَّسب والأولاد فكلّ هذه ليْسَت نِعَمًا ولا نِقَمًا، إنَّما هي ابْتِلاء ! يا عبادي ليس عطائي إكْرامًا، ولا مَنْعي حِرْمانًا، عطائي ابتِلاء، وحِرْماني دواء ؛ قال تعالى: فأما الإنسان إذا...فيقول " هو الذي يقول هذا الكلام الواهِم والذي يحلم به، فأكثر الناس الآن إذا آتاه الله المال، ويقولون: إذا أحَبَّ عبْدَهُ أرى لهُ مُلْكَهُ ! لا يدَعُ ملْهى، ولا مكانًا مُنْحَطًّا إلا وزارهُ ثمَّ تقول: إذا أحَبَّ عبْدَهُ أرى لهُ مُلْكَهُ ! إذًا الله تعالى لا يحبّ عبده ! مِن مكَّة إلى المدينة إلى الطائف ! ما رأى شيئًا ؛ لا هذه المُدُن الجميلة، ولا هذه الملاهي الضَّخْمَة، إنَّما بِلاد قاحِلة وسوداء، وصحْراء حارَّة فَمِن أين هذه المقولات ؟ إذا أحَبَّ عبْدَهُ أرى لهُ مُلْكَهُ ! قال تعالى: وكذلك نري إبراهيم ملكوت..." حقيقة الكون، وحقيقة الإنسان، وحقيقة العمل الصالح، فهذه نُقْطة دقيقة جدًا ؛ حُظوظ الدنيا مِن مال ونَسَب وحسب وجمال وذكاء واخْتِصاصات، وهذه الشهادات العالِيَة قد يسْتخدِمُها لابتزاز أموال الناس ؛ لأنّ الناس يُصَدِّقونه، فلو قال الطبيب للمريض لا بدّ لك مِن تخطيط، فهل يستطيع المريض أن يُناقِشَهُ ؟! وقد يقول لك: لا بدّ لك مِن ثمانِيَة تحاليل ! أما إن وظَّف الإنسان اخْتِصاصه في خِدْمة المسلمين أصبحَ نِعْمة، فَيُمكِن لك أن تَحُلّ مليون مشكلة وأنت في المنصب، وممكن بالمنصب نفسه تكسب مليون مشكلة كل يوم ! ويكون منْصِبك هاوٍ بك إلى أسفل جهنَّم، إما أن تُحِق الحق لِوَجه الله، وإما أن تُحِقَّ الباطل مُقبل مبْلغ تأخذه، وحينها يصبح الحق باطلاً، والباطل حقًّا، لذلك قالوا بآخر الزمان قاضيان إلى النار وقاضي إلى الجنَّة، وفيها تعديل وهو قاضيان إلى النار وقاضٍ إلى جهنَّم ! الحُكْم لِمَن يدْفَع، وهذه مُشْكِلَة، لذلك أيها الإخوة، الحُظوظ تُوَظَّف في الحق وتُوَظَّف في الباطل.

أحد إخواننا العلماء كان بِبَلَدٍ إسْلامي، فقالوا له أحد كبار الأغنِياء قدَّم لِطَلَبة العلم الشرعي بسيط ؛ كم ؟

ثلاثمائة مليون دولار ! فقال: والله أُحبّ أن أرى هذا الإنسان، فأقاموا جلسة للفطور، فجاء هذا العالم الدِّمَشقي حتَّى يلْتقي مع هذا الغنِيّ المُحْسِن، فما جاء هذا الغنِيّ ! انْتَظَر ساعة وأكثر، فسأل عنه أين هو ؟

فقالوا له: جاء وله الآن وقد بقي طويلاً ينتظر ولكن مِن شِدَّة أنَّه مُتواضع لا يظهر عليه أنَّهُ دفه مبْلَغًا كهذا ! أما أحدهم يدْفع خمسة وعشرون ألفًا فتراه يحبّ أن يجلس على الرُّخام ! أنا والله أغْبط العلماء، فقد يصِلوا إلى أعلى مرتبة بالجنَّة، ويُنافِسوا أكبر عالم في الإسلام، وهكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: لا حسد إلا في اثنتين:..." فالغنيّ المؤمن إذا وظَّف ماله في الحق وصل إلى رتبة كبيرة ؛ فَكَم كم أسرة تُعاني البؤس وشقاء المعيشة ؟ وكم من إنسان يحْتاج إلى عَمَلِيَّة جراحِيَّة ؟ وكم من شابٍ طرق الزواج مُغْلَقَة أمامه، فمجال العمل

الصالح بالمال لا يُعَدُّ ولا يُحْصى، والأغنياء المؤمنون يمكنهم أن يصلوا إلى أعلى مرتبة في الجنَّة بِمَالِهِم فقط ! كما أنَّ العلماء يصلون بِعِلْمِهِم وإنْفاقِهِ فالمال إذًا قُوَّة تُوَظَّف في الحق فتُؤتي أُكلها يانِعَةً.

شيخ الأزهر السابق جاد الحق، فَمَشى بِجَنازته ستَّة ملايين إنسان، ساكن بِبَيْت مائة متر طابق رابع، ومعه الْتِهاب مفاصِل ! وتحت يدِهِ مئات الملايين للأزْهر، ولا توجد قريَة بِمِصر إلا أنشأ فيها معهد شرعي تابع للأزهر، وتُوُفِّيَ وهو فقير، فالعِبْرة أن يموت الإنسان على حقّ، فالعالم إذا توَفَّى يُحْدِث هزَّة للعالم كلِّهِ له، ترك تفسير قرآن ودعوة إلى الله وصَحْوة إسلامِيَّة، وهناك مَن ترَكَ ملْهى فهو له صَدَقَة جارِيَّة إلى يوم القيامة!

فالقَصْد مِن كلامي ؛ أنّ الحُظوظ إما أن تُوَظَّف في الخير، وإمَّا في الشرّ، يقولون لك في بعض البلاد المُجاوِرَة كازينو ؛ القاعة الواحد مُكَلِّفَةً لثلاثين مليون دولار !! قاعة قِمَار، وحفلة بِفُنْدق خمسة نجوم كلَّفَتْ سِتِّين مليون ؛ حفلة عرس ! لو تأمَّن بيتًا بِمئة ألف في أطراف دمشق، وخمسين ألف لوازم الزوج، فكم مِن شابٍ سيَتَزَوَّج ؟! لذلك الكفار إذا أنفقوا الأموال أنفقُوها إسرافًا وتبْذيرًا، وإن منعوها منعوها بُخْلاً وتقْتيرًا. أحد إخواننا أراد أن ينشأ جامِعًا في نَهْر عيشَة، فوَجَد قطْعَةً مساحتها ثلاثمائة متر لإنسانٍ مُدَرِّس فقير معاشُه ثلاثة آلاف ليرة فقط، وهو أرخَص معاش في الدَّوْلة، فهذا الغنِيّ أراد أن يشتري هذه القطعة وثمنها ثلاثة ملايين ونصف ! فباعهُ هذا الفقير القطعة بِمليونين، وقال له: مليون ونصف هذه عند التنازل للأوقاف، فهذا الغنيّ لا يفْهم شيئًا من هذا ! فقال له ما الأوقاف ؟ قال الغنيّ: هذه نريد أن نُقيمَها جامِعًا فقال الفقير:

جامِع ! فقَطَّع الشيك وقال له: أنا أوْلى أنْ أُقَدِّمَها لله منك ! يقول هذا الغنيّ: والله ما احْتَقَرْتُ نفْسي وما صَغُرَت أمام إنسان كانْذِلالها أمام هذا الفقير الذي راتِبُهُ زهيد، ما هي الدنيا ؟ عمل صالِح فابْذُل علْمك ومالك ووقْتَك وخِبْرتَكَ حتّى تُلاقي الله وهو راضٍ عنك قال تعالى: فأما الإنسان إذا ما ابتلاه...كلا "ليس عطائي إكرامًا ولا منْعي حِرْمانًا ، عطائي ابْتِلاء، وحِرْماني دواء، أنت مُبْتَلى فيما أُعطيتَ وفيما مُنِعْتَ، لذلك كان عليه الصلاة والسلام: اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله عونا لي فيما تحب، وما زللت عنِّي ما أحبّ فاجْعَلْهُ لي فراغًا فيما تحبّ.

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس عشر : تفسير سورة البلد

الدرس (1-1) : تفسير السورة بكاملها

الدرس (1-1) : تفسير السورة بكاملها

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة البلد، الآيةَ الأولى قوله تعالى:لا أقسم بهذا البلد...البلد " ماذا نفْهم من هذه الآية؟ نفهم منها أنَّ الإنسان هو أكرم المخلوقات على الله، وأنَّ سيِّدنا محمّد صلى الله عليه وسلَّم هو أكْرَمُ أكْرَمِ البشر على الله، لذا قيمة هذا البلد ؛ مكَّة المُكَرَّمة لِحِلِّ النبي عليه الصلاة والسلام فيه، قال تعالى:لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد..".

ثمَّ قال تعالى:ووالد وما ولد.." نِظامُ الأُبُوَّة هو نِظامٌ يُعَرِّف بالله عز وجل، فأكثركم آباء، يعيش الأب لابنِهِ ويتمنَّى أن يكون أفْضَل منه ومهما أساء الابن إليه لو جاءهُ تائِبًا لقَبِلَهُ وأحَبَّهُ، ومِن نِظام الأُبوَّة ومن الرَّحمة التي أودِعَت في قلوب الآباء والأمَّهات ؛ تعرف الله، إذا كان قلب الأب والأم هكذا، وإذا كان الأب والأمّ يعيشان لأوْلادِهِما يجوعان كي يشْبعوا، ويعْرِيان كي يكْتسي، ويرْفعانِهِ إلى أعلى عِلِيّين، ويتمنَّيان أن يكون أفضَل منهما بِرَحْمَةٍ أوْدَعَها الله تعالى في قلوبهما، فكيف بالله عز وجل ذي الرَّحْمة العظمى.

من الثابت أنَّ أعْظم الخلق بالخَلْق النبي عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك ؛ قال تعالى:فَبِما رحْمَةٍ..."، تنْكير تقليل، فَكُلّ هذا اللّين وهذه الرَّحْمة فاللَّهمّ اغْفِر له، وارْحَمْهُم، وقوله صلى الله عليه وسلَّم:اللَّهم اهْد قومي فإنَّهم لا يعلمون، آذَوْهُ،و سَلَّطوا عليه سُفَهاءَهم، وكذَّبوه وسَخِروا منه، ومع ذلك قال:اللَّهمّ اهْدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون! فَكُلّ هذه الرَّحمة وهذا اللّين وهذا العَطْف، قال عليه الصلاة والسلام:لو تعلمون ما أعلام...." ومع أنَّك نبِيٌّ مُرْسَل وسيِّدُ الخلْق، وحبيب الحق ومه أنَّهُ يوحى إليك وأوتيتَ المُعْجِزات، مع كُلِّ هذه الخصائص والميزات، وكل هذه الفضائل، قال تعالى:ولو كنت فظًّا غليظ القلب..." فهذا الذي لم يُؤْتَ المعجزة وليس معْصومًا، ولم يفْقه الفقه العالي فهذا يعني أنَّه أحْمق، الْتِفاف الناس حوْلك، أو انْفِضاضُهم عنك قانون فإذا كان بقلبك رحْمة حقيقيَّة اشْتَقَقْتَها من الله عز وجل مِن خلال اتِّصالك به مُنْعَكَس هذه الرَّحْمة يُثير الجانب، فإذا كان القلب منقَطِعًا عن الله عز وجل، فَمِن مُنْعَكَسات القلب الغِلْظة والفضاضة، قال تعالى:ولو كنت فظًّا غليظ القلب..." القرآن كلَّه قوانين، فقانون الْتِفاف الناس حوْلَك اتِّصالُك بالله، وقانون انْفِضاض الناس حوْلك انْقِطاع القلب عن الله تعالى، لذلك لا أُقسم بهذا البلد لأنَّه حِلٌّ بهذا البلد لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم سيّد الخلق، بل إنَّ جنس الإنسان إذا عرف الواحِدَ الدَّيان يفوق الملائكة المُقَرَّبين، فالإنسان أكرم الخلق على الله، رُكِّب الملك بِعَقل دون شَهْوة، ورُكِّب الحيوان من شَهْوةٍ دون عقْل، ورُكِّب الإنسان من كليهما، فإن سَمى عقله عن شهْوته أصبح فوق الملائكة، والدليل قول الله عز وجل:إنَّ الذين آمنوا و...خير البريَّة " والآية الثانِيَة قوله تعالى:...شر البريّة " فأنت بين أن تكون فوق الملائكة المُقَرَّبين وبين أن يكون الكافر في أسفل السافلين.

كان من الممكن أن يخلق الله البشر جميعًا دُفْعَةً واحدة من دون آباء حينها تنعدِمُ الرَّحْمة، أما أن يكون هذا ابن فلان، وكل رحْمة الأب يصبُّها في ابنه فإذا كبر الأب رأى ابنه أمامه يُعينُه.

ثمَّ قال تعالى:لقد خلقنا الإنسان في كبد.." خُلِق في ضَعْف وفي نِظام سَعْيٍ، فالواحد حتَّى يشْتري البيت ؛ يقول لك:طلعتْ روحي ! وحتَّى وصل إلى زوْجة طلعتْ روحي مرَّة ثانِيَة ! وكذا حتَّى أنْجب، ثمَّ ترْبِيَة الأوْلاد، فالحياة أساسها بذْل جهْد ! قال تعالى:يا أيها الإنسان إنَّك كادح إلى..." نِظام الدنيا نِظام جُهْدٍ، أما نِظام الآخرة فهو نِظام إكْرام، ولهم ما يشاءون فيها، فأنت مِن أجل أن تأكل صَحن مُقَبِّلات تحْتاج إلى ساعة ؛ مِن غَسْل وتنظيف و... أما في الآخرة كلّ ما يخْطر ببَالِك تجده أمامك، قال تعالى:إنَّه كان لي قرين فاطَّلع..." مِن أجل أن ترى ابنك بأمريكا تحتاج إلى ثلاثة أشهر للتأشيرة ويدفع وينتظر الدَّوْر كي يراه، أما في الآخرة لا شيء مِن هذا ! في الآخرة فقط يخْطر بِبَالك ترى ما تريد، والقُطوف في الجنّة دانِيَة، الغُصن يأتي إليك، تشْتهي أن تأكل فيأتي الغصن إليك، فَنِظام الآخرة نِظام تَكْريم، ونِظام الحياة الدنيا نِظام سَعْي وجُهْد، والدنيا ثَمَن الآخرة، والانضِباط في الدنيا لِسَنوات مَحْدودة ثَمَن عطاء أبدي لا ينتهي، فالصّلوات محدودة، وكذا الصيام والحج والعمرة، فَمَجموعة تَصَرُّفات منضَبِطَة ثَمَن جنَّة إلى أبد الآبدين، وحينما ينقطع عن الله تعالى ويجْهل قال تعالى:أيحسب أن لن...أحد " كان طِفْلاً، لولا منعَكس المَصّ لما وُجِد إنسان يعيش مِنَّا، والطِّفل يولَد معه، فلولا منعَكَس النَّص لما وُجِدْنا الآن، فلولا هذا المنعكس لما أمْكَنَكَ أن تُعَلِّم ابنك وهو طفل صغير وُلِدَ الآن أن يمُصَّ ثَدْي أمِّه ؛ يولَدُ الطِّفل من هنا فَيَمُصُّ مباشرة حلمة ثدي أُمِّه ! كيف يتعلَّم هذا الطِّفل أن يمصّ ثَدْي أُمِّه ؟

قال تعالى:ألم نجعل له عينين...النَّجدين " حليب باردٌ في الصَّيف، وساخن في الشِّتاء، ومُعَقَّم، ويتبدَّل ترْكيبُهُ في أثناء الرَّضْعة الواحدة نسْبة الماء بِأوَّل الرَّعة تكون سِتِّين بالمائة وبآخرها أربعين بالمائة، أما الأمّ ابنها يبكي تضع الحليب على النار حتَّى يغلي، ثمَّ مرحلة التبريد وكل مناعة الأم في حليبها، لذلك أحْمَق إنسان هو الذي يسْمح لَزوْجَتِه أن تُرْضِعَ ابنها! حِفاظًا على قِوامها، وأحد أكبر سرطان الثَّدْي عدم الإرْضاع !! لأنّ الله تعالى قدَّم الثَّدْي هَدِيَّة للطِّفْل والأمّ حرَمَتْهُ منه وأحد أسباب الانْتانات المعوِيَّة هو الحليب الصِّناعي، واحد أسباب القَسْوة في المعاملة الحليب الصِّناعي، وأحد أسباب أمراض القلب والأوْعِيَّة الحليب الصِّناعي ؛ هناك بُحوث طويلة أنَّهم وَجَدوا أذْكى شَعْب في العالم هو شَعْبٌ يعيش بِالباسيفيك، هذه الجزيرة لا تعرف الإرضاع الصِّناعي إطْلاقًا، والآن يُعْزى الذَّكاء البشري إلى الإرْضاع الطبيعي، أمريكا مرْتبتُها بالذَّكاء الرابعة عشرة قال تعالى:أيحسب أن لن يقدر عليه أحد..." سلوا الأطِبَّاء ؛ ما هو الإنسان ؟ كُلّ عظَمَتِك وقُوَّتِك وذكاءك وأموالك وهيْمَنَتِك بِفَتْحة شرْيانِكَ التاجي الذي قُطْرُه ميلمتر واحد ! إذا ضاق بدأت متاعب لا تنتهي وهو الذي يُغَذِّي قلب، فإذا ضاق هذا الشريان للزمَك تجريف وبالون وروسور وأروبا ومليون ليرة، وكذلك إذا نَمَتْ هذه الخلايا نُمُوًّا عَشْوائِيًّا، وهذا المرض حتَّى الآن لا سبب له، يُصيبُ كلّ الأعمار وإذا تَجَمَّد الدمّ، فأنت كلّ حياتِك مَبْنِيَّة على هذه الأمور التي في جسَدِك ثمّ قال تعالى:يقول أهْلَكْتُ مالاً لبدًا.." أقمنا بالصَّيف في نزهة كلَّفَتْنا ثمان مائة ألف ! وعرس كلَّفَنا عشرين مليون، ويعني بِكُلْفة السيارة والبيت.

قال تعالى:أيحْسب ألم يره أحد.." مِن أين جاء بِهذا المال ؟ الذي أعطاك ألا يراك ؟ وخالقُك! كيف كسب المال.

ثمَّ قال تعالى :

﴿ ألم نجعل له عينين...النجدين﴾

فكيف بِخالق العَيْنين ثمّ قال تعالى:فلا اقْتَحَم العقبة.." ما الذي يمْنعُك من أن تتوب الآن ؟ وأن تُصَلِّي ؟ وأن تسأل الله السلامة واللُّطْف.

ثمَّ قال تعالى:وما أدراك...فك رقبة " ما معنى هذه الآية ؟ مادام الإنسان عبْدًا لِشَهواتِه فالطريق إلى الله مَسْدود، فإن أمْكَنَك أن تفُكَّ رقَبَتَك من أسْر الشَّهوات انتهى الأمر، فأنت إما أن تكون عبْدًا لله، وإما أن تكون عبْدًا لبَطْنِك أو لِفَرْجِك أو للدِّرْهم والدِّينار.

ثمّ قال تعالى:" فلا اقتحم العقبة...فك رقبة " هناك من يقول:فكّ رقبة ذَبْح خروف ! ولكنَّ المعنى أعْمَق بِكَثير،فما دُمْتَ عبْدًا لِشَهْوَتِك فالعَقَبة كؤود بينك وبين الله، ولكن حينما تتحَرَّر من أسْرِ الشَّهْوة وتغْدو عبْدًا لله فالطريق سالِك، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام :

﴿ تعس عبْد الدرهم..." ﴾

ما صلَّى العصْر من أجل أنّ بِنْطالُهُ مَكْوي !! وهناك إنسان عَبْد الفرْج، وآخر عبْدُ البطْن، وذاك عبْدُ الدِّرْهم والدِّينار.

ثمّ قال تعالى:أو إطعام في يوم ذي مسغبة.." أن تتحَرَّرَ من الشَّهوات وأن تبْذِل ما في وُسْعِكَ من أجل الله.
ثمَّ قال تعالى:

﴿ يتيماً ذا...ثمّ...مؤصَدة ".﴾

والحمد لله رب العالمين

الباب العاشر : تفسير سور (من الشمس إلى الناس)

الفصل الأول : تفسير سورة الشمس

الفصل الثاني : تفسير سورة الليل

الفصل الثالث : تفسير سورة الضحى

الفصل الرابع : تفسير سورة الشرح

الفصل الخامس : تفسير سورة التين

الفصل السادس : تفسير سورة العلق

الفصل السابع : تفسير سورة التكاثر

الفصل الثامن : تفسير سورة العصر

الفصل التاسع : تفسير سورة الفيل

الفصل العاشر : تفسير سورة النصر

الفصل الحادي عشر : تفسير سورة الإخلاص

الفصل الثاني عشر : تفسير سورة الفلق

الفصل الثالث عشر : تفسير سورة الناس

الفصل الأول : تفسير سورة الشمس

الدرس (1−2) : تفسير الآيتان 09 – 10

الدرس (2−2) : تفسير الآيتان 07 – 08

الدرس (1-2) : تفسير الآيتان 09 – 10

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة الشمس، قوله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)﴾

[سورة الشمس]

لو تتبَّعْنا فِعْلَ أفلح في القرآن الكريم نَجِدُهُ في عِدَّة آيات فقط قال تعالى

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(1)﴾

[سورة المؤمنون]

وقال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى(14)﴾

[سورة الأعلى]

الفلاحُ هو النَّجاح، لكن بِنَظَر الناس ؛ ما هو الفلاح ؟ لو سألتَ ألف إنسانٍ ما هو الفلاح ؟ قد يقول بعضهم: أن تكون غَنِيًّا، وقد يقول بعضهم: أن تكون قَوِيًّا، وقد يقول بعضهم: أن تكون وسيمًا، وقد يقول بعضهم: أن تُمارِسَ كلّ الشَّهوات، إلا أنَّ مِقْياس الفلاح في القرآن ؛ قد أفلح مَن زكَّاها ! لأنَّ الإنسان يحبّ ثلاثة أشياء في أصْل فِطْرَتِهِ: يُحِبّ الكمال، ويحبّ الجمال، ويحبّ النَّوال ؛ العطاء فلو أعْطاك إنسانٌ ذميم مليون تُحِبُّهُ مِن أعْماقِك.

الكمال كلُّهُ عند الله تعالى، قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾

[سورة الأعراف]

فإن كنتَ تُحِبُّ الكمال، فالله تعالى مَنْبع الكمال، وإن كنتَ تحبّ الجمال فالله أصل الجمال، وكل ما في الكَون مِن جَمال مَسْحَةٌ مِن جمال الله عز وجل ؛ وإنَّ الله جميل، وأقرب دليل أنَّ الإنسان إذا شَعَرَ أنَّ الله تعالى يُحِبُّه يمْتلأُ قلبُهُ سعادَةً لو وُزِّعَت على أهل الأرض لَكَفَتْهُم، النَّشْوَةُ الجماليَّة، هناك تعْبيرات فلْسَفِيَّة في كُتب الفلْسَفَة ؛ النَّشْوَةُ الجماليَّة! وهي التي يُحْدِثُها القُرْب من الله تعالى تَفوق كُلَّ نَشْوَة، وأنت قد تذْهب إلى مَضْيَف حوله خمسون سيَّارة بعد الساعة العاشرة ليلاً ؛ ماذا يفْعَلُ هؤلاء هنا ؟ يجْلسون على طاولات ويأكلون ويُمْتِعون نظرهم بامْرأة شِبْه عارِيَة ترْقُص أو تُغَنِّي ؛ هؤلاء رُوَّاد المَلاهي والحانات والأماكن التي تُرْتَكَبُ فيها المعاصي، فلو عرفوا ما عند الله تعالى مِن سعادة لكانوا أوَّل سابِقٍ إلى باب الله عز وجل إلا أنَّ الأزْمَةَ أزْمَةُ

عِلْم، ولو يعْلم المُلوك ما نحن عليه لقاتَلونا عليه بالسُّيوف، وفي الدنيا جنَّة من لم يدْخُلْها لم يدْخُل جنَّة الآخرة ! ما يفْعلُ أعْدائي بي ؛ بُسْتاني في صدْري، إن أبْعَدوني فإبْعادي سِياحة، وإن حَبَسوني فَحَبْسي خَلْوَة، وإن قتلوني فقَتْلي شَهادة.

الإيمان مَرْتَبَة عِلْمِيَّة، ومرْتَبَة جماليَّة، ومرْتَبَة خُلُقِيَّة، فهي عِلْمِيَّة إذْ أنَّ المؤمن عرف الحقيقة، والحقيقة المطْلقة هي الله عز وجل، هل هناك فلاح ونجاح عِلْمي يفوق أن تعرِفَ الحقيقة المُطْلَقَة ؟ فهذا أنْشْتايْن عرف نَظَرِيَّةً نِسْبِيَّة، وعرف قوانين فيزْيائِيَّة، وأرْخَميدِس عرف قانون السوائل والضَغْط، ونيوتن عرف قاون الجاذِبِيَّة، وبوتال عرف ثُقْب بوتال بالقلب، فَكُلّ عالِم عرف شيئًا من مَخْلوقات الله، أما المؤمن الصادِق عرف الله! دَقِّقوا ؛ هذا القرآن أُدْخُل لأيِّ مكْتَبَةٍ في العالم مَن صاحب هذا القرآن ؟! هو الواحد الدَّيان، فَضْلُ القرآن على أيِّ كتابٍ مُؤَلَّفٍ في الأرض كَفَضْل الله تعالى على خَلْقِهِ، وبين القرآن وبين أيّ كتاب كما بين الله تعالى وبين عبادِهِ.

طيِّب ؛ بين المؤمن الذي عرف الحقيقة المطلقة وهي الله، وبين أيّ عالِمٍ كما بين الله وعباده ! الإيمان درَجَة عِلْمِيَّة لأنَّهُ عرف الله، والإيمان درجة خُلُقِيَّة لأنَّ سلوك المؤمن مَحْكوم بِمَنظوم قِيَم أخْلاقِيَّة دقيقة جدًا. حدَّثني أخٌ كان بِمَسْمَكة ؛ اشْترى سَمَكًا، فالعامِل مباشرة أراد قطع السَّمك وهو يتحرَّك، وذلك لِيُنَظِّفَهُ ! وهذا لا يجوز ، حتَّى يموت قال تعالى:

﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(36)﴾

[سورة الحج]

فأنت إن نَزَعْتَ أحْشاءها وهي تتحَرَّك فهذا تعْذيب ! فقال له: لم يقُل لي أحَدٌ هذا الكلام، وأنا لي الآن ثلاث سنوات ! الجواب: لأنَّكم شارِدون، أما المؤمن فلهُ مَنْهَج ولا يستطيع أن يُعَذِّب مَخْلوقًا، ولذلك مُعَلِّمُ الناس الخير تُصَلِّي عليه الملائكة، وحتَّى الحيتان في البحر ، والمؤمن منْضَبط، وقال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ*))

[رواه مسلم]

إذا قتلتم فأحسِنوا القتْلة..." فالإيمان درَجَة خُلُقِيَّة.

والإيمان درجَة جمالِيَّة، لأنَّ المؤمن يسْتَمْتِعُ بالقُرْب من الله تعالى وهي مُتْعَةٌ تفوق أيَّ مُتْعَة، لذلك كما قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُوَاصِلُوا قَالُوا إِنَّكَ تُوَاصِلُ قَالَ إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي فَلَمْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوِصَالِ قَالَ فَوَاصَلَ بِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَيْنِ أَوْ لَيْلَتَيْنِ ثُمَّ رَأَوُا الْهِلَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَأَخَّرَ الْهِلَالُ لَزِدْتُكُمْ كَالْمُنَكِّلِ لَهُمْ *))

[رواه البخاري]

وأسْعَدُ الخلق قاطِبَةً هو النبي عليه الصلاة والسلام، ولأنّه أقرب الخلق إلى الله، فالإنسان يُحِبُّ الجمال والله منْبَعُ الجمال، ويحبُّ الكمال والله مَنْبه الكمال، ويُحِبُّ النَّوال وهو العَطاء، فَكُلُّ عطاءات الأرض هي من الله، فإذا الأب قبَل ابنَهُ ما معنى ذلك ؟ لولا أنَّ الله تعالى أوْدَعَ في قلْب هذا الأب هذه الرَّحْمة ما قبَّل ابنهُ ! مرَّ سيِّدنا موسى – وهذه قِصَّة رمْزِيَّة – على امْرأة تخْبز على التَّنور وابنُها تضَعُه على جانب التَّنور، وكلَّما وضَعَتْ رغيفًا في التَّنور قبَّلَت ابنها وضَمَّتْهُ فَعَجِبَ سيِّدُنا موسى من هذه الرَّحْمة التي أودِعَت في هذه المرأة، فرَبُّنا عز وجل أراد أن يُعَرِّفَهُ بالله فنزَعَ منها الرَّحْمة، ولما بكى ابنُها ألْقَتْهُ في التَّنور ! فالنَّوال هو العَطاء، أرْقى إنسان له دَخْل يكْسب منها قوتًا، إذا تجَمَّدتْ نقطة دم أدَّتْ به إلى الجنون، وأقرب الناس إليه ؛ ابنه يُرْسِلُهُ إلى مَشْفى الجنون ! فأين هي مكانتُك ؟ وقيمتك ؟! ما معنى جنّ ؟ يعني أنَّ نقطة دم تجَلَّطَت في شرْيان فرْعي من الدِّماغ ! وسَدَّت مكان الذاكرة ففَقَدَ كُلَّ ما عرفهُ !

صَيْدَلي مَشْهور جاء ابنُه من أمْريكا، فقال الأب لابنه: من أنت ؟! أُصيب بِفَقْد الذاكرة، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ(67)﴾

[سورة يس]

أخٌ من إخواننا الكرام توفَّاهُ الله عز وجل، وقبل أن يموت بِشَهْر خرج من معْمَلِهِ فلم يعرف مكان بيْتِه ! وظَلَّ ساعَةً يمشي يبْحث عن بيْتِه، وهو يمْشي تذَكَّر بيْتَ ابنِه، فذَهَب إليه وقال له: دُلَّني على بيْتي ! فالإنسان كُلُّه عطاءٌ من الله، وإذا وصَلْتَ إلى بيْتِك فهذا من الله، وإن رأَيْتَ ابنك هذا مِن الله تعالى، وإذا مكَّنَكَ الله من مَصْلَحةٍ فهذا مِن الله تعالى؛ كهربائي أو صناعي أو مهندس أو كاتب هي كلُّها من الله فالله عز وجل مصْدر النَّوال والكمال والجمال، فما هو الفلاح ؟ قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)﴾

[سورة الشمس]

من عرَّف نفْسَهُ برَبِّها، وحمَلَها على طاعتِه فأقْبَلَت عليه فتَزَكَّتْ، وزكاة النَّفْس في الدنيا ثَمَنُ الجنَّة إلى أبَدِ الآبِدين.

والله تعالى قال:

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)﴾

[سورة الشمس]

هو مَن حَمَل نفْسَهُ على الغفْلة ؛ غافِلٌ و شارِدٌ ولم يتقَيَّد بِمَنْهَج، فعَلَ ما يُريد وأكل ما يشاء، وذهب إلى مكان يُحِبّ، وأطْلق بصرَهُ بالحرام، وخان الأمانة، فأنت لن تكون فالِحًا إلى أن ينْطبق مِقْياس الفلاح عندك على مِقْياس الفلاح في القرآن، ومِقياس الفلاح في القرآن كما قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)﴾

[سورة الشمس]

ومِقياس الفلاح عندك المال، ولكن عند الموت لا يوجد المال، فأَحَد أكبر أغنياء العالم عنده صندوق حديد على شَكل غرفة كبيرة، كان يُقْرِض الحكومة البريطانِيَّة، فأحد المرَّات دخل إلى صندوقه الحديدي، وأُغْلِقَ عليه الباب فبات يصيح أيَّامًا، وقد ظنَّ أهله أنَّه سافر، جرح أصبُعه وكتب في الحائط: أغنى رجل في العالم يموت جوعًا وعطَشًا !!

وكان هناك ثريٌّ بِلُبْنان قبْر جميل جدًا ومُطِلّ على البحر بأعلى منطقة، وعنده طائرة خاصَّة، فوَقَعَتْ ؛ زَوْجَتُهُ دفَعَت الملايين كي تُنْقِذَهُ فَعَثَروا على الطَّيار ولم يعْثُروا على صاحب القبر !! لن تُفْلِح إلا إذا انْطبق مِقْياس الفلاح عندك على مِقْياس الفلاح في القرآن، تكون فالِحًا وناجِحًا وعاقِلاً ومُتَفَوِّقًا إذا عرفْتَ الله وأطَعْتَهُ وتقَرَّبْتَ إليه، زكاة هذه النفس ثمن الجنَّة ؛ ثمنُ جنَّةٍ عرضها السماوات والأرض، قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ(185)﴾

(سورة آل عمران)

متاع الغرور، عِشْ ما شئْتَ فإنَّك ميِّت، ولذائذ الدنيا لا بدّ مِن أن تتْرُكَها أو تتْرُكَكَ، فالموتُ يحْرِمُك مِن كلّ شيء، وأحْيانًا وهو حيّ يفقد بصره، وحركتَهُ.

فهذه الحظوظ ؛ الصِّحة والوَسامة والذَّكاء إما أن تفْقِدَها وإما أن تفْقِدَك أما في الجنَّة قال تعالى

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ(35)﴾

[سورة ق]

فَمُلَخَّص الدرس يجب أن ينْطبق مِقْياس الفلاح عندك على مِقْياس الفلاح في القرآن، ففي القرآن قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)﴾

[سورة الشمس]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : تفسير الآيتان 07 - 08

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة الشمس التي مطلعها قوله تعالى:

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7)﴾

[سورة الشمس]

كيف أنَ هذه الشَّمس عظيمة، وهذا النهار وهذا الليل، وهذا القمر ؛ نَفْسُكَ التي بين جَنْبَيْكَ لها جِبِلَّة عظيمة، ولها خصائص، فكما أنَّ لِهذا الجسم خصائص فلِهذه النَّفْس خصائص، والإنسان حينما يكْشِفُ خصائص نفْسِهِ يسْعُد مع ربِّه وأحَدُ أكبرُ هذه الخصائص ؛ أَلْهَمَها فُجورها وتقْواها، وأحدُ أكبر هذه الخصائص ؛ ونفس وما سوَّاها فكيف سَوَّاها ؟ الإنسان مَبْدَئِيًّا لو لم يَصِلْهُ الشَّرْع ولم يتلَقَّ العِلْم، ولم يجْلِس مجْلِسَ عِلْم، ولم لم يقرأ كتاب، ولو لم يستمِع إلى خطاب، لو أصْغى إلى فطْرَتِه لعرَفَ أنَّه إن كان على صواب أو خطأ ! لأنَّ هذه النَّفْس من خصائصها أنَّك إذا انْحَرَفْتَ عن المبادئ التي جُبِلْتَ عليها تَشْعُرُ بِضيقٍ ! فالإنسان المؤمن إذا ارْتَقَتْ نفْسُهُ، وأصْبَحَ على حساسِيَّةٍ مُرْهَفَةٍ بحيث لو أخْطأ لَشَعَرَ أنَّهُ أخْطا، فكيف أنَّ الإنسان إذا جاع يشْعر أنَّه قد جاع، فلا حاجة لأحَدٍ أن يُعْلِمَه، أما الوَقودُ إذا انتهى فهُناك مُؤَشِّر، لو لم ينْتَبِه إلى المُؤِّشِر تَقْطَعُهُ، وكذا للحرارة مُؤَشِّر، فلو كان مع حديث شَيِّق وارْتَفَعت حرارة المُحَرِّك ولم ينْتَبِه له يحْتَرِقُ المُحَرِّك ! فالأجْهِزة المُعْلِمَة بعْضُها ضَوْئي، والآخر صَوْتي، أم الإحْساس بالجوع؛ ما نَوْعُهُ ؟! لا يوجد عندك لا ضوء ولا صوت، لكن لمَّا تجوع تشْعر به، فهذا إحْساس مُرَكَّب بِطَبيعَة الجِسْم، ولولا هذا الإحْساس لَمات جميع الناس وهم لا يشْعرون ! تنْقُص الكَمِّيات ولا يشعر بها ولا يُلَبِّي حاجِيات الجسم فَيَموت، أما ربُّنا عز وجل خصَّ الإنسان، وصَمَّم هذا الجسد بحيث كَمِيَّة الغِذاء في مستَوْدعات الكبد إذا قلَّتْ عن حَدِّها الأدْنى يشْعُر بالجوع، والإنسان يأكل أحْيانًا خُبْزًا يابِسًا مِن شدَّة الجوع، ويأكل أخْشَن الطَّعام، ويراهُ أطْيَب الطَّعام مِن شِدَّة الجوع، وقد ورد في بعض الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: نعم الإدام الخل " يعني أطْيَبُ طعام على الإطْلاق أن يكون الآكل جائِعًا ! فإذا كان جائِعًا تذَوَّق للطَّعام طَعْمًا لا مثيل له، وأكثر الناس يقولون لك: أكلْنا أكْلَة لا أنساها إلى الموت، وقد تجدها عادِيَّة إلا أنَّه كان جَوْعانًا ! فالجوع الشديد جعله يتذَوَّق هذا الطَّعام، وحينما يشْبع الإنسان لو وضَعْتَ أمامه أطْيَب الطَّعام تعافُ نفسُه الطَّعام، أحْيانًا الإنسان مِن شِدَّة التُّخْمة والخلط بالطَّعام يحْدث معه إقْياء، لو ذَكَرْتَ له أشْهى الطَّعام لرأيْتَهُ يحبّ أن يتقيَّأ، ويكاد يخرج من جلده تقزُّزًا منه، فهذه من خصائص الجسم ؛ الجوع والشبَع وكذا العطش !

لا شيء يعْدِلُ كأس الماء، لو جئت له بأطيب المشروبات لا يرْتوي إلا بالماء.

فَنَفْسُكَ التي بين جَنْبَيْك، والتي هي أمانةٌ في عُنُقِك لها خصائص، وأحد أكبر خصائصها أنَّك إن انْحَرَفْتَ عن منهَج الله عاقَبَتْكَ نفْسُك بالضِّيق قبل غيرك ! أنت تُسَمِّي هذه كآبَة، وشُعور بالكراهِيَّة، وضيق سَمِّيها ما شِئْتَ، المُهِمّ هذا عقوبة النَّفس لِصاحبها جرَّاء خروجه عن منهج الله، فهي أوَّل من تُعاقبُك، وفي أحد الفنادق الفخْمة بألْمانيا مكتوب على الفُرش أنَّه إذا أصابك الأرق فالعِلَّة ليْسَت في فُروشِنَا ولكن في ذُنوبِك ! والإنسان حكيم نفْسِه، هناك شَخْص عنده عِناية بالغَة بِجِسْمه، لا يثقل بالأكل، ولا يأكل الحلويات، وهذه لا يأكلها، يأكل أكْلَةً واحِدَة ويقول لك: الإنسان حكيم نفْسِه، وإذا لم أكن حكيم نفْسي أدْفَعُ الثَّمَن باهظ فهذا في الجِسْم، الآن تعال إلى نفْسِه، إذا الإنسان بلغ من الوَعْي الرُّوحي والوَعْي الدِّيني، أنَّهُ إذا غلط شعر بِحِجاب مع الله عز وجل فحاسَبَ نفسَهُ حساب عسير، فأكبر مِقْياس دقيق دقيق بِصَواب عَمَلِك أن تستطيع أن تتَّصِل بالله عَقِبَ هذا العمل، فأنت إذا عَمِلْتَ عملاً وانْتَقِدْتَ، وأنت إذا اسْتَطَعْتَ ان تُصَلِّي صلاةً صحيحة بعد هذا العمل فأنت على حقّ، لكن هذا ليس مِقْياسًا لِكُلّ الناس وإنَّما لِمَن صَفَتْ نفْسُه ولِمَن كانت فطْرَتُهُ سليمة، فالإنسان عليه أن يُحاسب نفسَهُ حسابًا عسيرًا، لذلك الله عز وجل قال:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)﴾

(سورة الشمس)

الشيطان أحْيانًا يُلْقي في روعِكَ معنى في تفسير هذه الآية ما أراده الله تعالى أبَدًا، ولو آمَنْتَ به لخَرَجْتَ عن دائرة صواب العقيدة، وهو أنّ الله تعالى ألْهَمَ هذه النَّفْس بِمَعنى خلق فيها الفُجور، وخلقَ فيها التَّقْوى! فإذا كان الله تعالى خلق في هذه النَّفْس الفُجور فكيف يُحاسِبُها ؟! وإذا خلق فيها التَّقْوى فكيف يُجازيها بالجنَّة ؟! فهي لا تقْواها منها، ولا فُجورها منها !إنَّما هو مِن خلْق الله فيها، وهذا المعنى جَبْري فاسِد، ومعنى غير مَقْبول إطْلاقًا، أما ألْهَمَها فُجورها وتقْواها أي أعْلَمَها ذاتِيًّا فكيف أنَّك إن جعْتَ تعرف ذاتِيًّا أنَّك جائِعٌ، وهل يستطيع أحدٌ أن يدخل إلى إحْساسك العضلي، وهذا شُعور فطْري ثابت مع كلّ إنسان، وكذا إن ارْتَقَتْ نفْسُك إلى مستوى الحساسِيَّة النَّفْسِيَّة بحيث أنَّك إذا تَكَلَّمْتَ كلمَةً غير صحيحة وشَعَرْتَ بالسُّقوط الداخلي، وبالحجاب الخارجي فهذه علامة طيِّبَة جدًا على أنَّك حيّ، لأنَّ الله عز وجل قال:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(21)﴾

[سورة النحل]

أحدهم شرب الخمْر إلى أن تمايَل، فدَخَل بيْتَهُ فَذَبَح زوْجته وخمْسة أولاد ! سكْران، ولمَّا صحى مِن سُكْرِهِ قتَلَ نفْسَهُ !! ما الذي عَذَّبَهُ ؟ الفطْرة، وهناك رجل بِبَعْض المُدن كان يمْشي بِسَيَّارتِه على الساعة الثانِيَة ليلاً، وأبٌ مُدَخِّن بعث ابنه على البقَّاليَّة، فهذا الرَّجل دهس هذا الطِّفل ومات الطِّفل الساعة ليلاً، ولا شرطي ولا أيّ

شيء ؛ القَضِيَّة كُتِبَتْ ضِدَّ مَجْهول ! هذا الذي دحس هذا الطِّفل بَقِيَ عشرين يوْمًا ما ذاق طعْمَ النَّوْم، مع أنَّ لا أحد يُلاحِقُه من الشرْطة، فَذَهَب إلى طبيب نفْسي وقال له الطبيب: لا حلَّ لك إلا أنْ تدْفَعَ دِيَّة هذا الطِّفْل كي تسْتطيع أن تنام !

رجلٌ سألني من هذا المسْجد وقال: كنتَ راجِعًا من حلب، وحدث معي خطأ فدحَسْتُ إنسان كبير بالسِنّ، وتابَعْتُ السَّيْر ولا أحَدَ لاحَقَني، والقِصَّة لها أربَعَة سنوات، قال لي: لا أسْتطيع أن أرْتاح ولا أن أنام منذ ذاك الحين !! فقُلْتُ له: اِرْجِع إلى تلك المنطقة وسَل عن الشيخ الذي مات ؛ مَن هم أهْلُه ؟! كي ترْتاح، هذه أمْثِلَة صارِخَة، وهذه هي الفطرة، أما الذي ليس فيه هذه الفطرة، فهو ينطبق عليه قوله تعالى:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(21)﴾

[سورة النحل]

وقوله تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾

[سورة فاطر]

ذكر لي أحدهم فقال: أنا جاهِل، وأبي مِن أحد كبار المواشي والصوف، فَكَبُرَ بالسِنّ، فَجَعَلَني محَلَّهُ، ولم يُعَلِّمْني أحَدٌ إنَّما قالوا لي: هؤلاء البَدْو اِذْبَحْهُم !! أي تضاحَك عليهم، فَبِعْتُ أحدهم صوفًا وتضاحَكْتُ عليه بالوَزن، فَعِوَض أن يدْفع أثنى عشرة ألفًا دفع عشرين !!ولكن قال لي هذا البدوي: إن شاء الله، إن لَعِبْتَ بي تجِدُها بِصِحَّتِك! فقال لي: وأنا بالطريق ونفْسي تُراوِدُني ؛ هل أُرجِعُ له ما أخذْتُه منه ؟ وبقيتُ على تلك الحال وأنا أمْشي بالسيارة، ونفسي بين مدٍّ وجزر إلى أن اتَّخَذْتُ قرارًا قائِلاً: وماذا يحْدُث إن أخذْتُ له..ولم أُكْمِل الكلام حتَّى وَجَدْتُ نفسي في شلال من الدِّماء ! انْقَلَبَتْ بي السيارة، فهو لمَّا بِصِراع أعطاه الله مُهلة، أما لما اتَّخَذ قرارًا عاقبَهُ الله، لأنَّ الله عز وجل قال:

﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ(79)﴾

[سورة الزخرف]

هكذا أردْتَ، إذاً سَتَرَى ! فدَخَلَ المشفى، ولما خرج، ذهب للبدوي وقال له: قد سرقتُك في الصوف ! فخُذْ ثمنَكَ، قال له البدوي: لا هذه هدِيَّةٌ مِنِّي، وأعطاهُ سمْنًا !!!

كُنْتُ بالعُمْرة، فَذَكَر لي صديق قِصَّةً دقيقة جدًا، بَدَوِيًّا ساكن بشَمال جدَّة، فلمَّا توسَّعتْ جدَّة أربعين كيلومتر نحو الشَّمال، أصْبَحَت أرضُه فريبة من المدينة، اِشْترَوْها منه ثلاثة مُجْرِمين، وضَحِكوا عليه بالثَّمَن وعمَّروها باثني عشرة طابقًا، فأوَّل شريك وقع من فوق إلى تحت ونزل ميِّتًا، وثاني شريك مات بِحَادِث، فانْتَبَهَ الثالث،

وشَعَر أنَّ أمامه خطر كبير، فَبَحَث عن هذا البدَوي حتَّى وجَدَهُ، فقال له: كنتُ غالِطًا وأعْطاهُ ثلاثة أمْثال حِصَّتِه، فقال له البَدَوي: ترى ترى أنت لَحَّقْتَ حالك !! فَدَرْسُنا اليوم عن الفِطرة السَّليمة، والي يُراجع نفْسه عند الغلط، فالله عز وجل قال:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ(1)وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ(2)﴾

[سورة القيامة]

فالذي فطْرته سليمة عليه أن يشكر الله عز وجل، والذي فطْرتُه مطْموسة عليه بِطَلب العلم حتَّى ترجع الفطرة سليمة لأنَّها المقياس الدقيق والله تعالى قال:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7)﴾

(سورة الشمس)

والدنيا كلّ شيء مَحْلول فيها، وفيها المُسامَحَة والاعْتِذار، وطلب عَفْو أما في الآخرة فلا شيء من هذا.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : تفسير سورة الليل

الدرس (2-1) : تفسير الآيات 05 - 10

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 11 - 21

الدرس (1-2) : تفسير الآيات 05 - 10

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، ما مِن شيء أحبُّ إلى الإنسان من تَيْسير أعْمالهِ وما مِن شيء يُزْعِجُ الإنسان من التَّعْسير، وفرق كبير بينهما !

التَّيسير مُريحٌ ومُسْعِد، أما التَّعْسير مُزْعِج، والإنسان أحْيانًا لا يعرف للتَّيْسير والتَّعْسير قانونًا، ويظُنّه قاعِدَة عَشْوائِيَّة ؛ فالأمور أحْيانًا تُيَسَّر، وأحْيانًا تُعَسَّر، يكاد الإنسان يخْرج من جلْدِهِ من تعْسير أموره، وأحْيانًا يشْعُر أنَّ التَّيْسير يُسْعِدُهُ إلى درجة كبيرة، لكِنَّ الله سبحانه وتعالى بيَّن في سورة اللَّيل للتَّيْسير والتَّعْسير قانونًا.

لا يوجد مع الله تعالى ذَكِيّ، فَيُمْكِن أن تقوم بِعَمَل ميكانيكي تشْتَغِل عشْرة ساعات، وبعد أن تنتهي تكْتَشِف أنَّ هناك قِطْعَةً يجب أن تضَعها في أوَّل مرْحَلَة !! فهذه العشْر ساعات هُدِرَت، وقد تتعَطَّل آلة فَتُراسِل شركة أجنبية وتنتظر بالبريد أيامًا إلى أن يأتيك قياسٌ أكبر من الذي طلبْتَهُ !! فَهِموا القياس غلط ؛ الآلة مُعَطَّلَة، والعُمَّال تدفع عنهم.

أحيانًا يأتي صقيع مَحْصوله ثلاثمائة ألف حتى مليون، فالصَّقيع بِثَلاثة دقائق، لكن كل شيء أصبَحَ أسْوَدًا، قال تعالى:

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(19)﴾

[سورة القلم]

أحْيانًا يأتي المطر أكثر مِمَّا ينبغي فَيُتْلِفُ المحاصيل وأحْيانًا يأتي مطر يُنْقِذُ ألف مليون، وأحْيانًا يأتي مطر أثناء حصْد القطن والقمح تُفْسِدُ كلّ المحْصول، فالأمور كُلُّها بِيَد الله عز وجل، فهو تعالى يجْعل من الماء رحْمة، ومن الماء نِقْمَة، ومِن الرِّياح نعمة، ومنه نقْمة، ومن الحرّ أحْيانًا نعمة، ومنه ما هو نِقْمَة، فَكُلُّ شيء بِيَد الله عز وجل، والتَّيْسير مُريح، والتَّعْسير صَعْب.

أحْيانًا تشْتري بِضاعة، ولا شيء يُحَطِّم التاجر مِن أن يشْتري بِضاعة وتبْقى مُكَدَّسية عنده، ولا أحد يسأله عنها ! والله عز وجل قال:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(24)﴾

[سورة التوبة]

أصْعبُ شيء بالتِّجارة الكساد، فالتِّجارة بِيَد الله، ورواجُها وكسادُها منه تعالى.

أحْيانًا تخْليص بِضاعة، بِسَبب تافه جدًا البِضاعة لا تُخَلَّص، ويجب أن تُعيدَها إلى مصْدَرِها ؛ هذا بالاستيراد، بالسُّوق المحلِّي تشتري شيئًا تظنُّ أنَّك ترْبَحُ به فإذا السِّعْر غالي، إذْ هناك عرض بِسِعْر أقلّ بِكَثير فلا يكون أمامك إلا أن تخْسر خسارَةً كُبْرى، والله عز وجل يقْدر على أن يُشَغِّلَك سنَةً بِكَامِلِها وحسابات وتحْصيل، ثمَّ المُحَصِّلَة خسارة ثمان مائة ألف !! لو جلَسْتَ في بيْتِك وألْقَيْت رأسك على الوِسادة لَكُنْتَ أسْعَدَ من هذا، رغْمَ التَّعَب الشديد والجُهد خسارة، وأحْيانًا بِجُهْد يسير وقليل ربحٌ كبير، وأحْيانًا تخْتار زوْجَةُ مُناسِبَة وتُريحُكَ، وهناك زوْجة عِبء عليك، أحيانا يأتيك ولَدَ رحْمة من الله ؛ ووهبنا له إسحاق، وأحيانًا يقول الأب: لو يندَعِس ابني أخْتَفِلُ !! لماذا ؟! لأنَّهُ مُجْرِم فالابن نِقْمة أو رحْمة، وكذا التِّجارة والصِّناعة. أحْيانًا يأتيك جارٌ يُعيفُكَ المَسْكن كُلَّهُ !! تبيعُ المنزل بِرُبْعِ قيمتِه فقط تتخلَّص منه !! فالأمْر بِيَد الله تعالى. فهذا التَّعْسير والتَّيْسير ؛ ما هو قانونه وما هي أحْوالهُ ؟ النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً..))

" والله عز وجل يقول:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾

[سورة الليل]

هذه الآية قانون التَّيْسير والتَّعْسير.

أعْطى وبنى حياته على العطاء، ويُعْطي من ماله وجُهْدِهِ وخِبْرَته ومن ابْتِسامَتِه واهْتِمامه وحِكْمَتَهُ لِكُلِّ الناس، وقبل العَطاء اتَّقى أن يعْصي الله تعالى اسْتِقامَةً، وقبل الاسْتِقامة صَدَّق بهذا الدِّين، فَهُوَ آمَنَ واسْتَقام وعمِلَ عملاً صالِحًا ؛ هذا الإنسان سَيُيَسَّرُ لليُسْرى، وله مُعامَلَة خاصَّة، وأقوى دليل قوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(21)﴾

[سورة الجاثية]

أحْيانًا الإنسان يُخَطِّط لِرِحْلَة وسفر، لا يترك شيئًا إلا ومعه ؛ مال وزوجَة وأولاد وسيارة، ولِأَتْفَهِ الأسباب تُصْبح الرِّحْلة قِطْعَةً من الجحيم ! وأحْيانًا مِن دون تَخْطيط يقول لك: ذَهَبنا رِحْلَةً لا ننْساها إلى الموت ! فالله يُيَسِّر السَّفر ويُعَسِّرُه، ويُلْهِمِ الناس فَيُضايِقوك، ويُلْهِمُهُم فَيُعينوك، لماذا يُضايِقُك فلان أو يُكْرِمُك ؟! هذا الشَّخْص بِيَد الله إذا أحَبَّ الله تعالى أن يُكْرِمَك ألْهَمَهُ، وإذا أحبَّ تعالى أن يُضايِقَك ضايَقَك مِن أجل كلمة فقط.

لذلك قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7)﴾

[سورة الليل]

والآية الدقيقة جدًا قوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(21)﴾

[سورة الجاثية]

مِن سابِع المُسْتحيلات أن يسْتوي المُحْسِنُ مع المُسيء، والمُسْتقيم مع المُنْحَرِف، والصادق مع الكاذب، والمُخْلِص مع الخائن، والمُتَفَلِّت مع المُنْضَبِط، ومَن كان دَخْلُهُ حلالاً، ومَن كان دَخْلُهُ حرامًا، واسْمَعوا هذه الكلمة وسَجِّلوها: أن يسْتَوِيَ الذين اجْتَرَحوا السيِّئات مع الذين آمنوا وعملوا الصالِحات، أن يسْتَوِيَ هؤلاء، وهؤلاء، هذا لا يتناقض مع عدالة الله تعالى فَحَسْب بل يتناقضُ مع وُجودِه، فأنت أمام خِيارٍ صعْب ؛ إمَّا أن تؤمن أنَّ لِهذا الكون إلهًا عادِلاً، وما دام هو المُسَيْطِر والأمر يرجع إليه، ومادام ملكوت السماوات والأرض بِيَدِهِ فلَن يُسَوِّيَ بين الذين اجْتَرَحوا السيِّئات وبين الذين آمنوا وعملوا الصالِحات ؛ تعمل السيِّئات وتظنَّ نفْسَك شاطِرًا وفالحًا، والناس لا يفْهمون ؛ هذا هو الغباء بِعَيْنِه، والآخر يعمل الصالحات ويسْتقيم ويلْزَمُ دروس العِلْم ويطلب العلم، ويكون بِأسْفل القائِمَة ؛ هذا مُسْتحيل ! وهذا يتناقض مع وُجود الله.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾

[سورة الليل]

بنى حياته على الأخذ، وقد ذَكَرْتُ بِخُطْبَةِ الجمعة أنَّ النَّمْلَةُ تُعَلِّم الإنسان درْسًا لا يُنْسى بالمُؤاثَرة، فالنَّمْلة غن كانتْ شبْعانَة والْتَقَتْ مع نمْلة جَوْعانَة لها جِهاز ضخّ ! تَضُخّ لها من خُلاصاتِها الغِذائِيَّة إلى للنَّمْلة الجائِعة، فأحَدُهم علَّق على هذا تعْليقًا جيِّدًا فقال: أما نحن البشر ؛ الذي سَيَنْفَجِر شبَعًا، له جِهاز مَصّ وليس ضخّ، فَفَوْقَ غِناه يمُصّ جُهودِ الآخرين، له أموال لا تأكلها النِّيران وتَجِدُهُ يُحاسِبُ على اللِّيرة ! هذا هو اللُّؤْم، هذه ليْسَت شطارة.

قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾

[سورة الليل]

بنى حياته على الأخذ وليس على العَطاء فالأنبياء أعْطَوا ولم يأخُذوا، والذين على نقيضِهم أخَذوا ولم يُعْطوا، وبَقِيَّةُ الناس يأخُذون ويُعْطون ؛ يُقَدِّم خِدْمَة ويأخذ الأَجْر عليها إلا أنَّهُ يُقَدِّمُها بِإخلاص وليس بِغِشّ. ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾

[سورة الليل]

لا تَقُل لي: فلان يَدُهُ خضْراء، وهذا محظوظ ؛ هذا شِرْك، فلا يوجد كلٌّ من هذا، وهذا كلام اله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾

[سورة الليل]

يُؤتى الحَذِرُ مِن مَأمَنِه، اِلْتَقَيْتُ بِطَبيب بِأمْريكا يُعَدُّ الأوَّل بالطِبّ، معه أخبث مرض بالقلب، إلا أنَّه نَسِيَ الله فأصابَهُ الله تعالى بِمَرَضٍ في اخْتِصاصهِ فَمَع الله لا يوجد ذَكِيّ !

وكذا بالتِّجارة، يُريك صَفْقَة تقول سوف أخرج من الغرق، لكنَّك بالأخير تجد انَّك فلَّسْتَ منها ؛ اسْتَعِن بالله، وإذا كُنْتَ مُسْتَقيمًا وفَّقَك الله، ومع الله توجد الاسْتِقامة وليس الذَّكاء، وقدْر ما تكون ذَكِيًّا تُفْلِس، وقدْر ما تكون تَقِيًّا تربَح، فقد تعمل عملاً لا يُرْضي مَن حوْلَك لكنَّ الله تعالى يُرْبِحُكَ فيه، وأحْيانًا تعمل عمَلاً لا يُرضي الله فتَخْسر فَمن ابْتغى وجْه الله تعالى مكَّن له عملَهُ.

لا يوجد إلا التوحيد، قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾

[سورة الليل]

هذا قانون التَّعْسير والتَّيْسير، وكلّ شيء خِلاف ذلك شِرْك، ونحن في حياتنا اليَوْمِيَّة هناك آلاف الكلمات هي شِرْك، نحن لا طَيَرَة ولا تشاؤُمَ ولا يوم أربِعاء، ولا يوم الثالث عشر ولا... إنَّما بالاسْتِقامَة تُيَسَّر الأمور وبالمعْصِيَة تُعَسَّر، والتَّعْسير تأديب، والتَّيْسير إكرام، فأنت آمَنْتَ واسْتَقَمْتَ وعَمِلْتَ الصالِحات تكون دَفَعْتَ ثمَن التَّيْسير، أو كذَّبْتَ واسْتَغْنَيْتَ عن طاعة الله، وأخذْتَ ولم تُعْط حينها تكون مُيَسَّرًا للعُسْرى لذا عليكم أن تجْعلوا القرآن قوانين حياتِكم، ولا تأخذوا كلام الناس، ونحن عندنا كلام الشيطان، وعندنا كلام الرحمن، وكلام فيه معنى، وآخر لا معنى له، بعضهم يقول: امْش بِجَنازة ولا تمْش بزواج، فهذا لا آية ولا حديث، والنبي عليه الصلاة والسلام قال: أفضل شفاعة أن تشْفع بين اثنين في نِكاح فأعْظم عمل أن تكون سبب زواج شاب بِمُؤمنة، ونحن عندنا آية ؛ قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾

[سورة الليل]

فالله يُرْخي الحبْل، ويسْتدْرِجُك، وبعد ذلك تكون أنت الغالِط والخاسر فالحرام يُجْمعُ دفْعةً، ويُدْفَعُ دُفْعَةً ! الذَكيّ هو الذي يُطيع الله عز وجل وإذا كان المنحرف هو الفهمان يكون هذا الدِّين باطل ؛ سبحانك إنَّه لا يذل من والت ولا يعِزُّ من عادَيْت.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 11 - 21

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في الدرس الماضي تَحَدَّثْنا عن قانون التَّيْسير والتَّعْسير في سورة الليل ؛ قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾

[سرة الليل]

ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)﴾

[سورة الليل]

الهَدَف الأوَّل لِمُعْظَمِ الناس جَمْعُ المال، والإنسان أحْيانًا ينتقل من مرْحلة كَسْب الرِّزْق إلى مرحلة الجَمْع ! رِزْقُهُ مَضْمون، عنده أموال لو أراد أن يُنْفِقَها أجْزَأَتْهُ عَشَرات السِّنين ولكِنَّهُ ينتَقِلُ إلى مَرْحلةٍ ثانية وهي مرْحَلة الجَمْع ؛ مع أنّ الله جلَّ جلاله يقول: ورحمة ربِّك خير..." ذَكَرْتُ قبل يَوْمَين هذه المُفارَقَة ؛ وهي أنّ أهْل الدنيا أو الأغْنِياء أو الأقْوِياء أو الذين انْغَمَسوا في الشَّهوات إلى قِمَّة رؤوسِهم يأتيهم مَلَكُ المَوْت فيَدَعون كلّ شيء ويَذْهبون إلى الآخرة فُرادى، فَكَمْ مِن مرَّةٍ أدَّيْتُ واجِبَ التَّعْزِيَة في بُيوتٍ والله يزيدُ ثَمَنُها عن مائة مليون! فيها من الفَرْش والزِّينَة ما يزيد عن نِصْف هذا المَبْلَغ، وأصْحابُها تحت أطْباق الثرا في مَقْبرة باب الصَّغير !! أَلَيْسَتْ هذه مُفارَقَة ؟ ألا ينبغي للإنسان أن يقِفَ ؛ إلى أين ؟ ثمَّ ماذا؟ جَمَعْتَ أمْوالاً طائِلَة، أَجِبْ عن هذا السُّؤال فقط: ثمَّ ماذا ؟! ووَصَلْتَ إلى أعْلى مَرْتَبَة ثمَّ ماذا ؟ مارَسْتَ كلّ الشَّهَوات ؛ ثمَّ ماذا ؟ وهناك حديث شريف يَقْصم الظَّهْر يقول عليه الصلاة والسلام: بادروا بالأعمال الصالحة...".

فالآية هنا:

﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)﴾

[سورة الليل]

أكثر مَنْظر يَهُزُّ مشاعِري حينما يوضَعُ قَبْرٌ على نَعْشَيْن، ويُفْتَحُ غِطاء النَّعْش ويُحْمَل الميّت ويَنْزِل شَخْص إلى أسْفَل القبر، ويتلقَّى هذا الميّت ويفْتَحُ عن وَجْهه ويوضَعُ في القبر، ويُهال التُّراب عليه ثمَّ يقِفُ أقرِباؤُهُ يتقبَّلون التَّعازي وانتهى الأمْر، وطُوِيَتْ صَفْحَةٌ وأصْبَحَ هذا الإنسان في القبر رهينَ عَمَلِهِ ؛ إما أنَّهُ رَوْضَة من رِياض الجنَّة أو حُفْرَةٌ من حُفَرِ النار !!!

أكثر شيء يَلْفِتُ النَّظَر ويَدْعو إلى العَجَب أنَّ هؤلاء الناس يتحرَّكون وهذه الساعة التي لا بدّ منها ليس داخِلَةً في حِساباتِهِم إطْلاقًا ؛ قال تعالى:

﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)﴾

[سورة الليل]

ولو أنَّ كُلاًّ منَّا سأل نفْسَهُ: هل بَقِيَ بِقَدْر ما مَضَى ؟!! اِذْهَب إلى دائرة دَفْن المَوْتى، وابْحَث عن أعْمارِهِم، كما قال عليه الصلاة والسلام: مُعْتَرك المنايا بين السِّتين والسَّبْعين ؛ هذا في أحْسن التَّقْديرات، وأنا أعْتَقِدُ أنّ الرَّقْم هَبَط، فأكْثَر الناس بالأربعين أو الخمسين، أصْبحت هنا جَلْطات حتَّى بالخامسة والعِشْرون، وهذا شيء غريب جدًا ويلْفِتُ النَّظر، فالأزَمات القَلْبِيَّة هبطَت إلى الخامسة والعشرين سنة، فقد حدَّثني طبيبًا مُخْتَصًّا بالأوْرام الخبيثة قائِلاً: إنَّ سرَطَان الثَّدْي كان فوق السِّتِّين، والآن فتَيات بالخامسة والعشرين !!

قال تعالى:

﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)﴾

(سورة الليل)

إذا جَمَعْتَ المال بالحرام ماذا سَتُجيبُ الله يوم القِيامة ؟ يقول الميّت وهو في النَّعْش: يا أَهْلي يا ولَدي، لا تَلْعَبنَّ بكم الدنيا كما لَعِبَتْ بي جَمَعْتُ المال مِمَّا حلّ وحَرُم وأنْفَقْتُهُ في حِلِّهِ وفي غير حِلِّه فالهَناء لكم والتَّبِعَةُ عليكم.

تُغْنيك طاعَتُكَ لله تعالى، واسْتِقامَتُك على طاعة الله، والعمل الصالح وطلب العِلْم، وتَعْليمُهُ، وإنْفاق المال، وخِدْمَةُ الخَلْق، أما الثَّرْوَة الطائِلَة التي تَرَكْتَها لا تنْفَعُك، وبالمناسبة ؛ شيء بديهي وبديهي ذَكَرْتُهُ مئات المرَّات؛ هُنَاك كَسْبٌ، وهناك رِزْقٌ، فالرِّزْق ما انْتَفَعْتَ به فقط الطَّعام الذي أكَلْتَهُ وهذا القميص الذي تَرْتديه، وهذا السرير الذي تنام عَليه هو رِزْقُك، أما حَجْمُكَ المالي فَهَذا كَسْبُك، الكَسْبُ لن تنْتَفِعَ به لكِنَّكَ مُحاسَبٌ عنه، بينما رِزْقُك انْتَفَعْتَ به إلا أنَّهُ الذي أكَلْتَهُ أفْنَيْتَهُ والذي لَبِسْتَهُ أبْلَيْتَهُ، وبَقِيَ الذي أنْفَقْتَهُ، فلم يبْقى لك من رِزْقِكَ و كَسْبِك إلا الذي أنْفَقْتَهُ، وأبْلَغُ مَقولَةٍ قالَها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: وكان قدْ وزَّع شاةً، ولم يبْقَ إلا كتِفُها فقالت: دَعْها لنا ! فَتَبَسَّم عليه الصلاة والسلام وقال: بل بَقِيَت كلُّها إلا كتفُها...." فالذي أنْفَقْناهُ هو الذي بَقِيَ، فالإنسان كم يُنْفِقُ في سبيل الله ؟ الذي أنْفَقَهُ هو الذي سَيَجِدُهُ يوم القِيامَة، وهذا القبر هو لِكُل الناس، ولا يوجَد قبْر خمْسَة نُجوم !!!

ثمَّ قال تعالى – ودَقِّقوا في هذا –:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (12)﴾

[سورة الليل]

لا تَقُل: حتَّى يَهْدِيَني الله !! هذا كلام الشَّيْطان، فالشَّيْطان مِن مُهِمَّاتِه التَّسْويف والله عز وجل أَلْزَمَ نَفْسَهُ بِهُدى الخَلْق، فهو تعالى هدانَا بالكَوْن، وهدانا بالقرآن وسُنَّةِ النبي عليه الصلاة والسلام، وهدانا بِأَفْعالِهِ، فهو تعالى هدانا وانتهى الأمر، إنَّما بَقِيَ علينا أن نسْتَجيب لذا لا تَقُل: حتَّى يَهْدِيَني الله !! أبٌ أعْطى لابنِهِ غُرْفَة خاصَّة، ومَرتبة خاصَّة ومكتبة خاصَّة، ودَخل كبير، ثمّ أدْخَلَهُ الجامِعَة ؛ فقال الأب: ألا تَدْرُس فهل يُعْقَل أن يكون جواب الابن: حتَّى تُريد أنت ! غُرْفة ومكْتَب وسيارة و.. كُلُّ هذا تَعْبير عن إرادتي وحُبِّي لك بالدِّراسة ؛ كلامٌ لا مَعْنى له فأفْعال الأب السابِقَة تُؤَكِّد أنَّهُ يُريد لابنه أن يدْرس، فلا يُعْقَل أن يقول الابن بعدها: حتَّى تُريد أنت ! لذا كُلّ إنسان يقول: حتَّى يريد الله يكون كذَّابًا، فالله تعالى أرادَكَ أن تُؤْمِن، قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا(27)﴾

[سورة النساء]

ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآَخِرَةَ وَالْأُولَى (13)﴾

[سورة الليل]

لنا، نَحْكُمُ فيها ما نُريد وشأْنُكَ بِيَد الله، وأمْرُكَ إلى الله، قال تعالى:

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(25)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(26)﴾

[سورة الغاشية]

ولا تَقُل: يُمْكِن للإنسان أن يَعْبُدَ الله تعالى ثمَّ يكون مَصيرُهُ جهَنَّم ! هذا كلامٌ يقولُهُ الشَّيْطان، قال تعالى:

﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15)﴾

[سورة الليل]

لا يَصْلاها إنْسان بريء، أو مُصَلِّي، إذْ هُناك دُعاة جُهَّال يوهِمون الناس أنَّهُ ممكِن أن تُطيعَهُ طوال حياتِك ثمّ يكون مصيرُكَ إلى النار ! هذا يتناقَضُ مع عدالة الله، وربُّنا عز وجل قال:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7)﴾

[سورة الزلزلة]

أيُعْقل أن يَجْعَلَ الذين أطاعوه وأحَبُّوه وجاهَدوا أنْفسهم في سبيلِهِ في النار ؟! قال تعالى: ذَلِكَ

﴿ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ(17)﴾

[سورة سبأ]

أي هل سبَقَ أن جازَيْنا إنْسانًا مُسْتقيمًا ؟! قال تعالى:

﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15)﴾

[سورة الليل]

فالذي شَقِيَ بِالبُعْد عن الله هو الذي يَصْلى النار الكبرى، والذي شَقِيَ بانْحِرافِهِ، وبِحُبِّ الدنيا.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16)﴾

[سورة الليل]

كذَّب بِهذا الدِّين ولم يَعْبأ به، وأدار ظَهْرَهُ له.

وهو الذي اتَّقى الله عز وجل، قال تعالى:

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ(102)﴾

[سورة الأنبياء]

فالمؤمن لا علاقة له، إنَّما العَذاب لأهْل الدنيا، والأتْقى هو الأشَدُّ اتِّقاءً لله عز وجل، وأشَدُّ اتِّقاءً لِنَارِ جهَنَّم. ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17)﴾

[سورة الليل]

إنْفاق المال، أيُّها الإخوَة أقْرَبُ طريقٍ إلى الله تعالى ؛ لأنَّ المال مُحَبَّب، حينما تُنْفِقُ مِن مالِك تَسْعَد.

وزُرْتُ مرَّةً مريضًا معه احْتِشاء قلب ؛ فقير ويَعْمَل بِمَعْمَل، ويَكْسِبُ قوتَ يَوْمِهِ، وله خَمْس أولاد ؛ بيْت عربي بالميدان، فَوَجَدْتُ كآبَةً مُخَيِّمَة على هذا البيت، ويَحْتاج إلى عَمَلِيَّة ثلاثمائة ألف ليرة سورِيَّة وليس معه منها ولا خَمْسُ لَيْرات، وهو لا يسْتطيع أن يتَحَرَّك فاتَّصَلَتْ إنْسانَةٌ مُحْسِنَة وقالتْ له: راجِع الدُّكْتور فلان ؛ جرَّاح قلب فذَهَب إليه، فقال له الطبيب: هناك إنسانة مُحْسِنَة تبَرَّعَت لك بِعَمَلِيَّة قلب كامِلَة ! ونَجَحَتْ العَمَلِيَّة نجاحًا باهِرًا، وزُرْتُهُ بعد العَمَلِيَّة: والله أيُّها الإخوة، مِن شِدَّة فَرْحَة أولادِهِ كادوا أن يرْقُصوا ؛ فهذه المُحْسِنَة مَسَحَت البُكاء من أطْفال هذا الإنسان، بالمُقابل هناك مَنْ يدْفَع ستِّين مليون مِن أجل عُرْس، ويأتي بالراقِصات، والخُمور، فلو يعْلَمُ الأغْنياء كم لهم من أجْر لو مسَحوا دُموع الفقراء بِأموالهم، والآية دقيقة:

﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18)﴾

[سورة الليل]

فالله تعالى يُسْتَرْضى بالصَّدَقة، وصَدَقَةُ السِرّ تُطْفِئُ غَضَب الربّ والصَّدَق تَقَعُ في يدِ الله قبل أن تَقَع في يدِ الفقير، فأنت إذا أَرَدْتَ أن تسْتَرْضِيَ الله تعالى فادْفَعْ مِن مالِك وإن أَرَدْتَ أن تُطْفِأ غضَبَ الله تعالى فادْفَع من مالِكَ، وإن أَرَدْتَ أن تُرَمِّمَ مَعْصِيَةً فَعَلْتَها عن غير قَصْدٍ فادْفَع من مالك، واحْذَروا المنّ فإنَّهُ يُذْهِب ثواب الصَّدَقة.

قال تعالى:

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19)﴾

[سورة الليل]

كانت هناك فقيرة لها بعض السِّهام في شركة، فأعْطَوْهم تَعْويض وكانت لي قريبة ليس بِإمْكانِها أن تنْزل، وكانت مُقْعَدَة، والوَكالة قيمتُها تُساوي قيمَة الأسْهم!

فسألْتُ حينها مُوَظَّفًا فقُلْتُ له: هناك إنسانة فقيرة مُقْعَدَة ؛ هي بِأمسّ الحاجة إلى هذا المَبْلَغ، والوَكالة تُساوي قيمة المَبْلَغ، فَهَلْ يُمْكِنُك أن تأتي معي إلى البيت تُعطيها المَبْلَغ ؟ فقال لي: نعم، فقلتُ له معي سيارة، فقال لي: لا، آتِ لِوَحْدي ! فلمَّا قال لي هكذا شَكَكْتُ به، فرَجَعْتُ أنا إلى بيت قريبتي هذه، وكان المَوْعِد عصْرًا، فلمَّا دنى العَصْر دقَّ هذا الشَّخْص الباب: ففتَحْتُ فإذا به ! وقال لي: أين الحاجَّة، فبَصَمَتْ ووقَّعَتْ، ثمَّ صلى العَصْر، ولمَّا أرَدْتُ أن أوصِلَه بالسيارة أبى، فحاوَلْتُ معه مرارًا فلم يرْضَ، وقال لي: لا تَنْزَع لي شُغْلي، فأنا قد احْتَسَبْتُ هذا لله تعالى !

لذا ألا يُحِبُّ الواحِدُ مِنَّا عملاً خالِصًا يُقَرِّبُهُ إلى الله، كي تقول يوم القيامة: يا ربّ، هذا فَعَلْتُهُ مِن أجْلِك. قال تعالى:

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20)﴾

[سورة الليل]

آخر بِشارَة قال تعالى:

﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)﴾

[سورة الليل]

فالله تعالى يُعالِجُنا من عِدَّة جِهات ؛ فهذا من بيْتِهِ، وهذا من ولَدِهِ وهذا من دَخْلِهِ، وهذا من زَوْجته، وهذا مِن صِحَّتِهِ، إلا أنَّهُ سيهيئ لنا الجنَّة إن شاء الله، قال تعالى:

﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)﴾

[سورة الليل]

كَقَوْل الطبيب للمريض أثناء المُعالجَة: لم يبْق الكثير وسنَنْتهي، فقط تَحَمَّلْنا قليلاً فالله عز وجل مِن رَحْمَتِهِ لِعِبادِهِ يُطَمْئِنُهم، فهذا الذي كما قال تعالى:

﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)﴾

[سورة الليل]

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : تفسير سورة الضحى

الدرس (2-1) : تفسير الآيتان 04 - 05

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 6 - 11

الدرس (1-2) : تفسير الآيتان 04 - 05

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، مِن سورة الضُّحى قوله تعالى:

﴿ وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)﴾

[سورة الضحى]

هذه الآية مُوَجَّهة إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وهناك قاعِدَةٌ في التَّفسير أنَّ كُلَّ آيَةٍ مُوَجَّهَةٌ إلى النبي عليه الصلاة والسلام هي مُوَجَّهَةٌ حُكْمًا إلى المؤمنين، ما لم تَقُمْ قرينَةٌ تَدُلّ على عَكْس ذلك.

النبي عليه الصَّلاة والسلام لهُ خُصوصِيَّات، فإذا قامَتْ قَرينَة في الآية تَدُلّ على عَكْس ذلك انْصَرَفَت الآية إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم، أما إن لم تَقُم هذه القرينة فَكُلّ خِطابٍ إلى النبي عليه الصلاة والسلام هو حُكْمًا خِطابٌ إلى المؤمنين.

فالله عز وجل وهو الخبير، وهو العليم، وهو الرحمن الرحيم قال:

﴿ وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4)﴾

[سورة الضحى]

فالذي يرى أنَّ الأولى خير من الآخرة يُكَذِّب هذه الآية، قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا(27)﴾

[سورة الإنسان]

هذه السيارة رُبْع ساعة، وبين أن تتملَّك هذه الدَّراجة النارِيَّة فأَيُّهُما تَخْتار ؟ الدَّراجَى لأنَّها سَتُصْبح مُلْكًا لك ! الآن تَخْيير ثانٍ خيَّرْناك بين سيَّارتَيْن ؛ أن تركَب الأولى رُبع ساعة، وأن تتملَّك الثانِيَة فماذا تَخْتار ؟! طبْعًا الثانِيَة مِن دون تَرَدُّد، طيِّب فلو خَيَّرْناك بين أن تركبَ هذه الدَّراجة رُبع ساعة وبين أن تتمَلَّكَ هذه السيَّارة ! هنا لو تَرَدَّد الإنسان ثانية في عدم أخْذ السيارة فهُوَ مَجْنون.

الدنيا مَحْدودة ؛ وهي سَنَوات مَعْدودة، يقول الإمام علي رضي الله عنه: يا بُنَيّ، العِلْم خَيْرٌ من المال، لأنَّ العِلْم يَحْرُسك، وأنت تَحْرس المال، والمال تُنْقِصُهُ النَّفَقَة، والعلم يَزْكو على الإنْفاق، مات خُزَّان المال وهم أحْياء، وهم أحْياء ماتوا ميِّتين:

ليس مَن مات فاسْتَراح بِمَيِّتٍ إنَّما الميِّتُ ميِّتُ الأحْياء

وقال تعالى:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(21)﴾

[سورة النحل]

إنسانٌ بلا هَدَف، وبلا قِيَم، وبلا آخرة ولا منْهج، كائِنٌ شارِد وكائِنٌ يبْحَث عن شَهَواتِه، ويريدُ كلّ بلا ثَمَن، ويبيعُ دينه وآخِرَتَهُ بِعَرَضٍ من الدنيا قليل ! ويَسُبُّ الإله لأَدْنى انْزعاج؛ وهذا حال الناس، لذلك قال تعالى

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا(18)﴾

[سورة الإسراء]

ذَكَرْتُ لكم مثلاً كثيرًا إلا أنَّ ما كانه مُلائِم جدًا في هذا الدرس ؛ أَحَدُ سيَّارات ا لنَّقْل العام كانت واقفَة في المَرْجة باتِّجاه الشَّرْق مُتَّجِهَةً من جِهةَ المُهاجِرين، في أيَّام الصَّيْف الحارَّة تَصْعد إليها، تَجِدُ على اليمين شمْس، وعلى اليَسار ظلّ، الراكب العاقل يَجْلس في الشَّمْس لأنَّ هذه السيارة مُتَّجِهَة نحو المُهاجرين فإذا دارَت فَخِلال أقلّ من دقيقة يُصبح المكان المُظلَّل مُشْمِسًا، لذا الراكب يُمْتَحَن عَقلُهُ في مكان جُلوسِهِ، فالذي عطَّل عَقْلَهُ يجْلس في الظلّ، وبعد دقيقة تلْدغه الشَّمْس إلى نِهاية الطريق، والذي اسْتَخْدَمَ عَقْلَهُ يجْلس في الشَّمْس ويتحمَّلُها دقيقة، وينْعُمُ بالظل عشرين دقيقة، فهذا المَثَل يُعَبِّرُ عن الدنيا والآخرة، فالذي اسْتَعْجل الطَّيِّبات في الدنيا خَسِر الآخرة.

لآية دقيقة جدًا، قال تعالى:

﴿وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4)﴾

[سورة الضحى]

أحْيانًا يأتي الابن المدْرسة جائِعًا، وهي تَطْبخ ألَذَّ الطَّعام فإذا به يأكل زيتون وخبز وزَعْتر، تقول الأم: اِصْبِر ! فإذا به يأكل أخْشَن طعام، ويُضَيِّع أطْيَب طعام، فَرَبُّنا عز وجل خَلَقَنا لِجَنَّةٍ عرْضُها السَّماوات والأرض، والإنسان لِجَهْلِهِ ولِطَيْشِهِ اسْتَعْجل الحياة الدنيا:

﴿وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4)﴾

[سورة الضحى]

وللآخرة خير لك من الأولى، وربنا عز وجل يقول:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ(38)﴾

[سورة التوبة]

الدنيا متاعُها قليل، وهي تَضُرّ وتَهُرَ وتَمُر، وهي دارُ مَن لا دارَ له ولها يَسْعى مَن لا عَقْل له، والدنيا جيفَة طُلابُها كِلابُها.

مرَّ النبي عليه الصلاة والسلام مع أصْحابِهِ بِشَاةٍ ميِّتَة أُلْقِيَت في الطريق جيفة، ولها رائحة لا تُحْتَمَل،

((فقال عليه الصلاة والسلام: أُنْظروا كم هي هَيِّنة على أهلها حتى ألْقَوها في الطريق: والذي بعث محمَّدا بالحق لا الدنيا أهْوَن على الله من هذه الشاة على أهلها..))

والحديث المَعْروف:

((لو أنَّ الدنيا تَعْدل عند الله جناح بَعوضَة....))

هل تَقْبَلوا هذه النَّصيحة من العلي الكبير ؟ والعليم الخبير ؟ ومن رب العالمين ؟ ومِمَّن بِيَدِهِ ملكوت السماوات والأرض:

﴿وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4)﴾

[سورة الضحى]

قد يوعَدُ الطالب حين ذهابِهِ إلى أحَدِ الدُّول ؛ أمريكا أو فرنسا أنَّهُ إن تَحَصَّل على دكْتوراه سيَحْصَل على أكبر منْصب، ودَخْل كبير ومنزِل و... إلا أنَّ هذا الطالب قد يَغْتَرّ فَيَنْغَمِسُ في الشَّهوات واللَّذائِذ والموبِقات، ويُضَيِّع مُسْتَقْبَلَهُ كُلَّهُ، ويُصْبِحُ في مَزْبَلَة المُجْتَمَع، لذا :

﴿وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4)﴾

[سورة الضحى]

الدِّينُ قِيَمٌ وحُدود، ومَنْهَج، هذا حلال وذاك حرام، هذه تَجوز وتِلك لا تَجوز، فالله تعالى قال لك:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)﴾

[سورة الضحى]

ليْسَت هذه الدنيا دار عطاء، بل هي دار ابْتِلاء، وليْسَت دار جزاء بل دار عَمل، وليْسَت دار تَشْريف، بل دار تَكْليف، فَهَل يُعْقل أن نَضَع للطالب مَقْعَد اسْفَنْجي من النَّوع الرفيع ؟ مُسْتحيل هذا، بل نَضَعُ له مَقْعَد خَشَب حتَّى لا ينام، وهل يُعْقَل أثناء الدَّرس نأتي له بالمُكَسَّرات والموالِح وشراب و... هذه مَدْرَسَة الجوُّ المُريح غير مَوْجود فيها فَطَبيعة المَدْرَسة تَقْتضي أن يكون هناك سبُّورة ومُحاضِر، وانتهى الأمر. هذه الدار تتناقَض مع النَّعيم، يقول عليه الصلاة والسلام: إيَّاك عبْد الله والتَّنَعُّم فإنَّ عباد الله ليْسوا بالمُتَنَعِّمين...." وإيَّاك أن تَقْصِد التَّنَعُّم لِذاته فإنَّ عباد الله ليْسوا بالمُتَنَعِّمين.

دَرْسُنا اليوم:

﴿ وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)﴾

[سورة الضحى]

بين المؤمن والكافر سَوْفَ، فالكافر اسْتَعْجل، وأراد النتائج مُباشَرة، أما المؤمن صبَرَ، وانْتَظَر وَعْدَ الله عز وجل.

أحدهم يطوف حول الكعبة ويقول: يا رب، هل أنت راضٍ عَنِّي ؟ وكان ورائِه الإمام الشافعي فقال له: يا هذا، وهل أنت راضٍ عنه حَتَّى يَرْضى عنك ؟ فقال له: يا سبحان الله ! مَن أنت ؟ فقال له: أنا محمَّد ابن إدْريس، قال: كيْفَ أرْضى عن الله، وأنا أتَمَنَّى رِضاه ؟ فقال الإمام الشافِعي: إذا كان سُرورُكَ بالنِّقْمة كَسُرورِكَ بالنِّعْمَة، فقد رضيتَ عن الله.

لذا أيها الإخوة، مَن أحَبَّ دُنْياه أضَرَّ بآخِرَتِه، فَحُبُّ الدنيا والآخرة لا يَجْتَمِعان، فلا بدّمن أن تُؤثر الآخرة على الدنيا، وربُّنا عز وجل قال:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ(30)﴾

[سورة إبراهيم]

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(35)﴾

[سورة إبراهيم]

هناك أخٌ يَصْنع غُرَف نوم، وله صالة فخْرة جِدًّا، قال لي: أتى أحد الأصدقاء عندي، وقد جاء معه شَخْص فطلب منِّي أن أصْنع له غرفة نوم، فما ارْتاح إلا أن أحْضَرْنا خشَبًا وبقي هذا الخشب يجف أكثر فأكثر من الرطوبة لِمُدَّة سنَة، ثمّ لمَّا جفَّ بدأ طلب هذا الزَّبون بالكتالوك وأنواع الغُرَف فقد بقِيَ ستَّة أشْهر حتَّى اسْتَقَرَّ على نَوْعٍ من هذه الأنواع، ثمّ بدأ باخْتِيار اللَّون فبَقِيَ مُدَّة طويلة وهو يبْحث عن أفضلها، لمَّا انْتَهَيْنا، وذلك بعد سنَتَيْن، طَلَبْناه فقال: أنا أذهن الغرفة فأَمْهَلْناهُ مُدَّةً، ثمَّ أصْبح هناك طلب على هذه الغرفة، فهَدَّدْتُهُ مرَّةً أن إذا لم تأت بِعْتُها، فقال لي: ساعِتِ يوم الخميس، في ذلك اليوم انْتَظَرْتُهُ فلم يأتِ، فَذَهَبْتُ إلى دارِهِ فإذا بي أسْمَعُ ضَجيجًا في البيت، فطَرَقْتُ الباب وقلتُ: قولوا له أن يأتي يأخذ غرفتَهُ، فقالوا لي: لقد مات صاحِبُها!!!

هذه هي الدنيا، وهناك آلاف القِصص من هذا النوع ؛ اشْترى بيْتًا وما سكنَهُ، وأخَذَ شهادة وما تعيَّن فيها، قال تعالى:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)﴾

[سورة الضحى]

وهنيئًا لِمَن نَقَّل اهْتِمامتهُ إلى الدار الآخرة، وعاش في الدنيا مؤمِنًا وطائِعًا لله تعالى، قال تعالى:

﴿ وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)﴾

[سورة الضحى]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : تفسير الآيات 6 - 11

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، العلماء يقولون: إنَّ كلّ آية يُخاطب بها النبي عليه الصلاة والسلام فيها خِطاب حُكمي لأُمَّتهِ، فسُورة الضحى كما بدأناها يوم الأحد، قال تعالى:

﴿ وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)﴾

[سورة الضحى]

وأيُّ مؤمن إذا اسْتسْلم لله عز وجل واصْطَلَحَ معه ونفّذ أمْرَهُ وتوَكَّل عليه قد تكون حياتُهُ مَشْحونة بِبَعْض المتاعب لِحِكْمَةٍ أرادها الله تعالى ولكنَّه في المستقبل سوف يرْضى رِضاءً لا حُدود له، ويذوب خجَلاً من الله عز وجل، ويؤَكِّد هذا قوله تعالى:

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(10)﴾

[سورة يونس]

يقول الله عز وجل يُخاطب النبي:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآَوَى (6)﴾

[سورة الضحى]

أحْيانًا الظروف الصعبة التي ينشأ فيها الطفل سبب نُبوغِهِ، وعَبْقَرِيَّتِهِ وتألُّقه وحُظوظه العريضة في الدنيا، وأحْيانًا ينشأ الطفل في بيت غِنًى وكلّ شيء مُتَوَفِّر، فهذا الطِّفل فقَدَ الدافع، ولذا أغلب النُّجباء لا يُنجبون فالنَّجيب يصِلُ إلى مُستوى راقٍ جدًا، فأوْلادُهُ في بَحْبوحة وأمورهم مُيَسَّرَة، لا يحْتاجون إلى شيء، فالظَّرْف الصَّعْب الذي ينشأ فيه الإنسان ربَّما كان سببَ تَفَوُّقِهِ في الدنيا.

الشيء الآخر أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام علَّمه شديد القوى، لا يُسْمح لأبٍ أو لأُم أن يقولا: نحن اللَّذان قمنا بِتَرْبِيَتِك، فالنبي عليه الصلاة والسلام نشأ يتيم الأب والأم لِحِكْمةٍ بالغةٍ أرادها الله عز وجل، ولا أحد له فضْل عليه إلا الله، ولا يستطيع أحد أن يعْزو هذا التَّفَوُّق وهذه التَّرْبِيَة إليه، فأكْثر الآباء الآن إذا تألَّق ابنه يقول لك: أنا الذي ربَّيْتُهُ، وتَعِبْتُ عليه، فالنبي عليه الصلاة والسلام أراده تعالى يتيمًا وكذلك لِيُواسي كل يتيم، وسيِّدُ الأيتام، ومع ذلك فالإنسان إذا افْتَقَر إلى الله تعالى تألَّق، فإذا حُقِّقَتْ له كُلُّ حاجاتِهِ في الدنيا يَخْبو. ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى (7)﴾

[سورة الضحى]

هنا الضلال الذي في حق النبي عليه الصلاة والسلام أنَّه لا يعرف الطريف لِهداية قومِهِ ! فلم يكن يعرف كيف يدْعو إلى الله ؟ فَرَبُّنا عز وجل حينما أنْزل عليه الوحي وتوضَّح أنَّه رسولهُ علمت معالم الدَّعوة إلى الله تعالى.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (8)﴾

[سورة الضحى]

كان إذا دخل بيته يقول: هل عندكم شيء ؟ يقولون: لا، فيَقُول عليه الصلاة والسلام: إنِّي صائِم ! لي صديق دخل السِّجن خمسون يومًا ثمَّ خرج، فقالتْ له زوْجته: ليس هناك طعام ! فَبَكى وقال: هناك مَن يأكل من الحواضر ستَّة أشهر ! فإذا الإنسان وجد طعامًا فلْيَشْكر الله تعالى، الذين يُنَقِّبون في الحلوِيات بشَر، أليس كذلك ؟ ما الذي حَمَلهم على التَّنْقيب بِالحاويات ؟ الجوع والجوع كما يقول العامّة: كافر ! قال تعالى:

﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ(4)﴾

[سورة قريش]

كان عليه الصلاة والسلام تَعْظُمُ عنده النِّعْمة مهما قلَّتْ، فكأسٌ صافي بارد نعمة كبيرة، ففي بعض المناطق هذا الماء يُشْتَرى، وليس بدرجة الموجود في الحنفِيَّة ! فكان عليه الصلاة والسلام يُحافظ على النعمة، فمرَّةً توضَّأ من قعب فضَلَت فيه فضْلة فقال رُدُّوه في النَّهر ينفعُ الله به قوْمًا آخرين، فلم يهْدر هذا الكمِيَّة الصغيرة. بالمُقابل كما قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9)﴾

[سورة الضحى]

لا تقل: فلان لا أحد له، ونستفيد منه، ونضْغط عليه، هناك ناس لِئام ؛ إذا الزَّوجة لا أهل لها يسْحَقوها بالخِدْمة الشاقَّة، وإذا صانِع يتيم ولا أب له يضغط عليه معلِّمهُ ضغْطًا شديدًا، القلب القاسي بعيد عن الله تعالى، ولو صام وصلى وزعم أنَّه مسلم، وأبْعَدُ قلب عن الله تعالى القلب القاسي، فأنت إن لم تُعامِل هذا الصبيّ وكأنَّه ابنك فأنت لسْتَ مؤمنًا.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10)﴾

[سورة الضحى]

قَوْلٌ مَعروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى.

قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)﴾

[سورة الضحى]

هناك من فهِمَ الآيو فهْمًا غير صحيح ؛ يجْلس بمِجْلس ويقول: أخذنا كذا بألف ليرة وكذا وكذا.. هذا كلام مُضْحِك وفيه تبجُّح، هذا كلام فيه كَسْر للفقير، سافَرْنا ودَفَعنا كذا، ونزَلْنا بالفندق الفلاني، وكلَّف الغذاء كذا، والعرس كذا، ليس هذا هو المعنى، نِعْمة الله المُشتَركة الهواء والماء والشمس والقمر ؛ هذه النِّعم التي يشْترك فيها الناس جميعًا، أُذْكر نِعَم الله عز وجل حتى يُحِبَّ الناسُ الله، والحديث الشريف أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه..." لا تَحكي نِعَمَك الخاصَّة وميِّزاتِك فهذه تُحْدِث حرق وإبعاد، وأفهم البشر في هذا النِّساء ؛ زوْجي كذا، واشْترى السيارة الفلانيَّة وذهَبْنا للمحلّ الفلاني، كلّ هذا الحديث شيْطاني وتفرقة، أما لو تحدَّثْت عن الله تعالى فإنَّك تجْمع القلوب.

قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)﴾

[سورة الضحى]

هي النِّعَم التي يعيشُها كلّ إنسان نِعْمة البصر والسَّمع والنطق والحركة والمأوى، الأشياء التي إن ذَكَرْتَها شَكَر الناس ربَّهم، أما أن تتكلَّم عن نِعَمِك الخاصَّة التي تنفرد بها، والتي إن ذَكَرْتها أقَمتَ حاجِزًا بينك وبين الناس.

قال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآَوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)﴾

[سورة الضحى]

الكبرياء إزاري، والعظمة ردائي فَمَن نازعني شيئًا منهما قصَمْتُه ولا أُبالي، فالإنسان يتكلَّم كلمة ولا يُلقي لها بالاً تَهْوي به في جهنَّم في سبعين خريفًا، والرَّجل يتكلَّم الكلمة من رِضْوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يرفعه في جنَّة إلى أعلى عِلِيِّين.

ذكر لي أحد الأغنياء أنَّ أباه كان فقيرًا، وكان طفْلاً صغيرًا، فلما نأكل أغْمس الخبز في الزيت وأضع الخبر على الزَّعتر، فلما أكبسُها أي أضغطها كثيرًا آخذ كفًّا من يدي أبي، كل هذا مِن شِدَّة الفقر، والآن أصبح غنيًّا وله معامل، فالإنسان إذا تذَكَّر ماضيه يذوب حُبًّا لله تعالى.

فالآن هناك أشخاص ليس لديهم بيتًا ولا زوجَةً، ولا مال ولا أولاد، ويشْتهي كلّ شيء، فإذا يسَّر الله لك عليك أن تشْكره، وكل إنسان يتذَكَّر ماضيه يعلم فضل الله عليه، وهذا نوع من أنواع الشكر، فلا ينسى أحدنا النِّعم التي غُمِرْنا بها.

تشَمُّع كَبِد يُكَلِّف زَرْعه ستَّة ملايين ليرةِ الآن، معنى هذا أنّ الذي معه كبد فثَمَنُه ستَّة ملايين ليرة، وزرْع كلوة يُكَلِّف مليونين الآن، قرنيَّة العين ثمنها خمسمائة ألف، اِجْمع ثمنك قِطَعًا للتَّبديل تجد نفسك ثمنها مائة مليون، فالذي عنده صِحَّة عليه أن يشكر الله عز وجل وهي من نِعَم الله تعالى الكُبرى، أحد إخواننا أمُّه كل جمعة تغسل الكلية بالأربعاء فإذا حضر الاثنين تتوتَّر أعْصابها، فهذه الكلية ثمانية ساعات على الآلة، ونفقَة وتعقيم وانتظار وآلام، فالذي عنده كلية سليمة عليه أن يشكر الله، وكان عليه الصلاة والسلام إذا دخل الخلاء قال: الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني..." بِبَعض الأمراض قد تصبح حياة الإنسان جحيمًا لا يُطاق، فإياك أن تؤذي الناس، وأن تضع مواد خطيرة بالمصنع فالله يبتلي بأمراض خطيرة ؛ فشل كلوي، وتشمُّع كبد وشلل، والله تعالى كريم، وقال تعالى:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(12)﴾

[سورة البروج]

إذًا هذه الآيات مع أنَّها للنبي عليه الصلاة والسلام فهي لكُلّ مؤمن، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآَوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (8)﴾

[سورة الضحى]

ذكر لي أحدهم أنَّ له أسطول من البرادات من جدَّة إلى استنبول لِنَقل الفواكه، أكبر تاجر خضراوات بالمملكة، فقال لي: أنا لي مرتبة دونه، ولكن ما فاتني فرض صلاة، ولا أعرف المال الحرام، ولا المرأة الحرام. فالإنسان إذا لم يكن معه بيت ثم أصبح معه، أو لم تكن له زوجة ثم رزق، أو لم تكن له شهادة ثم أصبح من ذوي الشهادات، أو لم يكن له أولاد ثم رزق، عليه أن يشكر الله تعالى على هذه النِّعَم.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : تفسير سورة الشرح

الدرس (1-1) : تفسير السورة بكاملها

الدرس (1-1) : تفسير السورة بكاملها

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة الشرح، يقول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)﴾

(سورة الشرح)

أوَّل نقطة في هذه السورة أنَّ الله سبحانه وتعالى شاء للإنسان أن يمرّ في طريقه إلى الله بِمَضائِق، وهذه الأخيرة مرَّ بها النبي عليه الصلاة والسلام بِشَكل حادّ، وكل مؤمن لا بدّ أن يمرّ بِمَضائق على حسب إيمانه وبما يستطيع، أما أن يصل إلى الجنَّة التي عرضها السماوات والأرض إلى أبد الآبدين، وبلا ثمَن، فهذا من سابع المستحيلات، هذا العَطاء الكبير لا بد له من مضائق، أحْيانًا مضائق ماليَّة، ماذا تفعل ؟ قد نمْتحن سيارة بِطَريق هابطة ؛ ممتازة ولك أن تطفئ المُحَرِّك، ولكن كيف تُمْتَحن المركبة ؟ بالطريق الصاعدة، فإذا مرّ الإنسان بامتِحان الرَّخاء، يقول لك: فضل من الله فهو نجَحَ بامْتِحان الرَّخاء، ولا بدّ من امْتِحان الشدَّة !

قد تكون المضائق ماليَة فهل يأكل المال الحرام ؟ هل يضْجَر ؟ هل يتفلَّت ؟ وقد يمرّ بِمَضايِق اجْتِماعِيَّة ؛ هناك أُناس يُحارِبونه ظُلمًا وعُدْوانًا، هل يرى يد الله فوق أيديهم ؟ أم ينسى أنَّ هؤلاء مُسَيَّرون ؟ هل يُوَحِّد أم يَحْقِد أو يستسلِم ؟ وهناك مضائق صِحِيَّة، وهناك مضائق في الدَّعوة فهؤلاء الدعاة لهم حِساب خاص، يَمُرُّون بِمَضائق، فإن لم يصبروا يقول الله عز وجل: أُخْرج من هذا الطريق فلَسْت أهلاً له، لذا لا تتصَوَّر أن تدخل الجنَّة دون امْتِحان، وأقول امْتِحان صعب، ولسْتُ بهذا مُتشائِمًا لكنَّ ربنَّا سبحانه وتعالى قال:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ(214)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ(92)﴾

[سورة آل عمران]

أعرف رجل، أخوه حطَّم له سيارتهُ مِن شِدَّة غِناه لم يسْتطع أن يراها، وقال لهم: بيعوها ! دخل عند مُوَظَّف فأهانهُ، حينها دخل مُباشَرَةً عند طبيب قلب مباشرةً، فهذا امتِحان المال سهْل عنده أما امْتِحان العزّ والكرامة لم يستطع له.

فأنا لسْتُ مُتَشائِمًا ولكن أؤكِّد لكم حسب القرآن الكريم أنَّهُ لا يُمْكن أن نصل إلى هذه الجنَّة التي وعدنا الله بها، من دون أن تدْفع الثَّمَن، وثَمَنُها أن تنْجحَ في الامْتِحان، هل يوجد في الأرض مَن يقول لك: أنا دُكتور ولم يَمْتَحِن ؟! يُؤَلِّف أطْروحة بِخَمْس سنوات يُحاسِبونه على الفاصلة والحركة، ويُعيدوه الكتابة والفصْل، والدكتور لم يُعْجِبْهُ، والمُشْرِف ما راق له هذا الفصل، ومراجعك قليلة، وأَعِد البَحْث فهذه مرتبة في الدنيا وقد لا تعني شيئًا الآن، فكَيف مرتبة الجنَّة ؟! فلقد كان النبي عليه الصلاة والسلام مُتضَايِق جدًا، ولكن ما بعد الضِّيق إلا الفَرَج، وما بعد الشِدَّة إلا الرَّخاء، وما بعد الامْتِحان الصَّعْب إلا العطاء، دقِّق ! أصْعَب امْتِحان مرَّ به النبي عليه الصلاة والسلام في الطائف ؛ كُذِّب وسُخِر منه، ونالوهُ بالأذى، وبعد الطائف الإسراء والمعْراج، وأنَّهُ سيِّدُ الأنبياء والمرسلين، ولا يوجد مِحْنة إلا ووراءَها مِنْحة، ولا يوجد شِدَّة إلا ووراءها شَدَّة إلى الله، فهذا مِن بشائر الله عز وجل.

قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2)﴾

[سورة الشرح]

هذا الحِمْل الثَّقيل قال تعالى:

﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)﴾

[سورة الشرح]

ولا يوجد إنسان يعْمل في الحق إلا ويرْفع الله له ذِكْرَهُ، والإنسان إذا كان مع الله له مكانة خاصَّة، وله قُدْسِيَّة خاصَّة، ومُعامَلَة خاصَّة والله عز وجل يُلْبِسُهُ ثَوْب الهَيْبَة، مُهاب لأنَّه هاب الله فهابَهُ كُلّ شيء ومَن لم يَهَب الله أهابَهُ الله مِن كلّ شيء، تجدهُ يخاف من الآذِن الذي عندهُ وتجِدُهُ مُدير عام، ومن لم يتَّقِ الله أهابَهُ الله تعالى مِن كلّ شيء لذلك هذه السورة تشْرح الصَّدْر، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3)﴾

[سورة الشرح]

قد تقول هي للنَّبي، وبالمُقابل لِكُل إنسان مؤمن صادِق مع الله عز وجل، وقد تسألني عن الدليل، قال تعالى:

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ(87)﴾

[سورة الأنبياء]

قيسوا على هذه الآية ؛ عندك هُموم البنات والأولاد والمَعاش والصحَّة فالله يُمرِّرُك من مضائق، لذا وطِّن نفْسَك فلا بدّ من أن تمرّ بِمَضائق وبُطولتُكَ أن تقول: يا رب، لك الحمد ! وأنا راضي

هم الأحِبَّة إن جاروا وإن عدلوا فليس لي عنهم مَعْدِل وإن عَدَلوا
والله وإن فتَّتوا في حُبِّهم كبدي باقٍ على حبِّهم راضٍ لما فعلوا

إنسان معه مرض خبيث بالأمعاء، والآلام لا تُحْتَمَل، أَقْسَمَ لي طبيبُهُ الخاص، ما زارَهُ إنسان إلى المُستشفى إلا ويقول له: اِشْهَد أنَّني راضٍ عن الله، ويا رب لك الحمد، ومات بأحْلى حالة، فالله عز وجل يسوق لك امْتِحان مرض والفقْر والشدَّة والهمّ والحزَن، ولكن اِجْعَل شِعارك: إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أُبالي، ولك العتبة حتى ترضى ولكن عافيتُكَ أَوْسَعُ لي، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)﴾

[سورة الشرح]

أحيانًا يكون إنسان مسْحوقٌ بالهَمّ، ابْتِلاء، والحديث: مَن قصَّر بالعَمَل ابْتَلاهُ الله بالهَمّ، فهناك هُموم تَسْحق، وقد يأتي الهمّ فيَسْحَق ثمّ يُزاح عنه، حينها يتنفَّس الصُّعَداء، سيَهْديهم ويُصْلِحُ بالهم، فالمؤمن الذي يطْلب الجنّة، أما الذي لا يطْلبها انتَهَت المشكلة، قال تعالى:

﴿ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ(38)﴾

[سورة التوبة]

فإذا الإنسان بلا هَدَف فلا مُشْكِلة لأنَّهُ هو أصْلاً مُشْكِلة، أما إذا كنتَ تطلب الجنَّة ومقْعَد صِدْق عند مليك مقتَدِر، وأن تكون في أعلى عِلِيّين عليك أن تَتَحَمَّل.

أحد الإخوة تَوَكَّل بِعَمار مَسْجِد، فلا بدّ مِن أن يُقابل بعض المَسْؤولين وقد تكون منهم شِدَّة فهو قال لي: الجنَّة لها ثَمَن ومرْحَبًا بِثَمَن الجنَّة.

النُّقطة الدقيقة قوله تعالى:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)﴾

[سورة الشرح]

هذه لِكُلّ مؤمن له منها نَصيب، والله تعالى يرْفع لك ذِكْرَك وشأنَك وثَوْب مهابة ومحبَّة ويتدافَعون لِخِدْمَتِك، وأحيانًا الإنسان يُهان، والله عز وجل له عذاب مُهين، رأيْتُ مرَّة ضابطًا يضرب إنسانًا مُحْتَرَمًا بِكَفّ ! عذاب وأحيانًا عَدُوُّك يَخْدُمك، وكل واحِدٍ منَّا له من هذه الآية نصيب، خَف منه يُخَوِّف منك الناس، وأحِبَّه يُلقي محبَّتَك في قُلوب الناس، وهَبْهُ يَجْعَلْكَ مُهابًا عند الناس، وكما تَدين تُدان، وكما تُعامِل الله تُعامَل، كُن لي كما أريد أكن لك كما تريد، إن ذَكَرْتَني في نفْسِك ذَكَرْتُكَ في ملإٍ من ملائكتي وخير منه، ويُطْرَحُ اسمُكَ بأعلى مُجْتَمَع ويُثْنى عليك لأنَّ تذكُر الله بين خلْقِهِ، وهذا هو معنى قوله تعالى:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)﴾

[سورة الشرح]

كان هناك قصَّابًا، فقال لي: أنا والشيخ أبو الحَسَن سواء، فقلْتُ له: ما بال الثرى من الثريا ! مهما كانت الصِّنْعَة، المُهِمّ ما حالهُ الآن ؟ مؤمن تقي، وعالم ورع، فالمؤمن حتى في أفراد الأُسْرَة مُحْتَرَم وفي الأقارب.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (5)﴾

[سورة الشرح]

هي إنَّ بعد العُسر يُسْرًا، يأتي عُسْر ويجيء بعده يُسْر، لكنَّ الله تعالى من رحْمته ولكي يُطمْئِنَكَ قال لك مع العسر يوجد عُسْر ! فهذا الذي يُزْعِجُكَ يُرافِقُهُ اليُسْر، وهناك قاعدة لُغَوِيَّة تعْرِفونها، وهي أنَّ الكلمة إن كانت نكِرة وتكرَّرَتْ فالمعنى يتكَرَّر، أما إذا المعرفة فالمعنى نفسُهُ، ولن يغلب عُسر يُسْرَين، فالعُسر هنا معرفة، وكلمة يُسر نكرة، قال العلماء: يُسْر في الدنيا وآخر في الآخرة، فمهما تنوَّع العُسر فدائِمًا اليُسر مُضاعَف.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)﴾

[سورة الشرح]

أنا عندي جرد الآن ! طيِّب ألم ينتهي هذا الجَرْد الآن ؟! وأنا عندي فحْص، لَمْ نرَك بالدَّرْس والصلوات، وأنا عندي مُشْكلة ؛ ابني سيَعْمَل عَمَلِيَّة، وقد ورد: هلك المُسَوِّفون، فإذا شَغَلَك شيء وانتهى لم يعد هناك عُذْر فكأنَّ الله عز وجل يقْبلُ عذْرك، قال الإمام علي كرَّم الله وجْههُ: إنّ للنَّفْس إقْدامًا وإدْبارًا، فإذا أدْبَرَتْ فاحْمِلوها على الفرائض وإذا أقْبَلَت فاحْمِلوها على النَّوافل، فالواحد إذا انتهَت مُشْكلتُه فلا عُذْر له، لذا كما قال تعالى:

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)﴾

[سورة الشرح]

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : تفسير سورة التين

الدرس (1-1) :تفسير الآيات 4 - 8

الدرس (1-1) :تفسير الآيات 4 - 8

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون، في سورة التِّين يقول الله عز وجل:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)﴾

[سورة التين]

الكَمَال البَشَري كمالٌ مُطْلق، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(8)﴾

[سورة البلد]

بالعَيْنَين ترى البُعْد الثالث، وقال تعالى:

﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(9)﴾

[سورة البلد]

الله تعالى علَّم الإنسان البيان، فَهُوَ يتكلَّم ويسْمع ويكتب ويقرأ، قال تعالى:

﴿ الرَّحْمَانُ(1)عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2)خَلَقَ الْإِنسَانَ(3)﴾

[سورة الرحمان]

وجعلهُ يُدْرِك، والأشياء التي غابَتْ عنه، فالماء يَدُلّ على الغدير والبَعْر يدلّ على البعير، والأقدام تدلّ على المسير، أَفَسَماءٌ ذات أبْراج ! وأرض ذات فِجاج ! أفلا يدُلاَّن على الحكيم الخبير ؟ كرَّمهُ بالعَقل والعَيْنين والأذُنَين فَبِهما يعرف جِهَة الصَّوت، وجعل الله الأنف فوق الفم، فلو أنّ الطَّعام فاسِد عافَهُ الإنسان، ولو أدْخل قَسْرًا لتقَيَّأَهُ، وجعلهُ منتَصِبَ القامة على قدَمَين صَغيرتَيْن بِفضْل جِهازٍ بالِغ التَّعْقيد في الأُذُن ؛ جِهاز التَّوازُن، فلولا هذا الجِهاز لاحْتاج الإنسان إلى آلات بالغَة التَّعْقيد، فالإنسان لو سار في الطِّين وحمل حذاءَهُ وزْنًا من الطِّين يُصْبِحُ المَشي أشْغالاً شاقَّة، فالله أكْرَمَهُ بِجِهَاز التَّوازن وإدراك جِهَة الصَّوت، وكرَّمَهُ بالألوان ؛ فالقِطَط ترى الأبيَض والأَسْوَد، وجعل لهُ شَعْرًا كَتَاجٍ يُتَوِّج رأسَهُ، وثلاثمائة ألف شَعْرة، لِكُلِّ شَعْرة ويد وشِريان وعضلة وغُدَّة دِهْنِيَّة وصِبْغِيَّة، لقد خَلَقْنا الإنسان في أحْسَن تَقْويم، والإنسان كُلْيَتاهُ تُفْرزان كلّ عِشْرين ثانِيَة نُقْطة، لولا المَثَانَة لكانت حالة الإنسان لا تُطاق، وهذه المَثَانَة تُجَمِّع لِتْر ونِصْف تَقْريبًا ؛ خمس ساعات أو أكثر تجد نفْسَكَ نظيفًا دون أن تظهر منك ولا قطرة بَول، وتُسافِر وأنت مُرتاح، وللمَثانَة عضَلات مِن أجل تَوْفير الوَقت، ولولا هذه العَضَلات لكَانَ إفْراغُها مُسْتَحيلاً ؛ وجعَلَ الله قلْبًا يعمل حتى وأنت نائِم لو كلَّفَك بالنَّبْض لما أمْكَنَكَ أن تنام، تنامُ فَتَموت، ولو كلَّفَك بالتَّنَفُّس لما أمْكَنَك أن تنام ؛هناك مَرْكز التَّنْبيه الدَّوري للبَصَلَة

السِّيسائيَّة، إذا تعطَّل هذا المركز لما أمْكَنَ لأحدٍ أن ينام ؛ يُجْري تنَفُّس اصْطِناعي فإذا غفل ماتَ فَوْرًا، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)﴾

[سورة التين]

قلب ورِئتين ومَعِدَة وأمْعاء، وأمعاء طَويلة طولها ثمانِيَة أمْتار مِن أجْل أن تأخذ خُلاصَة الطَّعام مِن خِلالها. قال تعالى:

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ(10)﴾

[سورة البلد]

لبَنٌ في الثَّدْيَيْن بارِدٌ في الصَّيف، وساخِنٌ في الشِّتاء، ومُعَقَّم وفيه مناعَةُ الأمّ، ومواد تَمْنَع الْتِصاق الطَّعام والجراثيم بالأمعاء، فَحَليب الأم فيه مَيِّزات مُذْهِلَة، والله قال:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)﴾

[سورة التين]

فإن لم يَعْرِفْنا، ولم يسِرْ على منهج الله حينها كما قال تعالى:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)﴾

[سورة التين]

ذكر لي أخ له والِدَة مُلْقاة على ديوان، وأيْديها وأرجُلها مُربَّطَة، فقلتُ له: لماذا ؟! قال: لأنّنا إن فَكَكْنَا عنها الرِّباط خلَعَتْ كلّ ثِيابِها، وأكلَتْ مِن غائِطِها !! قال تعالى

﴿ : مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

[سورة النحل]

فالإنسان إذا ما عرفَ الله يُرَدُّ إلى أرْذَل العُمر، والأصل في خريف العمر لا في ربيع العُمر، ففي الربيع كلّ الناس تتساو، أما التَّفاوُت ففي الخريف ؛ كيف أمْضى حياته ؟ في طاعة الله إذًا له خريف مُتَألِّق وكيف أمضى حياته ؟ بِدَخْل حلال، وإن أمْضاهُ بالمَعْصِيَة فإنَّه يُرَدُّ إلى أرْذَل العُمر، قال تعالى:

﴿ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

[سورة النحل]

رَدَدْناهُ أسْفَل سافلين بعد أن خلقناهُ في أحْسَن تَقْويم، فإذا شَكَر بَقِيَ في أحْسَن تَقْويم وفي شبابٍ دائِم، أما إن لم يَشْكُر فإنَّه يُرَدُّ إلى أرْذَل العُمر.

ثمَّ قال تعالى:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6)﴾

[سورة التين]

المؤمنون خطُّهم البياني صاعِد، والموت نقطة على هذا الخط، ويبقى بعد الموت صاعِدًا إلى الجنَّة.

كُلُّ أجر مَمْنون لا يُعَدّ عطاءً إلَهِيًّا، فالدنيا مَقْطوعة، فالرِّزق ما انتفَعْتَ به، والكَسب ما لم تنتفِع به ولكنَّك مُحاسَبٌ عليه، فَكُلّ عَطاء ينتهي بالموت فليس عطاءً، ولا يليق بالله تعالى أن يكون هذا هو عَطاؤُهُ، ولا يليق بِكَرَمِ الله أن يُعطي الإنسان الدنيا، فلو أنَّ الدنيا تَعْدل عند الله جناح بَعوضَة ما سقى الكافر منها شَربَة ماء، فقلد مرَّ النبي عليه الصلاة والسلام مع أصْحابِهِ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ ومُتَفَسِّخَةٍ فقال عليه الصلاة والسلام: كم هذه الشاة هيِّنة على أهْلها ! للدُّنيا أهْوَنُ على الله من هذه الشاة على أهْلِها..." قال تعالى:

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(126)﴾

[سورة البقرة]

وقال تعالى:

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا(77)﴾

[سورة النساء]

وقال تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ(38)﴾

[سورة التوبة]

وقال تعالى:

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ(26)﴾

[سورة المطففين]

البُطولة أن تعمل للآخرة، لا أن تعمل للدُّنيا ؛ لأنَّ الدنيا مُنقَطِعة شبَّهْتُ للإخوة في الأسبوع السابق أنَّ لو سباق سيارات فيه ألف سيارة وكلُّها متنوِّعة من حجم وشكل وموديل، وينتهي هذا السِّباق بِقاطِع وحُفْرة بالنِّهاية، فَكُلُّهم تنتظرهم هذه الحُفرة بالأولى والثانية والأخيرة والكبيرة والصغيرة والأحدث موديل !! فهل هذا سِباق ؟! هذا سِباق أحْمَق، وهكذا الدنيا ؛ الفقير يموت والغني يموت، وكذا الضعيف والقويّ والموت واحِد، فالموت يجمعُ بيننا؛ لذا قال تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6)﴾

[سورة التين]

ثمَّ قال تعالى:

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (8)﴾

[سورة التين]

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : تفسير سورة العلق

الدرس (1-1) :تفسير السورة بكاملها

الدرس (1-1) :تفسير السورة بكاملها

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العلق :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يقول الله عز وجل في سورة العلق :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ # خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ # اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ # الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ # عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

[سورة العلق الآيات : 1-5]

اقْرَأْ أول آية نزلت :

أوَّل آية أُنْزِلَت في كتاب الله تعالى : اِقرأ ، فهذا الدِّين العَظيم دِينُ عِلْم ودينُ حقيقة ، ودين مَنْهج ودليل وتَعليم وعَقْل ، إلا أنَّ القِراءة مُطْلَقة وواسِعَة جدًا ، ويجب أن تقرأ باسم ربّك ، وما لم تَخْتَر مَوْضوعًا يَنْفَعُكَ في الدنيا والآخرة فهذه القِراءة لا تَنْفَع ، وقد دعا النبي عليه الصلاة والسلام ربَّهُ فقال :

((اللهمّ إنّي أعوذ بك مِن عِلْمٍ لا ينفَع ، ومِن قلبٍ لا يَخْشَع ، ومِن عَيْنٍ لا تَدْمَع ، ومِن أُذُنٍ لا تَسْمَع))

وليس كُلّ عِلْمٍ نافِع ، فَهُناك عِلمٌ نافِع وغير نافِع ، وليس كلّ عِلمٍ مُسْعِد ، والعِلم الدِّيني هو وحْدهُ المُسْعِد في الدنيا والآخرة ، فقوله تعالى :

﴿ اقْرَأْ ﴾

فهِيَ قِراءة ليْسَت مُطلقَة ؛ بل قِراءَةً تنتهي بِها إلى ربِّك ، وتتعرَّفُ بها إلى ربِّك ، وتُعَظِّم فيها ربَّك ، وقِراءَةً هادِفَة .

قال تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ # خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ # اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾

[سورة العلق الآيات : 1-3]

الإكرام الإلهي :

أكْرَمَك بِنِعْمة الوُجود ، وأكْرَمَك بِنِعْمة الإيجاد والإمْداد ، والهُدى والرَّشاد ، ثمَّ قال تعالى :

﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾

[سورة العلق الآية : 4]

قال تعالى :

﴿ الرَّحْمَنُ # عَلَّمَ الْقُرْآنَ # خَلَقَ الْإِنْسَانَ # عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[سورة الرحمن الآيات : 1-4]

فالبيان إحْدى نعَم الله الكُبرى على الإنسان ؛ بالنُّطْق والسَّماع تنتقل المعارِف بين المُتعاصِرين ، ولكن بالقلم والكتابة والقراءة تنتقل المعارف بين الأجْيال ، وبين الأُمَم ، فلولا نِعْمة القَلَم لما انْتَفَعتْ أُمَّة بِأُمَّة ، ولا جيلٌ مِن جيل ، والدليل نأخذ أحد العلماء ؛ الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ، كان يَحْضُر درسه عدد كبير جدًا فلما انتهى التواصل الشَّفَهي ومات انتهى عِلْمُهُ ، أما حينما ألَّف كتاب عِلْم الأحياء فَعِلْمُهُ مُسْتَمِر إلى يوم القيامة، فبِالكتابة تنتقل المعارف من جيلٍ إلى جِيلٍ ، ومِن أُمَّة إلى أخرى .

أيها الإخوة ؛ قال تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى # أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى ﴾

[سورة العلق الآيات : 6-7]

فالإنسان في ساعة الافْتِقار يقول : يا ربّ ، فإذا أغْناهُ الله وأتَمَّ عليه نِعْمة الصِّحة والمال ينسى الله عز وجل، فالإنسان المؤمن يشْكر الله وهو في الرَّخاء ، ولكنَّ الشارِد يَذْكره وهو في الافْتِقار والشدَّة ، لذا : يستغني ، يتجاوَزُ حُدوده ، ويتجاوَز في تَصَوُّراتِهِ ، وفي سُلوكِهِ ؛ متى ؟

﴿ أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى ﴾

أنْ رأى نفْسَهُ مُسْتَغْنِيًا عن الله ، لذلك إما أن ترى نَفْسَك مُفْتَقِرًا إلى الله ، وإما أن يُريكَ الله افْتقارَك إليه ، إن رأَيْتَهُ وَحْدكَ فهذه نِعْمةٌ عُظْمى ، فالصَّحابة الكِرام رأَوْا افْتِقارهم إلى الله في بَدْر فَنَصَرَهُم الله ، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة آل عمران الآية : 123]

لكنهم في حُنَيْن رَأَوْا كَثْرَتَهُم فَخَذَلَهُم الله ، قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾

[سورة التوبة الآية : 25]

فأنت إن رأَيْتَ افْتِقارَك تَوَلاَّك الله ، وإن اعْتَدَدْتَ بِقُوَّتِك وعِلْمِك ومالِك ، واسَتَغْنَيْتَ عن الله ضِمْنًا خذَلَك الله ، لذا مع الاسْتِغْناء الخِذْلان ، ومع الافتِقار الإمْداد والرِّعايَة ، إذًا يُمكن أن نقول : أنت كلّ يوم في امْتِحانَيْن ؛ امْتِحان الافْتِقار ، وامْتِحان الاسْتِغْناء ، فبِافْتِقارِكَ يتولاَّك الله ، وباسْتِغْنائِكَ يَكِلُكَ الله إلى نفْسِكَ ، ومَن توكَّل على نفْسِهِ أوْكَلَهُ الله إيَّاها ويُؤتَى الحَذِرُ مِن مَأْمَنِهِ ، ويُؤْتى صاحِب الاخْتِصاص من اخْتِصاصِهِ وصاحِب

التَّفَوُّق من تَفَوُّقِهِ ، وصاحِبُ المال مِن مالِهِ ، لذا كُلَّما اسْتَغْنَيْتَ عن الله عز وجل أُخِذْتَ من اخْتِصاصِك ، ومِن مَأمَنِك وتَفَوُّقِك ، قال تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى # أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى # إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾

[سورة العلق الآيات : 6-8]

الموازنة الإلهية :

الآن وازِنْ بين شَخْصَيْن ؛ قال تعالى :

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى # عَبْداً إِذَا صَلَّى ﴾

[سورة العلق الآيات : 9-10]

رَجُلٌ يَنْهى الناس عن الصلاة ؛ حديثُهُ كاذِب ومُنْحَرِف ولئيم وأناني وكاذِب ومُنافق ودجَّال ، ما دام يقطع الناس عن الصلاة فَهُوَ مع شَهوَتِهِ ومُنْقَطِع عن الله ، قال تعالى :

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ # فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ#وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ#فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ#الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ#الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ#وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾

[سورة الماعون]

قال تعالى :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : 5]

أين الجواب ؟ أُنْظر إلى أفعالِهِ وشَخصِيَّتِهِ ووُعودِهِ وكلامِهِ ودناءَتِهِ وخِيانَتِهِ ، واحْتِيالِهِ واعْوِجاجِهِ فأخْلاقُهُ المُنْحَرِفَة أقْوى دليل على انْحِرافِهِ ، وهو أصْغَر مِن أن يُناقَش ألا يَكفي أنَّهُ كذَّاب ؟ ومُحْتال ؟ وأناني ؟ وقَذِر؟ ويَخُون ؟ أرأيْتَ إن كان على الهُدى ؛ أُنْظر إلى صِدْقِهِ وأمانتِهِ وعِفَّتِهِ واستِقامَتِهِ ومُروءَتِهِ وتواضُعِهِ ورَحْمَتِهِ ، سُلوك المؤمن أكبَر دليل على إيمانِهِ ، وسُلوك المُنْحَرِف أكبر دليل على إيمانِهِ ، وسُلوك المُنْحَرِف أكبر دليل على انْحِرافِهِ ، فهذه الآية قَوِيَّة جدًا ! قال تعالى :

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى # عَبْداً إِذَا صَلَّى ﴾

[سورة العلق الآيات : 9-10]

انْتَهَتْ الآية ! أرأيْتَ إلى أخْلاقِهِ وطِباعِهِ وعلاقاتِهِ وقَسْوتِهِ وعلاقتِهِ بِزَوْجَتِهِ وأولادِهِ ، قال تعالى :

﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى # أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴾

[سورة العلق الآيات : 11-12]

قال تعالى :

﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ # نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾

[سورة العلق الآيات : 15-16]

مِن أشدّ أنواع التَّنكيل أن تَمْسِكَ الإنسان بِمُقَدِّمة رأسِهِ وتضرب الأرض بِرَأسِهِ ! تضْرب به فناصِيَةُ الإنسان مقدِّمة رأسِه ، قال تعالى :

﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾

ماذا يوجَد في ذِهْنِهِ ؟ خُبْث واخْتِيال ، وشَطط وتَفْكير بالمعاصي ، قال تعالى :

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾

[سورة العلق الآية : 17]

يأتي الإنسان يوم القِيامة وَحْده فَرْدًا ، فَهُوَ في الدنيا له جماعَة ، وأتْباع وأعْوان ، فالإنسان أحْيانًا قد يَحْتاج إلى العِقاب فيأتي مائة تلفون يتوسَّطون لِهذا الشَّخص ! معنى ذلك أنَّ له أتْباع ، وشبَكَة مُواصلات ، وهذه الشَّبَكة تنتهي يوم القيامة ، قال تعالى :

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾

[سورة العلق الآية : 17]

ليس معه أحد ، تقول له : يا بني جَعَلْتُ لك صَدْري سِقاءً وبَطْني وِعاءً وحجري وِطاءً فهل مِن حسَنَةٍ يعود عليَّ خبرها اليوم ؟ فيقول : يا أُمّي ليتني أسْتطيعُ ذلك إنَّما أشْكو مِمَّا أنت تَشْكين ، قال تعالى :

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾

[سورة المؤمنون الآية : 101]

وقال تعالى :

﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾

[سورة الكهف الآية : 48]

ثمَّ قال تعالى :

﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ # كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

[سورة العلق الآيات : 18-19]

فإذا قال لك إنسانٌ : لا تُصَلِّي ! فلا تُطِعْهُ واسْجُد واقْتَرِب .

سألني البارِحَة إنسان يعْمل في مُؤَسَّسة وصاحِبُها مؤمن ، يَمْنَعُهُ مِن صلاة الجُمُعة ، وهو تحت طائِلَة الطَّرْد من العمل !! فقُلْتُ له : لِيَطْرُدْكَ من العَمَل والله هو الغَنِيّ ولا طاعة لِمَخلوق في مَعْصِيَةِ الخالق .

قالتْ له : إما أن تكْفر وإما أن أدَعَ الطَّعام حتى أموت ؛ سيِّدُنا سَعْد ، فقال لها : يا أُمِّي لو كانت لك مائة نفْس فَخَرَجَت واحِدة تلْوَ الأخرى لما كفَرْتُ مُحَمَّد ، فَكُلي إن شئتِ أو لا تأكُلي !!

ولا طاعة لِمَخلوق في مَعْصِيَةِ الخالق .

والي البصرةِ قال : إنَّ يزيد يأمرني أن أُنَفِّذ كذا وإن نفَّذْت الأمر عصَيْتُ الله .

فقال الحسن : إنَّ الله يَمْنَعُكَ من يزيد ولكنَّ يزيد لا يَمْنَعُكَ من الله !

يأتي مرض خبيث لا يُمْكِن أن يُخَلِّصَهُ أحَد ، أقْرَبُ الناس يبتعِدُ منك ! يأتي عِقاب أليم ، أما إن كنتَ مع الله يُخَلِّصُك من كلّ أحَد ، ويمنع كلّ أحدٍ منك ، أما إذا كنت مع الجبابرة فلا أحد يمنعُكَ منهم ، ولا أحد يمنَعُكَ من الجبار الأعلى .

إنَّ الله يَمْنَعُكَ من يزيد ولكنَّ يزيد لا يَمْنَعُكَ من الله !

ولا طاعة لِمَخلوق في مَعْصِيَةِ الخالق ، قال تعالى :

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

والحمد لله رب العالمين

الفصل السابع : تفسير سورة التكاثر

الدرس (1-2) : تفسير السورة الجزء الأول

الدرس (2-2) : تفسير السورة الجزء الثاني

الدرس (1-2) : تفسير السورة الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الإخوة الكرام، ربُّنا سبحانه و تعالى في سورة قصيرة يقول:

﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ(2)كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(3)ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(4)كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ(6)ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(7)ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ(8)﴾

[سورة التكاثر]

سأشرح كلمةَ " النعيم "، قال تعالى:

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ(8)﴾

[سورة التكاثر]

النعيمُ هو الصحة و الفراغ و الأمن و الكفايةُ، فمن متَّعه اللهُ بصحته و أمَّنه و كفاه و جعله متفرّغا لعمل ما، و لم يستخدم هذه النعمَ الأربع في معرفة الله و في طاعته و التقرُّب إليه كان مغبونا أشدُّ الغبن و خاسرا أشدَّ الخسارة، لقول النبيّ عليه الصلاة و السلام في الحديث الصحيح

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهم عَنْهما قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ))

[رواه البخاري]

لو أن أبا غنيًّا أعطى ابنَه مبلغا ضخما ليتاجر به و يؤسِّس مشروعا و ليشتري بيتا و ليتزوج، لو أن الابنَ جمع هذا المبلغ ووضعه في صندوق و أغلق عليه هل هو رابح أم خاسر ؟ خاسر، و لو أنه أحرقه، لكان مجنونا، و لوأنه أنفق على مصروفه منه فهو خاسر، فالصحة و الفراغ و الأمنُ و الكفاية، أحيانا الإنسانُ يشكو لي بعضَ المشكلات فأقول له: هل أنت مضطر أن تغسل كليتيك كلَّ أسبوعٍ مرةً، يقول: لا و الحمد لله، هل أنت مضطر أن تغيَّر دسام قلبك ؟ يقول: لا و الحمد لله، هل أنت مضطر أن تغيّر شريانَ القلب ؟

لا و الحمد لله، هل أنت مضطر أن تجري عملية جراحيةً في الدماغ ؟ لا، فإذا كان الإنسانُ معافى في جسده هذا رأس مال، و رأس المال الثاني عندك دوام إلى الساعة الثانية ثم تتغدى و تنام بعد الظهر، و الباقي وقت فراغ، كيف تمضيه ؟ في مجلس العلم أم على النرد ؟ أو في غيبة ونميمة ؟ أو متابعة مسلسلٍ ساقطٍ ؟ نتائج معروفة و قصص مكرَّرةٌ، حثالةُ المجتمع كيف تمضي هذا الوقت ؟ فالفراغ رأس مالٍ ثانٍ، وأنت لستَ مُلاحقا ؟ تتحرك كيف تشاء و تسافر و تنتقل كيف شئت، فهذا رأس مال ثالث، الأمن،رأس مال رابع عندك قوت يومك، و حاجاتك الأساسية مغطاة، فهذه الرأسمالينُ الأربعةُ إما أن تنفقها استهلاكا في

المباحات و إما أن تستثمرها عند الله عز وجل، بمعرفته و معرفة منهجه و تطبيقه و الأعمال الصالحة التي تقرِّبك إليه، فكلُّ إنسان أنفق من رأس ماله خاسر أشدَّ الخسارة، و كلُّ إنسان أتلف رأس ماله أحمق أشدَّ الحمق، أما الإنسان الذي يتاجر برأس ماله ليكسب ربحًا ينفق منه فهو الإنسانُ الإنسانُ العاقل،لذلك قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(10)﴾

[سورة الصف]

التجارة لها رأس مال و لها ربحٌ، فرأسُ مالك صحتُك و فراغك و أمنُك و كفايتُك،أوَّلُ شيء النجاةُ من العذاب الأليم، و ثاني شيء قال تعالى:

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(12)﴾

[سورة الصف]

ومع هديَّة تشجيعية سلفا،قال تعالى:

﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾

[سورة الصف]

لذلك التجارةُ مع الله رابحةٌ أشدَّ الربح، و نحن في الأرض أرباحُ التجارةِ من العشرة إلى العشرين، و الصناعة من العشرين إلى الثلاثين و الأرباحُ الوهمية للنصَّابين سبعون بالمائة، و في النهاية يذهب رأسُ المال كلِّه، أما من الممكن أن تتعامل مع خالق الكون و يعطيك عن الليرةِ مليون، و عن الليرةِ مليار، إلى أن ينتهي نفَسُك.

فلذلك أيها الإخوةُ أردتُ من هذا الدرس الاستثنائي أن أذكِّر أنَّ نعيمَ الصحة و الفراغ و الكفاية و نعيم الأمن هذه رأسُ مال الإنسان، الصحة هي الشبابُ و القوَّة و الحركةُ، فماذا تعمل بها ؟ في طاعةٍ أم في معصية ؟ أم في هموم ؟ و الوقتُ الفراغ ماذا تعمل به ؟ في لقاءات فارغة و حديث فارغ و غيبة و نميمة ؟ أم في طلب العلم ؟ أم في مذاكرة العلم ؟ أم في الجلوس مع الذي تثق انه ينقلك من حال إلى حالٍ ؟

أيها الإخوة الأكارم، العمرُ قصيرٌ، و هذا الذي يموت لو أن الدنيا كلَّها في يده، وجاءه ملك الموت ؛ يقول له: أُعطيك كلَّ مال يدي على أن تتْركني أبقى ساعة ! كي أسْتغفر الله !! وأُصلي ركْعتين ! لذلك مرَّ النبي عليه الصلاة والسلام بقَبر، فقال صاحب هذا القبر إلى ركعتين مِمَّا تحْقرون

((فالنبي عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح يقول: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ))

[رواه البخاري]

فإذا كانت معك قِطعة ألماس ثمنها خمسة ملايين ورثتها من والدك، ولم تدْر أنها من الماس، فَبِعْتها خمسة ليرات ! ثمَّ عرفت الحقيقة، ماذا تفعل ؟! ألا يشعر هذا الإنسان بالألم ؟! ألا يندم أشدَّ النَّدم ؟! باع الصِّحة والفراغ والأمن والكِفاية بِالكلام الفارغ، والمباحات والاسْترخاء، وما عمِلَ عملاً صالحًا، لذا ورد أنَّ المؤمن لا يندم يوم القيامة إلا على شيءٍ واحِدٍ ؛ على ساعة مرَّت لم يذْكر الله فيها، وكلَّما كبُرَ عقلُ الإنسان يحْرِصُ على العقل، وهو أثْمَنُ شيءٍ، أحدُ علمائنا وهو الشيخ بدر الدِّين الحسني مرِّ على مقْهى يلعبون النَّرْد، فقال: يا ليت الوقت يُشْترى من هؤلاء فنَشْتريه منهم ! تجِدُ المؤمن ليس لديه الفراغ، مشاريع وأعمال صالحة، وأعمال جليلة وخيِّرة، وكلّها تحتاج إلى الوقت الكثير، لذا تَجِدُه يقْتصد في الوقت، والإنسان الشارد التائه يُنفق الوقت جُزافًا، وفي أشياء تافهة ولِقاءات تافهة، وبِمَوضوعات تافهة، وساعات طويلة في الكلام الفارغ والبيوت والنِّساء، وقد قال عليه الصلاة والسلام

((فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ *))

[رواه أبو داود]

فأنا أنصحُ إخوتنا الكرام ؛ هذا الوقت هو أثمن شيءٍ تمْلكُهُ، وأنت كلّكَ وقتٌ، وأثْمن شيءٍ تملكه، والله ذهبنا في الأسبوع القادم لِتَعْزِيَة شابٍّ يحْضر عندنا في المسْجد مات بعد عرْسِهِ بخَمسة وعشرين يومًا !! فالموت لا يعرف لا صغير ولا كبير، لذا إن جلسْتَ مع أهلك ذَكِّرهم بالله واقرءوا قِصَصًا عن الصَّحابة، وإن كان لك وقْتًا فارغًا فاقْرأ فيه القرآن، وابْحَث في المفيد، لأنَّ كل شيء ينتهي عند الموت هو خسارة، وكلّ شيء يسْتمرّ بعد الموت رِبْح، لذا رأسُ مالنا أربعة أشياء ؛ الصِّحة والفراغ والأمْن والكِفاية، وأربحانا النَّجاة مِن عذابٍ أليم، والمغفرة ودُخول الجنَّة، فإذا وصلْتَ لهذا فقد ربحت لأشدّ الرِّبح، فالرِّبح ليس كثرة المال، والموت يُنهي كلّ شيء، فالأصل هو ما يدخل معك القبر، فذَكاؤُكَ، وفلاحُك وتفوقُّك، وعقْلك في أن تذهب لدار الآخرة ومعك أعمال صالحة تُغنيك عن الدنيا، وهنا قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(30)نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ(31)نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ(32)﴾

[سورة فصلت]

الدرس (2-2) : تفسير السورة الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، في سورة التكاثر حقيقة خطيرة، وأنَّ في حياة الإنسان شيئًا ثمينًا، وفي حياتِهِ شيئًا خسيسًا، ما هو اللَّهو ؟ أنْ تشْتغل بالخسيس عن النَّفيسِ، فَرَبُّنا عز وجل خلق الإنسان لِجَنَّةٍ عرْضُها السماوات والأرض، فهو في الدنيا يلْهو لِجَمْع المال، أكثر الناس إذا تجاوَزُوا كسْب الرّزْق انْتَقَلوا إلى الجَمْع ؛ حاجاتُهُ مَحْدودة، والإنسان يُعَدُّ رِزْقُهُ ما انتفَعَ به حصْرًا، فالطَّعام الذي يأكله والثِّياب التي يَرْتديها والبيْتُ الذي يسْكُنُه، وزوْجته وأولادُه هؤلاء رِزْقهُ، أما حجْمُهُ المالي على الورَق فهذا كَسْبُهُ، ومُشْكِلَةُ الكَسْب أنَّ الإنسان لم ينْتَفِع به ولكنَّهُ مُحاسَبٌ عليه، أغْلَبُ الناس بعد تجاوَزَ مرحلة الكسب ينتقل إلى مرْحلة الجَمْع والتَّنافس والتَّكاثر إلى أن يُصْبِحَ عبْدًا للمال، وإلى أن يخْسَرَ هذا في ثانِيَةٍ واحِدَة، فإذا هو في نَدَمٍ شديد ولاتَ ساعَةَ مَنْدَم، فالله عز وجل يُخبرنا ويُقَرِّعنا، فقال تعالى:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)﴾

[سورة التكاثر]

ألهاكم عن معرفة ربِّكم، وعن طاعتهِ، وعن العمل بالآخرة، وأيّ إنسانٍ إذا سألْتَهُ لمَ لا تأتي إلى درْس العِلْم يقول لك: مَشْغول ! ما هو الشُّغْل الذي يَصْرِفُكَ عن سرّ وجودك، وعن غاية وُجودِك ؟ وعن معرفة ربِّك ؟ وما معنى قول المؤذِّن: الله أكبر ؟! فالله أكبر مِنْ أيّ شيءٍ بين يَدَيْكَ، ومِن أيّ صَفْقَةٍ رابِحَة، ومِن أيّ مَغْنَمٍ كبير ؛ الله أكبر، لذلك كان النبي وأصحابه إذا سَمِعوا الأذان انْصرَفوا إلى تَلْبِيَة النِّداء فَرَبُّنا عز وجل يقول:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)﴾

[سورة التكاثر]

التنافس على الدنيا، وجمْع المال، فالتَّنافس مَحمود إذا كان في الآخرة، قال تعالى

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ(26)﴾

[سورة المطففين]

وفي ذلك لكنَّه مَذْموم إذا كان على الدنيا، فالطَّعامُ مَحْدود، والمعِدَة لها حجْم، وترْتدي في وقت واحِدٍ ثوْبًا واحِدًا، وتنامُ في وقتٍ واحِدٍ على سرير واحِد، وتجلس في بيتٍ واحِدٍ في وقتٍ واحِد وتركب مركبةً واحِدة، فمهما كان حجْمُكَ المالي فاسْتِهْلاكُكَ مَحْدود، بل إنَّك إن أسْرَفْتَ في الشَّهوات دَفَعْتَ الثَّمَن باهِظًا، فهناك أمراض كبيرة جدًا تتأتَّى من الإسْراف، قال تعالى:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)﴾

[سورة التكاثر]

أي اشْتَغَلْتُم بالخَسيس عن النَّفيس، إنسانٌ غاص البحْر وتجشَّم صُعوبة الغَوْص، وبين أيْديهِ اللآلئ فجَمَع الأصْداف وترك اللآلئ، فاللؤلؤة الواحِدَة بِخَمْس مائة ألف، نقول له شَغَلَتْكَ الأصداف عن اللآلئ ! إنَّك خاسِرٌ لا محالة، فَكُلّ إنسان يؤثِر الدنيا على الآخرة، والمال على حب الله، ويؤثِر جِلْسَةً لا تُرضي الله على مجلس فيه طاعة الله، وحديثًا فارِغًا عن ذِكْر لله عز وجل، ويؤْثِرُ أن يُتابِعَ مُسَلْسَلاً لا معنى له، تافِه، وكُلّهُ خيانات على طلب العِلم ومُجالسَة الصالحين.

ماذا بعد هذا الجَمع ؟ وبعد هذا الحجم المالي الكبير ؟ والرَّقَم الفلكي لِثَرْوَتِك ؟ قال تعالى:

﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)﴾

[سورة التكاثر]

فلا بدّ مِنْ نَعْوَةٍ تُلْصَقُ على الجُدْران، قد يُكتب في نعْيِه درجته العِلْمِيَّة ولكن ما مصير هذا الإنسان بين يدي الواحد الدَّيان وهو في القبر ؟ ماذا ينفعُهُ في القبر إلا عمله ؟ لو أنَّ إنسانًا مَدَحَتْهُ الخلائقُ كُلُّها ولم يكن الله راضِيًا عنه لا ينْفَعُهُ مديحُهم شيئًا ! لا ينفَعُكَ إلا أن يكون الله راضِيًا عنك، فالله تعالى قال:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)﴾

[سورة التكاثر]

يقول الله بعد هذا: "كلاَّ " أداة رَدْع ونهي، لا تفْعلوا ذلك ! قال تعالى:

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4)﴾

[سورة التكاثر]

كلا، ردع و زجر، سَتَعْلمون أنَّكم خاسِرون، كلاَّ سوف تعلمون عند نُزول القبر، وكلاَّ سوف تعلمون يوم القيامة، تُرَفْرف روح الميّت فوق النَّعْش وتقول: يا أهلي يا ولدي، لا تلْعَبَنَّ بِكُم الدنيا كما لَعِبَتْ بي جَمَعْتُ المال مِمَّا حلَّ أو حرُم، فأنْفَقْتُهُ في حِلِّه وفي غيْر حِلِّه، فالهناء لكم والتَّبِعَةُ عليّ، فكلاّ سوف تعلمون في الدنيا، وكلا سوف تعلمون في الآخرة، وكلاّ سوف تعلمون عند نُزول القبر، وكلاَّ سوف تعلمون يوم القيامة، فالميّت يرى مكانه من النار في القبر فيَصيحُ صَيْحَةً لو سَمِعَها أهل الأرض لَصُعِقُوا، والمؤمن يرى مكانَهُ في الجنَّة، فيقول: لم أرَ شَرًّا قطّ !

قال تعالى:

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6)﴾

[سورة التكاثر]

واحدٌ راكب مَرْكبةً فخْمَةً في طريق جميل، عن يمينِهِ وشمالِه حدائق غنَّاء، والسيارة منطلقة، والنَّسيم يُداعِبُ وَجْههُ، وهو مُبْتَسِمٌ ويَضْحك ويَمْزَح، فإذا علِمَ عِلْمَ يقين أنَّ مِكْبَحَهُ مُعَطَّل، وأنَّ هذا الطريق الهابِط ينتهي بِطريق حادّ يُوَلْوِل !: قال تعالى:

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6)﴾

[سورة التكاثر]

لَتَرَوُنَّ هذا البيت الفَخْم الذي اغْتُصِبَ مِن أصْحابِهِ جحيمًا، ولَتَرَوُنَّ هذه التِّجارة الرابِحَة التي بِضاعَتُها مُحَرَّمة، لَتَرَوُنَّ هذا المَبْلَغ الكبير الذي أُخِذ بطريقةٍ غير مَشْروعة جحيمًا، فالذين يفْرَحون بالحرام هم حَمْقى لو عرفوا أنَّهم سَيُحاسَبون لرأوا هذه المكاسِب جحيمًا.

علم اليقين في الدنيا، أما حينما تُعاينُ عذاب القبر في القبر، قال تعالى:

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7)﴾

[سورة التكاثر]

عِلْمُ اليقين، وعَيْنُ اليقين، فالأوَّل اسْتِنتاجي، أما الثاني فَشُهودي.

قال تعالى:

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)﴾

[سورة التكاثر]

نِعْمة الصِّحة كيف اسْتُعْمِلَتْ ؟ أفي الاسْتِرخاء والتَّوَطِّي أم في طاعة الله ؟! ليس عندك غَسْل كلاوي، ولا زرْع دسَّام، ولا مرض خبيث في الدمّ، ولا مشكلة أبدًا، فالصِّحة كيف اسْتغلْتها ؟

نِعْمة الفراغ ؛ من الرابعة مساءً إلى العاشرة ! أين أمْضَيْت وقتَكَ هذا ؟ باللَّعِب والثَّرْدشير، ومُتابَعَة المُسَلْسلات، هذا الوقت الفراغ سوف نبْكي عليه دَمًا، نُسْأل عن وقْتِنا، وصِحَّتِنا، وكذا نِعْمة الأَمْن فلَسْنا مُلاحَقين، ما فَعَلْتَ بهذه النِّعْمة، ونِعْمة الكِفايَة، كيف أنْفقْتها ؟ لك مال يُغَطِّي نفقاتِك، فالله عز وجل أعْطانا نِعْمة الصِّحَة، ونِعْمة الفراغ ونِعْمة الأمْن، بل إنَّ بعض المُفَسِّرين قالوا: لتُسأَلُنَّ عن كأس الماء البارِد ! هل حَمِدْتُم الله عليه ؟ لك بيتٌ وزوْجة وأولاد وصِحَّة طيِّبة ووقْتُ فراغٍ، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)﴾

[سورة التكاثر]

يقول الله عز وجل لِبَعْض عِباده يوم القيامة: عبدي أعطيتك مالاً فماذا صَنَعْتَ فيه ؟ قال: يا رب لم أُنْفق منه شيئًا مخافَةَ الفقْر على أولادي من بعدي، قال ألم تعلم أنّي أنا الرَّزاق ذو القوَّة المتين ؟ إنّ الذي خشيتَهُ على أولادك مِن بعدِك قد أنْزَلْتُهُ بِهم، ويسأل عبْدًا آخر: أعْطَيْتُكَ مالاً فما صَنَعْتَ فيه ؟ يقول له: يا رب، أنْفَقْتُهُ على كُل محتاجٍ ومِسْكين لِثِقَتي أنَّك خيرٌ حافِظًا وأنت أرْحَمُ الراحِمين، فقال: يا عبْدي، أنا الحافظ لأوْلادِك مِن بعدِك.

سورةٌ دقيقة جدًا، قال تعالى:

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4)﴾

[سورة التكاثر]

رجل أنْشأ قصْر بِحَلَب، وكان تاجِرًا كبيرًا، وأنا رأيْتُ هذا القَصْر، وهذا في سنة الأربع والسَّبْعين، وحينها كان يُكَلِّف خمسةً وثلاثين مليون !! أما الآن فهذا القصْر يُكَلِّف ثلاثمائة وخمسين مليون !!! وكان طويل القامة، مات في الثانِيَة والأربعين، وُضِعَ في قبْرٍ قصير فاضْطُرَّ الحفَّار أن يدْفعَهُ مِن رأسِه حتَّى أصْبَحَ رأسُه مُعْوجًّا!! ورأيْت أعْرَق مطْعم في الولايات المُتَّحِدَة، فقيل لي أنَّ صاحِب هذا المطْعم ذهَب مع زوْجتِه في نزْهة بَحْرِيَّة وغابَتْ أخْبارُهُ، أطْعَمَ الناس أربعين عامًا أفْخَرَ أنواع السَّمَك وأكلَهُ السَّمَك !! لذا مهما عَلَوت إلا والموت ينتظِر، ماذا بعد جَمْع المال ؟ القبر، وماذا بعد بُلوغ أعلى المراتب ؟ القبر، وماذا بعد الاسْتِمتاع بِكُلّ أنواع اللّذات والشَّهوات ؟ القبر سبحان مَن قَهَر عِبادَهُ بالموت ! وكُلُّ مَخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العِزَّة والجبروت

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجْر
والعمر مهما طال فلا بدّ من نزول القبر
وكل ابن أنثى وإن طالتْ سلامة يومًا على آلة حدْباء مَحْمولُ
فإذا حَمَلْتَ إلى القبور جنـازَةً فاعْلَم بأنَّك بعدها مَحمـول.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثامن : تفسير سورة العصر

الدرس (1-1) : تفسير السورة بكاملها – إعجاز القرآن – سرعة الضوء

الدرس (1-1) : تفسير السورة بكاملها - إعجاز القرآن - سرعة الضوء

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة العصر

أيها الإخوة الكرام ؛ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول : سورة العصر لو تدبَّرَها الناس لَكَفَتْهُم .
أي لو لم يَكُن في القرآن الكريم كُلِّهِ إلا هذه السورة لَكَفَتْ ، يقول الله عز وجل :

﴿ وَالْعَصْرِ ﴾

[سورة العصر الآية : 1]

الزمن :

العصْر : هو الزَّمَن ومُطلق الزَّمن ، يُقْسِمُ الله عز وجل بِمُطْلَق الزَّمن لماذا ؟!
لأنَّ الإنسان في الأصل زَمَن ، إنَّه بِضْعة أيَّام كُلَّما انْقضى يوم انْقضى بضعٌ منه .
الزَّمَن البُعْد الرابِع للأشياء .
فالشيء طول وعرض وارْتِفاع ، فإذا تَحَرَّك شكَّل زمنًا ، والزَّمَن بالأساس مسافة .

سرعة الضوء :

وأدَقُّ ما اطَّلَعْتُ عليه مُؤَخَّرًا أنَّ هذه النَّظَرِيَّة النِّسْبِيَّة " نَظَرِيَّة انْشْتاين " التي أقامَت العالم وأقْعَدَتْهُ مُلَخَّصُها أنَّ كُلَّ جِسْمٍ سار بِسُرْعة الضَّوء صار ضوْءاً ، والضوء يقْطع بالثانِيَة ثلاثمائة ألف كيلومتر ، وحينما قال الله عز وجل :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[سورة السجدة الآية : 5]

نحن نَعُدُّ التَّقْويم القمَري ، والقمر يدور حول الأرض دوْرَةً كُلَّ شَهْر ، فإذا أخَذْنا المسافة بين مركز الأرض ومركز القمر ، فهذا نِصْف قطر دائرة سَيْرِهِ ، فَمِن نصف محيط الدائرة نعرف مُحيط الدائرة ، فَكَم يقْطع القمر في مسيره حول الأرض في ألف عام ؟ قسِّم المسافة التي يقْطعها القمر في دَورانِه حول الأرض في ألف عام، قسِّم هذا الرَّقم على عدد ثواني اليوم ، ينْتُج سرْعة الضَّوء بالدِّقة ، والآية الثانية قوله تعالى :

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

[سورة المعارج الآية : 4]

ففي هاتين الآيتين أصل سرْعة الضَّوء .

أنَّ كُلَّ جِسْمٍ سار بِسُرْعة الضَّوء صار ضوْءً .

كتْلَتُهُ صفْر ، وحجْمه لانِهائي .

إذا سار الجسم مع الضَّوء توقَّف الزَّمن .

فإذا سبق الضَّوء تراجَعَ الزَّمَن .

فإذا تأخَّرنا عن الضوء تراخى الزَّمَن .

من الخاسر ؟

قال تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر الآيات : 1-2]

مُضِيُّ الزَّمَن يسْتهلِكُهُ ، أُنْظر إلى صورتك قبل عشرين عامًا ، وقبل ثلاثين ، وَجه مشْدود وشعر كثيف ، هذا فِعْل مَن ؟ هذا فِعْل الزَّمن ، ماذا قال سيِّدنا عمر بن عبد العزيز ؟ الليل والنهار يَعْملان فيك فاعْمَل فيهما العمل الصالِح ، فَمُضِيُّ الزَّمَن وحْدهُ يسْتهلِكُنا ، ونحن في خسارة مُحَقَّقة ، قال تعالى

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر الآيات : 1-2]

مُضيُّ الزَّمَن وحدهُ يسْتهلكنا ، واحِد عاش ثلاثًا وسِتِّين سنة ، يَنْعَدُّ كَم مرَّةً سافَرَ ؟ وكم مرَّة انْعَزَم ؟ وكم مرَّة تنزَّه ؟ لأنّ الإنسان بِضْعة أيَّام إذا انْقضى يوم منه انْقضى بضعٌ منه ، وهناك حالةٌ واحِدَة تتلافى فيها الخَسارة فهذا الزَّمَن إما أن تُنْفِقَهُ إنْفاقًا اسْتِهلاكِيًّا ، وإما أن تُنْفِقَهُ إنفاقًا اسْتِثْمارِيًّا فالإنفاق الاسْتِهلاكي أنْ تأكل وتَشْرب وتتنعَّم وتنام وتكسب المال ، وتنْغَمِس في المَلذَّات ، أما الإنفاق الاسْتِثْماري أن تؤمِن وأن تدْعو وأن تصْبِر ، قال تعالى :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر الآية : 3]

هذه أركان النَّجاة ، مَن أراد أن لا يَخْسَر فلا بدّ أن يؤْمِن كُلّ ، ولا بورِكَ لي طُلوعِ شَمْس يومٍ لم أزْدَد فيه من الله علْمًا ، ولا بورِكَ لي طُلوعِ شَمْس يومٍ لم أزْدَد فيه من الله قرْبًا ، فأنت ينبغي أن تزْداد قُرْبًا وأن تزْداد عِلْمًا لكي لا تَخْسَر ، ومَن لم يَكُن في زِيادة فَهو في خُسْران ، والمَغْبون مَن تساوى يوْماه ، فإذا مضَى اليوم ، وقد تكون الغلَّة مليون من المبيعات ولم تزْدَد عِلْمًا بالله فهذه هي الخسارة ، فالله يُقْسِم في قوله تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر الآيات : 1-2]

يُقْسِم الله لهذا المَخلوق الذي هو من الزَّمَن أنَّهُ في خسارة ، قال تعالى:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر الآية : 3]

أن تُؤْمِن هذه أحدُ أركان النَّجاة ، وان تَدْعُوَ إلى الله فرْضُ عَيْن ، وأن تصْبر على الطاعة وعن الشَّهوة وعن قضاء الله وقدَرِه ، وهذه كُلُّها من أركان النَّجاة .

فهذه السورة تَكفي الإنسان ، والعاقل الذي يقول : كم بقي مِنِّي ؟ وليس كم مضى ؟ يَعُدُّ بالتَّنازُل ، فالذي بقي في الأعمّ الأغْلَب أقلّ مِمَّا ، ومَن بلَغَ الأربعين دَخَل في أسواق الآخرة ، كَمَن يذهب لِنُزْهة وفي يومه الأخير يَجْمع أغراضَهُ ويعْكس كلّ حركاتِهِ ، ويشْتري هداياه ، وهذا شأن الناس جميعًا ، وكذا مَن دخَل الأربعين دخل في أسواق الآخرة ، فإذا قال الإنسان : كَم بقِيَ لي ؟ هذا العُمْر بعد الأربعين هو عُمْر الطاعة والعِبادة والإقبال والتِّلاوة وطلب العلم ، أت تُعِدَّ للآخرة ، لكي لا يقول : يا ليتني قدَّمتُ لحياتي ، ولكي لا يعضّ على يديه .

أيها الإخوة ؛ معنى خُسْر ؛ أنَّ الذي جمَّعْتَهُ في الدنيا كُلّها تَخْسَرُهُ في ثانِيَة واحدَة ، وأهْل الكُفْر يَبْلُغون قِمَم المَجْد ، أما إذا ماتوا ترَكوا كُلَّ شيء ، أما أهْل الإيمان إذا ماتوا أَخَذُوا معهم كُلَّ شيء ، ومَن آثَر دُنياهُ على آخرتِهِ خَسِرَهما معًا ، ومَن آثَر آخرتهُ على دُنياه رِبِحَهُمَا معًا ، وهذه السورة تقْرؤونها جميعًا في الصلاة ، ولو تدبَّرها الناس لَكَفَتْهُم ، فإن لم تَدْعُ إلى الله فأنت خاسِر ، فالتَّواصي بالحق كي تتَّسِعَ دوائِرِه وتضيق دوائر الباطل ، أما إذا سكَتْنا كان الأمر على العَكْس .

قال تعالى :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر الآية : 3]

أنت حينما تسْتقيم على أمر الله وتدعوا إلى الله وتصْبر على طاعته وعن شَهَواتِك ، وعلى القضاء والقدر تُحَقِّقُ الهَدَفَ مِن وُجودِكَ ، ولن تخْسَرَ أبدًا .

أيها الإخوة ؛ أنتم تقرؤون هذه السورة ، وعليكم بِتَدَبُّرِها ، ومَن تدبَّرَها سَعِدَ في الدنيا ، وسَعِدَ في الآخرة .

والحمد لله رب العالمين

الفصل التاسع : تفسير سورة الفيل

الدرس (1-1) : تفسير السورة بكاملها

الدرس (1-1) : تفسير السورة بكاملها

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام، سورة الفيل تبْدأ بِقَوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)﴾

[سورة الفيل]

أصْحاب الفيل ؛ أبْرَهَةُ الأشْرم أراد أن يأتي إلى الكعبة لِيُهَدِّمَها، وهو مع جُنودِهِ قُوَّة كبيرة، فهذا درْسٌ بليغ للبشَرِيَّة إلى يوم القيامة، والله وحده هو القويّ، ولا قويَّ مع الله تعالى أبَدًا، فأكبر قُوَّة على وَجْه الأرض تتهاوى كَبَيْتِ العَنْكبوت، وتَرَوْن بِأَعْيُنِكم مِمَّا يجري بيننا من أحداث أنَّ قِوَى كبيرة جدًا تُؤْمِنَ بأَنَّهُ لا إله، وتُصبح كعصْف مأكول فهذه سنَّة الله في خلْقِهِ، والإنسان حينما يَعْتَدُّ بِنَفْسِهِ، وينسى أنَّ الله مَوجود، وأنَّه تعالى بِيَدِه كُلّ شيء، وقادِر على كُلّ شيء، وأنَّه بِلَحْظةٍ واحِدَة يجعل هذا المخلوق خبرًا بعد أن كان حقيقةً، وأنّ الله سبحانه وتعالى بِإمكانه وبِقُدْرتِهِ في أيِّ لحْظة أن يجْعل الأقوياء المبطلين أحاديث، قال تعالى:

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(19)﴾

[سورة سبأ]

فربنَّا عز وجل لإظْهار حِكْمتِهِ سلَّط عليهم طيْرًا أبابيل، وقد قال بعض المُفَسِّرين: الطَّيْر الأبابيل أضْعف أنواع الطَّيْر، ألْقَتْ عليهم حِجارَةً مِن سِجِّيل، وكُلّ حجَرٍ مُسَجَّل عليه اسم الذي سَيَقْتُلُه، وحجَرٌ مِن طينٍ يابِس، فجعلهم كعَصْف مَأكول، وهذه حقيقة بدَأتْ بِقَوْله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)﴾

[سورة الفيل]

مع أنَّ الذين خُوطِبوا لم يَرَوا هذه الحقيقة، إنَّما سَمِعوا بها، فقَوْل الله عز وجل: أَلَمْ تر ؟ أيْ أنَّ المؤمن يتلقَّى الخَبَر عن الله عز وجل وكأنَّهُ رآهُ، لِمِصْداقِيَّتِهِ، والعِلْم حَرْف والتَّكرار ألف كما يقولون وقِس على أصْحاب الفيل كُلَّ قوَّة غاشِمَة في الأرض تريد أن تَسْتَعلي على الخَلْق، فالحَرْب العالميَّة الثانِيَة ؛ هذا الذي جَعَلَ من الشَّعْب الألماني أعْظَم شَعْب في العالم، وجَعَلَنا نحن في مُؤَخِّرَة الشُّعوب ؛ مع البرابرة أين انتهى به جَبَروتُهُ ؟ انْهَزَمَ ومُزِّقَت بلادُهُ، فَقِصَّةُ أصْحاب الفيل تتكَرَّر، وأيُّ قوَّة ظالمَةٍ غاشِمَة تَسْتعلي على الخلق، وتبني مَجْدها على أنقاضهم، الله عز وجل يُظْهِرُ آياتهِ، سأقول لكم هذه الحقيقة القِوى الغاشِمَة هذه التي تَسْتَعْبِدُ الشُّعوب، وتُسَخِّرُها لِمَصالِحِها وتَنْهَبُ ثَرواتها، هذه قوى هاوِيَة، وهذه الخِطَط إذا ما نَجَحَتْ إلى ما شاء الله فَنَجاحُ هذه الخِطَط يتناقض مع وُجود الله، فلا بدَّ مِن أن يُظْهِرَ الله آياتِهِ، عرفْتُ الله مِن نقْض العزائِم، تجد دَوْلَةً عُظْمى

عاتِيَة تقول: سياسَتُنا الخارِجيَّة كَسِياسَتِنا الداخلية ! أيُّ جِهَةٍ في الأرض يجب أن تأتَمِرُ ؛ هذا يجب أن يُعاقب بالحِصار، وهذا يُعاقَب بِمَنْع الطَّيران، أما التي تَخْرِقُ كُلَّ القوانين الدَّوْلِيَّة ولا تعْبأ بأيّ قرار فهذه لا تُحاسَب فهذه القِوَى المُتَجَبِّرَة في العالم، وهذه القِوى الطاغِيَة حِسابُها كأصْحاب الفيل قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)﴾

[سورة الفيل]

والذي لا يرى أنَّ هذه القِوى الطاغِيَة مُسَيْطِرَة ومُهَيْمِنَة تارَةً بالأقمار الصِّناعِيَّة، وتارةً بالرَّصْد الجَوِّي، وتارةً بالتَّحليل الكيماوي، وهم مُسْتَعِدُّون أن يُفْنوا الشُّعوب ؛ سِتُّ مائة طفْلٍ يموتون كُلَّ عام في العراق ولا يزالون يدَّعون أنَّ هناك شيئًا أخْفاهم عنهم، وفي السُّودان كُلَّ يوم مائة ألف صباحًا يموتون جوعًا من الحِصار، فهذه القِوَى الجبارة أيُّها الإخوة، وهذه الفِتَن في العالم يصْطَنِعُها الأقوياء لِيُضْعِفوا الشُّعوب ويبْدو أنَّ أصْحاب الفيل كانوا أكبر قوَّة في الجزيرة العربيَّة طغيانًا قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)﴾

[سورة الفيل]

فأراد أبْرَهَة أن يَهْدِمَ الكعْبة ونَسِيَ أنَّ الله بِيَدِهِ كُلّ شيء، كما أنَّهُ أراد بعض الطُّغاة في تركيا أن يُلْغوا الإسلام؛ كمال أتَاتوُرْك ! مات وبقيَ الإسلام.

كُلّ إنسان إذا اعْتَزَّ بِقُوَّتِه وجَبَروتِهِ، ونَسِيَ المُبْتَدى والمُنْتهى، ونسِيَ الجبار الأعلى، وطغى وبغى، فالله عز وجل سيَقْصِمُهُ، فهذا على مُسْتوى جماعي، وعلى مستوى فرْدي إذا اغتنى واحتلَّ مرْكزًا حساسًا وقال: أنا ربُّكم الأعلى !! فالله عز وجل قد يسوق له مرضًا يجْعلُهُ يبْكي كالأطفال ! لذا كُلّ مَن تَجَبَّر وطغى واسْتَعْلى ويتجاوَز الحُدود فهذا ينْتظِرُهُ القَصْم، والمؤمن يُعالَج، قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ(155)﴾

[سورة البقرة]

فالمؤمن مُبْتَلى، والمؤمن يُعالَج، أما الذي يطْغى ويَبْغى، وينسى المبتدى والمنتهى، فهذا ينتظرُهُ القصْم، يصْعد إلى أعلى مكان ويسْقط من ذاك المكان !

قال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2)﴾

[سورة الفيل]

كَيْدُ الله غير كيْدِهم، فَكَيْدُ الله تعالى رَدٌّ على كَيْدِهِم، وكَيْدُ فيه حِكمة وعَدْلٌ ورحمة، قال تعالى:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ(46) ﴾

[سورة إبراهيم]

وقال تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ(36)﴾

[سورة الأنفال]

وقال تعالى:

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(12)﴾

[سورة آل عمران]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ(51)﴾

[سورة غافر]

وقال تعالى

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ(146)﴾

[سورة آل عمران]

المؤمن لا يَضْعُف ولا يستكين، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)﴾

[سورة الفيل]

فالإنسان أحْياناً يرى قُوَّة غاشِمَة التي تتحكَّم في العالم الآن، فهذه تأتيه أعاصير ثلاثون مليار خسائِر، أعاصير مُدَمِّرة، وحريق مُدَمِّر و فيضانات مُدَمِّرة، انْتِشار أمراض خبيثة ؛ كُلّ عَشْرة ثواني يموت إنسان بالإيدز ولا يوجَد زواج يسْتَمِر أكثر من سَنَتَيْن، وأطْوَل زواج سنتَيْن ! يقول رئيسهم كلينتون قبل سنة: أربعة أخْطار تُواجِهُ بلادنا ! أنتم قد تتوهَّمون مثلاً أن يقول: اليابان أو الاتِّحاد الأوروبي !! قال: انْحِلال الأخلاق، وتَفَكُّك الأُسْرة، وشُيوع الجريمة، وانْتِشار المُخَدِّرات، لذا فهؤلاء الثلَّة لهم انْهِيارٌ داخلي، قال تعالى:

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا(15)وَأَكِيدُ كَيْدًا(16)فَمَهِّلْ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا(17)﴾

[سورة الطارق]

وَمَنْ هَوِيَ الكَفَرَة حُشِرَ معهم، لا ينْفَعُهُ عملُهُ شيئًا، حدَّثني أخٌ زارنا قبل أسبوعَين مُقيمٌ بأمريكا يعْمل بِشَرِكَة ضَخْمة بالكمبيوتر، قال لي: قبل خمْس سنَوات لو اكْتَشَفَتْ الشَّرِكَة أنَّ أحَدَ المُوَظَّفين يُساكِن امرأة ليْسَت زوْجَتَهُ يُطْرَد من وظيفَتِه ! وقبل أشْهُر زُفَّتْ إلينا بُشرى لِكُلِّ المُوَظَّفين أنَّ أيَّة علاقةٍ شاذَّة بين مُوَظَّف وشريك

له يسْتحِقّ ميّزات المُتَزَوِّج !! أيُّ شُذوذ جنْسي يسْتحق التَّعويض، ذَكَر بين ذَكَر أو أنثى بين أنثى أو ما شاكل ذلك !! هذا هو الانْحِلال أيها الإخوة، فالشُّذوذ عندهم يُصيبُ عِلْيَة القَوم، شَخْص ذو مَنصب رفيع، ومكانة كُبرى، ففي مؤْتَمر صحفي رئيس وزير الصِّحة البريطاني، وهو مُكَلَّف بِحِماية الصِّحة بِبْريطانيا، وأخطَر شَيء يُواجِهُهُ الإيدز ! يقول: أنا شاذٌّ جِنْسِيًّا!! وزير الصِّحة والذي يَحمِل الدكتورة يقول هذا الكلام فالإنسان يسْتحي أن ينْتمي إلى هذا المُجْتَمَع، وهذه امرأة تُقيم مؤتَمر صُحفي بُثَّ على أثنى عشرة قناة فضائِيَّة، وهذا البرنامَج رآهُ سِتُّ مائة مليون بالعالم، تقول: أنا زَنَيْت اليوم الفلاني مع فُلان، واليوم الفلاني مع فلان، ولمَّا ماتَتْ بِحادِث مشى بِجنازَتِها ستَّة ملايين إنسان !!! رؤساء الدُّوَل بَكَوْا وأرْسَلوا مَن يُمَثِّلُهم في جنازتها، لذا نحن نعيش في أيِّ عَصْر ؟! كيف إذا كان المعروف فيكم مُنْكَرًا، والمُنْكر معْروفًا ؟ وكيف بِكُم إن أمرْتُم بالمُنكر، ونَهَيْتُم عن المعروف ؟ وكيف بِم إذا ائتُمِن الخائن وخُوِّن الأمين ؟! وكيف بكم إذا صُدِّق الكاذب وكُذِّب الصادِق ؟! نحن في آخر الزَّمان، القابض على دينِهِ كالقابِض على الجَمْر، وأجْرُهُ كَأَجْر سَبْعين فقالوا: أمِنَّا أم منهم ؟ فقال: بل منكم لأنَّكم تَجِدون على الخير مِعْوانًا ولا يَجِدون.

فهذه السورة تنتظر كُلّ الفسَقَة والفُجَّار والأقْوِياء، والطُّغاة في العالم الذين يعيشون على أنقاض الشُّعوب البريئة.

والله أيها الإخوة، إنَّ الأخبار مُؤلِمَة، تأتي باخِرة مُساعدات غِذائِيَّة للصومال، نصفُها نفايات ذَرِيَّة تُلقى على سواحِلِها، وبالاسْم مُساعَدَة كلمة جهَنَّم يستأهلها هؤلاء، تجدُ جِهَةً واحِدَة تبيع السِّلاح للطَّرفَيْن فهذا الذي يَحْتَرِمُ الغربيِّين، ويُبَجِّلُهم ويرى أنَّهم مُتَحَضِّرون هو إنسانٌ أحمَق وأعْمى، والمسلِم هو الشريف والصادِق والرَّحيم، ولازِلنا بِخَيْر أيها الإخوة، ولازالَت جوامِعُنا ممتلئة، فنحن في نِعْمة كُبرى نرْجو الله أن يُديمَها علينا.

والحمد لله رب العالمين

الفصل العاشر : تفسير سورة النصر

الدرس (1-1) : نعوة النبي

الدرس (1-1) : نعوة النبي

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون:يقول الله عز وجل :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً (3)﴾

(سورة النصر)

قال ابن عباس:إن هذه السورة نعوة النبي عليه الصلاة والسلام، العظماء ليس لهم مطامح شخصية، ولا مصالح فردية، فإذا أدوا رسالتهم انتهت مهمتهم، دخل الناس في دين الله أفواجاً، أشهد أنك أديت الأمانة، وبلغت الرسالة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، وجاهدت في الله حق جهاد، وهديت العباد إلى سبيل الرشاد، شعور الإنسان حينما يأتي إلى الدنيا ويتعرف إلى الله ويجعل طاعته كل همه، وخدمة خلقه كل همه، ونشر الحق كل همه، هذا الإنسان حينما يأتيه ملك الموت يعيش في سعادة لا توصف، لأنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة، استفاد من عمره الثمين، أيعقل أن يقسم الله خالق الكون، يقسم قال تعالى :

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1)﴾

(سورة الشمس)

وقوله أيضاً :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1)﴾

(سورة البروج)

وقال :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1)﴾

(سورة الليل)

أما أن يقسم خالق الكون بعمر النبي، قال تعالى:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72)﴾

(سورة الحجر)

يقسم بهذا العمر الذي ما ضيع منه ثانية واحدة، ولا شغلته الدنيا عن الآخرة، حتى حينما كان صغيراً دعي إلى اللعب فقال عليه الصلاة والسلام وهو طفل صغير:أنا لم أخلق لهذا، جاءته الرسالة، رسالة التوحيد، قالت له السيدة خديجة:خذ قسطاً من الراحة، فقال كلمة تقشعر لها الأبدان، قال:يا خديجة انتهى عهد النوم، قام وشمر، قال تعالى :

﴿ طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3)﴾

(سورة طه)

لو أحدنا سأل نفسه أنا ماذا قدمت، حينما يأتيني أجلي ما العمل الذي أعرضه على الله، يا رب صنعت جبصين ولكنه رائع جداً وهو أفخر شيء، أو كان عندي مزرعة يا رب، مسبح مفلتر، والآن احكي لنا عملك عند الموت لا يحكى في المسبح ولا في الفيلا ولا في التجارة ولا في المركبة، لا يقال إلا في العمل الصالح، ماذا فعلت لا صدقة ولا جهاد بماذا إذاً ستلقى الله ؟ ما العمل الذي تقدمه بين يدي الله عز وجل ؟ هل ربيت أولاداً تربية عالية فكانوا أناساً صالحين، هل ساهمت في ميتم في معهد شرعي، هل تبنيت داعية، ماذا قدمت من جهدك في خدمة الخلق ؟ لذلك متى يدخل الناس في دين الله افواجاً، إذا كان المؤمن خير، المؤمن معطاء، المؤمن فهم دينه فهماً حقيقياً، هناك حالة والعياذ بالله يخرج الناس من دين الله أفواجاً، كلما خيب إنسان ظناً بالدين يخرجون، أي كل من يعمل في الحقل الديني إذا لم يكن هناك أعلى درجة من الكمال والطهر والنزاهة والاستقامة والصدق إذا لم يكن كذلك، يخرج الناس من دين الله أفواجاً، أغلب الظن إذا وجدت إنسان شارد اسأله، يقول لك:أنا كرهت الدين من أجل فلان، سبب نفوره من الدين هو فلان، فبين أن يدخل الناس في دين الله أفواجاً وبين أن يخرج الناس من دين الله أفواجاً، إن هذا الدين كما ورد في الأثر القدسي قد ارتضيته لنفسي، ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأقيموه بهما ما صحبتموه، يعني أخ من إخواننا وضع ابنه عند شخص لأن الشخص بدأ يستقيم ويمشي بالدين لم يسمح لابنه أن يأخذ ساعة إجازة منه حتى لا يقول استغل الدين، أحد إخواننا يحضر هذا الدرس موظف في دائرة حول الجامع، قدّم لمدير الدائرة إجازة ستة أيام، قال له:ليس لدينا وقت، قال له:أنا مستهلكها، قال له:وكيف ذلك، قال له:أنا أصلي كل يوم ربع ساعة جمّعتهم أصبحوا ستة أيام، قال له المدير:أنت في أي جامع ومن شيخك، قال لي:والله يا أستاذ في الجمعة الثانية جاء إلى الدرس في النابلسي هذا المدير العام، لماذا جاء؟ لأنه وجد إنسان نزيه، واحد حاسب نفسه على كل يوم نصف ساعة وجمّعهم وأخذ إجازة بهم، إجازته السنوية، وهو يصلي، صلى وقت الوظيفة، أنا لا أقول لكم أن تفعلوا ذلك لا، ما الذي جاء بالمدير العام إلى الجامع ؟ إنه تصرف هذا الموظف الورع، بالورع ترقى، بالأمانة بالاستقامة بالنزاهة بالصدق، فأنت بيدك، الصلاة لا تدخل الناس في دين الله أفواجاً، أما الصدق فهو يدخل الناس والأمانة، الصلاة عماد الدين لكن وحدها لا تكفي لابد من استقامة معها، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

(سورة فصلت)

وقال أيضاً :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

(سورة فصلت)

أنت مخير إذا أحببت أن تدخل الناس في دين الله أفواجاً كن كاملاً، وهل تحب أن تخرجهم أفواجاً استغل الدين للمصالح الشخصية، ضع الدين بالوحل، ارتزق بالدين، حينما تفعل ذلك عندها يخرج الناس من دين الله أفواجاً، قال الإمام أبو حنيفة رأى طفل أمامه حفرة، قال له:إياك يا غلام أن تسقط، كان هذا الطفل نبيهاً جداً، قال له:بل إياك يا إمام أن تسقط، إني إن سقطت سقطت وحدي، وإنك إن سقطت سقط معك العالم، وزلة العالِم سقوط العالَم معه، لأنه قدوة ومثل أعلى، وأنت كأب قدوة، بابا قل لهم لست هنا، ماذا فعلت مع ابنك، علمته الكذب صار أكبر كذاب سيقول لك لم أجدهم، أين النقود ؟ سيقول لك وقعوا مني، مع أنه صرفهم، أنت علمته الكذب، قلت له:قل أنا لست هنا، قال لك:وقعت مني النقود، شيء مخيف الدين قال:

((عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلاَلِ كُلِّهَا إِلاَّ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))

فمجرد أن تكذب أو أن تخون انتهى الدين، قال الرسول الكريم :

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ قَالَ:لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ))

فالتعليق على قوله تعالى :

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً (2)﴾

(سورة النصر)

ذات مرة صحابي أثناء الهجرة قبض عليه الكفار فقال لهم:والله إن أطلقتموني عهداً لكم لا أحاربكم ما حييت، وصل إلى المدينة وبلّغ النبي والنبي فرح به، هذا الصحابي نسي، بعد ثلاث سنوات صار في غزوة ففرح لأنه سيجاهد، قال له:ألم تعاهدهم ارجع، هذا الدين، مادمت عاهدتهم انتهى، فإذا نحن صدقنا، استقمنا، كنا ورعين، كنا أعفة، لم نحتال على أحد، صلينا، أصبحت الصلاة عظيمة، أصبحت الصلاة تاج، أمّا صلينا، مثلاً واحد يريد الذهاب إلى الحج ويضع ماله عند شخص دخل إلى المسجد وجد شخص يغمض عينيه ويتعصور قال:هذا والله أفضل شخص خشوعه ممتاز، قال له:والله أنا أريد أن أذهب إلى الحج وأضع معك أمانة، قال له:والله أنا أيضاً صائم، قال له: ولكن والله أنا صيامك لم يعجبني، فالتظاهر بالدين شيء خطير جداً، النبي وصف الأتقياء الأخفياء :

((عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْكِي فَقَالَ:مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ:يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ وَإِنَّ مَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا، وَلَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ))

تقي خفي يرجو رحمة الله، فإذا أردت أن تدخل الناس في دين الله أفواجا كن صادقاً، قال له:عندك بيض، سمان في زملكا، قال له:عندي، قال له:طازجة ؟ قال له:لا غير طازجة، عند جاري طازجة، هذا هو الصدق، هل عندك الجرأة بأن لا تكذب إطلاقاً ولا بكلمة، عندها تصبح مؤمن وتدخل الناس في دين الله أفواجاً، واحد تزوج امرأة من دون علم الأولى، الأولى شعرت أن وضعه قد تغير، تتبعته علمت أنه متزوج لم تتكلم شيئاً، توفي وهي الزوجة الأولى ومن ورعها جمعت التركة، وأرسلت لضرتها حقها من التركة من الميراث وهي لم يعلن زواجها، قالت لها:والله البارحة وقبل أن يموت بيومين قد طلقني، وأرجعتهم، هذا هو الدين، قال له:بعني هذه الشاة وخذ ثمنها، قال له:ليست لي، قال:قل له ماتت أو أكلها الذئب، وخذ ثمنها قال له:والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني، لأنني عنده صادق أمين، ولكن أين الله؟ هذا هو الدين كله، هذا البدوي الراعي، يمكن ليس عنده ثقافة إطلاقاً، ليس لديه مكتبة في خيمته، ولا مسجلة، ولا الشارقة، ولا صحن، عنده هذا الورع، والذي عنده معلومات الثقلين وغير ورع ليس له قيمة، وضع يده على جوهر الدين، جوهر الدين الورع، هذا هو الورع، فأنت عندما تكون ورع يكون الدين إلى الله سالك، صار هناك رضى من الله، صار هناك إقبال على الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً (3)﴾

(سورة النصر)

والحمد لله رب العالمين

الفصل الحادي عشر : تفسير سورة الإخلاص

الدرس (3-1) : قل هو الله أحد

الدرس (3-2) : الله الصمد

الدرس (3-3) : لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

الدرس (1-3) : قل هو الله أحد

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون: ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، لأن القرآن فيه أمر ونهي وفيه إخبار، وفيه صفات الله عز وجل وصفاته الحسنى، فهذه السورة فيها وصف دقيق للذات الإلهية، يقول الله عز وجل:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)﴾

(سورة الإخلاص)

الضمائر كلها في العربية تعود على اسم قبلها، الضمائر ضمائر مستترة وضمائر ظاهرة، ضمائر متصلة وضمائر منفصلة، الضمير كله في العربية يعود على اسم قبله، إلا ضميراً واحداً وهو ضمير الشأن يعود على ما بعده.

قل هو نبأ عظيم تعود على النبأ.

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)﴾

(سورة الإخلاص)

هو في هذه السورة ضمير شأن يعود على ما بعده، ولكن استعمال ضمير الشأن استعمال دقيق واستعمال خاص بمعنى بأن الشيء البارز الصارخ الذي لا يشك به أحد، أحياناً فيما بين الناس يقول أحدهم هو، من هو ؟ الشيء المعروف المدرك الظاهر، فربنا عز وجل هو الحقيقة الكبرى في الكون، كل ما في الكون من خلقه وبأمره، وإليه مصيره، أحياناً يقول لك يوجد في هذا البيت رجل واحد، يوجد في هذه المؤسسة مدير واحد بيده كل شيء، هذا الكون أمره بيد الله، خلقه بيد الله تسييره بيد الله، مصيره إلى الله، كلمة الله هي كل شيء.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ربنا عز وجل يقول:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)﴾

(سورة الإخلاص)

الذي خلق الكون ألا تعرفه ؟ الذي أمدك بما تحتاج، ألا تعرفه ؟ هو رب العالمين، ألا تعرفه ؟ هو المسير، هو الخالق، هو البارئ، هو المصور، أما كلمة الله قال عنها علماء التوحيد هي علم على الذات، الله عز وجل ذات كاملة، الاسم الذي يشير إلى هذه الذات الكاملة هو الله، ما سوى ذلك أسماءه، تقول الغني، القوي، الرحيم، اللطيف، الودود، الحليم، الخبير، هذه أسماءه، أما إذا جمعت كل هذه الأسماء بكلمة واحدة الله، اسم علم على الذات، إذا قلت الله أي الرحيم والعليم والقدير، واللطيف، والسميع، والمجيب.

قل هو الله أحد، الحقيقة كأنما الله عز وجل يدعونا إلى معرفته، هل عرفته هو الخالق، كان الله ولم يكن معه شيء، هل عرفته هو القوي الأرض كلها إذا دخلت في ثقب أسود فضائي أصبحت في حجم البيضة الأرض الخمس قارات الخمس والبحار أربعة أخماس، والأرض محيطها أربعين ألف كيلو متر، ووزنها عشرة بليون بليون طن، هذه إذا دخلت في ثقب أسود من ثقوب الفضاء ذات الضغط المرتفع يصبح بحجم البيضة، هذه قوة الثقب الأسود ومن منح هذا الثقب هذه القوة ؟ القوي، هل يوجد جهة في الأرض تقول أنا، من علامات قيام الساعة قال تعالى:

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24)﴾

(سورة يونس)

أكبر مدينة في العالم بقدرة الله تغدو تحت الأرض بثلاث ثواني، وترون بأعينكم ما يجري في العالم، أعاصير تدمر كل شيء، فيضانات تجعل ملايين مملينة بلا مأوى، تتلف المحاصيل، تخرب البيوت، فيضان نهر واحد ارتفع منسوبه ثلاثة أمتار أحرق الأخضر واليابس، زلزال واحد فجعلناها حصيداً كأن لم تغنى بالأمس، ماذا أقول القوي هل عرفت القوي ؟ قل هو الله أعرفته قوياً، أعرفته رحيماً أرحم الخلق بالخلق رسول الله، والله عز وجل رحمته واسعة قال تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)﴾

(سورة آل عمران)

امرأة تقبل ابنها وتضمه وهي تخبز على تنور، رآها النبي مع أصحابه قال أتلقي هذه المرأة ابنها إلى النار، احتمال امرأة لها مولود جميل جداً عقلها يكاد يختل من محبتها له، احتمال أن تلقيه بالتنور بالمائة كم ؟ صفر، قال: أتلقي هذه المرأة ولدها إلى التنور ؟ قالوا: معاذ الله، قال: والذي نفس محمد بيده الله أرحم بعبده من هذه بولدها.

هل عرفت رحمة الله ؟ قل هو الله، يجب أن تعرف رحمته، يجب أن تعرف قوته، يجب أن تعرف رحمته، يجب أن تعرف عدله.

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف بالقضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

زارني طبيب قديم وقال لي أنا أحمل ثلاثة بورد، وخرجت خمسين جيل أطباء، اختصاصه بالسرطان والأشعة فزارته امرأة مع زوجها معها سرطان بالثدي منتشر إلى كتفها، فانفرد بزوجها وقال له: إنك مجرم، قال: لما، فقال له: لأنك تأخرت كثيراً في مجيئها إلي، السرطان يبدأ كحبة الحمص، والأمل كبير بالشفاء يستأصل، يعالج بالأشعة، أما تأتيني بعد سنتين من بدء المرض، فقال له زوجها: لا يا طبيب نحن عند الطبيب الفلاني وما قال هذا الكلام ونحن عنده سنتين نعالج ويعطينا كورتيزون ومسكنات، فقال له طالب الطب سنة الثالثة يعرف السرطان، عرف الزوج أن هذا الطبيب أراد أن يبتز هذه المريضة، لو قال لها سرطان ليس اختصاصي تذهب إلى غيره، فأوهما أنه قضية ورم عادي يزول ببعض الأدوية، يقول لي هذا الطبيب من شدة فزع الزوج وألمه وقع على الأرض وخاطب الله وهو منبطح وقال له: يا رب إذا كنت موجوداً فانتقم من هذا الطبيب، قال لي وبعد ستة أيام توفيت وانتهى الأمر، بعد حين يأتيني شاب وسيم، يجلس في المكان الذي جلس فيه زوج المريضة وقال لي: أنا زميلك فقال له ما اسمك فإذ هو نفسه الطبيب ومعه سرطان في الصدر.

أقسم لي وبحسب خبرته عمر هذا الورم أحد عشر شهر، في الساعة التي وقع فيها الزوج على الأرض وابتهل إلى الله أن ينتقم منه، الله قوي أنت حينما تؤمن بالله، لا يوجد إلا الله إله، حينما ترى مع الله أحداً، لا يوجد مع الله قوي، لا يوجد مع الله غني هو الغني وحده لا يوجد مع الله رحيم هو الرحيم وحده، هو اللطيف وحده، لذلك قل هو الله أحد، أحد، إذا وجد معه واحد رحيم لم يعد أحد، أذا وجد بهذه المنطقة طبيبين معهم بورد لا أستطيع أن أقول أنني وحدي معي هذه الشهادة و هي أنه طبيب و فلان معه مثلها، ما معنى أحد ؟ أي الله عز وجل ليس في خلقه واحد يشركه في صفاته و أسمائه، قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)﴾

(سورة الإخلاص)

فلذلك من السذاجة المضحكة أن تظن أنه لمجرد أنك تقول الله خلق الكون فإنك تعرفه لا و الله، لا بد من أن تقف عند أسمائه اسماً اسماً، لا بد من أن تعرف القوي و الغني و الرحيم و اللطيف، الله عز وجل لطيف.

أما هذا طبيب أسنان إن أراد أن يقلع ضرساً لطفل صغير لا بد من تخديره بإبرة ألمها لا يقل عن قلع الضرس، غرس الإبرة في النيرة مؤلم لكن الله عز وجل حينما يريد أن يبدل لهذا الطفل أسنانه هل يوجد ألم ؟

فجأة وجد سنه يأكله مع الطعام.

اسمه اللطيف، بلطف بالغ لو واحد رافقك الآن يضيق خلقك منه بعد ذلك يا أخي ابتعد عني، الإنسان ظله ثقيل، الله معنا كلنا و لكن بلطف لا تحس أنه مشكلة، هو معك أينما كنت في خلوتك و في جلوتك الله عز وجل لطيف، و يجب أن تعرف شيئاً عن لطفه و عن رحمته و عن قدرته، مركبة فضائية سموها المتحدي أطلقوها و سموها المتحدي و فيها سبعة رواد فضاء مع امرأة بعد سبعين ثانية كانت كتلة لهب في السماء، قوي مع أنه يوجد فحص دقيق و يوجد عد تنازلي، أنا أدعوكم في هذه الصورة إلى معرفة الله و إلى معرفة أسماء الله الحسنى، و هناك دروس من فضل الله فيها توفيق يمكن أن تستمع لكل اسم ساعة بأكملها أو خمسين دقيقة، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الرزاق، السميع، العليم، الخبير، أحد أكبر مهماتك في الإيمان أن تعرف أسماء الله الحسنى، وحده الرحيم ولا رحيم سواه، وحده القوي ولا قوي سواه.

العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني منهما شيئاً أذقته عذابي ولا أبالي.

قل هو الله أحد يعني واحد غير أحد، واحد عدداً، أحد نوعاً، لو فرضنا طبيب بقرية ولكنه درجة عاشرة ولكن نقول هذا واحد، ولكن طبيب بين مائة ألف طبيب لا يوجد أحد بمستوى علمه نقول هذا أحد، الواحد غير العدد، فالواحد غير الأحد، الله عز وجل قال: قل هو الله أحد، كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك، كلمة الله تعني أسماءه الحسنى كلها، الكلمة الجامعة المانعة، يا رحيم، يا قوي هذا دعاء كله كلام طيب، أما إذا قلت يا الله أي رحيم و عليم و قوي و قدير و متين و خبير و رزاق و سميع و مجيب، إذا قلت يا الله أي مائة اسم، كلمة يا الله تغني عن مائة اسم، قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)﴾

(سورة الإخلاص)

ليس في خلقه من يشركه في علمه و لا في قدرته، فحينما ترى أن الله عز وجل بيده كل شيء و إليه مصير كل شيء و هو فوق كل شيء و هو في كل شيء و هو قبل كل شيء و هو بعد كل شيء و ليس شيئاً في شيء عندئذ تتوجه إليه وحده، هذا التوحيد و هذا هو الدين كله قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)﴾

(سورة الأنبياء)

حينما توقن أنه ليس مع الله أحد و لا يرقى إلى كماله أحد تتجه إليه وحده، أما و الله أيها الأخوة آلاف مؤلفة، ملايين مملينة من المسلمين الذين يقولون لا إله إلا الله و هم يعبدون آلاف الآلهة، لأقول لكم الآن أمثلة:

من أطاع مخلوقاً كائناً من كان و عصى خالقه فهو ما قال قل هو الله أحد، الذي أطاعه و عصى من أجله ربه رآه أقوى من الله فآثر طاعته على طاعة الله.

من أرضى زوجته على حساب دينه ما قال قل هو الله أحد إطلاقاً، رأى رضاء زوجته أغلى عنده من إرضاء الله عز وجل.

فالقضية ليست قضية كلام إنها قضية ممارسات، فالإنسان حينما يغش و سيربح مائة ألف بهذا الغش، رأى هذه المائة ألف أغلى عنده من رضوان الله، عصى الله و غش الناس، فالذي يغش الناس لم يقل قل هو الله أحد إطلاقاً و الذي لا يقيم الإسلام في بيته إرضاءً لزوجته لم يقل قل هو الله أحد، يعبد زوجته مع الله، و الذي يطيع مخلوقاً و يعصي خالقاً لم يقل قل هو الله أحد، القضية خطيرة جداً، القضية ليست أن تقول قل هو الله أحد قلها، إبليس قال له ربي فبعزتك، أي دخل الجنة ؟ كلا، العبرة ألا ترى مع الله أحداً، هو وحده الرحيم و القوي، أما حينما تيأس فلا يوجد أمل للمسلمين، أي الأقوياء أقوى من الله لأن الله ما فيه أن يساوي شيئاً، الفعل فعلهم، أنت أشركت و لم تشعر، حينما تيأس معنى ذلك توهمت أن أقوياء الأرض أقوى من الله أي أن الله لا يتدخل، هم يفعلون ما يفعلون و الأمر كما يريدون، هذا هو الشرك، ينبغي أن ترى أن الله بيده كل شيء و أنه لا إله إلا الله و أن الأمر راجع إليه و أنه يفعل ما يشاء و أنه لا يُسأل عما يفعل و هم يُسألون و أنه بيده الخلق و الأمر قال تعالى:

﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً (26)﴾

(سورة الكهف)

و كذلك:

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18)﴾

(سورة الأنعام)

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (10)﴾

(سورة الفتح)

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17)﴾

(سورة الأنفال)

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)﴾

(سورة فاطر)

هذا التوحيد، فهذه سورة التوحيد و تعدل ثلث القرآن و لنا جلسة أخرى إن شاء الله مع هذه السورة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-3) : الله الصمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، لا زلنا في سورة الإخلاص:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2)﴾

معنى الصمد ؛ أي أن الله جل جلاله لا يستمد وجوده، ولا استمرار وجوده من أحد، أما نحن سبقنا عدم، ثم وجودنا، وننتهي إلى عدم، ونحن موجودون مفتقرون إلى أسباب استمرارنا، لولا الهواء نموت، لولا الماء نموت، لولا الطعام نموت، لولا الزواج تنشئ مشكلة كبيرة جداً، لو تعطل أحد الأجهزة لأصبحت حياتنا جحيماً، أي جهاز، أي عضو، فنحن مفتقرون إلى الله في كل شيء، لكن الله جل جلاله غني عن كل خلقه.

﴿ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ﴾

(سورة إبراهيم: 8)

﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ﴾

(سورة الزمر: 7)

((عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا))

(قطعة من حديث طويل، أخرجه مسلم)

وجود الإنسان مفتقر إلى من يمد بالحياة، في شخص له مشكلة كبيرة، رجل توسط أن يحلها له، مقابل مبلغ ضخم جداً، فجاء على أمل أن يستقبله في المطار، ويحل له هذه المشكلة، جاء من أمريكة وصل الجمعة، كان الذي وعده أن يحل له المشكلة وتقاض مبلغ كبير مات الخميس، ما في إنسان يملك وجوده بعد دقيقة، إطلاقاً، لكن الله جل جلاله " الله الصمد " لا يحتاج في وجوده، ولا في استمرار وجوده إلى جهة خارجة عنه، إذا الإنسان ضغط على رقبته يموت، إذا وضع له غاز يموت، إذا توقف قلبه يموت، يعني نحن مفتقرون إلى ألف شرط، حتى نكون في صحة طيبة، ألف شرط، القلب بانتظام الدسامات، الشرايين، الأوردة، الكبد، الكليتين، المعدة، الأمعاء الأعصاب، الجهاز العضلي، الجهاز العظمي، الغدد كلها، نحن مفتقرون إلى الله في كل شيء، ما معنى العزيز ؟ يعني الصمد، يعني يحتاجه كل شيء، في كل شيء، من أوسع التعريفات، يحتاجه كل شيء في كل شيء، لكن الله جل جلاله غني عن كل شيء، من أي شيء، هذا معنى " الله

الصمد " وجوده ذاتي، حي باقي على الدوام لا بداية له، ولا نهاية له، قديم باقي، أزلي أبدي، لا شيء قبله ولا شيء بعده.

النقطة الدقيقة الآن الإنسان إذا تعلق بما سوى الله، ما سوى الله فان.

﴿ كل من عليها فان ﴾

(سورة الرحمن: 26)

ما سوى الله ضعيف.

﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ﴾

(سورة الفرقان: 3)

أما إذا ربط مصيرك مع الإله، الإله الأبدي الأزلي، يعني ممكن إنسان يعلق آماله على شخص قوي، يموت فجأة، أو ينحى عن مكانه، ضاعت كل آماله، أما إذا كنت مع الله عز وجل، ما في عندك مشكلة إطلاقاً، لأن الله حي باقي على الدوام، بيده الأمر.

﴿ ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾

(سورة هود: 123)

بيده مقاليد السماوات والأرض، لا يشرك في حكمه أحد، خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل، هذا الله عز وجل.

لذلك أيها الأخوة الكرام: لا يليق بك كإنسان، أنت مخلوق أول مخلوق مكرم، مخلوق مكلف، لا يليق بك كإنسان أن تكون لغير الله إذا كنت لغير الله احتقرت نفسك، أنت لله، هذا الذي يبع نفسه إلى ما سوى الله، يحتقر نفسه، لأن الله عز وجل يقول: خلقت لك الكون من أجلك فلا تتعب، وخلقتك من أجلي فلا تلعب، فبحقي عليك، لا تتشاغل بما ضمنت لك عم افترضت عليك، الماء للتراب، والتراب للنبات، والنبات للحيوان، والحيوان للإنسان، والإنسان لمن ؟ لله الواحد الديان لمجرد أن تكون تابع لأحد، مجيراً لأحد، أن تكون محسوباً على أحد فقد احتقرت نفسك.

سئل عالم رحمه الله كان في بريطانية يجري عملية جراحية سألته إذاعة لندن أنه ما هذه المكانة التي حباك الله بها ؟ ماذا يقول ؟ أجاب إجابة رائعة، قال لأنني محسوب على الله، الآن فلان محسوب على فلان، فلان من جماعة فلان، فلان لفلان، فلان خادم لفلان فلان مجير لفلان، لمجرد أن تكون تابع للإنسان احتقرت نفسك أنت لأن هذا الإنسان ضعيف مثلك، لا يملك لك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً، ولا نشوراً، ولا رزقاً،

ولا أمنا، لذلك من أشد العذاب أن تعلق أملك على إنسان ضعيف مثلك، يموت، كل مخلوقٍ يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت.

أحد خلفاء بني أمية الكبار كان في الحج، رأى في الحرم المكي عالماً جليلاً، أراد أن يتقرب إلى الله بخدمته، قال له سلني حاجتك قال له والله إني أستحي أن أسأل غير الله في بيت الله، التقى به خارج الحرم، قال له سلني حاجتك، قال له وَاللَّهِ ما سألتها من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها ؟ قال له سلني حاجتك، قال له أدخلني الجنة وأنقذني من النار، قال له هذه لا أملكها، قال له إذاً ليس لي عندك حاجة.

عظمة المؤمن أنه محسوب على الله، وَاللَّهِ عز وجل لا يخزيه أبداً، هارون الرشيد على علو قدره، وكل القصص التي تشير إلى أنه عنده جواري، ونساء، كلها لا أصل لها، كان يحج عاماً، ويغزو عاماً على علو قدره، وعلى تدينه وصل إلى المدينة فقال: أريد عالماً نستفيد منه، فجاءوا الإمام مالك، إمام دار الهجرة، قالوا يا إمام أجب أمير المؤمنين، قال قولوا له يا هارون العلم يؤتى ولا يأتي، فلما قالوا له هذا قال صدق، نحن نأتيه، فلما أخبروه، قال قولوا له إن أتيتنا لا ينبغي أن تتخطى الرقاب، يجب أن تجلس حيث ينتهي بك المجلس، قال صح كلام طيب، فلما وصل إلى المسجد أعطوه كرسياً في آخر بالمسجد يجلس عليه، فقال الإمام مالك من تواضع لله رفعه، ومن تكبر وضعه قال خذوا عني هذا الكرسي، جلس على الأرض، لأن الإمام مالك محسوب على الله.

سؤل الإمام حسن البصري، يا إمام لم نلت هذا المقام ؟ قال لاستغنائي عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي، الآية معكوسة الآن فإذا استغنى الناس عن علمي هذا الذي يعلمهم، وكان هو محتاج إلى دنياهم سقط العلم والعلماء، لاستغنائي عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي.

المنصور كان من أقوى خلفاء بني العباس، التقى بأبي حنيفة مرةً قال له يا أبى حنيفة: لو تغشيتنا، تعال وزرنا، نحبك نحن، قال ولم أتغشاكم وليس لي عندكم شيء أخافكم عليه، وهل يتغشاكم إلا من خافكم على شيء إنك إن قربتني فتنتني، وإن أبعدتني أزريتني، مالي حاجة، حينما تكون محسوباً على الله ترفع رأسك، حينما تكون محسوباً على الله لا تنافق أبداً، لأن الذي منحك الحياة هو وحده يأخذها منك، ولا جهةً أخرى، إن الذي منحك الرزق هو وحده يمدك به ودقق في قوله تعالى:

﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾

أيها الأخوة الكرام: هذا معنى " الله الصمد " كن مع الصمد إذا كنت معه، وقعت عين المطاردين على عين أبي بكر، قال له يا رسول الله وقعت عينه على عيني، قال يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى:

﴿ وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾

(سورة الأعراف: 198)

الله جل جلاله لا تدركه الأبصار، فإذا كنت معه أيضاً لا تدركك الأبصار، إذا كنت ملتجأً إليه، الآخرون لا يرون عليك شيئاً، فإذا كنت معتزاً بنفسك بحثوا لك عن مشكلات لا نهاية لها، إذا كنت معه لا أحد يستطيع أن يصل إليك، إذا كان الله معك فمن عليك، عدوك اللدود يخدمك، وإذا تخلى الله عنك أقرب الناس إليك، زوجتك، وأولادك يهينوك، إذا تولاك الله خدمك أعدائك، وإذا تخلى الله عنك أهانك أقربائك هذه حقيقة، ينبغي أن نكون مع الله.

كن مع الله ترى الله معك واترك الكل وحاذر طمعك

فإذا أعطاك من يمنعه ثم من يعطي إذا ما منعك

يعني الله عز وجل له معنى ألف خيار وخيار مليون خيار ممكن عضو بسيط يعطله الله عز وجل، تصبح حياة الإنسان جحيماً لا يطاق، فأنت تحت ألطاف الله عز وجل، إذا كنت معه كان معك عبدي أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد، ما في إلا إله واحد، هذا الذي يقود أقوى دولة بالعالم، الله عز وجل فضحه 12مرة زنى بها هذا التي عنده في البيت الأبيض أليس كذلك ؟ الله عز وجل بيده كل شيء، هذا الذي يظن أنه أقوى إنسان بالعالم امرأة ضعيفة وضعته بالوحل أليس كذلك ؟ هذا ربنا عز وجل أما إذا كنت مع الله لا يستطيع أهل الأرض جميعاً أن يصلوا إليك، لأنه " الله الصمد " أما أنت وجودك مبني على عوامل خارجية، لكن ربنا عز وجل وجوده ذاتي، قديم، أبدي حي باقي على الدوام.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا وأكرمن ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-3) : لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة المؤمنون: لا زلنا في سورة الإخلاص، التي تتحدث عن الله عز وجل، وقد ذكر النبي عليه الصلاة والسلام، أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن، لأن فيها وصفاً جامعاً مانعاً لذات الله عز وجل تحدثت في الدرس الماضي " الله الصمد " أن وجوده ذاتي لا يحتاج إلى شيءٍ خارج عنه، بعكس مخلوقاته، وجودهم مفتقر إلى إمداد خارجي، واستمرار حياتهم مفتقرة إلى إمداد خارجي، ومصيرهم إلى الفناء، أي مخلوق ما سوى الله، يسبقه عدم، وينتهي إلى عدم إذاً هو حادث، الله وحده واجب الوجود، ما سواه ممكن الوجود، يعني سبقه عدم، وسيعقبه عدم، له بداية وله نهاية، مادام ممكن الوجود لابد له من موجد، وما دام ممكن الوجود لابد له من نهاية لوجوده شأن مخلوقات الله هكذا، المخلوق حادث يسبقه عدم إذاً لا بد له من موجد، وينتهي إلى عدم، إذاً لا بد له من خالق لهذا العدم.

﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ﴾

(سورة الملك: 2)

أما:

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3)﴾

الإنسان من طبيعته أنه زمن، والزمن له تأثير واضح فيه، فكل منا قبل أربعين عاماً غير وضعه الآن، لونه، تجاعيد وجهه، لون شعره، انحناء قامته، ضعف قوته، هذه من تأثيرات الزمن، وكما قال سيدنا عمر بن عبد العزيز: الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما فالإنسان يحتاج إلى ولد، هذا الولد يعد استمراراً لوجوده، لأنه ضعيف ولأن صحته خطها البياني هابط، ولأنه يكبر سنه، ويضعف بصره ويشيب شعره، وينحني ظهره، إذاً هو يميل نحو الضعف، يميل نحو التلاشي، في بالإنسان في أعماقه رغبة أن يبقى مستمراً، كيف يبقى الإنسان مستمراً من خلال أولاده، ينجب أولاد، ينشئهم كما يتمنى أولاً يتمنى أن يعنونه حينما يكبر، ويبتغي أن يكونوا استمراراً لوجوده كل هذه المعاني لا تليق بذات الله جل جلاله " لم يلد " الإنسان يلد ليكون ابنه خليفة له، يلد ليكون ابنه معيناً له، يلد ليحقق في ابنه ما فقده في ذاته، هذا شيء معروف، الإنسان إذا فاته العلم، يتمناه في ولده والأب الذي فاته الغنى يتمناه في ولده، فالإنسان أحياناً، الإنسان حينما يتزوج يهدف إلى إنجاب ولدٍ يعينه حينما تضعف سنه، ويهدف إلى إنجاب ولدٍ يكون استمراراً لوجوده، ويهدف إلى إنجاب ولدٍ يكون تحقيقاً لما عجز عن تحقيقه، هذه علة رغبة الناس من إنجاب الأولاد، لكن هذه الأهداف الثلاثة لا تليق بالله عز وجل، لذلك " لم يلد " الله عز وجل هو هو، لا يضعف، لا يطرأ على أسمائه الحسنى وصفاته

أي تعديل هو هو، لأن الزمن من خلقه، نحن خاضعون للزمن، نحن تحت سيطرة الزمن، نحن أشخاص نتحرك لهدف ثابت، البعد الزمني أساسي عندنا، أما الزمن عند الله عز وجل من خلقه، أحد مخلوقاته هو الزمن، لذلك نحن نخضع للزمن في تطوير أجسامنا، وتغيرها من حالة إلى حالة، لكن الله جل جلاله حي باقي على الدوام، نحن ننام من شدة التعب، نتعب في النهار فننام في الليل، ربنا عز وجل:

﴿ الله لا إلـه إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾

(سورة البقرة: 255)

نحن ننسى.

﴿ قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾

(سورة طه: 52)

نحن نخطئ ربنا عز وجل يقول:

﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ﴾

(سورة هود: 56)

الله عز وجل ألزم نفسه بالاستقامة إلزام ذاتي، فكل ما خطر في بالك بالله بخلاف ذلك، ليس كمثله شيء، واحد لا شريك له، يقول الناس واحد أحد، فرد صمد، من الكلمات التي يصفون بها ذات الله عز وجل واحد أحد، فرد صمد، يعني تعليق لطيف، واحد ليس له شريك، وأحد ليس له مثيل، واحد غير أحد، واحد ليس له شريك يعني في بهذه القرية طبيب واحد، قد يكون من الدرجة العاشرة، لكن ما في طبيب آخر، نقول طبيب واحد، لكن في بالقرية مائة طبيب إلا أن هذا الطبيب متفوق باختصاصه نقول هذا أحد، من بين الأطباء، أول معنى واحد لا شريك له، أما الثاني، واحد لا مثيل له، واحد أحد طبعاً واحد تعطي المعنى العددي الكمي، أما أحد تعطي العدد النوعي نقول هذا الطالب كان الأول، يعني في مائتين وخمسين طالب هو الأول في نجاحه، أو الرابع، ما معناه هو أربع أشخاص هو واحد، أما مرتبته الرابع، وزن فاعل في الأعداد، تعطي معنى النوع، أما العدد الأساسي يعطي معنى الكم، هؤلاء أربعة، العدد أربعة، أما هذا فلان هو الرابع في صفه، مرتبته الرابعة، فلذلك ربنا عز وجل قال:

﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾

(سورة الزخرف: 81)

الأول هنا بمعنى أول من عبد الله عز وجل ، نال الدرجة الأولى في العبادة، فالأول هنا تعني، النوع " لم يلد" لا يحتاج إلى ولد وهذا رد على من قال إن لله ولد " لم يلد " لا يحتاج إلى ولد، ليستمر به وجوده، ولا يحتاج إلى ولد ليعينه، ولا يحتاج إلى ولد ليكمل نقصه به، أما كل واحد منا، يتزوج ليكمل نقصه بزوجته، هو في عنده أفق واسع لكن عنده فقر بالعاطفة، المرأة تكمل زوجها بعاطفتها، والزوج يكمل زوجته بأفقه، وفكره، وقراره، وإرادته، وجلده، فكل منا يتكامل مع الآخر، يكمل نقصه في، والآباء دائماً يبحثون عن أولاد ليكملوا نقصهم بهم، يلي فاته يحققه في ابنه، قال ربنا عز وجل " لم يلد ".

أما: " ولم يولد " ما في جهة كانت سبب في وجوده، لكن الإنسان الله سبب وجوده، الإنسان له مسبب، له مسبب مباشر أبوه وأمه، وله مسبب غير مباشر وهو الله عز وجل، فالأب والأم سبب وجود الإنسان، تزوجا فأنجبا، لكن الله عز وجل لولا أنه خلق هذه النطفة في رحم الأم، ونقلها من حال إلى حال، لما كنت إنساناً والدليل يقول الله عز وجل:

﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾

(سورة الإنسان: 1)

ما كان لك وجود أنت، لكن أبوك وأمك كانا سببي وجودك، و الله عز وجل هو مسبب الأسباب.

الشيء الثاني: " لم يلد ولم يولد " ما في جهة أكبر منه، ما في أعظم منه " لم يلد ولم يولد " لا يحتاج إلى ولد، وليس بسبب أب أكبر منه.

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (4)﴾

يعني، شو معنى الله أكبر ؟ مهما عرفت من كماله، فهو أكبر مهما عرفت من قوته هو أقوى، مهما عرفت من رحمته فهو أرحم مهما عرفت من علمه فهو أعلم، أيام تقرأ مقالة لإنسان علمية تشعر بوجع في رأسك، من شدة تعقيدها، وهي كشف لقانون كوني، فكيف مقنن القانون، كيف ؟ كيف وما تسقط من ورقة إلا وهو يعلمها، في أيام الخريف كم ورقة تسقط، بالعالم كله ؟.

﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ﴾

(سورة لقمان: 27)

الواحد منا إذا اشترى ليتر حبر، أنا أعتقد يكفيه من صف الأول لخمسين سنة قادمة، ليتر حبر واحد، إذا في عنده متر مكعب حبر إذا في عنده خمس أمتار مكعبة حبر، إذا في عنده بحيرة كبحيرة بردى نبع بردى حبر، إذا في عنده بحر المتوسط كله حبر، المحيط الهادي الخمس محيطات، ضرب سبعة

﴿ سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾

﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾

(سورة طه: 109)

تصور إنسان واقف بالطريق توجه نحو الشمس وتحمس لينفخ عليها كي تنطفئ، تصور، كلام دقيق أقوله، وقف بالشمس توجه نحو قرصها وسحب نفس طويل وأراد أن ينفخ عليها كي تنطفئ الشمس، كم هو أحمق، دقق في قوله تعالى:

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ".﴾

(سورة الصف: 8)

نور الله أبلغ من نور الشمس، الشمس لا تستطيع أن تحرك ساكناً فيها، لسان لهبها طوله مليون كيلومتر، لسان لهبها، في أيام الكسوف هناك تصوير للشمس، طبعاً يغيب عنا قرص الشمس تماماً تبق الألسنة، ألسنة اللهب قاسوها عن طريق الطيف، وجد طولها مليون كيلومتر لسان لهب الشمس، فهل تستطيع أن تطفئها بنفخة ؟ وهذا الذي يتوهم أنه يستطيع أن ينهي الإسلام، إنسان يحتاج إلى مشفى مجانين يعني زرت تركيا، وزرت هذا قصر بهجت دولما، يلي كان ساكنه كمال أتترك، وهذا الرجل أراد أن يلغي الإسلام، إلغاء كلي، يغير اللغة ويغير، ومنع الأذان، ومنع التدين، ومنع اقتناء المصحف، ومنع خطر ببالي وأنا في قصره خاطر، أنه ولا ألف طاغية يلغوا الإسلام يفطسوا والإسلام باقي، ولا ألف طاغية كأن تترك، يلغون الإسلام يفطسون والإسلام باق شامخاً.

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾

(سورة التوبة: 32)

لا تقلق على الإسلام إنه دين الله، أقلق هل سمح الله لك أن تنصره أو لم يسمح ؟ هل منحك هذا الشرف ؟ هل منحك أن تكون جندي لهذا الدين ؟ هل منحك شرف أن يجري الله الخير على يديك ؟ على هذا أقلق، وما سوى ذلك لا تقلق، فإن الله سبحانه وتعالى ناصر نبيه والدليل:

الآن صدق أو لا تصدق، إنسان ملاحق وضعت مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، أثناء الهجرة تبعه سراقة، غاصت قدما فرسه في الرمل، ثم تبعه ثانية، فغاصت ثانية، فطلب الأمان، طيب واحد ملاحق، وضعت مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، يقول له يا سراقة، دقق، ما قالها وهو في المدينة، ما قالها وهو في أعلى مراتب قوته، قالها وهو في أضعف حالة وهو ملاحق مهدور دمه، قال له كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى تصور هيك إذا واحد باليمن بقرية من قرى صنعاء تقول له كيف بك إذا جلست محل كلينتون، تصور، كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى، دهش، في عهد

سيدنا عمر جيء بتاج كسرى، وحلي كسرى وكل مقتنيات كسرى، وقال عمر أين سراقة، فجاء سراقة ألبسه سواري وتاجه، وقال بخ بخ أعرابياً من بني مدلج يلبس تاج كسرى لقد صدق رسول الله، النبي ما كان قلق على الدين، وهو في طريق الهجرة، مهدور دمه، مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، ما كان قلق على الدين، لما ذهب إلى الطائف وكذبوه وآذوه، قال له سيدنا أسامة والده زيد، قال له كيف تعود إلى مكة وقد أخرجتك، قال إن الله ناصر نبيه، شايف الثقة، أنا أقول لكم، لا تقلقوا على الإسلام، إن الله سينصره، لكن لنقلق ما إذا سمح الله لنا أن نصره أو لم يسمح، بقوله تعالى:

﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾

(سورة محمد: 38)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا وأكرمن ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني عشر : تفسير سورة الفلق

الدرس (1-1) : تفسير السورة

الدرس (1-1) : تفسير السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون ؛ بدأت في الدرس قبل الماضي بسورة الفلق وشرحنا بعض منها وها أنا أتابع شرح هذه السورة .

ربنا جل جلاله هو رب الفلق ، رب الصبح ، رب الضياء ، رب النور ، هو المنور ، هو الهادي ، هو الذي يكشف ، هو الذي يبين ، بالمعنى المادي من خلق الشمس ونور بها العوالم ؟ الله جل جلاله ، بالمعنى الآخر المعنوي من ألقى في قلب المؤمن نوراً يهديه سواء السبيل وهذا ثابت في القرآن الكريم قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة الحديد الآية : 28]

فهناك نور مادي يريك ظواهر الأشياء ، وهناك نور آخر يلقى في قلب المؤمن فيرى الحق حقاً ويرى الباطل باطلاً ، وذكرت في درس سابق أن كل أفعال الإنسان أساسها رؤية ، فالذي يسرق يرى أن السرقة مغنم والذي يزني يرى أن الزنا مغنم ، والمؤمن لأن رؤيته صحيحة يرى أن طاعة الله هي المغنم قال تعالى :

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

[سورة الأحزاب الآية : 71]

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[سورة الحجرات الآية : 10]

فالقضية قضية رؤية ، أفعالك وحركاتك ، وسكناتك وحركاتك على وجه الأرض تنطلق من رؤية فإذا صححت الرؤية صح العمل وسعدت في الدنيا والآخرة ، وإذا اضطربت الرؤية فسد العمل .

ما من إنسان على وجه الأرض يرتكب خطأ أو يأكل مالاً حراماً أو يقتنص لذة محرمة إلا وهو يرى أن هذا العمل صواب وأن هذا العمل مغنم وأن هذا العمل فيه مكسب كبير قال تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

[سورة الحج الآية : 46]

إنسان أوصى جاره بزوجته وسافر فخانه في زوجته ، فجاءه كلب وأكله بلغ ذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((خان صاحبه ، والكلب قتله ، والكلب خير منه))

رأى أن الخيانة مغنماً ، والمؤمن يرى أن الإخلاص مغنماً الذي ينور القلوب هو الله ، فإذا كنت مع النور أنت مع الله ، أنت مع الحقيقة ، أنت مع الصواب ، أنت مع الرؤية الصحيحة ، أنت مع الحق قال تعالى :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾

[سورة الفلق الآية : 1]

لكن يوجد في العوالم أشرار ، ما هو الشر ؟ الشر المطلق ليس له وجود على الإطلاق وهو الشر للشر ، الشر المطلق يتنافى مع وجود الله تعالى لكن يوجد شر نسبي ، أي هو شر بالنسبة لهذا الإنسان لكن في النتيجة هو خير .

الله عز وجل يوظف الشر للخير المطلق ، يوظف الشر النسبي للخير المطلق ، تؤتي الملك لمن تشاء هذا خير ، وتنزع الملك ممن تشاء هذا شر نسبي لمن نزع الملك منه ، وتعز من تشاء هذا خير ، وتذل من تشاء هذا شر نسبي لأنه بيدك الخير المطلق .

لو فرضنا أب عالم ومربي وله ابن شدد عليه وحاسبه ، وضربه ، ووبخه ، وضيق عليه حتى نال أعلى شهادة وعاش حياة كريمة ، فماذا نقول ؟ هناك شرور نسبية أصابت هذا الابن انتهت به إلى الخير وهذا فعل الله عز وجل ، من شر ما خلق ، الشر في الأصل إذا نسب إلى مخلوق لابد من أن يكون مخيراً ، ولابد من أن تكون أودعت فيه الشهوات ، ولابد من أن يكون قد ترك منهج الله ، يخرج منه الشر .

الشر إساءة استعمال ، فالمرأة مصممة للرجل ولكن مصممة أن تكون زوجة له لا أن تكون عشيقة له . الشر هو الخروج عن حكم الله عز وجل ، المال محبب ، الله أودعه في النفوس ، لكن حينما كسب عن طريق حرام صار شراً .

المخلوقات خلقت خيرة ، أما إساءة استعمالها يؤدي إلى الشر ، إخواننا الذين لهم علاقة بالميكانيك كيلو سكر ثمنه ثلاثون ليرة ضعه في محرك سيارة يكلفك المحرك ثلاثون ألفاً ، السكر مادة أساسية وغذائية ، أما وضع السكر بالمحرك يتلف المحرك ، فالمحرك خير لنفع الإنسان لينقله من مكان إلى مكان والسكر مادة غذائية أساسية ، أما سوء استعمال السكر بالمحرك صنع شراً ، وهذا الشر ليس من الأصل شر ، شر طارئ ، شر ناتج عن سوء الاستعمال .

كل شيء الله خلقه خير ، يأتي الشر من إساءة الاستعمال ، من إفساد الشيء ، من إخراجه عن صفاته الأساسية ، من شر ما خلق ، الله ما خلق شراً ابتداءاً ولا خلق شراً أصيلاً ، الشر عارض بدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((والشر ليس إليك))

شركة سيارات تصنع أرقى أنواع السيارات حينما يقود إنسان هذه السيارة سكران وينزل في وادي وينقطع عموده الفقري ويصاب بالشلل ويخسر قيمة السيارة ، شرور السيارة تلفت والصحة تلفت ، هل نقول أن هذا المعمل يصنع الشر ؟ لا ، يصنع سيارة مريحة جداً مصممة لتؤدي كل رغباتك ، أما إساءة استعمال السيارة أن يقودها إنسان وهو ثمل ، لا نقول أن المعمل يصنع السيارات لتموت الناس بها ، لا ، المعمل يصنع سيارات ليرتاح الناس بها ، فالشر ليس في أصل الخلق ، الشر طارئ ناتج عن سوء الاستعمال ، ناتج عن إنسان مخير أودعت فيه الشهوات ضرب منهج الله عرض الطريق ، وتحرك حركة عشوائية .

أحدهم جائع أكل تفاحة ، شيء طبيعي أن يأكل تفاحة وهو جائع ، لكن إن أكلها سرقةً خالف الحكم ، لو أكلها تسولاً خالف الكرامة ، لو أكلها ضيافةً حقق الفائدة ، لو اشتراها بماله ، هذه التفاحة لك بإمكانك أن تأكلها تسولاً ، وبإمكانك أن تأكلها سرقةً لا سمح الله ، ...

شراء ، هدية ، تسول ، سرقة ، أما أصل التفاحة خير وهي مصصمة لك وأنت مهيأ لها ، أما حينما تأكلها سرقةً صار الشر مخالفة الحكم الشرعي ، قال تعالى :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾

[سورة الفلق الآيات : 1-3]

وقب يعني دخل ، والغاسق هو الليل ، والإنسان في النهار حواسه تنقل له كل ما حوله ، أما في الليل تتعطل حاسة البصر ، لأنه نائم ولو كان مستيقظ الظلام ستر ، يوجد مفاجآت في الليل ، الله عز وجل جعل الليل لباس ، وجعل الليل سكن ، وجعل الليل نوم ، والنوم نوع من الموت ، الإنسان وهو نائم معطل كل شيء عنده فما الذي يحفظ الإنسان وهو نائم الله عز وجل لذلك الإنسان إذا أوى إلى فراشه يقول : يا رب إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فأحفظها مما تحفظ به عبادك الصالحين إما أن تفسر الغاسق الشيطان إذا دخل صدر الإنسان ، أو هذا الليل البهيم إذا لف الأرض بسواده .

﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾

[سورة الفلق الآية : 4]

أول مهمة للشيطان إفساد العلاقات ، أول مهمة من مهمات الشيطان إيقاع العداوات بين البشر ، التحريش بين المؤمنين ، إفساد العلاقة بين الزوجين ، إفساد العلاقة ضمن الأسرة الواحدة ، إفساد العلاقة بين الأخ وأخيه ، بين الأم وابنها ، بين البنت وأبيها ، أي فساد علاقة مبعثه الشيطان .

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

[سورة الفلق الآية : 5]

الحاسد هو إنسان محروم وجاهل وحاقد ، وإنسان آخر محسود خرج على قومه بزينته ، هل من المعقول أن يقف مستخدم على باب فندق خمس نجوم ، الناس يأتون بسيارات فاخرة مع زوجات شبه عرايا يأكلون ويرقصون ويتنعمون وهذا الحاجب يقف ، سوف يحسد ويشتهي أن يكون غنياً ، ويشتهي أن يكون قوياً ، ويشتهي أن يكون له زوجة كهذه الزوجة ، ويشتهي أن ينام ويرتاح لا أن يسهر ويحرس .

عندما الإنسان يظهر بزينته ، بما يملك من مال ورفاه ، لعله يزرع في صدر المحروم الحسد ، والحاسد الجاهل يحقد ، والله أعلم تخرج أشعة من هذا الحاسد تخرق المحسود .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

((إن العين لتضع الجمل في القدر ، والرجل في القبر))

المحسود الغافل تصيبه عين الحاسد ، الحاسد إنسان محروم وحاقد ، ومشرك وجاهل يتمنى أن تزول هذه النعمة عن هذا الإنسان لتصير إليه كيف أنك الآن بأشعة الليزر تجري عملية ترقيع شبكية ، يوجد أشعة لطيفة لا تراها تخرق الجسم وتفعل فعلها في الجسم ، لذلك الحاسد والله أعلم وهو ثابت في القرآن والسنة ، قارون خرج على قومه بزينته قال تعالى :

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القصص الآية : 79]

قال تعالى :

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : 83]

الإنسان عندما يريد العلو في الأرض يسلط عليه الحاسد ، يسلط عليه إنسان حاقد محروم يصيبه بأشعة قاتلة، امرأة تتباهى بأولادها يمرض ، إنسان يتباهى بثيابه الغالية جداً تتمزق ، يتباهى بمركبته الغالية جداً يجري حادث ، إذا الإنسان أراد أن يستعلي ببيته بأولاده بثيابه بمركبته يأتي الحاسد يتألم محروم حاقد ، عنده أشعة قاتلة ، المحسود غافل يصاب هذا المحسود بشر عمله ، إلا إذا كان المحسود متواضع ومتأدب مع الله ولم يظهر ما عنده وكان موصول بالله ، عندئذ هو محصن لا تصيبه عين الحاسد إذا كان مستعيذ بالله من عين الحاسد لا تؤذيه عين الحاسد .

معنى ذلك أنك إذا كنت متصل بالله لا يؤذيك لا شيطان ولا جن ولا عين حاسد ولا ساحر ، كل هؤلاء مع الشياطين ، والشيطان مهمته أن يصل إلى الغافل عن الله ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

[سورة آل عمران الآية : 155]

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾

[سورة الحجر الآية : 42]

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة الأعراف الآية : 200]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الأعراف الآية : 201]

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

[سورة الفلق]

الشر إفساد العلاقات ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ))

أخطر شيء في مجتمعاتنا فساد ذات البين عن طريق الحسد ، وعن طريق الكبر ، وعن طريق العجب ، فكل الأمراض يقابلها أدوية مرة ، مرة دخلت إلى بيت فاستقبلني صاحب البيت وقال لي هذا البيت مساحته أربع مائة متر ، فقلت له : الله يهنئك به ، فقال لي : هذا الطقم من إيطالية أحضرناه معنا ، فقلت له : الله يهنئك به ، فقال لي هذا البلاط من إيطالية ، وأخرت هذا الحديث ، ماذا تريد من هذا الكلام كله ؟ أن تستعلي ، قال تعالى :

﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 21]

مرتبة الدنيا لا تعني شيئاً بل هي مؤقتة ، مرتبة الآخرة تعني كل شيء وهي أبدية ، فالعبرة أن يكون لك مقعد صدق عند مليك مقتدر ، العبرة أن تكون عند الله في مرتبة عالية .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث عشر : تفسير سورة الناس

الدرس (1-1) : تفسير السورة بأكملها

الدرس (1-1) : تفسير السورة بأكملها

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون: يقول الله عز وجل في سورة الناس

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)﴾

(سورة الناس)

الرب هو المربي، الرب هو الممد، يمد المربى بكل حاجاته ويربيه وينقله من حال إلى حال، أقرب اسم من أسماء الله الحسنى إلى ا_لإنسان رب العالمين، هو الذي يربي، يربي جسمك ويربي نفسك ويعدّك لجنة عرضها السماوات والأرض.

فالمربي عنده مكافآت وعنده عقوبات لأنه مربي والدليل قصة: ثلاثة أولاد في الطريق يدخنون، مر والد أحدهم، انفعال والد هذا الولد كان بأعلى درجة، والثاني ابن أخيه والثالث لا يعرفه غريب، لعله يؤدب ابنه أشد التأديب ويتألم أشد الألم ويصب عليه جام غضبه، ابن أخيه يعنفه، أما الثالث فيقول له اذهب.

والانفعال الكبير أشد اتجاه الابن، وأقل منه اتجاه ابن الأخ، والثالث لا يتكلم معه ولا كلمة، فالمربي يمد الجسم ويربي النفس، وينقلها من حال إلى حال كي تكون مهيأة لجنة الله عز وجل.

كل ما يسوقه الله لعباده مما يكرهونه هو من باب التربية، أشرك الإنسان يربيه، اعتد بنفسه يربيه، اتجه لغير الله يربيه، أكل مال حرام يربيه، نظر إلى من لا تحل له يربيه، الله عز وجل مربي.

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (147)﴾

(سورة الأنعام)

مثل: ابن مريض مرض عضال، الأب عرف المرض ولكن خاف على أمه أن تنهار أعصابها، لم يبلغها المرض ولكن قال لها: إياك أن تطعميه هذا الطعام، ففي غيبة الأب رجاها ابنها أن يأكل هذا الطعام فسمحت له، الذي سمح جاهل والذي منع عالم، لو أن الأب أطلعها على مرض ابنها لمنعت عنه هذا الطعام ولو فعل ما فعل.

عندما تعلم حكمة المنع تقف موقفاً شديداً، أما حينما لا تعلم تتساهل، ربنا عز وجل رحيم وعليم، الرحيم أحياناً يعطيك شيء يضرك، رحمة مع جهل، هناك والدة جاهلة طلب منها ابنها وهو يعاني من التهاب في الأمعاء حاد والطبيب أمره أن يبقى على الحليب والنشويات، وهناك طعام مغلظ جداً اشتهاه الابن فأطعمته،

هذه الأم تمثل الرحمة مع الجهل أما لو فرضنا أن والده طبيب، الأب يمثل الرحمة مع العلم، فربنا رحيم ولله المثل الأعلى رحيم وعليم، لذلك يسوق من الشدائد لكل إنسان أشرك، أو انحرف، أو زلت قدمه، أو ارتكب منهي، أو اعتد بنفسه أو تكبر يسوق له علاجاً يحجمه ويعيده إلى حجمه الصحيح إلى عبوديته هذا معنى قل أعوذ برب الناس، ولكن المربي لا يملك، أما ربنا عز وجل رب ومالك كل شيء قال تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3)﴾

(سورة الناس)

إله الناس المسير، أنت تربي هذا الابن وتملك ناصيته، أما الشمس ليست بيدك، القمر ليس بيدك، صار فيضان في الصين يمكن ثلث مساحة الصين مغمورة بالمياه الآن، كل شيء فسد، لو فرضنا أن في الصين مربين لكن أمر الإمطار ليس بيدهم، أما ربنا عز وجل هو المسير وكل ما في الكون يسيره هو، كل ما في الكون يملكه، أنت تملك بيت صدر قرار استملاك فقدت البيت، أنت مالك ولكن لا تملك مصير البيت، إنسان استأجر بيت يملك المنفعة ولا يملك الرقبة، يصدر قرار استئجار جديد فيخرجونك من البيت، إنسان مالك الرقبة ولا يملك المنفعة، بيت أجاره في الشهر مائة ليرة وثمنه عشرون مليون إنسان يملك الرقبة ولا يملك المنفعة، وإنسان مالك المنفعة ولا يملك الرقبة، إنسان يملك المنفعة والرقبة لكن لا يملك المصير، أما ملكية الله عز وجل يملك خلقاً وتصرفاً ومصيراً، أعلى أنواع الملكية.

معمل طائرات حربية صنع ألف طائرة وباعهم، هو صنع ولكن هذه الطائرات بيد دولة أخرى تحارب بها تفعل سلم، تعتدي على دولة أخرى يقول المعمل أنا صنعتها وبعتها ولكن لا أملكها، الله عز وجل مالك خلقاً، ومالك تصرفاً، ومالك مصيراً.

﴿ إِلَهِ النَّاسِ (3)﴾

(سورة الناس)

حركة المجرات بيد الله عز وجل، هذا الرب وهذا المالك وهذا الإله استعذ به من أخطر مرض، من شر الوسواس، كل إنسان مفروز له ملك وشيطان، الملك يلهمه الصواب والشيطان يلهمه الفساد، والإنسان مخير قال تعالى:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42)﴾

(سورة الحجر)

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)﴾

(سورة ابراهيم)

لكن أنت أيها الإنسان يوجد معك سلاح فعال، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)﴾

(سورة الناس)

لمجرد أن تستعيذ بالله يخنس، أيام يكون هناك اثنين يسبون بعضهم قل الله يهرب الشيطان، لا تملك إلا أن تستعيذ بالله الشيطان يخنس، لأن الشر أساسه فكرة، أساسه وسوسة، الذين ارتكبوا الجرائم، أخذ زوجته على بستان منذ شهرين، يظهر أنها ضربها ضرب مبرح فابتسمت امرأة أخيه فذبحها من رأسها، وبكي ابنها فذبحه، هل من المعقول إنسان يذبح إنسانين لأنها ابتسمت هذه هي الجريمة ما تفسيرها؟

يوجد وسواس جعل في رأسه الحمية تبتسم اذبحها.

أكثر الجرائم والحماقات، حلف طلاق وعنده خمس أولاد لسبب تافه، وسواس خناس، خلاف بين شريكين بسيط قال له افسخ الشركة هذا هو الوسواس، يفسد العلاقات التجارية والعلاقات الأسرية، الأقارب ثلاثون سنة يحاربون بعضهم البعض، وسواس خناس، والأولاد يحملون عداوات الآباء، أسر مفككة، الجرائم، الحماقات، الآثام، عندما تزل قدم فتاة تنتقل من امرأة إلى عاهرة، من شر الوسواس الخناس، كل شيء من الشر يرتكب بسبب هذا الخناس، الشيطان جاهز.

﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)﴾

(سورة الناس)

إذا قال لك صديق لا تصلي الآن، ماذا فيها الصلاة، هذا شيطان ولكن إنسي، يوجد شيطان إنسي وشيطان جني، انتهى مفعول الدواء فيقول له غير التاريخ فيغير الصيدلي التاريخ ويبيعها وأنا كنت أظن أنه لا يفيد فكان هذا الدواء يؤذي، لما المواد تتفكك تصبح مواد سامة.

يوجد مليون مشكلة بسبب الوسواس الخناس، أحياناً تزوير، أحياناً غش فلذلك الإنسان إذا شخص قال لك كلمة غلط قل له أنت شيطان، أما إذا جاءك خاطر غلط هذا شيطان الجن، الخواطر جن أما الحديث الشفوي إنس قال تعالى:

﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)﴾

(سورة الناس)

أنت عندما تحضر ونش ارتفاعه ثلاثون متر يحمل ستين طن، هل من المعقول أن تحضر هذا الونش من أجل أن يرفع علبة فارغة هل هذا معقول ؟ عندما تحضر ونش ستين طن معنى هذا أنه يوجد عندك بضاعة وزنها ستين طن.

من أي شي أعوذ بالله ؟ من وسوسة، لا، الوسوسة وراءها جريمة، وراءها البعد عن الله، وراءها الزنا، وراءها أكل المال الحرام، وراءها الانحراف، وراءها استخدام أجهزة مفسدة في البيت، وراءها التفرقة بين الأسر، وراءها الغش في التجارة.

ممكن أن تضع مادة مسرطنة، مادة غذائية انتهى مفعولها ليس لها قيمة يشترونها معامل غذائية ويقولون انفرمت في هذا المعمل ويشعر نفسه أنه شاطر استطاع أن يأخذ بضاعة نصف قيمتها ويصنعها وباعها، صار إشكال كلفوه بخمس مائة ألف أو إغلاق المعمل، من الذي خسرك الشيطان، وسوس لك أن تضع مادة منتهي مفعولها، وهيأ لك أناس يكشفون الحقيقة.

هذا الوسواس شيء خطير جداً، حتى يتناسب مع الاستعاذة، أنت تستعيذ برب الناس وملك الناس وإله الناس هل هو شيء بسيط ؟ لا ليس بسيط، كل شر في الأرض أساسه وسوسة، أساسه فكرة، فعل الشر أساسه فكرة والفكرة تأتي من الشيطان، فالإنسان إما مع الشيطان وإما مع الرحمن، إما أن يكون رباني، وإما شيطاني، إما رحماني وإما شيطاني، فالمؤمن يستعيذ بالله ويستعيذ برب الناس وبإله الناس وملك الناس من شر الوسواس الخناس.

يوجد مليون معصية ترتكبها ولا أحد يستطيع أن يضبطك، يقول طبيب أنت تحتاج إلى اثني عشر تحليل، هل يستطيع أذكى مريض أن يكتشف هذا الاحتيال ؟ أبداً أنت تحتاج إلى اثنين والعشرة بينك وبين المحلل، ممكن مهندس أن يسحب قضبان الحديد بعد أن كشف، سحب قضبان الحديد، ممكن محامي أن يقول لموكله دعواك رابحة مائة بالمائة وهي خاسرة مائة بالمائة، لا يعرف، الوسواس خطير جداً، الوسواس أطعمك مال حرام، دفعك إلى معصية كبيرة، دفعك إلى فراق زوجي، إلى فك شراكة، كل حماقات الناس أساسها الوسواس إلا أن هذا الوسواس خناس، إذا قلت أعوذ بالله خنس.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس